مختار الأغاني في الأخبار والتهاني



اختيار
ابن منظور محمد بن مكرم
٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ

حققه وقدم له
إبراهيم الابياري

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

تراثنا

مختار الأغاني في الأخبار والتهاني

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء الأول

حققه وقدم له

إبراهيم الأبياري

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

القاهرة
١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م
طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه
ج ٠ ع ٠ م ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتعريف

هذا الكتاب « مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى » الذى كان إلىّ تحقيقُ الجزء الأول منه ، أحد كتابين قديمين بين أيدينا عَرَضا كتابَ الأغانى لأبى الفرَج الأَصبهانى فى صُورتين مُيَسَّرتين على نَهْجين مُختلفين .

ولقد طُبِع كتاب الأغانى طبعات ، أُولاها طبعة بُلَاق سنة ١٢٨٥ ﻫ ، ثم طبعة مطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٣ ﻫ .

وعلى هاتين الطبعتين السقيمتين عاش القارئون لكتاب الأغانى عمراً يتعثَّرون ، يَقْوَى له القليلون ويَعْجِز عنه الكثيرون ، إلى أن شَمَّر لإخراجه فى طَبعة مُحقَّقَة مَشْرُوحة مَضْبوطة القِسم الأدبىّ بدار الكتب المصرية ، وكان ذلك منذ نحو أربعين عاماً .

وكان ظهور الجزء الأول من هذه الطبعة سنة ١٣٤٥ﻫ ، فإذا الكتاب يَجد إقبالا، وإذا هو يجمع عليه قُرَّاءً كثيرين .

غير أن هذه الطبعة الجديدة المُحقَّقة لم تكن لتَسُدّ حاجة العامة إلى حاجة الخاصة، وكان لا بُدّ من وصل الناس كافةً بكتاب الأغانى ، يَقرؤه الخاصَّة على صُورته الأولى، ويقرؤه العامّة على صورة من صُورتيه المُيَسَّرتين .

ذلك شىء عاشت عليه قُرون التأليف كلها منذ أن كان تأليف ، لا تكاد تَسْتثنى ، يُحمِّل المؤلِّف نفسَه عِبء هذا التَّيسير ، أو يَحْمِله عنه غيرُه من المعاصرين

أو اللاحقين ، فالناس دوماً لا يَسْتَوُون فى التَّحصيل كما لا يَسْتَوُون فى الرَّغبة ، فقُدرة البادئ دون قُدرة الرَّاسخ ، ورَغبة الإخْصائى ، فيما هو بَعيد عن ميـدانه دون رَغبته فيما هو فى مَيدانه . ولـكنهم ـ أعنى الناس ـ مَوْصولون بالقِراءة العامّة ، وهم أَوصل بهذه القراءة العامة ما تَيَسَّرت لهم الأسباب ، فإن هى صَعُبَت عليهم أَلْفيناهم مُنصرفين إلّا عمّا لا بُدّ لهم منه .

والِحرص فى جَمع الناس على القِراءة ، الذى ألفناه من المؤلِّفين السالفين ، وجدنا مِثْلَه من المَعْنيِّين اليـومَ بالتُّراث العربى ، فهم يَحْرِصون على أن يَنْشُروا أُصولَه فى طَبعات مُحقَّقة ، وهم يَحْرِصون على أن يَنْشُروا مع أُصوله مُيَسَّراته ، ليعرفَ النـاس جميعاً الـكتابَ العربىّ ، يَعرفه خاصَّتُهم مُستوعبين ، ويَعرفه عامَّتُهم مُلِمّين ، فيجتمع الناس على ثَقافة واحدة لا يَبْدو فيها الخاصّة غُرباءَ عن العامّة ، ولا يبدو فيها العامّة بعيدين عن الخاصّة .

لمثل هـذه كان حِرْص عَميد الأدب « السيد الدكتور طه حسين » على نَشر كتابين يَتَّصِلان بكتاب الأغانى اُختياراً وتجريداً ، هما : الـكتاب المُختار ، وثانيهما « تجريد الأغانى » لابن واصل .

ولقد قُدِّر لثانيهما أن يَخْرج قبل أولهما ، فظهر الجزء الأول من التَّجريد سـنة ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) ، ومع هذا العام سوف يخرج الجزء السادس منه ، كما سوف يخرج الجزء الأول من المُختار إن شاء الله تعـالى ، وسوف يجد القارئ كتابَين إلى جانب كتاب الأغانى يعرضانه فى صُورتين مُيَسَّرتين مُخْتلفتين .

ولـكن أمَا كان فى واحدٍ منهما ما يَغنى ؟

إن الحديث عن هـذا يجب أن يَسبقه الحديث عن كتاب الأغانى . والناظرون فى الـكتب مُجْمعون على أنه لم يؤلَّف مثله ، جَمعه صاحبه أبو الفرج الأصبهانى(٣٥٦هـ)

فى نحو من ٥٠ سنة ، وحَسبك خمسون عاماً يَفرُغ فيها مؤلِّف كَبير لـكتابٍ كَبير، ثم حسبك أن الصاحب بن عبّـاد كان يقول : لقد اُشتملت خِزانتى على مائة ألف وسَبعة عشر ألف مجلد ما فيها سَميرى غيره ــ وهو يَعنى كتاب الأغانى . ثم حَسبك أن عَضد الدولة كان لا يفارقه فى سفره ولا فى حَضَره ، ثم حَسبك بعد هـذا كله أن الـكتاب منذ أن تركه مؤلِّفُه إلى اليـوم لا يزال المرجعَ الأول ، ثم لا يزال الـكتابَ الأُم فى الأَدب القديم وما يَتَّصِل به .

وهذا الـكتاب الجامع الـكبير ــ كما تعلم ــ لم يخرج فيه أبو الفرج عن مَنهج عصره ، يسوق الأخبار مُسندة ــ أعنى معها أسانيدها ــ وقد يروى الخبر مرتين إذا تعدَّد رُواتُه ، ثم هو قد حشا كتابَه بالألحان ورُواتها، يَشغل ذلك كله حيزاً منه ليس بالصغير ، وبعـد هذين فالـكتاب مَسوق على وفق الأغانى المُختارة ، وهى الأصوات المائة .

فأنت ترى أن الـكتاب بهذا الذى أَودعه فيه أبو الفرج ، وبهذا المَنهج الذى وضعه عليه ، يحمل شيئاً كثيرا لايَعنى كثيراً من الناس ، ولقد أحسّ بهذه أبوالفرج فـكانت يَدُه أُولَى يَدٍ اُمتدّت إلى كتابه تُجَرِّده من المَزيد ، وتُقرِّبه إلى مَزيد ، وإذا هو يخرج من هذا الـكتاب الـكبير بكتاب صغير يُسميه « مُجرد الأغانى » يخُصّه بكلّ ما غُنِّىَ فيه دون الأخبار .

والمؤلِّف حين يؤلِّف أو يَختار أو يجرِّد يُصْدِر عن نَزعتين ، نَزعةٍ تَستجيب لِمَنطقه ، ونَزعة تَستجيب لِمَنطق الناس ، وكذا رأى أبو الفرج أولًا بمَنطقه فسدّ هذا الفراغ الواسع بكتاب الأغانى ، ثم رأى بمنطق الناس فسدّ هذا الفراغ الضيق بكتابه « مجرد الأغانى » .

ولـكن منطق الناس حول كتاب الأغانى لم يُسْـكِته هذا المجرَّد الذى جَرَّده

أبو الفرج بيده ، وإذا هذا المنطق يُطالب بمزيد من التجريد والاُختيار والاُختصار ، وإذا الوزير اُبن المغربى أبو القاسم الُحسين بن على بن حسين (٤١٨ هـ) يختار من كتاب الأغانى مُختاره أو مُختصره ، وكما فعل اُبن المغربى فعل الأمير الـكاتب عِز الملك محمد بن عبد الله الحرانى المُسبحى (٤٢٠ هـ) ، والـكاتب الحلبى اُبن باقيا أبو القاسم عبد الله بن محمد (٤٨٥ هـ) ، وأبو الُحسين أحمد بن الرشيدى .

غير أن شيئا من هذه الاختيارات والاختصارات لم يَصل إلينا ، وما بين أيدينا اليوم من هذا النحو كتابان ــ كما قلت لك ــ هما : تجريد الأغانى لابن واصل الحموى محمد بن سالم (٦٩٧ هـ) ، ومختار الأغانى فى الأخبار والتهانى ، لابن منظور جمال الدين محمد بن مُـكرَّم (٧١١ هـ) .

وهذه المحاولات لم تنته عند ابن منظور بل امتدت شيئا ، فلقد رأينا الأب أنطون صالحانى (القرن التاسع عشر) يضع كتابه « رنات المثالث والمثانى ، فى روايات الأغانى » جمعه من كتاب الأغانى وجعله على جزءين : الأول منهما فى أخبار المُغنين والشُّعراء ، والثانى فى أيام العرب فى الجاهلية والإسلام . ثم رأينا محمدا الُخضرى يضع كتابه « مهذِّب الأغانى » فيوزع التراجم عـلى القبائل ، ويجعل لـكل قبيلة شُعراءها ، ثم تأتى بعد هذه المحاولة محاولة أخرى تـكمل مرحلة الُخضرى بوَضع أجزاء خاصة بالمُغنين .

فها أنت ذا ترى أن هذه المحاولات حول كتاب الأغانى لم تَمنع السابقةُ منها اللاحقةَ ، ومضى الأمر يُمليه ــ كما قلت لك ــ مَنطق الناس ، ولبست بين أيدينا تلك المُحاولات كلها ، ولـكن بين أيدينا اثنتان منها ، كما حَدَّثتك ، هما التجريد ، والمختار ، وسأعرض نَهْجيهما ، لنخلص إلى جواب ما أثرتُ من سؤال .

يقول ابن واصل فى مقدمته لـكتاب « التجريد » : « غير أنه قد شانه بذكر

الأصوات ـ يقصد أبا الفرج فى كتابه الأغانى ـ وما احتوت عليه من أنواع النغم والإيقاعات ، مما لا فائدة فى ذكره ، إذ كان المباشرون لهذه الصناعة فى زَمننا هذا إنما يَعرفونها عملًا لا عِلما ، وغيرهم فلا ينتفعون بشىء ممّا ذكر ولا يُحيطون به فهماً ، نخرج أمره المُطاع ، أعلاه الله ـ يعنى الملك المنصور الأيوبى ـ بأن يُجرّد من ذلك كله ، ومن الأسانيد والتكرارات ، ومما لا فائدة من ذكره من الأخبار والأشعار المُشتركات ، ويقتصر على غرر فوائده ، ودرر فرائده ، فبادر المملوك ـ يعنى نفسه ـ إلى امتثال مرسومه العالى ، وأضاف إليه فوائد أخر تتعلق به ، وشرح بعض المُستغلق من ألفاظه » .

فابن واصل قد تخفف :

ا) من أنواع النغم والإيقاعات .

ب) من الأسانيد .

ج) من التكرار .

د) من الأخبار المشتركة ، وكذلك الأشعار .

كما أضاف إليه :

هـ) فوائد تتعلق به .

و) شروحا لما استغلق من ألفاظه .

ويكاد يكون نهج ابن منظور غير بعيد من نهج ابن واصل ، وإن كان لم يَستأنس به فيما نَظن ، بل كان أُستئناسه بمختصر رجل آخر ، هو أبو الحسين أحمد بن الرشيدى .

والمختصرون لهذا الكتاب مُتّفقون جميعا ، فيما يبدو ، فى التخفُّف مما تخفف منه ابن واصل ، ثم هم مختلفون بعد هذا فى أشياء :

ا) مختلفون فى القدر الذى تخففوا منه .

ب) مختلفون فى سوق الحديث بعد حذف التكرار .

ج) مختلفون فى ترتيب الكتاب ، فمنهم من تركه كما وضعه أبو الفرج ، مثل ابن واصل ، ومنهم من رتبه على حروف الهجاء ، مثل ابن منظور .

د) ثم هم مختلفون بعد هذا حين أضافوا وحين لم يضيفوا ، فابن واصل أضاف الكثير من تعليقات والكثير من شروح ، وابن منظور يكاد يكون لم يضف شيئا .

و) كما هم مختلفون فى سَوق الأخبار ، فإنَّ لكُل منهم أسلوبه الخاص به ؛ خذ لذلك مثلا من ترجمة إبراهيم بن العباس الصولى :

١) فلقد ساقها ابن واصل فيما لا يزيد على سبع صفحات قصار ، وساقها ابن منظور فيما يزيد على خمس عشرة صفحة .

٢) وقد تخفف ابن واصل من أخبار غير مكررة ، ولم يتخفف ابن منظور من هذه الأخبار .

٣) وحذف ابن واصل مع الأخبار شعرا ، ولم يحذف ابن منظور هذا الشعر .

ثم انظر معى إلى هذه الأسطر القليلة لتتبين مساق الاثنين :

يقول ابن واصل :

« هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، وكان صول رجلا من الأتراك ، ففتح يزيد بن المهلب بن أبى صفرة بلده ، وأسلم على يده ، فهُم موالى يزيد .

ولما ظهر يزيد بن المهلب بالعراق ودعا إلى نفسه وخلع يزيد بن عبد الملك ، أتاه صول لينصره ، فصادفه وقد قتل » .

ويقول ابن منظور :

« هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، وكان صول تركيا ، ففتح يزيد بن

المهلب بلده وأسلم على يده ، فهم موالى يزيد . ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صول وغيره لينصره ، فصادفه وقد قتل » .

وبعد هذا يقول ابن واصل فى خبر من أخبار الصولى :

« وكان دعبل يستحسن قول إبراهيم بن العباس » ثم ساق بَيتين له .

ويقول ابن منظور فى هذا الخبر نفسه :

« وكان دعبل يقول : لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتَرَكَنا فى غير شىء ، وكان يستحسن قوله » ، ثم ذكر البيتين اللذين ذكرهما ابن واصل .

ولقد سقت هذين المقتطفين لأنتهى بك إلى شىء :

وهو أن ابن واصل كان إذا عرض لنص تاريخى كان حريصا ألا يحذف منه ماينقص معالمه ، لذا كان حريصاً على أن يذكر أن ظهور يزيد بن المهلب كان بالعراق ، على حين لم يجد ابن منظور حرجاً من إهمال هذا .

أما عن الأخبار الأدبية ، فقد كان ابن واصل يتخفف ما وسعه التخفف ، لذا تخفف من رأى دعبل فى الصولى ، على حين لم يتخفف منه ابن منظور .

والمتصفح للكتابين ، أعنى كتاب ابن واصل وكتاب ابن منظور ، يلمس نهجين مختلفين :

١) فابن واصل يكاد يكون مؤلفا دخل إلى كتاب الأغانى بفنه التاريخى فحوَّره تاريخا ، لذا كان حريصاً أن يزيد شيئاً فات الأصبهانى ، وأن يزيد شيئاً آخر حدث بعد عصر الأصبهانى .

٢) وابن منظور يكاد يكون مختصرا فحسب اُلتزم بنَهج معيَّن فى الاختصار ، ويظهر لى أنه كان نهج الرشيدى صاحب المختصر الذى أخذه هو عنه ، وأن كل ما فعله ابن منظور هو هذا الترتيب الهِجائى الذى وَضع عليه التراجم ، وقد يكون هذا الترتيب أيضاً من صُنع الرشيدى .

فأنت بهذين النهجين تقرأ كتابين لا كتابا ، يعيش لهذا ناس ولذاك آخرون ، لذا كان لابد من أن يخرج التجريد ، وأن يخرج المُختار .

وثمة شيء آخر جدير بالذكر أفدناه من إخراج الكتابين : التجريد والمختار ، فلقد كانت لابن واصل فى كتاب الأغانى نظرة ، ولقد كانت لابن منظور فى كتاب الأغانى نظرة ، وهاتان النظرتان صوّبتا الكثير وحرّرتا الكثير ، وجلّتا الكثير ، وهذا كله كان له نفع كبير .

ابن منظور :

وأرانى حدثتك عن الكتاب قبل أن أحدثك عن صاحبه ، فإليك الحديث عن ابن منظور .

حياته :

هو محمد بن جلال الدين مكرّم بن نجيب الدين أبى الحسن على بن أحمد بن أبى القاسم بن حبقة بن محمد بن منظور بن معافى بن خمّير بن ريام بن سلطان بن كامل ابن قُرة بن كامل بن سرحان بن جابر بن رفاعة بن جابر بن رويفع بن ثابت بن سكن ابن عدى بن حارثة الأنصارى ، من بنى مالك .

شهر بنسبته إلى جده السابع منظور ، إذ عنده يقف أكثر من ترجموا له . ثم يرفعونه بعد ذلك إلى رويفع جده الأعلى . لم يذكر هذه السلسلة متصلة غير ابن منظور نفسه نقلا عن جده الأدنى نجيب الدين فقال فى كتابه لسان العرب (جرب) : « رويفع بن ثابت هذا هو جدنا الأعلى من الأنصار كما رأيته بخط جدى نجيب الدين والد المكرّم » . ثم مضى يذكر النسب على النحو الذى مر بك .

وعلى حين لم يُذكر حول هذا النص المكتوب بخط الجد خلاف ما حول الأسماء

ذكر السيوطى فى كتابه « البغية » شيئاً من هذا الخلاف ويكاد يكون هو الوحيد من بين المترجمين المعتد بهم فى هذا الصدد الذى استطرد فى سرد نسب صاحب هذه الترجمة إلى أن بلـغ به جده منظورا ، فنجده ينقل : « محمد بن مكرم بن على – وقيل رضوان » كما نجده لا يذكر بين « حبقة » ومنظور محمدا ، وقد تـكون هذه الأخيرة من سبيل الاختصار ولـكن الأولى تلفت النظر لانفراد السيوطى بها ولخلو نص الجد منها .

ورويفع هذا الذى ينتسب إليه ابن منظور نزل مصر وولاه معاوية طرابلس ، أمّره عليها سنة ست وأربعين . وفى سنة سبع وأربعين خرج رويفع فغزا إفريقيا ثم عاد من سنته .

ويذكر ياقوت فى كتابه معجم البلدان فى رسم « جربة » نقلا عن حنش الصنعانى يقول : « غزونا مع رويفع بن ثابت قرية بالمغرب يقال لها : جربة ، فقام فينا خطيباً فقال : « أيها الناس ، لا أقول لـكم إلا ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله لنا يوم خيبر ، فإنه قام فينا خطيباً فقال « لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ما زرعه غيره . يعنى إتيان النساء الحبالى » .

ويقول ابن عبد البر فى كتابه الاستيعاب : إنه – أعنى رويفعا – مات ببرقة وكان يليها من قبل مسلمة بن مخلد .

ويزيد ابن منظور فيما نقله عن جده : « وقبره بها » . كما يزيد رواية أخرى عن مكان موته فيقول : « وإنه مات بالشام فيما يقال » .

ومحمد هذا صاحب هذه الترجمة يكنى : أبا الفضل ، ويلقب « جمال الدين » . وقد أجمع المترجمون له على أن مولده كان سنة ٦٣٠ هـ .

وقال ابن شاكر الـكتبى فى كتابه « فوات الوفيات » (٢–٣٣١) : «فى أولها».

وقال السيوطى فى كتابه « البغيــة » وابن حجر فى كتابه : « الدرر الـكامنة » (٤ : ٢٦٢) « فى المحرم » .

وقال الصفدى فى كتابه « أعيان العصر » : ومولده فى أول سنة ثلاثين وستمائة ثم زاد فقال نقلا عن شيخه أثير الدين قال : ولد المذكور يوم الاثنين الثانى والعشرين من المحرم من السنة المذكورة .

وقد اقتصر الصفدى على هذه الرواية الأخيرة فى كتابه « نـكت الهميان ص ٢٧٥ » وهذا ما ذكره أيضاً ابن تغرى بردى فى كتابه « المنهل الصافى » .

وبعد هذا الإجماع على مولد ابن منظور نرى أحمد فارس فى مقدمته على لسان العرب يذكر أن مولد ابن منظور كان فى المحرم سنة ٦٩٠ ﻫ ويجىء فى إثره الدكتور عبد الله درويش فى كتابه « المعاجم العربية » (صفحة ١٠٠) فيقول « إنه ولد عام ٦٨٠ ﻫ » .

ولم يعرض لمكان مولد ابن منظور غير اثنين : الزركلى فى « الأعلام » حيث قال « ولد بمصر . وقيل: بطرابلس الغرب » ثم الدكتور درويش فى كتابه « المعاجم العربية » حيث يقول : « ولد فى تونس حيث نشأ بها » .

وما نرى أن كليهما نقل ما نقل عن مرجع بل نراهما قد اجتهدا فى الاستنباط فالمراجع كلها لم تذكر عن هذا البلد الذى ولد فيه ابن منظور شيئاً صريحاً ، غير أن المعتمد منها ـ أعنى أعيان العصر والنكت والفوات والدرر والمنهل الصافى والبغية تقول : « إنه خدم بديوان الإنشاء بمصر وولى قضاء طرابلس . ولعل هذه العبارة هى التى أوحت بهذا الاستنباط يرى فيها كل رأيه .

ولـكنا إذا قرأنا لابن منظور مقدمة كتابه « نثار الأزهار » الذى اختصر فيه كتاب « فصل الخطاب فى مدارك الحواس الخمس لأولى الألباب » لشرف الدين

أحمد بن يوسف التيفاشى ، نجده يقول : وكنت فى أيام الوالد ـ رحمه الله ـ أرى تردد الفضلاء إليه ، وتهافت الأدباء عليه ، ورأيت الشيخ شرف الدين أحمد بن يوسف بن أحمد التيفاشى العبسى فى جملتهم ، وأنا فى سن الطفولة لا أدرى [1] ما يقولونه ، ولا أشاركهم فيما يلقونه ، غير أنى كنت أسمعه يذكر للوالد كتاباً صنفه أفنى فيه عمره ، واستغرق دهره ، وأنه سماه «فصل الخطاب فى مدارك الحواس الخمس لأولى الألباب» وأنه لم يجمع ما جمعه فيه كتاب . . . وكنت شديد الشوق إلى الوقوف عليه . وتوفى الوالد رحمه الله فى سنة خمس وأربعين وستمائة ، وشغلت عن الكتاب . وتوفى شرف الدين التيفاشى بعده بمدة . فلقد كانت وفاة التيفاشى سنة ٦٥١ ﻫ

وابن منظور فى هذا الذى أورده يشير إلى مركز أبيه فى مصر ، ويشير إلى فترة استقراره بها، تلك الفترة التى امتدت بعد أن ولى الإنشاء بمصر إلى أن مات .

وفى تلك الفترة كان يختلف إليه التيفاشى وغيره . ونحن نعرف أن ابن منظور ولد سنة ٦٣٠ ﻫ ولقد عرفنا من تصريحه هذا الذى مر بك أن أباه مات سنة ٦٤٥ ﻫ ومن هنا نفيد أن عمر ابن منظور كان يوم مات أبوه نحواً من خمسة عشر عاماً ، من هنا نستطيع أن نجد ما يفيد ـ دون قطع ـ أن ميلاد ابن منظور كان بمصر .

والذين يقولون إن مولده كان بطرابلس يذكرون اختلاف أبيه إليها لولاية قضائها ، ولا يجدون ما يدفع أن يكون ميلاد ابن منظور سبق مجىء الأب إلى مصر . فالأمر كما يحتمل الأولى يحتمل الثانية . ولكننا إلى الأولى نميل لهذا الذى ذكره ابن منظور عن طفولته .

وليس عندنا بعد هذا الكثير عن تنشئة ابن منظور ، ولكننا نكاد نلمح شيئاً فى تلك الكلمة التى قدم بها لكتابه « نثار الأزهار » . فلقد عرّفنا بطفولته وأنها

---

(١) مخطوطة دار الكتب المصرية (١٠٩١ تاريخ) المجلد الأول من الجزء السابع .

كانت طفولة مشغولة بالعلم والتحصيل ، وعلى ما كان عليه الأب وكان عليه الجد نشأ ابن‌منظور ، جذبته هذه‌الحركة العلمية التى صخب بها بيته منذ أن دبّ. ولقدعرفنا من هذا البيت قبل ابن منظور جده الأول نجيب الدين والد المكرم ، وقد ذكر لنا ابن منظور نقله عنه ما يتصل بسلسلة نسب هذا البيت ، وحدثتك أنا حديث الأب أو بعضه وحسبه‌أنه كان يلقب جلال الدين .

وبعد، هذا الذى ذكره ابن‌منظور عن تطلعه إلى التحصيل يذكر لنا الذين حدثونا عنه شيوخا له سمع منهم لا يكادون يختلفون فيهم ، هم ابن المقير ، ومرتضى بن حاتم ، وعبد الرحمن بن الطفيل (1) ، ويوسف بن المخيلى .

والغريب أن ابن‌منظور لم يعرض لواحد منهم بتعريف أو إشارة وهو يستطرد فى ثنايا المواد اللغوية كما أنه لم يفسح لهم مكاناً فى مقدمته التى قدم بها اللسان ، والتى كانت تتسع لهذا دون غيرها من مقدمات أخرى كثيرة قدم بها كتباً اختصرها .

ولعل إغفال ابن منظور لما أغفل يدلنا على أنه لم يجلس لهؤلاء الشيوخ جلوساً منتظما لم يدن هو منه بشىء كبير يحمله على أن يشير إليه ويقرّ به ، كما يدلنا على نوع من الاعتزاز بالنفس يزيدنا إصراراً عليه ما وجدناه له من نيل أو شبه نيل من أصحاب الكتب التى اختصرها ، فهو حين يذكر السبب الذى حمله على اختصار كتاب التيفاشى يقول : ورأيته قد جمع فيه أشياء لم يقصد بها سوى تكبير حجم الكتاب ، ولم يراع فيه التكرار ولا ما تمجه أسماع ذوى الألباب « إلى أن يقول : فأخذت زُبْده ، ورَميت زَبَده ، وأوردت مكرَّره ـ أى صافيه ـ وتركت مكرَّره ـ من التكرار » .

ثم هو حين يقدم للسان العرب ويذكر الكتب التى نقل عنها لا يكاد يعطى

---

(1) الدرر الكامنة : « عبد الرحيم » .

أصحابها حتى يَسلبهم ، وكان فيما أعطى أقلّ منه حين سَلب ، فنسمع إليه يقول :

« ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ولا أكمل من المحكم لأبى الحسن على بن إسماعيل الأندلسى رحمهما الله ، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق ، وما عداها بالنسبة إليهما ثنيات للطريق ، غير أن كلا منهما مطلب عسير المهلك ، ونهر وعر المسلك . وكأن واضعه شرع للناس مورداً عذباً وحلأهم عنه ، وارتاد لهم مريعاً ومنعهم منه ، قد أخر وقدم ، وقصد أن يعرب فأعجم ؛ فرق الذهن بين الثنائى والمضاعف والمقلوب ، وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعى والخماسى فضاع المطلوب ، فأهمل الناس أمرهما وانصرفوا عنهما ، وكادت البلاد لعدم الإقبال عليهما أن تخلو منهما ، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب .

ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى قد أحسن ترتيب مختصره ، وشهره بسهولة وضعه شهرة أبى دلف « بين باديه ومحتضره » ، فخف على الناس أمره فتناولوه وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه ، غير أنه فى جو اللغة كالذرة ، وفى بحرها كالقطرة ، وإن كان فى نحرها كالدرة ، وهو مع ذلك قد صحف وحرف ، وجزف فيما صرّف ، فأتيح له الشيخ أبو محمد بن برى فتتبع مافيه وأملى عليه أماليه مخرجاً لسقطاته مؤرخاً لغلطاته » .

بمثل هذا الأسلوب تناول ابن منظور من أفاد منهم لم يعطهم إلا وهو يمهد للأخذ منهم ، ولقد كان له فى تلك الأساليب التى اعتدناها ممن عرفوا بالاختصار قبله أسوة . وكان معتزاً بنفسه كما قلت لك ، يجب أن يبرر اختصاره .

وابن منظور الذى أهمل شيوخه لم يهمله تلاميذه ، فالمؤرخون لابن منظور يذكرون من بينهم السبكى والذهبى .

يقول الصفدى فى « أعيان العصر »و « النكت » : وكتب عنه شيخنا الذهبى. ويزيد السيوطى واحداً آخر فيقول فى « البغية » : وروى عنه السبكى والذهبى .

وما أظن السيوطى أراد بالسبكى غير تقى الدين ، والد تاج الدين ، لا تاج الدين نفسه ، فتاج الدين عبد الوهاب كان مولده سنة ٧٢٧ هـ أى بعد وفاة ابن منظور بنحو من ستة عشر عاماً ، على حين كان مولد أبيه تقى الدين فى سنة ٦٨٣هـ كما كانت وفاته سنة ٧٥٦ هـ ، أى إنه عاصر ابن منظور نحواً من ثمانية وعشرين عاماً .

وما من شك فى أن الذهبى أفرد لشيخه ابن منظور مكانا فى تاريخه ، أشار إلى ذلك الصفدى فى « أعيان العصر » والسيوطى فى « البغية » وتكاد تكون نُقول المراجع جميعها عن الذهبى على الرغم من إهمال بعضها الإشارة إلى ذلك . ونقرأ فى هذا الذى خص به الذهبى أستاذه الإنصاف له حين يقول عنه : تفرد فى العوالى وكان عارفاً بالنحو واللغة والكتابة .

ولو كان السبكى مثل الذهبى مؤرخا لوفَّى شيخه ابن منظور حقه كما وفاه الذهبى ، ولكنه مات عن كتب كثيرة ليس من بينها كتاب يضم تراجم .

وبعد هذين التلميذين نجد ذكراً لثالث هو قطب الدين ، ولد ابن منظور هذا ، وكان قطب الدين كاتب الانشاء بمصر . وذكروا له أنه روى عن أبيه شيئاً .

وبهذا نختم صفحتين لابن منظور : صفحة شيوخه وصفحة تلاميذه . ولا ندرى هل انطوى بانطواء صفحات الذهبى عن ابن منظور مزيد بعد هذا عن ابن منظور والذى يحملنى على أن الذهبى كان عنده المزيد أن النُقول كلها تكاد تكون عنه هو وحده .

والغريب أن ابن تغرى بردى لم يشر إلى ابن منظور فى كتابه النجوم الزاهرة عند ذكر وفيات سنة ٧١١ هـ على حين أفرد له ترجمة فى كتابه المنهل الصافى وكان

كل ما كتبه عنه المقريزى فى السلوك (٢ : ١١٤) : « ومات جمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ جلال الدين المكرم بن على فى ثالث عشرى المحرم عن بضع وثمانين سنة ودفن بالقرافة وكان من أعيان الفقهاء الشافعية ورؤساء القاهرة وأوائل كتاب الإنشاء ومن رواة الحديث » .

وقد دخل علينا المقريزى بهذا القليل الذى رواه عن ابن منظور بجديدين : أولهما أنه جعل وفاته فى المحرم وفى ثالث عشره ، على حين جعلها من ترجموا لابن منظور جميعا فى شعبان .

وثانى الجديدين أنه كان شافعيا ، وكان هذا يعنى أن يترجم له تاج الدين السبكى فى طبقاته ، وابن منظور أستاذ والده . ولكننا لم نجد لابن منظور ذكراً فى طبقات الشافعية لتاج الدين السبكى .

ونحن لهذا لا ندرى أحين وهم المقريزى فى الأولى وهم فى الثانية ؟ وما من شك فى أنه ناقل نقل عن غيره وما من شك فى أن هؤلاء المؤرخين الذين أرخوا لابن منظور كانوا عالة على الذهبى ، فلقد كانت وفاة الذهبى سنة ٧٤٨ هـ ، وكان وفاة الصفدى وابن شاكر الكتبى سنة ٧٦٤ هـ ، ووفاة المقريزى سنة ٨٤٥ هـ ، ثم كانت وفاة ابن حجر سنة ٨٥٢ هـ . وما نظن أنه كان للمقريزى مرجع نقل عنه غير الذهبى ثم الصفدى من بعده ، لكنا نراه يذكر ما لم يذكراه وما لم يذكره معاصر له وهو ابن حجر .

ابن منظور الأديب :

ويكاد يكون الذى رُوى لنا من شعر لابن منظور شيئاً واحداً ، فما روى هنا روى هناك مع اختصار أو تفصيل ، هذا غير تعليق انفرد به ابن حجر ، فمما يروونه لابن منظور قوله :

ضَع كتابى إذا أتاك إلى الأر ض وقلّبه فى يديك لِمامَا

فعــلى خَتْمه وفى جانبَيْــه قُبَلٌ قــد وضعتهنّ تُؤاما

كان قصدى بهــا مباشرة الأر ض وكفَّيك بالتثامى إذا ما

كما يرون له :

بالله إن جزت بـوادى الأراك وقبّلتْ عيدانُــه الخضرُ فاك

فابعث إلى المملوك من بعضه فإننى والله مالى سِــواك

والرواية فى ابن حجر : « فابعث إلى عبدك » . ويروى ابن حجر وابن شاكر لابن منظور :

الناس قــد أثِموا فينا بظَنهمُ وصَدّقوا بالذى أدرِى وتَدْرينَا

ماذا يَضُرّكِ فى تصديق قولهمُ بأنْ نُحقق مافينا يَظنُّونا

حَملى وحَملك ذنباً واحداً ثقة بالعَفو أجملُ من إثْم الوَرى فينا

وروى له الصفدى كما روى له ابن شاكر الكتبى :

توهّم فينا الناسُ أمراً وصَمّمت على ذاك منهم أنفسٌ وقُـلوبُ

وظَنُّوا وبعضُ الظن إثمٌ وكلهم لأقــواله فينا عليــه رَقيب

تعـال نُحقّق ظنهم ونُريحهم من الإثم فينـا مرةً ونتوب

ثم يمضى الصفدى وابن شاكر يقولان : وأخذ هذا من قول الأول :

ما أنس لا أنس قولهــا بمِنًى ويحك إن الوشاة قــد علموا

ونمّ واش بنــا فقلت لهــا هل لك يا هند فى الذى زعموا ؟

قالت لمــاذا ترى فقلت لهــا كى لا تضيع الظنون والتّهم

ولا ندرى أيهما التفت إلى هذا أولا ؟ ولكنا نكاد نجزم أن الصفدىّ كان أسبق ؛ فإنا نقرأ له : يقول بعد هــذا : وقلت أنا : كفانى قد حضرتهما وسمعت خطابهما :

هـــذا محب وما يخلصه　　في دينه أنْ وشاته أثمـــوا
فواصليــــه واصفى لمغلطة　　يقيلها من طباعــه الـــكرم
يا ويح وصـــل أتى بغلطة　　إن كنت لم ترع عندك الذمم

ثم يعقب الصفدى : « ولـكن « المـكرم » فى معناه زيادة على من تقدمه . وقوله « ثقة بالعفو » من أحسن متممات البلاغة » وهذا يؤكد ما ذكره قبل .

ويروى له « الصفدى » فى كتابه « أعيان العصر » برواية هذين البيتين له قال : وأنشدنى شيخنا أثير الدين قال : أنشدنا فتح الدين أبو عبد الله للبـكرى له قال : أنشدنا ابن المـكرم لنفسه :

وفاتِر الطَّرف مَمْشوق القوام له　　فِعْــل الأَسِنّة والهِنْديّة القُضُب
فى حُسنه الفرْد وأوصافٌ مُركَّبة　　الخَلْق للتُّرك والأخـلاقُ للعرَب

هذا ما روى لنا من شعر ابن منظور ، ولا نحب أن نعقب فهو قليل ثم هـو لا يستقيم مادة للحكم على صاحبه .

وقد مر بك طرف من نثره فيما سقناه لك من مقدمته فى « نثار الأزهار » . ومن مقدمته فى اللسان ، وهو بهذا وذاك قد بلغ أن يكون كاتب إنشاء فى مصر ، وأن يلى نظر طرابلس .

مؤلفاته :

وتـكاد مؤلفاته تملى علينا نهجه وتحدد غرضه . يقول الصفدى فى « أعيان العصر » : واختصر كتباً وكان كثير النسخ ذا حظ حسن ، وله أدب ونظم ونثر .

ويقول أخرى : « وكان فاضلا وعنده تشيُّع بلا رفض ، خدم فى ديوان الإنشاء بالقاهرة وأتى بعمله بما يخجل النجوم الزاهرة ، وله شعر غاص على معانيه وأبهج به

نفس من يعانيه . وكان قادراً على الكتابة لا يمل من مواصلتها ، ولا يولِّى عن مناضلتها . لا أعرف فى الأدب وغيره كتاباً بطوله إلا وقد اختصره وروّق عنقوده واعتصره ، تفرد بهذه الخاصة البديعة وكانت همته بذلك فى بدر الزمان وشيمة » .

ويقول ابن حجر : وكان مغرماً باختصار كتب الأدب المطولة والتواريخ ، وكان لا يمل من ذلك .

وينقل الصفدى عن ولده – أى ولد ابن منظور قطب الدين – أن والده – أى ابن منظور – ترك بخطه خمسمائة مجلد .

فهذا لا شك يشير إلى قدر ابن منظور وجهده .

وإليك ما نقله إلينا المؤرخون من كتب اختصرها ابن منظور :

١ — زهر الآداب وثمر الألباب لأبى إسحاق إبراهيم بن على بن تميم الحصرى القيروانى (٤٥٣ هـ) فى أربعة أجزاء .

ولم نقع على اختصار ابن منظور لهذا الكتاب ولم نعلم أن إنساناً آخر غير ابن منظور عنى نفسه باختصاره .

٢ — يتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر للثعالبى أبى منصور عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل النيسابورى (٤٢٩ هـ) .

ولقد عنى باليتيمة مؤلفون فأتموا وذيلوا . وكما فعل الثعالبى وجعل كتابه يتيمة الدهر ذيلا لكتاب البارع فى أخبار الشعراء لهارون المنجم جاء بعده من ذيل على يتيمته فوضع الباخرزى أبو الحسن على بن الحسن (٤٦٧ هـ) كتابه : دمية القصر وعصرة أهل العصر « ثم جاء العماد الأصفهانى أبو عبد الله محمد بن محمد (٥٩٧ هـ) ووضع كتابه ، خريدة القصر وجريدة أهل العصر » .

ولكن جهد ابن منظور كان غير جهد هؤلاء ، جهد تيسير وتذليل لا جهد

إضافة وتكميل ، وكان بعد ابن منظور غيره . هو تقى الدين بن عبد القادر (١٠٠٥ هـ) فلقد اختصر هو الآخر اليتيمة إلى نصفها .

٣ — نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (جامع التواريخ) للتنوخى أبى على المحسن ابن على (٣٨٤ هـ) .

٤ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر أبى القاسم على بن محمد الحسن بن عبد الله (٥٧١) وهو كتاب كبير يقع فى نحو من ٤٨ مجلداً .

وكما شغل ابن منظور بهذا التاريخ فاختصره إلى ربعه كما يقول حاجى خليفة فى كتابه « كشف الظنون » شغل العينى بدر الدين محمود (٨٥٥ هـ) فاختصره . وكذلك شغل السيوطى جلال الدين عبد الرحمن (٩١١ هـ) فاختصره وسمى اختصاره: تحفة المذاكر المنتقى من تاريخ ابن عساكر . ولكن هذه المختصرات كلها لا وجود لها وليس بين أيدينا منها إلا كتاب حديث هو : تهذيب تاريخ مدينة دمشق لابن بدران عبد القادر بن أحمد السورى ، ولكنه لم ينته فيه إلى آخره بل أتم منه خمسة مجلدات تنتهى إلى حرف الزاى .

٥ — تاريخ بغداد للسمعانى أبى سعد عبد الكريم بن محمد (٥٦٢هـ) ولقد كان هذا الكتاب أعنى كتاب — السمعانى — ذيلا على كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٤٦٣ هـ) كما جاء بعد السمعانى من ذيل عليه فكان أبو عبد الله عماد الدين محمد بن محمد (٥٩٧ هـ) ثم ابن الدبيثى أبو عبد الله محمد بن سعيد (٦٣٧ هـ) ثم ابن القطيعى ثم ابن النجار البغدادى (٦٤٣ هـ) ثم الذهبى (٧٤٨ هـ) ثم ابن رافع (٧٧٤ هـ) .

ووسط هذه الجهود المضنية المكملة ظهر قبل ابن منظور مختصرون منهم أبو اليمن مسعود بن محمد البخارى (٤٦١ هـ) فقد اختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ثم كان ابن منظور الذى اختصر تاريخ بغداد للسمعانى .

٦ — صفوة (صفة) الصفوة لابن الجوزى أبى الفرج عبد الرحمن بن على (٥٩٧ هـ) والكتاب مختصر لحلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ) وقد قدم ابن الجوزى مختصره بأسباب عشرة حملته على هذا الاختصار. ومن بعد ابن الجوزى جاء مختصرون لهذا الكتاب ـ أعنى الحلية ـ منهم أبو المعالى الوراق سعد بن على (٥٢٨ هـ) ثم ابن مرزوق المصرى (٥٦٤ هـ) ثم ابن منظور. وليس بين أيدينا اليوم غير الأصل ـ أعنى الحلية ـ ثم صفوة الصفوة لابن الجوزى.

٧ — مفردات ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقى (٦٤٦ هـ) وهو كتاب فى الطب جامع لمفردات الأدوية والأغذية. وأنت ترى أن مؤلفه لم يبعد كثيراً عن عصر ابن منظور بل لقد أدركه ابن منظور.

٨ — فصل الخطاب للتيفاشى أحمد بن يوسف (٦٥١ هـ) وقد مر بك شيء عنه. اختصره ابن منظور فى كتاب كبير سماه « سرور النفس بمدارك الحواس الخمس » وجعل الجزء الأول منه فى كتاب سماه « نثار الأزهار فى الليل والنهار وأطايب أوقات الأصائل والأسحار وسائر ما يشتمل عليه من كواكب الفلك الدوار ».

٩ — الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ـ يعنى جزيرة الأندلس ـ لابن بسام أبى الحسن على (٣٠٣ هـ) وقد اختصر هذا الكتاب ابن منظور وسمى مختصره « لطائف الذخيرة ».

١٠ — الحيوان للجاحظ أبى عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ) ويقال إن ابن منظور اختصره، إذ لم يجمع على هذا من ترجموا له، ولقد سبق ابن منظور إلى اختصار هذا الكتاب اثنان: أحدهما هبة الله بن القاضى الرشيد جعفر وكانت وفاته سنة ٦٠٨ هـ والثانى ابن اللباد البغدادى موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف وكانت وفاته سنة ٦٢٩ هـ.

هذه جملة من الـكتب الأدبية والتاريخية التي قام ابن منظور باختصارها وما نظن هذا هو ما اختصره ابن منظور كله ، وإلا فأين المجلدات الخمسمائة التي ذكرها ابنه قطب الدين ؟

١١ — لسان العرب : وتـكاد تـكون الفـكرة التي أملت هذا كله هي الفـكرة التي أملت لسان العرب ، ونخال الرجل حين دخل إلى صنع لسان العرب دخله بالفـكرة نفسها التي دخل بها إلى غيره ولـكنه حين طالعته الفـكرة ، أعني فـكرة صنع لسان العرب ، وجد نفسه بين تيارات أخرى اضطرته إلى تعديل كثير .

وهكذا كان نمط ابن منظور في اللسان نمطه في غيره لم يخرج عن النقل من الـكتب اللغوية التي اعتمد عليها ثم تبويب ما نقل وعرضه في صورة ميسرة .

ولـكن هذا لم يمض على إطلاقه بل لقد دخل على هـذا الإطلاق ما قطعه شيئاً فلقد رأينا ابن منظور في مادة « جرب » ينقل في هـــذه المادة كلاماً يتصل بنسبه وما نظن هذا الـكلام كان في كتاب من الـكتب اللغوية التي اعتمد عليها .

وما نرى ابن منظور ادعى غير هذا فهو يقول في مقدمته على لسان العرب : « فجمعت منها في هذا الـكتاب ما تفرق » ثم يقول : « وأنا مع ذلك لا أدعي فيه دعوى فأقول شافهت أو سمعت أو فعلت أو صنعت أو شددت أو رحلت أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت فـكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهري وابن سيده لقائل مقالا » ثم يقول : وليس لي في هذا الـكتاب فضيلة أمت بها ، ولا وسيلة أتمسك بسببها سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الـكتب من العـــلوم ، ثم يقول أخيراً ليضع نفسه مكانها ، وليخليها من تبعات : وما تصرفت فيـه بكلام غير ما فيها من النص فليقيد من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة.

١٢ — ثم مختار الأغاني ، وقد حدثناك عن شيء وبقي شيء .

مخطوطات المختار :

ومن هذا الكتاب أجزاء متفرقة تضم مكتبة كوبريلى بالآستانة منها شيئا ، وتضم مكتبة بلدية الإسكندرية منها شيئا ، وتضم مكتبة الأزهر منها شيئا ، تنفرد أجزاء عن أجزاء ، وتشارك أجزاء أجزاء . وليست ثمة نسخة كاملة غير تلك التى تحتفظ بها المكتبة التيمورية .

ولقد كانت هـــذه النسخة التيمورية هى معتمدى ، وهى التى رمزت إليها بالحرف (ت) كما رجعت إلى كتاب الأغانى وجعلته هو الآخر أصلا ، ورمزت إليه بالحرف (غ) ، كما استأنست بتجريد الأغانى ، ولم أرمز إليه بل جعلته مع غيره من المراجع التى رجعت إليها .

وأحب أن أشير إلى أن مقدمة المؤلف ـ أعنى ابن منظور ـ التى تراها مع هذا الجزء لم تشر إلى شىء من منهجه فى الكتاب ، وقد لخصناه لك فيما سبق من هذه المقدمة استنتاجا .

ولكننا نجد الفهارس التى ذكرت هذا الكتاب تقول : إنه مرتب على الحروف دون أن تذكر شيئا عن هذا الترتيب ، وهذه العبارة كما يُفهم منها تدُل على أن ابن منظور رتب التراجم حروفا ، ثم رتب تراجم كل حرف على ترتيب الحروف .

غير أن الناظر فى تراجم هذا الجزء يجدها لا تخضع لهذا الترتيب ، فتقدّم منها ما يستحق التأخير واستأخر منها ما يستحق التقديم ، لا ندرى أكان هذا من صنع ابن منظور وأنه جتزأ بجمع تراجم كل حرف معاً ولم يرتبها بعد هذا على الترتيب الثانى ، أم كان هذا صُنع الناسخين .

إن مقدمة المؤلف لا تشير إلى شىء ونكاد نراها مبتورة ، وليست تحكى غيرها من مقدمات المؤلف على كُتب أخرى غير الأغانى اُختصرها .

وبعد ، فهذا هو الجزء الأول من هذا المختار ليس لى فيه إلا عمل يسير ، فما من شك فى أن الأغانى ثم التجريد يسَّرا كثيرا وأعانا على كثير .

غير أنى بهذا الجهد اليسير سعيد إذ أقدِّم للذين يَرغبون فى التيسير ، وما أكثرهم كتابا مُيسراً .

والله أسأل لى ولهم التوفيـــق والسداد .

المحرم ١٣٨٥ هـ
مايو ١٩٦٥ م

إبراهيم الأبيارى

بسم الله الرحمن الرحيم

مخطوطة بلدية الاسكندرية

مخطوطة المكتبة التيمورية

مختار الأغاني في الأخبار والتهاني

الجزء الأول

حققه وقدم له

إبراهيم الأبياري

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمين ، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدنا مُحَمَّد وعلى آله وصَحْبه أجْمَعِين .

قال المُصَنِّف رَحِمه اللهُ تَعَالَى :

أُقدِّم هُنَا حِكَاية وجَدْتُها فى آخر مُخْتَصر من هذا الكِتَاب ، اخْتَصَره الرَّشِيدى أَبُو الحُسَيْن أَحْمَدُ بْنُ الرَّشِيد بن الزُّبَيْر ، وهى : « قال أبو مُحَمَّد الحسَن بن محمد المُهَلَّبى : سألتُ أَبَا الفرَج الأصْبَهَانِى : فى كَمْ جَمع كتابَه الأغانى؟ فذكر أنه جَمَعه فى خَمْسين سنة .

وقال أَبُو الفرَج : إنَّه كَتَبَ الأغانى فى عُمْره مرّة واحدة ، وأَهْدَاه إلى سَيْف الدَّوْلة ، فأَنْفَذَ له أَلْفَ دِينار . ولما حُدِّثَ الصاحبُ بنُ عَبَّاد بذلك ، قال : لقد قَصَّرَ سيفُ الدَّوْلة وأنَّه يستَحِق أَضْعافَها ؛ إذْ كان كِتابُه مَشْحُونا بالمَحَاسِن المُنْتَخبَة والفقَر الغَرِيبَة ، فهو للزَّاهد فُكاهة ، وللعالِم مادَّة وزِيادَة ، وللكاتب والمُتأَدِّب بِضَاعَة وتِجارَة ، وللبَطَل رُجْلَة وشَجاعة ، وللمُتَظَرِّف[1] رِياضَة وصِناعَة ، وللمَلِك طِيبَة ولَذَاذَة ، ولقد اشْتَمَلت خِزانتى على مِائَة أَلْف وسَبْعَة عشَر أَلْف مُجلّد ، ما فيها مَنْ هو سَمِيرى غَيْرُه ، ولا رَاقَنى منها سِوَاه ؛ ولقد عُنِيتُ بامتِحَانه فى أَخْبارِ العَرَب وغيرهم ، فوجدتُ جميع ما نفَر[2] عن أَسْمَاعِ مَنْ

(١) فى ت : المضطر ، وفى غ : المضطرب ، وما أثبتنا عن كتاب تجريد الأغانى .

(٢) فى غ : يعز .

قَرَفَه[١] بذلك قد أورده العلماء فى كُتُبهم ، ففَازَ بالسَّبْق فى جَمْعه وحُسن رَصْفِه وتَأْليفه . ولله دَرُّ أَبى الفرَج ، فلقد أَبْقَى له ذكراً لا يُنْسَى ، وبَسط نُمرُقَةً[٢] لا تَبْلَى ، ولقد جَمَّل الدُّنْيا بفضْله الذى أظهره فيه ، فهو حَقيقٌ بتَسْمِيته الحاوِى لا الأغانى . ولقد كان عَضُد الدَّولة لا يُفارِقُهُ فى سَفَره ولا حَضَره . لقد كان جَليسَه الذى يأنَس به ، وخِدْنَه الذى يَرْتَاح إليه ، فزادَه بذلك شَرَفاً إلى شَرَفه ، ونُبْلًا إلى نُبْله .

قال أبو جَعْفَر مُحَمَّدُ بنُ يحيى بنِ شيرزاد[٣] : اتَّصَل بى أنَّ أصْلَ أبى الفرَج من مُسَوَّدَةِ الأغانى أُخْرِجَت إلَى سُوقِ الورَّاقين لتُبَاع ، وأنَّها بلغَت فى النِّداء أربعَةَ آلافِ دِرْهم ، وأنَّ أكْثَرها فى ظُهُور وبخَطِّ التعليق ، وأنها اشتُرِيَت لأبى أحمدَ محمد بن حَفْص .

(١) قرفه بكذا : اتهمه به .

(٢) النمرقة : الطنفسة .

(٣) فى ت : أبو جعفر محمد بن يحيى بن سرزاد .

المختار من الأصوات

رُوِى أَنَّ الرَّشِيدَ أَمر المُغَنِّين أنْ يختاروا له مِائَة صوت ، فاُخْتَارُوها ، ثم أَمرهم باُخْتِيار عشرة منها ، فاُختاروها ، ثم أمرهم باخْتِيار ثَلَاثة منها ، فاُختارُوها .

من الثَّلاثة فى شِعْر أبى قَطِيفة :

القَصْر فالنَّخل فالجَمَّاء بينهما[1] أَشْهَى إلَى القَلْب من أبوابِ جَيْرُون

ومنها فى شِعْر عُمَر بنِ أبى رَبِيعَة :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجرىَ لَمَّا جَهَدْتُه وبَيَّن لو يَسْطِيع أن يتكلَّما

ومنها فى شِعْر نُصَيْب :

أَهَاجَ هواكَ المَنْزِلُ المُتَقادِمُ نَعَم ، وبه مِمَّنْ[2] شَجَاكَ مَعالِم

وذَكَر جَحْظَةُ أَنَّ مِنَ الثَّلاثة الأَصْوَات فى شِعْر المَجْنُون :

إذَا ما طَوَاكِ الدهرُ يا أُمَّ مَالِك فشأْن المَنَايا القَاضِيَاتِ وشَانِيَا

يُقَالُ : إنَّ هَذِه الثَّلاثَةَ الأَصْوَات على تِلْك الطَّرائق لا تبقَى نَغْمَةٌ فى الغِنَاء إلَّا وهِىَ فيها .

قال إبْرَاهِيمُ بْنُ المَهْدِى :

أمر الرشيدُ المُغَنِّين أن يَخْتَارُوا له أَحْسَن صَوْت غُنِّى فيه ، فاُخْتَارُوا له لَحْنَ ابنِ مُحْرِزٍ فى شِعْر نُصَيْب :

أَهَاجَ هواكَ المَنْزِلُ المُتَقادِمُ نَعَم وبه مِمَّنْ شَجاكَ مَعالِم

(١) فى ت : منزلة .

(٢) فى ت : مما .

الصوتُ المُخْتَار فى شِعْر أبى قَطِيفة :

القَصْرُ فالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بينهما ... أَشْهَى إلى القلْب من أبْواب جَيْرُونِ

إلى البَلَاطِ فما حازت قَرائنُه ... دُورٌ نَزَحْن عن الفَحْشَاءِ والهُونِ

قد يَكْتُمُ الناسُ أسْرارًا فأعلَمُها ... ولا يَنالُون حتى الموتِ مَكْنُونِى

القَصْرُ الذى عَنَاه ها هُنَا هو قَصْر سَعِيد بْنِ العَاص بالعَرْصَة ؛ والنخل هو نَخْلُ سَعِيد بَيْن قَصْره وبَيْنَ الجَمَّاء ، وهى أَرْض كانَت له ، فصار جَمِيع ذَلِك لمعَاوِيَة بن أبى سُفْيَان بعد وَفَاة سعيد ، ابتاعَه من ابنه عَمْرو باحْتِمَال دَيْنه عنه . وأَبوابُ جَيْرُون بِدِمَشْق . ويروى : « حَاذَتْ قَرَائنُه » والقَرائن : دُورٌ كانت لسَعِيد[1] بْنِ العَاص مُتَلاصِقَة ، سُمِّيَتْ بذلك لاقترانِها ، ونَزَحْن : بَعُدْن . والمَكْنُون : المَسْتُور الخَفِىّ ، من الكِنِّ . فهذه الثَّلاثَة الأَصوات هى المُخْتَارَة من كل صَوْت غُنِّى به ، واللهُ أَعْلَم .

الشَّرطُ فى هذا الاخْتِيار تَرْكُ ذِكْر الأصوات ، وإنَّما ذكرتُ هَذِه الثَّلاثَةَ الأصْوَات منها لنُكْتَة أنها مُخْتَار ما غُنِّى من الأصْوات التى غُنِّى فيها ، وما عسى أنْ تُطْرِب جودةُ التَّلْحين مع سَمَاجَة هَذا الشِّعر ، فرَحِم اللهُ أَبَا الفَرج ، أين هُوَ من صناعة أَهْلِ العَصْر فى تَلْحِينِهم واخْتِيارِهم له الشِّعْرَ الرقيقَ الفَائق (ولقد غُنِّى فى عصرنا قولٌ فى شعر أبى نُواس غَنَّاه شمسُ الدِّين بن بدل لغيره :

غَنِّنَا بالطُّلول كيفَ بلينا ... واسقِنَا نُعْطِك الثَّناء الثَّمينا

فلو سَمِعَه أبو الفَرَج شَقَّق ثِيابه ، ومَزَّق كِتَابه ، وأَضْرب عن ذكر الغِنَاء والأَصْوَات ، وقال: هَيْهات !)

---

(١) فى غ : لبنى سعيد .

وغنى أيضا فى زماننا خفيفٌ فى شعر البُحْتُرِى ، صَنَّفَه الأميرُ شهاب الدين أحمد ابن يغمور :

ضَمَانٌ على عَيْنَيْكِ أَنِّىَ لا أسلُو — وأَنَّ فؤادى مِنْ جوًى بِكِ لا يَخْلُو
ولو شئتِ يومَ البَين بَلَّ غليلَه — مُحِبٌّ بوَصْلٍ منكِ إن أَمْكَنَ الوَصْلُ
وَمَا النَّائِلُ المَطْلوب منكِ بمُعْوِز — لَدَيْك بل الإسْعَافُ يُعْوِزُ والبَذْلُ
أَطَاعَ لهــا دَلٌّ غَرِير وَوَاضِح — شَنيب وقَدٌّ مُفْعَم وشَوًى جَدْلُ
وأَلْحَاظُ عَيْنٍ ما عَلِقْنَ بِفَارِغٍ — فَخَلَّيْنَه حتى يكُونَ له شُغْلُ

لو طَرَقَ أُذُنَ الأَصْبهَانِى نَسِىَ أصبهان ، وقَضَى على سَائِرِ الأَلْحان .

ولقد عَرَضَ علىَّ بعضُ أعداءِ الدولة الظَّاهِرِيَّة التركية نُسخة مِن مَصارع المُشَّاق ، وكنتُ حاضرا عنده ، فارتجلْت بَديها :

إن جُزْتَ سَلْعاً سَلْ عن المُشْتاق — ماذا صنعْتَ بِهِ يَدَ الأَشْوَاقِ
واكتُبْ حديثَ العِشْق عن جِيرَانه — فهُمُ رُواةُ مَصارِع(١) العُشَّاق

وكان فى المجلس بعضُ المُغَنِّين ، فأخذ آلتَه وأَصْلَحها ، ولَحَّنَه فى أسرع من نظمى وغَنَّاه ، فلم يبْقَ فى المَجْلِس مَنْ لا غَلَبَه الطَّرَب واستَفَزَّه ، وحركه السرورُ وهَزَّه . وغُنِّى أيضاً فى شِعْر لى :

وفَاتِنِ القَدِّ فَاتِرِ اللَّحْظ — أَغْيَدَ حُلْو العِتَاب واللَّفْظ
رَضِيتُ عن قِسْمَة الزَّمان وقَدْ — أصبحَ مِنْ سَائِر الوَرَى حَظِّى

فى تصنيف لو سَمِعَه أَحْمَد لأَحْمَدَه ، أو مَعْبَد لأَستَعْبَدَه ، صنفَّه شمسُ الدِّين ابن بدل . ولعَمْرِى كما يَنْبَغِى أن تُتَخَيَّرَ الأَلحانُ المُعجِبَة ، لذلك يَنْبَغِى أن يُتقَدَّم باُخْتِيَار الأَشْعَار المُطْرِبة ، فإنَّ الشِّعرَ الطَّيِّب لو أُورِدَ إِيرَادًا بغير تَلْحين ، بلَغ

---

(١) ت : « واستمل حديث العشق من جيرته — فالقوم رواة مصرع » .

فى الإطراب ما لا تَبلُغُه صَنْعَة المُغَنِّين ، وإنَّمَا يُسْتَدْرَك بالألْحان بَعْد اللَّذَّة بالمَعَانى العَجِيبَة ، والأشْعَارِ الغَرِيبَة ، فَحِينئذٍ تجْتَمِعُ اللَّذَّتان ، ويَتَضَاعَفُ الطَّرَبان .

ولم أَذْكُر هَذِه النَّبذَة إلّا لأن زَمانَنا ، وإن قصُرَت قُدرةُ أهليه عن قُدْرة أَهْل ذَلِك الزمان ، فيهِ مِن الإخوان المتنوعين فى التَّنَعُّم والتَّلذُّذ ، ولو تَكَمَّل بالإمْكان ، لشَغَل أهْلِيه بإخْوَانِهم عن ذَلِك الزَّمَانِ وأُولَئِك الإخْوَان .

حَرْفُ الألِف

أَبُو العَتَاهِيَة إسْمَاعِيل

(أبو العَتَاهِيَة لَقَبٌ غَلَب عليه ، وهو إسْمَاعِيل بن القَاسِم بن سُوَيْد بن كَيْسان ؛ وكُنْيَتُه أَبُو إِسْحَاق) وأُمُّه أُمُّ زَيْد بنت زِيَاد المُحَارِبِي ، مَوْلَى بَنِي زُهْرَة .

وفى ذلك يقول أَبُو قَابُوس النَّصْرَانِي ، وقد بَلَغَه أَنَّ أَبَا العَتَاهِية فَضَّل عليه العَتَّابِي ، فقَال :

قُــل للمُـكَنِّى نَفْسَه   مُتَخَــيِّرًا بعَتَاهِيَــه
والمُرْسِل الــكَلِم القَبِيـ   ـح وَعَتْه أُذُنٌ وَاعِيَــهْ
إنْ كنتَ سِرًّا سُؤْتَنِي   أو كَانَ ذَاكَ عَــلاَنِيَه
فعلَيْك لعنةُ ذِي الجَــلاَ   ل وأُمُّ زيــدٍ زَانِيَه

أُمُّ زَيْد هى أُمُّ أَبِي العَتَاهِية (ومَنْشَؤُه بالكُوفَة ، وبِهَا تأَدَّب . وكان فى أَوَّل أَمْرِه يتَخَنَّث[1] ويَحْمِل زَامِلة المُخَنَّثِين ، وكان يَبِيعُ الفخَّار بالكُوفة ، ثم قَالَ الشِّعْر وبَرَع فيه فتقدَّمَ .)

(ويقال : أَطْبَعُ النَّاسِ بَشَّار ، والسيد[2] ، وأَبُو العَتَاهِيَة ، وما قَدر أحدٌ قَطّ على جَمْع شِعْر هَؤُلاء الثّلاثَة لِكَثْرَتِه .)

(وكان لَطِيفَ المَعَانِي ، سهلَ الأَلْفَاظ ، كَثِيرَ الافتِنَان ، قَلِيلَ التَّكَلُّف ، غَزِيرَ البَحْر ، إِلَّا أَنَّه كَثِيرُ السَّاقِطِ المَرْذُول مع ذَلِك . وأَكْثَرُ شعره فى الزُّهْدِ

---

(١) فى ت : مخنث .

(٢) السيد : هو السيد الحميرى ، واسمه إسماعيل بن محمد أبو هاشم .

والأَمْثَال ، وكان يُنسَبُ إِلَى القول بمَذْهَب الفَلاسِفَة مِمَّن لا يُؤْمِنُ بالبَعْث ، ويحتجُّون بأَنَّ شعره ، إِنَّما هو فى ذِكْرِ المَوْت والفناء ، دُونَ ذِكْرِ النُّشُور والمَعاد . ولَه أوزان ظَرِيفَة[1] قالها ، مِمَّا لم يَتقَدَّمْه الأَوائِلُ فِيها

وكان مِن أَبْخَل النَّاسِ مَعَ يَسَارِه وكثرةِ ما جَمَعَه من الأَمْوال وكان سببُ تَكَنِّيه بأَبِى العَتَاهِية ، أَنَّ المَهْدِى قال له يوما : أنتَ مُتَحَذْلِق مُعَتَّه ، فاستوَتْ له من ذَلِك كُنْيَةٌ غلبَت على اسمِه وسَارَتْ فى النَّاس . قال : ويُقَال للرَّجُل المُتَحَذْلِق : عتَاهِيَة ، كما يُقَالُ للرَّجُل الطَّوِيل : شَنَاحِيَة .

ويقال : أَبُو عَتَاهِيَة ، بغَيْر ألف ولَام . وقيل : كُنِى بذلك لأَنه كان يُحِبُّ الشهرةَ والمُجُون والتَّعَتُّه . فكُنى لعَتَهه[2] بأَبِى العَتَاهِيَة .

وكان محمد بن أَبِى العَتَاهِية يَذْكُر أَنَّ أَصْلَهم من عَنَزَة وأَنَّ جَدَّهم كَيْسان كان من أَهْل عَيْن التَّمْر ، فلما غزاها[3] خالِد بنُ الوليد كان جَدُّهم كَيْسان هذا يَتيما صَغِيرا ، يكفلُه قَرَابَةٌ له من عَنَزَة فسَباه خَالِد مع جَمَاعَةِ صِبْيَان من أهْلِها ،

وَوَجَّه بِهم إلى أَبِى بكر الصديق رضى الله عنه ، فوصلوا إليه بِحَضْرة عَبَّاد ابن رِفَاعة العَنَزِى أحد بنى معدم بن عنزة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزَار ، فجعل أبو بكر رضى الله عنه يسأَلُ الصِّبْيَان عن أنسابهم ، فيُخبره كُلُّ واحد منهم بمبلغ مَعْرِفَته . حَتى سأَل كَيْسان ، فذكر أَنَّه من عَنَزَة . فلما سمعه عَبَّاد يقول ذلك أستوهَبَه من أَبِى بكر رضى الله عنه وأنه قد صَارَ خَالِصاً له ، فوَهَبه له وأعتقه.

---

(١) فى غ : طريفة .

(٢) فى ت : لعتوه .

(٣) فى ت : عزله .

فتوَلاه من عَنَزة مندل وأخوه، فقيهان من بني عمر بن عامر، فظن من تقدم أنه من عنزة، وكانا من سادات أهل الكوفة .

قال أَبُو دُوَيْل مصعب بن برد : لم أَرَ قط مَنْدَلَ بن عَلِيٍّ وأَخاه حَيَّان بن عليّ غَضِبا من شيء إلّا يوماً واحدا ، دَخَل عليهما أَبُو العَتَاهِية وهو مُضَمَّخٌ بالدِّماء فقال لهما : مَنْ أَنَا ؟ فقَالا له : أنتَ أَخُونَا وابنُ عَمِّنا ومولانا ؛ فقال : إنَّ فُلَانًا الجَزَّار قاتلني[١] وزَعَم أَنَّنِي نَبَطِيّ[٢] ، فإن كنتُ نَبَطِيًّا هربتُ على وجهي ، وإلّا فقُومَا وخُذَا لِي بحَقِّي ؛ فقام معه مَنْدَل بنُ عَلِي ، وما تَعَلَّق نعله[٣] غَضَباً ؛ وقال : والله لوْ كَانَ حَقُّك على عِيسَى بن مُوسَى[٤] لأَخَذْتُه لَكَ منه ، ومَرَّ معه حَافِياً حتى أَخَذَ له بحَقّه .

وقيل : أَبُو العَتَاهِية مَوْلَى عَطَاء بن مِحْجَن العَنَزِيّ .

وكان أَبُو العَتَاهِية وإبْرَاهِيم المَوْصِلِي من أَهْلِ المَذَار . وكان أَبُو العَتَاهية وأَهْلُه يعملون الجِرَار الخُضْر . فقدِما إلَى بَغْدَاد . فنزل إبرَاهِيمُ المَوْصِلِيّ بَغْدَاد . ونَزَل أَبُو العَتَاهِية الحِيرَة .

(وَوَلَاء أَبِي العَتَاهِية من قبل أَبيه لعنَزَة . ومِنْ قِبَل أُمِّه لبَنِي زُهْرَة) ثم لمُحَمّد ابن هاشم بن عُتْبَة بن أَبِي وَقَّاص . وكانت أمه مولاةً لهم يقال لها : أُمُّ زَيد .

قال الخَلِيلُ بنُ أَسَد : وكان أَبُو العَتَاهية يستأْذِن ، ويقول : أَبُو إسحاق الخَزَّاف . وكان أَبُوه حَجَّاماً من أهل ورجه[٥] ، ولذلك يقول أَبُو العَتَاهِيَة :

---

(١) في غ : قتلني .

(٢) النبط : جيل من الناس ينزلون بالبطائح بين العراقين .

(٣) ما تعلق نعله ، أي ما لبسه .

(٤) في ت : علي بن عيسى .

(٥) في ت: ورحه .

أَلَا إنَّمَا التَّقْوى هو العِزُّ والكَرَم ... وحُبُّك للدُّنيا هو الفقْر والعَدَم
وليس عَلَى عَبْدٍ تَقِى نَقِيصَةٌ ... إذَا صَحَّحَ التقوى وإنْ حَاكَ أو حَجَم

قال مُحمَّد بن أَبى العَتَاهية : جاذب رجل من كِنَانة أَبى : أَبَا العتاهية، فى شىء ففخر عليه الكِنانِىّ واُستطال بقوم من أَهْله ؛ فقال أبو العتاهية :

دَعْنِىَ مِن ذِكْرِ أَبٍ وجَدٍّ ... ونَسَبٍ يُعْليك سُورَ المَجْد
ما الفَخْرُ إلَّا فِى التُّقَى والزُّهْدِ ... وطاعةٍ تُعْطى جِنَانَ الْخُلْد
لا بُدَّ من وِرْدٍ لأَهْلِ الوِرْد ... إمَّا إلى ضَحْلٍ وإمَّا عِدِّ(١)

وكان مَذهب أبى العتاهية التَّوحيدَ وأَنَّ الله خَلَقَ جَوْهَرَيْن مُتضَادَّين لَا مِنْ شَىْء ، وبَنَى العالَم هَـذه البِنْية منهُمَا ، وأن العالَم حديثُ العَيْنِ(٢) والصَّنْعَة لا مُحدِثَ له إلَّا المتعالى ، وزعم أَنَّ اللهَ تعَالى سيُعِيد كلَّ شَىْء إلَى الجوْهرين المتضادين(٣) قبل أن تَفنَى الأَعيَانُ جَميعا . وكان يَذهَبُ إلى أَنَّ المعَارف واقِعة بقدْر الفِكْر والاُستِدْلَال والبَحْثِ طِباَعا . وكان يقول بالوَعيد وبِتَحْرِيم المَكاسب ويَتَشَيَّع على مَذهب الزَّيْدِية لاينتقص أحدا ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان . وكان جَبْرِيًّا(٤) .

قال أَبُو العَتَاهِية لثُمَامَة بَيْنَ يَدى المأْمون ـ وكان كثيراً مايُعَارِضُ فى الإجْبَار ـ : أَسْأَلك عَنْ مَسْأَلة ؟ فقال له المأْمون : عليك بشِعْرِك ؛ فقال : إن رَأَى أَميرُ المؤمنين أنْ يأذَنَ لى فى مَسْأَلَتهِ ويَأْمُرُه بإجابتى ! فقال : أَجِبْه إذَا سألك ، فقال : أَنا أَقُولُ :

---

(١) الضحل : الماء القليل على الأرض لا عمق له ، والعد : الماء الجارى لا ينقطع .
(٢) فى ت : المعنى .
(٣) فى ت : الجوهر المعتاد من قبل ..
(٤) الجبرى : المنسوب إلى الجبر، وهو القول بأن الله يجبر العباد على الذنوب .

إنَّ كلَّ ما يَفْعَلُه العِبَاد من خَيْرٍ وشَرٍّ فهُوَ من الله تعالَى ، وأنتَ تأْبَى ذَلِك ، فمَنْ حَرَّكَ يَدِى هَذِه؟ ـ وجَعَل أَبُو العَتَاهِية يُحَرِّكَ يدَه ـ فقال له ثُمَامَةُ : حرَّكَها مَنْ أُمُّه زَانِيَة ؛ فقال : شَتَمَني والله يا أَميرَ المؤمنين ؛ فضحك المأْمُونُ وقال له : ألم آمركَ أَن تشتَغِل بشِعْرِكَ وتدَع ما لَيْسَ مِن عملك[١] ! قال ثُمَامَة : فَلَقِيَنى بعْدَ ذَلِك فقال : يا أبا مَعْن ، أما أَغْنَاكَ الجوَابُ عن السَّفَه ! فقلت : إنَّ مِن أتَمِّ الكلام ما قَطَع الحُجَّة ، وعاقَبَ على الإساءَة وشَفَى الغَيْظ وانْتَصَرَ مِنَ الجاهِل .

وكان أَبو العَتَاهِية مُذَبْذَباً في دِينِه ، فإذا سَمِع طَاعِناً عليه تَرَكَ اعتِقادَه إياه وأَخَذَ في غَيْرِه .

قال أَبُو الشَّمَقْمَق : رأَيتُ أبا العَتَاهِية يَحْمِل زَامِلَةَ المُخَنَّثِين . فقلتُ له : أَمِثْلُك يَضَعُ نفسَه [هذا الموضع][٢] مع سِنّك وقَدْرِكَ وشِعْرِكَ ؟ ! فقال : أُرِيدُ أنْ أتعلَّمَ كِيَادَهم[٣] وأحْفَظَ كَلامَهم .

قال بِشْر بنُ المُعْتَمِر لأبى العَتَاهِية : بلَغَني أنَّك لما نَسَكْت جلست تحجُم اليتامى والفقراء للسَّبِيل ، قال : نعم . قال : فما أردتَ بذَلِك؟ قال : أردتُ أن أَغُضَّ[٤] من نفسى حسبما رَفَعَتْنى هذه الدنيا ، وأضع منها ليَسْقُط عنى الكِبْر ، وأكتسب بما فعلتُه الثوابَ . وكنت أحجُم الفقراءَ واليتامى خاصة ؛ فقال له بشر : دَعْنِى من تَذْلِيل نَفْسِك بالحِجَامَة ، فإنه ليس بحُجَّة لك أن تُؤَدِّبها وتُصْلِحَها بما تُفْسِد به غيرَها . هل كُنتَ تعرِفُ الوقتَ الذى يَحْتَاجُ فيه من تحجُمه إلَى إخْرَاج الدَّم؟ قال : لا . قال : فهل كُنتَ تعرِف مقدار ما يحتاجُ كلُّ واحِدٍ إلى

---

(١) فى ت : علمك .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) كيادهم : مكرهم .

(٤) فى ت : أضع .

ما يُخرجه على مِقْدَارِ طَبْعه ، ممَّا إذا زدت عَلَيْه أو نَقَصْتَ منه ضُر المَحْجُوم ؟ قال : لا . قال: فما أُرَاكَ إلّا أردتَ أن تتَعَلَّمَ الحجامة على أَقْفَاءِ اليتامى والمسَاكين!

وكان حَمْدويه صاحبُ الزنادقة أراد أن يَأخُذَ أَبَا العَتَاهية ، ففزع مِن ذَلِك ، فقعد حَجَّاماً . وقيل : كان لأبي العَتَاهِيَة جارة تشرف عليه فرأته ليلةً يقنُت فروت عنه أنه يكلّم القمر . واتَّصلَ الخبَرُ بحَمْدويه فمضى إلَى مَنْزلها وبَاتَ وأشرَف على أبي العَتاهِيَة فرآه يُصَلّي ولم يَزَل يرقُبُه حتى قَنَت وصار إلى مَضْجَعِه فانصرف حَمْدويه خَاسِئاً .

ولمَّا أُخْبِرَ يحيى بن خَالد أنَّ أباالعَتَاهِيَة نَسَك ، وأنَّه قعد يَحْجُم اليَتَامَى للأَجْرِ تَوَاضُعا بذلك ؛ قال : أَلَمْ يَكُن يبيعُ الجرارَ قبل ذَلِك ؟ فقيل : بَلَى ؛ قال : أما فى بَيْعِ الجرار مِنَ الذُّلِّ ما يَكْفِيه ويَسْتَغْنى به عن الحجَامة !

قال أبو شُعَيْب صاحبُ ابن أبي دَاوُد[1] : قلتُ لأبي العَتَاهِيَة : القرآنُ عِنْدَكَ مَخْلُوق أو غيْرُ مَخْلُوق ؟ فقال لى : أَسَأَلْتَنى عَنِ اللهِ أو عَن غَيْرِ الله ؟ فأمسكتُ ثم أعَدْتُ عَلَيْه ، فأجابنى هذا الجوابَ نفسَه حتى فعل ذلك مِرَارًا ؛ فقلت له : مالك لا تُجيبُنى ؟ فقال : قد أَجَبْتك ولكنَّك حِمَار .

[وكان أبو العتَاهِيَة قَضِيفا أبيضَ اللونِ أسودَ الشَّعر ، له وَفْرَةٌ جَعْدَة وهَيْئَة حَسَنَة ولَبَاقَة] وكان له عَبِيدٌ من السُّودَان ولأَخيه زَيْد أيضا عبيدٌ منهم يعملون الخزَف فى أَتُّون لهم ، فإذَا اجتَمَع منـه الشيء أَلْقَوْه على أجير لهم يقال له أبُو عَبّاد من أَهْل طَاقِ الجرَار بالكوفة ، فيبيعه على يده ويردّ فضلَه إليهم . وقيل : بل كان يَفْعَلُ ذَلِك أخوه زيدٌ لا هُوَ . وسُئِل عن ذلك فقال : أَنا جَرَّار القَوَافِي وأخي جَرَّار التِّجَارة .

---

(١) فى ت : صاحب أبى داود .

قال عَبْدُ الحميد مَوْلَى بنى عِجْل : رأيتُ أبَا العَتَاهِيَة ، وهو جَرَّارٌ يأتيهِ الأَحْدَاثُ والمُتَأَدِّبُون يُنْشِـدُهم أشعاره فيأْخُذُون ما تَـكَسَّر من الخزف فيَـكْتبُونَها فيه .

وكانَ يُهاجِي وَالِبَةَ بنَ الحبَاب ، فقال فيه وَالِبَةُ :

كان فينا يُـكْنَى أبَا إسحاقِ ... وَبِهَا الرَّكبُ سَارَ فى الآفَاقِ
فتـكَنَّى مَعْتُوهُنـا بعَتَاهٍ ... يا لهَا كُنْيَة أَتَتْ باتِّفَاقِ
خلق اللهُ لِحْيَةً لَكَ لا تَنْـ ... ـفكُّ مَعْقُودَةً لَدَى الحلّاقِ(١)

قال النوشَجَانى : أَتَانِي البوَّابُ يوماً فقال : أَبُو إسْحَاق الخزَّاف بالباب . فقلتُ : إيذَنْ(٢) له، فإذَا أَبُو العَتَاهِيَة ، فوَضَعْتُ بين يديه قِنْوَة من مَوْز ؛ فقال : قد صرتَ تَقْتُل العُلمَاء بالمَوْز ، قتلت أبَا عُبَيْدَة بالموْز ، وتُرِيد أيضا أن تَقْتُلني به ! لا واللهِ لا أَذُوقُه . وكان أبُو عُبَيْدَة قد رُئِيَ خَارِجاً من دار أبى إسحاق فى شِقّ مَحْمِل ، إلّا أنّه حَيّ ، وعند رأسه قِنْو مَوْز وعند رجليه قِنو مَوْز آخر ، يذهَبُ به إلَى أَهْله ؛ فقال لمَّا دَخلْنَا عليه نَعُودُه وقُلْنا له : ما سَبَبُ عِلَّتك ؟ فقال : هذا النُّوشَجَانِيّ جاءَنِي بمَوْزٍ كأنه أيُور المَسَاكين ، فأكثرتُ منه ، فكان سَبَب العِلّة، ومات فى تِلْك العِلّة .

وكان مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ الله الزُّبَيْرِى يَقُول : أبوالعَتَاهِيَة أشعرُ النَّاس ؛ فقيل له : بأَيِّ شَيْء استحَقَّ ذلك عِنْدَكَ ؟ قال : بِقَوْله :

تَعَلَّقت بآمــالٍ ... طِوالٍ أَيِّ آمالِ
وأقبلتُ على الدُّنيا ... مُلِحًّا أَيَّ إقْبَالِ

---

(١) كذا فى ت والديوان . وفى غ : بداء الحلاق .

(٢) فى ت : فأذن له .

أَيَا هَـذَا تَجَهَّز لـ ... فِرَاقِ الأَهْلِ والمَالِ
فلا بُدَّ من المَوْت ... على حَالٍ من الحالِ

قال مُصْعَب : هذا كلام حَقٌّ لا حَشْوَ فيه ولا نُقْصَان ، يَعرِفُه العاقل ويُقِرُّ به الجاهل .

وكان الأصْمَعِي يَسْتَحْسِن قولَ أبي العَتَاهِيَة :

أنتَ ما اُستَغْنَيْتَ عَنْ صا ... حبك الدهرَ أَخُـوه
فإذَا احْتَجْتَ إليـه ... ساعةً مَجَّـك فُوه

قال صَالِحٌ الشَّهْرَزُورِى(١) : أتيت سَلْماً الخاسِر فقلتُ له : أنشدنى لنفسك ، فقال : لا ، ولكنى أُنْشِدكَ لِأَشْعَرِ الجِنّ والإنْس ، لأبى العَتَاهِيَة ، ثم أنْشَدَنى له :

سَكَنٌ يَبْقَى له سَكَن ... ما بِهَـذَا يُؤْذِن الزَّمَنُ
نحن فى دار يُخَبِّرُنَا ... ببِلَاهَا نَاطِقٌ لَسِنُ
دارِ سَوء لم يَدُم فَرَحٌ ... لأمرئ فِيهَا ولا حَزَنُ
فى سَبِيل اللهِ أنفُسُنا ... كُلُّنا بالمَوْت مُرتَهَنُ
كُلُّ نَفْسٍ عند مِيتَتِها ... حَظُّها من مَالِها الكَفَنُ
إنَّ مَالَ المرءِ لَيْسَ لَه ... منه إلَّا ذِكْرُه الحَسَن

(قال محمد الأَنْمَاطِى : قلتُ لدَاوُدَ بْنِ رَزِين الشَّاعِر : مَن أَشْعَرُ أَهْل زَمَانه(٢) ؟ قال : أَبُو نُوَاس ، قلت : فما تَقُول فى أبى العَتَاهِيَة ؟ فقال : أبو العَتَاهِيَة أشْعَرُ الجِنّ والإنْس .)

---

(١) كذا فى غ . والشهرزورى : نسبة إلى شهرزور؛ وهى كورة واسعة فى الجبال بين إربل وهمدان « معجم البلدان ٣ / ٣٤٠ » وفى ت : السهروردى « تحريف » .
(٢) كذا فى غ، وفى ت : زماننا .

وقال عَبْدُ الله بنُ عَبْد العَزِيز العُمَرِى(١) : أَشْعَرُ النَّاسِ أبو العَتَاهِيَة حَيْثُ يَقُول :

ما ضَرَّ مَنْ جَعَلَ التُّرابَ مِهَادَه ... أَلَّا يَنَامَ عَلَى الحَرِيرِ إذا قَنِع

صَدَقَ واللهِ وأَحْسَن .

قال المُعَلّى بنُ عُثْمَان : قِيلَ لأَبِى العَتَاهِية : كيفَ تَقُول الشِّعر ؟ قال: ما أردتُه قَطّ إِلَّا مثَل لى ، فأَقُولُ ما أريد وأَتْرُكُ ما [لا] أريد .

(وكان أَبُو العَتَاهِيَة يَقُول : لو شِئْتُ أن أجعلَ كَلَامى كُلَّه شِعْراً لفعلتُ .)

(جَلَس المَهْدِى يوماً للشُّعَرَاء ، فأَذِن لَهُم وفِيهِم بَشَّار وأَشْجَع)وكان أَشْجَع يأْخُذ عن بَشَّار ويُعظِّمه ، وكان أَبُو العَتَاهِيَة فِيهِم ، فلَمَّا سَمِع بَشَّار كلامَه قال لأَشْجَع : ياأَخَا سُلَيْم ، أَهذَا ذَلِك الكُوفِى المُلَقَّب ؟ فقلت : نعم ، فقال : لا جَزَى اللهُ خَيْراً مَنْ جَمَعَنا مَعه ، ثم قال له المَهْدِى : أَنْشِد ، فقال بَشَّار : وَيحك ! ويقدَّم فيُسْتَنْشَد قَبْلَنا أَيْضا ! فقلت : قد تَرَى (فأنشد :

أَلَا ما لِسيِّدَتى مَالَهـا ... أَدلاًّ(٢) فأَحْمِـل إدْلَالَهـا

وإِلَّا فَفِـيمَ تجنَّت وَمَا ... جنيتُ سَقَى اللهُ أَطْـلَالَها

أَلَا إنَّ جَارِيَـةً للإِمَا ... م قد أُسْكِن الحسن(٣) سِرْبَالَها

مَشَت بَيْن حُورٍ قِصَارِ الُخطَا ... تُجَاذِبُ فى المَشْىِ(٤) أَكْفَالَها

وقـد أَتْعَب اللهُ نَفْسى بِهَا ... وأَتْعَبَ باللَّوم عُذَّالَهـا

---

(١) كذا فى غ ، وفى ت : القمى

(٢) فى ت : دلالا .

(٣) فى غ : الحب .

(٤) فى ت : الحسن .

فقال بَشّار : وَيْحَك يا أَخَا سُلَيْم ! ما أَدْرِى من أَىّ أَمْرِيه أعجَب : أَمِن ضَعْفِ شِعْره أم من تَشْبِيبهِ بِجارِية الخليفة يَسْمَع ذَلِك بأُذُنه (حتى أَتَى عَلَى قوْله :

أَتَتْكَ[1] الخِــلافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْكَ[2] تجــرِّرُ أَذْيَالَهــا

ولَمْ تَكُ تَصْلُح إِلَّا لَــه ولم يَــكُ يَصْلُح إِلَّا لَهــا

ولو رَامَها أَحَــدٌ غيرُه لَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهــا

ولَوْ لَم تُطِعْه بَنَاتُ القلُوبِ لَمَا قَبِــل اللهُ أَعْمالَهــا

وإِنَّ الخَلِيفةَ مِنْ بُغْض لَا إِلَيْه لَيُبْغِض مَــنْ قَالَهــا

فقال بَشّار وقد اهْتَزَّ طَرَبا : وَيْحَك يا أَخَا سُلَيْم ! أَتَرى الخَلِيفَةَ لم يَهْتَزّ[3] عن فَرْشه طَرَبا لِما يَأْتِى بِه هَذَا الكُوفِى)؟ قال أبو عُمَر[4] القُرَشِى : لما قَصَّ[5] مَنْصُور بنُ عَمَّار على الناس مجلسَ[6] البَعُوضة قال أَبُو العَتَاهِيَة : إنما سَرَقَ منصُورٌ هَذَا الكَلام من رجل كُوفِى ؛ فبلغ قولُه مَنْصُوراً فقال : أبو العتاهية : زِنْدِيقٌ ، أما تَرَوْنَه لا يَذْكُر فى شِعْرِه قطّ الجنة[7] ولا النار ، إنَّما يذكُر الموتَ فَقَط ! فبَلَغَ ذَلِك أَبَا العَتَاهِية ، فقال :

يا واعظَ النَّاس قد أَصْبَحْتَ مُتَّهَماً إذ عِبتَ منهم أموراً أَنْتَ تَأْتِيهَا

كالمُلْبِس الثوبَ من عُرْىٍ وعَوْرَتُه للناس بَادِيَةٌ ما إِنْ يُوَارِيهَا

وأعظم الإثْم بَعْدَ الشِّركِ تَعْلَمُه فى كُلِّ نفسٍ عَماها عن مَسَاوِيهَا

(١) فى غ : أتته

(٢) فى غ : إليه .

(٣) فى غ : يطر .

(٤) فى ت : أبو عمرو .

(٥) فى ت : قضى « تحريف » .

(٦) فى ت : بمجلس « تحريف » .

(٧) فى ت : لا الجنة .

عِرفَانُها بعُيُوبِ النَّاسِ تُبصِرُها ‏ ‏ ‏ ‏ منهم ولا تُبصِر العَيبَ الَّذِى فِيهَا

فلم تمض إلّا أيامٌ يَسِيرة حتى مَاتَ مَنْصُور بنُ عَمَّار ، فوقَفَ أَبُو العتَاهِيَة على قَبْرِه وقال : يَغْفِر اللهُ لكَ أَبَا السَّرِىّ ما كُنتَ رَمَيْتَنِى بِه .

قال الخليلُ بنُ أَسَد النُّوشَجَانِىّ : جاءنا أبُو العتَاهِيَة إِلَى منزلنا فقال : أَيَزعُمُ الناسُ أَنِّى زِنْدِيق ! واللهِ ما دِينِى إلا التَّوْحِيد . فقلت : قل شيئا نتحدَّث به عنك . فقال :

ألا إنَّنـــا كُلُّنا بَائِدُ ‏ ‏ ‏ ‏ وأَىُّ بَنِى آدمٍ خَالِدُ
وبَدْؤُهُم كان من رَبِّهم ‏ ‏ ‏ ‏ وكلٌّ إِلَى رَبِّه عَـائِدُ
فيا عَجَبًا كَيْفَ يُعصَى الإلَـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـه أم كيف يَجْحَدُه الجاحِدُ
وفى كُلِّ شَىْءٍ له آيَـةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ تدُلُّ عَـلَى أَنَّه وَاحِدُ

قال أبو دُلف محمدُ بنُ هاشم الخزَاعِىّ[1]: تَذَاكَرُوا يوما شِعْرَ أَبِى العتَاهِيَة بحَضْرَةِ الجاحِظ إِلَى أن جرَى ذِكْرُ أُرْجُوزَته المُزْدَوَجَة التى سَمَّاهَـا « ذَاتَ الأَمْثَال » فأخذَ بعضُ مَنْ حَضَرَ يُنْشِدها حَتَّى أَتَى إِلَى قَوْلِه :

يَا لَلشَّبَاب المَرِح التَّصَابِى ‏ ‏ ‏ ‏ رَوَائحُ الجنَّة فى الشَّبَاب

فقال الجاحِظ للمُنْشِد : قف ، ثم قال : انظروا إِلَى قوله :

* رَوَائح الجنَّة فِى الشَّبَاب *

فإن لَهُ مَعْنًى كَمَعْنَى الطَّرَب ، لا يقدِرُ أحـدٌ على مَعرِفَته إِلَّا بالقُلُوب ، وتَعْجِز عن ترجمته[2] الأَلْسُن إِلَّا بعدَ التَّطْوِيلِ وإدامَةِ التَّفَكُّر ، وخَيْرُ المَعَانِى ما كانَ القلبُ إِلَى قبُولِه أَسْرَعَ مِنَ اللِّسَانِ إِلَى وَصْفه .

---

(١) فى ت : هاشم بن محمد الخزاعى .
(٢) فى ت : معرفته .

وهـذه الأُرْجُوزَة من بَدَائِعِ الشِّعْر يقال إنَّ فيها أربعة آلافِ مَثَل ، مِنْها قَوْله :

حسبُك مِمَّا تَبْتَغيه القُوتُ ... ما أكثرَ القُوتَ لمن يَمُوتُ
هِيَ المَقَادِير فلُمْنِي أو فذَرْ ... إنْ كنتُ أخطأتُ فما أَخْطَا القدَرْ
لكُلِّ ما يُؤْذِي وإنْ قَلَّ أَلَمْ ... ما أطولَ اللَّيـلَ على مَن لم ينَمْ
ما انْتَفَعَ المـرءُ بمِثْل عَقْلِه ... وخيرُ ذُخْر المرء حُسْن فِعْله
مَن جَعَل النَّمَّام(١) عَيْناً هلَكا ... مُبْلِغُك الشرَّ كَبَاغِيه لَكا
إنَّ الفسادَ ضِدُّه الصَّـلاحُ ... ورُبَّ جِدٍّ جَرَّه المِزَاحُ
إنَّ الشَّبَابَ والفرَاغَ والجِـدَهْ ... مَفْسَدَةٌ للمرءِ أَيُّ مَفْسَـدَهْ
ما عَيْشُ مَنْ آفَتُـه بَقَاؤُهُ ... نَغَّصَ عَيْشاً كُلَّه فَنَاؤُه
ما زَالَتِ الدُّنْيَا لنَا دَارَ أَذَى ... مَمْزُوجَةَ الصَّفْـوِ بأَلْوَان القَذَى
مَنْ لك بالمَحْضِ ولَيْسَ مَحْضُ ... يَخْبُثُ(٢) بعضٌ ويَطِيبُ بَعْضُ
يا رُبَّ مَن أَسْخَطَنا بجَهْدِه ... قد سَرَّنَا اللهُ بغَـير حَمْدِه
ما تَطْلُـعُ الشمسُ ولا تَغِيبُ ... إلَّا لأَمْـرٍ شأنُه عَجِيبُ
لكُلِّ إنْسَانٍ طَبِيعَتَان ... خَـيْرٌ وشَرٌّ وهُمَا ضِدَّانِ
والخَـيْرُ والشَّرُّ إذا ما عُدَّا ... بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيـدٌ جِدَّا
إنَّك لو تَسْتَنْشِقُ الشَّحِيحَا ... وجدتَه أَنْتَنَ شَيْءٍ رِيحَا
كَذَا قَضَى اللهُ فكَيْفَ أَصْنَعُ ... الصَّمْتُ إنْ ضَاقَ الكلامُ أَوْسَعُ

---

(١) فى ت : المنام « تحريف »

(٢) فى ت : يخيب .

قال رَوْحُ بْنُ الفرَج : شاوَرَ رجُلٌ أبَا العَتاهِيَة فِيماَ يَنْقُش على خاتَمه ، فقال : انقش عَلَيْه : لَعْنَةُ اللهِ عَلَى النّاسِ ، ثم أَنْشَد :

برمتُ بالنّاسِ(١) وأَخْلاقهم ... فصِرْتُ أَسْتأْنِس بالوُحْدَه

ما أكثرَ النّاس لَعمْرِى وَمَا ... أَقلَّهُم فى حَاصِل العِدَّه

قيل إنَّ عَمْرو بْنَ العَلاء مَوْلَى عَمْرو بنِ حُرَيْث صاحبَ المَهْدى كان مُمَدَّحا ، فمدَحَه أَبُو العَتاهِيَة فأَمر له بسَبْعِينَ(٢) ألفَ دِرْهَم ؛ فأنكر ذَلِك بَعْضُ الشُّعَراء وقال : كَيْفَ فعَل هَذا بِهَذَا الكُوفِىّ ، ولَيْسَ مِقْدَارُ شِعْرِه هَذا ، فبلَغَه ذَلك فأَحْضَره وقال : إنَّ الوَاحِدَ منكم لَيدُور على المَعْنَى فلا يُصِيبه ويَتعَاطَاه فلا يُحْسِنه حتى يُشَبِّب بخَمْسِين بَيْتاً ثُمَّ يمدَحُنا ببَعْضِها ، وهذا كأَنَّ المَعانِى تُجْمَع له ، مَدَحَنى فقَصَّر التَّشْبيب ، وقال :

إنِّى أمِنْتُ من الزَّمَان ورَيْبِه ... لَمَّا عَلِقْتُ من الأَمِيرِ حِبَالا

لو يستطيع الناسُ من إجْلاَله ... جعلوا(٣) له حُرَّ الوُجُوه نِعَالا

إنَّ المَطَايَا تَشْتَكيك لأَنَّها ... تَطْوِى(٤) إليْك سَبَاسِباً ورِمَالا

فإذَا وَرَدْنَ بنا وَرَدْنَ خَفَائِفاً(٥) ... وإذا رَجَعْنَ بِنَا رَجَعْنَ ثِقَالا

أَخَذَ هَذا المَعْنَى من قَوْل نُصَيْب :

فَعَاجُوا فأَثْنَوْا بالَّذِى أَنْتَ أَهْلُه ... ولو سكتوا أَثنتْ عَلَيْكَ الحقائِبُ

قال مُحَمَّد بن النَّضْر : أُخرِجْتُ رَسُولًا إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِر وَهُو يُرِيدُ

---

(١) كذا فى غ والتجريد . وفى ت : برئت من الناس .

(٢) كذا فى غ والتجريد . وفى ت : بعشرين .

(٣) كذا فى ت : وفى غ والتجريد : لحذوا .

(٤) كذا فى ت ، وفى غ والتجريد : قطعت .

(٥) كذا فى ت والديوان طبع بيروت ٣٢٤ ، وفى غ والأمالى ١/٢٤٨ والتجريد : مخفة

مِصْر ، فنَزَلْتُ على العَتَّابى ، وكان لى صَدِيقا فقال : أَنْشِدْنى لِشَاعِرِ العِرَاق – يَعْنِى أَبَا نُوَاس وكَانَ قَدْ ماتَ – فأنشدتُه ما كنتُ أحفظُ من شِعْرِه ومُلَحِه وقلتُ له : ما ظَنَنْتُك تَقُولُ هَـذا إلّا لأَبى العَتَاهِيَة ؛ فقال : لو أردتُ أَبَا العَتَاهِيَة لقُلْتُ : أنْشِدنى لأَشْعَرِ النَّاس ولم أَقْتصِر على العِرَاق .

قال أَبُو العَتَاهِيَة : أكثَرُ النَّاس يَتَكَلَّمُون بالشِّعر ولا يَعْلَمُون ، ولو أَحْسَنُوا تألِيفَه لَكانُوا شُعَرَاء كُلُّهم . فبَيْنَما هُمْ كَذَلِك إذْ قَالَ رَجُل لآخَر مَعَه مِسْح :

يا صَاحِبَ المِسْحِ تَبيعُ المسحا .

فقال أَبُو العَتَاهِيَة : هذا مِنْ ذَلِك . أَلَمْ تَسْمَعُوه يَقُول :

يا صَاحِبَ المِسْح تَبِيعُ المِسْحا .

فقد قال شِعْراً وهولا يَعْلَم ، ثم قال له الرجل :

تَعَالَ إنْ كُنْتَ تُرِيدُ الرِّبْحَا .

فقال أبو العَتَاهِيَة : قد أجازَ المِصْرَاع بمِصْرَاع آخَرَ وهو لا يَعْلم ، قال :

تَعَالَ إن كنتَ تُرِيد الرِّبحَا .

(قال الأَصْمَعِى : شِعْرُ أَبى العَتَاهية مثلُ كُسَاحَةِ[1] المُلُوك يَقعُ فِيهَا الجَوْهَرُ والذَّهَبُ والتُّرابُ والخَزَفُ والنَّوَى)

وقال مُحَمَّد بنُ أَبِى العَتَاهِيَة : سُئِل أَبِى : هَلْ تَعرِف العَرُوض ؟ فقال : أنا أَكْبَرُ[2] مِنْ العَرُوض . قال : وله أَوْزَان لا تَدْخُلُ العَرُوض .

قال أبو عِكْرِمَة : حُمَّ الرشيدُ فصَارَ أَبُو العَتَاهِيَة إلَى الفَضْل[3] بِرُقْعَة فيها :

---

(١) الكساحة : الكناسة . وفى غ : شعر أبى العتاهية كساحة الملوك .

(٢) فى ت : أكثر .

(٣) هو الفضل بن الربيع .

لو عَلِمَ الناسُ كيف أنتَ لهم ... مَاتُوا[١] إذا ما أَلِمْتَ أَجْمَعُهم
خَليفَةَ اللهِ أنتَ ترجحُ بالنّـ ... ـاس إذا ما وُزِنت أنت وَهُم
قد عَلِم الناسُ أنَّ وَجْهَكَ يَسْـ ... ـتغنى إذا ما رآه مُعْدِمُهم

فأنشدَها الفَضْلُ الرشيدَ ، فأَمَر بإحْضَارِ أَبى العَتَاهِيَة فما زال يُسامرهُ ويُحدِّثه إلى أن برِئ ووَصَله بمَالٍ جَزِيل .

قال ابنُ الأَعْرَابى وقد حُدِّثَ هَذَا الحديث ، فقَالَ له رجل فى المَجْلس لمَّا أُنْشِدَ هَذَا الشِّعْرُ : ما هذا الشِّعْر بمُسْتَحْسَن[٢] وهو ضَعِيف. فقَالَ ابنُ الأَعْرَابى : الضَّعِيفُ والله عَقْلُكَ ، أَلأَبى العَتَاهِيَة تقُولُ : ضَعِيفُ الشِّعر ! واللهِ ما رأيتُ شاعِراً أَطْبَعَ ولا أَقْدَرَ على بيت شعر منه ، ولا أَحْسَبُ مَذْهَبه إِلَّا ضَرْباً من السِّحْر . ثُمَّ أَنْشَدَ له :

قَطَّعْتُ منك حَبَائِلَ الآمال ... وَحَطَطْتُ عن ظَهْر المَطِىِّ رِحَالِى
وَوَجدْتُ بَرْدَ اليَأْس بين جوَانِحى[٣] ... فأَرَحْتُ من حِلٍّ ومن تَرْحال
يا أَيُّهَا البَطِر[٤] الَّذى هُوَ فى غدٍ ... فى قبره مُتَمزِّقُ الأوْصَال
حذَفَ المُنَى عنه المُشَمِّرُ فى الهُدَى[٥] ... وأَرى مُنَاكَ طَويلَةَ الأَذْيَال
— حِيَلُ ابنِ آدم فى الأمور كَثِيرَةٌ ... والموتُ يَقْطَعُ حِيلَةَ المُحْتَال
قِسْتُ السُّؤالَ فكَانَ أَعْظَمَ قِيمَةً[٦] ... من كل عارِفَةٍ جَرَت بسُؤال
— فإذَا ابْتُلِيت ببَذْل وَجْهِك سَائِلا ... فابذُلْه للمُتَكَرِّم المِفْضَال

---

(١) كذا فى غ والتجريد . وفى ت : مات .
(٢) فى غ : بمستحق لما قلت .
(٣) فى ت : جوارحى « تحريف » .
(٤) فى ت : البطل « تحريف » .
(٥) فى ت : حذر المنى عنه المشمر فى الهوى .
(٦) فى ت : حيلة .

وإذا خَشِيتَ تَعَذُّرًا فى بَلْدَة ... فاشْدُدْ يَدَيْك بعَاجِل التَّرحَالِ
واصْبِر عَلَى غِيَر الزَّمَان فإنَّمَا ... فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

ثم قال لِلرَّجُل : هل يُحسِنُ أحدٌ [أن][1] يقولَ مِثْلَ هَذا ؟ فقال له الرَّجُل : لم أَرْدُدْ عليك [ما قلتَ] ولكنّ الزُّهْدَ مَذْهَبُ أبى العَتَاهِيَة ، وشِعْرُه فى المَدِيح ليس كَشِعرِه فى الزُّهْد . فقال لَهُ ابنُ الأعْرَابِى : ألَيْسَ هُوَ الَّذِى يَقُولُ فى المَدِيح:

وهَارونُ ماءُ المزن يُشْفَى به الصَّدَى ... إذا ماالصَّدِى بالريق غَصَّت حَنَاجِرُهْ
وأَوْسَطُ بَيْتٍ[2] فى قُرَيْش لَبِنْتُه ... وأَوَّلُ عِزٍّ فى قريش وآخِرُهْ
وزَحْفٍ له تَحْكِى البُرُوقَ سيوفُهُ ... وتَحْكِى الرعودَ القَاصِفَات زَمَاجِرُهْ[3]
إذا حَمِيتْ شَمْسُ النَّهارِ تَضَاحَكَت ... إلى الشَّمْسِ فيه بَيْضُه ومَغَافِرُهْ
إذا نُكِبَ الإسلامُ يومًا بنَكْبَة ... فهَارُونُ من بين البَرِيَّة ثَائِرُهْ
ومَنْ ذا يَفُوتُ المَوْتَ والموتُ مُدرِكٌ ... كذا لَمْ يفُتْ هَارونَ ضِدٌّ يُنافِرُهْ

فتخلّص الرجل من شرّ ابْن الأَعْرابِىّ بأَنْ قَالَ : القولُ كما قُلْتَ ، وما كنتُ سَمِعتُ له بمثل هَذَا ، وكتبهما عنه .

قال هَارونُ بنُ سَعْدَانَ بنِ الحَارِث مولى عَبَّاد : حَضَرْتُ بالأَمْسِ مَجْلِسا فأُنْشِدْتُ شِعْراً ، فقال بعضُ مَنْ حَضَرَ المَجْلِس : أنت أَشْعَرُ النَّاسِ ، فقلت : أما والشَّيْخ حَىّ فَلاَ (يَعْنِى أَبَا العَتَاهِيَة) .

قال ثُمَامَةُ بنُ أَشْرَس : أَنْشَدَنِى أَبُو العَتَاهِيَة :

إِذَا المرءُ لم يُعْتِق من المال نفسَه ... تملَّكه المَالُ الّذى هو مَالِكُه

---

(١) ساقطة من ت .
(٢) كذا فى غ والتجريد . وفى ت : وأوسط عز .
(٣) زمجرة كل شيء صوته . وفى غ والتجريد : حوافره .

أَلاَ إِنَّمَا مَــالِي الَّذِي أَنَا مُنفِقٌ ... وَلَيْسَ لِيَ المَـالُ الَّذِي أَنَا تَارِكُه
إِذَا كُنتَ ذَا مَالٍ فَبــادِرْ بِهِ الَّذِي ... يَحِقُّ وإِلاَّ اسْتَهْلَكَتْــه مَهَالِكُه

فقلت له : من أين قضيت بهذا؟ فقال : مِن قَوْلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ ما أَكَلْتَ فأَفْنَيْتَ أو لَبِسْتَ فأَبْلَيْتَ أو أعطيْتَ فأمْضَيْتَ». فقلت له أَتؤمن بأنّ هَذا قولُ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسَلّم وأنّه الحَقّ ؟ فقال : نعم : قلت : فلِمَ تَحْبِس عِنْدَكَ سَبْعًا وعِشْرِين بَدْرَة فى دَارِكَ ، لا تأكلُ مِنْهَا ولا تَشْرَب ، ولا تُزَكِّي ولا تُقَدِّمُها ذُخْرًا ليَوْم فَقْرِكَ وفَاقَتِك ؟ فقال : يا أَبَا مَعْن، واللهِ إنَّ ما قُلْتَ لَهُوَ الحَقُّ ولكنى أَخَافُ الفقرَ والحاجةَ إلى النَّاس؛ قلتُ : وبِمَا تزيدُ حالُ مَنِ افْتَقَر عَلَى حَالِكَ وأَنْتَ دائمُ الحِرْص دائم الجَمْع شَحِيحٌ على نفسك لا تَشْتَرِى اللحْمَ إلا من عِيدٍ إلى عِيد ؟ ! فترك جوابَ كلامى كُلِّه ثم قال : واللهِ لقد اشتريتُ يوم عَاشُوراء لَحْما وتوَابِلَه وما يَتْبَعُه بخَمْسَةِ دَرَاهِم ؛ فلما قَالَ لِي ذَلِك أَضْحَكَنِى حتَّى أَذْهَلَنى عن جوَابِه و مُعَاتبَتِه ، فأَمسَكْتُ عَنْه وعلمت أَنَّه لَيْس مِمَّن شرَح اللهُ صدرهُ لِلإِسْلَام .

كان مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى فى حَارَةِ أَبى العَتَاهية ، قال : كَانَ لأَبِى العتَاهية جَارٌ يلتَقِط النوَى ضَعِيفٌ سَيِّئُ الحَالِ ، وكان يمُر بأَبى العَتاهية طرَفَى النَّهار فيَقُول أَبُو العَتَاهِيَة: اللَّهُمَّ أَعِنْه على مَا هُوَ بِسَبِيله ، شَيْخٌ ضَعِيف سَيِّئُ الحَالِ عليه ثياب مُتَجَمِّل ، اللَّهُمَّ اصنَعْ له ؛ فبَقِى عَلَى هَذَا الحَالِ إلَى أَنْ مَاتَ الشيخُ نحوًا من عِشْرين سَنَة ، لَا واللهِ ما تَصَدَّق عَلَيْه بِدِرْهم ولا دَانِق قطّ ، ولا زاده على الدُّعَاء شَيْئًا ، فقلتُ له يوما : يا أَبَا إسْحَاق : إنى أَرَاكَ تُكْثِرُ الدعاءَ لهَذا الشَّيخ وتزْعُمُ أَنَّه فقير مُعِيل(١) ، فلِمَ لا تَتَصدَّق عليه بشَىْء ؟ فقال : أخشَى أن يَعْتَاد الصَّدَقَة والصَّدَقَةُ آخِرُ مَكَاسِب العَبْد ، وإنَّ فى الدُّعَاء لخيرًا كَثِيرًا .

(١) فى غ : مقل .

قال الخُزَيْمى(١): كانَ لأَبى العَتاهية خادِمٌ أسودُ طويلٌ كأنه مِحْراكُ أتُّون، وكان يُجْرِى عليه فى كلّ يوم رَغيفَيْن ، فجاءَنى الخادمُ يوما فقال لى : واللهِ ما أشبَع ؛ فقلتُ : وكيفَ ذلك ؟ قال : لأنى ما أَفْتر من الكدّ وهو يُجرِى علىّ رَغيفَيْن بغير أُدْم(٢) ، فإنْ رأيتَ أن تكلِّمَه حتى يزيدَنى رَغيفاً فتؤُجَر ! فوعدتُه بذلك ؛ فلما جلستُ معه مرَّ بنا الخادم فكرهتُ إعلامَه أنه قد شكاه إلىَّ . فقُلْتُ له : يا أبا إسْحاق : كم تُجْرِى على هـذا الخادِم كلَّ يوم ؟ فقال : رَغيفَيْن ؛ فقلتُ : لا يكْفِيانِه(٣) ؛ فقال : مَنْ لَمْ يكْفِه القليلُ لم يكْفِه الكثيرُ ، وكلُّ مَن أعطى نفسَه شهوتَها هلَك [و] هذا خادم يدْخُل عَلَى حُرَمى وبناتى ، فإنْ لم أُعوِّدْه القَناعةَ والاُقتِصاد أهلكنى وأهْلَكَ عِيالى ، ثم ماتَ الخادِم بعد ذلك فكفَّنه فى إزارٍ [و] فراش — كانَ لَهُ — خَلَقٍ ؛ فقلتُ له : سُبْحان الله ! خادمٌ قديمُ(٤) الحرْمَةِ طَويلُ الخِدْمَة وَاجبُ الحقّ تُكفِّنه فى خَلَق ، وإنَّما يكْفيه كَفَنٌ بدينار ! فقال: إنه يَصير إلى البلَى ، والحىُّ أوْلَى بالجديدِ من الميِّت ؛ فقلتُ : يرْحَمُك الله ! فلقد عوَّدْتَه الاُقتصادَ حيًّا وميّتاً .

وقال الخُزَيْمىُّ : وقف سائِلٌ من الظُّرَفاءِ العيَّارِين يوْمًا علَى أبى العَتاهِيَة [وجماعةٌ من جيرانِه حوْلَه ، فسأله مِنْ بَيْنِ الجيرانِ ؛ فقَالَ : صَنَعَ اللهُ لَكَ](٥) فأعادَ السُّؤال فردَّ عليه مثلَ ذلك ، فأعاد الثّالثَة فردَّ عليه مثل ذلك ، فغَضِبَ وقال له : ألستَ الذى تقُول :

---

(١) فى ت : الخرقى « تحريف » .

(٢) فى غ : إدام .

(٣) فى ت : لا يكفيه .

(٤) فى ت : متهم « تحريف » .

(٥) بياض بالأصل والتكملة من غ .

كُلُّ حى عنـــد ميتَتِه   حَظُّه مِنْ مَالِه الـكَفنُ

قال : نعم . قال : فبِالله أتُرِيدُ أن تعِدَّ مالَك كلَّه لثمَن كَفَنك ؟ قال : لا ؛ قال : بِالله فـكَمْ قَدَّرْت لـكَفَنك؟ قال : خَمسةُ دَنَانير ؛ قال: فَهِى حَظُّك إذًا من مالك . قال : نعم . قال : فتصدَّقْ علىَّ من غَيْرِ حَظِّك بدِرْهَم وَاحِد ؛ فقال : لو تَصدَّقْتُ عليك لَـكان حَظِّى ؛ قال : فاَعْمَلْ عَلَى أنَّ دِينارًا من الخَمْسة وَضِيعَةُ قيرَاط ، وادْفَعْ لى قِيراطًا ، وإلا فوَاحِدَةً أُخْرَى [قال : وما هى ؟ قال :][1] القبورُ تُحْفَر بثَلاثَة دَرَاهم فأَعْطِنى دِرْهَماً وأُقِيمُ لَكَ كَفِيلًا بأَنِّى أحْفِر لكَ به قبرك متى مُتّ ، وترَبحَ دِرْهَمَيْن لم يـكُونا من حِسَابك ، فإنْ لَمْ أحفر لك به رَدَدْتُه عَلَى وَرَثَتِك أو رَدّه كَفِيلى عَلَيْهم ؛ فخَجِل أبو العَتَاهِيَة وقَالَ : اعزُب عنِّى وضَحِك جَمِيعُ مَنْ حَضَر ، ومرَّ السَّائِلُ يَضْحَك فاَلتفت إليْهم أبو العَتَاهِيَة وقد اُغْتَاظَ وقَالَ : مِنْ أَجْلِ هَذا وأَمْثالِه حُرِّمَت الصَّدَقَة ؛ فقُلْتُ له : ومَنْ حَرَّمها ؟ ومتى حُرِّمَت ؟ فما رأيتُ أَحداً ادَّعَى أَنَّ الصَّدَقَة حُرِّمت قبـْلَك ولا بَعْدَك ! .

وقال الُخزَيْمىّ هَذا : قلتُ لأَبى العَتَاهِيَة : أتزَكِّى مَالَك ؟ فقال : والله ما أُنْفِق عَلَى عِيَالى إلَّا من زَكاةِ مَالِى ؛ فقلتُ له : سُبْحَانَ الله إنَّمَا ينبغى أن تُخْرِجَ زَكَاةَ مالِكَ إلَى الفقَرَاء والمساكِين ؛ فقال : لو اُنقطَعَتْ زَكَاةُ مَالِى عن عيالى لم يـكُن أفقرُ منهم .

قِيلَ لأَبِى العَتَاهِيَة : أَىُّ شِعْر قلتَه أَحْـكَم ؟ قال : قوْلِى :

علمتَ يا مُجَاشِـعُ بنُ مَسْعَدَه   أن الفَرَاغَ والشَّبَابَ والجِدَه[2]
مَفْسَدَةٌ للمَرْء أَىُّ مَفْسَدَه

(١) ساقط من ت .

(٢) فى غ : أن الشباب والفراغ والجده .

قال أَبُو غزِيَّة : كَانَ أَبُو العَتَاهِيَة إذا قَدِم المَدِينَةَ يجْلِس إِلَيَّ ؛ فأرَادَ مرَّةً الخُرُوجَ إلَى المَدينة ، فودَّعَنى ثمَّ قال :

إن نَعِشْ نَجْتَمِعْ وإلَّا فمَا أَشْـــغَلَ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الأَنَام

كان لبَعْضِ تُجَّار بَابِ الطَّاق[1] على أَبِى العَتَاهِيَة ثمنُ ثِيَاب أخذها منه ؛ فمرَّ به يوما، فقال لِغُلَامٍ له حَسَنِ الوَجْه: أَدْرِكْ أَبَا العَتَاهِيَة ولا تُفَارِقْه حَتَّى تأخذَ منه ما لَنا عليه ؛ فأدْرَكَه على رَأْس الجِسْر ، فأخذ بِعِنَان حِمَاره وَوَقَفَه ؛ فقال له : ما حَاجَتُكَ يا غُلَام ؟ فقال له : أنا رَسُولُ فُلَان بَعَثَنى إِلَيْك لآخُذَ مالَه عَلَيْك ، فأَمْسَكَ عنه أَبُو العَتَاهِية ، وجعل كُلُّ مَنْ يمرُّ فيَرى الغُلَامَ متعلِّقًا بِهِ يَقِفُ ويَنْظر ، فلمّا اجتَمَع النَّاس وتَكَاثروا قال أَبُو العَتَاهِية :

واللهِ ربِّـــك إنَّـــنِى لأُجِلُّ وَجْهَـــكَ عَنْ فِعَالِكْ
لَوْ كَانَ فِعْلُكَ مثلَ وَجْـــهِك كنتُ مُكْتَفِيًا بِذَلِكْ

فخَجِلَ الغُلَامُ وأرسَل عِنَانَ الحِمَار ، ورجَع إِلَى صَاحِبه وقال بعَثْتَنِى إِلى شَيْطان جَمَعَ علىَّ النَّاس وقَالَ فِىَّ الشِّعْر حَتَّى أَخْجَلَنى فهربْتُ مِنْه .

قال أبو عِكْرِمة : كَانَ الرّشِيدُ إِذَا رَأَى عبدَ الله بنَ مَعْن بن زائدة تمَثَّل قوْلَ أَبِى العَتَاهِيَة فيه :

أختُ بنى شيبان مرّتْ بنـــا مَمْشُوطَةً كُورًا على بغْـــلِ

وأَوَّلُ هَذِه الأَبْيَاتِ الَّتى هَجَاهُ بِهَا :

يا صاحِبَىْ رَحْلِىَ لا تُكْثِرَا فى شَتْم عبــد الله من عذْل
سبحان من خَصَّ ابنَ مَعْن بما أرى به من قلَّة العَقْـــل
قال ابنُ مَعْن وجَلَا نفْسَــه على مَنِ الجَلْوَةُ يا أَهْـــلِى

(١) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد .

أنا فتاةُ الحَىِّ مِنْ وَائِــل ... فى الشَّرفِ الشَّامِخِ والنُّبْل
ما فى بَنِى شَيْبان أَهْلِ العُلَا[1] ... جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ مِثْلى
[يا ليتنى أبصرتُ دَلَّالةً ... تَدُلُّنى اليومَ على فَحْل][2]
وَيْلِى ويا لَهْفِى على أمْرَدٍ ... يُلزِق[3] منّى القُرْطَ بالحِجْل
صَافحتُه يوْمًا على خَلْوَةٍ ... فقال دَعْ كَفِّى وخُذْ رِجْلى
أختُ بنِى شَيْبَان مَرَّتْ بِنَا ... مَمْشُوطَةً كُورًا على بَغْل
تُكْنَى أبا الفضل ويامَنْ رأى ... جاريةً تُكْنَى أبَا الفَضْل
قد نقَّطت فى وَجْهِها نُقْطَةً ... مخافةَ العين من الكُحْل
إنْ زُرتموها قال حُجَّابُها ... نَحْنُ عن الزُّوَّار فى شُغْل
مولاتُنا مَشْغُولةٌ عندها ... بَعْلٌ ولا إذْنَ على البَعْلِ
يا بنتَ مَعْنِ الخيْرِ لا تَجْهَلى ... وأَيْنَ تَقْصِيرٌ عن الجَهْلِ[4]
أتَجْلِدُ الناسَ وأنتَ امْرُؤٌ ... تُجْلَد فى دبْرك والقُبْل
ما ينبغى للناس أن يَنْسُبُوا ... مَنْ كانَ ذَا جُود إلى البُخْل
يبذُل ما يَمْنَع أهلُ النَّدَى ... هــذا لعَمْرِى مُنْتهَى البَذْل
ما قلت هذا فِيكَ إلَّا وقَد ... جَفَّت به الأقلامُ من قَبْلى

فبعث إليه عبد الله بنُ مَعْن ، فأُتِىَ به ، فدَعَا بغِلْمان له ثم أَمَرَهم أن يَرْتكِبوا مِنْه الفَاحِشَة ، ففَعَلُوا ذَلِك ، ثم أَجْلَسَه وقال له : لقـد جَزَيْتُك على قولك فِىَّ ، فهل لَكَ بَعْدَ هَذا فى الصُّلح ومعه مَرْكَبٌ وعَشْرَةَ آلاف دِرْهم أو تُقيم على الحَرْب ؟

---

(١) فى غ : الحجا .

(٢) لم يرد البيت فى غ ولا فى التجريد .

(٣) فى غ والتجريد : يلصق .

(٤) فى غ : وأين إقصار عن الجهل .

فقال : بل الصُّلْح ؛ قال : فأسمِعْنِي ما تقُولُه فى مَعْنَى الصُّلْح ، فقال :

ما لعُذَّالِي ومالِي　　أمَرُونى بالضَّلال
عَذَلُونى فى اغتِفَارِى(١)　　لابْنِ مَعْنٍ واحْتِمالِى
إنْ يكُن ما كانَ مِنْه　　فبِجُرْمى وفِعالى
قل لِمَنْ يعْجَب من حُسْنِ رُجُوعى ومقَالى
رُبَّ وُدٍّ بَعْدَ صَدٍّ　　وهوًى بعْدَ تقَالِى(٢)
قد رأينا ذَا كَثِيرًا　　جارِيًا بين الرِّجَال
إنَّما كانَتْ يَمينى　　لطمَت مِنِّى شِمَالى
[مالُهُ بَلْ نفسُه لِى　　ولَهُ نَفْسى ومَالِى
أنا منه كنتُ أكْنَى　　زَيْدُه فى كُلِّ حَالِ](٣)

وكان أبو العتَاهِيَة فى حَداثته يَهوَى امرأةً نَائِحَةً من أَهْل الحِيرة لها حُسْن وكِفاية يُقالُ لها سُعْدَى ؛ وكان عَبْدُ الله بن مَعْن بن زَائِدة يَهْوَاها أيضا ، وكانت مولاةً لهم ، ثم اتَّهمها أبو العتَاهِيَة بالنِّساء ؛ فقال فيها :

ألا ياذَوات السَّحْق فى الغرب والشَّرْق　　أَفِقْنَ فإنَّ النيْكَ أَشْفَى من السَّحْق
أَفِقْنَ فإنَّ الخُبْزَ بالأُدْمِ يُشْتهَى　　وليس يَسُوغُ الخبْزُ بالخبْزِ فى الحلْق(٤)
أَرَاكُنَّ تَرْقَعن الخُروقَ بِمثْلِها　　وأنّى وما يُسْتَرْقَع الخرْقُ بالخرْق(٥)
وهل يصلُح المِهراسُ إلّا بعُودِه　　إذا احتِيجَ منه ذاتَ يوم إلى الدَّقِّ

(١) فى ت : اعتقادى .
(٢) فى ت : رب صد بعد ود .
(٣) ما بين القوسين زيادة فى ت لم ترد فى غ .
(٤) فى ت : فإن الأدم بالخبز يشتهى !
(٥) فى غ والتحريد: وأى لبيب يرقع الخرق بالخرق .

تهدّد[1] عبدُ الله بنُ مَعْن أَبَا العَتَاهِيَة ونهاه أن يَتَعَرَّض لسُعْدَى ؛ فقال :

أَلَا قل لأُبْنِ مَعْنٍ ذَا الَّـ ... ذى فى الوُدِّ[2] قد حَالَا
لقــد بُلِّغْتُ ما قَال ... فما باليتُ ما قَالَا
ولو كان من الأُسْــدِ ... لَمَا رَاعَ[3] ولا هَالَا
فصُغْ من حِلْيَة السَّيْفِ ... الذى قُلِّدْتَ خَلْخَالا[4]
وَمَا تَصْنَع بالسَّيْفِ ... إِذَا لم تَكُ قَتَّالَا
أَرَى قومَك أَبْطَالا ... وقد أصبحتَ بَطَّالَا
ولو مَدَّ إِلَى أُذْنَيْـ ... ـه كَفَّيْـه لَمَا نَالَا
قَصِــيرُ الطُّولِ والطِّيلَـ ... ـة لا شَبّ ولا طَالا[5]

ثم إِنَّ عَبْدَ الله بنَ مَعْن اُحْتَال عَلَى أبى العَتَاهِيَة حَتَّى أَخَذَه فى مَكَان فضَرَبَه مِائَةَ سَوْط لَيْسَ بالمبرّح غَيْظاً عَلَيْه ، ولم يعنُف فى ضَرْبه خَوْفاً مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُعْنَى به ، فقال أبو العَتَاهِيَة يَهْجُوه :

جَلَدَتْنِى بكَفِّهَــا ... بِنْتُ مَعْنِ بْنِ زائِدَهْ
جَلَدَتْنِى فأَوْجَعَتْ ... بأَبِى تِلْكَ جَالِدَه
وَتَراها مع الخَصِـ ... ـىِّ عَلَى البَابِ قَاعِدَهْ
تتكنّى كُنَى الرِّجَا ... ل بعَمْدٍ مُكَايِده
جَلَدَتْنِى وبالغتْ ... مِائَةً غَـيرَ وَاحِدَه
إِجلِدِينى وأَجْلِدِى ... إِنمــا أنتِ وَالِدَه

(١) فى ت : فتعهد .
(٢) فى ت : الوجد .
(٣) فى غ : صال .
(٤) فى غ : فصغ ما كنت حليت ... به سيفك خلخالا
(٥) فى ت : والطول بدل والطيلة .

وقال :

ضربَتْني بكَفِّها بنتُ مَعْنٍ ... أوْجعتْ كفَّها وَمَا أوجَعَتْني

ولعَمْرِي لولا أذَى كَفِّها إذْ ... ضَرَبَتْني بالسَّوط ما تركَتْني

وهجا أَخاه يَزِيدًا مَعَه ، وكان زائدة أخوهما صديقا لأبى العَتَاهِيَة فلَمْ يُعِنْ إخوته عليه ، فلما ماتَ رَثَاه أبو العَتَاهِيَة بأبْيات .

قال أحمدُ بنُ أبى فَنَن : كنا يوماً عند ابْنِ الأَعْرَابى فذُكِرَ قولُ ابنِ نَوْفَل فى عَبْدِ المَلِك بْنِ عُمَيْر القَاضِى :

إذَا ذَاتُ دَلٍّ(١) كلمْته لحَاجَةٍ ... فهَمَّ بأن يَقْضِى تَنَحْنَحَ أوْ سَعَلْ

وأَنَّ عبدَ المَلِك قَالَ : تركَنِى والله وأن السُّعْلَة لتعْرِض لِى فى الخلاء فأَذْكُرُ قولَه فأَهَاب أن أَسعُلَ ؛ قال : فقلتُ لابْنِ الأَعْرَابِى : فهذا أَبُو العَتاهية قال فى عبد الله بْنِ مَعْن :

فصُغْ ما كنتَ حَلَّيْتَ ... بِــهِ سيفكَ خَلْخَالا

وما تَصْنَــعُ بالسَّيْفِ ... إذا لَمْ تَــكُ قَتَّالا

فقَال عَبْدُ الله بنُ مَعْن : ما لبِسْتُ سَيْفِى قَطّ فرأيت إِنْسَاناً يلمَحُنِى إلَّا ظَنَنْتُه يَحْفَظُ قولَ أَبِى العَتَاهِيَه فِىَّ فيتأَمَّلنى لِذَلِكَ فأَخْجَل .

اجْتَمَع أَبُو العَتَاهِية ومُسْلِمُ بنُ الوَلِيد فجرَى بَيْنَهُما كَلَام فقال مُسْلِم : والله لو كنتُ أرضَى أَنْ أَقولَ مِثْلَ قَوْلك :

الحمــدُ والنعمةُ لَك ... والملكُ لا شَرِيكَ لَكْ

لَبَّيْك إنَّ المُلْكَ لك

لقلت فى اليوم عشرةَ آلاف بيت . ولـكِنِّى أقول .

---

(١) فى ت : يوم « تحريف » .

مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذي رَهَجٍ　كَأَنَّه أَجَلٌ يَسْعَى إلى أملِ

فقال أبو العَتَاهِيَة : يا بن أخى : قُلْ مِثْلَ قولى :

* الحَمْدُ والنِّعْمَة لك *

حتى أَقُولَ مِثْلَ قَوْلِك :

* كأَنَّه أَجلٌ يَسْعَى إلى أَملِ *

قال مُحَمَّد بنُ سَابِق : قال بَشَّار لأَبِى العَتَاهِية : أنا أَستَحْسِن اعتذارَك حَيْثُ تقولُ :

كم مِنْ صَديقٍ لى أُسَا　رِقُه البُكاءَ من الحياء

فإذا تأمَّــلَ لامَــنِى　فأقول ما بى من بُــكَاء

لــكن ذهبتُ لأرتَدِى　فطَرَفتُ عينى بالرِّداء

فقال أَبُو العَتَاهِية : يا أبا مُعَاذ ما لُذتُ إلا بِمَعْنَاك ولا جَنَيْتُ إلَّا من غَرْسِك حَيْثُ تقول :

شَــكَوْتُ إلى الغَوَانِى ما أُلاَقِى　وقلتُ لهن ما يَوْمى بعيدُ

فقُلْنَ بكيتَ قُلْت لهنّ كَلَّا　وقد يَبْــكِى من الشَّوْقِ(١) الجليدُ

ولــكنّى أصابَ سوادَ عَيْنِى　عُوَيْدُ قَذًى له طرَفٌ حَدِيدُ

فقُلْنَ فمَا لِدَمْعِهِما سَــواءً　أَكِلْتَا مُقْلَتَيْك أَصَابَ عُودُ

قال مُخَارِق : لما لَبِس أَبُو العَتَاهِيَة الصُّوفَ أمرَه الرشيدُ أن يَقُولَ شِعْراً فى الغزَل ، فامْتَنَع ، فضرَبه سِتِّين عَصاً ، وحلَف لا يَخْرُج من حَبْسِه حتى يقول شِعْراً فى الغزَل ، فلما ضُرِب قال أَبُو العتَاهِيَة : كُلُّ مَمْلُوك له حُرّ وامرأته طَالِق إنْ

(١) فى ت : الطرب .

تَـكَلَّمَ سَنَةً إلا بالقرآنِ أو بِلَا إلَه إِلّا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله . وكان الرَّشِيدُ تَحَرَّجَ مِمَّا فَعلَه فحبَسَه فى دَارٍ ووَسَّع عليه ، ولم يَمْنَع أحداً مِمّن يُرِيد الدُّخُولَ عليه ، وكانت الحَالُ بينه وبين إبْرَاهِيم الموصليِّ لَطِيفَةً ، وكان يَبْعَثُ بِى إليه أتعرَّفُ خبرَه فإذا دخلتُ إليه وَجدْتُ بين يَدَيْه ظَهْراً[١] ودواةً فيـكْتُبُ إلَيَّ بجميع ما يُرِيدُ ، وأُكَلِّمُه أنا ، فمكَثْتُ كذَلِكَ سَنَة ، واتّفق أَنَّ إبْرَاهِيمَ صَنَع صوْتَه :

أعرفتَ دار الحَىّ بالحِجْرِ　　فشَرُو ربان فقُنَّةَ الغَمْرِ[٢]

وهَجَرْتَنَا وأَلِفْتَ رَسْمَ بِلًى　　والرسمُ كان أحـقَّ بالهَجْرِ[٣]

قال مُخَارِق : فقَال لِى إبْرَاهِيم : اذْهَب إلَى أَبِى العَتَاهِية وغَنّه هَذَا الصوتَ فأتيتُه فى اليَوْم الَّذِى انقَضَت فِيهِ يَمِينهُ ، فَغَنَّيْتُه إيَّاه ، فـكتَب إلَيَّ بعْدَ أن غَنَّيْتُه : هذا اليومُ تَنْقَضِى فيه يمِينى ، فأُحِبّ أن تُقِيمَ عِنْدِى إلَى اللَّيْل ، فأقمتُ نَهَارِى كُلَّه عِنده ، حـتَّى إذَا أَذَّنَ [النَّاسُ][٤] المغربَ كَـلَّمَنى فقال : يا مُخَارِقُ ، قلت : لبّيْك ؛ [قال : قل لصاحبك : يا بن الزانية ، أما والله لقد أبقيت للناس فتنة إلى يوم القيامة ، فانظر أين أنت من الله غـدا !][٥] قال فـكنتُ أوّلَ من أَفْطَرَ عَلَى كَـلَامه ، فقلت له : هل قلت شَيْئاً تتَخَلَّصُ به مِنْ هَذَا المَوْضع ؟ فقال : نعم قد قُلْتُ فى امرأتى شِعْراً ؛ فقُلْتُ : هَاتِه ، فَأَنْشَدَنى :

مَنْ لِقَلْب مُتَيَّم مُشْتَاقِ　　شَفَّه شَوْقُه وطُولُ الفِرَاقِ

طَالَ شـوقى إلى قَعِيدَةِ بَيْتى　　ليتَ شِعْرى فهلْ لَنَا مِنْ تَلَاقِ

---

(١) فى ت : طهورا .

(٢) فى غ : فشدو ريان ، والعمر ، بدل الغمر .

(٣) فى ت : وهجرتها بدل وهجرتنا (تحريف) ورسما بأينا بدل : رسم بلى .

(٤) ساقطة من: ت .

(٥) كلام ساقط من « ت » لا يستقيم الـكلام إلا به والتـكملة من غ .

هِيَ حظِّى قد اُقتصرتُ عليها ... من ذَوَاتِ العُقودِ والأَطْوَاق

جَمعَ اللهُ عاجلاً بِكِ شَمْلِي ... عن قَرِيبٍ وفَـكَّنِى مِنْ وَثاقِ

فـكتبتُها وصرتُ إلَى إبْراهيم ؛ فصَنَع فيها لحْناً ، ثم دَخَل عَلَى الرشيد ، فـكانَ أولَ صَوْتٍ غنَّاه فى ذلك المَجْلِس[١] ، فأعجبه وسَأَله . لمَنْ هَذَا الشِّعرُ والغِناء ؟ فقال إبراهيم : أَمَّا الغِناءُ فلى وأما الشعر فلأسيركَ أبى العَتَاهِيَة ؛ قال : أو قد فعل ؟ قال : نعم . فدَعَا بِهِ ثُمَّ قال لمَسْرُور : كم كُنَّا ضربنا أَبَا العَتَاهِيَة ؟ فقال سِتّينَ عصاً ، فأمر له بستِّين أَلْفَ دِرْهم وخَلَع عليه وأَطْلَقَهُ .

قال الفَضْلُ بن العَبَّاس : وجَدَ الرشيدُ وهو بالرَّقَّة على أَبِى العَتَاهِيَة فى شيء ، وأَبُو العَتَاهِيَة فى مَدِينَةِ السلام ، وكان أَبُو العَتَاهِية يرْجُو أن يَتَـكَلَّم فيه الفَضْلُ ابنُ الرَّبيع ، فأَبْطَأَ عليه فـكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَجْفَوْتَنى فِيمَـــنْ جفَانِى ... وَجَعَلْتَ شَأنَك غيرَ شَانِى

ولطَـــالمَا مَنَّيْتَــــنِى ... ممَّـــا أَرَى طُولَ الأَمَانِى

حـــتى إذَا انْقَلَبَ الزَّمَـــا ... نُ علَىَّ صِرتَ مَعَ الزَّمَان

فـكَلَّم الفَضْلُ فيه الرشيد ، فرضِىَ عنه ، وأرسل الفضلُ إلَيْه يأمُرُه بالشّخوص ويذْكُر له أَنَّ الرَّشِيدَ رَضِي عنه ، فَشَخَص ، فلما دَخَل على الفَضْل أنشده قوله فيــه :

قـــد دَعَوْنَاهُ نَائِياً فوجـــدنَا ... ه عـــلى نَأيه قَرِيباً سَمِيعاً

فأدخَلَه إلى الرشيد ورَجَع إِلَى حَالته الأُولَى .

وكان يَزِيدُ بنُ مَنْصُور خالُ المهدى يَتعَصَّبُ لِأَبى العَتَاهِية ، لأنه كان يمدح اليَمانِيَة .

---

(١) فى ت :الشعر .

وكان أَبُو العَتَاهِية فى مُدَّة حَيَاة يزيد بن منصور يدَّعى أَنَّه مولًى لِلْيَمَن و يَنْتفِى مِنْ غَيْرِهِم .

فلما مَات يَزِيدُ رجعَ إِلَى وَلاَئِه الأَوَّل . وسُئِل عن ذَلِكَ فقال: ذلك شَىْءٌ احتَجْنَا إِلَيْه فى ذَلِك الزمان « وكَانَ قَدِ ادَّعى وَلاَء اللَّخْميِّين » .

وكان يَزِيدُ بْنُ مَنْصُور من أكرم النَّاس وأَحْفَظِهم لحُرْمَةٍ ، وأَرْعَاهُم لعَهْدٍ ، وكان بارًّا بأَبِى العَتَاهِية ، كَثِيرَ الصِّلَة له[1] ، وكان أَبُو العَتَاهِيَة فى سَعَة ومَنَعَة من كَثْرَة ما يَدْفعه إليه ويَحْمِيه مِنَ المَكَارِه. ولما مَاتَ رَثَاه أَبُو العَتَاهِيَة فَقَالَ :

أَنْعَى يَزِيدَ بْنَ مَنْصُورٍ إِلَى البَشَر ... أَنْعَى يَزِيدَ لأَهل البَدْو والَحضَر
يَاساكِنَ الُحفرْة المَهْجُورِ ساكِنُها ... بعد المَقَاصِير والأبواب والُحجَر
وَجَدْتُ فقدكَ فى مَالِى وفى نَشَبِى ... وجدتُ فقدَكَ فى شَعْرِى وفى بَشَرى[2]
فلستُ أَدْرِى جَزَاكَ اللهُ صالِحَةً ... أَمَنْظَرِى فيك أَسْوَا اليومَ أَمْ خَبَرِى[3]

ولما حَبَس المهدىّ أبا العَتَاهِيَة تَكَلَّمَ فيه يَزِيد بنُ مَنْصُور الِحمْيَرِى حتى أطلقه ؛ فقال فيه أبو العَتَاهِيَة :

ما قلتُ فى فضلِه شيئاً لأَمْدَحَه ... إلَّا وفضلُ يَزِيدٍ فوقَ ما قُلْتُ
مازِلْتُ من صَرْفِ دَهْرِى خَائِفاً وجِلًا ... فقد كَفَانِى بعد الله ما خِفْتُ[4]

قال عبد الله بنُ الحَسَن[5] : جاءَنِى أبو العَتَاهِيَة وأنَا فى الدِّيوان نَجَلَس إلىّ ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، أمَا يصعُبُ علَيْك شىءٌ من الألفاظ تَحْتَاجُ فيه إلى اسْتِعْمَال

---

(١) فى غ : كثيرا فضله عليه .

(٢) فى ديوانه : « شعرى ـ بكسر الشين ـ وفى ثرى » .

(٣) فى غ : أمنظرى اليوم أسوافيك أم خبرى. وفى الديوان: أمنظرى أسوأ هو فيك أم خبرى.

(٤) فى غ : ريب بدل صرف .

(٥) فى ت : عبيد بن الحسن .

الغَرِيب كما يَحْتَاجُ إليْه سائرُ الناس مِمَّن يَقُولُ الشعرَ ؟ فقال : لا ؛ فقُلْتُ : إنى لأَحْسَبُ ذَلِك من كَثْرَة رِكُوبك القَوَافِىَ السَّهْلَة ؛ قال : فاعْرِضْ علىَّ ما شئتَ من القَوَافِى الصَّعْبَة ؛ فقلت : قُل أبياتا على مِثْل البَلَاغ ؛ فقال من ساعته :

أَىُّ عَيْشٍ يكون أفضلَ[1] من عَيْـ ... ـشٍ كفافٍ قُوتٍ بقَدْر البَلَاغ
صاحبُ البَغْى ليسَ يَسْلَمُ منه ... وعلى نَفْسِه بَغَى كُلُّ بَاغِى
رُبَّ ذِى نِعْمَةٍ تَعرَّض منها ... حائلٌ بينه وبين المَسَاغِ
أَبْلَغَ الدهرُ فى مَوَاعِظِه بـــل ... زاد فيهنّ لى عـــلى الإبْلَاغِ
غَبَنَتْنِى الأيامُ عقـــلى ومالى ... وشَبَابِى وصِحَّتِى وفرَاغِى

قال مُسْلِمُ بنُ الوَلِيد : كنتُ مُسْتَخِفًّا بشِعْر أَبِى العَتَاهِية ، فلَقِيَـنِى يوما فسألنى أنأَصِيرَ إليه ، فصِرْتُ إليه فأحضَر لى لَوْناً[2] واحدا فأَكَلْنَاه ، وأحضر لى[3] تمرا ، وجلسنا نتحدث ، وأنشدته أشعاراً لى فى الغزل ، واستَنْشَدْتُه[4] فأنشدنى قـوله :

بالله يا قُـــرَّةَ العَيْنَيْن زُورِيـنِى ... قبـــل المَمَاتِ وإلَّا فاسْتَزِيرِينِى
إنى لأَعْجَبُ من حُبٍّ يُقرِّبُنى ... مِمَّن يُبَاعِـــدُنى مِنْه ويُقْصِينِى[5]
أَمَّا الـكثيرُ فلا أَرْجُوه مِنْك ولَوْ ... أَطْمَعْتِنى فى قَلِيلٍ كانَ يَـكْفِينى[6]

ثم أنشدنى :

رأيتُ الهوى جمرَ الغضَا غير أنه ... على حَرِّه فى صدر صَاحِبه حُلْوُ

---

(١) فى غ : أبلغ .
(٢) فى غ : فجاءنى بلون واحد .
(٣) فى غ : وأحضرنى .
(٤) فى غ : وسألته أن ينشدنى .
(٥) فى ت : فمن .. عنه .
(٦) فى غ : فما أرجوه .

أَخِلَّاىَ بى شَجْوٌ وليس بكم شجوُ   وكل امرىءٍ من شَجْوِ صَاحِبِه خِلْوُ(١)
وما من مُحِبٍّ نال ممن يُحِبُّه   هوًى صادقا إلَّا سيدخُله زَهْوُ
بُلِيتُ وكان المَزْحُ بدءَ بَلِيَّتى   فأحببتُ حقًّا والبَلَاءُ له بَدْوُ
وعُلِّقْتُ مَنْ يَزْهُو علىَّ تجبُّرًا   وإنِّىَ فى كُلِّ الخِصَال له كُفْوُ
[أذابَ الهوَى عَظْمِى ومُخِّى وقوَّتى   فلم يبْقَ إلا الرُّوحُ والجسدُ النِّضْوُ](٢)

ثم أنشدنى أيضا :

صبرتُ ولا واللهِ ما بى جَلَادَةٌ   على الصبر لـكنِّى صبرْتُ على الرَّغْمِ(٣)
يُصَابُ فؤادى حين أَرْمَى ورَمْيَتى   تعودُ إلى نَحْرى ويَسْلَمُ من أَرْمِى
أَلا فى سبيل الله جِسمى وقوَّتى   أَلَا مُسْعِدٌ حتى أنوحَ على جِسْمِى

فقلت له : يا أَبَا إسْحَاقَ ما يُبَالى مَنْ أَحْسَن(٤) أن يقول مِثْلَ هـذا الشِّعر ما فَاتَه مِنَ الدُّنْيَا ! فقال : يا ابْنَ أَخِى ، لا تَقُل هذا(٥) فإنَّ الشِّعْرَ أيضا من مَصَايِد الدُّنيَا .

اُجتمع الشعراءُ على بَابِ الرَّشيد فأَذِن لهم فدخلوا وأَنْشَدُوا ، وأنشد أبوالعَتَاهِيَة :

يا مَنْ يُرَجِّى زمناً صَالِحاً   هَارونُ لا شكَّ صلاحُ الزمنْ(٦)
كلُّ لِسَانٍ هو فى مُلْكِه   بالشُّكْر فى إحسَانه مُرْتَهَنْ

فاهتزَّ الرشيد ، وقال له : أحسنتَ واللهِ ، ولم يخرج أحدٌ من الشُّعَرَاء فى ذلك اليوم بِصِلَةٍ غيرُه .

---

(١) فى غ : عن شجو .
(٢) لم يرد البيت فى غ .
(٣) فى غ : رغمى .
(٤) فى ت : حسن .
(٥) فى ت : كذا .
(٦) فى غ : تبغى بدل يرجى ، والشطر الثانى : صلاح هارون صلاح الزمن .

قال ابن الأعرابى : أَجْرَى الرَّشِيدُ الخيلَ فجاءَ فرسٌ له يُقَالُ له المُشَمِّرُ سابِقا ، وكان الرشيد مُعْجَبًا بذلك الفَرَس ، فأمر الشعراءَ أن يقولوا فيه فبدَرهم أبو العتاهية، فقال :

جاء المُشَمِّرُ والأفراسُ يقـدُمُها ... هَوْناً على رِسْلِه منهـا وما انْبَهَرا
وخَلَّف الريحَ حَسْرَى وهى جاهِدةٌ ... ومَرَّ يَختطِفُ الأبصـارَ والنَّظَرا

فأجزلَ صِلَتَه وما جسَر أحدٌ أن يَقُولَ بعده فى ذلك شيئا .

كان علىّ بن ثابت صديقاً لأَبى العتاهية وبينهما مُجاوَبات فى الزّهد والحِكَم ، فتوفِّى علىّ بن ثابت، فقال أبو العتاهية :

مؤنِسٌ كَانَ لى هَـلَك ... والسَّبيـل التى سَلَكْ
يا عَـلِىّ بنَ ثَابتٍ ... غفرَ اللهُ لى ولَكْ
كلُّ حَىٍّ مُمَـلَّكٍ ... سوفَ يَفْنَى وما مَلَك

وحضر أبو العتاهية عَلِىّ بنَ ثَابِت هذا وهو يَجُود بنفسه فلم يزل مُلْتزِمَه[1] ويبكى حتى فَاظَ ، فلما شُدَّ لَحْياهُ[2] بـكَى طَوِيلا ثم أنشأ يقول :

يا شَريكا[3] فى الخـير قرَّبك اللّـ ... ـه فنِعْمَ الشَّريكُ فى الخـير كُنْتَا
قَدْ لعَمْرى حَكَيْتَ لى غُصَصَ المَوْ ... تِ فحرَّكْتَـنِى لها وسَكَنْتَا

ولما دُفِن وقف على قبره يبكى أحرَّ بكاء ويردد أبياتاً منهـا :

— بكيتُك يا عَلِىُّ بدمع عَيْنى ... فما أغنى البكاء عليك شيَّا
— وكانَتْ فى حَيَاتِك لى عِظاتٌ ... وأنتَ اليومَ أوعظُ منك حَيَّا

---

(١) فى ت : يلتزمه .
(٢) فى ت : شد لحييه .
(٣) فى غ : شريكى .

أخذ أَبُو العَتَاهِية هذَا المَعْنى من كلام الفَلاسِفَةِ لَمَّا حَضَر تابوت الإسكندر وأُخْرِج ليُدْفَن قال: كان المَلِكُ أمسِ أهيبَ منه اليوم وهو اليوم أوعظُ منه أمس. وقال آخر: سَكَنَتْ حركَةُ الملك فى لذاته وحرَّكَنا سُكُونه جزعا لفقده.

قال جعفرُ بنُ الحُسين المُهَلَّبي: لقيتُ أَبَا العتاهية فقلتُ له: يا أبَا إسْحَاق، من أَشْعَرُ الناس؟ قال الذى يقول:

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به　　والبِرُّ خيرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ[1]

فقلت له: أنشدنى من شعرك شيئا، فأنشدنى:

ياصاحبَ الروحِ ذِى الأنفاسِ فى البدن[2]　　بين النهار وبين الليل مُرْتَهَن

لقَلَّ ما يتخطَّاكَ اختلافُهما　　حتى يُفرِّق بين الرُّوح والبَدَنِ

لتَجْذِبَنِّى يَدُ الدنيا بقُوَّتِها　　إلى المَنَايَا وإن نازعتُها رَسَنِى

قال: فكَتَبْتُها، ثم قُلْت: أنشدنى شَيْئاً من شِعْرك فى الغزَل، فقال: يا بن أخى: إنَّ الغزَل يُسْرِع إلَى مثلك؛ فقلت: أرجو عِصْمَةَ اللهِ عز وجل، فأَنْشَدَنى:

كأنها من حُسْنها دُرَّةٌ　　أخرجها الموجُ[3] إلى الساحل

كأنَّ فى فيها وفى طَرْفِها　　سواحراً أقبلنَ من بَابِل

يا مَنْ رأى قبلى قَتِيلًا بَكَى　　من شدَّة الحبِّ إلى القاتل[4]

فقلت: يا أَبَا إسحاق، هذا من قول صاحبنا جَميل:

خَلِيلَيَّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما　　قَتِيلًا بَكَى من حُبّ قَاتِله قبلى

قال: هو ذاك يا بْنَ أَخِى.

---

(١) فى بعض نسخ غ: الرجل بالجيم المعجمة.

(٢) كذا فى الديوان، وفى ت: والأنفاس والبدن.

(٣) فى غ: اليم.

(٤) فى غ: من شدة الوجد على القاتل.

واجتاز أبو العَتَاهِيَة فى أول أمره وعلى ظَهْره قَفَصٌ فيه فَخَّار يدور به فى الكوفة ويَبِيعُ مِنْه ، فمرَّ بفتيان جلوس يتذاكرون الشعرَ ويتناشدونه ، فسلَّم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال لهم : يا فتيانُ أراكم تَتَذَاكرون الشعرَ وتقولونه ، فأقول شيئاً وتُجيزُونه ، فإن فعَلْتم فلكم علىَّ عشرةُ دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم. فَهَزِئُوا[1] منه وسخروا به وقالوا : نعم ؛ فقال : لابد أن نَشْتَرِى بِأحد القِمارين رُطَباً يؤكل فإنه ثمار[2] حاصل ، وجعل رَهْنَه على يد أحدهم ففعلوا . فقال : أجيزوا :

* ساكِنِى الأَجْدَاثِ أَنْتُمْ *

وجعل بينه وبينهم وَقْتاً وعلامَةً فى موضع إذا بلغَتْه الشمسُ ولم يُجيزُوا البيتَ وَجبَت القمْرَة عَلَيْهم، فلم يأْتُوا بشىء ، فأخَذَ الدَّرَاهم وجعل يَهْزَأُ بهم وتَمَّمَه، فقال:

ـــ سَاكِنِى الأَجْدَاثِ أَنْتُمْ   مثلَنا بالأمس كُنْتُمْ
ـــ ليتَ شِعْرِى ما صَنَعْتُم   أَرَبحْتُم أم خَسِرْتُمْ

وهى قصيدة طويلة من شعره .

ولما حَبَس الرشيدُ أبا العَتَاهِيَة وحَلَف ألَّا يُطلِقَه أو يَقُولَ شِعْرًا ، قال أبو حَبَش : أسْمَعَ بأَعْجَبَ من هذا ، يقول الشعراء الشعرَ النَّادِرَ الجيِّدَ فلا يُسْمَعُ منهم ! ويقول هَذَا المُخَنَّثُ المُفَكَّك[3] تلك الأشعارَ بالشَّفَاعَة ، ثم أنشد أبياتا منها:

أَبَا إسْحاقَ راجعتَ الجماعه   وعُدْتَ إلَى القَوَافِى والصِّنَاعَهْ
وكنت كجَامحٍ[4] فى الغىِّ عاصٍ   وأنت اليوم ذُو سَمْعٍ وطاعهْ
كَسَدنا ما نُراد وإنْ أَجَدْنَا   وأنت تقول شعرَك بالشَّفَاعَه[5]

---

(١) فى ت : فهربوا .

(٢) فى ت وبعض نسخ غ : « القمرين . . قمر » .

(٣) فى ت : المجيب المشكل .

(٤) فى ت : كجامع .

(٥) فى ت : ما يراد .

قال أبو العَتَاهِية : أخرجَنِي المَهْدِىّ معه إلى الصَّيْد ، فوقعنا منه على شيء كَثِير ، فتفرّقَ أصْحَابُه فى طَلَبه وأخذ هو فى طَرِيقٍ غَيْرِ طريقهم فلم يَلْتقُوا ، وعرض لنا وادٍ عَظِيمٌ ، جَرّارٌ وغَيَّمتِ السَّماءُ وبدأت تُمْطِر ، وأَشْرَفْنا على الوَادِى فإذا فِيه مَلَّاح يُعبِّر الناس ، فلجَأْنَا إلَيْه وسأَلْنَاه عَنِ الطَّرِيق ، فجعل يُضَعِّف رأينا ويُعَجِّزُنا فى بَذْلِنَا أنفسَنا فى ذلك الغَيْم والمَطَر للصَّيْدِ حتى أَبْعَدْنَا ، ثم أدخَلَنا كُوخاً(١) لَهُ ، وكاد المهدىّ يموت بَرْدًا ؛ فقال له : أُعَطِّيك بجُبَّتِي هذه الصوف ؟ فقال : نعم ، فغَطّاه بها ، فتماسك قَليلًا ونَام ، وافتقدَه غِلْمانُه وتَبِعُوا أثرَه حتى جاءونا ، فلما رأى المَلّاح كثرتَهم عَلِم أنه الخَليفَة [فهرب](٢) وتَبادر الغِلْمان فَنَحُّوا الجُبَّةَ عنه وألقوْا عليه الوَشْىَ والخزّ ، فلما انتبه قَالَ لِى : وَيْحَك ! ما فَعل المَلَّاح ؟ فقد وَجَب حَقُّه علينا ؛ فقلت : هَرَبَ خوفا من قُبْح ما خاطَبنَا به ؛ قال : واللهِ لقد أردتُ أن أُغْنِيَه وبأَىِّ شَىْءٍ خَاطَبنَا ! والله نحن مُسْتَحِقُّون لأَقْبَح ما خَاطَبنا به ! بحيَاتِى عليكَ إلّا ما هَجَوْتَنِى ؛ فقلت : يا أميرَ المُؤْمنين ، كيف تَطِيبُ نَفْسِى أن تهْجُوكَ ! قال : والله لتَفْعلَنَّ فإنى ضَعِيفُ الرأىِ مُغْرَم بالصَّيْد ، فقلت :

يا لَابِسَ الوَشْى على ثَوْبِهِ ما أَقْبَحَ الأَشْيَبَ فِى الرَّاح(٣)

فقال : زِدْنِى بحيَاتِى ، فقلتُ :

لو شئتَ أيضا جُلتَ فى خَامَةٍ(٤) وفى وِشَاحَيْن وأَوْضَاح

فقال : ويلك ! هذا معنى سوء يَرْويه(٥) الناسُ عنك ، وأنا أستأهل ؛ زدنِى شَيْئًا آخر ؛ فقلت: أخاف أن تغضَب فقال : لا والله ، فقلتُ :

(١) فى ت : لو كاله « تحريف » .

(٢) ساقطة من : ت

(٣) فى ت : بالراح .

(٤) فى ت : حلة .

كَمْ من عَظِيمِ القَدْرِ فى نَفْسِه ... قــد نَامَ فى جُبَّة مَلَّاحِ

فقال : معنى سَوْء عليك لعنةُ الله ! وقمنا فركبنا واُنصرَفْنَا .

كان عَلِيُّ بن يَقْطِين صَدِيقاً لأَبِى العَتَاهِيَة وكان يَبَرّه كل سنة بِرًّا واسعاً ، فأبطأَ عليه بالبِرِّ سنة من السنين وكان إذا لَقِيَه أبو العتاهية سُرَّ به ورفع مَجْلِسَه ، لا يَزِيدُه على ذلك ؛ فلقِيَه ذَاتَ يوم وهو يريد الخَلِيفَةَ فاستَوْقَفَه وأنشده :

حَتَّى مَتَى ليت شعرى يابْنَ يَقْطِين ... أُثْنِى عليك بما لا منك تُولِينِى

إنَّ السَّلَامَ وإنَّ البِشرَ من رجل ... فى مثل ما أنت فيه ليس يَكْفِينِى

أَمَا عَلِمْتَ جزاكَ اللهُ صَالِحَةً ... وزادكَ اللهُ فضلًا يا ابْنَ يَقْطِين

أَنِّى أُرِيدُكَ لِلدُّنيا وعَاجِلِها ... وما أُرِيدكَ يوم الدين لِلدِّين

فقال عَلِيُّ بنُ يَقْطِين : لستُ أبرحُ ولا تَبْرَحُ من مَوْضِعِنا هَذَا إلَّا رَاضيا ، وأمر له بما كان يَبْعَثُ إليه فى كل سنة ، فحُمِل مَعَه مِنْ وَقْته .

ولما ضَرَب الرَّشيدُ أبا العَتَاهِيَة وحَبَسه وكَّل به صَاحِبَ خَبَر يكتب ما يَقُول ويَسْمَعُه . فكتب بأنه سَمِعَه يُنْشد :

أَمَا واللهِ إنَّ الظُّلْم لُومُ ... وما زَالَ المُسِيءُ هُوَ الظَّلُوم

إِلَى دَيَّانِ[1] يوم الدِّين نَمْضِى ... وعندَ اللهِ تجتمع الخُصُوم

فبَكَى الرشيد ، وأمر بإطْلَاقِ أَبِى العَتَاهِيَة وأحضَره وأمر له بأَلْفَى دِينَار .

وقال محمد بن أَبِى العتاهية : قال أبى فى عُتْبَة[2] :

كَأَنَّ عُتَّابَةَ مِنْ حُسْنِها ... دُمْيةُ قَسٍّ فَتَنَتْ قَسَّهَا

يارَبِّ لو أَنْسَيْتَنِيها بِهَا[3] ... فى جَنَّةِ الفِرْدَوس لم أَنْسَهَا

---

(١) فى ت : ديوان .

(٢) هى عتبة جارية المهدى ، كان يحبها ويشبب بها .

(٣) فى ت : كما « تحريف » .

شَنَّع عليه مَنصُور بنُ عَمَّار بالزَّنْدَقةِ وقال : يتهاون بالجنَّة فى مِثْل هَذَا ، وشَنَّع عليه أيضا بقوله :

إنَّ المَليك رآكَ أَحْـ ... ـسَنَ خَلْقِه ورأى جَمَالك

فحَــذا بقُدْرَةِ نَفْسِه ... حُورَ الجِنَان على مِثَالِك

قال : نستغفرُ اللهَ العَظِيم أيُصَوِّر الله الحورَ على مِثَال امرأة آدَمية ! واللهُ لا يَحْتَاج إِلَى مِثَال ! فأوقع له هَذَا على أَلْسِنَة العَامَّة ؛ فلَقِى مِنْهم بلاء .

قال أبو سَلَمَة البَاذَغيسى : قلت لأبى العتاهية : فى أَىّ شِعْرِكَ أَنْتَ أَشْعَر ؟ قال قَوْلِى :

النــــاس فى غَفَلاتِهم ... ورَحَــا المَنية تَطْحَن

[ما دُونَ دائِرَة الوَرَى ... حِصْنٌ لمن يَتَحَصَّن][1]

دخل أَبُو العَتَاهِيَة على المَأْمُون فأنْشَدَه :

ما أَحْسَنَ الدُّنْيَا وإقبالَها ... إِذَا أطاعَ اللهَ مَن نَالَها

من لم يُوَاسِ الناسَ مِن فَضْلِها ... عَرَّض لــلإدْبَارِ إقْبالَهَا

فقال المَأْمُون : ما أجودَ البيتَ الأوَّل . فأمَّا الثَّانِى فما صَنَعْتَ فيه شيئا ، الدنيا تُدْبِر عَمَّن وَاسَى منها أو ضَنَّ بِهاَ ، وإنما يُوجبُ السَّمَاحَةَ بِهاَ الأَجْرُ والضَّنَّ بها الوِزرُ .

فقال : صدقت يا أميرَ المُؤمنين ، أهلُ الفَضْل أَوْلَى بالفضل ، وأهلُ النَّقْص أَوْلَى بالنَّقْص . فقال المأمونُ : يا أبا ثَابِت ، ادفَعْ إليه عشرة آلافِ دِرْهم لاعترافه بالحقّ .

(١) لم يرد هذا البيت فى غ .

فلما كان بعد أيام عادَ فأَنْشَدَه :

كَمْ غافلٍ أَوْدَى به المَوْتُ ... لم يأْخُذِ الأُهبةَ للفَوْتِ

مَنْ لم تزُلْ نعمته قبلَه ... زالَ عَنِ النِّعْمَةِ بالمَوْتِ

فقال له : أحسنتَ ! الآن طَبَّقْتَ[1] المَعْنَى وأمر له بعِشْرينَ ألف درهم .

كَانَ أَبُو العَتَاهِيَة يَحُجُّ كُلَّ سَنَة ، فإذا قَدِمَ أَهْدَى إلى المأمون بُرْدًا ونَعْلا سَوْداء ومَسَاوِيك من أَرَاك ، فيبعَثُ إلَيْه بعِشرِينَ ألفَ دِرْهم ، وكان يُوَصِّل الهَدِيَّة من جهته مِنْجَاب مَوْلَى المأمون ويَجِيء إليه بالمال[2] ؛ فأهدى له مرَّة كما كان يُهْدِي كُلَّ سَنَة إذا قدِم ولم يبعث إليه بالوَظيفة فكتب إليه أَبُو العَتَاهِيَة :

خَبَّرُونِي أَنَّ من ضَرْبِ السَّنَهْ ... جُدُدًا بيضاً وصُفْرًا حَسَنَهْ

أُحدِثَت لكنَّنِي لَمْ أَرَهَا ... مِثْلَمَا كنتُ أرى كُلَّ سَنَهْ

فأمر المَأْمُون فحُمِل إليه عِشْرُون ألفا ، وقال : أَغفلْناه حتى ذَكَّرَنَا .

[ويقال: إنَّ المأمونَ كان يُوَجِّه إِلَى أمِّ جعفر زُبَيْدَة فى كُلِّ سنة بمائة ألف دينار ومِائَة ألفِ دِرْهَم جُدُد فأَغْفَلَها سَنَة ، فتقَدَّمت إلى أَبِي العَتَاهِيَة أن يَعْمَل أبياتاً يُذَكِّرُه بِهَا ، فقال هَذين البَيْتَيْن ، فحَمَل إلَيْهَا المَأْمُونُ عادَتَها][3] .

ولما وَلِيَ الهَادِي الخلافة كان واجدًا على أبي العَتَاهِيَة لمُلَازَمته أَخَاه هارُون وانقطاعه إليه ؛ واتفق أَن وُلِدَ للهادى ولدٌ فى أوّل يوم وَلِي الخلافة ، فدخل عليه أَبُو العَتَاهِيَة فأنشده :

أَكثَرَ موسى غيظَ حُسَّادِه ... وزَيَّنَ الأرضَ بأَوْلَادِه

---

(١) فى غ : طيبت .

(٢) فى غ : ويجيئه بالمال .

(٣) ما بين القوسين لم يرد فى « غ »

وجاءنا من صُلبه سَيِّدٌ أَصيدُ فى تَقْطِيع أَجْدادِهِ
فاكتَسَتِ الأَرْضُ به بَهْجَةً واستبشر المُلكُ بميــلادِهِ
وابْتَسم المِنْبَرُ من فَرْحَةٍ[1] بقائمٍ من فَوْقِ أَعْوادِه
كأنَّنِي بعــد قليـــل بِهِ بين مَوالِيهِ وقُوَّادِه
فى جَحْفَلٍ[2] تَخْفِقُ رَاياتُه قد طَبَّقَ الأَرضَ بأَجْنادِه

فأمر له مُوسَى بألف دِينَار وطِيبٍ ورَضِىَ عنه بعد أَنْ كانَ ساخِطا عليه .

قال يَحْيَى بنُ الرَّبيع : دخل أبُو عُبَيْد الله على المهدىّ ، وكان قد وجَد عليه فى أمر بلغَه عنه ، وأَبُو العَتَاهِيَة حاضر ، فجعل المهدى يشتُم أَبَا عُبيد الله ويتغَيَّظُ عليه ، ثم أمر به فجُرَّ برِجله وحُبِس ؛ ثم أَطْرَق المهدىّ طَوِيلًا ؛ فلما سكن غضبه أنشده أبو العَتَاهِيَة :

— أرَى الدُّنيا لِمَنْ هِىَ فى يدَيْه عذاباً كلَّمـــا كَثُرَتْ لدَيْهِ
— تُهِينُ المُــكرمِين لها بِصُغْرٍ[3] وتُــكرِم كُلَّ مَنْ هانت عليه
— إذا استغنيت[4] عن شىء فدَعْه وخُــذْ ما أنتَ محتاجٌ إِلَيْه

فَتَبَسَّم المَهْدِى ثم قال لأَبى العَتَاهية : أحسنتَ ! فقام أبُو العتاهية فقال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ أحدا أَشَدَّ إِكْرَاماً للدّنيا ولا أَضَنَّ[5] بِهَا ولا أشحَّ عليها مِنْ هَذَا الَّذى جُرَّ بِرِجْله السَّاعة ، ولقد دَخَلْتُ على أمير المؤمنين ودَخَل وهو أَعزُّ

---

(١) فى غ : عن فرحة : والشطر الثانى فيه :

* عَلَت بها ذِرْوَةُ أعوادِهِ *

(٢) فى غ : فى محفل .
(٣) كذا فى غ ، وفى ت : تهى المكرمين لها بصفو .
(٤) فى ت : استغيث « تحريف » .
(٥) فى غ : أصون .

النَّاس فما بَرِحت حَتَّى رأيته أَذَلَّ الناس ، ولو رَضِي من الدُّنْيا بِمَا يَكفيه لاستَوَت أَحْوَالُه ولم تَتَفَاوت ؛ فتبسَّم المَهْدِيّ ودعا بأَبِى عُبَيْدِ الله ورَضِي عنه ؛ وكان أبو عُبَيْدِ الله يشكر ذَلِك لأَبِى العَتَاهِية .

كان إسْحَاق بن عُزَيْز يتعشَّق عَبَّادة جارِيَة المُهَلَّبِيَّة ، وكانت المُهَلَّبِيَّة مُنْقَطِعَةً إلى الخَيْزُرَان ، فركِبَ إسْحَاق يوما ومعه عبدُ الله بن مُصْعَب يُرِيدَان المهدِيّ ، فلقيا عَبَّادة ؛ فقال إسْحَاق : يا أبا بَكْر ، هَذِه عبَّادة ، وحَرَّك دَابَّته حتى سبَقَها فنَظَر إليها ، فجعل عبدُ الله بن مُصْعَب يتعَجَّب من فِعْله ؛ ودخَلَا على المَهْدِيّ فحدَّثه عبدُ الله بنُ مُصْعَب الحَدِيث فقال : أنا أَشْتَرِيها لك يا أَبا إسحاق ؛ فدخل على الخَيْزُرَان ، فدعَا بالمُهَلَّبِيَّة فحَضَرت ، فأعطاها بعَبَّادة خَمْسِين أَلْف درهم؛ فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنْ كنتَ تُرِيدُها لنفسك فهى[1] لك ؛ فقال : إنَّما أُرِيدُها لإسحاق بن عُزَيز ؛ فبَكَت وقالت : أتُؤْثِر عَلَيَّ إسْحَاق وهى يَدِى ورِجْلى ولِسَانى فى جميع حوائجى ! فقالت الخَيْزُرَان لها عند ذلك : ما يُبْكِيك ؟ واللهِ لا وَصَل إليها ابنُ عُزَيْز أَبدًا ، صار يتعَشَّق جَوَارِيَ النّاس ! فخرج المَهْدِى فأخبر ابْنَ عُزَيْز بما جرى وقال له : الخَمْسُون ألفا لَكَ مكانها ، فأخذها ولَهَا عن عَبَّادَة .

فقال أبو العتاهية يُعَيِّره بذلك :

مَنْ صَدَقَ الحُبَّ لأَحْبَابِه ... فإن حُبَّ ابنِ عُزَيْزٍ غُرُورْ
أَنْسَاهُ عَبَّادَةَ ذاتَ الهوى ... وأَذهبَ الحُبَّ الذى فى الضَّمِيرْ
خَمْسُونَ أَلْفاً كُلُّها رُجَّحٌ[2] ... حُسْناً[3] لها فى كُلِّ كِيس صَرِيرْ

---

(١) فى ت : هى بدون فاء « تحريف » .
(٢) فى غ : راجح .
(٣) فى ت : خشن .

قال مَسْعُود بْنُ بِشْر المَازِنى : لَقِيتُ ابْنَ مُنَاذِرٍ بِمَكَّة ، فقلتُ له : مَن أَشْعَرُ أَهْل الإسلام ؟ فقال : مَنْ إذَا شئتَ هَزَل ، و إذا شِئْت جدَّ . قُلْتُ[1] : مَنْ ؟ قال : مثلُ جَرِير حَيْثُ يَقُولُ فى التَّسِيب[2] :

إنَّ الَّذِين غدَوْا بلُبِّكَ غَادَرُوا وَشَلًا بعَيْنِك ما يزَالُ مَعِينا
غَيَّضْنَ من عَبَرَاتِهِن وقُلْنَ لِى ماذا لَقِيتَ من الهوَى ولَقِينا
مُضَرٌ أبى وأَبُو المُلُوك فهَلْ لكُم يا آل تَغْلِب مِنْ أَبٍ كأَبِينا

ثم قَالَ أَبُو العَتَاهِيَة : قلتُ : فى ماذا ؟ قال فى قَوْله :

اللهُ بيْنى وبَيْن مَوْلاتِى أَبْدَتْ لِىَ الصّدّ والمَلالاتِ
لا تَغْفِر الذنبَ إنْ أَسَأْتُ وَلَا تَقبَل عُذْرِى ولا مُوَاتَاتِى[3]
مَنَحْتُها مُهجَتِى وخَالِصَتِى فَكانَ هِجرانُها مُكافَاتِى
أَقْلَقَنى حُبُّها وصَيَّرَنى أُحْدُوثَةً فى جَمِيع جَارَاتى
ولهَا قد قَطَعْتُ طامِسَةً قفْرًا على الهَوْل والمَخافَات[4]
بحُرَّة جَسْرَة عُذَافِرَةٍ خَوْصاءَ عَيْرانةٍ عَلَنْدَاةِ
تُبَادِرُ الشمسَ كلما طلعت بالسَّيْر تَبْغِى بِذَاك مَرْضَاتى
حتى تُنَاخِى بِنَا إلَى مَلِك تَوَّجَهُ اللهُ بالمَهابَات
عليه تَاجَانِ فوق مَفْرِقِهِ تاجُ جَلَال وتَاجُ إخْبَاتِ[5]
يَقُولُ للرِّيح كلّما عَصَفَت هل لَكِ يَارِيحُ[6] فى مُبَارَاتِى

---

(١) فى ت : قال .
(٢) فى ت . الشبب .
(٣) فى ت : موالاتى .
(٤) فى غ والتجريد : ومهمه ... قفر .. والمحاماة .
(٥) الإخبات : الخضوع .
(٦) فى ت : هل للرياح .

مَنْ مِثْلُ مَنْ عَمُّه الرَّسُولُ ومَنْ أخوالُه أكرمُ الخُؤُولَاتِ[1]

ولمَّا وَلِيَ مُوسَى الهَادِى الخِلَافَةَ ، قال أَبُو العَتَاهِيَة يَمْدَحه وكان وَاجِدًا عليه :

يَضْطَرِب الخوفُ والرجاءُ إذَا حَرَّكَ مُوسَى القَضِيبَ أو فَكَّرْ

ما أَبْيَنَ الفضلَ فى مُغَيَّبِ ما أوردَ من رأيه وما أَصْدَرْ

يُثْمِر مِنْ مَسِّهِ القَضِيبُ ولو يَمَسُّه غـــيرُه لمَا أَثْمَرْ

مَنْ مِثْلُ موسَى ومثلُ والده الْـ مَهْدِىّ أو جدّه أبى جعفرْ

فرضى عنه ودَخَل عليه ، وأَنْشَده قَصيدته التى أولها :

لَهْفِى على الزَّمَن القَصِير بين الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ

فأجزل صِلتَه وعَادَ إلَى أفضلِ ما كانَ عَلَيْه .

قال أَبُو حاتم : قَدِم عَلَيْنا أَبُو العتَاهِيَة فى خِلَافَةِ المَأْمُون ، فصَارَ إلَيْه أصحابُنا فاستَنْشَدُوه ، فأَنْشَدَهم :

أَلَمْ تَرَ رَيبَ الدَّهْرِ فى كلّ سَاعَةٍ له عَارِضٌ فيــه المَنِيَّة تَلْمَع

أيا بَانِىَ الدُّنْيَا لغَيْرك تَبْتَنِى ويا جَامِعَ الدُّنيا لغَيْرك تَجْمَع

أَرَى المرءَ وَثَّابا على كل فُرْصَةٍ وللمرء يوماً لا مَحالَةَ مَصْرَعُ

تَبَارَكَ مَنْ لا يَمْلِك المُلْكَ غيرُه متى تَنْقَضِى حَاجَاتُ مَنْ ليس يَشْبَعُ

وأَىُّ امْرِئٍ فى غاية ليس نفسُه إلَى غَايَةٍ أخرى إليها[2] تَطَلَّع

وكان يقال : لو أُعِين طبعُ أبى العَتَاهِيَة بجَزَالة لفْظ لَكان أشعرَ النَاس .

قال مُحَمَّد بن أبى العَتَاهِيَة : كان أَبِى لا يُفارِق الرَّشِيدَ فى سَفَر ولا حَضَر إلَّا فى طريق الحَجّ ، وكان يُجْرِى عليه فى كُلِّ سَنَة خَمْسِين أَلْفَ دِرْهم ، فلما قدِم

---

(١) فى ت : من مثل من عمر الهول فنى : خؤولـكم أكرم الخؤولات « تحريف » .

(٢) فى غ : سواها .

الرشيدُ الرَّقَّة لَبِس أبي الصُّوفَ وتَزَهَّد ، وترك حُضُورَ المُنادمة وقولَ الغزَل ، فأَمر الرَّشِيدُ بحَبْسه فحُبِس ، فكتب إليه أبياتا منها :

تَذَكَّر أمِينَ اللهِ حَقِّي وحُرْمَتي وما كنتَ تُولِينِي وذلك يُذْكَرُ[1]
لَيَالِيَ تُدْنِي مِنْك بالقُرْبِ مَجْلِسِي ووجهُك من ماءِ البَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فمَنْ لِيَ بالعَيْنِ الَّتي كنتَ مَرَّةً إلَيَّ بها في سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

فلما قرأَها الرَّشِيدُ قال : قولوا له : لا بَأْسَ عَلَيْك ؛ فكتَب إليه مِنْ أَبْيات :

أمِينَ اللهِ إنَّ الحَبْسَ بأسٌ وقد أَرْسَلْتَ ليسَ عليك بَاسُ

ولَمَّا حُبِس جُعِلَ في بَيْت خَمْسة أَشْبار في مِثْلِها فصَاحَ : الموتُ ، أَخْرِجُوني ، أنا أَقُولُ كُلَّ ما شِئْتُم ؛ فقيل له : قُلْ . فقال : حتى أَتَنَفَّس ، فأُخْرِج وأُعْطِيَ دَوَاةً وقِرْطَاساً فقال أبياته التي أولها :

مَنْ لِعَبْدٍ أَذَلَّه مَوْلاه ما لَه شَافِعٌ إلَيْه سِواهُ
يَشْتَكِي مَا بِه إليه ويَخْشَا هُ ويَرْجُوه مِثْلَ ما يَخْشَاه

ودُفِعَت إلَى مَسْرُور الخادِمِ ، فأوصَلَها إلَى الخَلِيفَة ، فأحضر أَبَا العَتَاهِيَة ، واستَنْشَدَه ، وأمر له بخَمسينَ أَلفَ درهم .

ولأَبي العَتَاهِيَة في الرَّشِيد لَمَّا حَبَسه أَشْعَارٌ كَثِيرَة مِنْهَا :

لا أَرَاكَ اللهُ سُوءًا أَبَدًا ما رأَتْ مثلَك عَيْنِي[2] أحدَا
يا رَشِيدَ الرَّأْيِ[3] ارشدنِي إلى وَجْهِ نُجْحِي لا عَدِمْتَ الرَّشَدا
أَعِنِ الخائفَ وأرحَمْ صوتَه رافعاً نحوكَ يدْعُوكَ يدَا

---

(١) في غ : لعلك تذكر .
(٢) في غ : عين .
(٣) في غ : الأمر .

وابَلَائِى مِنْ دَعاوَى(١) أمَلٍ كلَّما قلتُ تَدانَى بَعُدا
كم أُمَنِّى بِغَدٍ بَعْدَ غدٍ يَنفَدُ العُمْرُ ولمْ أَلْقَ غَدَا

ومرَّ القاسِمُ بنُ الرَّشيد فى موكب عظيم ، وكان من أَتْيَهِ النَّاسِ ، وأبو العَتَاهِيَة جالس مع قوم على ظهر الطَّرِيق ، فقام أَبُو العتَاهِيَة حين رآه إعْظاماً له ، فلم يزل قائماً حتى جاوَزه ، فجازَ ولم يَلْتَفِتْ إِلَيْه ، فقال أَبُو العتَاهِيَة :

يَتيهُ ابنُ آدمَ من جَهْلِه كأن رَحَى المَوْتِ لا تَطْحَنُه

فَسَمِعَه بَعْضُ من فى مَوْكِبِهِ فأخبر به القاسِمَ ، فبعَثَ إِلَى أَبِى العتَاهِية وضربه مائَةَ مِقْرَعَة ، وقال لَهُ : يا ابنَ الفاعِلَة ! تُعرِّضُ بى فِى مِثْل ذلِك المَوْضع ! وحَبَسَه فى دَارِه ؛ فدَسَّ أَبُو العتَاهِيَة إِلَى زُبَيْدَة بنتِ جَعْفر ، هَذِه الأَبْيَات « وكَانتْ تُوجِبُ لَه [حَقَّه](٢) » :

حَتَّى متى ذُو التِّيه فى تِيهِهِ أَصْلَحه اللهُ وَعَافاهُ
يَتيهُ أهلُ التِّيهِ مِنْ جَهْلِهِم وهم يمُوتُون وإِنْ تَاهُوا
مَنْ طلبَ العِزَّ لِيَبْقَى به فإنَّ عِزَّ المَرْءِ تَقْواهُ
لم يَعْتَصِم باللهِ مِنْ خَلْقِه مَنْ لَيْسَ يَرْجُوهُ وَيَخْشَاهُ

وكَتَبَ إليها بِحالِه وضِيق حَبْسه ، وكَانَت مَائِلَةً إليه ، فرَثَتْ(٣) له وأَخْبَرَتِ الرَّشيدَ بأَمْره وكَلَّمَتْهُ فِيهِ ، فأحضَرَه وكَسَاه ووَصَله وأطلقه ، ثم لم يرض عن القاسم حتى برَّه وأَدْنَاه واعْتذَر إِلَيْه .

بعث الرَّشيدُ مَنْ يَسْتَخْرِج له مَالًا مِنْ بَقَايَا الخَرَاج ، فجَبَى مالًا عَظِيماً وَوَافَى بِه بَابَ الرَّشيد ، فأَمَرَ بِصَرْفِ المَالِ أَجْمَع إِلَى بَعْضِ جوَارِيه ، فاستعظَمَ

(١) فى ت : دواعى .
(٢) فى ت : كلمة حقه ساقطة .
(٣) فى غ : فرقت .

الناسُ ذلك وتحدَّثُوا به وأَخذَ أبو العَتَاهِية من ذلك شِبْهُ الجنُون فقِيلَ له : مَالَك ؟ فقال: سبحان الله ! أيُدْفَع هذا المَالُ الجليلُ إلى امرأَة ولا تتَعَلَّق كَفِّي بشْيء منه ، ثم دَخَل على الرَّشِيد بعد أيام فأَنْشَدَه :

اللهُ هوَّن عِنْدَك الدُّ ... نيَا وبَغَّضها إِلَيْكَا
فأَبيْتَ إلَّا أَن تُصَغِّ ... رَ كلَّ شيء فى يَدَيْكَا
ماهَانَتِ الدُّنْيَا عَلَى ... أَحَدٍ كمَا هَانت عَلَيْكَا

فقَالَ الفضْلُ بنُ الرَّبيع : يا أميرَ المُؤْمِنين ، ما مُدِحَت الخلفَاء بأَصْدَق من هذا المَدْح ؛ فقال : يا فَضْلُ ، أَعْطِه عَشْرَةَ آلافِ دِرْهم[1] ؛ فغدَا أَبُو العَتَاهِيَة على الفَضْلِ فأَنْشَدَه :

إِذَا ما كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا ... فمثل الفضل فاتّخِذِ الخَلِيلا
يرَى الشُّكر اليسير[2] له عَظِيماً ... ويُعْطِي مِنْ مَوَاهِبِه الجزِيلا
أَرَانِى حَيْثُما يمَّمتُ طَرْفِى ... وَجَدْتُ على مَكَارِمه دَلِيلا

فقال له : والله لَولا أَنْ أُسَاوِىَ أمير المؤمنين لأعطيتُك مِثْلَها ، ثم أعطاه ماأَمَرَ لَهُ به الرَّشِيد، وزاده خَمْسَةَ آلافٍ مِنْ عِنْدِه .

قال هَارُونُ بن سَعْدَان : كُنتُ مع أَبى نُوَاس قريبا من دُور بَنِى نُوبَخْت[3] وعنده جَمَاعَة ، فجعل يمُرُّ به الحُجَّاب والقُوَّاد وبَنُو هَاشِم وهو مُتَّكِئٌ مَمْدُودُ الرِّجل لا يتحرَّك لأحد منهم حتى نَظَر فنظَرْنَا إليه وقد قَبَض رِجْلَيه وَوَثَب فقام إلى شَيْخ وقد أَقْبل على حِمَار له فاعْتَنَقه ، وَوقف أَبُو نُوَاس يُحَادِثه ، ولم يزل واقفا

(١) فى غ : عشرين ألف .
(٢) فى غ : القليل .
(٣) فى غ : نيبخت .

يرفع رِجْلًا ويضعُ أُخرى ، ثم مَضَى الشيخُ ورجع أَبُو نُوَاس إلينا وهو يَتَأَوَّه ؛ فقال له بَعْضُ مِن حضر : والله لأَنتَ أشعرُ منه ؛ فقال : والله ما رأيته قطّ إلا ظَنَنْتُ أنه سَمَائِى وأَنَا أَرْضُه[1] .

وقيل لبَشَّار : من أَشْعَرُ أهلِ زَمَاننا ؟ فقال : مخَنَّثُ أَهْلِ بَغْداد ؛ يعنى أَبَا العَتَاهِيَة .

قال أبو العَتَاهِية : ماتت بنتُ المَهْدِىّ فحزِن عليها حُزْناً شَدِيدا حتى اُمْتَنَع مِنَ الطَّعَام والشَّرَاب ، فقلتُ أبياتا أُعَزِّيه فيها[2] فوافيته قد سَلَا وقد ضَحِك وأَكل وهو يقول : لا بُدَّ من الصَّبر على ما لا بُدَّ مِنْه . وإِنْ سلوْنَا عَمَّن فَقَدْنَا ليَسْلُوَنَّ عَنَّا مَنْ يَفْقِدُنا ، ولا يَأْتِى الليلُ والنهارُ على شَىءٍ إِلَّا أَبْلَياه ؛ فلما سمعتُ هذا قلت : يا أَمِيرَ المُؤْمِنِين ، أتأذَنُ لِى أن أُنشدك قال : هات ؛ فأنشدتُه :

ما لِلْجَدِيدَيْن لا يَبْلَى اختِلافُهُما ... وكُلُّ غَضٍّ جديدٍ فِيهِمَا بالِى
يا مَنْ سلا عن حبيبٍ بعد مِيتَتِه ... كم بعد موتِك أيضا عنك مِن سَالِى
كأَنَّ كُلَّ نعيم أنت ذَائِقُه ... من لَذَّةِ العَيْش يَحْكِى لُمْعَةَ الآلِ
لا تبلغنَّ[3] بكَ الدُّنيا وأنت ترَى ... ما شئتَ من غِيَرٍ[4] منها وأَمْثَال
ما حِيلةُ المَوْتِ إلا كُلُّ صالحة ... أَولَا فما حِيلَةٌ منه لمُحْتَالِ

فقال : أحسنتَ وأصبتَ ما فى نَفْسِى ووعظْتَ فأَوجَزْتَ ! وأمر له عن كل بيْت بألفِ دِرْهم .

---

(١) فى غ : . . أنه سماء وأنا أرض .
(٢) فى غ بها .
(٣) فى غ : لا تلعبن .
(٤) فى غ : عبر .

ولما مات مُوسَى الهَادِى قال الرشيد لأبى العَتَاهِية : قل غزَلًا فقال : لا أقول شِعْراً بعد موسى ، فحبسه . وأمر إبْرَاهِيمَ المَوْصِلى أن يُغَنِّى ؛ فقال : لا أُغنِّى بعد موسى وكان مُحْسِناً إلَيْهما ، فحَبَسَه . فلما شخَص إلى الرَّقَّة حَفَر لهما حُفْرَة واسعةً وقطع بَيْنَهما بحَائِط وقال : كُونَا بهذا المكان لا تَخْرُجا منه حتى تَشْعُر أنتَ ويُغَنِّى هَذَا ، فصَبَرا على ذلك بُرْهَة من الزَّمَان . وكان الرشيدُ يَشْرَب ذاتَ يوم وجعفرُ ابنُ يَحْيَى معه ، فغَنَّت بعضُ الجَوَارى صوتا فاستَحْسَنَاه وطَرِبا منه طَرَباً شَدِيدا ، وكان بيتاً وَاحِدا ، فقال الرَّشيد : ما كان أحوجَه إلَى بيت ثانٍ لِيطُولَ الغناء ونَسْتَمتِع بمُدَّة طُولِه ! فقال له جَعْفر : قد أصبتَه ؛ قال : من أَيْن ؟ قال : تَبْعَثُ إلَى أَبى العَتَاهِيَة فيُلحِقه[1] به ، فقال : هو أنكَدُ من ذلك ، ولا يُجيبُنا وهو مَحْبُوس ونَحْنُ فى نَعِيم وطَرَب ؛ قال : بل يُجِيب . قال : أُكتُب إليه حتى تَعْلَمَ ما قلتُ ، فكتَبَ إليه بالقِصَّة وقال : أَلْحِق لنا بالبَيْتِ بَيْتاً آخر .

فكتب إليه أبُو العَتَاهِيَة :

شُغِل المِسْكِينُ عن تِلْك المِحَن ... فارَقَ الرُّوحَ وأَخْلَى من بَدَنْ
ولقد كُلِّفتُ أَمْرًا عَجَباً ... أَسْأَلُ التَّفْرِيجَ[2] من بيت الحَزَنْ

فلما وَصلَت الرُّقْعَة قال الرَّشيد : قد عرَّفتك أنَّه لا يَفْعَل ؛ قال : فتُخْرِجه حتى يَفْعَل ؛ قال : لا ! حتى يشعُر ، فقد حلفت . فأقام أيَّاماً لا يفعل . ثم قال أبو العَتَاهِيَة لإبْرَاهِيم : إلى كَمْ هَذا الخلاف[3] ! هَلُمَّ حتى أَقُولَ شِعْرًا وتُغَنِّى فيه ؛ فقال : إفعَل . فقَالَ أبو العَتَاهِيَة :

---

(١) فى ت : فتلحقه .

(٢) فى غ : التفرج .

(٣) فى غ : إلى كم هذا تلاج الحلفاء .

بأَبِى مَنْ كان فى قَلْبِى لَهُ ... مَرَّةً حُبٌّ قليلٌ فسُرِق[1]
يا بَنِى العَبَّاسِ فيكم مَلِكٌ ... شُعَبُ الإحسان منه تَفْتَرِقْ
إنَّما هارونُ خيرٌ كُلُّه ... مات كُلُّ الشَّرِّ مُذْ يوم خُلِقْ

وغَنَّى به إبراهيم فدَعَا بِهِما الرَّشيد ، فأنشده أبو العَتَاهِيَة وغنَّاه إبراهيم ، فأعطى كُلَّ واحد منهما مِائَة أَلْفِ دِرْهم ومائةَ ثَوْب .

وغَضِب الرَّشيد على جَارِيَة له فحَلَفَ لا يدخل إلَيْها أيَّاماً ثم نَدِم وقَالَ :

صَدَّ عَنِّى إذْ رَآنِى مُفْتَتِنْ ... وأطال الصَّدَّ لما أَنْ فَطِنْ
كان مَمْلُوكِى فأَضْحَى مَالِكِى ... إنَّ هَذَا من أَعَاجِيبِ الزَّمَنْ

ثم قال لجَعْفَر بْنِ يَحْيَي : اطلب مَنْ يَزِيد عَلَى هَذَيْن البَيْتَين ؛ فقال : ليسَ غيرُ أَبِى العَتَاهِية ؛ فبَعَثُوا إليه فاعْتَذَر ، فأمر بإطلاقه وصِلَتِه ؛ فقال : الآن طَابَ القول ؛ ثم قال :

عِزَّةُ الحُبِّ أَرَتْه ذِلَّتِى ... فى هَوَاه ولَهُ وَجْهٌ حَسَنْ
ولهذا صِرْتُ مَمْلُوكاً له ... ولِهَذَا شَاعَ ما بِى وعَلَنْ

فقال : أصبتَ ما فى نفسى وَوَصَلَه ثَانِياً .

قال مُخَارِق : لَقِيتُ أَبَا العَتَاهِيَة على الجِسْر فقلت: يا أبا إسْحَاق ، أَنْشِدْنى قولَك فى تَبْخِيل النّاس كلّهم ، فضَحِك وقال : هَا هُنا ؟ قلت : نعم ؛ فأنشدنى :

إنْ كُنتَ مُتَّخِذًا خَلِيلا ... فتَنَقَّ وانْتَقِد الخَلِيلا
مَنْ لَمْ يكُن لك مُنْصِفاً ... فى الودّ فأَبْغِ به بَدِيلا
ولربَّما سُئِلَ البَخِيلُ ... الشىءَ لا يَسْوَى فَتيلا
فيقول لا أجد السَّبِيلَ ... إلَيْه يكْرَهُ أَنْ يُنِيلا

(١) فى ت : بأبى من كان ساقى قلبه .

فلذاك لا جعـلَ الإلـ ه له إلى خـيرٍ سَبيلا
فاضرب بطرفك حيث شئـ ت فلن ترى إلّا بخيلا

(فقلت له[1] : أفرطتَ يا أبا إسحاق ؛ قال : فدَيْتُك ، فأكذبْنى بجوادٍ واحدٍ ؛ فأحببتُ موافقته ، فالتفتُّ يمينا وشمالا . ثم قلت : ما أجد أحدًا ؛ فقبّل بين عينىّ . ثم قال : فديتك يا بُنَىّ ، لقد رفقْتَ حتى كِدْتَ تُسْرِف[1])

قال شَبيبُ[2] بنُ مَنْصور : كنتُ واقفاً على بابِ الرّشيد ، وإذا رجل شَعِثُ[3] الهَيْئة على بَغْل[4] قد جاء فوقف ، وجعل الناس يُسَلِّمون عليه ويَسْأَلُونه ويُضاحِكُونه ، ثم يَسْأَل الناسَ عن أحوالهم ؛ فواحد يقول : كنتُ منقطِعاً إلى فُلان فلم يصنع بى خَيْرًا . وآخر يقولُ : أَمَّلْتُ فلاناً فخَيَّبَ أَملى . فقال الرجل :

فَتَّشتُ ذِى الدُّنْيا فلَيْسَ بِها أَحَـدٌ أَراهُ لآخَرٍ حامِدْ
حتى كأنَّ النـاسَ كُلَّهم قد أُفْرِغُوا فى قالَبٍ وَاحِـدْ

فسألتُ عنه فقيل : هذا أبو العَتاهِيَة .

كان أحمدُ بنُ يوسف صَديقاً لأبى العَتاهِيَة ، فلما خَدَم المأمونَ وخُصَّ به رأى منه أبو العَتاهِيَة جَفْوَة ، فكتَب إليه :

أَبَا جَعْفرٍ إنَّ الشريف يُهينه[5] تَتَايُهُه على الأَخِـلَّاء بِالوَفْر
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفقرَ يُرْجَى لَهُ الغِنَى وأَنَّ الغِنَى يُخْشَى عَلَيْه من الفقرْ
فإنْ نِلْتَ تِيهاً بالذى نِلْتَ من غِنًى فإن غِنَاى بالتجمّل[6] والصَّبْر

فبعث إليه بأَلْفَى دِرْهَم واعتذر إليه مِمَّا أَنكره عليه .

(١) فى ت : لقد وقعت حتى كدت تشرب .
(٢) فى ت : سيدى .
(٣) فى غ : بشع .
(٤) فى ت : بعد .
(٥) فى غ : يشينه .
(٦) فى ت : بالتحمل .

قال أبو جعفر : قلتُ لأبى العَتاهِيَة : أَجِزْ لى قَوْلَ الشَّاعر :

وكان المـال يأْتِينا وكُنّا ... نُبذِّرُه وليس لنـا عُقُول

فلما أَنْ تَوَلَّى المَالُ عَنّا ... عَقَلْنا حيثُ[1] ليس لنا فُضُولُ

فقال أبو العَتَاهِيَة :

فَقَصِّر ما تَرَى بالصَّبْر حَقًّا ... فكُلٌّ إن صَبَرْتَ له يَزُولُ

قال أبوالعتاهية لابنه وقد غَضِبَ عليه : اذهب فإنكَ ثَقِيلُ الظل جَامِدُ الهوَاء .

قال حَبيبُ بن الجَهْم النُّمَيْرِى[2] : حضَرْتُ الفضلَ بن الرَّبيع فإذا عَوْنٌ حَاجِبُه قد جَاءَه فقال : هذا أبو العَتَاهِيَة قد جاءك من مَكّةَ يسَلِّم عليك ، فقال : أعْفِنِى منه ، فالسَّاعة يشغَلُنِى عن رُكُوبى ، نَخرَج إليه عَوْنٌ فقال : إنَّه على الرُّكُوب إلى أميرِ المؤمنين ! فأخرجَ من كُمِّـه نَعلًا عليها شِرَاك فقال له : قل له إنَّ أبا العَتَاهِيَة قد أهدَاهَا إليك ، فدخل بها فقال : ما هـذه؟ فقال : نَعل وعلى شِرَاكِها كِتَابة ؛ فقال : ياحَبِيبُ اقرأْ ماعَلَيْها ؛ فقرأتُه فإذا هُو .

نعلٌ بعَثْتُ بها ليَلْبَسَها ... قَرْمٌ[3] بهـا يمشى إلى المَجْدِ

لو كان يَصْلُح أن أُشَرِّكَهـا ... خَدِّى جَعَلْتُ شِرَاكَها خَدِّى

فقال لِعَون : احمِلْها مَعَنا ، فلما دَخَل على الأَمين ، قال له يا عَبَّاس ؛ ما هَذه النَّعْل ؟ فقال : أهداهَا إلَىَّ أَبُو العَتَاهية وكتب عليها من شِعْره ، وكان أَميرُ المؤمنين أَوْلَى بأَنْ يلبسها لِمَا وُصِف به لا بِسُها فقَالَ : وما هِا ؟ فقرَأها ؛ فقال : أَجَاد ، وما سبَقه أَحَدٌ إلى هذا المعنى ، هَبُوا له عَشْرة آلاف دِرْهم ، فأُخرجتْ فى بَدْرَة وهو راكب عَلَى حماره فقبضها وانصرف .

---

(١) فى غ : حين .

(٢) فى ت : الحميم النجيرى (تحريف) .

(٣) القرم : السيد أو العظيم .

وكان أَبُو العَتَاهِية مِنْ أقلِّ النـاس مَعْرِفةً ، قال له بِشْر المِرِّيسى : يا أَبَا إسْحَاق لا تُصَلِّ خَلْف فُلَان إمام مَسْجدِك فإنه مُشَبِّـه . فقال : كلا ! فإنّه قرأ بنا البارحةَ : « قُلْ هوَ اللهُ أَحَدٌ » ؛ وإذا هو يظنّ أن المُشَبِّـه لا يَقْرأ : « قُلْ هوَ اللهُ أَحَدٌ » .

كتب بَكْر بنُ المُعْتَمرِ إلى أَبِى العَتَاهِيَة يَشْـكُو إليه ضِيقَ القَيْد وغَمَّ السجن(١) ، فـكتب إليه أَبُو العَتَاهِية :

هِىَ الأَيَّام والغِـيَر(٢) وأمرُ الله يُنْتَـظَرُ
أَتيأَسُ أَنْ تَرَى فرجاً فأينَ اللهُ والقَـدَرُ

قال بعضُهم : كنت أمشى مع أَبِى العَتَاهِية فنظَر إِلَى الناسِ يَذْهَبُون ويَجِيئُون ، فقال : أَمَا تَرَاهُم هَذَا يَتِيه فَلَا يَتَـكَلَّم ، وهذا يَتَـكَلم بصَلَف ! ؟ ثم قال لى : مرّ بعضُ أولاد المهلَّب بمَالِك بن دِينَار وهو يَخطِر ، فقال له : يا بُـنَىّ ، لو خَفَّضْتَ بعض هذه الخُيَلَاء ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشُّهْـرَة التى قـد شَهَرْتَ بها نفْسَك ؟ ! فقال له الفَـتَى : أَمَا تعرِف من أنا ! فقال : بَلَى والله أعرِفُكَ معْرِفَةً جيدة ، أَوَّلُك نُطفَةٌ مَذِرَة وآخرك جِيفَةٌ قَذِرَةٌ ، وأنتَ بَيْنَ ذلك تَحْمِل العَذِرَة ! قال : فأَرْخَى الفتى أُذُنيه(٣) ، وطَأْطأَ رأسَه ومَضَى وكَـفَّ عما كان يَفْعَلُه .

قال أبو دُلَف العِجْلِى : حَجَجْتُ فرأيتُ أَبَا العَتَاهية وَاقفاً على أَعرَابى فى ظِلّ مِيل(٤) وعليه شَمْلَة إذا غَطى بها رأسه بدت رِجْلاه ، وإذَا غطّى رِجْلَيْه بدَا رأسُه ؛ فقال أبو العتاهية : كيف اخترتَ هذا البلد القفْر على البلدان المُخْصِبَة ؟ فقال له :

(١) فى غ : الحبس .
(٢) فى غ : العبر .
(٣) فى ت : ردينه .
(٤) الميل : منار يبنى للمسافرين فى مرتفع من الأرض . وفى ت : جبل « تحريف » .

يا هذا ، لولا أنَّ الله أَقْنَعَ بعض العباد بشرِّ البلاد ، ما وَسع خَيْرُ البلاد كُلَّ العباد فقال له : فمِنْ أَيْنَ مَعَاشُكم ؟ قال : منكم معشَر الحاجّ . تَمُرُّون بنا فَنَنَال من فُضُولكم ، وتَنْصَرِفُون ؛ فقال له : إنَّما نَمُرّ وننصرف فى وقتين من السنة ، فمن أين معاشكم فى سائر السنة ؟ فأَطْرَقَ الأعرابىّ ثم قال : والله ما أَدْرِى ما أَقُولُ إلَّا أَنَّا نُرْزَقُ من حيث لا نَحْتَسِب ؛ فوَلَّى أبو العَتَاهِيَة وهو يَقُولُ :

أَلَا يَا طَالِبَ الدُّنْيَا ... دَعِ الدنيا لِشَانِيكا
وما تَصْنَعُ بالدُّنْيَا ... وظِلُّ الليل يَكْفِيكا
[هَبِ الدُّنْيَا تُوَاتِيكَا ... أَلَيْسَ الموتُ يَأْتِيكَا
كما أَضْحَكَكَ الدهر ... كَذَاكَ الدهرُ يُبْكِيكَا][1]

ولما أنشد :

تَعَالَى اللهُ يا سَلْمُ بن عَمْرو ... أَذَلَّ الحِرْصُ أَعناقَ الرِّجَالِ

قال سلم : وَيْلِى عَلَى ابْنِ الفَاعِلة : كَنَز البِدَر ويَزْعُم أَنِّى حَرِيصٌ وأنا فى ثَوْبَىَّ هذين [ولَمَّا أُنشِدَ المأمون هذا البيت قال : إن الحرص لمفسد للدين ، والله ما عرفت من رجل قط حرصا ولا شرها فرأيت فيه مُصْطَنَعًا][2] .

ولما[3] جلس الأمينُ فى الخلافة أنشده أبو العَتَاهِيَة :

يا بنَ عَمِّ النبِيِّ خيرَ البرِيَّهْ ... إِنَّمَا أنتَ رحمةٌ للرّعيَّهْ
يا إمامَ الهُدَى الأَمِينَ المُصَفَّى ... يا لُبَابَ[4] الخِلَافَةِ الهَاشِمِيَّهْ
لك نَفْسٌ أَمَّارَةٌ لك بالخَيْـ ... ـرِ وكَفٌّ بالمكرُمَاتِ نَدِيَّهْ
إنَّ نفساً تَحَمَّلَتْ منك ما حُـ ... ـمِّلَت للمُسْلِمِين نَفْسٌ قَوِيَّهْ

---

(١) لم يرد البيتان فى غ ولم يرد البيت الأخير فى الديوان .
(٢) ما بين القوسين لم يرد فى غ .
(٣) جاء هذا الخبر وما بعده فى ترجمة أم جعفر فى الأغانى : الجزء الحادى والعشرين / ١٧ طبع ليدن .
(٤) فى غ : بلباب .

(قال : وأَحَسَّت زُبَيْدَة من المأْمون بجفاء ، فَوَجَّهت إِلَى أَبى العَتَاهية تُعلمه بذلك وتأْمُره أَنْ يعمَل[1] فيه أبياتا تَعْطِفُه عَلَيها : فقال :

أَلَا إنّ صَرْفَ[2] الدهرِ يُدْنى ويُبْعِدُ ... ويؤْنس بالأُلّافِ طُرًّا ويُفْقِدُ
أَصابَتْ لِرَيْبِ الدَّهْرِ منّى يَدِى يَدِى ... فسلّمتُ للأَقْدارِ واللهَ أَحْمَدُ
وقلتُ لِرَيبِ الدَّهْرِ إِنْ ذَهَبَت[3] يَدٌ ... فقد بقِيت والحمدُ للهِ لى يَدُ
إذا بقِى المأمونُ لى فالرَّشيدُ لِى ... وَلِى جعفرٌ لم يُفْقَدَا ومُحَمَّد

فحسُن مَوْقِع الأَبْيَاتِ من المأمون ، وعاد إلى أحسن ممَّا كان لهَا عَلَيْه .

ويقال : إنَّها بَعَثَت بهذه الأَبْيَات إِلَى مُخَارِق فغنَّاهَا المَأْمُون ، فَسأَله المَأْمُون عَنِ الخَبَر فعرَّفَه الصورة فبَكَى ورَقَّ لها ، وقام من وقْتِه فدخل إليها ، وقَبَّلَتْ يدَه ، وقال لها : يا أُمَّهْ ما جفوتُك تعمُّداً ولكن شُغِلت عنك بما لا يُمْكِن إغْفَالُه : فقالت : يا أمير المؤمنين إذا حَسُنَ رَأْيك لم يُوحِشْنِى بعدك[4] فسُرَّ بذلك وأَتَمَّ يومه عندها .)

قال[5] العباس بن عُبَيْدالله بْنِ سِنَان بن عبدالملك بن مِسْمَع[6] : كنا عند قُثَم ابن سُلَيْمان وعِنْدَه أبو العَتَاهية يُنشده فى الزُّهْد فقال لى : قم يا عبّاس ، اطلب لى الساعة الجمّاز حَيثُ كان ، ولك عندى سَبَقٌ؛ فطلبته فوجدته عندركن دار جعفر بن

---

(١) فى غ : يفعل .

(٢) فى غ : ريب .

(٣) فى ت : سلمت .

(٤) فى غ : شغلك .

(٥) جاء هذا الخبر فى الأغانى ٤/٧٠٦ طبع دار الكتب فى ترجمة « أبى العتاهية » كما جاء فى الجزء ٢١/١١٧ طبع ليدن فى ترجمة « سلم الخاسر » .

(٦) كذا فى غ فى الموضعين المشار إليهما فى رقم « ٢ » . وفى ت : العباس بن سليمان بن شيبان بن عبد الملك بن مسمع .

سليمان ، فقلت : أجِبِ الأمير ؛ فقام معِى حتى أتى قُثَم ، فسلم فجلس فى ناحية مجلسه ، وأبو العتاهية ينشده ؛ فأنشد الجمّاز :

ما أقبحَ التَّزْهيد[1] من وَاعِظٍ ... يُزَهِّـدُ الناسَ ولا يَزْهَـدُ
لَوْ كَانَ فى تَزْهِيدِه صَادِقاً ... أَضْحَى وأَمْسَى بيتَه المَسْجِـدُ[2]
يَخَـافُ أَنْ تَنفَد أرزاقُه ... والرِّزْقُ عنـد الله لا يَنْفَدُ[3]
والرزق مَقْسُومٌ على مَنْ تَرَى ... ينـالُه الأَبيضُ والأَسْوَدُ

فالتفتَ أبو العَتَاهية إليْه وقال : مَنْ هَذَا ؟ قالوا : الجمّاز وهو ابن أخت سَلْم الخَاسِر اقْتَصّ[4] الخالِه منك ؛ فأقْبَـل عليه وقال : يا ابْنَ أَخِى ، إنى لم أذهب حيث ظننتَ ولا ظَنّ[5] خَالُك ، ولا أردت أن أهتف به ، وإنما خاطبتُه كما يخاطب الرجلُ صَدِيقَه ، والله يغفرُ لـكُما ، ثم قام فخرج .

وخَرَج[6] إلى دار أُمِّ جعفر فقالَتْ له : أنشِدْنى ما أَنْشَدْتَ أميرَ المُؤْمنين ، فقال :

يا عَمُودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ ... والَّذِى صِيغَ مِنْ حَيَاءٍ وَجُودِ
والذى فيه ما يُسَلِّى ذَوِى الأَحْـ ... ـزَانِ عن كُلِّ هَالِكٍ مَفْقُود
والأمينَ المُهَذَّبَ الهاشِمِىَّ الْـ ... ـقَرْمَ محضَ الآباءِ محضَ الجُدُود
إنَّ يوماً أراكَ فيـه لَيَوْمٌ ... طلَعت شَمْسُه بسَعْدِ السُّعُود

فقالَتْ له أُمّ جَعْفَر : الآن وَفَّيْتَ المديحَ حَقَّه ، وأمرت له بعشَرَة آلافِ دِرْهَم .

---

(١) فى ت : الزهد .
(٢) فى ت : لغى وأضحى بيته المسجد ، والتصحيح من غ .
(٣) فى ت : يخاف أن تبعد أرزاقه ... لا يبعد .
(٤) فى غ : انتصر .
(٥) فى ت : حبطت .
(٦) جاء هذا الخبر فى الأغانى ٢١/١٧ طبع ليدن فى ترجمة « أم جعفر » .

قال(١) صَالِح بنُ الرَّشِيد : كُنَّا عِند المأمُون وعَقِيدٌ المُغَنِّى وعَمرُو بن بانة يغَنِّيَان وعيسَى بن زَيْنَب المرَاكِبيّ حَاضِر ، وكان مشهوراً بالأُبنَة ، فغنى عَقِيدٌ فى شعر قيل فى عيسى وضمن فيه البيت الأول :

يا عَمودَ الإسلام خيرَ عَمُودِ ... والذى صِيغَ من حَياءٍ وجُودِ
لك عِندى فى كل يوم جَدِيدٍ ... طُرْفَةٌ تُستفَادُ يا ابنَ الرَّشِيدِ

فقال المأمون لِعَقيد : أنشدنى بَاقِى الأبْيَات ، فقال : أَصُونُ سمع أمير المؤمنين عنها ، فقال : هاته ويحك [إن جَمِيلَ الأَدَبِ وغيرَه جَمِيل](٢) فأنشده :

كنتُ فى مجلس أَنِيقٍ ورَيْحَا ... نٍ وراحٍ ومُسْمِعاتٍ وعُودِ
فتَغَنَّى عمرُو بن بانَةَ إذ ذا ... كَ وهو مُمْسِك بأَيْرِ عَقِيدِ
يا عمودَ الإسْلَام خَيْرَ عَمُودِ ... والذى صيغ من حَياءٍ وجُودِ
فَتَنَفَّسْتُ ثم قُلْتُ كذا كُـ ... ـل مُحِبٍّ صَبِّ الفؤادِ عَمِيدِ

فقال أَميرُ المؤمنين لعيسَى بْنِ زَيْنَب : والله لا فارقْتُك حتى تخبرنى عن تَنَفُّسك عندقَبْض عَمْرو على أَيْرِ عَقِيد ، لأَىِّ شَىْء تنفَّسْت؟ ! لا بُدَّ أن يكون ذلك أَسَفاً عليه بِعينْه أو على ما يَكُونُ مِثْلَه ؛ لَعَنَ الله تنفُّسَكَ هذا يا مُرِيب . وسُمِىَّ المرَاكِبِىّ لأَن أَبَاه عبدَ الله بن إسمَاعيل صَاحِبُ مَرَاكِبِ المَنْصُور ، وأُمُّه زَيْنَب بنت بشر صاحب طاقات بشر بِبَابِ الشام .

اجتمع أَبو نواس وأَبُو الشَّمَقْمَق فى بَيْت ابن أَذَيْن ، وجاء أَبُو العَتَاهية وكان بينه وبين أَبِى الشَّمَقْمَق شرّ فخبؤوه من أبى العَتَاهِيَة فى بيت ، ودَخل أَبو العَتَاهِية

---

(١) جاء هذا الخبر فى ترجمة عقيد فى الجزء الحادى والعشرين من كتاب الأغانى ١٩ طبع ليدن .

(٢) زيادة فى ت .

فنَظَر إلى غلام عندهم فيه تَأْنيث ، فظَنَّ أَنَّه جارية ، فقال لابنِ أُذَين : مَتَى حَصَّلت[(١)] هَذِه الجارِية ؟ فقال : قَرِيباً يا أبا إسْحَاق ، ثم قال له : قل فيها ما حَضَر ، فمدَّ أَبُو العَتَاهِيَة يده فقال :

مددتُ كَفِّى نحــوَكم سَائِـلًا ماذا تَرُدُّون عــلى السَّائِل

فلَم يلبَثْ أَبُو الشَّمَقْمَق حتى ناداه[(٢)] من البيْتِ :

نَرُدُّ فى كفــك ذا فَيْشَــةٍ يَشْفِى[(٣)] جَوًى فى اسْتِك من دَاخلِ

فقال أبو العتاهية : شمقمق والله ! وقام مُغْضَباً .

وقال سليمان بن مُنَاذِر : كنتُ عند جَعْفَر بن يَحْيَى وأبو العَتَاهِية حاضِر ؛ فقال أَبُو العَتَاهِيَة لجعفر : جَعَلَنِى اللهُ فِدَاك ، عندكم شاعِر يعرف بابْن أَبِى أُمَيَّة ، أحب أن أسمعه يُنْشِد ؛ فقال جعفر : هو أَقربُ الناس مِنْك ، فأَقْبَـلَ أبو العتاهية على ابن أَبِى أُمَيَّة وسأله أن يُنْشِدَه فأنشد :

رُبَّ وَعْدٍ[(٤)] منكِ لا أَنْساه لِى أوجَبَ الشُكرَ وإن لم تَفْعَل
أقطعُ الدهرَ بوعْـدٍ حَسَنٍ وأُجَلِّى غَمْرةً[(٥)] ما تَنْجَلِى
كُلَّما أَمَّلتُ يوماً[(٦)] صَالِحًا عَرَض المكروهُ دون الأَمَلِ
وأَرَى الأَيَّامَ لا تُدنِى الَّذِى أرتَجِى منك وتُدْنِى أَجَلِى

فأقبل أبو العَتَاهِيَة يُرَدِّدُ البيت الأَخِير ويُقَبِّل رأسَ ابْنِ أَبِى أُمَيَّة ويَبْكِى ، ويقول : وَدِدْتُ أَنَّه لى بِكَثِيرٍ من شِعْرِى .

---

(١) فى غ : استظرفت .
(٢) فى ت : باداه .
(٣) فى غ : تشفى .
(٤) كذا فى غ والتجريد . وفى ت : إن وعدا .
(٥) فى ت : وأخل غيره ، والتصحيح من الأغانى .
(٦) كذ فى ت والتجريد وفى غ : وعدا .

وكانت لأبى العَتَاهِيَة بِنْتَان ، تُسَمَّى أَحَدُهما « لِلّه » والأُخْرَى « بِاللّه » فخطَب منصورُ بن المهدى « لِلّه » فلم يُزَوِّجه ، وقال : إنَّمَا طلبها لأنها بنتُ أبى العَتَاهِيَة ، وكأنِّى به قد مَلَّها فلم يَكُن للانْتِصَاف منه سَبِيل ، وما كنتِ أزوِّجها إلَّا لبائع الخزَف ، ولكنِّى أَخْتَارُهُ لها مُوسِرًا .

وكان له ابن يقال له مُحَمَّد وكان شاعرا وهو القائل :

قد أَفْلَحَ السَّالِمُ[1] الصَّمُوتُ   كَلَامُ راعِى الكلام قُوتُ
ما كل نُطْقٍ له جَوَابٌ   جَوَابُ ما يُكْرَه السُّكُوت
يا عجبا لامرئٍ ظَلُومٍ   مُستيقِنٍ أنَّه يَمُوتُ

وفى شعر أَبى العَتَاهِيَة :

ما أسرعَ الأَيَّامَ فى الشَّهْرِ   وأَسْرَعَ الأَشْهُرَ فى العُمْرِ
ليسَ لِمَن لَيْسَت له حِيلَةٌ   موجودَةٌ خيرٌ من الصَّبْرِ
فاخْطُ مع الدهر إذَا ما خَطَا   وأُجْرِ[2] مع الدهر كما يَجْرِى
مَنْ سَابَقَ الدهرَ كَبَا كَبْوَةً   لم يستقِلْها آخرَ الدَّهْر

قال أبو العَتَاهِية : ما زَالَ الفَضْلُ بنُ الرَّبِيع من أَمْيَلِ النَّاس إلَىَّ ، فلما رجَع من خُراسان بعد مَوْت الرَّشيد دخلت إليه فاستَنْشَدنى ، فأنشدتُه من أبيات :

أفنيتَ عمرَكَ إدْبَارًا وإقْبَالا   تَبْغِى البَنِينَ وتَبْغِى الأَهْلَ والمَالَا
الموتُ هَوْلٌ فكن ما عِشْتَ[3] ملتمسا   من هَوْلِه حِيلةً إن كنتَ مُحْتَالا
أَلَمْ تَرَ المَلِكَ الأَمْسِىَّ حِينَ مَضَى   هل نال حَىٌّ من الدُّنْيَا كما نَالَا

(١) كذا فى غ والتجريد وفى ت : الساكت .
(٢) فى ت : واصبر .
(٣) فى غ : ما شئت .

أفناه من لم يَزَلْ يُفنِي القرونَ فقد أمسى[1] وأصبح عنه الملكُ قد زالا
— كم من ملوكٍ مضى رَيْبُ الزمان بهم قد أَصْبَحُوا عِبَرا فِيناً وأَمْثَالا

فاستحسنها وقال لى : أنت تعرف شُغْلى ، فعُدْ[2] إلىَّ وقت فراغى أقْعُدْ معك وآنَسْ بك ؛ فلم أزل أراقب أيَّامه حتى كان يومُ فراغه فصرت إليه فيه ، فبينما هو مُقْبِل علىَّ يسألنى ويَسْتَنْشِدُنى إذْ أَنْشَدتُه :

وَلَّى الشبابُ فَمَالَه من حِيلَة وكَسَا ذُؤَابتِىَ المَشِيبُ خِمَارا
أينَ[3] البَرَامِكَةُ الذين عهدتّهم بالأمس أعظمَ أَهْلِها أَخْطَارا

فلما سمع ذِكْرَ البَرَامكة تغيَّر لونُه ورأيتُ الكَرَاهِيَة فى وَجْهِه فما رأيتُ منه خَيْرًا بعد ذلك .

قال أبو العتاهية : وحدثتُ بذلك أَبَا مُحمَّد الحسنَ بْنَ سَهْل ؛ فقال : لئِن كان ذَلِك ضَرَّكَ عند الفضْل بن الرَّبيع لقد نَفَعَك عندنا ، وأمر له بعَشْرة آلافِ دِرْهم وعَشْرة أَثْوَاب ، وأجرى له فى كلّ شهر ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يقبضها[4] حتى مات .

قال أبو العتاهية : حبَسَنى الرَّشِيدُ لَمَّا تركتُ قولَ الشّعر ، فأُدخِلتُ السجنَ ، وأُغلِقَ البابُ [عَلَىَّ] فدَهِشت كما يَدْهَش مِثْلى لِمثل تِلْكَ الحال ، فإذَا أنا برجل جالسٍ فى جانب الحبس مُقَيَّد ، فجعلتُ أنظرُ إليه سَاعَةً ثم تمثل .

تعودتُ مَسّ الضر[5] حتى أَلِفْتُه وأسلمنى حَسْنُ العَزَاء إلَى الصَّبْرِ

---

(١) فى غ : أضحى .
(٢) فى ت : فاقعد .
(٣) فى ت : إن .
(٤) فى غ : يقبلها دارة .
(٥) كذا فى ت والتجريد . وفى غ : مر الصبر .

وصيَّرَنِي يأسِى من النَّاس راجياً ... لِحُسن صَنِيع اللهِ من حيثُ لا أَدْرِي

[ووسَّع صَبْرِي للأَذَى كثرةُ الأذى ... وإنْ كان أحيانا يَضِيقُ به صَدْرِي][1]

فقلتُ أعِد أَعَزّك[2] الله هذين البيتين فقال : ويحك[3] ياأباالعتاهية ! ماأسوأ أدبك وأقَلَّ عقلك ! دخلت عَلَىّ السجن[4] فما سلَّمت تَسْلِيم المُسلِم على المُسلم ، ولا سألتَ مسألة الحُرِّ للحر ، ولا توجَّعت تَوَجُّع المُبتلَى للمُبتلَى ، حتى إذا سمعت أبياتاً من الشعر — الذى لا فَضْلَ فيك غيرُه — لم تَصْبِر عن استعادَتِه . ولم تُقَدِّم قبل مسألتك عنه عُذْراً لنفسك فى طلبه ! فقلت : يا أَخِى إنِّى دَهِشْتُ لهذه الحال ، فلا تَعذِلْنِى واعذُرنى متفضِّلا بذلك ؛ فقال : والله أَنَا أوْلَى بالدَّهَش والحَيْرة مِنْك ، لأنَّك حُبِست فى أَن تقول شِعْراً بـه ارتفعتَ وبلغتَ ما بلغتَ ، فإذا قُلتَ أُمِّنتَ ، وأنا مأْخوذٌ بأَنْ أَدُلَّ على ابْن رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُقْتَلَ أو أُقْتلَ دونه ، ووالله لا أَدُلُّ عليه أبدا ، والساعةَ يُدعَى بِى فأُقتَل ، فأيُّنا أحقُّ بالدَّهَش ؟ فقلت : أنت والله أَوْلى ، سَلَّمك الله وكَفَاك ، ولو علمتُ أن هـذا حَالُك ما سألتُك ، فقال : لا نَبْخَلُ عليك إذاً ، ثم أعاد الأبياتَ حتى حَفِظتُها . فسألتُه من هو ؟ فقال : أنا خاصٌّ[5] داعِيةُ عيسى بن زيد وابنهِ أحمد ، ولم نَلْبَث أَنْ سَمِعنا صوت الأَقْفَال ، فقام فسكَب عليه ماء كان عنده فى جَرّة ، ولَبس ثوبا نَظِيفاً ، ثم دخل الحرس والجُنْد ومعهم الشمع فأُخرِجْنَا[6] جميعا ، وقُدِّم قَبْلى إلى الرشيد ، فسأله عن أحمد ابن عيسى ، فقال : لا تسأَلْنِى عنه واصنع ما أنت صَانِع فـلو أنه تَحْت ثوبى

(١) لم يرد البيت فى غ . والسياق بعد ذلك يدل على أنهما بيتان مرة وإلى أنها أبيات مرة أخرى .

(٢) فى غ : يرحمك .

(٣) فى غ : ويلك .

(٤) فى غ : الحبس .

(٥) فى ت : حاضر .

(٦) فى غ : فأخرجونا .

ما كَشفْتُ عنه ، فأمر بضَرْب عُنُقه فضُرِبت ، ثم قال : أَظُنُّكَ قد ارتَعتَ ، فقلت ، دُونَ ما رأيتُ تَسِيل منه النفوس ، فقال : ردّوه إلى مَحْبِسه ، فرُدِدْتُ . وانتحَلْتُ البَيْتَين وزدْتُ فيهما :

إذا أنا لم أَقبَل مِنَ الدَّهْر كُلَّ ما تَكَرَّهْتُ[1] منه طَالَ عَتْبِي على الدَّهْرِ

قيل لأَبي العَتَاهِيَة : مالك تَبْخَل بِمَا رزقَك الله ؟ فقال : واللهِ ما بَخِلْتُ بما رَزَقَنِى الله قَطّ ! قيل : وكيف ذَلِك وفى بَيْتِك من المَال مالا يُحْصَى ! فقال : ليس ذَلِك رزقى ولو كان رزقى لأَنْفَقْتُه .

قال محمد بن عبد الملك الزيات : لما أَحَسَّ المُعْتَصِم بالمَوْتِ قال لابنه الواثق : ذهب والله أبوكَ يا هارون ! لله دَرُّ أَبِى العتاهية حيث يقول :

الموتُ بين الخلق مُشْتَرَكٌ لا سُوقَةٌ يبقَى ولا مَلِكُ
ما ضرَّ أَصْحَابَ القَلِيل وَمَا أَغنَى عَنِ الأَمْلَاكِ ما مَلَكُوا

قال أبو العَتَاهِية : دخلت على يزيد[2] بن مَزْيد ، فأنشدته قصيدتى التى قلت فيها :

كأَنَّكَ فى صَدْرِى إِذَا جئتُ زَائِرًا تُقَدِّر فيه حاجَتِى بِابْتدائِكا
وإنَّ أمِيرَ المؤمنين[3] وغيرَه لَيَعْلَمُ فى الهيجاء فضل غَنَائِكا
كأَنَّكَ عند الكَرِّ فى الحرب إِنَّمَا تَفِرّ من السِّلْم الذى من وَرَائِكا[4]
فما آفة الأبطال[5] غيرُكَ فى الوَغَى ولا آفَةُ الأموال غير حِبَائِكا

قال : فأعطانى عشرة آلاف درهم ، ودابَّةً بسرجها ولجامها[6] .

(١) فى ت : تكرمت .
(٢) فى ت : بدر « تحريف » .
(٣) فى ت : وإن لك الأمر « تحريف » .
(٤) فى ت : فدائكا .
(٥) فى غ والتجريد : الأملاك .
(٦) فى ت : بسرجه ولجامه ، « والدابة تقع على المذكر والمؤنث » .

(قال أبو تمّام الطائى : لأبى العتاهية خمسةُ أبياتٍ ماشاركه فيها أحدٌ ، ولاقدر على مثلها مُتقدّم ولا مُتأخّر فمنها قوله :

ـــ الناسُ فى غفلاتهم ورحى المنيّة تطحنُ

وقوله :

ـــ ألم ترَ أنّ الفقرَ يُرْجى له الغنى وأنّ الغِنى يُخشى عليه من الفقر

وقوله :

ـــ ولمّا استقلّوا بأثقالهم وقد أزمعوا للّذى أزمعوا

ـــ قرنتُ التفاتى بآثارهم وأتبعتهم مُقلةً تدمع

وقوله فى مُوسى الهادى :

ـــ هَبِ الدنيا تساق[1] إليك عفواً أليسَ مَصيرُ ذاكَ إلى الزوال[2]

مرَّ عابدٌ براهب فى صومعة فقال له : عِظنى ؛ فقال : أعظك وعليكم نزل القرآن ، ونبيّكم محمد صلى الله عليه وسلم قريبُ العهدِ بكم ! قال : قلت : نعم ، قال : فاتّعظ ببيتِ شعرٍ لشاعركم أبى العتاهية حيثُ يقول :

تجرّد منْ الدُّنيا فإنّك إنّما وقعتَ إلى الدّنيا وأنتَ مُجرّدُ

مات شيخ ببغداد ، فدفن وأقبل الناسُ على أخيه يُعزّونه ، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جزع شديد ، فعزّاه ثم أنشده :

(١) كذا فى ت والديوان ، وفى غ : تصير .

(٢) كذا فى ت والديوان ، وفى غ : زوال . وفى التجريد أن هذا البيت ثانى بيتين أنشدهما المأمون حينما قال مخاطبا سلما الخاسر :

تعالى الله يا سَلْم بن عمرو أذل الحرصُ أعناقَ الرجال

هب الدنيا تساق إليك جمعا أليس مَصيرُ ذاكَ إلى زوال

لا تأمَنِ الدَّهْرَ والْبَس ... لِكل حِين(١) لِباسَا
لَيَدْفِننَّا أُناسٌ ... كَمَا دَفَنَّا أُناسَا

قال : فانْصَرَفَ النَّاسُ وما حَفِظُوا غيرَ قَوْلِ أَبى العَتَاهِيَة .

قال بعضهم : كنت فى مَجْلِس خُزَيْمَة بن خَازِم وعنده أَبُو العَتَاهِيَة ، فذكر خُزَيْمَةُ ما سَفَكَ من الدماء ، ثم قال : واللهِ ما لَنَا عند الله عُذْر ولا حُجَّة إلَّا رجاء عفوه ومغفرته ؛ ولولا عِزُّ السُّلْطان وكَرَاهَةُ الذِّلَّة ، وأَنْ أَصِيرَ بعد الرياسة سُوقَةً وتَابِعاً — وكُنْتُ مَلِكاً مَتْبُوعاً —(٢) ما كان فى الأرض أَزهدُ ولا أعبدُ مِنِّى ؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برُقعة من أبى العَتَاهِيَة فيها مكتوب :

أراكَ(٣) امرأً ترجو من الله عَفْوَه ... وأنتَ على ما لا يُحِبُّ مُقيمُ
تَدُلُّ على التقوى وأنت مُقَصِّرٌ ... أيا مَن يُدَاوِى الناسَ وهو سَقِيمُ
وإنَّ امْرَأً لم يُلْهِه(٤) اليومَ عن غَدٍ ... تَخَوُّفَ ما يأْتِى به لَحَكِيمُ
وإنَّ امرأً لم يجعل البِرَّ كَنْزَه ... وإنْ كانت الدُّنْيا له لَعَدِيمُ

فغضب خُزَيْمَة ، وقال : ما المعروفُ عند هذا المُلْحِدِ المعتوه(٥) من كنوز البر فَيَرْغَبَ فيه حُرٌّ ؟ فقِيلَ له : وكيف ذلك ؟ قال(٦) : أَلَا تَقْرَأُ : « الذين يَكْنِزُونَ الذهبَ والفِضَّةَ ولا يُنْفِقُونَها فى سَبِيلِ الله » .

كان الرَّشيد يُعجبه غِناء المَلَّاحين فى الزَّلَّالات إذا رَكِبها ، وكان يتأذَّى بفسادِ

---

(١) فى ت : حى .
(٢) فى غ : بعد ما كنت متبوعا .
(٣) فى ت : أتاك « تحريف » .
(٤) فى ت : تلقه « تحريف » .
(٥) فى غ : والله ما المعروف عند هذا المعتوه الملحف . . .
(٦) فى غ : فقال : لأنه من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله .

كَلَامِهم ولَحْنِهم ، فقال : قولوا لِمَن مَعَنا من الشُّعراء يَعْمَلْ لهؤُلَاء شعرا يُغَنُّونَ فيه ؛ فقالوا : ليس أحدٌ أقدَر على هذا من أبى العَتَاهِيَة ، وهو فى الحَبْس . قال : فوجَّه إليه الرشيد أن يقول فى ذلك شِعْرًا ، ولم يأْمر بإطْلَاقه ، فغَاظَه ذلك ، فقال : والله لأقولَنَّ شعرا يُحزِنه ولا يَسُرُّه ، فعَمِل :

خانك الطَّرْفُ الطَّمُوحُ ... أَيُّهــا القَلْبُ الجَمُوحُ
لدوَاعِى الخــيرِ والشَّـ ... ـرِّ دُنُوٌّ ونُزُوح
هل لمطلوبٍ بذنب ... تَوْبَةٌ منــه نَصُوح
موتُ بعضِ الناس فى الأَرْ ... ض على قومٍ فُتُوح
سيَصِيرُ المــرء يوماً ... جَسَدًا ما فيــه رُوح
بين عَيْنَىْ كُلِّ حىٍّ ... علَم المــوتِ يَلُوح
كُلُّنا فى غَفْلَةٍ وَالْـ ... ـموتُ يغــدُو ويَرُوح
لبَنِى الدُّنْيَا من الدُّنْـ ... ـيــا غَبُوقٌ وصَبُوح
رُحْن فى الوَشْى وأقبلْـ ... ـن(١) عليهن المُسُوحُ
نُحْ على نفسك يا مِسْـ ... ـكينُ إن كنتَ تَنُوح
لَتَمُوتَنَّ ولو عُمِّـ ... ـرتَ ما عُمِّــر نُوح

(فبكَى الرشيدُ بكاءً شَدِيدا وانتَحَبَ ، وكان من أَغْزَر النَّاسِ دُمُوعاً وقتَ المَوْعِظَة وأشدِّهم عَسْفا وَقْتَ الغَضَب .)

فلمارأى الفضلُ بن الرَّبيع كَثْرَةَ بكائه أَومأَ إلى الملاحين فسكتوا.

[وقيل : إن الرشيد لمّا أطلق أبا العَتَاهِيَة من الحَبْس لَزِم بيتَه وقَطَع النَّاسَ ، فذكره الرشيد ، فعُرِّفَ خبَرَه . فقال : قولوا له : صِرْتَ زِيرَ نساء وحِلْسَ بيت ، فكَتَب إليه أَبُو العَتَاهِيَة :

(١) فى غ : وأصبحن .

بَرِمْت بالنـاس وأخلاقهم فصِرْتُ أستأنِسُ بالوَحْدَه
ما أكثر الناس لعمرى وما أقلّهم فى حاصل العِـدّهْ

ثم قال : لا يمضى شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدح له ، فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه بها وهى][1] :

عَادَ لِي من ذِكْرها[2] نَصَب فدموع العين تَنْسَكِبُ
وكذاك الُحبُّ صاحبُـه يَعْتَرِيه الهمّ[3] والوَصَبُ
خيْرُ مَن يُرْجَى ومَن يهبُ مَلِكٌ دانت له العـربُ
وحَقِيقٌ أن يُدانَ له مَنْ أبوه لِلنَّـبِيّ أبُ

لَمَّا عَقَدَ الرَّشيدُ لأولاده الثَّلاثةِ العهودَ : الأَمِينِ ، والمَأْمُونِ ، والمُؤْتَمَنِ ، قال أَبُو العَتَاهِيَة :

تَجَافَى عن الدُّنْيَا وأيْقَنَ أنَّهـا مُفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارِ خُـلُودِ
وشَدَّ عُرَى الإسْـلَامِ منه بفِتْيَةٍ ثَلاثَةِ أملاكٍ وُلَاةِ عُهُودِ
هُمُ خَيْرُ أَوْلَادٍ لهم خَيرُ وَالِدٍ له خَـيْرُ آباء مَضَتْ وجُدُودِ
بَنُو المصطفى هارون[4] حول سَرِيره فخيرُ قيـام حولَه وقُعـودِ
تُقَلِّبُ أَلْحَاظَ المَهَابَةِ بينهم عُيونُ ظِباَء فى قُلُوبِ أُسُودِ

فوَصَله الرشيد صِلَةً ما وصَل مثلَها شَاعِراً قطّ .

قال الرِّياشِي : قدم رَسُولُ مَلِك الرُّومِ ، فسَأَل عن أَبى العَتَاهِيَة ، فَلَقِيَه وأَنْشَدَه من شعره ، ومَضَى إلَى بِلَادِ الرُّوم ، وذكره لمَلِك الرُّوم ، فـكَتَبَ

(١) ما بين القوسين سقط من ت ، والتـكملة من غ . وتجريد الأغانى .
(٢) فى ت : عادنى من الرجا .
(٣) فى ت : الحب .
(٤) بياض بالأصل والتـكملة من غ .

ملك الروم يَسْأَلُ الرَّشيد أن يُوَجِّه إليه بأبى العَتَاهِيَة فاستَعْفى منه وأَبَاه ، واتَّصَل بالرَّشِيد أَنَّ مَلِك الروم كتب بَيْتَيْن من شعر أبى العَتَاهِيَة على أبواب مَدِينَته وهما :

ما اخْتَلَفَ الليـــلُ والنهارُ وَلَا دَارَت نُجُومُ السَّماء فى الفَلَك
إلَّا لِنَقْل السُّلْطَان عن[1] مَلِك قد انْقَضَى ملـكُه إلى مَلِك
[ومُلْك ذِى العَرْش دَائِماً أبَدًا لَيْسَ بِفَانٍ ولا بمُشْـتَرَك][2]

قال الرَّشيد لأَبى العَتَاهية عظْنى ؛ فقال : أَخَافُك . فقَال له : أَنْتَ آمن ؛ فقال :

لا تَأْمَن الموتَ فى طَرْفٍ وفى[3] نَفَس إذا تستَّرتَ بالأَبْوَابِ والحَرَس
واْعلَم بأَنَّ سِهَامَ المَوْتِ قاصِدَةٌ لــكلِّ مُـدَّرِعٍ منها ومُتَّرِسِ
تَرْجُو النَّجاةَ ولم تَسْلُكْ مَسَالــكَها[4] إنَّ السَّفِينَةَ لا تَجْرِى على اليَبَس

فبَـكَى الرشيد حتى بَلَّ كُمَّه .

قال مُخَارِق : جَاءَنِى أَبُو العَتَاهِيَة يوماً فقال لى : قد عزَمْت عَلَى أَنْ أَتزَوَّد منك يوماً تهبُــه لى ، فتى تَنْشَط له ؟ فقلت : متى شئْت؛ فقال : أخاف أن تَقْطَع بى؛ فقلت : والله لا فعلْتُ ولو طَلَبنى الخَلِيفَة ، فقال : يـكُون ذَلك فى غد ؛ فقلتُ : أفعلُ. فبَاكَرَنِى رَسُولُه ، فجئتُ ، فأدخَلَنى بيتاً نظيفاً فيه فَرْشٌ نظيف ، ودَعا بمائدة عليها خُبْزٌ سَمِيذ ، وجدْى مَشْوِىّ وبَقْل وخَل ، فأَ كَلْنَا ثم دَعَا بِسَمَك مَشْوِىّ ، فأَصَبْنَا منه ، وغَسَلْنا أيدِينا، وجَاءوا بفاكهة ورَيْحَان وألوان من الأَنْبذَة ، فقال : اخْتَرْ ما يَصْلُح لك ، فاخْتَرْتُ وشَرِبت ؛ وصبَّ قدحا .

---

(١) كذا فى غ والتجريد وفى ت : من .
(٢) لم يرد البيت فى غ ولا فى الديوان .
(٣) فى غ : ولا .
(٤) فى غ : طريقها .

ثم قال غنِّني في قَوْلي :

قَالَ لِي أَحْمَدُ(١) ولم يَدْرِ مَا بِي ... أَتُحِبُّ الغَداةَ عُتْبَةَ حَقَّا

فَتَنَفَّسْتُ ثم قُلْتُ نعم حـ ... ـبًّا جَرَى في العُرُوقِ عِرْقًا فعِرْقَا

فَغَنَّيْتُه فشَرِبَ قدحا وهو يبكي أَحرّ بكاء ثم قال : غنِّني في قولي :

ليسَ لِمَا لَيْسَت لَهُ حِيلَةٌ ... موجودةٌ شيء سِوَى(٢) الصَّبْر

فَغَنَّيتُه وهو يَبْكي وشرب قدحاً آخر . ثم قال غَنِّني فَدَيْتُك في قَوْلي :

خَلِيلَيَّ مَالِي لا تَزالُ مَضَرَّتِي ... تَكُونُ مَعَ الأَقْدارِ حَتْماً من الحَتْمِ

فغنيته ، وما زال يَقْتَرِح عليَّ وأُغَنِّيه ويَشْرَب حتى صارَت العَتَمَة ، فقال لي : أحِب أن تصبر عَلَيَّ حتى ترى ما أصنع ، فجلست فأمر ابنَه وغلامَه فكَسَّرا كُلَّ ما بين أَيْدِينا من النَّبيذ وآلته والملاهي ، وأمر بإخْرَاج كُلِّ ما في بيتِه من النَّبيذ وآلته ، فأُخْرِج جَمِيعُه ، فما زال يكسره ويصبُّ النبيذ وَيبْكِي حَتّى لم يَبْقَ من ذلك شَيء ، ونَزَعَ ثيابه واغتسل ، ولَبِسَ ثيابَ الصُّوف ، وعانقني وبكى . وقَالَ : عليك السَّلَامُ ياحَبِيبِي وفَرَحِي من الناس كلِّهم ، سَلَامَ الفِرَاقِ الّذِي لا لِقاءَ بَعْدَه ؛ وجعل يَبْكي ، ويقول : هذا آخِرُ عَهْدِك بِي في حال تَعاشُرِ أَهْلِ الدّنيا ، فظَنَنتُها بعضَ حماقَاته ، فانصرفت فما لَقِيتُه زمانا ، ثم تَشَوَّقْتُه فأتيته فاستأذنت عليه ، فأَذِنَ لي ، فدخلت عليه ، فإذا هو قد أخذ قَوْصَرَتَيْن فَثَقَبَ إحداهما ، وأدخل رأسَه ويدَيه فِيهَا وأقامها مَقَامَ القَمِيص ، وثَقَبَ الأُخْرَى وأخرج(٣) رِجْلَيه منها وأقامها مَقَامَ السَّرَاويل ، فلمَّا رأيته نسيتُ ما كان عِنْدي من الغَمِّ ، وضَحِكت ضحكا ماضَحِكْت مثلَه قط ؛ فقال : مِن أي شَيْء تَضْحَك ؟ لا ضَحِكْت ! فقلت : أسخَن الله عينك !

(١) في غ : أحمد قال لي . .

(٢) في غ : خير من .

(٣) في ت : فأدخل .

إيش هَذَا ؟ من[1] بَلغَك أَنَّه فَعَل مثَل هذا من الأَنْبياء أو الصَّحَابة أو الزُّهَّاد أو المَجانين ، إِنزِعْ عنك ياسَخِينَ العَيْن ! فكأَنَّه استحْيَا مني ، ثم بَلغَنى أَنَّه جلس حَجَّاما ، فجهدْتُ أن أراه بِتِلْكَ الحالِ فلم أره ، ثم مرِض فبَلَغنى أنه يشتهى[2] أَنْ أغنيَه ، فأتيته عائدا ، فخرج رَسُولَه إلىّ وقال : يَقُولُ لك : إنْ دَخَلْتَ إلىّ جَدّدتَ لى حُزنا وتاقت نَفْسى إلى سَماعك وإلى ما قد غَلَبْتَها عليه[3] ، وأنا أستودِعُك اللّهَ وأعتذر إِلَيْك من تَرْكِ اللقاء[4] فكان آخر عَهْدِى به .

وقيل لأبى العتاهية عند الموت : ما تَشْتَهى ؟ قال: أَشتهى أن يَجِىءَ مُخارِقٌ ويَضَعَ فمه على أُذُنِى ويُغَنِّينى :

سيُعرَضُ عن ذِكْرى وتُنْسَى مودّتى ... ويَحدُثُ بَعْدِى للخَليل خَليلُ
إذا ماانقضت عنّى من الدهر مُدَّتى ... فإنَّ غَناءَ الباكيات قَليلُ

قال محمد بْنُ أَبِى العَتَاهية : آخر شِعْر قاله أبى فى مَرَضه الَّذِى مَات فيه :

إِلَهِى لا تعذِّبْنِى فإنى ... مُقِرٌّ بالَّذِى قد كانَ مِنِّى
ومَالِى حِيلَةٌ إلا رَجَائِى ... لعَفْوِكَ إنْ عفوتَ[5] وحسنُ ظَنِّى
وكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لى فى الخطَايا ... وأنت علىَّ ذو فَضْل ومَنِّ
إذا فكَّرْتُ فى ندَمى عليها ... عَضِضْتُ أَنامِلى وقَرَعْتُ سِنِّى
أُجَنُّ بزهْرة الدُّنْيا جُنُونًا ... وأَقطعُ طُولَ عُمْرِى بالتَّمنِّى
ولو أَنّى صدقت الزهد فيها[6] ... قلبتُ لأهلها ظَهْرَ المِجَنِّ

(١) فى غ : هذا أى شىء هو ؟
(٢) فى ت : يشتهينى .
(٣) فى غ : وتاقت نفسى من سماعك إلى ما قد غلبتها عليه .
(٤) فى غ : الالتقاء .
(٥) فى ت : فعلت .
(٦) فى غ : عنها .

— يظنّ الناسُ بى خيرا وإنّى   لشَرُّ الناس(١) إنْ لَمْ تعفُ عَنّى

(قال مُخارقٌ : تُوفِّى أَبُو العَتاهِية ، وإبراهيمُ المَوْصِلى ، وأَبُو عَمْرو الشَّيْبَانى فى خلافة المَأْمُون فى يَوْم وَاحِد سنة سَبْع وما ئتَيْن(٢)) وقيل : مات هو وَراشِد الخَنَّاق وهَشيمَةُ فى يوم واحد سنة سَبْع ومِائتَيْن(٣) .

قال مُحمّد بنُ سَعْد كاتب الوَاقِدىّ : مات أَبُو العتاهية يوم الاثنين لثمَانٍ خَلَوْن من جمادى الأُولَى سنةَ إِحدى عَشْرَةَ وما ئتَيْن (ودُفِن ببغداد بالجَانِب الغربى حيال قَنْطَرَة الزّيّاتين(٤))

(وقال محمد : إنَّ أَباه مات سَنَةَ عَشر وما ئتَيْن ، ولما مات أمر أن يُكْتَب على قَبْره :

(أُذْنَ حَىٍّ تَسَمَّعى   اسمعِى(٥) ثم عِى وَعِى
— أنا رهنٌ بمَضْجَعِى   فاحذَرِى مِثلَ مَصْرَعِى
— عشتُ تِسْعِين حِجَّةً   أَسْلَمتْنى لمضْجَعِى(٦)
كَمْ تَرَى الحقَّ(٧) ثابتاً   فى دِيارِ التَّزَعْزُعِ
— ليسَ زادٌ سِوَى التُّقَى   نخُذِى منه أودَعِى

وقيل : إنَّ ابنه كان يُنكِرُ أنَّه أوصَى أن يُكتَب على قبره شِعْر .

(١) كذا فى ت والديوان ، وفى غ : الخلق .
(٢) فى غ : ثلاث عشرة ومائتين .
(٣) فى غ : تسع ومائتين .
(٤) كذا فى غ، وفى ت : الرياشى .
(٥) فى ت : فاسمعى .
(٦) فى الديوان وفى غ : فى ديار التزعزع ، ولم يرد فى الديوان هـذا الشطر؛ وكذا الشطر الأول من البيت الذى يليه .
(٧) كذا فى تجريد الأغانى . وفى ت وبعض أصول الأغانى : الحى بدل الحق .

أُمَيَّة بن أَبِى الصَّلْت

(اسمُ أَبِى الصَّلتِ عبدُ الله بن أبى رَبيعة) بن عَوْف بن عُقْدة بن عَنْزَة[1] ابن قَسِىّ[2] وهو ثقيف بن مُنبِّه بن بَكْر بن هوَازن ، وأمّ أميّة رُقيَّة بنت عبد شمس ابن عبد مناف .

وكان أَبُوه أبو الصَّلت شاعِراً ، وهو الذى مَدَحَ سيفَ بْنَ ذِى يزَن وكان له أربعةُ بَنِين أخر : عمرو ورَبيعة وَوَهْب والقاسِم ؛ وكان القاسِم شاعرا ؛ وهو الذى يقول أَنْشَدَنيه الأَخفَشُ وغيرُه عن ثعلب له ، وقيل : هى لأمية :

قومٌ إِذَا نَزَل الغَرِيبُ بِدارِهِم ... رَدّوه رَبَّ صَوَاهِلٍ وقِيَان

لا ينكُتُون الأرضَ عند سُؤَالهم ... لتَطَلُّب[3] العِلّاتِ بالعِيدان

[بل يَبْسُطُون وجُوهَهم فترَى لها ... عِنْدَ السُّؤَال كأَحْسَنِ الأَلْوَان][4]

يمدح بها عبدَ الله بن جُدْعَان وأوَّلُها :

قومى ثَقِيفٌ إنْ سألتَ وأُسْرتى ... وبهم أُدافِعُ رُكْنَ مَنْ عادَانِى

(وكان أُميَّة قد قرأ كتاب الله عَزّ وجل الأول ، وكان يأتى فى شِعْرِه بأشياء لا تَعْرِفُها العرب .)

قال أبو عُبَيْدة : اتّفقت العرب على أنّ أشعرَ أهل المدر[5] أهلُ يَثْرِب ثم عَبْدُ القَيْس ثم ثَقِيف ، وكان أشعرَ ثَقِيف أُمَيَّةُ بن أَبى الصَّلْت .

---

(١) كذا فى ت وغ ، وفى كتاب الشعر والشعراء : غيره « وزان عنبة » اسم قبيلة أيضا.

(٢) فى ت : قيس .

(٣) فى غ : لتلمس .

(٤) لم يرد هذا البيت فى غ .

(٥) فى غ : المدن .

وكان الكُميْتُ يقول : أُمَيَّة أَشْعَرُ النَّاس ، قَالَ : فقَال كما قُلْنا ؛ وقُلْنا ، فلم نَقُل كما قال[١] .

وكان أمَيَّة قد لَبِس المُسُوحَ تَعبُّدًا ، وكان مِمَّن ذَكَر إبْرَاهِيمَ وإسماعيلَ عليهِمَا السَّلَام والحَنِيفِيَّة ، وحَرَّم الخمرَ وشَكَّ فى الأَوْثَان ، وكان مُحَقِّقًا[٢] ، والْتَمَسَ الدِّين وطَمِعَ فى النُّبوَّة ؛ لأنه قرأ فى الكُتُب أَنَّ نَبِيًّا يُبعَثُ من العَرَب ؛ فكان يَرْجُو أن يكُونَه . فلما بُعِثَ النبى صلى الله عليه وسلم قِيلَ لَه : هذا الذى كنت تَقُولُ فيه ؛ فحَسَده عَدُوُّ الله وقال : إنَّما كنتُ أرجو أن أكُونَه ؛ فأنزل الله تعالى فيه : « واتْلُ عَلَيْهِم نَبأَ الَّذِى آتيناه آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها » .

وهو الذى يقول :

كُلُّ دِينٍ يومَ القِيامة عند الله ٭ إلَّا دِينَ الحَنِيفَة زُورُ

وكان يُحرِّضُ قريشاً بعد بَدْر ، ويَرْثى من قُتِل من قُرَيْش فى وَقْعَة بدر بأَشْياء منها :

ماذا بِبَدْرٍ والعَقَنْـ ٭ قَلُ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَحَاجِحْ[٣]

وهى قصيدة نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ عن رِوَايَتِها .

ويقال : إنَّ أُمَيَّة قَدِم على أَهْلِ مَكَّة فأَخَذُوا عنه : باسْمِكَ اللَّهم ، فجَعَلُوها مكان : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمن الرَّحِيم » .

وقال الحَجَّاج على المِنْبَر : ذَهَبَ الَّذِين يعرِفُون شِعْرَ أُمَيَّة ، وكذلك انْدِرَاسُ الكَلَام[٤] .

---

(١) فى غ : قال كما قلنا ولم نقل كما قال .

(٢) فى ت : وصام

(٣) العقنقل : كثيب رمل ببدر . والمرازبة: جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع ، معرب وأصله فارسى . وجحاجح : جمع جحجح ، وهو السيد المسارع فى المكارم .

(٤) فى ت : تدارس العلم ؛ والتصحيح من غ .

ذكر خالدُ بْنُ يزيد أَنَّ أَميَّة وأبا سُفيان اصْطَحَبَا فى تجارة إلى الشَّام وأنه سَأله عن عُتْبَةَ بْنِ رَبيعة: كم سِنّه ؟ فذكر سناًّ ، ثم قال : أخبرنى عن مالِه ، فذكر مالاً ، فقال له : وضعته . فقال أَبُو سُفْيان: بل رَفَعْتُه ، فقال : إنَّ صاحبَ هذا الأَمر ليْسَ شَيْخًا ، ولا ذَا مَال .

وكان لمَّا خَرجَ إِلَى الشام مَرَّ بكنيسة فقال أَميَّة : إنَّ لى حاجةً فى هذه الكَنيسة فانتَظِرُونى ، فدخل الكنيسةَ وأَبْطَأَ ، ثم رجع كَاسِفًا مُتَغيِّرا ، فرَمَى بنَفْسه ، فأقامُوا عليه حَتَّى سُرِّى عنه ، ثم مَضَوا فقضَوا حَوائجهم ثم رَجَعُوا ، فلما صارُوا إلَى الكَنيسَة قال لهم : انتظِرونى ودخل أيضا فأَبطأ ، ثم خرج بأَسْوءِ حالٍ من حالتِه الأولى ، فقال له أَبُو سُفْيان بن حرب : قد شَقَقْتَ على رُفْقَتِكَ[١] ، فقالَ : خلُّونى؛ فإنى أرتاد لنفسى،وأنظر لمَعادى[٢].هاهنا رَاهِبٌ عالِم، أخبرَنى أَنَّه يكون بعدَ عيسَى ست رَجْعَات[٣] ، وقد مَضَت منها خَمْس وبَقِيت وَاحِدَة ، فخرجت وأنا أطمَعُ فى النُّبُوَّة وأخاف أن تُخْطِئنى ، فأصَابنى ما رأيت أولا ؛ فلما رجعتُ ثانيةً قال لى: قد كانت الرَّجْعَة[٤] ، وقد بُعث نَبِيٌّ العَرَب فأَيِسْتُ[٥] من النبوة ، وأَصابَنى ما رأيت ، إذْ فاتَنِى ما كُنتُ أطمَعُ فيه . (وكان الراهِبُ أيأسه وأخبره أن الأمرَ لرجل من قُرَيْش .)

قال الزُهْرِى : وأتى أُميّة أَبَا بكر فقَال له : يا أَبَا بكر ، عَمِى الخبرُ ، فهل أحسَسْتَ شيئاً ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدتُه يخْرُج العامَ .

---

(١) فى غ : رفقائك .

(٢) فى غ : فإنى أرتاد لنفسى لمعادى .

(٣) فى ت : رجفات .

(٤) فى ت : الرجفة .

(٥) فى غ : فيئست .

وكان أمية جالسًا ، فمرّت به غنم فثغت منها شاة ، فقال للقوم : هل تدرُون ما تقول ؟ قالوا : لا ؛ قال : قالت لسخلتها : مُرِّي لا يجيء الذِّئب فيأ كلك كما أكل أختك عامَ أوّل فى هـذا الموْضع ، فقال بعضُ القوم للرّاعى : أخبرنا عن هذه الشّاة التى ثغت ألها سخلة ؟ قال : نعم ، هذه سخلتها ؛ قال : أكانت[١] لها عامَ أوّل سخلة ؟ قال : نعم أكلها الذِّئبُ ها هنا .

(قال الأصمعى : ذهب أُميَّة فى شعره بعامّة ذِكْرِ الآخرة ، وذهب عنترةُ بعامّة ذكر الحرب ، وذهب عُمر بنُ أبى ربيعة بعامّة ذِكْرِ الشَّباب)

خرج ركْبٌ من ثقيفٍ إلى الشأم ، وفيهم أُميَّةُ بن أبى الصَّلْت فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا ليتعشَّوْا بعشاء ، إذ أقبلت عظايةٌ حتى قربت[٢] منهم ، فحصبها بعضهم بشيء فى وجهها ، فرجعت ، وكفتوا[٣] سُفرتهم ثم قاموا يرحلون ، فطلعت عليهم عجوزٌ من وراء كثيبٍ هناك تتوكّأ على عصا ، فقالت لهم : ما منعكم أن تُطعِمُوا رجيمةَ[٤] الجارية اليتيمة التى جاءتكم عشيَّة[٥] ؟ فقالوا : ما أنتِ ؟ قالت : أنا أُمُّ العوّام أيِّمتُ[٦] منذ أعوام ؛ أما وربِّ العباد ، لتنفِرون[٧] فى البلادِ ؛ وضربت بعصاها الأرضَ ، ثم قالت : أَطِيلى أناتَهم[٨] ، ونفِّرِى رِكابَهم ؛ فنفرت[٩] الإبل كأنَّ على ذِرْوة كلّ بعير شيطان ، ما نملِك منها شيئًا ، حتى

(١) فى ت : فكانت .

(٢) فى غ : دنت .

(٣) فى ت كتبوا . والتصحيح من غ .

(٤) فى ت : رحيمة .

(٥) فى ت غشيمة .

(٦) فى غ : إمت .

(٧) فى غ : لتفترقن .

(٨) فى غ بطئى إيابهم .

(٩) فى غ فوثبت .

تَفرَّقَت فى الوادِى ، فجَمَعْنَاهَا فى آخر النهار مِنْ غَد ولم نــكَد ، فلما أَنَخْنَاها لرحْلِها[١] طلمت علينا العَجُوزُ وقالت كقولها بالأمس ، ففعلت الإبل كفِعْلِها بالأمس ، فلم نَجْمَعْها إلَّا[٢] الغد عَشِيًّا ، فلما أنَخْنَاها لرحْلِها ، أقبلت العَجُوزُ ففعلت كفِعْلِها فى اليوْمَيْن ، فتفرَّقَت[٣] الإبل ، فقلنا لأُمَيَّة : أينَ ما كُنتَ تُخْبِرنا به عن نَفْسِك ؟ فقال : اذهبوا أنتم فى طَلَب الإبل ودَعُونى ﴿وتوجّه إلى الـكَثِيب الذى كانت العجوزُ تأتِى منه حتى عَلَاه ، وهبط منه إلى وادٍ ، فإذا فيه كَنِيسةٌ ، وإذا رجل مُضطجع مُعترِض على بابها ، وإذا رجل آخر جَالِس أبيضُ الرأس واللِّحْية ؛ فلما رأى أُمَيَّة قال : إنك لَمَتْبُوعٌ فمن أيْنَ يأتيك صَاحِبُك ؟ قال : من أُذُنِى اليُسْرَى . قال : فبأىِّ الثِّيَاب يأمُرك ؟ قال : بالسَّوَاد . قال : هذا خبط[٤] من الجن ، كدت أن تــكونَ نَبِيَّ العرَب ولم تَفْعل ، إنَّ صاحبَ النبوّة يأْتِيه صَاحِبُه من قِبَل أُذُنِه اليُمْنى ، ويأمره بلبس البياض﴾ ؛ فما حَاجَتُك ؟ فحدّثه حَدِيثَ العَجُوز ؛ قال : صدقت هى امرأة يهودية[٥] من الجنّ ، هلك زَوْجُها منذ أعوام ، وأنها لا تزال تَصْنَع ذلك بكم حتى تُهلِكـكم إن استطاعت ؛ قال أمية : وما الحِيلَة ؟ قال : أَجْمِعُوا ظَهْرَكم ، فإذَا جاءت ففعلت كما كانت تفعل ، فقولوا لها : سبعٌ من فوق وسَبْعٌ من أَسْفَل باُسْمِك اللَّهُمّ ؛ فلن تضركم ؛ فرجَع إليهم أُمَيَّة وقد جَمَعُوا الظَّهْر ، فلمَّا أقبلت قال لها ما أَمَره الشيخُ به ، فلم تضرّهم ، فلما رأت الإبلَ لم تتَحرَّك قالت : قد عرفْتُ صاحِبَــكم ، لَيَبْيَضَنَّ أعلاه ولَيَسْوَدَنَّ أسفَلُه ، فأصبح أُمَيَّة وقد برِص فى عِذَارَيْه ،

(١) فى غ : لنرحلها .
(٢) فى ت : إلى .
(٣) فى غ : ونفرت .
(٤) فى غ : خطيب وفى التجريد : خاطر .
(٥) فى ت : بهولية .

واُسْوَدّ أسفلُه ، فلما قدِمُوا مَـكّةَ ذكروا لهم ذلك ، فـكان أول ما كتب أهل مكة فى كُتُبِهم : « بِاُسْمِكَ اللّهُمّ » .

وقال الزّهْرِىّ : دخل يوما أُمَيَّة بن أَبِى الصَّلْت على أختِه وهى تُهَـيِّئُ أَدَماً لهَا ، فنام على سرير فى نَاحِيَة البيتِ ، قال : فانشَقَّ جانبٌ من سَقْفِ البَيْت وإذا بطائِرَيْن ، فوقع أحدُهما على صَدْره ، ووقف الآخر مكانَه ، فشقَّ الواقِعُ صدرَه ، فأَخْرجَ قَلْبَه فشقَّه ، فقال الطائرُ الأعلى[1] للطائر الذى على صدره : أَوَعَى ! قال : وَعَى ؟ قال : أَقبِـل ؟ قال: أَبَى ، فردَّ الطائرُ قلبَه فى مَوْضِعهِ ، ثم نهض فأتبَعَهما أُمَيَّةُ طرفَه وقال :

لبَّيـكُما لبَّيْــكُما هأ أنا ذا لدَيْـكُمَا

لا برِىءٌ فأعتذِر ، ولا ذو عَشِيرة فأَنْتَـصِر . فرجَع الطائر فوَقع على صدره فَشَقَّه ، وأخرج قلبه فَشَقَّه ، فقال الطَّائِرُ الأعْلَى : أَوَعَى ؟ فقال : وعى ، قال : أَقبِل ؟ قال : أبى ، فَردَّ قلبَه ثم نهض فأتبعهما أُميةُ طرفه وقال :

لَبَّيـكُما لَبَّيْــكُما هـا أَنَا ذَا لَدَيْـكُما

محفُوفٌ بالنعم ، محُوظٌ من الرِّيَب . قال : فرجع الطائر فوَقَع على صَدْره فشقه ، ثم أَخْرَج قلبَه فشقَّه ، فقال له الأَعْلَى : أَوَعَى ؟ قال : وَعَى ، قال : أَقبِـل ؟ قال : أَبَى ، ونَهَضَ فأتبعهما طَرْفَهُ فقال :

لَبَّيْــكُما لَبَّيْــكُما هـــا أَنَا ذَا لَدَيْـكما
إن تَغْفِرِ اللّهم تَغْفِرْ جَمَّا وأَىُّ عَبْدٍ لَكَ ما أَلَمَّا

ثم انْطبَق السقفُ وجَلَس أُمَيَّة يَمْسَحُ صدرَه ، فقالت أخته : يا أخى ، أَتجِدُ شَيْئاً ؟ قال : لا ولـكنى أَجِد حَرًّا فى صدرى ، ثم أنشد :

ليتَنِى كنتُ قَبْلَ ماقدْ بَدَا لِي فى قِنَانِ الجِبَالِ أَرْعَى الوُعُولا

---

(١) فى غ : الواقف .

قال عكرمة : أُنشِدَ النبي صلى الله عليه وسلم قولَ أُميَّة :

الحمــد لله مُمْسَانَا ومُصْبَحَنَا ... بالخيرِ صَبَّحنا رَبِّى ومَسَّانَا
أَلَا نبيٌّ لنــا منَّا فيُخــبِرَنَا ... ما بعدَ غايتِنا من رَأْس مَحْيَانَا
بَيْنا يُرَبِّينَا آباؤُنا هَلَــكُوا ... وبينما نَقْتَنِى(١) الأولادَ أَفْنَانَا
وقد عَلِمْنا لو أَنَّ العِلْمَ يَنفَعُنَا ... أَنْ سوفَ يَلحقُ أُخْرَانَا بأُولَانَا

فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « إِنْ كاد أمية لَيُسْلِم » .

وعتِب أُمَيَّة على وَلَد له ، وكان عاقًّا له . فقال فيه :

غَذَوْتُك مولوداً وعُلْتُك يافِعاً ... تُعَــلُّ بمــا أَجْنِى عليك وتُنْهَــلُ
إذا ليلةٌ تأتيك بالشــكو(٢) لم أَبِتْ ... لشــكواكَ إلّا ساهِراً أتمَلْمَــلُ
كأنِّى أنا المَطْرُوق دُونك بالَّذى ... طُرِقْتَ به دُونِى فعَيْنِىَ تَهْمُــلُ
تخافُ الرَّدَى نَفْسِى عَلَيْك وإنَّها ... لتعلم(٣) أَنَّ الموتَ وقت(٤) مُؤَجَّلُ
فلمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ والغَايَة الَّتِى ... إليها مَدَى ما كُنْتُ منك(٥) أُؤَمِّل
جعلتَ جَزَائِى غِلْظَةً وفَظَاظَــةً ... كأنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّل
[وسَمَّيْتَنِى باسم المُفَنَّدِ رأْيُــه ... وفى رأيك التَّفْنِيدُ لو كُنتَ تَعْقِل
فليتَكَ إذْ لم تَرْعَ حَــقَّ أُبوَّتى ... فعلتَ كما الجارُ المجاور يفعلُ](٦)

قال أبو بكر الهُذَلِي لعِــكْرَمة : ما رأيتَ ما بَلَغَنا(٧) عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) كذا فى غ ، وفى ت : نغنى .
(٢) فى غ : آبتك بالشجو وفى شرح ديوان الحماسة : نابتك بالشــكو .
(٣) فى غ : وإننى لأعلم .
(٤) فى غ: حتم .
(٥) فى غ : فيك .
(٦) لم يرد البيتان الأخيران فى غ وجاء فى التجريد .
(٧) فى غ : ما رأيت من يبلغنا .

أَنَّه قال لأُمَيَّة : « آمَنَ شِعرُه وكفر قَلْبُه » فقال : هو حق ، وما الذى أَنْكَرْتم ؟ فقلت : أنكرنا قولَه :

والشمس تطلُع كلَّ آخر ليلةٍ حمراء تطالع[1] لونها مُتَوَرِّدُ

تأْبَى وما تبدو لنا فى رِسْلِهَا إِلَّا مُعذَّبَةً وإلا تُجْلَدُ

فما شأن[2] الشمس تُجْلَدُ ؟ فقال : والَّذى نَفْسِى بِيَدِهِ ، ما طَلَعت قطّ حتى يَحُثُّها[3] سَبْعُونَ ألفَ مَلكٍ يقولون لها : اُطلُعِى ؛ فتقول : كيف أطلُع على قوم يَعْبُدُونَنِى من دون الله تعالى ! قال : فيأْتِيها شَيْطَان حين تَسْتَقْبِل الضِّياءَ يريد أن يَصُدَّهَا عن الطُّلوع ، فتطْلُع على قَرْنَيه فيُحْرِقُه الله بحرِّها ، وما غربت قطّ إلا خرَّت لله ساجدةً ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن السُّجُود ، فتغرُب على قَرْنَيْه فتحْرِقُه ، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تطلُع بين قَرْنَى شَيْطَان وتغرُب بين قَرْنَى شَيْطان » .

(ولما مَرِض أُمَيَّةُ مرضَه الذى مات فيه ، جعل يقول : قد دَنَا أَجَلى وفى هذه المَرْضَة مَنِيَّتِى ، وأنا أعلمَ أن الحَنِيفِيّة حَقّ ، ولكن الشَّكَّ فى محمد) ولما دَنت وفاته أُغمِى عليه ثم أفاق وهو يقول :

لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هأَنَا ذا لَدَيْكُما

لا مَالٌ لى يَفْدِينى ولا عَشِيرَةٌ تُنْجِينِى ثم أُغْمِى عليه حتى ظَنَّ مَنْ حَضَره أنه قَضَى ، ثم أفاق وهو يقول :

---

(١) فى غ : مطلع .

(٢) فى ت : بيان .

(٣) فى غ : ينخسها .

(٤) فى ت : يستقل .

لَبَّيْــكُمَا لَبَّيْــكُمَا هــا أَنَا ذَا لَدَيْــكُمَا

لا بَرِئ فأَعْتَذِر ولا قَوِيٌّ فأَنْتَصِر ، وتحدث ساعة ، ثم أُغْمِى عليه حتى أَيِسَ من حياته وأفاق وهو يقول :

لَبَّيْــكُمَا لَبَّيْــكُمَا هــا أَنَا ذَا لديْــكُمَا
إن تغفرِ اللهم تَغْفِر جَمًّا وأىّ عــبدٍ لك لا أَلَمَّا

ثم أقبل على القوم فقال : قد جاءنى وَقْتِى ، فكونوا فى أُهبتى ، وحَدَّثَهُم قليلا حتى أَيِسَ القوم من موته[1] ، وأنشأ يَقُولُ :

كُلُّ عيشٍ وإن تطاول دهرا مُنْتَهى أَمْره إِلَى أَنْ يَزُولا
ليتَنِى كنتُ قبلَ ما قَدْ بَدَا لِى فى رُءوسِ الجبَالِ أَرعَى الوُعُولَا
فاجْعَل الموتَ نُصْبَ عَيْنَيْك واحذَر غَوْلَةَ الدهر إن للدَّهْرِ غُولَا

ثم قَضَى نَحْبَه ولم يُؤْمن بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وقيل فى خبره : أنه لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، أخذ بِنْتيه[2] وهرب بهما إلى أقصى اليمن، ثم عاد إلى الطائف ، فبينا هُو يَشْرَب مع إخوان له فى قَصْر[3] غَيْلان بالطّائف وقد أودع ابنتيه[4] باليمن ، ورجع إلى بلاده إذْ سقطَ غرابٌ على شُرفة القَصْر ، فنعب نَعْبَةً فقال أمية : بِفِيكَ الكَثْكَثُ ـ وهو التُّرَابُ ـ فقال له أصحابه : ما يقول ؟ فقال : يقول : إنك إنْ شَربتَ الكأس الّذى فى يَدِك مُتّ ، ثم نَعَب نَعْبَةً أخرى ، فقال أمية نحو ذلك ، فقال له أَصْحَابه : ما يَقُول ؟ قال :

---

(١) فى غ : مرضه .
(٢) فى ت : بنيه .
(٣) فى ت : قصره مرة .
(٤) فى ت : ابنيه .

زعم أنه يقع على هَذِه المَزْبلة أَسْفَلَ القَصْر فيبتَلِع عَظْما فيَشْجَى به فيَمُوت ، فوقع الغرابُ على المَزْبلة فأَثار العظم وابْتَلَعه فشَجِى به ، فمات فانكسر أُمَيَّة ، ووضع الكأسَ من يده ، وتغيَّر لونه ، فقال له أَصْحَابه : ما أكثر ما سَمِعنا مِثْلَ هذا وكان باطِلًا ، فألَحُّوا عليه حتى شَرِب الكأس ، فمال فى شِقٍّ ، وأُغْمِى عليه ، ثم أَفَاقَ فقال : لا بَرِىءٌ فَأَعتَذِرُ ولا قَوِىٌّ فأَنْتَصِر ثُمَّ مَاتَ .

أبو سعيد مولى فائد

هو أَبُو سَعِيد إبراهيم مَوْلَى فَائِد : مولى عَمْرو بن عثمان بن عفان .

وهو يُعرف فى الشُّعَرَاء بابْن أَبِى سنَّة[1] مولى بنى أمية ، وفى المُغَنِّين بأبى سعيد مولى فَائِد . وكان شاعرا مُجِيداً نَاسِكا ومُغَنِّيا فَاضِلًا مقبولَ الشهادة بالمدينة مُعدَّلا ، وعُمِّر إِلَى خلافة الرشيد ، ولَقِيَه إبراهيمُ بن المهدىّ . وإسحاق الموصلىّ . وله مَرَاثٍ جياد فى بنى أُميَّة الذين قتلهم عبدُ الله وداود ابنَا علىّ بن عَبْد الله ابن عبّاس .

قال إسحاق : حَجَجْتُ مع الرَّشيد ، فلما قَرُبتُ من مَكَّةَ استأذنتُ فى التقدم فأَذِن لى ، فدخلتُ مكة ، فسألتُ عن أبى سَعِيد مَوْلَى فَائِد ، فقيل لى : هو فى المَسْجد الحَرَام ؛ فأتيتُ المسجد فإذ هو قائم يُصَلّى ، فجلَسْتُ قريباً منه ، فلما فَرَغ قال لى : يا فتى ، ألك حاجة ؟ قلتُ : نعم ، تُغَنِّينِى . وقيل : إِنَّ الَّذى سأله الغناءَ هو المَهْدِى فقال له : غَنِّنِى :

لقد طُفْتُ سَبْعاً قلتُ لَمَّا قَضَيتُها ... أَلَا ليتَ هـذا لا عـلىَّ ولا ليَا
يُسَائِلُنِى صَحْبِى فـماأَعْقِـل الَّذِى ... يَقُولُون من ذِكْرِ لِلَيْلَى اعْتَرَانِيَا
إذاجئتَ بابَ الشِّعْبِ شِعْبِ ابنعَامِر ... فأَقْرِئْ[2] غزَالَ الشِّعْبِ منِّى سَلَامِيَا
وقل لِغزَالِ الشِّعب هل أنتَ نَازِلٌ ... بشِعْبك أم هل يُصْبِـح القلبُ ثَاوِيَا
لقد زَادَنِى الحُجَّاجُ شَوْقاً إليْـكُم ... وإنْ كُنْتُ قبل اليوم للحَجِّ قَالِيا
وما نَظَرَتْ عَينِى إلى وجْهِ قادِمٍ ... من الحَجِّ إلَّا بَلَّ دَمْعِى رِدَائِيا

---

(١) فى ت : بابن أبى أشبه .

(٢) فى ت : فأقر .

فقال له : أَوَ أُغَنِّيكَ يا أمير المؤمنين ما هو أحسن منه ؟ قال : أَنْتَ وذاكَ فغنـاه :

إن هَذَا الطَّويلَ من آل حَفْصٍ ... نَشَرَ المجـدَ بعد ما كان ماتا
وَبنَاهُ على أساسٍ وثيـقٍ ... وعِمَادٍ قـد أُثْبِـتَت إثْبَاتـا
مِثْـــلَ ما قَدْ بَنَى له أَوَّلُوه ... وكـذا يُشْبِه البُنَاةُ البُنَاتا

فقال له المهدى : أحسنت يا أبا سعيد ، فَغَنِّنِى :

لقد طُفْتُ سَبْعًا قلتُ لمَّا قَضَيْتُها ... أَلاَ لَيْتَ هـذا لا عَلَيَّ ولا لِيـا

فقال: أَوَ أُغَنِّيك أحسنَ منه ؟ قال: أنت وذاكَ فغناه :

قدِمَ الطويلُ فأشْرَقَتْ واستبْشرَت[1] ... أَرْضُ الحِجَازِ وبَانَ فى الأَشْجَارِ
إنَّ الطويلَ مِنْ آل حفصٍ فاعْلَموا ... سادَ الحضور وسادَ فى الأَسْفَارِ

فقال له: أحسنت فغَنِّنى : لقد طُفْتُ سَبْعا . قال أَوَ أُغَنِّيك أَحْسَنَ مِنه ؟ فقال : افْعَلْ، فغَنَّاه :

أَيُّهَا السَّائِلُ[2] الذى يَخْبِط الأَرْ ... ضَ دَعِ النـاسَ أجمعين وَرا كَا
وأْتِ هــذا الطويلَ من آل حفْصٍ ... إنْ تَخَوَّفْتَ عَيْلَةً[3] أو هَلاَكـا

فقال له : أَحْسَنْتَ ، فَغَنِّنِى : لقد طُفْتُ سَبْعًا ، فقد أحسنْتَ فيما غَنَّيْتَ ، ولـكن أُحِبّ أن تُغَنِّيَنَا مَا استدْعَيْنَاه منْك، قال : لا سبيل إِلَى ذلك يا أَمِيرَ المُؤْمنين ؛ لأَنى رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مَنَامِى وفى يده شئ لا أدرى ما هُوَ ، وقد رفعه ليضربَنِى وهو يقول : يا أَبَا سعيد ، لقد طُفْتَ سبعا، ماصنعتَ بأُمَّتِى فى هذا الصَّوْت!

---

(١) فى غ : لقدومه .
(٢) فى ت : السائر .
(٣) فى ت : عولة .

قلت له : بأَبى وأُمِّى اغفِرْ لى ، فوَالّذى بَعثَك بالحَقّ واصْطفاك بالنُّبوّة لا غنيتُ هَذَا الصوتَ أبدًا ، فردَّ يدَه عَنِّى وقال: عفا الله عنكَ إذًا ؛ ثم انتبهت ؛ وما كنت لأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم شيئًا فى مَنامِى فأرجعَ عنه فى يقظتى ، فبكى المَهْدِىُّ وقال : أحسنتَ يا أبا سَعيد أحسنَ اللهُ إليك، لا تعُد فى غِنائه، وحبَاه وكَساه وأَمر بردِّه إِلَى الحِجَاز ؛ فقال : لكِنِ اسْمَعْه من مَنّة جارية البرامكة : « وأظُنّ هَذِه الحِكَاية غلَطًا ؛ لأنّ مَنَّة جاريةَ البرامِكَة إِنَّما نشأت وعُرِفت فى أَيَّام الرّشِيدِ » .

وقيل : إنّه قال له : اشْخَصْ مَعِى إِلَى بَغْدَاد ، فلم يفعَل ؛ فقال له : ما كنت لآخذَك بما لا تُحِب ، ولو كان غيرُك لأَكْرَهْتُه على ما أُحِبّ ، ولكن دُلّنى على مَنْ يَنُوب عَنْك ؛ فدلّه على ابْنِ جامع ، وقال له : عليك بغلام بَنِى سَهْم قد أَخَذَ عَنِّى وعن نُظَرائى ، وهو كَمَا تُحِبّ ، فهذا كَانَ سببَ قُدُومه بَغْدَاد .

الطَّويل من آل حَفْص المَعْنِىّ فى الشِّعر ، هو عبد الله بن أَحْمَد بن عبد الحميد المَخْزُومى ، كان مُوسرًا يُعطِى الشعراءَ ويجزل العطاءَ، وسبب يَسَاره أَنّه تزوّج أُمَّ سلمةَ المَخْزُومِيّة امرأةَ أَبِى العَبّاس السفاح بعده، فصار إِليَه منها مالٌ عظيم وكان يَتَسَمَّح به ويَتَّسِعُ فى العطَاء . وكانت أُمُّ سَلَمَة مائلَةً إِليْهِ فأَعْطتْه ما لا يَدْرِى ماهو ، ثم إِنّها اتّهمتْه فى جارية لها فاحتجبت عنه ، فلم تعد إليه حتى مات .

وكان طَويلًا جَمِيلَ الوَجْه فقال أبو سعيد هذين البيتين فيه .

وفيه قال الدّارِىُّ أيها السائل الذى يخبط الأرض .

وفيه يقول الدارِىُّ أيضا :

إِنَّ الطَّويلَ إذا حَلَلْتَ به ... يومًا كَفاكَ مؤونَةَ الثِّقْلِ
فَظَلِلْتَ فى دَعَةٍ إِلَى كَنَفٍ (١) ... رَحْبِ الفِنَاء ومَنْزِلٍ سَهْلِ

---

(١) فى غ : وحللت فى دعة وفى كنف .

حضر أَبُوسعيد مَجْلِس محمد بن عِمْران التَّيمى[1] قاضى المدينة لِأَبى جعفر ، وكان مُقدِّما لأَبى سعيد ؛ فقال له ابن عمران : يا أَبَا سَعيد أَنْتَ القَائل :

لقد طُفْتُ سَبْعًا قلتُ لمَّا قضَيْتُها ألا لَيْتَ هـذا لا علىَّ ولا لِيـا .

قال : إى لَعَمْرُ أبيك ، وإِنى لأُدْمِجُه إِدْمَاجًا من لُؤْلؤ ، فردَّ محمد بن عِمْران شَهادَتَه فى ذلك المجلس . وقام أبو سَعيد من مجلسه مُغْضَبًا، وحَلَف أَلَّا يَشْهد عِنده. فأنكر أهلُ المدينة على ابن عِمْران رَدَّ شَهادته وقالوا له : عرّضت حُقُوقَنا لِلتَّوى[2] وأموالَنا للتَّلَف؛ لأَنَّا كُنَّا نُشْهِد هذا الرّجل لِعلْمِنا بما كُنتَ عليه والقُضَاةُ قبلك من الثِّقَةِ به وتَقْدِيمه وتَعْدِيله ؛ فندِم أُبن عِمْران على ردّ شهادته ، ووجه إليه يسأله حُضُورَ مجلسه والشهادةَ عنده ليَقْضِيَ بشهادته ؛ فامتنع ، وذكر أنه لا يَقْدِر على حضور مجلسه لِيَمِينٍ لَزِمَتْه إن حَضَره حَنِث . فكان ابْنُ عِمْران بعد ذلك ، إذا ادَّعى عنده أَحَد شهادة أَبى سَعيد ، صار إِلَى منزله أو مَكانه فى المَسْجد حتى يَسْمَع منه شَهادَتَه فيُجيزَها . وكان محمد بن عِمْرَان ، كَثيرَ اللَّحْم ، عَظِيمَ البَطْن ، كبير العَجُز ، صَغيرَ القدَمَين،دَقيقَ السَّاقَيْن يَشُق عليه المشى ، فكان كثيرا ما يَقُول: أتْعَبَنِى[3] هذا الصوت وأَضَرَّ بى إِضْرَارًا طَويلا .

كان المُطَّلِب بن حَنْطَب قاضِيًا على مَكَّة ، فشهد[4] أَبُو سَعِيد [عندَه] بشهادة فقال : ألستَ الَّذى تقول :

* لقد طُفْتُ سَبْعًا قلتُ لمَّا قضَيْتُها *

لا قَبِلْتُ لَكَ شَهادة أَبدًا . فقال أبو سَعيد: نعم وأنا الذى أقول:

---

(١) فى ت : الطلى ، والتصحيح من غ .

(٢) التوى : الهلاك .

(٣) فى ت : ويعنى والتصحيح من غ .

(٤) فى ت : فاستشهد والتصحيح من غ .

كَأَنَّ وُجُوهَ الحَنْطَبِيِّين (١) فى الدُّجَى ... قَنَادِيلُ تَسْقِيهَا السَّلِيطَ الهَيَاكِلُ

فقال الحَنْطَبِىُّ : إِنَّكَ كما عَلِمنا ما عَلِمْنَاكَ إِلَّا دَبَّابًا حول البيت فى الظُّلَم مُدْمِنًا لِلطَّوَافِ به فى الليل والنهار ، وقَبِلَ شهادته .

(ولما حجَّ الرشيدُ أَحْضَرَ أبَا سَعيد ، وقال له : أنشِدْنى قَصيدتك فى بَنِى أُمَيَّة) :

تَقُولُ أُمَــامَــةُ لَمَّا رَأَت ... نُشُوزِى عن المَضْجَعِ الأَنْفَسِ

وقِلَّةَ نَوْمِى على مَضْجَعِى ... لدى هَجْعَةِ الأَعْيُنِ النُّعَّسِ

(فغَنَّاه لحنًا له فى أَبْيَات منها :

أَفاضَ المدامعَ قتلى كُدَى ... وقَتْلِى بِكُثْوة لم تُرمَسِ

وكان الرشيد مُغْضَبًا فسكن غضبُه وطَرِب ، فقال : أنشدنى القصيدة ؛ فقال: يا أمير المؤمنين كان القوم مَوَالِىّ وأَنْعَمُوا علَىّ فرَثَيْتُهُم ولَم أَهْجُ أَحَدًا ، فتركه)

وهذه قَصيدَة له رثى بها بنى أمية وكان مَوْلاهُم ، حَدَّث الحَزَنْبَلُ ، قال : كُنَّا عند ابنِ الأعرَابىّ ، وحَضَر معنا أَبُو هَفَّان فأنشدَنَا ابنُ الأَعرابى عَمَّن أنشده فقال: قال ابْنُ أَبِى سُنَّة (٢) العَبلىّ :

أَفَاضَ المدامعَ قَتْلَى كَذَا ... وقتلى بكَبْوَة لم تُرْمَسِ

فغَمزَ أبو هَفَّان رَجُلًا وقال : قل له : ما معنى كَذَا ؟ قال : يريد كثرتهم ؛ فلما قمنا قال لى أبو هَفَّان : أَسَمِعْتَ إلَى هذا المُعْجَب الرَّقيع هو ابن أبى سُنَّة (٣) . وصحَّف فى بيت واحد موضعين فقال: قتلى (٤) كذا وقتلى بكبوة (٥) ؛ وأَغلَظُ من هذا أنَّه يُفَسِّر تَصْحِيفَه بوَجْهٍ وَقَاحٍ .

(١) الحنطبيون: بطن من مخزوم، ينسبون إلى حنطب بن الحارث .
(٢) فى ت : الأشبه « تحريف » .
(٣) فى ت : أشبه « تحريف أيضا » .
(٤) فى ت : فتى « تحريف » .
(٥) فى ت : بلبوة « تحريف » .

وهذاالشعر يَقُولُه أبو عَدِىّ عبدُ الله بن عمر العَبَلِىّ فيمَنْ قَتَلَه عبدُ الله بن علىّ بِنَهْر أبى فُطْرس[١] وفيمن قتل أبُوالعباس السَّفاح بعدهم من بنى أمية . ومن القصيدة :

أَفَاضَ المَدَامِعَ قَتْلَى كُدَا ... وقتلى بِكُثْوَةَ[٢] لم تُرْمَسِ
وقَتْلَى بَوَجٍّ وبِاللَّابَتَيْـ ... ـنِ[٣] من يَثْرِبَ خَيْرُ ما أنفُسِ
وبالزَّابِيَيْنِ[٤] نُفُوسٌ ثَوَتْ ... وأُخْرى بنهر أبى فُطْرس[٥]
أولئك قومى أَنَاخَتْ بِهِم ... نَوَائِبُ من زَمَنٍ مُتْعِسِ
إذا ركبوا زَيَّنُوا الموكبين ... وإنْ جَلَسُوا الزينُ فى المَجْلِسِ
هم أَضْرَعُونى لرَيْبِ الزمان ... وهم أَلْصَقُوا الرغمَ فى المَعْطِسِ[٦]

ولما استمرّت الهَزِيمَةُ بمَرْوان أيام عبدالله بن عَلِىّ بالرَّقَّة وأخذ أخوه عبد الصمد فى طلبه [فصار][٧] إلى دمشق وأتْبَعه جيشاً عَلَيْهِم أَبُو إسْمَاعيل عامرٌ الطويلُ من قُوَّاد خُرَاسان ، فَلَحِقه ، وقد جاز مصر فى قرية تُدْعَى أبوصير[٨] فقتله ووجَّه برأسه إلى عبد الله بن علىّ ، فأنفذه عبد الله إلَى أبى العباس السَّفَّاح ؛ فلما وُضِع بين يديه خَرَّ سَاجِداً لله تعالى ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذى أَظْهَرَنى عَلَيْك وأَظْفَرَنى بك ،

(١) فى ت : قرطس « تحريف » .
(٢) فى ت : بكنوة « تحريف .
(٣) فى ت : وبالإنس « تحريف » .
(٤) فى ت : وبالرامتين « تحريف » .
(٥) فى ت : قرطس « تحريف » ونهر أبى فطرس : نهر قرب الرملة من أرض فلسطين على اثنى عشر ميلا من الرملة .
(٦) فى غ : بالمعطس .
(٧) ساقطة من (ت) والتكملة من غ .
(٨) فى غ : بوصير .

ولم يُبْقِ ثَأْرِي قِبلَك وقِبَلَ رهطك أعداء الدين ، وتمثل بقول ذى الإصْبَع العَدْوَانِىّ :

لو يَشْرَبُون دَمِى لم يُرْوِ شَارِبَهم ... ولا دِماؤُهم للغَيْظِ تُروِينِى

نَظَرَ عبد الله بن علىّ إلَى فَـتًى عليه أُبَّهَة الشَّرف وهو يقاتل مُسْتَقْتِلاً[(١)] ، فناداه : يا فتى لك الأَمَانُ ولو كُنْتَ مروان بن محمد ؛ فقال : إلَّا أَكُنْهُ فلستُ بدُونه؛ قال : فلك الأَمَانُ ولو كنتَ مَنْ كنت؛ فأطرق مليا ثم قَالَ :

أَذُلَّ الحَيَاةِ وكُرْهَ المَمَاتِ ... وكُلاًّ أَرَاهُ طَعَاماً وَبِيلاَ[(٢)]

فإن لم يَكُن غيرُ إحدَاهما ... فَسَيْرًا[(٣)] إلى الموت سَيْرًا جَمِيلا

ثم قاتل حتى قتل ، فإذا هو ابن مَسْلَمة[(٤)] بن عبد الملك .

---

(١) فى غ : مستنتلا ، والمستنتل : الخارج من الصف المتقدم على أصحابه .

(٢) فى غ : وكلا أرى لك شراً وبيلا .

(٣) فى ت : فسيرى .

(٤) فى النجوم الزاهرة ١ /٢٥٨ : فإذا هو محمد بن عبد الملك ، وقيل : ابن لمسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

إبراهيم بن هرْمَة

(هو إبراهيم بنُ عليّ بن سَلَمَة[1] بن عامر بن هَرْمَة بن الهُذَيْل) بن رَبيع بن عامِر ابن صُبَيْح[2] بن عَدِيّ بن قَيس بن الحارِث بن فِهْر ـ وفِهْرٌ أَصْلُ قُرَيْش ، وقَيْسُ ابن الحارِث هُوَ الخُلُج ، وكانوا فى عَدْوان ، ثم انتقلوا عنه إلى بنى نَصْر بن مُعاوِيَة ابن بكر بن هَوَازِن . فلمَّا استُخلِفَ عُمَرُ رضى الله عنه أَتَوْه ليَفرِضَ لهُم ، فأنكر نَسَبَهم ؛ فلما استُخلِف عثمانُ رضى الله عنه أَتَوْه فأثبتهم فى بنى الحارث بن فِهْر وجَعَلَ مَعَهم لهم ديوانا . وسُمُّوا الخُلُج لأَنهم نزلوا بالمَدينَة على خُلُج ، فسُمُّوا بذلك ، ولهم بالمدينة عَدَد .

قال عبد الله[3] بن أَبِى عُبَيْدة بن محمد بن عَمَّار بن يَاسِر : زرتُ عبد الله بن حسن بِبادِيته وزَارَه ابنُ هَرْمة ، فجاءه رَجُل من أسلم ؛ فقال ابنُ هرمة لعبد الله ابن حسن : أَصْلَحَكَ الله ، سَلِ الأَسْلَمِيّ أن يأذَن لى أن أُخبِرَكَ خَبَرى وخَبَرَه ، فقال له عَبْدُ الله بن حَسَن : ائْذَنْ له ، فأَذِنَ له الأسلمىُّ ؛ فقال إبراهيمُ بن هَرْمة : خرجت أَبْغِى ذَوْدًا[4] لِى فأوحشتُ[5] وضِفْتُ هَذَا الأسلمى ، فذبح لى شاة وخَبَزَ لى خُبْزًا وأَكْرَمَنِى ، ثم غدوتُ من عنده ، فأقمتُ ما شاءَ الله ، ثم خرجتُ أيضا فى بُغاء ذَوْدٍ لِى ، فأوحَشْتُ فقلت : لَوْ ضِفْتُ الأَسْلَمِيّ ! فمِلْتُ إليه فجاءنى بلبَن وتمْر ، ثم خرجت من بعد ذلك فقلت : لو ضِفْتُ الأَسْلَمِيّ ! فاللَّبَنُ والتمر خَيْرٌ من

---

(١) فى ت : مسلمة .

(٢) فى ت : صبح .

(٣) فى ت : عبيد الله .

(٤) الذود : القطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع .

(٥) جعت ونفد زادى .

الطَّوَى فجاءنى بلبن حَامِضٍ . فقال الأَسْلَمِىّ : قد أَجَبْتُه إِلَى ما سَأَل ، فاسأله أَنْ يَأْذَنَ لى أَن أُخْبِرَكَ لِمَ فعلت ذلك ؟ فقال : ائذَنْ لَه ؛ فأَذِن ، فقال الأَسْلَمِىّ : ضافَنِى ، فسأَلتُه من هو ؟ فقال : رَجُلٌ من قُرَيْش ، فذبحتُ له الشَّاةَ التى ذكَر ، ووالله لو كان لِى غيْرُها لذَبحْتُها حين ذكر أَنَّه من قُرَيْشٍ ، ثم غدَا من عندى وغدَا علىّ الحىّ ، فقالوا : مَنْ كانَ ضيفَك البَارِحَة ؟ فقلت : رجلٌ من قُرَيش ؛ فقالوا : لَيْسَ من قريش ، ولكِنَّه دَعِىٌّ فِيهَا ، فأضَافَنِى الثَّانيَة على أنه دَعِىٌّ فِى[1] قريش ، فجئْتُه بلبن وتمر وقلتُ : دَعِىٌّ فى قريش خَيْرٌ من غَيْره ؛ ثم غدا من عندى وغدَا عَلَىَّ الحىُّ ، فقالوا : من كان ضَيْفَك البَارِحَة ؟ قلت : ذلك الرَّجُل الذى زَعَمْتم أَنَّه دَعِىٌّ فى قريش ؛ فقالوا : لا والله ماهو دَعِىّ فى قُرَيْش ، ولكنه دَعِىٌّ أَدْعياءِ قُرَيْش فقَرَيْته الثَّالثَة : لبَناً حامِضاً[2] . ووالله لو كَانَ عِنْدِى شرٌّ منه لقرَيْته إِيَّاه . قال : فانخذَل ابنُ هَرْمَة ، وضَحِكْنَا مِنْه .

وكان ابنُ هَرْمَة مشتَهِراً بالنَّبيذِ مدمِناً له فأتى أَبَا عَمْرو بن أَبى راشد[3] فأكرمه وسَقَاه أَيَّاماً ثَلاثَةً[4] ؛ فدعا ابْنُ هرمة بالنبيذ ، فقال له غلام أَبى عمرو : لم يبق عندنا منه شَىْءٌ ، فنزَع ابنُ هَرْمَة رِدَاءَه عن ظهره وقال للغلام : اذهَبْ إِلى ابن حوقل[5] (نبَّاذٌ بالمَدِينة) فارهَنْه عنده وأْتِنَا بِنَبِيذٍ ففعل . وجاء ابن أَبى رَاشِد[6] ، فجعل يشرب معه من ذلك النَّبِيذ ، ثم قال له : أَيْنَ رِدَاؤُكَ يا أَبا إِسحاق ؟ فقال : أَلم يَكُ نِصْفُه فى بَطْنِك ونِصْفُه فى القَدَح .

---

(١) فى ت : من .

(٢) فى ت : جامعنا « تحريف » .

(٣) فى ت : أبا عامر بن راشد . وصححته من غ .

(٤) فى ت : ثلاثا .

(٥) فى غ : ابن حونك .

(٦) فى ت : ابن راشد .

ووفَد ابنُ هرمة على عَبْد الله بن حسن وهو بالسَّيَالَة[١] ، فأنشده مديحا له ، فقام عبد الله إلى غنم له ، فرمى بِسَاجَةٍ[٢] عليها فتفرَّقت فِرْقتَيْن ، قال : فاختر أيهما شئْتَ ؟ قال : فإمَّا أن تكُونَ زادت بِواحِدَة أو نقَصَت بِواحِدة عن الأُخْرى ، وكانت ثَلاثمائة. وكَتَبَ له إلى المدينة بدَنانير ، وقال له : يا ابن هرمة ، انقُل عِيالَكَ إلينا يَكُونُوا مع عِيالِنا ، قال : أَفْعَل ، ثم قدِم المدينة وجَهَّز عِيالَه لينقلهم إلى عبد الله بن حسن ، فبينما هو قد اكْتَرَى وجمع متاعه وحَمَلَه والكَرِيُّ[٣] ينتظره أن يتَحَمَّل ، إذ أتاه صَدِيق له ، فقال له يا أبَا إسْحَاق ، عندى نَبِيذ يُسقط غَم[٤] الوجه ، فقال : ويحك ! أما ترَانا على مثل هذه الحال ! [أعليها][٥] يمكن الشراب ! فقال : إنما هى ثلاثة لا تَزِد عليهن ، فمَضَى معه وَهُم وُقُوفٌ يَنْتَظِرُونه[٦] ، فلم يزل يَشْرَب حتى مضى من الليل صَدْرٌ صَالِح ، ثم أُتِى به وهو سكران ، فطُرِح فى شِقِّ المَحْمِل وعادَلَتْه[٧] امرأته ومضوا[٨] ، فلما أَسْحَرُوا رفع رأسه فقال : أَيْنَ أَنَا ؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه وتعذُله ، وقالت : قد أفسد عليك النبيذُ دينك ودُنْيَاك ، فلو تَعَلَّلْتَ عنه بالألبان ! فرفع رأسه إليها وقال :

لا نَبْتَغِى لَبَنَ البَعِير وعندنَا ماءُ الزَّبيب ونَاطِفُ المِعْصَار

---

(١) موضع قرب المدينة .

(٢) واحدة الساج ؛ وهو نوع من الخشب .

(٣) الكرى : المكارى .

(٤) فى غ : لحم .

(٥) زيادة من غ بها يستقيم المعنى .

(٦) فى غ : ينظرون .

(٧) فى ت : عدلته .

(٨) فى ت : ومضى .

﴿ومدح ابنُ هَرْمَةَ أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم ؛ فقال : لا تقع مـنّى هذه ، قال : ويحك ! إنّهَا كثيرة ، قال : إنْ أردتَ أن تَهْنِئَـنِى فأَبِحْ لى الشرابَ فإنى مغرَمٌ به ؛ فقال له : ويحك ! هذا حَدٌّ من حدود الله عز وجل ! قال : احْتَلْ يا أمير المؤمنين ، قال : نعم . فـكتب إلى وَالِى المدينة : مَنْ أتاك بابن هرمة سكرانَ فاضرب به مائة مَقْرَعَة واضرب ابْنَ هَرْمَة ثَمانِين ، قال : فجعل الجِلْوَازُ[1] إذا مرّ بابن هَرْمَة سكران يقول : من يشترى الثّمَانين بمائة﴾

حدث ابنُ رُبَيْـح[2] راويةُ ابن هَرْمة قال : أَصَابَ ابنَ هَرْمة أزمَةٌ ، فقال لى فى يوم حَارٍ : اذهب فتَـكارَ لى حِمارَيْن إلى سِتّة أَمْيال ، ولم يسم الموضع ، فركب واحداً وركبت واحدا ، وسِرْنا إلى قصور حسن بن زيد ببطحاء ابنِ أزْهَر ، فدخلنا مسجده ، فلما مالت الشّمس خرج علينا مُشْتَمِلًا على قميصه ، فقال لمولًى له : أذِّن ، فأذَّنَ ولم يُـكَلِّمْنا كَـلِمَةً وَاحِدَةً ، ثم قال : أَقِم ، فأقام فَصَلّى بِنا ، ثم أقبل على ابن هَرْمة فقَالَ : مرحبا بك أبا إسْحَاق ، حاجتَك ؟ قال : نعم ، بأبى أنت وأُمِّى أبيات قلتُها ، وقد كان عبد الله وحسن وإبراهيم بنو حسن وعدوه شيئا فأخلفوه . قال: هاتِها ، فأنشد :

أما بَنُو هَاشِمٍ حَوْلى فقد قَرَعُوا[3] ... نَبْـلَ الضِّبَابِ[4] التى جمّعتُ فى قَرَنِ[5]
فمـا بِيَثْرِبَ[6] منهم مَنْ أُعَاتِبُه ... إلا عوائدَ أَرجُوهُنّ من حَسَنِ
اللهُ أعطاكَ فضلا من عَطِيَّتِه ... عَلَى هَنٍ وهَنٍ فيما مضى وَهَنِ

(١) فى ت : الجوار « تحريف »
(٢) فى ت : زبنج (تحريف) .
(٣) فى ت : عرفوا .
(٤) فى ت : قبلى الصياب « تحريف » .
(٥) فى ت : قونى « تحريف » .
(٦) فى ت : يشرب « تحريف » .

قال : حَاجَتَك ! قال : لابن أبى مُضَرِّس[١] عَلَيَّ خَمْسُون ومائةُ دِينَار ؛ فقال لمولى له يقال له هَيْثَم : اركب هـذه وأتنى بابن مُضَرِّس وذِكْرِ حقّه[٢] . قال : فما صَلَّيْنا العَصْر حتى جاء به ؛ فقال : مَرْحَباً بك ياابن مُضَرِّس، أَمَعَك ذِكْرُ حقِّك على ابن هَرمة ؟ قال : نعم، قال : فامْحُه ، فمحَاه . ثم قال : ياهَيْثم ، بِع ابْنَ مُضَرِّس من تَمْرِ الخانِقَيْن بِمائة وخَمْسين دِينارًا ، وزِدْه فى كُلِّ دِينَارٍ رُبعَ دِينَار ، وكِلِ ابْنَ هرمة بِمائةٍ وخَمْسِينَ دِينَاراً ، وكِلِ ابْن رُبَيْحٍ[٣] بثلاثين دِينَاراً . ثم انصرفنا من عنده فَلَقِينا مُحَمّدُ بنُ عبد الله بِالسَّيَّالَة ، وقد بَلَغَه الشِّعْرُ ، فغضِب لأبيه وعُمُومَتِه ، فقال : يا ماصَّ بَظْر أمّه ! أنتَ القَائل :

* على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضَى وهَنِ *

قال : لا ، ولكنى القائل :

لَا والذى أنتَ منـه نِعْمَة سَلَفَت ... نَرجو عَوَاقِبهَا فى آخرِ الزَّمَن
لقــد أُتيتُ بأمْرٍ ما عَمدتُ له ... ولا تَعَمَّدَه قَوْلى ولا سَنَنى
وكيف أَمْشِى مع الأَقْوام مُعْتَدِلًا ... وقد رَمَيْتُ بَرِيءَ العُود بالأُبَنِ
ما غَـيَّرَتْ وجهَه أُمٌّ مهجّنَةٌ ... إذا القَتَام تَغَشَّى أَوْجُهَ الهُجُنِ

وأُمُّ الحسَنِ أُمُّ وَلَد .

ولما قَالَ هَذَا الشّعر فى الحَسَن بْنِ زَيْد قال عَبْدُ الله بن حَسَن : والله ما أَرَادَ الفَاسِقُ غَيْرِى وغيرَ أَخَوَىَّ: الحَسَن[٤] وإبْراهيم . وكان عَبْدُ الله يُجْرِى على ابن هَرْمة رِزْقاً فقطعه عنه وغَضِب عليه ؛ فأَتاه يَعْتَذِر فنُحِّى وطُرِد ؛ وسأل رِجَالًا أن يُكَلّموه

---

(١) فى ت : لابن مضرس .
(٢) ذكر حقه : الصك الذى يكتب فيه الدين .
(٣) فى ت : زبنح « تحريف » .
(٤) فى غ : حسن .

فيه فردَّهم وأَيِسَ مِنْ رِضَاه فاجْتَنَبه وخَافَه ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم مَرَّ عَشِيَّة وعبدُ الله على زَرْبِيَّة فى مَمَر(١) المِنْبَر ولم تكُن تُبْسَط لأَحِدٍ غيرِه فى ذلك المكان ، فلَمَّا رأى عَبْدَ اللهِ تَضاءل وتصاغَر وأَسْرَعَ المَشْى ، فكأَنَّ عبدَ الله رَقَّ له ، فأمر بِهِ فرُدَّ عليه ؛ فقال : يا فَاسِق ، يا شَارِبَ الخمْرِ على هَنٍ وهَنٍ أتفَضِّلُ الحسَنَ عَلَيَّ وعَلَى أَخَوَيَّ ! فقال : بأَبِى أَنْتَ وربِّ الكَعْبة وربِّ القَبْر ما عَنَيْتُ إلَّا فرعونَ وهَامَانَ وقَارُون ، أفتَغْضَب لهم ! فضحك وقال : واللهِ ما أَحْسَبُك إلَّا كاذِباً فقال : والله ما كَذَبْتُك . فأَمَرَ بأَن تُرَدَّ عليه جِرَايَتُه .

وذَكَر عَامِرُ بن صالحٍ لابْنِ هَرْمَةَ قصيدةً نحوَ أَرْبَعين بَيْتاً ليس فيها حَرْفٌ يُعْجَم وذكر هَذِه الأبيات منها ؛ ولم أَجِد(٢) هَـذِه القصيدةَ فى شعر ابن هَرْمَةَ ، ولا كُنْتُ أَظُنُّ أَحَداً تَقَدَّم رُزَيْناً العَرُوضِيّ إلَى هَذَا البَاب ، وهى فى رِوَايَةِ الأَصْمَعِيّ وابْنِ السِّكِّيت اثْنَا عَشَر بَيْتاً ، وليس فيها حَرْفٌ من حُرُوفِ المُعْجَم إلَّا ما اصْطَلَح عليه الكُتَّابُ من تَصْيِيرِهم الأَلف مَكانَ الياء مثل أَعْلَى، فإنَّها فى اللَّفْظِ بالأَلِف ونَحْوِ هذا :

أَرَسْمُ سَوْدَةَ أَمْسَى(٣) دَارِسَ الطَّلَلِ ... مُعَطَّلا(٤) رَدَّهُ الأَحْوَالُ كالحُلَلِ
لَمَّا رأَى أهلَهــا سَدُّوا مَطَالِعَهـا ... رَامَ الصُّـــدُودَ وعَادَ الوُدُّ كالمُهُلِ
وعاد وُدُّكَ دَاءً لا دَوَاءَ له ... ولو دَعَاكَ طَوَالَ الدَّهْرِ للرَّحَلِ
ما وصلُ سَوْدَةَ إلّا وصلُ صَارِمَةٍ ... أَحلَّها الدهرُ دَارًا مأْكَلَ الوَعِلِ
وَعَادَ أَمْوَاهُها سُدْماً وطَارَ لَهَا ... سهمٌ دعا أهلَها للصَّرْمِ والعِلَلِ

(١) فى ت : مرير « تحريف » .
(٢) فى ت : توجد .
(٣) فى غ : محل .
(٤) فى غ : معطل .

صَدُّوا وصَدَّ وساء المرءَ صَدُّهم ... وحَامَ للـورْد رَدْهاً حَوْمَةَ العِلَلِ
وَحَلأّوه رِداهاً ماؤُها(١) عَسَل ... ما ماءُ رَدْهٍ لعَمْرُ اللهِ كالعَسَلِ
دَعَا الحَمامُ حَمَاماً سَـدَّ مَسْمَعَه ... لمَّا دعاه رآه طامِحَ الأَمَـلِ
طُمُوحَ سَارِحَةٍ حَوْمٍ(٢) مُلَمَّعَةٍ ... ومُمْرِعُ السِّرّ سهلٌ ما كَدُ السَّهل
وحَاوَلُوا رَدَّ أَمْرٍ لا مَرَدَّ له ... والصَّرْمُ داءٌ لأَهْلِ اللَّوْعَةِ الوُصُل
أَحَلَّك اللهُ أَعْلَى كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... واللهُ أَعْطَاكَ أَعْلَى صَالِحَ العمل
سَهْلٌ مَوَارِدُه سَمْحٌ مَوَاعِـدُه ... مُسَـوَّدٌ لِكِرَامٍ سادةٍ خُمُلِ

كان المُسَوَّر بْنُ عَبْد المَلك المَخْزُومِيّ يَعيبُ شِعْرَ ابنِ هَرْمَة وكان المُسَوَّر عَالِماً بالشعر والنَّسَب فقال ابنُ هَرْمَة فيه :

إيَّاكَ لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيْك من لُجُمِي ... نَـكْلًا يُنَـكِّلُ قَرّاصاً على(٣) اللُّجم
يَدُقُّ لَحْيَيْك أو تَنْقَاد مُتَّبِعاً ... مَشْيَ المُقَيَّد ذِي القِرْدَان والحَلَمَ
إنّي إذَا ما امْرُؤٌ خَفَّت نَعَامَتُه ... إليَّ واستَحْصَدَت منه قُوَى الوَذَم
عقَـدتُ في مُلْتَقَى أوداج لَبَّتِه ... طَوْقَ الحَمَامَة لا يَبْلَى على القِدَم
إنّي امرؤٌ لا أَصُوغُ الحَلى تعمَـله(٤) ... كَفَّاى لـكن لساني صَائِغُ الكَلِمِ
إنَّ الأَدِيمَ الذى أمسيتَ تَقْرِظُه ... جهـلًا لذو نَغَل بَادٍ وذو حَلَم
ولا يَئِطُّ بأَيْدِي الخالِقِينَ وَلَا ... أَيْدِي الخوالق إلَّا جَيِّدُ الأَدَمِ(٥)

---

(١) في ت : ماؤه .
(٢) في ت : حول .
(٣) في غ : من .
(٤) في ت : تقلمه « تحريف » .
(٥) في ت : الألم « تحريف » .

قال ابن هَرْمة : ما رأيتُ أَسْخَى ولا أكرَمَ من رَجُلَيْن : إبراهيمَ بنِ عبد الله ابن مُطيع ، وإبراهيمَ بن طَلْحَةَ بن عَمْرو بن عَبْد الله[1] بن مَعْمَر . أمّا إبراهيم ابن طلحة فأَتَيْتُه فقال : أَحْسِنُوا ضِيافَةَ أَبى إسْحاق ، فأُتيتُ بكُلّ شَىْءٍ مِنَ الطَّعام ، فأردْتُ أَنْ أُنْشِدَه ؛ فقال : ليس هَذا وَقْتَ الشِّعر . ثم أَخْرَجَ إلَىَّ الغُلام رُقْعة فقال : إلْقَ[2] بِهَا الوكيلَ ، فأَتيْتُه بها ؛ فقال : إنْ شِئْتَ أعطيتُك القِيمَة ؛ فقُلْتُ : وما أَمر لى به ؟ قال : مائَتا شاة بِرُعْيانِها[3] ، وأَرْبَعةُ أَجْمَال ، وغُلامٌ جَمَّال ، ومَظِلَّة وما تَحْتَاجُ إليْه ، وقُوتُكَ وقُوتُ عِيالك سَنَةً ؛ فقلت : أَعْطِنِى القِيمَة فأَعْطانى مائَتَى دِينَار .

وأَمّا إبراهيمُ بْنُ عَبْدِ الله فأَتَيْتُه فى مَنْزِله على بِئْرِ الوَلِيد بْنِ عُثْمَان ، فَدَخَل مَنْزِلَه ، ثم خَرَجَ إلَىَّ بِرُزْمَةٍ[4] فيها ثِيَاب وحُلِىٌّ وصُرَّة دَرَاهم وصُرَّة دَنَانير ، ثم قال : والله ما أَبْقَيْنَا فى مَنْزِلنا ثَوْباً إلَّا ما تتَوارى به امْرَأَة ولا حَلْياً ولا دِيناراً ولا دِرْهَماً .

بينا مُحَمَّد بن عبد العزيز الزُّهْرِى هو وابن هَرْمَة إذ مَرَّت بهم إبِل لمحمد بن عِمْرَان تَحْمِل علفاً ، فقال محمّدُ بن عبد العزيز لابْنِ هَرْمة : يا أبا إسحاق ، أَلا تستَعْلِف محمدَ بن عِمرانَ ! وهو يريد أن يعرِّضه لمَنْعه فيهجوه ؛ فأرسل ابنُ هَرْمَة رسولاً حتى وقف على باب ابنِ عمران ، فأبلغه رسالته ؛ فردّ عليه الجمال بِمَا عليها ، وقال : إن احْتَجْتَ إلى شيء زِدْنَاك ، فأقْبَل ابنُ هَرْمَة على مُحمّد بن عبد العزيز وقال : اغسلها عنى ، فإنه إنْ عَلِمَ أنّى استعْلَفْتُه ولا دابّةَ لى وَقعتُ مِنه

---

(١) فى ت : طلحة بن عمر بن عبيد الله .

(٢) فى غ : ائت .

(٣) فى غ : برعائها .

(٤) فى ت : ثم أخرج لى رزمة . . .

فى سَوْءة ، قال : بماذا ؟ قال : تُعطِينى حِمارَكَ ، قال : هو لك بِسرْجه ولِجامِه ، فقال ابنُ هَرْمة : من حفر لأخِيه حفِيرَةَ سُوء وَقَعَ فيها[1] .

حدَّثَ ابنُ أَبِى زُرَيْق[2] وكان مُنقَطِعاً إلى أَبِى العَبَّاس بن محمد وكان من أَرْوَى النَّاس قال :

كُنْتُ مع السَّرِىّ بن عبد الله باليَمَامة ، وكان يَتَشَوَّق إلى إبراهيم بن هَرْمَة ويُحِبّ أن يَفِد علَيْه ، فأقول[3] : ما يَمْنَعُك أن تَكْتُبَ إلَيْه ؟ فقال : أخَافُ أن يُكلِّفَنى من المَؤُونَة مالا أُطيق ، فكنت أكتب إلى ابن هَرْمَة بذلك ، فيَكْرَهُ أن يَفِد إليه[4] إلا بكتاب منه ، ثم غُلِب فشخص إليه ، فنزل علَىَّ ومعه رَاوِيَتُه ابن رُبَيْح[5] ، فقلت : مامنعك من القُدُوم على الأمير . وهو من الحِرْص على قُدُومك على مَا كَتَبْتُ بِهِ إِلَيْك ؟ قال: الَّذى مَنعَه من الكِتَابِ إلَىّ . فدَخلتُ على السَّرِىّ فأخبرتُه بمقْدمه فسُرّ بذلك ، وجَلَس للنَّاس مَجْلِساً عاما ، ثم أَذِن لابْنِ هَرْمَةَ فدَخَل ومَعَه ابنُ رُبَيْح رَاوِيَتُه . وكان ابن هرمة قصيرا دميماً ، وكان ابن رُبَيْح طَوِيلًا جَسِيماً بَهِىّ[6] الثِّيَاب ، فسَلَّم على السَّرِىّ ، ثم قال : إنِّى قد قلتُ شعراً أثنيتُ فِيهِ عَلَيْك ، قال : أنشد، فقال : هذا يُنشِد، وجَلَس فأنْشدَهُ ابن رُبَيْح قَصِيدَتَه الَّتى هِىَ :

عُوجَا عَلى رَبْع لَيْلَى أُمِّ محمودِ   كيما نُسَائِلَه مِن دُون عَبُّود

---

(١) فى غ : من حفر حفرة سوء وقع فيها .

(٢) فى غ : ابن زريق .

(٣) فى ت : إليه .

(٤) فى غ : يقدم عليه .

(٥) فى ت : زبنج « تحريف » .

(٦) فى غ : نقى .

عن أُمِّ محمُود إذْ شطَّ المَزَارُ بِهَا ... لعلَّ ذلك يَشْفِي داءَ مَعْمُودِ
فمرَّجَا بعد تَطْويل[١] وقد وقفت ... شمسُ النهَّار ولاذ الظِّلُّ بالعُودِ
من يعتمدكَ ابنَ عبد الله مُجْتَدِياً ... لِسَيْبِ[٢] عُرفك يَعْمِدْ خَيْرَ مَعْمُودِ
يا أُبن الأُسَاةِ الشُّفَاةِ المُسْتَغَاثِ بهم ... والمُطعِمِين ذُرى الـكُوم المَقَاحِيدِ[٣]
والسابِقِينَ إلى الخَيْرَاتِ قومَهُم ... سبقَ الجيـاد إلى غاياتِها القُودِ
أنتَ ابنِ مسلَنْطح البطحاء مَنْبِتـكُم ... بطحاءُ مكة لا روسُ القرَادِيد[٤]
لـكُم سِقَايتُها قِدْماً ونَدْوتُها ... قـد حازها والـدٌ منكم لمولود

وأنشد أيضا :

أَفِي طَلَلٍ قَفرٍ تَحمَّل آهلُه ... وقفتَ وماءُ العَيْن يَنْهَلُّ[٥] هامِلُهْ
تسائِلُ عن سَلْمى[٦] سَفَاهاً وقـد نأَت[٧] ... بسَلْمَى نوًى شَحْطٌ فـكيف[٨] تُسائِلُهْ
فقُلْ لِلسَّرِيِّ الوَاصِل البرِّ ذى النَّدَى[٩] ... مَدِيحاً إذَا ما بُثَّ صُـدِّقَ قائِلُهْ
جَوَادٌ عـلى العِلَّاتِ يهْتزُّ للندى ... كما اهـتزَّ عَضْبٌ أخلصته صَيَاقِلُهُ

---

(١) فى غ : تغوير .
(٢) فى ت : بالسبت « تحريف » .
(٣) ذروة كل شىء : أعلاه ، والـكوم جمع كوماء ، وهى الناقة الضخمة السنام، وكذلك المقحاد .
(٤) المسلنطح : المتسع . والقراديد جمع قردود ؛ وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ .
(٥) فى ت : ينسل .
(٦) فى ت : أسائل عن ليلى .
(٧) فى ت : فأت .
(٨) فى ت : وكيف .
(٩) فى ت : بالندى .

نَفَى الظلمَ عن أَهْـــلِ اليمامة عَدْلُهُ ... فعاشوا وزَاحَ(١) الظُّلْمُ عنهم وبَاطِلُهْ
ونَاموا بِأَمْنٍ بعــد خوفٍ وشِدَّةٍ ... بسيرةِ عَـــدْلٍ ما تُخَافُ غَوَائِلُهْ
وقـد عَلِمَ المعروفُ أَنَّــكَ خِدْنُه ... ويعلم هذا الجَوْرُ(٢) أَنَّــكَ قَاتِلُهْ
وأنتَ تُرَجَّى لِلَّــذِى أنتَ أَهلُه ... وتَنْفَعُ ذَا القُرْبَى لديك(٣) وَسَائِلُهْ

وأنشده أشياء أخر . فلما فرغ ابن رُبَيْـح قال السَّرِىُّ لابن هَرْمة : مرحَباً بك يأبا إسحاق ، ما حَاجَتُك ؟ قال: جِئْتُك عَبْداً مَمْلُوكاً ، قال : لا ! بل حُرًّا كَرِيماً وابنَ عَم ، فمَا ذاك ؟ قال : ما تَركْتُ لى مالًا إلَّا رهنتُه ، ولا صَدِيقاً إلَّا كلفتهُ ، فقال له السرى : وما دَيْنُك ؟ قال : سبعمائة دينار ، قال: قد قَضَاهَا اللهُ عنك . قال : فأقام أياما . ثم قال له : قد اشْتَقتُ ، فقال له : قل شعراً تَشَوَّقُ فيه . فقال قصيدته التى يقول فيها :

إنَّ الحَمَامَةَ(٤) فى نَخْلِ ابن هَدَّاجِ ... هاجت صَبَابَةَ عَانِى القَلْبِ مُهْتَاجِ
أما السَّرِىُّ فإنِّى سوف أمدَحُه ... ما المَادِحُ الذاكرُ الإحْسَانِ كالهَاجِى
ذَاكَ الَّذِى هو بعــدَ الله أَنْقَذَنِى ... فلستُ أنساهُ إنْقَاذِى وإخْرَاجِى
لأَحْبُوَنَّكَ(٥) ممــا أصْطَفِى مِدَحاً ... مُصَاحِبَاتٍ لعُمَّارٍ وحُجَّـــاجِ
أَسْدَى الصَّنِيعَةَ من بِرٍّ ومن لَطَفٍ ... إلَى قَرُوعٍ لِبَابِ المُلْكِ وَلَّاجِ
كم من يَدٍ لَكَ فى الأَقوامِ قد سَلَفَت ... عند امرئٍ ذِى غِنًى أو عند مُحتَاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار ، ومائة دينار يَتَجَهَّزُ بها ، ومائة دينار يُعَرِّضُ بها أهلَه ،

---

(١) زاح الظلم وانزاح : ذهب .
(٢) فى غ : الجوع .
(٣) فى ت : إليك .
(٤) فى غ : أألحمامة .
(٥) فى ت : لأن حبوتك .

ومائة دينار ينفقها إذا قدم على أهله . قوله : يعرِّض بها أهلَه أى يُهدِى لهم هدِيَّة ، والعُرَاضَة الهدِيَّة .

ولما قال ابنُ هَرْمَة :

ومهما أُلامُ على حُبِّهم ... فإنى أُحِبُّ بَنِى فاطِمَهْ
بَنِى بِنْتِ مَنْ جاء بالمُحْكَمَا ... تِ والدِّينِ(١) والسُّنَّةِ القائِمَهْ

لَقِيه رجل بعد ذلك فسأله من قائل :

* ومَهْمَا أُلامُ عَلَى حُبِّهم *

فقال : مَنْ عَضَّ بَظْرَ أُمِّه ؛ فقال له ابنه : يا أبت ، ألستَ قائلَها ؟ قال : بلى ؛ قال : فلم شَتَمْتَ نَفْسَك ؟ قال : أليس عَضُّ المَرْءِ بَظْرَ أُمِّه خيرٌ له من أن يأخذَه ابنُ قَحْطَبَة(٢) .

جاء ابنُ هَرْمَة إلى رَجُل بِسُوق النَّبَط معه زوجتُه وابنَتَان له كأنهما ظَبْيَتَان بمال فدَفعَه إليه وكان يشترى لهم طَعَاماً وشَراباً ، فأقام ابنُ هَرْمَة مع ابنَتَيْه حتى خفَّ ذلك المال ؛ وجاء قوم آخرون معهم مال ؛ فأُخْبِرُوا بمكان ابن هرمة ؛ فاسْتَثقَلُوه وكرهوا أن يعلَم بهم ؛ فأمر الرجل ابنتَيه فقالتا : يا أبا إسحاق : أمَا دَرَيْتَ ما النَّاسُ فيه ! قال وماهم فيه؟ قالتا : زُلزِلَ بالرَّوْضَة [فتغافلهما، ثم جاء أبوهما متفازعا فقال : أى أبا إسحاق، ألا تفزع لما الناس فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قال : زلزل بالروضة] قال : قد جاءكم إنْسانٌ ومعه مالٌ ، وقد فرغ(٤) ما جئتكم به وثَقُلْتُ عليكم(٥) ، فأردتَ إدخالَه وإخْرَاجى ؛

(١) فى ت : وبالدين .

(٢) هو أحمد بن قحطبة والى مصر من قبل الخليفة أبى جعفر المنصور سنة ١٤٣ هـ ، وإنما خاف ابن هرمة من نسبة الشعر إليه ، لأن المنصور كان شديد الطلب لمن يميل إلى العلويين .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت ، والتكملة من غ .

(٤) فى غ : نفضت .

(٥) فى غ : عليه .

أيُزَلْزَل بِرَوْضَة من رِياضِ الجَنَّةِ ويُتْرَك مَنْزِلك وأنت تَجْمَعُ فيه الرجالَ على زوجتك وابْنَتَيْك ! والله لا عُدْتُ إليك[١]، وخَرَجَ من عنده فأتى عَبْدَ الله بن حسن، فقال : إنِّي مدحْتُك فاسمع مِنِّي ؛ فقال: لا حاجة لى بذلك ، أنا أعطيك ما تريد ولا أسمع؛ فقال: إذًا أَسْقُط ويَكْسُد شِعْرى ؛ فسمع وأمر له بمائتى دينار ، فأَخَذَها وعاد إلى الرجل ، وقال : قد جئتُك بما تنفقه كيف شئت ؛ وأقام حتى نَفِدَت .

كان ابنُ هَرْمَة يمدح أبا الحَكَم بن المطَّلب بن عبد الله وكان يكرمه ، ثم إنَّ أبا هَرْمَة أرسل إلى عبد العزيز بن المطَّلب كِتابًا يشكو إليه بَعْضَ حالِه ، فبعث إليه بخمسة عشر دينارا ، فمكث شهراً ثم بَعَثَ إليه يطلُب منه شيئاً آخر بعد ذلك ، فقال : أنَا والله لا أَقْوَى[٢] على ما كان يَقْوَى عليه أبُو الحَكَم.

فقال ابن هرمة فيه :

أبا البخلِ تَطْلُب ما قدَّمَتْ عَرانِينُ جادَتْ بأموالها
فهَيْهَات ! خالفتَ فِعْلَ الكِرام خِلافَ الجهال بأبْوالِها

تَزَوَّج ابن هرمة امرأةً فقالت له : أعطِني شيئاً فقال: والله ما مَعِي سِوَى نَعْلِى ، فدفعها إليها ومضى معها فتورَّكها مِرارًا ؛ فقالت له: أَحْفَيْتَنِي ، فقال : الّذى أَحْفَى صاحِبَه منا يعَضُّ بَظْرَ أُمِّه .

قال ابن هرمة[٣]: كنتُ قد قلت بَيتاً ثم انْقَطَع بى الرَّوى فيه ، وتعَذَّر على ما أَشْتَهِيه فأبْغَضْتُه وترَكْتُه .

وهو :

فإنك واطِّراحَك وصلَ سُعْدى لأُخرى فى مَوَدَّتِها نُكُوب

---

(١) فى غ : إليه .
(٢) فى غ : إنا .. لا نقوى .
(٣) جاء هذا الخبر فى ترجمة إبراهيم الموصلى بالجزء الخامس من الأغانى ، طبع دار الكتب ص ٢١٥ .

ثم مرّت بى جارية صفراء مليحة كنتُ أستحسنُ وجهها وأُكلّمها إذا مرّت بى فرأيتُها وقد وَرِم وجهُها وتغيرت خِلْقتُها بعد عمّا كنت أعرفها ، فسألتُها عن خبرِها فقالت : كان فى بنى فلان عُرْس أردتُ حضورَه فاستعارَ لى أَهْلى حلياً ونقبُوا أذنى لألبسَه فورم وجهى وأُذُناى كما ترى ، فردّوه ولم أشهدِ العُرْس. قال ابنُ هرمة : فاطّرد لى الشعر فقلتُ :

كشاقبةٍ لحَلْى مُستعارٍ ... بأذْنيها فشانهُما الثُّقُوب
فأدّت(١) حَلْيَ جارتِها إليها ... وقد بَقِيت بأذْنيْها ثُقُوب(٢)

كان(٣) العبّاس بن الوليد بخيلًا لا يُحِبّ أن يُعْطِىَ أحدًا شيئاً فقال : ما بالُ الشعراء يَمْدحُون أهلَ بيتى جميعاً ولا يمدحوننى(٤)! فبلغ ذلك ابن هرمة وقد كان مدحه فلم يُثِبه ، فقال يُعرِّض به ويمدح عبدَ الواحد بن سليمان من قصيدة :

ومُعْجَبٍ بمديحِ الشِّعر يمنعُه ... من المديح ثوابُ المَدْحِ والشَّفَقُ

فأعطاهُ عبدُ الواحد ثلاثمائة دينار وخِلْعَة موشيّة من ثيابه ، وحمله على فرس وأعطاه ثلاثين لِقْحَة(٥) ومائة شاة ، وسأله عمّا يكفيه فى كل سنة ويكفى عيالَه من البُرِّ والتمْرِ فأخبره ؛ فأمر له بذلك أجْمع ، وقال له : لك على مثل هذا فى كل سنة ما دُمتُ ودمتَ ، واقتطعه لنفسه(٦) وأَنِسَ به وقال له : لستُ بمُحوجك إلى غيرى أبداً ، وأَخَذَ عليه ألّا يَمْدَحَ أحداً غيره ، وكان واليًا على المدينة ، وكان لا يدَعُ

(١) فى غ : فردت .

(٢) فى غ : ندوب .

(٣) جاء هذا الخبر ضمن أخبار عبادل فى الجزء السادس من الأغانى طبع دار الكتب ص ١٠٢ وما يليها .

(٤) فى غ : تمدحنى .

(٥) اللقحة : الناقة الحلوب، وفى ت : نعجة .

(٦) فى ت : إلى نفسه .

بِرَّه وصِلَتَه والقِيامَ بمؤونته : فعُزِلَ(١) وَوُلِّيَ مكانه غيرُه من بنى الحارث بن كعب ، قال ابنُ هَرْمَة : فدعَتْني نَفْسى إلى مدحه طمعا أن يَهَبَ لى مثلَ ما كان عبدُ الواحد يَهَب لى ، فمدحتُه فلم يَصْنَع بى ما ظَنَنْتُ(٢) ، ثم قَدِم عبدالواحد فأُخْبِر أَنِّى مدحتُ الذى عُزِل به ، فحجَبَنى ورُمْتُ الدخولَ إليه فمُنِعْتُ ، فلم أَدَعْ بالمدينـة وَجْهاً ولا رجلا له وَجَاهَةٌ(٣) من قريش إلَّا سألتُه أن يَشْفَع لى فيأبَى ذلك ولا يَفْعَلُه . فلما أَعْوَزَتْنِى الحِيَل أتيتُ عبدَ الله بن الحَسَن(٤) بن الحَسَن بن عَلِيّ بن أَبِى طالب رضى الله عنه . فقلت : يا ابْنَ رسول الله ، إنّ هذا الرجلَ قد أكرمنى وأخذ علىَّ أَلَّا أمدحَ أحداً سواه فأعطيتُه ذلك ، ثم دعانى الشَّرَهُ إلى أَنْ مدحتُ الوَالِيَ بعده . وقصصتُ عليه قِصَّتِى ، وسألتُه أَنْ يشفَع لى ، فرَكِب معى . فأخبرنى الواقِفُ على رأسِ عَبْدِ الواحد أن عبد الله لمـا دخل عليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلَى جَانبه وقال : أحاجَة غَدَتْ بك ؟ قال : نعم ؛ قال : كُلّ حاجة لك مقضِيَّة إلّا ابنَ هَرْمة ، قال : إنْ رأيتَ أَلَّا تَسْتَثْنِى فى حاجَتِى فافْعَل ؛ قال : قد فعلتُ قال : فحاجَتِى ابْنُ هَرْمَة ، قال : قد رَضِيتُ عنه وأعدتُه إلى منزلَته ، قال : فتأْذَنُ له أن يُنشدك ، قال : تُعْفِينِى من هذه ، قال : أَسْأَلُكَ(٥) أَنْ تَفْعَل ، قال ائْتُوا به(٦) ؛ فدخلتُ عليه وأنشدتُه قوْلى :

وَجَدْنَا غَالِباً كانت جناحاً ... وكانَ أَبُوكَ قَادِمَةَ الجَنَاح

---

(١) فى غ : فلم ينشب أن عزل .
(٢) فى ت : طلبت .
(٣) فى غ : نباهة .
(٤) فى ت : حسن .
(٥) فى ت : لك .
(٦) فى ت : فأتوا .

فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رِزّه[١] ثم وثب مُغْضَباً ، وأوجزتُ[٢] في الإنشاد ، ثم لحقته فقلتُ : جزاكَ اللهُ خيرا يا ابن رسول الله ؛ فقال : لكن لا جزاكَ الله خيرا يا ماصَّ كذا من أُمِّه ، تقول لابن مروان بحضرتى :

* وكان أبوكَ قادمةَ الجناحِ *

وأنا ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ! فقلت : جعلني الله فداك ، إنّى قلتُ قولًا أخدعُه به طلباً لدُنياه[٣] ، ووالله ماقِستُ بكم أحدا قط . أَو لَمْ تسمع قد قُلْت فيها :

* وبعضُ القولِ يذهبُ في الرِّياحِ *

قال : فضحك عبد الله وقال : قاتلك الله ، ما أظرفك . وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبد الواحد من فاخر الشِّعْرِ وجيِّده، فمنها :

أعبدَ الواحدِ المحمودِ إنّى ... أغصُّ حِذارَ سُخْطِك بالقراحِ
فإن أكُ قد هفوتُ إلى أميرٍ ... فعن غير التطوُّعِ والسَّماحِ
ولكن سقْطةَ كُتِبت[٤] علينا ... وبعضُ القولِ يذهبُ في الرِّياحِ
لعمرُكَ إنّني وبني عَدِيٍّ[٥] ... ومَنْ يهوَى[٦] رشادي أو صلاحي
إذا لم ترضَ عنّى أو تَصِلْني ... لفي[٧] حَيْنٍ أعالجه مُتاحِ
وإنّي إذ حططتُ إليك رحلي ... بِغَرْبِيِّ الشَّرَاةِ[٨] لذو ارتياحِ

---

(١) في ت : ذرة « تحريف » . والرز : الصوت .
(٢) في غ : تجوزت .
(٣) في ت : أجد غرته طلب الدنيا .
(٤) في غ : عيبت .
(٥) بنو عدى : قوم ابن هرمة .
(٦) في ت : ليهوى بى .
(٧) في ت : أفى .
(٨) في ت : السراة .

هَشَشْتَ لِحاجَةٍ ووعدتَ أُخْرى ولم تَبْخَل بناجزَة السَّماحِ[١]
وجدنا غالِباً كانت[٢] جَناحاً وكان أَبُوكَ قادِمَةَ الجناح

قال عُبَيْد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ : قلتُ لابْنِ هَرْمَة : أتمدحُ عبدَ الواحد ابن سليمان بشعر ما مدحتَ به أحدا غيره [فتقول فيه هذا البيت :

وجدنا غالبا كانت جناحًا وكان أبُوكَ قادمة الجناح][٣]

ثم تقول فيه :

أعبدَ الوَاحِد المَحْمُود[٤] إنى أَغَصُّ حِذارَ سُخْطِك بالقَراح

فبأَىّ شيء استوجَبَ هذا منك ؟ فقال له : أخبرك بالقِصَّة لتعْذُرَنى : أصابتنى أَزْمَة بالمَدِينَة فاستَنْهَضَتْنى ابنةُ عمى للخُرُوج ؛ فقلت لها : إنه ليس عِندى ما يُقِلّ جناحى ؛ فقالت : أنا أُنْهِضُكَ بما أمكننى[٥]. وكانت عندى نابٌ لى ، فنهضتُ عليها حتى دَفَعتُ إلى دمشق ، فأويتُ إلى مَسْجِد عبدِ الواحد فى جوف الليل ، فجلستُ فيه أنتظره إلى أن نظرتُ إلى بزُوغ[٦] الفجْر ، فإذا البابُ يَنفَلِقُ عن رجل كأنه البدر ، فدَنَا فأذَّن فَصَلَّى ركعتين ، فتأملته فإذا هو عبد الواحد . فقُمْت فدنوتُ منه وسلَّمت عليه ؛ فقال : أَبُو إسحاق[٧] ! أهلا ومَرْحباً ؛ فقلت : لبَّيْكَ فِداكَ أبى وأُمِّى ! وحَيَّاكَ اللهُ بالسَّلام وقَرَّبك من رِضْوانه ؛ فقال : أما آن لك أَنْ تزُورَنا، فقد طَالَ العَهْدُ واشتد الشَّوْق ، ما وراءك ؟ فقلت : لا تسألنى فإنَّ الدهرَ قد أَخْنَى عَلَىَّ ،

(١) فى غ : السراح .
(٢) فى غ : خلقت .
(٣) ساقط من ت والتكملة من غ .
(٤) فى غ : الميمون .
(٥) فى ت : أنا أنهض بما أقلنى .
(٦) فى ت : فرع .
(٧) فى ت : أبا إسحاق .

فما وجدتُ مُسْتَغاثاً سِواكَ[١] ؛ فقال : لا تُرَع فقد وردتَ على ما تُحِبّ إن شاءَ الله تعالى . فوالله إنّى لأخاطبه إذا بثلاثة فتيـة قد خرجوا فسلَّمُوا ، فاستدْنَى الأكبرَ منهم فهمَس إليْه بشيء دُونِى ودون أَخَوَيْه ؛ فمضى إلى البَيْتِ ثم رجَع ، فجلس إليه فكلّمَه بشىء ثم وَلَّى ، فلم يلبَثْ أنْ خَرَج ومعه عبـد ضَابِطٌ[٢] يَحمِل عِبْئاً من الثِّيَاب[٣] حتى صار بين يدَىَّ ؛ ثم همَسَ إليه ثانيةً فعاد ، وإذا به قد رجع ومعه مثل ذلك ، فضرب به بَيْنَ يدَىَّ . فقال لى عَبْدُ الواحد : اُدْنُ أَبَا إسْحَاق فإنى أَعْلَمُ أنَّك لم تَصِر إلَىَّ حتى تفاقم صَدْعُك ، فخُذْ هـذا وارْجعْ إلى عِيَالِك ، فوالله ما سَلَلْنا لك هـذا إلّا من أَشْداقِ عِيَالِنا ؛ ودفَع إلَىَّ ألفَ دِينَار ، وقال : قُم فارْحل وأَغِثْ مَنْ وَرَاءَكَ ! فَقُمْتُ إلى البَاب ، فلما نظرتُ إلى نَاقَتِي صَفَتْ إلَىَّ[٤] فقال : ما أظنّ هذه مُبلغتَك ، يا غُلَام ؛ قدّم له جَمَلِى فلانا . فوالله لَكُنتُ بالجَمل أَشَدَّ سُرُورًا مِنِّى بكُلِّ ما نِلْتُه فلا تَلُومنى أَنْ أَغَصّ حِذَارَ سُخْطِ هذا بالقَرَاح ! والله ما أَنْشَدْتُه بيتاً وَاحِداً .

دخل[٥] ابنُ هَرْمة على المنصور فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنى قد مدحتُك مدحة لم يمدح أحَدٌ أَحَداً بِمِثْلها ؛ قال : وما عسى أن تقول فِىَّ بعد قول كعب الأشقرى[٦] فى المهلَّب :

بَرَاكَ اللهُ حِينَ بَرَاكَ بَحْرًا وفجَّر مِنْكَ أنهاراً غِزَارَا

(١) فى غ : غيرك .

(٢) ضابط : قوى شديد .

(٣) فى ت : « يحمل على عبا يحمل من الثياب» . والعبارة مضطربة ، والتصحيح من «غ».

(٤) فى غ : ضفت .

(٥) جاء هذا الخبر فى ترجمة عبادل فى الجزء السادس من الأغانى طبع دار الكتب ص : ١١٠ .

(٦) هو كعب بن معدان من الأزد ، وأمه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود فى الشجعان ، من أصحاب المهلب .

فقال: قد قلتُ فيك أحْسَن من هذا ؛ فقال : هَاتِ، فأنشده من قصيدة :

له لَحَظَات عَنْ حِفَافَىْ سَرِيرِه إذَا كرَّهَا فِيها عِقابٌ وَنَائِل
فأُمُّ الذى آمنتَ آمِنَةُ الرَّدَى وأُمُّ الَّذِى خَوَّفْتَ بالثُّكْلِ ثَاكِلُ

فأمر له بعشرة آلاف(١) درهم . فقَال له المَهْدِىّ : يا أَمِيرَ المؤمنين قد تَكَلَّف إليك فى سَيْره نَحْوَها ؛ فقال له المنصور : يا بُنَىَّ ، قد وهبتُ لَهُ ماهو أَعْظَم مِنْهَا ، وهبتُ له نفسَه ، أَلَيْسَ القَائِل(٢) :

إذا قِيلَ مَنْ خيرُ مَنْ يُرْتَجَى لمعـــترٍّ فِهْرٍ ومحتاجِهـا
ومَنْ يُعجِل الخيلَ يومَ الوَغَى بإلجامها قبل إسْرَاجِهـا
أشارت نساءُ بَنِى غَالِب إليكَ بـه قبل أَزْوَاجِهـا

ثُمَّ قال لَه : لو رأيتَ هذا حيث رأيته وهو يُنْشِد عَبْدَ الواحد :

وجَدْنَا غَالِباً كانت جَنَاحاً وكان أَبُوك قادِمَةَ الجنَاح

لاستكثرتَ له ما اسْتَقْلَلت ، ولرأَيتَ أَنَّ حياتَه بعد ذلك القَوْل رِبْحٌ كثير . وَوَالله ما هَمَمْتُ له مُذْ يومئذ بخير فذكرتُ قوله إلَّا زَالَ ما عرض بِقَلْبِى إِلَى ضِدّه حتى أَهُمَّ بقتْله ثم أعفو عنه .

وَجَّه المنصور رَسُولًا قاصِدًا إلى ابْنِ هَرْمة ودفع إليه أَلْفَ دِينَار وخِلْعة ، ووصفه له : إنَّكَ تَراه جَالِساً فى موضع كذا فى المَسْجِد ، فانْتَسِب له إلى بَنِى أُمَيَّة أو مَوَالِيهم ، وسَلْه أن يُنْشِدك قصيدتَه الحَائِية التى مَدَح فيها عبدَ الوَاحِد :

وجـــدْنا غالِباً كانت جَنَاحاً وكان أَبُوكَ قادِمَةَ الجَناح

فإنْ أنشدَهَا فأَخْرِجه من المسجد واُضرِب عُنُقَه وجِئْنِى بِرَأْسه ، وإِن أنشدَك

(١) فى غ : بأربعة آلاف درهم .

(٢) مدح بهذا الشعر عبد الواحد بن سليمان .

قَصيدَته اللَّامِيَّة التى مَدَحَنِى بِهاَ فادْفَع إِلَيْه الأَلف دِينَار والخِلْعَة ، وما أَرَاه يُنْشِدُكَ غيرَها ولا يعترف[١] بالحائِيَّة . فأتاه الرَّسُولُ فوَجَده كما قال المَنْصُور ، فجلس إليه وانْتَسَب له واستَنْشَده قصيدتَه الحائية فى عبد الواحد ؛ فقال : ما قلتُ هذه القَصِيدَةَ قط ولا أعرفها وإنَّمَا نَحلَهَا إِيَّاىَ[٢] مَنْ يُعَادِينى ، وإِنْ شِئْتَ أنشدتُك ، أَحسَن منها ؛ فقال : قد شِئْت فهَاتِ ؛ فأنشده قَصِيدَتَه اللَّامِيَّة :

فأُمّ الَّـــذى آمنتَ آمِنَةُ الرَّدَى وأُمّ الَّذى خَوَّفتَ بالثُّـكْل ثَاكِل

إلى آخرها ، ثم قال : هات ما أَمر بهِ أَميرُ المُؤْمنين ، قال : أَىّ شىء هُوَ يَاهَذَا ؟ فقال : دَعْ عنكَ ذا ، فوالله ما بَعَثَ بِكَ إِلّا أميرُ المُؤْمنين ومَعَك بِرُّه وكُسْوة ، وأَمرَكَ أَن تَسْأَلنى عن القَصِيدَة ، فإنْ أنشدتُكَ إِيَّاهَا ضربْتَ عُنُقِى وحَمَلْتَ رأْسِى إليه ، وإِنْ أنشدْتُـك هَذِه دَفَعْتَ إِلَىَّ ما حَمَّلك إِيَّاه[٣] ، فضَحِك الرسولُ وقال : صَدَقْت لَعَمْرِى ، ودفَع إليه الأَلْفَ الدِّينار والخِلْعَة .

ولابْنِ هَرْمَة[٤] :

وإنّك إذ[٥] أطمَعْتَنِى منك بالرِّضا وأيأَسْتَنى من بعــد ذلك بالغَضَبْ
كمُمْـكِنَةٍ من دَرّها[٦] كَفّ حَالِبٍ ودافقةٍ من بعـــد ذلك ما حَلَبْ

---

(١) فى ت : تعريف « تحريف » .
(٢) فى ت : يحكها إلى . « تحريف » .
(٣) فى ت : إياها .
(٤) جاء هذا الخبر فى ترجمة عبيد الله بن طاهر بالجزء التاسع من الأغانى طبع دار الـكتب ص : ٤٣ .
(٥) فى ت : إن .
(٦) فى غ : ضرعها .

قال أبو نواس : شَاعِران شَبَّها فى بَيْتَين ووضَعا التَّشْبِيه فى غير موضعه ، فلو أُخِذ بيتُ هَذَا ووضع مع بَيْتِ هَذَا ، وبيتُ هَذَا وُضِع مع بَيْتِ هَذَا لصار مُشْتَبِهاً به[١] وهما قَوْلُ جَرِير للفرزدق :

وإِنَّك إنْ تهجُو تمِيماً وترْتَشِى ... تبَابِينَ قيس أو سُحوق العمَائِم[٢]
كمُهْرِيق مـاء بالفَلاةِ وغَرَّه ... سرابٌ بدَا فى أَغْبر اللَّوْنِ قَاتِم[٣]

وقول أبن هَرْمَة :

وإنِّى وترْكِى ندَى الأَكْرمينَ ... وقَدْحى بِكَفَّىَّ زَنْدًا شَحَاحا
كتَارِكَةٍ بيْضَها بالعَـرَاء ... ومُلْبِسَةٍ بيضَ أُخْرى جنَاحا

ولو قال ابنُ هرمة :

وإنّى وترْكِى ندَى الأَكْرَمِينَ ... وقد حى بِكَفَّىَّ زَنْدًا شَحَاحا
كمُهْرِيق مَاءٍ بالفَلاةِ وغَـرَّه ... سرابٌ بدَا فى أَغْبَرِ اللونِ قَاتِم

فكان أشبَهَ لَهُما . ولـكن أبنَ هَرْمَة قد تَلَافَى ذلك بعد فقال :

وإنّكَ إذْ أطمَعتنى منك بالرِّضا ... وأيْأسْتَنِى من بعدذَلك بالغضب
كمُمكِنَةٍ من درِّها كَفَّ حَالِبٍ ... ودافقةٍ من بَعْد ذَلك ما حَلَبْ

جَلَسَ[٤] ابنُ هَرْمة مع قوم يَشْرَبُون فذكَرَ الحَـكَم بن المطَّلب فأَطْنَبَ فى مَدْحِه ، فقيل له : إنَّك لتُكْثِر ذِكْرَ رَجُل لو طَرَقْتَهُ الساعةَ فى شَاةٍ عنده يقال لها غَبْرَاء[٥]

---

(١) فى غ : لصار متفقا معنى وتشبيها .

(٢) فى ت : بما بين قيس أو سحيق الغمائم والتبابين : السراويل الصغيرة مقدار شبر ، تستر العورة المغلظة فقط يلبسها الملاحون .

(٣) فى غ : أذاعته رياح السمائم بدل : بدا فى أغبر اللون قاتم .

(٤) فى ت : حبس .

(٥) فى غ : غراء .

تسأله إياها لردَّك عَنْهَا ! فقال : أهو يَفعل هذا ؟ فقالوا : إي وَالله ، وكانوا قد عرفوا أَنْ الحَكَم بِهَا مُعْجَب ، وكان فى داره سَبْعُون شاة تُحْلَب ، فخرج وفى رَأْسِهِ ما فيه ، فدَقَّ الباب فخرَجَ غلامه إليه : فقال : أَعْلِمِ أَبَا مرْوَانَ بِمَكَانى ـ وكان لا يُحْجَبُ ابنُ هَرْمةَ عنه ـ فأَعْلَمَه به ، فخرج إليه مُتَّشِحًا ، فقال أَفِى هذه الساعة! قال: نعم جعلت فِدَاكَ ، وُلِدَ لأَخ لِى فى هذه الساعة مولودٌ ، فلم تَدِرّ عليه أُمُّه ، فقالوا : شَاةٌ حَلُوب فلم يَجِدوها فذُكِرت لى شَاةٌ عندك يقال لها غَبْرَاء ، فسأَلنى أَنْ أَسْأَلَكَها ؛ فقال : أَتجىء فى هذه السَّاعَةِ ، ثم تَنْصَرف بِشَاةٍ واحدة ! والله لا يبقى فى الدّار شاة إلا انْصَرَفْتَ بِهَا ، وأمر بِسَوْقِهِنّ مَعَه فخرج بِهِنّ إلى القوم ، فقالوا : ويْحَك ! أَىّ شىء صنَعْتَ(١)؟ فقصَّ عليهم القِصَّة ، وقال فيهن : والله ما ثمنه عشرةُ دَنَانِير وأكثرُ من عَشَرة .

كان ابنُ الأعرابى يقول : خُتِم الشُّعراء بابْنِ هَرْمة . وكان ابنُ هرْمَةَ مُغْرَماً بالنَّبيذ ، فمَرَّ على جِيرَانه وهو مُنْبَتٌّ(٢) سُكْرًا ودخل منزله ؛ فلما كَانَ الغَد دخل إِلَيْه جِيرَانُه فعَاتَبُوه على الحَالِ الَّتِي رَأَوْه عَلَيْهَا ؛ فقال لهم : أَنَا فِى طلب مثلها مُنْذُ دهر ، أما سَمِعْتُم قَوْلى :

أَسأَلُ اللهَ سَكْرَةً قبل مَوْتى ... وصياحَ الصِّبْيَانِ : يا سَكْرانُ

فنَفَضُوا ثِيَابَهم وخرجوا ، وقالوا : لَيسَ يُفلح هَذَا أبدًا .

قال الزُّبير بن بَكّار(٣): أَنْشَدنى عَمِّى لابن هَرْمَة:

ما أَظُنُّ الزّمانَ يا أُمَّ عمرٍو ... تارِكًا إنْ هلكتُ مَنْ يَبْكِينِي

---

(١) فى ت : ثم قال : ويلكم : أى شىء صنعتم .

(٢) فى ت : مثبت « تحريف » .

(٣) فى ت : الزهرى بكار « تحريف » .

قال : فكانَ واللهِ كذلك . لقد ماتَ فأخبرَنى مَنْ رأى جِنازَتَه يحملها أربعةُ نفر حتى دُفِن بالبَقِيعِ .

قال البَلاذُرِىّ : وُلِد ابنُ هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أَرْبَعِين ومِائة قَصِيدَتَه التى يقول فيها :

إن الغَوانىَ قد أَعْرَضْنَ مَقْلِيَةً ... لَمَّا رمى هَدَفَ الخَمْسِين مِيلَادِى

وعُمِّرَ بعد هذا مُدَّة طَوِيلَة .

قال[1] يَحْيَي بن عُروة بن أُذَيْنة : خرجتُ فى حاجة لى ، حتى أتيتُ السَّيَّالة[2] فتوقفت[3] على منزل إبراهيم بن هَرْمة فصِحْت : يا أبا إسحاق ، فأجابتنى ابْنَتُه وقالت: خرج آنفاً فقلتُ : هل من قِرًى ؟ فإنى مُقْوٍ من الزّاد ، فقالت : لا والله فقُلْتُ : أينَ قَوْلُ أَبيك .

لا أُمْتِعُ العُوذَ بالفِصَال[4] ... ولاَ ... أَبْتَاعُ إلَّا قَرِيبَةَ الأَجَل

قالَتْ : فَذاكَ[5] واللهِ أَفْنَاهَا . وكان ابنُ هرمة بَخِيلًا .

اجتمع قومٌ من قريش فأتوا ابنَ هرمة وعَبَثُوا بِهِ ، وتزَوَّدُوا زَادًا كثيرا ، ثم أَتَوْه فخَرَجَ إليهِم وقال: حَاجَتُكم[6]؟ فقالوا سمِعنا بِشِعْرِك ، فدَعَانا إلَيْك ما سَمِعْنا مِنه وهو :

---

(١) جاء هذا الخبر فى ترجمة إبراهيم الموصلى فى الجزء الخامس من كتاب الأغانى طبع دار الكتب / ٢٦٠ .

(٢) السيالة : أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة .

(٣) فى غ : فلما كنت بالسيالة وقفت .

(٤) فى ت : لا أبتع العود الفصال « تحريف » .

(٥) فى غ : بذاك .

(٦) فى غ : ما جاء بكم .

كَمْ نَاقَةٍ قد وَجَأْتُ مِنْحَرَهَا   بِمُسْتَهِلِّ الشُّؤْبُوب أَوْ جَمَل
لا أُمْتِعُ العُوذَ بالفِصال ولا   أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الأَجَل

فنظر إليهم طويلًا وقال: ما على الأَرْض عِصَابَةٌ أضعفُ عُقُولًا منكم ولا أَسْخَف ، فقالوا له : يا عَدُوَّ الله ! أَتَيْنَاكَ زَائِرِين وتُسْمِعُنَا هذا الكَلَام ؟ فقال : أَمَا سَمِعْتم قولَ الله عَزَّ وجَلَّ فى الشعراء : « وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ »(١) أَيُخْبِرُكم الله تَعَالى أَنِّى أَقُولُ ما لا أَفْعَل وتُرِيدُون مِنِّى أن أَفْعَلَ ما أَقُول! فضَحِكوا منه وأخرجُوا له ما مَعَهم وأَقَامُوا مُتَنَزِّهِين وانصَرَفُوا .

(١) الشعراء / ٢٢٦ .

إسماعيلُ بنُ يَسَار النِّسَائِي

(هو مَوْلَى بنى تَيْم بن مرّة : تيْمِ قريش ، وكان مُنقَطِعاً إلى آل الزُّبَير ، فلما أفضت الخِلافةُ إلى عبد الملك ، ابن مروان وفَد إليه مع عُروةَ بن الزُّبَيْر ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده ، وعَمَّر طويلا إلى آخر سلطان بنى أُميَّة ولم يُدْرِكْ الدولةَ العَبَّاسِيّة . وكان طَيِّباً مَليحا مُنْدِراً[1] مَلِيح الشِّعر) . وكان كالمنقطع إلى عُرْوة بن الزُّبَيْر . (وإنما سُمِّىَ إسماعيلُ بن يَسَار النِّسائى ، لأن أَبَاه كان يصنَع طعامَ العُرْس ويَبِيعُه) ويشْتَرِى منه مَنْ أراد التَّعرِيس من المتجمِّلين وممَّن لم تبلغ حالُه اصْطِناعَ ذلك وقيل سُمِّىَ بذلك لأَنَّه كان يَبِيع النَّجْد والفُرُشَ التى تُتَّخَذُ للعَرائِس فسُمِّى يَسَارَ النِّسَائى .

ولَمَّا وفد مع عُرْوة بنِ الزُّبير إِلَى الشَّام يُرِيد الوليدَ بن عبد الملك ركب معه فى المَحْمَل فعادَلَه[2] ، فقال عُرْوَةُ ليلةً من اللَّيالى لبَعْضِ غِلْمَانه : انظر كَيْف ترى المَحْمِل ؟ قال : أراه مُعْتَدِلًا ، فقال إسْمَاعِيلُ : اللهُ أَكْبر ، ما اعْتَدَل الحقُّ والبَاطِلُ قبل اللَّيْلَةِ قطّ فضَحِك عُرْوَةُ . وكان يَسْتَخِفّ إسْمَاعِيلَ ويَسْتَطِيبُهُ .

وكان إسْمَاعِيلُ بنُ يَسَار يَنْزِل فى مَوْضع يُقَال له : حُدَيْلة[3] وكان له جلساء يتحدثون عنده ، فَفَقَدَهم أَيَّاماً ، فسأل عَنْهم فقِيل : هُم عِندَ رَجُل حُلْو ظَرِيف طَيِّب الحدِيث يَتَحدَّثُون إليه قَدِم عليهم اسمه مُحَمَّد وكُنْيَتُه أَبُو قَيْس ، فجاء إسْمَاعيل

---

(١) مندر : يأتى بالنوادر من قول أو فعل .

(٢) فى ت : يعادله .

(٣) حديلة : محلة بالمدينة بها دار عبدالملك بن مروان وفى ت : جديلة . وجديلة : مكان فى طريق خارج البصرة .

حتى وَقَف عليهم فسمع الرجلُ القومَ يقُولون : جاءَ صَدِيقُنا إسماعيلُ ، فأقْبَل عليه فقال : أَنْتَ إسْمَاعيل ؟ فقال : نعم ، فقال : رَحِمَ اللهُ أَبويْك فإنهما سَمَّيَاك بِاسْم صَادِقِ الوعد وأنتَ كاذِب . فقال له إسْمَاعِيل : ما اسْمُك ؟ قال : محمّد ، قال أبو مَنْ ؟ قال : أبو قَيْس . فقال : لا يَرْحَم اللهُ أبويْك فإنَّهُمَا سَمَّيَاك باْسم نَبِيّ وكَنَّيَاك بِكُنْية قِرْد ، فأُفحِم الرجُل وضحك القوم ، ولم يَعُد لِمُجَالَسَتِهم وعادوا إلى مُجالَسَة إسْمَاعِيل .

ولإسْمَاعِيلَ قَصِيدَتُه التى يَفخَر بِهَا بالعجم على العَرَب ، أَوَّلُها :

ما عَلَى رَسْم مَنزل بالجِنَاب ... لو أَبانَ الغَدَاةَ رَجْعَ الجَوَاب
رُبَّ خَالٍ مُتَوَّجٍ لِى وعَمٍّ ... مَاجِدٍ مُجْتَدًى[1] كَرِيم النِّصَاب
إنَّما سُمِّى الفَوارِسُ بالفُرْ ... س مُضَاهَاةَ رِفْعَةِ الأَنْسَاب
فاترُكى الفخرَ يا أُمَامُ علينَا ... واترُكى الجَوْرَ وانْطِقى بالصَّوَاب
واسألى إنْ جَهِلْتِ عَنَّا وعَنْكُم ... كيف كُنَّا فى سَالِف الأَحْقَاب
إذ نُرَبِّى بنَاتِنا وتَدُسُّو ... ن سَفَاهاً بنَاتِكم فى التُّرَاب

وكانت كُنْيَة إسْمَاعِيل أَبَا فَائِدٍ[2] ، وكانَ أَخواه مُحَمَّد وإبْرَاهِيم شاعرين أيضا ، وهما من سَبْى فَارِس (وكان إسماعيل شُعُوبِيًّا[3] شَدِيدَ التَّعَصُّب للعَجَم ، له شِعْر كَثِير يَفْخَر فيه بالأَعَاجم على العرب)

(وأَنْشَدَ يوماً فى مَجْلس فيه أَشْعَب هذا البيت :

إذْ نُرَبِّى بنَاتِنا وتَدُسُّو ... نَ سَفَاهاً بنَاتِكم فى التُّرَاب

---

(١) فى ت : المجتدى .

(٢) فى ت : وافد « تحريف » .

(٣) الشعوبية : قوم يصغرون شأن العرب ، ولا يفضلونهم على العجم .

فقال له أَشْعَب : صدقتَ يا أَبَا فَائِد ، أراد القوم بناتِهم لغير ما أَرَدْتُمُوهُنّ له ؛ فقال له : وما ذلك ؟ قال : دَفَنَ القوم بناتِهم خوفاً من العارِ عليهم[1] وربَّيْتُمُوهن لتنكحوهنّ ؛ فضحك القوم حتى استَعْبَرُوا[2] ، وخَجِل إسْمَاعيل حتى لوْ قدرَ أن يَسِيخ فى الأرض لفعل)

قال إبراهيمُ بن أَبى عَبْدِ الله : رَكِبَ فلانٌ من ولد جَعْفَر بْنِ أَبى طَالِب رَضِىَ اللهُ عنه فأَمَر بإسماعيل بن يَسَار النَّسَائى حتى أَتَى به قُبَاء ، فاستخرجَ الأحوصَ فقال له : أنْشِدْنى قولَك :

ما ضَرَّ جِيرَانَنَا إذِ انْتَجَعُوا   لو أَنَّهم قبلَ بَيْنِهم رَبَعُوا

فأَنْشَدَهُ القصيدةَ فأُعِجبَ بها ثم انصرَفَ ؛ فقال له إسْمَاعِيل : أما جِئْتَ إلّا لِمَا أَرَى ؟ قال : لا ؛ قال : فاسمع ، وأنشده قَصِيدَتَه التى هى :

يا هندُ رُدِّى الوصلَ أن يَتَصرَّما   وصِلِى امْرأً كَلِفاً بِحُبِّك مُغْرَمَا

لو تَبْذُلين له[3] دَلَالَكِ مَرَّةً   لم يَبْغِ منكِ سوى دلالك مَحْرَمَا

مَنَع الزِّيَارَة أنَّ أهلَك كلَّهم   أبدَوْا لِزَوْرِك غِلْظَةً وتجهُّمَا

ما ضَرَّ أهلَك لو تَطَوَّفَ عَاشِقٌ   بِفِنَاءِ بَيْتك أو أَلَمَّ فَسَلَّمَا

فقال : لو كنتُ سمِعتُ هذه القصيدة أو علِمتُ أَنَّك قلتها لما أتيتُك.

سَمِع زَبَّانُ السَّوَّاق رجلًا يُنْشِد قول إسْمَاعِيل .

ماضَرَّ أهلَك لو تَطَوَّفَ عَاشِقٌ   بفِنَاءِ بيتِك أو أَلَمَّ فَسلَّمَا

فقال : لا شَىْءَ واللهِ إلّا الضَّجَر وسُوء الخُلُق وضِيق الصّدر ، وجعَل يَبْكى ويَمْسح عَيْنيه .

---

(١) فى ت : بناتهن . . عليهن . « تحريف » .

(٢) استعبروا : جرت عبرتهم من كثرة الضحك . وفى غ : استغربوا أى بالغوا فى الضحك.

(٣) فى غ : لنا .

قال جَعْفَر بن الحسين[١] اللهبي : أنشدتُ زَبَّان السَّوَّاق قولَ إسماعيل بن يَسَار النِّسَائِي[٢] :

إنَّ جُمْلًا وإنْ تَبَيَّنْتُ منها ... نَكَبًا عن مَوَدَّتِي وازْوِرَارَا
شَرَّقَت بادكارِها اليومَ عَيْنِي[٣] ... وأُطِير العَزَاءُ مِنِّي[٤] فطَارَا
ما على أَهْلِها ولم تَأْتِ سُوءًا ... أن تُحَيَّا تَحِيَّةً أو تُزَارَا
يومَ أَبْدَوْا لِيَ التَّجَهُّم فيها ... وحَمَوْها لَجَاجَةً وضِرَارَا

فقال زَبَّان : لا شيءَ وأبيهم إلا اللَّحَز[٥] وقلَّةُ المَعْرِفَة وضِيقُ العَطَن ؛ فصاح عليه أبو المُعَافَى[٦] وقال : فعَلَى مَن ذاك وَيْلك ![٧] أعليك أو على أبيك أو أمك ؟ فقال له زَبّان : يا أَبَا المُعَافَى إنَّما أُتيتَ من نَفْسك ، ولو كنتَ تفعلُ هذا ما اختلَفْتَ أنتَ وأَبُوك فوثب عليه[٨] أبوالمُعَافَى يَرْمِيه بالتُّراب ويَقُول له : يا سَفِيهُ ويْحَك![٩] تُحْسِنُ الدِّيَاثَة ؛ وزَبَّان يَهْرَب مِنْه .

غَنَّى الوَلِيدُ بنُ يزيد فى شِعْر إسْمَاعِيل بن يَسَار النِّسَائِي :

حتَّى إذَا الصبحُ بدا ضَوْؤُه ... وغابت[١٠] الجَوْزَاء والمِرْزَمُ
خرجت والوَطْءُ[١١] خَفِيٌّ كما ... ينساب من مَكْمَنِه الأَرْقَمُ

---

(١) فى ت : الحسن .
(٢) فى ت : إسماعيل بن بشار النساء « تحريف » .
(٣) شرقت العين : احمرت وفى غ : شردت بادكارها النوم عنى .
(٤) فى ت : عنى .
(٥) فى ت : الخير « تحريف » .
(٦) فى ت : المعافا « خطأ إملائى » .
(٧) فى ت : ويلر « تحريف » .
(٨) فى غ : إليه .
(٩) فى ت : وذلك « تحريف » .
(١٠) فى غ : غارت .
(١١) فى ت : الوطىء « خطأ » .

فقال : مَنْ يَقُولُ هذا ؟ قالوا : رجلٌ من أَهْلِ الحجاز يقال له إسْمَاعِيل بن يَسَار النِّسَائِى ؛ فـكتب فى إِشْخَاصه إليه ؛ فلما دَخَل عليه استَنْشَدَه القصيدة فأَنْشَدَه :

كَلْثَمُ أنتِ الهَمُّ يا كَلْثَمُ ... وأنتِمُ الدَّاءُ[١] الذى أَكْتُمُ
أُكاتِمُ النـاسَ هوًى شَفَّـنِى ... وبعضُ كِتمَانِ الهوَى أَحْزَمُ
لا تَتْرُكِينِى هـكذا مَيِّتاً ... لا أُمنَح الوُدَّ ولا أُصْرَمُ
أَوْفِى بمـا قُلْتِ ولا تَنْدَمِى ... إِنَّ الوَفِىَّ القوْلِ[٢] لا يَنْدَمُ
آيةُ[٣] ما جِئْتُ على رِقْبَـةٍ ... بعد الـكَرى والْحَىُّ قد نَوَّمُوا[٤]
أُخَافِتُ المشىَ حِذَارَ العِـدَى ... والليـلُ دَاجٍ حَالِكٌ مُظْلِمُ
ودُونَ مَنْ جاوزْتُ[٥] إِذْ زُرْتُـكُم ... أَخُـوكِ والخالُ معا والَحمُ
وليسَ إِلَّا اللهُ لى صاحِبٌ ... إليـكُم والصَّـارِمُ اللَّهْذَمُ
حتى دخلتُ البيتَ فاستَذْرَفَتْ ... من شَفَقٍ عَيْنانِ[٦] لى تَسْجُمُ
ثُمَّ انْجَلَى الُحزْنُ ورَوْعَاتُه ... وغُيِّبَ الـكاشِحُ والمُبْرِمُ
فبِتُّ فِيمَا شِئْتُ من نَعْمَةٍ ... يَمْنَحُنِيهـا نَحـرُها والفَمُ
حَتَّى إِذَا الصبحُ بَدَا ضَوْؤُه ... وغابت[٧] الجَوْزَاءُ والمِرْزَمُ
خرجتُ والوَطْءُ خَفِىٌّ كَمَا ... يَنْسَاب من مَـكْمَنِه الأَرْقَمُ

فطَرِبَ الوليدُ حتى نَزَل عَنْ فَرْشِه وَسرِيره ، وأمر المُغَنِّى فغَنَّى فيه وشَرِب أَقْدَاحا وأمر لإسمَاعِيل بجَائزَة سَنِيَّة وسَرَّحه إلى المَدِينة .

(١) فى غ : دائى .
(٢) فى ت : وفى القول .
(٣) فى ت : ألبه .
(٤) فى ت : والناس قد هرموا . « تحريف » .
(٥) فى غ : ما حاولت .
(٦) فى غ : عيناك .
(٧) فى غ : وغارت .

اصْطَحَب شيخٌ وشُبَّانٌ فى سَفِينة ؛ فقال بعضُ الشُّبَّان للشَّيخ : إن مَعنا قَيْنَةً ونحن نُجِلُّك أن تَسْمَع غِناءَها ؛ فقال : اللهُ المستعانُ فشأْنَكُم ؛ فغنَّت :

حتَّى إذا الصبحُ بَدَا ضَوؤُه ... وغابت الجوْزَاءُ والمِرْزَمُ
خرجت[1] والوطْءُ خَفِىٌّ كما ... ينْسَاب من مَكْمَنِه الأَرْقَمُ

فألقَى الشيخُ نفسَه[2] فى الفُرَات ، وجعل يقول : أنا الأرقَم ! فأدركُوه وقد كادَ يغرَق[3] ؛ فقالوا : ما صَنَعْتَ بنَفْسِك ؟ ! فقال : إنِّى واللهِ أعلمُ من معَانِى الشِّعر ما لا تعلَمُون .

(١) دَخَلَ إسماعيلُ بن يَسَار النِّسائى على هِشَام بن عبدالملك فى خِلافَتِه وهو بالرُّصافة جالِسٌ على بِرْكةٍ له فى قصره ، فاستَنْشَدَه وهو يرَى أنه يُنْشِده مديحاً له فيه . فأنشَدَه قولَه يَفْخَر بالعجَم على العرَب قصيدَته التى يَقُولُ منها :

إنِّى وجَدِّك ما عُودِى بذى خَوَرٍ ... عند الحِفاظ ولا حَوْضِى بمَهْدُومِ
أَصْلِى كَرِيمٌ ومَجْدِى لا يُقاسُ به ... ولى لِسَانٌ كحَدِّ السيفِ مَسْمُومِ
أَحْمِى بِهِ أَصْلَ[4] أقوامٍ ذَوِى حَسَبٍ ... من كل قَرْمٍ بتاج الملك مَعْمُومِ
جَحَاجِحٍ سَادَةٍ بُلْجٍ مَرَازِبَةٍ ... جُرْدٍ عِتَاقٍ مَسَامِيحٍ مَطَاعِيمِ
مَنْ مِثْل كسرى وسَابُور الجُنُود معاً ... والهُرْمُزَان لِفَخْرٍ أو لِتَعْظِيمِ
أُسْدُ الكتائِب يومَ الرَّوع إنْ زَحَفُوا ... وهم أذَلُّوا ملوكَ التُّرك والرُّومِ
يَمْشُونَ فى حَلَق المَاذِىِّ سابِغَةً ... مَشْىَ الضَّرَاغِمَةِ الأُسْدِ اللَّهَامِيمِ
هناكَ إنْ تَسْأَلِى تُنْبَى بِأَنَّ لنَا ... جُرْثُومَةً قهرت غُرَّ[5] الجَرَاثِيمِ

---

(١) فى غ : أقبلت .
(٢) فى غ : بنفسه .
(٣) فى ت : أن يغرق .
(٤) فى غ : مجد .
(٥) فى غ : عز .

(فغضب هشام وقال له : يا عاضَّ بَظْرَ أُمه ، أَعَلَيَّ تفْخَر وإيَّاى تُنْشِد قصيدةً تمدح بها [نفسَكَ][1] وأعلاجَ قوْمِك ! غُطّوه فى الماءِ[2] ، فغُطَّ فى البِرْكَة حتَّى كادَتْ نَفْسُه تخْرُج ، وأَمر بإخْراجه وهو بِشَرّ فنفاه من وقته وأُخْرِج عن الرُّصافَة مَنْفيًّا إلى الحِجاز . وكان مُبْتَلًى بالعَصَبيَّة للعجم والفَخْرِ بهم . فكان لا يزَالُ مَحْرُوماً مطروداً مَضْرُوباً .)

ولما ماتَ مُحمّد بنُ يَسار أخو إسماعيل دَخَل أَخُوه إسمَاعِيل على هِشَام بن عُرْوَة فجلَس عنده وحدَّثَه بمُصيبَته ووفاةِ أَخيه ثم أنشده يرْثيه[3] :

عِيلَ العزاءُ وخَانَنِى صبرى لمَّا نعَى النَّاعِى أَبَا بَكْرِ
ورأيتُ ريبَ الدّهرِ أَفْرَدَنِى منه وأَسْلَمَ لِلْعِدَى ظَهرِى
من طَيِّبِ الأَثْوابِ مُقْتَبَلٍ حُلْو الشَّمائِل ماجِدٍ غَمْرِ[4]
فمَضَى لِوِجْهَتِه وأَدْرَكَه قدَرٌ أُتِيحَ له من القدَرِ
وأَقمْتُ[5] مَا لِى مِنْ تَذَكُّرِه إلا الأَسَى وحَرَارةُ الصَّدْرِ
وجَوًى يُعَاوِدُنِى وقلَّ له مِنِّى الجوَى ومَحاسِنُ الذِّكْرِ
لمَّا هوَتْ أيْدِى الرِّجال به فى قَعْرِ ذَاتِ جوَانِبٍ غُبْرِ
وعَلِمْتُ أَنِّى لَنْ[6] أُلاقِيَه فى النَّاسِ حتَّى مُلْتَقَى الحَشْرِ
كادتْ لفُرْقَتِه وما ظَلمتْ نفسى تموت على شَفَا القَبْرِ

---

(١) ساقطة من ت .
(٢) فى ت : بالماء .
(٣) فى ت : مرثية .
(٤) الغمر : الكريم الواسع الخلق .
(٥) فى غ : وغبرت .
(٦) فى غ : لا .

ولَعَمْرُ من حُبِسَ الهَدِىُّ له ... بالأَخْشَبَيْن صَبيحَةَ النَّحْرِ
لو كانَ نَيلُ الخُلدِ يدركُه ... بَشَرٌ بِطيبِ الخِيمِ والخُبْرِ (١)
لَعَبَرْتَ لا تَخْشَى المَنُونَ ولا ... أَوْدَى بنفسك حادِثُ الدَّهْرِ
ولَنِعْم مَأْوى المُرْملين إذا ... قَحطُوا وأَخْلف صَيِّبُ (٢) القَطْرِ

وكان بحَضْرة هِشَام رجلٌ من آلِ الزُّبَيْر ، فقال له : أحسنْتَ وأسْرَفْتَ فى القول ، ولو قُلتَ هذا فِى رَجُل من سَادَاتِ قُرَيْش لَكَانَ كثيرا ، فزَجَره هِشَام وقال : بِئْسَ لَعَمْرُ اللهِ ما وَاجَهْتَ به جَليسَك ، فشَكَر له (٣) إسْمَاعيلُ ذلك ، فلما انْصَرَف تَناوَلَ هِشَام ذلك الرجل الزُّبَيْرِى وقال : ما أَردتَ إلى رجل شَاعِرٍ مَلَك قولَه ، فصرف أحسَنَه إِلَى أَخِيه ! فما زِدْتَ على أَنْ أَغْرَيْتَه بِعِرْضِك وأعراضِنا لولا أَنِّى تَلافَيْتُه .

دَخَل إسْمَاعيل بن يَسَار عَلَى عَبدِ الملك بنِ مَرْوان لَمَّا أَفْضى إليه الأَمرُ بعد مَقْتَل عبد الله بنِ الزُّبَيْر ، فسَلَّم ثم وَقَف موقف المُنْشِد ؛ فقَال له عَبْدُ الملك : الآن يا ابْنَ يَسَار ! إنَّما أنتَ رجل زُبَيْرِى ، فبأَىّ لِسَان تُنْشِد؟ ! فقال له : يا أَميرَ المُؤْمنين : أَنَا أصغرُ شأْناً من ذلك ، وقد صَفَحْتَ عن أعظمَ جُرْماً وأكثر غناءً لأعدائك مِنّى ، وإنَّمَا أَنَا شَاعِر مُضْحِك ؛ فتَبَسَّم عبد الملك وأَوْمأَ إِلَيْه الوَليد أَن يُنْشِد ، فأنشد قَصِيدَتَه الّتى أَوَّلُها :

* ألا يالقَوْمى لِلرُّقَادِ المُسَهَّد *

---

(١) فى غ : والنجر .
(٢) فى غ : صائب .
(٣) فى غ : فشكره .

ومنها :

ملكتَ فزدْتَ النّاسَ ما لم يَزِدْهُمُ ‏ إمَامٌ من المَعْروفِ غيرِ المُصَرَّدِ[١]

وقُلْتَ[٢] فلم تنقضْ قضاءَ خَليفةَ ‏ ولكن بما قاسُوا من العَدْلِ[٣] تقْتَدى

ولمَّا وَلِيتَ المُلْكَ ضاربتَ دُونه ‏ وأسندتَه لا تأتلى خيرَ مُسْنَدِ

جعلتَ هشاماً والوليدَ ذَخيرةً ‏ ولِيَّيْن للعهد الوثيق المُؤَكَّد

فنظر إلَيْهِما عبد الملك مُبْتَسِماً ، والتفت إلى سليمان فقال : أَخْرَجَك إسْمَاعيل من هذا الأمر ؛ ونَظَرَ إلَى إسْمَاعِيل نَظْرَةَ مُغْضَب فقال إسماعيل : ياأميرَ المُؤْمِنين ، إنَّما وزن الشعر[٤] أخرَجَه مِنْ البَيْتِ الأول ، وقد قلت بعده :

وأمضيتَ عَزْماً فى سُلَيْمَان رَاشِدا ‏ ومن يَعْتَصِم بِالله مثلَكَ يَرْشُد

فأمر له بألْفَى دِرْهم صلة وزاده فى عَطَائه ، وقال لِوَلَده : أَعْطُوه فأعطوْهُ ثلاثة آلافِ دِرْهم .

---

(١) فى ت : مصرد بدون أل .

(٢) فى غ : وقت .

(٣) فى غ : ساروا من الفعل .

(٤) فى ت : البيت .

إبْرَاهِيم المَوْصِلِي

(هو إبراهِيمُ بن مَيمُون)[أو][1] بنِ ماهَان بن بهْمَن بن نسك[2] . وكان سَبَبُ نسبته[3] إلى ميمون أنّه كتَب إلى صَديق له فعَنْوَن كِتابه : من إبراهيم بن مَاهَان ؛ فقال له بَعْضُ فِتْيان الكُوفة : أَمَا تَسْتَحِي مِن هَذَا الاسْم ! فقال : هو اسْمُ أَبِي ؛ قال : فغَيِّره ؛ فقال : كيف أُغَيِّره ! فأخذ الكتاب فمحَا ماهَان وكتب مَيْمُون ، فبَقِي إبْرَاهِيمَ بن مَيْمُون .

(وقال إبْرَاهِيم : أَصلُنا من فَارِس ، وكُنَّا بَيْتاً شَرِيفاً في العجم ، وكان جدُّنا ميمون هرَب من جَوْر بعض عُمَّال بني أُمَيَّة ، فنزل في الكُوفَة في بَنِي عَبْدِ الله بْنِ دَارِم) وكان بَيْن إبْرَاهِيم وبين وَلَدِ نَضْلة بن نُعَيْم رَضَاع (وأُمُّ إبْرَاهِيم امرأةٌ من بَنَات الدهَاقِين[4] الذين هرَبُوا من فَارِس لمَّا هرب أَبُو إبراهيم ، فنزلوا جَميعاً في الكوفة ، فتزَوَّجها ماهانُ في الكوفة ، فولدت له إبراهيمَ ومات في الطَّاعُونِ الجارِف ، وخلَّف إبراهيم طفلًا ، فكَفَلَه آلُ[5] خُزَيْمة بْنِ خَازِم . وكانت سِنُّه لما مات أبوه سَنَتَيْن أو ثلاثًا ، وخلَّف معه أَخوين من غير أُمّه أكبرَ منه ، فأقام إبْرَاهِيم مع أُمّه وأخواله حتّى ترَعْرَع (وكان مع ولد خُزَيْمة في الكُتَّاب ، فلهَذَا[6] السَّبَب صار ولاؤه إلَى تَمِيم .)

(١) ساقطة من ت .

(٢) في ت : كسك « تحريف » .

(٣) في غ : نسبه .

(٤) الدهاقين جمع دهقان وهو زعيم فلاحي العجم أو رئيس الإقليم « معرب » .

(٥) في ت : إلى .

(٦) في غ : فبهذا .

(وسأله الرَّشيد فقال : ما السَّبَبُ بينَك وبين بنى تَمِيم ؟ فقص[1] عليه قِصَّته فقال : ربَّوْنَا يا أميرَ المؤمنين فأحسنوا تربيَتَنا ونَشَأْت بينهم[2] ، وبَيْنَنَا رَضَاع ، فتوَلَّوْنَا بهذا السَّبَب ؛ فقال له الرَّشِيدُ : وَيحك ! فما أُرَاكَ إِذًا إِلَّا مَوْلاى ؛ قال : فهذه قِصَّتِى واللهِ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِين)

(وكان مولدُ إبْرَاهيم سنةَ خَمْسٍ وعشرين ومائة ، ووفاته فى سنة ثمانٍ وثمانين ومِائَة وله ثَلَاثٌ وستُّون سنة . وسَبَب قولهم المَوْصِلِىّ أنَّه لما اشْتَدَّ وأَدْرَكَ ، صَحِب الفتيان واشْتَهَى الغِنَاءَ وطَلَبه ، واشتَدَّ أَخوَالُه عليه فى ذلك وبَلَغُوا منه ، فهرب إلى المَوْصِل ، فأقَامَ بِهَا سَنَة ، فلمَّا رجَع إلى الكُوفة قال له إخوانُه من الفِتْيَان : مرحَباً بالفتى المَوْصِلِىّ فغلَبَت عَلَيْه)

وقيل : كان سَبَبُ طلبه الغِنَاء أنَّه لما خرج إلَى المَوْصل صَحِبَ جماعَةً من الصَّعاليك كانوا يُصيبُون فى الطريق ويُصِيبُ معهم ويجمعون ما يُفيدونه فيَقْصِفون[3] ويشربون ويغنّون ، فتعلَّم منهم شيئاً من الغناء وكان أطيبَهم صوتاً وأحذقهم ، فلمّا أحسّ بذلك من نفسه اشتهى الغناء وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه وإلى الرّىّ ، وتزوّج هناك امرأته دُوشَار وتفسيرها أَسَدَان[4] ، وتزوّجها شاهك أمَّ ابنه إسحاق وسائر ولده .

وكان قد أُسلِم إلى الكُتَّاب فكان لا يتعلّم شيئا ، ولا يَزال يُضرَب ويُحبَس فلا ينجع ذلك فيه ، فهرب إلى الموصل .

(قال إبراهيم : أولُ شىء كسبتُه بالغِنَاء أنِّى كنتُ بالرَّىّ أُنادم أهلَها بالسَّوِيّة لا أَرْزَؤُهم شيئا ، فمرَّ بنا خادِم أنفذه المنصور إلى بعض عُمّاله برسالة فسمِعَنى عند

---

(١) فى غ : فاقتص .

(٢) فى غ : فيهم .

(٣) يقصفون : يرقصون ويلعبون .

(٤) الأسد بالفارسية : شير . ولعل شار لغة أو لهجة فى هذه اللفظة . ودو بمعنى اثنين .

رجل من الرّيّ فشُغف بى وخلع علىّ دُوّاجَ سَمُّور[١] له قيمة ، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف دِرْهم وكُسْوَة كثيرة ؛ فجاءنى إلى منزلى وأعطانى نصف الكسوة وألفَىْ دِرْهم، فقلت : لا أُنفق هذه الدّراهم إلّا على الصَّنْعة التى أفادَتْنيها ؛ ووُصِف لى رجل بالأُبُلّة[٢] اسمه جُوَانُويْه فلما جئتُه لم أصادفه فى منزله ، فانتظرتُه حتى جاء فلما رآنى احتشَمَنى[٣] وكان مَجُوسيا فأخبرتُه بصناعتى والحالة التى قصدتُه لها ، فرحَّب بى وأفرد لى جَنَاحا فى بيته ، ووكّل بى جارية فقدّمت لى ماأحتاج إليه ، فلمّا كان العِشَاء عاد إلى منزله ومعه جماعة من الفرس مِمّن تُغَنِّى ، فنزلتُ إليه فجلسنا فى مجلس قد هُيِّىء[٤] لنافيه نَبِيذ ورياحِينُ وفاكِهَة،وأخذوا فى شأنهم وضربوا، فلم أجد فى غِناء أحدٍ منهم فائِدَة ، وبلغت النَّوْبَةُ إلىّ فضربتُ وغنّيتُ ، فقاموا جميعاً إلىّ وقبّلوا رأسى ، وقالوا ؛ سَخِرت بنا ، نحن إلى تعليمك أحوجُ منك إلينَا ؛ فأقمتُ على تلك الحال أيّامًا، حتّى بلَغ محمدَ بنَ سليمان بن علىّ ما جرَى ، فوجّه إلىّ فأحضَرَنى وأمرنى بمُلازَمته ، فقلت : أيُّها الأمير ، إنى لستُ أتكسَّب بهذه الصّناعة وإنما أَلتذُّ بالغِنَاء ، ولذلك تعلمتُه وأريد العَوْدَ إلَى الكُوفَة ، ولم أنتفع بذلك عنده وأخَذَنِى بمُلازمته ، وسألنى : مِنْ أينَ أنَا ؟ فأخبرته أنّى من المَوْصل فلزِمَتْنى وعُرِفْت بها ، ولم أزَلْ عنده أثيراً مُكَرَّما حتى قدم عليه خادم من خُدَّام المهدىّ ، فلما رآنى عنده قال له : أميرُ المُؤْمنين أحوجُ إلى هذا منك ، فدَافَعَه عنى، فلمَّا قدم الرسولُ على المهدىّ سأَله عمّا رأى فى طريقه ، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذِكْرى فوَصَفنى له؛ فأمره المهدىّ بالرجوع وإشْخَاصِى إليه فجاء وأَشْخَصَنى إليه وحَظِيتُ عنده وقدَّمنى .،

(١) دواج سمور: ضرب من الثياب ، يتخذ من جلد حيوان يشبه السنور، وهى خفيفة ثمينة.
(٢) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة وهى أقدم من البصرة .
(٣) احتشمنى : استحيى منى . وفى ت : أحمشنى « تحريف » .
(٤) فى غ : صفى .

وقيل: إنه صَحِبَ عِيسَى بن سليمان وأنَّ المَهْدِى أخذه منه وقال : ما سَمِع المهدى قَبْلِى إلا فُلَيْح بن أَبِى العَوْرَاء[١] وسِيَاط ، أحضرهما الفضل بن الربيع[٢] له .

(قال إبراهيم : وكان المهدِىّ لا يَشْرَبُ النَّبِيذ فأَرَاد مِنِّى مُلَازَمَتَه وتَرْكَ الشرب فأبيتُ عليه ، وكنت أَغِيبُ عنه الأيام ، فإذا جئْتُه جئت منتشياً[٣] فغَاظَه ذلك منى وضَرَبنى وحَبَسنى ، ثم دَعَانى يوما وعَاتَبَنى على شُرْبى فى منازل الناس والتَّبذّل معهم. فقلت : يا أمير المُؤْمِنِين ، إِنَّما تعلَّمتُ هذه الصناعة لِلذَّة وعِشْرَة إخوانى ، ولو أمكننى تَرْكُها لتركتُها وجميع ما أنا فيـــه لله ، فغَضِب غضبا شديدا . وقال : لا تَدْخُل على مُوسَى وهَارون ، ووالله إن دخلتَ عليهما لأفعلنّ وأَصْنَعَنّ ؛ فقلت : نعم ، ثم بلغه عنى أَنِّى دخلتُ إليهما[٤] وشَرِبْتُ معهما وكانا مُشْتَهِرَين بالشُّرب[٥] ؛ فضرَبنى ثلاثمائة سَوْط وقيَّدنى وحَبَسَنى . قال : وذلك أَنِّى كنتُ معهما فى نُزْهة لهما ومعهما[٦] أَبانُ الخَادِم ، فسَعَى بهما إِلَى المَهْدِى وَبى وحدّثه بما كُنَّا فِيه ، فدعانى فسأَلنى فأنكرتُ ، فأمّر بى فَجُرِّدْت[٧] وضربَنى ثلاثمائة سَوْط وسِتِّين سَوْطاً ؛ فقلت : ياأَمِيرَ المؤمنين : إنَّ جُرْمى ليس من الأجرام التى يَحِل لك بها سَفْكُ دَمِى ، والله لو كان سِرُّ ابنَيْك تحت قدمىّ ما رفعتهما عنه ولو قُطِعتا ، ولو فعلتُ ذلك كنت فى حال أبانَ العبد السَّاعِى ، فلما قلت له ذلك ضرَبنى بالسَّيف فشجَّنى وسقطتُ مَغْشِيًّا علىّ ساعَة ؛ ثم فتحتُ عينىّ فوقعتُ على عَيْن المهدىّ فرأيتها عينَ نَادِم ؛ وقال لعبد الله بن مالك : خذه إليك . فأخرجَنى عبدُ الله إلى دَارِه وأَنا أرى الدُّنيا فى عينى

(١) فى ت : فليح بن العوراء .

(٢) فى ت : أحضرها الربيع له .

(٣) فى ت : منشيا .

(٤) فى غ : عليهما .

(٥) فى غ : مستهترين بالنبيذ .

(٦) فى غ : ومعهم .

(٧) فى ت : فجررت .

صفراء وحمراء وخضراء من حَرِّ السِّيَاط، وأمره أن يتّخذ لى شَبيهًا بالقبر فيضعنى[1] فيه، فدعا عبدُ الله بِكَبْش فذُبِح وسُلِخ وألْبَسَنى جلده ليَسْكُن الضربُ، ودفعنى إلى خادم له يقال له: أبو عُثْمان سعيد التركىّ، فوضعنى فى ذلك القبر، ووكّل بى جارية يقال لها: جَشّة؛ فتأذيت ببثنٍ[2] كان فى ذلك القبْر وبالبَقّ، فقلت لجشّة: أصلِحى لى آجُرَّةً عليها فَحْم وكُنْدُر[3] تذهب عنى هذا البَقّ، فأتتنِى بذلك، فلما دخَّنتُ أظلمَ القبرُ وكادت نفسى تَخْرُج، فلما استرحتُ إذا حَيَّتَانِ مُقْبِلَتَان نحوى من شَقّ القبر تَدُوران حَوْلى بحَفِيف شديد، فهَمَمْتُ أن آخُذ واحدةً بيدى اليُمْنَى والأُخرَى باليُسْرى فإمَّا عَلَىَّ وإمَّا لى، ثم كُفِيتهما، فدخَلَتَا الشَّقّ الذى خَرَجَتا منه، فمكثتُ فى ذلك القَبْر ما شاء الله، ثم أُخرِجْت ووجّهتُ إلى أبى عُثْمان فسألْته أن يبيعنى جَشّةَ لأُكَافِئها عَمَّا أولتْنِى ففعل، فزوجتها من حاجب[4] لى فمكثت عندنا حتى ماتت. وبَقِيت بِنْتٌ لها يقال لها: جُمعة، فزوجتُها من موْلًى لنا فى سنة أربع وثلاثين [ومائتين][5].

(ثم حلّفَنِى المَهْدِىّ بالطّلاق والعِتاق وكلِّ يمين لا فُسْحة لِى فيها أنى لا أدخل على ابنَيه مُوسَى وهارون أبدًا ولا أُغنّيهما وخَلَّى سَبِيلى).

[فلما وَلِى موسى الهادى الخلافةَ استترتُ ولم أظهر بسبب الأَيْمان، وكانت منَازِلُنَا تُكْبَس كل ليلة وأَهْلُنَا يُرَوَّعُون بالطّلب حتى أصابُونى فمضيتُ إليه فلما عايَنْتُه قلت: يا سَيِّدى، أُمُّ ولَدِى أعزُّ الخلْق علىَّ، ثم غَنَّيْته:

— يَا بنَ خيرِ الملوكِ لا تتركَنِّى ... غَرَضًا للعدُوِّ يرمى حِيالى

(١) فى غ: فيصيرنى.
(٢) فى غ: بثر.
(٣) الكندر: اللبان الذكر.
(٤) فى ت: صاحب.
(٥) ساقطة من ت.

— فلقَد فى هواك فارقتُ أَهْلِى ... ثم عرّضتُ مهجتِى للزَّوال
ولقد عِفتُ فى هواك حَيَاتِى ... وتَغَرَّبتُ بين أَهْلى ومَالِى

[قال إسْحَاقُ ابنُه مَوَّله الهَادِى وخَوَّله(١) . وحَسْبُك أنَّه أخذ منه مائة ألفٍ وخَمْسين ألفَ درهم(٢) فى يوم وَاحِد ، ولو عَاشَ لبَنَينْا حِيطَاننا بالذَّهَب والفِضَّة .
ولم يُرَ أكمَل مُروَّةً ولا أكرم من إبراهيم .]

وكان له طعامٌ مُعَدّ أبداً فى كل وقت ، كان له فى كُلّ يوم ثلاثُ شِيَاه : واحدةٌ مُقَطَّعَة فى القدور ، وأُخرى مَسْلُوخة ومُعلَّقة ، وأُخْرَى حَيّة ، فإذَا أَتَاه قومٌ طعموا المَطْبُوخ ، وقُطِّعَت الشاةُ المُعَلَّقة فى القدور ، وذُبحت الحَيَّة وعُلِّقت ، وأُتِى بأُخْرى فأُبقِيَت حَيّة عِوَض المَذْبُوحَة . وكانت وَظِيفَتُه لطَعَامه وطِيبه وما يُتَّخَذُ له فى كُلّ شهر ثلاثين أَلْفَ درهم سوى كُسْوَته .

(ولقد اجتمع عنـده مَرَّة من الجَوَارِى الوَدَائِع لإخوانه ثَمَانُون جَارِية ، ما فِيهِن واحدة إلّا ويُجرَى عليها من الطّعام والـكُسْوة والطِّيب مثلَ ما يَجْرى لأَخَص جَوَارِيه ، فإذَا رُدَّت الوَاحِدة إلَى مَوْلَاها وصلها وكساها ، ومات ومافى ملـكه إلَّا ثلاثة آلاف دينار(٣) ، وعليه من الدَّيْن [سبعُ مائة دِينَار قُضِيت منها](٤)).

---

(١) موله وخوله : أعطاه مالا وخولا ؛ والخول . النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية للواحد والجميع والذكر والأنثى .
(٢) فى غ : دينار .
(٣) فى ت : درهم .
(٤) بياض فى ت .

كان الرشيد اشترى من إبراهيم جاريةً بستّة وثلاثين ألف دينار ، ثم أرسل إلى الفضْل بن الربيع : إنَّا اشترينا هذه الجارِيَة من إبراهيم ، ونحن نحسب أنها من غرَضنا وليست كما ظَنَنَّا ، وما قربتها وقد ثقل علىّ الثمن وبيْنك وبيْنه ما بينكما ، فاذْهَب إليه فسَلْه أن يَحُطّنا من ثمنها ستَّة آلاف دينار ! فصار الفضْلُ إليه . فخرج فتلَقَّاه؛ فقال له : دعْنِى من هذه الكرامَة التى لامؤونة فيها ، لستُ ممن يُخْدَع ، وقد جِئْتُك فى أمر أَصْدُقُك عنه وأخبره الخبَر ، فقالَ له إبْراهيم : إنما أراد أن يَبْلوَ قدْرَكَ عندى ، قال : هو ذاكَ . قال فمالِى فى المسَاكين صدَقَة إنْ لم أُضَعِّفْه ، قد حَطَطْتُك اثْنَى عشَر ألفَ دِينار ؛ فرجع الفضْلُ إليه بالخبَر ، فقال : ويحك ! احمِل إلى هذا مالَه ، فما رأيت سُوقَةً أنبلَ منه نَفْساً ، وعُوتِب فى ذلك وقِيلَ : ما كان لِحَطِيطَة هذا المال مَعْنًى ولا هو قَليلٌ تتغافَل عنه ، فقال لِلائِمِه : يا أحمق ، أنا أعرفُ الناسِ به ، واللهِ لو أخذتُ المال كامِلًا ما أخذتُه إلَّا وَهُو كارِه ، وحقَد ذلِك علىَّ وكنتُ أكُون عنده صَغيرَ القَدْر ، ولقد مَنَنْتُ عليه وعلى الفضْل ، وعَظُم قَدْرِى ، وإنَّما اشتريتُ الجارِيَة بأرْبعين ألفَ دِرْهم ، وقد أخذتُ أربعةً وعِشْرِينَ ألفَ دِينَار ، فلما حُمل المَالُ إليه كاملا بلا حَطِيطَة ، رجَع على لائِمه وقال : كيف رأيتَ مَن البَصِير أنَا أو أنْتَ ؟ فقال : أنتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ .

قال إبراهيمُ بن المَهْدِى : انصرفتُ ليلة من الشَّمَّاسِيَّة فمررتُ بدار إبراهيم المَوْصِلِىّ ، وإذا هو فى رَوْشَن(١) له وقد صَنَع لحناً فى هذا الشِّعر :

أَلَا رُبَّ ندمانٍ علىّ دُمُوعُه ... تَفِيضُ على الخدَّين سَحًّا سُجُومُها
حَلِيمٌ إذَا ماالكأسُ دَارَت وهَرَّها ... رجالٌ لديها قد تَخِف حُلُومها

---

(١) الروشن: ما يخرج من حائط الدار إلى الطريق من خشب أو حديد وهو الشرفة .

ويلعب فيه(١) بنَغَمة ويكرِّرها ليَسْتَوِى عليه ، وجواريه يَضرِبْن عليه ، فوقفتُ تحت الرَّوشَن حتى أخذتُه وانصرفتُ إلَى منزلى ، فما زِلْت أُعيده حتى بلغتُ فيه الغايَة القصوى ، وأصبحتُ فغدوتُ إلى الشَّمَّاسِيَّة واجتمعْنا عند الرشيد ، فاندفَع إبراهيم فغنَّاه أوّل كُل شىء ، فلمّا سمعه الرشيد طرِب واستحسنه وشرب ، وقال : لمَنْ هذا يا إبراهيم ؟ قال : لى ياسيدى ، صنعته البارحة ؛ فقلت : كذب يا أَميرَ المُؤْمنين ، هذا الصوتُ قَديم وأنا أُغنِّيه ؛ فقال لى : غَنِّه فغَنَّيْته كما غَنَّاه إبْراهيم ؛ فبُهِت إبْراهِيم وغَضِب الرَّشِيد ، وقال : يا ابْنَ الفاجرة ! أتـكْذِبنى وتدَّعى ما ليس لك ! فظَلَّ إبراهيمُ بأَسْوَإ حال ؛ فلمّا صَلَّيتُ العَصْرَ قلت للرَّشِيد : وحيَاتِك يا أَمِيرَ المُؤْمنين الصوتُ له وما كَذَب ، ولـكِنِّى مررتُ البارِحَة وهو يُرَدِّدُه على جارية له فوقَفْت حتى دَارَ لها ودَارَ لِى واستوَى فأخذتُه ؛ فدعا به فأمر له بخمسة آلاف دِينار .

قال إسْحَاق : لَقِى الفضلُ بنُ يَحْيِى أبى وهـو خَارِج من عند الفَضْل بْن الرَّبيع ، وكانا مُتجَاوِرَيْن فى الشَّمَّاسيّة(٢) ، فقال له : من أَيْنَ يا أَبَا إسْحَاق ؟ فقال : مِنْ عِنْدِ الفضْـــلِ بن الرّبيع ، غيرَ معتَذِرٍ من ذلك ؛ فقال . خُرُوجٌ من عند الفضْلِ بْنِ الرّبيع إِلَى الفَضْلِ بْنِ يَحْيِي ! هَذَانِ واللهِ أَمْرَانِ لا يجْتَمِعَان لك ! فقال : والله لئن لم يَـكُن فِىّ ما يَتَّسِع لـكما حتى يَـكُونَ الوَفاء لَـكُماَ جميعاً واحداً ما فِىَّ خيرٌ ، واللهِ لا أترُكُ وَاحِدا منـكما لِصَاحِبه ، فمن قَبِلَنى على هـذا قَبِلَنى ، ومَنْ لم يَقْبَلْنى فهو أعلم ؛ فقال له الفَضْل بن يحيي : أنتَ عندى غير مُتَّهم والأمرُ كما قُلْت ، وقد قَبِلْتُك على ذَلِك .

(١) فى غ : به .

(٢) فى ت : بالشماسية .

قال إبراهيمُ : خرجْتُ مع الرَّشِيد إلى الحِيرَة ، فساعةَ نزلَ بِها تَغدَّى ثم نام ، فاغتنمتُ قائِلَتَه وركِبْت أدورُ فى الحِيرة ، فنظرتُ إلى بُسْتانٍ فقصَدْتُه فإذا على بابه شابٌّ حسن الوجه ، فاستأذنته فى الدخول فأَذِن لى ، فدخلت فإذا جَنَّة من الجِنَان فى أحْسَن تُرْبة وأغْزَرها ماء ، فقلتُ : لِمَنْ هذا البُسْتَان ؟ فقال : لِبَعْضِ الأشَاعِثة[1] فقلت : أيُبَاع ؟ فقال : نَعَم وهو فى سَوْم[2] ، فقلت : كم بلغ ؟ فقال : أربعةَ عشر ألف دينار ، قلت : وما يُسَمَّى ؟ قال : شُمَارَى فقُلْتُ فِيهِ :

جِنَانَ شُمَارَى ليس مثلكِ مَنْظَر ... لذى رمَـدٍ أَعْيَا عليه طَبِـيب

تُرابُك كافـور ونَوْرُك زهرةٌ ... لها أَرَجٌ بعـد الهُدُوِّ يَطِيب

وحضرَني فيه صَنْعَة حسنة ، فلما جَلَس الرشيد غَنَّيْته أوّلَ ما غنيتهُ ، فقال : وَيْلَك ! وأَيْنَ شُمَارَى ؟ فأخبرتُه القصّة ، فأمر لى بأربعة عشر ألف دِينار ، فغمزَنى جعفرُ بن يَحْيَى وقال : خذ توقيعه بِهَا إلَيَّ ، وتَشَاغَل الرَّشِيدُ ، عَنِّى فأعدْتُ الصوتَ ، فقال : ويلكم أَعْطُوا هذا دَنَانِيرَه ، فوثبتُ فقلت : يا سَيِّدى ، وَقِّع[3] بِهَا إلى جعفر ابن يحيي ، فقال : أَفعَل ، فوقَّع بها ، فلمَّا حصل التوقيعُ عند جعفر أطلقَ لى المالَ وخمسةَ آلاف دِينارٍ من عنده ، فلما حصل المَالُ عندى كان أحبَّ إلَيَّ وأحسن فى عَيْنِى من شُمَارَى[4] .

قال إسْحَاق بنُ إبْرَاهيم : قال ابنُ جَامع يوماً لأَبى : رأيتُ فى منَامى كأنَّـك وأنَا راكِبِين فى مَحْمِل فتَقَلْت[5] حَتّى كِدتَ تلصقُ بالأَرض ، وعلا الشِّقّ الذى

---

(١) الأشاعثة : قوم ينسبون إلى الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندى .

(٢) فى غ : على سوم .

(٣) فى ت : توقع .

(٤) فى ت : شمازى « تحريف » .

(٥) فى غ : فسفلت .

أنا فيه ، فلأعلوَنَّك فى الغناء . فقال إبراهيم : الرؤيا حَقّ ، والتَّأوِيل بَاطِل ، وإنّى وإيَّاكَ كُنَّا فى مِيزَان ، فرجَحْتُ بِك(١) وشَالَتْ كِفَّتُك ، وعلوتَ ولَصِقْتُ بالأَرْض فلأبقَيَنَّ بعدَكَ ولتموتَنَّ قَبْلِى : قال إسحاق : فكان كما قال أَبِى ، عَلَا عليه ، ومَاتَ ابنُ جامع قبله ، وعَاشَ أَبى بعده .

قال مُخَارِق : أذن لنا أَمير المؤمنين أَنْ نُقِيم فى مَنَازِلنا(٢) ثلاثةَ أَيَّام ، وأعلمنا أنه مشتغل فيها مع الحُرَم .

وقيل : اشْتَغَلَ الرشيدُ يوماً واصْطَبَح مع الحُرَم وأَصْبَحَتِ السَّماء مُغَيِّمة تَطِشّ طَشًّا خَفِيفا ، فقلت : لأَذهَبَنَّ إلى أُستاذِى إبراهيم فأَعرِفَ خبرَه ثم أَعُود ، وأمرتُ مَنْ عندى أن يُسَوُّوا لنا مجلساً إلى وقت رُجُوعِى ، فجئتُ إلى إبراهيم الموصلىّ وإذَا الباب مفتوح والدِّهْلِيز قد كُنِس والبواب قَاعِد ؛ فقلت : ما خَبَر أُستَاذِى ؟ فقال : ادخُل ، فدخلتُ وإذَا هو جَالِس فى رِوَاقٍ له ، وبين يدَيْه قُدُورٌ(٣) وأَبَارِيق تَزْهر ، والسِّتَارَةُ منصوبة والجوارى خَلْفَها وقُدَّامه طَسْتٌ فيه رِطْلِيَّة وكُوزٌ وكأْس ، فأخذتُ أترنّم ببعض الأصوات ، وقلت له : ما بال السِّتَارة لستُ أسمع من ورائها صوتاً ؟ فقال : اقعدْ وَيْحَك ! إنِّى أصبحتُ على الذى ظننتَ ، فجاءنى خَبَرُ ضَيْعةٍ تُجَاوِرُنى ، طلبْتُها وتمَنَّيْتها زَمَاناً فلم أملِكْها ، وقد أُعطِى بها مِائَةَ ألفِ درهم ، فقلت : فما يَمْنَعُك ؟ فلقد أعطَاكَ الله تعالى أَضْعَافَ هذا المال بكَثير ؛ فقال: صدقتَ ، ولكن لستُ أطيب نَفْسًا بأَن أُخرِجَ هَذَا المال ، فقلت : فَمن يُعطِيك الساعةَ مائةَ أَلْف دِرْهم ، فقال : والله ما أطمعُ فى ذَلِك من الرَّشِيد ، فكَيْف بِمَن دُونَه ! ثم قال:

---

(١) فى ت : فرجحت : بى .
(٢) فى ت : منارات « تحريف » .
(٣) فى غ : قدور تغرغر .

اجلِس ، فخُذِ هذا الصَّوتَ ، ثم نَقَر بقضيب على دواة وألق على هذا الصوت فى شعر لأبى النضير (١) :

— نام الخَلِيُّونَ مِنْ هَمٍّ ومن حزنٍ (٢) وبِتُّ من كَثْرَةِ الأحزانِ لم أنَمِ

— يا طَالِبَ الجُود والمعْرُوفِ مُجتَهِدا إعْمِدْ ليحْيَي حليفِ الجُودِ والكرمِ

فأخذتُ الصوتَ وأحكَمْتُه ؛ فقال لى : امضِ الساعةَ للوزير يَحْيَى بْن خالد ، فإنَّك تأتيه قبل أن يَفتَحَ البابَ ولم يَجْلِس بعد ، فاسْتَأْذِن عليه قبل أن يَصِل إليه أحَد ، فإنه سيُنكِر مَجيئَك و يَقُول : مِنْ أينَ أقبلتَ فى هَذَا الوقتِ ؟ فحَدِّثه بقصدك إيَّاى وماالقيتُ إليكَ من خبر الضَّيْعَة ، وأَعلِمْه أنى قد صنعتُ هَذَا الصوتَ وأعجَبنى ، ولم أَرَ أحداً يستحِقّه إلاَّ جاريتَه فلانةَ ، وأنِّى أَلقيتهُ عليك لتلقيَه عليها ، فيأمر بالسِّتَارَة ويَدْعوها ، ويُوضَع لك كرسِيٌّ ويقول لك اطْرَحْه عليها بحضرتى ، فافْعَل وائْتِنى بِمَا يَكُون قال : فجِئْتُ إلَى باب يَحْيَي بن خالد ، فجرَى الأمرُ على كلِّ ما قاله إبْرَاهِيم ، ثم قال : أَتُقِيم عندنَا يا أبا المُهَنَّأ أو تَنْصَرِف ، فقلتُ أَنْصَرِف فقال : يا غلام أحمِل مع أَبِى المُهَنَّأ عشرة آلاف درهم ، واحمل إلى أبى إسْحاق مائَة ألْف درهم ثَمَنَ الضَّيْعَة فأَتيتُ إلَى منزلى ، ومَضَى الرسولُ بالمَال إلَى إبْرَاهِيم ، ودخلتُ بيتى و نَثَرْتُ على مَنْ عندى دَرَاهم من تلك البَدْرة ، وأكلتُ وشَربت وطَربت وتَوَسَّدْتها ونِمْتُ ؛ فلمَّا أصبحتُ قلتُ : لآتِيَنَّ أُسْتَاذى فلأَعْرِفَنَّ خبَره ، فأتيتُ فوجدت الباب كهيئَته بالأَمس ، ودخلتُ فوجدتُه كما كان بالأَمْس ، فترنَّمت (٣) وطرِبت فلم يَلْقَ ذلك بِقَبول ، فقلت : ما الخبَر ؟ ألم يأتِك المَالُ بالأَمس ؟ فقال : بلى ! فما خبرك أنتَ ؟ فعرَّفته بالمَال

---

(١) اسمه عمر بن عبد الملك ، شاعر من شعراء البصرة . وفى ت : أبى نضير البصير «تحريف» .

(٢) فى غ : سقم .

(٣) فى ت : فتزهت « تحريف » .

الذى أخذته وقلتُ : ما ينتظر من خلف الستارة ، فقال : ارفع السَّجْف فرفعته فإذا عشر بِدَر ؛ فقلت : أيُّ شيء بَقِي عليك فى أمْرِ الضَّيْعة ، فقال : ويحك ! ما هُو إلَّا أن دخلَ المالُ مَنزلى حتى شَحِحْتُ به وصار مِثْلَ ماحويتُ قديماً ؛ فقلت : سبحانَ اللهِ ! فتصْنَع ماذا ؟ قال : أقِم حتى أُلْقِى عليك صوتاً آخر يفوق ذلك ، فجَلَسْتُ بين يديه ، فألْقَى عَلَيَّ صوتاً آخر فى شعر لأبى النُّضير أيضا :

ويَفرَح بالمولود من آلِ بَرْمَك بُغَاةُ النَّدَى والسيفُ والرمحُ ذُو النَّصْلِ[1]
وتَنْبَسِط الآمالُ فيه لِفَضْلِه وَلاسِيَّمَا إنْ كان من وَلَدِ الفَضْلِ

قال مُخَارِق: فسَمِعْت مالمأسْمَع مثلَه قطّ ، وصغُر فى عَيْنِى الأوّل فأحْكَمْته ، فقال إبراهيم : أمضِ السّاعَة إلى الفَضْل بن يحيي ، فإنك تجدُه لم يأذَن لأحَد بعد وهو يريد الخَلْوة مع جَوَاريه اليوم ، فاستأذِنْ عليه ، وحدِّثه بحَديثِنا أمس[2] وما كان من أَبيه إلينا وإليك ، وأعلِمه أنى صنعتُ هذا الصوت وهو عِنْدى أرفع منزلة من الصَّوْتِ الأوّل ، وأنِّى وجهتُ به قاصداً لجارِيَته فُلَانة ، قال : فسرت إلَى باب الفضل ، فجَرَى الأمر على ماقاله ، فسألنى عن الخبَر فأعلَمْته بما وَصَل إلَيَّ وإليْه من المال ، فقال : أَخزَى اللهُ إبراهيم ، ما أبْخَلَه على نَفْسه ! ثم ضرب السِّتَارة ، وقال : أَلْقِه ، فلما أَلْقَيْته وغَنَّتة جاريته لم تُتِمّه حتى أَقْبَل يجرّ مِطْرفه ، ثم قعد على وسادة ، وقال : أحسنَ واللهِ أستاذُك وأحسنتَ أنتَ ، فأخذَته الجَارِية وسُرَّ سرورا شَديدا ، وقال : أَقِم عندى اليومَ ، فاعتذَرْت إليه ، فقال : يا غلام أحمل مع أبى المُهَنَّأ عِشْرِينَ ألفَ دِرْهم وإلَى أَبِى إسْحَاق مِائَتى ألْف درهم ؛ فانصرفتُ إلَى منزلى بالمَالِ وفتحتُ بَدْرة ونَثَرْتُ على جَوَارِى ، وشَرِبت وسُرِرْت ، فلما أصبحتُ بكَّرتُ إلى إبراهيم ، فوجدتُه على

---

(١) فى ت : بغاة الندى والسيف والرمح والنصل .
(٢) فى ت : بحديثنا أول أمس وأمس .

الحال التى كان عَلَيْها، فدخلت أُتَرَنَّم وأَصفِّق ، فقال : أُدْنُ ، فقلت : ما بَقِى ؟ فقال: اجْلِس وارفع سَجْفَ هذا الباب فرفعْته فإذَا عِشْرُون بَدْرة مع تلك العشر ، فقلت : ماتَنتَظِر؟ فقال: ويْحَك ! ماهو إلّا أَنْ حَصَلت عندى حَتَّى جرى على مجرى ماتقدّم، فقلت : ما أظن أحداً نال من هذه الدولة ما نِلْتَ ! فلِمَ تبخَل على نَفْسِك بشىء عنيْتَه دهْراً وقد ملَّكَك اللهُ سبحانه أضعافَه ! فقال : اجلس نخذ هذا الصوت ، وألقى علىّ صوتاً أَنْسَانِى به الأَوَّلِيْن فى شِعرِ مَرْوَانَ بن أَبى حَفْصَة :

إلى جَعْفَرٍ سارتْ بنا كُلُّ جَسْرَةٍ ... طواها سُرَاها نحوَه والتهجُّــرُ
إلى وَاسِـعٍ للْمُجْتَدِين فِناؤُه ... تَروحُ عَطَاياه عليهم وتبْـكُرُ

قال مُخارِق : فما سمعتُ بمثله قطّ ، فأخذتُه ثم قال : اُمْضِ إلى جَعْفَر فافْعَل بِهِ كما فعلتَ بأَبيه وأَخِيه ، ففعلتُ ذَلِك وأخبرتُه بما كان مِنْهُما وعَرضْتُ عليه الصوتَ، فسُرّ به وضَرَبَ السِّتَارة وأحضر جَارِيَة وأُقْعِدَت[1] على كرسىّ ثم قال : هات يا مُخَارِق ، فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذَتْه ؛ فقال : أحسنتَ يا مُخارِق وأحسنَ أُسْتاذُك ، فهل لَكَ فى المُقام عنـدنا اليومَ ؟ فاعتذرتُ ، فقال : يا غُلامُ احمِل مع أَبى المُهَنَّأ ثلاثينَ ألف دِرْهم وإلى المَوْصِلِىّ ثلاثمائة ألف درهم ؛ فصرتُ إلى منزلى بالمال ، وأقمتُ ومَنْ فى مَنْزلى مَسْرُورِين نشربُ ونلهُو ؛ ثم بَكَّرْتُ إلى إبراهيم فتلقَّانى قائماً ، ثم قال : أحسنتَ يا مُخارِق ؛ فقلت : ما الخبر ؟ فقال : اجلس فجلستُ ، وقال لمَن خَلْف السِّتارة : خُذُوا فِيمَا أنتم فيـه ، ثم رَفَع السَّجف فإذا المال ؛ فقلت : ما خبر الضَّيْعَة ؟ فأدخَل يدَه تحت مِسْوَرة هو مُتَّكِئ عَلَيْهَا فقال : هذه كُتُب[2] الضَّيْعَة سئل عن صاحبها فوُجِدَ ببَغْدَادَ فاشترَاها منه يَحْيَى

(١) فى غ : وقعد .
(٢) فى غ : هذا صك .

ابنُ خَالِدٍ ، وكتب إلَيَّ : قد علمتُ أَنَّكَ لا تَسْخُو نفساً بِشِرَاءِ[1] هذه الضَّيْعَة من مال يحصُل لك ولو حِيزَتْ لكَ الدُّنْيا كلها وقد ٱبْتَعْتُها لَكَ مِنْ مَالِي ، ووجَّه إلىَّ بكُتُبِها[2] ، وهذا المال كما تَرَى ؛ ثم بكى وقال : يا مُخَارِق ، إذا عاشَرْتَ فعاشِرِ مثل هؤلاء ، وإذا خَنْكَرتَ[3] فخَنْكِر لمِثْل هؤُلاء ؛ سِتُّمِائة أَلْف درهم وضَيْعَة بمائة ألف درهم وستون ألفَ دِرهم لك ، حصلتُ ذلك وأنا جَالِس فى مجلسى لم أبْرَح منه فمتى تُدْرِكُ مثلَ هؤُلاء .

أدرَكنا والله مَنْ يكذِّبُ هذه الأفعالَ كلَّها ويقول : هذا من مَخَارِيقِ الناسِ وَوَضْعِ الورَّاقين وأنَّ هذا لم يكُن قطَّ فلا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله العَلِيّ العَظِيم .

كان مُوسَى الْهادِى شَكِس الأخلاق صعب المَرَام[4] ، مَنْ توَقَّاه وعرَف أخلاقه أعطاه ما أَمَّله ، ومَنْ فتح فاه واتَّفَق أن يفتحه بغير ما يَهْوَاه أَقْصاه وأبعدَه ، وكان لا يَحْتَجِب عن نُدَمائه ولا عن المُغَنِّين ويكثر جَوَائِزَهم وصِلاتِهم ويُوَاتِرُها ، فغَنَّى إبرَاهِيم يوماً بين يديه ، فقال له : غَنِّ يا إبراهيمُ جِنْساً من الغناء أَلَذَّ وأطرب عَلَيْه ولك حُكْمُك ؛ فقال : يا أَمِير المؤمنين ، إنْ لم يقابِلْنِى زُحَل ببرْده رجوتُ أنْ أُصيب . وكان يُصْغِى إلى النَّسِيب والرَّقيق [منه][5] فغنَّيْتُه لأبى صَخْر الهُذَلِيّ :

وَإِنِّى لَيَعْرُونى لذكراكِ هِزَّةٌ كما ٱنتَفَض العصفور بَلَّلَه القَطْرُ

فضرب بيده إِلَى جَيْب دُرَّاعَتِه فَحطَّه[6] ذِرَاعا ، وقال : أحسنتَ والله ، زدنى ، فغنَّيْتُ :

---

(١) فى ت : لا تسخو نفسك تشترى .

(٢) فى غ : ووجهت لك بصكها .

(٣) خنكرت : غنيت .

(٤) فى غ : المزاج .

(٥) زائدة فى غ .

(٦) فى غ : فحطها .

فيــا حُبَّها زِدْنى جَوًى كلّ ليلة   ويا سَلوةَ الأيّام موعدُكِ الحَشْر

فضرب بيده إلى جَيْبِ دراعته فحَطَّه ذراعا آخر، وقال: زِدْنى وَيْلك! والله أحسنتَ ووجب حُكْمُك فغنّيْته:

هجرتُك حتّى قِيل: مايعرف القِّلا[1]   وزُرْتُك حتّى قِيل: لَيْسَ له صَبْر

فرفع صوته وقال: أحسنتَ والله، هَاتِ ما تُرِيد، فقلت: يا سيدى عَيْن[2] مروان بالمدينة، فدارت عَيْناه فى رأسه حتى صارَتا كأنَّهما الجَمْرتَان، وقال: يا ابن اللَّخْنَاء أردتَ أن تَشْهَرنى بِهذَا المَجْلس فيقول الناس: أَطْرَبه فَحَكَّمه فَحكم عليه، فتَجْعَلنى سَمَرًا وحَديثا! يا إبراهيم الحرّانى: خُذْ بيد هذا الجاهِل وأدْخِله بيتَ المَال الخاصّ فإنْ أخذَ كُلَّ مَا فِيه فَخلّه وإيَّاه، فدخلتُ فأخذت خمْسين ألفَ دِينَار.

قال إسحاق: كان رجل من آل نَهيك قد تعاطَى علم الغناء، فلما ظَنّ أنه أحكمه شَاوَرَنِى فيه وأبى حَاضِر، فقلت له: إنْ قَبِلت مِنِّى فلا تُغَنِّ فلستَ فِيه كما أَرْضَى، فصَاحَ أَبى علىّ صيحةً شَدِيدَة ثم قال لى: ومايُدرِيك ياصَبِى! ثم أقبل على الرّجل وقال له: يا حَبِيبِى أنت بِضِدِّ ما قَالَ، وإن أنتَ لَزِمْتَ الصّناعةَ بَرَعت، فلما خَلَا بى قال لى: يا أَحْمَق! ما عليك أن يُخزِىَ اللهُ مثل هــذا! هؤلاء أَغْنِيَاء مُلُوك وهم يُعَيِّروننا بالغِنَاء، فدَعْهم يَتَهَتَّكُوا به ويُعَيَّروا ويَفْتَضِحُوا ويحتاجُوا إلينا فَنَنْتَفِعَ بهم، ويتَبَين فضلُنا عليهم، فلزمه النَّهيكِىّ فأخَذَ عنه، فكان إذَا غَنَّى فأحسنَ قال له: باركَ اللهُ عَلَيْك، وإذَا أَسَاء قال له: باركَ اللهُ فِيك

---

(١) فى غ: الهوى.

(٢) فى ت: غنى « تحريف ».

وكثر ذلك حتى عرَف النَّهيكيّ معناه ، فغَنَّى يوما وأَبى ساهٍ عنه فسكت ولم يقل له شَيْئاً ؛ فقال: جُعِلتُ فِداك ، يا أُسْتاذ ؛ هذا الصوتُ من أَصوات « فيك» أو « عليك » ؟ فضحك أبى ولم يكن عَلِم أنه فَطِن لذلك ، ثم قال : والله لأُقبلَنَّ عليك حتى تصيرَ كما تَشْتَهى ، فإنَّك ظَرِيفٌ أديب ؛ وعُنِىَ به حتى حَسُنَ غِناؤُه وتَقَدَّم .

قال إسْحَاق : غَنَّى أَبى يوما بحضْرَة الرَّشِيد :

سَلِى هل قَلاَنِى من عَشِيرٍ صَحِبْتُه   وهل ذَمَّ رَحْلِى فى الرِّفاق رَفِيق

فطرب واسْتَعادَه وأمر له بألف دينار[1] ، فلمَّا كان بعد سِنِين ، خَطَر لى أَنْ أُغَنِّيه وذكرتُ قِصَّته ، فغَنَّيْتُه إيَّاه ، فطرب وشرب ، ثم قال: يا إسحاق ، كأنى فى نفسك وقد ذكرتَ حديثَ أَبيك وأنى أَعْطَيْتُه ألفَ دِينار على هذا الصَّوْت فطمِعْتَ فى الجائزة ! فقلت : والله يا سَيِّدى ما أخطأتَ ما فى نفسى ! فقال : قد أخذ أَبُوك ثمنه مرَّة فلا تطمع ؛ فعَجِبت من قوله ، ثم قلت : يا سَيِّدى ، أَخذ أَبى منك أكْثَر من مِائَتى ألفِ دِينار ما رأيتُك ذكرتَ منها غير هذا لضَعْفِ حَظِّى ؛ فقال : ويْحَك أكثر من مِائَتى ألفِ دِينار ؟ ! فقلت : إِى والله ! فوجم ساعة ثم قال : أستَغْفِر الله مِنْ ذلك ، ويحك ! فما خَلَّف منها ؟ فقلت : خَلَّف عَلَىَّ خمسةَ آلاف دِينارٍ دَيْناً قضيتُها عنه ؛ فقال : ما أَدْرِى أيُّنا أَشَدُّ تفرِيطاً وتَضْيِيعاً والله المُسْتَعَان .

قال أبو عُثْمَان يَحْيَى المكِّىّ[2] : تَشَوَّق إبْرَاهِيمُ إلى سِرْدابٍ له ، كانت فيه بِرْكَة ماء يَدْخُل من مَوْضِعٍ إليه ويخرج إلى بُسْتان ، فاشْتَهى أن يَشْرَب يومَه فيه ويَبِيتَ فيه ، فبَيْنَا هو نائِم نِصْفَ اللَّيْل فى السِّرْداب وإذا سِنَّوْرَتان قد نَزَلَتَا[3]

(١) فى غ : بعشرين ألف درهم .
(٢) فى ت : المالكى .
(٣) فى ت : سنوران قد نزلا .

من دَرَجة السِّرْدَاب ، بيضاء وسوداء ، فقالت إحداها : أَتُرَاه[١] نَائِمًا ؟ فقالت البيضاء[٢] : نعم هو نائم ؛ فاندفعت السَّوْداء فغنّت بأحسن صوت :

عَفَا مُزَج[٣] إلى لَصَق[٤] إلى الهَضَبات من هَـكِرِ[٥]

إلَى قَاعِ النَّقِير[٦] إلى قَرَار حِلَالِ[٧] ذِى حَدَرِ

فمات إبراهيم فَزَعًا[٨] وقال : يا ليتهما أَعَادَتَاه[٩] ! فأعادتاه مرارا حتى أخذه ، ثم تحرّك فغابت السنورتان[١٠]، وسمع إحداهما تقول لِلأُخْرَى : والله لَا طَرَحه على أَحَدٍ إلَّا جُنَّ ، فطَرَحه على جارِيَة له من غَدٍ فجُنَّتْ .

قال إبْرَاهِيم المَوْصِليّ : أتيتُ الفضلَ بْنَ يَحْيَى يوماً ، فقلت له : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! هَبْ لى دَرَاهِم فإنَّ الخَلِيفَة حَبَس بِرَّه[١١] عنى ، فقال : وَيْحَك يا أَبَا إسْحَاق ! ما عندى ما أرضاه لك ، ثم قال : هاهنا خَصْلة[١٢] ! أَتَانَا رَسُولُ صاحب اليمن فقضَيْنا حوائِجَه ، فوَجَّه بخَمْسِين ألف دِينَار نشترى بها ما نُحِب ، فما فَعَلَت ضِيَاء جَارِيتك؟ قلتُ : عندى ، قال : فهُو ذَا أَقُولُ لهم يَشْتَرُونها منك فلا تَنْقُصْها من خَمْسِين ألفَ

---

(١) فى ت : تراه .

(٢) فى غ : السوداء .

(٣) مزج : ماء بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخا أو نحوها . وفى ت : مرج «تصحيف» .

(٤) لصق لعله مصحف عن لصف بالفاء ، بركة غربى طريق مكة بين المغيثة والعقبة .

(٥) هكر : موضع على نحو أربعين ميلا من المدينة .

(٦) النقير : موضع بين هجر والبصرة .

(٧) حلال : من نواحى اليمن .

(٨) فى غ : فرحا .

(٩) فى غ : أعاداه .

(١٠) فى ت : فغاب السنوران .

(١١) فى غ : يده .

(١٢) كذافى ت ، وغ ، والخصلة : إصابة الغرض ، ولعل المقصود أن هناك مخرجا لتحقيق غرضك .

دِينار ، فقبّلْت رأسَه ثم انصرفْتُ ، فبكَّر عليّ رَسُولُ صاحب اليمن ومَعَه صَدِيق لِي ولَه ، فقال : جارِيَتُك فُلَانة ؟ قلت : عندى ، قال : أعرِضْها عَلَيَّ ، فأخرجْتُها ، فقال : بِكَم ؟ قلت : بخَمْسِين ألفَ دِينَار ولا أنقُص مِنْها ديناراً واحِداً ، وقد أَعْطَانِي الفضلُ بنُ يَحْيَى أمس هذه المَطِيَّة ، فقال : هل لك فى ثَلَاثين ألفَ دِينَار مُسَلَّمةٍ ؟ وكان شِرَاؤُها على أَرْبعمِائة دِينار ، فلما وقع فى أذنى ذِكْرُ ثَلَاثين ألف دينار دَهِشْت ، وأَشَار عَلَيَّ صَدِيقِى الذى معه بالبيع ، وخِفْتُ واللهِ أن يحدُث بالجارية حَدَثٌ أو بى أو بِالفَضْل بن يَحْيَى ، فسلَّمْتُها وأخذتُ المـال ؛ ثم بكَّرت على الفَضْل ، وإذا هو جالِس وحده ؛ فلما نَظَر إلىَّ ضحك ، وقال لى : يا ضَيِّقَ العَطَن والحَوْصَلة ! حرَمْتَ نفسَك عِشْرين ألفَ دِينَار ؛ فقلت له : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، دَعْ ذا عنك ، فوالله لقـد داخلنى[1] شىء أَعْجِز عن وصفه وخِفْت أن يَحْدُثَ بى حَادِث أو بالجارِية أو بِالمُشْتَرِى أو بِكَ ، أعاذكَ اللهُ من كل سوء، فبادرتُ بقبول الثَّلاثين ألف دينار ؛ فقال : لا ضَيْرَ ، يا غلام جِئْنى بجاريته نَجِىء بها بعَيْنها ؛ فقال: خُذ بِيَدِها وانْصَرِف مبارَكاً لك فيها ، فما أردْنا إلَّا منفعتَك ولم نُرِد الجارِيَة ؛ فنهَضْتُ بها ، فقال لى : مكانَك ، إنّ صاحِبَ إرْمِينِيَة قد جاءَنا فقضينا حوائجه ونَفَّذْنا كُتُبَه ، وقد ذَكَر أنه جاء بِثَلَاثين ألفَ دينار نَشْتَرِى بها مانُحِبّ فأعرِض عليه جارِيَتك هذه ولا تَنْقُصها عن ثَلاثين ألف دِينار ؛ فانصرفتُ بالجارية وبَكَّر علىّ رَسُول إرْمِينِيَة ومعه صديقٌ لى آخر ، فقَاوَلَنى بالجارية ، فقلتُ له : لست أَنقصها عن ثلاثين ألف دينار ؛ فقال لى : مَعِى عِشرون ألفَ دينار مُسَلَّمَة ، خُذْها بارك اللهُ لَكَ فيها ، فدَاخَلَنى[1] مثلُ الذى دَاخَلَنى أوّل مرة ، وخِفْت مثلَ خَوْفِى الأوَّل فسَلَّمْتُها[2] وأخذتُ المال ؛

---

(١) فى غ : دخلنى .

(٢) فى ت : فسلمها .

وبكّرت على الفضل بن يحيى ، فلما رآنى ضَحِك وضَرَب بِرِجْله ثم قال : وَيْحَكَ ! حَرَمْتَ نفسكَ عشرةَ آلاف دِينار أخرى ، فقلت : خِفْت والله كما خِفْت أولا ، فقال لى : لا ضير ، يا غُلَامُ جارِيته ، فجىء بها وقال : خُذْها ما أردْنَاها ولا أردْنا إلّا منفعتَك ، فلما ولَّت الجارِيَة صِحْتُ بها : ارْجِعى فرجعتْ ، فقلت : أُشْهِدكِ أنها حُرَّة لوَجْهِ الله تعالى ، وقد تزَوَّجْتُها على عشرة آلاف دينار(١) ، فإنها أَكْسَبَتْنى فى يوْمَيْن خمْسِين ألفَ دِينَار ، فما جَزَاؤها إلّا هذا ، فقال : وُفِّقْتَ إن شاء الله تعالى.

كان الرَّشِيدُ قد وجد على منصور زَلْزَل لشىء بَلَغَه عنه ، فحَبَسَه عشرَ سِنين أو نَحْوَها ، فقام الرَّشِيد يوما لحاجَة فجعل إبراهيم يُغَنِّى صوتاً صنعه فى حَبْس زَلْزَل وهو :

هل دهْرُنا بِكَ رَاجِعٌ يا زَلْزَلُ ... أيامَ يَبْغِينَا العـدوُّ المُبْطِل
أيامَ أنتَ من المَكارِه آمِنٌ ... والخـيرُ مُتَّسِـع عَلَيْنا مُقْبِل
يا بُؤْسَ مَنْ فَقَدَ الإمامَ وقُرْبَه ... ما فَاتَه من لَذَّة(٢) لو يَعْقِـل
ما زلتُ بعـدكَ فى الهموم مُرَدَّدًا ... أبكى بأربعـةٍ كَأَنِّى مُشْكِل

فدخل الرشيد وهو فى ذلك فجلس وقال : يا إبراهيم ، أىّ شىء كنتَ تقُول ؟ فقال : خيراً يا سيّدى ؛ فقال : هَاتِه فتلَكَّأَ ، فغضب الرشِيدُ وقال : هَاتِه فلا مَكْرُوهَ عليك ، فردّ الغِناء ؛ فقال له : أَتُحِبّ أن ترَاه ؟ فقال : وهل يُنْشَرُ أهلُ القُبور ؟ فقال : هاتوا زلزَلًا ، فجاءوا به وقد ابيَضَّ رأسُه ولحيته فسُرّ إبراهيمُ ؛ وأمره الرشيد فجلس ، وأمر إبراهيم فغنَّى وضرَب عليه زَلْزَل فزَلْزَلَا الدُّنيا ، وشَرِب الرشيد على ذلك رِطلا ، وأمر بإطلاق زَلْزَل وأَسْنَى جائزتهما وصرَفه إلى منزله .

(١) فى غ : درهم .
(٢) فى غ : ماذا به من ذلة .

وزلزلُ أوّلُ من أحدث هذه العيدَان الشّبَابِيط(١)، وكانت قديما على عَمل عِيدَان الفُرْس، فجاءت عَجَبا من العَجَب، وكانت أُخْت زَلْزَلَ تحت إبراهيم وولدَت منه .

قال إبْرَاهِيم : خرجتُ مع الرّشِيد إلى الشام لَمَّا غزَا ، فدعاني يوماً فدخلتُ إليه إلى مَجْلس لم أَرَ أحسنَ منه مفروشٍ بأنواع الرُّخَام ، فأكل وأمرني فأكلتُ معه ، وتولّيتُ خدمتَه إلى العصر ، ثم دعا بالنَّبِيذ فشرب وسقاني معه ، ثم خَلَع عليّ خِلْعَةَ وشْي مِنْ ثِيَابه وأمر لِي بألفِ دِينَار ، ثم قال : اُنظر يا إبراهيم ، كَمْ من يَدٍ أوليتُك إيَّاها اليومَ ! نادمْتَنى مُنْفرِدًا ، وآكَلْتَنِى(٢) ، وخلعتُ عليك ثِيَابى من بَدَنِى(٣) ، ووصلتُك ، وأجلستُك فى إيوان مَسْلمة بن عبد الملك تَشْرَب معى ؛ فقلت : ماذهَب عَنِّى هذا من مِنَّتك ، وإنَّ نِعَمَك(٤) عندى أكرمُ من أَنْ تُحْصَى ، ثم قبَلْتُ رِجلَيْه والأرضَ بيْن يدَيْه .

جَلَس الرشيدُ يوماً فقال لجعفر : قد طال سَمَاعُنا هَذِه العِصَابة على اخْتِلاط الأمرِ فيها فهلمَّ أُقاسِمْك إياها وأُخَايِرْك ، فاقْتسما المُغَنِّين ، على أن جَعَلا بإزاء كل رجل نَظِيرَه ، فكانَ ابنُ جامع فى حَيِّز الرّشيد وإبراهيم فى حيِّز جَعْفَر بن يَحْيَى . وحضَر النّدماءُ لمِحْنَةِ المغنين . وأمر الرَّشيدُ ابنَ جَامع فغَنَّى لقَيْس بن ذَرِيح :

بكيتُ نعَمْ بكيتُ وكل إِلْفٍ إذَا غابت(٥) قَرِينَتُه بَكَاها
وما فارقتُ لُبنَى عن تقَالٍ ولكن شقوَةٌ بلغَت مدَاها

---

(١) الشبابيط: جمع شبوط؛ ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الرأس كأنه بربط « عود ».

(٢) فى ت : واكلتنى .

(٣) فى ت : يدى .

(٤) فى ت: نعمتك .

(٥) فى غ : بانت .

فأَحسن فيه كُلَّ الإحسان وطَرِبَ الرشيدُ غايةَ الطَّرَب[١] ، فلما قطعه قال الرَّشيد لإبراهيم : هَاتِ يا إبراهيم هذا الصوت فغَنِّه ، فقال : لا والله ياأميرَ المؤمنين ما أعرفه وظهر[٢] الانكسار فيه ؛ فقال الرّشيد لجعفر : هـذا وَاحِد ، ثم قال لإسْمَاعيل بن جامع : غَنِّنَا ، فغنَّى للعبَّاس بْنِ الأَحْنَف :

نَزَف البكاءُ دموعَ عَيْنِك فاستَعِر ... عيناً لِغَـيْرِك دمعُها مِدْرَارُ

مَنْ ذَا يُعيرك عينه تبكِى بِهَا ... أرأيتَ عيناً للبكاء تُعَارُ

ففَضَل الصَّوتَيْن[٣] الأوَّلَين وتقدَّمهما ، فلما أتَى على آخره قال الرَّشيد : ياإبراهيمُ هَاتِه ، فقال : ولا أَعْرِف هذا فقال له جَعْفَر : أَخْزَيْتَنا أَخْزَاكَ الله . وأتمّ ابنُ جَامع يومَه والرَّشيد مَسْرُور به ، فأجازَه جَوَائِز كَثِيرة وخَلَع عليه خِلَعاً فاخرة ، ولم يزل إبراهِيمُ مُنْخَذِلا مُنْكَسِرا حتى انْصَرَف . فمَضَى إلى منزله ، فلم يَسْتَقِر حتى بَعَث إلى مُحَمَّد الرَّفِّ[٤] ، وكان من المُحسنين وأسرعَ مَنْ [عُرِفَ فى][٥] أخْذِ الصوتِ فى أيّامه ، وكان الرَّشيد وَجَد عليه فى بعض ما يَجِده الملوكُ على أمثاله فألزَمه بيتَه وتناساه ؛ فقال إبراهيم للرَّفِّ : إنى اخترتُك لأمرٍ لا يصلُح له غيرك ، فانظرُ كيف تكون ! قال: أبلغُ فى ذلك محبّتك[٦] ؛ فأدّى إليه الخبر وقال : أريد أن تَمْضِي السَّاعة إلى ابن جَامِع ، فتُعْلمه أَنّك صِرْتَ إليه مُهَنِّئا بما تَهَيَّأله علىّ وتَنَقَّصُنِي وتَثْلُبنِي ، وتَحْتَال فى أَنْ تَسْمع منه الأَصْوَات وتأخذُها ، ولك علىّ ماتُحِبُّه مِنّى

(١) فى ت: وأطرب الرشيد غاية الإطراب .

(٢) فى ت : وأظهرت.

(٣) فى غ : ما يدل على أن ابن جامع غنى ثلاث مرات ، ذكر ابن منظور منها الأول والثالث ولم يشر إلى الثانى إلا فى قوله هنا الصوتين .

(٤) فى غ : الزف بالزاى المعجمة .

(٥) ساقط من ت .

(٦) فى ت : أبلغ لك محبتك.

من عَرَض مع رِضَاء الخليفة عنك . فمَضَى وأستأذن على ابْنِ جَامِع . فسلَّم عليه وقال : جئْتُك مُهَنئاً بِما بلَغَنى مِن خَـبَرك ، والحمدُ لله الذى أَخْزَى ابن الجُرْمُقَانِيَّة[1] : على يَدِك ، وكشف الفضلَ فى محلّك من صناعتك ، فقال : وهل بلغك خبرُنا ؟ فقلت : هو أشهرُ من أَنْ يَخْفَى على مِثْلى ؛ ثم قال: سَرَّنِى أنْ أَسْمعه منْ فِيك حتى أَرْوِيه عَنْك ، قال : أَقِم عندى حتى أفعلَ ؛ فقلتُ : السمعُ والطاعة ، فدعا ابْنُ جامع بالطَّعام فأكلَا [ودعا][2] بالشراب ، وابتدأ يُحَدِّثُه بالخبر حتى انْتَهى إِلَى الأَصْوات فغنَّاها ومحمد يُصَفِّق ويَنْعَر ويَشْرَب وابنُ جَامع مُجْتَهِد فى شأْنه حتى أخذَهُم عَنْه وأَحْكَمهم ثم قال : يا أُسْتَاذ ، قد بَلَغْتُ ما أُحِب فأْذن لى فِى الانْصِراف ، فقال : إذا شئْتَ ؛ فانصرف محمد من وجهه إِلَى إِبْرَاهيم ؛ فقال له : ماوَرَاءَك ؟ فقال : كُلّ ما تُحِب فادْعُ لِى بِعُود ، فدعَا به فضرب فغنَّاه الأصوات ، فقال إبراهيم : هِىَ هِىَ بأَعْيَانها ، ثم رَدَّدَها حتى صَحَّت له ، وانْصَرَف الرَّفّ إلى منزله ، وبكّر إبراهيم إلى الرَّشيد فلمَّا دَعَا المُغَنّين دخَل فِيهم ، فلما بَصُر به الرشيد قال له : أوقَد دَخَلْت ! أما كَانَ يَنْبغى لك أن تَجْلِس فى بَيْتِك شَهْرا بِسَبَب ما لَقِيت مِنْ ابنِ جامع ! قال : ولِمَ ذَاكَ ياأَمِـيرَ المُؤْمنين جَعَلنى الله فداكَ؟ ! وإنْ أَذِنْتَ لى أن أَقولَ قُلْتُ ؛ قال : وما عَسَى أن تقول ؟ قال : إنّه ليس لى ولا لِغَيْرِى أن نَرَاكَ نَشِيطاً فى شَىْءٍ فنُعَارِضَك فيه ، ولا أن تَـكُونَ مُتَعَصِّباً لأحد فنُغَالِبَك فيه ، وإلَّا فما فى الأَرْضِ صَوْت إلَّا أَعْرِفه ، فقال له : دَعْ ذا قد اعترفْتَ أَمْس بالجَهَالَة بما سمعتَ من صاحِبنا ، فإن كنتَ قد أمسكتَ عنه بالأَمْس على معرفة

---

(١) الجرمقانى واحد الجرامقة : وهم قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل الإسلام .
(٢) ساقط من ت.

فهاتِه اليومَ ، فليسَ ها هنا عَصَبيّة ، فاندفع ومَرَّ على الأصوات كلِّها وابنُ جامِع يَسْمَع حتَّى أَتَى على آخِرها ؛ فاندفع ابْنُ جامِع يَحْلِف بالأَيْمَان المُحْرِجَة أَنَّه ما سَمِعها قطّ ولا هِيَ إلَّا من صَنْعَته ، ولم تَخْرُج إلى أحد غيره ؛ فقال له : وَيْلَك ما أحدَثْتَ بعْدِى ؟ فقال : ما أحدَثْتُ حدَثًا ؛ فقال : يا إبراهيم بحيَاتى اُصدُقنى ! [فقال](١) : وحياتِك لَأَصْدُقَنَّك . رميته بحَجَره ، بعثْتُ إليه بمُحَمَّد الزّف وضَمِنتُ له ضَمَانات ، منها رِضاك عنه ، فمَضَى واحْتَالَ عَلَيْه حتَّى أَخَذَها منه ونَقَلَها إلَيَّ ، وقد سَقَط الآن عنى اللَّوْمُ بإقْرَارِه أنَّها له ؛ لِأَنَّه ليس عَلَيَّ أن أعرِف ما صَنَعَه هو ، وهذا بَابٌ من الغيْب ، وإنَّما يلزَمُنى أن يَعْرِف شيئاً من غِناء الأَوَائل وأَجْهَله أنا ، وإلّا فلو لَزِمنى أن أروى صَنْعَتَه للزمه أنْ يَرْوِى صَنْعَتى ، ولَزِم كلَّ واحدٍ منا لسائر طَبَقَته ونُظَرَائه مِثلُ ذَلِك ، فمَنْ قَصَّر عنه كان ناقِصاً ؛ فقال له الرَّشيدُ : صَدَقْتَ يا إبْرَاهيم ، وقُمْتَ بحُجَّتك ؛ ثم أَقْبَل على ابْنِ جامع فقال : أُتيتَ ! دُهِيتَ ! أبطَلَ عليك المَوْصِلِيُّ ما فعلتَه بالأَمْس وانْتَصَف منك ، ثم دعا بالزّف فرَضِيَ عَنْه .

قال الرَّشِيدُ لإبْرَاهِيم بن المَهْدِى وإبْرَاهيم المَوْصِلِيّ وابْنِ جَامِع وابْنِ أَبِى الكَنَّات : باكِرُونى غداً ، وليَكُن كل واحد منكم قد قال شِعْراً إن كان يَقْدِر أن يَقُوله ، وغَنَّى فيه لَحْنا وإن لم يكن شاعِرا غَنَّى فى شِعْر غَيْرِه . قال إبراهيم بْنُ المَهْدِى : فَقُمْتُ فى السَّحَر وجَهَدت على أن أقدِر على شىء أَصْنَعه فلم يَتَّفِق ، فلمَّا خِفْت طلوعَ الفجْر دعوتُ بِغلْمانى وقلت لهم : أُرِيد أنْ أَمْضِى إلى موضع ولا يَشْعُر بى أَحَد حتى أَصِير إليه ، فقمت فرَكِبْت وقصدتُ دَارَ إبراهيم المَوْصِلِى ، وقد كان حدَّثنى أنَّه إذا أرادَ الصَّنعةَ لم يَنَم حتى يُدبِّر ما يحتاجُ إليه ،

---

(١) ساقطة من ت .

فلمَّا قام لحاجَته فى السَّحَر اعْتَمَد على خَشَبَة له فى المُسْتَرَاح ، فلم يزَل يَقْرَع عليها حتى فرَغ من الصوتِ وترَسَّخ فى قلبه ، فجئتُ حتى وقفت تحتَ مُستراحه ، فإذا هو يُرَدِّد هذا الصوت :

إذا سُكِبَت فى الكأس قبل مِزاجها ۞ ترى[1] لونَها فى جِلدة الكأسِ مُذْهَبَا

وإنْ مُزِجَت راعت بلونٍ تَخَاله ۞ إذَا ضُمِّنَتْه الكأسُ فى الكأس كوكَبَا

فما زلتُ واقفا أسمع الصوتَ منه حتى أخذتُه ؛ ثم غدَوْنا إلَى الرشيد ، فلما جلسنا للشّرب خرج إلىّ الخادمُ فقال : يقول لك أَميرُ المؤمنين يا أبن أمِّ غَنِّنِى ؛ فغَنَّيْتُ هَذَا الصوتَ وإبراهيم الموصلى فى المَوْت حتى فرغْتُ منه ، فشرب وأمر لى بثلاثمائة ألف دِرْهم ؛ فوثب المَوْصِلِى وحَلَف بالطَّلَاق وبحَيَاةِ الرَّشيد أَنَّ الشِّعْرَ له قاله البارحة وغَنَّى فِيهِ ، ما سَبَقه إليه أَحَد ؛ قال إبراهيم : فقلت: يا سَيِّدى فمِن أينَ هُوَ لِى لولا كَذِبُه وبُهْتُه ! وإبرَاهيم يَضْطَرِب ويَصِيح[2]؛ فلمَّا قضيتُ أَرَبِى من العبَث به قلتُ للرشيد : الحقُّ أحقُّ أن يُسْتَعْمَل ويُتَّبَع ، وصَدَقْتُه ؛ فقال الرَّشيد للمَوْصِلِى : إنَّ أَخِى قد أَخَذَ المَالَ ولا سَبِيل إلَى رَدِّه ، وقد أمرتُ لك بِمائة ألفِ درهم عِوَضاً عمَّا جرى عَلَيْك ، فلو بَدَأْتَ بالصَّوْت لكان هَذَا حَظَّك ، فأَمَر بها فحُمِلَت إليْه .

هَبَّ الرشيدُ ليلةً من نومه ، فدَعَا بِحِمَار كان يرْكَبُه فى القَصْرِ أسودَ قَصِيرٍ قَرِيب من الأَرْضِ فركبه ، وخرَجَ فى دُرّاعة وشْيٍ مُلَثَّماً بعمامة وشْيٍ ملتحفاً بإزار وشْيٍ وبَيْن يدَيْه أربعُمائة خادم ما بين أَبْيَضَ وأَسْوَدَ سِوَى الفرّاشين، وكان مَسْرورٌ الفرْغانِى جَرِيئاً[3] عليه لمكانه عنده ، فلمَّا خرج من باب القصر قال : أيْنَ تُرِيد ياأمير المؤمنين فى هَذِه السَّاعة ؟ قال : أُرِيد دَارَ إبراهيم المَوْصِلِى . قال مَسْرُور : ثم مَضَى

---

(١) فى ت : سرى .

(٢) فى غ : ويضج .

(٣) فى ت : جريا « تحريف » .

ونحن بَيْنَ يديه حتى أُنتهى إلى دار إبراهيم ، فخرَج وتلقّاه وقبّل حافِر حماره وقالَ : ياأَميرَ المؤمنين ، فى مِثْل هذه الساعة تَظْهَر ! قال : نعم ، شوق حارَقنى بك[1] ، ثم نزل فجلس فى طَرَفِ الإيوان وجَلَس إبراهيم ، وقال إبراهيم : ياسَيِّدى آتيك بشىءٍ تأْكلُه؟ قال : نعم شىءٌ من ظَبْى ، فأُتى به فكأنّما كان أُعدَّه ، فأصابَ منه شيْئاً ، ثم دَعَا بشراب حُمِل معه ، فقال المَوْصِلى : أَؤُغَنِّيك أم تُغَنِّيك إماؤُك ؟ قال : بل الجَوارِى ، فخرجت الجَوارِى من صدْر الإيوان ، فقال إبراهيم : أيَضْرِبن كلُّهن أم واحدة واحِدَة ؟ فقال : بل يَضْرِبن اثْنَتَان اثْنَتَان وتَغَنَّى وَاحِدَةٌ فوَاحِدَة ، ففعلن ذلك حَتّى مَرّ صدرُ الإيوَان وأَحدُ جانِبَيْه والرشيدُ يَسْمَع ولا يَنْشط لشىء من غِنَائِهن حتى غَنَّت صَبِيَّة من حَاشِيَة الصُّفَّة :

يامُورِىَ الزَّنْدِ قد أَعْيت قوادِحُه[2] إقْبِس إذا شِئْتَ من قَلْبِى بمِقْبَاس
ما أقبحَ الناسَ فى عَيْنِى وأسمَجَهم إذا نظرتُ فلم أُبصِرك فى النَّــاس

قال : فطَرِب لغِنَائها واسْتَعاد الصوتَ مِرَارا وشرب أَرْطَالاً ، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكتْ ، فاُسْتَدْنَاها فتَقاعَست ، فأمَر بها فأُقيمت حتى وُقِفتْ بين يدَيْه ، فأَخْبَرته بشىء أسرّته إليْه ، فدعَا بحماره فركبه ، ثم الْتَفَت إلَى إبْراهيم فقــال : ما ضرَّك أَلّا تَكُونَ خَلِيفة ؛ فكادت نَفْسُ إبراهيم تخرج ، حتى دَعَا به وأَدْنَاه بعد ذلك. وكان الّذى أَخْبَرَتْه بِهِ أَنَّ الصنعةَ فى الصَّوْت لأُخْته عُلَيَّة وكانت لَهَا ، وجَّهَت بِهَا إلى إبراهيم يُطَارِحُها .

قال إبرَاهيم المَوْصِلىّ : بينَا أَنَا بمكّة أَجُولُ فى سِكَكِهَا إِذَا أَنا بسوداءَ قَائِمةٍ سَاهِيَةٍ بَاكِيَة ، فأنكرتُ حالَها وأدْمَتُ[3] النظرَ إليْها فازدَادَت بُكَاء وقالت :

(١) فى غ : طرق لك بى .
(٢) فى ت : قوادمه « تحريف » .
(٣) فى غ : أدمنت .

أَعَمْرُو عَــلَامَ تَجَنَّبْتَنِى   أخذتَ فؤادِى فعـــذَّبْتَنِى
فلو كنتَ يا عمرو خَبَّرْتَنِى(١)   أخذتُ حِذارِى فَمَا نِلْتَنِى

فقلتُ لها : ياهذه، مَنْ عَمرو؟ فقالت: زوجى،فقلت: وما كَانَ مِنْ حَالِه؟ فقالت: طَلَبَنِى ومازال يَطْلُبُنِى حتى تزَوّجَنِى، فمَكَثَ معى قَلِيلًا ثم مَضَى فلم أَرَه ؛ فقلت : صِفيهِ لى ؛ قالت : أحسنُ من رأيتَه سُمْرَة وأحلاهُم حَلَاوَةً وقدًّا ، فركِبْت رَوَاحِلِى مع غِلْمَانى وسِرْتُ(٢) إلى جُدَّة ، فوقفْتُ فى موضع المرْفأ أتبصَّر مَنْ يَحْمِل من السُّفُن، وأمرتُ من يُصَوِّت : يا عَمْرُو ياعَمْرُو، فإذا أنا به خارجاً من سفينة على عنقه صَنٌّ(٣) فعرفتُه بصِفَتِها ونعتِها إيّاه فقلت :

أعمرُو عَــلَامَ تَجَنَّبْتَنِى   أخذتَ فُؤَادِى فَعَذَّبْتَنِى

فقال : هِيهِ ! أرأيتَها وسَمِعْتَ مِنْها ؟ فقلت : نعم، فأطرقَ يَبْكِى ، ثم اندفع يُغَنِّى به ، وإذا أصلحُ غِنَاء سمعتُه ، ورَدَّدَهُ ، وإذَا هو أحسنُ النّاسِ غِنَاءً ؛ فقلت له : أَلَا تَرْجع إليها ؟ فقال : طَلَبُ المعاشِ يَمْنَعُنى ؛ فقلت له : كم يَكْفِيك فى كلِّ سَنة ؟ فقال : ثلاثمائة دِرْهم ؛ فأعطيتُه ثلاثة آلافِ درْهم ، وقلت له : هــذا لعشر سِنِين على أن تُقِيمَ مَعَها ، فلا تَطلب المعاشَ إلّا بحيث هى مقيمةٌ معك ، ويكُون ذلك فَضْلًا، ورددْتُه مَعِى إلَيْها .

كان إبراهيم يألَف خَمَّارة بالرَّقّة يقال لها بِشْرَة(٤) تنزل الهَنِىءَ والمَرِىء(٥) ، وكان لها بِنْتٌ أحسنُ النَّاسِ وجْهًا . فمِمَّا قَالَ فِيهَا :

(١) فى ت : جربتنى .
(٢) فى غ : وصرت .
(٣) الصن : شبه السلة المطبقة ؛ يجعل فيها الطعام والخبز ، وفى ت : صنم « تحريف » .
(٤) بشرة : اسم جارية عون بن عبد الله . وفى ت : بسرة .
(٥) الهنىء والمرىء : نهران حفرهما هشام بن عبد الملك يسقيان عدة بساتين يستمدان من الفرات ويصبان فيه .

وزعمتِ أنِّى ظالم فهجرتِنِى ورميتِ فى قلْبى بسْهم نافـذ
ونَعَم ظلمتُك فاغفِرى وتجاوزى هذا مَقَامُ المُسْتَجيرِ العائـذِ

قال إبراهيم : بينا أنا عشيَّةً فى منزلى إذْ أتانى خادم من خَدَم الرّشيد فاستحثّنى على رُكُوبى إليْه فجئته ركْضًا ، فعدَل بى عن مَدْخَل الدّار إلَى طَرِيق لا أعْرِفها ، فانْتَهى بِى إلى دَارٍ حَدِيثَةِ البِناء ، فدخلتُ صَحْنا واسِعاً ، وكان الرّشيد يشتهى الصحونَ الوَاسِعَة ، فإذا هو جالِس على كُرْسِىّ فى وسط ذلك الصّحْن ، ليس عنده أحد إلّا خادِمٌ واحد يسقيه ، وهو فى لِبْسَةِ الصَّيْف عَلَيْه غِلَالَةٌ رقيقة مُتَوَشّح عليها بإزار سِنْدِىّ(١) عريضِ العَلَم مُضرَّج أحمر ؛ فلما رآنى هَشَّ إلَىَّ وسُرَّ ، وقال : يا مَوْصِلِى ، إنى اشتهيتُ أن أجلس فى هذا الصَّحن فلم يتَّفق لى إلَّا اليوم ، وأحببْتُ ألّا يكونَ مَعِى ومعك أَحَد ، ثم صاح : يا غُلَام فجاءه مِائَةُ وَصِيف من الأرْوِقَة مُسْتَتِرِين بحيث لا يرَاهُم ، فقال : مُقَطعة لإبْرَاهِيم ، وكان أوّل من قطع المُصَلِّيات ، فأُتِىَ بمقعد فأُلقِى تُجاهَه ، ودعا بعُود وقال : بحيَاتى أطْرِبنى ما قَدَرْتَ ؛ قال : ففعلتُ جُهْدى ورجَوْتُ الجائِزة السَّنِيَّة ؛ فبينا أنا كذلك وإذا بمَسْرُور الكَبِير قد جاءَ ، فقامَ مَقَاما كان إذا قَامَه عَلِم أنَّه يُرِيد أن يُسارَّه بِشَىء ، فأومأ إليه بالدُّنوّ ، فدَنَا منه فألقَى فى أُذُنه كلمة خَفِيفَة وتَنَحَّى ، فاستَشَاط الرشيدُ غضباً واحمرَّت عيناه وانتفخَت أوداجُه ، وقال : حَتَّامَ أَصْبِر على آلِ أبى طالب ! والله لأَقْتُلَنَّهم ولأَقْتُلَنَّ شيعَتَهم ولأَفْعَلَنَّ ! فقلت : إنّا لله ! ليس عنده أحد يُخرِج غيظَه عليه ، غير أنى أحسَبه سيُوقِع بى ، فاندفعْتُ فغنّيْتُه :

نِعْمَ عوناً على الهُمُوم ثَلَاثُ مُتْرَعَاتٌ من بعدهنَّ ثَلاثُ
بعدَها أربعٌ تَتِمَّة عشرٍ لا بِطَاءٌ لكنَّهنَّ حِثَاثُ

---

(١) فى غ : رشيدى .

فإذا ناولتكهن جوارٍ عطراتٌ بيضُ الوجوه خناثُ
تم فيها لك السرورُ وما طـ ـيَّب عيشاً إلا الخناث الإناثُ

فقال : ويحك ! اسقني ثلاثاً لا أمت[1] همًّا ، فشرب ثلاثاً متتابعة ، ثم قال : أعد فغنيته ، فلما قلتُ : « ثلاثٌ من بعدهن ثلاثٌ » قال : هات ويلك ثلاثاً ! فشرب ثلاثاً أخرى ، ثم قال : غنّ فغنيته ، فقال : حُثّ على أربعاً تتمة العشر ، ففعلت . فوالله ما استوفاها حتى سكر ، ونهض ليدخل ، فقال : قم يا موصلي فانصرف ، وأقسمتُ عليك يا مسرور بحياتي وبحقي إلا[2] سبقته إلى منزله بمائة ألف درهم ، لا أستأمر فيها ؛ فخرجتُ وقد آمن خوفي وأدركتُ ما رجوتُ ، ووافيتُ منزلي وقد سبقني بمائة ألف درهم .

قال إبراهيمُ : قال لي الرشيدُ يوما : يا إبراهيم ، بكّر عليّ غداً حتى نصطبح ؛ فقلت : يا أميرَ المؤمنين أنا والصبحُ كفرسَيْ رهان ؛ فبكّرت وإذا به خاليا ، وبين يديه جارية حلوةُ المنظر ، دمثة الشمائل كأنها خوطُ بان ، وفي يدها عودٌ ؛ فقال لها : غنّي ، فغنت لأبي نواس :

توهّمه قلبي فأصبح خدُّه وفيه مكانَ الوهم من نظري أثْرُ
ومرّ بقلبي[3] خاطراً فجرحته ولم أر جسماً قطّ يجرحه الفكْرُ
وصافحه كفّي[4] فآلم كفّه فمِنْ غمزِ كفّي[4] في أنامله عقْرُ

قال إبراهيم : فذهبتْ والله بعقلي حتى كدتُ أفتضح ، فقلت : مَنْ هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه التي يقولُ فيها [الشاعر][5] :

---

(١) في ت : لا أموت .
(٢) في ت : لما .
(٣) في غ : بفكري .
(٤) في غ : قلبي .
(٥) ساقطة من ت .

لها قَلْبِي الغَــداةَ وقلبُها لى ... فنحن كذاكَ فى جَسَدَيْنِ رُوحُ

ثم قال لها : غَنِّى ، فغَنَّت فى شِعْر أَبى الشِّيص :

تَقُول غداةَ البَيْن إِحدى نِسَائِهم ... لِىَ الـكَبِد الحَرَّى فسِرْ ولكَ الصَّبْر

وقد خَنَقَتْهــا عَبْرَةٌ فدُمُوعها ... على خَدِّها بِيضٌ وفى نحرِها صُفْر

فشَرِب ثم سَقاهَا ، وقال : غَنِّ يا إبراهيم فغَنَّيْتُ حَسَب ما فى قَلْبِي غير مُحْتَفِظ مِنْ شىء :

تَشَرَّب قَلْبِي حُبَّهــا ومَشَى بِهِ ... تَمَشِّى حُمَيَّا الـكَأْس فى جسم (١) شارب

ودَبَّ هواهَا فى عِظَامِى فَشَفَّها ... كما دبَّ فى المَلْسُوع سمّ العَقَارب

قال : ففَطِن لتَعْرِيضى ، وكانت جَهَالَةً مِنِّى ؛ فأَمَرَنى بالانصِرَاف ، ولم يدعُنى شَهْرًا ، ولا حَضَرْتُ مجلسَه ؛ فلما كان بَعْدَ شَهْر دَسَّ إِلى خادِماً معــه رُقْعَة مَــكْتُوبٌ فِيهَا :

قد تَخَوَّفتُ أَنْ أَمُوتَ من الوَجْـ ... ـد ولم يَدْرِ مَنْ هَوِيتُ بِمَا بى

يا كِتَابِى فاقرَ السَّلام عَلَى مَنْ ... لا يُسَمَّى (٢) وقُلْ له يا كِتَابِى

إنَّ كَفًّا إليكَ قــد كَتَبَتْنِى ... فى شَقَاءٍ مُوَاصَل بِعذَاب (٣)

فأَتَانى الخادِمُ بالرُّقْعَــة ؛ فقلت له : ما هَذَا ؟ فقال : رُقْعَــةُ فُلانَة الجارِية التى غَنَّتْكَ بَيْن يدى أَمِير المؤمنين فأَحْسَسْتُ القِصَّةَ (٤) فشَتَمْتُ الخادِم ووثبتُ إليه فضرَبْتُه ضَرْباً شَفَيْتُ به نَفْسِى وغَيْظِى ، ورَكِبْتُ إِلَى الرَّشِيد من فَوْرِى فأَخبرتُه وأَعطيتُه الرُّقْعَــة ؛ فضَحِك حتى كادَ يَسْتَلْقِى ، وقال : على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك

---

(١) فى ت : يد .

(٢) فى غ : أسمى .

(٣) فى غ : وعذاب .

(٤) فى ت : فأحسست بالقصة .

لأَمْتَحِنَكَ فأعرف مذهبَك وطَرِيقَتَك ، ثم دَعَا بالخادِمِ ؛ فخرج ، فلمّا رآني قَالَ : قَطع اللهُ يديْك ورِجْلَيْك ، ويْلَكَ ! قتلْتَنِي ؛ فقلتُ : القتلُ كان بَعْضَ حقِّك لِمَا وردتَ به عَلَيَّ ، ولكن رَحِمْتُك فأبقيتُ عليك ، وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتيَ في عُقُوبتك بما تَسْتَحِقّه . فأمر لي الرَّشِيدُ بِصِلة سَنِيّة ؛ والله يعلم أَنّي ما فعلته عَفَافاً ولكن خَوْفاً .

قال إبراهيم : حبَسني الرَّشيد بالرَّقّة وغَضِب عليّ وجلس للشّراب يوماً في مجلس قد زَيَّنَه وحَسَّنَه ، فقال لعيسى بن جعفر : هل بِمَجْلِسنا عَيْب ؟ قال : نعم ، غيبة إبراهيم المَوْصِليّ عَنْه ، فأمَر بإحضاري فأُحضِرت في قُيُودي ، ففُكّت عنّي بين يديه ، وأمرهم فناولوني عُوداً ثم قال : غَنِّ فغنيتُ في شِعْر النُّمَيْرِيّ :

تَضَوَّعَ مِسْكاً بطنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَت ... به زَيْنَبٌ في نِسْوَةٍ عَطِرات[1]

مررن بِفَخٍّ[2] رائحاتٍ عَشِيَّةً ... يُلبِّين للرحمن مُعْتَمِرات

ولمَّا رأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أعرضَت ... وكُنَّ مِنْ أن يَلْقَيْنَه حَذِرات

فاستعادَه وطَرِب وشَرِب ، وقال : هَنَأْتني وسأُهْنِئُك الصِّلَة ، قد وهبتُ لَكَ الهَنِيءَ والمَرِيءَ ؛ فانصرفتُ ، فلما أصبَحْتُ عُوِّضْتُ عَنْهما مائتي أَلْفِ دِرْهم .

سأل الرّشيدُ إبراهيمَ : كيف تَصْنَع إذا أردتَ أن تَصُوغَ الأَلْحانَ ؟ فقال : يا أميرَ المُؤْمِنِين ، أُخْرِج الهمّ من فِكْري وأُمَثِّلُ الطَّرَب بين عَيْنَيّ فتُسْرِع إلَيّ مسالكُ الأَلْحان الّتي أُرِيد فأَسْلُكُها بدَلِيل الإيقاع ، فأرجعُ مُصِيباً ظافِراً بما أُرِيد ؛ فقال : يَحِق لَك أن تُصِيبَ وتَظْفَر ، وإنّ حُسْن وصفك لَمُشاكِلٌ لحُسْنِ صَنْعَتِك وغِنائك .

---

(١) في غ : خفرات .

(٢) فخ : موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال . وفي ت : بسفح .

حكى إبراهيمُ قال : كنتُ استأذنْت الرشيدَ أن يَهَبَ لى يوماً من الجُمْعة لا يبعَثُ إلىّ فيه بِوَجْه ولا سَبَبٍ لأخلُوَ فيه بِجوارى وإخْوانى ، فأذِن لى فى يَوْم السَّبْت وقال لى : هو يوم أستثْقِلُه فالْهُ فِيهِ بما شئْت ، فلمَّا كان يوم السبت قعدتُ فى مَنْزِلى وتقدَّمت بإصلاح طعَامى وشرَابى وأمَرْتُ بإغلاق أبْوَابى ، وأمرتُ بوَّابى ألّا يأْذَنَ لأحد علَىَّ البتَّة ؛ فبينما أنَا فى مجلسى والخدم(١) قد حَفّوا بى ، وجَوَارِىَ يَتَردَّدْنَ(٢) بين يدىّ إذا أنا بشَيْخ ذِى هَيْئة وجَمَال ، وعليه خُفَّان قَصِيران وقَمِيصَان ناعمان ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَة لاطِئة(٣) ، وبيَدِه عُكَّازة مُقَمَّعَة بفضّة ، وروائحُ الطِّيب تفوح منه حتى مَلأَتْ البيتَ والدَّار ، فداخَلَنى لدُخُوله مع ماتقدّمت به من إغلاق الباب غَيْظٌ ماداخَلَنى قَطّ مثلُه ، وهَمَمْتُ بطرد بوّابى ومَن يَحْجُبُنى ؛ فسلّم علىَّ أحسنَ سَلَام فردَدْت عليه ، وأمرتُه بالجُلُوس ثم مَرّ فى(٤) أَحَاديث الناس وأَيّامِ العرَب وأشْعَارِهم حتى سَلَىّ ما كَانَ بِى مِنَ الغضَب ، وظننت أَنَّ غِلْمَانى تَحرَّوا مَسرَّتى بإدخال مِثْلِه علىّ لأدبه وظَرْفه ، فقلتُ له : هل لك فى الطَّعَام ؟ فقال: لا حاجة لى فيه ؛ فقلت له : هل لك فى الشراب ؟ قال : ذاك إليك فشَرِبْتُ رِطْلًا وسقيتُه مِثْلَه ؛ فقال : يا أَبَا إسْحَاق ، هل لَكَ أن تُغَنّى لنا شَيْئًا فنَسْمَع مِنْ صَنْعَتِك ما قد نَفَقْتَ به عندَ المُلوك والخاصِّ والعَامِّ ، فغاظَنِى قوله ، ثم سهّلتُ الأمرَ على نَفْسى فأخذتُ العُودَ وجَسَسْتُهُ ثم ضربتُ وغَنّيْتُ ، فقال : أحسنْتَ يا إبْرَاهِيم فازدَادَ غَيْظِى وقلت ما رَضِى بِمَا فَعَله من دخوله علىّ بغير إذْنى واقتراحه أَنْ أُغَنِّيَه حَتَّى

---

(١) فى ت : والحرم .

(٢) فى ت : يترددون « خطأ » .

(٣) لاطئة : صغيرة تلزق بالرأس .

(٤) فى غ : أخذ بى .

سَمَّانِي ولم يكفنى ولم يُجْمِل مخاطَبتِي ! ثم قال هل [لك] [(١)] أن تَزِيدَنِي ؟ فَتَذَمَّمْتُ [(٢)] وأخذتُ العُودَ فقال : أَجَدْتَ يا أَبَا إسْحَاق فأتِمِ هِزَارَكَ [(٣)] حَتَّى نكافئك ونُغَنِّيك فتحفّظتُ وقُمْتُ بما غَنّيته إيَّاه قِيَاما تامّا ما تحفظت مثلَه وما قمتُ بِغِناء كما قمتُ به بين يدى خليفة قطّ ولا غيره ، لقوله : سأُكافِئك ، فَطِرب وقال : أحسنتَ ياسَيِّدى ويا أوثق عددى ، ثم قال : أتأذَن لِي فى الغِناء ؟ فقلت : شأنك ، واستضعفْتُ عقلَه فى أن يُغنّى بحضْرَتى بعدَ ما سَمِع مِنِّى ، فأخَذَ العودَ فجسَّه ، فوالله لقد خِلت أنّه ينطِق بلسانٍ عَرَبِىّ لحسن ما سمعْتُه من صوت جَسِّه ثم غَنّى :

وَلِى كَبِدٌ مقروحَةٌ مَنْ يَبيعنى ... بِهَا كَبِداً ليستْ بِذَاتِ قُرُوح
أَباها علىّ الناسُ لا [(٤)] يَشْتَرُونَها ... ومن يشترى ذَاعِلَّةً بِصَحِيح
أَئِنّ من الشّوق الذى فى جوانحى [(٥)] ... أَنينَ غَصيصٍ بالشَّراب جَريح

قال إبراهيم : نُخَيِّل لى أَنَّ الحيطانَ والأبوابَ وكُلّ مَا فى البيْت يُجيبه ويُغنّى معه من حُسْنِ غِنائه ، حتى خِلْتُ أَنَّ أعضائى وثِيابى تُجَاوِبه ، وبَقِيت مَبْهُوتاً لا أستَطِيع الكلامَ ولا الجواب ولا الحركةَ مما خَالَط قَلْبى ثم غَنَّى :

ألا يا حَمَاماتِ اللِّوَى عُدْنَ عَوْدَةً ... فإنِّى إلَى أصواتِكن حَزِينُ [(٦)]
فعُدنَ فلما عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِى ... وكدتُ بأسرار لَهُنّ أُبِينُ
دَعَوْنَ بتَرْدادِ الهَدِيل [(٧)] كأنما ... شربن سلافا [(٨)] أو بهن جُنُونُ

---

(١) ساقطة من (ت) .

(٢) تذمم : استنكف .

(٣) الهزار : كلمة فارسية، من معانيها: الأنشودة والمقطوعة .

(٤) فى ت : أن .

(٥) فى غ : جوانبى .

(٦) فى ت : حين .

(٧) فى غ : الهدير .

(٨) فى غ : سقين حميا .

فــلم تَرَ عَيْنِى مِثْلَهن حَمَائِماً بكينَ ولم تَدْمــع لَهُن عُيُونَ

فـكاد عَقْلِى أن يَـذْهَب طرَباً وارْتِيَاحا لِمَا سمعتُه ؛ ثم غنَّى ليَزِيد بْنِ الطَّثرِيَّـةِ(١) .

أَلَا يا صَبا نَجْد متى هِجْتِ من نَجْد فقد زادَنِى مَسْرَاكِ وَجْداً على وَجْدِ
أَإِن هَتَفَت ورقاءُ فى رَوْنَق الضُّحَى على فَنَن(٢) غَضِّ النَّبَاتِ من الرَّنْدِ
بكيتَ كما يبكِى الحَزِين(٣) صَبَابَةً وذُبتَ من الحُزْنِ المبرِّح والجَهْدِ
وقد زعموا أَنَّ المُحِبّ إذا دَنَا يَمَلُّ وأَنَّ النَّأْىَ يَشْفِى من الوَجْدِ
بكُلٍّ تداوَيْنَا فلم يُشْفَ ما بِنَا على أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خيْرٌ من البُعْدِ
[على أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ ليس بِنَافِع إذا كان مَنْ تَهْوَاه لَيْس بِذِى وُدّ](٤)

ثم قال يا إبراهيم : هـذا الغناء المَأْخُورِىّ فخُذْ وانحُ نحوَه فى غِنائك وعَلِّمْه جَوَارِيَك ؛ فقلت : أَعِدْه عَلَىّ ، فقال : لَسْت(٥) تحتاج ، قد أخذتَه وفرغْتَ منه ، ثم غاب من بين عَيْنَىّ(٦) ، فارتعتُ وقُلْتُ للجوَارِى : أَىّ شىء سَمِعْتُنّ عِنْدِى ؟ فقلن : سَمِعْنا غناءً أطيب غِناء سُمِع قَطّ ؛ فجَرّدْتُ السيفَ وقُمْتُ وعَدَوْت إلى أبواب الحُرَم فوجدتُها مُغْلَقَة ، فخرجْت إلى بَابِ الدّار فوجدته مُغْلَقا ، فسألتُ البَوّاب عن الشَّيخ ؛ فقال : أَىّ شَيْخ ؟ والله ما دَخَل اليوم عليك أَحَد ؛ فرجعْت لأَتأَمّل أَمْرى ؛ فإذا هو قد هَتَفَ بى من جَانِب البَيْت : لا بَأْس عليك يا إبراهيم ،

---

(١) فى ت : الطرمه « تحريف » .
(٢) فى ت : غصن :
(٣) فى ت : الوليد .
(٤) لم يرد البيت فى « غ » .
(٥) فى ت : ليس .
(٦) فى غ : يدى .

أَنَا إِبْلِيس وإِنَّمَا كنتُ نَدِيمَك اليومَ ، فركبت إلى الرَّشيد وقُلْت : لا أُطْرِفُه[١] أبداً بطُرْفة مِثْل هذه ، فدخَلْتُ إليه وحَدَّثْته الحديث ؛ فقال : وَيْحَك تأمَّل هذه الأَصْوَات ، هل أخذتَها ؟ فأخذْتُ العود فامتحَنْتُها فإذا هى رَاسِخَة فى قَلْبِى كأنَّها لم تَزل ، فطَرِب الرشيدُ عليها وجَلَس يَشْرَب ولم يَكُن عَزَم على الشُّرْب ، وأَمَر لى بِصِلَة . وقال : الشيخُ كان أَعْلَمَ بما قال لَكَ من أَنَّكَ أخذتَها وفَرَغْتَ مِنها ، فليْتَه أمتعَنا بنفْسِه يوماً وَاحداً كما أَمْتَعَك .

قال إبراهيم : قال لى جَعْفَر بْنُ يَحْيى : وقد علم أن الرشيد أَذِن لى وللمُغَنِّين فى الانْصِرَاف يومئذ صِرْ إِلَيَّ حتى أَهَبَ لك شيئا حَسَناً ، فصِرْتُ إليه فقال لى : أيّما أحبُّ إليك : أَهَبُ لك الشيءَ الحسن الذى وعدتُك به أَمْ أُرْشِدُكَ إِلَى شَيْء تَكسب فيه ألفَ ألفِ درهم ؟ قلت : بل يُرْشِدُنى الوَزِير إلى هذا الوَجْه فإنه يَقُوم مقام إعطائى هَذَا المَال ؛ قال : إنّ أميرَ المؤمنين يحفَظُ شعرَ ذِى الرّمّة حفظ الصِّبا ويُعجبه ويُؤْثِره ، وإذا سَمِع فيه غناء ، أطرَبه أكثر مما يُطرِبه غيره مِمَّن[٢] لا يحفَظُ شِعْرَه ؛ فإذا غنيتَه وأطربتَه وأمر لك بجَائِزة ، فقم على رِجْلَيْك وقبِّل الأرضَ بين يديه وقل : إنّ لى حاجةً غيرَ الجائزة أُرِيدُ أَنْ أسألَها أميرَ المؤمنين، وهى حاجَةٌ تقوم عندى مقام كل فائدة ولا تَضُرُّه ولا تَرْزَؤُه ؛ فإنه سيقول لك : أىّ شىء حاجَتُك ؛ فقل له : إِقْطَاع تُقْطِعُنى إيّاه سَهْل عليك لا قِيمَةَ له ولا مَنْفَعَةَ لأحدٍ فيه ؛ فإذا أجابَك إليه، فقل له : تُقْطِعُنى شعرَ ذِى الرّمّة أُغنِّى فيه ما أَخْتَارُه وتحظُر على المُغَنِّين جميعا أَن يُدَاخِلُونى فيه ، فإنى أُحِبُّ شعرَه وأستحسنه ولا أُحِبّ أَنْ يُنَغِّصَه علىّ أحدٌ منهم ، وتَوَثَّق منه فى ذلك ؛ فقبِلتُ القولَ منه ، وما أنصرفت مع ذلك إلّا بالجائزة ؛ وتوخيتُ وقتاً

(١) فى ت : لاطرفته « تحريف » .

(٢) فى غ : مما .

للـكلام فى هـذا المَعْنى حتى وجدتُه ، فقمتُ وسألتُ كما قالَ لِي : فرأيت السرورَ فى وَجْهِه وقال : ما سألتَ شَطَطاً قد أقطعتُك ؛ فقلت يا أَميرَ المُؤْمنين : أتأذَنُ لى فى التَّوَثُّق ؟ فقال : تَوَثَّق[١] كيفَ شِئْت ؛ فقلت : بِالله و بِرَسُوله وَبِتُرْبة[٢] أَميرِ المؤمنين المَهْدِىِّ إلاَّ جعلتَنِى على ثِقَة من ذَلِك بأن تَحْلِف لى بِذَلك لا تُعْطِى أحدًا مِنَ المُغَنِّين جائزة على شَىْءٍ يُغَنِّيه من شعر ذِى الرُّمّة فإنّ ذلك تَوْثِقَتى[٣] ؛ فحلَفَ مُجْتَهِدا بالقَسَم إنْ غَنَّى أحدٌ منهم من شِعْر ذِى الرُّمَّة لا أثابَه ولا بَرَّه[٤] ولاسَمِع غِنَاءه[٥] ؛ فشكَرْت[٦] فعلَه وقبَّلْتُ الأرضَ بين يديه وانصرفتُ فغَنَّيْت مِائَة صَوْت وزِيادة عَلَيْها فى شِعْرِ ذِى الرُّمَّة ؛ فـكان إذَا سمع صوتاً منهـا طَرِب وزاد طَرَبُه وَوَصَلَنى وأَجْزَل ولم يَنْتَفِع أحدٌ منهم غَيْرِى ؛ فأخذتُ بِهـا منه أَلْفَ أَلْفَ دِرْهَم وأَلْفَ أَلْفَ دِرْهم .

قال إبْرَاهيم : كان الرَّشِيد يَهْوَى مَارِدَةَ و يَجِدُ بِها وجْدًا شَدِيدا؛ فغَضِبَت عليه وغَضِب عَلَيْها ، وتَمَادَى الهجرُ بينهما ؛ فأَمَر جعفرُ بنُ يَحْيَ العَبَّاسَ بنَ الأَحْنَف فقال :

رَاجِــعْ أحِبَّتَك الذينَ هَجَرْتَهم ... إن المُتَيَّم قلَّ مــا يُتَجَــنَّب
إنَّ التجنُّبَ إن تَطَـاوَلَ منـكما ... دَبَّ السلُوُّ وعَـزَّ مِـنْك المَطْلَب[٧]

وأَمَر إبراهيمَ المَوْصِلِىّ فغَنَّى به الرَّشِيد ؛ فلمَّا سَمِعه بَادَر إلى ماردةَ فتَرضَّاها ؛

---

(١) فى ت : موثق .
(٢) فى ت : وتربة .
(٣) فى غ : وثيقتى .
(٤) فى ت : كبره .
(٥) فى ت : غناه .
(٦) فى ت: فشكوت « تحريف » .
(٧) فى غ : دب السلو له فعز المطلب .

فسألت عن السَّبَب فعرَفته فأمرت لِكُلِّ وَاحدٍ من العبَّاس وإبْرٰهيم بعشرةِ آلافِ دِرْهم ، وسألت الرَّشِيدَ أن يُكافِئهما ، فأمر لهما بأربعين ألف دِرْهم .

اجْتمع إبراهيمُ المَوْصِلِيّ وزَلْزَلٌ بين يدَىْ أميرِ المُؤمنين فضرب زلزلٌ وغنّى إبْراهيم .

صَحَا قَلْبِي[1] وراعَ إلىَّ[2] عقْلِى وأقْصَر بَاطِلِى ونَسِيتُ جَهْلِى
رأيتُ الغَانِيَات وكن خُزْرًا[3] إلىّ صَرَمْنَنِى وقَطَعْنَ حَبْلِى

فطَرِب الرشيدُ طَرباً شَدِيدا حتى قَام قَائِماً على قَدَمَيْه وصَاحَ : يا آدم ، لو رأيتَ من يحضُرُنى اليومَ من وَلَدِكَ لسرّكَ ذلك ! ثم جَلَس وقال : أسْتَغْفِر الله .

لعِبَ إبْرٰهيم يوماً مع الرَّشيد بالنَّرْدِ فى الخِلْعَة الَّتِى كانت عَلَى الرَّشيد والخِلْعَة الَّتِى عَلَيْه هو فقَمَره الرَّشِيدُ ، فقام إبراهيمُ فنزَع ثِيابَه وجَلَس ، ثم لَعِبا فقمَر إبراهيمُ الرَّشِيدَ فقال إبْرٰهيم : حُكْمُ النَّرْدِ والوَفَاء ، وقد قُمِرْت ووفَّيْت ، فألْبسْ ما كانَ عَلَىَّ ؛ فقال له الرَّشِيدُ : وَيْلَك ؛ أنا ألبس ثِيابَك ؛ فقال : إى واللهِ إنْ أنصفْتَ وإنْ لم تُنْصِف قَدَرْتَ ؛ قال : ويلك ؛ أوَأفْتَدِى مِنْك ؟ قال : وما الفِدَاء ؟ قال : قل . قال : قل أنتَ يا أمِير المؤمنين فإنَّكَ أولَى بالقَوْل ، قال : أُعْطِيك كلَّ ما علىَّ ، قال : مُرْ بِهِ يا أمير المؤمنين وأنا أسْتَخِير اللهَ بَعْدَ ذَلِك ، فدَعَا بِغَيْرِ ما كانَ عَلَيْه فلَبِسَه ونزَع ما كانَ عَلَيْه فدفعه إلى إبْرٰهيم .

قال إبراهيمُ المَوْصِلِىُّ : قال الرَّشِيدُ يوماً : إنِّى قد جعلتُ غَداً للحَرِيم[4] وليلةَ غدٍ لِلرِّجال وأنا مقتصرٌ من المُغَنِّين عليكَ فلا تَشْتَغِل غَداً بشىء ولا تَشْرب نَبِيذاً ،

---

(١) فى ت : عقلى .
(٢) فى ت : إليك .
(٣) فى غ : صورا .
(٤) فى ت : للحرم .

وكُنْ بحضرتى فى وقْت العشاء الآخِرَة ؛ فقلت : السمع والطاعةُ يا أَميرَ المُؤْمنين ؛ فقال : وحَقِّ أَبى إنْ تَأَخَّرْتَ أَوِ اعتلَلْتَ بشْىء ولم تأْت لأَضْرِبَنَّ عُنقَك ، أَفَهِمْتَ ؟ قلتُ : نَعَم، فخرَجْت فما جاءنى أَحَدٌ من إخْوانِى إلَّا احتَجَبْتُ عنه ولا قَرأْتُ رُقْعَةً لأَحَدٍ ، حَتَّى إذَا صَلَّيت المغربَ رَكِبْتُ قَاصِدًا إِلَيْه ، فلما قَرُبْتُ من دَارِه مَرَرْتُ بفِنَاء قَصْر ، وإِذَا زِنْبِيل كَبِير مُعَلَّق مُستوثَق منه بحِبال وأَرْبع عُرًى قَدْ دُلِّى من ذلك القَصْر ، وجَارِيَة قَائِمَة تَنْتَظِر إنْسَانا قد وُعِد ليَجْلِس فِيه ، فنَازَعَتْنِى نَفْسِى إليه ، فقلت : هَذَا خَطأ ، لَعَلَّه يَجْرِى سَبَبٌ يُعَوِّقُنى عن الخَلِيفة فيكون الهلاكُ ، فلم أَزَلْ أُنَازِع نَفْسِى وتُنَازِعُنى حتى غلبَتْنِى ، فنزَلْتُ فجلستُ فيه ، ومُدَّ الزِّنْبِيل حتى صَارَ فى أَعْلى القصر ، ثم خرجت فنَزَلْت ، فإذَا جَوَارٍ كأَنَّهُن المَهَا جُلُوس ، فضَحِكْن وقُلْن : قدجَاءَ واللهِ ، فلما رَأَيْنَنِى من قَرِيب تبادَرْنَ إلى الحِجَاب وقُلْنَ : يا عَدُوَّ اللهِ ، ما الَّذى أَدْخَلكَ علينَا ؟ فقلت : يا عَدُوَّات الله مَنِ الَّذى أَرَدْتُنَّ إدْخالَه؟ولِمَ صَارَ أَوْلَى مِنِّى بِهَذَا ؟ ولم يزَلْ ذَلِك دَأْبُنا وهُنَّ يَضْحَكْنَ وأُضْحِكُ مَعهُن ، فقالَت إحْدَاهُن : أمَّا مَنْ أَرَدْنَاه فقد فَاتَ ، وماهَذَا إلَّا ظَرِيف، فهَلُمَّ[١] نُعاشِرْهُ عِشْرةً جميلة؛ فأُخرج إلَىَّ[٢] طعام فدُعِيت إلى أَكْله ، فلم يَكُن فِىَّ فَضْل إلَّا أَنِّى كَرِهْت أن أُنْسَب إلى سُوء العِشْرة، فأَصبْتُ منه إصابَة مُعَذِّر ، ثم جىء بالنَّبِيذ فشَرِبْنا وأُخْرِجن ثلاثَ جوَارٍ لهنّ فغنَّيْن غِناء مَليحا ، فغنَّت إحْداهُن صوتاً لمَعْبد ، فقالت إحداهن من وَرَاء السّتر[٣] : أحسَن إبْراهيم ، وهذا له ، فقلت : كَذَبتِ ليس هَذَا له ، هَذَا لِمَعْبَد ، فقالت : يا فاسقُ ، وما يُدْرِيك الغِنَاءَ ما هو[٤] : ثم غنَّت الأُخْرى صوتاً للغَرِيض ، فقالَت تلك : أَحْسَن إبْرَاهيم ، هذا أَيضا له ، فقلت :

(١) فى ت : فهلموا .

(٢) فى ت : لى .

(٣) فى ت : السترة .

(٤) فى ت : وما هو .

كَذَبْت، هذا للغَرِيض ، فقالت : اللّهمّ أَخْزِه ، ويلك! وما يُدْرِيك ما الغِناء ! ثم غَنَّت الجَارِيَة صَوتاً لِى ، فقالت تلك : أحسنَ ابْنُ سُرَيْج ، هذا له ؛ فقلت : كَذَبْت، هَذَا والله لإبْرَاهيم ، وأنت تَنسُبِين غِناءَ النّاس إليه وغِنَاءَهُ إلى غَيْرِه؛ فقالت : ويلك ! وما يدريك! فقلت: أنا إبْرَاهيم، فتبَاشَرْن جميعا بذلك وظَهَرْن كلهن وقلْن : كتمتَ نفسَك عنّا وقد سَرَرْتَنَا؛ فقلتُ : أنا الآن أَسْتَوْدِعُكُنَّ الله تعالى ؛ فقلن : وما السَّبَب ؟ فأخبرتهنّ بقِصَّتى مع الرشيد : فضَحِكن وقلن: الآن طَابَ حبسُك وعلينا إن خرجتَ أُسْبُوعاً ؛ فقلت : هو والله القتل ؛ فقُلْن : إِلَى لعْنَة الله ، فأقمْتُ عِندَهُنَّ أُسْبُوعاً لا أَزُول ، فلما كان بَعْدَ أُسْبُوع ودّعْنَنِى وقُلْن: إنْ سَلّمك الله فأنت بعد ثالثة[1] عندنا، فأَجْلَسْنَنِى فى الزّنْبِيل وسُرِّحْت فمضَيْتُ من وجْهى إلَى دَارِ الرّشِيد ، فإذَا النِّدَاء قد أشِيع فى طَلَبِى ببغدادَ وأنَّ مَنْ أحضَرَنى فقد سُوِّغ ملكى وقد أُقْطِع مالى ؛ فاستأذنتُ فتبادَرَ الخَدَمُ حتى أدخلُونى عَلَى الرَّشِيد ؛ فلما رآنى شتمنى وقال : السيف والنِّطْع! إيهٍ يا إبْرَاهيم ، تهاونْتَ بأَمْرى وتشاغلتَ بالعَوَامّ عما أمرتُك به وجلستَ مع أشباهك مِنَ السفهاء[2] حتى أفسدتَ علىَّ لَذّتِى ! فقلت : يا أَمِيرَ المُؤْمنين ، أنا بَيْن يدَيْك وما أمرتَ به غيرُ فَائِت ، ولِى حَدِيث عجيب ، ما سُمِع بمثله قطّ وهو الذى قطعَنى عَنْك ضرورةً لا اخْتِيارًا ، فاسْمَعْه ، فإن كان عُذْرًا فاقبَلْه ، وإلّا فأنت أعْلَم ، قال : هَاتِه فليس بِمُنْجِيك ، فحدثته ، فأطرق ساعَةً ثم قال : إنّ هذا لعَجَب أفتحْضِرنى معك هذا المَوْضع ؟ فقلت : نعم ، وأُجلسك معهن وإن شئتَ فعلى مَوْعد ؛ قال : بل على موعد ؛ فقلت : أَفعل ؛ قال : انظُر ، قلت : ذلك حَاصِل لك مَتَى شِئْت ؛

(١) فى غ : ثلاث .

(٢) فى ت : النساء .

فعدَل عن رأيه فىّ وأجلسنى وشَرِب وطَرِب ، فلما أصبحنا أمرَنِى بالانصرَاف وأَنْ أجيئه من عندهن ؛ فمضيتُ إليهن فى وقت المَوْعد(١) ، فلما وَافَيْت المَوْضِع إذَا الزّنبيل مُعَلَّق ، فجلستُ فِيهِ ومَدّه الجوارى وصَعِدْت ، فلما رأيْنَنِى تَباشَرْن وحَمِدْن الله تَعالى على سَلَامَتى وأَقمْت لَيْلَتِى . فلمَّا أردْتُ الانصِرَاف قلتُ لَهُن : إنَّ لِى أخا هُوَ عِدْل نَفْسى ، وقد أَحَبَّ معاشرَتكن ووعَدْته بِذَلك ، فقلن : إنْ كنتَ ترضاه فمرحباً بِهِ . فوعَدتُهن لليلة غَد فأَتَيْت الرشيدَ فأخبرتُه فلمّا كان الوقت خرج مَعِى مُتَخَفِّيا حتى أتينا المَوْضِع ، فصَعِدت وصَعِد بعدى ونزَلْنَا جَميعاً ، وقد كانَ الله وَقَّفنى أَن قلتُ لَهُن : إذَا جَاء صَدِيقى فاستَترن عَنِّى وعنه لا يَسْمع لـكُنّ نَطْقَه ، وليَـكُن ما تَخْترنه من الغِناَء أو تَقُلْنه من قولٍ مُراسَلَة ؛ فلا تَتَعدَّيْنَ ذَلك وأَقِمْن على أَتَمِّ سِتْر وخَفَر ، وشربنا شُرْباً كثيرا ، وقـد كَانَ أَمرنى ألّا أُخاطِبَه بأمير المؤمنين ، فلمَّا أخذ منى السُّكْر(٢) قلت سَهْواً : ياأَمِير المؤمنين، فتواثَبْن من وَرَاءِ السِّتَارة حتى غابَتْ حَركاتُهُنّ عَنّا ؛ فقال : يا إبْرَاهيم لقد أَفْلَتَّ من أَمْر عَظِيم ، لو بَرَزَت لَكَ وَاحِدَة منهنّ لَضرَبْتُ عُنُقَك ، قم بِنَا فقمْنَا وإِذَا هُنّ جوَارٍ له ، كان قد غَضب عليهن فحبسهنّ فى ذَلِك القَصْر ؛ ثم وَجَّه من الغد بخَدَم لَهُن فردَّهُنَّ إِلَى قصره ، ووهب لِى مائَة أَلْف دِرْهم ، وكانت الهَدَايا والأَلْطَاف تَأْتِينِى بعد ذلك مِنْهُن .

قال إبْرَاهِيم : كنتُ قد أخذتُ بالمَدينة مِن مَجْنون هَذَا الصَّوت :

هما فَتَاتان(٣) لمَّا تعرفا(٤) خُلُق ... وبالشَّبَابِ عـلى شَيْبى تُدِلَّانِ

---

(١) فى غ : الوعد .

(٢) فى غ : النبيذ .

(٣) فى ت : ماصان « تحريف » .

(٤) فى ت : يعرفا .

كُلُّ الفعالِ الَّذى يَفْعَلنهُ (١) حَسَن   يُصْبِى فؤادى ويُبْدى سِرَّ أَشْجانى

فغنيتُه الرَّشيدَ فطرِب وأعطانى ألفَ دِينار كانت بَيْنَ يَدَيْه . وكان ابنُ جامع حاضِرا فقال : اسمع يا أميرَ المؤمنين غِناء العُقلاء ودع عَنْك غِناء المَجانِين ، وكان أَشَدَّ النَّاس حَسَداً ، ثُم غنى (٢) :

ولقد قالت لأَتْرابٍ لهـا   كالمَها يَلعبن فى حُجْرَتِها

خُذْنَ عَنِّى الظِّلَّ لا يَتْبعُنِى   وغـدت (٣) سَعْياً إِلَى قُبتِّها

فطَرِب وشَرِب ثم أمر له بأَلْف وخمسمائة دِينار . ثم تَبِعه محمد بن حمزة وَجْهُ القَرْعة فغَنَّى :

يَمْشُونَ فِيها بِكُلِّ سابِغَةٍ   أُحكِم فيها القَتيرُ (٤) والحَلَقُ

يُعرَفُ إنصافُهم إِذَا شهِدوا   وصبْرُهم حِينَ تَشْخَص الحَدَق

فاستحسنه وشرب عليه وأمر له بخمسمائة دينار ثم غَنَّى علّوية :

يَجْحَدْن دَيْنى بالنَّهار وأقتضى   دَيْنى إذا وَقَذَ (٥) النعاسُ الرُّقَّدا

وأَرَى الغَوانى لا يُواصِلْنَ امرأً   فَقَدَ الشَّبابَ وقد يَصِلْن الأَمْرَدَا

فقال له الرَّشيد : يا عاضَّ كَذا وكَذا ! أتغنِّى فى ذَمّ الشيب ومَدْح المُرْد وسِتارَتى منصوبة وقد شِبْتُ فكأنَّك إنَّما تُعرِّض بى ! ثم دعا بمَسْرور وأمره أن يَضْرِبَه ثلاثين دِرَّة ويخرجه عَنْ مَجْلسه ، ففعل ؛ وما انتفعنَا به بقيَّةَ يَوْمِنا ولا انتفع بنفسه ، وجَفَا عَلّوية شهرا ثم سألناه فيه فأذِن له .

---

(١) فى ت : التى تفعلنه .

(٢) فى غ : فغناه .

(٣) فى غ : ومضت .

(٤) القتير : رءوس المسامير فى الدروع . وفى ت : الفتين « تحريف » .

(٥) وقذ : غلب .

ولما اشْتَدّ بإبْرَاهيم القُولَنْج ولَزِمه رَكِب إلَيْه الرشيدُ وعَادَه فدخَل إليه وهو فى الإيوَان(١) جالِس فقال : كيفَ أنتَ يا إبْرَاهيم ؟ فقال : أنَا والله يا سيدى كمَا قَال الشّاعر :

سَقِيمٌ مَلَّ منه أقْرَبُوه وأَسْلَمه المُدَاوِى والحَمِيم

فقَال الرَّشِيدُ : إنَّا لله ! وخرج فما بَعُدَ حَتَّى سَمِع نَعْيَه (ومات معه فى اليوم الَّذى مَاتَ فِيهِ الكِسائِىّ النحوىّ والعبّاس بنُ الأَحْنف الشاعر وهُشَيْمَة الخَمَّارة، فرُفع ذَلِك إلَى الرشيد ، فأمَر المأمونَ أن يُصَلِّى عَلَيهم) فخرج فصُفُّوا بين يدَيْه ؛ فقال : مَنْ هذا الأَوّل ؟ فقالوا : إبْرَاهِيم المَوْصِلى ؛ قال : أَخِّرُوه وقَدِّموا العبّاسَ ابنَ الأَحْنَف فقُدِّم فصَلّى عليهم . فلما فَرَغَ دنا منه هاَشِم بنُ عَبْد الله بْن مالك الخزَاعِى وقال له : يا سَيِّدى ، كيف آثرتَ العبَّاس بالتَّقْدمة على مَنْ حضر ؟ قال : لقوله :

وسَعَى بِهَا نَاسٌ وقَالُوا إنَّها لَهِىَ الَّتى تَشْقَى بها وتُكابِدُ
فجحدتُهم ليكونَ غيرَكَ ظَنُّهُم إنّى لَيُعْجِبُنى المحبّ الجاحِد

ثم قال : أتَحفَظُها ؟ قلت : نعم ؛ قال : أنشِدْنى بَاقِيها ؛ فأنشدتُه :

لمّا رأيتُ الليلَ سَدَّ طَرِيقَه عَنّى وعَذّبنى الظلام الراكد
والنّجم فى كَبِد السّماء كأنّه أعمى تحيّر ما لدَيْه قَائد
ناديتُ مَنْ طَرد الرُّقاد بصده(٢) عمّا أُعالج وهو خِلْوٌ هاجد
يا ذا الّذى صدَع الفؤادَ بصده(٣) أنت البَلاء طريفُه والتّالد

---

(١) فى غ : الأبزن .
(٢) فى ت : بنومه .
(٣) فى غ : بهجره

أَلقيتَ بين جفون عيني حُرْقةً ۞ فإلى مَتى أنا ساهرٌ يا رَاقِدُ

فقال المَأْمون : أَلَيْس هَذَا الَّذِى قَالَ كَذَا حَقيق بالتَّقْدِمة ؟ قُلْت : بَلَى واللهِ يَا سَيِّدى .

قال القاسم المَوْصِلى : دخلتُ على إبراهيم بن المَهْدِى عَقِب موت إبراهيم المَوْصِلى وهو يَشْرَب وجَوَاريه تُغَنِّى فذَكَرْنا إبراهِيمَ الموصِلىّ وحِذْقهُ وتَقَدُّمه ، وأطنَبْنا فى ذَلِك وإبراهيم مُطْرِق ، فلما طَالَ كلامُنا اندفَع إبراهِيمُ يُغَنّى فى شِعْر ابن سيَّابة يَرْثى إبراهيم :

تولّى المَوْصِلىّ فقد تولَّتْ ۞ بشاشاتُ المَزَاهِر والقيانِ

وأَىّ بَشَاشَةٍ بَقِيتْ فتَبْقَى ۞ حياةُ الموصِلىّ على الزَّمان

سَتَبكِيه المَزَاهِرُ والمَلاهِى ۞ وتُسْعِدُهُنّ عاتقةُ الدّنان

وتَبْكِيه الغَوِيَّة إذ تَوَلَّى ۞ ولا تبكيه تَالِيَة القُران

قال: فأَبْكَى مَنْ حضر ؛ وقلت فى نَفْسى : أَتُراه هو إذَا مات من يَبْكيه : المحراب أم المُصْحَف ؟

(وكَانَ كالشَّامِت بِمَوْته .)

قال إسْحَاق : دخلتُ على الرَّشيد عَقِب وَفَاةِ أَبى بشهْرَيْن ، فلَمّا جلَسْتُ ورأيت مَجْلسه الذى كان يَجْلِس فيه دَمَعَت عَيْنَاى فكَفَفْتُهما وقصرت فلمَحَنِى الرَّشيد فاسْتَعْبَر وكانَ رَقِيقا ؛ فوثَبْتُ قَائِماً ثم قلت :

فى بَقَاءِ الخَليفة الميمونِ ۞ خَلَفٌ من مُصيبة المَحْزُونِ

لا يَضير المصابَ رُزْءٌ إذَا مَا ۞ كان ذا مَفْزَع إِلَى هارون

(فقال: كذاك والله هو ، ولن تَفْقِد من أَبيك إلّا شَخْصَه، وأمر بإفاضة[1] رزقه إلى رزق ؛ فقلت: بل يأمُر به أَميرُ المؤمنين لولده ، فَفِي خِدْمَتي إيَّاه ما يَكْفِيني[2]، فقال : اجعلوا رِزْقَ إبراهيمَ لوَلَدِه وأَضْعِفُوا رِزْقَ إسحاق .)

---

(١) في غ : بإضافة .

(٢) في غ : يغنيني .

إسْحاق بنُ إبْراهِيم المَوْصِلىّ

(كُنْيته أبو محمد ونَسَبه قد تقدَّم فى ترجمة أبيه. وكان الرشيدُ مولَعاً به فيكْنِيه أبا صَفْوان، وهى كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب[1] مَزْحًا. ومنزلته من الأَدَب وموضعه من العلم وتَقَدُّمه فى الشِّعْر أشهرُ من أن يُدَلّ عَلَيْها بوصف)

(وأما الغِنَاء فأصغرُ عُلُومه، ولم يكُن له فى أَدَوَاته كفء ولا نظير، لَحِق من مضى وسَبَق مَنْ بَقِى.

وكان أكرهَ النـاسِ للغناء وأشدَّهم بُغْضًا له لِئَلّا يُسَمَّى به. قال المأمون: لولا ما سَبق لإسحاق على [ألسنة] الناس وشُهْرته عِندهم من الغِنَاء لولَّيتُه القَضَاء بحضرتى، فإنَّه أولى به وأعفّ وأصدق وأكثر دِيناً وأمانَةً من هؤلاء القضاة. هذا مع تَحْصِيلِ المأمون وعَقْلِه ومَعْرِفته)

وَرَوى الحديثَ ولَقِىَ أهلَه مثلَ مالكَ[2] بن أنس وسفيان بن عُيَيْنة وغيرهما من شيوخ العراق.

وأُمُّه امرأةٌ من أَهْل الرّىّ يقال لها شاهك، وقيل دُوشَار التى كانت تُغَنِّى بالدّفّ، فهَوِيَها إبراهيم فتزوّجها. وهذا خَطأ؛ فإن هذه لم تلد من إبراهيم إلا بِنْتاً، وإسْحاق وسائر ولد إبراهيم مِنْ شاهك.

قال إسْحَاق: أقمتُ دَهْرًا أُغَلِّس[3] كل يوم إلَى هُشَيم فأسمع منه ثم أَصِيرُ إِلَى الكِسَائى أو الفرّاء فأقرأ عَلَيْه جُزْءًا من القرآن، ثم آتى منصور زلزل فيضاربنى

(١) فى ت: أبو إسحاق إبراهيم بن مصعب.

(٢) فى ت: خالد «تحريف».

(٣) أغلس: أذهب إليه فى الغلس: ظلمة آخر الليل.

طَرْقَين(١) أو ثلاثة ، ثم آتى عاتكة بنت شُهْدَة فآخذ منها صوتا أو صوتين ، ثم آتى الأَصمعِىّ وأبا عُبَيْدة فأُناشِدهما وأحادِثهما وأستفيد منهما ، ثم أَصير إلى أبى فأُعلمه بما صَنعت وأَخَذْتُ ، وأَتَغَدَّى معه وأَرُوح معه عِشاءً إلَى أَمير المؤمنين .

وقف أَبُو عبد الله بن الأعرابىّ على المدائنى ، فقال له : إلَى أينَ يا أبا عبد الله ؟ فقال : أمضى إلى رجل هو كما قال الشاعر أَبُو تمَّام .

نَرْمى بأَشْبَاحِنـا(٢) إلَى مَلِكٍ تأخـذُ من ماله ومن أَدَبِهْ

قال: ومن ذلك ؟ قال : إسحاق بنُ إبْراهِيم .

وكان إسحاق بن إبراهيم يُجْرِى على ابْنِ الأعرابى فى كُلِّ سنة ثلاثمائة دينار ، وأهدى له ابنُ الأَعْرَابِىّ شيئاً من كُتُبِ النَّوَادِر .

قال إسْحَاق المَوْصِلِىّ : جئتُ يوما إلى أَبى معاوية الضرير ومعى مائة حديث ، فوجدتُ حاجبَه يومئذ رجلا ضريرا ؛ فقال لى : إنّ أَبامعاوية قد ولّانى حِجْبَته لينفعَنى ، فقلت له : معى مائةُ حديث وقد جعلتُ لك مائة درهم إذا قرأتُها ؛ فدخل فاستأْذَنَ لى فدخلت على أَبى معاوية ؛ فلما عَرَفنى دعاه فقال له : أخطأتَ إنَّما جعلتُ لك ذلك على الضُّعفاءِ من أصحاب الحديث ، فأَمّا أَبُو محمد وأَمثالُه فلا ؛ ثم أقبلَ علىّ يُرَغِّبنى فى الأَجْر إليه ويذكر ضعفَه وعنايتَه به ؛ فقلت له : أُحتكِم فى أمره ، فقال : مِائَة دِينار ؛ فأمرت الغلامَ بإحضارها وقرأْتُ عليه ما أردت وانصرفت.

قال إسْحَاقُ بنُ إبراهيم : رأيت فى مَنَامى جَرِيراً جالسا يُنشد وأنا أسمع ، فلما فرغ أخذ كُبَّـة من شَعر فألقاها فى فمى فاً بتلعتُها ؛ فأوَّل ذلك بعضُ من ذكرتُه له أنه

(١) فى ت : طريقتين « تحريف » . والطرق : صوت أو نغمة بالعود ونحوه .

(٢) فى غ : نحمل أشباحنا .

وَرَّثني الشعر. قال يزيد[1] بن محمد المُهَلَّبي : وكذلك كان، فقد مات إسْحاق وهو أشعرُ أهل زَمَانه .

قال إسْحَاق : دخلتُ على المأمونِ يوما وعَقِيدٌ يُغنِّيه مرتجلا وغيره يَضْرِب عليه ، فقال : يا إسحاق ، كيف تسمع مُغَنِّينَا هذا ؟ فقلت : هل سأل أمير المؤمنين غيرى عن هذا ؟ فقال : نعم ، سألت عَمِّى إبراهيم فقرَّظَه واستَحْسنه . فقلت : ياأمير المؤمنين ـ أدامَ الله سرورَك ، وأطاب عيشَك ـ إنَّ الناس قد أكثروا فى أَمْرِى حتى نَسَبَتْنى فرقة إلى التَّزَيُّد فى عِلْمِى ، قال : فلا يمنعُك ذلك من قول الحقَ إذَا لزمك ، فقلت لعَقيد : اردُد الصوتَ الذى غنيتَه ، فردّه وتحفَّظ فيه وضرب عليه ضَارِبُه . فقلت : لإبراهيم بن المهدىّ . كيف رأيتَه ؟ فقال : ما رأيتُ شيئاً أُنْكره مما سَمِعْتُه، فأقبلت على عَقيد فقلت له لمَّا استوفاه : فى أى طَرِيقَةٍ غَنَّيْت ؟ فقال : فى الرَّمَل . فقلت للضَّارب : فى أى طَرِيقة ضَرَبْت ؟ فقال فى الهَزَج الثَّقِيل ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما عَسَى أن أقولَ فى صوت يُغَنِّيه مُغَنِّيه رَمَلًا ، ويضرب ضاربه هَزَجا ثَقِيلًا ، وليس هو صَحِيحا فى إيقاعه الذى ضرب عليه ! قال : وتَفَهَّمه إبراهيم بن المهدى . فقال : صَدَقَ يا أمير المؤمنين ، والأمْر فيه بَيِّن . فعَجِب المأمونُ من ذلك ، كيف خَفِى على كل من حضر .

تناظر المُغَنُّون يوما عند الواثق ، فذكروا الضُّرَّاب وحِذْقَهم ، فقدَّمَ إسحاق زَنُوباً[2] على مُلَاحِظ ، ولمُلَاحظ إذ ذاك الرِّيَاسَة على جَميعهم ، فقال الواثق : هذا حيفٌ وتَعَدٍّ ، فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، اُجْمَع بينَهما وامْتَحِنْهما ، ويكون الأمر واضحا . فأمر بهما فأُحْضِرا ؛ فقال له إسحاق : إنّ للضُّرَّاب أصواتا معروفة ،

---

(١) فى ت : زيد .

(٢) فى غ : زلزلا .

أفأمتَحِنُهما بشيء منها ؟ قال : أجل ؛ فسمّى له ثلاثة أصوات يُقَرِّر منها صوتاً ، فضربا عليه فتقدَّم زنوب(١) وقَصَّر ملاحظ ؛ فتعَجَّب الواثق من كَشْفه عمّا ادّعاه فى مجلس واحد . فقال ملاحظ : فما باله يا أمير المؤمنين يُحيلك(٢) على النـاس ولا يضرب هو ! فقال : يا أمير المؤمنين إنّه لم يكن أحدٌ فى زمانى أضربَ منى إلّا أنـكم أعفيتمونى منه ؛ وعلى أن معى بقيةً لا يتعلّق بها أحدٌ من هذه الطبقة ؛ ثم قال : يا ملاحظ ، شَوِّش عودَك وهاتِه ، ففعل ذلك . فقال إسحاق : يا أَمِير المؤمنين هو ذا يُخَلِّط الأَوْتارَ تخليط(٣) مُتَعَنِّت ، ثم أخذ العود فجَسَّه ساعة حتى عرف مواقعه ، ثم قال : يا مُخَارِق(٤) ، غَنّ أىّ صوت شئت ، فغَنَّى مُخارِق ، وضرب عليه إسْحَاق فى ذلك العود الفاسِد المُشَوّش ، فلم يَخرُج عن لحنه فى موضع واحـد حتى استوفاه عن نَقْرَة واحدة ، ويَدُه تصعد وتَنْحَدِر على الدَّسَاتِين ؛ فقال الواثق : لا والله ما رأيتُ ولا سمعتُ مِثْلَك ! اطرَح هـذا على الجوَارِى ؛ فقال : هيهات يا أمير المؤمنين ، هذا شىء لا تَفِى(٥) به الجوَارِى ولا يصلُح لهن ، إنَّه بَلَغنى أَنَّ الفهليذ(٦) ضرب يوما بين يدى كِسْرَى أبرويز فأَحْسَنَ ، فحسده رجل من حُذَّاق أهل صناعته فرَقَبه(٧) حتى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه إلى عوده فشَوَّشَ بعض أوتاره فرجع فضرب وهو لا يَدْرِى ، والملوك لا تُصلَح فى مجالسهم آلة ، فلم يزل يضرب بذلك العُود حتى فرَغ ، ثم قام على رجله وأخبر الملك بالقصة ، فامتحِن العود فعرف

(١) فى غ : زلزل .
(٢) فى ت : يحيل .
(٣) فى ت : خلط .
(٤) فى غ : ملاحظ .
(٥) فى غ : تعرفه .
(٦) فى ت : الفلهيذ .
(٧) فى غ : فترقبه .

ما فيه ، فقال له : « زِهْ زِهْ وزهانْ زِهْ »(١) ووصله بالصِّلة التى كان يصل بها من يُخاطبه بهذه المخاطبة ، فلما سمعتُ هذه الرواية حدَّثتُ نفسى به ورُضْتُها عليه وقلت: لا ينبغى أَنْ يكون الغهليذ أقوى على هذا مِنّى ، فما زلتُ أستنبطه بضعَ عشرةَ سنةً حتى لم يَبْقَ فى الأَوْتار(٢) موضع على طبقة من الطبقات إلا وأَنَا أعرف موضعَها ونغمتَها كيف هى ، والمواضع التى يخرج النغم كلها منه من أعاليها إلى أَسَافِلِها(٣) ، وكلّ شىء منه يجانسُ منها غيره ، كما أعرف ذلك فى الدَّسَاتين ؛ وهذا شىء لا تَفِى به الجَوارِى . فقال له الواثق: صدقت ، ولئن مُتَّ لَتَمُوتَنّ هذه الصِّنَاعة معك ؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم .

قال إسْحَاق : دَعَانِى المأمونُ يوما وعنده إبراهيمُ بْنُ المَهْدِىّ ، وفى مَجْلِسه عِشْرُون جارية ، قد أَجْلَس عَشْرًا عن يمينه وعَشْرًا عن يساره ؛ فلما دخلت سمعتُ من الناحِيَة اليُسْرَى خطأً فأنكرتُه ؛ فقال المأمون : أَسَمِعْتَ خطأً ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ فقال لإبراهيم بن المهدى : هل تَسْمَعُ خَطَأً ؟ قال : لا ؛ فأعاد علىّ السؤال ، فقلت : بلى يا أَمِيرَ المؤمنين ، وإنه فى الجانب الأيسر ؛ فأعاد إبْرَاهِيم سمعَه إلى الناحية اليسرى ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما فى هذه الناحية خطأ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين : مُرِ الجوارِىَ اللاتى على اليمين فأمرهن فأمسكن ثم قلت لإبراهيم : هل تسمع خطأ فتسمَّع ثم قال : ما ههنا خطأ فقلت : يا أمير المؤمنين يُمْسِكن ، وتَضْرِبُ الثَّامِنَة . فأمسَكْن وضربت الثَّامنة ، فعرف إبْرَاهِيمُ الخَطَأَ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، ههنا خطأ ؛ فقال المأمونُ عند ذلك لإبراهيم بن المهدى :

---

(١) كلمة فارسية معناها أحسنت .
(٢) فى غ : الأرض .
(٣) فى ت : أسفلها .

لا تُمَارِ إسحاقَ بعدها ؛ فإنَّ رجلًا عرف الخطأ بين ثمانين وَتَرا وعشرين حَلْقا لَجَدِيرٌ ألّا تُمَارِيَه ؛ قال : صدقتَ يا أمير المؤمنين ـ وكان فى الأَوْتَارِ كُلِّها مَثْنًى فاسدُ التسوية . فطرب المأمون وقال : لله دَرُّك يا أبا محمد فكَأَنَّما نِي يَوْمَئذ .

(كان الواثقُ يقول : ما غَنَّانى إِسْحَاق قط إلّا ظننتُ أَنَّه قد زِيد لى فى مُلْكى ؛ وإنَّ إسْحَاق لنعمةٌ من نعم الملك[1] التى لم يَحْظَ أحدٌ بمثلها ؛ ولو أنّ العمرَ والشباب والنشاط مما يُشترى لاشتريتُهن له بشَطْرِ مُلْكِي)

(سأَلَ إسحاقُ الموصلى المأمونَ أن يكون دُخُوله مع أهل العلم والأدب والرُّواة لا مع المُغَنِّين ، فإذا أراد الغناء غَنَّاه ، فأجابه إلى ذلك ؛ ثم سأله بعد مدة طويلة أن يأذن له فى الدُّخُول مع الفقهاء ؛ فأذن له . فدخل يوماً مع يحيى بن أَكْثم مُتَمَاسِكين وعَلُّويه ومُخَارق فى حجرة لهما ينتظران جلوسَ المأمون ، فرأياهما وقد دَخَلا حتى جَلَسا بين يدى المأمون ، فكاد عَلُّويه أن يُجَنّ ، وقال : يا قوم ، أسمعتم بأعجب من هذا ! يدخل قَاضِى القضاة ويده فى يد مُغَنّ حتى يجلسا بين يدى الخليفة ! ثم مضت مدة ، فسأل إسحاق المأمون فى لُبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه فى المَقْصُورة ؛ فضحك المأمون وقال : ولا كُلّ هذا يا إسحاق ! وقد اشتريتُ منك هذه المسألة بمائة ألف درهم وأمر له بها .)

وكان المُغَنُّون يحضُرون مجلس الواثق وعيدانُهم معهم إلّا إسحاق ، فإنه كان يحضُر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإذا أمره الخليفة أن يغنِّى أحضر له عودا وإذا فرَغ سُلّ[2] من بين يديه إلى أن يَطْلُبه .

---

(١) فى ت : الملوك .

(٢) فى ت : شيل .

وكان الواثق يكنّيه رفعاً له من أن يدعوه باُسمه ؛ وكان إذا غنّى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغِناء ولم يُعِد منه حرفا إلّا أن يكون فى بعض بيت فيتمّمه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

قال إسْحَاقُ : كنت عند الرّشيد يوْماً ، وعنده ندماؤه وخاصته وفيهم إبْراهيم ابنُ المهدى فقال الرّشيدُ : غَنِّ :

أَعاذِلُ قد نَهيْتِ فما انتهيتُ ... وقد طال العتابُ فما ارعويتُ
أعاذل ما كَبِرْتُ وفِيَّ مَلْهًى ... ولو أدركتُ غايتك انثنَيْتُ(١)
شَرِبتُ مُدامةً وسُقِيتُ أُخْرى ... وراح المنتشون(٢) وما انتَشيْتُ

فَغنّيْته ؛ فأقبل علىّ إبراهيمُ بن المهدى فقال لى : ماأصبتَ ياإسحاق ولاأحسنت ؛ فقلت له : ليس هذا مِمّا تعرفه ولا تُحْسِنه ، وإن شئتَ فغنِّه فإن لم أجدك أنك تُخطىء فيه منذُ ابتدائك إلى انتهائك فدَمِى حلال . ثم أقبلتُ على الرّشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتى وصناعة أبى وهى التى قرّبتْنا مناك وأوطَأَتْنا بساطك ، فإذا نازَعنا أحدٌ بلا عِلْم لم نجد بُدًّا من الإيضَاح والذّبِّ فقال : لا لومَ عليْك ؛ وقام الرشيد لِيبُول ؛ فأقبل إبْراهيم بن المهدى علىّ وقال لى : ويلك يا إسحاق أتجْتَرِىء علىّ وتقول ما قلتَ يا ابن الزانية(٣) ! فداخَلنى ما لَمْ أَملك نَفْسى معه ؛ فقلت له : أنت تَشتُمُنى ولا أَقْدِر على إجَابَتك وأنتَ ابن الخليفة وأَخُو الخليفة ، ولولا ذَلك لقلتُ لك : يا ابْنَ الزّانيَة كما قُلْت ؛ أو ترَانى لا أحسن أن أقول لك : ياابْنَ الزّانيَة ؛ ولكن قولى لك ذلك يَنْصرِف إلَى خالك ، ولولا ذلك لذكرتُ صناعتَه ومذهبَه قال : وكان بَيْطَاراً . ثم سكتّ وعلمتُ أن إبراهيم سَيَشْكُونى إلَى الرّشيد وسوف يَسْأَل

---

(١) فى غ : انتهيت .
(٢) فى ت : المنشئون . « تحريف » .
(٣) فى غ : الفاعلة .

مَنْ حَضَر عما جرى فيخبرونه ، فتَلَافَيْتُ ذلك بأن قلتُ : أنت تظنّ أن الخلافة لك ، فلا تزال تهدّدنى بذلك وتُعَادينى كما تعَادِى سائرَ الأولياء وغلمانَ أخيك حَسَداً له ولولده على الأَمْر ! وأنت تَضْعُف عنه وعنهم وتَسْتَخِف بأَوْليائِهم تَشَفِّياً ؛ وأرجو ألا يخرجها الله تعالى عَنِ الرشيد ولا عن وَلَده ، وأن يَقْتُلَك دُونَها ، فإن صارت إليك — والعِياذُ بالله — فحرامٌ علىّ العيشُ حينئذ ، والموتُ أطيبُ من الحياة معك ، فاصنَع حينئذ ما بَدَا لك . فلما خرج الرشيد وثَبَ إبراهيمُ فجلَس بين يديه فقال يا أَميرَ المُؤْمنين : شتَمَنى وذكر أُمِّى واستخفّ بِى ؛ فغضب الرشيد وقال لى : وَيْلَك ما تَقُول ؟ قلت : لا أَعْلَم فسَلْ مَنْ حضر فأقبل على مسرورٍ وحُسَين[1] : فسألَهُما عن القِصّة فجعلا يخبرانه ووجهه يتربّد[2] إلى أَن انْتَهيا إلى ذكر الخلافة ، فسُرِّى عنه ورجع لونُه وقال[3] : لا ذنبَ له ، شتمتَه فعرّفك أنه لا يقدر على جوابك ، ارْجِع إلى موضعك وأَمْسِك عن هذا . فلمّا انقضَى المجلس وانصرفَ الناس ، أمر بألّا أبْرَح ، وخرج كُلُّ من حضر حتى لم يَبْق غَيْرِى ؛ فساءَ ظَنِّى وأَوْهَمَتْنِى نَفْسِى ؛ فأقبل علىّ وقال : يا إسحاق أَتُرَانِى ما أَفْهَم قولَك ومرادَك ! وقد زَنَّيْتَه[4] ثَلَاث مرات أَتُرانِى لا أعرف وقَمَاتك[5] وأقدامَك وأين ذهبت ! ويلك ! لا تَعُد ؛ حَدِّثنى عنك ، لو ضربك إبراهيم ، أكنت أَضْرِبُه وهو أَخِى يا جاهل ! أتُرَاه لو أمر غلمانَه فقتَلوك أكنتُ أقتله بك ؟ ! فقلت : والله يا أمير المؤمنين قتلتنى بهذا الكلام ، وإن بلغه ليَقْتُلَنِّى ، وما أشك فى أنه بلغه الآن فصاح بمسرور وقال :

---

(١) مسرور وحسين : خادمان كانا للرشيد . وفى (ت) حسن بدل حسين.

(٢) فى ت : يزبد .

(٣) فى غ : وقال لإبراهيم .

(٤) زناه : قذفه ونسبه إلى الزنا .

(٥) فى غ : وقائعك .

علىّ بإبراهيم فأُحْضِر ، فقال لى : قم فانصرف ، فقلت لجماعة من الخَدَم وكُلّهم كان لى مُحبا وإلىّ مائِلا ولى مُطِيعا : أَخْبِرُونى بما يَجْرِى ، فأخبرونى من غد أَنَّه لما دخل عليه وَبَّخَه وجَهَّله وقال له : أتستخِف بخَادِمِى وصَنِيعتى وابْنِ خَادِمِى وصَنِيعتى وصَنِيعة أَبِى فى مَجْلسى ، وتُقْدِم علىّ وتَسْتَخِف بمَجْلسى وحَضْرَتى ؟ هاه هاه[١] ! وتُقدِم على هذا وأمثاله ! وأنت مالَك ولِلْغِنَاء ، وما يُدريك ماهو ؟ ومَنْ أَخَذك به وطَارَحكَ إيّاهَ حَتَّى تتوهّم أَنَّك تَبلغ فيه مبلغ إسْحَاق الذى غُذِى به وعُلِّمه وهو من صِناعَته ؟ ثم تَظُن أنك تُخَطِّئه فيما لا تَدْرِيه ، ويَدْعوك إِلَى إقامة الْحجّة عليه[٢] فلا تثْبت لذلك وتعتصم بشَتْمه ! هذا مما يدل على السُّقُوط وضعف العقل وسُوءِ الأَدَب من دُخُولك فيما لا يُشْبِهك وغَلَبة لذتك على مُرُوءتك وشَرَفك ثم إظهارك إياه ولم تحكمه وادعائك مالا تعلمه[٣] حتى ينسبُك إلى إفراط الجهل ! أَلَا تعلم أَنَّ هذا سُوءُ أدب وقلّة معرفة وعدم مُبَالَاة بالخَطَأ والرد القَبِيح والتكذيب! ثم قال : والله العظيم وحَقِّ رسوله ، وإلَّا فأنا برىء[٤] من المَهْدِى إن أصابه أحد بمَكْروه ، أو سَقَط عليه حَجَرٌ من السماء ، أو وَقَع مِن دَابَّته أو سقطت عليه سَقِيفة أو مات[٥] فجْأة ، لأقتلنّك به ؛ والله ! والله ! والله ! وأنتَ أَعْلَم قمِ الآن فاُخرج ولا تَعرِض له ؛ فخرج وقد كاد أَنْ يَموت . فلما كان بعد ذلك دَخَلْت عليه[٦] وإبراهيم عنده ؛ فجعل ينظر إِلَىَّ مَرَّة وإليه مَرَّة ويَضْحَك ثم قال : إنى لأعلم محبَّتك لإسحاق وميلَك إليه وإلى الأَخْذ عنه وإنَّ هذا لا يَجيئُك من جهته كما تُرِيد إلا بعد

---

(١) هاه هاه : تكون حكاية لضحك الضاحك ، وتكون للوعيد .

(٢) فى غ : عليك .

(٣) فى ت : تقديم وتأخير فى الكلام واضطراب فى العبارة استعنا على إصلاحه بما جاء فى الأغانى

(٤) فى غ : نفى .

(٥) فى ت : باب .

(٦) فى غ : إليه .

أن يَرْضَى ، والرِّضا لا يَكُون بمكروه ، ولكن أَحْسِن إليه وأكرِمْه واعرِف حَقَّه وصِلْه ، فإذا فعلتَ ذلك وخالف ما تهوَاه عاقبْتَه بيد مُسْتَطِيلة(١) ولسان منطلق ، ثم قال لى : قم الآن إلى مولاك وابنِ مولاك فقبِّل رأسه ؛ فقمتُ إليه ، وقام إلىَّ واصْطَلَحْنا .

قال إسحاق : لَمَّا أراد الفضلُ بن يَحْيى الخروجَ إلى خراسان ودَّعْتُه وأنشدته :

فِراقُك مثلُ فراق الحياةِ ... وفقدُك مثلُ افتِقادِ الدِّيَمْ
عليك السلامُ فكم من وَفَاءٍ ... أفارِق منك(٢) وكم من كَرَمْ

فضَمَّنى إليه ، وأَمر لى بألف دينار ، وقال لى : ياأبا محمد ، لو حَلَّيت هذين البيتين بصنعة وأدعتَهما من يَصلُح للغناء معنا لأهديتَ لى بذلك أُنْساً وأذكرتَنى بنفسك ؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنين ؛ فأمر لى بأَلْف دِينَار أخرى ، وكان كتابه لا يزال يَرِد على ومعه ألفُ دِينار وألفا دِينَار يَصِلُنى بذلك كُلَّما غُنِّى بهذا الصَّوْت .

حدّث أحمدُ بنُ يحيي المكّى قال : دعانى الفَضْل بن الربيع ودعا عَلّوية ومخارِقا فلما اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاقَ يسأله أن يَصِير إليه ويُعْلِمَه الحالَ فى اجتماعنا عنده ، فكتب إليه : لا تَنْتظِرُونى بالأكل فقد أكلت ، وأنا أصير إليكم بعد ساعة ؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرب الظُّهْر(٣) ، ثم وَافَى إسحاق وجاء غلامه بِقَطْرميز(٤) نبيذ فوضعه نَاحِيَة ، وأمر صَاحِبَ الشّرَاب أن يسقيه منه ، وكان عَلّوية يغنّى الفضلَ ابن الربيع فى لحنٍ لسِيَاط اقترحَه عليه يعجبه وهو :

---

(١) فى غ : منبسطة .
(٢) فى غ : فيك .
(٣) فى غ : العصر .
(٤) القطرميز : قلة كبيرة من الزجاج .

فإن تَعْجَبِي أو تُبصرِى الدهرَ طَمَّنِى بأحداثه طَمَّ المُقَصَّصِ بالجَلَمِ(١)
فقد أترك الأضيافَ تنـدَى رِحَالُهم وأكرمهم بالمَحْضِ والتَّامكِ السَّنَمْ(٢)

فقال له إسحاق : أخطأت فى هذا الأداء وأنا أُصْلِح لك هذا الصوت ؛ فجُنَّ عَلَّويه واُغتاظ وقامت قِيامَتُه ، فأقبل إسحاق عليه وقال : يا حَبيبى ، ما أردتُ الوضع منك بما قلتهُ لك ، وإنما أردت تهذيبَك وتقديمك(٣) لأَنَّك منسوبٌ إلخطأ والصَّوَاب إلَىَّ وإلَى أَبِى ، فإن كرهْتَ ذلك تركتُك وقلت لك : أجمَلْت وأَحْسَنْت ؛ فقال له عَلَّوية : والله ما أردتَ هـذا وما أردتَ إلا ما لا تتركُه أبدا من سوء عِشْرَتك ! أخبِرْنى عنك حين تجىء هَذَا الوقت لمَّا دَعَاك الأمير وعَرَّفك أنه نَشِط للاصْطِباح : ما حملك على الترّفع عليه فى مُبَاكرته وخدمته ثم تَجيئُه ومعك قَطْرَمِيز نَبِيذ ترفُّعا عن شرابه كما ترفَّعْتَ عن طعامه ومجالسته الندماء [إلا كما](٤) تَشْتَهى وحين تَنْشط كما تفعل الأكفاء، ثم تَزِيد على فِعْل الأكفاء، ثم تَعْمِد إلى صوت قد اُشتهاه واُقترحه وسمعه كلّ من حضر فما عابه أحد منهم فَتعيبه ليتم تَنْغِيصك إيّاه لذَّته ! أمَا والله لو كَانَ الفضلُ بنُ يَحْيِ أو أخوه جَعْفر — لا والله بل بَعْض أتباعهم — دَعَاك إلى ما دعاك إليه الأَمير لما رَدَدْت ولا تأخّرت ولا اعتذرت ؛ قال : وأَمْسَك الفضل عن الجواب إعجَابًا بما خاطب به عَلَّويه إسحاق ، فقال له إسْحَاق : أما ما ذكرت من تأخُّرى عنه إلى الوقت الذى حَضَرْت فيه ، فهو يعلم أَنِّى لا أتأخر عنه إلا لِعائقٍ(٥) قَاطع ،

(١) فى ت : بالحكم « تحريف » .
(٢) فى ت : النشم « تحريف » .
(٣) فى غ : تقويمك .
(٤) ما بين القوسين ساقط من « ت » .
(٥) فى غ : بعائق.

فإن وَثِق بذلك منى وإلَّا ذكرته له سِرًّا من حيث لا يكون لكَ ولا لغيرك فيه مَدْخَل. وأما ترفُّعى عنه فكيف أترفّع عنه وأنا أنتسب إلى صنائعه واستمنحُه وأعيش[(١)] فى فَضْله مذ كُنْتُ أنا وأبى وهذا التّصرّف[(٢)] لا أبالى به منك وأمّا حَمْل النبيذ معى، فإنّ لى فى النبيذ شَرْطاً من طعمه وريحه إنْ لم أجده لم أقدر على الشّرب وينغّص علىّ يومى، وإنما حملته معى ليتمّ نشاطى فينتفع بى. وأما طَعْنى على ما اختاره، فإنى لم أطعن على اختياره، وإنّ الذى اختاره لمن مختار الأصوات وأطيب الغناء، وإنّما أردتُ تَقْويمك ولستَ والله ترانى مُتَتبّعا لك بعد هذا اليوم تقويما ولا مُتتبّعا شيئاً من خَطَئك؛ وأنا أُغَنِّى له ـ أعزه الله تعالى ـ هذا الصوتَ فيعلم وتعلم ويعلم الحاضرون أنك قد أخطأتَ وقصّرتَ. وأمّا البرامكة فأمرهم أشهرُ من أنْ أجحدَه. وإنّى لحقيق فيه بالمَعْذِرة، وأحرى أن أشكرهم على صنيعهم، وذلك أقلّ ما يستحقّونه.

ثمّ أقبلَ على الفضل وقد غاظه مدحُه لهم فقال: اسمع منّى شيئاً أخبرك به مما فعلوه معى وليس بكبير[(٣)] من صنائعهم عندى وعندَ أبى قبلى، فإن وجدتَ لى فى ذلك عُذْرًا وإلّا فلُم: كنت فى ابتداء أمرى نازلا مع أبى فى داره وكان لا يزال يجرى بين غلمانى وغلمانه وجوارىّ وجواريه الخصومة ـ كما تجرى بين هذه الطبقات ـ فيشتكون غلمانَه إليه فأتبيّن[(٤)] الضجر والتنكّر فى وجهه؛ فاستأجرتُ داراً بقربه وانتقلت إليها أنا وغلمانى وجوارىّ، وكانت دارًا واسعة فلم أرضَ ما معى من الآلة لها ولا لمن يدخل علىّ[(٥)] من إخوانى أن يروا مثله عندى؛ ففكرت كيف أصنع فى ذلك

(١) فى غ: من.

(٢) فى غ: تضريب.

(٣) فى ت: بكثير.

(٤) فى ت: فأبين «تحريف».

(٥) فى غ: إلى.

وزاد فِكْرى حتى خَطَر بقلبي قُبْحُ الأحدوثة من نزول مثلي فى دار بأُجْرة ، وإنى لا آمَنُ فى وقت أن يَسْتَأْذِنَ عَلَىّ صاحبُ دَارِي وعندى مَن أَحْتَشِمه ولا يعلم حالى ، فيقول لى غُلَامى : صَاحِب دَارِك على الباب ، أو يُوَجِّه فى وقت فيطلب الأَجْر وعندى مَن أَحْتَشِمه ؛ فضاق بذاك صدرى ضيقا شديدا حتى جاوز الحدّ ؛ فأمرت غلامى أن يُسرِجَ لِي حِمَارى لِأَمْضِي إلى الصحراء أتفرَّج فيها مِمَّا داخلنى فأسرجه فركبت برداء ونعل ، وسرت وأنا مُفكِّر فأفضَى بِي السَّيْر إلى باب يَحْيَى بن خالد ، فوَثَبَ غِلْمَانُه ، وقالوا : أَيْنَ هذا الطَّرِيق ؟ فقلت : إلى الوزير ؛ فدخلوا واستأذَنُوا لى ؛ وخرج الحاجب فدخلت وبَقِيتُ خَجِلا ، وقد وقعت فى أَمْرَيْن قَبيحَيْن(١) : إن دخلت بِرِدَاء ونَعْل وأعلمته أَنِّى قصدته فى تلك الحال كان سوءَ أدب ، وإن قلت له : إنى كُنْتُ مُجتازًا ولم أقصدْك وجعلتُك طريقاً كان قَبيحاً ؛ ثم عزمتُ على صِدْقه فدخلت ؛ فلما رآنى تبسَّم وقال : ماهذا الزِىّ يا أَبَا محمد ! احتبسنا(٢) لك بالبر والقصد والتفقّد ، ثم عَلِمنا أَنَّك جعلتنا طريقاً ؛ فقلت : لا والله أَيُّها الوَزِير ولَكِنِّى أَصْدُقُك ؛

قال : هات ؛ فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها ؛ فقال : أهذا شَغَل قلبك؟ قلت : والله! قال : لا تشغل قَلْبَك بهذا ، ياغلام رُدُّوا حماره وهاتوا له خِلْعَة ؛ فَجَاءُونى بخلعة تامّة من ثِيابه فلبستُها ، ودعا بالطعام فأكلت ووُضِع النَّبِيذ فشربت وغَنَّيْتُه ، ودعا فى وسط ذلك بدَوَاة فكتب أربعَ رِقَاع ظننتُ بعضَها توقِيعاً بجائِزة لى ، وإذا هو قد دعا بعض(٣) وكلائه فدفع إليه الرِّقاع وسارّه بشىء ، فزاد طمعى فى الجائزة ؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظِر فلا أَرَى شيئا إِلَى العَتَمة ؛ ثم اتّكأ يحيى

---

(١) فى غ : فاضحين .

(٢) فى ت : احتسبنا .

(٣) فى ت : دعا ببعض .

فَنَام ، وقمت من عنده وأنا مفكّر خَائِب ، فخرجت وقدّم لى غلامى حِمَارِى ؛ فلمّا تجاوزت الدارَ قال لى غلامى : إلى أين تمْضِى ؟ قلت : إلى البَيْت ؛ قال : قد والله بِيعَت دارك وأشهد على صاحبها ، وابتيع الدربُ كلّه ووُزن ثمنه ، والمشترى جَالِس على بَابك ينْتَظِرك ليعَرّفك ، وأظنّه ابتَاع ذلك كُلّه للسّلطان لأنى رأيتُ الأمر فى عَجَلَتِه واسْتِحْثَاثِه أمراً سُلْطَانِيا ؛ فوقعت فى ذلك فيما لم يكن فى حِسَابى ، وجئتُ وأنا لا أدْرِى ما أعمل ؛ فلما نزلت على بَابِ دَارِى إذا أَنَا بالوَكِيل الذى سارّه الوزير يَحْيى قد قام إلىّ فقال : ادخل — أيّدَك اللهُ تعالى — حتى أدخل إليك فى أمر أَحْتَاج فيه إلى مُخَاطَبتك . فطابَت نَفْسِى بذَلِك ، فدخلتُ فأقرأنى كِتَاباً وتَوْقِيعَ يَحْيَى : «يُطلَق لأَبى مُحَمَّد مائةُ ألفِ دِرْهم يبتاع له بها داره وجميع ما يُجاوِرُها ويُلاصِقُها» والتوقيع الثانى لابْنه الفَضْل « قد أمرتُ لأَبى محمد إسحاقَ بمائة ألف درهم يبْتَاع بها داره ، فأطلِق له مِثْلَها ليُنفقها على إصلاح الدار كما يريد وبناءَها كما يَشْتَهى » . والتَّوْقِيعُ الثّالث إلى جَعْفر : « قد أمرت لأَبى مُحَمَّد إسْحاق بمائة ألفِ دِرْهم يبْتاع له بها منْزِلًا يسكنه ، وأمر له أخوك بمائة ألف دِرْهم يُنْفِقُها على مَرَمَّتِها وبِنَائِها على ما يُرِيده ، فأطلِق له أنتَ مِائَة ألف درهم يبْتَاع بها فَرْشاً لمَنْزِله » . والتَّوْقِيعُ الرَّابع إلى مُحَمَّد : « قد أمرت أنا وأخَواك لأَبى مُحَمَّد إسحاق بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يُبْتَاع له ونَفَقَة يُنفِقها لإصلاحه وثَمَنِ فَرْش يُفرَش فيها فأْمُر أنتَ له بِمَائَة ألفِ درهم يَصْرِفُها فى سائر نفقاته » وقال لى الوكيل : قد حملتُ المال وابتَعتُ كلّ شىء جاورك بتسعين⁽¹⁾ ألف درهم ، وهذه كتب الأبتِيَاعات باسمى والإقْرار لك، وهذا المال بُورِكَ لك فيه فاقبِضه فقبَضْتُه وأصبحت أحسنَ الناسِ حالا وأحسنَ حالا

---

(١) فى غ : بسبعين .

من أَبى فى منزلى وفَرْشى وآلتى ؛ ولا والله ما هـذا بأ كبر شىءٍ[١] فعلوه معى أَفأُلام[٢] على شكرهم ؟! فبكى الفَضْلُ وكلّ مَن حضر وقالوا : لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء . ثم قال له الفضل: بحياتى غَنِّ الصوتَ ولا تبخَل على أبى الحسن علّويه بأن تُقَوِّمه له ؛ قال : أَفْعَل ؛ فغَنَّاه وتبيَّن علّويه أنه كما قال ، فقام وقبَّل رأسه وقال : أنتَ أُستاذُنا وابنُ أُستاذنا وأَوْلَى بتقويمنا من كلِّ أَحَد ، فردَّه[٣] إسحاق عِدّة مرار حتّى استوى لعلّوية :

يرْتاح للدَّجْن قَلْبى وهو مقتسِمٌ من[٤] الهموم ارتياحَ الأرْض للمطر

إنِّى جعلتُ ليوم[٥] الدجن نحْلَته أَلّا يزُول ولى فى اللَّهْو مِن وَطَر

ولإسْحاق :

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عاتِبا ونَأى عنكَ جانبا

قد بلغتَ الذى أَرَدْ تَ وإن كُنْتَ لاعِبا

وله :

هل إلى نظرةٍ إليك سَبِيلُ يُرْوَ منها الصَّدَى ويُشْفَى الغَلِيل

إنَّ ما قَلَّ منك يكْثُر عِنْدى وكثيرٌ ممّن[٦] تُحِبّ القَلِيل

قال الأصمعى : دخلتُ يوماً أنا وإسحاق بن إبراهيم على الرَّشِيد فرأيته لقس[٧] النفس فأنشده إسحاق :

---

(١) فى ت : من أكبر .
(٢) فى ت : أفلام . « تحريف » .
(٣) رده : أعاده .
(٤) فى غ : بين .
(٥) فى غ : لهذا .
(٦) فى ت : مما !
(٧) لقست نفسه : غثت وخبثت .

وآمرةٍ بالبُخل قلت لها : أقصِرِى | فذلك شىءٌ ما إليــه سَبيل
أَرى الناسَ خُلَّانَ الـكرامِ ولا أرى | بَخيلًا له حَـتَّى المَماتِ خليــل
وإنّى رأيتُ البخــلَ يُزرى بأهلِه | فأكرمتُ نَفْسِى أن يُقال بَخيــل
فعالى فعــالُ المُـكثرين تجمُّـلًا | ومالى كما قد تعْلَمين قَليــل
وكيف أخافُ الفقرَ أو أُحْرَمُ الغِنَى | ورأىُ أَميرِ المؤمنين جَميــل

فقال الرشيد : لا تَخَف إن شاء الله تعالى ؛ ثم قال : لِلّه درّ أبيات تَأْتينا بِها ؛ ما أَشَدّ أصولها ، وأَحْسَن فصولَها ، وأَقلّ فُضُولَها ! وأمر له بخَمْسين ألف درهم ؛ فقال له إسحاق : وصفُك يا أميرَ المؤمنين لشِعْرِى أحسن منه ، فعَلامَ آخذ الجائزة ؟ فضحك الرّشيد وقال : اجعلوها لهذا مائَة أَلْف دِرْهم . قال الأصمعى : فعلمتُ يومئذ أنّ إسحاقَ أحذقُ بصَيْدِ الدراهِم مِنّى .

قال إسحاق : كنت عند الفَضْل بن الرّبيع يوماً ، فدخل عليـه[1] ابنُ ابنِه عبدُ الله بن العبَّاس بن الفَضْل وهو طفل ، وكان يَرِقّ عليه لأنّ أباه مات فى حَيَاته ، فأجلَسه فى حِجْره وضمّه إليه ودَمَعت عَيْناه ؛ فأنشأتُ أقول :

مَدّ لك اللهُ الحيــاةَ مَـدّا | حتى ترى ابنَك[2] هذا جَدّا
مُؤَزَّرا بمجده[3] مُرَدّى | ثم يُفَدّى مثلَ ما تُفَدّى
أشبه منك سُنَّة وخَـدّا[4] | وشِيمَةً[5] مرضِيّةً ومَجْدا
كأنـه أنتَ إذا تَبَــدّى | شمائلًا محمــودة وقَدّا

(١) فى غ : إليه .
(٢) فى ت : ابن ابنك .
(٣) فى ت : لمجده .
(٤) فى ت : وجدا .
(٥) فى غ : وشيما .

فتبسم الفَضْل وقال : أمتعنى الله بك يا أبا محمد ، فقد عُوضتُ مِن الحُزْن سُرورا وتسليت[1] بقولك ، وكذلك يكون إن شاء الله تعالى ، وأمر لى بثلاثين ألفَ درْهم .

حكى عن جَحْظة أو عن الزُّبيْر بن دَحْمان قال : مررت يوما على إسحاق بْنِ إبْراهيم مسلِّماً فحبسنى وحبس نفسه ، وكان الفضـلُ بنُ الرَّبيع قد أمر بالمَصِيرِ إلَيْه ، فقال إسْحاق :

أَقِم يا أَبَا العَبّاس نُحْل ونَطْرَبِ[2] ونَلْه مع اللّاهين يوما ونَضْرِب[3]
إذا ما رأيتَ اليوم قد بَانَ[4] خيرُه نُخذْه بشكر وأُتركِ الفضلَ يَغْضَبِ

فأَقَمْنا يومَنا وسُرِرنا ؛ ثم صار إلى الفضل بن الربيع ؛ فسأله عن سبب تأخره عنه ؛ فحدّثه الحديث مع إسحاق وأنشده الشعرَ فغَضِب على إسحاق ، وحوّل وجهه عنه وأمر عوناً حاجبَه ألا يَسْتَأْذِنَ عليه ولا يُدخِله إليه ولا يُوصِل له رقعة ، فعمل إسْحاق :

حرامٌ علىّ الراحُ[5] ما دُمتَ غَضْبانَا وما لم يَعُد عنى رضاك كما كانا
فأحسِن فإنّى قد أَسأْتُ ولم تزَل تُعوِّدُنى عند الإساءَة إحْسَانا

وأنشدهما إيّاه فرَضِىَ عنه وعاد إلى ما كان عليه له ، وعمل إسحاقُ فى عَوْن الحاجب :

عونُ يا عونُ ليس مثلَك عونُ أنت لى عُدَّةٌ إذا كان كون
لك عندى والله إنْ رَضِى الفضـ ـل غُلَامٌ يُرْضِيك أو بِرْذَوْن

(١) فى ت : وسميت !
(٢) فى غ : أقم يا أبا العوام ويحك نشرب .
(٣) فى غ : ونطرب .
(٤) فى غ : جاء .
(٥) فى غ : الكأس .

قال: فأتى عونٌ إلى الفضل بالشِّعْرَيْن جميعا ؛ فقرأهما وضحك وقال : ويلك[١] إنَّمَا عَرَض بك بقوله : « غُلَامٌ يُرْضِيك » بالسّوء ، فقال عون : قد وعدنى بما سَمِعْت فإن شِئْتَ ألا تحْرِمَنيه فافْعَل[٢] ، فأمره بإحْضَارِه فَحَضَر ورَضِيَ عنه ووَفَى لِعَوْن .

وكَانَ فى خُلُق إسحاق نَبْوَة عن الوَتر .

قال [حماد بن] إسحاق : كان أبى يوما عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب ، فلما جلس للشرب جعل الغِلْمَان يَسْقُونَ مَنْ حضر ، وجاء غلامٌ قبيح الوجه إلى أبى بقَدَحٍ فلم يأْخذه منه ، ورآه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فقال له : لِمَ لا تَشْرب ؟ فكتب إليه فى زجاجة :

اصبَح نَديمَك أقداحاً يُسَلْسِلُها ... من الشَّمُول وأَتْبِعْها بأقداحِ
من كَفّ رِيمٍ مليح الدَّلِّ رِيقتُه ... بعد الهُجُوع كمِسك أو كتُفَّاح
لا أشربُ الراحَ إلا من يدىْ رشَأٍ ... تقبيلُ رَاحتِه أَشْهَى من الرَّاح

فضحك ثم قال : صدقت والله ، ثم استَدْعى بوصيفة كأنها صورةٌ ، تامّةُ الحسن لطيفةُ الخصر فى زِىّ غلام عليها أَقبِيَة[٣] ومِنْطَقة[٤] ، فقال لها : تولَّىْ سَقَىَ أبى محمد ! فما زالت تَسْقِيه حتى سكر ؛ ثم أمر بِتَوْجِيهِها إليه وجَمِيع مالها مُحمِلات إليه .

وكان لإسحاق غلام اسمه زياد مولَّد من مُوَلَّدى الكوفة فَصِيحا ظَرِيفا وكان قد جعله سَاقيا وكان أصفرَ رقيقَ اللون حُلو الوجهِ ، لا يُرَاجِعه أحد ولا يستطيع

(١) فى غ : ويحك .
(٢) فى غ : فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم .
(٣) الأقبية : جمع قباء بالفتح ؛ وهو ثوب يلبس فوق القميص ويتمنطق به .
(٤) فى ت : ممنطقة .

أن يقول له : زِدْنى ولا نَقّصنى(١) . وكان لطيفَ السقى لبِقاً .

وكان فيه يقول إسْحاق :

خَلِيلَىّ هيّاً نَصْطَبِح بِسَواد ونَرْوِ قُلُوباً هَامهن صَوَاد
وقـولاَ لِسَاقِينا زِيَادٍ يُرقّها فقد هَدّ(٢) بعضَ القومِ سَقْىُ زِيَادِ

قال(٣) أحمد بن الهَيْثم : كنت يوما جالسا بسُرَّ من رأى عند إخوان لى ، وكان طريقَ إسحاق فى مضيه إلى دار الخليفة ورجوعه علينا ، فجاءنى الغلام يوما وعندى أصدقائى ، فقال : إسحاق بن إبراهيم الموصلى بالباب فقلت : يَدْخل أَو فى الأَرض أحدٌ يُستأذَن عليه لإسحاق ؟ فذهب الغلام يأذن له ، وبادرت إِلى تَلَقّيه ، فدخل وجلس منبسطا آنسا ، فعرضنا عليه ما عندنا ، فأجاب إِلَى الشّراب ، فأحضرناه نَبِيذا مُشْمِساً(٤) ، فشرب منه . ثم قال : أتحِبُّون أن أُغَنِّيَكم ؟ قلنا : إى والله ، أطال الله بقاءك ، إنَّا لنحب ذلك ، قال : فَلِم لا تسألونى ؟ قلنا : هِبْناك ، قال : فلا تفعلوا ، ثم دعا بعود فأحضرْناه ، فاندفع فغَنَّى فشربنا وطربنا ، فلما فرغ قال : أحسنت أم لا ؟ فقلنا : بلى والله ، جعلنا فداك ، لقد أحسنت ، قال : فما منعكم أن تقولوا لى أحسنت ؟ قلنا : الهيبة والإجلال لك ، قال : فلا تفعلوا هذا فيما تَسْتأْنِفُون ، فإن المُغَنِّى يُحِب أَن يقال له أحسَنْت ! ثم غَنَّى :

خَلِيلَىّ هيّاً نَصْطَبِح بِسَواد ونرو قـلوبا هامهن صَوَاد

البَيْتَين ، فقلنا له : ياأَبَا مُحَمد ، فمن هو زِيَاد ؟ قال : غلامى الواقف على البابِ ،

---

(١) فى غ : أنقصنى .

(٢) فى ت : هن « تحريف » .

(٣) جاءهذا الكلام ضمن خبرإسحاق مع غلامه زياد فى الجزء العشرين من الأغانى ص٢٨٥ طبعة بيروت .

(٤) مشمسا ، أى يشمس بصاحبه : يجمح به .

أدعوه يا غلام ، فدخل فإذا هو غلام خِلَاسى[١] قِيمَتُه عشرون دينَاراً أو نحوها ، فأمسَكْنَا ، فقال : أتسألُونِي عنه فأعرّفكم إياه ، وأدخله إليكم ويخرج كما دخل ، وقد سَمِعتم شعرى فيه وغنائى ؟ أُشهدكم أنه حُرّ لوجه الله تعالى، وقد زوجته أَمَتى[٢] فلانة : فأعينوه على أمره . قال : فلم يخرج حتى أَوصلنا إليه عِشْرِين ألفَ دِرْهم من أَمْوَالِنا .

اصْطَبَح[٣] محمد الأمين ذات يوم وأمر بالتَّوجيه إلى إسحاق ، فوجه إليه عدّة رسل كُلّهم لايصادفه ، حتى جاء أحدهم به ، فجاء منتشيا ، ومحمد مغضب ، فقال له: أين كنت ويلك ! قال : أصبحت يا أميرَ المؤمنين نَشِيطاً فبكرت إِلَى بعض المُنْتَزَهَات ، فاستطبت الموضع فأقمت فيه ، وسقانى زياد ، فذكرتُ أبياتا للأخطل وهو يسقينى ، فدَارَ لِي[٤] فيها لحن حَسَن ، فصنعته ، وقد جِئْتُك به ، فتبسم وقال : هاته ، فما تزَال تأتِي بما يُرضى عنك عند السخط ، فغنّاه :

إذا ما زِياد عَلَّنى ثم عَلّنى ... ثلاثَ زُجَاجَاتٍ لهُنّ هَدِيرُ
خرجتُ أجرّ الذيلَ حتى كأَنَّنى ... عليك أميرَ المؤمنين أميرُ

فقال : بل على أَبِيك قَبّح الله فعلك ، فمازال إحسانُك فى غنائك يَمْحو إساءتك فى فعلك ، وأمر له بألف دينار. وأَصْل قول الأَخْطل : إِذَا ما نَدِيمى عَلَّنى ...

قال إِسْحاق بن إبراهيم : بَعَثَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بنُ طَاهر وقد انصرفَ من وقعة الشُّراة[٥] وقد أصابته ضربة فى وجهه ؛ فمضيت إليه فإذا هو جالس قد عصب ضربتَه

(١) الخلاسى : من يولد بين أبوين أبيض وأسود .

(٢) فى ت : أختى .

(٣) جاءهذا الخبر ضمن أخبار إسحاق مع غلامه زياد فى الجزء العشرين من الأغانى ص ٢٨٧ طبع بيروت .

(٤) فى ت : فدارك « تحريف » .

(٥) الشراة : الخوارج .

وتَقَلْنَس بقَلَنْسُوة مكية ؛ فقلت له : سبحان الله أَيُّها الأمير ! ما حملك على لُبس هذا ؟ قال: التبرُّم بِغَيْره . ثم قال: غَنِّنى لبَعْض الأَعْراب :

إنِّى لأَكْنِى بأجبال عَنَ اَجْبُلِها   وباُسم أودِيَة عَن ِاسم واديهـا
عَمْداً ليَحْسَبَها الواشُون غَانيَةً[1]   أخرى وتَحْسَبُ أَنِّى لا أُبَالِيها
ولا يُغَـيِّر وُدِّى أَنْ أُهَاجِرَها   ولا فراقُ نَوًى فى الدَّار أَنْويها
وللقَلُوصِ ولِى مِنْها إِذا بَعُـدت   لواعجُ[2] الشوق تُنْضِينى وأُنْضِيها

فغنَّيتُه إِيَّاه ، فقال : أحسنت والله ! أَعِد ! فأعدتُ عليـه وهو يشرب حتى وَصَل[3] العتَمَة وأنا أُغَنِّيه ؛ فأقبل على خادم له فقال له : كم عنـدك ؟ فقال : مقدارُ سَبْعين أَلف دِرْهم فقال : تُحْمَل مَعَه . فلمّا خرجتُ من عنده تَبِعَنى الغلمانُ يسأَلونى ، فوزَّعت المال بينهم ؛ فرُفِع الخبرُ إليه فأغضبه ولم يُوَجِّه إِلَىَّ ثلاثاً ، فقُلْتُ :

عَلَّمنى جودُك السَّماحَ فمـا   أبقيتُ شيئاً لدىّ من صِلَتِك
لم أُبقِ شيئاً إلّا سمحتُ به   كأَنَّ لى قُدْرَةً كمَقْدِرَتِك
تُتْلِف فى اليوم بالهبات وَفِى السَّـ   ـاعة ما تَجْتَنيه فى سَنَتِك
فلستُ أَدْرِى من أَينَ تُنفِـق لو   لا أَنَّ رَبِّى يَجْزِى على هبتك[4]

فلما كان فى اليوم الرابع بَعَث إِلَىَّ ، فصِرْت إِليه فسلَّمت عليه ؛ فرفع بَصَرَه إلَىّ وقال : اسقُوه رِطْلًا فشَرِبت فقال : وآخر فَشَرِبت ثلاثةَ أَرْطال . ثم قال : غَنِّنى :

إنى لأَكْنِى بأَجْبَال عن أَجْبُلِها   وباُسم أَوْدِيَة عن اُسم وَادِيها

فغنَّيتُه فقال : ادنُ ، فدنوت ، فأمرنى بإعادة الصوت الذى صنعته فيه وهو :

(١) فى ت : غائبة « تحريف » .
(٢) فى غ : بوارح .
(٣) فى غ : صلى .
(٤) فى غ : صلتك .

عَلَّمني جودُك السَّماحَ فما أبقيتُ شيئاً لديّ من صِلَتك

فلما فهمه قال للخادم له : أَحْضِر لى فُلاناً فأحضره ، فقال : كَمْ قِبَلك من مَال الضِّياع ؟ فقال : ثمانمائة ألف دِرْهَم ! قال : أحْضِرها السَّاعَة ؛ فجيء بثمانين بَدْرَة ؛ فقال للخادم : جئنى بثمانين غُلاماً ممْلُوكا ، فأُحضِرُوا ؛ فقال : احملوا المالَ ؛ ثم قالَ لى : يا أَبا مُحمَّد خُذِ المالَ والممَاليك حتى لا تحتاج إلى أَحَد تُعْطيه شيئاً .

(قال محمد بن عمر[1] الجُرجَانِيّ . وقد ذُكِر عنده إسحاق : ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفه . كان والله إسحاق غُرَّةً فى زمانه، وواحداً فى عصره[2] عِلْماً وفَهْماً وأَدَباً ووَقَاراً وجودةَ رأى وصحَّةَ مَودَّة . وكان يُخْرِس الناطق إذا نطق ويحيّر السامعَ إذا تحدّث ، لا يَمَلّ جليسُه مجلسَه ، ولا تَمجّ الآذانُ حديثَه ، ولا تنبو النفسُ عن مُطاولته. إن حَدّثك ألهاك ، وإن ناظَرك أفادك ، وإن غَنّاك أطربك. وما كنتَ ترى خَصْلة من الأدب ولا جِنْسا من العلم فيُقْدم أحدٌ فيه على مُساجلته ولا مباراته.)

قال إسحاق : لاعبتُ الفضلَ بن الربيع ، فوقَعَ بيننا خِلَاف ، فحلَف وحلفت ، وغَضِبَ على وهجَرَنى فأتيتُ عونا وكان يَحْجُبه ، فخاطبتُه فى ذلك ، فكلّمنى بما كَرِهتُ ؛ فقلت له : أيدخل بيْنِى وبين الأمير أحَدٌ فرضيته واصْطَلَحْنا ، وقال الفضلُ لِى : أصلح قلبَ عون . وكان عَوْن يُرمى بالأبنة ، فقلت فيه :

وراكب[3] أمر ضَاقَ ذرْعا بذكره وقَاسٍ لِداء[4] منه مُتَّسِع الخرْقِ

---

(١) فى ت : عمران .

(٢) فى غ : دهره .

(٣) فى غ : وذاكر .

(٤) فى ت : وقاس كذا « تحريف » .

ثم علمتُ ألا يتِمّ لى أمرٌ إلا بعد أن يَرْضى فكتبت إليه :

عونُ ياعونُ ليس مثلك[1] عون   أَنتَ لِى عُدَّةٌ إذا كانَ كَوْنُ

لَكَ عندِى واللهِ إنْ رَضِى الفضـ   ـلُ غـلامٌ يُرضِيك أو ِبرْذَوْن

فدخـل الفضلُ فترَضّاه لى فرضى ثم قال له : ويلك ! إنَّه والله إنَّما هجاك يا عَوْنُ وأنت ترى أنَّه مدَحك ! ألا ترى إلى قوله غلام يُرْضيك هذا تعرِيض بك ، فقال : فكيف أصنع به مع مَحَله عند الأمير ؟.

قال إسحاق استدنانى الأمينُ[2] يوما وهو مُسْتَلْقٍ على فِراش حتى صارت ركبتى على الفراش ، ثم قال : يا إسحاق ، أَشْكُو إليك أَصْحَابِى ، فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ، وفعلت بفلان كذا ففعل كذا ، حتى عدّد جماعةً من خَوَاصّه ؛ فقلت له : أنت يا سيدى تَتَفَضّل علىّ وتُحْسن رأيك فى ، ظننتَ أَنَّنى ممن يُشاور فى مِثْل هذا الحديث ، تجاوزتَ فى حَدّى ومِقْدارِى ، وهذا رأْىٌ يَجِلّ ولا يبلُغه قَدْرى ؛ فقال : ولم ؟ أنتَ عندى عالِم عاقِل فَاصِح ! فقلت : هذه المنزلُة عند سَيِّدى ، علَّمَتْنِى أَلَّا أقولَ إلا ما أعرِف ولا أطلب إلا ما أنال ؛ فضحك وقال : بلغنى أنّك عَمِلْت فى هذه الأيام لَحْنًا فى شعر الرّاعى فلم أسمَعْه منك ؛ فقلت : يا سيدى ، ما سَمِعه أحد إلا جَوَارِىّ ولا حضرتُ عندكَ منذ صنعتهُ ؛ فقال : غنِّه ، فقلتُ : الهَيبَة والصَّحْو يَمْنَعَانى أَنْ أُؤَدِيَه كما أُرِيد[3] ، فلو آنس أميرُ المؤمنين عبدَه بشىء يُطربه ويُقوِّى طبعَه كان أجودَ ؛ قال : صدقت ، ثم أمر بالغداء فتغدَّينا ، وأمر بالستـائر فمُدَّت وغَنّى من وَرائِها وشربنا أَقْدَاحا فقال : يا إسحاق : أما جاء أوانُ الصوتِ ؟ فقلت : بلى يا سَيِّدى ؛ وغَنَّيْتُ فى شعر الرّاعى :

---

(١) فى ت : لمثلك « تحريف » .

(٢) فى غ : المأمون .

(٣) فى غ : تريد .

ألم تسألْ بِعارِمــةَ(١) الدِّيارَا | من الحىّ المُفَارق أين ســارا(٢)
بَلَى ساءَلتِهُــا فأبَتْ جَــوَاباً | وكيف تُسائِل الدِّمَنَ القِفارَا

فاستَحْسَنه وطَرِب عليه وقال : يا إسحاق لا طَلَب بعد البُغْية ووجود المنية ، وما أَشْرَبُ بَقِيَّة يومى إلّا على هذا الصوت ، ووصلنى وخلع علىّ من ثيابه .

كان الواثِقُ إذا صنع غِناءً فى شعر قال لإسحاق : هذا وقع إلينا البارِحَةَ فاسمعه ، فكان ربّما أصلح فيه الشئ بعد الشيء . فكادَه مخارق عنده وقال : إنّما يستَجِيد صنعتَك إذا حضر لِيُقارِبَك ويستخرجَ ما عِنــدك ، فإذا فارق حضرتَك قال فى صَنْعتَك غيرَ ما تسمع ؛ قال الواثق : فأنَا أُحِب أن أقف على ذلك ؛ فقال مُخارِق فأنا أغنّيه :

أَيَا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِدْنى مِــنَ الَّتِى | بِهــا نَهِلتْ نفسى سَقَــاماً وعَلَّت
لقــد بَخِلت حَتّى لو أنّى سألتُهــا | قَذَى العين من سافِى التراب لضَنَّت

فَإنّ إسحاق لا يعلم أَنَّ ذلك لك ولا سمعه من أحد ؛ قال : افْعَــل . فلما دَخَل إسحاق غَنّاه مُخارِق وتعَمَّد لأن يفسده بجَهْدِه ، وفعل ذلك فى مَوَاضِـع خَفِيَّة لم يَعْرِفها الوَاثِق فى(٣) قِسْمته ؛ فلما غَنَّاه قال الوَاثِق لإسحاق : كيف تَرَى هذا الصوت ؟ قال : فاسدٌ غيرُ مَرْضِىّ ؛ فأمَر به فسُحِب فى(٣) المجلس حتى أُخْرِج عنه ، وأمر بنَفْيه إلى بغداد . ثم جرى ذكره يوما . فقالت له فَرِيدَةُ : يا أمير المؤمنيـن ، إنّما كادَه مُخَارِق فأفسد الصوتَ من حيث أَوهمَك أنه زَادَ فيه بحذقه نَغَماً وجَوْدَة ، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحق فى كل شىء سَاءَه أو سَرَّه ، ويفهم من غامِض الصَّنْعة

---

(١) عارمة : موضع فى ديار بنى عامر بنجد ، وقيل : ماء لبنى تميم بالرمل .
(٢) فى غ : صارا .
(٣) فى غ : من .

ما لا يفهمه غيره ؛ فليُحْضِره أمير المؤمنين ويُحلِّفه بغَلَّظ[١] الأَيمان أن يَصْدُقه عما يسمع ، وأُغَنِّيه أنا حتى يَقِف على حقيقة الصوت ؛ فإن كان فاسداً فصدق عنه لم يكن عليه عَتْب ، ووافقْناه عليه حتى يستوى ، وليس يجوز أَنْ نَتْرُكه فاسدا إنْ كان فيه فساد ، وإن كان صحيحا قال ما فِيهِ ؛ فأمر بحَمْله فحُمِل ، وأظهر له الرِّضَا عنه ولزمه أياما ؛ ثم حَلّفه أن يصدقَه عما يمرّ في مجلسه فحَلَف له. ثم غَنَّى الواثقُ أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخبره فيها بما عنده ؛ ثم غَنّته فَرِيدَةُ هذا الصوت وسأله الواثق عنه ، فرَضيه واستجاده وقال : ليس على هذا سمعتُه المرة الأولى ، وأبان عن المواضع الفاسدة وأَخْبر بإفساد مُخارِق لها ؛ فسكن غَضَبُه ، ووصل إسحاق ، وتنكّر لمُخَارِقٍ مُدّة .

قيل : كان إسحاق بعد المأمون لا يُغَنِّى إلا الخليفة أو وَلِىّ عهد أو رَجُل من الطَّاهِرية مثل إسحاق بن إبراهيم وطبقته ؛ فاجتمعا عند الوَاثِق وهو ولى عَهْد المُعْتَصِم ، فاشتهى الواثق أن يُضَرِّب[٢] بين مُخَارِق وعَلّويه وإسحاق ، ففعل حتى تَهَاتَر ثم قال لإسحاق : كيف هما عِنْدَكَ ؟ فقال : أما مخارق فمُنَادٍ طيِّب الصوت وأما عَلّويه فهو خَيْر حِمَارى العِبَادى[٣] ، وهو على كل حال شُوَىْء ، يريد تصغير شيء ؛ فوثب عَلّويه مُغضَبا ، ثم قال للواثق : جوَارِيه حَرَائر ونِسَاؤه طَوَالق إن لم تحلفه بحَيَاتك وحَقِّ أبيك أن يصدُق عما أَسْأَله عنه ، لأتوبن عن الغناء ما عِشْتُ ؛ فقال له الواثق : لا تعربد يا على[٤] ، نحن نفعل ما سألت ؛ ثم حلّف إسحاق أن يصدُق

---

(١) فى غ : بغليظ .

(٢) يضرب : يغرى .

(٣) يشير إلى المثل؛ وهو ما يقال من أنه كان لعبادى حماران ، فقيل له : أى حماريك شر ؟ قال : هذا ثم هذا ، أى لا فضل لأحدهما على الآخر . وفى ت : خير جماوى الغناء « تحريف » .

(٤) فى ت : لا توجد على ياعلى «تحريف» .

فحلف ؛ فقال له : من أحسن النَّاسِ اليومَ صنعةً بعدك ؟ فقال : أنت . قال : فمن أضرب الناس بعد ثَقيف ؟ فقال : أنت . قال: فمن أطيب الناس صوتا بعد مُخَارق؟ قال : أنت . قال عَلّويه لإسحاق : أهذا قولك فىّ وأنتَ تعلم أنِّى مُصَلِّى[1] كلّ سابق فاضل ، وأنى ثَالِثُ ثَلاثة أنت أحدهم لم يكن فى الدنيا مِثْلُهم ولا يكون ! فما أنت وغناؤك الذى لا يُسْمع إلا انخفاضا[2] ! فغَضِب إسحاق ، وانتهر الوَاثِقُ عَلّويه . ثم أخذ إسحاق عوداً فثَقَل مَثْناه إلى البَمِّ[3] ، وزِيرَه إلى موضع المَثْلَث ، والمَثْلث مكان المَثْنَى ، وضرب وقال : أتعرِف شيئا ؟ فغَنَّى مُخَارِق عليه .

تَقَطَّع مِنْ ظَلَّامَةَ الوصلُ أجمعُ أخيراً على أَنْ لم يَكُنْ يَتَقَطَّع

وضرب عليه إسحاق فلم يَكُن فى الأوتار[4] خلاف ولا فُقِد مِنْ الإيقاع شىء[5] ولا بان فيه اُختلال ؛ فعظُم عجبُ الوَاثِق من فعله ؛ وقام إسحاق ورَقَص طرباً وكان يرْقُص أحسنَ من رَقْص كُبَيْش وعبد السلام ـ وكانا من أَرْقَص النــاس ـ فقال الواثق : لا يكْمُل أحد فى صِنَاعته مِثْلَ كمال إسحاق .

قال عُبَيْدالله بن عبد الله بن طاهر : حَدَّثَتْنى شَهوَاتُ الصَّنَّاجَة التى كان إسحاق أهداها إلى الواثق أنّ محمدا الأمين لمَّا غَنَّاه إسحاق لحنَه فى شِعْره :

يا أَيُّها القائمُ الأمينُ فَدَت نفسَك نفسِى بالمــال والوَلَدِ
بَسَطْتَ للنّاس إذْ وَلِيتَهُمُ يَدًا من الجود فوق كلِّ يَدِ

أمر له بألفِ أَلْف دِرْهم ؛ فرأيتها قد دخلت دارنا يَحْمِلُها[6] مائة فرّاش .

---

(١) المصلى : التالى للسابق من خيل السباق.

(٢) فى ت : أعقاصا « تحريف » .

(٣) البم : الوتر الغليظ من أوتار المزهر .

(٤) فى ت: ليقوما بر « تحريف » .

(٥) فى ت : من له الانتفاع بشىء « تحريف » .

(٦) فى ت : محلة .

حدّث إسحاق قال : عَشِقْت جارية قلتُ فيها :

هل إلى أن تنــام عَيْنى سبيل ... إنّ عهدِى بالنّوم عهدٌ طَوِيل
غاب عنّى مَنْ لا أُسَمِّى فعَيْـنى ... كلَّ يوم وَجْدًا عليه[1] تَسِيل

قال : ثم ملـكتها ، فـكنتُ مشغوفا بها ، حتى كَبِرتُ واعتلَّت عَيْنى ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيامَه المتقدّمة ، فما زِلْت أبـكى وأذكُر دَهْرى الذى كنتُ فيه .

وكان السَّبَب فى عِلّة عينيه وضَعْفِ بصره أَنَّ إبراهيم ابن أخى سَلَمة الوَصِيف نازَع إسحاق فى شىء من الغِناء ، فردّ عليه إسحاق ، فشتَمه إبراهيم ، فرد عليه وأسرف فى الرد ، فقال إبراهيم : أتَرُدّ علىّ وأنا مَوْلَى أمير المؤمنين ! فقال له إسحاق: أُسكُت فإنك من موالى العِيدَيْن ، فقال له الرّشيد : يا إسحاق وإيش تـكون[2] مَوَالى العيدين ؟ قال: يا أمير المؤمنين تَشْتَرِى الخلفاءُ فى العيد للعِتْق غِلْمانا يـكُون فيهم الحائك والحَجّام والسّائس ، فهو أحد هؤلاء الذين ذكرت . فخرج إبراهيمُ فوقف له على طَرِيقه ، فلمّا جاز عليه منصرِفا ضرب رأسَه بِمقْرَعة فيها مِعْوَل ؛ فكان ذَلِك سَبَب ضعف بصره ؛ وبلغ الرشيد الخبرُ فأمر أَنْ يُحْجَب عنه إبراهيم وحَلَف ألّا يدخل عليه ؛ فدَسَّ إلى الرشيد من غناه بشِعْر أَبِى العتاهية :

مَنْ لِعَبْد أَذَلَّه مولاه ... ما له شَافِع إليه سِوَاه
يَشْتَكِى مَا بِه إليه ويَخْشَا ... ه ويرجو مِثْلَ ما يَخْشَاه

فلما غُنِّى الرشيدُ بهذه الأبيات سأل عن صَانِع لَحْنها فعُرِّفه ، فحَلَف ألّا يَرْضَى عنـه حتى يَرْضَى عنه إسحاق ؛ فقام وقال : يا سَيِّدى قد رَضِيتُ رِضَاءً

---

(١) فى غ : عليه حزنا .
(٢) فى غ : وأى شىء تـكون .

صحيحا ، وقبَّل الأرضَ بين يدَيْه شكرا لِمَا كان من قوله ؛ فرضى عنه وأَحْضَره وأمره أن يَترَضَّى إسحاق ففَعَل .

وكان إسحاق إذا غَنَّى هذا الصوتَ أخذ بلِحْيَته وبكى :

إذا المرءُ قاسَى الدهرَ وأبيضّ رأسُه ... وثُلِّم تَثْلِيم الإناء جَوانبُه

فَلَلْمَوْتُ خير من حياة كريهة[1] ... تباعده طَوْرًا وطَوْرًا تُقَارِبُه

قال إسحاق : دخل أعرابى من بنى سُلَيْم سُرَّ مَنْ رَأَى – وكانَ يُكْنَى أبَا القَنَافِذ – فحضر باب المعتصم مع الشعراء فأُذِن له فلما مَثَل بين يدَيْه أنشده من أبيات :

مِراضُ العيُونِ خِماصُ البُطُون ... طِوالُ المُتُون قِصَارُ الخُطَا

عِتَاق النّحور[2] رِقاق الثُّغُور ... لِطاف الخصور خِدَال[3] الشوى[4]

عَطَابيلُ[5] من كل رَقْرَاقَة[6] ... تَلُوث[7] الإزارَ بدِعْص[8] النَّقَا

إذا هُنَّ مَنَّيْنَنَا نَائلا[9] ... أبى البُخْلُ منهنَّ ذاكَ المُنَى

إلى النَّفَر البيض أَهْلِ[10] البطاح ... وأهل السَّماحِ طَلَبْنا النَّدى

---

(١) فى غ : خسيسة .

(٢) عتاق النحور : جميلاتها .

(٣) الخدال جمع خدلة وهى من النساء : الغليظة الساق المستديرتها .

(٤) الشوى : الأطراف . وفى ت : الشعر « تحريف » .

(٥) العطابيل جمع عطبولة وعطبول ، وهى الجارية الفتية الجميلة الطويلة العنق .

(٦) رقراقة : كأن الماء يجرى فى وجهها . وفى ت : ذفرانة .

(٧) فى ت : يكون .

(٨) الدعص : كثيب الرمل المجتمع .

(٩) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(١٠) فى ت : ذاك «تحريف» .

لهم سطواتٌ إذَا هُيِّجُوا وحِلمٌ(١) إذا الجهل حلَّ الُحبا
يَبِينُ لك الخيرُ فى أوجه لهم كالمصابيح تجْلُو الدُّجَى(٢)
سعى الناس كى يُدْرِكوا فضلَهم فقصَّرَ عن سعيهم مَنْ سعى
سَعَى للخلافة فاقتادها وبَرّز بالسبق لما جرى

قال: فاستَحْسَنَها المُعْتَصِم وأَمَرَنى فغنَّيت بِهَا(٣)، وأمر للأعرابى بعِشرين ألف دِرْهم.

قال إسحاق: قَدِمت على الوَاثِق فى بعض قَدَماتى، فقال لى: أما اشْتَقْتَ إلينا؟ قلت: بلى والله يا أمير المؤمنين، وأنشدته:

أَشْكُو إلى الله بُعدى عن خَليفَته وما أُعالِج من سَقَم ومن كِبَرَ
لا أَسْتَطِيع رحيلًا إنْ هممتُ به إليه يوما ولا أَقْوى على السَّفَر
أَنْوى إليه رَحِيلا ثم يَمْنَعُنى ماأحدَث الدهرُ والأيَّام فى بَصَرى

قال إسحاق: أقام المأمون بعد قدومه بغداد عشرين شهراً لم يسمع حرفاً من الأَغَانى، ثم كان أوّلَ مَنْ تَغَنَّى بحضرته أَبُو عيسى بن الرشيد، ثم واظب على السماع مستَتِرا مُتَشَبِها فى أول أمره بالرَّشيد، فأقام على ذلك أربعَ حِجَج، ثم ظهر للندماء والمُغَنِّين. وكان حين أَحَبَّ السماع سأل عنِّى، فجُرِحْتُ بحضْرَته، وقال الطاعِنُ عَلَيَّ: ما يقول أميرُ المؤمنين فى رجل يَتِيه على الخِلَافة! وما أبقى من التِّيه(٤) شيئاً حتى أستعمله. فأمسك المأمون عن ذكرى، وجفانى مَنْ كان يصلنى لسوء رَأْيه فِيَّ؛ فأضَرَّ ذَلِك بى؛ حتى جاءنى عَلّويه يوماً فقال لى: أَتأْذَن لِي فى ذكرك؟

---

(١) فى ت: وحكم «تحريف».
(٢) فى ت: هم كالمصابيح تحت الدجى.
(٣) فى غ: فيها.
(٤) فى ت: آلته «تحريف».

فإنّا قد دُعِينا اليوم ؛ فقلت: لا ! ولكن غَنّه بهذا الشعر؛ فإنه سيبعثه على أن يَسْألك: لمن هذا ؟ فإذا سألك انْفَتح لك ما تُرِيد ، وكان الجوابُ أسهلَ عليك من الابتداء ؛ فقال : هات . فألقيتُ عليه لَحْنى فى شِعْرى :

يا سَرْحةَ الماء قد سُدَّت موارده ... أمَا إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ
لحائمٍ حَامَ حتى لا حراكَ به[1] ... مُحَلَّأٍ عن طريقِ الماءِ مَطْرُود

ومضى عَلّويه ، فلما استقرّ به المجلس غَنّاه فما عدا المأمون أنْ سَمِع[2] الغناء حتى قال : ويحك يا عَلّوية ! لمن هذا الشعر ؟ قلت : يا سيدى لعَبْدِك ابن عَبْدك إسحاق ، جفوتَه واطّرحته بغير جُرْم . فقال : إسحاق تَعْنِى ؟ فقلت : نعم . فقال : يحضر السّاعة . فجاءَنِى رَسُوله ، فحضرت فلمّا دخلتُ قال : أُدنُ فدنوت ، ورفع يديه مادّهما إلىّ ، فأكببْتُ عليه فاحتَضَنَنِى بِيدَيْه ، وأظهر من بِرّى[3] ما لو أظهره صديق مُوَانِس لصديق لسره[4]. وكان إسْحَاق يأخُذ عن الأَصْمَعِى ويذكُرُ عنه الرِّوَايَات ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسْحَاق وثَلَبه ، وذكر عند الرّشيد أنه قليل الشكر بَخِيلٌ ساقط النفس ، لا تَزْكُو الصنيعة عنده ، ووصف[5] له أَبَا عُبَيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى بالثّقة والصّدق والسّماحة واشتِماله على جَميع علوم العرب ؛ وفعل مثل ذلك عِنْد الفَضْل بن الرَّبيع ولم يزَل بهما حَتَّى وضع مَنْزِلة الأَصْمَعِى عندهما . ثم أَنْفَذَا إلى أبى عبيدة مالًا جليلا واستَقْدَمَاه ، فكان إسحاق سبب ذلك .

---

(١) فى غ : حيام له .
(٢) فى غ : يسمع .
(٣) فى ت : بشرى .
(٤) فى غ : لبره .
(٥) فى ت : وشكر .

قال إسحاق : جاء عَطاء الملطى[١] بجماعة من أَهْل البَصْرة قُرَيْباً أَبَا الأَصمعى ـ وكان نَذْلًا مِنَ الرِّجَال ـ فوجده ملتفا[٢] فى كساء نَائِماً فى الشَّمس فوكزه[٣] بِرِجْله وقال : وَيْلَك يا قُرَيْب ، قم فقام فقال له : هل لَقِيتَ أَحداً من أهل العلم قَطّ ، أو من أهل اللُّغَة ، أو مِن الفُقَهَاء أَوْ مِنَ العرَب ؟ فقال : لاوالله ؛ فقال : ولا سمعتَ شيئاً تَرْوِيه لنا أو تُنْشِدُنا إِيَّاه أو نكتبه عنك ؟ قال : لا والله ؛ فقال لِمَنْ حضر : هذا أَبُو الأَصْمَعى فَاشْهَدُوا عليه وعَلَى مَاسَمِعتم منه ، لا يَقُل لكم ولدُه غداً : حَدَّثَنى وَالِدِى ، أَنْشَدَنى وَالِدى ، وتركه فَضِيحَة وانصرف .

كان لإسحاق غلامٌ يَسْتَقِى الماءَ لأهل دَارِه على بَغْلين دائما يقال له فَتْح ، فرآه يوما حَرِجاً ، فقال له إسحاق : أَىّ شىء خبرك ؟ قال: خبرى أَنّه ليس فى الدار أشقى مِنْك ومِنّى . قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنت تُطْعِمُهم الخبزَ وأنا أَسْقِيهم الماء . فاستظرف ذلك منه وضَحِك وقال له : فما تَشْتَهِى ؟ قال : تُعْتِقُنى وتَهَب لى البغلين أستقى عليهما ؛ قال : قد فَعَلْتُ .

قال إسحاق : نَهَانِى الرَّشيدُ أَنْ أغنِّىَ أحداً غيره ؛ ثم استوْهَبَنى جعفرُ بن يَحْيى وسأله أن يأذن لى فى أن أُغَنِّيَه ، ففعل ، واتفقنا يوما عند جَعْفر ـ وعنده أَخُوه الفَضْل ، والرشيدُ يومئذ عَقِيب علة قد عُوفِى منها وليس يَشْرَب ـ فقال لى الفَضْل : انصرف إلىّ الليلةَ حتى أهبَ لك مائةَ ألف درهم ؛ فقلت له : إنَّه الرَّشِيدُ وإنَّه نَهَانى أن أغنى إلَّا له ولأَخيك ، وليس يَخْفى عنه خَبَرِى ، وأنا مُتَّهم بالميل إليكم ، ولست أتعرّض له ولا أعرضك[٤] . فلمّا نكبهم الرَّشيدُ قال : إيه

(١) فى غ : عطاء الملك .
(٢) فى ت : ملق .
(٣) فى غ : فركضه .
(٤) فى ت : لعرضك .

يا إسْحَاق ، تركْتَنِي بالرّقّة وجلست ببغداد تُغَنِّى الفضلَ بْنَ يحْيي ! فحلفتُ بحياته أنى ما جالستهُ قَطّ إلّا على الحديث والمُذاكرة ، وأنَّه ما سمعنى قط إلا عِنْد أخِيه وحلَّفتهُ بتربة المهدى أَنْ يَسْأَل عن هَذَا فى داره من نسائهم[١] ؛ فسألَ عنه فحُدِّث بمثل ما ذكرتُه وعرف خبرَ المِائة ألف الدَّرهم التى بذلها لى ورَدَدْتُها. فلما دخلت إليه[٢] ضحك إلىّ ثم قال : سألت عن أمرك فعرفتهُ مثل ما عرَّفْتَنِي ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم عِوَضاً عَمَّا بذله لك الفضل .

قال إسحاق : أنشدتُ الفضلَ بن يَحْيي قولَ نُصَيْب مَوْلَى المَهْدِي فيهم :

عند الملوك مضرة ومنافع[٣] وأرى البَرَامِكَ لا تَضُر وتَنْفع
إن كان شَرٌّ كان غيرهم لــه أو كان خيرٌ فهو منهم[٤] أجمع
إن العروق إذا استسَرَّ بها[٥] الثَّرى أَشِر النَّبَاتُ[٦] بها وطاب المَزْرع
فإذا جهلتَ من أمرئٍ أعرَاقَه وقديمَه فانظر إلى ما يَصْنَع

فقال : كأنَّا والله لم نسمع بهذا الشعر قط وقد كنا وصلناه بثلاثين ألف درهم ، وأنا أجدِّد ذلك له ، وأجدّد لك الصلةَ الساعة لحفظك الأَبْيَات ؛ وأمر لى بثلاثين ألف درهم .

عتب المأمونُ على إسحاق فى شىء ، فكتب إليه رقعة وأوصلها إليه من يده فيها :

---

(١) فى ت : أسبابهم .

(٢) فى غ : عليه .

(٣) فى ت : منافع ومضرة .

(٤) فى غ : فيهم .

(٥) فى ت : استثير .

(٦) فى ت : الثياب .

لا شىءَ أعظمُ من جُرمى سِوَى أَمَلى ... لحسن عفوك عن جرمى[1] وعن زَللى

وإن يكن ذَا وذَا فى القَدْرِ قد عَظُما ... فأنت أعظَمُ من جُرْمى ومن أَمَلى

فضحك ؛ ثم قال : يا إسحاق ، عذرك أعلى قَدْرًا من جُرْمك ، ولا جَالَ بِفِكرى ولا خَطَر به بَعْدَ انْقِضَائه .

قال إسحاق : دخلت يوما على المُعْتَصِم وعنده إسْحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فاستَدْنَانى فى المَجْلِس فدَنَوْت ، ثم أُستدنَانِى فتوقَّفْت ، خوفاً من أن أكونَ مُوازِيا لإسحاق بن إبراهيم فى المَجْلس ، ففَطِن المُعْتَصم لذلك فقال : إن إسحاقَ كَرِيم ، وإنَّك لم تَسْتَنْزِل ما عِنْد الكَرِيم بمثل إكرامه[2] . ثم تَحَدَّثْنَا فأَفْضَتْ بنا المُذَاكَرة إلى قول أبى خِرَاش الهُذَلى :

حَمِدت إلٰهى بعد عُرْوَة إذ نجا ... خِرَاشٌ وبعضُ الشر أهونُ من بَعْضِ

فأنشدها المعتصم إلى آخرها وأنشد فيها :

ولم أَدْر من أَلْقى عليــه رِدَاءَه ... على أنه قد سُلّ[3] عن[4] ماجد محض

والرواية : «قد بُزّ عن ماجد» فغَلِطت وأسأتُ الأَدَب ، وقلت : ياأمير المؤمنين هذه رواية المَكْتَب وما أخذتُ عن المُعَلّم ، والصحيحُ « قَدْ بُزّ » فقال لى : صدقت ، وغَمزَنى بعينه ، يحذّرنى من إسحاق ؛ ففطِنت لغَلَطى فأمسكتُ ، وعلمت أَنّه أشفقَ علىّ من إسحاق من بَادِرة تَبْدر منه ؛ لأنه كان لا يحتمل هذا الخطأ عَلَى الخُلَفاء من أحد حتى يُعْظِم عُقُوبتَه ويُطِيل حَبْسَه ، كائنا من كان ، فنبّهنى — رحمه الله تعالى — على ذلك حتى أَمْسَكْت .

---

(١) فى غ : ذنبى .
(٢) فى ت : الكرامة .
(٣) فى غ : حط .
(٤) فى ت : من .

قال إسحاق : قال الفضلُ بن يَحْيَى لِأَبِى : مالِى لا أَرَى إسحاق ؟ عرفنى خبره ، قال : خير . ورأى فى كلامه شيئاً شَكَّكَه ، فقال : أَعليل هو ؟ قال : لا ، ولكنه جاء مَرَّات فحجبه نَافِذ الخادم فلحِقَته جَفْوة ؛ فقال له : إن حجبه بعدها فَلْيَنِكْه . فجاءنى أبى وقال لى : إلْقَه ، فقد سألنى عنك ؛ وأخبرنى بالصُّورة(١) فجئت فحُجِبْت أَيْضاً ، فخرج الفضل ليركب ، فدفَعْت إليه رقعة فيها :

جُعِلت فِداءكَ من كلِّ سُوءٍ ... إلى حُسْنِ رأيك أشكو أُناسا
يحولون بينى وبين الكلام ... فما إن أُسَلِّم إلّا اختلاسا
وأنفذتُ رأيك فى نافِذٍ ... فما زاده ذاك إلاَّ شِماسا

فلما قرأها ضحك حتى غُلِب ثم قال: أَو قد فعلْتها يا فاسق ؟ ! فقلت : لا والله يا سيدى ، وإنَّما مزحت ، فخجل نَافِذ خَجَلًا شديدا ولم يعد بعد ذلك إلى إساءتى .

قال إسحاق: ذكر المعتصمُ يوما بعض أصحابه وقَدْ غاب عَنْه فقال : تعالَوْا نَقُلْ ما يَصْنَع فى هذا الوقت ، فقال قوم : يلعب بالنَّرْد ، وقال قوم : يُغَنِّى ، فبلغت النوبة إلىَّ فقال : قل يا إسحاق . قلت : إذًا أقول فأُصيب ، قال : أتعْلَم الغَيْب ؟ قلت :لا، ولكنّى أعلم ما يصنَع وأَقْدِر على معرفته ، قال : فإن لم تصب ؟ قلت : فإن أصبتُ ؟ قال : لك حكمك ، وإن لم تُصِب ؟ قلت : لك دَمِى ؛ قال : وجَب ، قل . قلت : يتنفَّس ، قال : فإن كان ميِّتا ؟ قلتُ : تحفَظ الساعة التى تكلمتُ فيها ، فإن كان مَاتَ فيها أو قبلها فقد قمرْتنى . قال : قد أنصفْت . قلت : فالُحكْم ؟ قال : أحتكم ما شئت ، قلت : ما حُكْمى إلا رِضَاك يا أمير المؤمنين قال : فإن رِضَاىِ لَك ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف دِرْهم ، أترَى مَزِيدًا ؟ فقلت : ما أولاك يا أَميرَ المُؤمنين ، قال: فإنّها مِائَتا ألف درهم ، أترَى مَزِيدًا ؟ فقلت ما أَحْوَجَنى يا أمير المؤمنين إلى ذلك ،

---

(١) فى غ : بما جرى .

قال : فإنها ثلاثمائة ألف درهم ، أترى مزيدًا ؟ قلت : ما أولاك يا أمير المؤمنين ! قال : يا صفيق الوجه ، ما تزيد على هذا !

قال إسحاق : عمل محمدٌ المخلوع سفينة فأعجب بها ، وركب فيها يريد الأنبار . فلما أمعن وأنا مقبل على بعض أبواب السفينة صاحوا : إسحاق إسحاق فوثبت ، فدنوت منه ، فقال لى : كيف ترى سفينتى ؟ فقلت : حسنة يا أمير المؤمنين ، عمّرها الله ببقائك . فقام يريدُ الخلاء وقال لى : قل فيها أبياتا ، فقلت ، وخرج فقمتُ بالأبيات إليه ؛ فاستحسنها جدا ، وقال لى : أحسنتَ يا إسحاق ، وحياتك لأهبنّ لك عشرة آلاف دينار ، فقلت : متى يا أمير المؤمنين ؟ إذا وسّع الله عليك وفتح لك؟ فضحك ودعا بها على المكان .

قال إسحاق : لم أر قطُّ مثل جعفر بن يحيى ، كانت له فتوّة وظرف وأدب وحسن غناء وضرب بالطبل ، وكان يأخذ بأجزل حظّ من كل فنّ من الأدب والفتوّة. فحضرتُ باب أمير المؤمنين يوماً ، فقيل لى : إنه نائم . فقال لى : قف مكانك ومضى إلى دار أمير المؤمنين ، فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم ، فرجع وقال : قد نام أميرُ المؤمنين فسرْ بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعا بقيّة يومنا وتغنّنى وأغنّيك ، ونأخذ فى شأننا من وقتنا هذا ؛ قلت : نعم ، فسرْنا إلى منزله ، فطرحنا ثيابنا ، وطعمنا ، وأمر بإخراج الجوارى وقال : ابرُزْنَ ؛ فليس عندنا مَنْ نحتشمه ؛ فلما وُضع الشرابُ دعا بقميص حرير فلبسه ؛ ثمّ دعا بخلوق فتخلّق به ، ودعا لى بمثل ذلك ، وجعل يغنّينى وأغنّيه ؛ ثم دعا بالحاجب وتقدّم إليه بألّا يأذن لأحد من الناس كلّهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين فليعلمه أنّى مشغول ، وتقدّم إلى جميع الحجّاب والخدم بمثل ذلك . ثم قال : إن جاء عبدُ الملك فأذنوا له ؛ يعنى رجُلا كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته ثم أخذنا فى شأننا ، فوالله إنا لعلى حال سارّة

عَجِيبة إذ رُفِع السِّتر وإذا عبد الملك بن صالح الهاشمى قد أقبل ، وقد غلط الحاجب فلم يفرق بينه وبين عبد الملك الذى عناه جَعْفَر بن يَحيي ؛ وكان عبد الملك بن صالح رَجُلًا من جلالة القدر والتَّعَفُّفِ(١) والامْتنَاع من منادمة الخلفاء على أمر عَظِيم ، وكان الرَّشِيد قد اجْتَهَد به أن يَشْرَب معه فلم يَفْعَل رفعاً لِنَفْسِه . فلما رأيناه مُقْبِلا أقبلَ كُلٌّ منا يَنْظُر إلى صاحبه ، وكادَ جعفر أن ينشَقَّ غيظا . وفَهِم الرجل حالَنا ، فأقبلَ نحوَنا حتى إذا صار إلى الرِّواق الذى نحن فيه نزع قَلَنْسُوَته فرَمَى بها مع طَيْلَسَانه جَانِبا ؛ ثم قال : أطعمونا شيئا ؛ فدعا له جعفر بالطعام وهو مُنْتَفِخ غَيْظاً وغَضَبا فطَعِم ، ثم دعا بِرِطل فشَرِبه ، ثم أقبل على المجلس الذى نحن فيه [فأَخَذَ بِعِضَادَتَي البَاب ، ثم قال : أشرِكُونا فيما أنتم فيه ؛ فقال له جعفر : أُدخل ؛ ثم دعا بقميص حرير وخَلُوق ، فلبس وتخَلَّق ، ثم دعا بِرطل ورِطل حتى شرب عدّة أرطال ، ثم اندفع لِيُغَنِّينا ، فكان واللهِ أحسنَنَا جميعا غِناءً](٢) .

فلما طابت نفسُ جعفر وسُرِّى عنه ما كَانَ به الْتَفَت إليه وقال له : ارفع حوَائِجَك ؛ فقال : ليس هذا موضعَ حَوَائج ؛ قال : لتفعلن ، وألَحَّ عليه حتى قال له : أميرُ المؤمنين علىّ واجد ، فأحِبّ أن تترضّاه ؛ قال : فإنَّ أمير المؤمنين قد رضى عنك ، فهاتِ حوائجَك ؛ قال : هذه كانت حَاجَتِى ، قال : ارفع حَوَائِجَك كما أقول لك ؛ قال : على دين قدره أربعة آلاف ألف درهم ، قال : هَذه أربعةُ آلاف ألف درهم ، فإن أحببتَ أن تقبضَها فاقبضها من منزلى الساعةَ ، فإنَّه لم يمنعنى إعطاؤُك إيّاها إلا لأَن قدرَك يجلّ عن أن يَصِلك مِثْلى ، ولكنّى ضامِن لها حتى تُحْمَل إليك من مال أمير المؤمنين غداً ؛ فاسأَلْ حوائِجَك أيضاً ، قال : ابنِى تُنَوِّه بذكره وتُكَلِّم

---

(١) فى غ : التقشف . (٢) ما بين القوسين بياض فى الأصل ، والتكملة من الأغانى .

أمير المؤمنين فى رفع اسمه وقَدْرِه قال : قد وَلَّاه أميرُ المُؤْمنين مصرَ وزوّجه ابنته العَالِية ، ومهرَها عنه ألفَى أَلْف دِرْهم .

قال إسْحاق : فقلت فى نَفْسى : قد سَكِر الرجلُ يعنى جَعْفَرا، فلما أصبحتُ لم يكن لى هِمَّة إلَّا الحضور فى دَارِ الرَّشِيد فإذا جعفر قد بَكَّر ، ووجدت فى الدار جَلَبة ، وإذا أَبُو يوسف القَاضِي ونظراؤه قد دُعوا ودُعى بعبد الملك بن صالح وأبنه فأُدْخِلا على الرَّشيد ؛ فقال الرَّشيد لعبْد المَلك : إنَّ أميرَ المؤمنين كانَ واجداً عليك وقد أمر لك بأربعَة آلاف ألف دِرْهم فاقْبِضها من جَعْفر بن يحي الساعة ، ثم دعا بابنه وقال : اشْهَدُوا على أَنِّى زوجتُه العَالِية بنتَ أَمير المُؤْمنين ، وأمهرتُها عنه من مالى بألْفَى أَلْف دِرْهم ، ووليته مِصْر . فلمَّا خرج جعفر بن يحيي سألتُه عن الخبر ، فقال : بكّرت إلى أمير المؤمنين فحكَيْتُ(١) له جَميع ما كان منا وما كُنَّا فيه حَرْفاً حَرْفاً ، ووصفت له دُخولَ عبد الملك وما صَنَع ، فعَجب من ذلك وسُرَّ به ؛ ثم قلتُ له : قد ضَمِنت عنكَ يا أميرَ المؤمنين ضَمَاناً ؛ فقال : ما هو ؟ فأعلمتُه ، فقال : نَفِى لك بضمانِك ، وأَمر بإحضاره فكانَ ما رَأَيْتَ .

قال إسحاق : غدوتُ يوما وأنا ضَجِر من مُلازَمة دَارِ الخليفة والخِدْمَة فيها ؛ فخرجت وركبت بُكرة ، وعزمت على أنْ أطوفَ بالصَّحْراء(٢) وأتفرَّج ؛ وقلت لغلمانى : إن جاء رسولُ الخليفة أو غيرُه فعرِّفوه أنى بكَّرت إلى بعض مُهِمَّاتى ، وأنكم لا تعرفون إلى أَيْنَ تَوَجَّهت ؛ ومضيتُ وطُفْتُ ما بَدَا لِى ، ثم عُدت وقد حَمِي النهار ؛ فوقفتُ فى شارع المُخَرَّم فى فناء ثَخِينِ الظّلّ وجناح رَحْب على الطَّرِيق لأَسْتَرِيح ؛ فلم ألبث أنْ جاء خادِمٌ يقود حِمَارًا عليه جارِيَة رَاكِبة تَحْتَها مِنديل

---

(١) فى ت : فأحكيت .

(٢) فى غ : الصحراء .

دَ بيقِيّ ، وعليها من الثِّياب الفاخِرة ما لا غاية بعده ، ورأيت لها قَوَاماً حسناً وطَرْفاً فاتِرا وشَمَائل حسنة ؛ فحسبت أنها مُغَنِّية ، فدخلتُ الدارَ التى كنتُ واقفاً عليها . ثم لم ألبَثْ أن أقبل رَجُلان شابَّان جَمِيلان ، فاُستأْذَنا فأُذِن لهما فنزَلا فدَخَلا ، فدخلتُ معهما فظنَّا أنَّ صاحِبَ البيت دعانى وظَنَّ صاحبُ البيت أنِّى معهما ؛ فجلسنا، وأُتِىَ بالطعام فأكلنا وبالشراب ، وخَرَجَت الجارية وفى يدها عودٌ فغَنَّت وشَرِبنا ، وقمت قَوْمَةً فسأل صاحب المنزل عَنِّى الرَّجُلَيْن فأخبراه بأنَّهُما لا يَعْرِفانى . فقالوا : هذا طُفَيْلِى ، ولكنه ظَرِيف فأَجْمِلوا عِشْرته ، وجئت فغنَّت الجارِية فى لحن لى فى شعر ذى الرمة :

[ذكرتُكَ أَنْ مَرَّت بنا أُمُّ شَادِن ... أَمَامَ المَطَايَا تَشْرَئِبّ وتَسْنَح
من المُؤْلِفَاتِ الرمل أدماء حُرَّةٌ ... شُعَاعُ الضحى فى مَتْنِها يَتَوَضَّح

فأدّته أَدَاءً صالحا وشَرِبَت ، ثم غنَّت أصواتاً شَتَّى ، وغنَّت فى أضعافها مِن صَنْعَتى والشِّعْر لابْنِ يَاسِين][1] :

الطُّلُولُ الدَّوَارِسُ ... فارَقَتْها الأَوَانِسُ
أَوْحَشَتْ بعد أَهْلِها ... فهى قَفْرٌ بَسَابِس

فكان أمرُها فيه أصلحَ من الأَوَّل . ثم غَنَّت أَصْوَاتاً[2] من القديم والحديث ، وغنت فى أضعافها من صنعتى :

قل لمن صَدَّ عاتِباً ... ونأى عَنْك جَانِبا
قد بلغتَ الّذى أردْ ... تَ وإن كنتَ لاعِباً

فكان أصلح ما غَنَّت ، فاستعدتُه لأصَحِّحَه لها ؛ فأقبل علىّ أحدُ الرجلين فقال :

---

(١) بياض فى الأصل ، والتكملة من الأغانى .
(٢) فى ت : أصولها .

ما رأيت طُفَيْلِيًّا أصفقَ وجهاً منك ! لم ترضَ بالتَّطفيل حتى اقترَحْت ، وهذا غاية المثل : « طُفَيْلى ويَقْتَرِح » . فأطرقْتُ ولم أُجبه ، وجعل صَاحِبُه يكفّه عنى وهو لا ينـكفّ . ثم قَامُوا إلى الصَّلاة وتأَخَّرت قليلا ، فأخذتُ العودَ وشَدَدْت طبقته وأصلحته إصلاحا محكما ، ثم عُدْت إلى موضعى ، فصلَّيتُ وعَادُوا وأخذ ذلك الرجل فى عَرْبَدته علىّ وأنا صامت ؛ ثم أخـذَت الجارية العودَ فجَسَّتْه فأنـكرَتْ حالَه وقالت : مُسَّ عُودِى ! قالوا : ما مَسَّه أحد . قالت : بَلَى والله ، قد مَسَّه حَاذِق مُتَقدّم ، وشَدَّ طبقَته وأصلحه إصلاح مُتَمكّن من صِناعته . فقلت لها : أنا أَصْلَحْته . فقالت : بالله عليك خُذْه فاُضرب بِه ، فأخذتُه وضربت به مبدأ عَجيباً ظَرِيفاً صَعْباً فيه نَقَرات محرّكَة ، فما بَقِى منهم أحـدٌ إلَّا وثب وجَلَس بَيْنَ يَدَىَّ وقالوا : بالله يا سَيِّدى أَتُغَنّى ؟ فقلت : نعم . وأُعَرِّفُكم نَفْسى ، أنا إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلى ، ووالله إنى لأتيه على الخليفة إذا طلبنى وأنتم تُسْمِعُونَنى ما أكره مُنْذ اليوم ، ووالله لا نَطَقْت بحرف ولا جلستُ معكم حتى تخرجوا هـذا المُعَرْبِد المَقيت[1] الغَثّ ؛ فقال له صاحبه : مِن هذا حَذِرت عليك ؛ فأخذ يعتذر ؛ فقلتُ : والله لا نَطَقْت بحرف ولا جَلَسْتُ معكم حتى يَخْرج ! قال : فأخذوا بيده وأخرجوه وعادوا ، فبدأْت فغَنَّيتُ الأصوات التى غنتها الجارية من صَنْعَتى . فقال لى الرَّجُل : هل لك أن تُقيم عندى شهرْا ، والجارِية والخادِمُ والحِمَارُ لك مع ما عليهم . قلت : أفعل . فأقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف أحَدٌ أينَ أنا ، والمأمون يطلبنى فى كل مَوْضِـع فلا يعرف لى خَبَراً . فلما كان بعد الشهر سَلّم إلىَّ الجارية والخادِمَ والحِمار ، فجِئْتُ بذلك إلى مَنْزِلى ، وركبت إلى المَأْمون مِنْ وَقْتى ؛ فلما رآنى قال : ياإسحاق أين كُنْتَ ؟ فأخبرتُه خَبرى ، فقال : علىَّ بالرجل السَّاعة ، فدللتهم عليه ، فأحضره

---

(١) فى ت : المقت « تحريف » .

وسألَه عن القِصَّة فأخبره ؛ فقال : أنت رَجُلٌ ذُو مروءة وسبيلك أن تُعانَ على مُرُوءتك ، وأمر له بِمائة أَلْفِ درهم ، وقال له : لا تُعاشِر ذلك الرجل المُعَرْبد النَّذْل ؛ وأمر لى بخمسين ألف درهم وقال : أَحْضِرنى الجارية ، فأحضَرته إيَّاها ، فأعجَبَتْه وقال لى : قد جعلتُ للجارية نوبةً فى كل يوم ثلاثاء تُغَنِّى من وراء الستارة مع الجوارى وأمرتُ لها بخمسين ألف دِرْهم فربحت بِتلك الرَّكبة وأَرْبحتُ .

قال إسحاق : أخرجَ إلىّ عبدُ الله بن طاهر بَيْتى شِعْر فى وَرَقة(١) وقال : هذان البَيْتَان وجدتُهُمَا على بساطٍ طَبَرِىّ أَصْبَهَنْدِىّ أهدِىَ إلىّ من طَبَرِسْتان وأُحِبّ أن تغنى فيهما وهما :

لَجَّ بالعَيْن وَاكِفُ   من هَــوًى لا يُسَاعِفُ
كُلَّمَا كَفَّ غَرْبُهَا   هَيَّجَتْه المَعَـــازِف

فغنّيت فيهما وغَدَوْتُ بِهِما إليه ، فأُعْجِب بالصوت وَوَصَلَنى بِصلة سَنِيّة . وكان يشتهيه ويَقْتَرِحه ، وشاع خبر إعجابه به . فبينما المُعْتَصِم جالس يُعْرَض عليه فرشُ الربيع ، إذ مرّ به بِسَاطُ دِيبَاج فى نهاية الحسن ، عليه هَذَان البَيْتان ومعهما هَذَان البَيْتان أيضاً :

إنَّما الموتُ أن تفا   رق مَنْ أَنْتَ آلِف
لَكَ حُبَّان فى الفؤا   دِ تَلِيدٌ وطَارِفُ

فأمَر بالبِسَاط فحُمِل إلى عبد الله بن طاهر ، وقال للرّسول : قل له : إنى عرفت شَغَفَك بالغناء فى هذا الشِّعر ، فلمّا وَقَع هذا البساط أحببْت أن يَتِمّ سرورُك بِه . فشَكَر عبدُ الله بنُ طاهر ما تَأَدَّى إليه من هذه الرسالة ، وأعظَم مِقْدَاره ، وقال : شَغَفى بِتمَام الشِّعر أحبُّ إلىّ من كُلّ شَىْء .

---

(١) فى غ : رقعة .

قال(١) إسحاق : كان بينى وبين الحارث بن بُسْخُنّر(٢) مودّة فتغيّر لى ، وحال عما عَهِدْته ، فقُلْتُ :

تَنَكَّر(٣) لِى فيمن تنَكّر(٣) حارِث ... ورب أخٍ(٤) قد غيّرته الحوادِث

أحارِثُ إن شُورِكْتُ فِيكَ فربَّما(٥) ... غَنينا وما بينى وبينك ثالث

(وتُوفى إسْحَاق فى رَمَضان سنة خَمْسٍ وثَلاثين ومِائتَيْن أول خلافة المُتَوَكّل فى بَغْداد . وكان يسأل الله عز وجل ألا يَبْتَلِيه بالقُولَنج لِمَا رأى من صُعُوبته على أَبيه فأرى فى منامه قائلا يقول له قد أُجِيبَتْ(٦) دعوتُك ، ولستَ تموت بالقُولَنْج ، ولكنك تَمُوتُ بِضِدّه فأصابه ذَرَبٌ ، وكان يَتَصَدّق فى كل يوم يمكنه صِيامه بمائة درهم ثم ضَعُف عن الصوم ولم يُطِقه وَمَات .)

(ولَمَّا نُعِيَ إلى المُتَوَكّل غمّه وحَزِن عليه ، وقال : ذهب صَدْرٌ عظيم من جَمَال المُلك وبَهائِه وزينته) ، ثم نُعِى إليه بعده أَحْمَدُ بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الحسين والله أعلم بما قال . ورُثِى بِعِدَّة قصائد طوال .

---

(١) جاء هذا الخبر فى ترجمة إبراهيم بن العباس فى الجزء العاشر ص : ٥٤ طبع دار الكتب وقيل : البيتان لإبراهيم بن العباس .

(٢) فى ت : تسحر « تحريف » .

(٣) فى غ : تغير .

(٤) فى غ : وكم من أخ .

(٥) فى غ : فطالما .

(٦) فى ت : أجبت .

أحمد النَّصْبي[1]

(هو أحمد بن[2] أُسَامة الهَمْدانى ، من رَهْط الأَعْشى الأَدْنَيْن ، يقال : إنه أول مَن غَنَّى بالطُّنْبور فى الإسلام . وكان ينادم عُبَيْد الله بن زِياد سِرًّا ويغَنِّيه . وكان بَخيلا على يساره يُقرِض بالرِّبا . ولم يخدُم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب)

ومات فى دعوة دُعِى إليها فغَصَّ بفالُوذَجَة حارّة جمت أحشاءه فمات . روى جَحْظَة : والصحيح أنه خرج مع أَعْشَى هَمْدان فى عَسْكر ابن الأَشْعَث فقُتِل فيمَن قُتِل .

وللأَعْشَى شعر فى سَلِيم بن صالح بن سَعْد[3] بن جَابِر العَنْبَرِىّ[4] وكان منزل سليم بسَابَاطِ المَدَائن[5] وكان الأَعْشَى وأحمد قد خرجا فى بعض مَغَازِيهما فنزلا على سَلِيم فأحسن قِرَاهما وأمر لدوابّهما بعَلَف وقَضِيم[6] ، وأقسم[7] عليهما بأن ينتقلا إلى منزله ففعلا ، وعرض عليهما الشراب فأَنْعَما به فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان ، فقال أحمد النَّصْبي للأَعْشَى : قل فى هذا الرجل الكريم شعرا تمدحه فيه حتى أُغَنِّيه .

---

(١) فى ت : النصيبي « تحريف » .

(٢) فى ت : أبو « تحريف » .

(٣) فى ت : شعيب « تحريف » .

(٤) فى ت : العزى « تحريف » .

(٥) فى ت : المدلين « تحريف » .

(٦) القضيم : شعير الدابة .

(٧) فى ت : وأمر « تحريف » .

فقال له الأعْشَى :

يا أَيُّها القلبُ المطيع الهوى | أَنَّى اُعتراكَ الطربُ النَّازِحُ
تذكُرُ جُمْــلا فإذا ما نَأت | طار شعاعاً قلبُك الطامِحُ
هَلّا تناهَيْت وكنتَ امرأً | يزجُرك المُرْشِدُ والنَّاصِح
ما لك لا تترُكُ جهلَ الصِّبا | وقد علاكَ الشَّمَط الوَاضِح
فصار مَنْ ينهاكَ(١) عن حُبِّها | لم ترَ إلَّا أنَّه كاشِح
يا جُمْلُ ما حُبِّى لكم زائلٌ | عنّى ولا عن كَبِدى نَازِح
حُمِّلتُ وُدًّا لكم خالصاً | جِدًّا إذا ما هزَل المَازِح
إنِّى توسّمت امرأً ماجــداً | يصدُق فى مِدْحته المادح
ذؤابةَ العنبر(٢) فاُخترتُه(٣) | والمرء قد يُنْعِشُــه الصالح
أبلجَ بُهْــلولاً وظنّى به | أنَّ ثنائى عنــده رَابِح
سَلِيمُ(٤) ما أنت بِنكْسٍ ولا | ذَمَّك لى غادٍ ولا رَائِح
أعطيتَ وُدِّى وثنائى معــا | وخَلّةً ميزانُهــا رَاجح
قد عَلِم الحىّ إذا أَمْحَلُوا | أَنّك رِفّادٌ(٥) لهم مانِح
فى اللَّيْلة القَالِى قِراها التى | لا غَابِقٌ فيها ولا صابِح
والضيفُ معروف له حَقُّــه | له على أبوابكم فاتِح

---

(١) فى ت : ينهك « تحريف » .
(٢) فى ت : الغبر « تحريف » .
(٣) فى ت : فأخبر به .
(٤) فى ت : سلم .
(٥) فى ت : فاد .

والخيلُ قد تعـــلم يوم الوَغَى　　أنك عن جمرتها[1] نَاضِح
إنِّى لِمَن سالمتَ سِلْمٌ ومن　　حاربتَ[2] أُمْسى وله[3] نَاطِح
فى الرأسِ منـــه وعلى أَنْفِهِ　　من نَقَمَاتِى مِيسَمٌ لَائِح

فَغَـنَّى أحمد النَّصْبى فيها ، وجاريةٌ لسَلِيم فى السطح جالسة ، فسَمِعَت الغناء ، فنزَلَت إلى مولاها فقَالَت له : إنّى سمعت من أضيافك شعراً ما سمعتُ أحسن منـه وغِناَءً قد غَنَّوْا فيه أحسنَ غِناء ، فخرج مولاها فاُستمع حتى فَهِم ثم دخل عليهما فقال لأحمد : لِمَنْ هذا الشِّعر ؟ ومَنْ أنتما ؟ فقال : الشِّعر لِهَذا ، وهو أبو المُصَبَّح أَعْشَى هَمْدان ، والغِناَء لى ، وأنا أحمد النَّصْبى الهَمْدانى ؛ فاُنـكب على رأس أعشى هَمْدان يُقَبّله وقال : كتمتُمَانِى أنفسَـكما وكدتما أن تفارِقَانى ولم أَعْرِفْـكُما ولم أعرف خَبَرَكما فاحتبَسَهما عنده شَهْرًا ثم حملهما على فرسَيْن ، وقال : خَلِّفَا عندى ما كان من دَوَابِّـكما وارجعا من مَغْزَاكما إلىّ[4] ، فمَضَيا إلى مَغْزَاها ، فأقامَا حِينا ثم اُنصرفا ، فلمّا شارَفَا منزلَه قال أحمد للأعشى : إنِّى أَرَى عَجَباً ! قال : ما هو ؟ قال : أرى فوق قصر سَلِيم ثَعْلَبا ؛ قال : إن كنتَ صادقا فما بَقِى فى القرية أَحَد . قال : فدخلا القَرْيَة ، فوجدا سَلِيما وجميعَ أهله قد أصابهم الطَّاعُون ، فمات أكثرُهم واُنتقل باَقِيهم .

وقيل: إنّ الحجَّاج طالب سَلِيما بمال عظيم، فلم يخرج منه حَتَّى باع كل مايملكه ، وخَرِبت قريتهُ وتفرق أهلُها ؛ ثم باعه الحَجَّاج[5] فاشتراه بعضُ أشراف الـكوفة ؛ إما أسماءُ بنُ خارِجَة أو بعض نظرائه فأَعْتَقَه .

---

(١) الجمرة : القبيلة فيها ثلاثمائة فارس ، وقيل : ألف . وفى غ : من جمرتها .
(٢) فى غ : عاديت .
(٣) فى ت : وبه .
(٤) فى ت : إلى عندى !
(٥) فى غ : ثم باعه الحجاج عبدا .

إسماعيل بن جامع

(هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطّلب) بن أبي وداعة[1] بن ضُبَيْرَة بن سعيد[2] بن سهم بن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤى بن غالب .

مات ضُبَيْرَة السَّهْمى[3] وله مائة سنة ولم يَظْهر فى رأسه ولا فى لِحْيَته شَيْب .

وأُسِر أبو وَدَاعة يوم بدر وهو كافِر ففَدَاه المُطَّلب[4] ، وكان المُطَّلب رجلَ صدق . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث .

وكُنية إسمَاعِيل بن جامع أَبُو القَاسِم .

وأُمّه امرأة من بنى سَهم ، وتزَوَّجَت بعد أبيه رجلا من أَهْلِ اليَمَن .

قال عَوْن صَاحِب معن بن زائدة : أتت أُمّ ابن جامع معن بن زائدة وابن جامع معها وهو صَغير يَتبَعها ويَطأ ذيلَها وكانت من قريش ، ومَعْنٌ يومئذ على اليمَن . فقالت: أصلح الله الأمير ، إنَّ عَمِّى زَوَّجَنى زَوْجاً ليس بكُفْء ، ففرِّق بَيْنِى وبَيْنَه . فقال : ومن هُو ؟ قالت : ابن ذى مناجب . قال : علىّ به . فدخل أقبحُ خَلْق الله وأَشْوَهُهم خَلْقاً . فقال : مَنْ هذه منك ؟ قال : امرأَتِى . قال : خَلِّ سَبِيلَها ، ففعل . فأطرقَ معن ساعة ثم رفع رأسه فقال :

لعمرى لقد أصبحتَ غير محبَّب ... ولا حَسَنٍ فى عينها ذا مَنَاجِبِ

فما لمتُها لَمَّا تبيَّنْتُ وجهَه ... وعيناً له حوصاءَ من تحت حاجب

---

(١) فى ت : ردعة « تحريف » .

(٢) فى ت : سعد .

(٣) فى ت : السبى « تحريف » .

(٤) فى غ : ابنه المطلب .

وأَنْفا كأنف البَـكْر يقطرُ دائِباً على لِحْيَة عَصْلَاء[1] شَابتْ وشارِب
أتيتَ بهـا مثلَ المَهاة تسوقهـا فيا حُسْن مَجْلُوب ويا قُبْحَ جالِب

وأمر لها بمائتي دِينَار .

(وقال يَحْيي : كان ابنُ جَامع أحفظَ خَلْق الله للقرآن وأعلمهم بما يَحْتاج إليه ، وكان يخرج من منزله الفَجْر يوم الُجمعة فيُصَلِّى الصبحَ ثم يَصُفّ قدميه حَتى[2] تطلع الشمس ، ولا يُصَلِّى الناسُ الجمعةَ حتى يختم القرآن ثم يَنْصَرِف إلى منزله).

قال إسحاق بن إبراهيم المَوْصِليّ : أتيت أبى يوما مسلِّماً فقال : يا بُنَى ما أَعْلَمُ أَنَّ أحداً بَلَغ من بِرِّ ولَده ما بلغتَه من بِرّك ، وإنى لأستقلُّ لك ذلك ، فهل مِنْ حَاجَة أَصِيرُ فيها[3] إلَى مَحَبَّتِك ؟ فقلت : قد كان ـ جُعِلْتُ فِدَاك ـ كُلُّ ما ذكرتَ فأطال الله لِى بقاءَك ، ولكِنِّى أسألك وَاحِدة : يموت غداً أو بعد غد هذا الشَّيْخ ولم أسمَعْه فيقول الناس لى مَاذَا وأنا أَحُلُّ منك[4] هذا المَحَل ؟ فقال لى : ومَنْ هُو ؟ قلت : ابن جامع . قال : صدقت يا بُنَى أَسْرِجُوا لَنَا[5] . فجِئْنَا إلى ابن جامع ، فدخلنا عليه فقال : يا أبا القاسم قد جِئْتُك فى حَاجَة ، فإن شئتَ فاشتُمْنِى غير أنه لا بُدَّ لكَ من قضَائِها ، هذا عَبْدُك وابن أَخِيك قَالَ لِى : كذا وكذا ، فركِبْتُ معه أسأَلُك أن تشفِّعه[6] فيما سَأَل ، فقال : نعم بشريطة : تُقِيمان عندى أُطْعِمكما مَشُوشَة وقَلِيّة[7] وأسْقِيكُما من نَبِيذى التَّمْرِى وأغنيكما ، فإن جاءنا رسولُ الخليفة

(١) عصلاء : معوجة

(٢) فى ت : حين .

(٣) فى ت : أصرفها .

(٤) فى ت : قبل .

(٥) أسرجوا لنا : شدوا على الخيل السروج لنركبها .

(٦) فى ت : تسعفه .

(٧) القلية : مرقة تتخذ من أكباد الجزور ولحومها .

مضَيْنا إلَيْه وإلّا أَقمْنَا يوْمَنا ، فقال أَبى : السمع والطاعة ، وأمر بالدواب فرُدَّت وجاءَ بِمَا ذكَره فأَكَلْنا وشَرِبْنا ، ثم اُندفع فغنَّانَا ، فنظَرْت إلى أَبى يَقِلّ فى عَيْنى ويَعْظُم ابن جَامِـع حتى صَارَ أَبى فى عينى كلا شَىْء ؛ فلمَّا طربنا غَايَةَ الطَّرَب جاءَ رَسُولُ الخليفة فركبا وركبْتُ مَعَهما ، فلما كنا فى بعض الطريق قال لى أَبى : كيف رأيتَ ابْنَ جَامِع يا بُنَىّ ؟ قلت له : أَوَ تُعْفِينى جُعِلْتُ فِدَاكَ ! قال : إنِّى لستُ أُعْفيك . قال : فقلتُ له : رأيتُك ولا شيءَ أكبرُ عِنْدِى منْك قد صغُرت عِنْدِى فى الغناء مَعَه ، ثم مَضَيا إلَى الرَّشيد وانصرَفْتُ إلَى منزلى لأنِّى لم أكُن بعدُ وصلتُ إلَى الرَّشيد ، فلما أصبحْتُ أرسلَ أَبى إلَىَّ فقال : يا بُنَى هذا الشِّتَاء قد هَجَمَ عليكَ وأنتَ تَحْتَاجُ إلَى مَئُونة ، وإذا مَال عَظِيم بين يديه ، فاُصرف هَذَا المَالَ فى حَوَائِجك ، فقمتُ فقبّلْت يده ورأسَه وأمرتُ بحمل المال واُتبعْتُه ، فصوت على[1] : يا إسْحَاق اُرجع ، فرجَعْتُ . فقال لى : أتَدْرِى لِمَ وهبتُ لكَ هذا المال ؟ قلت : نعم لِصِدْقِ فِيك وَفِى ابْنِ جَامِع ، قال: صدقتَ يا بُنَىّ ، امْضِ رَاشِداً.

(قَدِم ابنُ جامع قدْمَةً له من مكة إلى الرشيد ، وكان ابنُ جامع حَسنَ السَّمْت كثيرَ الصَّلاة وقد أخذ السجودُ فى جَبْهته ، وكان يَعتَمّ بِعِمامة سوداءَ على قَلَنْسُوَة ، ويلبس لباس الفقهاء ، ويركب حِمَارا فى زى أهل الحجاز) فبَيْنا هو واقف على بَابَ يَحْيى بن خالد يَلْتَمس الإذْنَ عليه ، فأقبل أبُو يوسف القاضى وأصحابه أَهْل القَلانس؛ فلما هجم على الباب نَظَر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه ، فوقعت عينه على ابن جامع فرأى سَمْتَه وحلاوة هيئته ، فجاء فوقف إلى جانبه فقال له : أَمْتع اللهُ بك ، توسمتُ فيك الحِجَازِيّة والقُرَشيّة ؛ قال : أصبت . قال : فمِن أَىّ قريش ؟ قال : من بَنِى سَهْم . قال : أَىّ الحرمين مَنْزِلك ؟ قال : مكة . قال : فمن لَقِيت ؟ قال : سل عمَّن شِئت .

(١) فى غ : بى .

ففاتحه الفِقْهَ والحديثَ فوجد عنده ما أحبّ منه ، فأُعْجِبَ به . ونظر النّاسُ إليهما فقالوا : هذا القاضِي أقبَلَ على المُغَنِّى ، وأبو يوسف لا يعلم أنه ابنُ جَامِع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ! ثم قالوا : لعلّه لا يعود إلى مُوَاقفَته بعد اليوم ، فلما كان الإذْنُ الثّانِى غدا أبو يوسف فنظر يَطْلب ابنَ جَامِع فرآه ، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه كما فعَل فى الإذْن الأوّل . فلمّا انصرف قال له بعضُ أصحابه : أتعرف هذا الذى تواقفه وتحادثه ؟ قال : نعم ، رجل من أهل مكة من الفُقَهاء . فقالوا : هذا ابْنُ جَامِع المغنّى ؛ فقال : « إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون » قالوا : إنَّ النـاسَ قد شَهَرُوك بمواقفَته وأنكروا ذلك من فِعْلك . فلمّا كان الإذْنُ الثالث جاء أَبُو يُوسف ونظر إليه فتَنَكّبه ، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنْذِر به ، فجاء حتى وقف فسلّم عليه ، فرَدّ عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذى تلَقَّاه ثم انحرف عنه . فدنا منه ابنُ جَامِع ، وعرَف الناسُ القِصّه ، وكان ابنُ جامع جَهِيرا فرفع صوته ثم قال : يا أَبَا يوسف ، مالك تنحرف عنى؟ أَىَّ شىء أنكرتَ ؟ قالوا لك : ابنُ جامع المُغَنِّى فكرهت مُوَاقفَتى ! أسألك عن مسألة ثم اُصنع ما شِئْت ؛ وأقبل الناس نَحْوَهما . فقال : يا أبا يوسف لو أنَّ أعرابيا جِلْفًا وقف بين يديك فأنشدك بجَفَاء وغِلْظَة من لسانه فقال :

يا دَارَ مَيَّةَ بالعَلْياء فالسَّنَد أَقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأَبَدِ

أكنت ترى بذلك بأساً ؟ قال : لا ، قد رُوِى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سَمِع الشعر ، قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هكذا ، واندفع يُغَنِّى فيه حتى أتى عليه ، ثم قال : يا أبا يوسف هل رأيتنى زدت فيه أو نقصت منه ؟ قال : عافاكَ الله أَعْفِنا من هذا ، قال : يا أبا يوسف ، أنتَ صاحب فُتْيَا ، ما زِدْتُه على أن حَسَّنْتُه بألفاظى تحْسُن فى السَّماع ووصل إلى القلب ، ثم تنَحَّى عنه ابنُ جَامع .

قال ابنُ جَامع : لولا أَنَّ القِمار وحُبَّ الـكلاب قد شَغَلانى لتركتُ المُغنِّين لا يأكلون الخبز .

أَهْدَى رجل إلى ابن جَامع كلبا فقال : ما اسمه ؟ قال : لا أدرى ، فدعا بدفتر فيه أسماءُ الـكلاب فجعل يدعوه بكل اسم فيه[1] حتى أَجَابه الـكلب .

قال سفيانُ بن عُيَيْنة لبعض أَصْحابه وقد مَرّ به ابنُ جَامِع يسحَب الخزّ : بلَغَنى أن هذا القرشى أصابَ مالا من الُخلفَاء فبأَىِّ شىء أَصَابه ؟ قالوا : بالغناء . قال : فمن منكم يذكر بعض ذلك ؟ فأنشد بعض أصحابه :

وأَصْحَبُ بالليل[2] أهلَ الطَّوَاف ... وأرفَـعُ من مِئْزَرِى المُسْبَل

قال : أحسن ، هيه ! فقال :

وأسجُد بالليل[3] حتى الصباح ... وأتلو من المُحْـكَم المُنْزَل

قال : أحسن ، هيه ! فقال :

عَسَى فارِج الهَمِّ عن يوسف ... يُسخّر لى رَبَّـةَ المَحْمِـل

قال : أَمَّا هذا فدعه لا سَخَّرها الله له .

قالت حَوْلَاء مولاةُ ابن جامع : انتبه مولاىَ من قَائِلَته يوماً فقال : علىّ بِهشام « يَعْـنِى ابنَه » ادعُوه لى عَجِّلُوا به ، فجاء مُسرعا فقال : يا بنى ، خُـذِ العود ، فإن رجلًا من الِجنّ ألقى علىَّ فى قَائِلَتى صوتاً فأخافُ أن أنساه . فأخذ هِشَام العودَ وتغَـنّى ابن جامع عليه رملا :

---

(١) فى ت : باسم اسم منها .
(٢) فى ت : ياليل .
(٣) فى ت : ياليل .

أمستْ رُسـوم الدار غيَّرها هوجُ الرِّياح الزَّعَازع العُصُفِ
وكُلُّ حَنَّانة[1] لهـا زَجَلٌ مثلُ حنين الرَّوائم الشُّغُفِ

قال ابنُ جامع : أخذتُ من هارون بيْتَيْن غَنَّيْتهما إيَّاه :

لا بُدَّ للعاشق من وَقْفَة تـكون بين الوَصْل والصَّرْمْ
يَعْتِب أحياناً وفى عَتْبِـه إظهارُ ما يُخْفِى من السُّقْم
حتى إذا ما مَضَّه هَجْـره راجَع مَنْ يَهْوَى على الرَّغْمِ[2]

لمـا مات المَهْدِى ومُلّك موسى الهادى أعطى الفضلُ بن الربيع [الطرّاز][3] من يده دنانير وقال : الحق بمكة وأْتنى بابْنِ جَامِع واحمِله فى قُبّة ولا تُعْلِمَنّ به أحدا ، ففعل وحضر فأنزله عنده واشترى له جارية ، وكان ابن جامع صاحبَ نساء ، فذكَره موسى الهادى ذَاتَ ليلة ، وكان هو مِمَّن انقطع إلَى الهَادِى أيَّام المَهْدِى وضربه المَهْدِى وطرده . فقال الهَادِى لجُلَسائه : أمَا فيكم أحد أَرْسَل إلى ابْن جَامِع وقد عرفتم موقعه مِنّى ! فقال له الفضل بن الربيع : هو عندى يا أميرَ المؤمنين وقد فعلت الذى أردتَ . فبعث إليه فأَتَى به فى الليـل وَوَصَلَ الفضلَ فى تلك اللّيلة بعشرة آلاف دِينَار وولّاه حِجَابَته .

وكان سبب عزل العثمانىّ أن ابنَ جامع سأل الرشيد فى أن يأذنَ له فى المُهَارشة بين الدُّيُوك والكِلَاب وألا يُحَدّ فى النَّبيـذ ، فأذِن له وكتب بذلك كِتَاباً إلَى العُثْمَانى . فلما وصَل إليه الكتابُ قال له : كذبت ! أمير المؤمنين لا يُحِل ما حَرَّمه اللهُ تعالى ، وهذا الكِتَاب مُزَوّر . والله لَئن لقيتُك على حال من هذه

(١) فى ت : خبابة « تحريف » .
(٢) فى غ : رغم .
(٣) ساقط من ت . والطراز : يريد الفضل .

الأحوال لأؤدِّبَنَّك . قال : فحذِره ابنُ جامع . ووقع بين العُثْمَانى وحَمّاد البَرِيدى [ما يقع بين العمال] فلما حَجَّ هارون قال حَمّاد لابن جَامِع : أعِنّى عليه حتى يَعْزِله ؛ قال : أفعل . قال : فابدأ أنت فقل لأَميرالمؤمنين : إنه ظَالِم فَاجِر واستشهِدْنى . فقال ابنُ جامع : هذا لا يَقبل فى العُثْمَانى شَيْئاً ، ويفهم أميرُ المؤمنين كَذِبنا ، ولكن أَنَا أحتال من جهة ألطف من هذه ، فسأله هارون ابتداء : فقال يا ابْنَ جامع ، كيف العُثْمَانى أَميرُكم ؟ فقال : خيرُ أمير وأعدَلُه وأفضلُه وأقومُه بالحق لولا ضعف عَقْله . قال : وما ذاك ؟ قال : أَفْنى الكلاب ، قال : وما دعاه إلى قتلها[1] ؟ قال : زعم أن كلبا دَنَا من عثمان بن عفان يوم أُلقِى على الكناس فنهشَ وجهه فغَضِب على الكلاب فهو يَقتُلُها . فقال : هذا ضَعِيف العَقْل فاعْزِلوه ، فعُزِل .

كان ابنُ جامع أَحسن ما يكون إذا حَزِن ، وأَحبَّ الرشيد أن يَسْمَعَه على تلك الحالِ فقال لِلْفَضْل بن الربيع : ابعث إلىَّ خَرِيطة فيها نعىُ أُم ابن جامع ، وكان بَرّاً بأمه ففعل ، فوردت الخَرِيطة على أمير المؤمنين وهو فى مجلس لَهْوه ، فقال : يا ابن جامع فى هذه الخَرِيطة نعىُ أمك ؛ فاندفع ابن جامع يُغنّى بتلك الحرقة :

كَمْ بالدُّرُوب وأرْضِ الروم مِنْ قَدَمٍ
ومن جَمَاجم صَرْعى ما بها قُبِرُوا
بقُنْدَهار[2] ومن تُكْتَب[3] منيته
بقُنْدَهار يُرجَّم دونه الخبر

قال : فأملكنا أنفسَنا ورأيتُ الغلمان يَضْرِبون بوجوههم الحِيطَان والأَسَاطِين.

---

(١) فى غ : إفنائها .

(٢) قند هار : مدينة كبيرة بالقرب من كابل ، عاصمة أفغانستان الآن .

(٣) فى غ : تقدر .

بلغ أُمَّ جَعْفر أَنَّ الرشيد جالِس وحده وليس معه أَحَد من الندماء ولا المسامرين؛ فأرسلت إليه : ياأَمِير المؤمنين ، إنى لم أرك منذ ثلاث ، وهذا اليوم الرَّابع . فأرسل إليها : عندى اُبن جَامع : فأرسلت إليه : أنت تعلم أننى لا أتهَـنَّى بشَرَاب ولا بسماع إلَّا أن تَشْرَكَنى فِيهِ ، فما كان عليك أَنْ أشركَك فى هَذَا الذى أنت فيه ! فأرسل إليها : إنى صَائِر إليك فى هذه السَّاعة . ثم قام وأخذ بيد اُبن جامع ، وقال لُحسَين الخادم : امض إليها وأعلمها أَنِّى قد جِئْت . وأقبل الرَّشيد ، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله ، فوجّه إليها : إنّ معى ابنَ جامع ، فعدلت إلى بعض المَقَاصير . وجاء الرّشيد وصيّر اُبنَ جامع فى بعض المواضع التى يُسمع منه ولا يكون حاضراً معه . وجاءت أُمّ جعفر فدخلت على الرشيد فأَكَبَّت عليه ، فأجلسها إلى جانبه واعْتَنَقَهَا واعْتَنَقَتْه . ثم أمر ابن جامع أن يَتَغَنَّى فغَنَّى :

ما رَعَدتْ رعدَةً ولا بَرَقَت ... لـكنها أُنْشئت لنا خَلِقه

المـاء يَجْرِى ولا نِظَامَ(١) له ... لو يَجِد المـاء مَخْرِقاً خَرَقَه

بِتْنَا وباَتت عـلى نمارقها ... حتى بـدا الصبحُ عينُها أرقه

أَن قِيل إنَّ الرحيلَ بعد غدٍ ... والدارُ بعـد الجميع مُفْتَرِقَه

فقالت أُمّ جعفر للرشيد : ما أحسنَ ما اُشتَهَيْته ! ثم قالت لُمسلم خادمها : اُدفع لابن جامع لـكل بيت مِائَةَ ألف درهم . فقال الرشيد : غلبتنا يا ابْنَة أَبِى الفضل وسَبَقْتِنَا إلى بِرّ ضيفِنا . فلما خَرَج ، حمل إليها مكان كل درهم دِينَارا .

قال إسماعيل بنُ جامع : ضَمَّنى الدهر ضَمًّا شديدا بمـكة ، فانتقلتُ منها بعيالى إلى المدينة ، فأصبحت يوما ومَا أملك إلا ثلاثةَ دراهم ، فهى فى كُمّى إذا أنا بجارية على رقبتها جَرَّة تَمْشى(٢) بين يدىّ تَتَرنَّم بصوت شَجِى :

(١) فى غ : على نظام .

(٢) فى غ : تسعى .

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا ... فقالوا لَنَا : ما أقصرَ الليلَ عِندنَا
وذاكَ لأنَّ النومَ يغشى جفونَهم[1] ... سِرَاعاً ولا يغشَى لنا النومُ أعينَا
إذا ما دَنَا الليلُ المُضِرّ بِذِي[2] الهوى ... جَزِعْنا وهم يَسْتَبْشِرون إِذَا دَنَا
فلو أنهم كانوا يلاقُون مِثْلَ مَا ... نُلاقِي لَكَانوا في المضاجع مِثْلَنَا

قال : فأخذ الغِناءُ بقَلْبي ولم يَدُرْ لي منه حرف . فقلت : يا جارية ، ما أدْرِي أوجهُك أحسن أم غناؤك ! فلو شئت أعدتِ ! فقالت : حُبًّا وكَرَامَةً . ثم أسندَتْ ظهرَها إلى جدار قريب مِنْها ورفعتْ إحدى رجليها فوضَعَتْها على الأخرى ، ووضعت الجرَّة على ساقها ثم انبَعَثَت تُغَنِّيه ، فوالله ما دَارَ لي منه حرف ؛ فقلت : لو أحسنت وأَعَدْتِيه مَرَّة أخرى ! فقَطَّبَت[3] وكَلَحَت وقالت : ما أعجب أَمْرَكم ! أحدُكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضَّرِيبة فيشغلها ! فضربتُ يَدِي إلى الدراهم فدفعتُها إليها ، وقلت لها : أقيمي بها وجهَك اليومَ إلى أن نلتقي[4] ، فأخذتها كالكارِهة وقالت : فأنت الآن تريد أن تأخذ مِنّي صوتاً بثلاثة دراهم ، أحسبك ستَأْخُذُ بِهِ أَلْفَ دِينار وألف دينار وألف دينار . وانْبَعَثَت تُغَنِّي فأعملتُ فِكْري في غِنائها حتى دَارَ لِي الصوتُ ففَهِمتُه ، وانصرفت مسرورا إلى منزلي أُرَدِّدُه حتى خَفَّ على لساني . ثم خرجتُ إلى بغداد فدخلتها ، فنزل بي المكاري على باب مُحَوَّل[5] ؛ لا أدرى أين أتوجّه ولا مَنْ أَقْصِد . فمشيت مع الناس حتى أتيت الجِسْر ، فعبَرْت مَعَهم

---

(١) في غ : عيونهم .
(٢) في غ : لذي .
(٣) في غ : ففطنت .
(٤) في ت : نكتفي .
(٥) باب محول : محلة كبيرة من محال بغداد كانت متصلة بالكرخ . وفي ت : باب المحول .

حَتَّى انْتَهَيْتُ إلى شَارِع عال[1] ، فرأيتُ مسجدا بالقرب من دار الفضل بن الربيع مُرْتَفِعا ، فقلت : مسجدُ قوم سَراة ، فدخلتُه ، وحضرتُ صلاةَ المغرب فصَلَّيت وأقمتُ مكانى حتى صَلَّيْتُ العشاء على جوع وتعب ، وانصرف أهلُ المَسْجِدِ وبقى رجل يُصَلِّى خلفه جماعة خدم وخؤولة ينتظرون فراغَه فصلَّى مَلِيًّا ، ثم انصرف فقال : أَحْسَبُك غَرِيباً ؟ فقلت : أَجَلْ . قال : فمَـتَى كُنتَ فى هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آنفا ، وليس لى بها منزل ولا معرفة ، وليست صناعتى من الصنائع التى يُمَتّ بها إلى أهل الخير . قال : وما صناعتك ؟ قلت : الغناء ، فوثب مُبَادِرا فدخل ووكَّل بى بعض مَن معه . فسألت المُوَكَّل بى عنه فقال : هذا سَلَّام الأَبرش[2] . قال : فانْتَهَى بى إلى قصر من قصور الخلافة ؛ وجاءوا بى من مقصورة إلى مقصورة ، ثم أُدْخِلت مقصورة فى آخر الدهاليز ؛ ثم دعا بطعام فأُتيت بمائدة عليها من طعام الملوك ، فأكلت حتى امتلأت . فإنى على ذلك إذْ سمعت رَكْضاً فى الدهليز وقائلا يقول : أين الرجل ؟ فقيل : هو هذا . قال : ادعوا له بغَسول وخِلْعة وطِيب ، ففُعِل بى ذلك . وحُمِلت على دَابّة إلى دار الخلافة فعرفْتُها بالحرس والتَّكْبير والنِّيران. فجاوزتُ مقاصِيرَ عِدّة ، حتى صرت إلى دارٍ قوراء فيها أَسِرَّة فى وسطها ، قد أُضِيف بعضها إلى بعض . فأمرنى الرجل إلى الصعود فصعِدْتُ ، فإذا رجل جالس عن يمينه ثَلاثُ جوار فى حجورهن العِيدَان ، وفى حِجْر الرجل عود . فرحَّب بى وإذا بين الأَسِرَّة شىء قد قام عنه قوم ، فلم أَلبَث أن خَرَج خَادِم من وَرَاء السِّتر فقال للرجل : غَنِّ ؛ فانبعث يُغَنِّى بصوت لى :

لم تَمْشِ مِيلًا ولم تركب على قَتَبٍ ... ولم ترَ الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ

---

(١) فى ت : عالى « خطأ » .

(٢) خدم المنصور ، وتولى المظالم للمهدى وعاصر الهادى والرشيد .

فغَنَّى بغير إصابة وأوتار مُختَلِفَة . ثم عاد الخادمُ إلى الجارية التى تَلى الرجل فقال : تَغَنَّىْ ، فغنَّت أيضاً بصوت لى كانت فيه أحسنَ حالًا من الرجل :

يا دار أَضْحت خَلَاءً[١] لاأَنِيس بها إلا الظباء وإلا النَّاشِط[٢] الفَرِدُ[٣]
أينَ الّذين إذا ما زرتُهم جَذِلوا وطار عن قلبيَ الأشواق[٤] والكَمَدَ

ثم عاد إلى الثانية فأحسبه أغفلها وما تَغَنَّت ، ثم عاد إلى الجارية التى تليها فانبعثت تغنّى بصوت لحكم الوادىّ :

فوالله ما أَدْرِى أيغْلِبُنى الهوَى
إذا جَدّ جَدّ[٥] البَيْن أم أنا غالبُه
فإن أستطِع[٦] أغلِبْ وإن يغلب الهوى
فمثل الذى لاقيتُ يُغْلَب صَاحِبُه

ثم عاد الرجل إلى الجارية الثَّالِثة فغَنّت بصوت لحُنَيْن :

مَرَرْنا على قَيْسِيّة عامرِيّة لها بَشَر صَافِى الأَدِيم هِجانِ
فقالت وألقت جانب السِّتْر دونَها مِن أَيّة أرض أومَن الرّجُلان
فقلت لها أَمَّا تَمِيم فأُسرتى هُديتِ وأما صاحبى فيمان
رَفيقان ضم السَّفْرُ بينى وبَيْنَه[٧] وقد يَلْتَقِى الشَّتَّى فيأتلفان

---

(١) فى ت : خلوا .
(٢) الناشط : الثور الوحشى أو الحمار الوحشى .
(٣) الفرد : المنفرد .
(٤) فى غ : التشواق .
(٥) فى غ : وشك .
(٦) فى ت : أستطيع « خطأ » .
(٧) فى ت : بينهم « تحريف » .

ثم عاد إلى الرجل فغنَّى صوتاً لى فَشَبَّه فيه فى شعر عمر بن أَبى ربيعة :

أَمْسى بأسماء هـــذا القلبُ معمودا ... إذا أقول صَحَا عن غَيِّه[1] عِيدا
كأنَّ أحورَ[2] من غِزلانِ ذِى بَقَر[3] ... أعارهـــا شَبَهَ العينين والجيـدا
ومشرقاً كشُعاع الشمس بهجتـــه ... ومُسْبَطِرًّا على لَبَّاتِهـــا سُـودا

ثم عاد إلَى الجارية فغَنّت صوتا لحكم الوادىّ :

تُعَيِّرنا أَنَّا قَليلٌ عَـــدِيدُنَا ... فقلتُ لها إن الكرامَ قليـــل
وما ضَرَّنَا أَنَّا قليـــل وجارُنا ... عَزِيزٌ وجَارُ الأكثرين ذَلِيل

وغنت الثانية :

ولمـا تَوَاقفْنـا وسلمتُ أَسْفَرَت ... وجوهٌ زهاها الحسن أن تَتَقَنَّعَا
تَبالهن[4] بالعرفان لمَّا عرفنني ... وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ[5] وأوضعا
ولما تنازَعْنَ[6] الأحاديثَ قلنَ لى ... أخِفْتَ علينا أن نغرَّ ونُخدَعَا

فتوقعت مَجىء الخادم إلىّ ، فقلت للرجل : بأَبِى خُذِ العُود وشُدَّ وتر كذا وأُرفع الطبقة ، ففعل ما أمرته . وخرج الخادم وقال تَغَنَّ عافاكَ الله ؛ فتغنّيت بصوت الرجل الأول على غير ما غَنّاه ، فإذا جماعة من الخدم وقالوا : ويحك ! لمن هـــذا الغناء ؟ فقلت : لى ؛ فانصرفوا عنى وخرج إلىّ الخادم وقال لى : كذبتَ ! هذا لأبن جامع .

---

(١) فى غ : يعتاده .

(٢) فى ت : أعور « تحريف » .

(٣) فى ت : ذى نفر ؛ وكلاهما اسم موضع ، فذو بقر : واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة ، فى ديار بنى أسد . وذو نفر : موضع على ثمانية أميال من السليلة بينها وبين الزبذة .

(٤) فى ت : تباالهم (تحريف) .

(٥) أكل : أعيا .

(٦) فى ت : تبارين .

وذَارَ الدورُ ؛ فلما انتهى الغناء إلىَّ قلتُ للجارية التى تَلِى الرَّجُل شُدِّى العود وعَمِلت ما أُريد وغَنَّيْتُ بصوتِها الذى غَنَّته فخرج إلىّ جماعة من الخدم فقالوا : ويحك ! لمن هذا الغِنَاء ؟ قلت : لى ، فرجعوا ورجع الخادم فقال لى : كذبتَ هذا لأبن جَامِع . ودَارَ الدَّوْرُ فلما انْتَهى الغِنَاء إلىّ قلت للجارية الأُخْرَى : سَوِّى لى العودَ على ما كَانَ فَعمِلت ما أريد وخَرَج الخادِم وقال لى تغَنَّ فتغَنّيْتُ بصوت لا يعرَف إلاَّ بِى وسَقَوْنى فتزيّدْت فى الصنع .

عُوجِى علىّ فسَلّمِى جَبْرُ فيمَ الصُّدُود[1] وأنتم سَفْرُ
ما نلتقى إلاّ ثلاثَ مِنًى حَتى يُفرِّقَ بيْنَنَا الدهر[2]

قال : فزُلْزِلت والله الدَّار عليهم ، فخرج الخادم وقال لى : ويْحَك ! لمن هَذَا الغناء ؟ فقلت : لى . فرجع ثم خرج فقال لى : كذبت ! هذا لإسماعيل بن جامع فقلت : أنا إسماعِيلُ بن جامع . فما شعَرت إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أَقْبلا من وراء الستر الذى كان يَخرُج منه الخادم . فقال لى الفَضْل بن الربيع : هذا أميرُ المؤمنين قد أقبل إليْك . فلما صعد السَّرِير وثبتُ قَائِما فقال : ابنُ جَامِع ؟ فقلت : ابنُ جَامع ، جَعَلنى الله فداك يا أمير المؤمنين . قال : ويحك ! متى كنت فى هذه المدينة[3] ؟ قلت : آنفا ، دخلتها فى الوقت الّذى عَلِم بى أَمِيرُ المؤمنين . فقال : اجلس ، ومَضَى هو وجعفر فجلسنا فى تلك المجالس ، وقال لى : أبْشِرْ[4] وابسُط أَمَلَك ؛ فدعوتُ له . ثم قال : غَنّ يا ابن جامع نخطر بقلبى صوتُ الجارية ، فأمرتُ الرجل بإصلاح العُود على ما أردتُ فوزَن العودَ وَزْناً وتَعاهَده حتى استقَامت الأوتار

---

(١) فى ت : الوقوف .

(٢) فى ت : يا ملتقى الأثلث حتى تفرق بيننا النفر « تحريف » .

(٣) فى غ : البلدة .

(٤) فى ت : اشرب .

وأخذت الدَّسَاتِين مَوَاضِعَهَا ، وانبعثتُ أُغَنِّى صوت الجارِية ، فنظَر الرشيد إلى جَعْفر وقال : أسَمِعت كذا قط ؟ فقال : لا والله ما خَرق مسامعى كذا قط . فرفع الرشيدُ رأسَه إلى خادم بقربه فدَعَا بكيس فيه ألفُ دينار فجَـاء به فرمى به إلى ، فوضعته تحت فَخِذى ودعوتُ لأَمِـيرِ المُؤْمنين . فقال : يا أبن جامع ، رُدَّ على أمير المؤمنين هذا الصوت ، فرددتُه وتزيدت فى غنائى . فقال له جعفر : يا سَيّدى ، أما تراه كيف يَزِيد فى الغناء ! هذا خلاف ما سمعناه أولا ، فدعا بكيس آخر فيه ألف دينار فجاءنى به فصَيَّرْتُه تحت فَخِذى الآخر وقال : تَغَنَّ يا إسماعيل ما حَضَرك . فجعلت أَقْصِد الصوت بعد الصوت ممـا كان يَبْلُغُنى أنه يَشْتَرِى[1] عليه الجوارى فأُغَنّيه ، ولم نزل إلى أن عَسْعَسَ الليل . فقال : أتعبْناك يا إسماعيل هذه الليلة بِغِنَائك ، فأَعِد على أمير المؤمنين ذلك الصَّوت يَعْـنِى صوتَ الجارية ، فتغنيتُه ودعا الخادم بكيس ثالث فيه أَلْفُ دينار . قال : فذكرت ما كان من قول الجارية[2] فتبسمت ، ولحظنى فقال : يا أبن الفاعلة مِمّ تَبَسَّمت ؟ فجثوتُ على ركبتىّ وقلت : يا أمير المؤمنين ، الصِّدقُ مَنْجَاة فقال لى بانتهار[3] : قل . فقصصتُ عليه خبرَ الجارية . فقال : صدقت ، قد يكون مثل هذا . وقام . ونزلتُ مِن السرير ولا أَدْرِى لمن أَقْصِد فابتدرنى فرَّاشان فصَارَا بى إلى دَار قد أَمَر لى أميرُ المؤمنين بها ؛ ففُرِشَت وأُعِدَّ فيها جَمِيعُ ما يكون فى مثلها من آلة تصلح لجُلَسَاء الملوك ونُدَمَائهم من الخدم، ومن كل آلة وخَوَل وجَوَارٍ وَوُصَفَاء فدخلتها فقيرا وأصبحت من جِلَّة[4] أهلها ومَيَاسِيرِهم .

(١) فى ت : يشرب « تحريف » .

(٢) فى ت : الخادم « تحريف » .

(٣) فى ت : بأسمار « تحريف ».

(٤) فى ت : جملة .

إسماعيل الهِرْبِذ

(مولًى مَكّى لآل الزُّبَيْر بن العوّام) وقيل : بل مولى لبَنِى كِنَانة (أدرك[1] آخرَ أيام بنى أميّة وغنَّى الوليد بن يزيد ، وعُمّر إلى آخر أيام الرشيد، وكان قد قدم عليه من مَكّة فدخل إليه وهو يومئذ خاثر[2] به خُمَار شديد فغنَّاه ابنُ جامع ثم فُلَيح ثم إبراهيم وابنه إسحاق فما حرّكه أحد منهم ولا أطْرَبه ؛ فاندفع إسماعيل فغنَّى فعَجِبوا من إقدامه على الرَّشيد ومن جُرْأته وهو على تلك الحال :

يا راكبَ العيس التى وخَدَت إلى[3] البلد الحرام
قل للإمام ابن الإما م أخى الإمام أبى الإمام[4]
زينِ البرية إذ بدا فيهم كمصباح الظلام
جعل الإله الهِرْبِذى فِدَاكَ من كل[5] الأنام

فاستخفّ الرشيدَ الطربُ وكاد أن يرقص حتى ضَرَب بيديه ورجليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين إنّ لهذا الصوت خبرا عجيبا فإن أَذِن مولاى حَدَّثتُه به ؛ قال : حدِّث .

قال : كنت مملوكا لرجل من ولد الزُّبَيْر ، فدفع إلىّ مولاى دِرْهَمَيْن أبتاع له بهما لحما ، فخرجت فوجدت جارية على رأسها جرّة فيها ماء من العَقِيق[6] وهى تُغَنِّى

(١) فى ت : إذ ولى « تحريف »
(٢) خاثر : غاثية نفسه مختلطة .
(٣) فى غ : وفدت من .
(٤) فى ت: قل للإمام ابن الإما م أبىالإمام أخى الإمام
(٥) فى غ : بين .
(٦) العقيق : واد بناحية المدينة فيه عيون ونخيل .

هذا اللحنَ فى شعر غير هذا الشِّعر فى وَزْنه ورويّه ؛ فسألتُها أن تُعَلِّمَنيه ؛ فقالت : لا وحق القبر[١] إلا بدرهمين، فدفعتُ إليها الدرهمين وعلّمَتْنيه ؛ ورجعت إلى مولاى بغير لحم فضربنى ضرباً مُبَرِّحاً شُغِلْت منه بنفسى فأُنْسِيت الصوت . ثم دَفَع إلىّ درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بهما لحما فَلَقِيَتْنى الجارية فسألتُها أن تُعِيدَ الصوتَ ؛ فقالت : لا والله إلّا بدرهمين ؛ فدفعتُهُما إليها فعادته[٢] مِرَارًا حتى أخذتُه . فلمّا رجعتُ إلى مولاى بلا لَحْم أيضاً قال : ما القصَّة فى الدِّرْهَمين ؟ فصدقتهُ القَضِيَّة وأعدتُ عليه الصوتَ فقبَّلَنى وأَعْتَقَنى ، فرحلتُ بالصوت إليك ، وقد جعلتُ اللحنَ فى هذا ، فقال : دَعِ الأوّل وأَقِم على هذا ؛ وأما مَوْلاكَ فإنى سأَدْفع إليه بكل دِرْهم ألفَ دِينَار وأمر بها فحُمِلَت إلَيْه .

(١) تريد قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى غ : فأعادته .

أبو زَكَّار الأعْمى

(هذا رجل من أهل بغداد من قدماء المُغَنِّين ، وكان مُنْقَطِعا إلى بني بَرْمك ، وكانوا يُؤْثِرُونه ويقدِّمونه ويُفضِلون عليه إفضالا واسعا .

قال[1] مَسْرور : لما أرادَ الرشيدُ هارونُ قتلَ جعفر بن يحيي لم يُعْلِم بذلك أَحداً حتى دخل عليه جعفر فى اليوم الذى قَتَله فى ليلته فقال له : اذهب اليوم فتَشَاغل بمَن تأْنَس به وأُصطبح فإنى مُصطَبِح مع الُحرَم والجوارى فَمضَى جَعْفر . ولم يزل برّ الرّشيد وألطافه تتَابع إلى جعفر طول ذلك النهار لئلا يَسْتَوْحش . فلمَّا كان فى الليل دعَانى فجئْت فقال : اذهب فجئنى الساعةَ برأس جعفر بن يحيي وضَمَّ إلَيَّ جماعةً من الغلمان ، فمضيتُ حتى هَجَمْت عليه فوجدتُه جالسا وإذا أبو زَكَّار الأَعْمى يغنِّيه فى شعر كُثَيِّر :

فلا تَبْعَد فكُلّ فتًى سيأْتى ... عليه الموتُ يطرُقُ أو يُغَادى
وكل ذَخِيرَة لا بُدَّ يوما ... وإن بَقِيت تَصِير إلى نفَاد
[يعِزّ على أن نَغْدُو جميعا ... وتُصْبِح ثَاوِيا رَهْناً بِوَادِى][2]
فلو فُودِيت من حَبْس المنايا[3] ... فديتك بالطَّرِيف وبالتّلاد

فقلتُ له : والله فى هذا المعنى جِئْتُك فأجب . فارتاع ووثب قائما وقال : ما الخبر يا أبا هاشم جعلنى الله فداكـ ! قلتُ : قد أُمِرت بأخذ رأسِك . فأكَبَّ على رجلَيَّ

---

(١) جاء الخبرمستوفى فى ترجمة كثيروخندق الأسدى فى الجزء الثانى عشرمن الأغانى ص ١٩١ طبع دار الكتب .

(٢) لم يرد البيت فى غ .

(٣) فى غ : ولو يفدى من الحدثان شىء .

يقبّلهما وقال : الله الله يا أبا هاشم رَاجِع أمير المؤمنين فىّ ، فقلت : ما إلى ذلك سَبيل قال : فأَعْهَد ، قلت : ذَلِك إليك . فذهب ليدخل إلى النساء فمنعتهُ من ذلك ولم أمكِّنه وقلت له : اُعهد فى مكانك ، فدعا بدَوَاة وقرطاس وكتب فيه أحرفا على دَهَش ثم قال : يا أبا هاشم بَقِيت لى واحدة . قلت : هاتِها ، فقال : يا أَبَا هاشم خُذْنى معك إلى أمير المؤمنين حتى أخاطبَه بما فى نفسى ويخاطِبَنى بما فى نفسه وتمضى علىّ بأمره . فقلتُ له : هيهات ما إلى شىء من ذلك سَبِيل . قال : ويحك ! لا تقتلنى بأمره على النَّبيذ وهو سكران . فقلت : هيهاتَ ما شَرِب اليوم شيئاً . قال: فخذنى واحبِسْنى عندكَ فى الدّار وعاوِدْه فى أَمْرى . قلت : أفْعَل فأخذتُه . فقال أبو زكّار الأعمى : نشدتُك بالله إن قتلتَه إلا ألحقتَنِى به . فقلت له : يا هـذا لقد اُخترتَ غير مُخْتَار قال : وكيف أَعِيشُ بعده وحياتى كانت معه ، وأغنانى عمّن سِوَاه ، فما أُحب الحياةَ بعده ، فقلت : أستأمر أمير المؤمنين فى ذلك . فمَضَيتُ بجعفر ودخلت على الرّشيد فلما رآنى قال : أَيْنَ رأسُه ويلك ؟ فأخبرتُه الخبَر . فقال : يا ابن الفاعلة ، أقسم بالله لئن لم تَجِئْنى برأسه الساعة لآخذَنّ رأسَك ! فمضيت إليه فأقمْته فضربت عنقَه وجئت برأسه فوضعته بين يدَيْه وأخبرته بالخبَر وما سمعت من أَبى زَكّار مُغَنِّيه وذكرت له ما قال أبو زَكّار الأعمى وما سأل من قتْله معه . فلمّا كان بعد مُدّة أمرنى بإحضار أَبى زَكّار الأعمى فوصله وبرّه وقال لى : هذا فيه مُصْطَنع فاضمُمْه إليك وأنظر ما كان جعفر يُجريه عليه فأَقِمه له ، وأمر له بِجراية داره .

إسماعيل السّيد الحِمْيَرِى

(السّيّد لَقَب غلب عليه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن رَبيعة الحِمْيرى المعروف بابن مُفرِّغ .)

(كان يهجو بَنِى زِيَاد وَينْفيهم عن آل حرب ؛ وحبسه عُبَيْد الله بن زياد من أجل ذلك وعَذَّبه ، ثم أطلقه معاوية)

ومُفَرِّغ هو ربيعة لُقِّب بذلك ؛ لأنه رَاهَن أن يُفرِّغ عُسًّا من لبن فشَرِبه حتى فرّغه ، فلُقِّب مفرِّغا ، ومن قال : يَزِيد بن رَبِيعة[1] بن مفرغ فقد أخطأ ، وكُنْيةُ السيد أَبو هَاشِم ، وأُمُّه امرأة من الأزد .

(وكان شَاعِراً مُكثِراً مطبوعا . يقال : إن أكثر الناس شعرا فى الجاهلية والإسْلام ثلاثة : بَشَّار ، وأَبُو العَتَاهِيَة والسَّيِّد ؛ فإنّه لا يُعلَم أَنَّ أَحَداً قدرَ على جمع شعر أحد منهم حتى يستوعبه كله. وإنما أمَاتَ ذكرَه وهَجرَ الناسُ شعرَه إفراطُه فى سَبِّ بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض أَزواجه وإِفحاشُه فى شتمهم وقذفُهم والطعنُ عليهم فتحَامَى الرواةُ شعرَه وهجروه لِهذَا خوفا وتَحوُّباً[2]. وليس له شىء من الشعر على كثرة تصرفه فيه وقوله له إلّا[3] وهو مَوْصُول[4] بمدح بَنى هاشم وذَمِّ غيرهم ممن هو عنده ضِدّ لَهُم . وكان أبواه إبَاضيّين وكان[5] منزلها

(١) كذا فى ت : وتجريد الأغانى ، وفى غ : ومن قال : يزيد بن معاوية فقد أخطأ .
(٢) كذا فى تجريد الأغانى ، وفى ت : تحرياً . وفى غ : وتراقبا !
(٣) بياض بالأصل، والتكملة من تجريد الأغانى .
(٤) كذا فى التجريد ، وفى ت : موصوف « تحريف » .
(٥) بياض بالأصل ، والتكملة من غ . والأباضية : فرقة من الخوارج .

فى البَصْرة فى غرفة فى بنى ضَبَّة وكان السَّيِّد يقول : طَالَما سُبَّ أمير المؤمنين[١] فى هذه الغرفة. وكان إذاسئل عن التَّشَيّع من أين له ؟ قال : غاصت الرَّحْمَةُ على غَوْصاً . ولما علم أبواه بمذهبه همّا بقتله[٢] ، فأتى عقبة بن سلم الهنائى[٣] فأخبره بذلك فقال : ألْزَمْنِى[٤] ولا تَقْرَبْهُما ووهب له منزلا فكان فيه حتى ماتا فوَرِثَهُما .

وكان السيد يذهب مَذْهَب الكَيْسَانِيّة ويقول بإقَامَة[٥] محمد بن الحَنَفِيّة بعد الحَسَن والحُسَيْن رِضْوَانُ الله عليهما ، ورُوِى أنّه رجع عن مَذْهَبِه هو وأَتَى جعفر بن محمد وقال بإمامته .

وكان السيّد أسمر ، تامَّ القامة ، أشنب أوفر حسن الوجه حسن الألفاظ جميل الخطاب إذا تَحَدَّث فى مجلس قوم أعطى كل رجل فى المجلس[٦] نَصِيبَه من حديثه وكان مع جماله أنتنَ الناسِ إِبِطَيْن ، لا يقدر أحد على الجلوس معه لنَتْن رائحتهما[٧]

قال الحسين[٨] بن ثابت : قدِم علينا رجل أَرْوَى الناس لشِعْر جَرِير ، فكان يُنشدنى الشيءَ من شعره ، فأنشده فى معناه للسيّد حتى أكثرتُ . فقال لى : ويْحَك ! لمن هذا ؟ هذا والله أشعرُ من صَاحِبنا .

وقال الأصمَعِىّ لمّا قرأ شيئا من شعر السّيد : قاتَله الله ! ما أطْبعه وأسلكه لسبيل الشعر[٩] ! والله لولا مافى شعره من سَبّ السّلف ماقدّمتُ عليه أحداً من طَبَقته.

---

(١) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٢) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٣) فى ت : قتيبة بن مسلم الباهلى والتصحيح من غ والتجريد .

(٤) فى ت : أكرمتنى « تحريف » والتصحيح من تجريد الأغانى .

(٥) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٦) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٧) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٨) فى ت : الحسن .

(٩) فى غ : الشعراء .

وقال الطُّوسىّ : إذا رأيت فى شعر السَّيِّد « دَعْ ذَا » فدعه ، فإنه لا يأتى بعده إلا سَبٌّ السلف أو بَلِيَّةٌ من بَلَايَاه .

جاء رجل إلى السيد فقال : بلغنى أنك تقول بالرَّجْعة ؛ قال : صدق الذى يقول ذلك ، هذا دينى . قال أفتُعطِينى دينارا بمائة دينار إلى الرَّجْعة ؟ قال السيد : نعم وألزم ذلك إن وَثَّقْتَ لى ؛ مَنْ يَضْمَن لى أَنَّك ترجع إنسانا ؟ قال : فأَىَّ شىء أرجع ؟ قال : أَخْشَى أن تَرجِع كلباً أو خِنْزِيرا فيذهبَ مالى ! فأَفْحَمه .

لما استقام الأمر لبنى العباس قام السيد إلى أبى العباس السَّفَّاح حين نزل من المنبر فأنشده :

دُونَكُموها يا بنى هاشم ... فَجَدِّدوا من عهدها الدَّارِسا
دَونَكُموها لا عَلَا كعبُ مَنْ ... كان عليكم مُلكَها نَافسا
دونكموها فالْبَسُو تاجَها ... لا تَعْدَمُوا منكم لـه لَابِسا
قد سَاسَها قبلكم ساسَةٌ ... لم يتركوا رَطْباً ولا يابسا
لو خُيِّرَ المنبرُ فُرسانَه ... ما اختار إلا منكُم فارسا
فلستُ من أن تَمْلِكوها إلى ... مَهبِط عيسى فيكُم آيسا

فسُرَّ أبو العباس بذلك ، وقال : أحسنت يا إسماعيل ! سل حاجتك فقال : تُوَلِّى سليمانَ بن حبيب الأهوازَ ، ففعل .

ثم دخل السيد على سليمانَ بن حَبِيب بالأَهواز فقال : مَرْحباً وَافِدٍ وشَفِيع وشَاعِرٍ ، حاجتك ؟ قال : جواد وسائسه وجارية ومن يخدمها ومطية محملة وألف دينار. فأمر له بذلك أجمع .

قال إسماعيلُ التَّيمىّ : كنت عند أبى عبد الله جعفر بن محمد وقد استأذَنَ عليه آذِنُه للسيّد فأَذِن له ، وأقعد حُرَمَه خلف سِتْر فدخل وسلّم وجلس : فاستَنْشَدَه فأنشده :

امْرُرْ على جَدَث الُحسَـ ـيْن فقل لأَعظُمِه الزَّكِيَّهْ
يـا أعظما[1] لا زلت فى وطفاءَ سا كبةٍ رَوِيَّهْ
وإذا مـررتَ بقـبره فأَطِل به حبس[2] المطِيّهْ
وأبك المُطهرَّ للمُطهَّـ ـر والمُطهَّرَة النَّقيَّـهْ
كبُـكاء مُعْـولِة أَتَتْ يوما لواحدها المَنيّهْ

قال : فرأيت دموع جعفر تتحدَّر على خَدّيه ولحيته ، وارتفع البـكاء والصُّراخ من داره حتى أَمره بالإمْساكِ فأمسك . قال : فحدثتُ أبى بذلك فقال : ويلى على الـكَيْسَانِى الفاَعِل يقول :

وإذا مررت بقـبْره فأَطِل به حَبْسَ المطية

قلت : يا أَبَت ، فماذا يصنع ؟ قال : أَفلا ينْحَر ! أَولا يَقْتُل نفْسَه ! ثـكِلَتْه أُمُّه .

(تَلاَحى رجلان من بنى دارم فى المُفاضَلَة بعد رسول الله صلى الله عليـه وسلم ؛ فرَضيا بحكم أول مَنْ يطلع . فطلع السّيِّد ، فقاما إليه وهما لا يعرفانه ، فقال له مُفضِّل على بن أبى طالب رضى الله عنه : إنِّى وهذا اختلفنا فى خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أنا : على بن أبى طالب . فقطع السّيِّدُ كلامَه وقال : أَىَّ شىء يقول هذا ابنُ الزّانِيَة ! فضحك مَنْ حضر وَوجِم الرجل ولم يُحِرْ جوَابًا)

قال فُضَيْل: أنشدتُ جعفر بن محمد رضى الله عنهما قصيدة السيد :

لأُمِّ عمرو باللِّوَى مَرْبَعُ دارسةٌ أعلامُه بَلْقَع

فسمعتُ النحيبَ فى داره . فسألنى لمَنْ هى ؟ فأخبرتُه أنها للسَّيِّد ، فسألنى عنه

---

(١) فى غ : آ أعظما لا زلت من .
(٢) فى غ : وقف .

فعرَّفْتُه وفاته؛ فقال: رحمه الله. قلت: إنى رأيتُه يشرب نبيذ الرُّسْتَاق[1] قال: أتَعْنِى الخمرَ؟ قلت: نعم. قال: وما خطرُ ذنبٍ عندالله أن يغفره لمُحِب علىٍّ بن أبى طالب «إنّ مُحِب علىٍّ لا تزَال له قدم إلاّ ثبتَتْ أُخْرَى».

قال زيد[2] بن موسى بن جعفر: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وقُدَّامَه رجل جالس عليه ثياب بيض؛ فنظرتُ إليه فلم أعرِفْه إذ التفتَ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

لأُمّ عَمْرو باللوى مَرْبَعُ

فأنشدَه إياها كُلَّها ما غادر منها بيتا واحدا وحَفِظْتُها عنه كُلّها فى النَّوم.

(جلس المَهْدِىّ يوما يعطى قريشاً صِلَاتٍ أمر بها لهم وهو ولى عهد، فبدأ ببنى هاشم ثم بسائر قريش. فجاء السَّيِّد فدفع إلى الربيع رقعة مختومة وقال له: إن فيها نَصِيحَة إلى الأمير فأوصِلْها إليه فأوصلها. فإذا فيها:

قل لابن عبّاس سَمِىّ محمـد ... لا تُعْطِيَنَّ بنى عَدِىٍّ درهما
واحرِم بَنِى تَيْم بن مُرَّةَ إنّهم ... شَرُّ البَرِيَّة آخرا ومُقَدَّمَا
إن تُعْطِهم لا يشكرُوا لك نِعْمَةً ... ويُكافِئُوكَ[3] بأن تُذَمَّ وتُشْتَمَا
وإن ائتمنتهم أو استعملتهم ... خانوكَ واتّخذُوا خَرَاجَكَ مَغْنَمَا
ولئن منعتَهم لقد بدءوكُم ... بالمَنْع إذ ملكوا وكانوا أظْلَمَا
منعوا تُرَاثَ محمد أعمامَهُ[4] ... وابْنيه وابنتَه عَدِيلَةَ مَرْيَمَا[5]

---

(١) الرستاق: السواد والقرى.
(٢) بياض بالأصل والتكملة من غ.
(٣) فى ت: ومن سول؟ «تحريف».
(٤) فى ت: بجماعة «تحريف».
(٥) فى ت: مرحما «تحريف».

وتأمروا من غير أن يُسْتَخْلَفوا　　وكفى بما فعلوا هنالك مأْثَمَا
لم يشكروا لمحمد إنْعامَه　　أفيَشْكُرُون لغيره إن أنْعَمَا
والله مَنَّ عليهم بمحمد　　وهداهم وكسا الْجنوب وأَطْعَمَا(١)
ثم انبَرَوْا لوصيِّه ووليِّه　　بالمُنكَرَات فجَرَّعُوه العَلْقَمَا

وهى قصيدة طويلة حذف باقيها لقبح ما فيه. قال: فرمى بها إلى أَبى عبيد الله ثم قال: اقطع العطاء فقطعَه؛ وانصرف الناس؛ (ودخل السيد إليه، فلمّا رآه ضحك وقال: قد قبلنا نَصِيحَتَك يا إسماعيل، ولم يعطهم شيئا.)

قدم السيد الحِمْيَرى إلى القاضى سَوَّار ليشهد عنده، وقد كان دافع المشهودَ له بذلك وقال: اعفنى من الشهادة عند سَوَّار وبذل له مالا فلم يعفه. فلما تقدم إلى سَوَّار وشهد: قال ألست المعروف بالسَّيِّد! قال بلى؛ قال: أستغفر الله من ذَنْب تَجَرَّأْت به على الشهادة عندى، قم لا أُمَّ لك فقام مغضبا وكتب إلى سَوَّار رقعة فيها.

إن سوّار بنَ عبد الله　　ه من شرّ القضاة
جَدُّه سارِقُ عَنْز　　فَجْرَةً من فجَرَات
لرسول الله والقا　　ذِفِه بالمنكرات
وابنُ من كان ينادى　　مِن وراء الحُجُرات
يا هَنَاةُ اخرُج إلينا　　إننا أهلُ هَنَات

فلما قرأها سَوَّار وثب من مَجْلِسه وقصد المنصور وهو يومئذ نازل بالجسر فسبقه السَّيِّد إليه وأنشده:

[قل للإمام الذى يُنْجَى بطاعته　　يوم القيامة من بُحْبُوحَة النار
لا تستعِينَنْ جزاك الله صالحةً　　يا خير مَن دبّ فى حكم بسَوَّار

---

(١) فى ت: وبسا الجلود وأعظما «تحريف».

لا تستعن بخبيث الرأى ذى صَلَف | جَمٍّ العيوب عظيم الـكِبْر جَبَّار
تُضْحِى الخصوم لديه من تَجَبُّرِه | لا يرفعون إليـــه لَحْظَ أبصار
تِيهاً وكِبْرًا ولولا ما رفَعت له | من ضَبْعه كان عين الجائع العارى

ودخل سَوَّار ؛ فلمّا رآه المنصور تبَسَّم وقال : أما بلغك خبر إياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد فى الشهود ! فما أحوجك للتعريض للسَّيِّد ولسانه ! ثم أمر السَّيِّد بمصالحته .

[حدّث الحارث بن عبـد المطلب قال : كنت فى مجلس أبى جعفر المنصور][1] وكان بالجسر الأكبر الذى عقده على دجلة وسَوَّار بين يديه والسَّيِّد ينشده :

إنَّ الإلٰهَ الذى لا شىءَ يُشْبِهُه | أعطاكم الملكَ للدُّنْيَا وللدِّين
أعطاكمُ اللهُ ملـكاً لا زوالَ له | حتى يُقاد إليـكم صاحبُ الصِّين
وصاحِبُ الهِنْد مأخوذًا[2] برُمته | وصاحب الترك محبوسا[3] على هُون

والمنصور يضحك مسرورا بما يُنْشِده ؛ فحانت منه التفاتة فرأى وجه سَوَّار يَتَربَّدُ غضَباً ويَسْوَدّ حنَقاً وغَيْظاً ويدلُك إحدى يديه بالأُخرى ؛ فقال له المنصور : ما لك أَرَابك شىء ؟ قال : نعم ، هذا رجلٌ يعطيك من لسانه ما ليس فى قلبه ، والله يا أمير المؤمنين ما صَدَقك ما فى نفسه ، إن الذين يُوَالِيهم غَيْرُكَ . فقال له المنصور : مهلا ! هذا شاعِرُنا[4] وَوَلِيُّنا ، وما عُرِف منه إلّا الصدقُ فى المَحبَّة والإخلاصُ والطَّاعَة ، فقال له السَّيِّد : والله يا أمير المؤمنين ما حُلتُ عنـكم لأحد

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ت ، والتكملة من الأغانى .
(٢) فى ت : مأخوذ .
(٣) فى ت : محبوس .
(٤) فى ت : ساعدنا .

وَمَا وجدتُ أبوَىَّ عليه فاقتديت[1] بهما ومازلتُ مشهورا بمُوَالاتِكم فى أيام عدوكم. فقال له : صدقت . قال: ولكن هذا وأهلوه أعداء الله وأعداء رسوله قديما ، والذين نَادَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الْحُجُرات فنزل فيهم القرآن أن « أكثرهم لا يَعْقِلون » وجرى بينهما خطاب طويل .

فقال السيد من قصيدة :

قم بنا يا صَاحِ وارْبَع ... بالمَغَانى المُوحِشات
يا أمِينَ الله يا مَنْـ ... صُور يا خير الوُلَاة
إنَّ سَوَّار بن عبد الله ... له من شَرِّ القُضَاة

وذكر القصيدة المتقدمة إلى أن قال :

فاكْفِنيه لا كفاه اللهُ شَرَّ الطَّارِقَات

فشكاه سَوَّار إلى أبى جعفر المنصور ، فأمره أن يصير إليه معتذرا فصار إليه فلم يَعْذِرْه فقال :

أتيت دَعِىَّ بَنِى العَنْبر ... أَروم اعتِذَارا فلم يَعْذِرِ[2]
فقلتُ لنفسى وعاتَبْتُها ... على اللُّؤْم فى فعلها أَقْصِرِى
أيَعْتَذر الْحرُّ فيما[3] أَتى ... إلى رجل من بَنِى العنبر
أَبُوك ابنُ سارق عَنْز النبى ... وأُمُّك بنت[4] أبى جحدر
ونحن على رغمك الرَّافِضُو ... ن لأهل الضَّلَالة والمُنْكَر

---

(١) فى غ : فافتتنت .
(٢) فى غ : أعذر .
(٣) فى غ : بما .
(٤) فى ت : تحت « تحريف » .

وبلغ السَّيِّد أَنَّ سَوَّارا قد أعد جماعةً يشهدون عليه بسرقة ليَقْطَعه ؛ فشكاه إلى أبي جعفر ؛ فدعا بسَوَّار وقال له : قد عزلتُك عن الُحكم على السَّيِّد والنَّظَر فى شيء من أمرِه فَمَا تعرَّض له بسوء حتى مات .

ولما مات سَوَّار أُخْرِج عشاء وحُفِر له فَوَقَع الحفر فى موضع كَنيف .

ومات عقب يوم عَبَّاد[1] بن حَبيب بن المهلّب .

وكان بين الأَزْد وبين تميم عداوة فهجا السَّيِّد سَوَّارا فى قصيدة رثى بها عَبَّادا ودفعها إلى نوائح الأَزْد لما بَيْنَهُم وبين تميم :

يا من غدا حاملا جُثمان[2] سَوَّار ... من داره ظَاعِناً منها إِلَى[3] النَّار
لا قدَّس الله روحا كان هَيْكلَها[4] ... فقد مضى[5] بعظيم الخِزْى والعَارِ
حتى هوت قَعْرَ بَرْهُوتٍ[6] مُعَذَّبةً ... وجسمُه فى كَنيف بين أَقْذَار

ولم يقدر على هَجْوِه فى حياته لِنَهْى المنصور له عن ذلك .

قال المدائنى : كان السيد يأتى الأَعْمش[7] فيكتب عنه فضائلَ على رضى الله عنه ويخرج من عنده فيقول فى تلك المعانى شِعْرا . فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد خَلَع عليه وحَمَله على فرس فوقف بالكُنَاسة وقال : يا معشر الكوفيين، من جاءَنى منكم بفضيلة لعَلِيّ بن أبى طالب لم أَقُل فيها شعرا فله فَرَسى هذا. فجعَلُوا

(١) فى غ : فمات عقب موته عباد .

(٢) فى ت : جسمان .

(٣) فى ت : لك .

(٤) فى ت : منكلها .

(٥) فى غ : مضت .

(٦) برهوت : بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول إلى قعرها ، وكانوا يدعون أنها مأوى أرواح الكفار والمنافقين .

(٧) الأعمش هو سليمان بن مهران مولى بنى كاهل الكوفى الإمام ، كان ثقة عالما فاضلا .

يحدِّثونه ويُنْشِدهم فيها ؛ حتى أَتَاه رجل فقال له : إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه عَزَم على الركوب فلَبِس ثيابه وأراد لُبسَ الخفِّ فلبِس أحدَ خُفَّيه ، ثم أَهْوَى إلى الآخَر ليأخذه فانقضَّ عُقابٌ من السماء فحلَّق به ثم ألقاه فسقط منه أَسْوَدُ[1] فانساب فدخل جُحْرًا فلبس عَلِيٌّ الخفَّ . قال : ولم يكن السيِّد قال فى ذلك شعرا ففكر هنيهة ثم قال : قد قلت .

ألا يا قوم للعَجَبِ العُجَاب ... لخفِّ أبى الحسين وللحُبَاب[2]
أَتى خُفًّا له فانساب فيه ... لينْهَش رجله منه بناب
فخرَّ من السماء له عُقابٌ ... من العِقْبَان أو شِبْهُ العُقَاب
فطار به فحلّق ثم أَهْوى ... به للأرض من دون السّحاب
إلى جُحْرٍ له فانساب فيه ... بَعيدِ القعر لم يُرْفَع بِباب
كَرِيهُ الوجه أسودُ ذُو بَصِيص ... حديدُ النابِ أزرقُ ذو لُعاب
ودُوفع عن أبى حسن عَلِيٍّ ... نَقِيعُ سِمامه بعد انسياب

وحرّك فرسه ثم مَضَى وجعل تَشْبيبَها[3] بعد ذلك :

صبوتُ إلى سُلَيْمَى والرَّبَابِ ... وما لأخى[4] المَشيبِ وللتَّصابِى[5]

وقد روى أَبُو الفرج مؤلف هذه المَنْقَبة لعلِيّ رضى الله عنه بسنده عن مشايخه أَنّ عليا رضى الله عنه قام لُطُهر الصلاة فنزع خفه ، فانْسَابَتْ فيه أَفْعَى ثم عاد ليَلْبَسه فانقضَّت عُقاب فأخذته فحامَت به ثم ألقته فخرجت الأفعى منه .

---

(١) الأسود : العظيم من الحيات .

(٢) الحباب : الحية .

(٣) فى ت : ينشدها « تحريف » .

(٤) فى ت : لاح « تحريف » .

(٥) فى ت : والشباب « تحريف » .

وقد رُوِى مثل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا أراد حاجة تباعد حتى لا يراه أحد فذهب مرّة لحاجته فنزع خفه فإذا عُقاب قد تَدَلَّى فرفعه فسقط منه أسودُ سالخ . فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهمّ إنى أعوذ بك من شَرّ ما يمشى على بطنه ومن شَرّ ما يمشى على رجلين ومن شَرّ ما يمشى على أربع ومن شَرّ الإنْسِ والجِن » .

خرج السَّيِّد من منزل نَصْر بن مسعود كاتب عُقْبَة بن سَلم فلما كان بزَهْرَان لقيته بنتُ الفُجَاءة بن عمرو بن قَطَرِىّ بن الفُجَاءَة ، وكانت امرأة بَرْزَةً حسناء فصيحة ، فرافقها السَّيِّد وتخاطب معها وأنشدها من شعره بتَجْمِيش . فأعجبَ كلٌّ واحد منهما صاحبه . ثم خطبها ، فقالت : كيف هذا ونحن على ظَهْرِ الطريق ؟ فقال : يكون كنِكاح أُمِّ خارجة ، قيل لها : خِطْب ، فقالت : نِكْح . فضحكت وقالت نَنْظُر فى هذا وعلى ذلك فمَنْ أنت ؟ فقال :

إنْ تَسألِينى بقومى تَسْأَلِى رَجُلا ... فى ذِرْوة العزّ من أحياء ذى يمن
حولى بها ذو كَلَاع فى منازلها ... وذو رُعَيْن وهَمْدَانٌ وذُو يَزَن
والأَزْدُ أزد عُمَان الأكرمون إذا ... عُدَّت مآثِرُهم فى سالف الزمن
بانَت كَرِيمتهم عَنِّى فدارُهُم ... دارى وفى الرَّحْب من أوطانهم وطنى
لى منزلان بلَحْجٍ منزلٌ وسطٌ ... منها ولى منزل للعزّ فى يَمَن[1]
ثم الوَلاء الَّذى أرجو النجاة به ... من كَبَّة[2] النار للهادى أبى حَسَن

فقالت : قد عرفتك ولا شىء أعجبُ من هذا : يَمَانِىٌّ وتَميمِيَّة ، ورَافِضِىّ وإِبَاضِيَّة ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحسن رأيك وبسُخُوّ نَفْسك ، لا يَذْكُرَنْ

---

(١) فى غ : عدن .

(٢) فى ت : كفة .

أحدٌ سَلَفاً ولا مَذْهباً . قالت : أفليس التَّزويجُ إذا تَجلَّى انكشف معه المستور وظهرت خَفِيّاتُ الأمور ! قال : فأنا أَعرِضُ عليكِ أُخْرَى . قالت : ما هى ؟ قال : المُتْعَة التى لا يعلم بها أَحَد . قالت : تلك أُختُ الزِّنَا . قال : أُعيذكِ بالله أن تكفُرِى بالقرآن بعد الإيمَان ! قالت : وكيف ذلك ؟ قال : قال الله عز وجل : « فما اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ولا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَرَاضَيْتُمْ به مِنْ بَعْدِ الفَرِيضَةِ » فقالت : أَسْتَخِيرُ الله تعالى وأُقَلِّدُن إذ كنتَ صاحبَ قياس . فَفَعَلَتْ . وانصرفت معه وبات مُعْرِساً بها . وبلغ أمرُها أهلَها من الخوارج فتوعَّدُوها بالقَتْل، وقالوا : تزوجت بكافِر ! فَجحَدت ولم يعلموا بالمُتْعَة ولم تزل تَخْتَلِف إليه مُدَّة على هذا السبيل من المُتْعَة حتى افترَقَا .

قال المُغيرة : كنتُ مع السَّيِّد الحِميرى على باب عُقْبَة بن سَلم ومعنا ابنٌ لسليمان ابن علىّ ننتظره وقد أُسرِج له ليَرْكَبَ . فقال ابنُ سليمان بن علىّ يُعَرِّض بالسَّيِّد : أشعر الناس الَّذى(١) يَقُول :

محمدٌ خيرُ من يمشى على قَدَمٍ ‏ ‏ وصاحباه وعثمانُ بنُ عَفَّانا

فوثب السَّيِّد إليه وقال : أشعر منه الذى يقول :

سائِلْ قريشاً به إن كنت ذا عمه ‏ ‏ من كان أثبتها فى الدِّين أوتادَا
من كان أعلمها علماً وأَحْكَمَها ‏ ‏ حكماً(٢) وأصدقها قولا وميعادا
إن يَصْدُقُوكَ فلن يعدوا أَبَا حَسَنٍ ‏ ‏ إنْ أنتَ لم تلقَ للأَبْرَار حُسَّادا

ثم أقبل على الهاشِمِىّ فقال : يا فتى ، ما نعم الخلف أنت لشَرِيفِ سَلَفك ؛ أراكَ تَهْدِم شرفَك ، وتَثْلِب سَلَفك ، وتسعى بالعَدَاوة وتَفْضِيل مَن لا يَشْرُف

---

(١) فى ت : التى « تحريف » .

(٢) فى غ : أحلمها حلما .

على مَنْ شَرَفُك مِنْه وفَضْلُك مِنْ فَضْله ، وسأُخْبِر عنك أميرَ المؤمنين بهذا حتى يضعَك موضعَك الذى تستحقه، فوثب الفتى خَجِلًا ولم ينتظر عُقْبَة بن سَلْم ، فكتب إليه صاحب الخبر بذلك فما خرج لرُكُوبه حَتَّى خرجَت الجائِزَةُ لِلسَّيِّد .

وكان السيد قَدِم الأهوازَ وأبو بُجَيْر بن سِماك[1] الأسدىّ يتولّاها ، وكان له صَديقا . وكان مُتَشَيِّعا . فذهب السيّد إلى قوم من أصحابه بالأهواز فنزل بهم وشَرِب عندهم ؛ فلما أمسى انصرف ، فأخذه العَسَس فحَبَسه . فكتب من غد إلى يَزيد بن مَذْعور مولى أبى بُجَير بهذه الأبيات ، فدخل على أبى بُجَيْر وقال له : قد جَنَى عليك صاحبُ عَسَسِك بما لا قِوَام لكَ بِه، قال : وماذاكَ ؟ قال: هذه أبيات كتب بها السيد من الحبس :

قِفْ بالدّيار فحَيِّها يا مِرْبَع … واسأل وكيف يُجيب مَنْ لا يَسْمَع

إلى آخرها فلما سمعها أبو بُجَير دعا بصاحب عسسه فَسَبَّه وقال : جَنَيْت علىّ ما لا يَدَ لى[2] به ، فاذهب صاغرا إلى الحبس فأَخْرِج أبا هاشم واحمله على دَابَّتك وامشِ معه صَاغِرا حتى تأتِيَنِىّ به ، ففعل . وأتى إلى الحبس فلم يجبه السيد إلى الخروج إلا بعد أن يُطلِق له كلّ من أُخِذ معه . فعاد إليه فأعلمه فقال : الحمد لله الذى لم يقل أَخْرِجْهم وأَعْط كُلَّ واحد منهم مالا ، فما كنا نقدر على خلافه ؛ افعل ما أحب برغم أَنْفِك فخلى سبيله وسَبِيلَ كل من كان معه وجاء به إلى أبى بُجَير فتناوله بلسانه وقال : قدِمت علينا فلم تأتِنا وأتيت أصحابَك الفُسَّاق وشربت ما حُرِّم عليك حتى جرى ما جرى ؛ فاعتذر إليه من ذلك ، فأمر له أبو بُجَيْر بجائزة سنية وحمله وأقام عنده مدة .

---

(١) فى ت : أبو يحيى بن أبى سماك « تحريف » وقد تكرر ذكر اسم أبى بجير محرفا .

(٢) فى ت : لك .

ورأى أبو يحيى وجه السيد مُتغَيِّرَ اللون ، فسأله عن خبره فقال : فقدتُ الشرابَ الذى أَلِفته لكراهَةِ الأميرِ فيه ، قال : فاشرَبْه فإنَّا نحتمله لك . قال : ليس عندى ، فقال لكاتبه : فاكتب له بمائتى دورق مِيبَخْتَج(١)، فقال له السيد : ما هذا العِىّ ؟ فقال : وأَىّ عِىّ ترى ؟ قال : البلاغة أن تأتى من الكلام بما يُحتاج إليه دون ما يُسْتَغْنَى عنه. قال : فكيف أقول؟ قال : اُكتب بمائتى دورق « مِى » ولا تكتب «بختج» فإنك تستغنى عنه . فضحك ، وقال : اكتبوا بذلك، فكتب به قال : والمِى : الخمر(٢) . وبختج : مطبوخ .

وروى عن السيد أنَّه رَأَى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم .

فاستنشده فأنشده قوله :

لأُمِّ عمرو باللوى مَرْبَع   طامسة أعلامه بلقع

حتى انتهى إلى قوله :

قالوا له لو شئتَ أعلمتنا   إلى مَنِ الغَايَةُ والمَفْزَع

فقال : حسبك ؛ ثم نهض(٣) وقال : قد والله أعلمتُهم .

وروى أبو داود وإسماعيل بن السَّاحر أنهما حضرا السيّد عند وفاته بواسط وقد أصابه شَرَّى(٤) وكربٌ فجلس ثم قال : اللهم هذا كان جزائى فى حُبّ آل محمد ! فكأنها كانت ناراً أُطفِئَت عنه .

---

(١) ميبختج : كلمة فارسية مركبة من لفظين : « مى» ومعناها النبيذ أو الخمر و «بختج» أى مطبوخ .

(٢) فى غ : النبيذ .

(٣) فى غ : نفض يده .

(٤) الشرى : داء يأخذ فى الجلد أحمر كهيئة الدراهم .

قال أبو جعفر المنصور : بلغَنى أن السّيِّد مات بواسط فلم يَدْفِنوه . فوالله إن تَحَقَّقَ(١) عندى ذلك لأحرِقَنَّها !

〔قال عَبَّاد بن صُهَيْب : كنت عند جعفر بن محمد فأتاه نَعْىُ السيد ، فدعا له وترحم عليه فقال له رجل : يا ابن رسول الله إنه يشرب الخمر ويؤمن بالرَّجْعَة ! فقال : حدثنى أبى عن جدّى أن مُحِبِّى آل محمد لا يموتون إلّا تائبين وقد تاب ، ورفع مُصَلّى كان تحته ، وأخرج كتاباً من السيد يعرِّفه أنه قد تاب ويسأله الدعاء〕

قال بَشِير(٢) بن عمار : حضرت وفاة السيد بالرُّمَيْلة ببغداد ، فوجّه رسولا إلى صفّ الخرّازين(٣) الكوفيّين يعلمهم بحاله ووفاته ؛ فغلِط الرسول فذهب إلى صوف السَّمُّوسين ، فشتموه ولعنوه ؛ فعلم أنه قد غَلِط فعاد إلى الكوفيين فأعلمهم أنه قد احتُضِر ؛ فوافاه سبعون رجلا معهم سبعون كفناً وحَضَرْناه جميعا وإنَّه ليسوَدُّ وجهُه وما يتكلم إلى أن أفاق إفاقة وفتح عينيه ونظر إلى ناحية القبلة وقال : يا أَمير المؤمنين أَيُفعل هَذَا بِوَلِيِّك ! « قالها ثلاث مرات » قال : فتجلى والله فى وجهه عِرْقُ بياض فما زال يتَّسع ويَلْبَس وجهَه حتى صار كالبَدْر وتوفِّى فجهزناه ودفناه فى خِلَافَةِ الرَّشيد .

---

(١) فى ت : حق .

(٢) فى ت : بشر .

(٣) فى غ : الجزارين .

امرؤ القيس

(هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حُجْر آكل المُرار) بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع. وقيل: امرؤ القيس ابن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث ابن يَعْرُب[1] بن ثَوْر بن مُرْتِع بن معاوية بن كِنْدَة على اختلاف فيه.

وقالوا: كِنْدة بن مُرْتع بن عُفَيْر[2] بن عدىّ بن الحارث بن مُرّة بن عَدِىّ ابن أُدَد بن عَمْرو بن مِسْمَع[3] بن عريب بن عمرو بن زيد بن كهلان.

(وأم امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زُهَير أخت كُلَيب ومُهَلْهِل ابنى ربيعة.)

وقال من زعم أنه امرؤ القيس بن السِّمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية ابن ثور: إنَّ أُمَّ امرئ القيس تَمْلِك بنت عمرو بن زُبَيْد بن مَذْحِج رهط عمرو بن معدى كرب. وقد ذكر ذلك امرؤ القيس فى شعره فقال:

أَلَا هــل أتاها والحوادثُ جَمَّةٌ بأن امرأ القيس بن تَمْلِكَ بَيْقَرا

أى نزل العراق ونزل أهله البادية. ويقال بَيْقَر الرجل إذا هَاجَر.

وقيل: أمّ حُجْر أبى امرئ القيس أُمُّ قَطَام بنت سَلَمَة امرأة من كندة[4].

---

(١) فى ت: يعقوب.

(٢) فى ت: عفر.

(٣) فى ت: هميسع.

(٤) فى غ: عنزة.

وكُنْيَة : امرِئ القيس أَبُو وَهْب . وكان يقال له: المَلك الضِّلِّيل وقيل له أيضا: ذُو القُروح . وإياه عنى الفرزدق بقوله :

وهَب القصائدَ لى النوابغُ إذْ مَضَوْا وأَبُو يَزِيد وذُو القروح وجَرْوَلُ

يعنى بأَبِى يَزِيد : المُخَبَّل السَّعدى ، وجَرْول: الحُطَيْئة .

وولِد امرؤُ القيس ببلاد بَنِى أَسَد .

وسُمِّى كِنْدَةَ لأنه كَندَ أباه أى عَقّه .

وسُمِّى مُرْتِع بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرْتَعاً له ولماشِيَته .

وسمى حُجْرٌ آكل المُرَار لأنه لما أَتاه الخبر بأن الحارث بن جَبَلة كان نائما فى حِجْر امرأته هند وكانت تَفْلِيه جعل يأكل المُرار «وهو نبت شديد المرارة» وهو لا يَدْرِى من الغيظ .

وقيل: بل قالت هند للحارث وقد سألها : ماتَرَيْنَ حُجْرا فاعِلا : قالت : كأنّك به قد أدركَك فى الخيل وهو كأنه بعِير قدأكل المُرَار، وسُمِّى عمرو المَقْصورلأنه قُصِر(١) على ملك أبيه أى أقعد فيه كَرْها .

وكان أخوه عَمْرو(٢) الجوْن على اليمامة ، وأُمُّهما شُعْبَة ابنة أبى مُعاهِر بن حسان ابن عمرو بن تبع(٣) .

ولما مات ملك بعده ابنهُ الحارث وكان شديدَ الملك بعيد الصِّيت(٤) .

ولما ملك قُبَاذ بن فَيْروز خرج فى أيام ملكه رجل يقال له: مَزْدَك فدعا الناس

---

(١) فى ت : أقصر .

(٢) فى غ : معاوية .

(٣) فى ت : حادر بن ربيع .

(٤) فى ت : الصوت « تحريف » .

إلى الزندقة وإباحة الحُرَم والاّ يمنع واحد منهم أخاه ما يريد من ذلك . وكان المُنْذِر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها فدعاه قُباذ إلى الدخول معه فى ذلك فأَبَى . فدعا الحارثَ بن عمرو فأجابه ؛ فشدّد له فى ملكه وطَرَدَ[1] المنذر عن مَمْلكته وغلب عليها . وكانت أُمُّ أَنُو شِرْوان يوما بين يدى قُبَاذ ، فدخل عليه مَزْدَك . فلما رأى أمّ أَنُو شِرْوان قال لقُبَاذ : ادفعها إلىّ لأقضى حاجتى منها ؛ فقال : دونكها . فوثب إليه أنو شروان فلم يزل يَسْأَله ويتَضَرَّع إليه أن يهب إليه أمّه حتى قَبَّل رجله فتركها ؛ فكانت تلك فى نفسه . فهلك قُبَاذ على تلك الحال .

وملك أَنُوشروان فجلس فى مجلس المُلْك . وبلغ المُنْذرَ هلاكُ قُباذ وقد علم خلاف ولده أنوشروان عليه فأقبل عليه فأذن أنو شروان للناس ودخل عليه مَزْدَك ثم دخل المنذر . فقال أنو شروان : إنى تمنّيت أمنِيَّتَين أرجو أَنْ يكون الله عز وجل قد جمعهما [لى فقال مَزْدَك : و] ما[2] هما أيها الملك ؟ قال : تَمَنَّيْت أن أَملك فأستعمل هذا الرجل الشريف[3] وأن أقتل هؤلاء الزَّنادِقة . فقال مزدك : أَتستطيع أن تَقْتُلَ الناسَ جَميعا ؟! فقال : أَنْتَ هَاهُنَا ياابْنَ الزَّانية ! والله ماذهب نَتْن جَوْرَبك من أَنفِى مذ يوم قَبَّلْتُ رجلك إلى يومى هذا ! ثم أمر به فقُتِل وصُلِب ، وأمر بقتل الزَّنادقة فقتل منهم مابين جازِر[4] إلى النَّهْرَوان إلَى المدائن فى ضَحْوة واحدة مائة ألف زِنْدِيق . وطَلَب[5] أَنو شِرْوَان الحارثَ بن عمرو ؛ فبلغه ذلك وهو بالأنبار فخرج هارِباً فى ماله[5] وولده .

---

(١) فى غ : وأطرد .

(٢) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٣) يعنى بالشريف المنذر .

(٤) جازر : قرية من نواحى النهروان . وفى ت : حارد « تحريف » .

(٥) بياض بالأصل والتكملة من غ .

وإنَّمَا سمِّيت الأنبار لأَن أهراء[1] الطعام كانت بها وهى الأَنَابير فمر الحارث بالثَّوِيَّة[2] وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وإياد وبَهراء فلحقه بأرض كَلْب فنجا، وانتهبوا ماله وهَجَائنه وأخذت بنو تَغْلب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المُرار فقدم بهم على المُنذر فضرب رِقَابهم بحفَر الأملاك من ديار بنى مَرِينا[3] العِبَادِيِّين بين دَيْر هِنْد والكُوفة. فذلك قول عمرو بن كُلْثُوم:

فآبوا بالنِّهاب وبالسَّبَايَا ... وأُبْنَا بالملوك مُصَفَّدِينَا
ملوكٌ من بَنِى حُجْر بن عَمْرو ... يُساقون العشيَّة يُقْتَلُونَا[4]
فلو فى يوم معركةٍ أصيبوا ... ولكن فى ديار بنى مَرِينَا
فلم تُغْسَل جمَاجِمُهم بِغسْل ... ولكن فى الدماء مُرَمَّلينا
تَظَلُّ الطير عاكفةً عليهم ... وتنتزع الحواجبَ والعيونا

ومضى الحارث فأقام فى أرض كَلْب. وكلب يزعمون أنهم قتلوه. وعلماء كندة يزعمون أنه خَرَج إلَى الصيد فألَظَّ[5] بتيس من الظِّباء فأعجزه.

وآلى أَلِيَّة ألا يأكل أول أكلة إلَّا من كبده وطلبته الخَيْلُ ثلاثا فأُتِى به بعد ثالثة وقد هلك جُوعا فشُوِىَ له بَطْنه فتناول فِلْذَةً من كبده حارَّة فأكلها فمات. وفى ذلك يقول الوليد بن عَدِىّ الكِنْدِى فى أحد بنى بَجِيلة:

فشووا وكان شِوَاؤهم حتفًا[6] له ... إنَّ المَنِيَّة لا تُجِلُّ جَلِيلا

---

(١) الأهراء: الأكوام. وفى ت: أهداء «تحريف».
(٢) الثوية: موضع قريب من الكوفة وقيل بالكوفة.
(٣) بنو مرينا: قوم من أهل الحيرة.
(٤) فى غ: نسب هذا البيت والأبيات الثلاثة التى تليه لامرىء القيس.
(٥) ألظ به: لزمه وألح عليه ليصطاده.
(٦) فى غ: خبطا.

وقيل : إنَّ قباذَ بن فَيْرُوز لم يُملِّكِ الحارثَ بن عمرو وأن تُبَّعًا الأخير هو الذى ملَّكه .

ولما أقبل المُنْذِر إلى الحيرة وهرب الحارِثَ تبِعَتْه خيل المنذر فقتلت ابنه عمراً وقتلوا ابنه مالكا بِهِيتَ(١) وصار الحارث إلى مُسحُلان فقتله كلب وقيل : مكث فيهم حتى مات حَتْفَ أَنْفِه .

ولما قتَل الحارثُ بن أَبِى شَمر الغسَّانى عمرَو بن حُجْر ملَّك بعده ابنَه الحارث بن عمرو ، وأمه بنت عوْف بن مُحَلِّم بن ذُهل الشَّيْبَانِى ونزل الحيرة .

فلما تفاسدت القبائل من نِزار أتاه أشرافهم فقالوا : إنَّا فى دينك ونحن نخاف أن نتفانى مما يحدث بيننا ، فوجه معنا بنيك ينزلون(٢) فينا فيكفُّون بعضَنا عن بعض . ففرَّق ولدَه فى قبائل العرب ، فملَّك ابنه حُجْراً على أسد وغَطَفَان ، وملَّك ابنه شُرَحْبيل قتيل يوم الكُلَاب(٣) على بكر بن وائل بأَسْرها وبنى حَنْظَلة بن مالك بن زَيْد مَنَاة ابن تميم وبنى أسد بن عمرو بن تميم وطوائف من بنى عمرو بن تميم والرِّباب ، وملَّك ابنه مَعْديكرِب وهو غَلْفَاء(٤) « سمى بذلك لأنه كان يُغَلِّف رأسه » على بنى تَغْلِب والنَّمِر بن قَاسِط وسَعْد بن زيد مَنَاة وطوائف من بنى دارم بن حنظلة ، والصنائع وهم بنو رُقَيَة قوم كانوا يكونون مع الملوك من شُذَّاذِ العرب . وملَّك ابنه سَلَمة على قَيْس .

---

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد .

(٢) فى ت : يقولون .

(٣) الكلاب بضم أوله : اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، وقيل ماء بين جبلة وشمام : وكان للعرب يومان مشهوران بيوم الكلاب : « انظر معجم البلدان لياقوت » .

(٤) كذا فى غ والقاموس واللسان (غلف) .

وقيل: إنّ حُجْراً كان في بني أَسَد ، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة لمؤونته[١] فقصَّروا بذَلك فبعث إليهم جَابِيه الذي كان يخدمه[٢] فتكلم بذلك ـ وحجر يومئذ بتهامة ـ فضَرَبُوا رُسله . فبلغ ذلك حُجْراً ، فسار إليهم بجند من ربيعة وجند من عند[٣] أخيه من قيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سَرَاتَهم فجعل يُقتِّلُهم بالعصا وأَبَاحَ الأموالَ وسيَّرَهم إلى تِهَامة وآلى بآليّة لا يساكِنُونه أبدا في بلد ، وحبس منهم عمرو ابن مسعود بن كِلْدة[٤] بن فزَارَة[٥] الأسدى وكان سَيِّدا ، وعَبِيدَ بن الأَبْرَص الشاعر . فسَارَت بنو أسد ثلاثاً .

ثم إنَّ عبيد بن الأبرص قال : أيها الملك أسمع مقالتى ، وقال :

يا عينُ فابكى ما بنى ... أسدٍ فهم أهلُ النَّدَامَهْ
أهلَ القِبَاب الحُمر والنَّـ ... ـعَمِ المُؤَبَّلِ والمُدَامَه
وذَوِى الجِيَادِ الجُرْدِ والا ... أَسَلِ المُثقَّفَةِ المُقامه
حِلًّا أبيت اللعنَ حِلًّا ... إنّ فِيما قلتَ آمه
فى كل وَادٍ بَيْنَ يَثْـ ... ـرِب فالقصُورِ إلى اليمامه
تصويت[٦] عانٍ أو صِيَا ... حُ مُحرَّقٍ أَوْ صَوْتُ هامَه
ومنعتَهم نجداً فقد ... حَلُّوا على وَجَلٍ تِهَامَه
بَرِمَت بنو أسدٍ كما ... بَرِمت ببيضتِها النعامه[٧]

(١) في غ : مؤقتة .

(٢) في غ : يجبيهم .

(٣) في غ : جند .

(٤) كذا في ت وتجريد الأغانى ، وفي غ : كنندة .

(٥) في ت : ولده .

(٦) في غ : تطريب !

(٧) في غ : الحمامة .

مهما تَركت تَركت عَفْـ　　وا أو قتلتَ فلا مَلَامَه
أنتَ المَلِيكُ[1] عليهم　　وهُمُ العَبِيدُ إلى القيامه
ذَلّوا لسَطْوِكَ[2] مِثْلَ ما　　ذل الأُشَيْقِر[3] ذوا الخِزَامَه[4]

قال : فرقّ لهم حُجْر حين سمع قولَه ، فبعث فى آثارهم فأقبلوا . حتّى إذا كانوا على مسيرة يوم من تِهامة تَـكهّن كاهنهم ، وهو عَوْف بن رَبيعة بن عامر بن سَوَاءَة[5] ابن سعد بن مالك بن ثَعْلبة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيمة ، فقال لبنى أسد : يا عِبَادى ! قالوا : لبيك ربنا . قال : مَن الملك الأَصهَبُ[6] الغَلّاب غير المُغَلَّب ، فى الإبل كأنها الرَّبْرَب لا يُفْلَقُ رأسُه المُنجِب[7] ، هذا دمه يَنْثَعِب وهو غدا أول من يُسْلَب . قالوا : ومن هو يا رَبَّنا ؟ قال : لولا أن تَجِيش نَفْسٌ جاشِية ، لأخبرتـكم أَنَّه حُجْر ضَاحِية . فركبوا كُلّ صَعْب وذَلول ؛ فما أشرق عليهم النهار حتى بلغوا عسكر حُجْر فهجموا على قُبَّته وكان حُجَّابه من بنى الحارث بن سَعْد يقال لهم : بنو خَدَّان بن خَنْثَر ، منهم معاوية والحارث[8] وشَبيب[9] ورُقيّة ومالِك وحبيب ، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل . فلما نظروا إلى القوم يريدون قتله جَثَوا[10]

---

(١) فى ت : الملوك « تحريف » .
(٢) فى غ : لسوطك .
(٣) الأشيقر تصغير الأشقر ، وهو الأحمر من الدواب .
(٤) الخزامة : حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد بها الزمام .
(٥) فى غ : سوادة .
(٦) فى ت : الصلهب .
(٧) فى غ : لا يعلق رأسه الصخب .
(٨) فى غ : معاوية بن الحارث .
(٩) فى ت : شيث .
(١٠) فى غ : خيموا .

عليه ليمنعوه ويجيروه﴿ فأقبل عِلْبَاء بن الحارث الـكاهلىّ ، وكان حُجْر قد قتل أباه ، فطعنه من خَلَلهم فأصاب نَسَاه فقتله . فلما قتله قالت بنو أسد : يامعشر كنانة وقيس، أنتم إخواننُا وبنو عَمِّنا ، والرجل بعيد النسب مِنّا ومنـكم ، وقد رأيتم سيرَته وماكان يصنع[1] بكم هو وقومُه . فانتهبوهم فشدُّوا على هَجَائِنه فمزّقوها ولفُّوه فى رَيْطة بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق . فلما رأته قَيْس وكنانة انتهبوا أسلابه . ووثب عمرو بن مسعود فضم عِيَاله وقال : أنا لهم جار .

وعِدّة قبائل من بنى أسد يدعون قتل حُجْر ويقولون : إن عِلْبَاء كان السَّاعى عليه وصاحبَ المَشُورة فى قتله ولم يقتُلْه هو﴾

وخَدَّان فى بنى تميم[2] وفى بنى جديله بالخاء مفتوحة ، وخُدَّان بالخاء مضمومة فى الأَزْد، قالوا : وليس فى العرب غير هؤلاء .

وقيل : إن حُجْراً لما خاف من بنى أسد استجار عُوَيْر بن شَجْنة أحد بنى عُطَارِد ابن كعب بن زيد مَنَاةَ بن تميم لبنته هند وعِيَاله وقال لبنى أسد لَمَّا كـثَروه : أَمَّا إن كان هذا شأنـكم فإنى مرتحل عنـكم ومُخَلِّيـكم وشأنـكم، فوادَعوه[3] على ذلك . ومال مع خالد بن خَدَّان أحد بنى سَعْد بن ثَعْلبة . فأدركه عِلْبَاء بن الحارِث أحد بنى كاهل فقال : يا خالد اقتُل صاحبك لا يُفلت فيعرُّك[4] وإيانا بشَر ، فامتنع خالد ومر علباء بقصدة رمح مكسورة فيها سِنَانها فطعَن خاصِرَة حُجر وهو غافل فقتله ، ورجع عنه . فى ذلك يقول الأسدى :

وقِصْدَةُ عِلْبَاء بن قَيْس بن كاهِل مَنِيَّةُ حُجْر فى جِوَار ابن خَدَّانِ

---

(١) فى ت : صنع .

(٢) فى غ : أسد .

(٣) فى غ : فواعدوه .

(٤) يعرك : يصيبك . وفى ت : فيغزوك .

وقيل : إنه لمـا أُستجار عُوَير بن شجنة لِبَنِيه وقَطِينه(١) تحوّل عنهم وأقام فى قومه ، وجمع لبنى أسد جَمْعا كثيرا من قومه وأقبل مُدِلّا بمن معه من الجنود . فتوافَرَت(٢) بنو أسد وقالوا : والله إن قهركم هذا ليحكُمَن عليكم حكم الصَّبِى ! فما خيرُ عيش يكون بعد قَهْر وأنتم بحمد الله أَشَدُّ العرب ! فموتوا كِراما . فساروا إلى حُجْر وقد ارتحل نحوَهم فلقُوه فاقتتلوا قِتَالًا شديدا . وكان صاحب أمرهم عِلباء ابن الحارث ، فحمل على حُجْر فطعنه فقتله ، وانهزمت كِنْدة وفيهم امرؤ القيس فهرب على فرسٍ له أشقر فأعجزهم ، وأسروا من أهل بيته رجالًا وقتلوا وملأُوا أيدِيَهم من الغنائم ، وأخذوا جوارى حُجْر ونساءه وما كان معه فاقتَسَموه بَيْنَهم .

(وقيل فى قتله) إنه كان وفد إلى أَبيه الحارث بن عمرو فى مرضه الذى مَاتَ فيه وأقام عنده حتى هلك ، ثم رجع إلى بنى أَسَد وقد كان أغار عليهم وأَساءَ وِلَايتَهم ، وكان يُقدّم بعضُ ثَقَله أمامه ويُهيَّأ نُزُلُه ثم يجىء وقد هُيِّئ له ما يصلحه(٣) فينزل فيُقَدَّم مِثلُ ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فلما دنا من بلاد بنى أسد وقد بلغهم موت أبيه طمعوا فيه . فلما أظلّهم وضُرِبت قِبَابه أجتمع بَنُو أسد إلى نَوْفل بن ربيعة بن خَدّان ؛ فقال : يا بنى أَسَد من يَلْقَى هذا الرجل منكم فيَقْتَطِعه ؟ فإنى قد أجمعتُ على الفَتْك به . فقال القوم : ما لهذا أحدٌ غيرك . فخرج نَوْفل بن ربيعة فى خَيْله على وجهين من قومه حتى أغار على الثَّقَل فقتل مَنْ وجد فيه ، وساق الثَّقَل وأصاب جارِيَتَيْن لحُجر وأتى قومه . فلما رأى قومُه ما فعل علموا أَنَّ حُجرا يُقاتِلهم وأنهم لا بُدَّ لهم من القتال ، فحشد الناس لذلك . وبلغ حُجْراً أمرُهم ، فأقبل نَحْوَهم ،

---

(١) القطين : الخدم والحاشية .
(٢) فى غ : فتآمرت بنو أسد بينها .
(٣) فى غ : يعجبه .

فلما غَشِيَهم ناهضوه القتَال وهم بين أَبْرَقَيْن من الرمل فى بِلَادِهِم يُدْعيَان اليوم أَبْرَقَ حُجْر ، فلم يَلْبَث حجر أن هَزَمُوا أصحابَه وأسروه فَحَبَسوه . وتشاوروا فى قتله ؛ فقال لهم كَاهِن من كَهَنَتِهم بعد أن حَبَسُوه ليَرَوْا فيه رأيهم : أَيْ قوم ! لا تعجَلوا بقتل الرَّجُل حتى أزجُرَ لكم . فانصرف عن القوم لينظر لهم فى قتله . فلما رأى ذلك عِلْبَاء بن الحارث خشى أن يتوَاكَلُوا فى قتْله ، فدعا غلاما من بَنِى كاهل ، وكان ابن أخته وكان حُجْر قد قتل أباه زوج أخت علباء ، فقال : يا بُنى أعندك خير فَتَثْأَر بأَبيك[1] وتنالَ شرفَ الدهر فإن قومك لن يقتلوك ؟ ! ولم يزل بالغلام حتى حَرّبه[2] ، ودفع إليه حديدة قد شحذَها وقال : ادخل عليه فى قومك ثم اُطعَنْه فى مقتله . فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل مع الأسديين إلى حُجْر فى قبَّته التى حبسوه فيها . فلما رأى الغلام غفلةً وثَب عليه فقتله ؛ فوثب القوم على الغلام . فقالت بنو كاهل : ثأرُنا وفى أيدينا . وقال الغلام : إنما ثأرتُ بأبى فخلّو عنه (وأقبل كاهنهم فقال : أَىْ قَوْمِ ! قتلتموه ! قالوا : نعم . قال : مُلْك شهر ، وذُلّ دَهْر . إنَّه والله لا تَحْظون بعدها عِنْدَ المُلوك أَبدًا .)

(ولما طَعَنَ الأسَدِيّ حُجْرا ولم يُجْهِز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال : اذهب إلى ابْنِي نَافِع — وكان أكبرَ ولده — فإن بكى وجزع فالْهُ عنه واستَقْرِهِم وَاحداً واحداً حتى تأتى عَلَى امرىء القَيْس — وكان أصغرهم — فأيّهم لم يجزع فادفع إليه خَيْلى وسِلَاحى وَوَصِيّتى وقُدُورِى . وقد كان بَيَّن فى وصيته مَنْ قتله وكيف كان خبره، فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه ثم استقراهم واحداً واحداً فكُلُّهم فعل مثل ذلك حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نَدِيم له يشرب

---

(١) فى ت : أعندك خير بثأر بأبيك .

(٢) حربه : حرشه .

الخمر ويلاعبه بالنَّرْد فقال له : قُتِل حُجْر، فلم يلتفت إلى قوله ؛ فأمسك نديمه فقال له امرؤ القيس : اضربْ فضرب . حتى إذا فرغ قال له : ما كنتُ لأُفسدَ دَسْتَك . ثم سأل الرسول عن أمر أبيه فأخبره . فقال : الخمر على حرامٌ، والنساء حرامٌ حتى أقتل من بنى أسد مِائَة وأحلق مِائَة[1] ثم أنشأ يقول :

أرِقْت ولم يأرَق لذلك[2] نَافِع وهاج لِي الشوق الهمومُ الروادعُ

وقيل : إن حجرا كان طَرَدَ امرأ القيس وآلى ألا يُقيم معه أنفَةً من قول الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك ، وكان يسير فى أَحياَء العرب من طَيِّئ وكَلْب وبَكْر ابن وائل ؛ فإذا صادف غَدِيرا أو روضة أو موضع صيد أقام به فذَبح لمن معه فى كل يوم، وخرج إلى الصيد فتَصيّد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر فسقاهم وغَنَّته قِيانُه فلا يزال كذلك حتى يَنْفَد ماء الغدير ثم يَنْتَقِل عنه إلى غيره. فلما أتاه خبر مقتل أبيه وهو بَدمّون من أرض اليمن ، أتاه به رجل من بنى عِجْل يقال له عامر الأعور أَخو الوَصَّاف فلمّا أخبره بذلك قال :

تَطاوَلَ الليلُ عَلَى دَمُّون دَمُّون إنّا معشرٌ يَمَانُون
وإنّنا لأهله مُحِبُّون

(ثم قال : ضيّعنى صغيرا وحمّلنى دمه كبيرا . لا صَحْوَ اليوم ولا سُكْر غـدا « اليوم خمرٌ وغداً أمرٌ » فذهبت مثلا .)

ثم قال :

خليلى ما فى اليوم مَصْحًى لِشَارِب ولا فى غَدٍ إذ ذاك ما كان يُشْرَب

(ثم شرب سبعا . فلما صحاَ آلى أَلِيَّة ألّا يأكل لَحْما ، ولا يشرب خَمْرًا ،

---

(١) فى غ : وأجز نواصى مائة .

(٢) فى غ : لما بى .

ولا يدّهِنَ ، ولا يُصِيبَ امرأة ، ولا يَغْسِلَ رأسَه من جنابة ، حتى يدرك ثأرَه﴾ فلما جَنّه الليل رأى بَرْقا فقال :

أرِقتُ لبرقٍ بليـــلٍ أَهلّْ ... يُضيء سَنَاه بأعلَى الجَبَلْ

أتانى حـــديثٌ وكذّبتُـه ... بأمرٍ تزَعْزَعُ منــه القُلَلْ

بقتـــل بنى أَسَـــدٍ رَبَّهُم ... أَلَا كُلُّ شيء سواه جَلَلْ[(١)]

فأينَ رَبِيعـــةُ عن رَبِّهـــا ... وأين تميمٌ وأين الخـــوَل

أَلَا يحضُرون لدى بابه ... كما يحضُرون إذا ما استهل[(٢)]

وقيل : إن امرأ القيس لمَّا قُتِل أبوه كان غلاما قد ترعرع مقيما فى بنى حنظلة ، لأن ظئره كانت امرأة منهم . فلما بلغه قتل أبيه قال :

يا لَهْفَ هند إذ خَطِئْنَ[(٣)] كاهلا ... القاتلين المَلِك الحُلَاحِلَا[(٤)]

تالله لا يذهب شَيْخِى باطــلا ... يا خــير شيخ حَسَباً ونَائلا

وخيرَهم ـ قد علموا ـ فوَاضِلا ... يَحْمِلْنَنَا والأَسَـــلَ النوَّاهِلا

وحَىّ صَعْب والوَشِيجَ الذّابِلَا ... مُسْتَثْفِرَاتٍ بالحصى جَـــوَافِلا[(٥)]

يعنى صَعْبَ بن على بن بكر بن وائل . معنى قوله : مستثفرات يعنى أثارت الحصَى بحوافرها من شدة جَرْيها حتى ارتفع إلى أشفارها فكأنها استَثْفَرَت به .

ولما قُتِل حُجْر بن الحارث وأَخَذَ بنتَه وقَطِينَه عُوَيْرُ بن شَجْنَة . قال له قومه : كُلْ أموالَهم فإنهم مأكولون ، فأبى . فلما كان الليل حمل هندا وقَطِينَها وأخذ بخِطام

---

(١) جلل : هين .

(٢) فى غ : أكل .

(٣) خطئ : أخطأ .

(٤) الحلاحل : السيد الكريم .

(٥) جوافل : مسرعات .

جملها وأشْأَمَ(١) بها(٢) فى ليلة طَخْيا مُدْلَهِمّة . فلما أضاء البرق أبدى عن ساقيه وكانتا حَمْشَتَيْن فقالت له هند : ما رأيت كالليلةِ سَاقَىْ وَافٍ . فسمعها فقال : يا هند هما سَاقَا عَاد(٣) ومَرّ بها الفِجَاج(٤) حتى أطلعها نَجْرَان ، وقال لها : إنى لستُ أُغنِى عنك شيئا وراء هذا الموضع ، وهؤلاء قومك ، وقد بَرِئَت خِفَارَتى . فمدحه امرؤ القيس بعدّة قصائد منها قوله :

ألا إنّ قوما كنتمُ أمسِ دونَهم ... هم منعوا جاراتكم(٥) آل غُدْرَان
عُوَيْرٌ ومن مثلُ العُوَيْر ورهْطِه ... أبرّ بأيمان(٦) وأوفَى بِجِيران
هم أبلغوا الحىّ المضلّل(٧) أهله ... وساروا بهم بين الفُرات ونَجْرَان

ومما قاله فيه :

ألا قبّح اللهُ البراجمَ كلها ... وجدّع يربُوعاً وعفّر دارِما
فما فعلوا فِعْلَ العُوَيْر ورهطِه ... لدى باب حُجْر إذ تَجَرَّد قائما

وقيل : إن القِصّة المذكورة مع عوير كانت مع أبى حنبل وجارِية بن مر .

ويقال : كانت مع عامر بن جُوَيْن الطائِى وإن ابنتَه أشارت عليه بأخذ مال حُجْر ، فقام فدخل الوَادِى فصاح : ألا إنّ عامر بن جوين غدر ، فأجابه الصَّدَى بمثل قوله؛ فقال: ما أقبح هذا من قَوْل! ثم صاح : أَلَا إن عامرَ بن جُوَيْن وَفَى ، فأجابه الصَّدَى بمثل قوله ؛ فقال : ما أحسن هذا من قول ! ثم دعا بجَذَعَةٍ من غنمه

---

(١) فى ت : تشاءم .
(٢) فى غ : بهم .
(٣) فى غ : غادر شر .
(٤) فى غ : النجاد .
(٥) فى ت : جاراتهم .
(٦) فى غ : بميثاق .
(٧) فى غ : المضيع .

فحلبها وشرب واستلقى على قفاه وقال : لا والله لا أغدر ما أجزأتني جذعة . ثم نهض وكانت ساقاه حمشتين فقالت له ابنته : والله ما رأيت كاليوم ساقي وافٍ . قال: فكيف بهما إذا كانتا ساقي غادر ! هما والله حينئذ أقبح .

(وقيل : إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بكرا وتغلب ، وسألهم النصر على بني أسد فأجابوه، فبعث العيونَ على بني أسد ونذروا بالعيون فلجأوا إلى بني كنانة . وكان الذي أنذرهم بهم عِلْباء بن الحارث . فلما كان الليل قال لهم عِلْباء : يا معشر بني أسد تعلمون ! والله إن عيونَ امرئ القيس قد أتوكم ورجعوا[1] إليه يخبركم فارحلوا بليل ولا يعلم بكم بنو كنانة ففعلوا . فأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة وهو يحسبهم بني أسد حتى وضع السلاح فيهم وقال : يالثارات الملك الهمام ! فخرجت إليه عجوز من كنانة فقالت : أبيت اللعنَ ! لسنا لك بالثأر ، ونحن بنو كنانة فاطلب ثأرك؛ فإن القوم قد ارتحلوا بالأمس فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم تلك فقال في ذلك :

ألا يا لهف قلبي من أناس[2] ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدُّهم ببني أبيهم ... وبالأشقَيْنَ مذ كان العقاب
وأفلتهن عِلْباء جريضا[3] ... ولو أدركته صفِر الوطابُ

يعني ببني أبيهم بني كنانة ؛ لأنّ أسدا وكنانة ابني خزيمة أخوان . ومعنى قوله : صفر الوطاب يقول : لو أدركوه قتلوه واستاقوا إبله فصفرت وطابه من اللبن .

(١) في غ : أتتكم ورجعت .

(٢) في غ : ألا يالهف هند إثر قوم .

(٣) أفلتهن جريضا : أفلتهن بعد جهد ومشقة .

وقيل: إنه أراد جِسْمه، أى أنه كان يُقْتل فيكون جسمه صِفراً من دمه كما يكون الوِطَاب صِفرًا من اللَّبَن (فلما أصبح امرؤ القيس رأى آثار القوم منطلقين، فأتبع الأثر فأدركهم ظهرا وقد تقطَّعت خيله وقطع أعناقهم العطش وبنو أسد جَاثِمُون[1] على الماء، فقاتلهم حتى كثرت القَتْلَى والجرْحَى فيهم، وحَجَز الليلُ بينهم، وهربت بنو أَسَد. فلمّا أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتَّبِعوهم وقالوا: قد أصبت ثأْرك. قال: لا، والله مافعلتُ ولا أصبت من بنى كاهِل ولا من غيرهم من بنى أسد أحداً. قالوا: بلى ولكنك رجل مشئوم وكرهوا قتالهم بَنِى كنانة وانصرفوا عنه فمضى هاربا لوجهه حتى لحق بِحِمْير)

وقيل: إن امرأ القيس لما أفلت من الحرب على فرسه الشقراء لَجأ إلى ابن عمّته عمرو بن المُنْذِر وأمُّه هند بنت عمرو آكل المرار بن حجر. وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتَفَرُّق ملك أهل بيته. وكان عَمْرُو يومئذ خليفةَ أبيه المنذر بِبَقَّة وهى بين الأنبار وهِيتَ. فمدحه وذكر صِهْرَه ورحمه وأنه قد تعلَّق بحباله ولجأ إليه فأجاره ومكث عنده زمانا. ثم بلغ المنذر مكانَه عنده فطلبه فأنذره عمرو فهرب حتى أتى حِمْيَر.

ولما امتنعت بكر بن وائل وتغلب من اتّباع بنى أسد خرج امرؤ القيس من فوره ذلك إلى اليمن (فاستنصر أَزدَ شَنُوءَة؛ فأبوا أن ينصروه وقالوا: إخواننا وجِيرَانُنا[2]. فنزل بقَيْل يُدعى مَرْثَدَ الخَيْر بن ذى جَدَن الحِمْيرى، وكانت بينهما قرابة، فاستنصره واستمدَّه على بنى أسد؛ فأمده بخمسمائة رجل من حِمْير؛ ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم، وقام بالمَمْلَكة بعدَه رجل من حمير يقال له: قَرْمل، ويقال: قرمل بن الحميم وكانت أمّه سوداء، فردَّد امرأ القَيْس وطوَّل عليه حتى همَّ بالانصراف فقال:

---

(١) فى غ: جامون.

(٢) فى غ: جيراننا.

وإذْ نحن ندعو مَرْثد الخير ربّنا   وإذْ نحن لا نُدْعَى عَبيداً لِقَرْمَلِ

فأنفَذَ له ذلك الجيش ؛ وتبعه شُذَّاذٌ من العرب ، واستأجر من قبائل اليمن(١) رجالا فسار بهم إلى بَنِى أَسَد ومرّ بتَبَالَة(٢) وبهـا صنم للعرب تعظمه يقال له: ذو الخَلَصة ؛ فاستقسم(٣) عنده بقِداحه وهى ثلاثة : الآمر والنَّاهى والمُتَرَبِّص ، فأجالها فخرج الناهى ، ثم أجالها فخرج الناهى ، ثم أجالها الثالثة فخرج الناهى ؛ فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال : مَصِصْت بَظْر أُمِّك ! لو أبوك قُتِل ما عَوَّقْتنى . ثم خرج فظفر ببنى أسد .

فيقال : إنه ما استُقْسِم عند ذى الخَلَصة أحد بقداح بعد ذلك حتى جاء الإسلام وهَدَمه جَرير بن عبد الله البَجَلىّ)

(وألَحَّ المُنذِر فى طلب امرئ القيس ووجّه الجيوش فى طلبه من إياد وبَهْراء وتنوخ ولم تـكن لهم(٤) طاقة ، وأمدّه أنوشروان بجيش من الأَكاسرة والأَسَاورة فسرحهم فى طلبه . وتفرقت حِمْير ومن كان معه عنه . فنجا فى عُصْبَة من بنى آكِل المُرَار حتى نزَلَ بالحـارث بن شهاب(٥) . من بَنِى يَرْبوع بن حَنْظلة ، ومع امرئ القيس أدراع خمس : الفَضْفاضَة والضَّافية والمُحَصَّنَة والخِربق وأُمّ الذّيول كُنّ لبنى آكل المرار يتوارثونها ملـكا عن ملك . فَقَلَّما لبثوا عند الحارث بن شِهَاب حتى بعث إليه المنذر المائة من أصحابه يتوعده بالحَرْب إن هو لم يُسلم بنى آكل المرار فأسلمهم . ونجا أمرؤُ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث بن قتيبة وهِنْد بنتُ

---

(١) فى غ : العرب .

(٢) تبالة : موضع بين مكة واليمن .

(٣) استقسم : طلب معرفة ما قسم للمرء مما لم يقسم .

(٤) فى ت : له .

(٥) فى ت : هشام « تحريف » .

أمرئ القَيْس والأَدْرُع والسِّلاح وما كان بقى معه). فخرج على وجهه حتى نزل على سعد ابن الضِّبَاب الإيادى سَيِّد قومه فأَجَاره . وكانت أمّ سعد بن الضِّباب تحت حُجْر أبى أمرئ القيس فطلّقها وكانت حاملا وهو لا يعلم ، فتزوّجها الضِّباب فولدت سعدا على فراشه ، فلحق نسبه به فقال امرؤ القيس يذكر ذلك :

يُفاكِهُنا سعدٌ ويُنْعِم بالنَا ... ويغدو علينا بالجفَان وبالجُزُرْ
وتَعْرِف فيه من أبيه شمائلا ... ومن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُرْ
سماحةَ ذَا وبِرَّ ذا ووفاء ذَا ... ونائل ذَا إذا صَحَا وإذا سَكِر

ثم تحول عنه فوقع بأرض طيِّئ فنزل برجل من بنى جديلة يقال له المُعَلَّى بن تَيمْ . ففى ذلك يقول :

كأنّى إذ نزلتُ على المُعَلَّى ... نزلتُ على البواذخ من شَمَام
فما مَلِكُ العِرَاق على المُعَلَّى ... بمقتدرٍ ولا مَلِكُ الشَّآم
أقرّ حَشَى أمرئ القيس بن حُجْر ... بنو تَيْمٍ مصابِيحُ الظَّلام

فلبث عنده واتَّخَذَ إبلا ، فغَدَا قوم من بنى جَدِيلة يقال لهم: بَنُو زيد فطرَدُوا الإبـل .

وكانت لامرئ القيس رواحل مُقَيَّدة عند البيوت خوفا من أن يَدْهَمَه أمر ليسبق عليهن . فخَرج نفرٌ منهم فركبوا الرَّوَاحِل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جَدِيلة ، فرجعوا إليه بلا شَىْء . فقال فى ذلك :

عَجِيبٌ له مَشْى الحُزُقَّةِ خالد ... كمَشى أتانٍ خُلِّيت عَنْ مَنَاهل[1]
فدع عنك نَهْبًا صِيحَ فى حَجَرَاتِه ... ولكن حديثًا ماحَدِيثُ الرَّوَاحِل

---

(١) فى غ :

وأعجبنى مشى الحزقة خالد ... كمشى أتان حلئت بالمناهل

وهى رواية الديوان .

ففرَّقت عليه بَنُو نبهان فِرْقاً من مِعْزًى يحلُبها . فأخذ ذلك وأنشأ يقول :

إِذَا ما لم تــكن إبل فَمِعْزَى　　كأنَّ قرون جِلَّتِها عِصِيّ

إذا ما قَام حَالِبهــا أرنَّت　　كأنَّ القومَ صَبَّحهم نَعِيّ

فتمــلأُ بيتَنَا أقِطاً وسَمْناً　　وحَسْبُك من غنىً شِبَعٌ ورِيّ

فكان عندهم ما شاء الله . ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَين واتخذ عنده إبلا . وعامر يومئذ أحد الخُلَعاء(١) الفُتَّاك قد تبرأ قومُه من جَرَائِره فأقام عنده ما شاء الله . ثم هَمَّ عامِر أن يَغْلِبَه على أهله وولده وماله . ففَطِن امرؤ القيس بذلك من شعر كان ينطق به عامر وهُوَ :

فكم بالصَّعيد من هِجَان مُؤَبَّله　　تسير صِحَاحاً ذاتَ قيــد ومُرْسَله

أردتُ بهـــا فتكا فلم أرتَمِض له　　ونَهْنَهْتُ نَفْسِي بعد ما كدتُ أفعلَه

وكان عامر أيضا يعرِّض بهند بنت امرئ القيس بقوله :

أَلا حَيِّ هنــداً وأطــلالهــا　　وتَظعــانَ هِند وتحــلالهــا(٢)

همَمــتُ بنفسيَ كُلَّ الهُموم　　وأَوْلَى لِنَفْسِي أَوْلَى لهـــا

سأحمــل نفسي على آلة(٣)　　فإمَّــا عليهــا وإمــا لهــا

ويقال : إن هذه الأبيات للخنساء بنت عمرو بن الشَّريد فى قصيدتها :

أَلَا ما لِعَيْنِي أَلا ما لهـــا　　لقد أخضلَ الدمعُ سِرْبَالَهــا

فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على نفسه وماله وأهله انتقل إلى رجل من بني ثُعَل يقال له : حارثة بن مُرّ فاستجار به فأجاره . فوقع الحرب بين عامر وبين

---

(١) فى ت : الحلفاء .

(٢) فى ت : وترحالها .

(٣) الآلة : الحالة .

الثُّعَلِيّ وجرت فى ذلك أمور نخرج من عنده ونزل برجل من بنى فَزَارة يقال له: عمرو ابن جابر بن مازن يطلب منه الجِوَار حتى يَرَى ذاتَ عَيْبه .

فقال له الفزَارِى : يا ابن حُجْر ، إنى أراكَ فى خَلَل من قومك وأنا أهش[1] بمثلك من أهل الشرف وقد كدت بالأمس تؤكل فى دار طيء . وأهلُ البادِية أهل وبر[2] لا حصون تمنعهم ، وبينك وبين اليمن ذُؤْبانٌ من قيس ، أفلا أدلك على بلد ! فقد جِئْتُ قيصرَ وجِئْتُ النعمان فلم أرَ لضَيْف نازل ولا لمُجْتَدٍ مِثلَه ولا مثل صاحِبه . قال : ومَنْ هو وأين مَنْزِله؟ قال : السمَوْءَل وهو بتيماء ، وسوف أضرب لك مَثَله، هو يمنع ضعفك حتى تَرَى ذاتَ عيبك وهو فى حصن حَصِين وحَسَب كَبير، فقال امرؤ القيس : وكيف لى به ؟ قال : أوصلك إلى من يوصلك إليه ؛ فمضى إلى رجل من فَزَارة يقال له: الرَّبيع بن ضَبُع قد كان ممن يأتى السمَوْءَل فيَحْمِله ويُعْطيه، فلما صار إليه قال له الفَزَارِىّ إن السموءل يعجبه الشِّعر . فتعال حتى نتناشد أشعارا . فقال له امرؤ القيس : قل حَتَّى أقول . فقال الربيع :

قل للسموءل[3] أىّ حِين نَلْتقِى ... بِفِناء بيتك فى الحضيض المُزْلِق

وهى طَوِيلة يَقُولُ فيها :

ولقد أتيتُ بَنِى المُصاص[4] مُفَاخِراً ... وإلى السموءل زُرْتُه بالأَبْلَقِ

فأتيتُ أفضلَ من تحمَّل حاجةً ... إن جئتَه فى غَارِمٍ أو مُرْهَقِ

عرفَتْ له الأقوامُ كُلَّ فَضِيلة ... وحَوَى المَكارِم سابقا لم يُسْبَقِ

---

(١) فى غ : أنفس .

(٢) فى غ : بر

(٣) فى غ : للمنية !

(٤) فى ت : المضاف .

فقال امرؤ القيس :

طرقتك هِنْدٌ بعد طول تَجَنُّبٍ وَهْناً ولم تَكُ قبل ذلك تَطْرُقُ

وهى طويلة .

والظاهر أنها مُنْتَحَلة لأن التوليد فيها بَيّن ، وليست مما يُشْبِه كلامَ أمرىء القيس وما دوَّنها فى ديوانه أحدٌ من الثِّقات ؛ وأحسبها مما صنعه دَارِم لأنّه من ولد السَّموءل .

فوفد الفزَارِى بأمرىء القيس إليه . فلما كانوا ببعض الطريق إذا ببقرة وَحْشِيّة مَرْمِيّة . فلما نظر إليها أصحابُه قاموا إليها فذكَّوْها . فبيناهم كذلك إذا هم بقُنَّاصها وهم قوم من بنى ثُعَل[1] فقالوا[2] لهم : مَنْ أنتم ؟ فانتسبوا لهم وإذا هم جيران السموءل فانصرفوا جميعا إليه وقال امرؤ القيس :

رُبَّ رام من بنى ثُعَلٍ مخرِجٌ كَفَّيْه من قُتَرِه[3]
عارضٍ زوراءَ من نَشَمٍ غير باناةٍ[4] على وتَرِه
قد أتته الوحش وَارِدةً فتَمَتَّى[5] النزع من يَسَرِه
فرماها فى فَرَائصها بإزاء الحوض أو عُقْرِه
برَهِيشٍ[6] من كنانته كَتَلَظِّى الجمر فى شَرَرِه
رَاشَه من ريش ناهضةٍ ثم أَمْهاه على حَجَرِه

(١) ثعل : قبيلة من طيء .
(٢) فى ت : فقال .
(٣) فى ت : ستره .
(٤) فى غ: مع بانأة . والبانأة : لغة طيء فى البانية، كما يقولون : فى ناصية ناصاة . والبانية من القسى : التى لصق وترها بكبدها حتى كاد ينقطع وترها فى بطنها من لصوقه بها ، وهو عيب .
(٥) فى غ : فتثنى النزع فى يسره .
(٦) الرهيش : السهم الضامر الخفيف .

فهـــو لا تَنْمى رَمِيَّتُهُ   ماله لا عُدَّ من نفره
[مُطعِم للصَّيْد ليس له   غيرها كَسْب على كِبَرِه](١)

(ثم قدموا على السموءل فأنشده الشعر، وعرف لهم حقهم؛ فأنزل المرأة فى قُبّة من أدَم وأنزل القوم فى منزل له بَرَاحٍ فكان عنده ماشاءَ الله.

ثم إنه طلب منه أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شمر الغسّانى بالشأم ليوصله إلى قيصر؛ واستنجد معه رجلا واستودعه المرأة والأدراع والمال وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث بن معاوية وهو ابن عمه فمضى حتى انتهى إلى قيصر؛ فقبله وأكرمه وكانت له عنده منزلة.

فاندس رجل من بنى أسد يقال له الطّماح، وكان امرؤ القيس قتل أخاه فورد بلاد الروم فأقام هناك مستخْفِيا. ثم إن قيصر ضم إليه جيشا كثيفا وفيهم جماعة من أبناء الملوك فلما فصل قال قوم لقيصر: إن العرب قوم غَدرٍ ولا تأمن أن يظفر فيغزوك بمن بعثت معه. وقيل: بل قال الطماح: إن امرأ القيس غَوِىّ عاهِر وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يواصل ابنتك ويراسلها، وهو قائل فى ذلك أشعارا يُشَهِّرُها بها فى العرب فيفضَحُها ويفضحك. فبعث إليه بحُلَّة من وَشْى مَسْمُومة ثم قال له: إنى أرسلت إليك بحُلَّتى التى كنت ألبَسُها تكْرِمةً لك فإذا وصلتْ إليك فالْبسها باليمن والبركة، واكتب إلىّ بخبرك من مَنزِل مَنزِل. فلما وصلت إليه لبِسها واشتد سروره بها؛ فأسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سُمِّى ذا القُرُوح.

وقال فى ذلك:

لقد طمَح الطمّاح من بُعد أرضه   ليُلبسنى مما يُلَبِّس أبؤسا
فلو أنَّها نفس تموت سَوِيَّةً   ولكنّها نفسٌ تساقط أنفُسا

(١) لم يرد هذا البيت فى غ.

فلما صار إلى بلد من بلاد الروم تُسمّى أنقرة احتُضِر بها .

فقال :

رُبّ خُطبةٍ مُسْحَنْفِرهْ وطَعْنةٍ مُثْعَنْجِرَه
وجَفْنةٍ مُتَحَيِّره حَلّتْ بأرض أنقِره

ورأى قبر امرأة من بنات الملوك ماتت هناك فدُفنت فى سفح جبل يقال له: عَسِيب؛ فسأل عنها فأُخبر بقِصَّتِها فقال :

أجارتَنا إن الُخطوبَ تَنُوب[1] وإنى مقيم ما أقام عَسِيب
أجارتنا إنا مقيمان[2] هاهنا وكُلّ غَريب للغَرِيب نَسِيب

ثم مات فدفن إلى جَنْبِ المرأة فقبره هناك .

قال عبد الملك بن عُمَيْر : قَدِمَ علينا عمر بن هُبَيْرة الكوفة فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه أهل الكوفة فسمرنا عنده ثم قال : ليحدّثنى كُلُّ رجل منكم أُحدوثَةَ وأبدأ أنت يا أبا عَمْرو[3] . فقلت : أصلح الله الأمير أحديثَ الحقّ أم حديثَ الباطل ؟ قال : بل حديثَ الحق . قلت : إن امرأ القيس آلى بأَلِية: ألّا يتزوج بامرأة حتى يسألها عَن ثمانِية وأربعة واثْنَتَين ؛ فجعل يخطب النِّساء فإذا سألهنّ عن ذلك قلن : أربعة عشر . فبينا هو يسير فى جَوْف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً صغيرةً له كأنها البدر فأعجبَتْه ؛ فقال : يا جارية ؛ ما ثمانِية وأربعة واثنتان ؟ فقالت له : أما الثمانية فأطباء الكَلْبة . وأما الأَرْبَعَة فأخلافُ النّاقة . وأما الاثنتَان فثَدْيَا المرأة . فخَطَبها إلى أَبيها فزَوَّجها إياه . وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك وعلى أن يَسُوق إليها مِائة من الإبل وعشرة أَعْبُد وعَشْرَ

(١) فى غ : إن المزار قريب .
(٢) فى غ : غريبان .
(٣) يكنى عبد الملك بن عمير أبا عمر وأبا عمرو .

وصائف وثلاثةَ أفراس، ففعل ذلك . ثم إنَّه بعث عبدا له إلى المرأة وأهدى لها حُلَّة من عَصْب ونِحْياً من سَمن ونِحْياً من عسل . فنزل العَبْدُ ببعض المِياه فَنَشَر الُحلَّة فَلَبِسها فتعَلَّقَت بسَمُرة[1] فانشقت ، وفتح النِّحْيين فأطعم أهلَ الماء منهما فنقَصا . ثم قدم على حَيّ المرأة وهم خُلُوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعْلِمْ مولاك أن أبى ذهب يُقرِّب بعيدا ويُبَعِّد قريبا وأن أمى ذهبت تَشُقّ النَّفْسَ نَفْسَين وأن أخى ذهب يُرَاعِي الشَّمْس ، وأن سماءكم انشقت وأن وِعَاءيْكم نَضَبا . فقدم الغلام على مولاه فأخبره . فقال: أما قولُها: ذَهب أبى يقرِّب بعيدا ويبعد قريبا، فإن أباها ذهب يُحالف قوما على قومه. وأمَّا قولها: ذهبت أُمِّى تشقُّ النفس نفسين ، فإن أمها ذهبت تَقْبَلُ[2] امرأة نُفَسَاء . وأما قولُها ذهب أخى يُرَاعِى الشمس ، فإن أَخَاها فى سَرْح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس لِيَرُوحَ به . وأمَّا قولها: فإن سماءكم انشقت ، فإن البُرْد الذى بعثت به انشق . وأما قولها: فإن وعاءيكم نَضَبا ، فإن النحيين اللذين بعثتُ بهما نَقَصا . فاُصدُقْنِي، فقال : يا مولاى ، إنّى نزلت بماء من مياه العرب ، فسألونى عن نسبى فأخبرتُهم أنى أبنُ عَمّك ، ونشرتُ الحلَّة وتجمَّلْت بها فلَبِسْتُها فتعَلَّقت بسَمُرَة فانشقَّت ، وفتحتُ النِّحيين فأطعمتُ منهما أهل الماء . فقال : أَوْلَى لك ! ثم ساق مِائَةً من الإبل وخرج ومعه الغلام فنزل منزلا فقام الغلام يسقى الإبل فعجَز ؛ فأعانه امرؤ القيس ؛ فرمى به الغلام فى البئر وخرج حتى أَتَى[3] المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجُها . فقيل لها : قد جاء زَوْجُك . فقالت : واللهِ ما أدرى أزوجى هو أم لا ! ولكن انحروا له جَزُورا وأَطْعِمُوه من كَرِشها وذَنَبِها ففعلوا . فأكل ما أطعموه فقالت : اسقوه لبنا حازرا

(١) فى غ : بعشرة . والسمرة : الشوكة .

(٢) قبلت المرأة الولد : تلقته عند الولادة .

(٣) فى ت : نزل.

وهو « الحامض » فسقوه فشرب . فقالت : أَفرِشُوا له عند الفَرْث والدم ، ففعلوا فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : إنى أريد أن أسألك . قال : سَلِى عما بدا لك . فقالت : مِمَّ تَخْتَلِج شَفَتاك ؟ قال : لتَقْبيلِى فَاكِ[1] . قالت : فلِمَ يَخْتَلِج كَشْحَاك ؟ قال : لالتزامى إيَّاكِ . قالت : مِمَّ يَخْتَلِج فَخِذَاك ؟ قال : لتورُّكى إيَّاكِ . فقالت : عليكم العبدَ فشُدُّوا أَيْدِيَكم به ففعلوا . ومر قَوْمٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البِئْر ؛ فرجع إلى حَيِّه فاستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجك ، فقالت : والله ما أَدْرِى أزوجى هو أَمْ لَا ! ولكن انْحَروا له جَزُوراً وأطعموه من كَرِشِها وذَنَبِها ففعلوا . فلما أَتَوْه بذلك قال : وأين الكَبِدِ والسَّنَام والمَلْحَاء[2] ؟ وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبنا حَازراً . فأُتِى به فأَبَى أن يشربه وقال : أين الصَّرِيفُ[3] والرثيئة[4] ؟ فقالت : افرِشُوا له عند الفَرْث والدَّم ففرشوا له فأَبَى أَنْ يَنَام وقال : افرشوا لى فوق التَّلْعَة الحَمْرَاء ، واضرِبوا عليها خِبَاء . ثم أرسلت إليه : هَلُمَّ شَرِيطَتى عليك فى المَسَائل الثلاث . فقال : سلِى ما شِئْت فقالت مِمَّ تَخْتَلِج شَفَتَاك ؟ قال : لرشْفِى المُشَعْشَعَات . قالت : فلم يَخْتَلِج كَشْحَاك ؟ قال : لِلُبْسِى الحِبَرَات . قالت : فلم يختلج فَخِذاك ؟ قال : لركْضِى المطهَّمات . قالت : هذا زَوْجِى لعَمْرِى ! فعليكم به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه . ودخل امرؤ القيس بالجارية . فقال ابن هبيرة : حسبكم فلَا خَيْر فى الحديث سائر الليلة بعد حَديثك يا أبا عمرو ؛ ولن يأتينا أعجب منه ، وأمر لى بجائزة .

---

(١) فى غ : إياك .

(٢) الملحاء : لحم فى الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير .

(٣) الصريف : الحليب الحار ساعة يحلب من الضرع .

(٤) الرثيئة : اللبن الخاثر .

قال الخليل بن أحمد : قَدِم على امرئ القيس بعد مقتل أبيه رجال من قبائل العرب وكان فى بنى أسد مقيما وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وِردا وإصْدَاراً ، فعرَف ذلك له مَنْ كان مُحِيطاً بأكناف بلده من العرب . فلما علم بمكانهم أمَر بإنزالهم وتقدم بإكرامهم وأفضل عليهم واحتجب عنهم ثلاثا . فسألوا من حضرهم من رجال كندة عَنْه ، فقالوا : هو فى شغل بإخراج ما فى خزائن حُجْر من السلاح والعُدَد . فقالوا : اللهم عَفْوًا[1] ، إنّما قَدِمنا فى أمر نَتَنَاسى به ذِكْر ما سلف ونستدرك به ما فرَط ، فليُبَلَّغ ذلك عنا . فخرج إليهم فى قَبَاء وخُفٍّ وعمامة سَوْدَاء والعرب لا تَعْتَم بالسَّوَاد إلا فى طلب الثَّارَات . فلمّا نظروا إليه قاموا فبَدَرَ قَبِيصة فاعتنقَه وسلم عليه الآخرون وجلس وجلسوا ، فقال قبيصة : إنك فى المَحَلِّ والقَدْر من المعرفة بتصرُّفِ الدَّهْر وما تُحدِثُه أيّامه وتنتقل به أحْواله بحيث لا تَحْتاج إلى تَبْصِرة من وَاعِظ ولا تَذْكِرة من مُجرِّب . ولك من سُؤْدُد مَنْصِبك وشَرَف أعراقك وكرم أصلك فى العرب مَحْتِد يَحْمِل[2] ما حُمِل عليه من إقالة العَثْرة ، ورجوع عن شَهْوة[3] ، ولا تَتَجَاوَز الهِمَم إلَى غَايَة إلّا رجعت إليك فوجدتْ عندك من فَضِيلة الرأى وبصيرة الفَهْم وكرم الصَّفح فى احتمال الهفوة وإقالة النَّبْوة ما يطول رغباتها ويستغرق طلباتها . وقد كانَ الذى كان من الخطْب الجليل الذى عمَّت رَزِيته نزارا واليمن ، ولم تَخْصُص بذلك كِندَة دونَنا للشَّرَف الباذخ وكان لحجر ذِى التَّاج والعِمَّة فوق الجبين الكريم وأَصْنَافِ الحَمْد وطِيبِ الشِّيم . ولو كان يُفْدَى هَالِكٌ بالأنفس الباقية بعده لمَا بَخِلت كرائِمُنا بها على مثله ببذل ذلك كله ولفديناه ولكن

---

(١) فى غ : غفرا .

(٢) فى غ : محتمل يحتمل .

(٣) فى غ : هفوة .

مَضَى فى سبيل الله لا يَرْجِع أُولاه على أُخْرَاه ولا يَلْحَق أقصاه أدناه . فأحْمدُ الحالات فى ذلك أن تعرف الواجبَ عليك فى إحدى خلال : إما اُخترت من بنى أسد أشرفَها بيتا ، وأعلاها فى بناء المَكْرُمات صوتا ، فقدْنَاه إليك بِنِسْعة تذهب مع شَفَرات حُسَامك ما فى قَصَرَته[1] ، فيقول رجلٌ : أُمتُحِن بهُلْك عزيزه فلم تُسَلّ سَخِيمَتُه إلا بتمكينه من الانتقام ؛ أو فداء بما يرُوح على بنى أسد من نَعَمِها فهى أُلوف تُجاوز الحِسْبَة فكان ذلك فداء رجعت به القُضُب إلى أَجْفَانِها ولم تردها بتسليط الإحن على البرآء وإمَّا أن وادَعْتَنا إلى أن تَضَع الحوامل فَنَسْدِل الأُزُر ونَعقِد الخُمُر فوقَ الرّايات . قال : فبكى ساعة ثم رفع رأسه وقال : لقد علمت العرب أنه لا كفء لحجْر فى دم ، وإنى لن أعتاض به جملا ولا ناقة أكتسب به سُبَّةَ الأَبدَ وفَتَّ العَضُد . وأمَّا النَّظِرة فقد أوجبتُها للأَجِنَّة فى بطون أُمَّهاتِها ولن أكُونَ لعَطَبِها سببا ، وستعرفون طلائع فتيان كِندة من بعد ذلك تحمل فى القلوب حَنَقاً وفوق الأسنة عَلَقا ثم قال :

إذا جالت الخيل فى مأزِق ... تُصَافِح فيه المَنَايا النُّفُوسا

أتقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل تنصرف بأسوأ الاختيار وأبلى الاجترار لمكروه وأذيّة ، وحرب وبَلِيَّة . ثم نهضوا عنه وقبيصة يقول متمثلا :

لعلك أن تَسْتوخِمَ الورْدَ[2] إن غدت
كتائِبُنا فى مأزِق الموت تَمْطُرُ

---

(١) القصرة : أصل العنق . وفى غ : قصدته .
(٢) فى غ : الموت .

فقال امرؤ القيس : لا والله ولـكن أستعذبه فرُوَيْداً تنفرج لك دُجَاها عن فُرسان كِندة وكَتَائِب حِمْير . ولقد كان ذ كرُ غير هذا أَوْلى بى إذ كنت نازلا برَبْعِى ؛ ولـكنك قلت فأجبتُ .

فقال قبيصة : إن ما يُتوَقَّع فوق قدر المُعاتَبة والإعتاب . قال أُمرؤ القيس فهو ذاك[1] .

---

(١) فى ت : كذلك .

أشهب بن رميلة

هو أشهب بنُ ثَور بن حَارِثَة بن عبد المدان بن جَنْدل بن نَهْشَل بن دَارِم بن عمرو ابن تَمِيم .

ورُمَيلة أمه ، هي أَمةٌ لخالد بن مالك بن رِبْعى بن سَلْمَى بن جَنْدَل بن نَهْشَل ابن دَارِم .

وولدُها يزعمون أنها كانت سَبِيَّة من سَبايَا العرب ، فولدت لثور بن حَارِثة أربعة نفر ، وهم رَبَاب وحَجْنَاء ، والأَشْهَب وسويد[1] وكانوا من أشدّ إخْوَة فى العرب لِسانًا ويدًا ، ومَنَعَةً للجانب ، وكَثُرت أموالهم فى الإسلام .

وكان أبوهم ثورٌ أبتاع رُمَيْلة فى الجاهليّة ، وولدتهم له فى الجاهليّة ، فعَزُّوا عِزًّا عَظِيما حتى كانوا إذا وردوا ماء من مياه الصّمّان[2] حظروا على الناس ما يُرِيدونه منه .

وكانت لرُمَيْلَة قَطِيفة حَمْرَاء ، وكانوا يأخذون الهُدْبَ من تلك القطيفة فيُلقونه عَلَى[3] الماء ، أى قد سبقنا إلى هذا وشربنا منه ، فلا يَرِدُه أحد لعِزّهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويَدَعُون ما يستغنُون عنه . فوردوا فى بعض السنين ماءً من مياه الصّمّان وورد معهم ناسٌ من بنى قَطَن بن نَهْشَل .

وكانت بنو قَطَن بن نهشل وبنو زيد بن نَهْشَل وبَنُو عبد مناف[4] بن دَارِم

---

(٢) فى ت : أشهب وسويط

(٢) الصمان : جبل فى أرض تميم .

(٣) فى ت : بأعلى .

(٤) فى غ : مناف .

حُلَفَاء . وكانت الأَعْجَازُ[1] عليهم . وهم جَندل وجَرْوَل وصَخْر بَنُو نَهْشَل . فأورد بعضُهم بعيَره فأشرعه حوضاً قد حظَروا عليه وبلغهم ذلك فغَضِبوا منه وأجتمعوا وأحلافُهم ، واجتمعت الأحلافُ عليهم ، فاقتتلوا وضرب رَبَابُ بن رُمَيْلَة رأس نُسَيْر ابن صُبَيْح المعروف بأبى بَدَّال ، وأمه بنت أبى الحُمَام بن قُرَاد بن مَخْزوم . وقال رباب فى ذلك :

ضربتُه[2] عَشِيَّةَ الهِلال　　أوّلَ يوم عُدّ من شوّالِ
ضرباً على رأس أبى بَدَّال　　ثُمَّتَ مـا أُبْتُ ولا أُبَالِى
ألّا يؤُوبَ آخر الليالى

فجمع كُلّ واحد منهما لصاحبه . فقالت بنو قَطَن : يا بنى جَرْول ويا بَنِى صَخْر ويا بَنِى عَبْد مَنَاف[3] ، ضرب صاحبُكم صاحبَنا ضربةً لا نَدْرِى أيموت منها أم يعيش . فأنصِفوا ، فأبى القومُ أن يَفْعَلُوا فاقْتَتَلُوا يومَهم إلى اللَّيْل .

وكان أُبَىّ بن أشيَم أخو بنى جَرْول وهو سيِّدهم قد خرج لحاجة ، فلقيه بعض بنى قَطَن فأسَره وأَتَى به أَصْحَابه . فقال نهشل بن حَرِّىّ : يا بنى قَطَن . أطيعونى اليوم وأعصونى أبدا فقالوا : نعم فقال : إن هذا لم يشهد أمركم[4] ولا حَرْبَكم ولا يحل لكم دمُه ، وإن قومَه أحرُّ مَنْ يقاتلكم وشوكَتُهم ؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخَلّوا سَبِيله . قالوا : افعل ما رأيت فأتاه نَهْشل فقال له : يا أبا أسماء ، إن قومك قد حالوا بيننا وبين حقِّنا وقد قاتلونا دونه. وقد أمكننا اللهُ منْك وأنت والله أوْفَى دَماً عندنا من بنى رُمَيْلَة ، فوالله لأقتُلَنَّك أو تُعطِيَنى ما أسألك ، قال : افعل . قال :

---

(١) فى ت : الأحجار .
(٢) فى ت : مر به .
(٣) فى غ : مناف .
(٤) فى غ : شركم .

تَصْرِفَ عنّا بَنِى جَرْوَل ، فإن لم يطيعوك انصرفتَ ببنى أَشْيَم ، فإن لم يطيعوك أتيتنا ، قال: نعم. تُخَلِّى سبيلَه تحت الليل فأتاهم وهم بحيث يرى بعضُهم بَعْضًا فقال : يا بنى جَرْوَل أنصرفوا ؛ أتَعْتَرِضُون على قوم يريدون حَقَّهم! ألا تخافون الله والله! لقد أسرنى القوم ولو أَرَادوا قَتْلى لكان فيه وفاء بحَقِّهم[1] ، ولكنهم يكرهون حربكم فلا تبغوا عليهم. فانصرف مِنهُم أكثر من سَبْعين رجلا .

فلما رأى ذلك بَنُو صَخْر وبنو جَرْوَل قالوا : والله إنا لَنَظْلِم قومَنا إن قاتلناهم. وانصرفوا وتخاذل القومُ .

فلما رأى ذلك أشهب بن رُمَيْلة قال : ويلكم أفى ضربةِ عصا لم تصنع شَيْئًا تسفِكون دِمَاءكم ! والله مابه من بأس ، فأعطُوا قومَكم حقَّهم ، فقال حجناء ورِبَاب : والله لَنَنْصَرِفَنّ[2] فنلحَقَنَّ بغيركم ولا نُعْطى ما بأَيْدِينا . فجعل الأشهب يقول : ويلكم أتخربون دار قومكم فى ضربة عصاً لم تبلغ شيئا ! فلم يزل بهم حتى جاءوا بِرِبَاب فدفعوه إلى بنى قَطَن وأخذوا منهم أبا بَدَّال ومات المَضْروب تلك الليلة ، فكتموا أمره وأرسلوا إلى عَبَّاد بن مسعود ومالك بن رِبْعِى ، ومالك بن عَوْف والقَعْقَاع بن سعيد ، فعرضوا عليهم الدية فقالوا : وما الدّية وصاحبنا حَىّ ! قالوا : فإن صاحبكم ليس بحَىٍّ . فأمْسَكُوا وقالوا : نَنْظُر . ثم جاءوا إلى رِبَاب وقالوا : أوْصِنَا بما بَدَا لَك. قال دَعُونى أُصَلِّ ركعتين. قالوا صلِّ فصلّى ثم قال: أما والله إنى إلى ربى لَذُو حاجَة ، وما يمنعنى أن أزيد فى صلاتى إلا أن تروا أَنّ ذلك فَرَقٌ من الموت ، فليضرِبنى رجل منكم شَدِيدُ السَّاعد حديدُ السيف . فدفعوه إلى أبى خُزَيْمة بن نُسَيْر المكنِىّ بأَبى بدَّال فضرب عنقه ودفنوه .

(١) فى ت : لحظكم .
(٢) فى ت : لتنصرون .

وذلك فى الفتنة بعد قَتْل عثمان . فقال الأشهب يرثى أخاه ويلوم نَفْسه فى دَفْعه إليهم لتَسْكُنَ الحربُ :

أعينىّ قلَّت عبرةٌ من أخيكما بأن تَسْهَرا اللّيلَ التِّمام وتَجْزَعا
وباكية تنعَى رَبَاباً[1] وقائل جزى اللهُ خيرا ما أعفَّ وأمنعَا
وأضربَ فى الهَيْجَا إذا حَمِىَ[2] الوغى وأطعمَ إذْ أَمْسَى المَرَاضِيع جُوَّعا
إذا ما اعتوضنا[3] من أخينا أخَاهم رَوِينا ولم نشف الغليل فينَقَعَا
قرَوْنا دَماً والضيفُ مُنْتَظِرُ القِرَى ودعوةِ داعٍ قد دعانا فأسمعا
مَرَدْنَا وكانت هفوةً من حُلُومنا بشَدْيٍ إلى أولاد ضَمْرَةَ أقطعا
وقد لامَنِى قَوْمِى ونَفْسِى تَلُومُنى بما قَال رأيى[4] فى رباب وضَيَّعَا
فلو كان قلبى من حديد أذَابَه ولو كان من صُمِّ الصَّفَا لتَصَدَّعَا

(١) فى غ : تبكى الرباب .
(٢) فى غ : حمس .
(٣) فى غ : اعترضنا .
(٤) فى ت : رأى .

المعتَضِد بالله أحمد

(هو أَبُو العبَّاس، أحمد بن الموفق أبى أحمد، طلحةُ بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم أبى إسحاق محمد بن الرشيد هارون. وأمه ضرار. ولد فى ذى الحِجَّة سنة اثْنَتَيْن وأربَعِين وما ئَتَيْن)

قال عبيد الله[1] بن سليمان: دعانى المعتضد يوما فقال لى: لا تعاتب بدرا على ما لا يزال يستعمله فى التخرّق فى النفقات والزّيادات والصِّلات! وجعل يؤكد القول علىّ فى ذلك؛ فلم أخرج من حضرته حتى دخل عليه بدر فجعل يستأذنه فى إطلاقات مُسْرِفَة ويَسْتَأْمِره فى نفقات وَاسِعَة وصلات سنيَّة وهو يأذن له فى ذلك. فلمَّا خرج رأى فى وجهى إنكاراً لِمَا فعله بعد ما جرى بينى وبينه؛ فقال لى: يا عبيد الله[1]: عرفتُ ما فى نفسك؛ وإنى وإيَّاه لكما قيل:

فى وَجْهِه شافِعٌ يمحو إساءَتهُ ... مِنَ[2] القلوب مطاعٌ حيثما شَفَعَا
مُستقبَلٌ بالذى يَهْوَى وإن كثُرت ... مِنْه الإساءة معذور بمـا[3] صنعا

(وكان المُعْتَضِد يُغَنِّى)، ومن جَيِّد أصواته:

أناةً فإن لم تُغْنِ عقّبَ بعدها ... وَعِيدًا فإن لم يُغْنِ أغنتْ عَزَائِمُه

وهذا الشعر لإبراهِيمَ بن العَبَّاس وكان وَقَّع له فى أثناء مُكَاتَبَة على أنّه نَثْر فلما رآه شعرا أخرجه فى شعره وسنذكره فى ترجمته هنا:

---

(١) فى ت: عبد الله.
(٢) فى ت: إلى.
(٣) فى غ: مغفور لما.

إبراهيم بن العباس

هو إبراهيم بن العَبَّاس بن محمد بن صُول ، وكان صُولٌ تركيا ، فتح يزيد بن المهلّب بلده وأسلم على يده ، فهُم مَوَالِي يزيد . ولما دَعَا يزيد إلى نفسه لَحِق به صُولٌ وغيره لينصره فصادفه وقد قُتِل .

وكان يقاتل كُلَّ مَنْ بَيْنَه وبين يَزِيد من جيش بَنِي أمية ويكتب على سهامه : صُولٌ يدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . فبلغ ذلك يَزِيدَ بن عبد الملك ، فاغتاظ وقال : وَيْلِي على ابن الغَلْفَاء[1] ! ماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ولعله لا يَفقَه صلاته ! وكان ابنه محمد بن صُول من رجال الدَّولة العَبَّاسية ودُعَاتها . وقد كان بعض أهليهم ادَّعى أنهم عرب وأن العباس بن الأحنف الشاعر خَالُهم .

وكان صول وأخوه فيروز ملكين على جُرْجَان[2] [وكانا][3] تركيين تمجَّسا تَشَبُّهاً بالفرس . فلما حضر يزيد بن المهلب جُرْجَان[2] أَمَّنَهما ، وأسلم صول على يده ولم يزل معه حتى قُتِل يوم العَقْر . وكان محمد بن صول يكنى أبا عمارة أحدَ الدُّعَاة ، قتله عبد الله بن عليّ لما خالف مع مُقاتِل بن حكيم .

(وأمَّا إبراهيم بن العَبَّاس وأخوه عبد الله فكانا مِن وجُوهِ الكُتّاب ، وكان عبدُ الله أسنَّهما وأشدَّهما وأوفاهما تَقَدُّما ، وكان إبراهيمُ أحسنَهما شعراً وأدباً يقول الشعر ثم يختاره ، ويُسقط رَذْله ، ثم يُسقِط الوسَط ، ثم يُسقِط ما سُبِق إليه ، فلا يَدَع من القصيد إلا اليسير ، وربما لم يدع منها إلا بيتاً أو بَيْتَيْن)

---

(١) في ت : القلفاء .

(٢) في ت : حرحران .

(٣) ساقطة من ت .

فمن ذلك قوله :

ولكنَّ الجوادَ أبا هِشَامٍ — وفىٌّ العهد مأمُون المَغِيب

وهذا يدل على أنَّ قبله غيره ؛ ومن شعره :

[أناةً فإن لم تُغنِ عَقَّب بعدها

وَعِيداً فإن لم يُغنِ أغنت عَزَائِمُهْ](١)

هذا البيت قاله وهو لا يعلم أنه شعر وإنما كتب رسالة إلى بعض الأطراف فقال فى فصل منها : « وإن عند أمير المؤمنين فى أمرك أناةً فإن لم تغْنِ عقَّب بعدها وعيدا ، فإن لم يُغنِ أغنت عزائمه » فلما تأمَّله رأى أنه شعر وأنه بيت نادر فأخرجه فى شعره .

وإبراهيم وأخوه عبدُ الله من صَنائع ذِى الرِّيَاسَتَين ، اتّصلا به فرفع منهما . وتنقَّل إبراهيم فى الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن مات وهو مُتَولٍّ ديوان الضِّياع والنفقات بسُرَّ مَنْ رأى فى نصف شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

(وكان دِعْبِل يقول : لو تكسَّب إبراهيم بن العبَّاس بالشِّعْر لتركنا فى غير شىء) وكان يستحسن قوله :

إن امرأً ضَنَّ بمعروفه — عنى لمبذولٌ له عذرى

ما أَنَا بالراغب فى عُرفه — إن كان لا يرغب فى شكرى

وكان إبراهيم بن العباس صديقا لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شحناء عَظِيمة لم يمكن تلافيها . وكان إبراهيم يهجوه من ذلك :

أبا جعفر خَفْ خَفْضَةً بعد رِفْعَة — وقصِّر قَليلا عن مَدَى غُلَوَائكا

فإن كان هذا اليومُ يوماً حَوَيْتَه — فإنَّ رجائى فى غد كرَجَائِكا

(١) جاء هذا البيت وما أعقبه من تعليق عليه ضمن ترجمة المعتضد فى الجزء العاشر من الأغانى طبع دار الكتب ، ص : ٤٢ .

وقال أيضاً :

دعوتُك فى بَلْوى ألَمّت صروفُها   فأوقدتَ من ضِغنٍ علىَّ سعيرَها
وإنّى إذ أدعــوك عند مُلِمَّةٍ   كداعية بين(١) القبورِ نَصيرَهَا

وله فيه :

لمّا أتانى خَـبَرُ الزّيّات   وأنه قــد صار فِى الأمْوَات
* أيقنتُ أنَّ موتَه حَيَاتِى *

ولما انحرف محمد بن عبد الملك الزيات عن إبراهيم تحَامَاه الناس أن يلقوهْ وكان الحارث بن بُسْخُنَّر صديقا له مصافيا ، فهجره مع من هجره من إخوانه .

فكتب إليه :

تغيَّر لى فيمن تغــير حَارِث   وكم من أخٍ قــد غيَّرتْه الحوَادِث
أحارِثُ إن شُورِكْتُ فيك فطالما   غنينا وما بينى وبينك ثَالِثُ

وله فيه :

خــلِّ النّفاق لأهــله   وعليــكَ فالتَمِس الطَّرِيقَا
وأرغَب(٢) بنفسك أن ترُى   إلَّا عَــدُوًّا أو صَدِيقَا

وكان عامر يهوَى مُغَنِّية(٣) بسُرَّ مَنْ رأى يقال لها : سامر، فجلس يوما للشّرب ومعه إخوان له وكان مَنْ حضر من جوَارِى القِيان ، فدعاها ، فأبطأت فتنغّص عليهم يومُهم لِما رأوا من شُغل قلبه بتأخُّرها ثم وافت فسُرِّى عنه وطابت نفسه وشرب وطرب . وكتب :

---

(١) فى غ : عند .
(٢) فى غ : واذهب .
(٣) فى غ : قينة .

ألم ترَيا[1] يومنا إذ نـأت ... فلم تأت من بين أترابها
وقد غمرتنا دواعى السرور ... بإشعالها وبإلهابها
ومدّت علينا سماء النّعيم ... وكلّ المنى تحت أطنابها
ولما نأت كيف كنّا لها ... ولما دنت كيف صرنا بها

وأمر من قرأ عليها الأبيات فتجنّت وقالت : ما القصة كما وصفتَ ، ولقد كنتم في قصفكم مع مَنْ حضر ، وإنما تجمّلتم لى لمّا حضرت . فقال فيها أبياتا أخرى حتى رضيت عنه .

ـ ومن جيّد شِعْره وكان الأخفش يستجيدها :

ـ أميل مع الصديق[2] على ابن أمّى ... وأَقْضِى[3] للصديق على الشّقِيق
أُفرّق بين معروفى ومَنِّى ... وأجمع بين مالِى والحُقوق
ـ وإن ألفَيْتَنِى ملكا[4] مُطاعاً ... فإنك واجدى عَبْد الصّدِيق

كان لابراهيم بن العباس ابن قد يَفَع وترعْرَع وكان به مُعْجَبا فاعتلّ عِلّة لم تطُل ومات . فجزع عليه جزعا شديدا ، ورثاه بمَرَاثٍ كثيرة منها :

كنتَ السوادَ لمُقْلَتِى ... فبكى عليك النّاظِر
من شاء بعدك فليمُت ... فعليك كنتُ أحاذر

وهب عبد الله بن العبّاس لأخيه إبراهيم ثُلُثَ مالِه ولأخيه[5] الآخر الثُّلُثَ وصار مُسَاوِيا لهما .

(١) فى غ : ترنا .
(٢) فى غ : الدمام .
(٣) فى غ : وآخذ . . من .
(٤) فى غ : حرا . وجاء البيت الثالث مكان الثانى .
(٥) فى غ : ولأخته الثلث الآخر .

فقال إبراهيم :

ولـكن عبدَ الله لَمَّـا حوى الغِـنَى ... وصـار له من بين إخوَته[1] مَـالُ
رأى خَلَّةً منهم تُسَـدّ بمـاَلِه ... فساهَمَهم حتى أستوت بِهم الحال

كان محمد بن عبد الملك قد وجَّه بأبى الجَهْم أحمد بن سيف[2] إلى الأهواز ليكشف إبراهيم[3] بن العباس فتحامل عليه تحاملا شديدا . فكتب إبراهيم إلى محمد يشكوه إليه ويُعَرّفه أمره ويقول له : أبو الجهم كافِرٌ لا يبالى ما عمِل ، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت:

تركتَ عبيد بنى طـاهر ... وقدملأُوا الأرض عَرْضاً وطُولا[4]
وأقبلتَ تسعى إلى واحدى ... ضِرَاراً كأنِّى قتلتُ الرسولا
فسوف أَدِين بتَرْكِ الصَّلاة ... وأصطَبِح الخمرَ صِرْفاً شَمُولا

وكان محمد لعصبيَّته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبى الجَهْم وإنما إبراهيم قاله ونسبه إليه .

لمّا عُزِل إبراهيم بن العبّاس عن الأهواز فى أيام محمد بن عبد الملك الزيات أُعتُقِل بها وأُوذى ، وكان محمد قَبْل الوزارة صديقَه ، وكان يؤمل أن يُسَامِحَه ويُطلِقَه . فكتب إليه :

فلو إذ نَبَا دهرٌ وأُنكِر صاحب ... وسُلِّط أعداء وغـاب نَصِيرُ
تكون عن[5] الأهواز دارى بنجوة ... ولـكن مقـاديرٌ جرت وأَمورُ
وإنى لأرجو بعد هذا مُحَمَّدا ... لأفضَلِ مـا يُرْجى أخٌ ووَزِير

---

(١) فى ت : إخوانه .
(٢) فى ت : يوسف .
(٣) فى ت : ليكشف على إبراهيم .
(٤) جاء هذا البيت فى غ مكان الثانى والثانى مكان الأول .
(٥) فى ت : مع .

فأقام محمد على قصدِه والإساءة [إليه][1] حتى بلغ منه كل مكرُوه ، وانفرجت الحال بينهما بعد ذلك ، وهجاه إبراهيم هجاء كثيرا وبسط لسانه فيه . فمن ذلك ما قاله فيه لما رفع الواثق يده عنه ورده إلى الحضرة مصونا :

قدرت ولم تَضْرُرْ[2] عدُوًّا بقُدْرَة   وسُمْت به إخوانَك الذُّلَّ والرَّغْما
وكنت مليئاً بالتي[3] قد يَعَافُها   من النَّاسِ مَنْ يأبى الدَّنِيَّة[4] والذَّمّا

قال جَعْفَر بن رفعة : دعانى إبراهيم بن العبَّاس وقال : قد قلت فى أمير المؤمنين المتوكل بَيْتَيْن فغَنِّ فيهما وأشعْهُما ، ودعا لى بِطِيب كثير فأعطَانيه ، وخَلَع على خِلْعَة سَنِيّة[5] فغَنَّيْتُ فيهما . وهما :

مـا واحدٌ من واحدٍ   أولى بفضل أو مُرُوَّهْ
ممّن أبوه وجَدُّه[6]   بين الخلافة والنُّبُوَّهْ

فأشعتهما وغَنَّيْت بهما المتوكل فاستحسنهما ووصلنى بصلة سَنِية .

دخل إبراهيم بن العباس عَلَى عِلِى الرِّضا رضى الله عنه وقد عقد له المأمون ولاية العهد .

فأنشده قصيدته :

أزالت عَزَاءَ القلب بعدَ التَّجَلُّد   مصـارعُ أولادِ النبى مُحَمَّد

فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التى ضربت باُسمه فلم تزل عند إبراهيم وجعل منها مهور نسائه وخلّف بعضها لكفنه وجهازه وقبره .

---

(١) ساقطة من ت .
(٢) فى غ : تضرب .
(٣) فى ت : مليا بالذى .
(٤) فى غ : الدنيئة .
(٥) فى غ : سرية .
(٦) فى ت : محمد .

قال عَلِى بن يَحْيَى : بعث المتوكل إلى إبراهيم بن العباس يأْمُره أن يصف له القدورَ الإبرَاهِيمِيّة ، التى كان ابتدعها ، فكتب له صفتها ، وكتب فى آخرها فى ذكر الأبازير « ووزن دَانِق » ونسى أن يكتب من أىّ شىء. فلما وصلت إليه الصفة أغتاظ غيظا وقال لعلىٍّ: أُحْلف بحيَاتى[(1)] أن تقول له ما آمرك ، ففعل . فقال : قل له : وزن دَانق من أىّ شَىْءٍ؟ أمِن[(2)] بَظْر أمّك ! قال على بن يحيى : فدخلتُ إليه فقلت: إنى جئتُ فى رسالة عزيز علىّ أن أُؤَدِّيَها لك وأدّاها فقال له: ارجع إليه فقل له: يقول لك: يا سَيّدى إن علىّ بنَ يَحْيَى أخِى وصَدِيقِى فإن رأيتَ أن تجعلَ الدَّانق من بَظْر أمه تَفَضَّلْتَ بذَلِك، فقال له. قبّحك الله! وأنا أَىّ شىء ذَنْبِى ! فقال : قد أديتَ الرسالةَ وهذا جوابُها. فدخلتُ على المتوكل فقال : إيه ما قال لك؟ فقلت له: قبح الله ما جئتُك به! وأخبرتُه الجواب ؛ فضَحِك حتى فَحَص برِجْلَيْه وجعل يَشْرَب عليه بَقِيَّة يومه. وإذا لقيتُه قال لى : ياعلىّ ، وزن دَانِق من أىّ شَىء ! فأقول: لعنة اللّٰه على إبراهيم .

كتب إبراهيم بن العباس شَفَاعَةً لرجل إلى بعض إخوانه : وإن فلانًا ممن يزْكو شكره ويحسُن ذِكْرُه ويَعْنِى[(3)] أمرُه ، والصَّنيعَة عنده وَاجدَة مَوْضعها[(4)] وسَالِكة به طَرِيقَتَها :

وأفضَلُ ما يَأْتيـه ذُو الدِّين والحِجَا ... إصـابَة شكر لم يَضِع معـه أَجْر

كان عُبَيْد الله بن يَحْيَى يقول للمتوكّل : إن إبراهيم بنَ العَبّاس فَضِيلَةٌ خبَأها الله عزوجل لكَ ، وحسنة[(5)] ذَخَرها لِدَوْلَتِك .

---

(١) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٢) فى ت : من بظر أمك ؟ .

(٣) بياض بالأصل والتكملة من « غ » .

(٤) فى غ : واقعة موقعها .

(٥) فى غ : وذخيرة .

دعا الحسنُ بنُ وَهْب إبراهيمَ بن العَبَّاس ؛ فقال له : أركَبُ وأَجيئك عشاءً[1] فلا تَنْتَظِرْنى الغداة . فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن فى شُرْبه فسكِر ونام ، فجاء إبراهيم فرآه على تِلْك الحال ، فدعا بدواة وكتب :

رُحنَا إليك وقد راحت بك الرّاح وأسرعت فيك أَرطَالٌ[2] وأقداح

ونظر إبراهيم بن العباس يوماً إلى الحَسَن بنِ وَهْب وهو مَخْمور فقال :

عيناكَ قد حَكَتَا[3] مبيـ ـتك كيف كُنْتَ وكيف كَانَا

ولرُبَّ عَيْنٍ قد أَرتْـ ـك مَبيتَ صاحبها عِيَانَا

لَبِس إبراهيم بن العَبَّاس سِلَاحَه وقال : يا غلام هات ذلك السَّيْفَ الذى ما ضَرَّ الله تعالى به أحداً غيْرِى .

وسأل يوما عن ابن أخيه أحمد بن عبد الله بن العباس المعروف بطماس فقيل له : إنه مشغول بطبيب ومُنَجِّم عِنْده ، وكان يَسْتَثْقِله فقال : قولوا له : مالَك فى النَّاس طِبّ ؛ ولا فى السماء نَجْم ، فما هَذَا التكلّف !

أمر إبراهيم بن العباس أن يُجْمَع كُلّ أعور يمُرّ فى الطَّرِيق ، فلمَّا جمعوهم وأوقفوهم خرج ومعه طماس ، وقال له : كُلّهم مِثْلُك فاُتركْ ذا الصَّلَف إنّه داعية[4] إلى التّلف .

قال الحسن بن وَهْب لإبراهيم بن العبّاس: يا أبا إسْحَاق تعالَ حتى نَعُدَّ البُغَضَاء، فقال : ابدأْ بى أَوّلا لأجل ابن أَخى طماس ثم ثَنّ بِمَنْ شِئْت .

---

(١) فى غ : عشيا .

(٢) فى غ : أوتار .

(٣) فى ت : جلتا « تحريف » .

(٤) فى ت : دل عليه « تحريف » .

كان المتوكل قدولّى ابن الـكَلْبي البَرِيدَ ، وأحلفه بالطّلاق ألّا يكتُمَه شيئًا من أُمور النّاس ولا من أمره هو فى نَفْسِه . فكتب إليه يوما يخبره أنّ اُمرأته خرجت مع حُبَّتِها[1] فى نُزْهة وأن حُبّتها عربَدَت عليها وجَرَحَتْها فى صُدْغِها فقرأه إبراهيم بن العباس على المتوكل ثم قال له: ياأمير المؤمنين قد صحّف ابنُ الـكلبي إنما هو جرحَتْها فى سرمِها فضَحِك المتوكل وقال: صدقت ماأظن القِصَّةَ إلا هـكَذا . وأن الـكلبي هذا ليس من بَنِي كلب ، إنما كان أبوه يلقب « بكَلْب الرَّحْل » فقيل له: الـكلبيّ .

وكتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك الزيات : أَمَا والله لوأمنتُ ودّك لقلت ؛ ولـكنى أخاف منك عَتْبا لا تُنْصفنى فيه، وأخشى من نفسى لائمةً لا تحتملها لى . وما قدِّر فهو كائن ، وعن كل حادثة أُحدُوثَة . وما استبدلت بحالةٍ كنتُ فيها مغتبطا حالةً أنا فى مكروهها وألَمِها أشدّ علىّ من أنّى فزِعت إلى ناصرى عند ظلم لَحِقنى ، فوجدتُ مَنْ ظَلَمنى أخفَّ نيّة فى ظُلْمى منه ، وأحمدُ الله كثيرا . ثم كتب فى أسفلها :

وكنتَ أَخِى بإخاء الزّمان ... فلما اُنتَبى[2] صرت حَرْباً عَوَانَا
وكنت أَذُم إليك الزمان ... فأصبحتُ فيك أَذُمُّ الزّمانَا
وكنتُ أُعِدّك للنّائبات ... فها أنا[3] أطلب منك الأمَانَا

قال إبراهيم بنُ المَهدى : جَرَى بين إبراهيم بن العبّاس وبين أَخِى أحمد بن المُدبّر كلام وكان يوَدّنى[4] دون أَخِى ؛ فلقِيتهُ فاُعتذرت إليه عنه فقال : يا أبا إسحاق :

خلِّ النفاقَ لأهله ... وعليك فالتمس الطريقا
واذهب بنفسك أن تُرى ... إلا عدوًّا أو صَديقا

---

(١) الحبة : المحبوبة .
(٢) فى غ : نبا .
(٣) فى غ : فأصبحت .
(٤) فى ت : مودى « تحريف » .

(وقال إبراهيم بن العباس لأبى تمّام وقد أنشده شعراً له فى المعتصم : يا أبا تمّام ، أمراء الكلام رعيّةٌ لإحسانك ، فقال له أبو تمّام : ذاك لأنى أستضىء بك وأرد شريعتك .)

قال أبو الفرج الأصبهانى : أنشدت عمّى أبياتا لابن دُرَيد يمدح بها رجلا من البصرة :

يا مَنْ يُقبّل كفّ كُلِّ مُخرّق هَذا ابْنُ يَحْيَي ليس بالمخراق
قَبّل أنامِلَه فلسنَ أنامِلاً لكنّهن مَفاتِحُ الأرزاق

فقال لى : يا بنى هذا سرقه هو وابن الرّومى من إبراهيم بن العبّاس يمدح الفَضْلَ ابنَ سهل :

لفَضْل بن سهلٍ يَدٌ تقاصر عنها المُثُل[1]
فباطنها للنّدى وظاهرُها للقُبَل
وبَسْطَتُها للغِنى وسطوتها للأَجَل
[من الفضل أَمْوَاله ومن سائليه الأمَل][2]

وسَرَقه ابن الرُّومىّ فقال :

أصبحتُ بين خصاصة وتحمّل[3] والمرء[4] بينهما يمُوتُ هَزِيلا
فامدد إلىّ يـداً تعوّد بطنُها بذلَ النّوال وظَهرُها[5] التّقْبِيلا

---

(١) فى غ : الأمل .
(٢) لم يرد هذا البيت فى غ فى هذا الخبر .
(٣) فى غ : مذلة .
(٤) فى غ : والحر .
(٥) فى غ : الندى وظهورها .

قال أبو العباس : أحمد بن يحيي ثعلب : كان إبراهيم بن العباس أشعرَ المُحْدثين ، وما روى ثَعْلَب شعرَ كاتِب قطّ غيره . وكان يستحسن كثيرا قوله :

لنا إبل كُومٌ يَضِيق بها الفضَا ... ويَغْتَر عَنْهَا أرضُها وسَمَاؤُها

فمِن دونها أن تستباح دماؤُنا ... ومن دوننا أن تُسْتَذَمّ[1] دِماؤُها

حِمًى وقرًى فالموتُ دُونَ مَرامِها ... فأيسر خَطْب يوم حَقّ فناؤُها

ثم يقول : والله لو كان هذا لبعض الأَوائل لاستُجِيد .

قال الحسن بن رجاء: لما بَنَى المأمونُ ببُورَان بنتِ الحسَن بن سَهْل ، قدم إبراهيم ابن العباس علينا ودخل إلى الحسَن بن سهل فأنشده :

ليهنِك إصهارٌ أذلْتَ بعزه ... خدودًا وجدّعتَ الأُنوفَ الرّوَاغِما

جمعتَ به الشملَين من آل هَاشِم ... وحُزتَ[2] به للأكرمينَ الأكارما

بَنُوكَ غدًا[3] آلُ النبي وَوارِثو الْـ ... ـخلافة والحاوُون كِسْرَى وهَاشِما

فقال الحسن بن سهل : « شِنْشِنَة أعرِفُها من أَخْزَم » أى إنك لم تزل تمدحنا ، وقال : أحسن الله جَزَاءك يا أبا إسحاق ؛ فما الكثير من فعلنا بك بجزاء لليسير من حقّك .

وقال إبراهيم بن العباس فى قَيْنة كان يهوَاها :

وعلمتَنى كيفَ الهوَى وجَهِلْته ... وعلّمكم صَبْرى على ظُلْمِكم ظُلْمِى

وأعلَم مَالِى عندكم فيردّنى ... هوَاى إلى جَهْلى[4] فأرجعُ[5] عَنْ عِلْمِى

(١) فى غ : تستباح .
(٢) فى ت : وجدت « تحريف » .
(٣) كذا فى الديوان . وفى الأصل : « غدوا » .
(٤) فى غ : جهل .
(٥) فى غ : فأقصر .

قال عُبَيْدُ الله بن عبد الله بن طاهر : لا أعلم لقديم ولا لمُحْدَث فى قِصَر الليل أحسن من قول إبراهيم بن العبَّاس :

وليلة من الليالى الزُّهْرِ ... قابلتُ فيها بدرَها ببَدْرِ

لم تكُ غير شفق وفَجْرِ ... حتى تولَّت وهى بِكْر الدَّهْرِ

كان إبراهيم بن العبَّاس يوما عند أحمد بن أبى دُوَاد ، فلما خرج من عنده لَقِيه محمد بن عبد الملك الزيّات وهو خارج من عنده ، فتبين إبراهيمُ فى وجه محمد الغَضَب فلم يخاطبه فى العاجل بشىء .

فلما انصرف إلى منزله كتب إليه :

دَعْنى أُوَاصِل مَنْ قَطَعْـ ... ـتَ يراكَ بى إذ لا يَرَاكا

إنّى متى أهْجُر بِهَجْـ ... ـرِكَ لا أضرّ به[1] سواكا

فإذا قطعتُك فى أخيـ ... ـك قطعتُ فيك غدا أخاكا

حتى أرى مُتَقَسَّما ... يوماً لِذَا وغدا لِذَاكَا[2]

[قال أبو العيناء : كنتُ عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتابا فنَقَّط من القلم نقطةً مُفْسِدَة فمسحها بكُمّه ؛ فعجِبتَ منه فقال : لا تَعْجَب ، المال فرع ، والقلم أصْل ، ومن هذا السَّواد جاءت هذه الثّياب[3] ، والأصل أحوجُ إلى المراعاة من الفرع] ثم فكّر قليلا وقال :

إذا ما الفكر ولّد حُسْنَ لفظ ... وأسلمه الوجود إلى العِيانِ

ووشّاه فَنَمْنَمَه مُسِدّ[4] ... فصيحٌ فى المقال بلا لِسَان

ترى حُلَل البيان مُنَشَّرات ... تجلّى بينها صُوَرُ[5] المعَانى

(١) فى ت : لا أعزيه .

(٢) فى غ : يومى .. وغدى .

(٣) فى ت : جاء هذا البياض .

(٤) فى معجم الأدباء ١/١٨١ : بيان . والمسد : مصيب السداد .

(٥) فى معجم الأدباء : حلل .

لَمّا عزم المأمونُ على الفتك بالفَضْل بن سهل ، وندب له عبدَ العزيز بن عمران الطائى ، ومؤنسا وسراجا الخادم وغيرهم ونمى الخبَرُ إلى الفضل ، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه . فلمّا قُتِل الفضل وقتَلَ المأمون قتَلَته ، سأل : من أين سَقَط الخبر إلى الفضل ؟ فعرف المأمون أنه من جهة إبراهيم بن العبّاس فطلبه فاستَتَر . وكان إبراهيم عرَف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عِمران ، وكان الفضل استكتب إبراهيم لعبد العزيز بن عمران ، فأخبر به الفضل . وتَحَمَّل إبراهيم عن المأمون وجَرَّدَ فى أمره هشاما الخطيبَ المعروف بالعباسِى وكان جريئا على المأمون لأنه رباه ، وشخَص إليه إلى خُراسان فى فتنة إبراهيم بن المهدى ، فلم يُجِبْه إلى ما سأله فيه . فلقيه إبراهيم مستَتِراً وسأله عمّا عَمِل فى حاجته . فقال له هشام : قد وعدنى فى حاجتك بما تُحِب . فقال له إبراهيم : أظن الأمرَ على غير هذا ؛ قال : وما تظن ؟ قال : محلُّك عند أمير المؤمنين أجَلُّ من أن يَعِدَكَ شيئا فترضى بتأخيره ، وهو أكرمُ مِنْ أن يَعِد مثلَك شيئا فيؤخِّرَه عنك ، لكن سمعت مالا تحب أن تُغَمِّنى به فقلتَ لى هذا القَوْل ، وأحسنَ الله على كُلِّ الأحوال جَزَاءكَ ، فمضى هِشام إلى المأمون فعرّفه خبر إبراهيم فعَجِب من فِطْنَته وعَفَا عنه . وفى هشام يقول إبراهيم بن العباس :

مَنْ كانت الأموالُ ذُخراً له ... فإنّ ذُخْرى أملى فى هشام
فتًى نفَى[1] اللّامةَ عن عِرْضِه ... وأنهبَ المالَ قضَاءَ الذِّمام

دَخَل إبراهيم بن العَبّاس على الفَضْل بن سَهْل فاستأذنه فى الإنْشَاد ، فقال: هات ، فأنشده :

يَقْضِى[2] الأمورَ على بديهته ... وتُرِيه فكرتُه عواقِبَها

(١) فى غ : يقى .
(٢) فى غ : يعفى .

فيظَلّ يُصْدِرُهـا ويُورِدُهـا فيعُمّ حاضِرَهـا وغائِبَهـا
وإذا ألَمّت صعبـةٌ عظُمت فيها الرزِيَّة كان صَاحِبَهـا
المستقِل بها وقـد رَسَبَت ولوت عـلى الأيّام جانبَهـا
وعَـدَلْتها بالحق فاعتدَلت ووَسِعْت رَاغِبَهـا وراهِبَهـا
وإذا الحروبُ غلت بعثْتَ لها رأيا تَفُلُّ بـه كَتائِبَهـا
رأياً إذا نَبَتِ السيوفُ مضى عزمٌ بها فشَفَى(١) مَضارِبَهـا

ومما قاله فيه أيضا :

فلو كانَ للشُّكر شخصٌ يَبِين إذَا ما تأمّـله النّاظـر
لمثّلتُـه لك حـتّى تراه فتعـلم أنّى أمرؤ شاكِر

ومن شعر إبراهيم بن العباس فى أَحْمَد بن المُدَبّر وقد جاءه بعد خلاصه من النـكبة مُهنّئا ، وكان اُستعان به فى أمر نـكبته فقعد عنه ، وبلغه أنه كان يُحرّض عليه ابنَ الزّيّات :

وكنتَ أخِى بالدّهر حتّى إذا نَبا نَبوتَ فلمَّا عادَ عُدْتَ مع الدّهر
فلا يومَ إقبال نَجِد بك طائلًا ولا يوم إدبار عددتُك من وِتْر
وما كنت إلا مثلَ أحلام نائم كلا حالتَيْك من وَفاء ومن غدْر

لما عقد المتوكّل لوُلاةِ العُهود من وَلده ركب بسُرّ مَنْ رَأى رَكْبة لم يُرَ أحسنُ منها ، وركب ولاةُ العهود بين يديه ، والأتراكُ بين أيديهم وأولادُهم يمشون بين يدَى المُتوكّل بمَناطِق الذهب ، وفى أيديهم الأطبار(٢) المُذهّبة ثم نزل فى الماء وجلس فيه

---

(١) فى ت : عزم به يشفى .
(٢) أنواع من السلاح . وفى غ : الطبر : زينات .

والجيش معه من الجانبين وسائر السفن ، وجاء حتى نزل فى القصر الذى يقال له: العروس ، وأذن للناس. فدخلوا فلما تكاملوا بين يديه ، مثل إبراهيم بن العباس بين الصفين وأنشد :

ولما بدا جعفر فى الخميـ ... ـس بين المطل[1] وبين العروس
بدا لابساً بهما حلة ... أزيلت بها طالعات النحوس
ولما بدا بين أحبابه ... ولاة العهود وعز النفوس
بدا[2] قمراً بين أقماره ... وشمساً مكللة بالشموس
لإيقاد نار وإطفائها ... ويوم أنيق ويوم عبوس

وأقبل على ولاة العهود فقال :

أضحت عرى الإسلام وهى منوطة ... بالنصر والإعزاز والتأييد
بخليفة من هاشم وثلاثة ... كنفوا الخلافة من ولاة عهود
قمر توافت حوله أقماره ... فحففن مطلع سعده بسعود
رفعتهم الأيام وارتفعت بهم[3] ... فسموا بأكرم أنفس وجدود

فأمر له المتوكل بمائة ألف درهم وأمر له ولاة العهود بمثلها .

اجتمع هارون بن محمد بن عبدالملك الزيات وابن برد الخبّاز[4] فى مجلس عبيد الله ابن سليمان قبل وزارته ، فجعل هارون ينشد من محاسن شعر أبيه ويفضله ويقدمه . فقال ابن برد الخبّاز[4] : إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم بن العبّاس :

---

(١) فى ت : المطفل « تحريف ».
(٢) فى غ : غدا .
(٣) فى غ : وارتفعوا به .
(٤) كذا فى معجم الأدباء ١ / ١٨٣ . وفى غ : الخيار . وفى ت : الحبار، وكلاهما تحريف.

– أســدٌ ضَارٍ إذا هَيَّجْتَه وأَبٌ بَرٌّ إذا ما قدرا

– يَعْرِف الأبعــد إن أَثْرى ولا يَعْرِف الأَدْنَى إذا ما افتقرا

ومثل قوله :

تلج السنون بيوتَهم وترى لهم[1] عن جار بيتهم ازورارَ مَنَاكِب

وتَراهمُ بسُيُوفهم وشِفَارِهم مُسْتَشْرِفين لِرَاغِبٍ أو رَاهِب

حَامِين أو قَارِين حيث لَقِيتَهُم نَهْبَ العُفاة ونُهْزَةً[2] لِلرَّاغِبِ

فاُذكُرْهُ وفَاخِرْ به وإلا فأَقْلِلْ من التطاول والافتخار بما لا طائل فيه ؛ فخَجِل هارون وسَكَت .

(١) في ت : لها . وفي غ ومعجم الأدباء : لهم .

(٢) كذا في ت وغ . وفي معجم الأدباء : نزهة.

إبراهيم بن المهدى

(كنيته أبو إسحاق . وأمه مولّدة اسمها شَكْلة). أبوها من أصحاب المَازِيار ، يقال له : شاه أَفْرند ، قُتل مع المَازِيار وسُبِيَتْ شَكْلة ، وحملت إلى المنصور فوهبها لمُحَيَّاةَ أمّ ولده فربَّتْها وبعثت بها إلى الطائف فنشأت هناك فلما كبرت رُدَّت إليها. فرآها المَهْدِي عندها فأعجبَتْه ، فطلَبها من مُحيَّاة فأعطتْه إيَّاها فولدت منه إبراهيم .

(وكان إبراهيمُ رجلا فَهِما عاقلًا أديباً شاعراً راوِيةً للشِّعر وأيَّامِ العرب خطيباً فَصِيحاً حسن العَارِضَة .

وكان إسحاق المَوْصِلى يقول : ما ولد العبّاس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن عباس أفضلَ من إبراهيم بن المهدى ، فقيل له : مع ما تَبَذَّل به من الغِنَاء ؟ فقال : وهل تَمَّ فضله إلا بذلك !

وكان إبراهيم أشَدَّ خَلْق الله إعظَاماً للغناء ، وأحرصَهم عليه ، وأشَدَّهم منافسة فيه . وكانت صنعتهُ إذا صنعها ينسبها إلى شارِيَة ورَيِّق ، لئلا يقع عليه طعن أو تقريع ، فقلّت صنعتهُ فى أَيْدِى النَّاس مع كثرتها . وكان إذا قيل له فيها شَىْء يقول : إنما أصنع تَطَرُّباً لا تَكَسُّبا ، وأُغَنِّى لنَفْسِى لا لِلنَّاس فأعمل ما أَشْتَهى . وكان حسنُ صوتِه يستُر عَوَارَ ذلك .

وكان النَّاس يقولون : لم يُرَ فى جاهلية ولا إسلام أُخْتٌ وأَخٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدى وأخته عُلَيَّة .

وكان يناظر[1] إسحاق ويُجَادِله ، فلا يقوم له ولا يَفِى به ، ولا يزال إسحاق

---

(١) فى غ : يماظ أى ينازع .

يغلبه ويُغِصّه بريقه ويَغُضّ منه ويظهر عليه السَّقَطات ويُبَيِّن خطأه وعجزه عن معرفة الخَطَأ الغَامِض إذا مرَّ به ؛ وقصورَه عن أداء الغِنَاء القَدِيم فيفضَحه بذلك . وكانت بينهما مُنَازَعات لا تَنْقَطع ، وكانا يُجْرِيان كلَّ قبيح ، وماتا على هذه الصورة من المُنَازَعَات والمُنَاظَرَات .)

(ولو شَرَحْتُ أخبـارَ إبراهيم بن المَهْدِى لمَّا وَلِى الخلافة وذكرتُ صفاتِه فى فصاحَة اللِّسَان، وحسن البيان ، وجَوْدَةِ الشِّعر ، ورِوَاية العلم ، والمعرفة بالجَدَل ، وجَزَالة الرَّأى ، والتَّصرّف فى الفِقْه واللغـة ، وسائر الآداب والعلوم الجليلة ، والأدوات الرَّفيعة لطال الأمر .

وكان يقول : لولا أَنِّى أرفعُ نَفْسِى عن هذه الصِّنَاعة لأظهرتُ فيها ما يعلم الناس معه أنهم لم يَرَوْا قَبْلى مثلى .

وكان فى أول أمره لا يفعل ذلك إلا على حال تَصَوُّن عنه وترفُّع ، إلّا أن يدعوَه إليه الرشيدُ إليه فى خلوة والأمينُ بعدَه .

فلما أمَّنه المأمونُ تهتَّك بالغِنَاء وشُرْبِ النَّبِيذ بحَضْرته وخرج من عنده ليلا مع المُغَنِّين خوفا وإظهَاراً له أنه خلع رِبْقَةَ الخلافة من عُنُقه وهتك سِتْره فيها حتى لا يصلُح لَها .

وهو أول من أفسد الغِنَاء القديمَ وجعل للناس جسارة على تَغْيِيره ، والناس صِنْفَان : مَنْ كان على مذهب إسحاق وأصحابِه ممن كان يُنكر تغييرَ الغناء القَدِيم فهو يُغَنِّى القديمَ على هَيْئته ، ومن أخذ مذهب إبراهيم بن المهدى واقتدى به كمُخَارق وغيرِه فإنه يغنى الغِنَاء القَدِيم كما يَشْتَهى هو ، لا كما غنَّاه من يُنْسَب إليه ، ويجد على ذلك مساعدين ممن يشتهى أن يَقْرُب عليه مأخذ الغِنَاء ، ويكره

ما ثقُل ، وكثرت أجزاؤه[1] ، ويستطِيل الزمانَ فى أَخْذ الغِناء الجيد على جِهَته لقصور معرفته .

قال أبو الفرج الأصبهانى فى أصله : وعلى أن الجميع من الصَّحِيح والمُغيَّر قد انقضى فى وقتنا هذا)

قال إبراهيم بن المهدى : دخلت يوما على الرشيد وبى فَضْلَة خُمَار ، وبين يديه ابنُ جَامِع وإبراهيم الموصلى ، فقال : بحياتى يا إبراهيم غَنّ . فأخذت العُودَ ولم ألتفت إليهما لما فى رأسى من الخمَار وغَنّيْت :

أسرَى بخالدةَ الخيالُ ولا أَرَى ... شيئاً ألذَّ من الخيَالِ الطارقِ
إنّ البليَّةَ مَنْ تَمَل حديثَه ... فأنقع فؤادَكَ من حديث الوَامِقِ
أَهْوَاكِ فوق هوى النفوس ولم يزَل ... مــذ بِنْتِ قَلْبِى كالجناح الخافق
شوقا[2] إليكِ ولم تُجَازى مودّتى[3] ... ليس المُــكَذِّب كالحبيبِ الصَّادِق

فسمعتُ (إبراهيم يقول لابْن جَامِع : لو طلَب هذا بهذا الغناء ما نَطْلُب لما أ كَلْنَا خبزا أبدا) فقال ابن جامع : صدقتَ . فلما فرغت من غنائى وضعتُ العود ثم قلتُ : خذا فى حقّــكما ودَعَا باطلَنا .

قال هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المَهْدِى : كان الرشيد يحب أن يسمع أبى فخَلَا به مرّات إلى أَنْ سَمِعه . قال إبراهيم : فحضرتُه يوما وعنده سُلَيْمان بن أَبى جَعْفر فقال لى : عمُّك وسيّد ولد المنصور بعد أبيك وقد أَحَبَّ أن يسمعَك ؛ فلم يتركنى حتى غَنّيت بين يديه للأَحْوَص :

(١) فى غ : وثقلت أدواره .
(٢) فى غ : طربا .
(٣) فى غ : ولم تبالى حاجتى .

سَقْياً لربعك مِنْ ربع بذى سَلَمٍ ... وللزَّمان به إذ ذاك من زمن

إذ أنت فينا لمَن ينهاك عاصيةٌ ... وإذ أَجُرُّ إليكم سادِراً رسَنِى

فأمر لى بألف ألف درهم ، ثم قال لى ليلة ولم يَبْق فى المجلس عنده إلّا جعفرُ ابن يحيى : إنى أُحِب أن تُشرِّف جعفراً بأن تُغَنِّيَه صوتا ، فغَنَّيتُه لِلدَّارِمى :

كأنَّ صورَتها فى الوصف إذْ وُصِفت ... دِينَارُ عَيْن من المضروبة[1] العُتُقِ

أو دُرَّةٌ أعيت الغوَّاص فى صَدَف ... أو ذَهبٌ[2] صاغه الصَّوَّاغُ من وَرِقِ

فأمر لى الرَّشيد بألف ألف درهم .

قال محمد الحارث بن بُسْخُنَّر[3] : لمّا قدم المأمون من خُراسان لم يظهر لمُغَنٍّ بمدينة السلام غيرى ، فكنت أُنادِمه سِرًّا ، ولا يظهر للنّدماء أربع سنين ، حتى ظَفِر بابن المهدى فلمَّا ظفر به وعفا عنه ظهر للنُّدَماء ثم جمعنا ؛ ووجَّه إلى إبراهيم فحضر فى ثِيَاب بِذْلة[4] ، فلما رآه المأمون قال : أَلْقَى عمِّى رداء الكِبْر عن مَنْكِبيه ، ثم أمر له بِخِلَع فاخرة وقال : غَدُّوا عَمِّى ؛ فتغدّى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحوّل إلينا وكان مُخَارِق حاضرا فغَنَّى مخارق :

هــذا ورُبَّ مسوِّفين صَبَحْتُهم ... من خمر بابِل لذَّة للشارب

بَــكَرُوا علىّ بسُحْرةٍ فصبحتُهم ... بإناء ذى كَرَم كقعْب الحالِبِ

بزجاجة مِــلء اليدين كأنَّها ... قِنديل فِصْحٍ[5] فى كَنِيسَةِ رَاهِبِ

فقال له إبراهيم : أسأت فأعِدْ ؛ فأعادَ فقال : قاربتَ ولم تُصِب . فقال له المأمون :

(١) فى غ : المصرية .

(٢) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٣) فى ت محبر « تحريف » .

(٤) البذلة من الثياب مايلبس كل يوم .

(٥) الفصح : عيد النصارى .

إن كان أساء فأحسِن أنت . فغَنّاه إبراهيم ثم قال لمخارق : غَنِّه فغَنّاه. فقال : أحسنت ثم قال للمأمون : كم بين الأَمْرَيْن ؟ قال: كثير . فقال لمخارق : إنَّما مَثَلُك مثل الثوب الفاخِر إذا غَفَل عنه أهلُه وقع عليه التراب فأحال لونَه ، فإذا نُفِض عاد إلى جوهره. قال: ثم غَنَّى إبراهيم :

يا صاحِ يا ذا الضَّامِر العَنْسِ والرَّحْل ذِى الأَقْتَاد والحِلْسِ (١)

قال مخارق : وكانت لى جائزة قد خرجتْ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين يأمر سيِّدى بإلقاء هذا الصوت علىَّ مكان جائزتى فهو أحبُّ إلىَّ منها. فقال : يا عمِّ ألقِ هذا الصوتَ على مخارق، فألقاه علىّ حتى إذا كدت أن آخذه قال : اذهب فأنت أحذق الناس به. فقلت: إنه لم يصلح بعد. فقال : فاُغد على. فغدوت عليه فغناه مُتَلَوِّياً. فقلت : أيها الأَمِير ، لك فى الخلافة ما ليس لأحد ، أنت اُبن خليفة وأخو خليفة وعم خليفة تَجُودُ بالرَّغائب وتَبْخَل علىّ بصوت . فقال لى : ما أَحْمَقك! إنّ المأمونَ لم يستبقنى مَحَبَّة لى ولا صلة لرَحِمِى ولا رِياءً للمعروف عندى ، ولكنه سمع منى هذا الجِرْم (٢) ولم يسمعه من غيرى. قال : فأعلمتُ المأمون مقالتَه. قال : فإنّا لا نكدِّر على أبى إسحاق عفونا عنه، فدعه .

فلما كانت أيام المعتصم نَشِط يوما للصَّبُوح فقال : أَحْضِروا عَمِّى فجاء فى دُرَّاعة بغير طَيْلَسَان فأعلمتُ المعتصم خبر الصوت سِرًّا . فقال: يا عَمِّ غن :

يا صَاحِ يَاذَ الضامر العَنْسِ

فغَنّاه فقال : ألقِه على مخارق. فقال : قد سبق مِنّى قولٌ فى هذا؛ ثم كان يَتَجَنَّب أن يُغنّيه حيث أَحْضُر .

---

(١) فى ت : ذى الأفناء والحيس . « تحريف » .

(٢) الجرم : الصوت .

وكان إبراهيمُ بن المهدى أحسنَ الإنس والجن والوَحْش والطَّيْر صَوْتاً .

(قالت أسماء بنتُ المَهْدى : قلت لأخى إبراهيم : أشتهى أن أسمع من غنائك شيئا ، فقال : إذًا يا أختى لا تَسْمَعين مثله وعلىَّ وعلىَّ وأغلَظ فى اليمين إن لم يكن إبليسُ ظَهَرَ لى وعلّمنى النَّقْر والنَّغَم وصافحنى وقال لى : اذهب فأنت مِنِّى وأنا مِنْك)

قال إبراهيم بن المَهْدِى : غَضِب علىَّ الأمين فى بعض هَنَاتِه فسلّمنى إلى كَوْثَر(١) فحَبَسَنِى فى سرْداب وأغلقه علىّ فمكثت فيه لياتى . فلمّا أصبحتُ إذا أنا بشَيْخ خرج على من زاوية السِّرْداب فدفع إلىَّ وسَطاً فقال : كلْ فأكلتُ ، ثم أخرج قِنِّينَة شراب فقال : اشرَب فشربتُ ثم قال لى : غن :

لى مدّة لا بد أبلغها ... معلومَةٌ فإذا انقَضَت مُتّ

لو ساورتنى الأُسْدُ ضَارِيَةً ... لغلبتُها ما لم يَجِ الوَقْتُ

فغنّيْتُه وسمع كوثَر فصار إلى محمد فقال : قد جُنَّ عمك هو جالس يُغَنِّى بكيت وكيت ، فأمر بإحضارى فأخبرته القِصّة فعجب من ذلك ، وأَمَرَ لى بسبع مائة ألف درهم ورَضِى عنِّى .

قال أحمدُ بن أبى دُواد : كنتُ أعيب الغِناء وأطعَن على أهله فخرج المعتصم يوما إلى الشَّمَّاسِيَّة فى حَرَّاقة يَشْرب ، ووجَّه فى طلبى فصرت إليه ؛ فلما قرُبت منه سمعت غناء حيَّرنى وشغَلَنى عن كل شىء ، فسقط سَوْطى من يدى ؛ فالتفتّ إلى غلامى أطلب منه سَوْطاً فقال لى : والله سَقَط منى سَوْطى . فقلت له : وما سبب سقوطه ؟ قال : صوت سمعتهُ حيَّرنى ، فما علمت كيف سقَط ؛ فإذا قِصَّتُه قِصَّتى . قال : وكنت أنكر أمر الطَّرَب على الغناء وما يَسْتَفِزّ الناسَ منه فيغلِب على عقولهم ، وأُناظِر المُعْتَصِم عليه(٢) . فلمّا دخلتُ عليه يومئذ أعلمته بالخبر ؛ فضَحك وقال: هذا عمى كان يُغَنِّينى:

---

(١) كوثر : خادم محمد الأمين .

(٢) فى غ : فيه .

إنَّ هذا الطويلَ من آل حَفْص نشَر المَجْدَ بَعْد مـا كان مَـاتَا

فإن تُبْتَ مما كنتَ تُنَاظِر عَلَيْه مِنْ ذمِّ الغناء سألته أن يعيده . ففعلتُ وفعل . فبلغ بِى الطَّرَبُ أكثر مما يبلغه غيرى ؛ ورجعت عن رأيى فى الغناء مُنذُذَلك اليَوْم .

وقال المُعْتصِم لإبراهيم : أما إذا كانت توبتَه على يدك فلقد فُزْتَ بفَخْر وعدلت برجل ضَخْم عن رَأْيِه إلَى شَأْننا .

قال عبدُ الله بن العبَّاس الرَّبيعى : كنا عند إبراهيم بن المَهْدِى ذاتَ يوم وقد دعا كل مُحْسِن من المغنِّين وهو جالس يلعب بالشِّطْرَنْجِ فترنّم إبراهيم بصوت فَرِيدة فى شعر أبى العَتَاهِيَة :

قال لِى أحمدٌ ولم يدْرِ مَا بى أَتُحِبُّ الغــداةَ عُتْبَةَ حَقّا

فتنفّستُ ثم قلتُ نعَمْ حُبَّـ ـا جرى فى العروق عِرْقاً فعِرْقا

ما للدمعى عَدِمتُه ليس يرقا إنَّما يَسْتَهِلّ غَسْقاً فَغَسْقَا

وهو متَّــكِىء . فلما فرَغ ترنم به مُخارِق فأحسن فيه وأطربَ وزاد على إبراهيم ، فغنَّاه إبراهيم وزاد فى صوته فعَفَّى على غِناء مُخَارِق . فلمّا فرغ ردَّه مُخَارِق وغَنَّاه بصوته كُلّه وتحفَّظ فيه فـكِدنا نَطِير سُرُورا . فاستوَى إبراهيمُ جَالِسا وغنَّاه بصوته كُلِّه ووفّاه نَغَمَه وشُذُورَه ، ونظرتُ إلى كَتِفَيْه تَهْتَزّان وبدَنُه أجمع يتحَرَّك إلى أن فرَغ منه ، ومُخَارِق شَاخِص نحوه يُرْعَد ، وقد امتُقِع لونُه وأصابعه تَخْتَلِج ؛ فَخُيِّـلَ لى أن الإيوان يَسِير بنا . فلَمَّا فرغ تقدم إليه مُخَارِق فقبَّـل يده وقال : جَعَلَنِى الله فداكَ أَيْنَ أَنا منك ! ثم لم يَنْتَفع مُخَارِق بنفسه بَقِيّة يَوْمه فى غنائه . والله لـكأنما كان يَتَحَدَّث .

قال مَنْصور بن المَهْدِى : كنتُ عند أخى إبراهيم فى يوم كانت عليه فيه نَوْبة لمُحَمَّد الأَمِين فتَشَاغل بالشُّرْب فى بيته ولم يمض ، وأرسل إليه عِدَّة رُسُل فتأخَّر

فلمَّا كان من غَدٍ قال لى إبراهيم : ينبغى أَنْ نعمَل على الرَّواح إلى أمير المؤمنين فنترضّاه ؛ فما أشكّ فى غَضَبه علينا . فمضَيْنا فسألنا عن خبره ، فأُعْلِمْنا أنّه مشرف على الوَحْشِ(١) وهو مخمور ، وكان مِنْ عَادَته ألّا يشرب إذا لحقه الُخمار فدخلنا ، وكان طريقنا على حُجرة تُعْمَل(٢) فيها المَلَاهى . فقال لى أخى : أُذهب فاختَر منها عُوداً ترضاه وأصلِحْه غايةَ الإصلاح حتى لا تَحْتَاج إلى إصلاحه وتَغْيِيره عند الضَّرْب به ، ففعلتُ وجعلته فى كُمِّى . ودخلنا على الأَمِين وظهرُه إلينا . فلمّا بَصُرنا به من بُعد قال : أخرج عودَك. فأخرجته واندفع يغنى :

وكأسٍ شَرِبت على لذَّة   وأُخْرى تداويتُ منها بِها
لِكى يعلَم الناسُ أَنى امرؤ   أَتيتُ الفُتُوَّة من بَابِها
وشاهدُنا الورد(٣) والياسَمِـ   ينُ والمُسْمِعَات بقُصَّابِها
وبرْبَطُنا دائم مُعْمَـلٌ   فأىُّ الثّلَاثَةِ أزرى بها

فاُستوى الأمين جالسا وطَرِب طَرَباً شديداً وقال : أحسنت والله يا عَمِّ ، وأَحْيَيْتَ لِى طرباً ، ودعا برطل فشربه على الرِّيق وأمتد فى شُرْبه ، وغَنَّى إبراهيم يومئذ على أَشَدِّ طبقة يُتَنَاهى إليها فى العُودِ ، وما سمعتُ مثل غنائه يومئذ قطّ . ولقد كان إذا غَنَّى أصغَتِ الوحوش إليه ومدَّت أعناقَها ، ولم تزل تَدْنُو منا حتى تكاد تَضَع رءوسها على الدَّكَّة(٤) التى كُنَّا عليها ، فإذا سكت نَفَرَت وبعُدَت إلى أبعد غَايَة يمكنها التباعد عَنّا . وجعل الأَمِينُ يعجبُ من ذلك ، وانصرفنا ومعنا من الجوائز ما لم ننصرف بمثلها قطّ .

(١) فى غ : حير الوحش . والحير : الحظيرة والبستان .
(٢) فى غ : تصنع .
(٣) فى غ : الجل .
(٤) فى غ : الدكان .

قال محمد بن الحارث بن بُسْخُنّر[1] : وجَّه إلىّ إبراهيم بن المهدى يدعونى ، وذلك فى أوّل خلافة المُعْتصِم ، فصرت إليه وهو جالس وَحْدَه وجَارِيَتُه شَارِية خلف السِّتارة ، فقال : إنِّى قد قلت شعراً وغَنَّيْتُ فيه ، وطَرَحْتُه على شَارِية فأخذته وزعمت أنها أحذقُ بِهِ مِنِّى ، وأنا أقول : إنّى أحذَقُ به منها ، وقد تَرَاضَيْنَا بحكمك بَيْنَنا لمَوْضِعك من هذه الصِّنَاعة فاُسْمَعْه مِنِّى ومنها واُحكم ولا تَعْجَلْ حتى تَسْمَعَه ثَلاثَ مرّات. فقلت : نعم . هات فَغَنَّى :

أَضَنُّ بلَيْلَى وهى غــير سَخِيَّة ... وتَبْخَلُ ليْـلَى بالهوَى وأَجُودُ
[أُلَام فلا أُصْغِى إلى قول عَاذِل ... وأعلم أَنِّى مُخْطِىء وأَعُــود][2]

فأحسن وأَجَاد ثم قال لها : تَغَنَّىْ ، فغنَّته فبرّزت فيه ، ونظر إلىَّ فعرف أَنِّى قد عرفت فضلَها عليه فقال : أمسك ، وتحدَّثْنَا ساعة ، وشَرِبنا ، ثم اندفع فغَنَّاه ثانية فأضعَفَ فى الإحْسَان ، ثم قال لها : تَغَنَّىْ فغنت فبرعَت وزادت أَضْعافَ زِيَادَتِه ، فـكِدت أَشُقّ ثِيَابى طرَباً . فقال لى : تثَبَّت ولا تَعْجَل . ثم غنّاه ثالثة فلم يُبْقِ غاية فى الإحْـكام . ثم أمرها فغنَّت فـكأنَّه إنَّما كان يَلْعَبُ . فقال لى : قل فقضيتُ لهَا . فقال : أصبتَ ، فـكم تساوى عنـدك الآن ؟ فحَمَلَنى الحسدُ له عليها والنَّفَاسَة بمثلها أن قُلْت : تُسَاوِى مائة أَلْف دِرْهم . فقال : أَوَ ما تُسَاوِى على هذا الإحسان وهذا التَّفْضِيل إلّا مِائَة أَلف دِرْهم ! قَبّح اللهُ رأْيَـك ! والله ما أَجد شيئاً أبلَغَ فى عُقُوبَتك من أن أَصْرِفَك ، فقُم فاُنصرف إلى منزلك مَذْمُوماً . فقلتُ له : مالِقَوْلك: اُخرج من منزلى جواب، وقمتُ واُنصرفْت ، وقدأحفظنى كَلَامُه وأرمضَنِى. فلمّا خطوتُ خُطُواتٍ التفتّ إليه فقُلْت : يا إبراهيم ! أتطرُدنى من منزلك ! فوالله

---

(١) فى ت : تسحر « تحريف » .

(٢) لم يرد البيت فى غ فى هذا الخبر .

ما تُحسِن أنتَ ولا هى شيئاً . ثم ضَرَبَ الدهرُ ضَرْبَةً ودعَانا المُعْتصِم بعد ذلك فدخلتُ أَنَا ومُخَارِق وعلّويه قبل مجىء إبراهيم ، وإذا هو مضطجع(١) وبين يديه ثلاثُ جامات : جام فضة مملوءة دَنَانير جُدُدًا ، وجَام مَمْلُوءَة دَرَاهم ، وجام قوَارِيرَ مملوءة عَنْبَرًا ، فظننَّا أَنَّها لنا لم نَشُكَّ فى ذلك ، فغنَّيْنا وأَجْهدنا أنفُسَنا ، فلم يطرب ولم يتَحَرَّك لشىء من غِنَائِنا . ودخل الحاجب فقال : إبراهيم بن المَهْدِى . فأَذِن له فدخل ، فغنّاه أصواتاً أحسنَ فيها ، ثم غَنَّاه فى صوت(٢) من صنعته :

ما بالُ شَمْسِ أَبِى الخطَّاب قد غَرَبَت ... يا صاحبىَّ أَظُن الساعةَ اقتربَت
أم لا فمَا بَال رِيحٍ كنتُ آمُلُها ... غدت علىَّ بِصِرٍّ(٣) من بعد ما خُبِئَتْ
أَشْكُو إليك أَبَا الخطّاب جارِيةً ... غَرِيرَةً بفؤادى اليوم قد لَعِبَتْ

فاستحسنه المعتصمُ وشرب عليه وطَرِب له ، وقال : أحسنت والله ! فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين فإن كنتُ قد أحسنتُ فهَبْ لى إحدى هذه الجامَاتِ . فقال : خذ أيّتها شئت ، فأخذ التى فيها(٤) الدنانير ، فنظر بعضُنا إلى بعض . ثم غنّاه إبراهيم بشعر له :

ألا ليتَ ذاتَ الخالِ تَلْقَى من الهوَى ... عَشِيرَ الَّذى ألقى فيَلْتئِمُ الحبُّ
وصالُكم صَدّ وقربُكمُ قِلًى ... وعَطْفُكم سُخْط وسِلْمُكُمُ حَرْب

فقال : أحسنتَ والله يا عَمّ ، وشرب فقال : ياأمير المؤمنين إن كنتُ قد أحسنتُ فهَبْ لى جَاماً أُخْرَى ؛ فقال : خذ أيَّتَهما شئتَ ، فأخذ التى فيها(٤) الدراهم ؛ فعندها انقطع رجاؤنا ، وغنّاه بعد ساعة :

---

(١) فى غ : مصطبح .
(٢) فى غ : بصوت .
(٣) فى ت : بصرى « تحريف » .
(٤) فى ت : الذى فيه « تحريف » .

أَضَنُّ بلَيْلَى وهي غير سَخِيَّة ... وتبخل ليلَى بالهــوَى وأَجُود

فارتَجَّ بنا المجلسُ الذى كنا فيه وطرب المعتصم واستخَفَّه الطرب فقام وجلس ، وقال : أحسنت والله ياعَمّ ما شئت. فقال : إن كنتُ أحسنتُ يا أمير المؤمنين فهب لى الجام الثالِثَة ؛ قال : خذها فأخذها . وقام المعتصم ، ودعا إبراهيمُ بمنديل وثناه طاقَيْن ووضع الجامات فيه وشَدّه ودعا بطين فختَمه ودعا بغلامه فدفعه إليه ، ونهضنا للانصراف وقدّمت دَوَابّنا . فلمّا ركب إبراهيم التفتَ إلىَّ وقال : يا محمد ابن الحارث ، زعمت أنّى لا أحسن أنَا ولا جَارِيتى شَيْئاً ، وقد رأيتَ ثمرةَ الإحسان . فقلتُ فى نفسى : قد رأيتُ ، فخُذْها لا بارك الله لك فيها ! ولم أُجِبْه بشىء .

(لمّا ظَفِر المَأْمُونُ بإبراهيم بن المَهْدِىّ ، جلس لِلنَّاس وأحضرَهم على مرَاتِبهم، وجىء بإبراهيم فأحب المأمون أن يوبّخه على رءوس الناس ، فجىء به يَحْجِلُ فى قيُوده ، فوقف على طرَف الإيوان وقال : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال له المأمون : لا سلّم اللهُ عليك ولا حَفِظك ولا كلأك يا إبراهيم ، فقال له إبراهيم : على رِسْلك يا أمير المؤمنين ؛ فقد أصبحتَ ولِىَّ ثأرى ، والقُدرَةُ تُذهِبُ الحفيظة) ومن مَدّ له الاغترَارُ فى الأمل هَجَمَت به الأَنَاةُ على التَّلَف . (وقد أصبح ذنبى فوق كُلّ ذنب ، كما أصبح عفوُك فوق كُلِّ عفو فإن عاقبْتَ فبِحَقّك وإن تَعْفُ فبفَضْلك) قال (فأطرق مَلِيًّا ثم رفع رأسه فقال : إنّ هذين أشارَا علىّ بقَتْلك . فالتفَت فإذا العبَّاس بن المأمون والمُعْتَصِم . فقال له : يا أمير المؤمنين ، أما حَقِيقَة الرأى فى مُعْظَم تدْبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به وما غشّاك إذْ كان مِنى مَا كَانَ) (ولكنّ الله عوّدك من العفو عادةً جريتَ عليها) دافِعا ما تخافُ بما ترجو ، فكفاكَ اللهُ يا أمير المؤمنين . فتبَسّم المَأْمُونُ ، (ثم أقبل على ثُمامَة فقال : إنّ من الكلام ما يفوق الدرّ ويغلِب السِّحر ، وإن كلام

عَمّى منه ، أَطْلِقوا عن عَمّى حَدِيدَه ورُدُّوه إلىّ مكرَّما. فلما رُدَّ إلَيْه[1] قال : صِرْ إلى المُنادَمَة ، وارجع إلى الأنس ، فلن ترى مِنّى أبداً إلّا ما تُحِب . ولما كانَ من الغد بعث إليه بدَرْج[2] فِيهِ أبيات :

يا خيرَ مَنْ ذَمَلت يمانِيَةٌ به ... بعد الرسول لآيسٍ أو طامِع
وأبرّ[3] من عبد الإله على الهُدَى ... عيناً[4] وأحكَمَه بحَقٍّ صادع
مُتَيَقِّظاً حَذِراً وما يخشى العدى ... نبهانَ من وَسَنَات ليل الهاجع
قَسَماً وما أُدلى إليك بحجة ... إلا التّضرّع من مقر[5] خاشع
ما إن عَصَيْتُك والغُواةُ تمُدّنى ... أسبابُها إلّا بنيَّة[6] طائِع
حتى إذا عَلِقتْ حبائل شِقْوَتى ... بِردًى على حُفر[7] المهالك هائع[8]
لم أَدْرِ أَنّ لِمثْل ذَنبِى غافراً ... فأقمتُ أرقُب أىَّ حَتْفٍ صارِعى
رَدَّ الحياةَ إلَىَّ بعد ذهابها ... وَرَع الإمام القاهر المُتَواضِع
أحياكَ مَنْ وَلّاكَ أطولَ مُدَّة ... ورمَى عدوَّك فى الوَتِين بقاطِع
إنَّ الّذى قَسَم الفضائلَ حازَها ... فى صُلْب آدم للإمَام السّابِع
كم من يَدٍ لك لا تحدّثنى بها ... نفسى إذا آلتْ إلىّ مطامعى
أسديتها عَفْواً إلَىَّ هنيئةً ... فشكرتُ مصطنعاً لأكرم صانِع

(١) فى ت : عليه .
(٢) الدرج : ما يكتب فيه .
(٣) فى ت : الأبر .
(٤) فى غ : نفسا .
(٥) فى غ : محب .
(٦) مطموسة بالأصل، وما أثبتنا من غ.
(٧) فى ت : من « تحريف » .
(٨) الهائع : المنتشر .

ورحِمتَ أطفالًا كأفراخ القطَا وعويلَ عَانِسَة كقوْس النَّازِع
وعفوتَ عمّن لم يكن عن مثله عفوٌ ولم يشفَعْ إليك بشافع
إلّا العُلوّ عن العقوبة بعد ما ظفِرت يداك بمُستَكِينٍ خاضع

قال : فبكى المأمون ثم قال : عَلَيّ به ، فَخلَع عليه وحمَله وأمر له بخمسة آلاف دِينَار ودعا بالفرّاش وقال له : إذا رأيتَ عَمّى مقبلًا فاُطرح له مُتّكأً وكان يُنادِمه ولا ينكر منه(١) شيئا.

وقيل : إنه لمّا فرغ من خِطَابه دَفَعه إلى ابن أبى خَالد الأَحْول وقال : هو صديقك فخُذْه إليك . قال : وما تُغْنِى صداقتى عنه وأَميرُ المؤمنين سَاخِط عليه ! أمَا إنّى وإن كنتُ له صديقاً لا أمتنع من قول الحَقّ فيه . قال : قل فإنك غيرُ مُتّهم . فقال وهو يريد التّسلّق على العفو عَنْه : يا أَميرَ المؤمنين ، إنك إن قتلته فقد قتَل الملوك قبلك من هو أقلّ جُرْما منه ، وإن عفوتَ عنه عفوتَ عمّن لم يَعفُ الملوكُ قبلك عن مثله . فنكَتَ المأمون ساعةً بيده(٢) ثم قال :

قَوْمِى هُمُ قتلوا أميمَ أَخِى فإذا رميتُ يُصيبُنى سَهْمِى(٣)
فلَئِن عفوتُ لأعفُوَنْ جَلَلًا ولئن سطَوتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِى

خُذه إليك يا أَحْمَدُ مكرّما . ثم كَتَب إليه بالقصيدة العَيْنِيَّة فرَقَّ له وردّه إلى منزله وردّ ما قُبِضَ من أَمْلاكِه ومَالِه .

كان المأمون لما أطلق إبراهيم أمر محمد بن مَرْدَاد أن يمنع إبراهيم من دارَى الخاصّة والعامّة ويُوَكّل به من يُعرّفه أخبارَه كل يوم وما يتكلّم به . فكتب إليه المُوَكّل به : إنه لمّا مُنِع من دارَى الخاصّة والعامّة تمثّل :

(١) فى غ : عليه .
(٢) فى غ : فسكت المأمون ساعة ثم تمثل .
(٣) فى غ : جاء البيت الثانى مكان الأول .

يا سَرْحَةَ المَاءِ قد سُـدَّت مَوَارِدُه ... أما إليكِ طَرِيقٌ غيرُ مَسْـدُود

لِحَائِم حَامَ حـتى لا وُرُودَ به[1] ... مُحَلَّأٍ عن طريق المـاء مَطْرُودِ[2]

فلما قرأها المأمون بَـكَى وأمر بإحضاره من وَقْته وأكرمه وأنزله فى مَرْتَبَتِه ؛ فلما دخل على المَأْمُون قبَّل البِساط وقال :

البِرُّ بى منك وطّا العُذْرَ عندَكَ لِى ... دُونَ اُعتذارى فلم تَعـذُلْ ولم تَلُمِ

وقام علمُك بى فاُحتجَّ عنـدكَ لِى ... مقام شاهِد عَـدْلٍ غـيرِ مُتَّهَم

رددتَ مَالِى ولم تَمْنُن عـلىَّ بـه ... وقبل رَدِّكَ مَالِى قد حَقَنْت دَمِى

فَبُؤْتُ منك وقـد كافأتُهـا بيـد ... هى الحيَاتَان من موت ومن عَـدَم[3]

تَعْـفُو بعدْل وتَسْطُو إن سَطَوْتَ به ... فلا عَدِمْنَـاكَ من عـافٍ ومُنْتَقِم

فقال : اجلس يا عَمِّ آمنا مطمئنا ، فلن تَرَى مِنِّى أبداً ما تكره ، إلا أن تُحْدِثَ حَدَثا أو تُغِمَّ[4] طاعة وأرجو ألّا يكون ذلك منك إن شَاءَ الله تعَالَى .

قال عبدُ الله بن عيسى : دخلتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلى فى حَاجَة فرأيتُ عليه مِطْرَفَ خَزٍ أسودَ ما رأيتُ أحسنَ منه قَطّ ؛ فتحدَّثْنا إلى أَنْ أَخَذْنا فى أمر المِطْرف فقال : لقـد كان لـكم أيّام حَسَنَة ودولة عَجِيبَة كيف ترى قِيمَة هذا؟فقلت له : ما رأيتُ [مثله . فقال : إن قيمته مائة ألف درهم ، وله حديث عجيب . فقلت له][5] : ما أُقوِّمه إلا نحواً من مائة دِينار ، فقال إسحاق : أسمع حديثه :

---

(١) فى غ : لا حيام له . وفى اللسان (سرح) : لا حراك به .

(٢) فى اللسان (سرح) : عن طريق الورد مردود .

(٣) فى غ : جاء هذا البيت آخر الأبيات وجاء مكانه الأخير .

(٤) تغم : تغير . وفى غ : أو تتغير عن طاعة .

(٥) سقط هذا الـكلام من ت . والتـكملة من غ .

شَربنا يوما من الأَيَّام ، فبت وأنا مُثْخَن ، فأُنتبهت برسول محمد الأَمين ، فدخَل علىّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين: عَجِّل عَجِّل وكان بَخِيلا على الطَّعام . قلت : آكل قبل أن أذهب إليه فتسوّكْت وأصلحْتُ أمرى ، فأعجلَنى عن الغداء . فدخلتُ وإبراهيم ابن المهدى جالِس عن يمينه وعليه هذا المِطْرف وجُبَّة خَزٍّ دكْناء . فقال لى محمد: يا إسحاق : تغدّيت ؟ فقلت : نعم ياسيِّدى . فقال : إنّك نَهِم ، فقلت: أصبحتُ يا أمير المؤمنين وَبى خُمَار، فـكان ذَلِك مما جرَّأَنى على الأَكْل . فقال لهم: كَمْ شَرِبْنا؟ فقالوا : ثلاثة أرطال . فقال : أسقوه مِثْلَها . فقلت : إن رأيتَ أن تفرِّقها علَىَّ ! فقال : تُسْقَى رِطْلَيْن وَرِطْلًا . فدُفِع إلَىَّ رِطْلَان فجعلتُ أشربُ وأنا أتوهّم أَنَّ نفسى تَسِيل ، ثم دُفِع إلىّ رِطْلٌ آخر فشربتُه فـكان سَبَباً لِخَلَاعَتى ، فقال : غَنِّ :

كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أكثر[1] نَاصِرا ... وأَيْسَر جُرْماً منك ضُرِّج بِالدَّم

فغنَّيْتُه فقال: أحسنتَ وطَرِب، ثم قَامَ فدخل على نسائه ، وكان كثيراً ما يَفْعَل ذلك فقمت فى أَثَر قيامه فدعوتُ غُلامى وقُلْت : أُركُض إلَى بيتى وجئنى بِبِزْمَاوَرْدَتَيْن[2] وعَجِّل. فمضى وجاءنى بهما فأكلتهما فرجعت إلَىَّ نَفْسى وعُدْتُ إلى مجلسى. فقال لى إبراهيم : لى إليك حَاجَة أُحِبّ أن تَقْضِيَها فقلت : إنَّما أَنَا عبدكَ وأبنُ عبدكَ فقل ماشئت . فقال: تَرُدّ عَلَىَّ القَوْلَ :

* كُلَيْبٌ لعمْرِى كان أكثر نَاصِرًا *

وهذا المِطْرَفُ لك ، فقلت : أنا لا آخذ منك مِطْرفا على هذا ، ولـكنى أصير إلى منزلك وأُلْقيه على جَوَارِيك وأرده عليك مِرَارًا . فقال : أُحِبّ أن تردّه علَىّ الساعةَ وأن تأخذ هذا فإنّه من لُبْسِك ومن حاله كذا وكذا ، فردّدت عليـه الصوت مرارا

---

(١) فى ت : أكبر .

(٢) البزماورد : طعام يسمى لقمة القاضى كان يصنع من اللحم المقلى بالزبد والبيض .

حتى حفظه . ثم سَمِعْنا حركةَ الأمين فقمنا حتى جاء فجلس ثم قعدنا ، فشرب وتحدَّثنا فغنّاه إبراهيم هـذا القول ، فكأنّى لم أسْمَعْه قبل ذلك حُسْنا . وطَرِب محمد طَرَباً عَجيباً وقال : أحسنتَ يا عمِّ ! يا غُلام عَشْر بِدَر لِعَمِّى الساعةَ فجاءوا بها . فقال : يا أميرَ المؤمنين إنَّ لى فِيها شَريكا قال : ومَن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذتُه منه الساعة لما قمتَ . فقلت له : ولِمَ ؟ أضاقت الأموالُ على أَمِير المؤمنين حتى يُشركَك فيما تُعطاه ! قال : أما أَنَا فأُشْرِكك وأميرُ المؤمنين أعلم . فلمّا أنصرفنا من المجلس أعطانِى ثلاثين ألفا وهذا المِطْرف . فهذا أخذتُه بمائة أَلْف درهم وهى قِيمَتُه .

قال إبراهيمُ بن المَهْدِى : حججتُ مع الرَّشيد فلما صِرْنا فى المدينة خرجتُ أدور فى عَرَصَاتِها فانتهيتُ إلى بئر وقد عَطِشتُ وجاريةٌ تَسْقِى منها ، فقلت : يا جَارِية ؛ امتَحِى لى دَلْوًا . فقالت : أنا والله عنك فى [شغل] بضَرِيبة لمولاى علَىّ. فنَقَرْتُ بسَوْطِى على سَرْجِى وغَنَّيْتُ :

رامَ قَلْبِى السُّـلُوَّ عن أَسْمَاءِ ... وتَعزَّى وما به من عَزَاءِ
سُخْنَةٌ فى الشِّتاء بَارِدَة الصَّيْـ ... ـف سِرَاجٌ فى الليلة الظَّلْمَاءِ
كفِّنَانِى إنْ مُتّ فى دِرْع أَرْوَى ... وأُمتَحا لى من بئر عُرْوَة مائِى

قال إبراهيمُ : فرفعَت الجارِيَة رأسَها إلَىَّ وقالت : أتعرف بئر عُرْوَة ؟ قلت : لا . قالت : هذه بئر عُرْوَة ثم سقتْـنِى حتى رَوِيت ، وقالت : إن رأيتَ أن تُعيدَه فعلتَ فأعدْتُه ، فطَرِبَت وقالَت : لأحمِلَنّ إلى رَحْلك قِرْبة ماء . قلت : أفعلى ، ففعَلَت وجاءت معى تَحْمِلها . فلمّا رأَتِ الجيشَ والخدمَ فَزِعَت . فقلت لها : لا بأس عليك ! وكسوتُها ووهبتُ لها دَنَانِير وحبستُها عِنْدِى ، ثم صِرْت إلى الرّشيد فحدَّثْته خبرَها فأمر بأبتِياعها وأَعْتَقَها ؛ فما بَرِحت حتى اُشتُرِيَت وأُعْتِقت ، وأخذتُ لهَا مِنه صلةً وافْتَرَقْنا .

قال الفَضْل بن مَرْوان : لَمّا دخل إبراهيم بنُ المهدى على المَأْمُون لَمَّا ظَفِر به كَلَّمه بكَلَام كان سَعِيد بن العاص كَلَّمه مُعَاوِية بن أبى سفيان فى سَخْطَة سَخِطها عليه ، وكان المأمون يحفظ الكلام ، فقال المأمون : هيهاتَ يا إبراهيم ! هذا كلامٌ سبقك به فَحْلُ بنى أمية وقَارِحُهم سعيد بن العاص وخَاطَب به معاوية . فقال له إبراهيم : مَهْ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِين ؟ ! وأنت أيضاً إن عفوتَ فقد سَبَقَك فَحلُ بنى حَرْب وقَارِحُهم إلَى العَفْو ، فلا تَكُن حَالِى عندَكَ فى ذلك أبعدَ من حال سَعِيد عند معاوية ، فإنك أشرفُ منه ، وأنا أشرفُ من سَعِيد ، وأنا أقرَبُ إليكَ من سعيد إلى مُعَاوِية ، وإنّ[(١)] أعظمَ الهُجْنَة أن تَسْبِقَ أُمَيَّة هاشِما إلى مَكْرُمة . فقال له : صدقْتَ يا عَمّ فقد عَفَوْتُ عَنْك .

جَرَى بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المَهْدِىّ كلامٌ على النَّبِيذ ، فوجَد عليه محمد . فلمَّا كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بألطَافٍ فلم يقبلها ؛ فوجَّه إليه بِوَصِيفة مَلِيحَة مُغَنِّية ، معها عُود معمول من عُود[(٢)] ، وغَنَّى فى هَذِه الأبيات وألقاها عَلَيْها حتى أحكَمَتْها ، ووَجَّه بِهَا إليه . فوقفَت بين يدَيْه وقالت له : يا أَمِير المُؤْمنين عَمُّك وعَبْدُك يَقُولُ لك وغَنَّت :

هتَكْت الضَّمِير بِرَدِّ اللَّطَفْ ... وكَشَّفْتَ هجرَكَ لِى فانْكَشَفْ
فإن كُنتَ تُنْكِر شيئاً جَرَى ... فهَبْ لِلْخلَافة ما قد سَلَف
وُجدْ لى بصَفْحِك عَنْ زَلَّتى ... فبالفَضْل يأخُذ أَهْلُ الشرف

فسُرّ بها مُحَمَّد وأرسل إلى إبراهيم فأحضَرَه ورَضِى عنه وأمر له بخمسة آلاف دِينَار .

(١) فى ت : وإنى .
(٢) فى غ : من عود هندى .

كانت لإبراهيم بن المهدى جارية اسمها صَدُوف وكان لها من قلبه موضع ، فحسدها جواريه على محلّها منه ، فلم يزلن يبلّغنه عنها ما يكره حتى غضب عليها وجفاها ، ثم شق ذلك عليه ولم يطب نفساً بمراجعتها وصلحها ، فدخل عليه الأعرابى أخو معلّلة صاحبة الفضل بن الربيع فقال : مالى أرى الأمير ـ أكرمه الله ـ منكسرا منذ أيام ؟ فأمسك . فقال : قد عرفت خبر الأمير وقلت فيه أبياتا فإن أذن لى أنشدته إياها فقال : هات ، فأنشده :

أعتبت أم عتبت عليك صَدُوفُ ... وعتاب مثلك مثلها تشريف
لا تقعدن تلوم نفسك دائباً ... فيها وأنت بحبها مشغوف
إنّ الصريمة لا ينوء بحملها ... إلا القوى بها وأنت ضعيف

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتى دينار ، وبعث إلى صَدُوف فخرجت إليه ورضى عنها ، وبعثت إليه صَدُوف بمائة[1] دينار .

وكان إبراهيم بن المهدى شديد الانحراف عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ فحدّث المأمون يوماً أنه رأى عليا فى النوم ، فقال له : من أنت ؟ فأخبره أنه علىّ بن أبى طالب . قال : فمشينا حتى جئنا قنطرة فذهب يتقدمنى لعبورها ؛ فأمسكته وقلت له : إنما أنت رجل تدّعى هذا الأمر بامرأة ونحن أحق به منك ! فما رأيت له فى الجواب بلاغة كما يوصف عنه . فقال : وأى شىء قال لك ؟ قال : ما زادنى على أن قال : سلاماً سلاماً . فقال له المأمون : قد والله أجابك أبلغ جواب . قال : وكيف ؟ قال : عرّفك أنك جاهل لا يجاب مثلك ؛ قال الله تعالى : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » . فخجل إبراهيم وقال : ليتنى لم أحدثك بهذا

---

(١) فى ت : بمائتى .

قال إبراهيم بْنُ المَهْدِىّ : كنتُ يوماً بين يدى محمد الأمين فغنَّيْتُه :

أَقْوت مَنَازِل بالهِضابِ   من آل هِنْد والرَّبَاب
خَطَّارة بِزِمَامِها   وإذا وَنَت ذُلُل الرِّكاب

فاستَحْسَن اللَّحْنَ ولم يتجاوَزْه ، ثم انصرفنا وطلبنى سحرا ، فلما جئتُ رآنى من بَعِيد فصاح بى : يا عَمّ بحيَاتى : « خطَّارة بِزِمَامِها » .

فغنَّيْتُ ودَخَلْت المجلس فخرجَت صَبِيَّة كأنَّها لُؤْلُؤَة فى يَدِها عُود . فقال : بحيَاتى يا عَمِّ أَلْقِه عَلَيْها ! فأعَدْته مِرارًا وهو يشرب ؛ حتى ظننت أَنها أَخَذَتْه ، فأمرتها أَنْ تُغَنِّيه ، فإذا هو قد استَوَى لها إلا فى مَوْضع منه كان صَعْباً جِدًّا ، فجهدت أن يَقَع لها طَلَباً لمسَرَّته وكان حَقِيقاً[(١)] مِنِّى بذلك ، فلم يقع لها البتة ورأى جُهدى بأَمْرها وتعذُّرَه عليها فأقبل عليها وقد سَكِر وقال : نُفِيت عن الرشيد ، وكُلُّ أَمَةٍ لى حُرَّة لئِن لم تَأْخُذِيه فى المرة الثالثة لآمرن بإلْقَائِك فى دِجْلة ! قال : ودِجْلة تَطْفَح وبَيْنَنا وبَيْنَها نحوُ ذِرَاع وذلك فى الربيع ، وتأمَّلت القِصَّة فإذا هو قد سَكِر ، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله أبدا . فقلت : هذه والله داهية ، ويَتَنَغَّص عليه يومُه وأَشَرِكُه فى دَمِها ، فعدلتُ عمّا كنت أُلْقيه عليها ، وغَنَّيْتُه كما كانت هى تُغَنِّيه وردَّدْتُه ثلاثَ مرّات وأَرِيتُه أَنَّنى أَجْتَهِد ، ثم قلت لها : هاَتيه الآن ، فغَنَّتْه على ما كان وقَعَ لها . فقلت : أحسنَتْ يا أَمير المؤمنين . وردَّدَتْه ثلاثَ مرّات وطابَت نَفْسُه ، وأمر لى بِثَلاثين ألف درهم .

قال إبراهيمُ بنُ المَهْدِىّ : كنت بين يَدَى الرّشيد جاَلسا عل ظهر حَرَّاقة وهو يريد المَوْصل والمَدَّادُون يَمُدُّونَ السفن ، والشِّطْرنج بَيْنِي وبَيْنه والدَّسْت مُتَوجِّه له ،

---

(١) فى ت : تحقيقا « تحريف » .

إذ أَطْرَقَ هنيهة[١] ثم قال: ياابن أُمٍّ ماأحسن الأسماء عندك ؟ قلت : محمدٌ اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : أىّ شىء بعده ؟ قلت : هارون اسم أمير المؤمنين . قال : فما أَسْمَجُ الأسماء ؟ قلت: إبراهيم ، فزَجَرَنى[٢] ثم قال : ويحك ! أتقول هذا! أليس هو اسم إبراهيم خليل الله ، صلى الله على نبيِّنَا وعليه قلت له : لشُؤم هذا الاسم لَقِىَ من نَمْرُودَ ما لَقِىَ وطُرِح فى النَّار . قال : فإبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم؟ قلت : فلا جرم إنَّه لم يُعمَّر . قال : فإبراهيم الإمَام ، قلت : حَرَقَه اُسمه ، قَتَلَه مروان فى حَرَّان . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيمُ بنُ الوَلِيد خُلِع ، وإبراهيمُ بن عبدالله ابن حسن قُتِل ، وعَمّه إبراهيم بن حسن سقط عليه السقف[٣] فمَاتَ ، وما رأيتُ والله أحداً يُسَمَّى بهذا الاسم إلا قُتِل أو نُكِب أو رأيتُه مَضْرُوباً أو مَصْلُوباً أو مَظْلُوماً أو مَقْذُوفاً . فما انقضى كَلَامى حتى سَمِعْنا مَلَّاحا يَصِيح بآخر يا إبراهيم يا عَاضَّ بَظْر أُمِّه مُدَّ ويلك ! فقلت له : أبَقِىَ شىء بعد هذا ! ليس والله فى الدنيا اُسم أشأم من إبراهيم، فضَحِك حتى أَشْفَقْتُ عليه .

دخل الحَسَن بن سَهْل على المأمون وهُو يَشْرَب فقال له : بحَيَاتى عليك يا أبا محمد إلَّا شَرِبت مَعِى قَدَحاً وصَبَّ له مِن نَبِيذِه قَدَحاً فأخذه فقال له : مَنْ تُحِبّ أن يغَنِّيكَ ؟ فأومأ إلى إبراهيم بن المهدى، فقال له المأمون : غَنِّه يا عَمِّ فغَنَّاه :

تَسْمَع لِلْحَلْى[٤] وَسْوَاساً إذا انصرفَتْ ... كما استعَان بِريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ[٥]

---

(١) فى ت : هنيئة « تحريف » .

(٢) فى ت : فزبرنى .

(٣) فى غ : السجن .

(٤) فى ت : للحى « تحريف » .

(٥) فى ت : عشرت زحل « تحريف » والتصحيح من الأغانى الجزء التاسع / ١٥٢ طبع دار الكتب عند ذكر « أصوات معبد » المعروفة بالمدن .

يعرِّض به لما كان لَحِقه من السوداء والاختلاط . فغَضِب المأمون حتى ظَنّ إبراهيم أنَّه سيُوقع به ، ثم قال له : أبيت إلا كفراناً أنت أكفر خَلْق الله لنِعَمِه ! والله ما حَقَن دمَك غيرُه ! ولقد أردتُ قتلَك فقال لى : إن عفوتَ عنه فعلت فِعْلًا لم يسبقك أحدٌ إليه ، فعفوتُ عنك والله لقوله . أَفَحَقّه أن تعرِّض به ولا تَدَع كيدك ودَغَلك ! أَوَ أَنفْتَ من إعائه إليك بالغِنَاء ! فوثب إبراهيمُ وقالَ : يا أمير المؤمنين ، لم أذهب حيث ظننتَ ولستُ بِعائِد ؛ فأعرِض عنه .

كان المأمون قد بلغه عن إبراهيم بن المهدى شىء أنكرَه فغَنَّى بين يديه يوما وهو مُصْطَبِح فى شِعْره :

ذهبتُ من الدُّنيا وقد ذهبت مِنِّى ... هوى الدهرُ بى عنها وولَّى بها عَنِّى
فإنْ أَبْكِ نَفْسِى أَبْكِ نَفْسًا نفيسةً ... وإنْ أحتَسِبْها أحتَسِبْها على [ضَنّ](١)

فرَقّ له المأمون لما سَمِعه وبكى ، وقال : لا والله لا تَذْهَب نَفْسُك يا إبراهيم على يَدِ أمير المؤمنين ، فَطِبْ نَفْسًا ؛ فإنَّ الله عز وجل قد أَمَّنك إلا أن تُحْدِث حَدَثًا يشهد عليك به عَدْل ، وأرجو ألا يكُونَ ذلك إن شاء الله تعالى .

غَنَّى إبراهيمُ بن المَهْدِى يوما مُحَمَّدًا الأمين صَوْتًا فى شعر أَبى نُواس :

يا كَثِيرَ النَّوْحِ فى الدِّمَن ... لا عليها بل عَلَى السَّكَن
سُنَّةُ العُشَّاق واحـدةٌ ... فإذا أحببتَ فاستكِنِ
ظَنَّ بى مَنْ قد كَلِفْتُ به ... فهو يَجْفُونِى عَلَى الظِّنَن
رشأٌ لولا ملاحتُـه ... خَلَت الدُّنيا مِنَ الفِتَن

فأمر له بثلاثمائة ألف دِينار(٢) . فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين قد أَجَزْتنى

---

(١) ساقطة من ت والتكملة من غ .

(٢) فى غ : درهم .

إلى هذه الغاية بِعِشْرين أَلْف أَلْف دِرْهم ، فقال : وهل هى إلّا خراج بعض الكُوَر !
وقيل : إنه لمّا أراد الانصراف قال : أَوْقِرُوا حُرّاقة عَمِّى دنانير فأوقروها ، فكان مالًا جايلًا .

وقال الأَمينُ لإبراهيم بن المَهْدِى فى بعض خَلَوَاته : يا عَمِّ أشتهى أن أسمعك[1] تَزْمُر . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما وضَعْت على فمى نَاياً قطّ ولا أضعه ، ولكن يَدْعُو أميرُ المؤمنين بِفُلَانة — مِن مَوالى المَهْدِى — حتى تَنْفُخَ فى النّاى وأُمِرّ يَدِى عليه . فأُحْضِرَت ، ووَضَعَتِ النّاى على فَمِها وأمسكه إبراهيم ، وجعل يُصَرِّف أَصابعه فسُمِع منه ما أَجْمَع سائِر مَنْ حضر أنه لم يَسْمَع مِثْله قطّ .

[كان محمد بن مُوسَى المُنَجِّم يقول : حكمتُ أَنَّ إبراهيمَ بن المهدى أحسنُ النَّاس كلهم غِناء بِبُرْهَان ، وذلك أنى كنت أراهُ فى مجالس الخلفاء يُغَنِّى المُغَنُّون ويُغَنِّى هو ، فإذا ابتدأ بالصوت لم يَبْقَ من الغِلْمَان أحدٌ إلا ترَكَ ما فى يده وقَرُب من أقرب موضع يُمْكِنه أن يَسْمَع منه فلا يزَال مُصْغِيا إليه لاهِياً عمّا كانَ فِيه ما دام يُغَنِّى ، حتى إذا أمسك وغَنَّى غيرُه رَجَعُوا إلى التَّشَاغُل بما كانوا فِيه ولم يلتفِتوا إلى ما يَسْمَعُون . ولا برهانَ أقوَى من هذا من شهادة الفِطَن واتِّفَاق الطَّبَائع — مع اُخْتِلَافِها وتَشَعُّب طُرُقها — على المَيْل إليه والانقياد نَحْوه .]

قال هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدى : قلتُ يوما للمُعْتَصم : كانت لأبى أشياء لم يكن لأحدٍ مثلها . قال : وما هى ؟ قلت : شارِيَة وزَامِرَتُها مَعْمَعَة . فقال : أَمَّا شارية فعندنا ، فما فعلت الزّامِرة ؟ فقلت : ماتت . فقال : وماذا ؟ قلتُ : وسَاقِيَته مَكْنُونة ، لم يُرَ أحسنُ وَجْهاً ولا أَلْبَقُ[2] ولا أَظْرَف مِنها . قال :

---

(١) فى غ : أراك .
(٢) فى غ : ألين .

فما فَعَلَت ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : نَخْلَة تَحْمِل رُطَبا كُلّ رُطَبة شِبْر . قال : فما فعَلَت ؟ قلت : جمَّرْتُها بعد وَفاته . قال : وماذا ؟ قلت : قدَحُه الضَّحْضَاح. قال : فما فعل ؟ قلت : الساعة حَجَمَنى فيه أبو حَرْمَلَة فسألتُه أن يَهَبه لِى ففعَل ، ووجَّهْتُ بِهِ إلى منزلى فغُسِل ونُظّف وأُعِيدَ إلى خِزَانتى ، فرأيتُ أبى فى المنام فى ليلتى تلك وهو يَقُول لى :

أَيُنْزَعُ ضَحْضَاحِى دَمًا بعدما غَدَتْ ... علىَّ به مَكْنُونَةٌ مُتْرعًا خَمْرا
فإنْ كنتَ مِنِّى أو تُحِبّ مَسَرَّتِى[1] ... فلا تَغْفِلَن قَبْلَ الصَّبَاح له كَسْرا

فانتبهْت فَزِعا ، وما بَرِق الصبح حتى كسرته .

---

(١) فى ت : بحيث تسرنى .

أَوْس بن حَجَر

(هو على ما قِيلَ أوسُ بن حَجَر) بن عَتّاب بن عبد الله بن خَلَف بن نُمَيْر (بن أسد ابن عمرو بن تميم .

ذكره أبو عبيدة من الطبقة الثّالثة ، وقَرَنَه بالحُطَيْئة والنّابغة بن جَعْدة . وكان من فحول شعراء الجاهلية. وكان شاعر مُضَرَ حتى أسقطه النابغةُ وزُهَيْر فهو شاعر تَمِيم فى الجاهِليّة غيرَ مُدَافَع)

وكان ابن الكلبي يزعم أنّ من هذه الطبقة لَبِيد بن رَبِيعَة والشّمّاخ بن ضِرَار .

ومن الناس من يقول بتَقْدِيم عَدِىّ . ومن شعر أوس :

إنى أَرِقت ولم يأرق معى صاحى ... لمستكف بعيد النوم لوّاح
دَانٍ مُسِفٍّ فُوَيْق الأَرْض هَيْدَبُه ... يَكَادُ يَدْفَعُه مَنْ قام بالرّاح
إنْ أَشْرَبِ الخمرَ أو أُرْزَأْ لها ثَمَناً ... فلا مَحَالَةَ يَوْماً إنّنِى صَاحِى[1]

وهذه القصيدة تروى لعَبِيد بن الأَبْرَص .

خرج أعرابى مَكْفُوفٌ ومعه ابنة عَمٍّ له يرْعَى غنما لهما . فقال الشيخ : أَجِد ريح النسيم قد دَنَا ، فارفعى رأسك فانْظرى . فقالت: أراها كأنها رَبْرَبٌ[2] مِعْزَى هَزْلَى . فقال : ارْعَى واُحْذَرى . ثم قال لها بعد ساعة : إنى لأجد ريح النسيم قد دنا ،

(١) كذا فى ت، ولم يرد البيتان الأول والثالث فى غ. والبيتان الثانى والثالث من قصيدة عدتها خمسة عشر بيتا لعبيد بن الأبرص فى الديوان / ٧٥ طبع ليدن ، ولم يرد بها البيت الأول . والأبيات الثلاثة فى ديوان أوس بن حجر من قصيدة عدتها واحدوعشرون بيتا على خلاف فى الترتيب، طبع وين .

(٢) فى ت : سرب « تحريف » .

فارفَعِي رأسَكِ وأُنْظُرِي. قالت : أَرَى كأَنَّها بِغَال دُهْم تَجُرّ جِلالَها . قال : أرعَى واحْذَرِي . ثم مكث ساعةً ثم قال : إنى لأَجد ريح النّسيم قد دَنَا فما ترين ؟ قالت : أَراهَا كأنها بَطْن حِمَار أَصْحَر . قال: أرعَى واحذَرِي . ثم مكث ساعة ثم قال : إنّى لأَجد ريح النسيم قد دَنَا فما تَرَيْن ؟ قالت : أراها والله يا ابن عم كما قال الشاعر :

دَانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الأرض هَيْدَبُه ... يـكاد يَدْفَعُه مَنْ قام بالرَّاح

كأَن بين أَعَالِيه وأَسْفَلِه ... رَيْطٌ مُنَشَّرَةٌ أو ضَوْءُ مصباحِ

فمن بِمَحْفِله كَمَنْ بنَجْوَتهِ[1] ... والمُسْتَكِنّ كمَنْ يمشى بِقِرْوَاح

فقال : أُنْجِى لا أَبَا لَكِ ! فما انقضى كلامُه حتى هطلت السماء عليهما .

يقول : السحاب لقربه من الأرض يـكاد يَدْفعه من قام براحته . والقِرْوَاحُ : الفضاء . وقوله : « فمَنْ بِمَحْفِلِه كمن بنَجْوته » يعنى فمَنْ هو فى هَذَا الموضع كمن هو بنَجْوَتِه أى فى ناحية عنه سواء لـكثرة المطر .

وقولها : بَطْن حِمَارٍ أَصْحر : تَعْنِى أَبْيَض فيه حُمْرة ، والصُّحْرة . لونٌ كَذَلك .

وكان أوسُ بنُ حجر غَزِلًا مُغْرَماً بالنِّساء ؛ فخرج فى سَفَر ، حتى إذا كان بأرض بنى أَسَد بين شَرْج ونَاظِرَة[2] ، فبينا هو يسير ظلاما إذ جالت به ناقته فصرَعَتْه فاندقَّت فخذه فبات مكانَه ؛ حتى إذا أصبح غدا جَوَارِى الحَىّ يَجْتَنِين الـكَمْأة وغيرَها من نبات الأرض والناس فى ربيع . فبينا هن كذلك إذْ بَصُرن بناقته تجول وقد عَلِق زمامها بشجرة وأبصَرْنَه مُلْقًى ، ففزِعْن وهربن . فدعا بِجَارية

---

(١) بياض بالأصل والتـكملة من غ . وفى الديوان / ٤ : فمن بنجوته كمن بعقوته .

(٢) شرج وناظرة : موضعان .

منهن وقال لها : من أَنْت ؟ قالت : أَنَا حليمة بنت فَضَالَة بن كَلَدَة ، وكانت أصغرهن ؛ فأعطاها حَجَرا وقال : اُذهبي إلى أبيك فقولي له : اُبنُ هـذا يُقرِئك السلام . فأتته فأخبرته فقال : يا بُنَيّة ، لقد أتيتِ أباكِ بمدح طويل أو هِجَاء طويل . ثم اُحتمل هو وأهله حَتَّى بَنَى عليه بَنِيَّة[1] حيث صُرِع وقال : لا أتحوَّل أبدا أو تَبْرأ ؛ وكانت حَلِيمة تقوم عليه حتى استقلَّ فقال فى ذلك :

لعَمْرُكَ ما مَلَّت ثَوَاءَ ثَوِيِّها[2] … حَلِيمَةُ إذْ أَلْقَى فَرَاشِى بِمَقْعَدِ[3]
ولكن تَلَقَّتْ باليَدَيْن ضَمَانَتِى … وحَلّ بِشَرْجِ الْقبائل عُوَّدِى[4]
ولم تُلْهِها تلك التَّكاليف إنها … كما شِئْتَ من أُكرومة وتَخَرُّد
سأجْزِيكِ أو يَجْزِيك عنى مُثَوِّب[5] … وقَصْرُكِ أَنْ يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِى

ثم مات فَضَالة بن كَلَدَة وكان يُكْنَى أبا دُلَيْجَة فقال يَرْثيه :

يا عينُ لا بدّ من سَكْبٍ وتَهْمَال … على فَضَالَةَ جَلَّ الرُّزْءُ والعَالى
أَبَا دُلَيْجَة من يُوصِى لأَرْمِلَة[6] … أم مَنْ لأشعثَ ذِى طِمْرَيْن مِمْحَالِ
أبا دُلَيْجَة مَنْ يَلْقى[7] العشيرةَ إذ … أمسَوْا من الأمر فى لَبْسٍ وبَلْبَال
لا زال مِسْكٌ ورَيْحَان لـه أرج … على صَدَاكَ بِصَافِى اللَّوْن سَلْسَال

(١) فى غ : بيته .
(٢) فى ت : ثويته .
(٣) فى غ : مراسى مقعد .
(٤) فى ت : فالقباء برعددى .
(٥) فى ت : مسوف .
(٦) فى غ : توصى بأرملة .
(٧) فى غ : يكفى .

ومن نَادِر مَرَاثِيه فيه :

أيَّتُها النفسُ أَجْمِلِى جَـــزَعَا ‏ ‏ إن الَّذى تَحْذَرِين[1] قد وَقعا

إنَّ الَّذى جَمَّعَ المروءَةَ[2] والـ ‏ ‏ ـنَّجْدَةَ والبِرَّ والتُّقَى[3] جُمِعَا

الْمُخْلِف الْمُتْلِف المرَزَّأ لم ‏ ‏ يُمْتَع بضعف ولم يمُت طَبَعَا

أودى وهل تنْفَعُ الإشَاحَةُ مِنْ ‏ ‏ شىء لَمَن قــد يُحاول البِـدَعا

(١) فى غ : تـكرهين .

(٢) فى غ : السماحة .

(٣) فى غ : الحزم والقوى .

(أبو جِلْدَة[1] اليَشْكُرِى

(هو أبو جلْدَةَ بن عُبَيْد بن مُنْقِذ بن حُجْر بن عُبَيْد الله[2]) بن مَسْلَمة بن حُبَيِّب ابن عَدِىّ بن جُشَم بن غَنْم بن حُبَيِّب بن كَعْب بن يَشْكُر بن بَكْر بن وَائِل (شَاعِرٌ إسلامِى من شُعَرَاء بَنِى أُمَيَّة من سَاكِنِى الكُوفَة وهو ممن خَرَجَ مع ابن الأشعث و قَتَلَه الحَجَّاج) وكان من أَخَصِّ الناس بالحجَّاج حتى إنَّه بعث به ومعه عبد الله بن شَدَّاد بن الهادِى اللَّيثىّ إلى عبدالله بن جعفر بن أبى طالب نخطَب الحجاج مِنْه ابنته أُمَّ كُلْثُوم . ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأَشْعَث ، وكان من أشَدِّ الناس تحريضا على الحجاج . فلمّا أُتِى الحجّاجُ برأْسِه ووُضع بين يديه نظر إليه طويلا ثم قال : كَمْ من سِرّ وضَعْته فى هذا الرأس فلم يَخرج منه حتى أُتيتُ به مَقْطُوعا .

وكان يوم الزَّاوِيَة خرج أبو جِلْدَةَ بين الصَّفَّين وأَقْبَل على أهل الكوفة يحرضهم وينشدهم قصيدته الَّتى يقول فيها :

فقل لِلحَوَارِيَّات[3] يبكين غيرَنا ... ولا تبكِنَا إلّا الكِلَابُ النَّوابِحُ

أَأَسْلَمْتمونا للعَدُوِّ وطِرْتُم ... شِلَالًا وقد طاحَت بهن الطَّوائح[4]

ولا صبرَ للحرب العوان على القَنَا ... إذا أُنتُزِعت منها القُرونُ النَّوَاطِحُ

بكَيْنَ إلَيْنَا خشيةً[5] أن تبيحها ... رِمَاحُ النَّصارى والسيوفُ الجوارح

---

(١) فى ت : خلدة « تحريف » .

(٢) فى ت : عبد الله .

(٣) فى ت : الجواريات « تحريف » وفى لسان العرب (حور) الحواريات ، وهن النقيات الألوان والجلود لبياضهن .

(٤) فى غ واللسان (حور) جاء مكان هذا البيت : « بكين إليناخشية . . الخ » . وفى غ : جاء مكان العجز من هذا البيت : « إذا انتزعت منها القرون النواطح » ولم يرد هذ العجز فى غ، كالم يردفى غ أيضا صدر البيت الذى يليه « ولاصبر للحرب ...إلخ ».

(٥) فى اللسان(حور) : خيفة .

بِـــكَيْنَ لِـكَيْمَا يَمْنَعُوهن منهُمُ   وتأبَى قُلُوبٌ أُجمِرتها[١] الجوانحُ
ونادَيْنَنـــا: أَيْنَ الفِرارُ[٢] وكُنْتُمُ   تَغَارُون أن تبدُوا البُرى والوشَائِحُ
فمـا غار منهم غـائِرٌ لخليـــلَةٍ   ولا عَزَبٌ عَزّت عليـه المَنـاكِحُ

فأَنِفُوا وثاروا وشَدُّوا شَدَّةً تَضَعْضَع لها عَسْكَر الحجَّاج وثَبَت الحجَّاج ونادى أَهلَ الشام فَتَرَاجَعُوا وثَبَتُوا، فـكانت الدَّائِرة على أَهْلِ العِراق، وجَعَل يُقتِّل الناسَ بَقِيَّةَ يومه، حتى صاح به رَجُل: يا حَجّاج، إن كنا أسأْنا فى الذّنب لمَا أحسنْتَ فى العَفْو، ولقد خالفتَ الله تعالى فينا وما أطَعته. فقال: وكيف ويلك[٣]! قال: لأنّ اللهتعالى يقول: « فإذا لَقِيتُم الَّذين كَفَرُوا فضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إذا أَثْخَنْتُمُوهُم فشُدّوا الوَثَاقَ فإمَّا مَنًّا بعد وإمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَــعَ الحربُ أَوْزَارَهَا » وقد قتلتَ فأَثخنْتَ حتى جاوزت الحدّ، فأْسر ولا تقتل، وفَادِ وامْـنُن. فقال: أَوْلى لكَ!؟ أَلَا كان هذا الـكَلَام قَبْل هَذَا الوقت! ثم رفع السيف[٤] وآمن الناسَ جميعا.

وكان الحجَّاج يَقُول ما حرّض أحدٌ عَلَيّ كما حَرَّض أَبُو جِلْدَة على، فإنَّه نزل عن فَرَسِه[٥] فى وسط عسكر ابن الأَشْعَث ووضــع سراويله وسَلَح فوقَه والناسُ ينظُرون إليه. فقالوا: ما لك وَيْلَك أَجُنِنْت! ما هذا! قال: كُلّـكم فعل مثلَ هذا إلّا أنـكم سترتموه وأظهرتُه. فشتموه وحملوا عَلَيّ، فما أنساه يرتجز وهو يقدُمهم ويقول:

---

(١) فى غ: أضمرتها.
(٢) فى ت: ويادينا أين القرآن « تحريف ».
(٣) فى ت: ذلك.
(٤) فى غ: أمن.
(٥) فى غ: على سرحة.

نحن جَلَبْنَا الخيلَ من زَرَنْجا[1] ... ما لَكَ يا حَجَّاجُ مِنَّا مَنْجَى
لَتُبْعَجَنّ بالرِّماح[2] بَعْجَا ... أو لَتَفِرَّنّ فذاكَ أَحْجَى

ووالله لقد كاد أهلُ الشأم يومئذ أن يَتَضَعْضَعُوا لولا أنّ الله تعالى أيّدهم بنصْره .

وكان أبو جِلْدة مع القَعْقَاع بن سُوَيْد[3] المِنْقَرِي بسِجِسْتان ، فَذَمّ منه بعض ما عامَلَه به ، فقال فيه :

ستعلم أنْ رأيَك رأيُ سَوء ... إذا ظِلُّ الإمَارة عنكَ زَالَا
ورَاحَ بَنُو أبيك ولستَ فِيهِم ... بِذِي ذِكْرٍ[4] يَزِيدُهمُ جَمَالا[5]
هناكَ تَذَكَّرُ الأَسْلَافَ منهم[6] ... إذا الليل القصيرُ عليك طالا

فقال له القعقاع : ومتى يَطُولُ علَيّ الليلُ القصير؟ قال: إذا نظرتَ إلى السماء مُرَبَّعَة. فلمّا عُزِل وحبس أخرجَ رأسَه فنظر فإذا هو لا يرى السماء إلا بقدر تَرْبيع السِّجن [فقال:][7] هذا والله الذى حَذَّرَنيه أبو جِلْدَة .

ثم تَوَلَّى مِسْمَع بنُ مَالك بن مسمع فخرج إليه فتَلَقَّاه ومَدَحَه بقصيدته التى هى :

— بانَتْ سُعَادُ فأمسَى حَبْلُها انقَطَعا ... وليتَ وَصْلًا لنا من حَبْلها رَجَعا
— شَطَّت بها غُربةٌ زَوْرَاء نَازِحَةٌ ... فطارَت النَّفسُ من وَجْدٍ بها قِطَعَا

(١) زرنج : قصبة سجستان .
(٢) فى غ : بالسيوف .
(٣) فى ت: سور.
(٤) فى ت : زجر .
(٥) فى ت : جدالا .
(٦) فى ت : منكم .
(٧) ساقطة من ت .

— ما قَرَّت العَيْن مُذْ وَلَّت[١] فينفعهـا ... طعمُ الرّقاد إذا ما هَاجِـع هَجَعَـا
غَـدَتْ تلُوم على ما فَاتَ عَاذِلَتِى ... وقبـل لَوْمك ما أَغْنَيْتَ مَنْ مَنَعَا
مَهْلاً ذَرِيـنى فإنى غَالَـنى خُلُقِى ... وقد أَرَى فى بلاد الله مُتَّسَعَا
— مجْدِى[٢] تَلِيدٌ وما أنفقتُ يُخْلِفُهُ[٣] ... سيبُ الإله وخَيْرُ المَال ما نَفَعَا
ما عَضَّنِى الدهرُ إلّا زادَنِى كرماً ... ولا اُستكَنْتُ له إذْ جارَ[٤] أو خدَعَا
ولا تَلَيَّنُ من عُودِى غَوَامِزُه[٥] ... إذ المُغَمَّز منها لَانَ أو خَضَعَا
ولا أخاتل رَبَّ البَيْتِ غَفْلَتَه ... ولا أقول لشىء فَاتَ ما صَنَعَا
— [ما يَسَّر اللهُ من شىء قَنَعْتُ به ... ولا أَمُوتُ على ما فَاتَـنِى جَزَعَا][٦]
إنِى لأَمْدَحُ أقـواماً ذوى حَسَبٍ ... لم يجعلِ اللهُ فى أخلاقهم طبعـا
الطَّيِّبِين عـلى العِلَّات مَعْجَمَةً ... لو يُعْصَرُ المِسْكُ من أعطافهم[٧] نَبَعَا
بَنِى شِهَابٍ بهـا أَعْنِى وإنَّهُم ... لأَكرمُ النّاسِ أحـوالا ومُصْطَنَعَا

فوصله مِسْمَع بنُ مَالِك وحَمَله وكَسَاه وولّاه ثم تُوفِّى مِسْمَع بسجستان . فقال أبو جِلْدة يرْثيه :

أَقُـولُ للنّفسْ تأْساءً وتَعزِيَـة ... قد كان فى مِسْمَعٍ من مَالِكٍ خَلَفُ[٨]
يا مِسْمَعَ الخيرِ مَنْ ندعو إذا نَزَلت ... إحدى النَّوائِبِ بالأَقوام واخْتَلَفُوا

---

(١) فى غ : إذ زالت .
(٢) فى غ : فخرى .
(٣) فى غ : أخلفه .
(٤) فى غ : إن خان .
(٥) فى غ : غمائزه .
(٦) لم يرد البيت فى غ .
(٧) فى غ : أطرافهم .
(٨) فى غ : قد كان من مسمع فى مالك خلف .

لو خلَّد الدهرُ فيّاضاً لمَكْرُمَة[1] وبَذْل جُودٍ لمَا أودى بك التلف
كنتَ الشهابَ الَّذى يُرْمى العَدُوّ به والبحرَ منه سِجَالُ الجود تَغْتَرِف

كان أبو جِلْدة قد ضِيمَ من بعض الوُلاة فهَتَف بقومه فلم يقْدِروا على مَنْعه منه ولا على مَعُونته رَهْبَةً من السلطان ، فهتَف بأعْلَى صَوْته : يامِسْمَع بن مالِك ، يا أَمِيرُ بْنُ أَحْمَر ، ثم قال :

ولما أَنْ رأيتُ سَرَاةَ قومِى سُكُوتاً لا يَثُوب لهم زَعِيم
هتفت بِمِسْمَعٍ وصَدَى أمِيرٍ وقَبْرِ مُعَمَّر تلك القرومُ

فأبكى من حَضَر ، وقاموا جَمِيعا إلى الوالى فسألُوه فى أمره حتى كَفَّ عنه .

وأَمِيرُ بن أَحْمَر ، هو رَجل من يَشْكُر كان سَيِّدًا جَوَادًا وكان وَالِياً على خُرَاسَان ، وفيه يَقُولُ زِيَادٌ الأَعْجَم :

لولَا أَمِيرٌ هلكت يَشْكُر ويَشْكُر هَلْكَى على كُلِّ حَالْ

ومُعَمَّر هو ابن شُمَيْر بن عامر[2] بن جَبَلَة ؛ وكان سَيِّدًا شريفاً وكان أميرَ سِجِسْتَان .

كان أبو جِلْدَة فى قرية من قرى بُسْت يقال لها : الخَيْزُرَان[3] ومعه عَمْرو بن صُوحَان أخو صَعْصَعَة فى جماعة يَتَحَدَّثون ويشربون ، فقام أبو جِلْدَة لِيَبُول وكان عَظِيمَ البطْن فضَرِط فضَحِك القومُ منه ، فسَلَّ سيفَه وقال : لأضربن كُلَّ مَنْ لا يَضْرِط فى مَجْلسه هذا ضربة بسيفى ، أَمِنِّى تَضْحَكون لا أُمَّ لكم ! فما زال حتى ضَرَطوا جَمِيعاً غير عَمْرو بن صُوحان . فقال له : قد علمت أَنَّ عبدَ القيس

---

(١) فى غ : قد وسدوك يمينا غير موسدة .
(٢) فى ت : عمرو .
(٣) فى ت : الخزوان .

لا تَضْرِط ولك بدلها عشرُ فَسَوَات . قال : لا والله أو تُفْضِحَ بِها فجعل يَنْحَنِى ولا يقدر عليها .

فقال أبو جلدة :

أمِن ضَرْطَة بالخيزُرَانِ ضَرَطْتُها   تَشَدَّد مِنِّى تارة[١] وتَلِينُ
فما هُوَ إلّا السيف أو ضَرْطَةٌ لهَا   يَثُورُ دُخَان سَاطِعٌ وطَنِينُ

سأل أبو جِلْدَة الحضين بن المنذر الرقاشى شيئاً فلم يعطه وقال : لا أعطيه ما يَشْرَبُ به الخمر . فقال أبو جِلْدَة فى ذلك :

يا بُؤْسَ يَوْمٍ[٢] طلعت شَمْسُه   بالنَّحْس لا فارقتَ رأس الُحضَيْن
إن حُضَيْناً لم يزل باخلًا   [مذ كان][٣] بالمعروف كَزَّ اليَدَيْن

فبلغ الُحضَيْنَ قولُ أبى جِلْدَة ، فقال يُجيبُه :

عَضَّ أَبُو جِلْدَةَ من أُمِّه   مُعْتَرِضًا ما جاوَزَ الأَسْكَتَيْن[٤]
بظرا طويلا عاصِبا[٥] رأسُه   أعقف كالمِنْجَل ذَا شُعْبَتَيْن

كان أبو جِلْدَة عَشِق دِهْقَانَةً فى بُسْت فكان يَخْتَلِف إليها ويكون عندها فقَالَ فِيهَا :

وكأْسٍ كأن المسك فيها حسَوْتُها   ونَازَعَنِيها صَاحِبٌ لى مُلَوَّمُ
أغَرُّ كأنَّ البدر سُنَّةُ وَجْهِهِ   له كَفَلٌ راب[٦] وفَرْعٌ ومَبْسِم

---

(١) فى غ : دارة « تحريف » .
(٢) فى غ : يا يوم بؤس .
(٣) ما بين القوسين ساقط من ت والتكملة من غ .
(٤) فى ت : الركبتين .
(٥) فى غ : غاشيا .
(٦) فى غ : واف .

يضيء دُجَى الظَّلْماءَ رَوْنَقُ وجهه (١) ... ويَنجاب عنــه الليلُ والليلُ مُظْلِمِ
وثَدْيان كالُحقَّيْن والمَـتْن مُدْمَجٌ ... وجِيدٌ عليــه نَسْق دُرٍّ مُنَظَّمُ
وبَطْن طَوَاه اللهُ طَيًّا ومَنْطِقٌ ... شَهِيٌّ (٢) ورِدْفٌ (٣) نِيطَ بالحَقْوِ مفعم (٤)
به تَبَلَتْنِى واستَبَتْنِى وغَادَرَت ... بنات فؤادى (٥) نارُها يَتَضَرَّم
فمن مُبْلِــغٌ قَوْمى الدُّنا أنَّ مُهْجَتى ... تبينُ لأن بَانَت ولا تَتَــكَلَّمُ (٦)
أَبِيتُ بها أَهْذِى إذا اللَّيْـلُ جَنَّـنِى ... وأُصْبِـح مَبْهُوتًا فمـــا أَتَــكَلَّم
فمـــا بالُها ضَنَّت علىَّ بوُدِّها ... وقلبى بِهاَ يا قَوْم عانٍ مُتَيَّم
وعَهْدِى بها — واللهُ يُصْلِح شأْنَها — ... تَجُودُ على مَنْ يَشْتَهِيهاَ وتُنْعِمِ

فلما بلغها الشِّعر سألت عن تَفْسِيره ففُسِّر لهاَ . فلما انتهى التفسيرُ إلى البيتين الأخيرين غَضِبت وقَالت : أنا زَانِية كما زَعَم ! أَوَ كُلَّما اشْتهَانى إنسانٌ بذلْت له نفسى وأَنْعمْتُ له لا كلمتُه أبدا . فصرَمَته فلم يَقدِر عليها وهتف بها زمانا فلم يَصِل إلَيْهاَ .

كان أبو جِلْدة يشرب مع ابْن عَمٍّ له من بَــكْر بن وَائِل فسَــكِر نديمُـه فعرْبَد عليه وشَتَمه فاُحْتَمله أبو جِلدة وقال :

أَبَى لِي أن أَلْحَى نَدِيمِى إذا انْتشَى ... وقال كلاماً سَيِّئًا لى على السُّــكْر
وقَارِى وعِلْمِى بالشَّرَابِ (٧) وأَهْلِهِ ... وما نادم القومَ الـكِرام كذِى الحِجْرْ

(١) فى غ : خده .
(٢) فى غ : رخيم .
(٣) فى ت : وجهم « تحريف » .
(٤) فى غ : مفأم .
(٥) فى غ : لظى فى فؤادى .
(٦) فى غ : ألا تتلوم .
(٧) فى ت : بالشباب .

فلست بـــلاحٍ لى نَديمًا بزَلَّةٍ ... ولا هَفْوةٍ كانت ونحن على الخمرِ
عركتُ بجَنبى قولَ خذْنى وصَاحِبى ... ونحن على صَهْبَاءَ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
فلما تمادَى قلْتُ خُذْهَـا عَرِيقَةً ... فإنك من قــوم جَحَاجِحَةٍ زُهْرِ
فما زلتُ أسقيه وأشربُ مِثْلَ مَا ... سَقَيْتُ أخِى حَتَّى بَدَا وَضَحُ الفجرِ
وأيْقَنْتُ أنَّ السُّكْرَ طَارَ بِلُبِّـهِ ... فأغْرَق فى شَتْمِى وقال وما يَدْرِى
ولاكَ لساناً كان إذْ كان صَاحِياً ... يقلِّبــه فى كل فَنٍّ من الشِّعْرِ

مَرَّ مِسْمَعِ بن مالك بأبى جِلْدَة فوثب إليه وأنْشَأ يَقُولُ :

يا مِسْمَع بن مَالِكٍ يا مِسْمَعُ ... أنت الجَوادُ والخَطِيب المِصْقَعُ
فاُصنَع كما كان أبُوكَ يَصْنَعُ

فقال له رجل هناكَ : إنْ قَبِل منك نَاكَ أُمَّه . قال: وكيف ؟ قال: لأنك أمرته أن يصنع كما كان أبوه يصنع ! [وإن أباه كان ينــكح زوجته](١) .

وكان مِسْمَعُ بن مالك يُعْطِى أبا جِلْدَة ويُحْسِن إليه ويَتَوَقَّاه لخُبْث لسانه .. وله فيه عدة قصائد منها :

يسعى رجال لـكَيْمَا يُدْرِكُوكَ ولو ... خَاضُوا بِحَارَكَ أوضَحْضَاحها غَرِقوا
وأنتَ فى الحرْب لا رَثُّ القوى بَرِمٌ ... عنــد اللقاء ولا رِعْدِيدَة فَرِقُ
ساد العِرَاقَ وحَالُ النَّاسِ صَالِحَةٌ ... وسادَهم وزَمَان النــاس مُنْخَرِقُ
لا خَارِجِىّ ولا مُسْتَحْدَثٌ شَرَفًا ... بل مجدُ آلِ شِهابٍ كان مذ خُلِقُوا

ثم مدح أبو جِلْدَة مُقَاتِل بن مِسْمَع طَمَعاً فى مثل ما كان مِسْمَع يُعْطِيه ، فلم يلْتَفِت إليه وأمر أنْ يُحْجَبَ عنه . فقيلَ له : تعرَّضْت لِلِسان أبى جِلْدة وخُبْثِه. فقال : ومَنْ هو الْكَلْب ! وما عسى أن يقول قَبحه الله وقَبح مَنْ هُوَ منه ! فليَجْهَد جَهْدَه، فبلغه ذلك ، فقال فِيه هِجَاءً .

---

(١) زيادة فى ت لم ترد فى غ .

إسماعيل بن عمار

هو إسماعيل بن عَمّار بن عُيَيْنَة بن خُزَيمَة بن طُفَيل بن عيسَى بن عَمْرو بن خَلَف بن زَبّان بن كَعْب بن مَالك بن ثَعْلبة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمة شاعِر مُقِل مُخْضَرَم من شعراء الدولتين يَنْزِل الكُوفة . وكان بالكوفة رجل يقال له ابن رامين[1] صاحب قِيَان قدم من الحجاز فكان يأتيه مَنْ يشرب النَّبِيذ ويَسْمَع الغِنَاء فيُقِيمُون عِنْدَه مثل يَحْيي بن زِيَاد الحارثيّ وشُرَاعَة بن الزَّنْدَبُوذ ، ومُطِيع بن إياس ، وعبد الله بن عباس وعَوْن العِبَادِيّ ومُحَمّد بن الأَشْعَث الزّهْرِي المغنّى . وكان إسماعِيل بن عمار يَغْشَاه أيضا ويَشْرَبُ عِنْده وكان فى جِوَاره فى بنى أسد وأنتقل مِنْ جِوَاره إلى بنى عائذ الله[2] فكان إسماعيل يزوره هناك على مَشَقّة لبُعْدِ ما بَيْنَهُما. وكان لابن رامين جوارٍ عدة ، منهن سلّامَة الزّرقاء ، وسَعْدَةُ ورُبَيْحة ، وكُنّ من أحسن الناس غِنَاء . فاشترى محمد بن سليمان سَلّامة الزّرقاءَ وفيها يقول مُحَمّدُ بنُ الأَشْعَث :

أَمْسَى لسَلّامَةَ الزرقاءِ فى كَبِدى ... صَدْعٌ مقيم طَوَالَ الدّهْرِ والأَبَد
لا يستطيع صَنَاعُ القَوم يَشْعَبه ... وكيف يُشْعَب صَدْعُ الحب فى الكبد[3]

وحَجّ ابن رامين وجَوَارِيه مَعَه ، وكان مُحَمّد بن سليمان إذ ذَاكَ على الحجاز ، فاشْتَرى منه سَلّامَةَ الزرقاءَ بِمِائة ألفِ درهم . ولإسماعيل فى جَوَارى ابْن رامين عِدّة قصائد .

(١) فى ت : رامين بدون ابن « سهو » .

(٢) عائذ الله : حى من العرب . وفى ت : عابد « تحريف » .

(٣) فى غ : كبد .

قال رجل وَجيه من بَنِى أَسَد لإسْمَاعيل بن عمّار : هلُمّ أركبْ مَعِى إلى يوسف ابن عمر فإنه صَدِيقِى أُكَلِّمه فيك حتّى يستَعْملك على عمل تَنْتَفِع فيه . فقال إسماعيل : دَعْنِى حتى يَحُول الحوْل ، وأَنْظُرُ إلى عُمَّاله ما يَصْنَع بهم ؟ فلما حال الحول نظر إسماعيل بن عمّار إلى عُمال يوسف بن عمر يُعذَّبون فقال فى ذلك :

رأيتُ صَبِيحَةَ النَّيروزِ أَمْراً   فَظِيعاً عن عِمَالتهم[1] نهَانِى
فررتُ من العِمَالة بعد يَحْيَى   وبعــد النَّهْشَلِى أَبِى أَبَانِ
فحَابِ بها أَبَا عُثْمان غَيْرِى   فما شأْنُ العِمَالة[2] لِى بشَان
أُحاذِر أَن أُقصِّر فى خَراجِى   إلى النَّيْرُوزِ أو فى المِهْرَجَان
وما عُذْرِى إذا عَرَّضْت ظهرى   لألف من سِيَاط الشَّاهجَان
تُعَدّ ليُوسف عَدًّا صَحِيحا   ويحفَظُهـا عليــه الجالدان

كانت لإسماعيل جَارِية سيئة الخُلُق قد ولدت منه ، وكانت قَبِيحَة المَنْظَر وكان يُبْغِضها وهى تُبْغِضُه فقال فِيها :

بُلِيتُ بِزَمّردَةٍ[3] كالعَصَا   ألصَّ وأخبثَ من كُنْدُشٍ[4]
تُحِبّ النساء وتأْبَى الرِّجَال   وتمشى مع الأَسْفَه الأَطْيَش
لهــا وَجْهُ قِردٍ إذا أُزَيِّنت   ولون كلون[5] القَطَا الأَبْرَشِ[6]

---

(١) فى غ : إمارتهم .
(٢) فى غ الإمارة .
(٣) زمردة، لغة فى « زُعْردة » . والزُعْردة : المرأة التى تشبه الرجال خلقا وخلقا .
(٤) كندش : لقب لص كان معروفا عندهم .
(٥) فى غ : كبيض .
(٦) الأبرش من البرش والبرشة : لون مختلف ، نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو غير ذلك .

ومِن فَوْقه [لِمَّةٌ جَثْلَةٌ](١) كَرِيش(٢) الخَوافِي مِنَ المَرْعَشِ
وبطنٌ خَواصِرُه كالوِطا(٣) ب زاد على كَرِشِ الأَكْرَشِ
وإن نَكَهت(٤) كِدتُ من نَتْنِها أَخِرّ على جانِبِ المَفْرَشِ
وثَدْىٌ تَدَلَّى على بَطْنِها كَقِرْبَة ذى الثَّلَّةِ المُعْطِشِ
وفَخْذَان بَيْنَهُمَا نَفْنَفٌ(٥) إذا ما مَشَت مِشْيَةَ المُنْتَشِى
وساقٌ يُخَلْخِلُهَا خاتمٌ كساق الجرادة(٦) أو أحمش
وفى كُلّ ضِرْسٍ لها أَكْلَةٌ(٧) أَصَلّ(٨) من القبر ذى المَنْبَشِ
ولَمَّا رأيتُ خَوا(٩) أَنفِها وفيها وإصْلالَ(١٠) ما تَحْتَشِى
فَرَرْتُ من البيت من أَجْلِها فِرار الهَجين من الأَعْمَشِ
لها رَكَبٌ(١١) مثلُ ظِلْف الغزال أَشَدّ اصفِرارًا من المِشْمِشِ
وأَبردُ من ثلج ساتِيدَمَا(١٢) إذَا رَاحَ كالعُطُبِ(١٣) المُنْفَشِ

---

(١) بياض بالأصل والتكملة من غ .

(٢) فى غ : كمثل .

(٣) الوطاب : سقاء اللبن .

(٤) نكهت : تنفست على أنف آخر .

(٥) النفنف : المهواة بين الشيئين . وفى غ : بسطة .

(٦) فى غ : الدجاجة .

(٧) الأكلة «بفتح أوله وكسر ثانيه، وسكن هنا للشعر» : داء يقع فى العضو فيأتكل منه .

(٨) أصل : أنتن .

(٩) الخواء : الهواء بين الشيئين ، والقصر هنا للشعر .

(١٠) الإصلال : النتن .

(١١) الركب : الفرج . وفى غ : إلى ضامر .

(١٢) ساتيدما : جبل .

(١٣) العطب : القطن .

وأَرسَحُ[١] من ضِفْدِعٍ عَثّةٍ[٢] تَنِقّ على الشَّطّ من مَرْعَشِ[٣]
وأَوسعُ من باب جِسْرِ الأَمِير تَمُرُّ المَحَامِلَ لم تَخْدِش
فهذى صِفَاتِى فلا تَأْتِها فقد قُلْتُ طَرْدًا لَهَا كَشْكِشِى[٤]

كان بجوار إسمَاعِيل رَجُلٌ من قومه ينهاه عن الشُّرْبِ والسُّكْر وهجاء النـاس ويَعْذِلُه، وكان إسمَاعِيلُ له مبغضا[٥]، فبَنَى ذلك الرجل مسجدا يُلَاصِق دارَ إسماعيل وحسَّنه ، وكان يجلس فيه هو وقُرَّاء[٦] قومه وذو الستر[٧] والصَّلاح منهم عامّةَ نَهارهم ، فلا يقدر إسمَاعِيل أن يَشْرَبَ فى داره ولا يدخُل إليه أحد ممن كان يَأْلَفُه من مُغَنٍّ أو مُغَنِّيَةٍ أو نديم ، وكان الرَّجُل يتَوَلَّى شيئًا من الأَوقاف[٨] للقاضى بالكوفة فقال إسماعيل يَهْجُوه :

بَنَى مَسْجِدًا بُنْيَانُه من خِيَانَةٍ لَعَمْرِى لَقِدْمًا كنتَ غيرَ مُوَفَّق
كصاحِبَة الرُّمَّان لَمَّا تصدّقت جَرَت مَثَلًا للخَائِن المُتَصَدِّق
يقول لها أَهْلُ الصَّلاح نَصِيحَةً لَكِ الويلُ لا تَزْنِى ولا تَتَصَدَّقى

سَمِع إسماعيلُ بنُ عَمَّار رجلا يُنْشِد أبيات الفَرَزْدَقِ يَهْجُو بها عُمَر بن هُبَيْرَة الفَزَارِىّ لَمَّا وَلِىَ العِرَاق ويَعْجَب من وِلَايَته ، وكان خَالِدٌ القَسْرِى قد وَلِىَ العِرَاقَ

---

(١) أرسح من الرسح ، وهو قلة لحم الفخذين والعجز .
(٢) العثة : الضئيلة الجسم .
(٣) مرعش : مدينة قرب الشام .
(٤) الكشكشة : الهرب . وكشكشى : اهربى .
(٥) فى غ : مغضبا .
(٦) فى غ : وقومه بدل وقراء قومه .
(٧) فى غ : التستر .
(٨) فى غ : الوقوف .

فى تلك الأَيَّام . فقال إسماعيل : أعجبُ من وِلَاية ابن هُبَيْرَة وِلَاية خالد القَسْرى وهو مُخَنَّث دَعِىّ ثم قال :

عَجِبَ الفرزدقُ من فزَارة أَنْ رأى ... عنها أُمَيَّةَ بالمَشارِق تَنْزِعُ
فلقد رأى عَجَبا وأُحْدِثَ بَعْدَه ... أمرٌ تطير له القُلُوبُ وتفزَع
بَكَتِ المنابِرُ من فزَارة شَجْوَها ... والآن من قَسْرٍ تَضِجُّ وتَجْزَع
فلوك خندف أَضْرَعُونا لِلْعِدا ... لله دَرّ مُلُوكنا ما تَصْنَع
كانوا كقَاذِفَة بَنِيها[1] ضَلَّةً ... سَفَهاً وغَيْرُهُم تَرُبُّ وتُرْضِع

(١) فى ت : بنوها بالرفع خطأ .

أَسَاقِفَةُ نَجْرَان

ومُبَاهَلَة النبى صَلّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّم

(قَدِم صُهَيْب من نَجْران مع أهل نجران وهو غُلَام ومعهم الأُسْقُفّ والعَاقِب وأبو حَبَش[1] ، والسَّيّد ، وقَيْس[2] ، وعبد المسيح وابنه الحارِث ومعهم أربعون حِبْرًا[3] فوقفوا على اليهود فى بيت المِدْرَاس[4] ، فصاحوا بهم : يا ابن صُورِيَّا يا كعب بن الأشرف[5] ، انزِلوا يا إخوة الخنازِير والقِردة ؛ فقالوا لهم : هذا الرجل عندكم مُنذُ كذَا وكذَا سَنَة قد غلبكم ، أَحْضِروا المُمْتَحَنة لِنَمْتَحِنه غدا . فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح قاموا فبركوا بين يدَيْه ثم تقدّمهم الأُسْقُفّ فقال : ياأبا القاسم ، مُوسَى مَنْ أَبوه ؟ قال: عِمْران ، قال : فيُوسف مَنْ أبوه ؟ قال : يعقوب . قال : فأنْتَ مَنْ أَبُوك ؟ قال : عبد الله بن عبد المطلب . قال : فعيسى مَنْ أَبُوه ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانقضّ جبريل عليه السلام ؛ فقال:« إنَّ مثَل عيسَى عندَ اللهِ كَمَثَلِ آدم خَلَقَه من تراب » فتلاها النبى صلى الله عليه وسلم فنزَا[6] الأُسْقُفّ ثم دِيرَ بِهِ مَغْشِيًّا[7] عليه ، ثم رفع رأسه إلى النبى صلى الله عليه وسلم: فقال له : أتزعم أن الله تعالى أَوْحَى إلَيْك أَنَّ عِيسَى خُلِق من تراب ! ما نجد

---

(١) فى ت : تحس « تحريف » .

(٢) فى ت : قس « تحريف » .

(٣) فى ت : أحبارا « تحريف » .

(٤) فى ت : المدارس « تحريف » . وبيت المدراس : البيت الذى يتدارس اليهود فيه كتابهم .

(٥) فى ت : يابن كعب بن الأشقر « تحريف » .

(٦) نزا : وثب . وفى ت : فبرا « تحريف » .

(٧) بياض بالأصل والتكملة من غ .

هذا فيما أُوحِيَ إلَيْنَا ولا تجده هؤلاءِ اليَهُود فِيمَا أُوحِيَ إلَيهم ، فأوحى الله إليه : « فَمَنْ حَاجَّكَ فيه مِنْ بَعْدِ ماجاءَكَ من العِلْمِ فقل تعَالَوا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكم ونِساءَنا ونِساءَكم وأنفُسَنا وأنفسَكم ثم نَبْتَهِل فنجْعَلْ لعنةَ اللهِ على الكَاذِبين » فقال : أنصفْتنا يا أبَا القَاسِم ، فمتى نُبَاهِلك ؟ فقال : بالغَدَاة إن شاء الله . فانصرف النَّصارى وانصرفَتِ اليَهُود وهم يَقُولُونَ : والله ما نُبَالِي أيّهما أهلَكَ الله الحَنِيفِيَّة أو النصْرَانيّة فلمّا صارت النصارى إلى بُيُوتها قالوا : واللهِ إنكم لتعلمون أنَّه نبِي . وإنْ بَاهَلْناه إنَّا لنَخْشَى أن نَهْلِك ، ولكن أستَقِيلوه لعَلَّه يُقِيلُنا .. وغدا النبي صلى الله عليه وسلم من الصُّبح وغَدَا معه عَلِيّ وفَاطِمَة والحَسَنُ والحُسَيْن رَضِيَ الله عنهم . فلما صلّى الصبحَ استقْبَل الناس بوَجْهه ، ثم جلس بَاركا ، وجاء بِعَلِيّ فأقامه بَيْن يدَيْه ، وجاء بفاطمة فأقامها بين كَتِفَيْه ، وجاء بالحَسَن فأقامه عن يَمِينه ، وجاء بالحُسَين فأقامه عن يساره ، فأقبلوا يَسْتَتِرون فى المَسْجِد بالخُشُب فرَقاً أن يبدأهم بالمُبَاهلة إذا رآهم ؛ فبَرَكُوا بين يدَيْه ، ثم صَاحُوا: ياأبَا القَاسِم ، أقِلنا أقالك الله عَثَرَاتك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم — قال : ولم يُسْأَل النبيُّ صلى الله عليه وسلم شَيْئاً قَطّ إلّا أَعْطاه. فقال : قد أَقَلْتكم. فلما وَلّوا قَالَ النّبيّ صلى الله عليه وسلم : والّذى بعثنى بالحَقّ لو باهلتُهم ما بَقِي على وَجْه الأرض نَصْرَانِيٌّ ولا نَصْرَانيّة إلّا أهلكَهم اللهُ عز وجل .

ويقال : إنّ العَاقِب وثَب فقَال : أذَكِّركم اللهَ أن نُلَاعِن هذا الرجل ! فوالله إن كان كَاذِبا ما لكم فِي ملاعَنَته خَيْر ، وإن كان صَادِقا لا يَحُولُ الحَوْلُ ومنكم نَافِخ ضَرَمَة[1] فصالحوه ورَجَعوا .

وكان الأَعْشَى يسمع من أَسَاقِفَة نجران ويَنْقُل عنهم فيما نقل عنهم فى شعره قوله :

أَستَأثَر اللهُ بالوفَاء وبالـــ ـــعَدْلِ وَوَلَّى المَلَامَةَ الرَّجُلَا

(١) الضرمة : الجمرة . يقال : ما فى الدار نافخ ضرمة أى ما فيها أحد .

(إبْرَاهِيم بنُ سَيَابَة

مَوْلى بَنى هاشم. يقال : إن جدّه حَجّام أعتقه بعض الهاشِمِيّين . مُقَارِب لشُعَراء وقْتِهِ، وليست له نَبَاهَة ولا شِعْر شريف وكان يميل بمحبّته ومَدْحِه إلى إبراهيم وابنه إسحاق فغَنّيا في شعره ورفعا منه . وكان خليعا مَاجِناً طَيب النادرة وكان يُرْمَى بالأُبْنَة .)

هَوَى إبراهيمُ بن سَيَابة أَمَة سوداء فعُوتِبَ على ذلك من أَهْله فقال :

يَكُونُ الخالُ في وَجْهٍ قَبِيحٍ ... فيكسوه الملاحَةَ والجَمَالا
فكيف يُلامُ مَشْغُوف (١) على مَنْ ... يَراها كُلَّها في العَيْنِ خَالا

وكان لسَوَّار بن عبد الله القاضِي ابنٌ أمردُ يهوَى مُغَنّية تسمى رُحَاص ، فسَكِر فنامَ وإبراهيمُ بن سَيَابة حاضر ، فجعل يُعانِقُه ويُقبِّله ، فلما انْتَبَه قال للجارية : ليت شِعْرى ما كان خَبَرُك مع ابنِ سَيّابة ؟ فقالت له الجارية : سل عن خَبَرِك أنتَ معه ، وحدثته بالقِصّة ، فهجَرَه الغُلام وشَتَمه فقال :

أَإنْ لثَمْتُك سِرًّا ... فأَبصَرَتْنى رُحَاصُ
وقال في ذاك قَوْمٌ ... على انتقاصى حِرَاصُ
هجَرْتَنى وأَتَتْنِى ... شَتيمَةٌ وانْتِقَاصُ
فهاكَ فاقْتَصَّ مِنّى ... إنَّ الجُروحَ قِصَاصُ

وقيل : إن رُحَاص هذه كانت داية ابْن القاضى ، وأنّه لَقِيه وهو سَكْران فعانَقه وقبّله ودايَتُه هذه معه فقيل للدّاية : إنّ هذا تَقْبِيلُ شَهْوة لا تقبيلُ سَلَام فلحقته فشَتَمَتْه وأسمعته ما يكره ، وتحاماه الغُلَام بعد ذلك .

(١) في غ : معشوق ! .

عُوتب ابنُ سَيّابة على مُجُونه فقال : ويلكم ! لَأَنْ ألقى اللهَ عزّ وجل بِذُلِّ المَعاصِي فيرحَمَنِي أحبُّ إليّ من أَنْ ألقاه أَتبختَرُ إدْلَالًا بحَسَنَاتى فيمقُتَنِى .

وسَكِر ابنُ سيابة يوما حتى حُمِل فى طَبَق ومر به حامِلُه على الجِسْر ؛ فسأله إنسان : ما هَذَا ؟ فرفع هو رأسَه وقال : هذا بَقِيّة مِمّا تَرَك آلُ موسى وآلُ هارون تَحْمِلُه الملائكة يا كِشْخَان(١) .

كتب ابن سَيَّابَة إلى صديق له يَقْتَرِض منه شيئا ، فكتب إليه يعتذر ويَحْلِف أنّه ليس عنده ما طلبه ، فكتب إليه : « إن كنت كاذِباً فجعلك اللهُ صادِقاً ، وإن كنت مَلوماً فجعلك الله مَعْذُوراً » .

كان ابن سيابة يوما مع جماعة يتحدّث ويُنْشِد شيئا من شعره ، فتحرّك فضَرِط ، فضرب بيده على أُسته غير مكترث ، وقال : إمّا أن تسكتِي حتى أتكلّم أنا ، وإمَّا أن أسكتَ حتى تتكلَّمِي .

عَبِث ابنُ سيابة بغُلام أَمْرد فأَجابَه ، فمَضَى بِه إلى بَيْته ، فأكَلَا وشَرِبا ، فقال له الغُلام : أنت أُبن سَيابَة الزِّنديق ؟ قال : نعم . قال : أُحِبّ أن تُعلِّمَني الزَّنْدَقَة . قال : أفعلُ وكَرَامَة . ثم بَطَحه على وجهه وتَمَكَّن مِنْه وَوَقع عليه فصَاح الغُلَام : أَوَّهْ أَيّ شيء هَذَا وَيْحَك ! فقال : هذا أوّل شَرائع الزَّنْدَقة .

قال مُحرِز بن جَعْفر الكاتِب : قال لى إبراهيم بن سَيَابَة : إذا كان فى جِيرَانك جِنازَةٌ وليس فى بيتك دَقِيق فلا تحضُر الجنَازَة فإنَّ المصيبةَ عندكَ أكثرُ منها عند القوم ، وبيتُك أَوْلَى بالمأتم مِنْ بَيْتِهم .

سَخِط الفضلُ بن الرَّبيع على ابن سَيَابة فسأله أَنْ يَرْضَى عنه فامتنع . فكتَب إليه :

(١) الكشخان : الديوث .

إن كان جُرْمى قد أَحاطَ بحُرْمتى ... فأَحِط بجُرْمى عفوكَ المأْمُولَا
فكَم ارتجَيْتُك فى الَّتى لا يُرْتجَى ... فى مِثْلِها أَحَدٌ فنِلْتُ السُّولَا
وضَلَلْت عنكَ فلم أَجِد لى مَذْهَباً ... ووجدتُ حِلْمَك لى عليك دَليلا
هَبْنِى أسأتُ وما أسأتُ أُقِرُّ كَىْ ... يزدادَا عفوُكَ بعد طَوْلك طُولَا
والعفوُ أجملُ والتفَضُّل بامرئٍ ... لم يَعْدَم الرَّاجُونَ منه جَميلَا

فلما قرأها الفضلُ دَمِعت عينُه ورَضِى عن ابن سَيَابَة ، وأوصله إليه وأمر له بعَشَرَة آلاف درهم .

جاء إبراهيم بنُ سَيَابة إلى بَشَّار بن بُرْد فقال له : ما رأيتُ أعمَى قَطّ إلا وقد عُوِّض عن بصره ، إما الحِفْظُ والذَّكاء وإمَّا حُسنُ الصَّوْتِ فأىَّ شىء عُوِّضْتَ ؟ قال : لا أَرَى ثَقِيلًا مِثْلَك ، ثم قال له : من أنت ؟ قال: إبراهيم بن سَيَابة فضحك ثم قال :

لو نُكِح الليثُ فى اُسته خَضَعَا ... وماتَ جوعا ولم يَنَل شِبَعا
كذلك السيف عند هِزَّته ... لو بَصَقَ الناسُ فيه مَا لَمعَا(١)

(١) فى غ : قطعا .

الأَسْوَدُ بْنُ يَعْفُر

هو الأَسْوَدُ بنُ يَعْفُر بن عَبْد الأَسْود بن جَنْدل بن نَهْشَل بن دارِم بن مالِك ابن حَنْظَلَة بن مَالِك بن زَيْد مَنَاة بن تَمِيم . وأم الأَسْود رُهْم بنت العَبَّاب ، من بَنِي سَهْم بن عِجْل شاعر فصيح متقدم من شعراء الجاهلية ، ليس بالمُكْثِر . وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثامنة مع خِدَاش بن زُهَير ، والمُخَبَّل السعدى ، والنَّمر بن تَوْلَب . وهو من العُشْى المعدودين فى الشعراء . وقصيدته الدَّالِيّة المشهورة :

نامَ الخلِيّ وما أُحِسّ رُقادى ... والهمّ مُحْتَضِر لَدَىَّ وسادى

مَعْدُودَة من مختار أشعار العرب وحِكَمِها ، مُفَضَّلَة[1] مأثورة .

قال الأصمعى : تقدّم رجل إلى القاضى سوّار بن عبد الله من أهل البصرة من بنى دارم ليقيم شهادة عنده ، فصادَفَه يتمثل بقول الأَسْوَد بن يَعْفر :

ولقد علمتُ لو اَنّ علمىَ نافِعِى ... أَنَّ السبيلَ سَبِيلُ ذى الأَعْوادِ

إنّ المَنية والحُتُوفَ كلاهما ... يوفى المَنيّة يَرْمِيانِ سَوَادِى

ماذا أُأَمِّل بعد آل مُحَرِّق ... تركوا منازِلَهم وبعدَ إياد

أهل الخَوَرْنَق والسَّدِير وبارِقٍ ... والقصرِ ذِى الشُّرُفَات من سِنْداد

نزلوا بأَنقُرةٍ يَسِيل عليهم ... ماءُ الفرات يَجِىء[2] من أطواد

جرت الرياح على رسوم[3] دِيَارِهم ... فكأنهم[4] كانوا على مِيعَاد

---

(١) فى غ : مفضلية .

(٢) فى غ : يفيضُ .

(٣) فى غ محل .

(٤) فى غ : فكأنما .

ولقد غَنُوا فيها بأنعم[1] عِيشَةٍ   فى ظِلِّ مُلْكٍ ثابت الأوتاد
فإذا النعيم وكُلّ ما يُلْهَى به   يَوْماً يصير إلى بِلًى ونَفاد[2]

ثم أقبل على الدارىّ فقال : أتروى هذا الشِّعر ؟ قال : لا . قال : أفتعرف قائله ؟ قال : لا . قال : رجل من قومك له هذه النَّباهَة وقد قال مثلَ هذه الحِكَم لا تعرفه ولا ترويها ! يا مزاحم ، أثبِت شهادتَه عندك ، فإنى متوقف عن قبولها[3] حتى نسأل عنه فإنى أظنه ضعيفا .

قال سِنَان بن يزيد : كنت مع مولاى جَرِير بن سَهْم التميمىّ وهو يسير أمام عَلِىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقول :

يا فَرَسِى سِيرِى وأُمِّى الشَّاما   وخَلِّفِى الأخوالَ والأعمَاما
وقطِّعِى الأجوازَ والأعلامَا   وقَاتِلِى مَنْ خالفَ الإماما
إنّى لأرجُو إنْ لَقِينَا العاما   جَمْعَ بَنِى أُمَيَّةَ الطَّغَاما
أن نَقْتُلَ العَاصِىَ والهُمَامَا   وأن نُزِيل من رِجَالٍ هَامَا

فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف علىّ رضى الله عنه ووقفنا فتمثّل مولاى بقول الأسود بن يَعْفُر :

جَرَتِ الرياحُ على مَحلِّ دِيَارِهم   فكأنهم كانُوا على مِيعَاد

فقال له على رضى الله عنه : فلِمَ لم تَقُل كما قال الله عزّ وجل : « كم تركُوا من جنَّاتٍ وعُيُونٍ وزُرُوعٍ ومَقَامٍ كَرِيم ونَعْمَةٍ كانُوا فِيهَا فَاكِهِين كَذَلِكَ وأَوْرَثْنَاها قَوْماً آخَرِين » ثم قال : يا أخى ، هؤلاء كفروا النعمة ، فحلّت بهم النِّقْمَة ، فإيّاكم وكفرَ النعمة فتحُلّ بكم النِّقْمَة .

(١) فى تجريد الأغانى : بأعظم .
(٢) لم يرد هذا البيت والذى قبله فى غ .
(٣) فى غ : قبوله .

وجَرّاح بن الأسود بن يَعْفُر هو الذى أَخَذَ فرس بنى الحارث بن نعمة الله بن ثعلبة وهى أَجْوَدُ فرس فى الأَرْض وهرب بها وابْتَطَنَها[١] ثلاثةَ أَبْطُن ثم رد الفرسَ وأمسك أمهارَها وتوعَّدوه بسبَب ذلك .

وكان جَرّاح هذا فى صباه ضَعيفاً وأُمّه أَخِيذَة ، أخذها الأسودُ بن يَعْفُر من بنى نَهد فى غارة أغارها عليهم . ولَمَّا أسَنَّ الأسود كُفَّ بصرُه وكان يُقاد إذا أراد مَذْهبا .

وكان للأسود أَخٌ يقال له: حُطَائط بن يعفر شاعِر جَوَاد . وهو الذى يقول لأمه رُهْم بنت العَبَّاب لما عاتبته على جُوده :

تقول ابنةُ العَبَّاب رُهم حَرَبْتَنِي[٢] حُطَائطُ لم تترك لنفسك مَقْعَدا

إذا ما أَفَدْنَا[٣] صِرْمَةً بعد هَجْمةٍ تَكون عليها[٤] كابن أُمك أسودا

فقلت ولم أَعْيَ الجوابَ تأَمَّلِى أكانَ هُزَالا حَتْفُ زَيْدٍ[٥] وأَرْبَدا

أَرِينِى جواداً مات هُزْلا لعلَّنِى أَرَى ما تَرَيْن أو بَخيلًا مُخَلَّدا

ذَرِينِى أَكُن للمالِ رَبًّا ولا يَكُن لِىَ المالُ رَبًّا تَحْمَدِى غِبّه غَدَا

ذَرِينِى فما أَعْيَا بما حَلَّ سَاحَتِى أَسُودُ فأُكْفَى أو أطيع المسودا[٦]

ذَرِينِى يَكُن مالى لِعِرْضِى وقايَةً يَقِى المالُ عِرْضِى قبل أن يَتَبَدَّدَا

---

(١) ابتطنها : نتجها ثلاث مرات .

(٢) فى ت : حرمتنى .

(٣) فى غ : جمعنا .

(٤) فى غ : علينا .

(٥) فى ت : أنفك أربدا .

(٦) فى ت : مسودا « بدون أل »

أرطاة بن سُهَيَّة

هو أَرْطَاة بنُ زُفَر بن عبد الله بن مالك بن شدَّاد بن عُقْفَان[1] بن أبى حارثة بن مُرّة بن نُشْبة[2] بن غَيْظ بن مُرّة بن سعد بن ذُبْيَان .

وسُهَيَّة أمة بنتُ زَامِل[3] بن مَرْوَان بن زُهَيْر بن ثعلبة بن حُدَيْج[4] بن أبى جُشَم بن كعْب بن عُوف بن عَامر بن عوف سَبِيَّة من كلب . وكانت لضِرَار بن الأَزْوَر ثم صارت إلى زُفَر وهى حامل فجاءت بأرْطاة من ضِرَار على فِراش زُفَر ؛ فلما ترعرع أرطاة جاء ضِرَارٌ إلى الحارث بن عوف فقال له :

يا حارث أفكك لى بُنَيّ من زُفَر   فى بعضِ مَنْ تُطلِق مِنْ أَسْرَى مُضَر
إنَّ أباه امرؤٌ سَوْءٍ إن كفر

فأعطاه الحارِث إيّاه وقال : انطلق بابْنِك ، فأدركه نَهْشَلُ بن حَرِّى ابن غَطَفان فانتزعه منه وردَّه إلى زُفَر . وفى تَصْداق ذلك يقول أرطاة لبعض أَوْلَادِ زُفَر :

فإذا خَمِصتم قلتُم يا عَمَّنا   وإذا بَطِنتم قلتم ابنَ الأَزْوَر

ولهذا غلَبَت أمه سُهَيَّة على نسبه فنُسِب إليها . وضِرَار بن الأَزْوَر هذا قاتِل مَالِك بن نُوَيْرة الذى يقول فيه أخوه مُتَمِّم :

نِعْمَ القَتيلُ إذا الرِّيَاحُ تناوحت   تحت البيوت قَتَلْتَ يا ابنَ الأَزْوَر

---

(١) فى ت : غطفان « تحريف » .
(٢) فى ت : سنبة « تحريف » .
(٣) فى ت : رامك « تحريف » .
(٤) فى ت : جريج « تحريف » .

وأَرْطَاة شَاعِر فَصِيح ، معدود فى طبقات الشعراء الإسْلَامِيِّين فى دولة بنى أُمَيَّة لم يَسْبِقْها ولم يُجَاوِزْها . وكان امرأ صِدْق شريفاً فى قومه جوَادًا .

دخل أرطاةُ بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان ، فاُستَنْشَدَه شيئاً مما نَاقَض به شَبِيبَ بن البَرْصاء فأنشده :

أَبِى كان خيراً من أبيكَ ولَمْ يَزَل جَنِيباً لآبائى وأنت جَنِيبُ

فقال له عبد الملك : كذبتَ ، شَبيب خيرٌ منك أَباً . قال: ثم أنشده:

ومازلت خيراً منك مذ عَضَّ كارِهاً برأسِك عادىُّ النِّجادِ رَسوب(١)

فقال عبدُ المَلك : صدقتَ أنت فى نفسك خَيْر من شَبِيب . فعجب مَنْ حضر مِنَ عبد الملك ومن مَعْرِفته لسَائِر النّاس على بُعدهم منه فى بَوادِيهم ، وكان الأمرُ كما قال ، فإن شَبِيباً أشرفُ أبا من أَرْطَاة ، وأرطاة أشرف نَفْسًا وفِعَالا من شَبيب .

دخل أرطاةُ بن سُهَيّة على عبد الملك بن مروان وقد أسَنَّ فقال له : كيف حالك يا أرطاة ؟ فقال : ضَعُفَت أوصالى ، وضَاعَ مَالِى ، وقل مِنِّى ماكُنت أحِبّ كثرَته وكَثُر ما كنت أُحِبّ قِلّته ، قال: فكيف أنت فى شعرك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ما أطرَب ولا أغضَب ولا أَرْغَب ولا أرْهَب ولا يكون الشِّعر إلا من هذه الأَرْبع . وعلى أَنِّى القائل :

رأيت المرءَ تأكُلُه اللَّيالى كأكْلِ الأرضِ سَاقِطَةَ الحديد
ومـا تبغِى المَنِيَّة حِينَ تَأْتِى على نَفْس اُبن آدم من مَزِيدِ
وأعـلَم أنهـا ستَكُرُّ حتى تُوفِّى نذرَها بأبِي الوَليـد

فارتاع عبد الملك ثم قال : تُوفِّى نذرَها بك ويلك ! مالى ولك ؟ فقال : لا تفزع يا أَمِيرَ المؤمنين ، فإنَّما عَنَيْتُ نَفْسِى ــ وكان أرطاةُ يكْنَى بأَبِي الوَليد ــ فسَكَن عبدُ الملك ، ثم استعبر بَاكِياً وقال : أما والله على ذلك لتَلُمَّنَّ بى أيضاً .

---

(١) فى ت : ركوب !.

وكانت بين أرْطَاة وبين شَبِيب بن البَرْصَاء مُهَاجَاة كثيرة .

وكان أَرْطَاةُ بن سُهَيّة يتحدّث إلَى امرأة من غَنِيّ يقال لها: وَجْزَة ، وكان يَهوَاها ويَهيم بِهَا ، ثُمَّ افترقا وحال الزّمان بَيْنَهُمَا ، ثم اجتمعت غَنِيّ وبنو مُرّة في دار فمر أرطاة بوَجْزَة وقد هرمت وتغيّرت محاسنها وافتقرت، فجلس إليها فشكت إليه أمرها . فلما أرادَ الانصرافَ أَمر رَاعيه فجاء بعشرة من إبله فربطها[1] بِفِنَائِها ثم انصرف وقال :

مررتُ على خِدْنى[2] بِرَمَّان[3] بعدما تَقَطَّع أقرانُ[4] الصِّبا والوَسَائل

فكنت كَظَبْي مُفْلت من حبائل به الحَيْن حتى أَعْلَقَتْه[5] الحبائل

قال أَرْطَاةُ بنُ سُهيّةَ للرَّبيع بن قَعْنَبٍ :

لقد رأيتُك عُريَانا ومُؤْتَزِراً فما عرفتُ أَأُنثَى أنتَ أم ذَكَرُ ؟

فقال له الربيع :

[لكن سُهَيَّة تَدْرى إذ أَتَيْتُكُم عَلَى عريجاء لما أُحلّت الأُزر][6]

ولَجَّ الهِجَاء بينهما .

تزوّج عبد الرحمن بن سُهَيْل بن عمرو أُمّ هشام بنتِ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت من أجمل نساء قريش ، وكان يَجِد بها وَجْدًا شديدًا ، فمرض مَرْضَتَه التى هلك فيها ، فجعل يديم النظر إليها[7] وهى عند رأسه ، فقالت له : إنك

---

(١) فى غ : فعقلها .

(٢) فى غ : جدنى ؛ وهو المسامر .

(٣) رمان : جبل فى بلاد طيء

(٤) فى ت : أقراب .

(٥) فى ت : أعقلته .

(٦) لم يرد البيت فى غ . وجاء مكانه : لكن سهية قد عرفتنى .

(٧) فى ت : فيها .

لَتَنْظُرُ نَظَرَ رجل له حاجة ، فقال : إى والله إنَّ لِى إليكِ لَحاجَة لو ظفرتُ بها لَهانَ علىَّ ما أنا فيه . قالت : وما هِىَ ؟ فقال : أخاف أن تَتزَوَّجى بعدى . قالت : فما يُرْضِيك ؟ قال : أن تُوثِّقِى الأَيْمَان الغَليظة . فحلَفَت له بكُلِّ يمِين سكنتْ إليها نفسُه . فلما انقضَت عِدَّتُها خطبَها عمرُ بن عَبْد العزيز ــ وهو أمير المدينة ــ فأرسلت إليه : ما أَرَاكَ إلا قد بلغَكَ خَبَر يَمِينى. فأرسل إليها: لك مَكان كُلِّ عَبْدٍ عَبْدان، ومكان كُلِّ شىء ضِعْفُه . فتزَوَّجَتْه ، فدخل عليها رجل مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيش مُغَفَّل ، فلما رآها مع عمر جَالِسَة قال :

تبدَّلْتِ بعدَ الخيْزُرَان جَرِيدَةً   وبعد ثِيَاب الخزِّ أحلامَ نائم

فقال عمر : وَيْلَك جعلتنى جَرِيدَة وأحلام نائم ! فقالت أمُّ هشام: ليس كما قلت، ولكن كما قال أرطاةُ بنُ سُهَيَّة :

وكائِنْ تَرَى من ذَاتِ بَثٍّ وعَوْلَة   بكَت شَجْوَها بعد الحنين المُرَجَّع
فكانت كَذَاتِ البوِّ لما تَعطَّفَت   على قطع من شِلْوِهِ[(١)] المُتَمزِّعِ
متى لا تَجِده تَنْصَرِفْ لِطِيَاتِهَا   من الأرض أو تَعْمِد لِإلْف فتَرْبَعِ[(٢)]
عن الدّهْر فاُصفح إنّه غيرُ مُعْتِبٍ   وفى غيرِ مَنْ قد وَارَتِ الأرضُ فاُطمع

وهذه الأبيات رثى بها أَرْطاةُ ابنه عمرًا. وكان لمَّا مات جزِع عليه جَزَعاً شديداً حتى كاد يَذْهَب عقله وضرب بَيْته عنـد قَبْره وأقام عليه لا يُفارِقه حَوْلًا . ثم إنَّ الحىَّ أرادوا الرَّحِيلَ بعد حول لنُجْعَة بَغَوْها ، فغدا على قبره فجلس عنده حتى إذا آن الرَّوَاحُ نَادَاه : رُحْ يا أبنَ سَلْمَى مَعَنا ! فقال له قومه : نَنْشُدُكَ الله فى عَقْلِك ونَفْسِك ودِينِك ، كيف يَرُوحُ معك مَنْ ماتَ مُنْذ حَوْل ؟ فقال : أنظِرُونى اللَّيلة

(١) فى ت : شلوها .
(٢) فى ت : فترتع .

إلى الغد . فأَقَاموا معه فلما أَصْبَح ناداه : اُغدُ يا ابنَ سَلْمَى معنا ، فلم يزل الناس يُذَكِّرُونه اللهَ عز وجل ويُنَاشِدُونه ، فانتضَى سيفَه وعقر راحلَته على قَبْرِه وقال : والله لا أتبعُكُم فامضوا إن شئتم أو أَقيموا ؛ فرَقُّوا له ورحموه ، وأَقامُوا عامَهم ذلك» وصبروا عَلَى مَنْزلهم . وقال أرطاةُ فيه هَذِه الأبيات :

وقفتُ على قبر ابن سَلْمَى فلم يَكُن ... وقوفى عليه غيرَ مَبْكًى ومَجْزَع

هل أنتَ ابنَ سَلْمَى إن نظرتُك رائحٌ ... مع الركبِ أو غادٍ غداةَ غدٍ مَعِى

وقفتُ على جُثْمان عمرو فلم أَجِد ... سوى جَدَثٍ عاف ببَيْدَاء بَلْقَعِ

أَأَنْسى ابنَ سَلْمَى وهو لم يأتِ دُونَه ... من الدهر إلا بَعْد[1] صيف ومَرْبَع

فدع ذِكْرَ مَن قد حالت الأرضُ دونه ... وفى غيرِ مَنْ قد وَارَتِ الأرضُ فاطمع

---

(١) فى غ : بعض .

الأُبَيْرِد الرِّياحى

هو الأُبَيْرِد بن المعذّر بن قيس بن عتّاب بن هَرْمِىّ بن رياح بن يربوع بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناةَ بنِ تميم . شاعر فصيحٌ بَدَوِى إسلامِى وأول دولة بنى أمة . وليس بمُكْثِر ولا مدح الخلفاء ولا وفد عليهم .

قدم الأُبَيْرِد الرِّياحى على حارِثَة بْنِ بَدْر فقال: اكسُنى بُرْدَين أدخُل بهما على الأمير ـ يعنى عُبَيْد الله بن زِياد ـ فكساه ثوبَيْن فلم يرْضَهُما . فقال يهجوه :

أحارثُ أَمسِك فضلَ بُرْدَيك إنما ... أجاع وأعرى اللهُ مَنْ كنتَ كاسِيا
وكنتُ إذا استمطرتُ منك سَحابَةً ... لتُمْطِرَنى عادت عَجاجاً وسافيا
أحارث عاود شربك الخمر إننى ... أرى ابن زياد عنك أصبح لاهيا
رأى(١) فيك رأيا من أبيه وعمه(٢) ... وكان زيادٌ ماقِتاً لك قاليا
ألا ليتَ حَظّى من غُدانَةَ أنّها ... تكون كَفافاً لا علىّ ولا لِيَا
أَبَى اللهُ أَنْ يَهْدِى غُدانَة للهُدى ... وألّا تكُونَ الدَّهرَ إلّا مَوالِيَا

وبلغت أبياته حارثة فقال : قبّحه الله ! لقد شَهِد بما لم يَعْلَم .

قال أبوعبيدة: كانت بنو عِجْل جاورت بَنِى رياح فى سنة ، وكان الأُبَيْرِد يعاشر رَجُلا منهم ، يقال له سعد ، ويجالسه فمالَت امرأةُ سعد إلى الأبيرد فوَمِقَتْه ، وكان الأبيرد شابًّا ظَرِيفاً وكان سعدٌ شيخاً هِمًّا فذهب بها كل مذهب حتى ظهر أمرها ، وتُحُدِّث بهما وشكى سَعْد الأُبَيْرِدَ إلى قومه واستَعْذَرهم مِنْه ، فقالوا له : مالك تَتَحدَّث إلى امرأة الرجل ؟ فقال : وما بأس بذلك وهل خَلَا عَربى منه ؟ فقالوا :

---

(١) فى غ : أرى .

(٢) فى ت : عمر « تحريف » .

فقد قيل فيكما مالا قرار عليه ، فاجتنب محادثتها ، فقال الأبيْرِد : إن سعداً لا خيرَ فيه لامرأته . قالوا : وكيف ؟ قال : لأنى رأيتُه يأتى فرسَه البَلْقَاء ، ولا فضل فيه لامرأته فهى تُبغضه لفعله ، وهو يتَّهِمُها لعجزه عنها ؛ فضَحِكوا من قوله ، وقالوا : وما عَلَيْك من ذلك ؟ دع الرجلَ وامرأتَه ولا تماوِدْها ولا تجلس إليها . فقال الأُبَيْرِد :

تَبرَّأْتُ من سعـد وخُـلَّة بيننا ... فلا هو يُعْطِينى[1] ولا أَنَا سَائِلُه
متى تُنْتَجُ البَلقـاءُ يا سعدُ أم متى ... تُلَقَّح مـن ذَاتِ الرِّباطِ حوَائِلُه
يُحدِّث سعـد أنَّ زوجتَه زَنَت ... ويـا سعدُ إنَّ المرء تَزْنِى حَلائـلُه
فإن تَسْمُ عينـاهـا إلَىَّ فقد رأت ... فـتًى كَحُسـامٍ أَخْلَصَتْه صَيَاقِلُه
فـتًى قُدَّ قَدَّ السيفِ لا متضائلٌ ... ولا رَهِل لَبَّاتُهُ وبآدِلُه[2]

أتى رجل الأُبَيْرِدَ الرِّياحىَّ وابنَ عمه الأَحْوَص يطلب منهما قَطِرانا لإبله فقالا له : إن أنت بلّغت سحيم بن وَثيل الرِّياحىّ هذا الشِّعر[3] أعطيناك قَطِرانا . فقال : قولا . فقالا : اذْهب فقُلْ له :

فإن بداهتى وجِراء حـولى ... لذو شِقّ على الُحطَم الحرون

فأتاه والشعر معه فقال له : إن الأُبيْرِد وجّهنى إليك وأنشده الشعر، فأخذ عصاه وانحدَر فى الوَادِى وجعل يُقْبِل فيه ويدبِر ويُهَمْهِمُ بالشعر . ثم قال له : اذْهَبْ فقُلْ لهُما :

فإن عُلاَلتِى[4] وجراء حَولِى ... لذو شِقّ على الضَّرَع الظَّنون

---

(١) فى غ : معطينى .

(٢) كذا فى اللسان (بأدل) . وقيل : البيت للعجير السلولى يرثى به رجلا من بنى عمه . والبأدلة : اللحمة بين العنق والترقوة. وفى غ : أباجله.

(٣) فى ت : الأبيات .

(٤) عللا فى (ت) « تحريف » .

أنا ابن الغُرِّ من سَلَفَىْ رياح ... كنصل السيف وضّاحُ الجبين
أَنا اُبنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثَّنَايَا ... متى أضع العمامة تَعْرِفُونِى
فإن مكاننا مِنْ حميرىّ ... مكانُ الليث من وسط العَرِين
وإن قنَاتَنا مَشِظٌ شَظَاها ... شديد مدُّها عُنُقَ القَرِين
وإنى لا يَعُود إلىّ قِــرْنِى ... غداةَ الغِبِّ إلّا فى قرين
بِذى لَبِدٍ يصدّ الركبَ عنه ... ولا تُؤتَى فَرِيسَتُه لِحين
عذرْتَ البُزْل إذْ هى صاولتنى ... فــما بَالِى وبالُ ابْـنَى لبون(١)
وماذا تَبْتَغِى الشُّعَراءُ مِـنّى ... وقد جاوزت حدّ(٢) الأَرْبعين
أَخو الخَمْسِين مجتمعٌ أَشُدِّى ... ونَجَّذَنِى مُدَاوَلَةُ(٣) الشُّؤُون
سأَحْيَا ما حَيِيت وإنَّ ظهرى ... لذو سَنَد إلَى نَضَدٍ أَمِين

فأتياه واعتذَرا إليه. فقال: إن أحدَكم لا يرى أَنَّه صَنَع شَيْئاً حتى يقيس شعره إلى شعرنا وحسَبَه إلَى حَسَبِنا ويستطيف بنا استطافة المُهْرِ الأرِنِ. فقالا له: فهل إلىالنَّزْع من سَبِيل؛ فقال: لا،إنَّنا لم نَبْلُغ أشياءبنا(٤).

وكان الأُبيْرِد قد رثى أَخَاه بُرَيْداً وكان قد حزن عليه حُزْناً شَدِيدا، وامتَنع من الطّعام والشَّراب أياما حتى قالوا له: إنك إن أَقَمْت على هذا الفِعْل تلفت فَاتَّق الله فإن أخاك قد ذهب؛ فكأنه تعزَّى وأكل وشَرِب. وقال يرثيه:

تطَاوَلَ ليــلِى لم أَنَم مُتَقَلِّبا(٥) ... كأَنَّ فِرَاشى حَالَ من دونه الجمرُ

(١) فى ت: ابن لبون.
(٢) فى غ: رأس.
(٣) فى غ مداورة.
(٤) فى ت: لم تبلغ أسناننا. وفى غ: لم تبلغ أنسابنا.
(٥) فى غ: أرعه تقلبا.

أراقِبُ من ليـــل التَّمَام نُجُومَه ... لدُنْ غابَ قَرْنُ الشّمس حتى بَدَا الفجْر
تذكرتُ قَوْماً بانَ منّا بنصره ... ونائله يا حَبَّـــذَا ذلك الذِّكْرُ
فإن تـــكن الإيامُ فرّقن بيننا ... فقـــد عذرتنا فى صَحَابتنا العُذْرُ
أحقًّا عبادَ الله أنْ لستُ لاقِياً ... بُرَيْدا طَوَالَ الدهر ما لألأ العُفْر
فليتك كنتَ الحى فى الناس باقِياً ... وكنتُ أنا الميْتَ الذى غيَّب القَبْرُ
فتًى يشترى حسنَ الثَّناء بماله ... إذا السَّنةُ الشهباء قلَّ بها القطْرُ
كأن لم يصاحبنا بُرَيْد بغبْطة ... ولم يَأْتِنَا يـــوما بأخباره السَّفْرُ
ولمَا نَعَى النَّاعِى بُرَيْـــداً تغوَّلت ... بِىَ الأرضُ فرطَ الحزْن(١) وانْقطع الظَّهْر
عساكِرُ تَغْشَى النفسَ حتى كأنَّنى ... أخو سَكْرة طَارَت بِهَامَتِه الخمْرُ
إلى الله أشكو فِى بُرَيْدٍ مُصيبتى ... وبثّى وأحزاناً تضمَّنها الصَّـــدْرُ
وقد كنتُ أستَعْفِى الإله إذا اشتكى(٢) ... مِنْ الأجْر لى فيـــه وإن سَرَّنى الأجر
وما زال فى عينىّ بعـــدُ غِشَاوةٌ ... وسَمْعِى عَمَّا كنتُ(٣) أسمعه وَقْر
عـــلى أنَّنى أقْنَى الحياءَ وأتَّقِى ... شَمَاتَةَ أعـــداء عيونُهُم خُزْر
فحيَّاك عنّى الليل والصبحُ إذْ بَدَا ... وهُوجٌ من الأرواحِ غُدْوَتُها شَهْر
هو الخلَفُ المعْرُوفُ والـــدِّينُ والهُدَى(٤) ... ومِسْعَرُ حَـرْب لا كَهَامٌ ولا غُمْرُ

---

(١) فى ت : الحرص .
(٢) فى غ : شكا .
(٣) فى ت : كما قد كنت .
(٤) فى غ : التقى .

فَتى الحىِّ والأَضْيافِ إن رَوَّحَتْهُم ... بَلِيلٌ وزَادُ السفرِ إن أَرْمَلَ السَّفْرُ
إذا جَارَةٌ حَلَّت لَـــدَيْه وَفَى بها ... وآبت ولم يُهتَك لِجَارتهِ ســترُ
عَفِيفٌ عن السوءاتِ ما اُلتَبَست بهِ ... صَلِيبٌ فما يُلفَى لعود له[1] كسرُ
سلـكت سبيلَ العالمين فمالَهم ... وراء الذى لاقيت معدًى ولا قصر
وكُـلّ امرئ يوما سَيَلْقى حِمامَه ... وإن نَأَتِ الدَّعْوَى وطال بهِ العُمْرُ
فأبليتَ خـــيرا فى الحياة وإنَّما ... ثوابُك عندى اليومَ أن يَنْطِقَ الشِّعْرُ

(١) فى غ : به .

الأَسْوَدُ النَّوفَلِى

هو الأسودُ بنُ عُمارة بن الوليد بن عدىّ بن نوفَل بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلَاب بن مُرّة بن لُؤَى بن غالب شاعر من مُخَضْرَمى الدولتين ، وأبوه عُمَارة شاعِر أيضا ، وهو القائل :

تِلْكَ هند تَصُدّ للبَيْن صَدّا ... أدَلالًا أم هَجْر هند أَجَدّا[1]

أم لِتَنْكَأ بِهِ قروحَ فؤادى ... أم أرادت قَتْلِى ضِرَاراً وعَمْدا

أيها الناصِحُ الأَمِينُ رسولا ... قُلْ لهند عنى إذا جئْتَ هِنْدا

عَلِم اللهُ أن قد أُوتيت مِنّى ... غير مَنٍّ بِذاكَ نُصْحاً ووُدّا

مَا تقرَّبتُ بالصَّفاءِ[2] لأدْنو ... منكِ إلا نأيتِ وازددتِ بُعْدا

وكان الأسود يتولّى بيتَ المال بالمَدِينة ، وكان قد عَشِق جارية يقال لها : مَرْيم ، فابتاعَتْها سيِّدَتُها لرجُل من العِرَاق ، ولما توجَّه بها سيِّدها إلى العراق قال :

خَلِيلَىّ من سَعْد أَلِمَّا فسلِّما ... على مريم لا يُبْعِد اللهُ مَرْيَمَا

وقولا لها هَذَا الفِرَاقُ عزَمْتِه ... فهل من نَوَال قبل ذاكَ فنَعْلَما

قال عبدُ الله بنُ مُحَمَّد البوَّاب : سألَتِ الخيرُزانُ موسى الهادى أن يُوَلِّى خَالَه[3] الغِطْرِيفَ اليَمَن ، فوعدها بذلك ودَفَعها[4] ، ثم كتبَتْ إليه يوما رُقْعة تَتَنَجَّز فيها أمره ، فوَجَّه إليها برسولها يقول لها : خَبِّريه بين اليَمَن وطلاق ابْنَتِه

---

(١) فى غ : أم هند تهجر جدا .

(٢) فى ت : للصفاء .

(٣) فى ت : خالد « تحريف »

(٤) فى ت : دافعها .

أو مُقَامى عليها ولا أُوَلّيه اليمن ، فأيُّهُما اختار فعلته ، فدخل الرسولُ إليها ، ولم يَكُن فَهِم منه ما قَالَ . فأخبرها بغَيْرِه ، ثم خرج إلَيْه فقال : تقُول لك : وِلَايَة اليَمَن ، فغَضِب وطَلَّق ابنته ووَلَّاه اليَمَن ، ودخل الرسول فأعلمَهم بذلك ، فارتفع الصِّيَاح . فقال : ما هَذَا ؟ فقالوا : مِن دَارِ بِنْتِ خالك[1] . قال : أو لم تَخْتَر ذَلِك ؟ قالوا : لا ولكن الرَّسُولَ لم يَفْهم ما قُلْت ، فأدَّى غيرَه ، وعَجَّلْت بطَلَاقِها ، فندِم ودَعَا صَالِحاً صاحِبَ المُصَلَّى ، وقال له : أَقِم على رأس كل رَجُل بحَضْرَتى من النُّدَمَاء رَجُلًا بسَيْف ، فمَنْ لم يُطَلِّق امرأتَه منهم فاضْرب عنقه . ففعل ذَلك ، فلم يَبْرَح من حضرته أَحَدٌ إلَّا وطَلَّق امرأتَه . قال ابن البَوَّاب : وخرج الخَدَم إلَىَّ ، فأخبرونى بِذَلِك وعلى البَابِ رَجُلٌ وَاقِف مُتَلَفِّع بطَيْلَسانه ، نَخطَر بِبَالى :

خَلِيلَىّ من سَعْد ألِمَّا فسلِّما على مَرْيَم لا يُبْعِد اللهُ مَرْيَمَا
وقولَا لهَا هَذَا الفراق عَزَمْتِه فهل من نَوَالٍ قبل ذَاكَ فنَعْلَما

فأنشدته: فيعلما بالياء ، فقال لى : فنَعْلَمَا بالنون . فقُلْت : فما الفَرْق بيْنَهُما ؟ فقال : إن المعانى تُحْسِن الشعرَ وتُفْسِده ، وإنَّما قال: فنَعْلَما، ليعلَمَ هُوَ القِصَّة، وليس به حَاجَة إلَى أنْ يَعْلَمَ الناسُ سِرّه . فقلتُ له : أنا أعلم منك بالشِّعْرِ ؟ قال : فلِمَن هُو؟ قلت: للأَسْود بن عُمَارة . قال : أولا تعرفه ؟ قلت : لا، قال : أَنَا هُوَ. فاعتذرت إليه من مراجعتى إياه ، ثم عرَّفتُه خبرَ الخَليفة فيما فَعله بندمائه ، فقال : أحسن الله عَزَاءَك[2] وانْصَرَف ، وهو يقول : هذا أحق منزل يترك[3] .

(١) ق ت: خالد « تحريف » .
(٢) فى ت : جزاءك .
(٣) فى غ : ينزل « تحريف » .

أُحَيْحَة بنُ الُجلاح

(هو أُحَيْحَة بن الُجلاح بن الَحرِيش) بن جَحْجَبى بن كُلْفَة بن عوف بن عمرو (ابن مالك بن الأَوْس). وكُنْيَتُه أبُو عَمْرو .

رَكِب الوَلِيدُ بن عبد الملك إلى المساجد ، فأَتَى مسجد العُصْبَة[1] فلما صلى قال للأَحْوَص : أين الزوراء التَّى قال فيها صَاحِبكم :

إنِّى أُقِيم على الزَّوْرَاء أَعْمُرُها ... إنَّ الـكريم على الأقوام[2] ذُو الْمَالِ

لها ثَلاثُ بِئَار فى جوانبهـــا ... فـكلها عُقَب تَسْقِى بإقْبَالِ

استغْن أو مُتْ ولا يغرُرك ذُونَشَب ... من ابْنِ عَمٍّ ولا عَمّ ولا خَالِ

يَلْوُون[3] ما لَهم عن حَقِّ أَقْرَبهِم ... وعن عَشِيرَتِهم والْحَقُّ للوَالِى

فأشار الأَحْوَص إليها وقال : هَا هِىَ تلك ، لو طوَّلتْ لِأَشْقَرِك لَجَالَ عَلَيْها . فقال الوليد : إن أَبَا عَمْرو كان يراه غَنِيًّا بها . فعجب الناس يومئذ مِنْ عِنَايَة[4] الوليد بالعِلْم ، حتى علم أن كُنْيَة أُحَيْحَة أَبُو عَمْرو .

(أَقبَـلَ تُبَّـع الأخير وهو أبو كَرِب بن حسان بن تُبَّع الِحمْيَرى من اليمن سَائِراً يريد المَشْرِق كما كانت التَّبَابِعَة تفعل ، فمرّ بالمدينة فخلَّف فيها[5] ابْناً له ومضى إلى الشام ، ثم سار إلى العراق فنزل بالمُشَقَّر ، فقُتِل أُبنه بالمدينة غِيلَةً ، فبلغه ذلك فـكرّ راجِعاً إلى المدينة) وهو يقول :

---

(١) العصبة : دار بنى جحجبى بالمدينة .

(٢) فى غ : الإخوان .

(٣) يلوون : يجحدون .

(٤) فى غ : لعناية .

(٥) فى غ : بها .

يا ذا مُعَاهِر ما تزال[1] تَرُودُ　　رَمَدٌ بعَيْنِك عادَهَا أم عُودُ
مَنَعَ الرقادَ فما أُغَمِّض ساعة　　نَبطٌ بيَثْرِبَ آمنون قُعُود
لا تَسْقِنِى بِيَدَيْك إن لم تَلْقَها　　حَرْباً كأن أشاءها مَجْرُودُ

(ثم أَقْبَلَ حتى دخل المدينة وهو مُجْمِع على إخرابها وقطع نخلها ، واستئْصَالِ أَهْلِها ، وسَبْي الذُّرِّيّة ، فنزل بسفح أُحُد فاحتفر بها بِئْرًا ، فهى التى يقال لها : بِئْر المَلك ، ثم أرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه . فكان فيمن أرسل إليه زيد[2] ابن ضُبَيْعَة بن زيد بن عمرو بن عوف ، وابْن عمه زَيْد بن أُمَيَّة بن عبيد بن زَيْد — وكانوا يُسَمَّوْن الأَزْياد — وأُحَيْحَة بن الُجلاح ؛ فلما جاء رَسُولُه قال الأَزْيَاد : إنَّما أرسَل إلينا ليملِّكنا عَلَى أهل يَثْرِب . فقال أُحَيْحَة : والله ما دَعَاكم لِخَيْر ! وقال :

ليت حَظِّى مِنْ أَبِى كربٍ　　أنْ يَرُدَّ خـيرُه خَبَلَهْ

فذهبت مَثَلا . وكان يقال : إنَّ مع أُحَيْحَة تابعا من الجنّ يعلمه الأَخْبَار[3] لكثرة صَوَابه ؛ لأنّه ما كان يَظُنّ شيئاً فيُخْبِر به قومُه إلا كان كَمَا يقُول ، فخَرَجُوا إليه وخرج أُحَيْحَة ومعه قَيْنَة له تُدعى مُلَيْكة ، وخِبَاء ، وخَمْر ، فضُرِب الخِبَاءُ وجُعِل فيه القينة والخمر ، ثم خرج حَتَّى استأْذن على تُبَّع ، فأذِن له ، وأجلسه معه على زَرْبِيَّتِهِ[4] وتحدَّث معه وسأَله عن أَمْوَاله بالمَدِينة ، فجعل يخبره عنها ، وجعل تُبَّع كلما أخبره عن شَىْءٍ مِنْهَا يَقُول : كُلّ ذلك على هَذِه الزَّرْبِيَّة ؟

(١) فى ت : ما نراك .
(٢) فى ت : يزيد « تحريف » .
(٣) فى غ : الخبر .
(٤) الزربية : كل ما بسط واتكئ عليه .

يريد بذلك قتل أُحَيْحَة ، ففَطِن أُحَيْحَةُ أنه يريد قتله ، فخرج من عنده فدخل خِبَاءه ثم شرب من الخمرِ وقَرَضَ أبياتاً وأمر القَيْنَة أن تُغَنِّيَه بها لَيْلًا وجعل تُبَّعٌ عليه حَرَسًا فقال :

يشتاق قَلْبِي(١) إلى مُلَيْكَةَ لو ... أمست قَرِيباً مِمَّن يُطَالِبها
لِتَبْكِنِي قَيْنَةٌ ومِزْهَرُها ... ولْتَبْكِنِي قَهْوَةٌ وشَارِبُها
ولْتَبْكِنِي نَاقَةٌ إذا ارْتَحَلَتْ ... أو غاب فى سَرْدَح مَنَاكِبها
ولْتَبْكِنِي عُصبَةٌ إذَا اجْتَمَعَت ... لا يعلم النَّاسُ ما عَوَاقِبُها(٢)
ماأحسنَ الجِيدَ مِنْ مُلَيْكَةَ واللَّـ ... ـبَّات إذْ زَانَهَا(٣) ترائبها
يا لَيْتَنِي لَيْلَةً إذَا هَجَع النَّـ ... ـاس ونَامَ الكِلَابُ صَاحِبُها
فى ليلةٍ لا تَرَى بها أَحداً(٤) ... يَسْعَى عَلَيْنَا إلَّا كَوَاكِبُها

فلم تَزل القَيْنَة تُغَنِّيه بذلك يومَه وعَامَّة لَيْلَتِه ؛ فلما نَامَ الحَرَسُ قال لها : إنى ذَاهِب إلى أهلى فشُدِّى عليك الخِبَاء ، فإذا جاءَ رسول الملك فقولى : هو نائم ، فإذا أَبَوْا إلَّا أن يُوقِظُونى فَقُولِى لهم : قَدْ رَجَع إلى أهله وأَرْسَلَنى إلى المَلِك برِسَالة ، فإن ذَهَبُوا بِكِ إليه فَقُولِى له : يَقُول لك أُحَيْحَة : «أَغْدِرْ بِقَيْنَةٍ أو دَعْ». ثم انطلق فتَحَصَّن فى أُطُمه الضَّحْيَان ، وأرسل الملك فى جوف الليل إلى الأَزْيَادِ فَقَتَلَهم على فَقَارة من فَقَارِ(٥) تلك الحَرَّة ، وأَرْسَلَ إلى أُحَيْحَةَ ليقتله ، فخرجت إليهم القَيْنَة فقالت : هو راقد ، فانصرفوا وتَرَدَّدُوا إليها(٦) مرارا كل ذلك تَقُولُ :

---

(١) فى ت : شاق شوق .
(٢) لم يرد فى غ إلا الأبيات الأربعة الأولى ، وجاءت بقية الأبيات ومعها البيت الأول فى تجريد الأغانى
(٣) فى ت : رأتها :
(٤) فى تجريد الأغانى : لا يرى بها أحد .
(٥) الفقارة : الخرزة من خرزات الظهر ، وشبهت هنا نتوءات الحرة بفقار الظهر .
(٦) كذا فى ت والتجريد ، وفى غ : عليها .

هو رَاقِد . ثم عَادُوا فقَالُوا : لَتُوقِظَنّه(١) أو لَنَدْخُلَنَّ عليكِ ، قالت : فإنّه قد رجع إلَى أَهْلِه وأرسلنى إلى المَلِك بِرِسَالة فَذَهبوا بها إلى المَلِك ؛ فلما دخلت عليه سألها عن خبره ، فأخبرته الخبر وقالت : يقول لك : « أُغدِر بقَيْنَةٍ أَوْ دَعْ » . فذهبت مثلا ؛ فجرّد له كَتِيبَة من خيله ثم أَرْسَلَهم فى طَلَبه ، فوجدوه قد تَحَصَّن فى أُطُمه فحاصروه ثَلَاثًا يُقَاتِلُهم بالنَّهار بالحِجَارة ، ويرمى إلَيْهم فى اللَّيل بالتَّمْر ؛ فلمّا مضت ثلاثَةُ أيَّام رَجَعُوا إلى تُبَّع فقَالُوا : بعَثْتَنا إلَى رَجُل يقَاتِلُنا بالنهار ، ويُضَيِّفُنا باللَّيل ، فتَرَكَه وأمرهم أَنْ يَحْرِقوا نخله ونَشِبَت(٢) الحَرْبُ بين أَهْل المدينة : أوْسِها وخَزْرَجها ويَهُودِها ، وبَيْنَ تُبَّع ، وتَحَصَّنُوا فى الآطام ، وخرج رجل من أصْحَابِ تُبَّع حتى جاء بَنِى عَدِىّ ابن النَّجَّار ؛ وهم مُتَحَصِّنُون فى أُطُمِهم الذى فى قبلة مَسْجِدِهم ، فدَخَل حَدِيقَةً من حَدَائِقِهم ، فرَقِى عِذْقًا منها يَجُدُّه(٣) ، فاطّلع عليه(٤) رجل من بنى عَدِىّ بن النَّجّار من الأطم يقال له : أَحْمَر أو صَحْر ابن سَلْمَان ، فلَمَّا رآه نزل إليه فضربه بمِنْجَل فقَتَله وألقاه فى بِئْرٍ من بِئَارهم تُسَمَّى بئر إيموان وقال : جاءَنا يَجُدُّ نَخْلَنَا إنَّما النَّخْل لمَنْ أَبَّرَه ، فذَهَبَتْ مَثَلًا ؛ فلمَّا أُنتهَى ذلك إلى تُبَّع زاده حَنَقًا وجَرّد إلَى بَنِى النَّجّار جَرِيدةً من خَيْله ، فقَاتَلَهم بَنُو النَّجَّار ورَئِيسهم عَمْرو بن طَلَّة أَخُو بنى مُعَاوِية بن مالك بن النَّجَّار ، وجاء بَعْضُ تِلْك الخُيُول إلى بنى عَدِىّ وهم مُتَحَصِّنون فى أُطُمِهم الذى فى مَسْجِدِهم فرموا(٥) بنى عَدِىّ بالنَّبْل ، فجعَلَت نبلهم تقع فى جِدَار الأُطُم فكانت على أطمهم مثل

---

(١) فى ت : أتوقظيه .

(٢) فى غ : وشبت .

(٣) فى ت : يجذها .

(٤) فى غ : إليه .

(٥) فى غ : فراموا .

الشَّعَر ، فسُمّى ذلك الأطم الأَشْعَر ، ولم تزل بقايا النبل فيه حتَّى جاء الإسلام ، وجاء بعض جنوده إلى بنى الحارث بن الخزرج فجذموا نخلهم من أنصافها ، فسُمِّيت تلك النخلُ جُذْمَان ، وجدعوا هم فرساً لتُبَّع . وكان تُبَّع يقول : لقد صنع بى أهلُ يثرب صنعا[1] ما صنعه بى أحد : قتلوا ابنى وصاحبى وجدعوا فرسى! ثم إنّ تُبَّعاً بينا هو يُريد إخرابَ المدينة وسَبْى الذرّية وقطع النخيل[2] أتاهُ حَبْرَان من اليهود فقالا : أيُّها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة ، وإنَّا نجد اسمها مكتوبا فى كتابنا وإنها مُهاجَرُ نبىّ من بنى إسماعيل اسمه أحمد ، يخرُج من هذه الحرّة[3] من نحو البيت الّذى بمكة ، تكون دارَه وقرارَه ، ويتبعه أكثرُ أهلها . فأعجبه ما سمع منهما وكفَّ عن الّذى أرادَ بالمدينة وأهلها . وصدَّق الحَبْرَيْن بما حدَّثاه . وانصرف عما أراد وكفَّ عن الحرب وآمنهم حتى دخلوا عسكرَهُ ودخل جندُه المدينة . ثم إنَّ تُبَّعاً استوبأ[4] بئره التى حفرها وشكا بطنَهُ من مائها، فدخلت عليه امرأة من بنى زُرَيق يقال لها: فكهة بنتُ زيد بن كلدة بن عامر بن زُرَيق ، وكانت ذاتَ شرف وجَلَدٍ فى قومها ، فشكا إليها وبأ بئره ، فانطلقت فأخذت قِرَباً وحمارين حتى استقت له من ماء رُومة ، فشربه وأعجبه ، وقال: زِيدِينى من هذا الماء . فكانت تختلف إليه فى كل يومين بماء رُومَة ، فلما حان رحيلُه دعاها ، فقال لها : يا فكهة ، إنّه ليس معنا شىء من الصَّفراء والبيضاء ، ولكن لكِ ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا ، فلما خرج تُبَّع نقلت ما كان من أزوادهم ومتاعهم ، فيقال : إنَّه لم تزل فكهة أكثرَ بنى زُرَيق مالًا حتى جاء الإسلام .

(١) فى غ : شيئا .

(٢) فى غ : الأموال .

(٣) فى غ : هذا الحرم .

(٤) فى ت : سوى « تحريف » .

[ثم إن تُبَّعاً خرج يُرِيدُ اليمن ومَعَه الحَبْرَان اللَّذَان نَهيَاه عن المَدِينة ، فقال حين شَخَص من[1] منزله : هــذه قَنَاة الأرض ، فسُمِّيَت قناة[2] الأرض . ومرَّ بالجُرُف فقال : هذا جُرُف الأرض ، فسمى جُرُفَ الأرض ؛ وهو أرفعها ، ومرَّ بالعَرْصَة وكانت تُسَمَّى السَّلِيل فقال : هــذه عَرْصة الأرض فَسُمِّيَت العَرْصَة ، ثم انحدر فى العَقِيق فقال : هذا عَقِيقُ الأرض، فسُمِّيَ العَقِيق ، ثم خرج يَسِير حتى نزل البَقِيع ، فنَزَل على غَدِير ماء يقال له : بَرَاجِمُ ، فشرب منــه شَرْبَة فدخلت فى حلقه عَلَقَة فاشتــكى منها ، فقال :

ولقد شربت على بَرَاجِمَ شَرْبَة كادت بِبَاقِيَة الحَيَاة تُذِيع[3]

ثم مَضَى حتى إذا كان بِجُمْدَان جاءه نَفَر من هُذَيْل فقالوا له : اجعل لنا جُعْلاً ونَدُلُّكَ عَلَى بيت مالٍ فيه كنوز من اللؤلؤ والياقوت والزَّبرجد والذهب والفضة ليست لِأَهْلِه مَنَعَة ولا شرف ، فجَعَل لهم على ذَلِك جُعْلا فقالوا : هُوَ البَيْتُ الذى تحجُّه العرب بمَــكَّة ، وأرادوا بذلك هلاكه ، فتوَجَّه نحوَه فأخذته ظُلْمة منعته من السَّيْر [فدعا الحَبْرَين فسألهما فقالا : هذا ـ لما أجمعتَ][4] عليه من أَمْرِ هذا البَيْت ـ واللهُ تعالى مانِعُــه منك ، ولن يَصِل إليه أحد ، فاحذَر أن يُصِيبَك مِثلما أَصَابَ مَن انتهــك حُرُمَات الله ؛ وإنما أراد القوم الذين أَمرُوكَ بِهِ هَلاكَك ؛ لأنه لم يُرِدْه أحدٌ بشرٍّ قَطّ إلا أهلــكه الله تعالى ، فأَكْرِمْه وطُفْ به ، واحلِق رأسَك عنده . فترَكَ الَّذى كان أجمعَ عليه ، وقطَّــع أَيْدِى الهُذَلِيِّين وأَرْجُلَهم ، ثم أَتَى مكَّة فنزل بالشِّعْبِ من الأَبْطَح ، وطَافَ بالبَيْتِ وحَلَق رأسَه وكساه الخَصَف[5]]

---

(١) فى ت : عن .

(٢) قناة واد بالمدينة .

(٣) تذيع : تذهب بها .

(٤) ما بين القوسين عليه ترميج بالأصل .

(٥) الخصف جمع خصفة ، وهو ثوب غليظ .

وقيل : إنه لَمَّا أقبلَ يريد هَدْمَ البيت وصَرْفَ وُجُوهِ العرب إلى اليمن ، بَاتَ صَحِيحاً ، فأصْبَحَ وقد سَالت عَيْنَاه على خَدَّيه ، فبَعَثَ إلى السَّحَرَة والكُهَّان والمُنَجِّمِين ، وقال : مَا لِي ، فوالله لقد بتّ لَيْلَتِي ما أَجِد شَيْئاً ، وقد صِرْتُ إلى ما تَرَوْن فقالوا : حَدِّث نَفْسَك بِخَيْر . فَفَعَل ، فارْتَدَّ بَصِيرا ، وكسا البيت الخَصَف .

([وقيل : إنه أُتِي في المنام فقِيلَ له : أَكْسُ البيت أحسنَ من هذا، فكَساه الغِفَارَة][1] فأُتِي في المنام فقيل له : أَكْسُه أحسنَ من هذا ، فكَساه الوَصَائِل ؛ وهي برود العَصْب سُمِّيت الوَصَائِل لأنها كانت تُوصَل بَعْضُها بِبَعْض ؛ فأقَام بمكّة سِتَّةَ أيام يطعم الطَّعَام وينحر في كل يوم أَلْفَ بَعِير . ثم إنه سَارَ إلى اليمن) وهو يَقُول :

ونَحَرْنا بالشِّعْبِ سِتَّةَ آلا ... فِ ترى الناسَ نَحْوَهُن[2] وُرُودَا
وأقمْنَا بـه من الشهر ستًّا ... وجعلنا له بـه إقْليدا
وكسونَا البيتَ الّذِي حَرَّم اللـ ... ـه مُلاءً مُعَصَّبا[3] وبُرُودَا
ثم أُبْنَا منـه نَؤُم سُهَيْلًا ... قـد رفعنـا لِوَاءَنا المعقودا

قال : وتهوَّد تُبَّع وأهلُ اليَمَن بذينك الحَبْرَين .

وقال أُحَيْحَة :

تَفَهَّم أيُّها الرجـلُ الجهولُ ... ولا يَذْهَبْ بِك الرأيُ الوَبيل
فإنَّ الجهـلَ مَحمَلُه خَفِيف ... وإنَّ الحِـلْمَ مَحْمَلُه ثَقِيلُ
لعَمرُ أَبِيك ما يُغْنِي مقامي ... من الفِتْيانِ رائحـة جهولُ

---

(١) ما بين القوسين لم يرد في غ ولا في التجريد . والغفارة : كل شيء يغطى به شيء .
(٢) في ت : حولهن .
(٣) في غ منضدا ، . وفي التجريد : معضدا .

نؤوم ما تَقَلَّص مُسْتَقِلَّا[1] على الغَايَاتِ مَضْجَعُه ثَقِيلُ
تَبُوع للحَلِيلَة حيثُ حَلَّت كما يعتـاد لِقْحَتَه الفَصِيـلُ
وقـد أعددتُ للحدثان أَصْلًا لو أنَّ المرءَ يَنْفَعُه العُقُولُ

(وكان أُحَيْحَةُ قد اُهتمَّ بعمارة الضَّحْيَان وحَصَّنه فأشرفَ يوماً هو وغُلَام له فقَال: لقد بَنَيْتُ حِصْناً حَصِيناً ما بَنَى مثلَه رجلٌ من العرب، ولقد عَرَفْتُ موضِعَ حَجَر منه لو تزَعْزَعَ[2] لوقَع جَميعه. فقَالَ غُلَامُه : أنا أَعْرِفه. قال: فأَرِنيه يا بُنَيَّ. قال: هُوَ هَذا. وصرف إليه رأسَه، فلما رَأَى أُحيْحَة أَنَّه قد عرفه دَفعه من رأس الأُطم فوقع على رأسِه فمَات، أراد ألا يعرف ذَلِك الحجرَ أحَدٌ)

وكان أُحَيْحَة إذا أمسَى جلس تحت هذا الحِصْن وأرسل كِلَاباً له تَنْبَح دُونه على مَنْ يأْتِيه مِمَّن لا يعرف حَذَراً من أن يأتيه عدو يُصِيب منه غِرَّة، وكان أُحَيْحَة قد قَتَلَ أَخَا عَاصِم بن عَمْرو فأقبل عَاصِم يريد قَتْلَه بأَخيه، وقد أَخَذَ معه تمْراً، فلما دنا من الـكلاب نبحَتْه فألقى لهَا[3] التمرَ فوقفت، فلما رآها أُحَيْحَةُ قد سكنت حَذِر، فقام ودَخَل حِصْنَه، ورماه عاصم بسَهْم فأحرزَه منه البَابُ فوقع السهم في البَاب[4] فلما سَمِع أُحَيْحَةُ وقع السهم صَرَخَ في قومه، فخَرَجُوا إثْر عَاصِم ابن عَمْرو، فأعجزَهُم حتى أتَى قَوْمَه.

ثم إنّ أحيحةَ جمع لبَنِي النَّجَّار، وأَرَادَ أن يُغِيرَ عليهم[5]، فواعده قومه لذلك. وكان عند أحيحة سَلْمَى بنت عمرو بن زَيْد[6] بن لبيد بن خِداش إحدى نساء بني عَدِيّ بن النجار، وله منها عَمْرو بن أُحيحة، وهي أُمّ عَبْدِ المطلب بن هَاشِم

(١) في ت: مستقرا.
(٢) في غ: نزع.
(٣) في ت: إليها.
(٤) في غ: بالباب
(٥) في غ: يغترهم.
(٦) في ت: يزيد.

ابن عبد مناف ، خَلَف عليها بعد أُحَيْحَة ، وكانت امرأةً شَرِيفة لا تَنْكِح الرِّجالَ إلّا وأمرُها بيدها إذا كَرِهت من رَجُل شَيْئاً تَرَكَتْه .

فلما أجمع أُحَيْحَةُ على الغارَة على قَوْمها عَمِدَت إلى ابنها عَمْرو بن أُحَيْحة ، وهو فَطِيم فرَبَطتْه بخَيْط ، حتى إذا أَوْجَعَت الصَّبِيَّ تركته فبات يَبْكِي ، وهي تَحْمِله ؛ وبات أُحَيْحَة معَها ساهِرا ، يقول : وَيْلَك مالِ ابْنِك ؟ فتقول : لا أَدْرِي . حتى إذا ذَهَبَ الليلُ أطلقتِ الحبلَ فنَام الصَّبِيُّ وجَعلَت تَقُول : وارَأْساه . فقال أُحَيْحَة : هذا من سَهَرِك هذه الليلة ، فبَات يَعْصب رأسها ويقول : ليس بك بَاس . حَتَى إذا لم يبق من اللَّيْل إلّا أَقلُّه قالت له : قم فنَم فإنِّى أَجِدُنى صالِحةً قد ذَهَب عَنِّى ما كنتُ أَجِد . فقام فنَام ، وإنَّمَا صنعت(١) به ذلك ليثقل رأسُه ويَشْتَدّ نومُه عَلَى طول السَّهر ؛ فلمَّا نَام قامت وأخذت حَبْلًا شَدِيدا وأوثقته من رَأْسِ الحِصْن ثم تدلت منه وانطَلَقت إلى قَوْمها حين أَصْبحَت فحَذَّرتْهم وأَخْبَرَتْهم بالَّذى أجمع هو وقومه عليه من ذَلِك ، فحَذِر قومُها وأعدُّوا واجْتَمعوا ؛ وأَقْبَلَ أُحَيْحَةُ فلم يكن بَيْنَهم كَثِيرُ قِتَال ثم رَجَع أُحَيْحَةُ وقد فقدَها حِينَ أَصْبَح ؛ فلمَّا رأى قومَهَا على حَذَر قال : هذا عَمَلُ سَلْمَى ! خدعَتْنى حَتَّى فَعلت ما أَرادت ، وسَمَّاها قومُها المُتَدَلِّيَة ؛ لتَدَلِّيها من رَأْسِ الحِصْن ، وقال تلك الأبيات :

تَفَهَّمْ أَيُّها الرَّجُلُ الجَهُولُ . . . . . .

كان قَيْسُ بنُ زُهَير بن جَذِيمة أتى أُحَيْحَةَ بن الجُلَاح وكان صديقاً له ــ لمَّا وقع الشرُّ بين قَيْس وبين بنى عَامِر ؛ وخرج إلى المدينة ليَتَّجِر(٢) ويَغْزُوهم ويُغِير عليهم حين قَتَلَ خَالِدُ بن جعفر زهيرَ بْنَ جَذِيمة فقال قَيْسٌ لأُحَيْحَة : يا أَبَا عَمْرو ، نُبِّئْتُ أَنَّ عندك درعا ليس بِيَثْرِب مِثْلها فإن كانت فُضُلًا فبِعْنِيها أو فَهَبْها لِى . فقال : يا أَخَا بَنى عَبْس ، ليس مِثْلى مَنْ يبيع السلاح ولا مَن يَفْضُل عَنْه ، ولَوْلا أنِّى

(١) فى غ : فعلت .
(٢) فى غ : ليتجهز .

أَكْره أن أَسْتَلِيمَ(١) إلى بَنى عامِر لَوَهَبْتُها لك ، ولَحَملتك(٢) على سوابق خيلى ، ولكِن اشْتَرِها(٣) يا أَبَا أَيوب ؛ فإنَّ البَيْع مُرْتَخَص وغالٍ ، فأَرْسَلَها مَثَلًا ، فقال له قيس : فما تَكْرَهُ مِنَ أُستِلَامتك إلى بَنى عامر ؟ قال : وكيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر بن كلاب الذى يقول :

إذا ما أردتَ العز فى آل يَثْرِب — فنَادِ بصوْتٍ يا أُحَيْحَة تُمنَع
رأيتُ أبا عمرو أُحَيْحَةَ جَارُه — يَبيتُ قَرِيرَ العين غيرَ مُروَّع
ومن يأْتِه من خَائِفٍ يَنْسَ خَوْفَه — ومن يأْتِه من جَائِع البَطْنِ يَشْبَع
فضَائِلُ كانت للجُلَاح قَدِيمَةً — وأَكْرِم بِفَخْر من خِصَالِك الأَرْبَع(٤)

فقال قيس: ياأباعمرو وما عَلَيْك بَعْدَ هذا مِنْ لَوْم ، فَلَهَا عنه ثم عاود أُحَيْحة فساومه ، فغضب أحيحةُ وقال له : بِتْ عندى ، فبات ، فلما شربا تَغَنَّى أُحَيْحَةُ وقيس يسمع غِناءه :

أَلاَ يا قَيْسُ لا تَسُمَنَّ دِرْعِى — فما مثلى يُسَاوَمُ بالدُّرُوع
ولولا(٥) خَلَّة لأبى جُوَىٍّ — وأنِّى لستُ عنها بالنَّزُوع
أنلتُكها مُصَاحِبَةً لطِرْفٍ(٦) — لحوقِ الإطل جَيَّاشٍ تَلِيع
ولكِن سَمِّ ما أحببتَ فِيهَا — فليس بمُنْكَر غَبْنُ البُيُوع
فَمَا هِبَةُ الدُّروع أَخَا(٧) بَغِيض — ولا الخيلِ السَّوَابِق بالبَدِيع

فأمسك بعد ذلك عن مُسَاوَمته .

---

(١) فى ت : أستذم .
(٢) فى ت : ولحملتها .
(٣) فى غ : ابتزها .
(٤) فى ت : أربع .
(٥) فى غ : فلولا .
(٦) فى غ : لأبت بمثلها عشرا وطرف .
(٧) فى ت : أبا .

قصة أحد

قال ابن إسحاق : لما أصيبت يوم بدر بمن أصيبت من أصحاب القليب ورجع فلّهم[1] إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبدالله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممّن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا[2] : يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلّنا أن ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا . ففعلوا ، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، وكل أولئك مجمعون على الحرب . وكان أبو عزّة عمرو بن عبد الله الجمحي قد منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا بنات ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسول إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فامنن عليّ صلى الله عليك. فمنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان بن أمية : يا أبا عزّة إنك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا ، فقال : إن محمدا قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه . فقالوا: بلى فأعنا بنفسك ، فلك الله إن رجعت أن أغنيك[3] وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتنا يصيبهن ما أصابهن من عسر أو يسر فخرج أبو عزّة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ، يحرّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) في ت : كلهم « تحريف » .

(٢) في غ : فقال أبو سفيان .

(٣) في غ : أعينك .

ودَعَا جُبَيْر بنُ مُطْعِم غلاماً له يقال له وَحْشِىّ كان حَبَشِيًّا يقذِفُ بِحَرْبَة له قَذْفَ الْحَبَشَة ، قلّ مايُخْطِئُ بِهَا ، فقال: اُخرج مَعَ الناس فإن أنت قَتَلْتَ عَمّ محمد بعَمّى طُعَيْمَة بن عدى فأنت عَتِيق . فخرجت قريش بحدِّها وحَدِيدِها وأَحَابِيشِها وَمَنْ معها مِنْ كِنَانَة وأَهْلَ تِهَامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن التماسَ الحفيظَة لئَلَّا يَفِروا. وخَرَجَ أَبُو سُفْيَان بن حَرب وهو قَائِد النَّاس ، معه هِنْد بِنْت عُتْبَة بن ربيعة ، وخرج عِكْرِمَة بن أبي جَهْل بن هِشَام ابن المُغِيرَة ، وخرج صَفوَان بن أُمَيَّة بن خَلف ومعه بَرْزَة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثَّقَفِيّة ، وهى أم عبد الله بن صَفْوان وخرج عَمْرُو بنُ العَاص وطَلْحَة بن أَبِى طَلْحة وأَبو طَلْحَة عَبدُ الله بن عبد العُزَّى ابن عثمان بن عبد الدار بسُلَافَة بنت سعد بن سُهَيْل ، وهى أم بَنِى طَلْحَة : مُسافع ، والجُلاس ، وكلاب ، قُتِلوا يومئذ وأَبُوهم . وخرجت خُنَاس بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بن مالك بن حِسْل مع ابْنِهَا أبى عَزّة بن عُمَير وَهِى أم مُصْعَب بن عُمَيْر . وخرجت عَمْرَة بنتُ علقمة إحدى نساء بنى الحارث بْن مَنَاف بْن كِنانة .

وكانت هِنْد بنتُ عُتْبَة إذَا مَرّت بوَحْشِى أو مَرّ بها تقول له : إيه أبا دَسْمة[1] اشْفِ واشْتَفِ . فنزل القوم ببطن السَّبْخَة على شَفِير الوادى مِمَّا يَلِى المدينة ، فلما سَمِع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نَزَلُوا حيث نزَلُوا قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى قد رأيتُ رُؤْيا فَأَوّلْتها[2] خَيْرًا : رأيتُ فى ذُبَابِ سَيْفِى ثَلْماً ، ورأيت أَنِّى أَدْخَلْتُ يدى فى دِرْع حَصِينة ، فأَوَّلْتُها[2] المدينة ، فإنْ رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدَعُوهم حيث نزلوا فإن أَقَامُوا أَقَامُوا بشرّ ، وإن هم دَخلوا علينا قاتَلْنَاهم فِيهَا . ونزلت قُرَيْشٌ منزلها من أُحُد يوم الأربعاء وأَقامُوا به

---

(١) فى ت : وسمة .

(٢) فى ت : فتأولتها .

إلى يوم الجمعة ، وراح النبي صلى الله عليه وسلم حين صَلَّى الجمعة فأصبح بالشِّعب من أُحُد ، فالتقوا يوم السَّبت للنِّصْفِ من شَوَّال . وكان رأى عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألّا يَخْرُجَ إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَكْرَه الُخروج من المدينة ، فقال رجال مِمَّن أكرمَ اللهُ بالشهادة يوم أُحُد وغيرُهم ممن كان فاته يوم بَدْر : يا رسولَ الله اخْرُج بِنَا إلى أَعْدائنا لا يَرَوْنَ أَنَّا جَبُنَّا عنهم وضَعُفْنا . فقال عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول : يا رسولَ الله أَقِم بالمدينة ، ولا تخرُج إليهم ، فوالله ما خَرَجْنَا منها إلى عَدُوٍّ لنا قَطّ إلا أصابَ مِنَّا ، ولا دَخَل علينا إلا أَصَبْنا منهم ، فدَعْهُم يا رسولالله فإن أقاموا أقاموا بِشَرّ مَجْلِس وإن دَخَلُوا قَاتَلَهُم الرِّجالُ فى وُجُوههم ، ورماهم النِّسَاء والصِّبْيَان بالحجارة من فوقهم ، وإن رَجَعُوا رَجَعُوا خَائبين كما جاءوا . فلم يزل برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دَخَل رسول الله صلى الله عليه وسلم فَلَبِسَ لَأْمَتَه يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . وقد مات فى ذلك اليوم رَجُل من الأَنْصَار يقال له مالك بن عَمْرو ، أحد بَنِى النَّجَّار فصَلَّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج بهم ، وقد نَدِم الناس وقالوا : قد استَكْرَهْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا ! فإن شئتَ فاقعُد. فقال النَّبىّ صلى الله عليه وسلم : « ما يَنْبَغِى لِنَبىّ إذَا لَبِسَ لَأْمَتَه أن يَضَعَها حَتّى يُقَاتِل » فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أَلْفِ رَجُل من أَصْحَابه حَتَّى إذَا كانوا بالشَّوْط[1] بين أُحُد والمدينة ، انْخَذَلَ عبدُ الله ابن أُبَىّ بن سَلُول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وخَرَج وعَصانى ، والله ما نَدْرِى علامَ نَقْتُل أنفسَنا هَا هُنَا . فرجع بمَن اتَّبَعَه من الناس من قَوْمه ، من أَهْلِ النِّفَاق والرَّيب ، وأُتبِعهم عبدُ الله بن عمرو بن حرَام أحد بنى سلمة يقول : يا قوم أُذَكِّرُكم

(١) الشوط : حائط عند جبل أحد . وفى ت : بالشوحاء « تحريف » .

اللهَ أن تخذُلوا نبيَّكم وقومكم عند ما حضر من عدوكم[1] . فقالوا : لو نعلم أنَّكم تُقَاتِلُونَ ما أسلمنا كم ، ولكننا لا نرى أنَّه يكون قتال . فلما استعصَوْا عليه وأَبَوْا إلَّا الانصِرَاف قال : أبعدَكم الله يا أعداءَ الله ، فسيُغْنِي الله عَنْكُم .

ولما انْخَذَل عبد الله بن أُبَىّ بن سلول من الشيخين[2] بثلاثمائة وبَقِى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة ، وكان المشركون فى ثلاثة آلاف ، والخيْلُ مائتا فارس ، والظُّعن خمسَ عَشْرَةَ امرأة . وفيهم سَبْعُمائة دَارِع ، ولم يكن مع المسلمين من الخيل سوى فرَسَين : فرسٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرس لأَبِى بُرْدة بن نِيَار الحارثى . فأَدْلج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشَّيْخَيْن حتى طلع الحمراء ، وهما أُطُمان كان يهُودِىّ ويهودية أَعْمَيان يَقُومَان عليهما فيتحدَّثان ، فلذلك سُمِّيَا الشَّيْخَيْن وهما فى طرف المدينة .

وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم المُقَاتِلَةَ بالشَّيْخَيْن بعد المغرب وأَجَازَ مَنْ أجاز وردَّ مَنْ رَدَّ . وكان فِيمَن رَدَّ زَيْد بن ثَابِت ، وأَبُو عَمْرو أَسيد بن ظَهِير ، والبَرَاء بن عازب ، وعَرابة بن أَوْس .

وهو الذى يقول فِيهِ الشَّمَّاخ :

إذا ما رَايَةٌ رُفِعت لمَجْد تَلَقَّاها عَرابةُ باليَمِين

وردَّ أَبَا سَعِيد الخدرىّ ، وأجاز سَمُرة بن جُندب ، ورَافِع بن خَدِيج . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استصغر رَافِعاً ، فقام على خُفَّيْن له فِيهما رِقاع ، وتطَاول على أَطْرَاف أَصَابعه ، فلمَّا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم أَجَازَه .

وكان قد رَدَّ سَمُرة أيضا فلمَّا أَجَازَ رَافِعاً قال سَمُرة لمُرَىّ بن سِنَان بن ثَعْلَبة عَمّ

---

(١) فى غ : عدوهم

(٢) الشيخان : موضع بالمدينة كان فيه معسكر رسول الله صل الله عليه وسلم .

أَبِى سَعِيد الْخدرى وكانت أُمّ سَمُرة تَحْتَه : يا أَبَتِ أجازَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رَافِعَ بن خَدِيج وردَّنِى وأنا أَصْرَعه ! فقال مُرَىّ : يارسول الله رددْتَ ابْنِى وأجزْتَ رَافِع بن خَدِيج وابْنِى يَصْرَعه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرافع وسَمُرة : تَصَارَعا، فصرَعَ سَمُرة رَافعاً ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان دَلِيلَ النبى صلى الله عليه وسلم أبو خَيْثَمة الحارِثِى .

ومَضَى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سَلَكَ فى حَرَّة بَنِى حَارِثَة ، فذَبَّ فرسٌ بذَنَبه فأصاب كُلَّابَ(١) سيفِ فَارِس فاسْتَلَّه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحبّ الفَأْلَ ولا يعْتَاف ، فقال لصاحِب السَّيْف : « شِمْ سيفَك فإنّى أَرَى السيوف سَتُسَل(٢) اليوم » . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: « مَنْ رجل يَخْرُج بنا على القوم من كَثَبٍ من طريق لا يمُرُّ بنا عَلَيْهم ؟ » فقال أبو خَيْثَمة الحارثى : أنا يَا رَسول الله . فتقدَّمه فنفذ به فى حرّة بنى حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك به فى مَالٍ لِمَرْبع(٣) بن قَيْظى وكان رجلا منافقا ضَرِيرَ البَصَر ، فلما سَمِع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ معَه من المسلمين قام يَحْثِى فى وجوههم التُّرَابَ ويقول : إن كنتَ رسول الله فلا أُحِلّ لك أن تدخُل حَائِطى . وأخذ حَفْنَة من ترابٍ وقال: لو أعلم أنّى لا أُصِيبُ غيرَكَ لضربتُ به وجهَك! فابتدَرَه القومُ ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تفعلوا فهذا الأَعْمَى : أَعْمَى البَصر أَعْمَى القَلْب » وبَدَر إليه سعد بن زيد أَخُو بنى عَبْدِ الأَشْهَل حين نَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فضَرَبه بالقوس فى رأْسِه فَشَجَّه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه حتَّى نزَلَ الشِّعْب من أُحُد

---

(١) كلاب السيف: الحلقة أو المسمار الذى فى قائمه تكون فيه علاقته. وفى ت: ذباب بدل كلاب
(٢) كذا فى ت : والتجريد . وفى غ : ستستل .
(٣) فى فى غ : المربع .

فى عُرْعُرَة(١) الوَادِى مِنَ الجَبَل ، فجعل ظهر عسكره إلى أُحُد وقال : لا يُقاتِلَن أَحد حتى آمره بالقتال . وقد سَرّحت قُرَيْشٌ الظَّهْرَ والكُرَاع فى زُرُوع كانت بالصمغة(٢) من قناة المسلمين ، فقال رجل من المسلمين حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنِ القِتَال : أتُرعى زُرُوع بنى قَيْـلَة ولمَّا نضارب! وتَعَبَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو فى سبعمائة رجل ، وتَعَبَّأت قريشٌ وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فَرَس قد جَنَّبُوها ، فجعلوا على مَيْمَنَة الخَيْل خالِدَ بن الوليد وعلى مَيْسَرَتِها عِكْرِمَةُ بنُ أَبِى جَهْل ، وأَمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرّماة عَبْدَ الله بن جُبَيْر أَخَا بَنِى عَمْرو بن عَوْف وضَمَّ إليه خَمْسِين رجلا وقال : «انضح الخَيْلَ بالنَّبْـل لا يَأْتُونا مِن خَلْفِنَا إنْ كانَت لنا أو عَلَيْنَا واُثْبُتْ مكانك لا نؤْتَيَنَّ مِنْ قِبلِك فإن ظَهَرْنَا عليهم فَلَا تَبْرَحُوا من مَكَانِـكم وإن رَأَيْتُمُوهم ظَهَروا عَلَيْنا فلا تُعِينُونَا فإنا لا نزال غَالِبين ما دمتم مكانـكم هاهنا » وظاهَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعَيْن . فلَمَّا الْتقى القومُ هزمَ اللهُ تعالى المُشْرِكين حَتَّى رُئِيت النساء قد رَفَعن عن سُوقِهن وبَدَت خَلاخِيلُهن فجعَلوا يَقُولُون : الغَنِيمَة الغَنِيمَةَ ! ! فقال عبد الله : مهلا أما عَلِمْتم ما عَهِد إليـكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأَبَوْا وانْطَلَقُوا ، فلما أَتَوْهم صُرِفَت وُجُوههم(٣) وأُصِيبَ من المسلمين سَبْعُون رَجُلا . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أَمَّرَ الزُّبَير على الخيـل ، ومعه يومئذ المِقداد الـكِندىّ ، وأعطى رسول الله صلى الله عليـه وسلم اللِّوَاءَ(٤) رجلا من قُرَيْش يقال له مصعب بن عُمَيْر ،

---

(١) فى غ : عدوة . وعرعرة الجبل : أعلاه .

(٢) كذا فى ت ومعجم البلدان وتاريخ الطبرى . وفى جميع نسخ الأغانى : بالصمعة بالعين المهملة . وفى الروض الأنف : بالسبخة .

(٣) فى ت : فلما رأوهم ضربوا وجوههم .

(٤) فى غ : الراية .

وخرج حمزةُ بن عبد المطلب بالجَيْشِ . وأقبل خَالِد بن الوليد على خَيْل المشركين ، ومعه عِكْرِمة فبعَث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبَيْر ، وقال : استقبل خالدَ ابن الوليد فكن بإزائه حتى أُوَافِيك ، وأمر طَائِفَة أخرى فقال : كونوا من الجانب الآخر حتى أُوذِنَكم . وأقبل أبو سُفْيان يَحْمِل اللّات والعُزَّى ، فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى الزُّبَيْر أن يَحْمِل ، فَحَمَل على خالد بن الوليد فهزَمَه الله تعالى ومن معه ، فقال تعالى : « وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ » إلى قوله : « مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ » وإن الله وَعَدَ المؤمنين أن يَنْصُرَهم وأنه مَعَهم . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نَاساً رُمَاةً من أهل البَأْسِ فكانوا مِنْ وَرَائِهم ، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : كونوا هَا هُنا فرُدُّوا وَجْه مَنْ فَرَّ مِنَّا ، وكونوا حَرَساً لنا من قِبَل ظُهُورنا . فلما وقعت الهزيمة ورأَوا الغنَائم انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : نُدْرِك الغنيمة قبل أن يَسْبِقوا إليها . وقالت طَائِفَة : بل نُطِيع الله ونَثْبُت مكانَنا . قال ابن مسعود : ما شعرت أَنَّ أَحَداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُرِيدُ الدُّنْيَا وعَرَضَها حتى يَوْمئذ . ثم إن طَلْحَةَ ابن عثمان صَاحِبَ لواء المشركين قال : يا مَعَاشِرَ أصحاب مُحَمَّد ، إنكم تزْعمون أن الله يُعَجِّلنا بسُيُوفكم إلى النَّار ويُعَجِّلكم بسُيُوفِنَا إلى الجَنَّة ، فهل منكم أَحَدٌ يُعَجِّله الله بسَيْفِى إلى الجَنَّة ، أو يُعَجِّلُنى بسَيْفِه إلى النَّار ؟ فقام إليه عَلِىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : والَّذى نَفْسِى بِيَدِه لا أُفَارِقُكَ حتى أُعَجِّلَك بسَيْفِى إلَى النَّار أو تُعَجِّلَنى بسَيْفِك إلى الجَنَّة ! فضربه عَلِىّ فقطع رِجْلَه فسَقَط وانكشفت عَوْرَتُه فقال : أَنْشُدكَ اللهَ والرَّحِم يا ابن عَمّ . فتركه فكَبَّر النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وقال لِعَلِىّ وأصحابه : ما منعك أن تُجْهِزَ عليه ؟ قال : إنّ ابنَ عَمِّى نَاشَدَنى حِينَ انكشفت عورته ، فاستَحْيَيْتُ منه . ثم شَدَّ الزُّبيرُ والمِقْدَادُ بنُ الأَسْوَد الكِنْدى على المشركين فهزَمَاهم وحَمَلَ النبى صلى الله عليه وسلم فى أصحابِه فهزَموا أبا سُفْيَان .

فلما رَأَى ذلك خالِدُ بنُ الوَلِيد وهو على خيل المشركين حَمَل فرَمَته الرُّمَاة فانْقَمَع، ولما نَظَر الرُّمَاة إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جَوْف عَسْكَر المُشْرِكين يَنْهَبُونَهم قال بعضُهم : بَادِرُوا الغَنِيمَة ، وقال بعضُهم : لا نترك قول(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطَلَق عامَّتُهم فلَحِقُوا بالعَسْكَر ، فلما رَأَى خالد قِلَّة الرُّماة صاح فى خَيْله ، ثم حَمَل فقتَل الرُّماة ، وحَمَل على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما رَأَى المشرِكون أنَّ خَيْلَهم تُقَاتِل تَنَادَوْا(٢) وشَدُّوا على المسلمين فهَزَمُوهم وقَتَلُوهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ يأخُذُ هـذا السيفَ بحَقِّه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم(٣) حتى قامَ إليه أبو دُجَانة سِمَاكُ بن خَرَشَة أخو بنى سَاعِدَة فقال : وما حَقُّه يا رسولَ الله ؟ قال : أن تَضْرِب به فى العَدُوِّ حتى يَنْحَنِى . فقال : أنا آخُذُه بحَقِّه يا رسول الله . فأَعْطاه إيَّاه . وكان أبو دُجَانَة رجلا شُجاعا يَخْتَال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أُعلِمَ بِعِصَابة حمراء يَعْمَلُها على رَأْسه عَلِم النَّاسُ أنَّه سَيُقَاتِل ، فلما أخذ السيف من يَدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عِصَابَته تلك فعَصَب بها رأْسَه ، ثم جعل يَتَبَخْتَر بين الصَّفَّيْن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّها لَمِشْيَةٌ يُبْغِضها اللهُ تعالى إلّا فى هذا المَوْطِن .

وأرسل أبو سفيان رسولًا فقال : يا معشر الأَوْس والخَزْرَج ، خَلُّوا بَيْنَنَا وبين ابن عمنا نَنْصرف عنكم ، فإنه لا حاجة لنا بِقِتَالكم فرَدُّوه بما يَكْرَه .

وكان أبو عامِر بن صَيْفِىّ بن مالك بن النعمان بن أُمَيَّة ، أحد بنى ضُبَيْعَة قد خرج

---

(١) فى غ : أمر .

(٢) فى غ : تبادروا .

(٣) فى غ : بينهم .

إلى مكة مُبَاعِداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه خَمْسُون غلاما من الأَوْس ، منهم عثمان بن حُنَيف — وقيل : كانوا خمسة وعشرين[1] غلاما — وكان يَعِد قريشا أنْ لو لَقِي محمَّداً وأصحابَه لم يَخْتَلِف عليه من قومه رَجُلان . فلما اُلتَقَى الناسُ كان أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهم أبو عامر فى الأحابيش وعُبدانِ أهلِ مكة ، فنادَى : يا معشر الأَوْس أنا أبو عامر . قالوا : لا أَنْعَمَ الله بِكَ عَيْناً يا فَاسِق . وكان أبو عامر يُسَمَّى فى الجاهليَّة الرَّاهِب ، فسمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفَاسِق ، فلما رَدُّوا عليه قال : لقد أصاب قَوْمى بعدى شَرٌّ ! ثم قَاتَلَهم قتالا شديدا ثم راضَخَهم بالحِجارة .

وقال أبو سفيان لِأَصحاب اللِّواء من بنى عَبْدِ الدَّارِ يُحَرِّضهم بذلك على القِتَال : يا بنى عَبْد الدَّار ، إنَّكم وَلِيتم لِوَاءَنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يُؤْتَى النَّاسُ من قِبَل رَايَاتِهم ، إذا زالَتْ زَالُوا ، فإمَّا أن تكفونا لواءنا ، وإمَّا أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فسَنَكفيكموه . فهَمُّوا به وتوعَّدوه وقالوا له : نحن نسلم إليك لِوَاءَنا ؟ ! ستَعْلَم غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وكان ذلك هو الذى أراد أبو سُفْيَان . فلما التقى القوم ودَنَا بعضهم من بعض قامت هِنْد بنت عُتْبَة فى النِّسْوَة اللَّوَاتى معها وأَخَذْنَ الدُّفُوفَ يَضْرِبْن خَلْفَ الرِّجال ويُحَرِّضْنَهُم .

وقالت هِنْدُ فيما تقول :

[نَحْنُ بَنَاتُ طَارِق ... نَمْشِى عَلَى النَّمارِق
والدر فى المَخَانِق ... والمِسْك فى المَفَارِق[2]][3]
إنْ تُقْبِلوا نُعَانِق ... ونَفْرِش النَّمَارِق
أو تُدْبِروا نُفَارِق ... فِرَاقَ غَيْرِ وَامِق

(١) فى غ : خمسة عشر .
(٢) المفارق : القلائد .
(٣) لم يرد البيتان فى غ .

وقالت :

إيهاً بنى عبد الدارْ   إيهاً حُمَاةَ الأَدْبَار

ضَرْباً بكُلِّ بَتَّار

وقاتل الناس حتى حَميت الحربُ ، وقاتل أبو دُجانة حتى أَمْعَن فى النَّاس ، وحمزة ابن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين ، فأنزل الله نصره عليهم ، وصدَقهم وَعْده فَحَسُّوهم[١] بالسيف حتى كشفوهم فكانت الهزيمة لا شَكَّ فيها .

وقال الزُّبَيْر : لقد رأيتُنى أنظُر إلى هند بنت عُتْبة وصَوَاحِبَاتِها مُشمِّرات هواربَ ، ما دون أخْذهنّ قليلٌ ولا كثير ، إذا مالت الرُّمَاةُ إلى العَسْكَر[٢] حَتَّى كشفنَا القوم وانهزَمُوا يُرِيدُون النَّهْب ، وخَلَّوا ظهورَنا للخَيْل ، فأُتينا من أدبارِنَا وصرخ صارخ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّداً قد قُتِل ! فانكفأنا وانكفأ القومُ علينا بعد أن أصبنا أصحابَ اللِّواء حتى ما يدنو إليه أَحَدٌ من القَوْم . وقيل : إنَّ اللواءَ لم يزل صَرِيعاً حَتَّى أخذته عَمْرة بنت علقمةَ الحارِثِيَّة ، فدفَعَتْه لقرَيش . وكان اللواء مع صَواب : غلام لبنى أَبى طَلْحة حَبَشِى ، وكان آخر من أَخَذَه منهم ، فقاتَل حتى قُطِعَت يدَاه ، فبرك على اللِّواء وأَخَذ بصدْرِه وعُنقه فقُتِل عَلَيْه وهو يقول : اللهم هل[٣] أَعْذَرْت . فقال حَسَّان بنُ ثَابِت فيه حين تعارَضُوا بالشِّعر :

فَخرتم باللِّواء وأَىُّ[٤] فخر   لواءٍ حِينَ رُدَّ إِلَى صواب

جعلتم فخركم فيها لِعَبْدٍ   مِن اُلأَمِ من وَطَى عَفرَ التُّرَابِ

ظَنَنتُم والسَّفِيه له ظُنُون   وما إن ذَاكَ من أمر الصَّوَاب

---

(١) حسوهم : استأصلوهم .

(٢) كذا فى ت وتجريد الأغانى . وفى غ : السكر .

(٣) فى غ : قد .

(٤) فى غ : وشر .

بِأَنَّ جِلادَنَا يَــوم الْتقينَا بِمَـكة بيعُــكم حُمْر العِيَاب
أَقَرَّ العينَ إِنْ عُصبَت يَدَاهُ وما أن يُعْصَبَان على خِضَاب

ولما قَتَل عَلِىٌّ أصحابَ الأَلْوِيةِ أَبْصرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعةً من مُشْرِكى قُرَيْش فقال لعلى رضى الله عنه : أَحمِل عليهم . فحمل عليهم ففَرَّق جمعَهم وقتل عَمْرو بن عبد الله الجمحى ، ثم أَبْصَر جماعةً من مُشْرِكى قُرَيش فقال لعلى : أحمل عليهم . فَحَمَل عليهم وفَرَّق جَماعَتهم ، وقتل شَيْبَةَ بن مَالِك أَحَدَ بنِى عامِر ابن لُؤَى ، فقال جبريل : يا رَسُولَ الله إن هَذِه الْمُوَاسَاة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّه مِنّى وأنا منه » فقال جبريل عليه السلام : وأَنَا مِنْكُما ، فسمعوا صَــوْتاً :

لا سَيْفَ إلّا ذُو الفقَا ر ولا فَتًى إلا عَلِى

وكان المسلمون لَمَّا أصابهم مَا أصابهم من البلاء أثلاثا : ثُلُثٌ قتيل ، وثُلُث جَرِيح ، وثُلُث مُنْهَزِم وقد جهدَته الحرب حتى ما يدرى ما يَصْنَع . وأُصِيبَت رَبَاعِيَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم السُّفْلَى وشُجَّ وشُقّت شَفَته ، وكُلِم فى وَجْنَته وجَبْهَتِه فى أصول شعره ، وعلاه ابن قمئة بالسيف على شِقه الأَيْمَن ، وكَانَ الذى أصابه عُتْبة ابن أَبِى وَقَّاص ، فجَعَل الدَّمُ يَسِيل على وَجْهه وهــو يَمْسَحُه ويقول : « كيف يُفلح قوم خَضَبُوا وَجْه نَبِيِّهم بالدَّم ، وهو يَدْعُوهم إلى الله عَزَّ وجَلَّ » فأنزل الله تعالى : « ليس لَكَ من الأَمْر شىء أَو يَتُوبَ عليهم » . الآية .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غَشِيَه القَوْم : مَنْ رَجُل يَشْتَرِى لنا نَفْسَه ؟ فقام زياد بن السكن فى خَمْسَة نفَر من الأَنْصار ، وقيل : هو عُمارة بن زِياد ابن السَّكَن فقاتلوا دُونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجُلًا ثم رَجُلًا يُقتلُون دُونَه حتى كان آخرهم زياد أو عُمارَة فقاتل حتى أَثْخَنَتْه[٢] الجراحة ، ثم فاءت من

(١) فى غ : أثبتته .

المسلمين فِئَة حتى أَجْهضُوهم عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أَدْنُوه منى . فأَدْنَوْه فوضع خده على قدمه وَوَسَّده بِهَا حتى مَاتَ وخَدُّه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتَرَّس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجَانَة بنفسه يَقَع النَّبْل فى ظَهْره وهو مُنْحَنٍ عليه حتى كَثُرَت فيه النَّبْل . ورَمَى سعدُ بن أبى وقَّاص دُونَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيته يُنَاوِلنى ويقول : إرْم فِدَاكَ أبى وأُمى ، حتى إنَّه لَيُنَاوِلنى السهمَ ما فيه نصلٌ فيقول : أُرْم به !

ورَمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوسه حتى اندقَّت سِيَتُها ، فأَخَذَها قَتَادَة بنُ النُّعْمَانِ فكانت عنده وأصيبت يومئذ عينُ قَتَادَة بن النعمان حتى خَرَجَت على وَجْنَتِه ، فرَدَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسنَ عَيْنَيْه وأَحَدَّهُما .

وقاتل مُصْعَب بنُ عُمَير دُونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَعَه لِوَاؤُه حتى قُتِل، وكان الّذى أصابه بنُ قَمِئة وهو يَظُنُّ أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرجع إلى قريش وقال : قدقَتَلْتُ مُحَمَّدًا. فلما قُتِل مُصْعبُ بنُ عُمَير أَعْطَى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللِّوَاءَ عَلِىَّ بن أَبى طَالب .

وقاتل حمزةُ بن عبد المطلب حتى قتل أرْطَاة بن شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف، وكانَ أَحَدَ النَّفر الذين يَحْمِلون اللِّوَاء ، ثم مَرَّ به سِبَاعُ بن عبد العُزَّى الغُبْشَانِى ، وكان يُكْنَى أَبَا نِيار ، فقال له حمزة : هَلُمَّ إلَىّ يا ابن مُقَطِّعَة البُظُور ــ وكانت أُمُّه مولاة شَرِيق بن عَمْرو بن وَهْب الثَّقَفِى . وكانت خَتَّانَة بمكة ــ فلما الْتقيا ضربه حَمْزَة فقتله ، فقال وَحْشِى غلام جُبَيْر بن مطعم : إنى لأنظر إلى حمزة يَهُدُّ الناسَ بسيْفه ما يُلِيق شيئا يمر به، مثل الجَمَل الأَوْرَق(١) إذا ارتد يبقى إذْ تَقَدَّمنى إليه سِبَاعُ

(١) الأورق : الذى لونه إلى الغبرة .

ابن عبد العزى فقال له حَمْزة: هَلُم إلَيَّ يا ابن مُقَطِّعَة البُظُور، فضَرَبه فما أَخْطأ رأسه، وهززت حَرْبَتي حَتّى إذا ما رَضِيتُ منها دفعتُها عليه فوقعت بِثُنَّتِه[1] حتى خرجت من بين رجليه وأَقْبَل نَحْوى فغُلِب فوقع فأمهلته حتى إذا مات جئتُ فأخذت حربتى ثم تنَحَّيت إلى العسكر ولم يكن لى بشىء حاجَةٌ غَيْره .

وقد قَتَل عاصِم بن ثابت بن أبى الأَقْلَح ، أحد بنى عمرو بن عَوْف ، مسافِعَ ابن طلحة وأخاه كلابَ ابن طَلْحة ، كلاهما تابع بينهما[2] فيأْتى أُمَّه سُلافة فيطْرح رأسه فى حجرها فتقُول له : يا بُنَىّ مَنْ أَصَابَك ؟ فيقول : سمعت رجلا يقول حين أَصَابَنِى: خُـــذْها منى وأَنَا ابنُ أَبِى الأَقْلح ! فتقول : أَقْلَحِى ؟ ! ونذرت لِلّه إن أَمكَنها من رأس عاصم أن تَشْرَب فيه الخَمْر . وكان عاصم قد عاهد الله أَلّا يَمَسَّ مشركا أبدا ولا يَمَسَّه .

وانتهى أَنَس بن النَّضْر ، عم أَنَس بن مالك إِلَى عمر بن الخطاب وطلحةَ بن عبيد الله ، فى رجال من المُهَاجرين والأَنْصار،وقد أَلْقَوا بأَيْدِيهم، فقال : مايُجْلِسُكُم هاهنا ؟ قالوا : قُتِل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فما تصنعون فى الحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على مَامَاتَ عَلَيْه . ثم استقبل القومَ فقاتَلَ حتى قُتِل . وبه سمى أنس بن مالك . وَوُجِد فى أَنَس بن النّضر يومئذ سبعون ضَرْبَةً وطَعْنَةً وما عرفه إلا أختُه عَرَفتْه بِبَنَانِه[3] .

وكان أولَ من عَرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعْدَ الهَزيمة وقوْل النَّاس: قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كَعْبُ بن مالك أحد[1] بنى سلمة . قال : عرفت

---

(١) كذا فى ت : وتجريد الأغانى . وفى غ : فى لبته .

(٢) فى غ : كلاهما يشعره سهما ، أى يخالطه به .

(٣) فى غ : بحسن بنانه .

(٤) فى غ : أخو .

عينيه تزْهَرَان تحت المغفر ، فناديتُ بأَعْلَى صَوْتى : يا معشَر المسلمين ، أَبْشِروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فأشار إلَىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَنْ أَصْمُت . فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهَضُوا به ، ونهض نحو الشعب معه عَلِى بن أبى طالب ، وأبو بكر ، وعمر ، وطلحة ، والزبير ، والحارث ابن الصِّمَّة فى رَهْط من المسلمين .

فلما أسند[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب أدركه أُبىّ بن خَلَف وهو يقول : يا محمد لا نجوتُ إنْ نَجَوْتَ ! فقال القوم : يا رسول الله أيَعْطف عليه رجل منّا ؟ فقال : دعوه . فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه الحربةَ من الحارث بن الصِّمّة وانتفضَ بها انتِفاضَةً تطايرْنا عنه تَطَايُرَ الشَّعْرَاء[2] من ظهر البعير إذا انْتَفَضَ ، ثم استقبله فطعنه فى عنقه طَعْنَةً تَدَأْدَأَ منها عن فرسه مِرَارًا وكان أُبىّ بن خلف يَلْقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فيَقُول : يامحمد ، إنّ عندى العَوْدَ أعلفه كلَّ يوم فرْقاً من ذُرة أَقْتُلك عليه ! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أَنَا أقْتُلُك إن شاء الله عَزَّ وجَل . فلما رَجَع إلى قريش وقد خَدَشه فى عنقه[3] خَدْشاً غير كَبير ، فاحْتَقَن الدَّمُ فقال : قتلنى والله مُحَمّد ! قالوا : ذهب فُؤَادك ، والله ما بك من بأس . قال : إنه قد كان بمكة قال لى : أنا قاتلك فوالله لو بَصَق عَلَىَّ لقتلنى . فمات عدو الله بسَرِف[4] وهم قافلون إلى مكة ، فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فَم الشِّعْب خرج على بن أبى طالب رضى الله عنه حتى ملأ دَرَقَته من المـاء من المِهْرَاس ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب منه وغسل الدم عن وَجْهِه ، وصَبَّ على رأسه

---

(١) أسند : رقى .

(٢) الشعراء : ذباب أحمر وقيل : أزرق ، يقع على الإبل ويؤذيها أذى شديدا .

(٣) كذا فى ت والطبرى . وفى غ : حلقه .

(٤) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

وهو يقول : اشتد غَضَبُ الله على من أَدْمَى وجْهَ نبيِّه. وكان سعد بن وقاص يقول : ما حَرِصْتُ على قتل رجل ما حَرَصْتُ على قتل عُتْبَة بن أَبِي وَقَّاص وإن كان ما علمت لسَيِّئ الخلق مُبْغَضًا في قومه ، ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غَضَبُ الله على من أَدْمَى وجه رَسُوله .

وخرجت هند والنسوة معها يَمْثُلن بالقَتْلَى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يَجْدَعْن الآذان والأنوف ، حتى اتَّخذت هِنْدٌ من آذان الرجال وأنوفهم خَدَماً وقلائد ، وأعطت خَدَمَها(١) وقلائدها وَحْشِيًّا غلام جُبَيْر بن مُطْعِم .

وبَقَرَتْ بطنَ حمزة رضي الله عنه وأخرجت كَبِدَه فلاكَتْها فلم تستطع أن تُسِيغَها فلفظتها .

ثم عَلَت على صخرة مُشْرِفَة فصاحت بأعْلَى صَوْتِها بما قالَتْ من الشِّعر حين ظفروا بِمَا أَصابُوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عمر بن الخطاب لحَسَّان بْن ثَابت : يابن الفُرَيْعَة ، لو سمعتَ ما تقول هند ورأيتَ أَشَرها قائمةً على صخرة تَرْتَجِز بنا وتذكر ما صنعت بحَمْزَة ؟ فقال له حَسَّان : والله إني لأَنْظُرُ إلى الحربة تَهْوِى وإنِّي على رأس فَارِع — يعني أُطُمَه — فقلت : والله إن هذه لسلاحٌ ما هي بسلاح العرب، وكأنَّها إنَّمَا تَهْوِى [إلى حمزة](٢) ولا أَدْرِي ، فأَسْمِعْني بعضَ قولها أَكْفِكُموها . فأنشده عمر بعض ما قالت . فقال حَسَّان يهجوها :

أَشَرت لَكَاعِ وكان عادتُها ... لؤماً إذا أَشِرت مع الكُفْر
لعن الإلهُ وزوجَها معها ... هِنْدَ الهنود طَويلَةَ البَظْر
أخرجت مرقِصةً إلى أُحُـد ... في القوم مُقْتَبَة على بَكْر

(١) الخدمة : الخلخال (ج) خدم .
(٢) التكملة من تاريخ الطبري ٣ / ٢٣ .

أَخْرجتِ ثَائِرَةً مبـــادِرَةً　　بأبيكِ وابنك[١] يوم ذى بدر
وبعمِّك المَسْنُوه فى رَدَع　　وأخيك مُنْعَفِرَيْن فى الجَفْرِ
ونَسِيت فاحِشَةً أتيتِ بِهَا　　يا هندُ ويحك سُبَّةَ الدَّهْرِ[٢]
فرجَعْتِ صَاغِرة بلا تِرَة　　مِنَّا ظَفِرْت بها ولا نَصْر
زَعَم الوَلَائِدُ أَنَّهَا وَلَدَت　　ولداً صَغِيراً كان من عَهْرِ[٣]

ثم إن أبا سفيان بن حَرْب أَشْرَف على القوم فقال : أَفِيكم محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُجيبوه ! ثم قال : أَفِي القَوْم عمر بنُ الخطَّاب؟ ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُجِيبُوه . فالتفت إلى أصحابه فقال : أمَّا هؤلاء فقد قُتِلُوا ، ولو كانوا فى الأحياء لَأَجابُوا ! فلم يَمْلِك عمر بن الخطاب نفسه أنْ قالَ: كذبتَ يا عدُوَّ الله ، قد أَبْقَى الله لك ما يُخْزِيك . فقال : أُعْلُ هُبَل ، أُعْلُ هُبَل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَجِيبُوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا « اللهُ أَعْلَى وأَجَلّ » . قال أبو سفيان : لَنَا العُزَّى ولا عُزَّى لكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَلَا تُجِيبُوه ! قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا « اللهُ مَوْلانَا ولا مَوْلَى لكم » . قال أبو سفيان : يَوْمٌ بِيَوْم بَدْر ، والحربُ سِجَال أَمَا إنكم ستَجِدُون فى القوم مُثْلًا لم آمُر بها ولم تَسُؤْنى .

وقد كَانَ الحُلَيْس بن زَبَّان أَخُو بنى الحارث بن عبد مَنَاة مَرّ بأبى سفيان بن حَرْب وهو يَضْرِب فى شِدق حَمْزَة بزُجِّ[٤] الرُّمْح ويقول : ذُقْ عُقَق ؛ ذُقْ عُقَق !

(١) فى غ : فاتك بدل : وابنك .
(٢) كذا فى ت والديوان والطبرى وفى غ : سيئة الذكر ، وهو تخفيف السيئة .
(٣) فى ت : عمرو بدل عهر .
(٤) الزج : الحديدة التى فى أسفل الرمح .

فقال : يا بَنِى كِنَانَة ، هذا سَيِّد قريش يَصْنَع بابن عمه كما تَرَوْن لَحْماً ! فقال : اكتمها علىّ فإنها زَلَّة . فلمَّا انصرف أبو سفيان ومَنْ معه نادى : أَنْ موعدُكم بدْر ، العام القَابِل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرَجُل من أصْحَابه : « قل: نَعم هِىَ بيْننَا وبيْنك موْعِد » .

ثم بَعَث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعَلِىِّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : اُخْرج فى آثار القوم فانظر مَاذَا يَصْنَعُون وما يرَوْن ، فإن كانوا قد جَنبُوا الخيلَ وامتَطوا الإبل فهم يُرِيدُون مَكَّة ، وإنْ ركِبُوا الخيل وساقُوا الإبِلَ فهم يريدون المَدِينَة ، والذى نَفْسِى بيده لئن أَرَادُوها لأَسِيرَنَّ إليهم بها ثم لأُنَاجِزَنَّهم . قال : فخرجت فى آثارهم أنْظُر مَاذَا يَصْنَعون ، فلما اجْتَنَبُوا الخيل وامتَطَوا الإبِل توَجَّهُوا إلى مَكَّة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أَىَّ ذَلِك كَانَ فأَخْفِه حتى تَأْتِيَنِى . قال عَلِىٌّ : فلما رأيتهم تَوجَّهُوا إلى مكة أقبلتُ أَصِيح ، ما أكْتُم الَّذى أمرَنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَا بِى مِنَ الفَرَح إذ رأيتُهم انصرفوا إلى مَكّة عن المدينة ، وفَرَغ النَّاسُ لقَتْلَاهم(١) .

ولَمَّا رَأَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحَمزة ما رَأَى وقد بُقِر بَطنُه عَنْ كَبِده ، ومُثِّلَ بِهِ وجُدِعَ أنفُه وأُذُنَاه قال : لولا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّة أو تَكونَ سُنَّةً من بعدى لتركتُه حَتَّى يكون فى أجوافِ السِّبَاع وحَوَاصِل الطَّيْر ، وإن أَظْهَرَنى اللهُ على قريش فى مَوْطِن من المَوَاطن لأَقْتُلَنَّ به ثَلاثين(٢) رَجُلًا منهم .

فلما رَأَى المُسْلمون حُزْنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وغَيْظَه على ما فُعِل بعَمِّه حمزه قالوا : إنْ أَظْهَرَنا اللهُ عليهم يوماً من الدَّهْر لنَمْثُلَنَّ بهم مُثْلَة لم يمثُلْها

---

(١) فى ت : ونزع الناس لقتاهم . « تحريف » .

(٢) فى غ : لأمثلن بثلاثين .

أَحَدٌ من العَرَب بأحَدٍ قطّ ، فأنْزَلَ اللهُ عزّ وجلّ فى ذلك : « وإنْ عاقَبْتُم فعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُم بِهِ ولَئِنْ صَبَرتُم لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِين »[1] فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصَبَرَ ونَهَى عن المُثْلَةِ .

وخَرجَت صفيةُ بنتُ عبد المطلب لِتَنْظُرَ إلى أَخِيها حَمْزة رضى الله عنهما وكان أَخَاها لأبيها وأمها[2] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزُّبَيْر : الْقَها فارجِعْها لا ترى ما بأخِيها . فلَقِيها الزُّبَيْر فقال : يا أُمَّاه إن رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم يأمُركِ أن ترْجِعى . فقالت : ولِمَ وقد بَلَغَنى أنه مُثِّل بأَخِى وذلك فِى الله قَليل ، فما أَرْضَانَا بما كان من ذلك ، لأحتسِبَنّ ولأَصْبِرَنَّ إن شاء الله عز وجل ! فأخبر الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقَال : خَلِّ سَبِيلَها . فأتَتْه فنظَرت إليه وصَلَّت عليه واسْتَرْجَعَت واستغفرت له ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدُفِن .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَجُل ينظرُ إلى ما فعلَ سَعْدُ بن الربيع أَفِى الأَحْياءِ هو أَمْ فى الأَمْوَات ؟ » فقال رجل من الأنصار : أَنَا أنظرُ لك يارسول الله مافعَل فنَظَر فوَجدَه جَرِيحاً فى القَتْلَى به رَمَق قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسم أَمَرنى أن أنظر لَهُ أَفِى الأَحْيَاء أنت أم فى الأَمْوَات ؟ قال : فأنا فى الأَمْوَات ، أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقُلْ لَه : إن سَعْدَ بن الرَّبيع يقول لك : جَزَاكَ اللهُ خَيْرَ ما جزى نَبِيًّا عن أُمَّتِه وأَبْلغ قومك عَنّى السَّلام وقل لهم عَنّى : لا عُذرَ لكم عِندَ الله إنْ خَلَص العَدُوُّ إلى نبيكم وفيكم عَيْنٌ تَطرِف . ثم لم أَبْرَح حَتَّى مات فجِئْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخْبَرْتُه بذلك .

---

(١) النحل / ١٢٦ .

(٢) فى غ : وكان أخاها لأمها .

ولما خَرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحُد رجع حُسَيْل بن جابر — وهو اليَمَان أبو حُذَيْفَة — وثابت بن وَقْش[1] فجلسا فى الآطام مع النِّسَاء والصِّبْيان ، فقال أحَدُهما لصاحبه وهما شَيْخَان كبيران : لا أبا لك ما تَنْتَظِر ، فوالله إنْ بَقِى لواحدٍ مِنَّا من عُمْره إلّا ظِمْءِ حِمَار[2] ، وإنَّما نحن هَامَةُ اليَوْم أو غد ، أفلا نأخُذ أَسْيَافَنا فنلحَقُ برسول الله صلى الله عليه وسلم لَعَلَّ الله أن يرزقنا الشَّهادَة معه . فأخَذَا أسيافهما ثم خَرَجا حتى دخلا فى النَّاس ولم يعلم بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأمَّا ثَابِت فَقَتَلَه المشركون ، وأمَّا حُسَيْل بن جابر فاخْتَلَفت عليه أسيافُ المسلمين فقَتَلوه ولم يعْرِفوه ، فقال حُذَيْفَة : أبى ! فقالوا : واللهِ إنْ عَرَفْناه . وصَدَقُوا . فقال حُذَيْفَة : يَغْفِر الله لكم وهو أَرْحَم الرَّاحِمِين . فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يَدِيَه[3] فتصَدَّق حُذَيْفَة بدِيَتِه على المسلمين ، فزَادَتْه عند رسول الله صلى الله عليه وسلَّم خَيْرًا .

وكان رجل يُقال له قُزْمان لا يَدْرِى مِنْ أَيْنَ هُوَ ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ ، إذا ذكره : « إنَّه لَمِن أهْلِ النَّار » فلما كان يومَ أُحُد قَاتَل قِتَالًا شديدا ، وقَتَل هو وَحْدَه ثَمَانِيَةً من المشركين أو تسعة ، وكان شَهْمًا شُجاعًا ذا بَأْس ، فأثبتَتْه الجِرَاحة ، فاحْتُمِل إلى دار بنى ظَفَر ، فجعل رجال يَقُولُون : والله لقد أبليتَ اليوم يا قُزْمَانُ فأَبْشِر . قال: بِمَ أُبْشِرْ ؟ فوالله ما قَاتَلْت إلّا عن أحساب قومى ولولا ذلك لما قَاتَلْت . فلمّا اشتدَّت عليه جِرَاحَتُه أخذ سهمًا من كِنَانَتِه

(١) فى ت قيس .

(٢) ظمء الحمار : ما بين الشربين له ، وليس شىء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار ، يرد الماء كل يوم فى الصيف مرتين .

(٣) وداه : أدى ديته .

فقطع رَوَاهِشَه فنزَفَه الدَّمُ فمَات . فأُخْبِر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنى رَسُولُ الله حَقًّا .

وكان عَبْدُ الله بن الزّبعرى بن قيس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالِب ، أحدُ شُعَراء قُرَيْش المعدودين . وكان مِمَّن يُحَرِّض كُفَّارَ قريش على المسلمين بشِعْرِه ويَهْجُو المسلمين . وهو القائل فى وَقْعَة أُحُد :

يا غُرابَ البَيْن أزْمَعْتَ فقل ... إنَّما تنطق شيئاً قد فُعِل
إنَّ للخَـيْر ولِلشَّرّ مَدًى ... لِـكِلَا ذينِكَ وقْتٌ وأَجَل
كُلُّ بؤسٍ ونَعيم زائِلٌ ... وبنَاتُ الدَّهر يَلْعَبْن بِكُل
والعَطِيَّات خِسَاسٌ بينهم ... وسَواء فيه(١) مُثْرٍ ومُقِل
[قد قَتَلْنَا القومَ مِن سَادَاتِهم ... وعَدَلْناه بِبَدْر فاُعتدَل](٢)

ولما كان يوم الفتح أَسْلَم عبدُالله بن الزِّبَعْرى ، وقَبِل رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامَه وأَمَّنَه .

ولما كانت صَبيحَةُ يوم أُحُد يوم الأَحَد لِستَّ عَشْرَة خَلَتْ من شَوَّال أَذَّنَ مُؤَذِّن رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى النَّاس بطَلَب العَدُوّ ، وأَذَّن مؤذِّنه : ألا يخرجَ مَعَنا أحدٌ إلّا مَنْ حَضَر بالأَمْسِ يَوْمَنا . فـكَلَّمه جابر بن عبد الله بن عمرو ابن حَرَام ، فقال : يا رسول الله إنَّ أبى كان خَلَّفَنى عَلَى أَخَوَاتٍ لى سبع ، وقال : يا بُنَىَّ ، إنَّه لا ينبغى لى ولا لك أن نَتْرُك هٰؤُلاء النِّسْوَة لا رجل فِيهنَّ ، ولستُ بالذى أُوثِرُك بالجِهَاد مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم على نَفْسِى ، فتخَلَّفْ عَلَى

---

(١) فى غ : قبر بدل فيه .

(٢) لم يرد هذا البيت فى غ .

أَخَوَاتك ، فتخَلَّفْتُ عليهنَّ . فأَذِن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخُرُوج معه وإنَّما خرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِباً للعَدُوِّ ليُبَلِّغهم أنَّه خرج فى طَلَبِهم لِيَظُنُّوا به قُوَّة وأنّ الذى أصابهم لم يُوهِنْهم عن عَدُوّهم . وكان رجل من بنى عَبْدِ الأَشْهَل قد شَهِد هو وأَخُوه أُحُدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعا جَرِيحَيْن ، فلمَّا أُذِّن بالخُروج قال لأخيه : أَتَفُوتُنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما لَنَا من دَابَّة نَرْكَبُها ، وما مِنَّا إلّا جريحٌ ثَقيل . قال : فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتُ أيسرَ جُرْحاً منه ، فكنت إذا غُلِب أحمله سَاعَة حتى انتهَيْنا إلى ما انتَهى المُسْلمون ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد ، وهى عَلَى ثمانية أَمْيَال من المدينة فأقام بها ثلاثاً : الاُثْنَيْن والثُّلاثاء والأَرْبعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وكان مَعْبد الخزاعى قد مَرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت خُزاعة مسلمُهم ومشركُهم عيبةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) صفقتهم معه لا يُخْفُون عليه شيئا ومَعْبد يومئذ مُشْرِك ، فقال : أَمَا والله يا مُحمّد لقد عَزَّ علينا ما أصابك فى أصحابك ، ولودِدْنا أنَّ الله كَانَ أَعَانَك عَلَيْهم ، وخرج مِن عنده بحمراء الأَسَد حتى لَقِى أَبَا سفيان بنَ حَرْب ومن معه بالرَّوْحَاء قد أَجْمَعُوا الرَّجْعَة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أَصَبْنَا جِدَّ أَصْحَابه وقادَتَهم وأَشْرافهم ، ثم رجعنا قبل أن نَسْتَأْصِلَهم ، لَنَكُرَّنّ عَلَى بَقِيّتهم ولَنفرُغَنَّ منهم ! فلما رأى أبو سفيان مَعْبدا قال : ما وَرَاءكَ يا مَعْبد ؟ قال : محمد قد خَرَجَ فى أصحابه يَطْلُبكم فى جمع لَمْ أَرَ مثلَه قَطّ يتحَرَّقون عليكم تَحَرُّقا ، وقد اجتمع معه مَنْ كَانَ تَخلّف عنه فى يومكم ، ونَدِموا على ما صَنَعوا وفيهم من الحَنَقَ عليكم شىء لَمْ أَرَ مثلَه قطّ . قال : وَيْلك

---

(١) عيبة الرجل : موضع سره .

ما تَقُول ؟ قال : والله ما أَرَاكَ تَرْتَحِل حتى ترى نواصىَ الخَيْل . قال : والله لقد أجمعنا الكَرَّة عليهم لنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهم[(١)] . قال : فإنّى أنهاكَ عن ذلك ، فوالله لقد حملنى ما رأيتُ على أن قُلْتُ شعرا، قال: أنشدنا فأَنْشَدَهم:

كادت تُهَدُّ من الأصوات رَاحِلتى ... إِذْ سالَتْ[(٢)] الأرضُ بِالْجرد الأَبَابيل

فظِلْتُ عَدْوًا أظن الأرضَ مائلة ... لَمَّا سَمَوا بِرَئِيسٍ غيرِ مَخْذُول

فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكم ... إذا تَغَطْمَطَت البطحاء بالجيل

إنى نَذِيرٌ لأَهل السَّيْل[(٣)] ضاحيةً ... لِكُل ذِى إربَةٍ منهم ومَعْقُول[(٤)]

من جيش أحمدَ لا وَخْشٍ تَنَابلةٍ[(٥)] ... وليس يوصَف ما أنذرت بالقِيل

قال : فثَنَى ذلك أَبَا سُفْيان ومن معه .

ومَرَّ به رَكْبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد المدينة . قال : ولم؟ قالوا: نريد المِيرَة . قال: فهل أنتم مُبْلِغون عَنّى محمداً رسالة أُرسِلُكم بِهَا إليه ، وأُحَمِّل لكم إبلَكم هذه غدا زَبِيباً بعكاظَ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا جئتموه فأَخبروه أنَّا قد أَجْمَعْنَا على المَسِير إليه وإلى أَصْحَابه ، لنستأصِل شأْفَتَهم . فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بالّذى قَالَ أَبُو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوَكِيل » ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلَى المدينة بعد ثالثة وكان قد خَلَفَ على المدينة ابْنَ أُمِّ مكتوم .

---

(١) فى غ : شأفتهم .

(٢) فى ت : سارت .

(٣) فى ت : النسل .

(٤) المعقول : العقل .

(٥) فى ت : بنائله « تحريف » . والوخش : رذالة الناس وصغارهم والتنبل : القصير .

آدم بن عبد العزيز

(هو آدم بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وهو أَحَدُ مَنْ مَنَّ عليه أبو العبَّاس السَّفَّاح من بنى أُميَّة لمَّا قتل مَنْ وَجَد منهم . فقال له : قَدْ عَلِمْتَ مَذْهَب أبى فيكم ، ولم يكن كآبائهم . فقال : صدقت وأَطْلَقَه)

(وكان آدم من أوّل أمره خَلِيعاً ماجِناً مُنْهَمِكا فى الشَّراب ، ثم نَسَك بعد ذلك ومات على طَرِيقَة مَحْمُودَة .)

غَنَّى بهذه الأَبْيَات بين يَدَى المَهْدِىّ :

أُسقِنى واسقِ خَلِيلى   فى دُجَى[1] اللَّيْلِ الطَّويلِ
قهوةً صهبـاءَ صِرْفاً   سُبِيَت من نَهرِ بيـلِ
فى لسان المَرْءِ منهـا   مثلُ طَعْمِ الزَّنْجَبيل
رِيحُها يَنْفَح منهـا   ساطعاً من رأسِ ميل
مَنْ ينَلْ منها ثَلاثاً   يَنْسَ مِنْهَاجَ السَّبيل
فتى ما نَالَ خَمْسًا   تركَتْه كالقَتيـل
ليس يَدْرِى حين ذَاكُم   ما دَبِيرٌ مِنْ قَبِيـلِ
قل لمَنْ يَلْحَاكَ فِيهَا   من فقيهٍ أو نبيـل
أنتَ دَعْها وارجُ أُخْرى   من رَحِيق السَّلْسَبِيل

فسأل عن قَائِلها ، فقيل : آدمُ بنُ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فدعا به فقال : ويلك تَزَنْدَقْتَ ! قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ومتى رأيتَ قرشيًّا تَزَنْدَق؟

---

(١) فى غ : مدى .

والمِحْنَة(١) فى هذا إليك ، ولكِنَّه طَرَب غَلَبنى ، وشعر طَفَح على قلبى فى حال الحَداثة فنطقت به . وأنا رجل أَشْرَبُ الخمر ، ولم أقل ذلك إلا على سبيل المُجُون . ووالله ما كفَرْتُ بالله قطّ ، ولا شككت فِيه ، فَخَلَّى سَبِيلَه . وكان المهدى يحبه ويُكْرِمه لظَرفه وطيب(٢) نفسه .)

وقيل : إنَّ المَهْدِىّ جَلَدَه ثَلاَثمائة سَوْط على أن يُقرَّ بالزَّنْدَقة ، فقال : والله ماأشركتُ بالله طرفة عين ، فقال : أين قوْلك :

أُسقِنى وأُسق غُصَيْنَا ... لا تبِعْ بالنَّقد دَيْنَا
أُسقِنِيهَا مُزَّةَ الطَّعْـ ... م تُرِيكَ الشَّينَ زَيْنَا

فقال : إن قلت ذَلك فما هو مِمَّا يَشْهَد على قائله بالزَّنْدَقة . قال : فأَين قَوْلك :

أنتَ دَعْها وارجُ أخرى ... مِنْ رَحِيقِ السَّلْسَبِيل

قال : كنتُ فتى أشرب النبيذَ وأَقُولُ ما قُلْتُ على سَبِيل المُجُون ، فخَلَّى سَبيلَه . وهو القَائِلُ :

أَحِبُّك حُبَّين لِى وَاحِد ... وآخر أنك أَهْلٌ لِذَاك
فأَمَّا الذى هو حُبُّ الطِّبَاعِ(٣) ... فشىءٌ خُصِصْت به عَنْ سِوَاك
وأما الذى هو حُبُّ الجَمال ... فلست أرى ذاك حَتَّى أراك(٤)
ولستُ أَمُنُّ بِهَذَا عليك ... لك المن فى ذا وهَذَا وذَاك

(١) المحنة : الامتحان .

(٢) فى ت : وصف .

(٣) فى ت : الجمال .

(٤) فى ت : روى البيت : وأما الذى هو حبى فلست أرى الحسن فى الناس حتى أراك .

قال فُلَيْح بْنُ سُلَيْمان : مررنا يوما مع خَالِصَة فى موكبها ، فوَقَفَت على آدم ابن عبد العزيز فقالت : له : يا أخى طلبتَ مِنّا حَاجَةً فرفعناها إلى السَّيِّدة وأمرت بها وهى فى الديوان ، فساءَ ظَنُّك بنا فقَعَدْت عن تَنَجُّزِها . قال : فموه لها عُذْرًا اعْتَذَر بِهِ فوقَفْتُ عن الموكب حتى مَضَت ، ثم قلت له : أَخْمَلْتَ ذِكْرك[1] والله ما أَحْسَبُ أنه حبسك عنها إلا الشراب ، أنتَ ترى الناسَ يرْكُضُون خلفها وهى تَقِفُ[2] عليك لحاجتك ، قال: هو والله ذَاك ، إذا اصطبَحْتَ[3] فكُلْ كِسْرَة ولو بملح ، واُفْتَح دَنَّك فإن كان حَامِضاً دَبَغ مَعِدَتك ، وإن كان حُلْواً اخَرطَك ، وإنْ كَانَ مُدْرِكاً فهو الذى أردت . فقلت : لا بَارَكَ الله عَلَيْك . ومضيت ، ثم تَابَ بعد ذلك وأَقْلَع.

واستأْذَنَ يوما على يعقوب بن الرَّبيع فقال : ارْفَعُوا الشَّرَاب فإنَّ هذا قد تَاب وأَحْسَبُه يكره أن يرَاه . فرُفع وأذِنَ له فدخل ، فقال : « إنِّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُف لولَا أن تُفَنِّدُون » . قال يعقوب: هو الذى وجدت ، ولكنا ظننا أنه يَثْقُل عليك لترْكِك الشرابَ . قال : إى والله ، إنه ليَثْقُل علىّ . قال : فهل قلت فى ذلك شيئا منذ ترَكْتَه؟ قال : نعم قلت :

ألا هل فتى عن شربها اليومَ صابِر ... ليَجْزِيَه يوما بِذَلِك قَادِرُ
شربتُ فلمَّا قيل ليس بنَازِع ... نزعتُ وثوبى مِنْ أَذى اللَّوْم طَاهِرُ

---

(١) فى غ : نفسك بدل ذكرك .

(٢) فى غ : ترف .

(٣) فى غ : أصبحت .

أم حكيم

(هى أمُّ حَكيم بنت يَحْيَى بن الحَكَم بن أبى العاصى بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس. وأمُّها زَيْنَب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

(كانت هى وأمُّها من أَجْمل نساء قريش ، وكانت قريش تقول لأُمِّ حَكِيم : الوَاصِلة ؛ لأنها وصَلَت الجَمال بالكَمال).

وأم أمها زَيْنَب سُعْدى بنت عَوْف بن خَارِجة بن سِنان بن أَبِى حَارِثة بن عوف ابن أبى حارثة بن لَأْم الطَّائِى .

وكانت سُعدى عند عَبْدِ الله بن الوليد بن المُغِيرة ، فولدت له سَلَمة ورَيْطَة ، ثم توفِّى عنها . فخلف عليها طَلْحَةُ بن عُبَيْدِ الله ، فولدت له يحي وعيسى ؛ ثم قتِل عنها . فخطبها عبدُ الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ فتكَلَّم بنُوها و كرهوا أن تتزوَّج، وهم رِجَال . فقالت : إنه قد بقى فى رَحم أمكم فَضْلة شَرِيفة لا بُدَّ من خروجها. فتزوّجها فولدَت له المُغيرة بن عبد الرحمن الفقيه وأمّ أُمّ حكيم . وكان المُغيرة أحدَ أجواد قريش والمُطْعِمِين الطَّعام مِنْهم ، وقد وفد [إلى الكوفة][1] على عَبْدِ الملك بن بِشْر بن مروان . وكان صَدِيقَه ، وبها جماعة يُطعِمُون الناسَ من قُرَيْشٍ وغَيْرِها[2]. فلمَّا قَدم تغيّبوا فلم يَخْرج[3] أحد منهم حتى خرج ، وبَثَّ المغيرةُ الجِفَانَ فى السِّكك والقبائل يُطْعِم الناسَ ، وهو مُطْعِم الجَيْش بمِنًى ، وإلَى الآن يُطْعَم عَنْه ، وكانت زَيْنَبُ هذه أحسنَ النّساء قدًّا ووَجْهًا ، كأن أَعْلاَهَا قَضِيب ، وأَسْفَلَها كَثِيب .

---

(١) ساقطة من ت ، والتكملة من غ .

(٢) فى غ : وغيرهم .

(٣) فى غ : يظهر .

فتزوجت زينبُ أبانَ بن مَرْوان بن الحَكَم ، فولدت له عبدَ العزيز بن أبَان ثم مات عنها فخَطَبَها عَبْدُ الملك[1] [بنُ مَرْوان ويحْيَى بنُ الحَكَم فمَالُوا إلى عَبْد الملك ، فأَرْسَل يَحْيَى إلى المُغيرةِ بْنِ عَبْدِ الرحْمن][2] : كم الذى تأْمُل من عبد الملك ؟ فوالله لا يَزيدُها على ألفِ دِينار ، ولا يَزِيدُك على خَمْسِمَائة ، ولها عندى خَمْسُون أَلْفَ دينار ، ولك عَشَرة آلاف دِينَار إن زَوَّجْتَنِيها ، فزوَّجه إياها على ذَلِك ، فغَضِب عبد الملك ، وقال : دخل عَلَيَّ فى خِطْبَتِى ! والله لا يَخْطُب على مِنْبر ما دُمْت حَيًّا ، ولا يَرَى مِنِّى ما يُحِب ، فقال يحي : ما أبالى ، كَعْكَتَان وزَيْنَب .

وقيل : إنها لَمَّا خُطِبت قالت : والله لا أتزَوَّج إلّا مَنْ يُغنى أخِي المُغِيرة ، فأرسل إليها يحي بن الحكم : أيُغْنِيه خَمْسون ألف دينار ؟ قالت : نعم . قال : هى له ، ولكِ مثلها . فقالت : ما بعد هذا شيء ، فأَرسل إلى أهلك بِشَيْء مِنْ طِيب وشَيْء من كُسْوة .

ولما تَزَوَّجها يَحْيَى قال عبدالملك : لقد تزوجَتْ أفوه غَلِيظَ الشَّفَتَين . فقالت : هو خير من أبى الذباب فمالُه يعيبه بفمه؟ وقال أبو يحي : قولوا له : إنَّ الَّذى خَبَرْتَ من فِيَّ كرِهتَه مِنْ فِيك . ولما تزوَّجها يحيى عَزَله عبدُالملك عن عَمَله وخلعَه مِنْ ماله ، فجعل يحيي يقول :

ألا لَا أُبَالِي اليوم ما فعل الدهرُ إذا بقيت لى كعكتان وزينب

(وكانت أُمّ حكيم تَحْتَ عبد العزيز بن الوَلِيد بن عبد الملك تَزَوَّجها فى حياة جده عبد الملك .

ولما عُقِدَ النكاح بيْنَهما فى مَجْلِس عَبْد الملك أَمَرَ بإدخال الشُّعَرَاء ليهنئوهم بالعقد ويَقُولُوا فى ذلك أشعارا يرويها الناس فاُختير منهم جَرِير وعَدِىّ بْنُ الرِّقاع فدَخلا .

---

(١) فى ت : عبد الرحمن « تحريف » .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت والتكملة من غ .

وقد بَدَأَ عَدِيٌّ لِمَوْضِعِهِ منهم فقال :

قَمَرُ السَّماءِ وشَمْسُها اُجْتَمَعَا ... بالسعد ما غَابَا وما طَلَعَا

ما وَارَت الأَسْتَار مِثْلَهُمَا ... مَنْ ذَا رَأَى هَذَا ومَنْ سَمِعَا

وقال جرير :

جَمَعَ الأميرُ إليه أكرمَ حُرَّةٍ ... فى كُلِّ ما حال من الأحوال

حَكَمِيَّةً علَتِ الرَّوابِىَ كُلَّها ... بمفاخر الأَعْمَام والأَخْوَال

وإذا النِّسَاءُ تفاخرت بِبُعُولَةٍ ... فخرتْهُم بالسَّيِّد المِفْضَال

عبد العزيز ومَنْ يكلِّفْ نفسه ... أَخْلاقه يلبَثْ بأكسف بالِ

هَنَأْتُكم بمَوَدَّةٍ ونَصِيحَةٍ ... وصدقْتُ فى نَفْسِى لكم ومقالى

فلتهْنِك النِّعَمُ التى خُوِّلْتَهَا ... يا خيرَ مَأْمُول وأَفْضَلَ وَالِي

فأمر لها عَبْدُ الملك بِعِشْرِينَ أَلْفَ درهم ، وقضى لأَهْلِه ومَوَالِيه يومئذ مِائَةَ حَاجَة ، وأَمَر لجميع مَنْ حَضَر مِنَ الْحَرس[1] والكُتَّاب بِعَشْرَةِ دَنَانِير عَشْرَةَ دَنَانِير .

ولم تزَل أُمُّ حكيم عند عبد العزيز مدة ، ثم تزوج مَيْمُونَة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر ، فملكَتْه وأحبها وذَهَبت بعَقْلِه كل مَذْهَب ، فلم تَرْضَ منه إلا بطلاق أُمِّ حَكِيم ، فطَلَّقها ، فتزوجها هِشَام بن عبد الملك ، ثم مات عَبْدُ العَزِيز فتزَوَّج هِشَام مَيْمُونَة أيضا ، وكان شَدِيدَ المحبة لأُمِّ حكيم ، فَطَلَّق مَيْمُونَة اُقْتِصَاصاً لها منها بما فعلته معها فى اُجْتِمَاعِهِما عند عبد العزيز ، وقال لها : هل أرضيتُك مِنْها ؟ قالت : نعم . فولدت أُمُّ حَكِيم من هشام اُبنَه يَزِيد بن هشام ، وكان من رِجَالات بنى أمية ، وكان أَحدَ مَنْ يَطْعَنُ على الوَلِيد بن يَزِيد بن عَبْدِ الملك ويُغْرِى به الناس . وكانت أُمُّ حَكِيم مُدْمِنة على الشَّراب لا تَكَادُ تُفَارِقه، وهى القَائِلة :

(١) فى ت : الجيش .

ألا فاسقيانى من شَرَابِكما الوَرْدِى
وإن كنتُ قد أنفدْتُ فاسترهُنا بُرْدِى

سِوَارى ودُمْلُوجى وماملكتْ يَدِى … مُباحٌ لكم نهبٌ ولاتقطعُوا وِرْدِى

وكأسُها التى كانت تشرب بها مَشْهُورة عند الناس إلى اليوم ، وهو فى خزائن الخلفاء حتى الآن .

وفيه يقول الوليد بن يزيد :

عَلِّلَانى بصافيات[1] الكُرُوم … واسْقِيَانى بكأس أُمِّ حَكِيم

إنَّها تشْرَب المُدامَةَ صِرْفا … فِى إناء من الزجاج عظيم

جَنِّبُونِى أَذَاةَ كل لَئِيم … إنــه ما علمت شَرُّ نَديم

فلما بلغ هَذَا الشعرُ هِشَامًا قال لأُمِّ حَكِيم : أَوَ تَفْعَلِين ما ذَكَره الوَلِيد ؟ فقالت : أَوَ يَصْدُق الفَاسِق فى شَىْءٍ حتى تُصَدِّقه فى هذا ؟ قال : لا . قالت : هو كبَعْض كَذِبِه .

وكانت كأْس أمِّ حكيم كَأْساً كَبيرة من زُجَاج أخضر ، مَقْبِضُها من ذهب .

قال إسماعيل بن مُجَمِّع : كنا نُخرج ما فى خزائن المأمون من الذهب والفضة فنزَكِّى عنه ، وكان فِيما يُزَكَّى عنه كأس أُمِّ حكيم ، وكَانَ فِيها من الذَّهَب ثمَانُون مِثْقَالا .

ولما أَخْرَجَ المُعْتَمِد ما فى الخَزَائِن ليُبَاع فى أيام ظهور النَّاجِم بالبصرة أُخْرِجَت كَأْسٌ مُدَوَّرة على هيئة القِحْف تَسَعُ ثلاثةَ أَرْطال ، فقُوِّمت بأربعة دَرَاهم ، فتُعُجِّبَ من حصول مِثْلها فى الخزائن مع خَسَاسَتها ، فسُئِل الخَازِنُ عنها ، فقال : هذه كأس أمِّ حكيم ، فرُدَّت إلى الخِزَانة ، ولَعلَّ الذهبَ الَّذى كان عليها أُخِذَ يومئذ .

---

(١) فى غ : بعاتقات .

وكان لِهِشَام من أُمِّ حَكِيم ابنٌ يقال له. مَسْلَمة ، وكُنيَتَه أَبُو شَاكِر ، وكان هشام يُنوِّه باسمه ، وكان أَرَادَ أن يُوَلِّيَه العهد بَعْدَه ، فوَلَّاه الحجَّ فحَجَّ بالنَّاس . وفَرَّق فى الحِجَاز على أَهْلِهَا مالًا كثيرا وأحبه كَثِيراً الناسُ ومَدَحُوه، وفيه يقول عُروه بن أُذَيْنَة :

أَتَيْنَا نَمُتّ بأرحَامِنا　　　وجئنا بأَمْرِ أَبِى شَاكِرِ

وفيه يقول الوَلِيدُ بْن يَزِيد بن عبد الملك فى حَيَاة أَبِيه وأشاع ذلك وأَشْهَرَه :

يا أَيُّها السَّائِلُ عن دِينِنا　　　نحن على دِين أَبِى شاكِرِ

فلما أراد هشام أن يُوَلِّيَه العَهْد كَتَبَ بذلك إلى خالد القَسْرى ، فقال خالد : أنا بَرِىءٌ من خليفة كُنْيَتُه أبو شاكِر ، فبلَغَ ذلك هِشاماً ، فكانَ ذلك سَبَبَ إيقَاعِه به .

قال أبنُ الأغر : كُنَّا مع محمد بن الُجنَيْد الُختّلِىّ نَشرَبُ ذاتَ لَيْلَة فى أَيَّام الرَّشيد وكان صوته :

عَلِّلَانى بعاتِقَات الْكُرُوم　　　واُسقِيانى بكَأْس أُمِّ حَكِيم

فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حَتَّى السَّحَر ، فوافاه كِتَاب خَلِيفَته فى دَارِ الخَلِيفة[1] يُخْبره أن الرَّشيد[2] على الركوب . وكان مُحَمَّد أحد أصحاب الرَّشيد ومَنْ يُقدّم دَابَّته ، فقال : كيفَ أَعْمَلُ والرَّشيد لا يَقْبَل لى عُذْرا وأَنَا سَكْرَان ؟ فقالوا : لا بُدَّ من الركوب ، فركب على تِلْك الحالِ ، فلما قدّم إلى الرَّشيد دَابَّتَه قال له : يا مُحمّد ، ما هذه الحالُ التى أراكَ فيها ؟[3] قال : لم أَعْلَم رَأْىَ أَمِير المؤمنين

---

(١) فى غ : الرشيد .
(٢) فى غ : الخليفة .
(٣) فى غ : عليها .

فى الرُّكُوب فشَرِبْت لَيْلَتى أَجْمَع ، قال : فما كان صَوْتُك ؟ فأخبره ، فقال له : عُدْ إلى منزلك فلا فَضْلَ فيك ، فرجع إلينا وأَخْبَرَنَا بِمَا جَرَى وقال : خُذُوا بِنَا فى شَأْنِنَا ، فجلَسْنَا على سَطْح ، فلما ارتفع[1] النهار إذا خَادِم من خُدَّام أمير المؤمنين قد أَقْبَل عَلَى بِرْذَوْن ، ومعه شَىْءٌ مُغَطًّى بمنديل قد كَادَ يَنَالُ الأرضَ ، فصَعِد إلَيْنَا وقال : أمير المؤمنين يَقْرَأ عَلَيْكَ[2] السَّلام ، ويقول لك : قد بَعَثْنَا إليك بكَأْس أُمِّ حَكِيم لِتَشْرَبَ فِيها ، وبألف دِينَار تُنْفِقُها فى صَبُوحِك ، فقام محمد فأَخَذَ الكَأْس من يد الخادِم ، وقبَّلَها ، وصَبَّ فيها ثَلاثَةَ أرطال وشَرِبَها قائما ، وسَقَانَا مِثْلَ ذلك ، ووَهَبَ الخادِم مِائتى دِينَار وغَسَل الكَأْس ورَدَّها إلى موضعها ، وجعَلَ يُفرِّق عَلَيْنا تِلْكَ الدَّنانيرَ حتى بَقِيَ معه أقلُّها .

(١) فى غ : متع .

(٢) فى ت : عليكم .

أحمد المكي

(هو أحمد بن يَحْيَى بن مَرْزُوق المَكِّي كُنيته أبُو جَعْفر ، ولَقبه طَنِين ، وجَمع أبوه كِتاباً في الغناء)

جرى ذِكْرُ أحمد بن يحيي ، فقال عَلِيُّ بْنُ يحيي لإسحاق بن إبراهيم المَوْصِلِيّ : يا أبا مُحَمد ، لَوْ كان أبو جعفر أحْمَد بن يَحْيي مملوكا كَمْ كَانَ يُسَاوِي ؟ قال: أُخبرك عن ذلك. انصرفتُ ليلةً من دار الوَاثِق ، فاجتزت بدار الحسن بن وهب ، فدخلت عليه فإذا أَحْمَدُ عنده ، فلما قَامُوا لصَلَاة العشاء الأخيرة قال لى الحَسَنُ بْن وَهْب: كم يساوى أحمد لو كان مَمْلُوكا ؟ قلت: يساوى عشرة آلاف[1] دينار ، ثمَّ رجع فغنَّى صوتا ، فقال لى الحسَن : كَم يُسَاوِي ؟ قلت : يساوى ثلاثين ألف دينار ، ثم تغنَّى صوتا آخر:

أليس عنــدك شُــكْرٌ لِلَّتي جَعَلَت ... ما ابيضَّ من قَادِمَاتِ الرَّأْس كالحُمَم

فقلت للحسن : يا أَبا عَلِي أَضْعِفْها ، ثم لَمَّا أردتُ الانصراف قلت لأحمد : غَنّ :

لَوْلَا الحياءُ وأَنَّ السِّتْر من خُلُقِي ... إذاً قعــدتُ إليــك الدهرَ لم أَقُم

فغنَّاه فأحسن فيه كُلَّ الإحسان ، فقلت : يا أَبَا عَلى ، أَضْعِف الجَمِيع ، فقال له أَحْمد : ما هذا الذى أَسْمَعُكَا تقولانه ولست أَدْرى مَعْناه ؟ قال : نحن نبيعك ونَشْتَرِيك مُنْذ اللَّيلة وأنت لا تدْرِي .

قال محمد بن أَحْمَد بن يحيي المَكّى : ناظرَ أبى بَعْضَ المُغَنين يوماً فى دارِ المُعْتَصم وطَالَ تلاحِيهما فى الغِنَاء فقال أَبِى للمُعْتَصم : من شَاءَ منهم فليغَنِّ عَشْرَةَ أَصْوَات لا

---

(١) فى غ : عشرين ألف .

أعرف مِنْها ثَلاثَة وأنَا أغَنِّى ثَلاثِين[١] صوتا لا يعرف أحدٌ منهم منها صوتا فقال إسحاق: صَدَق ياأمِيرَ المؤمنين وصَدّقه عَلُّوية، فأمر له بعشرين ألْفَ درهم. ثم عاد ذلك الرجل إلى مُمَاحَكَته[٢] يوما فقال له: قد دعوتك إلى المَنْصَفة فلم تقبل، وأنا أبدأ بما دعوتك إليه، فابتدأ فغنَّى عشرة أصوات، فلم يعرف أحدٌ منها صوتا واحدا، وكُلُّها من الغِنَاء القديم، فاستَحْسَنَ المُعْتَصِم منها صَوْتاً وأسْكَتَ المُغَنِّين له، واستعادَه مَرَّات عِدَّة[٣]. ولم يزَل يَشْرَبُ عليه سَحَابَة يَوْمه، وأمر ألا يُرَاجِعَه أحَدٌ من المُغَنِّين كَلَاماً ولا يُعَارِضُه.

(وكان الصوت الذى أطرب المعتصم وأعْطَاهُ عليه ألْفَى دِينَار :

— لَعَن اللهُ مَنْ يلوم مُحِبًّا ولَحَى اللهُ مَنْ يُحِب فيأبَى
— رُبّ إلفَيْن أضمرا الحُبَّ دَهْراً فعفا الله عنهما حين تابا

قال: وكان المعتصم قد خلع عليهم فى ذلك اليوم مَمَاطِر[٤] لها شأنٌ من ألْوان شَتَّى، فسألنى عبد الوهاب بن على أنْ أرَدِّدَ عليه الصوتَ، وجعل مِمْطَرَة لِى، فغنَّيْتُه إيَّاه، فلمَّا خَرَجْنا أمَر غلامَه فدفع المِمْطَر إلَيَّ.

قال أحمد المكى: قال المُعْتَصِم يوماً ونحن جُلُوس عنده: خلعتُ اليوم على فَتًى، شَرِيف نَظِيف، حَسَن الوجْه، شُجَاع القلب، ووليته المَصِيصَة ونواحيها، فقلت[٥]: من هَذَا يا أمِير المؤمنين؟ فقال: خالد بن يَزِيد بن مَزْيد، فقال عَلُّوية: يا أحمد، غَنّ أميرَ المؤمنين صوتَك فى مَدْح خالد، فأمسكت عنه، فقال المعتصم: مالك

---

(١) فى غ: أغنى عشرة وعشرة وعشرة.
(٢) المماحكة: المخاصمة ومثلها المماظة.
(٣) فى ت: عديدة.
(٤) مماطر جمع ممطرة؛ وهى ما يلبس فى المطر.
(٥) فى غ: فقلنا.

لا تُجيبه ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين لَيْسَ هو مما يُغَنَّى به بحَضْرة الخليفة ، فقال : ما من أن تُغَنِّيَه بُدٌّ ، فغنَّيتُه :

علَّمَ النَّاسَ خالدُ بْنُ يَزِيدِ كُلَّ حلم(1) وكُلَّ بأسٍ وجُود
فترى الناس هيبة حين يبْدُو من قِيام وركَّع وسُجُود

فقال المعتصم: ياثمامة ، خذ بأَحْمَد يُلقِي هـذا الصَّوْت على الجوارِي في غد وأْمر له بعشرة آلاف درهم .

قال محمدُ بْنُ أَحْمَدَ المكّى : غنَّى أَبي يوما مُحَمَّداً الأَمِين :

فَعِشْ عُمرَ نُوح في سُرُورٍ وغبْطَة وفى خَفْضِ عَيْشٍ ليس فى طُولِه إِثْم
تساعدك الأقـدارُ فيه وتَنْثَنِى إليكَ وتَرْعَى فَضْلَك العُرْبُ والعُجْمُ

فأمر له بخَمْسِمائة دِينَار .

وتوفى أَحْمَدُ المكِّى فى خلافة المُسْتَعِين كما روى جَحْظَة ، وعُمِّرَ أبوه يحيى المكى مائة وعِشْرِينَ سنة ، وأَصَاب بالغناء ما لم يُصِبْه أحد من نظرائه ، ومات وهو صَحِيحُ العَقْل والبَصَر والسَّمْع .

(1) فى ت : علم .

أَرْبَدُ بنُ قَيْس[1]

(هو أَرْبد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن كلاب[2] وهو أخـو لَبِـيد بن ربيعة العامرى لأمه وكنيته أبو حداد .

قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَفْدُ بَـنِى عَامِر بن صَعْصَعَة ، فيهم عَامِرُ ابن الطفيل وأَرْبَدُ بن قَيْس) وجَبّار بن خَالِد[3] بن جَعْفَر بن كِلَاب ، وكان هَؤُلَاء رُءوسَ القَوْمِ وشَيَاطِينَهم .

(وكان عامِرُ بن الطفيل قد هَمَّ بالغَدْر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له قومُه : يا عَامِر ، إنَّ الناسَ قـد أَسْلَمُوا فأَسْلِم ، فقال : واللهِ لقد كنتُ آليت ألا أَنْتَهِـى حَـتَّى يَتَّبع العربُ عَقِبِي فأَتَّبِـع أَنَا عَقِب هَذَا الفَـتَى من قريش ، ثم قال لِأَربد : إذا أقبلْنا على الرَّجل فإنى مُشَاغِل عنك وجهه ، فإذا فعلتُ أنا ذلك فاُعلُه أنتَ بالسَّيْفِ ، فلما قَدِمُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له عامر : يا مُحَمَّد ، خَالّنى ، قال : لا والله حتى تُؤْمِنَ بالله وَحْدَه ، قال : يا محمد خَالِنى[4] ، وجعل يكلّمه وينتَظِر من أَرْبَد ما كان أمرَه به ، فجعل أَرْبَدُ لا يُحِير شيئاً ، فلما رَأَى عامر ما يَصْنَع أَرْبَد قال : يا محمد خَالنى ، قال: لا والله حتى تُؤْمِنَ بالله وَحْدَه لا شريك له . وقيل : لَمَّا أَتى إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم وَسَّده وسدم له وقال له : أَسْلِم ،

(١) جاءت ترجمة أربد فى الأغانى تحت عنوان : أخبار لبيد فى مرثية أخيه .

(٢) فى معجم الشعراء للمرزبانى / ١٨ : اسم أربد : عمرو بن قيس بن جذيعة بن جزء بن خالد بن جعفر .

(٣) فى غ : طبع بيروت: جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب .

(٤) خالنى «بتخفيف اللام» : تفردلى خاليا أتحدث معك، وبتشديد اللام : اتخذنى خليلا مصاحبا .

فقال : عَلَى أنَّ لى الوَبَرَ ولك المَدَر[1] ، فأَبَى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، وقامَ عامر مُغْضَباً ، فلمَّا أَبَى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أَمَا والله لَأَمْلَأَنَّها عليك خَيْلًا جُمْرًا ورَجْلًا سُمْرًا[2] ، ولَأَرْبِطَنَّ بكل نَخْلَة فَرَساً ، فلمَّا وَلَّى دَعَا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، وقال : يا قوم ، إذا دَعَوْتُ فأَمِّنوا ، فقال : اللهم اهْدِ بنى عامر ، واشْغَل عنى عامر بن الطُّفَيْل بما شئت وكيف شئت ، فلمَّا خرَجُوا قال عامر لِأَرْبَد : ويلك يا أَرْبَد ، أينَ ما كنت أَوْصَيْتُك به ؟ فوالله ما كان على ظَهْرِ الأرض رَجُلٌ هو أَخْوَفُ عنـدى على نَفْسِى مِنْك ، وأيم الله لا أَخَافك بعد اليـوم أبدًا . قال : لا تعجَل عَلَيَّ لا أبا لك ، والله ما هَمَمْتُ بالذى أمرْتنى به من مَرَّة إلّا دخَلْتَ بينى وبين الرَّجُل حتى ما أرى غيرَك ، أَفأَضْرِبُك بالسَّيْف؟ فقال عامر :

بُعِثَ الرَّسولُ بما تَرَى[3] فـكأنما ... عَمْدًا أَشُـدُّ على المَقَانِب غارا
ولقد وردْنَ بِنَا المَدِينةَ شُزَّبا ... ولقــد قتلن بجَوِّها الأَنْصارَا

(وخَرَجوا راجعين إلى بلادِهم حتى إذا كانوا ببعض الطَّرِيق بعَثَ الله تعالى عَلَى عامر الطَّاعُون فى عُنُقه ، فقتَلَه الله تعالى) وإنَّه لَفِى بَيْتِ امرأَة من سَلول ، فجعل يَشِبّ ويَغزُو[4] فى السماء ويقول : يا موتُ ابْرُزْ لى ، ويقول : يا بنى عامر ، غُدَّة كَغُدَّة البَعِير ومَوْتٌ فى بَيْتِ سَلُولِيَّة ! بأَىِّ وجْهٍ أَفاخِر العرب ، ثم مات . وخرج أصحابُه حين وَارَوْه حتى قَدِموا أرض بنى عامر ، فلما قَدِموا أتاهم قَوْمُهم فقالوا : ما وراءَك يا أَرْبَد ؟ فقال : لقد دعانا إلى عبادة شَىْء لَوَدِدْتُ أَنَّه عندى الآن فأَرْمِيه

---

(١) المراد بالوبر أهل البادية والمدر أهل المدن .

(٢) فى غ : خيلا جردا ورجالا مردا .

(٣) فى ت : أرى .

(٤) فى ت : يشتد ويعرو « تحريف » .

بنَبْلى هذه حتى أَقْتُلَه ، ثم خرَج بعد مَقالَتِه هذه بيوم أو يومين مع جَمَل يَبيعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعِقة فأَحْرَقَتْهُما .

وقال ابنُ دأب : أصابَ عامر بن الطُّفَيْل دُبَيْلة[1] فبعَث لَبيد بنَ ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأَهْدَى له رَوَاحِل ، فقَدِم بها لَبيد ، وأمره أن يَسْتَشْفِيَه من وَجَعِه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قَبِلْتُ من مشرك لَقَبِلْتُ منه ، وتَنَاوَل من الأرض مَدَرَة فتَفَلَ عليها ، ثم أعطاها لَبيداً وقال: دُفْها له بماء ثم أَسقِه إيّاه[2] ، وأقام عندَه[3] لَبيدُ يَقْرَأُ القرآن ، وكَتَب « الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ... » فخرَج بها ، ولَقِيَه أخوه أَرْبَد على ليلة من الحىّ ، فأنزلَه وقال له : يا أخى أَخْبِرْنى عن هذا الرَّجُل ، فإنه لم يأْتِه رجلٌ أوثقُ عندى فيه قَوْلًا منك ، فقال : يا أخى ، ما رأيتُ مثلَه ، وجعل يذكر صِدْقَه وبِرَّه وحُسْنَ حَديثه ، فقال له: مَعَك من قوله شىء ؟ قال : نعم ، وأخرج له سُورَةَ الرَّحمن ، فقرأها عليه ، فلما فَرَغ منها قال له أَرْبَد : لَوَدِدْتُ أَنّى أَلْقَى الرحمن بتلك البُرْقة ، فإن لم أَضْرِبه بسَيْفى فعَلَىَّ وعلَىَّ . ونَشَأَت سَحَابة وقد خَلَّيَا بَعِيرَيهما ، فخرج أَرْبَدُ يريد البَعِيرَين فغَشِيَته صاعِقَة فمات .

وقَدِم لَبيد على عامر ، فأخبره الخبَر ، قال : فما فعل فيما أُستَشْفَيْته ؟ قال : والله ما رأيتُ منه شيئاً كان أضعفَ عندى من ذلك ؛ وأخبره الخبَر ، قال: أين هى؟ قال : ها هِىَ معى ، قال : هاتِها ، فأخرجها له فدَافَها وشَرِبَها فبرأ .

ولَمَّا أصاب عامرَ ما أصابه ، بَعَث بنو عامر لَبيدا ، وقالوا له : أقْدِم لَنَا

---

(١) الدبيلة : داء فى الجوف أو خراج ودمل يظهر فيه .

(٢) فى ت : إياها .

(٣) فى غ : عندهم .

على هـذا الرَّجُل فاُعْلم لنا عِلْمه ، فقدِم عليه فأَسْلَمَ ، وأصابه هناك وَجَعٌ شديد من حُمَّى ، فرجع إلى قومه بفضْل تلك الُحمَّى ، وجاءهم بذِكْر البَعْثِ والَجنَّة والنَّار .

ولما ماتَ عامرُ بنُ الطفيل ، لم يُرَ يوم كانَ أكثرَ باكِياً وباكِيَـة وخَمْش وُجُوه وشَقّ جُيُوب من ذلك اليوم .

ولما ماتَ عامرُ بنُ الطُّفَيْـل ، نَصَب بنو عامر على قبره أَنْصَاباً مِيلًا فى ميـل ، حتى لا تَمْشِي فيه مَاشِيَة ، ولا يُرْعَى ، ولا يَسْلُـكه راكب ولا ماشٍ ، وكان جَبَّار ابن سُلْمى بن عامر بن مالك بن جَعْفر بن كلاب غائبا ، فلمَّا قَدِم قال : ما هـذه الأنصاب ؟ قالوا : حِمًى لقبر عامر بن الطُّفَيْـل ، فقال : ضَيَّقتم على أبى عَلِىّ . إنَّ أَبَا عَلِىّ بَانَ من النـاس بثَلَاث : كان لا يَعْطَش حتى يَعْطَش الَجمَل[1] ، ولا يَضِلّ حتى يَضِلّ النَّجْم ، ولا يَجْبُن حتى يَجْبُن السَّيْل .

وكان قُدُوم عامر على النبىّ صلى الله عليـه وسلم وهو ابنُ بِضْع وثمانين سنة .

ومِمَّا رَثَى به لَبِيد أخاه أَرْبَد :

ألا ذهب الُمحافِظُ والُمحامِى ... ودَافِعُ ضَيْمنا يوم الِخصَام
وأَيقَنْتُ التفَرُّق يوم قالوا ... نُقَسِّم مَالَ أَرْبَد بالسِّهام
فودِّع بالسَّـلام أبا حُزَيْز ... وقَلَّ وداعُ أَرْبَد بالسَّـلام

ومن ذلك :

ما إن تَعدَّى المنونُ من أَحَدِ ... لا وَالدٍ مُشْفِق ولا وَلَدِ
أَخْشَى على أَرْبَد الُحتُوفَ ولا ... أرهب نَوْءَ السِّماكِ والأَسَد
فَجَّعَنى الرَّعْدُ والصَّواعِق بالـ ... فَارِس يوم الـكريهة النَّجُدِ
كُلّ بَنِى حُرَّة مَصِـيرُهم ... قُلٌّ وإن أَكْثرتْ من العَدَدِ

(١) فى غ : البعير .

يا عينُ هَلَّا بكيتِ أَربدَ إذ قُمْنَا وقَامَ الْخصُومُ فى كَبِد
إن يَشغَبُوا لا يُبَالِ شَغْبَهم أو يَقْصِدوا فى الخِصَام يَقْتَصِد

ولَمَّا أُنْشِد أبو بكر رضى الله عنه قوْلَ لَبيد فى أخيه أَرْبَد :

لَعَمْرِى لئِن كانَ الْمُخبِّر صادِقا لقد رُزِئَتْ فى حادِث الدهر جَعْفَرُ
أَخٌ لِىَ أَمَّا كُلُّ شَىْءٍ سألتُه فيُعْطِى وأَمَّا كُلّ ذَنْبٍ فيَغْفِر

فقال أبو بكر رضى الله عنه : ذاكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أَرْبَد ابن قَيْس .

ومن مختار مراثيه قَوْلُه :

طَرِبَ الفؤادُ وليتَه لم يَطْرَبِ وعَنَاه ذكرى خُلَّة لم تُصْقِبِ (١)
فتعزَّ عن هــذا وقلْ فى غَيْره واذكر شَمَائِل من أَخِيك المُنْجِبِ
يا أَرْبدَ الخيْر الكريمَ جُدُودُه (٢) أَفْرَدْتَنى (٣) أَمْشِى بقَرْن أَعْضَب
إنَّ الرَّزِيَّة لا رَزِيَّة مثلُها فُقدانُ كُلِّ أخٍ كضَوْء الكَوْكَب
ذهب الذين يُعَاش فى أَكْنَافِهم وبَقِيتُ فى خَلْفٍ كِجلْدِ الأَجْرَب
من كلِّ كَهْـل كالسِّنَان وسَيِّد صَعْب المَقَادَة كالفَنِيق المُصْعِب (٤)
فبَرَى عِظامى بعد لحمى فَقْدُهُم والدهرُ إنْ عاتَبْتَ ليس بمُعْتِب
مِن مَعْشَرٍ سَنَّت لهم آباؤُهم والعِزّ قد يَأْتِى بغَيْر تَطَلُّبِ

ومن مراثيه فى أَرْبَد أيضاً :

بَلِينا وما تَبْلَى النجـومُ الطوالعُ وتَبْقَى الجبـالُ بعــدنا والمَصانِعُ

---

(١) تصقب : تقرب .

(٢) فى ت : الكريمة صدقه « تحريف » .

(٣) فى ت . أرأيتنى .

(٤) الفنيق : الفحل من الإبل ، والمصعب الذى لم يركب .

وقد كنتُ فى أَكنافِ دارِ مَضَنَّةٍ[1] ... فَفارَقَنى جارٌ بأَرْبَدَ نافِعُ
فلا جَزَعٌ إن فرَّق الدهرُ بيننَا ... فكُلُّ فتًى يوماً به الدهرُ فاجِعُ
وما المرءُ إلَّا كالشِّهَابِ وضَوْئِه ... يَحُورُ رَماداً بعد إذْ هو ساطِع
أليسَ وَرائى إن تَراخَتْ مَنِيَّتِى ... لُزُومُ العصا تُحْنَى عليها[2] الأَصابعُ
أُخَبِّرُ أخبارَ القُرُونِ الَّتى مَضَت ... أَدِبُّ كأنِّى كلَّمَا قُمْتُ راكِعُ
فأصبحتُ مثلَ السيفِ أَخْلَقَ جفنه ... تقادُم عَهْد القَيْن والنَّصْلُ قاطِعُ
فلا تَبْعَدَنْ إنَّ المَنِيَّةَ مَوْعِدٌ ... علينا ، فدَانٍ للطُّلُوع وطالِعُ
أَعاذِلُ ما يُدْرِيك إلَّا تَظَنِّياً ... إذا رَحَلَ السُّفَّارُ مَنْ هو رَاجِعُ
أتجزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدهرُ لِلْفتَى ... وأَىُّ كريم لم تُصِبْه القَوارِعُ

قال أبو الفرج مُصَنِّف الأصْل : حدَّثنا مُحَمَّد بنُ جريرِ الطَّبَرى ، قال : حدَّثنا أبو السَّائِب سَالِم[3] [بن جنادة][4] حدَّثنا وكيع ، عن هِشَام عن أَبيه عُرْوَة عن عائشة — رضِىَ الله عنها — أنها كانت تُنْشِد بيتَ لَبِيد :

ذَهَبَ الذين يُعَاشُ فى أَكْنافِهم ... وبَقِيتُ فى خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

وتقول : رحم اللهُ لَبيداً ، فكيف لو أَدْرَكَ مَنْ نحنُ بين ظَهْرَانيهم ؟ وقال هِشام : رحم الله أبى : عُرْوَةَ ، فكَيْف لو أدْرَكَ مَنْ نحنُ بين ظَهْرَانيهم ؟ وقال وكيع : رحم الله هِشاماً ، فكيف لو أدرك مَنْ نحنُ بين ظَهْرَانيهم ، وقال أبو السائب : رحم الله وَكِيعاً فكيف لو أَدْرَكَ مَنْ نحنُ بين ظَهْرَانيهم ؟ وقال

(١) فى ت : مطية .
(٢) فى ت : لزوم الغضا تحنى عليه . « تحريف » .
(٣) فى ت : سلمة .
(٤) التكملة من غ .

مُحَمَّد بنُ جَرِير : رحم الله أبا السَّائب ، فكَيْف لو أَدْرَكَ مَنْ نحنْ بين ظَهْرَانيهم ؟ وقال أبو الفرَج الأَصْبهَانى : ونحنُ نَقول : الله المُسْتَعَان ، فالقِصَّة أعظم من أن تُوصَف .

قال محمد بن مكرم مُختصِر هـذا المُخْتَصَر : رحم الله أَبَا الفرَج ، أين هو مِمَّا نحنُ فيه ! وأعتقد أَنَّ هـذا الخبَر لو استَمَرَّت روايته إلى يوم النّشُور على ألسنة آلاف من الرُّواة ، لترَحَّم كلٌّ آتٍ على كلِّ ماض ، فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِىِّ العَظِيم .

(أبو قَيْس بن الأَسْلَت

لم يُعرف اسمه) واسم الأَسلت عامِر بن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عُمارة ابن مُرّة بن مالك بن الأوس بن حارِثة بن ثَعْلبة بن عَمْرِو بن عامر(شاعرٌ من شعراء الجاهلية .)

(وكانت الأَوْس قد أَسْنَدَت حَرْبَها إليه ، وجعلته رَئيساً عليها ، فكَفَى وسَاد .)

وأَسْلم ابنُه عُقبة بن أبي قَيْس ، واستشهد يوم القَادِسِيّة . وكان يزيد بن مِرداس السُّلَمى أخو عبّاس[1] ، قتَل قيسَ بنَ أَبي قَيْس فى بعض حُرُوبِهم ، فطَلَبه بثأْره هارونُ بنُ النّعمان بن الأَسْلَت حتَّى تمكَّن من يزِيد بن مِرداس فقَتَله بِقَيْس بن أبى قيس ، وهُو ابنُ عَمّه .

ولقَيْس يقول أَبوه : أَبُو قَيْس بن الأسلت :

أقيسُ إن هلكتُ وأنتَ حَىٌّ فلا يَعْدَم فواضلَكَ[2] الفقيرُ

وكانت الأوسُ يوم بُعَاث قد أسندت أمْرَها إلى أبى قَيْسِ بن الأَسْلَت ، فقام فى حَرْبهم وآثرها على كل أمر ، حتى شَحَب وتَغيَّر ، ولبث أشهرا لا يقرب امرأته ؛ ثم إنه جاء ليلة فدَقّ على امرأته : كبشَة بنتِ ضَمْرَة بن مالك بن عَمْرو ، ففتحت له فأَهْوَى إليها بيده ، فدفعَتْه وأنكرَته ، فقال لها : أنا أَبُو قَيْس ، فقالت : والله ما عَرَفْتُك حتى تَكلّمتَ فقال أبو قَيْس :

قالت ولم تَقْصِد لِقِيل الخنَا مهْلًا فقد أبلغْت أسماعى

---

(١) فى ت : العباس .

(٢) فى غ : فلا تعدم مواصلة .

استَنْكرَتْ لوناً له شاحباً والحرب غُولٌ ذاتُ أوجاع
قد حَصَّتِ الْبيضَةُ رأسى فمَا أطعَمُ نَوْماً غيرَ تَهْجَاع
أسعَى على جُلِّ بَنى مَالِك كلُّ امرئٍ فى شأْنه ساعى
مَنْ يذُقِ الحربَ يَجِد طعمَها مُرًّا وتتركه بجَعْجَاع
لا نألَم القتلَ ونَجْزِى به الْ أَعْداء كيلَ الصَّاع بالصَّاع

قال الهَيْثَم بنُ عَدِى : كُنَّا جُلوساً عند صالح بن حسان ، فقال لنا : أنشدونى بَيْتاً خَفِرا فى امرأةٍ خَفِرة شَرِيفة ، فقلنا : قول حاتم :

يُضِىء لها البَيْتُ الظَّلِيلُ خَصاصَهُ إذا هى يوما حاوَلت أن تَكَلَّما(١)

فقال : هذه من الأَصْنام ، أَريد أحسن من هذا ، قلنا : قول الأعشى :

كأَنَّ مِشْيَتَها من بيت جارَتِها مَرُّ السَّحابَةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

فقال : هذه خَرَّاجة وَلَّاجة ، كثيرةُ الاختِلاف ، قلنا: بيت ذِى الرُّمة :

تَنُوء بأُخْراها(٢) فَلأْياً قِيامُها وتَمْشِى الهُوَيْنا مِنْ قريب فتَبْهَر

فقال : ليس هذا ماأردْت ، إنما وصف هَذِه بالسِّمَن وثقل البدن ، فقلنا: ماعِنْدَنا شىء . فقال: قول أبى قيس بن الأسلت:

ويُكْرِمُها(٣) جَارَاتُها فيَزُرْنَها وتَعْتَلُّ(٤) عَن إتْيَانِهن فتُعْذَر
وليس بها أَنْ تَسْتَهِين بِجارَة ولكنَّها منهن أَحْيَا وأَخْفَر(٥)

---

(١) فى غ : تبسما .
(٢) فى ت : بأولاها .
(٣) فى ت : ويكرمنها .
(٤) فى ت : وتقعد .
(٥) فى غ : تحيا وتخفر .

ثم قال : أَنْشِدُونِى أحسن بَيْتٍ وُصِفَت به الثريَّا، قلنا: بيتَ ابن الزَّبير الأَسَدِى:

وقد لاَحَ فى الغَرْب(١) الثريَّا كأنما ... به راية بيضاء تَخْفُق للطَّعْن

قال : أريد أحسنَ من هذا ، قلنا : بَيْتَ اُمْرِئِ القَيْس :

إذا ماَ الثريَّا فى السَّماَء تعرَّضت ... تعرُّض أَثْنَاءَ الوشاح المُفَصَّل

قال : أُريد أحسنَ من هذا . قلنا : بيت ابن الطَّثْرِيَّةِ :

إذا ما الثرَيَّا فى السَّماء كأَنَّهَا(٢) ... جُمَانٌ وَهَى من سِلْكِه فتسرَّعا

قال : أريد أحسن من هـذا ، قلنا : ماعِنْدَنَا شَىْء . قال : قول أبى قَيْس ابنِ الأَسْلَتِ :

وقد لاَحَ فى الصبح الثريَّا لمن رأى ... كعُنْقُود مُلاَّحِيَّـةٍ حِينَ نَوَّرَا

فحَكم له عليهم فى هذين المعنيَيْن بالتقدم .

لما قَتل عبدُ الملك بنُ مروان مصعبَ بنَ الزُّبَيْر ، خطب الناس بالنُّخَيْلة ، فقال فى خطبته : يا أيها الناس ، دَعُوا الأَهْواءَ المُضِلة ، والآراء المُشَتِّتة(٣) ، ولا تُكَلِّفُونَا أَعْمال المُهاجرين وأنتم لا تَعْمَلُونَ بِهاَ ، فقد جارَيْتُمونا إلى السيْف ، فرأَيتم كيفَ صنَع الله بكم ، ولا أعرفكم(٤) بعد المَوْعظَة تزْدادُون جرَاءَةً فإنِّى لا أَزْدَادُ بَعْدَهَا إلّا عقُوبة ، وما مَثَلى وَمَثَلُكم إلّا كما قال أبو قيس بن الأَسْلَت :

من يَصْلَ نَارِى بِلَا ذَنْب ولا تِرة ... يَصْلَ بنار كريم غـير عوّار(٥)

أنا النذير لـكم مِنّى مُجاهَرةً ... كيلا ألام على نَهْى وإعـذار

---

(١) فى غ : القور .

(٢) فى ت : تعرضت .

(٣) فى غ : المتشتتة .

(٤) فى غ : أعرفنكم .

(٥) فى غ : غدار .

فإن عصيْتُم مقالى اليومَ فاعترفُوا أَنْ سوف تَلقَون خزْياً ظاهر العار
لُتْرَكُنَّ (١) أحاديثاً ومَلْعَبَةً عند المُقِيم وعند المُدْلِج السارى
[مَنْ كانَ فى نَفْسِه حَوْجاءُ يَطْلُبُها عِنْدى فإنّى له رَهْنٌ بإصْحَارِ] (٢)
وصاحبُ الوِترليس الدّهرمُدرِكَه (٣) عنـدى وإنّى لَطَلّاب لأوتَارِ
أُقِيم عَوْجَته (٤) إن كان ذَا عِوَج كما يُقَوِّم عُودَ (٥) النَّبْعَة البَارِى

(١) فى ت : لتركبن « تحريف » .
(٢) لم يرد هذا البيت فى ح .
(٣) فى ت : يتركه . « تحريف » .
(٤) فى ت : نجوته « تحريف » .
(٥) فى غ : قدح .

أبو عطاء السندى

(أبو عَطَاء كُنْيَتُه ، وهو أَفْلَحُ بن يَسَار مَوْلَى بَنِي أَسَد) ثم مَوْلَى عَنْبَر بن سِمَاك[١] بن حُصَيْن الأَسَدِى ، مَنْشَؤُه بالكوفة مخضرم مدح بنى أمية وبنى هاشم . وكان أبوه يسار سِنْدِيًّا أعجميا لا يُفْصِح .

(وكان فى لِسان أَبِى عطَاء عجمة[٢] شديدة ولثغة فلا يكاد يفصح)

وكان له غلام فصيح سمَّاه عطاءً وتَكَنَّى به ، فكان يُرَوِّيه شعرَه ، فإذا مدح من يَجْتَدِيه أمره بإنشاد ماقَالَه فيه . وكان يقول له : قد جَعَلْتُك ابنِى وكَنَّيْتُك بكُنْيَتِى .

قيل : إنه كاتب مَوَاليه ، وكان قد كَثُر مالُه بعد أن أُعْتِق ، فأَعْنَتَه[٣] مواليه ، وطمعوا فيه وادعوا رِقَّه ، فشكا ذلك إلى إخوانه ، فقالوا له : كاتِبْهم[٤] ، فكاتبهم[٥] على أربعة آلاف دِرْهَم ، وسَعَى له أهل الأدب فيها ، فتركهم وأتى الحُرَّ بن عبد الله القُرشى حَلِيفَ قريش . فقال فيه :

أتيتُك لا من قُرْبَةٍ هى بَيْنَنَا ... ولا نعمةٍ قَدَّمتُها أَستَثِيبُها
ولكن مع الراجين[٦] إذ كنتَ موردا ... إليه بُغَاةُ الرِّيّ[٧] تهفو قلوبُها

---

(١) فى ت : عنتر بن شمال . وفى ا : عنتر بن سماك ، والتصويب من شعره .

(٢) فى غ : لكنة .

(٣) كذا فى غ و ا . وفى ت : فأعتقه « تحريف » .

(٤) كاتب العبد : كتب على نفسه بثمنه ، فإذا أداه صار حرا .

(٥) كذا فى ا وت . وفى غ : فكاتبوه .

(٦) فى غ : أن .

(٧) كذا فى ا وت. وفى غ: الدين .

أغثْني بسَجْلٍ من سماكَ[١] يفُكّني[٢] وقاكَ الرَّدَى مُرْدُ الكِرَام[٣] وشِيبُها
تسمَّى أبنُ عبدِ الله حُرًّا كوَصْفِه وتلك العُلاَ يُعْنَى بها مَنْ يُصيبُها[٤]

فأعطاه أربعة آلاف دِرْهم ، فأدَّاها فى مكاتبته فأُعْتِق .

ومن شعره :

— إذا المرء لم يَطلب معاشاً لنَفْسه شكا الفقر أو لامَ الصَّديق فأكثرا
— وصار على الأدْنَيْن كَلًّا وأوشكت حبالُ ذَوِى القُرْبى به أن تنَكَّرَا
— فسِرْ فى بلاد الله والْتمس الغِنَى تَعِش ذَا يَسار أو تَمُوتَ فتُعْذَرَا
— ولا ترضَ من عَيْشٍ بدُونٍ ولا تَنَمْ وكيف يَنامُ الليلَ مَنْ كان مُعسرا

وأتى أَبو عطاء سُلَيمان[٥] بن سُلَيْم الكلابىّ فقال :

أعوزَتْنى الرواةُ يا بن سُلَيم وأَبَى أن يُقيم شِعْرِى لِسَانى
وغَلَى بالذى أُجمجم صَدْرِى وجَفَانى لعُجْمَتِى سُلْطَانى
وازْدَرَتْنى العيونُ إذ كان لَوْنى حالكا مُجْتَوًى من الألْوَانِ
فضربتُ الأمورَ ظهراً لبَطْنٍ كيف أحتالُ حِيلَةً لبَيَانى[٦]
وتمنَّيْتُ أنَّنِى كنتُ بالشِّعْـ ـرِ فَصيحاً وبَانَ بعضُ بنانى
ثم أصبحتُ قد أنخْتُ رِكَابى عنـد رحب الفِناءِ والأَعْطَانِ
فاكْفِنِى ما يَضِيقُ عنه رُوَاتى بفَصِيحٍ من صَالِحِى الغِلْمَانِ

---

(١) فى غ : نداك . والسجل : الدلو العظيمة ، فيها ماء قل أو كثر .
(٢) فى غ : يكفنى .
(٣) فى غ : الرجال .
(٤) فى ا و ت : يعيبها .
(٥) فى ت : سليم . « تحريف » .
(٦) كذا فى ا و ت . وفى غ : للسانى .

يُفْهِم النـاسَ ما أقول من الشِّعْـ ... ـر فإنَّ البيَان قد أعْيانى
فاعتَمِدْنى بالشُّكْر يا ابن سُلَيْم ... فى بلادى وسائر البُلْدَانِ
ستوافيهم قصائد غُـرٌّ ... فيك سَبَّاقةٌ بِكُلّ لِسَان
فقديمـا جعلتُ شكرى جزاءً ... كلِّ ذى نِعْمة بمـا أوْلانى
لم تزَلْ تَشْتَرِى المدائح(١) قِدْماً ... بالرَّبيح الغَالِى من الأثمانِ

فأمر له بوَصِيف ، فسماه عَطاء وروّاه شِعرَه وكان يُنشد عنه قصائده .

(وكان أبو عَطَاء من مَدَّاحى بنى أُمَيَّة) والمُنْصَبِّى الهوى إليهم (ولم تكن له نَبَاهَةٌ فى دولة بنى العبَّاس ، فهجاهم ، ومات فى آخر أيام المنصور . وكان من أحْسَنِ الناسِ بَدِيهة وأشَدِّهم تقَدُّمًا وهو من فُحُول طبقته والمَعْدُودِين من أهْل عصره).
وشَهِدَ حربَ بنى أُمَيَّة وبنى العبَّاس فأبْلَى ، وقُتِل غلامُه عَطاء مع ابن هُبَيْرَة وانهزَم هو .

ولمـا قاتل المُسَوِّدَة كان بين يديه رَجُلٌ من بنى مُرَّة يُكْنى أبا يزِيد ، فعُقِر فرسُ المُرِّى ، فقال لأبى عطَاء : أَعْطِنى فرسَك لِأُقَاتِل عَنِّى وعَنْك فقد أَيْقَنَّا بالهلاك ، فأعطاه فرسَه ، فركبه المُرِّى ومَضَى على وجهه ناجيا . فقال أبو عَطَاء من أبيات :

لَعَمْرُك إننى وأبَا يَزِيد(٢) ... لـكالسَّاعِى إلى وَضَحِ السَّرَاب
رأيت مُخيلَةً(٣) فطَمِعْت فيها ... وَفِى الطَّمع المَذَلَّةُ لِلرِّقَابِ

ولما أعْتَقَه سَيِّده عنبر(٤) واشترى منه نفسه قال يهجوه :

إذا ما كُنتَ متَّخِذاً خَلِيلا ... فـلا تثِقَن بكل أخِى إخَاء

---

(١) فى غ : المحامد .
(٢) فى ا و ت : لعمرى . . وأبو زياد ! .
(٣) المخيلة : السحابة تحسبها ماطرة .
(٤) فى ا و ت : عنتر .

فإن خُيِّرتَ بينهم فألْصِق بأهل العَقْل منهم والحياء
فإن العقلَ لَيْسَ له إذا ما تُذُوكرت الفضَائل من كِفاء
وإنَّ النوْكَ للأَحْسَابِ(١) غُول به تأوِى إلى داءٍ عَياء
فلا تَثِقَنْ من النَّوْكَى بشىء ولو كانوا بَنِى مَاء السماء
كعَنْبَرٍ الوَثِيقِ بناءَ بَيْتٍ ولكن عقله مثلُ الهَبَاء
وليس بقابلٍ أَدَباً فدَعه وكُنْ منه بمُنْقَطِع الرَّجَاء

قال المدائنى : كان بَيْن يَحْيَى بن زِيَاد الحارثىّ وبين حَمَّاد الرَّاوية ومُعَلّى بن هُبيرة ما يكون مثلُه بين الشعراء والرواة من النَّفَاسة ، وكان مُعَلّى بن هبيرة يحب أن يَطْرَحَ حَمَّادا فى لسان شاعر يَهْجُوه .

قال حماد : فقال لى يوما بحَضْرة يَحْيى بن زياد : أتقول لأبى عطاء السندى أن يقول فى : زُجٍّ وجراده ومَسْجِد بنى سَيْطَان ؟ قال : فقلت له : فما تجْعَل لى على ذلك ؟ قال : بغلتى بسَرْجها ولِجَامها ، قلت : فعدِّلْها على يدَىْ يحيى بن زياد ، ففعل وأخذت عليه بالوفاء مَوْثقاً . وجاء أبو عَطاء السِّنْدى فجلَس إلينا فقال : مَرْهَباً مَرْهَباً هَيَّاكم الله ، فرحبت به وعرَضت عليه العشاء فقال : لا هَاجَة لى به ، فهل عندكم مِنْ نَبيذ ؟ فأتيناه به فشَرِب حَتَّى احمرت عَيْناه . فقلت له : يا أَبَا عطاء إنّ إنسانا طرح عَلَيْنا أبياتاً فِيهَا لُغز ، ولستُ أقدر على إجابته البَتَّة ، ومنذ أمس إلى الآن ما يَسْتَوى لى منْها شىء فَفَرِّج عَنِّى . فقال : هات ، فقلت :

أَبِنْ لى إن سُئِلت أبَا عَطَاء يَقِينا كيف عِلْمُك بالمَعَانى

فقال :

خبيرٌ عالم فاسأل تَجِدنى بها طَبًّا وآياتِ المَثَانِى

---

(١) فى ا : للإنسان.

فقلت :

فما أسم حَدِيدَةٍ فى رأس رُمْحٍ دُوَيْن الكَعْبِ لَيْسَت بالسِّنَان

فقال :

هو الزُّزُّ الذى إن بَاتَ ضَيْفاً لصَدْرِكَ لم تزَل لك عَوْلَتَان

يريد الزُّجَّ . فقلت : فرج الله عَنْك .

فما صفراءُ تُدْعَى أُمَّ عوْفٍ كأَنَّ رُجَيْلَتَيْها مِنْجَلان

فقال :

أردتَ زرادَةً وأُزُنُّ زَنًّا بأنَّك ما أردتَ سِوَى لِسَانى

يريد جرادةً وأَظُنُّ ظَنًّا. فقلت: فرَّج اللهُ عنك ، وأطال بَقاءَكَ :

أتعرف مَسْجِداً لبَنِى تميم فُوَيْق الميل دَونَ بَنِى أَبَانِ

فقال :

بنو سَيْطَان دون بنى أَبَان كقُرب أَبيك من عَبْدِ المَدان

قال حماد : ورأيت عَيْنَيه قد احمرتا ، وعرفت الغضب فى وَجْهه ، وتخوفتُه ، فقلت : يا أبا عَطاء هذا مقام المُسْتَجِيرِ بِك ، ولك النصف مما أخذتُه . قال : فأَصْدِقْنى ، فأخبرتُه فقال : أَوْلَى لك قد سَلِمت وسَلِم لك جُعْلُك ، خُذْه لا بورك[(١)] لك فيه ، فأخذته وانقلب يَهْجُو مُعلَّى بن هُبَيْرَة .

كان أبو عَطاء قد مدح أبا جعفر فلم يُثِبْه ، وأَظْهَرَ الانحراف عنه لِعلْمه بمَذْهبه فى بنى أُمَيَّة ، فعاوَدَه المَديح ، فقال له : يا مَاصَّ كذا من أمه ، ألستَ القائل فى عَدُوِّ الله : نَصْرِ بن سَيَّار :

— فاضَتْ دُمُوعى على نَصرٍ وما ظَلَمَت عَيْنٌ تفيض على نَصْر بن سيار

---

(١) كذا فى ا و ت . وفى غ : بورك بدون لا .

يا نَصْرُ مَنْ لِلِقاءِ[١] الحرب إن لَقِحَت ... يا نَصْرُ بعدَكَ أو لِلضَّيْفِ والجارِ
الخندِفِىُّ[٢] الذى يحمى حَقِيقَتَه ... فى كل يوم مَخُوفِ الشَّرِّ والعار
والقائدُ الخيل قُبًّا[٣] فى أَعِنَّتِها ... بالقوم حتى تَلُفَّ الغارَ بالغارِ
مِن كلِّ أبيضَ كالمِصْباح من مُضَرٍ ... يَجْلُو بسُنَّته الظلماءَ لِلسَّارِى
ماضٍ على الهَوْلِ مِقْدَام إذا اعترَضَتْ ... سُمْرُ الرماح ووَلَّى كلُّ فَرَّار
إن قَالَ قَوْلًا وَفَى بالقول مَوْعِدهُ ... إنَّ الكِنَانى وَافٍ غيرُ غَدَّارِ

والله لا أعطيك بعد هذا شيئاً أبدا ، فخرج من عنده وهجاه بِعِدَّة قصائد منها :

فليتَ جَوْرَ بنى مَرْوَانَ عادَ لَنا ... وليتَ عَدْلَ بنى العَبَّاس فى النّارِ

ومنها قوله :

أليس اللهُ يعلَمُ أنَّ قَلْبِى ... يُحِبّ بنى أُمَيَّة ما اسْتَطَاعا
وما بى أن يكونوا أَهْلَ عَدْلٍ ... ولكنِّى رأيتُ الأمرَ ضَاعَا

كان أبو عَطاء مع ابن هُبَيْرَة ، وهو يبنى مَدِينَته التى على شاطىء الفُرَات ، فأعطى ناساً كثيراً صِلَات ، ولم يُعْطِه شيئاً ، فقال :

قصائد حُكْتُهُنّ[٤] لِعُدْم قَيْس ... رَجَعْنَ إلَىَّ صِفْرًا خَائبات[٥]
رجعن وما أَفَاءَ[٦] عَلَىَّ شَيْئاً ... سوى أنى وُعِدْتُ التُّرَّهَاتِ
أقامَ على الفُرَات يَزِيدُ شهرا[٧] ... فقال النَّاس أَيُّهما الفُرَاتِى

(١) كذا فى ا و غ . وفى ت : يلتقى .
(٢) خندف : اسم قبيلة . والخندفى : المنسوب إليها .
(٣) القب : الضامرة البطن ، الدقيقة الخصر .
(٤) فى ت : حليهن لقوم . . وفى ا : حكتهن لقوم . .
(٥) فى غ : خاليات .
(٦) فى ا و ت : أفدن .
(٧) فى غ : حولا .

فيــا عجبــا لبحرٍ باتَ يسْقِى جَميعَ الخلْق لم يبْلُل لهَاتِى

فقال له يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة : وكم يبلُّ لهَاتك ؟ فقال : عشرة آلاف درهم ، فأمر ابنه فدفَعها إليه ، فقال يَمْدَح ابنَه :

أَمَّا أَبوك فعَيْن الجودِ نَعرِفُه وأنت أَشْبَه خَلْق اللهِ بالجودِ

لولا يَزيدُ ولولا قبـله عُمَر أَلْقَت إليك مَعَدٌّ بالمَقَالِيــد

ما يَنْبُتُ العُودُ إلَّا فى أرُومته ولا يكونُ الجنَى إلَّا من العُودِ

كان أبو دُلَامَةَ قد باع بَغْلَتَه وهجاها بقَصِيدَته المشهورة . وكان سَبَبُ بَيْعها أن أبا عَطَاء هجاها ، فخاف أبو دُلَامَة أن تشتهر بذلك ، فباعها .

وكان الذى هجاها به :

أبغلَ أَبِى دُلَامَةَ متَّ هُزَلًا عليـه بالشَّحِيح(١) تعوَّلينَا

دوابُ النَّاس تَقْضِم فى المخالى(٢) وأنت مُهانة لا تَقْضِمِينا

سَلِيه البيعَ واستَعْدِى عليه فإنَّكِ إن تُباعِى تَسْمَنِينا

قال حَمَّادٌ الراوية : أنشدتُ أبا عطاء السِّنْدِىّ يوما هذا البيت :

إذا كنتَ فى حاجـة مُرْسِلا فأَرسل حـكيما ولا تُوصِهِ

فقال أبو عطاء : بئس ما قال ، قلت : فـكيف تقول أنت ! قال : أقول :

إذا أرسلتَ فى أمر رَسُولًا فأَفهِمْه وأَرْسِـلْه أَدِيبـا

فإن ضَيَّعْتَ ذاكَ فـلا تَلُمْه على أَنْ لَمْ يـكُن عَلِم الغُيُوبَا

كان أبو عطاء مُنْقَطِعاً فى طَرِيق مَـكَّة ، وخِباؤه مَطْروح ، فمرَّ به نَهِيك بنُ مَعْبَد العُطَارِدِىّ ، فقال : لمن هذا الخِبَاء الملْقى ؟ فقيل له : لأَبِى عَطَاء السّندى ؟

---

(١) كذا فى ا و ت . وفى غ : بالسخاء .

(٢) فى ت : بالمخالى .

فبعث غلمانَه فضربوا له خِبَاء ، وبعَث إليه بألطاف كَثِيرة ، فقال : مَنْ صَنَع هَذا ؟ فقالوا : نَهِيك بنُ معبد العُطَارِدِىّ ، فنادى بأَعْلَى صَوْته :

إذا كنتَ مرتادَ الرِّجَال لِنَفْعِهِم ... فنادِ بصَوْتٍ يا نَهِيكُ بن مَعْبَدِ

فبعث إليه بدَنَانِير ، وقال : يا أَبَا عَطَاء ، إنَّما أعطينْاكَ على قَدْر ما أَعْطيتَنا ، وإنْ زِدْتَنَا زِدْنَاكَ .

قال النَّوْفَلِىّ : كنتُ جَالِسا عند سليمان بن مجالد(١) ، وعنده أبو عطاء السّندى وراويته يُنْشِد سليمان مديحا لأَبى عطاء فيه ، وأبو عطاء جَالِس لا يتـكلم ، إذْ قال الرَّاوِيَة فى إنشاده :

فما فَضَلَت يَمِينُك مِنْ يَمِين ... ولا فضلت شمالُك من شِمَال

هكذا بالرَّفْع فغَضِب أبوعطاء وقال : فما مَدَهْته(٢) إذَن إنما هزَوته ، يُرِيدُ إنَّمَا هَجَوْته . ثم أَنْشَدَ أَبُو عطاء :

فما فدلت(٣) يَمينك عن يمين ... ولا فدلت(٣) شمالك عن شمال

يريد: فما فضلت ولافضلت، فـكدت أضحك ولم أَجْسُر ؛ لأَنّى رأيتُ القومَ جَمِيعا بهم مِثْل الّذِى بِى وهم لا يَقْدِرون على الضَّحك خوفا منه .

وفد أبو عَطَاء على نَصْر بن سَيَّار ، فأَنْشَدَه :

قالت تَرِيكَةُ(٤) بيتى وهى عَاتِبَةٌ ... إن المُقَام عـلى الإفْلَاسِ تَعْذِيب

إِنِّى دَعَانى إليك الخَـيرُ من بَلَدِى ... والخيرُ عندذوى الأَحْسَاب مَطْلُوبُ

فأمر له بأربعين ألف درهم .

---

(١) فى ا و ت : مخلد .

(٢) كذا فى غ . وفى ت و ا : مدحته .

(٣) فى غ : فزلت .

(٤) فى ت : رميلة .

دخل عَلَى أبى العطاء ضَيْف ، فأَتَاه بِطَعَام فَطَعِم ، و بِشَرَابٍ فشَرِب ، وجلسا يَتَنَادَمَان ، فنظر أبو عطاء إلى الرَّجل يُلَاحِظُ جَارِيتَه ، فأنشأ أبو عطاء يَقُول :

كُلْ هَنِيئًا وما شربت مَرِيئًا ... ثم قُمْ صَاغِرا فغــــير كريم (١)

لَا أُحِبَّ النَّدِيم يُومِض بالطَّرْ ... فِ إِذَا ماخَلَا لعِرْسِ (٢) النَّدِيم

---

(١) كذا فى ا وت . وفى غ : وأنت ذميم .

(٢) فى غ : بعرس .

(الأضبط بن قريع)

كان الأَضْبَطُ بن قريع مُفرَّكا ، وكان إذا لقى فى الحَرْب تَقدَّم أمام الصف ، ثم قال :

أنا الفتَى تفرُكُه[1] حلائلُه ألا فتًى مُعَشَّقٌ أُنازِلُه

قال: فاجتمع نساؤه ذات ليلة يَتسامَرْن ، فتعاقدن على أَنْ يَصْدُقن الخبَر عن فَرْكِ الأضْبَط ، فأجمعن أنَّ ذلك لأنه بارِدُ الكَمْرة ، فقالت لإحداهُن خالَتُها : أفتعجز إحداكُن إذا كانت ليلته منها أن تُسخِن كمرته بشىء من دُهْنٍ ؟ فلما سَمِع قولَها صاح : يا آل عوْف ، فثارَ الناسُ وظَنُّوا أنه قد أُتِى فقالوا له : ما حالُك ؟ قال : أوصيكم بأَنْ تُسخِنُوا الكَمرة بالدُّهن ؛ فإنه لا حُظْوَة لِبارِد الكمرة . فانصرفوا يَضْحَكون وقالوا : تبًّا لك ، ألِهذا دعوْتنا .

وكانت أُمُّه عَجَبَة[2] بنتَ دارِم بنِ مالِك بن حنظلة ؛ وخالَتُه الطَّمُوح بنْت دارِم أم[3] جُشَم وعَبْد شَمْس ابنى كعب بن سعد . وهو القائل :

لِكُلِّ همٍّ من الهُموم سَعَه والصبْح والمُسْىُ لا بَقاءَ[4] معه

لا تحقِرَنَّ الفقيرَ علّك أن تركع يوما والدهرُ قد رَفَعه

وصِلْ حبالَ البَعيد إن وَصَلَ الحبْل وأقْصِ القريبَ إنْ قَطعَه

قد يَجْمَعُ المالَ غيرُ آكِلِه ويأكل المالَ غيرُ مَنْ جمَعَه

فاقْبَل مِنَ الدَّهْر ما أتاك به مَنْ قرَّ عيناً بعَيْشِه نفَعَه

---

(١) تفركه حلائله : تبغضه زوجته

(٢) كذا فى ا و ت . وفى غ : عجيبة .

(٣) فى غ : بن .

(٤) فى غ : فلاح .

أَشْجَعُ السُّلَمِي

(هو أشجَعُ بنُ عمرو السُّلَمِي) وكُنْيَتُه أبو الوَلِيد، من ولد الشَّرِيد بن مَطْرود السُّلَمِي، تزوَّج أبوه امرأةً من اليَمَامَة، فشَخَص معها إلى بلدها، فولدت له هناك أشجع، ونشأ باليمامة، ثم مات أبوه، فقدِمت أُمُّه به البصرة تطلب ميراث أبيه؛ وكان له هناك مال فماتت أمّه بها، ورُبِّي[1] أشجع بالبصرة، ونشأ بها وكان من لا يعرفه يدْفَع نَسَبَه، ثم كبر وقال الشِّعر فأَجَادَ وعُدَّ في الفُحُول (وكان الشعر يُوجَد في ربيعة واليمن؛ ولم يكن لقيس شاعر[2] مَعْدُود، فلما نجَم أَشْجَع وقال الشعر افتخَرَت به قيس وأثبتَت نسبه)

وكان له أخوان: أحمد وحريث أبنا عمرو، وكان أحمد شاعرا ولم يكن لحُرَيث شِعْر.

(ثم خرج أَشْجَع إلى الرَّقَّة والرَّشِيد بها، فنزل على بني سُلَيْم[3]، فقبلوه وأكرموه، ومدح البرامكة، وانقطع إليهم وإلى جعفر خاصّة، وأصفاه مدحه، فأوصله إلى الرَّشِيد فمدحه فأُعجِب به، وأَثْرَى وحَسُنَت حاله في أيامه، وتقدَّم عنده)

قال أَشْجَع: خرجتُ من البصرة إلى الرَّقَّة. فوجدتُ الرَّشِيد غازيا [ونالتني خلة][4] فخرجت حتى لَقِيته مُنْصَرِفاً من غزوه، وكنت قد اتَّصلت ببعض أَهْل داره، فصاح صَائِح ببابه: مَن كان ها هنا من الشُّعَرَاء فليحضر يوم الخميس،

---

(١) في ت: وبقى.
(٢) كذا في ا و ت. وفي غ: شعر.
(٣) في ا: سلم.
(٤) الزيادة من ا.

فحضرنا سبعة غيرى[١] ، وأُمِرْنا بالبُكُور يوم الجمعة فبكَّرْنا ، وأُدْخِلْنا وقُدِّم واحد بعد واحد[٢] مِنَّا ينشد على الأَسْنَان ، وكنتُ أَحْدَثَ القوم سِنًّا ، وأَرَقَّهم[٣] حَالًا ، فما بلغ إلَيَّ حتى كادَتِ[٤] الصَّلاةُ تَجِب ، فقُدِّمْتُ والرَّشِيدُ على كُرسيّ ، وأصحابُ الأَعْمِدَة بين يديه سِمَاطَان ، فقيل لى : أَنْشِد ، فخِفْت أن أَبْتَدِئَ من أَوَّل[٥] قصيدتى بالتَّشْبيب فتَجِبُ الصَّلاةُ ويَفُوتُنى ما أردتُ ، فتركْتُ التَّشْبيبَ وأَنْشَدْتُ من موضع المَدِيح فى قصيدتى الَّتى أَوَّلُها :

تذكَّر عهد البِيضِ وهْو لها تِرْبُ … وأَيَّام يُصبِى الغانياتِ ولا يَصْبُو

فابتدأْتُ قَوْلى فى المَدِيح :

إلى مَلك يَسْتَغرِق المالَ جودُه … مَكارِمُه فينا[٦] ومعروفُه سَكْب
ومازَالَ هَارُونُ الرِّضا بنُ مُحمَّد … له من مياه النصر مَشْرَبُها العَذْبُ
متى تَبْلُغ العيس المَرَاسِيلُ بابَه … بنا فهناكَ الرُّحْبُ والمنزلُ الرَّحْبُ
لقد جُمِعَت فِيكَ الظُّنُون ولم يكن … لغيرك[٧] ظَنّ يَسْتَرِيحُ له قَلْبُ[٨]
جمعتَ ذَوِى الأهواء حتى كأنَّهم … على منهجٍ بَعْدَ افْتراقِهم رَكْب
جَهدت فلم أبلغ عُلاكَ بمدْحَةٍ … وليس عَلَى مَنْ كان مُجْتَهِداً عتبُ

فضحك الرشيد، ثم قال : خفتَ أن يَفوتَ وقتُ الصلاةِ ويَنْقَطِعَ المَدِيح عليك،

---

(١) كذا فى ا و ت . وفى غ : وأنا ثامنهم .
(٢) فى ا : وقدم واحد واحد .
(٣) فى غ : وأرثهم .
(٤) فى ت : كانت « تحريف »
(٥) فى ا : أول .
(٦) فى غ : نثر .
(٧) كذا فى ا و ت : وفى غ : بغيرك .
(٨) فى غ : القلب .

فبدأت به ، وتركت التَّشْبيب . وأمرنى أن أُنشده التَّشْبِيب ، فأنشدتُه ، فأمر لكل واحد من الشُّعَرَاء بعَشَرة آلاف دِرْهم ، وأمر لى بِضِعْفِها .

قال أحمدُ بن سَيَّار الُجرْجانِى وكان رَاوِيَة شاعِرا مَدَّاحا ليَزِيدَ بْن مَزْيد : دخلتُ أنَا وأَشْجَعُ السُّلَمى والتَّيْمى وابنُ رَزِين عَلَى الرَّشِيد فى قصر له بالرَّقَّة ، وقد كان ضَرب أعناق(١) أقْوام فى تِلْكَ السَّاعة ، فجعلنا نَتَخَلَّل الدِّماء حتى وصلنا إليه . فأنشده أَبُو مُحَمَّد التيمى قَصيدَةً له يذكر فيها نِقْفُور ووقعته ببلاد الروم ، فنثر عليه مِثْلَ الدُّرّ من جَوْدَة شعره . وأنشده أَشْجَع :

قصر عليه تَحِيَّة وسَلَامُ ألقتْ عليه جمالَها الأَيَّامُ

قصرٌ سُقُوف المُزْن دونَ سُقُوفه فيه لأعلام الهُدَى أعْلَامُ

تُثْنِى على أيَّامِك الأَيَّامُ والشَّاهِدَان الِحلُّ والإحْرامُ

[أَدْنتك من ظِلّ النبى وَصِيَّة وقَرَابَة(٢) وَشَجَتْ(٣) بها الأَرْحَام

بَرَقَت سَماؤُك فى العدو وأمْطَرت هاماً لها ظِلُّ السيُّوف غَمَام

وإذَا سيوفُك صافَحَت هَامَ العِدَى طارَتْ لهن عن الرُّؤُوس الهَام](٤)

فجعلت أتعصَّبُ له بالقيسية وأرفع منه إلى أَن أنتَهَى إلى قوله :

وعلى عَدُوِّك يا ابْن عَمِّ محمد رصدان ضوءُ الصُّبْح والإظلام

فإذا تنبَّه رُعْتَه وإذا غفا سَلَّت عليه سيوفك الأَحْلَامُ

فاستحسن ذلك الرَّشِيدُ ، وأومأت إلى أشجع أن يَقْطع الإنشاد(٥) ، وعَلِمت

---

(١) كذا فى ا و غ . وفى ت ، رقاب .

(٢) فى ت : وقراءة « تحريف » .

(٣) وشجت به قرابته : اشتبكت .

(٤) الأبيات الثلاثة الأخيرة لم ترد فى الأغانى .

(٥) فى غ : الشعر .

أنّه لا يَأْتِي بِمِثْلِهِما ، فلم يفعل ، ولما أنشد مابعدهما فترَ الرَّشيد ، وضرب بمخْصرة كانت بيده في الأرض ، واستنشد منصورا النمري فأنشده :

ماتنقضي حَسْرةٌ مِنى ولا جَزَعُ　　إذا ذَكرتُ شباباليس يُرتَجع

فمرَّ في قَصيدَة ماتقُولُ العربُ مِثْلَها ، وجَعَل الرشيدُ يضرب بِمخْصَرِته الأَرْضَ ويقول : الشعْرُ في ربيعة سَائِر اليوْم ، فلماخرَجْنا قلت لأشجع : غمزْتُك أن تقطع فلم تفعَل ، ولَمْ تَأْتِ بِشَيْء ويلك هلَّا مُتَّ بعد البَيْتَيْن أو خَرِسْتَ فكُنْتَ أشعرَ النَّاسِ .

جلس جَعْفَر بن يحي بالصَّالِحية ، يشرَبُ على مُسْتَشْرَف له ، فجاءَه أَعرَابِي من بَني هِلاَل ، فاشتكى واستماح بلَفظ فَصِيح وكَلاَم يَعْطِف المَسْئُول ، فقال له جعفر بن يحي : أتقولُ الشعرَ ياهِلاَلِي ؟ قال : كنتُ أقوله وأنا حَدَث أتملَّح به ثم ترَكْتُه لما صرت شيخا ، قال : فأَنْشِدْنا يا أعرابي لِشاعِركم حُمَيْدِ بْنِ ثور فأنشده قولُه :

* لمَن الدِّيار بِجانِب الُحمْسِ *

حتى أتى على آخرها. قال : فاندفع أشْجَع فأنشده مَديحاً على وزْنِها وقافيَتِها :

ذهبت مَكَارم جعفر وفِعَالُه　　في الناس مِثْلَ مَذاهِبِ الشَّمْسِ

مَلِك تسوس له المَعَالِيَ نفسُه　　والعقلُ خير سِيَاسَة النَّفْسِ

[وترى المُلُوكَ إذا رَأَيْتَهُم　　كُلٌّ بَعِيدُ الصوْت والجَرْسِ

فإذا بدَا لهم ابنُ يَحْيَي جَعْفَر　　رَجَعُوا الكلامَ بمَنْطِقٍ هَمْسِ][1]

---

(١) كذاورد البيتان في ا و ت . وفي غ جاء مكان البيتين البيت:

فإذا تراءته الملوك تراجعوا　　جهر الكلام بمنطق همس

وجاء البيتان في الأغاني في خبر آخر كما أوردها ابن منظور .

ـــ ساد البرامكَ جَعْفَر ، وَهُم الأُلى بَعْدَ الخلائف سادَةُ الإنْسِ
ماضرَّ مَنْ قَصَد ابنَ يَحْيَى راغبا بالسَّعْدِ حَلَّ به أم النَّحْسِ

فقال له جعفر : صِفْ موضِعَنا هذا ، فقال :

قُصُور الصَّالِحيَّة كالعَذَارَى لَبِسْن ثِيابَهُن ليوم عُرْسِ
مُطِلاَّتٌ على قصر[1] كَسَتْه أَيَادِي المَاءِ وَشْياً نَسْجَ غَرْسِ
إذا ما الطَّلُّ أَثَّر فى ثَرَاه تنفَّس نَوْرُه من غير نَفْسِ
فتَصْبُغُه[2] السماءُ بصِبْغ وَرس وتُصْبِحُه بأ كْؤُس عَيْنِ شَمْس

(فقال جعفر للأَعْرَابى : ياهِلالِىّ كَيْفَ ترى صَاحِبَنا ؟ قال : أرى خَاطِره طوعَ لِسَانِه ، وبيانَ النَّاس دُونَ[3] بيَانِه) وقد جعلتُ له ماتَصِلُنى به ، قال : نبرُّك[4] ياأعرابى ونُرْضِيه ، ثم أمرَ للأعرَابِى بِمائة دِينَار ، ولأَشْجَع بِمائتى دِينار .

وكان أَشجَعُ يُحِبّ الثيابَ ، وكان يَكْترى الخِلْعَةَ فى كلِّ يوم بِدِرْهَمَين فيَلْبَسها أَيَّاماً ، ثم يَكْتَرِى غيرها فيَفْعَلُ بِهَا مِثْلَ ذَلِك .

لمَّا خَرَج جَعْفَر بن يحيى لِيُصلح أمرَ الشَّام ونَزَلَ فى مَضْربه ، أمَرَ بالطَّعام للناس ، فقام أشجع فأَنْشَدَه :

فئتان طَاغِيَةٌ وبَاغِيَة[5] جلَّت أمورُهما عن الخطْبِ
قد جاءكم بالخيل شَازِيَةً يَنْقُلْن نحوكم رَحَى الحَرْب
لم يبق إلاَّ أن تدور بكم قد قام هَادِيها[6] على القُطْبِ

---

(١) فى غ : بطن .
(٢) فى غ : فتغبقه .
(٣) فى غ : تحت .
(٤) فى غ : نقرك .
(٥) فى غ : باغية وطاغية .
(٦) كذا فى غ وت . وفى ا : هاربها .

فأمر له بِصِلَة لَيْسَت بالسَّنِيَّة (١) ، وقال له : دَائِمُ القَلِيل خيرٌ من مُنقطع الكثير ، فقال له : ونَزْرُ الوَزِير أَكْثَرُ من جزيل غَيْره ، فأمر له بِمِثْلِها. وكان يُجْرى عليه فى كل جُمُعة مائَةَ دِينَار مدة مُقَامه ببَابِه .

قال إسحاق الموصلي : دخلتُ عَلَى (٢) الرشيد يوما ، وهو يُخَاطِب جعفر بن يحيى بِشَىءٍ لم أَسْمَع ابتداءه وقد عَلَا صَوْتُه ، فلما رآنى مُقْبِلا قال لجَعْفر : أترضى بإسْحَاق ؟ فقال جعفر : والله مافى حُكْمِه (٣) مَطْعَن إنْ أَنْصَف ، فقال لى : أَىّ شَىْء تَرْوِى للشُّعَرَاء المُحْدَثِين فى الخمر ؟ أنْشِدنى مِنْ أفْضَل ماعِنْدَك وأَشَدّه تَقَدُّما ، فعلمت أنهما كانا يَتمارَيَان فى تَقْدِيم أَبى نُوَاس ، فعَدَلْت عنه إلى غيره لئَلَّا أُخَالِف أَحَدَهما . فقلت : لقد أحسن أشجع فى قوله :

ولقد طعَنْتَ اللَّيْل (٤) فى أَعْجَازه ... بالكَأْسِ بين غَطَارِفٍ كالأَنْجُم
يَتَمَايَلُون من (٥) النعيم كَأَنَّهم ... قُضُبٌ من الهِنْدِىّ لم تَتَثَلَّمِ
وسَعَى بها الظبىُ الغَرِير يَزِيدُها (٦) ... طِيباً ويَغْشِمُها إذا لم تَغْشِم (٧)
والليلُ منتقِب بفَضْل رِدَائِه ... قــد كاد يَحْسَر عن أغرّ أرثَم (٨)
فإذا أَدَارَتْها الأَكُفُّ رأيتها ... تَثْنِى الفَصِيحَ إلى لِسَانِ الأَعْجَم
وعــلى بنَان مُدِيرها عِقْيَانُه ... من سَكْبِها وعلى فُضُول المِعْصَمِ

---

(١) فى ت : سنية .
(٢) فى غ : إلى .
(٣) فى ا و غ : علمه .
(٤) فى ت : الكأس « تحريف » .
(٥) فى غ : على .
(٦) فى ا و ت : يزيده .
(٧) غشم : ظلم .
(٨) رثم : كان فى طرف أنفه بياض فهو أرثم .

تَغْلِى إِذَا ما الشِّعْرَيَان تَلَظَّيَا ... صيفا وتَسْكُن فى طُلُوعِ المِرْزَم[1]
ولقد فَضَضْنَاها بخَاتَم رَبِّهـا ... بِكْرا وليس البكر مثلَ الأَيِّمِ
ولها سكون فى الإناء وخلفها[2] ... شَغَب يُطَوِّح بالكَمِىِّ المُعْلِمِ
تُعْطِى على الظلم الفَتَى بِقِيَادِها ... قَسْرًا وتَظْلِمُه إذا لم يَظْلِم

فقال لى الرشيد : قد علمتُ تَعَصُّبَك على أبى نواس ، فإنَّك عَدَلْت عنه مُتَعَمِّدًا[3] ، ولقد أَحْسَن أَشْجَع ، ولكنه لا يقول أَبداً مِثْلَ قول أَبِى نُوَاس :

ياشَقِيقَ النَّفْس[4] من حَكَم ... نمتَ عن[5] ليلى ولم أَنَم

فقلت : ما علمت ما كنتما[6] فيه يا أَميرَ المؤمنين ، وإنما أنشدتُ ما حَضَرَنِى ، فقال : حَسْبُك قد سَمِعْتُ الجوَابَ .

وكان فى إسحاق تعَصُّب على أبى نواس لشَىْءٍ جرَى بيْنَهُمَا .

دَخَلَ أَشْجَعُ على الرَّشِيد وقدْ مَاتَ له ابْنٌ والناس يُعَزُّونه ، فأنشده :

نَقْصٌ من الدِّين ومن أهـله ... نقصُ المنايا من بنى هاشمِ
قدَّمتَه ـ فاصبِر على فَقْدِه ـ ... إلى أَبيـه وأَبِى القَاسِمِ

فقال الرَّشِيدُ : ما عَزَّانِى اليوم أحدٌ أحسن من تعزية أشجع ، وأَمر له بِصِلَة .

(كتب أَشْجَع السلمى إلى الرَّشيد وقد أَبْطَأَ عنه شىءٌ مِمَّا أَمر لَهُ بِهِ :

أبلغْ أمـيرَ المؤمنين رِسَالَة ... لهـا عَنَقٌ بين الرُّواة فَسِيح

---

(١) الشعريان والمرزم : نجوم .

(٢) فى ا وت : وخلفه .

(٣) كذا فى غ . وفى ا و ت : معتمدا !

(٤) فى ت : الروح .

(٥) فى ا : من .

(٦) فى غ : كنت .

بأنَّ لِسَانَ الشِّعرِ يُنْطقه النَّدَى ويُخْرِسُه الإبْطَاء وهو فَصِيح

فضَحِكَ الرشيد وقال له : لن يخرس لِسَانُ شِعْرِك ، وأمر بتَعْجِيل صِلته .

لما وَلّى الرشيدُ جعفرَ بن يحيى خُرَاسَانَ جلس للناس ، فدخلوا عليه يُهَنِّئُونه ، ثم دَخَل الشُّعَرَاء فأنْشَدُوه ، وقَامَ أَشْجَع آخرَهم ، فاستَأْذَن فى الإنشاد فأُذِن له فأنشده :

أَتَصْبِر للبَيْن أم تَجْزَعُ فإنَّ الدِّيَارَ غَداً بَلْقَعُ
غداً يَتَفَرَّقُ أهلُ الهوَى ويكثر بَاكٍ ومُسْتَرْجِع

حتى انتهى إلى قوله :

ودَوِيَّةٍ (١) بين أقطارها مَقَاطِيع أَرْضِين لا تُقْطع
تجاوزتها فوق عَيْرانَة من الريح فى سيرها أَسْرَعُ
إلى جعفر نزعت رَغْبَةٌ وأَىّ فتى نَحْوَه تَنْزِع (٢)
فما دُونَه لامْرِئٍ مَطْمَع وَلَا لامْرِئٍ غيره مَقْنَع
ولا يَرْفَعُ الناسُ مَن حَطَّه ولا يَضَعُون الّذى يَرْفَع
يُرِيدُ الملوكُ مَدَى جَعْفَر ولا يَصْنَعُون كما يَصْنَعُ
وليس بأَوْسَعِهم فى الغِنَى ولكِنَّ مَعْرُوفَه أَوْسَع
تلوذ الملوكُ بآرَائِه (٣) إذا نَالَهَا (٤) الحَدَثُ الأَفْظَع
بَدِيهَتُه مثلُ تَدْبِيرِه إذا رُمْتَه (٥) فهو مُسْتَجْمِعُ

(١) فى ت : ودونه « تحريف »
(٢) فى ا : ينزع .
(٣) فى غ : بأبوابه
(٤) فى ا : نابها .
(٥) فى غ : متى .

ـــ وكم قائلٍ إذ رأى ثروتى ... ومافى فضول الغِنَى أصْنَعُ
ـــ غدا فى ظلال ندى جعفر ... يَجُرُّ ثياب الغِنى أشْجَعُ
فقل لخراسان تَحْيَا فقد ... أتاها ابنُ يَحْيي الفَتى الأرْوَعُ

فأقبل عليه جعفر ضاحكا ، واستَحْسَنَ شِعْرَه ، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ ، ثم أَمرَ له بألف دِينَار .

ثم بَدَا للرَّشيد[1] فى ذلك التدبير ، فعزَل جَعْفراً عن خراسان بعد أَنْ أعطاهُ العَهْدَ والكُتُبَ وَعقد العَقْدَ وأمر وَنَهَى ، فوجم لذلك جعفر ، فدخل عليه أشْجَع فأنْشَدَه :

أمست خراسان تُعزَّى بما ... أخطأها من جعفرِ المُرْتَجَى
كان الرشيدُ المعتلى أمرُه ... ولَّى عَلَيْها المُشرِقَ[2] الأَبْلَجا
ثُمَّ أراه رأيُه أنَّه ... أمسَى إليه منهم أحوَجا
فكم فكَّ بهِ الرحمن[3] من كُرْبَةٍ ... فى مُدَّة تقصُر قد فرَّجا

فضحك جَعْفر ، وقال : لقد هوَّنْتَ علىَّ العَزْلَ ، وقمت لأميرِ المؤمنين بالعُذْر ، فسَلْنى ماشئْت ، فقال : كَفَانِى جودُك ذُلَّ السُّؤَال ، فأمرَ له بألف دِينَار .

قال أشْجَع : دخلتُ على مُحَمَّد الأمين حين أُجْلِس مَجْلِس الأَدَب للتعليم ، وهو ابنُ أرْبَع سِنِين ، وكان يجلس فيه ساعة ويقُوم ، فقلت :

ملك أَبُوه وأُمُّه من نَبْعَةٍ ... مِنْها سِرَاجُ الأُمَّةِ الوَهَّاجُ
شَرِبَت بمَكَّةَ فى رُبَا بَطْحَائِها ... ماءَ النُّبُوَّة ليْسَ فِيهِ مِزاجُ

---

(١) فى ا : الرشيد .
(٢) فى ا و ت : على مشرقها .
(٣) كذا فى ت . وفى ا و غ : فكم به الرحمن من كربة .

فأمرت له زُبَيْدةُ بِمائة أَلْف دِرْهم. قال: ولم يملك الخلافة أحد، أبُوه وأمُّه من هَاشِم إلّا أميرُ المؤمنين علىٌّ بنُ أبى طَالِب والحسَنُ بن على رضى الله عنهما ومُحَمَّد بن زُبَيْدَةَ.

انقطع أَشْجَعُ إلى العبَّاس بن مُحَمّد بن علىٍّ بن عَبْدِ الله بن العبَّاس، فقال الرَّشِيد للعبَّاس يوْماً: ياعمّ، إن الشعراء قد أكْثروا فى مُحَمّد المَدَائِح بِسَبَبِى وبسببَ أمِّ جَعْفَر، ولم يقل أحدٌ منهم فى المَأْمُون شَيْئاً، وأنا أحب أن أقع على شاعر فَطِن ذَكِى يقُولُ فيه. فقال العباس ذلك لأشْجَع، وأمره أن يَقُولَ فيه، فقال:

بيعة المأمون آخِذَة ... بِعِنَان الحقِّ فى أُفُقِه
لن يَفُكَّ المرء رِبْقَتَها ... أو يفُكَّ الدّينَ من عُنُقِه
وله من وَجْهِ وَالِده ... صُورَةٌ تمَّتْ ومن خُلُقه

فأتى بها العباس الرشيد، وأنْشَدَهُ إيَّاهَا، فاستَحْسَنها وسأله: لِمَنْ هِيَ؟ فقال: هى لى. فقال: سررتنى مرَّتَيْن: بإصابتك مَا فِى نفْسى، وبأنَّها لكَ؛ وما يكون لك فهو لى، وأمَرَ له بِثلاثين ألف دِرْهم، فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف دِرْهم؛ وأخذ باقيها لنفْسِه.

وَعد يَحْيَى بنُ خالد أَشْجَع السُّلَمى وعدا فأخَّره عنه، فقال له:

رأيتُك لا تَسْتَلِذُّ المِطال ... وتُوفِى إذا غَدَر الخائِنُ
فماذا تُؤخِّر من حَاجَتِى ... وأنت لتَعْجِيلها ضَامِنُ
ألَمْ تَرَ أَنَّ احتباسَ النَّوَالِ ... لمعروف صاحبه شَائِنُ

فلم يَتَعجَّل له ما أراد فكَتَب إليه:

رُوَيْدَكَ إنّ عِزَّ الفقرِ أَدْنَى ... إلىَّ من الثراء مع الهَوَانِ
ومَاذَا يَبْلُغ الأعداء مِنِّى ... بِرَيْب صُرُوفِها ومَعِى لِسَانِى

فبلغ قولُه جعفر، فقال: ويلك يا أَشْجَع هَذَا تهدُّدٌ، فلا تَعُد إلَى مِثْله، وكلم أباه فقضى حاجَتَه، فقال:

كَفَانِي صروفَ الدَّهرِ يَحْيَى بن خالد … فأصبحتُ لا أرتَاعُ للحدَثَانِ

كَفَانِي كفاهُ اللهُ كلَّ مُلِمَّة … طِلَابَ فُلَان مرَّةً وفُلَانِ

فأصبحت فى رَغَد من العيش وَاسِع … أقلب فيه نَاظِرى ولِسَانِي

كان أوّلَ ما نَجَم به أشجع أَنَّه اتَّصلَ بجعفر بْنِ المَنْصور وهو حَدَث. وَصَلَه به أحمدُ بنُ يَزيد السلمى وابنه عوف فقال أَشْجَع فى جَعْفَر بن المنصور مِنْ قَصِيد:

أُذْكروا حُرْمَةَ العوَاتك فينا[1] … يا بنى هَاشِم بْنِ عَبْدِ مَنَافِ

قد وَلَدْنَا كم ثَلاثَ... وِلَادَا … تٍ خَلَطْنَ الأشرَافَ بالأَشْرَافِ

مهَّدتْ هاشماً[2] نجومُ قُصَيِّ … وبَنُو فَالِحٍ[3] حجورُ عفافِ

إنَّ أَرماحَ[4] بُهْثة بن سُلَيْمٍ … لعِجَافُ الأَطْرَافِ غيرُ عِجَافِ

ولأَسْيَافِهم فِرَى من نَجِيعٍ[5] … رَاجعٌ من مَرَاجع[6] الأَكْتَافِ

مَعْشَرٌ يُطْعِمُون من ذِرْوَة الشَّوْ … ل ويسقون خَمْرَةَ الأَقْحَافِ[7]

يَضرِبُونَ الجبَّارَ فى أَخْدَعَيْه … ثُمَّ يُسْقُونَه[8] نَقِيعَ الذُّعَافِ

---

(١) كذا فى ا وت. وفى غ: منا.

(٢) فى ا و ت: نجوم.

(٣) فى ا وت: من بنى فالج.

(٤) فى ا وت: إن أرواح «تحريف».

(٥) كذا فى ا وت. وفى غ: فرى، غير لذ.

(٦) فى ت: تراجع.

(٧) فى ت: الأحقاف «تحريف».

(٨) كذا فى ا و ت. وفى غ: ويسقونه.

فشاع شعره وبلغ البَصْرَة[١] . ولم يزل يترقّى إلى أن وَصَلَته زُبَيْدَةُ بعد موت أبيها بزوجها[٢] الرَّشيد ، فأسنى جوائزه وألْحقه بالطبقة العُليا من الشُّعراء .

وكان أوّل مَنْ أدخل أشْجَع إلى الرَّشيد الفضلُ بْنُ الرَّبيع ، فإنَّه وصفه له وقال : هو أشْعَر شُعَرَاء هذا الزّمان ، وقد اقتطَعَه[٣] عنك البرامكة ، فأمر بإحضاره وإيصاله مع الشعراء . فلما وَصَل إليه أنْشَدَه قوْلَه :

* قصر عليه تحيَّة وسَلامُ *

فاستحْسَنها وَوَصَلَه بعشرين ألف درهم ، فمدَح الفضلَ بْنَ الرَّبيع ، وشكر له إيصاله إلى الخليفة فقال فيه :

غلَب الرُّقادُ على جُفون المُسْهَدِ ... وغَرِقْت فى سهر وليل سَرْمَدِ
قد جدّ بى سَهر فلم أرقُد له ... والنومُ يلْعَب فى جُفُون الرُّقَّدِ
أأُقيم مُحْتَمِلاً لضَيْم حَوادث ... مع هِمَّةٍ مَوْصُولة بالفَرْقَدِ
وأرَى مَخَايلَ لَيْسَ يُخْلِف نَوْؤُها ... للفضل إن رعَدَت وإن لم ترْعَدِ
للفَضْلِ أموالٌ أطاف بها النَّدَى ... حتى جُهِدن وجُودُه لم يَجْهَدِ
يا ابْنَ الربيع حَسَرْت شُكْرِى بالذى[٤]
أوْليْتَنِى فى عَوْدِ أمْرِى[٥] والبَدِى
أوْصَلْتَنِى ورَفَدْتَنِى وكِلاهُمَا ... شرف فَقَأْت به عُيُونَ الحُسَّدِ
وكفَيْتَنى مِنَ الرِّجَالِ[٦] بنَائل ... أغْنَى يَدِى عَنْ[٧] أن تُمَدَّ إلَى يَدِ

(١) فى ا و ت : المنصور .
(٢) فى ا و ت : وتزوجها .
(٣) فى غ : اقتطعته .
(٤) فى غ : بالتى .
(٥) فى غ : أمرك .
(٦) فى ت : الرجاء « تحريف » .
(٧) فى ت : من .

وكان أَحْمد أَخُو أَشْجَع قد مَدَح مُحَمَّد بْنَ جَميل بشِعْرٍ ، وسأَلَ أخاه أَشْجَع إيصاله ، ودفع القَصِيدَة إلَيْه ، فتوانَى عن ذَلِك ، فقال أحمدُ يَهْجُوه :

وسائلةٍ لى ما أشجَعُ ... فقلت يضرُّ ولا ينفعُ
قريب من الشَّرِّ واعٍ(١) له ... أَصَمُّ عن الخيرِ لا يَسْمَعُ
بَطِىءٌ عن الأمر أحْظَى بِهِ ... إلى كُلِّ ماسَاءَنِى مُسْرِعُ
شَرُود الوِدادِ على قُرْبِهِ ... يُفرِّق منه الَّذِى أَجْمع
أُسَبُّ بأنِّى شَقِيقٌ لـه ... فأَنْفِى بـه أَبداً يُجْدَع(٢)

قال إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلِى : دخلتُ إلَى الفَضْل بْنِ الرَّبيع وقد بَلَغ الرشيدَ إطلاقُه يَحْيَى بْن عَبْد الله بن حَسَن ، وقد كان أمر بقتله . فلم يُظْهِر له أنَّه بلغه [إطلاقه] وسأله عن خَبَره : هل قتله ؟ فقال: لا. قال : فأين هو ؟ قال : أطلقتُه ، قال : ولم؟ قال : لأنّه سألَنى بحَقِّ الله ورسوله وقَرابته مِنْه ومِنْك، وحلف لى أَنَّه لا يُحدث حَدَثاً ، وأَنّه يَجيئنى متى طَلَبتُه . فأطرق ساعة ، ثم قال له : امض بنفسك فى طلبه حتى تجيئنى به ، واخرُج السَّاعة . فخرج . قال : فدخلتُ عليه مُهَنِّئاً بالسَّلامَة ، فقلت له : مارأيت أثبتَ من جأشِكَ(٣) . ولا أَصَحَّ من رَأْيك وأَنْت والله كما قال أَشْجَع :

بَدِيهتُه وفِكرَتُه سَواءٌ ... إذا مانَابَه الخطْبُ الكَبِيرُ
وأَحْزَمُ مايكُونُ الدهرَ رأياً ... إذا عَيَّ المُشَاوِرُ والمُشِيرُ
وصَدْرٌ فيه للهَمِّ اتِّسَاعٌ ... إذا ضاقَت بما تَحْوِى الصُّدُورُ

فقال الفَضْلُ : أنظروا كم أَخَذَ أشجعُ على هذه القَصِيدة ، فاحْمِلُوا إلى أبى مُحَمَّد(٤) مِثْلَه ، فوجده قد أخذ ثلاثين أَلْفَ دِرْهم ، فحُمِلَت إلىَّ .

(١) فى ت : داع .
(٢) فى غ : أجدع .
(٣) فى غ : جنانك .
(٤) فى ا و ت : أبى أحمد « تحريف .

كان أَشْجَعُ إذا قَدِمَ (١) بَغْدَاد ينزل على صديق له من أَهْلِها ، فقدمها مَرَّةً فوجده قد مَاتَ ، والنَّوْحُ والبُكَاء فى دَارِه ، فجَزِع لذلك وبكى وأَنْشأَ يَقُول :

وَيْحَها هل دَرَتْ على مَنْ تَنُوحُ أَسَقِيمٌ فؤادها أم صَحِيحُ
قمر أطبقُوا عَلَيْه ببَغْدَا دضَرِيحاً مَاذَا أجَنَّ الضَّرِيحُ
رَحِمَ اللهُ صَاحِبِي وصَدِيقى (٢) رَحْمَةً تَغْتَدِى وأُخْرَى تَرُوحُ

مَرَّ أَشْجَعُ وأَخَوَاه أحْمَد ويزِيد على قَبْر الوَلِيد بن عقبة وقبر أبى زَبيدٍ الطَّائى النَّصْرَانى ، وكَانُوا قد شَرِبوا وانْتَشوا ، وكان أبُو زَبيد قد أوْصى لَمَّا احتُضِر أن يُدْفَن إلى جَنْب الوَلِيد بالبَليخ، والقَبْرَان مُخْتَلِفان ، كُلٌّ وَاحد منهما مُتَوجِّه إلى قِبْلَة أهْل مِلَّته . قال : فوَقَفُوا على القَبْرَين ، وجعلوا يَتَحَدَّثُون بأَحَادِيثهما وَيتَذَاكرون أخْبارَهما ، فأنْشأ أشْجَع يَقُول :

مررتُ على عِظَام أَبِى زَبيدٍ وقد لَاحَتْ بِبَلْقَعَة صَلُودِ
وكان له الوليدُ نَدِيمَ صِدْق فنادم قبرُه قبرَ الوَلِيد
أَنِيساَ أُلفةٍ ذهبا فأَمْسَت عِظامهما تآنس بالصَّعيد (٣)
وما أَدْرِى بمن تبدَا المَنَايا بأَحْمَدَ أم بِأَشْجَع أم يزِيدِ

قال : فمَاتُوا كَمَا رَتَّبهم فى شعره ، وكان أولهم أَحْمد ، ثم أَشْجَع ، ثم يزِيد .

---

(١) فى ت : دخل .
(٢) فى غ : نديمى .
(٣) فى ا : فى الصعيد .

إبراهيم بن عَبْدِ الله بن الحسنِ بن الحسنِ بنِ علىّ رضى الله عنهم

قال المُفَضَّل الضَّبى : خرجتُ مع إبراهيم فلما صَارَ بالمِرْبَد وقف على باب[1] سُلَيْمان بن عَلِى فأخرج إليه صبيان من ولده فضمَّهُما إليه وقال : هؤُلاء واللهِ مِنَّا ونَحْنُ منهم إلَّا أنّ آباءهم فعَلُوا وصَنعُوا ، وذكر كَلَاما يَعْتَدُّ عليهم فِيهِ بعضَ الإسَاءَة ، ثم توَجَّه لوِجْهَتِه ، وتمثل :

مهلا بنى عمنا ظلامتنـــا   إنَّ بِنَا سَورَةً من القَلَق
لمثلكم تُحْمَل السُّيُوف ولا   تُغْمَزُ أحسابنا من الرَّقَق[2]
إنى لأُنْمَى إذا أُنْتَمِيتُ إلى   عِزّ عَزِيز ومَعْشَر صُـــدُق
بِيضٌ سِبَاطُ الأَكُفِّ أَعينُهُم[3]   تُكحَلُ يوم الهِيَاج بالعَلَق[4]

فقلت : ما أَفْحَلَ هَـــذِه الأبيات ! فلمَنْ هىَ ؟ قال : لِضِرارِ بن الخطَّابِ الفِهْرِى ، قالها يوم حفر الخنْدَق فى اُجْتِمَاع المُشْرِكِين عَلَى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّم .

وتَمَثَّلَ بها عَلِىُّ بنُ أبى طالب رَضِى الله عنه يوم صِفِّين ، وتمثل بها الحُسَيْن ابنُ عَلِىٍّ رضى الله عنهما يوم قُتِل ، وتَمَثَّل بها زَيْدُ بنُ عَلِى ، وها نحن تَمَثَّلْنا بِهَا اليوم ، ثم مضى إلى بَاخَمْرَى[5] فلما قَرُب منها أتاه نَعْىُ أَخِيه مُحَمَّد فتمثَّل :

---

(١) فى غ : رأس .

(٢) الرقق : الضعف .

(٣) فى غ : كأن أعينهم .

(٤) كذا فى غ : والعلق : الدم : وفى ا وت : بالزرق .

(٥) باخمرى : بلدة قرب الكوفة بها قبر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على (القاموس) .

نُبِّئْتُ أَنَّ بنى ربيعة[1] أجْمَعُوا ... أَمْراً خـــلا لهم لتَقْتُلَ خَالِدا
إن يَقتُلُونِى لا تصب أرماحهم ... نَارِى ويَسْعَى القومُ سَعْياً جاهِدا
أَرْمى الطَّرِيقَ وإن صددت[2] بضِيقة ... وأُنَازِلُ البَطَلَ الـكَمِىَّ الحَـارِدَا[3]

فقلت : لِمَنْ هَذِهِ الأَبيَات ؟ فقال : للأَحْوَص[4] بن جَعْفَر بن كِلاب تمثل بها يوم شعب جبلة وهو اليوم الذى لقيت فيه قَيْسٌ تَمِيماً .

قال: وأقبلت عسَاكِر أَبِى جَعْفر فقُتِل من أصحَابه وقَتَلَ من القَوْمِ وكَادَ يَكُونُ الظَّفَر له .

قال المُفَضَّل : فقال لى : حَرِّكْنى بشَىْء . فأنشدته هذه الأَبْيَاتَ :

ألا أَيُّهـا النَّاهِى فَزَارة بَعْدَ ما ... أَجدَّت[5] بِسَيْر إنما أَنْتَ حَالِم
أبَى كُلُّ حُرٍّ أنْ يَبِيتَ بوَتْرة ... ويُمْنَـعَ منه النَّوْمُ إذْ أنْتَ نَائِم
أقُولُ لفِتْيان العَشِى[6] تَرَوَّحُـوا ... على الجُرْد فى أفواهِهِن الشَّكَائِم
قِفُوا وقفةً مَنْ يَحْيِ لَا يَخْزِ بَعدَها ... ومن يُخْـتَرم لا تَتَّبِعْه اللَّوائِم
وهل أنْتَ إنْ بَاعَدْتَ نَفْسَك منْهم ... لتَسْلَمَ فِيماَ بَعْدَ ذَلِك سَالِم

فقال لى أعد فتنبهت ونَدِمت وقُلْتُ : أوَ غيْرَ ذلك ؟ فقال : أَعِدْها فأَعَدْتُها ، فتمطَّى فى رِكَابَه حتى خِلْتُه قد قطَعَهُما ، ثم حَمَل فـكَانَ آخِرَ العَهْد به وقيل : إنه طَعَن وَطَعَن مَرَّة أُخْرَى . فقال له المُفَضَّل : أتُبَاشِر الحَرْبَ بنَفْسِك والعَسْكَر

---

(١) فى مقاتل الطالبيين / ٣٧٥ : بنى خزيمة .
(٢) فى مقاتل الطالبيين : رصدت .
(٣) كذا فى ا وت : ومقاتل الطالبيين وفى غ: الجاحدا .
(٤) فى مقاتل الطالبيين : خالد بن جعفر بن كلاب .
(٥) فى ا : أخذت .
(٦) فى مقاتل الطالبيين : كرام .

مَنُوط بك ! فقال : إليكَ يا أخَا بَنِى ضَبَّة كأَنَّ عُوَيفاً أخَا بَنِى فَزَارَة كان يَنْظُرُ إلَيْنَا فى يَوْمِنَا هَذَا إذْ يَقُول :

أَلمَّت خُنَاسُ[1] وإلْمَامُهَا ... أحادِيثُ نَفْس وأسقامُهَا[2]

يَمَانِيَّةٌ من بَنِى مَالِك ... تَطَاوَل فى المَجْدِ أعْمَامُهَا

وإنَّ لَنَا أصلَ جُرْثُومَة ... تَرُدُّ الحوَادثَ أيامُهَا

تَرُدُّ الكَتِيبة مَغْلُولَةً ... بها أفْنُهَا وبِهَا ذَامُهَا

(١) كذا فى ا و ت و غ وفى ابن أبى الحديد : سعاد.

(٢) فى مقاتل الطالبين : أحلامها.

أبو عُيَيْنَة

هذا اسمه ، وكُنْيَتُه أبو المِنْهَال ،(وهو أبو عُيَيْنَة بن مُحَمَّد بن أَبى عُيَيْنَة بن المُهلّب بن أَبى صُفْرة) واسم أَبى صُفْرَة : ظالم بن سُرَاق وقيل: غَالِب بن سُراق بن صُبْح بن كِندى بن عَمْرُو بن عَدِى بن وائل بن الحارث بن العَتيك[1] بن الأَسَد ابن عِمْران بن الوَضَّاح بن عَمْرو بن مُزَيْقِيَا[2] بن حَارِثة بن الغِطْرِيف بن امرىء القيس [البطريق][3] ثعلبة البَهْلُول بن مَازِن زَاد الرَّكب بن الأَزْد .

(شَاعِر مَطْبوع ظَرِيف غَزِل هَجَّاء أَكثَر هِجائه فى ابن عمه خَالِد ، وهو من سَاكِنى البَصْرة من شُعَرَاء الدَّولَة العَبَّاسية ، من أَطْبَع النَّاسِ وأَقْرَبهم مَأْخَذا من غير أَدَب مَوصُوف ولا رِوَاية كَثِيرة . كان يُقرِّب البَعيد ويحذِف الفُضُول ويُقِلّ التَّكلُّف[4] ، وكان أصغرَ من أخيه عبد الله ومات قبله)

وقيل لعبد الله : أَيُّما أَشعَرُ أنتَ أم[5] أَخُوكَ ؟ فقال : لو كان له عِلْمى لكان أَشْعَرَ منى .

تولى الرَّىّ لأَبى جَعْفر المَنْصور ، ثم قبَضَ عليه وحَبَسَه وأَخَذَ مِنه مَالًا .

وكان أبو عُيَيْنَةَ يَهْوَى فاطمة بنت عمرو[6] بن حفص الملقب هَزَار مَرْد ، وكانت امرأةً جَمِيلة نبيلة شريفة ، وكان يخاف أهلها أن يَذْكُرَها تَصْرِيحا ،

---

(١) فى ت : عتيك .

(٢) فى ت : ساف . وفى غ : مزيقا . وما أثبتناه فى ا .

(٣) ساقطة من ت .

(٤) فى ا وت : التكليف

(٥) فى ا : أو .

(٦) كذا فى ا وت . وفى غ : عمر .

ويرهب زوجَها عِيسىَ بنَ سليمَان . وكان يقول الشِّعرَ فى جارية لها يقال لها : دُنيا ، وكانت قيِّمة دارِها وواليةَ أُمُورِها كلها ، فمما قَالَ فيها وكَنى عنها بدُنْيا هذه الجارِية :

ما لقلبي أرقّ من كل قَلْب ... ولُحبِّى أَشَدّ من كُلِّ حُب
ولدُنْيا على جنونى بِدُنْيَا ... أَشْتَهِى قُربَها وتكره قُربِى
نزلت بى بَلِيَّة من هوَاها ... والبَلايا تَكُونُ مِن كُلِّ ضَرْبِ(١)
قل لدُنْيا ألم تَجِئْكِ لما بى ... رَطبةٌ من دموع عينىّ كتبى
فعلَام انتهرتِ بالله رُسْلِى ... وتهدَّدْتِهم بحَبْسٍ وضَرْب
أَىّ ذنبٍ أذنبتُه ليت شعرى ... كان هذا جزَاءه أَىَّ ذَنْب

وقيل : إن أبَا عُيينة كنى عنها بهذا الاسم ، ولَيْسَت لها جارِية تُسمَّى دُنْيَا ، وكانت هذه فاطمة سَرِيَّة من النساء ، وكان أَبُوها من أَشَدِّ الفرسان وشجعانهم .

قال عِيسَى بْن مُوسَى للمهلب بن المُغيرة بن المهلب : أَكَانَ يَزِيد بن خالد أَشْجَعَ أم عمرو بن حَفْص ؟ يعنى أبا فَاطِمة هَذِه . فقال المُهَلَّب : لم أشهد من يَزِيد ما شاهدته من عمرو بن حَفْص ، وذلك أنِّى رأيته يركض فى طلب صَيْدِ حِمَار وَحْش ، حَتَّى إذَا حاذَاه جمع جَرَامِيزَه(٢) وقفَزَ فصَارَ على ظَهْرِه ، فقمص الحمَار ، وجعل عمرو يحز ناصيته إمَّا بسَيْفه أو بِسكِّين معه حتى قَتَلَه .

ومما قاله أبو عيينة فى فاطمة :

ضَيَّعْتِ عهدَ فَتى لعهدك حافظٌ ... فى حفظِه عَجَبٌ وفى تضييعكِ
ونأيتِ عنه فما له من حِيلَةٍ ... إلَّا الوقوف إلى أَوانِ رُجُوعكِ

---

(١) فى ت : ثلاثة بدل بلية والثلاثاء بدل البلايا « تحريف » .
(٢) الجراميز : القوائم .

متخَشِّعاً يُذرِى عليك دُمُوعَه ... أسفا ويَعْجَبُ من جُمُودِ دُمُوعك
إن تَقْتُليه وتَذْهَبِي بفؤادِه ... فبحُسنِ وَجْهِك لا بحُسْنِ صَنِيعك

قال الفضلُ بن الرَّبيع لجلسائه : من أشعرُ أهل عصرِنا ؟ فأكثرُوا . فقال الفضل : الَّذِي يقولُ فى قصر عيسى بن جعفر بالخُرَيْبَة يعنى ابن أبى عُيَيْنَة :

زُرْ وادِيَ القَصْرِ نِعْمَ القصرُ والوَادِى
وحبذا أهـــلُه من حاضِرٍ بادِى
تُرَى قَرَاقِيرُه[1] والعِيسُ وَاقِفَةً ... والضَّبُّ والنُّونُ والمَلَّاحُ والحادِى

تزوج سَعِيدُ بنُ عبَّاد بن حَبِيب بن المهلب بنتَ سُفْيَان بن معاوية بن يَزِيد ابن المهلب ، وقد كان تزوجها قبله رجُلَان فدفنتهما . فكتب أبو عُيَيْنَة إلى سَعِيد :

رأيتَ أثاثَها فرَغِبْتَ فِيــه ... فكم نَصَبت لِغَيْرِك بالأَثاثِ
إلى دَارِ المَنُون تُجهِّزتَهُم ... تحثُّهم بأَرْبَعَـــة حِثاثِ
فَصَيِّرْ أمرَها بِيدَىْ أَبِيهَا ... وعَيشك من حياتك[2] بالثَّلاثِ
وإلَّا فالسَّـــلام عليك مِنِّى ... سأَبْدأُ مِنْ غدٍ لَكَ بالمَرَاثِى

ومن شعر أبى عُيَيْنَةَ :

ما لا يَكُون فَلَا يكون بحِيلةٍ ... أبدا وما هو كائنٌ سَيَكُونُ[3]
سيكون ما هو كائنٌ فى وَقتِه ... وأخو الجهالة مُتْعَب مَحْزُونُ
يسعى القوىُّ فلا ينال بِسَعْيِه ... حظا ويسعد[4] عاجزٌ ومَهِين

(١) كذا فى معجم البلدان . وفى غ : ترفى قراقيره . وفى ت : ترفى قراقره . وفى ا : تروا قراقره.
(٢) فى غ : حبالك.
(٣) فى غ : فيكون .
(٤) فى غ : ويحظى .

وقد قيل : إن هذه الأَبْيَات وُجِدَت مكتوبة على حَجَر وُجِد فى بعض أَفْنِيَة مَكَّة ، حرسها الله تعالى .

وَفَد ابن أبى عُيَيْنَة إلى طَاهِر بن الْحسَيْن يَسْأَله أن يعزل أميرَ البَصْرة ، وكان من قِبَله ، فدافعه عنه وعَرَض عليه عِوَضاً خَطِيراً من حاجته ، ووعده أَنْ يَسْتَصْلِح له ذلك الأَمِير ويزيل عنه ما يكرهه ، فأبى ، فعزله وأجْزَل صِلَته ، فقال :

يَا ذَا اليَمِينَيْن قد أَوْقَرْتَنِى مِنَنَا ... تَتْرى هى الغاية القُصْوَى مِنَ الْمِنَن
ولست أَسْطِيع من شُكْرٍ أَجِىءُ به ... إلا استطاعة ذِى رُوح وذِى بَدَنِ
لو كنتُ أعرِف فوقَ الشُّكْر مَنْزِلَةً ... أَوْفَى من الشُّكر عندَ اللهِ فى الثَّمَنِ
أخلَصْتُها لكَ من قَلْبى مهذَّبَةً ... حَذْوًا على مثل ما أوليت من حَسَنِ

وكان ابنُ أبى عُيَيْنَة هَجَا نِزَارا ، فلما بَلَغ المأمونَ شعرُه فيهم هَدَر دَمه[1] ، فهرب من البصرة ، وركب البحر إلى عُمان ، فلم يزل بها متواريا فى نواحى الأزْد حتى مات المأمون ، ومن شعره :

يا حُسْنَها يوم قالَتْ لى مُوَدِّعة ... لا تنس ما قلت مِن فِيهَا إلى أُذُنِى
كأننى لم أَصِلْ دُنْيا عَلَانِيَـــة ... ولم أَزُرْ أهلَ دُنيا زَوْرَة الخَتَن
جِسْمِى معى غيرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُم ... فالجِسْم فى غُرْبَةٍ والرُّوحُ فى وَطَن[2]
فليَعْجَبِ النَّاسُ مِنِّى إنَّ لى جَسَدًا ... لا روح فيـــه ولى رُوحٌ بِلَا بَدَنِ

وكان عبدُ الله بن محمد بن عُيَيْنَة أخو أبى عُيَيْنَة شَاعِرا . وهو القَائِل يُعَاتِب مُحَمَّد بن يحيى البرمكى :

عليك منى السلام هـــذا ... أَوَانُ ينأى بِىَ المَزَارُ

---

(١) هدر دمه : أبطله .

(٢) كذا فى ا و ت . وفى غ : فالروح فى وطن والجسم فى وطن .

ما كنتَ إلا كلحمِ ميْتٍ دعا إلى أَكْله اضطرَار
أسلَم وإن كان فِيكَ عَنِّي قَبْضٌ لكَفَّيْك وازْوِرَار
تَلْحَظُنى عابسا قطوباً كأنما بى إليك[1] ثار
قد أصبحَ الناسُ فى زَمَان أعلامُه السِّفْلَة الشِّرَارُ
يستأخِرُ السَّابِقُ الذكِّى فيه ويَسْتَقْدِمُ الحمَارُ
وليس للمَرْء ما تَمَنَّى يوما وما إن له اخْتِيَار
ما قدَّرَ اللهُ فهْوَ آتٍ وفى مَقَادِيرِه الخِيَارُ

ولابن أبى عُيَيْنة مع ابن عَمِّه خالد بن يَزِيد بن حاتم بن قَبيصَة أَخْبَار ، وزبدتها[2] أنّ خَالِداً لما توَلَّى جُرْجَان[3] سأل يزيد بن حاتم أبا عيينة أن يصحبه ، ووعده الإحسانَ والوِلَاية ، وأوسَع له المَوَاعِيدَ ، وكان أبو عُيَيْنَة جُندِيًّا ، فجرّد معه ، وأَخْرَج رزقَه معه ، فلما حصل بجُرْجَان أعطاه رِزْقه لشَهْر واحد واقْتَصَر به على ذَلِك ، وتشاغل عنه وجفاه ، فبلغه أنه هجاه ، وبسط فيه لسانه ، وذكره بكل قبيح عند وجوه[4] أَهْلِ عَمله . فلم يقدر على مُعَاقَبَته لموضع أبيه وسِنِّه ومَحَلِّه ، فدعا به ، وقال له : بلغَنى أَنَّك تُرِيد أن تهرب ، فإمَّا أن تقيم لى كَفِيلًا بِرِزْقك أو تَرُدَّه ، فأتاه بكفيل ، فأعْنَتَه ولم يقبله ورده حتى ضجر ، وجاءه بما قبَض من الرزق فأخذه ولَجَّ أبو عُيَيْنة فى هجائه حتى فَضَحَه . فمن ذلك هذه القصيدة وأنشدها دِعْبِلًا :

يا حفصُ عَاطِ أخاكَ عاَطِه كاسا تُهيِّج من نَشَاطِهْ
صِرْفاً يعُود لوَقْعِهَا كالظبى أُطلِق من رباطِهْ

---

(١) فى غ . لديك .
(٢) فى ت : وبدؤها .
(٣) فى ت : خراسان .
(٤) فى ت : وجود « تحريف » .

صَبًّا طــوت عنه الهُمُو　　م نعيمَه بعــد انبسَاطِه
فبــكى وحَقَّ له البُــكا　　لشقائه بعــد اغْتِبَاطِه
جَزِعَ المُخَنَّث خالِــدٌ　　لمــا وقَعْتَ على قِمَاطِه
فانظر إلى نَزَوَاتِـــه　　من مَنْطِق وإلى اخْتِلَاطِه
دَعْنِى وإيَّا خالِـــدٍ　　فلأَقْطَعَنَّ عُرَى نياطِــه
إنِّى وجــدتُ كلامَه　　فيه مَشَابِهَ[(١)] من ضُرَاطِه
رجل يُعِدّ لكَ الوعيــ　　ـد إذا وطئت على بِسَاطِه
وإذا انتظرتَ غــداءه　　نَخفِ البوادرَ من سياطِه
يا خالُ صَدَّ المَجْدُ عَنْـ　　ـكَ فلن تجوز على صِرَاطِه
وعَرِيتَ مِنْ حُلَل الندى　　عُرْىَ اليتيم ومن رِيَاطِه[(٢)]
فإذا تطَاوَلَت الرُّءو　　سُ فغَطِّ رأْسَك أو فطَاطِه[(٣)]

فقال له دعبل : أغرقتَ والله وأَسْرَفْتَ فى التَّسرّع ، وهتكتَ ابن عمك ، وغضَضْتَ منه . ولو علمتُ أنك تبلغ به هكذا لَمَا سَمِعْتُ إنشادَك .

قال الرشيد للفضل بن الربيع : مَنْ أَهْجَى المحدَّثين عندَك فى عصرنا هــذا ؟ فقال : الذى يقول فى ابن عمه :

لو كما ينقص يزداد إذا　　نَالَ السَّمَـــاء
خالد لولا أبوه　　كان والكلبُ سَوَاء
أَنَا ما عِشْتُ عليه　　أسوأُ النَّاسِ ثَنَــاء

---

(١) فى ت : تشابه « تحريف » .
(٢) الرياط جمع ريطة ، وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجا واحدا .
(٣) فى غ : ثم طاطه .

إنَّ مَنْ كانَ مُسِيئاً[1] لَحَقِيقٌ أنْ يُسَاء

فقال الرَّشِيدُ : هذا ابن أبى عُيَيْنَة ، ولَعَمْرِى لقد صَدَقْت .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : لم يجتَمِع لِأَحَدٍ من المحدثين فى بَيْتٍ واحد هِجَاءُ رَجُل ومَدْحُ أبيه كما اجتَمَع لأبى عُيَيْنَة فى هَجْوِ ابْنِ عَمِّه . حيث يَقُول من أبيات :

أبوكَ لنا غَيْثٌ نَعِيش بوَبْلِه[2] وأنت جَرَادٌ ليس تُبْقِى ولا تذر

(١) فى ا و ت : إن يكن كان مسيئا .

(٢) فى ت : نؤمله بدل نعيش بوبله .

إبراهيم بن أَبى مُحَمَّد اليزِيدى

هو إبراهيم بن أَبى مُحمد يَحْيَى بن المُبَارك أحد بنى عَدِىّ بن عبد شَمْس بن زَيْد مَنَاة بن تَمِيم . يقال : إنهم من رَهْطِ ذِى الرُّمَّة .

كتب إبراهيم إلى بعض أصحابه ، وقد رأَى منه جفوة ، ثم استصلحه :

مَنْ تَاه واحِدَةً فَتِه عَشْرا ... كَيْلَا يَجُوزَ بنفسه القَدْرَا

وإذا زَهَا أحدٌ عليك فكن ... أزهَى عليه ولا تَكُن غمْرَا

أرأيتَ مَنْ لم ترجُ مَنْفَعَة ... منه ولم تَحْذَر له ضُرًّا

لم تُسْتَرَقُّ[1] وتُسْتَذَلُّ له ... بل كُنْ أشدَّ إذا زَها كِبرا

دخل إبراهيم بن أبى مُحَمَّد على المأمون وهو يشرب ، فأمره بالجلوس ، فجلس وأمر له بشراب ، فشرب وزاد فى الشُّرب ، فسكر وعربد ، فأخذ علىُّ بن صالح صاحبُ المُصَلَّى يده فأخرجه . فلمَّا أصبح كتب إليه :

أنَا المُذْنِبُ الخطَّاء ، والعفوُ واسِعٌ ... ولو لم يَكُن ذَنْبٌ لما عُرِف العفوُ

ثملت[2] فأبدَتْ مِنّىَ الكأس بَعْضَ ما ... كَرِهْتُ وما إن يَسْتَوِى السُّكْرُ والصَّحْوُ

ولولا حُمَيَّا الكأس كان احْتِمالُ مَا ... بُدِهْتُ به لا شك فيه هو السَّرْوُ[3]

ولا سِيما إذ[4] كنت عند خليفةٍ ... وفى مَجْلِسٍ مَا إنْ يجوز[5] به اللَّغْوُ

---

(١) كذا فى ا و ت . وفى غ تسترك .

(٢) كذا فى ا و ت و غ . وفى معجم الأدباء : سكرت .

(٣) السرو : الفضل .

(٤) كذا فى غ ومعجم الأدباء . وفى ا و ت : إن .

(٥) فى معجم الأدباء يليق :

تنصَّلت من ذنبي تَنَصُّل ضَـــارِع ... إلى مَنْ لديه يُغْفر العَمْدُ والسَّهْوُ
فإنْ تَعفُ عَنِّي تُلْفِ خَطْوِيَ وَاسِعا ... وإلَّا يَـكُنْ عفو فقَدْ(١) قَصُر الخَطْوُ

زَامَلَ المأمونُ في بعض أَسْفاره بين يحيي بن أَكْثم وَعَبَّادَة المُخنث.

فقال إبراهيم بن أَبي مُحمّد:

وحا كم زَامَـل عَبَّاده ... ولم تزل تِلكَ له عَادَه
لو كان(٢) لي حُـكْم لما جَازَ أنْ ... يَحْـكُم في قِيمة لُبَّادَه
كَمْ من غلام عَزَّ في أَهْلِه ... وافتْ قفاه منك(٣) سجَّادَه

وقال إبراهيم بن أبي مُحَمَّد فيه أيضاً:

وكُنَّا نُرَجِّي أَنْ نَرَى العَدْلَ ظاهِرا ... فأَعْقَبنَا بَعْدَ الرَّجَاءِ قُنُوطُ
مَتَى تَصْلُحِ الدُّنيا ويَصْلُحُ أَهْلُهَا ... وقَاضِي قُضَاةِ المُسْلِمِينَ يَلُوطُ

قال أبو العَيْنَاء: نظرَ المأمونُ إلى يحيي بنِ أَكْثم وهو يَلْحَظُ خادِماً، فقال للخَادِم: تَعرَّضْ له إذا قُمت، فإني سأَقُوم للوضوء — وأمره ألا يَبْرَح — وعُدْ إلَيَّ بما يقُول، وقام المأمونُ وأمر يَحْيَى بن أَكْثم بالجُلوس، فلما قام غَمزَه الخَادِم بعَيْنِه، فقال يحيي: «لَوْلَا أَنْتُمْ لَـكُنَّا مُؤْمِنِينَ»(٤) فمضَى الخادِم إليه وأَخْبَرَه، فقال له المأمون: قل له: «أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ»(٥) فخرج الخادِمُ إليه، فقال ذلك له، فأَطْرَقَ يحيي وكادَ يموتُ جزَعاً، وخَرَجَ المأمونُ وهو يَقُول:

---

(١) في ت: وقد «تحريف».
(٢) في غ: جاز.
(٣) كذا في ا و ت. وفي غ: منه.
(٤) سورة سبأ ٣١.
(٥) سورة سبأ ٣٢.

متى تَصْلُحِ الدُّنيا ويَصْلُحُ أهلُها   وقَاضِي قُضَاةِ المُسْلِمِينَ يَلُوطُ

قُم فانصَرِف واتَّقِ اللهَ وأَصْلِح نِيَّتَك .

[كتب إبراهيم بن أبى محمد اليزيدى إلى محمد بن محمد الكاتب يَهْجُوه ويُعَيِّره بأنَّ الحسَن بْنَ إبراهيم بْنَ رَبَاح والحسَن بنَ وَهْب يَعْشَقَان جارِيَتَه ويَتغَايَرَان عليهـا :

لِى خَلِيلان مُحْكِمَان مُجِيدَا   ن لمـا يَعْمَـلانه حَاذِقَانِ

واحـــد يعْمَـل القِسِىّ فيَأْتِيـ   ـكَ بها فى استِقامَة المِيزَانِ

وفَتًى يَعْمَل السَّكاكِين فى القَرْ   ن مُقِرٌّ بحِذْقِه الثَّقَلانِ

وهُما يَطْلُبان شَيْئًا على رَأْ   سك فافْهَم لبَعْضِ تِلْك المَعَانى

قلتُ: هل يُؤْلِم الفتَى قَطْعُ ما منـ   ـه تُرِيدَانِ أَيُّهـا الفتَيَانِ

فأَجَابَا بلُطْف قَوْلٍ وفَهْم   ثم قَامَا إذَا لنوكامدان(١)

فاقْطَعِ الآنَ ما بِرَأْسِك مِنْهَا   إنَّ فِيمَا تَرَى لَمَحْضَ بيَانِ

ذاكَ خَيْر من أن تُسَمَّى بسُوءٍ   فيُقَال انْظُرُوا إلَى القَرْنَانِ](٢)

---

(١) كذا فى ا و ت ولم يرد الخبر فى غ ولم أجده فى مرجع من المراجع التى ترجمت لإبراهيم اليزيدى

(٢) ما بين القوسين لم يرد فى غ .

أَحْمَدُ بنُ محمد بن أَبِي مُحَمَّد اليَزِيدِى

كان أحمدُ هذا رَاوِيَةً للعلم : علم أهله ، فاضلًا أَدِيباً . وكان أَسَنَّ إخوته ، وكان إخوتُه جميعاً يَأْثِرون عنه جميع عُلوم جدّهم وعُمومتهم ، وأدرك جَدَّه أبا مُحَمَّد ، ورُبَّما روى عنه ، وكُنْيَتُه أبو جَعْفر . ومِن شِعْره :

شوقى إليك عَلَى[1] الأيام يَزداد — والقلب مُذ غِبْت للأحزان معتادُ
يا لَهْفَ نَفْسِي على دَهْر فُجِعت به — كأنَّ أيامه فى الحُسْنِ أَعْيَادُ

قال أحمدُ بنُ مُحَمَّد اليَزِيدى : كنتُ عند جَعْفر بن المأمون مُقيما ، فلما أردتُ الانصرافَ منعنى فبتّ عنده ، وأصبحنا فوافتنا عَرِيب وجَوَارِيها ، فأقمتُ عنده ، وبتّ ، وأَوْصلتها بغد[2] ، واستطيب المقام أيضاً فأقمتُ .

فكتَبَ إلَىَّ عَمِّى إبراهيمُ بنُ أبى محمد :

شردتَ يا هذا شُرُودَ البَعِير — وطالَتِ الغيبة عند الأَمِيرْ
أقمتَ يومَيْن ولَيْلَيْهِما — وثالثاً تُحْبَى بِبِرٍّ كَثِيرْ
يوم عَرِيب مع إحْسَانِها — إن طالَتِ الأيَّامُ يَوْمٌ قَصِيرْ
لها أغانٍ غير مَمْلُولَةٍ[3] — منها ولا تَخْلَقُ عند الكُرُورْ
غيرَ مَلُوم يا أَبَا جَعْفَر — أَنْ تُؤْثِر اللَّهْوَ ويوم السرورْ
فاجْعَل لنا مِنْك نَصِيباً فمَا — إن كنت عَنْ مَجْلسنا بالنَّفُور

---

(١) فى ت : مع .
(٢) فى ا : واحتبسها من غد .
(٣) فى ت : مملوكة « تحريف » .

وصِرْ(١) إلينا غير ما صَاغِرٍ أصارَكَ الرحمنُ خَيْرَ(٢) المَصِيرْ
إن لم يَكُن عِنْدى غِناءٌ ولا عود فعندى القَمْرُ بالنَّرْدَشِير(٣)
والذِّكْرُ بالعِلْمِ الذى قَدْ مَضَى بأَهْله(٤) حادِثُ صَرْفِ الدُّهُورِ

قال أبو جَعْفَر أحمدُ بن مُحَمَّد اليَزِيدى : دخلتُ على المأمون وهو فى مجلس غَاصٍّ بأهله ، وأنا يومئذ غلام ، فاستأذَنْتُ فى الإنشاد ، فأذِن لى ، فأنشَدْتُه مَديحاً لى فيه ، وكان يسمع الشِّعر ما دَامَ فى نَسِيبٍ(٥) أو وَصْفٍ لِضَرْبٍ من الضُّرُوب ، فإذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلَّا بَيْتَيْن أو ثلاثة ثم يقول للمُنْشِد : حسبُك ، ترفُّعاً ، فأنشدتُه :

يا من شَكَوْتُ إليه ما أَلْقَاه وبذلت من ودى(٦) لَهُ أَقْصَاهُ
فأجابَنِى بخلاف ما أَمَّلْتُه ولرُبَّما مُنِعَ الحرِيصُ مُنَاه
أَترى جَمِيلاً أَنْ شَكاَ ذُو صَبْوةٍ فهجرتَه وغضبتَ من شكوَاهُ
يكفيكَ صمتٌ أوجواب مُؤْيِسٌ إن كنت تكره وَصْلَه وهوَاه
موت المحب سَعادَةٌ إن كان من يهواه يزعم أن ذاك رضاه

فلما صرت إلى المديح أنشدت :

أبقَى لنا الله الإمام وزادَه شرفا إلى العزّ الذى أعطاه
فالله أكرمَنَا بأَنَّا مَعْشَر عُتَقاء من نِعَمِ العِبَاد سِوَاهُ

---

(١) فى ت : فصر .
(٢) فى ت : غير « تحريف » .
(٣) النردشير : لعبة النرد .
(٤) كذا فى ت و غ . وفى ا : بأمره .
(٥) فى غ : تشبيب .
(٦) فى غ : وجدى .

فسر بذلك وضحك ، وقال : جعلنا الله وإيَّاكُم ممن يشكر النِّعْمَةَ(١) ويُحْسِن العَمَلَ .

قال أبو جَعْفَر أحمد بن محمد اليزيدى : دخلت يوما على المأمون بقارا وهو يريد الغزو فأنشدته :

يا قصر ذِى النخلات من بارَا ... إنى حُبِيت إليك من قارا
أبصرت أشجاراً على نَهَر ... فذكرت أشجاراً وأَنْهَارَا
لِلّٰه أيامٌ نَعِمْت بها ... بالقُفْص أحياناً وفى بَارَا
إذ لا أَزَالُ أزورُ غانِيَةً ... أَلْهُو بها وأَزُورُ خَمّارا
أَعْصِى النَّصِيحَ وكُلَّ عاذِلَة ... وأُطِيعُ أوتاراً ومِزْمَارَا

فغَضِب المأمونُ وقال : نحنُ فى وَجْه عَدُوٍّ ، وأنا أَحُضُّ الناسَ على الغزو ، وأنت تذكرهم نزه بغداد ولذاتها ! فقلت : الشىء يا أمير المؤمنين بتَمَامه ثم أنشدت :

فصحوتُ بالمأمون عَنْ سَكَرِى ... ورأيت خيرَ الأَمْرِ ما اُخْتَارَا
ورأيت طاعَتَه مؤدِّية ... للفَرْض إعلانا وإسْرَارا
فخلعتُ ثوب الهزل عن عُنُقِى ... ورضيتُ دَارَ الجِدِّ لى دَارَا
وظَلِلتُ معتصما بطاعَتِه ... وجوارِه وكفى به جَارَا
إن حلَّ أرضا فهى لى وطَنٌ ... وأسيرُ عنها حَيْثُما سَارَا

فقال له يَحْيَى بنُ أَكْثم : ما أحسَنَ ما قال يا أمير المؤمنين ، أخبر أنه كان فى سُكْر وغَزَل ، فترك ذلك وارعوى ، وآثَر طاعة خليفته ، وعلم أن الرشد فيها ، فسَكَن وأَمْسَكَ عنه .

---

(١) فى ا : النعمى .

دعا المُعْتَصِم المأمونَ ذات يوم فَجَاءه ، فأجلَسَه فى بيت على[1] سقفه جامَات ، فوقع ضوء الشَّمْس من وراء تِلْك الجامَات على وَجْه سِيما التّركى غلام المعتصم ، وكان أوجدَ النَّاسِ بِه ، ولم يكن فى عَصْرِه[2] مِثْلُه ، فصاح المأمون : يا أحمد بن محمد اليزِيدِى ، وكان حَاضِراً ، فقال : نعم . فقال : اُنظرْ ويلَك إلى وجه سِيمَا التُّرْكِى ، أرأيت أحسن مِنْ هَذا قَطّ ؟ وقد قلتُ :

قـــد طلعَت شمسٌ على شمسٍ وزالَتِ الوَحْشَة بالأنسِ

أجز يا أحمد فقال :

قد كنتُ أَشْنَا الشمس فِيمَا مضى فصرتُ أشتـاقُ إلى الشمس

قال : وفطن المعتصم وعَضّ على شَفَته لأحمد ، فقال أَحْمَد للمأمون : واللهِ لئن لم يعلم أخوك[3] حقيقة أمر أمير المؤمنين لأقمن معه فيما أكره ، فدعاه المَأْمُون ، وأخبره الخبر ، فضحك المعتصم ، فقال له المأمون : كثر الله فى غِلْمَانِك مثله ، إنَّمَا استَحْسَنْت شيئاً فجرى ما سَمِعْتَ لا غيْر .

---

(١) فى ت : فى .

(٢) فى ا : حضرته .

(٣) فى ت . أجزك .

أَيْمَن بن خُرَيْم الأَسَدى

هو أَيمَنُ بن خُرَيم بن فاتك الأَسَدى ، نسب إلى فَاتِك وهو جَدّ أَبيه ، لأنه أَيْمَن بن خُرَيْم بن أَخْرَم بن عَمْرو بن فَاتِك بن عَمْرو بن أَسَد بن خُزَيمة بن مُدْرِكَة .

صحب هو وأبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وَرَوَيَا عنه . وكان أيمن يَتَشَيَّع .

وكان أَبُوه أحدَ من اُعتزَل حَرْبَ الجَمَل وصِفِّين وما بعدهما من الأَحْدَاث فلم يَحْضُرْها .

كان عبد الملك شَدِيدَ الشَّغَفِ بالنساء ، فلما أسَنَّ ضعف عن الجماع ، وازداد غرامه بِهِن ، فدخل عليه[1] أيمن بن خُرَيْم يوما ، فقال له : كيف أنت يا أَيْمَن ؟ قال : بخير يا أمير المؤمنين . قال : كيف قوتك ؟ قال : كما أُحِب ولله الحَمْد ، إنّى لآكُلُ الجَذَعَة من الضأن بالصَّاع من البُرّ ، وأَشرَبُ العُسَّ المَمْلُوَ أعبّه عبّا ، وأرتَحِلُ البَعيرَ الصعب فأُنْصِبه ، وأَرْكَبُ المهر الأَرِن فأُذَلِّله ، وأفترع العَذْراء لا يُقعِدُنى عنها الكِبَر ، ولا يَمْنَعُنِى منها إلّا السَّحَر . ولا يُرْوِينِى منها الغُمَر[2] ، ولا يَنْقَضِى[3] منى الوطر ، فغاظ عبدَ الملك قولُه ، وحسده ومنعه العطاء ، وحجبه وقصده بِمَا كَرِه حتى أَثَّر ذلك فى حَالِه ، فقالت له امرأتُه : ويحك ، أصدِقْنى عن حَالِك ، هل لك جُرْم ؟ قال : لاوالله . قالت : أَىُّ شَىْءٍ دَارَ بينَك وبيْنَ أمير المؤمنين آخر ما لَقِيتَه ؟ فأخبرها . فقالت : إنّا لِله ، من هَا هُنا أُتيتَ ، أنا أحتَالُ لك فى ذلك

---

(١) فى غ : إليه .

(٢) الغمر : القدح الصغير .

(٣) فى غ : ينقص .

حتى أُزِيلَ ما جرَى عليك ، فقد حسدك الرجلُ على ما وصفتَ به نفسَك . فتهيَّأت ولبِسَت ثيابَها ودخلت على عاتِكة زوْجَته ، فقالت : أسألك بالله أنْ تستعدى لى أميرَ المؤمنين على زوْجى ؛ قالت : وما شأنُه ؟ قالت : ما أدرى أنا مع رجُل أو حائط ؟ فإنَّ له سنتَين[1] ما يعرف فِراشى فسَليه أن يُفرِّق بينى وبينه ، فخرجت عاتِكة إلى عبدِ الملك فأخبرته ، وسألته فى أمْرها ، فوجَّه إلى أيمن فأحضرَه ، وسأله عما شكت منه فاعترفَ بذلك له ، فقال : ألم أسألْك عامَ أوَّل عن حالِك ، فوصفْتَ كيْتَ وكيْت ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الرجل ليتجمَّل عند سُلْطانه ، ويتجلَّد على[2] أعدائه بأكثر مِمَّا وصفتُ به نفْسى وإنّى أنا القائل :

لقيت من الغانيات العُجَابا ... لو أدْرَكَ منّى النِّساء[3] الشَّبابَا
يَرى الشيبَ جمعُ النِّساءِ الحِسَانِ ... عَيْباً شديداً إذا المرْءُ شَابَا
ولو كِلْتَ بالمُدِّ للغانِيَات ... وضاعفْتَ فوقَ الثِّيابِ الثِّيابَا
إذا لم تَنلهنَّ من ذاك ... بغَيْنَك عند الأَمير الكِذابَا[4]
يَذُدْن بكل عصاً ذائدٍ ... ويُصبِحْن كُلَّ غداة صِعَابا
إذا لم يُخالَطْنَ كلَّ الخلا ... طِ أصبحن مُخْرَنْطِماتٍ غِضَابا
علامَ يُكحِّلْن حُورَ العُيونِ ... ويُحدِثْن بعد الخِضَاب الخِضَابا
ويَعْرُكْنَ بالمِسْك أجيادَهُن ... ويُدْنِين عند الحِجَال العِيابَا
ويُبْرِقْن[5] إلَّا لِمَا تعلَمُون ... فلا تَمنَعُنَّ النِّساء[6] الضِّرابا

(١) فى غ : لسنين .
(٢) فى ت : عند .
(٣) فى غ : الغوانى .
(٤) فى غ : جحدنك عند الأمير الكتابا .
(٥) فى ت : ويرقبن « تحريف » .
(٦) فى غ : فلا تحرموا الغانيات .

فجعل عبد الملك يَضْحك من قوله ، ثم قال : أَوْلَى لَكَ ياابْنَ خُرَيم ، لقد لقيتَ مِنْهن بَرحاً[1] ، فما تَرَى أن نَصْنع بَيْنكَ وبَيْنَ زَوْجَتِك ؟ قال : تستأجِلُها إلى أجل العِنِّين ، فأُدَارِيها لعَلِّى أستطيع إمْساكَها ، قال : أَفْعَلُ ذلك ، ففعل وردَّها ، وأمَرَ له بما فَاتَ من عَطائه ، وعاد إلى بِرِّه وتقريبه .

ولما فَرَغَ أيمنُ من إنشاد هَذِه الأبْيَات قال له عَبْدُ المَلك : ماوصف أحدٌ النساءَ بِمِثْل هذا ، ولا عرفَهُن أحدٌ مَعْرِفَتَك . فقال له أيْمَنُ : لئن كنتُ صدقتُ فى ذَلك ، لقد صَدَقَ الَّذى يَقُول :

فإنْ تَسْأَلُونى بالنِّسَاءِ فإنَّنى ... خَبِيرٌ بأَدْوَاءِ النِّسَاء طَبِيبُ
إذَا شَابَ رأسُ المرءِ أو قَلَّ مالُه ... فليس له فى[2] وُدِّهن نَصِيبُ
يُرِدْن ثَراءَ المال حيث وَجَدْنَه[3] ... وشَرْخُ الشَّبَابِ عندهُنَّ عَجِيبُ

فقال عَبْدُ الملك : لعمرى لقد صَدَقْتما وأحسنْتُما .

قال عَبْدُ الملك يوما : يامَعْشَر الشُّعَرَاء ، تشبِّهُوننا مرَّةً بالأَسَدِ الأبْخَرِ ، ومرَّةً بالجَبَلِ الأوْعَرِ ، ومرَّة بالبَحْرِ الأُجَاجِ ، ألا قلتم فينا كما قال أيْمَنُ بنُ خُرَيْم فى بَنى هاشِم :

أَأَجْعَلكم وأَقْوَاماً سَوَاء ... وَبَيْنَكم وَبينَهم الهَوَاءُ
وهُمْ أرضٌ لأَرْجُلِكم وأنتُم ... لأرؤُسِهم وأعينهم[4] سَمَاءُ

دخل نُصَيْب يوما على[5] عبد العزيز بن مروان ، فأنشده قَصِيدَةً له مدحه بها ،

---

(١) فى غ : ترحا .

(٢) فى غ : من .

(٣) فى غ : علمنه .

(٤) فى ا و ت . وأرجلهم .

(٥) فى غ : إلى .

فأعجبته ، فأقبل على أَيْمنَ بن خُرَيم فقال له : كيفَ ترَى شِعْرَ مَوْلَاى هذا ؟ قال : هو أشعر أهل جِلْدَته فقط، قال : هو واللهِ أشعرُ مِنْك . قال : أمَتّنى أيُّها الأمير . قال : إى والله ، قال : لا والله ، ولكنّك ملول ، قال : لو كنتُ كذلك ما صبرت على مُوَا كَلَتِك سَنَة وبك من البَرَص[1] مَا بِك ، وكان بِهِ وَضَح ، قال : ائذن لِى أَيُّها الأمير فى الانصراف ، قال : ذلك إليك ، فمضَى لوجهه إلى بِشْر ابن مَرْوان وهو عَلَى العِرَاق ، وقال :

رَكِبتُ من المُقَطَّم فى جُمَادى ... إلى بشر بن مروان البَرِيدا
ولو أعطاكَ بشرٌ ألفَ ألْف ... رأى حَقًّا عليه أن يَزِيدا
أميرَ المؤمنين أقِم بِبشْر ... عمودَ الدّين إنَّ لَهُ عَمُودا
ودَعْ بِشْراً يُقَوِّمهم ويُحْدِث ... لأهْلِ الزّيْغ إسلاما جَدِيدا
وإنَّا قد وَجَدْنا أُمَّ بِشْر ... كأُمِّ الأُسْدِ مِذْكَاراً[2] وَلُودَا
كأنَّ التاجَ تاجَ بَنِى هِرَقْل ... جَلَوْه لأعْظَم الأيَّام عِيدَا
يُحَالِف لونُه دِيبَاجَ بِشْر ... إذَا الألوانُ خَالَفَتِ الخُدُودَا

يعرِّض بنَمَش كان بِوَجْه عبد العزيز ، فوصله بشر بمائة ألف دِرْهم ، ولم يَزَل عِنْدَه .

ولما أتى أيمنُ بنُ خُرَيم بِشْرَ بن مَرْوَان ، نظر إلى الناس يدخلون أَفْوَاجاً إليه، فقال : مَنْ يُؤْذِن بِنا[3] الأميرَ ويَسْتَأْذِن لنا ؟ فقِيلَ له : ليس على الأمير حُجَّاب ولا ستر ، فدَخَل وهو يقول :

---

(١) فى ت : المرض .

(٢) كذا فى ا وفى ت : كانوا .

(٣) فى غ : لنا .

يُرَى بَارِزاً للنَّاس بشرٌ كأنَّه إذا لاح فى أثوابه قَمرٌ بَدْر
ولو شَاءبشْر أغلقَ البَابَ دُونَه[1] طَمَاطِمُ سُودٌ أو صَقَالِبةٌ شُقْر
أَبى ذَا ولَكِن سَهَّلَ الإذْنَ لِلتى يَكُون له فِي غِبِّها الحَمْدُ والشُّكْر

فضحك بِشْر إليه وقال: ياقَوْم إنما نَحجُب الحُرَم ، فأَمَّا الأموالُ والطعَام فلا .
وأمر له بعشرة آلاف دِرْهم .

(١) فى ت : ولو أن بشرا غلق الباب دونه .

أَبُو نُخَيْلة الحمانى

أَبُو نُخَيْلة اسمٌ لا كُنْيَةٌ[1]، وكُنيَتُه أَبُو الجُنيد، وقيل: أبوالعِرْمَاس وهوابن حزن بن زَائِدَة بن لَقيط بن هَرِم بن أثربى بن ظَالم بن مُجَاشِر[2] بن يقدم بن يثربى بن حِمَّان[3] بن عَبْدِ العُزَّى بن كَعْب بن سَعْدِ بن زيد مَنَاة بن تَميم.

وكان عَاقًّا بأَبِيه، فنفَاه أَبُوه عن نَفْسِه، فتأدَّبَ بالبَادِيَة حتَّى شَعَر، وسَارَ شِعْرُه فى البَدْوِ والحَضَر فخَرَجَ إلَى الشَّام فأَقَام هناك إلَى أَنْ مَات أبُوه، ثم عاد وبقى مَشْكُوكا فى نَسَبه مطعُوناً عليه. وكان الأغلبَ على شِعْرِه الرَّجَزُ، وله قَصيد ليس بالكَثِير.

ولمَّا خَرَجَ إلَى الشام اتصل بِمَسْلَمة بْنِ عَبْدِ المَلِك فاصْطَنَعَه وأحسنَ إليْه وأَوْصَلَه إلَى الخلفاء وَاحِداً بعد وَاحِد واسْتَمَاحَهم له فأَغْنَوْه.

وكان بَعْدَ ذلك قَليلَ الوَفَاء لهُم وانْقَطع إلَى بَنى هَاشِم ولَقَّبَ نفسَه شاعِر بَنى هَاشِم فمدح بنى العبَّاس وهجا بَنى أُمَيَّة فأكثر.

وكان طَامِعا فحمَله ذَلِك على أَنْ قَالَ فى المَنْصُورِ أُرْجُوزَةً يُغْرِيه فِيهَا بِخَلْع عِيسَى بن مُوسَى وبِعَقْد العَهْد[4] لابنِه مُحمَّد المَهْدى فوصَلَه أَبُو جَعْفر

---

(١) قال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ٥٨٣ : اسمه يعمر، وإنما كنى أبا نخيلة، لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة. وقال ابن دريد فى الاشتقاق : كنى بهذا لأن أمه ولدته فى أصل نخلة، وكان يطعن فى نسبه.

(٢) كذا فى غ و ا و ت، ولعله مخاشن فقد قال ابن دريد : بنو مخاشن : بطن من العرب من قضاعة ومنهم أبو نخيلة.

(٣) فى خزانة الأدب ١ / ٧٩ : حمار « بكسر المهملة وتشديد الميم ».

(٤) كذا فى غ وتاريخ الطبرى ؛ وفى ت : العقد.

بألْفَى دِرْهم ، وأمرَه أن يُنْشِدَها بحَضْرة عِيسَى ، ففعل فطَلَبه عِيسَى فهرَب مِنْه ، فبعَثَ فى طَلَبِه قَطَرِيًّا مَوْلًى لهُ فأدرَكَه فى طَرِيق خُرَاسَان فذَبَحه وسَلَخ جلده[1] وأَقْسَم لا يَرِيمُ مَكَانَه حتى تُمَزِّقَ الطيرُ والسِّباعُ لحمَه ، فأَقام حَتَّى لم يَبْقَ إلَّا عِظَامُه وانْصرَف . بَنى أبو نُخَيْلَة دارَه فمرَّ به خَالِدُ بْنُ صَفْوَان ، فوَقَفَ عَلَيْه . فقال أبو نُخَيْلة : ياأبْنَ صَفْوَان كَيْفَ تَرَى دَارِى ؟ قال : رأيتُك سأَلْتَ فِيهَا إلْحَافاً وأنْفَقْتَ مِمَّا جَمَعْتَ لَهَا إسْرَافاً ، وجَعَلْتَ إحْدَى يَدَيْك سَطْحًا ومَلَأْتَ الأخرى سَلْحًا وقلتَ : مَنْ وضع فى سَطْحِى وإلَّا ملأته بسَلْحِى ، ثم وَلَّى وتركَه ، فقيل له : أَلَا تَهْجُوه ؟ فقال : إذًا واللهِ يركَب بَغْلَتَه ويَطُوفُ فى مَجالس البَصْرَة يَصِفُ أَبْنِيَتى بما يَعِيبُها ، وما عَسَى أن يَضُرَّ الإنسانُ صِفَةَ أَبْنِيَتِه بما يَعِيبُها سنة ، ثم لا يُعِيدُ فيها كَلِمَة .

قال أبو نُخَيْلَة : وفَدْتُ على مَسْلَمَة بن عبد الملك فمدَحْتُه وقُلْتُ فِيه :

أَمُسْلِم إنِّى يا ابْنَ كلِّ خَلِيفَة[2] ويَا فَارِسَ الهَيْجَا ويَا جَبلَ الأَرْضِ
شَكَرْتُكَ إنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى وما كُلّ مَنْ أَقْرَضْتَه نِعْمَةً يَقْضِى
وأَلْقَيْتَ لَمَّا أَنْ أَتَيْتُكَ[3] زَائِراً عَلَىَّ لِحَافاً سَابِغَ[4] الطُّولِ والعَرْضِ
وأَحْيَيْتَ لى ذِكْراً وما كُنْتُ خَامِلاً[5] ولَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

فقال لى مَسْلَمَة : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فقلتُ : مِن بنى سَعْد . فقال : ما لكم يا بنى سَعْد والقَصَائد ؟ إنما حَظُّكم فى الرَّجَز ، فقلت له : أنا واللهِ أَرْجَزُ العرب . قال : فأَنْشِدْنى

---

(١) كذا فى ت وغ . وفى ا والخزانة : وجهه .
(٢) كذا فى ا وت وغ . وفى كتاب الحيوان للجاحظ ٢ / ١٠٠ : خير خليفة .
(٣) كذا فى غ وفى ا و ت : رأيتك .
(٤) كذا فى غ وفى ا و ت : واسع
(٥) فى كتاب الحيوان للجاحظ ٢ / ١٠٠ : فأحييت من ذكرى وما كان خاملا .

من رَجَزِكَ فكأنِّى لمَّا قالَ لى ذلك لم أَقُلْ رَجَزاً قط وأُنْسِيتُه كلَّه ، فما ذكرتُ منه ولا مِن غيره شَيْئاً سِوَى أُرْجُوزَةٍ لِرُؤْبَةٍ كان قَدْ قالَها فى تِلْك السَّنَة وظَنَنْتُ أنها لم تَبْلُغ مَسْلَمَة ، فأنشدتها فنكَّس وتَعْتَعْتُ ، فرفع رأْسَه إلَيَّ وقال : لا تُتْعِبْ نَفْسَك ، فأنا أرْوَى لها مِنْك ، قال : فانصرفتُ وأنا أكْذَبُ النَّاسِ عِنْدَه وأَخْزاهم عند نَفْسِي حتَّى تلطَّفْتُ بعد ذلك ومَدَحْتُه برَجَزٍ كثير(١) فعرَفنى وقرَّبنى ، وما رأيتُ ذلك فِيه رحمه اللهُ قطّ ولا قرَّعنى به حتَّى افترقْنا .

قَدِم أبو نُخَيْلَةَ على المُهَاجِر بن عبد الله الكلابى وكان أبو نُخَيْلَةَ أَشْبَه خَلْقِ الله به وَجْهاً وجِسْماً وقامَةً لا يكادُ النَّاظِرُ إلى أحدهما يُفرِّق بينه وبين الآخر ، فامتدحه بأُرْجُوزة ، فأمر له المُهَاجِر بناقة فردَّها وهجاه ، فبلَغ ذلك المُهَاجِر فبعث وترضَّاه ، وقامَ فى أمره بما يُحِبّ ووَصَلَه ، فقال أبو نُخَيْلَةَ : هذه صِلةُ المَدِيح فأَيْنَ صِلَةُ الشَّبَه ، فإنَّ التَّشابُه فى النَّاسِ نَسَب ، فوَصَلَه حتى أرْضاه ، فلم يزَل يَمْدَحُه بعد ذلك إلى أنْ ماتَ ورثاه بعد وفاته .

(٢)[قال أبو نُخَيْلَةَ : وفدت على هِشام بن عبدالملك ، فصادَفْتُ مَسْلَمَة قد ماتَ ، وكنت بأَخْلاق هِشَام غِرًّا وأنا غَرِيب ، فسألتُ عن أَخصّ النَّاس به ، فذُكِرَ لى رَجُلان ، أحدُهما من قَيْس ، والآخَرُ من اليَمَن ، فعَدَلْتُ إلى القَيْسِى بالنِّزارِيَّة وقُلْتُ : هو أَقْرَبُهما إلَيَّ وأَجْدَرُهما بما أُحِبّ ، فجلَسْتُ إليه ، ووَضَعْتُ يَدِى على ذِراعه ، وقلتُ له : إنى مَسَسْتُك لتمَسَّنِى رَحِمُك ، وأنا رَجُل غَرِيب شاعر من عَشِيرَتك ، وأنا غيرُ عارفٍ بأَخْلاقِ هذا الخليفة ، وأَحْبَبْتُ أنْ تُرْشِدَنى إلى ما أَعْمَل ، فينفعنِى عِنْدَه ويَشْفَع لى وتُوصِلنى إليه ، فقال : ذلك كلُّه لكَ ،

---

(١) كذا فى ت وغ . وفى ا : كبير .

(٢) الخبر كله ساقط من ت وقد أثبته عن ا .

عَلَى أنَّ الرَّجُل فِيهِ شِدَّة ليسَ كَمَن عَهِدْت من أَهْلِه ، وإذا مُدِحَ[1] وخُلِطَ مَدْحُه بطَلَب حَرَمَ الطَّالِب ، فأَخْلِص له فى المَدْح ، فإنَّه أَجْدَرُ أن ينفَعَك ، واُغْدُ إلَيْه غداً ، فإنى منتَظِرُك بالبابِ حتَّى أوصلك إليه ، واللهُ يُعِينُك ، فصِرْتُ من غد إلى باب هِشَام ، فإذا أنا بالرَّجُل يَنْتَظِرُنى ، فأَدْخَلَنى مَعَه ، وإذا أنا بأبى النَّجْم قد سَبَقَنى فأَنْشَدَه :

إلى هِشامٍ وإلَى مَرْوَانِ ... بَيْتَانِ . مَامِثْلَهُمَا بَيْتَانِ
كفَّاكَ بِالْجُـــودِ تبَارَيَان ... كما تبَارَى فَرَسا رِهَانِ
مَالَ علىَّ حَدَثُ الزَّمَانِ ... وبِعْتُ[2] ما يَغْلُو من الغِلْمَانِ
بالثَّمَنِ الوَكْسِ مِنَ الأَثْمَانِ ... والمُهر بعْدَ المُهر والحِصانِ

قال : فأَطَالَ فِيهَا ، وأَكْثَر المَسْأَلَة حتى ضَجِر هِشَام ، وَتَبَيَّنْتُ الكَرَاهَةَ فى وَجْهِــه ، ثم استَأْذَنْتُه فى الإنْشَاد ، فأَذِنَ لِى ، فأنشــدتُه أُرْجُوزَتى الَّتى فِيهَا :

إلى أَمِير الْمُؤمِنِين الْمُجْـــدِى ... ربِّ مَعَدٍّ وسِوَى مَعَــدِّ
مِمَّن دَعَا من أَصْيَد وَعَبْدِ[3] ... ذِى الْمَجْد والتَّشْرِيفِ بَعْدَ الْمَجْدِ
فى وَجْهِه بَدْرٌ بدَا بالسَّعْدِ ... أنت الهُمَام القَرْم عِنْدَ الجِد
طَوَّقَتْها مُجتمِـعَ الأَشُدِّ ... فانهلَّ لَـمَّا قمت صوبُ الرَّعْدِ

حتى أتيتُ عليهــا ، وهَمَمْتُ أَنْ أَسْأَلَه فيها ، ثم عَزَفَتْ نَفْسى ، وقلت : قد اُسْتَنْصَحْتُ رجلًا فأَخْشَى أن أُخالِفَه فأُخْطِئ ، وحانَت مِنِّى اُلتِفَاتَة ، فرأيتُ

---

(١) فى ا : سئل .

(٢) فى غ : وبيع .

(٣) فى غ ونجد : .

وجهَ هِشام مُنْطَلِقاً ، فلما فرَغتُ أَقْبَلَ على جُلسائه ، وقال : الغُلامُ السَّعْدِى أشْعَرُ من الشَّيْخ العِجْلى ، وخَرَجْتُ . فلما كان بعد أيَّام أتتنى جائِزَتُه .

ثم دخلتُ عليه بعد ذلك ومَدَحْتُه بقَصِيدَة فأنْشَدْتُه إيَّاها ، فألقَى علَىَّ جُبَّة خَزٍّ من جِبَابِه مُبطَّنَة بسمُّور . ثم دخَلْتُ عليه يوماً آخر فكَسانى دُوَاجاً[1] كان عليه من خَزٍّ أحمر مُبطَّن بسَمُّور . ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأمُر لى بشَىْء ، فحمَلْتُ نَفْسِى على أن قُلْتُ له :

كَسَوْتَنِيها فَهِىَ كالتَّجْفافِ — مِن خَزِّكَ المَنْصُوبَة[2] الكِتَافِ

كأنَّنى فيها وفى اللِّحَافِ — مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ أو بنى مَنَافِ

والخزّ مُشْتَاقٌ إلى الأفْوَافِ

قال : فضَحِك ، وأَدْخَلَ يَدَه فيها فنَزَعها ورَمى بها إلَىَّ وقال : خُذْها لا بارَكَ اللهُ لكَ فيها][3] .

كان عُمَر بْنُ هُبَيْرَة قد حَبَس الفرزدق وهو أميرُ العِراق وأَبَى أن يُشفَّع فيه أَحداً ، فدخَل عليه أبو نُخَيْلَة فى يوم فطر ، فوَقَفَ بين يديه وقال :

أَطْلَقْتَ بالأَمْسِ أَسيرَ بَكْرِ — فهل فِدَاكَ نَفَرِى وَوَفْرِى

مِنْ سَبَبٍ أو حُجَّةٍ أو عُذْرِ — تُنْجِى التَّمِيمِىَّ القَليلَ الشُّكْرِ

مِن حِلَق القَيْد الثِّقَال السُّمْرِ — ما زالَ مجْنُوناً ممرَّ الدَّهْرِ[4]

ذا حَسَبٍ يُمْلِى وعَقْلٍ يُزْرِى — هَبْه لأَخْوالك يوْمَ الفِطْرِ

فأَمَر بإطْلاقه وكان قد أَطْلَق قَبْلَه رجلا من عِجْل ، جِىءَ به من عَيْنِ التَّمْرِ ،

---

(١) الدواج كغراب ورمان : اللحاف الذى يلبس .

(٢) كذا فى ا و ت وفى غ : المصونة .

(٣) الخبر كله ساقط من ت والتكملة من ا .

(٤) كذا فى ا وت وفى غ : على است الدهر . بدل ممر الدهر .

قد أفسد ، فشفعت فيه بكر بنُ وائل فأطلقه ، وإيّاهُ عنى أبو نُخَيْلة . فلما خرج الفرزدقُ سأل عمّن شفع فيه ، فأُخبر فرجع إلى الحبْس وقال : لا أريمه ولو مُتّ ، أيُطلق قبلي بكريّ وأُطلق بشفاعة دَعِيّ ، والله لا أخرُج هكذا ولو من النار . فأُخبر ابن هُبَيْرة بذلك فدعا به وأطلقه ، وقال : قد وهبْتُك لنفسك ، وكان سبب حبْسه أنه هجاه .

ولمّا عُزل ابنُ هُبَيْرة وحُبِس مدَحه الفرزْدق فكان يقُولُ : ما رأيتُ أكرمَ منه [هجانى أميراً ، ومدحنى أسيراً . وقيل : إنّ هذه الأُرْجُوزة قيلت فى غير الفرزدق](1) .

دخل أبو نُخَيْلة على أبى العبّاس السّفّاح وكان لا يَجْتَرِئُ عليه لِما كان السّفّاح يَعْلَمه من اصْطِناع مَسْلَمة لأبى نُخَيْلة وكثْرة مَديحه له ولبنى أُمَيّة(2) حتى عَلِم أنّه قد عفَا عن أكبر جُرْماً وأعظَم محلّا منه ، فلما وقف بين يديه سلَّم عليه ودعا له ، وأثنى عليه ، ثم استأذن فى الإنْشاد فقال له : ومَنْ أنتَ ؟ قال: عبدُكَ يا أميرَ المؤمنين أبو نُخَيْلة الحمانى . فقال : لا حيّاكَ اللهُ ولا قرب دارك يا نِضْوَ السُّوء ألستَ القائلَ فى مَسْلَمة :

أَمَسْلَمَ إنى يا ابنَ كلِّ خليفةٍ ويا فارسَ الهيْجاء ويا جبلَ الأرْض(3)

أمَا واللهِ لولا أنى قد أمّنتُ نُظَراءكَ لمَا ارْتدَّ إليك طرْفُك حتّى أخْضِبَك بدِمائك . فقال له أبو نُخَيْلة :

كُنّا أُناساً نَرْهَبُ الأَمْلاكا إذ رَكِبُوا الأعْناقَ والأَوْراكا

قد ارتجَيْنا زَمناً أَبَاكا ثم ارتجَيْنا بعْدَه أخَاكا

---

(1) بياض بالأصل ، والتكملة من ا .

(2) فى غ : لبنى مروان .

(3) فى غ : يا من ساد كل خليفة . . ويا قمر الأرض .

ثم أرتجيناكَ لهَا إيَّاكا ... وكانَ ما قُلْتُ لِمَنْ سِوَاكا
زُورًا وقدْ كَفَّر هذا ذاكا

فتبسَّم أبو العبَّاس ثم قال له : أنتَ شاعِر وطَالِب خَـيْر ، وما زالَ النَّاسُ يَمْدَحُونَ المُلُوكَ فى دوَلِهِم ، والتَّوْبَةُ تُـكَفِّر الخطِيئَة ، والظَّفَر يزيلُ الحِقْد ، وقد عَفوْنا عنك ، واستأْنفْنَا الصَّنِيعَة لكَ ، فأنتَ الآنَ شاعِرُنا فتَسَمَّ بذلك لِيَزُول عنك مِيسَم بنى مَرْوَان ، فقد كَفَّر هذا ذاكَ كما قُلْتَ . ثم الْتفَتَ إلى أبى الخصِيب فقال : يا مَرْزُوق أَدْخِلْه دارَ الرَّقيق فخَيِّره جارِيَةً يأخُذْها لنفْسِه ، ففَعل فاخْتار جارِيَة وَطْباء[(١)] كثيرة اللَّحْم فلَمْ يَحْمَدْها ، فلما كان من الغد دَخَل على أبى العَبَّاس وكان على رَأْسِه وَصِيفَة حَسْناء تَذُبُّ عنه ، فقال له : قد عرَفْتُ خَبَرَ الجارِيَة التى أخذتَها وهى كَذَّبا ذَنوَّكه فاحتفظ بها فأنشأ يقول :

إنِّى وَجَدْتُ الكَذَّبَا ذَنوَّكا[(٢)] ... غَيْر مَنِيك فأبْغِنِى مُنَيَّكا
حَتَّى إذا حرَّكْته تحرَّكا

فضَحِك أبو العباس وقال له : خُذْ هَذِه الوَصِيفَة؛ فإنَّك إذا خَلَوْت بِهَا تحرِّك من غير أن تُحَرِّكه .

وكَانَ أَبُو نُخَيْلة بذلا يُرْضِيه القَلِيلُ ويُسْخِطُه وكان الرَّبِيعُ ينزله عنده ويأْمُرُ سَائِساً له يتفقَّدُ فرسَه فمَدَحَ الرَّبِيعَ بأُرْجُوزَة ومَدَحَ مَعَه سَائِسه فقَالَ :

ومن صَلاحٍ رَاشِدٍ أُصْطَبْلُه ... نِعْمَ الفَتَى وخَيْرُ فِعْلٍ فِعْلُه
يَسْمَنُ منه طِرْفُه وبَغْلُه

فضحك الرَّبِيع وقال لهُ : يا أَبَا نُخَيْلة أترْضَى أن تُقْرِنَ بِىَ السَّائِس فى مَدِيح ؟ كأنَّك لولم تمْدَحْهُ مَعِى كان يُضَيِّعُ فرَسَك.

---

(١) الوطباء : العظيمة الثدى . وفى ت : وطفاء .

(٢) كذا فى ا وت . وفى غ : الأنديان الـكودكا . وكودك معناها فى الفارسية فتى .

قال أَبَان بنُ عبدِ الله النُّمَيْرِى يوماً لجلسائه وفيهم أبو نُخَيْلة : والله لوَدِدْتُ أنه لوْ قِيلَ فِيّ ما قِيل فى جَرِيرِ بْنِ عبْدِ الله :

لَوْلَا جَرِيرٌ هَلَكَت بَجِيلَهْ   نِعْمَ الفَتى وبِئْسَتِ القَبِيلَهْ

وأَنَّنِي أُثِبْتُ[(١)] على ذلك . فقال له أَبُو نُخَيْلة : هَلُمَّ الثَّواب فقد حَضَرَنِى مِنْ ذَلِك ما تُرِيد ، فأمر له بدراهم فقَالَ : [اسمع يا طالب ما يجزيه][(٢)] :

لَوْلَا أَبَانٌ هَلَكَت نُمَيْرُ   نِعْمَ الفَتى ولَيْسَ فِيهم خَيْرُ

أَقْحَمَت السنةُ أبَا نُخَيْلة فأَتى القَعْقَاع بن ضِرَار وهو يوْمَئِذ على شُرْطَة الكُوفَة ، فمدَحه فأَنزَلَه القَعْقَاع وابْنَيه وعَبْدَيْه ورِكابهم فِي دَار ، وأقام لَهم الأَنْزَالَ ولركابهم العُلُوفة ، وكان طَبَّاخ القَعْقَاع يأْتِيهم فى كُلِّ يوم بأَرْبع قِصَاع ، فيها أَلوَانٌ مَطْبوخَة من لُحُوم الغَنَم ، ويأْتِيهم بتَمْرٍ وزُبْد ، فكان أَبُو نُخَيْلة يُكْثِر الأَكْلَ مما يأتيه فتخِم ، فدَخَل عَلَى القَعْقَاع فسأله : كيف أَصْبَحْتَ ؟ فقال : أصبحْتُ والله بَشِماً أمرت خبازك فأتانى بهذا الرُّقاق الَّذى كأَنَّه الثِّيابُ المَبْلُولَة قد غمَسَه فى الشحم غَمْساً وأَتْبَعَه بِزُبْدٍ كرأس النعجة الخُوسيّة[(٣)] ، وتمر كأَنَّه عَنْزٌ رَابِضَة إذَا أَخَذتِ التَّمْرَة مِنْ مَوْضِعِها تَبِعها من الرُّبّ كالسُّلُوك المَمْدُودَة ، فأمعنت من ذلك[(٤)] وأعجبنى حتى بشمت فهل من أقداح جِياد ؟ وبَيْنَ يدَى القَعْقَاع حَجّام وَاقِف وسُفْرَة[(٥)] موضوعة فيها المَوَاسِى فإذا أَتى بِشُرَّابِ النَّبِيذ حَلَق رءوسهم ولحاهم . فقال لى القَعْقَاع : أتطلب مِنّى النَّبِيذَ وأنْتَ ترَى ما أصْنَع بشُرَّابه ؟ عليكَ بالعسَل والماءِ البارِد. فوثب أَبُو نُخَيْلَة فقَالَ :

---

(١) بياض بالأصل : : والتكملة من ا وغ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت موجود فى ا وغ .

(٣) فى غ : الخرسية ! والخوسية : السمينة .

(٤) فى ت : الزبد .

(٥) كذا فى ا و ت وفى غ : صفرة .

قد عَـــلِم المَظَلُّ والمَبِيت ... أَنِّى من القَمْقَاع فِيما شِيتُ
إِذَا أَتَتْ مَائِـــدَة أُتِيتُ ... بِبِدَعٍ ليس بِهَا غُـــذِيتُ
ولو تَمَنَّيْتُ الَّذِى أُعْطِيت ... ما ازددْتُ شَيْئاً فَوْقَ ما لَقِيتُ[1]
أَيَا ابْنَ بَيْتٍ دُونَـه البُيُوت ... أَقْصِر فَقَدْ فوقَ القِرَى قُرِيت
ما مِنْ شَرَابِى عَسَل مَنْعُوت ... لَـكِنَّنِى فى القومْ[2] قَدْ أُرِيت
رِطْلَ نَبِيذ مُخْفِسٍ[3] سُقِيت ... صُلْباً إذا جَاذَبْتُه رَوِيتُ

فغمزه على ابن أَخِيه[4]، وأومأَ إلى إسْمَاعيل، فأخذه بِيَدِه ومضى به إلَى منْزِله، فسَقَاه حَتَّى صلح .

(١) كذا فى ا وغ وفى ت : أعطيت .

(٢) فى ا وت : فى النوم .

(٣) شراب مخفس : سريع الإسكار .

(٤) فى ا و ت : فغمزه على إسماعيل ابن أخيه وأومأ إلى إسماعيل .

أُمَيَّة بن الأَسْكَر (1) اللَّيْثِي

هو أُمية بن حُرْثَان بن الأَسْكَر بن عَبْد الله بن سَرَابيل المَوْت (2) بن زُهْرة ابن زبيبة (3) بن جُنْدَع بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة ابن إلْيَاس بن مُضَر شَاعِر فَارِس مُخَضْرَم، أدرك الجاهِلِيَّة والإسْلَام. وكان من فرسان قومه وسَادَاتِهم، وله أيام مأثورة مذكورة.

وكان له أخ يقال له: لاعق الدم (4) وكان من فرسان قومه وشعرائهم.

وابنه كِلَاب بن أُمَيّة أَدْرَكَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأَسْلَمَ مع أَبيه، ثم هَاجَر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أَبُوه فيه شعرا، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بِصِلَة أَبيه وطَاعَته ومُلَازَمَته.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعْمل كِلَابا، وعاش حتى وَلِى لِزِيَادِ الأُبُلَّة، ثم استعفاه عن الأُبُلة، وكان أبواه يَنْتَابَانه (5)، يأْتِيه أَحدُهما فى كُلِّ سَنَة، ثم أبطآ عليه وكبرا وضعفا عن لقائه، فقال أبياتا أَنْشَدَها عُمَر - رَضِى الله عنه - فرَقَّ له وردّه إِلَيهِما، فلم يلبَث مَعَهُما إِلَّا مُدَّة حتى نَهشَتْه أَفْعَى فمات، قالوا: وهذا وَهْم؛ لأَنْ كِلابا عَاشَ حَتَّى وَلِيَ لِزِياد الأُبُلَّة، ثم استَعْفَاه فأَعْفَاه.

---

(1) فى ترجمته فى الإصابة رقم ٢٥١: الأسكر بالسين المهملة فيما صوبه الجيانى، وضبطه ابن عبد البر بالمعجمة.

(2) كذا فى ا و ت وخزانة الأدب. وفى غ: زينبة، وفى الإصابة: ربينة وفى هامش سمط اللآلى / ١٢: زبينة.

(٤) كذا فى ا و ت. وفى غ: أبو لاغق الدم.

(٥) كذا فى غ و ا. وفى ت: يأتيانه.

وكان كِلاب بن أُمَيَّة قد هاجَر إلى المدينة فى خِلافَة عُمَر ـ رضى الله عنه ـ فأَقامَ بها مُدَّة ، ثم لَقِىَ ذاتَ يوم طَلْحَةَ والزُّبَيْر ، فسأَلَهُما : أَىُّ الأعمالِ أَفْضَل ؟ فقالا : الجِهَاد ، فسَأَلَ عُمَرَ ، فأَغْزَاه فى جَيْش ، وكان أَبُوه قد كَبِر وضَعُف ، فلما طالَتْ غَيْبَتُه عنه قال :

لِمَنْ شَيْخَان قد نَشَدا كِلاباَ ... كِتَاب الله لو قَبِلَ[1] الكِتَابَا

أُنَادِيه فيُعرِض فى إبَاءٍ[2] ... فَلَا وأَبى كِلابٍ ما أَصَابَا

تَرَكْتَ أباكَ مُرْعَشَةً يدَاهُ ... وأُمَّكَ ما تُسِيغُ لها شَرَابَا

وإنَّكَ والْتِمَاسَ[3] الأَجْرِ بعْدِى ... كباَغى الماء يَلْتَمِس[4] السَّرَابَا

فبلَغَت أبياتُه عُمَرَ ـ رَضِىَ اللهُ عنه ـ فلم يرُدُد كِلابا ، وطال مقامه فأَهْتَرَ[5] أُمَيَّةُ وخَلَّطَ جَزَعاً عليه ، ثم أتاه يوماً وهو فى مَسْجِد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَوْلَه المُهَاجِرون والأَنْصار فوَقَفَ عليه فأَنْشَأَ يَقُول :

أعاذل قد عَذَلْت بغَيْر قَدر[6] ... ولا تَدْرِين عَاذِلُ ما أُلَاقِى

فإمَّا كُنتِ عَاذِلَتى فرُدِّى ... كِلَاباً إذْ توجَّه للعراق

ولم أَقْض اللُّبَانَة من كِلاَب ... غداة غَدَا وآذن[7] بالفِرَاقِ

فَتَى الفِتْيان فى عُسْر ويُسْر ... شَدِيدُ الركن فى يوم التَّلَاقِى

فلا وأَبِيك ما باليتُ وَجْدى ... ولا شَغَفى عليك ولا اشْتِيَاقِى

---

(١) فى غ : إن . وفى ذيل الأمالى / ١٠٨ : إن رقب .
(٢) فى ذيل الأمالى : أناديه وولانى قفاه .
(٣) فى خزانة الأدب : وابتغاء.
(٤) فى غ وخزانة الأدب : يتبع .
(٥) فى غ : فاهتز .
(٦) كذا فى ا وت وفى الخزانة : علم.
(٧) كذا فى ا وت والخزانة . وفى غ : وأذن .

وإبقــائى عَلَيْك إذَا شَتَوْنَا ... وضَمّكَ تحت نَحْرِى واْعْتِنَاقِى
فلو فلقَ الفؤادَ شديدُ وَجْدٍ ... لَهَمَّ سوادُ قَلْبِى بانْفِلاَقِ
سأسْتَعْدِى عَلَى الفَارُوق رَبًّا ... له عَمَدَ الحجيجُ إلى بُسَاقِ [1]
وأدْعُو الله مُجْتَهِدا عَلَيــه ... ببطْنِ الأَخْشَبَيْنِ إلى دُفَاقِ [2]
إن الفــارُوق لم يَرْدُد كِلاَبًا ... إلى شَيْخين هَامُهُمَــا زَوَاقِ [3]

قال : فبَــكَى عمر رضى الله عنــه بُكَاء شــديدا وكَتَب بِرَدِّ كِــلاَب إلَى المَدِينة .

فلما قدم دخَلَ عليه فقال : مابَلَــغ من بِرِّك لأبيك ؟ قال كنت أَبِرُّهُ [4] وأَكْفِيه أمْره ، وكنت أعْتمِد إذا أردتُ أن أحلِب له لَبَناً أغْزَر ناقَة وأسمَنَها فأُرِيحهما وأتْرُكها حتى تَسْتَقِر ثم أَغْسِل أخْلاَفَها حَتّى تبرد ثم أحْتَلِب لَهُ وأسْقِيه ، فبعث عمر إلى أبيه مَنْ جاء به فدَخَل يَتهادى وقد ضَعُف بصَرُه وانْحَــنى، فقال له : كيف أنْتَ يا أبَا كلاب ؟ فقال : كَمَا تَرى يا أَميرَ المُؤْمِنِين . قال : فهل مِنْ حَاجة ؟ قال : نعم ، كنت أشْتَهِى أن أرَى كِلاَبًا فأشَمّه شَمَّة وأَضَمّه ضَمَّة قبل أن أمُوت ، فبكى عمر رضى الله عنه وقال : سَتَبْلُــغ فى هَذَا ما تُحِب إنْ شَاءَ الله تعالى ، ثم أمر كِلاَباً أن يَحْلِب لأبيه ناقَةً كما يَفْعَل ويَبْعَثَ إليه بلَبَنِها فَفَعَل فناوله عمر الإنَاء وقال : دُونَك هَذَا يا أبَا كِلاَب ، فلما أَخَذَه وأَدْنَاه إلى فمه قال لِعُمر : والله يا أَميرَ المُؤْمنين أنى لأَشمّ رَائِحَة يَدى كِلاَب من هَذَا الإِنَاء . فبَــكَى عُمَر

---

(١) كذا فى معجم البلدان ١ / ٦٠٩ وبساق: جبل بعرفات. وأورد ياقوت القصة عند ذكر الجبل ، وفى طبقات الشعراء : له عمد الحجيج الى سباق. وفى ا وت وغ : له دفع الحجيج إلى سياق وفى الخزانة: له رفع الحجيج إلى سياق .

(٢) الأخشبان : جبلان . ودفاق : موضع قرب مكة .

(٣) زقت الهامة. ونحوها : صاحت . وفى طبقات الشعراء : رواق.

(٤) فى غ : أدثره .

وقال : هذا كلاب عندك حاضر وقد جئناك به ، فوثب إلى أبيه فضمه إليه وقبله وعمر يبكي ومن حضره وقال لكلاب : الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ثم شأنك ونفسك بعدهما ، وأمر له بعطائه ، وصرفه إلى أبويه ، فلم يزل مقيما حتى مات أبواه .

وعمر أمية بن الأسكر طويلا حتى خرف :

وكان ذات يوم جالسا فى نادى قومه وهو يحدث نفسه إذ نظر إلى راعى ضأن لبعض قومه يتعجب منه فقام لينهض فسقط على وجهه فضحك الراعى منه ، وأقبل ابناه إليه فلما رآهما أنشأ يقول :

يا ابنى أمية إنى عنكما غان وما الغنى غير أنى مرعش فان
يا ابنى أمية إلا تحفظا[1] كبرى فإنما أنتما والثكل سيان[2]
أصبحت فرداً لراعى الضأن يلعب بى[3] ماذا يريبك منى راعى الضأن
أعجب لغيرى إنى تابع سلفى أعمام مجد وإخوانى وأخدانى[4]

وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى خطبة له على منبر الكوفة .

قال عبد الله بن عدى : شهدت الحكمين ، ثم أتيت الكوفة وكانت لى إلى على رضى الله عنه حاجة فلما دخلت عليه قال لى : مرحباً بك يا ابن أم قتال

---

(١) فى ذيل الأمالى : تشهدا .
(٢) فى ذيل الأمالى ١٠٨ : فإن نأيكما والثكل مثلان
(٣) فى ذيل الأمالى : أصبحت هزءا لراعى الضأن أعجبه . وفى غ . يسخر بى بدل يلعب بى.
(٤) فى غ : أعمام مجد وأجدادى وإخوانى .

أَزائِراً جئتنا أم لِحَاجَة ؟ فقلت : كُلّ جاءَ بى ، جئتُ لحاجَة وأحببْتُ أن أُجدِّدَ بك عهْدًا ، وسألته عن حَدِيث فحدَّثنى على ألا أُحدِّثَ به أحداً ، فبينما أنا يوما بالمَسْجِدِ فى الكُوفة إذا عَلِىٌّ رَضِى الله عنه مُتنَكِّبا قَرْناً فجعل يقول : الصَّلاة جامِعَة ، وجلَس على المِنْبَر ، واجْتمَع النَّاس ، وجاءَ الأشْعَثُ بنُ قيْس ، فجلَس إلى جانِب المْنبَر ، فلما اجْتمَع الناسُ ورضى منهم ، قام فحمد الله وأثْنى علَيه ، ثم قال : أَيُّها النَّاس إنَّكُم تزْعُمُون أن عِنْدِى مِنْ رسُول الله صلى الله عليه وسلم ماليْسَ عِندَ النَّاس ! أَلا وإنَّه لَيْس عندى إلَّا مافى قرْنى هذَا ، ثم نكَتَ كِنانَته ، فأخرجَ مِنْهَا صَحِيفة فِيهَا : «المُسْلِمُون تتكَافَأُ دِمَاؤُهم ، وهُم يَدٌ على مَنْ سِوَاهم ، أَلا لايُقْتَل مُؤْمِنٌ بكافِر ، ولاذُو عَهْد فى عَهْدِه ، ومَنْ أحدَثَ حَدَثاً أو آوى مُحدِثاً فعلَيْه لعنةُ اللهِ والملائكَةِ والنَّاسِ أجْمَعين» . فقال له الأشْعَثُ بْنُ قيْس : هَذِه واللهِ عَلَيْك لا لَكَ ، دَعْهَا تَرْحَل (١) ، فخفَضَ علىّ إليْه بَصرَه وقال له : مايُدْرِيك مَا علىَّ مِمَّا لِى ، عليك لَعْنَةُ الله ولعْنة اللاعنين حَائِك ابنُ حائكٍ مُنَافِقٌ ابنُ كافِر ، واللهِ لقد أَسَرَكَ الإسْلامُ مرَّة والكُفرُ أُخْرَى ، فَمَا فدَاكَ من وَاحدة مِنهُما حَسَبُك ولا مالُك ، ثم رَفَع بصرَه وقَالَ :

أصبحتُ فردًا لِراعِى الضَّأْنِ يَلْعَبُ بى
ماذا يَرِيبُك منى رَاعِىَ الضَّانِ

قلت : بأَبى أنتَ وأُمِّى ، قد كنتُ واللهِ أُحِبّ أن أسمعَ هذا مِنْك ، قال : هُوَ واللهِ ذَاكَ :

فما قِيلَ فيها بَعْدَنا مِنْ مَقَالَة ولا عَلِقت منا جَدِيداً ولا دَرْسا

---

(١) فى غ : تترحل .

ولَمَّا ماتَ أُمَيَّةُ بنُ الأَسْكَر عادَ ابنُه كِلاب إلى البَصْرَة ، وكان يَغزُو مع المسلمين ، وشهد فُتُوحَاتٍ كثيرة إلى أنْ بَقِى إلى أَيَّام زِيَاد ، فوَلَّاه الأُبُلَّة ، فسَمِع يوماً عُثْمَانَ بن أبي العَاصِ يُحَدِّث أن دَاوُدَ النَّبِيَّ صلوات الله عليه كان يَجْمَع أهلَه فى السَّحَر فيقول : أُدعُوا رَبَّكم فإن فى السَّحَر ساعةً لا يدعو فيها عبدٌ مؤمن إلَّا غُفِر له إلَّا أن يكون عَشَّاراً أو عَرِيفاً ، فلما سمع ذلك كلاب ، كتَبَ إلى زِيَاد ، فاستَعْفاه من عَمَله فأَعْفَاه .

ولم يزل كِلاب بالبَصْرَة حتى ماتَ بها . والمَرْبَعَةُ المَعْرُوفة بمَرْبَعَة كِلاب مَنْسُوبَة إليه .

الأَغْلَبُ العِجْلِيّ

هو الأَغْلَبُ بن جُشَم بن سَعْد بن عِجْل بن جُشَم(١) بن صَعْب بن عَلِى بن بَكْر ابن وَائِل ، وهو أحد من عَمَّر فى الجاهلية طويلا وأدرك الإسلام فأسلم وحَسُن إسلامُه وهَاجَر .

وكان فِيمَن توَجّه إِلَى الكوفة مع سَعْد بن أَبِى وَقَّاص ونزَلَها واُسْتُشْهِدَ فى وقعة نَهَاوَنْد فقَبْرُه هناك مع قُبُور الشُّهَدَاء .

وهو أَوَّل من رَجَزَ الأَرَاجيز ، وسَلَكَ الناسُ طَرِيقَه ، وكانت العربُ تقول الرَّجَز فى الحَرْب والجِدّ والمُفَاخَرة وما جرَى هذا المَجْرَى ، فتَأْتِى منه بأبيات يَسِيرة ، والأَغْلَبُ أولُ من قَصَّدَ الرجز .

قال الشَّعْبِى : كنتُ عند عمرَ بن الخطَّابِ رضى الله عنه وقد كَتَب إِلَى المُغيرة ابن شُعْبة وهو على الكُوفَة : أن اُستَنْشِد مَنْ قِبلك مِنْ شُعَراء أهل مِصْرِك ما قَالُوا فى الإِسْلَام ، فاستَنْشَدَ الأَغْلَب ، فأنشده شيئاً من شِعْره ، واستَنْشَدَ لَبِيداً ، فانْطَلق وكَتَب سُورَةَ البَقَرة فى صَحِيفة وقال : أَبْدَلَنِى اللهُ عزَّ وجَلَّ هذه فى الإسلام مَكَانَ الشِّعر . فكتب المُغيرة بذلك إِلَى عُمَر ، فنَقَص من عَطَاء الأَغلب خَمْسَمِائة وجَعَلَها فى عَطَاء لَبِيد ، فكتب الأَغْلَب إلى عمر : يا أَمِيرَ المؤمنين ، أَتَنْقُص عَطائى أن أَطَعْتُك ؟ فرَدَّ عليه خَمْسَمِائة ، وأقر عَطَاءَ لَبِيد على أَلْفَين وخَمْسمِائة درهم .

وقيل : إنَّ الأَغْلَب لَمَّا دخل على عُمَرَ رضى الله عنه قَالَ له : هِيهِ أنتَ القَائِل :

أرجزاً تُرِيدُ أم قصِيدا ... لقد سألتَ هَيِّناً مَوْجُودا

(١) فى ا: لجيم .

فقال : يا أمير المؤمنين لَقَدْ أطعتُك ، فرَدَّ عليه الخمْسَمائة .

وهو القائِل فى سَجَاح لمَّا تزوجت مُسَيْلِمَة الكَذَّاب :

كأنّ عِرْقَ أيْرِه إذَا وَدَى[1] حَبْلُ عَجُوز ضَفَرت سَبْعَ قُوَى
يَمْشِي عَلَى قَوائم خمسٍ بَظَا[2] يرْفَع وُسْطَاهُن من بَرْد النَّدَى
قالت مَتَى كنتَ أبَا الخيْر مَتَى قال حَديثاً لم يُغيِّرْنِى البِلَى
ولم أُفَارِق خُلَّة لِى عن قِلَى فانتفشت[3] فَيْشَتُه ذاتُ الشوى
مازَالَ عنها بالحديث والمُنَى قال ألا ترَيْنَه قَالَت : أرَى
قَالَ ألَا أُدْخِلُه[4] قالَتْ : بَلَى فَشَام فيهَا مثل مِحْرَاث الغضَا
يقول لَمَّا غَابَ فيهَا واستَوَى لِمثْل ذا[5] كنتُ أُحَسِّيك الحسَا

(١) الودى : الماء الذى يخرج أبيض رقيقا على إثر البول من الإنسان . وودى : سال .
(٢) كذا فى ا و ت . وفى طبقات الشعراء : يمشى على قوائم له خشى وفى غ : زكا بدل بظا .
(٣) فى غ : فانتسفت وكذلك ا وت . وفى طبقات الشعراء : فانتفشت فيشه ذات الشذى.
(٤) فى طبقات الشعراء : أشيمه .
(٥) كذا فى ا وت . وفى غ وطبقات الشعراء : لمثلها .

أَوْسٌ القُرظىّ

هوأَوْسُ بن ذَبَّى القُرَظِىّ رجل مِنْ بَنِى قُرَيْظَة ، وبنو قُريظة وبَنُو النَّضِير يقال لهم : الكاهِنَان ، وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخى موسى بن عمران عليهما السَّلام .

[وكانوا نزولا بنواحى يثرب بعد وفاة موسى بن عمران عليه السلام](١) وقيل : تفرّق الأَزْد عند انفجار سَيْل العَرِم ونُزُولِ الأَوْس والخزرج بيثرب .

وكان سَاكِنُو المدينة فى أَول الدهر قبل بَنِى إسرائيل قوما من الأمم الماضية يقال لهم : العَمَالِيق ، وكانوا قد تفرقوا فى البلاد ، وكانوا أهل عز ومنعة وبغى شديد ، وكان ساكنو المدينة منهم بنوسعد وبنو الأزرق وبنو هفّ وبنو مَطْرُوق(٢) ، وكان ملك الحجاز منهم رجل يقال له : أَرْقَم ينزل تَيْمَاء إلى فَدَك ، وكانوا قَدْ مَلأُوا المدينة ولهم بها نخل كثير وزَرْع .

وكان موسى عليه السلام قد بعَثَ الجنودَ إلى الجبابرة من أَهْل القُرى يغزوهم ، فبَعَث إلى العماليق جيشاً من بنى إسرائيل ، وأمرهم أن يقتلوهم جميعا إذا ظَهروا عليهم ، ولا يستبقوا منهم أحدا ، فقدم الجيشُ الحجازَ ، فأظهرهم اللهُ عزّ وجلّ على العَمَالِيق فقتلوهم أجمعين إلا ابناً للأَرْقَم ، فإنه كان وَضِيئاً جميلًا ، فضَنُّوا به على القتل ، وقالوا : نذهب به إلى موسى فيَرَى فيه رأيه ، فرجعوا إلى الشَّام ، فوجدوا موسى عليه الصلاة والسلام قد مات ، فقال لهم بنو إسرائيل : ما صنعتم ؟ فقالوا :

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ت والتكملة من ا .

(٢) كذا فى ت و غ . وفى ا : مطروف .

أظهرَنا الله عليهم فقتلناهم فلم نُبْقِ منهم أحداً غيرَ غلام كان شابًّا جميلًا نفِسْنا به عن القتل(١) ، فقلنا: نَأْتِي به مُوسَى فيَرَى فيه رأيَه ، فقالوا لهم: هذه معصية وقد أُمِرْتُم ألا تَسْتَبْقوا أحداً منهم ، والله لا تدخلوا علينا الشَّامَ أبداً ، فلما مُنِعوا من ذلك قالوا : ما كان لنا خيراً من منازل القوم الذين قتلناهم ، نرجعُ إليها فنُقيم بها ، فرجعوا على حاميتهم حتى قدموا المدينة فنزلوها ، فكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود المدينة(٢) ، فانتشروا فى نَوَاحِى المدينة كلها إلى العالِيَة ، فاتخذوا بها الآطام والأموال والمزارع ، ولَبِثوا بالمدينة زمانا طويلا .)

(ثم ظَهَرَت الرُّوم على بنى إسرائيل جميعاً بالشَّام ، فوطئوهم وقتلوهم ، ونَكَحوا نساءَهم ، فخرج بنو النَّضِير وبنو قُرَيْظَة وبنو بهدل هاربين منهم إلى مَنْ بالحجاز مِنْ بنى إسرائيل فلما فَصَلوا عن الشام بأهليهم بَعَث ملك الروم فى طلبهم لِيَرُدَّهم ، فأَعْجَزُوه ، وكان ما بين الشَّام والحجاز(٣) مَفَاوِز ، فلما بلغ طَلَبُ(٤) الروم الثَّمَدَ انقطعت أعناقهم عَطَشًا فمَاتُوا ، وسُمِّىَ الموضعُ ثَمَد الروم ، فهو اسْمُه إلى اليوم .

فلما قَدِم بنو النَّضِير وبنو قُرَيْظَة وبهدل المدينة نزلوا الغابة فوجدوها وَبِيئَةً ، فكَرِهُوها ، وبعثوا رائداً وأَمَرُوه أن يَلْتَمِس لهم منزلا سواها، فأتى العالِيَة وهى بُطحانُ ومَهْزُورٌ واديانِ يهبطان من حَرَّةٍ على تِلَاع عذبة تُنْبِت حُرَّ الشَّجَر ، فرجع إليهم فقال : وجدتُ لكم بلداً طَيِّبًا نَزِهاً على حَرَّة يَصُبُّ منها وَادِيَان على تِلاع عَذْبَة ومَدَرَةٍ طَيِّبَة فى مُتَأَخَّرِ الحَرَّة(٥) فتحَوَّلُوا إليها من منزلهم ذلك ، فنَزَل بنو النَّضِير

---

(١) فى غ : على القتل .

(٢) كذا فى ا وغ . وفى ت : المدينة اليهود .

(٣) فى ا : ما بين الشام وبين الحجاز .

(٤) فى ت : صاحب « تحريف » .

(٥) فى ا و ت : الحرم .

ومَنْ معهم على بُطْحَان ، وكانت لهم إبل نواعم ، فاتَّخَذُوها أموالا ، ونزلت قُرَيْظَة وبنو بهدل ومَن معهم على مَهْزُور ، فكانت لهم تِلَاعه وما سَقَى من بُعَاثَ وسمرات، وكان مِمَّن يسكن المدينة الأَوْس والخَزْرَج . ومن قبائل بنى إسرائيل بنو عَكْوة وبنو ثَعْلَبة ، وبنو محمر ، وبنو زَعُورَاء ، وبنو قَيْنُقَاع ، وبنو زيد ، وبنو النَّضِير ، وبنو قُرَيْظَة ، وبنو بَهْدَل ، وبنو عَوْف ، وبنو القَصِيص . وكان يسكن يَثْرِب جماعةٌ من أُمَناء[1] اليهود فيهم الشَّرَفُ والثَّرْوَةُ والعِزُّ على سائر اليهود .

(ولما أرسل الله تعالى سَيْلَ العَرِم على أهل مَأْرب ، وهم الأَزْد) قام رائدهم فقال : مَنْ كان ذَا جَمَل مِفَنّ وَوَطْب مدنّ ، وقِرْبَة وشَنّ ، فلينقَلِب عن بقرات النعم ، فهذا اليوم يوم هَمّ ، ولْيَلْحَق بالثَّنْى من شنّ — قال وهو بالسَّرَاة — فكان الذى نزلوه أَزْد شَنُوءَة ، ومَن كان ذَا فَاقَة وفقْر[2] ، وصبر على أزمات الدَّهر ، فَلْيَلْحَق ببَطْن مُرّ ، فكان الذى سكنوه خُزَاعة ، ثم قال لهم : مَنْ كان يريد الخمرَ والخَمير، والأمْرَ والتَّأْمير ، والدِّيباجَ والحَرِير ، فَلْيَلْحق ببصرى وغوير[3] ، وهى [من] أرض الشام ، فكان الذى سكنوها[4] غسَّان ، ثم قال: مَنْ كان منكم ذا هَمٍّ بعيد ، وجَمَل شديد ، ومزاد جديد ، فلْيَلْحَق بقصر عمَّان الحديد[5] ، فكان الذى نزلوه أزدعمان ، ثم قال : [و] مَن كان [منكم] يريد الراسيات[6] فى الوَحْل ، المطعمات فى المَحْل فلْيَلْحَق بيَثْرِب ذاتِ النَّخْل ، فكان الذين نزلوها[7] الأَوْس والخَزْرَج ،

---

(١) فى ا و ت : أفناء .

(٢) فى ت : ضر .

(٣) كذا فى ا و ت ، وفى غ : الحفير .

(٤) فى غ : سكنوه .

(٥) فى ت : المشيد .

(٦) كذا فى ا وت . وفى غ : الراسخات .

(٧) كذا فى غ : وفى ا و ت : نزلوه .

[فلما توجَّهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا فى صرار[1] وتفرَّقوا ، فكان منهم مَن لجأ إلى عَفَار من الأرض لا ساكن فيه فنزلوا به ، ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها ، فكانوا مع أهلها ، فأقامت الأَوْس والَخزْرج فى منازلهم التى نزلوا بها بالمدينة فى جَهْد وضيق فى المعاش ، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاء ؛ لأنَّ المدينة ليست بلادَ نَعَمْ ، وليسوا بأصحاب نَخْل ولا زرع ، وليس للرجل إلَّا الأَعْذَاقُ اليسيرة ، والمزرعة يستخرجها من أرض موات ، والأموال لليهود ، فلبثت الأَوْس والَخزْرج بذلك حينا .

ثم إن مالك بن العِجْلان وفَدَ إلى أبى جَبلَة[2] الغَسَّانى ، وهو يومئذ ملك غَسَّان ، فسأله عن قومه وعن منزلهم ، فأخبره بحالهم وضيقهم فى معاشهم ، فقال له أبو جَبلَة : والله ما نزل منا قوم بلداً قط إلَّا غَلَبوا أهلَه عليه ، فما بالكم ؟ ثم أمره بالمُضِىّ إلى قومه وقال له : أعلِمْهم أنى سائر إليهم ، فرجع مالك بن العِجْلان فأخبرهم بأمر أبى جَبلَة ، ثم قال لليهود : إن الملك يريد زيارتكم فأَعِدُّوا نُزُلًا ، فأَعَدُّوه له ، وأقبل فنزل بذى حُرُض ، ثم بعث إلى الأَوْس والَخزْرج ، فذكر الذى قدم له ، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رءوسهم وأشرافهم ، وخَشِى إن لم يمكر بهم أن يتحصَّنُوا فى آطامهم فيطول[3] حِصَارُه لهم ، فأمر ببناء حائر[4] واسع ؛ ثم أرسل إلى اليهود : إن أبا جَبلَةَ الملك قد أحبّ أن تأتوه ، فلم يبق وَجيه[5] من وُجُوهِ القوم إلَّا أتاه ، وجعل الرجل يأتى معه بخاصّته[6] وحشمه ، رجاء أن يَحْبُوَهم ، فلما اجتمعوا ببابه

(١) صرار : موضع قرب المدينة .
(٢) كذا فى ا و ت والقاموس . وفى غ : جبيلة .
(٣) فى ا : فيطول .
(٤) كذا فى ا و غ . وفى ت : حاجز .
(٥) فى غ : وجه .
(٦) فى غ : بخاصه .

أمر رِجَالًا من جنده أن يدخلوا الحائِر الذى بنَاه ، ثم يقتلوا كلَّ مَن دَخل عليهم من اليهود ، ثم أمر حُجَّابه أن يأذَنوا لهم فى دخول الحائِر ويُدْخِلُوهم رَجُلًا رَجُلًا ، ولم تزل الحُجَّاب يأذَنُون لهم كذلك ، ويقتلُهم الجُنْد الذين فى الحائِر حتى أتَوْا على آخرهم ، وقال للأوْس والخزْرج : إن لم تَغْلِبوا على البلاد بعد مَن قَتَلْتُم من أشراف أَهْلِها فلا خير فيكم ، ثم رَحَل فرجع إلى الشام . ثم إنهم أقاموا زمانا بعد ما صنع أبو جَبَلة ما صنع واليهود تعْتَرِضُ عليهم وتناوِئهم . فقال مالك بن العِجْلان للقوم : والله ما أَثْخَنَّا يهودَ غَلَبَةً كما نُرِيد ، فهل لكم أن أَصْنَع طعاما ، ثم أرسل إلى مائة[1] من أَشْرَاف يهود ، فإن جاءونى قَتَلْتُهم فيَذِلُّوا حينئذ جميعاً ، فلما جاءهم رسولُ مالك قالوا : والله لا نأْتِيهم أبداً ، وقد قَتَل أبو جَبَلة منا مَن قَتَل ، فقال لهم مالك : إن ذلك كان من غير هَوًى منّا ، وإنما أَرَدْنا أن نمْحُوَه وتعْلَمُوا حالَكم عِنْدَنا ، فأجابوه ، فجعل كلَّما دَخَل عليه رجلٌ منهم أمر به فقُتِل ، حتى قَتَلَ منهم بِضْعةً وثمانين رَجُلًا) فأقبل رجل منهم حتى قام على بَابِ مالك ، فتَسَمَّعَ فلم يسمع صوتاً ، فقال : أَرَى أَسْرَع وِرْد وأبعد صَدَر ، ورجع وحذَّر أصحابه الذين بقوا ، فلم يأت منهم أحد . فقال رجل من اليهود لمالك :

فسَفَّهْتَ قبِيلةَ أحلامَها فَفِيمَن بقيتَ وفيمن تَسُود

فقال مالك :

إنى امرؤ من بَنِى سَالِم[2] بْنِ عوفٍ وأنتَ امرؤٌ من يَهُود

وصوَّرَت اليهودُ مالِكاً فى بِيعَهم وكَنائِسهم ، وكانوا يلعنونه كلما دخلوها . ولما قتل مالك من اليهُود من قَتَل ذَلُّوا وقَلَّ امتناعهم ، وخافوا خوفا شديدا ،)

---

(١) كذا فى ا و غ . وفى ت : ثم آتى مائة .

(٢) فى ت : من بنى قيس مالك بن عوف . وفى ا من بنى مالك بن عوف .

وجعلوا كلما هَاجَهم أحدٌ من الأَوْس والَخزْرج بشيء يكرهونه لم يَمْشِ بعضهم إلى بعض كما كانوا يفعلونه قبل ذلك ، ولـكن يذهب اليهودى إِلَى جِيرَانه الذين [هو بين] أظهرهم فيقول : إنَّما نحن جِيرَانُـكم ومواليـكم ، فـكان كل قوم من اليهود قد لجأوا إلى بطن من الأوس والخزرج يتعزّزون بهم)

وكان لأوس القرظى امرأةٌ من بنى قُرَيْظَة ، فأسلمت وفارقته ، ونازعتها نفسها إلَيْه ، فأَتَتْه وجعلت ترغبه فى الإسلام فقال فيها :

دَعَتْـنِى إِلَى الإسلام يومَ لَقِيتُها ... فقلتُ لها : لا بَلْ تَعَالَىْ تَهَوَّدِى

فنحنُ عـلى توراةِ مُوسَى ودِينِهِ ... ونِعَم لعَمْرُ الله(١) دِينُ مُحَمَّدِ

كِلَانَا يرى أنَّ الرَّشَادَةَ دِينُـه ... ومَنْ يُهدَ أبوابَ المراشد يرشُدِ

(١) فى ا وغ : لعمرى الدين دين محمد .

٥٩٤ ، ٤/

إبراهيم بن المدبِّر

(كُنيَتُه أبو إسحاق ، كاتِب شاعر متقدِّم ، من وجوه كُتَّاب العِراق وذَوِى الجاه المُتَصَرِّفين فى كِبَار الأعمال . وكان المتوكل يُقدِّمه ، ويُؤْثِره ويفَضِّله ، وكان بينَه وبين عَرِيبٍ حَالٌ مشهورة ، كان يهوَاها وتهْوَاه .

مَرِض المتوكل مَرْضة خِيفَ عليه منها ، ثم عُوفِى ، وأَذِن للناس فى الوصول إليه ، فدخلوا على طَبَقَاتِهم ، ودخل إبراهِيمُ بنُ المُدبِّر معهم . قال : فلما رَآنِى المُتوكِّل استدْنَانِى حتى قمت وراء الفتْح ، ونظَر إلىَّ مُسْتَنْطِقا ، فأنشدته :

يــومٌ أتانَا بالسُّرُور ... فالحمــدُ[1] لله الــكَبِير
أخلَصْتُ فيــه شُكْرَه ... ووفَيْتُ فيــه بالنُّذُور
لَمَّا اعتــلَلْتَ تصدَّعَت ... شُعَبُ القلوب من[2] الصدور
من بين مُــكْتئِب الفُؤا ... د وبين مُلْتَهِب الضَّمِير[3]
يا عُـدَّتِى للـدِّين والدُّ ... نيا وللخَطْب الخطِــير
كانت جفــونى ثَرَّةَ الْـ ... آماق بالدمــع الغزير
لو لَمْ أَمُت جَزَعــا لَعَمْـ ... رُك إنَّنِى عينُ الصَّبُور
يومى هنــالك كالسِّنِيـ ... نَ وسَاعتى مِثْلُ الشهور
يا جَعْفرُ المتــوكل الــ ... عالى عــلى البَدْرِ المُنِيرِ
اليوم عاد المــلك[4] غَضّ ... العود ذا وَرَق نضــير

(١) فى ا و ت : والحمد .

(٢) فى غ : مع .

(٣) كذا فى ا وت . وفى غ : ملتهب الفؤاد ، وبين مكتئب الضمير .

(٤) فى غ : الدين .

والیوم أَصْبَحَت الخــلا فَةُ وهی أَرْسَی من ثَبِیر
قــدحا لفتْكَ وناقدتــ لك علی مُطاوَلَـة الدُّهُور
یا رحمــةً للعالمــ ین ویا ضِیاءَ المُسْتَنِــیر
یا حُجَّــةَ اللهِ الّتی ظهرتْ لــه بهُدًی ونُور
لله أنتَ فمــا نُشَا هدُ منك من کرمٍ وخــیرِ
حتی نَقُــولَ ومَنْ یقرُ بك منْ ولیّ أو نَصِــیرِ
البــدر ینطِــقُ بیننا أو[1] جَعْفَر فَوْقَ السَّریر
فإذا تــواترت العطا ثُمّ کنتَ منقطَع النَّظِــیر
وإذا تعــذَّرت العَطَا یا کَنتَ فیَّاضَ البحُــورِ
تُمضِی الصوابَ بِــلَا ظَهیـ ر أو وَزیر[2] أو مُشــیر

فقال المتوکل للفتح : إنَّ إبراهیم لینطق عن نیّة خالصة وود مَحْض ، وماقضینا حقَّه ؛ فاحمل إلیه الساعة خمسین أَلْف دِرْهم ، وتقدّم إلی عَبْدِ الله بن یحیی بأن یُوَلّیِه عَملا سَنِیًّا[3] یَنْتَفِع به .

کان أحمدُ بنالمدبّر وَلِیَ لعُبَید الله[4] بن یَحْیی بنخاقان عَمَلًا فلمیَحْمَد أثرَه فیه ، وعَمِل علی أن یَنْکُبَه ، وبَلَغ ذلك أحمدَ فهرَب ؛ وکان عُبَیْد الله مُنْحَرِفا علی[5] إبرْاهیم، شدیدَ النَّفَاسَة علیه ؛ لِرَأْی المتوکل فیه ، فأغراه به ، وعرّفه خَبَر أخیه ، وادَّعی علیه مالًا جَلِیلًا ، وذکر أنّه عند إبراهیم أخیه ، وأَوْغَرَ صَدْرَه علیه ، حتی أَذِن له فیحَبْسِه . فقال فی مَحْبِسه أشعاراً منها :

(١) فی غ : أم .
(٢) کذا فی ا و ت . وفی غ : بلا وزیر أو ظهیر ..
(٣) فی غ : سریا .
(٤) کذا فی غ وفی ا و ت : عبد الله .
(٥) فی غ : عن .

أَدُمُوعُها أم لُؤْلُؤٌ مُتَنَاثِرُ ... يَبْدُو به الوَرْدُ الَجنِيُّ الزَّاهِرُ[(١)]
لا تُؤْيِسَنَّكَ من كريم نَبْوَةٌ ... فالسَّيْفُ[(٢)] ينبو وهو عَضْب باتر
هــذا الزَّمانُ تَسُومُني أَيَّامُه ... خَسْفاً وها أَنَا ذا عليــه صَابِر
إن طَالَ لَيْلِي في الإِسَارِ فطَالَمَا ... أفنيتُ دهراً ليلُه متقاصرُ
والسِّجن[(٣)] يَحْجُبني وفي أكنافه ... مِنِّي على الضَّرَّاءِ لَيْثٌ خَادِر
عَجَباً له كيف الْتَقَتْ أَبْوَابُه ... والجودُ فيه والرَّبيعُ[(٤)] البَاكِر
هلا تَقَطَّع أو تَصَدَّع أو هَوَى[(٥)] ... فعَذَرْته لـكِنَّه بِيَ فَاخِــر

وممَّا قاله في الَحبْسِ :

هو الَحبْسُ مَا فِيه عليَّ غَضَاضَــة ... وهل كان في حَبْسِ الَخليفة منْ عَار
ألستِ تَرِينَ الخمرَ يظهرُ حُسنُها ... وبَهْجَتُها بالحبس في الطِّين والقَارِ
وما أَنَا إلَّا كالَجوَادِ يَصُــونُه ... مُقَوِّمــه للسَّبق في طيِّ مِضْمَــار
أو الدُّرَّةِ الزهراءِ في قَعْرِ لُجَّــة ... فلا تُجْتَلى إلا بِهَوْل وأَخْطَــار
وهَلْ هو إلَّا منزِلٌ مثلُ منزلي ... وبيتٌ ودارٌ مثل بَيْتِيَ أَوْ دَارِي
فلا تُنْكِرِي[(٦)] طولَ المَدَى وأذى العدا ... فإن نِهاياتِ الأمور لإقصَــارِ
لعَلَّ وراءَ الغيبِ أَمراً يسُرُّنَا ... يُقَدِّره في عِلْمه الخَــالِقُ البَارِي
وإنِّي لأَرجو أن أصــول بِجَحْفَلٍ ... فأهــضم أعدَائِي وأُدرِكَ بالثَّــارِ

---

(١) كذا في ا و ت . وفي غ يندى به ورد جنى ناضر .
(٢) في ا : كالسيف .
(٣) كذا في ا . وفي غ : والحبس . وفي ت : والحى .
(٤) كذا في ا و ت . وفي غ : والغمام .
(٥) كذا في ا و ت . وفي غ : وهى .
(٦) كذا في غ وتهذيب الأغاني . وفي ا وت : تنكرن .

(ثم إنّ حَبْسه طَالَ ، ولم يكن لأحد فى خَلاصِه حِيلَة مع عُبَيْدِ الله وقَصْدِه إيّاه، حتى تخلّصه[١] محمدُ بْنُ عبدِ الله بن طاهر وجرَّد[٢] المسألةَ فى أَمْرِه) ولم يلتفت إلى عُبَيد الله[٣] ،(وبَذَلَ أن يَحْتَمِل فى مالِه ، كلَّ ما يُطْلَبُ[٤] به ، فأعفاهُ المتوكّل من ذلك ، ووهَبَه له). وكان مِمَّا قَالَه فيه إبراهيمُ بْنُ المُدَبِّر :

دَعوتُكَ من[٥] كَرْبٍ فلبَّيْت دعوتى ... ولم تَعْترِضْنى[٦] إذ دعوتُ المَعاذِر
إليكَ وقد حُلِّئْتُ[٧] أوردْتُ همَّتى ... وقد أَعجزَتْنى عن هُمُومى المصادِر
نَمَى بك عبدُ الله فى العِزِّ والعُلا ... وحازَ لكَ المَجْدَ المُؤَثَّلَ طَاهِر
فأنتم بنُو الدنيا وأملاكُ جَوِّها ... وساسَتُها[٨] والأعظَمُون الأكابر
مآثِرُ كانت للحُسَيْن ومُصْعَبٍ ... وطَلْحَةَ لا تَحْوِى مَدَاها المَفاخِرُ
إذا بَذَلُوا قِيلَ الغُيوثُ البواكِرُ ... وإنْ غَضِبُوا قِيل اللُّيُوثُ الهوَاصِر
تُطِيعُكُم يوم اللقاء البواتِرُ ... وتَزْهَى[٩] بكم يوم المُقَام المنَابِر
وما لكم غيرَ الأسِرَّة مجلسٌ ... وما لكم غيرَ السُّيُوف مخَاصِر
ولى حاجَةٌ إنْ شئت أحرزتَ مَجْدَهَا ... وسِرُّكَ منها أوَّلٌ ثم آخِرُ
كلامُ أميرِ المؤمنين وعَطْفُه ... فما لِىَ بعدَ اللهِ غيرُكَ نَاصِر

---

(١) كذا فى ا وغ . وفى ت : خلصه .
(٢) كذا فى ا وت وفى غ : جود .
(٣) فى ت : عبد الله .
(٤) كذا فى غ وتهذيب الأغانى . وفى ا وت : يطلب .
(٥) كذا فى غ ، وفى ا وت : عن .
(٦) فى ت : تعرضنى « تحريف » .
(٧) كذا فى ا وتجريد الأغانى أى منعت . وفى ت وغ : جليت .
(٨) فى ت : وسادتها .
(٩) كذا فى ا وت . وفى غ : وتزهو .

فإن ساعَدَ المقدار[1] فالنُّجْحُ وَاقـع وإلّا فإنِّى مُخْلِص الودِّ شـاكِرُ

قال علىُّ بْنُ العبَّاس بن طلحة الـكاتب : كنتُ عند ابْنِ المُدَبِّر ، وقد زَارته ، بِدْعة وَتُحْفة جاريتا عَرِيب ، وأخرجَتَا إليه رقعة من عَرِيب فقرأناها[2] فإذا فيها: بنَفْسِى أنت وبِسَمْعِى[3] وبَصَرى ، وقَلَّ ذَلِك لك منى ، أصبح يومنا هذا طَيِّباً ، طَيَّبَ اللهُ عيشَك قد احتجبَت سماؤُه ، ورَقَّ هواؤُه ، وتـكامل صَفاؤُه ، فـكأنَّه أنت فى رِقَّة شَمَائلك ، وطِيبِ مَحضَرِك ومَخْبرِك[4] ، لا فقدْت ذلك أبدا منك، ولم يُصَادِف حُسْنُه وطِيبُه مِنّى نشَاطًا ولا طَرَباً ، لأمور صَدَّتْنى عنها ، أَكْرهُ[5] تنغيص ما اُشتَهيْت[6] لك من السرور بشرْحِها[7] ، وقد بعثْتُ إليك ببدعة وتحفة ؛ لِيُؤْنِسَاك وتُسَرَّ بِهمَا ، سرَّك الله وسَرَّنى بك. فـكتب إليها :

كيفَ السرورُ وأنتِ نَازِحَةٌ عنى وكيف يَسُوغ لى الطَّرَبُ
إنْ غِبْتِ غابَ العيشُ وانقطعَتْ أسبابه وألَحَّتْ الـكُرَبُ

وأنفذَ الجواب ، فلم تلبَثْ أَنْ جاءت ، فبادَرَ إليهَا ، وتلقَّاها حَافياً ، حتى جاء بها على حِمَارٍ مصرى كان تحتَها إلى صدْر مجلسه وأجْلسَها ، ووطىءَ الحمارُ مجلسه وما عليه ، وأخذ رِكَابَها وأنزلَها ، وجَلَس بين يَدَيْها . ثم قال :

---

(١) كذا فى ا وت ، والمقدار : القدر . وفى غ : المقدور بدل المقدار .
(٢) فى ت : فقرأها .
(٣) كذا فى ا وت . وفى غ وتهذيب الأغانى : وسمعى .
(٤) كذا فى ا وغ . وفى ت : مجدك « تحريف » .
(٥) فى ت : أكثره « تحريف »
(٦) كذا فى ا وت . وفى غ : أشتهيه .
(٧) فى غ : بنشرها .

ـ ألا رُبَّ يومٍ قصَّر اللهُ طَوله بقُرب عَرِيب حَبَّذا هو من قُرْب
ـ بها تحْسُن الدّنيا وينعَم عيشُها وتجتمع السَّرَّاء للعَيْن والقلْبِ

كتبت عَرِيب إلى إبراهيم رُقْعةً تسأله عن أخباره فكَتَب بين سُطُورها :

وساءلْتموه(١) بعد كم كيف حالُه وذلك أمر بيِّن ليس يشكِلُ
فلا تسألوا عن قلْبه فهو عندكم ولكن عن الجِسْم المُخَلَّف فاسْألوا

(١) كذا فى ا وت وغ ، وساءل : سأل . وفى تهذيب الأغانى : وسألتموه .

يوم أُوارَه

كان عَمْرُو بنُ المُنْذِر بن ماء السماء ، وهو عَمْرُو بنُ هِند يعرف بأُمّه هِنْد بنت الحارث المَلِك المَقْصُور بن حجر آكل المُرار الكِنْدى ، وهو الذى يقال له : مُضَرِّطُ الحِجَارة ، وكان قد عاقَد هـذا الحىّ من طَيِّئ على ألا يُنازِعوا ولا يُفاخِروا ولايغزوا ، وإن عمرو بن هند غزَا اليمامة ، فرجع مُنْفَضّا ، فمر بطيِّئ ، فقال له زُرَارَة بن عُدُس بن زَيْد بن عَبْدِ الله بن دَارِم : أبيتَ اللعنَ ، أَصِبْ من هذا الحى شيئا ، قال : وَيْلك ، إنّ لهم عقدا ، قال : وإن كان ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأَذْوَاداً . فقال قَيْس بن جِرْوَة الطّائى :

ألا حَىِّ قبل البين مَنْ أنت عاشقه	ومن أَنْتَ مشتاق إليه وشائقُه
ومن لا تُواتِى دارَه غَيْرَ فَيْنَة	ومن أنت تَبْكِى كُلَّ يوم تفارِقُه
تَخُبُّ(١) بصحراء الثَّوِيَّةِ نَاقتى	كعَدْو رَبَاع قد أبحّت (٢) نَواهِقُه
إلى الملك الخَيْر بن هِنْد نَزُوره	وليس من الفوت الذى هو سَابِقُه
وإن نِسَاءً هُنّ ما قَالَ قَائل	غَنِيمَةَ سَوْءٍ بينَهُنّ مهَارِقُه
ولو نِيلَ فى عَهْد لنا لَحْمُ أَرْنَب	رَدَدْنا وهـذا العَهْد أنت مُعالقُه
فهبْك ابنَ هِنْد لم تعقُك أَمَانَة	وما المرء إلّا عَهْدُه(٣) ومَواثِقُه

---

(١) فى غ : وتعدد .

(٢) فى غ : النحرص قد أنحت . والرباع : الفرس السريعة العدو الواسعة الخطو ، وأبحه الصياح : غلظ صوته وخشنه . والنواهق من الخيل والحمر : حيث يخرج النهاق من حلقه « لسان العرب » .

(٣) فى غ : عقده .

وكنا أُناسا خَافِضِين بنعمة يَسِيل بنا(١) تَلع المنى(٢) وأبارقُه
فأَقْسَمْتُ جَهْدًا بالمنـازل من مِنًى وما خَبَّ فى بَطْحَائِهن دَرادِقُه
لئن لم تغـيِّر بعضَ ما قد فعَلْتُم لَأَنْتَحِيَنَّ العظمَ ذُو أَنَا عَارِقُه

فسُمِّىَ عارِقاً بهذا البيت ، فبلغ شعره عمرو بن هِنْد ، فقال له زُرَارة بن عُدس : إنَّه يَتَوَعَّدُكَ. فقال [عمرو بن هِنْد : والله لَأَقْتُلَنَّه، فبلغ ذلك عارِقاً، فأنشأ يقول](٣):

ألا فابلِغا(٤) عَمْرَو بن هِنْـد رِسَالة إذا استَحْقَبتْها العِيس تُنْضَى من البُعْد
أَيُوعِدُنى والرَّمْلُ بَيْنِى وبَيْنَـه تأَمَّل(٥) رُوَيْدًا ما أُمامَةُ من هِنْد
ومن أَجَإٍ دُونى رِعَانٌ كأَنَّهـا قَنَابِلُ خَيْل(٦) من كُمَيْت ومن وَرْدِ
غَدَرْتَ بأمرٍ أنتَ كُنتَ(٧) اجْتَذَبْتَنَا إليـه وبئس(٨) الشِّيمَةُ الغَدْرُ بالعَهْد
وقد يترك الغـدرُ الفـتَى وطَعَامُه إذا هو أَمْسَى حَلْبَة من دَمِ الفَصْدِ

فبلغ عمرُو بنُ هِنْد شعرَه فغزا طَيِّئاً ، وأَسَر أَسْرَى من طَيِّئ من بنى عَدِىّ بن أَخْزم رَهْط حَاتِم بن عبد الله ، فيهم رجل [من الأَجَئِيِّين](٩) يقال له : قَيْسُ بن جَحْدَر ؛ وهو جَدّ الطِّرِمَّاح بن حَكِيم ، وهو ابن خالة حاتِم ، فوفد حاتِم فيهم إلى

---

(١) فى ا : لنا .
(٢) فى غ : الملا .
(٣) ما بين القوسين ساقط من ت .
(٤) كذا فى ت وفى ا وفى غ : من مبلغ .
(٥) كذا فى ا و ت ، وفى غ : تبين .
(٦) فى ت : قبائل خيل . والقنابل : الجماعة .
(٧) كذا فى ا و غ . وفى ت : كنت أنت .
(٨) فى غ : وشر .
(٩) ما بين القوسين ساقط من ا .

عمرو بن هِنْد ، وكذلك كان يَصْنَع ، فسأله إيَّاهم(١) ، فوَهَبهم إلَّا قَيْس بن جَحْدَر ؛ لأنَّه كان من الأَجَئيِّين من رَهْط عارِق ، فقال :

فَكَكْتَ عَدِيًّا كُلَّهَا من إسَارِها ... فأنْعِم وشَفِّعْنِى بقَيْسِ بْنِ جَحْدَر
أَبُوهُ أَبِى والأُمَّهات أُمَّهَاتُنا ... فأَنْعِم فِدَاكَ اليومَ أَهْلى(٢) ومَعْشرى

فأَطْلَقَه له .

وكان المُنْذِر بنُ ماء السماء وضَع ابْناً له أو أَخًا يُقال له مالِك عند زُرَارَة ، وأَنَّه خَرَج ذات يوم يَتَصَيَّد ، فأخفق ولم يُصِب شيئاً ، فرجع فمَرَّ بإبِل لرَجُل من بنى عبد الله بن دَارِم يُقال له سُوَيْد ، وكانت عند سُوَيْد ابنة زُرارَة بن عُدس ، فولدت له سبعة غِلْمَة(٣) فأمر مالِك بن المنذر بناقَةٍ سمينة منها فنحرَها ، ثم اشتوى . وسُوَيْد نائم ، فلما انْتَبَه شَدَّ على مالك فضَرَبه فأَمَّه ، ومات الغلام ، وخرج سُوَيْد هارِبا فلَحِق بمكَّة ، وعلم أنه لا يأْمَن ، فحالَف بنى نَوْفَل بن عبد مَنَافٍ واخْتَطَّ بمكَّة ، فمِن وَلَده أبو إهاب بن عُدس بن قَيْس بن سُوَيْد .

وكانت طَيِّئ تَطْلُب عَثَرَات زُرَارَة وبنى أبيه ، حتى بلغهم ما صنعوا بأَخى الملِك ، فأنْشَأَ عَمْرُو بنُ [ثَعْلَبَة بن](٤) مِلْقَطِ الطَّائِىّ يقول :

مَنْ مُبْلِغ عمراً بأنْ ... المَرْءَ لم يُخْلَق صُبَارَهْ
وحَوادِثُ الأَيَّام لَا ... يَبْقَى لَهَا إلَّا الحِجَارَهْ
إنَّ ابْنَ عِجْزَةِ أُمِّه ... بالسفح أسفل من أُوَارَهْ

---

(١) فى ت : لقاءهم .
(٢) كذا فى ا و ت . وفى غ : فدتك اليوم نفسى .
(٣) فى ت : أغلمة .
(٤) ما بين القوسين ساقط من ت .

تَسْفِي الرِّيَاحُ خِلَالَ كَشْـ   حَيْهِ(١) وقد سَلَبوا إِزَارَهْ
فاقتُلْ زُرَارَةَ لا أَرَى   فى القَوْمِ أَفْضَلَ من زُرَارَهْ

أَوَّلُ وَلَدِ المَرْأَة يقال له تِـكمه والآخر عِجْزَة.

فلما بَلَغَ الشعرُ عمرو بْنَ هِنْد بَكَى حتى فاضت عَيْنَاه، وبلغ الخبرُ زُرَارَةَ، فهرَب، وطلبه عمرو بن هند فلم يَقْدِر عليه، فأخَذَ امرأته وهى حُبْلى، فقال: أَذَكَرٌ فى بَطْنِك أم أُنْثى؟ فقالت: لا عِلْم لى بذلك، قال: فما فعل زُرَارَةَ الغَادِر الفَاجِر؟ قالت: إن كان ماعَلِمت الطيِّب العرَق، السَّمين المَرَق، يأكل ماوَجَد، ولا يسأل عما فَقَد(٢) لا ينامُ ليلة يُخاف، ولا يشبع ليلة يُضاف، فبَقَر بطنها، فقال قومُ زُرَارة لِزُرَارة: والله ماقتلتَ أخاه، فأْتِ الملك فاصدُقْه الخبَر، فأتاه زُرارة فأَخْبَره الخبَر، فقال: جِئْنى بسُوَيْد، فقال: قد لِحق بمكَّة، قال: فَعلىَّ بِبَنِيه، فأتاه ببنيه السَّبْعَة وبأُمِّهم بنت زُرارة وهم غِلْمَةٌ بعضُهم فوق بعض، فأمر بقتلهم، فتناولوا أَحدَهم فضربوا عنقه، وتعلَّق بزُرَارة الآخرون، فتناوَلُوهم، فقال زرارة: يابَعْضِى سَرِّح بَعْضى(٣). فذهَبَت مَثَلاً، وقُتِلُوا.

وآلى عمرو بن هند أَلِيَّةً لَيحْرِقَنَّ من بَنى حَنْظلَة مائة رجل، فخرج يُرِيدهم، وبعث على مُقدَّمته [المطائى](٤) عمرو بن ثعلبة بن غياث بن مِلْقط، فوجد القومَ قد نَذِروا بهم، فأخذ منهم ثمَانِيةً وتِسْعين رجلا [بأسفل أوارة](٥) من ناحية البَحْرَين، فحبسهم، ولحقه عمرو بن هند حتى انتهى إلى أُوَاره وضُربت فيه

---

(١) فى غ: خلاله سخيا بدل: خلال كشحيه.

(٢) كذا فى ا وغ. وفى ت: عهد.

(٣) فى غ: يا بعضى دع بعضا.

(٤) ساقطة من «ت».

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ت».

قبته ، فأمر لهم بأُخْدود فجُعِل لهم ، ثم أَضْرَمَه نارا ، فلمَّا اضطرمت[1] وتلظّت قذف بهم [فيها][2] فاحترقُوا .

وأقبل راكبٌ من البَرَاجم — وهم بَطْن من حَنْظَلَة — عند المسَاء ، لا يدرى بشَىْء مِمَّا كانَ يَصْنَع عمرو ، فوضَع به بَعِيرَه ، فأناخَ فقال له عمرو : ماجَاءَ بك ؟ فقال : حبُّ الطعام ، قد أقويْتُ ثلاثًا لم أَذُق طعاماً ، فلمَّا سَطَعَ الدخانُ ظَنَنْتُه دُخَان طعَام ، فقال له عمرو : مِمَّنْ أَنت ؟ قال : من البَرَاجِم . فقال عَمْرو : إنَّ الشقىَّ وَافِدُ البراجم . فذَهبت مَثَلًا ، ورَمَى به فى النَّارِ ، فهجَت العرب تَميماً بذلك . فقال ابن الصَّعِق العامِرِى :

أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْك بنى تَميم ... بآيَةِ ما يُحِبُّون الطَّعَاما

وأقام ابن هند لا يرى أحداً ، فقيل له : أَبَيْتَ اللَّعْنِ ، لو تحلَّلْتَ بامرأة منهم ، فقد أحرَقْتَ تِسْعَةً وتسعين رجلا ، فدعَا بامرأةٍ من بنى حَنْظَلَة ، فقال لها : مَن أنتِ ؟ فقالت : أنا الحمراء بنتُ ضَمْرَة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل بن دَارِم ، فقال : إنّى لَأَظُنُّكِ أَعْجَمِيَّة ، قالت : ما أنا بأَعْجَمِيَّة ولا ولدتنى العَجَم :

إنِّى لَبِنْتُ ضَمْرَة بن جابِر ... سَادَ مَعَدًّا كابِراً عن كابِر
إنِّى لَأُخْت ضَمْرَة بن ضَمْرَهْ ... إذا البِلاد لُفِّحَت[3] بجَمْرَهْ

قال عمرو : أَما واللهِ لولا مَخافَة أنْ تَلِدى مِثْلَك لصرَفْتُكِ عن النار . قالت : أما والذى أَسْأَلُه أن يَضَع وِسَادَكَ ويَخْفِض عِمَادَكَ ويَسْلُبَك مُلْكَك ويُقرِّب هُلْكَك ما أُبَالِى ما صَنَعْتَ ، فقال : اُقذِفُوها فى النَّار ، فالتفتَتْ فقالت : أَلَا فَتًى

---

(١) كذا فى ا . وفى غ : احتدمت ، وفى ت : أضرمت .

(٢) ساقطة من « ت » .

(٣) فى غ : لفحت .

يكون مكان هذه العَجُوز ؟ فلما أبطأُوا عليها قالت : صارَ الفِتْيَان حُمَماً ، فذَهَبت مَثَلاً فأُحْرِقَت ، وكان زوجُها هَوْذَةَ بنَ جَرْوَل بن نَهْشَل بن دَارِم . فقال لَقِيط بن زُرَارة يُعَيِّر بنى مالك بن حَنْظَلَة بأَخْذِ[1] مَنْ أَخَذَ منهم الملك وقَتْله إيَّاهم ونُزُولِهم معه .

لمن[2] دِمْنةٍ أقفرَت بالجنابِ ... إلى السَّفح بَيْنَ الملا فالهِضَابِ
بكيتَ لعرفانِ آيَاتِها ... وهاج لك الشوقَ نعبُ الغُرَابِ
فأَبْلِغ لديك بنى مَالك ... مُغَلْغَلَةً وسَرَاةَ الرِّبَابِ
فإنِ امرأً أنتم حَوْلَه ... تَحُفُّون قُبَّتَه بالقِبَابِ
يُهِينُ سَرَاتكم عَامِداً ... ويَقْتُلُكم مِثْلَ قتلِ الكلابِ
فلو كُنْتُم إبلًا أَمْلَحَت ... لقد نَزَحَت[3] للمِياه العِذَابِ
ولكنكم غَنَم تُصْطَفَى ... ويُتْرَك سَائِرُها للذِّئَابِ
لَعَمْرُ أبيك أَبى الخَيْر مَا ... أردتَ بقَتْلِهمُ مِن صَوابِ
ولا نعمةً إنَّ خير الملو ... كِ أفضلهم نِعْمَةً فى الرِّقَابِ

وفيها يقول الطِرِمَّاحُ بنُ حَكِيم :

واسأَلْ زُرارة والمأموم[4] ما فَعَلَتْ ... قَتْلَى أُوَارَةَ من رعلان باللَّدَدِ[5]
ودَارِماً قد قَذَفْنا[6] منهم مِائَةً ... فى جَاحِمِ النَّار إذ يُلْقَوْن بالُخدَدِ
يَنْزُون بالمُشْتَوى منها ويُوقِدها ... عمرٌو ولولا شُحُومُ القَوْم لم تَقِدِ

---

(١) فى غ : فى أخذ .
(٢) كذا فى ا و ت . وفى غ : أمن .
(٣) فى غ : نزعت .
(٤) فى غ : المأمون .
(٥) فى غ : واللدد .
(٦) فى غ : قتلنا .

وكان زُرَارة بن عُدس رجلا شريفا فنظر إلى ابنه لَقِيط يوما ، فرأَى منه خُيَلاء ونَشَاطا ، وجَعَل يضرب غِلْمَانه ، وهو يَوْمَئِذٍ شابٌّ فقال له زُرَارةُ : لقد أصبحتَ تَصْنَع صَنِيعاً كأنَّما جِئْتَنى بمائة من هِجَان المُنْذِر بن ماء السماء أو نَكَحْتَ بِنْتَ ذى الجَدَّيْن قَيْس بن خالد . فقال لَقِيط : لله عَلَىَّ ألا يَمَسَّ(١) رَأْسِى غُسْل ، ولا آكُل لحماً ، ولا أشرب خمْراً حتى أَجْمَعهَا ، جَميعاً أو أَمُوت ، فخرج لَقِيط ومعه ابْنُ خَالٍ لَه يقال له : القُرَاد بنُ إهاب ، وكِلاهُما كان شَاعِراً شرِيفاً ، فسارَا حتى أَتيَا بنى شيبان ، فسَلَّما على نَادِيهم ، فقال لَقِيط : أَفِيكم قَيْسُ بن خالِد ذُو الجَدَّين ؟ وكان سَيِّدَ رَبيعَة يومئذ ، قَالوا : نَعَم ، قال : فأيُّكم هو ؟ فقال قيس : أنا قَيْس فما حاجَتك ؟ قال : جِئْتُ(٢) خَاطِباً ابْنَتَك ، وكان على قَيْس يمين ألا يَخْطب أحَدٌ ابنتَه علانِيَة إلا أَصَابَه بِشَرّ وسمَّع به ، فقال له قَيْس : مَنْ أنت ؟ قال : أنا لَقِيط بنُ زُرَارة بن عُدس ، فقال له : عَجَباً منك ياذَا القصّة هَلَّا كانَ ذَا بَيْنى وبَيْنك؟ قال : لِمَ ياعَمّ والله إنَّك لَرَغبَة وما بى من قَصَاة(٣) . أى مَابى عَار ، وإن نَاجيْتُك لا أَخْدَعُك ، وإنْ عالَنْتُك لا أفْضَحك ، فأَعجب قيسًا كَلامُه ، وقال: كُفءٌ كَرِيم ، إنى قد زَوَّجْتُك ، ومهرتك مائةَ نَاقَة ليس فيها مُطَايِرَة ولا نَاب ولا كَزُوم(٤) ، ولا تَبيت عِنْدَنا عَزَباً ولا مَحْرُوما ، وأرسل إلَى أُمِّها أَنِّى قد زوَّجْت لَقيط بن زُرَارة ابْنتى القَدُور ، فاصْنعيها واضْرِبى لَهَا ذَلك البَلَق ، فإنَّ لَقِيط ابنَ زُرَارة لا يبيتُ عندنا عَزَبا ، وجَلَس لقِيط يتَحَدَّث عندهم(٥) فذَكَرُوا الغَزْو ،

---

(١) فى غ : يلمس .

(٢) فى غ جئتك .

(٣) فى غ : نصاة .

(٤) فى غ: مصابرة. بدل مطايرة. والمطايرة : الهائجة. والناب والكزوم : المسنة الهرمة .

(٥) فى غ : معهم .

فقال لقيط : أما الغزو فأرْذَلُها[1] ، لِلقاح ، وأهزلُها للجمال ، وأما المقام فأسمنها للجمال ، وأحبها للنساء ، فأعجب ذلك قيسا ، وأمر لقيطا فذهب إلى البَلَق وجلس فيه ، وبعثت إليه أمُّ الجارية بجَمْر وبَخُور ، وقالت للجارية : اذهبي بها ، فإن ردها فوالله مافيه خَيْر ، وإن وضعها تحته مافيه خير ، فلما جاءته الجارية بخَّر شعرَه ولِحْيَته ، ثم ردَّها عليها ، فلما رجعت الجارية خبَّرتها بما صنع ، فقالت : إنَّه خليق للخير ، فلمَّا أمسى لقيط أُهدِيت الجارية اليه ، فمازحها بكلام اشمأزَّت منه ، فنام وطرح عليها [طرف] خميصته[2] ونامت[3] إلى جَنْبه ، فلما استثقل انسلت فرجعت إلى أُمِّها ، فانتبه لقيط فلم يرها ، فخرج حتَّى أتى ابن خاله قُراداً ، وهو فى أسْفَل الوادى ، فقال : أرحلْ بعيريك[4] وإيَّاك أن يسمع رُغاؤهما ، فرحلا متوجِّهين إلى المنْذِر بن ماء السَّماء ، وأصبح قيس ففقد لقيطا ، فسكت ولم يدر ما الَّذِى ذهب به . ومضى لقيط حتى أتى المُنْذِر ، فأخبره بما كان من قول أبيه ومن قوله ، فأعطاه مائة من هجانه ، فبعث بها مع قُراد إلى أبيه زُرارة ، ثم مضى إلى كسرى فكساه ، وأعطاه جوْهراً[5] ، ثم انصرف [لقيط][6] فأتى أباه فأخبره خبره ، فأقام ، ثم خرج هو وقُراد حتى جاءا محلَّة بنى شيْبان ، فوجداهم قد انتجعوا ، فخرجا فى طلبهم حتى وقعا فى الرمل ، فقال لقيط :

أُنظر قُراد وهاتا نظرة جزعا ... عُرْضَ الشَّقائِق هل بيَّنْتَ أَظْعانا ؟
فيهنَّ أُتْرُجَّةٌ نَضْحُ العبير بها ... تكسى ترائبها شَذْرًا ومَرْجَانا

---

(١) فى غ : فأردؤها .
(٢) الخميصة : كساء أسود مربع .
(٣) فى غ : وباتت.
(٤) فى غ : بعيرك .
(٥) فى غ : جواهر .
(٦) ساقطة من « ت » .

فخرجا حتى أتيا قيس بن خالد ، فجهّزها أبوها (فلما أرادت الرحيل قالت[1] لها أمُّها : يا بُنيَّة : كوني لزوجك أمةً يكن لك عبدا ، وليكن أكثر طيبك الماء ، فإنك إنما يذهبُ بك إلى الأعداء ، وأراك إن ولدت فستلدين لنا غيظاً طويلا ، واعلمي أنّ زوجك فارسُ مُضر ، وأنّه يوشك أن يُقتل أو يموت ، فلا تخمشي عليه وجهاً ، ولا تحلقي عليه شعرا ، قالت لها : أما والله لقد ربّيتني صغيرة وأقصيتني كبيرةً وزوّدتني عند الفراق شرّ زاد ، وارتحل بها لقيط إلى حيه ، فجعلت لا تمرُ بحيّ من العرب إلّا قالت : يا لقيطُ أهؤلاء قومك ؟ فيقول : لا ، حتى طلع على محلّة بني دارم ، فرأت القباب ، والخيلَ العِراب ، فقالت : يا لقيط أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم ، فأقام أياما يُطعِم وينحر ، ثم بنى بها ، فأقامت أيّاماً عنده حتى قُتل يوم جبلة ، فبعث إليها أبوها أخاً لها ، فحملها ، فلما ركبت بعيرها أقبلت حتّى وقفت على نادى بني عبد الله بن دارم فقالت : يابني دارم . [أوصيكم بالغرائب خيرا][2] فو الله ما رأيت مثل لقيط ، لم تخمش عليه امرأةٌ وجهاً ، ولم تحلق عليه شعراً ، ولولا أني غريبة[3] لحلقتُ وخمشت ، فحبّب اللهُ بين نسائكم ، وعادى بين رجالكم[4] ، فأثنوا عليها خيراً). فمضت حتى قدمت على أبيها فزوّجها رجُلاً من قومه ، فجعل زوجها يسمعها تذكر[5] لقيطاً وتحزن عليه ؛ فقال لها : أيَّ شيء رأيت من لقيط أحسن في عينيك؟ قالت : خرج في يوم دجن ، وقد تطيّب وشرب ، فطرد البقر وصرع منها[6] ، ثم أتاني وبه نضح الدّم من صيده ، فضمّني ضمة

(١) في غ : قال ، والضمير يعود على أبيها .
(٢) بياض في ت ، والتكملة من غ . وفي ا : شرا بدل خيرا .
(٣) في ت : ولو فعلت .
(٤) في غ : رعائكم .
(٥) في ت : يعنم ذكرها .
(٦) كذا في ا و غ . وفي ت : مهاة .

وشَمَّنِي شَمّة ، فلَيْتنِي مِتّ ثَمَّة ، فلم أَرَ مَنْظَراً كان أحسنَ مِنْ لَقِيط ، فمكث عنها ، حَتَّى إذا كَانَ يوم دَجْن شَرِب وتَطَيَّب ، ثم ركب فطَرَد البقر ، ثم أتاها وبه نَضْح الدم والطِّيب وريح الشَّرَاب ، فضَمَّها إليه وقَبَّلَها وقال : كيف ترين ؟ أأنا أحسن أم لقيط ؟ فقالت : ماء ولا كصَدَّاء ومَرْعًى ولا كالسَّعْدان ، فذهبت مَثَلًا . وصَدَّاء : رَكِيَّة ليسَ فِي الأَرْض ماءٌ أطيبَ منها . وقد ذكرها التَّمِيمِيُّ فى شعره فقال :

وإنى وتَهْيامى بزينبَ كالَّذى ... يُخالِس من أحواض صَدَّاء مَشْربا
يَرَى دون وِرْد[1] المَاءِ هَوْلًا وَذَادَة ... إذا شَدَّ صَاحُوا قبل أنْ يَتَحَبَّبا

[التحبب : الرى][2] .

---

(١) كذا فى ا و ت . وفى غ : برد .
(٢) ساقطة من ت .

أحمد بن صَدَقَة الطُّنْبُورى

هو أَحْمَدُ بن صَدَقة بن أَبى صَدَقة ، كان أَبُوه حِجَازِيًّا مُغَنِّيا طُنْبُورِيًّا مُحْسِنا حَاذِقا ، قَدِم على الرشيد وكان يَنْزِل الشام ، ووُصِف للمتوكل فأَمَرَ بإحضاره فقَدِم عليه وغَنَّاه ، فاستَحْسَن غناءه[1] ، وأجزل صلتَه ، واشتهاه الناسُ ، وكثُر مَنْ يدعوه وكسب بذلك أكثر مما كسبه مَعَ المُتَوَكِّل .

قال أحمد بن صدقة : اجتَزْتُ بِخَالد بْنِ يَزِيد الكَاتِب ، فقلت : أنشِدْنى بيتين من شِعْرِكَ أُغَنِّى فيهما ، فقال : وأى حظ لى فى ذلك ؟ تأخذُ أنت الجائِزَةَ وأُحَصِّل أنا الإثمَ ، فَحَلَفْتُ له لأنى إن أخذتُ[2] بشِعْره فائدة جعلتُ له منها حَظًّا ، وأذكرْتُ به الخليفة ، وسألتُه فيه ، فقال : أما الحظُّ من جهتك فأنت أَنْذَلُ من ذلك ، ولكن عسى أن تُفْلِح فى مسألة الخليفة . وأنشدنى :

تقول سَلَا فمن المُدْنَفُ ... ومن عينه أَبَداً تَذْرِف

ومن قلبُه قَلِق خَافِقٌ ... عليك وأَحشاؤُه تَرْجُفُ

فلما جَلَس المأمونُ للشّرب دعانى ، وقد كان غَضِب على حَظِيَّة له ، فحضرت مع المُغَنِّين ، فلما طابَتْ نفسُه وجَّهت إليه حَظِيَّتُه بتُفَّاحة من عَنْبَر عليها مكتوبٌ بالذهب : يا سيِّدى سَلَوْتَ . وعلم الله أنِّى ما عرَفْتُ شيئا من خَبَرها[3] وانتهى الدَّوْرُ إلَيَّ فغنيتُ البَيْتَين فاحمَرّ وجهُ المأمون ، وانقَلَبَتْ عيناه ، وقال : يا ابْن الفَاعِلة ! أَلكَ عَلَيّ وعلى حُرُمى صاحِبُ خَبَر ؟ فوثبْتُ وقلت : يا سَيِّدى : ماالسبب ؟

---

(١) فى غ : فاستحسنه .

(٢) فى غ : أفدت .

(٣) فى ا و ت : وما علم الله أنى عرفت شيئا من خبرها .

فقال : مِنْ أَيْنَ عرفتَ قِصَّتى مع جارِيتى حتى غنَّيْتَ فى معنى ما بَيْنَنَا ؟ فحلفتُ له أنّى لم أَعْرِف شيئاً من ذلك ، وحدثته حَدِيثى مع خالِد ، فلما انتهيْتُ إلى قوْله : أَنْتَ أَنْذَلُ من ذلك ، ضَحِك وقال : صَدَق وإنَّ هذا لَاتفاقٌ ظَرِيف ، وأَمَرَ لى بخَمْسَةِ آلاف دِرْهم وللخالد بمِثْلِها .

قال أحمدُ بن صَدَقَة : دخلتُ على المأمون فى يوْم الشَّعانين[١] وعنده[٢] عِشْرُون وَصِيفَة جَلَباً[٣] رُومِيَّات مُزَنَّرَات ، قد تَزَيَّنَّ[٤] بالدِّيبَاج الرُّومِىّ و [عَلَّقْنَ فى أعناقهنَّ][٥] صُلْبَان الذَّهَب ، وفى أَيْدِيهِنَّ الخُوصُ والزَّيْتُون ، فقال لى المأمون : وَيْلَكَ يا أحمد ، قلتُ فى هؤلاء أبياتاً فغَنِّنى فيها ، ثم أنْشَدَنى :

ظِبـاءٌ كالدَّنَانِير مِلَاحٌ فى المَقَاصِير
جلاهُنّ الشَّعَانين علينـا فى الزَّنَانِير
وقد زَرَّفْنَ أصداغاً كأذْنَابِ الزَّرَازِير
وأَقْبَلْنَ بأوْسَاطٍ كأوْساط الزَّنَابِير

فحَفِظْتُها وغَنَّيْتُه فيها ، ولم يزل يَشْرَب وترقص الوَصائف بين يديه بأنواع الرقص حتى سَكِر ، وأمر لى بأَلْفِ دِينَار ، وأمر بأن يُنْثَر على الجَوارِى ثلاثةُ آلاف دِينَار ، فقبضت الأَلْفَ ، وانتهبْتُ معهن من الثلاثة الآلاف دِينَار .

ولم يزل أحمدُ مقيماً حتى بلغه موت ابْنَةٍ له بالشَّام فشَخَص نحو منْزِله ، فخرج عليه الأَعْرابُ فأخذوه وما معه وقَتَلُوه .

---

(١) الشعانين : عيدالأحد الذىقبل الفصح عند النصارى ويقال له: السعانين، والمشهور بالشين.
(٢) فى ا و غ : وبين يديه .
(٣) فى ا و ت : جلب .
(٤) فى غ : تزين .
(٥) ساقطة من ت .

أبو دُهْمَانَ الغلابى

شاعِرٌ من شُعَراء البصرة مِمَّن أدرك دَوْلة بنى أُمَيَّة وبنى العَبَّاس ، ومدح المَهْدِى ، وكان طيباً ظَرِيفاً مَليح النَّادِرة . وهو القائل لَمَّا ضَرَب المهدىُّ أبا العَتاهِيَة بسبب [عشقه][1] عُتْبَة :

لولا الذى أَحْدَث الخليفَة فى العُشَّاق من ضَرْبِهم إذا عَشِقوا
لبُحْتُ بِاسْم الذى أُحِبُّ ولكِنِّى أمروٌ قد ثَنَانِىَ الفَرَقُ

قال رجل لأبى دُهْمان : ألا أُحَدِّثُك بظَرِيفَة ؟ قال : بلى ، قال : كنتُ عند فلان فمَدَّ رِجْلَه هكذا فضَرط ومَدَّ المُحَدِّث رِجْلَه لِيَحْكِيَه فضَرط ، فقال أبو دُهْمان : يا هذا أنتَ أَحْذَقُ خَلْق الله بِحكاية .

مَرَّ أبو دُهْمَان وهو أَمير بنَيْسَابور على رجل جالس ومعه صديق له يُسَامِره[2] ، فقَامَ النَّاسُ إليه ودَعَوا له إلّا ذلك الرَّجُلُ . فقال أبو دُهْمَان لصَدِيقه : ما ترَى ذلك الرَّجل فى النَّظَّارَة ، وترَى تِيهه عَلَيَّ ؟ فقال له : وكيف يَتِيهُ عليك وأنتَ الأمير ؟ قال : لأنَّه قد نَاكَنِى وأنا غُلَام .

ومرض أبو دُهْمَان مرَضا أَشْفَى منه [على الموت][1] ، فأَوْصَى وأَمْلَى وَصيَّته على كاتِبِه ، وأَوْصَى بِعِتْق غُلَام كان واقفا ، فلما فرَغ الكاتب غدَا الغُلام بالرُّقْعة فأَتْرَبها ، ونَظَر إليه أبو دُهْمَان فقال له : نعم أَتْرِبها يا ابْن الزَّانِيَة ، حتى تكون أَنْجَح للحاجة لا شَفَانى الله إنْ أنجحت ، وأَمَر به فأُخْرِج من وَقْتِه وَبِيع ، وهو القائل :

لَئِنْ مِصرُ فَاتَتْنِى بِمَا كُنْتُ أَرْتَجِى وأَخْلَفَنى فيها الَّذِى كُنْتُ آمُلُ
فما كُلُّ ما يَخْشَى الفتى بمُصِيبِه ولا كلُّ ما يَرْجُو الفَتَى هو نَائِلُ

---

(١) التكملة من غ .
(٢) فى ا و غ : يسايره .

أبو شراعة

هو أَحْمدُ بنُ مُحمَّد بن شُرَاعة بن ثعْلَبة بن محمد بن عُمَير بن أبي نُعيم بن خالد ابن عَبْدة بن مالك بن مُرة بن عبّاد بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثعْلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن عَلِى بن بَكْر بن وائل ، شاعر بَصْرى من شعراء الدَّوْلةِ العبَّاسيّة ، جَيِّدُ الشعْر جَزْله ، ليس برقيق الشعْر(١) ولا سَهْلِ اللَّفْظ ، وهو كالبَدَوِيِّ فى مَذْهَبِه ، وكان فَصِيحاً يتعَاطى الرَّسَائِل والُخطَب مع شِعْره ، وكانت به لُوثة وَهَوج. وأُمُّه من بَنى تَميم بن مُرّ من بنى العَنْبر .

وكان أبو شُرَاعة قَبيحَ الوَجْه جِداً ، فنظر يوماً فى المرآة فأطال ، ثم قال : الحمدُ لله الذى لا يُحْمَدُ على الشَّرِّ غيرُه .

وابنه أَبو الفَيَّاض سَوَّارُ بنُ أَبى شُرَاعة أَحَد الشُّعراء الرُّواة قَدِم مَدِينَة السَّلام بعد سنة ثلاثمائة ، فمَّما كَتَب إلينا من أَخْبار أبيه أنه كان جَواداً لا يُسْأَلُ ماقدِر عليه إلّا سَمَح به ، وأنه وقف عليه سَائِلٌ يوماً فرَمَى إليه بنَعْله وانصرَف حَافِياً ، فعثر فدَمِيَت إِصْبَعُه . فقال فى ذلك من أبيات :

ألا لا أبالى فى العُلَا ما أصابنى وإن نَقِبَتْ نَعْلاىَ أوحَفِيتَ رِجْلى
فلم تَر عَيْنى قَطّ أحسنَ منظرا من الرِّجْل تَدْمى(٢) فى الُمواسَاةِ والبَذْل

وبلغه أنَّ أخاه يقول : إنَّ أَخى مَجْنون قد أَفْقَرنَا ونَفْسَه ، فقال :

أُنَبَّزُ مَجْنُونًا إذا جُدْتُ بالَّذى ملَكتُ وإن دافعتُ عنه فعَاقِلُ

---

(١) فى غ : الطبع .

(٢) كذا فى ا ، وفى غ : من النكب يدمى .

فداموا على النّبز [١] الذى قرَفُوا [٢] به ... ودُمْتُ على الإعْطَاء مَاجَاءَ سَائِل
أَبَيْتُ وتأْبى لِى رِجَالٌ أشحَّةٌ [٣] ... على المَجْدِ تنميهم تَمِيمٌ ووائلُ [٤]

وقال أيضا :

[لئن كنت فى الفِتْيَانِ آلوتَ [٥] سَيِّدًا
شَديد [٦] شحوب اللون مُخْتَلِط [٧] العَصْب] [٨]
فمالك من مولاك إلا حِفَاظُه ... وما المرء إلا باللسان وبالقلْب
هما الأصغران الذّائِدَان عن الفَتَى ... مَكَارِهَه والصاحبان على الخطْبِ
فإلّا أُطِق سعىَ الكِرَام فإنّنى ... أَفُكُّ عن العَانى وأصبر فى الحرْبِ

وتَمَارَى رجلٌ من أهل بغداد وأبو شُرَاعة فى النَّبيذ ، فجعَلَ البَغْدَادِى يَذُمّ نَبِيذَ التمر والدِّبس ، فقال أبو شُرَاعة :

إذَا انتخبْتَ حَبَّه ودِبْسَهُ ... ثم أَجَدْتَ ضربَه ومَرْسَهُ
ثم أَطَلْتَ فى الإناء حبْسَهُ ... شربتَ منه البَابِلىَّ نَفْسَهُ

قال سَوَّارُ [٩] بن أَبِى شُرَاعة : حَلَفَ أَبِى بالطَّلاَق ألا يَشْرَب النَّبيذَ ، فهَجره حَوْلَيْن ، ثم حَنَث فَشَرِبَ وطَلَّق امرأته ، وقال :

---

(١) كذا فى ا ، وفى غ : الزور .
(٢) قرفوا : كذبوا .
(٣) كذا فى ا وفى غ : أعزة .
(٤) ما بين القوسين ساقط من ت ، والتكملة من ا .
(٥) كذا فى ا ولعلها واليت .
(٦) فى غ : كثير .
(٧) فى غ : مختلف .
(٨) البيت ساقط من ت موجود فى ا .
(٩) فى ا : أبو سوار « تحريف » .

فمَنْ يَكُ لم يسمع عَجِيبا فإنَّنى … عَجِيبُ الحديث يا أُمَيمُ وصادِقُهْ
وقد كان لى أُنسانٍ يا أُمَّ مالك … وكُلٌّ إذا فتّشْتنى أنا عاشِقُهْ
عزِيزَةُ والكأسُ الّتى من يُحِلّها … تُخَادِعُه عن عَقْلِه وتُسَارِقُه
تَحَارَبتَا عندى فعطّلت دَنَّها … وأُكوابَها والدَّهْرُ جَمٌّ بوائِقُه
فحرمتُها[1] حَوْلَيْن ثم أزالَنى[2] … حديثُ النَّدامى والنَّشيد أُوافِقُه
[فلما شربتُ الكأس بانَتْ بأُخْتها … فبان الغزال المستحبُّ خلائقه
فما أطيبَ الكأسَ التى اعتَضْتُ منكم … ولكنها ليست بريمٍ أُعانقه] [3]

[كان إبراهيم بن المهدى][4] تولَّى البَصْرَة، وكان مُحْسنا إلى أَهْلها إحسَانا يَعُمُّهُم، ويشمل بنفعه[5] جَماعتهم، وكان أبو شُراعَة لا يُفارِقُه فى سائر أحْوالِه، ولا يَمْنعه حاجة يَسْأَلُه إيَّاها ولا يَشْفَع لأحد إلا شَفَّعَه.

فلما صُرِف إبراهيمُ عن البَصْرة، شيَّعه أهلُها، وتوجَّعُوا[6] لفراقه، وساءهم صَرْفُه، فجعل يَرُدُّ الناسَ مِمّن يُشَيِّعه على قَدْر مَنازلهم حتّى لم يبق لَهُ إلّا أبو شُراعة. فقال له: يا أبا شُراعة، إنّ غايةَ كُلِّ مودِّع الرُّجُوع[7]، وقد بَلَغْتَ أَقْصَى الغَايَة[8]، فبِحقِّى عليك إلّا انصرفْتَ، فانْصَرِف راشِداً مَكْلوءاً

(١) فى غ: وحرمتها.
(٢) فى غ: أزلنى.
(٣) البيتان ساقطان من ت موجودان فى ا.
(٤) ما بين القوسين ساقط من ت موجود فى ا.
(٥) كذا فى ا، وفى ت: ويشفع فيهم جماعتهم.
(٦) كذا فى ت، وفى ا: وتفجعوا.
(٧) فى غ: الفراق.
(٨) فى ت: الغايات.

من غَيْر قِلًى واللهِ ولا مَلَل ، ثم قال : ياغُلاَم ، اُحْمِل إلى أبى شُرَاعة ما أمرتُك به ، فأحضر له ثِيَاباً وطِيبا ومالًا ، فعانقه أبو شُرَاعة وَبكى وأطَالَ ، وأنشد :

يا أبا إسْحَاق سِرْ فى دَعَةٍ وامْضِ مَصْحُوباً فما منْكَ خلَفْ
ليت شعْرى أىّ أَرْض أَجْدَبت فأُغيِثت بك من جَهد العَجَفْ
نزل الرّحْمُ من الله لَهُمُ(١) وحُرِمْنَاكَ بذنب(٢) قد سَلف
إنما أنت ربيع باكرٌ حيثما صَرَّفَه الله انصرفْ

(١) فى غ : بهم .
(٢) فى غ : لذنب .

أَحْمَدُ بنُ يُوسف الكَاتِب

(هو أَحْمَدُ بن يُوسف بن صُبَيْح الكاتب ، أصله من الكُوفَة ، وكان مَذْهَبُه الرَّسَائِلَ والإنْشَاء ، له رَسَائِلُ مَعْرُوفَة ، وكان يَتَوَلَّى ديوانَ الرَّسَائل للمَأْمُون ، وكُنْيَتُه أَبُو جَعْفر . وكان مُوسَى بْنُ عَبْدِ المَلِك غُلَامَه وخِرِّيجَه)

فروى عن موسى بن عبد الملك أنه قال : وَهَبَ لِي أَحْمَدُ بن يُوسف أَلْفَى أَلْف دِرْهَم تَفَارِيق على[1] ظَهْرِ يَدٍ .

وأخوه القَاسِم بنُ يُوسف شَاعِر مَلِيحُ الشِّعر ، وكان يَنْتَمِي إلى بَنِي عِجْل ، ولم يكن أخوه أحمد يَدَّعِي ذلك .

وكان القاسم قد جعل وَكْدَه[2] فى مدح البهائم ومَرَاثِيها ، فاستغرق أكثر شعره فى ذلك ، فمن ذلك قوله فى شاة :

عينُ جُودِى لعَنْزِنَا السَّوْدَاء كالعروس الأَدْمَاءِ يومَ الجِلَاءِ

كان أَحمدُ بْنُ يُوسف قد تَبَنَّى جَارِيَة للمأمون اسْمُها مُؤْنِسَة ، فأراد المأمون أن يُسَافِر وخَلَّفها[3] ، فكَتَبَ إليه أحمدُ بْنُ يُوسف بهذا الشعر على لِسَانِها ، وأَمَرَ بَعْضَ المُغَنِّين فغَنَّاه به فلما سَمِعَه وقرأ الكتاب أَمر بإخْرَاجها إليه :

قَدْ كَانَ عَتْبُك مرَّةً مَكْتُوما فالآن[4] أَصْبَحَ ظَاهِراً مَعْلُوما
نَالَ الأَعَادى سَعْيَهم لا مُتِّعُوا[5] لمـــا رأَوْنَا ظَاعِناً ومُقِيماً

---

(١) فى غ : عن .

(٢) كذا فى ا و غ وفى ت : فكره . والوكد : القصد .

(٣) فى غ : ويخلفها .

(٤) فى غ : فاليوم .

(٥) فى غ ومعجم الأدباء ٥ / ١٦١ : نال الأعادى سؤلهم لا هنئوا .

والله لو أبصرتنى لأَوَيْتِ لِى[١] والدمعُ يَجْرِى كالُجمانِ سُجوما
هَبْنِى أسأتُ فَعادَةٌ لك أن تُرَى مُتطوِّلا مُتجاوِزا[٢] مَظلُوما

وعَتَبَ المأمونُ على مُؤنِسَة ، فخرجَ إلى الشَّمَّاسِيَّة مُتنزِّها ، وخَلَفها عند أحمد ابن يوسف الكاتب ، فرجَتْ أن يَذْكُرَها إذا صار فى مُتنزَّهه فيُرْسِل فى حَمْلِها ، فلم يَفْعَل ، وتَمَادَى فى عَتْبه ، فسألت أحمدَ أن يَقُولَ على لسانها شعرا يُرَقِّقه به[٣] فقال :

يا سَيِّدًا فَقْدُه أَغْرَى بِىَ[٤] الحَزَنا ما ذُقْتُ بعدَك نوماً لا ولا وَسَنَا[٥]
ما زِلْتُ بعدَك مَطْوِيًّا على حُرَق أَشْنَا المُقامَ وأَشْنَا الأَهلَ والوَطَنا
ولا التذَذْتُ بكأْس من[٦] مُنادَمَة مُذْ قِيلَ لى : إنَّ عبدَ الله قد ظَعَنا
ولا أَرَى حَسَناً تَبْدُو مَحاسِنُه إلَّا تَذَكَّرْتُ شوقاً وجهَك الحَسَنَا

وبَعَثَتْ به إلى إسحاقَ الموصلى فغَنَّى به . وقيل : بَعَثَت به إلى سُنْدُس فغَنَّتْ به[٧] فاستَحْسَنَه وقال : لمَنْ هذا الشِّعر ؟ فقال أحمدُ بنُ يوسف : لمُؤْنِسَة يا سيِّدى تَتَرَضَّاك وتَشْكُو إليك البُعْدَ منك . فرَكِبَ من ساعته حتى تَرَضَّاها وصَالَحها .

---

(١) فى غ : لوجدتنى . وأوى له : رق له ورحمه .
(٢) كذا فى ا وت وغ . وفى معجم الأدباء ١٦١/٥ : متجاوزا متفضلا .
(٣) فى غ : ترىقه .
(٤) فى ت : بنا .
(٥) فى غ : ما ذقت بعدك لا نوما ولا وسنا .
(٦) فى غ : فى .
(٧) فى غ : فغنته .

كان أحمدُ بنُ يوسُفَ فى مجلِس وفيه قَيْنَة فتحَلّاها ، وكَتَب إلى صاحب المنزل:

أنا رَهْنٌ للمَنَايَا بين إبرامٍ ونَقْضِ
مِن هَوَى ظَبْى غَرِيرٍ مُونِق المَنْظَرِ غَضِّ
ليتها جادَتْ بتَقْبِيـ ـل لخـدَّيْها وعَضّ
إنْ عجزتم عن شِرَاها لى بفَرْضٍ أو بِقَرْض
فتمَنَّوْا لى جميعـا أنها تَقـبر بَعْضِى(١)

[ومن شِعْرِه :

قَلْبِى يُحِبُّك يا مُنَى قَلْبِى ويُبْغِض مَنْ يُحِبُّك
لِأَكُونَ فَرْدًا فى هَوَاك فَلَيْـ ـتَ شِعْرِى كيفَ قَلْبُك](٢)

كان أحمد بن يوسف يَتَعَشَّق مُحَمَّدَ بن سعيد أحَدَ أَوْلادِ الكُتاب « بسُرَّ مَنْ رَأَى » ومن شعره فيه :

كم ليلةٍ فيكَ لا صَبَاح لها أحييتُها قابضاً على كَبِدِى
قد غَصَّتِ العينُ بالدُّمُوع وقد وضَعْتُ خَدِّى على بَنَان يَدِى
كأنَّ قَلْبِى إذا تَذَكَّرَكُم(٣) فَرِيسَةٌ بين سَاعِدَىْ أَسَدِ

[قال حسين بن الضحاك : دخلتُ على الوَاثِق ذَاتَ يَوْم وفى السماء لَطْخ غَيْم فقال : يا حُسَيْن ما الرَّأْىُ عِنْدَكَ فى هذا اليَوْم ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ما حَكَمَ به أحمدُ بن يوسُف وأشارَ به من قبل ؛ فإنَّه حَكَم برَأْىٍ لا يُرَدّ ، وجعل ذلك فى شِعْر لا يُعَارَض ، فقال : وما هو ؟ قلتُ : قوله :

---

(١) فى غ : قبر لبعضى .
(٢) ما بين القوسين جاء فى ا ولم يرد فى ت ولا فى غ .
(٣) فى غ : ذكرتكم .

— أَرَى غَيْماً تُؤَلِّفُه جَنُوب وأحسبه سَيَأْتِينا(1) بِهَطْلِ
— فعَيْنُ الرَّأْيِ أن تَدْعُو بِرَطْلٍ فَتَشْرَبَه وتَدْعُو لى بِرِطْل
[وتَسْقِيه نَدَامَانَا جَمِيعاً فينصرفون(2) منه بغير عَقْل
— فيَوْمُ الغَيْمِ يَوْمُ الغَمِّ إنْ لم تُبَادِرْ(3) بالمُدَامَةِ كُلَّ شُغْلِ
ولا تُنكِرْه مُحَرِّمَها عليها فإِنِّى لا أراهُ لها بأَهْل](4)

— فقال : أَصَبْتُما ودَعَا بالطَّعَام والشَّرَاب والمَغَانى والنُّدَمَاء واصْطَبَحَا .

(1) كذا فى ا وت وغ . وفى معجم الأدباء ٥ / ١٦١ : وأحسب أن سيأتينا .
(2) فى غ : فيغترفون .
(3) فى ا تبارز .
(4) ما بين القوسين لم يرد فى الأغانى .

أَبَان اللَّاحِقِيّ

(هو أَبَانُ بْنُ عَبْد الحميد بْنِ لَاحِق) بن عُفَيْر اللَّاحِقِى مَـوْلَى رَقَاش ، وبنو رَقَاشِ ثلاثة نفر يُنسَبُون إلى أُمّهم واسمُها رَقَاش ؛ وهم مَالِك وزَيْد مَنَاة وعامر بنو شَيْبَان بن ذُهْل بن ثَعْلبة بن عُكَابَة بن صَعْب بن عَلِيّ بن بَكْر بن وَائِل .

شَكَا مَرْوَان بن أَبِى حَفْصَة إلى بَعْضِ أصحابه تَغيُّرَ الرَّشيد عليه وإمساكَ يَدِه عَنْه ، فقال له : ويحك أتَشْكُو الرَّشيد بعد ما أَعْطَاكَ ؟ فقال : أَوَ تَعْجَب من هَذَا[1]؟ هذا أَبَانُ اللَّاحِقِى ، قد أخذَ من البَرامكة بقَصِيدَة وَاحِدَة مِثلَ ما أَخَذْتُه من الرَّشِيدِ فى دَهْرِى كُلِّه ، سوى ما أَخَذَه مِنْهم ومن أَسْبَابِهم[2] بَعْدَها .

وكان أَبَانُ نَقَل للبَرَامِكة كِتابَ كَلِيلَة ودِمْنَة ، فجعله فى شِعْر ؛ لِيَسْهُل عليهم حِفْظُه ، وهو معروف ، وأوَّلُه :

هــذا كِتَاب أَدَبٍ ومِحْنَهْ ... وهو الذى يدعى كليلَ دِمْنَه

فِيهِ احتِيَالَات وفيــه رُشْدُ ... وهو كتابٌ وضعَتْه الهِنْدُ

فأعطاه يَحْـيَى بنُ خَالِد عَشرة آلاف دِينَار ، وأعطاه الفَضْلُ خَمْسَةَ آلاف دينَار ، ولم يُعْطِه جَعْفَرٌ شيئا ، وقال : ألا يَـكْفِيك أَنْ أحفظَه فَأَكُونَ رَاوِيَتَكَ؟

وعَمِل أيضاً القصيدةَ التى ذَكَرَ فيها مُبْتَدَأَ الخلق ، وأَمْرَ الدُّنْيَا ، وشيئاً من المَنْطِق ، وسماهـا : ذَات الحُلل ، ومن النَّاس مَنْ يَنْسِبُها إلَى أَبِى العَتَاهية ، والصَّحِيحُ أنَّها لأَبَانٍ .

---

(١) فى غ : ذلك .

(٢) كذا فى ا و ت . وفى غ : أشباههم .

كان يَحْيَى بْنُ خَالِد البَرْمَكِي قـد جَعَل أمر الشعراء وأمْتِحَانَ أشعارِهم وتَرْتيبهُم فى الجوائز إلى أَبانٍ بْنِ عَبْدِ الحَمِيد ، فلم يرضَ أَبُو نُوَاس المرتبةَ الَّتى جعله فيها أبان ، فقال يهجُوه :

جالستُ يوماً أَبَانَا ... لا دَرَّ دَرُّ أَبانِ
حتى إذَا ما صلاة الْ ... أُولَى دَنَت لأَوَان(١)
فقـام ثَمّ بِهَا ذُو ... فَصَاحَةٍ وبيَانِ
وكُلَّمَا قـال قُلْنَا ... إلَى انْقِضَاءِ الأَذَانِ
فقال كيف شَهِدْتُم ... بِـذا بغَيْرِ عِيانِ
لا أشهدُ الدهرَ حَتَّى ... تُعَايِنَ العينَانِ
فقُلْتُ سبحانَ رَبِّى ... فقال : سُبْحَانَ مَانِى

فقال أبانُ يُجِيبُه :

إن يكُن هـذَا النُّوَاسِىُّ ... بـلا ذَنْب هَجَانَا
فلقـد نِكْناه حِيناً ... وصَفَعْنَاه زَمَانَا
هانِئُ الجَرْبَى(٢) أَبُوه ... زَادَه اللهُ هَوَانَا
سَائِل العبَّاس وأسمَعْ ... منه فى أُمك شَانَا
عجنوا من جُلَّبَانٍ ... ليَكِيدُوك عِجَانَا

وجُلَّبان اسم أُمِّ أَبِى نُوَاس ، والعَبَّاس زَوْجُها بعْدَ أَبِيه .

كان لأبان جَار ، وكان يُعَادِيه ، فاعْتَلَّ عِلَّةً عظيمة طويلة ، وأَرْجَفَ أَبان

(١) كذا فى غ . وفى ا وت : لأذان .

(٢) فى غ : الجون !

بموته ، ثم صحّ[1] من علّته ، وخرج فجلس على بابه ، وكانت علّته من السّل ، وكان يكنى أبا الأطول ، فقال له أبان :

أبا الأطول طوّلت ... وما ينجيك تطويلُ
بك السُّلُّ ولا والله ... ما يبرأ مسلولُ
فلا يغرُرْك من ظنّـ ... ك أقوالٌ أباطيلُ
أرى فيك علاماتٍ ... وللأشياء[2] تأويلُ
هزالاً قد برى جسمـ ... ك والمسلولُ مهزولُ
وحمّى منك في الظهر ... وأنت اليوم[3] مملولُ
وذبّاناً[4] حواليك ... فموقوذٌ[5] ومقتولُ
وأعلاماً سوى ذاك ... تواريها السّراويلُ
ولو بالفيل ممّا بـ ... ك عشرٌ ما نجا الفيلُ
فما هذا على فيك ... قُلاعٌ[6] أو دماميلُ
وما بالُ مناجيك ... تولّى وهو معلول
لئن كان[7] من الخوف ... لقد سال بك النّيل
وذا داءٌ يوحّيك[8] ... فلا قال ولا قيل

---

(١) في ا وت : صلح .
(٢) في غ : وللأسباب .
(٣) في غ : وأنت الدهر .
(٤) في ا و ت : وذبان .
(٥) الموقوذ : المشرف على الموت .
(٦) القلاع : داء في الفم .
(٧) في غ : لقد كاد .
(٨) وحاه : عجله . وفي غ : يزجيك .

فلما أنشده هذا الشعر ارتعد واضطرب ودخل منزله فما خرج منه[1] حتى مات

وكان أبان اللاحقى صديقاً للمعذل بن غيلان، وكانا مع صداقتهما يتعاتبان بالهجاء، فيهجوه المعذل بالكفر، وينسبه إلى الشؤم، ويهجوه أبان بالفساء وبالقصر [الذى تهجى به عبد القيس][2].

فقال أبان يهجو المعذل:

أحاجيكم ماقوس لحم سهامها ... من الريح لم توصل بقدٍّ ولا عصب[3]
وليست بشريان وليست بشوحط ... وليست بنبع لا وليست من الغرب
تصك خياشيم الأنوف تعمدا ... وإن كان راميها يريد بها العقب
ألا تلك قوس الدحدحى معذل ... بها صار عبديًّا وتم له النسب

وقال له المعذل فى جواب ذلك:

رأيت أبانًا يوم فطر مصليا ... فقسم فكرى واستفزنى الطرب
وكيف يصلى مظلم القلب دينه ... على دين مانى إن هذا[4] من العجب

خرج أبان بن عبد الحميد من البصرة طالبا للاتصال بالبرامكة، وكان الفضل ابن يحيى غائبا، فقصده فأقام ببابه مدة لا يصل إليه فتوسل[5] إلى بعض بنى هاشم ممن شخص مع الفضل وخاطبه بشعر وسأله إيصال مدحه إلى الفضل فقال: هات مديحك، فأعطاه شعرا من جملته:

---

(١) فى ت: من منزله.

(٢) ما بين القوسين ساقط من ت موجود فى ا.

(٣) فى غ: عقب.

(٤) فى غ: ذاك.

(٥) كذا فى غ. وفى ا و ت: فتوصل.

أَنَا مِنْ بُغْيَةُ الأميروكَنزٌ ... من كُنوز الأمِير ذو أَرْباحِ
كاتبٌ حاسبٌ أديبٌ ظريفٌ[1] ... ناصِح زائد على النُّصَّاح
شاعر مُفْلِقٌ أخفُّ من الرِّيـــشةَ مما يكون تَحْتَ الجناح[2]
إنْ دعَانى الأمير عاين مِنى ... شِمَّرِيًّا[3] كالبُلْبُل الصَّيَّاح

فدعا بهوَوَصَله ، وخُصَّ بالفضْل ، وقُدِّم مَعَه ، فقرُب من قلب يَحْيى بن خَالِد، وصار صاحِبَ الجماعة وذَا أَمْرِهم[4].

كان أَبَانُ بن عبْد الحميد قد عَاتَب البَرامِكَة على تركهم إيصالَه إلى الرَّشيد ، وإيصَال مَدْحِه ، فقالوا له : وما تُرِيدُ من ذَلِك ؟ قال : أُرِيدُ أَنْ أحظى بما حَظِى به مروانُ بن أَبِى حَفْصة فقالوا له : إن لذاكَ مَذْهَباً فى هِجاء آل أَبى طالب وذَمِّهم ، به يُحْظى وعليه يُعْطَى ، فاُسلُكه حتى نفعل[5] ، فقال : لا أستحل ذَلِك ، قالوا : فما تَصْنع ؟ لا يجىء طَلَبُ الدُّنيا إلا بِفِعْل ما لَا يَحِلّ . فقال أَبانٌ :

نَشَدْتُ بحقّ الله[6] من كان مسلما ... أَعُم بما قد قُلته العُجْمَ والعرَبْ
أعمُّ رَسُولِ اللهِ أقربُ زُلفَـةً ... لَدَيْه أم ابن العمِّ فى رُتْبَة النَّسبْ
وأَيُّهُما أَوْلَى به وبعَهْدِه ... ومن ذَا له حَقُّ التُّرَاثِ بمَا وَجبْ
فإن كانَ عَبَّاسٌ أَحَقَّ بتلْكُم ... وكان علىٌّ بعد ذَاكَ على سَبَبْ
فأبنَاء عَبَّاسٍ هُمُ يَرِثُونَه ... كماالعَمُّ لابْن العَمِّ فى الإرْث قدحَجبْ

---

(١) فى غ وخزانة الأدب ٣ / ٤٥٩ : خطيب أديب مكان أديب ظريف .
(٢) فى غ : مما يكون عند الجناح . وفى خزانة الأدب : فيما يكون تحت الجناح .
(٣) الشمرى : الماضى فى الأمور .
(٤) فى غ : زمام .
(٥) فى ت : تقبل.
(٦) فى ت : بحمد الله .

وهى طويلة ، فقال له الفَضْل : مايَرِد عَلَى أَمير المؤمنين اليوم شىءٌ أَعْجَبُ من أَبْياتِك ، فركِب وأنشدَها الرَّشيدَ ، فأمر لأبان بعِشْرين ألف درهم ، ثم اتَّصَل مَدْحُه للرشيد بعد ذلك وخُصَّ بهِ .

ذُكر أبان بن عبد الحميد فى مجلس أبى زَيْد الأنْصَارِى فقيل : كانَ كافِراً ، فغَضِب أَبو زَيْد ، وقال : كان جَارِىَ فما فَقَدْت قِراءَته فى لَيْلة قَطّ .

إسماعيل القَراطيسى

هو إسماعيل بنُ مَعْمَر الكُوفِى ، مَوْلَى الأَشَاعِثَة ، كان مَأْلَفًا للشُّعَرَاء . وكان أبو نُوَاس وأبو العَتَاهِيَة ومُسْلِم وطَبَقَتهم يَقْصِدُون منزله ، ويجتمعون عِنْدَه ويَقْصِفُون ، ويدعو لهم القِيَانَ وغيرَهُنّ من الغِلْمَان .

قال القَرَاطِيسِى : قلتُ للعَبَّاس بن الأَحْنَف : هل قلتَ شيئاً فى مَعْنَى قَوْلى :

وَيْلِى على ساكن شَطِّ الصَّرَاه ... مُرَّر حُبِّيه عَلَىَّ الحَياهْ[1]

ما تَنْقَضِى من عَجَب فِكْرَتى ... فى خَصْلَة فَرَّط فيها الوُلَاهْ

تَرْكُ المُحِبِّين بلا حَاكِمٍ ... لم يَنْصِبُوا[2] للعَاشِقِين القُضَاهْ

وقد أَتَانى خَبَرٌ ساءَنى ... مَقَالُها فى السِّرِّ : « واسَوْأَتَاهْ

أَمِثْلُ هذا يَبْتَغِى وَصْلَنا ... لم يرَ هذا وَجْهه[3] فى المِرَاهْ »

فقال : نعم ، وأَنْشَدَنى :

جَارِيَة أَعْجَبَها حُسْنُها ... ومِثْلُها فى النَّاس لم يُخْلَق

خَبَّرْتُها أَنِّى مُحِبٌّ لها ... فأَقْبَلَتْ تَضْحَك من مَنْطِقِى

والْتَفَتَت نحوَ فتَاة لها ... كالرَّشَأ الوَسْنَان فى قُرْطُقِ

قالَتْ لها قُولِى لهذا الفَتَى ... أُنظُر إلى وَجْهك ثم اعْشَقِ

---

(١) كذا فى ا و ت . وفى غ : من وجنتيه شمت برق الحياة .

(٢) فى غ . لم يقعدوا .

(٣) فى غ : أما يرى ذا وجهه .

مدح إسماعيل القَرَاطِيسِى الفَضْلَ بنَ الرَّبيع . فقال فيه :

ـــ ألا قُلْ لِلَّذِى لم يَهْـ ـده اللهُ إلى نَفْعى

ـــ لئن أخطأتُ فى مَدْحِيـ ـك ما أخطأتَ فى مَنْعِى

ـــ لقــد أَحْلَلْتُ حَاجَاتى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْع

فهرست تراجم الكتاب

تراثنا

مختار الأغانى في الأخبار والتهانى

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هـذا الكتاب بالتعاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م

طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه

ج ٠ ع ٠ م ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اختم بخير يا كريم

حرف الباء

وقعة بدر[1]

لما سمع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان أنه أقبل من الشام فى عِير قريش وأموالهم نَدبَ المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها فلعل الله أن ينفلكموها . فانتدب الناس نخفّ بعضهم وثقل بعض؛ وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا ، وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز ويسأل من لقى من الركبان ، خوفا على أموال الناس. حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولغيرك . فجدّ عند ذلك واستأجر ضَمضم بن عمرو الغِفارىّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتى قريشا يستنفرهم لأموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها فى أصحابه . فخرج ضمضم مسرعا إلى مكة .

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم قد رأت رؤيا أفزعتها . فبعثت إلى أخيها العباسِ وقالت : يا أخى قد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنى وتخوّفت أن ينزل منها على قومك شرٌّ ومصيبة ، فاكتُمْ علىّ ما أُحدّثك . قال : هاتِ مارأيتِ . قالت :

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٤/١٧٠ دار الثقافة ٤/١٧٦ بولاق ٤/١٧ الساسى ٤/١٧ التجريد ١/٥٣٢ .

رأيت راكبا قد أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته أن انفِروا يا آل غُدَر إلى مصارعكم فى ثلاث. وأرى الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد الحرام والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مَثَل بعيرُه على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها : انفِروا انفِروا يا آل غُدَر إلى مصارعكم فى ثلاث . ثم مَثَل بعيرُه على رأس أبى قُبَيس ، فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تَهوِى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضَّت ، فما بقى بيت من بيوت مكة حتى دخله منها فِلْذَة[1] . فقال العباس : إن هذه لرؤيا عجيبة رأيتِ فاكتميها ولا تظهريها.

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عُتبة ، وكان له صديقا . فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش . قال العباس : فغدوت أطوف بالكعبة ، وأبو جهل بن هشام ورهط من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة . فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبِلْ إلينا . فلما فرغت أقبلت إليه حتى جلست معهم . فقال لى أبو جهل : يا بنى عبد مناف ، متى حدثتْ فيكم هذه النَّبِيَّة ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التى رأتها عاتكة . قلت : وما رأت ؟ قال : يا بنى عبد المطلب ، أمَا رضيتم أن تتنبأَ رجالكم حتى [تتنبأت][2] نساؤكم ؟ وقد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال: انفروا فى ثلاث . فسنتربّص بكم هذه الثلاث ، فإن يك ما قالت حقا فسيكون ، وإن تَمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذبُ بيتٍ فى العرب . قال العباس : فوالله ما كان منى إليه كبيرُ نكيرٍ إلا أنى[3] جحدت ذلك ،

---

(١) الفلذة : القطعة .

(٢) خلت منها نسخة ا .

(٣) فى طبعة الدار : كبير إلا أنى .

وأنكرت أن تكون رأت شيئا ، ثم تفرّقنا ، فما أمست امرأة من[1] بنى عبد المطلب إلا أتتنى فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم . ثم يتناول النساء وأنت تسمع . ثم لم يكن عندك غَيرة لما تسمع . قال[2] : قد والله فعلت ، ما كان منى إليه نكير[3] ، وايمُ اللهِ لأتعرضنّ له فإن عاد لأَكفينّكُموه[4] . قال : فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حَدِيد مغضب ، أرى أنه قد فاتنى منه أمر أُحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرّضه[5] ليعود لبعض ما قاله فأقع به[6] — وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان — إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ ، فقلت فى نفسى : ماله لعنه الله ؟ أ كل هذا فَرَقاً من أن أشاتمه ؟ وإذا هو قد سمع ما لم أسمعه صوتَ ضمضم بن عمرو الغِفاريّ ، وهو يصرخ ببطن الوادى : يا معشر قريش اللطيمةَ اللطيمةَ ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوثَ الغوثَ ، قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر .

فتجهز الناس سراعا وقالوا : لا يظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمىّ[7] ، كلا والله ليعلمن غير ذلك . وكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث

---

(١) فى طبعة الدار : فلما أمسيت لم تبق امرأة .

(٢) فى طبعة الدار : غير لشىء مما سمعت . قلت .

(٣) فى طبعة الدار : إليه من كبير .

(٤) فى أصول الأغانى وهنا كما أثبت . وغيرها محققو مطبوع دار الكتب « لأكفينكنه » نقلا عن السيرة لأن الخطاب لجماعة الإناث .

(٥) فى طبعة الدار : نحوه العرضنة .

(٦) فى طبعة الدار : ليعود لبعض ما كان فأوقع به .

(٧) هو عمرو بن الحضرمى .

مكانَه رجلا ، وأوعبت[1] قريشٌ لم يتخلّف من أشرافها أحـد . إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلّف فبعث مكانه العاصيَ بن هِشام ، وكان له عليه أربعة آلاف درهم ، استأجره بها على أن يخرج عنه[2] . وقيل : إن أبا لهب قامر العاصي بن هشام في مائة من الإبل فقمره أبو لهب ، ثم عاد فقمره أبو لهب ثم عاد فقمره الثالثة ، فذهبت بكل ما يملكه ، فقال له العاصي : أرى القِداح قد خدمتك[3] يا ابن عبد المطلب ، هلُمَّ نجعلها على أيّنا يكون عبدا لصاحبه . قال : ذلك لك ، فدَحَاها ، فقمره أبو لهب فأسلمه قَيْناً ، وكان يأخذ منه ضريبة ، فلما كان يوم بدر ، وأخذت قريشٌ كلَّ رجلٍ لم يخرج بإخراج رجلٍ مكانَه ، أخرجه عنه أبو لهب ، وشرط العتق ، فخرج ، فقتله عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه .

وكان أميّة بن خَلف قـد أجمع القعود ، وكان شيخا ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبي مُعيط ـ وهو جالس في المسجد بين ظهرانَىْ قومِه ـ بمجمَرة يحملها ، فيها نار وعود ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليّ استجْمر ، فإنما أنت امرأة من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ما جئتَ به . ثم تجهّز وخرج مع الناس ، فلما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا . فتبدّى لهم إبليس في صورة سُراقة ابن جُعْشُم[4] المُدْلجيّ . وكان من أشراف كنانة ، فقال : إنى جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه . فخرجوا سراعا .

---

(١) في نسخة ا : ولوعنت .

(٢) في الأغاني : وكان لط له بأربعة آلاف كانت له عليه أفلس بها فاستأجره بها على أن يجزئ عنه بعثه .

(٣) في الأغاني : حالفتك .

(٤) في التيمورية : خثعم .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لثلاث خلون من شهر رمضان فى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، وكان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا ، والأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا . وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه . وصاحب راية الأنصار سعد بن عُبادة .

قال البَرَاء : وكنا نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر . ولم يجز معه إلا مؤمن .

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقة قيس بن أبى صَعصعة أخا بنى مازن بن النجار ، فلما كان قريبا من الصَّفْراء بعث بَسْبَسَ بنَ عمرو الُجهنىَّ حليفَ بنى ساعدة ، وعدىَّ بنَ أبى الزَّغْباء الُجهنى حليف بنى النجّار يتجسسان له الأخبار عن أبى سفيان وعيره ، فلما استقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصفراء ــ وهى قرية بين جَبلين ــ سأل عن اسمى جبليها[1] ، فقيل : يقال لأحدهما : مُسْلح ، والآخر مُخرِئ . وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النار وبنو حُرَاق ــ بطنان من بنى غِفار ــ فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجنب المرور بينهما تفاؤلا بأسمائهما وأسماء أهليهما فتركهما والصفراء بيسار[2] وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذَفِرَان ، فلما كان ببعضه نزل ، وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم[3] ليمنعوا عِيرهم ، فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم الناسَ ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر رضى الله عنه فأحسن القول ، ثم قام المقداد[4] بن عمرو فقال : يارسول الله ، امضِ لما أمركَ الله فنحن معك : فوالله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهبْ أنتَ

---

(١) فى الأغانى: عن جبليها ما اسماها .

(٢) فى الأغانى : يسارا .

(٣) فى الأغانى: عن قريش بمسيرهم.

(٤) فى الأغانى: فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ثم قام المقداد .

وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون[١] ولكن نحن معك مقاتلون[٢] ، والذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بِرْكِ الغُماد ـ يعنى مدينة الحبشة ـ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له.

قال عبد الله بن مسعود : لقد شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلى مما فى الأرض، يعنى هذا المقال. وكان رسول الله[٣] صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمرّت وجنتاه فأتاه المقداد على تلك الحال فقال : أبشر يارسول . فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فاذهَبْ أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن والذى بعثك بالحق لنقاتلن[٤] بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك أو يفتح الله عز وجل. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشيروا علىَّ أيها الناس » وإنما يريد الأنصار؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس . وكانوا لما بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنَّا بُرَآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلى ديارنا فأنت فى ذمامنا ، نمنعك مما نمنع به نساءنا وأبناءنا ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألَّا تكون الأنصار ترى نُصرَتَه إلّا ممن دَهمه بالمدينة من عدوّه ، وليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوّ فى بلاد غيرهم . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن مُعاذ : لكأنك تريدنا يا رسول الله ، لما كنا قلناه فى ذمامك ؟ قال : أجل قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أنَّ ماجئت به لهو الحقّ ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض بنا يا رسول لما أردت ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا فى البحر فخضته لخضناه معك ما بقى منا رجل واحد ،

---

(١) من سورة المائدة الآية ٢٤ وأولها « فاذهب » .

(٢) فى الأغانى : ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون معلمون .

(٣) فى الأغانى : مما فى الأرض من كل شىء كان رجلا فارسا وكان رسول الله . الخ .

(٤) فى الأغانى : لنكونن .

وما نكره أن تلقى بنا عدونا[1] إنّا لصُبُرٌ عند الحرب، صدُق عند اللقاء، لعل الله أن يُريك منا ماتقرُّ به عيناك، فسرْ بنا على بركة الله عز وجل. فسار بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد وسُرَّ بذلك ونَشِط[2] ثم قال: سيروا على بركة الله، وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين[3] والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم.

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِران[4] وسار حتى نزل قريبا من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من العرب. فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ومابلغه عنهم. قال: أخبرانى من أنتما؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذ أخبرتنا أخبرناك » فقال: وذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهو اليوم بمكان كذا وكذا — المكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم — وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذاوكذا — المكان الذى به قريش — فلما فرغ من خبره قال: فمن أنتما؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن من ماءٍ. ثم انصرف عنه، قال: يقول الشيخ: من ماء؟ أمِن ماء العراق؟ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه. فلما أمسى بعث النبى صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه إلى بدر يلتمسون له الخبر. فأصابوا راوية لقريش، فيها أَسلمُ

---

(١) فى الأغانى: عدوا غدا.

(٢) فى الأغانى: فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم [بقول سعد] ونشطه ذلك.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم. » الآية ٧ من سورة الأنفال. والطائفتان: العير والنفير.

(٤) هنا زيادة فى الأغانى.

مولى الحجّاج(١) وغريض بن بشار(٢) مولى بنى العاص ، فأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، فسألوهما . فقالا : نحن سُقاة لقريش . بعثونا لنسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ، ورَجَوا أن يكونا لأبى سفيان . فضربوهما . فقالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتين ثم سلّم فقال : إذا صدقا كم ضربتموهما ، وإذا كذبا كم تركتموهما . صَدَقا والله إنهما لِقُريش ، أَخبِرانى أين قريش ؟ قالا : وراء الكثيب الذى تَرَى بالعُدْوَة القصوى ـ والكثيبُ : العَقَنْقَل ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كم القوم؟» قالا : كثير. قال: « كم عِدَّتُهم؟ »(٣) قالا : لا ندرى قال: « كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يوما تسعا ويوما عشرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القوم ما بين التسعمائة والألف ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة [وشيبة بن ربيعة] وأبو البخترىّ بن هشام وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خُويلد والحارث بن عامر وطُعيمة بن عدىّ والنضر بن الحارث وزَمعَة ابن الأسود . وأبو جَهل بن هشام . وأميّة بن خلف ونُبيه ومنبه [ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو] وعمرو بن عبد وُدّ. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد رمتكم بأفلاذ كبدها(٤) .

وقد كان بَسْبس وَعدىٌّ مضيا حتى نزلا بدرا فأناخا على الماء ، ثم أخذا شَنًّا يستقيان فيه(٥) فسمع بسبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما تتلازمان على الماء .

---

(١) فى الأغانى : غلام بنى الحجاج .

(٢) فى أصول الأغانى : غريض بن يسار « وغيرت فى طبعة الدار إلى عريض بن يسار » تبعا لابن هشام والطبرى .

(٣) فى الأغانى : كم القوم ؟

(٤) فى الأغانى : قدرمت إليكم أفلاذ كبدها .

(٥) فى الأغانى بعدها : ومجدى بن عمرو الجهنى على الماء فسمع عدى وبسبس .

والمزومة تقول لصاحبتها : إنما يأتى العير غدا أو بعد غد ، ثم أعمل لهم وأقضيك الذى لك(١) . فسمع عدى وبسبس ذلك ، فاستويا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان حتى تقدّم العير حَذِرا فورد الماء . فقال لمجدىّ بن عمرو : هل أحسست أحدا ؟ قال : ما رأيت أحدا أنكره إلا أنى رأيت راكبين أناخا على هذا التل ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخَهما ، فأخذ منه البعر(٢) ففتّه فإذا فيه نوًى فقال : هذه علائف يثرب. ورجع إلى أصحابه سريعا ، فصرف وجه عيره عن الطريق، وترك بدْراً يسارا ثم انطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جُهيم(٣) بن الصّلت بن المطّلب رؤيا . فقال : إنى رأيت — وإنى لبين النائم واليقظان — رجلا أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ثم قال : قُتِل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف — وعدّد رجالا ممن قتل يومئذ من أشراف قريش — ورأيته ضرب فى لَبَّةِ بعيره ثم أرسله فى المعسكر فما بقى خِباء من أخبية المعسكر إلا أصابه نضح(٤) من دمه . قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضا نبىّ آخر من بنى عبد مناف(٥) سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم

(١) فى الأغانى بعدها : قال مجدى : صدقت ، ثم خلص بينهما .
(٢) فى الأغانى : فأخذ من أبعار بعيريهما .
(٣) فى الأغانى : « جهيم بن أبى الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب » هذا، والأسلوب يختلف قليلا بعده فى سياق هذه الرؤيا .
(٤) فى التيمورية : نشج .
(٥) فى الأغانى : عبد المطلب .

لتمنعوا عيركم (١) وقد نجاها الله عز وجل . فارحلوا (٢) . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بَدْرا — وكانت بدرٌ موسما من مواسم العرب ، يجتمع لهم بها سوق كل عام — فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمور وتعزف علينا القيان . وتسمع العرب فيها موقعا فامضوا(٣) ، فقال الأخنس بن شَرِيق الثقفى — وكان حليفا لبنى زهرة — : يابنى زهرة ، قد نجى الله عِيركم وإنما خرجتم لتمنعوها ، فارجعوا فلا حاجة لكم فى أن تخرجوا . فرجعوا فلم يشهدها زهرى واحد ، وكان فيهم مطاعا . ولم يكن بقى فى قريش بطن إلا نَفَر منهم ناس ، إلّا بنى عدى بن كعب لم يخرج منهم رجل واحد ، ومضى القوم . وكان بين طالب بن أبى طالب — وهو فى القوم — وبين بعض قريش مجاورة فقالوا : والله لقد عرفنا يابنى هاشم — وإن خرجتم معنا — أن هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال ابن الكلبى إن طالب بن أبى طالب خرج مع المشركين كرها فلم يوجد فى الأسرى ولا فى القتلى ولا رجع إلى أهله — وكان شاعرا مجيدا وهو الذى يقول :

يارب إما يغزونّ طـالبْ ... فى مِقنَب من هذه المقانبْ
فليكن المسلوب غير السالبْ ... وليكن المغلوب غير الغالبْ]

ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدْوَة القُصوى من الوادى . خَلْفَ العَقَنْقَل ، وبطنُ الوادى بين بدر وبين الكثيب الذى خلفه قريش(٤) ، والقَلِيب ببدر فى

(١) فى الأغانى : عيركم ورحالكم وأموالكم .

(٢) فى الأغانى : فقد نجاها الله فارجعوا .

(٣) فى الأغانى : « وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا » هذا ، وفى الأغانى زيادات بعد ذلك فى السياق .

(٤) فى الأغانى : وبطن الوادى وهو يليل بين بدر وبين العقنقل : الكثيب الذى خلفه قريش . وهذا يتفق مع نقل ياقوت عن ابن إسحاق صاحب السيرة فى « يليل » .

العُدوة الدُّنيا، وبعث الله السماء وكان الوادى دَهْساً(١)، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه ما لَبَّدَ لهم الأرض ولم يمنعهم السَّيْر. وأصاب قريشاً منها مالم يقدروا أن يرتحلوا معه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماءٍ من بدر نزل به. فقال الُحباب بن المنذر: يارسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلٌ أنزلَكه الله تعالى ليس لنا أن نتقدَّمه ولا نتأخره. أم هو الرأى والحرب والمكيدة. ؟ قال: بل هو الرأى والحرب والمكيدة. قال: يارسول الله إن هذا ليس بمنزل فارْحَل(٢) بالناس حتى تأتى أدنى ماءٍ من القوم فننزله. ثم تعوِّر(٣) ماسواه من القلب ثم تبنى عليه حوضا تملؤه ماء. ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرت بالرأى. فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس. حتى أَتى أَدنى ماء من القوم فنزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فعُوِّرتْ وبَنَى حوضا على القليب الذى نزل عليه وملئ ماء. ثم قذفوا فيه بالآنية. ثم قال سعد بن معاذ: يا رسول الله، نبنى لك عريشا من جريد فتكون فيه ثم نلقى عدونا، فإن نحن أعزّنا الله تعالى وأظهرنا على عدوِّنا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلستَ على رِكابك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوام مانحن بأشدّ حبّا لك منهم يارسول الله. ولو ظَنُّوا أنك تلقى حربا ماتخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم فيجاهدون معك. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير. وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فكان فيه. وأقبلت

---

(١) الدهس: الأرض السهلة يثقل فيها المشى.

(٢) فى الأغانى: فانهض.

(٣) عورالركية وأعارها وعارها: طمها وسدد أعينها التى ينبع منها الماء. وفى حديث على: أمره أن يعور آبار بدر.. انظر اللسان «عور» وفى الأصل كأصول الأغانى: يغور.

قريش ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوّبُ (١) من العقنقل ــ وهو الكثيب الذى جاءوا منه ــ إلى الوادى قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها تحادُّك وتكذب نبيك ورسولك اللهم فنصرَكَ الذى وعدتنى » فلما نزل الناسُ أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا حوضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيهم حكيم بن حِزَام على فرس له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوهم » فما شرب منهم رجل إلّا قتل يومئذ إلا حكيم بن حِزام فإنه لم يُقتَل، نجا على فرس له . وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه . وكان — رضى الله عنه — إذا اجتهد فى يمينه قال : لا والذى نجَّانى يوم بدر .

ولما اطمأن القوم بعثوا عُمَير بن وهب الُجمحى فقالوا : احْزُر (٢) لنا أصحاب محمد . فاستجال فرسه حول العسكر ، ثم رجع إلى القوم فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا . لكن أنظرونى (٣) حتى أنظر : هل للقوم كمين أو مَدَدٌ ؟ فضرب فى الوادى حتى أمعن فلم ير شيئاً فرجع إلى القوم وقال: لم أر مددا ، ولكنى يامعشر قريش رأيت قوماً لا يُقتل أحدٌ منهم حتى يَقتل جماعة منكم ، فإن أَصابوا منكم عددهم فما فى العيش خير بعد ذلك . فلما سمع حكيم بن حزام أتى عُتبة بن ربيعة فقال : يا أَبا الوليد إنك كبير فى قريش (٤) وسيدها والمطاع فيها ، هل لك أَلّا تزالَ تُذكَرُ بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : ترجع بالناس وتتحمل دمَ حليفك عمرو بن الحَضْرَمىّ . قال : فعلت ، وإنما هو حليفى فعلىَّ عَقْلُه وما أُصيب

---

(١) التصويب خلاف التصعيد . والتصوب : الانحدار .

(٢) الحزر: التقدير بالحدس .

(٣) فى الأغانى: «يزيدون قليلا أو ينقصونه ولكن أمهلونى .. » هذا، وفى سياق الأغانى زيادات بعد ذلك .

(٤) فى الأغانى : كبير قريش .

من ماله . فأْتِ ابنَ الحنظليَّة ؛ فإنى لا أخشى أن يُفسد أمرَ النـاس غيرُه ــ يعنى أبا جهل ــ فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فجئته ، فإذا هو فى جماعة من بين يديه ومن خلفه ومن ورائه ، وإذا ابن الحضرمىِّ واقفٌ على رأسه وهو يقول : قد فَسختُ عُقدتى من بنى عبد شمس وعقدى إلى بنى مخزوم[١] ، فقلت له : يقول لك عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك ؟ فقال : أما وجد رسولا غيرك ؟ قلت : لا ، ولم أكن لأكون رسولا لغيره . قال : فقام أبو جهل مبادرا إلى عتبة ، وعتبة متكىء على إيماء بن رحضة[٢] الغفارى . فطلع أبو جهل والشرُّ فى وجهه ، فقال لعتبة : انتفخ سَحْرُك[٣] ، فقال له عتبة : ستعلم . فسلّ أبو جهل سيفه فضرب به مَتْنَ فرسه ، فقال إيماء بن رحضة : بئس الفأل[٤] هـذا . فقام عتبة بن ربيعة خطيبا فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلْقَوْا محمدا وأصحابه شيئا . والله لئن أصبتموه لا يزال رجلٌ ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه . قتل عمه وابن خاله ورجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلُّوا محمدا وسائرَ العرب ، فإن أصابوه فذلك أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تَعْدَموا منه ما تريدون . فقال أبو جهل لعامر بن الحضرمى : قم فانشد مقتل أخيك . فقام عامر

---

(١) فى التيمورية من بنى عبد شمس ومن بنى مخزوم .

(٢) فى الأغانى : رحضة . وفى الإصابة فى ترجمته له : رخصة . وفى شرح القاموس مادة «رحض» ذكره وذكر ابنه خفافا . وضبطه بفتح الراء والحاء وبضم الراء وبفتح الراء مع سكون الحاء . هذا ، وفى الإصابة فى ترجمة خفاف بن إيماء بن رخصة نص على أنه بفتح الراء المهملة ثم معجمة . وفى تهذيب التهذيب فى ترجمة خفاف بن إيماء رحضة وبهامشه نقلا عن المغنى : براء ومهملة وضاد .

(٣) يكنى عن الجبن بانتفاخ السحر . والسحر : الرئة وما حولها ، فالجبان يملأ الخوف جوفه فيمتلىء سحره .

(٤) فى الأغانى : بئس المقام .

فصاح : واعَمْرَاه واعمْرَاه . فَحَمِيَت الحربُ واستوثقوا(١) على ما هم عليه من الشر ، وأفسد أبو جهل على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة . ولما سمع(٢) عتبة قول أبى جهل قال : ليعلم المُصَفِّر استَه من انتفخ سحره أنا أم هو ، ثم التمس بيضَةً يُدخِلها رأسه . وبرز الأسود بن عبد الأسد المخزومى ، وكان رجلا شرسا سيِّيء الخُلُق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنَّه أو لأموتنّ دونه . فلما دنا خرج له حمزة بن عبد المطلب ــ رضى الله عنه ــ فلما التقيا ضربه حمزة فأبانَ قدَمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تَشْخُب رِجلُه دماً ، فحبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يُبِرَّ يمينَه ، فضربه حمزة فقتله فى الحوض . فخرج بعده عُتبة ابن ربيعة مع أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، فدعوا إلى المبارزة ، فخرج من الأنصار عوف ومعوِّذ ابنا الحارث ، وعبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : من الأنصار ، فقالوا : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى منادٍ منهم : يا محمد ، أَخْرِجْ إلينا أكفاءنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا حمزة ، قم يا علىّ بن أبى طالب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، فدنوا منهم ، فقالوا : من أنتم ؟ فقال عُبيدة : أنا عبيدة ، وقال حمزة : أنا حمزة ، وقال علىّ : أنا علىّ . فقالوا : نعم ، أكفاء كِرام ، فبارز عُبيدةُ عُتبةَ ، وبارز حمزةُ شيبةَ ، وبارز علىٌّ الوليدَ . فأما حمزة فلم يُمهل شيبةَ حتى قتله . ولم يُمهل علىٌّ الوليدَ حتى قتله . واختلف بين عُبيدةَ وعتبةَ ضربتان ، كلاهما أثبت صاحبَه ، فكرَّ علىٌّ وحمزةُ بسيفيهما على عتبة فقتلاه ، واحتملا عبيدة فجاءا به إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقد قُطِعَت رِجله ومخُّها يسيل ،

---

(١) فى الأغانى : واستوسقوا « أى اجتمعوا » .

(٢) فى الأغانى : بلغ .

فلما أتوا به قال : يا رسولَ الله ، ألستُ شهيداً ؟ قال : بلى . فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حيًّا لعلم أنى أحق منه بما قال حين يقول :

ونُسْلِمه حتى نُصرَّع حَولَه   ونذهل عن أبنائنا والحلائلِ

ثم تزاحف الناسُ ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إذا اكْتَنَفَكم القومُ فانضحوهم بالنَّبل .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة ، صبيحة سبعَ عشرة من شهر رمضان .

ولما عدَّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفوفَ أصحابه مرَّ بسَوَاد بن غَزِيَّةَ حليفِ بنى عدىِّ بن النجَّار وهو خارج من الصفّ ، فطعنه رسولالله صلى الله عليه وسلم فى بطنه بِقدْح فى يده ثم قال : «اُسْتَوِ ياابن غَزِيَّةَ » فقال : يارسول الله أوجَعْتَنى فأقِدْنى فإنما أنت رحمة . فكشف(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ثم قال : « اسْتَقِدْ » فاعتنقه وقبَّل بطنَه . فقال : «ماحملك على هذا ياسَواد ؟ » فقال : يارسول الله ، حضر ماترى ، فلم آمن الشهادة ، فأردت أن يمسَّ جلدى جلدَك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير .

ولما نظر رسولالله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وكثرتهم(٢) ونظر إلى أصحابه نيِّفا على ثلاثمائة استقبل القبلة(٣) فجعل يدعو ويقول: « اللهم أنجِزْ لى ماوعدتنى ، اللهم إن تَهْلِك هذه العصابةُ من أهل الإسلام لا تُعْبَد فى الأرض » فلم يزل حتى

(١) فى الأغانى : فقال: يارسولالله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق فأقدنى. قال: فكشف .
(٢) فى الأغانى : وعدتهم .
(٣) فى الأغانى : الكعبة .

سقط رداؤه ، فأخذه أبو بكر فوضعه عليه . ثم التزمه من ورائه ثم قال : [كفاك يا نبي الله مناجاتك لربك، بأبي أنت وأمي ؛ فإنه سينجز لك وعدك فأنزل الله عز وجل « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مُردفين »⁽١⁾ وقال ابن عباس : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في فتنة يوم بدر : اللهم إني أسألك وعدك وعهدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم فأخذ أبو بكر رسول الله صلى الله وسلم وقال:]⁽٢⁾ حسبُك يا نبيَّ الله مناجاتُك. لقد ألححتَ على ربك . فخرج وهو يقول: « سَيُهْزَمُ الْجَمعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ* بل الساعةُ موْعِدُهُمْ والساعةُ أَدْهَى وأَمَرُّ »⁽٣⁾ ثم خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة في العريش ، وانتبه فقال : يا أبا بكر ، أتاك نصر الله . هذا جبريل آخذٌ بعنان فرسه يقوده .

ورُمِي مِهْجَعٌ مولى عمر بن الخطاب فمات⁽٤⁾ ، فكان أول قتيل من المسلمين . ثم قتل حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض . وحرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس على القتال وقال : والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقتَل صابرا غيرمدبر إلا أدخله الله الجنة . فقال عمير أخو بني سلمة — وفي يده تمرات يأكلها — بخٍ بخٍ مابيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن أقتل ؛ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل القوم حتى قُتِل ، وهو يقول :

رَكْضا إلى الله بغير زادِ — إلّا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد — وكل زاد عرضة النفَّادِ
غير التقى والبر والرشاد

---

(١) سورة الأنفال الآية ٩

(٢) هذه الزيادة في ا .

(٣) سورة القمر الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) في الأغاني : بسهم فقتل .

[ثم إن عوف بن الحارث وهو ابن عفراء قال : يارسول الله ، ما يُضحك الرب تبارك وتعالى من عبده؟ قال: غمسه: يده فى العدو حاسرا . فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل .

ولما دنا الناس والتقوا] قال أبو جهل : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأهلكه (١) الغداةَ . فدعا على نفسه .

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء ثم قال : « شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها . ثم قال لأصحابه « شُدُّوا » فكانت الهزيمة . وقتل الله [تعالى من قتل من] صناديد قريش ، وأُسر من أشرافهم (٢) فلما وضع القوم أيديهم يأسرون — ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشّحا سيفه فى نفر من الأنصار يحرسونه من كرّة العدو — رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة فى وجه سعد بن معاذ لما يصنع بقريش ، فقال « كأنك كرهت مايصنع بالمشركين ؟ » فقال : نعم يارسول الله . وكان الإثخان بالقتل أعجب إلىّ (٣) من استبقاء الرجال وأسرهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رجالا من بنى هاشم أُخرجوا كرها لقتالنا فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب فلا يقتله . فإنما خرج مستكرها . فقال أبو حذيفة: أَنقتل أبناءنا وإخواننا وعشيرتنا

---

(١) فى الأغانى : فأحنه .

(٢) فى الأغانى : وقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر منهم . وفى مخطوط الإسكندرية : وقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش وأسر من أشرافهم .

(٣) فى الأغانى: أعجب إلى. وكذلك فى نسخة المؤلف ونسخة الإسكندرية. أما التيمورية ففيها : أحب إلى .

ونترك العباس ؟ والله لئن لقيته لأقحمنّه بالسيف[١] فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر[٢] بن الخطاب رضي الله عنه : يا أبا حفص ، أتسمع إلى ما يقول أبو حذيفة ؟ يقول : أضرب وجه عم رسول الله بالسيف ، فقال عمر : دعني أضرب عنقه يارسول الله[٣] فوالله لقد نافق .

وكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمنٍ تلك الكلمةَ التى قُلتُ يومئذ ولا أزال خائفا إلا أن تكفرها عنى الشهادة. فقتل يوم اليمامة شهيدا . [ونهى[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البخترى وهو العاص بن هشام لأنه كان أكف الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه . وكان ممن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب[٥] فلقيه المجذّر بن ذياد البلوى حليف الأنصار من بنى عدىّ ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك . قال : وزميلى ؟ فقال المجذر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك . وكان مع أبى البخترى جنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسد ، خرج معه من مكة زميله. وقال له المجذر : ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ بك وحدك . قال : إذن لأموتن أنا وهو جميعا ولا تتحدث عنى نساء قريش وأهل مكة أنى تركت زميلى حرصا على الحياة. فقال أبو البخترىّ حين نازله المجذر وأبى إلا القتال :

لن يُسلم ابنُ حُرَّة أكيلَهُ   حتى يموتَ أو يرى سبيلهُ

---

(١) فى الأغانى : لألجمنه السيف .

(٢) فى ا : فجعل يقول لعمر .

(٣) فى ا : دعنى يا رسول الله فلأضرب عنقه بالسيف .

(٤) هذه الزيادة بين معقوفين من نسخة ا وتتفق مع ما فى الأغانى . وخلت منها نسختا (ت ، ك) .

(٥) فى أصل نسخة ا بعض أخطاء : العاص بن هاشم ... على بنى هاشم وبنى عبد المطلب.

واقتتلا فقتله المجذّر بن ذياد ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذى بعثك بالحق يارسول الله لقدجهدت عليه أن يستأسر فآتيك به أسيراً ، فأبى إلا القتال فقاتلته فقتلته] .

قال عبد الرحمن بن عوف: كان أمية بن خلف صديقى بمكة . وكان اسمى عبد عمرو فلما أسلمت تسميت عبد الرحمن ونحن بمكة . فكان يلقانى فيقول : ياعبد عمرو ، أرغبت عن اسمٍ سمّاك به أبوك ؟ فأقول : نعم ، فيقول : إنى لا أعرف عبد الرحمن ولكن اجعل بينى وبينك شيئا أدعوك به ، أما أنت فإنك لا تجيبنى إذا دعوتك باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك إلا بما أعرف . فكان إذا دعانى ونحن فى مكة: ياعبد عمرو لا أكلمه ولا أجيبه . قال عبد الرحمن : فقلت له يوما : اجعل بينى وبينك يا أبا علىّ ماشئت أن تدعونى به غير عبد عمرو. فقال : أنت عبد الإله . فقلت له : نعم ، فكنت إذا مررت به قال : ياعبد الإله . فأجيبه . فأتحدث معه ثم أنصرف عنه، فلما كان يوم بدر [بعد القتال وقد جمعت أدراعا من على القتلى][1] مررت به وهو واقف مع ابنه علىّ بن أمية آخذا بيده ومعى أدراع قد استلبتها وأنا أحملها . فلما رآنى قال: ياعبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : ياعبدالإله. فقلت : نعم. قال: هل لك فِىَّ ؟ فأنا خير لك من هذه الأدراع . قلت : نعم هلُمَّ إذاً . قال : فطرحت الأدراع من يدى ، وأخذت بيده ويد ابنه ، وهو يقول : مارأيت كاليوم قط . أمالكم حاجة فى اللبن[2]؟ ثم خرجت أمشى بهما . فقال: ياعبد الإله ، من الرجل المُعلم [منكم] بريش نعامة فى صدره ؟ قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب . قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل .

---

(١) زيادة فى (ت.ك) خلت منها (ا) والأغانى ومايأتى بعد يدل على أن الزيادة لا محل لها .

(٢) بهامش نسخة (ا ، ك) قوله : « مالكم حاجة فى اللبن » يعرض بأنه يفتدى نفسه بكثير من الإبل .

فبينا أنا أقودهما إذ رآه بلال معى ـ وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على أن يترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضاء مكة فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتجعل على صدره ، فيقول : لا يزال هكذا حتى يفارق دين محمد . فيقول بلال : أحد أحد ـ فلما رآه بلال قال حين رآه : رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوتُ إن نجوتَ . قال : فقلت : أىْ بلال أبأسيرىّ ؟ قال : لا نجوت إن نَجَوَا . قال : قلت [بأسيرىّ][1] تسمع يا ابن السوداء ؟ قال : لا نجوت إن نَجَوَا. ثم صاح بأعلى صوته: [ياأنصارالله][2] رأس الكفر أمية بن خلف فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المَسَكة[3] وأنا أذبّ عنه ، فضرب رجل ابنه فوقع . وصاح أمية[4] صيحة ماسمعت مثلها قط . قال:قلت انجُ بنفسك ولا نَجَاء ، فوالله ما أُغنى عنك شيئاً ، فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما ، فكان عبدالرحمن يقول : رحم الله بلالا ، ذهبت أدراعى ، وفجعنى بأسيرىّ .

قال ابن عباس : حدثنا رجل من غفار قال : أقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ننظر الوقعة على من تكون الدائرة ، فننهب مع من ينهب ، فبينا نحن فى الجبل إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا منها حمحمة الخيل وسمعت قائلا يقول : أقدِمْ حَيزوم ، فأما ابن عمى فانكشف قِناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت .

وقال أبو أمامة بن سهل بن حُنَيف: قال لى أبى : لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا لَيُشير إلى المشرك بسيفه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف .

---

(١) زيادة فى ا ، ك والأغانى .

(٢) زيادة فى (ا) والأغانى .

(٣) المسكة : السوار .

(٤) فى (ت): وصاح ابنه .

وقال أبو داود المازني[١]: إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن قد قتله غيري.

قال عبد الله بن عبّاس: وكانت سيما الأنصار[٢] عمائم بيضاء يوم بدر قد أرسلوها في ظهورهم، ويوم حنين[٣] عمائم حمرا. ولم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عَدَدا ومَددا لا يضربون.

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر أمر بأبي جهل أن يُلتمس في القتلى، وقال: «اللهم لا يُعجِزَنَّك» فكان أول من لقي أبا جهل مُعاذُ بنُ عمرو[٤] بن الجموح، قال: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة[٥] وهم يقولون: أبو الحكم، لا يُخْلَص إليه. فلما سمعتها جعلته من شأني، فصَمَدْت[٦] نحوه، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنَّتْ قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا النواةَ تَطِيح من تحت مِرْضَخة النوى حين يضرب بها، قال: وضربني ابنه عِكرمةُ على عاتقي فطرح يدي، فتعلّقت بجِلدة من جَنْبي. وأجهضني[٧] القتال عنه، ولقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني جعلت عليها رجلي، ثم تمطيت بها حتى طرحتها. ثم عاش معاذ بعد ذلك إلى زمن عثمان. قال: ثم مرّ

---

(١) في «ت» البارق.

(٢) كذا في (ت، ك) أما في ا فقد ضرب على كلمة الأنصار ووضع فوقها كلمة الملائكة وفي الأغاني: الملائكة.

(٣) في (ت): خيبر.

(٤) في (ت) عمير.

(٥) الحرجة: مجتمع شجر ملتف.

(٦) صمدت: قصدت. وفي الأغاني: فعمدت.

(٧) أجهضه عن الأمر: أبعده.

مُعوِّذ بن عَفراء بأبى جهل وهو عَقِير[1] ، فضربه حتى أثبته[2] ، فتركه وبه رمق ، وقاتل مُعوِّذ حتى قُتِل ، فمرَّ عبد الله بن مسعود بأبى جهل ، وكان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتمس فى القتلى وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انظروا إن خَفِى عليكم فى القتلى إلى أَثَر جُرح فى رُكبته ، فإنى ازدحمت أنا وهو[3] يوما على مأدُبة لعبد الله بن جُدْعان ونحن غلامان وكنت أشبَّ منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه ، فسُحِج[4] فى إحداها سَحْجاً لم يزل به أثره . قال عبد الله ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق فوضعت رجلى على عنقه . وكان قد ضَبث بى مرة بمكة فآذانى ولكزنى ، ثم قلت : هل أخزاك الله ياعدو الله ؟ قال : وبماذا أخزانى ؟ [[5] هل أعمد[6] من رجل قتلتموه ! لمن الدبرة[7] ؟ قلت : لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . ثم قال أبو جهل][5]: لقد ارتقيت يا رُويعى الغنم مرتقى صعبا . ثم احتززت رأسه ، ثم جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله أبى جهل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله الذى لا إله غيره » ـ وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قلت : نعم واللهِ الذى لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحمد الله عز وجل . ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا فى القليب طُرِحوا فيه

---

(١) العقير : المجروح .

(٢) أثبته : جرحه جراحة لا يتحرك معها ولا يقوم .

(٣) فى (ت): أنا وإياه.

(٤) سحج: قشر. وفى الأغانى : فخدش ... خدشا .

(٥) مابين المعقوفين ساقط من ت .

(٦) أعمد: أعجب وقال: معناه هل زاد على سيد قتله قومه .

(٧) الدبرة : الظفر والدولة .

إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ فى درعه حتى ملأها ، فذهبوا ليجروه[1] فتزايل فأقرُّوه . وألقوا عليه ماغيَّبه[2] من التراب والحجارة ، فلما ألقوهم فى القليب وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : «ياأهل القليب بئس عشيرةً كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ، ياعتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ـ وعدّد من كان معهم فى القليب ـ هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا » فقال المسلمون : يا رسول الله أتدعو قوما قد جَيَّفوا ، فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى » ولما ألقوا فى القَلِيب سُحب عتبة بن ربيعة إلى القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وجه أبى حُذيفة بن عُتبة ، وإذا هو كئيب قد تغير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا حذيفة لعلك دخلك من حال أبيك شىء » أو كما قال : فقال : لا والله ، لا يارسول الله[3] ، ما شككت فى حال أبى ولا فى مصرعه ، ولكنى كنت أعرف له رأيا وفضلا وحلما ، فكنت أرجو أن يهديه الله تعالى بذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما صار إليه من الكفر[4] بعد الذى كنت أرجو أحزننى ذلك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال خيرا . ثم أمر رسول الله صل الله عليه وسلم بما فى العسكر مما جمع الناس فُجمع ، واختلف الناس فيه . فقال من جمعه : هُوَ لنا ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كلَّ امرئ ما أصاب . وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونهم : لولا نحن ماأصبتموه ،

---

(١) فى الأغانى : ليخرجوه .

(٢) فى (ا) : ما غيره.

(٣) فى الأغانى : لا والله يا رسول الله .

(٤) فى الأغانى : وذكرت ما مات عليه من الكفر .

ونحن شَغلنا القومَ عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخَالِف إليه العدوُّ : ما أنتم بأحق به منا . لقد رأينا أن نقتل العدوّ إذ وَلّانا الله ومنحنا أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكن خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كَرّة العدو فكنا دونه(١) فما أنتم بأحق به منا .

وجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسارى من المشركين ، وكانوا أربعة وأربعين ، ومن القتلى مثل ذلك ـ والصحيح أنهم سبعون والأسرى كذلك ـ وفى الأسارى عقبة بن أبى مُعَيط والنضر بن الحارث بن كَلَدة . فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث ، قتله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

ولما قدم بالأسرى كانت سَودة بنت زَمْعَة ـ زوج النبى صلى الله عليه وسلم ـ عند آل عَفْراء فى مناَحتهم على عَوف ومُعَوِّذ ابنى عفراء ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب . قالت سودة : إنى لمعهم(٢) إذ أُتينا. فقيل : هؤلاء الأسارى قد أتى بهم ، فرحت إلى بيتى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل ، قالت : فوالله ما ملكت نفسى إذ رأيته كذلك أن قات : يا أبا يزيد ، أعطيتم بأيديكم ، ألَا مِتّم كراما ؟ فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت : « يا سودة ، أعلى الله وعلى رسوله؟ » قالت : قلت : يارسول الله ، والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعا يداه إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت .

---

(١) فى الأغانى : فقمنا دونه .

(٢) فى الأغانى : عندهم .

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله بن إياس بن ضُبيعة ابن مازن[1] بن كعب بن عمرو الخزاعى ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وزَمْعة بن الأسود ، وأبو البَختَرِىّ بن هشام ، ونُبَيه ومُنَبّه ابنا الحجّاج . فلما جعل يعدِّد أشراف قريش قال صفوان بن أمية ـ وهو قاعد فى الحِجْر ـ : والله إنْ يَعْقِل هذا ، فسَلُوه عنى . قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالس فى الحِجْر ، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتِلا .

قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمت أم الفضل وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرِّق فى قومه ، وكان أبو لهب عدوُّ الله قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، فلما جاء الخبر عن مصاب قريش وكبته الله وأخزاه وجدنا[2] فى أنفسنا قوة وعزا . وكنت رجلا ضعيفا أعمل القِداح وأنحتها فى حُجرة زمزم ، فوالله إنى لجالس وعندى أم الفضل وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل الفاسق أبو لهب لعنه الله يجر رجليه بِشَرّ[3] ، حتى جلس على طُنُب الحجرة ، وكان ظهره إلىّ ، فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدِم ، فقال أبو لهب : هلمّ إلىّ يا ابن أخ ، فعندك الخبر ، فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخى أخبرنى كيف كان الناس ؟ قال : لا شىء والله ، إن كان إلّا لقيناهم فمنحناهم[4] أكتافنا

---

(١) فى الأغانى : رومان. أما نسخ المختار فكما أثبت .

(٢) فى الأغانى وك : كبته الله وأخزاه ووجدنا .

(٣) فى الأغانى : يسير .

(٤) فى الأغانى : إلا أن لقيناهم فأبحناهم .

يقتلون ويأسرون كيف شاءوا ، وايمُ الله مع ذلك ما لُمتُ الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بُلْق بين السماء والأرض ما تُلِيق[١] شيئا ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طُنُب الحجرة بيدى وقلت : تلك الملائكة . فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة . قال : فثاورته[٢] ، فحملنى فضرب بى الأرض ثم برك علىَّ فضربنى ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة فضربته به ضربة فَلَقَتْ رأسه شجَّة مُنكرة[٣] ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولِّيا ذليلا . فوالله ما عاش بعدها إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعَدَسة[٤] فقتَله . ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا ما يدفنانه[٥] حتى أنتن فى بيته — وكانت قريش تتقى العَدَسة كما تتقى الطاعون — حتى قال لهما رجل من قريش : ويحكما ألَا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تُغَيِّبانه ؟ قالا : نخشى هذه القَرْحة . قال : فانطلِقا وأنا معكما ، فما غَسَّلوه إلا قَذْفاً بالماء عليه من بعيد ما يَمَسُّونه ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة على جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروْه .

ولما أمسى القوم من يوم بدر ، والأسارى محبوسون فى الوَثاق ، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهرا أول ليلته ، فقال له أصحابه : مالَكَ يا رسول الله لا تنام ؟ فقال : « سمعت تضوُّرَ العباس فى وثاقه » فقاموا إلى العباس فأطلقوه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ما تليق : ما تبقى .

(٢) ثاوره : واثبه . وفى الأغانى : فساورته .

(٣) فى الأغانى : فشجت فى رأسه شجة منكرة .

(٤) العدسة بثرة قاتلة تخرج بالبدن .

(٥) فى نسخ المختار : ما يدفناه .

وكان الذى أسر العباسَ أبو اليَسَر[1] كعب بن عمرو أخو بنى سَلَمة وكان مَجْمُوعا ، وكان العباس رجلا جسيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى اليَسَر : « كيف أسرت العباس يا أبا اليَسَر ؟ » قال : يا رسول الله ، أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا هيئته كذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أعانك عليه ملَك كريم » .

ولما انتهى العباس إلى المدينة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس افْدِ نفسك وابنَىْ أخيك[2] : عَقِيل بن أبى طالب ونَوْفل بن الحارث ، وحليفَك عتبة بن عمرو بن جَحْدَم أخا بنى الحارث بن فِهْر . فإنك ذو مال » فقال: يا رسول الله، إنى كنت مسلما ، ولكن القوم استكرهونى ، فقال : « الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكره حقا فالله عز وجل يَجْزِيك . وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، فافْدِ نفسك » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أُوقيّة من ذهب . فقال العباس : يا رسول الله احسُبها لى فى فدائى . قال : « لا ، ذاك شىء أعطاناه الله منك » قال : فإنه ليس لى مال . قال : « فأين المال الذى وضعته بمكة حين خرجت عند[3] أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد وقلت لها : إن أُصبت فى سفرى هذا ، فللفضل كذا ، ولعبد الله كذا ، ولعُبيد الله كذا ، ولِقُثَم كذا » قال : والذى بعثك بالحق ما علم بهذا أحد غيرى وغيرها ، وإنى لأعلم أنك رسول الله . ففدَى نفسه وابنَىْ أخيه وحليفه .

---

(١) ضبط فى المختار بضم الياء ضبط قلم. وفى الإصابة نص على أنه بفتحتين وكذلك جاء فى الاشتقاق ص ٤٦٥ .

(٢) فى الأغانى : وابن أخيك .

(٣) فى الأغانى : خرجت من عند .

ولما بعث أهلُ مكة فى فِداء أسراهم بعثت زينبُ بنتُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فِداءَ[١] أبى العاص بن الرَّبيع ، وبعثت فيه بِقِلادة لها كانت خديجةُ أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها[٢] ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رَقَّ لها رِقّة شديدة وقال : « إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتَرُدُّوا عليها الذى لها فافعلوا » فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه ورَدُّوا عليها الذى لها .

وناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا لا تفعلوا ، فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا ، ولا تبعثوا فى فِداء أسراكم حتى تيأسوا منهم ولا يتأرَّب[٣] عليكم محمدٌ وأصحابه فى الفداء . وكان الأسود بن عبد يغوث[٤] قد أُصيب له ثلاثة من ولده زَمْعَة وعَقِيل والحارث ، وكان يحب أن يبكى عليهم، فبينا هو كذلك إذ سمع صوت نائحة من الليل، فقال لغلام له — وقد ذهب بصره — : انظر هل أُحِلّ النحيب ؟ هل بكت قريش على قتلاها لعلّى أبكى على أبى حكيمة — يعنى زَمَعَة — فإن جوفى قد احترق ، فرجع الغلام وقال : إنها امرأة تبكى على بعير لها أضلّته فذلك حين يقول :

أتبكى أن يضلّ لها بعيرٌ ... ويمنعها من النوم السُّهودُ[٥]
ولا تبكى على بَدْرٍ[٦] ولكن ... على بدر تقاصرت الُجدودُ
على بَدْرٍ سراة بنى هُصَيص ... ومخزومٍ ورهط أبى الوليدِ

---

(١) فى الأغانى : فى فداء .

(٢) فى ت : بها .

(٣) يتأرب : يتشدد .

(٤) كذا فى أصول المختار وأصول الأغانى والطبرى . وصوابه كما فى الاشتقاق ٩٤ الأسود ابن المطلب وانظر شرح التبريزى ط أوربا ص ٣٩٧ وشرح المرزوقى ص ٨٧٣ .

(٥) السهود : امتناع النوم . وفى الأغانى : الهجود وانظر هامشه وشرح المرزوقى ٨٧٣

(٦) فى الأغانى : على بكر . وكذلك شرح المرزوقى هذا والقصيدة فيها إقواء فى ثلاث أبيات.

وبكّى إن بكيتِ على عَقِيـل ... وبَـكّى حارثا أسـد الأسودِ
وبَـكّيهم ولا تُسْمى جَميعـا ... فما لأَبى حكيمةَ من نَدِيدِ
ألا قد ساد بعـدهمُ رجالٌ ... ولولا يوم بدرٍ لم يسودُوا

وقالت هند بنت عُتبة ترثى أباها وعمها وأخاها :

مَنْ حَسَّ لى الأخوين كالـ ... ـغضين أو مَن رَاهُما(١)
قَرْمَيْنِ(٢) لا يتظالمـا ... ن ولا يُرام حِماهما
ويلى على أبَوَىَّ والـ ... ـقـبر الذى وَارَاهما
لا مثلُ كهلى فى الكهو ... ل ولا فتى كفتاهما
أسدَيْن لا يتـذللا ... ن ولا يُرام حماهما(٣)
رُمْحَيْن خَطِّيَّيْن فى ... كبد السماء سناهما(٤)
ما خلَّفـا إذ وَدَّعا ... فى سُـودَدٍ شَرْوَاهما(٥)
سادا بغـير تـكلُّفٍ ... عَفْوًا يفيضُ نَداهُما

وكانت هند قد بلغها تَسْوِيمُ(٦) الخنساءِ هَوْدَجها فى المواسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّرِيد وأخويها صَخْرٍ ومعاوية . وجعلت تَشهد المواسم وتَبـكيهم وقد سَوَّمَتْ هَوْدجها براية وهى تقـول : أنا أعظم العرب مصيبة . وقد عرفت لها العرب ذلك . فلما أُصيبت هند بأبيها وعمها وأخيها وبلغها ذلك قالت :

---

(١) حس : أحس . راهما : رآهما .
(٢) القرم : السيد العظيم .
(٣) كذا ذكر هذا البيت فى المختار والأغانى وبمقارنته للبيت الثانى يبدو أنه كرواية أخرى له.
(٤) فى الأغانى : السماء تراهما .
(٥) الشروى : المثل .
(٦) سوم الشىء : جعل له علامة ليعرف بها .

أنا أعظم مصيبة من الخنساء وسوّمت هَوْدجها براية ، وشهدت الموسم بعكاظ فقالت : اقرِنوا جملي بجمل الخنساء ، ففعلوا . فلما دنت منها قالت لها الخنساء : مَنْ أنتِ يا أُخَيَّةُ ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تُعاظمين العربَ بمصيبتك فبِمَ تُعاظيمنهم ؟ فقالت الخنساء : بأبي عمرو بن الشَّريد وأَخَوَيَّ صخرٍ ومعاوية وبِمَ تُعاظمينهم أنتِ ؟ قالت : بأبي عُتبة ، وعَمِّي شَيْبَة ، وأخي الوليد . فقالت الخنساء : أوَ سَوَاءٌ هم عندك ؟ ثم أنشأت تقول :

أبكِّى أبي عَمْرًا بعَيْنٍ غزيرة ... قليلٍ إذا نام الخليُّ هُجــودُها
وصِنْوَيَّ لا أنسى معاويةَ الذى ... له من سَرَاة الحرَّتَيْن وُفُودُها[1]
وصَخْراً ومَن ذا مثلُ صخرٍ إذا غدا ... بسَلْهَبَةِ الأيطـال قُبٍّ يقودها[2]
فذلك يا هنــدُ الرزيّةُ فاعلمى ... ونيرانُ حربٍ حين شَبّ وَقُودُها

فقالت هند تجيبها :

أبكِّى عَميدَ الأبطحين كِليهما[3] ... وحاميَهَا من كلِّ بَاغٍ يُريدُها
أبي عُتبةُ الخيراتِ ويحك فاعلمى ... وشيبةُ والحامى الذمارِ وَلِيدُها
أولئك آلُ المجــدِ من آل غالبٍ ... وفى العِزِّ منها حين يَنْمِى عَدِيدُها

---

(١) الحرتان يراد بهما حرة بنى سليم وحرة بنى هلال بالحجاز .

(٢) السلهبة : الطويلة والأيطال لعلها من جموع الأيطل وهو الخاصرة وفى الأصل : الأبطال وفى أصول الأغانى كأصول المختار وفى الديوان : بساهمة الآطال .

(٣) فى أصول المختار : كلاهما .

بشار بن بُرْد[1]

(هو بشَّار بن بُرْد بن يَرْجُوخ من سَبْي المهلَّب بن أبى صُفْرة من طَخَارستان .

وكنية بشار أبومُعاذ، ومحله فى الشعر وتقدّمه فى طبقات المُحدَثين بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير خلاف فى ذلك يُغنى عن وصفه وإطالة ذكر محلّه ، وهو من شعراء مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، قد شُهِر فيهما بمدح وهجاء وأخذ سَنِىّ الجوائز من الخلفاء مع الشعراء .)

كان بشار بن برد من فَىْء خِيرةَ[2] القُشيرية امرأة المهلب بن أبى صفرة ، وكان مقيما لها فى ضيعتها المعروفة بخِيرتَان مع عبيد لها وإماء . فوهبت بردا بعد أن زوجته لامرأة من عُقَيل كانت متصلة بها ، فولدت له وهو فى مِلْكها بشّارا فأعتقته العُقيلية .

وكان بردٌ أبو بشارٍ مولى لأمِّ الظِّباء السَّدُوسية . وادَّعى بشّار أنه مولًى لبنى ربيعة بن عُقَيل ، لنزوله فيهم . وأمّ الظباء امرأةُ أوس من ثعلبة . أحد بنى تيم الله ابن ثعلبة ، وكان أوسٌ أحدَ فُرسان بَكْر بن وائل بخُراسان . وقيل : كان بشار وأمُّه لرجل من الأزد وتزوَّج من بنى عُقَيل فساق بشاراً وأمَّه إليها فى صَدَاقها .

(وكان بشار وُلِد مكفوفا) فأعتقته العقيلية . وقيل: إن أم بشار باعت بشارا على أم الظباء بدينارين ، فأعتقته أمُّ الظباء .

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٣/١٣٥ وانظر ١٣٤ و جـ ٦/٢٤٢ ودار الثقافة ٣/١٢٩ وانظر ١٢٧ وجـ ٦ / ٢٢٩ وبولاق ٣/١٩ والساسى ٣/٢٠ والتجريد ٣٧٢ / ٧٨٠ .

(٢) فى بعض نسخ الأغانى : من قن خيرة .

وكان بُردٌ طيَّانا يضرب اللَّبِن الطِّين . قال زيد بن مزاحم : أرانى أبى بَيتين لنا فقال : لِبنُ هذه البيتين[١] يابنىّ من ضَرْب بردٍ أبى بشارٍ . فسمع هذه الحكاية حمَّادُ عَجردٍ فهجاه فقال :

يا ابن بُرْدٍ فاخسأ إليك فمثل الـ ـكلب فى الناس أنت لا الإنسانِ
بل لعمرى لأنت شرٌّ من الـكلا ب وأولى منـه بكل هَوانِ
ولرِيحُ الخنزيرِ أهونُ من رِيـ ـحك يا ابن الطَّيَّان ذى التُّبَّانِ[٢]

(قال بشار : لما دخلت على المهدىِّ قال لى: فيمن تعتدُّ يابشار؟ فقلت: أما على الرَّأى واللسان فعربى[٣] وأما الأصل فعجمى) كما قلت فى شعرى يا أمير المؤمنين :

ونُبئتُ قومـاً بهم جِنَّةٌ يقولون مَن ذا وكنتُ العَلَمْ
ألا أيُّها السائِلى جاهـلا[٤] لِيعرفَـنى أنا أنفُ الـكَرَمْ
نمتْ فى الـكرامِ بنى عامرٍ فروعى وأصلى قريشُ العَجَمْ
وإنى لأُغنى مَقـامَ الفَـتَى وأُصبى الفتاة فما تَعْتَصم

وكان أبودُلامة حاضرا فقال : كلَّا، لَوَجْهُك أقبحُ من ذلك ووجهى معوجهك. فقلتُ : كلَّا ، والله ما رأيت رجلا أصدقَ على نفسه وأكذب على جنسه منك . والله إنى لطويل القامة ، عظيم الهامة ، تامُّ الألواح ، أسْجَحُ الخدَّين[٥] ، ولرُبَّ مسترخى المِذْرَوَيْن[٦] ، للعَين فيه مرَاد ، قد جلس من الفتاة حَجْرَةً وجلستُ منها

---

(١) فى ت : « أرانى أبى لبنتين لنا فقال: إن هاتين اللبنتين » .
(٢) التبان : سراويل صغير .
(٣) فى الأغانى : أما الزى واللسان فعربيان .
(٤) فى بعض نسخ الأغانى : جاهدا .
(٥) أسجح الخد: سهله لينه .
(٦) المذروان : طرفا الأليتين .

حيث أريد ، فأنت مثلي يامَرْضَعان(١) ؟ قال : فسكت عني . ثم قال المهدى : فمن أى العجم أصلك ؟ فقلت : من أَكْثرها في الفرسان(٢) وأشدِّها على الأقران، أهل طُخا رستان. فقال بعض القوم : أولئك السُّغد . فقلت: لا، السُّغد تجَّار ، فلم يَرْدُدْ ذلك المهدىُّ .

(وكان بشارٌ كثير التلوُّن في وَلَائه شديد التشغُّب(٣) والتعصب للعجم، مرَّةً يفتخر بولائه في قيسٍ فيقول :

أمنتُ مضرَّة الفُحَشـــاء إنى ... أَرى قيساً تَضرُّ ولا تُضارُ

كأنَّ الناس حين تغيب عنهم ... نباتُ الأرضِ أخطأه القِطارُ(٤)

وقد كانتْ بتَدْمُرَ خيلُ قيس ... وكان لتدمُرٍ فيها دَمَارُ

بِخَيل(٥) من بنى غيلان شُوسٍ ... يسير الموت حيث يُقالُ ساروا

وما تلقــاهُمُ إلا صَــدَرْنا ... برِيٍّ منهمُ وهمُ حِرارُ

(ومرّة يتبرأ من ولاء العرب) فيقول :

أصبحت موْلى ذى الجلال وبعضهم ... مولى العُرَيْب فخذْ بفضلك وافْخَرِ

مولاكَ أكرمُ من تميم كلّهــا ... أهل الفعال ومن قريش المَشعرِ

فارجعْ إلى مولاكَ غير مُدافــعٍ ... سبحان مولاكَ الأجلِّ الأكبرِ

---

(١) المرضعان : اللئيم .

(٢) فى ت: من أكرها على الفرسان .

(٣) فى نسخة من الأغانى : الشغب . هذا، ويراد بالتشعب أنه من الشعوبية .

(٤) القطار جمع قطر وهو المطر .

(٥) فى الأغانى : «بحى من بنى غيلان» هذا، والشوس جمع أشوس وهو الذى ينظر بمؤخر عينيه تـكبرا .

ومرّة يفتخر بولاء بنى عُقَيل فيقول :

إنّنى من بَنى عُقَيل بن كَعْبٍ   موضع السيف من طُلَى الأعناقِ (١)

وكان بشار يلقب بالمُرَعَّث . لقب بذلك لقوله :

قال رِيمٌ مرعَّث   ناعسُ الطَّرف والنَّظَرْ

لست والله نائلى   قلتُ أو يَغلب القَدَر

أنت إن رُمْتَ وَصْلَنا   فانْجُ هل تُدركُ القَمَرْ

وقيل : لقب بالمرعث لأنه كان لقميصه جَيْبانِ : جَيْبٌ عن يمينه وجيب عن شماله ، فإذا أراد لُبْسه ضمّه عليه من غير أن يُدْخِل رأسه فيه ، وإذا أراد نزعه حلّ أزراره وخرج منه ، فشُبِّهت تلك الجيُوب بالرِّعَاث لاسترسالها وتدلِّيها ، فسمى من أجلها المرعَّث .

وقيل : لقب بذلك لأنه كان فى آذانه وهو صغير رِعاثٌ . والرِّعاث القِرَطَة ، واحدتها رَعْثَة وجمعها رِعاثٌ وَرَعثاتٌ . ورعثاتُ الدِّيك : اللحم المتدلِّى له تحت حَنَكه ؛ قال الشاعر :

سَقَيتُ أبا المُطَوَّح إذْ أتانى   وذو الرَّعَثَاتِ مُنتصِبٌ يَصيحُ

شراباً يَهربُ الذِّبَّانُ منه   ويلْثغُ حين يشربُه الفصيحُ

وكان بشار أشدّ الناس تبرُّما بالناس . وكان يقول : الحمد لله الذى أذهب بصرى . فقيل له : ولم يا أبا معاذ ؟ فقال : لئلا أَرى من أبغض .

وكان ضخما عظيم الخَلْق والوجه مُجَدَّراً طويلا جاحظ الحدقتين (٢) قد تغشاهما لحم أحمر ، وكان أقبح الناس عمًى وأفظعه منظرا ، وكان إذا أراد أن ينشد صفّق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتى بالعجب .

(١) الطلى جمع طلية أو طلاة وهى أصل العنق .
(٢) فى الأغانى : المقلتين .

وولد أَعمى وهو الأكمه) وقال أبو هِشام الباهلي يهجوه :

وَعبْدى فَقَا عَيْنَيْكَ فى الرَّحْم أيْرُهُ ... فجئت ولم تَعلم لِعَينيك فَاقِيَا
أأُمُّك يابشارُ كانت عفيفـــةً ؟ ... عَلَيَّ إذاً أَمشى إلى البيت حافيـــا

ولم يزل بشار منذ قيل فيه هذان البيتان منكسرا .

ومانظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء فى شعره فيأتى بما لا يقدر البُصَراء أن يأتوا بمثله . فقيل له يوما وقد أنشد قوله :

كأنَّ مُثَارَ النقع فوق رُءوسنا ... وأسيافنا لَيْلٌ تهَاوَى كَواكِبُـهْ

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه . فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا ولا شيئا فيها ؟ فقال : إن عدم النظر يُقَوِّى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء ، فيتوفَّر حِسُّه ، وتذكُو قريحتُه ، ثم أنشدهم قوله :

عَميتُ جَنينا والذكاء من العمَى ... فجئتُ عَجيبَ الظنِّ للعلم مَـوْئلا
وغاضَ ضياءُ العينِ للعلم رافداً ... لِقلبٍ إذا ما ضَيَّع الناسُ حَصَّلا
وشِعرٍ كَنوْرِ الرَّوْض لاءَمْتُ بينه ... بقولٍ إذا ما أَحزنَ الشِّعرُ أَسْهَـلا

قال الحِرانىّ : قالت لى عمتى : زرت قرابةً لى من بنى عُقَيل فإذا شيخ أعمى ضخم يُنْشِد :

مِنَ المفتونِ بَشَّارِ بن بُرْدٍ ... إلى شَيْبَانَ كَهلِهم ومُرْدِ
بأنَّ فتاتَـكمْ سلبتْ فـــؤادى ... فنصفٌ عندها والنصفُ عندى

فسألت عنه فقيل : هذا بشار .

(وقال الشعر ولم يبلغ عَشْر سنين ، ثم بلغ الُحلُم وهو مَخْشِىٌّ مَضرَّة اللسان[1] ، (وكان يقول: هجوت جريرا فأعرض عنى واستصغرنى ولو أجابنى لـكنت أشعر الناس.)

---

(١) فى الأغانى : معرة اللسان .

(قال الأصمعى : بشارٌ خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أن أيامه أُخِّرَتْ لفضّلْتُه على كثير منهم .)

وكان رَاجزا مُقَصِّدا[١] .

قال أبو عبيدة : سمعت بشارا يقول وقد أُنشِدَ فى شعر الأعشى :

وأنكرتْنى وما كان الذى نَكِرَتْ   من الحوادثِ إلّا الشيب والصَّلعا

فأنكره وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشبه كلام الأعشى ، فعجبت من ذلك ، فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عند يونس فقال : حدثنى أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله فى شعر الأعشى :

* وأنكرتنى وما كان الذى نكرتْ *

فجعلت حينئذ أتعجب من[٢] فطنة بشار وصحّة قريحته وجودة نقده للشعر .

(وقال : قال لى بشار : لى اثنا عشر ألف بيت جَيِّد عَيْن) فقيل له : هذا مالم يدّعه أحد ، فقال : لى اثنا عشر ألف قصيدة ، لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن فى كل واحدة منها بيت عين[٣] .

(وقال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين : كان بشار شاعرا خطيبا صاحب منثور ومُزدوج وسَجْع ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المُتَفَنِّنين فى الشِّعر) القائلين فى كثرة أجناسه وضروبه (وكان يَدِين بالرَّجْعة[٤] ويُكَفِّر

---

(١) بهامش ك — وذلك موجود فى الأغانى أيضا — : وقال بشار بن برد : أزرى بشعرى الأذان ، يعنى أنه إسلامى .

(٢) فى الأغانى : أزداد عجبا .

(٣) فى ت : بيت جيد .

(٤) الرجعة مذهب قوم من العرب يؤمنون بالرجوع بعد الموت إلى الدنيا .

جميع الأُمَم(١) ويصوِّب رأى إبليس فى تقديم النار على الطين ، وذكر ذلك فقال فى شعره :

الأرضُ مُظلمةٌ والنــار مشرقة ... والنار معبودةٌ مُذْ كانت النارُ

وبلغه عن أبى حُذَيفةَ واصلِ بنِ عَطاءٍ إنــكار لقوله فقال يهجوه :

مالى أُشايـع غزّالًا لــه عُنُقٌ ... كنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلَّى وإنْ مَثَلا(٢)

عُنْقَ الزرافة ما بالى وبالُــكمُ ... تُـكفِّرون رِجالًا كَفَّروا رَجُلا

فلما تتابع على واصل منه ما يشهد على إلحاده خطب به واصل ـ وكان ألثغ بالراء وكان يجتنبها فى كلامه ـ فقال : أمَا لهذا الملحد الأعمى المُشَنَّف المَـكْنِىّ بأبى مُعاذ من يقتله ؟ أمَا والله لولا أن الغِيلة سجيَّة من سجايا الغالية لدسست إليه من يبعج بطنه فى جوف منزله أو فى يوم حَفْلِه ، ثم كان لا يتولَّى ذلك إلا عُقيلىٌّ أو سدوسى .

فقال : أبو معاذ ولم يقل : بشار ، وقال : المُشَنَّف ، ولم يقل المُرَعَّث ، وقال : من سجايا الغالية ، ولم يقل : الرافضة . وقال : فى منزله ، ولم يقل : داره . للثغة فى الراء(٣) .

وكان واصل قد بلغ من قدرته على الـكلام وتمـكُّنه من العبارة أن يحذف الراء من جميع كلامه وخطبه ويجعل مكانها ما يقوم مقامها .

وكان بالبصرة ستة من أصحاب الـكلام : عَمرو بن عُبيد ، وواصل بن عطاء ، وبشار الأعمى ، وصالح بن عبد القدوس ، وعبد الـكريم بن أبى العوجاء ، ورجل من الأزد ـ يعنى جَرير بن حازم ـ وكانوا يجتمعون فى منزل الأزدىّ ويختصمون

(١) فى الأغانى : الأمة .

(٢) النقنق : ذكر النعام . والدو : الفلاة : ومثل : قام منتصبا .

(٣) فى الأغانى تـكملة للـكلام : « وقال : يبعج بطنه ، ولم يقل : يبقر ، للثغة التى كانت به فى الراء » هذا وأيضا أنه قال : فى (جوف) منزله ولم يقل فى (عقر) داره .

عنده ، فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال ، وأما عبد الكريم وصالح فصحَّحا التوبة ، وأما بشار فبقى مُتحيرًّا مُخلِّطا ، وأمّا الأزدى فمال إلى السُّمَنِيَّة وهو مذهب من مذاهب الهند[1] ، وبقى ظاهره على ما كان عليه) ، فكان عبد الكريم يُفسد الأحداث ، فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلغنى عنك أنك لا تزال تخلو بالحَدَث من أحداثنا فتفسده وتستزلّه[2] وتدخله فى دينك ، فإن خرجت من مِصْرنا وإلا قمت بك مقاما آتِى فيه على نفسك . فلحِق بالكوفة، فدُلَّ عليه محمد بن سليمانَ[3] بن علىّ فقتله وصلبه ، وله يقول بشار :

قل لعبد الكريم يا ابن أبى العو ... جاء بِعْتَ الإسلام بالكفر مُوقا[4]
لا تصلى ولا تصوم فإن صمـ ... تَ فبعضَ النهارِ صوماً رَقِيقا
لا تبالى إذا أصبت من الخمـ ... رِ عتيقا أَلَّا تكون عَتِيقا
ليت شعرى غداة حُلِّيت فى الجيـ ... د حَنيفا حُلِّيت أو زِنديقا
أنت ممن يدور فى لعنة اللـ ... ـه صديقٌ لمن ينيك الصديقَا

سئل الأصمعى عن بشار ومروان بن أبى حفصة أيهما أشعر ؟ فقال : بشار ، فسئل عن السبب فقال : لأن مروان سلك طريقا كَثُر من يسلكه ، فلم يلحق من تقدَّمه وشَرِكَه فيه من كان فى عصره . وسلك بشار طريقا فأحسن فيه وتفرد به وهو أكثر تصرُّفا وفنونَ شعر ، وأغزرُ وأوسعُ بديعا ، ومروان لم يتجاوز مذهب الأوائل . قال علىٌّ بن المنجم : سمعت من لا أحصى من الرواة يقولون : أحسنُ الناس ابتداءً فى الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول :

---

(١) قيل: إنهم دهريون. وقيل: إنهم يقولون بالتناسخ ونسبتهم إلى سومنات بلد بالهند.

(٢) استزله : أوقعه فى الزلة وهى الخطيئة .

(٣) فى ا : محمد بن سليمان بن سليمان بن على.

(٤) الموق: الحمق . وفى ت و ك : ريقا وكذلك فى أصل ا . أما بهامش ا فإنه «موقا» والخط هو الخط هذا، والريق بفتح فسكون : الباطل فيكون كسر الراء لأجل التخلص من عيب القافية .

* أَلَا أَنعِمْ صباحا أيهـا الطلل البالى[١] *

وحيث يقول :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل[٢] *

وفى الإسلام القُطامىُّ حيث يقول :

* إنَّا مُحيُّوكَ فاسـلمْ أيُّها الطَّلَلُ[٣] *

ومن المحدَثين بشار حيث يقول :

أَبَى طَلَلٌ بالجِزْع أن يتـكلّما   وماذا عليه لو أجاب مُتَيَّمَا
وبالقاع آثار بقين وباللِّوَى[٤]   ملاعبُ لا يُعْرَفْنَ إلَّا تَوَهُّمَا

(قال أبو حاتم : سألت أبا زيد مرّةً عن بشار ومروان فقال : مروان أجَدُّ ، وبشار أهزل . فحدّثت الأصمعى بذلك فقال : بشار يصلح للجد والهزل ومروان لا يصلح إلا لأحدها.)

(قال بكر بن النطاح : عهدى بالبصرة وليس فيهـا غَزِلٌ ولا غَزِلة إلّا يروى من شعر بشار ، ولا نائحة ولا مغنِّية إلا تتـكسَّب به ، ولا ذو شرف إلا وهو يهابه ويخاف معرّة لسانه.)

قال الأصمعى : لقى أبو عمرو بن العلاء بعضَ الرواة فقال له : يا أبا عمرو ، مَن أبدع الناس بيتا ؟ قال : الذى يقول :

لم يَطُلْ ليلى ولـكن لم أَنَمْ   ونَفَى عنى الـكَرَى طَيْفٌ أَلَمّْ
رَوِّحى عنى قليـلا واعلمى   أننى يا عَبْدَ من لَحْمٍ ودَمْ

---

(١) تمامه: وهل يعمن من كان فى العصر الخالى .
(٢) تمامه : بسقط اللوى بين الدخول فحومل .
(٣) تمامه : وإن بليت وإن طالت بك الطيل .
(٤) فى نسخ من الأغانى : وبالفرع آثار

وإذا قلت لها جودى لنا ... خرجتْ بالصمت من لا ونَعمْ
إن فى البُرْدَيْنِ جسما ناعما ... لو توكّأْتُ عليه لانْهَدَمْ
خَتَم الحبُّ له فى عنقٍ ... مَوضعَ الخاتَمِ من عَقْدِ الذِّمَمْ[1]

قال: فمَن أمدح الناس؟ قال: الذى يقول:

لستُ بكفّى كَفَّه أبتغى الغِنَى ... ولم أَدْرِ أن الجود من كَفّه يُعْدِى
فلا أنا منه ما أفاد ذَوُو الغِنَى ... أَفَدْتُ وأعدانى فأنفقتُ ما عندى

قال: فمن أهجى الناس؟ قال: الذى يقول:

رأيتُ السُّهَيْلَيْنِ استوى الجودُ فيهما ... على بُعْدِ ذا من ذاكَ فى حُكْمِ حاكِمِ
سُهَيْلُ بنُ عثمان يَجود بماله ... كما جاد بالوَجْعا سُهَيْلُ بنُ سالمِ[2]

قال أحمد بن المبارك: حدثنى أبى قال: قلت لبشار: ليس لأحد من العرب شِعْرٌ إلّا وقال فى شعره شيئاً استنكرَتْه العرب من ألفاظهم لَيُشَكَّ، فإنه[3] ليس فى شعرك ما يشك فيه. قال: ومن أين يأتينى الخطأ؟ ووُلدت ها هنا، ونشأت فى حِجْر ثمانين شيخا من فصحاء بنى عُقَيل، ما منهم أحد يَعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، ثم يَفَعْت فابتدَيْت إلى أن أدركت، فمن أين يجيئنى الخطأ؟

كان بشارٌ كثيرَ الوَلوع بِدَيْسم العَنَزِى[4] وكان صديقا له وهو مع ذلك يكثر هجاءه، وكان دَيْسم لا يزال يحفظ شيئاً من شعر حمّاد وأبى هاشم[5] الباهلى فى بشار، فبلغه ذلك فقال فيه:

---

(١) فى الأغانى: من أهل الذمم.
(٢) الوجعاء: الدبر.
(٣) فى الأغانى: من ألفاظهم وشك فيه فإنه.
(٤) فى الأغانى: العنزى.
(٥) تقدم أنه أبو هشام وهو كذلك فى الأغانى هنا وفيما تقدم.

أديسمُ يا ابن الذئب من نَجْل زارِعٍ أتروى هجائى سادِرًا غير مُقْصِرِ

قال أبو حاتم : فأنشدت أبا زيد هذا البيت ، وسألته ما يقول فيه فقال : لمن هذا الشعر ؟ فقلت : لبشار فى دَيْسم العَنَوى ، فقال : قاتله الله ، ما أعلمه بكلام العرب ! ثم قال : الدَّيْسم : ولد الذئب من الكلبة . ويقال للكلاب : أولاد زارع . والعِسْبار : ولد الضبع من الذئب . والسِّمْع : الذئب[1] من الضبع ، وتزعم العرب أن السِّمْع لا يموت حتف أنفه ، وأنه أسرع من الريح ، وإنما هلاكه لعرض من أعراض الدنيا .

كان بالبصرة رجل يقال له حَمْدان الخرَّاط ، فاتخذ جَاماً لإنسانٍ كان بشار عنده ، فسأله بشارٌ أن يتخذ له جاما فيها صورة طير يطير ، فاتخذها له وجاءه بها ، فقال له : ما فى هذه الجام ؟ فقال : صور طير يطير . فقال له : لقد كان ينبغى أن تتخذ فوق هذا الطير طائرا من الجوارح، كأنّه يريد صيدها فإنه كان أحسن . قال : لم أعلم ، قال : قد علمت ، ولكن علمت على أنى أعمى لا أبصر شيئا . وتهدده بالهجاء ، فقال له حمدان : لا تفعل فإنك تندم ، قال : أو تُهددنى أيضا ؟ قال : نعم ، قال : وأى شىء تستطيع أن تصنع بى إن هجوتك ؟ قال : أصورك على باب دارى فى صورتك هذه وأجعل خلفك قردا ينكحك حتى يراك الصادر والوارد . فقال بشار : اللهم أَخزِه . أنا أُمازحه وهو يأبى إلا الجدّ .

قال الرياشى : أُنشِد بشارٌ قولَ الشاعر :

وقد جعل الأعداء ينتقصونها وتطمعُ فيها ألسُنٌ وعُيونُ
ألَا إنما لَيْلَى عَصَا خيزرانةٍ إذا غمزوها بالأكفِّ تلينُ

---

(١) فى الأغانى : ولد الذئب .

فقال : والله لو زعم أنها عصا مُخ أو عصا زُبْد ، لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عَصًا ، ألا قال كما قلت :

وحَوْرَاءِ المدامع من مَعَدٍّ ... وكان حديثها ثمر الجنانِ
إذا قامت لمشيتها تثنَّت ... كأن عِظامها من خَيزُرانِ

[قال محمد بن الحجاج : قلت لبشار : أنشدتُ فلانا قولَكَ :

إذا أنت لم تَشربْ مِراراً على القَذَى ... ظمئتَ وأيُّ الناس تَصفو مشاربُه

فقال لى : ما كنت أظنه إلّا لرجل كبير . فقال بشار : ويلك أفلا قلتَ له: هو والله أكبرُ الإنس والجن !]

وكان إسحاق الموصلى لا يعتد ببشار ويقول : هو كثير التخلط فى شعره وأشعاره مختلفة لا يشبه بعضُها بعضا ، أليس هو القائل :

إنما عَظم سليمى حِبَّتى ... قَصَبُ السكّر لا عَظْم الجملْ
وإذا أدنيت منها بَصَلًا ... يَغلب المِسْكُ على ريح البَصَلْ

لو قال كلَّ شىء جيّد ثم أُضيف إلى هذا لزيَّفه ، وكان يُقدِّم عليه مروان ويقول : هو أشدُّ استواءَ شِعْرٍ منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها . وكان لا يَعدُّ أبا نواس بتَّة فى الشعراء ، ولا يرى(١) فيه خيرا .

قال محمد بن عبد الرحمن التيمى : دخل بشار إلى [إبراهيم بن](٢) عبد الله بن حسن ، فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأى يستعمله فى أمره ، فلما قُتل إبراهيم خاف بشار فقلب الكُنْيَة ، فجعل عِوَض أبى جعفرٍ(٣) أبا مُسلمٍ ،

---

(١) فى ا : «أبا نواس بتة ولا يرى.. » وفى الأغانى : «أبا نواس البتة ولا يرى. . » .
(٢) زيادة من الأغانى وبدل عليها ما يأتى .
(٣) هنا سقط من مصورة ك مقدار صفحتين .

وأظهر أنه إنما قالها فى أبى مسلم وحذف(١) أبياتاً منها ، وأوّلها :

أبا جعفر ما طول عيشٍ بدائم ... ولا سالمٌ عمَّا قليـــلٍ بسالمِ

قلبَ : فقال أبو مسلم :

على الملِك الجبَّار يقتحم الرَّدَى ... ويصرعه فى المأْزق المتــلاحمِ

كأنك لم تسمع بقتــل مُتوَّج ... عَظيمٍ ولم تعـلم بقَتْل الأعاجمِ(٢)

تَقَسَّم كِسرى رَهْطَه بسيوفهم ... وأمسى أبو العبَّاس أحلامَ نائمِ

أبو العباس : الوليد بن زيد .

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة ... عليه ولا جَرْىَ النحوس الأشائمِ

مقيم على اللَّذَّات حتى بَدَتْ له ... وجوهُ المنـايا حاسرات العمائمِ

وقد تَرِدُ الأيام غُرًّا وربمـــا ... وردْنَ كُلُوحا باديات الشَّكائمِ

ومَرْوَانُ قد دارت على رأسه الرحى ... وكان لمـا أجرمتَ نَزْرَ الجرائمِ

فأصبحت تجْرِى سادرًا فى طريقهم ... ولا تتَّقى أشباهَ تلك النقائمِ

تجرَّدْتَ للإسلام تَعْفُو سَبيلَه ... وتُعْرِى مَطاهُ لِلُّيُوثِ الضراغمِ(٣)

وما زلت حتى استنصر الدينُ أهلَه ... عليك فعادُوا بالسيوف الصوارمِ

فرُمْ وَزَرًا يُنجيك يا ابنَ سلامةٍ ... ولست بناجٍ من مَضِيمٍ وضَائمِ

جعل مكان « يا ابن سلامة » : يا ابن وشيكة وهى أم أبى مسلم .

لَحَى اللهُ قوما رَأَّسوك عليهمُ ... وما زلتَ مَرءوسا خبيثَ المطاعمِ

أقول لبسَّامٍ عليـــه جَلالةٌ ... غَـــدَا أَرْيحيًّا عاشِقاً للمكارمِ

---

(١) فى ا ، ت وحرف . وأثبت ما فى الأغانى لأنه يتفق مع ما أشير إليه فى نسخة ا من الحتا بنفس الخط بجوار الأبيات ليدخل بينها شرحا لها كما فى الأغانى أيضا .

(٢) فى بعض روايات الأغانى : بفتك الأعاجم .

(٣) تعفو : تمحو . ومطاه : ظهره .

من الفاطِميِّين الدعاةِ إلى الهدى   جهاراً ومن يَهْديك مثلُ ابن فاطم
سراجٌ لعين المستضيء وتارة   يكون ظلاما للعدو المزاحم

هذا البيت الذى حذفه بشار من الأبيات :

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعِنْ   برأْى نصيح أو نصاحةِ حازمِ
ولا تَجعلِ الشُّورى عليك غَضاضةً   فإن الخوافى قوَّةٌ للقوادمِ
وما خيرُ كَفٍّ أمسك الغُلُّ أُختها   وما خير سيفٍ لم يُؤَيد بقائمِ
وخَلِّ الهُوَيْنَا للضعيف ولا تكنْ   نَئوماً فإن الحزم ليس بنائم
وحاربْ إذا لم تُعْطَ إلَّا ظُلامةً   شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالم

قال أبو عبيدة : ميمية بشار هذه أحبّ إلىَّ من ميميَّتَىْ جريرٍ والفرزدق .

قال الأصمعى : قلت لبشار : الناس يعجبون من أبياتك فى المشورة . فقال : ياأبا سعيد إن المشاور بين صواب يفوز غيره بثمرته أو خطأ يُشارك فى مكروهه . فقلت له : أَنت فى قولك أَشعر منك فى شعرك .

قال حماد : قال أبى : كان بشار جالسا فى دار المهدى والناس ينتظرون الإذن ، فقال بعض موالى المهدى لمن حضر : ماعندكم فى قول الله عزَّ وجلّ « وأَوْحَى رَبُّكَ إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا؟ »(١) فقال له بشار : النحل التى يعرفها الناس . قال : هيهات ياأبا مُعاذ ، النحلُ : بنو هاشم ، وقوله «يخرج من بطونها شراب مُختلف ألوانه فيه شفاء للناس» يعنى العلم . فقال بشار : أَرانى الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بنى هاشم ، فقد أوسعْتنا غَثاثة . فغضب وشتم بشارا ، وبلغ المهدىَّ الخبرُ فدعا بهما فسألهما عن القصة. فحدّثه بشارٌ بها، فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أجَلْ ، فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم ، فإنك بارد غَثٌّ .

(١) سورة النحل الآية ٦٨ .

[قال محمد بن مَزْيَد : الذى خاطب بشارا بهذه الحكاية وأجابه عنها مِنْ موالى المهدىّ: هو المُعَلَّى بنُ طريف] (١) .

[ودخل يزِيد بن منصور الحميرىّ على المهدى وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور، وكانت فيه غفلة، فقال : ياشيخُ ماصناعتك ؟ قال : أثقب اللؤلؤ . فضحك المهدى وقال لبشار : أعزُب ويلك، أتتنادر على خالى ؟ قال : وما أصنع به ؟ يرى شيخا أعمى قائما ينشد الخليفة شعرا يسأله عن صناعته !]

وقف بعض المُجَّان على بشار وهو ينشد شعرا فقال له : استر شِعرك كما تستر عورتك . فصفق بيديه وغضب وقال له : من أنت ويلك ؟ قال : رجل من باهلة، وأخوالى سَلُول، وأصهارى عُكْل واسمى كَلْب، ومولدى بأُضاخ، ومنزلى بنهر بِلال . فضحك بشار وقال : اذهب ويلك، فأنت عتيق لؤمك وقد استترت منى بحصون من حديد .

مرّ بشارٌ بقاصٍّ بالبصرة، فقال فى بعض قصصه : من صام رَجَباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصرا فى الجنة صَحْنُه ألف فرسخ فى مثلها، وعلوُّه ألف فرسخ، وكل باب من أبواب بيوته ومقاصِره عشرة فراسخ فى مثلها، فالتفت بشار إلى قائده وقال : بئست هذه الدار فى كانون الثانى (٢) .

حدث رجل من أهل البصرة قال (٣) : تزوّجت امرأة، فاجتمعت معها فى عُلْوِ بيتٍ وبشارٌ تحتنا — أو كنا أسفل وبشار عُلْوَه — فنهق حمار فى الطريق، فأجابه

(١) سقط هذا النص من نسخة ا. أما نسخة ك ففيها سقط من قبل هذا الخبر من أول الشعر السابق القصيدة الميمية .

(٢) كانون الثانى يبدأ مع يناير وينتهى بانتهائه فيكون من أشهر البرد .

(٣) فى الأغانى: من أهل البصرة ممن يتزوج بالنهاريات قال .

حمار فى الجيران وحمار فى الدار ، فارتجت الناحية بنهيق الحمير ، وضرب الحمار الأرض برجله وجعل يدقها دقا شديدا، فسمعت بشارا يقول : نُفِخَ -يعلم الله- فى الصور وقامت القيامة ، أما تسمعون كيف يُدَقُّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها ؟ قال : وفزعت شاة كانت فى السطح وقطعت حَبْلَها وعَــدَتْ فألقت طبقا فيه غُدَارة[1] إلى الدار ، فانكسرت وتطاير حمام ودجاج كُنَّ فى الدار ، للصوت ، وبكى صبى ، فقال بشار صحَّ - يعلم الله - الخبرُ - ونُشِر أهل القبور من قبورهم ، أزفتْ - يشهد الله - الآزفةُ وزلزلت الأرض زلزالها. فغاظنى كلامُه وعجبت منه فسألت: من المتكلم ؟ فقيل لى : بشار ، فقلت : قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا إلا بشار .

مرّ بشار برجل قد رَمَحَتْه[2] بغلة وهو يقول : الحمد لله شكرا . فقال بشار : استزِدْه يَزِدْك .

رفع غلامُ بشارٍ فى حسابِ نفقته : جِلاءُ مِرْآةٍ عَشَرَةُ دراهم. فقال بشار: والله ما فى الدنيا أعجب من جِلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم. والله لو صدئتْ عينُ الشمس حتى يبقى العالم فى ظلمة ما بلغت أجرة من يَجْلُوها عشرة دراهم .

قال أبو معاذ النُّميرى : قلت لبشار : لم مدحتَ يزيد بن حاتم ثم هجوتَه ؟ قال : سألنى أن أنيكه فلم أفعل. فضحكت ثم قلت له : هو كان ينبغى أن يغضب . فما موضع الهجاء ؟ قال : أظنك تحب أن تكون شريكه . فقلت : أنا أعوذ بالله - وبك[3] - من ذلك . قال أحمد بن خلاد : قال لى أبى : قلت لبشار : إنك لتجىء بالشىء

(١) الغدارة : ما أبقى من الشىء . ويراد: فيه بقية من طعام . وفى ك : «فيه غضارة» كبعض أصول الأغانى . وفى أصول أخر : «طبقا وغضارة» والغضارة : القصعة الكبيرة وفى ا : عذارة .

(٢) رمحته : رفسته .

(٣) فى الأغانى: أعوذ بالله من ذلك ، ويلك . وفى ت: أنا أعوذ بالله - ويلك- من ذلك.

المستهجن المتفاوت . قال : وما ذاك ؟ قال : قلت : بينما تقول شعرا تثير به النقع وتخلع به القلوب ، مثل قولك :

إذا ماغضبنا غضبـــة مُضريَّةً هتكْنا حجابَ الشمس أو قطرتْ دما[1]
إذا ما أعرنا سيدًا من قبيـــلة ذُرَا منبرٍ صلَّى علينـــا وسلَّما

إلى أن تقول :

ربابة ربَّة البيتِ تَصبُّ الخلَّ في الزَّيْتِ
لها عَشرُ دجاجاتٍ وديك حسن الصَّوْتِ

قال : لكل شيء وجهٌ وموضع . فالقول الأوّل جِدّ ، وهذا قلته في جارتي[2] ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق ، وهذه ربابة لها عشر دجاجات وديك ، وهى تجمع البيض لى وتحفظه عندها ، وهذا عندها أَحسن من :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ *

عندك .

وكان بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التى لا حقيقة لها . فمن ذلك قوله :

* غنِّنى للغَرِيض يا ابن قنَانٍ *

فقيل له : من ابن قنانٍ هذا ؟ لسنا نعرفه من مُغَنى البصرةِ ، قال : وما عليكم منه ؟ أَلكم قِبَلَهُ دَيْن أَو ثار أَو كفلت لكم به فإذا غاب طلبتمونى به؟[3] فقالوا:

(١) فى الأغانى : أو تمطر الدما .
(٢) فى الأغانى : جاريتى .
(٣) فى الأغانى : ألكم قبله دين فتطالبوه به أو ثأر تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتمونى بإحضاره .

ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، إنما أردنا أن نعرفه . قال : هو رَجلٌ يغنى لى ولا يخرج من بيتى . فقالوا له : متى ؟ قال : مُذْ يوم ولد وإلى يوم يموت .

ومن ذلك قوله :

... ووافانى * هلالُ السماء فى البردانِ *

فقيل له : يا أبا معاذ أين البردان هذا ؟ ليس نعرفه فى البصرة ، قال : هو بيت فى دارى سميته البردان ، أفعليكم[١] من تسمية دارى وبيوتها شىء فتسألونى عنه ؟

قال يحيى بن الجَوْن العبدى راويةُ بشار : كنا يوما عند بشار فأنشدنا قوله :

وجاريةٍ خُلقَتْ وحدَها فكل النساء لها كالخدَمْ[٢]
ظمئْتُ إليها فلم تسقنى بِرِىٍّ ولم تَشفنى من سَقَمْ
وقالت هَوِيتَ فمُتْ راشداً كما مات عُروةُ غماً بغمّْ
فلما رأيت الهوى قاتلى ولستُ بجارٍ ولا بابنِ عمّْ
دسست إليها أبا مِجْلَزٍ وأىّ فتًى إن أصابَ اعتزَمْ
فما زال حتى أنابتْ له[٣] فراحَ وحلَّ لنا ما حَرُمْ

فقال له رجل : من أبو مِجْلَزٍ هذا ؟ فقال : وما حاجتك إليه أتطالبه بعطالبة ؟ ألك عنده مال ؟ هو رجل[٤] يتردّد بينى وبين معارفى فى رسائلى .

كانت بالبصرة قَيْنَةٌ لبعض ولدِ سليمان بن علىّ ، وكانت محسنة بارعة الظَّرْف ، وكان بشار صديقا لسيدها مدّاحا له . فحضر مجلسه يوما والجارية تُغَنّى ، فسُرّ

---

(١) فى ت : فما عليكم .
(٢) فى الأغانى : كأن النساء لديها خدم . هذا وبعده فى الأغانى : بيت .
(٣) فى ا : أبانت له .
(٤) فى الأغانى : وماحاجتك إليه ؟ لك عليه دين أو تطالبه بطائلة ؟ هو رجل.

بحضوره ، فشرب حتى سكر ونام ، ونهض الناس[1] ونهض بشار ، فقالت له : يا أبا معاذ أحب أن تذكر يومنا هذا فى قصيدة ولا تذكر فيها اسمى ولا اسم سيدى وتكتب بها إليه . فانصرف وكتب إليه :

وذاتِ دلٍّ كأنَّ البدْرَ صُورتُهَا ... باتت تُغَنِّى عميدَ[2] القلبِ سكرانَا
إن العيون التى فى طَرْفها مرض ... قتلننا ثم لم يُحيِين قَتْلانا
فقلتُ أحسنتِ يا سُؤْلى ويا أملى ... فأسمعينى جزاكِ اللهُ إحسانا
يا حبَّذا جبلُ الريَّان من جَبلٍ ... وحبَّذا ساكنُ الريَّانِ مَنْ كانا
قالت فَهلَّا فدتْك النفسُ أحسنُ مِنْ ... هذا لمن كان صَبَّ القلبِ حَيرانا
يا قوم أُذْنى لبعضِ الحيِّ عاشقةٌ ... والأُذْن تعشق قبلَ العين أحيانا
فقلتُ أَحْسنْتِ أنتِ الشمسُ طالعة ... أضرمْتِ فى القلبِ والأحشاءِ نيرانا
فأَسمعينىَ صَوْتا مُطرِباً هَزَجاً ... يزيدُ صباًّ محبًّا فيك أشجانا
ياليتنى كنتُ تُفَّاحاً تُلفِّحه[3] ... أو كنتُ من قُضُبِ الرَّيْحان رَيْحانا
حتى إذا وجدتْ رِيحى فأعجبها ... ونحن فى غَفْلة مُثِّلْتُ إنسانا
فحرَّكَتْ عُودَها ثمّ انثنتْ طَرَباً ... تَشدُو به ثم لا تُخفيه كِتمانا
أصبحتُ أطوعَ خلق الله كُلِّهم ... لأكثرِ الخلقِ لى فى الحبِّ عِصيانا
فقلتُ أَطرَبْتِنا يا زَيْنَ مجلسِنا ... فهاتِ إنك بالإحسان أَوْلَانا
لو كنتُ أعلم أنَّ الحبَّ يقتلنى ... أعددْتُ لى قبل أن ألقاكِ أكفانا
فغنَّتِ الشَّرْب صوتا مُؤْنِقا رَمَلًا ... يُذْكِى السرورَ ويُبْكى القلبَ ألوانا
لا يقتل اللهُ مَن دامتْ مودَّتُه ... واللهُ يقتلُ أهلَ الغدرِ أحيانا

---

(١) فى ت : وقام الناس .
(٢) عميد : مريض هده العشق .
(٣) كذا فى نسخ المختار . وفى الأغانى مفلجة .

ووجّه الأبيات إلى سيدها ، فبعث إليه بألفَيْ درهم ، وسُرّ بها سرورا كثيرا .

قال الرياشي : حضر بشارٌ بابَ محمد بن سليمان ، فقال له الحاجب : اصبر ، فقال : إن الصبر لا يكون إلا على بَلِيَّة . فقال الحاجب : إنى لأظنُّ أن وراءَ قولك هذا شرًّا ولن أتعرَّض لك ، فقم وادخل (قال ابن سَيابة لبشار : إن الله لم يُذْهِب بصرَ أحدٍ إلا عَوَّضه شيئا ، فما عوضك ؟ قال : الطويل العريض ، قال : وما هو ؟ قال : ألَّا أراكَ ولا أمثالك من الثقلاء) ثم قال له بشار : أتطيعنى فى نصيحة أخصُّك بها ؟ قال : نعم ، قال : إنك كنت تسرق الحمير زمانا ، ثم تبت وصرت رافِضيًّا ، فعُدْ إلى سرقة الحمير فهو خير لك من الرفض ، ثم قال له بشار : من أنت ؟ قال : ابنُ سيابة . قال : يا ابن سيابة لو نُكِح الأسد لما افترس . وكان ابن سيابة يتهم بالأُبْنَة .

(قال أبو دُهْمان : مررتُ ببشار يوما وهو جالس على بابه وحده وليس معه أحد[1] ، وبيده مِخْصَرة[2] يلعب بها ، وقدامه طبق فيه تفاح وأُترُجّ ، فلما رأيته وحده تاقت نفسى إلى أن أسرق مما بين يديه ، فجئت قليلا قليلا وهو كافٌّ يَدَه حتى مددتُ يدى لأتناول منه ، فرفع القضيب وضرب يدى ضربة كاد يكسرها ، فقلت : قطع الله يديك يا ابن الفاعلة ، أنت الساعة أعمى ![3] فقال : يا أحمق فأين الحِسّ .

كان بُدُوّ شأن بشار أنه عشق جارية يقال لها فاطمة ، فسمعها يوما تغنى فهويها وقال :

دُرَّةٌ بحــرِيَّةٌ مكنونةٌ ... مَازَها التاجرُ من بين الدُّرَرْ
عجبتْ فَطْمَةُ من نَعْــتى لهــا ... هل يُطيقُ النَّعْتَ مكفوفُ البَصَرْ

(١) فى الأغانى : وليس معه خلق .
(٢) المخصرة ما يمسكه الإنسان من عصا أو قضيب يتوكأ عليه .
(٣) فى الأغانى : أنت الآن أعمى .

بنت عشرٍ وثمانٍ قُسِـمَتْ ... بين غُصْنٍ وكَثيب وقَمَرْ[1]
أَمَتَى[2] بَدَّد هذا لعبي ... وَوِشاحى حَلَّه حتى انتثَرْ
فدَعيني معـــه يا أَمتا ... عَلَّنا فى خَلْوَةٍ نقضى الوَطَرْ
أَقْبَلَتْ مُغضبةً تضربهـــا ... واعـتراها لجنـــونٍ مُسْتعِرْ
بأبى واللّٰه ما أحســـنَه ... دَمْع عينٍ يَغسل الـكُحْلَ قَطَرْ
أيهـا النُّوَّام هُبُّوا ويحـكم ... واسألونى اليومَ ما طعمُ السهَرْ

قال العباس بن خالد البرمكي : لم يزل السُّؤَّال يُسَمَّون السُّؤَّال إلى أيام خالد بن برمك من قديم الزمان ، فقال خالد : هـذا اسم أستقبحه[3] لطلاب الخير ، وأرفع قدر الـكريم عن أن يُسَمَّى به ، وفيهم الأشراف وأبناء النِّعَم ومَن لعله خير ممن يَقصِده وأفضل أدبا ، ولـكنا نسميهم الزُّوَّار . فقال بشار فى المجلس عند ما تـكلم خالد بذلك يمدحه :

حـذا خالد فى فعـلِه حَذْوَ برمَكٍ ... فَمَجْدٌ له مُستطرَفٌ وأَثيـــلُ[4]
وكان ذوو الآمال يُدْعَوْنَ قبلَه ... بلفظٍ على الإعدامِ فيـــه دَليلُ
يُسَمَّوْنَ بالسُّؤَّال فى كلِّ موطنٍ ... وإن كان فيهمْ نابِهٌ وجَليـــلُ
فسمَّاهُمُ الزُّوَّارَ سَـــتْرًا عليهمُ ... فأستاره فى المُجْتَـــدِين سُدُولُ

فأعطاه خالد بكل بيت ألف درهم .

قال أبو شِبْلٍ عاصمُ بنُ وهب : نَهق حمارٌ يوما بقرب بشّار ، نخطر بباله فقال :

---

(١) هذا البيت ليس فى الأغانى .

(٢) أمتى : يا أمتى ويصح أن تـكون أصلها يا أمى وعوضت التاء عن ياء المتـكلم ولحقتها الألف للضرورة .

(٣) فى الأغانى : «أستقبله» محرفة عن أستقبحه وجعلها المصححون : أستثقله.

(٤) فى الأغانى : وأصيل .

ما قام أَيْرُ حمارٍ فاستوى شَبَقاً(١) إلّا تحرّكَ عِرْقٌ فى استِ تَسْنِيمِ

قال : ولم يُرِد تَسنيما بالهجاء ، ولكنه لما بلغ إلى قوله « تحرّكَ عِرْقٌ فى است » قال: فى است مَن ؟ فى است مَن ؟ وبقى حائرا على القافية ، فمرّ به تسنيم بن الحوارى، وكان صديقاً له ، فسلّم عليه ، فضحك وقال « فى است تَسنيمِ » علم الله ، فقال له : عليك لعنة الله أَيْش ويلك ، فأنشده البيت . فقال : ويلك فما عندك فرق بين عدوّك وصديقك أىّ شىء حملك على هذا ؟ ألا قلت « فى است حَمّاد » الذى فَضَحك وهجاك وأعياك ؟ وليست قافيتك على الميم فأعذِرَك ، فقال : صدقت فى هذا كله ، ولكن ما زلت أقول : فى است مَن ؟ فى است مَن ؟ ولا يخطر ببالى أحد حتى مررت وسلّمت علىّ فرَزِقْتَه ، فقال له تسنيمٌ : إذا كان هذا جواب السلام فلا سلّم الله عليك ولا علىّ حين سلّمتُ عليك . وجعل بشار يضحك ويصفق بيديه ، وتسنيم يشتمه .

قالت امرأةُ بشارٍ لبشار : ما أدرى لِمَ يَهابُك الناس مع قبح وجهك ؟ فقال لها بشار : ليس من حُسْنِ وَجْهِه يُهابُ الأسد .

قال محمد بن الحجاج : دخل بشارٌ على عُقْبَة بن سَلْمٍ فأنشده بعض مدائحه فيه ، وعنده عُقْبَةُ بن رُؤْبة بن العَجّاج ، فأنشده عقبةُ رَجزاً يمدحه به ، فشَيَّعَه(٢) بشارٌ وجعل يستحسن ما قال إلى أن فرغ ، ثم أقبل على بشار فقال : هذا طرازٌ لا تحسنه أنت يا أبا معاذ ، فقال بشار : أَلِى يقال هذا وأنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك ؟ فقال له عقبة : أنا والله وأبى فتحنا لك وللناس بابَ الغريب وباب الرجز وإنى لخليق أن أَسُدَّه عليهم، فقال بشار : ارحمهم يرحمك الله ، فقال عقبة: أتستخفُّ بى يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟ فقال له بشار : فأنت إذاً من أهل البيت

---

(١) فى الأغانى : فامتلا شبقا .

(٢) شيعه : شجعه وقواه ، وفى الأغانى : فسمعه بشار .

الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطهرهم تطهيراً . ثم خرج عقبة مغضباً ، فلما كان من غدٍ غَدَا بشارٌ على عُقبة بن سَلْم وعنده عقبــة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزته التى يمدحه فيها وأوّلها(١) :

يا طَلَلَ الحىّ بذات الصَّمْدِ   بالله خَبِّرْ كيف كنتَ بَعْدِى

أُلحرُّ يُلْحَى والعَصَا للعَبْدِ   وليس للمُلْحِفِ مثــلُ الرَّدِّ

وأتى فيها بالعجائب ، فطرب عقبة بن سَلْم وأجزل صلته ، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخِزْيٍ وهرب من تحت ليلته فلم يعد إليه، وكان الجاحظ يقول : انظرْ إلى سوء أدب عُقبة بن رُؤْبة وقد أجمل بشارٌ عِشْرَته ومَحْضَرَه فقابله بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلم خلق الله به ، لأنه قال له وقد فاخره بشعره : يا بُنَىّ أنت إذا متَّ مات شِعْرُكَ معك ولم يوجد من يرويه بعدك ، فـكان كما قال له ، ما يُعرف له بيت واحد ولا غَير هذا الخبرِ القبيح والأخبارُ الدالّة على سخفه وسوء أدبه وسقوطه .

جاء أبو الشَّمَقْمق إلى بشار يشـكو إليه الضِّيقة ويحلف له أن ليس عنده شىء ، فقال له بشار : والله ما عندى شىء يُغْنيك ، ولـكن قم معى إلى عقبة بن سَلْم . فقام معه ، فذكر له أبا الشَّمَقمق وقال له : هـو شاعر وله شـكر وثناء ، فأمر له بخمسمائة درهم ، فقال بشار :

يا واحِــدَ العرب الذى   أمسى وليس لــه نَظِيرُ

لو كانــ مِثلُكَ آخَرٌ   ما كان فى الدنيا فقــيرُ

فأمر له بألف درهم ، فقال له أبو الشمقمق: نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ .

---

(١) جاءت الأرجوزة فى الأغانى طويلة وهنا اقتصر على أولها وواحد منها ليس هو الثانى .

كان[1] بشار يُشَبِّب بامرأة اسمها رَحْمة ، وكان أبو نواس قد عشق غلاما يقال له رَحمة بن نَجاح عمّ نجاح بن سَلْم الكاتب ، وكان متقدما فى جماله ، فقال بشار فى محبوبته رَحمة :

يا رحمــــةَ الله حُلِّى فى منازلنا ... حَسبى برائحة الفردَوس من فِيك

يا أطيب الناس ريقا غير مُختبرٍ ... إلّا شهادةَ أطــراف المَساويكِ

قد زُرْتنى زَوْرة فى الدهر واحدةً ... ثَنِّى ولا تجْعليها بيضةَ الدِّيكِ

وقال أبو نواس فى محبوبه رحَمة :

أحببتُ من شِعــر بشَّارٍ لحبِّــكمُ ... بيتا كَلِفْتُ بـــه من شعرِ بشارِ

يا رحمــــةَ الله حلِّى فى منازلنا ... وجاوِرِينا فدَتْك النفسُ من جارِ

إذا ابتهلتُ سألت الله رَحْمــتَه ... كَنيت عنك وما يَعْدُوك إضمارى

قال الأصمعى : لما أنشد بشار أبا المَلَدّ عقبة بن سلم أرجوزته الدالية التى أولها :

* ياطَلَل الحىّ بذات الصَّمْدِ *

أمر له بخمسين ألف درهم ، فأخّرها عنه وكيله ثلاثة أيام ، فأمر بشار غلامه أن يكتب على باب عقبة :

ما زال ما منيتنى من همِّى ... الوَعْــدُ غَمٌّ فأرِحْ من غَمِّى

* إن لم تُرِدْ حمدًا فراقبْ ذَمِّى *

فلما خرج عقبة رأى ذلك فقال : هذه من فعلات بشار ، ثم دعا بالقَهْرمان[2] فقال : هل حملتَ إلى بشَّار ما أُمِرْتَ به ؟ فقال: نحن مُضيقون وغداً أحمل إليه المال ، فقال: زد فيه عشرة آلاف درهم أخرى واحملها إليه الساعة . فحملها من وقته إليه[3] .

(١) لم يرد هذا الخبر فى الأغانى فى ترجمة بشار ولا الشعر .

(٢) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

(٣) هنا نص فى ا جاء متأخرا فى نسخة ت وجاء بالهامش فى نسخة ك ونجده فى الأغانى يسبق كما فى نسخة ا .

حجّ المنصور فاستقبله الناس ، فلما رحل من الشُّقُوق(١) رحل فى وقت الهاجرة ولم يركب فى القبة ، وركب نجيبا وسار ، فجعلت الشمس تَضْحك(٢) بين عينيه ، فقال : إنى قائل بيتا فمن أجازه وهبت له جُبّتى هذه ، فقلنا : يقول أمير المؤمنين ، فقال :

وهاجرةٍ نصبت لهـا جبينى يُقطّع حَرُّهـا ظَهْرَ العَظَايَه(٣)

فبدر بشار الأعمى فقال :

وقفت بهـا القَلُوصَ وفاض دمعى على خـدى وأَقصرَ وَاعِظَايَهْ

فنزع الُجبّة وهو راكب فدفعها إليه ، فباعها بأربعمائة دينار .

قال أبو البصير(٤) الشاعر : أنشدت بشارا قصيدة لى ، فقال لى : أيجيئك شعرك هذا كلما شئت أو هـذا شىء يجيئك فى الفَيْنة بعد الفَيْنة إذا تعمَّلت له ؟ فقلت : بل هذا شعر يجيئنى كلما أردته . فقال لى : فقل فإنك شاعر . فقلت له : لعلّك حابيتنى يا أبا معاذ وتجمّلت لى . فقال لى : أنت ــ أبقاك الله ــ أهون علىّ من ذلك .

كان(٥) بشار يهوى جارية من أهل البصرة يُقال لها عُبَيْدَة ، فخرجت من البصرة إلى عُمَان مع زوجها ، فقال بشار :

هَوَى صاحبى رِيحُ الشَّمال إذا جرَتْ وأَشْفَى لقلبى أن تَهُبَّ جَنُوبُ
وما ذاك إلَّا أنهـا حين تنتهى تَنَاهَى وفيها من عُبَيدةَ طِيبُ
عَذِيرى من العُذَّال إذْ يَعذِلوننى سَفاهاً وما فى العـاذلين لَبيبُ
يقولون لو عَزَّيتَ قلبك لارْعَوَى فقلت وهل للعـاشقين قُلوبُ
إذا نطق القومُ الجلوسُ فإننى مُكِبٌّ كأَنى فى الجميع غَرِيبُ

(١) الشقوق : منزل بطريق مكة .
(٢) تضحك : تتلألأ .
(٣) فى الأغانى : يقطع ظهرها .
(٤) فى الأغانى : أبو النضير .
(٥) هذا هو النص الذى جاء فى ا متقدما .

قال رجل من باهلة : كنت عند بشار بن برد ، فأتاه رجل فسلّم عليه فسـألة بشار عن خبر جارية عنده فقال : كيف هى ؟ فقال : فى عافية ، وهى تدعوك اليومَ ، فقال لى بشار : ياباهلىّ ، انهض بنـا ، فجئت إلى منزل نظيف وفرش سَرِىّ ، فأكلنا ، ثم جىء بالنبيذ فشربنا مع الجارية ، فلما أردنا الانصراف قامت فأخذت بيد بشار ، فلما صار فى الصحن أومأ إليها ليقبلها ، فأرسلت يده من يدها ، فجعـل يجول فى العَرْصة ، وخرج مولاها فقال : مالك ياأبا معاذ ؟ فقال : أذنبتُ ذنبا ولا أبرح حتى أقول شعرا ، فقال :

أتوب إليك من السيِّئَاتِ — وأستغفر الله من فعلتى
تناولت مالم أُرِد نَيْلَه — على جهل أمرى وفى سَكْرتى
فوالله والله ماجئتـــه — بعَمْدٍ ولا كان من هِمَّتى(١)
ومَن نال خيرا على قُبْلةٍ — فمـا بارك الله فى قُبْلَتى

قال أبو عبيدة : السبب الذى من أجله نهى المهدىُّ بشاراً عن ذكر النساء هو استهتار النساء بالبصرة وشبّانها بشعره ، حتى قال سوَّار بنُ عبد الله الأكبرُ يوما ومالك بن دينار: ماشىء أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من شعر هذا الأعمى ، وقال واصل بن عطاء: إنأخدع حبائل الشيطان وأغواها كلمات هذا الأعمى الملحد. فلما كثر ذلك وانتهى خبره إلى المهدى من وجوه كثيرة ، وأَنشد المهدىّ يوما ما مدحه به نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب ، وكان المهدى أَشدَّ الناس غَيْرةً ، فقيل له : مانحسب شعرَ هذا بلغ مابلغ شعر(٢) جميل وكُثَيِّر وعُروة وقيس وتلك الطبقة ، فقال : ليس كل من سمع تلك الأشعار يعرف المراد منها . وبشار يُقارب النساء

(١) بعده بيت فى الأغانى لم يجىء هنا .

(٢) فى الأغانى : شعر هذا أبلغ فى هذه المعانى من شعر .

حتى لا يَخفَى عليهنّ مايقول وما يريد ، وأىّ حُرَّة حَصَانٍ تسمع قول بشار فلا يُؤَثِّر فى قلبها ؟ فكيف بالمرأة الغَزِلة والفتاة التى لا هِمَّة لها إلّا الرجال ، ثم أنشد قوله :

قد لامنى فى خليلتى عُمَرُ ... واللومُ فى غير كُنهه ضجرُ
قال أَفِقْ قلت لا فقال بلى ... قد شاع فى الناس منكما الخبرُ
قلت وإن شاع ما اعتذارى (١) ممّـ ... ـا ليس فيه عندهم عُذُرُ
ماذا عليهم وما لهم خَرِسُوا ... لو أنهم فى عيوبهم نَظَرُوا
أعشق وحدى ويؤخذون به ... كالتُّرك تغزو فتُقْتَلُ الخَزَرُ (٢)
يا عَجَباً للخلاف يا عَجَباً ... فى فِى الذى لام فى الهوى الحجرُ
حسبى وحسب الذى كَلِفْتُ به ... مِنّى ومنها الحديث والنظرُ
أو قُبْلَة فى خلال ذاك وما ... بأسٌ إذا لم تُحَلَّلِ الأُزُرُ (٣)
أو عضَّة فى ذراعها ولها ... فوق ذراعى من عَضّها أَثَرُ
أو لمسة دون مِرْطها بيدى ... والبابُ قد حال دونه السُّتُرُ
والساق برَّاقة خَلَاخِلُها (٤) ... أو مَصُّ رِيقٍ وقد علا البُهُرُ
واسترخت الكَفُّ للعراك وقا ... لتْ إيهِ عَنّى والدَّمْعُ منحدرُ
انهض فما أنت كالذى زعموا ... أنت ورَبّى مغازل أَشِرُ
قد غابت اليومَ عنك حاضنتى ... واللهُ ربى لى منك منتصرُ (٥)
يا ربّ خُذْ لى فقد ترى ضَرَعى ... من فاسق جاء ما له فِكَرُ (٦)

(١) فى الأغانى : ما اعتذارك . وفى ا « فاعتذارى » وأثبت ما فى ك .

(٢) فى الأغانى : فتؤخذ الخزر .

(٣) فى الأغانى : لم تحل لى الأزر .

(٤) فى الأغانى : مخلخلها .

(٥) فى الأغانى : والله لى منك فيك ينتصر .

(٦) فى الأغانى : جاء ما به سكر .

أهْوَى إلى مِعْضَدِى فرضَّضه ... ذو قوَّة ما يطاق مُقتدرُ
ألصق بى لِحْيَةً له خَشُنَتْ ... ذاتَ سَوَادٍ كأنها إبَرُ
حتى عَلانى وأُسْرَتى غُيَبٌ ... ويلى عليهم لو أنهم حَضَرُوا(١)
كيف بأمِّى إذا رأت شفتى ... أم كيف إن شاع عنك ذا الخبرُ(٢)
قد كنت أخشى الذى بُليت به ... منك فماذا تقول يا عَبَرُ(٣)
قلت لها عند ذاك يا سَكَنى ... لا بأس إنى مُجَرِّبٌ خَبِرُ
قولى لها بَقَّةٌ لها ظُفُرٌ ... إن كان فى البَقِّ ما له ظُفُرُ

ثم قال : مثل هذا الشعر يُميل القلب ويُلين الصَّعْب .

لما ورد بشار على خالد بن برمك بفارِسَ امتدحه ، فوعده ومطله ، فوقف على طريقه وهو يريد المسجد فأخذ بلجام بغلته وأنشده :

أَظلَّتْ علينا منك يوما سحابةٌ ... أضاءتْ لنا بَرْقاً وأَبْطا رِشَاشُها(٤)
فلا غَيْمُها يُجْلى فييأَس طامعٌ ... ولا غَيْثُها يأتِى فَيرْوَى عِطاشُها

فحبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال : لن تنصرف السحابة حتى تبلّك إن شاء الله تعالى .

قال على بن حرب الطائى : كان رجل منا يقال له سعد بن القعقاع يتقدَّم بشَّارا فى المجانة ، فقال لبشار وهو ينادمه : ويحك ياأبا معاذ ! قد نَسَبنا الناسُ إلى الزندقة .

---

(١) غيب غائبون . هذا، وفى الأغانى بعده بيت لم يذكر هنا فى المختار .
(٢) فى الأغانى : إن شاع منك .
(٣) العبر « بتثليث العين وسكون الباء » الجرىء القوى وحركت باؤه لضرورة الشعر . وقد وضع فى ا علامة الإهمال تحت العين ؛ أمانى ك فإنها ياغبر « بالغين المضمومة هكذا ضبطا فيها » لكن يقال: داهية الغبر « بفتح الغين والباء » الذى يعاندك ثم يرجع إلى قولك .
(٤) الرشاش : جمع رش وهو المطر الخفيف .

فهل لك فى أن تَحُجَّ حجَّةً تنفى ذلك عنا ؟ قال : نِعْمَ مارأيت . فاشتريا بعيرا ومَحْمِلا وركبا ، فلما مرَّا بزُرارة[١] قال له : ويحك ياأبا معاذ ، ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها ؟ مِلْ بنا إلى زُرارة نتنعم فيها ، فإذا قفل الحاجُّ عارَضناهم بالقادِسيَّة وَجززْنا رُءوسنا ، فلم يشكّ الناس أنَّا جئنا من الحج . فقال له بشار : نِعْم مارأيت لولا خُبْثُ لسانك ، وإنى أخاف أن تفضحنا . قال : لا تخف . فمالا إلى زُرارَة فما زالا يشربان الخمر ويفسقان ، فلما نزل الحاجُّ بالقادسية راجعين أخذا بعيرا ومَحْمِلا واستأصلا شعورها[٢] وأقبلا ، وتلقاها الناس يهنئونهما .

فقال سعدُ بن القَعقاع :

ألم ترنى وبشَّارا حَجَجْنا ... وكان الحجُّ من خَيْرِ التجارَهْ

خرجْنا طالِبَىْ سَفرٍ بعيد ... فمال بنا الطريق إلى زُرارَهْ

وآبَ الناسُ قد حجوا وبرُّوا ... وأُبْنَا مُوقَرين من الخسارَهْ

قال داود بن رَزِين : أتينا بشارا ، فأذن لنا والمائدة موضوعة بين يديه ، فلم يدعُنا إلى طعامه ، فلما أكل دعا بطَسْتٍ وكشف عن عورته[٣] فبال فيه ، ثم حضَرت الظهرُ والعصر والمغرب فلم يُصلّ ، فدنونا منه فقلنا له : أنت أستاذنا ، وقدرأينا منك أشياء نكرهها[٤] ، قال : وما هى ؟ قلنا: دخلناوالطعامُ بين يديك فلم تدْعُنا ، فقال : إنماأذنت لكم لتأكلوا ، ولو أردت ألا تأكلوا ماأذنت لكم . قال: ثم ماذا ؟ قلنا: دعوت بالطست ونحن حضور فبُلْت ونحن نراك ، قال : أنا مكفوف وأنتم بُصراء ،

---

(١) زرارة : محلة بالكوفة .

(٢) فى الأغانى : وجزا رءوسهما .

(٣) فى الأغانى : عن سوءته .

(٤) فى الأغانى : أنكرناها .

وأنتم المأمورون بغَضّ الأبصار دونى ، قال : ثم ماذا ؟ قلنا : حضرَتِ الظهرُ والعصر والمغرب فلم تصلِّ ، قال : إن الذى يقبلها تفاريقَ يقبلها جملة واحدة .

حكى بعض أصحاب بشار قال : كنا إذا حضرت الصلاة نقوم إليها ويقعد بشار ، فنجعل على أطراف ثيابه[1] ترابا لننظر هل يصلى ، فنعود والترابُ بحاله .

روى الحرمازى قال : قعد رجل إلى بشار فاستثقله ، فضرط عليه ضرطة ، فظن الرجل أنها أفلتت منه ، ثم ضرط أخرى ، فقال : أفلتت ، ثم ضرط ثالثة ، فقال : يا أبا معاذ ، ما هذا ؟ قال : مَهْ ، أرأيت أم سمعتَ ؟ قال : بل سمعتُ صوتا قبيحا ، قال : لا تُصدِّق حتى ترى .

قال رجل يوما فى المسجد لبشار : ياأبا معاذ يُعجبك الغلام الشادِن[2] ؟ فقال غير مكترث ولا محتشم : لا ، ولكن تعجبنى أمه .

وقال بشار فى ثقيل :

هل لك فى مالى وعِرْضى معا ... وكلِّ ما يملك جيرانِيَهْ
واذْهَبْ إلى أبعدِ ما يُنتوَى ... لا ردَّكَ الله ولا مالِيَهْ

أُنشِد الوليدُ بن يزيد قولَ بشار :

أيها الساقيانِ صُبَّا شرابى ... واسقيانى من رِيق بيضاءَ رُودِ
إن دائى الظَّما وإن شفائى[3] ... شَربة من رُضاب ثغرٍ بَرُودِ
ولها مَبْسِمٌ كنَوْرِ الأقاحى[4] ... وحديثٌ كالوَشْى وَشْىِ البُرودِ

---

(١) فى الأغانى: فنجعل حول ثيابه . وفى ا أطراف بنانه .
(٢) الشادن : من أوصاف الظبى إذا قوى وصلح جسمه . وفى الأغانى : الغلام الجادل .
(٣) فى الأغانى : وإن دوائى .
(٤) فى الأغانى : ولها مضحك كغر الأقاحى .

نزلتْ فى السَّواد من حَبَّة القلـ ب ونالتْ زيادة المُستزيـــدِ
ثم قالت نلقاك بعـــد ليالٍ والليالى يُبْلِين كلَّ جَديـــدِ
عندها الصبر عن لقائى وعندى زَفَرات يأكلن قلب الجليدِ[1]

فطرب الوليد وقال : من لى بمزاج كأسى هـذه من ريق سَلْمَى فيروِى ظمئى ويُطْفِئ غُلَّتى ؟ ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه ثم قال : إن فاتنا ذاك فهذا .

قال عبد الله بن أبى بكر : كان لنا جار بَزَّاز يكنى أبا بدر[2] ، وكان صديقا لبشار ، فبعث بشار إليه ذات يوم يطلب منه ثيابا بِنَسِيئة[3] فـلم يصادفها فقال يهجوه :

ألَا إنَّ أبا بَـدْرٍ زَنَى فى ليلة القَدْرِ
ولم يرع تعالى اللـ ـهُ حُرْمَة ذلك الشهرِ[4]

وكتبها وبعثها إليه ، ولم يكن أبو بدر ممن يقول الشعر ، فقلبها وكتب فى ظهرها :

ألَا إنّ أبا بـــدرٍ لـــه فى ذلـكم عُذْرُ
أتتـــه أمُّ بشَّـارٍ وقد ضاق به الأَمْرُ
فـواثَبَها فجـــامعها وما ساعـــده الصَّبْرُ

فلما قرئت على بشار غضب وندم على تعرُّضه لرجـل لا نباهة له ، فجعل ينطح الحائط برأسه غيظا ، ثم قال : لا تعرضت لهجاء سَفِلَةٍ مثل هذا أبدا .

---

(١) فى الأغانى : قلب الحديد .
(٢) فى الأغانى : « كان لنا جار يكنى أبا زيد » هذا، وأبو بدر تناسب القافية الآتية .
(٣) باعه بنسيئة : أخر له ثمن الشىء المبيع .
(٤) فى الأغانى : تعالى الله ربى حرمة الشهر .

دخل بشار على عقبة بن سلم فأنشده قوله فيه :

إنما لذّةُ الجوادِ ابنِ سَلْمٍ ... فى عَطاءٍ ومَرْكب للقاءِ
حرّم اللهُ أن يُرَى كابْنِ سَلْمٍ ... عُقْبَةِ الخيرِ مُطْعِمِ الفقراءِ[١]
ليس يُعطيك للرجاء ولا الخو ... فِ ولكنْ يلَذُّ طَعْمَ العطاءِ
يَسقط الطّيرُ حيث يُلتَقَط الحَ ... بُّ وتُغْشَى منازل الكرماء[٢]
فعلى عُقبةَ السلامُ مُقيما ... وإذا سار تحت ظِلِّ اللِّوَاءِ[٣]

فوصله بعشرة آلاف درهم ، وقيل : إنه أمر له بثلاثة آلاف دينار[٤] . وقيل لبشار لما صنع هذه الأبيات : إن مدائحك عقبة فوق مدائح كل أحد ، فقال بشار : إن عطايا عقبة لى فوق عطايا كل أحد ، مدحته بهذه الأبيات فأمر لى بثلاثة آلاف دينار ، وها أنا ذا مدحت المهدى وأبا عُبيد الله وزيره وأقمت ببابهما حولا ولم يعطيانى شيئا ، أفألام على تجويد مدح هذا ؟

كان أبو عمرو بن العلاء وخلف الأحمر يأتيان بشارا فيسلمان عليه بغاية الإعظام[٦]، ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدثْتَ ؟ فينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له ، فأتياه يوما فقالا : ما هذه القصيدة التى أحدثتها فى سلم بن عقبة[٧] ؟ فقال : هى التى بلغتكما . قالا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب ، قال : نعم ، بلغنى

---

(١) هذا البيت يوجد فى الأغانى فى موضع آخر هو الذى عقب به وقيل لبشار لما صنع هذه الأبيات .

(٢) فى الأغانى : حيث ينتثر الحب .

(٣) قبل هذا فى الأغانى بيت ليس فى نسخ المختار .

(٤) جملة « قيل إنه » . جاءت فى الأغانى فى موضع آخر فكأنه مزج ابن منظور بين الخبرين .

(٥) فى الأغانى : على مدحى هذا .

(٦) فى الأغانى : التعظيم .

(٧) فى ت : «فى عقبة بن سلم» . وفى الأغانى : فى سلم بن قتيبة .

أن سَلْماً يتناظر[1] بالغريب ، فأحببت أن أورد عليه مالا يعرف . قالا : فأنشِدْنا .
قال : فأنشدها :

بَكِّرَا صاحبيَّ قبْلَ الهَجيرِ   إن ذاكَ النجاحَ فى التبكيرِ

فلما فرغ قال له خلف : لو قلت مكان :

إن ذاك النجاح فى التبكير

بكِّرا فالنجاحُ فى التبكيرِ

كان أحسن ، فقال بشار : إنما بَنَيْتُها أعرابية وَحْشِيّة فقلت :

إن ذاك النجاح فى التبكير

كما يقول البدويون الأعراب ، ولو قلت : « بكرا فالنجاح » كان هذا كلام المولَّدين لا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل معنى القصيدة . فقام خلف فقبل ما بين عينيه . فقال له أبو عمرو يمازحه[2] : لو كان عُلَاثة ولدك يا أبا معاذ لفعلت كما فعل أخى ، ولكنك مولى . فمدّ بشار يده فضرب بها نخذ أبى عمرو[3] وقال :

ارفُقْ بعمرٍو إذا حرَّكْتَ نِسْبتَهُ   فإنه عربىٌّ من قَواريرِ

فقال : أفعلتها يا أبا معاذ ؟ قال : كما فعلتَها يا أبا عمرو ، وكان أبو عمرو يُغمز فى نسبه .

قال خلف : كنت أسمع ببشار قبل أن أراه ، فذُكِر لى يوما ووصف بيانه وسُرعة جوابه وجودة شعره ، فاستنشدتهم شيئا من شعره فأنشدونى شيئا لم يكن

---

(١) فى الأغانى : يتباصر .

(٢) فى الأغانى : «وقال له خلف بن أبى عمرو يمازحه » ولاشك أن كلمة «خلف بن» مقحمة خطأ .

(٣) فى الأغانى نخذ خلف .

بالمحمود عندى ، فقلت : والله لآتينه ولأُطَأطِئَنَّ منه ، فأتيته وهو جالس على بابه ، فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة ، فقلت : لعن الله من يبالى بهذا ، فوقفت أمامه[1] طويلا ، فجاء رجل فقال : إن فلانا شَيَّعك[2] عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك ، قال : أوَ فعل ذلك ؟ قال : نعم ، فأطرق ، وجلس الرجل عنده وجلست ، وجاء قوم فسلموا عليه فلم يردُدْ عليهم السلام . فجعلوا ينظرون إليه وقد دَرَّتْ أوداجه ، فلم يلبث إلا ساعة حتى أنشد بأعلى صوته :

نُبِّئت نائك أُمِّه يغتابنى … عند الأمير وهل علىَّ أميرُ
نارى مُحَرِّقة وسَيْبى واسع[3] … للمُعْتفين ومَجلسى معمورُ
وَلِىَ المهابةُ فى الأحبَّة والعِدَا … وكأننى أسد له تَامُورُ[4]
غَرِثَتْ حَليلته وأخطأ صيدُه … فلَه عَلَى لَقَمِ الطريق زَئيرُ[5]

فارتعدتْ والله فرائصى ، واقشعرَّ جلدى ، وعظم فى عينى جدا ، وقلت : الحمد لله الذى أبعدنى من شَرِّك .

قال العباس بن خالد : مدح بشارٌ خالدَ بنَ برمك فقال فيه :

لعمرى لقد أَجْدَى علىَّ ابنُ بَرْمَكٍ … وما كلُّ من كان الغِنَى عنده يُجْدِى
حَلَبْتُ بشِعرى راحتَيْه فدَرَّتَا … سَماحاً كما دَرَّ السحابُ مع الرَّعْدِ
إذا جئتَه للحمد أشرق وجهُه … إليك وأعطاك الكرائمَ بالحَمْدِ[6]

---

(١) فى الأغانى : فوقفت أتأمله .
(٢) فى الأغانى: سبك .
(٣) فى الأغانى : وبيتى واسع . هذا ، والمعتفون : طالبو الفضل والرزق .
(٤) التامور: من معانيه: عرين الأسد. وفى نسخ المختار: به تامور. فيكون التامور بمعنى العقل .
(٥) غرثت: جاعت. ولقم الطريق : متنه ووسطه .
(٦) فى الأغانى : الكرامة بالحمد .

له نِعَمٌ فى القــوم لا يَستثيبها ... جزاءً وكَيْـل التــاجرِ المُدَّ بالمُدِّ
مُفيدٌ ومِتلافٌ سبيــل تُراثِــه ... إذا ما غَــدَا أوْ راح كالجَزْر والمَدِّ
أخالدُ إنـّ المَـدْحَ يبقى لأهــله ... جمالا ولا تبْـقَى الـكُنوزُ على الـكَدِّ
فأَطْعِم وكُـلْ من عــارَةٍ مسْتَرَدَّةٍ ... ولا تُبْقِها إنَّ العَوَارِىَ للرَّدِّ

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يُعطيه فى كلِّ وِفادةٍ خمسةَ آلاف درهم ، وأمر خالد أن يُـكتب هذان البيتان فى صَدْر مجلسه الذى يجلس فيه ، وأوصى يحيى ولده أن يعمل بهما .

وكانت لبشار جاريةٌ سوداء كان يقع عليها ، وفيها يقول :

وغادةٍ سوداءَ برّاقــةٍ ... كالمــاءِ فى طِيبٍ وفى لِينِ
كأنَّها صِيغَتْ لمن نا كهــا ... من عنبر بالمِسك معجونِ

كان أبو الوزير مولى عبدِ القَيْس من عُمَّال الخراج ، وكان عفيفا بخيلا ، فسأل عُمَرَ بنَ أبى العلاء ، وكان شجاعا جوادا ، فى رجل ، فوهب له مائة ألف درهم ، فدخل أبو الوزير على المهدى فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن عُمر بن أبى العلاء خائن، قال : ومن أين علمت ذلك ؟ قال : كلمته فى رجل كان أقصى أملِه ألفُ درهم فوهب له مائة ألف درهم ، فضحك المهدى وقال : كِلا كما عَمِلَ على شاكلته ، أما سمعتَ قول بشار فيه :

إذا دَهِمتك عِظامُ الأُمورِ ... فنَبِّه لهــا عُمَراً ثُمَّ نَمْ
فتًى لا يَبيتُ على دِمْنةٍ[1] ... ولا يَشربُ الماءَ إلَّا بِدَمْ

---

(١) الدمنة : الحقد .

وقول أبى العَتاهية فيه :

إن المَطايا تَشتكيك لأنها ... قطعتْ إليك سَباسِباً ورمالا[١]

فإذا ورَدْنَ بنا ورَدْنَ خفائفاً[٢] ... وإذا صَدَرْن بنا صدرْنَ ثِقالا

أو ليس هو الذى يقول فيه أبو المتاهية :

يا ابْنَ العَلاء ويا ابنَ القَرْم مِرْداسِ ... إنى لأُطرِيك فى أَهلِى وجُلَّاسى[٣]

حتى إذا قيل ما أعطاكَ من نَشَبٍ ... أُلفيتُ من عُظْم ما أَوْلَيْتَ كالنَّاسِى[٤]

ثم قال : من اجتمعت أَلْسُن الناس على مدحه كان حقيقا أن يُصَدِّقها بفِعله .

قال دِعْبل بن علىّ : كان بشار يُعطى أبا الشَّمَقْمق فى كل سنة مائتى درهم ، فأتاه أبو الشمقمق فى بعض السنين فقال : هَلُمَّ الجِزْية يا أبا معاذ ، فقال له : ويحك ! أَوَ جِزْيةٌ هى أيضا ؟ قال : هى ما تسمع ، فقال له بشار يمازحه : أنت أفصح منى ؟ قال : لا . قال : فأعلم منى بمثالب الناس ؟ قال : لا . قال : فأشعرُ منى ؟ قال : لا . قال : فلم أعطيك ؟ قال : لئلا أهجوك . قال : إن هجوتَنى هجوتُك . فقال له أبو الشمقمق : أو هكذا هو ؟ قال : نعم ، فقلْ ما بدا لك . فقال أبو الشمقمق :

إنى إذا ما شاعر هَجَانِيَهْ ... ولجّ فى القول له لسانِيَهْ

أدخلْتُه فى استِ أمّه علانيهْ ... بشار يا بشار . . . . .

وأراد أن يقول : يا ابن الزانية .

فوثب بشار فأمسك فاه وقال : أراد والله شتمى . ثم دفع إليه مائتى درهم وقال له : لا تسمع هذا منك الصبيان .

---

(١) السباسب : المفاوز جمع السبسب .

(٢) فى الأغانى : مخفة .

(٣) فى الأغانى : فى صحبى وجلاسى .

(٤) فى الأغانى : ما أسديت كالناس .

قال الأصمعي : أمر عقبة بن سلم لبشار بعشرة آلاف درهم ، فأُخبر أبو الشّمقمق بذلك، فوافَى بشارا فقال له : يا أبامعاذ ، إنى مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون :

هَلَّلِيـنَهْ هَلَّلِيـنَهْ طَعْنَ قِثَّاةٍ لِتينَهْ
إن بشار بنَ بُرْدٍ تَيْسٌ أعمى فى سفينَهْ

فأخرج إليه بشار مائتى درهم وقال له : خذ هذه ولا تكن راوية للصبيان .

استماح(١) بشارٌ العباسَ بنَ محمد بن على بن عبد الله بن عباس فلم يمنحه ، فقال يهجوه :

ظِلُّ اليَسارِ على العبَّاس ممدودُ وقلبُه أبـداً بالبُخل مَعقودُ
إن الكريمَ ليُخْفِى عنك عُسرته حتى تراه غنِيًّا وهـو مَجهودُ
وللبخيل عـلى أمواله عِلَلٌ زُرْقُ العيونِ عليها أوجُهٌ سُودُ
إذا تكرَّمت أن تُعطِى القليلَ ولمْ(٢) تَقْدِرْ على سَعَةٍ لم يَظهرِ الُجود
أوْرِقْ بخيرٍ تُرَجَّى للنوال فما تُرْجَى الثِّمارُ إذا لم يُورِق العُودُ
بُثَّ النَّوالَ ولا تَمنعك قِلّتُه فكلُّ ما سدَّ فقْرا فهو مَحمودُ

قال بشار : لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس يُشبّه شيئين بشيئين فى بيت واحد حيث يقول :

كأن قُلوبَ الطير رَطْبا ويابسا لدى وَكْرِها العُنَّاب والحَشَفُ البالى

أُعْمِل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد حتى قلت :

كأن مُثَار النَّقْع فوق رُءوسنا وأسيافَنَا ليلٌ تهاوَى كَوَاكِبُهْ

---

(١) فى الأغانى : استمنح .
(٢) فى الأغانى : إذا تكرهت .

وقد أخذ هذا المعنى منصورٌ النَّمرى فقال وأحسن :

ليلٌ من النَّقْعِ لا شَمْسٌ ولا قَمَرٌ   إلَّا جَبِينُك والمَذْرُوبةُ الشُّرُعُ(١)

كان إسحاق الموصلى يَطعن على شعر بشار ويضع منه ويقول : كلامُه مختلف لا يشبه بعضه بعضا ، فقيل له : أتقول هذا لمن يقول :

إذا كنتَ فى كلِّ الأمور مُعاتِباً   صديقَك لم تَلْقَ الذى لا تُعاتِبُهْ

فعِشْ واحداً أَوْ صِلْ أخاك فإنه   مُقارِفُ ذَنبٍ مرَّةً ومُجانبُهْ

إذا أنت لم تشربْ مِراراً على القَذَى   ظَمِئْتَ وأىُّ الناسِ تصفو مَشاربُهْ

قال على بن يحيى : وهذا كلام ليس فوقه كلام من الشعر لا حَشْوَ فيه .

قال أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى : إن شُبَيْل بن عُرْوة(٢) الضُّبَعى أنشده هذه الأبيات للمتلمِّس ، وكان عالمـا بشعره ، لأنهما جميعا من بنى ضُبَيعة ، فقيل له : أو ليس قد ذكرت ذلك لبشار وأنك تنسبها للمتلمس ؟ فقال بشار : كذب والله شُبيل ، هذا شعرى مدحت به ابنَ هبيرة وأعطانى عليه أربعين ألفا . وصدق بشار ، فإنه مدح بها ابن هُبيرة وقال فيها :

وكُنَّا إذا دبَّ العدوُّ لسُخْطنا   وراقَبنا فى ظاهرٍ لا نُراقبُهْ

رَكِبْنَا له جَهْراً بكلِّ مثقَّفٍ   وأبيضَ تَسْتَسقِى الدماءَ مضاربُهْ

ولا يعثر على بشار أنه سرق شعرا قطّ جاهليّا ولا إسلاميّا .

لمـا خلع محمدٌ المأمونَ(٣) وندب له علىَّ بنَ عيسى . ندب المأمونُ للقاء علىِّ بنِ

---

(١) المذروبة : المحددة . والشرع : المشروعة .

(٢) كذا ورد فى أصول المختار ، وكذلك ورد فى القاموس واستدرك شارحه فقال : بن عزرة « بفتح فسكون » .

(٣) فى ت : الأمين وكذلك فى بقية نسخ المختار .

عيسى طاهرَ بنَ الحسين ، وجلس ليعرضه هو وأصحابه ، فمرّ ذو اليمينين[1] معترضا وهو ينشد :

روىداً[2] تصاهلْ بالعراق جِيادُنا ⁂ كأنك بالضحَّاكِ قد قام نادِبُهْ

فتفاءل المأمون بذلك واستدناه فاستعاده البيت ، فأعاده عليه . فقال طاهر[3] : يا أمير المؤمنين هذا حَجَرُ العِراق . قال : أجل ، فعقد له ، وترك علياً[4] فلما سار ذو اليمينين إلى العراق سأل : هل بقى من ولد بشار أحد ؟ فقالوا له : لا ، فتوهمت أنه همّ لهم بشيء .

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها ابنَ هبيرة فأعطاه عشرة آلاف درهم . وكان ذلك أول عطية سنيّة أُعطيها بشار بالشعر ، أولها :

يخاف المنايا أنْ ترحّلت صاحبى ⁂ كأنَّ المنايا فى المقام تناسبُهْ

فقلت له إن العراق مُقامُه ⁂ وَخِيمٌ إذا هبت عليك جنائبُهْ

لِألقى بنى عَيلان إن فَعالَهم ⁂ تزيد على كل الفَعَال مراتبُهْ

أولاكَ الأولى شقّوا العمى بسيوفهم ⁂ عن الجفن حتى أبصر الحقَّ طالبُه[5]

وجيشٍ كَجُنْح الليل يَزحف بالحَصَى ⁂ وبالشَّوْكِ والخَطِّىِّ حُمْرٍ ثَعالبُهْ[6]

---

(١) ذو اليمينين : هو طاهر بن الحسين .

(٢) فى مادة «رود» فى اللسان ٤/١٧٣ : إذا أردت «برويدا» الوعيد نصبتها بلا تنوين . وأنشد رويد تصاهل بالعراق جيادنا . .

(٣) كذا فى ا وت ، ك «فقال طاهر» والصواب : فقال ذو الرياستين «وهو الفضل بن سهل» كما فى الأغانى .

(٤) جملة « فعقد لى وترك عليا » ليست فى الأغانى ولا فى ا وهى بهامش ك .

(٥) فى الأغانى : عن العين حتى .

(٦) ثعلب الرمح : ما دخل فى جبة السنان منه .

غدونا له والشمس فى خِدْرِ أُمِّها[١] تُطالِعُها والطَّلُّ لم يَجْرِ ذائبه

بضربٍ يَذوقُ الموتَ من ذاق طَعمَهُ وتُدرِكُ مَنْ نَجَّى الفِرارُ مَثالبُه

كأن مُثار النَّقْع فوق رُءوسنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُه

بعثنا لهم مَوْتَ الفُجاةِ لأننا بنو الموت خفَّاقٌ علينا سَبائبُه

فراحوا ، فريق فى الإسار ومثلهم قتيلٌ ومثلٌ لاذَ بالبحرِ هاربُه

إذا الملك الجبَّارُ صعَّرَ خَدَّه مَشَيْنا إليه بالسيوف نُخاطبه

غضب بشار على سَلْمٍ الخاسرِ وكان من تلامذته ورواتهِ فاستشفع إليه بجماعة من إخوانه فجاءوه فى أمره . فقال : كل حاجة لكم مقضيَّةٌ إلَّا سلما . قالوا : ما جئنا إلَّا فى سلم . ولا بد أن ترضى عنه . فقال : أين هو الخبيث ؟ قالوا : ها هو ذا . فقام إليه سلم فقبَّل رأسه . ومثَل بين يديه وقال : يا أبا معاذ خِرِّيجك وتلميذك[٢] . قال : يا سلم . من الذى يقول :

مَن راقبَ الناسَ لم يَظفرْ بحاجتهِ وفاز بالطيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

قال : أنت جعلت فداك . قال : فمن الذى يقول :

من راقب الناسَ مات غَمًّا وفاز باللَّذَّةِ الجسورُ

قال : خِرِّيجُك . يعنى نفسه . قال : أفتأخذ معانِىَّ التى قد عُنِيتُ بها . وتَعِبتُ فى استنباطها . وسبقتُ الناس إليها[٣] فتكسوها ألفاظا أخف من ألفاظى وتسرقه[٤] حتى يُرْوَى ماتقول ويَذهب شعرى ؟ لا أرضى عنك أبدا. فما زال يتضرع إليه ويشفع له القوم حتى رضى عنه .

---

(١) فى نسخ المختار : غدونا به .

(٢) فى الأغانى : وأديبك.

(٣) جملة : « وسبقت الناس إليها » ليست فى الأغانى .

(٤) كلمة « وتسرقه » ليست فى الأغانى .

قال بشار : ما أفحمني قطّ إلا امرأة ، قالت لي : أي رجل أنت لو كنت أسود الرأس واللحية ؟ قال بشار : فقلت لها : أمَا علمتِ أن بِيضَ البُزَاةِ أثمنُ من سُودِ الغِرْبان ؟ فقالت : أمّا قولُك فحسَنٌ في السمع . فمَنْ لك أن يَحْسُن شَيْبُك في العين ؟ فأفحمتني .

سئل بشار : أي متاع الدنيا آثَرُ عندك ؟ قال : طعام مزّ وشراب مرّ . وبنت عشرين بكر .

قال صالح بن عطية : كانت النساء المتظرّفات يدخلن إلى بشار في كلّ جمعة يومين يسمعن شعره . فسمع كلام امرأة منهن . فعلقها قلبه . وراسلها يسألها أن تواصله . فقالت لرسوله : قل له : وأيُّ معنى لي فيك أو لَكَ فِيَّ ؟ أنت أعمى لا تراني فتعرف مقداري وحُسني . وأنت قبيح الوجه لا حَظَّ لي فيك . فليت شعري لأي شيء تطلب وصال مثلي ؟ وجعلت تهزأ به في المخاطبة . فلما بلغتهُ رسالتُها قال : قل لها :

أَيرى له فضـل على إيرانِهم(١) ... فإذا أشظَّ سَجدْنَ غيرَ أَوَابي(٢)
تلقاه بعـد ثلاثَ عشرةَ قائما ... فِعل المؤَذِّن شَكَّ يومَ سَحـابِ
وكـأَنَّ هامـة رأسه بِطِّيخـةٌ ... حُمِلَتْ إلى مَلِكٍ بدجـلَةَ جَابي

قال مروان لبشار لما أنشده قوله :

وإذا قلتُ لهـا جُودِي لنـا ... خرجتْ بالصمت عن لا ونعمْ

يا أبا معاذ . هلاّ قلت : خَرِست بالصمت . قال : أنا إذًا في عقلك . فضَّ الله فاك . أألا أتطيّرُ(٣) على من أحبّ بالخرس ؟

---

(١) لم يجيء في اللسان جمع أير على إيران وإنما جاء على أيور وآيار وأير ويصح الوزن بقوله: على آيارهم . كما جاء في الأغاني.

(٢) شظ الرجل وأشظ: أنعظ .

(٣) في الأغاني : أأتطير ؟

وفد بشار على خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده :

أخالدُ لم أَخبطْ عليك بذِمَّةٍ   سِوى أننى عافٍ وأنت جَوادُ
أخالد بين الأَجر والحمد حاجتى   فأيهما تأتى وأنت عمادُ[1]
رِكابى على حَرْف وقلبى مشيَّع[2]   ومالى بأرض الباخلين بلادُ
إذا أنكرتنى بلدة أو نكِرْتها   خرجتمع البازِى علىَّ سَوادُ

فدعا خالد بأربعة آلاف دينار فى أربعة أكياس ، فوضع واحدا عن يمينه ، وآخر عن شماله . وآخر بين يديه . وآخر من ورائه[3] . وقال: ياأبا معاذ ، هل استقلَّ العماد ؟ فلمس الأكياس وقال : استقلَّ أيها الأمير .

قال بشار : دخلت على الهيثم بن معاوية وهو أمير البصرة ، فأنشدته :

إن السلام أيّها الأميرُ   عليك والرحمةُ والسرورُ

فسمعته يقول بالفارسية[4] لبعض أصحابه : هذا الأعمى لا يدعنا أو يأخذ من دراهمنا . فطمعت فيه . فما برحت حتى انصرفت بجائزة .

وقف رجلٌ من بنى زيد شريفٌ على بشار فقال له: يابشار. قدأَفسدتَ علينامواليناه. تدعوهم إلى الانتفاء منا ، وترغبهم فى الرجوع إلى أُصولهم وترك الولاء ، وأنت غير زاكى الفرع ، ولا معروف الأصل . فقال له بشار : والله لأصلى أكرم من الذهب . ولفرعى أزكى من عمل الأبرار وما فى الأرض كلب يودّ أن نَسبك نَسبُه ، ولو شئتُ أن أجعل جواب كلامك شعرا لفعلت ، ولكن موعدك المِرْبَد غدا . فرجع الرجل

---

(١) بعده فى الأغانى بيت لم يرد فى نسخ المختار .

(٢) الحرف: الناقة. ومشيع : شجاع .

(٣) فى الأغانى : وآخر خلفه .

(٤) كلمة «بالفارسية» ليست فى الأغانى .

إلى منزله وهو يتوهم أن بشارا يحضُر معه المربد ليفاخره . فخرج من الغد يريد المِرْبد. وإذا رجل ينشد :

شَهِدتُ على الزَّيدىِّ أن نساءَه ... ضِباعٌ إلى أَيْرِ العُقيلىِّ تَزْفِرُ

فسأل عمن قال هذا البيت . فقيل له : هذا لبشار فيك ، فرجع من فوره إلى منزله ولم يدخل المربد حتى مات .

أنشد رجل يوما ليونس هذه القصيدة :

بلوتُ بنى زيد فما فى كبارهم ... حُلومٌ ولا فى الأصغرين مُطَهَّرُ
فبلِّغ بنى زَيْد وقلْ لسَرَاتهم ... وإن لم يكن فيهم سَرَاةٌ تُوَقَّرُ
لأمِّكم الويلاتُ إن قصائدى ... صواعقُ منها مُنْجِدٌ ومُغَوِّرُ
أجدَّهم لا يتقون دَنيَّةً ... ولا يُؤْثِرُون الخيرَ والخيرُ يُؤْثَرُ
يَلُفُّون أولادَ الزِّنَا فى عَدِيدهمْ ... فعِدَّتهم من عِدَّة الناس أكثر
إذا ما رأوْا من دَاؤُه مثل دائهم ... أطافوا به والغَىُّ للغَىِّ أَصْوَرُ(٢)
ولو فارقوا من فيهم من دَعَاوَةٍ ... لما عرفتهمْ أُمهم حين تنظر
لقد فَخَروا بالمُلْحَقِينَ عَشيَّةً ... فقلت افخروا إن كان للقوم مَفخر(٣)
يُرِيدون مَسعاتى ودون لِقائها ... قناديلُ أبواب السَّمٰوات تَزْهَرُ
فقلْ فى بنى زَيْدٍ كما قال معشرٌ ... قواريرُ حَجَّامٍ غدًا تتكسَّرُ

فقال يونس للذى أنشده: حَسْبُك حَسْبُك إنا لله، من هَيَّج هذا الشيطانَ عليهم ؟ قيل : فلان ، قال : رُبَّ سَفيهِ قوم أكسبَ قومَه شرًّا عظيما .

---

(١) ضباع : من الضبعة : وهى اشتهاء الفحل .

(٢) أصور : أميل ، وفى الأغانى: من دأبه مثل دأبهم .

(٣) فى الأغانى : فى القوم مفخر .

قال بشار : دعانى عقبة بن سَلْم ودعا بحماد عجرد وأعشى باهلة ، فلما اجتمعنا عنده قال : خطر ببالى البارحةَ مَثَلٌ يتمثّله الناسُ « ذهب الجملُ يَطلب قَرْنَين فعاد بلا أُذنين »(١) فأخرِجوه لى من الشعر ، من أخرجه فله خمسة آلاف درهم ، فإن لم تفعلوا جلدتكم كلّكم خمسمائة سوط ، فقال حماد : أجِّلنا أيها الأمير شهرا ، وقال الأعشى : أجلنا أيها الأمير أسبوعين ، قال: وبشار ساكت لا يتكلم ، فقال له عقبة : مالك يا أعمى لا تتكلم ، أعمى الله قلبك . قال : قد حضرنى أيها الأمير شىء ، فإن أَمرتَ قلتُه . قال : قل ، فقال :

شَطَّ بِسَلْمَى عاجلُ البَيْنِ ... وجاوزتْ أَزْدَ بنى القَيْنِ
ورَنَّتِ النفسُ لها رَنَّةً ... كادتْ لها تَنْشَقُّ نِصفَيْنِ
يا ابنَةَ من لا أشتهى ذِكْرَه ... أخشى عليه عُلَقَ الشَّيْنِ
والله لو ألقاكِ لا أتَّقى ... عَيْنًا لقبَّلْتُك أَلْفَيْنِ
طالبْتُها دَيْنى فراغَت به ... وعَلَّقت قَلْبى مع الدَّيْنِ
فصِرْتُ كالعَيْرِ غدا طالباً ... قَرْناً فلم يَرْجع بأُذْنين

قال : فانصرف بشار بالجائزة .

كان لبشار أخوانِ يقال لأحدهما بشير وللآخر بشر ، وكانا قصَّابَيْن ، وكان بشار برًّا بهما على أنه ضيِّق الصدر مُتَبَرِّم بالناس ، وكان يقول : اللهم إنى قد تبرَّمْت بنفسى وبالناس جميعا ، اللهم فارحمهم منى وارحمنى منهم(٢) ، وكان أخواه يستعيران ثيابه فيوسخانها وينتنان رِيحها ، فاتخذ قميصاً له جَيْبان ، وحلف لا يعيرهما ثوبا من

(١) فى الأغانى : « ذهب الحمار . . . فعاد بلا أذنين » هذا ، والشعر الآتى يدل أنه « الحمار » وفى مجمع الأمثال حرف الذال فى آخر الباب الأمثال المولدة : ذهب الحمار يطلب قرنين فعاد مصلوم الأذنين .
(٢) فى الأغانى : اللهم فأرحنى منهم .

ثيابه ، فكانا يأخذانها من غير علمه، فإذا دعا بثوبه ليلبسه أنكر رائحته ، فيقول إذا وجد رائحة كريهة من ثيابه : « أينما أتوجّه ألْقَى سَعْداً » فإذا أعياه الأمر خرج على الناس فى تلك الثياب على نَتَنْها ووسخها ، فيقال له: ما هذا يا أبامعاذ ؟ فيقول : هذه ثمرة صلة الرحم (وقيل لبشار : إنك كثير الهجاء . فقال : إنى وجدت الهجاء المؤلم آخذُ بضَبُع[1] الشاعر من المديح الرائع ، ومن أراد من الشعراء أن يُكْرَّم فى دهر اللئام على المديح والثناء . فليستعدّ للفقر وإلا فليبالغْ فى الهجاء ليُخاف فيُعْطى)

(وقال الشعر وهو صغير قبل موت أبيه . وكان إذا هجا قوما جاءوا إلى أبيه فشكوه، فيضربه ضربا مُبَرّحا . وكان له أمّ تقول[2] له: كم تضرب هذا الصبىّ الضرير؟ أما ترحمه ؟ فيقول أبوه : بلى والله إنى لأرحمه ، ولكنه يتعرّض للناس فيشكونه إلىّ . فسمعه بشار فطمع فيه فقال : يا أبت . إن هذا الذى يشكونه إليك هو قولى الشعر وإنى إن أقمت عليه أغنيتُك وسائرَ أهلى ، فإذا شكونى فقل لهم: أليس الله تعالى يقول: « لَيْس على الأعمى حَرَج »[3] فلما أعادوا شكواه له قال لهم بُرْدٌ ما قال له بشار ، فانصرفوا وهم يقولون : فِقْه بُرْدٍ أغيظ لنا من شعر بشار)

وكان برد يقول : مارأيت مولودا أعظم بَرَكةً من بشار ، لقد وُلِدَ لى وما عندى درهم ، فما حال الحول حتى جمعت مائتى درهم .

قدِمَ كُرْدِىٌّ بن عامرٍ المِسْمعىّ من مكة ، ولم يُهْدِ لبشار شيئا ، وكان صديقه ، فكتب إليه بشار :

ما أنت يا كُرْدِىُّ بالهَشِّ ... ولا أبَرِّيـك من الغِشِّ
لم تُهْدِ لى نَعْلا ولا خَاتَماً ... من أين أقبلت من الحَشِّ

(١) الضبع : العضد .
(٢) فى الأغانى : ضربا شديدا فكانت أمه تقول .
(٣) سورة النور الآية ٦١ وسورة الفتح الآية ١٧ .

فأهدى إليه هدية حسنة وجاءه وقال : عَجِلْتَ علينا يا أبا معاذ ، وناشده ألا يَزيد شيئا .

قال بعض الشعراء : أتيت بشاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار ، فقال لى : خذ منها ما شئت ، أوَتدرى ماسببُها ؟ قلت : لا ، قال : جاءنى فَتًى فقال لى: أنت بشار ؟ قلت : نعم ، فقال : إنى آليت أن أدفع لك مائتى دينار ، وذلك أنى عشقت امرأة وجئت إليها وكلمتها فلم تلتفت إلىّ وأغلظت علىّ[1] ، فهممْتُ أن أتركها ، فذكرتُ قولك :

لا يُؤْيِسَنَّك من مُخَبَّأةٍ   قــولٌ تُغلِّظه وإن جَــرَحَا
عُسْرُ النساءِ إلى مُياسرةٍ   والصَّعْب يُمْكِن بعد ماجَمَحا

فعدت إليها فلازمتها ، ولم أبرح[2] حتى بلغت منها حاجتى .

ولما أُنشد المهدىُّ هذين البيتين نهى بشارا عن التشبيب بالنساء .

ولما قدم بشارٌ على المهدىّ واستأذن عليه قال له الربيع : قد أذِن لك وأمرك أن ألا تنشد شيئا من الغزل ، فادْخُلْ على ذلك ، فدخل وأنشد :

يا منظراً حَسَناً رأيتُهْ   مِنْ وَجْهِ جاريةٍ فَديتُهْ
بَعَثَتْ إلىَّ تَسومنى   غَزَلَ الشباب وقد طَوَيْتُهْ
إن الخليفةَ قــد أَبَى   وإذا أَبَى شيئا أَبيتُهْ
ويشوقنى بيتُ الحبيـ   ـب إذا غدوتُ وأين بيتُهْ
حالَ الخليفةُ دونَــه   فصَبرْتُ عنه وما قَلَيْتُهْ
ونهــانِىَ المَلِكُ الهمــا   م عن النساء فمــا عَصَيْتُهْ

(١) جملة « وأغلظت على » ليست فى الأغانى .

(٢) جملة « ولم أبرح » ليست فىالأغانى.

كان الخليل بن أحمد يستحسن هذه الأبيات وينشدها ويعجب بها .

كان الأخفش قد طعن على بشار فى قوله :

على الغَزَلَى منى السلامُ وربّما لهوتُ بها فى ظلّ مرووضة زُهْرِ[1]

وفى قوله :

فالآن أقْصَر عن سُمَيَّة باطلى[2] وأشار بالوَجَلَى عَلَىَّ مُشِيرُ

وفى قوله :

تلاعبُ نِينَانَ البُحورِ وربما رأيت نفوس القوم من جَرْيها تَجْرِى

وقال : لم يُسمع من الوَجَل ولا الغَزَل فَعَلَى ، ولم يُسمع فى جمع نون نينان . فبلغ ذلك بشارا فقال : ويلى على القَصَّار بن القصَّار متى[3] كانت هذه الفصاحةُ فى بيوت القَصَّارِين ؟ دعونى وإياه . فجزع الأخفشُ لذلك وبكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ومالى لا أبكى وقد وقعت فى لسان الأعمى ؟ فذهب أصحابه إلى بشار وتحدثوا عنه[4] واستوهبوا منه عرضه وسألوه ألا يَهجُوَه . فقال : قد وهبته للؤْمِ عِرْضه . فكان الأخفش بعد ذلك يحتج فى كتبه بشعره لِيبلُغَه ، فكف عن ذكره ورُوِى ذلك أيضا عن سيبويهِ ، فصار سيبويهِ إذا سُئل عن شىء وأجاب فيه ووافق ذلك شاهدٌ من شعر بشار[5] احتجّ به استكفافا لشره .

قال عبدُ الله بن المِسْوَر الباهلى يوما لأبى نَصِير[6] وقد تحاورا فى شىء :

---

(١) فى الأغانى : مرؤومة . أى محبوبة مألوفة . أما المرووضة فلعلها من الروضة .

(٢) فى الأغانى : عن سمية .

(٣) فى الأغانى « ويلى على القصارين متى .. » هذا ، والقصار من يحور الثياب ويدقها .

(٤) فى الأغانى : فكذبوا عنه .

(٥) فى الأغانى : ووجد له شاهداً من شعر بشار .

(٦) فى الأغانى : « لأبى النضير » .

يا ابن اللَّخناء تكلّمنى ولو اشتريتُ عبداً بمائتى درهم وأعتقته لكان خيرا منك . فقال أبو نصير : والله لو كنتُ ولدَ زِناً لكنتُ خيرا من باهلة كُلِّها . فغضب الباهلىُّ واختَلَط[1] ، فقال له بشار : أنت منذ ساعة تُزَنِّى أُمَّه ولا يغضب ، فلما كلمك كلمة واحدة لحقك هذا كلُّه ، فقال له : وأُمُّه مثل أُمى يا أبا معاذ ؟ فضحك وقال : لا والله لو أن أُمَّك أمُّ الكِتاب ما كان بينكما من المُصَارَفة[2] هذا كلّه .

قال محمد بن الحجَّاج : كنا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن منزل رجل ، فجعل يُفهِّمه له وهو لا يفهم ، فأخذ بيده وقام يقوده إلى منزل الرجل الذى سأل عنه وهو يقول :

أعمى يقودُ بصيراً لا أَبا لكُمُ ... قد ضلَّ من كانت العُمْيان تَهدِيهِ

حتى صار به إلى منزل الرجل ثم قال له : هذا منزله يا أعمى .

مدح بشار المهدىّ فلم يعطه شيئا ، فقيل له : لم يَستجِدْ شعرك ، فقال : والله لقد قلت فيه شِعْرا لو قيل فى الدهر لم يُخْشَ صَرْفُه على أحد . ولكنّا نَكْذِب فى القول فَنُكْذَب فى الأمل .

هجا بشارٌ رَوْحَ بن حاتم ، فبلغه ذلك فتهدَّده ، فبلغ ذلك بشاراً فقال :

يُهدِّدُنى أبو خَلَفٍ ... وعن أَوتارِه نَامَا
بسيفٍ لأبى صُفْـ ... ـرَةَ لا يَقطع إبْهاما
كأن الوَرْسَ يَعْلُوهْ ... إذا ما صَدْرُه قَاما[3]

فقال رَوْحٌ لما بلغه ذلك : كلُّ مالى صدقةٌ إن وقعت عينى عليه لأضربنّه ضربةً

---

(١) كلمة « واختلط » ليست فى الأغانى .
(٢) صارف نفسه عن الشىء : صرفها عنه . وفى الأغانى : من المصارمة .
(٣) فى الأغانى بعد الشعر قال : ومن الناس من يروى هذين البيتين لعمرو الظالمى .

بالسيف ولو أنه بين يدَىِ الخليفة ، فقام بشار من فوره ودخل على المهدىّ ، فقال : ما جاء بك هذا الوقت ؟ فأخبره بقصة روْح ، وعاذَ بِه منه ، فقال المهدى : يا نصر[1] ، وجِّهْ إلى رَوْحٍ مَن يحضره الساعة ، فأرسل إليه فى الهاجرة ، وكان ينزل المُخَرَّم[2] ، فظنَّ هو وأَهلُه أنه دُعِى لولاية ، فلما دَخل[3] قال : يا روح ، بعثتُ إليك فى حاجة ، فقال : أنا عبدك يا أمير المؤمنين ، فقلْ ما شئت سوى بشار فإنى حلفت بيمين ، فقال : قد علمتُ وإياه أردت ، فقال : فاحْتَلْ ليمينى يا أمير المؤمنين ، فأحضر القضاة والفقهاء ، فاتفقوا على أن يضرب به ضربة على جسمه بعُرْض السيف ، وكان بشار وراء الخيش ، فأُخرِج وأُقعد ، واستلَّ رَوْح السيف ، وضربه على ظهره بعُرْضِه ، فقال : أَوَّه باسم الله ، فضحك المهدىُّ وقال : ويحك ، هذا وإنما ضربك بعُرْضه ، فكيف لو ضربك بحدِّه .

قدم بشار بن برد على المهدى ، فدخل عليه فى البستان ، فأنشده مديحا فيه تَشبِيب حسن ، فنهاه عن التشبيب لِغَيْرةٍ شديدة كانت فيه ، فأنشده مديحا له فيه :

كأنمــا جئتُه أُبشِّرُه ... ولم أجئْ راغباً ومُحْتَلِباَ
يُزَيِّن المِنْبر الأَشَمَّ بِعِطْـ ... فَيْه وأقواله إذا خطبا[4]

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل ، وجعل له وِفادة فى كل سنة ، ونهاه عن التشبيب ، فقدم عليه فى السنة الثانية فدخل عليه فأنشده :

---

(١) فى الأغانى : يانصير .
(٢) المخرم محلة كانت ببغداد .
(٣) جملة « فلما دخل » ليست فى الأغانى .
(٤) بعده فى الأغانى بيت .

تَجَالَلتُ عن فِهرٍ وعَنْ جارتَىْ فِهرِ (١) ... ووَدَّعْتُ نُعْمَى بالسلام وبالبِشْرِ
وقالتْ سُلَيمى فيك عنّا جَلادةٌ ... محلُّك دانٍ والزيارةُ عن عُفْرِ (٢)
أخى فى الهوى مالى أراك جفوتَنا ... وقد كنتَ تَقفُونا على العُسْرِ واليُسْرِ
تثاقلتُ إلّا عن يَدٍ أستفيدها ... وزَوْرَةِ أملاكٍ أشدُّ بها أَزْرِى
وأخرجنى من وِزْرِ خمسين حِجَّةً ... فتىً هاشمىٌّ يَقشَعِرُّ من الوِزْرِ
دفنتُ الهوى حيًّا فلست بزائرٍ ... سُلَيْمى ولا صفراءَ ما قَرْقَرَ القُمْرِى
ومُصفرَّة بالزعفران جلودها ... إذا اجتُليَتْ مثل الهِرَقليَّة الصُّفْرِ (٣)
وغَيْرَى ثقال الرِّدْفِ هبَّتْ تَسبُّنى ... ولو شاهدَتْ (٤) قبرى لصلَّتْ على قَبْرِى
تركتُ لمهدِيِّ الأنامِ رُضَابَها (٥) ... وراعَيْتُ عهدا بيننا ليس بالخَتْرِ (٦)
ولولا أميرُ المؤمنين محمدٌ ... لقبَّلت فاها أو لكان بها فِطْرِى
لعمرى لقد أَوْقَرْتُ نفسى خطيئةً ... فما أنا بالمزدادِ وِقْراً على وِقْرِى

فأجازه بمثل ما كان يجيزه (٧) قبل ذلك .

قال مروان بن أبى حفصة : قدمت على بشار فأنشدته (٨) قولى :

* طرقَتْكَ زائرة فَحَيِّ خيالَها *

واستنصحته فيها فقال لى: ماأجودها! تَقَدَّم بغداد يُعطونك عليها عشرة آلاف درهم،

---

(١) تجاللت : تعاظمت .
(٢) العفر : طول العهد .
(٣) فى الأغانى : المفرطحة الصفر .
(٤) فى الأغانى : فرب ثقال الردف هبت تلومنى . . . ولو شهدت .
(٥) فى الأغانى : وصالها .
(٦) الختر : أسوأ الغدر .
(٧) فى الأغانى : فأعطاه ما كان يعطيه .
(٨) فى الأغانى: قدمت البصرة فأنشدت .

فجزعت من ذلك وقلت : قتلتنى ، فقال : هو ما أقول لك ، فقدمت بغداد فأعطيت عشرة آلاف درهم . ثم قدمت عليه مرة أخرى فأنشدته قولى :

أنَّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لبنى البناتِ وِراثةُ الأعمامِ

فقال: تعطى عليها مائة ألف درهم . فقدمت فأعطيت مائة ألف درهم . فعُدْت إلى البصرة فأعلمته بحالى فى المرّتين وقلت : ما رأيت بأعجب من حَدْسِك . فقال : يا بنى ، أما علمتَ أنه لم يبق أحد أعلم بالغيب من عمّك .

قال الفضل بن إسحاق الهاشمى : أُنشد بشارٌ قولَه :

يُرَوِّعــه السِّرارُ إذا رآه[1] مخافةَ أن يكون به السِّرارُ

فقال له رجل : أظنك أخذت هذا من قول أشعب: ما رأيت اثنين يتساران إلا طمعت فى أنهما يأمران[2] لى بشىء . فقال له : إن كنت أنا أخذت هذا من قول أشعب فإنك أنت أخذت ثقل الروح والمقْت من الناس جميعا وانفردت به دونهم . وقام وتركنا . أخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

تركَتْنى الوُشاةُ نُصْبَ المُشِـيرِين وأحدوثةً بكلّ مكانِ[3]

ما أرى خالِيَيْن فى السِّرِّ إلا قلتُ ما يخلوان إلّا لشانى

قال محمد بن الحجاج : قال لى بشار : ما كان الكميت شاعرا ، فقيل له : كيف وهو الذى يقول :

أَنِصْفُ امرِئٍ من نِصْف حَىّ يَسبُّنِى

لعمرى لقد لاقيتُ خَطْباً من الخطْبِ

---

(١) السرار : المسارة . وفى الأغانى : يروعه السرار بكل أرض .

(٢) فى الأصل: فى أن يأمران وأثبت ما فى الأغانى .

(٣) فى الأغانى : نصب المسرين . وفى ديوانه طبعة آصاف ٣٩٦ نصب المسيرن .

هنيئاً لـكَلْبٍ إن كَلْباً يسبُّنى … وأنِّىَ لم أَرْدُد جوابا عـلى كَلْبِ

فقال بشار: أترى رجلا لو ضرط ثلاثين سنة لم يُسْتَمْلَح من ضراطهِ واحدة[(١)] .

قال أبو دعامة : أتى عطاء الملط بشاراً فقال له : يا أبا معاذ ، أُنشدك شعرا حسنا ؟ فقال : ما أَسرَّنى بذلك ، فأنشده قصيدة أولها :

أعاذِلَتَىَّ اليومَ ويحـكما مَهْلَا … فما جَزَعًا مِالْآنَ أَبْكى ولا جَهْلَا

فلما فرغ منها قال بشار : أَحسن[(٢)] ثم أنشده فى وزنها ورويِّهَا :

لقد كاد ما أُخفِى من الوَجْد والهَوَى … يكون جَوًى بين الجوانح أو خَبْلَا

فلا تَحْسَبِ البِيضُ الأوانسُ أن فى … فُؤداى سِوى سُعْدَى لِغانيةٍ فَضْلَا

فأقسم إن كان الهـوى غيرَ بالغٍ … بِىَ القتْلَ من سُعْدَى لقدجاوزَ القتْلا

فيا صاحِ خَبِّرنى الذى أنت صانعٌ … بقـاتلتى ظُلْما وما طَلَبتْ ذَحْلا[(٣)]

سوى أننى فى الحب بينى وبينهـا … شَددْتُ على أعْـكامِ سِرٍّ لها قُفْلَا[(٤)]

إذا قال مَهْلًا ذو القرابة زادنى … وَلُوعاً بذكراها ووجْدا بِها مَهْلَا[(٥)]

فاستحسنت القصيدة وقلت : أجدتَ والله يا أبا معاذ وبالغت ، فتفضَّل بإعادتها ، فأعادها على خلاف ما أَنشدنيها فى المرة الأولى ، فتوهمت أنه قالها فى تلك الساعة .

قال أحمد بن خلاد : قال لى أبى : كنت أرد على بشار سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد ، وكان يقول : لا أعرف إلا ما عاينته أو عاينت مثله ، فـكان الـكلام يطول

---

(١) فى الأغانى : لم يستحل من ضرطه ضرطة واحدة .

(٢) يريد: أحسن الشاعر قائل هـذا البيت. وكذلك جاء فى جميع أصول الأغانى « أحسن » وغيرها المحققون إلى : أحسنت .

(٣) الذحل : الثأر .

(٤) الأعكام . جمع العـكم وهو العدل ما دام فيه المتاع . وفى الأغانى: أكظام سر .

(٥) هذا البيت جاء فى الأغانى ثانى بيت فى القصيدة .

بيننا ، فقال لى يوما : ما أظن الأمر إلا كما تقول يا أبا مخلد[١] وأن الذى نحن فيه خِذْلان ، ولذلك أقول :

طُبِعْتُ على ما فِيَّ غيرَ مُخَيَّرٍ هَوايَ ولو خُيِّرْتُ كنتُ المهذَّبا
أُريد فلا أُعطَى وأُعطَى ولم أُرِدْ وقصَّر عِلْمِى أَنْ أَنال المُغَيَّبَا
وأُصْرَف عن قَصْدِى وعِلْمِىَ مُبْصِرًا[٢]
فأمسى وما أُعقِبْتُ إلَّا التعجُّبَا

كان بالبصرة فتى[٣] من بنى مِنْقَر أُمُّه عِجْلِيّة . وكان يبعث إلى بشار فى كل أضحَى بأُضحِيَّة من الأضاحى التى تسمى بالبصرة سُنَّة ، وهى أكبر الأضاحى[٤] وكانت تباع الأضحيّة بعشرة دنانير ، ويبعث معها بألف درهم ، فأمر وكيله فى بعض السنين أن يُجْرِيه على رَسْمِه ، فاشترى له نعجةً غير سَمينه . وسرق باقى الثمن ، وكانت نعجَةً عَبْدَلِيَّة من نِتَاج بنى عبد الله بن دارم ، وهو نِتاجٌ مَرْذُول ، فلما أُدخلت على بشار قالت له جاريته رَبَابَة : ليست هذه الشاة من الغنم التى كان يبعث بها إليك . قال : أَدْنِيها منى ، فلمسها بيده ثم قال : اكتب يا غلام :

وَهبتَ لنا يا فتى مِنْقَرٍ وعِجْلٍ وأكرمَهم أوَّلَا
وأبسطَهم راحةً بالندى وأرفَعهم ذِرْوة فى العُلَا
عَجوزاً تَدارَكها عُمْرها[٥] وأسكنَها الدهرُ دارَ البِلَى
سَلُوحاً توهَّمت أن الرُّعَاةَ سَقَوْها لِيُسْهِلَها الحَنْظَلا

---

(١) فى بعض نسخ الأغانى: يا أبا خالد .
(٢) فى الأغانى : وعلمى مقصر .
(٣) فى ت : رجل .
(٤) فى الأغانى : سنة وأكثر للأضاحى .
(٥) فى الأغانى : عجوزا قد اوردها عمرها .

وأَضرطَ من أُمِّ مُبتاعِها إذا اقتحمتْ بُكرةً حَرْمَلا[(١)]
فلو تأكل الزُّبد بالخشكنان وتَنْدَمِج المِسْـك والمَنْدَلا[(٢)]
لَمَا طَيَّبَ الله أرواحَهـا ولا بلَّ من عَظْمِها الأَقْحَـلا[(٣)]
وضعتُ يميني علـى ظهرها نَخِلْتُ حَرَاقِفَهـا جَنْدَلا[(٤)]
وأهوت شمالى لعُرْقُوبها فخِلْتُ عَـراقِبَها مِغْزَلا
وقَلَّبْتُ أَلْيَتَهَا بعـد ذا فشبَّهت عُصْعُصَها مِنْجَلا
فقلتُ أَبيعُ فـلا مَشْرَباً أُرَجِّى لَدَيْهـا ولا مَأْكلا
أَمَ اُشْوِى وأَطبخ من لحمِها وأَطيبُ من ذاك مَضْغُ السَّلَى[(٥)]
إذا ما مَرَرْتُ على مجلس[(٦)] من العُجْبِ سَبَّحَ أو هَلَّلا
رأوا أنـه خَلْفَها سائق[(٧)] يَحُثُّ وإن هَرْوَلَتْ هَرْوَلَا
وكنتَ أَمرْتَ بهـا ضَخمةً بلحْمٍ وشحْمٍ قد استُكْمِلا
ولكنَّ رَوْحاً عَـدَا طَوْرَه وما كنتُ أحسب أن يفعلا
فعضَّ الذى خان فى أمرهـا من اُسْتِ اُمّه بَظْرَها الأغرلا
ولولا مَـكانُك قَلَّدْتُه عِلاطاً وأسقيته الخَرْدَلا[(٨)]

---

(١) الحرمل : نبات كالسمسم يعي آكله .
(٢) الخشكنان: دقيق الحنطة إذا عجن بشيرج وبسط وملىء بالسكر واللوز أو الفستق وماء الورد « لعله القطايف » وفى الأغانى : الزبد بالنرسيان .
(٣) الأقحل : من قحل الشيء إذا يبس.
(٤) الحراقف : رءوس الأوراك جمع الحرقفة .
(٥) السلى : المشيمة وهى لفافة الولد من الجلد رقيقة تنزع عنه ساعة يولد .
(٦) فى الأغانى : إذا ما أمرت .
(٧) فى الأغانى : رأوا آية .
(٨) العلاط : حبل يجعل فى عنق البعير ، وسمة تكون فى عرض عنقه . وفى ت ، ك : غلاظا .

ولولا اسْتحائيك خَضَّبْتُها وعلَّقْتُ فى حَلْقِهـا جُلْجُلا[١]
فجاءتك حتى ترى جَهْدَها[٢] فتعلم أنى بهـــا مُبْتَلى
سألتـــك لَحْماً لِصبيانِنا فقـــد رَدَّنى منهمُ عيِّـلا[٣]
فخذها وأنت بنـا مُحْسِنٌ وما زلتَ بى مُحْسِنًا مُجْمِلَا

فلما وصلت الرقعة إليه دعا بوكيله وقال : ويلك ، تعلم أننى أفتدى من بشار ـ بما أعطيه ـ عِرْضى[٤] ، توقعنى فى لسانه ، اذهب فاشترِ له أُضحِيَّة ، وإن قدرت على أن تـكون مثل الفيل فافعل ، وابلُغْ بها ما بَلغَتْ وابعثْ بها إليه .

قال عمرو بن العلاء : رأيت بشارا يُنَزِّى[٥] بُنَيَّة له وهو يقول :

يا بنتَ من لم يَكُ يهوى بِنْتَا ما كُنتِ إلَّا خمسةً أَو ستَّا
حتى حَلَلْتِ فى الحشا وحتى فتَّتِّ قلبى من جوى فانْفَتَّا
لَأَنتِ خيرٌ من غلامٍ بَتَّا[٦] يصبح سكرانا ويُمْسى هَبْتَا[٧]

دخل المهدى إلى بعض حُجَر الُحرَم ، فنظر إلى جارية تغتسل ، فلما رأته خجلت[٨] ووضعت يدها على فرجها ، فأنشأ يقول :

---

(١) فى الأغانى : وعلقت فى جيدها .

(٢) فى الأغانى : ترى حالها .

(٣) فى الأغانى : فقد زدتنى .

(٤) كلمة « عرضى » ليست فى الأغانى .

(٥) ينزى : يجعلها تنزو : أى تثب « كما تنزى شهلة صبيا » وفى الأغانى : يرثى .

(٦) بت : قطع وأيضا انقطع ويقال : الأحمق المهزول هو بات ويقال : سكران بات : منقطع عن العمل بالسكر .

(٧) الهبت : الحمق ويقال فيه : هبتة أى غفلة وضربة حمق . وفى نسخ المختار « هنتا » ولم أجد فى اللغة مادة لهنت : وفى الأغانى « ويمسى بهتا » وفى نسخة ك وضعت نقطة كبيرة تحت الباء كأنها مستدركة مع أنها فوقها نقطة صغيرة .

(٨) فى الأغانى : حصرت .

* نظرتْ عَيْنِى لِحَيْنِى *

ثم أُرْتِج عليه ، فقال : مَن بالباب من الشعراء ؟ فقالوا : بشار ، فأَذِن له ، فدخل ، فقال : يا بشار أَجِزْ :

* نظرتْ عَيْنِى لِحَيْنِى *

فقال :

نظرَتْ عَيْنِى لِحَيْنِى ‌ ‌ نَظَرًا وافقَ شَيْنِى
سَتَرَتْ لمَّا رَأَتْنِى ‌ ‌ دُونه بالرَّاحَتَيْنِ
فَضَلَتْ منه فُضُولٌ ‌ ‌ تَحْتَ طَىِّ العُكْنَتَيْنِ

فقال له المهدى : قبحك الله ، ويلك ، أ كنت ثالثاً ؟ إِيه[1] ثمَّ ماذا ؟ فقال :

فتمنَّيْتُ وقَلْبِى ‌ ‌ لِلْهَوَى فى زَفْرَتَيْنِ
أَننى كُنْتُ عَلَيْه ‌ ‌ ساعةً أو ساعتين

فضحك المهدى وأمر له بجائزة ، فقال له : أَقَنِعْتَ يا أمير المؤمنين من مثل هذه الصفة بساعة أو ساعتين ؟ قال : فكم ، ويلك ؟ قال : سنة أو سنتين[2] . فقال : اخرج قبحك الله . فخرج بالجائزة .

قال محمد بن الحجاج : جاءنا بشار يوما وهو مُغتمّ ، فقلنا له : مالك ؟ قال : مات حمارى فرأيته فى النوم فقلت له : متّ ؟ ألم أ كن أُحسن إليك ؟ فقال :

سَيِّدى خُذْ لى أَتاناً ‌ ‌ عند باب الأَصبهانى
تيَّمَتْنى بِبَنَانٍ[3] ‌ ‌ وبدَلٍّ قد شجانى

---

(١) كلمة « إيه » ليست فى الأغانى .
(٢) جملة : « قال فكم ويلك قال سنة أو سنتين » ليست فى الأغانى .
(٣) فى الأغانى : ببنان .

تَيَّمَتْنى يوم رُحْنـا بِثَنَايَاها الحِسانِ
وبغُنْـجٍ ودَلَالٍ سَـلَّ جِسمى وبَرَانِى
ولهـا خَدٌّ أَسِـيلٌ مثـل خد الشَّيْفَرَانِ
فلِذا مُتُّ ولو عِشـ ـتُ إذًا طالَ هَوانِى

فقلت له: ماالشيفران ؟ فقال : ما يدرينى ؟ هذا من غريب الحمار إذا لقيته فاسأله عنه . لعمرى لقد صدق، هذا من غريب الحمار[1] .

قال السَّرِىُّ بن الصبَّاح : حضر[2] بشار مجلسا فقال : لا تُصَيِّروا مجلسنا هذا شِعراً كله ، ولا غناء كله ، ولا حديثا كله ، فإن العيش فُرَص ، ولـكن غَنُّوا وتحدَّثوا وتناشدوا ، وتعَالَوْا نَتَناهب العيش نَهْبا .

جلس إلى بشار أصدقاء له من الـكوفة كانوا على مثل مذهبه ، فسألوه أن ينشدهم شيئا مما أحدثه ، فأنشدهم[3] حتى انتهى إلى قوله :

فى حُلَّتى جِسْمُ فـتى ناحِـلٍ لو هبَّت الرِّيحُ به طَاحـا

فقالوا له : يا ابن الزانية ، أتقول مثل هذا وأنت كأنك فيل، عرضك أكثر من طولك ؟ فقال : قوموا عنى يا بنى الزَّوَانى فإنى مشغول القلب ، لست أنشط اليوم لمشاتمتـكم .

كان لبشَّار مَجْلِس يجلس فيه بالعَشِىّ يقال له البَرْدان ، فدخل إليه نسوة فى مجلسه هذا يسمعن من شعره ، فعشق امرأة منهن ، فقال لغلامه : عَرِّفها محبتى واتبعها إلى منزلها عند انصرافها حتى تعرفه ، ففعل الغلام وأخبرها بما أمره ، فلم تجبه

(١) جملة « لعمرى لقد صدق هذا من غريب الحمار » ليست فى الأغانى .
(٢) فى الأغانى : شهد .
(٣) فى الأغانى: ذكر مطلع القصيدة وبعده حتى أتى على قوله.

إلى ما أحب ، فكان يتردد إليها حتى برِمَت منه[1] ، فشكته إلى زوجها فقال لها : أجيبيه وعِديه أن يجيئك إلى ها هنا ، ففعلت وجاء بشار مع امرأة وجَّهتْ بها إليه ، فدخل وزوجها قاعد[2] ، وهو لا يعلم ، فجعل يحادثها ساعة ، ثم قال لها : ما اسمك ؟ بأبي أنت[3] ، فقالت : أُمامة ، فقال :

أُمامةُ قد وُصِفت لنا بحُسْنٍ   وإنَّا لا نراكِ فألْمِسينا

فأخذت يده فوضعتها على أَيْر زوجها وقد أنعظ ففزع ووثب قائما وقال :

عَلَيّ أَلِيَّةٌ ما دمتُ حيًّا   أَمَسُّك طائعا إلَّا بِعُودِ
ولا أُهدى لأرضٍ أنت فيها[4]   سلامَ الله إلَّا مِن بَعيد
طلبتُ غَنيمةً فوضعتُ كَفِّى   على أَيْر أشدَّ من الحديد
فَخَيرٌ منك من لا خَيْرَ فيه   وخيرٌ من زيارتكم قُعودِى

فقبض زوجها عليه وقال : هممت بأن أفضحك . فقال : قد كفانى ـ فديتك ـ ما فعلتَ بى ، ولست واللهِ عائداً إليها أبدا ، فحسبك ما مضى ، فتركه .

هذه الحكاية بعينها ذكرها أبو الفرج أيضا عن أبى العباس الأعمى وهو السائب ابن فَرُّوخ .

وقال أبو نواس : كان لبشار خمسة ندماء ، فمات منهم أربعة ، وبقى منهم واحد يقال له البَراء ، فركب فى زورق فى دجلة يريد العُبور ، فغرق . ونهاه المهدىُّ عن ذكر النساء والعشق ، فكان بشار يقول : لا خير فى الدنيا بعد الأصدقاء والنساء ، ثم رثى أصدقاءه فقال :

---

(١) كذا فى أصول المختار والمعروف « برمت به » كما فى الأغانى أيضا .
(٢) فى الأغانى : جالس .
(٣) فى ت « بأبى أنت وأمى » ولا توجد كلمة « وأمى » فى ا ولا ك ولا فى الاغانى.
(٤) فى الأغانى : لقوم أنت منهم .

يا ابن موسى ما ذا يقول الإمامُ ... في فتـــاةٍ في القلب منهـــا أُوامُ
بِـتُّ في حُبِّهـــا أُوَقَّر بالـكَأْ ... سِ ويهفو على فؤادى الْهيـــامُ
وَيْحَهـــا كاعبٌ تُدِلُّ بِجَهْـــمٍ ... كَعْثَبىٍّ كأنّه حَمَّـامُ(1)
لم يكن بينها وَبيـنِىَ إلّا ... كُتُب العاشقـين والأحــلامُ
رُبَّ كأس كالسلسبيـل تعلّلْـ ... ـتُ بهـا والعيـون عنى نِيـامُ(2)
حُبِست للشُّراةِ في بَيْت رَأْسٍ ... عاتقـا عانسا عليهـا الختـامُ(3)
يا ابن موسى اسقِنى ودَعْ عنك سَلْمى ... إنَّ سلمى حِمًى وفىَّ احْتشـامُ
نَفَحتْ نفحـةً فهزَّت نَـديمى ... بنَسيمٍ وانشـقَّ عنـه الزُّكامُ
وكأن المعـلولَ منهـا إذا را ... حَ شَجٍ فى لسـانه بِلْسَـامُ(4)
وفـتًى يشربُ الْمُـدامةَ بالمـا ... ل ويمشى يروم ما لا يُرامُ
أنفـدَتْ كأسُه الدنـانيرَ حتّى ... ذهب العَيْنُ واستمرَّ السَّـوَامُ(5)
تَرَكَتْـه الصَّهْبـاء يَرْنُو بِعيْن ... نام إنسانُهـا وليستْ تنـامُ
حَنَّ من شربة(6) فَعُلَّ بأُخـرى ... وبكى حـين سارَقَتْه الْمُدامُ(7)
كان لى صـاحبٌ فأوْدى به الدهـ ... ـرُ وفارَقْتُه عليه السـلامُ
بَقِىَ النـاسُ بعـد هُلْك نداما ... ىَ وقوعا لم يشعروا ما الـكلام

---

(١) الـكعثب : الفرج الضخم . والجهم : الغليظ .

(٢) البيت السابع هنا جاء خامسا فى الأغانى .

(٣) بيت رأس : اسم لقريتين ينسب إليهما الخمر . وفى الأغانى : عتقت عانسا .

(٤) البلسام والبرسام : علة يهذى فيها . وفى الأغانى « برسام » وبعده بيت .

(٥) العين : الذهب . واستمر : من معانيها : ذهب .

(٦) فى نسخة ك : « حن » وبهامشه أورد روايتين «حى» : و«جن» والأخيرة كالأغانى .

(٧) فى الأغانى : سار فيه المدام .

كَجَزُورِ الأَيْسَار لا كَبِدٌ فِيـ ـها لِبَاغٍ ولا عليها سَنَـــامُ[١]
يا ابن موسى فقد الحبيبِ على العيـ ـن قَذَاةٌ وفى الفؤاد سَقَـــامُ
كيف يصبو إلى النعيم وَحيد[٢] والأخِلاَّء فى المقــابر هَامُ
نَفِسَتْهُم عَـــلَىَّ أمُّ المنــايا فأنامَتْهُمُ بِعُنْف فنَامُوا
لا يَغيض انسجامُ عيني عليهمْ إنما غايَةُ الحزنِ انسجامُ

ومن شعره لما حرمه المهدى ولم يثبه على امتداحه شيئا :

خليلىَّ إن العُسْرَ سوف يُفِيقُ وإنَّ يَسَاراً فى غَدٍ لَخَلِيقُ
وما كنتُ إلاَّ كالزمان إذا صحَا صَحوتُ وإن ماق الزمان أَمُوقُ[٣]
لقد كنت لا أرضى بأدْنى معيشتى ولا يَشتكى بُخْلًا علىَّ رَفِيقُ
خَليلىَّ إن المال ليس بنافعى إذا لم يَنَلْ منه أخٌ وصديقُ
وكنت إذا ضاقَتْ علىَّ مَحَلَّةٌ تَيَمَّمْتُ أُخرى ما علىَّ تضيقُ
وماخاب بين اللهِ والناس عاقل[٤] له فى التُّقَى أو فى المحامد سُوقُ
ولا ضاق فضلُ الله عن مُتَعَفِّفٍ ولــكنّ أخلاقَ الرجال تَضيقُ

ثم تتابع نَهْىُ المهدىّ له عن التشبيب وقال له : ويلك يا عاضّ كذا وكذا من أُمِّه : أتحرض[٥] الناس على الفجور وتقذف المحصنات ؟ والله لئن قلتَ بيتا واحدا فى نسيب لآتينَّ على نفسك[٦] . ومدحه ولم يحظ منه بشيء فهجاه فقال :

---

(١) جزور الأيسار : الناقة التى تنحر للمقامرة عليها .
(٢) فى الأغانى : كيف يصفو لى النعيم وحيدا .
(٣) ماق: حمق وماق أيضا : كسد . من قولهم: ماق البيع: رخص وكسد .
(٤) فى الأغانى : عامل .
(٥) فى الأغانى : أتحض .
(٦) فى الأغانى : روحك .

خليفةٌ يَزْنى بعمَّاته يلعب بالدبُّوق والصوْلجان[1]
أبدلنا الله به غيرَه ودسَّ موسى فى حِرِ الخَيْزُرانْ

وأنشدها فى حلقة يونس النحوى ، فسُعِى به إلى يعقوب بن داود ، وكان بشار قد هجاه فقال :

بَنِى أُمَيَّةَ هُبُّوا طال نومكمُ إن الخليفةَ يعقوبُ بنُ داوُدِ
ضاعتْ خلافتكمْ يا قوم فالتمِسوا خليفةَ الله بين النَّاى والعُودِ[2]

(فدخل يعقوب على المهدى فقال : يا أمير المؤمنين)، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق بشارا قد هجاك) قال : بأى شىء ؟ قال : بما لا ينطق به لسانى ولا يتوهمه فكرى ، فقال : بحياتى أنشدنى إياه ، فقال : والله لو خيَّرتنى بين إنشاده وبين ضرب عنق لاخترت ضرب عنق ، فحلف عليه المهدى بالأيمان التى لا فُسْحَة له فيها أن يخبره ، فقال : أما لفظا فلا ، ولكنى أكتب ذلك ، فكتبه ودفعه إليه ،(فكاد المهدى ينشقّ غيظا) وعمل على الانحدار إلى البصرة للنظر فى أمرها ، وما وَكْدُه[3] غيره ، فانحدر ، فلما بلغ البَطِيحة[4] سمع أذانا فى وقت الضحى ، فقال : انظروا ما هذا الأذان ، فإذا بشار سكران ، فأحضره وقال : يا زنديق يا عاضَّ بَظْر أمه ، عجبت أن يكون هذا غيرك ، أتلهو بالأذان فى غير وقت صلاة وأنت سكران ؟ ثم دعا بابن نُهَيك فأمره بضربه بالسوط ،(فضربه بين يديه على صدر الحرَّاقة[5] سبعين سوطا أتلفه فيها) فكان إذا أصابه السوط يقول حَسِّ — وهى كلمة تقولها العرب للشىء

---

(١) الدبوق: لعبة يلعب بها الصبيان .
(٢) فى الأغانى : بين الزق والعود .
(٣) وكده : قصده .
(٤) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.
(٥) الحراقة: نوع من السفن.

إذا أوجع ـ فقال له بعضهم : انظر إلى زندقته ياأميرالمؤمنين ، يقول: حَسِّ ولا يقول: باسم الله ، فقال : ويلك ! أطعام هو فأُسَمِّى عليه ؟ فقال آخر : فهلا قلتَ : الحمد لله ؟ فقال : أَوَ نِعمةٌ هى فأحمد الله عليها ؟(فلما ضربه سبعين سوطا بان الموت فيه ، فأُلقى فى سفينة حتى مات)(ثم رُمِى به فى البَطِيحة ، فجاء بعض أهـله فحملوه إلى البصرة فدفن فيها .)

وقيل : إن يعقوب بن داود خاف أن يَقْدَم على المهدى فيمدحه فيعفو عنه ، فوجه إليه من استقبله فضربه بالسياط حتى قتله ثم ألقـاه فى البَطِيحة فى الخَرَّارة(١) .

وقيل : إن بشارا مدح يعقوب فلم يَحْفِل به ولم يعطه شيئا ، ومرّ يعقوب ببشار فصاح به :

* طال الثواء على رُسومِ المَنْزِلِ *

فقال يعقوب :

* فإذا أردتَ أبا مُعاذٍ فارْحَلِ *

فغضب بشار وهجاه بالبيتين :

* بنى أميّة هُبُّوا طال نومـكمُ *

فلما طالت أيام بشار على باب يعقوب دخل عليه فتفل عن يمينه وشماله وصفق بيديه على عادته عند الإنشاد وأنشد هذه الأبيات :

يعقوبُ قد وَرَدَ العُفاةُ عَشِيَّةً — متعرِّضين لِسَيْبكَ المُنْتَابِ(٢)
فسقيتهمْ وحَسِبْتَنى كَمُّونَـةً — نَبَتَتْ لزارِعها بغَـيرِ شَرابِ

---

(١) الخرارة : موضع بالبطيحة .

(٥) المنتاب: الذى يأتى مرة بعد أخرى .

مهلًا فديتك إننى ريحانـــة ... فاُشمُمْ بأنفك واسقِها بذِنابِ[1]

تُعطِى الغزيرةُ دَرَّها فإذا أَبتْ ... كانت ملامتُها على الحـــلَّابِ

يقول ليعقوب : أنت من المهدى بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التى إذا لم يُوصَل إلى دَرِّها فليس ذلك من قِبَلِها ، إنمـا هو من قِبَل الحالب منها ، وكذلك الخليفة ليس المنع من قبله لِسَعَةِ معروفه ، إنما هو من قبل الحالِب[2] ، قال : فلم يَعْطِف ذلك يعقوبَ عليه وحرمه ، فانصرف إلى البصره مُغضَبا ، فلما قدم المهدىُّ البصرة أعطى عطايا كثيرة ووصل الشعراء على يَدَىْ يعقوب ، فلم يُعْطِ بشارا شيئا من ذلك، فجاء بشار إلى حلقة يُونس النحوىّ فقال : هل ها هنا أحدٌ يُحْتَشم منه ؟ فقالوا : لا ، فأنشد هجاء المهدىِّ وجرى ما جرى .

وقيل : إنه لما ضُرِب بالسياط فى السفينة قال : ليت عَيْـنَىْ أبى الشَّمَقْمَق رأتنى حيث يقول :

إنّ بشـارَ بنَ بُرْد ... تَيْسٌ أعمَى فى سفينهْ

وقيل: إن المهدى أمر عبد الجبار صاحب الزنادقة فضرب بشاراً ، فمـا بقى فى البصرة شريف إلا بعث إليه بالفرش والـكُسوة والهدايا .

(ومات بالبَطِيحة . وكان قد ناهز تِسْعين سنة أوْ نيِّـفا وتسعين سنة[3] وكانت وفاته فى سنة ثمانٍ وستين ومائة)

---

(١) فى الأغانى : مهلا لديك فإنى ريحانة . هذا، والذناب جمع ذنوب وهى الدلو الملأى .

(٢) فى الأغانى : إنما هو من قبل السبب إليه .

(٣) فى الأغانى « وقد ناهز ستين سنة » ولم يذكر الجملة « أو نيفا وتسعين سنة» . وفى صفحة أخرى من الأغانى « وقد بلغ نيفا وسبعين سنة » هذا، وفى نسخة من الأغانى كما فى المختار معاهد التنصيص ص ١٣٧ طبع بولاق .

كان محمد بن عون يُتَّهم بمذهب بشار قال : لما مات بشار أُلقِيَتْ جُثَّته فى البَطِيحة فى الخَرَّارة ، فحمله الماء فأخرجه إلى دجْلة البصرة ، فأُخِذ فأُتِى به مَنزله ، فدفنه أهله[1] (وأخرجت جنازته فلم يتبعه أحد سوى أَمَةٍ سوداء له سِنْدِيّة عَجْماء ، رأيتها خلف جنازته تصيح : وَاشيداه واشيداه[2] . ماتفصح) قال : وكان مما ينشدنى:

سَتَرَى حَوْلَ سريرى ... حُسَّرًا يَلْطِمْن لَطْمَاَ

يا قتيــلًا قَتَلَتْــه ... عَبْدَةُ الحَوْراءُ ظُلْمَاَ

وكان يعشق جارية اسمها عبدة .

ولما مات ونُعِى لأهل البصرة تباشر عامتهم وهنّأ بعضُهم بعضا ، وحَمِدُوا الله عز وجل وتصدَّقوا ، لما كانوا بُلُوا به من بشار[3] .

وقال أبو هِشام الباهلىّ فى قتل بشار :

يا بُؤْسَ مَيْتٍ لم يبكِه أحدُ ... أَجلْ ولم يَفتقده مُفْتَقِــدُ

لا أمٌّ أولادِه بَــكَتْه ولم ... يَبْـكِ عليــه لفُرْقةٍ وَلَدُ

ولا ابنُ أُختٍ بكى ولا ابنُ أَخ ... ولا حَميمٌ رَقَّتْ له كَبِدُ

بل زعموا أن قَتْلَه فَرَحاً[4] ... لمـا أتاهُمْ نَعِيُّهُ سَجَدُوا

وقال أيضاً فى ذلك :

قد تَبِـع الأَعمَى قفَا عَجْرَدٍ ... فأَصبحا جارَيْنِ فى دَارِ

قالتْ بِقاعُ الأرضِ لا مَرْحَباً ... برُوحِ حَمَّـادٍ وبشَّــارِ

تَجاوَرَا بعــد تَنَائِيهما ... ما أبغضَ الجارَ إلى الجارِ

صارا جميعاً فى يَدَىْ مَالِكٍ ... فى النارِ والـكافرُ فى النـارِ

---

(١) فى الأغانى : فأخذه فأتى به أهله فدفنوه .

(٢) نطقها بالشين لعجمتها ويؤيده قوله: ما تفصح .

(٣) فى الأغانى : لما كانوا منوا به من لسانه .

(٤) فى الأغانى : أن أهله فرحا .

قال القاسم بن مَهْرُوَيه[1]: لما ضَرب المهدى بشارا بعث إلى منزله من يفتشه، وكان يُتَّهَمُ بالزندقة، فوجدوا فى منزله طُومَارًا[2] فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، إنى أردت أن أهجو آل سليمان بن علىٍّ لبخلهم، فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكت عنهم إجلالا له صلى الله عليه وسلم، على أننى كنت قلت فيهم:

دينارُ آلِ سليمان ودرهمهم[3] ... كالبابِلِيَّيْنِ حُفَّا بالعفاريتِ

لا يُبْصَران ولا يُرْجَى لِقاؤُهما ... كما سَمِعْتَ بها روتٍ ومَاروتِ

(فلما قرأها المهدى بكى وندم على قتله وقال: لا جَزى اللهُ يعقوبَ خيراً، فإنه لما هجاه لفَّق عندى شهودا على أنه زنديق فقتلته، وندمت حين لا يُغنى الندم[4])

(١) فى الأغانى: محمد بن القاسم بن مهرويه.

(٢) الطومار: الصحيفة.

(٣) من تحريف ت: دينار آل بنى سلمى وكذبتهم.

(٤) فى ت: لا ينفع الندم.

بصبص[1]

(جارية من مولدات المدينة، حلوة الوجه، حسنة الغناء، وكان يحيى بن نَفِيس[2] مولاها. صاحب قِيان يغشاه الأشراف، ويسمعون غناء جواريه، وكان المهدى اشتراها وهو ولى عهد بسبعة عشر ألف دينار، فولدت منه عُلَيَّة بنت المهدى) وقيل: إن أم عُلَيَّة كانت مكنونة جارية المروانية، وليست من آل مروان بن الحكم، وهى زوجة الحسن بن عبد الله بن العباس، أحسن جارية بالمدينة وجها (، وكانت رسحاء[3]، فكان بعض من يمازحها يعبث بها ويصيح: طشت طشت. وكانت حسنة الصدر والبطن، فاشتُريت للمهدى فى حياة أبيه بمائة ألف درهم، فغلبت عليه حتى كانت الخَيْزُران تقول: ما ملك أمة أغلظ علىَّ منها) واستتر أمرها على المنصور حتى مات وهى أم علية بنت المهدى.

ونَفِيس مولاها صاحب قصر نَفِيس الذى يقول فيه عمر بن أبى ربيعة:

شاقنى زائراتُ قَصْر نَفِيسٍ ... مُثقلاتِ الأعجاز قُبَّ البُطونِ
يتربَّعْنَهَ الربيــعَ وينزلْـ ... ـن إذا صِفْن منزل الماجشونِ

يتربعنه ينزلنه أيام الربيع.

والماجشون رجل من أهل المدينة روى عنه الحديث، والماجشون لقب لقبته به سُكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو اسم لون من الصبغ

---

(١) الأغانى: دار الكتب ١٥ / ٢٧ ودار الثقافة ١٥ / ٢٤ وبولاق ١٣ / ١١٤ والساسى ١٣ / ١١٠.

(٢) ضبط فى نهاية الأرب جـ٥ ص ٧٠ بفتح فكسر وكذلك فى معجم البلدان « نفيس » وفى مخطوط للأغانى ضبط بصيغة التصغير.

(٣) الرسحاء: القليلة لحم العجز ويراد أنها كثيره العرق.

أصفر تخالطه حمرة ، وكذلك كان لونه . ويقال: إنها مالقبت أحدا قط بلقب إلا لصق به ، لقبت هذا الماجشون فعرف به ونظرت إلى رجل من ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت فيه غلظة فقالت: هذا الرجل فى قريش كالشيرج فى الأدهان . فكان ذلك الرجل يسمى فلان شيرج حتى مات .

وكان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيها ، فيسمع منها ، ويأتيها فتيانُ قريش يسمعون منها ، فلما قدم المنصور مكة للحجّ وانصرف ومرّ على المدينة قال عبد الله بن مُصْعَب :

أراحــــلٌ أنت أبا جعفرٍ — من قبل أن تسمع مِنْ بَصْبصاَ
هيهـات أن تسمع منهـا إذا — جاوَزتِ العِيس بك الأَعْوَصا[1]
فخُذْ عليهـا مَجلسَيْ لـذَّةٍ — ومجلِساً من قبـل أن تَشخصا
أحلفُ بالله يميناً ومَن — يحلـف بالله فقـد أخلصا
لو أنهـا تدعـو إلى بَيْعةٍ — بايعتُها ثم شَقَقتُ العصا

فبلغ الشعرُ أبا جعفر ، فغضب ودعا به ثم قال : أمَا إنكم يا آل الزبير قديما ماقادتكم النساء ، وشققتم معهن العصا حتى صرت أنت آخر الحمق تبايع[2] المغنيات ، فدونكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم . ثم بلغ المنصورَ أن عبد الله بن مصعب اصطبح مع بصبص وهى تغنيه بشعره :

إذا تمـــزَّزْتُ صُراحِيَّةً — كَمِثْل ريح المسك أو أطيبُ[3]
ثم تغنَّى لى بأهزاجـه — زَيْدٌ أخـو الأنصار أو أشعبُ

(١) الأعوص: موضع ذكره ياقوت .
(٢) فى (ا) تتابع .
(٣) تمزر الشراب وتمززه : تمصصه وشربه قليلا وتذوقه شيئا بعد شيء والصراحية بدون تشديد الياء الخمر الخالصة ، وبتشديد الياء آنية للخمر .

حَسبتُ أنى ملك جـالسٌ حفّتْ به الأمـلاك والموكبُ
فمـا أُبالى وإلـهِ الورَى أشرّقَ العـالمُ أم غرَّبُوا

فقال أبو جعفر : لـكن العالم لا يسألون كيف أصبحت ولا كيف أمسيت . ثم (قال أبوجعفر: لـكن الذى يعجبنى أن يحدُو بى الحادى الليلةَ بشعر طَرِيفٍ العَنبرىّ، فهو ألذُّ فى سمعى من غناء بصبص وأحرى أن يختاره أولو العقل، ثم دعا فلاناً الحادِىَ، وكان إذا حدا وضعت الإبل رءوسها ، وانقادت انقيادا عجيبا ، فسأله ما بلغ من حسن حدائه ؟ فقال : تعطش الإبل خَمْسا ، وتُدْنَى من الماء ، ثم أحدو فتتبع كلها صوتى ولا تقرب الماء فحفَّظه الشعرَ وكان :

إنى وإن كان ابنُ عمّى كاشحاً لمُراجـم من دونه وورائه[1]
ومُمِدُّه نصرى وإن كان امرأً مُتزحزحا فى أرضـه وسمـائهِ
وأكون مأْوَى سِرِّه وأصونُه حتى يَحِقَّ عَـلَىَّ يومُ أدائهِ
وإذا أتى من غَيبه بطريفةٍ لم أطَّلِعْ ما ذا وراء خِبائـهِ
وإذا تَحَيَّفَتِ الحـوادثُ ماله قُرِنتْ صَحيحتُنا إلى جَربائـهِ
وإذا تريَّشَ فى غِنـاهُ وفَرْتُه وإذا تَصعلك كنت فى قُرنائهِ
وإذا غدا يوما ليركبَ مَرْكبا صَعْباً قعدتْ له على سِيسائه[2]

(فلما كان الليل حدا به الحادى بهذه الأبيات ، فقال : هذا والله أحثُّ على المروءة وأشبه بأهل الأدب من غِناء بصبص ، فحدا به ليلَه أجمع ، فلما أصبح قال : يا ربيعُ أعطه درهما . فقال : يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت بهشام بن عبد الملك ، فأمر لى بعشرين ألف درهم ، تأْمُر أنت لى بدرهم واحد؟ فقال: إنا لله، ذكرت مالم يجب ذكره ،

---

(١) مراجم : مناضل : وفى نسخ المختار : لمزاحم .
(٢) السيساء : الظهر .

وصفت أنَّ رجلا(١) ظالما أخذ مالاً من حِلّه ، وأنفقه فى غير حقه ، يا ربيع ، اشدُدْ يديك به حتى يردّ المال . قال : فبكى الحادى وقال : يا أمير المؤمنين ، قد مضت على هذا السنون وقُضيت به الديون، وتمزقته النفقات ، ولا والذى أكرمك بالخلافة ما بقى عندى منه شيء . فلم يزل أهله وخاصّته يسألونه حتى كفّ عنه، وشرط عليه أن يحدو به ذاهبا وراجعا ولا يأخذ منه شيئا)

(١) اجتمع ذات يوم عند بصبصَ جارية ابن نفيس عبدُ الله بن مصعب الزُّبيرى ومحمد ابن عيسى الجعفرى فى أشرافٍ من أهل المدينة ، فتذاكروا مزبدا المدينى(٢) صاحب النوادر وبخله . فقالت بصبص : أنا آخذ لكم منه درهما ، فقال لها مولاها أنت حرة ، لئن فعلت لأشترين لك مِخنقة(٣) بمائة دينار ، وإن لم أعمل لك ثوب وشى بما شئت . وأجعل لك مجلسا بالعقيق أنحر لك فيه بدنةً ، لم تَنقَبْ(٤) ولم تُركب . فقالت له : وارفع الغَيْرة إذا جئتَ به ؟ فقال : أنت حرة لو رفع رجليك لأعيننه على ذلك . قال عبد الله بن مصعب ، فصلّيت الغداة فى مسجد المدينة ، فإذا أنا بمزبد . فقلت : أبا إسحاق ، أما تحب أن ترى بَصْبَص؟ فقال: امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطا عليه فيها ، وإن لم يكن لى منذ سنة أسأله أن يرينيها فما فعل . فقلت له : اليوم إذا صليت صلاة العصر فوافِنى هنا . قال : امرأته طالق إن برحت هنا حتى يؤذن العصر . قال: فتصرّفت فى حوائجى حتى كانت العصر، فدخلت المسجد ، فأجده فيه ، فأخذت بيده فأتيتهم به ، فأكلوا وشربوا ، فتساكر القومُ وتناوَموا ، وأقبلت بصبص على مُزَبِّد

---

(١) فى الأغانى : وصفت رجلا .

(٢) اختلف فى ضبط مزبد فقيل : إنه بالباء المفتوحة المشددة وإنه بالباء المكسورة المشددة وروى أيضا بسكون الزاى وكسر الباء انظر تاج العروس مادة زبد وفوات الوفيات ترجمة .

(٣) المخنقة : القلادة .

(٤) نقب البعير: حفى ورقت أخفافه .

فقالت : يا أبا إسحاق ، كأنّى فى نفسك تشتهى أن أغنيك الساعة :

لقد حثّوا الجمال ليهـ ... رُبوا منا فلم يَئلوا[١]

فقال : زوجته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى اللوح المحفوظ . قال : فغنته ، ثم مكثت ساعة وقالت : يا أبا إسحاق ، كأنى فى نفسك تشتهى أن تقوم من مجلسك فتجلس إلى جنبى فتقرصنى قرصات وأغنيك :

قالت وأبْثثْتُها وجدى فبحتُ به ... قد كنتَ عندى تُحبُّ السّتْر فاستترِ

ألستَ تُبصر من حولى فقلت لها ... غَطّى هواكِ وما ألقى على بَصَرى

فقال : امرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام . فغنته ، ثم قالت : برح الخفاء[٢] ، أنا أعلم أنك تشتهى تقبلنى شَقَّ التِّين وأغنيك هزجا :

أنا أبصرت بالقلِّ[٣] ... غلاماً حسن الدّلِّ

كغصْنِ البانِ قد أصـ ... ـبح مَسقِيًّا من الطلِّ[٤]

فقال لها : أنت نبيّة مُرسلة ، ثم قبلها وغنتْه ، ثم قالت : يا أبا إسحاق : أرأيت أسقط من هؤلاء يدعونك ويخرجوننى إليك ولا يشترون ريحانا بدرهم يا أبا إسحاق هلمّ درهما نشترى به ريحانا ، فوثب وصاح واحَرَباه ، أَىْ زانيـة أخطأت استُك الحُفرة[٥] وانقطع والله عنك الوحى الذى كان يُوحَى إليك . وعطمط[٦] القوم بها ،

---

(١) لم يئلوا : لم ينجوا .

(٢) برح الخفاء : وضح الأمر وزالت خفيته .

(٣) فى الأغانى : أنا أبصرت بالليل . وفى (ت) إذا أبصرت .

(٤) فى ا : « ديانا من الطل » وكذلك بهامش ك .

(٥) يضرب مثلا لمن رام شيئا فلم ينله أو يضرب للرجل يتوخى الصواب فيجىء بالخطأ .

(٦) يقال لحكاية أصوات المجان عطعطة وهم يعطعطون إذا قالوا : عيط عيط . وذلك إذا غلب قوم قوما .

وعلموا أن حيلتها لم تنفذ عليه . ثم خرج فلم يعد إليها . وعاود القومُ مجلسهم ، وكان أكثر شغلهم فيه حديث مزبد والضحك منه)

كان محمد بن عيسى قد هوى بصبص جارية ابن نفيس ، وهام بها ، وطال ذلك عليه ، فقال لصديق له : لقد شغلتنى هذه عن صنعتى وأمرى وقد وجدت مَسَّ السُّلوِّ عنها ، فاذهبْ بنا إليها حتى أكاشفها ذلك وأستريح فأتياها فلما غنت لها قال لها محمد ابن عيسى : أتغنين :

وكنت أحبُّكم فسلوتُ عنكمْ عليكمْ من دياركمُ السلامُ

فقالت : لا ولكنى أُغنى :

تحمّلَ أهلُها عنها فبانوا على آثار من ذهب العَفَاء

قال: فاستحْيَي وزاد بها شغفا ولها عشقا ، فأطرق ساعة ثم قال لها : أَتغنّين :

وأخضع بالعُتْبَى إذا كنت مُذنبا وإن أذنبتُ كنت الذى أَتنصَّلُ

فقالت : وأغنى أحسن منه :

فإن تُقبلوا بالوُدِّ نُقْبِلْ بمثله ونُنزلكم منّا بأقربِ مَنزلِ

فتقاطعا فى بيتين ، وتواصلا فى بيتين ، ولم يشعر بهما أحد .

بُدَيح[1] المليح[2]

(هو مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب) روى الحديث عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه . فمما روى عنه قال : لما قدم يحي بن الحكم المدينة دخل عليه عبد الله ابن جعفر فى جماعة ، فقال له يحي : جئتنى بأوباشٍ من أوباش خَبيثة . فقال له عبد الله : سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طَيْبَة وتسميها أنت خبيثة ؟

(دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوّه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار ، قال : لست بصاحب هزل ، والجِدُّ مع عِلّتى أَحْجى بى ، قال : وماعِلَّتك ياأمير المؤمنين ؟ قال : هاج بى عِرْق النسا فى ليلتى هذه ، فبلغ منى ، قال : فإن مولاى بُدَيح أرقَى الخلق منه ، فوجه عبد الملك إليه فلما مضى الرسول أُسقِط فى يدى وقلت : كذبة قبيحة عند خليفة ، فما كان بأسرع من أن طلع بديح فقال له : كيف رقيتك للنَّسا ؟ قال : أرقى الخلق يا أمير المؤمنين ، فسُرِّى عن عبد الله ، لأن بديحا كان صاحب فكاهة يعرف بها ، فمدّ رجله فتفل عليها ورَقَاها مرارا . فقال عبد الملك : الله أكبر وجدت خَفًّا يا فلان ادعُ فلانة حتى تكتب هذه الرُّقْيَة ، فإنَّا لا نأمن هيجانه بالليل فلا ندعو[3] بديحا فلما جاءت الجارية قال بُديح : يا أمير المؤمنين امرأته طالق إن كتَبَتْها حتى يعجَل لى حِبائى . فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فلما صارت فى يديه قال : امرأته طالق إن كتبتها أو يصير المال إلى منزلى ، فأمر به يُحمل إلى منزله ،

---

(١) فى (ت) : بخّ وكذلك فى جميع النص أما ا ، ك ، الأغانى فهو كما أثبت .

(٢) الأغانى: دار الكتب ١٥/١٧٤ دار الثقافة ١٥/١٣٤ بولاق ١٤/٩ الساسى ١٤/٩

(٣) فى الأغانى : فلا ندعر .

فلما أحرزه قال : امرأته طالق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب :

ألَا إن ليـلى العامريّة أصبحت | على النأْىِ منى ذنب غيرى تَنقسم[(١)]
وما ذاك عن شىءٍ أكون اجترمْتُه | إليها فتجزينى بــه حيث أعلمُ
ولـكنّ إنساناً إذا ملّ صاحباً | وحـاول صرْماً لم يزل يتجَرَّمُ
وما زال بى ما يُحدِث النأْىُ والذى | أعالجُ حتى كدت بالعيش أَبْرَمُ
وما زال بى الـكتمانُ حتى كأننى | برجْعِ جواب السائلى عنكِ أَعْجمُ
لأسلم من قولِ الوشاة وتسلمى | سلِمْتِ وهل حىٌّ من الناس يَسلمُ
وما زلت أستصفى لك الودّ أبتغى | مُحاسنـــة حتى كأنىَ مُجرِمُ
فلا تصرِمينى حين مالى مَرجِعٌ | ورائى ولا لى عنـــكم مُتقدَّمُ

قال : ويلك ، ما تقول ؟ قال : امرأته طالق إن كان رقى إلّا بما قال من الشعر . قال : فاكتمها علىّ . قال : وكيف ذلك وقد سارت بها البُرُد إلى أخيك بمصر ! فضحك عبد الملك حتى فحص برجله .

وقيل : كان ابن جعفر أحب أن يُسمع عبدَ الملك غِناءَ بديح فدخل عليه يوما ، فشـكا عبدُ الملك رُكبتَه . فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن لى مولى كانت أمه برْبرية[(٢)] ، وكانت ترقى من هذه العِلّة ، وقد أخذ عنهـا . قال : فادع به ، فدُعِىَ بديح فجعل يتفل على ركبته ويهمهم . ثم قال : يا أمير المؤمنين قم جعلنى الله فداك ، قال : فقام عبد الملك لا يجد شيئا . فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، مولاك لابدّ له من صلة ، قال : حتى يكتب الرُّقْية ، ثم أمر جارية له فـكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم.

---

(١) فى ت : غير ذنبى تقسم . وفى ك : « غير ذنبى تنقم » وبهامشه تصحيح للرواية وأثبت ما فى الأغانى ونسخة (ا) .

(٢) فى (ت) : تربيه .

فقال : ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : كيف يكون ـ ويلك ـ رقية ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فهو ذلك . قال: فاكتبها على ما فيها ، فأملى عليها:

ديار سليمى بين عَيْقَةَ والمُهدِى[1] سُقِيتِ وإن لم تَنْطِقِى سَبَل الرَّعْدِ

فقال له ابن جعفر : لو سمعته منه ؟ قال : أو يجيده ، قال : نعم ، قال : هات . فما برح والله حتى أفرغها فى مسامعه .

(١) عيقة ذكرها ياقوت وقال فيها أيضا : عبقة . وأما المهدى فلم يذكرها .

بذل(1)

(جارية صفراء مولدة من مولدات المدينة ، وربيت بالبصرة ، حلوة الوجه ظريفة ، وهى إحدى المحسنات المتقدمات الموصوفات بكثرة الروايات ، لها كتاب أغانٍ يشتمل على اثنى عشر ألف صوت ، ويقال : إنها كانت تغنى ثلاثين ألف صوت ، وكانت أحسن الناس غناء فى دهرها ، أستاذة كل محسن ومحسنة) ابتاعها جعفر بن موسى الهادى فوُصِف لمحمدٍ الأمين حسنُها وغناؤها فبعث إلى جعفر يسأله أن يُزيره إياها ، فأبى ، فزاره محمد إلى منزله ، فسمع شيئا لم يسمع مثله قط ، فقال لجعفر : يا أخى بِعْنى هذه الجارية ، فقال له : يا سيدى مِثلى لا يبيع جارية . قال : فهبها لى . قال : هى مُدَبَّرة(2) . فاحتال عليه محمد حتى أسكره ، وأمر ببذل فحُملت معه فى الحَرَّاقة ، وانصرف بها ، فلما انتبه سأل عنها . فأُخبر بخبرها ، فسكت ، وبعث إليه محمد من الغد ، فجاء وبذل جالسة ، فلم يقل شيئا ، فلما أراد جعفر أن ينصرف قال محمد الأمين : أوقروا حَرَّاقة ابن عمّى دراهم ، فأوقرت ، فكان مبلغ ذلك عشرين ألف ألف درهم . وبقيت فى دار محمد إلى أن قتل . وخرجت . وكان أولاد جعفر وأولاد محمد يدَّعون وَلاءها ، ولما ماتت ورثها أولاد عبد الله بن محمد بن زبيدة . وكان محمد قد وهب لها جوهرا عظيما لم يملك أحد مثله فسَلِمَ لها . وكانت تُخرِج منه الشىء بعد الشىء فتبيعه بالمال العظيم ، فكان ذلك معتمدها مع ما يصل إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة ، فرغب إليها جماعة من وجوه القواد والكتاب والهاشميين فى التزويج ، فأبته وأقامت على حالها حتى ماتت .

---

(1) الأغانى : دار الثقافة ١٧/٣٢ . بولاق ١٥/١٤٤ الساسى ١٥/١٣٨ .

(2) المدبر من الرقيق الذى يقول له سيده : أنت حر بعد دبر منى: أى بعد وفاتى .

قال أبو حشيشة : كنت عند بذل فى أيام المأمون ، وهى فى طارمة[١] لهـا تتنشط ، فخرجت إلى الباب فرأيت الموكب ، فظننت أن الخليفة يمرّ على ذلك الموضع ، فرجعت إليها فقلت : يا سيدتى الخليفة يمرّ على بابك . فقالت : انظر أى شىء هذا ، فدخل بوّابها فقال : علىُّ بنُ هشام بالباب ، فقالت : وما أصنع به ؟ فقامت إليها جاريتها وشيك[٢] ، وكانت ترسلها إلى الخليفة وإلى غيره فى حوائجها ، فأكبّت على رجليها وقالت : اللهَ اللهَ ياسيدتى ، أتحتجبين عَلَى عَلِىّ بن هشام ؟ فدعت بمنديل فطرحته على رأسها ، وسلَّم فلم تقم إليه[٣] . فقال : إنى جئتك بأمر الخليفة وذلك أنه سألنى عنك فقلت له: لم أرها منذ أيام فقال : هى عليك غضْبى فبحياتى عليك لا تدخل منزلك حتى تدخل إليها فتسترضيها . فقالت : إن كنت جئت بأمر الخليفة فأنا أقوم ، فقامت وقبلت رأسه ويده وقعدساعة وانصرف . فساعة خرج قالت : ياوشيك . هاتى دواة وقرطاسا فجعلت تكتب فيه يومها وليلتها ، حتى كتبت رءوس اثنى عشر ألف صوت ثم كتبت إليه : يا على بن هشام ، تقول قد استغنيت عن بذل بأربعة آلاف صوت أخذتها منها ، وقد كتبت هذا وأنا ضجرة . فكيف لو فرّغت لك قلبى كلّه ؛ وختمت الكتاب وقالت : امضى به إليه ، فما كان بأسرع من أن جاء رسوله — خادم أسود يقال له: مخارق — بالجواب يقول فيه : يا سيدتى واللهِ ما قلتُ الذى بلغكِ ، ولقد كُذِب على عبدك[٤] ، إنما قلت : لا ينبغى أن يكون فى الدنيا غناء أكثر من أربعة آلاف صوت ، وقد بعثتِ إلىّ بديوان لا أُؤَدِّى شكرك عليه أبدا . وبعث إليها بعشرة آلاف درهم وتُخوت فيها قماش وطيب .

---

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

(٢) فى الأغانى : وشيكة وفى ت : ويشك وفى نهاية الأرب ج ٥ ص ٨٦ : وشيك .

(٣) فى ا : « فطرحته على رأسها ولم تقم إليه » وكذلك فى الأغانى.

(٤) فى الأغانى ونهاية الأرب ج ٥ ص ٨٧ : ولقد كذب على عندك .

(وكان على بن هشام يهواها ويكتم ذلك ، وكان إبراهيم بن المهدى يعظمها ثم تغير بعد ذلك استغناء بنفسه عنها[١] ، فصارت إليه فدعت بعود فغنت فى طريقة واحدة وانقطاع واحد وأصبع واحدة مائة صوت لم يعرف إبراهيم منها صوتا واحدا ، ووضعت العود وانصرفت ، ولم تدخل داره بعد ذلك حتى طال طلبه لها وتضرعه إليها فى رجوعها إليه)

غنتْ بذل بحضرة المأمون صوتا ، نخالفها إسحاق بن إبراهيم الموصلى فى نسبته، فأمسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات فى الثقيل الثانى وسألت إسحاق عن صانعها فلم يعرفه ، فقالت للمأمون : هى والله لأبيه أخذتها من فيه ، فإذا كان لا يعرف غناءَ أبيه فكيف يعرف غناء غيره ؟ فاشتد ذلك على إسحاق حتى ظهر عليه[٢] .

كان المأمون يوما قاعدا يشرب وبيده قدح فغنت بذل :

* ألَا لا أرى شيئا ألذّ من السَّحْقِ *

فوضع المأمون القدح من يده والتفت إليها وقال : بلى يا بذل ، النيك ألذّ من السحق فتشوَّرت[٣] وخافت غضبه[٤] ثم أخذ قدحه وقال: أتمى صوتك وزيدى فيه :

ألَا لا أرى شيئا ألذَّ من الوَعْدِ ... ومن أملى فيه وإن كان لا يُجْدِى
ومن غَفْلَةِ الواشى إذا ما أَتيتُها ... ومن زَوْرَتى أبياتَها خالياً وَحْدِى
ومن ضَجَّةٍ فى المُلْتَقى ثمَّ سَكْتةٍ ... وكلتاهما عندى ألـذُّ من الخُلْدِ

---

(١) فى ا : « استغناء عن نفسه عنها » وكذلك فى الأغانى .
(٢) فى الأغانى ونهاية الأرب : حتى رئى ذلك فيه .
(٣) تشورت : خجلت .
(٤) فى ت : وخافت غيظه .

بكر بن النطّاح الحنفى[1]

كنيته أبو وائل، وقيل : إنه عِجْلِىٌّ من بنى سعد بن عِجْل ، واحتجّ من جعله عجْليا بقوله :

فإن يـك جَـدُّ القوم فِهْر بن مالك ... فجدّىَ عِجْلٌ قَرْمُ بَكْرِ بن وائلِ

وأنكر ذلك من زعم[2] أنه حنفى ، وقالوا ، بل قال :

فإن يك جدّ القوم فهر بن مالك ... فجدّى لُجَيْمٌ قَرْم بكر بن وائلِ

وعِجْل بن لُجيم وحَنِيفة بن لُجيم أخوان .

وكان بكرٌ صُعلوكا يُصيب الطريق ، ثم أَقْصر عن ذلك ، فجعله أبو دُلَفَ من الُجند ، وجعل له رزقا سُلْطانيا ، وكان شجاعا بطلا فارسا شاعرا حسن الشعر والتصرف فيه ، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام، وكان بكر قد قال قصيدته التى يقول فيها :

هَنِيئاً لإخوانى ببغدادَ عِيدُهم ... وعِيدى بحُلْوانٍ قِرَاعُ الكتائبِ

وأنشدها أبا دلف ، فقال له : إنك لتكثر وصف نفسك بالشجاعة ، وما رأيت لذلك عندك أثراً قطّ . فقال: أيها الأمير ، وأى أثر أو غَنَاء يكون عند الرجل الحاسر الأعزل ؟ فقال : أعطوه فرسا وسيفا ودِرْعا ورُمْحاً ، فأعطوه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه ، فلقِىَ مالاً لأبى دلف يُحْمَل من ضِياعه فأخذه ، وخرج جماعة من غِلمانه فمانعوه ، فجرحهم جميعا فانهزموا ، وسار بالمال ، فلم ينزل

---

(١) الأغانى: دار الثقافة ١٩/٣٦ وانظر ص ٣٥ بولاق ١٧/١٥٣ . الساسى ١٧/١٥٣.

(٢) فى ت : من جعل .

إلّا على عشرين فرسخا ، فلما اتصل خبره بأبى دلف قال : نحن جنينا على أنفسنا وكنا أغنياء عن إهاجة أبى وائل . ثم كتب إليه بالأمان وسوّغه المالَ ، وكتب إليه : صر إلينا فلا ذنب لك ، نحن كنا سبب فعلك بتحريضنا لك وتحرِيكنا إياك . فرجع ، ولم يزل عنده يمتدحه حتى مات .

قال يَزيد بن مَزْيَدْ : سرت إلى الرشيد فى وقتٍ يَرتاب فيه البَرِىء ، فلما مَثَلْتُ بين يديه قال : يايزيد ، من الذى يقول :

ومن يَفتقِرْ منّا يَعِش بحُسامه ومن يفتقر من سائر الناس يَسْأَلِ

فقلت : لا والذى شرفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه ، قال : فمن الذى يقول :

فإن يك جَدّ القوم فهر بن مالك فجَدّ لُجيم قَرْم بكرِ بن وائلِ

فقلت : لا أعرفه والذى شرفك وأكرمك بالخلافة ، فقال : والذى شرفنى وأكرمنى إنك لتعرفه ، أتظن يايزيد أنى إذا أوطأتك بساطى وشرفتك بصنيعى أنى أحتملك على هذا ومثلِه ؟ أو تَظنُّ أنى لا أراعى أمورك ؟ أو تحسب أنه يَخْفَى علىَّ شىء منها ؟ والله إن عيونى عليك فى خلواتك ومَشاهدك ، هذا جِلْف من أجلاف ربيعة عدَا طَوْرَه وأَلْحَق قُرَيشا بربيعة ، فأْتِنى به ، فانصرفت ، وسألت عن قائل هذا الشعر فقيل لى : هو بكر بن النطاح ، وكان أحد أصحابى ، فدعوته وأعلمته ما كان من الرشيد ، وأمرت له بأَلْفى درهم ، وأسقطت اسمه من الديوان ، وأمرته ألا يظهر ما دام الرشيدُ حيًّا ، فما ظهر حتى مات الرشيد . فلما مات ألحقت اسمه وزِدْت فى عطائه .

كان بكر قد هَوِىَ جاريةً لبعض الحنفيين يقال لها: رَامِشْنة . فمما قال فيها :

أُكذّب طرفى عنك والطرف صادقٌ وأُسمِع أُذْنى عنك ماليس تَسْمَعُ
ولم أَسْكُن الأرضَ التى تسكنينها لكيلا يَقولوا صابرٌ ليس يجزع

فلا كبدى تبْلى ولا لكِ رحمةٌ(١)   ولا عَنْكِ لى صبر ولا فيك مَطمعُ
لقيتُ أُمورا فيك لم أَلْقَ مثلها(٢)   وأعظمُ منها فيك ما أتوقَّعُ
فلا تسأليني فى هَواكِ زيادةً   فأيسرُه يُجْزِى وأدناه يُقْنِعُ

قال أبو الحسين الراوية : قال لى المأمون : أَنْشِدْنى أشجعَ بيت وأعفّه وأكرمه من شعر المُحْدَثين، فأنشدته :

ومن يَفتقِرْ مِنَّا يَعِشْ بحسامه   ومن يفتقر من سائر الناس يسألِ
وإنَّا لنلهو بالسُّيوف كما لَهتْ   عَرُوسٌ بعِقْدٍ أو سِخَابِ قَرَنْفُلِ(٣)

فقال : ويحك ، مَن يقول هذا ؟ فقلت : بكر بن النطاح ، فقال : أحسن والله ، ولكنه كَذَب فى قوله ، ما باله يسأل أبا دلف ويمتدحه وينتجعه ؟ هلّا أكل خُبزه بسيفه كما قال ؟

كان أبو دُلف قد لحق أكراداً قطعُوا فى عمله ، وقد أردف فارسٌ منهم رفيقاً له خَلْفَه ، فطعنهما فأنْفَذَها ، فتحدث النـاس أنه أنفذَ بطعنة(٤) واحدة فارسين ، فلما قدم من وجهه أنشده بكر بن النطاح من أبيات :

لا تَعْجَبوا لو أنَّ طُولَ قَناتِه   مِيلٌ إذًا نَظَم الفوارِسَ مِيلًا

فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم ، فقال بكر فيه :

له راحةٌ لو أن مِعْشار جُودِها   على البَرِّ كان البَرُّ أَندى من البَحْرِ
ولو أن خَلْقَ الله فى جِسْم فارسٍ   وبارَزَه كان الخَلِىَّ من العُمْرِ
أبا دُلَفٍ بُورِكْتَ فى كلِّ بلدةٍ   كما بُورِكَتْ فى شهرها ليلةُ القَدْرِ

---

(١) فى ا : فلا كبدى تهدا .
(٢) فى ا : لم يلق مثلها .
(٣) السخاب : قلادة تتخذ من قرنفل .
(٤) فى الأغانى : نظم بطعنة .

كان مَعْقِل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطاح ، وكان بكر فاتكا لا يزال يُحْدِث حادثة فى عَمَل أبى دلف ويجنى جناية ، فيهَمُّ أبو دلف به فيقوم معقل دونه حتى يتخلّصه ، فمات معقل ، فقال بكر يرثيه :

وحَدَّثنى عن بعض من قال إنه … رأتْ عَيْنُه فيما تَرَى عينُ نائمِ
كأنَّ النَّدَى يَبْكِى على قَبْرِ مَعْقِلٍ … ولمْ يرَه يبكى على قبرِ حاتمِ
ولا قَبْرِ كَعْبٍ إذْ يَجودُ بنفْسِه … ولا قبرِ حِلْفِ الجود قَيْسِ بنِ عاصمِ
فأيقنتُ أن الله فَضَّلَ مَعْقِلًا … على كلِّ مذكورٍ بفضْلِ المكارمِ

وكان بكر بن النطاح بخيلا ، فدعا إليه عبَّاد بن المُمَزِّق يوما ، فقدَّم إليه خُبزا يابسا ، قليلا ، بلا أُدْم ، ورفعه من بين يديه قبل أن يشبع ، فقال عبّاد يهجوه :

مَنْ يشترى منى أبا وائلٍ … بَكْرَ بن نَطَّاحٍ بِفلْسَيْنِ
كأنما الآكلُ من خُبزِه … يأكُلُه من شَحْمَةِ العيْنِ

وكان عبَّاد هذا هَجَّاءً ملعوباً وهو القائل :

أنا المُمَزّق أعراض اللئام كما(١) … كان المُمَزّق أعراض اللئام أبى

كانت الشراة قد عاثوا بالجبل عَيْثاً شديدا ، وقتلوا الرجال والنساء والصبيان ، فخرج إليهم مالك بن علىّ الخزاعى وقد وردوا حُلْوان ، فقاتلهم قتالا شديدا ، فهزمهم عنها ، وما زال يتبعهم حتى بلغ بهم قَرْية يقال لها : حُدَّان ، فقاتلهم حتى حجز بينهم الليل ، وأصابت مالكا ضربةٌ على رأسه ، فأثبتته(٢) وعلم أنه ميت ، فأمر برده إلى

---

(١) فى اللسان مادة مزق : أن ابن الممزق يلقب المخزق وأنشد البيت : أنا المخزق أعراض .. وفى المؤتلف والمختلف ١٨٦ أنه يلقب المخرق وأنشد البيت : أنا المخرق أعراض .. هذا ، واللسان نقل عن الآمدى .

(٢) أثبتته جرحته جراحة لا يقوم معها .

حُلْوان ، فما بلغها حتى مات . فدفن على باب حُلْوان ، وبُنِيت على قبره قُبَّة على قارعة الطريق . وكان معه بكر بن النطاح يومئذ فأبلى بلاء حسنا . ورثاه بعدة قصائد منها قوله :

أىّ امرئ خضبَ الخوارج ثوْبَه ... بدمٍ عشيَّة راح من حُلْوانِ
يا حُفرةً ضمَّتْ محاسِنَ مالكٍ ... ما فيك من كَرَم ومن إحسانِ
لهفى على البَطَلِ المعرَّضِ خَدَّه ... وَجبينه لأسِنَّةِ الفرْسانِ
خَرقَ الكتيبة مُعْلِناً مُتَكَنِّياً[(١)] ... والمُرْهفاتُ عليه كالنيران
ذهبت بشاشةُ كلِّ شيءٍ بعدَه ... والأَرْضُ موحشةٌ بلا عُمْرانِ
هدَم الشُّرَاةُ غداةَ مَصْرَعِ مالكٍ ... شَرفَ العُلَا ومكارمَ البُنْيَانِ
قتلوا فتى العربِ التى كانت به ... تَقْوَى على الأَزَمات فى الأزمانِ[(٢)]
تركوه فى رَهجَ الغُبار كأنه ... أَسَدٌ يَصُول بساعدٍ وبنَانِ
هَوَتِ الجُدُودُ عن السُّعُود لفقْدِه ... وتمسَّكت بالنَّحْس والدبَرَانِ
لا يَبعدَنَّ أخو خُزَاعة إذْ ثوَى ... مُستشْهِدا فى طاعة الرحمنِ
عَزَّ الغُوَاةُ به وذَلَّتْ أُمَّةٌ ... مَحْبُوَّةٌ بحقائق الإيمانِ
وبكاه مُصحفُه وصَدْرُ قناته ... والمسلمونَ ودولةُ السُّلطانِ
وغَدَتْ تُعَقَّرُ خيلُه وتُقُسِّمَتْ ... أدراعُه وسوابغُ الأبدانِ
أفتحْمَدُ الدُّنيا وقد ذهبتْ بمَنْ ... كان المُجِيرَ لها من الحدثانِ

ومن قصائده فيه[(٣)] :

ارحَلْ بنا نقْرُبْ إلى مالك ... كيما نُحَيِّى قَبْرَه بالسلامْ

---

(١) فى الأغانى : معلما متنكبا .

(٢) فى الأغانى: تقوى على اللزبات ، هذا واللزبات : الشدائد . هذا، وبعده فى الأغانى بيت .

(٣) هذه القصيدة تتقدم السابقة فى الأغانى وتزيد أبياتا فى أولها .

كان لأَهْــلِ الأَرْضِ في كَفِّه غِـنًى عن البَحْرِ وصَوْبِ الغَمَامْ
وكان في الصُّبْح كشَمْس الضُّحَى وكان بالليل كَبَدْرِ التَّمَامْ
وسائلٍ يَعجب من موْته وقد رآه وهو صَعْبُ المَرَامْ
قلت له عهدى به مُعْلِمًــا يَضْرِبهم عند ارتفاع القَتَامْ
والحرْبُ من طاولها لم يَـكَدْ يُفْلِت من وَقْـع صقيلٍ حُسَامْ

بيهس (1)

هو بَيْهس بن صُهَيب بن عامر بن عبدالله بن باقل(2) بن مالك بن عُبَيْد بن عَلْقمة ابن سعد بن كثير بن غالب بن عَدِيّ بن بيهس(3) بن طَرُود بن قُدامة بن جَرْم بن رَبَّان(4) ابن حُلْوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة . كُنيته أبو المِقدام ، فارس شجاع شاعر من شعراء الدولة الأموية . وكان مع المهلَّب بن أَبي صُفْرة في حروب الأزارقة ، وله مواقف مشهورة وبلاء حسن . وكانت له زوجة اسمها صفراء ، وولدت له ولدا وطلقها فتزوجت رجلا من بني أسد وماتت عنده ورثاها .

قيل : وكان يهوى امرأة من قومه يقال لها صفراء بنت عبد الله بن عامر ، وهي بنت عمه دِنْية(5) وكان يتحدث إليها ويجلس في بيتها(6) ويكتم وجده بها ولا يظهره لأحد ولا يخطبها لأبيها ، لأنه كان صعلوكا لا مال له فكان ينتظر أن يُثرى . وكان من أحسن الشباب وجها وشارةً وحديثا وشعرا ، وكانت نساء الحيّ يتعرّضن له ويجلسن إليه ويتحدثن معه ، فمرّت به صفراء فوجدته جالسا مع واحدة منهن فهجرته زمانا ، لا تجيبه إذا دعاها ، ولا تخرج إليه إذا زارها ، وعرض له سفر فخرج إليه وعاد

---

(1) الأغاني : دار الكتب ١٢/٤٦ وانظر ص ٤٥ ودار الثقافة ١٢/٤٢ وانظر ص ٤١ وبولاق ١٠/١٦١ و ١٩/١٠٧ والساسي ١٠/١٥٢ و١٩/١٠٧ ويلاحظ أنه جاء ترجمة مختصرة في ١٢/٤٦ دار الكتب ودار الثقافة وجاء ترجمة أطول كما هنا في المختار في ج١٩/١٠٧ بولاق و١٩/١٠٧ الساسي والمجلد ٢٢ دار الثقافة .

(2) في الأغاني ١٢/٤٦ : نائل.

(3) في الأغاني ١٢/٤٦ دار الكتب: سميس وفي بولاق ١٠/١٦١ و١٩/١٠٧: بيهس.

(4) في المختار: « زمان » وانظر شرح القاموس وصحة ضبطه في مادة «ربن» .

(5) بنت عمه دنية : لاصقة النسب لحا .

(6) في ت : وكان يجلس إليها ويتحدث معها في بيتها .

وقد زوَّجها أبوها رجلا من بنى أسد ، فأخرجها وانتقل عن دارهم ، فجزع بيهس لذلك جزعا شديدا ، وقال :

سَقى دِمْنَةً صَفراءِ كانت تَحُلُّها ... نِجاءُ الثريَّا طَلُّهـا وذِهابهـا(١)

وصَابَ عليها كلُّ أسحمَ هاطلٍ ... ولا زال مُخضَرًّا مَريعـا جَنَابُها

أُحِبُّ ثَرَى أرضٍ تَحُلّ وإن نَأَتْ ... محلَّك منهـا نَبْتُها وتُرَابُهـا

على أنهـا غضبى علىّ وحبَّـذَا ... رِضاها إذا ما أُرْضِيت وعِتابُها

وقد هاج لى حُزنا فراقُك غدوةً ... وسَعْيُك فى خَشْناءَ تَعْـوى ذِئابُها

نظرتُ وقد زَالَ الحُمول ونَازَلُوا ... بِرَكْوَةَ والوادِى وخفَّت رِكابُها

فقلت لأصحابى أَبِالقُرْبِ منـكمُ ... جَرَى الطيرُ أم بالبَيْن نادى غُرابُها

ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجُها ، فقال بيهس يرثيها :

هلْ بالديارِ التى بالقاعِ من أَحَدٍ ... باقٍ فيسمعَ صَوْتَ المُدْلِجِ السَّارِى

تلك المنازلُ من صَفْرَاءَ ليس بها ... نارٌ تُضِىءُ ولا أصواتُ سُمَّارِ(٢)

طالَ الوقوفُ بها والعينُ يَسْبِقنى ... على الرِّداء بَوَادِى دَمْعِها الجارى

إن أصبح اليوم لا أهلى ذَوُو لَطَفٍ ... أَلْهُو لديهمْ ولا صَفراءُ فى الدارِ

أرعَى بعينَى نجومَ الليل مُرتقِباً ... يا طُولَ ذلك من لَيْـل وإِسْهارِ(٣)

فقد يكون لِىَ الأهلُ الـكِرام وقد ... أَلْهُو بصفراء ذات المَنْطِق الوارى(٤)

مِنَ المواجدِ أعراقاً إذا انتسبَتْ ... لا تُـكرم المال عن ضَيْفٍ ولا جَارِ

---

(١) النجاء : لعلها من نحى ينحى اللبن مخضه. وفى الأغانى: بنوء الثريا . والذهاب جمع الذهبة وهى المطرة الضعيفة أو الغزيرة .

(٢) بعده فى الأغانى بيتان .

(٣) فى الأغانى : من هم وإسهار .

(٤) فى الأغانى : ذات المنظر الوارى .

لم تَلْقَ بُؤْساً ولم يَضرُرْ بها عوَزٌ ... ولم ترَجَّفْ مع الصَّالِى إلى النارِ[1]
كذلك الدهرُ إنَّ الدَّهْرَ ذُو غِيَرٍ ... على الأنامِ وذو نَقْضٍ وإمرارِ
قد كادَ يعتادُنى من ذِكْرها جَزَعٌ ... لولا الحياءُ ولولا رهبةُ العارِ
سَقى الإلهُ قُبوراً فى بنى أَسَدٍ ... حَوْلَ الربيعةِ غَيْثا صَوْبَ مِدْرارِ
من الذى بعدكمْ أَرضَى به بَدَلًا ... ومن أُحدِّث حاجاتى وأسرارى

ثم إن بيهس اجتاز فى بلاد بنى أسد فمرَّ بقبر صفراء وهو فى موضع يقال له الأحصّ ، ومعه ركب من قومه ، وكانوا قد انتجعوا من بلاد بنى أسد فنزل بيهس على القبر ، فقال له أصحابه : ألَا ترحل ؟ فقال : أمَا واللهِ حتى أظلَّ نهارى كله عندها وأقضى وطرا ، فنزلوا معه عندها ، فأنشأ يقول :

ألِمَّا على قبرٍ لصفراءَ فاقرآ السـ ... ـلامَ وقُولا حيِّنَا أيها القبرُ[2]
عشيّةَ قال الرَّكْبُ من غَرَضٍ بنا[3] ... ترَوَّحْ أبا المِقدام قد جَنَح العَصْرُ
فقلت لهم يومٌ قليلٌ وليلةٌ ... لصفراءَ قد طال التجنُّبُ والهَجْرُ
وبتُّ وبات الناسُ حَوْلِىَ هُجَّدًا ... كأنَّ علىَّ الليلَ من طُولِه شَهْرُ
إذا قلت هذا حين أهجعُ ساعةً ... تَطاولَ بى ليلٌ كواكبُ زُهْرُ
أقول إذا ما الجنبُ ملَّ مكانَه ... أشَوْكًا تجافَى الجنبُ أم تحتِه جَمْرُ[4]
فلو أنَّ صخرًا من عمارةَ راسياً[5] ... يُقاسى الذى أَلْقَى لقد مَلَّه الصَّخْرُ

---

(١) ترجف أصلها تترجف ويقال: ترجف وارتجف: ارتعد. أو لعلها : ولم تزحف .
(٢) بعده فى الأغانى بيتان .
(٣) يقال : غرض منه : ضجر ومل .
(٤) فى الأغانى : أشوك يجافى الجنب .
(٥) فى الأغانى: من عماية راسيا .

وكان بيهس يَتَبَدَّى[١] بنواحى الشام مع قبائل جَرْم وكَلب وعُذرة ، ويَحْضُر إذا حَضَرُوا فيكون من أجناد الشام ، ولما هدأت الفتنة بعد مَرْج راهط وسكن الناس مرَّ غلام من قيس بطوائفِ جرمٍ وعُذرة وكلب ، وكانوا نزولا متجاورين على ماءٍ لهم ، فيقال : إن بعض شبانهم نخس ناقته فألقته فاندقت عنقُه فمات ، فاستعْدَى عليهم قومُه عبد الملك بنَ مروان ، فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوى الأخطار منهم ، وهرب بيهس ، وكان قد اتُّهِمَ أنه هو الذى نَخس ناقته ، فنزل على محمد بن مَرْوَان فعاذَ به واستجاره ، فأجاره إلَّا من حَدٍّ توجبه عليه شهادة ، فرضى بذلك ومَدَحه ، ولم يزل محمد به قائما وقاعدا فى أمره مع أخيه حتى أمِنَ بيهس وعَشيرتُه واحتمل دِيةَ المقتول لقيس وأرضاهم .

---

(١) يتبدى : يخرج إلى البادية .

يوم بُعاث[1]

كانت الأوس قد استغاثت[2] ببنى قريظة والنضير فى حروبهم التى كانت بينهم وبين الخزرج ، وبلغ ذلك الخزرجَ فبعثت إليهم : إن الأوس فيما بلغنا . قد استغاثت[2] بكم علينا ، ولن يُعجزنا أن نستعين بأعدادكم وأكبر منكم من العرب ، فإن ظفرنا بكم فذلك ما تكرهون وإن ظفرتم بنا لم نَنم عن الطلب أبدا ، فتصيرون إلى ما تكرهون ويشغلكم من شأننا ما أنتم اليوم منه خالون ، وأسلَمُ من ذلك لكم أن تَدَعونا وتُخلوا بيننا وبين إخواننا . فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق ، فأرسلوا إلى الخزرج : إنه قد كان الذى بلغكم ، والتمست الأوس نصرنا ، وما كنا لننصرهم عليكم أبدا . فقالت الخزرج : فإن كان ذلك كذلك فابعثوا إلينا برهائن تكون فى أيدينا . فبعثوا إليهم أربعين غلاما منهم ، ففرقتهم الخزرج فى دورهم[3] فمكثوا بذلك مدة .

ثم إن عمرو بن النعمان البياضىّ قال لقومه بياضة : إن عامرا أنزلكم منزل سوء بين سبخة ومفازة ، وإنه لا يمس رأسى غسلٌ حتى أنزلكم منازل بنى قريظة والنضير عل عِذاب الماء وكِرام النخل[4] . ثم أرسل إلى بنى قريظة والنضير : إما[5] أن تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها ، وإما أن نقتل رُهُنكم ، فهموا بأن يخرجوا من

(١) الأغانى : دار الثقافة ١٧/٦٨ ، بولاق ١٥/١٦١، الساسى ١٥/١٥٤ .

(٢) الأغانى : استعانت .

(٣) فى (ت): بيوتهم .

(٤) فى الأغانى : عذب الماء وكريم النخل .

(٥) فى الأغانى : ثم راسلهم إما . . .

ديارهم ، فقال لهم كعب بن أسد القُرَظِى : يا قوم . امنعوا دياركم وخلوه يقتل[١] الرُّهُن . فوالله ما هى إلا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأته حتى يولد له غلام مثل أحد الرهن ، فأجمعوا على ذلك[٢] ، فأرسلوا إلى عمرو بأنا لا نسلم لكم ديارنا ، فانظروا الذى عاهدتمونا عليه فى رهننا فَقُوا لنا به ، فعدا عمرو[٣] بن النعمان على رهنه هو ومن أطاعه من الخزرج فقتلوهم . وأتى[٤] عبد الله بن أُبَىّ وكان سيدا حليما وقال : هذا عقوق ومأثم وبَغْى ، ولست مُعينا عليه ، وكان عنده فى الرهن سليم[٥] بن أسد القُرظى جدّ محمد بن كعب القرظى ، فخلّى عنه ، وأطلق ناسٌ من الخزرج نفرا فلحقوا بأهليهم ، فناوشت الأوسُ الخزرَج يوم قتلت الرهن شيئا من قتال غير كبير .

واجتمعت قريظة والنضير إلى كعب بن أسد أخى بنى عمرو بن قُريظةَ ، ثم تَوَامروا أن يعينوا الأوس على الخزرج ، فبعث إلى الأوس بذلك وبما اجتمعوا عليه أن ينزل أهـــل كل بيت من البيت[٦] على أهل بيت من قريظة والنضير معهم فى دورهم ، وأرسلوا إلى النبيت يأمرونهم بإتيانهم ، وتعاهدوا على ألا يسلموهم أبدا ، وأن يقاتلوا معهم حتى لا يبقى منهم أحد ، فجاءتهم النبيت فنزلوا مع قريظة والنضير فى بيوتهم ، وأرسلوا إلى سائر الأوس فى الحرب والقيام معهم على الخزرج ، فأجابوهم إلى ذلك ، فاجتمع الملأ منهم ، واستحكم أمرهم ، وجدُّوا فى حربهم ، فدخلت فى حربهم معهم قبائل من أهل المدينة ، منهم بنو ثعلبة وهم غسان ، وبنو زعوراء

---

(١) فى (ت) : وخلوهم يقتلوا .

(٢) فى الأغانى : فاجتمع رأيهم على ذلك .

(٣) فى الأغانى : فقوموا لنا به فغدا .

(٤) فى الأغانى : وأبى .

(٥) فى الأغانى « سليمان » والصواب ما فى المختار، انظر ترجمته فى الإصابة .

(٦) فى الأغانى : من النبيت .

وهم من غسان ، فلما سمعت الخزرج بذلك اجتمعوا ثم خرجوا ، وفيهم عمرو بن النعمان البياضي وعمرو بن الجموح السُّلمى ، حتى جاءوا عبد الله بن أُبىّ وقالوا له : قد بلغك من أمر الأوس وأمر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا ، وإنا نرى أن نقاتلهم ، فإن هزمناهم لم يُحرز أحداً معقلُه ولا ملجؤه ، حتى لا يبقى منهم أحد، فلما فرغوا من مقالتهم قام عبدُ الله بن أبىّ خطيبا وقال : إن هذا بغىٌ منكم على قومكم وعقوق ، والله ما أحبّ أن رَجْلا[1] من جراد لقيناهم ، وقد بلغنى أنهم يقولون: هؤلاء قومنا منعونا الحياة ، أفيمنعوننَا الموت؟ والله إنى أرى قوماً لا يَنتهون أو يُهلِكوا عامّتكم ، وإنى لأخاف إن قاتلوكم أن يُنصَروا عليكم ، لبغيكم عليهم ، فقاتِلُوا قومَكم كما كنتم تقاتلونهم ، فإذا وَلَّوْا خلُّوا عنهم ، وإذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خَلَّوْا عنكم ، فقال له عمرو بن النعمان : انتفخ والله سَحْرُكَ يا أبا الحارث حين بلغك حِلْف الأَوس وقريظة والنضير ، فقال عبدُ الله : واللهِ لا حضرتُكم ولا أَحدٌ أطاعنى أبدا ، ولكأنى أنظر إليك قتيلا يحملك أربعة فى عباءة . وتابع عبدَ الله ابنَ أُبَىٍّ رجالٌ من الخزرج ، منهم عمرو بن الجموح الحرامى ، واجتمع ملأ من الخزرج على أن راسلوا عمرو بن النعمان البياضى وولَّوْه أمرهم[2] ، ولبث الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون للحرب ، ويجمع بعضهم لبعض ، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب، فأرسلت الخزرج إلى جُهينة وأَشجع، وكان الذى ذهب إلى أشجع ثابتُ بن قيس ابن شماس ، فأجابوه وأقبلوا إليهم ، وأقبلت إليهم جُهينة أيضا . وأرسلت الأوس إلى مُزَينة وأرسلت حُضَير الكتائب الأشهلىّ إلى أبى قيس بن الأسلت ، فأمره أن يجمع له أوس الله ، فجمعهم له أبو قيس ، فقام حُضَير الكتائب فاعتمد على قوسه وعليه

---

(١) الرجل من الجراد : القطعة العظيمة منه .

(٢) فى الأغانى : واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرا . . . أمر حربهم .

نَمِرَة(١) تَشِفّ عن عَوْرَتِه ، نحرّضهم وأمرهم بالجدّ فى حروبهم ، وذكر ما صنعت بهم الخزرج من إخراج النبيت وإذلال من تخلف بالمدينة من سائر الأوس ، فجعل كلما ذكر ما صنعت الخزرج وما ركبوه منهم يستشيط وَيَحْمَى وتَقَلَّصُ(٢) خصيتاه حتى تغيبا ، فإذا كلموه بما يُحِبّ رجعتا إلى حالهما ، فأجابته أوس الله إلى الذى يحب من النصرة والموازرة والجدّ فى الحرب .

ولما أجالوا الرأى فى قتلهم الخزرج إن ظفروا بهم ، قال حُضَير : يا معشر الأوس ، ما سُمّيتم الأوس إلا لأنكم تؤسون الأمور الواسعة ، ثم قال :

* يا قوم قد أصبحتمُ دَوَارَا *

* لمعشرٍ قد قتلوا الخيارا *

* يوشك أن تستأصلوا الدِّيارا *

ولما اجتمعوا بالجياة طرحوا بين أيديهم تمرا وجعلوا يأكلون وحضير الكتائب جالس عليه بُردة له ، وقد اشتمل بها الصَّمّاء(٣) لا يأكل معهم ولا يدنو من التمر غضبا وحنقا ، فقال : يا قوم اعقدوا لأبى قيس بن الأسلت ، فقال لهم أبو قيس : لا أقبل ذلك ، فإنى لم أرأس على قوم فى حرب قط إلا هربوا(٤) وجعلوا ينظرون إلى حضير واعتزاله وأكلهم ، واشتغالهم بما فيه(٥) ، من أمر الحرب ، وقد بدت خُصيتاه من تحت البردة ، فإذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل تقلّصتا غيظا وغضبا ، وإذا رأى منهم ما يحب من الجد والتشمير فى الحرب عادتا . وأجابت إلى ذلك أوسُ مَناة وجَدُّوا

(١) النمرة : شملة أو بردة من صوف فيها خطوط بيض وسود .

(٢) تقلص : ترتفع إلى أعلى أو تنقبض

(٣) اشتمل الصماء : لفها حوله لفا محكما .

(٤) فى الأغانى : إلا هزموا .

(٥) فى الأغانى : واعتزاله أكلهم واشتغاله بما هم فيه .

فى الموازرة والمظاهرة ، وقَدِمَتْ مزينة على الأوس ، فانطلق حُضير وأبو عامر الراهب ابن صَيْفِىّ إلى أبى قيس بن الأسلت فقالا : قد جاءتنا مُزَينة ، واجتمع إلينا من أهل يثرب مالا قِبَل للخزرج به ، فما الرأى إن نحن ظَهَرْنا عليهم ، الإنجاز أم البَقِيَّة ؟ فقال أبو قيس بن الأسلت : بل البقيَّة. فقال أبو عامر: والله لوددْت أن مكانهم ثعلبا صَيَّاحا[1] ، فقال أبو قيس : اقتلوهم حتى يقولوا نزا نزا[2] . كلمة كانوا يقولونها إذا غُلبوا ، فتشاجروا فى ذلك ، وأقسم حضير ألا يشرب الخمر أو يظهر وَيهدم مُزاحما أُطُمَ عبد الله بن أُبىّ ، فمكثوا شهرين يُعِدُّون ويستعدون ، ثم التقوا ببُعاث، وتخلّف عن الأوس بنو حارثة ، فبعثوا إلى الخزرج : إنا والله ما نريد قتالكم ، فبعثوا إليهم : أن ابعثوا لنا برهن منكم يكون فى أيدينا ، فبعثوا إليهم اثنى عشر رجلا ، منهم خَدِيج[3] . وبعاث من أموال بنى قريظة ، فيها مزرعة يقال لها قَوْرَا . فلذلك يدعى بُعاث الخزرج . وحشد الحيّان ، فلم يتخلف منهم إلا من لا ذِكْر له ولم يكن حشدوا قبل ذلك اليوم ، فلما رأت الأوسُ الخزرجَ أعظموهم وقالوا لحضير : يا أبا أسد[4] لو حاجزت القومَ وبعثت إلى من تخلّف من حلفائك من مُزينة . فطرح قوسا كانت فى يده ثم قال أنتظر[5] مزينة . وقد نظر إلىَّ القوم ونظرت إليهم ؟ الموت قبل ذلك ، ثم حمل وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت الأوس حين وجدوا مسَّ السلاح ، وولَّوْا مُصْعِدِين فى حرَّة قوْرَا نحو العُرَيض[6] ، وذلك فى وجه طريق نجد ،

---

(١) فى الأغانى : ضباحا .

(٢) فى الأغانى : بزا بزا .

(٣) هو أبو رافع بن خديج كما فى الأغانى .

(٤) فى الأغانى : يا أبا أسيد .

(٥) فى المختار : «انتظروا» واعتمدت ما فى الأغانى.

(٦) العريض : واد بالمدينة .

وصاحت بهم الخزرج : أين الفرار ؟ وعيّروهم، فنزل حُضير وطعن بسنانِ رمحِه فخذَه، وصاح : واعقراه ، والله لا أرِيم(١) حتى أقتل، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تُسلمونى فافعلوا . فعطفت عليه الأوس ، وقام على رأسه غلامان من بنى عبد الأشهل يقال لهما محمود ولبيد ابنا خليفة بن ثعلبة ، وهما يومئذ ذوا بطش ، فجعلا يرتجزان :

* أىَّ غُـلامَىْ مالكٍ ترَانا *

* فى الحرب إذ دَارتْ بنا رحانا *

* وعدَّد الناسُ لنـا ما كانا *

فقاتلا حتى قُتلا وأقْبل سهم فأصاب عمَرو بن النعمان رأسَ الخزرج ، فقتله ، لا يُدْرى من رَمى به ، إلا أن بنى قُرَيظة تزعم أنه سهم رجل يقال له أبو لُبَابة ، فبينا عبد الله بن أُبىّ يتردَّد على بغلة له قريبا من بُعاث يتجَسَّس أخبار القوم إذ طُلِع عليه بعمرو بن النعمان ميتا فى عباءة يحمله أربعة إلى داره ، فلما رآه عبد الله بن أُبىّ قال : من هذا ؟ قالوا: عمرو بن النعمان ، قال: ذُقْ وَبَالَ العقوق.

وانهزمت الخزرج ووضعت فيهم الأوس السلاحَ ، فصاح صائح : يا معشر الأوس أَسْجِحوا(٢) ولا تهلـكوا إخوانـكم فجوارهم. خير من جوار الثعالب فتناهت الأوس وكفّت عن سلبهم بعد إثخان فيهم وسلبتهم قُريظة والنضير وحملت الأوس حُضَيرا من الجراح التى به ، وهم يرتجزون حوله ويقولون :

كتيبـةٌ زَيَّنهـا مولاها لا كَهْلُهـا هِـدٌّ ولا فتاهـا(٣)

وجعلت الأوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها ، فخرج سعد بن مُعاذ الأشهلى

---

(١) لا أريم : لا أزول ولا أبارح مكانى .

(٢) أسجح : أحسن العفو .

(٣) الهد : الجبان الضعيف، وقيل فيه أيضا بفتح الهاء.

حتى وقف على بنى سَلِمَة وأجارهم وأموالهم جزاء لهم بيوم الرَّعَل ، وكان للخزرج على الأوس يوم مُعَلِّس ومُضَرِّس ، وكان سعد بن معاذ حُمل يومئذ جريحا إلى عمرو ابن الجموح الحرامى فمنَّ عليه وأجاره وآخاه يوم الرَّعَل ـ وهو [على] الأوس ـ من الحرق والقطع ، فكافأه سعد بمثل ذلك فى يوم بُعاث ، واجتمعت الأوس على أن تهدم مزاحما أُطُمَ عبد الله بن أبىّ ، وحلف حضير ليهدمنّه ، فكلّمه فيه ، فأمرهم أن يُؤَثّروا فيه ، فحفروا فيه كوة ، وخرج حضير وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا قيس ابن الأسلت بعد الهزيمة ، فقال حضير : يا أبا قيس ، إن رأيت أن نأتى الخزرج قصرا قصرا ودارا دارا نهدم ونحرق[١] حتى لا يبقى منهم أحد ، فقال أبو قيس : والله لا نفعل ذلك ، فغضب حضير وقال : ما سميتم الأوس إلا لأنكم تؤوسون الأمر أوسا ، ولو ظفرت الخزرج بنا[٢] ما أقالوناها ثم انصرف إلى الأوس فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم ، وكان حضير يومئذ جُرح جراحة شديدة ، فذهب به طلبة[٣] بن صيفى ابن عبد الأشهل إلى منزله فى بنى أمية بن زيد ، فلبث أياما ثم مات من جراحته ، وقبره هناك فى بنى أمية بن زيد .

وكان يهودى أعمى من بنى قريظة فى أطم من آطامهم ، فقال لابنه : أشرِفْ[٤] على الأطم فانظر ما فعل القوم ، فأشرف فقال : أسمع الصوت قد ارتفع من قَوْرًا ، وأسمع قائلا يقول : اضربوا يا آل الخزرج ، فقال : الدولة إذًا على الأوس ، لا خير فى البقاء بعدهم ، ثم قال : ماذا تسمع ؟ قال: أسمع رجالا يقولون : يا آل الأوس ، ورجالا يقولون : يا آل الخزرج ، فقال: الآن عمّ القتال[٥] ، ثم لبث ساعة وقال :

---

(١) فى الأغانى : نقتل ونهدم :
(٢) فى الأغانى : بمثلها .
(٣) فى الأغانى : كليب .
(٤) فى الأغانى: فقال لابنه أشرف ..
(٥) فى الأغانى : حمى القتال .

ماذا تسمع ؟ فقال : أسمع قوما يقولون :

نحن بنو صخرة أصحاب الرَّعَلْ

فقال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت والله الأوس ـ وصَخرة أمهم بنت مُرَّة ابن ظَفَر ، من بنى عبد الأشهل ـ ثم وثب فرحا نحو باب الأطم فضرب رأسه بحاف[١] بابه ، وكان من الحجارة ، فسقط فمات .

وكان أبو عامر قد حلف ليَرْكُزَنَّ رمحه فى أصل مُزاحم أُطُم عبد الله بن أبىّ فخرجت جماعة من الأوس حتى أحاطوا به وكانت تحت أبى عامر جميلة بنت عبد الله ابن أبىّ ، وهى أمُّ حَنْظلة الغَسِيل بن أبى عامر ، فأشرف عليهم عبد الله بن أبىّ فقال : إنى والله ما رضيت بهذا الأمر ولا كان عن رأيى وقد عرفتم كراهتى له ، فقال أبو عامر : لا والله لا أنصرف حتى أَركز لوائى فى أصل أُطُمك ، فلما رأى حنظلة أنه لا ينصرف قال لهم :

إن أبى شديد الوَجْدِ بى ، فأشرِفوا بى عليه ثم قولوا له : والله إن لم تنصرف عنّا لنرمينّ برأسه إليك . فقالوا له ذلك ، فركز رمحه فى أصل الأطم ، ليمينه ، ثم انصرف عنهم ، وذلك قول قيس بن الخَطِيم :

صَبَحْنَا بهـا الآطام حَول مُزاحِمٍ قَوَانسُ أُولَى بَيضِها كالكواكب[٢]

وقال خُفاف بن نَدبة يرثى حُضير الكتائب[٣] :

أتانى حـديث فـكذَّبْتُه وقيـل خليلُك فى المَرْمَسِ
فيا عَيْنُ بـكِّى حُضَير النَّدَى حُضَيْرَ الكتائبِ والمَجلسِ[٤]

---

(١) فى الأغانى : « بخاق بابه » وشرح فى مخطوط منه بأنه عضادة الباب .

(٢) القوانس : جمع القونس وهى أعلى بيضة الحديد أو مقدمها . وفى ديوانه ص ١٣ أولى بيضنا .

(٣) فى الأغانى شعر قبل هذا مع خبر ، وشعر لخفاف أيضا قبل هذا الشعر الآتى .

(٤) بعده فى الأغانى ثلاثة أبيات .

بَكْر بن خارجة[1]

رجل من أهل الكوفة مولى لبنى أسد كان ورّاقا ضَيِّق العيش مُقَصِّرا ، يكتسب بالوِراقة ، ويصرف أكثر ما يكتسبه إلى النبيذ ، وكان معاقرا للشراب فى منازل الخمّارين وحاناتهم ، طيّب الشِّعر مليحا مطبوعا ، خليعا ماجنا ، يبكّر كلّ يوم بشىء من خمر إلى خراب من خرابات الحِيرة ، فلا يزال يشرب فيها على صوت هُدهد يأوِى إلى ذلك الخراب إلى أن يسكر ثم ينصرف ، وكان يتعشق ذلك الهدهد ، وكان يعشق أيضا غلاما نصرانيا يقال له عيسى بن البراد[2] العِبادِىّ الصّيرفى . وله فيه قصيدة مزدوجة يذكر فيها النصارى وشرائعهم وأعيادهم وأسماء دياراتهم . ومن شعره فيه :

وشادِنٍ قلبى به مَعمودُ ... شيمَتُه الهِجْرانُ والصُّدودُ
زُنَّارُه فى خَصْرِه مَعْقودُ ... لأنه من كَبِدى مَقدودُ

كان دعبل يقول : ما حسدت أحداً قط كما حسدت بَكْرا على هذين البيتين .

حرّم بعضُ الأمراء بالكوفة الخمر وبيعها على خمّارى الكوفة ، وركب فكسر نبيذهم ، فجاء بكر بن خارجة ليشرب عندهم على عادته ، فرأى الخمر مصبوبة فى الرِّحاب والطرق ، فبكى طويلا ثم أنشأ يقول :

يا لَقومى لِما جنى السُّلطانُ ... لا يكونَنْ لما أهانَ الهَوانُ
صَبَّهَا فى التراب من حَلَب الكَرْ ... م عُقاراً كأنها الزعفرانُ
صَبَّها فى مكان سوء لقد صا ... دف سَعْدَ السعود ذاك المكانُ

---

(١) الأغانى : دار الثقافة المجلد ٢٣ بولاق ٢٠/٨٧ الساسى ٢٠/٨٧ .

(٢) فى ا ، ك : « اليسر » وأثبت ما فى ت والأغانى .

من كُمَيْتٍ يُبْدِي المِزاجُ لهــا لُؤْ   لُؤَ نَظْمٍ والفَصْــلُ منها الُجمانُ
فإذا ما اصطبحْتها صَغُرَتْ فى ال   قدر عنــدى من أجلها الخَيْزُرَانُ
كيف صَبْرِى عن بعض نفسى وهل يَصْ   بر عن بعض نفســه الإنسانُ

لما سمع الجاحظ هذه الأبيات قال : إن من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائما ، وما أقدر على ذلك إلّا أن تعْمِدَنى ، وكان قد نُقْرِس فأعمده بعض أصحابه ، وقام فكتبها قائما .

وكان بكر يمدح ويهجو بالدرهم الواحد والدرهمين ونحو هذا ، وكان عقله قد فسد بالنبيذ فى آخر عمره ، حدَّث عنه مَنْ حضره فى دعوة ليحيى بن أبى يوسف القاضى ، وقد بات جماعة عنده قال : ما أنبهنى إلا صياحُ بكر يستغيث من العطش ، فقلت : مالَك ويلك ؟ قم فاشرب ، فالدار مملوءة ماءً ، فقال: أخاف ، فقلت له : من أى شىء ؟ قال : فى الدار كلب كبير فأخاف أن يظننى غزالا فيثب عَلَىَّ فيقطعنى فيأكلنى ، فقلت له : اعزب خرب الله بيتك ، أنت بالخنازير أشبه منك بالغزلان ، قم فاشرب إن كنت عطشان فأنت آمِنٌ .

حرف التاء

توبة بن الحُمَيِّر (1)

هو تَوْبة بن الحُمَيِّر بن حَزْم بن كَعْب بن خَفاجة بن عَمرو بن عُقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة . كان يهوى ليلى الأخيلية ، وقد ذكرنا ذلك مُستوفًى فى أخبار لَيلى ، ونذكر هنا ما يتعلق به هو . كان سبب مقتله أنه كان بينه وبين بنى عوف بن عامر(2) بن عوف بن عُقَيل لِحَاءٌ(3) ، ثم إن توبة شهد بنى خَفاجة وبنى عوف وهم يختصمون عند همَّام بن مُطْرِف العُقيلى فى بعض أمورهم ، ومروان ابن الحكم إذ ذاك أمير على المدينة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، فاستعمله على صدقات بنى عامر ، فوثب ثَوْرُ بن أبى سِمْعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عُقيل على توبةَ بنِ الحُمَيِّر فضربه ، وعلى تَوْبَة الدِّرْعُ والبَيْضَة . فجرح أنفُ البيضةِ وَجْه تَوبة ، فأمر همامٌ بثَوْرِ بن أبى سِمْعان فأُقْعِدَ بين يدى توبة ، وقال : خُذ بحقّك ياتوبة ، فقال له توبة : ما كان هذا إلّا عن أمرك ، وما كان يجترئ علىَّ عند غيرك ، وكانت أمّ همام طوبانة(4) بنت حزن بن عامر بن عوف بن عُقَيل ، واتهمه توبة بذلك ، فانصرف ولم يَقتصَّ منه ، فمكثوا غير كثير ، ثم إن توبة بلغه أن ثَوْر بن أبى سِمْعان

---

(1) الأغانى : دار الكتب 11/204 وانظر ص203 ودار الثقافة 11/194 وانظر ص193 وبولاق 10/67 والساسى 10/63 والتجريد 1288 .

(2) فى الأغانى : وبين بنى عامر .

(3) اللحاء : النزاع .

(4) فى الأغانى : صعوبانة بنت جون .

خرج فى نفر من قومه(١) إلى ماء من مياه قومه يُقال له هوفا(٢) يريدون ماء لهم يقال له جُرَيْر(٣) بِتَثْلِيث وبينهما فلاة ، فأتبعه توبة فى ناس من أصحابه ، وسأل عنه وبحث حتى ذُكر له أنه عند رجل من بنى عامر بن عُقيل يقال له سَارِية بن عُوَيم(٤) ابن أبى عدى ، وكان صديقاً لتوبة ، فقال توبة : لا نَطْرُقهم عند سارية الليلةَ حتى يخرجوا عنه ، فأرادوا أن يخرجوا حين يُصْبحون ، فقال لهم سارية : ادَّرِعوا الليلَ فإنى لا آمنُ توبةَ عليكم الليلةَ ؛ فإنه لا ينام عن طلبكم ، فلما تعشَّوْا ادَّرعوا الليلَ فى الفلاة ، وأَقْعَد له توبةُ رَجُلين فغفَل صاحباه ، فلما ذهب الليل فزِع توبةُ وقال : اغتررتُ إلى رجلين ما صَنَعا شيئا ، وإنى لأعلم أنهم لم يُصْبِحوا بهذه البلاد ، فاقتصَّ آثارهم فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا ، فبعث إلى صاحبيه فأتياه ، فقال : دونكما هذا الجَمَل فأَوْقِرا مزادتيه من الماء ، ثم اتبعا أثره ، فإن خَفِى عليكما أن تُدْرِكانى فإنى سأُوقد(٥) لكما إن أمسيتما دونى ، وخرج توبة مسرعا فى أثر القوم ، حتى إذا انتصف النهار جاوز عَلَما يقال له أُفَيح فى الغائط ، فقال لأصحابه : هل تَرَوْن من سَمُرات إلى جنب قُرون بَقَر ؟ — وقرون بقر ظلّ سَمُرٍ(٧) كان هنالك — فإن ذلك مَقِيلٌ لم يتجاوزه القوم ، وليس لهم وراءه ظِلّ ، فنظروا فقال قائل : أرى رجلا يقود بَعيراً كأنه يقوده لِصَيْد . قال توبة : ذلك

(١) فى الأغانى : من رهطه .
(٢) فى الأغانى قوباء .
(٣) فى الأغانى : يريدون ماء لهم بموضع يقال له جرير .
(٤) فى الأغانى : عمير .
(٥) فى الأغانى : سأنور .
(٦) ضبطه بالتصغير وغير مصغر .
(٧) فى الأغانى : وقرون بقر مكان هنالك .

ابنُ الحَبْتَرِيَّة. قال: وبنو الحبترية[١] ناس من مذحج، فركض عبد الله ابن أخى توبة فرسه نحوه، فرماه ابنُ الحبترِيَّة فعقر فرسَه، واحتكَّ[٢] السهمُ ساقَ عبد الله وانحازَ الرجل إلى أصحابه فأنذرهم، فجمعوا رِكابهم وكانت متفرقة، فغشيهم توبة ومن معه، فلما رأوا ذلك صَفُّوا رِحالهم وجعلوا السَّمُرات فى نُحورهم، وأخذوا سِلاحهم ودَرَقهم، وزحف إليهم توبة فارتمى القومُ لا يغنى أحدُهم شيئا فى أحد. وكان توبة يُتَرِّس له أخوه عبد الله[٣] فقال: يا أخى لا تُتَرِّس لى فإنى رأيتُ ثَوْراً كثيرا ما يرفع الترس، عسى أن أوافق منه عند رَفْعِه مَرْمى فأرميه، ففعل فرماه توبة على حلمة ثديه فصرعه. وجال القومُ فغشيهم توبة وأصحابه فوضعوا فيهم السِّلاح فصرعوهم وهم سبعةُ نَفَرٍ، ثم إن ثورا قال: انْزَعُوا هذا السهم عنى. فقال له توبة: ما وضعناه لننزعه، وقال أصحاب توبة انجُ بنا نأخذ آثارنا ونَلْحَق رَاوِيتَنَا فقد أخذنا ثأرنا من هؤلاء وقد متنا عَطشاً. فقال توبة: وكيف بهؤلاء القوم الذين لا يَمْتَنِعون؟ قالوا: أبعدهم الله، قال توبة: ما أنا بفاعل وماهم إلا عشيرتكم ولكن تجىء الراوية فأضع لهم ماء وأغسل دماءهم عنهم، وأُخَيِّل عليهم من السِّبَاع والطير لا تأكلهم حتى أُوذِنَ قومَهم بِعَمْق بهم[٤]. فأقام توبة حتى أتته الراوية قبل الليل، فسقاهم وغسل عنهم الدم، وجعل لهم فى أساقيهم ماء، ثم جَلَّلهم[٥] بالثياب على الشجر، ومضى حتى

---

(١) جعلها محققو الأغانى دار الكتب: وبنو الحبتر ونسبوا ذلك لمختار الأغانى مع أن نسختيه الوثيقتين ا، ك فيهما: وبنو الحبترية.

(٢) فى الأغانى: واختل.

(٣) فى الأغانى: ثم إن توبة وكان يترس له أخوه عبد الله. وفى المختار وكان توبة يترس لأخيه عبد الله.

(٤) فى الأغانى: كماهنا. وعمق موضع. وذكر محققو الأغانى أن المختار فيه: «قومهم يغمونهم» وليس كذلك فى ا، ك.

(٥) كذا فى أصول المختار. وفى الأغانى: ثم خيل لهم.

طرق من الليل سارية بن أبى عُوَيْم بن أبى عدىّ العُقيلىّ فقال : إنا قد تركنا رهطا من قومكم بسَمُرات من قُرون بَقَر ، فأدركوهم فمن كان حيًّا فداوُوه ومن كان ميتا فأجِنُّوه[١] ثم انصرف فلحق بقومه ، وأصبح ساريةُ فاحتمل القوم ، ومات ثور ولم يمت غيره ، فلم يزل توبة خائفا .

وكان السُّلَيك[٢] بن ثور المقتول راميا كثير البَغْى والشرّ ، فأُخبِر بِغِرَّة من توبة ، وهو بقُبَّة من قباب الشَّرَف يقال لهـا قبة بنى الُحمَيّر[٣] فركب فى ثلاثين فارسا حتى طَرَقه ، فرَقِى توبةُ ورجل من إخوته الجبل[٤] وأحاطوا بالبيوت ، فقال لهم وهو فى الجبـل[٥] : ها أنذا من تبغون فاجتنِبُوا البيوت ، فقالوا : إنـكم لن تستطيعوه وهـو فى الجبل ، ولـكن خذوا ما استنظف[٦] لـكم من ماله فأخذوا أفراسا له ولإخوته وانصرفوا ، ثم إن توبة غزاهم فمر على أفلت بن جَون[٧] بن معاوية ابن خَفاجة ببطْنِ بِيَشة فقال : يا توبة أين تريد ؟ قال : أريد الصِّبيان من بنى عَوْف ابن عُقَيل ، قال : لا تفعل ، فإن القوم قاتلوك ، فمهلًا . قال : لا أُقلع عنهم ما عشت . ثم ضرب بَطْنَ فرسه فاستمرَّ به يُحْضِر[٨] وهو يرتجز ويقول :

تَنجو إذا قيــل لهـا يعاطِ ... تَنجو ولو من خَلَل الأَمشاطِ[٩]

---

(١) جن الميت وأجنه: ستره . وفى الأغانى: فادفنوه .

(٢) فى الأغانى : السليل .

(٣) فى الأغانى : وهو بقنة من قنان الشرف يقال لها : قنة بن الحمير .

(٤) المعروف: رقى فى الجبل وفى السلم . وفى الأغانى: فترقى .. فى الجبل .

(٥) فى الأغانى : فناداهم وهو فى الجبل .

(٦) استنظف الشىء أخذه كله واستوعبه . وفى الأغانى : ما استدف . أى تهيأ وأمكن.

(٧) فى الأغانى: قلب بن حزن وصححوا من المختار . وكذا فى المختار : جون .

(٨) يحضر: يعدو سريعا .

(٩) يعاط زجر للإبل ويزجر بها الذئب وغيره. وفى المختار: نعاط. وفى الأغانى : تنجو بهم من خلل الأمشاط .

حتى انتهى إلى مكانٍ يقال له حَجْرُ الراشدة ظَليلٍ ، أسفلُه كالعَمُود وأعلاه مُستشرِف(١) فاستظل فيه هو وأصحابه ، حتى إذا كان بالهاجرة مرّت عليه إبلُ هُبيرة بن السَّمير(٢) أخي بني عوف بن عُقيل واردةً ماءً لهم يقال له طَلُوب ، فأخذها وخلّى طريقَ راعيها وقال له : إذا أتيت مولاك ضَرْع البقرة(٣) فأخبره أن توبة أخذ الإبل ، ثم انصرف توبة يَطْرُد الإبل ، فلما وردَ العبدُ على مولاه وأخبره نادى فى بنى عوف وقال : حتى متى هذا ؟ فتعاقدوا بينهم نحو ثلاثين فارسا ، ثم اتبعوه . ونهضت امرأة من خثعم من بنى الهِدَّة(٤) ، وكانت فى بنى عوف ، وكانت تُؤَخِّذ(٥) فقالت: أرونى أثره. فأخذت من ترابه فسافتْه(٦) وقالت: اطلبوه فإنه سيُحْبَس عليكم فطلبوه فسبقهم . فتلاوَمُوا بينهم وقالوا : مانرى له أثرا ، ومانراه إلا وقد سبقكم . ولما كان توبةُ بالمَضْجَع من أرض بنى كلاب جعل يَحْبِس أصحابه حتى إذا كان بشِعْبٍ من هَضْبَة يقال له هند من كبد المضجع جعلَ ابنَ عمٍّ له يقال له قابضُ بنُ عبد الله رَبيئةً له على رأس الهَضْبَة وقال : انظرْ فإن شَخَص لك شىءٌ فأَعْلِمْنَا ، فقال عبدُ الله بن الُحمَيِّر أخو توبة : يا توبَ إنك خائنٌ أذكِّرك اللهَ فوالله ما رأيتُ يوما أشبه بسَمُرات بنى عوف يوم أدركناهم فى ساعتهم التى أتيناهم فيها من هذه الساعة من هذا اليوم(٧) فانج بنفسك إن كان بنفسك نجاة ، قال : دعنى فقد ربأت ربيئة

---

(١) فى الأغانى : وأعلاه منتشر .

(٢) فى الأغانى : السمين .

(٣) فى الأغانى : صدغ البقرة .

(٤) فى الأغانى : الهرة .

(٥) تؤخذ : تعالج السحر .

(٦) سافته : شمته .

(٧) فى الأغانى : عبارته مختصرة: وهى التى اتيناهم فيها منه.

ينظر لنا[١] . ورجع بنو عوف بن عُقيل حين لم يجدوا أثراً لتوبة ، فلقوا رجلا من غَنِيّ فقالوا له : هل أحسست فى مجيئك أثرَ خيل أو أثر إبل ؟ قال : لا والله ، قالوا : كذبت ، وضربوه ، فقال : يا قوم، لا تضربونى فإنى أجد أثراً وإبلا فى تلك الهَضْبَة[٢] وما أدرى ما هو ، فبعثوا رجلا منهم يقال له يزيدُ بن رُوَيْبة لينظر ما فى الهضبة فأشرف على القوم ، فلما رآهم أَلْوَى [بثوبه] لأصحابه[٣] حتى جاءوا ، فحمل أوّلُهم على القوم حتى غَشِى توبةَ [وفزع توبة] وأخوه [إلى خيلهما][٤] فقام توبة إلى فرسه فغلبته لا يقــدر أن يُلْجمها ولا تَقِرُّ له[٥] فخلّى طريقها[٦] وغشِيه الرجلُ فاعتنقه ، فصرعه توبة وهو مدهوشٌ قد لبِس الدِّرع على السيف ، فانتزعه ثم أهوى ليزيدَ بن رُوَيبة ، فاتّقاه بيده فقطع منها ، وجعل يزيد بن رُويبة يناشده رحم صَفِيّة ، وصفيّةُ أمٌّ له من بنى خَفاجة ، وغَشِى القومُ توبةَ يضربونه من ورائه فقتلوه ، وعلقهم عبدُالله بن الُحمَيِّر يطعنهم بالرمح حتى انكسر ، فلما فرغوا من توبة مالوا[٧] على عبد الله فضربوا رِجْله فقطعوها ، فلما وقع على الأرض انتزع سيفه[٨] وجثا على ركبتيه وجعل يقول : هَلُمُّوا هَلُمُّوا ، ولم يشعر القوم بما أصابه ، وانصرف بنو عوف ، وولى قابضٌ منهزما حتى لحق بعبد العزيز بن زُرارة الكلابى ، فأخبره الخبر ، فركب عبــد العزيز حتى أتى توبة فدفنه وضَمَّ أخاه . وترافع القوم

---

(١) فى الأغانى : فقد جعلت ربيئة ينظر لنا . وفى ت : فإن ربيئنا ينظر لنا .

(٢) فى الأغانى: فإنى لم أجد أثراولقد رأيت زهاء كذا وكذا إبلاشخوصا فى هاتيك الهضبة.

(٣) ألوى بثوبه : لمع وأشار . وكلمة «بثوبه» زيادة من الأغانى.

(٤) ما بين الأقواس زيادة من الأغانى .

(٥) فى الأغانى : ولا وقفت له .

(٦) فى ت : سبيلها .

(٧) فى الأغانى : لووا .

(٨) فى الأغانى : أشرع سيفه .

إلى مروان بن الحكم فكافأ بين الدَّمين ، وحُمِلت الجِراحات ، وترك بنو عوف ابن عُقَيل البادية ولحقوا بالجزيرة والشام .

وكان توبة شريرا كثير الغارات على بنى الحارث بن كعب وخثعم وهمْدان ، وكان يدور[١] بنسائهم يتحدث إليهن وذلك قوله :

أيذهبُ رَيْعانُ الشباب ولم أزُر غرائرَ من هَمْدَانَ بيضا نُحورُها

وكان ربما ارتفع إلى بلاد مَهْرَة فيغير عليهم ، وبين بلاد مَهْرَة وبلاد عُقيل مفازة مُنكرة لا يقطعها الطير ، وكان يحمل مزاد الماء فيدفنه منه على مسيرة كل يوم مزادة ، ثم يغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازة ، وإنما كان يتعمد بغاراته[٢] حمارّة القيظ وشدة الحر فإذا ركب المفازة رجعوا عنه .

قال توبة : خرجت إلى الشام ، فبينا أنا أسير فى بلادٍ لا أنيس بها ذاتِ شجر فنزلت لأُرِيح وأخذت تُرْسى فألقيته فوقى ، وألقيت نفسى بين المُضْطَجِع والبارِك ، فما وجدتُ طعْمَ النومِ ، وإذا شىء[٣] قد تجلّانى عظيم ثقيل قد برك علىَّ فثُرْتُ ثم قَمَصْت من قِماصا[٤] فرميت به على وجهه ، ووثبت[٥] إلى راحلتى فانتضيتُ السيفَ فنهض نحوى فضربته ضربة انخزل منها ، وعُدت إلى موضعى وأنا لا أدرى إنسانٌ هو أم سبع ، فلما أصبحت إذا هو أسودُ زِنجىّ يضرب رجليه وقد قطعتُ وسطه حتى كدت أَبِريه ، وانتهيت إلى ناقة مُناخة مُوقَرةٍ بثياب ممن يسلبه ويقتله[٦] ،

---

(١) فى الأغانى : يزور نساء منهن . وفى المختار يدور بنسائهن .

(٢) كلمة « بغاراته » ليست فى الأغانى .

(٣) فى الأغانى : فلما وجدت طعم النوم إذا شىء .

(٤) فى الأغانى : « ونشزت عنه ثم قمصت ... » وفى المختار : ثم قبضت منه قماصا .

(٥) فى الأغانى : وجلست .

(٦) كلمة « ويقتله » ليست فى الأغانى .

وإذا جارية شابّة ناهد قد أوثقها وقرنها بناقته ، فسألتها عن خبرها ، فأخبرتني أنه قَتَل مولاها وأخذها منه ، فأخذت الجميع وعدتُ إلى أهلي .

سأل معاويةُ بن أبي سفيان ليلى الأخْيلِيَّة عن توبةَ بنِ الحُمَيّر فقال : ويحك يا ليلى ، أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ليس كلّ ما تقول الناسُ حقًّا(١) والناس شجرةُ بَغْيٍ يحسُدون أهلَ النِّعم حيث كانت(٢) وعلى من كانت ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبْطَ البنان ، حَدِيدَ اللسان شجا الأقران ، كريم المَخْبَر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر ، هو يا أمير المؤمنين كما قلت له . قال : وما قلتِ ؟ قالت : قلتُ ولم أتعدَّ الحقَّ وعِلمي فيه :

بَعيدُ الثَّرى لا يبلغُ القومُ قَعْرَه ... ألَدُّ مُلِدٌّ يَغلِبُ الحقَّ باطلُهْ(٣)
إذا حلّ ركبٌ فى ذَرَاه وظِلّه(٤) ... ليمنعهم مما تُخاف نوازِلُهْ
حماهمْ بنصْل السيف من كلِّ فادحٍ ... يخافونه حتى تموت خصائلُهْ

فقال لها معاية : ويحك يزعم الناس أنه كان عاهرا عارما خاربا ــ والخارب: الذى يسرق الإبل ــ(٥) فقالت من ساعتها :

معاذَ الإله كان والله سيِّداً ... جَوادًا على العِلَّاتِ جمًّا نوافلهْ
أغرَّ خفاجيًّا يرى البُخْل سُبَّةً ... تحلّب كفّاه الندى وأناملُهْ
عفيفا بعيد الهمِّ صُلْبا قناتُهُ ... جميلا مُحيَّاهُ قليلاً غوائلَهْ

---

(١) فى نسخ المختار : حق « بالرفع » .

(٢) فى الأغانى : كانوا .

(٣) الألد : الكثير الجدل والخصومة. والملد : من قولهم : ألددت بفلان : إذا أعسرت عليه فى الخصومة .

(٤) ذراه : ساحته .

(٥) كلمة « عارما » وجملة «والخارب الذى يسرق الإبل » ليست فى الأغانى .

وكان إذا ما الضيفُ أَرغى بعيرَه ... لديه أتته دُسْعُه وفواضلُهْ[(١)]
وقد علم الجوعُ الذى بات سائرا[(٢)] ... على الضيفِ والجيرانِ أنَّك قاتلُهْ
وأنك رَحْبُ الباع ياثَوْبَ بالقِرَى ... إذا ما لئيمُ القوم ضاقتْ مَنَازِلُهْ
يبيتُ قَرِيرَ العينِ من كان جارَه[(٣)] ... ويُضْحِى بخير ضيفُه ومُنازِلُهْ

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلى لقد جُزْتِ بتوبةَ قَدْرَه . قالت : والله يا أمير المؤمنين لو رأيتَه وجَرَّبته لعرفت أنى مُقصّرة فى نَعْته ، ولا أبلغ كُنْهَ ما هو أهله ، فقال لها معاوية: فى سِنِّ أىِّ الرجال[(٤)] كان ؟ فقالت :

أتتْهُ المنايا حين تَمَّ تَمامُه ... وأقصرَ عنه كلُّ قِرْنٍ يُطاوِلُهْ
وعاد كَلَيْثِ الغاب يَحمِى عَرِينَه ... وتَرْضَى به أشبالُه وحلائلُهْ
غَضُوبٌ حَلِيمٌ حين يُطْلَبُ حِلْمُه ... وسمٌّ زُعافٌ لا تُصَابُ مَقاتِلُهْ

فأمر لها معاوية بمال عظيم[(٥)] وقال : أخبرينى بأجودِ ما قُلْتِ فيه من الشعر ، قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ فيه من الشعر إلّا والذى فيه من خِصالِ الخير أكثرُ منه . ولقد أَجَدتُ حين قلتُ :

جزى اللهُ خيراً والجزاءُ بكَفِّه ... فتًى من عُقَيْلٍ سادَ غير مُكَلَّفِ
فتى كانت الدُّنيا تَهونُ بأَسْرِها ... عليه ولا ينفكُّ جَمَّ التصرُّفِ

---

(١) الدسع جمع الدسيعة وهى مائدة الرجل إذا كانت كريمة أو هى الجفنة وهذا البيت ليس فى الأغانى .
(٢) فى الأغانى : ساريا . وفى ت : ساهرا .
(٣) فى الأغانى : من بات جاره .
(٤) فى الأغانى : من أى الرجال كان .
(٥) فى الأغانى : فأمر لها بجائزة عظيمة .

ينـالُ عَلِيَّاتِ الأُمورِ بِهَوْنِهِ ... إذا هى أعْيَتْ كلَّ أخْرَق مُشْرِفِ(١)
هو الذَّوْبُ بلْ أَرْىُ الضُّحَاكِىِّ شِبْتَه ... بِـدِرْيَاقةٍ من خمر بَيْسـان قَرْقفِ(٢)
فيا توبَ مافى العيش خيرٌ ولا نَدًى ... يُعَدُّ وقد أمسيتَ فى رَمْسِ نَفْنَفِ(٣)
فيالك أن لو كنتَ حيًّا مُسَلَّمًـا ... لألفـاكَ مثـل القَسْوَرِ المُتَطرِّفِ(٤)
كما كُنتَ إذ كنتَ المُنَجَّى من الرَّدى(٥)
إذا الخيـل جَالَتْ بالقنا المُتَقَصِّفِ(٦)

ويقال : إن الذى خاطبها الحجّاجُ ، وكان عنده أسماءُ بن خارِجة ، فيقال : إن أسماءَ ابن خارجة قال لها : أيتها المرأة إنك لتصفين هذا الرجلَ بشىء ما تعرفه العرب به ، فقالت له : أيها الرجل ، هل رأيت توبة قطّ ؟ قال : لا ، قالت : أما والله لو رأيته لوددت أن كلّ عاتق(٧) فى بيتك حامل منه قال : فكأنما فُقِئَ فى وجه أسماء حبُّ الرُّمّان ، فقال له الحجاج: مالك ولها؟

---

(١) الهون : الرفق والمشرف : المتطلع إلى الشيء حرصا عليه ، ومنه قول عروة بن أذينة :
لقد علمت وما الإشراف من خلقى ... أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
وفى الأغانى : أغيت كل خرق مشرف .

(٢) الذوب : العسل والأرى: العسل أيضا . والضحاكى منسوب إلى الضحك وهو العسل أو الشهد . وفى معجم البلدان « ليسان » « أو أرى الضحالى » وهو تحريف وفى الأغانى : أو أرى الخلايا شبيهه. هذا، والدرياقة: الخمر. والقرقف من أوصاف الخمر وهى التى يرعد عنها صاحبها.

(٣) النفنف : المفازة والنفنف إسناد الجبل . وفى الأغانى : فى ترب نفنف. هذا ، وبعده فى الأغانى بيت .

(٤) القسور : الأسد . والمتطرف : المغير وفى الأغانى : فياألف ألف كنت حيا .

(٥) فى ت : من العدا .

(٦) بعده فى الأغانى . بيتان .

(٧) العاتق : الشابة .

كان توبة قد رحل إلى الشام ، فمرّ ببنى عذرة ، فرأته بُثَينة ، فجعلت تنظر إليه ، فشقَّ ذلك على جميل ، وذلك قبل أن يظهر حبّه لها ، فقال له جميل : من أنت ؟ فقال له : أنا توبةُ بنُ الحُمَيِّر ، فقال له : هل لك فى الصِّراع ؟ قال : ذلك إليك ، فشدَّت بثينةُ عليه مِلْحَفَةً مُوَرَّسَةً فأتَزَر بها ، ثم صارعه فصرعه جميلٌ ، ثم قال : هل لك فى النِّضال ؟ قال : نعم ، فناضله فنَضَله جميلٌ ، ثم قال : هل لك فى السباق ؟ قال : نعم . فسابقه فسبقه جميل ، فقال له توبة : يا هذا إنك إنما تفعل هذا بريح هذه الجالسةِ ، ولكن اهبِطْ بنا إلى الوادى . فهبطا[1] فصرعه تَوبةُ ونَضَله وسَبقه .

---

(١) كلمة « فهبطا » ليست فى الأغانى .

حرف الثاء

ثابت قُطْنَة[1]

هو ثابت بن كَعب وقيل ابن عبدالرحمن بن كعب، وكنيته أبو العلاء أخو بني أسد ابن الحارث بن العَتِيك، وقيل بل هو مولاهم، ولُقِّب قُطنة لأن سهما أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب التُّرْك، فكان يَجعل عليها قُطْنة.

وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية. وكان في صحبة يزيد بن المهلّب وكان يُولّيه أعمالا من أعمال الثغور، فيُحْمَد فيها مَكَانُه لِكفايته وشجاعته.

لما ولي ثابتُ قُطنة عملا من أعمال خراسان صَعِد المنبَر يوم الجمعة، فرام الكلامَ فتعذَّر عليه وحَصِرَ فقال: سيجعل الله بعد عُسرٍ يسرا وبعد عِيٍّ بيانا وأنتم إلى أمير فعَّال أحوجُ منكم إلى أمير قوَّال.

وإلَّا أكن فيكم خطيبا فإنني ... بسيفي إذا جدَّ الوغى لَخطيبُ

فبلغت كلماتُه خالدَ بن صفوان ـ ويقال الأحنف بن قيس ـ فقال: والله ما عَلا ذلك المنبَرَ أخطبُ منه في كلماته هذه، ولو أن كلاما يستخفني فيخرجني[2] من بلدي إلى قائله استحسانا لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها. وهذه الكلمات بخالد بن صفوان أشبه منه بالأحنف.

---

(١) الأغاني: دار الكتب ١٤ / ٢٦٣ وانظر ص ٢٦٢ ودار الثقافة ١٤ / ٢٤٧ وانظر ص ٢٤٦ وبولاق ١٣ / ٤٩ والساسي ١٣ / ٤٧. والتجريد ١٥٧٨.

(٢) في ا: استخفني وأخرجني.

كان ثابت قطنة يوما قد خطر على باله هذا البيتُ فقال :

لا يعرف الناس منه غيرَ قُطْنَتِه   وماسواه من الأَنسابِ مجهولُ

وقال : هذا بيت سوء(١) ، سوف أُهجى به أو بمعناه وأنشده جماعةً من أصحابه وأهل الرِّواية وقال : اشهدوا أنى قائله ، فقالوا له : ويحك ما أردت إلا أن تهجو نفسك ، ولو بالغ عدوُّك ما زاد على هـذا ، فقال : لابدّ أن يقع على خاطر غيرى فأكون قد سبقته إليه ، فقالوا : أما هذا فشرٌّ قد تعجَّلْته ، ولعله لا يقع لغيرك ، فلما هجاه به حاجبُ الفِيل استشهدهم على أنه هـو قائله ، فشهدوا على ذلك فقال يردُّ على حاجب الفيل :

هيهات ذلك بيتٌ قد سُبِقْتَ به   فاطلُبْ له ثانياً يا حاجبَ الفِيلِ

كان هذا حاجب بن ذُبيانَ المازنىّ ، وهو حاجبُ الفِيل ، والفيلُ لقبٌ لُقِّب به(٢) .

وكان حاجبُ الفيلِ وفَدَ على يَزيدَ بنِ المهلَّب ، فدخل عليه وعنده ثابت قطنة وكَعْبٌ الأشقرىُّ . فأنشده لما مَثَل بين يديه :

إليك امتطيتُ العِيس تسعين ليلةً   أُرَجِّى نَدَى كفَّيك يا ابنَ المُهَلَّبِ

وأنت امروءٌ جادَتْ سمـاءُ يَمينه   على كلِّ حَىٍّ بين شَرْقٍ ومَغربِ

فَجُدْ لى بِطِرْفٍ أَعْوجِىٍّ مُطَهَّمٍ   سَلِيمِ الشَّظَاعَبْلِ القوائم مِنهَبِ(٣)

طوى الضُّمْرُ منه البطنَ حتى كأنه   عُقابٌ تدلَّت من شماريخِ كَبْكَبِ(٤)

(١) كلمة سوء ليست فى الأغانى .

(٢) فى الأغانى : لقبه به ثابت قطنة وكعب الأشقرى .

(٣) الطرف : الكريم من الخيل . وأعوجى نسبة إلى أعوج وهو فرس كريم مشهور فى العرب . والشظا : عظم لاصق بالركبة . والعبل : الضخم . والمنهب : الفرس الفائق فى العدو . وفى الأغانى : اعوجى مشهر .. سلهب . وبعده فى الأغانى بيت .

(٤) الشماريخ : رءوس الجبال . وكبكب : جبل بعرفات . والبيت جاء فى المختار سادسا وقدمناه لأن ما بعده مرتبط به .

تُبادِرُ جنحَ الليل فَرْخين أَقْوَيا ... من الزاد فى قفْر من الأرض مُجدِب[١]
فلمــا رأتْ صَيْداً تدلَّتْ كأنهــا ... دَلاةٌ تهاوى مَرْقَباً بعد مَرقب[٢]
وسابغةٍ قد أتقن القين جَدْلَها ... وأسمرَ خَطِّيٍّ طويـــلٍ مُجرَّبِ[٣]
وأبيض من ماءِ الحديــد كأنــه ... شهابٌ متى يَلْقَ الضَّرِيبةَ يَقْضِبِ[٤]
وقل لى إذا ماشئتَ فى حَوْمَة الوَغَى ... تقدَّمْ أو اركبْ يا ابنَ ذُبيان أَرْكَبِ[٥]
فإنى امروٌ من عُصْبَــة مازِنيَّةٍ ... نمانى أبٌ ضخمٌ كريمُ المُرَكَّبِ

فأمر له يزيد بفرس ودِرْع وسيف ورمح وقال : قــد علمت[٦] يا ابن ذُبيان ما شَرَطْتَه لنا على نفسك ، فقال : أصلح الله الأمير ، حجتى بَيِّنة وهى قول الله عز وجل « والشُّعراءُ يتبعهم الغاوُون * ألم تَرَ أنهم فى كلِّ وادٍ يَهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون »[٧] فقال له ثابت قطنة: ما أعجب ما وفدت من بلدك فى تسعين ليلة ، مدحت الأمير ببيتين ، وسألته حوائجك فى عشرة أبيات ، وختمت شعرك ببيت تفخر به عليه[٨] ، فلما أعطاك ما سألت حُدْتَ عما شرطتَه له على نفسك وأكذبتها ، كأنك كنت تخدعه ، فقال له يزيد : مَهْ يا ثابت ، إنا لا نُخدَع وإنما نتخادع . وسوغه ماسأله ، وأمر له بألفى درهم . وهجا ثابتا فقال فيه :

لا يعرف الناسُ منه غير قُطْنَتِه ... وما سواها من الأنساب مجهولُ

---

(١) أقوى : افتقر ، واستغنى فهى ضد .
(٢) الدلاة: الدلو . وبعده فى الأغانى بيت .
(٣) فى الأغانى : « القين صنعها » والقين: الحداد.
(٤) الضريبة ما يضرب ويقضب : يقطع .
(٥) فى الأغانى : أو اركب حوقه الموت أركب .
(٦) فى ت والأغانى : « قد عرفت » وكلمة « يا ابن ذبيان » ليست فى الأغانى .
(٧) سورة الشعراء الآيات: ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦.
(٨) هذا يدل على أن القصيدة ١٣ بيتا .

دخل حاجبٌ يوما على يزيد بن المهلَّب وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقرى ، وكانا لا يفارقان مجلسه ، فوقف بين يديه ، فقال : تكلم بحاجتك يا حاجب ، فقال : يأذن لى الأمير أن أنشده أبياتا . قال : لا ، حتى تبدأ فتسأل حاجتك ، قال : أيها الأمير ، إنه ليس أحد ولو أطنب فى وصفك بوفيك حقك ، ولكن المجتهد مُحسِن ، فلا تهجنى بمنعى[1] الإنشاد وائْذَنْ لى فيه ، فإذا سمعت فجودك أوسع من مسألتى ، فقال له يزيد : هاتِ ، فما زلتَ مُجيداً محسناً ، فأنشده :

كم من كَمِىٍّ فى الهياج تركتَه ... يَهْوِى لِفيه مُجَنْدَلًا مقتولا
جَلَّلْتَ مَفْرِقَ رأسه ذا رَوْنَقٍ ... عَضْبَ المَهَزَّةِ صارما مَصقولا
قُدْتَ الجِيادَ وأنت غِرٌّ يافعٌ ... حتى اكتهلتَ ولم تزَلْ مَأمولا
كم قد خَزَيْت وكم جَزَيْت مَعاشراً ... وكم انتشلت وكم شفيت غليلا[2]

فقال له يزيد : سَلْ حاجتك ، فقال : ما على الأمير بها خفاء ، قال : قل ، قال : إذًا لا أقصّر ولا أستعظم عظيما أسأله الأميرَ مع عظم قدره ، فقال : أجل ، لستَ بما يصير إليك أغبط منا . قال : تحملنى وتكسونى[3] وتُخْدِمنى وتجزل لى جائزتى . فأمر له بخمسة تخوتٍ وغُلامَين وجاريتين وفرس وبغل وبِرْذَون وخمسة آلاف درهم . فحسده[4] ثابتُ قُطنة فقال: والله لو على قدر شِعْرك أعطاك لَمَا خرجت بملء كفك، ولكنّه أعطاك على قدره، وقام مغضباً وقال لحاجب [يزيد بن المهلّب][5] إنما فعل الأمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطيَّةَ لمثل هـذا ، وإلا فلو أنَّا اجتهدنا

---

(١) فى ت : بما يمنعنى .
(٢) فى ا : « كم خزيت وكم جبرت » وفى الأغانى : كم قد حربت وقد جبرت .
(٣) كلمة « وتكسونى » ليست فى الأغانى .
(٤) قبل هذا فى الأغانى بيتان مدح بهما حاجب يزيد .
(٥) ما بين معقوفين زيادة من الأغانى .

فى مديحه ما زادنا على مثل هذا . وقال ثابت قُطْنة يهجو حاجباً :

أحاجب لولا أن أَصلك رُنْية[١] وأنك مجبولٌ على اللؤم والكُفْرِ
وأنّى لو أكثرتُ فيك مُقصِّر رميتُك رمياً لا يَبيدُ مدى الدهْرِ
فقل لى ولا تَكذِبْ فإنّى عالمٌ بمثلك هل فى مازنٍ لك من ظَهْرِ[٢]
فإنك منهم غيرَ شكٍّ ولم يكن أبوكَ من الغُرِّ الْجَحَاجِحَة الزُّهْرِ[٣]
[أبوكَ[٤] ديافىٌّ وأمُّك حُرّةٌ ولكنها لا شك وافيةُ البَظْرِ
فلست بهاج يا ابن ذبيان حشّة ولا رنية حتى أغيّب فى القبر
وقل أنت ماشئت ابنَ ذبيان إننى
سأكرم نفسى عن سباب ذوى الهُجْرِ]

فقال حاجب : والله لا أرضى بهجاء ثابت وحده ولا بهجاء الأزد كلها ، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طُرًّا ، فقال :

دَعُونى وقَحطاناً وقولوا لثابتٍ تَنَحَّ ولا تقرَبْ مُصاولةَ البُزْلِ
فللزنج خير حين تُنسب والدًا من أبناء قحطانَ التنابلة الغُرْلِ[٥]

---

(١) كذا فى ا وك مع ضبطه وليس فى هذه المادة إلا قولهم ياابن ترنا كناية عن اللئيم وفى ت: مزنة . وفى الأغانى : زيف وبعض أصوله زيفة هذا، ولعل رنية هى زنية .

(٢) الظهر يراد به الأنصار والقوة هنا عن طريق الكناية .

(٣) الجحاجحة : السادة .

(٤) الأبيات الثلاثة بين معقوفين ليست فى ت ولا فى ك وإنما هى فى ا وفى الأغانى : منها بيتان باختصار شطرى بيتين فرواية الثانى هكذا : فلست بهاج يا ابن ذبيان إننى سأكرم نفسى ... » وانظر الهامش الذى قبل هامشين عن كلمة رنية والحشة لعلها تأنيث للحش بمعنى المخرج أو موضع قضاء الحاجة .

(٥) الغرل : جمع أغرل وهو الذى لم يختن . وفى نسخ المختار « حين نسب وائلا» وبالأغانى وهامش ك وعليها علامة صح كما أثبت .

أناسٌ إذا الهيجاءُ شَبَّتْ رأيتهم أذَلَّ على وَطْءِ الهَوانِ من النَّعْلِ
نِساؤهمُ فَوضَى لمن كان عاهراً وجيرانُهم نَهبُ الفوارسِ والرَّجْلِ

كان ثابت قطنة قد جالس قوما من الشراة وقوما من المُرْجئة ، وكانوا يجتمعون ويتجادلون[1] بخراسان ، فمال إلى قول المرجئة وأَخَذَه[2] وعمل قصيدة فى الإرجاء[3].

لما ولى سعيد بن عبد العزيز الحارث بن الحَكَم من أبى العاص بن أمية خراسانَ بعد عزل عبد الرحمن بن نُعيم جلس يَعرِض الناس ، وعنده حُمَيد الرُّوَاسى وعُبادة المحاربى ، فلما دُعى بثابت قُطنة تقدَّمَ وكان شَاكِى السلاحِ[4] جوادَ الفرس فارسا من الفرسان ، فسأل عنه سعيد فقيل له : هذا ثابت قطنة ، وهو أحد فرسان الثغور ، فأمضاه وأجاز على اسمه : فلما انصرف قال له حميد وعبادة : هذا الذى يقول :

إنَّا لضرَّابون فى حَمَسِ الوغى رأس الخليفة إن أراد صُدودا

فقال سعيد : علىَّ به ، فردُّوه وهو يريد قتله ، فلما أتاه قال له : أنت القائل :

* إنا لضرَّابون فى حَمَس الوغى *

قال : نعم ، أنا القائل :

إنَّا لضرَّابون فى حَمَس الوغَى رأس المتوّج إن أراد صدودا[5]
عن طاعة الرحمن أو خلفائه أو رام إفسادا ولَجَّ عُنُودَا[6]

فقال له سعيد : أولى لك ، لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك .

---

(١) فى ا : ويتحادثون .
(٢) فى الأغانى : وأحبه .
(٣) أورد أبو الفرج القصيدة خمسة عشر بيتا .
(٤) فى الأغانى : تام السلاح .
(٥) فى ا ، ت : رأس الخليفة .
(٦) فى الأغانى : وكر عنودا .

لما قُتِل المفضَّلُ بنُ المهلَّب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلّب والناس حولها يعزونها فقال :

يا هند كيف بنُصْبٍ بات يُبكينى ... وعائرٍ فى سواد القلبِ يؤذينى

كأنَّ لَيْلِىَ والأصداءُ هادِئَةٌ ... لَيلُ السَّليمِ فأَعيا من يُداوينى (١)

إذا ذكرتُ أبا غسَّان أرَّقنى ... همٌّ إذا عرَّس السارون يُشجِينى

كان المفضَّلُ عِزًّا فى ذُرَا يَمَنٍ (٢) ... وعِصْمَةً وثِمالا للمساكين

ما زلتُ بعدكَ فى همٍّ يجيش به ... قلبى وفى نَصَب قد كاد يُبليني (٣)

إنى تذكّرت قَتْلَى لو شَهِدتُهمُ ... فى حومة الموت لم يَصْلَوْا بها دونى

لاخيرَ فى العيش إن لم أجْنِ بَعدهمُ ... حربا تُبىء بهم قَتْلَى فيشفينى (٤)

فقالت هند : اجلس يا ثابت ، فقد قضيتَ الحق ، وما من المَنِيّة مِنْ بُدّ وكم (٥) من ميتة ميت أشرف من حياة حىّ ، وليست المصيبة فى قتل من استشهد ذابًّا عن دينه ، مطيعا لربه ، وإنما المصيبة فيمن قلت نُصرته (٦) ، وخمل ذكره بعد موته ، وأرجو ألا يكون المفضَّل عند الله خاملا ، فما كان مقامه فى طاعته خاملا (٧) ، فيقال : إنه ما عزّى أحدٌ يومئذ بأحسن من كلامها .

---

(١) بعده فى الأغانى بيت .

(٢) فى الأغانى : فى ذوى يمن .

(٣) فى الأغانى : « تجيش به نفسى » وفى ت تجيش به فكرى .

(٤) فى الاغانى : فيشفونى . وفى ت « حربا يبين بهم » وفى ك : حربا بنى . هذا ونبىء من أباء القاتل بالقتيل : قتله .

(٥) فى الأغانى : وما من المرثية بد .

(٦) فى الأغانى : قلت بصيرته .

(٧) جملة « فما كان مقامه فى طاعته حاملا » ليست فى الأغانى .

خطب ثابت قطنة امرأة كان يميل إليها وجعل السفير بينه وبينها جوهرَ(١) ابن سعيد المحدّث ، فدسّ إليها جوهرُ نخطبها لنفسه ، فتزوجها ودفع عنها ثابتا ، فقال حين بان الأمر :

أَفْشَى عَلَيَّ مقالةً ما قُلْتُها … وسعى بأمرٍ كان غيرَ سَدِيدِ
إنى دعوتُ اللهَ حين ظَلمتنى … رَبِّى وليس لمن دَعَا ببعيـدِ
أَلَّا تزالَ مُتيَّماً بِخَرِيدة … تَسْبِى الرجالَ بمُقلتين وجِيدِ
حتى إذا وَجب الصَّداقُ تلبَّسَتْ … لك جِلْدَ أَغْضَفَ باردٍ بصَعيدِ(٢)
تغدو عليك الحادثاتُ مُبِرَّةً(٣) … فترى الطلاقَ وأنت غيرُ حَميدِ

فلقى جَوْهَرُ(٤) كلّ ما دعا عليه ثابت به ، ولحقه فى المرأة كلُّ شرّ وضُرّ حتى طلقها بعد أن قبضت صداقها .

وكان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلب فى يوم العُقْر(٥) ، فلما خذله أهلُ العراق وفرُّوا عنه قال ثابت قطنة يرثيه :

كان القبائلُ بايَعوك على الذى(٦) … تدعو إليـه وتابعوك وساروا
حتى إذا حَمِىَ الوَغَى وجعلتَهم(٧) … نُصْبَ الأسِنَّة أَسلموك وطاروا
إن يَقتلوك فإنَّ قتْـلًا لم يكن … عاراً عليك ونقضُ عهدِك عارُ(٨)

---

(١) فى الأغانى : جويبر بن سعيد .

(٢) الأغضف : المسترخى الأذن من الكلاب . وفى الأغانى : بارز بصعيد .

(٣) فى الأغانى : « تدعو عليك الجاريات مبرة » هذا ، والمبرة : الغالبة القاهرة .

(٤) فى الأغانى : جويبر .

(٥) العقر : موضع قرب كربلاء كانت فيه موقعة بين مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن المهلب ، وقتل فيها يزيد بن المهلب .

(٦) فى الأغانى : كل القبائل .

(٧) فى الأغانى : حمس الوغى .

(٨) فى الأغانى : وبعض قتل عار .

دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان ـ أظنه قُتيبة بن مسلم ـ فمدحه وسأله حاجة فلم يقضها له ، فخرج وقال لأصحابه : لكن يَزيد بن المهلّب لو سألته هذا وأكثر منه لم يَرُدَّنى عنه . وأنشأ يقول :

أبا خالدٍ لم يَبق بعدك سُوقَةٌ ولا مَلِكٌ ممن يُعين على الرِّفْدِ
ولا فاعلٌ يرجو المريدون فَضْلَه ولا قائد[1] يَنْكا العدوَّ على الحِقْدِ
لو أن المنايا ساحت ذا حَفِيظَةٍ لأَكْرَمْنَه أو عُجْنَ عنه على عَمْدِ[2]

عَتَب ثابتُ قطنة على قومه من الأزْد فى حال استنصرَ عليها بعضهم فلم ينصروه ، فقال فى ذلك :

تعففْتُ عن شَتْمِ العشيرةِ إنَّنى
وجَدْتُ أبى قد عَفَّ عَنْ شَتْمِها قَبْلِى
حليمٌ إذا ما الحلم كان مُروءَةً وأجهلُ أحيانا إذا التمسوا جَهْلى

(١) فى الأغانى : يرجو المقلون فضله ولاقائل .
(٢) عاج عنه : رجع وانصرف .

ثابت تأبط شرًّا[1]

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عسل[2] بن عديّ بن كعب بن حزَن بن تيم ابن سعد بن فهم بن عمر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار .

وأمه امرأة يقال لها أمينة[3] من بنى عبد القين[4] بطن من فهم ، ولدت خمسة نفر: تأبط شرا وريش بلَغْب[5] وريش نَسْر ، وكعب حَيْدَر ، ولا بواكى له[6] ، وقيل : ولدت سادسا واسمه عمرو .

وتأبّط شرًّا لقبٌ لقِّب به ، ذكر الرواة أنه رأى كبشا فى الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يبول عليه طول طريقه ، فلما قرب من الحى ثَقُل عليه الكبش حتى لم يُقِلّه ، فرمى به ، فإذا هو الغول ، فقال له قومه : ما كنت متأبطا يا ثابت ؟ قال : الغول ، قالوا : لقد تأبطت شرًّا ، فسمِّى بذلك ، قالوا : والغول سبع من سِباع الجن وقيل بل قالت له أمه : كل أخوتك يا بنى يأتينى بشىء إذا راح غيرَك ، فقال لها : سآتيك الليلة فمضى فصادَ أفاعى كثيرة من أكثر ما قدر عليه ، فلما راح أتى بهن فى جِراب متأبّطا له ، فألقاه بين يديها وفتحه ، فتساعَيْن فى بيتها فوثبت فخرجت ، فقال لها نساء الحى: ماذا أتاك به ثابت ؟ فقالت : أتانى بأفاعٍ فى جراب ، قلن : وكيف حملها ؟ قالت :

---

(١) الأغانى: دار الثقافة ٢١ / ١٤٤ وانظر ص ١٤٣ بولاق ١٨ / ٢٠٩ الساسى ١٨ / ٢٠٩ .

(٢) فى الأغانى: عميثل . والشعراء الشعراء ص ٢٧١ : عمسل .

(٣) فى الأغانى : أميمة وفى ت : أمينة .

(٤) فى الأغانى من بنى القين .

(٥) فى اللسان مادة لغب : « ريش لغب » .

(٦) فى ا : ولا يوالى له .

تأبّطها ، قلن : لقد تأبط شرًّا . فلزمه تأبط شرا (واحتج من ذكر أنها الغول بكثرة شعره فى هذا المعنى مثل قوله :

فأصبحت الغولُ لى جارةً ... فياجـارتى لك ما أهولا [١]

فطالبْتُها بُضْعَهـا فالْتوَتْ ... علىَّ وحـاولت أن أفعلا [٢]

فمن كان يسألُ عن جارتى ... فإن لها باللِّوى مـنزلا

ومما قال فى الغول أيضا :

ألاَ مَن مبلغٌ فتيـانَ قومى ... بما لاقيت عند رَحَى بِطانِ

وأنى قد لقيتُ الغُولَ تَهْوِى ... بِسَهْبٍ كالصحيفة صَحْصَحانِ [٣]

فقلت لها كلانا نِضْوُ رَهْنٍ [٤] ... أخو سَفرٍ فَخَلِّى لى مـكانى

فشدَّت شدَّةً نحوى فأهوى ... لها كفِّى بمصقولٍ يَمـانى

فأضربها بلا دَهَش فخرَّتْ ... صريعا لليدينِ وللْجِرانِ [٥]

فقالت عُدْ فقلت لها رُوَيدًا ... مكانَكِ إننى ثَبْتُ الجنَـانِ

فلم أنفكَّ مُتَّكِئاً عليهـا ... لأنظرَ مُصْبِحاً ما ذا أتـانى

إذا عينانِ فى رأسٍ قبيـحٍ ... كرأس الهرِّ مشقوق اللسانِ

وساقا مُخْدَجٍ وشَواة كَلْبٍ ... وثوبٌ من عَباءٍ أو شِنَـانِ [٦]

---

(١) فى الأغانى : أنت ما أهولا ، ولك ما أهولا . ولك ما أولا .

(٢) فى الأغانى رواية ثانية أيضا : مغوت بوجه تغول فاستغولا .

(٣) السهب : الفلاة . والصحصحان : ماستوى من الأرض . وفى أصول المختار : بشهب كالصحيفة .

(٤) روايات أخرى فى الأغانى : نضو أرض : نضو أين .

(٥) الجران : مقدم العنق .

(٦) المخدج : الناقص الخلق . والشواة : قحف الرأس أو اليـد أو الرجل . والشنان : القرب الخلقة .

قال أبو عمرو الشيبانى : نزلت على حىٍّ من فهم إخوة عَدْوَان، فسألتهم عن خبر تأبط شرا ، فقال لى بعضهم : ماسؤالك عنه تريد أن تكون لصًّا؟! قلت : لا ولكن أحبُّ أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين فأتحدث بها . قالوا: فنُحدثك عن خبره ، كان تأبط شرا أعدى ذى ساقَيْن وذى كَعْبين ، وكان إذا جاع لم تَقُم له قائمة ، وكان ينظر إلى الظباء فينتقى على نظره أسمنها ثم يجرى خلفها فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ثم يشويه ويأكله .

ولقى تأبط شرا ذات يوم رجلا من ثقيف يقال له أبو وَهْب ، وكان جبانا أهوج، وعليه حُلَّة جَيّدة ، فقال أبو وهب لتأبط شرا : بم تغلب الرجال يا ثابت وأنت كما أرى دميم ضئيل ؟ قال : باسمى ، إنما أقول ساعة ألقى الرجل : أنا تأبط شرا ، فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت ، فقال له الثقفىّ : أقط ؟ قال : قط[1] قال : فهل لك أن تبيعنى اسمك ؟ قال : نعم فبم تبتاعه ؟ قال بهذه الُحلّة وبكنيتى . قال: أفعل، ففعل. وقال له تأبط: لك اسمى ولى كنيتك ، وأخذ حُلَّته وأعطاه طِمْرَيه ، وقال فى ذلك يخاطب زوجته :

أَلَا هل أتى الحسناءَ أن حليلَها   تأبَّط شرًّا واكتنيت أبا وَهْب
فَهَبْه تَسَمَّى اسْمى وسَمَّانِىَ اسْمَه   فأين له صبرى على مُعْظم الَخطْبِ
وأين له بأس كبأسى وسَوْرَتى   وأين له فى كلِّ فادحةٍ قلبى

وأحب تأبط شرا جاريةً من قومه حسناء ، فطلبها زمنا وهو لا يقدر عليها ، ثم لقيته ذات ليلة فأجابته ، وأرادها فعجز عنها ، فلما رأت عَجْزه تناومت عليه فآنسته وهدأ ثم قال :

---

(١) فى الأغانى : أبهذا فقط ؟ قال: قط .

مالك من أَيْرٍ سُلِبْتَ الحِلَّةْ   عَجزْت عن جارِيةٍ زرْفَلَّهْ[1]
تمشى إليك مِشيةً هِرْوَلَّهْ   كمشية الأَرْخِ تُريد العَلَّهْ
لو أنها راعية فى ثُلَّهْ   تحمل قِلْعَين لها قبلَّهْ
لصرتُ كالهراوة العُتُلَّهْ[2]

الأَرخ : الأنثى من البقر التى لم تُنْتَج ، والعَلَّة تريد أن تعُلَّ بعد النَّهل ، أى أنها قد رويت فمشيتها ثقيلة .

٤/٢٢ أغار تأبط شرا ومعه عمرو بن برّاق الفهرى[3] على بَجيلة فأطردا[4] إبلاً لها ونَذِرت[5] بهما بجيلة فخرجت فى آثارها ، ومضيا هاربين فى جبال السَّراة وركبا الحَزْن فعارضتهما بجيلة فى السهل ، فسبقوهما إلى الوهط ماءٍ : لعمرو بن العاص بالطائف ، فدخلوا لهما فى قصبة العين ، وجاءا إلى العين وقد بلغ العطش منهما ، فلما وقفا عليها قال تأبط شرا لابن براق : أقِلَّ من الشُّرب فإنها ليلة عَدْوٍ[6] ، فقال : وما يدْريك ؟ فقال : والذى أعدُو بِطَيْرِه إنى لأسمع وَجيبَ قُلوب الرجَال تحت قدمى ، وكان من أسمع العرب فقال له ابن براق : ذاك وَجيبُ قلبك . فقال تأبط شرا : والله ما وَجَب قطُّ ولا كان وجَّابا ، وضرب بيديه على قلبه فشدَّ يده عليه وأصاخ نحو الأرض يستمع ، فقال : والذى أعدو بطيره إنى لأسمع وَجيب قلوب الرجال . فقال له ابن برّاق : فإنى أنزل قبلك ، فنزل فشرب وكان ألدَّ القوم عند بجيلة شوكةً ، فتركوه وهم فى الظلمة ، ونزل تأبط شرا ،

---

(١) الذى فى الأغانى : رفله والرفل : الكثير اللحم. فلعل الزاى هنا زائدة وتوجد فى القاموس مادة زرقل « بالقاف » ولا توجد فى اللسان يقال: زرقل شعره : نفشه .

(٢) العتل : الغليظ من كل شىء .

(٣) فى الأغانى : الفهمى .

(٤) فى الأغانى : فأطردا لهم نعما .

(٥) نذر به : علمه فحذره واستعد له .

(٦) فى الأغانى : ليلة طرد .

فلما توسط الماء وثبوا عليه فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفا ، وابنُ برّاق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عَدْوه ، فقال لهم تأبط شرًّا: إنه من أصلف الناس وأشدهم عُجْباً بعَدْوه ، وسأقول له : استأسِرْ معى فسيدعَوه عجبه إلى أن يعدو بين أيديكم ، وله ثلاثة أطلاق : أولها كالريح الهابَّة ، والثانى كالفرس الجواد ، والثالث يَكْبُو فيه ويَعْثُر ، فإذا رأيتم ذلك منه فخذوه ، فأنا أحب أن يصير فى أيديكم كما صرتُ إذ خالفنى ولم يقبل رأيى ونصحى ، وذلك أجمعُ بسمع منه . قالوا : فافعل ، فصاح به تأبط شرًّا : أنت صاحبى فى الشدّة والرخاء ، وقد وعدنى القومُ أن يَمُنُّوا علىّ وعليك معا ، فاستأسِرْ وأوسنى بنفسك فى الشدة كما كنتَ أخى فى الرّخاء ، فضحك ابنُ براق وعلم أنه قد كادهم وقال : مهلا يا ثابت ، أيستأسر من عنده هذا العدو ؟ ثم عدا فعدا أول طَلْقٍ كالريح الهابّة ، كما وصف لهم ، والثانى كالفرس الجواد ، والثالث جعل يَكْبُو ويَعْثُر ويقع على وجهه ، فقال ثابت : خذوه . فعَدَوْا بأجمعهم ، فلما أن نَفَّسهم عنه شيئاً عَدَا تأبط شرًّا فى كِتافه ، وعارَضَه ابنُ براق فقطع كتافه وأفلتا جميعا ، فقال تأبط شرا فى ذلك كلمته القافِيَّة :

يا عيدُ ما لكَ من شوق وإيراقِ ... ومَرّ طيفٍ على الأهوال طرّاقِ
يسرى على الأَيْنِ والحيَّاتِ مُحْتَفِياً ... نفسى فداؤكَ من سارٍ على ساق(٢)
طيف ابنة الحرّ إذْ كُنَّا نواصلها ... ثم اجْتُنِبْتُ بها من بعد تَفْرَاقِ(٣)
لتَقرعِنّ علىّ السِّنَّ من ندمٍ ... إذا تذكرتِ يوماً بعض أخلاقى(٤)

(١) لم يذكر فى الأغانى منها إلا بيت، وانظرها فى المفضليات أول مقطوعة وعددها ٢٦ بيتا.
(٢) الأين : الحية أو الذكر من الحيات مثل الأيم والأين : التعب والإعياء . ومحتفيا : حافيا.
(٣) هذا البيت ليس فى الأغانى ولا فى المفضليات .
(٤) هذا البيت جاء فى المفضليات البيت الأخير السادس والعشرين وجاء فى مختصر لها فى الشعر والشعراء سابع بيت .

ـ تالله آمن أنثى بعــــد ما حَلَفتْ أسمــاءُ بالله من عهـدٍ وميثاقِ(١)
ـ ممزوجة الودّ بَيْنَا واصلت صَرَمَتْ الْأَوَّلُ اللَّذْ مَضَى والآخِرِ الباقِي
فالأول اللّذْ مَضَى قالٍ مَودَّتَهــا واللّذّ منها هُذَاءٌ غــيرُ إحْقَاقِ(٢)
تعطيك وَعْدَ أمانِيٍّ تَغُرُّ بِـــه كالقَطْرِ مَرَّ عـلى صَخْبَانَ بَرَّاقِ(٣)
إنى إذا خُلَّــةٌ ضَنَّتْ بنائلها وأمسكت بضعيفِ الحَبْلِ أحْذَاقِ(٤)
نَجَوتُ منها نَجائى من بَجِيلة إذْ ألقيت للقوم يـوم الرّوع أرواقى(٥)

خرج تأبط شرًّا يَشتار عسلا من غارٍ فى بلاد هذيل ، وكان يأتيه فى كل عام ، فذُكِر ذلك لهُذيل فرصدوه لإبَّانِ ذلك ، حتى إذا جاء هو وأصحابه تدَلَّى فدخل الغارَ فأغاروا عليهم فَأَنفروهم فسبقوهم ووقفوا على الغار ، فحرَّكوا الحبل ، فأطلع تأبط شراً رأسَه . فقالوا : اصعدْ ، فقال : لا أراكم. فقالوا : بلى قد رأيتنا . قال : فعلام أصعد ؟ على الطَّلاقة أو الفداء ؟ قالوا : لا شرط . قال : أفتراكم قاتِلِيَّ وآكِلِي جَنَاى ؟ لا والله لا أفعل ذلك ، وكان قبل ذلك نقب فى الغار نَقْبا أعدَّه للهرب ، قال فجَعل يُسِيل العَسل فى الغار ويُهرِيقه ، ثم عمد إلى زِقّ فشَدَّه على صدره ، ثم لصق بالعسل فلم يبرح يتزلّق عليه حتى خرج سليما وفاتهم ، وبين موضعه الذى وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث . وقال تأبط شرا فى ذلك :

(١) هذا البيت ليس فى المفضليات ولا الأغانى .

(٢) الهذاء: الاسم من هذى يهذى هذيانا . هذا، وكلمة اللذ بمعنى الذى . وهذا البيت ليس فى المفضليات ولا الأغانى .

(٣) الصخبان : الشديد الصخب . والبيت ليس فى الأغانى ولا فى المفضليات .

(٤) حبل أحذاق : أخلاق كأنه حذق أى قطع. والبيت جاء ثالثا فى القصيدة فى المفضليات .

(٥) ألقى أرواقه : اشتد عدوه ، انظر اللسان «روق» ورواية البيت فيه تختلف وكذلك المفضليات وجاء رابعا .

أقول للحيان وقـد صَفِرتْ لهم ... وطابى ويومى ضَيِّقُ الجحْر مُعْوِرُ(١)
هما خُطّتَا إما إسارٌ وفديـــةٌ ... وإما دمٌ والقتـلُ بالحرّ أجـدرُ
وأخرى أُصادِى النفس عنها وإنها ... لمورِدُ حَزْمٍ إن فعلتُ ومَصدَرُ(٢)
فرشتُ لها صَدرى فزلَّ عن الصَّفا ... بـه جُؤجؤٌ عَبْلٌ ومَتْنٌ مُخَصَّرُ(٣)
فخالط سهلَ الأرضِ لم يَكدح الصفا ... به كَدْحةً والموتُ خَزْيانُ يَنظرُ
فأُبتُ إلى فَهم ولم أكُ آيبـــا ... وكم مثلهـــا فارقتُها وهى تَصْفِرُ(٤)
إذا المرء لم يَحتلْ وقـد جَدَّ جِدُّه ... أضاع وقَاسَى أمرَه وهو مُدْبِرُ
ولـكنْ أخو الحزْمِ الذى ليس نازلا ... به الأمر إلا وهو للحزم مُبصِرُ
فذاك قريعُ الدهرِ ما عاش حُوَّلٌ ... إذا سُدَّ منه مَنْخِرٌ جاش مَنْخِرُ(٥)

أغار تأبط شرا على خثعم، فقال كاهن لهم: أَرُونى أثَرَه حتى أُؤَخِّذَه(٦) لـكم فلا يبرح حتى تأخذوه فـكفأوا على أثره جَفْنة، ثم أرسلوا إلى الـكاهن، فلما رأى أثره قال: هذا ما لا يجوز على صاحبه الأخذ.

سئل تأبط شرا: أى يوم مرّ بك خير؟ قال: خرجت حتى إذا كنت فى بلاد بجيلة أضاءت لى نار، فرأيت رجلا جالسا إلى امرأة، فعمدت إلى سيفى فدفنته قريبا، ثم أقبلت حتى استأنست فنبحنى الـكلب، فقال: مَن هذا؟ فقلت: بائس، فقال: ادْنُه، فدنوت، فإذا رجل جلحاب(٧) آدَمُ وإذا أضوأ الناس إلى جانبه، فشكوت إليه

---

(١) صفرت: خلت. والمعور: الذى بدت لك عورته والجحر: الناحية.
(٢) أصادى: أدارى.
(٣) الجؤجؤ: الصدر. والعبل: الضخم.
(٤) تصفر من الصفير وهو التصويت أو من الخلو، صفر يصفر كفرح يفرح.
(٥) بعده فى الأغانى: بيت.
(٦) يؤخذه: يعمل له أخذة وهى رقية وسحر.
(٧) الجلحاب: الضخم: وشيخ جلحابة: كبير مول.

الجوع والحاجة ، فقال : اكشف هـذه القصعة ، فـكشفتها فإذا فيها تمر ولبن ، فأكلت حتى شبعت ، ثم خرَرْت متناوماً ، فوالله ما لبثت حتى اضطجع هو ورفع رجله ، ثم اندفع يغنى ويقول :

خير الليـالى أن أبيت بليلةٍ ... ليـل بخيم بين بِيشَ وعَثَّرِ (١)
لضجيع آنسةٍ كأن حديثها ... شهدٌ يُشابُ بمزجةٍ من عَنْبَرِ
وضجيع لاهيةٍ أُلاعبُ مِثْلها ... بيضاءَ واضحةٍ كظيظِ المئزر (٢)
ولأنت مثلُهما وخيرٌ منهما ... بعد الرُّقادِ وقبل إنْ لم تُسْحِرى (٣)

ثم انحرف فنام ، ومالت فنامت ، فقلت : ما رأيت كالليلة فى الغِرَّة وإذا عَشْر عُشَرَاوات وأرؤس ثلاثة ، وكلاب فيها عبد واحد ، فوثبت فانتضيت سيفى وانتحيت العبد فقتلته وهو نائم ، ثم انحرفت إلى الرجل فوضعت سيفى على كبده حتى أخرجته من صلبه ، ثم ضربت نخذ المرأة فجلست ، فلما رأته مقتولا جزعت ، فقلت: لا تخافى، أنا خير لك منه ، قال : وقمت فرحلت بعض الإبل وهى تشد معى ، فحملتها ثم أطردت الإبل أنا والمرأة ، فما حللت عقدة حتى نزلت بصَعْدة بنى عَوْف بن فهم وأعرست بالمرأة ، وانقلبت عنها للغسل أتغنَّى وأقول :

بحليـلةِ البجلىّ بتّ بليـلةٍ ... بين الإزار وكَشْحِها ثم الْصَقِ
بأنيسة طَوِيت عـلى أقرابها ... طَىَّ الحِمالة أو كطى المِنْطَقِ (٤)
فإذا تقوم فصَعْدَةٌ فى رَمْـلَةٍ ... لبَدَتْ بِرَيِّقِ دِيمَةٍ لم تُغدِق

---

(١) روى فى مخطوط من الأغانى: « بخيمة بين بيش وعثر » وانظر معجم البلدان « الخيمة ».
(٢) كظيظ : مملوءة .
(٣) فى المختار : تسحر .
(٤) الأقراب: جمع قرب وهو الخاصرة والحمالة: علاقة السيف والمنطق: النطاق وإزار له حجزة.

وإذا تجىء تجى بجيدٍ خَلْفها كالأَيْم[١] أصعد فى كثيب يرتقى
زعم الكواهن والسواحر والرُّقى أن لا وفاء لعاجزٍ لا يتَّقى

قال : فهذا خير يوم لقيته . وشر يوم لقيت أنى خرجت حتى إذا كنت فى بلاد ثُمالة أطوف ، حتى إذا كنت فى القصر إذا أنا بسبع خَلِفات فيهن عبد ، فأقبلت نحوه وكأنى لا أريده ، وحذرنى فجعل يلوذ بناقة حمراء ، فقلت فى نفسى : والله إنه ليثِقُ بها ، فأُفَوِّق له ، ووضع رجله فى إبطها ورفعها وأخذ يدور معها ، وإذا هو على عَجُزها ، وأرميه حين أشرف ، فوضعت سهمى فى قلبه ، نخرّ وندَّت الناقة شيئا ، فتبعتها ، فرجعت فسقتهن شيئا ، ثم قلت : والله لو ركبت الناقة وطردتهن ، فأخذت يعْثنون الناقة ، ووثبت ، فساعة استويت على ظهرها كرَّت ترتبع وتبعتها الخَلِفات ، وجعلت أُسَكِّنها وذهبت نحو الحىّ ، فلما خشيت أن تطرحنى فى أيدى القوم رميت بنفسى عنها ، فانكسرت رجلى ، فانطلقت والذَّوْدُ[٢] معها . فخرجت أعرج حتى انحبَسْت فى طرف كثيب وأخذنى الطلب ، فمكثت مكانى حتى أظلمت وشُبت لى ثلاثة أنوُر ، فإذا نار عظيمة ظننت أن لها أهلا كثيرا ، ونارٌ دونها ، ونار صغيرة فهربت إلى الصغرى[٣] وأنا أجمِر[٤] فنبحنى الكلب فلما نبحنى الكلب نادى رجل فقال : من هذا ؟ فقلت : بائس ، فقال إدْنُه ، فدنوت ، فلما جلست جعل يسألنى إلى أن قال: واللهِ إنى لأجد منك ريح دم ، فقلت: لا والله ما بى دم ، فوثب إلىّ فنفضنى[٥] ثم نظر فى جَعْبتى ، فإذا السهم دامٍ فقلت : إنى رميتُ العشيَّة أرنبا ، فقال : كذبت ،

---

(١) الأيم : الحية وذكر الأفعى .
(٢) الذود : ثلاثة أبعرة إلى تسعة .
(٣) فى الأغانى : فهوبت للصغرى .
(٤) يجمر : يثب كالجواد يثب فى القيد .
(٥) نفضنه : نظر جميع ما فيه .

هـذا ريح دم إنسان ، ثم وثب عليّ ولا أدفع الشر عن نفسى ، فأوثقنى كتافا ، ثم علّق الجَعْبة والقوس ، وطرحنى فى كِسْر البيت ونام ، فلما أسحرت حرَّكت رجلى فإذا هى صالحة وانفتل فىَّ الرباطُ فحللته ، ثم وثبت إلى قوسى وجعبتى فأخذتهما ، ثم هممت بقتله ثم قلت أنا ضَمِنُ الرِّجْل(١) وأخشى أن أُطلب فأُدرك ولم أقتل أحدا أحبّ إلىّ ، فولّيت ومضيت ، فوالله إنى لفى الصحراء أُحَدِّث نفسى به وإذا أنا به على ناقة يتبعنى ، فلما رأيته قد دنا منى جلست على قوسى وجعبتى ورميته(٢) ، وأقبل فأناخ راحلته ثم عقلها ، وأقبل يشتمنى ، حتى إذا أمكننى وثبت عليه فما لبثت أن ضربت به الأرض وبركت عليه أربطه ، فجعل يصيح: يا آل ثُعالة لم أر كاليـوم فى الحين ، فجَنَبتُه إلى ناقته وركبتها ، فما نزعت حتى أحللته فى الحىّ وقلت :

أغرّك منى يا ابن فَعلة عِلّتى ... عشية أن رَابَتْ عَلَىَّ رَوَائبى(٣)

وموقد نـيران ثلاث فشرُّها ... والأمها أوقدتها غـير عَازِب(٤)

سَلَلْتَ سِلاحى بائسا وشتمتنى(٥) ... فيا خيرَ مسلوب ويا شرَّ سالب

فإن أكُ لم أخضبك منها فإنها ... بنات أساويد وشول عقارب(٦)

فيا ركبة الحمراء يا شرَّ ركبةٍ ... لقد كِدْت أُلْفَى بعدها غيرَ راكبِ(٧)

---

(١) الضمن: من به زمانة وإصابة.

(٢) فى الأغانى: وأمنته .

(٣) رابت عليه روائبه شابته: الشوائب.

(٤) العازب من يرعى إبله بعيدا من الدار التى حل بها الحى .

(٥) فى الأغانى : سلبت سلاحى .

(٦) الشول ماتشول العقرب من ذنبها. والأساود: الحيات. وفى الأغانى: ينوب أساويد .

(٧) فى الأغانى : وكادت تـكون شر ركبة راكب .

خرج تأبط شرا يريد الغارة على الأزْد وحده فى بعض ما كان يغير عليهم ، فنذِرت به الأزْد ، فأهمَلوا له إبلا ، وأمروا ثلاثة من ذوى بأسهم وهم حاجزُ ابن أُبَىّ ، وسوَّار بن عمرو بن مالك ، وعَوْف بن عبـد الله ، وأمروهم أن يتبعوه حتى ينام فيأخذوه أخذا ، فـكمنوا له مَـكْمنا ، وأقبل تأبط شرا فبصر بالإبل فطردها بعض يومه ، ثم تركها ونهض فى شعب لينظر هل يطلبه أحد ، فـكمن القوم حين رأوه ولم يرهم ، فلما لم ير أحداً فى أثره عاود الإبل فشَلَّها(١) يومه وليلته والغد حتّى أمسى ، ثم عقلها وصنع طعاما فأكله ، والقوم ينظرون إليه فى طَلْه(٢) ثم هيَّأ مضجعا على النار ، ثم أخمدها وزحف على بطنه ، ومعه قوسه حتى دخل بين الإبل ، وخشى أن يكون رآه أحد وهو لا يعلم [ويأبى](٣) إلا الحذر والأخذ بالحزم ، فمـكث ساعة وقد هيَّأ سهما على كبد قوسه ، فلما أحسوا نومه أقبلوا ثلاثتهم يَؤُمون المِهاد الذى رأوه هيَّأه ، فيرمى أحدهم فيقتله ، وجالَ الآخران فرمى آخر فقتله ، وأفلت حاجز هاربا ، وأخذ سلب الرجلين ، وأطلق عُقُلَ الإبل وشَلَّها حتى جاء بها قومه وقال :

تُرَجِّى نساءُ الأزد طَلعة ثابتٍ أسيراً ولم يَدْرِين كيف حَوِيلى(٤)
فإن الأُلى أَوصينهُم بين هاربٍ طريدٍ ومَسفوحِ الدماء قتيلِ
وخَدْتُ بهم حتى إذا طال وَخْدُهم وطال عليهم مَضْجعى ومقيلى(٥)
مَهدتُ لهم حتى إذا طال رَوعُهم إلى المهد حاتَلْتُ الضِّيَا بختيل

---

(١) شلها : طردها .

(٢) الطله : ذهب من قولهم ودب .

(٣) كلمة «ويأبى» زيادة من الأغانى .

(٤) الحويل : الحول والقدرة على التصرف .

(٥) الوخد : الإسراع . وفى الأغانى : وراب عليهم مضجعى .

فلما أحسّوا النوم جاءوا كأنهم — سباع أضلّت هجمةً بسَلِيـل[(١)]
فقلّدت سوّارَ بنَ عمرو بنِ مالكٍ — بأسمر جَسْر القُذّتين طَويــل[(٢)]
فخرّ كأن الفيلَ ألقى جِرانَه — عليــه بِثرْثَار القواء أَسيلِ[(٣)]
وظل وقاع المتن من وقع حاجزٍ — بحَرْف ولو نُهنهتُ سَوْقَ قليلِ
لأُبت كما آبا ولو كنتُ قارِباً — لجئتُ وما مالكتُ طُول ذَميل[(٤)]
فسرّك نَدمانَاكَ حين تتابعــا — وأنك لم تَرجِع بِعرْضِ قَتيلِ
ستأتى إلى فهم غنيمةُ خلْسةٍ — وفى الأزد نَوْحُ وَيْلَةٍ بِعَويل

ولما انصرف الناس من المستغل[(٥)] وهى سوق كانت العرب تجتمع فيه قال عمرو ابن جابر أخو تأبط شرا لمن حضر من قومه : لا واللاتِ لا أرجع حتى أغير على بنى عُثَير من هذيل[(٦)] ، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما ، فأطردوا إبلا لبنى عُثَير وأتبعهم أرباب الإبل ، فقال عمرو : أنا كارٌّ على القوم ، وكان رئيسا ، فرماه رجل[(٧)] من بنى عثير بسهم فقتله ، فقالت بنو عثير : هــذا عمرو بن جابر ، ما تصنعون أن تلحقوا أصحابه ، أبعدها الله من إبل ، إنا نخشى أن نلحقهم فيقتلوا منا فيــكونوا

---

(١) الهجمة من الإبل من الأربعين إلى ما زادت والسليل مجرى الماء من الوادى أو موضع . وفى الأغانى : أضافت هجمة .

(٢) الجسر : الطويل الضخم والقذة : ريش السهم. وفى الأغانى : طميل. والسهم الطميل : الملطخ بالدم .

(٣) القواء : الأرض القفر .

(٤) القارب :من يدخل سيفه فى قرابه والذميل نوع من سير الإبل .

(٥) لا يوجد هذا الاسم فى معجم البلدان .

(٦) فى اءك على عير من هذيل وفىالأغانى: عتير .

(٧) فى الأغانى : فـكر عليهم .. فجرح فى القوم رئيسا ورماه رجل.

قد أخذوا بالثأر ، فرجعوا ولم يجاوزوه ، وكانوا يظنون أن معه ناسا كثيرا ، وقال تأبط شرا فى ذلك شعرا[١] ثم إن السِّمع بن جابر أخا تأبط شرا خرج فى صعاليك قومه يريد الغارة على بنى عشير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر ، حتى إذا كان ببلاد بنى هذيل لقى راعيا لهم ، فسأله فأخبره بأهل بيت من عشير كثير مالهم ، فبيَّتهم فلم يُفلِت منهم مخبر ، واستاقوا أموالهم ، وقال السِّمع بن جابر فى ذلك :

بأعلى ذِى الجماجم أهـلُ دارٍ إذا ظعنتْ عشيرتهمْ أقامُوا
طرقتهمُ بفتيانٍ كرامٍ مساعيرٍ إذا حَمِىَ المقـــامُ
متى ما أَدْعُ فى فَهْمٍ تُجِبْنى وعدوانَ الكرامِ لهم نظامُ

خرج تأبط شرا ومعه مُرَّةُ بن خُلَيف يريد الغارة على الأزد ، وقد جعلا الهِداية بينهما ، فلما كانت هِدايةُ مُرَّة نعس ، فجاد[٢] عن الطريق ، ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها مياه ، وإذا البيض[٣] والفراخ بِظُهور الأَكم ، فقال تأبط شرا : هلكنا واللّاتِ يا مُرَّةَ ما وطئ أحد هذا المكان من الإنس قبلنا ، ولو وطئته الإنس ما باض الطير بالأرض ، فاختر أى هاتين شئت[٤] وهما أطول شىء تريانه من الجبال. فأصعد إحداها وتصعد أنت الأخرى ، فإن رأيتَ الحياةَ فأَلِحْ بالثوب ، وإن رأيت الموت فأَلِحْ بالسيف ، فإنى فاعل مثل ذلك . وأقاما يومين ، ثم إن تأبط شرًّا ألاح بالثوب ، فانحدرا حتى التقيا بسفح الجبل ، فقال مُرَّة : ما رأيتَ يا ثابت ؟ قال : دخانا أو جرادا ، قال مُرَّة : إنك إن جزعت هلكنا ، فقال تأبط شرا :

---

(١) ذكر الشعر فى الأغانى .

(٢) فى الأغانى : فجار .

(٣) فى الأغانى : بين جبال ليس فيها جبل متقارب وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها وإذا البيض .

(٤) فى الأغانى : فاختر أى هاتين القنتين شئت .

أما أنا فسأخرم بك من حيث تهتدى الريح ، فمكثا بذلك يومين وليلتين ، ثم سمعا الصوت فقال تأبط شرا : النعم والناس ، أمَا والله لئن عُرِفنا لنُقْتَلَنّ ، وإن أَغَرْنا لَنُدْرَكَنّ ، فأْتِ الحَىّ من طرف وأنا من آخر ، ثم كن ضيفا ثلاثا فإن لم يرجع إليك قلبك فلا رجع ، ثم أَغِرْ على مَنْ قِبَلك إذا بدت الشمس فكانت قدر قامة ، وموعدك الطريق . فقعدا[1] حتى إذا كان اليوم الثالث [أغار كل واحد منهما على ما يليه ، فاستاقا النعم والغنم ، وطَرَدا يوما وليلة طَرْدًا عنيفا ، حتى أمسيا الليلة الثانية][2] فدخلا شِعْبا فنحرا قلوصا، فبينما هما يشويان إذ سمعا حسًّا على باب الشِّعب، فقال تأبط شرا : الطلبُ يا مُرَّة ، إن ثبت فلم يدخل فهم مجتازون ، وإن دخل فهم الطلب ، فلم يلبث أن سمع الحسَّ يدخل ، فقال مُرَّة : هلكنا ، ووضع تأبط يدَه على عَضُد مُرَّة فرآها تُرْعَد ، فقال: ما أُرْعِد عَضُدُك إلا من قبل أُمِّك الوائلية[3] من هذيل ، خذ ظهرى ، فإن نجوتُ نجوتَ معى ، وإن قتلتُ وقيتك . فلما دنا القومُ أخذ مُرَّة بظهر تأبط شرا فقتل رجلا ، ورموه بسهم فأعلقوه فيه ، وأفلتا جميعا بأنفسهما ، فلما أَمِنا وكان من آخر الليل قال مُرَّةُ : ما رأيت كاليوم غنيمةً أُخِذت على حين أشرفنا على أهلنا وعضَّ مُرَّة عَضُدَه ، وكان الحىّ الذين أغاروا عليهم بجيلة . وأتى تأبط شرا امرأته ، فلما رأت جرحه ولولت .

فقال تأبط شرا فى ذلك :

وبالشّعبِ إذ سَدَّت بَجيلةُ فَجَّهُ ... ومن خَلْفه هَضْبُ طِوالٍ وجاملُ[4]

---

(١) فى الأغانى : ففعلا .

(٢) ما بين معقوفين ساقط من الأغانى .

(٣) فى الأغانى : الوابشية .

(٤) فى الأغانى : هضب صغار وجامل . وفى ت « هضب معاد » وفى ك « هضب معار » وبهامشه هضب طوال مثل ا . والجامل: جماعة الإبل.

شَددتُ لأُنجِى المرءَ مُرَّةَ عَزْمةً   وقد نُصِبت دون النَّجاءِ الحبائلُ[١]
وقلت له كُنْ خَلْفَ ظهرى فإننى   سأفديك فانظرْ بعدُ ما أنا فاعل[٢]
فعاذ بحدّ السيفِ صاحبُ أمرهم   وخَلَّوْا عن الشىء الذى لم يحاوِلوا
وأخطأهمْ قتلى وأنجيتُ صاحبى[٣]   على الليـل لم تؤخذ علىَّ المخاتلُ
وأخطأ غُنْمُ القوم مُرَّة بعـد ما   حَوَته إليـه كَفُّه والأناملُ
يعضُّ على أطرافه كيف فاتَه   ودون المَلا سَهْبٌ من الأرض قاتل[٤]
فقلت له هذى بَنِيك وقد تَرَى[٥]   لها ثمنا من نَفسه ما يُزاوِلُ
تُوَلْوِلُ سُعْدى إذ أتيتُ مُجرَّحا   إليهـا وقد مَنَّتْ علىَّ المَقاتلُ
وكائنْ أتاها هارباً قبل هـذه   ومن غانمٍ فأين منك الوَلاوِلُ

وكان من شأن تأبط شرا أنه خرج من أهله بغارة من قومه يريدون بنى صاهلة ابن كاهلِ بن الحارث بن تميم[٦]، وكان ذلك فى عقب الشهر الحرام، حتى هبط صدر أَدام، وحَفَض[٧] عن جماعة بنى صاهلة واستقبل التِّلاعة[٨]، فوجد بها دارا من بنى نفاثة بن عدىّ ليس فيها إلا النساء ورجل واحد، فبصر الرجلُ بتأبط شرا فى الضُّحَى وخشيه، فقام الرجل إلى النساء فأمرهن فجعلن رءوسهن خُمُراً وجعلن

---

(١) فى الأغانى: شدد لنفس المرء مرة حزمه. وروى: شددت لصبر المرء . وروى: شددت لسبق المرء .
(٢) فى الأغانى : ما أنت فاعل .
(٣) فى الأغانى : ورفعت صاحبى .
(٤) السهب: الفلاة . وفى الأغانى : كيف زوله ودون الملا سهل من الأرض مائل .
(٥) فى الأغانى : هذى بتلك .
(٦) تميم بن سعد بن هذيل وهو غير تميم بن أد بن طابخه .
(٧) حفض القوم : طرحهم وراءه .
(٨) فى ت : البلاغة وفى ا : البلاعة. وفى ك اللاعة.

دروعهن أردية ، وأخذن عَمَد بيوتهن فجعلن لهـا حمائل كالسيوف ، ثم تأبطها ، ونهض ونهضن معه ، وأمرهن أن لا يبرزن جدًّا[١] وجعل هو يبرز للقوم ليروه ، وطَفِق يُغْرِى[٢] ويصيح على القوم ، حتى فزع تأبط شرا وأصحابه . وذلك فى بقية ليلة أو ليلتين من الشهر الحرام ، فنهضوا فى شِعْب يقال له شِعْب وَثِيل[٣] وتأبط شرًّا ينهض فى الشعب مع أصحابه ثم يقف فى آخرهم ويقول : ياقوم لـكأنما يطردكم النساء ، فيصيح أصحابه ويقولون : انجُ أدركك القوم ، فتأبى نفسه ، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم ، فقال تأبط شرًّا فى ذلك :

أبعد النُّفَاثِيِّين أزجرُ طائرا ... وآسى على شىء إذا هو أَدْبَرا

أُنَهْنِهُ رَحْـلِى عنهم وإخالهم ... من الذلّ يَعْرًا بالتلاعة أعفرا[٤]

وإن نالت الـكَفَّانِ أصحاب نوفل ... بِمَهْمَهَةٍ من بين طَىٍّ فعَرْعَرَا[٥]

قال : ثم أطلعوا الصَّدَر حين أصبحوا ، فوجدوا أهل بيت شاذٍّ من بنى قُرَيم ابن أنمار[٦] ، فظلّ يراقبهم حتى أمسوا ، قال: وقد كانت وَلِيدة قالت لمولاها ساعدة : يا مولاى إنى قد رأيت اليوم القومَ أو النفر بهذا الجبل ، فبات الشيخ حذرا قائما بسيفه بساحة أهله ، وانتظر تأبط شرّا وأصحابه أن يغفل الشيخ ، وذلك آخر ليلة من الشهر ، فلما خَشُوا أن يفضحهم الصبح ولم يقدروا على غِرّة منه مشوا إليه وغرُّوه ببقية الشهر الحرام ، وأعطوه من مواثيقهم ما أقنعه وشكوا إليه الجوع ، فلما اطمأن

---

(١) فى الأغانى : خدا .

(٢) تقرأ أيضا فى المختار يغزى .

(٣) فى الأغانى : وشل .

(٤) اليعر : الجدى يربط عند زبية الأسد أو الذئب ليصاد به . وفى ت بالبلاغة وفى ا: بالبلاعة.

(٥) روى فى الأغانى : من بين ظن. من بين طر .

(٦) فى بقية أشعار الهذليين ص ٤٥ ذنب نمار. هذا، ونمار جبل.

إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابنا له صغيرا حين يمشي قال : ومضى تأبط إلى ابنٍ له صغير ذى ذؤابة كان أبوه قد أمره أن ينام وراء ماله ، يقال له سفيان بن ساعدة ، فأقبل إليه تأبط شرا مستترا بمجنَّة ، فلما خشى الغلام أن يناله تأبط شرا بسيفه وليس مع الغلام سيف وهو مُفوِّق سهما ، رمى مِجَنَّ تأبط بحجر ، فظنّ تأبط أنه قد أرسل سهمه ، فحطّ مِجَنَّه ، فرماه الغلام بالسهم فلم يخطئْ لَبَّته(١) حتى خرج منه السهم ، ووقع فى البطحاء حِذاءَ القوم وأَبُوه مُمْسَكٌ ، فقال أبو الغلام حين وقع السهم : أحاط به سفيانُ(٢) فَحرِدَ القومُ فذلك حين قتلوا الشيخَ وابنَه الصغير . ومات تأبط شرا ، فانطلق أصحابه وتركوه ، فجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات ، فاحتملته هذيل فألقته فى غار رَخْمان ، فذلك حين تقول أمه ترثيه :

نِعْمَ الفتى غادرتم بِرَخْمانْ ... بثابتِ بنِ جابر بن سُفيانْ
يُجدِّل القِرْن ويَرْوِى النَّدْمانْ ... فى مأْقِطٍ يحمى وراء الإخوانْ(٣)

وقالت أيضاً :

وابناه وابن الليـلْ ... ليس بزُمَّيْلْ(٤)
شروب للقَيْـلْ(٥) ... رَقود باللَّيْـــلْ
بِعُرْضِ الغَوْلْ(٦) ... بوادٍ ذى هَوْلْ

---

(١) فى ا : البتة .
(٢) فى الأغانى : أخاطئه سفيان .
(٣) المأقط : الموضع الذى يقتتلون فيه .
(٤) الزميل : الضعيف .
(٥) القيل : اللبن الذى يشرب فى منتصف النهار .
(٦) الغول : المفازة .

أجرد باللَّيــلْ(١) يَجــرُّ الذَّيْــلْ(٢)
يَضرِب بالذَّيْـل(٣) بِرَجْــلٍ كالثَّوْلْ(٤)

وكان تأبط يقول قبل ذلك :

ولقد علمتُ لتعدُونَّ عليَّ شيمٌ كالحسائلْ(٥)
يأكُلن أَوْصالا ولحـ ما كالشـكاعَى غير خاذلْ(٦)
يا طــير كُلْنَ فإننى سمٌّ لـكُنَّ وذو دَغاوِلْ(٧)

---

(١) فى الأغانى : أجزت بالليل .

(٢) الذيل هنا : طرف الثوب .

(٣) الذيل هنا : آخر الجيش .

(٤) الرجل اسم جمع للرجل أو جمع له والثول : جماعة النحل والدبر .

(٥) الشيم : السود. والحسائل: الرذال من كل شىء ويريد بالشيم التى كالحسائل: الطيور والوحوش .

(٦) الشكاعى : شجرة صغيرة ذات شول . وفى الأغانى : غير جاذل والجاذل : المنتصب، وفى المختار : كالنياعى . ولعل النياعى جمع كالنوائع وهى الغصون الموائل .

(٧) الدغاول: الدواهى . وروى بهامش ا ، ك أيضا: وذو دغائل فتكون جمع الدغيلة وهى ما يدخل فى الأمر ويفسده .

حرف الجيم

جَرْول الحُطيئة(١)

(الحُطيئة لَقَبُ لُقِّب به ، واسمـه جَرْول بن أوس بن مالك)بن جؤيَّة بن مخزوم ابن مالك بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الريس بن غطفان بن سعد بن قيس ابن عيلان بن مضر بن نزار .

(هو من فحول الشعراء ومقدّميهم وفصحائهم ، مُتصرّف فى جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد فى ذلك أجمع ، وكان ذا شرّ وسفه ونسبُه مُتَدافِع بين قبائل العرب. كان ينتمى إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين وهو مُخضرم : أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم ، ثم ارتدّ وقال فى ذلك(٢) :

أَطَعْنا رسول الله إذ كان بَيْنَنَا … فيـا لَعِبادِ الله ما لِأبى بَـكْر

أَيُورِثُها بَـكْرًا إذا مات بعده … فتلك لعمرُ الله قاصمـةُ الظهرِ

وكنية الحُطيئة أبو مُلَيكة ، وغلب الحطيئة عليه لِقصره وقربه من الأرض ،)
وقال أبو نصر بن الأعرابى(٣): سُمِّىَ الحطيئةَ لأنه ضرط ضرطة بين قوم ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : إنما هى حَطْأَة(٤) فسمّى الحُطيئة .

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٢/١٥٧ . وينظر فيه ص١٥٥ ودار الثقافة ٢/١٢٠ وينظر ١٢٨ وبولاق ٢/٤٣ . والساسى ٢/٤١ والتجريد ٢٢٢ .

(٢) انظر الطبرى حوادث سنة ١١ منسوبان للخطيل بن أوس أخى الحطيئة ضمن أبيات .

(٣) فى الأغانى : « أبو نصر الأعرابى » أما مخطوطات المختار الثلاثة فكما أثبت .

(٤) فى أغلب أصول الأغانى حطأة كما هنا وفى نسخ المختار وفى نسخة من مخطوطات الأغانى : حطيئة. هذا ، والحطأة : الضرطة .

(وكان إذا غضب على بنى عبس قال : أنا من ذُهْل ، وإذا غضب على بنى ذهل قال: أنا من عبس .)

وقال ابن الـكلبى : كان الُحطيئة مَغموزَ النسب ، وكان من أولاد الزّناء الذين شرفوا .

وقال الأصمعى : كان الحطيئة يضرب بنسبه إلى بكر وائل ، فقال فى ذلك :

قَومى بنو عوفِ بن عَمْـــ ـرٍ وإن أراد العـــلمَ عالمْ
قوم إذا ذهبت خَضَـــا رِمُ منهم خلَفتْ خَضَارِمْ(١)
لا يفشلون ولا تَبِيـ ـت على أنوفِهمْ المخاطِمْ

وقدم [على](٢) الـكوفة فنزل فى بنى عوف بن عامر بن ذهل فسألهم وكان يزعم أنه منهم وقال فى ذلك :

سيرى أُمَامَ فإن المال يَجمعهُ سَيْبُ الإله وإقبالى وإدبارى
إلى معاشر منهم يا أُمامَ أبى من آلِ عوفٍ بُدُوءٍ(٣) غير أشرار
تمشى إلى ضوء أحساب أضأْن لنا ما ضوَّأَتْ ليلةُ القَمْرَاءِ للسارى

وكان أوس بن مالك تزوّج بنت رِباح بن عوف بن عمرو(٤) بن الحارث بن سَدُوس ابن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة وكانت لها أَمَة يقال لها الضَّرَّاء ، فأعلَقها بالحطيئة

---

(١) الخضارم : جمع الخضرم : وهو الجواد الـكثير العطية . أو هو السيد الحمول .

(٢) زيادة فى ت و ك .

(٣) البدوء جمع البدء : وهو السيد أو الشاب المستجاد الرأى المستشار. وفى أصول الأغانى « بدور » مثل (ت) واعتمدت ما فى مخطوطى ا ، ك مثل الديوان ص ١٩٢ طبع أوربا و ٨٩ طبع التقدم بشرح السكرى .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : بنت رباح بن عمرو بن عوف .

ورَحَل عنها ، وكان لبنت رِباحٍ أخ يقال له الأفقم ، وكان طويلا أفقم[١] صغير العينين مضغوط اللَّحْيَين ، فولدت الضراء الحطيئة فجاءت به شبيها بالأفقم ، فقالت لها مولاتها : من أين هذا الصبي ؟ قالت : من أخيك ، وهابت أن تقول لها من زوجك ، فشبّهته بأخيها . وقالت : صدقت ، ثم مات الأفقم[٢] وترك ابنين من حرة وتزوّج الضرّاءَ رجلٌ من بني عبس ، فولدت له رجلين ، فكانا أخوى الحطيئة من أُمّه ، وأعتقت بنت رباح الحطيئة وربته ، فكان كأنه أحدهم ، وترك الأفقم نخلا باليمامة ، فأتى الحطيئة أخويه من أوس بن مالك فقال لهما : أفردا لى من مالكما قطعة ، فقالا : لا ، ولكن أقِمْ معنا ونحن نواسيك وقد كانت أمّه لما أعتقتها بنتُ رباح اعترفت بأنها علقت من أوس بن مالك ، فقال الحطيئة :

ألمر تمانى أَن أُقيما عليكما ... كلَّا لعمرُ أبيكما الخَنَّاقِ[٣]
عبدان خَيْرُهما يَشُلّ مَضيفَه ... شَلَّ الأجيرِ قلائصَ الرَّزّاقِ[٤]

وسأل الحطيئة أمّه عن أبيه فخلطت عليه فقال :

تقول لى الضرَّاءُ لست لواحدٍ ... ولا اثنين فانظرْ كيف شرْكُ أُولئكا
وأنت امرؤٌ تبغى أباكَ ضَلَلْته[٥] ... هَبِلْتَ أَلَمَّا تستفقْ من ضلالكا

فغضب عليها ولحق بأخويه من الأفقم ، فلم يدفعوه ولم يقبلوه فسألهم عن ميراثه من الأفقم ، فأعطوه نخلات من نخل أبيهم تدعى نخلات أمّ مُلَيكة امرأةِ الحطيئة ،

---

(١) الأفقم من الفقم : وهو أن تدخل الأسنان العليا . أو أن يخرج أسفل اللحى ويدخل أعلاه ويقال لكل معوج : أفقم .

(٢) فى المخطوطات الثلاثة للمختار وثلاثة مخطوطات للأغانى : ثم مات الأفقم . كما أثبت ، وغيرها محققو الأغانى بدار الكتب إلى : ثم مات أوس .

(٣) فى الأغانى : الحباق كالديوان ص ١١٣ .

(٤) الشل : الطرد وفى ا وك : يشل بضيفه وفى الأغانى : يشل بضبعه .. الوراق

(٥) فى الأغانى : أباً قد ضللته .

فلم تقنعه النخيلات وأقام فيهم زمانا ، فسألهم عن ميراثه مُكملاً من الأفقم، فلم يعطوه شيئا وصرفوه(١) فغضب عليهم وقال :

تمنَّيت بكْرًا أن تكون عِمارتى(٢) وقومى وبكْرٌ شرُّ تلك القبائلِ
إذا قلت بَكْرِيًّا نبَوْتم بحاجتى فياليتنى من غير بكر بن وائل

فعاد إلى بنى عبس ، وانتسب إلى أوس بن مالك .

وقال الأصمعى : لما أتى الحطيئةُ القُرَيَّةَ وهم بنو ذهل يطلب ميراثه من الأفقم مدحهم فقال :

إن اليمامةَ خيرُ ساكنها أهلُ القُرَيَّة مِن بنى ذُهْلِ
الضامنون لجار بيْتِهِمُ حتى يتم نواهض البقْلِ(٣)
قوم إذا انتسبوا ففرعُهُمُ فرعى وأثبت أصلهم أصلى

فلم يعطوه شيئا فقال يهجوهم :

إن اليمامة شرّ ساكنها أهل القُرَيَّة من بنى ذُهْلِ

والقُرَيَّة منازلهم ، ولم يثبت الحطيئة فى هؤلاء .

وكان الرجل الذى تزوج أمّ الحطيئة أيضا ولد زنا اسمه الكلب بن الكُبيش(٤) ابن جابر بن قَطَن بنْ نهشل ، وكان الكبيش يزنى بأَمةٍ لزرارة يقال لها رُشَيَّة ، فولدت له الكلْبَ وربوعا ، فطلبهما من زرارة ، فمنعه منهما ، فلما مات طلبهما(٥)

---

(١) فى الأغانى : كاملا . . . وضربوه .
(٢) العمارة أصغر من القبيلة .
(٣) نواهض البقل : ما استوى منه. وفى الأغانى : الضامنون لمال جارهم كالديوان ص ٩٠ « التقدم » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : كنيس .
(٥) فى الأصول والأغانى : « فطلبهم . . منهم » وجاء بعد ذلك : فمنعه منهما .

من ابنه لقيط ، فمنعه منهما ، وقال لقيط فى ذلك من أبيات :

أفى نصف شهرٍ ما صبرتم لحقِّنا ... ونحن صبرنا قبل ذاك سنينا

فتزوج الكلبُ الضرَّاء أُمّ الحطيئة فهجاه الحطيئة وهجا أمه فقال :

ولقد رأيتُكِ فى النساء فسُؤْتنى ... وأَبا بَنِيك فساءنى فى المجلسِ
إن الذليــل لمن تزورُ ركابُه ... رهطَ ابْنِ جَحْشٍ فى مَضِيق المحبِسِ (١)
قبح الإلهُ قبيلةً لم يمنعوا ... يوم المُجَيْمِرِ جارهم من فقعس (٢)
أَبلِغْ بنى جَحْشٍ بأن نِجارَهمْ ... لؤمٌ وأن أباهمُ كالهِجرِسِ (٣)

وقال يهجو أمه أيضا :

جزاكِ اللهُ شرًّا من عجوزٍ ... ولقّاكِ العقوق من البنينِ
فقد أهلكت أمرَ بنيك حتى (٤) ... تركتهمُ أدقَّ من الطحينِ (٥)

وقال فيها أيضا :

تَنحَّيْ فاجلسى منى بعيداً ... أراحَ اللهُ منك العالمينا
أغِرْبالا إذا استُودِعْتِ سرًّا ... وكانونا على المتحدِّثينا (٦)
حياتك ما علمتُ حياةُ سوء ... وموتك قد يسرُّ الصالحينا

---

(١) فى نسخ من الأغانى : « فى الخطوب الحوس » أما مخطوطات المختار ونسخة من الأغانى وديوان الحطيئة النسخة المخطوطة بدار الكتب ٣ أدب ش وص ٥٥ مطبعة التقدم فكما أثبت .

(٢) المجيمر : جبل أو أرض ذكره ياقوت وفقعس : حى من أسد .

(٣) الهجرس : ولد القرد أو الثعلب ، وقد يوصف اللئيم بالهجرس .

(٤) فى الأغانى : « أملكت أمر بنيك » وفى اللسان مادة سوس وديوانه ص ٦١ : لقد سوست .

(٥) بعده فى الأغانى بيتان .

(٦) الغربال كناية عن النمام والكانون كناية عن الثقيل الوخم .

« وكان الحطيئة جشعا سؤولا ، مُلحفا ، دنىّ النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلا ، قبيح المنظر ، رث الهيئة ، مغموز النسب ، فاسد الدين ، وماتشاء أن تقول فى شعرِ شاعرٍ عَيْبا إلّا وُجِد فيه ، وقلّما تجد ذلك فى شعره »

وقال أبو عبيدة : بخلاء العرب أربعة : الحطيئة ، وحُميد الأرقط ، وأبوالأسود الدُّؤَلى ، وخالد بن صفوان . وكان الحطيئة بَذِيًّا هجَّاء ، فالتمس ذات يوم إنسانا يهجوه فلم يجده ، وضاق عليه ذلك ، فجعل يقول :

أبتْ شفتاىَ اليومَ إلّا تـكلُّماً ... بشرٍّ فما أدرى لمن أنا قائلُهْ

وجعل يُدَهْوِر هذا البيت فى أشداقه ولا يرى إنسانا ، إذ اطَّلع فى رَكِىٍّ أو حوض فرأى وجهه فيه فقال :

أرى لِىَ وجْها شَوَّه اللهُ خَلْقَه[1] ... فقُبِّـح من وَجْهٍ وقُبِّـح حامِلُهْ

ولمـا قدم الحطيئةُ المدينةَ أرصدتْ له قريشٌ العطايا ، والناس فى سنة مُجدبة وسخطةٍ من خليفة ، فمشى أشراف المدينة بعضهم إلى بعض فقالوا : قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر ، والشاعر يظن فيحقِّق وهو يأتى الرجل من أشرافكم فيسأله ، فإن إعطاه جَهَد نفسَه وبَهَرها[2] ، وإن حرمه هجاه ، فأجمع رأيُهم على أن يجعلوا له شيئا مُعَدًّا يجمعونه بينهم له ، فـكان أهل البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين دينارا ، حتى جمعوا له أربعمائة دينار ، وظنوا أنهم قد أغنوه فأتوه فقالوا : هذه صلة آل فلان[3] فأخذها ، وظنوا أنهم كفُّوه عن المسألة ، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل الإمام ماثلا[4] ينادى : من يحملنى على بغلين وقاه الله كَبَّة جهنم .

(١) فى ديوانه ١٢٠ « التقدم » قبح الله مثله .
(٢) بهرها : أوقع عليها البهر وهو الإعياء . وفى الأغانى جهد نفسه بهرها .
(٣) فى الأغانى : « هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان » .
(٤) ماثلا : قائما .

وكان الحطيئة متين الشعر شرود القافية دنىّ النفس ، وبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعب بن زهير ، وكان الحطيئة راوية زهـير وآل زهير ، فقال له : لقد علمت روايتى لـكم وانقطاعى إليـكم وقد ذهب الفحول غيرى وغيرك ، فلو قلت شعرا تذكر فيه نفسك وتضعنى موضعا بعدك ، تبدأ بنفسك فيه ثم تُثَنّى بى ، فإن الناس لأشعاركم أَرْوَى وإليها أسرع ، فقال كعب :

فمن للقوافى شَانَهَا من يَحوكها إذا ما ثوى كَعبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ[1]
كَفَيْتُك لا تَلْقَى من الناس واحدا تنخّل منها مثـــل ما تتنخل
نَقول فـــلا نَعْيا بشىء نقوله ومِن قائليها من يُسىء ويَعملُ[2]
نُثَقّفها حتى تَلين مُتونُها ويَقصُرُ عنها كلُّ ما يُتَمَثّلُ[3]

فاعترضه مزرد بن ضرار أخو الشماخ ، واسمه يزيد ، وكان عرِّيضاً فقال :

فباستك أنْ خلّفتنى خلف شاعر من الناس لم أُكْفِئْ ولم أتنحَّلِ[4]
فإن تَخْشِبا أَخْشِب وإن تَتَنَخَّلا وإن كنت أفتى منـكما ـ أتنخَّلِ[5]
فلستَ كحسَّانَ الُحسامِ بنِ ثابتٍ ولستَ كشمَّاخٍ ولا كالُمخَبَّلِ

قال أبو عبيدة : بينا سَعيد بن العاص يُعَشّى الناس بالمدينة ، والناس يخرجون أَوَّلا فأَوَّلا إذ نظر على بساطه رجلا قبيح المنظر رثّ الهيئة جالسا مع أصحاب سمره . فذهب الشرط يقيمونه ، فأبى أن يقوم ، وحانت من سعيد التفاتة فقال : دعوه ، فتركوه ، وخاضوا فى حـديث العرب وأشعارها مَلِيًّا ، فقال لهم الرجل[6] : والله

---

(١) فوز : مات.
(٢) فى الأغانى : ويجمل وفى ديوان كعب ص ٦٠ : يقول فلا يعيا كعب .
(٣) تختلف روايته فى ديوان كعب .
(٤) الإكفاء من عيوب الشعر وهو من المخالفة بين حركات الروى .
(٥) خشب الشعر : لم يتأنق فيه .
(٦) فى الأغانى : «الحطيئة» هذا، والرجل هو الحطيئة

ما أصبتم جيِّد الشعر ولا شاعِرَ العرب ، فقال له سعيد : أفتعرف[1] من ذلك شيئا ؟ فقال : نعم . قال : فمن أشعر العرب ؟ قال : الذى يقول :

لا أعدُّ الإقتار عُدْماً ولكن فَقْدُ من قَدْ رُزِئْتُه الإعدامُ

وأنشدها حتى أتى عليها ، فقال له : من يقولها ؟ قال : أبو دُوَاد الإيادى . قال : ثم من ؟ قال : الذى يقول :

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُدْرَكُ بالـ جهلِ وقد يُخَدَّعُ الأرِيب[2]

ثم أنشدها حتى فرغ منها ، قال : ومن يقولها ؟ قال : عَبيد بن الأبرص ، قال : ثم من ؟ قال : حسبك والله بى عند رغبة أو رهبة ، إذا رفعت إحدى رجلىَّ على الأُخرى ، ثم رفعت عقيرتى بالشعر ، وعويت فى أثر القوافى عواء الفصيل الصادى إلى الماء ، قال : ومن أنت ؟ قال : الحطيئة . قال : فرحب به سعيد ثم قال : أسأت بكتمانك نفسك منذ الليلة ، ووصله وكساه ، ومضى لوجهه إلى عُيَينة بن النَّهَّاس العِجلى ، فقال له : ما أنا على عمل فأُعطِيَك ، ولا فى مالى فضل عن قومى ، قال له : فلا عليك، وانصرف ، فقال له بعض قومه : لقد عرَّضتنا ونفسَك لشرٍّ ، قال : وكيف ؟ قالوا : هذا الحطيئة ، وهو هاجينا أقبح هجاء ، قال : رُدُّوه ، فردُّوه إليه ، فقال : كتمتنا نفسك كأنك تطلب العِلل علينا ، اجلس فلك عندنا ما يسرّك ، فجلس ، فقال له : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عِرْضه يَفِرْهُ ومن لا يتَّقِ الشتم يُشتَمِ

فقال له عيينة : هذا من مقدِّمات أَفاعِيك ، ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السوق

(١) فى (ت) أفتروى .

(٢) أفلح من الفلاح وهو البقاء أى عش بما شئت من عقل وحمق فقد يرزق الأحمق ويحرم العاقل. أو أفلح من الفلاح : وهو الفوز والظفر .

فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته ، فجعل يعرض عليه الخزّ ورقيق الثياب فلا يريدها ويومئ إلى الكرابيس[١] والأكسية الغلاظ فيشتريها له ، حتى قضى أربه ، ثم مضى ، فلما جلس عيينة فى نادى قومه أقبل الحطيئة ، فلما رآه عيينة قال: هذا مقام العائذ بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك ، فقال: قد كنت قلت بيتين فاسمعهما ، ثم أنشأ يقول :

سئلتَ فلم تَبخل ولم تُعطِ طائلا   فسيَّانِ لا ذَمٌّ عليك ولا حَمْدُ
وأنت امرؤٌ لا الجودُ منك سجيَّةٌ   فتعطِى ولا يُعْدِى على النائلِ الوُجْدُ[٢]

ثم ركض فرسه وذهب .

(قال أبو صفوان : ما من أحد إلّا لو شاء أن أجد فى شعره مطعنا لوجدته إلا الحطيئة .)

قال حماد : وسمعت أبى يقول ، وقد أنشد قول الحطيئة :

وفتيانِ صِدْقٍ من عَدِيٍّ عليهمُ   صفائحُ بُصْرَى عُلِّقَتْ بالعواتِقِ
إذا ما دُعُوا لم يَسألوا من دعاهمُ   ولم يُمْسِكوا فَوقَ القلوبِ الخوافقِ
وطاروا إلى الُجرْد العتاق فألجموا   وشَدُّوا على أوساطهمْ بالمناطقِ
أولئك آباءُ الغريبِ وغاثَةُ الصَّريـ   ـخِ ومأوى المُرْمِلِين الدَّرَادِقِ[٣]
أحلُّوا حياضَ المجد[٤] فوق جباهِهمْ   مكانَ النواصى من وجوه السوابقِ

فقال: ما أزعم أن أحداً بعد زُهيرٍ أشعرُ من الحطيئة .

---

(١) الكرابيس جمع الكرباس : وهو الثوب من القطن الأبيض .

(٢) يعدى : يعين . والوجد اليسار والسعة .

(٣) أرمل القوم : نفد زادهم وافتقروا . والدرادق : الصبيان الصغار واحدهم دردق وفى الديوان ١١٧ أولئك آساد العرين .

(٤) فى ا ، ك ، وبعض نسخ الأغانى كما أثبتنا . وفى ك وبعض نسخ الأغانى « حياض الموت » لكن فى ك مضروب عليها وبالهامش كتبت « المجد » وفى الديوان ١١٧ حياض الموت وروى حياض المجد .

ولما قال ابنُ ميَّادة :

* تمشَّى به ظُلمانُهُ وجآذِرُه *

قيل له : قد سبقك الحطيئة إلى هذا ، فقال : ماعلمت أن الحطيئة قال هذا قط ، والآن علمت أنى شاعر حين واطأْت الحطيئة .

(وقال الأصمعى ــ وقد أنشد شيئا من شعر الحطيئة ــ أفسد هذا الشعر الحسنَ بهجاء الناس وكثرة الطمع).

وقال عبد الرحمن بن أبى بكر[1] : لقيت الحطيئة بذات عِرْق ، فقلت له : أبا مُلَيكة ، من أشعر الناس؟ فأخرج لسانه كأنه لسان الحيَّة ثم قال : هذا إذا طمع.

وقف أعرابىٌّ على حسان بن ثابت ، وهو ينشد ، فقال له حسان : كيف تسمع يا أعرابى ؟ قال : ما أسمع بأسا ، قال حسان : أما تسمعون إلى الأعرابى ؟ ما كنيتك أيها الرجل ؟ قال : أبو مُلَيكة ، قال : ما كنتَ قط أهونَ علىَّ منك حين اكتنيت بامرأة ، قال : وما اسمك ؟ قال : الحطيئة ، فأطرق حسان ثم قال له : امض بسلام.

(مر ابنُ الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفنائه ، فقال : السلام عليكم ، قال : قلتَ ما لا ينكر ، قال: إنى خرجت من أهلى بغير زاد ، قال: ما ضمنتُ لأهلك قِراك ، قال : أفتأذن لى أن آتى ظِلَّ بيتك فأتفيَّأ فيه ؟ قال : دونك الجبل يَفِىء عليك ، قال : أنا ابن الحمامة ، قال : انصرف وكن ابن أىّ طائر شئت)

أتى الحطيئةَ رجلٌ وهو فى غنم له ، فقال : يا صاحب الغنم ، فرفع الحطيئة العصا وقال : إنها عَجراء من سَلَمٍ ، فقال الرجل : إنى ضيف ، فقال : للضيفان[2] أعددتها ، فانصرف عنه .

---

(١) فى بعض نسخ الأغانى : « بكرة » .

(٢) فى الأغانى : « للطراق » .

(ولم ينزل ضيف قط بالحطيئة إلا هجاه)، فنزل به رجل من بنى أسد يقال له صَخْر ابن أَعْيَا بن طريف[١] بن عمرو بن قُمَين فسقاه شربة من لبن ، فلما شربها قال :

رأيتُ ابنَ أعيا جاءَنى يبتغى القِرَى[٢] ... وإن ابنَ أَعْيَا لا محالةَ فاضِحِى
شددتُ حَيازيم ابنِ أعْيا بشَرْبةٍ ... على ظَمأٍ سَدَّتْ أصولَ الجوانحِ
ولم أكُ مثلَ الكاهلىِّ وعِرسِه ... بغى الوُدَّ من مَطْروفةِ العَيْنِ طامحِ[٣]
غدا باغياً يَبْغِى رِضاها ووِدَّها ... وغابتْ له غيبَ امرئٍ غير ناصحِ
دَعَتْ رَبَّها ألَّا يزالَ بفاقةٍ ... ولا يَغْتدى إلَّا رأى جَدَّ بارِحِ[٤]

فأجابه صخر بن أَعْيَا فقال :

ألَا قبح اللهُ الحطيئةَ إنه ... على كلِّ ضَيْفٍ ضافَه هو سالحُ
دَفَعْتُ إليه وهو يَخنُق كَلْبه[٥] ... ألا كُلُّ كلبٍ لا أبا لكَ نابحُ
بَكَيْتَ على مَذْقٍ خَبيثٍ قَرَيْتَه ... ألا كلُّ عَبْسِىٍّ على الزادِ شائحُ[٦]

قال أبو عمرو بن العلاء : لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من قول الحطيئة :

— مَن يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَهْ ... لا يذهبُ العُرْف بين اللهِ والناسِ

فقيل له : فقول طرفة :

— ستُبدى لك الأيامُ ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّدِ

---

(١) فى الأغانى : بن أعيا الأسدى أحد بنى أعيا بن طريف .

(٢) فى الأغانى والديوان ص ٦٣ : لما رأيت إنما يبتغى القرى .

(٣) المطروفة من النساء : التى قد طرفها حب الرجال. أى أصاب طرفها فهى تطمح وتشرف لكل من أشرف لها .

(٤) الجد : الحظ . والبارح من الطير والوحش تتطير به العرب وتتشاءم . وفى الأغانى والديوان ١٣ : إلاعلى حد بارح . هذا، وتقدم هذا البيت على سابقه فى ت .

(٥) دفع إلى المكان ودفع « بالبناء للمجهول » انتهى إليه .

(٦) لبن مذق : مخلوط بالماء . والشائح : الحذر.

فقال : من يأتيك بها ممن زَوَّدْت أكثر ، وليس بيتٌ مما قالته العربُ إلا فيه مطعن إلا بيت الُحطيئة :

* لا يذهبُ العُرْفُ بين اللهِ والناسِ *

وسمع كعبُ الأحبار رجلا يُنشد هذا البيت فقال : والذى نفسى بيده إن هذا البيت لمكتوب فى التوراة « لا يذهب العُرْف بين الله والعباد »)

(قال أبو عدنان : لما حضرت عبيدَ الله بن شدَّادٍ الوفاةُ دعا ابنَه محمدا فأوصاه وقال :) يا بنىّ أرى داعى الموت لا يُقلِع ، ويَحِقّ(١) أن من مَضى لا يَرْجِع ، ومَن بَقِى فإليه يَنْزِع ، يا بنىّ (ليكُنْ أَوْلَى الأمور بك تقوى الله فى السرّ والعلانية ، والشكرَ لله ، وصدقَ القول(٢) والنيّة ، فإن للشكرِ مزيداً ، والتقوى خيرُ زاد . كما قال الُحطيئة :

— ولستُ أرى السعادةَ جمع مالٍ ... ولكنَّ التقىَّ هو السَّعيدُ
— وتقوى اللهِ خيرُ الزادِ ذُخراً ... وعندَ اللهِ للأتقى مَزيدُ
— وما لابدَّ أنْ يأتى قريبٌ ... ولكنَّ الذى يَمضِى بَعيدُ

لما جمع أبو موسى الأشعرىُّ جيشاً للغزو امتدحه الُحطيئة فقال :

جمعتَ من عامر فيها ومن أسدٍ ... ومن تميمٍ ومن حاءٍ ومن حامِ(٣)
فما رَضيتهمُ حتى رَفدتهمُ ... بوائل رهط ذى الجَدَّيْن بِسطامِ(٤)

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : ويحق

(٢) فى الأغانى: وصدق الحديث .

(٣) حاء: حى من مذحج . انظر ديوانه ص ٣٥ بشرح السكرى مطبعة التقدم.

(٤) رفدتهم: أعنتهم . وفى ديوانهص ٣٥ من وائل رهط بسطام بإصرام . هذا وفى المختار: حتى وفدتهم .

مُستَحقِباتٍ رَوَاياها جَحافِلها   يسمُو بها أشعرىٌّ طرفُه سامِى (١)

فوصله أبو موسى ، فكتب إليه عمر رضى الله عنه يلومه على ذلك ، فكتب إليه: إنى اشتريت عرضى منه بها ، فكتب إليه عمر : إن كان هكذا فإنما فديتَ عرضك من لسانه ولم تعطه للفخر والمدح فقد أحسنت .

قال مكحول: سبق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على فرس له ، فجثا على ركبتيه وقال « إنه لبَحْرٌ » فقال عمر رضى الله عنه : كذب الحطيئةُ حيث يقول :

وإن جياد الخيـل لا تستفزّنا   ولا جاعلاتُ الرَّيْطِ فوق المعاصمِ (٢)

لو ترك ذلك أحد تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو عبيدة : أراد الحطيئة سفرا فأتته امرأته وقد قدّمت راحلته ليركب فقال(٣) :

عُدِّى السنينَ إذا رحلتُ لعَوْدَتى   وذَرِى الشهورَ فإنهنّ قِصارُ

فقالت امرأتُه :

اذكُرْ تحنُّنَنَا إليك وشوقَنا   واذكُرْ بناتِك إنهن صغارُ

فقال : حُطُّوا ، لا رحلت لسفرٍ أبدا .

قال رجل : ضِفت قوما فى سفر وقد أضللت(٤) الطريق فجاءونى بطعامٍ أجدُ طعمه فى فمى وثقلَه فى بطنى . ثم قال شيخ منهم لشابّ : أنشِدْ عمّك ، فأنشدنى :

---

(١) مستحقبات: حاملات والروايا : الإبل التى تحمل الأزواد والجحافل جمع الجحفلة وهى من الخيل بمنزلة الشفة من الإنسان والضمائر تعود على الإبل والخيل فى أبيات قبله ويريد أن الخيل تجنب إلى الإبل فتضع جحافلها على أعجاز الإبل .

(٢) الريط جمع الريطة : وهى كل ملاءة ذات لفقين أو كل ثوب لين رقيق .

(٣) جملة: فقال والبيت الذى قاله ليست فى الأغانى .

(٤) فى أصول المختار وأصول الأغانى هكذا «أضللت» وفى اللسان: إذا ضللت المكان قلت: ضللته. وإذا سقط من يدك شىء قلت : أضللته .

عفا من سُلَيْمى مُسْحُلان فَحامِرُهْ تمشَّى به ظُلْمانُه وجآذِرُهْ(١)

فقلت له : أليس هذا للحطيئة ؟ فقال : بلى ، وأنا صاحبه من الجن .

قال ابن شُبْرُمة: أنا والله عالم بجيد الشعر، ولقد أحسن الحطيئة حيث يقول :

أقلّوا عليهم لا أبَا لأبيكمُ
من اللَّوْمِ أوسُدُّوا المكان الذى سَدُّوا(٢)
أولئك قوم إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى
وإن عاهدوا أَوفَوْا وإن عَقدوا شَدُّوا
وإن كانت النعماء فيهم جَزَوْا بها(٣)
وإن أنعموا لا كدَّروها ولا كَدُّوا
وإن قال مولاهمْ على جلِّ حادثٍ
من الدهر رُدُّوا فَضْلَ أحلامكمْ رَدُّوا(٤)
مطاعينُ فى الْهَيْجا مكاشِيفُ للدُّجى(٥)
بَنَى لهمُ آباؤهم وبَنَى الجدُّ

سأل أبو عدنان الأصمعيَّ : ما واحد البُنَى ؟ قال : بِنْية ، قال : أتجمع فِعْلَة على فُعَلْ ؟ قال : نعم ، مثل رِشْوَة ورُشاً وحِبْوة وحُباً .

---

(١) مسحلان: موضع وكذلك حامر وذكر ابن السكيت أنهما واديان. انظر معجم البلدان « حامر » والظلمان: النعام. والجآذر أولاد البقر.

(٢) هذا البيت والبيت الخامس لم يردا فى الأغانى فى ترجمته .

(٣) فى ديوانه ص ٢٠ : وإن كانت النعمى عليهم .

(٤) بعده فى الديوان بيتان .

(٥) فى ا : « مكاشف للأخى » ولعلها تحريف فإن الأخية وهى حلقة تشد بها الدابة: تجمع على أواخى وأخايا .

روى المفضل أن الحطيئة أقحمته السَّنة[١] فنزل ببنى مُقَلَّد بن يربوع، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : إن هذا الرجل لا يسلم من لسانه أحدٌ فتعالوا نسأله عما يُحِبّ أن نفعله وما يحب أن نتناهى عنه[٢] فقالوا له : يا أبا مُليكة إنك اخترتنا على سائر العرب، ووجب حقُّك علينا، فمُرْنا بما تحب أن نفعله وما تحب أن نتناهى عنه فقال : لا تُكثِروا زيارتى فتملُّونى ، ولا تقطعوها فتوحشونى ، ولا تجعلوا فِناءَ بيتى مجلسا لكم ، ولا تسمعوا بناتى غِناءَ شبانكم؛ فإن الغناء رُقْية للزنا ، فأقام عندهم ، وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال : أمُّكم الطلاقُ لئن تغَنَّى أحدٌ والحطيئةُ مقيم بين أظهُرنا لأضربنَّه ضربة بسيفى أخذتْ منه ما أخذتْ ، فلم يزل مقيما فيما يَرْضَى حتى انجلت عنه السَّنَة، فارتحل وهو يقول :

جاورتُ آلَ مُقَلَّدٍ فحمِدْتُهمْ   إذْ ليس كلُّ أخى جِوارٍ يُحْمَدُ
أيّامَ مَن يرِدِ الصنيعةَ يَصطَنِعْ   فينا ومن يُرِدِ الزهادةَ يزْهَدِ

وأما خبره مع الزِّبرقان فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد ولى الزِّبرقان بن بَدْر ابن امرئ القيس بن خَلَف بن بَهْدَلة بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مناةَ بن تميم عملاً[٣] وأقره أبو بكر رضى الله عنه ، ثم قدم على عمر فى سَنة مُجدِبة ليؤدّى صدقاتِ قومهِ فلقيه الحطيئةُ بِقَرْقَرَى ، ومعه ابناه أوس وسوادة ، وامرأته وبناته ، فعرفه الزبرقان ولم يعرفه الحطيئة ، فقال له الزبرقان : أين تريد؟ قال : العراق ؛ فقد حطمتنا السنة ، قال : وتصنع ماذا ؟ قال : ودِدْت أنى أصادف بها رجلا يكفينى مُؤنة عيالى وأُصفيه مدحى أبدا. قال الزبرقان : قدأصبته ، فهل لك فيه يُوسِعُك لبنا وتمرا ويُجاورك

(١) أقحمته السنة: أوقعته فى شدة ومشقة. والسنة تطلق على الجدب أيضا.

(٢) فى الأغانى : عما يحب فنفعله وعما يكره فنجتنبه فأتوه فقالوا .

(٣) بهامش ا ، ك : «الزبرقان : القمر . والزبرقان : الرجل الخفيف اللحية » وجاء ذلك فى صلب الأغانى عن الأصمعى .

أحسن جوار وأكرمه؟ فقال له الحطيئة: هذا وأبيك العيشُ وما كنت أرجو هذا كلّه، قال: فقد أصبته، قال عند من؟ قال: عندي، قال: ومن أنت؟ قال الزبرقان بن بدر، قال: وأين محلك؟ قال: اركب هذه الإبل واستقبل مَطْلع الشمس وسل عن القمر حتى تأتي منزلي. وكان اسم الزبرقان الحصين بن بدر، وإنما سمي الزبرقانَ لحسنه، شُبِّه بالقمر، وقيل: بل لبس عِمامة مُزَبرَقة[١] بالزّعفران، فسُمِّيَ بذلك، وقيل: بل قال له: سرْ إلى أم شَذْرة وهي أم الزبرقان وعمة الفرزدق، فكتب إليها: أن أحسني إليه وأكثري له من اللبن والتمر، وقيل: بل وكَلَه إلى زوجته وهي هُنَيدة[٢] بنت صعصعة بن ناجية المجاشعية، وقيل بل كانت أمه، وذلك في عامٍ صَعْب مُجدِب، فأكرمته المرأة وأحسنت إليه، فبلغ ذلك بَغِيض بن عامر بن شَمَّاس بن لأْيِ ابن جعفر — وهو أنف الناقة — بن قُرَيع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. وبلغ إخوته وبني عمه وكانوا يغضبون من أنف الناقة. وإنما سمي جعفرٌ أنفَ الناقة لأن أباه قُرَيعاً نحر ناقة فقسمها بين نسائه، فبعثت جعفراً هذا أُمُّه وهي الشموس من وائل ثم من سعدِ هُذَيم، فأتى أباه ولم يبق من الناقة إلا رأسها وعنقها، فقال: شأنك وهذا، فأدخل يده في أنفها ليجرَّها، فسُمِّيَ أنفَ الناقة، وذلك كاللقب لهم حتى مدحهم الحطيئة فقال:

قومٌ همُ الأنفُ والأذناب غيرهمُ ... ومن يُسَاوِي بأنف الناقة الذَّنَبا[٣]

فصار بعد ذلك فخرا لهم ومدحا، وكان بغيضٌ وإخوتُه وأهله ينازعون الزبرقانَ الشرفَ وهم أشرفُ منه إلا أنه استعلى بنفسه. وكان الحطيئة دميما سَيِّئَ الخَلْق

(١) مزبرقة: مصبوغة.

(٢) في ا و ت عبيدة وبهامش ك: عبيدة. وهنيدة. وفي الأغاني: هنيدة. وستأتي في المختار هنيدة.

(٣) في الأغاني: ومن يسوى.

لا تَأخذُه العَيْنُ ومعه عيال كذلك ، فلما رأتهم أمُّ شذرة هان عليها وقصَّرت به . ونظر بغيضٌ وبنو أنف الناقة ما تصنعُ به أُم شذرة ، فأرسلوا إليه أن ائْتِنا . فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصيرَ والغَفْلَةَ ، ولست بالذى أحمل على صاحبها ذَنْبا . فلما ألحَّ عليه بنو أنف الناقة ، وكان رسولهم إليه شَمَّاس بن لأْى وعَلقمة بن هَوْذة وبَغِيض بن شَمَّاس والمُخَبَّل الشاعر . قال لهم[١] : لست بحاملٍ على الرجلِ ذنبَ غيره ، فإن تُرِكت وجُفِيت تحوَّلت إليكم . فاطمَعُوه ووعدوه وعداً عظيما . وقيل : إنه لما لم يجبهم دَسُّوا إلى هُنَيدة زوجة الزبرقان : إن الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنتَه مُلَيكة . وكانت جميلة كاملة ، فظهرتْ للحطيئةِ من المرأةِ جَفوةٌ وهى فى ذلك تُدارِيه . ثم أرادوا النُّجْعَةَ فقالت له هُنيدة : قدحَضرت النُّجْعة فاركبْ أنت وأهلُك هذا الظَّهْرَ إلى مكان كذا وكذا ثم ارْدُدْه إلينا حتى نلحقك به ، فإنه لا يَسَعُنا جميعا ، فأرسل إليها : بل تقدَّمى ، فأنت أحقُّ ، ففعلتْ وتثاقلتْ عن ردّ الظَّهر إليه ، فتركته يومين أو ثلاثة ، وألحَّ بنو أنف الناقة عليه وقالوا : قد تُرِكْتَ بِمَضِيمَةٍ[٢] وكان أشدهم فى ذلك بَغِيض بن شَمَّاس وعَلْقمة بن هَوْذة ، وكان الزبرقان قال فى عَلْقمة :

لى ابْنُ عَمٍّ لا يزا ل يَعِيبنى ويَعِيبُ عائبْ[٣]
وأُعينــــه فى النائبا ت ولا يُعين على النوائبْ
تَسرِى عقـــاربُه إلـ ىَّ ولا تَدِبُّ له عَقارِبْ
لاهِ ابنُ عمّك لا يخا ف المُخْزِيات من العواقبْ[٤]

(١) فى المختار : فقال لهم .

(٢) المضيعة بكسر الضاد مفعلة من الضياع والاطراح والهوان كوزن معيشة ويقال أيضا بضيعة ومضيعة بفتح الميم وسكون الضاد .

(٣) هذا فى نسخ المختار ونسخ الأغانى ما عدا نسخة واحدة فإنها : ويعين عائب .

(٤) فى الأغانى : المخزنات من العواقب .

فكان علقمة ممتلئا غيظا عليه ، فلما ألحُّوا على الحطيئة أجابهم وقال : أما الآنَ فنعم ، إنى صائرٌ معكم ، فتحمَّل معهم ، فضربوا له قُبَّة ، وربطوا بكلِّ طُنُب من أطنابها جُلَّة هَجَرِية[١] ، وأراحوا عليه إبلهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأعطوه لِقَاحاً[٢] وكُسْوة ، فلما قدم الزِّبرقان سأل عنه فأُخبر بقصته ، فنادى فى بنى بَهْدَلَةَ ابنِ عوف ، وهم لِأُمٍّ دون قُرَيع ، أمهم السَّفْعاء بنت غَنْم بن قُتيبة من باهلة ، فركب الزبرقانُ فرسَه . وأخذ رمحه ، وسار حتى وقف على نادى بنى عبد شمس[٣] القُرَيعيين . فقال : رُدُّوا عَلَيَّ جارى. قالوا : ما هُوَ لك بجار وقد اطَّرحْته وضيَّعته فأعلمهم أن يكون[٤] بين الحيين حَرْب . فحضَرَهم أهلُ الحِجَا من قومهم . فلاموا بَغِيضا وقالوا له : اردُدْ على الرجل جاره ، فقال : لست مُخرِجَه وقد آوَيْتُه ، وهو رجلٌ حرٌّ مالكٌ لأمرِه . فخيِّروه ، فإن اختارنى لم أُخرِجه ، وإن اختاره لم أُكرِهه ، فخيروا الُحطيئةَ فاختار بَغِيضاً ورَهْطَه . فجاء الزبرقان فوقف عليه وقال له : يا أبا مُليكة . أفارقت جِوارى عن سخط وذم ؟ قال : لا . فتركه وانصرف .

وقيل : كان بين الحيَّين تَلاحٍ وشِجاجٌ[٥] وقيل : إن الزبرقان استعدَى عُمَر ابن الخطاب رضى الله عنه على بَغِيض ، فحكم عمرُ بأن يخرج الُحطيئة حتى يُقام فى موضعٍ خالٍ بين الحيّين وحده ، ويُخلى سبيلُه ويكون جارَ أيِّهما شاء واختار[٦] ، ففُعِل ذلك فاختار القُرَيْعِيِّين . وجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يهجو الزبرقان ،

---

(١) الجلة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر . وفى ك وضع تحت الحاء علامة إهمال لكن السياق يدل على الجلة .

(٢) اللقاح : جمع اللقوح : وهى الناقة الحلوب .

(٣) هذا فى نسخ المختار وفى الأغانى : نادى بنى شماس .

(٤) فى الأغانى : « فألم أن يكون » أى فقرب أن يكون .

(٥) التلاحى : التنازع وفى الأغانى : تلاح وتشاح .

(٦) فى ا ، ك ونسخ الأغانى « أيهما اختار » والزيادة فى « ت » فقط .

وهم يَحضُّونه عليه ويحرّضونه ، فيأبى ويقول : لا ذنب للرجل ، حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النَّمِر بن قاسط يقال له دِثار بن شيبان ، فهجا بغيضا فقال :

أرى إبلى بِجوفِ الماءِ حَنَّتْ   فأَعْوَزَها بـه الماءُ الرَّواءُ(١)
وقد وردَتْ مياهَ بنى قُرَيعٍ   فَما وصلوا القرابةَ إذْ أساءوا(٢)
تُحَلَّا يومَ وِرْدِ الناسِ إبْلِى   وتصـدر وهى مُحْنِقة ظِماءُ(٣)
ألم أكُ جـارَ شَمَّاسِ بن لأْيٍ   فأسلمنى وقـد نزلَ البَلاءُ
فقلتُ تَحَوَّلى يا أُمَّ بكرٍ   إلى حيثُ المكارمُ والعَلاءُ
وجَدْنا بيتَ بَهْدَلَةَ بنِ عمرٍو   تعالَى سَمْكُه وَدَحا الفِناءُ(٤)
وما أضحى لشمَّاس بن لأْيٍ   قديمٌ فى الفَعَال ولا رَباءُ(٥)
سوى أن الحطيئة قال قَوْلًا   فهذا من مقالته جَـزاءُ(٦)

فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض قصيدته التى يقول فيها :

واللهِ ما معشرٌ لاموا امرأً جُنُباً   من آلِ لأْيِ بن شَمَّاسٍ بأَكْياسِ

الجنب : الغريب .

ما كان ذنبُ بَغيضٍ لا أبا لكم   فى بائِسٍ جاء يَحْدُو آخرَ الناسِ
لقد مَرَيْتُكم لو أنَّ دِرَّتَكم   يوما تَجىء على مَسْحى وإبساسى(٧)

(١) نسب هذا البيت فى اللسان مادة روى للطيئة .
(٢) فى الأغانى : مذ أساءوا .
(٣) تحلا أصلها تحلأ أى تمنع . ومحنقة : ضامرة .
(٤) دحا الفناء : عظم واتسع .
(٥) الرباء . المنة والفضل .
(٦) فى ديوان الحطيئة ٢٥ قصيدة على وزنها وقافيتها ويرد بها أو قالها قبل هذه وفى هذا البيت ما يدل على أن الحطيئة سبق بكلام .
(٧) مرى الناقة: مسح ضرعها. والإبساس: أن يسكنها عندالحلب . وفى الأغانى والديوان ٥٢ : يجىء بها مسحى .

وقد مدحتكم عَمْدًا لأُرشدكم كيما يكون لكم مَتْحى وإمراسى(١)
لما بدا لِىَ منكم عَيْبُ أنفسكم(٢) ولم يكن لجراحى منكمُ آسى
أزمعتُ يأسا مُبينا عن نَوالكمُ ولن ترَى طارِدا للحُرِّ كالْيأسِ
جارٌ لقومٍ أطالوا هُونَ مَنزِلِه وغادروهُ مُقيما بين أرماسِ
مَلُّوا قِراه وهَرَّته كلابهمُ وجرَّحوه بأنيابٍ وأضراسِ(٣)
دعِ المكارمَ لا ترْحَلْ لبُغْيَتِها واقعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسِى
مَن يَفعلِ الخيرَ لا يعدَمْ جَوازِيَه لا يَذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ
ما كان ذنبِىَ أنْ فَلَّتْ مَعاوِلَكم من آلِ لَأْيٍ صَفاةٌ أصلُها راسى
قد ناضلوكَ فسَلُّوا من كِنانتهمْ مَجْدًا تليدا ونَبْلًا غيرَ أَنكاسِ(٤)

فاستعدى عليه الزبرقانُ عمرَ بنَ الخطاب رضى الله عنه ، فرفعه عمر إليه واستنشده ، فأنشده ، فقال عمرُ لحسَّان : أتراه هجاه ؟ فقال : نعم ، وسَلَحَ عليه . فحبسه عمر .

وقال عبد الله بن عيَّاش عن الشَّعْبى : شهدت زِياداً وقد أتاه عامرُ بن مَسعود بأبى عُلَاثَة التميمى(٥) فقال له : إنه هجانى ، قال : وما قال لك ؟ قال : قال :

وكيف أُرَجِّى ثَرْوَها ونَماءَها(٦) وقد سار فيها خُصيةُ الكلبِ عامرُ

(١) المتح : جذب الدلو من فوق. والإمراس : إن يقع الحبل فى جانب البكرة ليخرجه .
(٢) فى الأغانى : غيب أنفسكم وكذلك فى ديوانه .
(٣) جاء فى ت وبأصل ك : وجر جروه بأنياب . وصوبت بهامش ك وجاءت صوابا فى ا والأغانى .
(٤) الأنكاس جمع النكس من السهام وهو أضعفها . وفى اللسان مادة نكس « وعزا غير أنكاس » وفى الديوان ٥٥ فأبدوا من كنانتهم .
(٥) فى الأغانى : التيمى .
(٦) فى المختار : « ثراها ونماءها » ولا يستقيم البيت . والثرو يكون مصدرا من ثرا المال يثرو إذا كثر . ولم يرد الثرو فى اللسان وجاء فى الأغانى

قال ذلك فى الزبرقان عند ما هجا

فقال أبو عُلاثة : ليس هكذا قلت ، قال : كيف قلت ؟ قال : قلت :

وإنى لأرجو ثَرْوَها ونَمَاءَها وقد سار فيها ناجِذُ الحقِّ عامرُ[(١)]

فقال زياد : قاتل الله الشاعر ، يَنقلُ لسانَه كيف شاء . والله لولا أن يكون سُنَّة[(٢)] لقطعت لسانك . فقام قيس بن فَهْد الأنصارىّ فقال : أصلح الله الأمير ، ما أدرى مَن الرجلُ ، فإن شئت حدَّثتك عن عمر بما سمعتُ منه ــ وكان زيادٌ يعجبه أن يسمع الحديثَ عن عُمر رضى الله عنه ــ قال : هاتِه ، قال : شهدتُه وقد أتاه الزبرقانُ بن بدر بالحطيئة فقال : هجانى ، قال : وما قال لك ؟ قال : قال :

دع المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها واقعدْ فإنك أنت الطاعم الكاسى

فقال عمر رضى الله عنه : ما أسمع هجاء ، لكنى أرى معاتبة ، فقال الزبرقان : أوَ ما بلغ من مُروءتى إلا أن آكل وألبس[(٣)] ، فقال عمر : علىَّ بحسان ، فجىء به ، فسأله ، فقال : لم يهجه ولكن سَلَح عليه ويقال إن عمر رضى الله عنه سأل لبيدا عن ذلك ، فقال ما يَسرُّنى أنه لحقنى من هذا الشعر ما لحقه ، وأن لى حُمْرَ النَّعَم ، فأمر به عمر فجُعِل فى نَقِير[(٤)] فى بئر ثم أُلقِىَ عليه شىء ، فقال :

ماذا تقول لأفراخٍ بذى أَمَرٍ[(٥)] زُغْبِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجرُ

ألقيت كاسِبهمْ فى قَعرِ مُظلمةٍ فاغفرْ عليك سلامُ اللهِ يا عمرُ

أنت الإمام الذى من بَعْدِ صاحِبه[(٦)] ألقى إليك مَقاليد النُّهَى البَشرُ

---

(١) فى ك : يأخذ الحق عامر .

(٢) فى ك ، ت : سبة .

(٣) فى المختار : إلا أن آكل وأشرب . وصوبت من الأغانى .

(٤) النقير : ما نقر من حجر أو خشب .

(٥) ذوأمر : موضع ذكره ياقوت فى « أمر » وفى « مرخ » هذا ، وفى مرخ قال : إن الرواية المشهورة : بذى أمر . هذا ، وفى بعض أصول الأغانى . بذى مرخ وكذلك فى الديوان ص ٨١ .

(٦) فى المختار : لم يعد صاحبه والتصويب من الأغانى وديوانه ص ٨١ .

لم يُؤثروك بها إذ قدَّموك لها ... لكنْ لأنفسهم كانت بك الخِيَرُ[١]

فأخرجه وقال : إياك وهجاءَ الناس ، قال : إذاً يموت عيالى جوعا وعطشا ، ومكسبي هذا ، ومنه معاشى ، قال: فإياك والمُقذع من القول . قال:وما المقذع؟قال: أن تخاير بين الناس فتقول فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان ، قال : فأنت والله أهجى منى ثم قال : لولا أن تكون سُنَّة لقطعت لسانه ، ولكن اذهبْ فأنت له، خذْه يا زبرقان فألقى الزبرقان فى عُنقه عمامةً فاقتاده بها ، وعارضته غطفان فقالوا له : يا أبا شذرة ، إخوتك وبنو عمك هَبْه لنا ، فوهبه لهم ؛ فقال زيادُ لعامر بن مسعود : قد سمعتَ ما رُوِيَ عن عُمر وإنما هى السُّنن فاذهب به فهو لك ، فألقى فى عنقه عمامةً أوحبلا ، وعارضته بكر بن وائل فقالوا له: إخوتك[٢] وجيرانك فوهبه لهم .

وقال أبو عبيدة : إن الحطيئة قال لما حبسه عمر وهى أول ما قال له :

أعوذ بجدِّك إنى امرُؤٌ ... سَقتْنى الأعادى إليك السِّجالا[٣]

فإنك خير من الزبرقان ... أشدُّ نَكالاً وأرجى نَوالا

تحنَّنْ علىَّ هداك المليكُ ... فإن لكلّ مقامٍ مقالا

ولا تأخُذَنّى بقَوْلِ الوُشاةِ ... فان لكلّ زمانٍ رِجالا

فإن كان ما زعموا صادقا ... فسِيقتْ إليك نِسائى رِجالاَ[٤]

حَوَاسِرَ لا يَشتكِين الوَجا ... يُخَفِّضْنَ آلًا ويَرفعن آلَا[٥]

فلم يتلفت عمر إليه حتى قال :

* ماذا تقول لأفراخ بذى أَمَرٍ *

(١) فى بعض أصول الأغانى : كانت بك الأثر . والديوان كما أثبت .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : أخوالك وجيرانك .

(٣) السجال جمع السجل وهو الدلو العظيم .

(٤) رجالا: جمع رجلة أى راجلة غير راكبة

(٥) الوجا : الحفا والآل : الذى تراه فى أول النهار وآخره وهو السراب .

ولما حُبس الحطيئة كلّم عمرُو بنُ العاص فيه عمرَ بنَ الخطاب رضى الله عنه ، فأخرجه ، فأنشده قوله :

* ماذا تقول لأفراخ بذى أَمَرٍ *

فبكى عمر رضى الله عنه .

فقال عمرو بن العاص : ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أعدل من رجل يبكى على تركه الحطيئة . فقال عمر : علىَّ بالـكُرْسىِّ فأُتِى به ، فجلس عليه ثم قال : أشيروا علىَّ فى الشاعر ، فإنه يقول الهُجْرَ ، ويَنْسُبُ بالُحرَم ، ويمدح الناس ويذمهم بغير مافيهم ، ما أُرانى إلّا قاطعا لسانه ، ثم قال : علىّ بالطَّسْت ، فأُتى به ، ثم قال : علىَّ بالمِخْصَف ، عَلَىَّ بالسِّكين ، لا ، بل علىَّ بالمُوسى فهو أَوْحَى(١) ، فقالوا : لا يعود يا أمير المؤمنين وأشاروا إليه أن قُلْ لا أعود ، فقال : لاأعود ياأمير المؤمنين فقال له : النَّجاءَ . فلما ولّى قال له عمر : ياحُطيئة ، كأنى بك عند فتى من قريش قد بسط لك نمرُقةً(٢) ، وكسر لك أخرى وقال : غَنِّنا ياحُطيئة . فطفِقْت تغنيه بأعراض الناس . قال الراوى : فرأيت الُحطيئة بعد ذلك عند عُبيد الله بن عُمَر ، وقد بسط له نُمرقة وكسر له أخرى وقال : غنّنا يا حطيئة . فجعل يُغَنِّيه ، فقلت له : ياحُطيئة ، أتذكر قول عُمَر ؟ ففزع من ذلك وقال : يرحم الله ذلك المَرْءَ ، أما لو كان حيّا لما فعلتُ . قال : ثم قلت لعُبيد الله : سمعتُ أباك يقول كذا وكذا ، فكنتَ أنت ذلك الرجل).

(ولما اطلقَ الُحطيئةَ أراد أن يُؤَكِّد عليه الُحجَّة ، فاشترى منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة آلاف درهم . فقال الحطيئة فى ذلك :

---

(١) أوحى : أسرع .

(٢) النمرقة : الوسادة .

وأخذتَ أطرافَ الكلامِ فلم تدَعْ ... شتْماً يضرُّ ولا مَديحاً يَنفعُ
وحَمَيْتَنِي عِرْضَ اللئيمِ فلم يَخَفْ ... ذَمِّي وأَصبحَ آمناً لا يَفزعُ)

ولم يزل الحطيئةُ فى بنى قُرَيع يمدحُهم ، حتى إذا أَحْيَوْا[١] قال لِبَغيضٍ : فِ لى[٢] بما كنت ضمنت[٣] ، فأتى بَغيضٌ عَلْقمةَ بن هَوْذَة فقال له : قد جاء اللهُ بالحَيَا ، فَفِ لى بما قلت — وقد كان ضَمِنَ له مائة بعير — وأبرِئنى ممَّا كنت ضَمَّنته عهدى[٤] ، فقال : نعم ، سَلْ فى بنى قُرَيع ، فمهما فضَل بعد عطاياهم أن يُتِمَّ مائة أتممتُه له ، ففعل ، فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيرا . كان الرجل يُعطيه على قَدْر ماله البعيرَ والبعيرين ، فأتمها علقمةُ له مائةً وراعِيَيْن ، فدُفعت إليه ، فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم إلى أن رحل عنهم ، فقال :

لا يُبعِدُ اللهُ إذ ودَّعتُ أرضَهمُ ... أخى بَغيضاً ولكنْ غيرُه بَعِدَا
لا يُبعد اللهُ من يعطى الجزيلَ ومَن ... يَحْبو الجليل وما أكدى ولا نَكِدَا
ومن تُلاقيه بالمعروف مُبتهجا ... إذا أُجْرَهِدَّ صَفا المذمومِ أو صلَدا[٥]
لاقيتَه فَلَجا[٦] تَندَى أناملُه ... إنْ يُعْطِك اليوم لا يَمْنَعْك ذاك غدَا
إنى لرافدُه وُدِّى ومَنْصَرَتى ... وحافظٌ غَيبه إن غاب أو شَهِدا

---

(١) أحيوا : أصابهم الحيا وهو المطر .

(٢) فى المختار : أوف لى .

(٣) فى الأغانى : تضمنت .

(٤) فى الأغانى : مما تضمنته عهدتى .

(٥) اجرهدت الأرض : لم يوجد فيها نبات ولا مرعى والصفا : جمع صفاة وهى الصخرة الملساء . وصلد صلودا : لم يور .

(٦) فى الأغانى : « ثلجاً » ومعناها فرحا مبتهجا . هذا ، والفلج من معانيه النهر الصغير أو الماء الجارى والصبح وفى ت : لاقيته ماجدا ، وفى الديوان ١١٩ كالأغانى ولكنه تذييل للديوان وليس من أصله .

بينما ابنُ عبَّاس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد ما كُفَّ بصرُه ، وحوله ناسٌ من قريش إذ أقبل أعرابىٌّ يَخْطِر وعليه مِطرَفُ خَزٍّ وَجُبَّةُ خزٍّ وعمامةُ خَزٍّ ، حتى سلّم على القوم ، فردُّوا عليه السلام ، فقال : يا ابن عمّ رسول اللهِ أَفتِنى . قال : فى ماذا ؟ قال : أتخاف علىَّ جُناحا إن ظلمنى رجل فظلمتُه ، أو شتمنى فشتمتُه ، وَقصَّر بى فقصَّرت به ؟ فقال : العفو خير ، ولمن انتصر فلا جُناح عليه ، فقال : يا ابن عم رسول الله ، أرأيت امْرَأً أتانى فغرّنى ، ووعدنى ، ومنّانى ثم أخلفنى ، واستخفّ بحرمتى أيَسَعُنى أن أهجوه ؟ قال : لا يصلح الهجاء ، لأنه لا بدّ لك أن تهجو غيره من عشيرته ، فتظلم من لم يظلمك ، وتشتم من لم يشتمك ، وتبغى على من لم يبغ عليك ، والبغى مَرْتَعٌ وخيم ، وفى العفو ما قد علمتَ من الفضل . قال : صدقتَ وبَرِرْتَ ، فلم يَنْشَبْ أن جاء[1] عبد الرحمن بن سَيْحان المُحاربىّ حليفُ قريش ، فلما رأى الأعرابىَّ أجلَّه وأعظمه ، وألطف فى مَسْأَلته وقال : قرّب الله دارك أبا مليكة . فقال ابن عباس : أجَرْول ؟ قال : جَرْوَل ، فإذا هو الحطيئة ، قال ابن عباس : لله أنت أىّ مِرْدَى قِذَاف وذائد عن عشيرة ومُثْنٍ بعارفة تؤتاها أنت يا أبا مليكة ، ولو كنت عرَكْت بجنبك[2] بعضَ ما كرهتَ من أمر الزبرقان كان خيرا لك . ولقد ظلمتَ من قومه من لم يَظلمك وشتمت من لم يشتمك ، قال : إنى والله بهم يا ابن العبَّاس لعارف[3] . قال : ما أنت أعلم بهم من غيرك ، قال : بلى والله يرحمك الله . ثم أنشأ يقول :

أنا ابنُ بَجدَتهم عِلما وتَجرِبةً[4] ... فاسأَلْ بسعْدٍ تَجدْنى أعلم الناسِ

---

(١) فى الأغانى : أن أقبل .

(٢) فى ا : « لحبيك » بدون نقط .

(٣) فى الأغانى : « يا أبا العباس لعالم » وعلق عليه بأن أبا العباس كنية عبد الله بن العباس

(٤) «ابن بجدتها» يقال للعالم بالشىء المتقن له والبجدة : دخلة الأمر وباطنه .

سعدُ بن زيد كثيرٌ إنْ عَدَدْتَهُمُ ... ورأسُ سعدِ بن زيدٍ آلُ شَمَّاسِ
والزبرقانُ ذُنَابَاهم وشرُّهمُ ... ليس الذُّنَابى أبا العباس كالرَّاسِ (١)

فقال له ابنُ عباس : أقسمت عليك بالله أن تقول إلا خيراً قال : أفعل ، ثم قال ابنُ عباس : يا أبا مليكة . من أشعر الناس ؟ قال : من الماضين أم من الباقين ؟ قال : من الماضين ، قال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروفَ من دُونِ عِرْضه ... يَفِرْه ومن لا يتَّق الشـتمَ يُشْتَمِ

وما بدونه الذي يقول :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المُهَذَّبُ

ولـكنَّ الضراعةَ أفسدته كما أفسدت جَرْوَلًا - يعنى نفسه - واللهِ يا ابن عم رسول الله لولا الطمع والجشع لـكنتُ أشعر الماضين ، أما الباقون فلا تَشْكُكْ أنى أشعرهم وأصْرَدُهم سهما إذا رَميت (٢) .

قال أبو عبيدة : إن عبد الله بن أبي ربيعة لما قدم من البَحْرَيْن نزل على الزبرقان بمائه فَحَلَّأه عنه (٣) وهو الماء الذي يقال له بُنْيان (٤) فنزل على بنى أنف الناقة بمائهم وهو الذي يقال له وَشِيع ، فأكرموه وذبحوا له شاة ، وقالوا : لو كانت إبلنا منا قريبةً لنحرنالك . فراح من عندهم يتغنى فيهم بقوله :

---

(١) انظر الهامش قبل السابق . والذنابى : الذنب .
(٢) أصردهم : أنفذهم . وفى ت وأجذلهم سها إذا رضيت .
(٣) حلأه عن الماء : منعه وحبسه عن الورد. وفى المختار : فحذاه. وكلمة عنه فى ت فقط
(٤) فى المختار والأغانى : « تبيان » وليس فى معجم البلدان إلا تبنان وهو واد « وبنيان » وذكر البيت : « مقيم على بنيان » ونسب للحطيئة وليس فى ديوانه .

وما الزبرقانُ يوم يمنَـــعُ ماءه ... بمُحتَسِبِ التَّقْوى ولا مُتوكِّلِ
مقيمٌ على بُنْيـانَ يمنـــع ماءَه ... وماءُ وَشيعٍ مُطْمَئِنٌّ لمُرمِـلِ (١)

فركب الزبرقان إلى عمر فاستعداه على عبد الله وقال : هجانى ، فسأل عمر عن ذلك عبدَ الله فقال : إنى نزلت على مائه فحلَّأنى منه ، فقال عمر : يا زبرقان ، أتمنع ماءك من ابن السبيل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا أمنع ماءً حَفَر آبائى مجارِيه ومُستقرَّه ، وحفرتُه أنا بيدى ؟ فقال عمر : والذى نفسى بيده إن بلغنى أنك منعت ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتنى بنجدٍ أبدا ، فقال بعض بنى أنف الناقة يعيّر الزبرقانَ بما فعله :

أتدرى من منعتَ وُرودَ حوضٍ ... سَليلَ خَضارِمٍ مَنعوا البِطَاحا (٢)
أزادَ الرَّكْبِ تمنع أم هِشَـاما ... وذا الرُّمحين أمنعَهم سِـــلَاحا (٣)
هُمُ منعوا الأباطـحَ دون فِهْرٍ ... ومَنْ بالخَيْفِ والبُدْنَ اللِّقَاحَا
بضربٍ دُون بيضَتِهم طِلَخْفٍ (٤) ... إذا الملهوف لاذَ بهم وصـاحا
وما تَـدرى بأيِّهُمُ تُـلاقى ... صُدُورَ المَشرفيَّةِ والرِّمــاحا

لما حضرت الحطيئةَ الوفاةُ اجتمع إليه قومه فقالوا : يا أبا مُليـكة ، أوْصِ . فقال : ويلٌ للشِّعر من رَاويةِ السوء . قالوا : أوصِ رحمك الله يا حُطىء قال : من الذى يقول :

---

(١) فى الأغانى : « ماء ظمآن مرمل » وفى معجم البلدان : ماء عطشان مرمل . هذا ، والمرمل الذى فقد زاده .

(٢) الخضارم : جمع الخضرم وهو الجواد الكثير العطية مشبه بالبحر الخضرم وهو الكثير الماء أوهو السيد الحمول .

(٣) «زاد الركب» لقب أبى أمية بن المغيرة عم عبد الله بن أبى ربيعة ولقب مسافر بن أبى عمرو ابن أمية ولقب زمعة بن الأسود؛ قيل لهم: أزواد الركب. لأنهم كانوا إذا سافروا يطعمون كل أحد يكون معهم ويكفونه الزاد. انظر اللسان مادة «زود» وهامش الأغانى عند هذا البيت . وذو الرمحين: أبو ربيعة بن المغيرة والد عبد الله بن أبى ربيعة .

(٤) طلخف : شديد .

إذا أَنبضَ الرَّامونَ عنها ترَنَّمتْ ترنُّمَ ثَكْلَى أوجعتها الجنائزُ(١)

قالوا: الشمَّاخ، قال: أبلغوا غَطَفان أنه أشعر العرب، قالوا: ويحك أهذه وصية؟ أوصِ بما ينفعك. قال: أبلغوا أهلَ ضابئ أنه شاعر حيث يقول:

لكلّ جديدٍ لذّةٌ غير أنني وجدتُ جَديدَ الموت غير لذيذ

قالوا: أوصِ ويحك بما ينفعُك. قال: أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول:

فيالَكَ من ليلٍ كأنّ نُجومَه بكلّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّت بِيَذْبُلِ

قالوا: اتق الله ودَعْ عنك هذا. قال: أبلغوا الأنصار أن شاعرهم(٢) أشعر العرب حيث يقول:

يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ لا يَسألون عن السَّوادِ المُقبلِ

قالوا: إن هذا لا يُغنى عنك شيئا، فقل غير ما أنت فيه، فقال:

الشِّعرُ صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ إذا ارتقى فيه الذى لا يَعْلَمُهْ
زلَّتْ به إلى الحضيضِ قدَمُهْ يُريد أن يُعْرِبه فيُعْجِمُهْ

قالوا: هذا مثل الذى كنت فيه؛ فقال:

قد كنتُ أحياناً شديدَ المُعْتَمَدْ وكنتُ ذا غَرْبٍ على الخصْمِ ألَدّ
فورَدَتْ نفسى وما كانتْ تَرِدْ(٣)

(فقالوا: يا أبا مليكة، ألك حاجة؟ قال: لا والله، ولكنى أجزع على المديح الجيِّد يُمدَح به من ليس له أهلا) قالوا: فمن أشعر الناس؟ فأومأ بيده إلى فمه وقال:

---

(١) انبض القوس: جذب وترها لتصوت.

(٢) فى الأغانى: «أن صاحبهم» هذا، والمراد به حسان بن ثابت.

(٣) فى بعض أصول الأغانى: «وما كادت ترد» وكذلك فى الديوان ص ١١١.

هذا الُجحَير ، إذا طمع فى خَير . واستعبر باكيا . قالوا له : قل : لا إله إلا الله . قال :

قالت وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ عَوْذٌ بِرَبِّى منكمُ وحُجْرُ(١)

(فقالوا له : ما تقول فى عَبيدك وجَوَاريك(٢) ؟ فقال : هم عبيد قِنٌّ ما عاقب الليل النهار ، قالوا : فأوصِ للفقراء بشىء ، قال : أُوصيهم بالإلحاح فى المسألة ، فإنها تجارة لا تبور ، وأستُ المسئول أضيق . قالوا : فما تقول فى مالِك ؟ قال : للأنثى مِثْلَا حَظِّ الذَّكَر ، قالوا : ليس هكذا قضى الله عزّ وجل ، قال : لكنى أنا هكذا قضيت . قالوا : فما توصى لليتامى ؟ قال : كلُوا أموالهم ونيكوا أمهاتهم . قالوا : فهل شىء تَعهده فينا غير هذا(٣) ؟ قال : نعم ، تحملونى على أتانٍ وتتركونى راكبَها حتى أموت ، فإن الكريم لا يموت على فراشه ، والأتانُ مَركبٌ لم يَمُتْ عليه كريمٌ قط . فحملوه على أتانٍ وجعلوا يذهبون به عليها ويجيئون حتى مات) وهو يقول :

لا أحدٌ أَلْأَمُ من حُطَيَّهْ هَجَا بَنِيه وهَجَا الُمرَيَّهْ
من لُؤْمِه مات على فُرَيَّهْ

الفُرَيَّة : الأتانُ(٤) .

قال حمادٌ الراوية : دخل رجل على الُحطيئة وهو مضطجع على فراشه ، وإلى جانبه جارية سوداء ، قد خرجت رِجلاها من تحت الكساء ، فقال له : ويحك، أفى رِجلك خُفٌّ ؟ قال : لا والله ولكنها رِجْلُ سوداءَ ، أتدرى من هى ؟ قال : لا ، قال : هى التى أقول فيها :

(١) حيدة: صدود ونفور . وحجر : دفع ومنع .
(٢) فى الأغانى : وإمائك. هذا، وفى المختار : وجوارك .
(٣) فى الأغانى : فهل شىء تعهد فيه غير هذا .
(٤) الفرية تصغير الفرا: وهو حمار الوحش .

وآثرتُ إدلاجى على لَيْـلِ حُرَّةٍ   هَضِيمِ الحشا حُسَّانةِ المُتجرَّدِ(١)
تُفَرّق بالمِدْرَى أَثِيثًا نَباتُه   على واضِحِ الذِّفْرَى أَسيلِ المُقَلَّدِ(٢)

والله لو رأيتَها يا ابن أخى ماشربتَ الماء من يدها . قال: فجعلت تسبُّه أقبح سبّ وهى تضحك(٣) .

لما أُنشد عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه قولَ الُحطيئة :

متى تأتِه تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِه   تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ

قال : كذب ، بل تلك نار موسى نبى الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم .

قال رجل من كعب : جئت سوق الظهر، وإذا بكُثَيِّرٍ والناسُ مجتمعون عليه(٤)، فخلصت إليه حتى(٥) دنوت منـه فقلت : أبا صخر ، فقال : ما تشاء ؟ قلت : مَن أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :

وآثرتُ إدلاجى على لَيْـلِ حُرَّةٍ   هَضِيمِ الحشا حُسَّانةِ المُتَجَرَّدِ

قال : فقلت : هذا الُحطيئة ، قال : هو ذاك .

---

(١) الحسانة : الشديدة الحسن .

(٢) المدرى : شىء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لم يكن له مشط . والأثيث : الكثيف الكثير . والذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . والأسيل: الطويل . والمقلد : العنق

(٣) فى الأغانى : وهو يضحك .

(٤) فى الأغانى : «متقصفون عليه» أى مزدحمون .

(٥) فى الأغانى : فتخلصت حتى .

جرير [1]

(هو جَرير بن عَطِيّة بن الخَطَفى)، والخَطَفى لقب ، واسمه حُذَيفة بن بدر[2] بن سَلَمة بن عَوْف بن كُلَيب بن يَربوع بن حَنْظلة بن مالك بن زَيد مناةَ بن تميم ابن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضر ، كُنيته أبو حَزْرَة . ولُقِّب الخَطَفى[3] بقوله :

يرْفَعْن باللَّيْـلِ إذا ما أَسْدَفَا ... أَعناقَ جِنَّانٍ وهــاماً رُجَّفَا[4]

وعَنَقًا بعد الـكَلالِ خَيْطفَا[5]

(هو والفرزدق والأخطل مُقدَّمون على شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية ، ومختلف فى أيهم المقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلَّا تعرَّض لهم فافتضَح وسَقط وبَقُوا يتصاولون). ودخل الأخطلُ بين جريرٍ والفرزدقِ فى آخر أمرهما وقد أسَنَّ ونَفِدَ أكثرُ عُمره ، وهو وإن كان له فضله وتقدمه فليس بَحْرُه من بحار[6] هذين فى شيء .

---

(١) الأغانى : دار الـكتب جـ ٨ ص٣ ودار الثقافة ٣/٨ وبولاق ٣٨/٧ والساسى ٣٥/٧ والتجريد ٩١٥ .

(٢) فى ا ، ت زيد .

(٣) أى لقب جده الخطفى بقوله .

(٤) فى الأغانى واللسان مادة خطف : رجفا . هذا، وفسر اللسان «الجنان» بأنها جنس من الحيات إذا مشت رفعت رءوسها .

(٥) خيطف : سريع. والعنق نوع من المشى والسير .

(٦) فى الأغانى : « فليس نجره من نجار هذين » هذا، ونسختا ا ، ك لم تنقطا والنقط فى ت والنجر: الأصل .

ووُلد جريرٌ لسبعة أشهر ، وبذلك كان الفرزدق يعيره فيقول :

* وأنتَ ابنُ صُغْرى لم تتمَّ شهورُها[١] *

وأُمُّ جريرٍ أُمُّ قيس بنتُ سعد[٢] بن عُمير بن مسعود بن حارثة بن كليب[٣] ابن يربوع ، وأُمُّ عطيَّة: النَّوَارُ بنت يَزيد بن عبد العُزَّى بن مسعود بن حارثة بن عَوْف ابن كليب .

واتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وقيل : إن الراعيَ معهم في طبقتهم ولكنه آخرهم .

قال يونس : ما شَهدت مَشْهداً قطُّ ذُكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما . وكان يونس فرَزدقِيًّا .

وكان أبو عمرو يُشبّه جريراً بالأعشى ، والفرزدق بزُهير ، والأخطل بالنابغة .

(وكان جرير أكثرَهم لفنون الشعر وأسهلهم ألفاظا ، وأقلهم تكلّفاً وأرقهم نسيبا وكان دَيِّنا عَفيفا ، وبهذه الفنون احتجَّ من يُقدِّمه .)

قال محمد بن سلام : رأيت أعرابيا من بني أُسيد من بني سَلامة أعجبني ظَرفُه وأدبُه[٤] ، فقلت له: أيُّما أشعر[٥] عندكم ؟ قال : بيوت الشّعر أربعة : فَخر ومَديح ونَسيب وهِجاء ، وفي كُلِّها غلب جرير. فالفخر قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميمٍ ... حسبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضَابَا

---

(١) لم أعثر على أوله لا في ديوانه ولا في النقائض .

(٢) كذا في أصول الأغاني وأصول المختار. وفي النقائض ص٧ : «معيد» بالتصغير وأوله ميم

(٣) في الأغاني : بن حارثة بن عوف بن كليب ويؤيده نسب أم عطية وهي النوار .

(٤) في الأغاني : « ورأيت أعرابيا من بني أسد أعجبني ظرفه وروايته » وانظر طبقات ابن سلام ١٩ م فهو كالمختار .

(٥) في الأغاني : أيهما .

والمديح قوله :

أَلستمْ خيرَ من ركب المَطايا ... وأنــدى العالمين بُطُونَ راحِ

والهجاء قوله :

فغُضَّ الطرفَ إنـك من نُمَيرٍ ... فــلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابَا

والنسيب قوله :

إن العيون التى فى طرفها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنَا ثم لم يُحيين قَتْلانا

وقيل : إن بيت النسيب هو قوله :

فلما التقى الحيَّانِ أُلقِيَتِ العصَا ... وماتَ الهوى لما أُصيبتْ مَقاتلُهْ

(قال الأصمعى : وكان جرير يَنهشه ثلاثةٌ وأربعون شاعرا ، فنبذهم وراء ظهره ، يرمى بهم واحدا واحدا ، وثبت الفرزدق والأخطل .)

(وقال جرير : والله ما يهجونى الأخطل وحـده ، وإنه ليهجونى معه خمسون شاعرا ، كلُّهم عربىّ ليس بدون الأخطل ، وذلك أنه إذا أراد هجائى جمعهم على شراب فيقول هذا بيتا وهذا بيتا ، وينتحل هو القصيدة بعد أن يتمّموها)

وكان الفرزدق يقول : إنى وإياه لنغرف من بحر واحد ، ويضطرب دَلْوُه عند طول النهر .

مرّ راكبٌ بالرَّاعى وهو يغنى بيتى جرير :

وعاوٍ عوَى من غـير شىءٍ رَميتُه ... بقارعــةٍ أَنفاذها تَقْطُرُ الدَّما

خَروجٍ بأفـــواهِ الرُّواةِ كأنها ... قَرَا هُنْدُوانىٍّ إذا هُــزَّ صَمَّما(1)

فأتبعه الراعى رسولا يسأله : لمن البيتين ؟ فقال : هما لجرير ، فقال الراعى : لو اجتمع على هذا الإنسُ والجنُّ ما أغنوا فيه شيئا . ثم قال لمن حضره : ويحكم ، أَلام على أن يغلبنى مثل هذا ؟

(١) القرا : الظهر . والهندوانى : نسبة للهند ويراد به السيف .

دخل بعض موالى بنى هشام على الفرزدق وهو على شراب ، فقال : حاجتَك يا ابن أخى ، فسأله عنه وعن جرير . فقال : أعن ابن الخطَفى تسألنى ؟ ثم تنفس حتى قلت: انشقت حيازِيمُه[١] . ثم قال : قاتله الله فما أخشن ناحيتَه ، وأشرد قافيتَه ! والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها والشابة على أحبابها ، ولكنهم هَرُّوه[٢] فوجدوه عند الهِراش نابحا وعند الجِراء قارحا ، وقد قال بيتا لأن أكون قلتُه أحبُّ إلىَّ مما طلعت عليه الشمس :

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ حسبتَ الناس كلَّهم غِضابا

قال إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدِم جرير المدينة ، فبينا نحن ذات يوم عنده إذ قام لحاجة ، وجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ قلنا : قام آنفا ، ما تريد منه ؟ قال: أُخزيه ، والله إن الفرزدق لأشعر[٣] منه وأشرف [قلنا له : لا تُرِدْ ذلك . فلم ينشب أن جاء جرير فقال له الأحوص : السلام عليك ، قال : وعليك السلام . قال : يا ابن الخطَفى ، الفرزدق أشعرُ منك وأشرف][٤] فأقبل جرير علينا فقال : من الرجل ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن الأقلح . قال : هذا الخبيث ابن الطيب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت :

يَقَرُّ بعينى ما يقرُّ بعينها وأحسن شىء مابه العينُ قَرَّتِ

فإنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر فيقر ذلك بعينك . وكان

---

(١) الحيازيم جمع الحيزوم : وهو الصدر أووسطه .

(٢) كذا فى أصول المختار وأصول الأغانى . وفى شرح شواهد التلخيص ص ٣٠٤ طبع بولاق «هروه» لكن يقال: أهره جعله ينبح ، ومنه : شر أهرذاناب. وقوله: وجدوه عند الهراش نابحا يؤيدأهروه إذا كانت وحدها ، أما مع قوله: وعند الجراء قارحا فإنها تؤيد هزوه : أى حاولوا اختباره فوجدوه . . ووجدوه . .

(٣) فى ت : أخبره والله أن الفرزدق أشعر .

(٤) ما بين معقوفين ساقط من الأغانى .

الأحوص يرمى بالأبنة فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة ، وأقبلنا نسأل جريرا وهو فى مؤخَّر البيت وأشعب عند الباب . وأقبل أشعب يسأله ، فقال له جرير : والله إنك لأقبحهم وجها ، وما أراك[1] أطولهم حسبا ، وقد أبْرَمْتَنى . قال : أنا والله أنفعهم لك فانتبه جرير له وقال : وكيف ؟ قال : لأنى أُملِّح شعرك . واندفع يغنيه ، وكان أشعب أحسن الناس صوتا :

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ قبلَ الفِراقِ وقبل عَذْلِ العُذَّلِ
لو كنت أعلم أن آخرَ عهدكمْ يوم الرَّحيلِ فعلتُ ما لم أفعلِ

قال : فأدناه حتى ألصق ركبته بركبته ، ثم قال : أجل والله إنك لأنفعهم لى وأحسنهم تزيينا لشعرى ، أعِدْ ، فأعاد . وجعل جرير يَبكى حتى اخضلَّت لِحيتُه ، ثم وهب لأشعب دراهمَ كانت معه ، وكساه حُلَّة من حُلَل الملوك ، وكان يرسل إليه طولَ مُقامِه بالمدينة فيغنيه ، ويُعطيه جريرٌ شِعرَه فيغنى فيه .

كان راعى الإبل يقضى للفرزدق على جرير ويفضله ، وكان راعى الإبل قد ضخم أمرُه ، فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال لهم : هل تعجبون لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق علىَّ ، وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم ، قال جرير: وصوَّبت رأيى فيه . ثم خرج جرير ذات يوم يمشى ولم يركب دابّته وقال : والله ما يسرنى أن يعلم بى أحد ، وكان للفرزدق ولراعى الإبل ولجلسائهما حلقة بأعلى المِرْبد بالبَصْرة يجلسون فيها ، فخرجت أتعرض له لألقاه من حِيَال حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرنى أن يعلم أحد ، حتى إذا هو مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مُهْرٍ له أحوى محذوفِ الذَّنَب وإنسان يمشى معه ، فلما استقبلته قلت : مرحبا بك يا أبا جندل ، وضربت بشمالى على مَعْرَفة بغلته ،

---

(١) فى الأغانى : « ولكنى أراك » ولكن ما فى المختار أنسب .

ثم قلت : يا أبا جندل ، إن قولك يُسمع وإنك لتفضل الفرزدق عليّ تفضيلا قبيحا ، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم ، وهو ابن عمى عليك[١] ، ويكفيك من ذلك هَيّنٌ إذا ذُكرنا أن تقول: كلاهما شاعر كريم ، فلا تحمل منه لائمة ولا منى . قال : فبينما أنا وهو كذلك واقفا عليّ وما رَدَّ شيئا حتى لحق ابنهُ جندل ، فرفع كَرْمَانِيَّةً[٢] معه وضرب بها عَجُز بغلته ثم قال : أراك[٣] واقفا على كلب من بنى كُلَيْب ، كأنك تخشى منه شرا أو ترجو منه خيرا ، وضرب البغلة ضربة ، فزحمتنى زحمة[٤] وقعتْ منها قَلَنْسوتى ، فوالله لو يُعرّج عليّ الراعى لقلتُ: سَفِيهٌ غَوِىّ ، يعنى جندلا ابنه ، ولكن لا والله ما عاجَ عليّ . وأخذت قلنسوتى فمسحتها ثم أعدتها على رأسى ثم قلت :

أجندلُ ما تقـــول بنو نُمَيرٍ إذا ما الأيرُ فى است أبيك غابا

فسمعت الراعى يقول لابنه : أما والله لقد طرحتَ قلنسوته طرحةً مَشْئومة . قال جرير : ولا والله ما القلنسوةُ بأغيظِ أمره إلىَّ لو كان عرّج عليّ[٥]. فانصرف جرير غضبان حتى إذا صلى العشاء ومنزله فى عِلِّيَّة[٦] له قال : ارفعُوا لى باطيةً من نبيذ وأَسْرِجوا لى ، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيـذ ، فجعل يُهَيْنِم[٧] ، فسمعتْ صوته عجوزٌ فى الدار فطلعت فى الدَّرَجة حتى نظرت إليه ، فإذا هو يحبو

(١) كلمة « عليك » ليست فى الأغانى .

(٢) السكرمانية لعلها سوط أو نسبة شاذة للكرم فيكون قطعة من فروع كرم يستعملها كالسوط .

(٣) فى الأغانى : لا أراك .

(٤) فى الأغانى : فرمحتنى رمحة وفى النقائض ٤٣١ كالمختار .

(٥) فى الأغانى : عاج على .

(٦) فى الأغانى : بمنزله فى علية، هذا والعلية : الغرفة فتكون « بمنزله » أصوب .

(٧) يهينم : يصوت صوتا خفيا .

على فراشه عُريان ، لما هو فيه ، فانحدرت فقالت: ضيفكم مجنون، رأيت منه كذا وكذا، فقالوا لها: اذهبي لِطِيَّتك[1] ، نحن أعلم به وبما يمارس ، فما زال كذلك حتى السحر، ثم إذا هو يُكَبِّر قد قالها ثمانين بيتاً فى بنى نمير ، فلما ختمها بقوله[2] :

فغضّ الطرفَ إنك من نُمَير فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابَا

[فذاك حين][3] كبر ، ثم قال : أَخزيتُه وربِّ الكعبة . ثم أصبح حتى إذا عرف أن النـاس قد جلسوا فى مجالسهم بالمِرْبد وهو يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دَعَا بدُهْنٍ فادَّهَنَ وكَدَّ رأسَه[4] وكان حسنَ الشَّعَر ، ثم قال: ياغلام أَسْرِجْ لى ، فأسرج له حِصانا ، ثم قصد مجلسهم حتى إذا كان بموضِع السلام لم يُسَلِّم ، ثم قال : ياغلام قل لعُبيد: أبعثتك نِسوتُك تكسبهن المالَ بالعراق ؟ أما والذى نفس جرير بيده لترجعنَّ إليهن بِمَيْرٍ يسوءهن ولا يَسرّهن . ثم اندفع فيها فأنشدها وأولها :

أقلِّى اللَّوْمَ عاذِلَ والعِتـابا وقُولى إن أصبتِ لقد أصابا

فنكّس الفرزدق وراعى الإبل رأسيهما وأَزَمَّ القوم[5] حتى إذا فرغ منها سار، ووثَبَ راعى الإبل ساعتئذ وركب[6] بغلته بِشَرٍّ وعُرّ ، وخلا المجلس حتى أوفى إلى مَنزله[7]، ثم قال لأصحابه : رِكَابَكم، فليس لكم هاهنا مُقام. فَضَحكم واللهِ جريرٌ ، فقال له بعض القوم : ذلك شؤمك وشؤم ابنك . فما كان إلا ترحُّلُهم . قال : فسِرْنا

---

(١) ذهب لطيته : مضى لوجهه الذى يريده ووطره .

(٢) البيت فى النقائض هو السابع والسبعون والقصيدة ١١٢ بيتا .

(٣) ما بين معقوفين ليس فى الأغانى .

(٤) كذا فى نسخ المختار وهى بعيدة المعنى بالنسبة للشعر . وفى الأغانى: وكف شعره. ومعناها جمعه وضم أطرافه .

(٥) أزم: من معانيها أمسك وغيرها محققو الأغانى إلى أرم : أى سكت.

(٦) فى الأغانى : وثبت راعى الإبل ساعة ثم ركب .

(٧) فى الأغانى : حتى ترقى إلى منزله . وفى أصول أخرى : حتى أتى إلى المنزل الذى ينزله .

إلى أهلنا سَيراً ما ساره أحد ، وهم بالشُّرَيف ، وهو أعلى دارِ بنى نُمير ، فيحلف باللهِ راعى الإبل إنا وجدنا فى أهلنا :

فغُضَّ الطرْفَ إنـك من نُمَيرٍ　　　فـلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

وأقسَمَ بالله ما بلغه قطُّ إنسىٌّ ، وإن لجريرٍ أشياعا من الجن فتشاءمَتْ به بنو نمير وسبُّوه وابنَه ، فهم يتشاءمون به إلى الآن .

وقيل : إنه لما شرع فيها لم يزل حتى بلغ قوله :

فغض الطرف إنك من نمير .

وهو يملى على مولًى لبنى كُلَيْب بن يربوع ، فجعل يردِّد هذا النِّصف وهو لايزيد عليه ، حتى نام الذى كان يُمْلى عليه ، وإذا بجرير قد وثب حتى أصاب رأسُه السَّقْف ، فـكبَّر ثم صاح : أخزيتُه واللهِ ، اكتب :

فلا كعبا بلغت ولا كلابا .

غَضَضْتُه وقَدَّمْتُ إخوته عليه ، واللهِ لا يُفلح بعدها . فـكان والله كما قال ، ما أفلح هو ولا نميرىٌّ بعدها .

قال أبو عبيدة : الْتقَى جريرٌ والفرزدق بِمـنًى وهما حاجّانِ ، فقال الفرزدق لجرير :

فإنك لاقٍ بالمنـازل من مِـنَى　　　فَخَارًا فخبِّرنى بمن أنت فاخرُ

فقال جرير : لبَّيْـك اللهمَّ لبيك . فـكان الناس يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون به .

قال عِكرمة بن جرير : قلت لأبى : ياأَبَت ، من أشعر الناس ؟ قال : فى الجاهلية تريد أم فى الإسلام ؟ قلت : أخبرنى عن الجاهلية ، قال : شاعر الجاهلية زُهير . قلت : فالإسلام ؟ قال : نبعة الشعر الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد صِفة الملوك ويُصيب نعْتَ الخمر ، قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : دعنى فإنى نحرت الشعر نحراً .

ولما وقف الفرزدق على جرير وهو ينشد قصيدته التي هجا بها الراعي ، فلما وصل إلى قوله :

فغضَّ الطرفَ إنك من نُمَــير — فــلا كَعباً بلغتَ ولا كِلابا

أقبل الفرزدق على راويته فقال : غَضَّه واللهِ فلا يجيبه ولا يفلح بعدها أبدا ، فلما بلغ إلى قوله :

لها بَرَصٌ بإحدى إسْكتيها[1] .

وضع الفرزدقُ يدَه على فِيه فغطَّى عَنْفَقَته . فقال جرير :

كَعنْفقة الفرزدقِ حين شابا فانصرف الفرزدق وهو يقول : اللهم أخْزِه ، والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكنى طمعت فى ألا يأبه له ، فغطَّيت وجهى ، فما أغنانى ذلك شيئا .

قال يونس: ما أرى جريرا قال هذا المِصراع إلا حين غطَّى الفرزدقُ عَنفقتَه ، فإنه نبَّهه عليها بتغطيتها .

وقيل : إن الراعى كَمِد لمّا سَمعها فمات كَمَدا . وبنو نمير يزعمون أن الراعى حلف لا يجيب جريرا عنها سنة غضبا على ابنه ، فمات قبل أن تمضى سنة[2] .

صنع عبدالملك للناس طعاما فأكثر وأطاب ، فأكل الناس ، فقال بعضهم: ما نرى أن أحدا رأى أكثر من هذا الطعام ولا أكل أطيب منه . فقال أعرابى من ناحية القوم : أما أكثرُ فلا ، وأما أطيب فقد والله أكلت أطيب منه ، وطفقوا يضحكون

---

(١) الإسكتان : جانبا الفرج. وفى الأغانى : بها برص . وفى النقائض ٤٤٠ « ترى برصا بمجمع إسكتيها » قال: ويروى : « لها برص » .

(٢) قوله « وقيل إن الراعى كمد . . . إلى قوله قبل أن تمضى سنة » هذان النصان لم يردا فى ترجمة جرير وإنما جاءا فى ترجمة الراعى ج ٢٠ ص ١٧١ بولاق والمجلد ٢٣ دار الثقافة على أن النصوص السابقة فى الراعى وجرير وردت كلها فى ج ٢٠ والمجلد ٢٣ .

من قوله فأشار إليه عبد الملك فَأُدْنِيَ منه ، فقال : ما أنت بمُحِقٍّ فيما تقول إلا أن تخبرنى بما يتبيّن به صدقك . قال : نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا فى هَجَر فى بَرْثٍ[1] أحمر فى أقصى حَجْر إذ تُوفِّى أبى وترك كَلًّا[2] وعيالا ، وكانت له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كأن تمرَها أخفافُ الرِّباع[3] ولم يُرَ تمرٌ قطّ مثلها لا أغلظ لِحاً[4] ولا أصغر نوًى ولا أحلى حلاوةً منها ، وكانت تطرُقُها أتانٌ وحشية قد ألِفتها، تأتى إليها بالليل تأوِى تحتها ، فكانت تُثْبت رِجليها فى أصلها ، وترفع يديها، وتقطع بفيها ، فلا تترك فيها إلا النَّبْذَ[5] والمتفرق فأعظمنى ذلك ووقع منى كلَّ موقِع ، فانطلقت بقوسى وأسهمى وأنا أظن أنى أرجع من ساعتى ، فمكثت يوما وليلة لا أراها ، فلما كان السَّحَر أقبلتْ فتهيأْتُ لها فرشقتُها فأصبتها وأجهزتُ عليها ، ثم عمدْت إلى سُرَّتها فافتريتها[6] وعمدت إلى حطب جَزْل فجمعته إلى رَضْف[7] وعمدت إلى زَنْدى فقدحتُ وأضرمت النار فى ذلك الحطب ، وألقيت سُرَّتها فيها ، وأدركنى نومُ الشَّباب فلم يُوقظنى إلا حرُّ الشمس فى ظهرى ، فانطلقت إليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قذًى وسواد ورماد ، ثم قلبتُ مثل الملاءَةِ البيضاء ، فألقيت عليها من رُطَب تلك النخلة المجزِّعة والمنصِّفة[8] فسمعت لها أَطِيطا[9] كتداعِى عامرٍ وغطفان.

---

(١) البرث: الأرض اللينة السهلة .

(٢) الكل : العيال والثقل .

(٣) الرباع: جمع الربع وهو الفصيل ينتج فى الربيع .

(٤) اللحا القشر ويراد به ثمرتها الخارجة أو لعلها «لحما» . ولم ترد الكلمة فى الأغانى .

(٥) النبذ : القليل .

(٦) افتريتها: من فرى الشىء: شقه. وفى الأغانى فاقتددتها.

(٧) الرضف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار .

(٨) المجزعة: التى بلغ الإرطاب نصفها أو ثلثيها والمنصفة: التى أرطب نصفها .

(٩) الأطيط : الصوت .

ثم أقبلت تناول الشحمة واللحمة فأضعهما بين تمرتين وأهْوِى بها إلى فى ، فأحلف أنى ما أكلت طعاما مثله قط . فقال عبد الملك : لقد أكلت طيّبا ، فمن أنت ؟ قال : أنا رجل جانبتنى عَنعنةُ تميم وأسد وكشكشة ربيعة وحُوشِىُّ أهل اليمن وإن كنت منهم. قال : فمن أيهم ؟ قال: من أخوالك ياأمير المؤمنين[1] من عُذرة ، قال : أولئك فصحاء الناس ، فهل لك علمٌ بالشعر ؟ قال : سَلْنى عما بدا لك . قال : أى بيت قالته العرب أمدح ؟ قال: قول جرير:

ألستمْ خيرَ من رَكِب المطايا وأندى العالمين بُطُونَ راحِ

قال : وجرير فى القوم ، فرفع رأسه وتطاول لها ، قال : فأى بيت قالته العرب أفخر ؟ قال : قول جرير :

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ حسبتَ الناسَ كلَّهم غضابا

قال : فتحرك جرير . ثم قال : أى بيت قالته العرب أهجى ؟ قال قول جرير :

فغضَّ الطرف إنك من نُميرٍ فلا كَعبا بلغتَ ولا كلابا

قال : فاستشرف لها جرير . قال : فأى بيت قالته العرب أغزل ؟ قال : قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها حَوَرٌ قتلْنَنا ثم لم يُحيين قتلانا

قال : فاهتز جريرٌ وطرب . قال : فأى بيت قالته العرب أحسن تشبيها ؟ قال : قول جرير :

سَرَى نحوهم ليلٌ كأن نُجومه قناديلُ فيهن الذُّبَال المُفَتَّلُ[2]

فقال جرير : جائزتى للعُذرِىّ يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : وله مثلها

---

(١) جملة « ياأمير المؤمنين » ليست فى الأغانى .

(٢) الذبال : الفتائل التى توضع فى القنديل .

من بيت المال ولك جائزتك لا تنقص شيئا . وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم وتوابعها من الُحمْلان والـكُسوة . فخرج العذرىّ ومعه ثمـانية آلاف درهم ورِزْمة ثياب .

قال عامر بن شبل : قدِم جريرٌ على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازل بدير المُرّان[1] فـكنا نغدو عليه كلّ يوم فيخرج[2] إلينا ويَجلس فى بُرْنُس خزٍّ له لا يكلّمنا كلمة حتى يجىء طبّاخ عبد العزيز[3] إليه بقدح من طِلَاء مُسخّن يفور ، وبكُتلة من سَمْنٍ كأنها هامةُ رجل ، فيخوضها فيه ، ثم يدفعه إليه فيأتى عليه ، ويُقبل علينا فيحدّثنا فى كل فنّ ، وينشدنا لنفسه ولغيره حتى يحضر غَدَاء عبد العزيز فنقوم إليه جميعا ، وكان يختم مَجلسه بالتسبيح فيُطيل ، فقُلنا له : ما يغنى عنك هذا التسبيح مع قَذْفك المُحصَنات ، فتبسّم ثم قال : « خَلَطُوا عَملًا صالحا وآخرَ سيِّئا عَسَى اللهُ أن يَتوبَ عليهم »[4] والله يبْدَءنى ثم لا أَحلُم .

قال الفرزدق : أبَقَ غلامانِ لرجلٍ منا يقال له الخَضِر ، فحدّثنى قال : خرجت فى طلبهما وأنا على ناقة لى كَوْماء عَيْسَاء[5] أريد اليمامة فلما صِرتُ فى ماء لبنى حنيفة يقال له الصَّرْصَرانُ ارتفعت سحابةٌ فرعَدت وأبرقت وأرخت عَزَالِيهَا[6] ، فعدَلْت

---

(١) فى الأغانى: دير مران « بدون ألف ولام » وكذلك هو فى معجم البلدان .

(٢) فى الأغانى : نغدو إليه بكرا فنخرج .

(٣) فى ا « طباخ عبد الملك » وهو تحريف وسهو فيها .

(٤) سورة التوبة الآية ١٠٢ .

(٥) الـكوماء: العظيمة السنام. والعيساء: التى يضرب لونها إلى الأدمة. وفى المختار «عنساء» ولا يوجد إلا العنسى وهى القوية .

(٦) يقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر « قد حلت عزاليها وأرسلت عزاليها » ومنه يقال : أرخت عزاليها. هذا، والعزالى جمع العزلاء : وهو فم المزادة الأسفل. فشبه اتساع المطر واندفاقه بالذى يخرج من فم المزادة .

إلى بعض ديارهم ، وسألت القِرَى فأجابوا ، فدخلت داراً لهم فأنخت الناقة وجلستُ تحت ظُلَّة لهم من جَرِيد النخل ، وفى الدار جُوَيرية سوداء ، إذ دخلت جارية كأنها سَبِيكة فِضّة ، وكأن عينيها كَوكبانِ دُرِّيّان ، فسألَتِ الجارية : لمن هذه العَيْساء[1]؟ ـ تعنى ناقتى ـ فقالت : لضيفكم هذا ، فعدلَتْ إلىَّ فقالت : السلام عليك . فرددت عليها السلام ، فقالت لى : ممن الرجل ؟ فقلت : من بنى حنظلة . قالت : من أيهم ؟ فقلت : من بنى نَهشل ، فتبسمت وقالت : أنت إذاً ممن عَناه الفرزدق بقوله :

إن الذى سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا ... بَيْتاً دعائمُه أعزُّ وأطولُ

بيتاً بناه لنا المَليك وما بَنَى ... مَلِكُ السماءِ فإنه لا يُنْقَلُ

بيتاً زُرارةُ مُحْتَبٍ بِفنائه ... ومجاشعٌ وأبو الفوارس نَهْشَلُ

قال : فقلت : نعم ، جعلنى الله فداكِ . وأعجبنى ما سمعت منها ، فضحكت وقالت : فإن ابن الخَطَفَى قد هدم عليكم بيتكم هذا الذى تفخرتم به حيث يقول :

أخزَى الذى رفع السماءَ مجاشعاً ... وبَنَى بناءَك بالحضيض الأسفلِ

بيتا يُحَمِّمُ قَينُكُم بفنائه ... دَنِسٌ مقاعدُه خبيثُ المدخلِ[2]

قال : فوجَمت ، فلما رأت ذلك فى وجهى قالت : لا عليك ، فإن الناس يُقال فيهم ويَقولون ، ثم قالت : أين تَؤُمُّ ؟ قلت : اليمامةَ ، فتنفست الصُّعَداء ثم قالت : ها هى تلك أمامك ، وأنشأت تقول :

تُذَكِّرنى بلاداً خيرُ أَهلى ... بها أهلُ المودّة والكَرامَهْ[3]

أَلا فَسَقَى الإلهُ أجشَّ صَوْتٍ[4] ... يَسُحُّ بِدَرِّه بلدَ اليمامَهْ

(١) فى المختار : العنساء .

(٢) كذا فى المختار . وفى الديوان ص ٤٤٤ والنقائض ص ٢١٤ : دنسا .

(٣) فى الأغانى : أهل المروءة .

(٤) الأجش : الصوت الذى فيه شدة وغلظة ويقال : رعد أجش : شديد الصوت . وفى الأغانى : أجش صوباً . والصوب : نزول المطر .

وحيًّا بالسلام أبا نُجَيدٍ   فأهلٌ للتحيّة والسلامهْ

قال : فأنست بها ثم قلت : أذاتُ خِدْرٍ (١) أم ذاتُ بعل ؟ فأنشأت تقول :

إذا رَقَد النِّيامُ فإن عَمْرًا   تُؤَرّقه الهمومُ إلى الصَّباحِ
تُقَطِّع قلبَه الذِّكرى وقلبي   فلا هو بالخلِيِّ ولا بصاحِ
سقى اللهُ اليمامةَ دارَ قومٍ   بها عَمْرٌو ونحنُ إلى الرَّوَاحِ (٢)

فقلت لها : مَن عمرو هذا ؟ فأنشأت تقول :

سألتَ ولو علمتَ كَففْتَ عنه   ومن لك بالجواب سوى الخبيرِ
فإن تك ذا قبولٍ إن عَمْرا   لَكالقمرِ المضيءِ المستنيرِ (٣)
وما لى بالتَّبَعُّلِ مُستراحٌ   ولو ردَّ التَّبَعُّل لى أسيرِى

ثم سكتت سكتة كأنها تتسمع إلى كلامٍ ، ثم تهافتت وأنشأت تقول :

يُخيَّل لى هَيَا عمرُو بنُ كعبٍ   كأنك قد حُملت على سريرِ
يَسير بك الهُوَيْنا القومُ لمَّا   رماكَ الحبُّ بالعلَق العَسيرِ (٤)
فإن تكُ هكذا يا عمرُو إنى   مُبَكّرة عليك إلى القبورِ

قال : ثم شهقت شهقة خرّت ميتة ، فقلت لهم : مَن هذه ؟ قالوا : هذه عَقِيلة بنت الضحّاك بن عمرو بن مُحرِّق بن النُّعمان بن المنذر بن ماء السماء . فقلت لهم : فمن عمرو هذا ؟ قالوا : ابن عمها عمرو بن كعب بن مُحَرِّق بن النُّعمان . فارتحلت ، فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هـذا فإذا هو قد دُفِن فى الوقت الذى قالت فيه ما قالت .

(١) فى الأغانى : « أذات خدن » وما هنا أصح لأنه لا يسألها هل لها علاقة بأحد خفية وإنما يسألها : أهى غير متزوجه أو متزوجة؟ فذات الخدر كأنها لم تخرج من خدرها إلى زوج.
(٢) فى الأغانى : نحن إلا الرواح .
(٣) فى الأغانى : « هو القمر المضىء المستنير » ففيه إقواء .
(٤) العلق : الهوى والحب يكون للرجل فى المرأة .

غدا عبدُ الله بن مسلم بن جندب الهذلى[1] على أبى السائب المخزومى فى منزله ، فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير :

إن الذين غَدَوْا بلُبِّك غادَرُوا ... وشَلًا بعَيْنِك لا يزال مَعِينا[2]

غيَّضْنَ من عبراتهنّ وقلنَ لى[3] ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فحلف أبو السائب لا يردُّ على أحد سلاما ولا يكلمه إلا بهذين البيتين حتى يرجع إلى منزله ، فخرجا فلقيهما عبد العزيز بن المطّلب وهو قاضٍ وكانا يُدْعَيان القَرِينَيْنِ لملازمتهما ، فلما رآهما قال : كيف أصبح القَرِينان ؟ فأنشده أبو السائب البيتين ولم يردّ سلاما ، وجعل يَغمِز ابنَ جُندب على أن يخبره بالقصّة وابنُ جندب يتغافل ، فقال عبد العزيز لابن جنـــدب : ما لأبى السائب ؟ فجعل أبو السائب يُتعتعه أى أخبرْه[4] بيمينى . فقال ابن جندب : أحمد الله إليك ، ما زلتُ مُنـكرا لعقله منذ اليوم . فانصرف ابن المطلب إلى منزله والُخصوم ينتظرونه ، فصرفهم[5] ودخل مُغتمًّا ، فلما أتى أبو السائب منزله وبَرّت يَمينُه[6] خرج إلى ابن جندب فقال : اذهب بنا إلى ابن المطلب فإنى أخاف أن يَرُدّ شهادتى ، فاستأذنا عليـه فأذن لهما ، فقال له أبو السائب : قد علمت أعزّكَ الله شِدَّة غرامى بالشعر ، وإن هذا الضالّ جاءنى حيث خرجتُ فأنشدنى بيتين ، فحلفت ألا أردَّ على أحد سلاما ولا أكلمه إلا بهما . فقال ابن المطلب : اللهم غَفْراً ، لا تترك المجون يا أبا السائب .

---

(١) هذا النص لم يجى فى ترجمة جرير وإنما جاء فى ترجمة أحمد بن المكى فى ج ١٥ ص ٦٨ بولاق وفى المجلة دار الثقافة .

(٢) الوشل : الماء القليل . والمعين : الماء الجارى .

(٣) غيضن : كففنها ومسحنها حتى تغيض .

(٤) التعتعة : الحركة العنيفة . وفى الأغانى : يغمز ابن جندب أن يخبره .

(٥) فى ا ، ك : « فعرفهم » وهو تحريف .

(٦) فى المختار : وبرئت يمينه .

شهد رجلٌ[١] عند قاضٍ بشهادة ، فقيل له : مَن يعرفك ؟ قال : ابن عَتِيق ، فبعث إليه يسأله عنه ، فقال له : عَدْلٌ رِضًا ، فقيل له : أكنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا ، ولكني سمعته ينشد :

غيَّضْنَ من عبراتهنَّ وقُلْنَ لى   ماذا لقيتَ من الهوى ولَقينا

فعلمت أن هذا لا يَرْشَح إلا من قلب مُؤمن فشهدت له بالعدالة .

قال عبد المطلب بن عبد العزيز[٢] : أنشدت أبا السائب قول جرير :

غيَّضْن من عبراتهنَّ وقلْنَ لى   ماذا لَقيت من الهوى ولَقينا

فقال : يا ابن أخى ، أتدرى ما التغييض ؟ قلت : لا ، قال : هكذا . وأشار بإصبعيه إلى جَفنَيه كأنه يأخذ الدمع ثم يَنضحه .

لما ولى[٣] عمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء[٤] فجعلوا لا يصلون إليه ، فجاء عَون ابن عبدالله بن عُتبة بن مسعود وعليه عمامته قد أرخى طرفها فدخل ، فصاح به جرير:

يا أيها القارئُ المُرْخى عِمامتَه   هذا زمانُك إنى قد مَضى زَمَنِى

أبلِغْ خليفتَنا إن كنتَ لاقِيَه   أنى لدى الباب كالمَصْفُود فى قَرَنِ[٥]

فدخل على عمر فاستأذن له فأدخله عليه ، وقد كان هيّأ له شعرا ، فلما دخل إليه غيَّره فقال :

إنا لنرجو إذا ما الغَيْثُ أَخلفنا   من الخليفةِ ما نرجو من المَطَرِ

نال الخلافةَ إذْ كانت له قدَرا   كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ

(١) هذا النص أيضا لم يأت فى ترجمة جرير بل جاء بعد الخبر السابق له فى الموضع المشار إليه.

(٢) وهذا النص أيضا أتى بين سابقيه فى الموضع المشار إليه .

(٣) فى الأغانى : لما استخلف .

(٤) فى نسخ المختار : « جاءه الأنصار » والتصويب من الأغانى .

(٥) المصفود : الموثق . والقرن: الحبل .

أَأَذكُرُ الجَهْد والبَلْوَى التى نَزلتْ ... أم تكتفى بالذى بُلِّغْتَ من خَبَرِ
ما زِلْتُ بعدكَ فى دارٍ تَعَرَّقُنى(١) ... قد طال بَعدكَ إصعادى ومنحدرى
لا ينفع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنَا ... ولا يَجود لنا بادٍ على حَضَرِ
كم بالمواسم من شَعثاءَ أرمَلة ... ومِن يتيم ضعيفِ الصوْتِ والبَصَرِ
يدعوكَ دعوةَ ملهوفٍ كأنَّ به ... خَبْلًا من الجنّ أو مَسًّا من البَشَرِ
ممّن يَعُدُّكَ تَكْفِى فَقْدَ والدِه ... كالفَرْخِ فى العُشّ لم يَنهض ولم يَطِرِ

(قال: فبكى عمر ثم قال : يا ابن الخَطَفى ، أمِنْ أبناء المهاجرين فنعرِفَ لهم حقهم أم من أبناء الأنصار فيجبَ لك ما يجبُ لهم ؟ أم من فقراء المسلمين فنأمُر صاحبَ الصدقات من صدقات قومك فيَصلَك بمثل ما يصلُ به قومك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أنا بواحد من هؤلاء ، وإنى لمن أكثر قومى مالًا وأحسنِهم حالا ، ولكنى أسألك ما عوّدنيه الخلفاء: أربعةَ آلاف درهم وما يتبعها من كُسوة وحُملان . فقال له عمر : كل امرئٍ يَلْقى فِعْله ، فأما أنا فلا أرى لك فى مال الله تعالى من حَقّ ولكن انتظرْ يَخرُجُ عطائى فأنظرُ ما يكفى عِيالى منه سنة فأدّخره لهم ، ثم إنْ فَضَل فَضْلٌ صرفناه إليك . فقال جرير : لا ، بل يُوفَّر يا أمير المؤمنين وتُحْمد . وأخرج راضيا . قال : فذاكَ أحبُّ إلىَّ نخرج ، فلما ولّى قال عُمر : إن شر هذا ليُتَّقَى ، رُدُّوه إلىّ . فردُّوه فقال له: إن عندى أربعين دينارا وخِلْعَتَينِ إذا غُسلت إحداهما لبستُ الأخرى ، وأنا أقاسمك ذلك ، على أن الله عزّ وجلّ يعلم أن آلَ عمر أحوجُ إلى ذلك منك ، فقال له : قد وفَّركَ الله يا أمير المؤمنين ، وأنا والله راضٍ . قال: أمَّا(٢) إذْ حلفتَ فإنَّ ما وفَّرته

---

(١) التعرق: نهش اللحم بالأسنان . ويريد هنا أنها لاتترك له شيئاً .

(٢) فى الأغانى : أما وقد حلفت .

علىَّ ولم تُضَيِّق به معيشَتنا آثر عندى من المدح[1] فامضِ مُصاحَباً . فخرج ، فقال له أصحابه وفيهم الفرزدق : ما فعل بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرة ؟ قال : خرجت من عند رجل يُقرِّب الفقراء ويباعد الشعراء ، وأنا مع ذلك عنه راضٍ . ثم وضع رجله فى غَرْز راحلته ، ثم أتى قومه فقالوا : ما صنع بك أميرُ المؤمنين أبا حزْرة ؟ فقال :

تركتُ لكم بالشام حَبْل جماعةٍ ... أَمِينَ القُوَى مُستحْصِدَ العَقْدِ باقياَ[2]

وجدْتُ رُقَى الشيطان لا تَستفزُّه ... وقد كان شيطانى من الجِنِّ راقيا

وقيل : إنه لما دخل على عمر قال له : يا أمير المؤمنين ، أنا ابن سبيل ، قال : لك ما لأبناء السبيل زادُك ونفقةٌ تُبلِّغك وتُبدَّل راحلتُك إن لم تَحمِلك . فألحَّ عليه ، فقال له بنو أمية : يا أبا حَزْرَة ، مَهْلاً عن أمير المؤمنين ونحن نُرضيك من أموالنا عنه ، فخرجَ وجمعتْ له بنو أميةَ مالاً عظيما ، فما خرج من عند خليفةٍ بأكثر مما خرج به من عند عمر . رحمه الله تعالى[3] .

(١) فى الأغانى : آثر فى نفسى من المدح .

(٢) المستحصد : المستحكم .

(٣) جملة رحمه الله تعالى . ليست فى الأغانى ولا فى ا ولا فى ك وإنما هى زيادة فى « ت » .

وأما يوم الجَوْنَين(١)

هذا اليوم الذى ذكره جرير فى قصيدة من مناقضات الفرزدق فقال :

ألم تَشْهَدْ الجَوْنَينِ والشِّعْبَ ذَا الْغضَا(٢)

وكرَّاتِ قيسٍ يوم دَيْرِ الجماجِمِ

هو يوم الرَّغام وهو اليوم الذى أغار فيه عُتيبة بن الحارث بن شهاب فى بنى ثعلبة على بنى كلاب ، فأطرد إبلهم ، وكان أنس بن العباس الأصمُّ أخو بنى رِعْل من بنى سُلَيم مجاورا فى بنى كِلاب ، وكان بين بنى ثعلبة بن يربوع وبين بنى رِعْل عهدٌ ألا يُسْفك دمٌ ولا يُؤْكل مال . فلما سمع الكلابيون الدَّعْوَى : يال ثَعلبة يال عُبيد يالَ جعفر ، عرفوهم فقالوا لأنس بن العباس: قد عرفنا ما بين بنى رعل وبنى ثعلبة ابن يربوع، فأدركْهم واحبِسهم علينا حتى نلحق. فخرج أنس فى آثارهم حتى أدركهم، فلما دنا منهم قال عتيبة لأخيه حنظلة : أَغْنِ عنَّا هذا الفارس . فاستقبله حنظلة فقال له أنس : إنما أنا أخوكم وعَقيدكم(٣) وكنت فى هؤلاء القوم فأغرتم على إبلى فيما أغرتم عليه، وهى معكم، فرجع حنظلة فأخبر أخاه عتيبة الخبر ، فقال له : حيَّاكَ الله . هلمَّ فوَالِ إبلك ، أى اعزِلْها . قال : والله ما أعرفها ، وبنو أخى وأهل بيتى معى ، وقد أمرتهم بالركوب فى أثرى وهم أعرفُ بها منى ، فطلع فوارس بنى كلاب ، فاستقبلهم حنظلة بن الحارث فى فوارس ، فقال لهم أنس : إنما هم بَنِيّ وبنو أخى ،

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٥/٣٤٥ ودار الثقافة ١٥/٢٧٧ وبولاق ١٤/٨٦ والساسى ١٤ / ٨٣ وجاء به ابن منظور ضمن ترجمة جرير ثم عاد إلى جرير مرة أخرى .

(٢) فى الأغانى : ذا الصفا . وفى ت: والغضا .

(٣) عقيدكم : معاهدكم .

وإنما يُرِيد تَرَبُّثهم[١] لتلحق خيل بنى كلاب ، فلحقوا ، فحمل الحوثرة بن قيس بن جَزْء ابن خالد بن جعفر على حنظلة فقتله ، وحمل لأم بن سَلَمة أخو بنى ضَبَارِىّ[٢] بن عبد[٣] ابن ثعلبة على الحوثرة هو وابنُ امرأته[٤] أخو بنى عاصم بن عبد[٣] [فأسراه ودفعاه إلى عتيبة][٥] فقتله صبرا وهزِم الكلابيون ، ومضى بنو ثعلبة بالإبل وفيها إبلُ أنس ، فلم تَقِرَّ أنساً[٦] نفسُه حتى تبعهم رجاء أن يصيب منهم غِرَّة وهم يسيرون فى شَجْراء[٧] فتخلّف عُيَينة لقضاء حاجته ، وأمسك برأس فرسه ، فلم يَشعر إلا بأنس قد مرَّ فى آثارهم ، فتغفله حتى وثب عليه وأسره ، وأتى به عيينةُ أصحابَه ، فقال له بنو عُبَيد : قد عرفتَ أن لَأْمَ بنَ سلمة وابن امرأته قد أسرا الحوثرة ، فدفعاه إليك فضربت عنقه ، فأعقِبْهما من أنس بن عبّاس ، فمن قتلتَه خيرٌ من أنس . فأبى عيينة أن يقتله حتى افتدى نفسه بمائتى بعير ، فقال العباس بن مرداس يعيِّر عتيبة ابن الحارث بفعله :

كثر الضَّجاج وما سمعتُ بغادرٍ ... كعتيبة بن الحارث بن شِهابِ
جَلَّلْتَ حَنظلةَ المحَارةَ والخنا[٨] ... ودنِسْتَ آخرَ هذه الأعقابِ

---

(١) تربثهم: تباطؤهم وتمكثهم . وفى الأغانى: وإنما يربثهم .
(٢) هكذا الضبط فى الأغانى دار الثقافة ١٥ / ٢٧٧ والاشتقاق ٣٥٢ وضبط فى دار الكتب ١٥ / ٣٤٦ خطأ .
(٣) فى الأغانى : عبيد .
(٤) فى طبقة الدار والنقائض ٤١١ : وابن مزنة .
(٥) زيادة من الأغانى .
(٦) فى المختار : أنس .
(٧) الشجراء : الأرض الملتفة الشجر .
(٨) المحارة : النقصان . وفى الأغانى : المخانة « وهى الخيانة » .

وأجرتم أنسا فـما حاولتمُ ... أنسا وجاركم بنى الميقابِ[1]
باُسْتِ التى ولدَتْكَ واستِ معاشرٍ ... تركوك تمر معهم من الأحقاب

فقال عتيبة يُجيبه :

غَدرتم غدرةً وغدرتُ أخرى ... فليس إلى توَافِينا سبيلُ
كأنكمُ غداةَ بنى كِلابٍ ... تفاقدتمْ علىَّ لكم دَليلُ

قوله : تفاقدتم ، دعاء عليهم بفقد بعضهم بعضا .

(قال[2] أبوعبيدة : رأت أمُّ جرير وهى حَاملٌ به كأنها ولدت حبلا من شَعر أسود ، فلما سقط منها جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثيرة ، فانتبهت فزعة فأوَّلت الرؤيا ، فقيل لها : تلدين غلاما شاعرا ذا شَرٍّ وشدّة وشَكيمة وبلاء على الناس ، فلما ولدته سمّته جريرا ، باسم الحبل الذى رأت أنه خرج منها ، والجرير : الحبل)

وقال رجل لجرير : من أشعر الناس ؟ فقال له : قم حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطيّة وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وهو يَمَصّ ضَرْعها ، فصاح به : اخرجْ يا أبَت ، فخرج شيخ دميم رثُّ الهيئة ، وقد سال لبنُ العنز على لحيته وقال : أترى هذا ؟ فقال : نعم ، فقال : أتعرفه ؟ قال : لا . قال : هذا أبى ، أفتدرى لم كان يشرب من ضَرْع العنز ؟ قال : لا . قال : مخافة أن يُسمع صَوتُ الحلْب فيُطْلَب منه لبن . ثم قال : أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعرا وقارعهم وغلبهم جميعا .

---

(١) الميقاب : التى تلد الحمق . وفى نسخ من الأغانى « وأسرتم أنسا » وما أثبت كنسخة من الأغانى وكالنقائض . وفى الأغانى : فما حاولتم بإسار جاركم .

(٢) من هنا عاد إلى ترجمة جرير التى جاءت فى الجزء الثامن من الأغانى .

وكان لجرير أخوان : أبو الورد وعمرو .

قال رجل من بنى دارم للفرزدق وهو بالبصرة : يا أبا فراس ، هل تعلم اليوم أحدا يرمى معك ؟ فقال : لا والله ما أعرف نابحا إلا وقد استكن(١) ، ولا ناهشا إلا انْجَحَر إلا القائل :

فإن لم أجد فى البعد والقرب حاجتى تَشَأَّمْتُ أم حَوَّلْتُ وجهى يَمانِيا
فرُدِّى جِمالَ الحىِّ ثم تحمَّلى فما لَكِ فيهم من مُقامٍ ولا لِيَا
لقد قادنى الجيرانُ يوماً وقُدْتُهم وفارقتُ حتى ماتَحِنُّ جِماليا(٢)
وإنى لمغرور أُعلَّلُ بالمُنى ليالىَ أرجو أنَّ مالَكِ ماليا
وقائلةٍ والدَّمع يَحْدِر كُحْلَها أبَعدَ جَريرٍ تُكرِمون المَواليا
بأىِّ سِنان تَطْعنُ القومَ بعد ما(٣) نَزعتَ سِنانا من قَناتك ماضيا
بأىِّ نِجادٍ تَحملُ السيفَ بعد ما قَطعْتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيا
لِسانى وسيفى ماضِيانِ كِلاهما ولَلسَّيْفُ أَشوى وَقْعةً من لسانيا(٤)
وإنى لعفُّ الفقرِ مُشتَرَكُ الغِنَى سريعٌ إذا لم أرضَ دارى انتقاليا
جَرِىءُ الجَنانِ لا أُهالُ من الرَّدَى(٥) إذا ما جعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنانيا

---

(١) [فى الأغانى : استكان .

(٢) الشعر جاء فى الترجمة فى موضعين. والسياق الأول لم يجئ فيه هذا البيت . وجاء فى موضع آخر بدون البيت الأول من هذه القطعة ورواه : حتى ما تصب جماليا .

(٣) فى نسخة من الأغانى : قطعن القرم .

(٤) أشوى : أهون، من قولهم: شوى بمعنى هين ويقال أيضا: رماه فأشواه. إذا لم يصب مقتله وفى الأغانى : لسانى وسيفى صارمان . وروى فى الديوان ص ٦٠١ : وليس لسيفى فى العظام بقية .

(٥) فى الأغانى : لا أهاب من الردى .

كان يزيدُ بن معاوية عاتب أباه بهذه الأبيات ونسبها إلى نفسه ، لأن جريرا لم يكن اشتهر شعره حينئذ ، فقدم جريرٌ على يزيد فى خلافته ، فاستأذن له مع الشعراء ، فأمر يزيد ألا يدخل عليه شاعر إلّا مَن قد عَرَف شِعره ، فقال جرير : قولوا له : أنا القائل :

فرُدِّى جِمال الحىّ ثم تحمَّلى   فما لَكِ فيهم من مُقامٍ ولا لِيَا

فأمر بإدخاله . فلما أنشده قال يزيد: لقد فارق أبى الدنيا وما يحسب إلّا أنى قائلها. وأمر له بجائزة وكسوة .

جلس جرير يُملى على قوم(١) :

ودِّعْ أُمامة حان منك رحيل   إن الوداع لمن تحبُّ قليلُ

فمروا عليه بجنازة فقطع الإنشاد وجعل يبكى ثم قال : شيبتنى هذه الجنائز . قال أبو عمرو : فقلت له : فعلام تقذف المحصنات منذ كذا وكذا ؟ فقال : إنهم يبدؤوننى ثم لا أعفو .

أتى الفرزدق مجلس بنى الهُجَيْم فى مسجدهم ، فأنشدهم ، وبلغ ذلك جريرا فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق ، فقال له شيخ منهم : يا هذا اتق الله فإن المسجد إنما بُنِى لذكر الله وللصلاة . فقال جرير : أقررتم للفرزدق ومنعتمونى . وخرج مغضبا وهو يقول :

إن الهُجَيْم قبيلةٌ ملعونةٌ   حُصُّ اللِّحَى مُتشابهو الألوانِ(٢)
يتورّكون بنيهم وبناتهم(٣)   صُعْر الأنوف لريح كل دخانِ
لو يسمعون بأكلةٍ أو شربةٍ   بعُمانَ أصبح جمعهمْ بعُمانِ

(١) فى الأغانى . يملى على رجل قوله .
(٢) الأحص : القليل الشعر .
(٣) فى الأغانى : هم يتركون .

قال : وحصص[1] اللحى فى بنى الهجيم ظاهر . وقيل لرجل منهم: ما بالكم يا بنى الهجيم حُصّ اللحى ؟ قال : إن الفحل واحد .

قال الوليد يوما لجرير : من أشعر الناس ؟ فقال : ابن العشرين، يعنى طَرَفة . قال: فما رأيك فى ابنَىْ أبى سُلْمَى[2] ؟ قال : كان شعرهما نيِّرًا يا أمير المؤمنين . قال : فما تقول فى امرئ القيس ؟ قال : اتخذ الخبيث الشعر نعْلين، وأقسم لو أدركته لرفعت ذلاذله[3] قال : فما تقول فى ذى الرُّمة ؟ قال : قَدَر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه أحد . قال : فما تقول فى الأخطل ؟ قال : ما أخرج لسانُ ابن النصرانية ما فى صدره من الشعر حتى مات . قال : فما تقول فى الفرزدق ؟ قال : فى يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعة الشِّعر قد قبض عليها (قال : فما أراك أبقيت لنفسك شيئا . قال : بلى والله يا أمير المؤمنين إنى لمدينة الشِّعر التى منها يخرج وإليها يعود : نَسَبْتُ فأطْربت . وهجوتُ فأرديت. ومدحت فأسنيت[4] وأرملتُ فأغْزرت ، ورجزتُ فأبحرت . وأناقلتُ ضروب الشعر . وكل واحد منهم قال نوعا منها . قال: صدقت.

(قال مسعود بن بِشْر : قلت لابن مُناذر بمكة : من أشعر الناس . قال : من إذا شئتَ لَعِبَ وإذا شئت جدَّ ، فإذا لعب أطمعك لَعِبُه ، وإذا رُمْته بَعُد عليك ، وإذا جَدَّ فيما يَقصد له أيأسك من نفسه ، قلت : مثلُ مَن ؟ قال : مثل جرير إذ يقول حين لعب[5] :

إن الذين غدَوْا بلُبِّك غادروا ... وشَلًا بعينك لا يزال مَعِينا

---

(١) فى المختار : وحص اللحى . وفى الأغانى : وخفة اللحى .. ظاهرة

(٢) لعله يراد بهما زهير بن أبى سلمى وابنه كعب بن زهير بن أبى سلمى .

(٣) ذلاذل القميص : ما يلى الأرض من أسافله ، وكأنه يريد : لخدمته .

(٤) أسنيت : رفعت .

(٥) فى الأغانى : مثل جرير حين يقول إذا لعب .

ثم قال حين جدّ :

إن الذى حَرم المكارم تَغْلِبـاً ... جعل النبوّة والخلافةَ فينـا
مضرٌ أبى وأبو الملوكِ فهل لكم ... يا خُـزرَ تَغلِبَ مِن أبٍ كأبينا[1]
هذا ابنُ عمّى فى دِمشقَ خليفةٌ ... لو شئتُ ساقكمُ إلىَّ قطِينـا[2]

قال أبو عمرو : لما بلغ عبدَ الملك قولُ جرير :

هذا ابن عمى فى دمشقَ خليفةٌ ... لو شئتُ ساقكُم إلىَّ قَطينا

قال : ما زاد ابن المراغة على أن جعلنى شرطيا ، أمَا إنه لو قال :

* لو شاءَ ساقكُمُ إلىَّ قطينا *

لسقتهم إليه كما قال .

وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والأخطل عنده داخل ، وقد كانا تهاجيا ولم يرَ أحدٌ منهما صاحبه ، فلما استأذنوا عليه لجرير أذِن له ، فدخل فسلم ، وقد عرفه الأخطل فطمَح طرْفُ جرير إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظرا شديدا . فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الذى منعت نومك وتهضَّمت قومك . فقال له جرير : ذلك أشقى لك ، كائنا من كنتَ . ثم أقبل على عبد الملك فقال له : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ جعلنى الله فداءَك ، قال : فضَحِك ثم قال : هـذا الأخطل ، ياأبا حَزْرة . فردَّ إليه بصره ثم قال له : لا حيّاكَ الله ياابن النَّصرانية ، أمّا منعُك نومى فلو نمتَ عنك لكان خيراً لك ، وأما تهضُّمُك قومى فكيف تهضمهم وأنت ممن ضُرِبت عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من الله وأعطى الجزية[3] عن يد وهو صاغر .

---

(١) فى الأغانى : يا آل تغلب . والخزر : الضيقو العيون جمع أخزر .
(٢) القطين : الخدم .
(٣) فى الأغانى أورد الخبر مرتين وفيه : وأدى الجزية .

وكيف تهضم ـ لا أمَّ لك ـ قوما فيهم النبوة والخلافة وأنت لهم عبد مأمور ومحكوم عليه لا حاكم ؟ ثم أقبل على عبد الملك فقال : ائذنْ لى يا أمير المؤمنين فى ابن النصرانية . فقال : أمّا بحضرتى فلا[١] فوثب جرير مغضبا ، فقال عبد الملك : قم يا أخطل مع صاحبك فإنما قام غضبانَ علينا[٢] . فنهض الأخطل . فقال عبد الملك لخادم له : انظر ما يصنعان إذا برز له الأخطل . فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم إليه حصانا له أدهم . فركبه وهدر ، والفرس يهتزّ من تحته ، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خلفه ، ولم يزل واقفا حتى مضى جرير . فدخل الخادم فأخبر عبد الملك خبرهما . فضحك[٣] وقال : قاتل الله جريراً : ما أفحله ! أما والله لو كان ابن النصرانية[٤] برز له لأكله .

حدّث من سأل نُصَيبا قال : قلت له : يا أبا مِحْجَن بيتاً قلته نازعك فيه جرير وجَميل ، فأحب أن تخبرنى أيكم فيه أشعر . قال : وما هو ؟ قلت : قولك :

أضرَّ بها التهجيرُ حتى كأنها ... أكبَّ عليها حازرٌ مُتعرِّقُ[٥]

وقال جميل :

أضرَّ بها التهجير حتى كأنها ... بقايا سُلالٍ لم يَدَعْها سُلالُها

وقال جرير :

إذا بلغوا المنازلَ لم تُقَيَّدْ ... وفى طُول الكَلالِ لها قُيودُ

---

(١) فى الأغانى : « لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتى » وفى الرواية الأخرى : لايكون ذلك بين يدى .

(٢) فى الأغانى : قم يا أخطل واتبع صاحبك فإنما قام غضبا علينا فيك .

(٣) فى الأغانى : فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره فضحك .

(٤) فى الأغانى : لو كان النصرانى .

(٥) المتعرق : الذى يزيل اللحم من العظم .

فقال له نُصيب : قاتل اللهُ ابنَ الخَطَفى : ما أشعره ! فقال له الرجل : أما أنت فقد فضَّلته . فقال : هو ما أقول لك .

كان الحجّاج بن يوسف قد أنفذ[١] ابنه محمدا إلى عبدالملك بن مروان وأوفد عليه جريراً معه ، ووصاه به وأمره بمسألة عبد الملك فى الاستماع منه ومعاونته عليه ، فلما وردا استأذن له محمد بن الحجاج على عبد الملك فلم يأذن له ، وكان لا يستمع من شعراء مضر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زُبَيْرِيَّة ، فلما استأذن له محمد على عبدالملك فلم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأل فى أمره ويقول : إنه لم يكن ممن مَالأَ ابنَ الزبير[٢] ولا نصره بيده ولا لسانه ، وقال له محمد : يا أمير المؤمنين إن العرب تتحدث أن عَبدكَ وسيفك الحجاج شفع فى شاعر قد لاذ به وجعله وسيلته فرددته . فأذن له فدخل ، فاستأذن له فى الإنشاد ، فقال له : وما عساكَ أن تقول فينا بعد قولك فى الحجاج :

مَن سَدَّ مُطَّلَعَ النفاقِ عليكُمُ ... أم مَنْ يصولُ كصولةِ الحجَّاجِ

إن الله لم ينصر الحجاج بِرًّا منه به، وإنما نصر[٣] دينه وخليفته، أوَلست القائل:

أمسى يَغار على النساء حفيظةً[٤] ... إذْ لا يَثِقْن بغَيْرِه الأزواجُ

ياعاضَّ بظر أمه[٥] ، والله لهممت أن أطير بك طيرة بَطِيئًا سُقوطُها . اخرُجْ عنى : فأُخرِجَ بشَرّ ، فلما كان بعد ثلاث شفع محمد لجرير إليه وقال له : ياأمير المؤمنين إنى أدَّيت رسالةَ عبدكَ الحجاج وشفاعته فى جرير ، فلما أذنت له خاطبته بما أطار لبه

---

(١) فى الأغانى : أوفد .

(٢) فى ت : ممن مال . وفى الأغانى : ممن والى .

(٣) فى الأغانى : إن الله لم ينصرنى بالحجاج وإنما نصر .

(٤) فى الأغانى : أم من يغار .

(٥) فى الأغانى : ياعاض كذا وكذا من أمه .

وغضّ منه[1] وأشمت عدوَّه به ، ولو لم تأذن له لكان خيرا له مما سمع ، فإن رأيت أن تهب كل ذنب له لعبدك الحجاج ولى فافعل . فأذن له فاستأذنه فى الإنشاد فقال : لا تُنشدنى إلّا فى الحجاج ، فإنما أنت للحجاج خاصة ، فسأله أن ينشده مديحه فيه فأبى وأقسم ألا ينشده إلا من قوله فى الحجاج ، فأنشده وخرج بغير جائزة ، فلما أزف الرحيل قال جرير لمحمد : إن رحلت عن أمير المؤمنين ولم يسمع منى ولم آخذ منه جائزة سقطتُ آخر الدهر ، ولستُ بارحاً عن بابه أو يأذن لى فى الإنشاد أو أموت ، فارحلْ أنت وأُقيم أنا . فدخل محمد إلى عبد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له ، وسأله أن يسمع منه ، وقبّل يده ورجله، فأذِن له ، واستأذن فى الإنشاد ، فأمسك عبد الملك عن الإذن له . فقال له محمد : أنشِدْ ويحك ، فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

ألستمْ خيرَ من ركب المطايا ‌ ‌ ‌ ‌ وأندى العالمين بُطونَ راحِ

فتبسم عبد الملك ثم قال: كذلك نحن وما زِلنا كذلك . ثم اعتمد على ابنِ الزُّبير فقال :

دعوتَ المُلْحِدين أبَا خُبَيْبٍ[2] ‌ ‌ ‌ ‌ جِماحاً هل شُفِيتَ من الجماح
وقد وَجدوا الخليفةَ هِبْرِزِيًّا ‌ ‌ ‌ ‌ ألفَّ العِيصِ ليس من النَّواحى[3]
وما شجراتُ قومك من قريش ‌ ‌ ‌ ‌ بِعَشَّاتِ الفروعِ ولا ضَوَاحى[4]

---

(١) جملة « وغض منه » ليست فى الأغانى .

(٢) أبو خبيب : كنية عبد الله بن الزبير .

(٣) الهبرزى : الخامص . والألف : الملتف . والعيص : الأصل .

(٤) العشة : الشجرة الدقيقة القضبان. وفى المختار: «بعشاب الفروع» فتكون من عشب الرجل كان قصيرا دميما . والضواحى : البادية العيدان . وفى الأغانى : وما شجرات عيصك .

ثم مرّ فيها حتى أتى إلى ذكر زوجته فقال :

تَعزّتْ أمُّ حزرة ثم قالت　　رأيتُ المُورِدِين ذَوِى لِقَاحِ

تُعَلِّل وهى ساغبةٌ بَنيهـا　　بأنفاسٍ من الشَّبِم القَرَاحِ (١)

مِن الرحمنِ تَرْجو كلَّ خَيْرٍ　　ومِن عنـد الخليفةِ بالنجاحِ (٢)

فقال عبد الملك : فهل ترويها مائة لِقْحة ؟ قال : إن لم يروِها ذلك فلا رَواها الله فهل إليها — جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين — من سبيل ؟ فأمر له بمائة ناقة (٣) وثمانية رُعاة ، وكانت بين يديه جامات من ذهب فقال له جرير : يا أمير المؤمنين ، تأمر لى بواحدة منهن تـكون محلبا ؟ فضحك ودَكَس (٤) إليه واحدة بالقضيب فدحاها إليه وقال : خذها ، لا نفعتك ، فأخذها وقال : بلى والله يا أمير المؤمنين لتَنفَعَنِّيَه ، وكلّ ما منحتنيه (٥) . وخرج من عنده . وقد ذكر جرير ذلك فى شعره فقال يمدح يزيد بن عبد الملك :

أَعطَوْا هُنيدةَ يَحْدُوها ثمانيةٌ (٦)　　ما فى عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

---

(١) الأنفاس جمع نفس : وهو جرعة الماء . والشبم : البارد والقراح : الخالص .

(٢) لم يذكر هذا البيت فى الأغانى فى ترجمة جرير ، هذا، وروايته المشهورة : ثق بالله ليس له شريك ومن عند ...

(٣) فى الأغانى : بمائة لقحة .

(٤) كذا فى نسخ المختار ، ودكس الشىء : حثاه. والحثو : الرمى بالتراب، فيكون المراد هنا رماها إليه. وقد ذكر الدكس بمعنى الحثو فى القاموس. أما فى اللسان فذكر دكسه : حشاه وفى المعيار: « دكسه: حشاه ، وفى بعض النسخ حثاه » ، هذا، وفى الأغانى « فضحك وفدس » وذلك نقلا عن ديوان جرير المخطوط ص ٢٠ وفى أصول الأغانى « ودحس » ولعلها « دكس » وفى بعضها : ودس انظر هامش الأغانى. وكلمة « دحس » و« دس » تؤيدان « ودكس » وهذا التعبير يؤيد القاموس بأن الدكس: الحثو .

(٥) فى الأغانى : « لينفعنى كل ما منحتنيه » هذا، والهاء فى « لتنفعنيه » هاء السكت .

(٦) هنيدة : اسم المائة من الإبل وغيرها .

٢٦/٤/٩٤ هـ

قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو فى قصره بحَزِيز البصرة[1] : ائتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباجَ والَخزَّ ، وقعد فى قُبَّته . وشاور جريرٌ دُهاة بنى يربوع فقالوا : ما لباس آبائنا إلا الحديد . فلبس جرير دِرْعا ، وتقلّد سيفا ، وأخذ رمحا ، وركب فرسا يُقال له المنحاز[2] لعبيد بن الُحصين[3] وأقبل فى أربعين فارسا من بنى يَربوع ، وجاء الفرزدق فى هيئته . فقال جرير :

لبستُ سلاحى والفرزدقُ لُعبةٌ ... عليه وشاحا كُرَّجٍ وخَلاخِلُهْ[4]

أَعِدُّوا مع الَخزِّ المَلَابَ فإنما ... جريرٌ لكم بَعْلٌ وأنتم حلائلُهْ[5]

قال هِشام بن عبد الملك يوما لشَبَّة بن عِقال ، وعنده جرير والفرزدق والأخطل وهو يومئذ أمير : ألا تخبرنى عن هؤلاء الذين قد مزّقوا أعراضهم، وهتكوا أستارهم، وأَغْرَوْا بين عشائرهم فى غير خيرٍ ولا بِرٍّ ولا نفع أيهم أشعر ؟ فقال شَبَّة : أما جريرٌ فيغرِفُ من بحر ، وأما الفرزدق فينحت من صخر ، وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر . فقال هِشام : ما فسَّرت لنا شيئاً نُحَصِّله ، فقال : ما عندى غير ماقلت (فقال لخالد بن صفوان : صِفْهم لنا يا ابن الأَهتم ، فقال : أما أعظمهم فخرا ،

---

(١) فى المختار : « بجزيرة البصرة » وفى بعض أصوله بدون نقط . هذا، وفى مادة حزيز بمعجم البلدان : والحزيز غير مضاف موضع بالبصرة .

(٢) فى المختار : « المنحار » وفى القاموس مادة نحز : المنحاز: فرس عباد بن الحصين .

(٣) كذا فى المختار : عبيد بن الحصين . وانظر الهامش السابق . وفى الأغانى: عباد بن الحصين

(٤) كذا فى المختار . وفى اللسان مادة كرج : « كرج وجلاجله » وكذلك فى النقائض ص ٦٥٠ وديوانه ٤٨٢ . هذا والكرج يتخذ مثل المهر يلعب عليه .

(٥) فى بعض أصول الأغانى: « أعدوا مع الحلى الملاب » كالنقائض ٦٥٠ وديوانه ص ٤٨٢ والملاب: ضرب من الطيب ونوع من العطر أو يقال ذلك للزعفران. انظر اللسان مادة لوب .

وأبعدهم ذِكْرا ، وأحسنهم عُذرا ، وأشدُّهم ميلا[١] ، وأقلّهم غزلا ، وأشردهم مثلا[٢] ، وأحلاهم عِلَلا ، الطامى إذا زَخَر ، والسامى إذا خَطَر ، والحامى إذا زَأَر ، الذى إن هدر قال ، وإن خَطَر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العِنان ، فالفرزدق . وأما أحسنهم نَعْتا وأمدُّهم بيتا[٣] وأقلهم فَوْتا ، الذى إن هجا وضع ، وإن مدح رَفع ، فالأخطل . وأما أغزرهم بحرا ، وأرقّهم شعرا ، وأهتكهم لعدوّه سِتْرا ، الأغرّ الأبلق ، الذى إن طَلَب لم يُسْبَق وإن طُلِب لم يُلْحَق ، فجرير . وكلّهم ذَكِىّ الفؤاد ، رفيع العماد ، وارى الزّناد . فقال هشام[٤] بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالدُ فى الأوّلين ولا رأينا فى الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم وصفا ، وألينهم عِطفا ، وأعفُّهم مقالا ، وأكرمهم فَعالا . فقال خالد : أتمّ الله عليكم نِعَمَه ، وأجزل لديكم قِسَمَه ، وآنَسَ بكم الغُرْبة ، وفرّج بكم الكُرْبة . وأنت والله يا أيها الأمير كريم الغِراس عالمٌ بالناس ، جوادٌ فى المَحْل ، بسَّام عند البَذْل ، حَليم عند الطَّيش ، فى ذِرْوَةِ قريش ، ولُباب عبد شمس ، ويومك خير من أمس . فضحك هشامٌ وقال : ما رأيت كتخلُّصك يا ابن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعا وسَلِمْتَ عليهم[٥] ؟

---

(١) جملة « وأشدهم ميلا » ليست فى الأغانى « واندمجت بجملة « وأشردهم مثلا » فحدث تحريف فى الأغانى فقالوا « وأشدهم مثلا » ولعلها «وأسدهم مثلا» وغيرت فى الأغانى طبع دار الكتب إلى «وأسيرهم مثلا» .

(٢) انظر الهامش السابق .

(٣) فى الأغانى «وأمدحهم بيتا» .

(٤) فى الأغانى : مسلمة .

(٥) كذا فى نسخ المختار . وفى الأغانى : «سلمت منهم» وذلك عن نسخة واحدة أما نسخ الأغانى الباقية فكالمختار .

وتزوّج الفرزدقُ حَذْراء بنت زِيق بن بِسطام بن قَيس على حُكْم أبيها ، فاحتكم مائةً من الإبل ، فدخل على الحجّاج [يسأله ذلك][١] فعذله وقال له : أتتزوّج امرأة على حكم أبيها[٢] ؟ فقال عَنبسةُ بن سعيد ـ وأراد نَفْعَه ـ : إنما هى من حَوَاشى إبل الصّدقة أيها الأمير[٣] فأمر له الحجاج بها ، فوثب جرير فقال :

يا زِيقُ قد كنتَ من شيبان فى حَسَبٍ
يا زِيقُ ويحك مَن أنكحتَ يا زِيقُ
أنكحت ويحك قَيْناً باسْته حَمَمٌ
يا زِيقُ ويحك هل بَارَتْ بك السُّوقُ
غاب المُثَنَّى فلم يَشْهَد نَجِيَّكُمُ
والحوْفزَانُ ولم يشهدْك مَفرُوقُ[٤]
يا رُبَّ قائلةٍ بعد البِناء بها
لا الصِّهرُ رَاضٍ ولا ابنُ القين معشوقُ
أين الأُلى استنزلوا النُّعمان ضاحيةً
أم أين أَبناء شيبانَ الغَرانيقُ

فلم يجبه الفرزدق عنها[٥] ، وجرت بينهما مناقضات أخرى منها قول جرير من أبيات :

(١) زيادة من الأغانى .

(٢) فى الأغانى : « حكمها » هذا مع تقدم قوله على حكم أبيها .

(٣) جملة « أيها الأمير » ليست فى الأغانى .

(٤) المثنى هو المثنى بن حارثة. والحوفزان : هو الحارث بن شريك الشيبانى. ومفروق : هو النعمان بن عمرو الشيبانى .

(٥) فى النقائض ص ٨١٩ : فأجابه الفرزدق فقال :

إن كان أنفك قد أعياك مَحْمِلُه فاركبْ أتانك ثم اخطبْ إلى زِيقِ

وهنَّ كماء المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى
وكانت ملاحاً غَيْرَهنَّ المشاربُ
فلا أنا ممطى الحكم عن شِفِّ مَنْصِبٍ[1]
ولا عن بنات الحَنْظَلِيِّين راغبُ
ولو كنتَ حُرًّا كان عَشْرًا سِياقُكُمْ
إلى آلِ زِيقٍ والوَصيفُ المقاربُ[2]

فقال الفرزدق :

فنَلْ مثلها من مثلهم ثمَّ لُمْهُمُ[3] على دارِميٍّ بين لَيْلى وغالبِ
هُمُ زَوَّجُوا قبْلى لقيطا وأنكحوا ضِراراً وهم أكفاؤنا فى المناسبِ
ولو قَبِلوا منى عَطِيَّة سُقتُه إلى آل زِيق من وَصيفٍ مُقاربِ[4]

وما كانت امرأة من بنى حنظلة إلا ترفعُ لجرير اللَّويَّة فى تَطَوُّفه بها[5] لقوله :

وهُنّ كماء المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى وكانت مِلاحاً غيرَهُنَّ المشارِبُ

اللِّويّة : الشريحة من اللحم أو الفِدْرة من التَّمر ، أو الكُبَّة من الشحم ، أو الحفنَة من الأَقِط فإذا ذهبت الألبان وضاقت المعيشة كانت طُرفة عندهم .

---

(١) الشف هاهنا النقصان كما فى النقائض ٨٠٧ هذا ، والبيت فى النقائض والأغانى مقدم على سابقه .

(٢) هذا البيت هو التاسع عشر من القصيدة فى النقائض ٨٠٧ — ٨١٢ والسياق يراد به هنا المهر والمقارب يراد به الدون .

(٣) فى المختار : « فقل مثلها فى مثلهم » والتصويب من النقائض ٨١٥ والأغانى . والقصيدة ١٩ بيتا فى النقائض .

(٤) فى الأغانى بعده بيت .

(٥) فى الأغانى : اللوية فى عظمها لتطرفه بها .

وقال جرير أيضا :

أثائرةٌ حَدْراءُ مَنْ جُرَّ بالنقَّا … وهل لأبى حَدْراءَ فى الوتْرِ طَالِبُ(١)

أتثأَرُ بِسطاماً إذا ابتلّت أُسْتُها … وقد بَوَّلت فى مِسْمَعَيْه الثعالبُ

النقَّا الذى ذكره جرير هو الموضع الذى قتلتْ فيه بنو ضَبَّة بسطاماً وهو بسطام ابن قيس .

وكرهت بنو شيبان أن يهتك جريرٌ أعراضَهم ، فلما أراد الفرزدق نَقْلَ حَدْراءَ اعتلُّوا عليه وقالوا: إنها ماتت . فقال جرير :

فأُقسم ما ماتَتْ ولكنما الْتَوى … بحدراءَ قومٌ لم يَرَوْكَ لها أَهْلَا

رأوْا أن صِهْرَ القَيْنِ عارٌ عليهمُ … وأن لبسطام على غالبٍ فَضْلَا

إذا هى حَلّت مُسْحُلَانَ وحاربت … بشيبانَ لاقَى القَيْنُ من دونها شُغْلَا(٢)

لما نُعِى الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله . وجريرٌ عنده قال جرير :

مات الفرزدق بعد ما جَدَّعتُه … ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا

فقال له المهاجر: بئس لعمرُ اللهِ ما قلت فى ابن عمك ، أتهجو ميتا أما واللهِ لو رثَيْته لكنتَ أكرم العرب ، وأشعرها . قال : فإن رأى الأمير أن يكتمها علىَّ فإنها سَوْءَة ثم قال :

فلا وضَعتْ بعد الفرزدق حاملٌ … ولا ذاتُ بَعْلٍ عَنْ نفاسٍ تَعَلَّتِ

هُو الوافدُ الميمونُ والرَّاتِق الثَّأَى(٣) … إذا النَّعْلُ يوما بالعشيرةِ زَلَّتِ

ثم بكى وقال : والله إنى لأعلم أنى قليل البقاء بعده ، ولقد كان نجمنا واحدا ،

---

(١) فى النقائض ص٨١٢ «وهل فى بنى حدراء للوتر غالب» .

(٢) هذا البيت لم يرد فى الأغانى وهو فى ديوانه ص ٤٢٠ : إذا فوزت عن مسحلان ودافعت

(٣) الثأى : الفتق والفساد .

وكلٌّ واحدٍ مشغولٌ بصاحبه ، وقَلَّ مَا ماتَ ضِدٌّ أو صديق إلا تبعه صاحبه . فكان كذلك . مات بعده بسنة .

لما احتضر جريرٌ دخل عليه نفرٌ من قريش يعودونه ، فالتفت إليهم وقال :

أهلاً وسهلا بقوم زَيَّنوا حسبي ... وإن مَرِضت فهم أهلي وعُوَّادى

إن تجر طيرٌ بأمْر فيه عافيةٌ ... أو بالفراق فقد أحسنتمُ زادى

لو أن لَيْثاً أبا شِبْلَيْنِ أوْعَدَنِي ... لم يُسْلِمُوني لِلَيْثِ الغابةِ العادى

(جميل العذرى(١)

(هو جميلُ بن عبد الله بن مَعمر) بن الحارث بن ظَبْيان بن جَزْء بن ربيعة(٢) ابن حَرَام بن ضِنَّة بن عَبْد بن كثير بن عُذْرة بن سعد ـ وهو هُذَيْم سمى بذلك إضافة لاسمه إلى عبدٍ لأبيه يقال له هُذَيم كان يحضُنه فغلَب عليه ـ بن زَيْد بن سود بن أَسْلَمَ ابن الحاف بن قضاعة .

والنسابون مختلفون فى قضاعة ، فمنهم من يزعم أن قضاعةَ ابنُ مَعَدٍّ وهو أخو نزار بن معد لأبيه وأمه ، وهى مُعَانة بنت جَوْسَم بن جُلْهُمَة بن عامر بن عوْف ابن عَدِىّ بن دُبّ بن جُرْهُمْ ، ومنهم من يزعم أنهم من حِمْيَر وقد انتسب جميلٌ فى شعره مَعَدِّيًّا فقال :

أنا جميلٌ فى السَّنام من مَعَدْ فى الأُسْرة الحَصْداءِ والعِيصِ الأَسَدْ(٣)

وقال راجز قضاعةَ ينسبهم إلى حِمْير :

قضاعة الأَثْرَوْنَ خيرُ مَعْشَرِ
قضاعةُ بن مالك بن حِمْيَرِ
النسبُ المعروفُ غيرُ المُنْكَرِ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٨/٩٠ وانظر ص ٨٩ ودار الثقافة ٨/٩٠ وانظر ص ٨٩ وبولاق ٧/٧٧ والساسى ٧/٧٢ والتجريد ٩٣٠ .

(٢) فى الأغانى : جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان وقيل ابن معمر بن حن بن ظبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة .

(٣) الحصداء : الشديدة الفتل المستحكمة الصنعة . والعيص : الأصل . والأسد : من قولهم: سد السهم. إذا استقام. وفى الأغانى : الأشد. وانظر ديوانه ص ٥٧ .

(وقضاعة اليوم تنسب كلّها فى حِمْير ، وتزعم أن قضاعة ابنُ مالكٍ بن مُرّة بن زيد ابن مالك بن حِمْير بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . واسم سبأ عامر ، وإنما قيل له سبأ لأنه أول من سَبَى النساء) وكان يقال له عَبُ[1] الشمسِ أى عَدِيل الشمس سُمِّى بذلك لحسنه . ومن زعم أن قضاعة ليس ابن معد ذكر أن أمه عُكْبرة[2] – امرأة من سبأ – كانت تحت مالك بن عمرو ، فمات عنها وهى حامل ، فخلفه عليها معدُّ بن عدنان ، فولدت قُضاعةَ على فراشه . قال مُؤَرِّجُ بنُ عمرو : هذا قول أحدثوه وصنعوا شعرا ألصقوه به ليصحِّحوا هذا القول ، وهو :

يا أيها الدّاعى ادْعُنا وأَبشِرِ ... وكُن قُضاعِيًّا ولا تَنزَّرِ[3]
قضاعةُ الأَثْرَوْنَ خيرُ مَعْشرِ ... قضاعةُ بن مالك بن حِمْيَرِ[4]

وقال مؤرج : شُعراء قضاعة كلّها فى الجاهلية والإسلام تنتمى إلى مَعَدّ .

قال جميل :

وأبى مَعَدٌّ كان فَىْءَ رِماحهم[5] ... كما قد أفأنا والمُفاخِرُ مُنْصِفُ

وقال زِيادةُ بن زيد يهجو بنى عمّه بنى عامر رَهْطَ هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم :

وإذا مَعَدٌّ أَوقَدَتْ نِيرانَها ... للمجْدِ غَضَّتْ عامرٌ وتَضعضعوا[6]

(وجميل شاعر فصيح مقدَّم جامع للشعر والرواية ، وكان راوية هُدبة بن خَشْرَم ، وكان هُدبة شاعرا راويةَ الُحطيئة ، وكان الُحطيئة شاعرا راوية زُهيرٍ وابنِه ،

---

(١) عب الشمس : ضوء الشمس .

(٢) فى الأغانى : عكبرة وفى صبح الأعشى جـ١ ص ٣١٥ سماها جكرة .

(٣) بجانب كلمة «ولا تنزر» بالهامش : « ولا تنتسب إلى نزار » وذلك فى ا ، ك .

(٤) بعده فى الأغانى : «النسب المعروف غير المنكر» وأضاف أيضا وقال مؤرج: وهذا شىء قيل فى آخر أيام بنى أمية .

(٥) فى الأغانى: وأى معد كان فىء رماحهم .

(٦) فى الأغانى : أغضت عامر .

وآخر من اجتمع له الشعر والرواية كُثَيِّر ، كان كُثَيِّر راوية جميل ، وجميل راوية هُدْبة ، وهُدبة راوية الُحطيئة ، والُحطيئة راوية زهير .

(كان جميل يهوى بثينة بنت حَبَأ بن ثعلبة) بن الهون[١] بن عمرو بن الأحب ابن جَزْء[٢] بن ربيعة فى النسب[٣] (وكان صادق الصَّبابة والعِشق ، ولم يكن كُثَيِّر بعاشق ولكنه يَتَقَوَّل . وكان الناس يستحسنون بيت كُثَيِّر فى النسيب :

أُريد لأَنسى ذِكْرها فكأنما ... تمثَّلُ لى ليلى بكلِّ سبيلِ

وفى الناس من يفضل عليه بيت جميل :

خَليلىَّ فيما عِشتما هل رأيتما ... قتيلًا بكى من حُبِّ قاتله قَبْلِى

وبيتُ كُثَيِّر أخذه من جميل حيث يقول :

أُريد لأَنسى ذكرها فكأنما ... تمثَّلُ لى ليلى على كُلِّ مَرْقَبِ

لقى الفرزدقُ كُثَيِّراً فقال له : ما أشعرك يا كُثَيِّر فى قولك :

أُريد لأَنسى ذِكرها فكأنما ... تمثَّلُ لى ليلى بكلِّ سبيل

يُعرِّض له بسرقته من جميل :

أُريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثَّل لى ليلى على كلِّ مرقب

فقال له كُثَيِّر : وأنت يافرزدق أشعر الناس فى قولك[٤] :

ترى الناسَ ماسِرْنا يسيرون خَلْفنَا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وَقَّفُوا

وهذا البيت لجميل سرقه الفرزدق ، فقال لكثير : أ كانت أُمُّك مرَّت بالبصرة ؟ قال : لا ، ولكن أبى وكان نزيلا لأُمِّك .

---

(١) فى الأغانى : الهوذ .

(٢) فى الأغانى : حسن .

(٣) كذافى أصول المختار . وفى تجريد الأغانى : بن ربيعة تلتقى هى وجميل فى حن بن ربيعة فى النسب

(٤) فى الأغانى : وأنت يا أبا فراس أفخر الناس حين تقول .

قال طلحةُ بن عبيد الله : إنى لأعجب بجواب كُثَيِّر هذا ، على أنه ما رأيت أحدا أحمق منه قط .

ذُكِرَ جميلٌ لـكُثَيِّر فقالوا : ماتقول فيه ؟ فقال : من علَّم الله .

سئل نُصيب : أجميل أنسب أم كُثَيِّر ؟ فقال : أنا سألت كُثَيِّرا عن ذلك فقال : وهل وَطَّأَ لنا النَّسيب إلا جميل ؟

(وكان نُصيب يقول : جميلٌ إمام المُحبين .)

وكان جميلٌ يَنسب بأُم الُجسَير . وكان أول ما علق بُثينة أنه أقبل يوما بإبله حتى أوردها واديا يقال له بَغِيض ، فاُضطجع وأرسل إبله مُصْعِدة ، وأهلُ بثينةَ بِذَنب الوادى ، وأقبلت بثينة وجارةٌ لها واردتين الماء ، فمرَّتا على فِصَالٍ له بُرُوكٍ فعَرَمَتهُنَّ بثينة — يقول : نفَّرتهنّ — وهى إذ ذاك جُوَيرة صغيرة ، فسبَّها جميل فافترَتْ عليه ، فملُح إليه سِبابُها فقال :

وأوّلُ ما قــاد المودَّة بيننا ... بوادِى بَغِيض يا بُثينَ سِبابُ
فقلنا لهــا قوْلًا فجاءتْ بمثله ... لـكلِّ كلامٍ يا بُثينَ جوابُ

وكانت بُثينةُ عند نُبَيه بن الأسود العُذرى . وإياه عنى جميل بقوله :

لقد أنـكحوا جَهْــلًا نُبَيْهاً ظعينةً
لطيفةَ طَىِّ البطنِ ذاتَ شَوًى خَدْلِ(١)

ولما أُخبرت بثينةُ أن جميلا نَسَب بها حلفت بالله لا يأتيها على خَلاء إلا خرجت إليه ولا تتوارى منه ، فـكان يأتيها غَفلاتِ(٢) الرجال ، فيتحدَّث إليها ومع أخواتِها

(١) الخدل : الممتلئ والشوى : الأطراف .

(٢) فى الأغانى : عند غفلات .

حتى نُمِى إلى رجالها أنه يتحدث إليها إذا خلا منهم ، وكانوا غُيُراً[1] ، فرصدوه بجماعة نحوِ بضعةَ عشرَ رجلًا ، وجاء على الصَّهباءِ ناقتِه حتى وقف على بثينة وأمِّ الجُسَير وهما يحدثانه . وهو ينشدهما :

حلفتُ بربِّ الراقصات إلى مِنًى ... هُوِيَّ القطَا يجْتَزْنَ بَطنَ دَفِينِ[2]
لقد ظنَّ هذا القلبُ أنْ ليس لاقياً ... سُلَيْمَى ولا أُمَّ الجُسَيْرِ لحِينِ
فليت رجالًا فيكِ قد نَذَرُوا دَمِى ... وهمُّوا بقَتْلِى يا بُثَينَ لَقُونى
إذا ما رأونى طالعاً من ثَنِيَّةٍ ... يقولون من هذا وقد عرَفونى[3]
وأعينهم شُزْراً إلىَّ كأنَّها ... حُرُوف سيوف فى غُموضِ جفون
يقولون لى أهلًا وسهلًا ومرحباً ... ولو ظفروا بى ساعةً قتلونى
فكيف ولا تُوفى دماؤهمُ دمى ... ولا مالُهم ذو نُدْهَةٍ فيَدُونى[4]
تجنَّى علىَّ الذنب أهلى وأهلُها ... ولو عرَفوا وَجْدى بها عذَرونى
لحى اللهُ من لا يَنفعُ الوُدُّ عنده[5] ... ومن حَبْلُه إنْ مُدَّ غيرُ مَتينِ
ومَن هو ذو لَوْنينِ ليس بدائمٍ ... على العهد خَوَّان لكل أمينِ

فبينما هو على تلك الحال إذ وثب عليه القوم فرماهم بها فسبقت به وهو يقول :

إذا جمع الأَبْنَانُ جمعا رميتهم[6] ... بأركانها حتى تُخَلَّى سبيلُها

---

(١) ضبطها فى ا و ك : غيرا بتشديد الياء مفتوحة.
(٢) دفين : موضع .
(٣) هذا البيت وما بعده ليس فى الأغانى عند ترجمته وأضيف بهامش ك وصلب ا .
(٤) الندهة : الكثرة .
(٥) فى ت : من لا يعرف الود عنده .
(٦) كلمة الأبنان غير واضحة فى المختار إلا أن فوق النون نقطتها. وفى الأغانى جعلت «الاتنان» هذا، والأبنان تكون ذا العداوة من الأبنة وهى العداوة يقال بينهم أبن أى عداوات أو تكون الأتنان أى المقارب الخطو من قولهم: أتن الرجل : قارب الخطو، ويريد بذلك ضعفه لكبر .

وكان هذا أول المهاجاة بينه وبين عبد الله بن قطنة[1] .

(وكان جميل[2] قد خطب بثينة وهى ابنة خالته ، وكان نُبيه ابنُ عمّها قد سبقه إلى خِطبتها ، فوعده أبوها ولم يعقِد نكاحها لأنها كرهته ، وكان قبيحا دميا ، فى إحدى عينيه نكتة بياض)، فخرج وابنا عمٍّ له يقال لهما مَسْعدة ورَوْق ، وخرج معهم نُبيه إلى الصيد ، فمر بهم رجل من خُزاعة يكنى أبا عباية ، وكان شديدا يتعاطى الصِّراع . فقال له نُبيه : هل لك يا أبا عباية فى مصارعتى ؟ قال : ذلك إليك ، فاتَّحدا[3] فصرعه أبو عباية وجلس على صدره ، فضحك جميل وصاحباه من ذلك ، فقام إلى أبى عباية وقال له : عاوِدْنى ، فقال : لا أفعل ، فتعلق به ، فقال له جميل : ماذا تريد من الرجل ؟ طالبتَه بالصّراع فصرعك ، والمعاودةُ إليه إن أرادها وإلّا فلا سبيل لك عليه . قال : أفتصارعنى أنت يا جميل ؟ قال : وما تريد بذلك ؟ قال : أُحبّه وأشتهيه . قال : واللهِ ما لَك فيه خير ، فإن أحببته على ذلك فهلُمَّ ، فاتحدا فصرعه جميل ، ثم سأله المعاودة فعاوده فصرعه ثانية ، ثم سأله المعاودة فصرعه ثالثة ، وضرط نُبيه من تحته ، ثم قام فانصرف إلى الحى مُغضبا ، وسأله فتيانُ العشيرة عن سبب رجوعه فقال : دعانى جميل إلى الصراع فكرهت ذلك ، ثم ألحَّ علىَّ فصارعتُه فصرعتُه ووثب علىَّ ابنا عمّه فنحّيانى عنه وألقياه على صدرى فرجعت مغضبا. فقالوا له : ما كان ينبغى لك أن تصارع ابن عمك وهو نازل فى حَيِّك وإذ قد جرى ذلك فلا ينبغى لك أن تُفيض فى ذِكره ولا أن تعيده ، فقالت بثينة : كذب والله نُبيه ، لو صرع جَمِيلًا لأَتَمَّ وَجْهَه[4] ، ولكن جميلا صرعه فغضب وانصرف ،

---

(١) فى الأغانى : عبد الله بن قطبة .

(٢) هذا النص بطوله لا يوجد فى ترجمة جميل فى الأغانى .

(٣) تكتب مرة فى المختار : اتحذا ومرة اتخذا .

(٤) الكلمة غير منقوطة وأتم وجهه تريد اظل فى الصيد بقية يومه مع صحبه .

وتضاحكت به هى ونساء الحىّ ، وعاد جميلٌ وصاحباه فتحدثوا فى الحىّ بالحديث على جِهته ،(ولجّ نُبيه منذ يومئذ فى تزويج بثينة وبذل لهم مالا عظيما، وكان كثير المال، فزُوِّجَها ودخل بها على كره منها . ولما تزوجت جزع جميل جزعا عظيما وأسف أسفا شديدا ، وقطع زيارة بثينة وهجرها ، وطالت المدة فى هجره إياها ، ثم قال لمَسعدة ورَوْق ابـنَىْ عمه ، وكانا له صَفِيَّين : قد طال هجرى بثينة وتجلُّدى على بعدها ، وإن ذلك لقاضٍ علىّ أوْ دافعى إلى أن أرى منها ما يُسْخِن عينى ، فقالوا له : اتق الله تعالى وأَبقِ على نفسك إن كنت لا تُطيق السّلُوّ عنها ، واصبر على بعض ما تكره ، وأَلْمِم بها إلمامة لعلك تستريح إليها . فأجمع على ذلك ومضى معهما ، فلقى جارية لها حبشية ، فلم يكلمها ولا أعلمها أنه يريد بثينة ، ولكنه جلس مع ابـنَىْ عمّه مستظِلًّا بشجرة ، ومطاياهم معقولة كأنهم يريدون أن يُريحوا ، فبادرت الأَمَة إلى بثينة فأخبرتها ، فجاءت هى وأُمُّ الجسير وليلى وأم منظور ، فلما رأينه سلّمن عليه وعلى صاحِبَيه وجلسن إليهم ، فقالت له أمّ منظور : أين كنت بَعْدَنا ؟ وأين كانت غيبتك ؟ لقد طال شوقنا إليك ، فقال : اغتربت عنكن فى أهلى وافترقنا فرأيت التباعُدَ مع ما حدث أجمل ، فبكت بثينة وقالت : ما تباعدنا عنك ولا زادتنا الليالى إلا شوقاً إليك وتجديداً لمودتك . وتحدَّثا بقية ليلتهما وتشاكيا حتى أصبحا فقال جميل فى ذلك[1] :

ألا طال كِتمانى بثينةَ حاجةً   من الحاج ما تدرى بثينة ماهيا
أخاف إذا أنبأتها أن تُضيعها   فتترُكها ثِقْلاً علىّ كما هيا
أغرّك أنى لا بخيلٌ عليكمُ   ولا مُفحِشٌ فيما لديكِ التقاضيا

---

(١) هذه القصيدة بترتيبها وطولها لم ترد فى الأغانى فى ترجمة جميل بل جاءت بعض أبيات منها مع غير سياق هذا الخبر .

أعدُّ الليالى ليلةَ بعد ليلةٍ وقد عِشتُ دهرا لا أعد اللياليا[1]
ذكرتُك بالدَّيرين يوما فأشرفتْ بناتُ الهوى حتى بَلغنَ التَّراقيا
إذا اكتحلتْ عينى بعينك لم أَزَلْ بخيرٍ وَجلَّتْ غمرةً عن فؤاديا
فأنت الذى إن شئتِ أشقيتِ عيشتى[2]
وإن شئت بعد الله أنعمتِ باليا
وأنت الذى ما من صديقٍ ولا عِدًا[3]
يرَى نِضْو ما أبقيتِ إلَّا رَثَى ليا
إذا خَدِرتْ رجلى وقيل شفاؤها دعاءُ حبيب كنتِ أنت دعائيا
وما زادنى النأْىُ المفرِّقُ بيننا سُلُوًّا ولا طولُ التلاقى تقَالِيا
ولا زادنى الواشون إلَّا صَبابةً ولا كثرةُ الناهين إلَّا تمادِيا
ألمْ تعلمى يا عذبة الريق أننى أظلُّ إذا لم ألقَ وَجهك صَادِيا
لقد خفتُ أن ألقى المنِيَّة بَغْتةً وفى النفس حاجاتٌ إليك كما هيا
وخبرتمانى أن تيماءَ منزلٌ لليلى إذا ما الصيفُ أَلقى المراسيا
فهذى شهورُ الصيف عنِّى قد انقضتْ
فما للنوى ترمى بليلى المَراميا
وإنى لتثنينى الحفيظةُ كُلَّما لقيتُك يوما أن أَبثَّك ما بيا
وإنى لأستحييكِ أن أذكر الصِّبا إليك فأُنسى القلبَ ما ليس ناسيا
وما زلتمُ يا بثنُ حتى لو أننى من الشوق أستبكى الحمامَ بكَى ليا

(١) هذا البيت ورد فى شعر مجنون ليلى فى الأغانى وكذلك بعض أبيات من القصيدة وفى الأغانى فى ترجمة جميل إشارة إلى أن شعرا نسب للمجنون وانظر ديوان مجنون ليلى تحقيق وديوان جميل.
(٢) فى الأغانى : « وأنت التى إن شئت كدرت عيشتى » وهذا البيت مما ينسب للمجنون .
(٣) فى الأغانى : وأنت التى .

(تيماء خاصة منزل لبنى عذرة وليس من منازل بنى عامر) ولا يروى هـذا الشعر للمجنون إلّا من ليس يعلم .

ومن شعره فيها :

ألَا هل إلى إلمامة أَن أُلِمَّها　　　بُثَينةُ يوما فى الحياة سبيلُ
فإن هى قالت لا سبيلَ فقلْ لها　　　عناءٌ على العُذْرِىّ منكِ طويلُ

شـكا زوجُ بثينة إلى أبيها وأخيها إلمام جميل بها ، فوجّهوا إلى جميل فأَعذروا إليه وشـكوه إلى عشيرته وأعذروا إليهم وتوعّدوه وإيّاهم[1] ، فلامه أهله وعنّفوه وقالوا: سنُخلصك إليهم[2] ونتبرّأ منك ومن جريرتك ، فأقام مُدَّة لا يُلِمّ بها ، ثم لقى ابـنَىْ عمه رَوْقاً ومَسعودا[3] فشـكا إليهما ما به . وأنشدهما قوله :

زُورَا بثينةَ فالحبيبُ مَزُورُ　　　إن الزيارة للحبيبِ يَسيرُ
إن الترحُّلَ ليس يُلْبِثُ أَمْرَنا　　　وإعتاقنا قَدَرٌ أُحِمَّ بكورُ[4]
إنى عشيةَ رُحتُ وهى حزينةٌ　　　تشـكو إلىَّ صَبابةً لصبورُ
وتقول بِتْ عندى فديتُك ليلةً　　　أشـكو إليك فإن ذاك يَسيرُ
غرّاءُ مِبسامٌ كأنّ حديثها　　　دُرٌّ تحدَّرَ نَظْمُه مَنثـورُ
مَحْطُوطةالمتنينِ مُضْمَرَةُ الحشا　　　رَيَّا الروادفِ خَلْقُها مَمْـكُورُ[5]

---

(١) فى الأغانى ٨/١٢٧ : وأتاهم. وجاء فى رواية أخرى ج ٨ ص ١٤٨ كما هنا .

(٢) فى الأغانى٨/١٢٧ : وقالوا إنانستحلف إليهم.وفى ج ٨ ص ١٤٨ :أستخلص إليهموذلك مثل نسخة ت .

(٣) سبق أن ابن عمهمسعدة . لـكن فىالأغانى ٨/١٢٧ ونسختى ا وك: ومسعودا أما نسخة تفهى « ومسعدة » وكذلك فى الأغانى ٨/١٤٨ ومسعدة . وجاء بالشعر الذى هنا. أما فى ج ٨ ص ١٢٧ فشعر قافيته عين .

(٤) فى الأغانى : « إن الترحل إن تلبس أمرنا » وفى ا : أحم مكور .

(٥) محطوطة المتنين : ممدودتهما وممكور : ممتلىء .

— لا حُسْنها حُسْن ولا كدلالها دَلٌّ ولا كوقارها توقيرُ[1]
ولئن جزيتِ الوُدَّ منى مثلَه إنى بذلك يا بثينَ جَـدِيرُ

(فقال له روق: إنك لعاجز ضعيف فى استكانتك لهذه المرأة) وتركك الاستبدالَ بها مع كثرة النساء ووجود مَن هو أجمل منها ، وإنك فيها بين فجورٍ أرفعك عنه ، أو ذُلٍّ لا أحبه لك ، أو كَمَدٍ يُؤدِّيك إلى التلف) ومخاطرةٍ بنفسك لقومها إن تعرّضت لها بعد إعذارهم إليك ، وإن صرفت نفسك عنها وغلبتَ هواكَ فيها وتجرّعت مرارةَ السلوان فذلك الحزم[2] حتى تألفها وتَصْبِرَ نفسَك عليها طائعةً وكارهةً أَلِفْتَ ذلك وسلوت . (فبكى جميل وقال : يا أخى ، لو ملكتُ اختيارى لكان ما قلتَ صوابا ، ولكنى لا أملك الاختيار ، ولا أنا إلا كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً) وقد جئتك لأمر أسألك ألا تكدِّر فيه ما رجوتُه عندك بلومٍ ، وأن تحمل على نفسك فى مساعدتى ، فقال له : فإن كنت لابدّ مُهْلِكاً نفسك فاعمل على زيارتها ليلا ، فإنها تخرج مع بنات عمٍّ لها إلى مَلْعب لهنّ ، فأجىء معك حينئذ سرًّا ، ولى أخٌ من رَهْط بثينة من بنى الأَحَبِّ نَأْوِى عنده نهارا ، وأسأله مساعدتَك على هذا ، فنُقيم عنده أياما نهارا وتجتمع معها بالليل إلى أن تَقضِيَ أَرَبَك . فشكره ، ومضى روق إلى الرجل الذى من رهط بثينة ، فأخبره الخبر ، واستعهده كِتمانه ، وسأله مساعدتَه فيه ، فقال له : لقد جئتنى بإحدى العظائم ، ويحك ! إن فى هذا معاداتى الحىَّ جميعا إن فُطِنَ به . فقال : أنا أتحرّز فى أمره من أن يظهر . فواعَدَه لذلك ، ومضى إلى جميل فأخبره بالقصة ، فأتيا الرجلَ ليلا فأقاما عنده ، وأرسل إلى بثينة بوليدةٍ له بخاتم جميل ، فدفعته إليها ، فلما رأته عرفته ، فتبعتها وجاءته ، فتحدّثا ليلتهما ،

---

(١) لاحسنها : أى لا كحسنها . هذا ، وبعده فى الأغانى بيت.

(٢) فى الأغانى : وتجرعت مرارة الحزم .

وأقام موضعَه ثلاثة أيام ثم ودَّعها فقال لها : عن غير قِلًى والله يابثينةُ ولا مَلَل كان وداعى إياك ، ولـكنى قد تذمَّمت من هذا الرجل الـكريم وتعريضِه نفسَه لقومه ، وقد أقمت عنــده ثلاثا ، ولا مزيد على ذلك . ثم انصرف ، وقال فى عَذْلِ رَوْقٍ ابنِ عمه إياه :

لقد لامنى فيها أخٌ ذو قرابــةٍ حبيبٌ إليــه فى ملامته رُشْدِى
فقال أَفِقْ حتى متى أنت هـائمٌ بُثينة فيهـا قد تُعِيد وقد تُبْدِى
فقلت له فيهـا قَضَى اللهُ ما تَرى عـلىَّ وهـل فيما قضى الله من رَدِّ (١)
لقــد لجَّ ميثـاقٌ من الله بيننا وليس لمن لم يُوف بالله مِنْ عَهْـد (٢)
فلا وأبيها الخيرِ ما خُنتُ عهدَها ولا لِىَ عِـلْمٌ بالذى فَعلتْ بَعْدِى
وما زادهـا الواشون إلَّا كرامةً علىَّ وما زالت مودَّتُها عنـــدى
أفى الناسِ أمثالى أحبُّوا فحـالُهمْ كَحالِىَ أمْ أَحببتُ من بينهم وَحْدِى
وهل هكذا يَلْقَى الُمحبُّون مِثلَ مَا لَقِيتُ بها أم لم يَجِدْ أحد وَجْدِى
إذا ما دَنَتْ زِدْت اشتياقاً وإن نأتْ جَزِعْتُ لِنَأْيِ الدار منهـا وللبُعْدِ (٣)
أَبَى القلبُ إلَّا حبَّ بثنــةَ لم يُرِدْ سواها وحبُّ القلبِ بثنةَ لا يُجْدِى

وكان رهطُ بثينة قد ائتمنوا عليها عجوزا منهم يثقون بها يقال لها أمّ منظور ، فجاءها جميل فقال لها : يا أم منظور ، أريني بثينة ، قالت : لا والله لا أفعل ، قـد ائتمنونى عليها ، فقال :أمَا والله لأضرَّنَّكِ إذاً ، فقالت : المضرَّةُ واللهِ أن أُريكَها ، فخرج من عندها وهو يقول :

---

(١) بعده فى الأغانى بيت .

(٢) فى الأغانى : يوف لله .

(٣) هذا البيت والذى بعده لم يجيئا فى الخبر، هذا الذى ورد فى ج ٨ ص ١٥٠ وإنما جاءا وحدهما فى ج ٨ ص ١١١ .

ما أَنسَ لا أَنْسَ منها نظرةً سلفتْ   بالحِجْرِ يوم جَلَتْها أُمُّ منظورِ
ولا انْسلابتها خُرساً جبائرُها   إلىَّ من ساقط الأرواق مستورِ[١]

فما كان إلا قليلا[٢] حتى انتهى إليهم خبر هذين البيتين ، فذكروا ذلك لأم منظور[٣] ، فحلفت لهم بكل يمين فلم يقبلوا منها .

ولما بلغت هذه الواقعةُ مُصعبَ بن الزبير قال : وددت أنى عرفت كيف جلَتْها ، فقيل له : إن أم منظور حَيَّة ، فكتب فى حَمْلها إليه مُكَرَّمة ، فحُمِلت إليه ، فقال لها : أخبريني كيف كانت الجَلْوَة ؟ قالت : ألبستها قلادةَ بَلَحٍ ومِخْنَقَةَ بَلَحٍ[٤] فى واسِطتها تُفَّاحة ، وضفرت شعرها ووضعت فى فَرْقِها شيئا من خَلُوق ، ومرَّ بنا جميل راكبا ناقته ينظر إليها بمُؤْخِرِ عينه ويلتفت حتى غاب عنها ، فقال لها مصعب : أقسم عليك إلَّا جَلَوْتِ عائشةَ بنتَ طلحة مثل ما جلوتِ بثينة . ففعلت ، وركب مصعب ناقته وأقبل ينظر إليها بمؤخر عينه ويلتفت حتى غاب عنها ثم رجع .

جاء جميل إلى بثينة وقد أَخذ ثيابَ راعٍ لبعض الحىّ ، فوجد عندها ضِيفاناً لها ، فانتبذ ناحية ، فسألته : من أنت ؟ فقال : مسكينٌ مُكاتَبٌ[٥] فجلس وحده ، فعشَّت ضيفانها وعشَّته وحده ، ثم جلست هى وجارية لها على صِلائهما[٦] ، واضطجع القوم مُنْتَحِين ، فقال جميل :

---

(١) الانسلاب هنا يراد به التسلل. والجبائر جمع جبيرة ومن معانيها السوار والدملج. والأرواق: الفساطيط . وفى المختار وأغلب نسخ الأغانى : من ساقط الأوراق. فتكون هنا بمعنى الأوراق الجافة المتساقطة على الأرض تسير فوقها حذرة .

(٢) فى الأغانى : « إلا قليل » وهنا المعنى: فما كان الأمر أو الزمن إلا قليلا .

(٣) فى الأغانى : فتعلقوا بأم منظور .

(٤) المخنقة القلادة .

(٥) المكاتب من يجعل عليه سيده أقساطا إذا أداها صار حراً .

(٦) الصلاء: النار. ويراد أنهما تستدفئان أو توقدان.

هل البائسُ المقرور دانٍ فمُصْطَلٍ   من النارِ أَو مُعْطًى لِحافاً فلابسُ

فقالت لجاريتها : صوتُ جميل واللهِ ، اذهبى فانظرى ، فرجعت إليها فقالت : هو واللهِ جميل ، فشهقت شهقة سمعها القوم ، فأقبلوا يجرون إليها ، فطرحت بُرْداً لها حِبَرَةً فى النارِ وقالت : احترق بُرْدى . فرجع القوم ، وأرسلت جاريتَها إلى جميل فجاءتها به ، فحبسته عندها ثلاث ليال ، ثم سلم عليها وودَّعها وخرج عنها(١) .

كانت بثينة قد واعدت جميلا أن يلتقيا فى بعض المواضع ، فأتى لوعدها ، وجاء أعرابىٌّ يستضيف القومَ ، فأنزلوه وقَرَوْه ، فقال لهم : قد رأيت فى بطنِ هذا الوادى ثلاثة نَفَرٍ متفرّقين مُتوارِين فى الشجر ، وأنا خائف عليكم أن يَسُلُّوا(٢) بعضَ إبلكم ، فعرفوا أنه جميل وصاحباه ، فحرَسوا بثينةَ ومنعوها من الوفاء بوعده ، فلما أسفر الصبح انصرف كئيبا سيِّئَ الظن بها ، فرجع إلى أهله ، فجعل نساء الحى يُقرِّعْنَه بذلك ويقلن له : إنما حَصلتَ منها على الغدر والباطل ، وغيرُها أولى بوصلك منها ، كما أن غيرك يحظى بها . فقال فى ذلك :

أبثينَ إنك قد مَلكت فأَسْجِحى   وخُذى بحظِّك من كريمٍ واصلِ(٣)

فلَرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها   بالجدِّ تَخلطه بقول الهازلِ

فأجبتها بالقول بعد تستُّرٍ   حُبِّى بثينةَ عن وِصالك شاغلى

لو كان فى قلبى كقدر قُلامةٍ   فَضْلًا وصلْتُك أو أتتْك رسائلى

ويقلن إنك قد رَضيتَ بباطلٍ   منها فهل لك فى اجتنابِ الباطلِ

ولباطلٌ ممّن أُحبُّ حديثَه   أَشهَى إلىَّ من البغيض الباذلِ

---

(١) فى الأغانى : ثم سلم عليها وخرج .

(٢) السل : السرقة خفية .

(٣) أسجح : أحسن العفو .

لِيزُلْنَ عنكِ هواى ثم يَصِلْننى ... وإذا هَوِيت فما هواى بزائلِ
صادتْ فؤادىَ يا بثينَ حِبالُكم ... يوم الحَجُون وأخطأتكِ حَبائلى
مَنَّيْتِنى فَلَوَيْت ما مَنَّيتنى(١) ... وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجلِ
وتثاقلتْ لمَّا رأتْ شغفى بها ... أحببْ إلىَّ بذاك من مُتثاقلِ
وأطعتِ فىَّ عواذِلًا فهجرتنى ... وعصيتُ فيكِ وقد جَهَدْنَ عواذِلى
حاوَلْنَنى لِأَبُتَّ حَبْلَ وصالكمْ ... مِنّى ولستُ وإن جَهَدْنَ بفاعلِ(٢)
فرددتهنَّ وقد سعين بهجركمْ ... لما سَعَين له بأسهُم ناصِلِ(٣)
يَعْضَضْنَ من غيظٍ علىَّ أناملًا ... ووَدِدْتُ لو يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنادلِ
ويقلن إنكِ يا بثينَ بخيلةٌ ... نفسى فداؤكِ من ضَنِينٍ باخل

وقال فى هذا الوعد من أبيات :

إنى لأحفظ غيبكمْ ويَسُرُّنى ... لو تَذْكُرين بصالحٍ أن تَذْكُرى
ويكون يومٌ لا أرى لك مُرْسَلًا ... أو نلتقى فيه علىَّ كأشهرِ
يا ليتنى ألقَى المنِيَّةَ بغتةً ... إن كان يومُ لِقائكمْ لم يُقدَرِ
أو أستطيع تجلُّدا عن ذِكركمْ ... فيُفيقُ بعضُ صبابتى وتذكُّرِى(٤)
إنى إليكِ لما وعدت لناظِرٌ ... نَظَرَ الفقيرِ إلى الغنىِّ المُكْثِرِ

---

(١) لواه: طواه وستره وأخفاه .

(٢) بته : قطعه .

(٣) الناصل : الغالب فى النضال . وفى الأغانى : «بأفوق ناصل» والسهم الأفوق : الذى به ميل والناصل : الذى لا نصل له .

(٤) بعده فى الأغانى خمسة أبيات .

تَعِدُ الديونَ وليس تُنْجِز وَعْدَها[1] ... هـذا الغريمُ لنا وليس بِمُعْسِرِ
ما أنتِ والوَعْدَ الذى تَعِدِينَنى ... إلّا كبرقِ سحابةٍ لم تُمْطِرِ[2]

وقال أيضاً فى إخلافها هذا الوعد من أبيات :

ألَا ليت شِعرى هل أبيتنّ ليلةً ... بوادِى القُرَى إنى إذًا لسعيدُ
وهل ألقيَنْ فَرْدًا بثينــةَ مرةً ... تجودُ لنـا من وُدِّها ونجودُ
عَلِقتُ الهوى منها وَلِيداً ولم يزَلْ ... إلى اليــوم يَنمِى حُبُّها ويَزيدُ
وأفنيتُ عمرى بانتظارِىَ وَعْدَها ... وأبْلَتْ بذاكَ الدَّهْرَ وهو جَديدُ[3]
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ... ولا حُبُّها فيما يَبِيــدُ يَبِيدُ
وما أنس مِ الأشياء لا أنسَ قولَها ... وقد قَرَّبتُ نِضْوِى أَمِصْرَ تُرِيدُ[4]
ولا قولَها لولا العيونُ التى ترَى ... لزرتُك فاعذِرْنى فدَتْك جُدودُ[5]
يقولون جاهِدْ يا جميــلُ بغزوةٍ ... وأىَّ جهــادٍ غيرَهنّ أُريدُ
لكلّ حديث بينهنّ بشاشةٌ ... وكلُّ قتيــلٍ بينهنّ شَهيدُ
إذا قلتُ مابى يابثينةُ قاتِـــلى ... من الحبّ قالت ثابتٌ ويَزيدُ
وإن قلتُ رُدِّى بعضَ عقلى أعِشْ به ... مع الناس قالتْ ذاكَ منك بعيدُ[5]
إذا فكَّرتْ قالت قد أدركْتُ وُدَّهُ ... وما ضرَّنى بخلى فكيف أجودُ
فلو تُكشفُ الأحشاءُ صُودِفَ تحتَها ... لبثْنَةَ حُبٌّ طارف وتَليدُ[5]
وقـد تَلْتقى الأشتاتُ بعد تَفَرُّقٍ ... وقد تُدْرَكُ الحاجاتُ وهى بَعيدُ

---

(١) فى الأغانى : يعد الديون وليس ينجز موعدا .
(٢) بعده فى الأغانى بيت .
(٣) فى الأغانى : وأبليت فيها الدهر :
(٤) النضو : المهزول من الحيوان ، ويريد ناقته .
(٥) بعده فى الأغانى بيت .

لقى جميلٌ بثينةَ بعد تهاجرٍ كان بينهما ، فتعاتبا طويلا ؛ فقالت له : ويحك ياجميل ، أتزعم أنك تهوانى وأنت الذى تقول :

رَمى الله فى عَيْنَىْ بثينةَ بالقَذَى ... وفى الغُرِّ من أنيابهـا بالقوادِحِ

قال : فأطرق طويلا يبكى ثم قال : بل أنا الذى أقول :

ألَا ليتنى أعمى أَصمُّ تقودنى ... بثينةُ لا يَخفى علىَّ كلامُها

فقالت : وما حَملَك على هذا ؟ أوَ ليس فى سَعَةِ العافية ما يسعنا جميعا[1] ؟

وشَتْ أَمَةُ بثينة إلى أبيها[2] وأخيها فقالت لهما : إن جميلا عندها الليلة ، فأتيا مُشتمِلَيْن على سيفين ، فرأياه جالسا حَجْرَةً[3] منها يحدّثها ويشكو إليها بَثَّهُ ثم قال لها : يا بثينة ، أرأيتِ وُدّى إياكِ وشغفى بك ألَا تجزينه ؛ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابَّيْن ، فقالت له : يا جميل ، أهذا تَبْغِى ؟ والله لقد كنتَ عندى بعيدا منه ، ولئن عاودْتَ تَعريضا برِيبة لارأيتَ وجْهى أبدا . فضحك ثم قال : والله ما قلتُ لك هذا إلّا لأعلم ما عندكِ ، ولو علمتُ أنك تُجيبيننى إليه لعلمت أنك تجيبين غيرى ، ولو رأيت منك[4] مساعدةً عليه لضربتُك بسيفى هذا ما استمسكَ فى يدى إن أطاعتنى نفسى أو لهجرتك أبدا[5] ، أو ما سمعت قولى :

وإنى لأرضى من بثينةَ بالذى ... لو استيقن الواشى لقرَّت بلابلُه[6]

بِـلَا وبأن لا أستطيع وبالمُـنى ... وبالأملِ المرجُوِّ قـد خاب آمله

وبالنظرةِ العَجْلَى وبالحَوْلِ تنقضى ... أَوَاخِرُه لا نلتـقى وأَوائلُـه

(١) فى الأغانى : ما كفانا جميعا .
(٢) فى الأغانى : سعت أمة لبثينة بها إلى أبيها .
(٣) حجرة : ناحية .
(٤) فى ا : ولو علمت .
(٥) فى الأغانى : لهجرتك هجرة الأبد .
(٦) فى الأغانى : لو ابصره الواشى .

قال : فقال أبوها لأخيها : قم بنا فما ينبغى لنا بعد هذا اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها . فانصرفا وتركاهما)

بلغ جميلا أن رهط بثينة يقولون إن جميلا ليس مع بثينة ، وإنما هو مع أمةٍ لها ، وذلك أن بثينة كانت قد أرسلت إليه : إن رجالى قد نذروا دمك فلا تأتنى والْقَ أمتى ، فإن أمتى هذه تأتيك برسالتى وترسلها إلىّ فيما تريد ، ففعل ذلك حين كَثُر ما يُوجد مع الأمة ، فقال بعضهم لبعض : ظلمتم بثينة وشهرتموها ، وإنما يَتبع جميلٌ أَمتَها . فقال جميل لأمتها : عِدِيها فى بُرْقة[1] ذِى ضالٍ فإنى سآتيها ونتحدث ، حتى إذا جاءها الكَرَى قلتُ : تنام ساعة ثم أُرخى لها فأوسع لها بردى فتنام وأنسلّ فإذا أصبحت فقومى بوضوئها فقولى : أين بثينة . ففعل ذلك وفعلت الجارية فأشارتْ إليها أمُّ بثينة وهى تُصلّى : أن اسكتى ، فلما انصرفتْ حلفتْ على الجارية لتعاقِبَنّها إن لم تُخبرها أين هى ؟ فأخبرتها ، فقالت : اذهبى بالوضوء وَجْهاً غير وَجْهِها ، إنهم سَيتبعونك ، ففعلتْ ماأمرتها ، فتبعوها ، ونهضت أمها فأيقظتها وخالفتهم إلى البيت ، فلما رجعوا اتبعوا أثرهما من حيث جاءت ، فوجدوا ملتقاهما ، فافتضحت وقال جميل فى ذلك :

فمن كان فى حُبّى بثينةَ يَمْتَرِى ... فَبُرقةُ ذِى ضالٍ علىّ شَهيدُ
لئن كان فى حُبِّ المُحِبِّ حَبيبَهُ ... حدودٌ لقــد حَلّتْ علىّ حُدودُ
ألا أيُّها الغيرانُ فى أَنْ أُحِبَّهــا ... بِسخْطك يَنْمِى حُبُّها وَيَزيدُ
فلو مِتُّ كلَّ المَوْتِ كَى يَخْلُقَ الهوَى[2] ... لهــا فى فؤادى مُتُّ وهو جَــديدُ

---

(١) فى الأغانى : برقاء ذى ضال ولكن القصة فى الأغانى مختلفة مختصرة وكذلك شعرها.

(٢) يخلق : يبلى .

وَيَحْسَبُ نِسوانٌ إذا جئت زائرا بثينةَ أنى بَعْضَهُنَّ أُرِيدُ
فياليتَ أن الريح فى ذاتِ بَيْنِنا إذا نحن شئنا يا بُثينَ بَرِيدُ
إذا بلَّغتكمْ حاجةً رَجَعت لنا إليكمْ بأخرى مِثلِها فتعودُ

فغضبت بثينة عليه وآلت لا تظهر له ، وقالت : فضحتنى ، وهجرَتْه فاستَحْيا ومَضَى إلى الشام ، وعند[1] ذلك واصلت حُجْنَة[2] الهلالى ، وكان ابنَ سُرِّيَّة ، فقال لها : لا أرضى أو تُعلمى جميلا أن قد استبدلتنى به ، فجاءها جميل فقالت :

ألم ترَ أن الماء غُيِّرَ حاضراً وأن شِعابَ القُلْب بعدك حُلَّتِ[3]

فقال جميل :

فإن تكُ حُلَّت فالشِّعابُ كثيرةٌ وقد نَهِلت منها قَلوصى وعَلَّت

فقالت بثينة : عرَّضتنى لجميل تجعلنى حديثا ويُسَمِّع بى ، لا أطيعك إليه بشىء بعد هذا أبدا ، وقالت لجميل : إنه استنزلنى فأَنْشُدك بالله أن تكشف ما تحت ثوبى وتذكره ، فإنها كانت هفوة وأثرك تعفوه الرياحُ أحبُّ إلىّ منه ، فقال جميل[4] :

أيا بثنُ إن واصلتِ حُجْنَة فاصْرِمِى حبالى وإن صَارَمْته فَصِلينى
ولا تجعلينى أُسوةَ العَبْدِ واجْعَلى مع العبدِ عَبْدًا مثله وذَرِينى
أُحاذِر ما لا تَحذرين وأتَّقى على قَرَنى مَن ليس لى بقرينِ[5]

---

(١) هذا الخبر ليس فى الأغانى وانظر الخزانة ٣ / ٩٤ فإنه يفهم أنه ذكر فى الأغانى .

(٢) وردفى ا ، ك حجية وكذلك الخزانة ٣ / ٩٤ ولكن الشعر يقتضى حجنة كالأغانى ٨ / ١١٩ حيث ورد اسمه مضبوطا . وفى الخزانة حجبة .

(٣) فى المختار : «وأن شعار» وجاءت صحيحة فى بيت جميل فى نسخة ا والقلب جمع قليب : وهى البئر . والشعاب جمع الشعب : وهو مسيل الماء فى بطن الأرض . أو تكون القلب «بفتح القاف» أى نواحى القلب وانظر الخزانة ٣ / ٩٤ وديوانه ص ٣٩ .

(٤) هذا الشعر وخبره لم يرد فى الأغانى وانظر الخزانة ٣ / ٩٤ .

(٥) القرن : المقرون بآخر

رأيتُ بعَيْـنَىَّ اليقينَ فما الذى　　تَعَمَّى على عَينىَّ بعد يَقينِ

فانصرف عنها وتركها ، وذلك حين يقول فيها :

رمى الله فى عَيْنَىْ بثينةَ بالقَذَى　　وفى الغُرِّ من أنيابها بالقوادِحِ

ولما[1] قدم جميلٌ من الشام مكث يروم زيارة بثينة أياما فلم يقدر عليها ، لشدة مراعاة أبيها وزوجها وأخيها لها ، وهو مع ذلك يراسلها ويجتهد فيها فلا يمكنه لقاؤها ، فمرّ به فِتيةٌ من قريش ذات يوم ، فنزلوا به وباتوا عنده ، فقراهم أكرم قِرًى ، وحدّثهم حتى ملأ قلوبهم ، وعرّفهم نفسه وحاله ، فقال له بعضُهم : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، تَنزل بأبى بثينة وتَبيت عنده ، فإذا وجدتَ غفلةً قلت له : إن غريما وَعدنى وحلف ألَّا أطلبَه ولا أُرسِلَ إليه إلَّا أتانى ، وقد طال مَطْلُه إياى ، وهو رجل منكم ، وأريد أن تمينونى عليه ، فإنها ستُجيبك بوَعْدٍ تُحَصِّله ، ففعل القرشى ذلك وخاطب أباها ، فقالت بثينة : يا أبتِ ، قد رأيت هذا الفتى القرشىّ ملازما لرجل يطلبه بحقٍّ له عليه فى وقت مساء تحت شجرات بأعلى الوادى ، ولست أعرف الرجل بعينه لأنه كان فى وقت مظلم ، فقال له أبوها : إذا غدوتَ عليه وطالبتَه عاونتُك وكرامةً ، فلما أصبح مضى إلى جميل وأخبره بالوعد ، فلما أمسى أتى الشجرات ، فوافته بثينة للوعد ومعها أترابها : أمّ الُجسير وأمّ منظور وليلى ، فسلمت عليه وتعاتبا ، وقال لها فى بعض قوله : اجعلى بينى وبينك حَكَما من أخواتِك أحاكمك إليها . فقالت : قد رَضيتُ بأمّ منظور ، فقال لها : إن بثينة قد عاهدتنى ألَّا أُوَجّه إليها أبدا إلا أجابتنى ، ولا أَسُومها شيئاً ، وقد وجّهتُ إليها مرارا فلم تأتنى ولا وَفَتْ بعهدها ، فقالت لها أمّ منظور : ما تقولين ؟ قالت : ما فعلتُ. فسألتْه البيِّنة ، فقال: لا شاهد إلا الله عز وجل ، فقالت بثينة: ماعاهدتك على هذا قط ،

---

(١) هذا الخبر لم يرد فى الأغانى مع طوله ولا وردت القصيدة مع طولها .

ولكنى على ذلك، وما جاءتنى رسالتك إلا سارعت إليك ، ولا تأخَّرتُ إلا من عذر .
فغضب جميل لُجحودها[1] وأطرق وما راجَعها حَرفا واحدا حتى برق الصبح ،
فلما أرادا الافتراق ودّعته فلم يودِّعها ، وكلّمته فلم يُجبْها ؛ فلم تزل تجتهد به أن يكلمها
فلم يفعل ، فانصرفت ؛ والتفتت فرأته جالسا فرجعت فأكبّت عليه وقالت له : إن
الحىَّ راحلٌ ، ولعلنا لا نلتقى مُدَّة ، وأنا الآن أُشهد أخواتى على ما أردت ، فودَّعها ،
وبكى ، ورحلَ فَرِيقُها إلى الشام[2] منتجعين ، فجعل يطوف ديارهم ، ويتتبع آثارهم ،
ويبكى ويتذكر محاكمته بثينة إلى أترابها ، وأنشأ يقول:

أشاقَتْك المعــارِفُ والطُّلولُ ... عَفَوْنَ وخَفَّ مِنهنّ الُحمُولُ
نَعَمْ فذكرتُ دُنْيَا قد تقضَّتْ ... وأىُّ نعيمِ دُنيـا لا يَزولُ
أسائلُ دارَ بَثنـةَ أين حلَّتْ ... كأن الدارَ تُخْبِرُ ما أقـولُ
فمَنْ هـذا يُبلِّغها رسـولًا ... كذاك لكلّ ذى حاجٍ رَسولُ
فيسألها وينظر هــل إليها ... لَخلْوةِ ساعـةٍ منها سَبيلُ
أقول لهـا اعتللْتِ بغيرِ ذنبٍ ... وشرُّ الناس ذو العِلَل البَخيلُ
تُقاضِينى إلى حَكَمٍ من أهْلِى ... وأهلكِ لا يَحِيفُ ولا يَميلُ
فوَلَّينا الحــكومةَ ذا وفاءٍ ... أخا عـدلٍ له طَرْفٌ كَحِيلُ
فقلتُ له قُتِلتُ بغيـرِ ذنبٍ ... وَغِبُّ الظلمِ مَرْتَـعُه وَبيـلُ
فسلْ هَذِى متى تَقضى ديونى ... وهل يَقضيك ذوالمِدَة المَطولُ
فقالت كلُّ ذا كَذِبٌ ومَيْنٌ ... وزُورٌ من خُصومته طَويـلُ
أأقتلُه ومالى من سـلاحٍ ... ومالى لو أُقاتِلُه حَوِيـلُ[3]

(١) فى ت : من جحودها .
(٢) فى ا : « ورحل معها إلى الشام .
(٣) الحويل هنا بمعنى القوة ، من الحول أوهو القدرة على دقة التصرف .

ولم آخــذْ له مالًا فَيُلْفَى ... له دينٌ عــلىَّ كما يقــولُ
وآلتْ حَلْفةً أن ليس عندى ... نَقِـيرٌ يدَّعيـه ولا فَتِيـلُ[(١)]

ولما نزلوا[(٢)] إلى الشام دخل أبو بثينة إلى عبد الملك بن مروان فى حاجة له ، وكان ذا جاه عنده ، فشـكا إليه جميلا ، فتبسّم عبد الملك وقال : أعيا الداءُ الدواءَ ، فقال : أَنْشُدكَ الله يا أمير المؤمنين أن تقول هذا فيجترى علينا ، فقال : قد أبحتكم دمه إن وجدتموه ، وبلغ ذلك جميلا فقال :

مَنع النومَ شِدَّةُ الإشفاقِ ... وادِّكارُ الحبيبِ يومَ الفراقِ
ليت شعرى إذا بثينةُ بانتْ ... هل لنا بعد بَيْنِها من تَلاقِ
ولقد قلتُ يوم نادى المُنادى ... مُستَحِثًّا برِحْلَةٍ وانطلاقِ
ليت لى اليومَ يا بثينةُ منكمْ ... مَجلِساً للوداع قبـل الفِراقِ
حيث ما كنتم وكنتُ فإنى ... غــيرُ ناس للعهدِ والميثاقِ

نظر[(٣)] جميلٌ إلى مُصعَب بن الزُّبير وهو غلام شاب فى ثوبين أسودين من ثياب اليمن على الجَبَل بعرَفة ، فعرفه فقال : إن ها هنا لَجَمالا أكره أن تراه بثينة .

خرج[(٤)] جميلٌ ذات يوم مع أصحاب له إلى الصيد ، فعنَّتْ لهم ظبية يتبعها خِشْفٌ ، فلما رأتهم نفَرَتْ ولم يقدر أن يَنْجُوَ الخشفُ لصغره ، فوقفت تنظر إليهم وتخافهم ولا تهرب إشفاقاً عليه ، فحلف جميلٌ ألَّا يكلِّمَ أحداً منهم إن رماها أو رمى الخشف فتركوها وانصرفوا عنهما ، فلحق الخشف بأمه ، فقالوا لجميل : ما حملك على هذا ؟ فقال : شبهتها ببثينة وتلفُّتها إلىَّ عند الوداع ، ثم قال :

---

(١) النقير : النكتة فى ظهر النوا .
(٢) هذا الخبر وشعره ليس فى الأغانى .
(٣) هذا الخبر لم يرد فى الأغانى .
(٤) هذا الخبر لم يرد فى الأغانى والقصيدة لم ترد فى ديوانه .

عَلَى الدار التى لَبِسَتْ بِلَاها قِفَا يا صاحِبَىَّ فسائِلاها

وما يُبكيك من عَرَصاتِ دارٍ تقادَمَ عهدُها وبَدَا بِلَاها

ذكرت بها التى تَرْمى فَتُورِى إذا ما أرسلَتْ سَهْماً شَوَاها[1]

أُتيحَتْ لى ونفسى قد تجلَّتْ عَمَايةُ غَيِّها ورأَتْ هُداها

وزايَلَها السَّفاهُ فليس منها وثابَ الحِلْمِ واجتنبتْ صِباها

وقد طالبتُها حتى مَلَلْنَا مواعِدَها وأعيانا مُنَاها

فما جادت لنا حتى وردْنا[2] حياض الموت أوْ كِدْنا نَراها

ذكرتُكِ إذ رأينا أُمَّ خِشف بذِى ضالٍ تَرِيع إلى طَلَاها[3]

رأتنا قاصِدِينَ لها فولَّت أَمامَ الخِشْفِ مُضطَرِباً حَشَاهَا

وقد حفَّ الرماةُ بجانبيها وكلُّهمُ على حَنَقٍ يَرَاها

فجالتْ ساعةً ثم استظلَّتْ إلى سَنَدٍ تُحاول مُلْتَجاها

إليه تارةً تَرْمى بطَرْف وأخرى نَحْونا قلقا حَشَاها

وقد أليتُ خَشيتَهم عليها أُكَلِّم منهم رَجُلًا رَمَاها

فقالوا ما دهاك فقلت نفسى وبيتِ الله تعلم ما دهاها

وما بى فاعْلموا من حُبِّ ظبيٍ ولكنى ذكرتُ به سِواها

ألَا يا شِبْه ذاتِ الخال قِرِّى بأَرضِك لن تُرَاعى فى رُبَاها

فقد أشبهتِ ذاتَ الخال إلَّا مَناطَ القُرْط منها أو شَوَاها

---

(١) الشوى : الأطراف .

(٢) فى ت : حتى وصلنا .

(٣) تربع : ترجع . والطلى : ولد الظبية .

وساقُك حَمْشَة والساق منها　　خَدَلَّجَـة يَغَصُّ بهـا بُرَاهـا[1]
ولو ماشَيْتِهـا لعَجلْتِ عنهـا　　وذاتُ الخال مقصورٌ خُطَـاها
ولـكن الذى أشبهتِ منهـا　　مُقَلَّدُها العتيقُ ومُقلتـاهـا[2]

كان جميل قد هاجَى جَوَّاسَ بن قُطبة[3] بن ثَعلبة وسافر جواسٌ إلى يهود تيماء: فقالوا لجميل : قلْ فى نفسك ما شئت، فأنت الشاعر الجميل الوجه ، وقلْ أنت يا جوَّاسُ فى نفسك وفى أبيك ما شئت ، ولا تذكر أنت يا جميل أباكَ فى فخر، لأنه كان يسوق معنا الغنم بتيماء عليه شَمْلة لا توارى استه ، ونفَّروا عليـه جَواساً ونَشِب الشرُّ بين جَميلٍ وبين جواس ، وكان جوّاس من رهط بثينة ، وكانت تحته أُم الُجسير أخت بثينة ، فغضب لجميل نفرٌ من قومه يقال لهم بنو سفيان ، فجاءوا إلى جوّاس ليلا وهو فى بيته فضربوه وعَرُّوا امرأته أم الجسير فى تلك الليلة وزاد الشر بين جميل وجواس وتهاجيا .

وكانت بثينة امرأة حسناء[4] كثيرة اللحم حُلوة العينين ، بأعلى حاجبيها أَثَر كأنه هلال طالع فى وجهها .

التقى جميل والأحوص[5] فتحادثا وتناشدا ، وجعل جميل يشكو إلى الأحوص ما يلقى من بثينة وضيقَ السبيل عليه فى إتيانها فقال له الأحوص : هل لك أن تَرْتَدِف

---

(١) حمشة : دقيقة . وخدلجة : ممتلئة . والبرى : جمع البرة وهى كل حلقة من سوار وقرط وخلخال ويراد هنا الخلخال . وفى المختار يعض بها براها .

(٢) العتيق من معانيه الكريم والرائع . ولعلها أيضا العنيق وتكون صفة من عنق عنقا طال عنقه ولكن الذى ورد هو أعنق .

(٣) فى ا و ت : قطنة وفى ك بدون نقط هذا ، والخبر لم يرد فى الأغانى .

(٤) فى ك : وكانت جميلة امرأة حسناء وفى ت : وكانت امرأة جميلة حسناء وأثبت ما فى ا .

(٥) هذا الخبر لم يرد فى ترجمة جميل فى الأغانى .

خلفى وأغشى منازل بثينة وأهلها عَشِيًّا فأنتسب لهم وأهلها غيب وأنزل بأبيها فإنه وَدٌّ لى[1] ولن يستريب بك . وتلتحف أنت التحاف المرأة ليظن أنك امرأة معى فيضرب لى[2] هناك بيتا وأقيم فيه ثلاثة أيام حتى أريح جسمى وبعيرى ثم أرتحل، ويكون بينك وبين صاحبتك ما تحبّ فقال: والله لقد أشرت برأى، فقم بنا ، فركب الأحوص وارتدفه جميل ، ومضيا ، وجاء الأحوص حتى نزل ببنى الأحبّ وسأل عن أبى بثينة فدُلّ على منزله ، وأتاه فنزل عليه وقصده ، فسلّم كل واحد منهما على صاحبه ، وأفرد له أبو بثينة بيتا فى ناحية من بيته وبعث إليه بوليدة تخدمه ، فدفع إليها جميلٌ خاتَمَه وقال : أعطيه بثينَة ففعلت فلما هدأ الليل جاءته فجلست معه ومع الأحوص فقالت : أنشدنى قولك :

يا بيتَ عاتكَةَ الذى أتعزَّل ... حَذَرَ العِدَا وبه الفؤادُ مُوكَّلُ

فقال لها : بل ينشدك جميلٌ فهو أنجع وأبلغ فيما قصدنا له ، فإذا قضى وطراً من ذات نفسه أنشدتك حينئذ ، ثم أقبلت على جميل فقالت له : أنشدنى يا أخى ما قلت فأنشدها:

أبلغْ بثينةَ أنى لست ناسِيها ... ما عشت حتى تُجيبَ النفسُ دَاعِيها[3]
قامت تَراءَى لنا والعينُ ساجِةٌ ... يومَ الرحيل وقد أوْدَت أماقِيها
تَرنو بعيـنَىْ مَهاةٍ أَقصدَت بِهِما ... قَلْبى عشيَّةَ تَرمينى وأرميها
هيفاءُ مقبلةً عجزاءُ مدبرةً ... ريَّا العظام بلا عيبٍ يُرَى فيها
من الأوانسِ مِكسالٌ مُبَتَّلَةٌ ... خَوْدٌ غَذاها بلِين العيشِ غَاذِيها[4]

---

(١) الود من معانية المحب .

(٢) فى ا : فيصير لى .

(٣) لم يرد الشعر فى الأغانى ولا فى ديوانه .

(٤) امرأة مبتلة الخلق : منقطعة الخلق عن النساء لها عليهن فضل أو التامة الخلق ، والخود : الشابة. وفى ت: مكسال مسلمة .

بانتْ فلا القلبُ يَسلو من تذكُّرِها ... يوما ولا نحن فى أمرٍ نُلاقيها
فليتَها ومَوالى أمرِها قبِلُوا ... جهْدَ الغلاءِ بِها منى فأُغْلِيها
أَوْليتَ جُونَ القطَا حلَّقْن بى وبِها ... إلى السماء فكُنَّا فى خَوافيها
أكثرتُ لَيْتاً لو انَّ اللَّيْتَ ينفعُنى ... ومن مُنَى النفسِ ما يُعْيِى تَمَنِّيها

وأقاموا عندهم ثلاثا ثم قال جميل للأحوص : يا أخى قد قَضيتَ حقاً وأوجبتَ شُكرا وسَلَيت هَمًّا ، ولست آمنُ أن يَفشُوَ الحديث وتلحقنا مَعَرَّة من القوم فارْتَحِل بنا . فودَّعهم الأحْوص وخرج عنهم سَحَرا . والتفت جميلٌ فنظر أبياتهم وقد بعد عنها فقال[1] :

وإن زمانًا يا بثين أشَتَّكُمْ ... وأخْلاكِ عن أوطانِنا لَذَميمُ
وإنَّ مَليكا فيكِ أَلْوَى بِحُجَّةٍ ... علىَّ وما خاصمتُه لَخَصِيمُ

ثم بكى حتى كاد يسقط عن راحلته ، فقال الأحْوَص : مهلا يا أخى . فقال: إنى على ماترَى منى ومن صبوتى لجليد .

حدث[2] بعض الرواة قال : دخلتُ حمَّاما بمِصرَ يقال له حمام السِّرِّ ، فإذا برجل لم أر من خلق الله تعالى أحسن منه ، فظننته قرشيًّا ، فأعظمته وسألته : من هو ؟ فقال : أنا جميل ، فقلت : صاحب بثينة ؟ فضحك وقال : نعم ، وإنى لأراها تغلب على نسبي كما تغلب على عقلى . قال : فقلت له : فأنت القائل :

لها النظرة الأولى عليهنّ بسطةً ... وإن كَرَّتِ الأبصارُ كان لها العَقْبُ[3]

(١) البيتان ليسا فى ديوانه .
(٢) الخبر وشعره ليسا فى الأغانى .
(٣) فى ا : وإن كلت الأبصار . وانظر ديوانه ص ٢٦ .

قال : نعم ، قال [قلت] : وأنت القائل :

ترى الزُّلَّ يكرهن الرياح إذا جرت[1] وبَثنة إن هَبَّت لها الرِّيح تَمْرَحُ

قال : نعم ، قال : فقلت له : لقد ملأت بلاد الله تنويهاً بذكرها ، وإنى لأظنها حَديدة العرقوب ، رَقيقة الظُّنبوب[2] ، كثيرة وسخ المِرْفَق ، إذا كانت شُفرة الحىِّ ذَكَّوْا بعرقوبها . فضحك حتى استلقى ثم قال : لا تقل ذلك يا ابن أخى ، فوالله لو رأيتها لأحببت أن تلقى الله عز وجل منها بنَيكةٍ مُصِرًّا فيها على الزنا أبدا .

أرسلت عائشة[3] بنت طلحة إلى كُثَيِّر ، فلما أتاها أدخلته إليها وقالت له : يا ابن أبى جُمْعة ، ما الذى يدعوك إلى أن تقول فى عزة من الشعر ما قلتَ وليستْ من الحسن على ما تصف ، ولو شئتَ لصرفتَ ذلك إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا ومثلى ؟ فإنى أشرف وأجمل وأوصل من عزّة ، فقال :

إذا ما أرادت خُلَّةٌ أن تُزِيلَنا أَبَيْنَا وقُلْنا الحاجبيَّةُ أَوَّلُ
سنُوليك عُرْفا إنْ أردتِ وِصالنا ونحن لتلك الحاجبيَّةِ أَوْصَلُ
لها مَهَلٌ لا يستطاع ادِّرَاكُه وسابقةٌ فى الحُبِّ لا تتحَوَّلُ

فقالت له عائشة : أخطأت اُستُك الحفرة[4] يا أبا صخر . لقد سمَّيْتنى خُلَّة وما أنا لك بخُلَّة ، وعرضت علىَّ وَصلك وما أُريده ولو أردتَه أنت لكرهتُه أنا ، وإنما أردت أن أبلو ما عندك قولًا وفعلا فما أفلحتَ ولا أنجحْتَ ، هلا قلت كما قال سيدُك جميلٌ :

---

(١) الزل جمع زلاء : وهى الخفيفة الوركين .
(٢) الظنبوب : حرف عظم الساق من الأمام .
(٣) هذا الخبر ليس فى ترجمة جميل بالأغانى .
(٤) هذا مثل يضرب فيمن رام شيئاً فلم ينله .

ويقُلْن إنى قد رَضِيتُ بباطلٍ   منها فهل لك فى اجتناب الباطلِ
ولباطلٌ ممن أُحِبُّ حَدِيثَه   أشهى إلىَّ من البغيض الباذلِ

حدَّث جماعة من بنى عُذرة أن جميلا رَصَد بثينةَ ذات ليلة فى نُجعة لهم ، حتى إذا صادف منها خلوة تنكَّر ودنا منها ، وذلك فى ليلة ظلماء ذات غيم ورعد وريح ، فحذَفها بحصاة فأصابت بعض أترابها ، ففزعت وقالت : ما حذفنى فى هذا الوقت إلا الجن ، فقالت بثينة وقد فطنت : إن جميلًا فعل ذلك فانصرفى ناحيَةً إلى منزلك[1] حتى ننام ، فانصرفت وبقى مع بثينة أم الُجسير وأم منظور ، فقامت إلى جميل فأدخلته الخباء معها ، وتحدّثا طويلا ، ثم اضطجع واضطجعت إلى جنبه فذهب النومُ بهما حتى أصبحا ، وجاءها غلامُ زوجها بِصَبوح من اللبن بعث به إليها ، فرآها نائمة مع جميل ، فمضى لوجهه حتى يخبر سيِّدَه . ورأته ليلى والصبوحُ معه وقد عرفتْ خبر جميل وبثينة ، فاستوقفتْه كأنها تسأله عنه حاله ، وبعثت بجاريتها وقالت : حَذِّرى بثينة وجميلا . فجاءت الجارية فنبهتهما ، فلما تبينت بثينةُ الصبحَ قد أضاء[2] والناس منتشرين ارتاعت وقالت : يا جميل ، نفسَك نفسَك ، فقد جاءنى غلام نُبَيْهٍ بالصبوح من اللبن ورآنا نائمين ، فقال لها جميل وهو غير مكترث بما خوّفته منه :

لَعمرُكِ ما خوَّفتِنى من مخافةٍ   بُثينَ ولا حَذَّرْتِنى موضعَ الحذَرْ
وأُقسم لا يُلْفَى لى اليومَ غِرَّةٌ[3]   وفى الكفِّ منى صارِمٌ قاطعٌ ذَكَرْ

فأقسمت عليه أَن يُلقِىَ نفسَه تحت النَّضَد وقالت : إنما أسألك خوفاً على نفسى

---

(١) فى ت : فانصرفى يا أخية إلى منزلك .
(٢) فى ت : فلما تنبهت بثينة رأت الصبح قد أضاء .
(٣) فى ت : لا يلقى لى القوم غرة .

من الفضيحة لا للخوفِ عليك . ففعل ذلك ونامت كما كانت ، واضطجعتْ أمُّ الجسير إلى جانبها ، وذهبتْ جارية ليلى[1] إليها بالخبر ، فتركت العبـد فمضى إلى سيده والصبوحُ معه وقال : رأيت بثينة نائمة وجميلٌ إلى جنبها . فجاء زوجها[2] إلى أبيها وأخيها فأخذ بأيديهما وعرّفهما الخبر ، فجاءوا بأجمعهم إلى بثينـة وهى نائمة ، فكشفوا الثوب عنها ، وإذا أمُّ الجسير إلى جانبها . فخجل زوجها وسبَّ عبـده ، فقالت ليلى لأخيها ولأبيها : قبحكما الله ، أفى كلّ وقت تفضحان فتاتـكما ويلقاكما هـذا الأعور فيها بكلّ قبيح ؟ قبحه الله وإياكما ، فجعلا يسبَّان زوجها ويقولانِ له كل قول قبيح . وأقام جميل عنـد بثينة حتى جنه الليلُ ، ثم ودعها وانصرف . وحذرته[3] بثينة لما جرَى من لقائه إياها فتحامَتْه مُدَّة . وقال فى ذلك من أبيات :

ولستُ بناسٍ أهلها حين أقبلوا ... وجَالُوا علينا بالسيوف وطَوَّفُوا
وقالوا جميل بات فى الحيِّ عندها ... وقد جَرَّدوا أسيافَهمْ ثم وقَّفُوا
وفى البيتِ ليثُ الغاب لولا مخافةٌ ... على نَفْسِ بثن والإلهِ لَأُرْعِفوا[5]
هممْتُ وقد كانت مِرارًا تطلَّعَتْ[6] ... إلى حَرْبِهم نفسى وفى الكَفِّ مُرْهَفُ
وما سرَّنى غيرُ الذى كان منهمُ ... ومنِّى وقد جاءوا إلىَّ وأَوْجَفُوا
وكم مُرتجٍ أمراً أُتيحَ له الرَّدَى ... ومن خائفٍ لم يَنتقِصْه التخوُّفُ

---

(١) فى الأغانى : خادم ليلى .

(٢) فى الأغانى : بثينة مضطجعة وجميل إلى جنبها فجاء نبيه .

(٣) فى الأغانى : وحذرتهم .

(٤) فى الأغانى أبيات كثيرة قبل أول بيت هنا .

(٥) أرعفوا : أعجلوا . هذا، وفى ا ، ك والأغانى : على نفس جمل والإله لأرعفو. وأثبت ما فى ت .

(٦) فى الأغانى : وقد كادت مرارا .

أمُنصفتي بَثْنُ فتعدِلَ بيننا ... إذا حكمتْ والحاكمُ العدْلُ يُنْصِفُ(١)
تعلَّقْتُها والجسمُ منى مُصحَّحٌ ... فما زال يَنْمِى حبُّ بَثْنٍ وأَضْعُفُ(٢)
إلى اليومِ حتّى سَلَّ جِسمى وشَفَّنى ... وأنكرتُ من نفسى الذى كنت أعرفُ

قال الهيثم بن عَدِيٍّ : قال لى صالح بن حسان : هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابىٌّ فى شَمْلةٍ وآخره مُخَنَّثٌ يتفكَّكُ من مخنَّثى العَقيق ؟ قلت : لا أدرى ، قال : قد أَجَّلْتُك حَوْلًا . فقلت : لو أَجَّلْتَنى حَوْلَيْن ما علمتُ . فقال لى : ويحك ، هو قول جميل(٣) :

* ألَا أيُّها النُّوَّامُ ويحكمُ هُبُّوا *

فهذا أعرابى فى شملة ، ثم قال :

* أسائلكمْ هل يقتلُ الرجلَ الُحبُّ *

كأنه والله من مخنَّثى العَقيق .

كان لأبى نُفَيْس(٤) جاريةٌ مُغنية ، وقد كلف بها فتى عثمانىٌّ ، فكان يبيع عُقدةً عُقدةً(٥) من ماله وينفق ثمنها عليها ، فابتُلِىَ برجل إفريقى غَشِىَ منزل أبى نَفَيس ، فجعل(٦) يكسو الجارية وأهلها ويبرُّهم حتى حظى عندهم وغلب عليهم ، وتثاقلوا عن العثمانى ، فاتفق أن اجتمعا عشيةً فى منزل الجارية ، فنزع الإفريقىُّ خُفَّه ، فتناثر المِسكُ منه وجلسوا ساعة ، فقال الإفريقى : غنى بشعر جميل :

(١) هذا البيت والبيتان بعده مقدمان فى الأغانى على أول هذه القصيدة هنا . وفى ا ، ك ، والأغانى : « أمنصفتى جُمل فتعدل بيننا » وأثبت ما فى ت .
(٢) فى المصادر السابقة ما عدا « ت » : حب جُمل وأضعف .
(٣) فى الأغانى : ما علمت . قال: قول جميل .
(٤) فى الأغانى : ابن نفيس .
(٥) العقدة : الضيعة .
(٦) فى الأغانى : من أهل إفريقية ومعه ابن له فغشى ابن الإفريقى بيت ابن نفيس فجعل . .

فبَيْنَا حِبالٌ ذاتُ عَقْدٍ لبثْنَةٍ ... أُتيح لها بعْضُ الغُواةِ فَحَلَّها
فعُدْنا كأنا لم يكن بيننا هَوًى ... وصار الذى حَلَّ الحبالَ هَوًى لها
وقالوا نَراها يا جميلُ تبدَّلَتْ ... وغيَّرها الواشى فقلتُ لعلَّها

يُعَرِّض بالعثمانىّ . فقال العثمانى : لا حاجة لنا فى هذا ، ولكن غنى :

ومَنْ يَرْعَ نجداً يَلْقَنى قد رَعَيْتُه ... بِحُمَّته الأُولى ويُورِدْ على وِرْدِى[1]

قال : فنكَّس الإفريقىُّ رأسه ، وخرج العثمانىُّ فذهب ، وخَمِد أهلُ البيت فما انتفعوا ببقية يومهم .

دخلت بثينة على عبد الملك بن مَرْوَان ، فرأى امرأة مُولِّية خَلَقاً[2] ، فقال لها : ما الذى رأى فيك جميل ؟ قالت : الذى رأى فيك الناس حتى استخلفوك . فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يسترها .

لما هَدَرَ السلطانُ دمَ جميل لرهط بثينة إن غَشِى دُورَهم حَذِرهم مدّة ، ثم وجدوه عندها فأعذروا إليه وتوعَّدوه ، وكرهوا أن تَنْشَبَ بينهم وبين قومه حَرْبٌ فى دمه ، وكان قومه أعزَّ من قومها ، فأعادوا شكواه فطُلِب طَلبا شديدا[3] ، فهرب إلى اليمن فأقام بها مدة ، حتى عُزِل ذلك الوالى عنهم ، وانتجعوا ناحية الشام فرحل إليهم ، ثم إن مَشْيخة الحىِّ مشوا إلى أبى جميل ـ وكان يلقَّب صُبَاحا وكان ذا مال وفضل وقَدْر فى أهله وشكوا جميلا إليه وناشدوه الرَّحِم ، وسألوه كفَّ ابنِه عما يتعرّض لهم ويفضحهم فى فتاتهم ، فوعدهم كفَّه ومَنْعَه ما استطاع ، ثم انصرفوا ، فدعاه

---

(١) الحمة : السواد ولون بين الدهمة والكتمة ويراد على اخضراره الشديد الأول وفى بعض نسخ الأغانى : بجنيته الأولى . وفى بعضها : بحبته .

(٢) فى الأغانى : «خلفاء» وفسرت بالهامش أنها الحمقاء . وهنا يراد أنها بالية كبيرة وتتفق مع مولية .

(٣) فى الأغانى : فأعادوا شكواه إلى السلطان فطلبه طلبا شديدا.

وقال له : يا بنى ، حتى متى أنت عامِهٌ فى ضلالك ، لا تأنف من أن تتعلق ذاتَ بعل يخلو بها ويَنْـكِحها وأنت عنها بمَعزِل ، ثم تقوم من تحته إليك فتغرُّك بخِداعها ، وتُريك الصفاء والمودة ، وهى تضمر لبعلها ما تضمره الُحرَّة لَمن مَلَـكها ، فيـكون قولها لك تَعليلا ، وغُرورا ، فإذا انصرفتَ عنها عادتْ إلى بعلها بحالة المبذولة[1] ، إن هذا لذلٌّ وضَيْم ، ماأعرف أخيب سهما ولا أضيعَ عُمراً منك أَنشُدُكَ اللهَ إلَّا كففت وتأملْتَ أمركَ ، فإنك تعلم أنّ ما قلْتهُ حقٌّ ، ولو كان إليها سبيل لبذلتُ ما أملـكه فيها ، ولـكن هذا أمرٌ قد فات واستبدّ به مَنْ قُدِّرَ له . وفى النساء عِوَضٌ ، فقال له جميل : الرأىُ ما رأيتَ والقولُ ما قلتَ ، فهل رأيتَ أحداً قَبْلى قَدَر أن يدفع قَلْبَه عن هواه[2] ، ومَلَكَ أن يُسْلِىَ نفسه ، أو استطاع أن يدفع ماقضى اللهُ عليه ، واللهِ لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي أو أُزيل شخصها عن عينى لفعلت ، ولـكن لا سبيل إلى ذلك ، وإنما هذا بلاء بُليت به لِحَيْنٍ قد أُتيح لى ، وأنا أمتنع من طروق هذا الحىِّ والإلمام بهم ولو متُّ كمَداً ، وهذا جهْدِى ومبلغُ ما أقدِر عليه . وقام وهو يبكى ، فبكى أبوه ومن حضر جَزعاً لما رأوا منه ، فذلك حين يقول جميل :

ألَا مَن لقلبٍ لا يَملُّ فَيذْهَـلُ ... أَفِقْ فالتَّعزِّى عن بثينةَ أجملُ
سلا كُلُّ ذى وُدٍّ علمتُ مكانَه ... وأنت بها حتى المماتِ مُـوكَّلُ
فما هكذا أحببتَ من كان قبلها ... ولا هكذا فيما مضى كُنتَ تَفعلُ
فيا قلبُ دعْ تَذكارَ بثنةَ إنها[3] ... وإن كُنتِ تَهواها تَضنُّ وتَبخلُ
وقد أيأست من نَيلِها وتجهَّمت ... ولَليأسُ إن لم يقدرِ النَّيلُ أَمثَلُ

---

(١) فى الأغانى : على حالتها المبذولة .

(٢) فى الأغانى: أن يدفع عن قلبه هواه .

(٣) فى الأغانى : دع ذكرى بثينة .

وإلّا فسلها نائلا قبـــل بَيْنها ... فأَبْخِلْ بها مسئولةً حين تُسْأَلُ
وكيف تُرجِّي وَصْلَها بعد بُعْدِها ... وقد جُذَّ حبلُ الوصلِ ممن تُؤَمِّلُ
وإن التى أحببتَ قد حِيلَ دونها ... فـكن حازما فالحـــازم المتحوِّلُ
ففى اليأس مايُسْلِى وفى النَّاسِ خُلَّةٌ ... وفى الأرض ممن لا يواتيك مَعْدِلُ[(١)]
بَدَا كَلَفٌ منى بهـــا فتثاقلتْ ... ومالا يُرَى من غائبِ الوَجدِ أَجْمَلُ[(٢)]
هبينى بَريئاً نِلْته بظُلامـــةٍ ... عَفَاها لـكم أو مُذنبا يتنصَّـــلُ
قَنَاةٌ من المُرَّان[(٣)] ما فوق حَقْوها ... وما تحتـــه منهـا نَقًا يَتَهَيَّـلُ

لما أراد جميل الخروج إلى الشام هجم ليلا على بثينة ، وقد وجد غفلة ، فقالت له : أهلـكتنى وأهلـكتَ نفسك ، ويحك ، أما تخاف ؟ فقال لها : هذا وَجْهى إلى الشام ، وإنما جئتك مودِّعا ، فحادثها طويلا ثم ودَّعها وقال : يابثينة ، ما أرانا نلتقى بعدها ، وبكيا طويلا ، وقال وهو يبكى :

ألَا لا أُبالى جَفوةَ الناسِ ما بَدَا ... لنا منكِ رأىٌ يا بثينَ جميلُ
وما لم تُطيعى كاشحاً أو تبدَّلِى ... بَدِيلا بنا أو كان منـــك ذُهولُ
وإنى وتَـكرارى الزيارةَ نحوكمْ ... لبينَ يَدى هَجْرٌ بُثَيْنَ طَويلُ
وإنّ صباباتى بـكم لـكثيرةٌ ... بُثَيْنَ ونِسيانى لـــكم لَقليـــلُ[(٤)]

قالوا : ولم يمدح جميلٌ أحداً قطّ .

---

(١) المعدل : المصرف . وفى الأغانى : معزل .
(٢) فى الأغانى : أفضل .
(٣) المران : شجر يتخذ منه الرماح اللدنة فى صلابة .
(٤) فى الأغانى : ونسيانيكم لطويل .

قال متممٌ العبدىُّ(١) : خرجت من مكة حرسها الله تعالى زائراً قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنى لبسوق الجحفة إذا بجويرية تسوق بعيرا وتترنم بصوت طيِّب فى شعر جميل :

أَلَا أيها البيتُ الذى حِيل دُونه ... بنا أنتَ من بيتٍ وأهلك من أهلِ
بنـــا أنت من بيتٍ دُخولُك لذَّةٌ ... وظلُّك لو يُسْطَاع بالبارِدِ السَّهْلِ
ثلاثة أبيـــات فبيتٌ أُحبُّه ... وبيتان ليسا من هواى ولا شَكلى

فقلت : لمن هذا الشعر يا جُويرية ، فقالت : أما ترى الـكُوَّة المُوَقَّاة بالسِكلَّة الحمراء ، قلت : أراها ، قالت : من هناك نُهض هذا الشعر ، قلت : أو قائله فى الأحياء؟ قالت : هيهات ، لو أن لميت أن يرجع من طول غيبته لـكان ذلك ، فأعجبتنى فصاحةُ لسانها ورقَّة ألفاظها ، فقلت لها : ألك أبوان ؟ فقالت : فقدت خيرهما وأَجلَّهما ولى أمٌّ. فقلت : أين أمك ، قالت : بمرأًى منى ومسمع ، وإذا امرأة تبيع الخرز على الطريق بالجحفة ، فأتيتها فقلت : يا أُمَّتاه استمعى منى ، قالت . حياكَ اللهُ ، هِيه ، هل لك من حاجة ؟ قلت : هذه ابنتُك؟ قالت : كذا كان يقول أبوها ، قلت : أتزوِّجيننيها ؟ قالت : لِعِـلَّة رغبت فيها . فما عندها جمالٌ ولا لها مال، قلت : لحلاوة لسانها وحسن عقلها، قالت: أيُّنا أملكُ بها؟ أنا أم هى بنفسها قلت: بل هى بنفسها قالت: فإياها نخاطب. فقلت : لعلها أن تستحى من الجواب عن مثل هذا، قالت: ماذاك عندها، أنا أخبرُ بها . فقلت: ياجارية ، أتسمعين ما تقول أمُّك ؟ قالت : قد سمعتُ . قلت : فما عندك ؟ قالت : أو ليس حسبُك أن قلتَ إنى أستحى من الجواب فى مثل هذا ؟ فإذا كنت أستحى من شىء فلم أفعله ؟ أتريد أن تـكون الأعلى وأكون بساطك ؟ لا واللهِ لا يشُدُّ رجلٌ

---

(١) هذا الخبر لم يرد فى ترجمة جميل وإنما جاء فى المجلد ٢٢/٣٣٩ دار الثقافة فى عقب ترجمة عبد بنى الحسحاس .

عليَّ حِواءه(١) وأنا أجد مَذْقة(٢) لبن أو بقلة ألين بها مِعاى . قال : فورد عليَّ أعجبُ كلام على ظهر الأرض فقلت لها : أنا أتزوجك والإذن إليك وأعطى الله تعالى عهدا ألَّا أقربك إلَّا عن إرادتك(٣) ، قالت : إذاً والله لا يكون لى إرادة فى هذا أبدا ولا بَعْد الأبدِ إن كان بعدَه بعدٌ . فقلت : قد رَضيت بذلك ، فتزوجتها وحملتها وأمَّها معى إلى العراق ، فأقامت معى ثلاثين سنة ما ضممتُ عليها حِوَائِى قطُّ ، وكانت قد عَلِقت من أغانى المدينةِ أصواتا كثيرة ، فكانت ربما ترنمت بها فأشتهيها ، فقلت : دعينى من أغانيك هذه فإنها تبعثنى على الدنوِّ منك ، فما سمعتها رافعة صوتها بعد ذلك حتى فارقت الدنيا ، وأمها عندى حتى الساعة . فما دار فى سمعى حديث امرأةٍ أعجب من حديثها .

اجتمع جميل بعمر بن أبى ربيعة بالأبطح فأنشد جميلٌ قصيدته:

لقد فرح الواشون أن صرمَتْ حبلى … بثينةُ أو أبدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ
يقولون مهلاً يا جميلُ وإننى … لأُقسم ما بِى عن بثينةَ من مَهْلِ
أحِلماً فقبلَ اليوم كان أوانُه … أم أُخشى فقبل اليومِ أُوعدْت بالقتل
لقد أنكحوا جَهْلاً نُبَيهَا ظعينةً … لطيفةَ طَىِّ البطنِ ذات شَوًى خَدْلِ(٤)
وكم قد رأينا ساعياً بيمينه … لآخَر لم يعجل بكفٍّ ولا رِجل(٥)
إذا ما تراجعتُ الذى كان بيننا(٦) … جرى الدمعُ من عَيْنَىْ بثينةَ بالكُحْلِ

(١) الحواء : أخبية يدانى بعضها بعضا . ويراد هنا معنى المضاجعة .
(٢) المذقة من اللبن : الممزوجة بالماء .
(٣) فى ا : إلا بإرادتك .
(٤) فى الأغانى : « لقد أنكحوا حربى نبيها » والشوى: الأطراف والخدل: الممتلئ.
(٥) فى الأغانى : وكم قد رأينا ساعيابنميمة … لآخر لم يعمد
(٦) فى الأغانى : إذا ما تراجعنا .

كلانا بكى أو كاد يَبكى صَبابةً إلى إلفه واستعجَلَتْ عبرةً قَبْلِى
فلو تركتْ عقلى معى ما طلبتُها ولكن طلابيها لما فات من عَقلى
فيا ويح نفسى حسب نفسى الذى بها ويا ويح أهلى ما أُصيب به أهلى (١)
خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتما قَتيلا بكى من حُبِّ قاتله قَبْلِى

قال : وأنشد عمر بن أبى ربيعة :

جرى ناصحٌ بالُحبِّ بينى وبينها يُقرِّبنى يوم الِحصاب إلى قتلى (٢)
فما أنسَ م الأشياءِ لا أنسَ موقفى ومَوقفَها يوما بقارِعة النَّخْلِ
فلما تواقفنا عرفتُ الذى بها كمثل الذى بى حَذْوَك النَّعْلَ بالنَّعْلِ
فقلنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلُنا قريبٌ ألَمَّا تَسأَمِى مَرْكَبَ البَغْلِ
فقالت فما شئْتُنَّ قُلْنَ لها انزلى فللأرض خير من وُقوفٍ على رَحْلِ (٣)
وأقبلنَ أمثال الدُّمَى فاكتنفْنَها وكلٌّ يُفَدِّى بالمودَّة والأهلِ
فسلّمتُ واستأنستُ خِيفة أن يَرى عدُوٌّ مكانى أو يرى كاشحٌ فِعلى
فقالت وألقت جانب الستر إنما معى فتحدَّثْ غير ذى رِقبةٍ أهلى
فقلت لها ما بى لهم من تَرَقُّبٍ ولكنَّ سِرِّى ليس يحمله مثلى
فلما اقتصرنا دُونهنَّ حَديثَنا وهُنَّ طبيبات بحاجة ذى الشَّكْلِ (٤)
عرفن الذى نهوى فقلنَ ائذنى لنا نَطُفْ ساعة فى بَرْدِ ليل وفى مَهْلِ (٥)
فقالت فلا تلبثن قلن تحدَّثى أَتيناكِ وانسَبْن انسيابَ مَهَا الرَّمْلِ
فقُمْنَ وقد أفهمْن ذا اللُّبِّ إنما أتين الذى يأتين من ذاك من أجلى

(١) بعده فى الأغانى خمسة أبيات .
(٢) فى الأغانى : جرى ناصح بالود ... فقربنى .
(٣) فى المختار : على رجل .
(٤) الشكل : الأمر المشكل . وفى الأغانى دار الكتب غيرت عن ديوانه ذى التبل .
(٥) فى الأغانى : وفى سهل .

فقال جميل : هيهات يا أبا الخطاب ، لا أقول والله مثل هذا سَجِيس[1] الليالى ، وما خاطب النساءَ أحد مخاطبتك . وقام مشمِّرًا .

قال كُثَيِّر : لقيت جميلا العذرِيَّ مرة فقال لى : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند أبى الحبيبة ــ أعنى بثينة ــ فقال : وإلى أين تمضى ؟ قلت : إلى الحبيبة ــ أعنى عزة ــ فقال : لابد من أن ترجع عَوْدَكَ على بَدْئك وستجِدَّ لى موعداً من بثينة ، فقلت له : عهدى بها الساعةَ ، وأنا أستحى أن أرجع ، قال : لابد من ذلك ، فقلت له : فمتى عهدك ببثينة ؟ قال : فى أول الصيف وقعت سحابةٌ بأسفل الوادى المعروف بوادى الدَّوْم، فخرجتْ ومعها جارية لها تغسل ثيابها ، فلما أبصرتنى أنكرتنى، فضربت بيدها إلى ثوب فى الماء فالتحفت به ، وعرفتْنى الجاريةُ فأعادت الثوب فى الماء ، وتحدثنا حتى غابت الشمس ، فسألتها الموعِدَ فقالت : أهلى سائرون ، وما لقيتها بعد ذلك[2] ولا وجدت أحداً آمنه فأرسله إليها . فقال له كُثَيِّر : فهل لك أن آتى الحىَّ فأنزِع بأبيات من شِعْر أذكر فيها هذه العلامة ؟ قال : إذا لم تقدر على الخَلْوَة بها قال : فذلك الصواب[3] . فخرج كُثَيِّر حتى أناخ بهم ، فقال له أبوها : ما رَدَّكَ يا ابن أخى ؟ قال : قلت أبياتاً عرضَتْ لى ، قال : هاتها ، فأنشدته وبثينةُ تسمع :

فقلتُ لها يا عَزَّ أرسلَ صاحبى ... إليكِ رسولا والمُوَكَّلُ يُرْسَلُ
بأن تجعلى بينى وبينك مَوْعِدًا ... وأن تأمرينى بالذى فيه أفعلُ
وآخِرُ عهدى منك يوم لَقيتنى ... بأسفلِ وادى الدَّوْمِ والثوبُ يُغسَلُ

---

(١) سجيس الليالى : طول الليالى .
(٢) جملة « وما لقيتها بعد ذلك » ليست فى الأغانى .
(٣) فى الأغانى : أذكر فيها العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها ، قال : ذلك الصواب .

قال : فضربت بثينة جانب خِدْرها وقالت : اخسأْ اخسأْ[(١)] ، فقال أبوها : مَهْيَمْ[(٢)] يا بثينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نوّمَ الناسُ من وراء الرابية . ثم قالت للجارية : ابغينا من الدَّوْمات حطبا لنذبحَ لكُثَيِّر شاةً ونشوِيَها له . فقال كُثَيِّر : أنا أعجلُ من ذلك . وراح فأخبره ، فقال له جميل : الوعد منها الدَّوْمات . فقالت بثينة لأم الجسير[(٣)] وليلى [ونُجَيَّا][(٤)] بنات خالتها : رأيتُ فى نَشِيد كُثَيِّر أن جميلا معه . وخرج جميلٌ وكُثَيِّر حتى أتيا الدَّوْمات، وجاءت بثينةُ ومن معها . فما بَرِحوا حتى بَرَق الصبحُ . فقال كُثَيِّر : مارأيت مجلسا قطُّ أحسن من ذلك المجلس ولا مِثل عِلْم أحدهما بضمير صاحبه[(٥)] ، وما أدرى أيهما كان أفهم ؟

وكان الوالى على وادى القُرى لما هَدَر السلطانُ دَمَ جميل دَجاجةُ بن رِبْعِىّ . فلما هدر دَمَه ومُنع منها ضاقت به الدنيا ، فكان يصعد بالليل على قُورِ رَمْلٍ[(٦)] يتنسم الريحَ من نحو حىّ بثينة ، ويتنفس الصُّعَداء ويقول :

أيا ريح الشمالِ أمَا تَرَيْنِى ... أَهِيمُ وأننى بادِى النُّحولِ

هَبِى لى شَمَّةً من ريح بَثْنٍ ... ومُنِّى بالهُبوب على جَميلِ

وقولى يا بثينةُ حَسْبُ نفسى ... قَليلُكِ أو أقلُّ من القليلِ

فإذا بدا الصباح انصرف ، وكانت بثينة تقول لجوارى الحىِّ : ويحكنّ ، إنى أسمع أنين جميل فى بعض القيران . فيقلن لها : اتق الله ، فهذا شىء يُخَيِّله لك الشيطان لا حقيقة له .

---

(١) فى المختار : أحس أحس .

(٢) مهيم : ما أمرك وما شأنك .

(٣) فى الأغانى : أم الحسين وفى ا : لأم الخير . وفى ت : لأم الكثير . وأثبت ما فى ك .

(٤) زيادة من الأغانى .

(٥) فى الأغانى : بضمير الآخر .

(٦) القور : الأكام العظيمة جمع قارة .

وصل لبثنة زار جميل بثينة ذات يوم فنزل قريبا من الماء يترصَّد أَمة لها حبشية معها قربة ، وكانت بما بينهما عالمة ، فسلمت عليه وجلست معه ، وجعل يحدّثها ويسألها عن أخبار بثينة ويحدّثها بخبره بعدها ويُحَمِّلها رسائله ، ثم أعطاها خاتمه وسألها دفعه إلى بثينة وأخْذَ موعدٍ عليها . ففعلت وانصرفت وقد أبطأت عليهم ، فلقيها أبو بثينة وزوجُها وأخوها ، فسألوها عما أبطأ بها ، فالتَوَتْ عليهم ولم تخبرهم وتعلّلت ، فضربوها ضربا مُبرِّحا ، فأعلمتهم حالها مع جميل ، ودفعت إليهم خاتمه ، ومر بها فى تلك الحال فَتَيانِ من بنى عُذرة ، فسمعاها تُحدِّث ، وعلما القصة وعرفا الموضع الذى فيه جميل ، فأحبا أن يُثَبِّطا عنه ، فقالا للقوم : إنكم إن لقيتم جميلا وليست بثينة معه ثم قتلتموه ألزمكم ذلك كلَّ مكروه ، وأهلُ جميل أعِزَّاء عُذرة ، فدَعُوا الأَمة تُوصّل خاتمه إلى بثينة ، فإذا زارته ليلا أتيتموهاجميعا[1] ، فقالوا : صدقتما لعمرى أن الرأى هذا ، فدفعوا الخاتم إلى الأمَة وأمروها بإيصاله إلى بثينة وحذرُوها أن تخبر بثينة بالقصة ، ففعلت ، ولم تعلم بثينة بما جرى . ومضى الفتيانِ فأنذرا[2] جميلا ، فقال : والله ما أرهبهم، إن فى كنانتى ثلاثين سهما ، والله لا أَخطأت بكلِّ واحد منها رجلا منهم ،وهذا سيفى والله ما أنا بِه رَعِشُ اليدِ ولا جَبانُ الجنانِ . فناشداه اللهَ وقالا: البَقِيَّةُ أصلح، فتقيم عندنا فى بيوتنا حتى يهدأ الطلب ، ثم نبعث إليها فتزورك وتقضى من لقائها وطرا وتنصرف سليما غير مَوتور[3] فقال : أَما لأَبعثَنَّ مَن ينذرها[4] ، فأتياه براعية لهما وقالا : قُلْ حاجتك ، قال : ادخلى إليها وقولى لها: إنى أردت اقتناص ظبى فحذَّره ذلك جماعة

---

(١) فى الأغانى : فإذا زارها بيتموهما جميعا.

(٢) ساق المختار الكلام هنا وبعد ذلك على الجماعة : فأنذروا . . . الخ .

(٣) فى الأغانى : « غير مؤبن » أى غير معيب .

(٤) فى الأغانى : فقال: أما الآن فابعثا إليها من ينذرها.

من القناصين(١) ففاتنى الليلةَ ، فمضت فأعلمتها ما قال لها ، فعرفت قصتها وبحثت فعلمتها(٢) فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ، ورصدوها فلم تَبْرَح من مكانها ، ومضوا يقتَصُّون أثره ، فرأوا بعرَ ناقته فى الموضع ، فعرفوا أنهم لا يدركونه ، وأنه قد فاتهم(٣).

فقال جميل فى ذلك :

خليلىَّ عُوجا اليوم حتى تُسلِّما ... على عَذْبَة الأنياب طَيِّبَةِ النَّشْرِ
ألِمّا بهـا ثم اشفعا لى وَسلِّما ... عليها سقاها اللهُ من سَبَل القَطْرِ
وبُوحا بذكرى عند بثنة وانظرا ... أترتاح يوما أم تهشُّ إلى ذِكْرِى
هى البدر حُسْنا والنساء كواكبٌ ... وشتان ما بين الكواكبِ والبَدْرِ(٤)
لقد فُضِّلَتْ ليلى على الناس مثلما(٥) ... على ألفِ شَهْرٍ فُضِّلَت ليلةُ القَدْرِ

قال أيوب بن عَبَاية : خرجت من تيماء فى أغباش السَّحر ، فرأيت عجوزا على أتان ، فتكلمت فإذا أعرابية فصيحة ، فقلت : ممن أنت ؟ قالت : عُذْرِيّة ، فأجرَيت ذِكْر جميلٍ وبثينة ، فقالت : والله إنَّا لعلَى ماء لنا بالجناب وقد تنكَّبْنا الجادَّة(٦) لجيوشٍ كانت تأتينا من قِبَل الشام تريد الحجاز ، وقد خرج رجالُنا لسفر وخلّفوا معنا أحداثنا ، فانحدروا ذات عَشِيَّة إلى صِرْمٍ(٧) قريب منا يتحدثون إلى جَوَارٍ منهم ، فلم يبق غيرى وغير بثينة إذ انحدر علينا مُنحدِرٌ من هضبة تلقاءنا ، فسلم ونحن مستوحشون وَجِلون فتأمّلته ورددت السلام فإذا جميل ، فقلت : أجميل؟

---

(١) فى الأغانى : جماعة اعتوروه من القناص .
(٢) فى الأغانى : فعرفت قصته وبحثت عنها فعرفتها .
(٣) فى الأغانى : بعر ناقته فعرفوا أنه قد فاتهم .
(٤) هذا البيت وتاليه جاءا فى الأغانى فى موضع آخر فى غير القصة هذه وذلك فى ج ٨ ص ١٥١
(٥) فى الأغانى : لقد فضلت حسنا على الناس .
(٦) الجادة : الطريق .
(٧) الصرم : الجماعة من الناس .

فقال : إى واللهِ ، وإذا به لا يتماسك ، فقمت إلى قَعْبٍ لنا فيه أَقِط مَطحون ، وإلى عُكَّةٍ(١) فيها سَمن ورُبّ(٢) فمصرتها على الأقِط ثم أدنيتها منه ، فأصاب منها ، وقمت إلى سِقاء فيه لبن فصببت عليه ماء باردا ، فشرب منه وتراجعت نفسه ، فقلت له : لقد بلغتَ ولقيتَ شرًّا ، فما أمرك ؟ قال: أنا والله فى هذه الهضبة التى ترين منذ ثلاث ما أريمها ، أنتظر أن أرى فُرْجَةً ، فلما رأيت مُنحدَر فتيانكم أتيتكم لأودعكم ، وأنا عائد(٣) إلى مصر . فتحدّثا(٤) ساعة ثم ودعنا وشخص ، فلم تطل غَيْبَتُه أن جاءنا نَعْيُه . فحدَّث رجل شهده لما حضرته الوفاة بمصر أنه دعا به فقال له: هل لك فى أن أعطيك كل ما أُخَلّفه على أن تفعل شيئاً أعهده إليك ؟ قال : فقلت : اللهم نعم ، قال : إذا أنا متُّ فخذ حُلّتى هذه التى فى عَيْبتى فاعْزِلْها جانبا ، وكلُّ شىء سواها لك ، وارحل إلى رهط بنى الأحَبِّ من عُذرة حىِّ بثينة ، فإذا صرتَ إليهم فارْحَلْ ناقتى هذه ثم اركبها ، والبَس حُلّتى هذه وشُقَّها ثم اعْلُ على شَرَفٍ وصح بهذه الأبيات وخلاك ذمٌّ ، وأنشد :

صَرَخَ النَّعِىُّ وما كَنَى بجميلِ(٥) ... وثَوى بمصرَ ثواءَ غيرِ قُفولِ
ولقد أجرُّ الذَّيل فى وادى القُرى ... نشوانَ بين مزارعٍ ونَخيلِ
قُومى بثينةُ فاندُبى بِعَويلِ ... وابكى خَليلَك دونَ كُلِّ خليلِ
بَكَر النَّعِىُّ بفارسٍ ذى بَهجةٍ ... حُلْوِ الشمائل للرجال قَبولِ(٦)

(١) العكة : زق صغير للسمن .
(٢) الرب : ما يطبخ من التمر .
(٣) فى الأغانى : وأنا عامد .
(٤) فى الأغانى : فتحدثنا .
(٥) فى الأغانى : صدع النعى .
(٦) لم يرد هذا البيت فى الأغانى وروايته فى ديوانه ص ١٨٣ :
... بطل إذا حمل اللواء مذيل

فلما قَضَى وواريته أتيت رهط بثينة وفعلت ما أمرنى به جميل (فما استتممتُ الأبيات حتى برزت امرأة تتبعها نسوة قد فرَعتهنّ طولا وبرزت أمامهن كأنها بدرٌ قد برق[1] فى دُجُنَّة وهى تتعثر فى مِرْطِها ، فقالت لى : يا هذا ، إن كنت صادقا فقد قتلتَنى ، وإن كنت كاذبا فقد فضحتنى ، فقلت : لاوالله بل صادقا[2] . وأخرجتُ حُلَّته ، فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكّت وجهها ، واجتمع نساء الحى يبكين معها ويَندُبنَه حتى صَعِقَتْ[3] فمكثت مغشياً عليها ساعة ، ثم قامت وهى تقول :

وإن سُلُوِّى عن جميل لساعةٌ ... من الدهر ماآبت ولاحانَ حِينُها[4]

سَواءٌ علينا يا جميلُ بنَ مَعْمَرٍ ... إذا متَّ بأساءُ الحيـاةِ ولِينُها

قال : فما رأيت أكثر من ذلك اليوم باكيا وباكية[5] .

(قالت جميلة[6] : حدثتنى بثينة ـ وكانت صَدُوقة اللسان جميلة الوجه حسنة البيان عفيفة البطن والفرج ـ قالت : والله ما أرادنى جميل رحمه الله بريبة قط ، ولاحدّثت أنا نفسى بذلك قط منه)، وإن الحىَّ انتجعوا موضعا ، وإنى لفى هودج لى أسير إذا أنا بهاتف يُنشد أبياتا ، فلم أتمالك أن رميت بنفسى وأهـلُ الحىِّ ينتظرون ، فسعيت[7] أطلب المنشد فلم أقف عليه ، فناديت : أيها الهاتف بشعر جميل ما وراءك منه ؟ فإنى لأَحسِبُه قد مضى لسبيله . فلم يجبنى مجيب ، فناديت ثلاثا ، فى كل ذلك

---

(١) فى الأغانى : قد برز .

(٢) فى الأغانى : والله ما أنا إلا صادق .

(٣) فى المختار : حتى ضعفت .

(٤) فى الأغانى : من الدهر ما حانت .

(٥) فى الأغانى : فلم أر يوما كان أكثر باكيا وباكية منه يومئذ .

(٦) هذا الخبر لم يجئ فى ترجمة جميل وإنما جاء فى ترجمة جميلة ج ٨ ص ٢٠٢ .

(٧) فى الأغانى : فبقيت .

لا يردُّ عليَّ شيئا . فقال صويحباتى : يا بثينة أصابك طائف من الشيطان ؟ فقلت : كلا ، لقد سمعت قائلا يقول فقلن نحن معك ولم نسمع . فرجعت فركبت مطيَّتى وأنا حيرى والهة العقل كاسفة البال ، ثم سِرْنا . فلما كان فى الليل إذا ذلك الهاتف يهتف بذلك الشعر بعينه ، فرميت بنفسى وسعيت إلى الصوت ، فلما قرُبت منه انقطع ، فقلت : أيها الهاتف ارحَمْ حيرتى ومسكنتى[1] وسكِّن عبرتى بخبر هذه الأبيات ، فلم يردّ علىَّ شيئاً ، فرجعت إلى رحلى فركبت وسرت وأنا ذاهبة العقل ، وفى كل ذلك لا يخبرنى صُوَيحباتى أنهن يسمعن شيئاً ، فلما كانت الليلة القابلة نزلنا ، وأخذ الحىُّ مضاجعَهم ونامت كلُّ عين إذا بهاتف يهتف بى ويقول : يا بثينة أَقبِلى إلىَّ أُحدِّثك عما تريدين ، فأقبلت نحو الصوت ، فإذا شيخ كان من رجال الحىِّ ، فسألته عن اسمه ونسبه[2] فقال : دعى هذا وخذى فيما هو أهمُّ إليك . فقلت له : فإن هذا مما يهمنى ، فقال : اقنعى بما قلتُ لك ، قلت : أنت تنشد الأبيات ؟[3] قال : نعم ، قلت : فما خبر جميل ؟ قال : فارقته وقد قضى نَحْبه وصار إلى حفرته ، رحمه الله ، فصرخت صرخة آذنتُ منها الحىَّ ، وسقطت لوجهى وأُغمى علىَّ ، فكأن صوتى لم يسمعه أحد ، وبَقيتُ سائر ليلتى ، ثم أفقت بعد طلوع الفجر وأهلى يطلبوننى ولا يقفون على موضعى ، ورفعت صوتى بالعَويل والبكاء ، ورجعت إلى مكانى ، فقال لى أهلى : ما خبرك ؟ وما شأنك ؟ فقصصت عليهم القصة ، فقالوا : رحم الله جميلا . واجتمع نساء الحى وأنشدتهن الأبيات ، وأسعفننى[4] بالبكاء ، فلم نزل كذلك لا يفارقننى ثلاثا

---

(١) كلمة « ومسكنتى » ليست فى الأغانى .

(٢) فى الأغانى : وبيته .

(٣) لعلها : منشد الأبيات وفى الأغانى : أنت المنشد الأبيات .

(٤) فى الأغانى : وأسعدننى .

وتحزن[1] الرجال أيضاً وبكوه ورثوه وقالوا كلهم : يرحمه الله فإنه كان عفيفاً صدوقاً فلم أكتحل بعده بإثمد ولا فرقت رأسى بمَخِيط[2] ولا مِشط ، ولا دهنته إلا من صُداع خفتُ منه على بصرى ، ولا لبست ثوبا[3] مصبوغا ولا إزارا ، ولا أزال كذلك أبكيه إلى الممات . قالت جميلة : والشعر الذى سمعت الهاتف ينشده هو :

أَلَا مَن لقلبٍ لا يَمَـلُّ فيَذهَلُ ... أَفِقْ فالتعزِّى عن بُثينةَ أجمَلُ
فما هكذا أحببتَ مَن كان قَبْلها ... ولا هكذا فيما مضى كنتَ تفعلُ
وإن التى أحببتَ قد حِيل دونها ... فـكُن حازِما والحازِمِ المتحَوِّلُ

---

(١) فى ا : وتحرق الرجال .
(٢) كذا فى المختار والأغانى .
(٥) فى الأغانى : ولا لبست خمارا .

جميلة (1)

مولاة بني سُليم(2) ثم مولاة بَطن منهم يقال لهم بنو بَهْز ، وكان لها زوج من موالى بني الحارث بن الخزرج ، وكانت تنزل فيهم ، فغلب عليها ولاء زوجها ، وقيل : إنها مولاة الأنصار. وقيل : كانت لرجل من الأنصار ينزل بالسُّنْح(3) ، وهو الموضع الذى كان ينزله أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وقيل : هى مولاة الحجَّاج بن عِلاط السُّلَمىّ (وهى أصلٌ من أصول الغناء . أخذ عنها مَعْبَد وابنُ عائشة وسلَّامةُ القَسّ وغيرهم ولم يَدَّعِ أحدٌ مقاربتها فى الغناء ، وكل مكى ومدنى يشهد لها بالفضل . وفيها يقول عبد الرحمن بن أَرطاة :

إن الــدَّلالَ وحَسنَ الغِنا ... ءِ وسْط بيوت بنى الخزْرجِ
وتلك جميــلةُ زينُ النسا ... ءِ إذ هى تَزْدانُ للمَخْرَجِ
إذا جئتَها بذلتْ وُدَّهــا ... بوجْهٍ مُنيرٍ لهــا أبلجِ

قال أبو عباد : أتيت جميلة يوما وكان لى موعد ظننتُ أنى سبقتُ الناس إليها وإذا منزلها(4) غاصٌّ ، فسألتها أن تعلمنى شيئا فقالت لى : إن غيرك قد سبقك ، أفيجمل تقديمك على سواك(5) ؟ فقلت : جُعلتُ فداك ، إلى متى تفرغين ممن سبقنى ؟ قالت : هو ذاك ، الحقُّ يَسعُك ويسعهُم ، فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر

---

(1) الأغانى: دار الكتب ٨/ ١٨٦ ودار الثقافة ٨/ ١٨٨ وبولاق ٧/ ١٢٤ والساسى ٧/ ١١٨ والتجريد ٩٦٣ .

(2) فى ا : « مولاة بنى جميل » وهو سهو .

(3) السنح: موضع قرب المدينة.

(4) فى الأغانى : فإذا مجلسها .

(5) فى الأغانى : ولا يجمل تقديمك على من سواك . وفى ت : على من سواك .

فإنه لأوّل يوم لقيته وآخره ، وكنت صغيرا كيِّسا . وكانت جميلة شديدة الفرح بى ، فقامت وقام الناس فتلقته وقبّلت رجليه ويديه ، وجلس فى صدر المجلس وأصحابه حوله وأشارت إلى من عندها بالانصراف ، فتفرّق الناس عنه ، وغمزتنى ألا أبرح فأقمت ، وقالت : يا سيدى وسيّد آبائى وموالىّ ، كيف نَشِطت أن تنقل قدميك إلى أَمَتك ؟ قال : يا جميلة قد علمتُ ما آليتِ أنك لا تغنين أحدا إلا فى منزلك ، وأحببت الاستماع منك ، وكان ذلك طريقا مَادًّا . قالت : جُعلت فداك ، فأنا أصير إليك وأُكَفِّر . قال : لا أُكلِّفك ذلك ، وبلغنى[1] أنك تغنين بيتين لامرئ القيس تجيدين الغناء فيهما ، وكان الله عز وجلّ أنقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت : ياسيدى ، نعم . فاندفعت فغنّت بعُودها ، فما سمعت منها قبل ذلك ولا بعده إلى أن ماتت مثله ، فسبّح عبد الله بن جعفر والقوم معه ، وهما :

ولما رأتْ أنَّ الشريعةَ هَمُّها ... وأن البياضَ منْ فرائصها دَامِى[2]
تيمَّمت العَيْنَ التى عند ضارجٍ ... يَفِىءُ عليها الظلُّ عَرْمَضُها طامِى[3]

فلما فرغت قالت : يا سيدى أزيدك ! قال : حسبى ، هذا شعر أنقذَ اللهُ به جماعة من المسلمين ، فقال بعض من كان معه : جُعلت فداك وكيف أنقذ الله عز وجل بهذين البيتين جماعة من المسلمين ؟ قال : نعم أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبى صلى الله عليه وسلم فأضلّوا[4] الطريق ووقعوا على غيرها ، ومكثوا ثلاثا لا يقدرون على

(١) فى ا سقطت جملة طويلة ونصه : وأحببت الاستماع منك وبلغنى .

(٢) الشريعة: مورد الماء. وهمها : طلبها والفريضة وجمعها فرائض : اللحم الذى بين الكتف والصدر والفرائض أيضا العروق .

(٣) ضارج : اسم موضع. والعرمض: الطحلب. وانظر اللسان ضرج وعرمض .

(٤) هكذا فى المختار وأصول الأغانى . والمعروف ضلوا الطريق وعن الطريق إذا أخطئوا موضعها ويقال أضللت الشىء إذا ضاع منك قال أبو عمرو إذا لم تعرف المكان قلت ضللته وإذا سقط من يدك شىء قلت أضللته قال : يعنى أن المكان لا يضل وإنما أنت تضل عنه .

الماء وجعل الرجل منهم يَسْتَذْرِى(١) بفيء السَّمُرِ والطَّلح يأسا من الحياة إذ أقبل راكب على بعير له ، فأنشد بعضُ القوم هذين البيتين . فقال الراكب : من يقول هذا ؟ قال : امرؤ القيس . قال : والله ما كذب ، هذا ضارجٌ عندكم . وأشار لهم إليه فجثَوْا على الرُّكَب فإذا ماء عـذب ، وإذا عليه العَرْمَض والظلّ يَفِيء عليه ، فشربوا منه رِيَّهُم ، وحملوا ما اكتفوا به حتى بلغوا الماءَ ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله ، أحيانا الله عز وجلّ ببيتين من شعر امرئ القيس . وأنشدوه الشعر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذاك رجلٌ مذكور فى الدنيا شريف فيها منسِيٌّ فى الآخرة خامل فيها ، يجيء يوم القيامـة معه لواء الشعراء إلى النار » ثم نهض عبدُ الله بن جعفر ونهض القوم ، فما رأيت مجلسا أحسن منه .

زار مَعْبَدٌ مالكَ بنَ أبى السَّمْح ، فقال له : هل لك أن نَصِير إلى جميلة ؟ فمضيا جميعا فقصداها فدخلا ، فأخرجت إليهما رُقعة فيها أبيات ، فقالت لمعبد : بعث بهذه الرقعة إلىَّ فلانٌ أُغـنِّى بها . فقال مَعْبَد : فابتدئى . فابتدأت جميلة فغنت فى شعر الأحوص :

إنمـا الذلفاءُ هَمِّى فَلْيَلُمْنِى من يـلومُ(٢)

فغنى معبد :

أحسنُ الناسِ جَميعاً حين تمشى أو تقومُ

فغنت جميلة :

حَبَّبَ الذلفاءَ عندى منطقٌ منها رَخيمُ

فغنى معبد :

أصلُ الحبـل إليها وهى للحبل صَرُومُ

---

(١) يستذرى : يستظل .

(٢) فى الأغانى : فليدعنى من يلوم .

فغنت جميلة :

حبُّها فى القلب داءٌ مُستَكِنٌّ ما يَرِيمُ

هذه الذلفاء هى التى فُتِن بها أهل المدينة ، وقال فيها بعض من كانت عنده وطلقها :

لا باركَ اللهُ فى دارٍ عَدَدْتُ بها طلاق ذلفاء من دارٍ ومن بَلَدِ
فلا يقــول ثلاثا قائلٌ أبداً إنى وجدتُ ثلاثا أنــكَدَ العَدَدِ

وكان إذا عدَّ شيئا قال: واحد اثنان أربعة ، ولا يقول ثلاثة.

(لمّا حَجّت جميلةُ حجَّ معها خمسون قينة مُشَيّعات لها ومعظمات لقدرها، وجَّهَهنّ مواليهن معها، وأعطوهن النفقات وحملوهن على الإبل فى الهوادج والقِباب ، فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهن درهما فمافوقه حتى رجعن ، وحج معها أيضا رجال من المغانى جماعة، ومن غير المغانى ابنُ أبى عَتِيق والأحْوَص وكُثَيِّر ونُصَيب وغيرهم، وتَخايَر من معها فى اتخاذ اللِّباسِ العَجيب الظريف، وكذلك فى الهوادج والقِباب ، وقال أهل المدينة : إنهم ما رأوا سفرا مثل ذلك طِيبا وحسنا وملاحة . ولما قاربوا مكة تلقّاهم ابن سُرَيج والغَرِيض ومَعْبد وابن مُحْرِز وجماعة من الأشراف من المغنين من أهل مكة، ومن غير المغنين عمر بن أَبى ربيعة والحارث بن خالد المخزومى والعَرْجِىُّ ، فدخلت جميلةُ مكة وما بالحجاز مغنٍّ حاذقٌ ولا مغنيةٌ إلَّا وهو معها وجماعة من الأشراف ، وخرج أبناء مكة من الرجال والنساء ينظرون جَمعها وحُسنَ هيئتهم فلما قضت حجَّها سألها المــكِّيُّون أن تجعل لهم مجلسا ، فقالت : أللغناء أم الحديث ؟ فقالوا لها : لهما جميعا ، فقالت : ما كنت أخلط جِدًّا بهزل، وأبت أن تجلس للغناء قال : فقال عمر بن أبى ربيعة : أقسمت على من كان فى قلبه حبٌّ لسماع غنائها إلَّا خرج معى إلى المدينة فإنى خارج ، فخرجت مِن مكة فى جمع أكثر من جمعها بالمدينة، فلما قدمت المدينة تلقَّاها الناس والأشراف، ودخلتها بأحسن مما

خرجت منها وخرج النساء والرجال من بيوتهم فوقفوا على أبوابهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها ، فلما دخلت منزلها وتفرّق الجمع إلى منازلهم ونزل أهـل مكة على أقاربهم أتاها الناس يسلمون عليها ، وما استنكف لذلك كبير ولا صغير ، فلما مضى لَقَدَمِها عشرةُ أيام جلست للغناء ، وقالت لعمر بن أبى ربيعة : إنى جالسة لك ولأصحابك فإذا شئتَ قمدَ الناس ، فَغَصَّت الدار بالأشراف من الرجال والنساء ، وابتدأت جميلة فغنت فى شعر عمر بن أبى ربيعة (١) .

— ما أنس لا أنس يوم الخَيْفِ مَوْقِفَهَا ومَوقفى وكِلانا ثَمَّ ذو شَجَنِ
— وقولَها للثُّرَيَّا وهى باكيـةٌ والدمعُ منها على الخدَّين ذو سَنَنِ (٢)
— باللهِ قُولى له فى غَـيرِ مَعْتبةٍ ماذا أردتَ بطول المُكْث فى اليمَنِ
إن كنت حاولتَ دُنْيا أو ظَفِرْتَ بها (٣) فما أَصبتَ بتركِ الحجِّ من ثَمَنِ

فضجّ القومُ لحسن ما سمعوا ، وما سمعوا غناء أحسن من غنائها هذا الصوت ، ودمعت عينُ عمر حتى جرى دمعه على ثيابه ولِحيته . ثم أقبلت على ابن سُرَيج ، فقالت : هاتِ ، فاندفع يُغنّى لحنه فى شعر عمر :

— أليسَتْ بالتى قالتْ لمولاةٍ لهـا ظُهُرَا
— أشيرِى بالسـلامِ له إذا هو نحونا نَظَرَا
— وقولى فى مُلاطفةٍ لزينبَ نَوِّلى عُمَرَا
— أهذا سِحْرُكِ النسـ وانَ قد خبَّرْنَنى الخبَرا

ثم غنّى فى ذلك المجلسِ كلُّ من حضَر باقتراح منها ، وهى تُحَسِّن لهـــذا

(١) فى الأغانى أبيات قبل بدء هذا الشعر هنا أربعة أبيات .
(٢) فى ت : ذوهتن .
(٣) فى الأغانى : أو نعمت بها .

وتُمَلِّحُ لهذا وتستطيب من هذا ، ثلاثة أيام ، ثم عاد كل إنسان إلى وطنه فما رُئى أحسنُ من تلك الأيام ولا من جمعها)

(جلست جميلة يوما على كرسىّ لها وقالت لآذنتها : لا تَحْجُبِى اليوم عنى أحدا ، واقعدى بالباب ، فكلُّ من يمرُّ بالباب اعْرِضى عليه مجلسى ، ففعلت ذلك حتى غَصَّت الدارُ بالناس ، فقالت جميلة : اصعدوا إلى العَلَالِى ، فصعدت جماعةٌ حتى امتلأت العَلَالى والسُّطوح فجاءت بعض جواريها فقالت لها : يا سيدتى إن تمادى أمرُكِ على هذا لم يبق فى الدار موضع[1] إلا سقط ، فأظهرى ما تريدين ، قالت لها : اجلسى ، فلما تعالى النهار واشتدّ الحرُّ واستسقى الناس دَعتْ لهم بالسَّويق[2] فشرب من أراد ، فقالت : أقسمتُ على رجل أو امرأة دخل منزلى إلّا شرب ، فلم يبق فى سُفْلِ الدار ولا عُلْوِها أحد إلا شرب ، وقام على رءوسهم الجوارى بالمناديل والمراوح الكبار ، وأمرت جواريها فقُمْنَ على كراسىّ صغارٍ فيما بين كلّ عشرة[3] نفرٍ جارية تُرَوِّح ، ثم قالت : إنى رأيت رُؤْيا فى منامى أفزعتنى وأرعبتنى ولست أعرف ما سبب ذلك ، وقد خِفت أن يكون قَرُبَ أجلى ، وليس ينفعنى إلا صالح عملى ، وقد رأيت أن أترك الغناء كراهةَ أن يلحقنى منه شىء عند ربى عزّ وجل ، فقال قوم منهم وفَّقك الله وثبَّتَ عَزْمَك ، وقال آخرون : بل لا حَرَج عليك فى الغناء . وقال شيخ منهم ذو سِنٍّ وعلم وفقه وتَجْرِبة : قد تكلمت الجماعة ، وكلُّ حزب بما لديهم فَرِحون ، ولم أعترض عليهم فى قولهم ، ولا شَرِكْتُهم[4] فى رأيهم ، فاستمعوا الآن لقولى وأَنصِتوا ولا تَشْغَبُوا إلى وقت انقضاء كلامى ، فمن قَبِل قولى فالله موفقه

---

(١) فى الأغانى : حائط .

(٢) السويق : شراب يتخذ من الحنطة والشعير ولعله ما يقال له الآن « السوبية » .

(٣) فى المختار : عشر نفر .

(٤) فى ا : ولا شاركتهم .

ومن خالفنى فلا بأس عليه إذا كنت فى طاعة ربى فسكت القوم جميعا ، وتكلم الشيخ فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى على النبى[1] صلى الله عليه وسلم ثم قال ﴿ يامعشر أهل الحجاز ﴾ إنكم متى تجادلتم فشلتم وإذا فشلتم وثب عليكم[2] عدوُّكم وظفر بكم فلا تفلحوا بعدها أبدا ، (إنكم قد انقلبتم على أعقابكم لأهل العراق وغيرهم ممن لم يزل ينكر عليكم ما هو وارثه عنكم لا يُنكره عالمكم ، ولا يدفعه عابدكم ، بشهادة شريفكم ووضيعكم) يندُب إليه كما يندُب جُموعَكم وشرَفكم وعزَّكم ﴿ فأكثر ما يكون عند عابدكم فيه ﴾ الجلوس (لا للتحريم لكن للزهد فى الدنيا ، لأن الغناء من أكبر اللذات وآسَرُ[3] للنفوس من جميع الشهوات ، يُحيى القلب ، ويَزيد فى العقل ، ويَسُرُّ النفْس ، ويُفسح فى الرأى ، ويتيسر به العسير ، وتُفتح به الجيوش ، ويذَلَّل به الجبارون حتى يَمتهنوا أنفسهم عند استماعه ، ويُبرِئ المرضى ومَن مات قلبُه وعقله وبصره ، ويزيد أهل الثروة غِنًى وأهل الفقر قناعةً ورضًا باستماعه ، فينصرفون[4] عن طلب الأموال) ومَن تمسك به كان عالما ، ومَن فارقه كان جاهلا ، لأنه لا منزلة أرفع ، ولا شىء أحسن منه ، (فكيف يُستَصْوَبُ تركُه ؟ وكيف لا يستعان به على عبادة ربنا عز وجل ؟ وقال كلاماً كثيراً غير هذا ، فما ردّ عليه أحد ، ولا أنكر ذلك منهم بشر ، وكلٌّ عاد بالخطأ على نفسه ، وأقر بالتفضيل له . ثم قال لجميلة : أَوَعَيْتِ ما قلتُ ووقع فى نفسك ما ذكرتُ ؟ قالت : أجلْ ، وأنا أستغفر الله تعالى ، فقال لها : فاختمى مجلسنا وفرِّقى جماعتنا بصوت فقط ، فأخذت عودها وغنّت :

---

(١) فى الأغانى : وأثنى عليه وصلى على النبى .

(٢) فى الأغانى : تخاذلتم فشلتم ووثب عليكم .

(٣) ضبطت فى تحقيق دار الكتب وأسر وفضلت هذا الضبط لأنه أدق فالغناء أشد أسرا للتقوى من جميع الشهوات . وبخاصة جاء بعد ذلك ويسر النفس .

(٤) فى ا ، ك : فيعرفون .

ـ أفي رَسْم دارٍ دَمْعُك المترَقرِقُ سَفَاهاً وما استنطاقُ ماليس يَنطِقُ
بحيث التقى جمعٌ وأقصى مُحَسِّرٍ مَغَانِيه قد كادَتْ على العَهْد تَخْلَقُ(١)
ـ مُقامٌ لنا بعــد العشاء ومنزلٌ به لم يُكَدِّره علينا مُعَوِّق

فقال الشيخ : حسنٌ واللهِ ، أمثل هذا يُترَك ؟ لا والله لا يترك هذا ولا كرامة لمن خالف الحق ، ثم قام وقام الناس معه وقال : الحمد لله الذى لم يفرِّق جماعتَنا على اليأسِ مِن الغناء ولا على جحود فضيلته ، والسلام)

(١) جمع : علم للمزدلفة ، ووادى محسر : موضع بين منى والمزدلفة .

جرادتا عبد الله بن جُدْعان[1]

هما أمتان يقال لهما الجرادتان ، كانتا لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب . سمّاها بجرادَتَىْ عادٍ .

وكان ابن جدعان سيِّدا جَوادا يصل الرَّحِم ويُطعم المسكين ، وكان أُميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت الثقفىُّ قد امتدحه بقصيدته التى هى :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حَيَاؤُك إن شيمتَك الحياء

فأعطاه الجاريتين كما نذكره ها هنا فيما بعد.

روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قلت : يا رسول الله إن ابن جُدْعان كان فى الجاهلية يَصِل الرَّحم ويُطعِم المسكين ، فهل ذلك نافعه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « لا ، إنه لم يقل يوما : ربِّ اغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

ولما قدم أُميّةُ بن أبى الصلت على عبد الله بن جُدْعان ودخل عليه قال له عبدالله : أمرٌ ما أتى بك . فقال أُميّة : كلابُ غُرماءَ قد نبحتنى ونهشتنى ، فقال له عبد الله : قدمتَ وأنا عليلٌ من حقوقٍ لزمتنى ، فأنظرنى قليلا ، وقد ضمنت وفاءَ دينك ولا أسألك عن مبلغه . فأقام أميّةُ أياما ثم أتاه فقال :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حَياؤُكَ إن شيمتك الحياءُ

وعِلْمُك بالأمور وأنت قَرْمٌ ... لك الحسبُ المُهذَّبُ والسَّناءُ

كريمٌ لا يُغيِّره صَباحٌ ... عن الخُلق الجميلِ ولا مَساءُ[2]

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٨/٢٢٧ ودار الثقافة ٨/٣٢٩ وبولاق ٨/٢ والساسى ٨/٢ والتجريد ٩٩٢ .

(٢) فى الأغانى : عن الخلق السنى .

يُبارِى الريحَ مَكْرُمةً وَمجدًا ... إذا ما الكلْبُ أجحَره الشِّتاء
— إذا أثنَى عليك المرء يوما ... كفاهُ من تَعَرُّضِك الثناء(١)
إذا خلَّفْتَ عبدَ الله فاعْلم ... بأنَّ القوم ليس لهم جَدَاء(٢)
فأرضك كُلُّ مَكْرُمةٍ بنَاها ... بنو تَيْمٍ وأنت لهم سماء(٣)
— وهل تخفى السماء على بَصيرٍ ... وهل بالشمس طالعةً خَفاء

فلما أنشده أميةَ هذا الشعرَ قال لأمية : خُذْ أىَّ من شئت من هاتين القينتين ، وأشار إلى الجرادتين(٤)، فأخذ إحداها وانصرف ، فمرَّ بمجلس من مجالس قريشٍ ، فلاموه على أخذها وقالوا له : لقد ألفيته عليلًا ، فلو رددْتَها عليه فإن الشيخ محتاج إلى خدمتها فكان ذلك أقرب لك عنده وأكثر من كلِّ حقٍّ ضَمِنه . فوقع الكلام من أُميَّة موقعا ، وندم ، فرجع إليه ليردَّها عليه ، فلما أتاه بها قال له ابنُ جُدْعان : لعلك إنما ردَدْتَها لأن قريشا لاموك على أخذها ووصف لأُميّةَ ما قال القوم ، فقال أمية : ما أخطأتَ يا أبا زُهير، قال : فما الذى قلتَ فى ذلك ؟ فقال أميّةُ :

عطاؤُكَ زَيْنٌ لامرئٍ إن حَبوْتَه ... بِبَذْلٍ وما كلُّ العطاء يَزِينُ
وليس بِشَيْنٍ لامرئٍ بذلُ وَجْهِه ... إليك كما بعضُ السؤالِ يَشِينُ

فقال عبد الله لأمية : خذ الأخرى . فأخذها وخرج .

---

(١) فى الأغانى : من تعرضه . وسيأتى فى المختار مرة أخرى : من تعرضه، ويكون هنا من التعرض لك .

(٢) الجداء : الغناء . وفى الأغانى : « الجزاء » وما هنا أصوب .

(٣) بعده فى الأغانى بيت .

(٤) جملة « وأشار إلى الجرادتين » ليست فى الأغانى .

يستفاد من هذا الحديث ومقارنته بالأبيات السابقة لأمية بن أبي الصلت
أنه التلميح إلى الطلب بالثناء، انظر - ٢٨٦ - وأبلغ من التصريح بالذكر

قال الحسين بن الحسن المَرْوَزِىّ : سألت سفيان بن عُيينة فقلت : يا أبا محمد ، ما تفسيرُ قولِ النبي صلى الله عليه وسلم « كان من أكثرِ دعاء الأنبياء قبلى بِعَرفة لا إله إلّا اللهُ وحْدَه لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير » وإنما هذا ذِكْرٌ وليس فيه من الدعاء شيء ، فقال لى : أعرفت حديث مالك ابن الحُوَيرِث[1] يقول الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه « إذا شَغَل عبدى ثناؤُه علىّ عن مسألتى أعطيته أفضل ماأُعطى السائلين » قلت : نعم ، أنت حَدَّثتنيه عن مَنصور ابن مالك[2] بن الحُويرث . قال : فهذا تفسير ذلك ، ثم قال : أما علمت ما قال أمية ابن أبى الصلت حين خرج إلى ابن جُدْعان يطلب نائله وفَضْله ؟ قلت : لا أدرى . قال : قال له :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حَياؤكَ إن شيمتك الحَياءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يوما ... كفاه من تَعرُّضه الثناءُ

قال سفيان بن عيينة : فهذا مخلوق يُنسَب إلى الجودِ قيل له : يكفينا من مسألتك أن نُثنى عليك ونسكتَ حتى تأتى على حاجتنا ، فكيف بالخالق أكرم الأكرمين[3] ؟

قال أبو الزناد[4] : ما مات أحد من كبراء قريش فى الجاهلية حتى ترك[5] الخمر استحياء مما فيها من الدَّنَس ، ولقد عابها ابنُ جدعان قبل موته وقال فى ذمّها شعرا[6]

---

(١) فى الأغانى : الحارث . هـذا ، ومالك بن الحويرث صحابى نزل البصرة ، انظر تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٤ وفيه أيضا مالك بن الحارث ثلاثة أشخاص .

(٢) كذا فى نسخ المختار وفى الأغانى : « عن منصور عن مالك بن الحارث » هذا ، وسفيان روى عن منصور بن المعتمر . كما فى تهذيب التهذيب ترجمة منصور بن المعتمر .

(٣) كلمة « أكرم الأكرمين » ليست فى الأغانى .

(٤) الذى فى الأغانى : ابن أبى الزناد .

(٥) فى الأغانى : إلا ترك .

(٦) ذكر فى الأغانى الشعر وهو ثلاثة أبيات .

وكان سبب تركه الخمر أن أميـة بن أبي الصلت شرب معه فلطم عينه[١] فأصبحت مُخْضَرَّةً يخاف عليها الذهاب ، فقال له عبد الله : ما بالُ عينك ؟ فسكت أمية ، فألحّ عليه ، فقال له : أنت صاحبها أصبتها البارحـة ، فقال : وبلغ مني الشراب ما بلغ به هذا الحدّ[٢] ! لا جَرَم ، لأَدِيَنَّها دِيَةَ عَيْنٍ . فأعطاه[٣] عشرة آلاف درهم وقال : الخمرُ عليَّ حرام أن أذوقها أبدا . وتركها من يومئذٍ)

---

(١) جملة « فلطم عينه » ساقطة من الأغانى .

(٢) فى الأغانى : أو بلغ مني الشراب الذى أبلغ معه من جليسى هذا .

(٣) فى الأغانى : لأدينها لك ديتين فأعطاه .

جذيمة الأبرش[1]

هو جذيمة بن فَهْم بن غانم بن دَوْس بن عُدْثَان[2] الأزدىّ ، وقيل له الأبرش لبرص كان به وهو أول من ملك قُضاعة بالحِيرة ، وأول من حذا النعال ، وأدْلَج من الملوك ورُفع له الشمع . قال يوما لجلسائه : قد ذُكر لى عن غلامٍ اسمه عدىّ من لخْم مقيم فى أخواله من إياد أن فيه ظَرفا ولُبًّا فلو بعثتُ إليه ليكون من نُدَمائى ووليّته كأسى والقيام بمجلسى كان الرأىُ . قالوا: الرأى ما يراه الملك . فليبعثْ إليه ، ففعل ، فلما قدم عليه فعل به ما أراده ، فمكث كذلك مدة طويلة ، ثم أشرفت عليه يوما رَقاشِ أخت جذيمة ، فلم تزل تراسله حتى اتصل بينهما ، ثم قالت له : يا عدى إذا سقيت القوم فامزُج لهم واسق ِالملك ِصرْفا فإذا أخذت فيه الخمر فاخطبنى إليه فإنه يزوجك، وأشهِدِ القوم إن هو فعل ففعل الغلام ذلك وخطبها فزوّجها ، فانصرف الغلامُ بالخبر إليها فقالت : عرِّس بأهلك ، ففعل ، فلما أصبح غدا مُضَرَّجاً بالخلوق . فقال له جَذيمة : ماهذه الآثار يا عدى ؟ قال : آثار العرس . قال : أى عرس ؟ قال: عرس رَقاشِ . قال : فتحير وانكَبَّ على الأرض ، فرفع عدىٌّ جَراميزَه[3] ، فأسرع جَذِيمة فى طلبه ، فلم يظفر به ، وقيل : إنه قتله . وكتب إلى أخته :

حدّثينى رَقاشِ لا تَكذبينى ... أبحُرٍّ زَنَيْتِ أم بهجين ِ

أم بعَبْدٍ فأنتِ أهلٌ لعبْدٍ ... أم بدُونٍ فأنتِ أهلٌ لدُونِ

---

(١) الأغانى : دار الكتب : ١٥ / ٣١٢ ودار الثقافة ١٥ / ٢٥٠ وبولاق ١٤ / ٧٢ والساسى ١٤/ ٦٩ . ويلاحظ أن ترتيب الجيم بالنسبة للأغانى الذى بين أيدينا يتقدم فيه على جذيمة هؤلاء الآتون وهم الحسين العذرى والجحاف السلمى وجعفر بن علبة الحارثى وجعفر بن الزبير وجبلة ابن الأيهم . وابن منظور لا يلاحظ الترتيب فى الحرف نفسه.

(٢) فى ت ، ك : غرثان أما « ا » فبدون نقط وانظر الاشتقاق ٤٩٦ .

(٣) الجراميز : ما انتشر من ثيابه ويريد أنه جمع ما انتشر من ثيابه ليجرى مسرعا ويقال أيضا : إن الجراميز هى قوائم الوحش ويقال : جمع جراميزه ، إذا تقبض ليثب .

فقالت : بل زوجتنى امرأً عربيا . فنقلها جذيمة إليه وحصَّنها فى قصره ، واشتملت على حَبَلٍ[1] فولدت غلاما وسمّته عمراً وربّته حتى ترعرع فعطّرته وحلّته وألبسته كُسْوةَ مثلِه ، ثم أرتْه[2] خاله فأعجب به ، وأُلقيت عليه محبّته . فخرج الغلمان فى سنة قد أكمأَتْ [وخرج عمرو معهم وقدخرج جذيمة][3] فبُسِط له فى روضة ، وخرج الغلمان يَجتنون الكمأة ، فكانوا إذا أصابوا كمأة طيّبة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها ، ثم أقبلوا يتعادَوْنَ وهو معهم يَقدَمهم ويقول :

هذا جَنــایَ وخِیارُه فیهْ إذ كلُّ جانٍ یدُه إلى فیهْ

فأكرمه جذيمة وحيّاه[4] وقرَّبه من قلبه وحلَّ منه بكلّ مكان ، ثم إن الجن استطارَتْ عَمْراً ، فلم يزل جذيمة يُرسل فى الآفاق فى طلبه فلم يَسْمع له بخبر ، فكفّ عنه ، ثم أقبل رجلان يقال لأحدهما مالك وللآخر عَقِيل ابنا فالجٍ ، وهما يريدان الملك بهديّة ، فنزلا على ماء ومعهما قَيْنة يقال لها أُمّ عمرو ، فنصبت لهما قِدْرا ، وأصلحت لهما طعاما ، فبيناهما يأكلان إذ أقبل رجل أشعث أغبر قد طالت أظفاره وساءت حاله حتى جلس بمزجر الكلب[5] فمدّ يده ، فناولته القَينةُ شيئا فأكله ،

---

(١) فى الأغانى : على حمل .

(٢) فى بعض نسخ الأغانى أزارته .

(٣) زيادة من الأغانى .

(٤) فى الأغانى طبعة دار الكتب : وحباه . وفى طبعة دار الكتب ودار الثقافة : وقرب من قلبه .

(٥) يقال: هومنى مزجر الكلب: أى بتلك المنزلة، ويراد أنه فى موضع بحيث يكون فيه الكلب حين ينهنه .

ثم مد يده فقالت : إن يُعْط العبْدُ كُراعا يبتغ[١] ذراعا . فأرسلتها مثلا ، ثم ناولت صاحبيها من شرابهما وأوكأت زِقًّا[٢] فقال عمرو بن عدى :

صدَدْتِ الكأسَ عنَّا أُمَّ عمرٍو ... وكان الكأسُ مَجراها اليمينا
وما شرُّ الثَّلاثةِ أمَّ عمرٍو ... بصاحبك الذى لا تَصْبَحِينا

فقال الرجلان: من أنت ؟ فقال :

إن تُنْكِرانى و تُنكرا نَسبى ... فإننى عمرٌو وعَدِىٌّ أبى

فقاما إليه فلثماه وغسلا رأسه وقلّما أظفاره وقصّرا من لِمَّتِه وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا : ما كُنَّا لنُهْدِىَ إلى الملك هديَّةً أنفس عنده ولا هو أحسن عليها صَفَدًا[٣] من ابن أخته قد رده الله تعالى إليه . فخرجا حتى إذا دَفَعا[٤] إلى باب الملك بشَّراه به، فصرفه إلى أمه ، فألبسته ثيابا من ثياب الملوك وجعلت فى عُنقه طوْقا كان يَلبَسُه وهو صغير ، وأمرته بالدخول على خاله ، فلما رآه قال : شبَّ عمرٌو عن الطَّوْق ، فأرسلها مثلا ، وقال للرجلين اللَّذَين قدمابه : احْتَكما فلكما حُكْمكما . قالا: منادمتك ما بقيت وبقِينا . قال : ذلك لكما . فهما نديما جَذِيمة اللذان ذكرهما مُتَمِّمٌ فقال :

وكُنَّا كَندْمَانَىْ جَذِيمة حِقْبَةً ... من الدهر حتى قيل لن يَتصدَّعا
فلما تفرَّقْنا كأنى ومالكا ... لطولِ اجْتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعَا

وذكرهما الشعراء فقال أبو خِراش الُهذلىُّ يعنيهما :

أَلَمْ تَعلما أنْ قد تفرَّقَ قبلَنا ... خَليلا صَفاءٍ مالكٌ وعقيلُ

(١) فى الأغانى طبعة دار الكتب : يتسع .
(٢) أوكأت الزق : ربطته بالوكاء وهو الرباط . وفى الأغانى : وأوكأت زقها .
(٣) الصفد: العطية وفى طبعة دار الثقافة : صنعا .
(٤) يقال: دفعا ودفعا بالبناء للمعلوم وللمجهول .

وكان جَذِيمة من أفضل الملوك رأيا وأبعدهم مُغاراً وأشدهم نكاية ، وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق ، وكانت منازله بين الأنبار وبقَّةَ وهِيتَ وعين التَّمر وأطراف البرّ والقُطْقُطَانةِ والحيرة ، فقصد فى جموعه عمرو بن ظَرِبٍ بن حَسَّان [ابن] أذينة بن السَّميدَع بن هَوْبَرٍ العامليّ من عَامِلة العَمَالِيق ، فخرج عمْرو فى جموعه ولقيه ، فقتله جَذِيمةُ وانفضَّ من معه ، فملّكوا عليهم ابنته الزَّبّاء ، وكانت من أحزم الناسِ[1] فخافت أن يغزوها مُلوك العرب ، فاتخذت لنفسها نَفَقاً فى حِصْن كان لها على شاطىء الفرات وسَكَرت[2] الفراتَ فى وقت قِلّة الماء وبنت فى بَطْنه[3] أَزَجاً[4] من الآجر والكِلْس متصلا بذلك النفق ، وجعلت نفقا آخر فى البَرِّيَّةِ متصلا بمدينةٍ لأختها ، ثم أجْرَت الماءَ عليه ، فكانت إذا خافت عدوًّا دخلت النفقَ. فلما استجمع[5] لها أمرها واستحكم مُلْكها جمعت لتغزو جذيمة[6] ثائرةً بأبيها . فقالت لها أختها ـ وكانت ذات رأى وحزم ـ إنك إن غزوتِ جَذِيمة فإنه أمرٌ[7] له ما بعده ، فإن ظفرت أصبت ثأرَكِ ، وإن ظفر بك فلا بَقِيَّة لك ، والحربُ سِجالٌ ولا تدرين كيف تكون ، لك أم عليك ، ولكن ابعثى إليه فأعلميه أنك قد رغبت فى أن تتزوجيه وتَجمعى مُلْكَك إلى ملكه ، وسَلِيهِ أن يُجيبك إلى ذلك ، فإنه إن اغترّ وفعل ذلك ظَفِرْت به بغير مُخاطرة . فكتبت إلى جذيمة تقول له : إنها قد رغبت فى صِلَة بلدِها ببلده ، وإنها فى ضَعْفٍ من سلطانها وقِلّةِ ضبطٍ لمملكتها ، وإنها

---

(١) فى طبعة دار الثقافة : النساء .

(٢) سكرت : سدت .

(٣) كلمة « فى بطنه » ساقطة من طبعة دار الكتب .

(٤) الأزج : البيت يبنى طولا .

(٥) فى طبعتى دار الكتب : اجتمع .

(٦) فى طبعة الدارين : أجمعت على غزو جذيمة .

(٧) فى طبعة دار الكتب : فإنه امرؤ له ما يصده !

لم تَجدْ لمُلـكها كُفُوًّا غيرَه . وسألته الإقبال إليها وجَمْعَ مُلْـكها إلى ملـكه . فلما وصل ذلك إليه استخفَّه وطمع فيه ، وشاور أصحابه ، فـكلٌّ صوَّبَ رأيه فى قَصْدِها وإجابتِها إلا قصيرَ بنَ سعدِ بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن نمُارة بن لَخْم فقال: هذا رأىٌ فاتر، وغدرٌ حاضر ، فإن كانت صادقة فلتُقْبِلْ إليك وإلّا فلا تُمَكِّنْها من نفسك فتقَعَ فى حِبالها وقد وترْتَها فى أبيها ، فلم يوافق جَذيمة ما قاله : وقال له: أنت امرؤٌ رأيك فى الـكِنّ لا فى الضِّحِّ[١] ورَحَل ، فقال له قصير فى طريقه : انصرف ودمُك فى وَجْهك . فقال له جذيمة : ببقَّةَ قُضِيَ الأمر . فأرسلها مثلا ، ومضى حتى إذا شارف مدينتها قال لقصير : ما الرأى ؟ قال : بِبقَّةَ تركت الرأى . قال : فما ظنُّك بالزَّبَّاء ؟ قال : القول رِدَاف ، والحَزْمُ عِراف[٢] ، لا يُخاف ، واستقبلته رسلها بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قصير ، كيف ترى ؟ قال : خَطرٌ يَسير ، فى خَطْبٍ كبير. وستلقاك الخيول ، فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة وإن أخذت جَنْبَتَيك وأحاطت بك فالقومُ غادِرون . فلقيته الخيول فأحاطت به ، فقال له قصيرَ : اركب العصا فإنها لا تسبَق ولا تُدْرك ـ يعنى فرساً له كانت تُجْنَب ـ قبل أن يحولوا بينك وبين جنودك ، فلم يفعل ، فجال قصير فى ظهرها ومرَّت به تعدو فى أوائل أصحاب جَذيمة ، ولما أحيط بجذيمة التفت فرأى قصيرا على فرسه فى أول القوم فقال لَحازمٌ ما يُجْرِى العصا[٣] . فلم يقف حتى جرت ثلاثين ميلا ثم وقفت فماتت[٤] هناك

---

(١) الـكن : البيت . والضح: الشمس وضوؤها .

(٢) كذا فى نسخ المختار فيكون بمعنى المعرفة . وفى نسخ من الأغانى: والحزم عثراته تخاف وفى بعضها: عيرانة لا تخاف . وفى بعضها مثل ما فى المختار .

(٣) فى طبعة دار الـكتب : «لحازم من يجرى العصا فى أول القوم » وفى طبعة دار الثقافة: الحازم من يجرى العصا فى أول القوم . وفى مجمع الأمثال : ويل أمه حزما على متن العصا .

(٤) فى الأغانى: فبالت . وفى مجمع الأمثال « ثم نفقت » يعنى ماتت، انظر فيه « خطب يسيرفى خطب كبير » .

فبُنى على ذلك الموضع[1] بُرْج وسُمِّى بُرْجَ العَصا ، وأُخِذ جَذِيمة فأُدخل على الزَّبَّاء ، فاستقبلته وقد كشفت عن فَرْجها وإذا هى قد ضفرت الشَّعر عليه ، فقالت : يا جذيمة أَشَوَار عروس[2] ترى؟ فقال: لا بل أَرى مَتاعَ أمةٍ[3] لَكْعاء غير ذات خَفَر. ثم قال: بلغَ المَدَى وجَفَّ الثَّرَى ، وأمْرَ غَدْرٍ أرى . قالت : واللهِ ما ذاك من عَدَم مَوَاس، ولا قِلَّةِ أَوَاس[4] ولكنها شيمةُ أُناس ، ثم قالت لجواريها : خُذن بعَضُد سيّدكنّ ، ففعلن ، ثم دعت بنِطْع وأجلسته عليه ، وأمرتْ بِرَوَاهِشِه[5] فقُطِعت فى طَسْتٍ من ذهب ليسيل دمُه فيه ، وقالت : يا جذيمة لا تُضِيعَنّ من دمك شيئا فإنى أُريده للخَبْل[6] . فقال لها : وما يَحْزُنُك[7] من دم أضاعه أهلُه ؟ وإنما أرادت بذلك أن كاهنا قال لها : إن نقط من دمه شىء فى غير الطست أُدْرِكَ بثأره ، فلم يزل دَمه يجرى فى الطَّست حتى ضَعُف ، فتحرّك فنقطت نقطة من دمه على أُسطوانةِ رخامٍ فمات . والعرب تتحدث أن فى دماء الملوك شِفاءً من الخَبْل. قال [المتلمس] :

من الدَّارِمِيِّين الذين دماؤُهم شِفاءٌ من الداءِ المُجِنَّة والخَبْلِ

وجعلت دمه فى بَرْنيَّة ، وجعلته فى خزانتها. ومضى قصيرٌ إلى عمرو بن عبد الجِنّ التنوخى فقال له : اطلب بدم ابن عمك وإلا سبَّتك العرب ، فلم يحفِلْ بذلك ، فمضى قصير إلى عمرو[8] ابنِ أخت جَذِيمة فقال له : هل لك فى أن أصرف الجنود إليك

---

(١) فى طبعة دار الكتب : الموضع برج يسمى العصا .
(٢) فى طبعة دار الكتب : « أذات عروس » هذا، والشوار : المنظر والزينة .
(٣) فى طبعة دار الثقافة : شوار أمة .
(٤) الأواسى جمع آسية وهى كناية عن الخاتن. والمواسى هى جمع الموسى الذى يحلق به الشعر.
(٥) الرواهش : عروق فى باطن الذراع .
(٦) الخبل: الجنون أو شبهه .
(٧) حزبه الغم : أصابه واشتد عليه. وفى الأغانى: ما يحزنك .
(٨) فى الأغانى : فخرج قصير إلى عمرو .

على أن تطلب بدم خالك[١] . فجعل له ذلك ، فأتى القادة والأعلام فقال : أنتم القادة والرؤساء وعندكم[٢] الأموال والكنوز فانصرف إليه منهم خَلْق[٣] كثير . فالتقى عمرٌو والتنوخيُّ[٤] فلما صافُّوا[٥] القتال تابعه التنوخي ومُلِّك عمرُو[٦] بن عدى . فقال له قصير : انظر ما وعدتنى فى الزّباء، فقال : وكيف وهى أمنع من عُقاب الجوّ؟ فقال : أمّا إذا أبيت فإننى جادع أنفى ومحتال لقتلها فأَعِنّى وخَلاكَ ذمٌّ، فقال له عمرو: أنت أبصر . فجدع قصير أنفه وأذنيه ، ثم انطلق فدخل على الزباء . فقالت له : من أنت ؟ فقال : أنا قصير ، لا ورب البشر ما كان على ظهر الأرض أحد أنصح لجذيمة منى ولا أغش لك حتى جدع عمرُو بنُ عدىٍّ أنفى وأذنى وقال: أنت أشرتَ على خالى بالمسير إليها . وقد عرفتُ أنى لا أكون مع أحد أثقل عليه منك . فقالت : أىْ قصير ، نَقْبل ذلك منك و نُصرِّفك فى بضاعتنا ، فأعطته مالا للتجارة ، فأتى بيت مَال الحِيرة فأخذ مما فيه بأمر عمرو بن عدى ما ظن أنه يرضيها ، وانصرف إليها به ، فلما رأت ما جاء به فرحت وزادته ، ولم يزل بها حتى أنست به ، فقال لها يوما: ليس من ملك ولا ملكة إلا وقد ينبغى أن يتخذ له نفقا يهرب فيه عند حدوث حادثة يخافها ، فقالت : أمَا إنى قد فعلت واتخذت نفقا تحت سريرى هذا يخرج إلى نفقٍ تحت سرير أختى . وأرته إياه ، فأظهر سروراً بذلك ، وخرج فى تجارة كما كان يفعل ، وعرف عمرو بن عدى مافعله فركب عمرٌو فى ألْفَىْ دارِع على ألف بعير فى الجواليق،

(١) فى الأغانى : بثأر خالك .

(٢) فى الأغانى : وعندنا .

(٣) فى الأغانى : بشر .

(٤) فى الأغانى : فالتقى بعمرو التنوخى .

(٥) فى بعض نسخ الأغانى : خافوا .

(٦) فى طبعة دار الكتب : ومالك بن عمرو .

حتى إذا صار إليها تقدم قصيرٌ فسبق الإبل ، ودخل على الزباء فقال لها : اصعدى على حائط مدينتك فانظرى إلى مالك وتقدَّمى إلى بوابك فلا يَعرِضْ لشىء من أعكامنا[١] ، فإنى قد جئت بمالٍ صامت وقد كانت أمِنتْه فلم تكن تتهمه ولا تخافه ، ففعلت كما أمرها[٢] ، فلما نظرت إلى ثقل مشى الجمال قالت : ـ وقيل : إنه مصنوع منسوب إليها ـ :

ما للجمـــال مَشْيُهـا وئيــدا ... أجَنْدَلًا يحملْن أم حَديـــدَا

أمْ صَرَفانًا بارِداً شديـدَا[٣] ... أمِ الرّجالُ جُثَّمـــاً قُعُـــودَا

فلما دخل آخر الإبل نخس البوابُ: عِكْمًا من الأعكام بِمِنخَسَةٍ معه ، فأصابت خاصرةَ رجل فضرط ، فقال البواب: شرٌّ والله عَــكَمْتُمْ فى الجواليق . فثاروا بأهل المدينة ضربا بالسيوف ودخلوا عليها قصرها ، فهربت تريد السَّرَب ، فوجدت قَصيرا قائما عنده بالسيف[٤] ، فانصرفت راجعة ، فاستقبلها عمرو بن عدى بالسيف فضربها ، وقيل : بل مصَّت خاتمها وقالت : بيدى لا بيد عمرو . وأُخربت المدينة ، وسُبِيت الذرارى ، وغنم عمرٌو كلَّ ما كان لأبيها ولها ولأختها .

وقالت الشعراء تذكر ذلك وما كان من قصير فى مشورته على جَذيمة وفى جدع أنفه ، فأكثروا ، فمن ذلك قول عَدِىّ بن زَيدٍ العِبادىّ :

ألا أيهـا المُرْجَى المُرَجِّى[٥] ... ألم تَسْمَع بخطبِ الأوَّلينا

---

(١) الأعكام جمع العكم : وهو العدل أو ما شد وجمع من ثوب أو سواد .

(٢) فى الأغانى : فصعدت كما أمرها .

(٣) الصرفان : الرصاص . والصرفان : الموت .

(٤) جملة « ودخلوا عليها قصرها . . . . عنده بالسيف » ساقطة من طبعة دار الكتب والسرب : الحفير تحت الأرض أى النفق .

(٥) فى الأغانى : ألا يا أيها المثرى المرجى .

دَعَا بالبَقَّةِ الأُمراءَ يـــوما ‏ جَذيمَـــةُ عَصْرَ يَنْجُوهم ثُبِينَا(١)
فطاوَعَ أمرهم وعصى قَصِيراً ‏ وكان يقول ـ لو نفع ـ اليقينا(٢)

وكان جذيمة الملك شاعرا ، وكان يُقال له الأَبرش والوضَّاح ، لبرص كان به ووضَح ، وكان يُعظم أن يسمى بذلك ، فجعل مكانه الأبرش والوضاح ، وهو الذى يقـول :

والمُلْكُ كان لذى نُـوا ‏ سٍ حوله من ذى يُحاَبِرْ(٣)
بالسابغـــات وبالقنـا ‏ والبيض تبرُقُ والمَغافِرْ
أزْمانَ لا مَلِكٌ يُجيـ ‏ ـر ولا ذِمامَ لمن يُجـاوِرُ
أزْمانَ عمـــرانٌ وفَهْـ ‏ ـمٌ منهمُ بـادٍ وحـاضِرْ(٤)
أودَتْ بهم غِـــيَرَ الزما ‏ ن فمُنْجِدٌ منهم وغائرْ

وقال المتلمس يذكر جدع قصير أنفه :

ومن حَـذَرِ الأيام ما جَذَّ أنفَهُ ‏ قَصيرٌ ورامَ الموت بالسيف بَيْهَسُ(٥)

---

(١) ينجوهم: يسارهم بما فى فؤاده من الأسرار والعواطف. وثبين: جمع ثبة ومرفوعها ثبون. والثبة: العصبة من الفرسان. ورواية أخرى بهامش ا ، ك وبعض مخطوطات الأغانى: جذيمة ينتحى عصبا ثبينا .

(٢) فى مطبوع دار الـكتب : لو سمع اليقينا .

(٣) يحابر: اسم أبى قبيلة من اليمن تنسب إليه وهو مراد وفى أغلب نسخ الأغانى تروى يحابر .

(٤) هذا البيت ساقط من مطبوع دار الـكتب .

(٥) فى الأغانى : وخاض الموت بالسيف .

الجعد العُذرى [1]

هو الجَعْد بن مِهْجَع أحد بنى سَلَامان من عُذْرة .

قال حماد الراوية : أتيت مكة فجلست فى حلقة فيها عُمر بن أبى ربيعة ، فتذاكَرُوا العُذريين ، فقال عمر : كان لى صديق من عُذرة يعرف بالجَعْد ، وكان يلقى مثل الذى ألقى من الصَّبابة بالنساء والوجد بهن ، على أنه كان لا عَاهِرَ الخَلْوة ولا سَرِيع السَّلْوة ، وكان يوافى الموسم فى كل سنة ، فغمنى ذاتَ سنة إبطاؤه حتى قدم حُجَّاج عذرة ، فأتيت القوم أَنْشُد صاحبى ، فإذا غلام قد تنفس الصُّعَداء ثم قال : عن أبى المُسْهِرِ تسأل ؟ قلت : عنه أَسألُ وإياهُ أردتُ قال : هيهاتَ ! ! أصبح أبو المُسْهِرِ لا يُوْيَسُ منه فيهمل ، ولا يُرْجى فَيُعَلَّل ، أصبح والله كما قيل :

لعمرك ما حبى لأسماءَ تاركى ... أعيش ولا أَقضِى بـه فأموتُ

فقلت : وما الذى به ؟ فقال : مثل الذى بك من تَهوُّرِكما فى الضلال وجَرِّكما أذيالَ الخسار ، فكأنما لم تسمعا بجنّة ولا نار . قلت : ومن أنت منه ؟ قال : أخوه ، فقلت : أما والله يا ابن أخى ما يمنعك أن تَسلك مَسلك أخيك من الأدب وأن تركب منه مَرْكبه إلا أنك وأنه [2] كالبُرْد والبِجاد [3] لا تَرقعه ولا يَرقعك . ثم صرفتُ وجه ناقتى وأنا أقول:

أرائحةٌ حُجَّاجُ عُـذرةَ وجهةً ... ولمَّا يَرُحْ فى القوم جَعْدُ بن مِهْجَعِ
خليلانِ نشكو ما نلاقى من الهوَى ... متى ما يَقُلْ أسمعْ وإن قُلتُ يَسمعِ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١١/١٦٩ ودار الثقافة ١١/١٥٧ وبولاق ١٠/٥١ والساسى ١٠/٤٨ .

(٢) فى الأغانى : إلا أنك وأخاك .

(٣) البجاد : ثوب مخطط . وفى المختار : « والنجاد » والنجاد : حمائل السيف .

أَلَا ليتَ شعرِى أىُّ شىءٍ أصابــه ... فلى زَفراتٌ هِجْنَ مِن بين أَضْلُعى[1]

فــلا يُبْعِدَنْك اللهُ خِلاًّ وإننى ... سألقى كما لاقيتَ فى الُحبِّ مَصرِعى[2]

ثم وقفت[3] موقفى من عرفات ، فبينا أنا كذلك إذا إنسان[4] قد تغيّر لونه وساءت هيئته ، فأَدنى ناقتَه من ناقتى حتى خالف بين أعناقهما ثم عانقنى وبكى حتى اشتدّ بكاؤه ، فقلت : ماوراءك ؟ فقال : بَرْحُ العَذْلِ وطولُ المَطْلِ ، ثم أنشأ يقول :

لئِن كانتْ عُدَيَّـةُ ذاتَ لُبٍّ ... لقــد عَلِمَتْ بأنَّ الحـبَّ داءُ

ألم تَنظرْ إلى تَغيـــيرِ جسمى ... وأنى لا يفــارقنى البـكاءُ

وإنى لو تــكلَّفت الــذى بى ... تَعَفَّى الـكَلْمُ وانـكشف الغِطاء[5]

وإن معاشرى ورجالَ قــومى ... حُتوفُهمُ الصَّبابةُ واللِّقــاءُ

إذا العُذرِىُّ مات خَلِىَّ دِرْعٍ ... فــذاك العبدُ يبكيه النساء[6]

فقلت: ياأبا المسهِر ، إنها ساعة تُضرب إليها أكباد الإبل من شرق الأرض وغربها ، فلو دعوتَ كنت قَمِناً أن تظفر بحاجتك وأن تُنصَر على عدوّك . فتركنى وأقبل على الدعاء ، فلما تدلَّت الشمس للغروب وانفض الناس سمعته يتـكلم بشىء فأصغيت إليه ، فإذا هو يقول :

---

(١) فى الأغانى : ما بين أضلعى .

(٢) فى الأغانى : فى كل مصرع .

(٣) فى الأغانى : ثم أطلقت حتى وقفت .

(٤) فى الأغانى : إذ أنا بإنسان .

(٥) تعفى : انمحى واضمحل . وفى الأغانى : « لقف الـكلم » وقف : يبس . وفى : الفرج بعد الشدة ص ٤٢٦ نقلا عن الأغانى : لعف .

(٦) فى الأغانى : « يبكيه الرشاء . وكذلك فى : الفرج بعد الشدة .

يارَبَّ كلِّ غَـدْوَةٍ ورَوْحَـهْ من مُحْرِمٍ يشكو الضُّحَى ولَوْحَهْ[١]
أنت حسيبُ الخطْبِ يوم الدَّوْحَهْ[٢]

فقلت له : وما يوم الدَّوْحَة ؟ قال : والله لأخبرنَّك ولو لم تسألنى ، فيممنا نحو مزدلفة فقال : إنى رجل ذو مال كثير من نَعَم وشاء ، وذو المال لا يُصدِرُه القُلُّ ولا يُرْوِيه الثِّماد[٣] وإنى خَشيتُ عاماً أوَّلَ على مالى التلف[٤] ونصر الغيث[٥] أرض كلب ، فانتجعت أخوالى منهم ، فأوسعوا لى عن صدر المجلس ، وسقونى جُمَّة الماء[٦] ، وكنت فيهم فى خير حال ، ثم إنى عزمت على موافقة إبلى بماء لهم يقال له الحَوَدات[٧] ، فركبت فرسى وسَمَطْتُ[٨] خلفى شرابا ، فلما كنت بين الحىّ ومرعى الغنم[٩] رُفِعتْ[١٠] لى دَوْحة عظيمة ، فنزلت عن فرسى وشددته فى بعض أغصانها[١١] ، وجلست فى ظلها ، فسطع غبار من ناحية الحىّ ، ورُفعت لى شُخوص

---

(١) اللوح : التغيير .

(٢) فى الأغانى : أنت حسيب الخلق .

(٣) الثماد : جمع ثمد وهو الماء القليل هذا ، وكلمة « القل » ليست فى الأغانى وموجودة فى : الفرج بعد الشدة .

(٤) جملة « وإنى خشيت عاما أول على مالى التلف » ليست فى الأغانى وموجودة فى : الفرج بعد الشدة .

(٥) نصر الغيث : الأرض عمها بالجود . وفى أصول الأغانى والمختار «ونضر» وهو تحريف وفى نسخة منه : وقطر .

(٦) جمة الماء : معظمه :

(٧) فى الأغانى : الحوذان .

(٨) سمط : علق .

(٩) فى الأغانى : النعم وكذلك فى ت .

(١٠) رفع له الشىء : أبصره من بعيد .

(١١) فى الأغانى : وشددته بغصن من أغصانها .

ثلاثة : فارس يطرد مِسْحَلًا[1] وأتانا ، وعليـه دِرْع صفراء وعمامة خَزٍّ سوداء ، وإذا فروع شعره تَضرِبُ خَصْرَه ، فقلت : غلام حديث عهد بعرس أعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته ، فما جاز عنّى إلا يسيرا حتى طعن المِسحَلَ طعنة وثنّى طعنة للأتان فصرعهما ، ورجع نحوى وهو يقول :

نطعنهمْ سُلْـكَى ومَخلوجـةً ... كَرَّكَ لأْمَيْنِ عـلى نابِلِ[2]

فقلت : إنك تعبتَ وأتعبْتَ ، ولو نزلت استرحت ، فثنى رجله ونزل ، وشدّ فرسه بغُصن من أغصان الشجرة ، وألقى رمحه وجلس ، فجعل يحدّثنى حديثا ذكرت به قول أبى ذُؤَيب :

وإنَّ حـديثا منـــك لو تَبذلينه ... جَنَى النَّحْلِ فى ألبانِ عُوذٍ مَطافِلِ[3]

فقمت إلى فرسى فأصلحت من أمره [ثم رجعت][4] وقد حسر العمامة عن رأسه ، فإذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش ، فقلت : سبحانك اللهم ، ما أعظم قُدرَتك وأحسن صَنعتك . فقال لى : مم ذلك ؟ فقلت : مما راعنى من جمال وجهك وبهرنى من حسنك ، فقال : وما الذى يروعك من حَبِيس التراب وأكيل الدّواب فلا يدرى أينعم أم يبأس ؟ قلت : لا يصنع الله بك إلا خيرا . ثم تحدثنا ساعة فقال : ما هذا الذى سَمَطْتَ فى سرجك ؟ قلت : شراب أهداه إلىّ بعض أهلك ، فهل لك من أرب ؟ فقال : أنت وذاك [فأتيتُه به][4] فشرب منه وجعل يَنْكُت بالسوط

---

(١) بهامش ا ، ك : المسحل : الحمار الوحشى .

(٢) السلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . والمخلوجة : الطعنة المعوجة عن يمين وشمال واللأم: السهم عليه ريش يلائم بعضه بعضا والنابل: صاحب النبل. أى كما ترد سهمين على رام رمى بهما. والبيت لامرئ القيس .

(٣) العوذ: جمع عائذ وهى الحديثة النتاج. والمطافل ذوات الأطفال .

(٤) زيادة من الأغانى.

على ثناياه ، وظِلُّ السوطِ يتبين لى والله فيهن(١) فقلت له : مهلا ، فإنى خائف أن تَكسِرهنّ . فقال : ولم ؟ فقلت : لأنهن رِقاق وهُنّ عِذاب . فرفع عقيرته وغنى :

إذا قبّـلَ الإنسانُ آخَر يَشتهِى ... ثناياه لم يأْثَمْ وكان له أَجرَا

فإن زادَ زاد اللهُ فى حسناته ... مَثاقيلَ يَمحو اللهُ عنه بها الوِزْرَا

ثم قام [إلى فرسه](٢) فأصلح من أمره ورجع ، فبرقت لى بارقة تحت الدّرع ، فإذا نَهْدٌ(٣) كأنه حقٌّ عاج ، فقلت : نَشَدتُك الله أأنت امرأة ؟ قالت : إى واللهِ إلّا أَنى أكره العَشِير العاهر ، وأحب الغزل . ثم جلست وجعلت تشرب معى ما أفقِد من أُنسها شيئاً ، حتى نظرت إلى عينيها كأنها عينا مهاة مذعورة ؛ فما راعنى إلا ميلُها على الدوحة سَكْرَى ، فزُيِّن لى الغَدْرُ وحَسُن فى عينى، ثم إن الله عزّ وجلّ عصمنى منه ، فجلست حَجْرَةً(٤) منها ، فما لَبِسَتْ إلا يسيرا حتى انتبهت مذعورة ، فلاثَتْ عِمامتها برأسها ، وجالت فى مَتْن فرسها وقالت: جزاك الله عن الصحبة خيرا ، فقلت : أتنصرفين ولما تزوِّدينى(٥) منك زادا ؟ فناولتنى يدَها فقبَّلتها ، فشممت منها رائحة المِسك المفتوت ، فذكرت قول الشاعر :

كأنها إذ تقضَّى النومُ وانتبهتْ ... سَيَابَةٌ ما بها عَيْنٌ ولا أَثَرُ(٦)

قلت : وأين الموعد ؟ قالت : إن لى إخوةً شُرْسًا وأباً غيوراً ، ووالله لأنْ أسرّك أحبُّ إلىَّ [من] أن أضرّك . ثم انصرفت ، فجعلت أُتبعها بصرى حتى غابت ،

---

(١) فى الأغانى: فجعل والله يتبين لى ظل السوط فيهن.

(٢) زيادة من الأغانى .

(٣) فى الأغانى : ثدى .

(٤) حجرة : ناحية .

(٥) فى الأغانى : فقلت : أو ما تزودينى .

(٦) السيابة : الخمر . وفى الأغانى « سحابة » وما هنا أحسن وأصح .

فهى يا ابن أبى ربيعة أحلَّتنى هذا المحلَّ . فقلت : يا أبا المُسهِر إن الغدر بك مع ما تذكر لمليحٌ ، فاشتدَّ بكاؤه ، فقلت : لا تبْكِ ، فما قلتُ لك ما قلتُ إلا مازحا ، ولو لم أبلغ فى حاجتك بمَالِى لسعيتُ فى ذلك حتى أقدر عليه . فقال: جزاكَ الله خيرا[١] ، فلما انقضى الموسم شَدَدْتُ على بعيرى وحملتُ عليه قُبَّة حمراء من أَدَم كانت لأبى ، وحملت معى ألف دينار ومِطْرَف خَزٍّ وأتينا بلاد كلب ، وسألنا عن أبى الجارية[٢] ، فوجدناه فى نادى قومه ، وهو سيِّد الحىّ ، والناس حوله ، فوقفت على القوم فسلّمت ، فردّ الشيخ السلام ثم قال : مَن الرجل ؟ قلت : عمر بن أبى ربيعة ، قال : المعروفُ غيرُ المُنْكَر ، ما الذى جاء بك ؟ قلت : خاطبا . قال : الكِفاءُ[٣] والرغبة . قلت : إنى لم آت ذلك لنفسى عن غير زهادة فيك ولا جهالة بشرفك ، ولكنى أتيت فى حاجة ابن أختكم العذرى ، وها هو ذلك ، فقال : والله إنه لَكَفِىءُ الحسَب رفيع النسبِ ، غير أن بناتى لا يقعن إلا فى هذا الحى من قريش ، فوجمت لذلك ، وعرف التغيُّرَ فى وجهى فقال : أما إنى صانع بك ما لم أصنع بغيرك ، فقلت : وما ذاك ؟ فمثلى من شكر قال : أخيِّرها ، فهى وما اختارت ، قلت : ما أنصفتنى إذ تختار لغيرى وتُوَلِّى الخيار غيرك . فأشار إلىَّ العذرىُّ أن دَعْه يُخَيِّرها ، فأرسل إليها إن من الأمر كذا وكذا ، فأرسلت إليه : ما كنت أستبدّ بأمرٍ دون القُرَشىِّ والخيار له فى قوله وحكمه[٤] ، فقال لى : إنها ولَّتْك أمرها ، فاقضِ ما أنت قاض ، فحمدت الله عز وجل وأثنيت عليه وقلت : اشهدوا أنى قد زوجتها من الجعد بن مِهْجع وأصدقتها هذه الألف دينار وجعلت تكْرِمتها العَبْدَ والبعير والقُبَّة . وكسوتُ

---

(١) فى الأغانى : فقال لى خيرا .

(٢) فى الأغانى : فنشدنا عن أبى الجارية .

(٣) الكفاء : المثل والنظير . وفى الأغانى : الكفء .

(٤) فى الأغانى : فى قوله ، حكمه .

الشيخ المطرَف وسألته أن يبنىَ عليــه بها من ليلته ، فأرسل إلى أُمها ، فأبت ذلك وقالت : تخرج بنتى كما تخرج الأَمَة ؟ فقال الشيخ : تحذى[١] فى جهازها ، فما برحتُ حتى ضُربت القُبَّة فى وسط الحريم ، ثم أُهديَتْ إليه ليلا ، وبتُّ أنا عند الشيخ ، فلما أصبحنا أتيت القبة فصبَّحت صاحبى[٢] ، فخرج إلىَّ وقد أثَّر السرور فيــه ، فقلت : كيف كنت بعدى ؟ وكيف هى بعدك ؟ فقال : أبدت لى كثيرا مما كانت تخفيه عنى يوم لقيتها ، فسألتها عن ذلك فأنشأت تقول :

كتمتُ الهوى لما رأيتُك جازعا وقلت فَتًى بعضَ الصديق يُريد[٣]
فورَّيتُ عما بى وفى داخل الحشا من الوَجْد بَرْحٌ ما علمتُ شَديدُ

فقلت : أَقِمْ على أهلك ، بارك الله لك فيهم وانطلقت وأنا أقول :

كَفَيْتُ أخى العــذرىَّ ما كان نابَه وإنى لأعباء النَّوائِبِ حَمَّالُ
أمَا استُحْسِنَتْ منى المكارمُ والعُلا إذا طرقَتْ إنى لمــالِى بَــذَّالُ[٤]

فقال العُذرىُّ :

إذا ما أبو الخطاب خلَّى مكانَه فأُفٍّ لدنيا ليس من أهلها عُمَرْ
فــلا حىَّ فِتيانُ الحجازَيْنِ بعــده
ولا سُقِيَتْ أرضُ الحجــازينِ بالمَطَرْ

(١) فى الأغانى : هجرى فى جهازها .
(٢) صبحه : حياه بالسلام صباحا . وفى الأغانى : فصحت بصاحبى .
(٣) بعده فى الأغانى بيت .
(٤) فى الأغانى : إذا طرحت إنى لمالى بذال .

الْجَحَّافُ السُّلَمِيُّ[1]

(هو الجحَّاف بن حَكِيم) بن عاصم بن قيس بن سِباع بن خُزَاعِيّ بن مَخْلد[2] ابن فالج بن ذَكوان بن ثَعلبة بن بُهْثَة بن سُلَيم بن مَنصور .

ولد بالبصرة ، وهو الذى قال لما أوقع ببنى تغلب يوم البِشْر :

لله درُّ عِصابةٍ صاحبتُهم ... يوم الرُّصافَة مثلُهم لم يُوجَدِ

متقلِّدين صفائحا هِنديَّةً ... يتركْنَ من ضربوا كمن لم يُولَدِ

وغدا الرجالُ الثائرون كأنما ... أحداقهم قِطَعُ الحديد المُوقدِ[3]

وكان السبب فى يوم البشر أن عمير بن الحباب لما قتله بنو تغلب بالحَشّاك ـ وهو إلى جانب الثرثار وهو قريب من تَكْرِيت ـ أتى تميمُ بنُ الُحباب زُفَرَ بنَ الحارث فأخبره بمقتل عُمير ، وسأله الطلب له بثأره ، فكره ذلك وأباه عليهم[4] فسار تميم بمن معه من قيس، وتابعه على ذلك مسلم بن ربيعة[5] العُقيلى ، فلما توجّهوا نحو بنى تغلب لقيهم الُهذيل بن زُفر بن الُهذَيل ، فقال لهم : أين تريدون، فأخبروه بما كان من زفر، فقال: أمهلونى ألقَ الشيخ، فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زُفَرَ فقال له : بئس ما صنعت، والله لئن ظُفِرَ بهذه العصابةِ لعارٌ عليك ، وإن ظَفِروا إنه لأشدّ . قال زفر : فاحبِس علىَّ القومَ وقام زفر فى أصحابه فحرّضهم ، ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوْساً ،

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٢/١٩٨ وانظر ص ١٩٧ ودار الثقافة ١٢/١٩٥ وانظر ١٩٤ وبولاق ١١/٥٧ والساسى ١١/٥٥ والتجريد ١٣٩٦ .

(٢) فى الأغانى : محاربى . وفى المؤتلف والمختلف تحقيق ص ١٠٢ : ابن خزاعى بن محارب ابن هلال بن فالج .

(٣) فى الأغانى : أبصارهم قطع الحديد .

(٤) جملة « وأباه عليهم » ليست فى الأغانى .

(٥) فى الأغانى : مسلم بن أبى ربيعة : وجاء بعد ذلك صحيحا .

وسار حتى أتى الثرثار فدفنوا أصحابهم ثم وجّه زُفَرُ بنُ الحارث يَزيد بن حُمْران في خيلٍ فأسرى[١] إلى بني فدَوْكس[٢] من تغلب ، فقتل رجالَهم واستباح أموالهم، ولم يبقَ في ذلك الحيِّ غيرُ امرأةٍ واحدة يقال لها حُميدة بنت امرئ القيس ، عاذت بابن حُمْرَان ، فأعاذها ، وبعث الهُذيل إلى بني كعب بن زهير ، وبعث مَسلم[٣] ابن ربيعة إلى ناحية أُخرى، فكلٌّ منهم قتل ونهب ، وبلغ ذلك بني تغلب والنَّمِر[٤]، فارتحلوا يريدون عبور دجلة فلحقهم زفر بالكُحيل — وهو نهر أسفل من الموصل — مع المغرب ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقي زفرُ على بغْلٍ له فقتلوهم من ليلتهم وبَقَروا ما وجدوا من النساء ، وكان الذى غَرِق في دجلةَ أكثرَ من الذى قُتِل بالسيف ، وكان الدم في دجلة قريبا من رَمْية سهم [فلم يزالوا يقتلون من وجدوا][٥] حتى أصبحوا ، ودخل زفر دِجلة ، وكانت فيه بُحَّة ، فجعل ينادى ولا يُسمع صوتُه ففقدوه أصحابه[٦] وحسبوا أنه قتل فتَذامروا[٧] وابتغوه وقالوا : إن قُتِل شيخنا فما صنعنا شيئا ، فاتبعوه ، فإذا هو يصيح في الماء بالناس ، وتغلب قد رَمَتْ بأنفسها في الماء ، فخرج من الماء وأقام في موضعه ، فهذه الوقعة الحَرِجيَّة ، لأنهم أحرِجُوا[٨] فألقوا أنفسهم في الماء .

(١) في الأغاني : « فأساء » ويبدو أنها تحريف .

(٢) في المختار : « دوكس » والتصويب من الأغاني والاشتقاق ص ٣٣٨ .

(٣) في المختار : « مسلمة بن ربيعة » وتقدم « مسلم بن ربيعة » وفي الأغاني هنا : مسلم بن ربيعة .

(٤) في الأغاني : « واليمن » وهو يبدو أنه تحريف .

(٥) زيادة من الأغاني .

(٦) كذا في المختار وتكون على لغة أكلوني البراغيث. وفي الأغاني : ولا يسمعه أصحابه ففقدوا صوته . وفي نسخة من الأغاني : فلا يسمع صوته ففقده أصحابه .

(٧) تذامروا : حض بعضهم بعضا على القتال .

(٨) في ا ، ت : أخرجوا .

ثم وجّه يزيدَ بن حُمران وتَميمَ بنَ الحُباب ومسلم بن ربيعة والهُذَيل بن زُفر في جماعة ، وأمرهم ألا يلقوا أحدا إلا قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم وكلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والنهب ، ثم مضى بجماعة من أصحابه يستقبل الشَّمال حتى أتى رأس الأُثَيل ، ولم يخلِّف بالكُحيل أحدا ، والكُحَيل على عشرة فراسخ من المَوْصل فيما بينها وبين الجنوب ، فصَعِد قِبَل رأسِ الأثيل فوجد عسكرا من النمر[1] وتغلب ، فقاتلهم بقيَّة ليلتهم ، فهُزِمت[2] تغلب وصبرت النمر[1] .

هذه الليلة تسميها تغلب ليلة الهَرِير وفي ذلك يقول زُفَرُ بن الحارث :

ولمـــا أن نَعى الناعي عُمَيْراً حسبتَ سماءهم دُهِيَتْ بِلَيْلِ

دُهيت بليل: أي أظلمت نهارا كأن ليلا دهاها أي غشيها[3] :

وكان النجمُ يَطلُعُ في قتـامٍ وخاف الذلَّ من نَمِرٍ سُهَيْـلُ[4]
وكانَ قُبَيْلَها يا أمَّ عَمْرٍو أُرَجِّل لِمَّتي وأجرُّ ذَيْـلى
فـلو نُبش المقـابر عن عُمَيرٍ فيُخْبَرَ مِنْ بلاء أبي الهُذَيْـلِ
غـــداةَ يقارعُ الأبطال حتى جَرَى منهم دماً مَرْجُ الكُحَيْلِ
قَبِـيلٌ يَنهَدُون إلى قَبيـلٍ تَساقَى الموتَ كَيْـلًا بعد كَيْـلِ

وفي ذلك يقول جرير يُعيّر الأخطل :

أنسيتَ يومَـك بالجزيرةِ بعـدما كانت عواقبُه عليـــك وَبالَا
حملتْ عليـك حُمـاةُ قيسٍ خيلَها شُعْثاً عوابسَ تَحمِلُ الأبطـالا

---

(١) في الأغاني : اليمن .
(٢) في الأغاني : فهربت .
(٣) كلمة « أي غشيها » ليست في الأغاني .
(٤) في البيت إقواء وفي الأغاني : من يمن سهيل .

مازلت تحسب كُلَّ شىء بعدهمْ خَيْلًا تكُرُّ عليهمُ ورِجالَا
زُفَرُ الرئيس أبو الهُذيل أَبَارَكم[١] وسَبى الرجالَ وأحرز الأموالا

فلما كانت سنة ثلاثٍ وسبعين ، وقُتِل عبدُ الله بن الزبير ، وهدأت الفتنة ، واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان وتكافَّتْ قيسٌ وتغلب عن المغازى بالشام والجزيرة ، وظنّ كلٌّ واحد من الفريقين أن عنده فضلا لصاحبه ، وتكلم عبد الملك فى ذلك ولم يُحْكِم الصلح فيه ، فبينما هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطلُ عبدَ الملك وعنده وجوه قيس :

ألَا سائلِ الجحَّاف هل هو ثائر بقتلى أُصيبتْ من سُلَيمٍ وعامرِ

يعنى اليوم الذى قتل فيه بنو تغلب عُمَيرَ بنَ الحُباب السُّلَمى[٢] .

أجَحَّاف إن نَهبِطْ عليك فتَلْتقى عليك بُحورٌ طامياتُ الزواخرِ
تكنْ مثل إبداء الحُباب الذى جَرى[٣] بـه البَحْرُ ترميه رِياحُ الصراصرِ

فوثب الجحاف يجرُّ مُطْرَفه وما يَعْلم من الغضب ، فقال عبد الملك للأخطل : ما أحسبك إلا قد أكسبت قومك شرًّا . وقيل : إن الجحاف أجابه فقال :

نعم سوف نبكيهم بكُلِّ مُهَنَّدٍ ونَبكى عُمَيراً بالرِّماح الخَواطِرِ

ثم قال : ظننت أنك يا ابن النصرانية لا تجترئ علىَّ ولو رأيتنى مأسوراً لك . وتوعَّده ، فما بَرِحَ الأخطلُ حتى حُمَّ فقال له عبد الملك : أنا جارك منه . قال : هَبْك أجرْتنى[٤] منه يقظانَ فمن يجيرنى منه نائما . ثم افتعل الجحَّاف عهداً من

---

(١) أبارکم : أهلككم . وفى الأغانى : أبادكم.
(٢) هذا الشرح بين البيتين ليس فى الأغانى .
(٣) إبداؤه : ما أنشأه ويريد بذلك ابنه عميرا . وفى ديوانه : مثل إقذاء الحباب.
(٤) فى الأغانى : « هذا أجرتنى » وظاهر أنه تحريف .

عبد الملك على صَدقات بكر وتغلب ، فصحبه من قومه نحوُ ألفِ فارس ، فسار[١] بهم حتى بلغ الرُّصافة وبينها وبين شطّ الفرات ليلة ، وهى فى قِبْلة الفُرات ، ثم كشف لهم أمره ، وأنشدهم شِعر الأخطل وقال لهم : إنما هو الثأر أو العار ، فمن صَبر فلْيُقدِم ، ومن كَرِه فليرْجِعْ . قالوا : ما بأنفسنا عن نفسك رغبة ، فأخبرهم بما يريد ، قالوا : نحن معك فيما كنت فيه من خير أو شر . فارتحلوا فطرقوا صهر[٢] بعد رُوبَة من الليل[٣] — وهى فى قِبلة الرُّصافَة على ميل[٤] — ثم صبحوا عاجنة الرهُوب[٥] وهو واد لبنى تغلب[٦] فى قِبْلة صهر ، والبشر وهو واد لبنى تغلب فأغاروا على بنى تغلب ليلا فقتلوهم ، وبقروا بطون الحوامل من النساء ، وقتلوا من كانت غير حامل ، وقُتل فى تلك الليلة ابنٌ للأخطل يقال له أبو غِياث، فى ذلك يقول جرير له :

شربتَ الخمر بعـد أبى غِياثٍ ... فلا نَعِمَتْ لك السَّوءاتُ بالَا

ويسمى هذا اليوم يوم البِشر ويوم عاجنة الرهوب ويوم مُخاشِن وهو جبل إلى جانب البِشر ، وقيل : إن الأخطل وقع فى أيديهم وعليه عباءة دنِسة ، فسألوه : من أنت ؟ فذكر أنه عبد ، فأطلقوه ، فقال ابن صعار[٧] فى ذلك :

لم يُنْجِ إلَّا بالتعبُّد نَفسَـــه ... لمـا تيقَّن أنهم قَوْمٌ عِـــدَا

وتشابهت بُرْقُ العَباءِعليهمُ[٨] ... فنَجا ولو عرفوا عباءته هَوَى

---

(١) فى الأغانى : فثار .

(٢) كذا فى المختار وفى ا ، ك فوق الصاد حرف « ط » وفى الأغانى : صهين .

(٣) الروبة من الليل : الطائفة منه ، وضبطت خطأ فى طبعة دار الكتب بالهمزة وفسرت بأنها القطعة .

(٤) فى الأغانى : وبينهما ميل .

(٥) فى الأغانى : الرحوب .

(٦) « وهو واد لبنى تغلب » لم تذكر فى الأغانى وهنا تكررت مع ما سيأتى .

(٧) فى الأغانى : ابن صقار .

(٨) البرق جمع الأبرق : وهو كل شىء اجتمع فيه سواد وبياض .

وصعِد الجحاف الجبلَ فجعل ينادى : من كانت حاملا فإلىَّ ، فصعدن إليه ، فجعل يَبْقَر بطونهنّ . ثم هرب الجحاف بعد فَعلته ، وفرّق عنه أصحابه ولحق بالروم ، فلحقه عُبيدة بن هَمَّام التغلبى ، دون الدُّروب[1] ، فكرّ عليه الجحاف فهزمه وهزم أصحابه وقتلهم ، ومكث زمانا بالروم حتى سكن غضب عبد الملك ، فكلمته القيسية فى أن يؤمنه فلَانَ وتلكأ ، فقيل له : إنا والله لا نأمنه على المسلمين أن يأتى بالرُّوم فأمَّنه ، فأقبل ، فلما قدم على عبد الملك لقيه الأخطل فقال له الجحّاف :

أبا مالكٍ هل لُمْتَنى إذ حَضَضْتَنى ... على القتل أم هل لامنى لك لائِمى[2]
أبا مالك إنى أطعتك فى التى ... حضضت عليها فِعلَ حَرّانَ حازِمِ
فإن تَدْعُنى أخرى أُجِبْك بمثلها ... وإنى لَطَبٌّ بالوَغى جِدُّ عالمِ

فقيل: إن الأخطل قال له : أراك والله شيخ سوء . وقال فيه جرير :

فإنك والجحّاف يوم تحضُّه ... أردت بذاك المُكْثَ والوِرْدُ أَعجَلُ
بكى دَوْبَل لا يُرْقِئُ اللهُ دَمْعَهَ ... ألا إنما يبكى من الذلِّ دَوْبَلُ[3]
وما زالت القتلى تَمورُ دماؤها ... بدِجْلَةَ حتى ماءُ دجلةَ أشكَلُ[4]

فقال الأخطل : مَا لِجريرٍ لعنه الله ! والله ما سَمَّتْنى أُمى دَوْبَلًا إلّا وأنا صبىٌّ صغير . ثم ذهب عنى ذلك . فقال الأخطل :

لقد أوقع الجحَّاف بالبِشْر وقعةً ... إلى الله منها المُشْتَكَى والمُعوَّلُ

---

(١) فى الأغانى : الدرب .

(٢) فى المختار : « لك لائم » فيكون فيه إقواء كالمؤتلف والمختلف ١٠٢ وفى الأغانى كما أثبت، فلا إقواء.

(٣) الدوبل : الخنزير الذكر .

(٤) الأشكل : ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة والكدرة .

فسائِلْ بنى مروان ما بالُ ذِمَّةٍ وحَبْلٍ ضَعِيفٍ لا يَزال يُوَصَّلُ
فإلَّا تغيِّرها قُرَيشٌ بِمَلْكِها يكن عن قريب مُستمازٌ ومَزْحَلُ[1]

فقال عبد الملك : فإلى أين يا ابن النصرانية ؟ قال : إلى النار ، قال : أولى لك[2] لو قلت غير ذلك .

ثم رأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم كأنه لم يُحْكِم الأمر ، فأمر ابنَه الوليد فحمل الدماءَ التى كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمَّن الجحافَ قتلَى البِشْر وألزمه إياها عقوبة له ، فأدى الوليد الحَمَالات ، ولم يكن عند الجَحَّاف ما يَحْمِل ، فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ، لأنه من هوازن ، فسأل الإذن على الحجاج فمنعه فلقى أسماء بن خارجة فعَصَب حاجتَه به ، فقال : إنى لا أقدر لك على منفعة ، وقد علم الأمير بمكانك فأبى أن يأذن لك . فقال : لا والله لا ألزمها غيرك أَنجحَتْ أم أكْدَت ، فلما بلغ الحجاجَ ذلك قال: ما له عندى شىء ، فأَبْلِغْه ذلك فقال: وما عليك أن تكون أنت الذى تؤيسه ، فإنه قد أبى ، فأذن له ، فلما رآه قال : أعهدتنى خائنا لا أبالَك ؟ قال له : أنت سيّد هوازن ، وقد بدأنا بك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين ، وعمالَتُك فى كلّ سنة خَمْسمائة ألف درهم ، ومابك بعدها حاجة إلى خيانة. قال : أشهد أن الله قد وفقك وأنك نظرتَ بنور الله ، صدقت ، ولك نصفُها العامَ ، فأعطاه وأدَّوُا البقيّة .

ثم إن الجحاف تألَّه[3] بعد ذلك واستأذن فى الحج فأذن له، وخرج فى المَشْيخة الذين شهدوا معه، فلبسوا الصوف وأحْرموا وأَبْرَوْا أُنُفَهم أى خزموها، وجعلوا فيها البُرَى[4]،

---

(١) بملكها : بقدرتها والمستماز: الانفصال. والمزحل : البعد. وفى الأغانى: مستراد ومزحل.
(٢) أولى لك : الويل لك .
(٣) تأله : تعبد وتنسك .
(٤) البرى جمع البرة : وهى الحلقة فى أنف البعير .

ومشوا إلى مكة ، فلما قدموا المدينة ومكّة خرج الناس ينظرون إليهم ويعجبون منهم ، قال : وسمع ابنُ عُمر الجحّافَ وقد تعلّق بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم اغفر لى وما أراك تفعل . فقال له ابنُ عمر : يا هـذا لو كنتَ الجَحاف ما زِدتَ على هذا قال : فأنا الجحّاف ، فسكت ، وسمعه محمد بن على بن أبى طالب وهو يقول ذلك فقال : يا عبد الله قنوطُك من عفوِ الله أعظم من ذنبك .

وكان قتل عُمير أن بنى تغلب وقيسا تحاشدوا لما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمرْج راهط ، فكانوا يتغاورون ، فأرسلت تغلب إلى مهاجريها وهم بأذربيجان فأتاهم منها شُعَيب بن مُلَيك[1] فى ألفى فارس . واستنصر عُميرٌ تميماً وأسداً فلم يأته منهم أحد . ولما توجّه شعيب إلى الثرثار نظر إلى دواخن[2] قيس فقال لثعلبة بن نياط : سِرْ بنا إليهم ، فقال له : الرأى أن نسير إلى جماعة قومنا فيكون مقاتلنا واحدا . فقال شعيب : واللهِ لا تحدثت تغلب أنى نظرت دواخنهم ثم انصرفت عنهم ، فأرسل قوما من أصحابه قدّامه . وعمير يقاتل بنى تغلب ، وعلى تغلب حنظلةُ بنُ هَوْبَر ، فجاء رجل من أصحاب عُمَير إليه فأخبره أن طلائع شُعيب أتته ، وأنه قد عَدَل إليه ، فقال عميرٌ لأصحابه : اكْفُونى قتالَ ابن هَوْبَر . ومضى هو فى جماعة من أصحابه فأخذ الذين قدّمهم شُعيب فقتلهم كلهم غيرَ رجل من بنى كعب بن زُهير يقال له قَتَبُ بنُ عُبيد ، فقال له عُمير : يا قَتَب ، أخبرنى مَن وراءك ؟ قال : قد أتاك شُعيب بن مُليك فى أصحابه .

وفارق ثعلبةُ بن نياطٍ شُعيبا ومضى إلى حنظلة بن هَوْبَر وقاتل معه القيسية فقُتِل،

---

(١) كذا فى المختار وأما فى الأغانى فهو مليل فى جميع مواضعه .

(٢) الدواخن : المداخن .

والتقى عُمير وشُعيب فاقتتلوا قتالا شديدا ، فما صُلِّيت العصرُ من يوم الخميس(١) حتى قُتِل شُعيب وأصحابه وقطعت رِجْل شُعيب يومئذ ، فجعل يقاتل وهو يقول :

قد علمتْ قيسٌ ونحن نعلمُ … أن الفتى يَفْتِك وهو أجذم(٢)

فلما قُتِل شُعيب نزل أصحابه وعقروا دوابَّهم ثم قاتلوا حتى قُتِلوا ، فلما رآه عُمير قتيلا قال : مَن سرَّه أن ينظر إلى الأسد عَقِيرًا فها هو ذا . وجعلت تغلب ترتجز وتقول وهى تقاتل :

انْعَوْا إياسا واندُبوا مُجاشعاَ … كلاهما كان كريما فاجعاَ

إيهاً بنى تغلِبَ ضَرْباً ناقعا(٣)

وانصرف عمير إلى عسكره وبلغ بنى تغلب مقتل شُعيب فحميَتْ على القتال واجتمعت لذلك(٤) وتذامرتْ(٥) على الصبر ، فقال محصن بن جُبير(٦) : مضيت أنا ومَن أفلت من أصحاب شعيب بعد العصر ، فأتينا راهبا فى صومعةٍ ، فسألَنا عن خَبرنا ، فأخبرناه ، فأمر تلميذاً له فجاءنا بخرق فداوَى جِراحنا ، وذلك غداةَ الجمعة فأقمنا بمكاننا ، فلما كان آخر ذلك النهار أتانا خبر [مقتل] عمير وأصحابه وهرب من أفلت منهم .

(١) جملة « من يوم الخميس » ليست فى الأغانى .

(٢) الأجذم : الأقطع .

(٣) إيه : اسم فعل للاستزادة . وفى الأغانى : ويه بنى تغلب .

(٤) جملة : « واجتمت لذلك » ليست فى الأغانى .

(٥) تذامرت تحاضت .

(٦) فى الأغانى : محصن بن حصين بن جنجور .

جعفر بن علبة الحارثى (1)

هو جعفر بن عُلْبة بن ربيعــةَ بنِ عَبْدِ يغوث ـ الشاعرِ أسيرِ يوم الــكُلاب ـ ابن معاوية بن صلاءة بن المغفل بن تغلب (2) بن الحارث بن كعب ، كنيته أبو عارمٍ ، وعارمٌ ابنٌ له ذكره فى شعره ، وهو من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، شاعرٌ مقلّ غزل فارس مذكور فى قومه ، وأبوه عُلْبة شاعر أيضا ، وكان جعفر قتلَ رجلًا من بنى عقيل فى شأن أَمَةٍ كانا يزورانها فتغايرا عليها ، وقيل : بل فى غارة [أغارها عليهم] . وقيل : بل كان يُحدِّث نساءهم فنهوه فلم ينتهِ ، فرصدوه فى طريقه إليهن فقاتلوه فقتلَ رجلًا منهم ، فاستعدوا عليه السلطان فأقاد منه (3) .

شرب جعفرُ بن عُلْبَة حتى سكر . فأخذه السلطان وحبسه ، فأنشأ يقول :

لقد زعموا أنى سَــكِرتُ وربما ... يكون الفتى سكرانَ وهو حليمُ
لعمرُكَ ما بالسُّــكر عارٌ على الفتى ... ولــكنَّ عارا أن يقال لئيمُ
أسجنٌ وقيدٌ واغترابٌ وعُسْرةٌ ... وذكــرُ حبيب إنَّ ذا لعظيمُ (4)
وإن امرأً دامت مواثيقُ عهدِه (5) ... على دُونِ ما لاقيتهُ لــكريمُ

خرج جعفر بن عُلْبة الحارثىّ ، وعلىُّ بن جُنْدَب والنّضرُ بن مُضارب وأَغاروا على بنى عُقيل . وخرج بنو عُقيل فى طلبهم ، وافترقوا عليهم فى الطريق التى قدروا

---

(1) الأغانى : دار الــكتب ١٣/٤٥ وانظر ص ٤٤ ودار الثقافة ١٣/٤٤ وانظر ص ٤٣ وبولاق ١١/١٤٦ والساسى ١١/١٤١ والتجريد ١٤٥٤ .

(2) فى الأغانى : بن المعقل بن كعب .

(3) أقاد منه : قتله به .

(4) هذا البيت لم يرد فى الأغانى فى ترجمته .

(5) فى الأغانى : وإن فتى دامت .

أنهم يقصدونها[1] ، ووضعوا عليهم الأرصاد على المضائق ، فكانوا كلما أفلتوا من عصبة لقيتهم أخرى ، حتى انتهوا إلى بلاد بنى نَهْد ، فرجع عنهم بنو عقيل ، وقد ضجروا وملُّوا وقد كانوا قتلوا فيهم حتى لحقوهم ، ورجع جعفر بن عُلْبَة عليهم فصنع فيهم ما صنع ، وقتل منهم قتيلا يقال له خُشَينة وهُزِموا وما وَقفوا له ، ففى ذلك يقول جعفر بن علبة :

ألا لا أبالى بعد يوم بسحْبَلٍ ... إذا لم أُعذَّب أن يجىء حِماميا
تركت بأعلى سَحْبَلٍ ومضيقِهِ ... مُراقَ دمٍ لن يبرح الدهر ثاويا
شفيتُ به غيظى وجُرِّبَ مَوطنى ... وكان سناءً آخر الدهر باقيا
أرادوا ليثنونى فقلتُ تجنَّبوا ... طريقى فمالى حاجةٌ من ورائيا
فدًى لبنى عَمٍّ أجابوا لدعوتى[2] ... شَفَوْا من بنى القَرْعاء عمى وخاليا
كأن بنى القرعاء يوم لقيتهمْ ... فِراخُ القطا لاقَيْن صَقْرا يمانيا
أقول وقد أَجلَتْ من القَوْمِ عَرْكَةٌ[3] ... لِيَبْكِ العُقَيْليِّينَ من كان باكيا
فإن بقُرَّى سَحْبَلٍ لأمارةً ... ونَضْحَ دماءٍ مِنهُمُ ومَحَابيا

المحابى : آثارهم ، حَبوًا : ضعفا من الجراح التى بهم .

ولم أتْرِكْ لى ريبةً غير أننى ... وددت مُعاذًا كان فيمن أتانيا
شَفَيتُ غليلى من خُشينةَ بعد ما ... كَسَوْتُ الهُذَيلَ المَشرفىَّ اليمانيا
أحقًّا عبادَ اللهِ أن لست رائيا ... صَحارِىَّ نجدٍ والرياحَ الذواريا
ولا زائراً شُمَّ العَرانِين يَنْتمى[4] ... إلى عامرٍ يَحلُلْن رملًا مُعالِيَا

(١) جملة « التى قدروا أنهم يقصدونها » ليست فى الأغانى .
(٢) يمكن قراءتها فى ا : فدى لبنى عمرو « ولكن لا توجد واو بعد الراء » .
(٣) العركة : المرة من المعركة . وفى الأغانى : أجلت من اليوم عركة
(٤) فى الأغانى : انتمى .

إذا ما أتيتَ الحارِثيَّات فانْعَنى ‏ ‏ لهنَّ وخبِّرهنَّ أن لا تلاقيا
وقوِّد قَلوصى بينهنَّ فإنها ‏ ‏ ستُبْرِد أكبادا وتُبكى بَواكيَا
أُوَصِّيهمُ ـ إن متُّ يوماً ـ بعارِمٍ ‏ ‏ ليُغْنِيَ شَيْئاً أو يقوم مقاميا(١)

ومما قال أيضاً من أبيات(٢) :

ألَهفِي بِقُرَّى سَحْبَلٍ : حين أَجلبت ‏ ‏ علينا الوَلَايا والعَدُوُّ المُباسِلُ(٣)

قُرَّى : ماء . وسَحْبَل وادٍ التقت فيه بنو عقيل وبنو الحارث بن كعب . والولايا : القبائل جمع ولية . ويروى : أحلبت بالحاء المهملة : أى أعانت .

فقالوا لنا ثِنْتَان لابدَّ منهما ‏ ‏ صدورُ رماحٍ أُشرِعت أو سَلاسِلُ
فقلنا لهم تلكم إذًا بعد كَرَّةٍ ‏ ‏ تُغادر صَرْعَى نَوْءها مُتخاذِلُ(٤)
ولم نَدْرِ إنْ جِضْنَا من الموت جَيْضَةً(٥) ‏ ‏ كم العمرُ باقٍ والمَدى مُتطاول(٦)
إذا ما ابتَدَرْنا مأزِقا فَرَجَتْ لنا ‏ ‏ بأيماننا بِيضٌ جلَتْها الصياقلُ(٧)

ويروى : إذا القوم سدوا مأزقا .

لهم صَدْرُ سيفى يوم بَطحاء سَحْبَلٍ ‏ ‏ ولى منه ما ضُمَّت عليه الأناملُ

---

(١) تقدم أن كنية جعفر هى أبو عارم وعارم ابنه . وفى الأغانى : أو يكون مقاميا .
(٢) القصيدة فى الأغانى ١٣ بيتا .
(٣) فى الأغانى : عشية قرى سحبل إذ تعطفت علينا السرايا . وفى شرح التبريزى للحماسة ١/ ٢٢ مثل المختار .
(٤) النوء : النهوض . وفى الأغانى : نهضها متخاذل . وشرح التبريزى كالمختار .
(٥) هذا البيت لم يجئ فى الأغانى فى ترجمة جعفر بن علبة وجاء فى شرح التبريزى .
(٦) الجيض : العدول والانحراف ، جاض يجيض جيضا والجيضة : اسم مرة منه .
(٧) فى الأغانى : إذا ما رصدنا مرصدا فرجت لنا . وفى شرح التبريزى كالمختار .

ومن شعره أيضا[١] :

لا يكشف الغمَّاءَ إلا ابنُ حُرَّة ... يرى غَمَرَات الموت ثم يزورُها
نقاسِمُهُمْ أسيافنا شَرَّ قسمةٍ ... ففينا غواشِيها وفيهم صدورُها

غواشيها : قوائمها أو أغمادها .

وكان جعفرٌ شجاعا بطلا مقـداما ، وكان مُقدّما فى قومه ، إلا أنه كان قد حبب إليه الغارات على سائر العرب ، وكان يَمضِي ويتلاحق الناسُ فلا يلحقه أحد إلا عطف عليه وأذاقه حِياض الموت ، فلما جرت له هذه الإغارة مع بنى عقيل استعدَوْا عليه السَّرِيَّ بن عبد الله الهاشمى عامل مكة لأبى جعفر ، فوجَّه فطلبهم فما قدر عليهم ، فأخذ عُلْبَة أبا جعفرٍ وحبسه حتى دفعهم وسار من كان معهم إليه ، فأما النضر فاستقُيد منهم ، فلم يكن مطلوبا إلا بجراحة فاستُقِيد منه بها ، وأما علىّ[٢] ابن جُعدَب فإنه احتال بطريقة لطيفة ، وذلك أنه قال لرجل كان يدخل إليه الحبس : احتلّ فى مِبرَدٍ ، فاحتال له فى مبرد وأدخله إليه ، فلم يزل يَبْرُد قيوده إلى أن قطعها وترك السجَّانَ حتى نام ، وأتى إلى باب الحبس وقد أُوثق بالأقفال ففتحها ، وخرج ليلًا[٣] وهم لا يعلمون ، فانتبه السجّان فصادف الأقفال مُفَتّحة والبابُ مفتوحٌ ، فقال : ذهبتُ والله ثم فتّش الحبس فما فقد غير علىّ بن جُعْدَب . فأتى الأمير فعرّفه حيلته ، فعجب من إقدامه وسعة نفسه وشدّة بأسه ، وأمره بطلبه فأعجزه .

(١) هذا النص والبيتان ليسا فى الأغانى فى ترجمة جعفر بن علبة . وورد الشعر فى الحماسة شرح التبريزى عقب الشعر السابق

(٢) فى الأغانى : اختصار ونصه : فأما النضر فاستقيد منه بجراحة وأما على .

(٣) قصة هرب على بن جعدب وحيلته اللطيفة لم تذكر فى الأغانى وكل ما فيه هو وأما على ابن جعدب فأفات من الحبس وأما جعفر بن علبة ..

وأما جعفر بن عُلْبَة فأقامت عليه بنو عُقيل قَسَامَةً[١] أنه قتل صاحبهم ، وأنكر هو ، فقال لهم : إنه يُنكر ، وقد شهدتم عليه ، أفأقتله ودمُه فى رقابكم ؟ فقالوا : نعم أيها الأمير ، فإن الله يشهد علينا وملائكتُه وأنبياؤه ورسلُه أن جعفراً قتل أخانا . فلما سمع ذلك[٢] أُخرِج من الحبْس ليُقْتَل فقال : أيها الأمير أتقتلنى بشهادة هؤلاء الظالمين وهم كاذبون علىَّ ؟ فأمر به فضربت رقبته[٣] .

وقال جعفر وهو فى الحبس بمكة :

هواىَ مع الركب اليمانينُ مطلَقُ ... جَنيبٌ وجثمانى بمكَة موثقُ[٤]

عجبت لمسراها وأنىّ تخلَّصتْ ... إلىَّ رُبابُ السجنِ دونىَ مُغلَقُ

ألمَّت فحيَّت ثم ولَّت فودَّعت ... فلما تولَّت كادت النفسُ تزهَقُ

فلا تَحْسَبى أنّى تخشّعت بعدكم ... لشىءٍ ولا أنى من الموتِ أفرَقُ

ولا أن نفسى يَزْدَهيها وَعيدُكم ... ولا أننى بالمشى فى القَيْدِ أخرَقُ

وكيف وفى كفّى حسام مُذَلَّقٌ[٥] ... يعضُّ بهَامَاتِ الرِّجال ويَعْلَقُ

ولكنْ عرتنى فى هواك صَبابةٌ ... كما كُنتُ ألقى منك إذ أنا مُطلَقُ

فأما الهوى والوُدُّ منى فطامحٌ ... يمانٍ وجُثمانى بمكّة موثَقُ[٦]

---

(١) القسامة : الجماعة يقسمون على الشىء أو يشهدون .

(٢) جملة . « وأنكر هو فقال لهم .. فلما سمع ذلك » ليست فى الأغانى فى ترجمة جعفر .

(٣) جملة : « أخرج من الحبس ليقتل فقال .. فأمر به فضربت رقبته » ليست فى الأغانى فى ترجمة جعفر .

(٤) هذا البيت لم يرد فى الأغانى فى ترجمته وجاء فى شرح التبريزى ج ١ ص ٢٥ وروايته: هواى مع الركب اليمانين مصعد .

(٥) المذلق : المحدد .

(٦) فى الأغانى : إليك وجثمانى

وكان الذى وَلِى ضربَ عُنقِ جعفرِ بنِ علبة نَحْبة بن كِلاب[1] أخو المجنون أحد بنى عامر بن عُقَيل وقال فى قتله إياه :

شفَى النفسَ ماقال ابنُ عُلْبةَ جعفرٌ وقَوْلى له اصبرْ ليس ينفعُك الصَّبْرُ
هَوى رأسُه من حيث كان كما هَوَى عُقابٌ تَدَلَّى طالبـا خَانَه الوَكْرُ[2]
أبا عـارمٍ فينا عُرَام وشـدَّةٌ وبسطةُ أيمـانٍ سواعدُهـا شُعْرُ
همُ ضربوا بالسيف هامـةَ جعفرٍ ولم يُنْجِهمْ بَرٌّ عظيم ولا بَحْرُ
وقُدْناه قَوْدَ البَـكْرِ قَسْراً وعَنْوةً إلى القـبرِ حتى ضمَّ أثوابَـه القَبْرُ

ورثاه أبوه عُلْبة بقصائد ، ويقال إنه قال لامرأته أمِّ جعفرٍ قبـل أن يقتلَ جعفرٌ بيوم :

لعمرُكِ إن الليل يا أُمَّ جعفرٍ عَلَيَّ وإن علَّلْتِنِى لَطويـلُ
أحاذرُأَخْباراًمن القومِ قد دَنتْ ورجعةَ أنفاضٍ لهنّ هَزِيل[3]

فأجابته أم جعفر :

أبا جعفرٍ أسلمت للقوم جَعفراً فمُتْ كمدا أو عش وأنت ذَليلُ

وقيل إن جعفرا كان يزور نساء بنى عُقيل بن كعب ، وكانوا متجاورين هم وبنو الحارث بن كعب ، فأخذته عُقيل وكشفوا دُبر قميصِه وربطوه إلى جمته ، وضربوه بالسياط وكتفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتى كان يتحدث إليهن على ذلك السبيل ليغيظوهن ويفضحونه عندهن ، فقال لهم : يا قوم ، لا تفعلوا ،

---

(١) فى الأغانى : كليب وكذلك فى المؤتلف ص ١٩

(٢) فى الأغانى حرفت القافية : « طالبا جانب الوكر » ففيه إقواء .

(٣) كذا فى المختار . والهزيل لاأعرف توجيهها . والأنفاض تكون من النفائض . وهى الإبل الهزلى أوالتى تقطع الأرض . وفى الأغانى : أنقاض جمع نقض : وهو المهزول من الإبل وفى ا : أيفاض وفى الأغانى : لهن دليل .

فإن هذا الفعل مُثْلَة ، وأنا أحلف لـكم بمـا يُثلج صدورَكم ألا أزورَ بيوتـكم أبدا ولا أَلِجَها . فلم يقبلوا ذلك . قال : فإذا لم تفعلوا فحسبكم مامضى ومُنُّوا علىَّ بالـكفِّ عنى وأنا اعتدُّه نِعْمة لـكم ويداً لا أكفرها أبدا أو فاقتلونى وأريحونى فأكون رجلا آذى قوما فى دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدى النساء ويضربونه ويغرون به سفهاءهم حتى شَفَوْا أنفسهم منه وخَـلَّوْا سبيله . فلم تمضِ إلا أيّامٌ قلائلُ حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ومضى ، فلما كان فى نُقْرة من الرمل أناخ هو وصاحباه ، وكانت عُقيلٌ أقفى خلقِ الله للأثَر ، فاتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه والعقيليُّون مغترُّون ليس مع واحد منهم عصا ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفرٌ وصاحباه فقتلوا رجـلا وجرحوا آخر وافترقوا ، فاستعدت عُقيلٌ عليهم السَّرِىَّ عاملَ المنصورِ عـلى مـكّة ، فأحضرهم وحبسهم ، وقادَ من الجارح ، ودافع عن جعفر ، وكان يُحبُّ أن يدرأ عنه الحدَّ ولخُؤولة أبى العباس السفاح فى بنى الحارث ولأنّ أخت جعفر كانت تحت السرىّ ، وكانت حَظِيَّة عنده ، فتوعَّدُوه بالخروج إلى أبى جعفر والتظلُّمِ إليه ، فخاف العَزْل فدعا بجعفرٍ واقتاد منه فضُربت عنقه . ولما خَرج جعفرٌ ليقتل قال له غلام من قومه : أسقيكَ شربةَ ماءٍ بارد ؟ فقال له : اسكت ، لا أم لك ، إنى إذاً لمِهْياف[1] ، وانقطع شِسْعُ نَعْلِهِ ، فوقف فأصلحه ، فقال له رجل : ما يشغَلُك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقـال :

أشدُّ قِبالَ نَعلى أن يرانى[2]   عَدُوِّى للحوادث مُستَـكينا

(١) المهياف : الذى لا يصبر على العطش . وفى المختار : مهتاف .

(٢) قبال النعل : شسعها .

ولما قُتِل كانت ابنةٌ ليحيي بن زياد بن عُبيد الله الحارثىّ حضرت الموسم فى ذلك العام، فكَفَّنته واستجادت له الكفن وبكته وجميعُ من كان معها، وجعلن يندبنه بأبياته التى يقول فيها :

أحقًّا عباد الله أنْ لستُ رائياً ... صحارِىَّ نجدٍ والرياحَ الذّواريَا

وفى هذه القصيدة يقول :

ولم أترُكْ لى رِيبةً غـيرَ أننى ... ودِدْتُ مُعاذًا كان فيمن أتانيا

فقال معاذ بعد قتله يخاطب أباه ويُعَرِّض له أن جعفرا قُتِل مظلوما لأنهم أقاموا قسامةً كاذبةً عليه حتى قُتل ، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه ، إلّا أن غيظهم على جعفر حَمَلَهم على أن ادّعَوْا عليه القتل حتى قتل :

أباجعفر سَكِّنْ بِحَرّان واحتسب(١) ... أبا عارم والمُسْمَنـاتِ العَوالـيا(٢)

وقوِّدْ قَلُوصا أتلفَ السيفُ ربَّها ... بغيرِ دمٍ فى القومِ إلا تمـارِيَا(٣)

إذا ذكرتْه مُعْصِرٌ حارثيَّةٌ(٤) ... جرى دمعُ عَينيها على الخدِّ صافيا

فلا تَحسَبنَّ الدَّيْنَ يا عُلْبَ مُنسأً ... ولا الثائرَ الحرَّانَ يَنسى التقاضيا

سنقتـل منكم بالقتيل ثلاثة ... ونُغْلى وإن كانت دماء غَواليا

تمنَّيْتَ أن تلقى مُعاذا سفاهةً ... ستلقى معـاذًا والقضيبَ اليمانيـا

---

(١) كذا فى المختار . وفى الأغانى : « أبا جعفر سلب بنجران واحتسب » هذا، والتسليب أصله يكون للنساء وهى لبس ثياب الحداد السود حين يموت الزوج .

(٢) المسمنات : ذوات السمنة .

(٣) التمارى : التكذيب .

(٤) المعصر : الجارية التى بلغت وأدركت .

ولما قُتِل جعفرُ بنُ علبة قام نساء الحىّ يبكين عليه بمكّة ، وقام أبوه إلى كل ناقة له وشاةٍ فنحر أولادها وألقاها بين يديها وقال : ابكين معنا على جعفر ، ليَكُنْ لكنّ معنا نصيب فى الحزن على جعفر[1] فما زالت النُّوق ترغو والشاة تثغو والنساء يصرخن[2] ويبكين وهو يبكى معهن ، فما رُئِى يومٌ كان أوجع من ذلك اليوم ولا أحرّ مأتما فى العرب[3] ، ومكث أبوه على ذلك أياما لا يأكل ولا يشرب باكيا حزينا وأهل الحى معه على ذلك[4] .

(١) « جملة : ليكن لكن معنا . . . على جعفر » ليست فى الأغانى . وفى المختار : ليكن لكم معنا .

(٢) فى الأغانى : يصحن .

(٣) فى الأغانى : فما رئى يوم كان أوجع وأحرق مأتما فى العرب من يومئذ .

(٤) جملة : « ومكث أبوه . . . على ذلك » ليست فى الأغانى .

جعفر بن الزبير(١)

هو جعفرُ بن الزُّبير بن العوَّام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب، أمه زينب بنت بشر بن عبد عمرو من بنى قيس ابن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل .

كان جعفر مُبَخَّلا ما رُئى فى الناس أحد أبخل منه ولا من عبد الله بن الزُّبير خاصة ولم يكن فى بنى الزُّبير جوادٌ غير مصعب .

وشهد جعفرٌ مع أخيه عبدِ الله حروبَه واستعمله عبدُ الله على المدينة ، وقاتل معه يوم قتل عبدُ الله بن الزبير حتى جَمد الدمُ على يده .

وفى ذلك يقول جعفر :

لعمركَ إنى يوم أَجْلَت ركائبى ... لأَطْيبُ نفساً بالِجلاد لدَى الرُّكنِ
ضنينٌ بِمَن خلفى شُجاعٌ بطاعتى(٢) ... طرادَ رِجالٍ لا مطاردةَ الُحصْنِ(٣)

كانت قريش فى المدينة إذا جاء مال الصدقة ادَّان من أراد منهم شيئا(٤) وكتب بذلك صَكًّا عليه ، فيستعبدهم السلطان به ، ويختلفون إليه ويدارونه ، فإذا غضب على أحدهم استخرج ذلك منه ، حتى كان الرشيد هارون فكلّمه عبد الله بن مصعب

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٥ / ٤ ودار الثقافة ١٥ / ٥ وبولاق ١٣ / ١٠٤ والساسى ١٣ / ١٠٠ والتجريد ١٦٠٧ .

(٢) فى الأغانى : شحيح بطاعتى .

(٣) شرح فى الأغانى : الحصن جمع حصان يقول : هذا طراد القتال لاطراد الخيل بالميدان وبعده فى الأغانى بيت .

(٤) فى الأغانى : كان السلطان فى المدينة إذا جاء مال الصدقة أدان من أراد من قريش منه.

صُكوكٍ بقيت من ذلك على غير واحد من قريش ، فأمر بها تُخرَّقت عنهم . وذلك قول جعفر بن الزبير :

وما كنتُ ديَّاناً فقددِنْتُ إذ بدَتْ ... صُكوكُ أميرِ المؤمنين تَدُور

تزوّج جعفر بن الزبير امرأة من خُزاعة وفيها يقول :

هل فى ادِّكارِ الحبيب من حَرَجِ ... أم هل لِهَمِّ الفؤادِ من فَرَجِ
أم كيف أنسَى رحيلنا حُرُماً ... يوم حللنا بالنَّخْل من أَمجِ
يوم يقول الرسولُ قد أذِنت ... فأْتِ على غير رِقْبَــة فَلِجِ
أقبلتُ أسعى إلى رِحالهـــم ... فى نَفحة من نَسيمهـا الأَرِجِ
تُسفِر عن واضحٍ إذا سفرَتْ ... ليس بذى آمةٍ ولا سَمِجِ (١)

كان الحجاج وهو أمير تزوَّج بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، فأتى رجلٌ سعيدَ بن المسيب فذكر ذلك له ، فقال : إنى لأرجو ألا يجمع الله بينهما ، ولقد دعا بذلك داع فابتهل، وعسى الله؛ فإن أباها لم يزوج إلا الدراهم ، فلما بلغ ذلك عبدَ الملك ابن مروان أبرد البريد إلى الحجاج وكتب إليه يُغلظ عليه ويقصِّر به ويذكر تجاوزه قدره ، ويقسم بالله لئن مسها ليقطعن أحب أعضائه إليه ، وأمره بتسويغ أبيها المهر وتعجيل فراقها. ففعل ذلك ، فما بقى أحد فيه خير إلا وسرَّه ذلك ، فقال جعفر بن الزبير فى هذه القصة :

وجدْتَ أمير المؤمنين ابن يوسف ... حَمِيًّا من الأمر الذى كُنْتَ تَنْــكُفُ (٢)
ونُبِّئتُ أن قد قال لما نَــكحتهـــا ... وجاءَتْ به رُسْـلٌ تُخِبُّ وتُوجِفُ

---

(١) الآمة : العيب .

(٢) نـكف أثره ينـكفه : اعترضه فى مكان سهل . وابن يوسف منادى ، أى ياابن يوسف وهنا يريد أن الحجاج اعترض بنت عبد الله بن جعفر بسهولة بسبب سلطانه ودراهمه ودنانيره : وفسرت تنـكف « وكسرت كافها » بأنها تعدل . وفى الأغانى : من الأمر الذى جئت تنكف .

ستعلمُ أنى قد أنِفت لِمَا جَرى ومثلك منهُ – عَمْرَكَ الله – يُؤْنَفُ
ولولا انتكاس الدهرِ ما نال مثلَها رجاؤك إذ لم يَرْجُ ذلك يُوسُفُ
أَبِنْتَ الْمُصَفَّى ذى الجناحين تبتغى لقد رُمت خَطْباً قدره ليس يوصفُ

كان جماعة من قريش مُتَنَحِّين عن المدينة ، فصدر عن المدينة بدوِىٌّ فسألوه : هل كان بالمدينة[1] خبر ؟ قال : نعم ، مات أبو الناس. قالوا: وأَنَّى ذلك ؟ قال: شهده أهل المدينة جميعا وبُكِىَ عليه فى كل دار ، فقال القوم : هذا جعفر بن الزبير ، فجاءهم الخبرُ بعد ذلك أن جعفر بن الزبير قد مات[2] .

---

(١) فى الأغانى : للمدينة .

(٢) إلى هنا انتهت نسخة ا والمراجعة على نسخة ك فقط إلى جانب ت .

(جبلة بن الأيهم[1]

هو من بنى جَفْنَةَ مُلوكِ غَسَّان .

لما أسلم جبلة بن الأيهم كتب إلى عمر رضى الله عنه يستأذنه فى القدوم عليه ، فأذن له فخرج إلى عمر فى خمسمائة من أهل بيته من عك وغسان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يُعلمه بقدومه ، فسُرَّ عمر رضى الله عنه بذلك ، وأمر الناس باستقباله ، وبعث إليه بأنزال[2] ، وأمر جبلة مائتى رجل من أصحابه فلبسوا الديباج والحرير ، وركبوا الخيول معقودةً أذنابها ، وألبسوها قلائدَ الذهب والفضة ، ولبس جبلةُ تاجه وفيه قُرْطَا مارِيَة ، وهى جَدَّتُه ، ودخل المدينة فلم يبق بها بِكْرٌ ولا عانس إلا تبرَّجت وخرجت تنظر إليه وإلى زِيِّه ، فلما انتهى إلى عمر رضى الله عنه رحَّب به وأدنَى مجلسه ، ثم أراد عمر الحجَّ فخرج جبلة معه ، فبينا هو يطوف بالبيت وكان مَشهورا بالموسم إذ وَطِئَ إزارَه رجلٌ من فَزَارة فانحلّ ، فرفع جبلة يده فهشم أنفه فاستعدى عليه عُمَرَ ، فبعث إلى جبلة فأتاه فقال : ما هذا ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه تعمّد حلَّ إزارى ، ولولا حُرمةُ الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد أقرَرْتَ ، فإما أن تُرْضى الرجل وإما أن أُقيده منك . قال جبلة : تصنع بى ماذا[3] ؟ قال : آمر بهشم أنفك كما فعلت . قال : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سُوقة وأنا ملك ؟ قال : إن الإسلام جمعك وإياه ، فلست تفضله

(١) إقرأ عنه لبعض ... فى ... ردع و- الجمال ... صيارفة ... على ... الاسلام

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٥/١٥٧ ودار الثقافة ١٥/١٢٢ وبولاق ١٤/٢ والساسى ١٤/٢ والتجريد ١٦٣١ .

(٢) الأنزال جمع نزل : وهو ما يهيأ للضيف .

(٣) فى الأغانى : ماذا تصنع بى ؟

بشىء إلا بالتُّقَى والعافية . قال جبلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين أنى أكون بالإسلام أعزَّ منى فى الجاهلية . قال عمر : دع هذا عنك ، فإنك إن لم ترضِ الرجل أقدْته منك . قال: إذَنْ أتَنَصَّر ، قال: إن تنصَّرتَ ضربتُ عنقك ، لأنك قد أسلمت فإن ارتددت قتلتك ، فلما رأى جبلةُ الجِدَّ[1] من عمر قال : أنا ناظر فى هذا ليلتى هذه ، وقد اجتمع بباب عمر رضى الله عنه من حىّ هذا وحىِّ هذا خلقٌ كثير ، حتى كادت أن تكون بينهم فتنة ، فلما أمسوا أذن له عمر فى الانصراف ، حتى إذا نام الناس وهدءوا تحمّل جبلةُ بخيله ورواحله إلى الشام ، فأصبحت مكة وهى منهم بَلاقِعُ ، فلما انتهى إلى الشام تَحمَّل فى خمسمائة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية ، فدخل إلى هرقل فتنصر هو وقومه ، فسُرّ هرقل بذلك جدًّا وظنَّ أنه فَتحٌ من الفتوحِ عظيم ، وأقطعه حيث شاء ، وأجرى عليه من النُّزُلِ ما شاء وجعله من محدثيه وسُمَّاره .

وقيل : إنه جرى بينه وبين رجل مَدَنِيٍّ كلامٌ ، فسبَّ المدنىَّ فردَّ عليه ، فلطمه جبلةُ ، فلطمه المدنىُّ ، فوثب عليه أصحابه فقال : دَعُوه حتى أسأل صاحبه وأنظر ما عنده . فجاء إلى عمر فأخبره ، فقال : إنك فعلتَ به فِعلًا فعل بك مثله ، فقال له: وليس عندك من الأمر إلا ما أرى ؟ قال : فما الأمر عندك يا جبلة ؟ قال : من سبَّنا ضَربناه، ومن ضَرَبَناقتلْنَاه، قال : إنما أنْزِلَ القرآن بالقصاص ، فغضب وخرج ودخل بلاد الروم فتنصر ، ثم ندم فقال :

تنصَّرت الأشراف من عارِ لطمةٍ ... وما كان فيها لو صَبَرْتُ لها ضَرَرْ
وياليت لى بالشام أدنى مَعيشةٍ ... أُجالِسُ قومى ذاهِبَ السمْعِ والبَصَرْ
أدِينُ بما دانُوا بـــه من شَرِيعةٍ ... وقد يُجْبَرُ العَوْدُ الضَّجُورُ على الدَّبَرْ[2]

---

(١) فى الأغانى : الصدق .

(٢) العود : المسن من الإبل ، والدبر : الإصابة بالدبرة وهى القرحة تحدث من الرجل .

(ولما ولى معاوية بعث إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ، ووعده الغُوطَة بأمرها ، فأبى ولم يقبل .)

(ثم بدا لعمر رضى الله عنه أن يكتب إلى هِرَقل ملك الروم يدعوه إلى الله عزوجل وإلى الإسلام ، ووجه إليه رجلا من أصحابه وهو جَثَّامة بن مُساحق الكنانى ، فلما انتهى إليه بكتاب عمر أجاب إلى كل شيء سوى الإسلام ، فلما أراد الرجل الانصراف قال له هرقل : هل رأيت ابنَ عمك هذا الذى جاءنا راغبا فى ديننا ؟ قال : لا ، قال : فالْقَه . قال : فتوجهت إليه ، فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أر مثله بباب هرقل ، فلما أدخلت عليه إذا هو فى بهو عظيم ، وفيه من التصاوير مالا أُحسن وصفه ، وإذا هو جالس على سرير من قَوارير وقوائمه أَربعة أُسُد من ذهب وإذا هو رجل أَصهبُ ذُو سِبالٍ وعُثْنُون[1] وقد أمر بمجلسه فاستُقبل به وجهُ الشمس ، فما بين يديه من آنية الذهب والفضة يلوح ، فما رأيت أحسن منه ، فلما سلّمت ردّ السلام ورحّب بى وألطفنى ولاَمَنى على تركى النزول عنده ، ثم أجلسنى[2] على شيء لم أُثبتِه ، وإذا هو كرسى من ذهب فانحدرت عنه ، فقال لى : مالك ؟ فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا ، فقال جبلة أيضا مثل قولى فى النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكرته وصلّى عليه . ثم قال : يا هذا إنك إذا طهَّرت قلبك لم يَضرَّك ما لبسته ولا ما جلست عليه . ثم سألنى عن الناس ، وأَلحفَ فى السؤال عن عمر ، ثم جعل يُفَكر حتى عرفت[3] الحزن فى وجهه ، فقلت : ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام ؟ فقال : أبَعدَ الذى قد كان ؟ قلت : ارتدّ الأشعثُ

(١) السبال : جمع السبلة وهى ما على الشارب من الشعر . والعثنون : اللحية .

(٢) فى الأغانى : أقعدنى .

(٣) فى الأغانى : رأيت .

ابنُ قيس عن الإسلام وضربهم بالسيف ومنع الزكاة ثم رجع إلى الإسلام فتحدثنا مليًّا ثم أومأ إلى غلام على رأسه بشيء ، فولى يُحْضِر ، فما كان إلا هُنَيهة حتى أقبلت الأَخْونة تحملها الرجال ، فوُضِعت ، وجِيءَ بخِوانٍ من ذهب فوُضِع أمامى فاستعفيت منه فوضع أمامى خوانُ خَلَنْج(١) وجاماتُ قوارير ، وأديرت الخمر فاستعفيت منها ، فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرِب فيه خمساً عَدداً ، ثم أومأ إلى غلام فخرج يُحْضِر(٢) ، فما شعرت إلا بعشر جوارٍ يتكسَّرْن فى الحلى والحلل ، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمسٌ عن يساره ، ثم سمعت وسْوسة من ورائى ، فإذا أنا بعشر أفضلَ من الأُوَلِ عليهن الوشى [والحلى] فقعد خمس عن يمينه وخمس عن يساره ، ثم أقبلت جارية على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة ، مؤدب ، وفى يدها اليمنى جامٌ فيه مسك وعنبر قد خُلِطا وأُنعِمَ سَحْقهما وفى يدها اليسرى جام فيه ماء ورد ، فألقت الطائرَ فى ماء الورد فتمعَّك بين جناحيه وبطنه وظهره ، ثم أخرجته فألقته فى جام المسك والعنبر ، فتمرغ(٣) فيه حتى لم يدع فيه شيئاً ثم نفرَّته فطار فسقط على تاج جبلة ، ثم رفرفَ ونفض رِيشه ، فما بقى فيه شىء إلا سقط على جبلة(٤) ، ثم قال للجوارى : أطربْنني ، فخفقْن بعيدانهن يغنين :

لله دَرُّ عصابةٍ نادمتهمْ — يوماً بجلق فى الزمان الأَوَّل
بيض كريمةٌ أحسابهم — شُمُّ الأُنوف من الطراز الأول
يُغشَوْن حتى ما تهِرُّ كلابهمْ — لا يسألون عن السواد المُقبلِ

---

(١) الخلنج : شجر يتخذ من خشبة الأوانى .

(٢) فى الأغانى فولى يحضر .

(٣) فى الأغانى : فتمعك ومعناها تمرغ وكذلك ى ت فتمعك وأثبت ما فى ك .

(٤) بهامش نسخة ك تعليق بخط مختلف ونصه: لا والله إن القيصر الذى كان يخدمه جبلة لا يقدر على ماذكرت لأنى قد تتبعت كتب تواريخهم وأمعنت النظر فى أحوالهم فظهر لى ما عليهم من الضيق والضنك .

فاستهلّ واستبشر وطرِب ثم قال : زِدْنى ، فاندفعن يغنين من أبيات[١] :

لمن الدار أقفرت بمعانى بين شاطى اليرموكِ فالصَّمّانِ[٢]
فالقُرَياتِ من بـلاسٍ فداريّا فسَكّاء فالقصور الـدَّوانى
فحِمى جاسمٍ فأبنية الصُّفّـ ر مَغْنَى قبائلٍ وهِجانِ
ذاكَ مغنى لآل جَفْنَة فى الدا رِ وحَقٌّ تعقُّبُ الأزمانِ
قـد دنا الفِصْحُ فالولائد ينظم نَ سِراعا أَكِلَّةَ المَرْجانِ

ثم قال لى : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا ، قال : هذه منازلنا فى مُلْكنا بأكناف دمشق ، وهذا شعرُ ابنِ الفُرَيعة حسان بنِ ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : أَما إنه مضرور البصر كبير السن . قال : يا جارية ، هاتى . فأتته بخمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج ، فقال : ادفعْ هـذا إلى حسان وأَقرِه منى السلام ، ثم أرادنى[٣] على مثلها فأبيت عليه ، فبكى ثم قال لجواريه : أبكيننى . فوضعن عيدانهن وأنشأن يقلن :

تنصَّرَت الأشرافُ من عارِ لَطمةٍ وما كان فيها لو صبرت لها ضررْ
تَكنفَّنى فيهـا لَجاجٌ ونَخوةٌ وبعت بها العينَ الصحيحةَ بالعَوَرْ
فيا ليت أمى لم تلدنى وليتنى رجعت إلى القول الذى قاله عُمَرْ
ويا ليتنى أرعى المَخاضَ بقفْرةٍ وكنت أسيراً فى رَبيعة أو مُضَرْ
ويا ليت لى بالشام أَدنَى معيشةٍ أجالِسُ قومى ذاهبَ السَّمعِ والبَصَرْ

---

(١) كلمة « من أبيات » ليست فى الأغانى .

(٢) اليرموك والصمان والقريات وبلاس وداريا . . . أماكن . وفى الأغانى بمعان . وفى نسخ منه : بعفان .

(٣) فى الأغانى : ثم راودنى .

ثم بكى وبكيت فنظرت دموعه تجرى[1] على لِحيته كأنها اللؤلؤ . ثم سلمت عليه وانصرفت . فلما قدمت على عمر سألنى عن هرقل وجَبَلة . فقصصت عليه القصة ، فقال : أوَ رأيتَ جبلةَ يشرب الخمر ؟ قلت : نعم ، قال : أبعده الله تعجل فانيةً اشتراها بباقية فما ربحت تجارته ، فهل سرّح معك شيئاً ؟ قلت : سرّح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج ، فقال : هاتها . وبعث إلى حسان ، فأقبل يقوده قائده ، حتى دنا فسلّم وقال : يا أمير المؤمنين إنى لأجد ريح آل جفنة ، فقال له عمر : قد نزَع الله لك منه على رغم أنفه وأتاك منه بمعونة . فانصرف وهو يقول :

إن ابن جفنة من بقيّةِ مَعْشَرٍ — لم يَغْذُهم آباؤهم باللُّـــــومِ
لم ينسنى بالشام إذ هو ربُّهـــا — مَلِــكا ولا متنصِّرًا بالرُّومِ[2]
يُعطى الجزيلَ ولا يَراه عنــده — إلا كبعض عَطِيَّةِ المذمومِ
وأتيته يوما فقرّب مقعدى[3] — وسَقى فروَانى من الُخرْطومِ[4]

فقال له رجل فى مجلس عمر: أتذكر قوما كانوا ملوكا فأبادهم الله عز وجل وأفناهم؟ قال : ممن الرجل ؟ قال : مُزَنى . قال : أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوّقتك طوقَ الحمامِ وقال : ما كان خليلى لِيُخِلَّ بى ، فما قال لك؟ قال : قال لى : إن وجدتَه حيًّا فادفعها إليه وإن وجدته ميتا فاطرح الثياب على قبره وابتعْ بهذه الدنانير بُدْناً فانحرها على قبره . فقال حسان : ليتك وجدتنى ميتا ففعلت بى ذلك .

---

(١) فى الأغانى : حتى رأيت دموعه تجول .
(٢) فى الأغانى : كلا ولا متنصرا .
(٣) فى الأغانى : مجلسى .
(٤) الخرطوم من أسماء الخمر .

(وقيل : إنه قال لرسول معاوية لما وصل إلى هرقل وقد اجتمع به : أترى صاحبك يفي إن خرجتُ إليه؟ قال : قل ما شئتَ لأعرضه عليه . قال: يعطيني الثَّنِيَّة[1] كلّها، فإنها كانت منازلنا، وعشرين قريةً من الغُوطة ، منها دَارِيًّا وبلَاس وسكّا ، ويفرض لجماعتنا ويُحسن جوائزنا . قال : قلت : أُبلغه . فلما قدمت إلى معاوية قال : وددت لو أنك أجبته إلى ما سأل وأجزْته[2] ، وكتب إليه معاوية بأن يُعطيه ذلك ، فوجده قد مات . قال : ودخلت إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت حسان ، فقلت : يا أبا الوليد ، صديقُك جبلة يسلّم عليك ، فقال : هات ما معك . قلت : وما علمك أن معي شيئا ؟ قال : ما أرسل إلى بالسلام قط إلا ومعه شيء . قال : فدفعت إليه المال .)

[قال حسان بن ثابت : أتيت جبلة بن الأيهم الغساني وقد مدحته ، فأذن لي فجلست بين يديه ، وعن يمينه رجل له ضفيرتان ، وعن يساره رجل لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذا[3] ؟ فقلت : أما هذا فأعرفه ، وهو النابغة ، وأما هذا فلا أعرفه . فقال : هو عَلْقمة بن عَبْدَة ، فإن شئت استنشدْتهما وسمعتَ منهما ثم إن شئت أنشدت بعدها ، وإن شئتَ سكتَّ . قلت : فذاك . فأنشده النابغة :

كِلِيني لهمٍّ يا أُميمةَ ناصبِ ۝ وليلٍ أُقاسيه بطيءِ الكواكب

قال : فذهب نِصفي ، ثم قال لعلقمة : أنشد ، فأنشد :

طحا بك قلبٌ في الحِسان طَروبُ ۝ بُعَيْدَ الشبابِ عَصْرَ حان مَشيبُ

فذهب نصفي الآخر ، فقال لي : أنت أعلم الآن ، إن شئت أنشدت بعدهما أو سكتَّ فتشدّدت ثم قلت : لا بل أُنشد . قال : هات ، فأنشدته :

---

(١) الثنية: يراد بها ثنية العقاب وهي مشرفة على غوطة دمشق « انظر معجم البلدان » .

(٢) في المختار : وأحذته .

(٣) كذا في المختار . وفي الأغاني : هذين .

أبنـاء جفنـةَ حول قبر أبيهمُ قبرِ ابنِ ماريةَ الـكريمِ المُفْضِلِ

يسقون من وَردَ البَرِيص عليهمُ(١) كأساً يُصَفَّق بالرَّحيق السَّلْسلِ

يُغْشَوْن حـتى ما تهـِرُّ كلابهمْ لا يَسألون عن السَّوَاد المُقْبلِ

بيضُ الوجوهِ كريمةٍ أحسابهم شمّ الأُنوف من الطراز الأوّلِ

فقال لى: ادنُهْ ادنُهْ ، لعمرى ما أنت بدونهما ، ثم أمر لى بثلاثمائة دينار وعشرة أقمصة ، وقال : هذا لك عندنا فى كل عام .

وقيل: إن هذا إنما جرى لحسان مع عمرو بن الحارث وأنه قدم عليه فاعتاص الوصول إليه ، فقال للحاجب بعد مدة : إن أذنت لى عليه وإلا هجوت اليمن كلَّها وانقلبتُ عنـكم ، قال : فأذن لى فدخلت فوجدت عنده النابغة جالسا عن يمينه ، وعلقمة بن عبدة جالسا عن يساره ، فقال لى : يا ابن الفُرَيعة ، قد عرفتُ عِيصَك(٢) ونسبك فى غسّان ، فارجع فإنى باعث إليك بصلةٍ سنيّة ولا أحتاج إلى الشعر فإنى أخاف عليك هذين السَّبعين : النابغة وعلقمة أن يفضحاك ، وفضيحتُك فضيحتى ، وأنت والله لا تحسن أن تقول :

رقاقُ النعال طيِّبٌ حُجُزاتهُـم يُحَيَّوْنَ بالرَّيحان يوم السَّباسب(٣)

فأبيت وقلت: لابد منه ، فقال : ذلك إلى عَمَّيْك . فقلت لهما : بحق الملك إلَّا قدمتمانى عليـكما ، فقالا : قد فعلنا . فقال عمرو بن الحارث : هاتِ يا ابن الفُرَيعة ، فأنشأت أقول والقلب وجِل(٤) :

أسألتَ رَسْمَ الدارِ أم لم تَسألِ بين الخوافى فالبَضيع فَحَوْمَلِ

---

(١) البريص : اسم نهر دمشق ، وفى المختار البريض .

(٢) العيص : الأصل .

(٣) يوم السباسب : عيد للنصارى يسمونه السعانين .

(٤) جملة « أقول والقلب وجل » ليست فى الأغانى .

فلم يزل عمرو بن الحارث يزْحل عن مجلسه سروراً حتى شاطرنى البيت وهو يقول هذا وأبيك الشعر لا ما تعللانى به منذ اليوم ، هذه والله البتّارة التى قد بترت المدائح ، أحسنت والله يا ابن الفُريعة . قال : هات لى يا غلام ألف دينار مَرْمُوجة وهى التى فى كل دينار عشرة دينار ، فأُعطيت ذلك ، ثم قال : لك علىّ فى كل سنة مثلها ، ثم أقبل على النابغة فقال : قل يا زياد وهات الثناء المسجوع . فقام النابغة فقال : ألا انعِمْ صباحا أيها الملك المبارك ، السماء غِطاؤك . والأرضُ وِطاوك ووالدى فداؤك . والعرب وِقاؤك والعجم حِمَاؤك والحـكماء جلساؤك والمداراة سمِاؤُك[1] والمقاوِل إخوانك ، والعقل شِعارك والسِّلْمُ مَنارُك[2] والحِلْم دِثارك ، والسكينة مِهادك ، والوقَار غِشاؤك ، والبِرُّ وِسادك ، والصِّدق رداؤك، واليُمْنُ حذاؤك ، والسخاء ظِهارَتُك والحَمِيَّةُ بطانَتُكَ ، والعَلاء غايتك[3] ، وأكرم الأحياء أحياؤك، وأشرف الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف النساء حلائلك ، وأفخر الفتيان أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنيان بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك ، وأفسح[4] الدارات داراتك ، وأنزه الحدائق حدائقك ، وأرفع اللِّباس لباسك ، وأدفع الأجناد أجنادك[5] قد حالف الإضريجُ عاتقك ولاءم المِسْك مِسكَك ، وجاور العنبر ترائبك[6] ، وصاحب النعيم جسدك ، العسجد آنيتك ، واللُّجين صحافك ، والعَصْب مناديلك ، والحُوَّارَى

---

(١) فى الأغانى : والمداره سمارك .

(٢) كلمة جملة « والسلم منارك » ليست فى الأغانى

(٣) فى بعض نسخ الأغانى : علابتك .

(٤) فى الأغانى ورواية أخرى بأصل المختار (ا) وأفيح .

(٥) جملة « وأدفع الأجناد أجنادك » ليست فى الأغانى .

(٦) فى الأغانى : تربك .

طعامك ، والشهد إدامُك ، واللذات غذاؤك ، والخُرطوم شرابك ، والأبكار مستراحك ، والشَّرف مُنَاصِفُك[١] ، والخير بفنائك ، والشرُّ بساحة أعدائك ، والنصر مَنوطٌ بلوائك ، والخِذْلان مع ألوية حُسَّادك ، زيَّن قولَك فِعْلُك[٢] ، وطحطح عدوَّك غضبُك وهَزم مقانِبهم جندك[٣] وسار فى الناس عدلك وشاعَ بالنصر ذِكرك ، وسكّن قوارعَ البلاد[٤] ظَفَرُك ، الذهب عطاؤك ، والدواة رَمْزُك ، والأوراق لحظك ، والغِـنَى إطراقُك[٥] ، وألف دينار مُرْموجة إيماؤك ، أيفاخرك المنذرُ اللخميُّ ؟ فوالله اقَفاك خيرٌ من وَجهه ، ولشِمالك أجود من يمينه ، ولأخمَصك خيرٌ من رأسه ، ولخطؤك خيرمن صوابه ، ولصَمْتك خير من كلامه ، ولأُمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه . فهب لى أسارى قومى ، واسترهن بذلك شكرى ، فإنك من أشراف قحطان ، وإنى من سَرَوات[٦] عدنان .

فرفع عمرٌو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه فقال : مثلُ هذا فليُثْنِ[٧] على الملوك ومثلُ ابن الفُريعة فليمدحهم . وأطلق له أسرى قومه . وقيل : إن عمرو ابن الحارث قال : اجعل المفاضلة بينى وبين المنذر شعرا فإنه أَسْيَر فقال :

ونُبّئتُ أن أبا مُنـذرٍ ... يُساميك للحدَثِ الأكْبر

---

(١) فى الأغانى : « والأشراف مناصفك » والمناصف الخدم .

(٢) فى الأغانى : « والبر فعلك » .

(٣) فى الأغانى : مشهدك .

(٤) فى الأغانى : قوارع الأعداء .

(٥) فى الأغانى : والأوراق لحظك وإطراقك .

(٦) تفسير الألفاظ اللغوية : الإضريج : كساء أصفر أو الخز الأحمر : المسك : الجلد . العصب : ضرب من البرود . الحوارى : لباب الدقيق . الخرطوم : الخمر السريعة الإسكار . طحطح : بدد وأهلك المقانب : جماعة الخيل . شسع : بعد . الأوراق : الدراهم . السروات : السادة .

(٧) فى الأغانى : بمثل هذا فليثن .

قَذالك أحسن من وَجهه وأمُّك خـيرٌ من المُنذرِ
ويسراك أجودمن كف اليمين فقـولا له أخِّرِ

كان حسان بن ثابت يَفِد(١) على جبلة بن الأيهم سنة، ويقيم فى أهله سنة، فقال: لو وفدت على الحارث بن أبى شمْـر الغسانى فإن له قرابة ورحما بصاحبى، وهو أبذل الناس للمعروف وقد ايئس من أن أفد عليه لما يعرف من انقطاعى إلى جبلة. قال: فخرجت فى السنة التى كنت أقيم فيها بالمدينة حتى جئت الحارث، وقد كنت هيَّأت له مديحا، فقال له حاجبه — وكان قد خَالَّنى وكان لى ناصحا —: إن الملك قد سُرَّ بقدومك عليه، وهو لا يدعك حتى تذكر جَبَلة، فإياك أن تقع فيه، فإنه إنما يختبرك، فإن رآك قد وقعتَ فيه زهدك، وإن ذكرت محاسنه ثقلت عليه، ولا تبتدئ بذكره فإن سألك عنه فلا تُطْنِب فى الثناء عليه، ولا تَعِبْه، وامْسَحْ ذِكرَه مَسحاً وجاوِزْ إلى غيره، فإن صاحبك — يعنى جبلة — أشدُّ إغضاء من هذا وأشد تغافلا وأقل حَفْلا به، وذلك أنه أعقل من هذا، وليس لهذا بيان، وإذا دخلت عليه فسوف يدعوك إلى الطعام، وهو يثقل عليه أن يُؤكَل طعامُه ولا يبالى بالدرهم والدينار، ويثقل عليه أن يُشْرَب شرابُه أيضا، فإن وُضِع طعامُه فلا تَدْنُ منه حتى يدعوك.. وإذا دعاك فأَصِبْ بعض الإصابة. قال: فشكرت لحاجبه ذلك ثم دخلت عليه فسألنى عن البلاد وعن الناس وعن عيشنا بالحجاز وعن رجال يهود وكيف ما بيننا من تلك الحروب، وكل ذلك أخبره، حتى انتهى إلى ذكر جبلة فقال: كيف تجد جَبلة فقد انقطعت إليه وتركتنا؟ فقلت: إنما جبلة منك وأنت منه، ولم أجرِ معه إلى مدح ولا ذمّ، وجاز ذلك إلى غيره، ثم قال: الغداءَ، فأتى بالطعام وَوُضِـع، فوَضع يده فأكل أكلا شديدا، وإذا رجل جَبَّار، فقال: بعد ساعة ادْنُ فأَصِبْ من هذا، فدنوت فخطَّفت تَخطيفا، ثم رُفع

---

(١) فى الأغانى: يفد.

الطعام وجاء وُصفاءُ كثيرٌ عددهم ، ومعهم أباريق ، وفيها ألوان الأشربة ، ومعهم المناديل ، فقاموا على رءوسنا ، ودعا أصحابَ برابطَ[1] من الروم ، فأجلسهم ، وشرب فألْهَوْه ، وقام الساقى على رأسى فقال : اشربْ ، فأبيت حتى قال هواشرب ، فشربت ، فلما أخذ فينا الشراب أنشدته شعرا فأعجبه ولَذَّ به ، وأقمت عنده أياما ، فقال لى حاجبه: إن له صديقا هو أخفُّ الناس عليه ، وهو جاءٍ فإذا جاءه جفاك وخصَّ به[2] وقدقرب قدومه[3] ، فاستأْذِنْه قبل أن يَقْدَم عليه ، فإنه قبيح أن يجفوك بعد الإكرام . قلت: ومن هو ؟ قال: نابغة بنى ذُبيان . قال: فقلت للحارث إن رأى الملك أن يأذن لى فى الانصراف إلى أهلى فعل . قال : قد أذنت لك وأمر لى[4] بخمسمائة دينار وكُساً وحُمْلان ، فقبضتها وقدم النابغة ورجعت إلى أهلى .

(١) البرابط : آلات ذات أوتار .

(٢) فى الأغانى : وخلص به .

(٣) فى الأغانى : وقد ذكر قدومه .

(٤) فى الأغانى : وأمرت لك .

جُويرية أمُّ حكيم (١)

هى جُويرية بنت خالد بن قارظ الكِنانية، كُنيتها أمّ حكيم ، وليست هى صاحبة الكأس ، وقد ذكرت تلك فى حرف الألف وهى زوجة عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، كان بُسْر بن أرطاةَ قتل ولديها عبدَ الرحمن وقُثَم ابنى عُبيد الله بن العباس، فأصيبت بهما ، وكانت لا تعقل ولا تصغى إلى قول من أعلمها أنهما قتلا ، بل كالوالهة عليهما ، وكان سبب قتلهما أن معاوية بن أبى سفيان كان بعث بُسْر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى بعد تحكيم الحَكَمين ، وعلىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه حَىٌّ يومئذ، وبعث معه جيشا ، ووجه برجل من عامر (٢) وضم إليه جيشا آخر ، وأمرهم أن يسيروا فى البلاد فيقتلوا من وجدوا من شِيعة علىٍّ عليه السلام وأصحابه ويغيروا على سائر أعماله. فمضوا لوجوههم يشنون الغارات على عمله ، ويقتلون أصحابه ، ولا يكفُّون أيديهم عن النساء والصبيان ، فمر بُسْر على وجهه حتى أتى المدينة فقتل بها ناساً من أصحاب على ، وهدم بها دورا ، ومضى إلى مكة فقتل بها نفراً ، ثم أتى السَّراة فقتل من بها من أصحابه ، وأتى نَجران فقتل عبد الله بن عبد المَدان الحارثى وابنه ، وكان من أصهار بنى العبّاس ، ثم أتى اليمن وعليها عُبيد الله بن العباس عاملا لعلى بن أبى طالب عليه السلام وكان غائبا ، وقيل : بل هرب لمّا بلغه خبر بُسْر فلم يصادفه بُسْر ، ووجد ابنين له صَبِيّين ، فأخذهما وذبحهما ذبحاً بمُدية كانت معه (٣) ، ثم انكفأ راجعا إلى معاوية

(١) الأغانى دار الثقافة ١٦ / ٢٠٠ ـ ٢٠٦ وبولاق ١٥ / ٤٧ والساسى ١٥ / ٤٢ والتجريد ١٧٤١

(٢) كذا فى الأغانى والمختار : وانظر شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١١٨ غامد .

(٣) بهامش المخطوط ك تعليق بخط مختلف : لعنه الله تعالى ولعن من يعاونه على ذلك سوف ترى سيجلى الغبار هل فرس تحتك أم حمار وسيعلم الظالمون لمن عقبى الدار « وكتبها وسيعلموا الظالمون » (٢٢ / ٢ مختار الأغانى)

وفعل مثل ذلك سائرُ من بعث به فقصد العامرىُّ(١) الأنبار فقتل حسّان بن حسان البكرىَّ، وقتل نساء ورجالا من الشيعة ، فبلغ ذلك علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فخرج حتى رقى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال : أما بعد، (فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذِّلّة وشمِله البلاء)، وسِيم الخسْف ودُيِّثَ(٢) بالصَّغار ، وقد قلت لكم (اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فإنه لم يُغْزَ قوم فى عُقر دارهم إلّا ذلوا) فتواكلتم وتخاذلتم ، وتركتم قولى وراء ظهوركم حتى شُنَّت عليكم الغارات ، هذا أخو بنى عامر قد جاء إلى الأنبار ، فقتل عاملى عليها حسانَ بنَ حسان ، وقتل رجالا كثيرا ونساء ، والله لقد بلغنى أنه كان يأتى المرأة المسلمة أو المعاهدة فينزع حِجْلها ورِعاثها(٣) ثم ينصرفون مَوْفورين(٤) لم يُكْلَم أحدٌ منهم كَلْما(٥) وإن امرأ مسلما مات من دون هذا أسفا لم يكن عليه ملوما ، بل كان به جديرا ، يا عجبا عجبا يميت القلب ويُشعِل الأحزان من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم ، حتى صِرتُم غَرَضًا تُرْمَوْن ، تُغزَوْن ولا تَغزُون ، ويُعصَى اللهُ وتَرْضَون : إذا قلت لكم اغزوهم فى الصيف(٦) قلتم حَمَّارة القَيْظ [فأمهلنا] وإن قلت لكم اغزوهم فى الشتاء قلتم هذا بَرْدٌ وقُرٌّ فأمهِلنا ، فإذا كان كنتم من الحر والبرد تفرّون ، فأنتم والله من السَّيف أشدُّ فرارا ، (يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا طغام الأحلام وعقولَ ربّات الحِجال ، وددت والله أنى لم أعرفكم ، ووددت والله

---

(١) فى شرح نهج البلاغة : الغامدى وكذلك فيما سيأتى .

(٢) ديث : ذلل . وفى الأغانى : ريب . ومعناها تعرض له غيره وأزعجه .

(٣) الرعاث جمع الرعثة وهى القرط .

(٤) فى المختار موفورون .

(٥) الكلم الجرح وكلمه: جرحه .

(٦) فى الأغانى : فى الحر .

أنى لم أركم ، والله لقد تجرَّعت منكم ندماً وملأتم جوفى غيظا بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش : ابنُ أبى طالب شجاع ولكن لا عِلم له بالحرب ، ويحهم هل فيهم أشد مِراسا للحرب منى ؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابنُ العشرين ، وأنا الآن قد نيَّفْت على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أنا كما قال الله عز وجل « لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي »(١) فمرنا بأمرك فوالله لنُطيعَنَّ أمرَك ولو حال بيننا وبينه جمرُ الغَضا وشوك القتاد . فقال : وأين تبلغان مما أريد ؛ ثم نزل .

كتب عَقِيل بن أبى طالب إلى أخيه علىٍّ عليهما السلام : أما بعد ، فإن الله عز وجل جارُك من كل سوء ، وعَصَمك من المكروه ، وإنى خرجت مُعتمراً ، فلقيت عبد الله بن أبى سَرْح فى نحو أربعين رجلا من أبناء الطُّلَقاء ، فقلت لهم وقد عرفت المنكر فى وجوههم: ياأبناء الطُّلَقاء ، العداوةَ واللهلنامنكم غير مستنكرة قديماً تريدون بها إطفاءَ نور الله وتغييرَ أمره ، فأسمعنى القومُ وأسمعتهم ، ثم قدمت مكةَ وأهلُها يتحدَّثون أن الضحَّاك بن قيس أغار على الحيرة ، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء ثم انكفأ راجعا ، فأُفٍّ لحياةٍ فى دهر جرَّأ عليك الضحاك ، فقد بلغنى أن أنصارك خاذلوك ، فاكتب إلَيَّ يا ابنَ أُمّ برأيك ، فإن كنتَ الموتَ تُريد تحمَّلْت إليك ببَنى أبيك وولد أخيك فعِشْنا ما عشتَ ومتنا معك ، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فُواقاً(٢) ، فأقسم بالله الأعزّ الأجلّ إن عيشاً أعيشه بعدك فى هذه الدنيا لعيشٌ غيرُ هَنِيءٍ ولا مرىءٍ والسلام . فأجابه علىٌّ رضى الله عنه : أما بعد كلأنا الله

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٥ .

(٢) الفواق : فترة من الوقت قدرها ما بين حلبتين وقيل مقدارمابين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع .

وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد . فقد قدم علىَّ عبدُ الرحمن بن عبدٍ[1] الأزدِىّ بكتابك تذكر فيه أنك لقيت ابن أبى سَرْحٍ مُقبلا من قُدَيد فى نحو أربعين شابا من أبناء الطلقاء وإن بنى سرح[2] طالما كادوا الله ورسوله وكتابه وصدُّوا عن سبيله وبَغَوْها عِوَجا . فدع بنى أبى سرح[3] عنك ، ودع قريشا وتَرْكاضهم فى الضلالة وتَجْوالهم فى الشّقاق ، فإن قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقه ، وجحدوا فضله ، وبادَوْه بالعداوة ، ونَصبوا له الحرب ، وجَهِدوا عليه كلَّ الجهد ، وساقوا إليه خَسِيس الأَمَرَّيْن[4] ، اللهم فاجْزِ قريشاً عنى الجوازى ، فقد قطعَتْ رَحِمى ، وتظاهرت علىَّ ، والحمد لله على كل حال ، وأما ما ذكرت من غارة الضحَّاك على الحِيرة ، فهو أقلّ وأذلّ من أن يقرب الحيرة ، ولكنه جاء فى خيل جَريدةٍ ، فلزِمَ الظَّهر ، وأخذ على السَّماوة ، فمرَّ بواقِصَة وشَرَافِ وما والى ذلك الصُّقع ، فسرَّحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين ، فلما بلغه ذلك جاز هاربا ، فأتبعوه فلَقُوه ببعض الطرق وقد أمعن فى السير ، وقد طَفَلَتِ الشمسُ للغروب[5] فاقتتلوا شيئاً كلا ولا ، فولى ، ولم يصبر ، وقُتل من أصحابه بضعةَ عشرَ رجلًا ، ونجا جريحا[6] . وأما ما سألت عنه من أن أكتب إليك برأيى فإن رأيى قَتْلُ المُحِلّين حتى ألقى الله عز وجل ، لا تزيدنى كثرة الناس حولى عِزَّة ، ولا تفرُّقهم عنى وَحْشة ، لأنى مُحِقٌّ ،

---

(١) فى الأغانى : عبيد .

(٢) فى الأغانى : وأنك تنبئ عن ابن أبى سرح طالما كاد .

(٣) فى الأغانى : ابن أبى سرح

(٤) فى الأغانى : « جيش الأمرين » وهنا الصواب .

(٥) فى الأغانى : للإياب .

(٦) فى الأغانى « جريضا » . والجريض المشرف على الهلاك .

والله مع الحق وأهلِه ، وما أَكْرَهُ الموتَ مع الحق ، وما الخير كلُّه إلا بعد الموت لمن كان مُحِقًّا . وأما ما عرضته علىّ من مسيرك إلىَّ ببنى أبيك وولد أخيك فلا حاجة لى فى ذلك ، فأقم راشداً مهديًّا ، فوالله ما أُحبُّ أن تهلكوا معى إن هلكت ، ولا تحسبَنَّ ابن أبيك لو أسلمه الناسُ مُتضرِّعا مُتخشِّعا ولكنى أقول كما قال أخو بنى سُلَيم (١) :

فإن تَسْأَلِينى كيف أنتَ فإننى ... صبورٌ على رَيْبِ الزمان صَلِيبُ
يَعزُّ علىَّ أنْ تُرى بى كآبةٌ ... فيشمتَ عادٍ أو يُساءَ حَبيبُ

وأما بسر بن أرطاة فإنه لما كرَّ راجعا وانتهى خبره إلى علىٍّ رضى الله عنه وأنه قتل عبد الرحمن وقُثَم ابنى عبيد الله بن العباس سَرَّح حارثةَ بنَ قُدامة السعدىَّ فى طلبه ، وأمره أن يُغِذَّ (٢) السير فى طلبه ، فخرج مسرعا ، فلما وصل إلى المدينة انتهى إليه مقتلُ علىٍّ رضى الله عنه وبيعةُ ابنه الحسن ، فركب فى السلاح ، ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن فامتنعوا ، فقال : والله لتُبايِعُنَّ ولو بأستاهكم ، فلما رأى أهل المدينة الجِدَّ منه بايعوا الحسنَ ، وكرَّ راجعا إلى الكوفة وأُصيبتْ أمُّ حكيم فى ولديها ، فكانت والهة تطوف فى المواسم تُنْشِدُ الناسَ ابنيها بهذه الأبيات :

يا مَنْ أحسَّ بِابْنَىَّ اللَّذَيْنِ هما ... كالدُّرَّتين تَشَظَّى عنهما الصَّدَفُ
يا من أحسَّ بِابْنَىَّ اللذين هما ... سَمْعِى وقلبى فقلبى اليوم مُخْتَطَفُ
يا من أحسَّ بِابْنَىَّ اللذين هما ... مُخُّ العظام فمُخِّى اليومَ مُزْدَهَفُ (٣)
نُبِّئْتُ بُسْراً وما صَدَّقتُ ما زَعموا ... من قولهم ومن الإفك الذى اقترفوا

---

(١) هو صخر أخو الخنساء .
(٢) أغذ السير : أسرع .
(٣) مزدهف : مهلك .

أنْحَى على وَدَجَىْ إبْنَىَّ مُرهفةً ... مَشْحوذةً وكذاك الإفْكُ يُقترف[1]
حتى لَقِيتُ رجالًا من أَرُومَتِه ... شُمَّ الأُنوف لهم فى قومهم شَرَفُ
فالآنَ أَلعن بُسْراً حقَّ لعنته ... هذا لعَمْرُ أبى بُسْرٍ هو السَّرَفُ
من دلَّ والهةً حَيْرَى مُدَلَّهةً ... على صَبيَّيْنِ ضَلَّا إذ غدَا السَّلَفُ

ولما بلغ عليًّا قتلُ الصبيين جزع لذلك جزعا شديدا ، ودعا على بسر فقال : اللهم اسْلُبْه دِينه ولا تُخرِجه من الدنيا حتى تَسلُبَه عَقْلَه . فأصابه ذلك وفقدَ عَقْلَه ، فكان يَهْذِى بالسيف ويطلبه ، فيُؤْتَى بسيف من خشب ويُجعَل فى يديه زِقٌّ منفوخ ، فلا يزال يضرب به حتى يسأم . ثم مات .

ولما استقرَّ الأمرُ على مُعاويةَ دخل عليه عُبيد الله بن العباس وعنده بسر بن أرطاة فقال له عبيد الله : أنت قاتل الصَّبِيَّين أيها الشيخ ؟ فقال بُسْر : نعم أنا قاتلهما . فقال عبيد الله: أما واللهِ لوددْتُ أن الأرض كانت أَنْبتَتْنى عندك . فقال له بسر : قد أنبتتك الآن عندى . فقال عبيدالله: ألَا سيفٌ ؟ فقال له بُسر : هاكَ سيفى ، فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لبسر : أخزاكَ الله شيخا قد كبرتْ سِنُّك وذهب عقلك[2] ، تعمِدُ إلى رجل من بنى هاشم قد وترته وقتلت ابنيه تدفع إليه سيفك ؟إنك لغافل عن قلوب بنى هاشم ، والله لو تمكّن منه لبدأ بك ثم ثَنَّى بى . فقال : لا والله ، بل بدأتُ بك وثَنَّيْتُ به[3] .

قال الأصمعىّ : سمع رجل من أهل اليمن ـ وقد قدم مكةَ ـ جويريةَ امرأةَ عُبيدالله ابن العباس تندب ابنيها بقولها :

---

(١) فى الأغانى : وكذاك الإثم يقترف .
(٢) فى الأغانى : قد كبرت وذهب عقلك .
(٣) فى الأغانى : لبدأ بى قبلك فقال عبيد الله : أجل والله ثم لثنيت به .

يا من أَحَسَّ بِابْنَيَّ اللذين هما كالدُّرتين تشَظَّى عنهما الصَّدَفُ

فرقّ لها وتوصَّل إلى أن اتصل ببُسرٍ وحدَّثه ، فلما وَثِق به احتال لقتل ابنيه ، فخرج بهما إلى وادى أَوْطاس فقتلهما وهرب وقال :

يا بسرُ بُسْرَ بنى أرطاةَ ما طَلعتْ شمسُ النهار ولا غابتْ على الناسِ
خــيرٌ من الهاشمِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ هما عينُ الهدى وسِمَامِ الأَشوسِ القاسى
ماذا أردتَ إلى طِفْــلَيْ مُدلَّهَــةٍ تبكى وتندُب من أثـكَلْتَ فى الناس
فاشرَبْ بكأسهما ثُـكْلًا كما شربتْ أمُّ الصبيَّيْنِ أو ذاقَ ابنُ عَبَّاسِ (١)
إما قتلتهما ظُلْماً فقـد شَرِقَت من صاحِبَيْك قَناتى ويوم أَوْطَاسِ

(١) هذا البيت جاء آخرا فى الأغانى . وبهامش نسخة ك رواية أخرى : أم الصبيين أولاد ن عباس .

(جُعيفرانُ المُوسْوِس)(1)

هو جَعفر بن علىّ بن أصْفر بن السرى بن عبد الرحمن الأنبارى من ساكنى سُرّ من رأى . ومولده ومنشؤه ببغداد ، وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانيين يتشيّع ويُكثر لقاء أبى الحسن علىّ بن موسى بن جعفر عليهم السلام ، وكنيته أبو الفضل ، (وكان جعيفران أديبا شاعرا مطبوعا) وغلبت عليه المِرّة السوداء فاختلط وبطل فى أكثر أوقاته ومعظم أحواله ، وكان إذا أفاق وثاب إليه عقله وطبعه قال الشعر الجيد وكان أهله يزعمون أنه من العجم من ولد أُذَيْن. وكان أبوه دِهْقان الكَرْخِ ببغداد ، فظَهر على ابنه جُعَيفران أنه خالفه إلى جارية له سُرِّيّة ، فطرده عن داره وشكاه إلى موسى بن جعفر ، فقال له موسى : إن كنت صادقا فليس يموت حتى يفقد عقله ، فلا تساكِنْه فى منزلك ، ولا تطعمه شيئا من مالك فى حياتك ، وأَخرِجه عن ميراثك وسأل الفقهاء عن حِيلة يُشهد بها فى ماله حتى يخرجه عن ميراثه ، فدلُّوه على السبيل إلى ذلك ، فأشهد به ، وأوصى إلى رجل ، فلما مات حاز الرجلُ ميراثَه ومنع منه جعيفران ، فاستعدى عليه أبا يوسف القاضى ، فأحضر الوصىَّ وسأل جعيفرانَ البيِّنَة على نسبه وتَركة أبيه ، فأقام على ذلك بَيِّنة عُدُولًا ، وأحضر الوصىُّ بَيِّنة عدولًا على الوصية يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه ، فلم ير أبو يوسف ذلك شيئا ، وعزم على أن يورثه ، فدافعه الوصىُّ عن ذلك مرّاتٍ بعِلل ، ثم عزم أبو يوسف على أن يسجل لجعيفران بالمال ، فقال له الوصى : أنا أدفع هذا بحجّة واحدة بقيت عندى ، فأبى أبو يوسف أن يسمع منه ، وجعل جعيفران يخرج عليه ويقول : قد ثبتَ

---

(1) الأغانى : دار الثقافة ٢٠/١٤٧ وانظر ص١٤٦ وبولاق ١٨/٦١ والساسى ١٨/٦١

عندك أمرى فبأىّ شىء تدفعنى ، وجعل الوصىُّ يسأله أن يسمع منه منفردا فيأبى أبو يوسف ويقول : لا أسمع منك إلا بحضرة خصمك ، فقال له : أجِّلْنى إلى غد ، فأجَّله فجاد إلى منزله وكتب رُقعة إلى القاضى يخبره فيها بحقيقة الخبر وما أفتى به موسى ابن جعفر عليهما السلام ، ودفعها إلى صديق لأبى يوسف ، فدفعها إليه ، فلما قرأها دعا بالوصىّ فاستحلفه أنه قد صدق فى ذلك ، فحلف اليمين الغَموس ، فقال : اغدُ غدًا علىَّ مع صاحبك . فحضر وحضر جعيفران معه ، فحكم عليه أبو يوسف للوصى ، فلما أمضى الُحكمَ عليه وُسْوس جُعيفران واختلط منذ يومئذ .

قال عثمان بن محمد : كنت يوما برُصافة مدينة السلام جالسا ، فجازَ بى جعيفرانُ وهو متغضّب ، فوقف علىَّ وقال :

* استوْجبَ العالَمُ مِنّى القتْلا *

فقلت له : لم يا أبا الفضل ؟ فنظر إلىَّ نظرة مُنكرة خفت منها ثم قال :

لما شعرت فرأونى فَحْلَا | قالوا علىَّ كَذبا وبُطْلَا
أنّىَ مجنونٌ فقدْت العقْلَا | قالوا المُحال كَذِبا وجَهْلَا

أقبِحْ بهذا الفعلِ منهم فِعْلَا

ثم ذهب لينصرف ، فخفت أن يؤذيه الصبيان ، فقلت : اصبرْ فديتك حتى أقوم معك فإنك مُغضَب ، وأكره أن تخرج على هذه الحال ، فرجع إلىَّ وقال : سبحانَ الله ، أتُرانى أنسبهُم إلى الكذب والجهل وأَستقبح فِعْلَهم وتتخوّف منى مكافأتهم ؟ ثم ولىَّ وهو يقول :

لستُ براضٍ من جَهولٍ جَهْلَا | ولا مُجازيه بفعْلٍ فِعْلَا
لكنْ أرى الصَّفْحَ لنفسى فَضْلَا | مَنْ يُرِد الخيرَ يَجِدْه سَهْلَا

ثم مضى .

قال عثمان بن محمد : كنت أشرف ليلة من سَطْحٍ لى على جُميفران وهو فى داره وحده ، وقد اعتلَّ وتحركت عليه السوداء ، فهو يدور فى الدار طول ليلته ويقول :

طافَ به طيفٌ من الوَسْواسِ نفَّرَ عنه لذَّةَ النُّعاسِ
فما يُرى يأْنس بالأُناسِ ولا يلَذُّ عِشرَةَ الجُلَّاسِ
فهو غريبٌ بين هذا النَّاسِ

حتى أصبح وهو يُردِّدها ، ثم سقط كأنه بقلة ذابلة .

قال مسلمة بن محارب : مَررتُ ببغداد ، فرأيت قوماً مجتمعين على رجل ، فقلت: ماهذا ؟ فقالوا : جميفران الموسوس المجنون ، فقلت له : قل بيتا على الجيم بنصف درهم ، فقال : هاتِه ، فأعطيته فقال :

لجَّ ذا الهمُّ فاعتلَجْ كلُّ همٍّ إلى فرَجْ

ثم قال : زد إن شئتَ حتى أزيدك .

قال عثمان بن محمد : غاب عنا جُميفران أياما ثم جاءَنَا والصبيانُ يَشتدُّون خلفه وهو عُريان ، وهم يصيحون به : يا جميفران يا خرًا فى الدار ، فلما بلغ إلىَّ وقف وتفرقوا عنه ، فقال لى : يا أبا عبد الله :

رأيت الناس يدعونى بمجنونٍ على حَالِ
وما بى اليوم من جِنٍّ ولا وسواسِ بَلْبَالِ
ولكن قولهم هذا لإفلاسى وإقلالى
ولو كنت أخا مالٍ رَخيًّا ناعم البالِ(١)
رَأَوْنى حَسنَ العقلِ أحلُّ المنزل العَالِي
وما ذاك على خُبْرٍ ولكنْ هَيبةُ المالِ

---

(١) فى الأغانى : أخا وفر .

قال : فأدخلته منزلى فأكل وشَرِب أقداحا[١] ، ثم قلت له : تقدر أن تغير تلك القافية ؟ فقال : نعم ، ثم قال بَدِيها من غير فِكْر ولا توَقُّف :

رأيتُ الناسَ يَرمونـ ـىَ أحيانا بِوِسْواسِ
ومَن يَضبِطُ يا صاحِ مقالَ الناسِ فى الناسِ
فدع ما قاله النـاسُ ونازِعْ صفوةَ الكاسِ
فتى حُرًّا صحيح الوُ دِّ ذا بِرٍّ وإينـاسِ
فإن الخلْقَ مُغْرَوْنَ[٢] بأمثـــالى وأجناسى
ولو كنتُ أخا مالٍ أتَوْنى بين جُلَّاسى
يُحَيُّونى ويَحْبُونى على العَيْنَين والرَّاسِ
ويَدْعـونى عَزِيزاً غـيـ ـرَ أن الذُّلَّ إفـلاسى

ثم قام يبول ، فقال بعض من حضر : أَيْشٍ[٣] مَعْنى عِشْرتنا هذا المجنون العُريان ؟ والله ما نأمنه وهو صاحٍ ، فكيف إذا سكر ؟ وفطن جعيفران للمعنى فخرج إلينا وهو يقول :

ونــدامى أكلـــونى إذ تَغَيَّبْتُ قَليلاَ
زَعموا أنِّىَ مجنو نٌ أرى العُرْىَ جَميلاَ
كيف لا أَعرَى ولا أُبْـ ـصِرُ فى الناس مَثِيلا[٤]
إنْ يكن ســاءَكمُ قُرْ بى نخلُّوا لى السبيلا
وأتِمُّوا يوْمَكُمْ سَرَّ كُمُ اللهُ طويـلا

---

(١) فى الأغانى : وسقيته أقداحا .

(٢) فى المختار : « فإن الخلق مغرور » والتصويب من الأغانى .

(٣) أيش : أى شىء . وهكذا جاءت فى الأغانى.

(٤) المثيل يطلق على الفاضل .

فَرَقْنا به[١] واعتذرنا له وقلنا له : والله ما نلتذُّ إلا بقربك ، وأتيناه بثوب فلبسه ، وأتممنا يومنا ذلك معه .

تقدّم جُميفران إلى أبى يوسف الأعور القاضى بسرّ من رأى فى حُكومةٍ [مع شخصٍ][٢] فى شىء كان فى يده فى وَقْفٍ له ، فدفعه عنه وقضى عليه ، فقال له :

أَيها القاضى أرانى اللـــه عَينَيـك سَـــوَاءَ[٣]

فأمسك عنه وأمر بردّه إلى داره ، فأطعمه ووهب له دراهم ثم قال له : ما أردت بدعائك ؟ أردتَ أن يَرُدَّ الله علىَّ ما ذهب من بصرى ؟ فقال له : والله لئن كنت وهبتَ لى هذه الدراهم ، لأسخر منك إنك لأنت المجنون لا أنا ، أخبرنى، كم من أعور رأيته عَمِىَ ؟ قال : كثير ، قال : فهل رأيت أعور قط صحّ ؟ قال : لا، قال : فكيف توهَّمت هذا الغلط ؟ فضحك وصرفه .

[قال علىّ بن يوسف : كنت عند أبى دُلف العجلى ، فاستأذن عليه حاجبه لجعيفران الموسوس ، فقال له : أى شىء أصنع بموسوس ؟ قد قضينا حقوق العقلاء وبقى علينا حقوق المجانين ، فقلت له : جُعلتُ فداك ، إنه موسوس أفضل من كثير من العقلاء، وإن له لسانا يُتقَّى وقولًا مأثورا يَبْـقَى ، فاللهَ اللهَ أن تَحْجُبَه ، فليس عليك منه أذى ولا ثقل ، فأذِن له ، فلما مثل بين يديه قال :

يا أكرم العــالَم مَوْجُــودا ويا أعزّ الخَلْقِ مفقــودا[٤]
لمّا سألتُ الناس عن واحــد أصبحَ بين النــاس محمودا

---

(١) فى الأغانى: فرقنا له .
(٢) كلمة مع « شخص » ساقطة من الأغانى .
(٣) جاء هذا البيت نثرا فى الأغانى : « أرانى الله أيها القاضى عينيك سواء » وهنا أحسن.
(٤) فى المختار «ك» «يا كرم العالمين» وفى ت « يا أكرم العالمين » .

فقالوا جميعاً إنه قاسمٌ أشْبَــه آباءً له صِيــدَا
لو عبدوا شيئا سِــوى رَبِّهم أصبحتَ بين الناس مَعْبُودا
لا زِلْت فى نُعْمى وفى غِبطــةٍ مُـكَرَّما فى النـاس مَمْدُودا

قال : فأمر له بألف درهم وبكسوة ، فلما جِىء بالدراهم أخذ منها عشرة دراهم وقال : تأمر القهرْمانَ أن يعطينى الباقى مُفرَّقا كلما جئتُ ، لئلا تضيع منى . فقال للقهرمان : أعطِه المال وكلَّما جاءك فأعطِه ما شاء حتى يُفرِّق الموت بيننا ، فبكى عند ذلك جميفرانُ وتنفَّس الصعداءَ وقال :

يموتُ هــذا الذى أراه وكلُّ شىءٍ له نَفَادُ
لوغيرُ ذىالعرْشِ دام شىءٌ لَدامَ ذا المُفْضِلُ الجوادُ

ثم خرج ، فقال أبو دُلَف : أنت كنت أعلمَ به منى . قال : وغَبَر عنى مدة ثم لقينى فقال : يا أبا الحسن ، ما فعل أميرُنا وسيِّدُنا وكيف حاله ؟ فقلت : بخير وعلى غاية الشوق إليك ، فقال : يا أخى أنا والله أشْوق ، ولـكنى أعرف أهل العَسكر وشَرَهَهُم وإلحاحهم ، والله ما أراهم يتركونه من المسألة ، ولا يترك كَرَمَه عليهم ولا يُخليهم من العطية حتى يخرج فقيراً ، فقلت له : دع عنك هذا وزُرْه؛ فإن كثرة السؤال لا تضرُّ بماله، فقال : كيف ؛ هو أيسر من الخليفة ؟ قلت: لا ، قال : واللهِ لو يَبذُل لهم الخليفة كما يبذل أبو دلف وأطعمهم من ماله كما يطعمهم لأفقروه فى يومين ، ولـكن اسمع ما قلتهُ فى وقتى هذا ، فقلت : هاتِ يا أبا الفضل ، فأنشد :

أبا حسنٍ بَلِّغَنْ قاسماً بأنِّىَ لم أَجْفُه عَنْ قِــلَى
ولا عَنْ مَــلالٍ لإتيانِــه ولا عن صُدودٍ ولا عن غِـنَى
ولـكنْ تعففْتُ عن مالــه وأصفيته مِــدْحَتِى والثَّنَا
أبــو دُلَفٍ سَيِّد ماجِــدٌ سَنِىُّ العطيـة رحْبُ الفِنَا
كريمٌ إذا انتـابَـه المُعْتَفو نَ عَمَّهم بجزيــل الْحِبَا

قال : فأبلغته أبا دلف ، وحدّثته بالحديث الذى جرى ، فقال لى : قد لقيتُه منذ أيام ، فلما رأيته وقفت له وسلَّمت عليه ، فقال : سِرْ أيها الأمير على بركة الله تعالى ، ثم قال لى :

يا مُعْدِىَ الُجودِ على الأموالِ ويا كـريم النَّفْسِ والفعَالِ
قـد صُنْتَنى عن ذِلَّةِ السُّؤَالِ بِجُودِكَ المُوفِى على الآمـالِ
صانكَ ذو العِـزَّة والَجـلالِ من غِـيَرِ الأيَّام والليالى

ولم يزل يختلف إلى أبى دلف ويبره حتى تَفَرَّقَا(١) .

وكان جعيفران خبيث اللسان هجّاء لا يسلم منه أحد ، فاطلع يوما فى الُحبّ(٢) فرأى وجهه قد تغيَّر وعَفَا شَعرُه(٣) ، فقال :

ما جعفرٌ لأبيـهِ ولا له بِشبيـهِ
أضحَى لقومٍ كثيرٍ وكُلُّهم يَدَّعيـهِ
هـذا يقول بُنَـيِّي وذا يُخاصِمُ فِيـه
والأُمُّ تَضحكُ منهم لعلمِهـا بأبيـه

حدث رجل من أهل الكوفة قال : لقينى جعيفرانُ الموسوس فقال : إنى جائع فأىُّ شىء عندك تطعمنى؟ فقلت : سَلْق بِخَرْدَل . فقال لى : اشترِ معه بِطّيخا، فقلت: أفعل ، ادْخُلْ . فدخل وبعثتُ الجارية تجيئه بالبِطِّيخ ، وقدّمت إليه السَّلق والَخرْدل والُخبز ، فأكل منه حتى ضَجِر ، وأبطأت الجارية ، فأقبل علىَّ وقد غضب وقال :

سَلَقْتَنَا وخَرْدَلتْ وتوَلَّتْ وأدبَرتْ
وأُراها بواحـدٍ وافر الأَيْرِ قَدْ خَلَتْ

قال: فخرجت ـ يشهدالله ـ أطلبها، فوجدتها خالية فى الدِّهليز بسائسٍ لى كما وَصَف.

(١) فى الأغانى : افترقا .
(٢) الحب : الجرة الكبيرة .
(٣) عفا الشعر : كثر وطال .

حرف الحاء

حُنَين (١)

(هو حُنَين بن بلّوع(٢)، الحِيرِىّ) قيل : هو من بنى تميم من العِبادِيين ، وقيل : من بنى الحارث بن كعب ، وقيل : من فُقَراء(٣) جَدِيس وطَسْم ، كنيته أبو كعب ، شاعر مُغَنٍّ فَحْل من فحول المُغَنِّين ، كان نصرانيا يسكن الحِيرة ويُكْرِى الجمال إلى الشام وغيرها)، وهو القائل :

أنا حُنَيْنٌ ومنزلى النَّجَفُ ... وما نَدِيمى إلّا الفتى القَصِفُ(٤)

أقرعُ بالكأسِ بطْنَ باطيةٍ(٥) ... مُتْرَعَةٍ تارةً وأغْتَرِفُ

من قهوةٍ باكَرَ التِّجارُ بها ... بَيْتَ يَهودٍ قَرارُها الخَزَفُ

والعيشُ غَضٌّ ومنزلى خَصِبٌ ... لم تَغْذُنى شِقْوَةٌ ولا عُنُفُ

حَجَّ هِشام بن عبدالملك وعَدِيلُه الأبرشُ الكلبىُّ ، فوقف له حُنين بظهر الكوفة ومعه عوده وزامر له وعليه قُلَنْسِيَةٌ طويلة ، فأمر به هِشام فحُمِل على جملٍ وعديلُه زامره ، وسِير به أمامه وهو يغنيه فى شعر الأحوص :

---

(١) الأغانى دار الكتب ٢/٣٤١ ودار الثقافة ٢/٣٠١ وبولاق ٢/١٢٠ والساسى ٢/١١٦ والتجريد ١/٢٧٦ .

(٢) ضبط فى الأغانى فى نسخة واحدة « بفتح فسكون ففتح » ، أما فى ك فعلى اللام شدة وبدون ضبط الباقى .

(٣) كذا فى المختار . أما فى الأغانى : « وقيل : إنه من قوم بقوا من جديس وطسم » فلعل كلمة فقراء محرفة عن « بقايا » .

(٤) القصف : اللاهى اللاعب ، من القصف « بسكون الصاد » .

(٥) فى الأغانى : ثغر باطية .

صاحِ هل أبصرت بالخبْـ تين من أسماءَ نارَا
مَوْهِناً شُبَّتْ لعينيـ ـك ولم تُوقدْ نهارا
كتَلالِي البرْقِ فى المزْ نِ إذا البرقُ استطارا
أذكرَتْني الوصلَ من سُعْـ ـدى وأياماً قِصارا

وقيل إن الذى غناه به :

أمِنْ سلمى بظهر الكو فة الآياتُ والطَّلَلُ
يلوحُ كما يَلوحُ على جُفونِ الصَّيْقَلِ الخلَلُ (١)

فأمر له هشام بمائتى دينار وللزامر بمائة دينار .

قيل: لحنين : أنت تغنى من نحو خمسين سنة ما تركت لكريم دارا ولا عقارا إلا أتيت عليه ، فقال : بأبى أنتم ، إنما هى أنفاسى أقسِمُها بين الناس ، أتلومونى أن أغلِىَ بها الثمن .

حدّث شيخ من المكّيين قال : إنّا لَبِالأبطح أيام الموسم نشترى ونبيع إذ أقبل شيخ أبيض الرأس واللحية والثياب ، على بغلة شهباء ، ما ندرى أهو أشد بياضا أم بغلته أم ثيابه ، فقال : أين بيت أبى موسى ؟ فأشرنا إليه ، قال : فأين النخل ؟ فأشرنا لذلك الحائط . فمضى حتى انتهى إلى الظلّ من بيت أبى موسى ثم استقبلنا ببغلته ووجهه وغنى فى شعر كَثِير بن كَثِير بن المطّلب بن أبى وَدَاعة السهمىّ ، وذلك قوله :

أسعدينى بدمعةٍ أسرابِ من دُموعٍ كثيرةِ التَّسْكابِ
إن أهل الحِصاب قد تركونى مغرما مولعاً بأهل الحِصابِ (٢)

(١) الصيقل : شحاذ السيوف ، والخلل جمع خلة : وهى بطانة يغشى بها جفن السيف وبها يشبه الطلل .

(٢) الحصاب : موضع رمى الجمار بمنى . وفى المختار : ان أهل الخضاب . . . الخضاب .

فارقونى وقد علمتُ يقيناً ... مَا لمن ذاق ميتةً من إيابِ
سكنوا الجِزْع جِزْعَ حَىِّ أبى مو ... سَى إلى النخْل من صُفِىِّ السِّبابِ
كم بذاك الحَجُون من حَىِّ صِدْق ... وكُهولٍ أعفَّةٍ وشَبابِ [1]
أهلُ بيتٍ تتابعُوا للمنايا [2] ... ما على الموتِ بعدَهمْ من عِتاب
فلِىَ الوَيْل بعدهمْ وعليهمْ ... صِرْتُ فرداً وملَّنى أصحابى

ثم ضرب بغلته وذهب فتبعناه وسألناه من هو؟ فقال: إنى حنين بن بلّوع، وأنا رجل جَمَّال أُكرِى الإبل. ثم مضى.

(وكان حُنينٌ غلاما يحمل الفاكهة بالحيرة، وكان لطيفا فى عَمَل التحيَّات [3].

(وكان إذا حمل الرياحين إلى) بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القِيان) والمتظرِّفين إلى الحيرة (ورأوا رشاقته وحسن قدِّه وحلاوته وخفّة روحه استحْلَوْه وأقام عندهم وخفَّ لهم، وكان يسمع الغناء ويشتهيه ويُصغى إليه ولا يكاد ينتفع به فى شىء إذا سمعه حتى شدَا منه أصواتا فاستمعه الناس، وكان مطبوعا حسن الصوت، فاشتهوا غناءه وعِشرته واستماعه، وشُهِر بالغناء ومَهَر فيه وبلغ فنُّه مبلغا كبيرا) ثم رحل إلى عمر بن داود الوَادِىِّ وإلى حَكَم الوادى، فأخذ منهما وأجاد الصنعة وأحكمها، ولم يكن فى العراق غيره فاستولى عليه فى عصره، وقدم ابنُ مُحْرِزٍ حينئذ إلى الكوفة، فبلغ خبرُه حُنيناً وكان يعرفه، (وكان بِشْر بن مروان بالكوفة فقصده، لأنه بلغه أنه يشرب الشراب ويسمع الغناء، فصادفه قد خرج إلى البصرة، وخشى حنينٌ

---

(١) صفى السباب: موضع بمكة. فى الأغانى: جزع بيت أبى موسى.
(٢) التتابع: الوقوع فى الشر من غير فكرة ولا روية والمتابعة عليه ويكون فى الشر.
(٣) التحيات: يراد بها هنا ما يقدم من الرياحين للتحية.

أن يعرفه الناس ويستحلوه ويستولى على البلد فيسقط هو ، فتلطَّف حنينٌ حتى دعا ابنَ محرزٍ فغناه ابنُ محرز لحنه)

وحُرٌّ الزبرْجد فى نَظْمِهِ على واضِح اللِّيتِ زَانَ العُقُودَا[١]

يُفَصِّــلُ ياقــوتُهُ دُرَّه وكالجمْر أبصرْتَ فيه الفَرِيدَا[٢]

(فسمع حنينٌ شيئا هاله وحيّره . فقال : كم مَنَّتك نفسُك من العراق ؟ فقال : ألف دينار ، فقال : هذه خَمسمائة دينار حاصلة ونفقتك فى عودتك وبَدْأَتك ، ودَعِ العراق وامْضِ مُصاحَباً حيث شئت واحْلِف ألا تعود إلى العراق . وكان ابنُ محرز صغيرَ الهِمَّة لا يُحِبُّ عِشْرَةَ الملوك ولا يؤثر على الخلوة شيئا فأخذها وانصرف).

قال حنينٌ : خرجت إلى حِمْص ألتمس الـكسب وأرتاد من أستفيده[٣] فسألت رجلا عن الفتيان أين يجتمعون ، فقال : عليك بالحمامات ، فإنهم يجتمعون إذا أصبحوا فيها ، فجئت إلى أحدها فدخلته ، فإذا فيه جماعة منهم فأنست وانبسطت ، وأخبرتهم أنى غريب ، ثم خرجنا فذهبوا بى إلى منزل أحدهم ، فلما قعدوا أُتينا بالطعام فطعمنا وبالشراب فشربنا ، فقلت لهم : هل لـكم فى مُغنٍّ يُغَنِّيـكم ؟ فقالوا : ومن لنا بذلك؟ فقلت : أنا لـكم به ، هاتوا لى عودا . فبدأت فى غِناء مَعْبَدٍ ، فـكأنما غَنَّيْتُ للحيطان ، لا فَـكِهُوا لغنائى ولا سُرُّوا به ، فقلت : ثقل عليهم غناء معبد لـكثرة عمله وصعوبته وشِدَّة مذهبه ، فأخذت فى غناء الغَرِيض فإذا هو كَـلَا شىء . فغنيت خَفائف ابنِ سُرَيج وأهزاج حَـكَم والأغانى التى لى ، واجتهدت فى أن يفهموا فلم يتحرك منهم أحد ، وجعلوا يقولون : ليت أبَا مُنَبِّهٍ جاءنا ، فقلت فى نفسى : أرى أننى سأفتضح اليوم

---

(١) الليت : صفحة العنق .

(٢) الفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره .

(٣) كـذا فى المختار . وفى الأغانى : أستفيد منه .

بأبي مُنبِّهٍ فضيحةً لم يفتضح مثلَها أحدٌ . فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو مُنَبّه فإذا هو شيخ عليه خُفّان أحمران كأنه جمّال ، فوثبوا إليه جميعا وسلموا عليه وقالوا : يا أبا مُنَبّه أبطأت علينا . وقدموا إليه الطعام وسقوه أقداحاً وخَنَسْتُ(١) أنا وصِرْتُ كلا شيء خوفا منه ، فأخذ العود وغنى :

طَرِبَ البحرُ فاطربى يا سَفِينَهْ ... لا تَشُقِّى على رجال المدينهْ(٢)

فأقبل القوم يصفّقون ويطربون ويشربون ، ثم أخذَ فى نحو هذا الغناء ، فقلت فى نفسى : لئن أصبحت سالما لا أمسيت فى هذه المدينة . فلما أصبحت شددت رحلى على ناقتى ، واُحْتَقَبْتُ زُكْرَةً(٣) من شراب ورحلت متوجِّها إلى الحِيرة وقلت :

ليتَ شِعرى متى تَخُبُّ بِىَ النَّا ... قَةُ بين السَّدِيرِ والصِّفِّيْنِ(٤)

مُحْقِبا زُكْرَةً وخُبْزَ رِقاقٍ ... وبُقولا وقِطْعَةً من نُونِ(٥)

لست أبغِى لذَنْ سِواهامن الشا ... م وحسبى غُلالةٌ تكفينى(٦)

فإذا بتُّ سالما قلت سُحْقًا ... وبِعاداً لمعشرٍ فارَقونى

كان خالد بن عبد الله القَسْرِىُّ قد حرم الغناء بالعراق فى أيامه ثم أذن للناس يوما فى الدخول عليه عامَّة ، فدخل حنين وفى يده عود تحت ثيابه، فقال: أصلح الله الأمير، كانت لى صناعة أعود بها على عيالى فحرّمها الأمير ، وأضر ذلك بى وبهم ، فقال :

---

(١) خنست : تأخرت .

(٢) كذا فى ت ولاأدرى من أين أتى بما يقرب من الصواب فى المعنى ، أما فى ك فهو «طرف البحر فاضربى يا سفينة » وذلك مثل عدة نسخ من الأغانى وفى صلب الأغانى المطبوع : طرب البحر فاعبرى يا سفينة .

(٣) احتقب : احتمل خلفه والزكرة : زق صغير للخمر .

(٤) الصفين : بلد كان بظاهر الكوفة. وفى الشعر سناد : وهو المخالفة بين الحركات التى تلى الأرداف.

(٥) النون : الحوت .

(٦) فى الأغانى : لست أبغى زادا سواها

وما كانت صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا ، فقال خالد : غَنِّ فعرك. عوده وغَنَّى(١) فى شعر عدىّ بن زيد :

أيها الشامت الْمُعَيِّر بالدهـ ـرِ أأنت المُبَرَّأُ الموفُورُ
أم لديك العهدُ الوَثيقُ من الأيَّـ ـام أم أنت جاهل مغرور(٢)
مَنْ رأيتَ المَنونَ خَلَّدن أَمْ مَنْ ذا عليه من أن يُضامَ خَفِيرُ

فبكى خالد وقال : أذِنْتُ لك وحدَك خاصَّة ، فلا تُجالسْ سفيها ولا مُعَرْبِدًا . فكان إذا دُعِىَ يقول : فيكم سفيه أومعربد ؟ فإذا قيل له : لا، يدخل .

قال سليمان بن عبد الملك بن بشر بن مروان : كان بعض وُلاةِ الكوفة يذمّ الِحيرة فى أيام بنى أُمَيَّة ويَعيبها ، فقال له رجل من أهلها ـ وكان عاقلا ظريفا ـ : تعيب بلدةً يُضرب بها المثل فى الجاهلية والإسلام ؟ قال:وبماذا تُمدَح ؟ قال : بصحَّة هوائها ، وطيب مائها، ونزهة ظاهرها ، تصلح للخُفِّ والظِّلْفِ ، سَهْل وجَبَل وبادِيةُ وبُستان وبحر وبرّ محل الملوك ومسكنهم ومثواهم ، وقد قَدِمْتَها أصلحك الله مُخِفًّا فأصبحت مُثقِلا(٣) ووردْتَها مُقِلاًّ فأصارتك مُكْثِرا . قال: فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل ؟ قال : بأن تصير إليها ثم ادْعُ بما شئت من لذات العيش، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه قال : فاصنع لنا صنيعا واخرج من قولك . قال : أصنع(٤) . فصنع لهم طعاما فأطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها من ظِباءٍ ونَعامٍ وأرانبَ وحُبَارَى وسقاهم ماءها فى قِلَالها ، وخَمْرَها فى آنيتها . وأجلسهم على رَقْمِها(٥) وكان

(١) فى الأغانى : فحرك أوتاره وغنى .
(٢) فى الأغانى : بل أنت جاهل .
(٣) فى الأغانى : فرجعت مثقلا .
(٤) فى الأغانى : قال: أفعل .
(٥) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز .

يُتّخذُ بها من الفُرُش أشياء كثيرة ظريفة ، ولم يستخدم لهم حُرًّا ولا عَبْدا إلّا مولودا بها من وصائف وخدم ووُصَفاء كأنهم اللؤلؤ ولغتهم لغة أهلها ، ثم أقعد معهم حُنيناً ، فغناهم هو وأصحابه فى شعر عديّ بن زيد شاعرهم وأعشى همْدان لم يتجاوزهما ، وحيَّاهم برياحينها ونَقَّلَهم[1] على خَمْرها بفوا كهها ، ثم قال له : هل رأيتنى استعَنْتُ على شىء مما رأيتَ وأكلتَ وشَربت وشَمَمْت وافترشْتَ وسَمعت بغير ما فى الحيرة ؟ فقال : لا والله ، ولقد أحسنتَ صِفة بلدك ونَصرْته فأحسنت نُصْرَته والخروج مما تضمَّنْتَه ، فبارك الله لكم فى بلدكم .

(وعاش حُنينٌ مائةَ سنةٍ وسبعَ سنين).

قال إبراهيم بن المهدى : كنت مع الرشيد فى السنة التى نزل فيها على عَوْنٍ العِبادىّ بالحيرة ، فأتانى عَوْنٌ بابنِ ابن حُنين بنِ بلوع ، وهو شيخ ، فغنانى عِدَّة أصوات لجدِّه فما استحسنْتُها ، لأنه كان مَشْنِيَّ الخلْقِ كَزَّ الغِناء[2] ، إلى أن غنانى فى شعر عنترة :

فتركْتُه جَزَر السِّبَاعِ يَنُشْنَه ... ما بين قُلَّة رَأْسِه والمِعْصَمِ

فما سمعته من أحد أحسن مما سمعته منه ، فقلت له : لقد أحسنت فى هذا الصوت وما هو من أغانى جَدِّك ولا أغانى بلدك ، وإنى لأعجب من ذلك ، فقال الشيخ : والقُرْبَانِ والصَّليبِ ، ما صُنِع هذا الصوت إلا فى منزلنا وفى سِرْدابٍ لجدى ، ولقد كاد أن يأتى على نفس عمَّتى . فسألته عن الخبر فى ذلك فقال : حدثنى أبى أن عُبَيْد ابن سُرَيج قَدِم الحيرة ومعه ثلاثمائة دينار ، فأتى بها منزلنا فى وِلاية بِشْرِ بن مروان

---

(١) نقلهم : أطعمهم النقل .

(٢) المشنى : المكروه ، والكز : القبيح ، واليابس .

الـكوفة وقال: أنا رجل من أهل الحجاز ، بلغنى طِيبُ الِحيرة وجَوْدة خمرها وحُسْن غنائك فى هذا الشعر :

حَنَتْنى حانِياتُ الدهرِ حتَّى كأنى حابِلٌ يَدْنُو لِصَيد[1]
قريب الخَطْوِ يحسب من رآنى ولستُ مُقَيَّدًا أمشى بِقَيْدِ

فخرجت بهذه الدنانير لأنفقها معك وعندك ونتعاشر حتى تنفد وأنصرف إلى منزلى . فسأله جدى عن اسمه ونسبه فغيّرهما وانتسب إلى ولاء بنى مخزوم[2] ، فأخذ جدى المال منه وقال : هذا مُوَفَّر عليك ولك عندنا كلُّ ما يَحْتاجُ إليه مثلُك ، فابسُطِ المُقامَ[3] ، عندنا ، فإذا دعتك نفسُك [إلى بلدك] جهزناك إليه[4] ورددْنا إليك مالك ، وأخلفنا عليك ما أنفقته إلى أن جئتنا . وأسكنه دارا كان يتقرّب[5] فيها فمكث عندنا شهرَيْن لا يعلم جَدِّى ولا أحَدٌ من أهلنا أنه يُغَنِّى حتى انصرف جَدِّى من دارِ بِشر بن مروان فى يومٍ صائفٍ مع قِيامِ الظَّهيرة ، فصار إلى باب الدار التى كان ابن سُرَيج يَنزل فيها ، فوجده مُغْلَقا ، فارتاب بذلك ودقَّ الباب فلم يفتَح له ولم يُجبه ، فصار إلى منزل الحُرَم فلم يجد فيها ابنته ولا جوارِيهَا ، ورأى البابَ الذى مابين دار الحُرم والدار التى كان أنزل ابن سُرَيج فيها مفتوحا ، فانتضى سيفه ودخل الدار ليقتل ابنته ، فلما دخل رأى ابنته وجوارِيهَا وقوفا على باب السِّرداب وهُنَّ يُومِئنَ إليه بالسكوت وتخفيف الوطء ، فلم يلتفت إلى إشارتهن لِمَا تداخَله ، إلى أن سمع ترنُّمَ ابنِ سُريج بهذا الصوت ، فألقى سيفه وصاح به ــ وقد عرفه من غير أن

---

(١) فى الأغانى : كأنى خاتل .

(٢) فى الأغانى : وانتمى إلى بنى مخزوم .

(٣) فى الأغانى: ما نشطت للمقام .

(٤) فى الأصل : « دعتك نفسك جهزناك إليها » والزيادة من الأغانى .

(٥) فى الأغانى : ينفرد فيها .

يكون رآه قطّ ولكن بالحِذق والنَّعْتِ ـ : يا أبا يحي ، جُعِلت فداك ، أتيتنا بثلاثمائة دينار لتنفقها عندنا فى حيرتنا ، فَوالمسيح لا خرجت منها إلا ومعك ثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار سوى ما جئتَ به معك . ثم دخل إليه ورحّب به وعانقه ، ولقيه بخلاف ما كان يلقاه ، وسأله عن هذا الصوت فأخبره أنه صاغه فى ذلك الوقت ، فصار به إلى بِشْر بن مروان فوصله بعشرة آلاف درهم فى أول مرة ، ثم وصله بمثلها بعد ذلك ، فلما أراد الخروج ردَّ عليه جدى ماله ، وجهّزه ووصله بمقدار نفقته التى أنفقها من مكة إلى الحيرة ، ورجع ابن سُرَيج إلى أهله وقد أخذ جميعُ من كان فى دارنا منه هذا الصوت .

(قال عبد الله بن حُنَين الحِيرىُّ : كان المغنون فى عصر جَدِّى أربعة نفر : ثلاثةٌ بالحجاز : ابن سُرَيج والغَرِيض ومَعْبَد ، وهو وحْدَه بالعراق ، فبلغهم أن جَدِّى حُنينا غَنَّى فى هذا الشعر :

هلَّا بَكَيْتَ على الشبابِ الذاهبِ ... وكَفَفْتَ عن ذَمِّ المشيبِ الآئبِ
هذا ورُبَّ مُسَوِّفينَ صَبَحْتُهم(١) ... من خَمْرِ بابلَ لَذَّةً للشاربِ
بكروا علىَّ بِسُحْرَةٍ فصبحتُهُم ... من ذات كُوبٍ مثل قَعْبِ الحالِبِ
بزجاجةٍ مِلْءِ اليَدَيْنِ كأنها ... قنديلُ فِصْحٍ فى كنيسة راهبِ

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جَدِّى وقالوا : ما فى الدَّهْر(٢) أهلُ صناعة شَرٌّ منا لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزوره ولا نَستزيره ، فكتبوا إليه ، ووجّهوا له نفقة ، وكتبوا له يقولون : نحن ثلاثة وأنت واحد ، فأنت أولى بزيارتنا . فشَخَص إليهم ، فلما كان على مَرْحلة من المدينة بلغهم خبرُه ، فخرجوا لتلقّيه ، فلم يُرَ يومٌ كان

(١) المسوف : الصبور . وصبحه : سقاه الصبوح . وفى الأغانى : ورب مسوغين سقيتهم .
(٢) فى الأغانى : ما فى الدنيا .

أكثر جمعا ولا حَشْدا من يومئذٍ . ودخلوا ، فلما صاروا فى بعض الطريق قال لهم مَعْبَد : صِيرُوا إلىَّ . فقال ابن سُرَيج . إن كان لك من الشرف والمروءة ما للمولاتى سُكينةَ بنتِ الحسين عطفنا إليك . فقال : مالى من ذلك شىء ، فعدلوا إلى منزل سُكينة ، فأذنت للناس إذْنا عامًّا ، فغصَّت الدارُ بهم وصَعِدوا فوق السطوح ، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا . ثم سألوا جدى أن يغنيهم صوته :

* هلَّا بكيتَ على الشبابِ الذَّاهبِ *

فغنَّاهم إياه بعد أن قال لهم : ابدَءوا أنتم : فقالوا : ما كنا لنتقدمك ولا نغنى قبلك حتى نسمع هذا الصوت ، فغناهم إياه ، وكان من أحسن الناس صوتا ، فازدحم الناسُ على السطح وكثروا ليسمعوا ، فسقط الرُّوَاق على من تحته ، فسَلِمُوا جميعا وأُخرِجوا أَصِحَّاءَ ومات حُنَينٌ تحت الهَدْم . فقالت سكينة : لقد كدَّر حُنينٌ علينا سُرورَنا ، انتظرناه مُدَّة طويلة كأنَّا كُنَّا نَسوقه إلى مَنِيَّتِه .

الحَكَمُ بن عَبْدَلٍ (١)

هو الحَكَم بن عَبْدَل بن جَبَلة بن عمرو بن ثَعْلبة بن عِقال بن بِلال بن سَعْد ابن حِبَال بن نَصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خَزيمة ، شاعر مجيد متقدّم فى طبقته ، هجّاء خبيث اللسان ، من شعراء الدولة الأموية أعرج أحدب ومنشؤُه ومَنزله الكوفة .

قال العُتْبِىّ ، كان الحكم الأسدى لا تفارقه العصا ، وترك الوُقوفَ بأبواب الملوك ، وكان يَكتب حاجته على عصاه ويبعث بها مع رسوله فلا يُحْبَس له رسول ، ولا تُؤَخَّر له حاجة ، فقال فى ذلك يحيى بن نَوْفَل :

عَصَا حَكَمٍ فى الدار أوّلُ دَاخلٍ ... ونحن على الأبواب نُقْصَى ونُحْجَبُ

وكانت عصا موسى لفرعونَ آيةً ... وهَذِى لعمرُ الله أدهى وأعجبُ

تُطاعُ ولا تُعْصَى ويُحْذَر سُخْطُها ... ويُرْغَب فى المرضاةِ منها ويُرْهَب

فشاعت هذه الأبيات فى الكوفة ، وضحك منها الناس ، فكان ابنُ عبدل بعد ذلك يقول ليحيي : ياابن الزانية ، ماأردت من عصاى حتى صَيّرْتَها ضحكة . واجتنب أن يكتب عليها كما كان يكتب ، وكاتب الناسَ فى حوائجه بالرِّقاع .

كان الحكم بن عبدل مُقْعَداً ، وله صديق أعمى يقال له أبو عُلَيَّة ، فخرجا ليلة من منزلها إلى منزل إخوانهما ، والحَكَم يُحْمَل وأبو عُلَيَّة يُقاد فلقيهما صاحبُ العَسَسِ بالكوفة فحبسهما ، فلما استقرّا فى الحبس نظر الحكم إلى عصا أبى عُلَيَّة موضوعة إلى جانب عصاه ، فضحك وأنشأ يقول :

---

(١) الأغانى: دارالكتب ٢/٤٠٤ وانظر ص٤٠٢ ودارالثقافة٢/٣٦٠ وانظر ص ٣٥٩ وبولاق ٢/١٤٩ والساسى ٢/١٤٤ والتجريد ٢٩٩ .

حَبْسى وحَبْسُ أَبى عُلَيَّـ ـــة من أعاجيبِ الزمانِ
أعمى يُقـــاد ومُقعدٌ لا الرِّجْلُ منه ولا اليَدانِ
هذا بـــلا بَصرٍ هُنَا كَ وَبِى يَخُبُّ الحاملانِ
يا مَنْ رأى ضَبَّ الفَــلَا ةِ قَرِينَ حُوتٍ فى مكان
طِرْفى وطِرْف أَبى عُلَيَّـ ـــةَ دَهرَنا مَتَوافقــانِ
مَنْ يَفتخِرْ بِجِيــادِه[1] فجِـــوَادُنا عُـكَّازتانِ
طِرْفَانِ لا عَلَفاهُما يُشْرَى ولا يَتَصاوَلانِ
هَبْنِى وإيَّاهُ الحَرِيـ ـقَ أكان يَسْطَع بالدُّخانِ

وكان اسمُ أبى عُلَيَّة يحيي ، فقال فيه الحكم :

أقول ليحيي ليــلة الحبْس سادراً ونومى بـــه نَوْمُ الأسير المقيدِ
أعـنّى على رَعْى النجوم ولحْظها أُعِنْك عـــلى تحبير شِعْرٍ مُنضَّدِ[2]
فَفى حالتينا عِـــبْرةٌ وتفكُّرٌ وأعجب شيء حَبْس أعمى ومقعدِ
كِلانا إذا العُـــكَّازُ فارقَ كَفَّه يُنيخُ صَرِيعاً أوعلى الوَجْهِ يَسجُدُ[3]
فعُـكَّازه تَهْدِى إلى السُّبْلِ أَكْمَهاً وأُخرَى مَقامَ الرِّجْلِ قامتْ مع اليَدِ

كانت لابن عبدل الأسدى حاجةٌ إلى عبد الملك بن بِشر بن مروان ، فجعل يدخل إليه ولا يتهيأ له الـكلام ، حتى جاءه رجل فقال : إنى رأيت لك رؤيا ، قال : هاتِها . فقصَّها عليه ، فقال ابنُ عبدل : وأنا أيضا قد رأيت ، قال : هات ما رأيت ، فقال :

---

(١) فى الأغانى : بجواده .
(٢) فى الأغانى : شعر مقصد .
(٣) فى هذا البيت إقواء .

أَغفيتُ قبلَ الصبح نَوْمَ مُسَهَّدٍ ... فى ساعةٍ ما كنت قَبلُ أنامُها

فضحك وقال: فمَهْ[1] . فقال :

فحَبوْتَنى فيما أَرى بوَليدةٍ ... مَغنوجةٍ حَسَنٍ علىَّ قِيامُها

فقال : قد فَعَلْت . فقال[2] :

وبِبَدْرَةٍ حُمِلَتْ إلىَّ وبَغْلَةٍ ... شهباءَ ناجيةٍ يَصِلُّ لِجامُها

ليت المنابرَ يا ابنَ بِشْرٍ أصبحت ... تُرْقَى وأنت خطيبُها وإمامُها

فقال له ابن بشر : إذا رأيتَ هذا فى اليقظة تعرفه ؟ قال : نعم ، وإنما رأيتُه قبل الفجر[3] ، فقال : يا غلام ، ادع فلانا ، فجاء بوكيله ، فقال : هاتِ فلانة ، فجاءت ، فقال : أين هذه مما رأيت ؟ قال : هى هى ، وإلا فعليه وعليه . ثم دعا بِبَدْرة ، فقال مثل ذلك . وببغلة ، فركبها وخرج ، فلقيه قَهرمانُ[4] عبد الملك فقال : أتبيعها ؟ قال : نعم ، قال : بكم ؟ قال : بستمائة ، قال : هى لك ، فأعطاه ثم قال له : أمَا والله لو أبيت إلا الألفَ لأعطيتك . قال : إيَّاى تُندِّم ؟ والله لو أبيتَ إلا بستَّةٍ لبعتك .

تولى على بعض كُوَرِ السَّواد عاملٌ يقال له محمد بن حسَّان بن سعد التميمى ، فسأله ابنُ عَبْدل حاجةً ، فرده عنها فهجاه . وخطب محمد بنُ حسَّان هذا امرأةً من ولد قيس بن عاصم وهى مُعاذة بنت مُقاتل بن طُلْبة بن قيس ، فزوجه إيَّاها رجل منهم يقال له زياد ، فقال ابن عَبْدل فى ذلك يهجوه :

بَاعَ زيادٌ سَوَّدَ اللهُ وَجْهه[5] ... عقيلة قوم سادةٍ بالدراهم

---

(١) فه : تكون اختصار: فما هى أوفماذا . والهاء للسكت . هذا، والجملة ليست فى الأغانى.

(٢) الجملة ليست فى الأغانى .

(٣) فى الأغانى : قبيل الصبح .

(٤) القهرمان : الوكيل .

(٥) فى البيت خرم . وفى الأغانى : أباع .

وما كان حسَّان بن سعد ولا ابنه		أبو المسك من أكفاء قيس بن عاصمِ
ولـكنه ردّ الزمانَ على استِه		وضيَّعَ أمرَ المحصناتِ الـكرائم
خذى دية منه تـكن لك عنده[١]		وجيئى إلى باب الأمير وخاصمى
فلو كنتِ فى رَوْحٍ لما قلتُ خاصمى		ولـكنما أُلْقِيتِ فى سِجْنِ عارِمِ[٢]

فلما بلغ أهلَها شعرُه أنِفُوا من ذلك ، فاجتمعوا على محمد بن حسَّان حتى فارقها .

سمع ابنُ عبدل الأسديُّ امرأةً تَمَشَّى بالبلاط وتتمثل :

وأُعسِر أحيانًا فتشتدُّ عُسرَتى		وأُدْرِكُ مَيسورَ الغِنَى ومعى عِرْضِى

فقال لها ابنُ عبدل : يا أُخيَّة ، أتعرفين قائل هذا الشعر ؟ قالت : نعم ، ابن عَبْدَل ، قال: أفتُثْبِتِينه معرفةً ؟ قالت : لا ، قال : أنا هو ، وأنا الذى يقول أيضا :

وأنْعِظ أحيـانا فينقَدُّ جِـلْدُه		وأَعذِلُه جُهْدِى فلا يَنْفَعُ العَذْلُ
ويزداد إنعاظا إذَا أَبْصر جارتى[٣]		فأوثقه كيما يثوبَ لــه عَقْــلُ
ورُبَّتَما لم أدر مـا حِيلتى لـــه		إذا هـو آذانى وعَىّ بـه الجَهْلُ[٤]
فأُوقِبُه فى بطن جارِى وجارَتى		مكابرَةً قُــدْماً وإن رَغِم الفحْلُ[٥]

فقالت : بئس واللهِ الجارُ أنت للمُغِيبة . قال : إِى واللهِ وللتى معها زوجها وابنها.

قَدِم الحـكَمُ بن عبدل واسطَ على ابن هُبيرة ، وكان بخيلا ، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال :

---

(١) فى الأغانى : عدة .

(٢) «سجن» عارم قال عنه ياقوت : أظنه بالطائف .

(٣) فى الأغانى . وأزداد نعظا حين أبصر جارتى .

(٤) فى الأغانى : وغربه الجهل .

(٥) أوقبه: أدخله. وقدما: إقداما. وسكنت الدال للضرورة . وفى الأغانى : فآويته فى بطن... البعل .

أتيتُـكَ فى أمرٍ مِنْ أمْرِ عشيرتى … وأَعْيَا الأُمورِ المُفْظِعات جَسيمُها
فإن قلت لى فى حاجتى أنا فاعـلٌ … فقـد ثَلِجَتْ نفسى وولَّت ُهمومُها

فقال : أنا فاعل إن اقتصدت فما حاجتُك ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، قال نحن مُناصِفوكها . قال : أصلح الله الأمير ، أتخاف علىَّ التُّخَمَة إن أتممْتَها . قال : أكره أن أُعوّد الناس هذه العادة . قال : فأعطنى جميعها سِرًّا وامنعنى جميعها ظاهرا حتى تُعَوِّد الناس المنع ، وإلا فالضرر واقع عليك إن بذلت لهم نصف ما يطلبون(١) . فضحك ابن هبيرة وقال : ما عندنا إلا ما بذلنا لك ، فجثا بين يديه وقال : امرأته طالق إن أخذتُ أقلّ من أربعة آلاف درهم وأنصرف ، أو أنصرفُ وأنا غضبان ، قال : أعطوه إياها ، قبحه الله ، فإنه ـ ماعلمتُ ـ حلَّاف مَهِين . فأخذها وانصرف .

ولما وقع الطاعون بالكوفة فَنِى بنو غاضرة ، ومات بنو زِرّ بن حُبَيش الغاضرىّ صاحبِ أمـير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام وكانوا ظرفاء وبنى عَمّ ، فقال الحكَمُ بنُ عبدلٍ الغاضرىُّ يرثيهم :

أبَعْدَ بنى زِرٍّ وبعـدَ ابنِ جَنْـدَلٍ … وعَمْرٍو أُرَجِّى لذَّةَ العَيْشِ فى خَفْضِ
مَضَوْا وبَقِينا نَأْمُل العيشَ بعدَهمْ … أَلَا إنَّ من يبقى على إثْرِ مَنْ يمضِى
فقد كان حَـوْلى من جِيادٍ وسَالمٍ … كهولٌ مساعـيرٌ وكلٌّ فـتًى بَضّ
يرى الشُّحَّ عاراً والسماحةَ رِفعـةً … أغرُّ كعُودِ البانةِ النّاعِمِ الغَضّ

جاء الحكَمُ بن عبدل إلى محمد بن حسان بن سعد وكان على خَراج الكوفة ، فكلمه فى رجل من العرب أن يضع عنه من خَراجه ثلاثين درهما ، فقال : أماتنى الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئا ، فانصرف ابنُ عبدل وهو يقول من أبيات :

---

(١) فى الأغانى : إن عودتهم نصف ما يطلبون .

دَعِ الثلاثين لا تَعرِض لصاحبها ... لا باركَ اللهُ فى تلك الثــلاثينا[1]
أَحسِنْ فإنك قد أُعطِيت مَملكةً ... إمارةً صرتَ فيها اليــوم مَفتونا
لا يُعْطِك اللهُ خــيرا مثلَها أبدا ... أقسمتُ بالله إلَّا قلتَ آمينـــا

فلم يضع شيئا مما على الرجل فقال[2] :

رأيتُ محمــداً شَرِهاً ظَلومــا ... وكنتُ أراه ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقول أماتَنى ربّى خِــداعاً ... أمــاتَ اللهُ حسَّانَ بن سَعْدِ
رَكِبْتُ إليه فى رجـلٍ أتانى ... كريمٍ يَبتغى المعروفَ عِنْدى
فقلتُ له وبعضُ القولِ نُصْحٌ ... ومنه ما أُسِرُّ لـــه وأُبْدِى
تَــوَقَّ دَراهِمَ البــكرىِّ إنى ... أخاف عليـك عاقبَةَ التَّعَدِّى
أُقرِّب كُلَّ آصِرَةٍ لأَدْنُو[3] ... فمــا يَزداد منى غــير بُعْدِ
فأُقْسِم غــير مُسْتَثْنٍ يَميناً ... أَبا بَحْرٍ لتَتَّخِمَنَّ رَدِّى[4]
فمــا صادفتَ فى قَحطانَ مِثْلى ... ولا صادفتُ مِثلَك فى مَعَــدٍّ
أقلَّ براعــةً وأشدَّ بُخــلاً ... وألأمَ عنــد مسألةٍ وحَمْــدِ
ولو كُنتَ المهذَّبَ من تَميمٍ ... لَخِفتَ مَلامتى ورَجَوْتَ حَمْدِى
نَكَهْتَ علىَّ نــكْهَةَ أَخْدَرِىٍّ ... شَتيمٍ أَعْصَلِ الأنياب وَرْدِ[5].
فإنْ أَهدَيْتَ لى من فِيكَ حَتْفاً ... فإنى كالذى أهدَيْتَ أُهدِى

---

(١) بعده فى الأغانى بيت .

(٢) رواها أبو الفرج مرتين وفيها عنده زيادة .

(٣) فى الأغانى : ليدنو

(٤) فى الأصل: أبابحر. وصوبت من الأغانى، ومن المعنى الآتى فى قوله : نــكهت على نــكهة أخدرى .

(٥) الأخدرى : يراد به هنا الأسد كأنه من خادر ومخدر . والشتيم : العابس ، وأعصل الأنياب: معوجها. والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة.

وما زال ابنُ عبدلٍ يزيدُ قصيدته هذه الدالية حتى مات ، وهى طويلة جدًّا ، واشتهرت حتى كان المُكارِى يسوق بغله أو حماره فيقول له : عَدْ[1] .

* أمات الله حسَّان بن سَعْدِ *

فإذا سمع ذلك حسان أبو محمدٍ قال : بل أمات الله محمدا فهو عرضنى لهذا البلاء فى ثلاثين درهما .

دعا أبو المهاجرِ الحكَمَ بنَ عبدل فشرب عنده ، وله جارية تغنى ، فغنت ، فقال ابنُ عَبدل :

أَأَبا المُهاجرِ قد أردْتَ كرامتى[2]   فأَهنْتنى وضَررتنى لو تعلمُ
عندَ التى لو مَسَّ جِلْدى جِلْدها   يوماً بَقِيتُ مُخلَّداً لا أَهْرَمُ
أوْ كَنْتُ فى أحْمَى جَهنَّمَ مُقْعَداً   فرأيتُها بَرَدَتْ عَلَىَّ جَهنَّمُ

فجعل أبو المهاجر يضحك ويقول : ويحك ، والله لو كان إليها سبيل لوهبتها لك ، ولكن لها منى ولد .

كان عمر بن زيد الأسدى مُبَخَّلًا ، ووجده أبوه مع أَمَةٍ له ، فكان يُعَيَّر بذلك ، فجاءه الحكم بن عبدل ومعه جماعة ، فدخل عليه بهم وهو يأكل تمرا فلم يدعهم ، وذكروا له حاجتهم فلم يقضها ، فقال ابنُ عبدل :

جِئْنا وبين يديه التَّمْرُ فى طَبَقٍ   فما دعانا أبو حَفْصٍ ولا كَادا
عَلَا على جِسمه ثوبانِ من دَنَسٍ   لُؤْمٌ وكُفْرٌ ولولا أَيْرُه سادا[3]

وكان عمر هذا على شُرطة الحجاج ، وأصابه قُولنج فحقَنه الطبيبُ بدُهن كثير ،

---

(١) عد : كلمة تقولها العامة زجرا للبغال بدل عدس .

(٢) فى الأغانى : يا أبا المهاجر .

(٣) فى الأغانى : لؤم وجبن .

فانحلَّ مافى بطنه فى الطَّست ، فقال للغلام : ما تصنع به ؟ قال : أصبه فى المُستراح ، قال : لا ولكن خلِّص منه[1] الدُّهن فاستَصْبِح به .

كانت امرأة مُوسِرة بالكوفة لها على الناس ديون بالسَّواد ، فاستعانت بابن عبدل فى دينها وقالت : أنا امرأة ليس لى زوج ، وجعلت تُعرِّضُ بأنها تتزوجه ، فقام ابنُ عبدل فى دينها حتى اقتضاه ، فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه :

سيُخْطِيك الذى حاوَلْت مِنّى   فقطِّع حَبْل وَصْلِك من حِبالى
كما أخطاك معروفُ ابنِ بِشْرٍ   وكنتَ تَعُدُّ ذلك رأْسَ مالِ

وكان ابنُ عبدلٍ أتى ابنَ بشرٍ بالكوفة وسأله فقال : أيما أحب إليك خمسمائة العامَ أم ألف فى قابل ؟ فقال : ألف فى قابل ، فلما أتاه فى القابل قال : ألف أحب إليك العامَ أم ألفان فى قابل ؟ فقال : ألفان فلم يزل ذلك رأيَه حتى مات بشر وما أعطاه شيئا .

دخل ابنُ عبدل على عبد الملك بن [بشر بن][2] مروان فقال : ما أحدثت بعدى ؟ فقال : خطبت امرأة من قومى ، فردَّت علىَّ جوابَ رسالتى ببيتين من الشعر ، فقال : ما هما ؟ قال : قالت :

* سيُخطِيك الذى حاولت منى *

وأنشده البيتين ، فضحك عبد الملك وقال : أجَدْت فيما أذكَرْت به نفسك[3] . وأمر له بألفى درهم .

---

(١) فى الأغانى : ميز منه .
(٢) زيادة من الاغانى .
(٣) فى الأغانى : أذكرت بنفسك .

لما أراد عمرُ بن هُبيرة أن يُغزِى الحكَمَ بنَ عبدلٍ الغاضرىَّ فاعتلَّ بالزَّمانة ، فحُمل وأُلقى بين يديه ، فجرَّده فإذا هو أعرج مفلوج فوضع عنه الغزْوَ وضمَّه إليه ، وشَخَص به معه إلى واسط . فقال الحكم :

لعمرى لقد جرَّدْتنى فوجدْتَنى ... كثيرَ العيوبِ سَيِّئَ المُتَجَرَّدِ
فأعفيتنى لمَّا رأيتَ زَمَانَتِى ... وَوُفِّقْتَ منى للقضاء المُسدَّدِ
ولستُ بذى شَيْخَيْنِ يَلْتَزِمانه ... ولكنْ يتيمٌ ساقطُ الرِّجْلِ واليَدِ

(فلما صار عمر إلى واسط شكا إليه الحَكَمُ الضَّبْعَةَ[(١)] فوهب له جارية من جواريه ، فواثبها ليلةَ صارَتْ إليه ، فنكحها تسعة أو عشرة ، فلما أصبحت قالت له : جُعلت فِداك ، من أى الناس أنت ؟ قال : امرؤٌ من أهل الشام . قالت : بهذا العمل نُصِرْتم) وكان الحجاج قد ضرب البعث على المحتلمين ومن أنبت من الصبيان فكانت المرأة تجىء إلى ابنها وقد جُرِّد فتضمه إليها وتقول له : بُنَيِّ بُنَيِّ[(٢)] جزَعا عليه فسمى ذلك الجيشُ جيشَ بُنَيِّ . وأحصر الحكم ابنُ عبدل فجُرِّد فوُجد أعرج فأعفى [فقال فى ذلك : لعمرى لقد جرّدتنى فوجدتنى][(٣)] .

كان الحكم بن عبدل مُنقطعا إلى بشر بن مروان ، وكان يأنس به ويحبه ويستطيبه ، فأخرجه معه إلى البصرة لمّا وليها ، فلما مات بشرٌ جزع عليه الحكمُ وقال يرثيه :

أصبحت جَمَّ بلابلِ الصَّدْرِ ... مُتعجِّباً لتصرُّفِ الدَّهرِ
ما زلتُ أطلب فى البلاد فَتًى ... ليكون لى ذُخْراً من الذُّخْرِ

---

(١) الضبعة : شدة شهوة الفحل . وفى المختار وبعض أصول الأغانى : الضيقة .
(٢) فى الأغانى : وتقول له بأبى جزعا عليه . . جيش بأبى .
(٣) زيادة من الأغانى كأنها رواية أخرى للشعر السابق .

ويكون يُسعِدنى وأُسعــده   فى كلّ نائبــةٍ من الأَمْرِ
حتى إذا ظفرت يدَاىَ بـه   جاء القضاءُ لِحَيْنه يَجْرِى
إنّى لفى هَمٍّ يُبا كِرُنى   منه وهَمٍّ طارقٍ يسرِى
فلأَصبرنَّ وما رأيتُ دوًا   للهمِّ مثلَ عَزيمةِ الصَّبْرِ
والله ما استعظمتُ فُرْقتَه   حـتّى أحاط بِفضلِه خُبْرِى

خرج يزيدُ بنُ عمر بن هُبيرة يسير بالكوفة ، فانتهى إلى مسجد بنى غاضرة وقد أقيمت الصلاة ، فبدأ فصلّى ، واجتمع الناس لمكانه فى الطريق، وأشرف النساء من السطوح ، فلما قضى صلاته قال : لمن هذا المسجد ؟ قالوا: لبنى غاضرة ، فتمثل بقول الشاعر :

ما إنْ ترَكْنَ من الغَواضِرِ مُعْصِراً   إلّا نَطَمْنَ بِساقِها خَلْخَالا[1]

فقالت له امرأة من المُشْرِفات :

ولقد عَطَفْن على فَزارةَ عَطْفَةً   كَرَّ المَنِيحِ وَجُلْنَ ثَمَّ مَجَالاَ[2]

فقال يزيد : من هذه المرأة ؟ فقالوا : بنت الحكم بن عبدل . فقال : هل تلد الحيَّةُ إلّا حيَّةً . وانصرف خجلا .

وكان ابنُ عبدل من أطيب الناس وأملحهم . فلقيه صاحبُ العسس ليلة وهو سكران محمول فى مِحَفَّة ، فقال له : من أنت ؟ فقال له : يا بغيض يابارد ، أنت أعرفُ بى من أن تسألنى من أنا . فاذهبْ إلى شغلك فإنك تعلم أن اللصوص لا يخرجون بالليل إلى السَّرَق محمولين فى محفة ، فضحك وانصرف .

---

(١) فى الأغانى : فصمن بساقها .

(٢) المنيح : فرس كان لقيس بن مسعود الشيبانى .

كانت للحكم جاريةُ سوداء ، وكان يميل إليها ، فوُلد له ابنٌ أسود ، وكان من أعْرَم[1] الصِّبيان وقال فيه :

يا رُبَّ خالٍ لك مُسْوَدِّ القفـــا لا يَشتكى من رِجْله مَسَّ الحَفَا
كأن عينَيْـــه إذا تَشَوَّفـــاَ عينا غُرابٍ فوق نِيقٍ أَشْرَفا[2]

اجتمع الشعراء إلى الحجاج بن يوسف وفيهم ابن عبدل ، فقالوا : إنما شعرُ ابنِ عبدلٍ كلّه هجاء ، وشعر سخيف . فقال : قد سمعتَ قولَهم فاسمع الآن مِنّى. قال : هاتِ ، فأنشده قوله :

وإنى لأستغنى فما أَبْطَرَ الغنَى
وأَعرِض مَيْسورى لمن يبتغى عَرْضى[3]
وأُعْسِرُ أحياناً فتَشتدُّ عُسْرَتى
وأُدْرِكُ ميسور الغِنَى ومعى عِرْضى
ولستُ بذى وَجهين فيمن عَرفتهُ
ولا البخلُ فاعلمْ من سَمائى ولا أَرْضى

فقال له الحجاج : أحسنت ، وفضَّله عليهم فى الجائزة بألف درهم .

---

(١) أعرم : به أخبث .
(٢) النيق : أرفع موضع فى الجبل .
(٣) فى الأغانى : لمن يبتغى قرضى .

حُرثان ذو الإصبع[1]

(هو حُرثان بن الحارث) بن مُحرِّث بن ثعلبة بن ثياب[2] بن رَبيعة بن هُبيرة بن ثَعلبة ابن ظَرِب بن عمرو بن عَباد بن يَشْكر بن عَدْوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عَيْلان ابن مُضر بن نزار (أحد بنى عَدْوَان ، بَطْن من جَدِيلة ، شاعر فارس من قدماء شعراء الجاهلية) وله غارات كثيرة فى العرب ووقائع مشهورة .

قال الأصمعىُّ : نزلتْ عَدوانُ على ماء فأحْصَوْا فيهم سَبعين ألف غلام أغْرَل[3] سوى من كان مختونا ، لكثرة عددهم . ثم وقع بأسهم بينهم فتفانَوْا (فقال (ذو الإصبع[4] :

عَذِيرَ الحىِّ مِنْ عـدوا ... نَ كانوا حَيَّةَ الأرضِ
بَغـى بعضُهم بعْضاً ... فلم يُبْقُوا على الْبَعْضِ[5]
فقد صاروا أحاديثَ ... برَفْعِ القَوْلِ والخَفْضِ
وليس الأمر فى شَىْءٍ ... من الإبرام والنَّقْضِ
إذا أَبْرَم أمْرًا خا ... لَهُ يَقْضِى ولا يَقْضِى
يقولُ اليومَ أُمْضِيه ... ولا يَملك ما يُمضِى
ومنهمْ كانت السَّادَا ... تُ والمُوفُون بالقَرْضِ

---

(١) الأغانى: دارالكتب ٣/٨٩ وانظر ص٨٨ ودارالثقافة ٣/٨٥ وانظر ص٨٤ وبولاق ٣/٢ والساسى ٣/٢ والتجريد ٣٥٣ .

(٢) فى الأغانى : سيار . وفى الخزانة ٢/٤٠٨ : شبابة .

(٣) فسرت بالهامش: أى أقلف.

(٤) ذكرها أبو الفرج فى مواضع ثلاثة باختلاف فى ترتيبها .

(٥) فى الأغانى : على بعض .

ومنهمْ من يجيز النـــا | سَ بالسُّنَّـــةِ والفرْضِ
ومنهـم حَـكَمٌ يَقْضِي | فلا يُنْقَضُ مـا يَقْـضِي
وهُمْ من ولدوا عــامِ | رَ ذا الطُّول وذا العَرْضِ
وهم كانوا بـلا كِذْبٍ(١) | ذَوِى القُوَّةِ والنَّهْــضِ
وهم من وَلَدُوا أَشْبَوْا(٢) | بِسِرِّ الحَسَبِ المَحْضِ

منها :

وكان النـــاس إذ هَمُّوا | لِسيرٍ خاشــعٍ مُغْضِي
تَنَادَوْا ثم ساروا بِــ | رَئيسٍ لهم مَرْضِي(٣)
فَمَن ساجَلَهمْ حَرْباً | فَفِى الخَيبـةِ والخَفْــضِ
معـالِى لم يَنَلْهـــا النـا | سُ فى بَسْطٍ ولا قَبْضِ

(قوله : « ومنهم حكم يقضى » يعنى عامِرَ بن الظَّرِب العَدْوانىّ ، وهو الذى كانت العرب تحتكم إليه) ولما كبر كانت العصا تُقْرَع له ، فقال له الثانى(٤) من ولده: إنك ربما أخطأت فى الُحكْم فيُحْمَل عنك . قال : فاجعلوا لى أمارةً أعرفها إذا زُغت فسمعتُها رجعت إلى الحكم بالصواب . فكان يجلس قُدَّام بيته ويقعد ابنه فى البيت ومَعَه العصا ، فإذا زلّ أوهفا قرع له الجَفْنَة بالعصا فرجع إلى الصواب ، وفى ذلك يقول المُتَلمِّسُ :

لِذِى الحِلْمِ قبلَ اليوم ماتُقْرَعُ العصا | وما عُلِّم الإنسانُ إلّا لِيعْلَمَا

---

(١) فى الأغانى : فلا تكذب .
(٢) كذا فى الأغانى وأشبى فلان : إذا ولد له ولد كيس . وفى الأصول : «أسنوا» .
(٣) ضبط فى الأغانى « بضم الميم » وما أثبت عن ضبط «ك» .
(٤) تعبير الأغانى وهو أحسن : وهو الذى كانت العصا تقرع له وكان قد كبر فقال له الثانى .

ورَبيعةُ تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همّام واليمن تدّعيه لربيعة ابن مُخَاشِن وهو ذو الأعواد . وهو أول من جلس على مِنْبَرٍ أو سريرٍ وتكلّم . وفيه يقول الأسود بن يَعْفُر :

ولقد عَلِمْتُ لوَ أنَّ عِلْمِىَ نافعٌ ... أن السبيلَ سبيلُ ذِى الأعوادِ

وقوله : « ومنهم من يجيز الناس » . فإن إجازةَ الناس كانت لُخزاعة فأخذتْها منهم عَدْوانُ وصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سَيَّارَة أحد بنى وابش[1] بن زَيْد ابن عَدْوَان ، وفيه يقول الراجز :

خلُّوا السبيلَ عن أَبِى سَيَّارَهْ ... وعن مَوَالِيه بَنِى فَزَارَهْ

حتى يُجيزَ سالِمًا حِمَارَهْ ... مُستقبِلَ الكعبةِ يَدْعُو جارَهْ

(وكان أبو سيَّارَة يُجيز الناسَ فى الحَجّ ، بأن يتقدمهم على حمار ثم يخطبهم فيقول: اللهم أصلحْ بين نسائنا وعادِلْ[2] بين رعائنا واجعل المال من سُمَحائنا . أوْفُوا بعهدكم، وأكرموا جاركم واقرُوا ضيفكم. ثم يقول: أشرِق ثَبير كيما نغير[3]. فكانت هذه إجازته ، ثم يتقدم[4] ويتبعه الناس)

لما قدِم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتله مصعب بن الزبير جلس يَعْرِض أحياء العرب ، فقام إليه مَعْبَد بن خالدٍ الجندلىّ وكان قصيرا دميما ، فتقدَّمَ رجل حَسنُ الهيئة . قال معبدٌ : فنظر عبد الملك إلى الرجل فقال : ممن أنت ؟ فسكت وكان منا، فقلت من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جَدِيلة فأقبل على الرجل وتركنى

---

(١) فى الأصل : فامس. والتصويب من الأغانى ، وشرح القاموس مادة وبش .

(٢) فى الأغانى : وعاد .

(٣) ثبير: جبل بمكة . وأشرق : ادخل فى الشروق. وكيما نغير : أى كيما نسرع للنحر .

(٤) فى الأغانى : ثم ينفر .

فقال : مِن أيّكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدرى . قلت : كان عَدْوَانِيًّا . فأقبل على الرجل وتركنى وقال : لِمَ سُمِّىَ ذا الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدرى ، فقلت من خلفه : نهشتْه حيّةٌ فى إصبعه فيبست ، فأقبل على الرجل وتركنى وقال : وبِمَ كان يُسمَّى قبل ذلك ؟ فقال الرجل : لا أدرى ، فقلت من خلفه : كان يسمى حُرْثان . فأقبل على الرجل وتركنى وقال : من أى عَدْوَان كان ؟ قال : لا أدرى . قلت من خلفه : من بنى ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر :

وأمّا بنو نَاجٍ فلا تَذْكُرَنَّهمْ ولا تُتْبِعَنْ عينيك مَنْ كان هالكا
إذا قلتُ معروفا لأُصلِح بينهمْ تقول مُرَيْنٌ لا أُسَلِّم ذلكا[(١)]
فأضحى كظَهْر الفحلِ جُبَّ سنامُه تَحوم عليه الطيرُ أحدَبَ باركا[(٢)]
فإن تَكُ عَدْوَانُ بنُ عمرٍو تفرَّقتْ فقد غَنِيَتْ دَهْرًا مُلوكا هُنالكا

فأقبل على الرجل وتركنى وقال : أنشدنى قوله :

عَذِيرَ الحىِّ من عَدْوَا نَ كانوا حَيَّةَ الأرض[(٣)]

قال الرجل : لست أرويها . قلت : يا أمير المؤمنين إن شئت أنشدتكها . قال : ادنُ منى ، أراك بقومك عالما . فأنشدته القصيدة ، فأقبل على الرجل وتركنى فقال : كم عطاؤُك ؟ قال : ألفان . فأقبل علىَّ فقال : كم عطاؤك ؟ قلت : خمسمائة . فأقبل على كاتبه وقال : اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا . فانصرفت بها .

كان لذى الإصبع أربع بنات وكن يخطبن إليه فيعرض ذلك عليهن فيستحين فلا يزوجهن ، وكانت أمُّهنّ تقول له : زوِّجْهن[(٤)] ، فلا يفعل ، فخرج ليلة

(١) فى الأغانى : تقول وهيب.
(٢) فى الأغانى : يدب إلى الأعداء أحدب باركا .
(٣) لم يذكر هذا البيت فى الأغانى فى ترجمة ذى الإصبع .
(٤) فى الأغانى : تقول : لو زوجتهن .

إلى مُتحدَّثٍ لهنّ فاستمع عليهن وهن لا يعلمن ، فقلن : تعالَيْن نتمنَّى ولنَصْدُقْ في أمانِيِّنا . فقالت الكبرى :

ألاَ ليت زوجي من أُناسٍ ذَوِي غِنًى　　حَديثُ الشباب طيِّبُ الريحِ والعِطْرِ
طبيبٌ بأدواءِ النساء كأنَّه　　خليفة جانٍ لا يَنامُ على هُجْرِ[1]

فقلن لها : أنت تُحبين رجلا ليس من قومك . فقالت الثانية :

ألاَ هَلْ أراها مرَّةً وضَجيعُها　　أشمُّ كنَصْلِ السيف غير مُهَنَّدِ[2]
لَصوقٌ بأكباد النساء وأصلُه　　إذا ما انتمى من سِرِّ أَهْلي ومَحْتِدي

فقلن لها : أنت تحبين رجلا من قومك. فقالت الثالثة :

ألا ليته يَمْلاَ الجِفانَ وليته　　له جَفْنَةٌ تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ
به مُحْكَماتُ الشَّيْبِ من غير كَبْرَةٍ　　ولا هو بالفاني ولا الضَّرِعُ الغُمْرُ[3]

فقلن لها: أنت تحبين رجلا شريفاً . وقُلن للصغرى: تمنَّيْ . فقالت: والله ما أريد شيئا . قلن : والله ما تبرحين حتى نعلمَ ما في نفسك . فقالت: زوجٌ من عُودٍ خيرٌ من قعود . فلما سمع أبوهن ذلك زوَّجهن أربعتهن . ثم مكث[4] برهة ثم اجتمعن عنده ، فقال للكبرى : يابنيةما مَالُكم ؟ قالت : الإبل . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، نأكل لحومها ، مِزَعا ، ونشرب ألبانها جُرَعا ، وتحملنا وضعيفنا معا. قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خير زوج ، يُكرِم الحليلة ، ويُعْطِي الوَسيلة[5] . قال : مالٌ عَميم ، وزَوجٌ كريم . ثم قال للثانية : يا بُنَيَّة ، ما مالكم؟

---

(١) في الأغاني : على وتر .

(٢) في الأغاني : غير مبلد .

(٣) روايته في الأغاني :

له محكمات الدهر من غير كبرة　　تشين ولا الفاني ولا الضرع الغمر

(٤) في الأغاني : فمكثن .

(٥) الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير .

قالت : البقر ، قال : وكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، تألَف الفِناء ، وتُودِّك السِّقاء[1] ، وتملأ الإناء ونساء مع نساء . قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت خير زوج ، يُكرِم أهله ، وينسى فضله . قال : حَظِيت ورَغِيت . ثم قال للثالثة : يابُنَيَّة ، ما مالكم ؟ قالت : المِعْزَى ، قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأس بها ، نُولِدها بِهَماً[2] ، ونَسلخها أَدَماً ، قال : فكيف تجدين زوجك؟ قالت : لا بأس به ، ليس بالبخيل الخَتِر[3] ، ولا بالسمح البَذِر . قال : جَدْوَى مُغْنية ، مالٌ مُوَيل ، ورَجُل رُجَيل[4] ثم قال للرابعة : يا بُنيَّة ، ما ما لكم ؟ قالت : الضأن . قال : كيف تجدونها ؟ قالت : شرُّ مال : جُوفٌ لا يَشبعن ، وهِيمٌ لا يَنقَعْن . وصمٌّ لا يسمعن ، وأَمْرَ مُغْوِيتِهنَّ يَتْبَعن . قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : شرُّ زوج ، يُكرِم نفسه ويُهين عِرْسه . قال : أشبهَ امرأً بعضُ بَزِّه .

وعُمِّر ذو الإصبع طويلا حتى خَرِف ، فكان يُفرق ماله فعذله أصهارُه وأخذوا على يده ، فقال من أبيات[5] :

أهلكنا الليلُ والنهارُ مَعاَ ... والدَّهْرُ يَعْدُو مُصَمِّماً جَذَعَا

فليس فيما أصابنى عَجَبٌ ... إن كنتُ شَيْباً أنكرْتُ أوصَلَعَا

ولما احْتُضِر ذو الإصبع دعا ابنه أُسَيْداً فقال : يا بُنَيَّ ، إن أباك قد فَنِيَ وهو حَيٌّ ، وعاش حتى سئم العيش ، وإنى مُوصيك بما إن حفظتَه بلغتَ فى قومك ما بلغتُه . فاحفَظْ عنى : أَلِنْ جانبك لقومك يُحبُّوك . وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وَجْهك

---

(١) تودكه : تجعل فيه الودك وهو السمن .

(٢) البهم : أولاد الغنم . والأدم جمع أديم وهو الجلد . وفى الأغانى : نولدها فطما .

(٣) الختر : الذى يأخذه استرخاء كالخدر . وفى الأغانى : الحكر .

(٤) « مال مويل ورجل رجيل » ليست فى الأغانى .

(٥) هى فى الأغانى طويلة .

يطيعوك ، ولا تستأْثِرْ عليهم بشىء يُسَوِّدوك ، وأكرم صغارهم كما تكرمُ كِبارهم يُكرمْك كِبارُهُم ويَكبَرْ على مودّتِك صِغارُهم ، واسمَحْ بمالك ، واحْمِ حَرِيمَك ، وأعْزِزْ جارَك ، وأعِنْ من استعان بك ، وأكرِمْ ضيفك ، وأسرِع النَّهضةَ فى الصَّرِيخ . فإن لك أجَلًا لا يَعْدُوك ، وصُنْ وجهك عن مَسألةِ أحدٍ شيئا ، فبذلك يتمُّ سُؤْدَدُك . ثم أنشأ يقول :

أأسَيْدُ إما تَنعمَن(١) فسِرْ به سَيْراً جميلَا
آخِ الكِرامَ إذا استطعْتَ إلى إخائِهم سَبيلا
واشربْ بكاسِهم وإن شربوا به السَّمَّ الثَّميلَا(٢)
أهِنِ اللئامَ ولا تَكُنْ لإخائهمْ جَمَلًا ذَلُولَا
إن الكرام إذا تواخيهم تجد لهمْ قبولا
ودَعِ الذى يَعِدُ العَشيرةَ أن يَسيلَ ولا يَسيلَا
أبُنَىَّ إن المال لا يَبْكِى إذا فقدَ البَخيلا
أأسيدُ إن أزمعتَ من بَلدٍ إلى بلد رَحيلا
فاحْفَظ إذا شَحَط المزَارُ أخا أخيك أو النزيلا
واركَبْ بنفسك إن هممتَ بها الحزونةَ والسّهولا
وصِلِ الكرامَ وكن لمن ترجو مودّته وَصُولَا
ودَعِ التَّوانِىَ فى الأُمورِ وكُنْ لها سَلِساً ذَلولَا
وابسُطْ يمينك بالنَّدَى وامدُدْ له باعاً طَويلَا
وابسط يديك بما ملكْتَ وشَيِّدِ الحسَبَ الأثيلَا

(١) فى الأغانى : أأسيد إن مالا ملكت فسر به

(٢) هو من الثمال والثمل : وهو السم المنقع .

واعْـــزِم إذا حاولت أمـ ـــراً يَفرَج الهمَّ الدَّخيــلا
وابذُل لضيفك ذات رحْـ ـــلِك مُـكرِماً حتى يزولا
واحلُلْ على الأيفَاعِ للْـ ـــعافِينَ واجتَنبِ المَسِيلَا
وإذا القرومُ تخـاطَرَتْ يوما وأَرْعَدَت الخَصيلَا(١)
فاهصِرْ كهَصْرِ الليث يخْـ ـــضبُ من فريسته التَّليلَا(٢)
وانزِلْ إلى الهَيْجَا إذا أبطالُها كَرِهُوا النُّزولَا
وإذا دُعِيتَ إلى المُهِـ ـــمِّ فـكُنْ لفادِحِه حَمُولَا

وكان سببَ تفرُّق عدْوان وقتال بعضهم بعضا حتى تَفانَوْا أن بنى ناجٍ بن يشكر ابن عَدْوان أغاروا على بنى عوف بن سَعْد بن ظَرِب بن عمرو بن عباد بن يشـكر بن عدوان ، فاقتتلوا ، ونَذِرَت بهم بنو عوف . فقتل بنو ناجٍ منهم ثمانيةَ نفرٍ فيهم عُمَيرُ بنُ مالكٍ سيِّدُ بنى عوف ، وقتل بنو عوفٍ رجلا منهم يقال له سِنان بن جابر ، ثم اصطلح سائر الناس على الدِّيات أن يَتعاطَوْها ، ورضوا بذلك ، وأَبى مُرّين(٣) ابن جابرٍ أن يقبل لِسنانِ بن جابرٍ ديةً واعتزل هـو وبنو أبيه ومن أطاعهم وَمَالأَهُم(٤) . فمشى ذو الإصبع فى قبولِ دِية سنان وقال : قد قُتِل منا ثمانيةُ نفرٍ فقبلنا الدِّية ، وقُتل منكم رجل واحد فاقبلوا دِيته ، فأبوا ذلك ، وأقاموا على الحرب ، وكان ذلك بَدْء حربهم حتى تَفانَوْا وتقطَّعوا ، فقال ذو الإصبع فى مُرّينِ بنِ جابر :

(١) الخصيل جمع خصيلة : وهى كل لحمة فيها عصب . وفى المختار : وأوعدت الحصيلا .
(٢) التليل : العنق .
(٣) فى الأغانى : مرير . وسيأتى فى الشعر : يامر . ولعل اسمه « مر » والياء والنون زيادة ناسخ .
(٤) فى الأغانى : ومن والاهم . وبعده فى الأغانى : وتبعه على ذلك كرب بن خالد أحد بنى عبس ابن ناج فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبول الدية وقال. . . فأبيا ذلك وأقاما على الحرب. أما فى ك : فاقبلوا ديته فأبوا ذلك وأقاما على الحرب .

يا مَن لقَلْبٍ شَديــد الهَمِّ مَحزونِ ... أمسى تَذكَّرَ رَيَّا أمَّ هَــارُونِ
أمْسَى تَذكَّرها من بَعدما شَحَطَتْ ... والدهرُ ذو غِلَظٍ حِيناً وذُو لِينِ
فإن يكن حُبُّها أمسى لنــا شَجَناً ... وأصبح الوَلْىُ منها لا يُوالِينى (١)
فقد غَنِينا وشَمْلُ الدارِ يَجمعُنا (٢) ... أُطِيعِ رَيَّا ورَيَّا لا تُعاصِينى
تَرْمِى الوُشاةَ فلا تُخْطِى مَقاتِلَهمْ ... بخالصٍ من صفاء الوُدِّ مَكنونِ
لِىَ ابنُ عَمٍّ على ما كان من خُلُقٍ ... مُخالِفٌ لِىَ أَقليه ويَقْلِينى (٣)
أزرَى بنا أننا شالَتْ نَعامَتُنا ... نَخالَنى دُونه بل خِلْته دُونى
لاهِ ابنُ عمّك لا أفضلتَ فى حَسَبٍ ... شيئًا ولا أنت دَيَّانى فتَخزُونى (٤)
ولا تَقُوت عِيالى يومَ مَسغَبةٍ ... ولا بنفسك فى العَزَّاء تَكفِينى (٥)
فإن تُرِدْ عرضَ الدنيا بِمَنقصتى ... فإن ذلك مما ليس يُشْجِينى
وما تَرى فِىَّ غَيْرَ الصبرِ مَنقصةً ... وما سِواه فإن اللهَ يَكفِينى
لولا أواصرُ قُرْبَى لستَ تَحفظُها ... ورهبةُ اللهِ فى مَوْلًى يُعادِينى
إذًا بَرَيْتك بَرْياً لا انجبارَ له ... إنى رَأيتك لا تنفكُّ تَبْرِينى
— إن الذى يَقبِض الدُّنيا ويَبسُطها ... إن كان أغناك عَنِّى سَوفَ يُغنِينى
اللهُ يَعْلَمُـــنى واللهُ يَعلَمُكم ... واللهُ يَجزِيكُم عنى ويَجْزِينى
— ما ذا عَلَىَّ وإن كنتمْ ذَوِى رَحِمى ... ألّا أُحبَّكم إذْ لم تُحِبُّونى
لو تَشربون دمى لم يَرْوَ شارِبُكم ... ولا دِماؤُكُم جَمْعاً تُرَوِّينى

---

(١) الولى : القرب . وفى الأغانى : الوالى منها لا يواتينى .
(٢) غنينا : أقمنا .
(٣) فى الأغانى : ولى ابن عم . . مختلفان فأقليه .
(٤) فى الأصول : فتخزينى .
(٥) العزاء : الشدة .

لِيَ ابنُ عَمٍّ لو أنَّ الناس فى كَبِدِى ... لظلَّ مُنْجَحِراً بالنَّبْل يرمينى (١)
يامُرَّ إنْ لاتَدَعْ شَتْمِى ومَنقصتى (٢) ... أضْرِبْكَ حتّى تقولَ الهامةُ اسقونى
كلُّ امرِئٍ صائرٌ يوما لِشيمَتِه ... وإن تخلَّقَ أخلاقاً إلى حِينِ
إنى لعمرُكَ ما بابى بذى غَلَقٍ ... على الصديق ولا خَيْرِى بِمَمْنُونِ
ولا لسانى على الأدْنَى بمُنطلِقٍ ... بالمُنكرات ولا فَتْكى بمأمونِ
لا يَخرج القَسْرُ منى غيْرَ مَغضبةٍ (٣) ... ولا ألينُ لمن لا يَبتغى لِينى
وأنتم مَعْشَرٌ زَيْدٌ على مِائةٍ ... فأَجْمِعوا أمركم شَتَّى وكِيدونى
وإن عَلمتمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ فانطلِقوا ... وإنْ غَبِيتمُ طريقَ الرُّشْدِ فأْتُونى
يا رُبَّ ثوبٍ حَواشيه كأَوْسَطِه ... لا عَيْبَ فى الثوبِ مِنْ خُشْنٍ ولا لِينِ (٤)
يوماً شدَدْتُ على فَرْعَاء فاهِقَةٍ ... طَوْرًا من الدهر تاراتٍ تُماريِنى (٥)
ماذا علىَّ إذا تَدْعُونى ضَرَعا (٦) ... ألّا أُجيبُكم إذْ لا تُجيبونى
قد كنتُ أُعطيكمُ مالى وأَمنحكم ... وُدِّى على مُثْبَتٍ فى الصَّدْرِ مَكنُونِ
يارُبَّ حَىٍّ شديدِ الشَّغْب ذِى لَجَبٍ ... دَعَوْتُهم راهِناً منهم بمرهونِ (٧)
رَدَدْتُ باطلَهمْ فى رأس قائلِهمْ ... حتى يَظلُّوا خُصوماً ذا أَفانِينِ
يا صاحِ لو كنتَ لى ألفيتَنى يَسَرًا (٨) ... سَمْحًا كريماً أُجازِى مَن يُجازِينى

---

(١) فى المختار : فى كبد. وفى الأغانى : « فى كبدى لظل محتجزا » وفيه أيضا « منجحزا » .
(٢) فى الأغانى : « ياعمرو إن لاتدع » هذا، وتقدم أنه يقول الشعر فى مرين بن جابر.
(٣) فى المختار : لا يخرج السر . والتصويب من الأغانى والمفضليات .
(٤) الخشن تكون من الخشونة . وفى الأغانى : من حسن ومن لين .
(٥) فرعاء الطريق : أعلاه ومنقطعه . وفهق الإناء يفهق : امتلأ حتى صار يتصبب ، ويريد بذلك الطريق المزدحم بالعدو . وقد ورد فى الأغانى : فرغاء فاهقة وفسرت الفرغاء بالطعنة الواسعة والفاهقة: التى تفهق بالدم أى تتصبب . وفى الأغانى : يوما شددت . . يوما من الدهر .
(٦) فى الأصل : « ماذا على بأن تدعونى » وفى الأغانى : إذا تدعوننى فزعا .
(٧) فى الأغانى : ذعرت من راهن منهم ومرهون .
(٨) فى الأغانى: ياعمرو لو كنت لى ألفيتنى يسرا .

وقد عجبتُ وما فى الدهرِ من عَجبٍ يَدٌ تَشُجُّ وأُخرى منك تَأْسُونى (١)
فإن تُصِبْك من الأَيّامِ جائحةٌ لا أَبْكِ مِنكَ على دُنْيا ولا دِينِ

وقالت أُمامة بنت ذى الإصبع ترثى قومها ، وكانت شاعرة :

كم من فـتًى كانت له مَنْعَةٌ (٢) أبلجَ مثلِ القمرِ الزاهرِ
قد مرَّت الخيلُ بحـافاتِه كمرِّ غَيْثٍ لَجِبٍ ماطِـرِ
قد لقِيَتْ فَهمٌ وعَدْوَانُهـا قتْلاً وهُلْـكاً آخرَ الغابرِ
كانوا مُلوكا سادةً فى الذُّرَا دَهْراً لها الفخْرُ على الفـاخرِ
حتى تَساقَوْا كأْسَهُم بينهمْ بَغْياً فيَا لِلشاربِ الخاسِرِ
بادُوا فمَنْ يَحْلُلْ بأوطـانِهمْ يَحْلُلْ بِدَرْسٍ (٣) مُقفرٍ دَاثِرِ

ولأُمامة هذه يقول أبو الإصبع وقد رأته نهض فسقط وتوكّأ على عصاً فبكت فقال :

جَزِعَتْ أُمامة أَن مشيتُ على العَصَا وتَذَكَّرتْ إذ نحن م الفِتْيانِ
فَلَقَبْلُ ما رَامَ الزمانُ بِكَيدِه إرَماً وهذا الحىَّ مِنْ عَدْوَانِ
بعْدَ الحُـكومة والفَضيلة والنُّهَى طاف الزمـان عليهمُ بأوانِ
وتفرقوا وتقطَّعَتْ أشلاؤُهم وتبـدَّدُوا فِرَقاً بكلِّ مكَانِ
جَدَب الزمان وأُعْقِبَتْ أرحامُهم (٤) والدهرُ غَيَّرَهُمْ مع الحدَثَانِ
حتى أبادَهمُ على أُخراهمُ صَرْعَى بكلِّ بَعيدةٍ ومُدَانِى (٥)
لا تَعْجَبِنَّ أُمامُ إن حَدَثٌ عَرَا فالدَّهْرُ غيَّرنَا مع الأَزمانِ

---

(١) هذا البيت لم يجئ فى ترجمة ذى الإصبع وإنما جاء فى ترجمة قيل مولى العبلات بعده .
(٢) المنعة : القوة . وفى الأغانى : ميعة . والميعة : أول الشباب .
(٣) الدرس: الطريق الخفى. وفى الأغانى : يحلل برسم.
(٤) فى الأغانى : جدب البلاد .
(٥) فى الأغانى : بكل نقيرة ومكان .

الحارث بن خالد(١)

هو الحارث بن خالد بن العاص بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مَخزوم ابن يَقظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب . وأمه فاطمة بنت أبى سعيد بن الحارث بن هِشام وأُمها بنت أبى جهل بن هشام . وكان جَدُّه العاص بن هشام خَرج مع المشركين يوم بدر فقتله علىٌّ بن أبى طالب كرَّم الله وجهه ، لأنه كان قد قامر أبا لهب فى عَشْرٍ من الإبل فقَمَرَه أبو لهب ، ثم فى عشر فقمره ثم فى عشر فقمره إلى أن خلعه من ماله فلم يبق له شىء ، فقال له العاص : إنى أرى القداح قد خالفتك يا ابن عبد المطلب ، فقال : أقامرك فيما أذكره ، فأيُّنا قُمِرَ كان عبداً لصاحبه ، فتقامرا على أنهما أيهما غَلَب استرقّ صاحِبَه . فقمره أبو لهب فكره أن يسترقه فتغضب بنو مخزوم ، فمشى إليهم وقال : افتدُوه منى بعشرة من الإبل ، قالوا : لا والله ولا بِوَبَرَة ، فاسترقَّه ، فكان يرعى إبله ، وقيل : أجلسه قَيْنا يعمل الحديد إلى أن خرج المشركون إلى بدر ، فكان مَنْ لم يخرج أَخْرج بَدِيلا ، وكان أبو لهب عليلا ، فأخرج العاص وقعد على أنه إن عاد أعتقه ، فقتله علىٌّ رضوان الله عليه يومئذ .

والحارث أحد شعراء قريش المعدودين الغَزِلِيِّين ، يذهب مذهب عُمر بن أبى ربيعة ولا يجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء ، وكان يهوى عائشةَ بنتَ طَلحة ابن عُبيد الله ويُشبِّب بها ، وولَّاه عبدُ الملك بن مروان مَكّة وكان ذا قَدْرٍ وخَطَرٍ فى قريش .

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٣/ ٣١١ وانظر ص ٣١٠ ودار الثقافة ٣/ ٣٠٧ وانظر ٣٠٥ وبولاق ٣/ ١١٠ والساسى ٣/ ١٠٠ والتجريد ٤٢٨ .

وأخوه عِكْرِمةُ بن خالدٍ المخزومىُّ مُحَدِّث جَليلُ القَدْر من وجُوه التابعين ، روى عن جَماعةٍ من الصحابة ، وله أخ أيضا يقال له عبد الرحمن بن خالد) وهو القائل :

رَحل الشبابُ وليته لم يَرْحَلِ ... ومَضَى لِطيَّةِ ذاهبٍ مُتَحَمِّلِ[1]

وَلَّى بلاد ذَمٍّ وغادَرَ بعـدَه ... شَيْباً أقـام مكانَه فى المَنْزِلِ

ليت الشبابَ ثَوَى لدينا حِقبةً ... قبل المشيب وليته لم يَرحـلِ

فنُصِيبَ من لذَّاته ونعيمِه ... كالعهد إذ هو فى الزَّمانِ الأوَّلِ

(كانت العرب تفضِّل قريشاً فى كلّ شىء إلا فى الشعر ، فلما نَجم فى قريش عُمر ابن أبى ربيعة والحارث بن خالد المخزومى والعَرْجىُّ وأبو دَهْبَل وعبد الله[2] بن قيس [الرقيات] أقرت لها العرب بالشعر أيضا)

تفاخر مولى لعمر بن أبى ربيعة ومولى للحارث بن خالد بشعريهما ، فقال مولى الحارث لمولى عمر : دعنى منك فإن مولاك لا يعرف المنازل إذا قُلِبتْ ، يعْنى قول الحارث :

إنى وما نَحروا غداة مِنًى ... عندَالْجِمارِ تَؤودها العُقُلُ[3]

لو بُدِّلت أعلى منازلهـا ... سُفْلًاوأصبح سُفْلُها يَعْلُو

فيظلُّ يعرِفُها الخبيرُ بها ... فيرُدُّه الاقـواءُ والمَحْلُ[4]

لعرفتُ مَغْناها بما احتملَتْ ... مِنّى الضُّلُوع لأهلِها قَبْـلُ

فقال له مولى ابن أبى ربيعة : والله ما يُحسن مولاك فى شعر إلَّا نُسِبَ إلى مولاى.

---

(١) الطية : القصد والمنتأى . والمتحمل : الراحل .

(٢) فى الأغانى : وعبيد الله . وكلمة الرقيات زيادة من الأغانى .

(٣) تؤودها : تثقلها . والعقل جمع عقال .

(٤) الإقواء : الإقفار . وفى الأغانى: فيكاد يعرفها الخبير بها .

وكان الحارث يُشبِّب بجارية لعائشة بنت طلحة يقال لها بشْرة(١)، وكان يكنى عن ذِكْر عائشة بهذه الجارية، فمن شعره فيها(٢):

يارَبْع بشْرة إن اضرَّ بك البِلَى فلقد عهِدْتُك آهِلًا معمورَا
أعرفتَ أطلال الرُّسوم تنكَّرَتْ بعدى وغُيِّرَ آيُهنَّ دُثورا(٣)
إن يُمْس حَبْلُك بمدطولِ تواصُلٍ خَلَقًا ويُصْبِح بَيْتُكم مَهْجُورَا
فلقد أرانى والجديدُ إلى بِلًى زَمنًا بوصلِك رَاضيا مسرورا
جَذِلًا بِمالى عندكم لا أبتغى للنفس غيرَك خُلَّةً وعَشيرا
كُنتِ المُنَى وأعزَّ من وَطِىءَ الحصَا عندى وكنتُ بذاكِ منكِ جَديرا

قال الهَيثمُ بن عدِىّ: دخل أشعبُ مسجدَ النبى صلى الله عليه وسلم، فجعل يطوف الحِلَق، فقيل له: ما تريد؟ قال: أستفتى فى مسألة، فبينا هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزُّبير وهو مستند إلى سارية، وبين يديه رجل عَلَوِىّ، فخرج أشعب مبادراً، فقيل له: أوجدت من أفتاك فى مسألتك؟ قال: لا، ولكن علمت ما هو خير منها. قيل: وما ذاك؟ قال: وجدت المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد:

قد بُدِّلت أعلى منازلها سُفْلًا وأصبح سُفْلُها يَعْلُو

رأيت رجلا من بنى الزبير جالسا فى الصدر، ورجلا من ولد علىٍّ بن أبى طالب عليه السلام جالسا بين يديه، فكفانى هذا عجبا وانصرفت.

(قال: وبنو مخزومٍ كلُّهم زُبَيْرِيّةٌ سوى الحارث بن خالد فإنه مَرْوانى.)

---

(١) ذكر فى الأغانى: «بسرة» وانظر المجلد ١٧ / ٨ تحقيق.
(٢) فى ترجمته فى الأغانى يختلف الترتيب.
(٣) فى الأغانى: وبدل آيهن.

ولما ولى عبدُ الملك الخلافةَ حجّ ، فلما انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق ، فظهرت منه جفوة ، وأقام ببابه شهرا لا يصل إليه ، فلما انصرف عنه قال فيه :

صحبتُك إذ عيني عليها غِشاوةٌ فلما انجلت قطَّعْتُ نَفسى ألومُها

ومابى إذا أقصَيْتَنى من ضَراعةٍ ولاافتقرتْ نفْسىإلى مَن يَضيمُها

وبلغ عبدَ الملك خبرُه ، فأرسل إليه من ردَّه ، فلما دخل عليه قال له : أخبرنى عنك ، هل رأيت عليك فى المقام ببابى غَضاضة أو فى قصدى دناءة ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : فما حملك على ما قلت ؟ قال : جفوةٌ ظهرتْ لى كنتُ حقيقا بغيرها . قال : فاخترْ إن شئتَ أعطيتك مائة ألف درهم ، أو قضيت عنك دينك ، أو وليّتك مكة ، قال : بل تُولِّينى مكة ، فولاه إياها ، فحج بالناس وحجت[1] عائشة بنت طلحة يومئذ وكان يهواها ، وخرج الحارث إلى الصلاة ، فأرسلت إليه عائشة: إنه قد بَقى علىَّ مِن طوافى شىء لم أُتمِمْه فأَخِّر الصلاةَ حتى أَفرغ من طوافى فقعد وأمر المُؤذنين فكَفُّوا عن الإقامة حتى فرغت من طوافها وجعل الناس يَضجُّون ويَصيحون ، فلا والله ما قام حتى فرغت ثم أقيمت الصلاة وصلى بالناس ، فأنكر أهلُ الموسم ذلك من فعله وأعظموه ، وبلغ ذلك عبدَ الملك ، فعزلَه ، وولَّى مكةَ عبدَ الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد ، وكتب إلى الحارث : ويلك ، أتركت الصلاةَ لعائشة ؟ فقال الحارث : والله لو لم تقض طوافها إلى الفجر لما كبَّرتُ . وقال : ما أهون غضبه علىَّ إذا رضيت عائشة) وقال فى ذلك :

أَثْلَ جُودى على المُتيَّم أَثْلا لا تَزيدى فؤادَه أَثْلَ خَبْلَا[2]

أثلَ إنى والراقصاتِ بجَمْعٍ يتبارَيْنَ فى الأَزِمَّة فُتْلَا[3]

(١) جاء هذا الخبر فى الأغانى بروايتين وفق بينهما ابن منظور وذلك فى ص ٣١٧ وص ٣٣٩ .

(٢) فى الأغانى : بك خبلا .

(٣) فتل جمع فتلاء : وهى الناقة الثقيلة المتاطرة الرجلين .

سانحاتٍ يقطعنَ من عَرفاتٍ   بين أيدى المَطِىِّ حَزْناً و سَهْـلَا
والأَكُفِّ المُطَهَّرات على الركـْ   ـنِ لِشُعْثٍ سَعَوْا إلى البيت رَجْلَى (١)
لا أخونُ الصديقَ فى السرِّ حتى   يُنْقَل البحرُ فى الغرابيل نَقْلَا (٢)
أنعم اللهُ لى بذا الوجهِ عَيْناً   وبه مرحباً وأهــلاً وسَهْلَا
حين قالتْ لا تُفْشِيَنَّ حديثى   يا ابنَ عمِّى أفديك قلت أجَلْ لا (٣)
لا تَصُدِّى فتقتليـنِى ظُلْماً   ليس قتلُ المُحبِّ للحِبِّ حِلَّا
اتَّقِى اللهَ واقبلِى العُـذرَ منِّى   وتجافَىْ عن بعض ما كان زَلَّا
ما أَكُنْ سُؤْتُـكم به فلكِ العُتْـ   ـبَى لدينا وحَـــقَّ ذاك وقَـلَّا
لم أُرحِّبْ بأن سَخِطتِ ولـكنْ   مَرحباً إن رضيتِ عَـنِّى وأهلا
جَعل اللهُ كلَّ أنثى فِــداءً   لكِ بل خَدَّهـا لرِجْلك نَعْلا
إنَّ وجْهاً رأيته ليــلةَ البَدْ   ـرِ عليه أَرْسَى الجمـالُ وحَلَّا (٤)
وَجْهُها الوجهُ لو سَأَلْتَ به المُزْ   ـنَ من الحسنِ والجمالِ استهَلَّا
إن عند الطَّوَافِ حين أتيته   لَجمالًا فَعْماً وخَلْقاً رِفَـلَّا (٥)
وكُسِينَ الجمـالَ إنْ غِبْنَ عنها   وإذا ما بدت لهنَّ اضْمَحَلَّا

وكان الحارث أرسل إليها : إنى أريد السلام عليك فأَلِمِّى بنا ، أوْعِدِينا مجلسا نتحدّث فيه وإن خَفَّ عليك أتيتُ . وكان الرسولُ الغَرِيضَ ، فأرسلت إليه : أنا حُرُمٌ ، فإذا حَلَلْنا آذَنَّاك ، فلما حَلَّتْ خرجتْ من ليلتها سِرًّا على بغلتها ،

(١) الرجلى : الماشون على أرجلهم ، جمع رجلان . وفى الأغانى : والأكف المضمرات .

(٦) بعده فى الأغانى بيت .

(٣) فى الأغانى : يا ابن عمى أقسمت قلت أجل لا .

(٤) فى الأغانى : أثنى الجمال .

(٥) الفعم : الممتلئ . والرفل : الكثير اللحم . وضبطت فى الأغانى « خُلقا » بضم الخاء .

ولحقها الغَرِيضُ بِعُسْفان أو قريبٍ منه ومعه كتاب الحارث إليها وفيه :

ماضَرَّكُمْ لو قلتمُ سَدَداً ... إنْ المطايا عاجلٌ غدُها
ولها علينا نعمةٌ سَلَفتْ ... لسنا على الأيَّام نَجْحدُها
لو تَمَّمتْ أسبابَ نعمتِها ... تَمَّت بذلك عندنا يدُهــا

فلما قرأت الكتاب قالت: مايدع الحارث باطِله. ثم قالت للغريض : هل أحدثت شيئا ؟ قال : نعم ، فاسمعى . ثم اندفع يغنى فى هذا الشعر ، فقالت عائشة : والله ماقُلْنا إلا سَدَداً ولا أردنا إلا أن نَشْتَرِى لِسانه . واستحسنت غناءه وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب وقالت : زِدْنى ، فغَنَّى فى قول الحارث فيها :

زعموا بأنّ البَيْنَ بعــــد غدٍ ... فالقلبُ ممّا أحدثـــوا يَجِفُ
والعينُ منذُ أُجِدَّ بَينُهمُ ... مِثل الجُمــانِ دُموعُها تَـكِفُ
تَشــكو ونَشــكو ما أَشَتَّ بِنا ... كُـلٌّ بِوَشْكِ البَيْنِ مُعترِف
ومقالهــــا ودموعُها سُجُمٌ ... أَقلِلْ حَنينك حين نَنْصَرِفُ

فقالت له عائشة : ياغريض ، بحقّى عليك أَهُو أمركَ أن تُغَنّينى فى هذا الشعر ؟ قال : لا ، وحياتِك ياسيدتى ، فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت : غننى فى شعرِ غيرِه . فغناها فى شعرِ عُمر بن أبى ربيعة :

أجمعَتْ خُلّتى مع الفجرِ بَيْنَا ... جَلَّلَ اللهُ ذلك الوَجْهَ زَيْنَا
أجمعَتْ بَيْنَها ولم نَــكُ منها ... لـذّةَ العيشِ والشبابِ قَضَيْنَا
فتولَّتْ حُمولهـــا واستقلّتْ ... لم نَنَلْ طائــلا ولم نَقْض دَيْنَا
ولقد قلتُ يــوم مكّةَ لمّا ... أرسلَتْ تَقْرَأُ السـلامَ عَلَيْنَا
أَنعم الله بالرســول الذى أَرْ ... سِـلَ والمُرْسِلِ الرسالة عَيْنَا

فضحكت ثم قالت: وأنت ياغَرِيض فأنعم اللهُ بك عينا وأنعم بابن أبى ربيعة عينا. لقد تلطَّفْتَ حتى أدَّيْتَ إلينا رسالته ، وإن وفاءكَ له لمِمَّا يزيدنا رغبةً فيك وثِقة بك .

وقد كان عمرُ سأل الغَرِيض أن يُغنيِّها هذا الصوت ، لأنه كان قد ترك ذِكْرَها لما غضبَتْ بنو تَيْمٍ من ذلك ، فلم يُحبّ التصريحَ بها وكره إغفال ذِكرِها ، فقال له عمر : إن بلَّغتَها هذه الأبياتَ فلك خمسةُ آلاف درهم ، فوفى له بها. وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى ، ثم انصرف الغريضُ من عندها فلقى عاتِكة بنت يزيد ابن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان ، وقد كانت حَجَّت تلك السنة ، فقالت لها جَواريها : هذا الغريض، فقالت لهن : علىَّ به ، فجئن به . قال الغريض : فلما دخلتُ سلَّمتُ ، فردَّتْ علىَّ السلامَ وسألتنى عن الخبر فقصصته عليها ، فقالت : غَنِّنى ما غَنَّيتَها به ، ففعلت ، فلم أرها تَهَشُّ لذلك ، فغَنَّيْتُها مُعَرِّضا بها ومُذَكِّرا بنفسى فى شعر مُرَّة بن مَحْكان السَّعدىِّ يخاطب امرأته وقد نزل به أضياف :

أقولُ والضَّيْفُ مَخْشِىٌّ ذَمَامتُهُ … على الكريمِ وحقُّ الضَّيْفِ قد وَجَبا
يا رَبَّة القومِ قُومى غيرَ صاغرةٍ … ضُمِّى إليك رِحالَ القومِ والقُرَبا[(١)]
فى ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أَنديَةٍ[(٢)] … لا يُبصِرُ الكَلْبُ فى ظلمائها الطُّنُبا
لا يَنبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ … حتى يَلُفَّ على خَيْشومِه الذَّنَبا

فقالت وهى متبسمة : نعم قد وجب حقُّك علينا فغَنِّنى . فغنيتها :

يا دهرُ قد أكثرتَ فَجْعَتنا … بِسَرَاتنا وَوَقَرْتَ فى العَظْمِ[(٣)]
وسلبْتَنا ما لستَ مُخْلِفَه … يا دهرُ ما أنصفْتَ فى الحُكْمِ
لو كانَ لى قِرْنٌ أُناضله … ماطاشَ عندَ حَفيظةٍ سَهْمِى

---

(١) القرب: أجفان السيوف واحدها قراب، هكذا شرحها المرزبانى فى معجم الشعراء تحقيق هذا، وفى الأغانى ومعجم الشعراء: ياربة البيت قومى .
ص ٢٩٥ — ٢٩٦ وضبطت فى الأغانى: والقربا « بكسر القاف وفتح الراء » تحقيق دار الكتب

(٢) جمادى يراد به الشتاء وأندية جمع ندى .

(٣) وقرت : صدعت .

أو كان يُعطِى النّصْفَ قُلْتُ له أَحرزْتَ قِسْمَكَ فَالَهُ عن قِسْمِى [١]

فقالت: نعطيك النّصْف فلا يَطيش [٢] سهمُك عندنا ونُجزل لك قسمك، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وثياب عَدَنية وغير ذلك من الألطاف . قال الغريض : فأتيت الحارثَ بن خالد فأخبرته الخبر ، وقصصت عليه القصة ، فأمر لى بمثل ماأمرتا لى جميعا ، وأتيت ابن أبى ربيعة فأخبرته بما جرى فأمر لى بمثل ذلك ، فما انصرفَ أحدٌ من الموسم بمثل الذى انصرفت به من المال ومن نظرة من عائشة ومن نظرة من عاتكة وهما أجمل نساء عالمهما ، وبما نلت منهما ، وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكة ، وبالمنزلة عند ابن أبى ربيعة .

لما تزوج مصعبُ بن الزبير عائشةَ بنتَ طلحة ورحل بها إلى العراق قال الحارث ابن خالد فى ذلك :

ظعنَ الأميرُ بأحسن الخلْقِ وغَدَا بِلُبِّكَ مَطْلِعَ الشَّرْقِ
فظللت كالمَقْمُور مُهْجَتُه [٣] هذا الجنونُ وليس بالعِشْقِ
أُترُجّةٌ عَبِقَ العَبِيرُ بها عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ
فى البيت ذى الحَسَبِ الرفيعِ ومِنْ أهلِ التُّقَى والبِرِّ والصِّدْقِ
ما صَبَّحَتْ أحداً برؤيَتِها إلَّا غدا بكواكب الطَّلْقِ [٤]

لما تولى الحارث بن خالد مكة قال للغريض : لا أرينَّك فى عملى ، وقد كان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يجيبه ، فخرج الغريض إلى ناحية الطائف فبلغ ذلك الحارثَ

---

(١) النصف مثلثة النون مع سكون الصاد: الإنصاف . وفى الأغانى: أحرزت سهمك فاله عن سهمى.
(٢) فى الأغانى : ولا نضيع .
(٣) فى الأغانى : كالمقهور مهجته .
(٤) الطلق : المشرق ويريد كواكب السعود والإشراق .

فردَّه ورقَّ له وقال له : لم كنت تُبْغِضنا وتَهجرنا ولا تقربنا ولا تغنى فى شعرنا ؟ فقال الغريض : كانت هفوة من هفوات النفس وخطرة من خطرات الشيطان ، ومثلك من وَهَب الذَّنْبَ وصفح عن الُجرْم وأقال العَثْرة وغفر الزَّلَّة ، ولستُ بعائد إلى ذلك أبدا . قال : فغنيتَ فى شيء من شعرى ؟ قال : نعم ، فى ثلاثة أصوات من شعرك ، قال : هاتِ ماغنيت به. فغناه :

بان الخليطُ فما عاجوا ولا عَدَلُوا   إذْ وَدَّعوك وخَبَّتْ بالهوى الإبلُ(١)
كأنَّ فيهمْ غداةَ البينِ إذ رَحلوا   أدْماءَ طاعَ لها الَحوْذَانُ والنَّفَلُ(٢)

فقال له : أحسنتَ واللهِ هات ما غنيت فيه أيضا من شعرى ، فغناه(٣) :

ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيه الضجيعُ له
طَيَّ الِحمالة لا جَافٍ ولا نَفِرُ(٤)
لها شبيهانِ لا نَقصٌ يَعيبهُما   بحيث كانا ولا طُولٌ ولا قِصَرُ(٥)

فقال له الحارث : أحسنت والله يا غَرِيض ، إيه وماذا أيضا ! فغناه :

عَفَت الدِّيارُ فما بها أهْلُ   حُزَّانُها ودِماثُها السَّهْلُ(٦)
إنى وما نحروا غداة مِنًى   عِندَ الِجمارِ يَؤُودُها العُقْلُ
لو بُدِّلَتْ أعلى منازلها   سُفْلًا وأصبح سُفْلُها يعلو
فيظلُّ يَعرِفُها الخبيرُ بها   فيردُّه الإقواء والَمحْلُ
لعرَفْتُ مَغْناها لِمَا احتملَتْ   منى الضلوعُ لأهلها قَبْلُ

---

(١) فى الأغانى : وحنت بالنوى الإبل . وفى نسخة منه: وراحت بالدمى .
(٢) الأدماء : الظبية البيضاء. وطاع : اتسع . والحوذان والنفل: نبتان
(٣) فى الأغانى : بيت قبل البيتين .
(٤) الحمالة : علاقة السيف . وفى الأغانى : لا جاف ولا فقر .
(٥) فى الأغانى : له شبيهان .
(٦) الحزان: المواضع من الأرض كثرت حجارتها. والدمات: السهول من الأرض .

(فقال له الحارث يا غريض ، لا لوم فى حُبّك ، ولا عُذْرَ فى هجرك ، ولا لَذَّة لِمَن لم يُرَوِّحْ قَلْبَـه بك ، ولو لم يكن فى ولايتى مكَّة حَظٌّ إلّا أنت لقد كان ذلك حظًّا وافيا ياغريض. إنما الدنيا زينة ، فأزْيَنُ الزينةِ ما فرَّح النفس ، ولقد فَهِم قَدْرَ الدنيا على حقيقتها مَنْ فَهِم قَدْر الغنا) .

كانت سوداء بالمدينة مشغوفةً بشعر عمر بن أبى ربيعة ، وكانت من مولدات مكة فلما ورد على أهل المدينة نَعْىُ عمرَ بنِ أبى ربيعة أكبروا ذلك واشتدَّ عليهم ، وكانت السوداء أشدَّهم حزنا ، فجعلت لا تمرُّ بسكَّة من سِكك المدينة إلّا ندبته ، فلقيها بعض فتيان مكة فقال لها : خَفِّـضى عليك ، فقد نشأ ابنُ عم له يشبه شعرُه شِعْرَه ، فقالت : أنشدنى بعضه ، فأنشدها قول الحارث :

إنى وما نحروا غـداةَ مِـنًى ... عنـد الجِمَارِ يَؤُودها العُقْلُ

قال : فجعلت تَمْسح عينيها من الدموع وتقول: الحمد لله الذى لم يُضَيِّـع حَرَمه .

(لما مات عُمر بن عبد الله التيمى عن عائشة بنت طلحة ، وكانت قبله عند مصعب ابن الزبير ، قيل للحارث بن خالد : ما يمنعك من طلبها الآن ؟ قال : والله لا يتحدث رجالُ قريش أبداً أن تَشْبيبى بها كان لشىء من الباطل).

لما خرج ابنُ الأشعث على عبد الملك بن مروان اشتغل به عن أن يُوَلِّيَ على الحج رجلا، وكان الحارثُ بن خالد عامله على مكة ، وكان أبان بن عثمان عامله على المدينة ، وكان أبان ربما جاءه كتاب من الخليفة أن يصلى بالناس ويقيم لهم حجّهم ، فتأخّر كتابه عنه أيضا فى تلك السنة ، فلما حضر الموسم شخص أبَان من المدينة ، وقدم على الحارث ليحجَّ بالناس ، وعاونه بنو أمية ومواليهم ، فنازعه الحارث وقال له : لم يأتنى كتابُ أمير المؤمنين بتوليتك على الموسم، وتغالبا فغلبه أبان بنسبه وبمن معه، ومال إليه الناس فحجّ بهم ، فقال فيه الحارث :

فإن تنجُ منها يا أبانُ مُسَلَّماً ... فقد أفلت الحجَّاجَ خيلُ شَبيبِ [١]
وكاد غداةَ الدَّيْرِ يُنفِذُ حِضْنَه ... غلامٌ بطعن القِرْنِ جِدُّ طَبيبِ [٢]
وأَنْسَوْه وَصْفَ الدَّيْرِ لما رَآهُمُ ... وحسَّنَ خوفُ الموتِ كلَّ مَعيبِ

فبلغ ذلك الحجاجَ فقال : مالى وللحارث ! ينازعه أبانُ ويغلبه على الصلاة ويهتف بى أنا ، ما ذِكْرُه لى [٣] ؟ فقال الحارث : مااعتمدت مساءته ، ولكن بلغنى أنه كاتبه . فقال : والله ما فعلت . فقال الحارث : فالمعذرة إلى الله وإلى أبى محمد .

وقيل : إن عُبيد بن مَوْهَب قال للحجاج : أتأذن لى فى إجابته وهجائه ؟ قال : نعم ، فقال :

أبا وابِصٍ رَكِّبْ عَلاتكَ والْتَمِسْ ... مَكاسِبَها إن اللئيمَ كَسُوبُ [٤]
ولا تَذْكُرِ الحجّاجَ إلَّا بصالحٍ ... فقد عِشْتَ من معروفه بِذَنُوبِ [٥]
ولستَ بِوالٍ ما حَيِيتَ إمارةً ... لِمُسْتَخْلَفٍ إلَّا عليك رَقِيبُ

كانت أم عبد الملك بن عبد الله بن خالد بن أسيد عند الحارث بن خالد ، فولدت منه فاطمة بنت الحارث وكانت قبله عند عبد الله بن مطيع ، فولدت منه عِمران ومحمدا ، فقال فيها الحارث وكناها بابنها عِمران :

بانَ الخليطُ الذى كُنَّا به نَثِقُ ... بانُوا وقلبُك مَخبولٌ بهم عَلِقُ
بأُمِّ عِمْرانَ ما زالت وما بَرِحَتْ ... بِىَ الصَّبابةُ حتى شَفَّنى الفَرَقُ [٦]

---

(١) ضبطت فى ك برفع « الحجاج » ونصب « خيل » .
(٢) يريد بالدير : دير الجماجم . وكانت الوقعة بين ابن الأشعث والحجاج .
(٣) فى الأغانى : ما ذكره إياى .
(٤) العلاة : يراد بها الناقة .
(٥) فى البيت إقواء . والذنوب : الحظ والنصيب .
(٦) فى الأغانى : شفنى الشفق .

القلبُ تاقَ إليكم كَىْ يُلاقِيَكُمْ ... كما يتوقُ إلى مَنجاته الغَرِقُ
تُنِيلُ نَزْراً يَسِيرا وهى مُشفِقةٌ ... كما يَخافُ مَسِيس الحَيَّةِ الفَرِقُ
لا أعتق الله قَلْبى مِن صَبابتكُمْ ... ضِرارُه أنه صَبٌّ بكم قَلِقُ[1]

فأنشد رجلٌ يوما هذه الأبيات بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مطيع ثم فَطِنَ فأمسك ، فقال له : لا بأس عليك ، امضِ رحمك الله . رجلٌ تزوَّج ابنة عمّه وكان لها كُفواً كريما ، فقال فيها شعرا بلغ ما بلغ فكان ماذا .

لما طافت ليلى بنت أبى مُرّة بن عُروة بن مسعود ـ وأمُّها ميمونة بنت أبى سفيان ابن حرب ـ بالكعبة رآها الحارث بن خالد فقال :

أطافت بنا شمسُ النهار ومن رأى ... من الناس شَمْساً بالعِشاء تَطُوفُ
أبو أُمِّها أَوْفَى قُرِيشٍ بِذِمَّةٍ ... وأعمامُها إمَّا سألتَ ثَقِيفُ

وفى ليلى هذه يقول الحارث بن خالد أيضا :

لقد أرسلَتْ فى السرِّ لَيْلَى تَلُومنى ... وتَزْعُمُنى ذا مَلَّةٍ طَرِفاً جَلْدَا[2]
وقد أَخلفَتْنا كلَّ ما وعدَتْ به ... ووَاللهِ ما أخلفتُها عامداً وَعْدَا
فقلتُ مُجيباً للرسول الذى أتى ... تَرَاهُ، لكَ الوَيْلاتُ مِن قولها جِدَّا
إذا جِئْتَها فاقْرَ السلام وقلْ لها
دَعِى الجوْرَ ليلى واسلُكى مَسْلَكاً قَصْدَا
أفى مُكْثِنا عنكم لَيالِىَ مَرِضْتُهاَ ... تَزيدِيننى لَيْلَى على مَرَضى جَهْدَا
تَعُدِّين ذَنباً واحدا أن جَنيتَه[3] ... عَلَىَّ وما أُحْصِى ذُنوبَكُم عَدَّا
فإن شئتِ حرَّمْتُ النساءَ سواكُمُ ... وإن شئتِ لم أَطْعَمْ نُقَاخاً ولا بَرْداً[4]

(١) فى الأغانى : ما ضرنى أنى صب .
(٢) الطرف : من لا يثبت على صاحب .
(٣) فى الأغانى : ما جنيته .
(٤) النقاخ : الماء البارد . وبعده فى الأغانى بيت .

قال عبد الملك بن مروان للحارث بن خالد : أى البلاد أحب إليك ؟ قال : ما حَسُنَتْ فيه حالى وعَرُضَ جاهى ، ثم أنشد :

لا كُوفَـةٌ أُمِّى ولا بَصْرَةٌ أَبى[1]

ولستُ كَمَنْ يَثْنِيه عن وَجْهِهِ الـكَسَلْ

كان الحارث تزوج[2] حُمَيدة بنت النعمان بن بَشير بدمشق لما قدم على عبدالملك ابن مروان ، فقالت فيه :

فقــدتُ الشيوخَ وأشيــاعهمْ ... وذلك من بعض أقوالِيَهْ

ترى زوجةَ الشيخِ مَغمومَةً ... وتُمْسِى لصُحبتِه قالِيَــهْ

نـكحت المَدِينىَّ إذ جــاءنى ... فيالك من نَـكْحَةٍ غاوِيَـهْ

كهولُ دِمشقٍ وشُبَّانهــا ... أحبُّ إلينا من الجالِيَهْ[3]

صُنــانٌ لهم كصُنــان التُّيُو ... سِ أعْيا على المِسْكِ والغالِيَـهْ

وقَمْلٌ يَدِبُّ دَبِيبَ الجرادِ ... أكارِيسَ أعْيَا على الفالِيَـهْ

فأجابها الحارث :

قاطنات الحَجُونِ أشهى إلى القلْـ ... ـب من السَّاكِناتِ دُورَ دِمَشْقِ

يَتضوَّعْنَ لو تَضَمَّخْنَ بالمسْـ ... ـكِ صُنانًا كأنه رِيحُ مَرْقِ

(١) فى أول البيت خرم وهو سقوط حركة فى أوله .

(٢) هذا النص لم يرد فى ترجمة الحارث بن خالد فى ج ٣ وإنما جاء فى ج ٩ / ٢١٨ دار الثقافة وج ٩ / دار الـكتب وج ٨ /١٣٧ بولاق وحـ ٨/ الساسى وينقص هناك بيتان عما فى المختار وانظر أيضا المجلد السادس عشر دار الثقافة ص ٢٠ فى ترجمة النعمان بن بشير؛ فقد أورد الخبر ويصح أن يكون عنوانا باسم حميدة بنت النعمان بن بشير .

(٣) الجالية: تريدبهم أهل الحجاز؛ كان أهل الشام يسمونهم بذلك لأنهم كانوا يجلون عن بلادهم إلى الشام .

فطلقها الحارث فخلف عليها رَوْحُ بن زِنباع ، وبلغ عبدَ الملك قولُها فقال : لولا أنها قدَّمت الكُهولَ على الشباب فى شعرها لعاقبتُها ، ونظر إليها روح بن زنباع يوما وهى تنظر إلى قومه جُذام وقد اجتمعوا عنده ، فلامها فقالت : وهل أرى إلَّا جُذاما ! والله ما أحبّ الحلالَ منهم فكيف الحرام ؛ وقالت تهجوه :

بكى الخزُّ مِنْ رَوْحٍ وأنكر جِلْدَه ... وعَجَّتْ عَجيجاً من جُذامَ المَطارِفُ
وقال العَبَا قد كنتُ حِيناً لباسَهمْ ... وأَكسِيَةٌ كُرْدِيَّةٌ وقَطائفُ

فقال روح :

إن تَبْكِ منا تَبْكِ ممَّنْ يُهينُها ... وإن تَهْوَا كُمْ تَهْوَ اللئامَ المقارِفُ

وقال روح :

أَثْنِى علىَّ بما علمت فإننى ... أُثنِى عليك بِبئسَ حَشْوُ المَنْطِقِ

فقالت :

أُثنى عليك بأنَّ باعَكَ ضيِّقٌ ... وبأن أصْلَك فى جُذَامٍ مُلْصَقُ

فقال روح :

أَثنِى علىَّ بما علمتِ فإننى ... مُثْنٍ عليك بمثل رِيحِ الجَوْرَبِ

فقالت :

فثناؤُنَا شَرُّ الثناءِ عليكمُ ... أسْوَا وأنتن من سُلاحِ الثَّعْلَبِ

وقالت :

وهل أنا إلَّا مُهرة عَربيَّةٌ ... سَليلةُ أفراسٍ تَجَلَّلها بَغْلُ
فإن نُتِجَتْ مُهْراً كريماً فبِالْحَرَى ... وإن تكُ أقرافاً فما أَنجبَ الفَحْلُ[1]

---

(١) فى الأغانى : وإن يك إقراف .

فقال روح :

فما بالُ مُهرٍ رائعٍ عَرَضَتْ له أتانٌ فبالَتْ عند جَحْفَلة البَغْلِ
إذا هو وَلّى جانبا أربخَتْ له كما أربخَتْ قمراءُ فى دَمِثٍ سَهْلِ (١)

وكان الحارث يخطب أمة المَلِك بنت عُبيد الله بن خالد بن أَسيد وعبد الله بن مطيع يخطبها ، فتزوجها عبد الله ثم طلّقها أو مات عنها ، فتزوجها الحارث بعده ، وكان لحميدة أخت يقال لها عَمْرة وكانت تحت المختار بن أبى عُبيد ، فأخذها مصعب بعد قتله المختار ، وأخذ امرأته الأخرى وهى ابنة سَمُرة بن جُنْدَب ، فأمرها بالبراءة من المختار ، فأما بنت سَمُرة بن جُنْدَب فبرئت منه ، وأبت ذلك عَمْرَة ، فكتب بذلك مصعبٌ إلى أخيه عبد الله ، فكتب إليه : إن أبت تبرأ منه فاقتلها . فأبت ، فحفر لها حُفرة وأقيمت فيها فقُتِلت ، فقال عمر بن أبى ربيعة(٢) :

إن من أعجب العجائب عندى قَتْلَ بيضاءَ حُرَّةٍ عُطْبولِ (٣)
قُتِلتْ حُرَّةً على غير جُرْمٍ إن لله دَرَّها مِن قَتِيلِ
كُتِب القَتْلُ والقتالُ علينا وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيولِ

وقالت عَمْرَة لأخيها أبانَ بنِ النعمان الذى زوجها من رَوْح :

أطال الله سامَك من غلامٍ (٤) متى كانت مَنا كِحَنا جُذامُ
أترضى بالفَراسِنِ والذُّنابَى (٥) وقد كنا يَقِرُّ لنا السنامُ

(١) «أربخت» تكون من ربخت : أى استرخت . والقمراء : البيضاء. والدمث : السهل وفى الأغانى : ربخت له كما ربخت ... فى دمس سهل.

(٢) فى المختار: عمربن عبد العزيز. وصحح بهامش ك ومثله الأغانى صواب عمر بن أبى ربيعة .

(٣) العطبول : المرأة الفتية .

(٤) السام جمع سامة: وهى الخيزرابة والسام أيضا الموت . وفى الأغانى : أطال الله شأوك. وفى المجلد ١٦ / ٢١ نسب الشعر لحميدة وروايته : أطال الله حلمك .

(٥) الفرسن: طرف خف البعير وجمعه فراسن. وفى صلب ك «بالمناسم» وبهامشه «بالفراسن» وفى الأغانى : أترضى بالأكارع والذنابى.

وبينهما أقاويل كثيرة ، فما قالت لروح :

تُكَحِّلُ عينيك بَرْدَ العشاء ... كأنك مُومسةٌ زانيهْ
وآيةُ ذلك بعد الخفوق ... تُغَلِّفُ رأسَك بالغالِيهْ
فإن بَنِيك لِرَيْب الزما ... نِ أمستْ رِقابهمُ خاليهْ
فلو كان أوْسٌ لهم شاهداً[1] ... لقال لهم إنَّ ذا ماليَهْ

أوس من جذام كان يقال: إنه استودع رَوْحاً مالاً فلم يَرْدُدْه عليه فقال روح :

وإن يكن الخلع من بالكمْ ... فليس الخلاعةُ من باليَهْ
وإن كان مَن قد مضى مثلكمْ ... فأُفٍّ وتُفٍّ على الماضِيهْ
وما إن يَرَى اللهُ فاستيْقِنِيه ... ه مِنْ ذات بَعْلٍ ولا جارِيَهْ
شبيهاً بكِ اليوم فيمن بَقِى ... ولا كان فى الأعصُر الخالِيَهْ
فبُعْدًا لِمَحْياك إمَّا حَيِيتِ[2] ... وبُعْدًا لأعظُمكِ البالِيَهْ

وقال رَوْحٌ فى بعض ما يتنازعان فيه : اللهم إن بقيت بعدى فابتَلِها ببعْل يَلْطِم وَجْهَها ويملأ حِجْرها قيئا . فتزوجها بعده الفَيْضُ بن محمد بن الحكم ، وكان شابًّا جميلا يصيب من الشراب فأحبته، وكان ربما سكر فلطمها ويقىء فى حجرها فتقول: رحم الله أبا زُرْعة ، قد أجيبت فىَّ دعوتُه . وقالت فى الفيض :

سُمِّيتَ فَيْضًا وما شيءٌ تَفيضُ به ... إلاّ بخرْئك بين الباب والدارِ[3]
فتلك دعوة رَوْحِ الخيْرِ أعرفها ... سقى الإله صَدَاهُ الأوْطَفَ السارى[4]

---

(١) فى المختار : له شاهدا .

(٢) فى الأغانى : إذ ما حييت .

(٣) فى الأغانى : بإلاسلاحك .

(٤) سحاب أوطف : دان من الأرض .

وقالت فيه أيضا :

ألا يا فيضُ كنتُ أراكَ فَيْضًا فلا فَيْضًا وجدتُ ولا فُرَاتا

وقالت فيه :

وليس فيضٌ بفيَّاض العطاء لنا لكنَّ فيضاً لنا بالقىءِ فيَّاضُ

ليثُ الليوثِ علينا باسلٌ شَرِسٌ وفى الحروب هَبُوب الصَّدْرِ جَيَّاضُ(١)

وتمثل الفَيْض يوما بهذا البيت :

إن كنتِ ساقيةً يوماً على كَرَمٍ صَفْوَ المُدَامةِ فاسقيها بنى قَطَنِ

وتحرَّكَ فَضرِط ، فقالت له: واسْقِ هذه أيضا بنى قطن .

وولدت من الفيض ابنةً فتزوجها الحجّاجُ بن يوسف ، وكان عند الحجاج قبلها أمّ أبان بنت النعمان بن بشير ، فقالت حُميدة للحجاج :

إذا تذكَّرتُ نِكاحَ الحجَّاجْ من النهار أوْ من اللّيل الدَّاجْ

فاضت له العين بدَمْعٍ ثَجَّاجْ واشتَعَلَ القلبُ بوجْدٍ وَهَّاجْ

لو كانَ نعمانُ قتيلُ الأعلاجْ مُستوِىَ الشخص صَحِيحَ الأَوْدَاجْ

ما نِلْت ما نِلْتَ بختلِ الدُّرَّاجْ وكُنْتَ منها بمكانِ النَّسَّاجْ

قد كنتُ أرجو بعضَ مايرجُو الرَّاجْ أنْ تنكحيه مَلِكا أوْ ذَا تَاجْ

وقدمت حُميدة على ابنتها زائرة فقال لها الحجاج : يا حميدة ، إنى كنت أحتمل مُزاحك مرَّة فأما اليوم فإنى أمير العراق وهم قومُ سَوْء فإياكِ . فقالت: سأكُفُّ حتى ارتحل .

قالت حُميدة يوما لزوجها رَوْح بن زِنباع وكان أسود ضخما : كيف تَسودُقومك وفيك ثلاث خصال ؟ أنت من جُذام ، وأنت جبان ، وأنت غيور. قال : أما جُذام

(١) الجياض : الرواغ .

فإنى فى أرومتها وبِحسْبِ الرجل أن يكون فى أرومة قومه . وأما الجبن فإن لى نفسا واحدة ولو كانت لى نفسان جدت بإحداهما . وأما الغَيْرة فهو أمر لا أحب أن أُشارَكَ فيه ، وإن المرء لَحقيقٌ بالغَيْرة عليكِ وعلى المرأة مثلك الوَرْهاءِ[(١)] لا يأمن أن تأتى بولد من غيره تَقذِفه فى حِجْره .

والحارث هو القائل[(٢)] :

أَظُلَيْم إن مُصابـكم رَجُلًا أهدى السلامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

غَـنَّى مخارقٌ يوما هذا البيت بين يدى الواثق فلحَّنه قوم وصَوَّبه آخرون ، فسأل الواثقُ عمّن بقى من رؤساء النحويين ، فذُكر له أبو عثمان المازنىُّ فأمر بإراحته عليه وَحمْله، فُحمل . قال : فلما وصلت إليه سلمت عليه فقال : مِمّن الرجل ؟ فقلت : من بنى مازن. قال : أمِن مازن تميم أم من مازن قيس أم من مازن ربيعة أم من مازن اليمن ؟ فقلت : من مازن ربيعة ، فقال لى : بَاسمُك ؟ يريد ما اسمك ، وهى لغة كثيرة فى قومنا ، فقلت على القياس : اسمى مَـكْر أى بكر ، فضحك وقال : اجلس واطْبَئِنَّ يريد واطمئنّ فجلست فسألنى عن البيت ، فقلت : إن مصابـكم رجلا. فقال: أين خبرُ إن ؟ فقلت : « ظلم » آخر البيت . وقلت له : إن معنى مصابكم إصابتكم مثلما تقول: إنَّ قتلـكم رجلا حيًّا كُم ظلمٌ . ثم قلت : يا أمير المؤمنين إن البيت كُلَّه مُعَلَّق لا معنى له حتى يتمَّ بقوله « ظُلمٌ »ألا ترى أنه لو قال:

أظليم إنّ مصابكم رجلا أهدى السلام تحية

فـكأنه لم يُفِدْ شيئا حتى يقول « ظلم » ولو قال :

أظليم إن مصابـكم رجلٌ أهدى السلام تحيَّة

---

(١) الورهاء بمعنى الحمقاء .

(٢) هذا النص جاء فى المجلد التاسع من الأغانى دار الـكتب ودار الثقافة .

لما احتاج إلى ظلم ولا كان له معنى إلّا أن يجعل التحية بالسلام ظلما ، وذلك محال ويجب أن يقول حينئذ :

أظليم إن مصابكم رجلٌ أهدى السلامَ تحيَّة ظُلْمَا

ولا معنى لذلك ولا كان له وجه . فقال : صدقت ، ألك ولد ؟ قلت : بُنَيَّة . قال : فما قالت حين ودَّعتها ؟ قلت: أنشدتْ قولَ الأعشى :

تقول ابنتى حين جَدَّ الرحيل أَرانا سَواءً ومَـــنْ قَدْ يَتِمْ
أبانا فــلا رِمْتَ من عِنْــدِنا فإنَّا بخــيرٍ إذا لم تَرِمْ
أرانا إذا أضرمتْك البـــلادُ نَخافُ وتُقْطَعُ منــا الرَّحِمْ(١)

قال : فما قلتَ لها ؟ قلت : ما قال جرير :

ثِقى باللهِ ليس له شريكٌ ومِن عِند الخليفةِ بالنجاحِ

فقال : ثق بالنجاح إن شاء الله عز وجل إن هاهنا قوما يختلفون إلى أولادنا فامتحنهْم ، فمن كان عالما ينتفع به ألزمناهم إياه ، ومن كان بغير ذلك قطعناه عنهم . وأمر بهم فَجُمِعوا إلىَّ فامتحنتهم ، فما وجدت فيهم طائلا ، وحذروا ناحيتى فقلت : لا بأس على أحد ، فلما رجعت إليه قال : كيف وجدتَهم ؟ قلت : يفضل بعضهم بعضا فى علوم ، ويفضل الباقون فى غَيْرِها ، فـكلٌّ يُحتاج إليه . فقال الواثق: إنى خاطبت منهم واحدا فـكان فى نهاية الجهل فى خطابه ونظره . فقلت : يا أمير المؤمنين أكثر من تقدم منهم بهذه الصفة وقد أنشدت فيهم :

إن المعلم لا يزال مُضَعَّفَــــا ولو ابتَنى فوق السماء بِنَــاءَ
مَن عَلَّم الصبيانَ أَصْبَوْا عقْلَه مما يُلاقِى غَــدْوَةً وعِشَــاءَ

(١) فى الأغانى: ... البلا * د نجفى وتقطع

حسَّان بن ثابت[1]

هو حسّان بن ثابت بن المُنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدىّ بن عمرو ابن مالك بن النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزْرَج بن حارثة بن زيد ابن ثعلبة[2] وهو العَنْقاء ـ وإنما سمى العنقاء لطول عنقه ـ ابن عمرو ـ وهو مُزَيْقيا ـ ابن عامر ماء السماء بن حارثة الغطْريف بن امرئ القيس البِطْريق بن ثعلبة البُهْلُول ابن مازن بن الأزد وهو درى وقيل دراء ـ ممدود ـ[3] ابن الغَوْث بن نَبْت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قَحطان ،

بنو عدى بن عمرو بن مالك بن النجار يُسَمَّون بنى مغالة ومغالة[4] أمهم ، وهى امرأة من القَيْن وإليها كانوا ينسبون .

وأم حسان بن ثابت: الفُريعة بنت حُبيش بن لوذان[5] بن عبدوُدَ بن زيد بن ثعلبة ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، واسم النجار تيم اللات ، وفى ذلك يقول حسان بن ثابت :

وأمُّ ضِرارٍ تَنْشُد الناسَ وَالِهاً ... أَما لابنِ تيم اللاتِ ما ذا أَضَلَّتِ[6]

---

(١) الأغانى: دار الكتب ٤/١٣٤ وانظر ص ١٣٣ ودار الثقافة ٤/١٣٩ وانظر ص ١٣٧ وبولاق ٤/٢ والساسى ٤/٢ والتجريد ٥١٦ .

(٢) فى الأغانى : بن حارثة بن ثعلبة .

(٣) فى شرح القاموس مادة «أزد» : درء بكسر الدال فسكون وآخره همزة . وعن أبى القاسم الوزير أنه دراء ككتاب .

(٤) فى الأغانى : معالة .

(٥) فى الأغانى : بنت خالد بن قيس بن لوذان .

(٦) فى الأغانى : أما لابن تيم الله .

يعنى ضرار بن عبد المطلب ، وكان ضلّ فنشَدَته أُمه ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم تيم الله لأن الأنصار ينتسبون إليه ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون فى أنسابها ذكر اللات .

(وكنيةُ حسان أبو الوليد ، وهو فحل من فحول الشعراء ، يقال إنه أشعر أهل المَدَر(١) وهو أحد المُخضرَمين المعمرين ، عمِّر مائة وعشرين سنة ، ستين سنة فى الجاهلية وستين سنة فى الإسلام) وعاش ثابت بن المنذر مائة وخمسين سنة .

قال حسان بن ثابت : إنى لغلام يفَعَةٌ ابنُ سبع سنين أو ثمان سنين إذا بيهودىّ بيثرب يصرخ ذات غداة . يا معشر يهود ، فلما اجتمعوا قالوا : ويلك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد الذى وُلِد به فى هذه الليلة . قال : ثم أدركه اليهودىُّ ولم يؤمن به . وهذا يدل على أن عمره فى الجاهلية ستون سنة، لأنه كما ذكر أدرك ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وله ثمان سنين ، وبُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلم وله أربعون سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وقدم المدينة ولحسان يومئذ على ما ذكر ستُّون سنة أو إحدى وستون سنة ، وحينئذ أسلم .

وكان حسان يَخضِب شاربه وعَنفقَته بالحِنَّاء ولا يخضب سائر لحيته ، فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت، لم تفعل هذا ؟ قال : لأكون كأنى أسد والغٌ فى دم .

وكانت له ناصية يُسْدِلها بين عينيه.

وفضل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى النُّبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الإسلام .

---

(١) المدر : المدن والحضر .

جاء حسان بن ثابت إلى نفر فيهم أبو هريرة ، فقال : نشدتك الله ، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أجبْ عنى ثم قال اللهم أيِّدْه بروح القدس » قال أبو هريرة : اللهم نعم .

وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من قريش منهم عبد الله بن الزِّبَعْرَى وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلى بن أبى طالب عليه السلام: اهجُ عنَّا القوم الذين هَجونا ، فقال على عليه السلام إن أذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت . فقال رجل : يارسول الله ائْذَن لعلىٍّ كيما يَهْجُوَ عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . فقال : «ليس هناك ، أو ليس عنده ذاك » ثم قال للأنصار: « ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم » فقال حسان بن ثابت: أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال : والله ما يسرنى به مِقْوَلٌ بين بُصْرَى وصَنْعاء ، يعنى أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب[1] فقال: « كيف تهجوهم وأنا منهم » فقال: إنى أسُلُّك منهم سَلَّ الشعرةِ من العجين . فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار : حسان ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدُ الله بن رَوَاحة . فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيِّرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رَواحة يُعيِّرهم بالكفر ، وبعلم أنه ليس فيهم شىء أشرُّ من الكفر ، وكان فى ذلك الزمان أشدّ القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول عبد الله بن رواحة ، فلما أسلموا وفهموا الإسلام كان أشدّ القول قول ابن رواحة .

وقيل : إن حسان بن ثابت قام فقال : يا رسول الله ائْذَنْ لى فيه، يعنى أبا سفيان ابن الحارث . وأخرج لسانا أسود ووضعه على طرف أرنبته وقال: يا رسول الله ،

---

(١) جملة « يعنى أبا سفيان » ليست فى الأغانى .

لو شئت لفرَيت به المزاد[1] ، فقال : « يا حسان وكيف وهو منى وأنا منه » فقال : والله لأسلَّنَّه منك كما تُسَلُّ الشعرة من العجين . فقال : «ياحسان ، اذهب إلى أبى بكر ليحدِّثك حديثَ القوم وأحسابهم وأنسابهم وأيامهم فإنه أعلم بأنسابهم منك ، ثم اهجهم وجبريلُ معك » فأتى أبا بكر رضى الله عنه فأعلمه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كُفَّ عن فلانة ، واذْكُرْ فلانة . فقال :

هجوتَ محمَّداً فأجبتُ عنه ... وعندَ اللهِ فى ذاك الجزَاءُ

فإن أبى ووالدتى وعِرْضى ... لعِرض محمّدٍ منكم وِقَاءُ

أتهجوه ولستَ له بِكُفْءٍ ... فشرُّكما لخيركما الفِدَاءُ

ولما أُنشِدَت قريشٌ شِعرَ حسان قالت : إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبى قُحافة .

ولما بلغ أهلَ مكة شعرُ حسان ولم يكونوا علموا أنه شعره جعلوا يقولون : لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى الناس أَن يُنْشدوا شيئا من مُناقضة الأنصار ومُشرِكى قريش ، وقال : فى ذلك شتم الحىِّ بالميت وتجديدُ الضغائن ، وقد هَدمَ اللهُ أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام . فقدم المدينةَ عبدُ الله بن الزِّبعرى السَّهْمِىُّ وضرارُ بنُ الخطاب القِهْرِىّ المُحَارِبىّ ، فنزلا على [أبى] أحمد بن جحش وقالا له : نحب أن ترسل إلى حسان بن ثابت حتى يأْتِيَكَ فنُنشده ويُنشدنا مِمَّا قاله لنا وقلنا له ، فأرسل إليه فجاءه فقال له : ياأبا الوليد ، هذان أخواك : ابنُ الزِّبعرى وضِرار قد أحبَّا أن يُسمِعاك[2] وتُسمعهما ما قالا لك وقلت لهما . وقال ابن الزبعرى

(١) المزاد جمع المزادة وهى التى يحمل فيها الماء .

(٢) فى الأغانى : قد جاءا أن يسمعاك .

وضرار : ياأبا الوليد ، إن شعركَ كان يُحْتَمل فى أوّل الإسلام ولا يُحْتَمل الآن[١] .
فقال حسان : أتبتدئان أو أبدأ ؟ قالا : نبدأ نحن . فأنشداه حتى صار كالمِرْجل
غضبا . ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة ، فخرج حسان حتى دخل على عمر
رضى الله عنه فقصّ عليه قِصَّتهما وقصته ، فقال له عمر : لن يذهبا عنك بشىء إن
شاء الله عز وجل ، ثم أرسل من ردَّهما وقال : إن لم تَلحقهما إلّا بمكة فارْدُدْهما علىّ ،
وخرجا حتى إذا كانا بالرَّوْحاء رجع ضرار إلى صاحبه بعد ما أعمل فِكْره فقال له :
يا ابن الزِّبعْرى ، أناأعرِفُ عُمرَ وذَبَّه عن الإسلام وأهلِه ، وأعرف حسان وقِلَّةَ
صَبْرِه على ما فعلنا به ، وكأنى به قد شكا إليه ما فعلنا فأرسل فى آثارنا وقال لرسوله
إن لم تلحقهما إلا بمكة فارددهما علىّ فارْبَحْ بنا العَنَاء[٢] وأقِمْ بنا فى مكاننا هذا ،
فإن كان الذى ظننتُ فالرجوع من الرَّوحاء أسهل منه من أبعدَ مِنْها ، وإن أخطأ
ظنّى فذلك الذى نُحِب ونحن مِن وراءِ المُضِىِّ فقال له ابن الزبعرى : نِعْم ما رأيت ،
فأقاما بالرَّوْحاء ، فما كان إلّا كمرّ الطائرِ حتى وافاهما رسول عمر ، فرجعا إليه ،
فدعا لهما بحسان ، وعُمرُ فى جماعةٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال
له : أنشدْهما ما قلتَ لهما . فلما فرغ قال له عمر : أنشدَاك فى الَخلا ، وأنشدتَهما
فى المَلَا ، وقال لهما عمر : إن شئتما أقيما وإن شئتما فانصرِفا . وقال لمن حضره من
الأنصار : قد كنتُ نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين ، نفياً
للتضاغن[٣] عنكم وبثّ القبيح فيما بينكم ، فأما إذ أبَوْا فاكتبوه واحفظوه[٤]

---

(١) فى الأغانى : ولا يحتمل شعرنا .

(٢) فى الأغانى : فاربع بنا ترك العناء .

(٣) فى الأغانى : دفعا للتضاغن .

(٤) كلمة « واحفظوه » ليست فى الأغانى .

واحتفظوا به ودَوَّنُوا ذلك عنهم(١) . فكان الأنصار يُجدِّدُونه كلما خافوا بِلاه .

وقال حسان بن ثابت :

إن سَنَاء المَجْدِ من آل هاشم(٢) ... بنو بَيْتِ مخزومٍ ووالدُك العَبْدُ
وما ولَدَتْ أبناء زهرة منكمُ ... كِراماً ولم يَلْحَق عجائزَك المَجْدُ
وإن امرأً كانت نُتَيْلَةُ أُمَّه(٣) ... وسمراءُ مَغلوبٌ إذا بَلغ الجَهْدُ
وأنت هَجِينٌ نِيطَ فى آل هاشم ... كما نِيطَ خَلْفَ الراكبِ القدحُ الفَرْدُ

فقال العباس : مالى أنا ولحسان(٤) ، يعنى فى ذكر نتيلة وهى أمه ، فقال فيها :

ولستَ كعَبَّاسٍ ولا كابْنِ أُمِّه ... ولكنْ هَجِينٌ ليس يُورَى له زَنْدُ

وقيل : إن جبريل أعان حسان بن ثابت فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أمرت عبدَ الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك الأنصاريَّ فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى وأَشْفَى » وقالت عائشة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ابن ثابت : « إنَّ رُوح القُدُس لا يزال يُؤَيِّدك ما نافحت عن الله ورسوله ». وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو فى سفر : « أين حسان بن ثابت » فقال حسان : لبَّيك يا رسول الله وسَعْدَيك . قال : « أنشد »(٥) فجعل ينشد ويصغى إليه النبى صلى الله عليه وسلم ويسمع ، فما زال يستمع إليه وهو شانِقٌ راحلتَه(٦)

---

(١) فى الأغانى : فدونوا ذلك عندهم .

(٢) فى الأغانى : وإن سنام المجد .

(٣) كذا فى المختار والأغانى. وفى ديوانه: « سمية أمه » وسمية هى أم الحارث بن عبد المطلب وسمراء أم أبى سفيان بن الحارث .

(٤) فى الأغانى : مالى وما لحسان .

(٥) فى الأغانى : « احد » .

(٦) فى طبعة دار الكتب « وهو سائق » وهذا تحريف ظاهر . وشنق البعير: جذبه بزمامه وهو راكبه ورفع رأسه .

حتى كاد رأسُ الراحلة يمسُّ الوَرِكَ حتى فرغ من نشيده . فقال رسول الله صلى الله وسلم » لهذا أشدُّ عليهم من وقع النَّبْل » .

مرّ عمر رضى الله عنه بحسان وهـو ينشد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بأذنه وقال : أرُغا كرغاء البعير ؟ فقال حسان : دعنا منك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم أنى كنت أنشد فى هذا المسجد من هو خير منك فـلا تُغَيِّرْ علىَّ[١] .
فصدّقه عمر .

مر الزُّبيرُ بن العوّام بمجلس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وحسانُ بن ثابت ينشدهم الشعر وهم غيرُ نِشاطٍ لما يسمعون منه . فجلس الزُّبير معهم وقال لهم : مالى أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفُرَيعة ؟ ولقد كان يَعرِض به لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيُحسِن استماعه ويُجزل صلة ثوابه[٢] ولا يشتغل عنه بشىء .
فقال حسان فيه :

أقامَ على عَهْـــد النبىّ وهَدْيه حَوَارِيُّه والقـول بالفِعْل يُعْدَلُ[٣]
أقام على مِنهاجــه وطَريقه يُوالِى وَلىَّ الحق والحقُّ أَعـدَلُ
هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذى يصول إذا ما كان يـومٌ مُحَجَّلُ
إذا كشفتْ عن ساقها الحربُ حَشَّها بأبيض سبَّاقٍ إلى المـوت يَرْفُلُ[٤]
وإن امرأً كانت صفيَّةُ أُمَّه ومن أسـد فى بَيتهـا لَمُرَفَّـلُ[٥]

(١) فى الأغانى : فلا يغير .
(٢) فى الأغانى : ويجزل عليه ثوابه .
(٣) بهامش ك رواية أخرى مثل ت : والقول بالفضل .
(٤) حس النار : ردها على خبز الملة . ورفل يرفل : جرذيله وتبختر . وفى الأغانى : حشها . . . يرقل .
(٥) المرفل : المعظم المسود .

له من رسول الله قُرْبى قَريبةٌ ومن نُصْرةِ الإسلامِ مَجْدٌ مُؤَثَّلُ
فكم كُرْبةٍ ذبَّ الزُّبيرُ بسيفه عن المُصطفى واللهُ يُعطى ويُجْزِلُ
فما مثلُه فيكم ولا كان قبلَه وما إن يكون الدهرَ ما كان يَذْبُلُ[1]
ثَناؤكَ خيرٌ من فِعالِ مَعاشرٍ وفِعْلُك يا ابن الهاشمية أفْضَلُ

ولما كان يوم الأحزاب[2] وردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يحمى أعراض المسلمين ؟ » قال كعب : أنا يارسول الله ، وقال عبدُ الله بن رَواحة : أنا يارسول الله . وقال حسان : أنا يارسول الله ، قال : « نعم ، اهْجُهم أنت فإنه سيُعينك عليهم رُوحُ القدس » .

جاء رجل إلى ابن عباس فقال : قد جاء اللعينُ حسان من الشام ، فقال ابن عباس : ما هو بلعين ، لقد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده .

قدم وفد بنى تميم على النبي صلى الله عليه وسلم وهم سبعون أو ثمانون رجلا ، وفيهم الأقرع بن حابس والزِّبرقان بن بدر وعُطارد بن حاجب ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم . وانطلق معهم عُيَينة بن حِصن ، فدخلوا المسجد فوقفوا عند الُحجُرات فنادوا بصوت عال جافٍ : اُخرُجْ يا محمد فقد جئنا لنفاخرك وجئنا بشاعرنا وخَطيبنا . فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ، فقام الأقرع بن حابس فقال : والله إن مدحى لزَيْنٌ ، وإن ذَمّى لَشَينٌ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذلك الله عز وجل » فقالوا : إنا لأكرمُ العرب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم » فقالوا : ائذن لشاعرنا وخطيبنا . فقام عطارد فقال : الحمد لله الذى له الفضل علينا وهو أهله ،

(١) يذبل: اسم جبل . وفى الأغانى : فى مثله فيكم . . . مادام يذبل .
(٢) فى الأغانى : عام الأحزاب .

الذى جعلنا ملوكا ، وجعلنا أعز أهل المشرق ، وآتانا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف ، وليس فى الناس مثلنا ، ألسنا برءوس الناس وذوى فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليعدُدْ علينا مثل ما عددنا ، ولو نشا لأكثرنا ، ولكنا نستحى من الإكثار فيما خوَّلنا اللهُ وأعطانا ، أقول قولى هذا فأْتُوا بقول أفضل من قولنا أو أمر أبين من أمرنا . ثم جلس . فقام ثابتُ بن قَيس بن شَمَّاس فقال : الحمد لله الذى السموات والأرض من خَلْقه قضى فيهن أمرهُنّ ووسع كرسيه عِلْمه ولم يُقضَ شىء إلّا من فضله وقدرته وكان من قُدْرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولا ، أكرمهم حسبا ، وأصدقهم حديثا ، وأحسنهم رأيا ، وأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه . وكان خِيرَة الله من العالمين فدعا إلى الإيمان ، فأجابه من قومه وذوى رحمه المهاجرون ، أكرم الناس أنسابا ، وأصبح الناس وجوها ، وأفضل الناس أفعالا . ثم كان أول من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب واستجاب له نحن معشر الأنصار ، فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نُقاتل الناس حتى يؤمنوا ويقولوا: لا إله إلا الله ، فمن آمن بالله ورسوله مَنَع منَّا ماله ودمه ، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه ، فى الله ، وكان جهاده علينا يسيرا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات

فقام الزبرقان فقال :

نحنُ الملوكُ فلا حىٌّ يُقارِبنا ... مِنا الملوكُ وفينا يُوخَذ الرُّبُعُ (١)
تلك المكارم حُزْناها مُقارعةً ... إذا الكرام على أمثالها اقْترعُوا
كم قد قَسَرْنا من الأحياء كلّهمُ ... عند النِّهاب وفضلُ العِزّ يُتَّبَعُ (٢)

---

(١) الربع : المرباع وكان يأخذه الرئيس خالصا دون أصحابه .
(٢) فى الأغانى : كم قد نشدنا ... وفضل العز يتبع.

ونَنحرُ الكُوم عُبْطًا فى منازلنا(١) للنازلين إذا ما استَطْعَموا شَبعوا
ونحن نُطعم عند القحْط ما أكلوا مِن العَبيط إذا لم يظهر القَزَع(٢)
وننصرُ الناسَ تأتينا سَرَاتُهمُ من كلِّ أَوْبٍ فَنَمْضى ثم نَتَّبَعُ(٣)

فأرسل رسول الله إلى حسان بن ثابت فجاء فأمره أن يجيبه فقال :

إن الذَّوائب من فِهْرٍ وإخوتهم قد بَيَّنُوا سُنَّةً للناس تُتَّبَعُ
يَرضَى بها كلُّ من كانت سَريرَتُه تَقْوى الإله وبالأمر الذى شَرَعوا
قومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عَدُوَّهمُ أوْ حاوَلُوا النفعَ فى أشياعهم نَفَعوا
إنْ كان فى الناس سبَّاقون بعدهم فكلُّ سَبْقٍ لأَدْنى سَبْقهم تَبَعُ(٤)
سَجِيَّةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدَثَةٍ إن الخلائقَ فاعْلَمْ شرُّها البِدَعُ
لا يَرْقَع الناسُ ما أَوْهَت أَكُفُّهُمُ عند الدِّفاع ولا يُوهُون ما رَقَعُوا
أَعِفَّة ذُكِرَتْ فى الوَحْىِ عِفَّتُهم لا يَطْبَعُون ولا يُزْرِى بهم طَبَعُ(٥)
ولا يَضَنُّون عن جارٍ بفضلِهمُ ولا يَمَسُّهم من مَطْمَعٍ طَمَعُ(٦)
يَسْمُون للحرب تبدُو وهى كالحةٌ إذا الزَّعانف من أظفارها خُشُعُ(٧)
لا يَفرحون إذا نالُوا عَدُوَّهمُ وإن أُصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ

---

(١) الكوم جمع أكوم أو كوماء : وهو البعير الضخم السنام . والعبط جمع العبيط : وهو ما يذبح من غير داء .

(٢) القزع : السحاب . وفى الأغانى : ونحن نطعم عند المحل .

(٣) كتب فى الأغانى : فتمضى ثم تتبع .

(٤) جاء هذا البيت فى الأغانى سادس الأبيات .

(٥) طبع يطبع طبعاً « على وزن فرح » : دنس فى جسمه أو خلقه بعيب . وفى الأغانى : ولا يرديهم طمع .

(٦) فى الأغانى : من مطمع طبع .

(٧) فى الأغانى : خشعوا .

كأنهم فى الوَغَى والموتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسودُ بِيشَةَ فى أرساغها فَدَعُ[1]
خُذْ منهمُ ما أَتَوْا عفوًا وإن غضبوا ... فلا يَكُنْ همُّك الأمرَ الذى مَنعوا
فإن فى حربهم فاتْرُكْ عَدَاوتَهم ... سُمًّا يُخَاضُ عليه الصَّابُ والسَّلَعُ[2]
أكرِم بقومٍ رسولُ الله قائدُهم ... إذا تفرَّقَتِ الأهواءُ والشِّيَعُ
أهدَى لهم مِدْحَتِي قَلْبٌ يُؤَازِرُه ... فيما أرادَ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ
وإنهم أفضلُ الأحياءِ كلِّهِمُ ... إن جدَّ بالناس جِدُّ القوْل أو شَمَعُوا[3]

فقام عُطارد بن حاجب فقال :

أتيناك كيما يعلَم الناس فضْلَنا ... إذا اجتمعوا وقتَ احتضارِ المواسمِ
بأنَّا فروعُ الناسِ فى كلِّ مَوْطِنٍ ... وأنْ ليس فى أرض الحجازِ كدارمِ

فقال حسان :

منعنـــا رسولَ الله من غَضَبٍ له ... على أنف راضٍ من مَعَـدٍّ وراغمِ[4]
هل المجدُ إلَّا السُّؤْدَدُ الفرْدُ والنَّدَى[5] ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ

فقال الأقرع بن حابس : والله إن هذا لمُؤَتًّى له[6] ، والله لشاعره أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولأصواتهم أرفع من أصواتنا ، أعطِنى يا محمد ، فأعطاه . قال : زِدْنى . فزاده ، فقال : اللهم إنه سيِّد العرب ، فنزلت فيهم

(١) مكتنع: قريب. وبيشة: مكان كثير الأسود. والفدع : اعوجاج فى الرسغ .
(٢) الصاب والسلع: نوعان من الشجر مران .
(٣) شمعوا : مزحوا . وفى المختار وأصول الأغانى : أو سمعوا .
(٤) فى الأغانى : على رغم أنف من معد وراغم .
(٥) فى الأغانى : إلا السؤدد العود .
(٦) مؤتى : ميسر ومسهل .

« إنَّ الذين يُنَادُونك مِنْ وَرَاءِ الحُجُراتِ أكثرُهم لا يَعقلونَ »(١) ثم إن القوم أسلموا وأقاموا عند النبي صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن ويتفقّهون فى الدين، ثم أرادوا الخروج إلى قومهم فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقال: « أما بَقِى منكم أحد؟ » وكان عمرو بن الأهتم فى ركابهم، فقال قيس بن عاصم، وهو فى رهطه وكان مُشاحنا له: لم يبق منا إلا غلام حديث السِّنّ فى ركابنا. فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم. فبلغ عَمْرًا ما قال قيس فقال له:

ظَلِلْتَ مُفترِش الهَلْبَاءَ تَشتُمني(٢)   عند الرسولِ فلم تَصْدُق ولم تُصِبِ
إن تُبغِضونا فإن الرُّومَ أصلُكم   والرومُ لا تَملك البغضاءَ للعَرَبِ
فإن سُؤْدَدَنا عَوْدٌ وسُؤْددكم   مُؤَخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ(٣)

فقال قيس:

لولا دِفاعى كنتمُ أَعْبُدًا   دَارُكُمُ الحِيرَةُ والسَّيْلَحُونْ(٤)

قال مسروق: دخلت على عائشة رضى الله عنها وعندها حسان بن ثابت يرثى ابنةً له ماتت وهو يقول:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبةٍ   وتُصْبِحُ غَرْثَى من لحوم الغَوَافِلِ(٥)

فقالت له عائشة رضى الله عنها: لكنك لستَ كذلك، فقلت لها: أَيدْخل عليك هذا وقد قال الله عز وجل: « والذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهم له عَذَابٌ عَظِيمٌ »(٦)

---

(١) سورة الحجرات الآية ٤.
(٢) الهلباء: الاست.
(٣) العجب: ماانضم عليه الوركان من أصل الذنب المغروز فى مؤخر العجز.
(٤) السيلحون: موضع قرب الحيرة أو هو بين الكوفة والقادسية.
(٥) رزان: ذات وقار وزنه بخير أو شر: ظنه به. وغرثى: جائعة: أى لاتغتاب أحدا منهن.
(٦) سورة النور الآية ١١.

فقالت له : أما تراه فى عذاب عظيمٍ قد ذهب بصره ؟ وكان حسان قد قال شِعرا يُعَرِّض فيه بِصَفْوانَ بنِ المُعَطَّل ومن أسلم من مضر وهو :

أمسى الجلابيب قد عزُّوا وقد كثروا وابنُ الفُريعة أمسى بيضةَ البلد

فاعترضه صفوان بن المُعطَّل بالسيف فضربه لِما قذَفه به من الإفك ولما عرَّض به فيه من قوله ، ثم قال :

تَلَقَّ ذُبابَ السيف عنكَ فإننى غلامٌ إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب ثابتُ بن قيس بن الشماس على صفوان بن المعطَّل فجمع يديه إلى عنقه فانطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما لهذا ؟ فقال : أَلَا أُعَجِّبُك ؟ ضرب حسان بالسيف وما أراه إلا قد قتله ، فقال له عبدُ الله ابن رَواحة : هل علم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اُجترأت ، أَطلِق الرجل . فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان بن المعطل فقال صفوان : يا رسول الله آذانى وهجانى فضربته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : يا حسان أَنفسْتَ على قومى[1] أن هداكم الله عز وجل للإسلام ؟ أحسِن يا حسّانُ فى الذى أصابك قال : هى لك يا رسول الله .

كانت صفيةُ بنتُ عبد المطلب فى فارعٍ حصنِ حسان بن ثابت — يعنى يوم الخندق — وكان حسان فيه مع النساء والصبيان ، قالت : فمرَّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطيف بالحصن وقد حاربتْ بنو قُريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نُحورِ عَدُوِّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آتٍ ، فقلت : يا حسان إن هذا اليهودى كما ترى يُطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يَدُلَّ

(١) فى الأغانى : أتعيب على قومى .

على عَوْراتنا ، مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزِلْ إليه فاقتله . فقال : يغفر الله لك يا بنتَ عبد المطلب ، لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا فأنزلَ إليه فأقتلَه فلما قال ذلك ولم يكن عنده شيء احْتَجَزْتُ[1] . وأخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان انزِلْ إليه فاسلُبْه فإنه لم يمنعنى من سلْبه إلا أنه رجل . فقال : مالى بِسَلْبِه من حاجة يا بنت عبد المطلب .

وكان أَكْحَلُ[2] حسانَ قد قُطع فلم يكن يَضرِب بيده.

ولما أنشد حسانُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

لقد غَدَوْتُ أمامَ القومِ منْطلقا ... بصارمٍ مثل لَوْنِ المِلْحِ قَطَّاعِ
يَحْفِزُ عنى نِجادَ السيفِ سابغةٌ[3] ... فَضفاضةٌ مثل لَوْنِ النِّهْىِ بالقاعِ[4]

ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فظن أن ضحكه من وصفه نَفْسَه مع جُبْنه

قال مالك[5] بن أبى عامر : بينما نحن جلوس عند حسان بن ثابت . وحسان مضطجع مسند رجليه إلى فارع قد رفعهما عليه إذ قال : مَهْ ، أما رأيتم ما مَرَّ بكم الساعة ، قالوا: لا والله وما هو ؟ قال : فأخته مرت الساعة بينى وبين فارع فصدمتنى أو قال: فزحمتنى. فقالوا : وما هى ؟ قال :

ستأتيكمُ غدْواً أحاديث جمة ... فأصغوا لها آذانكم وتسمَّعُوا

قال : فصبحنا من الغد خبر صِفّين .

---

(١) احتجز بردائه : شده على وسطه .

(٢) الأكحل : عرق فى وسط الذراع .

(٣) يحفز : يدفع . وفى المختار : يحف عنى. والتصويب من الأغانى.

(٤) النهى : الغدير .

(٥) هذا النص والتالى له فى الأغانى وجاءا فى هامش ك وبعضهما غير واضح واستعنت بالأغانى على إثبات ما لم يظهر .

وحُدِّث أن الحارث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ابعث معى من يدعو إلى دينك وأنا له جارٌ . فأرسل معه رجلا من الأنصار . فغدرتْ بالحارث عشيرتُه فقتلوا الأنصاريَّ . فقدم الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنِّب أحدا فى وجهه . فقال : « ادعوا حسان » فدُعِى له . فلما رأى الحارث أنشده :

يا حارِ مَنْ يَغْدِرْ بذمّة جارِهِ منـــكم فإن محمدا لم يغدر
إن تغدروا فالغَدْرُ منكم شيمةٌ والغدْر ينبت فى أصول السَّخْبَرِ

السَّخْبر : نبت[1] .

فقال الحارث : اكففه عنى يا محمد وأؤدى لك دية الخُفارة[2] فأدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم سبعين عُشَرَاء وكذلك دية الخفارة وقال : يا محمد . أنا عائذٌ بك من شرِّه فلو مُزِج البحر بشعره مزجه .

لما صار ابنُ الأشعث إلى رُتْبيل[3] تمثلَ رُتْبيل بقول حسان بن ثابت فى الحارث ابن هِشام :

إن كنتِ كاذبةَ التى حَدَّثْتِـنِى فنجوتِ مَنْجى الحارث بنِ هشامِ
تركَ الأَحِبَّـــة أن يُقـاتلَ دُونهمْ ونَجَـا بِرأْسِ طِمِرةٍ ولجـامِ[4]

فقال ابنُ الأشعث : أو ماسمعت ما ردّ عليه الحارث بن هشام ؟ فقال: وما يقول؟ قال : قال :

الله يعلم ما تركت قتالَهُمْ حتّى عَلَوْا فرسى بأشقرَ مُزْبدِ
وعلمت أنى إنْ أُقاتلْ واحداً أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوِّى مَشهدِى

(١) جملة «السخبر نبت» ليست فى الأغانى . هذا ، ويقال : ركب فلان السخبر: إذا غدر .
(٢) الخفارة : الذمام .
(٣) رتبيل صاحب الترك كان بنواحى سجستان غزاه عبيد الله بن أبى بكرة سنة ٧٩ هـ .
(٤) الطمرة : الأنثى من الجياد الطويلة القوائم الخفيفة .

ففررت عنهم والأحبَّةُ فيهمُ طمَعاً لهم بعقاب يَوْمٍ مُرْصَد

فقال رُتْبيل : يا معشر العرب ، حسَّنتم كلَّ شيء حتى الفرار حسنتموه .

ولما عَرَض بصفوان بن المُعَطَّل وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا حسان، أنفِسْت على قومى أن هداهم الله عز وجل للإسلام» أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتردّد حسان إليه مرتين وهو يعرض عنه ، إلى أن قال له فى المرة الثالثة: يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، احفظنى فى قولى :

هجوتَ محمَّداً فأجبتُ عنه وعند الله فى ذاك الجزاء

فرضى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووهب له شِيرين أختَ مارية أم إبراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عِوَضا عن ضَرْبته بِبَرْحَاء ، وهى قصرُ بنى جَدِيلة بالمدينة ، وولدت له شيرين عبدَ الرحمن بن حسان .

وكان صفوانُ رجلًا حَصورا لا يأتى النساء ، وقُتل شهيدا وهجا رجلٌ حسانَ بما فعل به صفوان فقال :

وإن ابن المعطل من سُلَيْم أذلَّ قِيادَ رأسِك بالخِطام

قال عُمر بن شَبَّة(١): كان النابغة الذبيانىّ تُضْرب له قُبَّة من أدم بِسُوق عُكاظ، يجتمع إليه فيها الشعراء ، فدخل حسان بن ثابت وعنده الأعشى والخنساء، وقد أنشده شعرا ، فأنشدته الخنساء قولها :

وإن صَخْراً لمولانا وسيِّدُنا وإن صَخْراً إذا نَشْتُو لَنَحَّارُ
وإن صخرا لَتأْتمُّ الهداةُ به كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ

---

(١) هذا النص بطوله ليس فى ترجمة حسان وإنما جاء فى ترجمة النابغة ج ١١ ص ٦ دار الكتب ودار الثقافة المجلد ١١ وبولاق ٩/١٦٣ مع اختلاف كثير .

فقال : لولا أن أبا بَصِير أنشدنى قبلك لقلت: إنك أشعر الناس ، ولـكنه أشعر من كل ذات هَنٍ ، فقالت : إى واللهِ ومن كلِّ ذى خُصْيَين . فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها ومن أبيك . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

لنا الجفَنَاتُ الغُرُّ يَلمعْنَ بالضُّحى ... وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْـدَةٍ دَمَا
وَلَدْنا بنى العَنْقَاءِ وابنَىْ مُحَرِّقٍ ... فأَكرِمْ بنا خَالًا وأَكْرِمْ بنا ابْنَما[1]

فقال له : إنك قلت « الجفنات » فقلّلْتَ العدد ولو قلت الجِفَان لـكان أكثر ، وقلت : « يلمعن بالضحى » ولو قلت « يَبرقْن بالدُّجى » لـكان أبلغ فى المديح ، لأن الضيف بالليل أكثر ، وقلت « يقطرن من نجدة دما » فدَلَلْتَ على قِلّة القتل ، ولو قلت : « يجرى » لـكان أكثر لانصباب الدم . وفخرت بمَن وَلَدْت ولم تَفخر بمن وَلَدَكَ . فقام حسان منكسرا منطلقا منقطعا . فقال له : ولـكنك لا تحسن أن تقول :

خَطاطِيف حُجْن فى حبالٍ مُتِينةٍ ... تُمَدُّ بها أيـدٍ إليك نَوازِعُ

ومن شعر حسان يمدح بنى جَفْنة من قصيدة أولها[2] :

* أسألت رسم الدار أمْ لم تَسأل *

وهى من فاخر المدائح يقول فيها :

إن التى عاطيتنى فردَدْتُها ... قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقْتَلِ
كِلْتاهما حَلَبُ العصيرِ فعاطِنى ... بِزُجاجةٍ أرخاهُما للمَفْصِلِ
أولاد جَفْنةَ حولَ قَبْرِ أبيهمُ ... قَبْرِ ابنِ مارِيَةَ الجوادِ المُفْضِلِ

(١) ابنما : ابنا .

(٢) هـذا النص ليس فى ترجمة حسان ولا القصيدة ، وجاء بعضها فى ج ١٥ ص ١٢٢ دار الثقافة فى أخبار حسان وجبلة بن الأيهم .

يَسْقون من وَرَدَ البَرِيصَ عَليهمُ بَرَدَى يُصَفَّق بالرَّحيق السَّلْسَلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهمْ شُمُّ الأنوف من الطِّراز الأَوَّلِ
يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابهمْ لا يَسألونَ عن السَّوَادِ المُقْبلِ

قال[1] ابن ظبيان الحمانى : اجتمع جماعة من الحىّ على شراب ، فتغنى رجل منهم بشعر حسان : « إن التى عاطيتنى » البيتين . فقال رجل من القوم : ما معنى قوله « إن التى عاطيتنى » فجعلها واحدة ، ثم قال « كلتاهما حلب العصير » فجعلها ثنتين . فلم يعلم أحد منا الجواب ، فقال رجل من القوم : امرأته طالق ثلاثا إن بات أو يسأل القاضىَ عُبيدَ الله بن الحسين عن تفسير هذا الشعر ، فأُسقط فى أيدينا ليمينه ، ثم أجمعنا على إتيان عبيد الله ، قال ابن ظبيان : فحدثنى بعض أصحابنا السعديين قال : فأتيناه نتخطَّى إليه الأحياء حتى أتيناه وهو فى مسجده يصلى بين العشائين ، فلما سمع حِسَّنا أوجز فى صلاته ، ثم أقبل علينا فقال : ما حاجتكم ؟ فبدأ رجل منا كان أحسننا هيئة فقال : أعز الله القاضى ، نزعْنا إليك من طرف البصرة فى حاجة مُهمة فيها بعضُ الشىء ، فإن أذنت لنا قلنا . قال : قولوا ، فذكرَ يَمِينَ الرجل والشِّعر . فقال : أما قوله : « إن التى عاطيتنى » يعنى الخمر . وأما قوله : « قُتِلَتْ قُتِلْتَ » يعنى مزجت بالماء . وقوله « كلتاهما حلب العصير » فإنه يعنى الخمر ومِزاجها . فالخمر عصير العنب والماء عصير السحاب . قال الله تعالى « وأَنْزَلْنا من المُعْصِرَاتِ ماءً ثَجَّاجاً»[2] انصرفوا إذا شئتم .

قال يوسف بن ماهك : أخبرتنى أمى أنها كانت تطوف مع عائشة بالبيت ، فذكرتْ حسان ، قالتْ : فَسَبَبْتُه . فقالت : بئس ما قلتِ أتَسُبِّينه وهو الذى يقول :

---

(١) هذا النص ليس فى ترجمة حسان .

(٢) سورة النبأ الآية ١٤ .

فإن أبى ووالِدَه وعِرضى لعرضِ محمدٍ منكم وِقَاءُ

فقلت : أليس ممن لعن الله فى الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئا، ولكنه يقول :

حَصَان رَزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبةٍ وتُصبِحُ غَرْثَى من لُحوم الغوافِلِ

فإن كان ما قد جاء عَنِّىَ قُلْتُه فلا رفعَتْ سَوْطى إلىَّ أنامِلِى

دخل حسان بن ثابت بيت خمَّار فى الشام فى الجاهلية ومعه أعشى بكر بن وائل، فاشتريا خمرا وشربا ، فنام حسان ثم انتبه ، فسمع الأعشى يقول للخمار: كره الشيخُ الغُرْمَ . فتركه حسان حتى نام ثم اشترى خَمْرَ الخمَّار كلَّها ثم سَكَبها فى البيت حتى سالت تحت الأعشى ، فعلم الأعشى أنه سمع كلامه فاعتذر إليه .

قدم عبدُ الله بن جعفر(١) على مُعاوية وافداً ، فدخل إليه إنسان ثم ذهب إلى معاوية فقال : هذا ابنُ جعفر يشرب النبيذَ ويسمع الغناء ويُحرِّك رأسه عليه . فجاء معاوية مُتغيِّراً حتى دخل على ابن جعفر وعزَّةُ الميلاء بين يديه كالشمس الطالعة تضىء فى كِسْرِ البيت تغنيه على عُودها :

تَبلَتْ فُؤادكَ فى المنامِ خَرِيدةٌ(٢) تَشْفِى الضَّجِيع ببارِدٍ بَسَّامِ

وبين يديه عُسٌّ عَسلٍ ، فقال : ما هذا يا ابن جعفر ؟ فقال : أقسمت عليك يا أمير المؤمنين لتشرَبَنَّ منه ، فإذا عَسلٌ ممزوج بمسك وكافور ، فقال : هذا طيِّب ، فما هذا الغناء ؟ قال : هذا شعر حسان فى الحارث بن هشام ، قال : فهل تغنى بغير هذا ؟ قال : نعم ، بالشِّعر الذى يأتيك به الأعرابىُّ الجافى الأذفَرُ القبيحُ المنظرِ

---

(١) هذا النص جاء بعد غزوة بدر ج ٤ ص ٢١٢ دار الكتب .

(٢) فى الأغانى : فى الظلام خريدة.

فيُشافِهك(١) به فتَمْطيه عليه وآخذه أنا فأختار محاسنه ورَقيق كلامه وأُعطيه هذه الحسنةَ الوجه الليِّنة اللَّمْس الطيّبة الرّيح فترتِّله بهذا الصوت الحسن . قال : فما تحريكك رأسك ؟ قال : أريحيّةٌ أجدها إذا سمعت الغناء لو سُئِلت [عندها] لأعطيت ، ولو لَقيتُ لأبلَيْتُ . فقال معاوية : قبح الله قوما عرَّضونى لك . ثم خرج وبعث إليه بِصِلة سَنيّة .

(١) فى المختار : فيشفهك . وشفهه : ضربه على شفته أو ألح عليه فى السؤال أو شغله . والتصويب من الأغانى .

حبَّان النابغة الجعدى(١)

هو حِبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُـدَس ـ وقيل : ابن عمرو بن عُدَس ـ بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيَعة بن عامر بن صَعْصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قَيس بن عيلان بن مضر . هذا النسب مُجمع عليه ، وقد قيل : إن خصفة الذى يقول الناس إنه ابن قيس بن عيلان وليس كما ذكروا . وإن عكرمة بن قيس بن عيلان وخصفة أمه امرأة من هَجَر ، وقيل بل حاضنته ، وكان قيس بن عيلان مات وعكرمة صغير ، فربّته حتى كبر ، وكان قومه يقولون : هذا عكرمة بن خصفة ، فبقيت عليه ، ومن لا يعلم يقول : عكرمة بن خصفة بن قيس كما يقال خِندف ، وإنما هى امرأة تزوجها إلياسُ بن مضر ، وقالوا فى صعصعة بن معاوية إن النَّاقِمِيَّة بنت عامر بن مالك ـ وهو الناقِمُ سُمِّى بذلك لأنه انتقم بلطمة لُطِمها ـ وكنية النابغة أبو ليلى ، وقيل: إن اسمه قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة ، وهذا وَهْم ممن قاله ، وليس يُشَكُّ فى أنه كان له أخ يقال له وَحْوَح بنُ قيس ، وهو الذى قتله بنو أسد(٢) .

كان بنو كعب قد أغاروا على بنى أسد وفيهم وَحْوَح ، فطُعِن وأخذه خالدُ بن نَضْلة الأسدىُّ ، وعطف عليه أخوه النابغة ، فقال له خالد : هلمَّ إلىَّ وأنت آمنٌ . فقال النابغة : لا حاجة لى فى أمانك ، أنا على فرسى ، ومعى سلاحى ، وأصحابى قريب ،

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٥/١ ودار الثقافة ٥/٣ وبولاق ٤/١٢٨ والساسى ٤/١٢٧ والتجريد ٦١٣ هذا، وفى المختار : حسان النابغة وبهامش ك عن مخطوط آخر : حيان. وفى أصول الأغانى : حسان أيضا والتصويب من الإصابة وغيره من كتب الصحابة .

(٢) بهامش ك إشارة إلى نسخة أخرى ذكرت أنهم بنو راشد . .

ولـكنى أوصيك بما فى العوسجة ، يعنى أخاه وحوحَ ، فعدل إليه خالد وأخذه وضمه إليه ومنع من قتله حتى فُدِى بعد ذلك .

وأمُّ النابغة فاخرةُ بنت عمرو بن جابر شِحْنة الأسدى ، وإنما سُمِّى النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يتـكلم ، ثم تـكلم بالشعر . وقيل : إنه قال الشعر فى الجاهلية ، ثم اختلّ دهرا ، ثم نبغ بالشعر فى الإسلام .

كان النابغة الجعدىُّ أسنَّ من النابغة الذبيانى .

وكان الجعدىُّ شاعرا مُفلقا طويل البقاء فى الجاهلية والإسلام ، ومن الدليل على أنه أكبر من الذبيانىّ قوله :

ومن يَـكُ سائلًا عنى فإنى ... من الفتيان أيـام الْخُنَانِ
أتتْ مائـةٌ لعامَ وُلِدْت فيه ... وعشرٌ بعـد ذاك وحِجَّتانِ
فقد أبقتْ صروفُ الدهر منى ... كما أبقت من السيفِ اليمانى

وعُمِّر بعد ذلك طويلا .

سئل محمد بن حبيب عن أيام الْخُنان فقال : وقعـة لهم[1] . قال قائل منهم وقد لقوا عدوهم : خُنُّوهم بالرماح ، فسمى ذلك عام الْخُنان ، ويدل أيضا على كبره أنه كان قد عُمِّر مع المنذر بن المحرّق قبل النُّعمان بن المُنذر ، وكان النابغة الذبيانى مع النعمان ابن المنذر فى عصره ، ولم يكن له قدَمٌ إلا أنه مات قبل الجَعْدىّ ولم يُدرك الإسلام وأدركه الجعدىُّ .

---

(١) فى اللسان مادة خنن : الخنان : زمن معروف عند العرب قد ذكروه فى أسفارهم . . . « وذكر البيت » وقال الأصمعى : كان الخنان داء يأخذ الإبل فى مناخرها وتموت منه فصار ذلك تاريخا لهم . ورواية اللسان : فمن يحرص على كبرى فإنى من الشبان أيام الخنان .

والجعدى الذى يقول :

تذكّرت شيئا قد مضى لسبيله ... ومن عادة المحزون أن يتذكّرا

نداماى عند المنذر بن مُحرّق ... أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرض مُقفِرا

كهولٌ وفتيانٌ كأنَّ وجوههمْ ... دنانيرُ مما شيفَ فى أرض قَيْصَرا[1]

وعمر النابغة مائة وثمانين سنة وقال :

لَبِسْتُ أُناسا فأَفنيتهمْ ... وأفنيتُ بعد أُناس أُناسا

ثَلاثــةَ أهلين أفنيتُهمْ ... وكان الإلهُ هو المُسْتَآسَا[2]

وكنتُ غلاما أقاسى الحرو ... بَ ويلقى القُاسُون منى مِراسَا

فلما دَنَوْنَا لِجَرْسِ النبا ... حِ لم نعرف الحىّ إلّا التماسا[3]

أضاءت لنا النارُ وجها أغـ ... ـرّ مُلتَبِساً بالجمال التباسا[4]

وأنشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه السينية إلى أن قال :

* ثلاثة أهلين أفنيتهم *

فقال : كم لبثت مع كل أهل ؟ فقال : ستين سنة .

وقال أيضا :

ألَا زعمت بنو سعدٍ بأنّى ... ـ ألَا كَذبوا ـ كبيرُ السِّنِّ فانى

أتت مائةٌ لعامَ وُلِدت فيه ... وعَشرٌ بعد ذاك وحِجَّتانِ

وأُنشِد رَجلٌ من العجم قول النابغة :

لبستُ أُناسا فأفنيتهمْ ... وأفنيت بعد أُناس أُناسا

(١) شاف الدينار أو السيف : جلاه .

(٢) المستآس : المستعاض .

(٣) جرس النباح : صوت نباح الكلاب.

(٤) فى الأغانى كهامش ك : بالفؤاد التباسا .

وفُسِّر له بالعربية فقال « بديشار بنيود »(١) أى هذا رجل مشئوم .

وقال ابنُ قتيبة : إنه عُمِّرَ مائتين وعشرين سنة ، ومات بأصبهان . وما ذاك بمُنكر ، لأنه قال لعمر بن الخطاب : إنه أفنى ثلاثة قرون كل قرن ستون سنة ، فهذه مائة وثمانون سنة ، ثم عمر بعده إلى أيام عبد الله بن الزُّبير ، فقدم عليه مكّة واستماحه ومدحه . وفى بقيّة مُدَّة عُمَرَ وأيام عثمان وأيام علىّ ومعاوية ويزيد نَحْوُ ما ذكر ابن قتيبة .

وهاجى أوسَ بن مَغراء بحضرة الأخطل والعجّاج وكعب بن جُعيل فغلبه أوْس وكان مُغَلَّباً .

قال النابغة : أنشدت النبى صلى الله عليه وسلم هذا الشعر فأعجبه :

بلغنا السماءَ مجـدُنا وجُدودُنا ... وإنَّا لنرجو فوق ذلك مَظْهَرا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ » فقلت : الجنة . فقال : « قل : إن شاء الله » فقلت : إن شاء الله ، ثم قلت بعد ذلك :

ولا خيْرَ فى حِلْمٍ إذا لم تـكنْ له ... بوادرُ تَحْمِى صَفْوَه أن يُـكَدَّرا

ولا خيْرَ فى جهلٍ إذا لم يكنْ له ... حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أَصدَرَا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أجدْتَ ، فلا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ » فلقد أتت عليه مائةُ سنةٍ أو نحوها وما انفضَّ من فيه سِنٌّ .

وكان النابغة ممن فَـكَّر فى الجاهلية وأنـكرَ الخمر ، والسُّـكْرَ وما يفعل بالعقل ، وهجر الأزلام والأوثان ، وقال فى الجاهلية كلمته التى أولها :

الحمـــدُ لله لا شريكَ له ... من لم يَقلْها لنفسه ظَلَما(٢)

---

(١) فى الأغانى «بدين شان بود» .

(٢) فى الأغانى : فنفسه ظلما .

وكان يذكر دين براهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقّى أشياء لِعَواقِبها .

ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وقال :

أتيتُ رسول الله إذ جاء بالهُدى ويتلو كتابا كالمَجرَّة نيِّرا
وجاهدتُ حتى ما أُحسُّ ومَن مَعى سُهَيْلًا إذا ما لاح ثُمَّتَ غَوَّرَا
أُقيمُ على التقوى فأرْضَى بفِعْلها وكنت من النار المَخُوفة أَوْجَرَا

أوجرَ أى أوْجَل .

وحسن إسلامه ، وشهد مع علىٍّ رضوان الله عليه صِفِّين .

وكان دخل على عثمان رضى الله عنه فقال : أستودعك الله يا أمير المؤمنين ، قال : وأين تريد يا أبا ليلى ؟ قال : أَلْحَقُ بإبلى وأشرب من ألبانها فإنى مُنكَرٌ لنفسى . قال : أتعرُّباً(١) بعد الهجرة يا أبا ليلى ؟ أما علمت أن ذلك مكروه ؟ قال : ما علمته ، وما كنت لأخرج حتى أُعلمك . قال : فأذِن له وأَجَّله فى ذلك أجلا . فدخل على الحسن والحسين رضوان الله عليهما فودَّعهما ، فقالا له : أنشِدْنا من شعرك يا أبا ليلى ، فأنشدهما :

الحمدُ لله لا شريكَ لـه من لم يَقُلْها لنفسه ظَلَمَا

فقالا : يا أبا ليلى ما كنا نَرْوى هذا الشعر إلّا لأُمَيّة بن أَبى الصَّلْت . فقال : يا ابْنَىْ رسولِ الله ، إنى لصاحب هذا الشعر وأوّل من قاله ، وإن السَّرُوقَ عَيْنَ السَّروق(٢) مَنْ سَرَق شِعْرَ أُميّة .

وكان السبب فى مهاجاة النابغة وأَوس بن مَغْراء أن معاوية لما نَدَبَ بُسْرَ بن

---

(١) التعرب أن يصير الرجل أعرابيا وذلك أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا .

(٢) كلمة « عين السروق » ليست فى الأغانى .

أَرطاةَ الفِهْرِىَّ لقتل شيعة أمير المؤمنين على رضوان الله عليه جاء إليه مَعْنُ بنُ يزيد ابن الأخنس السُّلَمىُّ وزياد بن الأشهب بن وَرْد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة فقالا : يا أمير المؤمنين نسألك بالله والرَّحِم ألا تجعل لِبُسْرٍ على قَيْسٍ سُلْطانا فيقتُل قيسا بمَن قتلَتْ بنو سُلَيم من فِهر ومن كِنانة يوم دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة . فقال معاوية : يابُسْر، لا لا أمر لك على قيس ، فسار بُسْر حتى أتى المدينة(١)، وقتل ابْنَىْ عُبيدِ الله بن العباس ، وفرَّ أهلُ المدينة ودخلوا الحرَّة حَرَّة بَنِى سُلَيم [ثم سار حتى أتى الطائف] وقالت ثَقِيف : مالك علينا سلطان ، نحن من قيس ، فسار حتى أتى هَمْدَان وقد تحصَّنوا فى جَبَل لهم ، فسار بُسْر ولم يلتفت إليهم ، حتى إذا اغترُّوا ونزلوا على قُراهم أغار عليهم ، فقتل وسبى نساءهم ، فكُنَّ أوَّلَ مُسلمات سُبِينَ فى الإسلام ، وكان من نَجَا من سعد نُزولًا بين ظَهْرَانَىْ بَنِى جعدة بالفَلَجِ(٣) فأغار بُسْرٌ على السعدِيِّين ، فقتل منهم وأسر ، فقال أوس بن مَغْراء فى ذلك :

مُشِرِّينَ يرْعَوْنَ النَّجِيلَ وقد أتَتْ(٤) ... بأوصالِ قَتلاكُمْ كلابُ مُزاحِمِ

المُشِرُّ : الذى قد بسط ثوبه . فقال النابغة يجيبه :

متى أكلَتْ لحومَكُم كِلابى ... أكلْتَ يدَيْك من جرَبٍ تَهامِ

---

(١) فى المختار : الطائف . وقتل ابنى عبيد الله كان باليمن . وفى الأغانى : حتى أتى المدينة .

(٢) زيادة من الأغانى .

(٣) فى الأغانى « ومربحى من بنى سعد نزول بين ظهرى بنى جعدة بالفلج » هـذا ، والفلج مدينة بأرض اليمامة لبنى جعدة كما فى معجم البلدان .

(٤) فى الأغانى : وقد غدت .

ولم يكن أوس مثلَ النابغة ولا قريبا منه فى الشعر ، فقال النابغة : إنى وإياه لنبتدرُ بَيْتاً أيُّنا سبق إليه غلبَ صاحبَه . فلما بلغه قولُ أوس :

لعمرُكَ ما تبلى سَرابيلُ عامرٍ … من اللُّؤْم ما دامتْ عليها جُلودُها

قال النابغة: هذا البيت الذى كنا نَبْتَدِر إليه فغُلِّبَ أوسٌ عليه .

وكان سبب المهاجاة بين الجعدىّ وبين ليلى الأَخْيلِيَّة أن رجلا من قُشير يقال له ابنُ الحيَا ـ وهى أُمُّه ـ واسمه سَوَّاد[1] بن أَوْفى بن سَبْره هجاه وسَبَّ أخواله من بنى أسد فى أمر كان بين قُشير وبين جَعْدة وهم بأصبهان ، فأجابه النابغة بقصيدته الفاضحة ـ سُمِّيت بذلك لأنها ذَكَر فيها مساوئَ قُشير وعُقيل وكلَّ ما كانوا يُسَبُّون به ـ وفخر بمآثر قومه :

جَهِلْتَ علىَّ ابنَ الحيَا وظَلمْتَنى … وجمَّعْتَ قولاً خاسِئاً ومُضَلّلا

وقال أيضا قصيدته التى أولها :

أَمَاترى ظُلَلَ الأيّامِ قد حَسرَتْ … عنّى وشمَّرْتُ ذَيْلاً كان ذيَّالَا[2]

ويوم مكّة إذ ماجَدْتُمُ نفَراً … حامُوا على عُقَدِ الأحساب أزْوَالاَ[3]

عند النجاشىّ إذ تُعطون أيدِيَكُمْ … مُقَرَّنين ولا تَرْجُون إرْسَالا[4]

إذ تَسْتَحِبُّون عند الجَدْلِ أنَّ لكُم[5] … من آل جعدةَ أعماما وأخوالا

لو تستطيعون أن تُلْقُوا جُلودَكُمُ … وتَجعلوا جِلْد عبدِ الله سِرْبالا

يعنى عبد الله بن جعدة بن كعب .

---

(١) فى الأغانى : سوار .

(٢) ذيالا : طويلا .

(٣) الأزوال جمع الزول : وهو الفتى الخفيف الظريف ، والجواد .

(٤) فى المختار : « ولا ترخون » .

(٥) فى الأغانى : « عند الخذل أن لكم » .

إذا تسربلتمْ فيه ليُنجيَكمْ فيما يقول ابنُ ذِى الجدّين إذ قالا
حتى وَهبتم لعبد الله صاحِبَه والقولُ فيكم بإذن الله ما قالا
تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ شِيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

يعنى بهذا البيت أن ابن الحيا فخر عليه بأنهم سَقَوْا رجلا من جَعْدَة أدركوه فى سفر وقد جَهِدَ عطشاً ، فسقوه لبناوماء فعاش . ونخر عليهم أيضا بيوم ىَ رَحْرَحَانَ فقال:

هلا سألتَ بيومَىْ رَحرحانَ وقد ظَنَّتْ هوازنُ أن العِزَّ قد مالا(١)

فلما قال النابغة :

* تلك المكارمُ لا قَعْبَانِ من لبن *

وكونه نخر بماله وَغضَّ مالهم اعْتَنَّت(٢) ليلى الأخيلية بينهما ، وقالت :

وما كنْتُ لو فارقتُ حبلَ عشيرتى لأذكُرَ قَعْبَىْ خازِرٍ قد تَثَمَّلا(٣)

فلما بلغ النابغةَ قولُها قال :

ألاَ حَيِّيَاَ ليلى وقولا لها هَلاَ رَكبْتِ لنا أيْرًا أغرَّ مُحجّلاَ(٤)
وقد أكلتْ بَقْلاً وَخِيماً نباتُه وقدشَرِبَتْ من آخراللَّيل أيَّلا

أيِّلا يعنى ألبان الأيِّل ، وقد تُورث الغُلْمة :

دعى عنك تَهْجَاءَ الرجالِ وأَقْبِلِى على اذْلَغِىٍّ يمْلأُ اسْتَك فَيْشَلا(٥)
وكيف أهاجى شاعراً رُمحُه استُه خَضِيبَ البنانِ لا يزال مُكَحَّلا

(١) بهامش ك رواية عن نسخة أخرى : « قد زالا » مثل الأغانى .
(٢) اعتنت : اعترضت . وفى الأغانى : ودخلت ليلى .
(٣) الخازر : اللبن الحامض . وتثمل : صار كتلا من الرغوة .
(٤) فى الأغانى : فقد ركبت أيرا أغر محجلا .
(٥) الأذلغى : الضخم الطويل من الأيور .

فردت عليه ليلى الأخيلية فقالت :

أنابغُ لمْ تَنبغْ ولم تَكُ أولاً … وقد كنت صُنَيًّا بين صَدَّيْنِ مَجْهلا[1]

الصُّنَىُّ شِعْبٌ يسيل منه الماء ، وصَدّان : جبلان .

أنابغ إنْ تَنْبُغْ بلُؤْمِك لا تَجِدْ … بلؤمك[2] إلاَّ وَسْطَ جَعْدَةَ مَجْعَلا

تُعَيِّرُنى داءً بأُمِّك مثلُه … وأىُّ حَصَانٍ لا يقال لها هَلا

فغلَبَتْه ، فلما أتى بنى جعدةَ قولُها هذا اجتمع ناسٌ منهم وقالوا : لتأْتِيَنَّ صاحب المدينة أو أمير المؤمنين فليأخذَنَّ لنا بحقنا من هذه الخبيثة ، فإنها قد شتمت أعراضنا وافترتْ علينا ، فتأهبوا لذلك ، وبلغها أنهم يريدون يستعدون عليها ، فقالت :

أتانى من الأنباء أن عشيرتى … بِشَوْرَانَ يُزْجُون المَطِىَّ المُذَلَّلا[3]

يَروحُ ويغدو وَفْدُهم بصحيفة … لِيَسْتَجْلِدونى ساَء ذلك مَعْمَلا

ومن الأيام التى فخر بها النابغة يوم شَراحيل بن الأصهب الجُعْفِىّ ، وهو يوم مذكور تَفخر به مُضَر كلُّها وذلك أن شراحيل خرج مُغيرا فى جَمْعٍ من اليمن ، وكان قد طال عمره وكثر تبَعُـه وبعُـدَ صَوْتُه[4] واتَّصل ظَفَرُه وصالح بنى عامر على أن يَغزُو العرب فإنهم بَدْأَتُه وعَوْدَتُه ، لا يَعْرِض أحدٌ منهم لصاحبه . فأبعد فى بعض غزواته ، ثم رجع فمرَّ على بنى جَعْدة فقرَتْه ونَحَرَتْ له ، فعَمَدَ ناسٌ من سفهاء أصحابه فتناولوا إبلاً لبنى جعدة فنحروها ، فشـكت ذلك بنو جعدة إلى شراحيل فقالوا : قَرَيْنَاك وأحْسَنَّا ضِيافتك ولم تَمنعْ أصحابك مما يعملون ، فقال : إنهم قوم مُغيرون ، وقد أساءوا لعمرى ، وإنما يقيمون عندكم يوما أو يومين ثم يرتحلون .

(١) فى المختار : صنابين : ضدين هذا والصنى تصغير الصنو : وهو الغور يسيل فيه الماء .

(٢) فى الأغانى : للؤمك .

(٣) شوران : جبل فى ديار بنى جعدة .

(٤) فى الأغانى : صيته .

فقال الرقّاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة لأخيه وَرْد بن عمرو ـ وقيل : بل قال لابن أخيه الجَعْد بن ورد ـ : دَعْنى أذهب إلى بنى قُشَير ـ وجَعْدَةُ وقُشير أَخوانِ أمهما رَيْطة بنت قُنفُذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سُلَيم بن منصور ـ فأدعوهم ، واصنعْ أنت لشراحيل طعاما حسنا وادْعُه وأدْخِله إليك واقتُلْه، فإذا احتجت إلينا فدَخِّنْ ، فإنى إذا رأيت الدخان أتيتك بهم فوضَعْنا على القوم الحَرْب[1] . فعمد وردٌ إلى الطعام فأصلحه ، ودعا شراحيلَ وناساً من أصحابه وبنى عمه ، فجعلوا كلّما دخل البيت رجلٌ قتله وردٌ ، حتى انتصف النهار ، فجاء أصحاب شراحيل يتبعونه ، فقال لهم وَرْدٌ : تَرَوَّحُوا ، فإن صاحبكم قد شَرِب وثمل وسَيَرُوحُ . فرجعوا ، ودَخَّنَ وردٌ ، فجاءت قشير فقتلوا من أدركوا من أصحابه ، وسارَ سائِرُهم ، وبلغهم قتلُ شراحيل فمرّوا على بنى عُقَيل وهمْ إخوتهم فقالوا : لنقتلن مالك بن المُنْتَفِق ، فقال لهم مالك : أنا آتيكم بوَرْدٍ . فركب ببنى عُقَيل إلى بنى جعدة وقُشير ليُعْطوه وردا ، فامتنعوا من ذلك ، وساروا بأجمعهم فذَبُّوا عن عُقَيل حتى تفَرَّق جمعهم ممن كان[2] مع شَراحيل ، فقال بَحِير بن عبدالله بن سَلَمَة :

أحىٌّ يُنْفِدُون العِيرَ نَحْرًا ... أحبُّ إليك أمْ حَيًّا حِلالِ[3]
لعلَّك قاتلٌ ورداً ولمَّا ... تُساقُ الخيْلُ بالأَسَلِ الطِّوالِ[4]
ألا يا مَالِ وَيْحَ سِواكَ أَقصِرْ ... أمَا ينهاكَ حِلْمُك عن ضَلالِ

---

(١) فى الأغانى : فوضعنا سيوفنا على القوم .

(٢) فى الأغانى : حتى تفرق من كان .

(٣) فى الأغانى : حيا هلال .

(٤) فى الأغانى : بالأسل النهال .

وأما قوله :

لو تستطيعون أن تُلقوا جُلودَكم وتجعلوا جِلْد عبد الله سِربالا

فإن سبب ذلك أنه كان هُبيرة بن عامر بن سَلمة بن قُشير لقي خِداش بن زُهير البَكّائي فتنافرا على مائة من الإبل لمائة [قال كل منهما لصاحبه](١): لأنا أكرم منك وأعز . وحكّما في ذلك رجلا من بني الجدَّيْن فقضى بينهما أن أعزها وأكرمهما أقربُهما من عبد الله بن جعدة نسبا ، فقال خِداش : أنا أقرب إليه ، لأن أم عبدالله بن جعدة عمتي وهي أميمة بنت عمرو بن عامر ، وإنما أنت أدنى إليه مني بأبٍ . فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المكاثرة بآبائهما إقرارا بذلك حتى فَلَجَ(٢) بذلك هُبيرة القُشيريُّ وظفر به . وكان عبد الله بن جعدة سيّدا مطاعا ، وكانت له إتاوته بعُكاظ يُؤتى بها ، فجاء سليمان(٣) بن سَلَمة القشيريُّ وعبدُالله جالس على ثِيابٍ قد جُمعت له من إتاوته ، فأنزله عنها وجلس مكانه ، فجاء رِياح(٤) بن عمرو بن ربيعة وهو الخليع سمي بذلك لتخلعه على الملوك لا يعطيهم طاعة ، فقال للقشيري : مالك ولشيخنا تنزله عن إتاوته ؟ فقال القشيريُّ : كذبت ، ما هي له . ومد القشيري رِجله وقال : هذه رِجْلي فاضرِبها إن كنت عزيزا . فقال : لا لعمري لا ضربتُ رِجلك . فقال له القشيريُّ: فامدُدْ لي رِجلك حتى تعلم أضربها أم لا . قال : ولا أمدُّ لك رجلي ، ولكن أفعل مالا تنكره العشيرة وماهو أعزُّ لي وأذلُّ لك . ثم أهوى إلى رجل القُشيريِّ فسحبه على قفاه فنحّاه وأقعد عبدَ الله بن جَعدة مكانه .

(١) زيادة من الأغاني .

(٢) فلج : فاز .

(٣) في بعض أصول الأغاني : سمير .

(٤) في المختار وبعض أصول الأغاني : « رباح » . والتصويب من بعض أصول الأغاني وتصويب الشنقيطي .

وعبدُ الله بن جعدة أول من صنع الدبَّابة ، وكان سببها أنهم انتجعوا ناحية البَحرَين وهجموا على عبدٍ لرجل يقال له الكَوْدَن فى قَصْرٍ حَصِين ، فدخَّن العبدُ ودعا النساء والصبيانَ ، فظنوا أنه يريد أن يطعمهم ثَرِيدا ، حتى إذا امتلأ القصرُ منهم أغلقه عليهم ، فصاح النساء والصبيان ، وقام العبد ومن معه على شُرَف القصر ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا رماه ، فلما رأى ذلك عبدُ الله بن جعدة صنع دَبَّابة على جذع نخلة[1] وألبسها جُلودَ الإبل ، ثم جاء بها والقومُ يحملونها حتى أسندها إلى القصر ، ثم حَفروا حتى خرقوه ، فقتل العبدَ ومن كان معه واستنقذوا نساءهم وصبيانهم فلذلك يقول النابغة :

ويومَ دعا وِلدانَكم عبدُ كَوْدنٍ ... فخالُوا لَدَى الداعِى ثَرِيداً مُفلْفَلا

وفى ابنِ زِيادٍ وهو عُقْبة خيرِكمْ ... هُبَيرةُ ينزو فى الحديدِ مُكبَّلا

يعنى هُبيرة بن عامر بن سَلمة بن قُشير . وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جعدة خرج ومعه مالك بن عبد الله حتى مرُّوا على قبيلة بنى زياد العبْسِيِّين والرجالُ غَيَبٌ ، فأخذوا ابناً لأنس بن زِياد ، فانطلقوا به يرجون الفداء ، وانطلق عمُّه عُمارة بن زِياد حتى أتى بنى كعب ، فلقى هُبيرة بن عامر فقال له : يا هبيرة ، إن الناس يقولون إنك بخيل ، قال : معاذ الله ، قال : فهبْ لى جُبَّتك هذه ، فأهْوَى لِيَخلعها ، فلما وقعَتْ فى رأسه وثب عليه فأسره ، ثم بعث إلى بنى قشير وقال : عَلَىَّ وعلىَّ إن قبلتُ من هُبيرة أقلَّ من فِدية حاجبٍ إلَّا أن تأتونى بابن أخى الذى فى بنى جعدة ، فمشتْ بنو قُشير إلى بنى جَمدة فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم فافْتَدَوْا به هُبيرة .

(١) فى الأغانى : جذوع النخل .

ومن شعر النابغة ، وهو أول من سبق إلى الكناية فى هذا الشعر :

هـــل بالديارِ الغداةَ من صَمَمِ ... أمْ هل بِرَبْعِ الأنيسِ من قِدَمِ
أم ماتُنادى من ماثِلٍ دَرَجَ الـ ... سَّيْلُ عليه كالحوْضِ مُنْهَدِمِ
غَرَّاء كالليــلة المبــاركة القمْـ ... ـراءِ تَهدِى أوائِلَ الظُّلَمِ
أَكْنِى بغير اسْمِها وقد عَلِمَ الله ... ـه خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمِ[1]

قال الأخفش : النابغةُ أولُ من سبق إلى الكناية عن اسم من يَعْنِى بغيره ، فسبق الناس جميعاً وتبعوه ، ولقد أحسن أبو نُواس فى أخذه حيث يقول :

اسأل القادِمَيْنِ من حَكَمَانِ ... كيـــف خَلَّفْتُما أبا عثمانِ
فيقولان لى جنـــانٌ كما سَـ ... ـرَّكَ فى حالها فَسَلْ عن جنانِ
مالَهم لا يُبــارِكُ اللهُ فيهمْ ... كيف لم يُغْنِ عنهمُ كِتمانى

وأما خبره مع ابنِ الزبير فإنه دخل على ابنِ الزبير المسجدَ الحرام وقد أقْحَمَتْه السنةُ[2] فأنشد :

حَكَيْتَ لنا الصِّدِّيقَ لمـــا وَلِيتَنا ... وعثمانَ والفاروقَ فارتاح مُعْدِمُ
أتاكَ أبو ليلى يَجوب بـه الدُّجَى ... دُجَى اللَّيْلِ جَوَّابُ الفلاةِ عَثَمْثَمُ[3]
لِتجبُرَ منـه جانباً ذَعْذَعَتْ بـــه ... صُروفُ الليـالِى والزمانُ المُصَمِّمُ

فقال له ابنُ الزُّبير : هَوِّنْ عليك أبا ليلى ، فإن الشعر أهونُ وسائلك عندنا ، أما صَفْوةُ مالنا فلآل الزُّبير وأما عفوَتُه[4] فإن بنى أسد بن عَبْدِ العُزَّى تَشغلها

---

(١) بعده فى الأغانى بيتان .

(٢) أقحمته : ألقته . والسنة : الجدب.

(٣) العثمثم : الجمل الشديد الطويل .

(٤) عفوة المال : خياره . وفى ابن الأثير مادة عفا : « أما صفو أموالنا . . . وأما عفوه » وعفو المال : ما يفضل من النفقة .

عنك وتَيْماً معها[1] ولـكن لك فى مال الله حَقَّانِ : حق برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحق لِشِرْكتك أهل الإسلام فى فَيْئِهم . ثم أخذ بيده فأدخله دار النَّعَم فأعطاه قلائِصَ سَبْعاً وجَمَلا رَحيلا[2] ، وأوقَرَ له الرِّكاب[3] بُرًّا وتمرا وثيابا ، فجعل النابغةُ يَستعجِل فيأكل الحب صِرْفاً فقال ابن الزبير : ويحَ أبى ليلى ! لقد بلغ به الجَهْدُ . فقال النابغة : أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما وَلِيتْ قُريشٌ فعَدَلَتْ ، واسْتُرْحِمتْ فرَحِمت ، وحَدَّثتْ فصدقتْ ووعدت خيراً فأنجزتْ ، فأنا والنبيُّون لها فُرَّاطٌ[4] ضُمُن » .

رعث بنو عامرٍ بالبصرة فى الزروع ، فبعث أبو موسى الأشعرى فى طلبهم ، فتصارخوا : يا آل عامر ، يا آل عامر ، فخرج النابغةُ الجعديُّ ومعه عُصبةٌ له ، فأُتِيَ به إلى أبى موسى ، فقال : ما أخرجك ؟ قال : سمعتُ داعية قومى ، فضربه أسواطا ، فقال النابغة :

رأيتُ البَكْرَ بَكْرَ بنى ثمودٍ وأنت أراكَ بَكْرَ الأَشْعَرِينَا
فإن يَكن ابنُ عفَّانٍ أمينا فلم يَبْعَثْ بك البَرَّ الأَمِينا
فيا قبرَ النبيِّ وصاحِبَيْهِ ألا ياغَوْثَنا لو تَسمعونا
ألَا صَلَّى إلٰهُكُمُ عليكمْ ولا صَلَّى على الأُمَراءِ فينا

ولما خرج أمير المؤمنين على عليه السلام إلى صِفِّينَ خرج معه النابغة الجعديُّ فساق بهم يوما فقال :

---

(١) فى المختار : « وتمانعها » والتصويب من الأغانى . وتيم : قبيلة أبى بكر الصديق جد عبد الله ابن الزبير لأمه .

(٢) الجمل الرحيل : القوى على السير .

(٣) فى الأغانى : الإبل .

(٤) الفراط : المتقدمون إلى الشفاعة . والضمن : الـكافلون .

قـد عَلِمَ المِصرانِ والعِرَاقُ أنّ عَلِيًّا فَحْلُها العُتَاقُ
أبيض جَحْجَاحٌ لـه رُواق وأُمُّهُ غُـولِى بِها الصَّدَاقُ
أكرمُ من شُدَّ بها نِطاقُ إنّ الأُلى جارَوْكَ لا أفاقُوا
لهم سِبَاقٌ ولـكمْ سِبَاق[1] قـد علمتْ ذلـكمُ الرِّفاقُ
سُقْتم إلى نَهْجِ الهُدَى وساقوا إلى التى ليس لهـا عِـرَاق
* فى مِلَّةٍ عَادَتُها النِّفَاقُ *

فلما قدم معاويةُ الكوفةَ قام النابغة بين يديه فقال :

ألمْ يأتِ أهـل المَشْرِقَيْن رِسالتى وَأىّ فَصِيحٍ لا يَبيت على عَتْبِ
مَلَـكْتُمْ فـكانَ الشرُّ آخرَ عَهدِكمْ لئن لم تدارَكْكُم حلومُ بنى حَرْبِ

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهل النابغة وماله ، فدخل النابغةُ على معاوية وعنده عبد الله بن عامر ومروان فأنشده :

مَنْ راكِبٌ يأتى ابن هندٍ بحاجتى فَتنفُذَ والأنبـاءُ تُنْمَى وتُجْلَبُ[2]
ويُخـبر عنّى ما يقول ابن عامر ونِعْم الفتى يأوى إليـه المُعَصَّبُ[3]
فإن تأخذوا أهلى ومـالى بِظِنَّةٍ فإنى لحرَّابُ الرجالِ مُجَرَّبُ[4]
صبورٌ على مـا يكره المرءُ كلِّه سوى الظُّلم إنى إن ظُلِمتُ سأغضبُ

فالتفت معاوية إلى مروان فقال : ما ترى ؟ قال : أرى ألا تَردّ عليه شيئا ، فقال: ما أهون عليك أن يَنْجَحِرَ هذا فى غارم ثم يقطع عِرضى علىَّ ثم تأخذه العرب فترويه، أما واللهِ إنْ كنتَ لمن يَرْويه . اردُدْ عليه كل ما أخذت له .

---

(١) فى الأغانى : لهم سياق ولـكم سياق .
(٢) فى الأغانى : بحاجتى على النأى والأنباء .
(٣) المعصب : الذى أكلت ماله السنون وفى الأغانى : ما أقول ابن عامر .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : محرب .

ومن شعر النابغة :

أيادار سَلْمى بالحَرُورِيَّة اسْلَمِي ... إلى جانِب الصَّمّـان والمُتَثَلَّمِ
أقامتْ به البَرْدَيْنِ ثم تَذَكَّرَتْ ... منازِلها بين الدَّخُول فجُرْثُمِ
ليالىَ تَصطادُ الرجال بفاحِمٍ ... وأبيضَ كالإغريض لم يَتثلَّمِ (١)
فأبلغْ عِقالًا أن غايةَ داحسٍ ... بكفَّيكَ فاستأْخِر لها أو تَقَدَّمِ (٢)
تُجير علينا وائِلاً فى دِمائنا ... كأنك عمّا قال أشياعُنا عَمِى
كليبٌ لَعمرِى كان أكثر ناصراً ... وأيسرَ جُرْما منك ضُرِّجَ بالدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نابٍ فاستمرَّ بطَعْنةٍ ... كحاشيةِ البُرْدِ اليمانِى المُسَهَّمِ (٣)
وما يَشعُرُ الرمحُ الأصمُّ كُعُوبُه ... بِثَرْوةِ رَهْطِ الأَبْلَخ المُتظلِّمِ (٤)
وقال لِجَسَّاسٍ أَغِثْنى بِشَرْبةٍ ... تَفَضَّلْ بهـا طَوْلاً علىَّ وأَنْعِمِ
فقال تجاوزتَ الأحصَّ وماءَه ... وبطْنَ شُبيثٍ وهْو ذُو مُتَرَسَّمِ (٥)

هذا الشعر يقوله النابغة بن خويلد العُقيلي يحذره غِب الظلم لما أجار بنى وائل ابن معن وكانوا قتلوا رجلا من بنى جعدة ، فحذرهم مثل حرب البسوس إن أقاموا على مثل ذلك .

---

(١) الإغريض : كل أبيض طرى والإغريض : الطلع .

(٢) داحس : جواد قيس بن زهير الذى وقعت بسببه الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء .

(٣) الناب : الناقة المسنة . والمسهم : المخطط كالسهام .

(٤) الأبلخ : العظيم فى نفسه الجرىء على ما أتى من الفجور . والمتظلم : الذى يظلم الناس حقوقهم .

(٥) الأحص وشبيث : غديران . والمترسم : موضع الماء لمن طلبه .

حمادُ الراوية(١)

هو حمّاد بن مَيسرة مولى بنى شيبان ، وقيل : حماد بن سابور ، أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . كانت ملوك بنى أمية تُقدّمه وتُؤثره وتُسْنِى بِرَّه وتَستزيره ويَقْدَم(٢) عليهم فينادمهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويجزلون صلته .

سئل حماد : ممن أنتم ؟ فقال : كُنَّا من سَبْى سليم(٣) بن ربيعة فطوَّحتنا سُهمانُ(٤) لبنى شيبان فوَلاؤنا لهم .

وكان أبوه يكنى أبا ليلى :

قال الوليد بن يزيد يوما لحماد : بم استحققت هذا اللقب فقيل لك: حماد الراوية ؟ قال : لأنى أروى لكل شاعر تعرفه ياأمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولم تسمع به ثم لا أنشد شعرا لقديم ولا محدث إلّا مَيَّزْتُ بين القديم والمحدث. قال : إن هذا لَعلْمٌ كبير وأبيك ، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال: كثير ، ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطّعات من الشعر لشعراء الجاهلية دون شعراء الإسلام . قال : سأمتحنك . وأمره بالإنشاد ، فأنشد حتى ضجر الوليد ، ثم وَكّل به من استخلفه

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٦/ ٧٠ وانظر ص ٦٩ ودار الثقافة ٦/ ٦٨ وانظر ص ٦٧ وبولاق ٥/ ١٦٤ والساسى ٥/ ١٥٦ والتجريد ٧٣٦ .

(٢) فى الأغانى : فيفد .

(٣) فى الأغانى : سلمان .

(٤) فى أصول من الأغانى : فطرحتنا سلمان لبنى شيبان وفى أصول أخر كما هنا .

أن يَصدُقه عنه ويستوفى عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

قال الهيثم بن عدى يوما لحماد الراوية : أَلْقِ علىَّ ما شئت من الشعر حتى أفسّره لك . فضحك ثم قال له : ما معنى قول مُزاحِم الثُّمالى :

تَخَوَّفَ السَّيْرُ منها تامِكاً قَرِدًا كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

فلم أدرِ ما أقول . فقال : تَخَوَّفَ : تنقص ، كما قال الله عز وجل « أوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تخَوُّفٍ »(١) أى على تنقُّص .

كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمّادون : حمّادُ عَجْرِدٍ وحمادُ الراويةُ وحمادُ ابنُ الزِّبرقان ، يتنادمون على الشراب ، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون عشرة جميلة ، وكانوا كلهم كنفس واحدة ، وكانوا يُرْمَون بالزندقة جميعا .

قال أبو عمرو الشيبانى : ما سألت أبا عمرو بن العلاء عن حمّادِ الراوية إلا قدمه على نفسه . ولا سألتُ حَمَّادا عن أبى عمرو إلَّا قدمه على نفسه .

[قال حماد : كنت منقطعا إلى يزيدَ بنِ عبدالملك ، وكان هشام يجفونى لذلك دون بنى أمية ، فلما مات يزيد وولى هشام خفته ومكثت سنة فى بيتى لا أخرج إلا إلى من أثق به من إخوانى سرًّا ، فلما لم أسمع أحدا يذكرنى سنة أمِنت وخرجت ، فصليت الجمعة ، وإذا شُرطيّان قد وقفا علىَّ وقالا : يا حماد ، أجِبِ الأمير يوسف بن عمر . فقلت فى نفسى : هذا ما كنت أحذر ، ثم قلت للشرطيّين : هل لكما أن تدعانى آتى أهلى فأودّعهم وداعَ من لا يرجع أبدا إليهم ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك سبيل ، فاستسلمت فى أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو فى الإيوان الأحمر ، فسلّمت

(١) سورة النحل الآية ٤٧ .

عليه فردّ علىّ السلامَ ، ورمى إلىّ كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدِ الله هشامٍ أميرِ المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أما بعدُ ، فإذا قرأت كتابى هذا فأرسِلْ إلى حمّادٍ الراوية مَن يأتيك به غيرَ مُرَوَّع ولا مُتَعْتَعٍ ، وادفعْ إليه خمسمائة دينار وجملا مَهْرِيًّا[1] يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق. فأخذت الخمسمائة دينار ونظرت فإذا جَمَلٌ مَرْحُولٌ ، فركبت وصرت إلى دمشق ، فوافيت باب هشام ، فاستأذنت فأذن لى ، فدخلت عليه فى دار قوراء مفروشة بالرُّخام ، وهو فى مجلس مفروش بالرُّخام ، وبين كل رُخامتين قضيب من ذهب وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طِنفِسَةٍ حمراء ، وعليه ثياب خَزّ حُمر ، وقد ضُمّخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مِسك مبثوث[2] فى أوانى ذهب ، يقلبه بيده فتفوح رائحته ، فسلمت عليه فردّ علىّ السلام واستدنانى فدنوت حتى قبلت رِجليه ، وإذا جاريتان لم أر مثلهما ، فى أُذُنَىْ كلّ واحدة منهما حَلْقتان فيها لؤلؤتان تَوَقَّدَانِ ، فقال لى : كيف أنت يا حماد ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : أتدرى فيما بعثت إليك ؟ قلت : لا ، قال : بعث إليك لبيت خطر ببالى لم أدر من قائله ، قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال :

فدعَوْا بالصَّبوح يوما فجاءَتْ ... قَيْنَةٌ فى يمينهـــا إبريقُ

فقلت: هذا يقوله عَدِىُّ بن زيد فى قصيدة له ، قال : أنشدنيها ، فأنشدته :

بَـكَر العاذلون فى فَلَقِ الصُّبْـ ... ـح يقولون لى أَما تستفيـق[3]
ويَلومون فيك يا ابنة عبدالله ... ـه والقلبُ عنـدكم مَوْهُوقُ[4]
لست أدرى إذْ أكثروا العذل عندى ... أعدوٌّ يلومنى أم صَـديقُ

---

(١) لإبل مهرية: منسوبة إلى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة .

(٢) فى الأغانى : مفتوت .

(٣) فى الأغانى : فى وضح الصبح .

(٤) الموهوق : المشدود بالوهق وهو حبل فيه أنشوطة .

زانها حُسْنُها وفرعٌ عَمِيمٌ وأَثِيثٌ صَلْتُ الجبينِ أَنيقُ(١)
وثَنايا مُفَلَّجاتٌ عِذابٌ لا قِصارٌ تُرَى ولا هُنَّ رُوقُ(٢)
فَدَعَوْا بالصَّبُوحِ يوما فجاءتْ قَيْنَةٌ فى يمينها إبريقُ
قدَّمتْه على عُقارٍ كعين الـ ـديك صَفَّى سُلافَها الرَّاووقُ(٣)
وتَرى فوقها فَوَاقِعَ كاليا قُوتِ يَجْرِى خِلالَها التَّصْفِيقُ(٤)
مُرَّةٌ قبلَ مَزْجها فإذا ما مُزِجت لذَّ طَعْمَها مَن يَذوقُ
ثم كان المِزاجُ ماءَ سحابٍ غَيْرَ ما آجِنٍ ولا مَطْرُوقُ

قال : فطرب ثم قال : والله أحسنت يا حماد . يا جارية اسقيه ، فسقتنى شَرْبة ذهبت بثُلث عقلى . وقال : أَعِدْ فأعدتُ ، فاستحسنه واستخفّه الطرب حتى نزل عن فَرْشه ثم قال للجارية الأُخرى : اسقيه ، فسقتنى شَرْبة ذهبت بثُلُثَىْ عقلى ، فقال: أَعِدْ ، فأعدتُ ، فقلتُ : إن سُقيت الثالثة افتضحت ، فقال لى : سَلْ حوائجك ، فقلت : كائنةً ما كانت ؟ فقال : نعم ، قلت : إحدى الجاريتين ، قال : هما لك جميعا بما عليهما وما لهما ، ثم قال للأُولى : اسقيه ، فسقتنى شربة سَقَطْتُ معها فلم أعقل ، ثم نقله من غدٍ إلى منزل أَعدَّه له فوجدَ فيه الجاريتين وما لهما وكل ما يحتاج هو إليه، وإذا عشرة خدم مع كلّ واحد منهم بَدْرة فقال لى أحدهم : أمير المؤمنين يَقرأ عليك السلام : ويقول لك : خذ هذه فانتفع بها فى سفرك ، فأخذتها والجاريتين وانصرفت : وقيل : إن ذلك فعله بغير شرب ، لأن هشاما لم يكن ـ على ما قيل ـ يشرب ولا يسق أحدا بحضرته مُسْكِرا ، وكان ينكر ذلك ويعيبه ويعاقب عليه .

---

(١) الفرع : الشعر . والأثيث : الكثير. والصلت : الواضح.
(٢) الروق : الطوال .
(٣) الراووق : المصفاة .
(٤) هذا البيت جاء فى الأغانى بعد تاليه وروايته فيه:
وترى فوقها فقاقيع كالد ر صغار يثيرها التصفيق

طلب المنصورُ حمَّاداً الراوية فلم يجده ببغداد وسئل عنه من إخوانه[1] فعرَّفوا من سألهم أنه بالبصرة ، فوجَّهوا إليه بالبصرة برسول يُشْخِصه . قال الرسول : فوجدته في حانة وهو عريان يشرب نبيذا من إجَّانة[2] وعلى سَوْأته راس دَسْتَجة[3] ، فقلت : أجِبْ أمير المؤمنين ، فما رأيت رسالة أرفع ولا حالا أوضع . فأجاب . فلما مَثَل بين يديه قال : أنشِدْنى شعر هِفَّان بن هَمَّام بن نضلة يرثى أباه فأنشده :

خليليَّ عُوجا إنها حاجة لنا … على قَبْرِ هَمَّامٍ سَقَتْه الرَّواعِدُ
على قبر من يُرجى نداه ويُبْتغى … جَدَاه إذا لم يَحْمَد الأرضَ حامِدُ[4]
كريم النَّثا حُلْو الشمائل بينه … وبين المُزَجَّى نَفْنَفٌ مُتباعد[5]
صبور على العِلَّات يُصبح بطْنُهُ … خَمِيصا وآتيه إلى الزاد حَامِدُ
وَضَعْنا الفتى كُلَّ الفتى فى حَفِيرةٍ … بِحُرَّين قد ناحَتْ عليه العَوائدُ[6]
صَرِيعا كنَصْل السيف تضْرِب حوله … تَرَائِبَهُنَّ المُعْوِلاتُ الفواقدُ

فبكى أبو جعفر حتى اخضَلَّتْ لِحيتُه ، ثم قال : هكذا كان أخى أبو العباس رضى الله عنه .

كان جعفر بن أبى جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْدِيّة يستخِفُّ مُطيعَ بنَ إياس ويحبه ، وكان منقطعا إليه ، وله منه منزلة حسنة ، فذكر مطيعٌ حماداً الراوية

---

(١) فى الأغانى : وسئل عنه إخوانه .
(٢) الإجانة : آنية .
(٣) الدستجة : الإناء الكبير من الزجاج .
(٤) فى الأغانى : رائد .
(٥) المزجى : الضعيف . والنثا ما أخبرت به الرجل من حسن أو سيئ . والنفنف : المهواة بين جبلين .
(٦) حرين : بلد . وفى الأصل حوين . وفى الأغانى : قد راحت عليه العوائد .

وكان صديقه وكان مُطَّرَحاً مجْفُوًّا في أيامهم ، فقال له : ائْتنا به لنراه ، فأتى مطيع حماداً فأعلمه بذلك وأمره بالمصير معه ، فقال حماد : دعنى فإن دولتي كانت مع بني أُميّة ، ومالى مع هؤلاء خير ، فأبى مطيعٌ إلا الذهاب به(١) ، فاستعار حمَّادٌ سَوَادًا وسَيْفا ، ثم مضى معه إلى جعفر ، فلما دخل سلَّمَ سلاماً حسناوأثنى عليه ، فرد السلام وأجلسه، ثم قال له جعفر : أنشدْنى فقال : لمن أيها الأمير ؟ لشاعر بعينه أو لمن حضر ؟ قال : أنشدنى لجرير ، فسلخ الله شعر جرير كله من قلبي إلا قوله :

بانَ الخليطُ بِرَامَتَيْنِ فودَّعُوا أَوَ كُلَّما اعتزموا لِبَيْنٍ تَجزعُ

حتى أتيت إلى قوله :

وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العَصاَ ألاّ هَزِئْتِ بِغَيْرنا يا بَوْزَعُ

قال حماد : فقال جعفر : أَعِد . البيت فأعدته ، فقال : بوزع أى شيء هو ؟ فقلت : اسم امرأة. فقال : هو برىء من الله ورسوله ونَفِيٌّ من العباس بن عبدالمطلب إن كانت بَوْزَع إلا غُولًا من الغِيلان . تركْتَنى والله يا هذا لا أنام الليل من فزع بَوْزَع ، يا غِلمان ، قِفاه . فَصُفِع حتى لم يَدْرِ أين هو . ثم قال : جُرُّوا بِرِجْله . فجروه حتى أخرجوه من بين يديه وقد تقطَّع السَّوادُ ، وانكسر جَفْنُ السيف ، ولقى شرًّا عظيما ، وكان أشد ما عليه غَرامة السوادِ وجفن السيف . فلما انصرف أتاه مُطيعٌ يتوجَّع إليه ، فقال : ألم أُخبرْكَ أنى لا أُصيب منهم خيرا ، وأن حَظِّى كان مع بنى أمية .

كان رجل يُرمى بالأُبنة ، فتحدث يوما فى مجلس حماد الراوية فقال : بلغنى أن المأبون له رَحِمٌ كَرَحِمِ المرأة . فقال حماد لغلامه : اكتب هذا الخبر عن الشيخ ، فإن خير العلم ما نُقِل عن أهله .

---

(١) فى الأغانى : الذهاب إليه .

كتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف :

إن لى حاجةً فرأيك فيها لك نفسى فِدى من الأوصابِ
وهْى ليسَتْ مما يُبَلِّغُها غَيْـ ـرى ولا يَستطيعها فى كِتابِ
غير أنى أقولها حين ألقا ك رُوَيْدًا أُسِرُّها فى حِجابِ

فكتب إليه : اكتبْ لى بحاجتك ولا تَشْهَرْنى فى شعرك . فكتب إليه حماد :

إننى عاشقٌ لجبتــك الد كناء عِشقا قدحال دون الشرابِ
فاكسُنيها فدَتْك نفسى وأهلى أتباهى بها على الأصحابِ
ولك اللهُ والأمانة أن أجْـ ـعَلها عمرَها أميرَ ثِيابى

فبعث بها إليه . وقد رُويت هذه القصة عن مطيع بن إياس .

قال أبو يعقوب الُخريمى : كنت فى مجلسٍ فيه حمادُ عجردٍ وحمادٌ الراويةُ ، ومعهم غلام أمرد ، فنظر إليه حمادٌ الراويةُ نظرا شديدا وقال لى : يا أبا يعقوب ، قد عزمتُ الليلةَ على أن أَدِبَّ على هذا الغلام . قلت : شأْنك . ثم نِمنا ، فلم أشعر إلّا وحماد علىَّ ، وإذا بى قد غَلِطْت ونِمت فى موضع الغلام ، وكرِهْتُ أن أتكلّم فتنتبه الناس وأفتضح وأُبطل عليه ماأراد ، فأخذت يَدَه فوضعتها على عَينى العوراء ليعرفنى ، فقال لى : قد عرَفْتُك الآن فيكون ماذا « وفَدَيْناه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ » قال : وعلم الله أنه مابرح وأنا أعالجه جهدى ولا ينفعنى حتى قضى حاجته .

أهدى حمادٌ إلى صديق له غلاما ، وكتب إليه : قد بعثت إليك بغلام تتعلم عليه كظم الغيظ .

جاء رجل إلى حماد الراوية فأنشده شعرا وقال : أنا قلته ، فقال له : أنت لا تقول هذا ، فإن كنت صادقا فاهجُنى . فذهب ثم عاد إليه فقال : قد قلت فيك :

سَيعلمُ حمَّادٌ إذا ما هجوتُه أأنتحل الأشعار أم أنا شاعرُ

ألم تَرَ حمّاداً تقـدَّمَ بطنُه ... وأُخِّرَ عنه ما تُجِنُّ المـآزِرُ
فليس بِراءٍ خُصْيَتَيْهِ ولو جَثَا ... لِرُكْبَتِه ما دامَ للزَّيْتِ عاصِرُ
فيـا لَيته أمسى قعيدةَ منْزِلٍ ... لهـا بَعْلُ سَوْءٍ لُؤْمُه مُتواتِرُ(١)
فحَمادُ نِعْمَ العِرْسُ للمرء يبتغى النـ ... ـكاحَ وبئس المرءُ فيمن يُفاخر

فقال حماد : حسبُك — عافاك الله — هذا المقدار وحسبُنا ، قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل الشعر الأوّل وأجود منه ، وأحب أن تـكتم علىَّ هذا الشعر ولا تعيده(٢) فتفضحنى . فقال له : قد كنتَ غَنِيًّا عن هذا . فانصرف الرجل وجعل حماد يقول : أسمعتم أعجب مما جَرَرْتُ على نفسى من البلاء ؟

عاب حماد الراوية شعرا لأبى الغُول ، فقال يهجوه :

نعم الفَتى لو كان يعرف رَبَّـه ... أو حِينَ وَقْتِ صلاته حَمَّادُ(٣)
ضَمَّت مشافره السهول فأنفه(٤) ... مِثلُ القَدُومَ يسُنُّها الحـدَّاد
وابيضَّ من شُرْبِ المُدامة وَجْهُه ... فبياضُه يوم الحسـابِ سَوادُ(٥)
حمّادُ يا ضَبُعاً تَجرُّ جِعارَها ... أَخْنى لهـا بالقَرْيَتَيْنِ جَرَادُ(٦)

معنى قوله « أَخنى لها بالقريتين جراد » هو مثل قول العرب للضبع « خامِرِى أمَّ عامر ، أبشرِى بجراد(٧) عظال ، وكَمَر رجال » يقولون لها : كمر رجال لأن

---

(١) فى الأغانى : « قعيدة بيته ... له بعل صدق كومه متواتر » هذا والـكوم : النكاح .
(٢) فى الأغانى : ولا تذيعه .
(٣) فى الأغانى : ويقيم وقت صلاته .
(٤) فى الأغانى : هدلت مشافره الدنان .
(٥) بعده فى الأغانى بيت .
(٦) الجعار جمع جعر : وهو نجو كل ذى مخلب . وأخنى الجراد : كثر بيضه .
(٧) خامرى : استترى. والجراد العظال : الذى ركب بعضه بعضا كثرة .

الضبع تجىء إلى القتيل وقد استلق على قفاه وانتفخ غُرموله فكان كالمُنعظ فتحتكّ به وتَحيض من الشهوة ، فيثب عليها الذئب حينئذ فتلد منه السِّمْع وهو دابة ، لا تَلدُ مثل البغل ، وفى هذا المعنى قال تأبط شرا :

تضحك الضبع لقتلى هُذَيْلٍ — وترى الذئبَ لها يَستهِلُّ (١)

تضحك : تحيض .

وكان حمادٌ فى أول عمره يتشطَّر ويصحب اللصوص ، فنقَبَ ليلة على رجل وأخذ ماله ، وكان فيه جُزءٌ من أشعار الأنصار ، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفَّظه ثم طلب الأدب والشعر ولغات العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ فى العلم ما بلغ .

قدم حمادٌ على بلال بن أبى بُرْدة البصرة ، فأنشده حمادٌ شعرا ، وكان ذو الرُّمة عند بلال ، فقال له بلال : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيد ، وليس له ، قال : فمن يقوله ؟ قال: لاأدرى إلا أنه لم يقله . فلما قضى بلال حوائج حمّاد وأجازه قال له : إن لى إليك حاجة ، قال : هى مَقضيّة ، قال : أنت قلت ذلك الشعر ؟ قال : لا ، قال : فمن قاله ؟ قال : هو شعر قديم لبعض شعراء الجاهلية ، وما يرويه غيرى . قال: فمِن أين عرف ذو الرُّمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام الجاهلية من كلام الإسلام.

قال ابنُ الأعرابى : سمعت المفضَّل الضبِّىَّ يقول : قد سُلِّط على الشِّعر من حمادٍ الراوية من أفسده فلا يصلح أبدا. فقلت: وكيف ؟ أيخطئ فى روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان ذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ ولكنه عالم بلغات العرب ومذاهب الشعراء ومعانيها فلا يزال يقول الشعر يشبه مَذهبَ رجُل فيُدخله فى شعره ، ويُحْمل ذلك عنه فى الآفاق فيختلط بأشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟

---

(١) يستهل : يصيح .

اجتمع ذات يوم فى دار المهدى بعيساباذَ عالَمٌ من الرُّوَاة والعلماء بأيام العرب وآدابها وشعرها ولغاتها ، فخرج الحاجب فدعا بالمفضَّل الضبِّىّ ، فدخل فمكث مليا ، ثم خرج الحاجب والمفضَّل وجماعةٌ معه ، وقد بان فى وجه حمادٍ الانكسارُ والغَمُّ ، وفى وَجْه المفضَّل السرورُ والنشاطُ ، ثم خرج الخادم معهما فقال : يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايتَه لزيادته فى أشعار الناس ماليس منها ، ووصل المفضَّل الضبىَّ بخمسين ألف درهم لصِدقه وصِحّة روايته ، فمن أراد أن يسمع شعرا جيدا مُحْدَثاً فليسمعْ من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل ، ثم سألنا عن السبب فأخبرنا أن المهدى لما دعا المفضل قال له : إنى رأيت زهير بن أبى سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

* دَعْ ذا وَعَدِّ القَوْلَ فى هَرِم *

ولم يتقدم قبل ذلك قول ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين فى هذا شيئا إلا أننى توهمته كان فى قَوْل(١) يقوله أو يتروى فى أن يقول شيئا ، فعدل عنه ، إلى مدح هرم ، أو كان مُفكّرا فى شىء من شأنه فتركه وقال : دع ما أنت فيه من الفِكر وعَدِّ إلى مدح هرم . ثم دعا بحماد وسأله عن ذلك فقال : ليس هكذا يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ؟ فأنشده :

لِمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ ومن عَشْرِ(٢)
قفرٌ بمُنْدَفع النَّحائِت مِنْ ضَفْوَى أولات الضَّالِ والسِّدْرِ(٣)

---

(١) فى الأغانى : يفكر فى قول يقوله .

(٢) فى الأغانى : أقوين مذحجج ومذدهر .

(٣) النحائت : آبار فى موضع معروف . وفى الأصل : والأغانى : « النجائب » وصوب فيه . وضفوى : مكان .

دع ذا وعَدِّ القَوْل فى هَرِمٍ   خَيْرِ الـكهولِ وَسَيِّدِ الحَضْرِ

قال : فأطرق المهدى ساعة ثم أقبل على حماد فقال : بلغنا خبرٌ لا بد من استحلافك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البَيْعة وكلِّ يَمين مُحْرِجة لَيصدُقنَّه ، فحلف ، فلما توثَّق منه قال له : أصدقنى عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير ؟ فأقر له حينئذ أنه قالها . فأمر به ، وبالمفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكَشْفه .

وقال حماد الراوية للوليد ـ وقد سأله : ما بلغ من روايتك؟ فقال ـ : أروى سبعمائة قصيدة ، أول كل قصيدة « بانت سعاد » . فقال : إنها لرواية ثم دعا بشراب فجاءته جارية بكأس وإبريق فصبت فى الـكأس ثم مزجته حتى رأيت له حَبَابا فقال : أنشدنى فى مثل هذه فقلت : هى كما قال عدىُّ بن زيد :

ثم نادوا إلى الصَّبوح فقامَت   قَيْنَةٌ فى يَمينهـــا إبريـقُ
فَتَرى فَوْقَها فواقع كاليـا   قُوتِ يَجْرِى خلالَها التَّصفيقُ

قال : فشرب ولم يزل يستعيدنى الأبيات ويشرب حتى سكر ، ثم قام فتناول مرفقة من تلك المرافق فجعلها على رأسه ، ثم نادى : مَن يشترى لحم البقر . ثم قال لى : يا حماد ، دونك ما فى البيت فهو لك . فـكان أول مال تأثلته(١) .

قال منصور العربى(٢) ـ وكان من رواة العرب ـ دخلت على زياد فقال لى : أنشدنى ، فقلت : مِن شعر مَن أيها الأمير ؟ قال : من شعر الأعشى . فأنشدته :

* رحلت سُمَيَّــةُ غُدْوَةً أَجمالهــا(٣) *

(١) تأثل المال : اكتسبه .

(٢) فى الأغانى : المسور العنزى .

(٣) فى الأغانى : بكرت سمية .

فما أتممت القصيدة حتى تبيَّن الغضبُ فى وجهه . وقال الحاجب للناس: ارتفِعُوا ، فقاموا . قال حماد : فلما سمعت بهذه الحكاية كنت بعد ذلك إذا استنشدنى خليفةٌ أو أمير تنبهت قبل أن أنشده لئلا يكون فى القصيدة ذكر اسم بنت له أو زوجة .

قال حماد الراوية[1] : حدثنى ابنُ أختٍ لى من مُراد قال : وليت صدقات قوم من العرب فبينا أنا أقسمها فى أهلها . إذ قال رجل منهم : ألا أُريك عجبا ؟ قلت : بلى . فأدخلنى فى شِعْبٍ من جبل ، فإذا أنا بسهم من سهام عادٍ من قَنًا قد نَشِب فى ذِرْوَةٍ من الجبل ، وإذا على الجبل مكتوب :

ألاَهل إلى أبيات شَمْخ إلى اللِّوَى ... لِوَى الرَّمْلِ يوماً للنفوس مَعَادُ

بلادٌ بها كانوا وكنا من اهلِها ... إذِ الناسُ ناسٌ والبلادُ بِلادُ

ثم أخرجنى إلى ساحل البحر ، فإذا أنا بحجر يعلوه الماء طورا ويظهر طورا ، وإذا عليه مكتوب : يا ابن آدم ، يا عبد رَبه اتق الله ولا تعجل فى رزقك ، فإنك لن تَسبق رزقك ، ولا تُرْزَق ما ليس لك . ومن البصرة إلى الدُّنبل ستمائة فرسخ ، فمن لم يصدق بذلك فلْيَمْشِ الطريق على الساحل حتى يتحققه ، ومن لم يقدر على ذلك فلينطَحْ برأسه هذا الحجر .

قال الطِّرِمَّاح : أنشدت حمادًا الراوية فى مسجد الكوفة ـ وكان أذكى الناس وأحفظهم ـ قولى :

* بان الخليطُ بسُحْرَةَ فتبدَّدُوا *

وهى ستون بيتا ، فسكت ساعة ولا أدرى ما يريد ، ثم أقبل علىَّ فقال : هذه لك ؟

---

(١) هذا الخبر لم يرد فى الأغانى فى ترجمة حماد الراوية .

فقلت : نعم ، قال : الأمر ليس كذلك ، ثم ردّها علىَّ كلَّها وزاد عشرين بيتا فى وقته ، فقلت له : ويحك ، إن هذا شعر قلته منذ أيام ما اطّلع عليه أحد ، فقال : قد واللهِ قلتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة ، وإلا فعلىّ وعلىَّ ، فقلت: لله علىَّ حجَّة أحجّها حافيا راجلا إن جالستك بعدها أبدا ، فأخذ قبضة من حَصَى المسجدِ ثم قال: لله علىَّ بكل حصاة مائة حجة إن كنت أبالى ، فقلت له : أنت رجل ماجن ، والكلام معك ضائع . ثم انصرفت .

حكم الوادى(١)

هو الحَكَم بن ميمون ، مولى الوليد بن عبد الملك ، كان أبوه حلاقا يحلق رأس الوليد ، فاشتراه وأعتقه ، وكان حكم طويلا أحول يُكْرِى الجمال ينقل عليها الزيت من الشام إلى المدينة ، وكنيته أبو يحي . وقيل : هو الحكم بن يحي بن ميمون ، وأصله من الفُرس ، وكان يحمل الزيت من جدة إلى المدينة ، وكان واحد دهره فى الحذق يغنى بالدف ومرتجلا(٢) وعمّر طويلا ، غنى الوليد بن عبدالملك، وغنى الرشيد ومات فى شطر خلافته ، وأخذ عن عُمر الوادى ، وكان بوادى القُرَى مع جماعة مغنين كلهم.

قال حكم الوادى : دخلت على الوليد بن زيد ، فخرج إلينا وهو على حمار، وعليه جُبَّة وشْى ، ورداء وشْى ، وخُفًّا وشْى ، وفى يده عِقْد جوهر ، وفى كُمِّهِ شىء لا أدرى ما هو ، فقال : من غنّانى ما أشتهى فله ما فى كمى وما معى ، وما تحتى . فغنوه كلهم فلم يطرب ، فقال لى : غن يا غلام فغنيت :

إكليلُها ألوانُ وَوجهها فَتَّانُ
وخالُهــا فريدٌ ليس له جيرانُ
إذا مشتْ تَثَنَّتْ كأنهــا ثُعبانُ(٣)

فطرب وأخرج ما فى كمه ، فإذا ألف دينار ، فرمى بها إلىّ مع العِقد الجوهر ، ولما دخل بعث إلىّ بالحمار وكلٍّ ما كان عليه .

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٦/٢٨٠ ودار الثقافة ٦/٢٦٦ وبولاق ٦/٦٤ والساسى ٦/٦٢ والتجريد ٧٨٨.

(٢) فى طبعة دار الكتب : وكان ينقر بالدف ويغنى مرتجلا .

(٣) هذا الشعر لمطيع بن إياس كما فى الأغانى ٦/٢٨١ .

سمع رجلٌ حَكَمَ الوادى يغنى فقال : أحسنت ، فألقى الدف وقال للرجل : قبحك الله ، ترانى مع المغنين ستين سنة وتقول لى أحسنت ؟

زار حكم الوادى الرشيد فبرّه ووصله بثلاثمائة ألف درهم ، وسأله عمن يختار أن يكتب بها إليه ، فقال : اكتب لى إلى إبراهيم بن المهدى ، وكان عاملا له بالشام . قال إبراهيم : فقدم علىّ حكمُ الوادى بالشام بكتاب الرشيد فدفعت إليه ما كتب له به ووصلته بمثل ذلك إلا أننى أنقصته ألفا من الثلاثمائة ألف وقلت : لا أصلك بمثل صلة أمير المؤمنين . وأقام عندى ثلاثين يوما أخذت منه فيها ثلاثمائة صوت ، كل صوت منها أحب إلىَّ من الثلاثمائة ألف التى وهبتها له .

كان خبر حكم يصل إلى المنصور ويبلغه ما يصله به بنو سليم بن علىّ ، فيعجب لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلّا أن حَسَّن شعرا بصوته وطرب مُستمعه له ؟ فماذا يكون غلام يعطيه هذه العطايا المسرفة ؟ إلى أن جلس يوما فى مستشرف له ، وقد دخل حكم الوادى عَلَى عَلِىّ بن يَقْطِين أحد قوّاده ، ثم خرج عَشيًّا وقد حمله على بغلة يعرفها له المنصور ، وخلع عليه ثيابا يعرفها له ، فلما رآه المنصور قال : من هـذا ؟ قيل : حكم الوادى ، فحرك رأسه مَلِيًّا ثم قال : الآن علمت أن هذا يستحقّ مايُعطَى ، قيل له : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك عنه ؟ فقال : لأن فلانا لا يعطى شيئاً من ماله باطلا ولا يضعه إلا فى حقه .

قال حكم الوادى : كان موسى الهادى يشتهى من الغناء ما توسَّطَ وقلَّ ترجيعُه ولم يبلغ أن يستخف جدًّا ، فأخرج ليلة ثلاث بِدَرٍ وقال : من أطربنى فهى له[1] فغناه ابن جامع وإبراهيم الموصلى وابن دحمان ، فلم يصنعوا شيئا ، وعلمت ما أراد ، فغنيته للنابغة الجعدىّ :

---

(١) فى ت . فله هذه .

غرّاء كالليلة المباركة القمـ ـــراء تهدى أوائلَ الظُّلَمِ
أَكْنِى بغير اسمها وقد علم اللـ ـــهُ خَفِيَّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ
كأنَّ فاها إذا تبسم عن طيب مَشَمٍّ وحسنِ مُبْتَسَمِ

فطرب ووثب عن فراشه طربا وقال : أحسنت ، أحسنت والله ، اسقونى ، فسقى وطرب ، ووثقت أن البِدَر لى ، فقمت فجلست عليها ، وأحسن ابنُ جامعٍ المَحْضر وقال : أحسن واللهِ ياأمير المؤمنين كما قلتَ ، وإنه لمحسن مُجْمِل ، فلما سكر أمر الفراشين بحملها معى ، فقلت لابن جامع : مثلك يفعل ما فعل فى شرفك ونسبك ، فإن رأيت أن تشرفنى فى قبول إحداها فعلت . فقال : لا والله ، لا فعلت ولوددت أن الله زادك ، فأسأل الله أن يُهَنِّيك بما رزقك . ولحقنى الموصلى فقال : أَحْذِنى[1] يا حكم من هذا . فقلت : لا والله ولا درهما واحدا ، لأنك لم تحسن المحضر .

ومات حكم الوادى من قرحة أصابته فى صدره .

(١) أحذاه : أعطاه قسما من الغنيمة .

الحسين بن الضحاك[1]

مولى باهلة : بصرى المولد والمنشأ ، كنيته أبو على وأبو عبد الله ، من شعراء الدولة العباسية ، وأحد ندماء خلفاء بنى هاشم ، أول من جالس منهم محمدٌ الأمين ، وهو شاعر أديب ظريف مطبوع حسن التصرف فى الشعر حلو المذهب ، لشعره قبول ورونق صافٍ . كان أبو نواس يأخذ شعره ومعانيه فى الخمر فيغير عليها ، وإذا شاع له ذكر بشعر نادر فى هذا المعنى نسبه الناس إلى أبى نواس ، وله معان فى صفتها أبدع فيها وسبق إليها ، وكان يلقب الخليعَ والأشقر ، وهاجى مُسلمَ بنَ الوليد فانتصف منه ، وهو من المطبوعين الذين خلت أشعارهم من التكلف ، وعُمِّرَ عمرا طويلا حتى قارب المائة سنة ، ومات فى خلافة المستعين أو المنتصر .

وهو الحسين بن الضحّاك بن ياسر مولى سليمان بن ربيعة الباهلى . وربما قالوا بين الضحاك وبين ياسر أبا آخر . وأصله من خراسان ، وهو ومحمد بن حازم الباهلى ابنا خالةٍ .

لما قدِم المأمونُ من خراسان إلى بغداد أمر أن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه ، فذكروا له جماعة منهم الحسين بن الضحاك ، وكان من جلساء محمد المخلوع ، فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم حسين بن الضحاك فقال : أليس هو الذى يقول فى محمد :

هــلَّا بقيتَ لسدِّ فاقتنا ... فينــا وكان لغــيرك التَّلَفُ
فلقــد خَلفْتَ خلائفاً سلفُوا ... ولسوف يُعْوِز بعــدكَ الخلَفُ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ٧/١٤٦ وانظر ص ١٤٥ ودار الثقافة ٧/١٤٣ وانظر ص ١٤٢ وبولاق ٦/١٧٠ والساسى ٦/١٦٥ والتجريد ٨٥٢ .

لا حاجة لنا فيه ، والله لا يرانى أبدا ، إلا فى طريق . ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له ومن تعريضه به ، وانحدر الحسين إلى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون .

دخل ابن البواب الحاجب يوما إلى المأمون وفى يده رقعة وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن فى إنشادها . فظنها له فقال : هات ، فأنشده[1] :

أجِرْنى فإنى قد ظمئت إلى الوَعْدِ   متى تُنجز الوعدَ المؤكّد بالعهدِ
أُعيذُكَ من خُلْف الملوكِ وقد ترى   تقطُّعَ أنفاسى عليك من الوجْدِ
أَيبْخلُ فردُ الحسنِ عَنِّى بنائلٍ   قليلٍ وقد أفردْتُه بهوًى فَرْدِ

إلى أن بلغ إلى قوله :

رأى اللهُ عبدَ اللهِ خيرَ عبادِه   فملّكه واللهُ أعلمُ بالعبدِ
أَلَا إنما المأمونُ للناس عصمة[2]   مميِّزةٌ بين الضلالةِ والرُّشْدِ

فقال المأمون : أحسنت يا عبدَ الله ، قال : يا أمير المومنين ، بل أحسن قائلُها . قال : ومن قائلها ؟ قال : عبدُكَ الحسينُ بن الضحاكِ . فقطب ثم قال : لا حيَّا اللهُ مَن ذكرتَ ولا بيَّاه ولا قرَّبه ولا أنعم به عَيْناً . أليس هو القائل :

أعينىَّ جُودَا وابكيا لى مُحمَّدَا   ولا تَذْخرا دمعاً عليه وأَسعِدَا
فلا تمَّت الأشياءُ بعد محمَّدٍ   ولا زال شملُ الملكِ فيهم مُبدَّدا
ولا فرح المأمونُ بالمُلْك بعدَه   ولازال فى الدنيا طريدا مُشرَّدَا

هذا بذاكَ ، ولا شىء له عندنا ، فقال له ابن البواب : فأين فضلُ إحسان

---

(١) بهامش مخطوط كوبرلى تعليق ونصه : ومن الناس من يروى هذه الأبيات لعبد الله بن البواب ؛ وقد ذكرها المصنف فى ترجمته فإنه اسمه عبد الله .

(٢) فى الأصل : لله عصمة . والتصويب من الأغانى .

أمير المؤمنين وسَعةُ حلمه وعادتُه فى العفو ! فأمر بإحضاره ، فلما حضَر سلّم ، فردّ عليه ردًّا جافيا ، ثم أقبل عليه فقال : أخبرنى عنك ، هل عرفت يوم قُتِل أخى رحمه الله تعالى هاشميّةً قُتلت أو هتكت ؟ قال : لا ، قال : فما معنى قولك[1] :

وممَّا شجا قلبى وكفكف عَبرتى ... محارمُ من آل النبىِّ استُحِلَّتِ
ومهتوكة بالُخلْد عنها سُجوفُها[2] ... كَعاب كقَرْن الشمس حين تَبدَّتِ
إذا خَفرتْها روعــةٌ من منازعٍ ... لها المرط عادت بالخشوع ورَنَّتِ
وسرب ظباء من ذُؤابــة هاشمٍ ... هَتفنْ بدعْوَى خيرِ حَىٍّ ومَيِّتِ
أرُدُّ يــداً منى إذا ما ذكرتُــه ... على كَبدٍ حَرَّى وقلبٍ مُفتَّتِ
فلا باتَ ليلُ الشامتين بغِبطةٍ ... ولا بلغَتْ آمالهم ما تَمَنَّتِ

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعة غلبتنى ، وروعة فاجأتنى ، ونعمة سُلبتها بعد أن غمرتنى ، وإحسان شكرته فأنطقنى ، وسيد فقدته فأقلقنى ، فإن عاقبت فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك . فدمعت عين المأمون وقال : قد عفوت عنك ، وأمرت بإدرار رزقك عليك ، وإعطائك مافات منه وجعلت عقوبة ذنبك امتناعى من استخدامك .

طلب صالح بن الرشيد يوما شعرا يعلّمه جواريه ، وطلب دفاتره من بيته ، فجىء بها ليختار منها شعرا ، فمرّت به هذه الأبيات التى أولها :

* أعينىَّ جُودا وابكيا لى محمّدَا *

فقال صالح : المأمون يجىء إلىَّ فى كل ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلا ؟ ثم دعا بسكين وجعل يَحكّه . وصعد المأمون من الدَّرَج ، فرمى صالحٌ بالدفتر ، فقال المأمون : يا غلام ، الدفتر ، فأتى به ، فنظر فيه ووقف على الحكّ ، وقال لمن حضر :

---

(١) الأبيات الثلاثة الأول لا توجد فى الأغانى فى هذا الخبر ولا فى الترجمة له .

(٢) الخلد: من قصور خلفاء بنى العباس.

إن قلت لكم ما كنتم فيه تَصْدقُونى ؟ قالوا : نعم ، قال : ينبغى أن يكون أخى بعث فأحضر الدفتر ليتخير ما يطرحه على الجوارى ، فوقف على هذا الشعر ، وكره أن أراه فحكّه ، فقالوا : هكذا كان . ثم قال لعمرو بن بانة : غَنِّه ياعمرو ، فقال: يا أمير المؤمنين ، هذا شعر الحسين بن الضحاك ، والغناء فيه لسعيد بن جابر ، قال : وما يكون ؟ غَنِّه ، فغنيته ، فاستعاده ، فرددته ثلاث مرات ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم ، وقال : حتى تعلم أنه لم يضرُرْك عندنا .

وكان حسين بن الضحاك شديد الموالاة لمحمدٍ الأمين ، وله فيه مراثٍ كثيرةٌ ، وبلغ من حُزنه عليه أنه اخْتَلَطَ فى عقله ، وكان ينكر قتله لمَّا بلَغَه ويدفعه ويقول : إنه مستتر ، وإنه وَقفَ على تفرُّقِ دُعاته فى الأمصار يدعون إلى مُراجعة أمره والوفاء ببيعته .

ومن جيِّد مراثيه فيه :

سألونا أنْ كيف نحن فقلنا مَنْ هوَى نجمُه فكيف يكونُ
نحن قومٌ أصابنا حَدَثُ الدهْـ ـرِ فَظَلْنَا لرَيْبِه نَستكينُ
نتمنَّى من الأمين إيابا لَهْفَ نفسى وأين منَّا الأمينُ

ومنها :

أُعزِّى يا محمّد عنك نفسى مَعاذَالله والأيدِى الجسامِ
فهلَّا مات قومٌ لم يَموتوا ودُوفِع عنكفى يوم الحِمامِ
كأنّالموتصادففيك غُنْماَ أواستشفى بقُربكمن سَقامِ

قال الحسين بن الضحاك : كنت عازما على أن أرثى الأمين بلسانى كله ، وأشفى لوعتى ، فلقينى أبو العتاهية فقال : يا حسين ، أنا إليك مائل ، ولك محب ، وقد علمت

مكانَك من الأمين ، وأنت حقيق أن ترثيه إلا أنك قد أطلت[1] لسانك فى التلهّف عليه والتوجع له بما صار هجاء لغيره ، وثلبا له ، وتحريضا عليه ، وهذا المأمون مُنْصَبٌّ إلى العراق قد أقبل عليك ، فاتَّقِ الله فى نفسك ، ويحك يا حسين ، أتجسر أن تقول :

تركوا حريم أبيهم نَفلًا ... فالمُحصناتُ صوارخٌ هُتُفُ

هيهاتَ بعدَك أن يدوم لنـا ... عِزٌّ وأن يبـقى لنا شَرَفُ

ويلك ! كفُفْ غَرْبَ لسانك ، واطْوِ ما قد انتشر عنك ، وتَلافَ ما فَرَط منك ، فعلمت أنه قد نصحنى ، فجزيتُه الخير ، وقطعت القول ، فنجوت برأيه وما كدت أنجو .

قال محمد بن عباد المهلبىّ : قال المأمون وقد قدمت من البصرة : كيف ظريفُ شعرائكم وواحد مصركم ؟ قلت : ما أعرفه ، قال : الحسين بن الضحاك ، أليس الذى يقول :

رأى اللهُ عبدَ الله خير عباده ... فملَّكه واللهُ أعلمُ بالعبدِ

ثم قال لى : ما قال أحد من الشعراء فى زماننا أبلغ من بيته هذا ، فاكتب إليه فاستقْدِمه . وكان حسين عليلا ، وكان يخاف بوادر المأمون لِمَا فَرط منه ، فكان يكره لقاءه ، فقلت للمأمون : إنه عليل يا أمير المؤمنين علَّةً تمنعُه من الحركة ، قال : فخذ كتابنا إلى عامل خراجنا بالبصرة حتى يُعطيه ثلاثين ألف درهم . فأنفذت الكتاب إليه فأخذ المال .

لما ولى المعتصمُ الخلافةَ بعد المأمون سأل عن الحسين بن الضحاك فأُخبر بمقامه بالبصرة لانحراف المأمون عنه ، فأمر بمكاتبته بالقدوم ، فقدم ، فلما دخل سلّم واستأذن فى الإنشاد ، فأذن له فأنشده :

---

(١) فى الأغانى . أطلقت .

هلا رحمتَ تلذُّذَ المشتاقِ ومَنَنْتَ قبلَ فِراقه بتلاقى
نفسى الفداء لخائفٍ مُترقِّب جعلَ الوداعَ إشارةً بعِناقِ
إذ لا جوابَ لمفْحَمٍ متحيِّرٍ إلّا الدموعُ تُصانُ بالإطراقِ

حتى انتهى إلى قوله :

خيرُ الوفودِ مُبَشِّرٌ بخلافةٍ خَصَّت ببهجتها أبا إسحاقِ
وَافَتْه فى الشهر الحرامِ سليمةً من كلِّ مشكلةٍ وكلِّ نفاقِ(١)
أعطتْه صَفْقَتَها الضمائرُ طاعةً قبلَ الأكُفِّ بأوْكدِ الميثاقِ
سَكَنَ الزمانُ إلى إمامِ سلامةٍ عفِّ الضميرِ مُهذَّب الأخلاقِ
فَحَمَى رعيَّتَه ودافعَ دونها وأجار مُمْلِقَها من الإملاق

حتى أتمَّها . فقال له المعتصم : ادْنُ منّى ، فدنا منه ، فملأ فمه جوهرا من جوهر كان بين يديه ، ثم أمره أن يخرجه من فمه وأن يُنظّم له عِقداً ويخرج إلى الناس وهو فى يده ، ليعلموا موقعه من رأيه ، ويعرفوا ثمرة إحسانه .

ولما افتتح المعتصم عَمُّورِيَة مدحه الشعراء على ذلك ، ووصفوا حسن فعله ، وكان أحسن ما مُدِح به يومئذ وما قدمه أهلُ العلم(٢) على سائر ما قاله الشعراء قول الحسين بن الضحاك :

قل للألى صرفوا الوجوهَ عن الهُدَى مُتعسِّفين تعسُّفَ المُرّاقِ
إنى أُحذركم بوادِرَ ضيغمٍ دَرِبٍ بحَطْمِ موائلِ الأعناقِ
متأهِّبٍ لا يَستفِزُّ جَنانَه زَجَلُ الرُّعودِ ولامعُ الإبراقِ

---

(١) فى الأغانى : وكل شقاق .

(٢) فى الأغانى نقص وهنا الكلام متصل صحيح . ففى الأغانى : ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله فكان أحسن ما مدح به يومئذ . ومما قدمه أهل العلم . . .

لم يبقَ من مُتَعَرمين تَوثَّبُوا ... بالشام غير جَماجِمٍ أفلاقِ
من بين مُنْجَدلٍ تمُجُّ عُروقه ... عَلَقَ الأخادع أو أسير وثَاقِ
وثَنى الخيولَ إلى معاقل قيصرٍ ... تَختالُ بين أَحِزَّةٍ ورِقاقِ
يحمِلن كلَّ مشمرٍ مُتغشّمٍ ... ليثٍ هِزَبرٍ أهْرَتِ الأشداقِ
حتى إذا لَمَّ الحصون مُنازِلا ... والموتُ بين ترائبٍ وتراقِى
هرَّت بطارقُها هريرَ قَساورٍ ... بُدِهت بأكره منظرٍ ومذاق
ثم استكانت للحصار ملوكُها ... ذُلاًّ وناط حُلوقَها بخِناقِ
هربَتْ وأسلمَت الصليب لمسلمٍ(١) ... لم يُبْقِ غير حُشاشَةِ الأرماقِ

فأمر له المعتصم لكل بيت بألف درهم ، وقال له : أنت تعلم ياحسين أن هذا أكثر ما حُبِى(٢) به مادحٌ فى دولتنا ، فقبَّلَ الأرض بين يديه وحمل المال معه .

وكان الرياشى يستحسن قوله :

إذا ما الماء أمكنني ... وصَفْوُ سُلافةِ العنبِ
صَببْتُ الفِضَّةَ البيضا ... ءَ فوقَ قُراضةِ الذَّهَبِ

فقيل له : من يقولها يا أبا الفضل ؟ قال : أرقّ الناس طبعا ، وأكثرهم مُلَحا ، وأحسنهم ظرفا(٣) ، الحسين بن الضحاك .

ولما أعيت الحسينَ بن الضحاك الحيلةُ فى رضا المأمون عنه رمى بأمره إلى عمرو ابن مَسْعَدة فكتب إليه :

أنت طودى من بين هذى الهضابِ ... وشِهابى من دون كلّ شهابِ

---

(١) فى الأغانى : الصليب عشية :
(٢) فى الأغانى : ما مدحنى .
(٣) فى الأغانى : وأكملهم ظرفا .

أنت يا عمرُو قوّتى وجنانى(١) ولسانى وأنت ظفرى ونابى
أذُانى أنسى أياديكَ البيـ ـضَ إذا اسودَّ نائلُ الأصحابِ
أين عطف الكرام فى مأقِط الحا جة يحمون حوزة الآدابِ(٢)
أين أخلاقك الرضيَّةُ حالتْ فِيَّ أمْ أين رِقَّةُ الكُتَّابِ
أنَا فى ذِمَّة السحاب وأظْمَا إنَّ هذا لوصمةٌ فى السحابِ
قُمْ إلى سيّد البَرِيَّةِ عنى قومةً تَستجِرُّ حسنَ خطابى
فلعل الإلٰهَ يُطفِىء عنى بك ناراً علىَّ ذاتَ التهاب

فلم يزل عمرو يتلطف له مع المأمون حتى أوصله إليه وأدَرَّ أرزاقه عليه . وقيل إنه توسل بالحسن بن سهل ومدحه ووعده بذلك ولكنه لم يتمكن ، لسوء رأى المأمون فيه ، ولِمَا عاجلَ الحسنَ من عِلّته .

قال الحسين بن الضحاك : غضب علىَّ المعتصمُ فى شىء جرى على النبيذ ، فقال : والله لأُوذِيَنَّه(٣) وحجبنى أياما ، فكتبت إليه :

غضبُ الأميرِ أشدُّ من أدبِهْ وقد استجرتُ وعُذْتُ من غَضَبِهْ
أصبحتُ مُعتصِما بمعتصمٍ أثـنَى عليـه اللهُ فى كُتبِهْ
لا والذى لم يُبْـقِ لى سببا أرجو النجاة به سوى سَبَبِهْ
ما لى شفيعٌ غيرُ رحمتـه(٤) ولكلّ من أشْفَى على عَطبِهْ

فلما قرئت عليه الرقعة التفت إلى الواثق وقال : بمثل هذا الكلام تُستعطف الكرام ، ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزالت ما فى نفسى عليه .

---

(١) فى الأغانى : وحياتى .
(٢) المأقط : المضيق فى الحرب .
(٣) فى الأغانى : لأؤدبنه . وتحتمل مخطوطة ك ذلك .
(٤) فى الأغانى : غير حرمته .

فقال له الواثق : هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه . فرضى عنى وأمر بإحضارى .

قال الحسين بن الضحاك(١) : أنشدت أبا نواس قصيدتى :

وشاطرىّ اللسان مختلق التكـ ريه شاب المجون بالنسكِ

حتى بلغت إلى قولى :

كأنما نُصْبَ كأسه قمر يكرع فى بعض أنجم الفلك

قال : فأنشدنى أبو نواس بعد أيام لنفسه :

إذا عبَّ فيها شارب القوم خِلته يقبّل فى داج من الليل كوكبا

قال : فقلت له : ياأبا علىّ ، هذه مصالتة . فقال لى : أتظن أنه يروى لك فى الخمر معنى جيّد وأنا حىّ .

« المصالتة أن يأخذ الشاعر بيتاً لغيره لفظاً ومعنى » .

ومن أبيات الحسين بن الضحاك :

أغطيه مشمولة وأصرفها لصرعتيه أُوفِى على دَرَكِ
حتى إذا رنحته سورتها وأبدلته السكون بالحَرَكُ
حسرت عن ثلجة مزعفرة فى لين صينيّة من الفنَك
فكان ما كان لا أبوح به فى الناس من هاتك ومنهتك

قال علىّ بن الجهم : دخلت على المتوكل يوما وفى يده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر :

بالشطِّ لى سَكَنٌ أفديه من سَكَنِ أَهْدَى من الآسِ لى غُصنينِ فى غُصُنِ
فقلت إذ نُظِماَ شكلين والتبسا(٢) سَقْياً ورَعْياً لِفالٍ فيكما حَسَنِ

---

(١) النص موجود بالأغانى ماعدا التعقيب بذكر الأبيات فإن ما بالأغانى البيتان الثانى والثالث عدا البيت الذى سرق معناه أبو نواس .

(٢) فى الأغانى : إذ نظما إلفين .

فالآسُ لا شكَّ آسٍ من تشوُّقِنا شافٍ وآسٌ هوًى يبقى على الزمن(١)
بَشَّرتمانى بأسباب ستجمعنا إن شاء ربى ومهما يَقْضِه يكُنِ

فلما فرغ من إنشادها ـ وقد كدت أنشقُّ حسدا ـ قال لى : لمن هذا الشعر يا على ؟ فقلت : للحسين بن الضحاك يا سيدى ، فقال لى : هو أشعر أهل زمانه وأملحهم مذهبا وأظرفهم نَمَطاً. فقلت ـ وقد زاد غيظى ـ : فى الغزل ياأمير المؤمنين(٢)، فقال : وفى غيره وإن رَغِمَ أنفُك ومتَّ حسدا .

كان المتوكل قد أحب أن ينادمه حسين بن الضحاك وأن يرى ما بقى من ظرفه(٣)، فأحضره وقد كبر وضعف ، فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع : اسْقِه ، فسقاه وحيّاه بوردة ، وكانت على شفيع ثياب مورَّدة ، فمد الحسين يده إلى ذراع شفيع ، فقال له المتوكل : ويحك يا حسين ، أتجمِّش أخصَّ خدمى عندى بحضرتى ؟ فكيف لو خلوت ؟ ما أحوجك إلى أدب ! وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به ، فقال الحسين : يا سيدى ، أريد دواة وقرطاسا . فأمر بذلك ، فكتب فيها :

وكالوردة الحمراءِ حَيَّا بوردةٍ من الورد يمسى فى قَراطِقَ من وَرْدِ(٤)
له عَبثاتٌ عند كلّ تحيَّةٍ بِكَفَّيه تستدعى الحليم إلى الوجدِ(٥)
تمنيت أن أُسقَى بكفَّيه شَربةً تُذَكِّرنى ما قد نسيت من العَهدِ
سقى اللهُ عيشاً لم أَبِتْ فيه ليلةً من الدهر إلَّا من حبيبٍ على وعْدِ

ثم دفع الرقعة إلى شفيع وقال : ادفعها إلى مولاك . فلما قرأها استملحها

---

(١) فى الأغانى : وآس لنا يبقى .
(٢) فى الأغانى : فى الغزل يا مولاى .
(٣) فى الأغانى : وأن يرى ما بقى من شهرته لما كان عليه .
(٤) القرطق : قباء ذو طاق واحد وجمعه قراطق .
(٥) فى الأغانى : بعينيه تستدعى .

وقال له : أحسنت يا حسين ، ولو كان شفيعٌ ممن يجوز هِبَتُه لوهبته لك ، ولكن بحياتى يا شفيع إلا كنتَ ساقيَه بقيّةَ يومه هذا ، واخدُمْه كما تخدمنى . وأمر له بمال كثير . وقيل: إنه قال لحسين : قل شيئاً فى هذا ، فقال الأبيات ، فلما سمعها المتوكل قال : يُحمل إلى الحسين عن كل بيت مائةُ دينار ، وكان محمد بن عبد الله حاضرا ، فقال كالمتعجب : لِمَ يا أمير المؤمنين ؟ والله لقد أجاب فأسرع ، وذكر فأوجع ، وأطرب فأمتع ، ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلتُ له العطاء، ولو أحاط بالتليد والطارف . فخجل المتوكل وقال : يُعطى بكل بيت ألف دينار .

اجتمع الحسين بن الضحاك وعمرو بن بانة يوما عند ابن شغوف الهاشمى فاحتبسهما عنده ، وكان لابن شغوف الهاشمى خادم حسن الوجه يقال له مُفحِم ، وكان عمرو بن بانة يتعشّقه ويستر ذلك عن ابن شغوف ، فلما أكلوا ووضعوا النبيذ قال عمرو بن بانة للحسين : قُلْ فى مفحمٍ أبياتا أُغنِّى فيها الساعة ، فقال الحسين :

وَابأبى مُفحِمٌ بغرّتـــه(1) قلت له إذ خلوت مُـكتتِمـاَ
تُحِبُّ بالله من يَخصُّك بالودّ فما قال لا ولا نَعَمـاَ
ثم تولَّى بمقلتَىْ خَجِلٍ أرادَ رَجْعَ الجوابِ فاحتشما
فكنت كالمبتغِى بحيلته بُرْءًا من السُّقْم فابتدَى سَقَما

وغنى فيه عمرو بن بانة ، فبينما هم كذلك إذ جاء الحاجب فقال : إسحاق الموصلى بالباب ، فقال له عمرو : أَعفِنَا من دخوله وإلّا نغَّص علينا بتِيهِه وصَلَفه وبُغْضه وثِقَلِه . ففعل ، وخرج الحاجب فاعتلَّ على إسحاق حتى انصرف ، وأقاموا يومهم وباتوا ليلتهم عند ابن شغوف ، فلما أصبحوا مضى الحسين بن الضحاك إلى إسحاق فحدثه الحديث ، فقال إسحاق :

---

(1) فى الأغانى : لعزته .

يا ابنَ شَغوفٍ أما علمتَ بما ... قـد صار فى الناس كلِّهم عَلَما
دعوتَ عَمْرًا فبات ليلتـه ... فى كلِّ ما يشتهى كما زَعَما
حتى إذا ما الظلامُ ألبســه ... سَرَى دَبيباً فضاجعَ الخدَما
ثُمَّتَ لم يَرْضَ أن يُضاجعهم ... سِرًّا ولكنْ أبدَى الذى كتما
ثم تغَنَّى من فرطِ صَبوته ... صَوتاً شَفَى من عليله السَّقَما
وابأبى مُفحم بغُرَّته[1] ... قلت له إذا خلوت مكتتما

وشاعت الأبيات فى الناس ، وغنى بها إسحاق ، فبلغت ابنَ شغوف ، فحلف ألاّ يُدْخِل عَمْرًا دارَه أبدا ولا يكلّمه وقال : فضحنى وشهرنى وعرضنى للسان إسحاق . ومات مهاجراً له . وغنى إسحاق الموصلى هذه الأبيات للمعتصم ، فسأله عن خبرها فأخبره ، فضحك وصفق وطرب ، ولم يزل يستعيد الصوت وابنُ شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر وقام .

سئل الحسين بن الضحاك عن خبره مع الحسن بن سهل فى فصل الخريف ، وقد جاء وَسْمِيُّ المطر فرشّ رشًّا حسنا ، واليوم فى أحسن نمط وأطيبه وأحلى منظر[2] وهو جالس على سرير آبنوس ، وعليه قُبَّة من فوقها طارِمة[3] ديباج أصفر ، وهو يشرف على بستان فى داره ، وبين يديه وصائف يترددن فى خدمته ، وعلى رأسه غلام كالدينار فسلمت فردّ علىَّ السلامَ ، ونظر إلىَّ كالمستنطق ، فقلت :

* ألستَ ترى دِيمةً تهطِلُ *

---

(١) فى الأغانى : لعزته .

(٢) فى الأغانى : واليوم فى أحسن منظر وأطيبه .

(٣) الطارمة: أصلها بيت من خشب كالقبة ويراد هنا الستر.

فقال: بلى . فقلت:

* وهذا صباحك مُسْتَقْبَلُ *

وتلك المـدام وقد شاقنا برؤيتـه الشادن الأكحل

فقال : صدقت، فقلت :

فعـاد بنا وبه سكرةٌ تُهَوِّنُ مكروه ما يُسأل

فسكت ، فقلت :

فإنى رأيت له نظرة تُخَبِّرنى أنه يفعل

قال: ثم قلت :

وقد أشـكل العيشُ فى يومنـا فيا حبَّذا عَيشُنا المُشـكِلُ

فقال : العيش مشكل ، فما ترى ؟ فقلت : مباكرة القَصْف ، وتقريب الإلف ، قال : عَلَى أنْ تقيم معنا وتبيت عندنا ، فقلت له : لك الوفاء وعليك مثله لى من الشرط، قال : وما الشرط ؟ قلت : يكون هذا الواقف على رأسك يسقينى ، فضحك ثم قال : ذلك لك عَلَى ما فيه . ودعا بالطعام فأكلنا ، وبالشراب فشربنا أقداحا ، ولم أر الغلام، فسألت عنه ، فقيل : الساعة يجىء ، فلم يلبث أن جاء فسأله عن غيبته فقال : كنت فى الحمّام ، وهو الذى حبسنى عنك ، فقلت :

وابأبى أبيضُ فى صُفْرة كأنه تِبْرٌ على فِضَّهْ
جُرِّد فى الحمَّامِ عن دُرَّة(١) يلوحُ فيها عُكَنٌ بَضَّهْ
غصنٌ تبَدَّى يتثَنَّى على مَأْكَمة مُثقَلة النَّهضهْ(٢)
كأنما الرشحُ على خَدِّه(٣) طَلٌّ على تفاحة غَضَّهْ

---

(١) فى الأغانى : جرده الحمام .

(٢) المأكمة : العجيزة .

(٣) فى الأغانى : كأنما الرش .

صِفاتُه فاتنةٌ كلُّهـا فبعضه يُذْكِرني بَعْضَهْ
يا ليته زوّدَنى قُبلَةً أوْ لاَ فمن وَجْنته عَضَّهْ

فقال لى الحسن بن سهل : قد عمل فيك النبيذ ، فقلت : لا وحياتك ، فقال : هذا شر من ذاك ، فقلت :

اسقيانى وصَرِّفا بنت حولين قرقفا
واسقيا المرهف الغَرِ يرَ سقى الله مُرْهَفَا
لا تقولا نراه أكلـ ـف نِضْـواً مُخفّفا
نِعْم ريحانة النـد يم وإن كان مُخْطَفا
إن يكن أكْلَفاً فإ نَّا نرى البدر أكلفا
بأبى ماجنُ السريـ ـرة يُبْـدِى تعففًا
حفّ أصداغه وعـقْـ ربهـا ثم صَفَّفَا
وحشا مَدْرَجَ القُصا ص بمسك ورصَّفا(١)
وَإذا سُمْتـه منـا لًا تَأَبَّى وعَنَّفـا(٢)
ليس إلّا بأن يُعنِّـ ـفه السُّكْرُ مُسْعِفا(٣)
باكِرَا لا تُسَوِّفـا نى عدمت التسوُّفَا
أعجِلَاه وبالفَظا ظَة فى السَّقى فاعنُفا(٤)
واحْمِلا شَغْبه وإنْ هُـوَ زَنَّى وأَفَّفَا
وإذا هَـبَّ للمنا م فقُوما وخَفِّفـا(٥)

(١) قصاص الشعر : نهاية منبته .
(٢) فى الأغانى : فإذا رمت منه ذاك .
(٣) فى الأغانى : ليس إلا بأن يرنحه السكر
(٤) فى الأغانى : « وبالفضاضة فى السق » والفضاضة: آخر الشىء.
(٥) فى الأغانى : وإذا هم للمنام .

فتغاضب الغلام وقام، فذهب ثم عاد فقال لى: أَقبِلْ على شرابك ودَعِ الهَذَيان. وناوَلَنى قدحا. وقام أبو محمد ليبول، فشربت وأعطانى نُقْلًا، فقلت له: اجعل بدله قبلة، فضحك وقال: أفْعَل، فقلت: متى؟ هذا وقته[1]، فبدا له وقال: لا أفعل، فعاودته فانتهرنى وتهددنى، فأطرقت ثم عاودته فانتهرنى، فقال له خادم للحسن يقال له فَرَج: بحياتى يا بُنىَّ أَسْعِفه بما طلب. فضحك ثم دنا منى كأنه يناولنى نُقلا، وتغافل لى، فاختلست منه قبلة، فقال لى: هى حرام عليك، فقلت:

وبديع الدَّلِّ قَصْرِىِّ الغَنَجْ ... مَرِه العين كحيل بالدَّعَجْ[2]

سُمْتُه شيئا وأَصغيتُ لــه ... بعدما صَرَّف كأسا ومَزَجْ

واستخفَّتْهُ عــلى نَشوته ... نَبَرات من خفيف وهَـزَجْ[3]

فتــأبَّى وتثنى خجــلا ... وذَرَا الدَّمْعَ فُنونًا ونَشَــجْ

لَجَّ فى لولا وفى ســوف ترى ... وكَذَا كَفَّكَ عنى وخَــلِجْ[4]

ذهب الليـــلُ وما نوَّلنى ... دون أن أسفر صبحٌ وانبــلَجْ

هــوَّنَ الأمرَ عليه فَرجٌ ... بتأتِّيــه فسقْياً لــفَرَجْ

خَمِرِ النكْهَةِ لا مِن قهــوةٍ ... أرَّجَ الأَصداغَ بالمِسكِ الأَرِجْ

فبنفسى نفسُ من قــال وقد ... كان ماكان: حرامٌ وحَرَجْ

قال: ثم أسفر الصبح فانصرفت، وعدت إلى الحسن من غد، فقال لى: كيف كنتَ ليلتك! وكيف كنت عندِ نَومِك؟ فقلت له: أصف ذلك نثرا أو نظما؟ قال: بل نظما، فقلت:

---

(١) فى الأغانى نقص ونصه: وقال: أفعل هذا وقته.

(٢) المره العين: الذى خلت عينه من الكحل. وفى ت: قرة العين.

(٣) فى نقرات من خفيف.

(٤) يريد أبعد يدك عنى. وهى رواية أصول المختار وأغلب نسخ الأغانى. وفى نسخة من الأغانى: وكذا كفكف عنى.

تألَّفتُ طيفَ غـزالِ الحَرَمْ فواصلنى بعد ما قـد صَرَمْ
وما زلت أقنـع من نَيْلِـه بمـا تجتنبه بنـات الحُـلُمْ(١)
بنفسى خيالٌ عـلى رِقبـةٍ ألَمَّ بـــه الشوقُ فيما زَعمْ
أتانى يُجــاذب أردافَـه من البُهْرِ تحت كُسورِ الظُّلَمْ(٢)
تمُجُّ ســوالفهُ مِسكةً وعنبرةً رِيقُـه والنَّسَم(٣)
تضمَّخ من بعـد تَجْمـيره فطاب من القَرْنِ حتى القَدَمْ
يقـول ونازعتـه ثَوْبَـه على أن يقـول لشىء نعمْ
فغضَّ الجفونَ عـلى خَجلةٍ وأعرضَ إعراضةً واحتشمْ
فشبَّـكتُ كـفّى على كَفِّه وأصغيتُ ألـثُم دُرًّا بـفمْ
فَنهنَهنى دفـع لا مُـؤْيسٍ بِجدٍّ ولا مُطمِـعٍ مُمتَزِمْ
إذا ما هممت فأدنيتـــه تَثَـنّى وقال لك الويـلُ لِمْ
فمــا زلت أبسطه مازحا وأفرط فى اللهو حتى ابتسمْ
وحَـكَّمَـنِى الرِّيمُ فى نفسه بشىء ولـكنه مُـكْتــتَمْ
فوَاهاً لذلك من طــارق عــلى أن ما كان أبقى سَقمْ

فقال الحسن : يا حسين أظن ما ادعيته فى النوم كان فى اليقظة مع الشخص نفسه ، وأصلح الأشياء لنا بعد ما جرى أن ندفع العار عن أنفسنا بهبة الغلام لك ، خُذه لا بورك لك فيه . فأخذته وانصرفت .

قال الحسين بن الضحاك : [كنت] فى [المسجد] الجامع بالبصرة فدخل أبو نواس وعليه جُبَّة خزّ جديدة فقلت له : من أين لك هذه يا أبا علىّ ؟ فلم يخبرنى .

(١) فى الأغانى : بنان الحلم .
(٢) فى الأغانى : كسوف الظلم .
(٣) فى ت : والمشم .

فتخيلت أنه أخذها من مُوَيس بن عِمران لأنه دخل من باب بنى تميم ، فقمت فوجدت مُوَيسا قد لبس جُبّة خزٍّ أخرى . فقلت له :

كيف أصبحت يا أبا عمران :

فقال : بخير صبحك الله به . فقلت :

* يا كريم الإخاء والإخوان *

فقال: أسمعنى أسمعك الله خيرا ، فقلت :

إن لى حاجة فرأيك فيها　　إننا فى قضائها سِيّانِ

فقال : هاتها على اسم الله وبركته . فقلت :

جُبّة من جِباك الخزّ حتى　　لا يرانى الشتاء حيث يرانى

قال : خذها على بركة الله ، ومدّ كمّه فنزعتها وجئت وأبو نواس جالس ، فقال : من أين جاءتك هذه ؟ فقلت : من حيث جاءتك تلك .

قال الحسين بن الضحاك : دخلت أنا ومحمد بن عمرو على المعتصم ، فخرج إلينا كالحا ، فتوهمنا أنه أراد النكاح فعجز عنه ، فجاء إيتاخ[1] فقال : مخارقٌ وعَلُّوية وأشباههما بالباب، فقال : عليك وعليهم لعنة الله ، اغرُب عنى . قال : فتبسمت إلى محمد بن عمرو ، وفهم المعتصم تبسمى فقال لى : مم تبسمت ؟ فقلت : من شىء حضرنى ، قال : هات ، فأنشدته :

انفِ عن قلبك الحزنْ　　باقترابٍ من السَّكَنْ
وتمتّعْ بكرٍّ طَرْ　　فِكَ فى وجهه الحسَنْ
إن فيه شفاءَ صد　　رِكَ من لاعِجِ الحَزَنْ

فدعا بألفى دينار : ألفٍ لى وألفٍ لمحمد بن عمرو ، فقلت : الشعر لى ، فما مضى

(١) هو إيتاخ التركى المعتصمى القائد ، كان غلاما خزريا اشتراه المعتصم ورفعه .

الألف لمحمد بن عمرو ؟ قال : لأنه جاءنا معك ، ثم أذن لمخارق وعلوية فدخلا ، فأمرهما أن يغنيا به[1] ففعلا ، وما زال يعيد هـذا الصوت ، ولقد قام لحاجته وهو يُرَدِّده .

كان صالح بن الرشيد يعشق يُسْرا خادم أخيه أبي عيسى ، وكان يراوده عن نفسه فيعده ولا يفي له ، فأرسله أبو عيسى يوما إلى أخيه في السَّحَر ، يقول له[2] : يا أخي ، قد اشتهيت أن أصطبح اليوم ، فبحياتي إلا ما ساعدتني وصِرْتَ إليَّ لنصطبح . فصار يسر إلى صالح وهو مُنتشٍ وقد شرب في السَّحَر ، فأبلغه الرسالة ، فقال له : يا يسر ، دعني من مواعيدك ومَطْلِك ، هذه عشرة آلاف درهم ، فخذها واقضِ حاجتي وإلا فليس هاهنا إلا الغصب ، فقال له : يا سيدي أنا أقضي الحاجة ولا آخذ المال . ثم فعل ما أراد وطاوعه فقضى حاجته ، وأمر صالح فحُمل المـال معه . قال الحسين ابن الضحاك : ثم خرج إليَّ صالحٌ من خلوته فقال: يا حسين ، قد رأيتَ ما كُنَّا فيه، فإن حضرك شيء فقل ، فقلت :

أيا مَنْ رِيقهُ خَمْرُ ... ويا من طَرْفُه سِحْرُ
تجاسرتُ فكاشفتـ ... ـك لمـا غُلِبَ الصبر
وما أحسنَ في مثلـ ... ـك أن ينهتك السِّتْرُ
وإن لامَنِيَ الناسُ ... ففي وجهك لي عُذْرُ
فدعني من مواعيد ... ك إذ حَيَّنَك الدَّهْرُ
فلا واللهِ لا تبر ... ح أو ينقضِيَ الأمرُ
فإما الغَصْبُ والذمُّ ... وإما البذْلُ والشُّكْرُ

(١) في الأصول: يغنيانه . وفي الأغاني : يغنيا فيه .

(٢) في الأصول : فقال له : والتصويب من الأغاني .

ولو شئتَ تياسرتَ كما سُمِّيت يا يُسْر
فكُنْ كاسمك لاتمنـ ـعك النخوةُ والكِبْرُ
فلا فُزْتُ بحظّى منـ ـك إن ذاع له ذِكْرُ

قال الحسين : فضحك ، ثم قال : لعمرى لقد تيسَّر كما قلت . فقلتُ : ومن لا يتيسر بعد أخذ الدِّية ؟ لو أردتنى أنا أيضا بهذا لتيسرت ، فضحك ثم قال : نعطيك أنت أيضا الدية لحضورك ومساعدتك ، ولا نريدك لما أردنا له يسراء فبئست المطية أنت . ثم أمر عَرِيبَ(١) فغنَّت فيه .

كان حسين بن الضحاك يميل إلى خادم لأبى عيسى بن الرشيد ، فعبث به يوما على سكر ، فأخذ قِنِّينة فضرب بها رأسه فشجّه شجة منكرة ، وشاع خبره ، وتوجّع له إخوانُه ، وعولج منها مدة ، فجفا الخادمَ واطَّرَحَه ، وأبغضه ولم يعرض له بعدها ، فرآه الخادم يوما فى مجلس مولاه فبعث وغازله ، فقال له الحسين :

تَعزَّ بيأس عن هواى فإننى إذا انصرفت نفسى فهيهاتَ من رَدِّ
إذا خنتمُ بالغيب عهدى فما لكم تُدِلُّون إدلالَ المقيم على العهدِ
ولى منك بُدٌّ فاجتنبنى مُذمَّماً وإن خلتَ أنى ليس لى منك من بُدِّ

لما مات أبو نواس كتب الحسين بن الضحاك على قبره :

كابَرَنيكَ الزمانُ يا حسنُ نخاب سهمى وأفلح الزمنُ
ليتك إذا لم تكن بقيت لنا لم تبقَ روحٌ يحوطها بَدَنُ

حجَّ الحسين بن الضحاك ، فمرّ فى منصرفه على موضع يعرف بالقريتين ، فإذا جارية تَطَّلع فى ثيابها وتنظر إلى حِرِها ، ثم تضربه بيدها وتقول : ما أضيعنى وأضيعك ، فأنشأ يقول :

(١) فى الأصل : عريبا . هذا. وعريب علم على أنثى فيمنع من الصرف كما فى الأغانى.

مَرَرْتُ بالقــريتين مُنصرِفاً ... من حيثُ يَقضى ذوو النُّهَى النُّسُكا
إذا فتاة كأنها قمرُ التِّـ ... ـمِّ لمَّا توسَّطَ الفَلَكا
واضعةٌ كفَّها على حِرِها ... تقول واضيْعتى وضَيْعتكا

فلما سمعت قوله غطت وجهها وقالت : وافضيحتاه أو قد سمعتَ ما قلتُ ؟

كان الواثق يميل إلى الفتح بن خاقان ويأنس به ، وهو يومئذ غلام ، وكان الفتح ذكيًّا حادَّ الطبعِ والفطنة ، وذلك أنه قال له المعتصم يوما وقد دخل إلى دار أبيه : يا فتح أيما أحسن؟ دارى أو دار أبيك؛ فقال له غير متوقف : دار أبى إذا كنت فيها. وكان ذلك الوقت صبيًّا له سبع سنين أو نحوها ، فعجب منه وتبنّاه ، وكان الواثق له بمثل هذه المنزلة وزاد المتوكل عليها . فاعتل الفتح فى أيام الواثق علّة صعبة ثم أفاق بعد مدة وعُوفى ، وعزم الواثق على الصبوح ، فقال للحسين بن الضحاك : اكتب بأبيات عنى إلى الفتح ادعُه للصبوح ، فكتب إليه :

لما اصطبحتُ وعينُ اللهو ترمُقُنى ... قد لاح لى باكراً فى ثوبِ بِذْلَتِهِ
ناديتُ فَتْحًا وبشَّرْتُ المُدامَ به ... لمَّا تخلَّص من مكروهِ عِلَّتِهِ
ذبُّ الفَتى عن حريمِ الراحِ مَكرمةٌ ... إذا رآها امرؤٌ ضِدًّا لِنِحْلَتِهِ
فاعجَلْ إلينا وعَجِّلْ بالسرور لنا ... وخالِسِ الدهرَ فى أوقاتِ غَفْلَتِهِ

فلما قرأها الفتح صار إليه واصطبح معه .

كان بجوار الحسين بن الضحاك طبيب يداوى الجراحات يقال له نصير ، وكان مُخنثا ، فإذا كانت وليمة دخل مع المخنثين ، وإذا لم تكن وليمة عالج الجراحات ، فقال فيه الحسين بن الضحاك :

نُصيرُ ليس المُرْدُ من شأنه ... نُصيرُ طَبٌّ بالنَّكاريش (١)

(١) النكريش: الملتحى . وجمعه نكارش .

يقول للنِّكريش فى خَلْوَةٍ مقالَ ذى لُطْفٍ وتَجْميشِ
هل لك أن نلعب فى فرشنا تقلُّبَ الطيرِ المَراعيشِ

يعنى المبادلة . فكان نُصيرٌ بعد ذلك تصيح به الصبيان : يا نصير نلعب تقلّب الطير المراعيش ، فيشتمهم ويرميهم بالحجارة .

سئل الحسين بن الضحاك فى مجلس المتوكل عن سِنّه فقال : ما أحفظ السنة التى ولدت فيها بعينها ، ولكن أذكر وأنا بالبصرة موت شُعبة بن الحجَّاج سنة ستين ومائة .

قال أحمد بن حمدون النديم : أمر المتوكل أن ينادمه الحسين بن الضحاك ويلازمه، فلم يطق ذلك لكبر سِنّه ، وثَلَبه بعضُ أولاد الخلفاء عنده وقال : من يطيق الذهاب إلى القُرَى والمواخير ويشرب فيها يعجز عن خدمتك(١)؟ فبلغه ذلك فدفع إلىَّ أبياتا وسألنى إيصالها إلى المتوكل ، فأوصلتها وهى :

أمَا فى الثمانين وَفِّيتُها عذرٌ وإن أنا لم أعتذرْ
فكيف وقد جُزتُها صاعداً مع الصاعدين بتسعٍ أُخَرْ
وقد رَفَع الله أقلامه عن ابن ثمانين دون البَشَرْ
سوى من أصرَّ على فتنةٍ وألحَدَ فى دينه أو كفر
وإنى لمن أُسراء الإلـ ـهِ فى الأرض نُصْبَ صُروفِ القدَرْ
فإن يقضِ لى عَملا صالحا أثابَ وإن يقضِ شرًّا غفرْ
فلا تَلْحَ فى كِبَرٍ هَدَّنى فلا ذنب لى أن بلغتُ الكِبَرْ
فقد بسط الله لى عُذرَه فمن ذا يلوم إذا ما عَذَرْ
وإنى لفى كَنَفٍ مُغْدِقٍ وعِزٍّ بنصرِ أبى المُنتصِر(٢).

(١) فى الأغانى : هو يطيق . . . ويعجز عن خدمتك .
(٢) بعده فى الأغانى ثلاثة أبيات .

قال ابنُ حمدون : فأوصلت الرقعة وشيَّعتُها كلاما بشيء عَذرته به وقلت: لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لـكان أسعد بها ، فقال له المتوكل : صدقت، نخذ له عشرين ألف درهم فاحملها إليه . فأخذتها وحملتها إليه .

قال الحسين بن الضحاك : ضربني الرشيد فى خلافته لصحبتى ولده ، وضربنى الأمين لمايلتى ابنه عبد الله ، ثم ضربنى المأمون لميل كان إلى محمد ، ثم ضربنى المعتصم لمودة كانت بينى وبين العباس بن المأمون ، ثم ضربنى الواثق لأنه بلغه من ذهابى إلى المتوكل ، وكل ذلك يجرى مجرى الولع بى والتحذير لى ، ثم أحضرنى المتوكل وأمر شفيعا بالولع بى ، فتغاضب المتوكل علىَّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد أن تضربنى كما ضربنى آباؤك فاعلم أن آخر ضَربٍ ضُرِبته بسببك . فضحك وقال : بل أُحسن إليك يا حسين وأصونك وأكرمك .

قال علىّ بن يحي : جاءنى يوما حسين بن الضحاك ، فقلت له أَيش كان خبرك أمس ؟ فقال لى : اسمعه شعرا ولا أزيدك على ذلك فهو أحسن ، فقلت : هات ، فقال:

زائرةٌ زارتْ على غفلةٍ ... يا حبــذا الزورةُ والزائرهْ
فلم أزل أخدعهـا ليلتى ... خديعة الساحرِ للساحرهْ
حتى إذا ما أذعنت بالرِّضا ... وأنعمتْ دارت لها الدائرهْ[(١)]
بتُّ إلى الصبح بها ساهرا ... وباتت الجوزاء بى ساهرهْ
أفعلُ ما شئتُ بهـا ليلتى ... ومِلْء عينى نِعمةٌ ظاهرهْ
فلم نم إلّا على تسعةٍ ... من غُلمة بى وبهـا ثائرهْ
سقياً لها لا لأخى شِعرةٍ ... شِعرتُه كالشعرة الوافـرهْ
وبين رِجليه له حربةٌ ... مشهورة فى حَقْوةِ شاهرهْ
وفى غـدٍ تَتبعها لِحيةٌ ... تُلْحِقه بالـكَرَّة الخاسرهْ

قال : فقلت له : زَنيتَ يعلم الله إن كنت صادقا . فقال : قل أنت ما شئتَ .

---

(١) فى الأغانى : بها الدائر .

حارثة بن بدر[1]

هو حارثة بن بدر بن حُصين بن قَطن بن مالك بن غُدانةَ بن يربوع، وقيل: حارثة بن بدر بن مالك بن كلب بن غُدانة، ونسب بنى يربوع مذكور فى نسب جرير.

وأم حارثة امرأة من صُريم بن الحارث يقال لها الصدوف بنت الصدىّ.

مرّ عمرو بن الأهتم بحارثة بن بدر والأحنف بن قيس وزيد بن حُلَيَّة[2]، فسلّم عليهم، ثم بقى مفكرا، فقالوا: مالك؟ فقال: ما فى الأرض ثلاثةٌ أعجب من آبائكم حيث جاءوا بكم من أمثال أمهاتكم. فضحكوا منه.

وأم الأحنف بن قيس الزافرية، واسمها حُبَّى، من باهلة. وأم زيد بن حلية عمرة بنت جُذام[3] من بنى الشُعيراء، وحارثة بن بدر من فرسان بنى تميم ووجوهها وساداتها.

وفى بنى غدانة يقول الفرزدق:

أَبَنِى غُدانَةَ إننى حَرَّرتكم ... ووهبتكم لعَطِيَّةَ بنِ جِمالِ

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم ... من بين أَلأم أَعين وسِبالِ

وكان عطية استوهب منه أعراضهم لِصهرٍ بينه وبينهم، وكان عطية سيّدا من سادات بنى تميم، فلما سمع عطيةُ هذا الشعر قال: والله لقد امتَنّ علىَّ أبو فِراس بهذه الهبة، وما تَممها حتى ارتجعها، وواصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم.

---

(١) الأغانى: دار الثقافة المجلد ٢٣ آخر المجلد. الجزء الواحد والعشرون ص ٢٠ طبع أوربا وهو مما سقط من طبعة بولاق، وفى طبعة الساسى الجزء ٢١ ص ١٣.

(٢) فى الأغانى: جبلة.

(٣) فى الأغانى: حذلم.

وكان عطية جوادا ، وفيه يقول جرير :

إنَّ الجواد على المواطن كلّها ‏ وابنَ الجواد عطيّة بنُ جِعالِ

يهبُ النجائب لا يملُّ عطاءها ‏ والمُقْرَبَات كأنهنّ سَعالى[١]

وربما أن يكون قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فى حال صباه وحداثته[٢].

كان زياد مكرما لحارثة بن بدر ، قابلا لرأيه، محتملا لما يعمله من تناوله الشراب، فلما ولى عبيدُ الله بن زياد أخَّر حارثة بعض التأخر، فعاتبه على ذلك ، فقال له عبيدالله: إنك تتناول الشراب ، فقال له: قد كان أبوك يعلم ذلك منى ، وهو يقربنى ويكرمنى ، فقال له : إن أبى كان لا يخاف من القالة فى تقريبك ما أخاف . وإن اللسان إلىّ فيك أسرع منه إلى أبى . فقال حارثة :

وكم من أميرٍ قد تجبَّرَ بعدما ‏ مَرَيْت له الدنيا بسيفى فدَرَّتِ[٣]

إذا ماهى احلولت نفَى حَقَّ مَقْسمى ‏ ويَقْسم لى منها إذا ما أَمَرَّت

إذا زَبنته عن فُواقٍ يُريده ‏ دُعيتُ ولا أُدْعَى إذا ما أقرَّت

وشاوره عبيد الله بن زياد فى أمر فقال :

أُهان وأقصى ثم تنتصحوننى ‏ ومن ذا الذى يعطى نصيحته قَسْرَا

رأيت أكفَّ المصلتين عليكُم ‏ مِلاءً وكفِّى من عطاياكُم صِفرا

متى تسألونى ما علىَّ وتمنعوا ‏ الذى لِىَ لاأَسْطِعْ على ذلكمْ صَبْرَا

وحوَّل زياد دعوة حارثة وديوانه فى قريش ، لمكانه منه . فقال فيه رجل من بنى كلب يهجوه:

---

(١) المقربات من الخيل : التى ضمرت للركوب . والإبل المقربة: التى حزمت للركوب أو التى عليها رحال مقربة بالأدم وهى مراكب الملوك . وأنكر المعنى الثانى للإبل .

(٢) ذكر فى الإصابة فى القسم الثالث من حرف الحاء وأشار المؤلف إلى أبى الفرج الإصفهانى

(٣) مرى الناقة يمريها : مسح ضرعها لتدر .

شهدتُ بأن حارثةَ بن بــدرٍ ... غُــدَانِيٌّ اللهازمِ والـكَلامِ
سَجَاحِ فى كتاب الله أَدنى ... له من نوفــل وبنى هِشام

يَعنى سَجاحِ التى ادَّعت النبوة ، وهى امرأة من بنى تميم .

عاقب الأحنفُ بنُ قيس حارثةَ بنَ بدر على معاقرة الشراب وقال له : قــد فضحتَ نفسك وأسقطت قدرك . وأوجعه عتابا . فقال له : إنى سأُعتبك فأَمْسِك[١] ، وانصرف الأحنف طامعا فى صلاحه ، فلما أمسى راح إليه فقال له : اسمع يا أبا بحر ما قلت : قال : هاتِ ، فأنشده :

يذمّ أبو بحــر أموراً أُريدها ... ويكرهها للأَرْيَحِيِّ المُسَوَّدِ
فإن تــك عيَّاباً فقل ما تريــده ... ودعْ عنك شُرْبى لستُ فيها بأوْحدِ
سأشربها صهباءَ كالمِسك ريحُهــا ... أُسَرُّ بهــا فى كلّ نادٍ ومشهد[٢]
فَنَفْسَك فانصحْ ياابنقيس وخلِّنى ... ورأْيِى فــا رأْيِى إذاً بمُفَنَّدِ[٣]
وقائلةٌ يا حارِ هــل أنت مُمسك ... عليك من التبذير قلت لها اقصِدِى
ولا تأمرينى بالسَّــداد فإننى ... رأيتُ الـكثيرَ المـالِ غيرَ مُخلَّدِ
ولا عيب لى غير اُصطباحىَ قهوةً ... مَتى يَمتزجْها المرءفىالـكأسِ تُزْبِدِ
معتقّة صهباء كالمسك ريحُهــــا ... إذا هى فاحت أَذْهَبَتْ غُلَّةَ الصَّدِى
ألَا إنما الرُّشدُ المُبينُ طريقــه ... خِلافالذىقد قلتإذ أنتمُرشدى
سأشربها ما حــجّ لله راكبٌ ... مُجاهَرَةً وحدى وفى كلِّ مَشهدِ[٤]
وأُسعِد نــدْمانى وأَتبعُ شهوتى ... وأبذُل عفواً كلَّ ما ملـكتْ يدى

---

(١) كلمة « فأمسك » توجد فى بعض نسخ الأغانى فقط .

(٢) فى الأغانى : وأشربها فى كل ناد.

(٣) فى بعض مخطوطات الأغانى : برأى مفند .

(٤) فى بعض مخطوطات الأغانى : مجاهدة وحدى ومع كل مسعد .

كذا العيشُ لا عيشُ ابنِ قيسٍ وصَحْبِـهِ
من الشُّربِ للمـاء القَراحِ المُـبَرَّدِ

فقال له الأحنف : حسبك فإنى أراك غير مُقلع عن غيـِّك ، ولن أعاتبك بعدها أبدا .

شرب حارثة بن بدر مع بنى زياد ليلة إلى الصبح ، فأكثر وصَرَّف ، فلما غدا على زياد كان وجهه شديد الحمرة ، ففطن له زياد فقال : مالك ياحارثة ؟ قال : أكلت البارحة رُمَّانا فأكثرت . قال: قد عرفتُ ومع من أكلته ، ولـكنهم قشروه وأكلته بقشره فأصارك إلى ما أرى .

كان حارثة بن بدر يجالس مالك بن مِسْمَع ، فإذا جاء وقتُ يشربُ قام ، فأراد مالك أن يعلم من حضر أنه قام للشرب ، فقال له : إلى أين تمضى يا أبا العنبس ؟ قال : أجىء بعبَّاد بن الُحصين يفقأ عينك الأخرى . وكان عبادٌ فقأ عين مالك بن مِسْمَع يوم المِرْبَد .

كان حارثة بن بدر قد نُدِب لقتال الأذارقة بدُولاب، فلما لقيهم واشتدت الحرب بينهم قال لأصحابه :

كَرْنِبُـوا ودَوْلِبوا[١] وحيث شئتم فاذهبـوا

ثم انهزموا ، فهجاه غوثُ بن الُحباب :

أحارِبنَ بدرٍ دونَك الـكأسَ إنها بمثلِك أولَى من قِراع الـكتائبِ
عليك بها صهباءَ كالمِسك ريحُها يظلُّ أخوها للِعدَا غـيرَ هائبِ
ودعْ عنك أقواما وَلِيتَ قِتالَهم فلستَ صَبوراً عند وقْـع القواضِبِ[٢]

(١) انظر معجم البلدان كرنبا وبهامش مخطوط كوبرلى قوله : كرنبوا : خذوا طريق كرنبا ودولبوا: خذوا طريق دولاب .
(٢) فى الأغانى بينه وبين تاليه ثلاثة أبيات .

ودعْ عنك أبناء الحروبِ وشَدَّهم إذا خَطَروا مثل الجمال المَصاعِبِ

كانت فى بنى تميم حَمَالتان ، فاجتمعوا فى مقبرة بنى شيبان ، فقال لهم الأحنف ابن قيس : لا تَعجلوا حتى يَحضر سيّدُكم ، قالوا : ومن سيّدُنا غيرك ؟ قال : حارثة ابن بدر . قال : وقدم حارثة من الأهواز بمال كثير ، فبلغه ما قال الأحنف ، فقال : أغْرَمنيها واللهِ ابنُ الزافرية ، ثم أتاهم كأنه لم يعلم فِيمَ اجتمعوا ، فقال : فيم اجتمعتم ؟ فأخبروه ، فقال : لا تَلْقَوْا فيهما أحداً فهما عَلَيَّ ، ثم أتى منزله فقال :

خَلَت الديارُ فسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ ومن البلاءِ تفرُّدى بالسُّودَدِ

اجتمع أصحاب الحديث على سفيان بن عيينة فازدحموا ، فقال : لهممت ألَّا أحدثكم شهرا ، فقام إليه شاب من أهل العراق فقال : يا أبا محمد أَلِنْ جانبك وحَسِّن قولك وتأسّ بصالحى سلفك ، وأجمِلْ مجالسة جلسائك ، فقد أصبحت بقية الناس ، وأمينا لله ولرسوله على العلم ، والله إن الرجل ليريد الحج فتتعاظمه مشقّته حتى يكاد أن يقيم ، فيكون لقاؤه إياك وطمعه فيك من أكثر ما يحركه عليه . قال : فخضع سفيان وتواضع ، ورَقّ وبكى ، ثم تمثل بقول حارثة بن بدر :

خلت الديارُ فسدْتُ غير مسوَّدِ ومن البلاءِ تفرُّدى بالسودَدِ

ثم حدثهم بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا .

اجتاز حارثة بن بدر بمجلس من مجالس قومه ومعه كعب مولاه ، فكلَّما اجتاز بقوم قالوا له : مرحبا بسيدنا . وقاموا له ، فقال كعب : ماسمعت كلاما قطّ أقرّ لعينى ولا أكفَّ لسمعى من هذا الكلام . فقال حارثة : لكنى لم أسمع كلاما قطّ أكرَهَ لنفسى وأبغضَ مما سمعته اليوم ، قال : ولم ؟ قال : ويحك يا كعب ، إنما سوَّدَنى قومى حين ذهب خيارُهم وأماثِلُهم ، فاحفظ عنى هذا البيت :

خَلت الديارُ فسُدْتُ غير مُسوَّدِ ومن البلاءِ تفرُّدى بالسودَدِ

كان حارثة بن بدر الغدانى يسعى فى الأرض فسادا فهَدَر أميرُ المؤمنين علىٌّ بن

أبى طالب رضى الله عنه دَمَه ، فهرب واستجار بالناس فلم يجره أحد ، فقيل له : عليك بسعيد بن قيس الهَمْدانى فلعله أن يُجيرك . فطلب سعيدا فلم يجده ، فجلس فى طلبه حتى جاء ، وأخذ بلجامه وقال : أجرنى أجارك الله . قال : ويحك مالك ؟ قال : هَدر أميرُ المؤمنين دمى . قال : وفيم ؟ قال : سعيت فى الأرض فسادا . قال : ومن أنت ؟ قال : حارثة بن بدر الغُدانى . قال : أَقِمْ . وانصرف إلى أمير المؤمنين[1] فوجده قائما على المنبر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا ؟ قال : أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفَوا من الأرض . قال : يا أمير المؤمنين إلا من تاب . قال : إلا من تاب قال : فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائبا وقد أجرته . قال : أنت رجل من المسلمين وقد أجرناه . ثم قال أميرُ المؤمنين وهو على المنبر : أيها الناس ، إنى كنت قد هَدرتُ دَم حارثة بن بدر ، فمن لقيه فلا يَعرِض له . فانصرف إليه سعيد فعرَّفه وكساه وحَمَله وأجاره[2] . فقال فيه حارثة بن بدر :

أساغَ فى الحلق رِيقا كُنتُ أَجْرَضُه ... وأظهر الله سِرّى بعد كِتمانى[3]
إنى تداركنى عفٌّ شمائله ... آباؤه حين تنمى خيرُ قحطانِ
تنميه قيسٌ وزيدٌ والفتى مَرِثٌ[4] ... وذُو جبائرَ من أولادِ عُثمانِ
وذو رُعَينٍ وسيفٌ ابنُ ذى يَزَنٍ ... وعَلْقم قبلَهم أعنى ابنَ قِيقانِ[5]

---

(١) فى أصول المختار : « إلى أمير المؤمنين به » .
(٢) فى الأغانى : وأجازه بجائزة سنية .
(٣) جرض بريقه يجرض : ابتلعه على هم وحزن .
(٤) فى بعض مخطوطات الأغانى : والفتى كرب .
(٥) فى بعض مخطوطات الأغانى : أعنى ابن بنهان .

اللهُ يجزى سعيدَ الخير نافلةً ... أعنى سعَيد بنَ قيس ٍقَرْمَ همدانِ
أنقذنى مِن شفا غبراءَ مُظلمةٍ ... لولا شفاعته أُلبِستُ أكفانى
قالت تميمُ بنُ مُرٍّ لا نُخاطبه ... وقد أبتْ ذلكمْ قيسُ بنُ عَيلانِ

فلما أراد الانصراف إلى البصرة شيَّعه سعيد بن قيس إلى نهر البصرة فى ألف راكب، وحمله وجهَّزه، فقال حارثة يمدحه :

لقد سُرِرْتُ غداةَ النهر إذ بَرزتْ ... أشياخُ همدانَ فيها المجدُ والخيرُ
يقودهم مَلكٌ جَزْلٌ مواهبُه ... وارِى الزنادِ لدى الخيرات مَذكورُ
أعنى سعيدَ بن قيسٍ خيرَ ذى يَزنٍ ... نجلَ الكِرام لدى السلطان محْبور
ما إن يلين إذا ما سِيمَ مَنقصةً ... لكنْ له غضبٌ فيها وتَنْكيرُ
أغرّ أبلج يُستَسقَى الغمامُ به ... جنابه الدهرَ يُضحِى وهو ممْطور

لقى أنسُ بنُ زُنَيم الدُّئلى حارثةَ بنَ بدر، فقال له : ياحارثة، قد قلت لك أبياتا فاسمعها، قال : هاتها، فأنشده :

أخِى متى أنت ابنَ بدرٍ مُخيِّمٌ ... وصحبُك يحْسون الحليبَ من الكَرْمِ
فإن كان شرًّا فَالْهُ عنه فإنه ... لغيرك من أهل التخمُّطِ والظُّلْمِ (١)
وإن كان غُنْما يا ابن بدر فقد أرى ... سَلِمت من الإكثار من ذلك الغُنْمِ (٢)
وإن كنت ذا علم بما فى احتسائها ... فما لك تأتى ما يَشينك عن عِلْمْ (٣)
تَقِ اللهَ واقبلْ يا ابن بدرٍ نصيحتى ... ودَعْها لمن أمسى بعيدا عن الحزم
فلو أنها كانت شرابًا مُحلَّلا ... وقلتَ لِىَ اترُكْها لأَوْضعت فى الحِلْمْ (٤)

(١) التخمط : التكبر .
(٢) فى بعض مخطوطات الأغانى : سئمت .
(٣) فى بعض مخطوطات الأغانى : بها واحتسابها .
(٤) فى الأغانى : فى الحكم وأوضع : أسرع .

وأيقنت إن الحِـلم ما قلتَ فانتفعْ بقولى ولا تجعل كلامى من الُجرْمِ
فربَّ نصيحِ القولِ رُدَّ انتصاحُه عليه بـلا ذنبٍ وعُوجِلَ بالشتمِ

فقال حارثة : لقد قلتَ فأحسنت ، ونصحت فبالغت ، جُزيت الخير . فلما رجع حارثة إلى منزله أتاه ندماؤه فقالوا : ما أراد إلا تبكيتك . فقال : وأنا واللهِ أرى ذلك . ثم قال حارثة لأنس بن زنيم :

تَعيبُ علىَّ الراحَ مَن لو يذوقُها لُجنَّ بها حتى يُغيَّبَ فى القَبْرِ
فَعِبها أو امدحهـا فإنا نُحبُّها صُرَاحاً كما أغراكَ ربُّك بالهُجْرِ
علام تـذمُّ الراحَ والراحُ كاسمها تُرِيح الفتى من هَمِّـه آخرَ الدهرِ
فلُمْنى فإن اللـوم فيها يَزيدنى غراماً بها إن الملامة قـد تُغْرِى
وباللهِ أُولِى صـادقا لو شربتَهـا لأقصرتَ عن عَذلى وملتَ إلى عُذرى
فإن شئت جرِّبها وذُقْهَا عتيقةً لها أَرَجٌ كالمسك محمودةَ الُخبْرِ
فإن أنت لم تخلع عِذاركَ والْحيَا فقلْ لى لحاكَ اللهُ من عاجزٍ غُمْرِ (١)
وقبلَك ما قد لامنى فى اصطباحها وإدمانها بَدْرٌ فأعرضت عن بَدْرِ (٢)
وحاسيتُها قـوما كأن وجـوهَهم دنانيرُ فى اللَّأْواءِ والزمنِ النُّـكرِ (٣)
فدَعْنى من التعذال فيهـا فإننى خُلِقت أبِيًّا لا ألين على القَسْرِ
أجود وأُعطى المُنْفِساتِ تبرُّعا (٤) وأُغلى بها عنـد اليَسارة والعُسْرِ
وأشربها حـتى أخرَّ مُجـدَّلا معتقةً صهبـاءَ طيِّبـةَ النَّشْرِ
ولولا النُّهَى لم أَصحُ ما عشتُ ساعةً ولـكننى نَهنهتُ نفسى عن الهُجْرِ

---

(١) فى الأغانى : « عذارك فالحنى » والغمر : من لم يجرب الأمور .
(٢) فى بعض مخطوطات الأغانى : وفى شربها بدر.
(٣) اللأواء : الشدة والمحنة .
(٤) أنفس الشيء : كان نفيسا .

وقصَّرت عنها بعد طولِ لجاجةٍ   وحبي لها في سر أمري وفي الجَهرِ
وحقَّ لمثلي أن يكُفَّ عن الخنا   ويُقصِرَ عن بعض الغَوايةِ والسُّكْرِ (١)

كان أنس صديقا لعُبيد الله بن زياد، فرأى منه جفوة وأَثَرةً لحارثة بن بدر، فكان يكتب إلى عبيد الله بن زياد بالشعر، ويأمر عُبيدُ الله بنُ زياد حارثةَ بنَ بدر بأن يجيبه فجرت بينهما مكاتبات، ومن جملتها قال أنس بن زُنيم لعُبيد الله بن زياد:

سَلْ أميري ما الذي غَيَّرَهُ   عن وصالي اليوم حتى وَزَعَهْ (٢)
لا تُهِنِّي بعد إكرامك لي   فشديدٌ عادةٌ مُنتَزَعَهْ
لا يَكُنْ وعدُك بَرْقاً خُلَّباً   إنّ خيرَ البرقِ ما الغيثُ مَعَهْ

استعمل زياد حارثة بن بدر على سَابور (٣) فغاب عنه أشهرا، ثم قدم فدخل عليه، فقال له: ما جاء بك ولم أكتب إليك؟ قال: استنظفتُ خراجَك وجئتك به، وليس لي بها عمل، فما مقامي؟ قال: أو بذلك أمرتك! ارجع فارددْ عليهم الخراج، وخذه منهم نجوما، حتى تنقضي السنة وقد فرغت من خراجك، فإنه أرفق بك وبالرعيّة، واحذر أن تحملهم على بيع غَلّاتهم ولا مواشيهم ولا التغيُّر عليها (٤) فرجع فرد عليهم الخراج، وأقام يستخرجه منهم نجوما حتى مضت السنة.

وقال الأحنف بن قيس: ما غبت عن أمر قط فحضره حارثةُ بن بدر إلا وثقت بإحكامه إياه وجودة عقده له. وكان حارثة بن بدر من الدهاة. وكان يصيب من الشراب وكان حَظِيًّا عند زياد، فعوتب زياد على رأيه فيه فقال: أتلومونني على

(١) في بعض مخطوطات الأغاني. والنكر.
(٢) في الأغاني: حتى ودعه.
(٣) في بعض المخطوطات: نيسابور.
(٤) في بعض مخطوطات الأغاني: ولا التعنيف عليهم.

حارثة ؟ فوالله ما تفل فى مجلسى قطُّ ولا حكَّ ركابُه ركابى ، ولا سار معى فى عُلاوة الريح[1] فغبَّر علىَّ ، ولا دعوته قط فاحتجت إلى تجشُّم الالتفات إليه حتى يُوازينى ، ولا شاورته فى شىء إلا نصحنى ، ولا سألته عن شىء من أمور العرب وأخبارها إلا وجدته به بصيرا .

اجتمع حارثة بن بدر والأحنف بن قيس عند عبيد الله بن زياد مع غيرهم ، فقال عبيد الله : ياحارثة ، أى الشراب أطيب ؟ قال : بُرَّة طَيْسَارِيَّة ، بأقطة غَنَوِيَّة[2] ، بسمنة عربية ، بسكرة سُوسِيّة . فتبسم عبيد الله ثم قال للأحنف : يا أبا بحر ، أى الشراب أطيب ؟ قال : الخمر ، فقال له عبيد الله : ومايدريك ولست من أهلها ؟ قال: رأيت من يستحلّها لا يَعدوها إلى غيرها ، ومن يحرّمها يتأوّل فيها حتى يشربها .

ذُكِر حلم الأحنف بن قيس عند عبيد الله بن زياد وعنده حارثة بن بدر فنفِس عليه حارثة وقال : أيها الأمير ، وما حِلْم من لا قدرةَ له ولا يَملك لعدوّه ضرًّا ولا لصديقه نفعا ؟ وإنما يتكلف الدخول فيما لا يعنيه . فبلغ ذلك الأحنفَ فقال . أَهِونْ بحارثةَ وبكلامِه ، وماحارثة ومامقداره ؟ أليس هو الذى يقول قبح الله رأيه:

إذا ما شربتُ الراحُ أبدتْ مكارمى ... وجُدت بما حازت يدَاىَ من الوَفْرِ
وإن سبَّنى جَهْلًا نديمى لم أَزِدْ ... على اشْرَبْ سَقاكَ اللهُ طيِّبَةَ النَّشْرِ
أرى ذاكَ حقًّا واجبًا لمنادمى ... إذا قال لى غَيْرَ الجميلِ من السُكْرِ

لما أشرف حارثة بن بدر على الموت دخل عليه قومه فقالوا : هل لك من حاجة أو شىء تريد ؟ قال : نعم ، اكسروا رِجْل كعب مولاى لئلا يخرج[3] من عندى فإنه يُؤْنسنى ، ففعلوا ذلك وأنشأ يقول :

---

(١) علاوة الريح الجهة التى تهب منها .

(٢) فى الأغانى عنزية .

(٣) فى بعض مخطوطات الأغانى : لئلا يبرح .

يا كعبُ صبراً ولا تجزعْ على أحَدٍ ... يا كعبُ لم يَبقَ منَّا غيرُ أجسادِ
يا كعب ماراح من قومٍ ولاابتَكَرُوا ... إلَّا وللموتِ فى آثارهم حادِى
يا كعب ما طلعتْ شمس ولا غربتْ ... إلَّا تُقرِّب آجالًا لميعادِ
يا كعبُ كم من حِمَى قومٍ نزلت به ... على صواعقَ من زَجْرٍ وإيعادِ
فإن لقيتَ بوادٍ حَيَّةً ذَكَراً ... فاذهبْ ودَعْنى أُمارِسْ حَيَّة الوادِى

قال زِياد يوما لحارثة : من أخطب ؟ أنا أو أنت . فقال : الأمير أخطب منى إذا توعّد ووعد ، وأعطى ومنع ، وأبرق وأرعد ، وأنا أخطب فى الوِفادة والثناء والتخيّر(١) وأنا أكذب إذا خطبت فأحشو كلامى بزيادات مليحة شهيّة ، والأمير يَقصد إلى الحق وميزان العدل فلا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص مثلها . فقال له زياد : قاتلك الله ، فلقد أجدْت ملخَّص(٢) صفتك وصفتى من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلها وأرضيتنى وتخلّصت . ثم التفت إلى أولاده فقال : هذا لعمركم البيان الصريح .

دخل حارثة بن بدر على عبيد الله بن زياد وبوجهه أثر ، فقال : ما هذا يا حارِ ؟ قال : ركبت الأشقر فصرعنى . فقال : لو ركبت الأشهب(٣) لكان أوطأ وأسلم .

---

(١) فى بعض مخطوطات الأغانى : والتحبير
(٢) فى بعض مخطوطات الأغانى : تخليص
(٣) الأشهب : يراد به الماء أو اللبن .

الحسين بن عبد الله(1)

هو الحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، كنيته أبو عبد الله ، من فتيان بنى هاشم وظرفائهم وشعرائهم . رَوى الحديث . وروى عنه .

فما رواه أنه حدث عن عكرمة عن ابن عباس قال : مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على حسان بن ثابت وهو فى ظلّ فارعٍ(2) وحوله أصحابه ، وجاريته شيرين تغنيه بِمِزْهرها :

هــل عــلىَّ ويحــكما   إن لهوت من حَــرْجْ

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال : لا حرج إن شاء الله تعالى:

وله شعر صالح ، وزوجته عابدة أخت عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو ابن العاص ، وكان يشبب بها ، وكان زواجه لها سببا لردّ أموال بنى عمرو بن العاص عليهم فى دولة بنى العباس .

وكانت أم عابدة عَمّة الحسين بن عبد الله ، أمهما عَمْرة بن عُبيد الله بن العباس تزوجها شُعيب فولدت له محمدا وشُعَيبا ابنىْ شُعيب ، وعابدة ، وكان يقال لها عابدة الحسن وعابدة الحسناء وبسببها رُدّت على ابن عمرو بن العاص أموالهم فى دولة بنى العباس(3) وكان هو قد خطب عابدة ، وخطبها بكّار بن عبد الملك ، فامتنعت

---

(1) الأغانى : دار الكتب ١٢ /٦٦ وانظر ٦٥ ودار الثقافة ١٢/٦٠ وانظر ٥٩ وبولاق ١٠ /١٦٨ والساسى ١٠/١٦٠ والتجريد ١٣٦٤ .

(2) فارع: حصن كان لحسان .

(3) هذا النص بهامش مخطوط كوبرلى .

على بكّار وتزوجت الحسين ، فقال له بكار : كيف اختارتك[1] عابدة مع فقرك ؟ فقال له الحسين : أتعيِّرنا بالفقر وقد نَحَلناَ اللهُ عز وجل الكوثرَ ؟

وكانت أم الحسين أم ولد .

وكان مالك بن أبى السَّمْح الطائىُّ صديقا للحسين بن عبد الله ونديما له ويغنى فى أشعاره ، وله يقول الحسين :

لا عيش إلَّا بمالك بن أبى السَّمْـ ـــح فلا تَلْحَــيْن ولا تَلُمِ
أبيض كالسيف أو كما يَلمع الـ ـــبارق فى حِنــدس الظُّلَمِ
يُصيب من لذَّة الكريم ولا يهتك حقّ الإسلام والحُرَمِ
يا رُبَّ ليل مَضَى كحاشيةِ الـ ـبُرْد ويومٍ كذاك لم يَدُمِ
لهوت فيه ومالك بن أبى السمـ ـح الكريم الأخلاق والشِّيَمِ
من ليس يَعْصِيك إن رَشَدْتَ ولا يَجهل آىَ الترخيص فى اللَّمَمِ

فقال له مالك : ولا إن غَوَيْتَ أيضا واللهِ بأبى أنت وأمى أعصيك . وغنّى مالك بهذه الأبيات بحضرة الوليد فقال : أخطأ حسين فى صفتك ، إنما كان ينبغى أن يقول :

أحول كالقِرْد أو كما يخرج السـ ـارق فى حالكٍ من الظُّلَمِ

---

(١) فى الأغانى : تزوجتك .

حرملة أبو زُبيد الطائى(١)

هو حَرملة بن المُنذر بن مَعْدى كرب بن حَنظلة بن النُّعمان بن حَيَّة بن سَعْنة ابن الغوث بن الحارث(٢) بن ربيعة بن مالك بن سكر بن منى بن عمرو بن الغوث ابن طيء بن أُدَد بن زيد بن يَشجُب بن [عريب بن زيد بن](٣) كهلان بن يعرب بن قحطان، كان نصرانيا مات على دينه، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين وهم العُجير السَّلولى وذَوُوه(٤). [وكان أبو زبيد أعور أفْوَه آدم طويلا](٥) كان طوله ثلاثة عشر شبرا [وكان من أحسن الناس وأجملهم](٥). وكان من زُوَّار الملوك وخاصة ملوك الفرس(٦)، وكان عالما بسيرتهم [وهو أحد المعمَّرين، ذُكِر أنه عُمِّر مائة وخمسين سنة](٥) وكان عثمان بن عفان يُقرِّبه ويدنى مجلسه [فحضر ذات يوم وعنده المهاجرون والأنصار](٧)، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها، فالتفت عثمان إلى أبى زُبيد فقال: يا أخا تُبَّع المسيح أسمِعْنا بعض قولك فى الأسد فقد أُنبئنا أنك تجيده. فأنشده قصيدته التى أولها:

من مُبلغٌ قَومنا النائين إذ شَحَطُوا ... أن الفؤاد إليهم شَيِّقٌ وَلِعُ

---

(١) الأغانى: دار الكتب ١٢/١٢٧ وانظر ١٢٥ ودار الثقافة ١٢/١١٨ وانظر ١١٦ وبولاق ١١/٢٤ والساسى ١١/٢٣ والتجريد ١٣٨٣.

(٢) فى الأغانى: بن سعنة بن الحارث.

(٣) زيادة من الأغانى.

(٤) دووه هم عبد الله بن همام السلولى ونافع بن لقيط الأسدى.

(٥) ما بين معقوفين ليس فى الأغانى

(٦) فى الأغانى: العجم.

(٧) ما بين معقوفين زاده محققو الأغانى عن ابن سلام وهو موجود فى مختار الأغانى.

ووصف الأسد فقال له عثمان: بالله تفتأ تذكر الأسد ماحييت ، والله إنى لأحسبك جبانا هَرَّابا[1] قال : كلا يا أمير المؤمنين ، ولكنى رأيت منه منظرا ، وشهدت منه مشهدا ، لايبرح ، ذِكره يترَدَّدُ فى قلبى ، ومعذورٌ أنا غير ملوم ، فقال له عثمان : وأنَّى كان ذلك ؟ قال : خرجت فى صُيَّابةِ[2] أشرافٍ من أبناء العرب ، ذوى هيئة وشارة حسنة ، ترتمى بنا المَهارِى ونحن نريد الحارث بن أبى شَمِرٍ الغسَّانى ملك الشام فاخرَوَّط[3] بنا السير فى حَمَارَّة القيظ ، حتى إذا عصبت الأفواه[4] ، وذبلت الشفاه ، وشالت المياه[5] ، وأذكت الجوْزاء المُعْزَاءَ[6] وذاب الصَّيْهَد[7] وصَرَّ الجُنْدَب وأضاف العصفور الضبَّ فى وكره[8] ، وجاوره فى جُحْره ، قال قائل : أيها الركب غوِّروا بنا فى ضَوْحِ[9] هذا الوادى . وإذا وادٍ قد بَدَر[10] لنا كثير الدَّغَل[11] دائم الغَلَل[12] ، شَجْراؤُه مُغِنَّة ، وأطياره مُرِنَّة ، فحططنا رحلنا بأصول دوحات كَنَهْبَلات[13] فأصبنا من فضلات

---

(١) فى بعض الأغانى « هدانا » والهدان الأحمق الثقيل .

(٢) الصيابة : الأخيار والسادة .

(٣) اخروط : طال .

(٤) عصبت الأفواه : جفت .

(٥) شالت : قلت .

(٦) المعزاء : الأرض الصلبة .

(٧) الصيهد : السراب الجارى وشدة الحر . وفى المختار : الصحب « بدون نقط » .

(٨) كلمة فى وكره ليست فى الأغانى .

(٩) الضوح : المنعطف .

(١٠) فى الأغانى : بدا .

(١١) الدغل : الشجر الملتف .

(١٢) الغلل : الماء الذى يجرى بين الأشجار .

(١٣) الكنهبلات : الأشجار العظام.

الزاد ، وأتبعناها بالماء البارد ، فإنّا لَنَصِفُ حَرَّ يومنا ومُمَاطَلَتَه إذ صَرَّ أقصى الخيلِ بأُذُنيه ، وفحص الأرض بيــديه ، فوالله ما لبث أن جال ثم حَمْحَم فبال ، ثم فعل فعلَه الفرسُ الذى يليه واحدا فواحدا ، فتضعضعت الخيلُ وتكعكعت الإبل[1] وتقهقرت البغال ، فمن نافر بشِكاله ، وناهض بعقاله ، فعلمنا أن قد أُتينا وأنه السبعُ ، ففزع كل وحد منا إلى سيفــه فاستلّه من جُرُبّانه[2] ثم وقفنا رَزْدَقاً[3] ، فأقبل يتَظَالع من بَغْيِه[4] كأنه مجنوب[5] أو فى هِجار[6] ، لصدره أطيط ولبلاعيمه غَطيط[7] ، ولطَرْفه وميض ، ولأرساغه نَقيض[8] ، كأنما يَخْبِط هشيما ، أو يَطأ صَرِيما[9] . وإذا هامةٌ كالمِجَنّ ، وخَدٌّ كالمِسَنّ ، وعينانِ سَجْرَاوَانِ[10] ، كأنهما سِراجانِ وقَصَرَةٌ رَبلَةٌ[11] ، ولِهزِمُة رَهِلَةٌ[12] ، وكَتَدٌ مُغْبَط[13] ، وَزَوْرٌ مُفرِط ، وساعد مَجدول ، وعَضد مفتول ،

---

(١) تكعكعت : تأخرت إلى الوراء .

(٢) الجربان : الغمد .

(٣) الرزدق : الصف من الناس . وفى المختار : زردقاً .

(٤) الكلمة غير منقوطة فى المختار . وفى الأغانى : « من نعته » وذكر أنها كذا فى الأصول

(٥) المجنوب . المصاب بذات الجنب .

(٦) الهجار : حبل يشد فى رسغ رجل البعير .

(٧) فى الأغانى: نحيط.

(٨) النقيض : الصوت .

(٩) الصريم : الحب المقطوع من الزرع .

(١٠) العين السجراء : التى يخالط بياضها حمرة .

(١١) القصرة : أصل العنق. والربلة: كل لحمة غليظة.

(١٢) اللهزمة : عظم ناتئ أو مضغة تحت الأذن . ورهلة : منتفخة .

(١٣) الكتد : ما بين الكاهل إلى الظهر . والمغبط : المرتفع .

وكفٌّ شَثْنَةُ البراثن[١] ، إلى مخالب كالمَحَاجِن ، فضرب بِذَنبِه فأَرْهَج[٢] ، وكشَّر فأفرج عن أنيابٍ كالمعَاوِل ، وفم أَشْدَق كالغَارِ الأَخْرَق . ثم تمطَّى فأسرع بيديه ، وحَفَز ورِكَيْهِ برجْليه حتى صار ظِلُّه مثْلَيه ، ثم أَقعى فاقشعرَّ ، ومَثَل فاكْفهرّ ، ثم تَجَهَّم فازبَأَرّ[٣] ، فلا وَذُو بَيْته[٤] فى السماء ما اتقيناه إلَّا بأخ لنا من فَزَارة ، كان ضَخْم الجُزَارة[٥] . فوقصه[٦] ثم نَفَضه نَفضةً قَضْقَضَ مَتْنَيه[٧] وجعل يلغ فى دمه ، فَذَمَرْتُ[٨] أصحابى ، فبعد لأْيٍ ما استقدموا فهَجْهَجْنَاه[٩] ، فكرّ مُقْشَعِرًّا يزْأَر[١٠] كأن به شَيْهماً[١١] حَوْلِيًّا ، فاختلَج رجلا أَعجَرَ ذَا حَوَايا ، فنفضه نفضة ، فتزايلَت مفاصلهُ ثم نَهَم فقرقر[١٢] ثم زفر وَبَرْبَر[١٣] ، ثم زأر وجَرْجَر[١٤] ، ثم لَحظ وكَرّر[١٥] ، فوالله لَخِلْتُ البَرق يتطاير من تحت جفُونه من عن يمينه وشماله ، فأُرعِدَت الأيدى واصطَكَّتِ الأرجل ،

---

(١) شثن البراثن : خشنها .

(٢) أرهج : أثار الغبار . وفى الأغانى : فضرب بيده فأرهج .

(٣) ازبأر : تنفش حتى ظهرت أصول وبر شعره .

(٤) ذو بيتة : الذى بيته .

(٥) الجزارة : الرأس واليدان والرجلان .

(٦) وقصه : دق عنقه .

(٧) قضقض متنيه : كسر ما يكتنف صلبه عن يمين وشمال من عصب ولحم .

(٨) ذمره : حضه . وفى المختار : ذمرت لأصحابى .

(٩) هجهجه : صاح به وزجره .

(١٠) فى الأغانى : مقشعرا بزبرته .

(١١) الشيهم : ذكر القنافذ .

(١٢) نهم : أخرج صوتا كالأنين . وقرقر : ردد الصوت . وفى الأغانى : فرفر .

(١٣) بربر : صاح .

(١٤) جرجر : ردد صوته فى حنجرته .

(١٥) كلمة « وكرر » ليست فى الأغانى .

وأطّت[1] الأضلاع ، وارتجت الأسماع ، وشخصت العيون ، وتحقّقت المَنون ، ولحقت الظهورُ بالبطون وانخزلت المُتون ، وساءت الظنون ، فقال عثمان : اسكُتْ قطع الله لسانك ، فقد أرعبت قلوبَ المسلمين عن لقاء عدوّهم .

ولأبى زبيد[2] فى وصفه الأسد :

عبوسٌ شَموسٌ مُصلَخِدٌ مكابدٌ[3] جَسورٌ على الأهوال للقرن قاهِـرُ
بَراثِنُه شَثْنٌ وَعيناه فى الدُّجَى كَجَمْرِ الغضا فى وجهه الشرُّ ظاهِرُ
يُدِلُّ بأنيابٍ حِدادٍ كأنهـا إذا قَلَّص الأشداقَ عَنها خَناجِرُ

قال عُمارة بن قابوس : لقيت أبا زُبيد الطائىّ فقلت له : يا أبا زُبيد ، هل رأيت النعمان بن المنذر ؟ فقال : إى والله لقد لقيته وهو جالس فجالسته ، فقلت : صِفْه. فقال: كان أزرق أحمر أبرش قصيرا . فقلت له : بالله أخبرنى أيسرُّك أنه سمع مقالتك هذه وأن لك حُمْرَ النَّعَم ؟ قال : لا والله ولا سُودها . ثم قال : رأيت حِمْيَر فى مُلكها وغسَّان فى مُلكها ، فما رأيت أحدا قطُّ أشدَّ عَرامةً منه . وكان ظَهْرُ الكوفةِ يُنْبِتُ الشّقائِق يُحمِىَ له ذلك المكانُ ، فقيل له شَقائِقُ النُّعمان . فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأنَّ على رُءوسنا الطيرُ . وكأنه بازٌ ، فقام رجلٌ من الناس فقال له : أَعطِنى فإنى محتاج فتأمّله طويلا ، ثم أَمَرَ به فأُدْنى حتى قعد بين يديه ، ثم دعا بكِنانة . فاستخرج منها مَشاقِصَ[5] فجعل يَجَأُ بها[6] فى وجهه حتى سمعنا قَرْعِ العظام ،

(١) أطت : صوتت .
(٢) هذا النص الشعرى لايوجد فى الأغانى فى ترجمة أبى زبيد .
(٣) المصلخد : المنتصب قائما . والشموس : الصعب الخلق .
(٤) فى الأغانى : عزا منه .
(٥) المشاقص نصال عريضة أو سهام فيها نصال عريضة .
(٦) يجأ : يضرب.

وخضَّب صَدْرَه ولحيته بالدم ، ثم أمَر به فَنحِّيَ ومَكَثنا مَلِيًّا . ثم نهض آخر فقال: أبيت اللعنَ أَعْطِني فتأمّله ثم قال : أَعْطُوه ألف درهم ، فأخذها وانطلق ثم التفت عن يمينه وشماله وخلفه وأمامه فقال : ما قولكم فى رَجل أزرق أحمر يُذْبَح على هذه الأَكمة ترون دَمَه سائلا حتى يَجرِى فى هذا الوادى ؟ فقلنا له : أبيت اللعنَ ، أنت أعلم برأيك. فدعا برجل على هذه الصفة فأمر به فذُبِح ثم قال: ألا تسألونى عما صنعتُ؟ فقلنا : ومن يسألك ـ أبيت اللعن ـ عن أمرك وما تصنع ؟ فقال : أما الأول فإنى خرجت مع أبى نتصيّد ، فمررت به وهو بفِناء داره ، وبين يديه عُسٌّ من شرابٍ أو لبن فتناولته لأشرب منه ، فثار إلىَّ فأراق الإناءَ فملأ وجهى وصدرى . فأعطيت الله عهدا لئن أمكننى منه يوما لأخضبنَّ لِحيته وصدره من دمِ وجهه ، وأما الآخر فكانت له عندى يدٌ فكافأته عليها ، وأما الذى ذبحته فإن عَينا لى بالشام كتب إلى أن جبلة بن الأيهم بعث إلىَّ برَجل من صِفته كيت وكيت ليغتالنى ، فطلبته أيَّاما فلم أظفر به حتى اليوم .

وكان إذا دخل مكة دخلها متنكرا ، لجماله .

فلما صار الوليد بن عُقبة إلى الرَّقة واعتزل عليًّا عليه السلام ومعاوية صار أبو زُبيد إليه وكان ينادمه ، وكان يُحْمَل فى كلِّ أحدٍ إلى البِيعة فيحضر مع النصارى ويشرب ، فبينا هو ذاتَ يوم أحدٍ والنصارى حوله رفع رأسه إلى السماء فنظر ، ثم رمى بالكأس من يده وقال :

إذا جعل المرء الذى كان حازما ... يُحَلُّ به حَلَّ الحوارِ ويُحْمَلُ (١)
فليس له فى العيش خيرٌ يريده ... وتكفينه مَيْتاً أعفُّ وأجْمَلُ

---

(١) الحوار : ولد الناقة .

ومات فدفن هناك على الْبَلِيخ[١] فلما حضرت الوليدَ بنَ عقبة الوفاةُ أوصى أن يُدفن إلى جنب أبى زُبيد .

وقيل إن الوليد بن عُقبة بن أبى مُعَيط لما احتُضِرَ أوصى لأبى زُبيد بما يُصلِحُه فى فِصْحه وأعياده : من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك ، فقال : أهلوه وبنوه لأبى زُبيد : قد علمت أنه لا يحلُّ لنا هذا فى ديننا ، وإنما فعله إكراماً لك وتعظيما لحقك . فقدِّر لنفسك ما شئت وقوِّم ماأوصى لك به حتى نُعطيك قيمته ، ولا تفضحْنا وتفضح أبانا بهذا ، واحفظه واحفظنا فيه . ففعل أبو زُبيد ذلك وقبله منهم .

(١) البليخ : نهر بالرقة .

حنظلة بن الشَّرقيّ(١)

هو أبو الطمحان حنظلة بن الشرقيّ أحد بنى القَين بن جَسْر بن شَيْع الله ، من قضاعة .

كان أبو الطمحان شاعرا فارسا غازيا صعلوكا خاربا(٢) . وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، خبيث الدين فيهما ، وكان تِرباً للزبير بن عبد المطلب فى الجاهلية ونديماً له .

خرج قَيْسَبةُ بن كلثوم السَّكونى ـ وكان ملكا ـ يريد الحج ، وكانت العرب تحج فى الجاهلية فلا يعرِض بعضها لبعض ، فمرَّ ببنى عامر بن عُقيل ، فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وألقوه فى القَيد(٣) ، فمكث فيه ثلاث سنين ، فشاع باليمن أن الجن استطارته(٤) ، فبينا هو فى يوم شديد البرد فى بيت عجوز منهم إذ قال لها : أتأذنين لى أن آتى هذه الأكمة فأشرف عليها(٥) فقد أضرَّ بى القرُّ . فقالت له : نعم . وكانت عليه جبة من حِبَرَة لم يترك عليه غيرها . فتمشّى فى أغلاله وقيوده حتى صَعِدَ الأكمة ، ثم أقبل فصوب ببصره نحو اليمن ، وتغشته عبرة فبكى ، ثم رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم ساكنَ السماء فَرِّج لى مما أصبحت فيه . فعرض له راكبٌ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٣/٣ وانظر ١٢/٣٤٧ ودار الثقافة ١٣/٣ وانظر ١٢/٣٤٧ وبولاق ١١/١٣٠ والساسى ١١/١٢٥ والتجريد ١٤٤٢ .

(٢) الخارب : سارق الإبل خاصة .

(٣) فى الأغانى : القد .

(٤) استطارته : ذهبت به .

(٥) فى الأغانى : فأتشرق عليها .

يَسيرُ ، فأشار إليه فأقبل الراكب فقال : ما حاجتُك يا هذا ؟ قال : أين تُرِيد ؟ قال : أريد اليمن . قال : ومن أنت ؟ قال : أبو الطَّمحَان القينيّ ، فاستعبر باكيا ، فقال له أبو الطمحان : من أنت ، فإنى أرى سِيما الخيرِ ولباسَ الملوك ، وأنت بدارٍ ليس فيها ملك ، قال له : أنا قيْسبةُ بن كلثوم السَّكونيّ ، خرجت عام كذا وكذا أريد الحج ، فوثب عليّ هذا الحيُّ فصنعوا بى ما ترى . وكشف عن أغلاله وقيوده . فاستعبر أبو الطمحان ، فقال له قَيْسبة : هل لك فى مائة ناقةٍ حمراء ؟ قال : ما أحوجنى إلى ذلك . قال : أَنِخْ ، فأناخ ، ثم قال : أمعك سِكّين ؟ قال : نعم ، قال : ارفَعْ عن رَحْلِك . فرفع له عن رحله حتى بدت خَشَبَةُ مُؤَخَّرِه . فكتب عليها قيْسبة بالمُسْنَد ـ وليس يكتب به غير أهل اليمن ـ :

بَلِّغا كِندةَ الملوكَ جميعاً ... حيث سارتْ بالأكرمين الجمالُ

أن رِدُوا العَيْنَ بالخَميس عِجالًا ... واصدُروا عنه والرَّوايا ثِقَالُ

هَزِئتْ جارتى وقالت عَجيبا ... إذ رأتنى فى جِيدِيَ الأغلالُ

إن ترَيْنى عارِيَ العِظام أسيرًا ... قد برانى تَضَعْضُعٌ واختِلالُ

فلقد أقدُم الكتيبةَ بالسيـ ... ـفِ علىَّ السلاحُ والسِّرْبَالُ

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبى الطمحان مائة ناقة . ثم قال : أَقرِئ هذا قومى فإنهم سيعطونك مائة ناقة . فخرج تَسيرُ به ناقتُه حتى أتى حَضْرَموت ، فتشاغل بما وَرَد له ونسى أَمْرَ قيْسبة ، حتى فرغ من حوائجه ، ثم سمع نسوة من عجائز الحىّ يتذاكرْن قيْسبة ويبكين ، فذكر أمره ، فأتى أخاه الجَوْنَ بن كُلْثوم فقال : يا هذا ، إنى أدلّك على قَيْسبة ، وقد جعل لى مائةَ ناقة . قال : فهى لك ، فكشف عن مُؤخرة الرحل . فلما قرأه الجَوْن أمر له بمائة ناقة ، ثم أتى قيسَ ابن معدى كرب الكنديَّ أبا الأشعث بن قيس ، وقال له : يا هذا ، إن أخى

فى بنى عُقَيل أسيرٌ ، فسِرْ معى بقومك ، فقال له : أتسير تحت لوائى حتى أطلب ثأرك وأُنْجدك وإلّا فامْضِ راشداً . فقال له الجَوْن : مَسُّ السماءِ أيسرُ من ذلك وأهونُ علىَّ مما جئتَ به(١) . فضجَّت السَّكُونُ ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له : وما عليك مِن هذا ؟ هو ابن عمك ويطلب ثأرك فأَنْعِمْ له بذلك ، وسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه ، وكندةُ والسكونُ معه ، فهو أول يوم اجتمعت فيه السكونُ وكندة لقيس ، وبه أدرك الشرف ، فسار حتى أوقع ببنى عامر بن عُقيل ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، واستنقذ قَيْسبة . وقال فى ذلك سَلَامةُ بن صُبَيح الكندىُّ .

لا تَشتمونا إذ جلَبْنا لكمْ ... ألفَىْ كُميتٍ كُلُّها سَلْهَبَهْ(٢)
نحنُ أَبَلْنَا الخيلَ فى أرضكمْ ... حتى ثأَرْنا منكم قَيْسَبَهْ
واعْتَرَضَتْ دُونَهُمْ مَذْحِجٌ(٣) ... فصادفوا من خَيلنا مَشْغَبَهْ(٤)

وقيل لأبى الطمحان القينى ، وكان فاسقا : ما أدنى ذُنوبك ؟ قال : ليلة الدَّيْر . قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت بِدَيْرانِيَّةٍ فأكلت طَفَيْشَلاً(٥) بلحم خِنزير ، وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كِساءها ثم انصرفت .

جنى أبو الطمحان جناية ، فطلبه السلطان ، فهرب من بلاده ولجأ إلى بنى فَزارة ، فنزل على رجل منهم يقال له مالك بن سعد ، أحد بنى شَمْخ ، فآواه وأجاره ، وضَرَب عليه بيتاً ، وخلطَه بنفسه ، فأقام مدّة ، ثم اشتاق إلى أهله وقد شَرِب شراباً وثَمِل منه ، فقال لمالك : لولا أن يَدِى تَقْصُر عن دِيَةِ جنايتى لعُدْتُ إلى أهلى .

---

(١) فى الأغانى : مما خيرته .

(٢) السلهبة : الطويلة من الخيل .

(٣) فى الأغانى : واعترضت من دونهم .

(٤) المشغبة : من الشغب، وهو الجلبة المؤدية إلى الشر .

(٥) الطفيشل . نوع من المرق .

فقال له : هذه إبلى فخُذْ منها دِيَة جِنايتك وازدَدْ ما شئت . فلما أصبح ندم على ما قاله ، وكَرِهَ مفارقةَ موضعه ولم يأمن على نفسه ، فأتى مالـكا فأنشده :

سأمدحُ مالـكا فى كلِّ رَكْبٍ لقيتُهُم وأترُكُ كُلَّ رَذْلِ
فما أنا والبِـكارةُ أو مَخاضٌ عِظامٌ جِلَّةٌ سُدُسٌ وبُزْلُ(١)
وقد عرفتْ كِلابُكُم ثيابى كأنى منكم ونَسيتُ أهلى
يَمينُك من بنى شَمْخٍ زِيادٌ(٢) لها ما شِئت من فَرْعٍ وأصل

فقال له مالكٌ : مرحبا فإنك حبيب ازداد حُبًّا إنما اشتقتَ إلى أهلك ، وذكرت أنك إنما يَحْبسك عنهم ما تطلب به من عَقْلٍ أو دية فبذلتُ لك ما بذلت وهو لك على كل حال ، فأقِم فى الرَّحْب والسعة . فلم يزل مقيما عنده حتى هلك فى دارهم .

وأبو الطمحان هو القائل فى بُجَير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائىّ ، وكان أسيرا فى يده فأطلقه وجزَّ ناصيته لما أسره بنو طيء فاشتراه بُجَير وأطلقه وجز ناصيته :

إذا قيل أىُّ النـاس خيرٌ قبيـلةً وأصبرُ يوماً لا تَوارَى كواكبُـهْ
فإن بنى لأم بن عمرو أرومةٌ عَلَتْ فوق صَعْبٍ لا تُنالُ مَراقبُهْ
أضاءتْ لهم أحسـابهم ووجوههم دُجَى الليلِ حتّى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُهْ(٣)

قال إسحاق : دخلت يوما على المأمون فوجدته حائرا مفـكرا غير نَشيط ، فحدثته بمُلَح الأحاديث وطُرَفها أستميله لأن يضحك وينبسط(٤) فلم يفعل ، فأنشدته بيتين خطرا لى وهما :

---

(١) فى البيت إقواء . هذا ، والبـكارة جمع بكر وهو الفتى من الإبل ، والجلة من الإبل مسانها والسدس من الإبل الذى دخل فى السنة الثامنة .

(٢) فى الأغانى : نمت بك من بنى شمخ .

(٣) الجزع : نوع من الخرز .

(٤) فى الأغانى : أو ينشط .

ألاَ عَلِّلاَنى قبل نَوْحِ النوائحِ   وقبل نُشُوزِ النفسِ بين الجوانحِ
وقبل غدٍ يا لهفَ نفسى على غدٍ   إذا راح أصحابى ولستُ برائحِ

فتنبه كالمتفزِّع ثم قال : من يقول هذا ويحك ؟ قلت : أبو الطمحان القينى يا أمير المؤمنين . قال : صدق واللهِ أعِدْها ، فأعدتُهما حتى حفظهما . ثم دعا بالطعام فأكل وبالشراب فشرب ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم .

عاتب عبدُ الملك بن مروان الحسنَ بنَ الحسن على شىء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إياه إلى الخروج معهم على عبد الملك فجعل يعتذر إليه ويحلف له ، فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ألا تقبل عُذْرَ ابن عمك وتزيل عن قلبك ما أَشْرَبْتَه إياه ؟ أما سمعت قول أبى الطمحان القينى :

إذا كان فى صدر ابن عمك إحْنَةٌ   فلا تَسْتَثِرْها سوف يبدو دَفِينُها
وإنْ حمأةَ المعروفِ أعطاك صَفْوَها   نُخذْ عَفْوهُ لا يَلْتَبِسْ بك طِينُها

لم يزل أبو الطمحان نازلا على الزُّبَير بن عبد المطلب، وكانت العَرب تَنْزِل عليه، واستأذن فى الرجوع إلى أهله ، وشكا إليه شَوْقه إليهم فلم يأذن له ، وسأله المُقام ، فأقام مدة ، ثم أتاه مادحا له بأبيات يتحنَّن فيها إلى أوطانه ويمدحه ، فأنشده إياها ، فأذن له بالانصراف ، فانصرف إلى أهله .

حاجزٌ الأزدِىُّ(1)

هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذُهل بن مالك ابن سَلامان بن مُفرِّج بن مالك بن زهران بن عوف بن مَيْدعان بن مالك بن نصْر(2) ابن الأزد ، حليف لبنى مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَىّ ، شاعر جاهلىّ مُقِلٌّ ، ليس من مشهورى الشعراء ، وهو أحد الصعاليك المُغِيرين على قبائل العرب ، يَعْدُو على رِجليه عَدْوًا يسبق به الخيل .

قال عوف بن الحارث(3) لابنه حاجز : يا بنى أخبرنى بأشدّ عَدْوِك . قال : نعم ، أفزعتنى خَثْعَم فنَزَوْتُ نَزَواتٍ ، ثم استفزّتنى الخيلُ واصطفّ لى ظَبيانِ ، فجعلت أَنْهَنِهُمَا عن الطريق بيدى لضيقه(4) ومنعانى أن أتجاوزهما فى العَدْوِ لضيق الطريق حتى اتّسع واتسعَتْ بنا فسبقتهما قال : فهل جاراك أحدٌ فى العَدْوِ ؟ قال : ما رأيت أحدا جَارانى إلا أُطَيْلسٌ أُغَيبرٌ من النُّقُوم ، فإنَّا عَدَوْنا معا فلم أقدر على سبقه . والنُّقُوم بَطْنٌ من الأزد من ولد فاقم ، واسمه عـامر بن حَوَالَةَ بن الهِنْو(5) من الأزد .

---

(1) الأغانى : دار الكتب ١٣/٢٠٩ وانظر ص ٢٠٨ ودار الثقافة ١٣/٢١١ وانظر ص ٢١٠ وبولاق ١٢/٤٩ والساسى ١٢/٤٧ والتجريد ١٥٠٣ هذا، وفى المختار « ك » الزاى بدون نقطة حاجر .

(2) فى المختار : « مضر » والتصويب من الأغانى .

(3) فى المختار : « حاجز » وهو تحريف .

(4) كلمة « لضيقه » ليست فى الأغانى ويبدو أنها زائدة هنا .

(5) فى ك : بن العنق .

أغار عوف بن الحارث على بنى هلال بن عامر بن صعصعة فى يوم داجٍ ، فقال لأصحابه : انزلوا حتى أعتبر لكم . فانطلق حتى أتى صِرْماً[1] من بنى هلال ، وقد عصب على يدِ فَرسه عِصابا ليطمعوا فيه ، فلما أشرف عليهم استرابوا به ، فركبوا فى طلبه ، فانهزم بين أيديهم وطمعوا فيه ، فهجَم بهم على أصحابه بنى سلامان ، فأُصِيب يومئذ بنو هلال ، وملأ القوم أيدَيهم من الغنائم ، فقال فى ذلك حاجزُ بن عوف من أبيات :

صَباحكِ فاسلمى عنى أُماما ... تَحيَّةَ وامِقٍ وعِمِى ظَلاماَ
بَرَهْرَهَة يَحارُ الطَّرْفُ فيها ... كَحُقَّةِ تاجرٍ شُدَّتْ خِتاماَ[2]
فإنْ تُمْسِ ابنةُ السهمىِّ عنا ... بعيدا لا تُكلِّمنا كَلاماَ[3]
سلى عنا إذا اغبرَّتْ جُمادى ... وكان طعامُ ضَيفِهمُ الثُّماما[4]
أبى رَبَع الفوارِسَ يوم داجٍ ... وعَمِّى مالكٌ وَضَع السِّهَاما[5]
ولولا صبرنا فى يوم داجٍ ... لَعضَّ نوائبَ الدَّهْرِ النظاما[6]

يعنى بقوله وضع السهاما أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر كان يأخذ من الأزد جميعهم إذا غنموا الرُّبع ، لأن الرياسة فى الأزد كانت لقومه ، وكان يقال لهم الغطاريف ، وهم أسكنوا الأزد بَلَدَ السَّرَاة ، وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ، ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم ، فغزتهم بنو فُقَيم بن عَدِىّ بن الدِّيل

---

(١) الصرم : الجماعة .
(٢) البرهرهة : البضة الغضة .
(٣) بعده فى الأغانى بيتان .
(٤) جمادى يراد بها الشتاء . والثمام نبت ضعيف .
(٥) ربعهم : أخذمنهم المرباع . وفى المختار وأصول الأغانى : عبر لكن الشرح يؤيد ربع .
(٦) البيت غير موجود فى الأغانى وبدله بيت آخر غيره .

ابن عبد مناة بن كنانة فظفرت بهم ، فاستغاثوا ببنى سَلَامان فأغاثوهم ، فهزموا بنى فُقَيم وأخذوا غنائمهم وسلبوهم ، فأراد الحارث أن يأخذ الربع كما كان يفعل ، فمنعه مالك بن ذُهل بن مالك بن سَلامان ، وهو عم أبى حاجزٍ وقال : « هيهات ، تُرِك الرُّبع غُدْوَةً » فذهبت مثلا ، فقال له الحارث : أتُراك يا مالك تقدر أن تسود ؟ فقال : هيهات ، الأزد أمنع من ذلك ، فقال: أعطنى ولو جَعْباً ـ والجَعْب : البعيرُ فى لغتهم ـ لئلا تسمع العربُ أنك منعتنى . قال مالك : فمِن سَماعها أفِرُّ . ومنعه الرُّبع ، فقال حاجزٌ فى ذلك :

ألا زعمتْ أبناء يَشْكُرَ أننا ... بِرُبعهم ـ باءوا هنالك ـ نَاضِلُ[(1)]
ستمنعنا منكمْ ومن سُوءِ فِعْلكم[(2)] ... صَفائحُ بِيضٌ أخلصَتْها الصَّياقلُ
وأسمرُ خَطِّىٌّ إذا هُزَّ عاسِلٌ[(3)] ... بأيدِى كُماةٍ جَرَّبَتْها القَبائلُ

ومِن شعر حاجز الأزدىّ :

ألا علّلانى قبل نوح النوادِبِ ... وقبل بكاء المُعْوِلاتِ القرائبِ
وقبل ثوائى فى تُرابٍ وجَندلٍ ... وقبل نشوز النفس فوق الترائبِ
فإن تأتِنِى الدنيا بيومى فجاءةً ... تجدنى وقد قَضَّيت منها مآربى

بينا حاجزٌ فى بعض غزواته إذ أحاطت به خَثْعم ، وكان معه بشيرٌ ابنُ أخيه . فقال له : يا بشير ، ما تشير ؟ فقال : دَعْهم حتى يَشربوا ويَثْقلوا[(4)] ويعضوا ونعضى معهم ، فيظنونا بعضهم . ففعلا ، وكانت فى ساقِ حاجزٍ شامةٌ . فنظرت إليها

---

(١) الناضل : الغالب .
(٢) فى الأغانى : ومن سوء صنعكم .
(٣) العاسل : المهتز .
(٤) الكلمة فى المختار غير منقوطة وفى بعض أصول الأغانى : ينقلوا . وفى بعضها . يقفلوا .

امرأة من خثعم فصاحت : يا آل خثعم ، هــذا حاجز . فطاروا يتبعونه ، فقالت عجوزٌ منهم ساحرة : أنا له أ كفيـكم سِلاحه أو عَدْوَه ، فقالوا : لا نريد أن تَـكفينا عَدْوَه ، فإن معنا عَوْفاً وهو يعدو مثله ، ولـكن ا كفينا سِلاحَه ، فسحرت لهم سِلَاحه ، وتبعه عوف بن الأغرِّ بن همَّام حتى قاربه ، فصاحت به خثعم : يا عوفُ ارْمِ حاجزاً ، فلم يقدِرْ عليه وجَبُن ، فغضبوا وقالوا : يا حاجز لك الذِّمام فاقتُلْ عَوْفاً فإنه قد فضحنا . فنزع فى قوسه ليَرْمِيه فانقطع وَتَرُه ، لأن المرأة الخثعميَّة كانت قد سحرتْ سِلاحه ، فأخذ قوس بشيرٍ ابنِ أخيـه فنزع فيها فانـكسرت ، وهربا من القوم ففاتاهم ، ووجد حاجزٌ بعيراً فى طريقه فركبه ، فلم يَسِرْ فى الطريق الذى يريده ، ونَحَا به نحو خثعم ، فنزل حاجزٌ عنه وهرب فنجا .

خرج حاجزٌ فى بعض أسفاره فلم يعُد ولا عُرِف له خبر ، فـكانوا يرون أنه مات عطشا أو ضلَّ ، وكان مع غاراته كثيرَ الفِرار .

الحارثُ بنُ الطُّفَيل الدَّوْسِيّ(١)

هو الحارث بن الطُّفَيل بن عَمْرو بن عبد الله بن مالك بن عمرو بن فهم(٢) بن غَنْم ابن دَوْس بن عبد الله بن عُدْثان بن عبد الله بن زهران بن كَعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصْر بن الأزد ، شاعر فارس مخضرم من شعراء الجاهلية والإسلام ، وأبوه الطُّفَيل شاعر أيضا ، وهو أول من وفد من دَوْسٍ على النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلم وعاد إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام وهاجر إلى المدينة ، وكان رجلا يَمْصُو ـ والعاصى : البصير بالخراج ـ ولذلك يقال لولده بنو العاصى .

أرسلته قريشٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له : انظر لنا ما هذا الرجل وما عنده ؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه الإسلام ، فقال : إنى رجل شاعر فاسمع ما أقول ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « هاتِ » فقال :

فلا وإلٰهِ النـاس نألم حَرْبَهم ... ولو حاربتنا مُنْهِبٌ وبنو فَهْمِ
ولمَّا يَـكنْ يومٌ تَزولُ نجومُه ... تطير به الرُّكبانُ ذو نبأ ضَخْم
أسلماً على خَسْفٍ ولستُ بخالدٍ ... وما لِىَ من واقٍ إذا جاءنى حَتْمِى
فلا سِلْمَ حتى تَحْفِزَ الناس خيفة ... ويصبحَ طَيْرٌ كانِساتٍ على لَحْمِ(٣)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأنا أقول فاسمع » ثم قرأ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . وقرأ سورة الإخلاص وسورة الفَلَق .

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٣/٢١٨ وانظر ص ٢١٦ ودار الثقافة ١٣ /٢٢٠ وانظر ص ٢١٩ وبولاق ١٢/٥٣ والساسى ١٢/٥٠ . والتجريد ١٥٠٤ .

(٢) فى الأغانى : بن مالك بن فهم .

(٣) كانسات : مقيمات .

ودعاه إلى الإسلام فأسلم ، وعاد فأتى قومه فى ليلة مطيرة ظلماء ، حتى نزل بَرُوقَ ، وهى قرية عظيمة لدَوْس فيها مِنْبَر ، فلم يبصر أين يسلك ، فأضاء له نورٌ فى طرف سَوْطه فبهر الناسَ ذلك النورُ ، وقالوا : نارٌ أُحدِثت على القَدُومِ ثم عَلَى بَرُوقَ لا تُطْفَأ . وجعل الناسُ يأخذون بطرف سوطه[1] فيخرج النور من بين أصابعهم ، فدعا أبويه إلى الإسلام ، فأسلم أبوه ولم تسلم أُمه ، ودعا قومه فلم يجبه إلّا أبو هريرة وكان ينزل هو وأهله فى جبل يقال له ذو رِمع[2] ثم أتى الطُّفَيل بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو هريرة ، فقال له : « ما وراءك » ؟ فقال : بلاد حَصينةٌ وكُفرٌ شديد . فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم وصلّى ثم قال : « اللهم اهْدِ دَوْسا » ثلاث مرات . قال أبو هريرة : فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم خِفْت أن يَدْعُوَ على قومى فيهلكوا ، فصحت : واقوماه ، فلما دَعَا لهم سُرِّىَ عنى . ولم يُحِبَّ الطفيلُ أن يدعو لهم ، لخلافهم عليه ، فقال : لم أُحِبَّ هذا منك يا رسول الله ، فقال : « إن فيهم مثلك لكثير » وكان جُندَبُ بن عمرو بن حُمَمَة بن عوف بن غُوَيَّة بن سَعد ابن الحارث بن ذُبيان بن عوف بن مُنْهب بن دوس يقول فى الجاهلية : إن للخلق خالقا لا أعلم ما هو ، فخرج فى خمسة وسبعين رجلا حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلموا . وكان جُندب يُقدِّمهم[3] إلى النبي صلى الله عليه وسلم واحدا واحدا فيُسلمون . وكانت بين دوس وبين بنى الحارث بن عبدالله بن عامر بن الحارث بن يشكر حَرْبٌ لأن آل الحارث كانوا سادات العشيرة ، وكانت دَوْسٌ أتباعا لهم ، وكان يقال لبنى عامر بن الحارث بن يَشكر الغَطاريف ، وكان لهم دِيَتان إذا قُتِل منهم قتيل ،

---

(١) فى الأغانى : فعلقوا يأخذون بسوطه .

(٢) فى المختار وبعض أصول الأغانى : ذو منعا وانظر معجم البلدان ذو رمع موضع باليمن .

(٣) فى الأغانى : يقربهم .

ولسائر قومهم دِيَة ، وكانت لهم على دَوْسٍ إتاوَةٌ يأخذونها كل سنة ، حتى أن الرجل منهم كان يأتى الدوسىَّ فيضع سهمه أو نَعله على الباب ثم يدخل فيجىء الدوسىُّ فإذا أبصر ذلك رجع عن بيته ، حتى أَدرك عَمرُو بن حُمَمَةَ فقال لأبيه : ما هذا الطَّوْلُ الذى يَتَطَوَّل به إخوانُنا علينا ؟ فقال : يا بنىَّ ، إن هذا شىء قد مضى عليه أوائلنا فأَعْرِض عن هذا الأمر . وإن رجلا من دَوْسٍ عَرَّس بابنة عَمٍّ له ، فدخل عليها رجل من بنى عامر بن يشكر ، فجاء زوجها فدخل على اليشكرىّ فقتله ، ثم جاء عَمرو بن حُممةَ فأخبره بذلك ، فجمع دَوْسًا فقام فيهم خطيبا وقال : إلى كم تَصبرون لهذا الذلّ ؟ بنو الحارث تأتيكم الآن فتقتلكم ، فاصبروا تعيشوا كراما أو تموتوا كراما . فاستجابوا له ، وأقبلت إليهم بنو الحارث ، فاقتتلوا وظفرت بهم دَوْسٌ وقتلتهم كيف شاءت ، وقيل : إن غلامين من بنى الحارث قالا يوما : ائتوا شيخ بنى دوس فاقتلوه ، فأتياه فقالا له : يا عم إن لنا أمرا نُريد أن تحكم بيننا فيه ، فأخرجاه من منزله ، فلما تنحيا به قال له أحدهما : يا عم ، رِجلى دخلت فيها شوكة ، فأخْرِجْها لى ، فنكَّس الشيخُ رأسه لينزعها ، فضربه الآخر فقتله ، فعمدتْ دَوْسٌ إلى سيّد بنى الحارث وكان نازلا بقَنَوْنا ، فقاموا له فى غَيْضَةٍ من الوادى وسَرَحَتْ إبله ، فأخذوا منها ناقة فأدخلوها الغَيْضَة فعَقَلوها ، فجعلت الناقة ترْغُو وتَحِنُّ إلى الإبل ، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرف شأنَ الناقة ، فوثبوا عليه فقتلوه ، ثم أتوا أهلهم ، وعرفت بنو الحارث الخبر ، فجمعوا لدوس وغزوهم ، فظفرتْ دَوْسٌ وقتلوا بنى الحارث كيف شاءوا ، وكان على دوسٍ عَمرُو بنُ حُمَمَةَ ، فقال الحارث بن الطُّفيل قصيدته التى أولها(١) :

يا دارُ من مَاوِيَّ بالسُّهْبِ ... بُنِيَتْ على خَطْبٍ من الخطْبِ

---

(١) هى فى الأغانى ١٣ بيتا .

منهـا :

لمـا سمعتُ نَزالِ قد دُعِيَتْ أَيقنْتُ أنهم بنـــو كَعْبِ
وحَليل غانيةٍ هتـكتُ قَرارَها تَحْتَ الوَغَى بشديدةِ العَضْبِ (١)
يا رُبَّ مَوضوعٍ رَفعتُ ومَرْ فوعٍ وضَعْتُ بمنزِل اللِّصْبِ (٢)
جانِيك مَنْ يَجْنِى عليك وقد تُعْدِى الصِّحاحَ مَبارِكُ الْجُرْبِ (٣)

وقيل إنهم أقاموا فى هذه الواقعة سبعَ سنين .

(١) العضب : الطعن والقطع .

(٢) اللصب : مضيق الوادى .

(٣) علق أبو الفرج على هذا البيت بقوله : هذا البيت فى الغناء فى لحن ابن سريج وليس هو فى هذه القصيدة ولاوجد فى الرواية . وإنما ألحقناه بالقصيدة لأنه فى الغناء كما يضيف المغنون شعرا إلى شعر وإن لم يكن قائلهما واحدا .

الحُصين بن الحُمام المرِّيّ(١)

هو الحُصين بن الحُمام بن رَبيعة بن مُسَاب بن حرامة(٢) بن وائلة بن سَهْم بن مُرَّة ابن عَوْف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيث بن غَطْفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضر بن نزار سيد بني سهم بن مُرَّة وفارسها ، وكان خُصَيلة(٣) بن مُرَّة وصِرمة بن مرة ، وسهم بن مرة أمهم جميعا حَرْقفة بنت مَعْنم بن عوف بن بَليّ ابن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . فكانوا جميعا يَدًا على من سواهم ، وكان حُصين ذَا رَأْيهم وقائدَهم ورائدهم ، وكان يقال له مانعُ الضَّيْمْ .

جاء ابنُ الحُصين إلى معاوية بن أبي سفيان فقال لآذِنه : استأذن لي على معاويةَ أمير المؤمنين وقل ابنُ مانعِ الضيم . فلما استأذن له قال معاوية : ويحك ، لا يكون هذا إلا ابن عُروة بن الوَرْد العَبْسي أو ابن الحُصين بن الحُمام المُرِّيّ ، أدْخِله ، فلما دخل قال له: ابنُ مَن أنت ؟ قال : ابنُ مانع الضيم الحصينِ بن الحُمام المُرّيّ. قال: صدقت ، ورفع مَجلسه وقضى حوائجه .

كان قوم(٤) من بطن من قُضاعة يقال لهم بنو سَلَامان بن سعد بن زيد بن الحاف ابن قضاعة ، وبنو سَلَامان بن سعد إخوة عُذرة بن سعد ، وكانوا حلفاء لبني صِرْمة ابن مُرّة ، ونزولا فيهم ، وكان بنو الحُرْقَة وهم بنو حُمَيس بن عامر بن جُهينة حلفاء

---

(١) الأغاني: دار الكتب ١٤/١ وانظر ج١٣ ص٣٦٣ ودار الثقافة ١٤/٣ وانظر ج ١٢ ص ٣٦٤ وبولاق ١٢/١٢٣ والساسي ١٢/١١٨ والتجريد ١٠٣٥ .

(٢) في الأغاني : حرام .

(٣) في الأغاني : خصيلة وجاء الشعر بعد ذلك في المختار خصيلة ،

(٤) في الأغاني : كان ناس .

لبنى سَهْم بن مُرّة ، وكانوا يرمون بالنَّبل رمياً شديدا ، فسُمُّوا الُحرَقة من شدةقتالهم. وكانوا نزولا فى حلفائهم بنى سهم بن مرة ، وكان فى بنى صِرْمة يهودىٌّ يقال له جُفَينة[1] بن أبى حَمل من أهل تَيْماء وكان فى بنى سهم يَهودِىٌّ من أهل وادى القُرى يقال له غُصَين بن حَىّ ، وكانا تاجِرَيْن فى الخمر ، وكان بنو جَوْشَن ـ أهْل بيتٍ من غَطَفان ـ جيرانا لبنى صِرْمة وكان يُتَشاءَم بهم ، ففقدوا منهم رجلا يقال له خُصيلة كان يقطع الطريق وحده ، فكان إخوته يسألون الناس عنه ويَنْشُدونه فى كل مجلس وموسم ، فجلس ذات يوم أخٌ لذلك المفقود الجَوْشَنِىّ فى بيت غُصَين ابن حَىّ جارِ بنى سهم يبتاع خمرا ، فبينما هو يشترى إذ مرّت أُخت المفقودِ تسأل عن أخيها خُصيلة ، فقال غُصَين :

تُسائِلُ عن أَخيهـا كلَّ حَىٍّ   وعند جُفَينة الخَبَرُ اليَقينُ

فأرسلها مثلا وعَنَى بجفينة [نفسه] فحفظ الجوشنىّ البيت ، ثم أتاه من الغد فقال له : نشدتك الله وذمَّتَك هل تعلم لأخى علما ؟ فقال : لا ، ودينى ما أعلم ، فلما مضى أخو المقتول[2] تمثل :

لعمرُك ما ضَلَّت ضلالَ ابنِ جَوْشنٍ   حَصاةٌ بليْلٍ أُلْقِيَتْ وَسْطَ جَنْدَلِ

أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد وهذا لا يوجد أبدا .

فلما سمع الجوشنى ذلك تركه حتى إذا أمسى أتاه فقتله وقال الجوشنى :

طعنتُ وقــد كاد الظلامُ يُجِنُّنِى   غُصَيْنَ بنَ حَىٍّ فى جِوارِ بنى سَهْمِ

وأُتِىَ حُصينُ بن الُحمام فقيل له: إن جارك غُصَيْنًا قد قتله ابنُ جَوْشن جار بنى صِرْمة فقال حُصين : فاقتلوا اليهودى الذى فى جوار بنى صِرْمة فأَتَوْا جُفَينة

---

(١) انظر مجمع الأمثال « عند جهينة الخبر اليقين » فإنه أورد أيضا أنه اسمه جفينة وأورد البيت الآتى .

(٢) كذا فى المختار . وفى الأغانى : أخو المفقود .

ابن أبى حمل فقتلوه ، فشدّ بنو صِرمة على ثلاثة من خُميسٍ جيران بنى سهم فقتلوهم ، فقال حُصَين : اقتلوا من جيرانهم ثلاثة من بنى سَلَامان ، ففعلوا واستعر الشرُّ بينهم وكانت بنو صِرمة أكثر من بنى سهمٍ رهطِ الحصين بكثير ، فقال لهم الحصين : يا بنى صِرْمة قتلتم جارنا اليهودى فقتلنا به جاركم اليهودى ، فقتلتم من جيراننا من قضاعة ثلاثة نفر ، فقتلنا من جيرانكم من بنى سلامان ثلاثة نفر ، وبيننا وبينكم رَحِمٌ ماسَّة قَريبة ، فمُروا جيرانكم من بنى سلامان فيرتحلون عنكم ، ونأمر جيراننا من بنى قضاعة فيرتحلون عنا ، ثم هم أعلم ، فأبى ذلك بنو صرمة وقالوا : قد قتلتم جارنا ابن جوشن فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلا من جيرانكم ، فإنكم أعلم أنا أكثر منكم عددا ، وأنتم بنا تَعِزُّون وتَمْنعون . فناشدهم اللهَ والرَّحِم ، فأبوا وما قبلوا[1] ، وأقبلت الخُضْر خُضْر مُحاربٍ وكانوا فى بنى ثَعلبة بن سعد فقالوا : نَشهدُ نَهْب بنى سهم وسُلَيم[2] ، فإذا انتُهبوا نُصيب منهم[3] ، وخذلت غَطفانُ حُصينا وكرهوا ما كان من منعه جيرانه من قضاعة ، وصافَّهم حُصينٌ الحَرْبَ وقاتلهم ومعه جيرانه ، وأمرهم ألّا يَزيدهم على النَّبل ، فهزمهم الحصين ، وكفَّ يده بعد ما كَثُرَ القتل فيهم ، وأبى ذلك البطنُ من قضاعة أن يَكفُّوا عن القوم حتى أثخنوا فيهم . وقال الحصين فى ذلك من أبيات:

ألاَ تقبلون النِّصْفَ منا وأنتمُ بنو عمِّنا لا بَلَّ هامَكُم القطرُ
سَتأْبَى كما تَأْبون حتى تُلينَكم صفائحُ بُصْرَى والأَسِنَّةُ والأَصْرُ[4]

---

(١) جملة « وما قبلوا » ليست فى الأغانى .

(٢) كلمة « وسليم » ليست فى الأغانى .

(٣) فى المختار : فنصيب منه .

(٤) الأصر : الكسر ، وأصره أصرا : كسره .

أيُؤْكل مولانا ومولى ابن عَمّنــــا مُقيمٌ ومنصورٌ كما نُصِرَت جَسْرُ[(١)]
فتلك التى لم يعــلم النـاسُ أنــنى خنعْتُ لها حتى يُغَيِّبَــنى القَبْرُ[(٢)]
فواعجبـا حـتى خُصَيْـلَةُ أصبحتْ مَوالِيَ عِزٍّ لا تَحِـلُّ لهـا الخَمْرُ

قوله: « موالى عز » يهزأ بهم . ولا يحل لهم الخمر أى أنهم لا يدركون ما أرادوا فحرموا الخمر كما يفعل الأعزاء وليس كذلك[(٣)] .

ألمَّا كَشَفْنا لَأْمَةَ الذُّلِّ عنكمُ تَجَرَّدْت لا بِرٌّ جَميلٌ ولا شُكْرُ
وإن يكُ ظَنِّى صادقاً تَجْزِ مِنــكمُ جوازى الإله والخيانةَ والغَدْرُ

وأقاموا على الحرب والنزول على حُكمهم وعاونتهم[(٤)] بنو ذبيان ومُحارب ابن خَصَفة ، وكان رئيس مُحارِبٍ خُمَيضَة بن حَرْمَلة ، ونَـكَصَتْ عن حُصَينٍ قبيلتانِ من بنى سهم وخانتاه ، وهم عدْوَان وعبدُ عمرٍو ابنا سَهْم ، فسار حُصَين وليس معه من بنى سهم إلا بنو وائلة وحلفاؤهم وهم الُحرَقة ، والتقوا بِدارَةِ موضوع ، فظفر بهم الحصين ، وهزمهم وقتل منهم فأكثر ، وقال فى ذلك :

جزى الله أفناء العشيرةِ كُلّهــا بدارةِ مَوْضوعٍ عُقوقاً ومَأْثَما
بَنى عَمِّنا الأدنَينَ منهم ورَهْطنا فزارة إذْ رامَتْ بنا الحربَ مُعْظَما
ولما رأيتُ الوُدَّ ليس بنافعى وإن كان يوماً ذا كواكبَ مُظْلِماَ
صَبرْنا وكان الصبرُ منا سَجِيَّةً بأَسيافنا يَقطعْن كَـفًّا ومِعْصَما
نفلّق هاماً من رجالٍ أعزة علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلمــا

---

(١) جسر : قبيلة من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان .
(٢) بعده فى الأغانى ثلاثة أبيات .
(٣) فى الأغانى : « ولا يحل لهم الخمر » أراد حرموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز وليسوا هناك .
(٤) فى الأغانى : وغاظتهم .

نُطاعنهم نَستَنقِذ الُجرْدَ بالقنا(١) ويَستنقذون السمهرىَّ المُقَوَّمَا

« نستنقذ الجرد » أى نقتل الفارس فنأخذ فرسه . « ويستنقذون السمهرى » وهو القنا أى نطعنهم فتجرهم الرماح :

لَدُنْ غدْوة حتى أتى الليلُ ما ترى من الخَيْلِ إلَّا خارجيًّا مُسَوَّمَا

الخارجى : الذى ليس له نسب(٢) :

وأجردَ كالسِّرْحانِ يَضْرِبه النَّدَى ومَحبوكةً كالسِّيـدِ شَفَّاء صِلْدِمَا(٣)

يطأْنَ من القَتْلَى ومن قِصَدِ القَنـا خَباراً فمـا يَجرين إلّا تَقَحُّمـاَ(٤)

عليهنّ فِتيانٌ كسـاهم مُحَرِّقٌ وكانَ إذا يَـكسو أَجادَ وأكرما

صفائحَ بُصْرَى أخلصتها قُيونُهـا ومُطَّرِداً من نَسْج داودَ مُحْـكمَا

محرق هو عمرو بن هند ، أى كساهم محرق سيوفا وأدراعا هذه صفتها(٥) :

جزى اللهُ فيها عَبْدَ عمرٍو ملامةً(٦) وعَدْوَانَ سَهْمٍ ما أَذلَّ وألأما

عبد عمرو وعدوان قبيلتان من بنى سهم نكصوا عن حصين وجانبوه فى القتال(٧) :

(١) فى الأغانى : نطاردهم نستنقذ .

(٢) هذه الشرح ليس فى الأغانى .

(٣) السرحان : الذئب . والسيد : الذئب . والشفاء من الخيل : التى تشتق فى عدوها وتذهب يمينا وشمالا . والطويلة والصلدم : الصلبة .

(٤) القصد : القطع . والخبار : مالان واسترخى من الأرض .

(٥) هذا الشرح ليس فى الأغانى وهو فى ك فقط .

(٦) فى الأغانى : جزى الله عنا .

(٧) هذا الشرح ليس فى الأغانى وهو فى ك فقط .

ولست بمبتاع الحيــاة بِسُبَّةٍ ولا مُرْتَقٍ من خَشيةِ الموتِ سُلَّمَا[١]

وقتل فى تلك الحرب نُعَيم بن الحارث بن عبّاد بن حَبيب بن وائلة بن سهم ، قتله بنو صِرمة يوم دَارةِ موضوع ، وكان وادًّا للحصين ، فقال يرثيه[٢] :

قتلْنا خمسةً ورَمَوْا نُعَيْمــاً وكان القتلُ للفتيــان زَيْنــاَ

لعمرُ البا كيــاتِ على نُعَيمٍ لقد جلَّتْ رَزِيَّتُه عَلَيْنــا

فلا تَبْعَدْ نعيْم فــكلٌّ حَيٍّ سيلْقَى من صُروفِ الدَّهرِ حَيْنَا

ثم إن بنى حُميسٍ سخطوا بعض مجاورة[٣] بنى سهم ، ففارقوهم ومَضَوْا ، فلحق بهم الحصين فرَدَّهم ولامهم على كُفْرِ نِعمته وقِتالِه عشيرته عنهم ، وقال فى ذلك أشعارا .

كان البُرْجُ بن الُجلاس الطائىُّ خَلِيلا للحُصين نديماً له على الشراب، وفيه يقول البُرْج :

ونَدمانٍ يَزيد الـكأْسَ طِيبــاً سَقَيْتُ وقــد تَغوَّرتِ النُّجومُ

رفعتُ برأسه وكشفتُ عنــه بِمُعْرَقَةٍ مــلامــةَ مَن يَلومُ

ونشرب ما شَرِبنــا ثم نَصْحو وليس بجانِبَيْ خَدِّى كُلُومُ

ونجعل عتبها لبنى جُعَيــل[٤] فليس إذا انْتَشَوْا فيهم حَلِيمُ

---

(١) بهامش ك ما يأتى من هذه القصيدة :

تأخَّرتُ أستبقى الحياةَ فلم أَجِدْ لنفسى حياةً مِثلَ أن أتقدَّما

فلسْنا على الأعقابِ تدمى كلومُنا ولــكنْ على أقدامنا تقطر الدِّما

(٢) انظر طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق ص ٢٥١ فالشعر منسوب للبطين .

(٣) فى الأغانى : كرهوا مجاورة .

(٤) فى الأغانى: ونجعل عيثها .

وكانت للبرج أخت يقال لها القفاطة ، فشرب البرج يوما مع الحصين وانصرف إلى أخته فافتضَّها ، ولما أفاق ندم على ما صنع ، فقال لقومه : أيّ رَجلٍ أنا فيكم ؟ فقالوا : سيِّدُنا وفارسنا وأفْضلنا . قال : فإنه إن علم أحد من العرب بما صنعتُ أو أخبرتم به أحدا ركبتُ رأسى فلا ترونِّى أبدا . فكتموا ذلك ، ثم إن أمة لبعض طيء وقعت إلى الُحصين بن الُحمام ، فرأت عنده البُرجَ الطائِىَّ وهما يشربان ، فلما خرج من عنده قالت للحصين : إن نديمك هذا سكر عندك ففعل بأخته كيت وكيت ، فيوشك أن يفعل بها ذلك[1] كلما سكر عندك فزجرها الحصين وسبّها فأمسكت ، ثم إن البرج بعد ذلك أغار على جيرانِ الُحصين من الُحرَقة ، فأخذ أموالهم وأتى الصَّرِيخُ الُحصينَ ، فتبع القومَ فأدركهم فقال للبرج : ما صَبَّك على جيرانى يا بُرْج ؟ فقال : وما أنت وهم ؟ هؤلاء من اليمن ، وهم منا ، وأنشأ يقول :

أَنَّى لك الُحرَقَات فيما بيننا عَنْىٌ بَعِيدٌ منك يا ابنَ حُمَامِ

أى كيف صاروا جيرانك غير اعتراض فيما لا يعنيك[2] .

أقبلتَ تُزْجى ناقةً مُتباطئا عُطُلًا تُزَجِّيها بغير زمام

تزجى : تسوق . عطلا : لا خطام عليها ولا زمام : أى أتيت كذا مُسرِعا من العَجلَةِ .

فأجابه الحصين :

بُرْجٌ يُؤَثِّمنى ويَكفرُ نعمتى صَمِّى لِما قال الكَفيلُ صَمَامِ

صَمِّى : صبرى. صمام : أخرجها مخرج حذام وقطام[3] .

---

(١) فى الأغانى : يفعل ذلك بك .

(٢) هذا الشرح ليس فى الأغانى ، وهو فى ك .

(٣) هذا الشرح ليس فى الأغانى، وهو فى ك . ومن أمثالهم: صمى صمام يقال للداهية والحرب صمام، وفسرت صمى فى مجمع الأمثال بمعنى : لاتجدى .

مهـــلا أبا زيد فإنك إن تشأ أُورِدْكَ عُرْضَ مَناهِلِ أَسـدامِ (١)
لا تَحسبَنَّ أخا القفاطة أنني رَجُلٌ بخُبْرِكَ لست بالعَلَّامِ
فاستنزلوكَ وقد بَلَلْتَ نِطاقَها من بنت أُمِّك والذُّيولُ دَوَامِي

ثم ناصَبَه الحَرْبَ ، فَقَتَلَ من أصحاب البُرْجِ عِدَّةً وهَزَم سائرَهم واستنقْذ ما فى أيديهم وأسر البرجَ . ثم عرف له حَقَّ نِدَامِه وعِشرته ، فمنَّ عليه وجزَّ ناصيته وخلّى سبيله . فلما عاد البُرجُ إلى قومه وقد سبَّه الحصين بما فعل بأخته لامهم وقال : فضحتمونى، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلادالروم فلم يُعرف له خبر إلى الآن . وقيل : بل شرب الخمر صِرْفا حتى قتلته .

وأغار الُحصين فى جمع من بنى عَدِىٍّ على بنى عُقيل وبنى كعب ، فأسخن فيهم ، واستاق نَعما كثيرة ونساء ، وأصاب أسماءَ بنتَ عمرٍو سيّدِ بنى كَعْب ، فمنَّ عليها وأطلقها وقال فى ذلك :

فِدًى لبنى عَدِىٍّ رَكْضُ ساقى وما جمَّعْتُ من نَعَمٍ مُرَاحِ
تَركْنا من نساء بنى عُقَيلٍ أيَامَى تبتغِى عَقْدَ النِّكاحِ
أَرُعْيانَ الشَّوِىِّ وجَدتُمونـا أمَ أصحاب الـكريهةِ والرِّماحِ (٢)
لقد علمت هوازنُ أنَّ خيـلى غداة النَّعْفِ صادقة الصَّبـاحِ (٣)
عليها كل أَرْوَع هِبْرِزِىٍّ شَديدٍ حَدُّه شاكى السلاحِ (٤)
نـكرُّ عليهمُ حتى التقَوْنا بمصقولٍ عوارضُها صِباحِ (٥)

---

(١) أسدام: متغبرة . وبعده فى الأغانى ثلاث أبيات .
(٢) الشوى : جمع شاة . وفى الأغانى : الـكريهة والنطاح .
(٣) النعف هنا موضع بعينه . وصادقه الصباح أى صادقة الغارة فى الصباح .
(٤) الهبرزى : المقدام . وفى المختار : شديد حيده .
(٥) التقان : لقيه . وفى الأغانى : التقينا .

فأُبْنا بالنَّهابِ وبالسَّبَايَا ... وبالبيضِ الخرائد واللِّقاحِ
وأعتقْنا ابنة البَكْرِىِّ عمْرٍو ... وقد خُضْنا عليها بالقِداحِ (١)

وأدرك الحصين الإسلامَ وأسلم ، ويدل على ذلك قوله :

وقافيةٍ غير إنسيَّةٍ ... قرضْتُ من الشعر أمثالَها
شَرُودٍ تَلَمَّعُ بالخافقين ... إذا أُنشدتْ قيل من قالها
وحَيرانَ لا يهتدى بالنهار ... من الظَّلْع يَتْبَع ضُلَّالَها
وداعٍ دَعا دعوةَ المستغيث ... وكنتُ كمن كان لبَّى لها
إذا الموت كان شجًى بالحلوقِ ... وبادرت النفسُ أشغالَها
صبرتُ ولم أكُ رِعديــدةً ... وَللصَّبْرُ فى الرَّوْعِ أنْجَى لها
ويومٍ تَسعَّر فيه الحروب ... لبستُ إلى الرَّوعِ سِرْبالها
مُضعَّفة السَّرْدِ عادِيَّـةً ... وَعضْبَ المضارب مِفصالها
ومُطَّرِدًا من رُدَيْنِيَّـــةٍ ... أَذُود عن الوِرْدِ أَبطالَها
فلم يَبْقَ من ذاك إلَّا التُّقَى ... ونفسٌ تُعالج آجالَهــا
أُمــورٌ من الله فوق السما ... مقاديرُ تَنْزِلُ أَنزالَهــا (٢)
أعوذ بربِّى من المُخزِيا ... تِ يوم ترى النفسُ أعمالَها
وخفَّ الموازينُ بالكافرين ... وزُلْزِلت الأرضُ زِلزالَها
ونادى منادٍ بأهلِ القبورِ ... فهبُّوا لِتُبْرِز أثقالَهــا
وسُعِّرت النارُ فيها العذابُ ... وكان السلاسلُ أغلالَها

---

(١) فى الأغانى : ابنة العمرى عمرو .

(٢) فى ك : تنزل أدلالها .

قال أبو عبيدة : مات الحُصين بن الحُمام المُرىّ فى بعض أسفاره ، فسُمع صارخٌ فى بلاد بنى مُرّة فى الليل يَصرخ ولا يُعرَف :

ألا هَلك الحُلو الحَلالُ الحُلاحِلُ ... ومن عَقْدُه حَزْمٌ وعَزمٌ ونائلُ

ومن خَطبه فَصْلٌ إذا القومُ أُفْحِمُوا ... يُصيب مَرَادى قولِه مَن يُحاوِلُ

المَرادى جمع مِرْداة وهى صخرة تُرْدَى بها الصخور أى تُكسر. والحُلو : الجميل. والحَلالُ : الذى ليس عليه فى ماله يمين(١). والحُلاحل : الشريف العاقل .

فلما سمع أخوه مُعَيَّةُ بن الحُمام قال : هلك والله الحُصين . ثم قال يرثيه :

إذا لاقيتَ جَمْعاً أو فِئاماً ... فإنى لا أرى كأبى يزيدا

أشدَّ مهابةً وأعزَّ رُكْناً ... وأصلبَ ساعةَ الضرّاءِ عُودا

صَفِيِّى وابنُ أُمِّى والمواسى ... إذا ما النفس شارَفتِ الوَرِيدا

كأنَّ مُصَدَّرا يَحْبُو ورائى ... إلى أشباله يبغى الأُسودا

المُصَدَّر : العظيم الصدر ، شبّه أخاه بالأسد .

---

(١) فى الأغانى : فى ماله عيب .

الْحَكم بن قُنْبُر المازِنىّ[1]

هو الحَكم بن محمد بن قُنْبُرْ المازِنىّ مازن بنى عمرو بن تميم ، بصرىٌّ شاعر ظريف من شعراء بنى العباس[2] ، كان يُهاجى مُسلمَ بنَ الوليد الأنصارى مُدَّة ، وغلبه مسلم ، وكان لما هاجاه أمسك عنه مُسلمٌ بعد أن بسط لسانه ، فجاء إلى مسلمٍ ابنُ عمٍّ له فقال : أيها الرجل إنك عند الناس فوق هذا الرجل فى عمود الشعر ، وقد بعثتَ عليك لسانه ثم أمسكتَ عنه ، فإما أن قارَعْته[3] أو سالَمْته . فقال له مسلم : إن لنا شَيْخًا ولنا مَسجِدٌ يتهجَّد فيه، وبين ذلك دعواتٌ ندعو بها ، ونحن نسأله أن يجعل بعضَ دعواته فى كفايتنا إياه ، فأطرق الرجل ساعة ثم قال :

غُلب ابنُ قُنْبُرَ واللئيم مَغَلَّبٌ ... لما اتقَّيت هجاءه بدعاءِ

ما زال يَقذِف بالهجاءِ ولَذْعِه ... حتى اتقَّوْه بدعوةِ الآباءِ

فقال له مسلم : والله ما كان ابنُ قنبر ليبلغ منى هذا ، فأمسِكْ عنى لسانَك وتعرَّف خبرَه بعدُ . فبعثَ الرجلُ عليه من لسانِ مسلمٍ ما أسكته.

قال محمد بن عبد الله العُذرىّ : رأيت مسلمَ بنَ الوليد والحَكم بن قُنْبر فى مسجدِ الرُّصافة فى يوم جمعة ، وكلٌّ واحد منهما بإزاء صاحبه يَتهاجيانِ ، فبدأ مسلم فأنشد قصيدته :

أنا النارُ فى أحجارِها مُستَكِنَّةً ... فإن كنت مِمَّن يَقدَحُ النارَ فاقْدح

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٤ / ١٦٢ وانظر ص ١٦١ ودار الثقافة ١٤/١٥٣ وانظر ص ١٥٢ وبولاق ١٣/٨ والساسى ١٣/٨ والتجريد . ١٥٦ .

(٢) فى الأغانى : من شعراء الدولة الهاشمية .

(٣) فى الأغانى : قاذعته .

وأنشد ابنُ قنبر بعده :

قد كُنْتَ تَهْوِى وما قوسى مُوَتَّرَةٌ فكيف ظَنُّك بى والقَوْسُ فى الوَتَرِ

فوثب مسلم وتَوَاخَذَا(١) حتى حجز بينهما الناس فتفرقا ، فقال رجل لمسلم : ويحك أعجزت عن هذا الرجل حتى واثبته ؟ قال : وإنى وإياه لكما قال الشاعر :

* هَنِيئاً مَرِيئاً أنتَ بالفُحْشِ أبصرُ *

وكان ابنُ قنبر مُستعلِياً عليه مُدّة ، ثم غلبه مسلمٌ ، فمن مناقضاتهما قول ابن قنبر :

كيف أهجوكَ يا لئيمُ بِشعرى أنت عندى فاعلم هِجاء هِجائى

يا دَعِىَّ الأنصارِ بل عَبْدَها النَّذْ لَ تعرَّضْتَ لى لِدَرْكِ الشَّقاء

قال ابن قنبر : لقيني جوارٍ من جَوارى آل سليمان بن على فى الطريق بين المِرْبد وبين قصر أَوْس ، فقلن لى : أنت الذى تقول :

وَيْلى على من أطار النومَ فامتنعا وزادَ قلبى على أوجاعِه وَجَعا

ظَبىٌ أغرُّ تَرَى فى وجهه سُرُجاً تُعْشِى العُيونَ إذا ما نُوره سَطَعا

كأنما الشمسُ من أثوابه بَزغتْ حُسْناً أو البدرُ فى أزرارِه طَلَعا

فقد نَسِيتُ الكَرَى من طول ما هَطلتْ مِنّى الجفونُ وطارت مُهْجَتى قِطَعا

فقلت : نعم ، فقلن : أمع هذا الوجه السَّمِج تقول هذا ؟ ثم جعلن يَلْهون معى وَيجذبننى حتى أخرجننى من ثيابى ورجعتُ عارياً إلى منزلى . وكان حسن اللباس .

---

(١) كذا فى المختار وأصول الأغانى . وصححت فى الأغانى : وتواخزا أى تطاعنا طعنا غير نافذ . هذا ، وتواخذا يراد بها أخذ كل منهما بالآخر « مسهلة الهمزة » .

دخل الحكمُ بنُ قنبر على صديقٍ له فبشَّ به ورفع مجلسه وقال : أنشدنى أبياتك التى أقسمت فيها بما فى قلبك . فأنشده :

وحقِّ الذى فى القلب منكِ فإنه عظيمٌ لقد حَصَّنْتُ سِرَّك فى صدرى
ولكنما أفشاه دمعى ورُبَّما أتى المرءَ مايخشاه من حيث لا يدرى
فهبْ لى ذنوبَ الدمعِ إنى أظنه بِما مِنْهُ يبدو إنما يبتغى ضُرِّى
ولو يبتغى نَفعى لخلَّى ضمائرى يردُّ على أسرار مكنونها سرى

قال محمد بن سلام : أنشدنى ابن قنبر لنفسه :

صَرَمْتِنى ثم لا كلَّمْتِنى أبدًا إن كنتُ خنتُك فى حالٍ من الحالِ
ولا اجترمتُ الذى فيه خيانتكمْ ولا جرتْ خَطرةٌ منها على بالى

قال : فقلت له وأنا أضحك : لقد بالغْتَ فى اليمين . فقال : هى عندى كذلك ، وإن لم تكن عندك كما هى عندى .

شكا العباس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعةَ الرَّقِّىَّ هجاه ، فقال له : سمعتُ ما كان مدحك به ، وعرفت ثوابك إياه ، وما قاله فى ذلك ، ولم أجده ظالمك فيه ، ولله در ابن قنبر حيث يقول :

ومن دعا الناس إلى ذَمِّه ذَمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ

وتمام الأبيات من أولها :

إن كنتَ لا ترهبُ ذَمِّى لما تَعرِف من صَفْحِى عن الجاهلِ
فاخْشَ سُكوتى فَطِناً مُنْصِتاً فيك لِتَحْسِين خَنَا القائلِ
مقالةُ السوءِ إلى أهلها أسرعُ من مُنْحدر سائلِ

ثم قال له الرشيد : وقد اشتريتُ عِرضك منه ، وأمرته بألا يعود إلى ذمّك تعريضا ولا تصريحا أخذه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة :

فإن أنا لم آمر ولم أَنْهَ عنكما سَكَتُّ له حَتَّى يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى

أطعم رجل من ولد عبد الله بن كُرَيز صديقاً له ضَيْعة . فمكثت فى يده مدة ، ثم مات الكريزى ، فطالب ابنُه الرجلَ بالضيعة ، فمنعه إياها ، فاختصما إلى عبيد الله ابن الحسن ، فقال له[1] : ألا تستحيي ! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذبا أثمت وإن كنت صادقا فإنما تريد أن تنقض مكرمة لأبيك . فقال له ابنُ الكريزى — وكان ساقطا — : الشحيح أعزك الله أعذر[2] من الظالم . فقال : هذا الجواب والله أعجب[3] من الخصومة ، ويحك ، وهذا موضع هذا القول ؟ اللهم اردد على قريش أخطارها[4] . ثم أقبل علينا فقال : لله درُّ الحكم بن قنبر حيث يقول :

إذا القرشى لم يُشْبِه قُرَيشاً ... بفعلهم الذى بَذَّ الفعالا
فجَرْمِىٌّ له خُلُق جميلٌ ... لدى الأقوام أحسنُ منه حالا

مرض ابنُ قنبر ، فأتوه بِخَصيبٍ الطبيبِ يعالجه ، فقال فيه :

ولقد قلت لأهلى ... إذ أتونى بِخَصيبِ
ليس والله خَصيبٌ ... بالذى بى بِطبيبِ
إنما يعرفُ دائى ... مَن به مثل الذى بى

وكان خصيبٌ عالما بمرضه ، فنظر إلى مائه فقال : زعم جالينوس أن صاحب هذه العِلّة إذا صار ماؤه هكذا لم يَعِشْ . فقال له : إن جالينوس ربما أخطأ ، فقال : ما كنت إلى خَطَئِه أحْوج منى إليه فى هذا الوقت . ومات ابن قنبر فى علّته تلك .

---

(١) فى الأغانى : فقيل له .

(٢) فى الأغانى : أعظم .

(٣) فى الأغانى : أعز من الخصومة .

(٤) أخطارها : أقدارها .

حمادُ عَجْرَد[1]

هو حَمَّادُ بن يحيى بن عَمرو بن كُلَيب ، وكنيته أبو عُمَر ، مولى بنى عامر ابن صعصعة . وقيل : مولى بنى سَوَّار[2] . وقيل : مولى بنى عُقَيل ، أصله ومنشؤه بالكوفة ، كان يَبْرِى النَّبل . وقيل : بل كان أبوه نبَّالا ولم يتكسب هو بغير الشعر ، وكان حماد من مخضرمى الدولتين الأموية والعبّاسية ، وكان نزل واسِطا ، إلا أنه لم يشتهر فى أيام بنى أمية شُهرته فى أيام بنى العباس ، وكان خليعا ماجنا مُتَّهَماً فى دينه ، مَرْمِيًّا بالزندقة .

كان يحيى بن عمرو أبو حماد مَوْلًى لهند بنت أسماء بن خارجة ، وكان وكيلا لها فى ضَيْعَتها بالسواد ، فولدت هندُ من بِشرِ بنِ مروانَ عبدَ الملك بنَ بِشرٍ فجر عبدُ الملك ولاءَ مَوَالى أُمِّه فصاروا مواليه .

ولما كان والد حماد عجرد بالسَّواد فى ضيعتها نبَّطه بشار لما هجاه فقال :

واسْدُدْ يديك بحماد أبى عُمَرٍ ... فإنه نَبَطِىٌّ من زنابير[3]

ولقَّبه بِعَجْرَدٍ عمرُو بن سِنْدى مولى ثقيف لقوله فيه :

سَبَحتْ بغلةٌ رَكبتَ عليها ... عجباً منك خيبةً لِلْمَسيرِ

زعمتْ أنها تراه كبيرا ... حَمْلها عَجْرد الزِّنا والفُجُورِ

إن دهراً ركبتَ فيه على بَغْـ ... ـلٍ وأوقفته بباب الأميرِ

لجدير ألا نرى فيه خَيْرًا ... لصغيرٍ منا ولا لِكبيرِ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٤/٣٢١ وانظر ص ٣٢٠ ودار الثقافة ١٤/٣٠٤ وانظر ص ٣٠٣ وبولاق ١٣/٧٢ والساسى ١٨/٧٠ والتجريد ١٥٩٦ .

(٢) فى الأغانى : بنى سراة . هذا وفى هامش ك رواية عن نسخة أخرى : سوادة .

(٣) نبطه: نسبه إلى النبط وفى المختار وبعض أصول الأغانى: « من دنانير » والتصويب من أصول آخر للأغانى . وزنابير: أرض باليمن . على أن دنانير تحتمل أنه يريد بذلك أنه أصفر اللون.

مامرؤٌ يَنْتقِيك ياعُقْدةالكَلْـ ... بِ لِأسرارِه بِجدٍّ بَصِيرِ
لا ولا مجلسٌ أجنَّك للـ ... ـذَّات ياعَجْرَدَ الخنا بستِيرِ

يعني بهذا القول محمد بن أبى العباس السفاح ، وكان عَجْرد من ندمائه. فبلغ هذا الشعر أبا العباس جعفراً فقال لمحمد : مالى ولعجْرَدٍ يدخل عليك ؟ لا يبلغُنى أنك أذنت له .

وعجْرَدٌ مأخوذ من المُعَجْرَدِ(١) وهو العُرْيان. يقال : تَعجرد الرجلُ إذا تَعَرَّى فهو يَتعجرد تعجْرُدا . والعَجْرَدُ الذّهب .

وكان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحَمَّادُون حمادُ عَجْرَدٍ وحمادٌ الرواية وحماد ابن الزِّبْرِقان يتنادمون ، كلُّهم يُرمى بالزندقة ، وأشهرهم حمَّادُ عَجرد .

وكان سبب تسميته بعجردٍ أن أعرابيا لَقِيه فى يوم شديد البرد وهو يلعب مع الصبيان عُريانا ، فقال له : تعجردْتَ يا غلام ، فسُمِّىَ عجرداً .

وكان بين حمادٍ وبشارٍ مهاجاة . وذلك أن حمادا كان نديما لنافع بن عقبة ، فسأله بشارٌ أن يقضِىَ له حاجة من نافع فأبطأ عنه ، فقال فيه بشار :

مواعيدُ حَمَّادٍ سَماءٌ مُخِيلة ... تَكشَّفُ عن وَعْدٍ ولكنْ سَتَبْرُقُ
إذا جئته يوما أحال على غدٍ ... كما وَعدَ الكَمُّون مَن ليس يَصْدُقُ
وفى نافعٍ عنى جَفاءٌ وإننى ... لأُطرِق أَحيانا وذُو اللُّبِّ يُطْرِقُ
وللنَّقْرى(٢) قوم فلو كنت منهم ... دُعِيت ولكنْ دونىَ البابُ مُغْلَقُ
أبا عُمَرٍ خلَّفْتَ خلفك حاجتى ... وحاجة غيرى بين عينيك تَبْرُقُ
وما زلت أستأنيك حتى حَسَرْتَنى ... بِوَعْدٍ كجارِى الآلِ يَخْفَى ويَخفِقُ

فغضب حماد وأنشد نافعا الشِّعرَ ، فمنعه من صلة بشار .

---

(١) فى المختار: «من التعجرد» لكن شرحه بأنه هوالعريان يؤيد المعجرد كما جاء فى الأغانى.
(٢) النقرى : الدعوة الخاصة .

وأجمع العلماء بالبصرة على أن ليس فى هجاء حماد لبشار شىء جيد سوى أربعين بيتا ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد ، وكل واحد منهما هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا مجتمعين فسقط حمادُ عجردٍ وانهتك بفضل بلاغةِ بَشَّارٍ وجودة معانيه ، وبقى بشار على حاله لم يسقط ، وعُرِف مذهبه فى الزندقة فقُتِل به .

قال أبو نواس : كنت أتوهم أن حمادَ عجرد إنما رُمِىَ بالزندقة لمجونه فى شعره حتى حُبِست فى حبس الزنادقة ، فإذا حماد إمام من أئمَّتهم ، وإذا له شعر يقرءونه فى صلاتهم.

وكان له صاحب يقال له حُرَيث على مذهبه ، ولما مات عزَّاه بشار ، وفيه يقول ونسبه إلى أنه ابن نِهْيَا:

يا ابنَ نِهْيَاَ رأْسى علىَّ ثقيلُ ... واحتمالُ الرأسينِ خَطْبٌ جَليلُ
ادعُ غيرى إلى عبادة رَبَّيْــ ... ـنِ فإنى بواحدٍ مشغولُ[1]
يا ابن نِهْيَاَ بَرِئتُ منك إلى اللَّـ ... ـهِ تعـالى وذاك منى قَليــلُ[2]

فأشاع حمادٌ لبشارٍ هذه الأبيات فى الناس ، وجعل مكان « فإنى بواحد مشغول » « فإنى عن واحدٍ مشغول » ليصحِّح عليه الزندقة والكفر ، فما زالت الأبيات تدور بين الناس حتى انتهت إلى بشار ، فاضطرب منها وجزع وقال : أشاط[3] ابنُ الزانية دمى ، والله ما قلت إلّا « إنى بواحد مشغول » فغيَّرها حتى شهرنى بما يُهلكنى .

قيل لعبد الله بن ياسين : إن بشاراً المُرَعَّثَ هجا حمَّاداً ونبَّطه. فقال عبد الله :

---

(١) فى الأغانى: إلى عبادة الاثنين .
(٢) فى الأغانى : منك إلى الله جهارا وذاك .
(٣) أشاط دمه : عمل فى هلاكه .

قد رأيت جَدَّ حمادٍ كان يسمى كُلَيْبا ، وكانت صناعتُه لا يكون فيها نَبَطِيّ ، كان يَبرِى النَّبْلَ ويَرِيشُها ويقال له كُليبٌ النَّبَّال مولى بنى عامر بن صعصعة .

كان رجل من أهل البصرة يدخل بين بشار وحماد على اتفاق منهما ورِضًى بأن ينقل إلى كلّ واحد منهما وعنه الشعر ، فدخل يوما إلى بشار ، فقال : إيه يا فلان ، ما قال ابن الزانية فِىّ ؟ فأنشده :

أنت ابن بُرْدٍ مثلُ بُرْ دٍ فى الرَّذَالة والنَّذَالَهْ

مَن كان مثلَ أبيك يا أعمى أبوه فلا أبَا لَهْ

فقال : جَوَّد ابن الزانية .

ولما أُنشد بشارٌ قول حماد :

دُعِيت إلى بُرْدٍ وأنت لغيرِه فهَبْك لِبُرْدٍ نِكْت أُمَّك مَنْ بُرْدُ

فقال لراويته : أهاهنا أحد ؟ فقال : لا ، فقال : أحسن والله ابنُ الزانية ما شاء ، ولقد تَهَيَّأ له فى هذا البيت خَمْسة معانٍ من الهجاء ، قوله : « دعيت إلى برد » معنى، وقوله : « وأنت لغيره » معنى ، وقوله : « فهَبْكَ لبرد » معنى ثالث ، وقوله : « نِكْت أُمّك » شَتْم مُفرد ، واستخفافٌ مُجَدَّد ، وهو معنى رابع ، وقوله : « مَنْ بُرد » معنى خامس . فأتى بالطلبة ، ولقد طَلَب جريرٌ فى هجائه الفرزدقَ تكثير المعانى ونحا جريرٌ هذا النحو فلم يقدر على أكثر من ثلاثة معانٍ فى بيت ، وهو :

لما وَضَعْتُ على الفَرزدق مِيسَمى وضَغَا البَعِيثُ جَدَعْتُ أنفَ الأخْطَلِ (١)

فلم يُدْرِكْ أكثر من هذا .

(١) الميسم : المكواة . وضغا : استخذى ، أو صاح وضج .

ولما قال حماد :

يا بنَ نِهْيا رأسى عَلَىَّ ثقيلُ واحتمالُ الرأسينِ خَطْبٌ جليلُ

وبلغَ بشاراً، قال : والله ما أُبالى بهذا من قوله ، وإنما يغيظنى تجاهُلُه بالزندقة ، يُوهِم الناس أنه يَظُنُّ الزنادقةَ تعبد رأساً ليظنَّ الُجهّال أنه لا يعرفها ، لأن هذا قول تقوله العامّة لا حقيقة له ، وهو واللهِ أعلم بالزندقة من مانِى .

وجاء البصرىُّ الذى كان يَرْوِى لهما ما يقول كلٌّ واحد ، فقال له بشار : إيهِ يا فلان ، ما قال ابنُ الزانية ؟ فأنشده :

إنْ تاهَ بشارٌ عليكم فقدْ أمكنْتُ بَشّاراً مِن التِّيهِ

فقال بشار : بأىّ شىء ويحك ؟ فقال :

وذاكَ أَنْ سَمَّيْتُه باسمِه ولم يَكُنْ خَلْقٌ يُسَمِّيهِ(١)

فقال : سَخِنَتْ عينه ، بأىِّ شىء كنت أُعْرَف ؟ فقال :

فصار إنساناً بِذِكْرِى له ما يَبْتغى مِن بعدِ ذِكْرِيهِ

فقال : ما صنع شيئا ، إيه ويحك ، فقال :

لم أهجُ بشّاراً ولكنَّنى هَجَوتُ شِعْرِى بِهجائيهِ

فقال : على هذا المعنى دار ، وحوله حام ، إيه ، وماذا قال أيضاً ؟ فقال :

ألَا مَنْ مُبلغٌ عنى الـ ـذى والدُه بُرْدُ

فقال : صدق ابن الزّانية ، فما يكون ؟ قال :

إذا ما نُسِب الناسُ فلا قَبْلٌ ولا بَعْدُ

فقال : كذب ابن الفاعلة فإنّ هذه العِصَابةَ من عُقيل(٢) ؛ فقال :

---

(١) فى الأغانى : وذاك إذ سميته . . ولم يكن حر .

(٢) كذا فى المختار . والذى فى الأغانى : فأين هذه العرصات من عقيل .

وأعمى قَلْطَبانٌ ما[1] على قاذِفِه حَـــدُّ

فقال: كذب ابنُ الفاعلة، بل عليه ثمانون جلدة، هيه، فقال:

شبيه الوجهِ بالقِـــرْدِ إذا ما عَمِى القِـــرْدُ

فبـكى بشار، فقيل له: أتبـكى من هجائه؟ فقال: والله ما أبـكى من هجائه. ولـكن أبـكى لأنه يرانى فيصفنى ولا أراه فأصفه. ولما اتصل ببشار هذا البيت:

ويا أقبح من قردٍ إذا ما عَمِىَ القِـرْدُ

قال: لا إله إلا الله، قد كنتُ واللهِ أخاف أن يأتى به، والله لقـد خطر لى من أكثر من عشرين سنة وخفت أن أُهْجَى به حتى وقع عليه النبطىُّ ابنُ الزانية.

أشاع بشارٌ فى الناس أن حماد عجرد كان ينشد شعراً وبإزائه رجل يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه، فقال حماد: على ماذا اجتمعوا؟ فوالله إنى أقول أحسن مما يقول، فـكان بشار يقول: لما سمعت هذا منه مَقَتُّه عليه.

ولبشار يهجو حمادا:

ما لُمتُ حَمَّادًا على فِسْقِه يلومُه الجـاهِلُ والمائقُ[2]

وما هما من أيره واسته[3] مَلَّـكه إياها الخـــالقُ

ما بات إلّا فاسقٌ فَوْقَه[4] ينيـكه أو تحتـــه فاسقُ

وبالغ بشار فى هجاء حماد، ولـكنْ حكم الناسُ لحماد عليه فى هذه الأبيات:

لو طُلِيَت جِلْدَته عَنْـبرًا لأفسـدَتْ جِلْدَتُه العَنبرا

أوْ طُلِيَتْ مِسْـكا ذَكِيًّا إذًا تَحَوَّل المسكُ عليـــه خرَا

---

(١) القلطبان: الديوث والذى لا غيرة له.

(٢) المائق: الأحمق.

(٣) فى ك: وما هم من فى أيره واسته.

(٤) فى الأغانى: ما بات إلا فوقه فاسق.

اتصل حمادُ عجردٍ بالربيع يُؤَدِّب ولده ، فكتب إليه بشار :

يا أبا الفضـــلِ لا تَنَمْ　　وقع الذئبُ فى الغَنَمْ
إن حمَّادَ عَجــردٍ　　إن رأى غفــلةً هَجَمْ
بين فَخْذيهِ حَربةٌ　　فى غلافٍ من الأَدَمْ
إن خــلا البيتُ ساعةً　　مَجْمَجَ الميمَ بالقَــلَمْ

فقال : فلما قرأها الربيع قال : صَيَّرَنى حمادٌ دَرِيئة للشعراء ، أخرِجوه عنّى ، فأُخرج . وقيل إن حماداً دُعِى لتأديب ولد العباس بن محمد الهاشمىّ ، وإن الأبيات إنما كتبها بشار إلى العباس بن محمد . ولما أخرج العباسُ حمّاداً وانقطع عنه ما كان يصل إليه أوجعه ذلك فقال يهجو بشارا :

لقدَ صار بشَّارٌ بصيرا بدُبْرِه　　وناظرُه بين الأنامِ ضَريرُ
له مُقْلَةٌ عمياء وأُسْتٌ بصيرةٌ　　إلى الأَيْر من تحت الثياب تُشيرُ
على وُدِّه أنَّ الحمير تَنيكه　　وأن جميع العالمين حَميرُ

وقد فعل مثل هذا بعينه حمادُ عجردٍ بقُطْرُب ، فإن المهدىَّ اتخذ قُطربا لبعض أولاده ، وكان حماد عجرد يطمع فى أن يكون هو مُؤَدِّبَه ، فلم يتمّ له ذلك لتهتكه وشهرته بين الناس بما قاله بشار فيه ، فلما تمكن قطربٌ فى موضعه صار حمادٌ كالملقى على الرضَف (١) فجعل يقوم ويقعد بقُطْرب فى الناس ، ثم أخذ رقعة فكتب فيها :

قلْ للأمــيرِ جزاكَ الله صالحةً　　لاتَجْمع الدَّهْرَ بين السَّخْل والذيبِ
السخلُ غِرٌّ وهمُّ الذئبِ غفلَتَهُ (٢)　　والذئبُ يعلم مافى السَّخْلِ من طِيبِ

---

(١) الرضف : الحجارة المحماة .
(٢) فى الأغانى : وهم الذئب فرصته .

فلما قرأها المهديُّ قال: انظروا لا يكون المُؤَدِّب لُوطِيًّا، ثم قال: انفُوه عن الدار، فأُخرج عنها وجِيءَ بمؤدب غيره، ووُكِّل به سبعون[١] خادما يتناوبون على حفظ الصبي[٢]، وخرج قطرب هاربا بما شهره به حمادٌ إلى عيسى بن إدريس العِجْلى ابن أبي دُلف، فأقام معه بالكَرَج إلى أن مات.

كان مُجاشع بن مَسعدة أخو عمرو بن مَسعدة هجا حمَّادَ عجردٍ وهو صبي حينئذ ليرتفع بهجائه حماداً، فتركه حمَّادٌ وشبَّب بأُمِّه فقال:

راعَتْك أُمُّ مجاشعٍ بالصَّدِّ بعد وِصالِها
واستَبْدَلَتْ بكَ والبلاءُ عليك في استبدالِها
جِنِّيَّة من بَرْبَرٍ مشهورة بجمالِها
لخِرامُها أشهى لنا ولها من استحلالِها

فبلغ الشعرُ عَمْرَو بن مَسعدة، فبعث إلى حمَّادٍ بصِلَةٍ، وسأله الصَّفْحَ عن أخيه ونَالَ أخاه بكلِّ مكروه فقال له: ثَكِلَتْك أُمُّك، تتعرَّض لحماد وهو يُناقِفُ بَشَّاراً، والله لو قاوَمْتَه لما كان لك في ذلك فخر، وإن تعرَّضْتَ له ليهتِكَنَّك وسائرَ أهلك وليَفضَحَنَّا فضيحةً لا نَغسِلها أبداً عنا.

كان أبو حنيفة رضى الله عنه صديقا لحمادٍ عجردٍ فنَسَك أبو حنيفة وطلب الفقه، فبلغ فيه ما بلغ، ورفض حمادا وبسط لسانه فيه، فجعل حماد يُلاطفه ليكفَّ عن ذكره، وأبو حنيفة يذكره، فكتب إليه حماد بهذه الأبيات:

إن كان نُسْكُك لا يَتِمُّ بغيرِ شَتْمِي وانتقاصِي
أوْ لم يكن إلَّا به تَرْجو النجاةَ من القِصاصِ

---

(١) في الأغاني: تسعون.

(٢) في الأغاني: يحفظون الصبي.

فلطالما زَكَّيْتَنِى وأنا المُقيم على المَعاصِى
أيامَ تأخذها وتُعـ طِى من أباريقِ الرَّصاصِ

فأمسك أبو حنيفة بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه ، وقيل : إن ذلك كان مع يحيي بن زياد ، وأنه كتب بهذه الأبيات إليه وزاد فيها(١) :

هل تذْكُرَنْ دَلَجى إليـ ك على المُضَمَّرَةِ القِلاصِ(٢)
فعليك فاشتُمْ آمِناً كلَّ الأمانِ من القِصاصِ
واقْعُد وقُمْ بى ما بدا لك فى الأدانى والأقاصِى
فلطالما زَكَّيْتنى وأنا المُقيم على المعاصى
أيام أنت إذا ذُكِرْ تُ مُناضِلٌ عنى مُنَاصِى(٣)
وأنا وأنت على ارتكا بِ المُوبِقات من الحِراصِ
وبنا مَواطِنُ ما تُنا فى البِرِّ آهِلَةُ العِراصِ

فلما اتصل الشعرُ بيحيي بن زِياد نَسبَ حمادًا إلى الزندقة ، ورماه بالخروج عن الإسلام ، فقال حمادٌ فيه :

لا مُؤمِن يُعْرَف إيمانُه وليس يَحْيي بالفتى الكافِرِ
صافق ظاهره ناسك مخالف الباطنِ والظاهِرِ

قال أبو يعقوب الخريمىّ : كنت بمجلس فيه حماد ومعنا غلام أمرد فوضع حماد عينه عليه وعلى الموضع الذى ينام فيه ، فلما كان الليل اختلفت مواضع نومنا ، فنمت

---

(١) أضاف إليها فى الأغانى بيتين مما سبق والرابع أيضا منها مع تغيير فى روايته وذكره ابن منظور هنا ثانيا .

(٢) الدلج : السير من أول الليل ، والقلاص جمع القلوص وهى من الإبل الشابة أو الباقية على السير .

(٣) المناصى : المجاذب بناصية صاحبه .

فى موضع الغلام . ودب حمادٌ إلىَّ وظننى الغلام، فلما أحسست به أخذت يده فوضعتها على عينى العوراء لأعلمه أنى أبو يعقوب ، قال: فنتر يده ومضى فى شأنه وهو يقول « وفَدَيناه بذِبح عظيمٍ »

وكان الوليد بن يزيد أمر شُرَاعة أن يسمِّىَ له جماعة ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة ، فسمّى له مُطيعَ بن إياس وحمَّادَ عجردٍ والمعيطىَّ المُغنى ، فكتب فى إشخاصهم إليه ولم يزالوا من ندمائه إلى أن قتل ، ثم عادوا إلى أوطانهم .

كان حُريث بن الليث[1] الحنفى صديقا لحماد عجرد ، وكان يعابثه بالشعر ويعيبه بالبخل وفيه يقول :

حُرَيثٌ أبو الصَّلْت ذُو خِبرةٍ[2] … بما يُصلح المِعْدَةَ الفاسِدَهْ
تَخوَّفَ تُخْمَةَ أصحابِه … فعوَّدَهم أكلةً واحدَهْ

ضَرِط رجل فى مجلسٍ فيه حماد عجرد ومطيع بن إياس ، فتجلد وضَرِط أخرى مُتعَمِّدًا ، ثم ثَلَّثَ ليظنُّوا أن ذلك كله تعمُّدا ، فقال له حماد : حسبك يا أخى فلو ضرطت ألفاً لعُلِم أن المُخلِف[3] الأول مُفْلِت .

نزل حماد عجرد على محمد بن طلحة ، فأبطأ عليه بالطعام ، فاشتد جوعه فقال :

زُرْنا امرأً فى بيته مَرَّةً … له حَياءٌ وله خِيرُ
يَكْرَه أن يُتخِم أضيافَهُ … إنّ أذى التُّخْمة مَحذورُ
وَيشتهِى أن يُؤجروا عنده … بالصَّوْمِ والصائمُ مَأجورُ

فلما سمعها محمد قال : عليك لعنةُ الله ، أى شىء حملك على هِجائى ، وإنما انتظرت

---

(١) فى الأغانى : حريث بن أبى الصلت .
(٢) فى الأغانى : حريث أبو الفضل .
(٣) المخلف : الكريه .

أن يُفْرغ لك الطعام ، قال : الجوع ويحك حملنى على القول ، ولو زِدْتَ فى الإبطاء زِدْتُ فى القول ، فمضى مبادرا وأحضر المائدة .

كان حماد عجرد يُعاشر الأَسْود بن خلف ولا يكادانِ يفترقانِ ، فمات الأسودُ قبله. فقال يرثيه :

قلت لِحَنَّانةٍ دَلُوحٍ تَسفَح من مَثْعَبٍ سَحُوحِ (١)
جادَتْ علينا لها رَبَابٌ بوا كِفٍ هاطلٍ نَضُوحِ (٢)
أُمِّى الضريحَ الذى أُسمِّى ثم استهِلِّى على الضَّرِيحِ
على صَدَى أسْوَدَ المُوارَى فى اللَّحْدِ والتُّرْبِ والصفيحِ
فاسْقِيه رِيًّا فأصبحيه ثم اغْبقِيه مع الصَّبُوحِ (٣)
ليس من العَدْل أن تَشِحِّى على امرئٍ ليس بالشحيح

أنشد مصعب (٤) لحماد عجرد يهجو أبا عَوْنٍ مولى جَوْهَرَ ؛ وكان يُقَيِّن عليها ، وكان حماد عجرد يميل إليها فإذا جاءهم ثَقَّل ولم يمكن أحداً من أصدقائها أن يخلو بها ، فيضر ذلك بأبى عون ، فجاءه يوما وعنده أصدقاء لجاريته ، فحجبه ، فقال فيه :

إن أبا عَوْنٍ ولا يَرْعَوِى ما رَقَّصَتْ رَمْضَاؤُها جُنْدُبا

---

(١) سحابة حنانة : لها حنين أى صوت يشبه صوت حنين الإبل . دلوح: كثيرة الماء. والمثعب : المجرى والمسيل . والسحوح من سح المطر سال وسحابة سحوح صبابة المطر .
وفى الأغانى : تسح من وابل سفوح .

(٢) الرباب : السحاب الأبيض أو السحاب الذى تراه دون السحاب الأعلى جمع ربابة. أو هى السحابة التى قد ركب بعضها بعضا .

(٣) فى الأغانى :

فاسقيه ريا وأوطنيه ثم اغتدى نحوه وروحى
اغدى بسقياى فاصبحيه ثم اغبقيه مع الصبوح

(٤) مطلع هذا النص غير واضح فى مصورة ك وأثبته من الأغانى وباقيه من نسخة ك .

ليس يرى كسباً إذا لم يكن من كسب شفرىْ جوهرٍ طيِّبا
فسلط الله على ما حوى مئزرُها الأفعى أو العقربا
ينسب فى الكَشْخ ولا يشتهى بغير ذاك الاسم أن ينسبا

فقال فيه أيضا :

تفرحُ إن نِيكتْ وإن لم تُنَكْ بتَّ حزين القلب مُسْتَعْبِرَا
أسكرك القوم فساهلتهم وكنت سَهْلا قبل أن تسكرا

وفى جوهر هذه يقول حماد :

إنى أحبك فاعلمى إن لم تكونى تعلمينا
حبًّا أقلُّ قليله لجميع حب العالمينا

لم يزل بشارٌ يهجو حماداً ولا يَرْفُث فى هِجائه حتى قال حمادٌ فيه :

مَن كان مثل أبيك يا أعمى أبوه فلا أبالَهْ
أنت ابن بُرْد مثل بُرْ دٍ فى النذالة والرذالهْ
أدَّتك من جُحْرِ أستها فى الُحشّ خارئة غزالَهْ (١)
من حيث يخرج جَعْرُ مُنْـ ـتِنَةٍ مُدَنَّسَةٍ مُذَالَهْ (٢)
أعمى كَسَتْ عينيه من وَذَحِ اسْتِها وكَسَتْ قذالَهْ (٣)
خنزيرة بظراء مُنْـ ـتِنَة البُداهة والعُلالَهْ (٤)

---

(١) الحش : موضع قضاء الحاجة . وفى الأغانى : زحرتك من جعراستها .
(٢) الجعر : ما يبس من العذرة فى الدبر . والمذالة : الأمة .
(٣) الوذح : ما تعلق بأصواف الغنم من البعر .
(٤) البداهة : أول جرى الفرس . والعلالة : الجرى الذى يكون بعد البداهة : أى منتنة فى أولها وآخرها .

وَشماءُ خَضْراءُ المَغــا بنِ رِيحُها ريحُ الإهالَهْ(١)
عَذراءُ حُبْـلَى يا لَقومى للمجَانَة والضــلالَهْ(٢)
مَرَقَتْ وصارت قَحْبَةً بِجِعالة وبلا جِعالَهْ
ولقــد أقلتُك يا ابن بُرْ دٍ فاجترأتَ فلا إقالَهْ

فلما بلغت هذه الأبياتُ بشارا أطرق طويلا ثم قال : جزى الله ابنَ نِهْيا خيرا . فقيل له : علامَ تُجْزِيه خيراً ؟ أعلى ما تسمع ؟ قال : نعم ، والله لقــد كنتُ أردّ على شيطانى أشياء من هجائه إبقاء على المروءة ، ولقد أطلق من لسانى ما كان مُقَيَّدا عنه ، وأهْدَفنى عَورةً مُمكنة منه . فلم يزل بعد ذلك يذكر أمَّ حماد فى هجائه ويذكر أباه أقبح ذكر حتى ماتت أمُّ حماد ، فقال فيها يخاطب جاراً لحماد :

أبا حاتم إن كنت تزنى فأَسْعِدِ(٣) وَبكِّ حِرًا ولَّت به أمُّ مَجْرَدِ
حِرًا كان للعُزَّاب سهلا ولم يكن أبِيًّا على ذى الزوجة المُتَوَدِّدِ
أُصِيب زُناة القوم لما توجَّهت به أمُّ حمَّادٍ إلى المَضجع الرَّدِى
لقد كان للأدنى وللجار والعِدَا وللقاعِدِ المُعْتَلِّ والمُـتَرَدِّدِ(٤)

كان حَفْص بن أبى بُردة(٥) صديقا لحماد ، وكان مرميًّا بالزندقة ، وكان أعمش قبيح الوجه ، فاجتمعا يوما على شراب وتناشدا ، فطعن حفصٌ على مُرَقِّشٍ ولحَّنه وعاب شعره ، فقال حماد :

---

(١) المغابن : الإبط وما حول الفرج . والإهالة : الشحم والزيت . وفى الأغانى : رسماء خضراء المغابن .
(٢) فى المختار : « المخافة والضلالة » والتصويب من الأغانى .
(٣) فى الأغانى : أبا حامد إن كنت تزنى .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : وللقاعد المعتر والمتزيد .
(٥) فى الأغانى : حفص بن أبى وزة .

لقد كان فى عَيْنَيك ياحفصُ شاغلٌ   وأنف كَثِيل العَوْد عَمَّا تَتَبَّعُ(١)
تَتَبَّعُ لَحْناً فى كلامٍ مُرَقَّشٍ   ووجهُك مبنىٌّ على اللحنِ أجمعُ
فأُذْناك إقواءٌ وأنفُك مُكْفَأٌ   وعيناك إيطاء فأنت المُرَقَّعُ(٢)

أهدى مُطيع بن إياس إلى حماد غلاما ، وكتب إليه : قد بعثت إليك بغلام يتعلم عليه كظم الغيظ .

مرض حمادُ عجردٍ فلم يعده مطيع بن إياس ، فكتب إليه :

كفاكَ عِيادتى مَنْ كان يرجو   ثواب الله فى صِلَةَ المريضِ
فإن تُحْدِثْ لك الأيام سُقْماً   يحول جَرِيضُه دون القَرِيضِ(٣)
يكنْ طُول التأوُّه منك عندى   بمنزلة الطَّنين من البَعُوضِ

حضر حمادُ عجردٍ ومطيعُ بن إياس مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة لأبى العباس ، فتمازحا ، فقال حماد :

يا مُطيع يا مطيعُ   أنت إنسان رَقيعُ
وعن الخيرِ بَطِىءٌ   وإلى الشَّرِّ سَرِيعُ

فقال مطيع :

إن حماداً لئيمٌ   سِفْلَةُ الأصلِ عَدِيمُ
لا تراه الدهر إلَّا   بِهَنِ العَيْرِ يَهِيمُ

فقال له حماد: ويحك أترميني بدائك؟ والله لولا كراهتى لِتمادِى الشرّ ولجاج

---

(١) الثيل : القضيب . والعود : الجمل المسن .

(٢) الإقواء : اختلاف حركة الروى . والإكفاء : المخالفة بين القوافى . والإيطاء : إعادة كلمة الروى لفظا ومعنى . وكلها من عيوب الشعر .

(٣) الجريض من قولهم جرض بريقه : ابتلعه على هم وحزن بجهد ومشقة .

الهجاء لقلتُ لك قولًا يَبْـقَى ولـكنى لا أُفسد مودَّتك ولا أكافئك إلا بالمديح ، ثم قال:

كلُّ شىءٍ ففَـداءٌ لمطيـع بن إياس
رجـلٌ مُستمْلَحٌ فى كلِّ لِينٍ وشِمـاسِ (١)
عِدْل رُوحى بن جَنـبَىَّ وعينى وراسى (٢)
غرس الله له فى كَبدى أحلى غِراسِ
لست دهرى لمطيع بـن إياسٍ قَطُّ نـاسى
ذاك إنسانٌ له فضـلٌ على كلِّ أنـاسِ
فإذاما الـكاس دارتْ واحتساها مَن أُحاسى
كان ذِكرانا مطيعـاً عندهارَيْحانَ كاسى

كان عيسى بن عُمر (٣) بن يزيد صديقا لحمـاد عجرد ، وكان يواصله أيام خدمته للربيع ، فلما طرده الربيع واختلّت حاله جفاه عيسى ، فقال حماد فيه :

كم من أخٍ لك لستَ تنْـكره ما دُمْت من دنيـاك فى يُسْرِ
مُتَصنِّـعٍ لك فى مَودَّتــه يلقـاك بالــترحيب والبِشْرِ (٤)
فإذا عَدَا والدهرُ ذُو غِـيَرٍ دهرٌ عليك عَدَا مــع الدَّهْرِ
فارْفُضْ بإجمالٍ أُخوَّةَ مَن يَقْلِى المُقِـلَّ ويَعْشق المُـثْرِى
وعليـك من حالَاه واحـدةٌ فى العُسْرِ إمَّا كنتَ واليُسْرِ
لا تَخلِطَنَّهمُ بغيرِهمُ مَنْ يَخلِطُ العِقْيـان بالبَعْـرِ

---

(١) الشماس : النفور .
(٢) فى الأغانى : وعينى براسى .
(٣) فى الأغانى : عمرو .
(٤) بعده فى الأغانى بيت .

كان بالكوفة رجل من الأشاعثة يعرف بحُشَيْش ، وكانت أُمه حارثيَّة ، فمدحه حمادُ عجردٍ فلم يثبْه وتهاون به فقال يهجوه :

يا لَقومى للبلاءِ ومَعاريِضِ الشقاءِ
قُسمتْ ألْوِيةٌ بيـ ن رِجالٍ ونساءِ
ظفرتْ أختُ بنى الحا رث مِنها بلواءِ
حادِثٌ فى الأرض يرْتا عُ له أهلُ السماءِ

قال : ثُم عرِضت أسماء العمال على المنصور ، فكان فيهم اسم حُشَيش ، فقال : هذا الذى هجاه حماد ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : لو كان فى هذا خير ما تعرَّض لهذا الشاعر ، فلم يستعمله . وقال حماد يخاطب سَعيدَ بن الأسود ويُعاتبه على صحبته حُشيش :

صِرتَ بعدى يا سعيدُ من أخِلَّاءِ حُشَيْشِ
أتلوَّطْتَ أم استَحْـ لَقتَ بعـدى أم لأيْشِ (١)
حَلَقِيٌّ إسْتُه أوْ سَعُ من إست نُجَيْشِ
ثم بغَّاءٌ على ذا أبْلَعُ الناسِ لِفَيْشِ (٢)
يا بَنِى الأشعث ما عيْـ شُكُم عندى بِعَيْشِ
حين لا يُوجد منكمْ غيرَه قائدُ جَيْشِ

وكان نُجيشٌ هـذا رجلًا من أهل البصرة ، لم يكن بينه وبين حماد شىء ، فلما بلغه هذا الشعر قدم البصرة قاصدا إلى حماد ، وقال له : يا هذا ، ما بالى وبالك ؟

---

(١) الحلاق : صفة سوء فى الرجل وهى أن يكون مأبونا . وفى الأغانى : « أم استخلفت » وظاهر تحريفه .

(٢) الفيش : رأس الذكر . وفى الأغانى : « أبلغ الناس » وظاهر تحريفه .

ما ذنبي إليك ؟ قال: ومن أنت؟ قال : أنا نُجيش ، أمَا وجدتَ أحدا أوسع دُبرا مني تتمثل به ؟ قال : فضحك ثم قال : هذه بَلِيَّة صَبَّها عليك الرَّدَى ، وأنت ظريف ، وليس يجرى بعد هذا مثله ، فودَّعه وانصرف وقال : الله بيني وبينك فقد أبقيتَ عليَّ سُبَّةً لا أعرف لها سَبباً(١) .

كان المهدى قد سأل أباه أن يُوَلِّى يحيى بن زياد عملًا ، فلم يجبه وقال : هو خليع متخرق فى الفقه(٢) ماجنٌ ، فقال : إنه تاب وأناب ، وتضمّنَ عنه ما يحب فولاه بعض أعمال الأهواز فقصده حمادُ عجردٍ إليها وقال من قصائد :

يحيى امرؤٌ زَيَّنَـه ربُّـه ... بفعلِه الأقدمِ والأَحدثِ
إن قال لم يكذبْ وإن ودَّ لم ... يَقْطَع وإن عاهد لم يَنْـكُثِ
أصبحَ فى أخلاقه كلِّها ... موكَّلا بالأسهل الأَدْمَثِ(٣)
طبيعةٌ منه عليها جَرَى ... فى خُلُقٍ ليس بمُستحدَثِ
ورَّثَه ذاكَ أبوهُ فيا ... طِيبَ نَثَا الوارثِ والمُورِثِ(٤)

فوصله يحيى وحمله وكساه ، وأقام عنده مدة وانصرف .

كان عيسى بن عَمْرو وَلِيَ البصرة من قِبَل محمد بن أبي العباس السفّاح ، فقال له حماد عجرد :

قل لِعيسى الأميرِ عِيسى بن عَمْرٍو ... ذى المساعى العِظام فى قَحْطانِ
والبنـاء العالى الذى طال حتى ... قَصُرَتْ دونه يدا كلِّ بانى(٥)

---

(١) جملة : « فودعه وقال الله بيني ... سببا » ليست فى الأغانى .
(٢) فى الأغانى : فى النفقة .
(٣) الأدمث : الأسهل .
(٤) النثا : التحدث عن الإنسان بالمدح أو الذم .
(٥) من تصرفات ناسخ ت : عنه قد قصرت يدا كل بانى .

يا ابن عمرٍو عمرِو المكارم والتقـ ـوى وعَمرو الندى وعمرو الطِّعان
لك جارٌ بالمِصْرِ لم يَجعلِ اللـ ـه له منك حُرْمةَ الجِـيرانِ
لا يصلّى ولا يَصـوم ولا يقـ ـرأ حَرْفا من مُحْكم القرآنِ
إنمـا مَعْدِن الزُّناة من السِّفْـ ـلَةِ فى بيتـه ومأوَى الزَّوانى
وهو خِدْن الصِّبْيان وهو ابن سَبْعِيـ ـن فماذا يَهوى من الصِّبيانِ
طهِّرِ المِصْرَ منه يا أيها المو لَى المُسَمَّى بالعَدْل والإحسانِ
وتقـرّب بذاك فيه إلى اللـ ـه تفُزْ منه فَوْزَ أهل الجِنانِ
يا ابن بُرْد إخسأْ إليك فمثلُ الـ ـكلب فى الناس أنت لا الإنسانِ
ولعمرى لأنت شرٌّ من الـكلا ب وأولى منـه بكلّ هَوانِ

وُلِدَ لبشار ولدٌ ، فقال فيه حماد عجرد :

سائِلْ أمامةَ يا ابنَ بُرْ دٍ مَن أبو هذا الغلامِ
أمِن الحلال أتَتْ به أمْ مِن مُقارفة الحـرامِ
فلتُخْبِرَنَّك أنه بين العِراقِ والشـآمِى
والآخَـرِ الرُّومىِّ والنَّـ بطىِّ أيضاً وابنِ حَامِ
أجعلتَ عِرْسَك شِقْوةً غَرضاً لأَسهمِ كلِّ رَامِى

لما مات محمد بن أبى العباس فى أول سنة خمسين ومائة قال[1] حماد يرثيه :

صِرْتُ للدهر خاشعا مُستكِيناً بعد ما كنتُ قد قهرتُ الدُّهورَا
حين أودى الأمير ذاك الذى كنـ ـت به حيث كنت أُدْعَى أميرا
كنت إذ كان لى أجير به الدهـ ـرَ فقد صرتُ بعـده مُستجيرا
يا سَمِىَّ النبىّ يا ابن أبى العبَّـ ـاس حقَّقْتَ عِنـدىَ المَحذورا

(١) فى الأصل : فقال .

سلبتني المنــــونُ إذ سلبتنيـ ـك سُرورى فلستُ أرجو سُرورا[١]
ليتنى متُّ حين متَّ فلا بَلْ ليتنى[٢] كنتُ قبلَك المَقبــورا
أنت ظَلَّلْتنى الغمام بنعُما ك وَوَطَّأْتنى وطاءً أثــيرا[٣]
لم تَدَعْ إذ مَضيتَ فينـا نَظيرًا مثـــل ما لم يدع أبوك نَظيرَا

كان أبو جعفر المنصور يبغض محمد بن أبى العباس السفاح ، فولاه البصرة عقب مقتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فقدمها ، وأصحبه المنصور قوما يُعاب بصحبتهم مُجَّانا زنادقة ، منهم حمادُ عجردٍ وحمادُ بن يحيي ونظراؤهم ، ليغضَّ منه عند الناس ، ويرفع من ابنه المهدى وكان محمد بن أبى العباس يُحَمَّق وكان إذا ركب يغلّف لحيته بأواقٍ من الغالية حتى تسيل على ثيابه فيصير شُهره ، فلقبوه أبا الدِّبْس[٤]، وفيه يقول بعض الشعراء :

صِرْنا من الرِّبْح إلى الوَكْسِ إذ وَلِىَ المِصْرَ أبو الدِّبْسِ
ما شِئْتَ من لُؤْم على نفسه وجِنْسُه من أكرمِ الجِنْسِ

ولما أقام بالبصرة قال : لقد عزمت على أن أعرِض أهل البصرة بالسيف يوم الجمعة ، فأقتل كل من وجدت لأنهم خرجوا مع إبراهيم ، فقالوا له : نعم نحن نفعلُ ذلك ، لما يعرفونه منه ، ثم جاءوا إلى أمه أمِّ سَلَمَة بنت أيوب بن سَلَمة المَخزومية فأعلموها بذلك وقالوا لها : لئن هم بذلك ليُقتَلَنَّ ولتُقْتَلِنَّ أنت معه[٥] فإنما نحن فى البصرة

---

(١) فى الأغانى . سلبتنى الهموم أو سلبتنيك .
(٢) فى الأغانى : ليتنى مت حين موتك لا بل .
(٣) فى الأغانى : ووطأت لى وطاء وثيرا .
(٤) الدبس : عسل التمر وعصارته .
(٥) فى الأغانى « ولنقتلن معه » .

أكلة رأس ، فخرجت إليه وكشفت عن شعرها(١) وأقسمت عليه بحقها حتى كف عما كان عزم عليه ، وكان محمد بن [أبى] العباس فى نهاية القوة والشدة ، فعاتبه المهدى ، فغمز ركاب المهدى حتى انضغطت رجل المهدى فى الركاب وانجرحت حتى رد محمد الركاب بيده ، فأخرج المهدىُّ رجله ، وكان محمد بن أبى العباس قد هوى زينب بنت سليمان بن على لما قدم البصرة ، وخطبها فلم يزوجه لشىء كان فى عقله ، وقال فيها أشعارا ، فلما عزله المنصور عن البصرة قال لما أراد الخروج فى بنت سليمان :

أيا وقفة البينِ ما ذا شَبَبْتِ ... من النار فى كَبِد المُغْرَمِ

رَمَيتِ جَوارحه إذ رَميتِ ... بقوسٍ مُسَدَّدَةِ الأسْهُم

وقفنا لزينبَ يوم الوَداعِ ... على مِثل جمر الغَضَا المضْرَمِ

فمِنْ صَرْفِ دَمْعٍ جرى للفراق ... ومُمْتزِجٍ بعده بالدَّمِ

وعمل حماد عجرد فيها قصائد على لسان محمد ، فلما سمع محمد بن سليمان نَذَر دمه . فلم يقدر عليه لمكانه من محمد ، ولما مات محمدٌ طلب محمدُ بنُ سليمانَ حمادَ عجردٍ لِمَا كان يقوله فى أخته زينب من الشعر ، فعلم أنه لا مُقام له معه فى البصرة ، فمضى واستجار بقبر أبيه سليمان بن علىّ وقال فى ذلك من أبيات :

مِنْ مُقرٍّ بالذنب لم يُوجب اللـ ... ـه عليه بِسَيِّئٍ إقرارَا(٢)

يا ابنَ بنتِ النبىّ إنِّىَ لا أجـ ... ـعلُ إلا إليك منك الفِرارا(٣)

غير أنى جعلت قبر أبى أيـ ... ـوب لى من حوادث الدهر جارا

وحَرِىٌّ من استجار بذاك الـ ... ـقبرِ أن يأمن الرَّدَى والحِذَارا(٤)

---

(١) فى الأغانى : عن ثدييها .

(٢) بعده فى الأغانى بيت .

(٣) فى الأغانى : يا ابن بنت النبى أحمد لا أجعل .

(٤) فى الأغانى : الردى والعثارا .

لم أجد لى من الأنام مُجِيرا فاستجَرْت الترابَ والأحجارا(١)
فأنا اليوم جارُ من ليس فى الأر ضِ مُجيرٌ أعزُّ منه جِوارَا
إن أكنْ مُذنبا فأنت ابنُ من كا ن لمن كان مُذنِبا غَفَّارَا
فاعفُ عنّى فقد قدرتَ وخيرُ ال عفو ما قلتَ كُنْ وكان اقتدارا
لو يُطيلُ الأعمارَ جارٌ لِعزٍّ كان جارى يُطوِّلُ الأعمارا

فلما بلغه أنه عند قبر أبيه قال: والله لأملأنّ قبر أبى بدمه، فهرب إلى بغداد فعاذ بجعفر بن المنصور فأجاره وقال: لا أرضى إلا أن تهجو محمد بن سليمان، فهجاه فقال:

قُلْ لوجْهِ الخصِيِّ ذى العارِ إنى سوف أُهدِى لزينبَ الأشعارَا
قد لعمرى فَرَرْتُ من شدَّة الخو ف فأنكرتُ صاحِبَىَّ نهـارَا
وظننتُ القبورَ تمنعُ جاراً فاستجَرْت الترابَ والأحجارَا
كنتُ عند استجارتى بأبى أيـ وبَ أبغى ضَلالةً وخَسارا
لم يُجِرْنى ولم أجد فيه حَظًّا أضرم الله ذلكَ القبرَ نارَا

وبلغ هجاؤُه محمدَ بن سليمان فقال: والله لا يُفلتنى أبدا، وإنما يزداد حتفا بلسانه، ولا والله أغفر له ولا أتغافل عنه أبدا. وهرب إلى الأهواز فأقام بها مستترا، وبلغ محمداً خبرُه عند سليمان بن سالم، ثم خرج يُريد البصرة، فمرّ بِشِيرَزاذانَ فى طريقه، فمرض بها، فاضطر إلى المقام بها، فأقام واشتدّت علته فمات ودُفن هناك على تَلْعة، وقيل: إن محمد بن سليمان أرسل إلى الأهواز مولى له فطلبه حتى ظفر به فقتله غِيلة. وكان بشارٌ لما بلغه أن حمادا عليل لما به قال:

لو عاش حمَّادٌ لَهَوْنا به لكنه صار إلى النارِ

(١) بعده فى الأغانى بيت.

فبلغ البيتُ حمَّاداً قبل أن يموت وهو فى السِّيَاق[1] فقال يردّ عليه :

نبئت بشَّاراً نعـانى وللـ ... ـموتِ بَرَانى الخالقُ البَارِى

يا ليتنى مِتُّ ولم أَهْجُـه ... نعمْ ولو صِرْتُ إلى النـارِ

وأىُّ خِزْيٍ هو أخزى مِنَ اَنْ ... يقـال لى يا سِبَّ بَشَّارِ

ولما قَتل المهدىُّ بشَّاراً بالبَطِيحَةِ حُمِل إلى منزله ميتا ودفن مع حماد ، وقيـل فيهما من الأشعار ما هو فى ترجمة بشار .

---

(١) السياق : نزع الروح .

حُرَيْثُ الطائى (١)

هو حُرَيثُ بن عَنَّاب (٢) بن مَطر بن سِلسلة بن كعب بن عَوْف بن عنبر (٣) بن نائل ابن أسْوَدَان ـ وهو نَبْهان ـ بن عمرو بن الغَوْث بن طيء ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية وليس مذكورا من الشعراء ، لأنه كان بدويا مُقلاًّ لا يتصدى للشعر فى مدح ولا هجاء ولا يعدُو بشعره أمرَ ما يَخُصُّه . وكان يهوى امرأة يقال لها حُبَّى بنت الأسود من بنى بُحْتُر كان يتحدث إليها ، ثم خطبها فوعده أهلُها أن يزوجوه ، ووعدته ألّا تُجيبَ إلى تزويجٍ إلّا به ، فخطبها رجلٌ من بنى ثُعَل وكان مُوسِراً فمالت إليه وتركت حُرَيْثاً ، وقد خُيِّرت بينهما فاختارت الثُّعَلى فتزوجها ، فهجا حريثٌ قومَها وقومَ زوجها فما كان قاله فيهما :

هل قلبُكَ اليومَ عن شَيْمَاءَ مُنْصَرِفُ … أم أنت (٤) ما عِشتَ مجنونٌ بها كَلِفُ

ما تُذكَرُ اليومَ إلّا صَدَّعَتْ كَبِداً … حَرَّى عليها وأجرَتْ دمعةً تَكِفُ

يَدوم وُدّى لمن دامت مَودَّتُه … وأصرف النفس أحيانا فتنصرفُ

يا وَيحَ كُلِّ مُحبٍّ كيف أرحمه … كأننى (٥) عارِفٌ صِدْق الذى يَصِفُ

---

(١) الأغانى : دار الكتب ١٤/٣٨٢ وانظر ص ٣٨١ ودار الثقافة ١٤ /٣٦٤ وانظر ص ٣٦٣ وبولاق ١٣/١٠٢ والساسى ١٣/٩٨ والتجريد ١٦٠١ .

(٢) فى المختار : « عتاب » وفى الأغانى نص أنه بالنون .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : عنين .

(٤) فى الأغانى : عن شنباء منصرف وأنت .

(٥) فى الأغانى : لأننى .

لا تأمَنَنْ بعدَ حُبَّى خُلَّة أبـــداً ... على الخيانةِ إنَّ الخـائِنَ الطَّرِفُ(١)
كأنها ريشــة فى عُرْضِ بَلْقَعةٍ ... من حَيثُ ما واجهَتْها الريح تَنْصَرِفُ
يُنْسِى الخليلَينِ طُولُ النأيِ بينهما ... وتَلْتَقى طُرَفٌ شَـــتَّى فتأْتَلِفُ

ومما قاله يهجو بنى ثُعل قوم المتزوِّج بها :

بَنِى ثُعَلٍ أهْلُ الخنَاما حَدِيثُكُمْ ... لـكم مَنطقٌ غاوٍ وللنـاسِ مَنْطِقُ
كأنـكم مِعزَى قواصِـــعُ جِرَّة ... من العِىِّ أو طَــيرٌ بخَفَّانَ يَنْعِقُ
دِيافِيَّةٌ خُلْفٌ كأنّ خَطِيبَهم(٢) ... سَراةَ الضُّحَى فى سَلْحِه يتمَطَّقُ

ولم يَزلْ حُريثٌ يهجو بنى بحتر وبنى ثُـعَلٍ من أجل حُـبَّى ، فبينا هو ذات يوم بخَيْبَرَ وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بفِنائه ينشد هجاءهم وإلى جانبه رجل من بنى جُشم بن أبى حارثة من بنى بُحْتُر يقال له أوْفَى بنُ جُشَم عند بنى أخت له من قريش فسمعه أوفى ينشد :

وإن أحقَّ الناس إلا إهابَه(٣) ... عَتُودٌ يُبارِيه فَرِيرٌ وثَعلَبْ

العتود: التيس الهرم ، والفَرِيرُ : ولد البقرة الوحشية ، وتباريه: تفعل فعله.

فدنا منه أوفى وقال: إنى رجل أصم فتقرَّبْ إلىّ . فقال له : ومن أنت ؟ قال : رجل من قيس ، وأنا أهاجى هذا الحىَّ من بنى ثُعل وبنى بُحْتُر ، وأحب أن أروى الذى يقال فيهم من الهجاء ، فأدنوه منه ، وكان معه هِراوة قد اشتملَ عليها ، فلما تمـكّن من حُريث جمع يديه بالهِراوة وضَرب بها أنفه فَحَطمه ، ووثب القرشىُّ

---

(١) الطرف : من لا يثبت على صاحب . وفسر بهامش الأغانى فى دار الـكتب بمعنى لا يتفق مع الشعر .

(٢) دياف : قرية أهلها نبط فنسبهم إلىأنهم نبط. والخلف جمع أخلف. وهو القليلالعقل وفى الأغانى : ديافية قلف .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : أحق الناس طرا إهانة .

على أوفى فأخذه . ووثب بنو أخته فانتزعوه من القرشي فكاد أن يقع بينهم شرٌّ وأفلت أوفى ، وداوَوا ابنَ عنّاب حتى صَلَح واستوى أنفه ، وقال أوفى في ذلك :

لاقَى ابنُ عنَّاب بخيبر ماجداً ... يَزَعُ اللئام ويَنْصُر الأحسابا
فضربتهُ بهراوتى وتركتهُ ... كالحِلْسِ مُنْعفِرَ الجبينِ مُصابا

ولحق أوفى بقومه .

فلما كان بعد ذلك بمدّة اتّهمه رجل من قريش بأنه سَرَق عبداً له وباعه بخيبر ، فلم يزل القرشيُّ يطلبه حتى أخذه ، وأقام عليه البينة ، وحبسه في سِجن المدينة، فبعث ابن عنَّاب إلى عشيرته بني نَبهان فأَبَوْا أن يعاونوه . وأقبل عُرفاء بني بُحْتر إلى المدينة يريدون أن يؤدوا صدقاتِ قومهم، وفيهم حِصْنٌ وسلامة ابنا مُعرِّض وسعدُ بن عَمْرو وجبّار بن أُنَيْف وغيرهم، فلقُوا القُرشيَّ وانتسبوا له وقالوا له : نحن نُعطيك العِوَض من عبدك ونرضيك ، ولم يزالوا به حتى فعل ، وخلَّى سبيله ، فقال حُرَيثٌ يمدحهم ويهجو قومه الأدْنَين من بنى نَبْهان .

لمّا رأيتُ العبْدَ نَبهان تاركى ... بلمَّاعةٍ فيها الحوادثُ تَخْطِرُ
نُصِرتُ بمنصورٍ وبِابْنَىْ مُعَرِّض ... وسَعْدٍ وجَبَّارٍ بل اللهُ ينصرُ
وذو العَرْش أعطانى المَودَّة فيهم ... وثبَّت ساقِى بعد ما كِدْتُ أَعْثُرُ
إذا رَكِب الناسُ الطريقَ رأيتهمْ ... لهم خابِطٌ أعمى وآخرُ مُبصِرُ
لِكلِّ بنى عمرِو بن غَوْثٍ رِباعةٌ(١) ... وخَيرُهم في الشرِّ والخيرِ بُحْتُرُ

وكان حُرَيثٌ أغار على قوم من بنى أسدٍ فاستاق إبلا لهم ، فطلبه السلطان فهرب من نواحى المدينة وخيبر إلى جَبَلين في بلاد طيء يقال لهما مُرَّى والشَّمُوسُ حتى غَرِم قومه عنه ما طُلِب منه ، ثم عاد وقال في ذلك :

---

(١) الرباعة : السيادة . وفى الأصل: عمرو بن عوف رباعة . هذا، وتقدم أن نبهان هو ابن عمرو بن الغوث . وانظر شرح المرزوقى على الحماسة ص ٦٣٣ ففيه : لـكل بنى عمرو بن عوف .

إذا الدِّينُ أَلْوَى الفساد فقُلْ له(١) ... يَدَعْنا ورُكْناً من مَعَدٍّ نُصَادِمُهْ
بِبِيضٍ خِفافٍ مرهفاتٍ قَواطـــع ... لداودَ فيها أَثْرُهُ وخَواتِمُهْ
وزُرْقٍ كَسَتْ أعجازَها مَضْرَحِيَّةٌ(٢) ... أثِيثٌ خَوافِي رِيشِها بَلْ قَوادِمُهْ
إذا ما خَرَجْنا خَرَّت الأُكْم سُجَّداً ... لعزٍّ عَلَا حَيْزُومُه وعَلَاجِمُهْ(٣)
إذا نحن سِرْنا بين شَرْقٍ ومغربٍ ... تَحرَّكَ يَقظانُ التُّرابِ ونائِمُهْ
وتَفزع منَّا الجِنُّ والإنسُ كُلُّهـــا ... ويُشْرَب مهجورُ المِياهِ وعائِمُهْ
بجيش تظلّ البُلْقُ في حَجَراته ... بِيثرِبَ أُخراه وبالرِّيف قادِمُهْ(٤)
ستَمْنَع مُرَّى والشَّمُوسُ أخاهما ... إذا حكم السلطان حُكْما يُصاحِمه(٥)

---

(١) فى الأغانى : « إذا الدين أودى بالفساد » وانظر شرح المرزوقى ص ٦٣٤ فقد نسبت القصيدة لأبان بن عبدة بن العيار .

(٢) فى الأغانى وشرح المرزوقى : وزرق كستها ريشها مضرحية . والمضرحية جمع مضرحى وهو النسر .

(٣) العلاجم جمع علجم : ومن معانيه موج البحر والحيزوم وسط الصدر والمرتفع من الأرض

(٤) ليس هذا البيت فى الأغانى فى ترجمة حريث وموجود فى شرح المرزوقى .

(٥) بجوارها فى مخطوط كوبرلى : يزاحمه وفى الأغانى : يضاجمه : يميل فيه ويروى يصاحمه يزاحمه .

حَبَابَة[1]

جارية مولّدة من مولّدات المدينة ، حلوة جميلة ، كانت لرجل يعرف بابن ميناوهو خرّجهاوأدبها وقيل كانت لرجل يعرف بابن دنانية[2] وقيل كانت لآل لاحقٍ المكّيين، حسنة الوجه ظريفة ، حسنة الغناء طيبة الصوت ضاربة بالعود ، وكانت تسمى العالية[3] ، فسماها يزيد بن عبد الملك ـ لما اشتراها ـ حَبَابة ، وكان يزيد اشتراها من ابن مينا ، وكانت قد دخلت على يزيد بن عبد الملك فى إزارٍ وبيدها دفٌّ ترمى به وتتلقاه وتغنى :

ما أحسن الجيد من مُلَيكة واللـ ـبَّاتِ إذا زانها ترائبُها

ثم خرج بها مولاها إلى أفريقية ، فلما كان بعد ما ولى يزيد اشتراها . ولما ولى يزيد هذا قال : ما يقرّ بعينى ما أوتيت من الخلافة حتى أشترى سلّامة جارية مُصعب ابن سليم وحَبَابة جارية ابن لاحق المكّية ، فاشتُريتا له ، فلما اجتمعتا عنده قال : أنا الآن كما قيل[4] :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النَّوَى كما قرَّ عينا بالإياب المسافرُ

---

(١) الأغانى: دار الكتب ١٥/١٢٢ ودار الثقافة ١٥/٩٥ وبولاق ١٣/٣٥٤ والساسى ١٣/١٤٨ والتجريد ١٦٢٥ هذا، وضبطت فى مخطوط كوبرلى بتشديد الباء الأولى لكن وردت فى الشعر بتخفيف الباء .

(٢) فى الأغانى طبعة بولاق : بابن رمانة . وفى نهاية الأرب حـ ٥ ص٥٦ : دبابة .

(٣) فى نهاية الأرب : الغالية .

(٤) هذا البيت نسب إلى عبد ربه السلمى ولسليم بن ثمامة الحنفى ولمعقر بن حمار البارقى انظر اللسان عصا والمؤتلف والمختلف معقر بن حمار .

أخبر شيخٌ من أهل ذى خُشُب قال : خرجنا نريد ذا خُشب ونحن مشاة ، فإذا قُبَّة وفيها جارية تغنى :

سلكوا بطن مَخِيضٍ(١) ثمّ ولَّوْا أجمعينا
أورثونى حين ولَّوْا طُولَ خوفٍ وأنِينا

فسرنا معها حتى أتينا ذاخُشب ، فخرج رجل معها فكتب أسماءنا ، فإذا هى حَبَابة جارية يزيد بن عبد الملك فلما صارت إلى يزيد أخبرته بنا ، فكتب إلى والى المدينة أن يعطى كل واحد منا ألف درهم .

كان يزيد بن عبد الملك قد قدم المدينة فى خلافة سليمان فتزوج سُعْدَة بنت عبدالله ابن عمرو بن عثمان على عشرين ألف دينار ، ورُبيحة بنت محمد بن علىّ بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك، واشترى العالية بأربعة آلاف دينار ، فبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجُرَنَّ عليه . فبلغ ذلك يزيد فاستقال مولى حبابة ثم اشتراها بعد ذلك رجلٌ من أهل أفريقية ، فلما ولى يزيد اشترتها سُعدة امرأته ، وعلمت أنه لا بد طالبها ومشتريها ، فلما حصلت عندها قالت له : بقى عليك شىء من الدنيا فلم تنله ؟ قال : نعم ، العالية . قالت : أو رأيتها ؟ قال : نعم ، قالت : أفتعرفها ؟ قال : نعم ، فرفعت الستر فرآها فقال: هذه هى ، فقالت : هى لك . وخرجت عنهما ، فسماها حبابة ، وعظم قدر سعدة عنده . ويقال إنها أخذت العهد عليها قبل أن تهبها له أن توَطِّىء لابنها عنده فى ولاية العهد. وقيل : إن أمَّ الحجاج أمَّ الوليد هى التى ابتاعتها وأخذت عليها العهد بذلك فوفَتْ لها .

خطب يزيدُ إلى خالدٍ أخى سعدة بنت أخ له ، فقال : ما يكفيه أن سُعدة عنده حتى يخطب إلىَّ بناتِ أخى أيضا ؟ وبلغ ذلك يزيد فغضب ، فقدم عليه خالد يسترضيه،

(١) محيص . ومخيض : مذكوران فى معجم البلدان . وفى مخطوط كوبرلى مخيص .

فبينا هو فى فسطاطه إذ أتته جارية لحبابة فى خدمتها ، فقالت له : أم داودتقرأ عليك السلام وتقول : قد كلمت أمير المؤمنين فرضى عنك فالتفت وقال : من . أمُّ داود ؟ فأخبره من معه أنها حبابة، وذكروا له قدرها ومكانها من يزيد . فرفع رأسه إلى الجارية وقال : قولى لها : الرضا عنى سببٌ لستِ به، فشكت ذلك إلى يزيد ، فغضب وأرسل إلى خالد، فلم يعلم بشىء حتى أتاه خادم حبابة فيمن معه من الأعوان فاقتلعوا فسطاطه وقلعوا أطنابه حتى سقط عليه وعلى أصحابه فقال : ويلكم ، ما هذا ؟ فقال رسل حبابة : هذا ما صنعت بنفسك . فقال : ما لها أخزاها الله ، ما أشبه رضاها بغضبها .

وكان أول ماارتفعت به منزلة حبابة عندنريد أنه أقبل يوما إلى البيت الذى هى فيه، فقام من وراء الستر ، فسمعها تترنم وتغنى:

كان لى يا يزيدُ حُبُّك حَيْنَا ... كاد يَقْضِى علىَّ لما التقَيْنَا

يعلم الله أنكم إن نأيتم ... أو قربتم أحبُّ شىءٍ إلَيْنَا

وأصل الشعر :

* كان لى يا شُعَيْر حبُّك حَيْنَا[1] *

فرفع الستر فرآها مضطجعة مقبلة على الجدار، فعلم أنها لم تعلم به ، ولم تدر مكانه، فألقى نفسه عليها وحملت منه[2] .

لما ولى يزيد بن عبد الملك أراد أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز وقال : بماذا صار عمر أرجى لربّه منى ؟ فشق ذلك على حبابة ، وأرسلت إلى الأحوص أن يقول أبياتا، وقالت : إن رددتَه عن رأيه فلك ألف دينار . وقيل إن مسلمة أقبل على يزيد

(١) الشعر لعمر بن أبى ربيعة كما فى الأغانى وديوانه ٥٦٥ وفى الأغانى : « سقير » كما فى الديوان .

(٢) فى الأغانى ونهاية الأرب : وحركت منه .

يلومه على الإلحاح على الغناء والشرب وقال له : إنك وليت عقب عمر بن عبد العزيز وعدله ، وقد تشاغلت بهذه الإماء وتركت الظهور وشهود الجمعة الجامعة ، وامتنعت من النظر فى الأمور ، والوفود ببابك[١] ، وأصحاب الحوائج والظلامات يصيحون ، وأنت غافل فقال: صدقت، وأعتبه ، وهمّ أن يترك الشرب، ولم يدخل على حبابة أياما، فوعدت الأحوص بالألف دينار إن عاد عن رأيه ، فدخل الأحوص على يزيد واستأذنه فى الإنشاد فأنشد :

ألَا لا تَلمْهُ اليـومَ أن يتبلَّدَا ... فقـد غُلِب المحزونُ أن يتجلَّدَا
بكيت الصِّبَا جُهدى فمن شاء لامنى ... ومن شاء آسى فى البـكاء وأَسعدا
وإنى وإن أَغرقت فى طلب الصبا[٢] ... لأَعلم أَنى لست فى الحبِّ أَوْحـدا
إذا أنت لم تعشق ولم تَدْرِ ما الهوى ... فـكن حَجرا من يابس الصخر جَلْمَدا
فـما العيش إلَّا ما تلذُّ وتشتهى ... وإن لام فيـه ذو الشَّنانِ وفَنَّدا

ثم غنّته حَبابةُ وسلَّامة ليزيد ، فلما فرغتا ضرب يزيد بخيزرانته الأرض وقال : صدقتما ، فعلَى مسلمةَ لعنةُ الله وعلى ما جاء به . وطرب يزيد وقال : هاتيا ، فغنتاه :

وعهدى بها صفراء رُؤْدٌ كأنها ... نَضَى عَرَقٌ منها على اللَّوْنِ مُجْسَدا[٣]
مُهفهفة الأَعلى وأسفل خلقهـا ... جرى لحمه من دون أن يتخدَّدَا[٤]
من المُدْمجَات اللحم جَدْلَى كأنها ... عِنانُ صَنَاعٍ مُدْمَجُ الفتْل مُحْصَدا[٥]

(١) فى الأغانى : وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر فى الأمور والوفود ببابك . الخ وفى نهاية الأرب : وقد تشاغلت بهـذه الإماء . كما فى الأغانى . وفى مخطوط التيمورية : وتركت الظهور وشهود الجماعة .

(٢) فى الأغانى ونهاية الأرب : وإنى وإن فندت .

(٣) الرؤد : الشابة الحسنة . والمجسد : القميص المشبع بالزعفران .

(٤) تخدد : هزل ونقص .

(٥) المحصد: المحكم . ومحصدا حال فنصبت .

كأن ذكيَّ المسك بادٍ وقد بدَتْ ... وريح خُزامى طَلُّه يَنفح النَّدَا

فطرب يزيد وأخذ منه الشراب قدره الذى كان يطرب منه ثم غنته أيضا ، فجعل يدور فى الدار ويصيح: الدُّخْن بالنَّوى المسك فى بيطار جنان(١)، وشقّ حلَّته وقال لها: أتأذنين لى أن أطير ؟ فقالت له : ولمن تدع الناس ؟ فقال : لك ، ثم غنت سلَّامة :

فقلت ألَا يا ليت أسماءَ أنصفتْ ... وهل قولُ لَيْتٍ جامعٌ ما تَبدَّدا

وإنى لأهواها وأهوى وِصالها ... كما يشتهى الصادى الزُّلالَ المُبرَّدَا

علاقة حبٍّ لجَّ من زمن الصبا ... فأبلى ولا يزداد إلَّا تجــدُّدَا

وغنّته حبابة :

كريم قريشٍ حين يُنسَبُ والذى ... أقرَّت له بالمُلْك كَهْلًا وأمردَا

وليس عطاءٌ كان منــــه بمانعٍ ... وإن حلَّ من أضعافِ أضعافه غدا

أهانَ تِلادَ المـال فى الحمد إنه ... إمامُ هُدًى يجرى على ما تعوَّدا

تردَّى بمجدٍ من أبيــــه وجدِّه ... وقد أوثقا بنيانَ مجدٍ مُشيَّدَا

فقال لها يزيد : يا حبابة ، ويحك ، ومَن من قريش هــذا ؟ قالت : أنت يا أمير المؤمنين ، قال : ومَن يقول هذا ؟ قالت : الأحوص . وقالت سلَّامة : فليسمع أمير المؤمنين باقى ثنائه عليه فيها ، ثم اندفعت فغنته :

ولو كان بذلُ الجودِ والمالِ مُخْلِدًا ... من الناس إنسانا لَكُنتَ المخلَّدا

فأُقسم لا أنفكُّ ما عِشتُ شاكرا ... لنُعماك ما طار الحمامُ وغرَّدا

ثم قال الأحوص أيضا قصيدته التى أولها :

يا موقدَ النـارِ بالعلياء مِن أَمَمٍ(٢) ... أَوْقِدْ فقَدْ هِجتَ شوقاً غير مُنصرِمِ

---

(١) فى الأغانى : « فى بيطاء جنان » وفى مخطوط كوبرلى لم ينقط الـكلمتين وفى التيمورية قنطار حان .

(٢) فى الأغانى ونهاية الأرب : من إضم .

يا موقد النـــار أوْقِدْها فإن لها سناً يَهِيجُ فؤادَ العاشقِ السَّدِمِ

فقال له يزيد : ارفع حوائجك ، فكتب إليه فى نحو من أربعين ألف درهم من دين وغيره ، فأقام له بها[1] . وقيل : إن الأحوص لما أنشده أبياته الدالية وثب يزيد فدخل على حبابة وهو يتمثل :

وما العيش إلّا ما تلذّ وتشتهى وإن لام فيـــه ذو الشَّنَانِ وفَنَّدَا

فقالت : ما رَدَّكَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : أبيات الأحوص ، فسَلِى ما شِئْتِ . قالت : ألف دينار تعطيها للأحوص ، فأعطاه ألف دينار .

ولما غلب يزيد أهله ، وأبى أن يسمع منهم نُصحَهم ، كلَّموا مولى له خُراسانيًّا ذا قدر عظيم وبلاء عنـــدهم وكانت فيه لُكْنة ، فأقبل على يزيد يعظه وينهاه عما قد ألحّ عليه من الشراب والغناء ، فقال له يزيد : فإنى أحضرك هذا الأمر الذى تنهى عنه ، فإن نهيتنى عنه بعد ما تبلوه وتعرفه انتهيت ، وإنى مخبر جَوارىَّ أنك عمٌّ من عُمومتى ، فإياك أن تتكلم فيعلمن أنك كاذب وأنك لست بعمى . ثم أدخله عليهن ، فغنين والشيخ يسمع ولا يقول شيئا حتى غنين :

وقد كنت آتيكم بِعِلَّة غيركُمْ فأفنيتُ عِلَّاتى فكيف أقولُ

فطرب الشيخ وقال : لا قَيْفَ جعلنى الله فِداقُنَّ . يريد : لا كيف جعلنى الله فداكن ، فعلمن أنه ليس عمه كما ذكر ، فقمن إليه بعيدانهنَّ ليضربنه بها حتى حجزهن عنه يزيد . ثم قال له بعد ما مضى أمرُهن : ما تقول الآن ؟ أَدَعُ هذا الأمر أم لا ؟ قال : لا تدَعْه .

نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة ، فقال له الأحوص : ما تشتهى ؟ قال : شِوَاء وطِلَاء وغِناء . قال : ذلك لك ، ومضى إلى قينة بالمدينة فغنّته :

---

(٧) فى الأغانى : فأمر له بها .

أَلَا حَيِّ الدِّيار بسُعْدَ إنى ... أحبُّ لحُبِّ فاطمةَ الديارا
أراد الظاعنون لِيَحْزُنونى ... فهاجُوا صَدْعَ قلبى فاستطارا

فقال الفرزدق : ما أرقَّ أشعارَكم يا أهل الحجاز وأملحَها ! فقالوا : وما تدرى لمن هذا الشعر ؟ قال : لا واللهِ ، قالوا : لجرير يهجوك به . فقال : ويل ابنِ المراغة ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعرى وأحوجنى مع شهواتى لرقة شعره .

اختلفت حَبَابة وسلَّامة فى صوت لمَعْبَد بين يدى يزيد ، فقال لهما : من أين جاء خلافكما والصوت لمعبد وعنه أخذتما ؟ فقالت هذه : كذا أخذتُه ، وقالت هذه : كذا أخذته . فأحضر معبداً وقال : إن هاتين اختلفتا فى صوت لك ، فاقض بينهما ، فقال لحبابة : غَنِّى ، فغنت . وقال لسلَّامة : غَنِّى ، فغنت . فقال : الصوت ما غَنَّت حَبابةُ . فقالت سلَّامة : يا ابن الفاعلة ، والله إنك لتعلم أن الصواب معى ، ولكنك سألت أيتهما آثَرُ عنـد أمير المؤمنين ، فقيل لك : حَبابة ، فاتبعت رضاه وهواه . فضحك يزيد وطرب ، وأخذ وسادة فصيرها على رأسه ، وقام يرقص ويدور فى الدار ويصيح : السمك طرى أربعة أرطال عند بيطار جنان ، حتى دار الدار كلها ثم رجع وجلس ، وقال شعرا وأمر معبدا أن يغنى فيه :

أبلِـغْ حَبَابةَ سَقَّى رَبْعَها المَطَرُ ... ما للفؤادِ سوى ذِكراكُمُ ذِكَرُ(١)
إن سار صَحبىَ لم أملِكْ تذَكُّرَكُمْ ... أوْ عَرَّسوا فهمومُ النفس والفِكَرُ

فسُرَّ يزيد بغنائه ، وكساه ووصله ، ثم سيَّرت إليه سلَّامة ألطافاً وتحيَّاتٍ وسبقتْ ألطافَ حَبَابة وقالت له : قد عذرتُك فيما فعلتَ ولكنَّ الحقَّ كان أولى بك ، ولم يزل فى ألطافها حتى أذن له يزيد فرجع إلى المدينة .

---

(١) فى الأغانى : ذكراكم وطر.

أنشدت حَبَابة يوما يزيدَ بنَ عبد الملك(١) :

لعمركَ إننى لأُحبّ سَلْعاً ... لرؤيتها ومن بجنوب سَلْعِ
حَلفْتُ بربٍّ مكة والهدايا ... وأيدِى السابحاتِ غَداة جَمْعِ
لأنتِ على التنائى ـ فاعلميه ـ ... أحبُّ إلىَّ من بَصرى وسمعى

فلما غنت :

لعمركَ إننى لأُحبُّ سَلْعاً ... لرؤيتهاومن بجنوبسَلْعِ

تنفست نفسا شديدا ، فقال لها : مالكِ أنتِ فى ذمة أبى إن شئت لأنقلنَّه إليك حجرا حجرا . قالت : وما أصنع به ؟ ليس إياه أردت ، إنما أردت ساكنه .

قال يزيد يوما لحبابة وسلامة : أيتكما غنتنى ما فى نفسى فلها حكمها . فغنت سلَّامة فلم تُصِب ما فى نفسه ، وغنت حبابة فى شعر ابن قيس الرُّقَيَّات :

حَلَقَ من بنى كنانة حولى ... بفلَسطينَ يُسرعون الرُّكوبا
جزعتْأن رأت مشيبِىَ عِرْسى ... لا تَلومى ذُؤابتى أن تشيبا

فأصابت ما فى نفسه فقال : احتكمى ، قالت : تهب لى سلَّامة وما لها ، قال : سَلِى غيرها . فأبت ، فقال : أنت أولى بها وبمالها ، فلقيت سلَّامة من ذلك أمراً عظيما. فقالت حبابة : لا تَرَيْنَ إلّا خيرا . فجاءها يزيد فسألها أن تبيعه إياها بحُكمها ، فقالت : أشهِدكَ الآن أنها حرة ، فاخطبها الآن أزوّجك مولاتى .

وكانت سلّامة هى المتقدمة فى الغناء عند يزيد ، وكانت حبابة تنظر إليها بتلك العين ، فلما حَظِيتْ عند يزيد قصَّرت فى حقّ سلّامة(٢) ، فقالت لها : ويحك يا أُخَيّة ، أين تأدية الغناء وحقّ التعليم ؟ أنسيت قول جميلة : خُذى إحكام ما أطارحك إياه

---

(١) نسب الشعر فى معجم البلدان « سلع » لقيس بن ذريح .

(٢) فى الأغانى : ترفعت عليها .

من سلَّامة فلن تزالى بخيرما بَقِيَتْ لك وكان أمركما مؤتلفا . قالت : صدقت ياخليلتى، والله لاعُدْت إلى شىء تـكرهينه . فما عادت لها بعد ذلك إلى مكروه .

قال البيدق الأنصارى القارىء : كنت أعرف حبابة وأدخل إليها بالحجاز ، فلما صارت إلى يزيد وارتفع شأنها عنده خرجت لأسمعها ، فذكرتنى ليزيد ، فدعانى فدخلت عليه وهو على فرش مرتفعة[1] قد ذهب فيها إلى قريب من ثدييه ، وإذا حبابة أيضا على فرش مرتفعة وهى دونه ، فسلمت فرد السلام علىّ فقالت حبابة اقرأ ياأبت ، فقرأتُ ، فنظرتُ إلى دموعه تنحدر ، ثم قالت : يا أبت ، حدِّث أمير المؤمنين . وأشارت إلى أن غَنِّه فغنّيته فى شعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

مَن لِصَبٍّ مُفنَّدٍ[2] ... هائمِ القلبِ مُقْصَدِ

أنتِ زَوَّدتِه الجوَى[3] ... بئس زادُ المُزَوَّدِ

ولوَانّى لا أرتجيــ ... ـك لقدخفَّ عُوَّدِى

ثـاوِياً تحت تُرْبَةٍ ... رهنَ رَمْس بفدْفَدِ

غـير أنِّى أُعَلِّلُ النـ ... ـفس باليـوم والغدِ

فطرب يزيد وحذفنى بمُدْهُن فيه فصوصُ ياقوتٍ وزبرجد ، فضرب صدرى ، فأشارَتْ حبابةُ أنْ خُذْه فأخذته وأدخلته فى كمى ، فقال : يا حبابة ألا ترَين ما صنع أبوك ؟ أخذ مُدْهُننَا فأدخله فى كُمِّه . فقالت : ما أحوجه إليه يا أمير المؤمنين ! ثم خرجتُ من عنده فأمر لى بمائتى دينار[4] .

---

(١) فى الأغانى : مشرفة .

(٢) فى الأغانى : مصيد .

(٣) فى الأغانى : الضنى .

(٤) فى الأغانى : بمائة دينار .

غنّت حبابةُ يوما بين يدى يزيد :

ما أحسن الجيد من مليكة واللّبّـ ... ـاتِ إذْ زانها ترائبُها

فطرب يزيد وقال : هل رأيتِ قطُّ أطربَ منى ؟ قالت : نعم ، مولاى الذى باعنى فغاظه ذلك ، وكتب فى حَمْله مقيَّداً ، فلما عرفَ خبرَ وصوله أمر بإدخاله إليه ، فأدخل يَرْسُف فى قيوده وأمرها فغنت :

تَشطُّ غداً دارُ جِيرانِنا ... وَللدَّارُ بعد غَدٍ أبعَـدُ

فوثب وألقى نفسه على الشمعة فأحرق لحيته وصاح الحريقَ يا أولادالزنا، فضحك يزيد وقال : لعمرى إن مثل هذا أطرَبُ الناس(١). وأمر بفكّ قيوده(٢)،ووصله بألف دينار ووصلَتْه حبابة ، وردّه إلى المدينة .

وقيل : إنها قالت له لما قال لها هل رأيت أطرب منى قالت : نعم ، معاوية ابن عبد الله بن جعفر الطيّار ! فكتب إلى عبد الرحمن بن الضحّاك فحملَه إليه ، فلما قدم أرسلت إليه حبابة : إنما بعث إليك لكذا ، وكذا ، فإذا دخلتَ عليه وتغنَّيْتُ فلا تُظهِرَنَّ طربا حتى أغنى .

* ما أحسن الجيدَ من مُليكة *

فقال : سوءَة على كبر سنى ! فدعا به يزيد وهو على طِنفِسة خَزّ ،ووضع لمعاوية مثلها ، وجاءوا بجامين فيهما مسك فوضع أحدهما بين يدى يزيد والآخر بين يدى معاوية قال معاوية : فلم أدر كيف أصنع ثم قلت: أنظر كيف يصنع فأصنع مثله، فكان يقلِّبه فتفوحُ روائحه وأفعل مثل ذلك ، فدعا بحبابة فغنّت إلى أن غنته ذلك الصوت ،

---

(١) فى أصل المختار : « يطرب الناس » والتصويب من الأغانى .

(٢) فى الأغانى : بحل قيوده .

فأخذ معاوية الوسادة ووضعها على رأسه وقام يدور ويقول: الدُّخْن بالنَّوى[١] فأمر له عِدَّة دفعاتٍ بصلات مبلغها ثمانية آلاف دينار.

نزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأس بالشام ومعه حبابة فقال: زعموا أنه لا يصفو لأحد يوما عيشُه إلى الليل إلا يكدره[٢] شيء عليه، وسأجرب ذلك. ثم قال لمن معه: إذا كان غداً لا تخبرونى بشيء ولا تأتونى بكتاب. وخلا هو وحبابة فأتِيا بما يأكلان، فأكلتْ رُمانةً فشرِقَتْ بحبَّة منها فماتت، فأقام لا يدفنها ثلاثا حتى تغيرت وأنتنت، وهو يشمُّها ويَرْشُفها فعاتبه على ذلك ذَوو قرابته وعابوا عليه ما يصنع، وقالوا: قد صارت جيفة بين يديك. حتى أذن لهم فى غسلها ودفنها، فأخرجت فى نِطْع وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها، فلما دُفنت قال: أصبحتِ والله كما قال كُثيِّر عزة:

فإن تَسلُ عنك النفس أو تدع الصبا ... فباليأس أسلو عنكِ لا بالتجلُّدِ
وكلُّ خليل راءنى فهو قائل ... مِنَ اَجْلِك هذا هامةُ اليوم أو غدِ

فما أقام إلَّا خمسَ عشرةَ ليلةً حتى دُفن إلى جنبها.

وجزع عليها فى بعض أيامه فقال: انْبُشُوها حتى أنظر إليها، فقيل له: إنك تصير حديثا. فقال: لا بدَّ أن أنبشها، فنُبِشت وكُشِف له عن وجهها وقد تغيَّرتغيُّرا قبيحا، فقيل له: يا أمير المؤمنين، اتق الله، ألا تَراها كيف صارت؟ فقال: ما رأيتها قطّ أحسنَ منها اليوم، أخرِجُوها، فجاء مسلمةُ ووجوه أهله فلم يزالوا به حتى أزالوه عنها ودفنوها، وانصرف فكَمِد كَمَدًا شديدا ومات. وقيل: إنه عاش بعدها أربعين يوما.

---

(١) فى الأغانى بعدها: يعنى اللوبيا.

(٢) فى المختار: لا يكدره.

ولما ماتت وأُخرجت لم يستطع يزيد الركوب ولا المَشْى ، من الجزع ، فحُمِل على منبر على رِقاب الرجال ، فلما دُفنت قال : لم أُصَلِّ عليها ، انبشوها ، فقال مَسلمة : أَنشدُك اللهَ يا أمير المؤمنين ، إنما هى أَمَة من الإماء ، وقد واراها الثرى .

ولم يأذن للناس بعد حَبابة إلّا مرة واحدة ، فما استتمّ دخولُ الناس حتى قال الحاجب : أَوْجِزوا[١] رحمكم الله . ولم يلبث يزيد أن مات كَمَدًا وحزنا .

ولما ازداد جزعُه عليها أخذ جُوَيرية[٢] لها كانت تخدمها ، فكانت تحدثه وتُؤْنسه وتُسَلِّيه ، فبينا هو يوما يدور فى القصر إذ قال لها : هذا الموضع الذى كُنَّا فيه أنا وحَبابة . فتمثّلت :

كفى حَزَنًا للهائم الصبِّ أن يرى ... مَنازِلَ مَنْ يَهوى مُعَطَّلَةً قَفْرَا

فبكى حتى كاد يموت . ثم لم تزل تلك الجويرية معه يذكر بها حبابة حتى مات .

(١) فى الأغانى : أجيزوا . وفى نهاية الأرب جـ٥ فى ترجمتها : أخرجوا .
(٢) ضم جويرية لها .

حمزة الحنفي [1]

هو حَمزة بن بِيض الحنفي شاعر إسلامي كوفي خليع ماجن من فحول طبقته من شعراء الدولة الأموية ، وكان منقطعا إلى المهلَّب بن أبي صُفْرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبي بُرْدَة ، واكتسب بالشعر منهم مالا عظيما ، ولم يدرك الدولة العباسية ، وقيل إنه أخذ بالشعر ألف ألف درهم من مال وحُمْلان وثياب ورقيق وغير ذلك .

وكان حمزة كثير المزاح مع أبي بُرْدَة ، فقدم عليه مرة فقال لحاجبه : استأذن لي ، فدخل الحاجب إليه فقال له : حمزةُ بنُ بِيض بالباب ، فقال له : اخرج إليه فقل له : حمزة بن بيض ابن مَنْ ؟ فقال له الحاجب ذلك ، فقال له : ادخل فقل له : الذي جئت إليه وأنت أمرد إلى بنيار الحمام [2] تسأله أن يهب لك طائرا فناكك ووهب لك طائرا . فشتمه الحاجب وقذفه وأغلظ له [3] ، فقال له : ما أنت وذلك ؟ بعثك برسالة فأخبره الجواب ، فدخل الحاجب وهو مغضب ، فلما رآه بلال ضحك وقال : مالك ؟ [4] قال : قبحه الله ما كنت لأخبر الأمير بما قال ، فقال : يا هـذا ، أنت رسول

---

(١) الأغاني: دار الثقافة ١٦/١٤٣ وانظر ١٤٢ وبولاق ١٥/١٤ والساسي ١٥/١٤ والتجريد ١٧٢١ . هذا ويلاحظ أن ترتيب الأغاني تسبق فيه أخبار الحسين بن مطير على أخبار حمزة بن بيض فإن ابن مطير جاء في ج ١٥ ص ٣٣١ دار الثقافة وحمزة بن بيض جاء في ١٦ ص ١٤٣ وتسبقه أيضا أخبار الحسين ابن علي بن أبي طالب ونسبه فقد جاءت في ١٦/٨٨ دار الثقافة فلعل نسخة ابن منظور من الأغاني تختلف في ترتيبها قليلا عن نسخ الأغاني التي بين أيدينا .

(٢) في الأغاني: بنيان الحمام وفي مخطوط منه : بيار الحمام .

(٣) جملة : « وقذفه وأغلظ له » ليست في الأغاني .

(٤) في الأغاني : ما قال لك .

فأدِّ الجواب ، فأَبَى ، فأقسم عليه حتى أخبره ، فضحك حتى فحص برجليه وقال : قل له : قد عرفنا العلامة فادْخُلْ ، فدخل . فأكرمه ورفعه وسمع مديحه وأجازه[1] وأحسن صلته . وأراد بقوله بيض ابن مَنْ قولَ الشاعر :

أنت ابنُ بِيضٍ لعمرى لست أُنكره   فقد صدقت ولكن من أَبو بيضِ

فإن حمزة كان قد اختصم هو وأبو الجون السُّحَيمىّ ، وقيل : أبو الحويرث السُّحيمىّ ، فترافعا[2] إلى المهاجر بن عبد الله الكِلابى وهو على اليَمامة ، فوثب إليه حمزة وقال :

غَمَّضْتُ فى حاجةٍ كانت تُؤَرِّقُنى   لولا الذى قُلْتَ فيها قل تَغْميضى

قال : وما قلت لك ؟ قال :

حلفتَ بالله لى أنْ سوف تُنْصِفُنى   فساغَ فى الحَلْق رِيقى بعد تَجْرِيضى[3]

قال : وأنا أحلف بالله لأُنصفنَّك . قال :

سل هؤلاء أولَى ماذا شهادتهمْ[4]   أم كيف أنت وأصحاب المعاريضِ

فقال : أُوجعهم ضرباً . فقال :

فاسأل لُجَيما إذا وافاك أجمعهم[5]   هل كان بالشرّ خَوْض مثل تخويضى

فقضَى له ، فأنشأ السُّحَيمىُّ يقول :

أنت ابنُ بِيضٍ لعمرى لست أُنكره   حقًّا يَقيناً ولكن من أَبو بِيضِ
إنْ كنتَ أَنْبَضْتَ لى قوسا لِترميَنى   فقد رَميتك رميا غير مَنْبُوضِ[6]

---

(١) كلمة وأجازه ليست فى الأغانى .

(٢) كلمة « فترافعا » ليست فى الأغانى .

(٣) جرض بريقه : ابتلعه على هم وحزن .

(٤) فى الأغانى : سل هؤلاء عن أولى .

(٥) فى الأغانى : وسل سحيما إذا وافاك جمعهم وفى مخطوط منه : فاسأل لجيما .

(٦) أنبض الرامى القوس : جذب وترها . وفى الأغانى : رميا غير تنبيض .

أَوكنتَ خَضْخضتَ لى وَطْباً لتسقينى ... فقد سقيتك مَحْضا غير ممخوضِ

فوجم حمزة وقُطِـع به ، فقيل له : ويلك ، ما لك لا تجيبه ؟ فقال: وَبِمَ أجيبه ؟ والله لو قلت له : عبد المطلب بن هاشم أبو بيض ما نفعنى ذلك بعد قوله : ولـكن من أبو بيض .

قال حمزة بن بيض : وفد الـكميت بن زيد على مَخْلد بن يزيد بن المُهَلَّب وهو يَخْلُف أباه على خراسان ، وهو واليها وله ثمانى عشرَة سنة فمدحه بقصيدته التى أولها :

* هلّاسألتَ مَعالِمَ الأَطلالِ *

وهى التى يقول فيها :

يَمْشِينَ مَشْىَ قَطا البِطاح تَأَوُّدًا ... قُبَّ البُطون رواجح الأَكفالِ

وقصيدته التى يقول فيها :

* هلَّا سألتَ منازلا بالأَبرقِ *

فأعطاه مائة ألف درهم سوى العُرُوض والحملان ، فقدم الـكوفة فى هيئة حسنة لم يُرَ مثلها ، فقلت فى نفسى : لأنا واللهِ أَوْلَى من الـكُميت بما ناله من مَخلد بن يزيد، وإنى لَحليفهُ وناصرُه فى العصبية على الـكُميت وعلى مُضر جميعا ، فهيَّأْتُ لمخلدٍ مديحا على رَوِىِّ قَصِيدَتَىِ الـكميت وقافيتهما ، ثم شخصت إليه ، فلما كان قبل خروجى إليه بيوم أتتنى جماعة من ربيعة فى خَمْس ديات عليهم لمُضر ، فقالوا: إنك تأتى مخلداً وهو فتى العرب ، ونحن نعلم أنك لا تُؤثر على نفسك ، ولـكن إذا فرغ من أمرك فأعلمه مَمْشَانا إليك ومسألتنا إياك كلامه ، فنرجو أن يكون عند ظنّنا . فلما قدمت خراسان على مخلد أنزلنى وفرش لى وأخدمنى ، وحملنى وكسانى ، وخلطنى بنفسه ،

---

(١) فى ت : فعملت .

وكنت أسمر عنــده ، فقال لى ليلة : أعليك دين يا ابن بيض ؟ فقلت : دعنى من مسألتك إياى عن الدين ، إنك أعطيت الـكميت عطية لست أرضى بأقل منهـا وإلا لم أدخل الـكوفة ولم أُعَيَّرْ بتقصيرك بى . فضحك ثم قال : بل أزيدك على ما أعطيت الـكميت . وأمر لى بمائة ألف درهم وزادنى ، وصنع بى فى سائر الألطاف كما صنع به ، فلما فرغت من حاجتى أتيته يوما ومعى تَذْكِرَةُ حَاجَةِ القوم فى الدِّيات ، فلما جلس أنشدته :

أتيناك فى حاجةٍ فاقْضِها ... وقُلْ مرحبا يَجِبِ المرحبُ
ولا تَـكِلَنَّا إلى معشر ... متى يَعِدوا عِدةً يكذِبوا
فإنك فى الفرع من أُسرة ... لهمْ خَضعَ الشرق والمغربُ
وفى أدب منهم ما نشأتَ ... ونِعْمَ لعمرُك ما أدَّبُوا
بلغت لعشرٍ مضت من سِنِيـ ... ـكَ ما يبلغ السَّيِّدُ الأشْيَبُ
فهمُّـك فيها جسام الأُمُورِ ... وهمُّ لِداتِك أن يَلْعبوا
وجُدْتَ فقلتَ ألَا سائلٌ ... فيُعْطَى ألَا راغبٌ يرْغَبُ
فمنك العطيَّةُ للسائلينَ ... وممن ينُوبك أن يَطْلُبوا

ــ فيقال إن الـكميت حسده فقال له : يا حمزة ، أنت كمهدى التمر إلى هَجَر . فقال : نعم ، ولـكن تَمرُنا أطيب من تمر هجر ــ فقال : مرحبا بك وبحاجتك ، فما هى ؟ فأخرجت رقعة القوم وقلت : حَمالاتٌ فى ديات . فتبسم وأمر لى بعشرة آلاف درهم ، فقلت : أوْ غير ذلك أيها الأمير ، قال : وما هو ؟ قلتُ : أُدَلُّ على قبر المهلَّب حتى أشكو إليه قطيعة ولده . فتبسم ثم قال: زِدْه يا غلام عشرة آلاف أخرى . فأبيت وقلت : بل أُدَلُّ على قبر المهلَّب ، فزادنى عشرة آلاف درهم ، فما زال يكررها حتى بلغت سبْعين ألفا[1] ، فخشيت والله أن يكون يلعب أوْ يَهزأ بى ، فقلت :

(١) فى الأغانى : تسعين ألفا .

وصلك الله أيها الأمير وآجرك وأحسن جزاءك . فقال مخلد : أما والله لو أقمت على كلامك وإبائك[1] ثم أتى ذلك على خراج خراسان أعطيناكه .

قال الجاحظ : أصاب حمزة بن بيض حُصْر[2] ، فدخل عليه قوم يعودونه وهو فى كَرْب القُولَنْج[3] فضرط رجل منهم ، فقال حمزة : مَن هذا المُنعَم عليه ؟

مرّ عبد الرحمن بن عَنْبَسَة يوما بغلام من أصبح الغلمان وأحسنهم ، ولم يكن له والد ، فسأل عنه فقيل : يتيم من أهل الشام قدم أبوه العراق فى بَعْثٍ فقُتِل وبقى الغلام هاهنا . فضمَّه إليه وتبنَّاه ، فوقع الغلام فيما شاء الله من الدنيا فمرَّ يوما على بِرْذَوْن ومعه خدم على ابنِ بِيض ، وحولَ ابنِ بيض عِيالُه فى يوم شات وهم شُعْثٌ غُبْر ، فقال ابن بيض : مَن هذا ؟ فقالوا : صدقةُ يتيمُ ابنِ عنبسة[4] ، فقال :

يَشْعَث صبيانُنا وما يَتِمُوا ... وأنت صافى الأديمِ والحَدَقَهْ
فليت صبيانَنا إذا يَتِموا ... يَلقون ما قد لَقِيتَ يا صدقَهْ
عوَّضك اللهُ من أبيك ومن ... أُمِّك بالشام فى العِراق مِقَهْ[5]
كفاك عبدُ الرحمن فَقْدَهما ... فأنت فى كسوة وفى نَفَقَهْ
تظلُّ فى دَرْمَك وفاكهة ... ولحمِ طيرٍ ما شئتَ أو مَرَقَهْ[6]
تأوِى إلى حاضنٍ وحاضنةٍ ... زادا على والِدَيْك فى الشفقهْ
فكُلْ هنيئاً ما عاشَ ثم إذا ... مات فَلَغْ فى الدِّماء والسَّرِقَهْ

(١) كلمة : « وإبائك » ليست فى الأغانى .
(٢) الحصر — كقفل وعنق — : احتباس البطن . والحصر من الغائط كالأسر من البول .
(٣) القولنج : مرض معوى مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح .
(٤) فى أصلى المختار : عيينة . وسبق فى ك أن ذكرها « عنبسة » مثل الأغانى فيهما .
(٥) المقة : الحب .
(٦) الدرمك : دقيق الحوارى .

وخالف المسلمين قِبْلَتَهُمْ وضِلَّ عنهمْ وخادِن الفَسَقَهْ
واشْتَرِ نَهْدَ التَّليل ذا خُصَل لصوته فى الصهيل صَهْصَلَقَهْ(١)
واقطَعْ عليه الطريق تَلْقَ غداً رَبَّ دنانيرَ جَمَّـةٍ وَرِقَهْ(٢)

فلما مات عبد الرحمن أصابه ما قال ابنُ بيضٍ أجمعُ من الفساد والسرقة وصحبة اللصوص ، ثم كان آخر أمره أنه قطع الطريق ، فأُخِذ وصُلِب .

سافر حمزة بن بيض فاضطره الليـل إلى قَرْية عامرة كثيرة الأهل والمواشى من الشِّياهِ والبقر ، كثيرة الزروع ، فلم يصنعوا به خيرا ، فغدا عليهم وقال :

لعن الإله قُرَيَّةً يَمَّمْتُها فأضافنى ليلا إليهـا المَغرِبُ
الزارعينَ وليس لى زَرْعٌ بها والحالبين وليس لى ما أَحْلُبُ
فلعلّ ذاكَ الزرعَ يُودِى أَهلَهُ ولعلّ تلك الشاءَ يوما تَجْرَبُ
ولعلّ طاعونا يصيب عُلُوجَها ويُصيبُ ساكنَها الزمانُ فتَخْرَبُ

فلم يمر بتلك القَرْية سـنة حتى أصابهم الطاعون فباد أهلها وخربت ، فمرَّ بهم ابنُ بيض فقال : كلا ، زعمتم أنى لم أُعْطَ أُمْنِيَّتى ، قالوا : وأبيك لقـد تمنَّيتَها ، فلو كنت تمَنَّيْتَ الجنَّة كان خيرا لك ، قال : أنا أعلمُ بنفسى ، لا أتمنى ما لستُ له أهلا ، ولـكنى أرجو رحمة ربى عز وجل .

خرج مرّةأخرى فنزل بقوم فأتوه بخبز يابس، وألقوا لبغلته تبنا ولم يحسنوا إليه، فأعرض عنهم وأقبل على بغلته وقال :

احْسُبيها ليـلةً أدلَجْتها وكُلِى إن شئتِ تِبْناً أَوْ ذَرِى
قد أَتى رَبَّك خبزٌ يابسٌ فتعزَّىْ مَعَـه واصْطَبِرِى

---

(١) النهد : المرتفع : والتليل : العنق . والصهصلقه : شدة الصوت . ويريد بذلك الخيل.
(٢) الرقة : الدراهم المضروبة .

قال حمزة بن بيض يوما للفرزدق: أيُّما أحبُّ إليك؟ أن تسبق الخير أو يسبقك؟ قال : لا أسبقه ولا يسبقني بل نكون معا . فقال له الفرزدق : أيما أحبُّ إليك؟ أن تدخل بيتك فتجد رجلا قابضا على حِرِ امرأتك أو تجد امرأتك قابضة على أيره؟ فقال : كلام لا بد من جوابه ، والبادى أظلم ، بل أجدها قابضة على أيره قد دفعته عن نفسها .

وقع بالكوفة بين بنى حنيفة وبنى تميم شرّ حتى نشبت الحرب بينهم ، فقال رجل لحمزة بن بيض : ألَا تأتى هؤلاء القومَ فتدفعهم عن قومك فإنك ذو بيان وعارضة ! فقال :

ألَا لاتلُمْنى يا ابنَ ماهان إننى ... أخاف على فَخَّارتى أَن تحطَّما
ولو أننى أبتاع فى السوق مِثلَها ... وعيشك ما بَاليتُ أن أَتقدَّما

دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلَّب السجنَ فأنشده :

أُغلِق دون السماح والجود والنجـ ... ـدةِ بابٌ حديدُه أَشِبُ[1]
ابنُ ثلاثٍ وأربعين مضتْ ... لا وَرَعٌ واهنٌ ولا نَكِبُ[2]
لا بَطِرٌ إنْ تتابعتْ نِعَمٌ ... وصابرٌ فى البلاء مُحتسبُ
برَّزْتَ سَبْقَ الجواد فى مَهَلٍ ... وقصَّرتْ دون سَعْيِك العَرَبُ

فقال : والله يا حمزة لقد أسأت إذ نوَّهت باسمى فى وقتٍ غير تنويهٍ ولا تنويل لك[3] . ثم رفع مقعدا له تحته فرمى إليه بخرقة مصرورة وعليه صاحبُ خبرٍ واقف وقال: خذ هذا الدينارَ ، فوالله لا أملك غيره، فأخذه حمزة وأراد أن يرده، فقال له سرًّا:

---

(١) أشب : ملتف .
(٢) الورع : الجبان . والنكب : المائل العادل عن الطريق وغيره .
(٣) فى الأغانى : فى غير وقت تنويه ولا منزل لك .

خذه ولا تُخْدع عنه . فلما قال: لا تخدع عنه قلتُ : ما هذا دينار ، فخرجت ، فقال لى صاحب الخبر : ما أعطاك يزيد ؟ فقلت : أعطانى دينارا وأردت أن أرده عليه فاستحييت منه ، فلما صرت إلى منزلى حللت الخِرقة[1] فإذا فصّ ياقوت أحمر كأنه سَقْطُ زَنْد[2] ، فقلت : والله إن عرضت هذا بالعراق ليُعْلَمَنَّ أنى قد أخذته من يزيد فيؤخذ منى ، فخرجت إلى خراسان ، فبعته لرجل يهودى بثلاثين ألفا ، فلما قبضت المال وصار الفص فى يده قال لى : والله لو أبيت إلّا خمسين ألفا لأخذته منك بها ، فكأنه قذف فى قلبى جمرة ، فلما رأى تغيُّر وجهى قال : إنى رجل تاجر ، ولست أشكُّ أنى قد غَممتُك . قلت : إِى واللهِ وقتلتنى فأخرج إلىَّ مائة دينار وقال : أنفق هذه فى طريقك ليتوفر المال عليك[3] :

قال مخلد بن حمزة بن بِيض : قدِم أَبى على يزيد بن المهلَّب وهو عند سليمان ابن عبد الملك فأدخله إليه فأنشده :

سـاس الخلافَة والداك كلاهما ... من بين سَخطةِ ساخطٍ أوطائعِ
أبواك ثم أخوك أصبح ثـالثـا ... وعلى جبينك نورُ مُلْكٍ رَابعِ
سَرَّيتَ خوفَ بنى المهلَّب بعدما ... نظروا إليك بسَمِّ مَوْتٍ ناقعِ
ليس الذى ولَّاك ربُّك منهم ... عنـد الإله وعندهم بالضائعِ

فأمر له بخمسين ألف درهم .

قال النَّضْر بن شُميل : دخلت على المأمون بِمَرْوَ وعلىَّ أطمارٌ مُتَرَعْبِلَة[4] فقال : يا نضر ، أتدخل على أمير المؤمنين بهذه الثياب ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ،

---

(١) فى الأغانى : الصرة .

(٢) أى كشعلة النار التى تقع من الزند إذا أورى .

(٣) فى الأغانى : لتتوفر عليك تلك .

(٤) مترعبلة : خلقة متمزقة .

إن حَرَّ مَرْوَ لا يدفع إلا بهذه الثياب الأخلاقِ . فقال : لا ولكنك تتقشَّف . فتجارينا الحديثَ . فقال المأمون: حدثنى هُشَيم بن بشير[1] عن أشياخه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عوَز» ـ بفتح السين ـ فقلت : صدق أميرُ المؤمنين ، حدثنى عوف الأعرابىُّ بإسناده عن الحسَن[2] ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سِداد من عوز » ـ بكسر السين ـ وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال : السَّداد لحن عندك يا نَضْر؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، وإنما هُشَيم[3] لَحنَ وكان لَحَّانة قال : فما الفرق بينهما ؟ قلت : السَّدَاد : القَصْد فى الدِّين والطريقة والسبيل ، والسِّدادُ البُلْغَة وكلُّ ما سَدَدت به شيئا فهو سِداد. تقول: سِدادُ القارُورة. قال العرجىُّ

أضاعونى وأىَّ فتًى أضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسِداد ثَغْرِ

فأطرق المأمون مَلِيًّا ثم قال : قبح الله من لا أدبَ له ، ثم قال : أنشدنى يا نضر أخلبَ بيتٍ قالته العرب . قال : قلت : قول حمزة بن بِيض يا أمير المؤمنين :

تقول لى والعيون هاجعةٌ ... أَقِمْ علينا يوما فلم أُقِمِ
أىَّ الوجوه انتجعتَ قلتُ لها ... لأىِّ وجهٍ إلَّا إلى الحَكَمِ
متى يَقُلْ حاجباً سُرادِقِه ... هذا ابنُ بِيضٍ بالباب يبتسِمِ

---

(١) فى المختار : « هشام بن بشر » والتصويب من الأغانى وتهذيب التهذيب حـ ١١ ص٥٠٩ ومعجم الأدباء : ترجمة النضر بن شميل وفيه النص . هذا، وفى الأغانى ومعجم الأدباء : حدثنى هشيم بن بشير عن مجالد عن الشعبى عن ابن عباس .

(٢) فى معجم الأدباء : عن الحسن عن على بن أبى طالب .

(٣) فى المختار : هشام .

قد كُنْتُ أَسْلِمْتُ فيك مُقتبِلًا ... فهاتِ أَدْحَلْ وأَعطنى سَلَمى [1]

فقال المأمون: لله درُّك كأنما شُقّ لك عن قلبى ، أنشدنى أنصف بيت قالته العرب، قلت: قول ابن أبى عروبة المدنى [2]:

إنى وإن كان ابنُ عمى غائبا ... لمُزاحِمٌ من خلفه وورائهِ [3]

ومُفيدُه نَصرى وإن كان امرأً ... مُتزحزحاً فى أرضه وسمائهِ

وأكون وَالىَ سِرِّه وأصونه ... حتى يَحِينَ علىَّ وقتُ أدائه [4]

وإذا الحوادث أجحفت بِسَوامِهِ ... قُرِنَتْ صَحيحتُنا إلى جَرْبَائِه [5]

وإذا دعا باسمى لِيركبَ مَرْكَباً ... صَعْباً قعدتُ له على سِيسائِه [6]

وإذا أتى من وَجْهِهِ لِطَرِيقهِ [7] ... لم أطَّلع فيما وراء خِبائه

وإذا ارتدى ثوباً جميلا لم أَقُلْ ... يا ليت أنَّ علىَّ حُسْنَ رِدائه

فقال : أحسنت يا نضر ، أنشدنى أقنع بيت قالته العرب . فأنشدته قول ابن عَبْدَلٍ الأسدىّ :

إنى امرؤٌ لم أزل وذاك من اللـ ... ـه قديماً أُعلِّم الأدبا

أُقيم بالدّار ما اطمأنّت بى الدا ... رُ وإن كنت نازحا طَرِبا [8]

---

(١) دحل يدحل : تباعد . وفى الأغانى : « أرحل » وفى عيار الشعر ٨٧ : فهات إذا حل أعطنى سلمى وفى طبعة بولاق للأغانى: ها أدخلن . هذا، والسلم من معانيه الأسر وتكون أسلمت بمعنى أسرت .

(٢) القصيدة منسوبة للهذيل بن مشجعة البولانى فى شرح الحماسة للمرزوقى ص ١٦٨٠ .

(٣) فى الأغانى : لمراجم .

(٤) فى الأغانى : حتى يجىء على .

(٥) فى ت : إلى دبرائه .

(٦) السيساء: الظهر.

(٧) فى الأغانى: بطريقة .

(٨) فى الأغانى : مازحا طربا وانظر شرح المرزوقى ص ١٢٠٥ .

لا أَجتوى خُلَّة الصديق ولا أُتبعُ نفسى شيئًا إذا ذهبا[1]
أَطلب مايطلب الكريم من الرز ق لنفسى وأُجْملُ الطَّلَبَا
وأحلب الدَّرَّة الصَّفِىّ ولا أَجْهَدُ أخلاف غيرِها حَلَبا[2]
إنى رأيت الفتى الكريم إذا رَغَّبْتَه فى صَنِيعةٍ رَغِبا
والعبدُ لا يَطلبُ العَلاء ولا يُعطيك شيئًا إلَّا إذا رَهِبا
مثلُ الحمارِ المُوَقَّعِ السَّوْءِ لا يُحسِن شيئًا إلَّا إذا ضُرِبا[3]
ولم أجد غُرَّةَ الخلائق إلَّا الدينَ لما اعتبرتُ والحسَبا[4]
قد يُرزق الخافضُ المُقيم وما شَدَّ لِعِيسٍ رَحْلًا ولا قَتَبا[5]
ويُحْرَم الرزقَ ذُو المَطِيَّة والرحْـ ـلِ ومن لا يزال مُغتَرِبا

فقال : أحسنت يا نضر ، وكتب إلى الحسن بن سهل[6] لى بخمسين ألف درهم وأمر الخادم بإيصال رقعته وتنجيز ما أمر به لى فمَضيتُ معه إليه ، فلما قرأ الرقعة ضحك ثم قال : يا نضر ، أنت المُلَحِّنُ لأمير المؤمنين ؟ قلت : لا بل هُشيم[7] قال: فذاك إذاً ، فأطلق لى الخمسين ألفا ، وأمرلى بثلاثين ألفا أخرى.

كان حمزة بن بيض يُسامر عبد الملك بن بِشر بن مروان ، وكان عبد الملك يعبث به كثيرا ، فوجَّه إليه ليلة برسول وقال : خُذْه على أَيَّة حالة وجَدْتَه وحلَّفه

---

(١) فى المختار : ولا أمنع نفسى .

(٢) الدرة هنا تكون بمعنى الدارة. وفى الأغانى : الثرة وهى الغزيرة . والصفى أيضا الغزيرة . والأخلاف : الأثداء .

(٣) الموقع: الذى بظهره آثار دبر أو هو المذلل.

(٤) فى الأغانى : عروة الخلائق وفى ت: خيرة الخلائق .

(٥) فى الأغانى : شد بعنس رحلا .

(٦) فى بعض نسخ الأغانى : وكتب إلى الفضل بن سهل .

(٧) فى المختار : قلت : لهشام .

على ذلك وغلَّظ الأيمان ، فمضى الرسول وهجم عليه ، فوجده يريد أن يدخل الخلاء فقال : أجِبْ الأمير ، فقال: ويحك ، إنى أكلت طعاما كثيرا ، وشربت نبيذا حُلوا. وقد أخذنى بطنى . فقال : والله ما تفارقنى أو أَمْضِىَ بك إليه ولو سَلَحْت فى ثيابك. فجهد فى الخلاص فلم يقدر عليه ، ومضى به إلى عبدالملك فوجده قاعدا فى طارمة[1] له ، وجارية يتحظّاها جميلة جالسة بين يديه تُبخّر بالندِّ[2] ، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه ، قال : فعَرَضَتْ لى رِيحٌ ، فقُلْتُ أُسَرِّحها لأستريح ، ولعلّ رِيحها لا يظهر مع هذا النَّدِّ ، فأطلقتها ، فغلبت ريحَ الند وغمَرَتْه ، فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : علىَّ عهدُ الله وميثاقه والمَشْىُ والهَدْىُ إن كنتُ فعلتُها . قال : وما حلفتَ به علىَّ إن كنتُ فعلتها ، وما هذا إلا عملُ هذه الجارية الفاجرة . وغضب ، وخجلت الجارية فما قدرت على الكلام . ثم جاءتنى أخرى فسرَّحْتُها فسطع ريحها ، فقال : ما هــذا ويلك ؟ أنت والله الآفة ، فقلت : امرأتى طالق ثلاثا إن كنت فعلتها ، فقال : وهذه اليمين لازمة لى إن كنت فعلتها ، وما هو إلا عمل هــذه الجارية . ثم قال : ويلكِ ما قِصَّتُك ؟ قومى إلى الخلاء إن كنتِ تجدين شيئا[3] ، فزاد خجلُها وطمعتُ فيها ، فسرَّحْتُ الثالثة ، فسطع من ريحها ما لم يكن فى الحساب ، فغضب عبد الملك حتى كاد يخرج من جِلْده ثم قال : خُذْ يا حمزة بيد الزانية فقد وهبتها لك وامضِ فقد نغَّصَتْ علىَّ ليلتى ، فأخذت بيدها وخرجت ، فلقينى خادم له فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت : أمضى بهذه ، فقال : لا تفعل ، فوالله إن فعلتَ ليُبغضَنَّك بُغْضًا شديداً لا تنتفع به بعده أبدا ، وهــذه مائة دينار ، فخذها ، ودع الجارية

---

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

(٢) فى الأغانى : تسجر الند .

(٣) فى الأغانى : تجدين حسا .

فإنه يتحظاها، وسيندم على هبته لك إياها ، فقلت: لا أنقصك من خمسمائة دينار شيئا، فقال : ليس غير ما قلت لك[١] ، فلم تطب نفسى أن أضيعها فقلت: هاتها . فأعطانيها وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاث دعانى عبد الملك ، فلما قربت منه[٢] لقينى الخادم فقال : هل لك فى مائة دينار أخرى وتقول ما لا يضرُّك ولعله ينفعك ؟ قلت : وما ذاك[٣] ؟ قال : إذا دخلت إليه اعترفت بالثلاث فسوات ونسبتَها إلى نفسك وتدفع عن الجارية ما رَمَيتها به[٤] . قلت : هاتها ، فدفعها إلىَّ ، فدخلت على عبدالملك فلما وقفت بين يديه قلت له : الأمان[٥] حتى أخبرك بخبر يضحكك ويسرك. قال : لك الأمان ، قلت : أرأيت ليلة كذا وكذا وما جرى[٦] ؟ قال : نعم ، قلت : فعلىَّ وعلىَّ إن كان فَسَا تلك الفسواتِ غيرى فضحك حتى سقط على قفاه وقال : ويلك ، ولِمَ لم تخبرنى؟ فقلت له : أردت بذلك خِصالا : منها أنى قمت فقضيت حاجتى، وكان رسولك قد منعنى من ذلك ، ومنها أنى أخذت الجارية ، ومنها أنى كافأتك على أذاك لى بمثله . قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما برحت من دارك ولا خرجْتُ[٧] حتى سلمتها إلى فلان الخادم وأخذت مائتى دينار . فسُرَّ بذلك وأمر لى بمائتين أخرى وقال : هذه لجميل فعلك بى وردّ الجارية علىَّ[٨] .

---

(١) فى الأغانى : فلم يزل يزايدنى حتى بلغ مائتى دينار وقال: ليس إلا ما قلت لك .

(٢) فى الأغانى : فلما قربت من داره .

(٣) فى المختار : وماذا .

(٤) فى الأغانى : ادعيت عنده الفسوات الثلاث ونسبتها إلى نفسك وتنضح عن الجارية ما قرفتها به .

(٥) فى الأغانى إلى الأمان .

(٦) فى الأغانى : ليلة ليلةٍ وما جرى .

(٧) فى ت : ولا خرجت عنها وقد سلمتها .

(٨) فى الأغانى : وتركك أخذ الجارية .

قال حمزة بن بيض: ودخلت إليه يوما ، وكان له غلام لم يَرَ الناسُ أنتنَ إبْطاً منه ، فقال لى : يا حمزة ، سابِقْ غلامى هذا حتى يفوح صُنانكما ، فأيكما كان صُنانه أكثر فله مائة دينار ، فطمعت فى المائة ويئست منها ، لما أعلمه من نتن إبط الغلام ، فقلت : أفعل ، وتعادينا ساعة فسبقنى ، فسَلَحتُ فى يدى ثم طليت إبطى بالسُّلاح ، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حَكَما يُخبره بالقصّة ، فلما دنا الغلام منه وشمه وثب وقال : هذا والله لا يُشاكله شىء ، فصحت به : لا تعجل علىّ بالحكم مكانَك ، ثم دنوت إليه فألقَمْت أنفه إبطى حتى علمت أنه قد خالط دِماغه ، وأنا ممسك رأسه تحت إبطى ، فصاح : الموت ، هذا والله بالكنيف أشبه منه بالآباط . فضحك عبد الملك ثم قال : أفحكمت له ؟ قال : نعم ، فأخذت الدنانير .

قدم حمزة بن بِيضٍ على مَخْلَد بن يزيد بن المُهلَّب ، فوعده أن يصنع به خيرا ، ثم شغل عنه ، فاختلف إليه مرارا فلم يصل ، وأبطأت عليه عِدَتُه ، فقال حمزة ابن بيض :

أمَخْلَدُ إن الله ما شاء يَصنعُ ... يجودُ ويُعطى من يشاء ويَمنعُ
وإنّىَ قد أمَّلْت منك سحابةً ... فجادت سرابا فوق بيداءَ تَلْمَعُ
فأزمعت صُرْما ثم قلتُ لعلّه(1) ... يُثِيبُ إلى أمر جميل ويرجعُ
وأيأسنى من خيرِ مَخْلَدَ أنه ... على كلّ حال ليس لى فيه مَطمعُ
يجود لأقوامٍ يَوَدُّون أنه ... من البُغْض والشَّنْآنِ أَمْسَى يُقطَّعُ
ويَبخل بالمعروف عمّن يودُّه ... فوالله ما أدرى به كيف أصنعُ
أأصرِمه فالصُّرْم شرٌّ مَغَبَّةً ... ونفسى إليه بالوصال تَطَلَّعُ

---

(1) فى الأغانى : فأجمعت أمرا

وشتَّانَ بينى فى الوصال وبينـــه ... على كل حالٍ أستقـــيم ويَظْلَـــعُ(١)

فأعقبنى صُرْماً على غير إحْنةٍ ... وَبُخْلا وقِدْماً كان لى يَتَبَرَّعُ

وغَيَّره ما غــيَّرَ الناسَ قبله ... ونفسى بمــا يأتى به ليس تَقْنَـعُ

ثم كتبه فى قرطاس وختمه وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه ، فلما قرأها سأل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ فقال : لا أعرفه ، فأحضره وقال : من أعطاك الكتاب ؟ قال : لا أدرى من هو ، إلا أن من صفته كذا وكذا ، ووصفه صفة ابنِ بيض . فأمر به فضُرب عشرين سوطا على رأسه ، وأمر له بخمسمائة درهم وكساه وقال : إنما ضربناك أدَباً لك ، لأنك حَمَلت كتابا لم تدر ما فيه لمن لا تعرف ، فإياك أن تعود لمثلها . فقال ؟ لا والله لا أعود لمثلها ولا أحمل كتابا لمن أعرف ولا لمن لا أعرف أبدا . فقال احذر فليس كل أحد يفعل بك فعلى(٢) ، وبعث إلى ابن بيض فقال : أتعرف ما لحق صاحبَك الرَّجلَ ؟ فقال : لا ، فحدثه مخلدٌ بقصته . فقال ابن بيض : لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين السوط مع الخمسمائة أبدا . فضحك مخلد وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب وقال : أنت لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبدا . قال : أجل والله ، ولـكن من لى بمن يُعْتِبنى إذا استعتبت ويفعل بى مثل فعلك . ثم قال :

وأبيض بهُلولٍ إذا جئت داره ... كفانى وأعطانى الذى جئت أسألُ

ويُعتبنى يوما إذا جئتُ عاتباً ... وإن قلت زِدْنى قال إنى سأفعلُ(٣)

---

(١) فى ت ومخطوط من الأغانى: أستقل ويظلع. وبهامش ك : أستقيم . هذا ، وفى الأغانى بعده بيت .

(٢) فى الأغانى : يصنع بك صنيعى .

(٣) فى الأغانى : قال حقا سأفعل .

تراه إذا ما جِئته تَطلبُ النَّدَى كأنك تعطيه الذى أنت تسألُ[(١)]
فلِلَّهِ أبناء المهلَّب فتيةً إذا لَقِحتْ حربٌ عوانٌ تأكَّلُ
همُ يصطلون الحربَ والموتُ كاتعٌ بسُمْر القنا والمَشْرَفِيَّة مِن عَلُ[(٢)]
ترى الموتَ تحت الخافقات أمامهمْ إذا وردوا عَلُّوا الرِّماحَ وأنهلوا
يجودون حتى يحسب الناسُ أنهمْ لجودِهمُ نَذْرٌ عليهمْ مُحلَّلُ[(٣)]

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وقال: نزيدك ما زدتنا و نُضعف ذلك[(٤)] فقال :

أمخلدُ لم تتركْ لنفسى بَقِيَّةً[(٥)] وزدت على ما كنتُ أرجو وآمُلُ
فكنتَ كما قد قال معنٌ وإنه بصيرٌ بما قد قال إذ يتمثَّلُ
رأيتُ كثيرَ المال إن ضنَّ مُعدِماً[(٦)] يُذَمُّ ويَجْفوه الصديقُ المُؤَمِّلُ
وإن أحقَّ الناس بالجود من رأى أباه جَواداً للمكارم يُجْزِلُ[(٧)]
وجدتَ يزيدًا والمهلَّبَ برَّزا فقلتَ فإنى مثل ذلك أفعلُ
ففزتَ كما فازا وجاوَزْتَ غايةً يُقَصِّر عنها السابقُ المتمهِّلُ[(٨)]
فأنت غِياثٌ لليتامى وعِصْمةٌ إليك جِمالُ الطّالبى الخيرِ ترْحَلُ

(١) فى الأغانى : الذى جئت تسأل .
(٢) كاتم : مشمر مجد . والمشرفية : السيوف .
(٣) بعده فى الأغانى أربعة أبيات .
(٤) فى الأغانى : ونضعف لك .
(٥) فى الأغانى : لنفسى بغية.
(٦) فى الأغانى : وجدت كثير المال .
(٧) فى بعض نسخ الأغانى : « للمكارم يجذل » أى يفرح ويهش . وبعده فى الأغانى بيت .
(٨) كذا أيضا فى الأغانى ولعلها : السابق المتعجل .

أصاب الذى يَرْجو فَدَاكَ مُخِيلةٌ　　تَصُبُّ عَزَالِيها عليــه وتَهطِلُ[1]
ولم تُلْفَ إذْ أرجو نوالَك باخلا　　يظل عن المعروف والمـال يَغْفُلُ[2]
وموتُ الفَتى خيرٌ له من حياته　　إذا كان ذا مال يَضِنُّ و يَبخلُ

فقال له مخلد : احتكم ، فأبَى ، فأعطاه ألفى دينارٍ وجارية وبرذونا .

كان حمزة بن بيض ظريفا مطبوعا[3] فشاتَم حمَّادَ بنَ الزِّبرقان وسابَّه ، فمشى بينهما الرجال حتى اصطلحا ، وكانا كلاهما صاحب شراب وظرف ومكان ، وكان حماد مُتَّهما بالزندقة فدخلا يوما على بعض وُلاة الكوفة ، فقال لابن بيض : أراكَ قد صالحت حمادًا فقال ابنُ بيض : نعم أصلح الله الأمير ، قد صالحته على أن لا آمره بالصلاة ولا ينهانى عنها .

---

(١) المخيلة: السحابة المنذرة بالمطر . والعزالى : مصبات الماء من القرب ونحوها وصبت السماء عزاليها : إشارة إلى شدة وقع مطرها .

(٢) فى الأغانى :

ولم تلف إذ رَجَّوْا نوالك باخلا　　تظل على المعروف والمـال تعقل

هذا ، وتعقل : تشده بحبل .

(٣) فى الأغانى : كان حمزة بن بيض شاعراً ظريفا .

فهرست تراجم الكتاب

تراثنا

مختار الأغاني في الأخبار والتهاني

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم
٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء الثالث

تحقيق
عبد العليم الطحاوي

الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هــذا الـكتاب بالتعــاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجـامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٥هـ — ١٩٦٦م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

ج ٠ ع ٠ م ٠

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

وبعد :

فقد عهدت إلىّ الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربيــة تحقيق القسم الثالث من (مختار الأغانى) ،وهو يشتمل على تراجم بقية حرف الحاء ،وتراجم حرفى الخاء والدال، وبعض حرف الراء .

ولم آل جهدا فى إخراج هـذا القسم إخراجا علميا ، واصطفاع الوسائل التى أتيحت لى لتحقيقه ، فاعتمدت على مصادره المباشرة وهى مخطوطات ثلاث عارضتها بكتاب الأغانى وما أشير فى هامش مطبوعاته من مخطوطاته ، ذلك إلى مصادر غير مباشرة أشرت إليها فى هامش هذا القسم .

والمخطوطات الثلاث هى : مخطوطة التيمورية ورمزنا إليها بحرف (ت) ، ومخطوطة مكتبة الأزهر وأشرنا إليهـا بحرف (ز) ، ومخطوطة مكتبة كوبرلى وخصصناها بحرف (ك) وهذه النسخة أصح وأتم وأضبط نسخ المختار فى هذا القسم وعليها كان الاعتماد كله .

أما المخطوطتان : (ت ، ز) فهما صورتان من نسخة واحدة ، إلا أن (ت) تمتاز بكثرة التحريف والتصحيف ،ويشتركان فى كثرة الأسقاط ، مما جعلنا

لا نثبت منهما إلا ما أيدته نسخ الأغانى وكان فى ذكره فائدة من تقويم للنّص أو تصحيح لكلمة أو ترجيح لقراءة؛ وقد رمزنا إلى الأغانى بحرف (غ) متبوعا بطبعته فإذا لم نقيّد كان المقصود كليهما .

وأبرز ما فى هذا القسم ترجمة الحسن بن هانئ التى أغفلتها نسخ الأغانى فعقد لها ابن منظور كتابا خاصا أشبع فيه الحديث عنه ، ولمّ شتات أخباره ، ووسمه بالجزء الثالث من تقسيمات مختاره . وقد حرصت كل الحرص على توثيق ما جمعه ابن منظور بمقابلته بالمصادر التى رجحت استمداده منها ، أو تكون هى شاركته فى النقل عنها من كتب التاريخ أو الأدب أو المحاضرات ، وإن كان فى النفس شىء من كثير مما نسبته إليه هذه الأخبار .

وإنى لأرجو أن أكون قد وفّقت فى اتباع ما رسم لإخراج هذا الكتاب . وحسبي أن غاية الوسع بذلت، والله منه العون والتوفيق .

عبد العليم الطحاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحسَن بن هانئ أَبُو نوَاس*

قال عبد الله محمد بن مُكَرَّم : هذه الترجمة ترجَم عليها أبو الفرج رحمه الله تعالى بما صورته : أخبار أبي نواس وجِنان خاصة إذ كانت أخبارُه قد ذكرت مقدّما(١) . ولم أجد لأبي نواس ترجمةً مفردَة فى نسخ الأغانى التى وقفتُ عليها . وما أدرى هل أغفل أبو الفرج ذِكْرَه فى كتابه أم أُسْقِطت مِن كتابه مِنْ بعدِه(٢)؟! وليت شعرى إذا أغفل أبو الفرج ذِكْر أبي نواس فى كتابه فمَنْ ذَكَر ؟ ! على أنّ أبا الفرج ليس ممّن يجهل قَدْرَ أبي نواس فى فَضْله ونُبله وجِدّه وهَزْله وسائر فنونه من صِدْقه

* مراجعه : الأغانى : فى كثير من أجزائه وبخاصة الجزء الثامن عشر (أخباره مع جنان) . أخبار أبي نواس لأبي هفان «تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج» ـ تاريخ الإسلام للذهبي: (مخطوط) المجلد العاشر صفحة ١٦١ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى: ج ٧/ ٤٣٦ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٤/ (ترجمة الحسن بن هانئ) ـ شذرات الذهب : ج ١ / ٣٤٥ ـ الشعر والشعراء : ٥٠١ ـ طبقات ابن المعتز : ١٩٣ـ٢١٦ ـ عقد الجمان (مخطوط) : حوادث سنة ١٩٥ ـ عيون التواريخ حوادث سنة : ١٩٥ ـ مسالك الأبصار (المجلد: ٩) . وفيات الأعيان (لابن خلكان)ـ الموشح للمرزبانى (ترجمته) ـ مقدمة ديوانه لحمزة الأصبهانى ـ ديوانه (تحقيق الغزالى) أو (طبع آصاف) ـ مجون أبي نواس المعروف بالفكاهة والإيناس ـ معاهد التنصيص : ١/ ٣٠ (تحقيق الأستاذ محي الدين) عدا كتب الأدب مثل: الحيوان للجاحظ والبيان والتبيين، والكامل للمبرد، ونهاية الأرب ، وشرح الشريشى على المقامات، وذيل زهر الآداب المعروف بجمع الجواهر، وغير ذلك ممـا هو مشار إليه فى هامش الكتاب .

(١) ذكرت مقدما : الذى فى نسخ الأغانى : قد أفردت خاصة .

(٢) كذلك قال ياقوت فى معجم الأدباء (ترجمة أبي الفرج الأصبهانى) ج١٣/ ٩٩ (ط دار المأمون) .

ومُجُونه. وإنّه لطِراز الكُتُب[١] بل عَلَم أهل الأدب. ولقد ذكر عنه ابنُ خالَوَيْه[٢] من تقريظه ما لم يقُلْه أحدٌ من العُلماء فى حقّ أحد، حتى إنه قال فى شرحه[٣] لأرجوزته التى أولها:

* وَبلْدَةٍ فيها زَوَرْ *

فإنّه شرحَها وقال في شرحها عنه: لولا ماغَلَب عليه من الهَزْل لاستُشْهِد بكلامه فى كتاب الله تعالى.

وكان ابنُ الأعرابى[٤] يقول: لولا أنّ أبا نواس وَضَع نفسَه بهذه الأدناس والأرفاث لاستشهَدْتُ بشعرِه ولاحتَججْت به.

وقال: «ختمتُ الشعْرَ بشعر أبى نُواسٍ فلم أدوِّن بعدَه لشاعر»، وناهيك بهذا القول من دلالة على قَدْر من قِيل فى حقّه ومكانته من الفضل والعلم.

وقد أضفتُ إلى ما ذكره فى ترجمته أشياء من نَمَط كتابِه، على أنّه لم يَذكر فى ترجمته إلّا ما مِقدار مختارِه ورقتان[٥] أوثلاثة لاغير؛ فكأنّا نحن قدعرّفنا[٦] عنه بهذه الترجمة.

---

(١) طراز الكتب: يريد أنها تزين بأخباره وأدبه.

(٢) ابن خالويه: هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذانى النحوى إمام فى اللغة توفى بحلب سنة (٣٧٠ هـ) سبعين وثلاثمائة «بغية الوعاة».

(٣) شرحه لأرجوزته: الذى فى لسان العرب مادة (يأيأ) أن ابن جنى هو الذى شرحها، وكذلك فى معجم الأدباء لياقوت (ترجمة ابن جنى). ويوجد هذا الشرح بدار الكتب المصرية وقد استنسخنا منه نسخة حققناها للنشر.

(٤) فى طبقات ابن المعتز وتهذيب ابن عساكر وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى: قال أبو عمرو الشيبانى: لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره لأنه محكم القول.

(٥) مقدار مختاره ورقتان: فى هامش الجزء العشرين من الأغانى طبع بيروت أشار محققه الأستاذ عبدالستار فراج إلى أن فى مكتبة غوطه بألمانيا الشرقية مخطوطة فيها ترجمة وافية لأبى نواس.

(٦) عرفنا: فى ك: عزمنا.

هو الحَسَنُ بن هانئ بن الصبّاح[1] بن عبد الله بن الجرّاح بن جُعَادة[2] ابن أَفْلَح بن زيد بن هِنْب بن دَوَّه[3] بن غُنْم بن سُلَيْم بن حَكَم بن سعد العشيرة ابن مالك.

وكنيته أبو نُواس. سئل عن كُنْيته ما أراد بها ومن كنّاه بها، وهل هو نُواس أو نوّاس فقال: نُواس وجَدَن ويَزَنْ وكُلَال وكُلَاع أسماء جبال لملوك حمير، والجَبَل الذي لهم يقال له نُواس.

قال: وكان سبب كُنيتي أنّ رجلا من جيراني بالبصرة دعا إخوانا له فأبطأ عليه واحد منهم، فخرج من بابه يطلب من يبعثه إليه يستحثّه على المجيء إليه، فوجدني مع صبيان ألعب معهم، وكان لي ذُؤابة في وَسَط رأسي، فصاح بي: يا حسن امْضِ إلى فلان جئني به، فمضيت أعدُو لأدعُوَ الرجلَ، وذؤابتي تتحرّك، فلمّا جئت بالرجل قال لي: أحسنتَ يا أبا نواس، لتحرّك ذؤابتي؛ فلزمتني هذه الكنية.

وسئل مرة أخرى فقيل له: من كنّاك أبا نواس؟ قال: أنا كنيت نفسي بذلك

---

(١) في نسب أبي نواس اضطراب شديد، فبينا يقف بعض المؤرخين نسبه إلى الصباح إذ يسوق آخرون النسب إلى سعد العشيرة بن مالك باعتباره حكميا صليبة، بل يذكر البغدادي في تاريخ بغداد ٧/٤٣٦ نسبه رواية عن عبد الله بن أبي سعد الوراق فيصل به إلى سام بن نوح، على أن هذا الاضطراب قد يكون ناشئا من أن هانئا جد أبي نواس كان مولى للجراح، فلعل بعض الناسخين أسقط كلمة مولى أو أبدل منها كلمة ابن فاختلط نسبه بنسب مولاه الذي سيق بعد ذكر اسمه، أو أنهم اعتمدوا ما حكاه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب: ٣٨٤ رواية عن محمد بن داود الجراح أن ولد إسماعيل بن إبراهيم بن هانئ وهو ابن أخي الحسن بن هانئ كانوا يقولون إنهم حكميون.

والذي في الاشتقاق لابن دريد: ٤٠٦: ومن بني الحكم الجراح بن عبدالله بن جعادة بن أفلح ابن حارث بن دوه صاحب خراسان وهو مولى هانئ أبي أبي نواس.

(٢) جعادة في الأصول حماد والتصويب من الاشتقاق.

(٣) دوه: في ت، ز، ك: دده والتصويب من الاشتقاق ٤٠٦.

لأنى من قوم لا يشتهر منهم إلا من كان اسمه فَرْدًا وكانت كُنيته سنمة(١)، فتكنَّيت بأبى نُواس(٢) . ويروى بفتح النون [والواو] مخففة وأما النوَّاس(٣) بن سَمْعان فهو مشدّد .

وكانت كنيته الأصلية أبا على ، وإنما هو كان يشتهى أن يلقّب بأبى نواس لشهرته ، وأنه من أسماء ملوك اليمن ، ومن أسمائهم أيضا ذو نُواس .

وكان هانئ أبو الحَسَن بن هانئ كاتباً لمسعود المادرائى على ديوان الخراج ، وكان اسمه هُنَىّ ، وكان راعِىَ غَنَم ولم يكن له وَلاء ولا حلف حتى مات ، فلمّا كبر أبو نواس وأَدُبَ(٤) قال لنفسه « حسن بن هانئ » وإنما كان حسن بن هُنَىّ .

وقيل : كان أبو أبى نواس حائكا(٥) .

وقيل : كان من جند مَرْوان بن محمّد من أهل دمشق ، وكان فيمن قدم الأهواز فى أيام مَرْوان للرباط بها والشِّحنة ، فتزوج بجُلّ بان وأَوْلدها عدّة أولاد ، منهم أبو نواس وأبو معاذ واسمه أحمد ، وكان أبو معاذ أحمد مؤدب أولاد فرج الرُّخَّجى(٦)، وكان أبو معاذ عطلا من مذاهب أبى نواس لا يُحْسِن شيئا إلّا أنه تعيَّش بأنه أخ لأبى نواس . فنقلت أبا نواس أمُّه إلى البصرة وهو ابن ستّ سنين .

---

(١) كذا فى (ك) وسنمة : حسنة جميلة . وفى ت : لسبعة .

(٢) روى الإمام حمزة بن الحسن الأصبهانى جامع ديوان أبى نواس فى مقدمته أنه كان لخلف الأحمر أستاذه ولاء لليمن وكان أميل الناس لأبى نواس ، وأنه هو الذى كناه بهذه الكنية تعصبا لليمنية .

(٣) فى التقريب: بتشديد الواو ، وزاد فى هامش الخلاصة : وفتح النون قبلها .

(٤) أدب : صار أديبا .

(٥) نسب هذا القول إلى الأصمعى وسيرد فى باب نسبه قريبا .

(٦) فرج الرخجى: كان مملوكا لحمدونة بنت الرشيد ، وهى المعروفة بحمدونة بنت غصص، ولحق ولاؤه بالرشيد، وكان زياد أبوه من سبى معن بن زائدة ، وكان فرج سبى معه عند غزو معن الرخج (الوزراء والكتاب للجهشيارى ، ط الحلبى : ٢٧٠) .

وقيل: إنّ أمَّه يقال لها شحمة[١]، من نَهْرِتيرَى[٢] قرية من قُرى الأهواز تدعى بباب آذر، وكانت تعمل الصوف وتنسج الجوارب والأخراج، فتزوّجها هُنَيّ أبوه فولدت أبا نواس. وكان هُنَيّ قد رآها وعشقها على شط نهر من أنهار قرى الأهواز وهى تغسل الصوف. وكان لها ابن آخر. قيل وكانت تعمل الخَيْزران؛ وكانت لأبى نُواس أختٌ عند فرج القَصَّار ـ عبدٌ كان لأحمد بن عِصْمة الباخَرْزِى.

واختلف فى مولد أبى نواس، فقيل: كان مولدُه فى سنة ست وثلاثين ومائة، وقيل: سنة خمسٍ وأربعين، وقيل: سنة ثمانٍ وأربعين، وقيل: سنة تسع وأربعين[٣].

واختلف فى موته فقيل: توفِّى سنة خمسٍ وتسعين ومائة، وقيل: سنة ست[٤] وتسعين، وقيل: سنة سبع[٥] وتسعين، وقيل: سنة ثمان وتسعين، وقيل: سنة تسع[٦] وتسعين، وقيل: مات قبل دخول المأمون بغداد بثمان سنين، وكان عمره تِسعاً وخمسين سنة.

وقيل: كان اسم جدّه رَباح، وكان رباح هذا مولى الجَرّاحِ بن عبد الله الحَكَمِى والى خراسان من أهل البصرة.

---

(١) شحمة: فى كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى: ٢٩٦: أن الأمين لما غضب على أبى نواس لما بلغه عنه أنه قال فى قصيدة:

* ولا صاحب التاج المحجب فى القصر *

دعاه ثم قال له: يا عاض بظر أمه شحمة العاهرة.

(٢) من نهر تيرى: فى الأصول غير واضحة، والتصويب من طبقات ابن المعتز (ترجمة أبى نواس). وانظر فى نهر تيرى، معجم البلدان لياقوت.

(٣) روى حمزة الأصبهانى فى مقدمة ديوان أبى نواس عن أحمد بن أبى طاهر أن أبا نواس ولد سنة إحدى وأربعين ومائة.

(٤) ست وتسعين: اعتمد ذلك ابن شاكر الكتبى فى كتابه عيون التواريخ.

(٥) سبع وتسعين: اعتمد ذلك ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة.

(٦) تسع وتسعين: اعتمد ذلك حمزة بن الحسين الأصبهانى فى مقدمة ديوان أبى نواس.

وقيل : كان أبو نواس من الُحوز من باب شَيْركان . وقيل : من قرية من قُرَى الأهواز . وقيل : بل من أرض مَناذِر الصغرى. والُمجْمَع عليه أن أصله من خُوز الأهواز . وقيل : من مَناذِر الكبرى من رُستاق مابرثى(١) من قرية يقال لها باسكنى(٢) .

وقيل : كان أبو نواس مولى محمد بن عُمَر الحكمى من حاء وحَكَمَ قبيلتين من مَذحِج من اليمن . ومحمد بن عُمَر هذا خال بِشْر بن المفضّل اللاحق الفقيه .

وكان أبو نواس يزعم أنه من العجم . والذى صح مما ادّعاه أبو نواس أنه مولى للحكميين ، وإنّما ادَّعَى ولاء حاءَ وحَكَم بالبصرة لأنّ بها قوما منهم . وما كان فى جميع عمل الأهواز رجل واحد من حاءَ وحَكَم يقال يُدْعَى فيهم .

وكان أبو نواس قد نشأ بالبصرة وقرأ القرآن على يعقوب الَحضْرَمىّ . فلما حَذِق القراءة رمى إليه يعقوبُ بخاتَمه وقال : اذهب فأنت أقرأُ أهلِ البصرة .

وكان أبو نُواسٍ حَسَنَ الوجه ، رقيقَ اللَّوْن ، أبيضَ حُلْوَ الشمائل ، حسن الجسم ، وكان فى رأسه سماجَة وتسفيط(٣) فكان دائم العِمَّة والقِلْسَة(٤) لذلك .

وكان ألثغ على الراء يجعلها غَيْنا، وهى كثيرة بالبصرة لايخلو من العشرين اثنان أن يلثغا بها .

قال الجاحظ : ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبى نواس، ولا أفصح لهجة منه مع حلاوة ومجانبة للاستكراه(٥) .

(١، ٢) هكذا فى الأصول ولم أعثر عليهما فى معجم البلدان وباسكنى فى (ك) باسكثى .

(٣) تسفيط : هكذا واضحة بالأصل ويقال : رجل مسفط الرأس أى رأسه كالسفط، يريد أن يصفه بأنه عظيم الرأس فى غير ملاحة . ويمكن أن تقرأ (تسنيط) بالنون أى لا شعر فيها ، ولهذا كان دائم العمة .

(٤) القلسة : فى ت : الغلسة . والقلسة : لبس القلنسوة .

(٥) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٥٥ ـ تاريخ بغداد : ٧/٤٣٧ .

وكان نحيفا ، فى حلقه بُحّة لا تفارقه .

قال : ولما شبَّ أسلمته أمّه برّاءً يبرى عُودَ البَخور . وكبر وتأدّب وصحب أهلَ المسجد والمُجّان(١) .

واشتهى الكلام فقعد إلى أصحابه فتعلّم منهم شيئا من الكلام ، ثم دعاه ذلك إلى الزندقة فكان ذلك يحسب منه على جهة العبث ، ثم مَجَن فى شعره وشخص إلى مدينة السلام فأقام بها ، وعاشر الملوك فحطّ منه مجونه ، ووضعه خُبث لسانه ، وحطّ منه تهتّكه وكثرة سَفَهه وعبثه .

وكان يُنادم ولد المهدىّ فلم يبق مع أحد من الناس . ونادم القاسمَ بن الرشيد هارون ولقى منه أشياء كرهها وكُرِهت له .

جلس أبو نواس إلى الناشئ الراوية فقرأ عليه شعرَ ذى الرُّمَّة، فأقبل الناشئ على أبيه هانئ وقال له : إن عاش ابنُك هذا وقال الشعر ليقولنَّه بلسان مشقوق .

وكان ابتداء صلة أبى نواس بوالِبَة بن الحُباب الأسدىّ أنَّ والبةَ جاء من الأهواز إلى البصرة إلى سوق العطّارين يشترى حوائجَ وبَخوراً ، فاشترى منها عُوداً هنديًّا ، وأبو نواس غلام يَبْرِى العودَ، فاحتاج إليه فى برْى ذلك العود وتنقيته . فلمّا رآه والبةُ بنُ الحُباب كاد عقله يذهب ؛ فلم يزل يختدعه حتى صار إليه فحمله إلى الأهواز وقَدِم به الكوفة ، فشاهد معه أدباء أهل الكوفة فى ذلك الوقت فتأدّب بأدبهم(٢) .

وكان أول شعر قاله فى الكوفة إذ دخل معه إلى منزل محمد بن سيّار بن مقرن .

---

(١) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١٠٨ — ١٠٩ .

(٢) الخبر فى تاريخ بغداد : ٥١٨/١٣ (ترجمة والبة) .

وكان لمحمَّدِ ابنٌ جَميل ، وله قِيان(١) يُخرجهنَّ إلى ندمائه ، فاتّفق أن أخرجهنَّ وجلس ابنُ محمد فى صَفِّهنَّ ، فقال أبو نواس حينئذ(٢) :

يا ظَبْىَ آلِ سيَّارِ ... وزَيْنَ صَفِّ القِيانِ
لَيَنْعَتَنَّكَ وَهْمِى ... إنْ كَلَّ عنكَ لِسانِى
خُلِقتَ فى الحُسْنِ فَرْداً ... فما لِحُسنِك ثانِى
كأنّما أنتَ شىءٌ ... حَوَى جميعَ المَعانِى
وَيْلِى لقد كنتُ عنكم ... بمَعْزِلٍ ومَكانِ(٣)
عَلِقتُ مَنْ جلَّ(٤) عَنِّى ... وشأنُه عَزَّ شانى
من ليس يَطْمَع فيه ... إلَّا فُلانُ الفُلانِ

وقيل فى اجتماعه بوالِبةَ غيرَ ذلك ، وهو أنّ النجاشى(٥) الأَسَدى والى الأهواز للمنصور احتاج إلى عِطْرٍ يُعمل له ، فلم يجد فى الأهواز من يعمله ، فبعث إلى البصرة فحمل عطارين فيهم أستاذ أبى نواس وأبو نواس معه ، فكانوا يعملون فى دار النجاشى ، وقدم عليه والِبَةُ بن الُحباب الأسدى الشاعر وهو ابن عَمِّه فرأى أبا نواس فاستحلَى قَدَّه وأُعجِب بظَرفه فقال له : إنى أرى فيك مخايل فَلاحٍ ، وأرى لك ألَّا تُضيِّعها ، وستقول الشعر وتعلو فيه ، فاصحبنى حتى أُخَرِّجَك . قال : ومَنْ أنت ؟ قال :

---

(١) القيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية .

(٢) الديوان : ٢٤٤ باختلاف فى الترتيب . ورواية الشطر الأول من البيت الأول:

يا ظبى يا ابن سيار . . .

(٣) هذا البيت والبيتان بعده ليست فى الديوان (غز) .

(٤) جل عنى : فى ت : حل عينى .

(٥) النجاشى : هكذا أيضا فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١٠٩ والذى فى الأغانى ترجمة والبة أن اسمه أبو بجير الأسدى وهو الذى تولى للمنصور الأهواز . وفى تاريخ بغداد: ٥١٨/١٣ (والبة) أن يحي الدهقان هو الذى وجهه لشراء البخور .

أبو أسامة . قال : وَالِبَة ؟ قال : نعم . قال : أنا والله ـ جُعلت فِداكَ ـ فى طلبك ، وقد أردتُ الخروجَ إلى الكوفة وإلى بغداد من أجلك . قال : ولماذا ؟ قال: شهوة للقائك ولأبيات سمعتها لك . قال : وماهى ؟ فأنشده :

وَلِهَا ولا ذَنْبَ لَهَا ... حُبٌّ كأطرافِ الرِّماحِ [١]
جَرَحَتْ فؤادَكَ بالهوَى ... فالقلبُ مجروحُ النَّواحِى
سَـــلَّ الخليفةُ صارِماً ... هـــو للفسادِ وللصَّلاحِ
أَحْذاه كفُّ أبى الوَلِيـ ... ـدِ يَداً مبارِيَة الرِّياحِ
أَلْقَى بجــانب خَصْرِه ... أمضَى من الأَجَلِ المُتاحِ
وكأنَّما ذَرَّ الهبــا ... ءُ عليه أنفــاسَ الرِياحِ

فمضى معه ، فلما صار إلى منزله وأكلا وشربا أراده والبة، فلما كشف عنه رأى حُسْنَ بَدَنِه فلم يتمالك أن قَبَّل استه ، فَحَبَقَ [٢] أبو نواسٍ فقال له : يا خبيثُ ما هذا ؟ قال : كرهتُ يا سيِّدى أنْ يضيعَ المثل ولا أُحققه فى قولهم : جَزاء من قَبَّلَ الاستَ ضرطة . فازداد به حُبًّا وعُجْباً . ومضى معه إلى الكوفة [٣] .

وروى أنه قال له : يا حبيبى أُقبِّـلك وتجازِينى بهذا ؟ ! فقال : كرهتُ أن يضيع المثل .

قال وَالِبة بن الُحباب [٤] : رأيت فيما يرى النائم كأن إبليسَ أتانِى فقال : ترى غلامك الحسن ابن هانئٍ . قلت : ما شأنُه ؟ قال : إنَّ له لشأنا ، ووالله لأُغْوِيَنَّه

---

(١) غ (بولاق) : ١٦/١٤٧

(٢) حبق : ضرط .

(٣) المصدر السابق : ١٦/١٥٠

(٤) قال والبة : الخبر فى غ (بولاق) : ١٦/١٥١ .

أمّة محمد ، ثم لا أرضىَ حتى أُلْـقِيَ محبّته فى قلوب المُرائين من أمّته ، وقلوب العاشقين لحلاوة شعره .

ولما اشتدَّ أبو نواس وكبر وعُرِف قَدْرُهُ وفضله قال : واعَجَبا من شاعرٍ مُفْلِق ينيكه والبةُ بن الحُباب .

وكان أبو نواس(١) متهتّكا أيضا فى مؤاجَرَته وبعدَ كِبَره ، فإنَّه ذُكر عنه لما كان بمصر ووَرد على الخصيب جَمَّشَ(٢) غلاماً من أهل مصر فنفر منه وتَتَايَه عليه وتَجَنَّى فقال :

تَتيه علينا أنْ رُزِقْتَ ملاحـةً ... فمَهْلًا علينا بعض تِيهِك يابَدْرُ

فقد طَالَ ما كُنَّا مِلاحاً ورُبَّمَا ... صَدَدْنا وتِهْنَا ثُمَّ غَيَّرَنَا الدَّهرُ

وكَمْ من صَدِيقٍ قدتَرَهَّزْتُ تحتَه ... فأَعْجَبَه منِّى الـترهُّز والعَصْرُ(٣)

فطِبْتُ له نفساً بما لا يَضرُّنِى ... وبادرتُ إمكانِى فعادَ له شُكْرُ

قال أبو العشنزر(٤) : قلت الشعرَ وأنا غلام وأبو نواس غلام ، وكُنَّا جميعاً نَبْرِى(٥) العودَ ، وكنت أحْسنَ وجهاً من أبى نواس ، وأبو نواسٍ أطبع منى ؛ فتفاخرنا بالشعر ، فقلت له : خِلْقتى أحسن من خلقتك ، فقال : بل أنا أحسنُ منك وجها وأَفْرَه(٦) فجعلنا بيننا شيخا من جيراننا معروفا باللُّواط فدخلنا إليه وهو يكتب كِتابا ، وبين يديه دواة كبيرة ، فاحتكمنا إليه فقال : الحكم على الغَيْب لا يجوز ،

---

(١) هذا الخبر يروى فى غ (بولاق) : ٦/٢٠٤ — ٢٠٥ منسوبا إلى الحسين بن الضحاك .

(٢) جمش : غازل ولاعب .

(٣) هذا البيت والذى يليه ليسا فى رواية الأغانى .

(٤) أبو العشنزر : فى ت : أبو القشير . وفى ك : غير واضحة ، والتصويب من معجم المرزبانى باب الكنى .

(٥) نبرى العود : فى ت : نضرب العود .

(٦) أفره : أكمل وأتم حسنا وأحذق .

ولكن هذه دراهم فخذوها ودعونى أحكم عن علم ، فأخذناها منه . فلما رأى حُسْن وجهي بدأ بي ثم ثنّى بأبي نواس فأبطأ عليه ، وكان عظيم الرأس أصلع ، فقال له أبو نواس : ما هذه الزيادة ؟ عذّبتني ! فقال له : اسكت فديتك فإني أريد أن أسجِّل لك . قال : فأخذ أبو نواس سوادا من الدواة فجعل يسوِّد صلعته فقال : ماهذا ؟ فقال : أسوِّد القِمَطْر حتى يُعلم أنك قاض . فقال : قم لعنك الله فإنك عضلة من العضل .

وروى أبو هِفّان أنّ أبا نواس لمّا نشأ وتأدّب وظرُف ورغب فيه فتيان البصرة للمصادقة قال : لا أصادق إلّا رجلا غريبا شاعِراً يشرب الخمر ويصفها ويصف المجالس ، ويكون له سخاء وشجاعة . فذكروا له جماعة فلم يُحِبّ أن يكون الرجلُ من أهل بلده فهرب إلى الكوفة . وذُكر له بها رجل من بني أسد يقال له والبة ابن الُحباب يشرب الخمر ويقول الشعر ويجمع الخصال التي أراد أبو نواس ، فصار إليه ، فسأل عنه فقيل له إنه بطِيزَناباذ[1] يشرب الخمر عند خمّارٍ هناك ، فصار إلى منزله . فسأل عنه فأخبر بأنه في مجلسه فاستأذن عليه فأذنت له جارية لوالبة فدخل فإذا والبة نائم سكران ، فقال للجارية : أعندك ما يؤكل ويُشرب ؟ قالت : نعم . قال : هاتيه . فجاءته بطعام فأكل ، وجاءته بشراب فلم يزل يشرب ويغنِّي حتى نام مكانه . فانتبه والبة فقال : مَنْ هذا الرجل النائم ؟ فأخبرته الجارية خبره فقال : هاتي لنا طعاما فأكل ولم يزل يشرب وأبو نواس نائم حتى نام والبة . فانتبه أبو نواس فسأل عنه وعما كان من خَبَره فأخبرته الجارية فقال : هاتي طعامك فأكل ولم يزل يشرب

---

(١) طيزناباذ (بكسر أوله وسكون ثانيه ثم زاى مفتوحة ثم نون وبعد ألفها باء موحدة وآخرها ذال معجمة) موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق وبينها وبين القادسية ميل ، كانت من أنزه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر ، وكانت أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة (معجم البلدان) .

ووالبة نائم حتى نام أبو نواس. ثم انتبه والِبَة فسأل عن خبره فأخبرته فقال: هاتى طعامك فأكل ولم يزل يشرب وأبو نواس نائم حتى نام والبة وانتبه أبو نواس فسأل عن خبره فأخبرته بما كان من أمره، فدعا بماء وتَطَهَّرَ ودعا بالطعام والشراب. ولم يزل كل واحد منهما على هذه الحال سبعة أيام لا يلتقيان، وهما فى مجلس واحد[١].

ثم إن والبة أمر الجارية أن تحبس عنه الشراب إلى وقت قيامه. فلما انتبه أبو نواس قال للجارية: أصلحت طعامك؟ قالت: الآن يصلح. قال: لا، قد عرفت ما أراد، لعلّه قال لك دافعيه حتى أنتبه. فقالت الجارية: ما أحسبك إلّا من الجن، وما رأيت إنسيا على حالك! فانتبه والبة فسأله عن خبره وحاله فأخبره بما قصد إليه، فسُرَّ والبةُ به[٢] ووجَّه إلى أصحابه وندمائه فجعل لهم مجلسا، وأخبرهم خبر أبى نواس وما قصد له. فلبثوا على ذلك أياما فى صَبُوح وغَبُوق.

ثم إن والبة مَدَّ يده إلى أبى نواس على سُكْر؛ فلما عَرَّاه رأى بَدَناً حسنا، وكان جميل الوجه حسن البدن، فأطار عقله ولم يتمالَكْ أن قَبَّل استَه، فضرط أبو نواس فى وجهه، فغضب والبةُ من ذلك واستشاط وقبض على سكينة وهَمَّ به، فقال له أبو نواس: جعلنى الله فداك، هل تعلم ما حملنى على ما فعلت؟ قال: لا. قال: المثل المضروب: «جزاء من قَبَّلَ الاسْتَ ضَرْطَة». فضحك والبة منه وعرف أنه أحد المُجّان. فلم يزل مقيما عنده[٣].

---

(١) يشبه هذا الخبر ما يروى عن أبى الهندى وأصحابه وانظر غ (بيروت: ٢٠ / ٢٩٥. طبقات ابن المعتز: (١٣٦-١٣٧) - وفى الأغانى المصدر السابق عقب أبو الفرج على هذا الخبر وقال: وهذا الخبر بعينه يحكى لوالبة بن الحباب مع أبى نواس وقد ذكر فى أخبار والبة، والصحيح أنه لأبى الهندى.

(٢) «به» فى ت: بذلك.

(٣) غ (بولاق): ١٦/١٥٠.

ثم سأله أن يخرج إلى البادية مع وفد بنى أَسَد ليتعلّم العربية والغريب ، فأخرجه مع قوم منهم ، فأقام بالبادية سنة ، ثم قدم ففارق والبةَ ورجع إلى بغداد .

قال أبو السماح : قلت لوالبة ، وكنت أَرَى أبا نواس عِنْده وهو غـلام حَسَن الوجه ، أنا والله أشتهى حَسَناً غلامَك . فقال لى : ويلك ! ما تستحِى !؟ هو غلامى . فقلت له : أحدِثُ فى متاع الشُّطَّار . قال : فلا تبرح حتى يجىء . فجاء أبو نواس فقال له والبة : إن أبا السماح يشتهيك . فقال له أبو نواس : جُعِلت فداكَ ، تأمرنى بحسن التَبَعُّـل وتقضِى بى حوائج الإخوان ؟! قال أبو السماح ، فقلت له : ويلك احذر هـذا الغلام فإنه إنْ بَقِىَ كان داهية .

حدث يحي بن الجون راوية بَشَّار قال : جاء أبو نواس إلى بشار فأنشده قصيدته اللامية التى يصف فيها النخل(١) فاستحسنها ، فلما خرج قال بشار : لقد حسدت هذا الغلام على هذا الـكلام وماذا أخرج منه غُرْمُول شاعر الـكوفة . يعنى والبةَ ابن الُحباب .

وكان أبو نواس متكلِّما جَدِلًا ، راوية فحلا، رقيق الطبع، ثابت الفهم فى الـكلام اللطيف ، ويدل على معرفته بالـكلام أشياء من شِعْره منها قوله(٢) :

وذَاتِ خَـدٍّ مُوَرَّد   قوهِيَّة(٣) المُتَجَرَّدْ

---

(١) قصيدة النخل ، فى الديوان : ٦٩٨ وأولها :

مالى بدارٍ خَلَت من أهلها شُغُلُ   ولا شَجانى لها شَخْصٌ ولا طَلَلُ

(٢) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٨٩ وفى الديوان : ٢٣٢ قال : إنها فى جنان .

(٣) قوهية : فى ت : فضية ، وفى الديوان : فتانة . وفى ك : موهية والتصويب من سمط اللآلى ٧٢٠ والبيان والتبيين ١/ ١٤٠ — وقوهية : نسبة إلى قوهستان بمعنى الجبل ، وذلك لأن الجبل يبيض من الثلج الراكد عليه فيبدو جميل البياض . وقيل : إنها منسوبة إلى الثياب القوهية وهى بيضاء . والتوجيه الأول أجمل وأبدع .

تَأمَّلُ العينُ منها محاسناً ليس تَنْفَدْ
والُحسن فى كلِّ شيءٍ منها مُعادٌ مُرَدَّد
فبعضُه قد تَناهَى وبَعْضُه يَتَوَلَّد

ومنها قوله(١) :

يا عاقِدَ القَلْبِ مِنِّى هَلَّا تذكَّرْتَ حَلَّا
تَركتَ مِنِّى قليلاً من القَليلِ أَقَلَّا
يكاد لا يَتَجَزَّا أَقَلُّ فى اللَّفْظِ مِنْ لا

ومنها قوله فى امرأة اسمها حُسْن(٢) :

ان اسْمَ حُسْنٍ لوجهها صِفَةٌ ولا أرى ذا فى غَيْرِها اجتمعا
فهى إذا سُمِّيَتْ فقد وُصِفَتْ فَيَجْمَعِ الاسمُ(٣) معنيين معًا

ومنها قوله فيما يتعلّق بالحكمة(٤) :

قل لزُهَيْرٍ إذا حَدَا(٥) وَشَدَا أَقْلِلْ وأَكْثِر فأَنْتَ مِهْذارُ
سَخُنْتَ من شِدَّةِ البرودَة حَتَّى صِرْتَ عندى كأنَّك النارُ
لا يَعْجب السامعون من صِفَتِى كذلكَ الثَّلْجُ بارِدٌ حارّ

هذا شىء أخذه أبو نواس من مذهب حكماء الهند ، فإنهم يقولون : إن الشىء إذا أفرط فى البرد انقلب حارًّا . وقالوا : إن الصَّنْدَل يُحَكُّ منه اليسير فيبرد ، فإذا أكثر منه سَخُن(٦) .

---

(١) البيان والتبيين (هارون) : ١/١٤١ .

(٢) الديوان (غز) : ٢٦٣ .

(٣) الاسم : فى الديوان : اللفظ .

(٤) الديوان (غز) : ٥٤٥ ــ الحيوان : ١/٣٩ ــ عيون : ٢/٧ .

(٥) حدا : فى الديوان : اتكا . وفى الحيوان والعيون : انتحى . وزهير هذا مغن .

(٦) : الشعر والشعراء : ٧٧٧ .

وله من هذا الجنس أشياء كثيرة توضع فى مواضعها من هذه الترجمة .

قال أبو عمرو قعنب[١] : خرجت مع الأصمعى من[٢] المسجد الجامع، فلما صرنا على الدرب الذى يخرج من سكة المربد إلى بنى أَصْمَع وقف بى على دار مبنية بالآجُرّ والجِصّ هناك ، فقال : أتَرَى هذه الدار ؟ عهدى بها مَرَّة[٣] من قَصَب ، وكان فيها طرّاز حائك ، وكان فيها إنسان فارسىّ تزوج امرأة فولدت غلاما فأرضعت بلبانه غلاماً من ثقيف ، فتعلّم الصبىُّ من الحائك القرآنَ ، ثم قال الشعر وخرج إلى بغداد ، وبلغنى أنه قال :

اهْجُ نِزاراً وأفْرِ جِلْدَتَها وهَتِّك السترَ عن مثالِبها[٤]

وادَّعى اليَمَنَ وتَولَّاهم . فسألته عنه . فقال : هو أبو نواس .

وإنّما ادَّعَى حاءَ وحكم فى آخر أمره ، وذكر أنه مولى لهم ، لأنّ منهم بالبصرة قوما فذكر أن جَدَّه مولى أولئك .

وكان دَعِيًّا يخلط فى دعْوته ، فمن ذلك قوله :

فإنْ أَكُ بَصْرِيًّا فإنَّ مُهاجَرِى دِمَشْقُ ولكنَّ الحديثَ فُنُون[٥]

---

(١) قعنب : ليس فى ت .

(٢) من المسجد : فى ت : إلى المسجد .

(٣) فى ت : عامرة .

(٤) البيت فى الديوان : ٥٠٨ من قصيدة أولها :

ليست بدار عفت وغيّرها ضَرْبان من قَطْرها وحاصبها

(٥) الديوان : ٥٤٦ — فنون فى الديوان : شجون . والبيت من قصيدة أولها :

ألا كل بصرى يرى أنما العلا مُكَمَّهَةٌ سُحْقٌ لهن جرين

ثم هجا اليَمَن فى هذه القصيدة بقوله :

لأَزْدِ عُمــانٍ بالمُهَلَّب نَزْوَةٌ ... إذا ذُكِرَ الأقوامُ ثم تَلِــينُ(١)

وإنما نشأ بالبصرة وليس له بدمشق قَبْلٌ ولا بَعْدٌ .

ومما هجا به اليمنَ قوله لهاشِم بن حُدَيْج :

ويختم ذاك بفخرٍ عليك ... بِكِنْدة فاسْلَح على كِنْدَهْ(٢)

وقوله :

بحُدَيْج فخَرْتَ يا ابن حُدَيْجٍ ... وحُــدَيْجٌ به تسمَّى العَبِيــدُ

وقوله :

ياهــاشِمُ بن حُدَيجٍ لو عدَدْت أباً ... مِثْلَ القَلَمَّسِ لم يَعْلَق بك الدَّنَسُ(٣)

فانظر إليه(٤) كيف قدَّم نِزارا .

والقَلَمَّس(٥) أحدُ بنى كِنانة وهو الذى نسأ النسىءَ فى الشهر الحرام فأطاعته العرب، وقال الله جلّ وعَلَا « إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ »(٦) .

ومنه قوله فى هاشم بن حُديج :

يا هاشِمُ بنُ حُدَيْجٍ ليس فخركم ... بقتل صِهْرِ رسول الله بالسَّدَدِ(٧)

---

(١) الديوان : ٥٤٦ من القصيدة السابقة . وذكر فى الديوان : افتخر — النزوة : الحدة والسورة — والأزد : قبيلة يمنية كبيرة تفرعت فرعين هما : أزد عمان وأزد شنوءة . والمهلب بن أبى صفرة من أزد عمان .

(٢) الديوان : ٥٥٠ .

(٣) الديوان : ٥٥٢ .

(٤) إليه : ليس فى ت .

(٥) القلمس : أبو ثمامة جنادة بن أمية من بنى المطلب بن حدثان بن مالك بن كنانة (ت : ٤/٢٢٢)

(٦) الآية : سورة التوبة : ٣٧ .

(٧) الديوان : ٥٥١ .

إنْ تَقْتُلوا ابنَ أبى بَكْرٍ فقدقَتَلَتْ ... حُجْراً بدارة مُلْحُوبٍ بنوأَسَدِ
فكُلُّ كِنْدِيَّةٍ قالت لجارَتِها ... والدَّمْعُ ينهَلُّ من مَثْنَى ومُنْفَرِدِ
ألْهى امرأ القَيْسِ تَشْبيبٌ بغانِيَةٍ ... عن ثأْرِه وصِفاتُ النُّؤْىِ والوَتَدِ

وإنما عَيَّر ابنَ حُدَيْج لأنّ جدَّه قتل محمدَ بنَ أبى بكر رضى الله عنهما وهو عاملُ علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه على مصر .

وقوله بدارَة مَلْحُوب : أراد قَتْلَ بنى أسد حُجْرَ بنَ عَمْرو آكل المُرار الكِنْدى جَدَّ امرئ القيس فما أدرك بثأره عُود حَرْمل ، واشتغل بالنساء والغزل إلى أن قتله ملك الروم .

وكان أبو نواس فى أول دعوته ادَّعى أنّه من ولد عُبَيْد الله بن زياد بن ظَبْيان من بنى عائش بن تَيْم[1] اللات بن ثَعْلَبَة بن عُكابة. وعُبيد الله بن زياد هو الذى قَتَل مُصْعَب بنَ الزُّبير . فقيل لأبى نواس إنّ الرجل الذى تدَّعِى له لا عَقِبَ له لأنه فَلِجَ ومات ولا ولد له ، فلو أنّك قلت إنك من ولد النابئ[2] بن زياد أخى عبيد الله قبلنا منك . وكان النابئ خارجيّا قتله مُصْعَب فقتل عبيدُ الله مصعباً بأخيه ، فاستحى أبو نواس وهرب من بنى تَيْم اللات بن ثعلبة ، وقد كان يُرَى بينهم[3] . ثم طلب الأخبار والأشعار ونفر عن المثالب والأنساب لمكان هذه القصة[4] . وأقام لهذه الغلطة بالبصرة فى العطارين ، فإذا كان العشىّ أتى أبا عبيدة يسأله عن أخبار العرب وأيام

---

(١) عائش : فى جمهرة أنساب العرب : ٢٩٧ ، وفى اشتقاق ابن دريد : ٣٥٤ : (عائش ابن مالك بن تيم الله بن ثعلبة).

(٢) النابئ : انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ٢٩٧ وفى نسخة أبان « وهو تحريف » .

(٣) يرى بينهم : فى ت : مرافقهم ، ولعلها تصحيف يرى فيهم .

(٤) القصة : فى ت القضية .

الناس ، ثم اختلف إلى أبي مُحْرِز[١] خلف الأحمر مولى الأشعريين فكان يسأله عن الشعر ومعانيه . ثم رَثَى خَلَفاً بعد موته بشعره :

* أَوْدَى جميعُ العِلْمِ مذ أَوْدَى خَلَفْ[٢] *

واختلف إلى أبي زيد فكتب الغريبَ والألفاظ ، ثم نظر فى نحو سيبويه ، ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد[٣] بن زِياد ، ويحي القَطّان[٤] وأَزْهر السَّمّان[٥] وغيرهم فلم يتخلّف عن أحد ، وأدرك الناسَ فعَلِم . ثم قدم بغداد بعد ذلك .

وكان أيضا يتنزّر ويدّعى للفرزدق .

حدّث أبو يحي الثّقفى صاحب أبو نواس ونديمه قال : قدم علينا أبو نواس بغداد وكان يُكنى بأبي فراس، فقلنا له : مِمّن الرجل ؟ فقال : من وَلَد الفرزدق .

ثم وقع بينه وبين الحكم[٦] بن قَنْبَر بن رِزام التميمى الذى كان يُهاجى مُسْلِمَ ابن الوليد فهجاه الحكم بن قنبر بن رزام التميمى وذكر بِرْيَه العُود ، وبَغَى عليه وثَلَبه وعارضه فى قوله :

* أَلَمْ تَرْبَع على الطَّلَلِ الطَّماسِ[٧] *

---

(١) فى ت: أبي محمد وخلف. وفوك غير واضحة والتصويب من معجم الأدباء .

(٢) الديوان : ٥٧٧ من قصيدة أولها :

لو كان حى وائلا من التلف ... لوألت شغواء فى أعلى شَعَف

جميع : فى الديوان: جماع .

(٣) عبد الواحد بن زياد : أحد الأئمة الأعلام له أحاديث فى البخارى ومسلمات (١٧٠ هـ) الخلاصة.

(٤) يحي القطان : حافظ حجة توفى (١٩٨ هـ) الخلاصة .

(٥) أزهر السمان : أبو بكر أزهر بن سعد الباهلى بالولاء السمان البصرى توفى (٢٠٣هـ) الخلاصة .

(٦) الحكم بن قنبر : له أخبار فى الأغانى وانظرج ١٣/٩ — ١٢ .

(٧) ألم تربع : البيت من قصيدة فى الديوان : ٥٢٢ وتكملة البيت :

عفاه كل أسحم ذى ارتجاس

بقوله :

دع الأطلال عنك أبا نُواسِ عفاها كُلّ أسْحمَ ذِى ارتجاسِ
فما ذكراكَ من رَسْمٍ مُحيلٍ ومن نُؤْيٍ ومن طَلَلٍ طِماسِ
وبالأهْواز أمّك فاذكرنْها مطيَّةَ كلّ عِلْجٍ فى كِناسِ
وهَنِيٌّ من الأخواز وغْدٌ وراعِي البَهْم فى كَنَفَىْ هساسِ
وبرْىُ العود ما لا تَدْفَعَنْهُ فما دَعواكَ صُلْبَ أبى فِراسِ
سألت الخوزَ عنك فما أساءوا وقالوا ثابتٌ فينا المَراسِى
عَهِدْنا شَيْخَةً(١) ترعَى رِماماً ونَسَّاجاً بدُورِ أبى حلاسِ
بخوزِستان أنسج من رأينا ولا سِيَما لِجلْبابٍ خُماسى
كَكِنْدَة فى الحِياكة بل علاها بحِذْقٍ طَمَّ فى فنِّ(٢) القِياسِ

ويقال : إن هذا الشعر مصنوع على الحكم بن قنبر لأنه من رديء الكلام ، وكلام الحكم فوق هذا .

وقيل : كانت أم أبى نواس عجمية نبّاذة فى الفرات . وقيل : كانت سندية يقال لها جُلّ بان . وفيها يقول اللاحقى :

أبو نواس بن هانى وأُمّه جُلّ بان(٣)
والناس أفْطَنُ شىء إلى دقيق المعانى
إن زدتُ حرفاً على ذَا يا صاحِ فاقْطَعْ لسانى

يريد أنه ليس لجلّ بان أب يعرف . قال : وتفسير جُلّ بان بالعربية وردة(٤) على أذن .

(١) شيخة فى ك سحه وفى ت : شحمة، وشحمة هى أم أبى نواس على قول.
(٢) فى ت : أمر .
(٣) الأبيات فى طبقات ابن المعتز ترجمة أبان : ٢٤٢ وقيل إنها لحمدان بن أبان .
(٤) وردة على أذن : المعروف أن جل بمعنى زهر فيكون تفسير جل بان : زهر البان .

كانت عنان جاريةُ الناطفي لا تُبالِي ما قالت ، فوقع بينها وبين أبي نواس شرٌّ ، فدسّت إليه سفهاء الكرخ والعيّارين(١) فقالت : إذا مرَّ بكم أبو نواس فصيحوا به وعَطْمِطوا(٢) عليه :

أبو نُواسِ اليمانِي وأُمّه جُـــلُّ بانِ
والنَّغْلُ(٣) أفطنُ شيء إلى حُروفِ المعاني

وأرادت بقولها النغل أبا نواس .

وجُلّ بان امرأة موسرة بالبصرة كانت تجمع أولاد الزنا وتربيّهم . ففعلوا ذلك وشاعت القضية .

فقال له الفضـلُ بن الربيع وإسماعيل بن صُبَيْح : بالله عليك إلّا أخجلتها ، وإن أخجلتها فلك عندنا ما تحبّ . فأتاها أبو نواس وعنـــدها جماعة فسلّم عليها ، ثم تحدثوا ساعة ثم قال لها : يا عنان ! ما هجاء أير . فصاحت بأعلى صوتها أ ى ر ومدَّت صوتها ، فقال لها : لِمَ رفعت صَوْتَك ومددتِه به ؟ قالت : لِعظَم حقّه علينا . فخرج أبو نواس يجرّ رجله خجلا .

فلما نفاه ابن قَنْبر وفضحه بأبياته السينية انقلب على النزاريّة وادّعى أنه من حاءَ وحَكَم ، فزجره آل يزيد بن منصور الحِمْيَري خال المهدي وقالوا له : أنت خوزى فما لك ولحاء وحكم ! قال : أنا مولى لهم . فتركوه وقال بعضهم لبعض : إنه لظريف اللسان غزير العلم ، فدَعُوه وهذا الولاء ، يتعصّب لنا ويكايد عنا ، ويهجو النزاريّة . فكان كما قالوا ، وكما ظنّوا . فانقلب إلى اليمن ونزل عن كنيته بأبي فراس واكتنى

---

(١) العيارون : جمع عيار وهو المتهتك فى المعاصى، أو الغلام لاعمل له .
(٢) عطمطوا : صيحوا عليه بقول عيط عيط وذلك شأن المجان إذا غلبوا غيرهم .
(٣) النغل : ولد الزنية (فاسد النسب) .

بأبى نواس تشبّها بكنية ذى نُواس ، كما كانت اليمن تكتنى . وندم على هجاء اليمن ووجدهم له أَنصَر ولدعوته أَقْبَل . فاعتذر إلى هاشم بن حُدَيج . فقال[1] :

أهاشِمُ خذ منّى رِضاك وإن أَتَى رِضاكَ على نفسى فغيرَ مَلُومِ
فأُقْسِم ما جاوزتُ بالشتم وَالِدِى وعِرْضى وما مَزَّقْتُ غيرَ أَدِيمى
وما كنتُ إلّا كالذى كشفَ اسْتَه بمرأَى عُيونٍ من عِدًا وحَمِيمِ
فعذت بِحَقْوَى[2] هاشمٍ فأعاذَنِى كريمٌ أراهُ فوق كلِّ كريمِ
وإنَّ امرأً عفى[3] على مثل زلَّتى وإن جَرحت فيه لَجِدٌ[4] حَلِيمِ
تطاوَل فوق الناس حتَّى كأنَّما يَرَوْن به نَجْماً أمامَ نُجومِ
إذا سارَت[5] الأحسابُ يوماً بأهلها أناخَ[6] إلى عاديَّةٍ وصَميمِ
إلى كلّ معصوب به التاجُ مِقْوَلٍ[7] إليه أتاوَى[8] عامرٍ وتميمِ[9]

وكان قبل أن يتولَّى اليمن ويدَّعى أنه من نزار يتعاجم فى شعره ، فمن ذلك قوله :

فاسقِنِيها وغَنِّ صو تًا لك الخيرُ أَعْجَما[10]
ليس فى نَعْت دِمْنَةٍ لا ولا زَجْرِ أَشْأَمَا

---

(١) الأبيات فى : الديوان : ٦٠٧ .

(٢) بحقوى : تثنية حقو وهو الجانب ، يريد عذت بجانبه .

(٣) عفى : فى الديوان : أغضى .

(٤) لجد : فى الديوان لعين .

(٥) سارت : فى الديوان وت : امتازت . ولعلها تصحيف اجتازت .

(٦) أناخ : انتسب إلى بيت قديم خالص .

(٧) المقول : الملك من ملوك حمير .

(٨) أتاوى : جمع إتاوة وهى الخراج .

(٩) عامر وتميم : قبيلتان من مضر .

(١٠) الديوان : ٨٠ من قصيدة أولها :

اسقنى يا ابن أدهما واتخذنى لك ابنما

وقوله :

تُدار علينا الـكأسُ فى عَسْجَدِيَّةٍ حَبَتْها بأنواعِ التصاوير فارِسُ
قَرارَتُها كِسْرَى وفى جَنَباتِها مَهاً تَدَّرِيها بالقِسِيِّ الفوارِسُ

وقوله :

تُراثُ أَبِى ساسانَ كِسرَى ولم يَـكُنْ مواريثَ ما أَبْقَتْ تميمٌ ولا بَـكْرُ

كان الجاحظ يقول : ما أعرف لأبى نواس شعرا يَفْضُل هذه القصيدة(١) :

ودَارِ ندامَى عَطَّلوها وأَدْلَجُوا(٢) بهـا أثرٌ منهم جديدٌ ودَارِسُ
مَساحِبُ من جَرِّ الزِّقاق على الثَّرَى وأضغاثُ(٣) ريحانٍ جَـنِىٌّ ويابِسُ
حَبَستُ بها صحبى فجدَّدت عهدَهم وإنّى على أمثـال تلك لحابِسُ
ولم أدرِ مَن هم غير ما شَهِدَتْ لهم بشرقىّ ساباط(٤) الدِّيارُ البسابِسُ(٥)
أقمنا بهـــا يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يومُ الترحُّلِ خامِسُ
تُدار علينا الـكأسُ فى عَسْجَدِيّة حَبَتْها بأنواع التصاوير فارِسُ
قَرارَتُها كِسرى وفى جَنَباتِها مَهاً تَدَّرِيها(٦) بالقِسِىِّ الفوارِسُ
فلِلْخَمر ما زُرَّتْ عليـه جُيوبُها وللماء ما دارَتْ عليـه القلانِسُ(٧)

ليس فى الشعراء من تقدَّمه إلى هذا المعنى ولا من شاركه فيه . ومعناه أنّ كسرى

---

(١) الديوان : ٣٧ .

(٢) أدلجوا : ساروا من أول الليل .

(٣) أضغاث : جمع ضغث وهو القبضة من النبات .

(٤) ساباط : مدينة فارسية قريبة من المدائن .

(٥) البسابس : المقفرة .

(٦) تدريها : تختلها لتصطادها .

(٧) القلانس : أغطية الرأس الشائعة إذ ذاك واحدها قلنسوة .

مصوَّر فى سُفْل الكأسِ وقرارِها وفى جوانبها بقرٌ ترميها الفوارس . وقوله :

* فللخمر مازُرّت عليه جُيوبها *

يعنى أن الخمر مصبوب فيها إلى حلوق الصور صِرْفا .

* وللماء ما دارت عليه القلانس *

يعنى أنهم صبوا الماء فى مَزْجها حتى علا رءوسها .

قال الجاحظ : أنشدت هذه الأبيات أبا شعيب القلّال وكان عالما شاعرا فقال : يا أبا عثمان هذا شعر لو نُقِرَ لطَنَّ . فقلت له : ويلك ما تفارق الجِرار والخَزَف حيث كنت !

وقال الجاحظ[1] : نظرنا فى الشعر القديم والمحدَث فوجدنا المعانى تُقلَّب وبعضٌ يأخذ من بعض ، وقلّ معنى من معانى الشعر القديم تفرّد بإبداعه شاعر إلا ورأيت من الشعراء من زاحمه فيه واشتق منه شيئا ، غير قول عنترة يصف ذُبابا خلا فى دار عبلة ، وذلك قوله[2] :

وخلا الذُّباب بها فليس بِبارِحٍ غَرِدا[3] كفِعْلِ الشارِبِ المُترَنِّمِ
هَزِجاً يحكُّ ذِراعَه بذراعِه فِعْلَ[4] المُكِبِّ على الزِناد الأَجْذَمِ

وقول أبى نواس من المحدثين :

قرارتها كِسرَى وفى جَنباتِها مَهاً تدَّرِيها بالقِسِىِّ الفوارس
فللخمر ما زُرَّتْ عليه جُيوبُها وللماء ما دَارَتْ عليه القَلانِس

---

(١) قال الجاحظ نظرنا فى الشعر : الحيوان : ٣/٣١١ . والبيان : ٣/٣٢٦ (تحقيق هارون) .

(٢) المعلقة (شرح القصائد العشر : ١٨٦ ـ ١٨٧) .

(٣) غردا : فى ك : دهرا ، والترجيح من المعلقة و ت .

(٤) فعل فى المعلقة : قدح .

وقال يصف كَرْماً[١] :

لنا هَجْمَةٌ لا يدَّرِي[٢] الذئبُ سَخْلَها ... ولا رَاعها رَزُّ[٣] الفِحالة والخطرُ

كَنى عَن الكَرْم بالإبل وهو يعنى الدنان. ولا راعها رَزُّ الفحالة : صوت الفحالة.

إذا امتُحِنَتْ ألوانُها مال صُفْرُها ... إلى الكُمْتِ إلاّ أنّ أوبارها خُضْرُ

الكُمتُ : لون العنب . والخُضر : وَرق الكرم .

وإن قام فيها الحالبون اتَّقَتْهُمُ ... بنجلاء ثقب الْخُرْتِ دِرَّتُها الخَمْرُ

اتقتهم : يعنى الدنان ـ ونجلاء : يعنى البزال .

مسارِحها الغربىّ من نهر صَرْصَرٍ[٤] ... فقُطربُّلٌ[٤] فالصالحيَّةُ فالعَقْر

قَصَرْتُ بها لَيْلِى وليلَ ابنِ حُرَّةٍ ... له حَسَبٌ زاكٍ وليس له وَفْرُ[٥]

تراث أبى ساسان[٦] كِسْرَى ولم تكن ... مواريثَ ما أَبْقت تَمِيمٌ ولا بكرُ

وفى تعاجم أبى نواس فى شعره يقول الرّقاشى يهجوه[٧] :

نَبطىٌّ فإذا قيل لهُ ... أنت مَوْلَى حَكَمٍ قال أَجَلْ

هو مَوْلَى اللهِ إن كان بهِ ... لاحِقاً فاللهُ أعْلَى وأَجَلّْ

واضِعاً نسبتَه حيثُ اشتهَى ... فإذا ما رابَه رَيْبٌ رَحَل

(١) الديوان : ١٠٢ .

(٢) يدرى : فى الديوان : يدرك .

(٣) رز : فى الديوان نزو .

(٤) صرصر : قريتان ببغداد عليا وسفلى . قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر وكانت متنزها وحانة للخمارين (ياقوت) ـ الصالحية : قرية بالرها ومحلة ببغداد ـ العقر : موضع قرب الكوفة (ياقوت) .

(٥) الوفر : المال .

(٦) أبى ساسان : فى الديوان : أنوشران .

(٧) مقدمة الأصبهانى ديوان أبى نواس (الباب الأول) طبع آصاف : ٣٦ .

فقال أبو نُواسٍ يهجوه[١] :

هجوتُ الفضلَ دهرى وهو عندى ... رَقاشِيٌّ كما زَعَم المَسُولُ[٢]

فلمَّا أنْ نصصناها إليه ... ليَعْلَم ما يُقالُ وما يَقُولُ

وجدنا الفضلَ أبعدَ من رقاش ... من الأُتْنِ ادّعتْ فيها الفيولُ[٣]

وَجَدْنا الفضلَ أكرمَ من رَقاشٍ ... لأنَّ الفضلَ مولاهُ الرَّسُولُ

يريد بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: « أنا مَوْلَى مَنْ لا مَوْلَى له[٤] ».

وقوله: «من الأُتْن ادَّعت فيها الفيُول» أراد بذلك قول يزيد بن مفرّغ يخاطب معاوية:

الا أبلغ معاويـةَ بنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلَةً من الرجُلِ اليمانِى[٥]

أتغضَبُ أن يُقال أبوك عَفٌّ ... وترضَى أن يُقالَ أبوكَ زَانِى

وأشهد أنَّ رِحْمَك من زِيادٍ ... كرِحم الفِيل من وَلَدِ الأتانِ

وكان أبو نواس فى دعاويه يتماجن ويعبث ويُخفِى نسبه واسم أمّه لئلا يُهجَى ، وذلك مشهور عنه . ولو غضب هو نفسه على أبيه لهجاه ولم يحتشم .

والمذكور من أمره أنه كان مَوْلَى الحكَميّين ، فيفخر باليمن ويمدحهم لذلك ، ويمدح العَجَم ويذكرهم لأنه منهم ، فلذلك قال فى العجم ما قال .

وكان أكثر أستاذى أبى نواس تأديباً وتخريجا له خَلَفٌ الأحمر وأقدمهم فى أستاذيته والبة بن الحباب[٦] .

---

(١) الديوان : ٥٢٥ باختلاف فى الترتيب وفى بعض الكلمات .

(٢) المسول : المسئول : وترك الهمز لضرورة الشعر .

(٣) ليس فى الديوان والبيت فى الموشح : ٢٧٢ برواية * من ابن الأتن من ولد الفيول * وراجع غ بيروت : ١٦/١٨٠ ترجمة الرقاشى .

(٤) الحديث: رواه أحمد فى مسنده: ١٨٩ و٣٢٣ تحقيق الأستاذ شاكر ـ ورواه الترمذى : ٣/١٨٢ وابن ماجه ٢/٨٦ .

(٥) غ (بيروت) : ١٨/١٩١ ـ الموشح : ٢٧٣ .

(٦) طبقات ابن المعتز ترجمة أبى نواس وترجمة والبة .

ولما رجع أبو نواس من الكوفة إلى البصرة وفارق والبة قيل له: أرغبت عن والبة ومللت الكوفة ؟ قال : هى أعذب وأطيب من أن تُمَلَّ ، ووالبة ممن لا يُرغَب عنه ؛ ولكنى نزعت إلى الأوطان واشتقت إلى الإخوان .

حدث أبو سعيد الُجهَنِى عن أخيه بدر البَرَّاء ، وكان يَبْرِى العودَ فى السوق ، قال : كان أخى صاحب غلمان ثم أقلع وتاب وتزوّج ، ووُلِدَ له أولاد ، وكان فى أيام فتوّته له غلمان ، أبو نواس من جملتهم . قال : قدمت بغدادَ ومعى ثلاثة أولاد لى ، قريبة أسنانهم بعضهم من بعض ، فبينا أنا أمشى فى بغداد إذا أنا برجل أَشْيَبَ على بِرْذَوْن فارِهٍ ومعه شاكِرِىٌّ[1] فلما رآنى عرفنى ولم أعرفه . فأقبل نحوى فسلَّم علىَّ وبَرَّنى ، فأنكرتُه ، فقال : وَيْحَكَ يا بدر ألا تعرفنى ؟ قلت : لا . قال : أنا أبو نواس ! فعرفته فسألته عن حاله وألطفته ، فقال لى : يا بدر مَنْ هؤلاء الغلمان معك ؟ قلتَ : هم أولادى . فقال : لا إله إلّا الله ، تزَوَّجْت ووُلِدَ لك ! قال : قلت نعم . قال : ويحك يا بدر كاد هؤلاء الأولاد أن يكونوا مِنِّى لو بقيت معك . قال : فنهرته ، وقلت له : قبَّحك الله وقبَّح ما جئت به . فقال : هو ما قلت لك . وقد أفلتُّ ، ثم مضى ، وهو يضحك .

قال محمدبن عمر: رأيت أبانواس فى البساتين يؤاجر وأَسْوَد مِثْل الِحمارِ فوقَه[2].

قال أبو الإِصْبع ذؤيب بن رِبعِىّ الهُذلى : طلبت أنا وصباح بن خاقان المنقرى ، ويحي الأَرْقط ، وعيسى بن غُصَيْن ، وابنُ الكَهْل مولى بنى تميم ، وعُبَيْد العاشِقَيْن ، وإنما سمِّىَ عُبَيْد العاشِقَيْن ، لأنه كان فى جواره رجلان أحدهما يعشق غلاما مملوكا ، والآخر يعشق مغنّية مملوكة ، فلم يزل يسعَى له حتى ملكهما فسمى [بعبيد] العاشِقَين .

---

(١) شاكرى : أجير أو مستخدم (معرب چاكر) .
(٢) يؤاجر : يبيح نفسه بأجر . هذا الخبر ليس فى ت .

قال أبو الإصبع : خرجنا نبتغي مؤاجَراً فأتينا باب أبى عمرو بن العَلاء ، فإذا نحن بغلام من أحسن الناس وجها ، وأحسنهم قدًّا وهو يتثنَّى . قال : فقلت له ما اسمك ؟ قال : الحسن بن هانئ . فقلنا له : أبو مَنْ ؟ قال : أبو نُواس . قال : فشارطناه ثلاثة أيام بدينار فى شارِعة الصبّاح ، وهو نهر بالأُبُلَّة وأخذناه ومضينا . وطبنا أطيب يوم وليلة ، حتى إذا كان اليوم الثانى وطبنا كانت حَمَالَةٌ فى بنى تميم . فأَعْطَى مَن أَعْطَى . وجاء أعرابى عليه عمامة كأنّه فسطاط إلى صباح ؛ فظنّ أبو نواس أنه يحمل عليه فانحدر إلى البصرة هاربا ، وانحدر القوم بعده . فجلسوا إلى باب أبى عمرو بن العلاء إذْ أقبل أبو نواس . فقالوا : ويحك ما حَسَنٌ ما صنعتَ بنا . فقال : رأيت عندكم من لم تسمح نفسى بمعاشرته ولا عينى بالنظر إليه ففررت منكم ، وقد قلت شعرا فيكم ، وما قلت قبل ذلك شعرا ، وأنتم علماء هذا الباب . فقلنا له : ما قلت ؟ فقال[1] :

كنت فى قُرَّةِ عَيْنِ ... مع عيسى بن غُصَيْنِ[2]
وابن كَهْـلٍ وابن خاقا ... ن النجيبِ الأَبَوَيْنِ[3]
والفـتى الأرقطِ يحْيَى ... وعُبَيْـــدِ العاشِقَيْنِ
وابنِ رَبَعِيّ الفـتى السَّمْـ ... ـحِ الجـوادِ الراحَتَيْنِ
عِنـــدنا الصهباءُ صِرْفاً ... فى قواريرِ اللُّجَيْـــنِ
ونَدامَى ســـادة[4] ... كلُّهم زَيْنٌ لزَيْنِ
وحَدِيث كان أَشْهَى ... من إيابٍ بعـــد بَيْنِ

(١) الأبيات فى الديوان : ٥٣٧ .
(٢) الرواية فى الديوان : مع أبىّ وحصين .
(٣) ليس فى الديوان .
(٤) فى الديوان : وندامى كرام .

ونُغَنِّى حين نَلْهُو لِغَرِيضٍ وحُنَيْنِ[1]
إذ أتى الله بأَحْـدٍ أو كأَحْدٍ مَرَّتَيْنِ
بفتًى[2] فَظٍّ غليظٍ ساقه الله لِحَيْنِى
حالَ[3] من شِقْوَة جَدِّى بين إخوانِى وبَيْنِى

قال : فاتخذناه صديقا لا نفارقه .

كان أبو عبيدة يقول : ذهبت اليمَن بجِدِّ الشِّعر وهَزْله : امرؤ القيس بجِدِّه وأبو نواس بهَزْله .

وكان يقول : ذهبت اليمَن بجيِّد الشعر فى قديمه وحديثه . امرؤ القيس فى الأوائل ، وأبو نواس فى المُحْدَثين[4] .

وكان يُقال : شعراء اليمن ثلاثة : امرؤ القيس ، وحَسَّان بن ثابت ، وأبو نواس[5] .

وقال أبو عبيدة : أبو نواس فى المحدَثين مثلُ امرئ القيس فى المتقدمين ، فتح لهم هذه الفطن ، ودلّهم على المعانى ، وأرشدهم إلى الطريق والتصرُّف فى فُنونه[6] .

---

(١) غريض : أبو مروان عبد الملك مولى العبلات غلب عليه لقب الغريض لطراوة وجهه ونضارته ، كان يضرب بالعود ، أخذ الغناء عن ابن سريج فبرع فيه وتقدم (غ بولاق ٢/١٢٩) .
حنين : هو حنين بن بلوع الحميرى . شاعر فحل من فحول المغنين له صنعة فاضلة متقدمة قيل : إنه من العباديين من تميم (غ بولاق) ٢/١٢٠ .

(٢) الرواية فى الديوان : وخم .

(٣) حال : فى الديوان : ذاك .

(٤) معاهد التنصيص (تحقيق الأستاذ محى الدين) : ١/٨٤ .

(٥) مقدمة الديوان لحمزة الأصبهانى (طبع آصاف) : ٩ .

(٦) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٥٥ — تاريخ بغداد : ٧/٤٣٧ — معاهد التنصيص : ١/٨٤ — عقد الجمان : ١١/٣٥٤ (مخطوط) .

قال ميمون بن هارُون : سألت يعقوب بن السكيت عَمّا يختار لى روايته من أشعار الشعراء ، فقال: إذا رَوَيْتَ من الجاهليين لامرئ القيس والأعشى ، ومن الإسلاميين لجرير والفرزدق ، ومن المحدَثين لأبى نواس فحسبك[١] .

قيل للعُتْبِى: مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أعند الناس أم عندى ؟ قال : قلت عند الناس. قال: امرؤ القيس. قال: قلت: فعندك؟ قال: أبو نواس.

قال عبيد الله بن محمد بن عائشة : من طلب الأدب فلم يَرْوِ شعر أبى نواس فليس بتامِّ الأدب .

قال إبراهيم بن العباس الصولى : إذا رأيت الرجل يحفظ شعر أبى نواس علمت أن ذلك عنوان أَدَبه ورائد ظرفه .

سُئل حَبيب بنُ أوسٍ عن شعر أبى نواس كيف هو عنده ، فقال : أبو نواس ومسلم ، اللات والعُزّى ، وأنا أعبدُها[٢] .

وكان أبو نواس يقول عن نفسه : سَفُلْت عن طبقة مَنْ تقدَّمَنى من الشعراء ، وعَلَوْت عن طبقة من معى ومن يجىء بعدى ، فأنا نسيج وَحْدِى[٣] .

حدَّث جماعة من الرُّواة ممن شاهد أبا نُواس قالوا : كان أقلَّ ما فى أبى نواس الشعر ، وكان فَحْلًا راوِيةً عالما .

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٥٥ ـ تاريخ بغداد : ٧/٤٣٧ عقد الجمان : ١١ / ٣٠٤ (مخطوط) .

(٢) غ (بيروت) : ١٨/٣٣٥ ترجمة مسلم بن الوليد ـ أخبار أبى تمام : ١٧٣ ـ طبقات ابن المعتز : ٢٨٤ .

(٣) مقدمة ديوان أبى نواس لحمزة الأصبهانى (طبع آصاف) : ١٠ .

قال سُلَيْمان بن أبى سَهْل: قلت لأبى نواس: ماالذى أستجيد من أجناس شِعْرك؟ فقال: أشعارى فى الخمر لم يُقَلْ مثلُها، وأشعارى فى الغَزل فوق أشعار الناس، وهنا أجود شعرى إن لم يزاحم غزلى ما قلته فى الطَّرْد.

وكان أبو نواس يقول: ما قلت الشعر حتى رَوَيْتُ لستين امرأة من العرب منهنَّ الخنساء وليلَى، فما ظنُّك بالرجال[1]! وإنى لأروى سبعمائة أرجوزة ما تُعْرَف[2].

وكان قد استأذن خَلَفاً الأحمر فى نظم الشعر فقال: لا آذَنُ لك فى عمل الشعر إلى أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ومائة أرجوزة قصيد ومقطوع، فغاب عنه مدة وحضر إليه فقال له: قد حفظتها، فقال: أنشدها، فأنشده أكثرها فى عدة أيام. ثم سأله أن يأذن له فى نظم الشعر فقال له: لا آذن لك إلى أن تنسى هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها. فقال له: هذا أمر يصعب علىّ فإنى قد أتقنت حفظها فقال: لا آذن لك أو تنساها. فذهب إلى بعض الديرة وخلا بنفسه وأقام مدة حتى نسيها، ثم حضر إليه فقال: قد نسيتها حتى كأن لم أكن حفظتها قط. فقال: الآن فانظم الشعر.

كان أبو نواس يقول: لا أكاد أقول شعراً جيّدا حتى تكون نفسى طيّبة وأكون فى بستان مُونِق، وعلى حال أرتضيها من صلةٍ أوصل بها أو وعد بصِلة، وقد قلت وأنا على غير هذه الحال أشعارا لا أرضاها. وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياما ثم يعرضها على نفسه فيسقط كثيرا منها ويترك صافيها، ولا يسره كل ما يقذف به خاطره. وكان نهمه للشعر فى الخمر فلا يعمله إلا فى وقت نشاطه. ولم يكن فى الشعراء لا بالبطىء ولا بالسريع بل كان فى منزلة وسطى.

---

(١) طبقات ابن المعتز: ١٩٤ — تاريخ بغداد: ٧/٤٣٧ — ليلى: اسم لإحدى عشرة امرأة شاعرة من العرب، اشتهر منهن بجيد الشعر: ليلى الأخيلية وليلى العامرية.

(٢) طبقات ابن المعتز: ٢٠١.

سئل ابن عائشة: مَن أشعر المحدَثين ؟ فقال : الذى يقول[١] :

كأنّ ثيابه أطْلَعْـ ـن من أزْراره قمَرا
يَزيدك وجهه حُسْناً إذا مـا زِدْتَه نَظَرَا
بعين خالط التفتـ ـير من أجفانها الحوَرا
ووجهٍ سابِرِيّ لَو[٢] تَصوَّب ماؤه قطَرَا
وقد خَطَّت حواضِنهُ له من عَنْبَرٍ طُرَرَا[٣]

كان الأصمعى يقول : يعجبنى من شعر الشاطر[٤] بيت واحد[٥] قد أجاد قائله وهو[٦] :

ضعيفة كرّ الطَّرْف تحسب أنّها قريبة عهد بالإفاقـة من سُقْمِ
وإنّى لآتى الأمرَ من حيث يُتَّقى ويَعْلَمُ سهمِى حين أَنْزِعُ[٧] مَنْ أَرْمِى

وهذا شعر أبى نواس .

قال أبو ثابت حبيبُ بن النعمان بن حبيب الحِمْيَرىّ: سمعتُ كُلثومَ بن عمرو العتَّابى يقول لرجلٍ وتناظرا فى شعر أبى نواس : والله لو أدرك الخبيث الجاهليَّة ما فَضَل عليه أحد[٨].

---

(١) الأبيات فى الديوان : ٥٥٩ باختلاف فى الترتيب .
(٢) وجه سابرى : جميل .
(٣) طررا : جمع طرة وهى خطوط للزينة والتمليح تكون فى مقدم الناصية أو على الأصداغ.
(٤) الشاطر : لقب عرف فى العراق وأطلق على أهل البطالة والمستهترين بالدعارة .
(٥) بيت واحد : المروى هنا بيتان ولعله يريد أحدهما .
(٦) الديوان : ٨٧ من قصيدة أولها :
ألا لا أرى مثلى امترى اليوم فى رسم تغص به عينى ويلفظه وهمى
(٧) أنزع : أمد فى وتر القوس .
(٨) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٥٦ ـ تاريخ بغداد : ٧/٤٣٧ .

وكان أبو عبيدة يقول : يعجبنى من شعر أبى نواس قوله[1] :

بَنَيْنـا على كِسْرَى سماءَ مُدامَةٍ مكلَّلَة حافاتُهـا بنُجوم
فلو رُدَّ فى كِسْرى بن ساسانَ رُوحُه إذاً لاصطفانِى دون كُلِّ نديم

كان أبو عمرو الشيبانى يقول: أشعر الناس فى وصف الخمر ثلاثة : الأعشى والأخْطَل وأبُو نواس .

قال بعضهم : كنت أَلْقَى أبا عبـد الله محمد بن زياد الأعرابى عند ولد سعيد ابن مسلم، وكانت مع ابن الأعرابى صحيفة لا تفارق كمه، فكنا نحب أن نقف عليها فدخل يوما إلى المتهيّأ وترك صحيفته تلك فى مجلسه ، فنظرنا فيها فإذا فيها كثير من شعر أبى نواس فى الخمر، وقد كنّا إذا ذكرنا أبا نواس استخفّ به وبذكره. فأعدنا عليه ذكره وعرف فى وجوهنا وقوفنا على ما فى الصحيفة فقال : أو قد قرأتم الصحيفة ؟ قلنا : أجل . وعجبنا من ازدرائك بأبى نواسٍ مع تدوينك شعره . فقال : إنه لمن أشعر الناس، وما يمنعنا من رواية شعره إلّا تبذله وسخفه. فكتبنا ما فى الصحيفة لأمرين: أحدهما أن تكون رواية ابن الأعرابى، والآخر لعلمنا أن ذلك من جيد شعره لأنه اختيار ابن الأعرابى لنفسه .

قال محمد بن عمر : لم يكن شاعر فى عصر أبى نواس إلا وهو يحسُدُه لميل الناس إليه ، وشهوتهم لمعاشرته ، ولبعد صوته ، وظرف لسانه .

قال أبو حاتم السجستانى [سئل أبو نواس عن شعره فقال] : إذا أردت أن أجدّ قلت مثل قصيدى:

* أيُّها المُنتاب عن عُفُره *

---

(١) الديوان : ٤٨ : من قصيدة أولها :

لمن دِمَنٌ تزداد حُسْـنَ رُسوم على طُول ما أَقْوَتْ وطِيب نعيم

وإذا أردت العَبَث قلت مثل قصيدى :

* طاب الهَوى لعَميدِه[١] *

فأما الذى لعبى فيه وحدى جدّ فإذا وصفت الخمر.

قال أبو ذَكْوان: كنّا عند الثورى فذكرت عنده أبا نواس فوضع [بعض الحاضرين] منه ، فقال له الثورى : أتقول هذا لرجل يقول :

تخافه الناس ويَرْجُونَه كأنَّه الجَنَّةُ والنار

والذى يقول :

فما فاته جُودٌ ولا حَلَّ دُونه ولكن يَصِيرُ الجودُ حيث يَصيرُ[٢]

والذى يقول :

فتمشَّت فى مفاصِلهم كتمشِّى البُرْء فى السَّقَمِ[٣]

إلى ما سوى ذلك، والله لقد لَحِقَ مَنْ قبلَه وفات مَنْ بَعْده .

قال ابن الأعرابى يوما لجلسائه : ما أشعر ما قال أبو نواس فى الخمر ؟

فقال بعضهم : قوله :

إذا عبّ فيها شارِبُ القوم خِلْتَه يُقَبِّلُ فى داجٍ من اللَّيْل كَوْكَبا[٤]

---

(١) طاب الهوى . . . : تكملته : لولا اعتراض صدوده .

(٢) الديوان : ٤٨١ من قصيدة أولها :

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

(٣) الديوان : ٤١ من قصيدة أولها :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم أنم

(٤) الديوان : ٢٢ من قصيدة أولها :

أعاذل أعتبت الإمام فأعتبا وأعربت عما فى الضمير وأعربا

وقال آخر: بل قوله :

كأَنَّ كُبْرَى وصُغْرَى من فَواقِعِها حَصْباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذَّهَبِ[١]

وقال آخر: بل قوله :

تَرى حيثُ ما كانت من البَيْتِ مَشْرِقاً وما لم تَكُنْ فيه من البيت مَغْرِبا[٢]

وقال آخر: بل قوله :

فكأَنَّ الكُئُوس فينا نُجومٌ دَائِراتٌ بُرُوجها أَيْدِينا[٣]

وقال آخر: بل قوله :

صَفراءُ لا تَنْزِلُ الأحزانُ ساحتَها لو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاء[٤]

فقال ابن الأعرابى : إن هذا كلّه لشاعر قد انفرد بالإحسان فيه وتقدَّم مَنْ سَبقه ومن تأخَّر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله فى قوله :

لا يَنْزِلُ الليلُ حيث حَلَّت فدهرُ شُرَّابِها نهارُ[٥]

قال مَسْلمة بن مِهْزم[٦] : لقيت أبا العتاهية فقلت : مَنْ أَشْعَر الناس ؟ قال : تريد جاهليًّا أو إسلاميًّا أو مولَّدًا ؟ قلت : كُلاًّ أريد . قال: الذى يقول فى المَديح :

---

(١) الديوان : ٧٢ من قصيدة أولها :

ساعٍ بكأس إلى ناشٍ على طرب كلاهما عجبٌ فى منظر عجبِ

(٢) الديوان : ٢٢ من القصيدة السابقة .

(٣) الديوان : ٣٠ .

(٤) الديوان: ٦ من قصيدة مفتتحها :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

(٥) الديوان : ٧٤ من قصيدة أولها :

أعطتك ريحانها العُقار وحان من ليلك انسفار

(٦) فى تهذيب ابن عساكر : ٢٥٧ وتاريخ بغداد : ٤٤٣/٧ : مسلمة بن مهدى . وفى ت مسلم بن بهزم وهو تصحيف أيضا .

إذا نحن أثنينا عليك بصالِحٍ فأنتَ الَّذِي نُثْنِي وفوق الذي نُثْنِي[1]
وإن جَرَت الألفاظ يوماً بِمِدْحَةٍ لغيرِك إنساناً فأنت الَّذِي نَعْنِي

والذي يقول في الهجاء :

وما أبقيتُ من عَيْلان إلّا كما أبقت من البَظْرِ المَواسِي[2]
وما حامت عن الأحساب إلّا لترفَع ذِكْرَها بأبي نُواس

والذي يقول في الزُّهد :

وما الناس إلّا هالكٌ وابن هالكٍ وذُو نَسَبٍ في الهالكين عَرِيق[3]

فقلت: هذا كله لأبي نواس؟ قال : هو هو . ثم لقيت العتَّابي فسألته عن هذا السؤال فأجابني بهذا الجواب كأنهما كانا اتفقا عليه .

قال الجاحظ : سمعت النظَّام يقول : وقد أُنْشِد شعراً لأبي نواس في الخمر : كأنَّ هذا الفتى جُمِعَ له الكلام فاختار أحسنَه[4] .

وقال بعضهم : كأنّ المعاني حُبِست عليه فأخذ منها حاجته وفضّ الباقي على الناس .

---

(١) الديوان (آصاف) : ٦٦ ـ تاريخ بغداد: ٤٤٣/٧ ـ ابن عساكر : ٢٥٧ ـ مسالك الأبصار : ٢٢٦/٩ (مخطوط) .

(٢) الديوان : ٥٢٣ . عيلان: أبو قيس عيلان الذي تنسب إليه جميع قبائل قيس، وهو ابن مضر بن نزار .

(٣) الديوان : ٦٢١ من قصيدة أولها :

أيا ربّ وجه في التراب عتيق ويارب حسن في التراب رقيق

ورواية البيت في الديوان :

أرى كل حي هالكا وابن هالك وذا نسب في الهالكين عريق

(٤) تاريخ بغداد : ٤٣٧/٧ ـ تهذيب ابن عساكر : ٢٥٥ . الخمر : في تاريخ بغداد: الجبر.

كان أبو العتاهية يقول[١] : سبقني أبو نواس إلى ثلاثة أبيات وَدِدْتُ أنّى سبقته إليها بكلّ ماقلته، فإنه أشعر الناس فيها، منها قوله:

يا كَبِيرَ الذنب عفو اللّـــهِ مِنْ ذَنْبِك أَكْبَرْ[٢]

وقوله :

من لم يكن لِلّهِ مُتَّهِماً لم يُمْسِ مُحتاجاً إلى أحَدِ

وقوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكَشَّفَتْ له عن عَدُوٍّ فى ثيابِ صَدِيقِ

ثم قال : قلت فى الزهد ستة عشر ألف بيت وددت أنّ أبا نواسٍ له ثلثُها بهذه الأبيات ؛ وهذه الأبيات لأبى نواس ، وأولها[٣] :

أَلَا[٤] رُبَّ وَجْهٍ فى التراب عتيقِ ويا رُبَّ حُسْنٍ فى التُّراب رَقِيقِ
ويا رُبَّ حَزْمٍ فى التراب وَنَجْدةٍ ويا رُبَّ رَأْيٍ فى التُّراب وَثِيقِ
فقل للقَرِيب اليومَ إنَّك رَاحلٌ[٥] إلى منزلٍ دَانِي المَحَلِّ سَحِيقِ
وما النَّاس إلَّا هالِكٌ وابنُ هَالِكٍ وذُو نَسَبٍ فى الهالكين عَرِيقِ
إذا امتحن الدُّنيا لبيبٌ تكَشَّفَتْ له عن عَدُوٍّ فى ثيابِ صَدِيقِ

---

(١) الخبر والأبيات فى تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٦٠ .
(٢) البيت من قصيدة فى الديوان : ٦٢٠ وأولها :

يا نواسيّ توقّر وتجمّل وتصبر

(٣) الديوان ٦٢١ .
(٤) ألا : فى الديوان : أيا.
(٥) راحل : فى الديوان : ظاعن .

كان المأمون يقول(١) : لو سُئِلت الدنيا عن نفسها فنطقت لما وَصَفَت نفسها كما وصفها أبو نواس فى قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفَتْ   له عن عدوٍّ فى ثيابِ صَدِيقِ

وكان أبو نواس يقول(٢) : لو أن شِعْرِى يملأُ الفم ما تقدَّمنى أحد .

قال أبو حاتم(٣) : كانت المعانى مدفونة حتى أثارَها أبو نواس .

وقال المكّىّ : مازالت المعانى مكنوزةً فى الأرض حتى جاء أبو نواس فاستخرجها.

قال أحمد بن القاسم(٤) : كنتُ أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلقٍ على قفاه . فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العبَّاس مَنْ أشعر الناس فى خلافة بنى هاشم؟ فقال: أميرالمؤمنين أعْلَى عينا وأعرف بهذا ! فقال: على[كل] حال[فقل](٥) وتكلم أنت [أيضا](٦) يا أحمد بن القاسم .

فقال عبدالله: أشعرُهم الذى يقول :

ويا قَبْرَ معنٍ كنتَ أوَّلَ حُفْرَةٍ   من الأرض خُطَّت للسماحة مَوْضِعاً(٧)

قال: فقلت : بل أشعرهم الذى يقول:

أشبهتِ أعدائى فصرتُ أُحِبُّهُم   إذْ كان حَظِّىَ منكِ حَظِّىَ منهُمُ(٨)

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٢٥٦ ـ مقدمة ديوان أبى نواس لحمزة الأصبهانى: ١٥ (طبع آصاف) خاص الخاص : ٨٧ ـ ابن خلكان ١٩٨/١ .

(٢) الموشح : ٢٦٤ برواية : لو كان شعرى كله ...إلخ .

(٣) مقدمة ديوان أبى نواس رواية حمزة الأصبهانى (طبع آصاف) : ١٥

(٤) الخبر فى غ (بولاق) ١١٨/١٤ (ترجمة الحسين بن مطير) وسيأتى فى ترجمة الحسين بن مطير ـ أحمد بن القاسم : فى غ : أحمد بن يوسف .

(٥) ما بين القوسين زيادة يقتضيها القياس ، وفى غ : وعلى ذلك فقل .

(٦) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

(٧) البيت للحسين بن مطير (غ : ١١٨/١٤) .   (٨) البيت لأبى الشيص الخزاعى .

فقال المأمون : يا أحمد ، أبيتَ إلّا غزَلا. أين أنتم عن الذى يقول :

يا شقيقَ النَّفْسِ من حَكَمٍ   نمتَ عن ليلى ولم أنَمِ

فقلنا: صدقت يا أمير المؤمنين .

ورد على العتَّابى بحلب عدَّة من الكتاب[١] من أهل قِنّسرين، فدخلوا وسلَّموا، وكان فى يده رُقعة ينظر إليها ، فقال لهم : لقد سلك صاحب هذه الرقعة واديا ماسلكه أحد قبله ، لِلّه درُّه . قال: فنظروا فإذا هو شعر أبى نواس :

رَبْعُ الكَرَى بين الجفون مَحِيلُ   عَفَّى عليه بُكًا عليكَ طَويلُ[٢]

يا ناظِراً ما أقلعت لَحَظاتُه   حَتَّى تشَحَّطَ بينهنّ قَتيلُ

أَحْللت قلبى من هواك مَحلَّةً   ما حَلَّها المشروبُ والمأكولُ

بكمالِ صورتك التى من دُونِها   يتحَيَّر التشبيه والتمثيل

اجتمع أبو نواس[٣] وأبوالعتاهِيَة يوما عندإسحاق بن إبراهيم بن مَيْمون، وكلّ واحد منهما لا يعرف صاحبَه ، قال إسحاق: فأخبرت أبا العتاهية بمكان أبى نواس فسلَّم عليه واستنشده وقال : كنت أحب أن أراك. فجعل أبو نواس يُنشده من سَفْساف شعره، فلما رأى ذلك أبوالعتاهية اندفع فأنشده من غير أن يسأله، فقال أبو نواس: هذا والله المُطْمِع الممتنع . فقال أبو العتاهية : هذا القول خيرٌ من كل ما أنشدتُ اليوم ، ثم قال : كيف قلتَ فى اعتذارك إلى الرشيد أو قال إلى الفضل بن الربيع ؟

قال: فأنشده الشعر الذى يقول فيه[٤]:

مامن يد فى الناس واحدةٍ   كيَدٍ أبو العبّاس مولاهَا

(١) فى ت : الكبار .

(٢) الأبيات فى الديوان : ٢٥٥ ـ والرواية فى الديوان : رسم الكرى ـ محيل: مجدب ـ عفى عليه: محاه.

(٣) تهذيب ابن عساكر : ٢٦١ .

(٤) الديوان : ٤٥٩ .

قد كنت خِفْتُك ثم أمَّنَنِي   من أنْ أخافَكَ خوفُكَ اللهَ

فقال أبو العتاهية : ما عليك ألّا تقولَ بعد هذا شيئًا . قد كنتُ والله أحب أن أكون قد سبقتك إليه .

قال عبد الله بن سليمان بن العباس[1] : كنت أسير فى طريق أصبهان فإذا أنا برجل عليه فَرْوٌ جالسَ إلى عينٍ فى المنزل ، فقال لى: مِمَّن الرجل ؟ قلت: من أهل البصرة . قال : أنشدنى لأبى نُواسِكم شيئًا ، فإنه لو كُشف استه ومضى بين الناس كان أحسن من قَوْله[2] :

وَجْه جِنَانٍ سَراةُ[3] بُسْتانٍ   جُمِّع فيـــهِ كُلُّ ألوانِ[4]

قلت: فأُنشدك له؟ قال: هات فأنشدته[5]:

مُتَتايِهٌ بجماله صَلِفٌ   ما يُستطاعُ كلامُه تِيها

للحسن فى وَجَناتــه بِدَعٌ   ما أنْ يمَــلَّ الدرسَ قارِيها

لو كانت الأشيـــاء تعقلُه[6]   أَجْلَلْنَه إجلالَ باريها

أو تستطيع الأرض لانقَبَضَتْ   حتَّى يصيرَ[7] جميعُه فِيهــا

قال: أنشِدْنى غيرَ هذا . فأنشدتُه[8]:

إنَّ السحاب لتستَحْيِي إذا نظرت   إلى نَداكَ فقاسَتْهُ بما فيها

---

(١) الموشح : ٢٨٦ وفيه : عن عبد الله بن سلمة بن عياش .

(٢) الديوان : ٢٣٤ .

(٣) سراة : فى الأصول: سراى. والتصويب من الديوان (غز) ، وسراة كل شىء : خياره.

(٤) فى الديوان : مجتمع فيه كل ريحان .

(٥) ليس فى الموشح، والأبيات فى الديوان: ٢٩١ .

(٦) الأشياء تعقله : فى الديوان : الأشباح تعرفه .

(٧) يصير: فى الديوان : يكون .

(٨) الديوان : ٤٦٤ .

حتّى تهمّ بإقلاعٍ فيمنعها خوفٌ من السُّخط من إجلال مُنشيها[١]

قال : أحسن وأجاد . قلت : من أنت ؟ قال : كُلْثوم بن عمرو العتّابى . قلت: أنشدنى من شعرك ، فأنشدنى :

طَمَع النفوسِ مطيّة الفقرْ ولِباسُها أدنَى من الوَفْرِ
اصبر إذا بدَهَتْك نازلَةٌ ماعال مُنْقَطِعٌ إلى الصبرِ
الصبر أمْثل مااعتصمتَ به ولنعم حَشْو جوانِح الصَّدْرِ

ويقال : إن هذا الحديث مصنوع ؛ لأن هذا الشعر ليس من شعر العتّابى فى شىء وإنما هو لخلد الطائى ، وأن الذى أُنْشدَ من شعر أبى نواس ليس بأجود شعره ولا مختاره.

قال محمد بن صالح بن بَيْهَس الكلابى[٢] : لمّا دخلتُ العراق صرت إلى مدينة السلام فسألت عمَّنْ بها من الشعراء المحسنين ، وذلك فى أيام خلافة الأمين أو عند موته قبل دخول المأمون بيسير . فقيل لى : قد غلب عليهم فتى من أهل البصرة يقال له : الحسن بن هانئ يعرف بأبى نواس ، وقد كنتُ سمعت شيئا من شعره ، فأتانى فتى كان يألفنى من أهل الأدب فقلت له : هل تَرْوِى لأبى نواسكم هذا شيئا ؟ قال : نعم أروى له أبياتا فى الزهد وليس هو من طريقته . فقلت : أنشدنيها ، فأنشدنى[٣] :

أَخِى ما بالُ قلبك ليس يَنْقَى كأنَّك لا تظنّ الموتَ حَقّا
ألا يا ابن الذين فنَوْا وبادُوا أما والله ماذهبوا لِتَبْقَى
وما للنَّفْس عندك من مقام إذا ما استكْمَلتْ أَجَلا ورِزْقا
وما أحدٌ بزادِكَ منك أحْظَى ولا أحدٌ بذنبك منك أَشْقَى
ولا لك غير تقوَى اللهِ زادٌ إذا جعلتْ إلى اللَّهوات ترْقَى

(١) خوف من السخط ... الخ : فى الديوان : خوف العقوبة فى عصيان منشيها .
(٢) الموشح : ٢٧٥ .
(٣) الديوان (طبع آصاف) : ١٩٨ .

فقلتُ له أحْسَن والله . قال : أفلا أنشدك أحسن من هـذا ؟ فقلت . بلى ، فأنشدنى[1] :

طَوَى الموتُ ما بينى وبين محمدٍّ   وليس لـما تطوى المنيَّـةُ ناشرُ
ولا وصلَ إلا عـــبرةٌ يستديمُها   أحاديث نَفْسٍ مالها الدهرَ ذاكرُ
لـئن عُمِّرَتْ دُورٌ بمن لا تُحِبّه   لقـــد عمرتْ ممّن تُحِبّ المقابر
وكنت عليه أحذرُ الموتَ وَحْدَه   فـلم يَبْقَ لى شىءٌ عليه أحاذِرُ

قال : قلت: بحقٍّ ما غلبَ هذا على أهل الأدب وقدَّموه على غيره .

قال أبو مخلد : جاء أبو العَتاهية إلى عندى فقال لى إنَّ أبا نواس لا يُخالفك ، وقد أحببت أن تسأله ألّا يقول فى الزهد شيئا فإنى قد تركت له المديح والهجاء والخمر والرقيق ، وما قالت فيه الشعراء ، والزهد سُوقِى. فبعثت إلى أبى نواس فجاء وأخذنا فى شأننا، وأبو العتاهية لايشرب النبيذ . فقلت لأبى نواس : إن أبا إسحاق مَنْ قد عرفت فى جلالته وتقدّمه ، وقد أحبَّ أنك لا تقول فى الزهد شيئا . فوجم[2] وقال : يا أبامخلد ، قطعت علىّ ما كنت أحب أن أبلغه من هذا ، ولقد كنت على عزم ن أَقول فيه ما أُتوّب به كلّ خليع . وقد فعلت ولا أُخالف أَبا إسحاق فيما رغب إليه .

قال محمد بن جعفر الأحمر[3] : كنَّا عند أَبى نعيم فتذاكرنا قول عائشة حين ذكرت شعر لبيد يرثى أَخاه أربد[4] :

ذَهَب الذين يُعاشُ فى أكنافِهم   وبَقِيتُ فى خَلَفٍ كجِلْدِ الأَجْرَبِ

---

(١) الديوان : ٥٨١ — وفى الشعر والشعراء : ٧٩١ باختلاف فى الترتيب .
(٢) وجم : سكت عن غيظ .
(٣) الأحمر : فى ت : الأصم .
(٤) أربد: هوأربدبن قيس بن جزء بن خالدبن جعفر بن كلاب، وهوأخو لبيدبن ربيعة لأمه.

قال : ولقد أنشدنى أبو نعيم أبياتا ، قلنا فأنشدناها فقال[١] :

ذهب الناس فاستقلُّوا[٢] وصرنا ... خَلَفاً فى أراذِلِ النَّسناسِ
فى أناسٍ نعدُّهم من عَديدٍ ... فإذا فتِّشُوا فليسوا بناسِ[٣]
كلَّما جئتُ أبتغى الفضل[٤] منهم ... بدَرُونى قبل السؤال بياسِ
وبكَوْا لى حتى تمنَّيت أنِّى ... مُفْلِتٌ عند ذاك رَأْساً براسِ[٥]

ثم قال لنا : أتدرُون لمن الشعر ؟ قلنا : لا . قال : للحسن بن هانئ .

قال أبو عبد الرحمن الضرير[٦] : رأيت مسلم بن الوليد بجرجان وهو يتولّاها فسألنى عمّن خلّفت من الشعراء، فقلت له : أمّا من الكوفيين فأبو العتاهية وهو مقدّم عندهم . فقال : ويحك كيف يتقدّم وهو يقول :

* رويدكِ يا آنسى لا أين تقفر *

أرأيت تقفر خرجت من بين فَكَّىْ شاعر محسن قط ! قلت : وأما من البصريين فالحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس فإنه مقدم عندهم فى فنون الشعر . فقال : ويلك ! وكيف يكون ذلك وهو يُحِيل ويتخطّى فى صفة المخلوق إلى صفة الخالق ؟!
قلت : مثل ماذا من قوله ؟ قال : أما فيما أحال فكقوله :

وأخفت أهل الشركِ حتى إنّه ... لتخافُكَ النُّطَفُ التى لم تُخلَقِ[٧]

(١) الديوان : ٦٠٥ .
(٢) استقلوا : ذهبوا ورحلوا .
(٣) البيت مؤخر فى الديوان بعد : وبكوا .
(٤) الفضل : فى الديوان : النيل .
(٥) مفلت عند ذاك رأسا براس : يريد: لا على ولا ليا .
(٦) الموشح : ٢٨٤ ـ أبو عبد الرحمن الضرير : هوعبد الله بن يوسف السمرقندى الخارج مع سيار بن رافع على المأمون وكان راوية أديبا .
(٧) الديوان : ٤٠١ من قصيدة :

خَلَقَ الشباب وشِرّتى لم تخلقِ ... ورَمَيْتُ فى غرض الزمان بأفْوَقِ

وهذا من الإغراق المستحيل فى العقول ، وممّا ليس على مذهب القوم . وأما فى تخطّيه بصفة المخلوق إلى صفة الخالق فهو كقوله :

يَجِلّ أنْ تَلْحَق الصفاتُ بِهِ   فكُلُّ خلقٍ لخلقه مِثْلُ

وكقوله :

* بَرِئٌ من الأشباهِ ليس له مِثْـلُ *

لقى العتّابى أبا نواس فقال له[1] : يا أبا علىّ أما خفت الله حيث تقول :

وأخفت أهل الشرك حتى إنّه   لتخافك النّطف التى لم تُخْلَق

فقال أبو نواس : أما خفتَ أنت الله حيث تقول :

ما زلتُ فى غمراتِ الموت مطّرحا   يَضيقُ عنى وسيعُ الرأى من حِيَلِى

فلم تزلْ دائباً تسعى بلُطْفِك لى   حتّى اختلستَ حياتِى من يدَىْ أَجَلِى

فقال العتّابى : قد علم الله وعلمتَ أنّ هذا ليس مثلَ قولِك . ولكنك قد أعددت لكلّ قائل جَوابا .

ومما قيل عن أبى نواس[2] : إن الشعر إنما هو بين المدح والهجاء وأبو نواس لا يُحْسِنهما ، وأجود شعره فى الخمر والطَّرْد ، وأَحسن ما فيها مأخوذ ليس له ، وإنما سرقه . وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يُحسن أن يقفّى[3] عليه حتى يجىء به قبيحا[4].

مثل قوله :

* وداوِنى بالّتى كانت هى الداء *

---

(١) الموشح : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

(٢) الموشح : ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

(٣) يقفى : فى الموشح : يعفى .

(٤) قبيحا : فى الموشح : نسخا :

أخذه من قول الأعشى :

* وأُخْرَى تداوَيْتُ منها بها *

والذى أخذ منه أحسن مما قال .

ومنه أيضا قوله :

* كانَ الشبابُ مطيَّةَ الجَهْلِ *

أخذه من [قول] النابغة:

* فإنّ مطية الجهل الشباب[1] *

وقوله :

* كَطلْعَةَ الأَشْمَط من جِلْبابِه[2] *

فإنّه أخذه من قول أبى النجم :

* كَطلْعة الأَشْمطِ من كسائه *

ولكنه رُزق فى شعره أنْ سار وحملَه الناس وقدّمه أهلُ مصره ، وإن له على ذلك لأشياء حسانا لا يدفعها ولايطرحها إلا جاهل بالكلام أو حاسد .

وإنّ مما استُجيد له قوله :

وما الناسُ إلّا هالكٌ وابنُ هالِكٍ وذو نَسَبٍ فى الهالِكِين عَرِيق[3]

وقوله فى الخمر :

صَفْراء لا تنزِلُ الأحزانُ ساحتَها لو مَسَّهَا حَجَـرٌ مسَّتْه سرّاء[4]

---

(١) صدر البيت : فإن يك عامر قد قال جهلا .

(٢) صدر البيت : لما تبدى الصبح من حجابه . الديوان : ٦٣١ .

(٣) الديوان : ٦٢١ .

(٤) الديوان : ٦ .

وقوله أيضا :

إذا عَبَّ فيها شارِبُ القوم خِلْتَه يُقبِّلُ فى داجٍ من الليلِ كَوْكَبا[1]

قال أبوعبد الله أحمد بن صالح بن أبى فنن: كان أبو بحر عبد الرحمن بن أبى الهداهد شاعرا مجيدا ، وكان لا يكاد يقول شيئا إلّا نُسِب لأبى نواس ، وكذلك الحسين بن الضحَّاك . وقد غلب على كثير من شعرها .

فما هو لأبى بحر وقد نسب إلى أبى نواس :

وشاطرٍ ماجن الشمائل قـدْ خالَط منـه المُجون تَخْنيثَا
تراه طَوْراً مـذكَّراً فإذا عاقَر رَاحاً رأيتَ تأْنِيثَا
يَمِيل للمَشْىِ فى مُعَصْفَرَةٍ يَحْكِى لنا الجُلَّنار والتُوثَا[2]
أغرُّ يحكِى بحُسْنِ مَنْطِقِه دُرًّا بِقِطْع الجُمانِ[3] مَبْثُوثَا
خُصَّ بِرِدْفٍ كأنَّ مِـئْزَرَه على رُكام من النَّقَا لِيثَا[4]
ألثغ إن قلتَ يا فدَيْتُـك قـلْ مُوسَى يَقُلْ فى رُطونَةٍ مُوثَى
ما زال حَتَّى الصباح مُعْتَنِقِى مُطارِحِى فى الدُّجَى الأحادِيثَا

قال أبو عبـد الله : أنشدنيها أبو بحر لنفسه ، فقلت له : إنهم يزعمون أنها لأبى نواس ، فقال لى : فأبو نواس بينى وبينك ، فوالله لقد غلبَنى على غـير شعر ، وما يدَّعِيه ولـكنه قد حَظِىَ أن يُنْسَب إليه كلّ إجادة وملاحة .

---

(١) الديوان : ٢٢ .
(٢) التوث : الفرصاد وهو التوت الأحمر ــ الجلنار : زهر الرمان (فارسى معرب) .
(٣) الجمان : اللؤلؤ .
(٤) الركام : ماتجمع بعضه فوق بعض ــ النقا : الـكثيب من الرمل ــ ليث : اختلط .

اجتمع أبو نواس[١] ومسلم فى مجلس فتلاحيا على نبيذ ، فقال مسلم لأبى نواس : والله ما تُحْسِن الأوصافَ . فقال : لا والله ما أحسن أن أقول :

سُلَّتْ فسُلَّتْ ثم سُلَّ سَلِيلُها فأتى سَلِيلُ سَلِيلِها مَسْلُولا[٢]

والله لو رَجَمْتَ الناس فى الطُرق لكان أَحسن من هذا .

قال أبو عبد الله الحسن بن المُنْذِر : كنت وأبو نواس فى منزل صديق لى ، فوقعت منى عربدة فأخذ بيدى وأخرجنى إلى منزله على نهر الدجاج[٣] . قال : فدخلت فإذا فى جوانب البيت على كل حائط سطر ممدود ، قال : ودخل معنا غلام من أبناء التجار جاء ليكتب من شعره ، فقرأت أنا والغلام الكتابَ فإذا فى صدر البيت :

أما المِكاسُ[٤] فشىءٌ لستُ أعرِفُه والحمد لله ، فى نَيْكٍ وفى راحٍ[٥]

وثانى هذا البيت :

ها تِيك أَنْفِى بها هَمِّى وذا أَمَلِى فلستُ عن ذا ولا عن تلك بالصَّاحِى

وفى جانب البيت الأيمن :

مَنْ دخَلَ البيتَ فهو آمِنٌ مِن كلِّ شىءٍ ما خلا النَّيْكا

وثانى هذا البيت :

فقال : قد جئنا على خِبْرَةٍ فقلتُ : لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكا

---

(١) الموشح ٢٨٩ .

(٢) الديوان : ٤٧ ـ الشعر والشعراء : ٨١٤ .

يقول : رققت بطول القدم ثم رقق رقيقها فأتى رقيق رقيقها مرققا أى مسلولا .

(٣) نهر كان يأخذ من كرخايا قرب الكرخ من الجانب الغربى (ياقوت) .

(٤) المكاس : المشاكسة واستحطاط الأجر أو الثمن .

(٥) فى الأصول : ولا راح .

وفى الجانب الآخر :

خَلَعْتُ العِــــذار وأَلْقَيْتُه فلم يَبْقَ فى الرَّأْسِ إِلَّا الرَّسَنْ

قال : فقلت للغلام: أَلْقِ عَلَيَّ نفسَك بما قد قرأت . فأَعْطَى بيده وقضى حاجتى .

[ومن أحسن مدائح أبى نواس قوله يمدح الفَضْل بنَ الرَّبيع :](١)

[وبَلْدَةٍ فيهـا زَوَرْ صَعْراءَ تُخْطَى فى صَعَرْ(٢)

مَرْتٍ إذا الذئبُ اقْتَفَرْ بها من القَوْمِ أَثَرْ(٣)

كانَ له مِنَ الجَــزَرْ كُلُّ جَنِينٍ ما اشْتَكَرْ(٤)

ولا تَعَــلَّاه شَعَـــرْ مَيْتُ النَّسا حَيُّ الشَّفَرْ(٥)

عَسَفْتُهـــا على خَطَرْ وغَرَرٍ من الغَــرَرْ(٦)

---

(١) ما بين القوسين تكملة من تهذيب الأغانى . الفضل بن الربيع : وزر للرشيد بعد البرامكة وظل فى الوزارة إلى أن مات الرشيد، ووزر لابنه الأمين حتى قتل، فاستتر حتى بويع لإبراهيم بن المهدى فظهر، ثم استتر حين استتب الأمر المأمون وظل مستترا حتى رضى عنه، وتوفى سنة ثمان ومائتين فى شهر اختلف فيه (وفيات باختصار) .

هذه القصيدة سقط كثير من أبياتها فأكملناها من مخطوطة لها مشروحة بشرح ابن جنى وقد أشرنا إليها سابقا ووضعنا الأبيات بين معقفين [ ] دلالة الزيادة عن الأصل، ومكان هذه الأبيات من الأصل بياض فى ك وت، والقصيدة مذكورة فى الديوان ٤٣٨ وفى طبع (آصاف) : ٧٧ .

(٢) البلدة : كل قطعة مستحيزة من الأرض عامرة أو غامرة ــ الزور : الميل والاعوجاج ــ الصعر : الميل ــ تخطى فى صعر : تقطع فى اعوجاج لأن سماتها معوجة .

(٣) مرت : لا تنبت شيئا ــ اقتفر : اقتفى واتبع .

(٤) الجزر : جمع جزرة وهى الشاة المذبوحة ، وأراد بها هنا السخال ــ ما اشتكر : ما نبت عليه الشكير وهو الوبر، لأن أمه قد أجهضته .

(٥) تعلاه: علاه ــ ميت النسا : النسا : عرق مستبطن الفخذين إلى الساقين . يريد ليس له عرق يضطرب غير شفر عينيه، وهو يخبر بهذا عن نقصه وعجزه عن التمام .

(٦) عسفتها : ركبتها على غير تدبير وبغير قصــد ــ خطر : مخاطرة بالنفس فى ركوب ذلك المهمه، ويمكن أن يراد على خطر أى ناقة تخطر فى سيرها بقوتها ونشاطها ــ غرر : مخاطرة ومغامرة .

بِبَــازِلٍ حِينَ فَطَرْ   تَهُــزُّهُ جِنُّ الأَشَرْ(١)
لا مُتَشَكٍّ مِنْ سَــدَرْ   ولا قَرِيبٌ من خَوَرْ(٢)
كأنَّه بعـــد الضُّمُرْ   وبعـــد ما جال الضُّفُرْ(٣)
وامَّحَ نَيٌّ فَحَسَرْ   جَأْبٌ رَباعِي المُتَّغَــرْ(٤)
يَحْدُو بِحُقْبٍ كالأُكَرْ   تَرْمِي بِأَثْبَاجِ القَصَرْ(٥)
مِنْهُنَّ تَوْشِيمُ الجَــدَرْ   رَعَيْنَ أبــكارَ الخُضَرْ(٦)
شَهْرَيْ رَبيعٍ وصَفَرْ   حَتَّى إذا الفَحْلُ جَفَرْ(٧)
وشَبَّــه السَّفَا الإبَرْ   ونَشَّ إذْخارُ النُّقَرْ(٨)
قُلْنَ له ما تَأْتَمِـرْ   وهنّ إذْ قُلْنَ أَشِرْ(٩)
غَــيْرُ عَوَاصٍ ما أَمَرْ   كأنَّهـــا لِمَنْ نَظَرْ

---

(١) البازل : الـكامل القوى من الإبل ــ فطر : حين ظهر نابه وذلك فى السنة التاسعة ــ الأشر : البطر والشره .

(٢) السدر : الدوار فى الرأس ــ الخور : الضعف. يصف البازل بأنه شديد ولا علة به .

(٣) الضمر : الهزال وانضمام بعض الأجزاء إلى بعض ــ جال: تحرك ــ الضفر : جمع ضفيرة وهى من حبال الرحل .

(٤) امح : ذهب ودرس ــ النى : الشحم ــ الجأب : الغليظ من حمران الوحش ــ المتغر : من الاتغار وهو نبات الأسنان بعد سقوطها ، يقال بالتاء والثاء .

(٥) يحدو: يسوق ــ الحقب : جمع حقباء وهى الأتان على حقويها بياض . الأثباج : الأوساط. القصر: جمع قصرة وهى أصل العنق.

(٦) توشيم : نقش ــ الجدر : أثر العضاض .

(٧) جفر : انقطع عن الضراب لشدة الحر .

(٨) السفا : شوك البهمى ــ نش: يجوز أن يعنى به ، غلا كما تغلى القدر من شدة الحر، وقيل: نس بالسين غير المعجمة أى جف ــ الإذخار : ما يجتمع فى النقرة من ماء .

(٩) تأتمر : تفتعل من الأمر ، أى تشير وتطلب .

رَكْبٌ يَشِيمُون مَطَرْ حَتَّى إذا الظِّلُّ قَصَرْ (١)
يَمَّمْنَ مِنْ جَنْبَيْ هَجَرْ أَخْضَر طَمَّامَ العَكَرْ (٢)
وبَيْنَ أَحْقَافِ القُتَرْ سارٍ ولَيْسَ لِسَمَرْ (٣)
ولا تِلاوَاتِ سُوَرْ يَمْسَح مِرْنَاناً يَسَرْ (٤)
زُمَّتْ بِمَشْزُورِ المِرَرْ لَأْم كَحُلْقُوم النُّغَرْ (٥)
حَتَّى إذا اصْطَفَّ السَّطَرْ أَهْدَى لها لَوْ لم تَحَرْ (٦)
دَهْيَاء يَحْدُوها القَدَرْ فتلك عَنْسِي لم تَذَرْ (٧)
شِبْهاً إذا الآلُ مَهَرْ إليك كَلَّفْنا السَّفَرْ (٨)
خُوصاً يُجاذِبْن الجُرَرْ قد انْطَوَتْ منها السُّرُرْ (٩)

---

(١) يشيمون : ينظرون إليه أين يقصد وأين يمطر ــ الظل قصر : أى فى منتصف النهار .

(٢) يمن : قصدن ــ جنبا هجر : ناحيتاه ــ أخضر: يريد ماء أخضر ويعنى به الصافى ــ طمام : مرتفع ــ العكر : ما يرتفع على الماء من البعر والريش والحطام .

(٣) أحقاف : جوانب ونواحى ــ القتر : جمع قترة وهى حفرة الصائد التى يتوارى فيها لرمى الصيد ــ السمر : الحديث بالليل .

(٤) المرنان : القوس ترن أى تصوت إذا رمى عنها ــ يسر : مباركة ميسورلها الصيد.

(٥) زمت : شدت ــ مشزور : مفتول ــ المرر : جمع مرة : القوة من الوتر أى الطاقة ــ لأم : ملتئم لا عوج فى فتله ــ النغر : طائر صغير مستوى خلقة العنق (البلبل أو صغار العصافير) .

(٦) لو لم تحر : لو لم تخطئ . يقال: حار السهم عن الغرض .

(٧) دهياء : يريد بها السهم ــ يحدوها : يسوقها ــ العنس : الناقة الشديدة .

(٨) الآل : السراب ــ مهر : اشتد وقوى .

(٩) خوصا : جمع خوصاء وهى الغائرة العين لشدة السير ــ الجرر : جمع جرير وهو الحبل المضفور . فى الديوان النخر : وهى موضع البرة من المنخرين ــ السرر : جمع سرة : ويكنى بهذا عن ضمور أوساطها من تكليفها بالسفر .

طَىَّ القَرارِىّ الحِـبَرْ   لم يتقَعَّدْها الطِّـيَرْ (١)
ولا السَّنِيحُ المُزْدَجَرْ   يا فَضْـلُ للقَوْمِ البُطُرْ (٢)
إذْ ليس فى النَّاسِ عَصَرْ   ولا مِنَ الخوْف وَزَرْ (٣)
وَنَزَلتْ إحدَى الكُبَرْ   وقيـل صَمَّاء الغِـيَرْ (٤)
فالنَّاسُ أبناء الحَذَرَ   فرَّجْتَ هاتِيكَ الغُمَرْ (٥)
عَنَّا وقد صابَتْ بقُرّْ   كالشَّمس فى شَخْصِ بَشَرْ] (٦)
أَعْلَى مجارِيكَ الخَطَرْ   أَبُوكَ جَلَّى عن مُضَرْ (٧)
يومَ الرُّواق المُحْتَضَرْ   والخوْفُ يَفرِى ويَذَرْ (٨)
لمّا رأَى الأَمْرَ اقمَطَرّْ   قام كَرِيماً فانتَصَرْ (٩)

---

(١) القرارى : الخياط ـ الحبر : جمع حبرة وهى برد للنساء ـ يتقعدها : يبطئها ويريثها ـ الطير : جمع طيرة وهى التشاؤم .

(٢) السنيح : الطائر يجىء من مياسرك فيوليك ميامنه ـ المزدجر : المتفاءل به من زجر الطير ـ البطر : جمع بطير وهو الذى أطغته النعمة .

(٣) العصر : المنجا ـ الوزر : الملجأ .

(٤) الكبر : جمع الكبرى ؛ يريد الشدة والسنة الصعبة ـ صماء : شديدة كأنها لقسوتها لا تسمع ـ الغير : الخطوب ـ .

(٥) الغمر : جمع غمرة وهى الشدة .

(٦) عنا : يريد فرقها عنا ـ صابت : تحدرت ـ بقر ـ بلغت قرارها . وهى مبالغة فى وصف الشدة ـ كالشمس فى شخص بشر : أى أنت فى الجلالة وشريف الفعل كالشمس إلا أنك فى شخص بشر .

(٧) من هنا موجود فى الأصل (كوت) ـ الخطر : المخاطرة ـ جلى عن مضر : يعنى أخذ الربيع البيعة للمهدى على الناس ببئرميمون فى طريق مكة . لما توفى المنصور احتال الربيع على الناس حتى أخذ البيعة عليهم وهو خبر مشهور .

(٨) يفرى : يقطع ـ يذر : يدع . يريد المبالغة فى شدة الأمر حتى إن الخوف كان يأخذ الناس ويدعهم فهم مضطربون .

(٩) اقمطر : اشتد .

كهزَّة العضب الذَّكَرْ ما مَسَّ من شَيْءٍ هَبَرْ (١)
وأَنْتَ تَقْتَافُ الأَثَرْ من ذى حُجولٍ وغُرَرْ (٢)
مُعيدِ وِرْدٍ وَصَدَرْ وإنْ عَلَا الأَمْرُ اقْتَدَرْ (٣)
فأينَ أصحابُ الغَمَرْ إذْ شَرِبُوا كأس المَقِرْ (٤)
وقُسِرُوا فيمَنْ قُسِرْ هَيْهاتَ لا يَخْفَى القَمَرْ (٥)
أَصْحَرْتَ إذْ دَبُّوا الخَمَرْ شُكْراً وحُرٌّ مَنْ شَكَرْ (٦)
واللهُ يُعْطِيكَ الشَّبَرْ وفِي أَعادِيكَ الظَّفَرْ (٧)
واللهُ مَنْ شاءَ نَصَرْ وأَنْتَ إنْ خِفْنَا الحَصَرْ (٨)
وهَرَّ دَهْرٌ وكَشَرْ عَنْ نَاجِذَيْه وبَسَرْ (٩)
أَغْنَيْتَ ما أَغْنَى المَطَرْ وفيك أَخْلاقُ اليَسَرْ (١٠)

---

(١) العضب : السيف القاطع ــ هبر : قطع

(٢) تقتاف : تتبع أثر أبيك . ويعنى بذى الحجول والغرر أباه الربيع .

(٣) يريد هنا بالورد والصدر لإيراد الأمور وإصدارها ، أى يقتدر على الأمر وإن كان عاليا صعبا .

(٤) الغمر : الحقد ــ المقر : الصبر .

(٥) قسروا : غلبوا .

(٦) أصحرت : ظهرت ووضحت ولم تساتر عــدوك لفضلك ــ الخمر : ما دارى من شجر ويريدون أنهم يتطلبون غرته من تحت تحت خوفا منه فهم يساترونه العداوة ولا يواجهونه فيها ــ الحر : الـكريم .

(٧) الشبر : النماء والـكثرة . ويريد العطايا والخير .

(٨) الحصر : ضيق الأمر لشدته .

(٩) شبه تجهم الزمان وقطوبه بالـكلب إذا هر ــ كشر : أبدى أنيابه ــ النواجــذ : أقاصى الأضراس ــ بسر : تجهم .

(١٠) اليسر : المياسرة. يريد أن أخلاقك المعهودة المياسرة إلا أن تسام الضيم .

فإنْ أَبَوْا إلّا العُسُرْ أَمْرَرْتَ حَبْلًا فاسْتَمَرْ (١)
حَتّى تُرَى تِيكَ الزُّمَرْ تَهْوِى لأَذْقان الثُّغَرْ (٢)
مِنْ جَذْبِ أَلْوَى لَوْ نَتَرْ إليه طَوْدٌ لانْأَطَرْ (٣)
صَعْبٌ إذا لَاقَى أَبَرْ وإنْ هَفَا القَوْمُ وَقَرْ (٤)
أوْ رَهِبُوا الأَمْرَ جَسَرْ ثُمَّ تَسَامَى فَفَغَرْ (٥)
عَنْ شِقْشِقٍ ثُمَّ هَدَرْ ثُمَّ تَفاجَى نَخَطَرْ (٦)
بِذِى سَبِيبٍ وغُدَرْ يَعْصَعُ أَعْرافَ الوَبَرْ (٧)
هَلْ لك والهَلُّ خَيَرْ فيمَنْ إذا غِبْتَ حَضَرْ (٨)
أو نَالَكَ القَوْمُ ثَأَرْ وإنْ رأَى خَيْرًا شَكَرْ (٩)
أوْ كَانَ تَقْصِيرٌ عَذَرْ ؟

---

(١) أمررت : فتلت فتلا محكما وضرب بذلك مثلا، أى جددت فى مساوى أعدائك. وخفف الراء فى استمر لأنها وقعت حرف روى، والحروف المشددة إذا وقعن حروف روى فى شعر مقيد خففن .

(٢) الزمر : جمع زمرة، والزمرة : الجماعة ــ تهوى: تخر على وجوهها من شدة فعلك بها ــ الثغر : جمع ثغرة وهى ثغرة النحر .

(٣) ألوى : شديد ــ نتر : جذب بشدة وحمية ــ الطود : الجبل ــ انأطر : انعطف واعوج وأنثنى .

(٤) أبر : زاد وغلب أعداءه وقهرهم ــ هفا : زل ــ وقر : ثبت وارتبط جأشه .

(٥) رهبوا : خافوا ــ جسر : شجع ــ فغر : فتح فاه .

(٦) الشقشق : ما يظهر فى فم البعير خارجا من حلقه عند الهدير كأنه شكوة ــ هديره : شدة صوته وذلك من علامات صياله ــ تفاجى : فحج برجليه ــ خطر: ضرب بذنبه يمينا وشمالا .

(٧) السبيب : شعر الذنب ــ الغدر : الخصل من الشعر. يعصع : يحرك ذنبه ــ أعراف الوبر: أطرافه وأوائله .

(٨) فيمن إذا غبت حضر: ينوب عنك ويخلفك بالجميل. يعنى أبو نواس بذلك نفسه يعرض نفسه عليه.

(٩) ثأر : فى الديوان أثر، يعنى ذكر مآثرك ــ ثأر : أخذ بثأرك منهم.

وقال فى آل الربيع وأجاد[1] :

سادَ الملوكَ ثلاثةٌ ما منهمُ ... إنْ حصّلوا إلّا أغرُّ قريعُ[2]

سادَ الربيعُ وساد فَضْلٌ بعدَه ... وعَلَتْ بعبّاسِ الكريمِ فُرُوعُ[3]

عبّاسُ عباسٌ إذا احتدمَ الوَغَى ... والفَضْلُ فَضْلٌ والرَّبيعُ رَبيعُ

وقال يمدح الفضل بن الربيع لما قدم بغداد على محمد بالأموال والقضيب والخاتم وقدمات الرشيد، وقد[4] اشتد فرح الأمين وقرّبه وألطفه وقلّده الأمور وفوّض إليه ما وراء بابه ، فهو الذى يولى ويعزل ويحلّ ويعقد عن محمد ، واحتجب فلم يكن يقعد إلّا فى القَيْنة :

لَعَمْرُكَ ما غاب الأمين محمّـدٌ ... عن الأمر يعنيه إذا شَهِدَ الفَضْلُ[5]

ولولا مواريثُ الخلافة أنها ... لَهُ دُونَه ما كان بَيْنَهُما فَضْلُ

فإنْ كانت الأجسادُ منهم تبايَنَتْ ... فقولُهما قولٌ وفِعْلُهما فِعْلُ

أَتَى الفَضْلُ للدُّنيا وللدِّين جامِعاً ... كما السهمُ فيه الرّيشُ والفُوقُ والنَّصْلُ[6]

وله[7] :

مَنْ كان تُعجِبه الأُنثَى ويُعجِبُها ... من الرجال فإنى شَفَّنِى الذَّكَرُ

فوق الخُماسِىّ لمَّا طَرَّ شارِبُه ... رَخْصُ البَنان خلا من جِلْدِه الشَّعَرُ

لم يُجْفَ من كِبَرٍ عمَّا يُرادُ به ... من الأُمورِ ولا أَزْرَى به صِغَرُ

---

(١) الديوان (غز) : ٤٦٣ .

(٢) الأغر : الأبيض والمشهور ـ القريع : السيد .

(٣) الربيع : والد الفضل كان وزيرا للمنصور ـ الفضل : كان وزيرا للرشيد ثم لمحمد الأمين ـ العباس : ابن الفضل .

(٤) وقد : فى ت «لما» .

(٥) الأبيات فى الديوان : ٤٤٩ .

(٦) الفوق : موضع الوتر من رأس السهم ـ النصل : حديدة الرمح والسهم .

(٧) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١٠٦ ـ المثل السائر : ٤٧٥ ـ وانظر مسالك الأبصار .

وقال[١] :

يا قَلْبُ وَيْحك جِدٌّ منكَ ذا الكَلَفُ ... ومن كَلِفتَ به جافٍ كما تَصِفُ
وكان فى الحقِّ أنْ يهواكَ مُجتهِدًا ... كذاك خَبَّرَ مِنَّا الغابِرِ السَّلَفُ
قل للمليح أما تَرْوِى الحديثَ بما ... خالَفْتَ فيه وقد جاءَتْ به الصُّحُفُ
إنَّ القلوبَ لأَجْنادٌ مجنَّدَةٌ ... للهِ فى الأرضِ بالأَهْواء تَخْتَلِفُ
فما تعارَفَ منها فهو مُؤْتَلِفٌ ... وما تناكَرَ منها فهو مُخْتَلِفُ

وقال[٢] :

مَرَّ بنا والعُيُونُ تَرْمُقُه[٣] ... تجرحُ منهُ مواضِعَ القُبَلِ
أُفْرِغَ فى قالَبِ الجمالِ فما ... يَصْلُح إلَّا لذلك العَمَلِ

وقال ملغزا فى طريف ، ويُرْوَى لعبد الله بن طاهر :

اسمُ مَنْ أهواه إسْمٌ حَسَنْ ... فإذا صَحَّفْتَه[٤] فهو حَسَنْ
وإذا أسقطتَ منه فاءه ... صار مغنى لهواه المختزن[٥]
وإذا أسقطتَ منه ياءه ... صار فيه بعض أسباب الفِتَنْ
وإذا أَلْقَيتَ مِنْهُ رَاءَه ... صار شيئاً يَعْتَرِى عند الوَسَنْ
وإذا أَلقَيْت عَنْه طاءَه ... صار فيه عَيْشُ سكّانِ المُدُنْ
فَسِّروا هذا ولنْ يعرِفَه ... غَيْرُ مَنْ يسبَحُ فى بَحْرِ الفِطَنْ

---

(١) الأبيات فى الديوان : ٢٧٧ .
(٢) الديوان : ٣٠٢ .
(٣) ترمقه : فى الديوان : تأخذه .
(٤) التصحيف : قلب الحروف بتغيير إعجامها .
(٥) هذا البيت ليس فى ت .

وقال[1] :

رسولى قال أوْصَلْتُ الـكِتابا ... فما رَدُّوا عليكَ له جَوابَا[2]
فقلتُ : أليْس قد قرَأُوا كتابِى ... فقال : بَلَى ! فقلتُ الآنَ طَابَا
فأرجُو أن يكونَ هُمُ جوابِى ... بلا شَكٍّ إذا عَرفوا الخطابَا[3]
أُجيدُ[4] لكَ المُنَى ياقلبُ كَيْلَا ... تَموتَ عَـلَىَّ غمًّا واكتئابَا

وقال متغزّلا فى رَحْمة بن نَجاح[5] :

إذا ابتهلتُ سألت الله رَحْمَته ... كَنَّيْتُ عنكَ وما يَعْدُوكَ إضْمارِى
أحبَبْتُ مِن شِعْرِ بشّارٍ لحبِّكُمُ ... بَيْتاً لَهِجْتُ به من شِعرِ بَشّارِ
(يا رَحْمَةَ اللهِ حُلِّى فى منازلنا)[6] ... وجَاوِرينا فدَتْكَ النَّفْسُ من جَارِ

وقال[7] :

لَلَطْمَة يلطِمُنِى أَمْـرَدٌ ... تأخُذ مِنِّى العَـيْنَ والفَكَّا
أطْيَبُ مِنْ تُفّاحَةٍ من يَدَىْ ... ذِى لِحْيَةٍ قد حُشِيَت[8] مِسْكَا

---

(١) الديوان : ٢٨٨ .

(٢) فما ردوا ... فى الديوان : ولكن ليس يعطون الجوابا .

(٣) عرفوا الخطابا : فى الديوان : قرأوا الكتابا .

(٤) أجيد : فى الديوان : أجد .

(٥) الديوان : ٣٢٣ .

(٦) صدر بيت لبشار قاله فى امرأة يهواها اسمها رحمة وتمام البيت :

يا رحمة الله حُلِّى فى منازلنا ... حَسْبِى برائحة الفِرْدَوْسِ مِنْ فِيكِ

(طبقات ابن المعتز ٣١) .

(٧) نهاية الأرب : ٤/٨٩ .

(٨) قد حشيت : فى نهاية الأرب : محشوة .

وقال[1] وقد أفطر يوما من شهر رمضان وشرب ولاط وزنَا ، فعذَله إخوانه في ذلك :

دع عنك ما جدُّوا به وتبطَّلِ ... وإذا لقيتَ أخا الحقيقة فاهزِلِ
لا تركبَنَّ من الذنوبِ صغيرَها ... واعْمَدْ إذا قارفتها للأنبلِ
وخطيئةٍ تغلو على مُسْتامِها ... يأتيك آخرها بطعمِ الأوَّلِ
ليست من اللاتي يقول لها الفتى ... عند التذكُّرِ[2] ليتني لم أفعلِ
حلَّتْ لا حرِجاً عليَّ حرامها ... ولربَّما حلَّتْ[3] غير مُحلَّلِ

وقال :

أُزاحمه إذا صلَّى ... لتمْسح رِجْلَه رِجْلِي
وأطلُب تحتهُ نعلِي ... وما إنْ تحْتَه نعلِي
فهل أحدٌ بما جمَّ ... شتُ جمَّش شادِناً قبْلِي

وله[4] :

ومستعْبِدٍ إخوانَه بثرائه ... لبستُ لهُ كِبرًا أبرَّ على الكِبْرِ
إذا ضمَّني يوْماً وإيّاه محْفل ... رأى جانبي وَعْراً يزيد على الوَعْرِ
أخالفُه في شكْلِه وأجرُّه ... على المَنْطق المنْزُورِ والنَّظرِ الشَّزْرِ[5]
وقد زادَنِي تِيهاً على النَّاسِ أنَّنِي ... أراني أغناهم وإن كنت ذا فقْرِ
فواللهِ لا يُبْدِي لساني لحاجَةٍ ... إلى أحدٍ حتى أُغيَّبَ في قبْرِي

---

(١) الأبيات في الديوان : ١٩٩ باختلاف في بعض الكلمات .

(٢) التذكر : في هامش ك : التندم وهي رواية الديوان .

(٣) حللت : في الديوان : وسعت .

(٤) الديوان : ٥٩٧ .

(٥) المنطق المنزور : القليل ـ النظر الشزر : نظر الغضب وهو بمؤخر العين .

فلا يَطْمَعَنْ فى ذاكَ مِنِّىَ طامِـعٌ(١) ... ولا صاحبُ(٢) التاجِ المحجَّبُ فى القصْرِ
فلو لَمْ أرِثْ فَخْراً لـكانت صِيانَتِى ... فَمِى عن سؤالِ الناسِ حَسْبِى من الفخرِ

وقال(٣) :

يا من جَفَانِى ومَلَّا ... نسيتَ أهلاً وسَهْـلَا
وماتَ مَرْحَبُ لَمَّـا ... رأيتَ مالِىَ قَلَّا
إنِّى أظنُّكَ تَحْـكِى ... فيما فَعَلْتَ القِرِلَّى
تلقاهُ فى الشَّرِّ ينأَى ... وفى الرَّخَا يَتَدَلَّى

القِرِلَّى : مَوْلًى كان لِحِمْيَر ، وكان لا يسمع بأحَدٍ يأخذ شيئا إلّا جاء إليه وأدخله . ولا يتخلَّف عن طعام لأحد ، وإذا سمع بخصومة لم يقرب ذلك الطريق . ضُرب به المثل حتى قيل لطير من طيور الماء ــ يرفّ عليه ــ القرلَّى .

وقال يخاطب أبان بن عبد الحميد اللاحقىّ قبل أن يتهاجيا :

أَبانُ نَـكِّبْ عن عداوَتِنَا ... لَكَ غَيْرُ قَرْعِ صَفَاتِنا لَهْوُ
إنّى نذيرُكَ(٤) أن تصيّر لِى ... شُغْلًا هجاءكَ إنَّنِى خِلْوُ

وقال(٥) :

أخى مابالُ قَلْبِـكَ ليس يَنْقَى ... كأنّكَ لا تَظُنُّ الموتَ حَقَّـا
ألَا يا ابنَ الَّذِين فَنَوْا وبادُوا ... أمَا واللهِ ما ماتُوا لتَبْقَى
وما لِلنَّفْسِ عندكَ من مُقامٍ ... إذا ما استَـكْمَلَتْ أجَلًا ورِزْقَا

---

(١) طامع : فى الديوان : سوقة .
(٢) صاحب التاج : فى الديوان : ملك الدنيا .
(٣) الديوان : ٦٠٠ .
(٤) إنى نذيرك : فى ت : أنى يزيدك وهو تصحيف .
(٥) الديوان (آصاف) : ١٩٨ ــ الـكامل للمبرد (طبع ليدن) : ٢٣٤ .

وما لك غير ما قدَّمْتَ زَادٌ   إذا جملت[1] إلى اللَّهوات ترْقى
وما أَحَدٌ بزادِكَ مِنكَ أَحْظَى   ولا أحَدٌ بذَنبِك منك أَشْقى

وقال[2] :

ومُسْتَطِيلٍ على الصَّهباءِ باكَرها   فى عُصْبَةٍ[3] باصطباحِ الرَّاحِ حُذَّاقِ
حَتَّى حساها فلم يَلْبَث وما لَبِثَت   أنْ خَرَّ مَيْتاً صَرِيعاً ما لَهُ وَاقِ
فَكُلّ كَفٍّ رآها ظَنَّها قَدَحاً   وكُلُّ شَخْصٍ رآه ظَنَّه السَّاقِ

وقال :

ليس لى فى الحِرِ حاجةْ   نَيْكُه عِنْدِى لَجَاجَهْ
ما يُرِيدُ الحِرَ إلَّا   كُلُّ ذى فَقْرٍ وحاجَهْ
أَدْخِلوا باللّه يا قَوْ   مُ مكانَ الأَيْرِ سَاجَهْ
وإذا نِكْتُمْ فنيكوا   أَمْرَدًا فى لَوْنِ عَاجَهْ

ولمَّا عمل أبو نواس قصيدته :

* ومستعبدٍ إخوانه بثرائه[4] *

بلغت الأمينَ فبعث إليه وعنده سليمان بن أبى جعفر ، فلما دخل عليه قال له: يا عاضَّ بَظْرَ أمّه[5] العاهرة ، ويا مُدَّعِى ولاء حاء وحَكَم ، أتَدْرِى يا ابن اللَّخناء

(١) جملت : يريد نفسه وروحه ــ اللهوات : جمع لهاة : وهى اللحمة المشرفة على الحلق، ويشير إلى الآية الكريمة : (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ) وهى حالة سكرة الموت .

(٢) الديوان : ٢٠٤ .

(٣) فى عصبة : فى الديوان : بفتية ــ المستطيل : المتطاول المتفضل .

(٤) الديوان ٥٩٧ وتمام البيت : لبست له كبرا أبر على الكبر .
وانظر فى الخبر الوزراء للجهشيارى (طبع الحلبى) : ٢٩٦ ــ ذيل زهر الآداب : ١٣٥ ــ الطبرى : مجلد ٣/٩٦٤ ــ ٩٦٥ .

(٥) أمه العاهرة : فى الجهشيارى : أمه شحمة العاهرة .

من تَواليْتَ وإلى من ادَّعَيْت ؟! إلى أَلْأَم قبيلتين فى اليمن علوجٍ باغِين . أنت تكتسب بشعرك أوساخ أيدِى الناس اللئام وتقول :

* ولا صاحب التّاج المحجّب فى القصر *

أَمَا والله لا نلتَ منِّى شيئا أبدا .

فقال له سليمان بن أبى جعفر: أى والله ثم هو مع هذا من كبار الثَّنَوِيّة[١] ، وكان يُرْمَى بذلك . فقال محمد : هل يشهد عليه شاهد بشىء ؟ فأتاه سليمانُ بعِدَّة نفر فشهدوا عليه أنه شرب فى يوم مَطِير ، فوضع قَدَحَه تحت السماء فى المطر فوقع فيه المطر فقالوا : ما تصنع ويحك ؟ قال : أنتم تزعمون أنه ينزل مع كل قطرة مَلَك فكم تُرانِى أشرب الساعة من الملائكة ؟! ثم شرب ما فى القدح . فغضب محمد وأمر به إلى السجن ، فذلك قول أبى نواس[٢] :

يا رَبّ إن القومَ قد ظَلَمُونى ... وبلا اقْتِراف تَعَطُّلٍ حَبَسونِى
وإلى الجُحود بما عَرَفْت خلافَه ... رَبِّى إلَيْهِ بكذبهم نَسَبُونى[٣]
ما كان إلّا الجَرْى فى ميدانهم ... فى كل خِزْيٍ والمَجانَةُ دِينِى
لاالعُذْرُ يُقْبَل لى فيفرَق شاهِدِى ... منهم ولا يَرْضَوْن حَلْفَ يَمِينِى
ولكان كَوْثَر [كان][٤] أولى محبسا ... فى دار مَنْقَصةٍ ومنزل هُونِ
أمّا الأمينُ فلستُ أرجو دَفْعَه ... عنِّى فمَنْ لى اليَوْم بالمَأْمُونِ

---

(١) الثنوية : فرقة تدين بالثنينية الإله تزعم أن النور والظلمة قديمان، لأن النور يمثل إله الخير والظلمة إله الشر (انظر الملل والنحل للشهرستانى) .

(٢) الديوان : ٥٩٦ .

(٣) فى الطبرى : منى إليه بكيدهم نسبونى .

(٤) ما بين القوسين زيادة من الطبرى ليستقيم الوزن. والرواية فى الديوان :

ما كان لو يدرون أول مخبأ ... فى دار منقصة ومنزل هون

فبلغت أبياته المأمون فقال : والله لئن لحقته لأُغنِيَنّه غَناء لا يؤمِّلة . فمات قبل دخول المأمون بغداد .

قال السجستانى: كنت وأنا غلام فى المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، فبينا أنا كذلك إذ دخل أبو نواس، فجاء حتى جلس إلىّ وجعل يعبث بى و يُنشِدُنى الشعر ، فقلت : اللهم خلِّصنى منه ومن يديه كيف شئت . قال : فدخل غلام ثَقَفِىٌّ من أجمل الناس ، فلما بَصرَ به قال : ههنا ههنا فحَلْحَلَ عن مكانه فأجلسَه بينى وبينه ، وجعل يحدّثه و يُنشده إلى أن أقاموا الصلاة ، فالتفت إلىّ وقال: اسمع[1]:

أُتيحَ لى يا سهلُ مُستظَرْفٌ   تسحرُ عيـنِى عينُه الساحِرَهْ

ثم التفت إليه وقد قام الغلام فنظر إلى مؤخّره وهو أرسحُ[2] فقال :

ما شئتَ من دُنْيا ولـكِنهَّ[3]   مُنافِقٌ ليست له آخِرَهْ

قال: فقلت له على عَمْد : قد سمعت هذا الشعر منك مرة . فقال : والله ماقلته إلّا الساعة .

قال سليمان بن أبى سهل: دعوتُ أبا نواس يوما ، وكان عندى غلام قد ربَّيته عجِيب الُحسْن ، وهو يسقينا يومئذ ، فوضع أبو نواس عينه عليه، فما زال يَعْبَثُ به ثم قال : أحب أن تهَبه لى ، فإنه مادام فى ملـكك لن أعرض [له] . فقلت له : وَيْحَك صبىٌّ قد ربَّيته وهو عندى مثل ولدى كيف أفارقه ؟! قال : والله لا بد منه، فقد فتنتنى عيناه. قلت : أنظر فى ذلك. فلم يزل يشرب إلى أن أخذت منه الأقداح مأخذها، فأراد الانصراف فقال : أنصرف وقد سألتك حاجةً فلم تَقْضِها لى . فتذمَّمْت[4] منه أن

---

(١) الديوان : ٧٢٩ .

(٢) أرسح : قليل لحم العجز والفخذين .

(٣) فى الديوان : دنياه ما شئت ولـكنه ...

(٤) تذممت : استحييت واستنكفت .

يسأل حاجة وأردّه عنها ، وخفت مع ذلك لسانه فإنه لم يكن يبالى ما قال . فقلت له صِفْه بديها ، فإنْ أَجدْت وصفه واستحسنتهُ نخذ بيده وانصرف ، فكأنه والله كان قد علم ماأردت من قبل أنأقول فهيًّا له شعراء وقال على المكان: اسمع . وأنشد[1]:

وغَرِيرِ الشَّبابِ مُحتَبَك[2] الحسْـ ـن عـلى جِيدِهِ مناطُ التَّميمِ
قد غَـذاه النعيمُ فاحمرَّت الوجْـ ـنَةُ منه على فساد الحُـلُوم
فَهْوَ عفٌّ الجفون فى النَّظَرِ العمْـ ـدِ حِذاراً عـلى فؤادِ النَّديمِ
يَتَثَنَّى إذَا مشَى فهـو لَدْنٌ فى اعتـدالٍ بجَوْدَةِ التَّقْويمِ
أَنْدَبَت[3] كفَّهُ الزجاجَةُ وهْنًـا فَهْى فيها جِراحُ تلك الكُلومِ
فهو الراحـل المَطِىّ إلينا من أبارِيقِ قَهْوَةِ[4] الخُرْطومِ
بِنْتُ دَهْرٍ[5] أَباحَها كَرَمُ الجوْ هَرِ منـه ورقَّةٌ فى الأَدِيم
يَلْحقُ الظَّبْىَ والظَّلِيمَ من الجرْ ىِ ويُزْرِى بكُرْبَـة المَغْمُومِ

ثم قال : من لايعجبه هذا الوصف فأمُّه زانية ، وأمّ من يرجع فى هِبَته زانية. وأخذ بيد الغلام وخرج، فلم أقدر [أن] أكلمه بنُطْقة[6] .

كان محمد الأمين[7] شديد المحبة للشراب ، فاصطبح يوما مع ندمائه وأبو نواس عنده فقال محمد : نشرب اليوم كلّنا لننظر أيّنا أجودُ شُرْباً ، ولأَجْوَد القوم شُرْباً

(١) الديوان : ١٧٧ .
(٢) محتبك الحسن : جيد الحسن بالغه — مناط التميم : خيط يعلق به التمائم على الصغار ليمنع الحسد.
(٣) أندبت : جرحت .
(٤) قهوة : فى الديوان : صفوة — الخرطوم : الخمر الشديدة الإسكار .
(٥) فى الديوان : كرم .
(٦) بنطقة : بكلمة .
(٧) الخبر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان (٨٣–٨٥) برواية عن يوسف بن الداية مع اختلاف فى العبارة واتفاق فى المعنى .

حُكْمه . فلم يزالوا يشربون إلى نصف الليل ثم هوَّم[١] القوم سُكْراً . وبقى محمد وأبو نواس وكَوْثر يشربون ، ثم قام محمد وكوثر وبقى أبو نواس وحده . فلما لم يَرَ له مساعِداً أغفى غفْوة ، ثم انتبه ووضع الشراب بين يديه ، ثم قام إلى النّدماء يحرِّك واحداً واحداً ليشرب معه فوجدهم مَوْتَى لا حَراكَ بهم . فقال : ليس لى إلّا محمد . فجاء إلى مرقده فصاح: ياسيدى ياأمير المؤمنين ليس هذا من الإنصاف ، نحن نشرب وأنت نائم ! فانتبه وقعد يشرب معه . فقال له محمد : وَيْلَكَ ألستَ أنت من الناس؟! لا تنام مع ما قد شربت ! فقال له : يا سيدى لَذَّة الشراب تقوم مقام لَذَّة النوم . فشَرِبا باقى ليلتهما ، ثم أراد محمد أن ينام بعد أن أصبح سَكِرًا . فقال أبو نواس: يا سيِّدى على رِسْلك، ثم قال[٢] :

وندْمانٍ يرى غَبناً عَلَيه ... بأن يُلْفَى[٣] وليس به انتِشاء
إذا نادَيْتَه[٤] من نوْمِ سُكْرٍ ... كَفاه مَرَّةً منك النِّداء
فليس بقائلٍ لك : إيهِ دَعْنِى ... ولا مُستَخْبِرٍ لك ما تَشاء[٥]
ولكِنْ سَقِّنِى ويقول أيضا ... عَلَيْك الصِرْفَ إن أعياكَ ماء
إذا ما أدْرَكَته الظُّهْرُ صَلَّى ... ولا عَصْرٌ عليه ولا عِشاء
يُصَلِّى هَذِه فى وقْتِ هَذِى ... فكُلّ صَلاته أَبَداً قَضاء
وذاك مُحَمَّدٌ[٦] تَفْدِيه نَفْسِى ... وحقَّ له وقَلَّ له الفِداء

(١) هوم : هز رأسه من النعاس .
(٢) الأبيات فى الديوان : ٢٣ ـ نهاية الأرب : ٤/١٥١ ـ الشريشى : ٢/١٤٥ .
(٣) يلفى : فى الديوان : يمسى .
(٤) ناديته : فى الديوان : نبهته ونوم السكر أثقل نوم
(٥) يريد أنه مساعد موافق .
(٦) وذاك محمد : سيأتى أن أبا نواس مات فى بيت محمد بن منصور الصيرفى ، وأنه قال فيه هذا البيت .

فقال محمد : أحسنتَ والله . يا كوثر أعْطِه بحياتى لكلّ بيت ألفَ درهم . فقال أبو نواس : هذا حَقُّ الأبيات فأين حَقِّى عليكم فى الشرب؟ قال : قل ماشئت . قال : مثل حق الأبيات . قال : وتعمل ماذا ؟ قال : يا سيدى، أبكّر فى هذه الغداة الطيبة إلى الفِرْك(١) فإنى قد هجرتها منذ أيام فأتنزّه وأشرب وأفسق وأرجع . قال : يا كوثر أعطه لا بارك الله له .

نظر أَبو نواس إلى غلام قد ابتدأ عارِضُه فقال :

بدا الشَّعْرُ فى خَدَّيْه فازددْت صَبْوةً ... إليه ولم يَهْدَا الجوَى والتَّشَوُّقُ

وأَحسن ما كان القضيبُ نَضارَةً ... إلى العَيْن فى أَزْمانِه حين يُورِقُ

وقال(٢) :

أَنْضَيْتِ أَحْرُفَ (لا) مِمَّا لَهِجْتِ بها ... فحوِّلى رَحْلَها عنها إلى (نعَم)(٣)

أو حوِّليها إلى ما(٤) فهْى تَعْدِ لها ... إن كُنْتِ حاولت فى (لا) قِلَّةَ الكَلِمِ

قِسْتُم علينا فحاوَلْنا قياسَكُم ... بمَنْ تباعَد عن جُودٍ وعن كَرَمِ

ولستُ، تَفْدِيكم نَفْسِى، أُحمِّلكُم ... ثِقْلى بعَيْنٍ ولا كَفٍّ ولا قَدَمِ

قال يوسفُ بن الداية : نظر أَبو نواس إلى غلام مقنَّع قد أَخرج فَرْدَ عين، وإذا هو أَحسنُ الناس فى تلك الهَيْئة، فمازحه فرآه ظَرِيفاً حُلْوَ النغمة، فقال لى : عليك به. فتأمَّلتُ وجهَه فإذا فى عينه كَوْكَب . فقلت له : يا وَيْلك! أَنْت أَعمى تتعشَّق العِمْيان

---

(١) الفرك : قرية قرب كلواذى . فى أبى هفان : الغزل وهو تصحيف . ــ هجرتها : فى أبى هفان : هويتها .

(٢) الديوان : ٢٤٩ .

(٣) رواية الشطر الثانى فى الديوان : فحق لى رحلة منها إلى نعم .

(٤) ما : هكذا فى النسخ ، ولعلها إى بمعنى نعم، وهى حرفان مثل لا، ويؤيده آخر البيت.

أماترى الـكَوْكَب(١) فى عَيْنِه أعظم من كَوْكَب الذنَب. فأراد أن ينصر هَواه وخطأه ويُغايظنى فقال(٢) :

أَحْوَرُ المُقْلَةِ من غير دَعَج(٣) لَوْ عداه عَوَرُ العَيْنِ سَمُجْ
تَحْسَب النُّكتَة فى ناظِرِه دُرَّةً بيضاءَ فى فصّ سبَج(٤)

فقلت: قاتَلَك الله ! حَبَّبْت والله بشعرك وطَرْفك العوَر إلى البشر .

قال الجَمَّاز : أنشدنى أبو نواس(٥) :

يا واضِعاً بَيْضَ القَطَا تحت الزَّمامج(٦) للفِراخِ
لو أيقنَتْ ما تحتَها لَمْ تَأْلُ(٧) من نَقْرِ السِّماخ(٨)
يا غارِساً بيمينِه شَجَرَ الحِفاظ على السِّباخِ
فَسَدَ الخلائقُ كلُّهم فانْظُر لنفسك مَنْ تواخِى

عزم عيسى بن أبى جعفر المنصور على أبى نواس أن يقيم معه بالقُفْصِ(٩) أسبوعا وحمله وخَلَع عليه ووصله ، فلما أقاموا الأُسبوع وأرادوا الانصراف قال له : بحياتى عليك صِفْ مجلسنا هذه الأيام كلها التى أقمناها ، فأنشأ يقول(١٠) :

---

(١) الكوكب : النكتة على إنسان العين .
(٢) والبيتان فى الشريشى : ٢/٣٣٠ وليسا فى الديوان .
(٣) دعج : فى الشريشى : عوج .
(٤) السبج : الخرز الأسود .
(٥) الديوان : ٥٩٩ .
(٦) الزمامج : جمع زمجى : وهى أصل الذنب للطائر .
(٧) تأل : فى الديوان : تخل .
(٨) السماخ : الصماخ .
(٩) القفص : بلدة بين بغداد وعكبرا .
(١٠) الديوان : ٧٩ ، ٨٠ .

ياطِيبنَا بقصُـور القُفْصِ مُشْرِقَةً ... فيها الدَّساكِرُ[١] والأنهارُ تَطَّرِدُ
لَمَّا أَخَـذنا بها الصَّهباءَ صافِيَةً ... كأنها النَّارُ وَسْط الكأس تتَّقِدُ
جاءتك من بَيْت خَمَّارٍ بِطِينَتِها[٢] ... صَفْراءَ مثلَ شُعاعِ الشَّمْسِ ترْتَعِدُ
فقام كالغُصْنِ قد شُدَّت قَراطقه[٣] ... ظَبْيٌ يكاد من التَّهْيِيف[٤] يَنْعَقِدُ
فاسْتَلَّها من فم الإبريقِ فانبعَثت ... مِثْلَ اللِّسان جَرَى واستَمْسَكَ الجسَدُ
فلم نَزَلَ فى صَباح السَّبْتِ نأخُذُها ... واللَّيل أجمعه[٥] حتى بدَا الأَحَدُ
ثم ابْتَدأْنا كلانا اللهوَ من أَمَمٍ[٦] ... فى نَعْمَةٍ غاب عنها الضِّيقُ والنَّكَدُ
حتى بَدَتْ غُرَّةُ الإثنَين واضِحَةً ... والسَّعد مُعْتَرِضٌ والطالِعُ الأَسَدُ
وفى الثلاثاءِ أعمَلْنا المَطِيَّ بها ... صهباء ما قَرَعَتْها بالمِزاج يَـدُ
والأربعاء كسرنا حَدَّ شِرَّتِـه[٧] ... والكأس يضحك فى تَبَجاتِها الزَّبَدُ
ثُمَّ الخميسُ وصلناه بلَيْلَتِـه ... قَصْفاً وتَمَّ لنا بالجُمْعَـة العَدَدُ
يا حُسْنَنَا وبحـار القَصْف تَغْمُرُنا ... فى لُجَّةِ اللَّيـل والأوتار تَغْتَرِدُ
فى مجلسٍ حولَه الأشجارُ محدِقَة ... وفى جوانِبـه الأنهـارُ تَطَّرِدُ
لا نَسْتَخِفُّ بساقِينـا لِغِرَّتِـه ... ولا يَرُدّ عليه حُكْمَه أَحَـدُ
عند الأَميرِ أبى عِيسَى الذى كَمُلَتْ ... أخلاقُه فهى كالأوراقِ تَنْتَقِدُ

---

(١) الدساكر : بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهى .
(٢) بطينتها : بخاتمها لم تفض .
(٣) قراطقه : فى الديوان : مناطقه . والقراطق : جمع قرطق : قباء ذو طاق واحد .
(٤) التهييف : ضمور البطن ورقة الخاصرة .
(٥) أجمعه : فى الديوان : يجمعنا .
(٦) الرواية فى الديوان : ثم ابتدأنا الطلا باللهو من أمم — أمم : قرب .
(٧) شرته : فى الديوان : سورتها .

قدم[1] على أبي نواس أهلُه من البصرة يعذِلونه على فعله، ويقولون له: ياهذا إنه قد نفد عمرُك وساء عملك ، فلو تزوّجت امرأة من أهل بيتك رجونا أن تُقْصِر عن بعض ما أنت فيه . فأبَى عليهم ؛ فما زالوا به حتّى زوَّجوه جارية جميلة من أهل بيته فلما دخل بها أعرض عنها وخرج إلى غلمان كانوا يأتونه ، فجمعهم وألبسهم الأُزُرَ المعصفرة وخَلَى بهم يومه ، فلمّا أمسى طَلَّقها وأنشأ يقول[2] :

صاحبة القرْقرِ قُومى ارْحَلِى ... تَنَقَّبِى صاغِرَةً واذهِبِى[3]

مُرِّى فكم مِثْلك من حُرَّةٍ ... رائقةٍ لم تَكُ من مَطْلَبِى

لا أَبْتَغِى بالطَّمْث مطمُومَةً ... ولا أَبِيعُ الظَّبْىَ بالأَرْنَبِ

لا أُدْخِلُ الجُحْرَ يدى طائعاً ... أَخْشَى من الحَيَّةِ والعَقْرَبِ

وروى أنه لم يتزوّجها ، وأنهم دسُّوا إليه امرأة وقالوا لها كلِّميه، فجعلت تقول قد وجدت لك امرأة جميلة مُوسرة ولها دار سريّة كبيرة تجعلها لك، فقال : ويحك! لست أنت أدعَى إلى الرُّشد من الله عز وجل ، وقد دعانى إليه وأَبَيْتُ ، وليست المرأة التى تصفينها بأحسنَ من الحور العين ، ولا الدار التى تذكرينها بأحسن من الجنة، وكُلُّ هذا قد بَذَله لى مَنْ هو أصدق منك إن أُرعويْتُ فلم أقبل ، فكيف أقبل مِنْكِ أنت؟! ثم قال[4] :

أَقُول لها لَمَّا أَتَتْنِى تَدُلُّنى ... على امرأةٍ موصوفةٍ بجَمالِ

أصبتِ لها ياأختُ خِلًّا كما اشتهت ... إن اغتفرت مِنّى ثلاثَ خِصالِ

---

(١) أخبار أبي نواس لأبي هفان : ٢٠٧ باختلاف فى العبارة .

(٢) الفكاهة : ٦٣ .

(٣) الرواية فى الفكاهة : صاحبة القرقر لاتشتغى ... تحملى طالقة واذهبى

القرقر : لباس للنساء خاصة .

(٤) الديوان : ٣١٢ . وفى محاضرات الراغب : ٢/٨٧ نسبها إلى أعرابى قد عرضت عليه دلالة امرأة .

فهن فِسْقٌ لا يُنادَى وَليدُه ورقَّة إســـلام وقلَّة مالِ
ولو أنها فى الحُسْن كانت كيُوسُفٍ وبِلْقِيسَ أو كانت كخَطِّ مِثالِ[1]
وقالت تزَوَّجْـنى فمهَرِى درْهَمٌ لقُلْت أعزُبى عَـنِّى فمهْرُكِ غَالِ

فقال أهله : والله لا أفلح هذا أبداً ويئسوا منه . وقال أيضا فى ذلك[2] :

طَمعتْ فىَّ قَحْبَــةٌ رُبَّ راجٍ مُخيَّب
لَسْتُ والله مُدْخِلًا إصْبَعِى جُحْرَ عقْرَبِ
ابْتَغِى لى مُـؤاجِراً واذهَـبِى أنْتِ قَحِّـبِى

روى أن صديقا لأبى نواس استأثر عليه بغلام واحتجب عنه، فوقف على الباب وقال :

اتَّقِ الله رَبَّـكا لا تَنِيكَنَّ وَحْدَكَا
إنَّ مَنْ ناكَ وَحْدَهُ كان باللهِ مُشْرِكَا

فصاح به: ادخل عليك لعنة الله.

ويقال إن هذه الحـكاية كانت مع الأمين ، وأنه أُهدى إليه مملوك فأخذ بيده إلى بعض المراقد ، وأنّ أبا نواس أنشده :

اتق الله ربـكا لا تنيـكن وحدكا

رافعـا صوته فارتاع الأمين لذلك وهاله الصوت ، فخرج إليه وقال : سَمِعْتَ ياحسن ما سمعتُ ؟ قال : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : سمعت هاتفا يقول : (اتَّقِ الله رَبَّـكا) قال : نعم يا أمير المؤمنين (لا تَنِيـكَنّ وحدكا) .

إن من ناكَ وحـده كان فى اللَّوْم مثلـكا

فقال له الأمين خذ بيده لا بارك الله لك فيه .

---

(١) خط مثال : معتدله فى جميع أجزائها. والمثال : الحجر ينقش عليه الرسم والسمة .
(٢) الفـكاهة : ٢٥ باختلاف فى الترتيب .

لمّا حبس الرشيد أبا نواس لشُرب به الخمر كان كثيرا ما يلعب الشِّطرنج والنَّرد فى رَحْل رجل[١] آخر معه فى الحبس ، فجاءه أبو نواس يوماً فوقف على بابه فسمع نَفَساً عاليا ، فتوهم أنّ عنده غلاما فوقف بالباب ينتظر فراغه ، فلما سكن نَفَسُه دفع الباب ودخل فإذا ليس عنده أحد ، فعلم أنه يجلد عُمَيْرَة ؛ فضحك وأنشأ يقول[٢] :

إذا أنتَ أنكَحْتَ[٣] الكريمة كُفْؤَها
فأنْكِح[٤] خُنَيْساً[٥] راحةَ ابْنَةَ ساعِدِ
وقُلْ بالرِّفا ما نِلْتَ من وَصْلِ حُرَّةٍ   لها ساحَةٌ حُفَّت بخَمْسِ وَلائِدِ
تُعَفِّفُه ما دام فى السِّجنِ ثاوِياً[٦]   وما حالَفَتْه مُصْمَتات[٧] الحدائدِ
فإنْ جَرَت الأقدارُ يوماً بفُرْقَةٍ   تَبدّلَ منها كلَّ بيضاءَ[٨] ناهِدِ

قال سَهل بن أبى سَهل[٩] بن نوبخت[١٠] : سألت أبا نواس أن يشرب عندى أيّاما متتابعة لا يمضى فيها إلى أحد ، فأجابنى ، فأعددت ما احتجنا إليه من سَماع وغيره ، وأخذنا فى الشُّرب ، فلما كان فى آخر النهار وعَمِل فيه الشراب جعل يشكو وَجْده بجارِية قد أحبَّها ويقول : إنه ما يهنيه لذة بسببها . فقلت له : ويلك أتعشَق النساء ؟!

---

(١) رجل : يقال هو خنيس مولى حسين بن حسن بن زيد بن على زين العابدين ، وقيل: هو خنيس ، وقيل : حسين .
(٢) الديوان : ٥٥٦ .
(٣) أنكحت : فى الديوان : زوجت .
(٤) فأنكح : الديوان فزوج .
(٥) خنيسا : فى الديوان : خميسا ، وفى هامش ك : حسينا .
(٦) ثاويا : مقيما .
(٧) مصمتات الحدائد : الأغلال .
(٨) بيضاء : فى الديوان : عذراء .
(٩) الخبر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٤٠ باختلاف يسير فى التعبير .
(١٠) نوبخت : فى ت : بوارب، وهو تحريف .

قد انتكستَ . فقال لى : بل هو ما قلت لك . فقلت : سمِّها لى وعرِّفنى خبرَها لأُعاوِنَك عليها وأعمل لك فى أمرها . فاستَحْيَا منِّى وطوَى عنِّى شأنَهَا وجعل يقول: لستَ تعرفها ، ولاأعرف أنا اسمها من غيرأن تقدر عليها، فقلت له: صف لى خَلْقها فعلِّى أقع عليها. فأنشأ يقول(١) :

كَفاكَ ما مَرَّ عـلى رَاسِى ... من شَادِنٍ قَطَّع(٢) أنْفاسى

أَكْثر ما أبْلُغُ من وَصْفِه ... تَحَدُّثِى عن قَلْبِه القاسِى

أغـارُ أن أَنْعتَ منه الّذى ... يَنْعَتُه الناسُ من النَّاسِ

ولَمْ أرَ المُشَّاق قبْلِى رَأوا ... بوَصْفِ مَنْ يَهْوون مِنْ بَاسِ

كُلّ أحادِيثى سِوَى نَعْتِها ... منكشِفٌ مِنِّى لُجلاَّسِى

لا حبَّذَا الشِّرْكَة فى حُبِّها ... وحَبَّذا الشِّرْكةُ فى الكَاسِ

فلما رأيت أنه لا يحب أن يُعلِمنى سكتُّ عنه . فلما كان فى الليل سَكِرَ ونام ونامَ كُلٌّ من عندنا ، فغفوت غفوة ثم انتبهت فإذا هو قاعد وَحْدَه، فقلت : أباعَلِىّ مالى أَراكَ ساهِراً ؟ لعلَّه فكرة فى ذلك الرجل . قال : إى والله، ثم قال لى : اسمع ، قلت : هات ، فأنشدنى(٣) :

رَسْمُ الكَرَى بين الجُفون مَحِيلُ ... عَفَّى عليه بُكاً عليك طَوِيلُ(٤)

يا نَاظِراً ما أقلعتْ لحظَاتُه ... حتى تَشَحَّط بينهنَّ قَتِيـلُ

أَحْلَلْتَ مِنْ قلبِى هَواكَ مَحلَّةً ... ما حَلَّها المشرُوبُ والمَأْكُولُ

---

(١) الديوان : ٢٨٤ عدا البيت الرابع .

(٢) قطع انفاسى : فى الديوان : هيج وسواسى ــ الشادن : ولد الظبية إذا قوى . ويراد به هنا الفتاة الناعمة الغريرة .

(٣) الديوان : ٢٥٥ .

(٤) الرسم : ما بقى من آثار الدار بعد أن خلت ــ محيل : مجدب ــ عفى عليه : محاه .

بكَمـال صورتك التى فى مِثْلهـا يتَحَيَّرُ(١) التشـبيـه والتَّمْثِيـلُ
فوق القَصِـيرة والطَّـوِيلةُ فوقهـا دُون السَّمِين ودُونهـا المَهْزُولُ

فقلتُ له: ذكَرتَ قدَّها وأحسَبُنى وَقعْتُ عليها . فقال : هيهات . يُؤْيِسُنى بذلك أن أعرفها . وقد كنتُ أراه يُحِدُّ النظر إلى جارية لبعض أهلنا يقال لها نرجس تجيئنا بالطُّرفة بعد الطُّرْفة من عند مولاتها مرارا . فقلت: ما عَنَى غيرَها. ثم أمسكت . فلما كان بالغد قلت للساقى : خِفْ عليه فى السَّقْى . فخاف عليه فسكر سُكْراً ما رأيته قط سَكِرَ مثلَه . فبينا هو فى سُكْرِه إذ قال :

أحرف أربعٌ سبيْنَ فُؤادِى لم أَذُقْ بعدهُنَّ طَعْم الرُّقادِ(٢)
غير أنّى أحتال فيهن مَعْنًى وأعادِى به جميعَ العِبادِ

فاستيقنت أن نرجس صاحبته . فوجّهت إلى مولاتها أن تبيعنيها فوجَّهت إلىّ : قد وهبتها لك . فلمّا أفاق أبو نواس اصطبحنا فقلت له بعد أن شربنا أرطالا : أتحبُّ أن تشرب اليوم مع حبيبتك؟ قال : خذ فيما يكون. قلت: ياغلام أَحْضِرْ ذلك الرجل. فدخلت نرجس فلما رآها بُهِت ناظرا إليها . فقلت : لا تطوّل ، هى لك . فضحك ثم قال : وتَمْلِكُها حتى تَهَبَها لى ؟ قلت : نعم ، البارحة وأنت سكران قلت كذا وكذا وتيقّنت أنها(٣)[طَلِبَتك، فأردت شراءها لك، فوهبَتْها لى مولاتُها، وهى لك .

---

(١) يتحير : فى الديوان : يتخير بالخاء المعجمة .

(٢) فى أبى هفان بعد هذا البيت .

خفت إظهارهن خشيـة واش واتقـاء العـدو والحسـاد
أشتهى النون من (نوار) وأهوى ثانيـا من حروف إسم مـراد
و(جنان) قـد شفنى مبتداهـا و(سعـاد) فديت مبـدا سعـاد
لا ترانى أحب خلقـا سواهـا أبـدا مـا بقيت حتى التنـادى

(٣) ما بين القوسين تكملة من أخبار أبى نواس لأبى هفان . ومكان هـذه الزيادة بياض بالأصل .

فوالله لقد رأيت وجهه أشرق وأنار وقام فقبّل رأسي. ثم أقعدها إلى جانبه وجعل كلما شرب كأسا قبّلها ثم أنشأ يقول[1] :

مَا لِيَ فى النــاس كُلِّهم مَثَلُ ۝ مائِيَ خَمْرٌ[2] ونَقْلِيَ القُبَلُ
قومى[3] حتى إذا العيون هَدَتْ[4] ۝ وحَانَ نَوْمى فعرسى[5] ثُعَلُ
يأيها الناس فاسمَعُوا عِظَتِي[6] ۝ فــكُلُّ نَفْسٍ وراءَها أجَــلُ
ليَحْمَدِ اللهَ مِنْــكُمو رَجُــلٌ ۝ ساعَدَه فى حَبيبه الأَمَــلُ

فلما أمسى قال : قد جُدْتَ بالمُنَى ، والتمام الإذنُ فى الانصراف . قلت : معافى مصحوباً مَــكْلُوءًا] .

لمَّا وصلت الخلافة إلى محمد الأمين وولَّى الفضلَ ، وتفرَّغ محمد لِلَهْوِ الصَّيْدِ والنُّزهة ، فــكان لا يخرج إلا لصيد أو لنزهة ، نخرج ذات يوم وقد أمر الجند والقوّاد فركبوا ، ولبس ثيابه وتقلَّد سيفه وأُعِدَّت الحرَّاقات[7] والزلالات فى دِجْلة فقال له إسماعيل بن صبيح وكان كاتب سره : يا أمير المؤمنين إن قوادك وجندك وعامة رعيتك قد خَبُثَتْ[8] نفوسهم وساءت ظنونهم ، وكَبُرَ عندهم ما يَرَوْن من احتجابك عنهم ، فلو جلست لهم ساعة من نهار ، فدخلوا عليك فإن فى ذلك تسكيناً لهم

(١) الديوان : ٣٧١

(٢) خمر : فى الديوان : عقار .

(٣) قومى : فى الديوان: كذاك.

(٤) هدت : فى الديوان : غفت .

(٥) فعرسى ثعل : فى الشعر والشعراء ٧٧٧ والديوان: ففرشى كفل.

(٦) فاسمعوا عظتى : فى الديوان : بادروا أملا .

(٧) الحراقات والزلالات : نوع من السفن .

وفى الطبرى : ٣/٩٥١ (سيرة محمد بن هارون) رواية عن حميد بن سعيد: وأمر بعمل خمس حراقات فى دجلة على خلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس ، وأنفق فى عملها مالا عظيما .

(٨) خبثت نفوسهم : تغيرت وفسد ولاؤها وكرهوا ما هم فيه من حال .

ومراجعةً لآمالهم . فجلس فى مجلسه ، وأذِنَ للناس عامة ، فدخلوا على مراتبهم ومنازلهم ، وقام الخطباء فخطبوا والشعراء فأنشدوا ، فلم يكن أحد منهم يتعدَّى إلى الإطناب والتطويل إلا أمر بالسكوت ومنع من القول . وقام فيمن قام أبو نواس فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء الشعراء أهل حَجَر ومَدَر وإبل ووصف البعر ، وبيوت الشَّعَر قد جَفَتْ ألفاظهم وغَلُظت معانيهم ، ليس لهم بَصَرٌ بمدح الخلفاء ونشر مكارمهم ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إنشاده فليفعل. فأذن له فأنشده[1] :

ألا دارها[2] بالماء حتى تُلينَهَا ... فلن تُكْرم الصَّهباء حتى تهينَها
أُغالى بها حتى إذا ما ملكتُها ... أَهَنْتُ لإكرام الخليلِ مَصونَها
وصفراءَ قبل المَزْج بيضاءَ بعدَه ... كأنّ شُعاع الشمس يلقاكَ دُونَها
ترى العينَ تستعفيك من لمعانها ... وتَحْسِر[3] حتى ما تُقِلّ[4] جُفونَها
ترُوغُ بنفس المرء عمَّا يسوءه ... وتَجْدِلُه ألَّا يزال قرينَها
كأنّ يواقيتاً رواكد[5] حولَها ... وزُرْقَ سنانيرٍ[6] تُدير عيونَها
وشَمْطاء[7] حلَّ الدهرُ منها بنَجْوَةٍ ... دَلفتُ إليها فاستلَلْتُ جَنينَها
كأنّا حُلولٌ بين أكناف رَوْضَةٍ[8] ... إذا ما سلَبْنَاها مع اللَّيلِ طينَها

إلى أن أكمل القصيدة . فقال له محمد : ألم أنهك عن شُرْب الخمر ؟ ! قال : بلى

---

(١) الديوان : ٢٠ .

(٢) دارها: خاتلها بالماء لأنها بدونه شموس صعبة المذاق .

(٣) تحسر : تكل .

(٤) تقل : تحمل .

(٥) رواكد : فى الديوان : عواكف .

(٦) سنانير : جمع سنور وهو الهر (يصف الحبب) .

(٧) شمطاء : عجوز ، ويريد بها خابية الخمر .

(٨) يريد ما يفوح من طيبها بعد فض ختام دنانها .

يا أمير المؤمنين ، والله ما شربتها منذ نهيتني عنها ومنعتني من شربها ، وأنا الذي أقول(١) :

أيها الرائحان باللَّـوْمِ لُومَا   لا أذوقُ المُدامَ إلّا شَمِيماَ
نالَني بالمَلام فيهـا إمامٌ   لا أرى لي خِـلافَه(٢) مستقيماَ
فاصْرِفاها(٣) إلى سِـواي فإنّي   لستُ إلّا على الحـديث نَديمَا
كُبْرُ(٤) حَظِّيَ منها إذا هِيَ دارَتْ   أنْ أراهـا وأنْ أشمَّ النَّسِيماَ
فـكأنّي وما أُزَيِّن(٥) منهـا   قَعَدِيٌّ(٦) يزيِّن التحكيما
كَلَّ عن حَمْلِه السلاح إلى الحرْ   ب فأَوْصَى المُطِيقَ ألّا يُقيماَ

فتبسّم محمد . وقام بعض الشعراء فأنشد(٧) :

ترَقَّى في فضائـلهِ الأمينُ   وزايَلَه المُشاكِلُ والقَرِينُ
وأوْرَقَ زهرهُ التقْوَى وعزَّت   خـلافَتُه وصُدِّقت الظُّنُونُ
تَمَسُّ منابرَ الخلفاء منـه   يَـدٌ بخلاف طاعَتِها المَنُونُ
يخافُ الخوفُ صولَتَه ويَرْجُو   نَـداه الجـود فهْوَ له خَدِينُ

فقال عدّة ممّن حضر : قد أوجز وأجاد ، أكرم الله أمير المؤمنين .

---

(١) الديوان : ٢٩ ـ الطبري : ٣/٩٦٣ ـ أخبار أبي نواس لأبي هفان : ٨٨ ـ الكامل : ٥١٣

(٢) خلافه : مخالفته .

(٣) اصرفاها : رداها .

(٤) كبر : معظم وغاية ـ وفي رواية الطبري : إن حظي .

(٥) أزين : أحسن .

(٦) القعد : فرقة من الخوارج يرون الخروج على السلطان ويحرضون أصحابهم على ذلك ولا يخرجون .

(٧) مقدمة الديوان لحمزة الأصبهاني (الباب الأول) (طبع آصاف : ٣٦) بدون عزو .

فقال أبو نواس : أَشْعَرُ منه يا أمير المؤمنين الذى يقول[١] :

ألا يا خَـيْرَ من رأتِ العيُـونُ	نظـيرُك لا يُحَسُّ ولا يَـكُونُ
وفضلُك لا يُحَدُّ ولا يُجارَى[٢]	ولا تَحْوِى حيازَتَه الظنُـونُ
فأنت نسيجُ وَحْـدِك لا شَبِيه	نُحاشِيه[٣] عليـك ولا خَـدِينُ
خُلقْتَ بـــلا مُشاكَلَةٍ لشىءٍ	فأنت الفَوْقُ والثَّقَلان دُونُ
كأَنَّ المُلْكَ لم يَـكُ كان شَيْئاً	إلَى أن قام بالمُلْكِ الأمِينُ

قال: ففضَّله محمد وأحسن جائزته . ويقال : إنه قالها بديها .

ثم نهض محمد من مجلسه ذلك فركب الحَرَّاقة إلى الشَّمَّاسيَّة[٤] واصطفّت له الخيل والرجال على شاطئ دِجْلة وحُملت معه المطابخ والخزائن ، وكان ركوبه حرَّاقةً على مثال الأسد ، فما رأى الناس مَنْظَراً كان أَبْهَى ولا سَيِّداً كان أحسنَ من ذلك المنظر والسيِّد .

وركب أبو نواس معه يومئذ وهو ينادِمُه فقال[٥] :

سَخَّر الله للأمين مطَايَا	لم تُسَخَّرْ لصاحب[٦] المِحْرابِ
فإذا ما ركابـه سـار بَحْراً[٧]	سار فى الماء راكِباً لَيْثَ غابِ
أَسَداً باسطاً ذراعيه يعـــدو	أَهْرتَ[٨] الشِّدق كالِحَ الأَنْيابِ

---

(١) الديوان : ٤١٩ . وفى طبقات ابن المعتز ٢٧٢ (ترجمة النظام) نسبت الأبيات إلى النظام.

(٢) لا يحد ولا يجارى : فى ك وت : لايحق ولا يجرى، والتصويب من الديوان .

(٣) نحاشيه : نستثنيه .

(٤) الشماسية : محلة كانت مجاورة لدار الروم التى فى أعلى مدينة بغداد ، منسوبة إلى بعض شماسي النصارى .

(٥) الأبيات فى الديوان : ٤١٤ _ الطبرى ٩٥٢/٣ .

(٦) صاحب المحراب : يريد سليمان بن داود .

(٧) بحرا : فى الديوان : برا .

(٨) أهرت الشدق : واسعه .

لا يُعانِيه[1] باللِّجام ولا السَّوْ ... طِ ولا غَمْزِ رِجْلِه فى الرِّكابِ
عَجِبَ الناس إذ رأوكَ على صُو ... رَةِ لَيْثٍ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ
سَبَّحوا إذْ رأوكَ سِرْتَ عليهِ ... كيف لو أَبْصَرُوكَ فوقَ العُقابِ
ذات زَوْرٍ ومِنْسَرٍ وجَناحَيْـ ... ـن تشقّ العُبابَ بعد العُبابِ[2]
تسبق الطير فى السماء إذا ما اسـ ... ـتعجلوها بجيئةٍ وذَهابِ
باركَ الله للأمين وأبقا ... هُ وأبْقَى له رِداءَ الشَّبابِ
مَلِكٌ تقصُر المدائحُ عنه ... هاشِمِيٌّ مُوفَّقٌ للصوابِ

ويقال إن هذا الشعر قاله أبو نواس فى محمد وقد ركب حَرّاقته الدُّلْفِين[3] فقال له شيخ إلى جانبه: اتَّقِ الله يا هذا. فقال له أبو نواس: يا شيخ إن الله لم يسخِّر لصاحب المحراب الدُّلْفِين وقد سخّر له ما هو خير من الدُّلْفِين، فأىّ شىء تُنْكِر من هذا ؟!

قال الحسن بن علىّ الرياحى: قال لى الرِّياشيّ ذات يوم وقد خلا مجلسه: أنشدنى:

* ألَا دارِها بالماء حتى تُلِينَها *

فقلت له: ما أحفظها. فقال: ويحك بَصْرِيٌّ شابٌّ متأدِّب متغزِّل يُسأل عن شعر شاعر مصرِه ورئيس عصره فيذهب عنه. والله إنى لفى سِنِّ جدِّك وإنى لأفكّه نفسى فى اليوم مرّات بها وبأشباهها من شعره!! فقلت: تقصير وقع، وشُغل شَغَل، وإغفال للفائدة فى ذلك، ولكن تفضّل علىّ بإملائها. فأملاها علىّ وكتبتها. ثم قلت له: ما معنى:

* فلن تُكْرِمَ الصهباءَ حتى تُهِينَها *

(١) لا يعانيه: لا يسوسه ولا يدبر أمره.

(٢) يصف الحراقة التى على صورة العقاب.

(٣) فى الطبرى: ٣/٩٥١ (سيرة محمد بن هارون الرشيد): «ابتنى الأمير سفينة عظيمة أنفق عليها ثلاثة آلاف ألف درهم، واتخذ أخرى على خلقة شىء يكون فى البحر يقال له الدلفين.

فقال : حتى تبذلها لإخوانك وتبتذلها بالشرب للناس فيمدحونها، لأنها مادامت في دَنِّها فهي غير معلوم فضلُها ، فإذا أهنتها وبذلتها لهم فشربوها عرفوا فضلها فمدحوها . ولا إكرام أكرم من المدح ، فإهانتها بذلها لشاربيها؛ أو تهينها بالمزج أي حتى تلين شدتها بالماء فتزول سطوتها التي تمنع من شربها وتطيب ، ويمكنك شربها فتشربها طيبة ليّنة فتعرف كرامتها .

وهذا نحو ما قال الأخطل[1] :

فقلت: اقتلُوها عنكُمُ بمِزاجها فأَطْيِبْ بها مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ

وقول الأخطل من قول حسّان بن ثابت[2] :

إنّ التى ناولتَنِي فرَدَدْتُها قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقْتَل

والشمطاء[3] : الخابية . وبنَجْوَةٍ أي بناحية . وتَرُوغ النَّفْس رُوى فيه تَرِيع أي ترجع .

قال الحسن بن أبي المنذر لمّا قال أبو نواس[4] :

دِيارُ نَوارٍ ما دِيارُ نَوارِ كَسَوْنك شَجْواً هُنَّ مِنْهُ عَوَارِى

يمدح بها العبّاس بن عبد الله بن جعفر ، أُنْشِدت الرشيد إلى أن سَمع قولَه :

يقولُون فى الشَّيْبِ الوَقارُ لأهلِهِ وشَيْبِى بحَمْدِ اللهِ غَيْرُ وَقارِ

فأمر الرشيد بإحضاره وقال له : ويلك أتخالف الإسلام فى كل شيء من أمرك ؟ ! قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يَشِيبُ الرجل المُؤْمن شَيْبَةً فى الإسلام إلا كانت له حِجاباً من النار) وتقول أنت كذا وكذا؛

---

(١) ديوان الأخطل (بيروت) : ٤١ .

(٢) ديوان حسان (طبع البرقوقى) : ٣١١ .

(٣) هذا شرح لألفاظ مرت فى قصيدة : ألا دارها بالماء حتى تلينها، صفحة ٧٦ .

(٤) الديوان : ٤٣٥ «فى ثمانية وعشرين بيتا» .

وما أظنُّك إلا على غير دين الإسلام ، فمن أين زَعَمْت أنّه غَيْرُ وقار ؟ فقال : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداكَ ، انظر إلى البيت الذى بعده . فقال : وما هو ؟ قال :

إذا كنتُ لا أنفَكّ عن أَرْيَحيَّـةٍ ... إلى رشَـأٍ يَسْـعَى بـكأسِ عُقـارِ[1]

إنما قلت وشيبى غـيرُ وقارٍ إذا كنتُ على هـذه الحالة وأشباهها ، لما أجاوزه من تعجيل الذنوب وتأخير التوبة . فأقررتُ بالذنب ولم أَجْحَد أن يكون هو وَقارا . قال : أنت أعلم بخُبْثِ سريرتك ، وقبح عملك ، فمن ثَمَّ شَهِـدْت بما شهدت به على نفسك .

شَرِب أبو نواس الخمر فانتهى ذلك إلى محمد بن زُبَيْدة فأمر به يُحبس ثلاثة أشهر ، ثم دعا به وحوله بَنُو هاشم وغيرُهم ، ودعا بالنِّطع والسيف وأراد قتله ، فأنشأ يقول[2] :

تَذَكَّر أمينَ اللهِ والعَهْدُ يُذْكَر ... مقامى وإنشاديك والنَّاسُ حُضَّرُ

و نَـثْرِى عليك الدُّرَّ يا دُرَّ هاشِمٍ ... فيا من رَأى دُرًّا على الدُّرِّ يُنثَرُ

أبوكَ الَّذِي لم يَمْلِك الأرضَ مِثْلُه ... وعَمُّـك موسَى[3] صِنْوُهُ المتخَيَّرُ

وجدُّكَ مَهْـدِيُّ الورَى وشقيقُهُ ... أبو أُمِّك الأدْنَى أبو الفَضْلِ جَعْفَرُ[4]

ومَنْ مِثْل مَنْصُورَيْـك مَنصورِ هاشمٍ ... ومَنْصُورِ قَحْطانٍ إذا عُدَّ مَفْخَرُ

فمن ذا الَّذِي يرمى بسَهْمَيْك فى العُلا[5] ... وعَبْدُ منـاف والِداكَ وحِمْـيَرُ

---

(١) البيت هنا مركب من بيتين فى الديوان :

إذا كنت لا أنفك عن طاعة الهوى ... فـإن الهـوى يرمى الفتى ببـوار

فهـا إن قلـبى لا محالـة مـائل ... إلى رشأ يسعى بكأس عقار

(٢) الديوان : ٤٢٦ ــ الشعر والشعراء : ٧٧٩ .

(٣) موسى الهادى ، أخو الرشيد .

(٤) جعفر : هو ابن أبى جعفر المنصور وهو والد زبيدة أم الأمين .

(٥) العلا : فى الديوان : الورى .

تحسَّنت الدُّنيا بحُسْن خَليفَةٍ … هو البَدْرُ إلَّا أنَّه الدَّهْرَ مُقْمِرُ[1]
أيا خَيْرَ مأمولٍ يُرَجَّى أنا امْرُؤٌ … أَسيرٌ رهينٌ فى سُجونِك مُقْبَرُ
مضتْ لى شهورٌ مذ حُبِسْتُ ثلاثَةٌ … كأنِّىَ قد أذْنَبْتُ ما ليس يُغفَرُ
فإن كنتُ لم أُذْنِب ففيم حَبَسْتَنِى ؟ … وإنْ كنتُ ذا ذَنبٍ فعَفْوُك أَكْبَرُ

قال : فإن شربتها ؟ قال : دمى لك يا أمير المؤمنين . فخلَّى سبيله .

دخل أبو نواس على محمد الأمين فأنشده[2] من أبيات :

قد يَنْقُص القَمَرُ المنيرُ إذا استوَى … وبَهاءُ نورٍ[3] محمَّدٍ لا يَنْقُصُ
وإذا بنو المنصور[4] عُدَّ حَصاهمُ … فمحمَّدٌ ياقوتُها المتخَلَّصُ[5]
صَدَقَ الثناء على الأمينِ مُحمَّدٍ … ومن الثناء تَكَذُّبٌ وتخرُّص[6]

فأراد إعناته فقال: وهل تركتَ لى شيئا من ثنائك بعد قولك فى الفضل[7] :

أَوْحَدَه[8] الله فما مِثْلُه … لطالبٍ ذاك ولا واجِدِ[9]
وليس لِلّهِ بمستَنْكَرٍ … أَنْ يَجْمَع العالَمَ فى واحِدِ

فجعلته واحد الناس ، وجعلت العالَم كلهم فيه ؟ ثم تقول فى آل الربيع[10] :

---

(١) مقمر : مسفر .
(٢) الديوان : ٤٢٣ باختلاف فى الترتيب .
(٣) نور : فى الديوان : وجه .
(٤) المنصور : فى الديوان : العباس .
(٥) المتخلص : فى الديوان : المستخلص .
(٦) تخرص : افتراء .
(٧) الديوان : ٤٥٤ .
(٨) أوحده : فى الديوان : أوجده .
(٩) واجد : فى الديوان : ناشد .
(١٠) الديوان : ٤٦٧ .

آلَ الربيــع فَضَلْتُمْ فَضْلَ الخَمِيس(١) على العَشِيرِ(٢)
من قاس غَــيْرَكُم بِــكُم قاس الثِّمــادَ(٣) إلى البُحورِ

فقال : يا سيّدى قد سبق من قَوْلى فى أمير المؤمنين أكرمه الله ما لو استحضرتُه الآن لاكتفيتُ به من عُذْرِى. قال : وأى شىءٍ قلتَ حتى أستحضرَه ؟ قال : قولى(٤) :

إذا نحن أَثْنَيْنا عليك بصالِـــحٍ فأنتَ كما نُثْــنِى وفوق الذى نُثْــنِى
وإنْ جرَت الألفاظُ يوماً بِمِدْحَــة لِغَــيْرِك إنسانًا فأنتَ الَّذى نَعْــنِى

وإنما هو شىء صدر فى وقت . فاستحسن الأمينُ ذلك منه وقدَّمه وكان ذلك سبب وصلته به .

كان أبو نواس(٥) قد هجا سليمانَ بن أبى جعفر وأجنف عليه ، وكان إذا هجا رجلا لم يــكد يمْدَحه ولا يرجع عن مكروهه . فشكاه سليمان إلى محمد بعد خلافته فقال : يا أمير المؤمنين حسن بن هانئ هجانى ، ومن هجانى فغير مادح لك. قال : فما يرضيك؟ قال : حبسه فى المُطْبِق . فقال : يا عم أحبسه بعد قوله :

قد أصْبَــح المُلْكُ بالمُــنى ظَفِرَا كأنّما كان عاشقــــاً قَدَرَا
قِيــدَ(٦) بأَشْطانِهِ إلى مَلِكٍ لم يعشَــقِ المُلْكُ قبلــه بَشَرَا

---

(١) الخميس : الخمس .

(٢) العشير : العشر ، والخمس أكبر من العشر فى الكسور . ويمكن أن يراد الخميس : الجيش . والعشير : المرافق .

(٣) الثماد : الماء القليل .

(٤) مسالك الأبصار : ٢٢٦/٩ (مخطوط) ــ مقدمة الديوان (طبع آصاف) .

(٥) الخبر والأبيات : فى تاريخ الطبرى (ترجمة محمد الأمين) ٣٣٩/٣ ــ ٣٤١ والديوان : ٤٢٤ .

(٦) قيد : سيق ــ الأشطان : الحبال .

خليفةٌ يعتَنِي بأمَّتِه وإن أتَته ذنوبُها غفَرا
حتَّى لو اسْطاعَ من تَحَنُّنِه[1] دافعَ عنها القضاءَ والقدَرا

وبعد قوله يا عم[2] :

تضحكُ الدُّنيا إلى مَلِكٍ قام بالإسلام[3] والسُّنَنِ
يا أمينَ الله عِشْ أبدًا عِشْ على الأيَّامِ والزَّمَنِ
أنتَ تبْقَى والفَناءُ لنا فإذا أفنيْتَنا فكُنِ
كيف تسخو النَّفْسُ عنك وقدْ قُمتَ بالغالِي من الثمَنِ
سَنَّ للناسِ النَّدَى فندُوا فكأنَّ البُخْلَ لم يكُنِ

ولكن يا عمّ نجيء به صاغرا فيعتذر سامعا مطيعا ، وترضى يا عمّ إن شاء الله تعالى . ثم دعا به فأُحضِر . فقال له الأمين : ويلك تهجو عمِّي وشَيْخي ؟ ! فقال : يا أمير المؤمنين وإمام المسلمين ، إن أبا أيوب متحامِلٌ على عَبْدِك . فتكلّم سليمان وقال : وما أنت وهجاؤك ، وما قلت إلّا ما يُشبِه قَدْرَك ، وما قدرت على أكثر من قولك فى كَلْبٍ مثلك ، يعنى إسماعيل بن أبى سهل[4] :

خُبْزُ إسماعيلَ كالوَشْـ ـيِ إذا ما شُقَّ[5] يُرْفَا

فحمِي أبو نواس عند ذلك وقال : يا أمير المؤمنين إن كنت قلت هذا فأنا الذى أقول :

يلاحِظُهم وهُمُ يأكُلو نَ طَوْراً فُرادَى وطَوْراً معَا
فيمنَعُهم ذاكَ أنْ يَشْبَعُوا ويمْنَعُه الغيْظُ أن يَشْبعَا

---

(١) تحننه : حنانه .

(٢) الديوان : ٤١٣ .

(٣) بالإسلام : فى الديوان : بالأحكام

(٤) الديوان : ٥١٥ .

(٥) شق : فى الديوان : انشق ، وكذلك سيرد فيما بعد .

فقال سليمان : يا أمير المؤمنين يقال فى شيخك مثل هذا وتُمْسِك ؛ فأمر بحبسه فبقى فى الحبس دهرا. وكتب منه إلى الفضل بن الربيع أبياته التى يقول فيها[1] :

أنتَ يا ابنَ الرَّبيع علَّمتنى[2] الخيْـ ـر وعوَّدْتنيه والخَيْرُ عادَهْ

فعَرَض الأبيات على محمد ، وقال : يا أمير المؤمنين لقد انقطعت المادَّة من هذه الآداب بحبس هذا الشَّاعِر. فلم يَسْمَع منه ولم يُطْلِقْه.

فكتب إلى الأمين من المُطْبِق :

تَذكَّر أمينَ اللهِ والعَهْدُ يُذْكَرُ مقامى وإنشادِيكَ والنَّاسُ حُضَّرُ[3]

فأطلقه وتقدم إليه ألَّا يَهْجُوَ أحداً من الناس.

قال الحسن بن محمد[4] : ضُرِبت لإسماعيل بن أبى سهل بن نوبَخْت طارِمَة[5] فى صحْنِ داره ، فاصطبحنا أربعين يوما ومعنا أبو نواس ، فأنفق إسماعيل أربعين ألف درهم ، فقال أبو نواس بعد ذلك فيه[6] :

خُبْزُ إسماعيلَ كالوَشْـ ـى إذا ما انشقَّ يُرْفَا
عَجَباً من أثَرِ الصَّنْـ ـعَة فيه كيف يَخْفَى
إنَّ رَفَّاءَك هــذا أَلْطَفُ[7] الأُمَّـةِ كَفَّا

---

(١) الديوان : ٤٥٩ .

(٢) علمتنى الخير : فى الديوان : ألزمتنى النسك .

(٣) الديوان : ٤٢٦ .

(٤) الخبر والأبيات فى ديوان المعانى : ٢/٢٠٣ ـ نهاية الأرب : ٣/٣٢١ .

(٥) الطارمة : بيت من خشب ونحوه كالقبة. قال الجاحظ فى البخلاء : ٦٣ : وكان أبو نواس يرتعى على خوان إسماعيل بن نيبخت كما ترتعى الإبل فى الحمض بعد طول الخلة ، ثم كان جزاؤه منه أن قال : خبز إسماعيل كالوشى : البيت .

(٦) الديوان : ٥١٥ .

(٧) ألطف : فى الديوان : أحذق .

فإذا قابـل النصـ ـف من أُخبْزَة[١] نِصْفا
ألْطَفَ الصَّنْعةَ حَتَّى لا تَرَى مَطْعَنَ[٢] إشْفَى
مِثْـل ما جـاء من التَّنُّو رِ ما غادَرَ حَرْفا
وله فى المـــاء أيْضاً عَمَلٌ أبــدَعُ ظَرْفا
مَزْجه العذبَ بمـاء الـ ـبير حتى عاد[٣] ضِعْفا
فهـو لا يَشْرَب مِنْـهُ مثـل ما يَسْقِيكَ صِرْفا[٤]

ولأبى نواس وربّما نسبت إلى غيره[٥] :

فأوّل شُرْبك طَـرْحُ الرِداء وآخِر شُرْبِك حَـلُّ الإزارِ
وما هَنأَتْك المَلاهِى بِمثْـ ـلِ إماتَةِ مَجْدٍ وإحياءِ عارِ
ولا جـادَ دَهرٌ بلذَّاتِـه على مَنْ يَضِنُّ بخَلْعِ العِذارِ

اجتمع أبو نواس[٦] وعلى بن الخليل مولى يزيد بن مزيد الشيبانى وإسماعيل القراطيسى، وزُرْزُر[٧] الـكاتب، ومضوا إلى سوق الـكَرْخ فتذاكروا ضروب الأدب وتفننّوا فى أفانين العلم ، فلما اشتد الحرّ قالوا : فأين نحن يومنا هذا ؟ فـكلٌّ قال أنتم عندى . فقالوا: ليقل كلّ واحد شعراً يصف ما هو فيه ، وما عِنْدَه يُجْتَمع عليه ، فمن أجاده صِرْنا إليه .

---

(١) الخبزة : فى الديوان : الجردق . والجردق : الرغيف .

(٢) مطعن : فى الديوان : مغرز ـ الإشفى : المثقب .

(٣) حتى عاد : فى الديوان : كى يزداد .

(٤) رواية الديوان : فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب صرفا

(٥) نهاية الأرب : ٤/١٢٠ .

(٦) الخبر وما ورد فيه من أبيات فى أخبـار أبى نواس لأبى هفان : ٨٥ـ٨٧ باختلاف فى ترتيب القائلين وبعض العبارات .

(٧) زرزر : فى ت : زرزور . وفى أبى هفان : رزين .

فقال أبو نواس(١) :

أَلَا قومـوا إلى الـكرخ　　إلى مَـــنْزِل خَمَّارِ
إلى صَهْبَاءَ كالمِسْك　　لدى جُونـــة عَطَّارِ
وبستان له نَهْــرٌ　　لَدَى نَخْـــلٍ وأَشْجارِ
فأطعمكُم بـــه لَحْماً　　من الوَحْشِ وأَطْيارِ
وإن أَحْبَبْتمُ لَهْواً　　أتينـــاكُمْ بِزَمَّـارِ
وإن أحبَبْتمُ نَيْــكاً　　فنِيـكُوا ربَّةَ الـدَّارِ

وقال علىّ بن الخليل(٢) :

ألا قُومـوا جماعَتكم　　أخـلّاىَ فحـيُّونِى
إلى صهبـاءَ كالمِسْكِ　　وأبـكارٍ من العِينِ
وإن أَحْبَبْتم نيكا　　فهـا إستى فنيـكُونى
ألا سَخَّـركم رَبِّى　　جميعا أن تُواتُونى

وقال إسماعيل القراطيسى(٣) :

ألا قُومـــوا جماعتـكم　　إلى بيت القراطِيسِى
فقـــد هُيِّى لنا البيتُ　　بظَبْىٍ أمْردٍ طُـوسِى(٤)
وقَيْنات من الحُورِ　　كأمثـال الطَواوِيس

---

(١) الديوان: ٤١٠ ورواية البيت الثالث فيه:

وبستان به نخل　　له زهر وأشجار

(٢) على بن الخليل : شاعر كوفى، وهو مولى معن بن زائدة الشيبانى وكان يعاشر صالـح بن عبد القدوس فاتهم بالزندقه، ثم أمنه الرشيد واختص به بعد ذلك (غ) .

(٣) إسماعيل القراطيسى : كوفى شاعر مليح الشعر، كان يصاحب أبا نواس وأبا العتاهية . والأبيات فى كتاب الورقة ١٠٠ ، ١٠١ ــ معاهد التنصيص : ٣٩/٤ ــ غ : ترجمة إسماعيل القراطيسى

(٤) الرواية فى الورقة والمعاهد :

فقـد هيا لنا نزلا　　غلام فاره طـوسى

وألوانٍ من الطَّـــيْرِ وألوان من العِيسِ
وقـــد هُيِّئ التي جاءَ بها من أرْضِ بِلْقِيسِ
فنيكـوهنّ يا قـوم على رغْمٍ من[1] ابليسِ

وقال زُرْزُر[2] :

ألا قُوموا جماعتكم لعِنْدِي لا إلى غَـيْرِي
فعنـدي مجلسٌ حُـلْوٌ كثير الـوَرْد والخَـيْرِ[3]
وعِنْـدي من إذا غَـنَّى تَهُم الأرضُ بالسَّـيْرِ
تُخَثُّـوا بعضـكم بعضاً فمـا فى ذاك من ضَيْرِ
وإن كنتم تُناكُونَ فهذا بينكم أيْرِى

قال: فضحكوا منه وقالوا: أنت أظرف القوم بمجيئك ولا نحتاج إلى أيرك . واليوم يومك فقم بنا . فصاروا إليه جميعا .

كان حمدان بن زكريا مولعاً بهجاء أبى نواس ومعارضته فى البرز أى فى الطرد. وكان حمدان عالما بصفات الطير برزيّا . فقيل لأبى نواس وقد مرّ حمدانُ يوما: هذا حمدان ابن زكريا . فسلّم عليه وقال له : ويلك لِمَ تهجُونى ؟ قال : رأيتك كثيرا فى الناس فأحببت أن أضع منك لعلك تقلّ فأكثُر عليك . فقال أبو نواس : ما نلت من ذلك إلا الحظ الخسيس ، وأنشأ يقول[4]:

قولوا لحمـــدان وما شيمتى أن أُظهر الودّ[5] له مُخْلصَا

---

(١) فى الأصول : أنف .

(٢) زرزر : فى ت : زرزور . وزرزر الرفاء يكنى أبا الخطاب ، بغدادى شاعر مليح الشعر قليله (الورقة : ٣٧) .

(٣) الخير : ويقال: الخيرى بكسر الخاء وهو نوع من الزهر معروف بالمنثور الأصفر.

(٤) الديوان: ٥٦٠ ـ وفى معاهد التنصيص ١/٩١ برواية: قل لسليمان ، وأنها قيلت فى سليمان ابن سهل. (٥) الود : فى الديوان : النصح.

وما أنت بالحرّ فتُلْحَى[1] ولا بالعَبْد نستعتِبُه بالعَصَا
فرحمة الله على آدم رحمةَ من عَمَّ ومن خَصَّصا
لو كان يَدْرِى أنه خارجٌ مثلُك من جُرْدانِه[2] لاخْتَصَى

فقال له حمدان : والله لا أهجوك بعدها أبدا . فقال أبو نواس : ولا أنا إن لم تَعُدْ .

كان بالكوفة[3] فتى من أهلها يقال له جَمَال من بنى دارم وقدم بغداد أيام هارون الرشيد، وكان جميلا حديث السنّ، وكان لا يشرب الخمر وله شطارة وجَلَد وقوة . وكان يَقْرِض الشعر ، فوَصف من مُردان بغداد خمسين غلاما، وقرض فيهم خمسين قصيدة يذكر هزله فيهم وجدّه فأجاد القول فيهم . وقرئ من شعره على أبى نواس شىء فسأل عنه ، فقالوا : لجمال الكوفى ، فاستظرفه واستحسن معانيه . وكان جمال صاحب جراحات وآفات ولم يستوف العشرين سنة ، فعَظُم فى عين أبى نواس وتمنّى أن يراه . وكان خبره فشا فى الكرخ وعَظُم ذِكره . فبينا أبو نواس فى أصحاب القراطيس، وكان له مجلس ببغداد فى الكرخ فى درب القراطيس ومجلس بعسكر المهدى فى الوراقين، إذ مر به غلام فى قدّ الفتيان فاستحسن قدّه ، واستحلَى وجهه وراعه منظَرُه ، ففطن له أصحاب القراطيس فأخذوا بطرف ردائه وقالوا : أتدرى مَنْ هذا ؟ قال : لا . قالوا : هذا جمال الكوفى . فقال: قاتله الله ! هو والله كما سُمِّى . قالوا : إن له بأسا وجلدا وكرهنا أن يعالجك بالحديد فيأتى على نفسك . فقال : أما من رسول

---

(١) فتلحى : فتلام .
(٢) الجردان : الإحليل. وفى الديوان : أبنائه .
(٣) كان بالكوفة : الخبر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان: ٣٢ باختلاف .

يبلِّغه شِعْرِي؟ فأتوه بغلام . وكتب معه رقعة فيها[1] :

يا واصفَ الخمسين لو تعْدِلُ ... لكان فيهم اسْمُك الأَوَّلُ[2]
وصفت خمسين فميّزتهم ... وأنت أنتَ الظبيةُ المُغْزِلُ[3]
جَمالُ دعهم عنك أو صِفْهُم ... أنتُ وربِّى منهمُ أَجْمَلُ
لن يبرح اللوطيّ ممَّا يرَى ... بحُسْنِ أردافِك أَوْ يُنْزِلُ[4]
يا حُوتَةً تأكل حِيتانَها ... وقد تلاها اللَّحِمُ الأَجْدَلُ[5]
رَكِبتَ والقصة لم تنقَضِي ... أرفُق حَبِيبي أنت مُسْتَعْجِلُ

فأتاه الغلام بالشعر ، فلما قرأه قال : قل له يا دعيّ يا شاربَ الخمر ، والله لأنتزِعَنَّ نفسَك يا ابن الزانية ! فرجع الغلام فأخبره بقوله .

فقال أبو نواس فى ذلك :

قد يَخْضَع الحرُّ للغلام فما ينـ ... ـقص ذاكَ الخضوعُ من شرَفِهْ
فسبَّ ما شئتَ سيِّدى أبداً ... هـذا خُضوعى له على سَرَفِهْ

ثم بعث بالبيتين . فقال للغلام : أترى خنجرى هذا ، وأخرجه من كُمِّه ، أبلغه عنى أنِّى والله قاتله به .

فقال أبو نواس[6] :

---

(١) الأبيات فى الديوان : ٧١٢ .

(٢) رواية البيت فى الديوان :

يا واصف الغلمان فى شعره ... أنت وربى منهم الأول

(٣) المغزل : الظبية لها ولد (غزال) .

(٤) فى الأخبار : لحسن ردف كالنقا ينزل ، وفى الديوان :

لا يبرح المبطىء فى لذة ... من غنج ألحاظك أو ينزل

(٥) اللاحم الأجدل : النسر .

(٦) الديوان : ٣٥٤ .

يا مُوعِدى بالقَتْل قد حالف الـ ... خنجر فى قَتْلى كَفَّيكا[1]
ما خنجر يقتُلُنى سيِّدِى ... أقتل من تَفْتِيرِ عينيْكا
يا من دعا قلبى إلى حبِّه ... فقال : لبَّيكَ وسعدَيْكا
أَعِرْ ولا تَبْخل يا سيِّدى ... سُوَيْعَةً ما بين فَخِذَيْكا

وبعث بها إليه فازداد جمالٌ غيظا وغِلْظَةً ، وتوعَّده فما صنع شيئا . فلم يزل أبو نواس يُدارِيه وينادمه حتى لَطُف موقعه منه وآنس به . ودبّ إليه ليلة وقد سكر وقال[2] :

يَخْتال فى مشْيَتِه ... كالغُصْنِ فى قامَتِه[3]
والوَرْد فى وَجْنَتِه ... والطِّيب فى عُكْنَتِه
والمِسْكُ فى نَكْهَتِه ... والدُّرُّ فى لثغتِه
والفَتْكُ من هِمَّتِه ... والبأسُ فى قَبْضَتِه
نازعتُه مشمولَةً ... كالبَرْقَ فى لَمْعَتِه[4]
فقلتُ خُذْها واسْقِنِى ... والشأنُ فى غفلتِه[5]
سَقْياً لها من دَعْوَةٍ ... قادَت إلى نَيْكَتِه

---

(١) الرواية فى الديوان :

أوعدتنى بالقتل من غير ما ... جرم وقلبى رهن كفيكا

وفى أخبار أبى نواس لأبى هفان :

يا من عدا بالقتل ظلما لقد ... حالفت ذا الخنجر كفيكا

(٢) الفكاهة : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٣) قامته : فى الفكاهة : دقته.

(٤) لمعته : فى الفكاهة : خطفته .

(٥) غفلته : فى ك : فضلته.

كان بالكرخ غلام يقال له حَمْدان الرفاء، وكان جميلا حاذقاً بعمله، وله أب متديّن فكان يأتى فى ابنه كلّ بلاء من الفسّاق . فجعله فى غرفة فوق دكانه ، فكان إذا صعد إلى غرفته شال السلّم ، وتركه يعمل وحده عمله ، فذُكِر فى مجلسٍ قد حضره أبو نواس فحفظ صفة الدكان فقصد قَصْد الغلام وجعل يصرف الحيل فى أمره . فتهيّأ له أن أخذ خلعة من خِلَع محمد بن زُبَيْدة فيها مواضع أرفاء ، فحلَق شاربه، وشمّر ثيابه ، وأظهر سَمْتا ووقارا ، وقصد الشيخ وجلس إليه وحدّثه حتى أنس الشيخ به . ثم عرض عليه الحال وأظهر الخلعة . وقال : أنا رجل شاعر من أهل البصرة متصل بأمير المؤمنين ، وقد وقع فى هذه الخلعة مواضع حَرْق ، وقد احتجت إلى من يرفوها فدُلِلْتُ عليك . فأخذ الخلعة وقلّبها وصاح بابنه فأشرف عليه فقال : خذ هذه الخلعة فارفُ ما فيها وجوِّدها واترك ما فى يديك من العمل وعجِّلها . فأخذها الغلام وقعد أبو نواس. فلما أبطأ فى القعود قال أبو نواس للشيخ : أحتاج أن أصعد إلى هذا الفتى لأقفه على ما يَعمل . فأمره أن يصعد إليه ووثق به، فصعد إلى الغلام فآنسه وحدّثه ومازحه وأخذ يقبّله وينشده، وأراده فمانعه الغلام . فقال أبو نواس لأبيه: عرِّف هذا الفتى أعزّك الله ماجئناك له، وائْذَنْ له فى التعجيل بقضاء حاجتى . فقال : افعل يا بنى. فنال منه مراده ، وقال فيه :

وظَبْيٍ هَمَمْتُ بتَعليقه ... وقد مَرَّ يخطِرُ فى سُوقِهِ
نقىّ الأديمِ بَطارِيقهُ ... وصافى الحرائر فى زِيقِهِ
حَسَدْتُ الخيوطَ وقد بَلَّها ... بعذب المُباحة من رِيقِهِ
أعانَ القميصُ على نيكِهِ ... ونِلْتُ مُناى بتَخْرِيقِهِ

دخل أبو نواس إلى ديوان الخراج فرأى غلاما من الكتّاب فى مجلس سلمة ابن نجاح فضرب به عينيه فجمّشه ، فإذا أمجن غلام وأظرفه ، فأخذ قلمه وكتب إليه: « تحبُّنى كما أحبك »؟ فكتب الغلام : لا. وفطن صاحب المجلس له فزاد الصبى فى كتابته:

إله إلّا هو ، ثم قال للذى نظر إليهما : إنه قال لى : أرنى خطّك . فعجب أبو نواس من فطنته ، وقال :

ومُسْتَمِدّ من الدواة وما يشغَلُه القومُ بالذى فَاهُوا
يكتب لِى لا فإن هم فَطِنوا زاد عليها إلٰه إلّا هُو

قال سليمانُ بن أبى سهل بن نوبخت : بات عنـدى أبو نواس ليلة ، فلما كان فى السحر أيقظنى ثم قال اسمع[1] :

يا سليمان غنِّنى ومن الرّاحِ فاسْقِـنِى
فإذا دارت الزجا جةُ خذها وعاطِـنِى
ماترى الصبحَ قد بَدَا فى إزارٍ مُتَبَّنِ[2]
اسْقِـنِى الخمرَ جَهْرَةً وأَلِطْـنى وأَزْنِـنِى

قال : فدعوت غلاما لى جميـل الصورة فقلت : شأنك به ، ودعوت جارية لى أحسن من الغلام فقلت : عليك بها . وأصبح فأراد أن ينصرف فقال لى : يا سليمان (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيم)[3] قال : وكنت يومئذ من أحسن الناس وجها .

قال أبو هفان[4] : حدثنى عَمِّى[5] قال : كنت أمشى مع أبى نواس فى الميدان ببغداد إذ رأى غلاما حسنا فاستحسنه، ثم قال لى : أما ترى الجنة تَزِفّ فى الأرض! قد كدت والله أُفْرِغ أو أفرغت فى سراويلى . فقلت له : فهل قلت فى ذلك شيئا ؟ قال : نعم وأنشدنى :

---

(١) الأبيات فى الديوان : ٣٣ باختلاف فى الترتيب وزيادة .
(٢) متبن : مصنوع على هيئة التبان ، وهو سروال صغير يستر العورة المغلظة .
(٣) الآية : سورة الصافات : ١٠٧ .
(٤) الخبر والأبيات فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١١٤ .
(٥) هو محمد بن حرب .

إنَّ لى أيراً خبيثا لستُ أَدْرِى ما عِقابُـهْ
كُلَّما أبصَرَ وَجْهاً حَسَناً سالَ لُعابُـهْ

كان لأبى نواس صديق من الـكُتّاب يقال له أيوب بن محمد ، فتعشّق غلاما من الهاشميين فـكان لا يقدر عليه ، فإذا تشوّق إليه خطّ اسمَه فى كفّه ودلك عليه ؛ فقال أبو نواس[1] :

رأيتُ المحبِّين الصحيح هواهمُ إذا ذُكِرَ الشوقاستراحُوا إلى البُـكَا
ولـكنَّ أيُّوباً إذا ما فؤادُه بذِكرِ الَّذى لسنا نُسَمِّى تَحَرَّكا
دعا بدَوَاةٍ عنـــد ذَاكَ مُلاقَةٍ فخَطَّ اسمَه فى كَفِّهِ ثم دَلَّـكا
فلو كان يرضَى العاشقون بمِثْل ما رَضِيتَ به ماحَنَّ صَبٌّ ولا اشْتَـكَى

عاتبَ أبو العتاهية أبا نواس[2] وقال : قد بلغتَ من السنّ والعـلم ما فى دونه يتّعظ اللّبيب ، وينزجر العاقل الأريب ، وأنت تجالس الفتيان وتلعب بالغلمان ، وتصبو صبوة الشبّان ! قال : فأطرق هنيهة ثم رفع رأسه إليه وقال :

أتُرانى يا عَتَــاهِى تارِكاً تلك المَلاهِى
أتُرانى مُفْسِدًا بالنُّـــــسْكِ عندالمُرْدِ[3] جاهِى

فقال له : اذهب ، لا تاب الله عليك .

ولأبى نواس فى غلام سامِرِىّ[4] :

ومن حَيْنِى بُلِيتُ بسامِرِىٍّ يكلِّمنى بمَـهْ وبلا مِساسِ[5]

---

(١) الأبيات فى الديوان : ٥٣٧ ـ مسالك الأبصار : ٩/٢٣٦ .

(٢) غ (بولاق) : ٣/١٧٧ ـ تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٦٩ ـ تاريخ بغداد: ٧/٤٤٦ .

(٣) المرد : فى ابن عساكر : القوم ـ وفى تاريخ بغداد : بين الناس .

(٤) الديوان : ٧٠٦ باختلاف فى الترتيب .

(٥) الرواية فى الديوان :

بليت من الشقاء بساحرى يعاملنى الغداة بلا مساس

وآلَى[١] لا يكلِّمُنى ثلاثا يردِّدُهنّ إلّا وهْوَ ناسِى
فيا من يُبْلِغ النِّسيانَ عَنِّى يقول له فِداكَ أبُو نُواسِ
أَلِمَّ به فأَنْسِينِيه عَلِّى أنالُ وِصالَهُ عند التَّنَاسِى

أراد أبو نواس[٢] أن يكتب ورقة إلى [آل][٣] عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفى ، فحلق رأس غلامه وكتب إليهم فيه بحاجته ، وكتب : إذا قرأتم الكتاب فشقُّوا الرقعة . قال : فضحكوا وصفعوا غلامه وردُّوه بلا جلدة رأس ، فشتمهم فقالوا : ما ذنبنا مولاك أمرنا .

كان أبو نواس يتعشّق أحمد بن أبى صالح ، فكان يلازم دار علىّ بن معاذٍ لموضع أبى صالح . وأحمد بن أبى صالح هذا هو الذى يقول فيه أبو نواس :

يا أَحْمَدَ الْمُرْتَجَى فى كُلِّ نائبَةٍ قُمْ سَيِّدى نَعْصِ جَبَّارَ السَّماواتِ

وهذا البيت من قصيدة أولها[٤] :

ما أستزيد حبيبى فى مُوَاتاتى[٥] وإنْ عَنُفْتُ عليه فى الشِّكاياتِ
هو المُواصِلُ لِى لكنْ يُنغِّصُه[٦] بطول فَتْرة ما بين الزِّياراتِ
قالوا:ظفرتَ بمن تَهْوَى، فقلتُ لهم: الآن أبرحُ[٧] ما كانت صَباباتِى
لا عُذرَ للصبِّ أنْ تهوَى جوارحُه وقد تَطَعَّم فُوه بالمُواتاةِ
وداهرىّ سما فى فرع مكرُمَةٍ من مَعْشَرٍ خُلقوا فى الجود غاياتِ

(١) آلى : أقسم .
(٢) الخبر فى ذيل زهر الآداب : ٢٠٢ .
(٣) زيادة يقتضيها السياق .
(٤) الديوان : ١٧٤ .
(٥) المواتاة : الإقبال على المرء .
(٦) ينغصه : فى الديوان : ينغصنى .
(٧) أبرح : فى الديوان : أكثر .

رَقَت كتابة نَعْلَيه ذُرَى شَرَفٍ   من العُلَا فعَلَا محض الضَّرِيبات[1]
ناديتُه بعـد ما مال النُّجوم وقد   صاح الدَّجاجُ بِبُشْرَى الصبح مَرَّاتِ
فقلتُ واللَّيلُ يجلوه الصَّباح كما   جَلَا التَّبَسُّم عن غُرِّ الثنيَّات
يا أحمـدَ المرتجَى فى كلِّ نائبةٍ   قم سَيِّدى نَعْصِ جَبَّار السماواتِ
وها كَها قهوةً صفراء[2] صافيةً   منسوبةً لقُرَى هِيتٍ[3] وعاناتِ[4]
صدمته[5] بحُمَيَّاها لأبسُطَه   باللِّين طَوْرًا وبالتشديد تاراتِ
حتى تغَنَّى وما تَمَّ الثَّلاثُ له   حُـلْوَ الشمائل محمودَ السجيّاتِ
«يا ليت حَظِّىَ من مالٍ ومن وَلَدِ   أنِّى أجالِسُ لُبْنَى بالعَشِيَّاتِ»

لمّا وقع الُخلْف بين الأمين والمـأمون[6] كان ذو الرياستين يخطب بمساوى الأمين، وقد أعدَّ رجلا يحفظ شعر أبى نواس فيقوم بين يديه فيقول : ومن جلسائه رجل ماجن كافر مستهتر ، متهكّم يقول كذا وكذا وينشد :

* ألا فاسْقِنِى خَمْـراً وقُلْ لِى هى الَخمْر *

وينشد :

يا أَحْمَد المرتَجَى فى كلِّ نائبةٍ   قُمْ سيِّدى نعصِ جَبَّار السماوات[7]

---

(١) ليس فى الديوان .

(٢) صفراء : فى الديوان : صهباء .

(٣) هيت : واد بالعراق كثير الكروم .

(٤) عانات : بين الرقة وهيت من أعمال الجزيرة .

(٥) صدمته : فى الديوان : ألزه .

(٦) ذيل زهر الآداب : ١٣٦ . وروى هذا الخبر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان برواية مخالفة، وأن الفضل هو الذى سعى به عنـد الرشيد . والذى فى الطبرى مختصر يوافق ما هنـا : ٣/٩٦٣ .

(٧) الديوان : ١٧٤ .

وغير ذلك من قبائح شعره ومجونه . ويذكر أهل العراق فيقول : أهل فِسْقٍ وفُجور وخُمور وماخور ، ويلعنهم من يحضر المجلس من أهل خراسان . فكتب بذلك إلى محمد الأمين عيونُه ، فجزع له وأمر بقتل أبى نواس ، فكلَّمه فيه الفضل وغيره فأطلقه .

ولما أحضره للقتل أحضر الفقهاء بعد أن جمعوا له كلّ من يحسُده من الشعراء والفضلاء وغيرهم ، ثم قيل له: ألست القائل:

يا أحمد المرتجَى فى كلّ نائبة قُمْ سيدى نعصِ جَبّار السماوات

قال : بلى يا أمير المؤمنين . قال : كافر . ثم قال للفقهاء : ما تقولون يا معشر الفقهاء والشعراء ، ؟ قالوا : كفر يا أمير المؤمنين . فقال أبو نواس: يا أمير المؤمنين إن كانوا قالوا هذا بعقولهم فما أنقصها ، وإن كانوا قالوه بآرائهم فما أجهلهم . أيكون زنديق مُقِرًّا بأن للسماوات جَبَّارا ؟ قال : لا والله . ولقد صدقت ، قم . فقام وأطلقه .

وقيل : إنه قال له : يا أمير المؤمنين اجمع كلّ زنديق فى الأرض فإن زعموا أن فى السماء إلٰها واحدا فاضرب عنقى ، ولكنى أصحب قوما جُهَّالًا لا يعرفون المزح من الجِدّ ، وأنا الذى أقول :

قد كنتُ خِفْتُكَ ثم آمَنَنِى من أن أخافَك خَوْفُكَ اللهَ

كان أبو نواس يألف آلَ نوبخت ولا يفارقهم . فحدّث بعض أصحابهم قال[1] : كان أبو نواس يألفنى ولا يصبر عنى ، فأخذ بيدى مرة ونحن فى أول يوم من رجب فمضينا إلى قُطْرَبُّل[2] فلم نزل بها ، حتى إذا كان أول يوم من شعبان صرنا إلى

---

(١) الخبر فى بدائع البدائه : ٢/٧٣ ، ويروى على أنه مع أبى نواس وعيسى بن الرشيد .

(٢) قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمر ، وكانت حانة للخمارين .

القُفْص⁽¹⁾ فأقمنا إلى آخر يوم منه، فقال لى : ويلك قد أظلّنا هذا العدو ونحن فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيّام الآخرة ، والناس فى شكٍّ من يومهم هذا . فما ترى ؟ قلت : ويحك إنه لا عوض لنا من يومنا هذا . ثم لقينا جماعة نخبّروا أن الهلال لم يُرَ ، فرجعنا فشربنا ثم أصبحنا ، فقلت : قم بنا فقد أخذنا بأوفر الحظوظ من يومنا الماضى . فقال : اسمَعْ وأطع :

لو شئت لم نَبْرَحْ من القُفْصِ ... نأخُذها صَفراءَ كالُحصِّ

نَسْرِقُ هذا اليومَ من شَهرِنا ... فربَّما يُعْفَى عن اللِّصِّ

قال الحاكى : فقلت قد أُنشِدْتُ هذا الشعرَ لغير أبى نواس ، ولعله كان مما يُضاف إليه . قال الراوى : إن الذى حدثنى بذلك كان أظرف من أن يكذب فى مثل هذا .

حَدَّث بعض آل نوبخت قال : جاء النظّام يوما فسألنا عن منزل أبى نواس ، فقلنا : تلك الغرفة وأومأنا إلى غرفة كان ينزلها ، وله غلام أسود وحمار أسود ، قال : فأتاه فاستأذن عليه ، وقال : أنشدنى قولك⁽²⁾ :

تركتَ منّى قليلاً ... من القليل أقَلَّا

يكاد لا يتجزَّا ... أقلّ فى اللفظ مِنْ «لَا»

فأنشده . فقال له النظّام : أنت أشعر الناس فى هذا المعنى ، والجزء الذى لا يتجزأ منذ دهرنا الأطول نخوض فيه ما خرج لنا فيه من القول ما جمعته أنت فيه فى بيت واحد .

---

(١) القفص: قرية كانت مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد. وكانت من مواطن اللهو ومجالس الفرح ،تنسب إليها الخمور الجيدة .

(٢) البيتان فى البيان والتبيين : ١/ ١٤١ (تحقيق هارون) .

أقبل[1] أبو نواس إلى مجلس عبد الواحد بن زِيادٍ بالبصرة وقد كثُر عليه أصحاب الأحاديث . فقال : ليَسْأَلْ كلُّ رجلٍ عن ثلاثة أحاديث وليَمْضِ . ففعل الناس ذلك حتى انتهى إلى أبي نواس ، فقال : ياغلامُ سَلْ أنت. فقعد بين يديه وقال : هاكَ الحديث . فقال : هات . فأنشده :

ولقد كُنَّا رَوَيْنَا عن سَعِيدٍ عن قَتادَهْ[2]
عن زُرارَهْ إبنِ أَوْفَى أنّ سعدَ بنَ عُبادَهْ[3]
قال مَن ناكَ حبيبا فازَ منــه بالسَّعادَهْ[4]
وإذا ماتَ مُحِبًّا فـله أَجْرُ الشَّهادَهْ
والَّذى يَجْمَعُ إلْفَيْـ نِ على حُسَنِ الإرادهْ
بوقارٍ وسكــونٍ وتأَتٍّ للمُــرَادَهْ
هو فى ذَاكَ حَـكِيمٌ زَعَمَتْ ذاكَ جَرَادَهْ

جَرادةُ التى عناها قوّادة كانت بالبصرة ينتابُها الفسّاق .

نِيَّةُ العَاشِقِ فاعـلَمْ هى خَيْرٌ من عِبادَهْ
إنّما الدُّنيا ثــلاثٌ ليس فيهنّ زِيادَهْ
فحَبِيبٌ ومُحِـبٌّ ثم ثَلِّثْ بالقِيـادَهْ
أَترى ذاكَ صَوابًا نتَّبـع منـه سَدادهْ
قد رَوَى ذاكَ هِشامٌ وَأبانٌ عن جنـادَهْ

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٤ / ٢٦٦ ومابعدها باختصار واختلاف فى الأبيات ـ تاريخ بغداد ٧ / ٤٣٨ .

(٢) عن قتادة فى « ك » : بن قتادة . والتصويب من المرجعين السابقين .

(٣) الرواية فى التهذيب وتاريخ بغداد :

عن سعيــد بن المسيّبْ ثم عن ســعد بن عبــاده

(٤) ليس فى تاريخ بغداد ولا فى تهذيب ابن عساكر .

فقال له عبدالواحد: قُمْ عليك لعنة الله . والله لا أحدِّثك وأنا أعرف وجهك .
فقام أبو نواس وقال : والله لا أتيت مجلسك وأنت تردُّ الصحيح من الأحاديث .

قال ابن عائشة[١] دخلت بغداد أريد السَّماعَ من عبد الله بن المبارك[٢] فلمَّا صرتُ إلى واسط قلت : لو دخلت إلى هذا الشيخ إسْحاق الأزرق[٣] فسلَّمت عليه ، فصرت إليه، فلما رآنى أجهش باكيا. فقلت : ما الذى يبكيك ؟ قال : ألم تر إلى هذا الفاسق ؟ قلت : أى فاسق ؟ قال : الحسن بن هانئ . قلت : مالك وله ؟ قال : كذب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعم أنى حدّثته بحديث عن عبد الله بن مسعود ، ولا والله ما حدّثته به ولا تكلّمتُ به . قلت : وما هو ؟ قال: ياجارية هاتى القرطاس الذى دفعته إليك بالأمس ، فجاءت به فإذا فيه :

يا حَسَنَ[٤] المُقْلَتَيْنِ والجيدِ ... وقاتِلى منه بالمَواعِيدِ
تُوعِدُنى الوعدَ[٥] ثمَّ تُخْلِفُه ... فيا بَلاىَ[٦] من خُلْف مَوْعُودى
حَدَّثنى الأزرقُ المُحدِّث عن ... عَمْرِو بن شمرٍ عن ابنِ مسعُودِ[٧]
لا تُخْلِفُ الوعدَ غير كافرةٍ ... أو كافرٍ فى الجحيم مَصْفُودِ
وحَابِس الدَّوْر بالحديثِ عن ا ... لقَوْمِ وتسويف صاحِب العُودِ

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٣/٢٦٧ـ عقد الجمان : ٣٥٨ .

(٢) عبدالله بن المبارك: أحد الأئمة، حدث عن مشاهير التابعين ولد سنة ١١٨هـ وتوفى سنة ١٨١ (الخلاصة) .

(٣) إسحاق الأزرق : أبو محمد إسحاق بن يوسف بن مرداس المخزومى الأزرق الواسطى أحد الأئمة الأعلام فى الحديث، حدث عنه أحمد بن حنبل توفى سنة ١٩٥هـ (الخلاصة).

(٤) فى تهذيب ابن عساكر : يا ساحر .

(٥) فى تهذيب ابن عساكر : الوصل .

(٦) فى تهذيب ابن عساكر : فياويلاى .

(٧) الرواية فى تهذيب ابن عساكر :

حدثنى الأزرق المحدّث عن ... شمر وعوف عن ابن مسعود

حكى عن خَليفةَ صاحبِ الشرطة قال : لمّا حُبِس أبو نواس كان أكثر مَنْ يزوره فى حبسه المُرد والشُّبّان والخمّارون وأصحابُ الرِّيَب ، فعرفت منهم من لم أكن أعرف ، فجعلت عليهم الضرائب. فلما أطلق فقدت ذلك وتفرّقوا .

قال محمد بن هشام[١] : كُنَّا عند أبى عُبَيْدة فى المسجد الجامع ونحن نتحدّث ومعنا أبو نواس إذ كتب إنسان على دفتره شيئا وقد لحظ الأُسطوانة . فقال له أبو عبيدة: ما هذا الذى تكتب ؟ فنظرنا فإذا بيت قد قاله أبو نواس :

صَلَّى الإلهَ على لُوطٍ وشِيعَتِهِ أَبَا عُبَيْدَةَ قُلْ بِاللهِ آمينَا[٢]

فقال: هذا عمل الخبيث ، يعنى أبا نواس . وكُنَّا أربعة أو خمسة، فقال أبو عبيدة لكيسان : أيّما أحبّ إليك أن تَطُبَّ[٣] لى فأمحوه أو أَطُبَّ لك فتمحوه أنت ؟ قال : طُبَّ أنت لى . فانحنى أبو عبيدة وحمل كيسان على ظهره ، وقال له : حُكّهُ . قال كيسان : فجعلت أَحُكُّه وهو يقول لى : ويحك عَجِّل لا تفتضح عند الناس . ثم قال لى : قد فرغْتَ ؟ قلت: قد بقى لُوطٌ وحده . قال : ويحك وهل نهرب إلّا من لوط ، حكّه . قال : فحككته .

وقيل: إن هذا البيت وُجد فى رُقعة فى مجلس أبى عبيدة وبعده بيت آخر وهو :

فأنت عندى بلا شكٍّ بقيّتهم منذ احتلَمْتَ وقد جاوزت سبعينَا[٤]

---

(١) الخبر فى محاضرات الراغب — وفى غ (بولاق) ١٨/٧٩ ، ٨٠ (ترجمة اليزيدى) ما يقارب هذا الخبر .

(٢) الديوان : ٥٣١ .

(٣) تطب: يريد أن ينحنى له ليعلو فوق ظهره فيتمكن من محو المكتوب . ولعله المراد من جبى تجبية : أى قام قيام الراكع .

(٤) الديوان : ٥٣١ .

فاتّهم بذلك أبا محمد اليزيدي[(١)] وأبا نواس . فاعتذر إليه أبو نواس فقبل عذره . ولم يعتذر اليزيدى فقال أبو عبيدة : والله لانخرت عدىّ الرباب بأنى ذكرتُها أبدا ، فكيف أذكر عبيدها ! وكان اليزيدى مولًى لعدىّ الرباب.

وكان أبو نواس يتعلّم من أبى عبيدة ويصفه ، ويشنأ الأصمعى ويهجوه .

وقيل له : ما تقول فى الأصمعى؟ قال : بلبل فى قفص . قيل : فما تقول فى خَلَفٍ الأحمر ؟ قال : جمع علم الناس وفَهِمَه . قيل : فما تقول فى أبى عبيدة ؟ قال: ذاك أديم طُوِىَ على علم .

جاء أبو نواس فى يومٍ شديد الحرّ بناطف[(٢)] فألقاه على سارية أبى عبيدة . وجاء أبو عبيدة فاتّكأ على قفاه إلى السارية ، فلما انتصف النهار واشتدّ الحرّ ذاب الناطف فسال على وجه أبى عبيدة وعينيه ولحيته وثيابه . فقال : قبح الله الماجن الخبيث أبا نواس فإن هذا من عمله !

جاء أبو نواس يوماً إلى أبى عُبيدة وهو يصف المعادنَ ويقول : معدنُ بنى سُلَيْم ينبت القطعة من الذهب مثل عنق البعير ، ومعدن كذا ينبت كذا ، وجعل يصف المعادن وما تنبت، فأخرج أبو نواس أيره ثم قال : فى أى معدن ينبت هذا يا أبا عبيدة؟ فقال : قم قبحك الله فما نُفْلِت منك على حال . فقال له أبو نواس : يا جِلْف[(٣)] وما عليك لو قلتَ فى حِرِ أمّك ! .

---

(١) اليزيدى : يحيى بن المبارك بن المغيرةالعدوى النحوى اللغوى، أدب أولاد يزيد بن منصور الحميرى فنسب إليه، مات بخراسان سنة ٢٠٢ هـ (بغية الوعاة).

(٢) الناطف : القبيطى، وهو نوع من الحلوى ينتطف أى يقطر قبل خثورته وفساده .

(٣) فى الأصول: ياخلف .

قال الجمّاز: كُنّا فى حَلْقة أبى عبيدة فوجدنا فيها رِقاعاً، فى كل رقعة منها مكتوب :

أَمَر الأميرُ بأَخْذِ أولادِ الزِّنَا فتفرَّقوا لا تؤخَذوا فتُعاقَبُوا

فقال أبو عبيدة : من فعل هذا لعنه الله ؟ فقال أبو نواس : لو علمتُ من فعلَ هذا لأهجونّه. فضحك أبو عبيدة وقال:

* ومحترسٍ من مِثْله وهْوَ حارِسُ *

قال أحمد بن العبّاس بن الحكم[1]: جاءنى أبو نواس فى غَداةِ يومٍ من أيّام الرَّبيع وقد طَشَّت السماء ساعة . فلما دخل علىَّ أنشأ يقول[2] :

ما مِثْلُ هذا اليوم فى طِيبِه عُطِّلَ مِن لَهْوٍ ولا ضُيِّعَا

فما ترَى فيه ؟ وما ذا الذى تُحِبُّ فى ذا اليوم أن تَصْنَعا

هَلْ لك أن تَغْدُو على قهوةٍ تُسْرِع فى المرءِ إذا أسرَعا

ما وَجدَ الناسُ ولا جرَّبُوا لِلْهَمِّ شيئاً مثلَها مدْفَعَا

قال : فقلت له : ما كان يُساعدنى فى هذا اليوم غيرك ، أقِم فهاهنا ما يُصلحك . فأقام يومَه ذلك عندى .

سئل على بن إسحاق بن إسماعيل عن قول أبى نواس :

* دَاوِ يحيي منْ خُمارِه *

مَنْ يَحْيَى هذا ؟ قال : لا أعرفه أنا ، وإنما أنا أروى هذا الشعر:

* دَاوِ يارِى منْ خُمارِه *

ويارى خَمَّار نصرانىٌّ كان فى نهر طابق[3] نازلا ، وكان أبو نواس يغشاه كثيرا ، فجاءه مرّة فوجده مخمورا فقال هذا الشعر ، فقلبه الناس فقالوا يحيي.

---

(١) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٢٠ وسيأتى أن المتحدث هو سليمان بن أبى سهل .

(٢) الأبيات فى الديوان : ٥ .

(٣) محلة ببغداد من الجانب الغربى قرب نهر القلائين شرقا . قال ياقوت: وإنما هو نهر بابك .

قال يَحْيَى الثَّقفِى: قولُ أبى نواس :

* دَاوِ يَحْيَى من خُماره *

فِىَّ قالها .

والقصيدة المذكورة هى[١] :

دَاوِ يَحْيَى مِنْ خُمارِه بابْنَةِ الدّنِّ وقَارِهْ[٢]
مِنْ شراب كِسْرَوِىّ[٣] ما تعنّى باعْتصارِهْ
طَبَخَتْهُ الشمسُ لَمَّا بَخِل العِلجُ بنارِهْ
فأتَى الدّهْرُ عليه غَيْرَ شئٍ فى قرارِهْ
فتجلّت عن شِهابٍ يَتَرامَى بشَرارِهْ
رَكَد الليلُ[٤] عليه فكَفَى ضوء نهارِه
ونَدِيمى كُلُّ خِرْقٍ[٥] زانه عِتْقُ نِجَارِه[٦]
وغَزال تَشْرَهُ النفـ ـسُ إلى حَلِّ إزارِهْ
بَسَطَتْه سَوْرةُ الكأْ[٧] سِ لنا بعْدَ ازوِرَارِهْ[٨]
فأطفنا بنَوَاحِيـ ـهِ ولم نَعْرِضْ لِدَارِه

---

(١) الديوان : ٩٥ .

(٢) القار : الزفت ، ويشير بهذا إلى طلائهم دنان الخمر وكؤوسها بالقار .

(٣) كسروى : فى الديوان : خسروى .

(٤) الليل : فى الديوان : الدهر .

(٥) الخرق : السخى والظريف .

(٦) عتق نجاره : كرم أصله .

(٧) الكأس : فى الديوان : الراح .

(٨) ازوراره : إعراضه .

ولأبى نواس[١] :

أنا امرؤٌ أُبغِضُ النِّعاج وقد يُعْجِبُنى من نتاجها الحَمَلُ
يُعجِبُنى الأمردُ الطَّرِيرُ إذَا أبصرْتُه مُخْطَفاً له كَفَلُ
حَتّى إذا ما رأيتُ لِحْيَتَه فليس بَيْنِى وبينَه عَمَلُ
إلّا سليمان إنّه رجُلٌ يَحِلّ بينى وبينهُ القُبَلُ

ومن عرائس قصائد أبى نواس هذ القصيدة :

قال المازنى: سمعت رجلا يقرأ على أبى عبيدة شعرَ بشار . فمرّت قصيدته الميمية التى أولها :

أبا جَعْفَرٍ ماطُول عَيْشٍ بدائمٍ ولا سَالِمٌ عَمَّا قليل بسالِمِ

فقال له : هاتِها فهى أَوْزَن من ميميّتى[٢] جرير والفرزدق . ولقصيدة[٣] مروان بن أبى حفصة : (طرقتك زائرة فحىّ خيالها) أجود من قصيدة الأعشى : (رحلت سميّة غُدوة أجمالها) . ولقصيدة أبى نواس : (أيها المنتاب عن عُفره) خير من قصيدة امرئ القيس :

رُبّ رامٍ من بنى ثُعَلٍ مُخرِجٌ كفَّيْه من سُترِه

---

(١) الفكاهة .

(٢) ميمية جرير هى التى أولها :

سرت الهموم فَبِتْنَ غير نيام وأخو الهموم يروم كلّ مرام

ميمية الفرزدق هى التى أولها :

عَفَّى المنازل آخر الأيام مطر ومور واختلاف العام

(٣) قصيدة مروان بن أبى حفصة :

طرقتك زائرة فحىّ خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

قال أبو نواس[١] :

أيُّها المُنْتاب[٢] عن عُفُرِه[٣] ... لَسْتَ من ليلي ولا سَمَرِهْ
لا أذُود الطَّيْرَ عن شَجَرٍ ... قد بَلَوْتُ[٤] المُرَّ من ثَمَرِهْ
فامْضِ لا تَمْنُنْ عليَّ يدًا ... مَنُّكَ المعروفَ من كَدَرِهْ
فاتَّصِل إن كنتَ مُتَّصِلًا ... بقُوَى مَنْ أنتَ من وَطَرِهْ
خِفْتَ مأثورَ[٥] الحديث غدًا ... وغَدٌ دانٍ[٦] لمُنتَظِرِهْ
خابَ من أسْرَى إلى مَلِكٍ ... غيرِ معلومٍ مَدَى سَفَرِهْ
وسَّدَتْهُ ثِنْيَ ساعِدِهِ ... سِنَةٌ حلَّت إلى شُفُرِهْ[٧]
رُبَّ فِتيانٍ رَبَأْتُهم[٨] ... مَسْقِط العَيُّوقِ فى سَحَرِهْ
فاتَّقَوْا بى ما يَرِيبُهُم ... إنَّ تَقْوَى الشيء[٩] مِنْ حَذَرِهْ
وابن عمٍّ لا يُكاشِفُنا ... قد لَبِسناه على غَمَرِهْ[١٠]
كَمَنَ الشَّنْآن فيه لَنا ... كَكُمونِ النَّار فى حَجَرِهْ[١١]
ورُضاب بتُّ أرْشُفه ... يَنْقَعُ الظمآنُ من خَصَرِهْ[١٢]

---

(١) الديوان : ٤٢٧ .

(٢) المنتاب : معتاد المجىء .

(٣) عفره : الليلة السابعة والثامنة والتاسعة من ليالى الشهر، وحركت للضرورة.

(٤) فى رواية بهامش الأصل : جنيت .

(٥) مأثور الحديث : ما يروى ويتناقله الناس .

(٦) دان : فى الديوان : أدنى .

(٧) شفره : أجفان عينه .

(٨) ربأتهم : حرستهم — العيوق : نجم فى طرف المجرة .

(٩) الشيء : فى الديوان : الشر .

(١٠) الغمر : الحقد، وحرك الضرورة .

(١١) تدور أقوال فيما يعود عليه ضمير حجره .

(١٢) ينقع : يروى — الخصر : البرودة . والضمير يعود على الرضاب .

عَلَّنِيهِ خُوطُ إسْحِلَةٍ لان مَتْنَاه لمُهْتَصِرِهْ (١)
ذا ومُغْبَرٍّ مَخارِمُه تحسر الأبصارُ عن قُطُرِهْ (٢)
لا ترى عين المُبين به ما خَلَا الآجال من بقرِهْ (٣)
خاضَ فى لُجَّيْهِ ذو جَرَزٍ مُفْعَم الفَضْلَيْن من ضَفَرِهْ (٤)
يكتسى عُثْنونُه زَبَدًا فنصيلاهُ إلى نَحَرِهْ (٥)
ثم يعتَمُّ الحِجاجُ به كاعتمام الفوفِ فى عُشَرِهْ (٦)
ثم تذروه الرياح كما طار قُطْن النَّدْفِ عن وَتَرِهْ
كُلَّ حاجاتى تناوَلَها وهْوَ لم ينقص قُوَى أَشَرِهْ (٧)
ثم أدْنانى إلى مَلِكٍ يأمن الجانى لَدَى حُجَرِهْ
تأخذ الأيدى مظالمَها ثم تَسْتَذْرِى ذُرَى عَصَرِهْ (٨)
كيف لا يُدْنِيك من أَمَلٍ مَنْ رسولُ الله من نَفَرِهْ
فاسْلُ عن نَوْءٍ تؤمِّلُهُ حَسْبُك العبّاس من مَطَرِهْ
مَلِكٌ قلَّ الشَّبِيه لَهُ لم تَقَعْ عينٌ على خَطَرِهْ (٩)
لا تُغَطِّى عنه مَكْرُمَةٌ بِرُبًا وادٍ ولا خَمَرِهْ (١٠)

---

(١) الخوط : الغصن ـ الإسحلة : شجر يستاك به ـ مهتصره : جاذبه .
(٢) المخارم: الطرق الجبلية ـ وقطره : نواحيه.
(٣) المبين : فى الديوان : البصير ـ الآجال : قطعان حمر الوحش .
(٤) لجيه : جانبى الوادى ـ جرز : قوة ـ الضفر : ما يشد به البعير كالحزام .
(٥) النصيل : ما تحت العين إلى الخطم .
(٦) الحجاج : العظم المشرف على غار العين . الفوف : الزهر ـ العشر : شجر .
(٧) أشره : نشاطة .
(٨) تستذرى : تستظل ـ العصر : الملجأ .
(٩) خطره : مثله .
(١٠) الخمر : ما وارى من الشجر .

ذُلِّلَتْ تلك الفِجاج لَهُ فهْوَ مُختارٌ على بَصَرِهْ
سَبَقَ التفريطَ رائدُه فكفاه العَيْنَ[١] من أَثَرِهْ
وإذا مَجَّ القَنَا عَلَقًا[٢] وتراءى الموتُ فى صُوَرِهْ
راحَ فى ثِنْيَيْ مُفاضَتِه أسداً يَدْمَى شَبا ظُفُرِهْ[٣]
تَتَأَيَّا الطَّيْرُ غُدْوَته ثِقَةً بالشِّبْع من جَزَرِهْ[٤]
وترى السادات ماثلَةً[٥] لسَلِيل الشمس من قمَرِهْ
فَهُمُ شَتَّى ظُنونُهم حَذَرَ المَكْنونِ من فِكَرِهْ
وكَريم الخال مِنْ يَمَنٍ[٦] وكَرِيم العَمِّ من مُضَرِهْ
قد لَبِسْتُ الدهر لبسَ فَتًى أَحْكَم الآدابَ عن عِبَرِهْ[٧]
فادَّخِرْ خَيْرًا تُثَابُ به كُلُّ مَذْخُورٍ لمُدَّخِرِهْ[٨]

لما أُنشِدَ أبو عبد الله بن الأعرابى هذه القصيدة قال : أحسن والله! لو تقدَّم هذا الشعر فى صدر الإسلام لكان فى صدر الأمثال السائرة .

قال أبو على الأصفر وكان من رُواة أبى نواس : لما[٩] أنشدنى أبو نواس هذه القصيدة فلما بلغ إلى قوله :

---

(١) العين : حقيقة الشىء .

(٢) العلق : الدم .

(٣) المفاضة : الدرع الواسعة ـ الشبا : الحد .

(٤) تتأيا: تقصد وتتعمد . جزره : المراد قتلاه.

(٥) ماثلة : قائمة .

(٦) كريم الخال من يمن : يعنى أن أمه يمنية.

(٧) عبره : فى الديوان: غيره ، بالمنقوطة والمثناة من تحت .

(٨) ليس فى الديوان .

(٩) الموشح : ٢٧٩ .

وإذا مجَّ القَنا عَلَقَـا   وتراءى الموتُ فى صُوَرِه
راح فى ثِنْيَيْ مفاضـته   أسـداً يدمَى شَباَ ظُفُرُه
تتأيَّا الطـيرُ غُدْوَتـه   ثِقَةً بالشّبْع من جَـزره

قلت له: أحسنت والله وجاوزت الإحسان! هذا والله مالا يُحسنه أحد، ولم يبلغه متقدِّم ولا يلحَقه متأخر.

فلما أنشدنى:

كيف لا يُدْنِيك من أَمَلٍ   مَنْ رسُـولُ الله منْ نَفَره

علمت أنه كلام ردىء موضوع فى غير موضعه، وأنه مما يعاب به، لأن حق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أجدر أن يضاف إليه ولا يضاف هو إلى أحد. فرأى ذلك فى وجهى. فقال لى: ويلك إنما أردت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذى هو منه. كما قال حسّان بن ثابت(١):

وما زال فى الإسلام من آلِ هاشمٍ   دَعائم عِـزٍّ لا تُرام ومَفْخَرُ
بَهالِيل منهم جَعْفَرٌ وابن أمِّه   علىٌّ ومنهم أَحْمَـدُ المتخَيَّرُ

فقال منهم كما قلتُ مِن نفره [أى](٢) من النفر الذين العباس منهم. فما تعيب من هذا؟ قال: فعلمت أنه ضرب من الاحتيال، ولكن قد أحسن المخرج منه.

قال: فقلت له: أرأيت قولك:

كَمَنَ الشنآنُ فيـهِ لَنَا   كـكُمون النّارِ فى حَجَرِهْ

---

(١) ديوان حسان.
(٢) زيادة من الموشح.

قال : رددتُ التذكير إلى النور ، ومثل هذا فى أشعارهم كثير إن فتشته . قال : فعلمت أنه لا يقول شيئا إلا عن علم وحجة بما يقوله .

وقال الكسائى: إنما أراد فى حَجَرِها فغلط .

وقال أبوالعباس : إنما أراد فى حَجَره رده إلى القادح ؛ وجوّدُوا هذا التأويل .

وقال قوم إنما رَدّ الحجر إلى الكمون . وكيف كان فقد أحسن فيه .

ومثل هذا ما أنشده الفرّاء :

لِكُلِّ دهرٍ قد لَبِستُ أَثوُبا　　　من رَيْطة[1] واليُمْنَة المُعَصَّبا

فجعل المعصّبا نعتاً لليُمنة وهى مؤنثة فى اللفظ ، لأن يُمنة ضرب وصنف من الثياب الوَشْى فذهب إليه، ومثل ذلك قراءة يحيي بن وَثّاب ﴿ ذُوالقوَّةِ المَتِينِ ﴾[2] بالكسر صفة للقوة ومعناه الحَبْل .

قال محمد بن شبيب : قلت لأبى نواس ما معنى قولك :

لا أَذُودُ الطَّيْرَ عن شَجَرٍ　　　قد بَلَوْتُ المُرَّ من ثَمَرِه

فقال : كانت لى صديقة من أهل الحرماز[3] وكنت أُحِبّها ، فبلغنى أنها تختلف إلى رجل من أهل البصرة فلم أصدّق ذلك ، فتبعتّها يوماً حتى دخلَتْ منزلَه فرجعت إلى منزلى وأنا مغموم ، فرميتُ بنفسى فجاءت فرمت بنفسها إلى جانبى ، فحوّلت وجهى إلى الحائط وتناومت فنمت . فرأيتُ كأنّ قائلا يقول لى قل :

لا أَذُودُ الطيرَ عن شَجَرٍ　　　قد بَلَوْتُ المُرَّ من ثَمرِه

فقمت فأخرجتُها عنى وأدخلت البيتَ فى قصيدتى .

---

(١) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة .

(٢) الآية : سوره الذاريات /٥٨ .

(٣) الحرماز : حىّ من تميم .

وفى هذه القصيدة :

تَتَأيَّا الطـيرُ غُدْوَتَـه ثِقَةً بالشِّبْعِ من جَزَرِه

أخذ هذا المعنى مُسلم ، فقال(١) :

قد عَوَّدَ الطيرَ عاداتٍ وثِقْن بها فهُنَّ يَتْبَعْنَه فى كُلِّ مرتَحَلِ

وكأنّما أخذه من قول حُمَيد يصف الذئب بأنّه يُقْبِل والطير تتبعه :

إذا ما غـدا يوماً رأيت غَمامَةً من الطير ينظُرْن الّذى هو صانِعُ

وأول من افتض هذا المعنى النابغة ، فقال :

إذا ما غَدا بالجيش حَلَّق فوقَهُم عَصائِبُ طَيْرٍ تهتَدِى بِعصائب

جَوانِحُ قد أيْقَنَّ أنّ قَبِيلَه إذا ما التَقَى الجمعان أوّلُ غالِبِ

وفى قصيدة أبى نواس هذه :

خَاب من أَسرَى إلى مَلِكٍ غيرِ مَعْلومٍ مدى سَفَرِه

يقولُ : خاب من ركب الغرر ولا يعرف مقدار سفره إلى من يقصده . يقول : لست كذلك، لـكنى أقصد من أثق بإحسانه إلىّ ، وأعلم تعجيل أَوْبَتِى بما أُحِبّ منه.

وفى هذه القصيدة :

لا أَذودُ الطيرَ عن شَجَرٍ قد بَلَوْتُ المُرَّ من ثَمَرِه

هذا مثل ، يقول : أنت جافٍ فأنا أتركُك ولا أمنع منك من يريد مواصلتك ، لأنّى قد ذُقت مودّتك وجرّبتها فوجدتك غَدّاراً جافِياً لمن يريد وُدّك .

قال عبّاد بن أسلم(٢) : قلت لأبى نُواس: أىّ شعرك أَشْعَر ؟ قال : إذا أردتُ الجِدّ قلت :

---

(١) البيت من قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد الشيبانى أولها :

أجررت حبل خليع فى الصبا غزل وشمرت همم العـــذال فى العـذل

(٢) ورد هذا الخبر عن أبى حاتم السجستانى، وقد تقدم فى ص ٣٦ .

* أَيُّها المُنتابُ عن عُفرِه *

وإذا أردت الهزل قلت :

طَابَ الهوَى لعميــده لولا اعتراضُ صدُودِه[(١)]

وله فى أحمد بن الحسين :

أقول للدَّهر وقد عَضَّنِى منهُ بأنيـــابٍ وأضراسِ
يا دَهْرُ إنْ أبقَيت لى أحْمَدًا فاذْهَب بمن شئتَ من النَّاسِ
ما النَّاسُ إلَّا أَحْمَدُ وَحْدَه غـــير خُشاراتٍ ونَسناسِ

وله فى امرأة اسمُها دُنْيا[(٢)] :

إن دُنْيَا الَّتى على مُهْجَــةِ النفسِ قَادِرَه[(٣)]
ظَلمُوها نِصْفَ[(٤)] اسمِها هى[(٥)] دُنْيَا وآخِــرَه

قال يوسف بن الدَّاية[(٦)] : كانت الشعراء تجتمع فى كل يوم بباب أسماء بنتِ المهدى. وكان لهم مجلس يجتمع عليهم فيه أهل الأدب . فكان يحضر ذلك المجلس أبو نواس ، فنظر يوما إلى وصيفة قد خرجت من قصر أسماء غلاميّة شاطّة[(٧)] عجزاء مَطْمومة[(٨)]

---

(١) الديوان : ٤٩٧ وهى قصيدة قالها فى مدح موسى بن الفضل الوصيف أخى الحسين الحاجب

(٢) فى العقد الفريد : ٣/٤٢٩ أن الأصمعى دخل على الرشيد وبين يديه جارية فلما عرفه أن اسمها دنيا قال هذين البيتين .

(٣) الرواية :

إن دنيــا هى الــتى تمـــلك القلب قاهــرة

(٤) فى العقد : شطر .

(٥) فى العقد : فهى .

(٦) الخبر والشعر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٢٨ باختلاف .

(٧) شاطة : حسنة القامة معتدلتها .

(٨) مطمومة : معقوصة الشعر

ناهد ، وعليها أقبية ومنطقة وفى رجلها نَعْل ؛ فاشتدّ عجبه بها ومازحها فلم يزل على ذلك دهرا إذا خرجت لحاجة إلى ما يلى باب القصر عبث بها وداعبها ، وأنشدها أشعارا يخبرها فيها بحبّه لها ، ولا ينكر ذلك عليه أحد لما كان معه من العبث بالناس والمجون ، ولأنه لم يكن يعتدّ بالنساء . فقال لى[١] يوما : امض بنا إلى باب أسماء لننظر إلى من يحضر اليوم من الشعراء ونتعرَّف خبرا إن كان حدث . فمضينا . فبينا نحن على باب أسماء إذا الجارية قد خرجت وعليها قباء وشى منسوج بالذهب ، وسراويل وشى أخضر منسوج بالذهب ، وعلى رأسها محبّسة منسوجة بالذهب إبريسمية ، وفى رجلها نعل مغشَّاة بديباج ، وعليها مِنْطقة ذهب مفرقة[٢] على زنّار حرير عريض وقد غابت فى خصرها من انهضامه فما تكاد تبين ، وفى يدها قضيب خَيْزران تعبث به ، فدهشت وكل من حضر إليها وبهتنا إلى براعة جمالها وحلاوتها ، وحسن زيها . فقال لى : مثل هذه يا نخَّاس فاشتر لا مثل رقيقك . فقلت : دعنى فما رأيت مثل هذه قط على كثرة ما يمر على يدى ، وما تصلح هذه إلا للخليفة . فأقبلت تخرج وتغيب وتتهادَى وتتثنَّى فى مشيها حتى وقفت حيالنا ونظرت إليه نظراً دلَّنى على أن فى قلبها منه شيئا ، فأنشأ يقول وهى تسمعه وكان اسمها معشوق[٣] :

لقد صُبِّحَتْ بالخير عينٌ تَصَبَّحَتْ بوَجْهِك يا « معشوقُ » فى كلّ شارقِ

(١) فقال لى : الرواية هنا تشير إلى أن المتحدث معه هو يوسف بن الداية ، وفى أبى هفان أن المتحدث معه هو رجل آخر يقال له الجند يسابورى ولعله كان نخاسا . فى القصة أن أبا نواس خاطبه بقوله : مثل هذه يانخاس فاشتر لا مثل رقيقك .

(٢) مفرقة : هكذا فى النسخ . وفى أبى هفان : معرقة بالذهب ، ولعله يريد أن بها عروقا أى خطوطا من ذهب على هيئة العروق ، ويمكن أن تكون الكلمة مصحفة عن مفوفة أى فيها خطوط على الطول .

(٣) الديوان : ٢٥٨ .

مُقَرْطقــة لم يُخزِهــا سَحْبُ ذيلهــا ولا نازعتها الرِّيحُ فضلَ البنــائِق
تشارك فى الصُّنــع النساء وسلَّمت لهن صنوف الحَـلْى غير المناطِق
ومَطْمَومة لم تَتَّصِل بذُؤابة ولم تَمْتَقِد بالتــاج فوقَ المَفارِق
كأنّ مَخَطّ الصُّدْغ فى حُرِّ وَجْهِهـا بقيَّـــة أنْقاسٍ بإصْبع لائــقٍ[1]
دعتْه[2] بماء المِسْك حتى أجابهــا إلى مستقَرٍّ بين أُذْنٍ وعاتــقِ
غُــلامٌ وإلّا فالغُلام شَبِيهُهـــا ورَيْحان دُنْيــا لَذَّةٌ للمُعانِقِ
فطانَةُ زنديقٍ ولحظة قَيْنَةٍ بغير الذى يخفى ومُنْيَـــة عاشِقِ
لقد كسَبت عينٌ عليك بلِيّة لصاحبها يا فتنة للخَلائِقِ

فلمَّا فرغ من إنشادها ضحكت وولَّت راجمة ، فإذا أحسن الناس قدًّا ومؤخرا وحلاوةً ، فانصرفنا وقد أخذت بمجامع قلبي. فمكثنا أياما فلم أشعر إلا بأبى نواس قد غدا إلىّ فقال : ويلك أتدرى ما كان من حالى ؟ قلت : لا فعرِّفـنى . قال : كنت أمس كسلان فلم أَنشط للشرب ، فبينا أنا قاعد فى وقت صلاة العصر إذ دخلت علىّ وصيفةأسماء بغير إذن، فقالت: تقبل الطُّفَيْلِيّـة ! فوثبت وقبّلت رأسها وعينيها وثدييها ورجليها ، وقلت : يا سيدتى الحمد لله الذى ألان لى قلبك وسخّرك لعبدك ، ومتّعنى بقربك ، فأعلميني كيف تخلّصت ؟ قالت : خرجت لأداء رسالة فكنتَ أهمَّ إلىّ فى نفسي . فوضعنا الشراب وقالت : أبو نواس يكون عنده الأحمر[3] ؟ فقلت : هو مطبوخ صحيح ، وإن يكن فيه إثمٌ فأنا أحمله عنك . فشربنا حتى طابت نفسُها وانبسطت ، وعبثت وكانت بكرا فجزعت وقالت : والله ما مسّنى بشر ، وإنما خَلَبْتنى

(١) أنقاس : جمع نقس وهو المداد يكتب به ــ اللائق : مصلح مداد الدواة .
(٢) دعته : فى الديوان : ندته . وفى أبى هفان : غذته .
(٣) الخمر .

بظَرْفك وحلاوتك وشِعْرك ، وما فكرت فى رجل . فلم أزل أداريها وأحمل عليها فى الشراب حتى أمكنتنى ،فمن إدمانى فى العمل طول الليل صيَّرتُها غلاما ، فلما أصبحت غدوت وجئتك . قلت : فصف هذا الآن فى شعرك . قال : قد فعلت فى طريقى إليك وأنشد :

وناهدةِ الثَّدْيَيْن من خَدَمِ القَصْر
سبَتْنِى بحُسْنِ الجيدِ والوَجْهِ والنَّحْرِ [١]

ومضينا غير مرة فى طلبها فما رأينا لها أثرا ولا سمعنا لها خبرا

صار أبو نواس فى حداثته إلى مجلس الهَيْثم بن عَدِىّ [٢] فجلس والهيثم لا يعرفه ، فلم يستَدْنِه ولم يقرِّبْ مجلسه ، فقام مُغْضَباً وتبيّن الهيثم فى وَثْبَتِه الغضب ، فسأل عنه فخُبِّر باسمه . فقال : إنَّا لله ! هذه والله بلية لم أجنها على نفسى ، قوموا إليه لنعتذر . فصار إليه فدقّ الباب عليه وتسمّى له فقال: ادخل. فدخل وإذا هو قاعد يصفِّى نبيذا له وقد أصلح بَيْتَه بما يصلح به مثله . فقال: المعذرة إلى الله ثم إليك ، لا والله ماعرفتك، وما الذنب إلا لك حين لم تعرِّفنا نفسك ، فنقضى حقك ، ونبلغ الواجب من برّك . فأظهر له قبول العذر . فقال له الهيثم : ما أستعهدك من قول يسبق منك فىّ . فقال : ما قد مضى فلا حيلة فيه ، ولكن لك الأمان فيما يستأنف . قال : وما الذى مضى جُعِلتُ فداك ؟ قال : بيت مَرَّ وأنا فيما ترى . قال : فتنشدنيه ، فدافعه ، وألحّ عليه فأنشده :

إذا نَسَبْتَ عَدِيًّا فى بَنِى ثُعَلٍ ... فقَدِّم الدال قَبْلَ العينِ فى النَّسَب

---

(١) الديوان : ٢٦٤ .

(٢) هو الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن الثعلى الطائى الكوفى ، مؤرخ عالم بالأدب والنسب . توفى سنة ٢٠٧ هـ (الوفيات: ٢/٢٠٣) .

وأنشد أبو شبل لأبي نواس في الهَيْثم تمام هذه الأبيات(١) :

الهَيْثَمُ بن عَدِيّ في تَلَوُّنه ... في كلِّ يومٍ له رَحْلٌ على خَشَبِ(٢)

فما يَزال أَخَا رَحْلٍ ومرتحلا(٣) ... إلَى الموالى وأحيانا إلى العَرَبِ

له لسانٌ يُزَجِّيــهِ بجَهْوَرِه ... كأنَّه لم يَزَلْ يعدى على قَتَبِ(٤)

لِلّهِ أنت فما قُرْبَى تَهُمُّ بها ... إلَّا اجتلبت لها الأَنسابَ من كَثَبِ

إذَا نَسَبْتَ عَدِيًّا في بني ثُعَلٍ(٥) ... فقدِّم الدالَ قبل العَيْنِ في النَّسَبِ

فعاد إليه الهيثم حين بلغته الأبيات فقال : يا سبحان الله أليس قد لقيتني وجعلت لي عهدا ألَّا تهجوني ؟ فقال : (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)(٦) .

قال يوسف بن الداية(٧) : كنت عند أبي نواس نتحدّث إذ جاءه فتى قد التحَى ، فلما طلع من الباب قال لي : يا يوسف قم فاقعد على الباب ساعة حتى أفرغ من أمر هذا . فقلت : ويلك بهذه اللحية ! قال : نعم يا فضولي . فخرجت فدرت دورة ثم رجعت . فقال : تدري مَنْ هذا ؟ قلت : لا والله ، غير أني أرى صاحب لحية تامة. فقال : هذا غلام كنت أُحِبُّه ، وكان مني ، فلما الْتَحَى صار في السرَّاجين ، فربما رآني في الأحايين فآخذه على طيبه الأَوّل . وقد كاد أن يمتنع الساعة ولكن كانت الغلبة لي . ثم قام فاغتسل ورجع إلى موضعه وأنشأ يقول :

---

(١) الديوان : ٥٢٤ باختلاف في الرواية واختلاف في الترتيب .

(٢) ليس في الديوان .

(٣) رواية الديوان: فلا يزال أخا حل ومرتحل .

(٤) ليس في الديوان .

(٥) ثعل : قبيلة من طيء .

(٦) الآية : الشعراء : ٢٢٦ .

(٧) وردت هذه القصة والشعر في أخبار أبي نواس لأبي هفان : ٤٨ بنقص بيتين، وورد الشعر في الفكاهة ص : ٤٣ بتمامه .

رأى بخدّيه نابتاً زَغَباً ... فضَنَّ عنّى هُناك بالقُبَلِ
وقال : قد صرتُ يا فتًى رجلًا ... وذا قبيحٌ أراه بالرَّجُلِ
قد كان ما كان فى صِباىَ فلا ... تعرِضْ لوصلى ولَجَّ فى عَذلى
فقلتُ : يا من زَهَا بلِحْيَتِه ... الآن واللهِ طبتَ للعَمَلِ
ذَا زَعْفرانٌ والمسك تُرْبَتُه ... يَنْبُتُ من تحت صِدْغك الرَّجِلِ
تُراكَ لو قد خَضَبْتَ من كِبَرٍ ... وسِحْرُ عينَيْكَ فيك لم يَحُلِ
صَبَرْتُ عن عضّ وجْنَتَيْك وعَنْ ... مَصّ رُضابٍ بفيكَ كالعَسَلِ !
هَيْهاتَ هَيْهاتَ فانثَنى حَصِراً(١) ... يَقْرَعُ أسنانه من الخجَلِ
فقمت أسعَى إليه مبتَدِراً ... والقلبُ من سُخطه على وَجَلِ
حتى اعتنقنا على الفراش وقَدْ ... غِيضَ مُهْرِى الجَمُوحُ فى الكَفَلِ

وقال فى هذا المعنى(٢) :

قال الوُشاة : بدَت فى الخدّ لحيته(٣) ... فقلتُ : لا تُكثِروا ما ذاك عائِبُهُ
الحُسْنُ منه على ما كُنْتُ أعهدُه ... والشَّعْرُ حِرْزٌ له ممَّن يُطالِبُهُ
أبْهَى وأكثر(٤) ما كانت محاسِنُه ... إذْ سال عارِضُه واخْضَرَّ شارِبُهُ
وصار من كان يَلْحَى(٥) فى محبَّتِه(٦) ... إن سِيل عَنّى وعَنْهُ قال(٧) صاحِبُه

---

(١) حصرا : مغلوبا على أمره .
(٢) الديوان : ٣٤٦ .
(٣) فى ت : بدا فى الخد عارضه .
(٤) أكثر : فى ت : أكرم .
(٥) يلحى : يلوم .
(٦) فى الديوان : مودته .
(٧) قال : فى ك : قيل ، والتصويب من الديوان .

روى جماعة أن أبا نواس غرِيَ[١] بغُلام من ثقيف . وقد كان الغلام قد نَسُك ، فكان لا يَدْخُل المسجدَ إلّا للقرآن أو للفرائض ولا يتشاغل بغيرهما مخافة أن يحتال عليه أبو نواس . فما زال يحتال عليه حتى قاعَدَ أهلَ النحو ، ثم مال به إلى أهل العروض، فمازال ينقله من عِلْم إلى علم حتى أقعده فى حَلْقة الشعراء . وكان لهم بالبصرة موضعان : موضع بالمِرْبَد وموضع بالمسجد . ثم قال له يوما : يا سيدى أىّ ذنب لك فتتوب منه ، ومن أى شىء تنسّكك ؟ أنت تنسّك الناس ! أيرَى الله عزّ وجل حُسْنَ وجهك وهو يسىء إليك أو يسىء إلى أحد بك ! فلما صار طوعَه لعب به وأنشأ يقول[٢] :

إذا ما وَطِئَ الأَمْرَ ... دُ للعِلْم حَصَا المَسْجِدْ
فقد حلّ لنا عَقْداً ... من التِّكَّة واستَفْسَدْ[٣]
فإنْ كان عَرُوضِيًّا ... فقولوا : سَجَد الهُدْهُدْ
وإنْ أعْجَبَه النَحْوُ ... فهاذَاكَ لَهُ أَجْوَدْ
وإن مال إلى الفِقْهِ ... فَلَلْفِقْهُ لَه أَفْسَدْ
وإن كان كَلامِياًّ ... فحَرِّك طَرف المِقْوَدْ
وَميِّله إلى الجَبْرِ[٤] ... ففيه قُرْبُ ما يَبْعُدْ
وخُذْه كيف ما شئت اقْـ ... تِضَاباً[٥] أو على مَوْعِدْ
وقُلْ هذا قَضاءُ اللَّـ ... ـهِ هَلْ يُدْفَعُ أو يُجْحَدْ

---

(١) غرى بالشىء : أولع به من حيث لا يحمله عليه حامل .
(٢) الديوان : ٢٩٥ .
(٣) فى الديوان : تستعقد .
(٤) الجبر : فى الديوان : الجد . ورواية الجبر ألصق بعلم الكلام .
(٥) اقتضابا : مغالبة واقتدارا ، من اقتضب الدابة : ركبها قبل أن تراض .

فيـــا من وَطِئَ المَسْجِـ ـــد مِنْ ذى بَهْجَةٍ أَغْيَدْ(١)
أَنَا قِسْتُ على نَفْسِـ ـى فى ذَا الأَمْرِ لا أُجْحَدْ(٢)

ولأبى نواس يهجو الرّقاشىّ(٣) :

قُلْ للرّقاشِىِّ إذا جِئْتَهُ لو مُتَّ يا أحمقُ لَمْ أَهْجُكا
دونَك عِرْضِى فاستَبِحْ شَتْمَهُ(٤) لا تدنَسُ الأعراضُ مِنْ شِعْرِكا
واللهِ لو كنتُ جَرِيراً لَمَا كنتُ بأَهْجَى لك من وَجْهِكا(٥)

كان أبو نواس جالسا عند عطّار وامرأة تشترى منه عطرا فقرقر بطنُها قرقرة شديدةً بقوة ، فأراد أبو نواس أن يتَنادر عليها فقال لهـا : يا ست أَتبيعِينى هذا الزاغب ؟ فقالت له : أما البيع فلا ، ولـكن إذا أَفرخ أَطعمناكَ من فراخِه .

وكان أبو نُواسٍ يعشق جنان(٦) جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى المحدّث الذى كان ابن مناذر يصحب ابنه عبد المجيد .

وكانت(٧) جنان حُلوة جميلة المنظر بديعة الُحسن أديبة عاقلة ظريفة تعرِفُ الأخبار وتَرْوِى الأشعار . وكانت مقدودة حَسَنة القَوام ، ويقال: إن أبانواس لم يَصْدُق فى حبّ امرأةٍ غيرها .

وكان أوّل كَلَفه بها أنها مرّت وهو جالس فى المِرْبد مع فِتيان من أهلها

---

(١) أغيد : ناعم لين .
(٢) ليس فى الديوان .
(٣) الديوان : ٥٢٦ .
(٤) فاستبح شتمه: فى الديوان : فاهجه راشدا .
(٥) وجهكا : فى الديوان : أصلـكا .
(٦) غ بيروت : ٢٠ /٣ ـ ٤ .
(٧) غ (بيروت) : ٢٠/٤ .

يتنزّهون وينشدهم ، فأبرزت عن وجهٍ بارعِ الجمال ، فجعل ينظر إليها . فقال له أصحابه : خرجت من حَدّك الذى كنت تنتسب إليه ، يعنى من حبّ الغِلمان إلى حب النسوان . فأنشأ يقول(١) :

إنّى صرفتُ(٢) الهوَى إلى قمرٍ — لم تبتذله(٣) العيونُ بالنظرِ
إذا تأمّلته تعاظمك الإ — قرارُ فى أنّه من البَشرِ
ثُمَّ يعود الإنكارُ معرفةً — منك إذا قِسْتَه إلى الصُّوَرِ
مُباحةٌ ساحةُ القُلوب لهُ — يَأْخُذ منها أطايبَ الثَّمَرِ

وشغف بها حُبًّا وهام بها وقال فيها أشعاراً كثيرة ، وشكا وَجْدَه بحبّها وهو لا يعرفها . وسأل عنها فلم يقع على خبرٍ منها بعد اليوم الذى رآها فيه . فقال :

كما لا ينقضى الأَرَبُ — كذا لا يفتُر الطَّلَبُ(٤)

وتناقَل أهلُ البصرة شكايتَه من حبّها وشِعْرَه فيها ، وأكثروا ذكره فى كلّ محفل وجمع .

وكانت جنان تحبّ النساء وتميل إليهن ، فذكرته امرأة لها وأنشدتها بعضَ شعره . فقالت جنان: قد والله رأيته بالمِرْبَد يُنشد ؛ وما زال يُتبِعُنى نظرَه إلى أن غبت عنه . فتواعدن أن يخرجن ويعبثن به ويمازِحْنه . فخرجن يوما وأبو نواس على غفلة من ذلك حتى وافَيْنَه . فلما رآها كاد عقلُه يذهب وتحيَّر ، وأقبل وأدبر ، فدنت منهن واحدة إليه فقالت : يا فتى ، أنت أبو نواس ؟ فقال :

---

(١) الديوان : ٢٤٠ .
(٢) صرفت الهوى : حولته .
(٣) لم تبتذله : فى الديوان: لايتحدى .
(٤) البيت أول قصيدة فى الديوان : ٢٤٥ وبعده :

خلت من حاجتى الدنيا — فليس لوصلها سبب

أنا المُعَنَّى بِمَنْ لَا ترثى لطول شِكاتى

فقالت له : بالله أنت عاشق . قال : أى والله . قالت : لمن ؟ قال : لمن لا يعلم ما بى ولا أعلم من هو !

قالت : فاجعلنى رسولا إليه فلعلّ الله أن يمنّ علىّ وعليك . قال : هى والله التى معك ، وأَوْمَأَ إلى جنان . فانصرفت عنه إلى جنان وهى تضحك ، فأعلمتها ما دار بينها وبينه . فأنكرت ذلك عليها ، وقالت : مثل هذا الكاب تُطْمِعينه فِىَّ ! وانصرفت ، واتَّبَعَها حتى عرف منزلها ومولاها ، وسأل عن اسمها فأخبروه فانصرف، وقال :

* تراءَتْ لنا كالبَدْرِ وَسْط الكَواكِب *

ثم لم يزل يشبّب باسمها ويُظهره حتى عُرِف بها واشتهر . وأرسل إليها فانتهرَتْ رسولَه وشتمته . وقال فيها أشعارا .

قال أبو نواس : ثم سمعت بعد ذلك أنها للثقفيِّين فعاشرتهم ونادمتهم حتى اشتهرت بها ، ثم راسلتها فجعلت تشتمنى وتشتم رسلى دهرا .

فمّما قال فى سبّها له [(١)] :

أتانى عَنْكِ سَبُّكِ لى فسُبِّى أليس جَرَى بِفيكِ اسْمِى فَحَسْبِى
وقُولى ما بَدَالَكِ أن تَقُولى فما ذَا كله إلَّا لِحُبِّى
قُصاراكِ الرجوع إلى وِصالِى فما تَهْوَيْنَ [(٢)] مِن تَعْذِيب قَلْبِى
تشاهدت [(٣)] الظُّنُون عليكِ عِنْدِى وعِلْمُ الغيب فيها عند ربى

(١) الديوان : ٢٤١ .
(٢) تهوين : الديوان : ترجين .
(٣) تشاهدت : فى الديوان : تشابهت .

قال أبو نواس: ثم واصلتني بعد ذلك بحين . وخرجت إلى بغداد وفى نفسى بقايا ما فارقتنى ولا تفارقنى إلّا مع خروج روحى .

قال : وأرسلتُ إليها رسولًا مرة فقالت لها: واضَياعاه ! لم يبقَ لى غير أن أُحِبَّ هذا الكلب ! قال : فجاءتنى رسولى متغيّرة فأبلغتنى ما قالت . فقلت :

كَسَر الُحبُّ نشاطِي ولقد كُنْتُ نَشِيطا[1]

قال أبو نواس: شكتنى جنان يوما إلى مولاها فشتمَنى ، ثم نَدِم على شَتْمى ، فشكانى إلى بعض إخوانى وخاف أن أهجوَه فذكر لى ذلك فقلت[2] :

مَنْ سَبَّنِي منْ ثَقِيفٍ فإنَّنِي لَنْ[3] أَسُبَّهْ

فكان ذلك مما عطفها ورقّق قلبها ، وكان أول الأسباب إلى وصلها .

ولمّا بلغه سبُّها له قال للرسول حين أخبره بسبّها له أبياتاً منها[4] :

ما غَضَبِي[5] من شَتْمِ أحْبابِي أعْظَمُ من شَتْمِهِمُ ما بِي

ومما بلغه عنها أن جنانا قالت : فعل الله بالمخنّث الكاذب فى حُبّه ، فقال[6] :

جنان تَسُبُّنى ذُكِرَتْ بخَيْرٍ وتزعُم أنَّنِي مَذِقٌ خَنِيثٌ[7]
وأنّ مودّتى كَذِبٌ ومَيْنٌ وأنِّ لِلّذِى أهوَى بَثُوثُ
وما صدَقَتْ[8] ولا رَدّ عليها ولكنَّ المَلُول هو النَّكُوثُ

(١) البيت من كلمة فى الديوان : ٣٢٧ .

(٢) البيت فى الديوان : ٢٤٠ .

(٣) لن : فى ك : لا. والتصويب من الديوان لأن القافية مفتوحة.

(٤) الديوان : ٢٧٩ .

(٥) غضبي : فى النسخ : عصمتى . والتصويب من الديوان .

(٦) الديوان (آصاف) ٣٦٩ .

(٧) مذق خنيث : فى الديوان: رجل خبيث .

(٨) وما صدقت : فى الديوان : وليس كذا .

وَلِي قلبٌ ينازِعُنى إليها وشَوْقٌ بين أضلاعِى حَثِيثُ
رأتْ كَلَفِى بها ودَوام عَهْدِى فملّتْنى كذا كان الحديثُ[١]

وكان أبو نواس يحب أيضا جارية لجعفر بن سليمان اسمها حُسْن ، وحُرِمَ صُحبتها كما حُرم صحبة جنان وعنان ، وكأنه لم يكن مجدودا منهن كما كان من الغلمان .

قيل لأبى نواس : إن[٢] جنانا قد عَزمت على الحج فكان هذا سبب حجه، وقال: أما والله ما يفوتنى الحج والمسير معها عامى هذا ، إن أقامت على عزيمتها. فظُنَّ مازحا ، فسبقها إلى الخروج بعد أن علم أن جنانا خارجة ، وما كان ينوى الحج ولا أحدث عزمه إلا خروجها .

وقال وقد عاد من حجه[٣] :

أَلَمْ تَرَ أنَّنِى أفنيتُ عُمْرِى بمَطْلَبِها ومطلبُها عَسِيرُ
فلما لم أجِدْ سَبباً إليْهَا يقرِّبُنِى وأعيتْنى الأُمورُ
حجَجْتُ وقلت قدحَجَّتْ جِنانٌ فيَجْمَعُنى وإيّاها المَسِيرُ

حدَّث من شاهد أبا نواس لمّا[٤] حج مع جِنان وقد أَحْرَم ، فلما جَنَّه الليل جعل يُلَبِّى بشعر ، ويَحْدُو ويُطرِّب فى صوته حتى فُتِنَ به كل من سمعه وهو يقول[٥] :

(١) ليس فى الديوان .
(٢) غ (بيروت) : ٢٠/٤ .
(٣) الديوان (آصاف) : ٣٧٧ ـ غ (بيروت) : ٢٠/٤
(٤) غ (بولاق) ١٩/٣ ـ غ (بيروت) : ٢٠/٥
(٥) الديوان : ٦٢٣ باختلاف فى الترتيب ، وكذلك فى غ (بيروت) : ٢٠/٥ .
وفى أخبار أبى العتاهية أنه اجتمع مسلم بن الوليد فى بعض المجالس فجرى بينهما كلام فقال له مسلم : والله لو كنت أرضى مثل قولك:

الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك

لبيك إن الملك لك

لقلت فى اليوم عشرة آلاف بيت . غ (بيروت) : ٢٩/٤ ـ مختار الأغانى : ٣٠/١ .

إلـهنا ما أعدلك … مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك … لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك … ما خاب عبد سألك
أنت له حيث سلك … لولاك يا رب هلك
لبيك إن الحمد لك … والملك لا شريك لك
والليل لما أن حلك … والسابحات فى الفلك
على مجارى المنسلك … كل نبى وملك
وكل من أهل لك … سبح أو لبى فلك
يا مخطئاً ما أغفلك … عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك … لبيك إن الحمد لك
والعز لا شريك لك … والحمد والنعمة لك

وفى جنان يقول أبو نواس (١) :

جفن عينى قد كاد يسـ … ـقط من طول ما اختلج
وفؤادى من حر حبـ … ـك والهجر قد نضج (٢)
خبرينى فدتك نفـ … ـسى وأهلى متى الفرج
كان ميعادنا خرو … ج زياد وقد خرج
أنت من قتل عائذ … بك فى أضيق الحرج (٣)

(١) الديوان : ٢٣٠ ـ غ (بيروت) : ٢٠/٥ ـ غ (بولاق) : ١٧/١٢ .
(٢) الرواية فى غ (بيروت) ١٨/١١٠ ترجمة ابن مناذر :

وفؤادى من حر حبـ … ـبك قد كاد أو نضج

(٣) العائذ : المستجير ـ الحرج : الإثم .

زياد هذا الذى أشار إليه هو زياد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى[١] ، وكان يتعشّق امرأة أبيه بانةَ بنت أبى العاص . وولدت من عبد الوهاب أبا العاص وزيادا وعثمان وعبد المجيد صاحب ابن مناذِر الذى رثاه ابن مناذر بقوله[٢] :

إنّ عبد المجيد يَوْمَ تَوَلَّى ... هَدَّ رُكْناما كانَ بالمَهْدُودِ

شهدت جِنان[٣] عُرْساً فى جوار أبى نواس فانصرفت منه وهو جالس، فلما رآها امتُقِعَ لونه وقال :

شَهِدَتْ جَلْوَةَ العَرُوس جِنانٌ ... فاستمالَتْ بحُسْنِهـا النظَّارَهْ

حَسِبوها العَرُوسَ حِينَ رأَوها ... فإليها دون العروس الإشارَهْ

قال أهل العروس حين رأَوهـا ... ما دهانا بهـا سِوَى عمّارهْ

عمّارة: مولاة جنان وهى زوجة عبد الرحمن الثقفى. فلما قال[٤] ذلك قالت له جنان: كأنك كنت معنا . هكذا كانت والله الصفة .

وكان[٥] أبو نواس على حُبِّه لها وصدقه فيها دون من كان يشبّب به من النساء لم تكن تحبُّه، فمّا عاتبها به حتى استمالها بصحّة حبّه لها ، فصارت تحبّه بعد نبوِّها عنه ، قوله[٦] :

جِنانُ إن جُدْتِ يا مُناىَ بما ... آمُلُ لم تقطُرِ السماءُ دَمَا

وإن تَمادَىْ ولا تمادَيْتِ فى ... مَنْعِك أُصْبِح فى قفرةٍ[٧] رِمَمَا

---

(١) غ (بيروت) : ١٨/١١٠ .
(٢) غ (بيروت) : ١٨/١١٢ (ترجمة ابن مناذر) .
(٣) غ (بيروت) ٢٠/٦ .
(٤) فلما قال : ليس فى غ .
(٥) غ (بيروت) : ٢٠/٧ .
(٦) الديوان : ٢٣٣ .
(٧) فى قفرة : فى الديوان بقفرة .

عَلِقتُ مَنْ لَو أَتَى على أَنْفُسِ الـ ... ماضين والغابِرِين ما نَدِمَا
لو نظرتْ عينُه إلى حَجَرٍ ... ولَّدَ فيــه فُتورُها سَقَمَا

قال الجَمَّاز[١] : كنت جالسا عند أبي نواس إذ مرت بنا امرأة ممّن تُداخِل الثقفيين ، فسألها عن جِنان وألحف فى المسألة واستقصَى ، فأخبرته خبرها ، وقالت : قد سمعتُها تقول لصاحبةٍ لها من غير أن تعلم أنّى أسمع : وَيْحَكِ قد آذانِى هذا الفتى وأبرَمَنى وضيَّق علىّ الطرق بحدّة نظره وتهتّكه ، ومن كثرة فعله لذلك قد لَهِج قلبى بذِكْره والفكرة[٢] فيه حتى رَحِمْتُه . ثم التفتت فرأتنى فأمسكت عن الكلام . فسُرَّ أبو نواس بذلك .

ولمّا قامت المرأة أنشأ يقول[٣] :

ياذا الذى عن جِنانٍ ظَلَّ يُخبرنِى ... بالله قُلْ وأَعِدْ يا طيِّب الخَبَرِ
قال اشتكتْكَ وقالت ماابتُليتُ به ... أراه من حيث ما أقبلتُ فى أَثَرِى
ويُعمِل الطَّرْف نحوى إنْ مررْتُ به ... حتّى يُخجِّلنى مِنْ حِدَّةِ النظَرِ
وإن وَقفت له كيما يُكلِّمنى ... فى المَوْضِع الخِلْو لم يَنْطِقْ من الحَصَرِ
مازال يَفْعَل بى هـذا ويُدْمِنُه ... حتّى لقد صار من هَمِّى ومن وَطَرِى

انصرف[٤] محمد بن حفص بن عمر التَّيْمى وهو أبو ابن عائشة ، وكان يتولَّى القضاء ، فانصرف من المسجد فرأى فيما بين دار أبان ودار حمران بالبَصْرَة فتًى لَبقا

---

(١) غ (بيروت) : ٢٠/٧ و ٨ .
(٢) الفكرة فيه حتى رحمته : فى غ : الفكر فيه من كثرة فعله لذلك .
(٣) الديوان : ٢٤٨ .
(٤) غ (بيروت) : ٢٠/٨ — تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٦٤ .

دَمِثاً حسن الثياب وعلى رأسه قَلَنْسُوة مُضَرَّبَة[١] واقفاً مع امرأة يكلّمها . قال : فدنوتُ منه وقلت له : يا هذا إن كانت هذه المرأة منك بسبب لقد عرَّضتها للتُّهمة ووقفتها موقف سوء ، وإن كانت غريبة منك فحقيق عليك اتِّقاء الله وألّا ترضى لغيرِكَ إلّا بما رضيته لنفسك . فالتفت إليَّ وقال لى : القولُ ما قلتَ ، وأنا قابل نصيحتك وغير عائد إن شاء الله تعالى . فولَّيت وأنا مفكِّر فى أمره فلا أدرى أَستحسِنُ سرعةَ جوابِه أم حسن مراجعته إياى بقلّة الخلاف ، أم ظرف لسانه ؟! فدخلت المسجد الجامع وجلست ساعة ، فلم أشعر إلّا برقعة قد رفعها إلىَّ غلام . وإذا فيها : يقول لك أبو نواس[٢] :

إنَّ التِى أَبْصَرْتَهَا سَحَراً[٣] تكلِّمُنِى رَسُولُ
لَيْستْ هى القَصْدَ الَّذى يُومَى إليه ولا السَّبِيلُ
أَدَّتْ إلىَّ رسالَةً كادت لها نَفْسِى تَسِيلُ
مِنْ ساحِرِ العينَيْن يَجْـذِبُ خَصْرَه رِدْفٌ ثَقِيلُ[٤]
متقلِّدٌ[٥] قوسَ الصِّبَا يَرْمِى وليس لَهُ رَسِيلُ[٦]
فلو أنَّ أُذْنَكَ بَيْنَنا حَتَّى تَسَمَّعَ ما نقُولُ

---

(١) مضربة : ذات طاقين بينهما قطن .
(٢) الديوان : ٢٧٠ .
(٩) سحرا : فى غ : بكرا .
(٤) فى تهذيب ابن عساكر :

من فاتن العينين يُتـ عب خصره ردف ثقيل

(٥) متقلد : فى ابن عساكر : متنكب .
(٦) الرسيل : المرافق فى النضال .

لرأيتَ ما استقبحْتَه من أمرِنا وهو الجميلُ[١]
وعلمتَ أنّىَ فى نعيـ ـمٍ لا يحُولُ ولا يزُولُ[٢]

فلما أثبتُّه معرفةً خفتُ لسانَه وكان شرّيرا ، فكتبت إليه : « عزيزٌ علىَّ ما نالك من غَرْب لسانى وبادرة لائمتى ، وأنت أحدُ إخوانى فاعذر فإنّ ذاك منّى على غير معرفة ولا اعتماد ، ولست تسمع منّى بعدها شيئا إن شاء الله تعالى » .

كان أبو أُمَيَّة[٣] زوجاً لعمارة مولاة جِنان ، وكانت له ضيعة بحَكَمان يقدَمُها هو وابنُ عمّه وأخوه أبو عثمان . فغابت بحَكَمان ، وأرادت مولاتها أن تغيّبها عنه لينساها ، وظنت أنّ ذكرَه لها عبث منه ، فكان يقصِدُ الجبلَ بالبصرة فيسأل كل من أقبل من تلك الناحية ، إلى أن جاء يوما فرأى بعض من يعرف.

فقال أبو نواس[٤] :

أسألُ القادمَيْن من حَكَمانِ[٥] كيف خلّفتُمَا أَبَا عُثْمانِ
وأبا مَيَّـة المهذَّب والمأ مول والمرتجَى لرَيْبِ الزّمانِ
فيقولان لى جِنان كما سرَّ كَ فى حالِها فسَلْ عن جِنان
ما لَهُم لا يُبارِكُ الله فيهم كيف لم يُغنِ عندهم كِتْمانِى

(١) الرواية فى ابن عساكر والأغانى :

لرأيت مـا استقبحت من أمرى لديك هو الجميل

وفى الأغانى : أمرى هو الأمر الجميل .

(٢) ليس فى غ ولا فى تهذيب ابن عساكر .

(٣) غ (بيروت) : ٢٠/١٠ .

(٤) الأبيات الأربعة فى الديوان (غز): ٢٥٢ـ غ(بيروت) ٢٠/١٠ ـ معجم البلدان(حكمان).

(٥) حكمان : اسم لضياع كانت بالبصرة سميت بالحكم بن أبى العاص الثقفى ، وكان اصطلاح أهل البصرة إذا سموا ضيعة باسم زادوا عليها ألفا ونونا .

صرت كالثِّنِّ يشرب الماء فيها   قال كِسْرَى بعِلَّة الرَّيْحانِ[1]
أو كما قِيلَ قَبْلُ: إيَّاكِ أَعْنِي   واسْمَعُوا يا مَعاشِرَ الجيرانِ

فلما بلغت مولاتَها هذه الأبيات بعثت إليه : إن أردتَ وهبتها لك . فقال : أريد ذلك إن أرادته هي . فأُخبرت جِنان بذلك فقالت : نعم، لكن على شرط ألّا يلوط. فقال : ليس إلى هذا سبيل ، ولم أكن لأضمن لها شيئا لا أفى به ، وقال[2]:

يُشارِطُنى الحبيبُ على الشُّروط   ولستُ لما يُشارِطُ بالسَّخُوطِ
أرى تَرْكَ اللِّواط علىَّ عـاراً   لأنِّى واحِدٌ من قـوم لُوطِ

قال محمد بن عبد الملك بن مروان الكاتب[3] : كنت جالسا بسُرَّ من رَأى فى شارع أبى أحمد فأنشدتُ قول أبى نواس :

أسألُ القادِمَيْن من حَكَمان   كيف خَلَّفتما أَبَا عُثْمان

وكان إلى جانبي شيخ جالس فضحك . فقلت له : لقد ضحكت من أمرٍ ! قال : أجل، أنا أبو عثمان الذى قال فيه أبو نواس هذا الشعر ، وأبو ميَّة ابنُ عمِّى ، وجِنان جارية أخى ، ولم يكن فى موضع عشق ولا عِشرة ولا كان مذهبُ أبى نواس النساء ، ولكنه كان[4] عبثاً منه .

قال أبو العباس محمد بن يزيد[5] : قال النابغة [الجعدى][6] .

أَكْنِى بغير اسْمِها وقد عَلِمَ اللهُ خفيَّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ

(١) هذا البيت والذى يليه فى الديوان (آصاف) ٣٩٥. والثن : يبيس الحشيش .
(٢) البيتان فى محاضرات الراغب .
(٣) الخبر فى غ (بيروت) ٢٠/١٠-١١ .
(٤) فى غ : عبث خرج منه .
(٥) غ (بيروت) : ٢٠/١١ .
(٦) زيادة من غ للتوضيح .

وهو سبق الناس إلى هذا المعنى ، وأخذوه جميعا منه فزادوا ونقصوا ، وأحسنُ من أخذه أبو نواس حيث يقول :

* أسأل القادِمَيْن[(١)] من حَكَمان *

أشرف[(٢)] أبو نواس من دارٍ على منزل عبد الوهاب الثقفى وقد مات بعضُ أهله وعندهم مأتم، وجنان واقفة مع النساء تَلْطُم وفى يدها خِضاب ، فقال[(٣)] :

يا قمــراً أبرزَهُ مأتَمٌ   يَنْدُب شَجْـواً بَيْنَ أَتْرابِ
يَبْـكِى فيُذْرِى الدُرَّ من نَرْجس   ويَلْطُم الــوَرْدَ بعُنَّابِ
لا تبْكِ مَيْتاً حـلَّ فى حُفرةٍ   وابْـكِ قتيلًا لك بالبـابِ
أبرزَهُ المــأتمُ لى كـارِهاً   برَغْم دَاياتٍ وحُجَّابِ
لا زَالَ مَوْتاً دابُ أصحابِه[(٤)]   وذَاك أن أُبْـصِرَه دَابى[(٥)]

كانسُفيان بن عُيَيْنَة يقول[(٦)]: لقد أحسن بصريُّكم هذا أبو نوّاس ــ وفتح النون وشدّد الواو ــ حيث يقول:

يا قمراً أبرزَه مأتَمٌ   يَندب شَجْواً بين أَتْرابِ

ويتعجب[(٧)] من قوله :

* ويَلْطُم الوَرْدَ بعُنَّاب *

---

(١) فى غ (بيروت): المقبلين .
(٢) غ (بيروت) : ١٢/٢٠ .
(٣) فى غ والديوان : ٢٤٢ .
(٤) أصحابه : فى الديوان : أحبابه.
(٥) فى غ : ولا تزل رؤيته دابى .
(٦) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٢٢ ــ تهذيب ابن عساكر : ٢٥٧/٤ ــ تاريخ بغداد : ٤٣٧/٧ ــ غ (بيروت) ١٣/٢٠ .
(٧) فى غ : وجعل يعجب .

وقيل(١) إنّ أبا نواس قال هذا الشعر فى غير جِنان ، وذلك أنه كان بدرب عَوْن(٢) حارسٌ(٣) يقال له مُبَارك وكان يلبس ثِياباً نظيفةسَرِيَّة ويركب حِمارا فيطوف عليه السوق بالليل ويكريه نهاراً ، فإذا رآه من لا يعرفه ظنّ أنه من التجار ، وكان يصل إليه فى كل شهر من السوق ما يسعُه ويَفْضُل عنه ، وكانت له بنت من أحسن النساء . فمات مبارك وحضره الناس، فلما خرجت جَنازَتُه خرجت بِنْتُه حاسرة بين يديه ، فقال أبو نواس فيها :

يا قمراً أبرزه مأتمٌ ... يَنْدُب شجْوًا بين أتراب

خرج أبو نواس يوما فلقى جِناناً خارجةً إلى بعض المآتم بالبَصْرة وعليها قِناع وَشْى، فاتبعهاوكلّمها وقال : أين تريدين؟ قالت : مأتم آل فلان أُعزِّيهم عن ميّت لهم . قال : فأنا والله أتنقَّب وأَجىء معك حتى أراك حاسرة . قالت : شأنك . قال : فتنقّب ومضى معها فى هيئة النساء حتى إذا رآها حاسرة قال فيها(٤) :

يا مُنْسِىَ المأتَمِ أَشجانَهُم(٥) ... لَمَّا أَتاهم فى المُعَزِّينا
حلَّتْ(٦) قناع الوَشْى عن صورة ... أَلْبَسها اللهُ التَّحاسِيناَ
فاستفتَنَتْهُنَّ بتمثالها ... فهنّ للتكليف يبكينا
حقٌّ لذاك الوجه أن يَزْدَهِى ... عن حزنه من كان مَحْزُونا

---

(١) غ : بيروت : ٢٠/١٣ .
(٢) فى ت : عوف .
(٣) فى ت : رجل ، والتصويب من : غ .
(٤) غ : ٢٠/١١ وفيه الأبيات ولم يذكر الخبر ـ الديوان : ٢٤٢ .
(٥) أشجانهم : فى غ وتهذيب ابن عساكر : أشجانه .
(٦) حلت : فى الأغانى : سرت ، وسرا الثوب : ألقاه .

قيل لأبى نواس[١]: إنّ امرأةً ذكرت لجنان عشقه لها فشتمته جِنان وتنقّصته وذكرته أقبح الذِكْر، فقال[٢]:

وَابأبى من إذا ذُكِرْتُ لَهُ ... وطُولُ وَجْدِى به تَنَقَّصَنى
لو سألوهُ عن وجْهِ حُجَّتِه ... فى سبِّه لى لقال: يَعْشَقُنى
نَعَمْ إلى الحشْرِ والتَّنادِ، نعَمْ ... أعشقه أوْ أُلَفَّ فى كَفَنِى
لا أنثنى ويْكَ عن محبَّتِه ... ما دام رُوحى مصاحِباً بَدَنِى[٣]
أَصِيحُ جهراً لا أَستسرُّ به ... عَنَّفَنِى فيه من يُعَنِّفُنِى
يا معشر الناسِ فاسمعوهُ وعُوا ... إنّ جِناناً صديقةُ الحَسَنِ

فبلغها ذلك فغضبت عليه غضباً شديدا وهجرته وأطالت هَجْره. فرآها ذاتَ ليلةٍ فى منامه وكأنها قد صالَحتْه فاهتاج شوقا إليها، وكتب إليها[٤]:

إذا التقَى فى المَنام طَيْفانَا ... عادَ لنا الوَصْلُ كما كانَا
ياقُرَّةَ العينين مابالُنا ... نَشْقَى وَيلْتَذُّ خَيالانَا
لوشِئْتِ إذأحسنت لى فى الكَرَى ... أَتْمَمْتِ إحسانَك يَقْظانَا
ياعاشقَيْن اصطلحَا فى الكَرَى ... وأَصبحَا غَضْبَى وغَضْبانَا
كذلك الأحلام غَرَّارَةٌ[٥] ... ورُبَّما تَصْدُق أحْيانَا

ورآها[٦] يوما فى ديارِ ثقيف فتجَهَّمته[٧] بما يَكْره فغَضب وهجرها مدّة.

---

(١) غ (بيروت): ٢٠/١٥.

(٢) الديوان: ٢٩١.

(٣) لا أنثنى: فى الديوان: لا تثنى. وهذا البيت ليس فى غ.

(٤) الديوان: ٢٤٤.

(٥) غرارة: فى غ والديوان: غدارة بالدال المهملة.

(٦) غ: ٢٠/١٦.

(٧) فتجهمته، فى الأغانى: فجبهته: أى استقبلته بمكروه.

فأرسلت إليه رسولا لتصالحه فردَّه ولم يصالِحْها، ورآها في النوم تطلب صُلْحه فقال[1]:

دَسَّتْ له طَيْفها كيما تُصالِحــه ... في النَّوْم حين تَأَبَّى الصُّلْحَ يَقْظَانا

فلم يَجِدْ عند طَيْفِي طَيفُها فَرَجاً ... ولا رَثَى لِتَشَكِّيه ولا لَانَا

حَسِبْتُ أنّ خَيالِي لا يكون كمَا ... أَكُون من أَجْلِه غَضْبانَ غضْبانَا

جِنانُ لا تسأَلِيني الصُّلْح سرعة[2] ذا ... فَلَمْ يكن هَيِّناً منك الّذِي كانا

كتب أبو نواس إلى جِنان[3] وقد عتب عليها من أجل كِتاب[4]:

أَكْثِرِي السَّهْوَ في كتابك وامْحِيـ ... ـه إذا ما مَحَوْتِه باللِّسَـــانِ

وأَمِرّي[5] المسحـــاة بين ثَنايا ... كِ العِذاب المفلَّجات الِحسانِ

إنّني كلما مَـــررتُ بسَـــطْرٍ ... فيه مَحْوٌ لطمتُهُ[6] بلساني

تِلكَ تَقْبيلة لــكُم من بَعيدٍ ... قَرُبت لِي وما بَرِحْتُ مَـكاني

مرَّت[7] جارية للقاسم بن الرشيد جميلة وفي كفّها نرجس فجَمَّشها أبو نواس فلم تــكلّمه، فقال: ماأقبح الهجْرَ بك ياسيدتي! فقالت له: أقبحُ من هجْرِي إفلاسُك! فأنشأ يقول[8]:

---

(١) المصدر السابق ـ الديوان: ٢٨٣.

(٢) في الديوان: مسرعة.

(٣) غ (بيروت): ٢٠/١٨.

(٤) الديوان: ٢٧٧ والرواية فيه بزياد بيت:

اكتبي إن كتبت يامُنْيَــةَ النفـ ... ـس بنصح ورقّةٍ وبيــان

(٥) أمرى: في غ: امهرى.

(٦) لطعته: لحسته.

(٧) أخبار أبي نواس لأبي هفان: ٤٥.

(٨) الديوان (آصاف): ٤٧ (الباب الأول).

قُلْتُ لها يوماً ومرّتْ بنا ... رُعْبُوبَة[1] فى كفها نرجسُ
ما أقبح الهجرَ ! فقالت لنا : ... أقبحُ منه عاشقٌ مُفْلِسُ

قال أبو نواس[2] : تعشّقت جارية مغنيّة من جوارى آل المهلّب فكانت تراسلني وأراسلها ، فأرسلت إلىّ يوما وصيفة لها لطيفة فعبثت بها ، فأخبرَتْ بذلك سيِّدتها ، فكتبت إلىّ تقول :

ليس الفتى الحرُّ المحبّ مُجَمِّشاً ... لرسول حِبّةِ قلبه المُرْتاحِ
ذاك الخليُّ من الهوى وعذابه ... وحليفُ كلّ إرادة ومِزاحِ[3]

فكتب إليها :

زعم الرّسولُ بأنّنى جمّشتُه ... كذب الرسولُ وفالِق الإصباحِ
إنْ كنتُ جَمّشتُ الرسولَ فغافصت[4] ... روحى أناملُ قابض الأرواحِ
شُغْلى بحبّك عن سواك وليس لى ... قلبان مشغولٌ وآخرُ صاحى
قلبى الذى لم يُبْقِ فيه هواكمُ ... فضلاً لتجميشٍ ولا لمزاحِ

قال الجمّاز[5] : حججنا فى السنة التى حجّ فيها أبو نواس ، فالتقينا فى الطواف جميعا ، ثم تقدّمنى فكنت أراه خلف امرأة ولا أكاد أراه إلّا خلفها ، وهما أمامى ، فلم أدرِ مَنْ هى . ثم صرت إلى الحجر الأسود فإذا أنا بالمرأة تلثمُ الحجرَ وإذا هو قد لثمه معها حتى ألصق خدّه بخدّها ، فقلت : هذا أفسق الناس . ثم تفطّنت

---

(١) رعبوبة : بيضاء حسناء .
(٢) الخبر فى مقدمة الديوان (آصاف) الفصل الأول: ٤٧ ـ الفكاهة : ١٢ ـ المحاضرات: ٢ / ٤٧ .
(٣) إرادة : فى الديوان : خلاعة ـ مزاح : فى الديوان : مراح، وهو الأشر والنشاط.
(٤) غافصت : فاجأت وأخذت على غرة .
(٥) الخبر والأبيات فى مصارع العشاق : ٥١ على أن المزاحم غلام لا امرأة .

فإذا هي جِنان . فلما انصرفا لقيته ، فقلت له : ويحك في هذا الموضع لا يَزْجُرك زاجِر ولا يمنعك خوفُ الله عز وجل ، ولا يردُّك حياءٌ من الناس ! قد رأيتك وما صنعت اليوم . فقال : يا أحمق وحسبت قَطْع المهامِه والسَّباسِبِ والرِّمال إلّا للذى حججت له وإليه قصدت . ثم أنشأ يقول[1] :

وعاشِقَيْنِ التَفَّ خَدّاهُما ... عنـد التِثام الحجَرِ الأَسْوَدِ
فاشتفَيَا من غير أن يَأْثَما ... كأنّما كانا على مَوْعِـد !
لولا دِفاعُ النـاس إيّاهُما ... لَمَا استفاقَا آخِرَ المُسْنَدِ[2]
ظَلِلنا كِلانَا ساتِراً وجهَـه ... مِمَّا يَلِى جانِبَه باليَدِ
نَفْعَلُ بالمَسْجِد مالم يَكُنْ ... يَفعَلُه الأبرارُ فى المَسْجِـدِ

قال هارُون بن سعد بن الحارِث[3] : كنت أسمعُ فى الكوفة بذكر أبى نواس . فسألت أبى أن يجهّزنى إلى بغداد بتجارة ، ففعل ، فوصلتُ بغداد ولزمت دار أبى نواس وخِدْمتَه حتى قَرُبتُ من قلبه. فإنّى معه ذات يوم فى بعض الطُرق إذ أقبل غلامٌ ما رأيتُ قبله أحسنَ منه بطُرَّةٍ على جبينه ، وشعرة حسنة ، ولباس حسن. وكان أبو نُواسٍ فى يومه ذاك واجماً كثير الفكر ، فوقف الغلام وسلَّم عليه فردّ أبو نواس ، وجعل الغلام يمازِحُه فلا يتبسط أبو نواس له ، فحمل عليه الغلام فى المِزاح والكِياد . فلما أضجره قال لى : معك ألواح ؟ قلت : نعم . قال : هاتها . فأخذها ، وكتب فيها[4] :

اذْهَبْ نجَوْت من الهِجاء ولَذْعِه ... وأما ولَثْغَةِ رَحْمَةَ بن نَجاحِ

---

(١) الأبيات فى الديوان : ٢٣٣ .

(٢) المسند : الدهر .

(٣) الخبر والأبيات فى تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٦٥ .

(٤) الديوان : ٣٨٧ .

لولا فُتورٌ فى كلامِك يُشتَهَى ... وترفُّقِى لك بَعْدُ واستملاحِى
وتكسُّر فى مقلتَيْك هو الّذى ... عَطَف الفؤاد إليك بعد جِماحِ
لعلِمتَ أنّك لا تمازِحُ شاعِراً ... فى ساعةٍ ليستْ بحِينِ مُزاحِ

ورحمةُ هذا هو عم نَجاح بن سليمان الكاتب وهو الذى يقول فيه أبو نواس(١) :

إنِّى حُمِمْتُ فلم أشعر بحُمَّاكا ... حتى تَحدَّثَ عُوّادِى بشكْواكَا
فقلْتُ ما كانت الحُمَّى لتَمْهَدَنِى ... عن غَيْرِ ما عِلّةٍ إلّا لِحُمَّاكَا
وخَصْلَةٍ هى أيضا يُسْتَدَلُّ بها ... عَافَانِىَ اللّٰهُ منها حِينَ عافاكَا
أَمَّا إذا اتَّفقَت نَفْسِى ونفْسك فى ... هَذا وذاك وفى هَذا وهَا ذاكَا(٢)
فكُنْ لنا رَحْمَة نفسى فِداؤك لا ... تَكُنْ خِلافاً لما ذُو العرشِ سمَّاكَا
فقد علمتَ يقيناً أو ستَعْلَمُه ... صَنيعَ حُبِّك فى قَلْبِى وذِكْراكَا

وفيه يقول أبو نواس(٣) :

رَحْمَةُ يا نَفْسِى الفِدَا ... ويا غَزالَ الكَتَبَهْ
قد شَفَّنى حُبُّك حَتّ ... ى صِرْتُ مِثْلَ القَصَبَهْ(٤)
فليت حَظِّى قُبْلَةٌ ... منك شِراءً أوْ هِبَهْ
فقال لِى مُسْتَهْزِئًا : ... أَلَا تَمَنَّى حَدَبَهْ
قُلتُ : بلَى يا سيِّدِى ... وسَلْمَةً فى الرَّقَبَهْ

---

(١) الديوان : ٢٩٩ .
(٢) هذا كا : فى الديوان : وفى ذا كا .
(٣) الديوان : ٣٩٦ باختلاف من قصيدة أولها :

يا من لِعَيْنٍ سَرِبَهْ ... تفعل فعل الطَّرِبَهْ

(٤) روايته فى الديوان :

أنحلنى الحب فأص ... بحت شبيه القصبهْ

وقال أبو نواس[١] يهجو عبيد الله[٢] بن أبى سهل بن نُوبَخت :

ثَقِيلٌ يُطالِعُنا مِنْ أَمَم ... إذا سَرَّه رَغْمُ[٣] أَنفِى أَلَمّْ[٤]

لِطَلْعته وخْـزَةٌ فى الحشا ... كوَقْع المشارِط فى المُحْتَجِمْ

كأنَّ الفـؤادَ إذا ما بَـدَا ... بإشفَى إلى كَبِـدِى مُنْتَظِمْ

أَقُول له إذْ أتى لا أَتَى ... ولا حَمَلْته[٥] إلينـا قَـدَمْ

فقدتُ خيالك لا مِنْ عَمًى ... وصَوْتَ كلامِك لَا مِنْ صَمَمْ

تَغَطَّ بمـا شِئْتَ عن ناظِرِى ... ولو بحِرِ أمِّـكَ لا تَحْتَشِمْ[٦]

فلما بلغ ذلك أخاهُ سليمانَ بن أبى سهل بن نوبخت أجابه عنه بقوله[٧] :

وذى ثروة من قَبِيح الشِّيَم ... صَرِيحِ الدناءَةِ مولَى الكَرَمْ

بعينَيْه عن كلِّ حُسْنٍ عَمًى ... وأُذْنيْه عن كلِّ خَيْرٍ صَمَمْ

خَفِىٌّ علـى أعيُنِ المكرمات ... وأَشْهَرُ فى رِيبَـةٍ من عَلَمْ

إذا رُفِعت للخنَا رايَـةٌ ... ألَحَّ على سَاقِهِ واعْـتَزَمْ

وإنْ نَهَض النَّاس للمَكْرُمَاتِ ... فَمَا تَحْمِلُ السَّاقَ منه القدَمْ

ويَغْدُو بحِرْفَتِه[٨] للصَّدِيق ... وإنْ حَصَّنَتْه دُرُوع النِّعَمْ

---

(١) الديوان : ٥٣٨ .

(٢) عبيد الله بن سهل : فى الديوان (آصاف) : وقال : يهجو ثقيلا يقال له روحاء العمى ويلقب بالجبل .

(٣) رغم أنفى : فى الديوان : رعف أنفى .

(٤) ألم ـ مشدد الميم ، وسكن للروى ـ : زارنا .

(٥) حملته : فى الديوان : نقلته .

(٦) فى الديوان : ولو بالرداء به تلتثم .

(٧) الديوان (آصاف) : ٣٤ .

(٨) حرفته : يعنى شكواه من سوء حظه وفقره .

أَقَـدُّ لنعماه من شَفْرَةٍ | وأقطع فى عمره من حَـلَم[١]
ويَنمى إلى حَـكَمٍ دَعْوَةً | وما إنْ له نَسَبٌ[٢] فى حكمْ
كأن الوقاحة قدَّت له | على وَجْهِه رقعـةً من أَدَمْ
أَحبُّ إلى النـاس من قُرْبِـه | حُـلولُ المَشِيب بهم والسَّقَمْ
وأَشْهَى إلى العَيْن منْ شَخْصِه | سَفاً[٣] بَيْن أجفانِها تنتظم
وأَسْعَدُ ما تجْتَنيه الأنُـوفُ | إذا ما تَـكَلَّمَ داء الخَشَمْ[٤]
أَشَـدُّ الأماكِنِ من نَتْنِـه | مناسَبةً بيـن دُبْرٍ وفَم
ولمّا تطرَّقَ[٥] أعراضَنا | ولم يَـكُ فى عِرْضِه مُنْتَقَمْ
كتَبْتُ الهجاء على أَخْدَعَيْه[٦] | بمزدوجٍ من أَكُفِّ الخدَمْ

فلما سمع أبو نواس هذا الشعر وغيره مما هجوْه به قال[٧] :

لقد نَسَلَت رُزَيْنُ[٨] نَسْلاً من استِها | عليهن سِيماً فى العُيون تَلوح
فعَشْواء مِفحاش[٩] وأعشَى مُضَلّل | وأعْوَرُ دَجَّال عليـه قبُوح[١٠]
إذا استُنطقت رُزَيْنُ يوماً تَعاجَمَتْ | وفُو فَرْجها بالفاحِشاتِ فَصِيحُ
سيبقَى بَقاءَ الدَّهْرِ ما قلتُ فيكُمُ | وأما الَّذِى قد قُلْتُموه فرِيحُ

---

(١) الحلم : دويبة تسرع فى إفساد الجلد .

(٢) نسب : فى الديوان : سبب .

(٣) سفا : فى الديوان : غفا ، والغفا : شيء كالزوان والتبن .

(٤) الخشم : فقد الشم لعلة .

(٥) تطرق : فى الديوان : تطرفت، ومعناها : نال من أطرافها.

(٦) أخدعيه : يريد قفاه .

(٧) الديوان : ٥١٦ .

(٨) رزين : أم إسماعيل بن نوبخت .

(٩) مفحاش : فى الديوان : مضليل .

(١٠) قبوح : قبح .

خرج(١) أبو نواس مع أصحاب له إلى متنزه بالبَصْرة ، فلما صاروا بدجلتها انشقّ زِقٌ لهم فيه شَراب ، فقالوا لأبى نواس : ما لنا غيرك . اكتُب إلى عبد الملك بن إبراهيم بن قبيصة فى نبيذ ، وكان فى ضيعة له ، فكتب إليه :

يا ابْنَ إبراهيم ياعَبْدَ المَلِكْ　　واثقًا أقبلْتُ باللهِ وبِكْ
أنتَ للمالِ إذا أصلحتَــهُ(٢)　　فإذا أَفْسدْتَهَ(٣) فالمَالُ لَكْ
إنَّ زِقًّا كان يرْوِى شَرْبَنا　　عصف الدَّهْرُ عليــه فهَلَكْ

فأمر لهم بما أَرْوَاهم من النبيذ وبدنانير وقال : هذه نفقة هذا .

وكتب أبو نواس إلى صديق له يستهديه نبيذا :

يَوْمُنا يــومٌ لَذِيذُ　　مالَنَا فيــهِ نَبِيذُ
أنا من تَعْطِيلِ يَوْمِى　　بِكَ فيه أستَعِيذُ

شرب يحيى بن زكريا دواء ، فأهدَى إليه الناس هدايا وتبارَوْا فيها ، فكتب إليه أبو نواس(٤) :

تَنوَّق فى الهدِيَّة كلُّ قــوْمٍ　　إليك غَداةَ شُرْبِك للدَواءِ
فلما أنْ هممتُ بها مُدِلًّا　　إليك بحُرْمــتِى بك والإخاءِ
رأيتُ كَثيرَ ما أهْدَوا قليلًا　　لِمثْلك فاقتَصَرْتُ على الدُّعاءِ

---

(١) الديوان (آصاف) الباب الأول : ٤٣ .

(٢) أصلحته : فى الديوان : أمسكته .

(٣) أفسدته: فى الديوان : أنفقته .

(٤) نسب المرزبانى فى معجم الشعراء (تحقيق الاستاذ عبد الستار فراج) ٣٨٦ هذه الأبيات إلى أبى الحسن محمد بن أبى حليم المخزومى .

قال بعضهم: صار إليَّ الحسن بن هانيء[1] في ليلة من الليالي وهو مرعوب، فنزع ما كان عليه من الثياب وأخذ قميصا وسراويل وإزاراً من ثيابي ثم تطهّر ولبسها، وما زال يصلّي باقي ليلته إلى الصبح، ثم أصبح صائماً. فسألتُه عن السبب في ذلك فقال: كنت منصرفا من بعض المَواخير فاجتزْت في مقبرة، فبينا أنا ماشٍ فيها إذ أنْشدت قول ذي الرمّة:

بِطيزنا باذَ كَرْمٌ ما مَرَرْتُ به إلّا تعجّبْتُ ممَّنْ يَشْرَب المَاءَ[2]

فأجابني مجيبٌ من المقبرة أسمع صوته ولا أرى شخصه:

وفي جَهَنَّم ماءٌ ما تَجَرَّعَه خَلْقٌ فأبقى له في الجوف أمْعاءَ

فراعني ذلك، فكان منّي ما رأيت.

قال يحيى[3]: دخلت على أبي نواسٍ في عِدّة من الظُّرفاء. فقلنا له: صف لنا الأَشْرِبَة فقد عرفنا تمكّنها من شهوتك، ونَشْوَ محبّتها في طبيعتك. فقال: أما الماء فيعظُم خطرهُ بقدر تعذُّره[4]، وأما السَّويق فبُلْغَة العَجْلان وتعِلّة المريض، والسَّكَنْجَبين دواء المرضَى ويشاركُهم فيه الأصحاء، والجُلّابُ[5] شراب الصبيان، وأمّا اللّبَن فيُشبع الجائع الغَرْثَان[6] ويروى الظمآن. وأما الدَّاذِيّ[7] فكالبَياض

---

(١) في نهاية الأرب: ٤/٢٠٠ تروى هذه القصة عن محمد بن مسروق وأنه خرج في أيام جهله نشوان يغني بالبيت (بطيزناباذ.) فسمع البيت الثاني، فكان ذلك سبب توبته واشتغاله بالعلم.

(٢) لم نعثر عليه في ديوان ذي الرمة ولا في ملحقه.

(٣) أخبار أبي نواس لأبي هفان: ٩٢ ـ الشريشي: ١/١٩٩ وفي المحاضرات للراغب: ١/٣٢٦ معزوة إلى بعض الحكماء.

(٤) تعذره: في الشريشي: تعززه.

(٥) الجلاب: ماء الورد.

(٦) الغرثان: في النسخ العريان. والغرثان: الجائع.

(٧) الداذي: نبت حبه على شكل الشعير يوضع مقدار رطل منه في الفرق فتعبق رائحته ويجود إسكاره.

فى الدِّثار والنَّرْسِىّ[١] فى الشّعار . وأما العَسل فنَبيل المَنْظر سخِيف المَخْبَر . وعن الخَمْرة تنفرون، وهى شقيقة الرُّوح وصديقة النفس ما ارتُضِعَتْ ممزوجة، وصِرْفُها غيرُ مأمونٍ على إنهاك البَدَن بعاجل الألَم ، وآجل السَّقم ، مع غرس سَقَمٍ يؤدِّى إلى عطب. ثم قال[٢] :

لائمى فى المدام غيرُ نَصُوحِ ... لا تَلُمْنِى على شَقِيقَةِ رُوحى
لا تَلُمْـنِى على الَّتى فتَنَتْـنِى ... وأَرَتْـنِى القَبِيحَ غَيْرَ قَبيحِ
قَهْوَةً تَتْرُك الصحيحَ سَقِيماً ... وتُعيرُ السَّقِيم ثَوْبَ الصَّحِيحِ
إنّ بَذْلِى لهـــا لَبَذْل جَوادٍ ... واقْتِنائى لها اقْتِناءُ شَحِيحِ

ومن جيد شعر أبى نواس[٣] ، :

لا تُعَرِّج بدارسِ الأَطْلالِ ... واسْقِنِيهـــا رَقيقةَ السِّرْبالِ
عُتِّقَتْ فى الدِّنان حـــتى استفادَتْ ... نُورَ شَمْسِ الضُّحَى وبَرْدَ الظِّلالِ
فهى بِكْرٌ كأنهـا كُلُّ شيء ... حَسَنٍ طَيِّبٍ لَذيذٍ زُلَالِ
ولَعَمْرُ المُدام إنْ قلتَ فيهـــا ... إنّ فيهـــا لموضعاً للمَقالِ

كان الجاحظ[٤] يزعُم أن عَمْراً أرشَقُ الأسماء وأخفّها وأظرفها وأسهلها مخرجاً ، وكان يسمّيه الاسم المظلوم لإلزامهم[٥] به الواو التى ليست منه ولا فيه دليل عليها ، ولا إشارة إليها ، ويزعم أن هذا الاسم لم يقع فى الجاهلية إلا على فارسٍ مذكور أو مَلِكٍ مشهور ، أو رئيس مطاع ، أو سيّد متبوع ، ويعُدُّ جماعة من ذلك .

---

(١) النرسى : ثياب بيض تنسب إلى نرس : قرية بنواحى الكوفة .

(٢) الديوان : ٢٤ .

(٣) الديوان : ٩٧ .

(٤) شرح الصفدى على لامية العجم (الغيث المسجم) : ١/ ٤١

(٥) إلزامهم : فى الصفدى : إلزاقهم .

وأنشد على ذلك لأبي نواس يهجو أشجع السُّلَمِي[1] :

أيُّهـا المُدَّعِي ولاءَ سُلَيْمٍ   لستَ منها ولا قُلامَةَ ظُفْرِ
أنت فيها مُسْتَلْحَقٌ مثل واوٍ[2]   أُلْحِقَت فى الكِتابِ ظُلْماً بعَمْرِو[3]

وأنشد لأبي نواس أيضا فى ذلك من قصيدة[4] :

فقُلْتُ له: ما الاسم؟ قال سَمَوْءَلٌ[5]   على أَنَّنِي أُكْنَى بعَمْرٍو ولا عَمْرَا
وما شَرَّفَتْنِي كُنْيَـةٌ عربيَّـةٌ   ولا أَكْسَبَتْنِي لا سَنـاءً ولا فَخْرا
ولكنَّهـا خَفَّت وقَلَّت حروفُهـا   وليست كأُخْرَى إنما جعلت وَقْرَا
فقُلْنا له عُجْباً بظَرْفِ لِسانِه: أَجَدْتَ أبا عَمْرٍو فجَوِّدْ لنا الخَمْرَا

فاستدلّ بقوله :

* وما شرَّفَتْنِي كنية عربية . . . *

على أنها كُنْية الأشراف والملوك والأكابر، وقوله: «ولا عَمْرا» أى لا وَلَدَ لى لأنني صبي .

وبقية هذه القصيدة :

فأَدْبَرَ كالمُزْوَرِّ يَقسِم طَرْفَـه   لأَرْجُلِنا شَطْراً وأَوْجُهِنا شَطْرَا
وَقَال: لعَمْرِي لو أَحَطْتُم بوَصْفِها[6]   لَلُمْنَاكُم لـكِنْ سنُوسِعُكم عُذْرَا

---

(١) الديوان : ٥٤٥ .
(٢) الرواية فى الديوان : إنما أنت من سليمى كواو .
(٣) الكتاب : فى الديوان : الهجاء .
(٤) الديوان: ٦١ أولها :

وفتيـان صدق قد صرفت مطيهم   إلى بيت خمار نزلنا به ظهرا

(٥) سموءل : يقال إنه معرب : شمعيل .
(٦) بوصفها : فى الديوان : بأمرنا . وفى رواية حمزة : لو نزلتم بغيرنا .

فجاء بها زيتيَّةً ذهبيَّةً ... فلم نَسْتَطِع دون السُّجود لها صَبْرَا
خرجنا على أن المُقامَ ثلاثةٌ ... فطابَ لَنَا حتى أقمْنا بها عَشْرَا
عِصابَةُ سوءٍ لا يُرَى الدهرَ مثلُهم ... وإن كنتُ منهم لا بَرِيًّا ولا صِفْرَا
إذا ما دنا وقتُ الصلاة رأَيْتَهم ... يَحُثُّونَها(١) حتى تَفُوتَهُم سُكْرَا

ولأبى نواس فى آداب المنادَمة(٢) :

ولستُ بقائلٍ لنديمِ صِدْقٍ ... وقد أخَذَ الشرابُ بِمُقْلَتَيْهِ
تناوَلْهَا وإلّا لم أَذُقْها ... فيأخذَها وقد ثَقُلَتْ عَلَيْهِ
ولكنِّى أُديرُ(٣) الكأسَ عَنْه ... وأَصْرِفُها بِغَمْزَةِ حاجِبَيْه
وإنْ مَدَّ الوِسادَ لنَوْمِ سُكْرٍ ... دفَعْتُ موسَّدِى(٤) أيضاً إليهِ
فذلك ما حَييتُ له وإنّى ... أَبَرُّ بمِثْلِه من وَالِدَيْه

وقال أبو نواس(٥) :

وبِكْرِ سُلافَةٍ فى بيت حَانٍ(٦) ... لها دِرْعانِ من قَارٍ وطِينِ
تحكَّمَ عِلْجُها(٧) إذْ قلتُ سُمْنِى ... على غير البَخِيلِ ولا الضَّنِينِ
فضضتُ(٨) خِتامَها واللَّيل دَاجٍ ... فدرَّتْ دِرَّةَ الوَدَجِ(٩) الطَّعِينِ

(١) يحثونها : يريد كؤوس الخمر .
(٢) المحاضرات للراغب : ١/٣٣١ـ حلبة الكميت : ٣٣ .
(٣) أدير الكأس : فى المحاضرات: أدارى الشرب .
(٤) موسدى : فى المحاضرات : وسادتى .
(٥) الديوان : ٣٢ .
(٦) بيت حان : فى الديوان : قعردن . ويشير بهذا البيت إلى تقيير الدنان لتسد مسامها ، وتطيينها ليشتد التخمير .
(٧) العلج : كل اعجمى .
(٨) فضضت ختامها : فى الديوان : شككت بزالها .
(٩) الودج : عرق فى العنق .

بكفّ أغرّ مختضبٍ بنانا ... مُذالِ الصُّدغ مَضْفُورِ القرُونِ
لنا منه بيمينه عِداتٌ ... يخاطبنا بها كسرُ الجُفُونِ
كأنّ الشمس مُقبلةٌ إلينا ... تَمَشَّى في[1] قلائد يا سَمِينِ
أقول لناقتي إذْ بلّغَتْني ... لقد أصبحتِ عندي باليَمينِ[2]
فلم أجعلك للغرْبانِ[3] نُحْلًا ... ولا قُلْتُ اشرَقِي بدمِ الوَتِينِ[4]
حَرُمت على الأزمَّة والوَلايا ... وأعلاق الرِّحالَة والوَضِينِ

الوَلايا : البرادِع ـ أعلاق الرحال : ما عليها من المهون وغيرها ـ الوضين : حزام الرحل .

كان أبو نواس يقول[5] : ما أحسن الشماخ في قوله :

إذا بلّغتِني وحملتِ رحلي ... عَرابة فاشرَقي بدم الوتين

أولا قال كما قال الفرذدق :

علام تلفّتين وأنتِ تحتِي ... وخَيْرُ النّاس كُلُّهم أمامِي
مَتَى تأتِ الرّصافَةَ تَسْتَرِيحي ... من الأنْساعِ والدّبَرِ الدّوَامِي

وقال أبو نُواس[6] :

اسْقِنِي يابنَ أَذِينِ[7] ... من سُلافِ الزَّرَجُونِ

(١) تمشي : في ك وت : بشمس والتصويب من الديوان .
(٢) باليمين : يريد أنها مصونة مضنون بها .
(٣) للغربان نحلا : في الديوان : للقربان نحرا .
(٤) اشرقي بدم الوتين : يشير إلى بيت الشماخ .
(٥) غ (بولاق) : ٨/١٥٦ .
(٦) الديوان ٧٠ .
(٧) ابن أذين : هو الخمار، وأذين أمه (ذيل زهر الآداب : ٣٢) واستشهد على صحة ماقال بهذا البيت . وفي البيان والتبيين ١/٩٤ (هارون) : «ومن تمام آلة الخمار أن يكون ذميا ويكون اسمه أذين أو شلوما أو مازيار أو أزدانقاذار أو ميشا، ويكون أرقط الثياب مختوم العنق » . هـ . وعلى هذا فيكون أذين خمارا .

اسْقِنى حتى تَرَى بى ... جِنَّةً غـــيرَ جُنونِ
عُتِّقت فى الـــدَّنِّ حتَّى ... هى فى رِقَّـــةِ دِينِى
قهوةٌ غُيِّبَ عَنْهـا ... ناظِرًا رَيْبِ المَنُـــونِ
ثم شُجَّتْ فـأَدارت ... حَوْلَنا مثـــلَ العُيُونِ (١)
حَـــدَقًا تَرْنُو إلينا ... لَمْ تُحَجَّرْ بجُفُونِ (٢)
ذَهَبًا يُثْمِرُ دُرًّا ... كُلَّ إبَّانٍ وحِينِ
بيدَىْ ساقٍ عليـــهِ ... حلّةٌ من ياسَمِينِ
وعلى الأُذْنَين مِنْـــهُ ... وَرْدَتا آذَريُونِ (٣)
غايَةٌ فى الظَّرْفِ والشَّكْـ ... ـلِ وفَرْدٌ فى المُجُونِ
غَنِّنى يا ابْنَ أَذينٍ ... ولَهَا بالماطِــــرُونِ (٤)

قال أبو نواس : قلت يوماً لأبى دعامة امضِ بنا إلى عنان . قال : هى تـكره مجيئَك إليها وعَبَثك بها . قلت: ليس عليها منّى بأس . قال : فجئنا وكان الظُّهر وهى غير ظاهِرة، ثم تطلّعت فسلّمت وسلَّم عليها ولم تقلْ له فى الصُّعودِ شيئا فقال :

عِنانُ يا مُنْيَتِى ويا سَكَنِى ... أما تَرَيْـنِى أَجُول فى سِكَـكِكْ
مَلَـكْتِنى اليــومَ يا مُعَذِّبَتِى ... فصَيِّرينى الغَداةَ مِنْ فَكَكِكْ
وعَجِّــلى ذاكَ وارْحَمِى قَلَقِى ... واثْبِـتِى لى البَرَاةَ فى صَكَكِكْ

(١) شجت : مزجت ـ العيون : يريد الحباب (الفقاقيع تعلو الشراب) .
(٢) بجفون : فى ك: بعيون، والتصويب من الديوان .
(٣) الآذريون : زهر أصفر .
(٤) الماطرون : موضع بالشام قريب من دمشق . والشطر من بيت ليزيد بن معاوية :

ولهـا بالمـاطرون إذا ... أكل النمل الذى جمعـا

(١٠/٣ مختار الأغانى)

فضحكت وقالت :

لم يَبْقَ مما نطقتَ قافيــة يقولها قائلٌ سِوَى عَـكَـكِكْ
بَلَى وأُخْرَى إنْ قالَهـا فَطِنٌ يقُولها فى قَرِيض ذى تِـكَـكِكْ

ثم سكتَتْ فقلت :

بَـلَى وإنْ شئتِ قُلْتُ فيشلة تُسْـكِن الهائِجات من حِـكَـكِكِ

فأغلقت باب الخوخة وقالت : لا باركَ الله فيك . ألم أقل لك لا تَجِئْـنِى به ؟!

قال أبو عبد الله أحمد بن أبى فَنَن : دخل مروان بن أبى حفصة على الذّلفاء جارية ابن طرخان وعندها أبو نواس فأعظمه مولاها وأجلّه وقرّب مجلسه، فوجَد أبو نواس من ذلك فى نفسه . فقال : قل لها فلْتُجِزْ بيت الحبيب جرير :

غَيَّضْنَ من عبَرَاتِهِنَّ وقُلْنَ لى ماذَا لَقِيتَ من الهوَى و لَقِينَا

فقالت وكانت تشبّب بالرشيد :

قد هِجْت بالبيت الذى أنشدْتَنِى حُبًّا بقَلْبِى لــــلإمام دَفِينَا

فقام أبو نواس وهو يقول:

عَجَباً من حماقة الذّلْفاء تَتَشهَّى فَيَاشِلَ الُخلفَاء

قال أبوعبد الله: وزدت أنا على بيت أبى نواس :

لو تَشَهَّيْتِ غيرَها كان أَحْرَى من أُيُور الــدُّنَاةِ والضُّعفاء
إن أَحرى الأمورِ عِنْدِى مَقَالًا شهواتُ الأَكْفاءِ للأَكْفاءِ

قال: وألحقت ذلك بشعره فنسب إليه دونى ورواه الناس له .

قال أبو نواس : أوّل اتصالى بالُخلفاء أنّ الرشيد قال ذات ليلة لهَرْثمة بن أَعْيَن : اطلبْ لى رَجُلا يصلُح للحديث والسَّمَر . فخرج فسأل فدُلَّ علىَّ . فأدخلنى عليه فسألنى عن اسمى واسم أبى ، ثم قال لى : ياحَسَنُ أَرِقْتُ فى هذه الليلة فخطَر ببالى هذان البيتان وهما :

وقهوةٍ كاليقين صافيةٍ يَطيرُ من حُسْنها لهاشَرَرُ
زوّجتُها الماءَ كى تَذِلَّ له فامْتَنَعت حين مسّها ذكَرُ

قال فقلت بديهاً :

كذلكَ البِكْرُ عند خَلْوتِها يَظْهر مِنها الحياءُ والخفَرُ
حتّى إذا سامها مُملّكُها فما لها فيه ثَمَّ مُزْدَجَرُ
عادتْ له ثيّباً تُفاكِهُه قد غابَ عنها بالرِقّةِ الأشَرُ
تُرْضِعُه تارةً وتتبعه صَريعَ كَرْمٍ بعَيْنِه حَوَرُ

فقال : أحسنت والله! وأمر لى بمال ، وكان سَببَ اتصالِى به .

صعد[1] الرشيد يوما على بعض سطوح قَصْرِه فرأى جارية عُريانة، فلم يزل يديم النظرَ إليها وهى تغتسل حتى التفتت فنظرت إليه ، فلما رأته سترت فَرْجها بيدِها ونزلت عن السطح الذى كانت عليه ، ونزل الرشيد فقال : عَلَيَّ بأبى نواس . فجىء به فلما دخل قال له : قل على بيْت قُلْتُه . قال : قل يا أمير المؤمنين . كيف قلت ؟

فقال الرشيد :

نَظَرَت عَيْنِى لحَيْنِى نَظَراً وافَقَ شَيْنِى

فقال أبو نواس :

سَتَرتْه إذ رأتْنِى بين طَىِّ العُكْنَتَيْنِ
فبدَتْ مِنْه فضُولٌ ما تُوارَى باليَدَيْنِ

فقال : عرفتَ القصّة يا ابن الخبيثة ! لخلف ماعرفها ، ولكن شىء وافق شيئا . فأمر له بعشرين ألف درهم . قال : وأمر بجوارِى القصر يُعْرَضن فلم يظفر بالجارية

---

(١) هذا الخبر وارد فى طبقات ابن المعتز : ٣٤ فى أخبار بشار ، وأن القصة بين المهدى وبشار وأنه هو الذى قال هذه الأبيات، وانظر أيضا تجريد الأغانى : ٣٩٩ .

فيهنّ ، فصعد ومعه مسرور الخادم فأومى إلى الحجرة التى رآها ، وإذا هى طبّاخة فحظيت عنده وولدت منه .

قال بعض النُّوبَخْتِيّين ممّن يحيط علما بأحوال أبى نواس : إن هذه الحكايات عن أبى نواس والرشيد موضوعات ، وإن أبا نواس ما دخل على الرشيد قط ولا رآه ، وإنما دخل على محمّد الأمين ، وماملك أبو نواس عشرين ألف نَواة ، فكيف عشرين ألف درهم ! !

كان محمّد الأمين يُعَرْبِدُ إذا سكر وأراد كَوْثَرٌ أن يُطْرِف الأمينَ بأبى نواس فجمع بينهما . فقال أبو نواس لكوثرٍ : إن السّقْى إليك فارفُق به ، يعنى محمدا ، فإنه إذا سكر عربد وقتل . قال : فجعل كوثر يسقيهما ، ثم إن محمّدا غلب عليه السكر فقال لكوثر : جئنى برأس أبى نواس . فأخذه كوثر فقال له : قد أُمِرتُ بقَتْلِك ولا بد من إمضاء الأمر فيك . فقال له أبو نواس : أنا والله أصحَى من أبى حنيفة ، والرجل سكرانُ وليس يُحِب قتلى ، ولكنه مغلوب . قال : ومايدريك لا بدّ من إنفاذ أمره . فقال : أغلق علىّ أىّ المجالس شئت وأَقفِل وأنا فيه حتى يصبح . ففعل ذلك واستوثق منه . فلما نهض من سكره قال : أين أبو نواس ؟ فقال له كوثر : قتلته يا سيّدى البارحة بأمرك ! فزبر كوثراً وصاح عليه وقال : والله لو قتلته قتلتُك . فأتى كوثر ففتح عليه وجعل يُضاحكه ويُلاعبه ويقول له : أنت ساحر ، أنت شيطان . ثم قال : دعنى وإياه يابن الفاعلة . والله لأفعلنّ به ولأصنعنّ . فلما نظر إليه قال له أبو نواس : إنما أنت عربيد ! فجعل لا يدع بليَّة إلّا قالها ، ومحمّد يضحك . فممّا قال[1] :

---

(١) الأبيات منسوبة إلى الحسين بن الضحاك مع إبراهيم المهدى غ (بولاق) : ٦ / ١٧٩ تجريد ٨٦٠ .

نَديمى ليس منسوباً إلى شـــىء من الحَيْف
سَقانى ثمّ حيّـانى كَفِعْل الضَّيْفِ للضيْفِ
فلمَّا دارت الـكاس دَعَا بالنِّطْع والسَّيْفِ
كذا من يَشْرَبُ المـاء مع التِّنِّين فى الصَّيْفِ

فأمر له بجائزة ومركب ، وقال : الزم المنادَمَة .

وروى فى هذه الأبيات غير هذا ، وهو أن القاسم بن الرشيد كان ماجنا وكان أجمل أهل زمانه ، فقال يوما لأبى نواس : سألتك بالله لما صَدَقْتنى عمّا أسألك . قال : إى وحياتك يا سيدى . قال: أتشتهينى ؟ قال : ما خطر ببالى هذا قط . فقال القاسم : بَلَى قد رأيتُك تنظر إلىَّ بشهوة ، فبحياتى عليك إلّا صدقتنى . فقال : يا سيدى ماأظن أحداً من العباد يراك فيعافك. فقال : يابن الفاعلة ! ثم أمَرَ به أن يُشَدَّ ويُضرب عُنُقُه. فأنشأ يقول:

نَديمى غَيْرُ مَنسوبٍ إلى شىء من الحَيْفِ الأبيات .

وتُرْوَى هذه الأبيات للحسين بن الضحاك يقولها لإبراهيم بن المهدى .

وكان[1] أبونواس قد تمشَّق كوثراً هذا، فقال له أصحابه: لِمَ لا تقول الشعرَ فيه ؟ قال : فالتفت فقال : يا مجانين أمَّا وأنا أروى بيتاً واحداً للنابغة فلا . ثم أنشأ يقول[2] :

أصبَحْتُ[3] صَبًّا ولاأقولُ بمَنْ مِنْ خَوْف من لا يَخافُ من أَحَدِ

---

(١) ذيل زهر الآداب : ١٣٦ .
(٢) الديوان : ٤٢٥ .
(٣) أصبحت صبا : فى الديوان : إنى لصب .

إنْ أنا فكرتُ فى هَوايَ لَهْ مَسَسْتُ رأسِى هل طارعَن جَسَدِى
إنّى على ما ذَكَرْتُ من فَرَقٍ لَآمِلٌ(١) أن أنالَهُ بيَدِى

وبيت النابغة الذى عناه أبو نواس هو :

نُبِّئتُ أنّ أبا قابوسَ أوْعَدَنى ولا قَرار على زَأْرٍ من الأَسَدِ

وقيل إن هذه الأبيات التى هى :

* أصبحت صَبًّا ولا أقول بِمَنْ *

إنما قالها أبو نواس فى محمد الأمين . وقالوا إن أبا نواس(٢) كان يشرب يوما مع الأمين فنشط للسباحة فلبس ثياب مُلْحَم(٣) ولبس كوثر مثل ذَلِك ووقعا فى البركة فنظر أبو نواس إلى بدن محمد فرأى شيئا لم ير مثله . فلما كان من غد جاءه الحسين ابن [أبى] المنذر مسلِّما عليه ، قال الحسين : فسألته عن خبره مع محمد فقال : ويلك! رأيت الفتنة . ثم حدثنى بخبره معه ، وأنشد هذا الشعر فى محمّد الأمين :

* أصبحت صَبًّا ولا أقول بِمَنْ * الأبيات .

قال الحسين : فقلت له : ويحك اتّقِ الله فى رَأْسك فإنه إن بلَغَه قتلَك! فأمسك.

وقيل إن الأبيات التى أباح بها الأمينُ(٥) قتل أبى نواس هى(٦) :

يا قاتِلَ الرَّجُلِ البرى ء وغاصِباً(٧) عِزَّ المُلُوكْ
كَيْفَ السَّبِيلُ لِلَثْم سا لِفَتَيْكَ أو تَقْبيلِ فِيكْ

---

(١) لآمل : فى الديوان : لا آمل .
(٢) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١٠١ .
(٣) الملحم : ثياب سداها إبريسم ، أى حرير أبيض ، ولحمته غير إبريسم .
(٤) زيادة يقتضيها تصويب الاسم .
(٥) الأمين : فى ك: المأمون، والتصويب من الواقع التاريخى .
(٦) الأبيات فى ذيل زهر الآداب : ١٣٦ .
(٧) غاصبا : فى ذيل زهر الآداب : سالبا

اللهُ يعلمُ أنَّنِي أهْوَى هَواكَ وأَشْتَهِيكْ
وأَصُدُّ عنكَ حِذَار أنْ تَقَع الظُّنون عَلَيَّ فيكْ
إنّى أهابُك أن أبُو حَ بِمَا أُجِنُّ وأَتَّقِيكْ

قالوا : الصحيح أن هذه الأبيات إنما قالها أبو نواس فى كوثر خادم الأمين .

وكان الأمين(١) معجبا بشعر أبى نواس ، فلما سمع محمد قول أبى نواس(٢) :

اسقنيها يا ذُفافه مرة الطَّعم سلافَهْ
هاتِها جَهْرًا ودَعْنِى من أحادِيثِ خُرافَهْ
قَهْوة ذات اخْتِيَالٍ سَلِمَتْ من كلّ آفَهْ
إنّ غَيْرِى مَنْ قَلاها(٣) لِرَجاءٍ أو مَخَافَهْ
ذَلّ بل ضَاعَ الَّذِى به ذل فِيها يا ذُفافهْ
مِثْلَما ذلَّت وضَاعَتْ بَعْد هارُون الخلافهْ(٤)

حَقَد عليه الأمين ذلك .

فلما أنشد قوله(٥) :

وفِتيان صِدْقٍ قد صرفن مَطِيَّهُمْ إلى بيت خَمّار نَزلنا به ظُهْرَا
فلمّا حكَى الزنّار أن ليس مُسْلِما ظَنَنَّا به خيراً فصيَّره(٦) شرّا

---

(١) الأمين : فى ك: المأمون. وانظر الطبرى : ٣/٩٧٣ .

(٢) الديوان : ٩٦ باختلاف ترتيب وزيادة .

(٣) قلاها : أبغضها .

(٤) البيت يشير إلى الخلاف الذى وقع بين المأمون والأمين ولدى هرون الرشيد .

(٥) الديوان : ٦١ — أخبار أبى نواس لأبى هفان مع خبر طويل : ٢٤—٢٥ .

(٦) فصيره شرا : فى الديوان : فظن بنا شرا .

فقلنا عـلى دين المسيـح بن مَرْيَم ٍ … فأعرضَ مُزْوَرًّا وقال لنا كُفْرَا[١]

ولـكِنْ يَهُودِيّ يُحِبُّـك ظاهراً … ويُضمِر فى المَكْنُون منه لك الغَدْرَا[٢]

فجاء بها زيتيَّة ذَهَبِيَّةً … فلم نستطع دون السُّجود لها صَبْرا

إذا ما دَنا وقت الصلاة رأيتهم … يَحُثُّونهـا حتى تَفُوتَهم سُـكْرا

وسمع أيضا قوله فى مواضع أخر من كفره ، حبسه وقال: أنت زنديق .

ولما[٣] أحضره وقرّره على الزَّنْدَقَة قال : لا والله يا سيدى . ثم أنشده بديها :

أُصلّى صَلَاةَ الخمْسِ فى حِين وَقْتِها … وأَشْهَد بالتَّوْحيد لِلّه خاضِعاَ

وأُحْسِنُ غُسْلًا إنْ ركبتُ جَنابَـةً … وإن جاءنى المِسكِينُ لم أَكُ مانِعاَ

وإنّى وإنْ حانت من الـكَأْسِ دَعْوةٌ … إلى بيعة السَاقِى أَجِبْهُ[٤] مُسارِعًا

وأَشْرَبها صِرْفا على جَنْبِ[٥] ماعزٍ … وجَدْيٍ كثير اللَّحْمِ أصبح راضِعاَ

بجُوذاب[٦] حُوَّارَى وخُبْزٍ[٧] وسُكَّرٍ … وما زال للمخمور مُذْ كانَ نافِعاَ

وأَجْعَلُ تَخْلِيطَ الرَّوافِض كُلِّهم … لِفَقْحَةِ بَخْتَيْشُوع فى النَّارِ طَابِعاَ

قال : فضحك وقال : ويلك كيف اختصرت على بختيشوع ! فقال : يا سيدى لم تستقِم القافية إلّا به . فأمر له بجائزة وأطلقه .

---

(١) كفرا : فى رواية هجرا . والهجر : القبيح من الـكلام.

(٢) الغدر : فى رواية : الختر ، وهو بمعناه .

(٣) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٦٩ـ تاريخ بغداد : ٧/٤٤٠ .

(٤) أجبْه : فى تاريخ بغداد : أجبت .

(٥) جنب : فى تاريخ بغداد : لحم .

(٦) الجوذاب : طعام يتخذ من لحم ورز وسكر .

(٧) خبز : فى تاريخ بغداد وابن عساكر : جوز .

قال عاصم بن حُمَيْد بن تمِيم الورَّاق[1] : رأيت أبا نُواسٍ وهو فى سراويل والناس يَجُرُّونه ويضربونَه فى قفاه بالنِّعال ويقولون : زِنْدِيق ، ويرمونه بالحجارة حتى أدخلوه إلى محمد بن زُبَيْدة . فقال : ما هذا ؟ قالوا : زنديق . فقال : السيف والنِّطع . فقال أبو نواس : أصلِّى ركعتين . فأفرجوا عنه، فتهيَّأ للصلاة ثم رفع رأسه إلى السماء وكَبَّر وصَلَّى ركعتين ، وقال[2] :

سُبحانَ من خَلَقَ الخلْـ ... قَ من ضَعِيفٍ مَهِينِ[3]
فساقــه من قَرَارٍ ... إلى قرارٍ مكــينِ
فى الحُجْبِ شيئاً فشيئاً ... يُحارُ[4] دونَ العيونِ
حَتَّى بَدَتْ حَرَكاتٌ ... مَخْلُوقَةٌ من سُكونِ

فقال محمد : ما هذا زنديق . أعطوه ألف درهم واخلعوا عليه . فخرج تحت الخِلَع وطردوا الناس عنه . وقال : أَجْرُوها عليه. فلم يَزل يُجْرِيها عليه حتى مات .

قال النظام : لما سمعت هذه الأبيات نبَّهتْنِى لشيء كنت غافلا عنه حتى وضعت كتاباً فى الحركة والسكون .

قال ابنُ حبيب[5] : كنت مع مُؤْنس بن عِمران ونحن نريد الفَضْلَ بن الربيع ببغداد . فقال لى مؤنس : لو دخلنا على أبى نواس فى السجن فسلّمنا عليه . ففعلنا . فقال أبو نواس لمؤنس : أين تريد ؟ قال : أردت أبا العباس الفضل بن الربيع .

---

(١) فى تهذيب ابن عساكر خبر عن هذه الأبيات يخالف ما هنا ، وأنه كتبها على دفتر كتب عليه أبو العتاهية أبياتا قبله ، وكذا فى طبقات ابن المعتز ٢٠٧ .

(٢) الديوان : ٦١٩ ــ طبقات ابن المعتز (ثلاثة أبيات) : ٢٠٧ .

(٣) ضعيف مهين : يشير إلى قوله تعالى (من ماء مهين) .

(٤) يحار: فى الديوان: يحور. والمعنى يحول من شيء إلى شيء، ورواية البيت فى طبقات ابن المعتز:

يحول خلقــا فخلقا ... فى الحجب دون العيون

(٥) الخبر والأبيات فى الطبرى : ٩٧٣/٣ .

قال فتبلّغه(١) رقعةً أعطيكها ؟ قال : نعم . فأعطاه رقعة فيها(٢) :

ما مِنْ يَدٍ فى النـاسِ واحدةٍ كَيَدٍ أبو العبـاس مَوْلاهَا(٣)
نام الثقات(٤) على مَضاجِعِهم وسَرَى إلى نَفْسِى فأحياهَـا
قد كنتُ خِفتُكَ ثم آمَنَنِى مِن أن أخافَكَ خَوْفُكَ اللهَ
فعفَوْتَ عَنِّى عَفْوَ مقتَدِرٍ وَجَبَتْ له نِقَمٌ فألْغاهَـا

فكانت هذه الأبيات سبب خُروجه من السجن .

انصرف أبو نواس من بعض المواخير سكران فمرَّ بمسجدٍ قد حضرت فيه الصلاة فدخل . فقام فى الصفّ الأول فقرأ الإمام « قل يا أيها الكافرون » ، فقال أبو نواس مِنْ خَلْفِهِ : لبَّيْك . فلمَّا قُضِيت الصلاة لبَّبُوه وقالوا له : يا كافر نشهد عليك بالكفر ، ورفعوه . فبلغ خبرُه الرشيدَ فدعا له حَمْدَوَيْه(٥) صاحب الزَّنادِقَة وأحضره ، فقال له ياأميرالمؤمنين: إن هذا ماجن وليس هو بحيث يظُنُّ أميرُ المؤمنين . فقال له الرشيد : ويحك! إنه وقع فى نفسى منه شىء فامتحِنْه . قال : فخط له صورة مانى وقال له ابصق عليها . فأهوى أبو نواس يده إلى فيه ليقىء عليها . فقال له حَمْدَوَيه: قد قلت لك ياأميرالمؤمنين إنّه ماجن . قال: ودعا برجل من الزنادقة مشهور فقال له : ابصُق عليها فقال: وما معنى البصاق ، إنه ليس من أخـلاق السَّراةِ(٦) ولا أفعالهم . وأبى أن يفعل . فقال الرشيد لبعض خدم القصر : امض بهذا ـ يعنى أبانواس ـ إلى السِّنْدِى(٧) فقل له أدِّبه وأَطْلِقه ، وبهذا ـ يعنى الزنديق ـ فقل له احبسه

(١) فتبلغه : فى النسخ : فبلغه ـ والتصويب من الطبرى .
(٢) الديوان : ٤٥٩ .
(٣) أبو العباس : الفضل بن الربيع ـ مولاها : صاحبها والمتفضل بها .
(٤) الثقات : الخلصاء والأصدقاء .
(٥) حمدويه : فى ك وت : حمدونة والتصويب من الوزراء والكتاب . وهو حمدويه بن على
(٦) فى ت : الشركة .
(٧) السندى : هو السندى بن شاهك وكان يلى الجسرين ببغداد (الوزراء : ٢٣٦) .

قبلك إلى أن تستتيبه، فإن تاب وإلا اقتلناه . فمضى بهما الخادم، فلما صار فى آخر الصحن قال أبو نواس للخادم: إلى أين تذهب بنا ؟ قال : إلى السِّنْدى . قال : ما تقول له ؟ قال : أقول له يحبسك قبله حتى تستتاب أو تقتل ، ويؤدب هذا ويطلقه . قال : فرفع أبو نواس يده ولطمه وقال: ياابن الزانية أمن الساعة نسيت ؟ ! وبصر بهم الرشيد فقال : ردوهم . فردوهم . فقال لأبى نواس : ما هذا الذى رأيت منك ؟ قال أراد والله أن يهلكنى ويطرحنى بحيث أُنسى أبدا وأبقى مخلّدا . سله ياأمير المؤمنين عن الرسالة. فسأله فإذا هو قد غيّرها . فضحك من أبى نواس وأطلقه .

قال محمد بن المُكَرَّم : هذا والله من المُجون البارد الغَثّ الخارج عن حد العقل والأدب والاستحسان . ولعمرى إنّ الماجن ليتأدّب مع مخلوقٍ مثله إذا كانت له أدنى صورة ، فكيف لا يتأدّب مع القدرة الرّبانية ! ولأبى نواس فيما عدا ذلك من المجون مجال مُتّسع . ولقد أذكرتنى هذه الصورة حكايةً عجيبة سمعتها ، وذلك أنّى مررت فى بلاد الغور على سَدُوم ومدائن قوم لوط والبُحَيْرة ، فرأيت فيها من العبرة ما ذكره الله عز وجل فى كتابه الكريم فى قلبها ، ورأيت عاليها سافلها وسافلها عاليها ، وهى فى غاية ما يكون من الظلام والقتام والخراب، تقشعر منها الجلود حتى كأنّ النار فى أرجائها ، والدخان يتصعّد من أنحائها ، فتعجبت من ذلك وتعوذت من عذاب الله تعالى . فقال لى شخص من أهل زغر : أُطْرِفُك بأعجوبة ما يُحْكَى أعجب منها ! فسألته عنها فقال : مرّ رجل فى هذا المكان فرأى ما رأيتَ من هذه المدائن فتعجّب منها وسأل عنها فقيل له : هذه مدائن قوم لوط ، فقال : هاه ، هذه مدائن أصحابنا . فما استتم كلامَه حتى غاصت به الأرض وابتلعته ، فكأن لم يكن فى موضعه أحد ! فليت شعرى ماالحامل لأبى نواس على هذا المجون المملوء من التهكّم بالربوبية ! نعوذ بالله من خذلانه ، ونستغفر الله رَبَّ العالمين.

قال رزين الكاتب : اجتمعنا يوما أنا وأبو نُواس وعلىّ بن الخليل والقراطيسى فى سوق الكَرْخ ، وكنا نجتمع ونتناشد ونتذاكر ونتحدّث ، فقال أبو نواس: ياقوم جفانى أوْثرُ مَنْ كان فى نفسى ، وكان أسرع الخلْق إلى طاعتى ، فما أدرى ما أحتال له . فقال على بن الخليل يمازحه : يا أبا علىّ سل شيخك وأستاذك يعطفه عليك ! قال : مَن تَعْنِي ؟ قلت : من أنت فى طاعته ليلك ونهارك ، يعنى إبليس، فإن لم يقض لك هذه الحاجة فما ينبغى أن تسأله مسئلة ، ولا أن تقرّ عينه بمعصية . فقال : هو أشدّ كرامة من أن يخلّ بى ويخذلنى . وانفض مجلسنا ذلك . فلما كان بعد أيام اجتمعنا فى ذلك الموضع وأخذنا فى أحاديثنا ، فضحك أبو نواس ، فقلنا : ما أضحكك ؟ فقال : ذكرت قول على بن الخليل يومئذ سل شيخك يعطِّف عليك حبيبك ، قد سألته يا أبا الحسن فقضى الحاجة ، وما مضت والله ثالثة حتى أتانى من غير أن أبعث إليه ومن غير أن أستزيره ، فعاتبنى واسترضانى ، وكان الغضب منه والتجنّى ! وأحسب الشيخ كان يتسمع علينا فى وقت كلامنا . وقد قلت أبياتا فى ذلك. فقلنا له : هاتها فأنشد[1] :

لمَّا جفانِى الحبيبُ وامتنعت ... عَنِّى الرسالاتُ منهُ والخبَرُ
اشتدّ شوقِى فكاد يَقْتُلنِى ... ذكْرُ حبيبى والهمّ والفكر
دعوتُ إبليسَ ثم قلتُ له ... فى خَلْوةٍ والدُموع تَنْحَدِرُ
أمَا ترَى كيف قد بليت وقد ... أقرَح جَفْنِى البكاءُ والسهرُ
إنْ أنتَ لم تُلْقِ لى المودَّة فى ... صَدْرِ حبيبى وأَنْتَ مُقْتَدِرُ
لا قلتُ شعراً ولا سمعتُ غِناً ... ولا جَرَى فى مَفاصِلِى السَّكَر
ولا أَزالُ القرآن أدْرُسه ... أرُوحُ فى دَرْسه وأبتَكِرُ

---

(١) الديوان : ٣١٣ عدا البيتين الأخيرين .

وأَلْزَم الصومَ والصَّلاةَ ولا   أزالُ دَهْرِى بالخَيْرِ آتَمِرُ
فما مضَتْ بعد ذاك ثالِثَةٌ   حتى أتانى الحبيبُ يَعْتَذِرُ
ويطلُبُ الوُدَّ والوِصالَ على   أفضل ما كان قَبْلُ يَهْتَجِرُ
فيالهـا مِنَّة لقد عَظُمَتْ   عندى لإبليسَ ما لها خَطَرُ

قال الحسين(١) بن أبى المنذر : كان أبو نواس يشرب عند عبيد بن أبى المنذر وبات ليلته ثم قال : لا بد لى من غُمَّى(٢) فقوموا بنا . فأتيناها ودخلنا حانةَ خَمَّار قد كان يعرفه ومعه غلام كان قد أفسده على أبويه وَغَيبه عنهما زمانا ونحن فى أطيب موضع . فذكّرنا ما نحن فيه من الطِّيبة والنعيم نعيمَ الجنة وطيبها والمعاصى وما يحول عنه منها وهو ساكت ، فقال(٣) :

يا ناظراً فى الدِّين ما الأَمْرُ   لاَ قَدَرٌ صَحَّ ولا جَبْرُ
ما صَحَّ عندِى من جَمِيعِ الّذِى   يُذْكَر إلّا المَوْتُ والقَبْرُ

فامتعضنا من قوله وأطلنا توبيخه وأعلمناه أننا نتخوف من صحبته . فقال : ويلكم والله إنى لأعلم ما تقولون ، ولكن المجون يُفرط علىّ ، وأرجو أن أتوب فيرحمنى الله تعالى . ثم قال(٤) :

أيّة نارٍ قدح القادِحُ   وأىّ جدٍّ بلغ المازِحُ
لِلّه درُّ الشَّيْب من واعِظٍ   وناصحٍ لو حذر(٥) الناصحُ
يأبى الفتى إلّا اتباع الهوَى   ومنهجُ الحق له واضِحُ

---

(١) تاريخ بغداد : ٧/٤٤١ ـ أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٣٦ ـ تهذيب ابن عساكر : ٢٧٠ .
(٢) غمى : قرية من نواحى بغداد قرب البردان وعكبرا .
(٣) الموشح : ٢٧٦ ـ وفى المعانى للعسكرى : ٢/٢٥١ بدون عزو .
(٤) الديوان : ٦١٨ .
(٥) حذر : فى الديوان : سمع .

فاعمد[١] بعينيك إلى نسوة　　مهورهنّ العملُ الصالِحُ
لا يَجْتَلِي العذراء[٢] في خِدْرِها　　إلا امروٌ ميزانُه راجِحُ
من اتَّقى اللهَ فذاكَ الَّذِي　　سِيقَ إليه المَتْجَرُ الرَّابِحُ
فاغْدُ[٣] فما الدِّين أُغلوطةٌ　　ورُحْ بما أنت له رائحُ

ثم قال : هذا هو عمل الشيطان ألقى الزهد في الكلام ليُفسد يومكم . فلمْ نزَل في أطيب موضع . فلما أردنا الانصراف قال : أمْهِلُوا ، ثم أنشدنا[٤] :

يا رُبَّ مجلِسِ فتيانٍ لهوتُ[٥] به　　والليل مستخلَس[٦] في ثَوْبِ ظَلْمَاءِ
نشْتف[٧] صافيةً من صدر خابِيَةٍ　　تُعْشِي عيونَ نداماها بلألاءِ

كان الجاحظ يقول[٨] : لا أعرف من كلام الشعراء كلاماً هو أرفع ولا أحسن من قول أبي نواس :

* أيَّةَ نارٍ قَدَح القادِح . . . *

قال سليمانُ بن أبي سهل[٩] : مرَّ بي أبو نواس في يوم من أيام الربيع وقد طَشّت السماءُ[١٠] فلما دخل من الباب لم يكلمني حتى قال[١١] :

---

(١) فاعمد في الديوان : فاسم .
(٢) العذراء : في الديوان وأبي هفان : الحوراء .
(٣) فاغد : في الديوان : شمر .
(٤) الديوان : ٧٠١ .
(٥) لهوت : في الديوان : سموت .
(٦) مستخلس : في الديوان : محتبس .
(٧) نشتف : في الديوان : لشرب .
(٨) تاريخ بغداد : ٧/٤٤٢ ـ تهذيب ابن عساكر ٤/٢٧٠ .
(٩) أخبار أبي نواس لأبي هفان : ٢٠ وقد تقدم هذا الخبر في ص١٠٣ عن أحمد بن العباس .
(١٠) طشت السماء : أمطرت فوق الرذاذ .
(١١) الديوان : ٥ .

ما مِثْل هذا اليوم فى طِيبِه   عُطِّلَ من لَهْوٍ ولا ضُيِّعَا
فما تَرَى فيه وما ذا الّذى   تُحِبُّ فى ذا اليوم أن تَصْنَعا
هَلْ لك أن نغدُو على قَهْوَةٍ   تُسْرِع فى المرء إذا أسْرَعا
ما وَجَد الناس وما جَرَّبُوا   لِلْهَمِّ شيئاً مِثْلَها مدفَعَا

قال : فقلت له : ما كان يُسْعِدُنى على هذا اليوم غيرك . أقم فعندنا كلّ ما تحتاج إليه. فأقام عندى يَوْمَه. فلما كان فى السَّحَر وقد أفرط عليه السُّكر حتى ظننته لا يُطيق إنشادَ بيت ، قال : يا سليمان اسمع وأنشد(١) :

باح لسانى بمضمَرِ السِّرِّ   وذاك أنِّى أقول بالدهر
ولَيْسَ بَعْدَ المَماتِ مُرْتَجَعٌ   وإنما الموت بَيْضة العقر

ثم قال اكْتُمْ عنِّى فالمجالس بالأمانة .

قال إبراهيم بن محمد الكَرْخى : أرسل إلىّ سليمان بن أبى سهل بن نوبخت أن أبا نواس عندنا فصِرْ إلينا فإنى أحسبك لا تراه بعد اليوم . فلم ألبث أن جاء أبو نواس فدخل وعليه درّاعة وَشْىٍ كوفى ، وقلنسوة ما رأيت أحسن منها ، وإذا العلّة قد بلغت به ، فهو فى آخر رمقه . فلم يجد أوسع من الموضع الذى أنا فيه فجلس إلى جانبى . فقلت له : يا أبا علىّ ما رأيتك لبستَ مثل هذا اليوم! فقال لى: وما تعرف قصته ؟ قلت : لا والله ، وما هى ؟ قال : أمر الرشيد الكسائى أن يختلف إلى محمد بعد ما ولاه العهد وأمره أن يلزمه وأن يحضرنى إذا حضر لأنشد محمداً الشعر النادر وأحدّثه الغريب ، فكنت أفعل . وكان خادم من قبل الرشيد موكّل بمحمد ، فجرى بين الخادم وبين محمد يوما كلام وأنا حاضر . فقال محمد : يا أبا نواس اهجُ هذا الخادم ابن الفاعلة. قال : فقلت نعم يا سيدى . وقلت فى نفسى قد وقعت فى بليّة ، إن هجوتُ الخادم خفت أن يغتابنى

(١) الموشح: ٢٧٧ — رسائل بين المعرى وداعى الدعاة : ٧ — وفى معانى العسكرى: ٢ / ٢٥١ نسبت لابن أبى البغل — وفى الأشربة : ٤٣ نسبت إلى روح المعروف بابن همام .

عند الرشيد فيقتلنى ، وإن لم أفعل خفتُ محمدا أن يقتلنى . فانصرفت على أن أهجو الخادم فلم أرجع أياما، فما علمت إلا والكسائى قد وافانى فقال لى : ويلك إنّ محمداً الأمين يتهدّدك بالقتل إن لم تهجُ الخادم . فقلت : ياأباالحسن ، ما يحتال لى فى هذا غيرك . فقال : أنا صائر إليه ومصلح بين الخادم وبينه ، فإذا فعلت أخبرته أننى لقيتك الساعة مُنصرفا من دار العبّاس بن موسى الهادى، وأنك عند خروجك من عندنا لقيك فأخذك أسيراً فمضى بك إلى منزله فلم يدعك إلا فى هذا اليوم ، فإنه سيبعث إليك فيحضرك ، فلا تبرح من منزلك. فمضى الكسائى فأصلح بينه وبين الخادم وخَبَّره بما قال لى . فبعث إلىّ محمد فصرت إليه ، وقلت له مثل ما قال الكسائى. قلت : وبلغنى أنك تهدّدنى بالقتل ! فقال : نعم ، فلما بلغك أنى تهدّدتك بالقتل ما قلتَ فى ذلك؟ فحضرنى على المكان(١) .

بك أستجير من الرّدى ... وأعوذُ من سطوات بأسك

وحياةِ رأسك لا أعُو ... دُ لمِثْلِها وحَياةِ راسِكْ

فإذا قتلت أبا نُوا ... سِكَ من يكون أبا نُواسِكْ

فتبسم ثم قال : لا يكون . ياغلام اذهب إلى فلان الخادم فقل له : ابعث بالتَّخْت(٢) الذى بعثت به البارحة سيدتى أم جعفر . فذهب الغلام فجاء بالتّخت فدفعه لى . وانصرفت فكان فيه ثَوْبَا وَشْيٍ هذا أحدها ، والآخر احتجت إلى ثمنه فبعته ، وقطعت هذه الدرّاعة(٣) والقلنسوة واحتجت إلى أن رهنت الدراعة . فلما بلغت من العلّة إلى ما تَرَى قلت : أُنْعِم نفسى بلبس هذه الدرّاعة فافتككتُها(٤) ولبستها . وفارقته فى ذلك اليوم فما رأيته بعده .

---

(١) الديوان : ٤٢٤ .

(٢) التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

(٣) الدراعة : الجبة المشقوقة المقدم ، ولا تكون إلا من صوف .

(٤) افتككتها : استخلصتها من الرهن .

ومما قاله فى هذا المعنى يعاتب الأمين به(١) :

قُلْ للخليفة إننى حسن أراكَ بكل ناس(٢)
مَنْ ذا يكون أبا نُوا سِك إنْ حَبَسْتَ أبا نُواسِ
أقْصَيْتَه ونسيتَه ولِعَهْده بك غيرُ ناسِى
قد كنتُ آمُل غيرَ ذا لو كنتَ تُنصف فى القياسِ
إنْ أنت لم تَرْفع به(٣) رَأْساً هُدِيتَ فنصف راسِ

فلما سمع العتَّابى(٤) بذلك قال له :يا ابن كذا وكذا ما أحسن نصف رأس خليفة يرفع ! فقال : جعلنى الله فداك يا أبا عمرو لا تنبهنّ على ذَنْبى فتهلكنى .

هذا(٥) عندى من الشعر الذى لا يخاطَب به الخلفاء ولا يخاطَب به إلا من لا أستحسن ذكره ، فإن عليه أمارُ الفِسْق والتخانُث .

كان أبو نُواسٍ يختلف إلى محمد بن زُبَيْدَة(٦) ، وكان الكسائى يعلّمه النحو، فقال أبو نواس للكسائى: إنى أريد أن أقبّل محمدا. فقال له الكسائى : إنّ علىّ فى هذا وصمة وأكره أن يبلغ هذا أميرَ المؤمنين . فقال له أبو نواس : إنك إن تركتنى أقبّله وإلا قلت فيك أبياتا ورفعتها إلى الرشيد . فأبى عليه الكسائى وظن أنه لا يفعل .

---

(١) الديوان : ٤٢٤ .

(٢) فى الديوان : حتى أراك بكل باس .

(٣) به : فى الديوان : له .

(٤) الموشح : ٢٧٨-٢٧٩ .

(٥) هذا تعقيب ابن منظور على الشعر .

(٦) الخبر وما فيه من أبيات فى تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٦٥. وتروى قصة مماثلة مع قطرب وحماد تجريد : ١٥٩٩ - فى المستطرف (٢/٣) أنها بين بشار وحماد .

فكتب أبو نواس فى رقعة(١) :

قل للأمير جَزاكَ اللهُ صالحةً لا تجمَع الدّهرَ بين السخْلِ والذّيب

السَّخْل غِرٌّ وهمُّ الذئب غَفْلَتُه والذّئب يعلمُ ما فى السَّخل من طِيبِ

ويروى : * السّخل يعلم أنّ الذئبَ آكله *

ورفعها إلى بعض الخدم ليوصّلها إلى الرشيد فجاء بها الخادم إلى الكسائى . فلما قرأها علم أنه شعر أبى نواس ، وأنه لا يُقلع عنه إلا بقضاء حاجته . فلما جاء أبو نواس فى الغد، وهو لا يشكّ فى وصول رقعته إلى الرشيد، قال له الكسائى : ويحك هذا أمر عظيم وأخاف أن يلحقنى منه مكروه ، ولكن سأتلطف لك فغب عنا أياما ثم احضر كأنك قادم من غيبة وسلِّم علىّ وعلى محمد ، فإنّى أسلّم عليك وأعانقك ، ويسلّم عليك محمد ويعانقك ، فتكون قد قبّلته ولم يُنْكِر عليك ولا علىّ وتبلغ حاجتك . فغاب ، وتحدّث الكسائى أن أبا نواس غائب . ثم جاء فقام إليه الكسائى وسلّم عليه وعانقه، وسلّم أبو نواس على محمد وقبله . وقال أبو نواس :

قد أحدث الناسُ ظَرْفاً يَعْلُو علـى كلِّ ظَرْفِ

كانوا إذا ما تَـلاقَوْا تصافَحُوا بالأَكُفِّ

فأَحْدَثوا اليومَ رشف الـ خُدود والرَّشْفُ يَشْفِي

فصرتَ تلثم من شئـ ت من طريق التَحَفِّى

فصار رَشْفٌ وبَوْسٌ وذاكَ يَشْفِي ويَكْفِي

والحمد لِلّهِ هـذا من بعض لَهْوِى وقَصْفِي

قال الصولى : من هذا أخذ ابن المعتز قولَه :

قِفْ لنا فى الطَّرِيقِ إنْ لم تزُرْنا وَقْفَةٌ فى الطَّرِيق نِصفُ الزِّيارَهْ

(١) الديوان (آصاف) : ١٧٥ . وقال : إنها فى قطرب النحوى . ونسبت الأبيات لحماد عجرد بجريد ١٥٩٩ . وفى المستطرف ٢/٣ نسبت إلى بشار .

قال ابن طاهر: وهذا الحديث مصنوع باطل ، لأن أبناء الخلفاء فى مثل حال المخلوع أجلّ مكانا أن يعانِقُوا أحداً من الرعية .

وقد ذكر هــذا الشعر لعبد الصمد بن المعذّل . وأخبرنى أبو علىّ الفضل بن جعفر بن الفضل بن يُونس المعروف بالنصير أنه له ، وأنه قاله وهو فى الـكوفة فى حَداثَة من سنه .

لما[١] قدم أبو نواس على الخصيب بمصر أذِن له وعنده جماعة من الشعراء، فاستنشده فقال له : ههنا جماعة من الشعراء هم أقدم منى وأسن فَأْذَنْ لهم فى الإنشاد ، فإن كان شعرى نظير أشعارهم أنشدت وإلّا أمسكت . فاستنشدهم فأنشدوا مديحا فى الخصيب فلم تـكن أشعارهم مقاربة لشعر أبى نواس . فتبسّم ثم قال : أنشدك أيها الأمير قصيدة هى بمنزلة عصا موسى تلقف ما يأفـكون ! قال : هات فأنشده[٢] :

أجـارةَ بيْتَيْنَا أبوكِ غيُورُ ومَيْسُورُ مايُرْجَى لَدَيْـكِ عَسِيرُ

حتى أتى على آخرها . فانفضّ الشعراء من حوله .

ويقال : إن أبا نواس كان خرج إلى مصر فى زىّ الشطّار[٣] وتقطيعهم بطرّة قد صففّها وكُمّين واسعين وذيل مجرّرة ونَعل مُطْبَق . وكان خروجه مع سليمان بن أبى سهل ، فلما دخل على الخصيب بهذه الصورة ازدراه واستخفّ به . وكان أورد عليه كتبَ الجلّة ممن بباب السلطان ، فقرأ كتبه ولم يستنشده . فانصرف مهموما .

---

(١) المستطرف : ١/٢٠١–٢٠٢ .

(٢) الديوان : ٤٨٠ .

(٣) الشطار : طائفة من أهل البطالة المستهترين بالدعارة ، وكان اجتماعهم على الفساد والضلال وكلهم من ذوى الطبائع الثورية الخارجين على النظم الاجتماعية والأوضاع الخلقية ، وكانوا يعرفون أيضا بالفتاك. وكان لهؤلاء زهو بذلك وخيلاء حتى اتخذوا لهم زيا خاصا بهم ، وأخص ما فيه مئزر يأتزرون به على صدورهم يعرف بإزرة الشطار (بتصرف من ألحان الحان) .

وجاءه أهل الأدب فاستمعوا شعره وكتبوه وأنشدوه للخصيب فاستحضره ، فأنشده :

أجارة بيتَيْنا أبوكِ غيـــور ومَيْسور ما يُرْجَى لديكِ عسير

فلما بلغ إلى قوله :

تقول الّتي من بَيْتها خَفَّ مركَبِي عزيزٌ علينا أن نراكَ تَسيرُ
أما دُونَ مِصْرٍ للغِنَى مُتَطَلَّبٌ بَلَى ! إنّ أسبابَ الغِنَى لَكثيرُ
فقلتُ لها واستعجلَتْها بَوادِر[1] جرَتْ فجرَى فى جَرِيهِنَّ عَبِيرُ[2]
ذرِينى أُكَثِّرْ حاسِدِيك بِرِحْلَةٍ إلَى بَلَدٍ فيها الخَصِيبُ أَمِيرُ

فقال له الخصيب : إذاً يكثُر حُسَّادها وتبلُغ أملها . وأمر له بألف دينار .

ومن هذه القصيدة :

إذا لم تزر أرضَ الخصيب رِكابُنَــا فأىّ فتًى بعـــد الخَصِيب نَزُورُ
فما جازَه جُود ولا حَـــلَّ دونَه ولكنْ يصير الجودُ حيث يَصِيرُ
فَتًى يشــتَرِى حُسْنَ الثناءِ بمَالِه ويعـــلم أنَّ الدائراتِ تَــدُورُ
ولم ترَ عَيْـنِى سُؤْدداً مِثْلَ سُؤْددٍ يحِلُّ أبو نَصْرٍ به ويَسِيرُ
وإنى جديرٌ إذ بلغتُك بالمُنَى وأنتَ بمـا أمَّلْتُ منــكَ جَدِيرُ
فإنْ تُولِنى منكَ الجَمِيـلَ فأهْـلُه وإلا فإنى عــاذِرٌ وشَــكُورُ

فلما كان من غدِ ذلك اليوم الذى دخل فيه أبو نواس دخل إليه أيضا واستنشده فأنشده[3] :

يا منَّـــة إمْتَنَّهـا السُّكْرُ ما ينْقضى مِنّى لهـــا الشُّكْرُ
أعْطَاكَ فوقَ مُناكَ من قُبَلٍ قد كان قَبْلَ مَرامِهـــا وَعْرُ

---

(١) بوادر : دموع منهملات .

(٢) عبير : رائحة طيبة مما تدهن به من طيب .

(٣) القصيدة فى الديوان : ٤٧٨ .

يثنى إليك بها سوالفه[١] رشأ صناعة عينه السحر
ظلت حميا[٢] الكأس تبسطنا حتى تهتك بيننا الستر
فى مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر[٣]

قوله: وحلت الخمر. كان قد حلف ألا يشرب حتى يواصله الذى شبب به فواصله فقال: وحلت الخمر. إلى أن انتهى إلى قوله:

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر
لا تقعدا بى عن مدى أملى شيئا فما لكما به عذر
ويحق لى إذ صرت بينكما ألا يحل بساحتى فقر

فقال له الخصيب: إذاً لا يخيب أملك ولا ينقطع مرادك. ثم أمر له بألف دينار أخرى. فقبض الألفين، ثم بكر عليه فى اليوم الثالث فأنشده:

محضتكم يا أهل مصر نصيحة فدونكم من ناصح بنصيب
ولا تثبوا وثب السفاة[٤] فتحملوا على حد حامى[٥] الظهر غير ركوب
فإن يك باقى إفك فرعون فيكم[٦] فإن عصا موسى بكف خصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية أكول لحيات البلاد شروب

---

(١) سوالفه: جمع سالفة وهى صفحة العنق أو أعلاه، وللعنق سالفتان ولكنه جمعها على جعل كل جزء سالفة.

(٢) حميا الكأس: سورتها وحدتها وبلوغها من شاربها.

(٣) فى الشعر والشعراء قال ابن قتيبة: وهذا بيت يسأل عن معناه، وإنما أخذه من قول امرئ القيس حين قتلت بنو أسد أباه فحلف لا يشرب خمرا حتى يدرك ثأره، فلما أدرك ثأره قال:

حلت لى الخمر وكنت امرأً عن شربها فى شغل شاغل

(٤) السفاة (بالضم): الحية، فإن كسرت السين فيكون جمع سفيه أى السفهاء.

(٥) حامى الظهر: يعنى السيف.

(٦) الرواية فى الديوان: فإن يك فيكم إفك فرعون باقيا.

وكان أهل مصر قد شَغِبوا[١] على الخصيب لزيادة فى أسعارهم ، وكان على شُرْبه وعنده أبو نواس ، فوثب أبو نواس وقال : دعنى أيها الأمير أكلّمهم . فقال : ذاك إليك . فخرج حتى وافى المسجد الجامع وقد تواعَدُوا أن يجتمعوا فيه ، فأنشد هذه الأبيات ، ويقال إنه ارتجلها على المنبر ، فلمّا سمعها من اجتمع تفرّقوا فلم يبق أحد منهم . وعاد إلى مجلس الخصيب فأمر له بألف دينـار أخرى ، وقال له : ارتحل فما لك عندنا مقام ، فزوّده من طرائف ما بمصر ووهب له جارية حسناء ووصيفا نظيفا ، وقال له: ارتحلهما فى طريقك وتزوّد منهما فى مقامك .

قدم[٢] بعض التجار من الرُّوم بغلمان فعُرِضوا على الخَصيب ، فإذا فيهم غلام بديع الحسن فريد الجمال حين بلغ ، فقال الخصيب : علىّ بأبى نواس. فحضر فأراه الغلام وقال: أرأيت فى من وصفت من الغلمان مثل هذا قط ؟ ! قال : لا . قال : فهو لك . فأخذه ثم مكث يسيرا فأتى بعض التجار أيضا ومعه جوارٍ روميّات بديعات الحسن غريبات الجمال ، فعُرِضْن عليه وإذا فيهن وصيفة غُلاميَّة عجيبة أحسن من فيهن ، فدعا أبانواس فقال : أرأيت فى الغلاميّات التى وصفتهن مثل هذه قط ؟ قال : لا . قال : فهى لك فمضى بها .

وكان الناس يتعجّبون من جمالهما . فكان[٣] إذا خرج من منزله أخرجهما معه وإذا دخل أدخلهما معه ، فطال عليه ذلك ، فدعا غلامه وقال له: قد زوّجتك بها . فعذلَه أصحابُه وعنّفوه وقالوا : قد ضيّعتها وكنت أحقّ بها منه مع كثرة ثمنها . فقال : إنى قد دبرت أمرهما فأحسنت التدبير لأنى لا أعفّ عنهما ، وهذان إذا نظر أحدهما إلى الآخر

(١) شغبوا : فى ت : شنعوا .

(٢) الخبر فى طبقات ابن المعتز : ٢٠٥ باختلاف .

(٣) فى المحاضرات للراغب ٢/ ١٢٠ حكيت هذه القصة عن ابن نوبخت .

لم يصبرا أن يجتمعا ، فأردت أن أزوّجه بها لتكون امرأته وأُكَشْخِنَه[١] أنا فيها ، وذلك أحبّ إلىّ من أن تكون جاريتى ويكشخننى هو فيها .

قال الرشيد يوما لأبى نواس[٢] : أنشدنى قولك فى الخصيب :

* منحتُكُم يا أهل مصر مودّتى . . . *

فأنشده إياها. فلما بلغ إلى قوله :

فإنْ يك باقى إفكُ فِرْعونفيكم ⁂ فإنّ عصاً موسَى بكَفِّ خَصِيب

فقال له الرشيد : ألا قلت « فباقِى عصا موسَى بكَفِّ خَصِيب » ! فقال له : هذا ياأمير المؤمنين أحسن ، ولكنه لم يقع لى .

وقيل: إن أبا نواس إنما كان امتدح الخصيب بقصيدته التى هى[٣] :

لم تَدْرِ جارتُنا ولا تَدْرِى ⁂ أنَّ المَلامَةَ ربَّما[٤] تُغْرِى
هَبَّت تلُومك غيرَ عاذِرَةٍ ⁂ ولقد ترَى لك واضِحَ العُذْرِ[٥]
واستبعدَتْ مصراً وما بُعدت ⁂ أرضٌ يكون بها أبو نَصْرِ
ولقد وصلتُ بك الرجاءَ ولى ⁂ مندوحةٌ لو شئتُ عن مِصْرِ
فيما تنافسه الملوكُ من الْ ⁂ حُورِ الحسان وعاتِقِ الخَمْرْ
ومحدّث كثرت طرائفه ⁂ عانٍ[٦] لدىَّ لقلّة الوفر
إنِّى لآملُ يا خصيبُ على ⁂ يَدِكَ السعادةَ[٧] آخر الدَّهْرِ

---

(١) كشخنه : جعله ديوثا .

(٢) الموشح : ٢٧٦ .

(٣) الديوان : ٤٨٤ـ٤٨٥ .

(٤) ربما : فى الديوان : إنما .

(٥) الرواية فى الديوان: ولقد بدا لك أوسع العذر .

(٦) العانى: الأسيرـ الوفر : المال.

(٧) السعادة : فى الديوان : البشارة .

وكذاكَ نعمَ السُّوق أنتَ لمن كَسَدت عليه تِجارَةُ الشِّعْرِ
أنت المـبرّز يوم سبقهم أنتَ الجواد بِعِرْقِه[1] يَجْرِي
عرف الخليفةُ أنَّ نعمتَه حلَّت بساحة طيِّبِ النَّشْرِ
كافٍ إذا عَصَب الأمـورَ به ماضِي العزيمـةِ طيِّب الذكرِ[2]
فانقـع بسيبك غُـلَّة نزحَتْ بي عن بلادِي وارتهن شُكْرِي[3]

فلما أنشده إياها بكمالها أمره أن يقيم عنده فلم تطب نفسه بالمقام.

وقيل: إنه سئل كم وَهب لك الخصيب مع مدائحك فيه وقصدك من العراق إليه فقال: لا والله لم يهب لى إلا مائة دينار، والناس يكثرون فى ذلك!

قال البِطَين بن أميّة الحِمْصى الشاعر: لما[4] خرج أبو نواس إلى مصر كتب الناس إلينا بذلك، فلم نزل نترقبه حتى قيل لنا قد قَدِم، فجئتُ الخان لأسأل عن خبره فإذا إنسان قاعد على دَرَجة متَّشح بخَلُوقيّة يَسْتاك. فدنوتُ منه فقلت: يا فتى إنسـان قَدِم من العراق يقال له أبو نواس، ومعى ابنٌ لى حسن الوجه جدا، فقال: ما تجعل لمن يدلّك عليه؟ قلت: حُـكْمَه. قال: قبلة من هذا الغزال الذى معك. قلت له: ويحك هذا ابنى. قال: آدم خير منك والناس يقبّلون بنيه ويلاعبونهم. قال: قلت له: أنت أبو نواس. قال: أناهو فمن أين عرفتنى؟ قلت: بنور الإيمان. قال: لا والله ولـكن بظلمة الـكفر! مرحبا بك. فما زلت أنادمه وما فارقته حتى ارتحل عن حمص وشيعته.

---

(١) بعرقه يجرى: فى الديوان: بعرفه (بالفاء) وفسره محققه بمعروفة. ولـكن المراد هنا بالعرق الأصل، والخيل تجرى على أعراقها ونسبها فى جياد الخيل.

(٢) طيب الذكر: فى الديوان: جامع الأمر.

(٣) انقع: أرو — السيب: العطاء — الغلة: العطش.

(٤) الورقة: (١٠—١١) — طبقات ابن المعتز: ٢٤٩. البطين: غير واضـح فى الأصل. والبطين هو ابن أمية البجلى كنيته أبو الوليد وهو حمصى جيد الشعر (الورقة / ١٠).

كان معاوية بن حُدَيج[١] من أهل مصر وكان عالما فيلسوفا ، فقال له أبو نواس يهجوه[٢] :

كلّنا يا ابن حُدَيْــج لك فى العِلْمِ خَوَلْ[٣]
غير أنّ الطِّبَّ أولَى بك من كُلِّ عَمَـلْ
أنتَ عندِى فيلسوفٌ وبَصِـيرٌ بـالعِلَلْ
فلِمَ الأيرُ خَفِيفٌ فإذا قـامَ ثَقُـلْ
فإذا أفرغَ مـا فيــهِ تَدَلَّى وذَبُـــلْ
أحَدِيثٌ[٤] ذاك فيه أمْ قَدِيمٌ لم يَزَلْ

وقيل: إن أبا نواس اكتسب من مال الخصيب بمدحه وقصائده ألفَ دينار ، واكتسب بجاهه ألفَىْ دينار فتفرّغ لغلمان مصر وشرب الخمر . وأحب أن يتلذّذ بمصر وأنفق ممّا نال قطعة صالحة بمصر ، وأقام بها سنة بعد قضاء حوائجه فى لهوه وباطله .

فبينا[٥] هو يَدُور فى أسواق مصر وبها يومئذ ثلاثة غلمان أقران أخدان، حِسان الوجوه كأنهم الأقمار، أصحاب ظَرْف وأدَب ومروءة وحالة حسنة . ولم يكن بمصر أحدٌ يتقدَّم عليهم فى صَباحة الوُجوه: أحدُهم من وَلَد شبيب[٦] بن رِبَعِىّ التميمى ، والآخر من ولد عطيّة بن الأسود الخارجى ، والآخر من أولاد الدّهاقين . فرآهم أبو نواس فأعجبته هيأتهم وجَمالهم فقال فى نفسه: إن أنا لم أعمل على الفرص من هؤلاء فلم أعمل بمصر شيئا، وإن أنا قضيت الفرض منهم فلا خير فى مقامى فى مصر بعد ذلك .

(١) حديج : فى الفكاهة : جديع .
(٢) الفكاهة : ١٨ .
(٣) خول : خدم .
(٤) أحديث ذاك : فى الفكاهة : حادث ذلك .
(٥) الخبر بتمامه فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٦٠ .
(٦) شبيب : فى أبى هفان : شبث .

فدخلوا يوما سوق الجِداء(١) والحملان والرَّيحان ، فاشتروا من ذلك شيئا كثيرا فسأل عنهم وعن أخبارهم فأخبر أنهم وَرِثوا مالا جليلا وقد انفردوا فى غرفة لهم لها رَوْشَن(٢) يأوون إليها ولا ينادمون أحدا حَذَراً على أنفسهم وشغلا بما هم عليه، ونفقتهم واسعة وأمرهم جميل ، فلا يطمع أحد نفسه فيهم .

فلما أعيته الحيل فيهم سمع أحدَهم يوما يقول للآخر : إذا كان يوم الأحد اصطبحنا. فلما سمع أبو نواس ذلك اشترى جُبّة صوف وكساء مَهْنَة وغير ذلك وجعل نفسه حَمَّالا ، ولبس ذلك القماش وأخذ ثيابه وجعلها كرزنا(٣) على رأسه ، وجلس لهم فى السوق بين الحمّالين ، فإذا هم قد أقبلوا فاتبعهم إلى الموضع الذى يشترون حوائجهم منه . فخفّ بين أيديهم وتعرّض لحَمْلهم ، فقالو : يا شيخ نحن نستحِى أن نحمل على مثلك لسنّك. فقال : إنى غريب مضطر تؤجَرُون فىّ . فحملوا عليه . فلما صاروا إلى المنزل ووضعوا الحمولة عنه فرّق كل شىء على حدته ورتّبه ، وخفّ إلى البيت فكنسه وغسله ونفضه ونَظَّفَه . ثم نظر إلى زجاج لهم فغسله وصيّره من جودة الغسل كالجديد الزاهر، ثم أصلح مكانهم وصَفّ أوانيهم ونَضّد ريحانهم ، فأعجبوا به جميعا وقالوا له: يا حَمّال أقم اليوم معنا فاخْدُمنا ونحن نُحسن إليك . فأقام . فلمّا تَغَدَّوا قام إلى شراب مُطَيّن ففتح بُزَاله(٤) ، ثم سكب منه وسقى القوم . ولم يزل يَسْقِيهم ويشرب معهم إلى أن سكروا وناموا وهم لا يعقلون سكرا ، فقام حين علم أنه قد أمكنه ما يريد منهم فقضى حاجته منهم جميعا ، وترك كل واحد منهم مسطوحا على وجهه محلول السراويل والبَلَل بين فَخِذيه ، ثم حلّ سراويله ونام على وجهه وجعل بين فخذيه من بزاقه على مثل حالهم.

---

(١) الجداء : جمع جدى ، وهو ولد المعزى ـ الحملان : جمع حمل، وهو ولد الشاة .

(٢) الروشن : الكوة .

(٣) الكرزن : فارسى بمعنى التاج ، ولعله يريد أنه جعلها غطاء لرأسه ليحمل عليه .

(٤) البزال : خرق المبزل من الدن .

فلما انتبه أولهم نظر إلى حاله فاتهم أبانواس وقال : هذا عمل الحمّال! فنظر فإذا أبو نواس أيضا على مثل حاله . فأنبهه[1] وقال : قم ياشيخ ، فقام مرتاعا ، وتفازع لما رأى من حاله ، وأنبه الآخرين، وقال : انظروا ويحكم ما هذا ؟ فلم يتهموا غير أبى نواس إلا أنهم قد رأوه على مثل حالهم. فقال بعضهم لبعض. ليس الرأى أن يشيع هذا الأمر ولا أن نفضح أنفسنا . فقام كل واحد منهم فاغتسل . ثم قال لهم أبو نواس :يا فتيان كل واحد منا قد أصبح عَرُوسا فاصطبحوا بنا وباكروا اللذّة كما باكرة العروس وأهلها اللذة . قالوا : صدقت فتغدّوا جميعا ثم وضعوا الشراب . فلمّا دار الشراب بينهم وفى رؤوسهم قام أبو نواس كأنه يقضى حاجة فخرج فلبس ثيابه التى من خِلَع الخصيب ورجع . فلما دخل عليهم من الباب أنكروه وقالوا : يا هذا من أنت ؟ فلما دنا منهم وعاد إلى موضعه قال : أنا الحمّال الذى صيّركم البارحة عرائس ! قالوا أنت أبو نواس ؟ قال: أنا أبو نواس . فصفق كل واحد منهم على جبهته وتشاجروا . فقال لهم : قد وقع الأمر الآن موقعه ، ونحن على الشراب فإن ساعدتمونى كان عندى أوفق لكم. فشربوا معه على كره منهم وحياء . فلماأمسى انصرف وهو يقول :

وفِتيَــة فتنــة قد اجْتَمَعُوا ... مثل الدّنــانير حين تنتقدُ
ساقَــنى الدهرُ[2] نحوهم فإذا ... هم يقـــولون إنْ دنا الأَحَدُ
فباكِروا الراحَ فاقطعوه بهــا ... غــدوتُ للمَوْعد الذى اتَّعَدُوا[3]
علىّ إكليلةٌ ومِشْمَلَةٌ ... وَميهة[4] إلى حِبالُها مَسَدُ

---

(١) فأنبهه : فى ت : فأتاه .

(٢) الدهر : فى أبى هفان : الحين .

(٣) اتعدوا : فى ت: وعدوا، وفى أبى هفان : عمدوا.

(٤) ميهة : وكذلك فى أبى هفان : ميهة، وفى ت: بهمة ولعلها مهنة لأن من معانى المهنة عند العامة خرقة أو ثوب يستعمل حال الخدمة . وربما كانت من أدوات الحمالين فى ذلك العصر .

عَمْدًا تنكَّرت[١] وارتصدتهم ... حتى أَتَوْا سحرة كما وَعَدُوا
حتى إذا ما اشتروا حوائجهم ... والحاجُ تُرْجَى لهم وتُرْتَصَدُ
مِلْتُ إليهم فقلت : أحملُه ... فإن عندى لَحَمْلِه المُدَدُ
حَبْلٌ وثيق ومِهنة وأنا ... بحَمْلِه عالمٌ ومُتَّئِدُ
قالوا : فخُذه فأنتَ له ... سَوْفَ نُكافيك عند ما تَرِدُ
سِرْتُ وساروا إلى مُشَيَّدَةٍ ... فقيل لى اصْعَد هناكَ إذْ صَعَدوا
إذا الأباريق والزُّجاج بها ... يطرّب فيها المطرِّب الغَرِدُ[٢]
فُرْتُ نحوَ الزجاج أغسِلُه ... حتى تلالاَ كأنَّه البَرَدُ
فأعجبَ المُرْدَ خِفَّتِى لهم ... وليْس فى خِفَّتى لهم رَشَدُ
قالُوا لِيَ اقعُد وهاتِ صُفَّ[٣] لنا ... وباكِرِ الليلَ قَبْلَ يُفتَقَدُ[٤]
قلمت إذ ذاك هامَةً وُضِعَت ... على ضَئِيلٍ كأنَّه وَتِدُ
فمرَّ يهْوِى كأنَّه رَجُلٌ ... يشْخَبُ منه الدِّماء مُقتَصِدُ
ما زلْت أسقيهم مُشَعْشَعةً ... تخدَّر من وقع كأسِها الجَسَدُ
حتى رأيت الرءوسَ مائلةً ... ولم يكُنْ فى رِقابها أَوَدُ
واعتُقِلَتْ أسْوُقٌ وألْسِنَةٌ ... فمُمْسِكٌ رأسه ومُسْتَنِدُ
قمتُ إلى نيكهم على طَرَبٍ ... وكُل من دَبَّ فهْوَ يرْتَعِدُ
فبطَّأتْ بى عن لَذَّتِى تِكَكٌ ... حتى إذا ما حَلَلْت ما عَقَدُوا
عن كُلِّ رِدْفٍ حسرتُ مُنْتفِجٍ ... أبيض كالوَرْدِ فيه يَطَّرِدُ

---

(١) تنكرت : فى أبى هفان : فبكرت .

(٤) الرواية فى أبى هفان : نظرت فيها المغرد الصرد .

(٣) صف : فى أبى هفان : صب .

(٤) يفتقد : فى أبى هفان : نفتقد (بالنون) .

يا ليــلة بتُّ أجتني ثمر الـ لذّات بينَ المُرْدان إذْ هَجَدُوا(١)
مِنْ ذا إلى ذَا وقد أمرت بأن أعفجَ(٢) هذا وكُلّ من أَجِدُ
حتّى إذا أفاق أوّلهُم قام ونخــذاه بينها خَضَدُ(٣)
كأنّما البيض رُضّ بينهُمــا فهو نديٌّ بجــلده لَبِـدُ
أيقظ إذْ ذاكَ تِرْبَــه(٤) فزعا أَهَلْ تُحِسَّنَّ مثلَ ما أَجِد ؟!
أو إنّما ذاكَ الّذى بنا عَرَقٌ أَما تَراه كأنــه زَبَـدُ !
والصَّمْتُ والحِلْمُ عن كلامهم أَحْسن بى والكُؤوس تَطَّرِدُ(٥)
عَلَىَّ قوهِيَّة وأَقْمِصة أزدِيَّة الحوكِ كُلُّها جُدُدُ(٦)
ثم تَغَنَّيْتُ وامِقاً فَرِحاً : «ياليْت سُعْدى وَفَتْ بما تَعِد»

دخل الجمّاز على أبى نواس وبين يديه خمر وعنب وزبيب فقال له : ما هذا ويحك؟! فقال : الأب والابن والرُّوح القدس .

قال رجل لأبى نواس : ما رأيت أكثر عشقا منك ! فقال : جوارحى صحيحة

---

(١) هجدوا : ناموا .
(٢) أعفج : أطأ .
(٣) خضد : بلل ورطوبة.
(٤) تربه: يريد صاحبه، والترب : من كان من سنه.
(٥) فى أبى هفان :

حتى إذا المجلس استوى بهم غادرتهــم والكئوس تطرد
صرت إلى منزلى فأبت وقد زينت نفسى وحلتى المدد

(٦) بعده فى أبى هفان :

فقيل : من أنت ؟ قلت صاحبكم لا عقل يرجى لكم ولا قود
أنا الذى نـكتكم بأجمعكم! قالوا : نواس؟ فقلت : بل لبد

وخواطري سليمة ، وذِهْني نقيّ ، وأنا مهيَّأ للعشق ، فلِمَ لا أعشق ولى فى كل مليح أرب ؟! فقلت له : ليس على هذه الحال ينقضى عشقك أبدا . فقال : لا انقضى أبدا .

قال ابن أبى خلصة : كان فى سوق يحيي نصرانيّ صَيْرَفيّ ، وله ابن يتحدّث عن حسنه أهلُ بغداد ويُضرب به المثل فيما بينهم ؛ وكانت دكّانه على باب دارِه فلم يكن يبرح ولا يدعه أبوه ينصرف ، ولا يمكّنه أن يتجاوز دكّانه . فاشتدّ على أبى نواس ولم يَدْرِ كيف يحتال فى أمره . فعمد إلى جبة صوف قصيرة فلبسها ، وسراويل قصير ونعل رقيق وتزَيَّا بزيّ الزُّهَّاد ، وحلق شاربه وأخذ شَعْرَه وسرَّح لِحْيته ، وأخذ بيده دفترا ومحْبرة ، ثم جاء يمشى بخشُوع وتؤدة حتى سلَّم على الصَّيْرَفيّ وقعد على دُكّانه فيما بين العصر والمغرب . وأخرج ديناراً ودفعه إليه وقال له : أعطنى به دراهم فرأى الصيرفيّ سيماء حسنة ووقاراً وزِيَّ القراء فأعظَمَه ورفعه ، ثمّ وزن بقيمة الدِينار دراهمَ فدفعَها إليه . فأخذ ما أعطاه ولم يسأل عن السعر ولا ماكَسَه ، وأقبل يسائله عن بغداد وعن سِيرة السلطان بها ، ومَنْ يعرف من المحدِّثين كأنّه رجلٌ غريب . وجعل كلَّما مرّ مسكين تصدَّق عليه بالنصف والدِرهم والقطعة . فعظُم فى عين الصيرفى . فلما كان المغرب قال أبو نواس فى حديثه للصيرفى : إن لى قرابة بقرب الكناس وعليه أنزل ، والطريق بعيد جِدّا . فقال له الصيرفى : فلا تتجشّم بُعْدَ الطريق فى هذا الوقت الضيق ، وبت عندى الليلة فإذا أصبحت مضيتَ مُصاحَباً . فشكره وقال : ما أكرهُ ذلك . وكان للصيرفى غرفة على دُكّانه فأصعدَه . وحانت صلاة المغرب فصَفَّ أبو نواس قدَمَيْه وأقبل على الصلاة ، فجاءه الصيرفيّ بطعام طيّب وسأله أن يتحرّم به ، فانفتل من صلاته وتناول شيئا يسيرا ، وقال : هذا إفطارى ولا أفطر إلّا من الليل إلى الليل . وجاء بنبيذ فتنافَر منه أبو نواس وقال : لست من أهله ولا ممّن يستعمله ولا ذُقْتُه إلا فى أوائل العمر والحداثة ، وحملنى على ذلك حينئذ غِرَّة الشباب

إذْ كان مُسْكِراً ، والسُكر حامل على كلّ معصية ، مذموم عند أهل كل ملة! فأتاه بحَلْوَى فأكل منها . وقعد النصرانى وابنهُ وأخوه يشربون وأبو نواس يحدثهم بأحاديث الزهاد والنساك والقرّاء والصالحين والسياح على عَهْدِ عيسى عليه الصلاة والسلام حتى ذهب اللّيل وكاد الصبح أن يسفر، وعَمِلَ النبيذ فيهم وناموا فى الغرفة معه نوما مستثقلا بالسكر والسهر . فأمهلهم حتى علم أن قد استغرقوا فى النوم ، ثم قام إلى الغلام فقضى منه أربه، فانتبه الغلام فَزِعاً مذعورا . فلما رأى ما فُعِلَ به أقبل يشتمه ويسبه ووثب عليه . فقال : ترفّق ياحبيبى فالطيش والحَرَد بحمد الله تعالى لا يُشبهانك وأنت بحمدالله تعقل. واشتغل الغُلام بالنظر إلى ماجرى عليه ونجس من ثيابه . فنزل أبو نواس من الغرفة وقد مرّ أوائل الناس فى الطريق حَتَّى أَتَى منزله بباب الطاق . فلما أصبح غَيَّر ثيابه وحضر باب أسماء بنت المهدى وكان يجتمع عنده الشعراء ، فجئت فقعدت إلى جانبه فحدّثنى الحديث .

وقال فى المجون يصف ماجرى له معه[1] :

إذا هَجَعَ النِيامُ نَخـلّ عنّى ... وعَمَّن كان يَصْلُح للدَّبيبِ
فإنّى عالِمٌ فَطِنٌ أريبٌ ... ولا يُخْبِرك مثلُ فَتًى أريبِ
أَلَذُّ النَّيْكِ ماكان اغتصاباً ... بمَنْعِ الحِبِّ أو مَنْعِ الرَّقيبِ
بُليت بشادنٍ أحْوَى رَبيبٍ ... بَعيدٍ فى مَـودَّته قَريبِ
كأنَّ تَعطُّفَ الأغصانِ منـهُ ... قَضيبٌ مالَ فى أَعْلَى كَثيبِ
ظَفِرتُ بِمَعْقد الزِّنّارِ منـهُ ... وما ارتابَتْ ظُنونُ المُسْتَرِيبِ
فَجُلْتُ بخِفَّةٍ فى الرِدْفَ أَجْرِى ... على ما شِئْتُ من لِينٍ وَطِيبِ

---

(١) الأبيات فى نهاية الأرب : ٤/٨٨، ٨٩ .

فلما اشتدَّ للشبَق اضطرابى[١] ورَفَّعَ من ذَلاذِله قضيبى
تَنبَّه حين أمطرَه سَحابى وأنكَرَ حالتى ورأَى ونُوبى
فقامَ يَسُبُّنِى ويَحُطُّ قدْرِى فقلتُ لهُ : ترفَّقْ يا حَبيبى

فعجبت مما يتأتَّى له . وقلت له : إن كان لإبليس خليفة فى الإنس فأنتَ هو! فقال لى : لا تشكّ فإنّى أنا ذلك . وقال فى المجون أيضا[٢] :

ومُنْتَبِهٍ من نومه بعد هَجْعَةٍ وقد دَبَّ رَبُّ البيتِ شوْقًا إلى السَّاقِ
فأولجَ فيه مِثْلَ أسْودَ سالِخٍ[٣] أصمَّ من الحيَّاتِ ليس له رَاقِ
أشقّ لزِيقِ الإسْتِ من حدِّ شفْرَةٍ وأنفَذ فى الخصْيَيْن من زُجٍّ[٤] مِزْراقِ
فقلتُ له لمَّا تورَّك فوْقَهُ وأطْرَق عند النَّوْمِ أيَّة إطْراقِ
نَشَدْتُك ألَّا تُلْفينَّ مُقصِّرًا ولا مُشْفِقًا فى غير موْضعِ إشفاقِ
أجِدْ وجأْ خُصْيَيْه فإنّ سكوته وإطراقه للنَّيْك إطراق مُشْتاقِ
فلَوْ لَم يكن يَقظانَ ما قامَ أيْرُه ولا لفَّ عند النَّيْكِ ساقًا على ساقِ

وقال[٥] :

نادِم الغُرَّ الكِراما وخُذِ اللَّهوَ اصْطِلاما[٦]
وارْكبِ الآثامَ حتَّى يبعث اللّهُ الأناما
فلقد نِكْنَا بدِينا رٍ قمَرْناه[٧] غُلاما

---

(١) اضطرابى : فى ت : اضطرارى . (٢) نهاية الأرب : ٤/٨٦ .
(٣) الأسود السالخ : العظيم من الحيات .
(٤) زج : فى ت : حد . والزج : الحديدة فى أسفل الرمح .
(٥) الفكاهة : ١٠٣ باختلاف فى بعض العبارات .
(٦) الاصطلام : الاستئصال ، ويريد هنا ألا يدع لونا منه .
(٧) قمره : غلبه فى القمار .

وشربنا يومَنـــا ذَ　　لك بالبــاقى مُداما
وكَذا فِعْلى لعَمْرِى　　أبداً كَىْ لا أُلامَـــا
لَستُ أعْطِى فى حَرامٍ　　أَبَداً إلّا حَرَاما

وقال(١) :

حلفتُ بِرًّا يَمِينــاً　　علىَّ حَقًّا يَقِيناً
أَن لا أكون لأُنثَى　　حَــتَّى المماتِ قَرِيناً
ولا أُريدُ بنَاتٍ　　ولا أَريد بَنِـينا
بَـلَى أَريد ظُهُوراً　　ولا أُريد بُطونـــا
وقد فَطِنْتُ لشَىءٍ　　يَخْـفَى على العالَمِينا
به أَنِيك حَبِيبِى　　فى لَيْـلَةٍ عِشْرِينـا

أخبر اليُؤْيُـؤ ، قال : قال لى أبو نواس: خَلَوت يوماً فقلت:

لا لا تنك من أنت صبٌّ به　　فالحبُّ لا يَصْفُو لمن نَاكَا

فأجابنى إبليس :

إن لم تَنِكْ من أنت صَبٌّ به　　ضَرَّطَــك الحبُّ وخَرَّاكا

جَرَى فى مجلس سُفيان بن عيينة حديث يُرْوَى عن مالك بن دينار أنه ذُكِرَ إبليس فقال : وما إبليس ! والله لقد عصى فما ضرّ، ولقد أُطِيع فما نفع . فقال رجل لسفيان : يا أبا محمّد أُنْشِدكَ للحسن بن هانئ الشاعر فى هجاء إبليس شيئا مطبوعا ؟ قال : هات. فأنشده(٢) :

---

(١) الفـكاهة : ١١٤ .
(٢) الشعر والشعراء : ٧٩١ ـ الفـكاهة : ٢٧ .

عَجِبْتُ من إبليس فى كِبْرِهِ[١]   وخُبْث ما أظهرَ من نِيّتِه
تاهَ على آدمَ فى سَجْدَةٍ   وصار قوّادا لذُرِّيّتِه

فاستضحك سفيان ثم قال : وأبيك لقد ذهب مَذْهَباً وقال قولا ، ما ننفكّ من مُلْحَةٍ تأتينا عن هذا الشاعر !

كان أبو نواس يتعشّق غلاما ، فى أصحاب النَّرْسى يقال له يَعْقوب ، مشهورا بالجمال ، فكان يتبعه ويشكو إليه وَجْده به فلا يكلّمه . فكان أبو نواس يأخذ بيد الحسين بن المنذر فى كل وقت فيقف فى أصحاب النّرسى ليراه . فمكث بذلك حينا إلى أن وعده أن يزوره مرّة بعد أخرى فلم يَفِ له . فوقف له يوماً فكلّمه وشكا إليه وَجْده به وطول عشقه له ، وأنه قد وعده مرة بعد أخرى فغدر به . فقال له : ويحك قد فضحتنى وشهرتنى فما الذى تريد ؟ قال : يا سيدى تفى لعبدك بوعدك . قال : ويلك لو عزمت على ذلك وكنت أدخل منزلك خفت الشهرة . فقال : يا سيدى تخرج كأنك تتنزه فى الكرخ[٢] فنجتمع هناك فى حانة أختارها لك ، لا يكون معنا فيها أحد من خلق الله إلا الخمار . فقال : أما بالنهار فلا أقدر ، ولكن إذا حان انصرافى من السوق فقف لى . فقال : نعم . واشتد فرحه بذلك واستطال ذلك اليوم وقال فيه شعرا . فلما كان وقت انصرافه وقف له فجاءه ، فقال : تقدمنى ؛ فتقدمه حتى صار إلى حانة نظيفة ، وقد أعدّ له فيها طعاما طيبا وأصناف الرياحين والفاكهة ، فقعدا ليس معهما إلا الخمّار يخدمهما ، فظل فى كل ما يتمنّى إلى أن أصبح فأدّلج الغلام إلى سوقه ، وأقام أبو نواس هناك مصطبحا .

---

(١) كبره : فى رواية : تيهه . من قصيدة أولها :

ياذا الذى يخطر فى مشيته   قد صفف الشعر على جبهته

(٢) الكرخ : لفظة آرامية معناها القلعة ، والمراد هنا كرخ بغداد ، وهى محلة من محال بغداد (ياقوت) .

وقال :

قلبي على ما كان من شِقْوَتِه ... صَبٌّ بمن يهوَى على جَفْوَتِهْ
يختلق السَّخْطة لى ظَالِماً ... أحوج ما كنتُ إلى رَحْمَتِهْ
وكُلَّما جَدَّدَ لى مَوْعِداً ... أخلفَهُ التنغيصُ من عِلَّتِهْ
أُضمر فى القلب عتاباً له ... فإنْ بَدَا أُنسيتُ من هَيْبَتِهْ
ينتسب الُحسْن إلى وجهه ... والطِّيب منسوب إلى نَكْهَتِهْ(١)
لو أمكن الصوفى(٢) فى خَلْوَةٍ ... عامَلَه الشيخ على عِفتِهْ
وليلة قصَّرها طولَها ... بالكَرْخ أن مُتِّعت من رؤيته
أشربَ من رِيقتِه(٣) مَرَّةً ... ومَرَّةً أشرب من فَضْلَتِهْ(٤)
فى مجلسٍ يضحك تفاحُه ... من الرَّياحين إلى حضرتهْ
ليس يَرَى خلوتَنا ثالثٌ ... إلا الَّذِى نشرب من قَهْوَتِهْ(٥)
فكلّما عَضَّض تفاحةً ... قبَّلْتُ ما يخرج من عَضَّتِهْ
حتى إذا ألقى قِناع الَحيَا ... ودَبَّتِ الحمرةُ فى وَجْنَتِهْ
مَلَّكَنِى حَلَّ سراويلِه ... وكان لا يَأْذَن فى قُبْلَتِهْ
دَبَّ له إبليسُ فاقتَادَهُ ... والشَّيْخُ نقَّاعٌ على لَعْنَتِهْ
عَجِبت من إبليسَ فى تِيهه(٦) ... وخُبْث ما أَظْهَرَ من نِيَّتِهْ
تاهَ على آدَمَ فى سَجْدَةٍ ... وصار قوَّادًا لِذُرِّيَّتِهْ

---

(١) نكهته : ريح فمه .

(٢) فى ك : العوف .

(٣) الريقة : الريق ، لعاب الفم .

(٤) يريد فضلة كأسه ، وهو ما بقى بعد شربه .

(٥) القهوة : الخمر .

(٦) تيهه : فى رواية : كبره .

تَمَشَّى أبو نواس يوم عيد فطر إلى المُصَلَّى لصلاة العيد ومعه الحسين بن قُرَّة النَّوْفلى، فأنشد أبو نواس :

أُوصِى حُسيناً بما نَفْسِى أَخُصّ به ... من الوَصِيَّة مَحْضاً دُون من نُصِحا

لا تَرفعِ الأَيْرَ فى شَوَّالَ عن أَحَدٍ ... فقد أَعقَّك شهرُ الصوم ما صَلَحَا

خذ للمعاصى إذا أفطرت أُهْبَتَها ... وانزِعْ قِناعَ الحيا واستَعْمِلِ الفرَحَا

قال الحسين : نخفت والله أن نُحْصَب .

قال الجَمّاز : كان أبو نواس يعشق رَحْمَةَ بن نَجاح . وكان يغشى ديوان الخراج بنفسه ، وكان رحمة قد علم بذلك فكان يتقبّض منه ويتحرز منه . قال : فأتاه يوما واغتفله وذهب ليعانِقَه ، فاختلس قُبلةً من خدّه ، فعَجِل إلى مكانها فمسحه بكمّه ، وخجل من حيلة أبى نواس عليه . وأنشأ أبو نواس يقول[١] :

يا ماسِحَ[٢] القُبلَةَ من خَدِّه ... من بعد ما قد كان أَعْطاهَا

أَخِفْتَ[٣] أن يَعْرِف إعجامَها ... أبوكَ فى الخدِّ فيَقْراها

لو كنت لمّا خفت ذا قُلْتَهُ[٤] ... كنّا إذا بُسْنا مَحَوْنَاهَا[٥]

أو لتركنا شكل إعجامها ... ولامَها منها حذفناها[٦]

فصار فى موضعها قُبَّةٌ ... للحُسْنِ فى وَجْهِك صُغناها

---

(١) الديوان : ٣٢٧ باختلاف .

(٢) فى ك : مانع .

(٣) فى الديوان : خشيت .

(٤) الرواية فى الديوان : لو علمنا أنه هكذا .

(٥) فى الديوان . مسحناها .

(٦) فى الديوان : محوناها .

دخل أبو نواس بعد ما نَسَك على قومٍ من إخوانه وعندهم شرابٌ ومُغَنٍّ . فعرضوا عليه الجلوس فأَبى ، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب[(١)] :

أيا من بَيْن باطِيَــةٍ وَدَنِّ ... وعُــودٍ فى يَدَىْ غاوٍ مُغَنِّ[(٢)]
إذا لم تَنْهَ نفسَك عن هَواهــا ... وتُحْسِن صَوْنَها فإليكَ عَنِّى
فإنِّى قــد شبعتُ من المَعاصِى ... ومنْ إدمانها وشَبِعْنَ مِنِّى
ومَن أَسْوَا[(٣)] وأَقْبَحُ من لَبِيبٍ ... يُرَى مُتَطَرِّبًا[(٤)] فى مِثْلِ سِنِّى

قال إسماعيل بنُ صُبَيْح : قال لى الرشيد : يا إسماعيل ابْغِنى وصيفةً مليحةً فَطِنَةً مقدودةً[(٥)] شــكلة[(٦)] حلوة ظريفة عالِمَةً تسقيني فإنّ الشربَ يطيب من يد مثلها . قال : فقلت ياسيدى على الجُهْد . فقال : اجعل قول هذا العيَّارِ[(٧)] أمامك ، يريد أبانواس ، وامتثل فيها ما حدَّ فى مثلها لك . قلت : ياسيدى وما قوله ؟ قال[(٨)] :

من كَفِّ ساقِيَةٍ ناهِيكَ ساقيةً ... فى حُسْنِ قَدٍّ وفى ظَرْفٍ وفى أَدَبِ
كانت لربِّ قِيــانٍ ذى مُعالَنَةٍ
بالفِسْقِ مُحْتَرِفٍ بالكَشْخِ[(٩)] مكتسِب
فقد رأت ووعت عنهن واختلفت ... ما بينهن ومن يهوَيْن بالكُتُبِ
حتى إذا ما غَلَى ماءُ الشَّباب بهــا ... وأُفْعِمت فى تمام الجسم والقَصَب

(١) الديوان : ٦١٧ وهذه القطعة مثبتة فى ديوان أبى العتاهية .
(٢) فى الديوان : يغنى .
(٣) أسوا : أسوأ مسهلة الهمزة .
(٤) خفيفا إلى الطرب ، منتشيا به .
(٥) حسنة القوام .
(٦) ذات دل ، حسنة الشــكل .
(٧) الذى يخلى نفسه وهواها لا يردعها .
(٨) الديوان : ٧٢ .
(٩) الجمع بين الرجال والنساء لريبة .

وجُمِّشت(١) بخفىّ اللحظ(٢) فانجمشت
وجَوَّبَ(٣) الوعدُ بين الصِدْق والكذبِ
تمَّت فلم يرَ إنسانٌ لها شبهاً ... فى مَنْ برَى اللهُ من عُجْمٍ ومن عُرُب
تلك التى لو خلَت مِن عَيْنِ قيِّمِها ... لم أَقْضِ منها ولا من حُبِّها أَرَبى

قال إسماعيل: فوالله ما قدرت على جاريةٍ فيها بعضُ ذلك .

وقوله: « تلك التى لو خلت من عين قيّمها » معناه لو قدرتُ عليها لم أشبع منها أبدا . وأول هذه القصيدة البائيّة(٤) :

ساعٍ بكأس إلى ناشٍ على طَرَبٍ ... كلاهما عَجَبٌ فى مَنْظَرٍ عَجَب

لا يُعرف ناشٍ بمعنى مُنْتَشٍ ؛ على أن أبا نواس فى ذلك حُجَّة . وقيل : إن من رواه بالسين المهملة فقد غلط فيه ، والرواية بالشين المعجمة :

قامت تُرِيك وأمرُ اللّيْلِ مجتَمِع ... صُبْحاً تولَّد بين الماء والعِنبِ
كأن تُركاً صفوفا فى جوانبها
تراشَقُوا(٥) الرَّمْىَ بالنُّشَّاب من كَثَبِ
كأنّ صُغْرَى وكُبْرَى من فواقِعها ... حَصْباء دُرٍّ على أرضٍ من الذهَبِ

كان المأمون لَمَّا(٦) عقد على بُوران ابنة الحَسَن بن سَهْل اهتمَّ الحسن بن سهل بذلك هِمَّة مثله لمثل المأمون، وكان من أعجب ما سُمِع النثارُ الذى نُثِر فى الإملاك عليها. وذلك أنه عمد إلى الضياع والعَقارات والبساتين والأملاك والحَمّامات وغير ذلك ،

---

(١) جمش المرأة: غازلها .

(٢) فى ت : اللفظ.

(٣) جوب الوعد : تردد .

(٤) الديوان : ٧٢ .

(٥) تراشقوا : تراموا . ويريد بالنشاب هنا الحبب .

(٦) الخبرفى تاريخ بغداد : ٧/ ٣٢٠، ٣٢١ (ترجمة الحسن بن سهل) والشريشى ٢/ ٢٢٩ .

فكتب أسماءها كل اسم فى رقعة ودَرَجها[١] وجعلها فى بَنادق[٢] من عنبر معجون بمِسْك ، و نُثرت تلك البنادق على الناس فى الإملاك . والتقطها الحاضرون ، فكل من التقط شيئا فتحه وأخذ الرقعة وأحضرها إلى الحسن بن سهل فيشهد له بذلك الذى التقطه ، ويكتب إلى وكيله بتسليم ذلك المكان إليه مع بذوره وقوته وغلّاته وجميع ما فيه . وسلّم إليه كُتب أصوله .

ولما دخل المأمون عليها أجلس على حصير من ذهب ، وقد نسج فى الحرير كما يفعل فى الحصر ، وجُعل قضبان الذهب ممدودة بدلا من الأَسَلِ[٣] ، والإبريسم[٤] مكان الخيوط ، وجىء بمِكْتَلٍ[٥] من ذهب مرصّع بالجوهر فيه جواهر مختلفات الأصناف والألوان والأثمان ، ونثر منه كِبار الجوهر من الدر الفاخر واللؤلؤ والياقوت الذى كل حبّةٍ منه بألوف على تلك الحصير .

وكان أهل المأمون من الهاشميّات قياما وفيهن أم جعفر زبيدة واسمها أمة العزيز[٦] بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور، وإنما رقّصها المنصور وهى صبيّة وكانت بيضاء سمينة فجعل يقول : أنت زُبَيْدَة أنت زُبَيْدة ، فاستمرّ ذلك اسمها . وفيهن حَمْدُونة بنت الرشيد وغيرهما ، فتكبّرن أن يلتقطن ، فقال المأمون : ما هذا الوجُوم ؟ أكرمنها

---

(١) درجها : طواها .

(٢) بنادق : جمع بندق، وهى كرات صغيرة أشبه بالبندقة التى تؤكل .

(٣) الأسل : عيدان طوال دقاق لاورق لها .

(٤) الإبريسم : الحرير .

(٥) المكتل : الزنبيل .

(٦) أمة العزيز : هكذا فى تاريخ بغداد : ١٤/ ٤٣٣ وقال : إنها أم جعفر أمة العزيز بنت جعفر . والذى فى الطبرى مجلد ٣/ ٧٥٧ عند ذكره من كان عند الرشيد من النساء المهائر : قيل إنه تزوج زبيدة وهى أم جعفر بنت جعفر بن المنصور . ثم قال : وتزوج أمة العزيز أم ولد موسى فولدت له على بن الرشيد .

بالتقاطكن من نِثارها ؛ ثم بدأ فأخذ واحدة فالتقطن كلٌّ واحدة واحدة واثنتين تطرّفا وامتثالا لأمره ، وبقى أكثر الجوهر على الحصير . فقال المأمون : لله درُّ ابن هانئ حيث يقول:

كأنَّ صُغْرَى وكُبْرى من فَواقِعها ... حَصْباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهَبِ

كأنّه شاهد معنا هذا المجلس .

ولمّا حبس الأمينُ(١) أبا نواس فى إدمانه شُرْبَ الخمر قال(٢) .

أعاذِلَ أعتبْتَ الإمامَ فأعتبا ... وأَعْرَبْتَ عمّا فى الضميــر فأعْرَبَا

وقلتُ لساقِينا أجزْها فما أكنْ ... ليأبَى أمــيرُ المؤمنين وأشْرَبا

تَجوَّزَها عنّى عُقاراً ترَى لهـا ... إلى الشرف الأعلى شُعاعاً مُطَنَّبا

إذا عَبَّ فيها شاربُ القوم خِلْتَه ... يُقَبِّـل فى داجٍ من اللَّيْلِ كَوْكَبا

ترَى حيثُما كانت من البيت مَشْرِقا ... وما لَمْ تـكُن فيه من البَيْت مَغْربا

يعاطِيكَها(٣) ساقٍ أغــرُّ ترَى له ... على مُسْتَدار الخدِّ صُدْغاً مُعقرَبَا

سَقاهُمْ ومَنَّانِى بعَيْنَيْه مُنْيَـةً ... فـكانت إلى قَلْـبِى ألَذَّ وأَعْجَبا(٤)

قال الحُسَين بن الضَّحّاك(٥) : حججتُ فلقيت أبا نواس منصَرفَه من عند الخصيب بمكّة وهو يَطُوف، فسألنى عمّا أحدثْتُ بعده فأنشدته :

وشَاطِرِىّ اللسان مختلق التّـكْـ ... ـرِيه شاب المُجونَ بالنُّسُـكِ

حتى انتهيتُ إلى قولى :

كأنما يُصيبُ كأسَه قمرٌ ... يَـكْرَع فى بعض أَنْجُمِ الفلَكِ

---

(١) فى النسخ: المأمون. والذى تثبته الروايات أن أبا نواس مات قبل دخول المأمون بغداد .

(٢) الديوان: ٢٢ .

(٣) فى الديوان : يدور بها .

(٤) فى الديوان : وأطيبا .

(٥) طبقات ابن المعتز : ٢٧٠ ـ تجريد الأغانى ٨٥٦ ـ غ (بولاق) ٦/١٧٥ .

قال فأنشدَنى بعد أيام :

إذا عَبَّ فيها شارِبُ القوم خِلْتَه ⁂ يُقَبِّـل فى داجٍ من اللَّيْل كَوْكَبا

فقلت : يا أبا على ، هذه مُصَالَتَةٌ[(١)] ؛ فقال : أتظن أنه يُرْوَى لك معنى حسن وأنا فى الدنيا ؟

وأخذ الناس هذا المعنى فقال ابن الرومىّ :

فـكأنَّها وكأنَّ شارِبَها ⁂ قمرٌ يقبِّـل عارِضَ الشَّمْسِ[(٢)]

ومن شعر أبى نواس[(٣)] :

عَـفَّى المُصَلَّى وأَقْوَت الـكُثُبُ ⁂ مِنِّىَ فالمَرْبدان فاللَّبَبُ[(٤)]

منازل قد عَمَرْتُها يَفِعــاً ⁂ حتى بَدَا فى عِذَارِىَ الشُّهَبُ[(٥)]

فى فِتْيَـةٍ كالسيوفِ هَزَّهُم ⁂ شَرْخُ شبابٍ وزانَهُم أَدبُ

ثُمَّ أرابَ[(٦)] الزمانُ فانقسمُوا ⁂ أَيْدِى سَبا[(٧)] فى البلاد فانْشَعَبُوا[(٨)]

لن يُخْلِف الدهرُ مثلَهم أبداً ⁂ علىَّ هيهاتَ شأنُهم عَجَبُ

لَمَّا تيقَّنتُ أن رَوْحَتَهـم[(٩)] ⁂ ليس لها ما حَيِيتُ مُنْقَلَبُ[(١٠)]

---

(١) المصالتة : أن يأخذ الشاعر بيتا لغيره لفظا ومعنى من غير قصد تضمين أو إبداع أو استعانة أو إلمام.

(٢) ديوان المعانى : ١/٣٠٦ والرواية فيه: وكأنه والـكأس فى فمه .. البيت .

(٣) القصيدة فى الديوان : ٣ .

(٤) الـكثيب : تلال الرمل ــ المربدان : يريد المربد وهو موضع بالبصرة . اللبب : موضع

(٥) الشهب: جمع شهبة: بياض يخالطه سواد. ويروى الشهب (بضمتين) : جمع شهاب .

(٦) أراب الزمان : كثرت صروفه وخطوبه .

(٧) سبا : بناها العرب على السكون وليست مخففة من سبأ. وسبأ : بلدة أغرقها السيل فتفرق أهلها فضرب بهم المثل .

(٨) انشعبوا : تفرقوا .

(٩) روحتهم : ذهابهم .

(١٠) منقلب: رجوع.

أَبْلَيْتُ صــبراً لم يُبْلِهِ أحدٌ واقتسمتْني مآرِبٌ شُعَبُ(١)
كذاك إنّي إذا رزئْتُ أَخًــا فليس بَيْنِي وبَيْنَه نَسَبُ

يريد أن مؤاخاته على المجون فلا يبكى صاحبه وذلك أنه إذا مات صاحب له استبدل غيره ، وهو مَثَلٌ ضربه ، ليس أنه لا يغتمّ على موت صديق ، ولــكنه أراد تبدّلت بالبصرة وأهلها بغداد وأهلها ، ثم قال :

قُطْرَبُّــلٌ مَرْبَعِى ولى بقُرَى الــكَرْخِ مصيفٌ وأمِّىَ العِنَبُ(٢)
تُرضعنى دَرَّها وتلحَفُــنى بظِلِّها والهَجِيرُ يلتَهِبُ
إذا ثنته الغصونُ جَلَّــنى فَيْنانُ ما فى أديمه جُوَبُ

الهاء فى إذا ثنته يعود على الظلّ . والفينان : الظلّ الــكثيف . وجُوَب أى لا خَلَل فيه .

تَبِيتُ فى مأتَمٍ حمائمُه كما تُرثِّى الفواقدُ السُّلُبُ(٣)
يهبُّ شَوْقى وشوقهنّ معاً كأنّما يستَخِفُّنا طَرَبُ
فقمت أحبُو إلى الرّضاع كما تحامَلَ الطِّفْلُ مسَّه سَغَبُ(٤)
حتى تخيرت بنت دَسْــكَرةٍ قدعَجَمتْهاالسِّنُون والحِقَبُ
هتــكْتُ عنهاوالّليل معتــكرٌ مُهَلْهَلَ النَّسْجِ ما لَهُ هُدُبُ(٥)

---

(١) شعب : متفرقة .

(٢) قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا كان ينسب إليها الخمر المعتقة وكان فيها مواضع للبطالين وحانات للخمارين. وقد حددت فى تخطيط بغداد اليوم فى الموضع المسمى بالتاجى شمــال الــكاظمية (عن مجلة الرسالة مقال للاستاذ شــكرى أحمد)ــ مربعى : ينزل فيها فى الربيع ــ المصيف : المــكان ينزل فيه صيفا .

(٣) الفواقد : جمع فاقد ، وهى المرأة مات عزيز عندها ــ السلب : جمع سالب ، وهى بمعناها .

(٤) تحامل : تــكلف ــ سغب : جوع .

(٥) معتــكر : شديد الظلمة ــ مهلهل النسج : يريد نسيج العنــكبوت .

من نَسْجِ خَرْقاءَ لا تُشَدُّ لها ... آخِيَّةٌ فى الثرى ولا طُنُبُ

خرقاء : لا تحْسن العمل ، والطُّنُب : حَبْلُ الخباء . يقول : تنسج بغير أداة نَسَّاج .

ثم توجّأتُ خصْرَها بِشَبَا الْـ ... إشْفَى فجاءت كأنَّها لَهَبُ(١)

فاستوسق الشرب للندامَى وأجـ ... ـراها علينا اللُّجَيْن والغَرَبُ(٢)

أقولُ لَمَّا حكتهُما نَسَباً ... أيُّهما فى القرابة الذَّهَبُ(٣)

هُمَا سواءٌ وفَرْقُ بينِهمـا ... أنَّهما جامِدٌ ومُنْسَكِبُ

أخذه ابن المعتز منه فقال :

وزَنَّا لها ذَهَباً جامِدًا ... فكالَتْ لنا ذَهَباً سائِلاً(٤)

وقوله : أقول لما حكتهما يعنى الذهب والفضة ، فحكت الذهبَ صِرْفاً والفِضَّة بالمزج :

مُلْسٌ وأمثالُها محفَّرة ... صُوِّرَ فيها القُسُوس والصُّلُبُ

يَتْلُون إنجيلَهم وفَوْقَهُمُ ... سَماءُ خَمْرٍ نُجُومها حَبَبُ

كأنَّها لؤلؤٌ تبدّدُهُ ... أَيْدِى عَذَارَى أَفْضَى بها لَعِبُ

يقول : إنّ التصاوير فى الأقداح قُسُوس فى أيديهم الأناجيل يقرءونها فعلت الخمرة فى الأقداح على التصاوير فصارت عليهم كالسماء . والحبب : ما يتدوّر من صبّ المزج فى الأقداح فهو كالنجوم فى السماء .

---

(١) توجات : ضربت ـ شبا الإشفى : حد المثقب .

(٢) اللجين : الفضة ـ الغرب : الذهب . يريد كؤوس الخمر .

(٣) الرواية فى الديوان :

أقول لما تحاكيا شبها ... أيهما للتشابه الذهب

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة (ترجمة أبى نواس) .

ومن جيّد شِعْره ما قاله لمّا منعه الأمين من شرب الخمر . وذلك أن المأمون أمر[١] الخطباء بخراسان أن يعيبوا الأمين بشعر أبي نواس ويقولون : هو جليسه ونَدِيمُه ويُنْشدون على المنابر شعرَه معه ، فمنعه الأمين . فقال[٢] :

غَنِّنَا بالطلول كيفَ بَلِينَا ... واسْقِنا نُعْطِك الثناءَ الثَّمِينَا
من سُلَافٍ[٣] كأنه كلُّ طِيبٍ[٤] ... يتمنَّى مُخَيَّرٌ أن يكُونَا
أَكَل الدهرُ ما تجسَّم[٥] منها ... وتبقَّى لُبابَها المكنُونَا
ثم شُجَّت[٦] فاستضحكت عن لآلٍ ... لو تجمَّعْن في يدٍ لاقتُنِينَا
وإذا ما لَمَسْتَها[٧] فهباءٌ ... يمنع الكفَّ ما يُبيح العيُونَا
في كؤوسٍ كأنهن نجومٌ ... باديات[٨] بروجها أيدِينَا
طالعاتٌ مع السُّقاةِ علَيْنَا ... فإذا ما غَرَبْنَ يغْرُبْنَ فِينَا
لو ترى الشَّرْبَ حولَها من بَعِيدٍ ... قلتَ قومٌ من قِرَّةٍ يَصْطَلُونَا[٩]
وغزالٍ يُدِيرها ببَنَانٍ ... ناعماتٍ يزيدُها الغمزُ لِينَا
بادغِيسٌ أَبُوه أو جِيْلانٌ ... أو بُخَارَا أَرَاهُ أو شَرْوِينَا

(١) راجع الطبري ج ٣ / وذيل زهر الآداب : ١٣٦ .

(٢) الديوان : ٣٠ .

(٣) السلاف : لفظة فارسية مركبة من سول : عذب، وآب : ماء، والمراد هنا الخمر الصافية.

(٤) طيب : في الديوان : شيء .

(٥) ماتجسم : هو العكر وغيره .

(٦) شجت : مزجت .

(٧) لمستها : في الديوان : اجتليتها .

(٨) باديات : في نسخة جاريات .

(٩) الشرب : جماعة الشاربين ـ القرة : البرد .

(١٠) هذا البيت والذى يليه ليس في الديوان .

قَرْطق محزنبق في قَباءِ كرد نام(١) مدرَّز بارويناً
كُلما شئتُ عَلّني(٢) برُضابٍ يترك القلبَ للسرورِ قرِيناً(٣)
ذاكَ عَيْشٌ لو دام لي غيرَ أنّى عِفْتُه مُكْرَهاً وخِفْتُ الأَميناَ
أَدِرِ الكأْسَ حان أَنْ تسقِيناَ وانقُرِ العُودَ إنّه يُلهِيناَ
ودَعِ الذِّكْرَ للطُّلُولِ إذَا مَا دارَت الكأْسُ يَسْرَة ويَمِيناَ

كانت عَبَّاسة بنت المهدى أخت الرشيد تحت محمد بن سليمان ، فتوفّى عنها فورثته ثم تزوَّجها إبراهيم بن صالح فولّاه الرشيد مصر فتوفى بها وورثته ، فخطبها عيسى ابن جعفر ، فقال مهلهل الشاعر :

أَعبّاسَ أنتِ الذُّعاف الَّذى يَضِلّ لديه رُقَى النَّافِثِ
قَتَلْتِ عَظيمَيْن من هاشِمٍ وأنتِ على طَلَبِ الثَّالِثِ
فَمَنْ ذا الَّذى غمَّه مالُه يعرِّض بالمال للوارِثِ

فلم يتزوَّجها عيسى بن جعفر ولا غيره حتى ماتت .

وفيها يقول أبو نواس(٤) :

ألا قُلْ لأمينِ اللّـ ـهِ وابنِ القَادَةِ السَّاسَهْ
إذا ما ناكِث سَرَّ كَ أن تُفْقِدَه رَاسَهْ
فلا تَقْتُلْه بالسَّيْفِ وَزوِّجْهُ بعَبَّاسَهْ

كان أبو نواس عند محمّد بن زُهَيْر في يوم من أيام شهر رمضان يتحدّث، وكان محمد شديد المحبّة له، فتذاكروا الشُّرْب فقال محمّد: ياأبا عليّ كيف صبرك عنه في النهار؟

---

(١) كردنام، ويروى جردنام : دائر الذيل
(٢) علنى : سقانى أول الشرب .
(٣) قرينا : فى الديوان : خدينا .
(٤) الديوان : ٥٢٠ .

فقال : صَبْرُ ضعيفٍ رَثُّ القُوَى ، وإن كنتُ ليلا أستَوْفِي ما يفوتُني نهارا . ولو أجِدُ مُسْعِداً ما فقدته فى ليل ولا فى نهار ؛ ثم أنشأ يقول[١] :

لو كان لى مُسْعِدٌ[٢] فى الراح يُسْعِدُنى ... لَمَا انتظرتُ بشُرْب الراح إفطارَا

الرَّاحُ شىءٌ عجيبٌ أنتَ تارِكُه ... فاشْرَبْ ولو حَمَّلَتْكَ الراحُ أَوْزَارَا

يا مَنْ يلوم على صَفْرَاءَ[٣] صافِيَةٍ ... كُنْ[٤] فى الجِنان ودَعْنِى أسْكُنُ النَّارَا

لما وَلَّى[٥] هارونُ إسماعيلَ بن صُبَيْح ديوانَ الرسائل بعد البرامكة — وكان كاتِبَهم — فسمى بهم — استخلف ابنه محمَّداً عليه وهو أمردُ حسن الوجه جدا ، فقال لأبى نواس يوماً يا أبا على ادخل إلى ابنِك محمد فحدِّثه وأنشده ، فدخل إليه ، فكان أول ما أنشده :

قُبلةٌ منك نَيْكَة من سواكا ... وهُما فى القِياس عندى كَذاكا

فإذا ما رأيتُ وجهاً مليحاً ... كان حَظِّى من نَيْكِه أنْ أَرَاكا

بأبى أنتَ من بَدِيعٍ جَمِيلٍ ... بَزَّ حُسْنَ الوُجوه حُسْنُ قَفَاكَا

خُلِقَ الناس كى يَسُوسُوا أموراً ... قَلِّدوهَا وأنتَ كيما تُنَاكَا

ما يَرَى الله مثلَ وَجْهِكَ وَجْهاً ... قد أَحلَّ التعطيلَ[٦] والإشْرَاكا

فبلغ ذلك أباه فلقيه فقال : يا أبا على سبحان الله بمثل هذا تُشافِهُ الأحداث ؟ فقال : كذا رُزِق ابنك على لسانى وهو أحوجُ له .

---

(١) الديوان : ١١١ .

(٢) مسعد : فى الديوان : سكن .

(٣) صفراء : فى الديوان : حمراء .

(٤) كن : فى الديوان : صر .

(٥) الخبر والأبيات فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٤٩ — الفكاهة : ٤٠ .

(٦) التعطيل : ألا تقام الحدود على من وجبت عليه .

حدّث[١] أبو نواس أنه غاب عن بغداد فقدم إليه رجل منها فقال : هل من خَبَرٍ ؟ فقال : نعم خَبَرٌ ظريف ! قال : ماهو ؟ قال : أنشد بعض الشعراء زُبَيْدة مدحاً وهى تسمع فقال :

أَزُبَيْدَةَ ابنَـةَ جَعْفَرٍ طُـوبَى لزائرك المُثَابِ
تُعْطين من رِجْلَيْك ما تُعْطِى الأَكُفُّ من الرِّغابِ

فوثب إليـه الخدم يضربونه فمنعتهم من ذلك وقالت : دَعُوه فإنه أراد خيرا فأخْطَأ ، ومن طلب خيرا فأخْطَأَ أحبُّ إلينا مِمّن طَلَب شرّا فأصاب؛ سمع قول الناس شمالك أَنْدَى من يَمِين غيرك ، وقفاك أحْسَنُ من وَجْهِ غَيْرِك ، فظَنّ أنه إذا قال هكذا كان أبلغ فى المَدِيح . أعطوه ما أمّل وعلّموه ما جهل . قال : فقلت له : والله لو ورد هذا الحكم على أبى العباس جدّها الذى كان النهايةَ فى العَقْل ما كان عنده من الحِلْم والاحتمال أكبر من هذا ! !

قال : وكانت زُبيدة أَعْقل الناس وأفصحهم .

ومن هذه الأجناس لأبى نواس قصيدة[٢] امتدح بها العبّاس بن عبد الله بن جعفر بن أبى جعفر :

غَرَّدَ الدّيك الصّدُوحُ فاسقِنى طـابَ الصَّبُوحُ
اسْقِنى حَتّى ترانِى حَسَناً عِنْدِى القَبِيحُ
قَهْوَة تَذْكر نُوحاً[٣] حِينَ شادَ الفُلْكَ نُوحُ
نحـنُ نُخْفِيها ويَأْبَى طِيبُ عَرْفٍ[٤] فيَفُوحُ

---

(١) الخبر فى الموشح : ٣٥٢ ـ المحاضرات للراغب : ١/٤٣ .

(٢) الديوان : ٤٣٤ .

(٣) تذكر نوحا : يريد قديمة معتقة .

(٤) عرف : فى الديوان : ريح .

فكأنّ القومَ نُهْبَى بينهم مِسْكٌ ذَبِيحُ
أنا في دُنْيا من العبَّـ ـاسِ أَغْدو وأَرُوحُ
هاشِمِيٌّ عَبْدَلِيٌّ(١) عنده يَغْلُو المَدِيحُ
عَلَمُ الجُودِ كِتابٌ بين عَيْنيهِ يَلُوحُ
كُلُّ جودٍ يا أميرِى ما(٢) خلَا جُودكَ رِيحُ
إنّما أنت عَطايَا أبداً ما تستريحُ
بَحَّ صوتُ المالِ مِمّا مِنْكَ يشكو ويَصِيحُ
مالهذا آخِذٌ فَوْ قَ(٣) يدَيْه أو نَصِيحُ
جُدْتَ بالأموالِ حتّى قِيل ما هَذا صَحِيحُ

من قول الشاعر :

ما كان يُعْطِي مثلَها في مِثْلِه إلّا كريمُ الخِيمِ أَوْ مجنُونُ(٤)

فَهْوَ بالمالِ جَوَادٌ وهْوَ بالعِرْضِ شَحِيحُ
صُوِّرَ الجُودُ مِثالًا ولَه العباسُ رُوحُ(٥)

كان أبو نواسٍ قد صحب إبراهيم بن سيّار النظّام وهو صبيّ فأخذ عنه ، ثم فارقه وعاد إليه بعد ذلك . وكان النظّام يدعوه إلى مذهب المعتزلة والقول بعُمُوم الوعيد ، وينهاه عن أفعاله ويقول له : إن الكبائر مخلّدات في النار ، وإن مذهب المعتزلة هو الحق . فأَبَى أن يُجيبَه إلى ذلك وفارقه وهجاه معرِّضاً به ، فما عرَّض به في هجائه قوله

(١) عبدلى : نسبة إلى عبد الله بن العباس .
(٢) ما : في الديوان : لا .
(٣) آخذ فوق يديه : يريد مانعا .
(٤) الصناعتين : ٢٨٩ (المبالغة) بدون عزو .
(٥) هذا البيت متقدم في الديوان .

فى هذه القصيدة وهى تسمَّى القصيدة الإبراهيمية لأنه شنّع فيها على إبراهيم فامتنع من مجالسته وطرده، فقال[١] :

دَعْ عنكَ لَوْمِى فإنَّ اللَّوْمَ إغراءُ ... ودَاوِنى[٢] بالَّتِى كانت هى الدَّاءُ
صَفراءُ لا تَنْزِلُ الأحزانُ ساحتَها ... لَوْ مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْه سَرَّاءُ
من كَفِّ ذاتِ حِرٍ فى زِىِّ ذى ذَكَرٍ ... لها مُحِبَّان لُوطِىٌّ وزَنَّاءُ
قامت بإبريقِها واللَّيلُ مُعْتَكِرٌ ... فلاح من وَجْهِها فى البَيْتِ لَأْلاءُ[٣]
فأرسلَتْ من فَمِ الإبريق صافِيَةً ... كأنَّما أخْذُها بالعقل إغفاءُ
رَقَّت عن المَاءِ حتى ما تُمازِجُه[٤] ... لطافَةً وجَفَا عن شَكْلِها المَاءُ
فلو مَزَجْتَ بها نُوراً لمازَجَها ... حَتَّى تَوَلَّدَ أنوارٌ وأضْوَاءُ
دارَت على فِتْيَةٍ ذَلَّ[٥] الزمانُ لهم ... فما يُصيبُهُم إلّا بما شاءُوا
لِتِلْكَ أبْكِى ولا أَبْكِى لمنزلة ... كانت تَحُلّ بها هِنْدٌ وأَسْمَاءُ
حَاشَا لِدرَّةَ[٦] أن تُبْنَى القِباب[٧] لها[٨] ... وأنْ تَرُوح عليها الإبْلُ والشَّاءُ

---

(١) الديوان : ٦

(٢) داونى : يقال إنه أخذ هذا المعنى من قول الأعشى :

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

(٣) معتكر : مظلم — لألاء : بريق .

(٤) ما تمازجه : فى الديوان : ما يلائمها .

(٥) ذل : فى الديوان : دانت .

(٦) الدرة : اللبن يحلب ، ويريد هنا الخمر .

(٧) القباب : فى الديوان : الخيام .

(٨) لها : فى ك : بها ، والتصويب من الديوان .

ثم قال يُخاطب إبراهيم بن سيّار النظام معرّضا به :

فقُلْ لمن يدَّعِي فى العِـلْم فَلْسَفَةً حَفِظْتَ شيئا وغابَتْ عنك أَشْياءُ
لاتَحْظُرِ العَفْوإن كنتامرأً حَرِجاً فإنّ حَظْرَكَه بالدِّينِ(١) إزراءُ

قال أبو حاتم السجستانى : اختلف الناس فى هذه القصيدة وفى قصيدة الحسين ابن الضحاك :

* بُدِّلتُ من نفحاتِ الوَرْدِ بالآء *

فخرجنا إلى المربد وقلنا نطلب أعرابيا فصيحا فنسأله عن القصـيدتين ، فلقينا أعرابيا فسألناه وقلنا: قد اختلفنا فى قصيدتين ورضينا بحكمك فيهما . قال : أنشدونى. فأنشدناه قصيدة الحسين بن الضحّاك :

* بُدّلت من نفحات الورد بالآء *

فلما فرغنا قال : أعيدُوها ، فإن أول نظرة فَلُوت . فأعدناها عليه فاستحسنَها ثم قال : هاتوا الأخرى ، فأنشدناه :

* دَعْ عنك لَوْمِى فإنّ اللوْمَ إغْرَاء *

قال : فقال :

* دَعْ عنك لَوْمِى فإنَّ اللَّوْم إغراء *

هذا النصف كفاء للقصيدة الأولى وتركنا وانصرف .

قال ابن الأعرابى يوماً : أنشدونى بيتاً أوّله أَكْثَم بن صَيْفِىّ فى اختيار الرأى وآخره ابن ماسَوَيْه المتطبّب فى المداواة. فقالوا : ما نعرفه . فقال : قول أبى نواس:

دَعْ عنك لَوْمِى فإنَّ اللوم إغراء وداوِنِى بالَّتِى كانَتْ هى الدَّاءُ

---

(١) بالدين : فى الديوان : فى الدين .

قال أبو نواس: كنت بقطرْبُّل فأشرفت على خراب فإذا شيخ سكران قد قضى حاجته وفرغ وأخذ جَفْساً يابسا واستنجَى به ، فقلت : أسخن الله عينك من شيخ ، ما هذا الذى تعمل ؟ فقال : يا خَرا هذا من قولكم :

* وأُخْرَى تَداوَيْتُ منها بِها *

كان إبراهيم النظام يتعجّب من قول أبى نواس :

وكَمْ فى الحُبِّ من قَلْبٍ   بداء الُحبِّ مَغْمُوسِ
وطرف ليس عن رُوحٍ   ولا نَفْسٍ بمَحْبُوسِ
ومَعْنًى غيرِ مَعْقُولٍ   ولَفْظٍ غير مَحْسُوسِ

أصبح(١) المأمون يوما مُصْطَبِحاً فدخل عليه يحيى بن أكثم فأراد أن يعبث به فقال له : أيها القاضى قد أصبحتُ مخموراً فدلّنى على شىء أنفِى به خُمارِى . فقال له يا أمير المؤمنين أَدُلُّك من كتاب الله وسنة رسول الله ؟ قال : وكان المأمون متّكئا فاستوَى جالسا وقال له : من كتاب الله وسنّة رسول الله ! فقال: نعم يا أمير المؤمنين قال : قل . فقال : يا أمير المؤمنين قال الله تعالى : « وما آتاكُم الرسولُ فخذوه وما نَهاكم عنه فانتهوا » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استَعِينُو على كُلّ صَنْعَةٍ بصالِحِى أهلها». ونظرتُ فى هذه الصناعة فلم أجِدْ فيها أصنع من الأَعْشَى وأبى نواس ، وقد قال الأعشى(٢) :

وكأس شربتُ على لَذَّةٍ   وأُخْرَى تداويتُ مِنها بِها

---

(١) مثل هذا الخبر يروى فى خاص الخاص للثعالبى : ٤٨ عن حامد بن العباس فى أيام وزارته أنه سأل على بن عيسى وهو على الدواوين عن دواء الخمار فتلجلج فسأل أبا عمرو القاضى فأفتى بما هو وارد فى هذا الخبر .

(٢) ديوان الأعشى : ١٢١ .

وقال أبو نواس :

دع عنك لومى فإنّ اللّومَ إغراء ... وداوِنى بالّتى كانتْ هى الدّاء

فَلْيستدْعِ أمير المؤمنين رِطْلًا فيشربه ينفكُّ عنه خُماره . فقال المأمون : قاتلك الله . والله ما رأيت من يأمُر بالفِسْق من كتابِ الله وسنّة رسوله سِواك !

ومن شعر أبى نواس وقد جاء رمضان فى الحر[1] :

يارَبِّ يا مَلِكَ الرِّقابِ ... أنَصُومُ فى هذا العَذابِ ؟!

إنْ كنتَ قدَّرت الصِّيَا ... مَ فأَعفِنا من شَهْرِ آبِ[2]

أوْ لَا فإنَّا مفطرو ... نَ وصابِرُون على العَذابِ

مر أبو نواس فى بعض سكك البصرة ومعه حَمْدان بن بشر وكان يقود عليه ، فرمقهما الناس بأبصارها فاستحيا . فقال حمدان لأبى نواس : تقدّمنى حتى أتبعك . فقال له أبو نواس : لا بل أنت تقدّم وأنا أتبعك ، ثم أنشد :

أقول لِحَمْدان بن بِشْرٍ مجاوِباً ... وقد رشَقَتنا باللِّحاظِ النَّواظِرُ

وأطرقَ منه الرأسَ ثُمَّتَ قال لى: ... تقــدَّم قليلًا إنّنى متأخِّرُ

تقدَّم قليلًا يعرِفِ الناسُ حالَنا ... بأنّك قوّادٌ وأنّى مُؤَاجِــرُ

قال أبو نواس : سبقنى والبة بن الُحباب إلى بيتين قالهما ، وددت أنّى قلتهما وسبقته إليهما وأن بعض أعضائى اختلجمنّى ، وهما قوله[3] :

ولَيْسَ فَتَى الفِتيان من راح واغْتدَى ... لِشُرْبِ صَبُوحٍ أو لشُرْب غَبُوقِ

ولــكن فَتَى الفتيانِ من راح واغْتَدَى ... لضَرِّ عَدُوٍ أو لنفع صَــدِيقِ

---

(١) فى طبقات ابن المعتز : ٤٥٠ تنسب هذه الأبيات إلى عيسى بن زينب .

(٢) آب : شهر رومى يقابل أغسطس .

(٣) مجموعة المعانى (الجوائب) : ١٧٥ بدون عزو، وكذلك فى المستطرف : ١ / ١٠٧ والرواية فيهما : وليس فتى الفتيان من جل همه ... صبوح وإن أمسى ففضل غبوق

لمّا كان أبو نواس فى أوّل أمره فى العطارين يَبْرِى العود ، كان له أستاذ يُكنَى أبا الأَزْهر، فتزوّج أبو الأزهر امرأة فلم تلبث معه حتى سألته الطلاق فطلّقها ، ثم تزوّج أخرى فكانت كذلك ، فتقرّ[1] عن أمره مع نسائه فوجد أبا نواس يغريهنّ به ويبلّغهنّ ما لم يَقلْه ولم يفعله . فقال له : ما الذى حملك على هذا ؟ فقال : سمعت أنه من لم يضرّ ولم ينفع فليس من الناس . وأنا صبىّ لا أقدر على النفع فقلت أَضرّ لأدخل فى جملة الناس . فقال له : اذهب فوالله لا تُفلِحُ أبدا .

قال على بن العباس بن جُرَيْجٍ الرُّومِىّ الشاعر : وجّه[2] بى الأمير عبيد الله ابن عيسى بن جعفر إلى السِّندىّ بن صَدَقة ، والسندى أحد وُجوه مدينة السلام وأدبائها ، وهو خال أحمد بن يحيى البلاذرى . قال : فإنى عنده إذ دخل عليه رجل أسمرُ طويلٌ مفتولٌ حَسَنُ الوجه ، جيِّد اللحم أسودُ اللِّحية ، بعارضيه نَبْذَة بياض وعليه بِزّة حسنة ، وفى رجليه نعل رقيقة . فلمّا بصر به السندى قام إليه وأجلّه ، فأنشده الفتى الداخل عليه قبل قعوده :

إذا انكسرت عليك دَلَفْتَ نحوى ... وإن قامت فأنت غُرابُ نوحِ
وإن صرنا إليك نُرِيدُ شُرْباً ... برزتَ لنا أصمَّ على جُموحِ

فقال له السندى : بالحُرْمَة إلا أمسكتَ ولم تزد . فأمسك وقعد. وسأله السندى أفى هذا اليوم البارد فى رداء ونعل ؟ فقال : قد قلت فى هذا اليوم بيتين وعوّلت بهما عليك . قال : قل . فأنشده الفَتَى وكان فى أيام العجوز[3] :

---

(١) تقرعن أمره : بحث .

(٢) هنا سقط فى سند الخبر وإلا كان محالا ، فابن الرومى ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين، أى بعد وفاة أبى نواس بست وعشرين سنة فكيف التقى بأبى نواس فوق أنه لم يعرفه ! ذلك إلى أن الصورة التى يصف فيها الداخل لا تنطبق على أبى نواس. فلعل الخبر مدخول، وأبيات أبى نواس مستشهد بها فى الخبر لا غير .

(٣) البيتان فى الديوان : ٢٢٦ .

ويَوْمٍ مِنَ أيّامِ العَجُوز كأنَّمــا ... وجُـوه النَّدامَى فيـه بالثَّلْج تُلفَحُ
جعلنا صِلاهُ[١] الراحَ فالتهبَتْ بنا ... وأوْقدَتِ الأجوافَ فالجِلْدُ يرْشَحُ

فقلت من هذا ؟ فقال : هذا أبو نواس .

ومن شعر أبي نواس[٢] :

لَمَّـا رأيتُ الغزالَ مُنْجَدِلاً ... لا حَرَسٌ دُونَه ولا رَصَـدُ
قُمْتُ إليـــه أَدُبُّ مُرْتَعِدًا ... وكُلُّ من دَبَّ فهْوَ يرْتَعِدُ
هتـكتُ سترَ التُقى[٣] بنَيْكَتِه ... ونِلْتُ منـه ما لم يَنَلْ أَحَدُ

ذكر سُفيان بن عُيَيْنَة[٤] يوماً أبا نواس . فقال : كان أبو نواسٍ واللهِ ظرِيفاً .
وقرأت نقش خاتَمِه: « الـكِبْرُ ذُلٌّ » ، وهذا نقش الحـكماء .

وحدّث[٥] مَن دفن[٦] أبا نواس قال : كان نقش خاتمه :

تعاظمني ذنبي فلمّا قرنتــه ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما

وقيل : كان نقش خاتمه : من لم يحل لم يبل .

قال محمد بن أبي عُيَيْنَة : لقيت أبا نواس بعسكر مُـكْرَم[٧] فقلت له أُحبّ أن تُنْشِدَنى من شعرك شيئا تضنّ به على غيرى ، فأنشدنى[٨] :

يَكْفِي الـكريمَ من الـكَلا ... مِ لمن يُحادِثُه أَقَلُّهْ

---

(١) صلاه : وقوده وما يستدفأ به .
(٢) الفـكاهة .
(٣) فى ت : الفتى .
(٤) سفيان بن عيينة : إمام عالم ثبت ورع محدث ولد سنة ١٠٧ وتوفى سنة ١٩٨ ﻫ .
(٥) عيون الأخبار : ١/٣٠٣ وسيأتى هذا الخبر .
(٦) دفن : فى ت : رأى .
(٧) عسكر مكرم : من نواحى خوزستان « ياقوت » .
(٨) ليس فى الديوان وهى أشبه بأبى العتاهية .

والشرُّ شيء لم يَزَلْ ... بأدقِّه يأتى أَجَلُّه
إنْ لم يصبك من الكريـ ... ـم الُحرِّ وابلُه فطَلُّهْ
إنَّ الكريم له علَى ... معروفِه نَفْسٌ تَدُلُّهْ
يُبْدِى مكارمَه كما ... يُبْدِى فِرِنْدَ السيفِ سَلُّهْ
والنَّذْلُ يوقع نفسَه ... متعمدِّاً فيما يُذِلُّهْ
والُحرُّ يُكْرِمُ نَفْسَهُ ... بالصَّفْحِ عمَّن لا يُجِلُّهْ

قال سليمان سخطة : قدم حىٌّ من أحياء العرب بادية البصرة ليمتارُوا ويرجعوا . فنزلت الأبياتُ ظاهر البصرة، فقال أبو نواس يوما : اخرج بنا إلى الأبيات . فخرجنا فاستقريناها ، فلما صرنا إلى آخرها إذا نحن بامرأة شديدة الأُدْمَة إلّا أنها مع تلك الأُدْمة أحسنُ الناس وَجْهاً وأحلاهُ وأغزله وأنقاه ثغْرًا ، وأحوره عينا ، فوقفنا ننظر إليها. وداعبها أبو نواس وداعبته، فإذا هى ظريفة آنسة ضاحكة ماجنة من الأعراب . فقال لها أبو نواس :

هل عندكِ اليوم من خَمْرٍ فنشربَها ... أم هل سَبِيلٌ إلى تقبيل عَيْنَيْكِ
فلست أبغِى سوى عينيكِ منزلةً ... إنْ لم تجودِى لنا عَفْواً بخدَّيْكِ
أو تأذنينَ بريقٍ منك أرْشُفُه ... أو لَمْس بَطْنِك أو تَغْمِيز ثدْيَيْكِ[1]

فأجابته على المكان :

أنت امروٌ ليس يُجْزِيه مُقَبَّلُنا ... ولا تُرِيدُ سِوَى التَّرْهِيزِ والنَّيْكِ
فلِمْ تُجَمْجِم فيما لستَ تُوضِحه ... أَوْضِح وأَبْدِ الَّذى فى خفى كَشْحَيك
إنّى فتاةٌ ببذل الوُدِّ سامحةٌ ... أُجيب من رامَنِى يوماً بلَبَّيْك

فاستظرفها أبو نواس . فكنا نحمل فى كلّ وقتٍ شرابا ونجىء فنشرب عندها ومع زوجها، وكانت وزوجها يشربان، ولم نزل كذلك حتى رحلوا.

(١) ثدييك : فى ت عطفيك .

جاء مسلم بن الوليد والعتَّابى والنُّمَيرى والجرجانى[1] والتّميمى وسَلْم وأبو الشِّيص ومَرْوان وأبو العتاهية إلى أبى نواس فقالوا: بلغنا عنك أنك تحقّرنا وتشتمنا وتستخفّ بنا وبأشعارنا ، فتعالَ حتى نُهاجيك ونُشاعرك . فأنشأ يقول مجيبا :

الوَيْلُ للشُّعراء من شُعَرائكم | يتعرَّضُون لواحِدِ الشُّعراءِ
اللهُ أخزاهم فجاء جميعُهم | يستمطرون صَواعِقى وهِجائى
أَهْجُوهُمُ متفرقين وجُمْلَةً | هانُوا علىّ وليس من أعدائى
يتشرَّفون بأنَّنى أهجُوهُم | حتّى كأنهم من الُخلفاءِ

فقال العتّابى : قوموا بنا عنه فقد نهيتُكم عن المصير إليه ، هو والله أشعر منكم ، وعلى الشعر أقدر منكم .

كانت للفضل بن أبى سهل بن نوبخت وصيفةٌ ظريفة فعابثها أبو نواس فقالت له : وجهك والحرام لا يجتمعان، فقال[2] :

أبَتْ عيناىَ بعدكِ أن تناما | وكيف ينامُ من ضَمِنَ السَّقاما
بُليتُ من الغَرام بما أُلاقى | وراجعتُ الصّبابة والغَراما
رجعت إلى العِراق برَغْم أنْفِى | وفارَقتُ الجزيرَة والشَّآما
على شَطّ البَليخ[3] وساكِنيه | سلامُ مُسَلِّم لَقِىَ الحِماما
مذكَّرةٌ مؤنَّثة مَهاةٌ | إذا برزت تُشَبِّهها الغُلاما
تعافُ الماءَ والعَسَل المُصَفَّى | وتَشْرب من فُتُوَّتها[4] المُداما

---

(١) الجرجانى : هو أحمد بن سيار كان راوية شاعرا مداحا ليزيد بن مزيد .

(٢) الديوان : ٢٥٠ .

(٣) البليخ : فى الديوان : الشآم — والبليخ : نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون ، يصب فى الفرات بعد الرقة بميل (ياقوت) .

(٤) فتوتها : اكتمال شبابها .

تَقُولُ لسيفها(١) ياسيفُ أَبْشِر ... ستَرْوَى من دَمٍ وتَقُدُّ هَامَا
وقائلةٍ لها فى وَجْه نُصْحٍ ... عَلامَ قتلت هذا المُسْتَهامَا ؟!
فكان جوابُها فى حُسْن مَسٍّ ... أأَجْمع وَجْهَ هَذا والحَراما !
لقد رَبِحَت تِجارةُ كلِّ صَبٍّ ... تُهادِيه حَبِيبَتُه السَّلامـا

وقال(٢) :

لَلطمــةٌ يلطمنى أمْرَدُ ... تأْخُذُ مِنّى العَيْنَ والفَكَّا
أَطْيَبُ من تفَّاحةٍ من يدَى ... ذى لحيةٍ قد حُشِيت مِسْكَا

كان العباس بن محمد يتشوَّق أبا نواس ويميل إليه ، فلما رآه وسمع منه ورأى ظرفه وكماله أقبل عليه وقال : يا أبا على ، أريد أن أقول لك شيئاً فاستحييك واستحى من نفسى فى تركِ نصحك ، وقد بلغنى أنك مُكِب على المعاصِى مُسْتَهْتَر بالقبائح والمجون . فقال : أيها الأمير أما المعاصى فإنى أثق فيها بعفو الله عز وجل وقوله تعالى ؛ فوالله لو أن السندى يقول ما قال الله سبحانه وتعالى لوثقت به ، فكيف يقول رب العالمين عزّ وجلّ وهو يقول ﴿ياعبادِىَ الّذين أَسْرَفُوا على أنفُسِهم لاتَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ إنّ اللهَ يغفر الذُّنُوب جَمِيعا﴾ وأمّا المُجون فما كل أحدٍ يُحْسِنُ أن يَمْجُن ، وإنما المُجون ظَرْف ، ولستُ أَبْعُد فيه عن حدِّ الأدب ولا أتجاوز مقداره . ثم نهض . فقال العباس : هذا والله الأدب الذى يحسن معه كل شىء .

حدَّث(٣) الجمّاز أن أبا نواس احتاج حاجة شديدة واشتاق إلى شرب الخمر وهو ببغداد، فلم يَقْدِر على ما يشترى به خمرا ، فذكر له أخاً شاعرا فى بعض القُرَى فخرج إليه ، فوجد صاحبه أسوأ حالاً منه ووجده وعنده خابية شراب لا غير . فقال له :

---

(١) يريد نظرات عينيها .
(٢) نهاية الأرب : ٤/٨٩ .
(٣) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١٩ .

ما حالك ؟ فقال : والله ما عندى مأكل فأشرب عليه الشرب . فقال له أبو نواس : ما ههنا أحد نمدحه ؟ فقال : ههنا رجل من مضر يكنى أبا مالك ، إذا مدحتُه مدحنى ، وإذا هجوته هجانى مِثلاً بمِثْـل . فنظر أبو نواس فى شعر المضرى فإذا هو شعر متظرف متكلّف . فدعا بالدواة وكتب إليه[1] :

قل لأبى مالكٍ فتى مُضرٍ ... مقـــال لا مُفْحَم ولا حَصِرِ
جئنـاك فى مَيِّتٍ تـكفّنه ... ليس من الجنّ لا ولا البشرِ
بل هو ميتٌ عِظامُـــه[2] خَزَفٌ ... والجلدُ[3] قارٌ والرُّوح من عَـكَرِ
ليس لنا ما به نـكفّنه ... فـكفِّن الميْت يا أخا مُضَرِ
واعجل فقـد مات فاعلمَنَّ ضُحًى ... ونحن من نتنه على خطَرِ
يا لك مَيْتاً صلاةُ شيعَتِه ... عَزْفٌ عليـه والنقْرُ بالوتَرِ

فلما قرأ المضرىُّ الشعر أقبل بحَشَمه وغلمانه لمّا عرف أنّ أبا نواس عنده ، وأنه هو الذى قال الشعر ، ثم أكبَّ عليه فقبّل رأسه واعتذر إليه ألّا يكون عَلِمَ فاستقبله. وحوّل إليهما ما احتاجا إليه، وأقام عندهما يومه ذلك. وأمر لأبى نواس بخمسة آلاف درهم ولصاحبه بثلاثة آلاف درهم .

وقال أبو نواس يمدح الأمين[4] :

صَبَبْتُ على الأمين[5] ثيابَ مَدْحِى ... فـكلُّ الناسِ حَسَّنَ واستجادا
ولولا فضله ما جادَ شِعرى ... ولا أعطَتنِىَ الفِطَنُ القِيادا[6]

---

(١) الديوان : ٦٨٦ .

(٢) فى ك . ت وأخبار : سلاحه. ورجحنا عبارة الديوان .

(٣) فى الأخبار : والجسم فان .

(٤) الديوان : ٤٣٣ وفيه : يمدح العباس بن عبد الله .

(٥) الأمين : فى الديوان : الأمير .

(٦) فى الديوان : ولا ملك الثنا منى القيادا.

وقالُوا قَــد أَجَـدْتَ فقلت إنّى ... وَجَــدتُ القولَ يُمْكِننى فجَادَا[1]

قال إبراهيم بن المهدى : قلت لمحمد الأمين : ما رأيت كما قد أظهرت من التهتُّك وخَلْع العذار وتَخْلِية نفسك وهواك ، حتى لقد نادمت أبا نواس وهو خليع الفكر مشهور بالمُجون والتهتك! فنظر إلىّ نظرة منكرة وقال: الساعة ترى ، هاتُوا أبانواس. فلما جاء سلّم وجلس ناحية . فقال محمد : ههنا فأدناه حتى حكّت ركبتُه ركبتَه ، وأقبل يُنشده ويحادثه ويفكّهه ويَبْتَدِهُ[2] له من كل ضرب . ثم قام لبعض حوائجه فأقبل علىّ محمد وقال : يا إبراهيم من يصبر عن هذا ولا يحتمل فيه كل شىء ؟! والله إن هذا يحسن منه كُلُّ ما يأتى به . فعَلِمْتُ أنّ الذى قاله الأمين حقّ، وما رأيت فى الدنيا مثله قط .

ومن شعره فى الأمين[3] :

قام الأمينُ بأمر الله فى البَشَرِ ... واستقبل المُلْكَ فى مستقبل الثَّمَرِ

فالطيرُ تُخْبِرنا والطير صادِقَةٌ ... عن طِيبِ عَيْش وعن طُولٍ من العُمُرِ

فيملك الأرضَ أقصى ما تَعُدّ يد[4] ... حتى يدبَّ كاملَ الصوتِ والنَّظَرِ

قــد زَيَّن الله دُنيانَا وحَسَّنَها ... بابْنِ الشَّفيع إلى الرَّحْمن فى المَطَرِ[5]

وازدَادَتِ الأرض لمَّا سَاسَها سَعة ... وأضعفَ[6] اللهُ نورَ الشَّمْسِ والقَمَرِ

وقال فيه أيضا وهو ولىّ عهد إذ ذاك :

تتيهُ الشمسُ والقمرُ المُنيرُ ... إذا قلنا كأنَّهما الأمِــيرُ

(١) فى الديوان : رأيت الأمر أمكننى فزادا .

(٢) فى ت : ينبذه. وفى ك: بدون نقط . ويبتده له : يرتجل ويأتى به على البديهة .

(٣) الديوان : ٤٢٢ .

(٤) تعد يد : ما يستطيع أن تحسبه .

(٥) يريد العباس بن عبد المطلب، وقد استسقى به الناس فى أيام عمر (رض) لقرابته من رسول الله

(٦) أضعف الله : فى الديوان : حتى تضاعف .

فإنْ يكُ أشبهَا منـــه قَليلًا فقد أخطاهمــا شَبَهٌ كثيرُ
لأنَّ الشمسَ تَغْرُبُ حين تُمْسِى وأنَّ البدر يَنْقُصُه المَسِيرُ
ونُور محمّدٍ أبــــداً تمَــامٌ على وَضَحِ الطريقةِ لا يَحُور

ومن شعره[1] :

وَعَدْتَنى وعــدَكَ حتَّى إذا أطمَعْتَنى فى كَنْزِ قارُون
جئتَ من اللَّيْـلِ بغسَّالــةٍ تَغْسِلِ ما قُلْتَ بصابُون

ومن شعره[2] :

سألتُ أَخِى أَبا عِيسَى وجبْرِيلٌ له عَقْـلُ
فقُلْتُ الراحُ[3] تُعجِبُنى فقال : كثيرها قَتْــلُ
فقلتُ لــه : فقــدِّر لى فقال : وقولُــه فَصْلُ
وجــدتُ طبائعَ الإنسا نِ أربعةً هى الأَصْــلُ
فأربعــةٌ لأَرْبعــةٍ لكُلِّ طبيعةٍ رِطْــلُ

لقِيَ[4] أبو نواس مسلمَ بن الوليد فقال له : يا حسن حدّثنى عن قولك :

جَرَيْتُ مع الصِبا طَلْقَ الجَمُوحِ وهانَ علىَّ مأثورُ القَبِيحِ

لِمَ جعلت فرسَك جَمُوحا ؟ ولِمَ سمَّيت لهوك قَبِيحا ؟ فقال : يا مسلم[5] ، الجَموح أبعد الأفراس شأواً وأبطؤها فتورا ؛ وسمّيت اللَّهو قبيحا إيثارا للعقل لا للجهل . وتتمة هذه القصيدة[6] :

---

(١) ليس فى الديوان .

(٢) الديوان : ٦٠ .

(٣) فى الديوان : الخمر .

(٤) الموشح : ٢٨٣ ـ تاريخ بغداد : ٧/٤٤١ .

(٥) فى ك : يا أبا مسلم .

(٦) الديوان : ٧١ ـ تاريخ بغداد : ٧/٤٤١ .

وجدت ألذَّ عاريةِ الليالي ... قِرانُ النَّغْمِ بالوَتَرِ الفَصيحِ
ومُسْمِعَةٍ إذا ماشئت غنَّت ... متى كان الخيامُ بذى طُلُوحِ
تمتَّع من شبابٍ ليس يَبْقَى ... وصِلْ بعُرَى الغَبُوقِ عُرَى الصَّبوحِ
وخذها من مُشَعْشَعَةٍ كُمَيْتٍ ... تنزّل دِرَّةَ اللَّحِزِ الشَّحيحِ[1]
تخيّرها لكسرى رائداهُ ... لها حَظَّانِ من لَوْنٍ وريحِ[2]
ألم تَرَنِي أبحتُ الراحَ عِرْضِي ... وعضّ مراشفَ الظّبْيِ المَليحِ
لأنّى عالمٌ أنْ سوف تنْأَى ... مسافةُ بينِ جُثمانِى ورُوحِى

اجتمع[3] أبو نواس ومسلم يوما فقال له مسلم : ما أعلم لك بيتا إلا مدخولا مَعِيبًا ساقِطًا ، فأنشدنى أىّ بيت شئت من شعرك . فأنشد أبو نواس إنشاد المُدِلّ :

ذكَرَ الصَّبوحَ بِسُحْرَةٍ فارتاحَا ... وأمَلَّه دِيكُ الصباحِ صِياحَا[4]

فقال له مسلم : قف عند حجّتك ، لِمَ أملّه صياحا وهو الّذى بَشّره بالصَّبوح الذى ارتاح له ؟ فانقطع أبو نواس انقطاعا بيّنا ، فجعل الجواب له معارضة ، فقال : أنشد أنت أيضا ما أحببْتَ من شِعرك ، فأنشده مسلم :

عاصَى الشبابَ فراح غَيْرَ مُفَنَّدِ ... وأقام بين عَزِيمةٍ وتَجَلُّدِ

فقال له أبو نواس : حسبك حيث بلغت ، ذكرت أنه راح ، والرّواح لا يكون إلا بالانتقال من مكان إلى مكان ثم قلتَ :

* وأقام بين عَزِيمَة وتَجلُّد *

---

(١) المشعشعة : الممزوجة ـ الكميت : من أسماء الخمر لما فيها من احمرار إلى اسوداد ـ الدرة : المراد العطاء ـ اللحز : البخيل .

(٢) ذكر اللون والريح ولم يذكر الطعم لأن لونها وريحها متى طابا طاب طعمها ضرورة وليس العكس .

(٣) الخبر : فى الموشح ٢٨٣ ـ الشعر والشعراء : ٧٨١ ـ غ (بيروت) : ١٨ / ٣١٧ .

(٤) من قصيدة فى الديوان : ١ وسيأتى بعد هذا الخبر تكملتها .

فجعلته منتقلا مقيما ، وقلت : عاصى الهوى ، ثم قلت : وأقام بين عزيمة وتجلد ، فكيف يكون ذلك مع المُعاصاة ؟ ! فانقطع مسلم وتشاغبا وافترقا . والبيتان جيّدان بديعان ، ولكن قلّ من طلب عيبا إلا وجده .

وفى قصيدة أبى نواس بعد البيت الأول فى صفة الديك[١] :

أَوْفَى على شَرَفِ الجِدار بسُدْفَةٍ غَرِداً يصفّق بالجَناح جَناحَا

فأَدِرْ[٢] صَباحك بالصَّبُوح ولا تَكُنْ كمُسَوّفين[٣] غَدَوا علَيْك شِحاحَا

إنّ الصَّبوحَ جِلاء كلّ مُخَمَّرٍ بدَرَتْ يداه بكأسه الإصْباحَا

وخدين لذّات مُعلِّلِ صاحبٍ تَقْتَات منه فكاهةً ومُزاحَا

نَبَّهته والليل مُلْتَبِسٌ به وأزَحْت عنه نُعاسَه فانزاحَا[٤]

قال : ابْغِنى المِصْباح قلتُ له اتّئِد حَسْبِى وحَسْبُك ضَوْءها مِصباحَا

فسكبتُ منها فى الزجاجة شَرْبَةً كانت له حتّى الصباح صَباحَا

من[٥] قهوة جاءتك قَبْل مِزاجها عُطُلًا فألبَسها المِزاجُ وِشَاحَا

شَكَ البِزالُ فُؤادَها فكأنّما أهْدَتْ إليك بريحها تُفّاحَا

صفراء تفترش النفوس فلا ترى منها بهنّ سوى السِّنات[٦] جِراحَا

---

(١) الديوان : ا

(٢) فى الديوان : بادر .

(٣) كمسوفين: سئل أبو نواس: من المسوفون؟ فقال : الذين يقولون بشربها فى الآخرة (هك).

(٤) فى الديوان : وأزحت منه حثاثه فانزاحا . والحثاث : بقية النوم فى الجفون .

(٥) من قهوة... : يريد أنها لما مزجت صار حبابها عليها كالوشاح .

(٦) السنات جمع سنة : الفترة فى العين من النوم .

قال رُزَين[1] أخو دعبل : كان الأدب يجمعنا كثيرا فيؤنسنا التناشد والمذاكرة ، فاجتمعنا يوما عند أبى نواس وهو إذ ذاك فى رهج دوامة مع محمد بن زُبَيدة ، وفينا دِعْبل بن علىّ ، ومسلم بن الوليد ، وأبو الشيص ، فلما كادت الكؤوس أن تغلِبَ العقول قال أبو نواس : قد اتّفق اجتماعنا فلم لا نتمّم يومنا بما يذكرنا به المتأدِّبُون ؟ قلنا له : إنه ليوم ذاك . فالتفت إلى مسلم فقال : هات فلله إحسانك فى الإجابة إذا نوديت فاختر من شعرك ما شئت ، فليس من شاعر إلا وهو يعرف حبَّة القِلادة من شعره . فاستوى مسلم جالسا وقال : ليست بك حاجة إلى مكاثرتنا ، فقد علمنا أنّ معك من الكلام دُرَّه وخالص جوهره ، وإنما أردت إقرارنا لك بذلك ، فقد سلّمناه لك . فقال أبو نواس : مالهذا قصدت ، ولكنك تريد أن تفخر علينا بجودة شعرك فامض لما اجتمعنا عليه ، فلن ندع مشاركتك فى ذلك لما تقدم من بقاء ذكره بين الأدباء على مر الأيام .

فابتدأ[2] مسلم فى قوله :

أجررتُ حَبْلَ خليعٍ فى الصِّبَا غَزِلِ　　　وشمَّرت هِمَمُ العُذَّال عَنْ عَذَلى

فلما انتهى فيها إلى قوله :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذِى رَهَجٍ　　　كأنَّه أَجَلٌ يسعَى إلى أَمَلِ

فقال أبو نواس : ما أراه يجىء بعد هذا الكلام ما يفى بوَزْنه . ثم التفت إلى دعبل فقال : هات الآن فكأنى بك قد جئت بسَقَط شعرك :

* ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكَى *

---

(١) الخبر هنا من روايتين تداخلتا . انظر الطبقات : ٧٢ — ٧٤ وبرواية أحمد بن عبيد ورواية رزين فى غ (بولاق) ١٥/١٠٩—١١٠ — وفى الأشربة : ٤٤ باختصار .

(٢) فى غ : فاندفع رجل كان معهم فقال: اسمعوا منى أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد ، فقال لمسلم : أنت يا أبا الوليد ، فكأنى بك قد أنشدت ...

قال دعبل : هو ذلك فتجاوزنى إلى غيرى . فقال : كلا فأين استلذاذ السمع بعذوبة جيِّد الكلام؟! فجاء بها إلى آخر بيت. فقال أبو نواس : أحسنت ملء فيك . ثم التفت إلى أبى الشيص فقال : الضادية الضادية، فما خطر بخلدى قط قولك :

* لَيْسَ المُقِلّ عن الزّمان براضِ *

إلّا حَرَّكَ[1] مِنِّى ساكنا ! وإنما اخترتُها استحسانا لها . فإن الأعشى كان إذا قال قصيدة عَرَضها على ابنته، وكان قد ثقَّفها حتى بلغت مبلغ التحكيم والإحسان لجيّد الكلام . ثم يقول لها : عدّى لى المخزيات فتقول[2] :

أَغَرُّ أروعُ يُستَسْقى الغَمامُ به لو قارَعَ الناسَ عن أحسابهم قَرَعا[3]

فقال أبو الشيص : لا أفعل فليست عندى عقد درّ مفصّل ، ولكن أكاثر بغيرها من قولى وأنشد :

وقفَ الهوَى بى حيثُ أنتِ فليس لى متأخّر عنه ولا مُتَقدّم

وذكر الأبيات . فقال أبو نواس : أردت صرفك عنها فأبيت إلا أن تُخَلِّى سَلَبك! قال: فكيف ترى هذا الطراز؟ قال: أراه نَمَطا حسنا! فكيف تركت قولك:

فى رداء من الصَّفيح صَقِيل وقَميصٍ من الحديد مُذالِ

قال : كما تركَ المختارُ إحدى الدرّتين لما سَبَق إلى الخاطر ، وزُيِّن فى الناظر .

قال رزين : فعاتبنى ساعة لأُسمِعَه فأبيت ، وكنت أصغر القوم سنا ودونهم

---

(١) إلا حرك ... : فى الأغانى : إلا أخزيتك استحسانا .

(٢) فتقول: فى ك : تقول . وفى الأغانى : فتعد قوله .

(٣) ديوان الأعشى : ٨٦ وفى غ بعد هذا البيت : وما أشبهها من شعره .

(٤) لا أفعل فليست عندى .. : عبارة غ : لا أقول إنها ليست عندى .

فى الشعر . ثم قالوا[١] : ياأباعلى فقد انقدنا لك فى الطاعة! فقال : هو حقكم ولم تدخلوا فى شىء إلا وأنا شريككم فيه . ثم احتبى بمنديل وأنشد[٢] :

لا تَبْكِ ليلَى ولا تَطْرَبْ إلى هِنْدِ ... واشرَبْ على الوَرْدِ من حَمْراءَ كالوَرْدِ
كأساً إذا انحدرت فى حَلْق شارِبها ... أَجْدَتْه[٣] حُمرتَها فى العَيْن والخَدِّ
فالخَمْرُ ياقوتَةٌ والكأسُ لؤلؤةٌ[٤] ... من كفِّ لؤلؤةٍ ممشوقةِ القَدِّ
تَسْقِيك من طَرْفها[٥] خَمْراً ومن يَدِها ... خَمْراً فما لك من سُكْرَيْن من بُدِّ
لِى نَشْوتان وللنَّدْمان واحدَةٌ ... شىءٌ خُصِصْتُ به من بَيْنِهم وَحْدى

قال : فقمنا فسجدنا[٦] له . فقال : أعملتموها أعجمية ؟ ! لا والله لا أكلمكم ثلاثا وثلاثا وثلاثا ثم أطرق مَلِيًّا ورفع رأسه وقال : تسعة أيام فى مُهاجَرة الأخلّاء والله كثير .

ثم التفت إلينا فقال : أعلمتم أنَّ رجلا عتب على أخيه فغضب عليه فكتب إليه الأخ المغضوب عليه : يا أخى إن أيام العمر أقصر من أن تَحْتَمِل الهجرَ ، ومن أقرَّ بالذنب وألْزَم نفسه العيبَ سَهَّل بها طريقَ الصفح عمّا فرط منه ، وأيام السرور خُلُس ، والمُقَصِّر فى تناول اللَّذَّة إذا أمكنت غيرُ مصيب فى رأى ولا حَزْم ، وأنت حَرِيٌّ فى استكمال المِنَّة بالصفح ، وتحصيل اللذة بالمبادرة قبل الفَوْت . والسلام .

---

(١) قالوا : فى النسخ : قال. والتصويب من السياق .
(٢) الديوان : ٢٧ .
(٣) أجدته : أعطته .
(٤) لؤلؤة : فى الديوان : جارية .
(٥) طرفها : فى الديوان : عينها .
(٦) الأشربة : ٤٤ باختلاف واختصار — وفى تهذيب ابن عساكر أن أبا هفان استنشد أبا نواس هذه القصيدة فلما فرغ منها سجد فقال : ألم أنهك عن هذا . إلى آخر القصة قريبا مما هو مذكور هنا .

لمّا سمع المأمون قوله :

* لا تَبْكِ لَيْلَى ولا تَطْرَبْ إلى هِنْدِ *

قال : اللهُ أكبر ، هَذَا واللهِ هو الشعر ، لا قوله :

* أَلَا هُبِّى بِصَحْنِك فاصْبَحِينا(١) *

الكأس : اسم الإناء إذا كان فيه الخمر ، فإذا لم يكن فيه خمر فهو إناء ، والمائدة : اسم لها إذا كان عليها طعام ، فإذا لم يكن عليها طعام فهى خوان . والرمح : اسم له إذا كان فيه زُجٌّ ، فإن لم يكن فيه زج فهو قناة .

قال دِعْبل(٢) : كان أبو نواس يسألنى أن أجمع بينه وبين مسلم بن الوليد . وكان مسلم يسألنى أن أجمع بينه وبين أبى نواس ، فكان أبو نواس إذا جاء تخلّف مسلم ، وكان مسلم إذا جاء تخلّف أبو نواس ، إلى أن اجتمعا عندى ، فأنشد أبو نواس :

أَجَارَةَ بَيْتَيْنا أبُوكِ غَيُورُ ... ومَيْسُورُ ما يُرْجَى لَدَيْكِ عَسِيرُ(٣)

وأنشده مسلم قصيدته التى يقول فيها :

لِلّه من هاشِمٍ فى أرضِهِ جَبَلٌ ... وأنتَ وابنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الجبَلِ(٤)

قال : فقلت لأبى نواس : كيف رأيت مسلما ؟ فقال : هو أشعر الناس بَعْدِى . وسألت مسلما كيف رأيت أبا نواس ؟ فقال : أنا أشعر الناس بعده . فعجبت من اتفاق لفظيهما .

---

(١) ألا هبى : يريد معلقة عمرو بن كلثوم.

(٢) غ (بيروت) : ١٨/٣٣٥ .

(٣) البيت أول قصيدة فى الديوان : ٤٨٠ . وهى فى رحلته إلى مصر لزيارة الخصيب .

(٤) ديوان مسلم : ٤٦ من قصيدة أولها :

أجررت حبل خليع فى الصبا غزل ... وشمرت همم العذال فى العذل

فى مدح يزيد بن مزيد الشيبانى .

لقى أبو نواس مسلم بن الوليد فسلّم عليه وقال له : يا مسلم ، ذهبتَ والله بالشعر ! فقال له مسلم : أمَّا وأنت القائل :

* أجارَةَ بيتَيْنا أبوكِ غَيُور *

فلا واللهِ ! لقد غلبت أهل زمانك .

قوله : أَجَارَةَ بيتينا . . . يريد جارة فى البيت وجارة فى النسب .

قال على بن العباس الرُّومىّ الشاعر : كنت عند أبى جعفر بن محمد بن حبيب فجرى ذكر الشعراء ، فذكر الناس شعراء الجاهلية: امرأ القيس وطرفة والأعشى ، فجعلوا يقدّمونهم ، وذكروا شعراء الإسلام فقدّموا جريرا والفرزْدق وأنا ساكت. فقال لى: يا أبا الحسن لم لا تتكلّم ؟ فقلت : أذكر لكم رجلا أشعر من هؤلاء ؟ فقالوا: من هو؟ فقلت: أبو نواس . فقال: أولئك جاءوا إلى المعادن فاقتلعوها . فقلت له : فأىٌّ أشعر ؟ مَنْ جاء إلى المعادن فاقتلعها بتبرها وترابها وغشها، أو من خلّص التّبر من التُّراب؟! هذا الفرزدق قيل له : أيّما أحب إليك، تتقدّم الجود أو يتقدّمك ؟ فقال : لا أتقدّمه ولا يتقدَّمنى ، ولكن أكون أنا وهو معا . وهذا أبو نواس يقول:

فما فاتَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَهُ ... ولكن يَسِيرُ الجودُ حيثُ يَسِيرُ(١)

وإلا فأنشدونى مثل قوله :

كَمنَ الشنآنُ فيه لنا ... ككُمُون النَّارِ فى حَجَرِه(٢)

قال نوبخت(٣) : سمع أبو نواس يوما من المنجمين يقولون : كان لدوران الفلك ابتداء كان قبله ساكنا ، والهند يقولون: إن الله عز وجل لما خلق النجوم خلقها مجتمعة واقفة فى مكان واحد ، ثم فرّقها وأدارها ، فقال أبو نواس قصيدته التى أولها(٤) :

(١) الديوان : ٤٨١ .
(٢) الديوان : ٤٢٨ .
(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٧٧٣ — ٧٧٤ .
(٤) الديوان : ٧٣ .

أعطتكَ ريحانَها العُقارُ وحان من لَيْلِك انسِفارُ

أعطتك ريحانها أى لمّا شربتها تحوّل طيبُها إليك . منها :

تُخـيِّرت والنُّجومُ وَقْف لم يَتَمـكّن بهـا المَدارُ

فسبك قول المنجمين فى هذا البيت . والمنجمون يقولون : إن النجوم كانت واقفة وإنها لا تزال تسير إلى أن تجتمع فى البرج الذى ابتدأها فيه ، فإذا عادت إليه جميعها فى درجة واحدة قامت القيامة وبطل العالم .

والهند يزعمون أنها لما اجتمعت فى برج الحوت اجتمعت إلا يسيرا منها ، فهلك الخلق بالطوفان وبقى من العالم بقدر ما بقى منها خارجا عن الحوت ، ولو كانت بأسرها فى الحوت لم يبق أحد[1] .

ومن طيّب هذه القصيدة قوله :

فلم تَزَلْ تأكلُ اللّيالِى جُثمانَها ما بها انتصارُ

حتّى إذا ماتَ كلُّ ذامٍ[2] وخُلِّص السرُّ والنِّجارُ[3]

عادَتْ إلى جوْهرٍ لطيفٍ عِيانُ موجودِه ضِمارُ[4]

كأنَّ فى كأسِها سَرَاباً تُخِيلُه المَهْمهُ القِفارُ[5]

لا يَنْزِلُ الليل حيث حَلَّتْ فدهْرُ[6] شُرّابِها نَهارُ

---

(١) قال ابن قتيبة بعد ما أورد ما سبق : ولم أذكر هذا لأنه عندى صحيح ، بل أردت التنبيه على معنى البيت ونظر هذا الشاعر فى هذا الفن.

(٢) الذام : العيب .

(٣) النجار : الأصل .

(٤) الضمار : خلاف العيان . يريد أن جوهرها لطيف كأنه غير مرئى لشدة لطفه ورقته .

(٥) تخيله : توهم به — المهمه : المفازة .

(٦) فدهر : فى الديوان : فليل .

كان الأصمعي يفضّل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة(١) :

أما تَرَى الشمس حلَّتِ الحَمَلا   وطَابَ(٢) وقتُ الزَّمانِ واعْتَدَلا
وغَنَّتِ الطيرُ بعد عُجْمَتِها   واستوفَتِ الخمرُ حَوْلَها كَمَلَا
وا كتَسَت الأرضُ من زخارِفِها   وَشْىَ ثِيابٍ تخالُه حُلَلا
فاشرَبْ على جِدَّةِ الزمان فقَدْ   أصبَح وَجْهُ الزمان مُقتَبِلَا
كَرْخِيَّةٌ تترك الطَّوِيل مَن الـ   عَيْشِ قصيرا وتبسُط الأَملَا
تلعب لعب السَّراب فى قدَح الْـ   قَوْم إذا ما حَبابُها انتضلَا
يقول : صَرِّفْ إذا مزجَتْ لـه   من لم يكن للكَثِيرِ مُحْتَمِلَا
فسقِّ هذا بقَدْر طاقَتِـه   واحْمِل على ذَا بقَدْرِ ما احتَمَلَا(٣)
عُجْنَا بِثِنْتَيْن من طبائعها   حُسْناً وطِيباً ترى به المَثَلا

اختُلف(٤) فى معنى قوله :

* واستوفت الخمر حولَها كَمَلا *

فقيل إنه أراد أن الكَرْم أول ما يعقد ويخرج من العدم إلى الوجود إنما هو فى شمس الحَمَل ، ثم إنّ الخمر إنما يكمل طِيبُها ونُضْجُها وتعصر فى آخر الأسد وأول السُّنْبُلة ، ثم إنها تبقى فى الدِّنان والأوعية إلى أن تُشْرَب، فإذا شُرِبَت فى نزول الشمس برجَ الحَمَلِ فقد استوفت سنةً بهذا الاعتبار .

وقد لَعِب أبو نواس أيضا بذلك فى قوله :

---

(١) الديوان : ٦٣ .
(٢) وطاب وقت : فى الديوان : وقام وزن.
(٣) البيت ليس فىالديوان .
(٤) الشعر والشعراء : ٧٧٣ .

قد جَرَى فى عُودِكَ المَا ... ءُ فأَجْرَى الخَمْرَ فِينَا[1]

فالماء أول ما يجرى فى عود الكرم هو الذى يصير ماء فى العنب بعينه ، ثم هو الذى يُعْتَصر خمرا بعينه ، فهو من أول جَرْيِهِ فى العود إلى أن يصير عنبا إلى أن يُعْصَر إلى أن يُشْرَب يستكمل سنةً عند حلول الشمس الحمل .

وقيل : إن الهاء فى قوله حولها تعود على الشمس لا على الخمر ، والكناية عنها تحسن لتقدّم ذكرها وإن كان ذكر الخمر فى البيت الثانى إلا أنه بدأ بذكر الشمس فى شعره فقال : أما ترى الشمس ، ثم ذكر الزمان والخمر والطير فقال :

* واستوفت الخمر حَوْلَها كَمَلا *

يعنى حولَ الشمس كاملا ، لأن الشمس إذا حلّت الحَمَل تكون قد قطعت الفَلَك من أوّله إلى آخره فى حول كامل ، ثم إنها تبتدئ فى الحول الثانى .

ومعنى[2] استيفائها حَوْل الشمس أنّ الله عز وجل خلق الشمس والقمر والنجوم فى رأس الحَمَل ، والليل والنهار سواء والزمان معتدل فى الحرّ والبرد ، فكلّما حلت الشمس رأس الحمل فقد مضت سنة للعالم، فقال استوفَت الخمرُ حَوْلَ الشمس وإن لم تأت الخمر فى نفسها على حول، وإنما أراد أن شربها يطيب فى هذا الوقت لاعتدال الزمان وتفتّح الأنوار ، وتفجر المياه وغناء الأطيار ، وإزهار الأشجار .

وكان أبو عمرو الجرمى يقول : أقوى ما يكون الخمر لدون السنة فإذا زادت على ذلك شيئا رقَّت وحسن لونها وضعف أخْذُها .

وكان ثعلب يقول : لما كان قد مضى أكثر شهور الحول استجاز أن يقول :

---

(١) من قصيدة فى الديوان : ٣١ أولها :

يا ابنة الشيخ اصبحينا ... ما الذى تنتظرينا

(٢) الشعر والشعراء : ٧٧٣.

* استوفت حولها كَمَلا *

كما قال الله تعالى : « الحَجُّ أشهرٌ معلومات » وهى شهران وأيام ، ودخل عليه قولُه كَمَلًا تأكيد . ومن قال إن الخمر لسبعة أشهر أو لثمانية أشهر قد استوفت حولها الذى هو عامها ، أو حولها الذى هو شدتها ، أو حولها الذى هو غاية انتقالها، فقد غلط لأنها لم تستوف ذلك فى هذه المدة .

وقال ثعلب أيضا : الحول : التَحَوُّل ، يريد أنها كانت إلى وقت الربيع عصيرا لا يطيبُ شربه ، ثم تحوّلت فى ذلك الوقت فصارت خمرا مشروبة . وقيل : حولها : تغـيُّرها لأنها تَحَوَّلُ فى الدَنّ مرات وتتلون، فإذا مضت هذه المدة قَرَّت ولزِمَتْ شيئا واحداً ، فكان حولها من : حَالَتْ تَحُول حَوْلًا .

وكان المبرّد يختار أن يكون حولها : قوّتها ، من قولهم لا حَوْل ولا قُوَّة إلا بالله العلىّ العظيم .

كان أبو نواس لا يُستَنشَد شيئا من شعره إلا ينشد هذه القصيدة[1] :

وخيمـــة نَاطُورٍ برأسِ مُنيفَـةٍ ... تهُمُّ يدًا من رامَهـــا بزَلِيـلِ[2]
إذا عارَضَتْها الشمس فاءت[3] ظلالُها ... وإنْ واجهتها آذَنَتْ بدُخُولِ
حَطَطْنا بها الأثقـال فَلَّ هَجِـيرَةٍ ... عَبُوريَّة تُذْكى بغـير فَتِيلِ[4]
تأَنَّتْ قليـــلًا ثم جـادَتْ بِمذْقَةٍ ... من الطَّلّ فى رَثّ الأَبـاءِ ضَئِيلِ[5]

(١) الديوان : ١٦ .

(٢) الناطور : حارس الكرم ـ الزليل : الانزلاق .

(٣) فاءت : رجعت .

(٤) فل هجيرة : وقت انكسار حرها ـ عبورية : نسبة إلى العبور ويكون عندها توقد الهجير وبلوغه أقصاه .

(٥) تأنت : فى الديوان : تأيت وهى بمعناها ـ بمذقة من الطل : شىء يسير منه ـ الأباء : كل نبات ذى أنابيب ـ رث الأباء : باليه .

كأَنَّا لدَيْها بين عِطْفَى نَعامَــةٍ جَفا زَوْرُها عن مَبْرَكٍ ومَقِيــلِ

لو قال قائل إن أبياته هذه لا يُدانيها نَظْم فى معناها بنفسها وصنعتها لصدَق .

قال[1] : والناس ينشدون فى رَثِّ الإناء بالنون وهو غلط ، لأن الإناء ههنا لا معنى له . والصحيح أن الأَباء بالباء الموحدة .

يصف هذه الخيمة بأنها على شاهق جبل وليست بمستوى من الأَرْض ، فهى متجافية كنعامة مستوفزةٍ باركة فى مثل هذا المكان ، وقد تجافَت عنه لوَعَرِه ولقلّة تمكّنها فيه والخيمة أيضا لم يُحْكَم بناؤها فظِلُّها متقلّص لم يستر سترا كافيا .

وقوله: فَلّ هَجِيرة أى منهزمى هاجرة . وعَبُوريَّة : نسبها إلى الشِّعرَى العَبُور ، وأيام طلوعها أيام الحر الشديد .

وقوله : تأنّت قليلا ، يعنى الشمس أى توقّفت فى الجوّ عند زوالها ، وذلك وقت للشمس تقدّر فيه كالمتحيرة ثم تزول ، وهو مثل قول ذى الرُّمّة :

* والشَّمْس حَيْرَى لها فى الجوِّ تَدْوِيمُ[2] *

والأَباء : القَصَب .

وقوله : ثم جادت بمَذْقة: أى الشمس دخلت عليهم من خلل هذه الخيمة الخَلَقة التى بنيت على الأباء الضعيف من القصب الرث ، فلم تقو الشمس عليهم ولم تمنعهم الخيمة بستر قوى فيصير ظِـلًّا ، ولكنه شمس وظل ، فشبهت بمذقة أى المذوق من اللبن أى الممزوج وهذا أحسن كلام فى الدنيا .

ثم قال :

---

(١) الشعر والشعراء : ٧٧٥ .

(٢) ديوان ذى الرمة : ٥٧٨ وأوله:

معروريا رمض الرضراض يركضه

جلبت لأصحابى بها دِرَّةَ الصَّبَا بصَهْباء مِنْ ماءِ الكُرومِ شَمُولِ (١)
إذا ما أتت دُونَ اللَّهاة من الفَتَى دَعا هَمَّه من صَدْرِه بِرَحِيلِ
فلما توَفَّى (٢) الليلِ جنحاً من الدُّجا تَصَابَيْتُ واستَجْمَلْت غيرَ جَمِيلِ
وعاطَيْت مَنْ أهوى الحديثَ كما بَدَا وذَلَّلتُ صَعْباً كان غيرَ ذَلِيلِ
فغَنَّى وقد وَسَّدْتُ يُسرايَ خَدَّه أَلا رُبَّما طالَبْت غيرَ مُنِيلِ
وأنزلتُ حاجاتى بحَقْوَى مُساعِدٍ وإن كان أَدْنَى صاحِبٍ وخَلِيلِ (٣)

وأصبحْتُ أَلْحَى (٤) السكر والسُّكْر مُحْسِنٌ
أَلا رُبَّ إحسانٍ عليك ثَقِيلِ

كفى حَزَناً أنّ الجوادَ مُقَتَّرٌ عليه ولا مَعْرُوف عند بَخِيلِ (٥)
سأبغى الغِنَى إمّا جليسَ (٦) خَليفَةٍ نقوم سواء أو مُخِيف سَبِيل
بكلّ فتى إلا يُستطار جَنانُه إذا نوّه الرجفان (٧) باسم قَتِيلِ
لنَخْمُسَ مالَ اللهِ من كلِّ فاجرٍ وذى بِطْنَة للطَّيِّباتِ أَكُولِ
ألم تَرَ أنّ المالَ عونٌ على النَدَى (٨) ولَيْسَ جَوادٌ مُقْتِرٌ كبَخِيلِ

---

(١) درة الصبا : يريد الخمر فهى لبن الشباب وشرابه ــ بصهباء : فى الديوان : بصفراء .
(٣) توفى : استوفى ــ الجنح : الطائفة ــ وخليل : الديوان : ودخيل .
(٣) حقوى: مثنى حقو وهو الكشح ومعقدالإزار ــ والخليل : الصديق يصافىالود، ورواية الديوان : ودخيل . والدخيل : الصديق يداخله ويطلع منه على بواطنه .
(٤) ألحى : ألوم .
(٥) البيت ليس فى الديوان .
(٦) جليس : فىالديوان: نديم.
(٧) الرجفان: فى الديوان : الزحفان .
(٨) الندى : فى الديوان : التقى .

قال الأصمعي : الصهباء : التي عصرت من الكرم الأبيض . ودِرّة الصبا : يعني مَطراً كان بالصَّبَا . ومن كسر الصادَ جعله من التَّصابي .

وقد سلك في هذه القصيدة مسلك حاتم الطائي وكَعْب بن مامة وهرم بن سنان في الأجواد والكرم ، ومسلك مالك بن الرَّيْب وعبد الله بن الحرّ وغيرهما في الشجاعة وعزة النفس ، والارتزاق بشرف النفس وعلوّ الهمة ، ثم لم يقنع بذلك إلى أن بسط عذر من لا قدرة له على جُود ، وفرّق بينه وبين البخيل بأطيب لفظ وأعذب نطق .

ولما قال أبو نواس هذه القصيدة قال أبو عمرو الشيباني : لا يُبالِي أبو نواس ألَّا يقولَ بعد هذا شيئا !

وكان أبو نواس شديد الشغف بهذه القصيدة فكان إذا استنشد يكون أول ما ينشد هذه ، فإن استُزِيد أنشد هذه القصيدة الأخرى[1] :

كانَ الشبابُ مطيَّة الجَهْلِ ... ومُحسِّن الضَحِكات والهَزْلِ
كان الجميلَ إذا ارتديتُ به ... ومَشَيْتُ أَخْطِرُ مُثْبَتَ[2] النَّعْلِ
كان البليغ[3] إذا نطقتُ به ... وأصاختِ[4] الآذان للمُمْلِي
كان المشفَّع في مآرِبه ... عند الفتاة ومُدْرِكَ النَّيْلِ[5]
والباعِثي والناس قد رَقَدُوا ... حتى أكونَ خليفةَ البَعْلِ
والآمِري حتى إذا عزَمَتْ ... نفسي أعانَ يديَّ بالفِعْلِ
فالآن صرتُ إلى مقارَبَةٍ ... وحططتُ عن ظهرِ الصِّبَا رَحْلِي

---

(١) الديوان : ٤٢ .
(٢) مثبت النعل : في الديوان : صيت النعل، أي لنعله صوت .
(٣) البليغ : في الديوان : الفصيح .
(٤) أصاخت : استمعت .
(٥) النيل : المطلوب.

والراح أهواها وإن رَزَأَتْ بُلَغَ المعاش وقلّت فَضْلِى[1]
صفراء مجَّدها مرازبُها[2] جَلَّت عن النُّظراءِ والمِثْلِ
ذُخِرَت لآدمَ قبل خِلقَتِه فتقدَّمته بخَطْوة القَبْلِ
فأتاك شىء لا يلامِسُه إلَّا بحِسِّ[3] غريزَةِ العَقْلِ
فترُود[4] منها العَيْنُ فى بَشَرٍ حُرِّ الصَّفيحَة ناصِعٍ سَهْلِ
فإذا علاها الماء أَلْبسها نَمَشاً شبيهَ جَلاجِل الحجْلِ[5]
حتى إذا سكنَت جوانِحُها[6] خَطَّت بمِثْلِ أكارِع النَّملِ
خَطَّيْن من شَتَّى ومُجْتَمِعٍ غُفْلٍ من الإعجام والشَّكْلِ
فاعْذِر أخاك فإنّه رَجُلٌ مَرَنت مسامِعُه على العَذْلِ

كتب أبو نواس إلى غلام يهواه فى مجلس حديث فى رُقعة وناوله الرقعة من يده[7] :

من شَكا رِدْفَه مُخَصَّرُه ومن يَرُوع[8] العيون مَنْظَرُهُ
زُرْنَا لِتَحْيَا بك النفوس فما يَطِيبُ عيشٌ ولست تَحْضُرُه

فكتب الغلام فى الرقعة :

ذَرْنِى من المَدْحِ والهِجاء وما أصبحْتَ تَطْوِيه لى وتَنْشُرُه

---

(١) رزأت : أصابت برزيئة ــ بلغ المعاش : ما يتبلغ به من العيش .
(٢) مرازبها : المرازب: رؤساء الفرس، وهم من أوائل من أكرم الخمر واحتفل لها .
(٣) بحس : فى ك : بحسن، والتصويب من الديوان . وحس هنا أليق وأوفق
(٤) ترود : تطوف ــ بشر : جلد ــ الناصع : الخالص.
(٥) نمشا : فى الديوان : حببا ــ الحجل : الخلخال .
(٦) جوامحها : فى الديوان : جوانحها .
(٧) الديوان (طبع آصاف) الباب الأول : ٤٧ ــ وفى الأمالى (للقالى) ٣/٩٥ سيق الخبر على أن الكاتب هو أبو هفان .
(٨) يروع العيون : فى الأمالى : يروق العباد .

لو وُضِعَ الدّرهمُ الصَّحيح على باب حَديدٍ[1] لذاب أَكْثَرُه

ومن شعر أبى نواس قوله[2] :

اسْقِنا إنَّ يَوْمنَا يَوْمُ رامٍ ولِرامٍ فضلٌ عــلى الأَيَّامِ
مِنْ شرابٍ ألـذّ من نَظر المَعْـ شوق فى وَجْــهِ عاشِقٍ بابتسامِ
لا غَليظ تنبُو الطَّبيعةُ عنــه نبْوَةَ السَّمْعِ عن شَنِيع الـكَلامِ
بنتُ عَشْرٍ صَفَتْ ورَقت فَلَو صُبّـ ت على اللَّيْل رَاح كُـلُّ ظَلامِ
فى رياض رِبْعِيّة بَـكَّر النَّـو ء عليها بمستَهِلِّ الغمامَ[3]
فتوشَّت بكلّ نَوْرٍ أنيقٍ من فُرادَى نباتِه وتُوءَام[4]
فترى الشَّرْبَ كالأهلّـة فيهــا يتَحَسَّون خُسْرَوىَّ المُدامِ
ولهم من جَنــاهُ آذرْيُونٌ[5] وضعوهُ مواضِعَ الأقـلامِ

قوله :

* اسقِنا إنّ يومنا يوم رام *

يعنى به اليوم الحادى والعشرين ، فإن كل يوم هو الحادى وعشرين من كل شهر من شهور الفرس يلذُّون فيه ويفرحون ، ويقال له رام ، وكذلك بهرام وهو اليوم العشرون .

وكان أبو نواس يفضّل العجم ويمدحهم ويشتهى أن يذكر مناقبهم وآثارهم، وأن يتزيَّا بزيِّهم ، ويُظهر للنَّاس أنه منهم .

---

(١) باب حديد : فى الديوان : الفولاذ — وفى الأمالى : على الفؤاد عندى .

(٢) الديوان : ٦٩ .

(٣) ربعية: نسبة إلى الربيع — النوء : النجم المائل للغروب ، وتزعم العرب أن طلوعه نذير بمطر أورياح — مستهل الغمام : ممطره .

(٤) توشت : لبست الوشى .

(٥) آذريون : زهر طيب الرائحة، وكان من عادتهم فى مجالس الشرب أن يعلقوه على الآذان .

وقال يهجو محمّد بن رباخ المعروف بزُنبُور[١] :

أراد محمّد بن رباح شَتْمِى ... فعاد وبَالُ ذاك على رَبَاح

أتذكُر إذْ حِرِ امّك فوق أيرِى ... تــدُور كما يَدُور أبو رِياحِ

تَغَنّت لى وقد ركِبت عَلَيْه ... وصارت فوق مُنْدَمجٍ وقاحِ

(ألَسْنَا خَيْرَ من رَكِب المَطايَا ... وأنْدَى العَالَمِين بُطونَ رَاح)[٢]

فقلتُ : دَعِى التَمثُّل ليس هذا ... وعَيْشِك وقت فَخْرٍ وامْتِدَاح

ولكنّ الأوانَ أوانُ رَهْزٍ ... وإدْخال الفَياشِل فى الفِقاح

فقالت : هاكَ رِجْلى فارفَعَنْها ... وأدْخِل دَاحَ بَطْنِك جَوْف دَاحِى

فلما أن نَزعتُ بكَتْ وقالت : ... (تَداعَى آلُ بَثْنَة بالرَّوَاحِ)[٣]

وقال أيضا يهجو[٤] :

إذا ما بِتَّ جار أبى حُسَيْنٍ ... فبِتْ ويَداكَ فى طَرَفِ السِّلاحِ

فإنّ له نساءً سارِقاتٍ ... إذا أمْسَيْنَ[٥] أطرافَ الرِّماحِ

سُرِقْت وقد نَزلتُ عليه أَيْرِى ... فلم أَظْفَر بــه حَتَّى الصَّباحِ

فجاء وقد تَخَدَّش مَنْكِباه[٦] ... يَئِنّ إلَىَّ من ألمِ الجِراحِ

---

(١) الفكاهة : ٤ من قصيدة أولها :

تعزّى قلبنا من ذكر راح ... فكيف عزاء قلب مستباح

(٢) البيت مضمن من قصيدة لجرير يمدح عبدالملك بن مروان، والرواية هناك: ألستم .

(٣) الشطر مضمن من القصيدة السابقة .

(٤) الفكاهة : ٢٢ — المثل السائر (بولاق) : ٣٨٨ .

(٥) أمسين: فى المثل : بيتن .

(٦) منكباه : فى المثل : جانباه .

نساءُ أبي حُسَيْنٍ صارخاتٌ ... قُبَيْل الصُّبْحِ حَيَّ على النِّكاحِ[1]
بأفْخَاذٍ يميـل الطَّمْنُ عنها ... إلى الأَحْراحِ تُجْنَب بالفِقاحِ[2]

خرج[3] أبو نواس والعبّاس بن الأحنف والُحسين الخليع[4] وشاعر آخر لعلّه مسلم بن الوليد إلى متنزه لهم ، ومعهم فتى يقال له يحيى بن المعلَّى ، فحضرت الصلاة فقام يصلِّي بهم ، فنسى الحمْدَ وقرأ « قل هو الله أحد » فأرتِج عليه فى نِصفها ، فقال أبو نواس :

أَكْثَر يَحْيَي غَلَطاً ... فى قُلْ هُـو اللهُ أحَدْ

فقال العباس بن الأحنف :

قَامَ طويلًا ساهِياً ... حَتَّى إذَا أَعْيَا سَجَدْ

فقال الآخر :

يَزْحَرُ فى مِحْرابِه ... زَحِيرَ حُبْلَى للولدْ[5]

فقال الخليع :

كأنَّما لِسانُـه ... شُدَّ بحَبْلٍ من مَسَدْ

وقال يهجُو أبا الهندىّ[6] :

الحمْـدُ للهِ العَلِـ ... ـىِّ ومَنْ له كُلُّ المَحامِدْ[7]
أيسُبُّـنِى رجـلٌ علَيْـ ... ـه مِن الخِزَايَة[8] ألفُ شاهِدْ

---

(١) البيت والذى يليه : ليسا فى المثل وموجودان فى الفكاهة .

(٢) تجنب بالفقاح : فى الفكاهة : تزاج فى الفقاح .

(٣) الخبر فى محاضرات الأدباء : ١/٦٦ ـ الديوان (آصاف) : ٤١ .

(٤) هو ابن الضحاك.

(٥) الزحير : الصوت والنفس بأنين ـ للولد : فى الديوان : بولد .

(٦) يهجو أبا الهندى: فى معجم الشعراء للمرزبانى: ٣١ (ط. الحلبى): عمرو بن عبد الملك الوراق.

(٧) الأبيات فى الديوان : ٥٦٧ ومعجم الشعراء : ٣٠ عدا البيت الثالث .

(٨) فى المعجم : الدعارة .

هـــذا أبو الهِنْدِىّ فيـ ... ـه تَشابُـهٌ من أَلْفِ واحِدْ
ماذَا أقولُ لمن لَـهُ ... فى كل عُضْوٍ منـه وَالِـدْ

ومن طيِّب شِعْره ، والشطر الأول من القصيدة لفظ ابنُ الدُّمَيْنة(١) :

(أعاذِلَ ما عَلَى وَجْهِى قُتُوم) ... ولا عِرْضِى لأوّلِ من يَسُوم(٢)
يُفَضِّلُنى عـلى الفِتيان أَنِّى ... أَبِيتُ فـلا أُلام ولا أُلِيمُ(٣)
أَعاذِلَ إنْ يكنْ بُرْدَاىَ رَثًّا(٤) ... فـلا يَعْدَمْك بينهُما كَرِيمُ
شُقِقْت من الصِّبا واشْتُقَّ مِنِّى ... كما اشتقّت من الكَرَمِ الكُرُومُ
فلست أُسوّف اللذات نفسى ... مُيَاوِمة كما دُفِـع الغَرِيمُ(٥)
ولا بِمُدافِعٍ للـكأس حـتَّى ... يُهَيِّجَنِى على الطَّرَب النَّدِيمُ
ومتّصِلٍ بأسبابِ المعالى ... له فى كُلِّ مكرُمة قَدِيمُ
رفعت له النداء بِقُمْ نُخذها ... وقد أخذت مطالِعَها النُجومُ
بتفدية تُـذال النفسُ فيها ... وتُمْتَهَنُ الخُؤولة والعُمُومُ
فقام وقمتُ من أَخوَيْن هـاجَا ... عـلى طَرَبٍ وليلُهما بَهِيمُ(٦)
أَجُرُّ الزِّقَّ وهو يَجُرُّ رِجْلًا ... يَجُور بـه النعاسُ ويستقيمُ
سَلِ النَّدمان ما أولَيْتُه منها ... وسَلْهَا مااحتَوى منها الكَرِيمُ
كِلَا الشخصَيْن منتصِفٌ ولـكن ... قَضَتْ وطَراً وذا مِنها سَقِيمُ

---

(١) الديوان : ٥٥ .

(٢) قتوم : غبرة — يسوم : يساوم فى البيع (يشترى) .

(٣) أليم : آتى ما ألام عليه .

(٤) رث : بلى .

(٥) الغريم : الدائن .

(٦) بهيم : مظلم جدا .

وله [١] :

إنّى صرفتُ الهوَى إلى قمرٍ　　لم تبتذلْه[٢] العيونُ بالنّظرِ
إذا تأمّلْتَه تعاظَمَكَ الـ　　إقرارُ فى أنّهُ من البَشرِ

ولـه :

مَبْذُولة للعَـيْن مُهْجَتُه　　ممنوعةٌ من أناملِ الجانِى
وليس منهُ ما خَلا نَظَراً　　يَشْرَكُنِى فيه كُلُّ إنسانِ

كتب أبو نواس إلى على بن أبى سهل بن نوبخت يدعوه :

كُنتَ المُعَزَّى بفقْدِى　　وعِشْتَ ما شِئْتَ بَعْدِى
أَهْدَى إلىَّ أخٌ لِى　　سَلِيل شَمْسٍ وَوَرْد
أَلَذَّ من لفظِ صَبٍّ　　يَشْكُو حرارةَ وَجْدِ
فاخْلَع علىَّ سُروراً　　بكَوْنِكَ اليومَ عِنْدِى

وله من أبيات[٣] :

إنّى لأبغض كُلَّ مُصْطَبِرٍ　　عن إلْفِه فى الوَصْلِ والهَجْرِ
الصَّبْرُ يحسُن فى مواضِعِه　　ما لِلْفتَى المُشتاقِ والصبرِ

قال أبو نواس: أهدى للأمين أربعمائة دينار مُصلَّبَة[٤] فى الدينار ديناران فوهبها لى

(١) الديوان ٢٤٠ .

(٢) لم تبتذله : فى الديوان: لا يتحدى .

(٣) البيتان فى الديوان : ٢٦٢ من قصيدة أولها :

حسبى جوى إن ضاق بى أمرى　　ذكرى لرحم وهى لا تدرى

(٤) مصلبة : فى ك : بدون نقط، ورجحنا هذه القراءة لأن الدنانير الرومية التى كانت معروفة فى صدر الإسلام كان عليها نقوش وبعضها عليه الصليب. والخبر يشير إلى أن هذه الدنانير أهديت للأمين فهى أشبه بما يوجد من نقود القدماء اليوم ، ولو كانت مما يتعامل بها ما كان يجمل أن تسمى هدية ويؤيد ذلك أيضا أنه أشار إلى صرف هـذا الدينار فى ميزان التعامل بأنه يقدر بدينارين من دنانير عهد أبى نواس .

فقلت يأذن لى أمير المؤمنين فى المصير إلى قُطْرُبُّل . فقال لى : ويلك أتريد وَجْهاً أحسن منى أو أنبل قَدْراً أو أعظم خَطَرا ، أو مكانا أطيبَ من مكانى، أو آلة أحسَن من آلتِى، أو مجمُوعا أحسن مِمّا نحن فيه! قلت : لا ياأمير المؤمنين، ولكنّى أريد أن أتنسّم ذلك الهواء وأمتطى ذلك الثرَى، وليس لى بها مُقام أكثر من ليلة واحدة ثم آتيك فى صبيحتها . فأذن لى فأتيت الأرجوانى الخمّار وكان يضحك بعين ويبكى بعين ، ويَعْدو على فرد رجل يسابق بهـا ، فقلت : هذه عشرة دنانير لك وعشرة دنانير لآذريوننا ونَرْجسنا ومُدامنا ، وعشرة دنانير لابن أسطفنوس النصرانى . فاذهب إليه وقل له هذا أبو نواس ونديم أمير المؤمنين وإنما هو يبيت ليلة واحدة . وكان أَقْوَد من ظُلْمَة ، فما باين إلا وقد حضر [ابن أسطفنوس] يتهادى ، تقصر الأذهان عن وصفه فما تمالـكت أن خَلَسْتُ من خَدِّه قُبلة . ثم لم يزل يشرب . ووجدته محتمِلًا للشرب فتناومت[1] لينام فنام بعد جَهْد . فلما نام أخذت بضَبُعَيْه فألقيته على تلك الأسرة ، وأحس الغلام ببعض ماأنكره فى ثالث دَفْعة فوثب ضَجِراً غضبان فذلك حين يقول[2] :

لا أَنْدُب الرَّبْع قَفْراً غير مأنُوسِ ... ولا أَحِنّ إلى الحـادِينَ بالعِيسِ[3]

لـكِن بـكائى على أولاد دَهْقَنَةٍ ... غُرٍّ بهاليل من أولاد آلُوسِ[4]

أحَـقُّ منزلَةٍ بالهجر مَنْزَلـة ... وَصْل الحبيب عليها غير مأنوسِ

---

(١) فتناومت : فى النسخ : فتناومته .

(٢) الفـكاهة : ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) غير مأنوس : غير آهل ـ العيس : الإبل .

(٤) أولاددهقنة : أولاد عز وجاه ـ بهاليل : جمع بهلول وهو السيد الجامع لصفات الخير ـ آلوس : بلدة على الفرات قرب عانات .

يا ليلةً غبرت ما كان أحسنَها   والرّاح تعمل فى إخوانك الشُّوسِ (١)
تكردَس اللَّيْل كردوسا ففرّقَه   صُبحٌ أغار عليه من كرَاديس (٢)
وشادنٍ نطقت بالسِّحر مُقْلَتُه   مُزَنَّرٌ إلف تَسْبيحٍ وتَقْديس (٣)
نازَعْتُه الكأسَ فى رِفْقٍ أحدِّثه   فى زِىّ قاض ونُسْكِ الشيخ إبليسِ
تناول الكأسَ من كَفى وأنشدَنِى   (حَىّ الهدملة من ذاتِ المَواعِيس) (٤)
لما سَكِرتُ وكل الشَّرْب قد سَكِروا   وخفت صَرْعَته إياى بالكُوسِ
غططت مستَنْمِساً عَمْداً لأُنْعسَه   فاستشعرت مُقلتاه النَّوم من كَيسى (٥)
فامتدّ فوق سرير كان أعجبَ لى   على تشعُّثِه من عَرْش بِلْقِيسِ (٦)
فقمتُ أمشُق فى قرطاسِه بيَدٍ   خَطَّاطةٍ لا تَعايَا فى القراطِيسِ (٧)
أحسَّ فى ثالثٍ عند الفراغِ وقد   دَلَّتْ على الصبح أصواتُ النواقيسِ
فقال: من أنت؟ قلت القَسّ زار ولا   بُدَّ لدَيْرِك من تَشْمِيس قسّيسِ
فقام يُوسِعُنى شَتْماً وأُوسِعُه   حِلْماً بنى فَرْعَه من غيرَ تأْسِيس
وقال: بئس لعمرى أنتَ من رَجُلٍ   فقلت: كُفّ فإنى لستُ بالبِيسِ

وله (٨) :

لا ترانِى يَئِستُ منـ   ـكَ وإنْ كنتَ مُوئِسَا

---

(١) الشوس : جمع أشوس : العظيم فيه أنفة .
(٢) الكراديس : طوائف الخيل والجند ، ويريد أن الصبح قشع ظلمات الليل .
(٣) الشادن : ولد الظبية شبه به فتى صغيرا ــ مزنّر : لابس زنارا .
(٤) هذا الشطر مضمن .
(٥) كيسى : حذقى وظرفى .
(٦) تشعثه : تفرق ما عليه وعدم اتساقه .
(٧) البيت كناية .
(٨) الديوان : ٣٦٣ .

رُبَّما أحسَنَ الحبيـ ـبُ وإنْ كان قَدْ أسَا[١]
بأَبِى وجْهـك الَّـذِى مَنْ رآهُ تَنَفَّسَا
أقطعُ الدَّهرَ سيِّدِى مِنْك باللَّـوِّ والعَسَا[٢]

قال غَسَّان بن محمد المُذافِرىّ ابن عمّ الحسين الخليع : خرجت إلى بغداد فنزلت على الحسين وقلت : أحبّ أن تجمع بينى وبين أبى نواس ، قال : انهض وسار بى إلى شارع العلاء الوصيف ، وأبو نواس ينزل فيه بحيـال دار العلاء الوصيف ، فطرقنا بابَه ، وقلنا لغلامه : قل له : الحسين الخليع . فخرج إلينا بنفسه فأدخلنا مجلسه ، فلما جلسنا حبسنا حتى هطلت السماء ، فحلف علينا ألّا نبرح ، وأتانا بما حضر من طعام فطعِمنا . وصرنا إلى مستَمْطَرٍ[٣] له بحذاء منزل العلاء الوصيف وفيه مناظر[٤] إلى الشارع ، ففتحنا المشارِعَ[٥] وجلسنا نشرب . وابتلّت الأرض بالمطر والطين . فخرج غلام من دار العَلاء الوصيف ما رأيت أحداً بعده أحسنَ منه . فلماه رآه الحسين تحيّر وقال لأبى نواس : أمّه فاعلة إن كنتَ نزلت ههنا إلّا لموضع هذا الغلام . قال أبو نواس : وأمه فاعلة إن كنتَ كذبت . إلّا أنه قد قلقل أحشائى وقطع قلبى ، وأسهر ليلى محبة له ، وليس يمكّننى ، وفيه تخنيث ، وهو أرطب خلق الله وأحسنهم دَلالا . قال : فصفّق له الحسين الخليع فرفع رأسه إليه ، فأومأ إليه الحسين بيده أن تعال ، فنزع نعلَيْن كانتا فى رجْليه ، ثم خاض الماء والوَحَل حتى دخل الدار . فقام أبو نواس إليه فوجده يغسل رجليه ولبس نعليه وصعد . فلمّا جلس عبث به أبو نواس

---

(١) أسا ، أساء وحذفت الهمزة للضرورة الشعرية .
(٢) اللو والعسا : يريد قول « لو » و « عسى » .
(٣) المستمطر : الموضع الظاهر البارز المنكشف .
(٤) مناظر : مراقب يتطلع منها إلى الطريق .
(٥) المشارع : نوافذ الإضاءة والتهوية .

ساعة ثم قال لنا : قالَت لـكم جدتى لا تحبسوا عباسا . فقال له أبو نواس : نعم يا أم الفضل ليس نحبسك . ثم سقاه أبو نواس ثلاث كاسات ، فقال له الغلام : الناس يقولون إنك زنديق ، فبالله عليك ما الزندقة ؟ فقال له أبو نواس : أولها أنت ، ولولا أنت وأمثالك ما تزندقنا ، والساعة أفسّر لك الزندقة ماهى! ثم أخذ بيده وخلا به فى غرفة وفسق به ، وقال له : هذا أول الزندقة . ثم جاء إلى الحسين فقال له اذهب إليه ، فقام إليه الحسين وفسق به ، ثم خرج إلى غسّان فقال له اذهب إليه ، فقام إليه غسان وفسق به ، فلما فرغنا جاء وجلس ، فقال له أبو نواس : يا أمّ الفضل عرفت الزندقة؟ هذه هى. ثم شرب كأساً ونهض ، فأنشأ أبو نواس يقول(١) :

بِنتُ العَلاء أتتنا وهى حافِيَةٌ ... فى يَوْم وَحْلٍ كثيرِ المَاء والطّيِّنِ

قالت لنا قَوْلَةً من قَبْلِ جِلْسَتِها ... قَاَلَتْ لـكم جَدَّتِى بالله نِيـكُونِى

فمَرَّ واللهِ يا قـــومى بفقحتها ... ما مَرَّ بالطّبْلِ فى يوم الشّعانِين(٢)

وجهت(٣) عِنان جارية الناطفى إلى أبى نواس رسالة مع صبيّةٍ لها تدعوه ، وقد دعت الحسين الخليع و كتبت فى كَفِّ جارِيَتِها :

زُرْنَا لتأكُلَ معْنا ... ولا تخلّفْ عَنَّا

فقد عَزَمنا على الشُّر ... بِ صبحة واجتَمَعْنَا

فجاءته الجارية فقرأ ما فى يدها وأدخلها إلى بيته وراودها ، فأبت عليه فلم يزل بها حتى أطاعته ففرغ منها . وكتب أسفل ذلك :

---

(١) الفـكاهة : ٢٤ وفيها : وقال يهجو ابنة العلاء بن الوضاح .

(٢) يوم الشعانين : عيد مسيحى يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح يحتفل فيه بحمل السعف ذكرى لدخول المسيح بيت المقدس .

(٣) الخبر والأبيات فى معاهد التنصيص : ١/ ٩٥ ــ الفـكاهة : ١٠ .

نِـكْنا رَسُولَ عِنانٍ والرَّأى فيما فَعَلْنا[1]
فَـكان خُـبزاً بمِلْحٍ قَبْلَ الشِواءِ أَكَلْنا

وقال لها تقدمينى حتى ألحقك ، فجاءت الجارية بالجواب إلى عنان .

فـكتبت عنان :

لِلنَّيْكِ مَعْنًى ولـكن ما للتَّهَتُّك مَعْـنَى

وقالت لها : اخرجى فقفى على الباب حتى يجىء فيقرأ ما فى يدك ، وأقبل أبو نواس فأرته ما كتبت سيِّدتها فى يَدِها ودخل فبدرته عنان .

فقالت : * أى افـــتراع تراه ؟ *

فقال أبو نواس : * بذاك كنا افترعنا *

فقالت عنان : * فما ترى فى اصطراع ؟ *

فقال أبو نواس : * لو شئتِ قُمْنا اصطرَعْنا *

جذبتها فتحانت[2] كالغصن لـمـا تَثَنَّى

* قُومى كذا بحَياتى *

فقالت الجارِيةَ : * طَوَّلْت نِـكْنا ودَعْنَا *

ألقى أبو نواس إلى عنان بيتاً وهو :

كل يوم بأقحوان جَـــديدٍ تَضْحَكُ الأرضُ عن بُكاء السَّماءِ[3]

فأجابته على المــكان :

فهْىَ كالوَشْى فى ثِيابِ يمـانٍ جَلَبَتْها التِّجـار من صَنْعاءَ

---

(١) البيتان فى نهاية الأرب : ٤/٩٩ .

(٢) فتحانت : فى المعاهد : فتجافت .

(٣) البيت للحسين بن مطير (غ بولاق) : ١٤/١١٦ .

ولأبى نواس:

وَيْلِي على أَحْــور مَمْــكُورِ وســاحِرِ العَيْنَيْن مَسْحُورِ
تختاره الحورُ علينا كما نَخْتارُه نحنُ على الحورِ

ولأبى نواس(١) :

هَلّا استعنتَ على الهُموم صفراءَ من حَلَبِ الكُرُوم(٢)
ووهَبْت للعَيْشَ الحَمِيـ ـد بقيَّة العَيْش الذَّمِيم
بمجالسٍ فيها المَزا(٣) هِرُ والأوانسُ كالنُّجوم
يُهْدِي(٤) التحيَّة بَيْنَهم نَظَرُ النَّدِيم إلى النَّدِيم

ولأبى نواس :

أمسيت عَبْدًا أيَّمــا عَبْدِ لســاحِرِ العَيْنَــيْن والقَدِّ
صُدغاه قــد سالا عــلى خَدِّه مِثْلَ عناقِيدٍ عــلى وَرْدِ
وصَوْلَجانُ الصّدغ مستَمْكِنٌ للضَّرب من تُفَّاحَةِ الخدِّ

ولأبى نواس(٥) :

عاجَ الشَّقِيُّ على رَبْـعٍ يُسائِلُه وعُجْتُ أسأَل عن خَمَّارة البَلَد(٦)
كم بَيْنَ من يَشْتَرِى خَمْراً يلَذُّ بها وبين باكٍ على نُؤْىٍ ومُنْتَضَدِ(٧)

(١) الديوان : ١٣٧ .
(٢) صفراء : يريد خمرا .
(٣) المزاهر : جمع مزهر : العود يضرب به وهو من آلات الطرب .
(٤) يهدى : فى الديوان : بدء .
(٥) الديوان : ٤٦ عدا بعض أبيات .
(٦) عاج : عرج وعطف رأس بعيره بالزمام ـ الشقى : يقصد به الواقف على الطلل يسائله ـ ربع يسائله : فى الديوان : دار يسائلها .
(٧) البيت مؤخر فى الديوان ـ النؤى : الحفير حول الخيمة يمنع عنها السيل .

قالوا ذكرتَ ديار الحىّ من أسَدٍ ... لا درَّ درُّك قلْ لى مَنْ بنُو أسَدِ ؟
ومَنْ تَميمٌ ومَنْ قيْسٌ وإخوتُهم ... ليس الأعاريبُ عند اللهِ مِنْ أحَدِ
لا يُرْقِئ اللهُ عيْنَىْ من بكَى حَجَرًا ... ولا شَفى وَجْدَ من يَصْبُو إلى وَتِدِ (١)
دَعْ ذا عدمْتك واشْربْها معتَّقةً ... صَفراء تُعْنِقُ(٢) بين الماء والزَّبَدِ
من كَفِّ مختصَر الزُّنَّارِ مُعْتَدِلٍ ... كغُصن بانٍ تَثَنَّى غير ذى أوَدِ
لما رآنى أبوه قد قصدت له ... حَيًّا وأيْقن أنِّى مُتْلفٌ صَفدِى (٣)
فجاءنى بسُلافٍ لا يجُود(٤) بها ... ولا يُملِّكها إلَّا يدًا بِيَد
فاعتال يذكى له إسراف همته ... وقال إن شئت فازْدَدَ مِثْلَها وزِدِ (٥)
فهكذا القصْفُ لا أطلال منزِلَةٍ ... تَخْفَى ذَا والعن الأطْلال بالجرد
أمَا رأيتَ وُجوه الأرضِ بارزةً ... قد ألْبَستها الزرابِى نَثْرَةُ الأسَدِ (٦)
حاكَ الربيع لها(٧) وَشيًا فجلَّلها ... بزَهْرِه النَّور من مَثنَى ومن وُحِدِ
واستوفت الخمر أحوالًا مُجرَّمةً(٨) ... وافترَّ عيشُك عن لذَّاته الجُدد
لا زلت أشرَبُها صِرْفًا وأمزُجُها ... بالماء حتى تزولَ الرُّوح عن جَسَدِى (٩)
فاسمح وجُدْ بالَّذِى تَحْوِى يداك لهَا ... لا تَذْخَر اليومَ شيئًا خَوْفَ فقْر غدِ

---

(١) مقدم فى الديوان بعد البيت الأول . يرقئ : يخفف ويسكن .

(٢) تعنق : تتحرك فى سرعة .

(٣) صفدى : ما معى من دراهم ودنانير .

(٤) يجود بها : فى الديوان : يحف لها ويريد بها أنه لا يملأ كأسها إلى حفافها .

(٥) البيت والذى يليه ليسا فى الديوان تحقيق الغزالى .

(٦) فى الديوان (آصاف) وفيه ناضرة بدلا من بارزة ـ الزرابى : زرابى النبات : ما بدا فيه اليبس فاحمر أو اصفر وفيه خضرة .

(٧) لها : فى الديوان : بها .

(٨) مجرمة : تامة .

(٩) ليس فى الديوان .

يا عاذِلِي قد أتتني منك بادِرَة ... فإن تَغَمَّدها عَفْوِى فلا تَعُدِ

لو كان لومُك نُصْحاً كنتُ أَقْبَلُه ... لكنَّ لومَك محمولٌ على الحَسَدِ[١]

قال المرزبانى[٢] : قال إبراهيم بن الخصيب : لما كان أبو نواس عند أبى عصر شرب ليلة حتى سَكِر ، وقام فى اللَّيْل ليبول فبال وقعد على بَوْله ، وقال : لأقولنّ الساعةَ شِعْراً لم أقل مثلَه قط ، ثم أنشأ يقول وهو سكران[٣] :

يا شَقِيقَ النَّفْسِ[٤] من حَكَمٍ ... نِمْتَ عن لَيْلِى ولم أَنَمِ

فاسْقِنِى البِكر[٥] التى اختَمَرت ... بخمار الشَّيْبِ فى الرَّحِمِ

ثُمَّتَ انْصاتَ الشبابُ لها ... بعدَ ما جازَتْ مدَى الهَرَمِ[٦]

فهى لليومِ التى بُزِلت ... وهى[٧] تِلْوُ الدَّهْرِ فى القِدَمِ

عَتُقَتْ حتى لو اتَّصلت ... بلسانٍ ناطق وفمِ

لاحْتَبَت فى القوم مائلة ... ثم قصَّت قِصَّةَ الأُمَمِ

قَرَعَتْها بالمزاج يَدٌ ... خُلِقَت للكأس والقَلَمِ

فى نَدَامى سَادَةٍ زُهُرٍ[٨] ... أَخَذُوا اللَّذَّات من أَمَمِ

فتَمشَّت فى مَفاصِلِهم ... كَتَمَشِّى البُرْءِ فى السَّقَمِ

---

(١) فى هامش نسخة ك بعد هذا البيت هذه العبارة : فى شعر أبى نواس ملوكية ماتخفى، منها قوله: قد أتتنى منك بادرة فإن تغمدها عفوى ، ثم جعل نفسه محسودا فى البيت الثانى وذلك كثير فى شعره لمن يتأمله .

(٢) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٨٢ .

(٣) الديوان : ٤١ ـ (آصاف) : ٣٢٤ .

(٤) النفس : فى أبى هفان : الروح .

(٥) البكر : فى الديوان: الخمر .

(٦) انصات : أجاب وأقبل ـ جازت : تخطت .

(٧) تلو : فى الديوان وأبى هفان : ترب .

(٨) زهر : فى الديوان : نجب .

فعلت فى البيت إذ مُزِجَت مثلَ فِعْلِ الصُّبْح فى الظُّلَمِ
فاهْتَدى سارِى الظَّلامِ بها كاهْتداء السَّفْرِ بالعَلَمِ (١)

قال إبراهيم: فجعل ينشد وأنا أكتبها على جِصِّ الحائط إلى أن فرغ، فلما كان من الغد وأفاقَ من سُكْرِه قال لأبى: لقد قلتُ البارحة شِعْراً حسنا فى الخمْر ما قلتُ مثله قط، وقد أُنْسِيتُه. فقال أبى: هل سمع أحدٌ منه شيئا فقلت: أنا سمعته. وأنشدته إيّاه فسُرَّ به غاية السرور وأحسن جائزتى وجائزته.

قوله:

* يا شَقِيقَ النَّفْس من حَكَمِ *

روى أيضا لوَالِبة(٢) بحكاية هى مذكورة فى حرف الواو فى ترجمة والبة.

وقوله:

* ثُمَّت أنْصاتَ الشبابُ لها *

كأنها صوّتت به فانْصاتَ لها أى أجابها.

قال عباس البَهْرانىّ: سمعنى الزبير بن بكّار وأنا أُنْشِد لأبى نواس:

عُتِّقَت حتّى لو اتّصلت بِلِسانٍ ناطقٍ وفَم

فقال: لا تقل عُتِّقَت فتدلّ بهذ القول على مُعتّق ولكن قل: عَتُقَت.

---

(١) السفر: المسافرون — العلم: الجبل أو ما ينصب فى الطريق للهداية.

(٢) روى أيضا لوالبة: فى غ (بولاق) ١٦ / ١٤٩ والشعر والشعراء — ٧٧١ رواية عن الدعلجى غلام أبى نواس أنه أخبره أنها قيلت فيه وأنها لوالبة. وفى ذيل زهر الآداب: ١٢٧: وزعم ابن قتيبة أن هذا الشعر لوالبة وأنه يخاطب به أبا نواس. وقال غيره: بل الشعر لأبى نواس وإنما أغار على والبة فى قوله:

يا شقيق النفس من أسد لم تنم عينى ولم تكد

وانظر أيضا الموشح: ٢٧٢.

لما قدم المأمون وعنده اليزيدى والثقفى مولى الخيزران وإسماعيل بن نوبخت تذاكروا الشعراء فقالوا : النابغة وقالوا الأعشى وخاضوا فيهم . فقال المأمون : أشعرُهم واحدٌ كان خليعا ، الحسن بن هانئ . فقالوا : صدق أمير المؤمنين. فقال: الصِّدْق على المناظرة أحسنُ من الصِّدق على الهَيْبة . قالوا : فيم قدَّمته يا أمير المؤمنين ؟ قال بقوله :

* يا شقيق النفس من حَكَم *

وبقوله الذى لم يَسبق إليه أحد :

فتمشَّت فى مَفاصلِهم كتَمَشِّى البُرْءِ فى السَّقم

قال المبرّد حدثنى سلمان سخطة راوية أبى نواس أن أبا نواس أول ما كان قوله :

فتمشّت فى مفاصلهم كتَمَشّى النارِ فى الفَحْمِ

قال: وأنشدته الشعر لأعرضه عليه فسبقنى لسانى فقلت:

* كتمشِّى البُرء فى السَّقم *

فقال : أعِد علىّ كيف قلت ؟ فأعدته . قال : فأعجبه جدّا ، ثم قال: اجعله لها ولقد أصبتَ . لعمرى هذا اللفظ ألطفُ معنى وأحلَى كلاماً ! فأثبته وترك ما كان هو قاله :

وكان ابن الأعرابى يستجيد لأبى نواس هذه القصيدة(١) :

صفَةُ الطُّلول بلاغة القَدْم(٢) فاجعَلْ صفاتِك لابْنَة الكَرْم

لا تُخْدَعَنَّ عن الّتى جُعِلت سقم الصَّحِيح وصِحّة السّقم(٣)

وشَقِيقَة النَّفسِ التى حُجِبَت عن ناظِرَيْكَ وقَيِم الجِسْم

لا كَرْمُها مما يُذالُ ولَا فُتِلَت مَرائِرُها على عَجْم(٤)

---

(١) الديوان : ٥٧ (آصاف : ٣٢٣) .

(٢) القدم : العي عن الكلام فى رخاوة وقلة فهم .

(٣) سقم الصحيح : ذهاب العقل بالسكر ــ صحة السقم : الخمار .

(٤) يذال : يهان ــ المرائر : جمع مريرة وهو الحبل الشديد الفتل .

قوله :

* لا كَرْمُها ممَّا يُـذال . . . *

أى لم تدسها الأرجل بالعَصْرِ إنما سالت عَفْوا . وما كان ليستخدعها على عيب . والعجم : العَضّ أى عض العود ليعرف صلابته ، أى هى أشهر أمراً فى الجَوْدة من أن تختبر ، لأن الـكرم إذا أرادوا غرسه عضّه غارِسه ليختَبِره أجيّد أم ردىء ، وكرم هذا مِمّا بانت جودته وعبّر عن صحته قبل الاختبار فأغنى عن أن يُعْجَم ،

وهذا كقول المخبّل :

* إنّ الجَوادَ عَيْنه فِرارُه *

أى الفرس يُنْبيك عن نفسه دون مفرّه إذا كان أصيلا :

صَهْباء فضّلهـا الملوك عـلَى ... نُظرائها لفضيلة القُـدم
فإذا أطفْن بها صمتْنَ لهـا ... صَمْت البناتِ مهـابَة الأُمّ
وإذا هتفْن بهـا لنـازلَةٍ ... قدّمْن كُنْيَتَها على الإسم
وإذا أردن لهـا مخـاطبةً ... رَوَّحْن ما غرَّبْن من حِلْم
شُجَّت(٢) فعالت فوقها حَبَباً ... متراصِفـاً كتراصف النَّظْمِ (١)
ثم انفرت لك عن مَدَبِّ دَبًى ... عجلان صَمَّد فى ذُرى أَكْمِ (٢)
فـكأنمـا يتلو طرائـدها ... نَجْم تواتر فى قفا نَجْمِ (٣)
وكأنّ عقبى طَعْمَها صَبِرٌ ... وعلى البديهة مُزَّة الطَّعْمِ (٤)

كان بعض الرّواة يروى كلّ مزة مُرَّة بالراء المهملة ويقول: لامعنى للمزة وإنما صحف مبتدئٌ وتبعه الناس، ولو صح ذلك لـكان أجود ، وإنما الرواية مزة بالزاى معجمة .

(١) شجت : مزجت ـ عالت : علت .
(٢) انفرت : انشقت ـ الدبى : النمل .
(٣) تواتر : توالى وتتابع .
(٤) مزة الطعم : فيها حموضة .

وأما قوله :

* وكأن عُقبى طعمها صَبِرُ *

فإن المعروف من تشبيه طعم الخمر بالقرنفل والزَّنْجَبيل ، وكلها يحذى اللسان ، فأما الصَّبِر فلا يعرف من صفات طعمها ، اللهم إلا أن يكون حمل ذلك على أن كل شيء يقرص اللسان يسمى صَبِراً في اللغة ، وكذا ورد عن بعض نقلة اللغة . ونقل أيضا أن كل ورقة خضراء تسمى بَقْلا واحتج بقول أبي نُخيلة :

* ولم تَذُق من البُقول الفُسْتُقا *

تَرْمِي فتُقْصِد(١) من له قَصَدَتْ ... جَمّ المراح دَريرة السَّهْمِ
فعلام تَذْهَل عن مُشَعْشَعَة ... وتَهيم في طَلَلٍ وفي رَسْمِ
تصف الطُّلول على السماع بها ... أفذُو العِيان كأنتَ في العِلْمْ
وإذا نعتَّ(٢) الشيء متَّبِعاً ... لم تَخْلُ من زَلَل ومن وَهْمِ

قال الشيباني(٣) : قال لي الأصمعي : يا أبا عمرو ما رأيتُ أعجب من البرامكة رجالًا ولا أشرف منهم أحوالا . ما حضرتُ ليحيي بن خالد ولا لجعفر ولا للفضل مجلسا إلا انصرفت عنه وأنا مُسْتَقِلٌّ لنفسي بَدِيًّا ولكل من لقيت من أهل الأدب والمعرفة . ثم قال : طرب الفضل بن يحيي إلى مذاكرتي يوما فأرسل إلي في يوم صَرِد(٤) فأتيته فدخلت عليه في بهوٍ له قد فرش كله بالسَّمور(٥) وعليه دُوَّاج(٦) سمّور مظاهر بخزٍّ أخضر، وبين يديه

(١) تقصد : تصيب ولا تخطىء .

(٢) نعت : في الديوان : وصفت .

(٣) الخبر في الطبقات : ٢٠٣ وما بعدها باختلاف واتفاق في المعنى ـ الشيباني : في النسخ الشابي وهو تحريف .

(٤) صرد : بارد .

(٥) السمور: يريد جلود السمور وهي جلود ثمينة تتخذ من الحيوان المعروف بالسمور، وهو حيوان من فصيلة السراعيب يشبه النمس ، وفروه من أحسن الفراء، ويوجد ببلاد الروس .

(٦) الدواج : نوع من الثياب كالجبة .

كانون من فضة فى وسطه أثفيّة[١] من ذهب عليها قدر يوقد تحته بالعُود المَنْدَلىّ[٢] وبين يديه صينيّة من فضة على أسد رابض من فضة، عيناه ياقوتتان حمراوان، والصينية والأسد قطعة واحدة، عليها إبريق زجاج فرعونى لا أصف لك حسن حَفْرٍ فيه أسود لا أحسبه يفى به ثمن، وكأس مثله تسع رطلا، وطبّاخ خَزَرى[٣] واقف على القدر، والخدم خارج البهو جلوس وعلىّ يومئذ ثياب محشوّة قُطنا. فلما سلّمت أومأ إلى بالجلوس فجلست. فقال: ياأصمعى: هذا يوم خَيْرٍ وبِرّ فألا جئتنا فيه! قال: فعلمت أنه قد تحرش بالجود، وناداه فأجابه جواب مشتاق إليه، إلا أنه أحب أن يجعل لذلك سببا. قال: فقلت: جعلنى الله فداك، هو مستودع فى الخزائن فمر الخدم بإحضاره. فقـال: هيهات ما أجدت الرُّقْيَـة فى استخراج البُغْية، ولا ألطفت فى المسألة! هلّا قلت: كرهت أن أبخّلك بأن يشاهدك فى هذا اليوم جليسٌ لك بغير خلعك فإن ذلك أفتقُ للسماَح مما قلت، وأبعث على النجاح لِمَا أملت. فقلت: جعلنى الله فداك لا تجمع علىّ العيبين. قال: تسألنى إبطال ما أوجبه حكم الأدب، أما علمت أن إلغاء ذلك يزيد عندهم فى الذنب؟! فقلت: إنهم لم يطلقوا ذلك على ذى التوبة والاعتراف وحسن المراجعة على الهفوة. قال: لا أراك إلا وفقتنى مخصوما! يا غلام. فيسرع إليه الخدم فقال: يُخلَع عليه جبّة خز بسمّور، وكساء خز بحواشيه. قال: فدعيت فنزع ما كان علىّ وجعلت علىّ الجُبَّة بقميصها وخُفِّها وسراويلها. قال الأصمعى: وكان الجَوْرَبُ خزا مبطّنا بسمّور.

فلما جلست قال: أما أنّى قد أبكرتِ الغداء وقد أردتُ نفسى على شُرْب رَطل

---

(١) الأثفية: أحد أحجار ثلاثة يوضع عليها القدر ليوقد تحته.

(٢) العود المندلى: بعض شجر يتطيب بما يفوح من رائحته عنـد إحراقه، ونسب إلى مندل بإقليم الهند حيث يجلب، وهو أجل أنواع العود وأنفسها وأفضلها ويعرف بالعود الهندى.

(٣) خزرى: من بلاد الخزر.

فما أجابت . ثم قال للذى يطبخ ، أدركَتْ[1] قدرُك ؟ قال : نعم . وحملها فما غاب عنى حتى جاء غلام يحمل خِوانا عليه ثلاث رُقاقات على كل رُقاقة رغيف . ثم جاء الطبّاخ ومعه جامُ فِضّة خُسروانية فى وسطها جُمجُمَة ، وقد نشر عليها السكر ، فما أَقْدر على صفة طِيب ما أكلت ، وأحسبه مُخَّ خصيان[2] تذبح فى مطبخه كل يوم . فلما تملّأت[3] ورُفِع الخوان جاءنى الطست فأعطيت أربعة أصناف من الأُشْنان[4] ، ما منها صنف إلا وكنت أهمّ أن أتغلّف[5] به . فلما مسحت يدى جاءنى خادم بيده ملعقة مملوءة غالِيَة[6] فتغلّفت بها . ثم إن الفضل أخذ الكأس بيده فصبّ منها من النبيذ قدر ثلثيها ثم ملأها بالماء ثم شرب ، ثم صبّ مثل ذلك فبدره إلى الإبريق وَصِيفٌ فقال : تنحّ . هذا يوم منادمة الأدب لا أحب أن يكون خادمه غيرِى . قال : ثم دفع الكأس إلىّ وقال : ابعث إلى قلبك رسولا يُرْحِل[7] عنه ماسكنه من غم ، فشربت كأسا ثم قلت : وافقت جعلت فِداك ما قال الشُوَيْعر . قال : ومن هو ؟ قلت : أبو نواس . قال : بل قل الشاعر الذى قَلَّ ماأطاعت فكره القوافى . وماقال ؟ قلت : قال :

إذا ما أَتَت دُونَ اللَّهاة من الفَتَى ... دَعَا هَمُّه من صَدْرِه برَحِيلِ[8]

قال : لِلّه درُّه ما أَبْيَنَه لدُرِّ الوصف فى هذا وفى غيره !

---

(١) أدركت : بلغت حد النضج .

(٢) مخ خصيان : فى الطبقات مخ الطير .

(٣) تملأت : شبعت .

(٤) الأشنان : مادة تتخذ من الشجر للتنظيف كالصابون .

(٥) تغلف : تلطخ وتضمخ .

(٦) الغالية : نوع من الطيب ، أصله أخلاط وتغلى مع بعضها .

(٧) يرحل : يذهب .

(٨) الديوان : ١٦ (وآصاف : ٣١٠) . من قصيدة أولها :

وخيمةِ نَاطور برأس منيفة ... تهم يدا من رامها بزليل

وقال أيضا[١] :

دَبَّت دَبِيباً فى العِظام كأنَّه ... دَبِيبُ نِمـال فى نَقًا يَتَهَيَّلُ

وإن كان فُتِح له البابُ ورُسِم له الوصفُ لقد أحسن الاشتقاق .

ومن البديع الذى لا يوصف حسنه قوله :

فتَمَشَّت فى مفاصِلهم ... كتَمَشِّى البُرْء فى السَّقَم[٢]

ونَرَ[٣] معانيه فى هذا الباب كثير ، وأكره أن أشتغل به فى هذا اليوم عما أنا إليه أميل . ثم قال : والله لولا أن مجالسته سُخف يُسبّ به عند العامّة لكان ثالثنا فى هذا اليوم . ولقد كنت على بِرٍّ له ، فحال بينى وبينه الاستثقال[٤] من يوم نادانى مُطلقا من رسيس الهوى الذى يجده فى حبّ جنان ، فقال :

سأشكو إلى الفَضْل بن يحيى بن خالد ... هَواكِ لعلَّ الفضلَ يجمع بيننا[٥]

ثم قال : يا غلام علىّ بمنصور الخازن . فلما وقف بين يديه قال: ابعث إلى الحسن ابن هانئ بمنديل فيه خمسة آلاف درهم فبعث بها إليه .

وكان أبو نواس قد هجا البرامكة بعد مصابهم وقبل مصابهم ، فمّا قاله فى يحيى[٦] ابن خالد :

قُلْ ليَحْـيَى بنِ خَالدٍ ... يا عَـدُوَّ المَساجدِ

---

(١) البيت للأخطل (الديوان: ٤) من قصيدة أولها :

عفا واسط من آل رضوى فنبتل ... فمجتمع الحرّين فالصبر أجمل

فلعل فى العبارة نقصا.

(٢) من قصيدة تقدمت وهى فى الديون : ٤١ .

(٣) نر معانيه : غزيرها .

(٤) الاستثقال : فى ك : الاسعال (بدون نقط) .

(٥) الديوان : ٤٧٤ .

(٦) فى ك : فى آل يحيى.

يُوشِك القوم أن تُنَبّـ ـهَ من نَوْمِ رَاقِدِ
فإذا أنت لا تَصُـو لُ بِكَفٍّ وساعدِ
رَاكِباً جِـذعَ نخْلَةٍ قائماً مثلَ قَاعِدِ

وكان مما رثاهم به قوله[(١)] :

أَلآنَ اسـتَرَحْنا واستراحت رِكابُنـا
وأَقْـصَرَ من يُجْدِي ومن كان يَجْتَدِي[(٢)]
فقل للعَطايا بعـد فَضْلٍ تَعَطّلِي وقـل للرّزايا بعده أنْ تَجَدَّدِي[(٣)]
وقل للمَنَايا قـد ظَفِرْتِ بجَعْفَرٍ فلن تَظْفَرِي مِنْ بعدِه بمُسَوَّدِ
فيـالك سَيْفاً بَرمَـكِيًّا مهنّداً أُصيبَ بسَيْفٍ هاشِمِيٍّ مُهَنَّدِ

ومن طرديّات أبي نواس يصف الدرهم وهو يُرِي أنه يصف الصقر[(٤)] :

لَمْ أَبْكِ رَسْماً مُقْفِراً ودُورا تَسْمَع للصَّعْل بها زَمِـيرَا

الصّعل : النعام ، والزّمير : صوته .

كقِسِّ دَيْرٍ يقـرأ الزّبُورا لـكن ظَلَلْتُ مُعْمِلاً سَهُورا
أنْعَتُ صَقْراً يغلِبُ الصُّقورَا مُظَفَّرا أبيضَ مُستَدِيرا

يعني الدّرهم لأن الصقر لا يُوصف بالبَياض وإنما يوصف بالبياض البُزاة .

---

(١) الطبري : مجلد ٣/٦٨٥ ـ ديوان المعاني : ٢/١٧٩ في نهاية الأرب : ٥/١٨٠ نسبت هذه الأبيات إلى الرقاشي في البرامكة . والأبيات في الطبري مختلفة عما هنا في الترتيب وبعض الكلمات وفيها زيادة .

(٢) رواية الطبري : فقل للمطايا قد أمنت من السرى وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد

(٣) وقل للرزايا في رواية الطبري : وقل للرزايا كل يوم تجددي .

(٤) هذه الطردية ليست في الديوان بطبعتيه وأورد بعضها البارودي في مختاراته في باب الصفات ج ٤ /٢٧ . وقال حمزة الأصبهاني في مقدمة الديوان :
أخبر الرواة أن أبا نواس لم يقل في الطرد إلا تسعا وعشرين أرجوزة وأربع قصائد فما كان زائدا على هذا العدد فهو منحول إليه .

* وِلادُ[1] شهرٍ واضحا مُنيرا *

يعنى قريب العهد بالضَّرْب .

* تخالُه فى قدِّه العَبُورَا *

الدّرهم يشبّه بالشِّعرى العَبُور . والدّينار يشبّه بالمِرّيخ .

مُـكرَّماَ يجتنب الصَّفِـيَرا ... إلا إذا حُرِّك أو أُثِـيرا
فهو صَغِيرٌ يفعــل الـكَثِيرا ... ترى الحماليقَ إليه صُورَا[2]
والصَّيد يأتيكَ بــه ميْسُورَا ... يُنْعِش ذا الحاجة والفَقِيرا
والخلْق قد تطلُبه ظَهِيرا[3] ... يقتنص الأَعْصم والفَدُورا

الأعصمُ : الذى فى يده بَياض من ولد الوَعِل ، والفَدور : الوعِلُ المُسِنّ .

صاحبُــه ممتلِئٌ سُرورا ... ولا تراه فَزِعاً مَذْعُــورَا
يختطف الأَرْنَب واليَعْفُورا[4] ... ولو بَغَى مُرْسِله النُّسُورا
والوَحْش جَمْعاً أو بغَى العَسِيرا ... لجـاء سَهْلًا سَلِساً يَسِيرا
ما آب مَنْ صادَ به مَبْهُورَا[5] ... مِنْ طلبِ الصَّيْد ولا حَسِيرا
ولا شَـكا الأَيْن ولا الفُتورا ... يُقيــل من عَـثْرته العَثُورا
به يصيد السـادِر[6] الغَرِيرا ... ما هاب من يَمْلِـكه الدُّهُورا

---

(١) ولاد : فى مختارات البارودى : وليد .

(٢) صورا : شاخصات مقبلات .

(٣) ظهيرا : معينا .

(٤) اليعفور : الحمار الوحشى .

(٥) مبهورا : متعبا .

(٦) السادر : فى مختارات البارودى : الشادن .

وقال أبو نواس فى الفَخّ وأحسنَ وأجاد[1] :

قـد كادَ هـذا الفخُّ أن يَعْقِرَا ... واحرَوْرفَ[2] العُصفورُ أن يَنقُرَا
غيَّبتُ فى الـترب عليهِ لَـهُ ... بالمستوى خَشْيَةَ أن يَنْفِرَا
لمَّا[3] رأى التُرْبَ رأى جُثْوَةً[4] ... ماثِلةَ الشَّخْصِ فمـا استَنْكَرا
حتى إذا أشرفَها مُوفِياً ... وعايَنَ الحبَّ له مُظْهَرَا
خاطبه مِنْ نَفْسِه زَاجِرٌ ... قد كنتُ لا أرهبُ أن يَزجُرَا
فأَعْمَلَ الفِـكْرَ قَليلًا ولا ... يَقتُلُه الرحمٰن ما فَـكَّرَا
فاحترَبتْ «لا» و «نعَمْ» ساعةً ... ثم انجَلَى جُنْدُ «نعَمْ» مُدْبِرَا
فضَمَّ كَشْحَيْه على جُؤْجُؤٍ ... كان إذا استَنْجَده شَمَّرَا[5]
ولَم يَرُعْنى غـير تَدويِعِـه[6] ... آمِنَ ما كنتُ له مُضمِرَا
فاصْبِر إذا الدَّهر نبَا نَبْوَةً ... لُجنَّةَ المؤمن أن يَصْبِرَا[7]
فالرِّزْقُ والحِرْمان مَجْراهما ... بمـا قَضَى اللهُ وما قَدَّرا

ومن قول أبى نواس فى الطَّرديات يصف الـكَلْب[8] :

لما تبدَّى الصُّبْح من حِجابِه ... كطَلْعَة الأَشْمَطِ منْ جِلْبابِهِ

وهى مِمّا غلط أبو نواس فيها غلطا فاحشا ، فإنه قال فيها فى صفة الـكلب :

---

(١) الديوان (غ) : ٦٦١ وليست فى الديوان طبع آصاف .
(٢) احرورف : فى الديوان : انحرف .
(٣) لما : فى الديوان : كما .
(٤) الجثوة : الحجارة المجموعة .
(٥) كشحيه : جناحيه ــ الجؤجؤ : الصدر .
(٦) تدويعه : دورانه وتحويعه .
(٧) البيت والذى يليه ليسا فى الديوان .
(٨) الديوان : ٦٣١ (آصاف : ٢١٠) .

كَأَنَّمَا الأُظْفور فى قِنَّابِه مُوسَى صَناعٍ رُدَّ فى نِصابِه

القِنَّاب : الغِلاف ، وهو الشعر الذى يُغطِّى مِخْلَبَه .

قال المظفَّر بن يحيي : غلط أبو نواس لأنه ظنّ أن مِخْلَبَىْ الأسد والسّنوّر اللَّذَيْن يستران إذا أرادا سترها حتى لا يبينا وعند حاجتهما تخرج المخالب حُجُناً[1] محدّدة يفترسان بها ، فظن أن هؤلاء كمِخْلب الكلب وإنّما الكلب مبسوط الظفر أبداً لا ينقبض .

ومن طردياته فى صفة الكلب[2] :

أَنْعَتُ كلبا أهْلُه فى[3] كَدِّه قد سَعِدَت جُدُودُهم[4] بجِدِّه[5]

فكلُّ خَيْرٍ عندهم من عِنْدِه وكلُّ رِفْدٍ نالهُم من رِفْدِه[6]

يظَلُّ مولاه له كعَبْدِه يَبِيتُ أدنَى صاحبٍ من مَهْدِه

وإن غَدَا جَلَّله[7] بِبُرْدِه ذا غُرَّةٍ مُحَجَّلاً[8] بزَنْدِه

تَلَذُّ منه العينُ حُسْنَ قَدِّه تأْخير شِدْقَيْهِ وطُول خدِّه

يَلْقَى الظِباءُ عنتاً[9] من طَرْدِه تَشْرَب كأساً شَدَّها من شَدِّه

* يالكَ من كَلْبٍ نَسِيجِ وَحْدِه *

---

(١) حجنا : معقوفات .

(٢) الديوان : ٦٢٤ (آصاف : ٢٠٦)

(٣) فى الديوان : من .

(٤) الجدود : الحظوظ .

(٥) جده : اجتهاده .

(٦) هذا الشطر ليس فى الديوان .

(٧) جلله ببرده : غطاه به .

(٨) المحجل من الدواب : ما كان البياض منه فى موضع الخلاخيل .

(٩) عنتا : مشقة شديدة .

سمعتُ من محاضرات بعض الأدباء . قال : دخل أبو بكر الخالدى على الخليفة فأنشده قصيدة امتدحه بها فراقته وأعجبته ، وَبشّ لها وارتاح إليها ، فلما فرغ من إنشادها خلع عليه وأجازه وقلّده بالإجازة . وكان بين يديه صحْن من يَشم[(١)] أزرق بديع المنظر ، فلمح أبا بكر الخالدى وهو يرمُقُه بطرْفه فى خلال إنشاده . فقال له بعد جائزته : قد رأيتك ترمق هذا الصحن وتلمحه نظر مستحسنٍ له ، خذه مع جائزتك واضممه إلى ذخائرك . فأخذه وخرج يخبّ فى خلعه ، ويخطِر فى جائزته والصحن فى يده . فرآه أبو الفتح بن خالويه وهو فى غاية الفرح والابتهاج والسرور ، فسلّم عليه وهنّأه . ومضى إلى منزله .

فلما أصبح جاء إلى الخدمة فدخل عليه وقبّل الأرض بين يديه ودعا له . فقال له الخليفة : كيف كان مبيتك؟ فقال : بأعظم خيرٍ يا أمير المؤمنين ؛ أتقلّب فى نِعَمِك جمعت أهلى وفرّقتُ عليهم من صدقاتك ، وأنعمت عليهم من نِعَمك ، وبتنا كلّنا ندعو بدوام مملكتك . فقال : ما سؤالى[(٢)] عن شىء مما أجبتنى به ، وإنما سألتك عن الصحن اليَشم ، فإنى أعلم أنه عندك أحلَى من الجائزة وأحسن من الخِلَع . فقال : أى والله يا أمير المؤمنين ولقد بتّ أتنعّم به وأتفنّن[(٣)] فى رؤيته وأتَملَّى[(٤)] بحسنه وقد أضفته إلى سالف برّ مولانا ورِفْده ، وكلّ خيرٍ عندنا من عنده . فتنمّر له أمير المؤمنين واستشاط فزَبَرَه[(٥)] وقال : ذاك أبوك يا عاضّ بَظْر أمّه وانتهره . فخرج من عنده يجرّ رجليه وهو فى غاية الخوف والانقباض والوجل . فصادف أبا الفتح بن خالويه

---

(١) يشم : حجر قريب من الزبرجد لكنه أكثر شفافية وصفاء منه . (فارسى معرب) .

(٢) فى ت : ما سألتك عن شىء .

(٣) أتفنن فى رؤيته : أسلك فى الرؤية إليه أفانين وطرقا .

(٤) أتملى : أستمتع .

(٥) زبره : زجره .

وهو على تلك الصورة . فقال له : مالك يا أبا بكر ؟ ما دهمك ؟ شتّان بين خروجك اليوم من بين يدى أمير المؤمنين وبين خروجك بالأمس ! ما الذى فعلت ؟ فقال : والله لم أفعل شيئا ، وإنما أمير المؤمنين انتهرنى وسبّنى وزبرنى وأمضّنى ، فخرجت من بين يديه على هذه الصورة ! فقال : ويلك ما فعلت ؟ قال: والله لم أفعل شيئا . قال : فما قال لك أمير المؤمنين من السّب : قال : قال لى: ذاك أبوك يا عاضّ بظر أمه . قال : فأنت تقول إنك لم تقل شيئا ، وهذا القول من أمير المؤمنين إنما هو جواب عن شىء قُلْتَهُ خرجت فيه عن الأدب ، فأعد علىّ ما دار بينكما ، فأعاد عليه الصورة إلى أن قال له : وكلّ خير عندنا من عنده . فصاح أبو الفتح وقال : أَوَ قُلْتَها ويلك لأمير المؤمنين ؟ ! فقال: أى والله ! فقال : ويلك ! أين أنت ! أين ذهب عقلك ؟ ! أتجعل أمير المؤمنين كلبا ! فقال له: والله أنت أشدّ علىّ من أمير المؤمنين ، كيف الخبر ؟ عرّفنى الصورة . فقال : أَوَ ما سمعتَ قول أبى نواس فى طَرْدياته يصف الكلب :

أنعتُ كلباً أهلُه فى كَدِّهِ قد سَعِدَت جُدودُهم بجِدِّهِ

* وكُلُّ خَيْرٍ عندَهُمْ من عِندِهِ *

فكاد أن[1] يُغْمى على أبى بكر الخالدى من ذلك . وقال له : سألتك بالله قد عرّفتنى الداء فعرّفنى الدواء ومرنى بما أعتمده . فقال : أرى لك أن تنقطع فى بيتك وتُشيع أنك محموم ، فإذا عادك أصحابك وشاع ذلك عنك وسمع أمير المؤمنين به تمضى إليه فإنه سيسألك عن سبب انقطاعك ، فقل له : حمى . فإذا قال لك : ما سببها ، فقل له : طالعت طرديات أبى نواس . فإن هذا هو دواء دائك .

فانصرف أبو بكر الخالدى إلى منزله وانقطع وأظهر أنه أصابته حمى ، فعاده أصحابه وزاره إخوانه وشاعت حُمّاه واتصل ذلك بأمير المؤمنين . ثم إنه أظهر أنه عوفى وخرج . وجاء إلى أمير المؤمنين فدخل عليه فسلّم ، فقال : ما سبب انقطاعك

(١) الأفصح حذف أن بعد كاد .

عنّي يا أبا بكر ؟ قال : حُمَّى يا أمير المؤمنين أصابتنى ، حَماك الله وكفاك . قال : وما سببها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين . طالعت طرديات أبى نواس . فقال له: إخالك لم تكن طالعتها قبل ذلك ! فقال : لا والله يا أمير المؤمنين. فضحك منه حتى استلقى وأمره بالجلوس .

قال عبدون الحرانى : دخلت على مالك بن طوق وعنده العتّابى وعليه جبة صوف وكساء صوف وفى يده دفتر . فرفع رأسه إلىّ فقال : قاتله الله ما أشعرَه ! قلت : مَنْ يا أبا عَمْرو ؟ قال : الذى يقول :

إذا نحن أثنَيْنا عليك بصالحٍ ... فأنت كما نُثْنِي وفوقَ الذى نُثْنِي [1]

قلت: من هو يا أبا عمرو ؟ قال: أو ما تعرفه ؟ قلت : لا ؛ قال : هو الذى يقول [2] :

تَغَطَّيت من دَهْرِى بِظِلِّ جَنَاَحِه ... فعيْنِى ترى دهرى وليس يرانِى

فلو تسأل الأيامَ ما اسمى ما درَتْ ... وأينَ مكانى ما عَرفْن مَكانِى

أخذت بحَبْلٍ من حبالِ مُحَمّدٍ ... أمنت به من طَارِقِ الحدَثانِ

فقلت : من هو ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ ! قلت : لا قال الذى يقول [3] :

إن السحاب لتَسْتَحْيي إذا نَظَرَتْ ... إلى نَداك فقاسَتهُ بما فِيهـا

حتى تَهُمَّ بإقلاعٍ فيمنعَهـا ... خَوْفُ العُقوبةِ من عِصْيان مُنْشِيها

فقلت : من هو ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قلت: لا . قال: لا عرفت! هو أبو نواس .

---

(١) الديوان (آصاف) : ٦٦ - تاريخ بغداد : ٧/٤٤٣ - ابن عساكر : ٢٥٧ - المستطرف ١ / ٢٠١ .

(٢) الديوان : ٤٦٩ من قصيدة أولها :

لمن طلل لم أشجه وشجانى ... وهاج الهوى أو هاجه لأوان

(٣) الديوان : ٤٦٤ من قصيدة أولها :

الدار أطبق أخراس علا فيها ... واعتاقها صَمَم عن صوت داعيها

خرج[١] محمد بن خالد يوما من عند الرشيد فلقيه أبو نواس فقال له : يا أبا نواس البُشْرَى ! قال : وما ذاك؟ قال: وَلّاك أمير المؤمنين القِردَة والخنازير . قال : فاسمع لى وأطِعْ فإنك من رَعِيَّتى . فأفحمه وأخجله .

ومن بديع شعر أبى نواس قوله[٢] :

حين أوفى على ثلاثٍ وعَشْرٍ لم يَطُلْ عهدُ أُذْنِه بالشُّنوفِ[٣]
فيه غُنَّــة الصِّبَا تَعْتَلِيهـا بُحَّة[٤] الإحْتلام للتَّتْريفِ
حينَ رامَى النساء منهُ بعَيْنٍ وطَوَى أخْتَهامن التَّخْويفِ[٥]

قال محمد بن الحكم بن عمار الواسطى : حدّثنى أبى قال : مررت وأنا غلام بداود ابن رزين الشاعر فقال لى : اصعد يا حَكَم ، فصعدت إليه وإذا معه رجل ، وفى يدى وَرْدة فناولته الوردة فقال : ناولها هذا الرجل . فناولتُه إياها فقبض على كَفِّى وهى فيها فشَمَّها ، وقال :

وردةٌ جاءَ بها وَرْدَةٌ تُشْبِهُه رِيحاً فَحَيَّانِى
عَجِبْتُ منها حين أَبْصَرْتُها رَيْحانَةٌ فى كَفِّ رَيْحانِ

فقال له دَاوُد : أحسنت يا أبا نواس . فلما سمعت كُنيته نفضت يَدى من يده وفررت منه. وكان الصبيان عندنا يفزَّعون به فيقال لهم: قد جاء أبو نواس اللُّوطِي ! ! قال: وقلت لأبى: لا أخرج إلى الكتّاب ما دام أبو نواس بواسط .

(١) الخبر فى ذيل زهر الآداب : ٩٣ وأن القصة بين الفتح والجماز .

(٢) الديوان : ٧٢٠ من قصيدة مطلعها :

من يكن يعشق النساء فإنى مولع القلب بالغلام الظريف

(٣) الشنوف : جمع شنف : القرط الأعلى .

(٤) البحة : غلظ الصوت وخشونته .

(٥) فى ذيل زهر الآداب : ١٤٣ رواية هــذا البيت هكذا :

حين رام أنسنا منه بعين وثنى أختها من التخويف

قال الجماز : سمعت أبا نواس يقول : أشتهى شيئا لا أجده فى دنيا ولا فى آخرة . قلت : ويحك فى الجنة ما تَشْتَهى الأنفس وتلذّ الأعين . قال له : هذه الشهوة ما أجدها لا فى الدنيا ولا فى الجنة. قلت له : ويلك ما هى ؟ قال : أشتهى غلاما حلالًا . فقلت له : أعزب قبّحك الله ، فوالله لا تفلح أبدا .

قال يعقوب بن زيد الفارسى[١] : رأيت أبا نُواس بالبصرة فقلت له : أنشدنى فى الشيب شيئا يزجرنى فأنشدنى[٢] :

انقضَتْ شِرّتى[٣] فعِفْتُ المـلاهى ... إذ رَمى الشيب مَفْرِقِى بالدّواهِى

ونَهَتْنِى النُّـهى فمِلْتُ إلى العَقْـ ... ـلِ[٤] وأشفَقْتُ من مقالةِ ناهِى

أيها الغافل المقيم عـلى السَّهـ ... ـوِ[٥] ولا عذرَ فى المَعادِ[٦] لساهِى

لا بأعمالنا نُطيقُ خَلاصاً ... يوم تبدو السِّماتُ[٧] فوقَ الجِباهِ

غيرَ أنّا عـلى الإساءة والتفـ ... ـريط نَرْجُو لحسنِ عَفو الله

بلغ الفضلَ عن أبى نواس شىء يكرهه فبعث إليه ، فدار بينه وبينه كلام فيما يذكره أبو نواس فى الخمر والغلمان . ثم قال الفضل لمحمّد بن حمزة بن مالك ، وكان على شرطة عسكر المهدى : قم فأنزله إلى أسفل الدار فاضربه مائة مِقْرَعَة. قال : فأنزله محمد ابن حمزة . فلما صار فى أسفل الدار شدّه بحبل ثم ضربه، فلما بلغ ثلاثين أو ما أشبه ذلك

---

(١) الخبر فى تاريخ بغداد : ٧/٤٤٧ .

(٢) الديوان : ٦٢١ .

(٣) الشرة : حدة الشباب .

(٤) العقل : فى الديوان : العدل. وفى تاريخ بغداد : العذل بالذال المنقوطة .

(٥) السهو : فى ت بغداد : اللهو .

(٦) المعاد : فى الديوان : المقام .

(٧) السمات : جمع سمة وهى العلامة. وفى الديوان : السماء. وفسرها محقق الديوان تفسيرا لا يتفق مع عبارة البيت.

جعل يستغيث وأقبل يقول: جعلنى الله فداك ، عذرى واضح قائم فى كتاب الله تعالى. فقال الفضل : مايقول ؟ قال : يقول : عذره واضح فى كتاب الله عز وجل . قال : هاتوه فأحضر إليه، فقال له: عذرك واضح فى كتاب الله عز وجل ؟ قال : نعم . قال: وما عذرك ؟ قال : قال الله تعالى « ألم تر أنَّهم فى كُلِّ وادٍ يَهِيمُون وأنهم يقولون ما لَا يَفْعَلُون »(١) فأنا ممن يقول ولا يفعل . فضحك الفضل وقال : خلوا سبيله أخزاه الله تعالى .

كان أبو نواس وعمر الرقاشى يمشيان فى بعض الطرقات ، فمرّ عمر الرقاشى بتَمْرةٍ ملقاة فتخطّاها . فقال له أبو نواس : ويلك ياعمر! كُلْها فلأن تلوك أيْرَ حمار خيرٌ لك من أن تكون جائعا .

ومن شعر أبى نواس فى المجون قوله(٢) :

مُسْتَحْلِف نائِكَهُ   بالله لا تَسْتَفِقِ
لِيْتَكَ فَوْقى مُلْصَقٌ   بأشْرسٍ(٣) من عَلَقِ
بالله خُذْنى هَكذا   ثلاثةً فى طَلَقِ(٤)
لو دَامَ شىء طَيِّبٌ   لدَام هذا وبَقِى

صار أبو نواس إلى العباس بن الفضل بن الربيع فى حاجة فلم يَقْضها له ، فخرج من عنده وهو يقول(٥) :

لعَمْرُك ما العبَّاس من وَلَدِ الفَضْلِ   فيُرْجَى لعُرْفٍ(٦) أو يُعين على بَذْلِ

---

(١) الآية : سورة الشعراء : ٢٢٥ .
(٢) الفكاهة .
(٣) أشرس : مادة يلصق بها وهى المعروفة بالرسراس .
(٤) الطلق : الشوط الواحد فى جرى الخيل واستعاره هنا .
(٥) الديوان : ٥١٨ .
(٦) عرف : فى الديوان : فضل .

فَتًى كُلَّما نادَيْتَه لِمُلِمَّـــةٍ دَعَوْتَ مِثالًا لا يُمِرّ ولا يُحْلِي[١]

فبلغه ذلك فشكاه لأبيه فأمر بكرَ بن المعتمر فأخذه وضربه وحبسه وقيّده وأسلمه إلى سجّان فظّ غليظ كان على المُطْبق اسمه سعيد ، فضيّق عليه وآذاه . فكتب رُقعة وأنفذها إلى بكر فيها[٢] :

جُعِلْتُ لك الفِدَا[٣] زِدْنى قُيودا وثَنِّ علىَّ سَوْطًا أو عَمُودَا

ووَكِّل بى وبالأبواب دُونِى من الرُّقباء شيطانًا مَرِيدَا

وأعْفِ مسامِعى من صَوْت رِجْسٍ لَعِين[٤] جَدُّه يُدْعَى سَعِيدَا

فقد ترك الحديدَ علىَّ رِيشًا وأوقَرَ بغضُه قلبى حَدِيدًا

فضحك بكر من الأبيات وأوقف الفضل عليها فأمر بإطلاقه . وذلك حيث يقول[٥] :

يا فَضْلُ قد أَوْدَعْتَنى عِظَةً ما بعدها غَلَطٌ ولا سَهْوُ

وبَرِئْتُ مما تستَرِيب بِهِ فليهننى بك ذلك البُرْوُ

فاقبلْ أبا العباس عُذْرَةَ[٦] مَنْ لفَظَ الصِّبَا ومَذَاقُه حُلْوُ

إنْ ضاق عفوُك وهو ذو سَعَةٍ عَنِّى فليس بواسِعِى عَفْوُ

أنتَ الَّذى لَذَّ[٧] السماحَ فَمَا غَيْرُ السماحِ لقَلْبِه لَهْوُ

يغدُو جميعَ العِرض وافِرَه والمالُ معتصَر الثَّرَى[٨] نِضْوُ

---

(١) ما يتكلم بحلو ولا مر .

(٢) الديوان : ٤٥٤ .

(٣) فى الديوان : وقيت بى الردى .

(٤) لعين جده : فى الديوان : ثقيل شخصه.

(٥) الديوان : ٤٥٨ .

(٦) عذرة : فى الديوان : عذرى .

(٧) لذ : فى الديوان : ألف .

(٨) الثرى : فى الديوان : النوى .

ومن شعره فى آداب المعاشرة قوله[١] :

إنّى وإن كنتُ شاعراً خَرِقاً لا يَخْطُرُ النُّسك لى على بَالِ
لَذُو حيــاءٍ وذو مُحافظةٍ مُبتاعُ حَمْدِ الرِّجال بالغَالِى
إنْ دنَّس المالُ عِرْض ذى أَدَبٍ فإنَّ عِرْضِى يُصانُ بالمالِ

ومن شعر أبى نواس يعبث بأبى الحارث جُمَّيز[٢] :

ألا قل لأبى الحا رث بدّات بسَوْداء[٣]
بَياضًا غير مازِنَ فلا تَخْضب بحِنّاء
ولـكن وسمة خضرا ء أو خطراً بلا طاء
جَزاكَ اللّه يا جُمَّيْ ز خيراً ناقص الياء
وسَلْم ناقص الميم على وَجْهِكَ باَلحاء
خَروفٌ لك فى البَيْتِ فقم كله بلا فاء
وخَرْدَلة بلا دالٍ ولا لامٍ ولا هاء

قال على بن يوسف[٤] : كنا نتغزل مع أبى نواس ونتبطل، فقال لنا ليلة من ليالى شهر رمضان وكان يجد بابن صاحب المسجد المعروف بالسيولى[٥] وهو غلام جميـل [فقال] : قوموا بنا إليه . قال : فمضينا إليه فقدم الشيخ ابنَه بعد أن صلّى المـكتوبة

---

(١) الديوان (آصاف) : ٣٢٠

(٢) جميز : فى الأصول: حمر بدون نقط ويذكره المحدثون بالنون وهوخطأ . وفى التاج مادة « جمز » وقد أنشد أبو بكر ابن مقسم :

إن أبا الحــارث جمـيزا قد أورث الحـكمة والمزا

(٣) هذه الأبيات وردت فى كتاب الورقة : ٣٨ منسوبة إلى رزين العروضى فى هجاء الحارث جميز عدا الثلاثة الأبيات الأولى .

(٤) الخبر فى طبقات ابن المعتز . ٢٠٦ .

(٥) السيولى : فى الطبقات : السلولى .

يصلّى بهم الرُّوَيْحَة الأولى وهو يريد الخَتْم ، فقرأ: « أرأيتَ الَّذى يكذِّب بالدِّين »
قال : فأخذ بيدى ونحَّانى عن الصف ، ثم أنشدنى(١) :

وقَرَا مُعْلِناً لِيَصْدَعَ قَلْبى ... والهوَى يَصْدَعُ الفُؤادَ السَّقِيما(٢)
أرأيتَ الَّذى يُكَذِّب بالدِّ ... نِ فذاكَ الَّذى يَدُعُّ اليَتِيما

اجتمع(٣) جماعة فى مجلس منهم الفَضْلُ الرَّقاشى والخليع وأبو نواس فقال أبو نواس : أيكم يأتى ببيت شعر فيه آية من القرآن؟ فلم يجبْه أحد فقال :

وفِتْيَةٍ فى مجلسٍ رَيْحانهُم ... تحيَّةٌ قد عَدِموا الثَّقيلا(٤)
دانِيَةً عليهمُ ظِلالُها ... وذُلِّلَتْ قُطُوفها تَذْلِيلا

قال يوسف بن الداية(٥) : غاب أبو نواس عنّا وعن إخوانه غيبة طويلة فلم يعرف له خبر ، وسُئل عن أمره فلم يعلم له أثر ، حتى مضت له سنة فظنوا أنه قتل . وبلغ ذلك الرشيد فقال: والله إن صح أنه قتل لأقتلنّ قاتله ولو كان محمّدا ، انظروا كل من كان هجاه من الناس فاكتبوا اسمه وارفعوه إلىّ . فارتجّت لذلك بغداد . فلما كان على رأس الحول إذا نحن به قد وافى . فقلنا له : يا أبا علىّ غبت هذه الغيبة عنا فغممتنا وظننا بك الظنون . قال : كنت فى بَيْتى . فقلنا له : ألم تسمع بغمّنا لك وقول الرشيد فيك ؟! فلم يبق أحد من إخوانه إلا عَذَله(٦) وقالوا : إن فى هذا تعريضا لنفسك للآفات . فأنشأ يقول(٧) :

---

(١) الديوان : ٦٩٦ .
(٢) السقيما : فى الطبقات : العزوما وفى الديون : الـكليما .
(٣) الخبر فى الطبقات : ٢٠٧ ــ أخبار أبى هفان : ٦٨ .
(٤) الرواية فى طبقات ابن المعتز :

وفتية فى مجلس وجوههم ... ريحانهم قد أمنوا الثقيلا

(٥) الخبر فى نهاية الأرب ٤/١٢٠، ١٢١ .
(٦) عذله : لامه .
(٧) الديوان : ٣٧٣ باختلاف فى الترتيب وبعض العبارات .

إنى لفى شُغْل عن العا لَمين(١) بالرَّوح والرَّيحانِ والياَسَمِينْ
معى غلامٌ حسنٌ وجهُه قلبى بمــا ألقاه منــه رَهِين(٢)
أقول إذ صرتُ على ظهرِه كقول قَوْم رَحَلوا ظاعِنِين
سُبحانَ مَن سَخَّر هذا لَنَا منْهُ وما كُنّا له مُقْرِنين
أستغفِرُ الله لِماَ قَدْ بَدَا مِنّا وإن كنّا له عاشِقِين
فهو مُغَنٍّ وهو سَاقٍ معا وهْوَ خَدِينٌ بِأَبى من خَدِين
من جَنَّة الفردوس مِنْ حِلِّهِ وفيه للفردوس عيشٌ مكين(٣)
تَفْدِيه نفسى عَيْشُ نفسى بِهِ ففِيه ما عُمِّرتُ دُنيــا ودِينْ

فلما أنشدنا قال : بحياتى من يساعدنى منــكم حتى أريه أين كنت ووجه الذى كنت معه ، فيعذرنى أو يحسدنى ؟ فغدا علينا فمضى بنا . فلما صار إلى موضعه أرانا غلاما لم نر أحسن منه . ثم قال : بحياتى خذ طنبورتك . فإذا أَحْسَنُ الناس غِناءً بها . ثم قال : أتلوموننى أن أنقطع عن أهل الدنيا وأعتــكف على هذا الوجه وقد جُمع فيه كلّ معنى ؟ !

ومما اعتمده(٤) دِعْبِل من هذا الجنس :

وُيخْزِيهم(٥) ويَنْصركم عليهم ويَشْفِ صُدور قَوْمٍ مؤمنينا

---

(١) العالمين : فى الديوان ونهاية الأرب : العاذلين .

(٢) فى الديوان :

لدى شريف حسن وجهه . أحور قلبى يهواه رهــين

(٣) فى الديوان :

من ولد المهــدىّ فى ذروة مهذّب يخلط حــزنا بلين

(٤) اعتمده : قصده ، يريد تضمين الشعر آيات من القرآن الــكريم .

(٥) ويخزيهم : فى الطبقات : ويخزهم .

قال داودُ بن سهل: دعوت أبا نواس يوما فقال لى: أَجِىءُ على شرط. قلت: ماشرطك؟ قال: شرطى عليك أن أجىء بسعد الفلك، وكان يعشق غلاما من موالى داود بن على يقال له سعيد وكان يعمّى عنه بسعد الفلك، فقلت له: ذلك لك. فجاء به معه وصارا لى صديقين، فقطعنا يومنا بأطيب عيش. فلمّا كان فى الليل قال أبو نواس للغلام: لابد أن تجعل مبيتك بقربى خوفا من غيرى عليك، فأجابه إلى ذلك، فلما اضطجعا أدخل يده بين فخذى الغلام ثم قال له: ما آمن عليك إلا بأن أفعل ذلك. فلما أغفى أخرج يده ووضع أيره مكانها، فاستيقظ الغلام مرتاعا منكرا لذلك، فقال له: أنصفنى فى القياس، ما أيرى إلا بمنزلة كفّى فإنهما من أديم واحد، وأعضاء رَجُلٍ واحد، ثم أنشده(١):

قُلْ للغزال غزال آل مُجالِدٍ   يا كافِرى نِعَمِى عليه وجاحِدى
أَتَرَى مُصافَحَتِى تَحِلّ ولاترَى   حِلاًّ تغيُّب ما وراءَ الساعدِ
إنْ كنت تنظر فى القِياس فإنّما   أيْرِى وكَفِّى من أديمٍ واحِدِ

وفيه يقول أيضا:

رأيتُ فى كَفِّه خالًا فقلتُ لـه   لِمَ لا تجود وهذا الخالُ للجُودِ
فقال: هيهات تَأْبَى ذاكَ حُمْرَتَه   وإنّما قيل منها ذاكَ فى السُّودِ

يريد أن الخال فى يدك علامة الجود. والخال: السحاب. وقوله تأبى ذاك حمرته لأن السحاب الأحمر لا يُمطر وإنما يمطر الأسود.

قال أبو نواس: هويت غلاما بالبصرة يقال له مَيامين، فكنت أصانعه بما أقول من الشعر، وكان عنده أنجع من كلّ صِلَة وهديّة، فدار يوما بينى وبينه كلام صنعته فى شعر فأعجبه وانقاد لما أردت منه، وهو:

قلت له تَجْنى علىَّ غَضَبًا   منك إذا ما قلتُ شيئا قال: لا

---

(١) الفكاهة / ٣٠.

فقلت : ياقُرَّة عينى فاستمع مَقالتى ، وكن لها مُحْتَمِلا
فقال : قل . فقلت : إنى عاشق لبعضكم . قال : وأبدى خَجَلا
قال : لِمَنْ ؟قلت :لِمنْ قَالَ لِمَنْ قال : أراكَ فى الهوى مستَعْجِلا
قل لى مَتَى أبصرْتنى فتدَّعِى ما تَدَّعِى ! قلتُ : شَقاء وبَلا
فلا تقُلْ للمُبْتَلَى يا سيدى لِمْ تُبتَلَى فتُبْتَلَى ، قال : فلا
قلتُ :مُجدْ .قال: نعم.قلت:متى ؟ قال: غدا . قلت: قطعتَ العِلَلا
فلم أزل يَوْمِى مَعاً مولَّها مرتَقِبا للوعْد حتى حَصَلا

قال الجَمَّاز : سمع أبو نواس محدِّثا يروى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ القلوبَ جنود مُجَنَّدة فما تعارَف منها ائتلف ، وما تناكَر منها اختلف » فقال(١) :

ياقلبُ ويحك جِدَّ منك ذا الكَلَفُ ومَنْ كَلِفْتُ به جافٍ كما تَصِفُ
وكان فى الحقّ أنْ يَهْواكَ مجتهداً بذاكَ خَبَّر منا الغَابِرُ السلف
قُلْ للمَليح أما تَرْوِى الحديثَ بما خالَفْتَ فيه وقدجاءت به الصُّحُفُ
إنَّ القلوب لأجنادٌ مجنَّدَة لله فى الأرضِ بالأهواء تَعْتَرِفُ
فما تعارَف منها فهْوَ مؤتَلِفٌ وما تناكَرَ منها فهو مُختَلِفُ

ولأبى نواس(٢) :

لاعبتُ إنساناً بشِطْرَنجِ فكادَنى بالدَّلِّ والغَنْجِ(٣)
كِيادَةً مِتّ وشاهى(٤) معى وصرت فى القمْرِ على الفَلْجِ(٥)

---

(١) الديوان : ٢٧٧ .
(٢) ليس فى الديوان .
(٣) الدلال .
(٤) اسم قطعة من قطع اللعب لا يغلب من حافظ عليها .
(٥) الفوز والظفر .

ثم ثنينا اللعب في إمْرَةٍ ... مُطاعَة واجِبَـــةَ الخرْجِ (١)
حتّى إذا ما اشتبكت خيلُنـا ... وحربُنا ساطعة الرَّهْجِ
قمرتُه(٢) مُقتَدِرا قَمْرَةً ... طَرِبتُ منها طَرَب الـزَّنْج
فقال : هــل تقبل لى فِدْيَةً ... يا بأبى من أنْ تطَا فَرْجى
فقلت : لا ! قال : فما حِيلتى ... إن كان شىءٌ منكَ لا يُنجى
ما كان إلّا عَبثًا ساعــةً ... حتى ابتدا الحلّاج فى الحلْجِ
ومجّ فــوهُ فى فمِى مَجَّةً ... كالراحِ إذْ يمزَجُ بالثَّلْجِ
ثم تعاليتُ عــلى رِدْفه ... كأنّنى طيرٌ عــلى بُرْجِ
قال : فإنّ الجرْىَ من عادتِى ... يافارسُ فاثبُتْ عـلى سَرْجى
فسرتُ فى الجرى عـلى قعدة ... ثابِتَةٍ والرُّمح فى الزُّجِّ
ما خَصْــلة أعرِفُها للفـتَى ... أشهَى من الرَّاح مع العَفْجِ

ولأبى نواس فى الخمر(٣) :

هَــذِهِ الممنوعُ مِنْهــا ... وأنا المحتجُّ عَنْها
مالَهــا تحرُم فى الدنـ ... ـيا وفِى الجنّة مِنْهــا

ولأبى نواس(٤) :

أربعةٌ مُذْهِبَــة ... لـكلِّ هَمٍّ وحَزَنْ
لذَيذةٌ يَحيَا بهــا ... قَلْبى وروْحى والبَدَنْ
المَاء والخَمْرة والبُسْـ ... ـتان والوَجْــهُ الحسَنْ

---

(١) الأداء والتنفيذ .

(٢) غلبته .

(٣) الديوان : ١٧٠ ـ مسالك الأبصار : ٩/٢٣٥ (مخطوط) قال محقق الديوان : أورد الصولى هذين البيتين وقال : إنهما يرويان لغيره .

(٤) الديوان : ٥١ (باختلاف فى الرواية) ـ خاص الخاص : ٨٨ .

ولأبى نواس وهو مما كفر به[١] :

تَعَلَّل بالمُـنَى إذ أنتَ حَىٌّ ... وبعد المَوْت من لَبَنٍ وخَمْر

حَيَاةٌ ثم مَـوْتٌ ثم بَعْثٌ ... حَدِيثُ خُرافـة يا أمَّ عَمْرِو

قال الجماز : كنت عند أبى نواس فقال : اسمع أبياتا حضرتنى . قلت : هات فأنشدنى[٢] :

ومُلِحَّة بالعَذْل[٣] تحسب أننى ... بالجَهْل أُوثِر صُحْبَة الشُّطَّارِ[٤]

بَكَرَت تُبَصِّرنى الزمانَ كأنّنى ... لا أَهْتدِى لمـذاهِب الأبرار

وتقول وَيْحك قد كَبِرت عن الصِّبا ... ورَمَى الزمان إليك بالإعذار

فإلى متى تَصْبُو وأنت مُتَيَّمٌ ... متقلّب فى راحـةِ الإقتـارِ[٥]

أوما ترى العَصرين عن قوس الصِّبا ... يتناضلان تقضِّىَ الأعمار

فأجبتها أن قد عرفتُ مذاهِبِى ... فصرفتُ معرفتى إلى الأبكار

ورأيت إيثارى اللذاذة والهوى ... وتعجُّلا من طِيب هذى الدّارِ

أحرَى وأجدر من تنظُّر آجلٍ ... عِلْمى به رَجْمٌ من الأخبـارِ

ما جاءنا أحدٌ يخبّر أنه ... فى جَنَّةٍ مذ مات أو فى نارِ

لا تَعْتِبِنَّ علىّ فى دَرْكِ الغِنَى ... و تَعَتَّبِى فيه عـلى الأقْدارِ

أمّا العَفـافُ فليس ذا بأوانه ... حتى يلفَّع بالمَشِيب عِـذارِى[٦]

(١) البيتان فى الأشربة لابن قتيبة : ٤٣٠ ــ الوساطة : ٥٨ .

(٢) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٤٥ـ٤٧ ــ الفكاهة : ١١٥ ــ الموشح : ٢٧٨ ستة أبيات فقط ــ الوساطة : ٥٨ (خمسة أبيات) .

(٣) العذل : اللوم .

(٤) الدهاة الذين أعيوا أهلهم ومجتمعهم خبثا ولؤما .

(٥) الفقر والحرمان .

(٦) الشعر الذى يحاذى الأذن .

لو أنّ لى رأياً أصولُ بعزْمِه — لرأيت كيف تعفُّفِى ووقارِى
لكنَّنى أهوَى المجونَ وأشتهِى — قُبحَ الحديثِ وهُتْكَة الأَستارِ
كيف التصبّر عن غزالٍ أحْوَر — قَسَم الحُتوفَ بطَرْفه السَّحَّارِ
مُتماجِن تمَّت محاسِنُ وَجْهِهِ — فثنَت إليه أعِنّة الأبْصارِ
ديباجتا(١) خدَّيه ينتضلان عن — قوسِ الرَّدَى فى أعينِ النُّظَّارِ
يغتال ألسنةَ المُريدِى نيْكَه — إجلالُه فيُناك بالإضمارِ
نلتُ الخلودَ بجنّة الفردوس لو — قضَّيْتُ من تقبيله أوطارِى

قال : فقلت له: يا هذا اتق الله فى نفسك واعلم أن الأعداء ينتظرون مثل هذه السقطات ، فدَع الإفراط فى المجون ، واكتمها إن لم يكن سمعها أحد غيرى . فقال : لا والله لا أكتمها خوفا ، وإن قُضِىَ شىء كان . وقد كان سمعها غيرى فنمى الحديث إلى الفضل بن الربيع ثم إلى الرشيد ، فما كان إلا أسبوع حتى حُبِس .

أنشد أبو الشَّمَقْمَق أبا نواس قوله :

كنتُ فيما مضَى فتًى أمدح النا — سَ وأهْجُو وذاكَ ذُلٌّ ذَليلُ
فأنا اليومَ ليس قَوْلِىَ إلّا — حَسْبُنا الله وهْوَ نعم الوَكِيلُ

فقال له أبو نواس : يا ابن الفاعلة ، إذاً والله لا يُطْعِمُك أحد الخبزَ وتموت جوعا ! فنمت إلى الرشيد فأمر بطلب أبى نواس وحَبَسه ، وأعطى أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم .

جلس(٢) الرشيد مجلسا وأفاض من حَضَره فى ذكر المطبوعين من شعراء المحدَثين ، إلى أن اتّصل الذكْر بالحسن بن هانئ ، فغمز عليه سليمان بن أبى جعفر فقال : يا أمير المؤمنين كافر بالله لا يرْعَوِى عن منكرة(٣) ، ولا يأنف من فاحشة ، وقد نمى إلى

(١) حسن بشرتهما .
(٢) الخبر فى الموشح : ٢٧٦ وما بعدها .
(٣) منكرة : فى الموشح: سكرة .

أمير المؤمنين خبرُه . فقال : يا عَمّ[1] هل تأثُرُ عنه من ذلك شيئا ؟ قال : نعم قوله يا أمير المؤمنين[2] :

يا ناظراً فى الأمر[3] ما الأَمْرُ لا قَدَرٌ صَحَّ ولا جَبْرُ
ما صَحَّ عندى من جَمِيع الذّى يُذْكَر إلَّا الموتُ والقَبْرُ

ثم أنشده قوله أيضا[4] :

باحَ لِسانِى بِمُضْمَرِ السِّرّ وذاكَ أَنِّى أقولُ بالدَّهْرِ
وليس بعد المَماتِ مُرتَجَعٌ وإنَّما المَوْتُ بيضَةُ العُقْرِ

فاستشاط الرشيد غضبا وطار شِقَقاً[5] ، وقال : علىّ بابن الفاعلة ! يافضلُ لا يفوتَنَّك الزنديق . ونُمِىَ إلى أبى نواس الخبرُ فساح فى الأرض فلم يَقْدِر عليه أحد .

فقال رجل من جلساء الرشيد: إن أذن أمير المؤمنين أنشدتُه من قول هذا الفاسق ما هو أشنع مما سمع . قال : هات !! قال: قوله فى غلام نصرانى :

تَمُرُّ فأستحييك أنْ أتكلَّمَا ويَثْنِيك زهوُ الحسن عن أن تُسَلِّما
ويهتزُّ فى ثوبَيْك كلَّ عشيةٍ قضيبٌ من الرَّيْحان شَبَّ منعَّما
بحَسْبِك أنَّ الجسمَ قد شفَّه الضَّنا وأنّ جفونِى فيك قد ذَرَفت دَمَا
أليس عظيما عند كلِّ مُوَحِّدٍ غزالٌ مسيحىٌّ يعذِّبُ مُسْلِماً ؟!
فلولا دُخولُ النار بعد بَصِيرَةٍ عبدتُ مكانَ اللهِ عيسَى بن مَرْيَما

---

(١) ياعم: فى ت : ياأباعمرو .

(٢) الموشح : ٢٧٦ — ديوان المعانى : ٢/٢٥١ بدون عزو .

(٣) فى رواية : الدين .

(٤) الموشح: ٢٧٧ — ديوان المعانى : ٢/٢٥١ معزوا لابنأبىالبغل — وفى الأشربة : ٤٣ نسب إلى روح المعروف بابن همام .

(٥) طار شققا : انفجر غضبه — شققا : فى النسخ : شفقا (بالفاء قبل القاف) والسياق يقتضى ما صوبناه .

فازداد قلق الرشيد عليه فقال : يا أمير المؤمنين وأشنع من ذلك ! قال : هات ؛ فأنشده فى غلام نصرانى[1] :

ومُلِحَّةٍ بالعَذْلِ[2] ذات نَصيحةٍ ترجو إنابة ذى مُجون مارِقِ
بَكَرت تُبَصِّرُنى الرشاد وهِمَّتى[3] غيرُ الرشاد[4] ومَذْهَبِى وخلائقِى
فأجبتُها كُفِّى مَلامَك إنَّنِى مختار دين أَقِسَّةٍ وجَثالِقِ[5]
واللهِ لولا أنَّنِى مُتَخَوِّف أنْ أبتلى . . . .

وقطع الإنشاد . فقال الرشيد : بماذا ويلك ؟ ! فاستعفاه فقال : ويلك بماذا ؟ فقال : بإمام جَوْرٍ فاسقٍ .

قال : فضاق المجلس بأهله وأنكر الرشيد نفسه . ثم قال : امض فيها فقال :

لَتَبِعْتُه فى دينه ودخَلْتُه ببَصِيرَةٍ منّى[6] دخول الوامِق[7]
إنّى لأعلم أنّ ربى لَمْ يكُنْ لِيَخُصَّهم[8] إلّا بدينٍ صادِقِ

فقال الرشيد للفضل : برئت[9] من المنصور إن لم يبت هذا الكلب فى المطبق لتنكره قولا وفعلا . فوجّه الفضل من ساعته فأخذ بأفواه السكك فوجد وأودع المطبق . وأعانه الفضل بن الربيع إلى أن أطلق .

---

(١) الديوان : ٢١٨ .
(٢) بالعذل : فى الديوان : فى العذل .
(٣) همتى : فى الديوان : شيمتى .
(٤) الرشاد : فى الموشح : المعاد .
(٥) جثالق : جمع جاثليق وهو رئيس النصارى .
(٦) منى : فى الديوان : فيه .
(٧) الوامق : فى ت : الوائق .
(٨) ليخصهم : فى الديوان : ليخصه .
(٩) برئت من المنصور : فى ت : يزيد بن المنصور وهو تصحيف وخلط .

فمما قال فى الفضل[١] :

اللهُ فرَّجَ[٢] لى ورأْ ى[٣]الفضْل من حَلَق الـكُبولِ[٤]
وأقالَنى عنت العثـــا ر وقد أيِسْتُ من المَقِيـــل[٥]

وقال أيضا فيه[٦] :

أصبحتُ غيرَ مُدافعٍ نُعماكا[٧] والحظّ لى فى أن أكُون كَذاكا
أصبحتَ ممتَنًّا[٨] على بنعمةٍ ما كان يُنْعِمُها علىَّ سِواكَ

وقال[٩]:

أمُوتُ ولا تَدْرِى وأنتَ قَتَلْتَـنِى ولو كنتَ تدرِى كُنْتَ لاشكَّ تَرْحَمُ[١٠]
أهابُكَ أنْ أشـكو إليك صَبابَتى فلا أنا أُبْدِيها ولا أنت تَعْـلَمُ
لِسانِى وقَلْبِى يكتُمان هَوَاكُمُ ولـكنَّ دَمْعِى بالهوَى يتـكلَّمُ
وإن لم يَبُحْ دمعِى بمَكْنُون حُبّـكم تـكلَّم جسمِى[١١] بالنُّحولِ يُتَرْجِمُ

(١) الديوان : ٤٦٠ من قصيدة أولها :

يا ربة الوجـه الجميـل والخـال فى الخـد الأسيل

(٢) فرج لى : فى الديوان : خلصنى .

(٣) فى ت : برأى .

(٤) الـكبول : القيود .

(٥) الرواية فى الديوان :

وأقـال من عنت الزمـا ن وقد يئست من المقيل

(٦) الديوان : ٤٦٠ .

(٧) نعماكا : فى الديوان : مولاكا .

(٨) ممتنا : فى الديوان : معتدا .

(٩) الديوان : ٣٨١ .

(١٠) الرواية فى الديوان :

أموت ولا تدرى وأنت قتلتنى فلا أنا أبديها ولا أنت تعلم

(١١) جسمى : فى الديوان: جسم .

ومن طريف(١) أخبار أبي نواس أن أبان بن عبد الحميد اللاحقي، وكان شاعرا كاتبا متصرّفا مدح بعض البرامكة فأمر له بمالٍ ففرّقه في الشعراء . فبعث إلى أبي نواس بدرهمٍ ناقص وقال : قد أعطيتُ كلّ شاعرٍ على مقدار شعره فكان هذا نصيبك . ثم قال أبان بعد ذلك يعرض نفسه على خدمة البرامكة ، فكتب إلى بعضهم :

أنا من حاجةِ الأمير وكَنْزٌ   من كنوز الأميرِ ذُو أرْبَاحِ
كاتِبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديبٌ   ناصحٌ راجحٌ على النُّصَّاحِ
شاعِرٌ مفلِقٌ أخفُّ من الرِّيـ   ـشة ممَّا يكونُ تحت الجَناحِ
لو رآني الأميرُ عايَنَ مِنِّي   شمَّرِيًّا(٢) كالجُلجُل(٣) الصَّيَّاحِ
لحْيَةٌ سَبْطَةٌ وأنفٌ طويل   واتِّقادٌ كشُعْلة المِصْباحِ
لستُ بالفَدْم(٤) ياأميري ولا بالمُسـ   ـتَكين المجحدر(٥) الدَّحْدَاحِ
أيْمَنُ النَّاس طائراً يوم صَيْدٍ   لِغُدُوٍّ دُعيتُ أو لرَوَاحِ
أبصرُ النَّاسِ بالجوارِح واللَّهْـ   ـوِ وبالخُرَّدِ الصِّباح المِلاحِ

فبلغ هذا الشعر أبا نواس فقال(٦) :

إنَّ أوْلَى بقِلَّةِ(٧) الحظِّ مِنِّي   لَلْمسمى بالجُلْجُلِ(٨) الصَّيَّاحِ
قد رَأَوْا منه حينَ غَنَّى(٩) لديهم   أخرَسَ الصَّوْت غير ذِي إفصاحِ

---

(١) الخبر في الطبقات لابن المعتز : ٢٠٢–٢٠٤ – ديوان أبي نواس (آصاف) (الباب الأول ١٧) وانظر أيضا في الأبيات : الأوراق : أخبار الشعراء للصولي (ترجمة أبان اللاحقي) .

(٢) الشمري : المجرب الماضي في الأمور .

(٣) الجلجل : في رواية : البلبل .

(٤) الفدم : العيي الأحمق .

(٥) المجحدر : القصير كالدحداح .

(٦) الديوان (آصاف) : ١٧ (الباب الأول) .

(٧) بقلة : في الطبقات : بخسة .

(٨) بالجلجل : في الأوراق : بالبلبل .

(٩) غنى : في النسخ : غب ، والتصويب من الطبقات.

ثمَّ بالريش يَنسُب النَّفْسَ فى الخِفَّـ ـةِ ممَّا يكونُ تحْتَ الجَناحِ
فإذا الشُمُّ من شماريخ رَضْوَى عنـــده خفة لدى المِسْماحِ[١]
لم يكن فيك غير شيئين ممـا قلت فى نعت خَلْقك الدَّحْدَاحِ
لحيـــة سبطة وأَنْفٌ طويل وهَوَى[٢] ما سواها فى الرِّياحِ
فيك ما يَحْمِل الملوكَ على الُخرْ قِ ويَهفُو بالسيِّد الجَحْجاحِ
فالذى قلتُ فيك باقٍ صحيحٌ والذى قلتَ ذاهبٌ فى الرِّياحِ
فيك تِيهٌ وفيك عُجْب شديدٌ وطِماح[٣] يفوق كُلَّ طِماحِ
بارِد الظَّرْف مظلم الكِذْب تيَّـ ـاه مُعِيدُ[٤] الحديث سَمْج المِزاحِ

فبعث إليه أبان ألا تذيعها وخذ منّى ألفَ درهم . فبعث إليه : لو أعطيتنى مائة ألف درهم لم يكن من إذاعتها بدّ . فيقال إن البرمكى لمّا سمع شعر أبى نواس قال : لا حاجة لنا فى أبان ، فقد رمى بخمس[٥] فى بيت لا يقبله على واحدة منها إلا جاهل . فقيل له : كذب عليه . قال : قد قِيل ذلك ! ثم أقصاه عنه .

أنشد رجل يوما أبا العباس المبرد لأبى نواس يهجو الرقاشى[٦] :

قِدْرُ الرَّقاشِيِّ مضروبٌ بهـا المَثَلُ لكلِّ[٧] شىءٍ سوى[٨] النيرانِ تبْتَذَلُ
تَشْكو إلى قِدْرِ جاراتِى إذا الْتقَيا اليوم لى سـنة ما مَسَّنِى بَلَلُ

(١) فى الطبقات وآصاف : عنده خفة نوى المسباح .
(٢) وهوى : فى الطبقات : وهبا .
(٣) الطماح : الجماح والنشوز .
(٤) معيد الحديث : فى الطبقات : غث الحديث ــ الظرف : فى الديوان (آصاف) الطرف بالطاء المهملة ويريد العين وهو بعيد عن المراد فهو يريد أن يجعل تظرفه باردا سمجا ويقوى هذا مقارنته بمظلم الكذب .
(٥) بخمس : يريد بخمس خلال .
(٦) الديوان : ٥٢٨ .
(٧) لكل : فى الديوان : فى كل .
(٨) سوى : فى الديوان : خلا .

فأنشده أبو العباس لغيره[١] :

أقول مَتَى باللَّحْمِ عَهْدُ قُدُورِكم ؟ فقالت : إذا ما كُنَّ يوماً عوارِيَا
من أُضْحَى إلى أَضْحَى وإلّا فإنّها تكون بنَسْجِ العنكبوتِ كما هِيَا

عبث[٢] قوم من إخوان أبى نواس به فأشاعوا عنه أنه قد تاب ونزع عما كان عليه من الفسوق والخمر فأقبل الناس يهنئونه، فجعل يكذّب ذلك ويقول : أنا والله شرٌّ مما كنت . فلمّا كثر ذلك عليه دعا بخمّارٍ يهودى غلام وأجلسه إلى جانبه ومعه خمر فكلّما جاء من يهنّئه قال لليهودى قبل أن يتكلّم : صبّ لى من خمرك فيشرب قدحا ثم يقبّل اليهودى ويقول للذى جاء يهنّئه، قد رأيت صحة التوبة ! ثم قال فى ذلك[٣] :

قالوا : نَزَعْتَ ولمّا يعلموا وَطَرِى فى كل أَغْيَدَ ساجِى الطَّرْفِ مَيَّاسِ[٤]
كيف النُّزوع وقلبى قد تَقَسَّمَه لحظُ العيُون ولَوْنُ الرَّاحِ فى الكاسِ
إذا عزمتُ[٥] على رُشْدٍ تكَنَّفَنِى رَأْيانِ قد شَغَلا يُسْرِى وإفلاسِى
فاليُسر فى القَصْف واللَّذّات[٦] أَخْلَسُها والعُسْر فى وَصْلِ من أهوَى من الناسِ
لا خير فى العيْش إلّا فى المُجون[٧] معالـ أكفاءِ والُحورِ والنَّسْرِينِ[٨] والآسِ
ومُسْمِعٍ يتغَنَّى والكئوس لها حَثٌّ علينا بأخماسٍ وأسداسِ
يا مُورِىَ الزّند قد أَعْيَتْ قوادِحُه أَقْبِسْ إذا شئتَ من قَلْبى بمِقْباسِ

---

(١) لغيره : هو محمد بن يسير كما فى عيون الأخبار : ٣/٢٢٧ .

(٢) الخبر فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١١٦ – ١١٧ – نهاية الأرب : ٤/١٢٠ .

(٣) الديوان : ١٤٠ .

(٤) نزعت : انتهيت عما كنت تهواه – ساجى الطرف : ساكنه – مياس : متبختر مختار

(٥) عزمت على : فى الديوان : نزعت إلى .

(٦) واللذات أخلسها : فى الديوان : الأيام مبتذل .

(٧) فى المجون : فى الديوان : بالمدام .

(٨) الحور والنسرين : فى الديوان : فى الورد والخيرى .

قال أبو نواس : كنت وأنا حَدَثٌ أحبّ غلاما بالبصرة وأتمنّاه، وأَدَرْتُه سنين فلم يطاوعْني . قال : فلقيته يوماً بالمِرْبد فسألتُه أن يجيئني . فقال : إن كنت تحبّ حضوري فانظرلى مغنيّة متظرّفة تعدّها لى، ومرت بى امرأة فى مثل الهيئة التىاقترحها. فـكلّمتها وأنا أظنها من البابة[1] ، فصاحت واستغاثت ووافتنى الأيدى ، وأقبلت الصوفية إلىّ بالنعال ، وتنحّى الغلام يضحك ويقول : هذا جزاء اللُّوطىّ والزّانِى . واحتلت حتى تخلّصت منهم ، وقلت[2] :

وشادن بالمجـون دلّانى ... أنسبَ ما كنتُ فيه خَلّانى[3]
قلت لهُ والأكُفُّ تأخُذُنِى ... بأىِّ وجْهٍ تُراكَ تَلْقانِى
وأنتَ أوقَعْتَنِى مخـادعةً ... فى عملٍ لا أراهُ من شانِى
فقال لى ضاحِكاً يمازِحُنِى : ... هذا جَزاءُ اللُّوطِىّ والزّانى

قال دُحَيْم[4] : كان أبو نواس مع شَرْب يشربون نبيذا ، وهو يشربُ خمراً ، فدعوه إلى ما يشربون وخوّفوه الله عز وجل فقال[5] :

رُدَّا علىَّ الـكَأْسَ إنـكُما ... لا تَدْرِيان الـكَأْسَ ما تُجْدِى
لو ذُقْتُما ماذقتُ[6] ماامتزَجَتْ ... إلا بدَمْعِكما من الوَجْـدِ
خَوَّفتُمانى اللهَ جهدَكُما ... وكخِيفَتِيه رَجاؤُه عِنْدِى[7]
إن كنتُما لا تشربان مَعِى ... خَوْفَ العِقابِ شربْتُها وَحْدِى

(١) البابة : فى ت: القيان. والمراد بالبابة أنها من طائفةالقيان، يقال: هذا من بابة كذا: من وجهه وشـكله .

(٢) الديوان : ٧٢٤ .

(٣) أنسب : فى الديوان : أنسك ما كنت بين خلانى .

(٤) دحيم : غلام أبى نواس ، وفىالنسخ: دهيم والتصويب من الطبرى ٣/٩٦٢ .

(٥) الديوان : ١٨٢ .

(٦) ذقتما ما ذقت : فى الديوان : نلتما ما نلت .

(٧) مقدم فى الديوان — .

قيل لأبي تمّام: أيّما أشعر: أنت أم أبو نواس؟ فقال: سبحان الله إني لأستحي من ذكر هذا؛ أليس هو الذي يقول[1]:

ولقد نَهَزْتُ مع الغُواة بدَلْوِهم ... وأَسَمْتُ سَرحَ اللَّهوِ حيثُ أساموا

وهو القائل:

* يا تارِكي نِضْوًا بغير فؤادِ[2] *

قال ابن عائشة: لَيُعَذِّبَنَّ اللهُ عز وجل أبا نواس على إساءته في تحسين شُرْبِ الخمْرِ للناس، وإن كان قد أحسن الوصف وأبدع!! أليس هو القائل[3]:

مَضَى أَيْلُول[4] وارتفع الحَرُور ... وأَخْبَتْ[5] نارَها الشِّعرَى العَبُورُ

فقوما فالقَحَا[6] خَمْرًا بماءٍ ... فإنّ نِتاج بينهما السُّرورُ

نتاجٌ لا تدرّ عليه أمٌّ ... وحَمْلٌ لا تُعَدُّ له الشُّهورُ

إذا الطاساتُ كرّتها علينا ... تكوّن بيننا فَلَكٌ يَدُورُ

تسير نُجومُه عَجِلًا ورَيْثًا ... مشرِّقةً وتاراتٍ تَغُورُ

إذا لم يُجْرِهِنّ القُطْبُ[7] مِتْنا ... وفي دَوَرانِهِنَّ لنا نُشورُ

رأيتُ الفضلَ بان[8] بكلّ فضلٍ ... فقَلَّ له المُشاكِلُ والنَّظِيرُ

---

(١) الديوان: ٤٠٧ من قصيدة أولها:

يا دار ما فعلت بك الأيام ... ضامتك والأيام ليس تضام

(٢) تمامه: أسرفت في هجري وفي إبعادي.

(٣) الديوان: ٤٥٥.

(٤) أيلول: من شهور السنة الرومية وهو الثاني عشر منها.

(٥) أخبت: أطفأت.

(٦) القحا: امزجا.

(٧) القطب: مدار الشيء وقوامه، وهو هنا يريد به الذي يتولى السقي.

(٨) بان بكل: في الديوان: يأتي كل.

وما استغلَى أبو العباس حَمْداً[١] ولم يَكْثُر عليه له كثيرُ
ولم تكُ نفسُه نفسَيْن فيه ليَفْصِلَ بين رأيَيْه مُشيرُ
تَقَبَّلتَ الربيعَ نَدًى وبأساً وحَزْماً حين تَحْزُبُ بك الأُمُور[٢]

وله من أبيات يمدح بها الحسين الخادم[٣] :

تَتجافَى حوادِثُ الدهرِ عَمَّنْ كان فى ذِمَّة الُحسَيْن مُقيماَ
قال لى الناسِ إذ هَزَزْتُك للحا جَةِ أَبْشِرْ فقد هَزَزْتَ كَرِيماَ
فاسْأَلنه إذا سألتَ عظِيماً إنّما يحمل[٤] العظيم العَظِيماَ

وله يمدح الرشيد[٥] :

بعَفْوكَ بل بجُودِكَ عذْتُ لا بلْ بفضلك يا أميرَ المُؤْمِنيناَ[٦]
فلا يتَعَذَّرنّ علىَّ عَفْوٌ وَسِعْتَ به جَمِيع العاَلَمِينا
فإنى لم أَخُنْك بظَهْرِ غَيْبٍ ولا حدَّثْتُ نفسىَ أَنْ أَخُوناَ
بَرَاكَ اللهُ للإسلام عِزًّا وحِصْناً دُون بَيْضَتِه حَصِيناَ
فقد أرهبت أهل الشِّرك حَتّى تَركتَهُم وما يتَهَرَّبونا[٧]
تَزُورُهمُ بنفْسِك كلَّ عامٍ زيارَةَ واصِلِين لقاطِعِيناَ[٨]
ولو شئتَ التفتَّ إلى نَعِيمٍ وقاسَى الأَمْرَ دونك آخَرُونا
فشَفِّعْ حُسْنَ وَجْهِك فى أسيرٍ يَدِين بحُبِّك الرحمن دِينا

---

(١) فى الديوان : مدحا .
(٢) تحزبك : فى الديوان : تحزبنى؛ حزبه أمر : نابه واشتد عليه.
(٣) الديوان : ٥٠٣ .
(٤) يحمل : فى الديوان : يسأل .
(٥) الديوان : ٤٠٣ .
(٦) فى رواية يا إله العالمينا .
(٧) فى الديوان : يتذمرونا .
(٨) فى الديوان : واصل للقاطعينا .

إذا ما الهُون حَلَّ بمستَجير[1] فلَيْسَ لجارِ وَجْهِك أن يَهُونا

قال قدامة بن جعفر من قول أبى نواس المتضاد فى صفة الخمر :

كأنّ بقايَا ما عَفا من حَبابِها تفاريقُ شَيْبٍ فى سَوَادِ عِذارِ

فشبّه حَباب الكأس بالشَّيب وذلك قول جائز ، لأن الحباب يُشْبه الشيبَ فى البياض وحده لا فى شىء آخر . ثم إنه قال :

تَرَدَّت به ثم انفرَى عن أدِيمها تَفَرِّىَ ليلٍ عن بَياضِ نَهارِ

فالحباب الذى جعله فى البيت الثانى كالّليل ، هو الذى جعله فى الأول أبيضَ كالشيب ، والخمر التى كانت فى البيت الأول كسواد العِذار هى التى صارت فى البيت الثانى كبياض النَّهار . وليس فى هذا التناقض متصرَّف من جهة من جهات العُذر لأن الأبيض والأسود طرفان متضادّان .

ومن قول أبى نواس فى التناقض على طريق السلب والإيجاب[2] :

أَلا ترىَ ما أُعْطِىَ الأمينُ أُعْطِىَ مالم تَرَه العيُون[3]

ولم تَكُن تبلغه الظُنونُ النَّسر والعُقاب والدُّلفين[4]

ولىّ عهدٍ ما له قَرِينُ ولا لَهُ شِبْهٌ ولا خَدِينُ

استغفرُ اللهَ! بلىَ هارُون يا خَيْرَ من كانَ ومَنْ يَكُونُ

إلّا النبىُّ[5] الطاهرُ الميمونُ دَانَتْ لك[6] الدُّنْيا وعَزّ الدين

(١) مستجير : فى الديوان : بدار قوم .

(٢) بناء الكلام على نفى الشىء من جهة وإثباته من جهة أخرى .

(٣) الديوان : ٤١٣ .

(٤) النسر فى الديوان : الليث . والنسر والعقاب والدلفين : سفن نهرية على صورة هذه الحيوانات والطيور — الدلفين : دابة بحرية تنقذ الغريق .

(٥) لحن المبرد أبانواس فى رفعه المستثنى بعد إلا وهو موجب . وخرج على أن المرفوع هو وصف المستثنى لا المستثنى ، وهو مرفوع على القطع .

(٦) لك — فى الديوان وك : بك .

فصيّر هارون شبيهاً بولىّ العهد، ثم قال إنه خير الناس ولم يستثن هارون، فكأنه إمّا خير منه وليس خيرا منه لأنه شبيهه، أو يشبهه لأنه خير منه وهذا جمع بين النفى والإثبات .

لما هجا أبو نواس تميماً وأسداً بلغ خزيمة أن أبا نواس قال أبياته[1] :

إذا ما تَميمىٌّ أتاك مُفاخِراً فقل عَدِّ عن ذَا يا ابنَ آكِلَةِ الضَّبِّ

فوجَّه فأحضره فقال : أصلح الله الأمير لم أقل هكذا ولكنى أقول :

خُزَيْمَةُ خَيْر بنى خَازِم وخَازِمُ خير بَنِى دَارِمِ[2]
ودَارِمُ خَيْرُ تميمٍ ومَا مِثالُ تميمٍ بَنو آدَمِ

فأمر له بثلاثة آلاف درهم وقال : لا تَعُد لذكرهم .

قال الجمّاز : كنت يوماً على باب عدىّ بن وجر الدارع فمرّ بى أبو نواس شبيها بالمجنون ، وإذا خلفه غلام كأنه مُهْرٌ عربىّ، فقلت له : مالك ، فقال :

إن الرزيَّة لا رزيَّة مثلها عَوْزُ المكانِ وقد تهيَّا المضْرَبُ

فقلتُ : منزلى والحَذَرُ علىّ . فقال : لا أجمعهما عليك وحسبى المنزل ! فعدلت به وبالغلام فأقاما عندى سائر يومهما . فلما أراد الانصراف قال لى : جعل الله لك هذا اليوم سترا من النار .

قال الجمّاز[3] : كنت وأبو نواس ــ ونحن حَدَثان ــ قاعدين بباب عثمان ، إذ مرّ بنا

---

(١) الديوان : ٥١٠ من قصيدة أولها :

ألاحىِّ أطلالا بسيحان فالعذب إلى برع فالبئر بئر أبى زغب

(٢) الأبيات منسوبة فى الورقة : ٣ وسمط اللآلئ : ٦٩٦ إلى ورد بن سعد العمى المعروف بابن العذافر، ووردت فى ديوان أبى نواس (طبع آصاف) وليست فى ديوانه تحقيق الغزالى .

(٣) الخبر والأبيات فى بدائع البدائه : ١٨٣/١ .

أحمد بن عبد الوهاب الثقفي وهو غلام حسن الوجه ، فقال له أبو نواس : قبّلني قبلة . فقال له أحمد : امدحني ببيت حتى أفعل ، فقال :

حُبُّكَ يا أحمـــدُ أَضْنَانِي يا قَمَرًا في شخص[1] إنسانِ

فقبّله . فقلت : ما شأني أنا ؟ فقال : امدحني أنت أيضاً ، فقلت :

بَذَلْتَ للأوّل ما يَشْتَهِي فابْذُل[2] أبا العبَّاسِ للثَّاني

فقبّلني . فقال له أبو نواس : وهذا البيت يكون عليك دَيْنا :

يا وَرْدَةً أَعجلَها قاطِفٌ مَرَّت بنا في بابِ عُثْمان

لقي أبو نواس امرأةً مليحة في طريق ، فقال : ما تصنع الُحور بين الدّور ؟ فقالت : ما يصنع الشيطان بين الِحيطان ؟ فأفحَمَتْه .

دخل[3] أبو تمام على ابن أبي دُواد فقال له : أحسبك عاتبا يا أبا تمام ، قال : إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا ، فكيف يعتب عليك ؟ قال: من أين لك هذه يا أبا تمام ؟ قال : من قول الحاذق للفضل بن الربيع :

وليسَ لِلّه بمستَنْكَرٍ أن يَجمع العالَم في واحدِ

وهذه الأبيات يقولها أبو نواس يمدح بها الفضل بن الربيع[4] :

قُولا لهارون إمامِ الهُدَى عنداحتفالالمجْلِس الحاشِدِ

نصيحةُ الفضلِ وإشفاقُهُ أخلَى له وجهَك من حاسِدِ

بصادق الطاعــةِ دَيّانهـا وواحدِ الغائبِ والشاهدِ

أنت على مابك من قوّةٍ[5] فلستَ مثلَ الفضْلِ بالواجِدِ

---

(١) في البدائع : زيّ .

(٢) في البدائع : فجد .

(٣) أخبار أبي تمام : ١٤٦ .

(٤) الديوان : ٤٥٤ .

(٥) في الديوان : قدرة .

أوْحَدَه اللهُ فما مثـله　　لطالبٍ ذاكَ ولا رائـدِ[١]
وليس لِلّه بمستَنْكرٍ　　أن يجمع[٢] العالَمَ فى واحِدِ

ومن شعر أبى نواس[٣] :

الحمـدُ لله ليس لى نَشَبُ[٤]　　قد خَفَّ ظَهْرى وقَلَّ أوْزَارِى
وأحسنت نفسى التَّعَزِّىَ عـن　　شىء سِواها ومُتْنَ أوْطـارِى
فلستُ أخشى نفسِى على طمع　　أخافُ فيه دَرِيـكَةَ[٥] العارِ
من نظرت عينُه إلىَّ فقـد　　أحاط عِلْماً بمـا حَوَت دارِى
خبرى فى البيت كامن وعـلى　　مَدْرَجة السائِلِين[٦] أسْرَارِى
إنِّى قَصَدْتُ العبَّاس منتَجِماً　　وبنَفسِى جُودُه وأشعـارى[٧]
إنِّى حـرىّ بأن يبـدِّلَنى　　جُودُ يدَيْه يُسْرَى بأقتارِ[٨]
عن خِـبْرَةٍ جئتُ لا مُخاطَرَةً　　وبالدَّلالات يهتَدِى السَّارِى

ولد لأبى العباس الفضل بن أبى سهل بنتان فى بطن ، فبلغ أبا نواس الخبر فقال[٩] :

---

(١) أوحده : فى الديوان أوجده (بالجيم) وبالمهملة أبلغ وأليق ويؤيدها البيت بعده — رائد : فى الديوان : ناشد .
(٢) فى أخبار أبى تمام : جمع .
(٣) الديوان : ٤٣٧ .
(٤) النشب : المال الأصيل .
(٥) دريكة العار : مطاردته لى وإدراكه إياى .
(٦) السائلين : فى الديوان : الشانئين — المدرجة : الطريق .
(٧) الرواية فى الديوان :

إنى انتجعت العبـاس ممتدحا　　وسيلتى جـوده وأشعارى

(٨) فى الديوان : بإعسار .
(٩) الفـكاهة : ١٩ .

نَاكَ أبو العباس نيكَ القَتِّ[١] ناكَ على السَّمْتِ[٢] وغيرِ السَّمْتِ
ولم يَزَل جَلْدًا شديدَ النَّحتِ يَنيكُها بحتًّا[٣] وغير بَحْتِ
وهَزِّها للفوق أو للتَّحْتِ لو لم يقصّر وضعـــتْ لستِّ
وهـكذا نَيْك بَـنِى نُوبَخْتِ لهم[٤] أيورٌ كالجماب[٥] الـكُمْتِ
* لها فياشٍ كرءوس البُخْتِ[٦] *

قال سليمان بن أبي سهل لأبي نواس أحب أن تمدحني وأخي عليًّا، فقال: إنّ عليًّا يَبَرُّنى ويحسن إليّ وأنت تعقّني، فـكيف أجمعكما؟ فلم يزل به حتى قال فيهما فى وقته:

قال لى يوماً سليما ن وبعض القول أَشْنَعْ
صف عليًّا ثم صفنى أينـــا أتـقَى وأرْوَعْ
قلت: إنّى إنْ أقل بينـكما بالحقّ تَجْزَعْ
قال: كَلَّا! قلت: مهـــلًا قال: فافعل. قلت: فاسمَـعْ
قال: صفه. قلت: يُعْطِى قال: صِفـنِى. قلتُ: تَمْنَـعْ

فقال قَبَّحك الله ما كان أغنانا عن هذا.

ومن شعر أبي نواس قوله[٧]:

ألم تَـرَنِى أبحتُ اللَّهوَ عِرْضِى ودِيـنِى واعْتَـكَفْتُ على المَعاصِى
كأنِّى لا أعـودُ إلى مَعـادٍ ولا أخْشَى هناكَ من القِصاصِ[٨]

---

(١) الاستقصاء.
(٢) الطريق المعروف.
(٣) خالصا.
(٤) لهم: فى الفـكاهة: لها.
(٥) كالجعاب: فى الفـكاهة: كالجياد. والجعاب: جمع جعبة: كنانة النشاب.
(٦) البخت: جمال طوال الأعناق.
(٧) الديوان: ٦٢٢.
(٨) فى الديوان: هنالك من قصاص.

خرج[1] أبو نواس يوما وهو مخمور يتنسَّم النسيم وذلك فى أيام الأضحى نحو الكُناسة[2]، فاستقبل أعرابيًّا ومعه غنم له، فأنشأ يقول :

أيا صاحِبَ الذَّوْدِ[3] اللواتِي يَسُوقُها ... بِكَمْ ذلك الكَبْش الذى قد تَقَدَّمَا

فأجابه بسرعة:

أَبِيعُكَه إنْ كنت تبْغِي شِراءَه ... ولم تَكُ مَزَّاحاً بعشرِين دِرْهَمَا

فقال أبو نواس :

أَجَدْتَ هَداكَ اللهُ رَجْعَ جوابِنا ... فأَحْسِنْ إلينا إنْ أردتَ تَكَرُّمَا

فقال الأعرابى :

أَحُطُّ[4] من العشْرِين خَمْساً لأنَّنِي ... أراكَ ظَرِيفاً فأَخْرِجَنْها[5] مُسَلَّمَا

ثم جاز. فقيل له : أتدرى مَنْ كان يكلّمك ؟ ذاكَ أبو نواس. فرجع فحلف عليه بصدقة غنمه إن لم يقبله. وسأل عنه أبو نواس فإذا هو من باهلة[6] فمدحه ببيتين، فقال :

وباهليٍّ من الأَعْراب منتَخَبٍ ... جادت يداه بوافِي القرْنِ والذَّنَبِ

فإنْ يكن باهِلِيًّا عند نِسْبَتِه ... ففِعْلُه قُرَشِيٌّ كامِلُ الحسبِ

شرِب[7] أخ لأبى نواس دواء فأهدَى له أصحابُه هدايا. فمضى أبو نواس إلى باب الكرخ وطلب شيئا يهديه له، فنظر إلى غلام جميل حسن المنظر بديع الجمال فراوده

---

(١) الخبر بتمامه فى أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١١١ — بدائع البدائه : ١/٣٩ .

(٢) الكناسة : محلة بالكوفة (ياقوت) .

(٣) فى أبى هفان : الضأن .

(٤) أحط : فى أبى هفان : أحد .

(٥) فى أبى هفان : فانقدنها .

(٦) باهلة : من القبائل التى يتحرج العربى من الانتساب إليها .

(٧) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٦٩ .

فأجابه ، فأراد أن يصيِّره هديَّـة لصديقه . فلما دنا من بابه رأى الغلامُ جماعة في الباب يعرفونه فجذب يدَه من يد أبي نواس وولَّى هاربا .

فـكتب أبو نواس إلى صديقه[1] :

يا واحدَ المَـكْرُمات والمِنَنِ — أعقبَـك اللهُ صحَّة البَـدنِ
خرجتُ أبتـاعُ طُرْفةً لك لا — أنظر في رخصها ولا الثَّمنِ[2]
من بين وَرْدٍ وبين سَوْسَنَةٍ — وبين رَيْحانةٍ على فَنَنِ
فقلت ظَبْيٌ منعَّمٌ غَنِـجٌ — أحسنُ من كُلِّ منظرٍ حَسَنِ
أحلَى وأشهى إلى القلوب[3] وإنْ — أَغْرَم خِلِّيَ مـالًا وأغْرَمني
فجئتُ أقتـادُه بمِقْوَدِه — آخذٌ منه مجامعَ الرُّدنِ[4]
حتّى إذا صِرْتُ عند بابِـكُمُ — حلَّ[5] شِباكَ الهوَى وأفلَتَني
فلا تلُمْني ولُمْ كَشاخِنَةً[6] — قد لزِمُوا البابَ يا فتَى اليَمَنِ

وله[7] :

أَظْهرَ بعد الهَجْرِ[8] عِصْيانًا[9] — وصيَّر العاذلات أعوانَا
يَعُدُّ إحساني ذُنوبا كمَا — أَعُدُّ منه الذنبَ غُفرانا
يا مُظْهِراً في النوم هِجْرانا — حسبُك ما تفعلُ يَقْظانا
لو كنتَ في حُبِّك لي مُنْصِفاً — جازَيْتَ بالإحسان إحسانَا

---

(١) الأبيات في المصدر السابق .
(٢) ولا الثمن : في أبي هفان : وفي الثمن .
(٣) القلوب : في أبي هفان : الفؤاد .
(٤) أصل الكم .
(٥) حل : في أبي هفان : شق .
(٦) كشاخنة : في أبي هفان : قلاطبة (وهما بمعنى) .
(٧) الديوان : ٣٤٥ .
(٨) في الديوان: الوصل .
(٩) في الديوان : هجرانا .

ومن شعره(١) :

أيا من سَارَ مُنْطَلِقاَ ... وزَوّدَ مُقْلَتِى الأَرَقاَ
سَقاكَ اللهُ والأفق الّـ ... ـذى يَمَّمتــــه أفقا(٢)
لئن أشعرْتنى حُبّــا ... لقـــد أَسْعرْتَنى فرَقاَ
كأنك خــير مشغوف ... يَرانى شرَّ مَنْ عَشقا
سَلبْتَ الظبىَ مُقْلتَه ... ولم تترك له العُنقاَ
وبِنْتَ فطار قَلْبى فى ... مقــادِيرِ الهوَى شِقَقاَ
وطارَتْ شِقَّةٌ قلقاً ... وطارت شِقَّةٌ حُرَقاَ
وقامَ الُحبُّ بينهمــا ... يصـــدّهما إذا اتَّفقا
فــكيف يكون حُبّى بعـ ... ـد هذا الشان مُختَلقا
وقالُوا مَنْ عَشِقْتَ فقُلْـ ... ـت خَيْرُ وشَرُّ من عُشقاَ
فخــيرُهم معاً حُسْناً ... وشرُّهم معاً خُلُقاَ

ومن مليح ما قيل للتحرك للغناء والسكون للاستماع ما أنشد أبو هفان لأبى نواس:

وأهْيَف مثـــل طاقَةِ ياسمينِ ... له حَظَّان من دُنْياَ ودِينِ
يحرِّكُ حين يَشْدُو ساكنات ... وتَنْبَعِثُ الطبـائع للسكونِ

ومن شعر أبى نواس قوله(٣) :

القَطْب والعبْسُ بشاشاتُه ... والسَبُّ والشَّتْمُ تحيَّاتُهُ(٤)
والصَدُّ والتأنيبُ ألطافُهُ ... وشِـدَّة المنع مُواتاتُهُ(٥)

(١) الديوان : ٢٧٨ .

(٢) الأفق : الناحية والمكان ـ أفقا : يريد مطرا غزيرا.

(٣) الديوان : ٣٩٥ .

(٤) القطب : التعبيس ـ بشاشاته : أفراحه .

(٥) ألطافه : تلطفه وظرفه ـ مواتاته : إقباله .

والموتُ إن لم ألقَهُ ساعةً　　وسَكْرَةُ الموتِ مُلاقاتُهُ
أنبأتُه أنّي مُحِبٌّ له　　فكان هِجْرَانى مُجازاتُهُ
حَسِيبُه اللهُ الّذى فوقَه　　لن تُعْجِز اللهَ مكافاتُهُ

قال أبو عليّ قطرب : أجود شعر أبى نواس قصيدتُه يمدح الفضل بن يحيي بن خالد :

أَرَبْعَ البِلَى إنّ الخشوع لبادِى　　عليكَ وإنّى لم أَخُنْكَ وِدادى[1]

وأظنه إنما بالغ فى ذكر هذه القصيدة والثناء عليها لأن أبانواس ذكره فيها فقال :

خَليلية فى وَزْنِها قُطْرُبيّة　　نَظائِرها عند المُلوك عَتادِى

ولم يذكر قطربا فيها إلا لأنه كان يرى رأيه ، وكان رأيهما الاعتزالِ وهو رأى النظام ، وعنه أخذ أبو نواس ، وأراد أن يغيظ الأصمعى بذكره لأنهما جميعا غلاما خلف الأحمر .

وكان الأصمعى يعادى قُطْرُبا لأشياء يخالفه فيها فى الأبيات . ولذلك قال أبو نواس يهجو الأصمعى :

رأيتُ دَعِيَّ بنى أَصْمَعٍ　　من اللُّؤْم أَزْهَى من الأَعْرَجِ

يعنى الأعرج الغسانى الملك .

فقيل له : لِمَ هجوته ببيت واحد؟ فقال: أوليس بيت واحد لباهليّ كثيرا! ثم قال:

وبَيْتٍ هجونا به الأصمعى　　ولابدّ للبيت من مَخْرَجِ

لفظة حملها الناس عنه يعنى للرواية .

وقصيدته فى البرامكة التى هى :

* أَرَبْعَ البِلَى إنّ الخشوعَ لبَادِى *

من خيار شعره ، وأثنى عليها المبرّد ثناء كثيرا . ولكن جماعة طعنوا عليه فيها طعنا متوجها .

---

(١) القصيدة فى الديوان : ٤٧١ .

قال محمد بن طباطبا العلوى: أنكر على أبى نواس افتتاح هذه القصيدة . ولما سمعه الفضل تطير منه تطيرا منكرا فلما انتهى إلى قوله :

سلامٌ علـى الدنيا إذَا ما فُقِدْتُم　　　بَنِي بَرْمَكٍ من رائحين وغَادِي

استحكم تطيّر الفضل وضاق ذرعُه . فيقال : إنه لم يمض إلا أسبوع حتى نزلت بهم النازلة . وهذه القصيدة أول ما أنشده .

وكان الفضل بن الربيع قد استأذن له على الأمين بعد أن ألحّ عليه فى ذلك ، فلما دخل على الأمين دهش وتمعتع وحار ، فلما مثل بين يديه امتنع عليه الشعر وارتج عليه، ورام الإنشاد بكل طريق فلم يقدر على شيء . فوقف مليًّا لا ينطق بشيء وجعل يلحظ الفضل ؛ قال أبو نواس فسمعت الفضل يقول : جلالةُ الخلافة وهيبة الإمامة وعظمة هذا المقام الشريف فيجعل هذا يوم السلام ، وغمزنى الفضل بعينه فخرجت . ورحت إلى الفضل وشكوت إليه ما نالنى . فقال : كذبْ والله ، تفضحنى ! فسألته الاستئذان ففعل بعد مدّة، فلمادخلت غمضت عينى فلم أفتحهما حتى قمت بين يدى محمد على البساط، فقيل لى : تكلّم ، ففتحت عينىّ ونظرت إليه بتبسم فأنشدته :

يا دارُ ما فعلَتْ بـك الأيَّامُ　　　لم يَبْقَ فيكِ بشَاشَةٌ تُستَامُ(١)

فجعل يتهلّل وجهُ الفضل سرورا إلى أن فرغت ، وخرجت مسرورا .

قال محمد بن عمّار : فى هذه القصيدة بيت والناس يصحّفونه يعنى فى القصيدة التى أولها :

* أرَبْع البِلَى إنَّ الُخشوع لبَادِى *

والبيت :

أمامَ خميسٍ أرْجُوانٍ كأنَّـهُ　　　قميصٌ مَحُوكٌ من قَنًا وجِيادِ(٢)

(١) الديوان : ٤٠٧ والرواية فى الديوان للشطر الثانى : ضامتك والأيام ليس تضام ـ طبقات ابن المعتز ٢١١ .

(٢) الديوان : ٤٧٣ ـ الأرجوان : الأحمر .

قال: إنما هو أَدْجوان بالدَّال يصفه بالسواد .

خرج يوما سفيان بن عيينة وهو ضَجِرٌ ، فقال لِمَنْ فى بابه : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضُمْرَة بن سعيد وجالسَ أبا سعيد الُخدْرى ، وجالست عمرو بن دينار وجالس جابرا ، وجالست عبد الله بن دينار وجالسَ ابنَ عمر ، وجالست الزهرِى وجالس أنسا حتى عدّ جماعة ، ثم أنا أجالسكم ! فقال له حَدَثٌ فى المجلس : أتنصف يا أبا محمد ؟ قال إن شاء الله تعالى . قال : والله لشقاء من جالس أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمهم بك أشدّ من شقائك بنا ! فأطرق وتمثل ببيتى أبى نواس :

* خَلِّ جَنْبَيْك لِرامٍ(١) *

وبعده :

* مُتْ بداء الصَّمت *

قال : فتفرق الناس وهم يتحدّثون برجاحة الغلام . وكان يحيى بن أكثم . فقال سفيان : هذا الغلام ممن يصلح لهؤلاء .

أُنْشِد المأمون لأبى نواس(٢) :

كُلُّ مُحِبٍّ سِواى مَسْتُورُ ... والنَّاسُ إلّا عن قِصَّتِى عُورُ

كأنَّ عَيْنِى(٣) عَيْنٌ علَىَّ لَهُمْ ... فكُلّ طَىٍّ لَدَىَّ منشورُ

ما إنْ يغِبُّ الحديثُ(٤) أَفْعَلُهُ ... حتّى تهاداهُ بينها الدُّورُ

يَخْرُج من هذه ويدخل فى ... تلك وعنه القِناع مَحْسُورُ

(١) تمامه : وامض عنه بسلام .

(٢) الديوان ٣٦٤ .

(٣) عينى : فى الديوان : طرف .

(٤) فى الديوان : الفعال .

كأننى عنـــد ستر مأربَتى بكلّ طرف إلىّ منظـــورُ
فما احتيالى وقـد خُلِقتُ فتًى تَجْرِى بمـا ساءنى المَقادِيرُ
لـكنّ وَجْهَ الذى كلفت[1] به محتَمَلٌ ذَا لَـهُ ومغفُـورُ

فقال المأمون : أنا ذلك الرجل ، وهذه قصتى . إنّ الخليفة لا يخفى له حديث ولا يتمتّع بما يريد . وتُروَى هذه الأبيات لعبد العزيز بن جعفر بن سليمان .

ومما اختاره أبو هفان لأبى نواس قوله[2] :

ما زلتُ أقبَضُ[3] روح الدَّنِّ فى لُطُفٍ وأستَقِى دمَه من جوف مَجْرُوحِ
حتى انثنَيْت ولى رُوحانِ فى بَـدَنِى[4] والدَنُّ مُلقًى[5] له جِسْمٌ بلا رُوحِ

كان أبو جعفر محمد بن موسى المنجم يقول : ما أعجب أبا نواس ، إذا قال كأنك أو فـكأنك ، فـكأنك ترى ما يقول . ثم سكت مليًا . وقال : أخزاه الله فقلنا: ماله؟ فقال : حيث يقول :

تَطَلَّعَ فى المِراةِ فقـال إيهاً هى الشَّمْسُ التى لا شَكَّ فيها
أنا والله أصلُح للمعاصِى إذا أهـلُ الذنوب تقارَفُوها

يقال: إن الخصيب كان استزار أبا نواس فشخص إلى مصر إليه . فلما وصل دمشق نزل خانا من خاناتها فصادف فيه قوماً من أهل الأدب لهم شرف وهيئة ، فآنسهم وصاحبهم وأعلمهم أنه أبو نواس وأنه يريد الخصيب ، فأجابوه ومَضَوْا جميعا

---

(١) كلفت به : أغرمت .

(٢) الديوان : ٩٢ وفى طبقات ابن المعتز : ٢٧٢ (ترجمة النظام) : نسب البيتان لإبراهيم النظام وكذلك فى كتاب الأشربة : ٦٧ — والعقد الفريد .

(٣) الديوان : أستل .

(٤) فى الديوان : جسد .

(٥) ملقى له جسم : فى الديوان : منطرح جسما .

حتى دخلوا مصر . فصار أبو نواس إلى الخصيب فسأله عن خبره فى طريقه فأخبره بأمر القوم وأنشده[١] .

يا أيهذا المَلِك المُؤَمَّـــل قد استزرتَ عُصْبةً فأقبلوا
وعُصبةٌ لم تستزِرْهم طَفَّلُوا[٢] رَجَوكَ فى تَطْفِيلهم وأَمَّلُوا
وللرَّجاء حُرْمَــة لا تُجْهَلُ فأَبْلِهم خَيْراً فأنتَ الأَفْضَلُ
* وافعَــلْ كما كنتَ قديماً تفعلُ *

ومن شعر أبى نواس يهجو عمراً الـكاتب :

وإنى حين آكل خبزَ عمرٍو لأَشجع من أبى لَيْثٍ هِزَبْرِ[٣]
أشـــق رغيفه شَقّاً عَنِيفاً وأعمل فى ثرائـــده بأمْرِى
فإنْ يصبر يــذُق حزناً طويلا وإن يَجْزَعْ أَلَذِّعْـــه بشِعْرِى
فـتًى[٤] لرغيفه قُرْط وشنف وواسطتان من دُرٍّ[٥] وشَذْرِ
ودُون رغيفِه ورد المَنايا[٦] وحَرْبٌ مثل وَقْعَةِ يَوْم بَدْرِ
وإنْ فَقَد الرغيف بَـكَى عليه بُكاَ الْخَنساء إذْ فُجِعت بصَخْرِ

قال دعبل بن علىّ : قلت لأبى نواس : ما للـكوفة نظير، وحسبك أنّ النعمان كان يسمّى ظاهرها خدّ العَذراء فإذا مر فرأى أثر حافرٍ ، أو مرٍّ قال : من خدش خد العذراء؟ فقال: أحسن وإنها لـكما وصف! فقلت له: وأنت أيضا تقول هذا مع البصرية

---

(١) الديوان : ٤٣٣ .

(٢) طفلوا : أتوا من غير دعوة كالطفيليين .

(٣) هذا البيت والبيتان بعده ليست فى الديوان .

(٤) هذا البيت والبيتان بعده فى الديوان : ٥٣٢ وفى ديوان المعانى : ١/١٨٥ بدون عزو وفى معجم الأدباء (١١٩/١٠) نسبت إلى الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد المعروف بأبى الزلازل.

(٥) در : فى الديوان: حرز ــ الشذر : قطع من الذهب الخام يفصل بها النظم أو اللؤلو الصغار.

(٦) ورد المنايا : فى الديوان : قلع الثنايا .

فقال يا أبا على : ما أخف ميزانى عندك إذاً إن كنت ممن يستهويه حبّ بلده وإلف وطنه حتى يذهب عليه الأفضل! أو تراك لم تسمع أبياتى التى أقول فيها[1] :

ذهبت بنا كُوفان[2] مَذْهَبَها ... وعَدِمتُ عن طُرُقاتها صَبْرِى

ما ذاك إلّا أنّنى رجُلٌ ... لا أستخِفُّ صداقَةَ البَصْرِى

كان أبو نواس قد أظهر توبة وقال[3] :

نِمْتُ إلى الصبح وإبليس لى ... فى كلّ ما يؤثمُنى[4] خَصْمُ

رأيتُه فى الجــوِّ مستعليــاً ... ثمّ هوَى يتبَعُه نَجْمُ

أرادَ للسَّمْــعِ استراقاً فما ... لَبَّثَ[5] أَنْ أهبَطه الرَّجْمُ

فقال لى : لمَّا هوَى مَرْحَباً ... بتائبٍ توبَتُه وهْمُ

هل لك فى عَذْرَاءَ ممكُورَة ... يزينهــا كُسٌّ لهــا ضَخْمُ[6]

وَوارد جَثْلٍ[7] على مَتْنِهــا ... أسوَدُ يحــكى لونَه الكَرْمُ

فقلت : لا . قال : ففى أمرَدٍ ... يرتَجُّ منهُ كَفَلٌ فَعْمُ[8]

كأنَّه عذراءُ فى[9] خِدْرِهــا ... وليس فى لَبَّتِه نَظْمُ

فقلت: لا ! قال : ففَى قهــوةٍ ... كرخيّة والدهــا الكَرْمْ

فقلت : لا . قال : ففى مُسمِــعٍ ... يحسن منــه النقر والنَّغْم

---

(١) الديوان : ٥٤٨ .

(٢) كوفان : الكوفة .

(٣) الديوان : ٢٢٤ .

(٤) يؤثمنى : يوقعنى فى الإثم .

(٥) لبث : فى الديوان : عتم .

(٦) الممكورة : المطوية الخلق المستديرة الساقين ــ كس : فى الديوان : صدر .

(٧) الجثل : الشعر الكثيف الملتف .

(٨) ففى : فى الديوان : فتى ــ فعم: فى ك : ضخم . والفعم : الممتلىء .

(٩) ففى : فى الديوان : فتى .

فقلت : لا . قال : فني كلّ ما شَابَهُ(١) ما قلتُ لك الحَزْمُ
ما أنا بالآيِس من عَـوْدَةٍ منكَ على رَغمك يا فَدْمُ
لستُ أبا مُرَّةَ إن لم تَعُد تغــتر ذَا من فعلك الغَشْمُ(٢)

شرب أبو نواس عند الخصيب وكان يكره شَراب مصر ولا يمـكنه الخمر بها ، وكان الخصيب يُخَصُّ بشراب يُحمل إليه . فقال أبو نواس: ما ترى استئثار الخصيب علينا بشرابه ! ثم قال :

يَضِنُّ خصيبٌ بالشراب وترْتَجِى لدَيْه نوالًا إن ذا لعجيبُ
وليس خَصيبٌ بالخصيبِ لضَيْفِه ولـكنّه وَعْرُ المحلّ جَدِيبُ
فمَنْ كان ذا أهلٍ بمصرٍ وثَرْوَةٍ فإنّى بها صِفْرُ اليَدَيْنِ غَريبُ

كان ابن خُدَيج الـكندى من أهل مصر واسع الأدب والفلسفة ، فشـكا إلى أبى نواس وهو بمصر قِصَر آجال أهلها ، وقد جاء فى الحديث أنه اجتلب إليها كل قصير العمر ، وأن أعمار أهلها قصار . فقال أبو نواس : فقد عوّضكم الله من ذلك أنّ دنياكم مستوية لا حرّ ولا برد عندكم ، وأنـكم تتصرفون فى حوائجـكم سائر نهاركم فى أوله وآخره وفى وسطه ، وليس هذا لأحد غيركم . فقال له ابن خُديج لقد سَلَّيتنى .

ولأبى نواس فى الضرب من الشعر الذى يقال له المرجّع فى يحيى بن خالد :

قُلْ ليحـيَي الخيرِ قلبى فاسِدٌ فاسِدٌ قلبى ليَحْيى الخَيْر قُلْ
صِلْ ذَوِى الأرحام واعرف حَقَّهُم حَقَّهم واعْرِفْ ذوى الأرحام صِلْ
كِلْ إلى الرحمن جاراً صادقاً صادقاً جاراً إلى الرحمن كِلْ

---

(١) شابه : فى ت : شأنه .

(٢) أبو مرة : كنية إبليس ــ الغشم : ما يأتيه المرء بلا نظر ولا فـكر .

قال أبو سهل إسماعيل بن عليّ النوبختى قال لى عَمِّى . قلت لأبى نواس: ما رأيتُ أوقحَ منك ، ما تركت خمراً ولا طردا ولا غزلًا ولا مديحا ولا معنى إلا قلت فيه شيئا . وهذا عليّ بن موسى فى عصرك لم تقل فيه شيئا ! فقال : والله ما تركتُ ذلك إلا إعظاما له ، وليس قدر مثلى أن يقول فى مثله .

ثم أنشدنى بعد ساعة :

قيل لى أنت أَوْحَدُ الناس طرًّا   فى فنونٍ من المقالِ النبيهِ
لك من جَيِّد القَريض مَديحٌ   يُثْمِرُ الدُرَّ فى يَدَىْ مُجْتَنِيه
فعَلامَ تركتَ مدحَ ابن مُوسَى   والخِصال التى تجمَّعْنَ فيه
قلت : لا أستَطِيع مَدْحَ إمامٍ   كان جِبْرِيل خادماً لأبيه

ثم قال لى بعد مدة أنشدت الأبيات للإمام على بن موسى رضى الله عنه ، فقال : حدثنى أبى عن جدى الصادق [عن أبيه الباقر] عن أبيه على عن أبيه الحسين عن أبيه على ابن أبى طالب رضوان الله عليهم أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ مُحبِّينا إذا رامُوا الثناءَ علينا والمَحبَّةَ لنا أيَّدَهُم الله عزّ وجلّ بروحِ القدس » .

وروى[1] أبو نواس الحديثَ فكان مما رواه عن حمّاد[2] بن سَلَمةَ عن ثابتٍ عن أنسٍ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يموتَنَّ أحدكُم حتى يُحْسِنَ ظنَّه بالله عز وجلّ ، فإن حسن الظن بالله عزّ وجل ثمنُ الجنة » .

قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفىّ[3] دخلنا على أبى نواس نعوده فى علّته التى مات فيها ، فقال على بن صالح بن عيسى بن على الهاشمى : يا أبا علىّ ، أنت فى أول

---

(١) عقد الجمان : ج ١٣ (مخطوط) لوحة ٣٥٤ ـ البداية لابن كثير : ١٠ ـ تهذيب ابن عساكر : ٢٧٩ .

(٢) حماد : أحد الأعلام ، بصرى توفى سنة سبع وستين ومائة .

(٣) المصدران السابقان .

يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عزّ وجل هَنات فتُبْ إلى الله عز وجل . فبكى ثم قال : سانِدُونى سانِدُونى ثم قال : إيّاى تُخَوِّف بالله عز وجل ، وقد حَدَّثنى حَمَّادُ بن سَلَمة[1] عن زيد الرُواسى[2] عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: « لِكلِّ نَبِىٍّ شَفاعة ، وإنّى اخْتَبَأْتُ شفاعَتى لأهل الكَبائِر من أُمَّتِى يوم القيامة »[3] أفترانى لا أكون منهم ؟ !

قال إبراهيم الطبرى[4] . كنت فى أيام الفتنة جالسا على بابى إذ مَرَّ بى أبو نواس فقال : قم حتى نأخذ فى شأننا فدخلنا فجعلنا نشرب ، وأقبل الداخل يدخل إلينا فيقول : كان كذا وكان كذا ، فقال أبو نواس :

عِنْدِى للخَمْرَة أسماءٌ … لها دَواءٌ ولها داءْ
يُصْلِحها الماءُ إذا صفّقت … وربّما أَفْسَدَها الماءْ
وقائلٍ كانت لهم قِصَّةٌ … فيها أحاديثٌ وأَنْباءْ
فقلت له:أنت امرؤٌ جاهلٌ … فيك عن الخيرات إبْطاءْ
اشْرَبْ ودَعْنامن أحادِيثِهم … يَصْطَلِحُ الناسُ إذا شاءوا

قال ابن عائشة[5] : رأيت أبا نواس قاعداً فى مجلس عبد الواحد بن زِياد يقرص خَدّ صبىٍّ فى المجلس فلما رآنى قد لَحَظْتُه كتب إلىّ :

---

(١) سلمة : فى الأصول : مسلم .

(٢) الرواسى : فى المخطوطة : الرقاشى والتصويب من تهذيب التهذيب .

(٣) فى عقد الجمان قال: ضعفه الخطيب وقال : لم يروه عن محمد بن إبراهيم غير إسماعيل بن على الخزاعى وكان غير ثقة .

(٤) الخبر فى الطبرى مجلد ٣/٩٠٧ عن على بن يزيد أنه قال: كنت يوما عند عمرو الوراق وجماعة فجاءرجل فحدثنا بوقعة طاهر بباب الكرخ، وانهزام الناس عنه، فقال عمرو ناولنى قدحا وقال فى ذلك الأبيات .

(٥) الخبر فى تهذيب ابن عساكر ، ٤/٢٦٦ — تاريخ بغداد : ٧/٤٤٠ .

لولا غَزال كغُصْنِ بانٍ ... يَجْرِى مع الشمسِ فى عِنانِ
ما جئتُ أسْعَى إلى فقيهٍ ... مُباعدِ[1] الدارِ غير دَانِ
أكتبُ[2] من لَفْظه فُصولًا ... غَنِيت عن ذاك بالقُرَانِ
أنا بوَصْفِى مُفَدَّمات[3] ... من الأباريقِ والقِنانِ
وبالتِثامى لخدِّ ظَبْى ... يسحرُ باللَّحْظِ والبَنانِ
أحْذَقُ مِنِّى بأنْ أُنادِى ... حدَّثَكم ثابتُ البنانِى
وشُرْبِىَ الراحَ وَسْطَ زَهْرٍ ... حين زَهَا رَوْنَقُ الزَّمان
بين ظِباءٍ كُسوا جَمالًا ... قد حَفظوا الشِعْرَ والمَعانِى[4]
وفلسفوا اللَّفظ واستثاروا ... نَوادِرَ الظَّرْف والبَيَانِ
فهم رجالٌ إذا أجابوا ... وهم نساء مع الغوانى
فهِمَّتى المُرْدُ لا كقوم ... قَصَّدوا الشِعر فى الزَّوانِى
مالى وللشِّعرِ فى البَغايا ... لا أرَبى منهمُ وشانى
إنِّى مع المُرْد حيث كانوا ... وحوكى الشعر من لسانى

قال أبو المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى[5] : كنت فى مجلس سُفيانَ بن عُيَيْنَة أكتب ، وكنت حسن الوجه ، فجلس إلىّ فتى له منظر وعليه قبول ، فتحدّث معى فرأيت له أدبا وفهْما فقال : لو أعطيتنى دفترك [الذى] تكتب فيه ما تسمعه من الحديث ! ففعلت وشُغِلْت بالحديث واستماع ما يجرى عن تَفَقُّه ما يكتبه . وانصرفت عند انفصال المجلس إلى أخٍ لى كان محلّه محلّ الوالد ، فسألنى عمّا سمعته ونقلته

---

(١) فى ابن عساكر : مبعد .

(٢) فى ابن عساكر : أطلب، وفى تاريخ بغداد : أسمع .

(٣) مفدمات : موضوع عليها القدام، وهو مصفاة أو خرقة يصفى بها ما فيها .

(٤) هذا البيت والأبيات بعده لم تذكرها المصادر السابقة .

(٥) الخبر والأبيات: فى أخبار أبى نواس لأبى هفان: ١١٩ ، ١٢٠ باختلاف فى الترتيب ونقص.

وكتبته ، وأخذ الدفتر فنظر فيه فأنكره وأغلظ لى وقال : ماهذا ؟ ولا هذا خطّك؟ ولا هذا مما يسمعه الناس ولا مما يورده المُحدِّثون ؟ فكيف تُدوِّنه ؟ فعرّفته خبر الفتى . فقال : هذا والله أبو نواس ، وإذا به قد كتب فيه :

يا سَمِىَّ المَدْعُوِّ مِنْ جانبِ الطُّورِ الايْمَنِ
والَّذِى كانَ ثاوِياً قَبْلُ فى أَهْلِ مَدْيَنِ
وابنُ شَيْخٍ لَهُ سَنَا خَلِيلِ المُهيمنِ (١)
وشبيه المَسْجُون بالظُّلْمِ فى شَرِّ مَسْجَنِ
والَّذِى بالذى يَجِىءُ به الغَيْمُ يكْتَنِى
يالقَوْمِى بَيِّنْتُ بالْلَّهِ أم لَمْ أُبَيِّنِ (٢)
ذاكَ شخصٌ حُبِّى لَهُ قَدْ بَرانِى وشَفَّنِى
قُلْ لمُوسَى يا سَيِّدِى سَرَّكَ اللهُ سُرَّنِى
لَكَ وَجْهٌ قد نَاكه النَّاسُ منهم بأَعْيُنِ
ليس بدرُ الدُجى ولا الشمْسُ منهُ بأَحْسَنِ
ما تَرَى يا أبا المُغِيثِ الكَثِيرِ التلَوُّنِ
فى فَتًى لم يَزَلْ عليك شديد التَجَنُّنِ
عاشِق لَمْ يَزَل عليك كثير التَحَنُّنِ (٣)
يا قَضِيباً فى بَانَةٍ مُسْتَوٍ ليس يَنْثَنِى
واصلَنِّى (٤) وهَوِّنِ الأمرَ باللهِ هَوِّنِ

ثم قال احذر هذا الرجل يابنىّ . فتجنبت ذلك المكان بعده .

(١) البيت وما بعده ليسا فى أخبار أبى نواس لأبى هفان .
(٢) البيت والبيتان بعده ليست فى الأخبار لأبى هفان .
(٣) البيت والذى بعده ليسا فى الأخبار لأبى هفان .
(٤) واصلنى : فى كتاب أبى هفان : فصلنه .

ومن شعر أبى نواس :

قالت حراماً تبتَغِى قلتُ لا ... مَنْ حَرَّم النـاسَ علَى النّاسِ
نحنُ جميعاً من بـنِى آدمٍ ... هـل يحرم الوَرْدُ على الآسِ
قالت فمن حَلَّلَ هـذا لَـكُمْ ... قلتُ علىٌّ وابنُ عبّـاسِ

ومن شعره فى المجون فى أيام الفتنة بين الأمين وأخيه[١] :

قد رفعْنا البصاق مُذْ شهْرَين ... إذ رزقنا نَداوةَ البيْضَتَيْن
قـد أتانا معاشِرَ المُرِدِتَمُو ... ز بحرٍّ يُعرِّق الُخصْيتَين
ويلـكم فافرحوا لتأخير عَـوْنٍ ... واجعَلُوا سِعْرَكم لنا دِرْهَمَيْن
أَرْخِصُوا سعركم فقد شغل النـ ... ـاس بشحنا عداوة الأَخَوَيْن

حضر[٢] أبو نواس مجلس بعض القصاص فظن الناس أنه قد نَسُك فهنئوه فقال : حضرت لأجل هذا الغلام وأومَى إلى غلام كأنه الغزال فى المجلس ، وقال :

خلّيـانِى والمَعاصِى ... ودَعا ذِكْرَ القصـاص
واسْقِيانِى الَخمْرَ صِرْفاً ... فى أباريق الرّصاصِ
وعلى وَجْـــهِ غَزالٍ ... طائعٍ ليس بعـاصى
بين فِتيانٍ كِرامٍ ... قـد توَاصَوا بالمَعاصِى
وعـلَى اللهِ وإنْ أَفْـ ... ـرَطْتُ فى ذاك[٣] خلاصِى

رأى[٤] إنسان أبا نُواس وهو يفعل بغُلام وهو قائم، فقال له يا أبا نواس : هلا أضجعته . فقال وقع عليه الفعل فانتصب[٥] .

(١) الديوان : ٥٥٤ — (آصاف : ١٨٨ ، قال يهزأ من الأمين وخصيانه) .
(٢) الخبر والأبيات فى الشريشى : ١/٢٩ .
(٣) فى الشريشى : الذنب .
(٤) يروى هذا الخبر فى المحاضرات للراغب (١/١١٠) عن أحد المعلمين .
(٥) فى ك : قائما فانتصب وبقاؤها يفسد العبارة فأسقطناها وكذلك بدونها روى الخبر فى المحاضرات .

أرق[1] محمد بن زُبَيْدة ذات لَيْلة فأقبَل يدور فى مَقاصيره فلقيته جارية من جواريه وعليها مِطْرَفُ خَزٍّ تجرُّ أطرافه : فراودها عن نفسها فقالت : تصير إلى مقصورتى غدا . فلما أصبح أتاها وقال لها : الوعد فقالت : كلام اللّيل يمحوه النهار . قال : فخرج وجلس فى مجلسه وأمر بإحضار من بالباب من الشعراء فإذا بأبى نواس والفضل الرقاشى ومصعب ، فأدخلوا . فقال لهم : لينشدنى كلّ واحد منكم أبياتا آخرها كلام : الليل يمحوه النهار .

فقال الرقاشى :

مَتى تَصْحُو وقلبك مستطار وقد مُنِع القَرارُ فلا قَرارُ
وقد تركَتْكَ صَبًّا مُستهاماً فتاةٌ لا تَزُورُ ولا تُزَارُ
إذا ما جئتها وعَدَتْ وقالت[2]: كَلامُ اللّيْلِ يمحُوه النَّهارُ

وقال أبو نواس :

ولَيْلةَ[3] أقبلَتْ فى القَصْرِ سَكْرَى ولكِنْ زَيَّنَ السُّكْرَ الوَقارُ
وهز المَشْىُ أردافاً ثِقالًا وغُصْناً فيه رُمّانٌ صِغارُ
وقد سَقَط الرِّدَا عن مَنْكِبَيْها من التَّجْميش[4] وانْحَلَّ الإزارِ
فقلت : الوعد سَيِّدَتى فقالت : كَلامُ الليل يمحوه النهار

فقال الأمين علىّ بجلاد يضرب أبا نواس سبعمائة سوط . فقال : يا أمير المؤمنين هذه جائزتى أم خلعتى ؟ قال : أما إنّك وصفت شيئا كأنّك كنت معنا فيه . فقال :

---

(١) الخبر والأبيات فى العقد الفريد : ٦/٤٠٩ــ٤١٠.
(٢) فى العقد : إذا استنجزت منها الوعد قالت .
(٣) فى العقد : وخود أقبلت . والخود : الحسنة الخلق الشابة .
(٤) التجميش: المغازلة والتقريص والملاعبة .

يا أمير المؤمنين ما كنت معكم فيه ، ولكنى سمعت لفظك فأتيتُ بمعانيه وبنيت عليه .
فأمر لهم بجوائز وصرفهم .

لمّا حُبس[١] أبو نواس بما ذُكِر عنه من الزندقة لم يزل محبوسا فى حبس الزنادقة حتى مات الرشيد وقام الأمين ، فعُرِضَ مَنْ فى الحبس ، وكان المتولّى لذلك خالُ الفضل بن الربيع ، فقال لأبى نواس: أزنديق أنت ؟ قال : معاذ الله ! قال : لعلّك ممّن يعبد الكَبْش؟ قال : أنا آكل الكبش بصوفه . قال : فلعلك ممّن يعبد الشمس . قال : إنى لأترك القُعود فيها بُغْضاً لها فكيف أعبدُها ! قال : فتذبَحُ الدّيكَ ؟ قال : ذَبحتُ ألفَ ديك لأن ديكا مرة نقرنى فحلفت ألا أجد ديكا إلا ذبحتُه . قال : فلأىّ شىء حُبِسْتَ؟ قال: اتهمونى أنّى أشرب شرابَ أهل الجنة وأنام خَلْف الناس . قال : وما لك ذنب غير هذا ؟ قال : لا والله . قال: فأنا أيضا أفعل مثل ما تفعل ، فعلام حبست ؟ ثم خرج إلى الفضل فقال : ما تخشون جواز النعمة ! تحبسون من لا ذنب له فى الحبس وتجلدونه . فقال: ماالقصة ؟ فقال : رجل فى الحبس سألته عن خبره فقال : كذا وكذا ، فعرفه الفضل وضحك حتى استلقى . ثم دخل على الأمين فأخبره الخبر فضحك وأمر بتخليته .

وكان ذكر أبى نواس قد جرى فى مجلس الأمين لما ولى الخلافة وهو فى الحبس ، فقال الأمين: ليس عليه بأس . فبلغ ذلك أبا نواس ، فقال هذه الأبيات وبعث بها إلى الأمين[٢] :

أرِقتُ وطار عن عَيْنى النُّعاسُ ... ونام السامِرُون ولم يُوَاسُوا
أمينَ الله قد مُلِّكت مُلْكاً ... عليكَ من التُّقَى فيه لِباسُ

---

(١) الخبر فى ذيل زهر الآداب : ١٣٤ ـ الطبرى : ٣/٩٦٢
(٢) الديوان : ٤٢٥ .

ووجهُك يَسْتَهِلُّ ندًى فيَحْيَا ... بـه فى كلِّ ناحيـة أُناسُ
كأنّ الخلق ركِّب فيه رُوح ... له جَسَدٌ وأنت عليـه رَاسُ[١]
تُساس من السماء بكل يُسْرٍ[٢] ... فأنتَ به تَسوس كما تُساسُ
فديتك إنَّ عمرَ[٣] السجن بَأْسٌ ... وقد أرسلت ليس عليكَ بَاسُ

فلما أنشده قال : صدق والله ! علىَّ به . فجىء به فى الليل وكُسِرَت قيودُه وخرج حتى دخل عليه فأنشأ يقول حين استقبله[٤] :

مَرْحَباً مرحبا بخـير إمامٍ ... صِيغَ من جَوْهَرِ النبوّة[٥] بَحْتَا
يا أَمينَ الإلٰهِ يكلؤُكَ اللَّـ ... ـهُ مقيماً وظاعِنا أين[٦] سِرْتَا
إنمـا الأرضُ كلّهـا لك دَارٌ ... فلكَ اللهُ صاحباً حيث كُنْتَا
ياشَبِيهَ المهدِىّ جُوداً وبَذْلًا ... وشبيهَ المنصور هَـدْياً وسَمْتَا[٧]

فخلع عليه وأجازه وحَمَله ، فلم يخرج ومعه من المال شىء إلا الخلعة والمركب ، وفرّق المال جميعه على الخدم .

ومن شعره فى المجون قوله[٨] :

قد هجـرت النَّدِيم والنُّدمانا ... وتمتَّعتُ ما كفانِى زَمانَا

---

(١) هذا البيت والبيت الأخير من هذه القطعة ينسبان إلى أبى العتاهية وأنه كتب بهما إلى الرشيد حين علم أنه رق له وهو فى محبسه . طبقات ابن المعتز : ٢٣١ ترجمة أبى العتاهية ـ الشعر والشعراء : ٧٦٧ فى ترجمته أيضا. ورواية البيت فى ديوان أبى نواس :

كأن الخلق فى تمثال روح

(٢) فى الديوان : صنع .
(٣) فى الديوان : ليل .
(٤) الديوان : ٤٢١ .
(٥) فى الديوان : الخلافة .
(٦) فى الديوان : حيث .
(٧) سمتا : هيئة .
(٨) الديوان : ٦٩٢ .

وأَبَى لِي خليفـةُ اللهِ إلَّا عَزْفَ نفسِي فقد عَزَفْتُ وآنا
ولقـد طـال ما أَبَيْتُ عليـه فى أمـورٍ خلعتُ فيها العِنانا
وغَزالٍ عاطيتُهُ الـكأسَ[1] حتّى فَتَّرتْ منـه مُقـلةً ولِسانا
قال : لا تُسْكِرَنّنِي بحياتِي قلتُ : لا بدَّ أن تُرَى سَكْرانا
إنّ لى حاجـةً إليك إذا نِمْـ ـت وإنْ شئتَ فاقضِها يَقْظانا
فتلـكَّا تَلَـكِّياً فى انْخِناثٍ[2] ثُمَّ أصغَى[3] لِمَا أردتُ فـكانا

قال الجَمَّاز : قعدنا يوما وأبو نواس معنا فتمـنَّى كل واحد مِنّا شيئا .

فقال أبو نواس : لـكنّى أنا أتمنى أن أرزق كل شيء أشتهيه من المعاصى ، حتى إذا لم يبق من عمرى إلّا سنتان[4] يمسخنى الله كلباً بعرفات أعضّ أعقاب الحاج .

قال محمد بن أحمد الورّاق : رأيتُ بقُطْرّبل شعراً مكتوباً على حائطِ ماخور وذكر الحَمَّار أنه رأى أبا نواس[5] كتبه بيده على الحائط ، وهو[6] :

لا يَغْضَبَنَّ مُنادِمى إنْ نِكْتُه إنِّى لِنَيْكِ منادِمى معتـاد
وكذاكَ لَسْتُ ألومُه إنْ ناكَنِى ولقد عَلِمْتُ كما أَكِيدُ أُكاد

قال الحسين[7] بن الضحاك : كنت يوما أسامِرُ أبا نواس بالـكوفة ، فمررنا بكتّاب وإذا صبيّ يقرأ فى سورة البقرة : « كُلّما أضاءلهم مَشَوْا فيه وإذا أظْلَمَ عليهم قَامُوا »[8]

---

(١) فى الديوان : الراح .

(٢) فى ت : فى حياء .

(٣) أصغى : مال .

(٤) فى النسخ : سنتين .

(٥) فى ت : أبو نواس . (وله وجه فى العربية) .

(٦) المحاضرات للراغب . ١/٣٣٢ بدون عزو .

(٧) الخبر فى تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٧٢ـ نهاية الأرب : ٤/٣٣ .

(٨) سورة البقرة : ٢٠ .

فقال لى أبو نواس : وَيْلَكَ أىّ معنًى يُستخرج من هذا فى الخمر ! فقلت : ويحك الا تتّقِى الله أبكتاب الله عز وجل ؟!!

فلما كان من الغد أنشدنى[1] :

وسَيَّارةٍ ضلَّت عن القصد بَعْدَما تَرادَفَهُم جُنحٌ من اللَّيْلِ مُظْلِمُ
فأصْغَوا إلى صوتٍ ونحن عصابَةٌ وفينا فَتًى من سُكْرِه يترنَّمُ
فلاحَتْ لهم مِنَّا على البعد[2] قَهْوَةٌ كأنّ سناها ضوء نار تَضَرَّمُ
إذَا ما حَسَوْناها أناخُوا مَطِيَّهُم[3]
وإن جليت[4] حَثُّوا الرِكابَ وَيَمَّمُوا

دخل[5] الجمّاز على أبى نواس يعوده فى مرضة لم يَمُتْ منها . فقال : اتق الله فكم من محصَنة قذفت ، وسيئة اقترفت ، وكبيرة ارتكبت ، وأنت على هذه الحال . فتب ! فقال : صدقت يا أبا عبد الله ولا أفعل . قال : ولم ؟ قال : مخافة أن تكون توبتى على يد مثلك ياعاض بظر أمّه! فقال له : إن برأت والعياذ بالله كِلْتُ لك بالصاع الأوفر . فقال: ياأباعبدالله، والله ما أشركت بالله طرفة عين قط .

ولأبى زُنبور يهجوأبانواس[6] :

كتبتُ على حِرِ أمِّ أبى نُواسٍ أَبا جادٍ وهَوَّازاً وحُطِّى
وصَيَّرْتُ الخِتامَ عليه أبْرِى فإنْ هم غَيَّرُوه عَرَفْتُ خَطِّى

(١) الديوان : ٤٥ .
(٢) فى الديوان والتهذيب : النأى .
(٣) أناخوا مطيهم: فى الديوان : أقاموا مكانهم. وفى التهذيب : أقاموا بظلمة .
(٤) فى التهذيب : مزجت .
(٥) الخبر فى ذيل زهر الآداب : ٢٠٢ .
(٦) البيتان فى الفكاهة : ٤ .

كان لإسماعيل بن نوبخت خادم مليح ، وكان أبو نواس عنده يوما ، فقام إلى المستراح فوضع له الخادم ماء فقبّله أبو نواس(١) ، فمحا بيده موضع القبلة فقال أبو نواس(٢) :

يا ماسِحَ القُبْلَةِ من خَدِّه ... من بعد ما قَدْ كانَ أعطَاها
خَشِيتَ أن يَعْرِفَ آثارَها ... مولاكَ فى الخدِّ فيَقْرَاها
ولو عَلِمْنا أنّه هكذا ... يا أملَحَ الناسِ مَحَوْناهَا
أو تركنا بعض إعرابها ... ولامَها منها حَذَفْناهَا
فصار باقِيها لنَا قُبَّةً ... لِلْحُسنِ فى خَدّك صُغْناهَا

قال خَلَفُ بن محمد المزنى صاحب أبى نواس : مضيت مع أبى نواس إلى فارس فنزلنا بشِعْب بَوَّان فنظر إلى صخرة ملساء فوقها صخرة مُطِلَّة عليها وقد تَغَدَّينا فقال لى : هذا موضع ينبغى أن يكتب فيه شعر فقلت : شأنك فكتب(٣) :

وما لَبِسَ العشاق يوماً من الهوَى ... ولا خَلَعُوا إلّا الثياب التى أُبْلِى
ولا شَرِبُوا كأساً من الحبِّ مُرَّةً ... ولا حُلْوَةً إلّا وشُرْبُهم فَضْلى

ومن شعر أبى نواس قوله(٤) :

نابَذْتُ من باصطبارٍ عنك يأمرُنى ... لأنَّ مثلَك رُوحى عنه قد ضَاقا
ما يرجع الطرفُ عنها حين يُبْصِرها(٥) ... حتّى يعودَ إليه الطرفُ مشتاقَا

---

(١) تقدم مثل هذا الخبر مع رحمة بن نجاح وأنه هو المقبل . ووردت الأبيات فى ص ١٨٠

(٢) الديوان : ٣٢٧ . راجع ص ١٨٠ .

(٣) البيتان فى طبقات ابن المعتز : ٣٩٥ منسوبين إلى عبد الرحمن العطوى . وفى أمالى القالى : ١ / ٣٠ ومجموع المعانى : ٢٠٩ منسوبين لعشرقة المحاربة .

(٤) الديوان : ٢٥٧ .

(٥) فى الديوان : أبصرها .

ومن شعره :

وشادنٍ أحورَ فى طَرْفِهِ ... فَتْرٌ وفى منطِقِه غُنَّه

قلتُ لأصحابى وقد مرَّ بى ... أظنٌّ ذا فرَّ من الجنَّهْ

يُعجِبُنى تخْنِيث ألفاظِهِ ... والأَملُ المطلوب فِيهِنّهْ

ومن شعره يهجو أبانا اللاحق(١) :

أأبانُ نَكِّبْ عَنْ عداوتِنا ... لَكَ غَيْر قرْع صلاتِنا لَهْوُ

إنّى نذيرُك أن تُصيِّر لِى ... شُغْلاً هجاءك إنَّنِى خِلْوُ

كان زُنبور الكاتب يهجو أبا نواس ، وكان أبو نواس يهجوه . فعمل زنبور على لسان أبى نواس شعرا يهجو فيه علىّ بن أبى طالب وأشاعه فى الناس ، وهو :

لِلّه رافضةٌ بُلِيتُ بهم ... يتلاحَظُون بأعْيُنٍ شُزْرِ

يَهْوَون أنْ أُرْضِي أبا حَسَنٍ ... لَهُمُ وأَبْرأُ من أبى بَكْرِ

فلأَجْمَعَنَّ على عداوتِهِ ... ولأَشْهَدَنَّ عليه بالكُفْرِ

ولأَشْكُرَنَّ لراحةٍ ضربَتْ ... تِلك المَفارِقَ آخرَ الدَّهْرِ

قال: فوجد بنو نوبخت علّةً وحجّة فى أمره فقتلوه واستحلوا دمَه . اجتمعوا معه فى مستَنْزَهٍ لأبى سليمان بن أبى سهل ، وكان زنبور الكاتب حاضرا ، فأنشد زُنبور الأبيات وقد عمل فيهم النبيذ ، فقاموا إلى أبى نواس فتناولوه وداسوا بطنه . فلم يزل يضع أمعاء حتى مات .

وحدّث عنه بعضُ بنى نوبخت قال : حضرت أبا نواس عند موته وقد احتضر وبين يديه لوح مكتوب فيه شعر قاله هجاءً فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . قال : فابتدأ وجهُه يسودُّ ويرْبَدُّ حتى اسودّ وجهه كله ، ومات فى يومه .

---

(١) تقدم فى ص ٦١ .

وقيل : إنّ(١) إسماعيل بن أبي‌سهل سَمّ أبا نواس، لأنه كان قد هجاه وذكر أمّه ورماه بالبخل والرفض، فلم يقتله السم إلّا بعد أربعة أشهر .

وكان يخدمه فى عِلّته غلام من الأزد كان يتعلّم منه علم الشعر ، فدخل عليه يوما فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى فى الحق فإنا لله على ما فرطت ، وواسوءتاه ممّا قدمت ، وإنى لأذكر ما فرطَ منّى فأبكى عليه وأعنى أنى كنت فى طاعة الله كما كنت فى معصيته ! ثم بكى ، وأنشد(٢) :

دَبَّ فىّ السَّقامُ(٣) سُفْلًا وعُلْواً ۞ وأرانِى أموتُ عُضْواً فعُضْوا

ليس تَمْضِى من لَحْظَةٍ بِىَ إلّا(٤) ۞ نَقصَتْنِى بمَرِّهــا بِى جُزْوَا

ذهبَتْ جِدَّتِى بحاجةِ(٥) نفْسِى ۞ وتطلَّبتُ طاعــةَ اللهِ نِضْوَا

لَهْفَ نفسِى على لَيالٍ وأيَّا ۞ مٍ تجاوَزْتُهنّ(٦) لِعْباً ولَهْوَا

قد أسأْنا كلّ الإساءة فاللّـ ۞ ـهُمَّ صَفْحاً عَنَّا وغَفْراً وعَفْوَا(٧)

ثم مات فرثاه الأَزْدِى ، فقال(٨) :

ماتَ البَدِيع وأودت دولة الفِطَنِ ۞ واستَدْرجَ الموت حُرّ(٩) الشعر فى كَفَنِ

---

(١) أخبار أبي نواس لأبى هفان : ٣٤، ٣٥ .

(٢) الديوان : ٥٨٠ — تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٧٦ — مسالك الأبصار ج ٩ — تاريخ بغداد : ٧ .

(٣) فى الديوان : الفناء .

(٤) فى الديوان : ليس من ساعة مضت لى إلا — ٢٢ .

(٥) فى الديوان : بطاعة .

(٦) فى الديوان : عليهن .

(٧) الرواية فى تاريخ بغداد :

وأسأنا كل الإساءة ياربّ (م) فصفحا عنا إلهى وعفوا

(٨) أخبار أبي نواس لأبى هفان : ٣٦ .

(٩) فى ت : خير — وفى أبي هفان : روح الشعر .

لِلّهِ مــــا ظَفِرت أيدِى المَنُونِ به ... وما تَضَمَّنت الأَكْفان من حَسَنِ
مَنْ لم يزل وَارِثاً للمجد مُرْتَقِيــاً ... حيثُ انتهى العِزّ فى سَيْفِ بن ذِى يزَنِ [1]
مَنْ ذَا يَرُدُّ نِزاراً عند شِرَّتِهــا ... أمْ مَنْ يُدافِعُ عن بُحْبُوحَةِ اليَمَنِ

وللحسين بن الضحاك فيه [2] :

كُنا نَريشك للزمان يا حَسَنْ ... فخاب سهمى وقرطس الزّمن [3]
ليتك إذ لم تــكن بَقِيتَ لنا ... لَمْ تَبْقَ رُوحٌ يَحُوطها بَدَنْ

قال أبو محلم: أكثر الناس فى أبى نواس ومُجونه وإقدامه ، فصار إلىّ يوما فقال: يا أبا محلم اسمع منى ما قلت فى ليلتى . قلتُ : هاتِ فأنشدنى [4] :

يا نَفْسُ خافِى الله واقتَصِدِى ... وارْعَىْ حِفاظَك رعْىَ مُتَّئِدِ
من كان جَمْــعَ المــالِ همَّتَهُ ... لم يَخْلُ من غَمٍّ ومِنْ نــكَدِ
يا طالبَ الدُّنيــا ليَجْمَعهــا ... جَمَحَتْ بك الآمال فاقتصدِ
وأراكَ تركَبُ ظهر مُطْمِعَــةٍ ... تَهوى بهــا بلدًا إلى بَلَدِ
من لم يــكن لله مُتَّهِمــاَ ... لم يُمْسِ مُحتاجاً إلى أَحَدِ
ولربَّ ســاعٍ فات مطلبُه ... لم يُؤْتَ من حِرْصٍ ولا جَلَدِ
ومُشَمّرٍ فى الرِّزْقِ خَطْوَته ... ظَفِرتْ يداه بمرْتَعٍ رَغَدِ
وأرى صُروفَ الدهر تَفْتِنُنا ... لتَحُولَ بين الرُّوح والجَسَدِ
وإذا المنيّة أمّمت أحدًا ... لم تَنْصرفَ عنــه ولم تَحُدِ
لو أنّ دونَ الموت واقيــة ... لفَــديتُهــا بالمــالِ والوَلَدِ

---

(١) ليس فى أبى هفان .

(٢) فيه : فى غ : كتبهما على قبره .

(٣) البيتان فى غ (بولاق) ٦/٢٠٥ .

(٤) الديوان : (آصاف) : ١٩٢ بزيادة واختلاف .

مَنَّتْكَ نفسُك أن تَتوبَ غدًا ... أوَ ما تخافُ الموتَ دونَ غدِ
يا نفسُ موعِدُكِ الصِّراط غدًا ... فتأهَّبِي من قَبْل أن تَرِدِي
ما حُجَّتِي يوم الحسابِ إذَا ... شَهِدَتْ علىّ بما جَنَيْتُ يَدِى!!

قال: فأبكى والله عينى. وعلمت أنه آخر عمره . فما بقى بعد ذلك إلا يسيرا .

قال حُمَيْد بن سعيد[(١)]: رأيت أبا نواس قبل موته بأسبوع وقد أظهر زُهْداً ونُسْكا. فقلت له : يا أبا على ما هذا ؟ قال : فـكّرت فقلت: الموت قريب ! قال : فما بقى بعدها إلا أسبوعا ومات.

قال غانم الوراق[(٢)] : دخلت على أبى نواس قبل وفاته بيوم أو يومين فقال لى : يا غانم[(٣)] ألواحُك معك ؟ قلت : نعم . قال : أكتب ثم أنشدنى :

* دَبّ فىّ السّقام سُفْلاً وعُلْواً *

الأبيات ثم أغمى عليه . وأردت النهوض ففتح عينيه ثم قال يا غانم أنشدك ؟ قلت : نعم . قال : اكتب[(٤)] :

شِعْرُ حىّ أتاكَ من لفظ مَيْتٍ ... صار بين الحياةِ والمَوت وقفَا
قد برت جسمَه الحوادثُ حتّى ... كاد عن أَعْيُنِ الخلائق يَخْفَى[(٥)]
لو تأمّلتَــنِى لتُبْصِرَ وَجْهِى ... لم تَبِنْ من كتاب وَجْهِىَ حَرْفَا[(٦)]
ولـكرّرتَ طَرْفَ عينيْكَ فى مَنْ ... قد براه السَّقام حتّى تَعفَّى

---

(١) أخبار أبى نواس لأبى هفان : ٩٩ .
(٢) الشريشى : ١/١٨٣ .
(٣) يا غانم : فى ت : يا أبا على .
(٤) الديوان : ٥٨٠ ــ تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٧٨ باختلاف فى الترتيب. وفى الشريشى ١/٣٠١ قال الحسن بن هانى: رأيت مانيا الموسوس فأنشدنى وأورد الأبيات الثلاثة الأول .
(٥) برت : فى الديوان : أنحلت ــ الخلائق : فى الديوان : الحوادث .
(٦) لتبصر : فى الديوان : لتثبت ــ لم تبن : فى الشريشى : لم تبين من المحاسن حرفا ــ وفى التهذيب : لم تجد من مثال رسمى حرفا .

ثم حَوَّل وجهه عنى وأحببت أن يَزيدنى وصبرت ليردّ وجهه فلم يفعل . فقمت ناهضا فلم يلتفت إلىّ ، فدرت إليه فإذا جبينه قد عرق وعيناه تدمعان ، فدعوت الله عزّ وجل له بالعافية ، ثم خرجت فما رأيته حتى مات .

حدّث بعض بنى نوبخت فقال : شَنَّع الناس علينا فى قَتْل أبى نواس لأنه هجا آلنا وذلك باطل، ولكن تحدّثوا أن أبا نواس مازح علىّ بن أبى سهل ولم يكن يجرى فى الحِلْم مجرَى أخويه عبد الله بن سليمان والعباس ، فمازحه أبو نواس فقال :

أبو الحُشَّيْن(١) كُنيته بحَقٍّ فإنْ صحَّفتَ قلت أبو الحُسَيْن

فوثب عليه فهرب أبو نواس بين يديه فدخل دار هارون بن أبى سهل ، فلحقه علىٌّ فصرَعه وبَرَك عليه ، فاستغاث بهارون: خُذْنى من تحته وإلّا قتلنى . فخلّصه ولم يبلغ به ذلك إلى ما يتشكّاه فضلا عن التلف .

واعتلّ بعد ذلك بمدّة علته التى مات فيها . فعاده بنو نوبخت وقالوا له : أوصنا . فقال : أوصيكم ألا تشربوا الخمر على الرِّيق فإنها هى التى قتلتنى . وتوفى بعد ثلاثة أيام من علته فبعثوا إليه بأكفان كل واحد من ولد أبى سهل ، وتشاحُّوا فى ذلك ثم اتفقوا على أن كُفِّن فى جميعها .

ودفن(٢) فى التل المعروف بتل اليهود على شاطئ نهر عيسى فى مقابر الشونيزى.

قال: ومات فى بيت خمَّارةٍ كان يألفها وأوصى إلى زكريا القشارى

فبينا زكريا ذات يوم بعد موت أبى نواس بمدّة إذا هو بشيخ خاضب بحمرة ومعه عجوز فسأل عنه ولم يعرفه، قال : فقلت له :أناهو فما تريد ؟ قال: بلغنى أن أبا نواس أوصَى إليك . قلت: نعم فمن أنت ؟ قال :أنا رابُّ أبى نواس وهذه أمّه جُلّبان . فأخذت

---

(١) الحشين : تثنية حش . والحش : أصله النخل ثم سمى ما يتبرز فيه من الأمكنة حشا وهو الذى أراده أبو نواس وعنى فمه ودبره والتصحيف ظاهر .

(٢) ودفن الخ : أخبار أبى نواس لأبى هفان : ١٠٨ ــ تاريخ بغداد : ٧/٤٤٩ .

بيده وأدخلته دار بنى نوبخت ، وصحت: هذا زوج أم أبى نواس وهذه أمّه فاجتمعوا يسألونه وتأسّفوا ألّا يكونوا عرفوا ذلك قبل موته فيعيبوه به ويهجوه به .

قال(١) زكريا القشارى : كان ما سلّمته لوالدة أبى نواس من تركته ماقيمته أقلّ من مائتى درهم . والذى خلّفه هو قمطر فيه دفاتر وأضابير وجزازات قراطيس فيها نسخ أشعار وغريب ألفاظ ، ونرد وشطرنج وعود وطنبور، ولم يكن مع ذلك أحفظ منه لكل شىء يخوض فيه الناس ولا أوسع علما مع عدم كتْبه ، وما كان يعتمد إلا على ما فى صدره .

قال زكريا القشارى : دخلت على أبى نواس فى علته التى مات فيها فقال لى : كنت أكرهك وأبغضك إذا لقيتك ولا أعلم السبب فى ذلك . فلما اعتللت أوصيت إليك فعلمت أن وصيّتى إليك هى السبب فى كراهتى لك .

قال محمد بن منصور الصيرفى الذى مات أبو نواس فى منزله وهو الذى قال فيه(٢) :

وذَاكَ محمّد تَفْدِيه نَفْسى   وحَقّ له وقَلّ له الفِداء

قال : نزل علىّ أبو نواس قبل موته بخمسة أيام أو ستة من الغرفة التى مات فيها وبين يدى كانون فيه فحم ، فأمر بزيادة الفحم عليه ، فلما اشتعل وقويت ناره أخرج كتبا كانت فى أحد كمّيه فوضعها على النار ، فلما احترقت أخرج من كمه الآخر كتبا أخرى فأحرقها أيضا ، فسألته عن ذلك فقال : هذه أشعار كنت أضن بها أن يسمعها الناس وكرهت أن تبقى بعدى فينتحلوها فأحرقتها .

قال يعقوب بن إسماعيل بن صُبيح : كنّا عند أسود بن سالم فقال رجل : مات أبو نواس الزّنديق الكافر. فقال : لا .. لاتفعل . أليس هو القائل:

---

(١) الخبر فى عقد الجمان (مخطوط) : مجلد ١١ / ٣٥٤ .

(٢) قارن هذا بما ورد فى صفحة ٦٦

يا كبير الذنب عفوُ الـ ـله من ذنبك أكبرْ[١]

قال زكريا القشارى وصىّ أبى نواس : قلت لأبى نواس فى علّته : ويحك ماأرَى فى بيتك مصحفا ! فقال لى : النور والظلمة لا يجتمعان .

وكانت صورة وصية أبى نواس ماصورته « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به المُسْرِف على نفسه المغترّ بأمله ، المعترف بذنوبه ، الحسن بن هانئ ، أوصى وهو يشهد أن لا إلـه إلّا الله وحدَه لا شريك له ولا نِدّ ولا مِثْل ، وكلّ معبود سواه فهو باطل ، وأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله إلى عباده وخيرته من خلقه ، وأنّ ماجاء به حق كلّه على ذلك حي وعليه يَموت ، وأنه لا يرجو الخلاص من عذاب الله إلا بشفاعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبالاعتراف بذنبه والثقة بعفو ربه . وأوصى بكذا وكذا » .

قال الجاحظ : لما مات أبو نواس حضرت لأشترى من كتبه شيئاً ، فأُخرِجت إلينا قماطر ما فيها إلا لغات العرب ، وما فيها شعر شاعر البتة .

قال محمد بن نافع البصرى[٢] : كانت بينى وبين أبى نواس مودّة فاعتلّ فلما كان فى الليلة التى توفى فيها رأيت فى منامى كأنّه توفى ، وكأننى أمرت بقراءة شعر كتبه عند وفاته ، وبشّرت بأنه قد غُفر له ، فانتبهت مرعوبا وصرت إلى منزله فوجدته قد دُفن . فطلبت ما كتب حيث ثقل ، فرأيت ورقة فى وسادته فإذا فيها[٣] :

يا ربّ إن عظمت ذُنوبى كثرة فلقد علمتُ بأنّ عفوَك أعظمُ

---

(١) من قصيدة فى الديوان : ٦٢٠ أولها :

يا نواسيّ توقر وتجمّل وتصبّر

وانظر تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٧٧ .

(٢) تاريخ بغداد : ٧/٤٤٩ باختلاف .

(٣) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٧٨ ـ الديوان : ٦١٨ .

إن كان لا يَرْجُوكَ إلّا محسِنٌ ... فمَن الّذى يدعو ويَرْجُو المُجْرِمُ[١]

أدعوكَ ربّ كما أمرتَ تضرُّعاً ... فإذا رددت يدى فمَنْ ذا يَرْحَمُ

مالِى إليكَ وسيلة إلّا الرَّجَا ... وجَمِيلُ ظَنِّى[٢] ثم إنّى مُسْلِمُ

فأخذت الرقعة وعرّفت أهله ما رأيت وبشّرتهم به . وبلغ ذلك أبا العتاهية فاستحسن الشعر وزاد فيه أبياتا.

قال الكرخى : دخلت على أبى نواس فى علّة موته فقلت له : ما أشدّ ما بك من الألم ؟ فقال : ألم الذنوب . فرجوت الله تعالى له عند ذلك .

كان محمد بن نافع الناسك صديقا لأبى نواس قال[٣] : فلما بلغنى موتُه أسِفْت عليه وكان يجول فى فكرى فرأيته فى النوم فقلت: أبانواس؟ قال: لات حين كنية[٤]! قلت : الحسن بن هانئ ؟ قال : نعم . قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى . قلت : بأى شىء ؟ قال : بتوبة تُبتها قبل موتى ، وبأبيات قلتها . قلت : وما هى ؟ قال: هى عند أهلى . قال : فصرت إلى أمّه ، فلما رأتنى أجهشت بالبكاء . فقلت لها : إنى رأيت كذا وكذا . فكأنّها سكنت وأخرجت إلىّ كتبا مقطّعة فوجدت فيها بخطّ كأنه قريب :

* يا ربّ إن عظمت ذنوبى كثرة * ... الأبيات.

---

(١) الرواية فى الديوان : فبمن يلوذ ويستجير المجرم .

(٢) ظنى : فى الديوان وتاريخ بغداد : عفوك .

(٣) الخبر فى تاريخ بغداد : ٧/٤٤٩ـ الشريشى : ٢/٩٢ .

(٤) لات حين كنية : العرب لا تكنى الميت إنما تدعوه باسمه؛ قال الراجز :

وقام نسوة بجنب حفرتى ... بنات أختى وبنات إخوتى

يدعون باسمى وتناسوا كنيتى

قال محمد بن عبد الواحد[1] : كان الحسن بن هانئ نازلا علىّ فحضره الموت وكان له خاتمان أحدهما حديد صينى مربّع، عليه مكتوب: الحسن بن هانئ يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا . وعلى الآخر وهو عقيق أحمر مربع :

تعاظمنى ذَنبِى فلمَّا قرَنْتُه ... بعَفْوِكَ رَبِّى كان عَفْوُكَ أعظما[2]

فقال لى : إذا أنا مِتُّ فاقلع الفص الحديد واغسله مرارا ، فإذا كُفّنت فصيّره فى فَمِى وخلّنِى وربِّى عز وجل . قال : وسأل عمى أن يلبس الشيخ الفص العقيق ليذكره به ففعل . فلم يزل فى يده حتى مات .

قال محمد بن عمر[3] : رأيت أبا نواس فى المنام فقلت له : أبا نواس ما فعل الله بك ؟ فقال : الآن لات حين كنية . قلت : الحسن ، قال : غفر لى فأدخلنى الجنة . قلت : بماذا وقد كنت تشرب الخمر وتقول الشعر! قال : غفر لى بأبيات كنت كثيرا ماأتمثل بها وأقولها وهى فى وسادتى. قال : فأتيت منزله ، فأخبرتهم بما رأيت فى منامى فأتونى بوسادته فاستخرجت الرقعة منها فإذا فيها مكتوب[4] :

إنّى رضيت أبا حَفْصٍ وصاحِبَه ... كما رضيتُ عَتيقاً صاحبَ الغَارِ

وقد رضيتُ عَلِيًّا قدوة عَلَما ... ومارضيت بقَتْلِ الشيخ فى الدَّارِ

كلّ الصحابة عندى فاضلٌ عَلَمٌ ... فهل علىَّ بهذا القول من عارِ

إنْ كنت تعلَم أنّى لا أحِبُّهم ... إلّا لوجهك فاعتِقْنِى من النَّارِ

قال القصَافِى الشاعر[5] : رأيت أبا نواس فى النوم فقلت : مافعل الله بك ؟ قال : غفر لى . قلت : بأى شىء ؟ قال . بحُسْنِ ظَنِّى .

---

(١) عيون الأخبار ١/٣٠٣ — المستطرف ٢/٢٥ — تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٧٩ .

(٢ الديوان : (آصاف) ٢٠٠ — قرنته : فى العيون : عدلته .

(٣) عقد الجمان (مخطوط) ١١ حوادث ١٩٥ .

(٤) الأبيات فى المستطرف ١/١٢١ بدون عزو .

(٥) عقد الجمان : المصدر السابق .

قال الحسين الخليع : كان بيني وبين أبي نواس صحبة ومودّة لم تكن بين اثنين قط ، فلما مات اشتد جزعي عليه ، فبينا أنا ليلة من الليالى مفكر فيه متحسّر عليه إذ غلبني النوم فنمت ، فرأيت فى منامى كأنى قد دخلت إلى قصر لم أر مثله حسنا ، وإذا إيوان فى صدره سرير وأبو نواس فوق ذلك السرير على رأسه تاج، فلما رآنى مقبلا قال لى : حسين ! قلت : لبيك ! ثم قلت : ما بلغ بك هذا المبلغ ؟ قال : إن الله عز وجل تجاوز لى عن مجونى بالتوحيد.

ثم قال لى : قد علمت ما كان بيني وبين إسماعيل بن نوبخت من الصحبة والمودة وأنه قد احتفر إلى جانب قبرى بئرا وصنع سقاية ، وهو يكثر البكاء ، وأحب أن تبلّغه هذه الأبيات وأنشدنى :

سكبتَ علىَّ دمعَكَ بعد موْتى فهلّا كان ذا إذ كنتُ حيَّا
أتبكِى بعد قتْلك لى عَليَّا ومن قَبلِ المماتِ تُسِى[1] إليَّا
فيا من بزَّنى عقْلِى ورُوحِى وعاندَنِى وما أبقَى عليَّا
تَجافَ عن البُكاء ولا تزِدْه فإنِّى ما أراكَ صنعْتَ شيَّا[2]

حدّث من شهد أبا نواس وقد احتُضِرَ وهو يقول[3] :

أيا ربّ قد أحسنتَ عوْداً وبدءةً إلَيَّ فلم ينْهض لإحسانِكَ الشُّكْرُ
فمَنْ كان ذا عُذْرٍ مُدِلاًّ بعُذْرِه[4] فعُذْرِىَ إقرارِى بأنْ ليس لى عُذْرُ

لما حضرت أبا نواس الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله، فقال : آه آه ثم أنشد :

لَهفَ نفسِى علَى الزّمانِ وفى أىّ أوانٍ دهَتنِىَ الأزْمانُ

(١) مسهلة من تسىء .
(٢) شيئا .
(٣) الديوان : ٥٧٩ ــ وفى المستطرف : ٢٠٦/١ بدون عزو .
(٤) رواية الشطر فى الديوان والمستطرف : «فمن كان ذا عذر لديك وحجة» .

حينَ ولّى الشِّتاءُ واستُقْبِل الصَّيْـ ... فُ وطابَ الشَّرابُ والرَّيْحانُ

ثم أغمى عليه وأفاق . فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال[1] :

يا نُواسِىُّ تَوَقَّر ... وتَعَزَّى وتَصَبَّرْ
إن يَكُنْ ساءَكَ دَهْرٌ ... فَلَما سَرَّكَ أكْثَرْ
يا كَبِيرَ الذَّنب عَفْوُ الـ ... له من ذَنْبِكَ أَكْبَرْ
أكبرُ الأشياءِ فى أَصْـ ... غَرِ عَفْوِ الله يصغُرْ
ليس للإنسانِ إلَّا ... ما قَضَى اللهُ وقَدَّرْ
ليس للمَخْلُوق تَدْبِيـ ... رٌ بلِ اللهُ المُدَبِّرْ

وكان عمر أبى نواس تسعاً وخمسين سنة .

وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة السلام بست سنين .

---

(١) الديوان : ٦٢٠ ـ تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٧٧ .

حُجْر بن عَدِىّ الكندى*

هو صاحب أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ومن شِيعته .

لمّا ولى المُغِيرة بن شُعْبة الكوفة كان يقوم على المنبر فيذمّ علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه وشيعتَه وينالُ منهم ، ويلعنُ قتَلة عثمان رضى الله عنه ويستغفر له ويزكّيه ، فيقوم حُجر بن عدىّ فيقول: أيها[1] النّاس كونوا قوّامين بالقِسْط شُهداء لِله ولو عَلَى أنفُسِكم . وإنى أشهد أنّ من تذمّون أحقّ بالفضل ممَّن تُطْرون، ومن تزكُّون أحقّ بالذمّ ممن تَعِيبُون ! فيقول له المُغيرة : يا حُجر وَيْحَك ! كُفَّ عن[2] هذا واتق غَضَب[3] السلطان وسطوتَه فإنها كثيرا ما تقتلُ مثلك ! ثم يكفّ عنه .

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوما يخطب على المنبر فنال من علىّ رضى الله عنه. ولعنه ولعن شيعته وبالغ فى ذلك، فوثب حُجر فنعر به نَعْرة أسْمَعت[4] من كان فى المسجد وخارجه وقال له : أيها الإنسان إنك لا تدرى بمن تُولع[5] ! أوَ هَرِمْتَ ؟ مُرْ لنا بأعطياتنا وأرزاقنا فقد حبستها عَنّا ولم يكن لك ذلك ولا لمن كان قبلك. وقد أصبحتَ مولَعاً بذمّ أمير المؤمنين وتزكية[6] المجرمين . وقام معه أكثر من ثمانين[7] نفسا

---

* الأغانى (طبع بولاق) : ١٦/١-١١ ، (طبع بيروت): ١٧/٧٩-٩٦ تهذيب ابن عساكر ٣/٢ تاريخ الطبرى : (حوادث سنة إحدى وخمسين هجرية) .

(١) القراءة « يا أيها الذين آمنوا . (سورة النساء : ١٣٥) ولعل الذى هنا اقتباس .

(٢) فى غ : من .

(٣) فى غ : غضبة .

(٤) فى النسخ : سمعت من كل مكان ورجحنا رواية : غ .

(٥) تولع : تغرى .

(٦) فى غ : تقريظ .

(٧) فى غ : ثلاثين .

يقولون : صدق والله حُجْر ، مُرْ لنا بأعطياتنا فإننا لا ننتفع بقولك هذا ولا يجدى علينا . وأكثروا من[١] ذلك. فنزل المُغيرة ودخل القصر ، فاستأذن عليه قوم ودخلوا فلاموه فى احتماله حُجرا . فقال لهم : إنى قد قتلتُه! قالوا : وكيف ذلك ؟ فقال : إنه سيأتى أمير بعدى فيحسبه مثلى فيصنع به شبه ماتَرَوْنَه فيأخذه فى[٢] أول وَهْلَة فيقتُلُه شرَّ قِتْلة، وإنه قد قَرُبَ أجلى وضَعُف عملى ، وما أحبّ أن أبتدئ أهلَ هذا المصر بقَتْل خِيارهم وسفك دمائهم فيسعدُوا بذلك وأشْقَى ، ويعزُّ معاوية فى الدنيا ويذلّ المُغيرة فى الآخرة . سيذكروننى إذا[٣] جربوا العُمّال (وقد جَرَّبوا فكان المغيرة خيرهم) .

ثم هلك المغيرة سنة خمسين[٤] فجُمعت الكوفة والبصرة لزياد ، فدخلها ووجَّه إلى حُجر فجاءه وكان له قبل ذلك صديقا ، فقال له : قد بلغنى ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتَمِلُه منك وإنى والله لا أحتملك على مثل ذلك . أرأيت ما كنت تعرفنى به من حبّ على [ووده][٥] فإن الله تعالى قد سلخه من صدرى وصيّره بغضا وعداوة ، وما كنت تعرفنى به من بغض معاوية وعداوته فإن الله تعالى قد سلخه من صدرى وجعله[٦] حبًّا ومودَّة . وإنى أخوك [الذى تعهد][٧] إذا أتيتنى وأنا جالس للناس فاجلس معى على مجلسى، وإذا أتيت ولم[٨] أخرج فاجلس حتى أخرج إليك. ولك عندى فى كل يوم حاجتان : حاجة غُدْوة وحاجة عَشِيّة . إنك إن تستقِمْ تسلَمْ لك دنياك

---

(١) فى غ : فى .
(٢) فى غ : عند .
(٣) فى غ وابن عساكر : لو قد جربوا .
(٤) فى ابن عساكر : إحدى وخمسين .
(٥) زيادة من غ لتتميم المقابلة فى الجملة .
(٦) فى غ : حوله .
(٧) تكملة من غ .
(٨) فى غ : ولم أجلس للناس .

ودِينك ، وإنْ تأخذ يمينا وشمالا تُهْلِكْ نفسَك وتُشِيط[١] عندى دمك . إنّى لا أحب التنكيل قبل التقدِمَة ، ولا آخذ بغير حُجّة . اللهمّ اشْهَد ! فقال حُجر : لن يرَى الأميرُ منّى إلا ما يُحِبّ ، وقد نصح وأنا قابل نصحه .

ثم خرج من عنده فكان يتقّيه ويهابه . وكان زياد يُدنيه ويكرمه ويفضّله ، والشيعة تختلف إلى حُجر وتسمع منه .

وكان زياد يشتو بالبصرة ويَصِيف بالكوفة ، ويستخلف على البصرة سَمُرَة ابن جُندب ، وعلى الكوفة عَمْرو بن حُريث . فقال له عُمارة بن عقبة : إن الشيعة تختلف إلى حُجر ولا أراه عندخروجك إلّا ثائرا . فدعاه زياد فحذّره ووعظه،وخرج إلى البصرة واستعمل عَمرو بن حُريث ، فجعلت الشيعة تختلف إلى حُجر، ويجىء حتى يجلس فى المسجد وتجتمع عليه الشيعة فيأخذ[٢] ثلث المسجد أو نصفه ، وتطيف بهم النظّارة ويمتلئ المسجد ، وترتفع أصواتهم بالتكبير وذمّ معاوية وشتمه وسبّ[٣] زياد . فبلغ ذلك عَمْرَو بن حُريث ، فصعد المنبر واجتمع إليه أشراف المصر فحثّهم على الطاعة والجماعة وحذّرهم الخلاف . فوثب إليه عُنُق[٤] من أصحاب حُجر يكبّرون ويشتُمون حتى دَنَوا منه فحَصَبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر وأغلق بابه[٥] . وكتب إلى زياد بالخبر . فلمّا أتاه أنشد يتمثّل بقول كعب [بن مالك] :

فلما غدوا بالعِرْض قال سَراتنا علام إذا لم نمنع العِرْض يُزْرَع[٦]

(١) أشاط دمه : عرضه للقتل .

(٢) فى غ : حتى يأخذ .

(٣) فى غ : ونقص .

(٤) عنق : جماعة من الرؤساء .

(٥) فى غ : عليه بابه .

(٦) العرض: الوادى فيه قرى ومياه ، وأعراض المدينة: بطون سوادها حيث الزروع والنخيل ورواية البيت فى البلدان لياقوت :

ولما هبطنا العِرض قال سراتنا علام إذا لم نحفظ العِرْض نَزْرَع

ما أنا بشىء إذا لم أمنع الـكوفة من حُجر وأدَعُه نـكالا لمَنْ بعده . ويْل أمّك حُجْر ! لقد سقط بك العَشاء على سِرْحان[1] . ثم أتى الـكوفة فدخل القصر وخرج وعليه قَباء سندس ومُطرَف خزّ أخضر ، وحُجْرٌ جالس فى المسجد وحوله أصحابه أكثر[2] ما كانوا. فصعد المنبر وخطب وحذّر الناس ثم قال لشدّاد بن الهَيْثم الهلالى ــ أمير الشُرَط ــ : اذهب فأْتِنى بحُجر . فذهب إليه فدعاه . فقال أصحابه : لا يأتيه ولا كرامة . وسبُّوا الشُرَط ، فرجعوا إلى زياد فأخبروه . فقال : يا أشراف الـكوفة أَتَشُجُّون بيَدٍ وتأسُون بأخرى ؟ ! أبدانـكم عندى وأهواؤكم عند[3] هذا الجَهْجاه[4] المَذبوب[5] . أنتم معى وإخوانـكم وأبناؤكم وعبيدكم[6] وعشيركم مع حُجر . فوثبوا إلى زياد فقالوا : معاذ الله أن يَـكون لنا ههنا إلا طاعتك وطاعة أميرالمؤمنين ورضاه ، وكلّ ما ظننت أنّ فيه رضاك فمُرْنا به . فقال : ليَقُم كلّ امرئ منـكم إلى هذه الجماعة التى حول حُجْر فليَدْعُ الرجلُ أخاه وابنَه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى يقوم[7] عنه كل من استطعتم . ففعلوا ، وجعلوا يُقِيمون عنه أصحابه حتى تفرّق أكثرهم وبقى أقلُّهم . فلما رأى زيادٌ خِفَّة أصحابه قال لصاحب شرطته : اذْهَبْ فأْتِنى بحُجر ، فإن تَبِعك وإلّا فمُرْ من معك أن يشرعوا عَمَدَ السيوف ثم اشتدّوا[8] عليه حتى تأتوا به وتضربوا من حال دونه . فلما أتاه شدّاد قال له: أَجب الأمير! فقال أصحابُ

---

(١) مثل يضرب فى طلب الحاجة تؤدى إلى تلف صاحبها . وأصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء فوقع على سرحان القريعى وكان من شياطين العرب فقتله .

(٢) ليس فى غ .

(٣) فى غ : مع .

(٤) الجهجاه : الصياح . فى غ : الهجاجة : وهو الأحمق .

(٥) فى ت : المذبذب .

(٦) ليس فى غ .

(٧) فى غ : تقيموا .

(٨) فى غ : يشدوا .

حُجر، لا ولا نَعمةَ عين. فقال لأصحابه: على بعَمد السيوف فاشتدّوا إليها فأقبلوا بها .
فقال عُمير بن يزيد الكلبي : إنه ليس معك رجل معه سيف غيرى فما يغنى سيفى ؟ !
قال : فما ترى ؟ قال : قم من هذا المكان فالْحَقْ بأهلك يَمْنَعْك قومك . فقام وزيادٌ
ينظر من[١] المنبر إليهم فغشُوا حُجرا بالعَمَد . فضرب رجل يقال له بكر بن عبيد
من الحمراء رأس عَمْرو بن الحمق بعَمُود فوقع ، وأتاه أبو سفيان بن العُوَيْمر والعجلانُ
ابن ربيعة — رجلان من الأزد — فأتيا به دار رجل من الأزد يقال له عبيدالله بن مزعل[٢]
فتوارَى بها .

قال عبيد الله[٣] بن عون : لما انصرفنا [عن غزوة باجُمَيْرا] قبل قتل عبد الملك
مُصْعَبا بعام، إذا أنا بالأَحْمَرِىّ الذى ضرب عَمْرو بن الحمق يسايرنى ، ولا والله ما رأيته
منذ ذلك ، وما كنت أرَى لو رأيته أن أعرِفه . فلما رأيته ظننته هو، وذلك حين نظرنا
أبيات الكوفة ، وكرهت أن أسأله : أأنت ضاربُ عَمْرو بن الحمق فيُكابرنى ،
فقلت له : ما رأيتك منذ اليوم الذى ضربت فيه رأس عمرو بن الحمق بالعَمُود فى المسجد
فصرعته حتى يومى هذا . ولقد عرفتك الآن حين رأيتك . فقال لى: لا تَعْدَم بصرَك!
ما أَثْبَتَ نظرك ! كان ذلك أمر السلطان[٤]. أما والله لقد بلغنى أنه كان امرأً صالحا.
ولقد ندمت على تلك الضربة وأستغفر الله . فقلت له : الآن ترى[٥] ؟! لا والله
لا نفترق أنا وأنت حتى أضربك فى رأسك مثل الضربة التى ضربتها عَمرو بن الحمق
وأموت أو تموت . قال : فناشدنى وسألنى بالله فأبيت عليه . ودعوت غلاما لى يدعى
رَشيدا[٦] من سَبْى أصفهان معه قناة صُلبة فأخذتها منه، ثم حملت عليه فنزل عن دابّته

(١) فى غ : على .
(٢) فى غ : موعد .
(٣) عبيد الله بن عون : فى ت: عبد الله بن عوف، والتصويب من غ .
(٤) فى غ : الشيطان .
(٥) فى ت : ألا ترى .
(٦) فى غ : بشيرا .

فلحقته[١] حين استوت قدماه على الأرض فأصفقت[٢] بها هامته ، فخرّ لوجهه وتركته ومضيت . فبرئ بعد ذلك ، فلقيتُه مرتين من دهرى كلّ ذلك يقول لى : اللهُ بينى وبينك . فأقول له : واللهُ بينك وبين عمرو بن الحمق .

قال : ثم إن زيادا قال وهو على المنبر : لتقُمْ هَمْدان وتميم وهَوازن وابنا بَغِيض ومَذْحج وأَسَد وغَطفان فليأتوا جَبَّانة كِنْدَة ، وليمضوا من ثَمَّ إلى حُجر فليأتونى به . ثم كره أن تسير مضر مع اليمن فيقع شَغْب واختلاف ، أو تَفْسُد الحَمِيّة فيما بينهم ، فقال : لتقَمْ تميم وهَوازن وأسد وغطفان ، ولتمض مَذْحج وهَمْدان إلى جَبَّانة كِندة فليأتونى بحُجر وليَسِرْ سائر[٣] أهل اليمن حتى ينزلوا جبّانة الصيداويين[٤] وليمضوا إلى صاحبهم فليأتونى به . فخرجت الأزد وبَجيلة وخَثْعَم والأنصار وقُضاعة وخُزاعة فنزلوا جبّانة كندة ، ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كِنْدَة . فتشاور أهل اليمن فى أمر حُجر ، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخنف : أنا مشير عليكم برأى فإن قبلتموه سلمتم من اللائمة والإثم ، وهو : أنْ تَلَبَّثوا قليلا يكفيكم عجلةُ شباب مَذْحج وهَمْدان ما تكرهون أن تَلُوه[٥] من مساءة قومكم فى صاحبكم . فأجمع رأيهم على ذلك . فما كان إلا قليلا[٦] حتى أُتينا فقيل لنا : إن شباب مَذْحج وهَمدان قد دخلوا فأخذوا كلّ ما وجدوا فى بنى بَجيلة . قال : فمرّ أهل اليمن على نواحى دور كندة مُعَذِّرين . فبلغ ذلك زيادا فأثنى على مَذْحج وهَمْدان وذمَّ أهل اليمن .

فلما انتهى حُجر إلى داره رأى قلّة من معه فقال لأصحابه : انصرفوا فما لكم طاقة

---

(١) فى غ : فألحقه .

(٢) أصفق هامته : ضربها ضربة سمع لها صوت .

(٣) ليس فى غ .

(٤) فى ت : الصائدين .

(٥) فى غ : يكون .

(٦) إلا قليلا : فى غ : إلا كلا ولا . يريد قصر الوقت الذى يتسع لكلمتى : لا ولا .

بمن اجتمع عليكم من قومكم ، وما أحبّ أن أعرّضكم للهلاك . فذهبوا لينصرفوا فلحقهم أوائل الخيل من مَذْحج وهَمْدان ، فعطف عليهم عُمَير بن يزيد وقيسُ بن يزيد وعُبَيْدَة بن عَمْرو وجماعة ، فقاتلوا ساعة فجُرحوا ، وأسروا قيس بن يزيد وأفلت سائر القوم . فقال لهم حُجر : لا أبَا لكم تفرّقوا لا تقتلوا فإنى آخذٌ فى بعض هذه الطرق . ثم أخذ نحو طريق بنى كعب[1] من كندة حتى أتى دار رجل منهم يقال له سليمان بن يزيد فأدخله داره ، وجاء القوم فى طلبه حتى انتهوا إلى تلك الدار فأخذ سليمان بن يزيد سيفَه وذهب ليخرج فبكت بناتُه . فقال له حُجر : ما تريد أن تفعل لا أبا لغيرك ! قال : أريد أن ينصرفوا عنك فإن فعلوا وإلا ضاربتهم بسيفى هذا ما ثبت قائمه فى يدى دونك . فقال له حُجر : بئس والله إذًا ما دخلت به على بناتك! أمَا فى دارك هذه حائط أقتحمه أو خَوْخَة[2] أخرج منها عسى الله أن يسلّمنى منهم ويسلّمك ؟ فإن القوم إن لم يقدروا علىّ فى دارك لم يضرّوك . قال : بل هذه خوخة تخرجك إلى دور بنى العَنْبر من كِنْدَة . فخرج معه فِتْيَة من الحىّ يقصّون له الطريق ويسلكون به الأزقّة حتى أفضى إلى النَّخَع . فقال : انصرفوا رحمكم الله . فانصرفوا عنه . فأقبل إلى دار عبدالله بن الحارث أخى الأشتر فدخلها، فإنه لكذلك وقد ألقى له عبد الله الفرش وبسط البُسُط وتلقّاه بالبشر إذ أُتِىَ فقيل له: إنّ الشُّرَط تسأل عنك فى النَّخَع ، وذلك أنّ أَمَةً سوداء يُقال لها أَدْماء لَقِيَتْهم فقالت : مَنْ تطلبون ؟ قالوا : نطلب حُجرا . قالت : هو ذا قد رأيته فى النَّخَع ، فانصرفوا نحو النخع . فخرج متنكرا وركب معه عبد الله ليلا حتى أتى دار ربيعة بن ناجذ الأزْدِىّ فنزل بها فمكث يوما وليلة .

فلما أعجزهم أن يقدروا عليه دعا زيادٌ محمد بن الأشعث فقال له : أما والله لتأتينّى

---

(١) فى غ وابن عساكر : حرب .

(٢) خوخة : مخرج خلف الدار .

بحُجر أو لا أَدَع لك نخلة إلا قطعتُها ، ولا داراً إلّا هدمتُها ، ثم لا تسلم منى بذلك حتى أقطِّعك إرْبا إرْبا . فقال له : أمهلنى أطلبه . قال : قد أمهلتك ثلاثاً فإن جئت به وإلّا اعْدُدْ نفسك من الهَلْـكَى . وأُخرج به نحو السجن وهو ممتقع اللّون يُتَلّ[1] تَلاًّ عنيفا . فقال له حُجر بن يزيد الـكِندى ضمّنيه وخَلّ سبيله[2] ليطلب صاحبه ، فإنه مُخَلَّى سبيلُه أحرى أن يقدر عليه [منه] إذا كان محبوسا . قال : فتضمنه ؟ قال : نعم . قال : أما والله لئن حاص[3] عنك لأزيرنَّك شعوبا[4] ، وإن كنت الآن علىّ كريما . قال : إنه لا يفعل . فخلّى سبيله .

ثم إن حجر بن يزيد كلّمه فى قيس بن يزيد وقد أُتِى به أسيرا فقال : ما عليه من بأس ، فإنّى قد عرفت رأيه فى[5] عثمان وبلاه مع أمير المؤمنين بصفّين . ثم أرسل إليه فأتى به فقال : قد علمت أنك لم تقاتل مع حجر أنّك ترى رأيه ، ولـكنك قاتلت معه حميّة . وقد غفرناه لك ، لِماَ نعلمه من حسن رأيك ، ولـكنى لاأدعك حتى تأتينى بعُمَير أخيك . فقال : أجيئك به إن شاء الله تعالى . قال : هاتِ من يضمنه معك . قال : هذا حجر بن يزيد . قال حجر : نعم على أن تؤمّنه على ماله ودمه . فقال : ذلك لك . فانطلقا فأتيا به فأمر به فأُوقِرَ حديداً ، ثم أخذته الرجال ترفعه حتى إذا بلغ سُرَرَها أَلْقَوْه فوقع على وجهه ، ثم رفعوه فألْقَوْه ففُعل به ذلك مرارا . فقام إليه حُجر بن يزيد . فقال : ألم[6] تؤمّنه على ماله ودمه ؟ ! قال بلى لست أهريق له دما

---

(١) يتل : يدفع من خلف فى عنف .

(٢) فى غ : سر به .

(٣) حاص : هرب وحاد .

(٤) لأزيرنك شعوبا: لأخيفن بك غيرك . وفى غ : لأوردنك شعوب ، وشعوب : الهلـكة والموت .

(٥) فى ك : مع. والتصويب من غ.

(٦) فى غ : أولم .

ولا آخذ له مالا . قال : هذا يُشفِى به على الموت . وقام كل من كان عنده من أهل اليمن فكلّموه فيه . فقال : أتضمنونه لى بنفسه حتى[1] إن أحدث حدثا تأتوننى به ؟ قالوا : نعم . نخلّى سبيله .

ومكث حجر فى منزل ربيعة بن ناجذ الأزدى يوما وليلة ثم بعث إلى ابن الأشعث غلاما له يدعى رشيداً من سبى أصفهان فقال له : إنه بلغنى ما استقبلك به هذا الجبار العنيد فلا يهولَنَّك شىء من أمره فإنى خارج إليك ، فاجمع نفراً من قومك وادْخُل عليه وسله أن يؤمِّننى حتى يبعث[2] بى إلى معاوية فيرى فِىَّ رأيه . فخرج محمد إلى حُجر بن يزيد [وجرير بن عبد الله][3] وعبد الله أخى الأشتر فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر . فأجاب . فبعثوا إليه رسوله يُعلمه بذلك فأقبل حتى أتى زياداً ، فقال له : مرحباً يا أبا عبد الرحمن ، حربٌ فى أيام الحرب ، وحربٌ وقد سالم الناس ! على نفسها تَجْنِى براقش[4] . فقال : ماخلعتُ يداً من طاعة ، ولا فارقت الجماعة ، وإنى لعلى بيعتى . قال : هيهات يا حُجر أتَشُجُّ بيدٍ وتأسُو بأخرَى وتريد إذا أمكننا الله منك أن نرضى منك بهذا القول ؟! هيهات والله ! قال : أو لم تؤمِّننى حتى آتِى معاوية ؟ قال : بلى . انطلقوا به إلى السجن . فلما مضى قال : أما والله لولا أمانه ما يبرح حتى يلفظ عصبه . فأُخْرِج وعليه بُرنس فى غداةٍ باردة وحُبس عشر ليال ، وزيادٌ ماله عملٌ غير الطلب لرءوس أصحاب حجر .

فخرج عَمْرو بنُ الحَمِق ورفاعة بن شَدّاد حتى نزلا بالمدائن وارتحلا إلى الموصل . فكمنا فى جَبل . وبلغ ذلك عبدَ الله بن أبى بَلْتَعة عامل الرُّستاق[5] خبرهما فأقبل

---

(١) فى غ : متى أحدث .

(٢) يبعث بى : فى غ : يبعثنى .

(٣) ما بين القوسين زيادة من غ وهى فى ك غير واضحة .

(٤) براقش : اسم كلب دل قوما على أربابه فهلكوا .

(٥) الرستاق : الموضع فيه زروع وقرى ولا يقال ذلك للمدن .

إليهما ـ إلى الجبل ـ ومعه أهل البلد ، فأُخرِجا . فأما عمرو فكان بطنه قد استُسْقِى[1] فلم يكن عنده امتناع . وأما رفاعة فكان شابًّا قويا فوثب على فرس له جواد ، وقال لعمرو : أقاتل عنك ؟ قال وما ينفعنى أن تُقْتَل . انْجُ بنفسك ، فحمل عليهم فأفرجوا له حتى أخرجه فرسه ، وخرجت الخيل فى طلبه وكان راميا فلم يلحقه فارس إلّا رماه فجرحه أو عقره ، فانصرفوا عنه . وأخذوا عمرو بن الحمق ، فسأله من أنت ؟ فقال : مَنْ إن تركتموه كان أسلم لكم وإن قتلتموه كان أَضَرَّ عليكم . فسألوه فأبَى أن يخبرهم . فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان الثقفى ، وهو ابن أمّ الحكم ، فلما رآه عرفه فكتب إلى معاوية بخبره . فكتب إليه معاوية : إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات، وإنا لا نتعدى عليه فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان . فأخرج وطُعن تسع طعنات مات فى الأولى منهنّ أو فى الثانية ، وبُعِثَ برأسه إلى معاوية ، فكان أول رأس حُمِل فى الإسلام .

وجدّ زيادٌ فى طلب أصحاب حُجر وهم يهربون منه ويأخذ من قدر عليه منهم . فجاء قيس بن عباد الشَّيْبانىّ إلى زياد فقال له : إنّ امرأً منّا يقال له صيفىّ بن قسيل من رءوس أصحاب حُجر وهو من أشدّ الناس عليك . فبعث إليه فأُتِى به فقال له : يا عدوّ الله ما تقول فى أبى تراب[2] ؟ فقال : ما أعرف أبا تراب ! قال : ما أعرفك به . أَما تعرف علىّ بن أَبى طالب ؟ قال : بلى ! قال : فذاك أَبو تراب . قال : كلّا ذاك أَبو الحسن والحسين. فقال له صاحب الشُّرْطة : أَيقول لك الأمير: هو أَبو تراب وتقول: لا. قال : كذب الأمير أَفأَكذب وأَشهد له بالباطل كما شهد أَيضا؟! فقال له زياد : وهذا أَيضا مع ذَنْبِك ! علىَّ بالعِصِىّ فأُتِىَ بها فقال : ماقولك فى علىّ؟ فقال أَحسن قول أَنا قائله فى عبد من عبيد الله أَقوله فى أَمير المؤمنين . قال اضربوا عاتقه

(١) الاستسقاء : تجمع ماء فى البطن عن مرض .

(٢) أبو تراب : كنية كانت تطلق على الإمام على بن أبى طالب .

بالعِصِىّ حتى يلصق بالأرض ، فضرب حتى لصق بالأرض . قال : أَقلعوا عنه . ما قولك فيه ؟ قال : والله لو شرحتنى بالمُدَى والمَواسِى ما زِلْتُ عمّا سمعتَ ! قال : لَتَلْعَنَنَّه أو لأضربنّ عنقك . قال : إذًا والله تضربها قبل أن ألعنه فأسعد أنا وتشقى أنت . قال : أوقِرُوه حديدا واطرحوه فى السجن .

وجمع زياد اثنى عشر رجلًا من أصحاب حُجر بن عدىّ فى السجن ، وبعث إلى رءوس الأرباع فأحضرهم[1] وقال : اشهدوا على حُجر بما رأيتموه ، وهم : عمرو ابن حُرَيْث ، وخالد بن عُرْفُطَة ، وقيس بن الوليد ، وأبو بُرْدَة بن أبى موسى الأشعرى. فشهدوا أنّ حُجرا جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة وسبّ[2] زيادا ، وأظهر عُذْرَ أبى تُراب والترحّم عليه والبراءة من عدوّه ، وأهل حزبه ، وأنّ هؤلاء الذين معه رءوس أصحابه وعلى مثال واحد[3] . ونظر زياد فى الشهادة فقال : أظن[4] هذه الشهادة قاطعة وأحبّ أن تكونوا أكثر من أربعة .

فكتب أبو بُردة بن أبى موسى : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه أبو بُرْدَة بن أبى مُوسى لله رب العالمين أنّ حجر بن عدىّ خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله كفرةً صلعاء» . فقال زياد : على مثل هذه الشهادة فاشهدوا : والله لأجهدنّ فى قطع عُنق الخائن الأحمق . فشهد رءوس الأرباع الثلاثة الآخرون على مثل ذلك، ثم دعا الناس فقال : اشهدوا على مثل ما شهد عليه رءوس الأرباع، فقام عثمان بن شُرَحْبِيل التَّيْمى أول الناس فقال: اكتبوا اسمى. فقال زياد ابدءوا بقريش ثم اكتبوا اسمه . فشهد جماعة منهم إسحاق وموسى وإسماعيل

(١) فى غ : فأشخصهم.
(٢) فى غ : عيب .
(٣) مثال واحد : فى غ : مثل رأيه .
(٤) فى غ : ما أظن .

بنو طلحة بن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وعُمارة بن عُقبة[١] ، وعمرو[٢] بن سعد ابن أبي وقاص ، وشدّاد بن المنذر أخو الحصين بن المنذر . وجماعة . وكان شدّاد ابن المنذر يُدْعَى بابن بُزَيْعة فكتب شداد بن بُزيعة ، فقال زياد : أما لهذا أبٌ ينسب إليه؟ الغوا هذا من الشهود . فقيل له: إنه أخو الحصين بن المنذر فقال: انسبوه إلى أبيه. فبلغ ذلك شدّاد . فقال : والهفاه على ابن الزانية ، أو ليست أمّه أعرف من أبيه . فوالله ما ينسب إلا إلى أمّه سُمَيَّة . وكان في الشهود أسماء بن خارجة ، وشَمِر بن ذي[٣] الجَوْشَن ، وشَبَث[٤] بن رِبعي ، وشريح بن هانئ ، وسِماك بن مَخْرمة الأسدي صاحب المسجد . ودعا المختار بن عبيدة وعُروة بن المغيرة بن شُعْبة إلى الشهادة فراغا . وشهد سبعون رجلا .

ودفع الشهادة إلى وائل بن حُجْر وكَثِير بن شهاب وبعثهما عليهم ، وأمرها أن يخرجوهم فخرجوا عشية وسار معهم أصحاب الشرط ، فلما انتهوا إلى جَبّانة[٥] عَرْزَم وإذا بنات حُجْرٍ مشرفات. فقال لوائل وكَثير: أدنياني إلى أهلي أُوصِ . فأدنياه فلما دنا منهنّ بكت بناته فسكت عنهن ساعة ثم قال : اسكتن فسكتن . فقال: اتقين الله واصبرْن فإني أرجو من ربي في وَجْهِي هذا خيرا ، إحدى الحسنيين : إمّا الشهادة فهي السعادة وإما الانصراف إليكن في عافية ، فإن الذي كان يرزقكن ويكفيني مؤنتكن هو الله عز وجل ، وهو حيّ لا يموت ، وأرجو ألا يضيعكنّ الله ، وأن يحفظني فيكن . ثم انصرف فجعل قومه يدعون له بالعافية .

(١) في نسخة : عتبة .

(٢) في غ : عمر .

(٣) في ك : أبي الجوشن والتصويب من غ .

(٤) في ك : شبيب والتصويب من غ .

(٥) الجبانة : اسم يطلق عند أهل الكوفة على المقابر قال ياقوت: وبالكوفة محال تسمى بهذا الاسم وتضاف إلى القبائل، ثم عد منها جبانة عرزم، وجبانة كندة، وقد ورد ذكرها في خبر حجر ابن عدي هنا .

وجاء شُرَيح بن هانئ بكتاب فقال : أبلغوا هذا عَنِّى أميرَ المؤمنين . فتحمّله وائل بن حجر ومَضَوا بهم حتى انتهوا إلى مَرْج عَذْراء فحبسوا به ، وهم : حُجر بن عدىّ ، والأرقم بن عبد الله الكِنْدى ، وشَرِيك بن شَدّاد الحضرمىّ ، وصَيْفىّ بن قشيل[1] الشَّيْبانى ، وقبيصة بن ضُبَيعة العَبْسِى ، وكَرِيم بن عَفِيف الخَثْعَمِى ، وعاصم بن عوف البَجَلى ، وكِدام بن حَيّان وعبد الرحمن بن حسان العَنَزيان ، ومحرز ابن شهاب المِنْقرى ، وعبد الله بن جُؤَيّة التميمى . وأتبعهم زيادٌ بُعتبة بن الأخنس السعدى وسَعِيد بن نِمْران الهَمْدانى فكانوا أربعة عشر .

فبعث معاوية إلى وائلٍ وكَثِير فأدخلهما ، وفضّ الكتاب وقرأه على أهل الشام ، فإذا فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله معاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين من زياد بن أبى سفيان ، أمّا بعد ، فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء ، وأذلّ[2] له الأعداء ، وكفاه مؤنة من بغى عليه . إن طوائف[3] من هذه الترابيَّة[4] السابة رأسهم حجر بن عدى خلعوا أمير المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين ، ونصبوا لنا حَرْبا فأطفأها الله عليهم وأمكننا منهم . وقد دعوت خِيار أهل المصر وأشرافهم وذوى النُّهَى والدِّين فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا منهم . وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم أسفل كتابى هذا » .

فقرأ الكتاب وقال : ما ترون فى هؤلاء ؟ فقال يَزيد بن أسد البَجَلى : أرى أن تفرقهم فى قرى الشام فيكفيكهم طواغيتها .

---

(١) فى غ : فسيل (بالسين المهملة) وما هنا موافق لما فى تاريخ الإسلام للذهبى (٢/٢٩٢) صيفى بن قشيل (بالقاف) أو فشيل الربعى كوفى من شيعة على قتل صبرا مع حجر .

(٢) أذلّ له الأعداء ، فى غ : أدال له من عدوه .

(٣) فى غ : طواغيت .

(٤) لقب كانوا يطلقونه على أتباع الإمام على لأنهم كانوا يكنونه بأبى تراب يعتبرونه نبذا .

ودفع [1] وائلٌ كتابَ شُرَيح بن هانئ إلى معاوية فقرأه وإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شُرَيح بن هانىء ، أما بعد ، فقد بلغنى أن زيادا كتب إليك بشهادتى على حُجر . وإنّ شهادتى على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، حرام المال والدم ، فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه » . فقرأ كتابه على وائل وقال : ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم .

فحبس القوم وكتب إلى زياد :

«فهمت ما اقتصصت من أمر حُجر وأصحابه والشهادة عليهم ، فأحيانا أرى أن قتلهم أفضل ، وأحيانا أرى أن العفو عنهم أفضل من قتلهم » .

فكتب زياد إليه مع يزيد بن حُجَيَّة التَّيْمى :

«قد عجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم مع شهادة أهل مصرهم عليهم ، وهم أعلم بهم، فإن كانت لك حاجة فى هذا المِصْر فلا تَرُدَّنَّ حُجراً وأصحابه إليه» .

فمرّ يزيد بن حُجَيَّة بحجر وأصحابه فأخبرهم ما كتب به زياد . فقال له حُجر : أبلغ أمير المؤمنين أنّا على بيعته ما نقيلها ولا نستقيلها ، وإنما شهد علينا الأعداء والأظِنَّاء [2] . فقدم يزيد بن حُجَيَّة على معاوية بالكتاب وأخبره بقول حجر . فقال معاوية : زيادٌ عندنا أصدق من حجر .

وكتب جرير بن عبد الله فى أمر الرجلين اللذين من بَجِيلة فوهبهما له ، وطلب وائل بن حجر فى الأرقم الكندى فتركه له ، وطلب أبو الأعور فى عتبة بن الأخنس فوهبه له ، وطلب حمزة بن مالك الهمدانى فى سعيد بن نمران فوهبه له ، وتكلم

---

(١) من هنا نقص فى نسخة ك .

(٢) فى ت : الأحناء وهو تصحيف . والأظناء : جمع ظنين وهو المتهم .

حَبِيب بن مسلمة فى عبدالله بن جُوَيَّة فخَلَّى سبيله ، فقام مالك بن هبيرة فسأله فى حجر فلم يشفِّعه . فغضب وجلس فى بيته .

وبعث معاوية هَدِيَّة بن فيَّاض القُضاعى والُحصين بن عبد الله الكلابى وآخر معهما يقال له أبو صَرِيف البدرى فأتوهم عند المساء . فقال الخَثْعَمِى حين رأى الأعور : يُقْتَلُ نصفُنا وينجو نصفنا . فقال سعيد بن نمران : اللهم اجعلنى ممن ينجو وأنت عنّى راضٍ . فقال عبد الرحمن بن حسان : اللهم اجعلنى ممن تكرم بهوانهم ، وأنت عنى راض ، فطالما عرّضْتُ نفسى للقتل فأبَى الله إلا ما أراد . فجاء رسول معاوية إليهم بتخلية ستة نفر منهم وبقى ثمانية فقال لهم رسل معاوية : إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علىّ واللعنَ له ، فإن فعلتم هذا تركناكم وإن أبيتم قتلناكم . وأمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حَلَّت بشهادة أهل مصركم عليكم ، غير أنه قد عفا عن ذلك فابرءوا من هذا الرجل يُخْل سبيلكم . قالوا : لسنا فاعلين . فأمر بقيودهم فحُلّت وأُتِىَ بأكفانهم ، فقاموا طول ليلتهم يصلّون . فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : ياهؤلاء قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة وأحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم فى عثمان ؟ قالوا : هو أول من جار فى الحكم وعمل بغير الحق . قالوا : أمير المؤمنين أعرف بكم . ثم قاموا إليهم . فقالوا : أتبرؤون من هذا الرجل ؟ قالوا : بل نتوالاه[1] . فأخذ كل رجل منهم رجلا يقتله ، فوقع قبيصة فى يد أبى صَرِيف البدرى ، فقال له قبيصة : إن الشر بينى وبين قومك [أمين][2] فليقتلنى غيرك . فقال : برّتك رحم . فأخذه الحضرمى فقتله . وقتل القضاعىُّ صاحِبَه[3] .

(١) نتوالاه : نحبه . يقال : والى فلان فلانا . وفى غ : نتولاه .
(٢) ما بين القوسين زيادة من غ يقتضيها السياق ويوائمها الجواب — وأمين أى آمن .
(٣) فى الأصل : صاحب قبيصة والتصويب من : غ .

ثم قال لهم حُجر : دعونى أصلّى ركعتين فإنى والله ما توضأت قط إلا صلّيت . قالوا له: صلّ. فصلّى ثم انصرف . فقال : والله ما صلّيت صلاة قط هى أقصر منها ، ولولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لأحببت أن استكثر منها . ثم قال : اللهم إنا نستعديك على أمرائنا فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا ، وأن أهل الشام يقتلوننا . أما والله لئن قتلتمونى فإنى لأول فارس من المسلمين سلك فى واديها ، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها . فمشى إليه هَدِيَّة بن فياض بالسيف فأُرعدَت فرائصُه[1] فقال : كلا زعمت[2] أنك لا تجزع من الموت فإنا ندعك فتبرأ من صاحبك . فقال: مالى لا أجزع . وأنا أرى قبرا محفورا ، وكفنا منشورا ، وسيفا مشهورا ! وإنى والله وإن جزعت ما أقول ما يسخط الرب . فقتله .

وأقبلوا يقتلونهم واحدا واحدا حتى قتلوا ستة نفر . فقال عبد الرحمن بن حسان العَنزى ، وكريم بن عفيف الخثعمى ، ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول فى هذا الرجل مثل مقالته ، فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث أن ائتونى بهما فالتفتا إلى حُجر فقال له العنزى : لا تَبْعَدْ يا حُجر ولا يبعُد مَثْواكَ فنعم أخو الإسلام كنت ! وقال الخَثْعَمِىّ مثل ذلك. ثم مضى بهما فالتفت العنزى فقال متمثِّلاً :

كفى بشَفاة القَبْر بُعْدًا لهـالكٍ وبالموت قَطَّاعا لَحبْل القرائن

فلمّا دخلا عليه قال له الخثعمى : اللهَ اللهَ يا معاوية إنّك لمنقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ومسئول عمّا أردتَ بقتلنا ، وفيم سفكت دماءنا . قال : ما تقول فى علىّ ؟ قال : أقول فيه مثل قولك . أتبرأ من دين علىّ الذى كان يدين به ؟ فقام شَمِر بن عبد الله الخثعمى فاستوهبه منه . فقال : هو لك ، غير أنى

---

(١) فرائصه : فى غ : فصائله .

(٢) إلى هنا ينتهى النقص فى نسخة ك .

حابسه شهرا ، فحبسه وأطلقه على ألا يدخل الكوفة ما دام له سلطان . فنزل الموصل وكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة، فمات قبل معاوية بشهر .

وأقبل على عبد الرحمن بن حسان فقال : يا أخا ربيعة ماتقول فى علىّ ؟ فقال : أشهد أنه من الذاكرين الله كثيرا والآمرين بالمعروف والنَّاهِين عن المنكر والعافين عن الناس . قال : فما تقول فى عثمان ؟ فقال : هو أول من فتح أبواب الظُّلْم وأرتج أبواب الحق. قال : قتلت نفسك . قال : بل إياك قتلت . لا ربيعةَ بالوادى! يعنى أنه ليس ثَمَّ أحد من قومه فيتكلّم فيه . فبعث به معاوية إلىزياد وكتب إليه: هذا شرّ من بعثت به فعاقبه العقوبة التى هو أهلها ، واقتله شرّ قِتْلة . فلمّا قَدِم على زياد بعث به إلى قيس النَّاطِف فدفنه حَيًّا . فكانت القتلَى سبعة : حُجْر بن عدىّ ، وشَرِيك بن شَدَّاد ، وصيفىّ بن قشيل ، وقبيصة بن ضُبيعة، ومحرز بن شهاب ، وكدام بن حيان ، وعبد الرحمن بن حسان ، ونجا منهم سبعة[1] .

ثم إن معاوية بعث إلى مالك بن هُبَيْرة لمّا غضب بسبب حُجْر بن عدىّ مائة ألف درهم فرضي .

وكان الناس يقولون : أوّل ذُلّ دخل الكوفة قتلُ حُجْرٍ ، ودِعْوةُ زياد ، وقتل الحسين .

وكان معاوية عند موته يقول : أى يوم لى من ابن الأدبر طويل .

وكانت عائشة رضى الله عنها بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية فى حُجر وأصحابه فقدم عليه وقد قتلهم . فقال : أين غاب عنك حِلْمُ أبى سفيان ؟ قال حين غاب عنى مثلك من حلماء قومى! وحَمَّلنى ابن سمَيَّة فاحتملت .

(١) فى غ : سرد أسماء الناجين من القتل وهم : كريم بن عفيف الخثعمى، وعبد الله بن جؤية التميمى ، وعاصم بن عوف البجلى ، وورقاء بن سمى البجلى، وأرقم بن عبد الله الكندى ، وعتبة بن الأخنس السعدى من هوازن ، وسعيد بن نمران الهمذانى .

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لولا أَنَّا لم نغيّر شيئا قط إلّا آلت بنا الأمور إلى أشدّ مما كنا فيه لغيّرنا قَتْلُ حجر . أما والله إنْ كان لمُسلماً ما علمتُه [حاجا] معتمرا .

وقالت امرأة من كِنْدة[1] ترثي حُجر بن عديّ رضي الله عنه :

تَرَفّع أيها القمَرُ المُنيرُ ... لعلّك أنْ ترَى حُجْراً يَسيرُ
يَسيرُ إلى معاويةَ بنِ حَرْبٍ ... ليَقْتُلَه كما زَعَم الأميرُ
أَلَا ياليت حُجْراً مات مَوْتاً ... ولم يُنحَر كما نُحِرَ البَعيرُ
تَرَفّعت الجبابِرُ بعد حُجْرٍ ... وطاب لها الخَوَرْنَق والسَّدِيرُ[2]
وأصبحت البِلادُ له مُحُولًا ... كأنْ لم يُحيِها مُزْنٌ مَطِيرُ
أَلَا يا حُجْر حُجْر بني عَدِيٍّ ... تلقّتْك السلامة والسُّرورُ
أخافُ عليك سَطْوَةَ آلِ حَربٍ ... وشَيْخاً في دِمَشْقَ له زَئِيرُ
يرى قَتْلَ الخِيار عليه حَقًّا ... لَهُ من شرِّ أُمّتِه وَزِيرُ
فإنْ تَهلك فَكلّ زعيم قَوْمٍ ... إلى هُلْك من الدُّنيا يَصِيرُ

(١) في تهذيب ابن عساكر : ٨٦/٤ والطبري (حوادث سنة ٥١) وقالت هند بنت زيد الأنصارية وكانت شيعية . وتروى هذه الأبيات لأخت حجر بن عدي ورواه عبد الله بن الإمام أحمد ولما رواه أبو بكر بن عياش قال : قاتلها الله ما أشعرها !

(٢) الخورنق : قصر كان بظهر الحيرة اختلف في بانيه . والسدير : قصر كان قريبا من الخورنق .

الحُسَيْن بن مُطَيْر *

هو الحسين بن مُطَيْر بن مُكَمَّل مولى بني أسَد بن خُزيمة، ثم لبني سعد بن مالك ابن ثَعْلَبة بن دُودان بن أسد. وكان جدّه مُكَمَّل عبداً، فأعتقه مولاه: وقيل: كاتبه فسعَى في مكاتبته حتى أدّاها وأعتق. وهو من مُخَضْرَمي الدولتين الأمويّة والعبّاسية ومدحهما. وهو شاعر فصيح متقدّم في القصائد والرَّجز. وكان من ساكني زُبالَة، وكان زِيُّه وكلامه يُشبه مذاهبَ الأعراب وأهل البادية وذلك بين في شعره. ومن شعره[1]:

أُحِبُّك يا سَلْمَى على غير رِيبةٍ ... وما خَيْرُ حبٍّ لا تعفّ سرائرُه[2]

أُحِبُّك حُبًّا لا أعنِّفُ بعدَه ... مُحِبًّا ولكنِّى إذَا لِيمَ عاذِرُه

وقد ماتَ قَبْلِي أوّلُ الحبِّ وانقضَى ... ولو مِتُّ أَضحى الحبُّ قدماتَ آخِرُه

ولمَّا تناهَى الحبُّ في القَلْبِ وارِداً ... أقام وسُدَّتْ عنه صَفْواً[3] مصادِرُهُ

وفد الحسين بن مطير على مَعْن بن زائدة لمّا ولى [اليمن][4] وقد مدحه. فلمّا دخل عليه أنشده:

أتيتُك إذْ[5] لم يبق غيرَكَ جابِرٌ ... ولا واهبٌ يعطى اللُّهَا[6] والرَّغائبا

* الأغاني (بيروت): ١٥/٣٣١-٣٣٨- الأغاني (بولاق): ١٨/٣٣- تجريد الأغاني: ١٦٨٠-١٦٨٣- معجم الأدباء: ١٠/١٦٦-١٧٨ - تهذيب ابن عساكر: ٤/٣٦٤- طبقات ابن المعتز: ١١٤-١١٩.

(١) تهذيب ابن عساكر: ٤/٣٦٤ - معجم الأدباء: ١٠/١٧٣-١٧٥ باختلاف في الترتيب

(٢) في الأدباء: ولا بأس في حب تعف سرائره.

(٣) في غ: يوما. وفي التجريد: وسدت فيه عنه مصادره.

(٤) تكملة من غ ومعجم الأدباء.

(٥) إذ لم: في غ: لما.

(٦) اللها: العطايا الجزيلة.

فقال له معن : يا أخا بَنِى أسد ، ليس هذا بمَدْح ، إنّما المدح قولُ نَهارِ بن تَوْسِعة أخى تيم الله فى مِسْمَع بن مالك بن مِسمع :

قَلَّدَتْه عُرَا الأُمــــورِ نِزارٌ　　قَبْلَ أنْ تهلك السَّراةُ[1] البُحورُ

فغدا عليه بأرجوزة أوّلها :

حُدِّثْتُ لَيْلَى حَبَّذَا دَلَالُها[2]　　تَسْأَلُ عن حَالِى وما سُؤالُها

ومدحه فيها فاستحسنها وأجزل صِلَته .

أنشد رجلٌ الأصمعىّ لدِعْبل بن علىّ قولَه :

« أَيْنَ الشَّبابُ وأَيَّـةً سَلَـكا »

وعنده جماعة فاستحسنوا قوله منها :

لا تَعْجَبِى يا سَلْمَ منْ رَجُلٍ　　ضَحِكَ المَشيبُ برأسِه فبَـكَى

فقال الأصمعى : هذا سَرَقه من قول الحسين بن مُطَير :

أين أهلُ القِباب بالدَّهنـاءِ　　أينَ جِيرانُنا عـلى الإحْساءِ

فارَقُونَا والأرضُ مُلْبَسَةٌ نَوْ　　رَ الأقاحِى يُجـادُ بالأَنْواءِ

كُلَّ يومٍ بأقحوانٍ جَدِيـدٍ　　تَضْحكُ الأرْضُ من بُكاءِ السماءِ

قال المفضّل الضَبىّ : قال لى المهدىّ أسهرَتْنى البارحةَ أبياتُ الحسين بن مُطَير الأسدى . فقلت : وما هى ؟ قال : قوله :

وقـد تَغْدِر الدُّنيا فيُضْحِى غَنِيُّها　　فَقيراً ويَغْنَى بعد بُؤْسٍ فَقيرُها

فلا تَقْرَب الأمرَ الحرامَ فإنّـه　　حَلاوتُه تفْنَى ويَبْقَى مريرُهـا

وكم قد رَأَيْنا من تـكدُّر[3] عِيشَةٍ　　وأُخْرَى صفَى بعدا كْدِرارٍ غديرُها

(١) السراة : جمع سرى : السيد الشريف .

(٢) فى غ (بيروت) : حدثتها يا حبذا دلالها . وفى غ بولاق : حديث ريا حبذا إدلالها .

(٣) فى غ والتجريد : تغير .

فقال له المفضل : مثل هذا فليُسهرك ياأمير المؤمنين. وكان المهدى رقيقا فاستعبر.

وكان المفضّل خائفا من المهدى لخروجه مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن وكان محتاجا وعليه عشرة آلاف درهم دينا، فقال له المهدى: كيف حالك؟ فقال: كيف حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم! فأمر له بثلاثين ألف درهم وقال : اقض دَيْنك وأصلِح شأنك. فقبضها وانصرف .

دخل الحسين بن مُطَير الأسدى على المهدى فأنشده :

لو تَعْبُدُ الناسُ يا مهدِىّ أفضلَهم ... ما كان فى الناس إلّا أنتَ مَعْبُودُ
أضحت يَمِينُك من جُودٍ مُصوَّرَةً ... لا بَلْ يَمِينُك منها صُوِّر الجودُ
لو أنَّ من نُورِه مِثقالَ خَرْدَلةٍ ... فى السُّودِ طُرًّا إذاً لابيَضَّتِ السُّودُ

فأمر له عن كل بيت بألف درهم .

خرج المهدىّ يوما فوافقه الحسين بن مُطَير فأنشده[1] :

أضحت يَمِينُك من جُودٍ مصوَّرةً ... لا بَلْ يَمِينُك منها صُوِّرَ الجود

فقال : كذبت يافاسق ! وهل تركتَ فى شِعرك لأحدٍ موضعا بعد قولك فى مَعْن ابن زائدة :

أَلِمَّا[2] بمَعْنٍ ثمّ قولَا لقَبْرِهِ ... سَقَتْكَ الغوادِى مَرْبَعاً ثمَّ مَرْبعَا[3]
فيا قبرَ معنٍ أنتَ أوّلُ حُفْرَةٍ ... من الأرضِ خُطَّت للسَّماحَةِ مَوْضِعا
بَلَى قد وسِعْتَ الجودَ والجودُ ميّتٌ ... ولو كان حيًّا ضِقْتَ حتّى تَصدَّعا
فتًى عِيش فى معروفه بعد موته ... كما كان بَعْدَ السَّيلِ مَجْراه مَرْتعَا[4]

(١) معجم الأدباء : ١٠/١٦٨ .

(٢) فى المعجم : ألما على معن وقولا لقبره . ألم على الشىء : قصد نحوه .

(٣) مربعا : مطرا فى الربيع .

(٤) فى غ (بولاق) : ممرعا .

أَبَى ذِكْرُ مَعْنٍ أن تموتَ فَعَالُه ... وإنْ كان قد لاقىَ حِماماً ومَصْرَعَا

أَخرِجُوه عنّى فأخرج(١) .

قال أحمد بن يوسف الكاتب : كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستَلْقٍ على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العباس من أشعر من قال الشعر فى خلافة بنى هاشم ؟ فقال : أمير المؤمنين أعلمُ بهذا وأعلى عَيْناً . فقال : له على ذلك فقُلْ . وتكلّم أنت [أيضا] (٢) يا أحمد بن يوسف فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهُم الذى يقول(٣) :

أيا قَبْرَ معنٍ أنتَ أوّل حُفْرةٍ ... من الأرض خُطَّت للسماحة مَوْضِعَا

فقال أحمد بن يوسف: بل أشْعَرُهم الذى يقول(٤):

وَقَفَ الهوَى بى حيث أنْتَ فليس لِى ... متأَخَّر عنه ولا مُتَقَدَّمُ

فقال : أَبَيْتَ يا أحمد إلّا غزَلًا أين أنتم عن الذى يقول(٥) :

يا شَقِيقَ النَّفْسِ من حَكَمٍ ... نِمْتَ عن لَيْلِى ولم أَنَمِ

قيل لأبى عبيدة : ما تقول فى شعر الُحسين بن مُطير ؟ قال : والله لَوَدِدْتُ أنّ الشعراء قاربُوه(٦) فى قوله(٧) :

---

(١) فأخرج : فى معجم الأدباء : فقال : يا أمير المؤمنين إنما معن حسنة من حسناتك وفعلة من فعلاتك. فأمر له بألف دينار .. الخ .

(٢) زيادة من غ(بيروت) لإيضاح الخطاب وتبيين المتكلم أولا، وسقوطها يوهم توجيه الأمر إلى ابن يوسف بالبدء بالكلام .

(٣) يريد الحسين بن مطير .

(٤) يريد أبا الشيص الخزاعى .

(٥) يريد أبا نواس .

(٦) فى غ : قاربته .

(٧) معجم الأدباء : ١٠/١٧٦ــ طبقات ابن المعتز : ١١٧ــ الحماسة : ٢/٤٨ (الرافعى).

مُخصَّرة الأوساط زانتْ عُقودَها ... بأَحْسَنَ ممَّا زَيَّنتْها عُقــودُها
فصُفرٌ تَرَاقِيها وحُمْرٌ أَكُفُّها ... وسُودٌ نواصِيها وبيض خُدودها

وَلِيَ المدينة وَالٍ فدخل إليه الحسين بن مطير فقيل له : هـذا من أشعر الناس . فأراد أن يختبره[1] وكانت سحابة مكْفَهِرَّة نشأت وتتابع منها الرَّعد والبَرْق ، وجادت بمطرٍ جَوْدٍ ، فقال له : صِف هذه السحابة فقال[2] :

مُسْتَضْحِكٌ بلوَامِـع مُسْتَعْـبِرٌ ... بمَدامِـعٍ لم تَمْرِها[3] الأقْذاءُ
فلَهُ بلا حُزْنٍ ولا بمَسَرَّةٍ ... ضَحِكٌ يُرَاوِحُ بَيْنَه وبُـكاءُ
كَثُرَت لـكَثْرةوَدْقِه[4] أطباؤُهُ[5] ... فإذا تَحَلَّبَ فاضَتِ الأَطْباءُ
وكأَنَّ بارِقَهُ حَرِيقٌ تَلْتقِى ... رِيحٌ عَلَيْهِ وعَرْفَجٌ وأَلاءُ[6]
لو كان من لُجَج السواحِل ماؤُه ... لم يَبْقَ فى لُجَج السواحل ماءُ

فأعجب الوالى قوله فى المعنى وأحسَن جائزته .

(١) فى غ : يبلوه .
(٢) غ (بيروت) : ١٥/٣٣٧ ـ طبقات : ١١٨ .
(٣) يريد تسببها .
(٤) الودق : المطر .
(٥) الأطباء : حلمات الضرع شبه بها السحاب .
(٦) عرفج وألاء : نوعان من الشجر .

حُجْر آكل المُرار*

هو حُجْرُ بن عَمْرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثَوْر بن مُرْتِع ، واسمه عَمْرو بن ثور ، وقيل ابن معاوية بن ثور ، وهو كِنْدَة بن عُفَيْر بن عَدِيّ بن الحارث ابن مُرّة[1] بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يشجب ابن يَعْرُب بن قَحْطان .

كان تُبَّع أيام سار إلى العراق نزل بأرض مَعَدّ واستعمل عليها حُجْرَ بن عَمْرو فلم يزل ملكا حتى خَرِف . وله من الولد عَمْرو ومعاوية وهو الجَوْن . وكان زياد ابن الهَبُولَة بن عَمْرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حَماطة بن سعد بن سَلِيح القُضاعى[2] ، وهو مَلِكٌ فى ربيعة بن نزار ، أغار على منزلة حُجر فأخذ مالا كثيرا وسبى امرأةَ حجر ، وهى هند ابنةُ ظالم بن وَهْب بن الحارث بن مُعاوية ، وأخذ نسوة من نساء بَكْر بن وائل . فلما بلغه مغاره وما أخذ أقبل ومعه أشراف بَكْر بن وائل فيهم : عوف بن مُحلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان ، وعَمْرو[3] بن أبى ربيعة وغيرهما فتعجَّلا وقالا لحُجْرٍ : إنّا متعجّلان إلى الرجل لعلّنا نأخذ منه بعض ما أصاب منّا . فلقياه دون عين أُباغ[4] فكلمه عوف بن محلِّم وقال : يا خير الفِتيان ارْدُدْ علىّ ما أخذته منى . فأعطاه إياه . وكلّمه عمرو بن أبى ربيعة فى فحل إبله فقال: خذه . فأخذه عمرو وكان قويا ،

* الأغانى (بولاق) ١٥/٨٦-٨٩ ، (بيروت) ١٦/٢٧٧-٢٨١- تجريد الأغانى : ١٧٧١-١٧٧٢ .

(١) فى الأصول : مر . والتصويب من غ وكتب الأنساب .

(٢) العبارة فى غ : ثم إن زياد بن الهبولة ... أغار عليه وهو ملك فى ربيعة بن نزار ومنزله بغمر ذى كندة، وكان قد غزا بربيعة البحرين، فبلغ زيادا غزاته فأقبل حتى أغار فى مملكة حجر ...

(٣) فى ك : عمر فى جميع مواضعها والتصويب من غ والتجريد. وفى غ : عمرو بن معاوية .

(٤) واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام .

فجعل الفحل ينزع إلى الإبل فاعتقله عمرو فصرعه . فقال ابن الهبُولة : أما والله يا بنى شَيْبان لو كنتم تَعْقِلون الرجال كما تعقلون الإبلَ لكنتم أنتم [أنتم][1] فقال له عمرو : لقد وهبت قليلا وشتمت جليلا ! ولقد جررت على نفسك شرا ، ولتجدنى عند ما ساءك . ثم ركض حتى سار إلى حُجْر فأخبره الخبر .

فأقبل حُجْر فى أصحابه حتى إذا كان بمكان يقال له الحفيرُ بالبَرَدان دون عين أُباغ ، بعث نفرين من أصحابه اسمهما سَدُوس وصُلَيْع يتجسسان له الخبر ويعلمان له علم العسكر ، فخرجا حتى هجما على عسكره ، وقد أوقد نارا ونادى مناديه: من جاء بحزمة حطب فله قدره تمرا[2] ، وكان ابن الهبُولة قد أصاب فى عسكر حُجْر تمرًا كثيرا ، فضرب قِبابه وأَجَّج ناره ونثر التمر بين يديه ، فمن جاء بحَطبٍ أعطاه تمرا. فاحتطب سدوس وصليع[3] ثم أتيا ابن الهبُولة وطرحاه بين يديه فناولهما من التمر وجلسا قريبا من القبة . فأما صليع[4] فقال : هذه آية وعلم ما يريد ، فانصرف إلى حُجْر فأعلمه بعسكره وأراه التمر. وأما سدوس فقال: لاأبرح حتى آتيه بأمر جلىّ.

فلما ذهب هزيعٌ[5] من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه وقد تفرق العسكر فى ناحية . فضرب سدوس يده إلى جليس له فقال : من أنت ، مخافة أن يستنكر فقال: أنا فلان بن فلان . قال: نعم . ودنا سدوس من القبة وكان حيث يسمع الكلام. فدنا ابن الهبُولة من هند امرأة حُجْر فقبّلها وداعبها ، ثم قال لها فيما يقول : ما ظنّك بحُجْر لو علم بمكانى منكِ ؟ قالت : ظنى والله بأنه لا يَدَع طلبك حتى يطالع القصور الحُمْر ، فكأنّى أنظر إليه فى فوارس بنى شَيبان يَذْمُرُهم[6] ويَذْمُرونه وهو شديد

---

(١) تكملة من غ .

(٢) فى غ : من تمر — وفى ك : تمر .

(٣و٤) فى ك : ضبيعة والتصويب من النص فى العبارة السابقة ومن غ والتجريد .

(٥) طائفة منه وهى تقدر بالربع أو الثلث الأول منه .

(٦) يذمرهم : يحرضهم .

الـكَلَب سريع الطَّلَب ، يُزْبِدُ شِدْقاه كأنه بعـير آكل المُرار ، فسمّى [حجر] آكل المُرار من يومئذ . فرفع ابن الهَبُولة يده فلطمها ثم قال : ما قلت ما قلت إلّا من عَجَبك[1] به وحبّك له . فقالت: والله ما أبغضت ذا نسمة[2] قط بغضى له ، ولا رأيت رجلًا قط أحزم منه نائما ومستيقظا ، وإنْ كان لتنام عيناه وبعض أعضائه يقظان لا ينام . وكان إذا أراد النوم أمرنى أن أجعل عنده عُسًّا مملوءا لبنا ، فبينا هو ذات ليلة نائما وأنا قريبة منه أنظر إليه إذ أقبل أَسْوَدُ سالخ[3] إلى رأسه فنحّى رأسه، فمال إلى يديه وإحداها مقبوضة والأخرى مبسوطة فأهوى إليها فقبضها ، فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة وبسط أخرى فأهوى إليها فقبضها ، فمال إلى العُسّ فشربه ثم مَجَّه . فقلت : يستيقظ فيشرب فيموت فأستريح منه ، فانتبه من نومه فقال : علىّ بالإناء فناولته إياه فشمّه فاضطربت يده حتى سقط الإناء فأهريق . وذلك كله بأُذن سدوس. فلما نامت الأحراس خرج يسير ليلته حتى صبَّح حُجْرًا فقال :

أتاكَ المُرْجفون برَجْم غَيْبٍ ... على دَهَشٍ وجئتُك باليَقِينِ
فمَنْ يَكُ قدأتاك بأَمْرٍ لَبْسٍ[4] ... فقـد آتِى بأمرٍ مستبينِ

ثم قَصّ عليه ما سمع فأُسِفَ[5] ونادى فى الناس بالرحيل . فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهَبُولة ، وعرفه سدوس فحمل عليه فاعتنقه وصرعه . وبصر به عمرو بن أبى ربيعة فشدّ عليه وأخذ رأسه منه ، وأخذ سدوس سَلَبه . وأخرجَ حُجْر هندا فربطها بين فرسين ثم أجراها حتى قطّعاها قطعا .

---

(١) عجبك : يريد إعجابك .

(٢) فى غ : فيشة . والنسمة : الروح، والمعنى إنسانا .

(٣) أسود سالخ : حية سلخت جلدها من شدة سمها .

(٤) لبس : فيه شك .

(٥) أسف : غضب وتغير لونه كأنه ذر عليه الرماد .

وكان ابن الهَبُولة لمّا غنم يسوق السبايا والنعم ويتصيّد فى المسير ، لا يمرّ بواد يُعجبه إلّا أَقام به يوما أَو يومين ، حتى أَتى على ضَرِيَّة(١) فوجدها مُعْشبة وأَعجبته فأقام بها أَياما . وقالت له امرأة(٢) : إنى أرى كأنّى نظرت إلى رجل أَسود أَدْلم(٣) كأن مشافره مشافر بعير آكل المُرار قد أخذ برقبتك ، فسمى حُجْر آكل المُرار بذلك.

ويقال: إنّ عمرو بن أبى ربيعة لمّا طعن ابن الهَبُولة غضب سدوس لذلك لأنه هو الذى أَسره ، وقال له : قتلتَ أَسيرى ودِيَته دية الملوك . وتحاكما إلى حُجْر فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك ، وأَعانهم فى ذلك بماله . ويقال : إن حجرا ليس بآكل المُرار وإنما أبوه الحارث آكِلُ المُرار .

وقيل : إنّما سمى حجر آكِل المُرار لأن سدوسا لما أَتاه بخبر ابن الهَبُولة ومداعبته لهند وأن رأسه فى حجرها وحدّثه بقولها ، جعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمُرار ـ وهو نَبْت شديد المرارة ـ وكان جالسا فى موضع فيه منه شىء كثير ، فجعل يأكل من ذلك المُرار غَضَبا ، وهو مُصْغ إلى سَدوس ولا يعلم أنه يأكله من شدة الغضب ، حتى أَتى سدوس على آخر الحديث، فعلم حينئذ بذلك ووجد طعمه، فسمّى يومئذ آكِل المُرار .

وقال حُجْر فى هند :

إنَّ مَن غَرَّه النساءُ بشَىْءٍ ... بعد هِنْدٍ لجاهِلٌ مَغْرُورُ
حُلْوَة القَوْل واللّسان ومُرٌّ ... كُلَّ شَىْءٍ أَجَنَّ(٤) منها الضَّمِيرُ

---

(١) ضرية : قرية عامرة قديمة فى طريق مكة من البصرة من نجد. وقيل: صقع واسع بنجد وينزل به حاج البصرة بين الجديلة وطخفة . (ياقوت) .

(٢) امرأة : فى غ : أم إياس .

(٣) أدلم : طويل أسود .

(٤) أجن : ستر وأخفى .

حارِثَة أبو دُواد الإيادى*

هو حارِثَةُ[1] بن الحجَّاج ، وكان الحجَّاج يُلقَّب حمران بن بَحْر بن عِصام بن مُنَبِّه بن حُذافة بن زُهير بن إياد بن نِزار بن مَعَدّ . وقيل : هو حارثة بن الحجّاج أحد بنى بُرْد بن دُعْمِىّ بن إياد بن نزار بن مَعَدّ ، شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، وكان وصّافا للخيل ، وأكثر أشعاره فى وصفها ، ويتصرّف فى المديح والفخر وغير ذلك .

وكان قد مدح الحارث بن هَمَّام بن مرّة بن ذُهْل بن شَيبان ، فأعطاه عطايا كثيرة . ثم مات ابن لأبى دُواد وهو فى جواره فوداه الحارث فمدحه أبو دواد . فحلف الحارث أن لا يموت له ولد إلّا وداه ، ولا يذهب له مال إلا أخلفه ، فضرَبت العربُ المثل بجار أبى دُوَاد . وفيه يقول قَيْس بن زُهَيْر :

أُطَوِّف ما أُطَوِّف ثم آوِى إلى جارٍ كجارِ أبى دُواد[2]

وقيل : إن أبا دُواد جاور كعبَ بن مامَة الإيادى فكان إذا هلك له بعير أو شاة أخلفها . وفيه يقول طَرَفة يمدح عَمْرَو بن هند :

* جارٌ كجارِ الحُذاقِىّ الذى اتَّصَفا[3] *

---

* الأغانى (بولاق) : ١٥/٩٥-٩٩ - الأغانى (بيروت) ١٦/ ٢٩٤-٣٠١ - التجريد : ١٧٧٨-١٧٨١ .

(١) فى غ : جارية .

(٢) شعراء النصرانية ٩٣٧ .

(٣) اللسان : ١١/ ٣٢٤ (حذق) و ١١/٢٧٢ (وصف) وصدره :

* إنّى كفانِىَ من أمرٍ هممتُ به *

والحذاقى : الفصيح اللسان ، وعنى به أبا دواد الإيادى .

وكان لأبى دواد ابنٌ يقال له دُواد شاعر ، وهو الذى يقول يرثى أباه :

فبـات فينا وأَمْسَى تحت هادِيَةٍ ما بَعْدَ يَوْمِك من مُمْسَى وإصْباحِ
لا ندفع السُقْمَ إلا أَنْ تفدِّيــه ولو ملـكنا مسكنا السُّقم بالرَّاحِ

كان أبو دُوَاد تزوّج امرأة من قومه فولدت له دُوَاداً هذا ، ثم ماتت فتزوّج أخرى فأُولِعَت بدُواد، وأمرت أباه أن يَجْفُوَه ويُبعده ، وكان يحبّها . فلما أكثرت عليه قالت: أخرِجْه عـنّى . فخرج به وقد أردفه خلفه إلى أن انتهى إلى أرض جَرْداء ليس فيها شىء ، فألقى سَوْطَه متعمِّدا وقال : يا دُوَاد انزِلْ فناوِلْنى سَوْطى ، فنزل فدفع بعيرَه وناداه :

أَدُوَادُ إنّ الأمرَ أصبح ماترَى فانظُر دُوَاد لأىّ أرضٍ تَعْمِدُ

فقال له دُوَاد : على رِسلك ، فوقف له فناداه :

وبأىّ ظَنِّـك أنْ أُقيم ببَلْدةٍ جَرْداء ليس لِغَيْرِهـا مترَدَّدُ(١)

فرجع إليه وقال له : أنت والله ابنى حقًّا ، ثم ردّه إلى منزله وطلّق امرأته .

وكانت له زوجة يقال لها أمّ حَبْتر فعاتبته على سماحِه بماله فلم يُعْتِبها فصرَمته(٢) فقال(٣) :

حاولت حين صرمتنى والمـــرء يعجِزُ لا المَحالَهْ(٤)
والدهرُ يلعب بالفَـتَى والدَّهرُ أَرْوغُ من ثُعالَـهْ
والمرء يـــكسِب مالَـهُ بالشُّحِّ(٥) يورثُــه الـكَلالَهْ(٦)

---

(١) فى غ : ليس بغيرها متلدد . ومتلدد : تلبث .

(٢) صرمته : هجرته .

(٣) الأبيات فى ل (ح و ل) ١٣/١٩٧ عدا الرابع .

(٤) المحالة : الحيلة .

(٥) هكذا رواية اللسان وفى غ : والشح .

(٦) الـكلالة : العشيرة ليسوا من نسبه لحا .

والعبـــدُ يُقرَعُ بالعَصَا ... والُحرُّ تـــكْفِيه المَقالَـهْ

والصمتُ(١) خـــيرٌ للفَـتَى ... فى الِحين(٢) من بَعْض المقَالَهْ

قال الأصمعى : ثلاثة كانوا يصفون الخيل فيُجيدون لا يقاربهم(٣) أحد : طُفَيْل ، وأبو دُوَاد ، والنابغة الَجعْدى . فأمّا أبو دُوَاد فإنه كان على خيل المُنْذِر بن النعمان ابن المنذر ، وأما طُفَيل فإنه كان يركبها وهو أغْرل(٤) إلى أن كبر . وأما الجعدى فإنه سمع من الشعراء وأخذ عنهم .

وقال ابن الأعرابى : لم يصف أحد الخيل إلا احتاج إلى أبى دُوَاد ، ولا وصف الخمر إلا احتاج إلى أَوْس بن حَجَر ، ولا وصف النعام إلّا احتاج إلى عَلْقمة بن عَبَدَة، ولا اعتذر أحد فى شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبيانى .

كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى(٥) الله عنه يفطر الناس فى رمضان ، فإذا فرغ من العشاء تـكلّم فأوجز(٦) وأبلغ ، فاختصم الناس إليه ليلة حتى ارتفع الصباح فى أشعر الناس ؛ فقال على رضى الله عنه لأبى الأسود الدؤلى : يا أبا الأسود : من أشعر الناس ؟ وكان يتعصّب لأبى دُوَاد وله فيه رأى ، فقال أبو الأسود : أشعرهم الذى يقول :

ولقد أغْتدى يُدافِعُ رُكْنِى ... أَعْوَجىٌّ ذو مَيْعَةٍ إضْرِيجُ(٧)

---

(١) فى غ : والسكت .

(٢) فى غ : فالحين .

(٣) فى ت : لا يقاويهم . وقاواه : بلغ قوته .

(٤) يريد وهو صغير لم يختن .

(٥) فى ك : عليه السلام .

(٦) فى غ : تـكلم فاقل وأوجز فأبلغ .

(٧) فى غ : أحوذى . وأعوجى: نسبة إلى فرس مشهور فى الجاهليــة اسمه أعوج ــ الميعة : أنشط جرى الفرس ــ إضريج : واسع اللبان ، أو جواد شديد العدو .

مِخْلطٍ مِزْيَلٍ مِكَرٍّ مِفَرٍّ ‏ ‏ مِنْفَحٍ مِطْرَحٍ سَبُوحٍ خَرُوجِ[1]
سَلْهَبٍ شَرْحَبٍ كأنّ رماحاً ‏ ‏ حملتــه وفى السَّراة دُمُوجُ[2]

فأقبل علىٌّ رضى الله عنه على الناس فقال : كلّ شعرائـكم مُحْسِن ، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد فى القول لعلمنا أيّهم أسبق إلى ذلك ، وكلّهم قد أصاب الذى أراد وأحسن ، وإنْ يكن أحد فَضَلَهم فالذى لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر ، فإنّه كان أصحّهم بادرة وأجودهم نادرة .

وكانت الرواة لا تروى شعر أبى دواد ولا عدىّ بن زيد لمخالفتهما مذهب الشعراء.

وقيل : كان اسم أبى دُوَاد جُوَيْرِية[3] بن الحجّاج . وكانت له ناقة يقال لها الزبّاء وكانت بنو إياد يتبركون بها ، فلما أصابتهم السَّنةُ[4] تفرّقوا ثلاث فِرَق : ففرقة سلـكت البحر فهلـكت ، وفرقة قصدت اليمن فسلمت ، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل فنزلوا على الحارث بن همّام . وكان السبب فى ذلك أنهم أرسلوا الزبّاء وكانت ناقة ميمونة ، فأرسلوها وقالوا إنها ميمونة فخلّوها فحيث توجهت فاتبعوها ـ وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نُجْعَة ـ فخرجت تخوض العرب حتى نزلت بالحارِث بن هَمَّام ، وكان أكرمَ الناس جِوارا ، وهو جار أبى دُوَاد المضروب به المَثَل . فقال أبو دُوَاد يمدح الحارث ويذكر ناقته الزَّبَّاء :

فإلى ابن هَمَّامِ بن مُرَّة أَصْعَدَت ‏ ‏ ظُعُن الخليط بهم فَقَلّ زِيالُها

---

(١) مزيل : فى غ (بيروت) مربذ أى خفيف القوائم فى المشى . والأنسب إلى مخلط ما هنا ، يقال فرس مخلط مزيل : يخالط ألوان الجرى ويزايلها ولا يكون ذلك إلا من فراهته ـ مطرح : بعيد طويل ـ سبوح : حسن مد اليدين فى الجرى ـ خروج : طويلة العنق تغتال كل عنان .

(٢) السلهب والشرحب : الطويلة ـ السراة : الظهر ـ دموج : تداخل واستحكام .

(٣) وعليه اقتصر الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ١٦٦ .

(٤) السنة : الشدة والقحط .

أنعمتَ نعمة ماجدٍ ذى مِنَّةٍ   نُصِبَت عليه[1] من العُلَا أظْلالُها
وجعلتنا دونَ الوَلِىّ فأصبحَت   زَبَّاءُ مُنْقَطِماً إليك عِقالُها

كانت إياد تفخر على العرب تقول : مِنّا أَجْوَد العرب كَعْبُ بن مامة ، ومِنّا أَشعر العرب أبو دُوَاد ، ومِنّا أَنكح الناس ابن أَلْغَز . وكان ابن أَلْغَز أَيّرا فكان إذا أنعظ احتكت الفِصال بأيره وكان فى إياد امرأة تستصغر أيور الرجال فجامعها ابن أَلْغَز ، فلما أَولجه فيها قالت : يا معشر إياد أبالرُّكَب تجامعون النساء ؟ قال : فأشار بيده إلى السُّهَا . فقال : ما هذا ؟ فقالت وهى لا تعقل : هذا القمر . فضربت العرب بها المَثَل : أُريها السُّها وتُرِينى القمرَ[2] .

كان الحجَّاج منع من ذَبْح البقر خوفا من قلّة العمارة فى السواد فقيل :

شكوتُ إليه خَرَاب السَّوادِ   فحرَّم فينا لُحومَ البَقَرْ
فكُنَّا كمن قال مَنْ قبلنا   أُرِيهَا السُّهَا وتُرِينى القَمَرْ

كان[3] أبو دُواد جارًا للمُنْذِر بن ماء السماء فنازع فى الحيرة رجلا من بهراء يقال له رَقَبة بن عامر بن كَعْب بن عَمْرو ، فقال له رقبة : صالحنى وحَالِفْنى . فقال له أبو دُواد : فمِنْ أين تعيش إياد إذاً ؟! فوالله لولا ما تُصيب من بهراء لهلكت . وانصرفا على تلك الحال . ثم إن أبا دُواد أخرج بنين له ثلاثة فى تجارة إلى الشام ، فبلغ ذلك رقبة البهرانىّ فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دُواد عند المنذر ، وأخبرهم أن فى القوم ثلاثة ولد لأبى دُواد ، فلقوهم فقتلوهم وبعثوا برءوسهم إلى رقبة ، فلما أتته الرءوس صنع طعاما كثيرا ثم أتى المنذر فقال له : قد صنعت لك طعاما فأنا أحبّ أن تتغدّى عندى ، فأتاه المنذر ومعه أبو دُوَاد ، فلما رأى أبو دُوَاد رءوس بنيه الثلاثة وثب وقال

---

(١) عليه : فى غ : عليك .

(٢) الميدانى : ١/١٩٦ .

(٣) الخبر فى الفاخر : ٨٤ ـ الميدانى : ١/٣١ .

للمنذر: أبيتَ اللّعن إنّي جارك وقد ترى ما صنع بي! وكان رَقَبة أيضا جارًا للمنذر . فوقع المنذر بينهما في سَوْءة، وأمر برقبة فحبس وقال لأبي دُوَاد: أما يرضيك توجيهي بكتيبتَيّ: الشهباء والدَّوْسَر إليهم؟ قال: بلى : قال : قد فعلت. فوجه إليهم الكتيبتين. فلما بلغ ذلك رقبة قال لامرأته : وَيْحَكِ الحقِي بأهلك فأَنْذِريهم. فعَمَدت إلى بعض إبل زوجها فركبته ، ثم خرجت حتى أتت قومها، فلما قربت منهم تعرَّت من ثيابها وصاحت: أنا النذير العُرْيان[1]، فأرسلتها مثلا . فعرف القوم ما تريد فصعدوا إلى أعالي الشام وأقبلت الكتيبتان فلم تُصِب أحدًا منهم . فقال المنذر لأبي دُوَاد : قد رأيتَ ما كان منهم ، وأنا أَدِي كُلَّ ابنٍ لك بمائتي بعير ، وأمر له بستمائة بعير فرضي . فقال فيه قيس بن زهير العَبْسي :

سَأَفعَلُ ما بَدَا لِي ثم آوِي إلى جَارٍ كجَارِ أبي دُوَاد[2]

(١) المصدران السابقان ــ اللسان : ١٩ / ٢٧٦ .

(٢) شعراء : النصرانية : ٩٣٧ ــ الميداني ١/١٠٩ برواية :

أطوّف ما أطوّف ثم آوي

(٢٢/٣ مختار الأغاني)

حبيب أبو تمَّام الطائى *

هو أبو تمَّام حبيب بن أَوْس الطائى ، من أَنفس [1] طَيِّئ صليبة [2] . مولده ومنشؤه بناحية مَنْبِج بقرية يقال لها جاسم بناحية دمشق .

شاعر مطبوع لطيف الفِطنة دقيق المعانى ، غوّاص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره ، وله مذهب فى المطابق [3] وهو كالسابق إليه جميع الشعراء ، وإن كانوا فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه ، فإن له فضل الإكثار فيه والسلوك فى جميع طُرُقه . والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلَّق به أحد ، وله أشياء متوسطة ، ورديئه [4] رذل جدا .

قال أبو الفرج الأصبهانى : وفى عصرنا هذا من يتعصّب له فيفرط حتى يفضّله على كل سالف وخالف . وأقوام يتعمدون الردىء من شعره فينشرونه ويَطْوون محاسنه ، ويستعملون القِحَة والمكابرة فى ذلك ليقول الجاهل بهم : إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه إلا بأدب فاضل وعلم ثاقب ، وهذا مما يتكسّب به كثير من أهل هذا الدهر ، ويجعلونه وما يجرى مجراه من ثَلْب الناس وطَلَب معايبهم سببا للترفّع وطلبا للرياسة . وليست إساءة من أساء فى القليل وأحسن فى الكثير مسقطة إحسانه ، ولو كثرت

---

* الأغانى (بولاق) : ١٥/٩٩ ـ الأغانى (بيروت) : ١٦/٣٠٣ـ٣١٨ ـ تجريد الأغانى : ١٧٨٢ ـ ١٧٨٧ ـ تاريخ بغداد : ٨/٢٤٨ ـ طبقات ابن المعتز : ٢٨٣ـ٢٨٧ ـ شذرات الذهب : ٣/٧٣ . أخبار أبى تمام للصولى ـ هبة الأيام .

(١) فى غ : نفس .

(٢) صليبة : خالص النسب .

(٣) المطابق : فى غ : المطابقة وهى : الجمع بين الضدين أو اشتراك المعنيين فى لفظ واحد .

(٤) ورديئه رذل : فى غ : ورديئة رذلة .

إساءته ثم أحسن لم يُقل له عند الإحسان أسأت ولا عند الصواب أخطأت ؛ والتوسط في كل شيء أجمل.

روى بعض(١) الشعراء : أن(٢) أبا تمّام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها إلا في بيت واحد منها ، فقال له : يا أبا تمام لو ألغيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب فقال له : أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم ، ولكن مَثَلُ شعر الرجل عنده كَمَثَلِ أولاده ، فيهم الجميل والقبيح والرشيد والساقط ، وكلّهم حلو في نفسه ، فهو وإن أحبّ الفاضل لم يبغض الناقص ، وإنْ هَوِيَ بقاء المتقدّم لم يَهْوَ موتَ المتأخر .
واعتذاره بهذا ضدّ ما وصف به نفسه في مدح الواثق (٣) حيث يقول :

جاءتك من نَظْمِ اللّسان وصَوْغِه(٤) سِمطان فيها اللؤلؤ المكْنُونُ
أَحْذَاكها صَنَعُ الضمير يَمُدُّه جَفْرٌ إذا نضب الكلامُ مَعِين(٥)
ويُسيء بالإحسان ظَنًّا لا كَمَنْ هو بابْنِه وبشِعْرِه مفتونُ

فلو كان يسيء بالإساءة ظنّا ولا يفتتن بشعره كنّا في غِنًى من الاعتذار له .
وقد قضى جماعة من الرؤساء والكبراء وأكثر الرواة الاحتجاج له وعليه .

قال محمد بن عبد الملك الزيات : أشعر الناس طرًّا الذي يقول :

وما أُبالِي وخَيْرُ القولِ أَصْدَقُه حَقَنْتَ لى ماءَ وَجْهِي أو حَقَنْتَ دَمِي(٦)

(١) هو محمد بن يعقوب الواسطي المعروف بثقال (أخبار أبي تمام ومعجم الشعراء : ٤٠٣) .
(٢) أخبار أبي تمام : ١١٤ .
(٣) الديوان : ٣٣٠، ٣٣١ .
(٤) وصوغه : في غ و أخبار أبي تمام : قلادة .
(٥) أحذاكها: في غ : أهداكها ــ صنع الضمير : في غ: صنع اللسان ــ الجفر: البئر الواسعة ــ معين : غزير يجرى على الأرض .
(٦) الديوان : ٢٩٠ من قصيدة بها يمدح أبا سعيد أولها :

أبا سعيد وما وصفي بمتهم على المعالي وما شكري بمخترم

قال الراوي: فأحببت أنْ أستَثْبِت إبراهيمَ بن العباس، وكان في نفسي أعلم من محمد بن عبد الملك وآدب، فجلست إليه وكنت أجرى عنده مجرَى الولد، وقلت له: مَنْ أشعرُ أهل زماننا هذا؟ فقال: الذي يقول[1]:

مَطَرٌ أبوك أبو أَهِلَّـــة وائلٍ ... ملأ البسيطةَ عُـــدَّةً وعَدِيدَا

نَسَبٌ كأنّ عليه من شَمْسِ الضُّحَى ... نوراً ومِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودَا

وَرِثُوا الأبوّةَ والحُظوظَ فأصْبَحُوا ... جَمَعُوا جُدوداً[2] في العُلا وجُدوداً

فاتّفقا على أنّ أبا تمام أَشْعَر أهل زمانه.

قال محمد بن يزيد النحوي: قدم[3] عُمارة بن عَقِيل[4] بن بِلال بن جَرِير إلى بغداد فاجتمع الناس إليه يكتبون شعره وشعر أبيه، وعرضوا عليه الأشعار، فقال بعضهم: هاهنا شاعر يزعم قوم أنه أشعر الناس طُرًّا، ويزعم غيرهم ضد ذلك، فقال: أنشدوني له، فأنشدوه قوله[5]:

غَدَت تَسْتَجِيرُ الدمعَ خوفَ نَوَى غَدٍ ... وعاد قَتاداً[6] عندها كُلُّ مَرْقَدِ

وأنقذَها من غَمْرةِ الموت أنَّــهُ ... صُدودُ فِــراقٍ لا صُدود تَعمُّدِ

وأجرى لها الإشفاقُ دمعاً موَرَّداً ... من الدَّم يجرِي فوق خَدٍّ مُورَّدِ

هي البــدرُ يُغنِيها تودد وَجْهِها ... إلى كل من لَاقَت وإن لم تَوَدَّدِ

ثم قطع المنشد. فقال له عمارة: يا هذا زِدْنا من هذا، فوصل نشيده فقال:

ولــكنّني لم أحْوِ وَفْراً[7] مجمَّعاً ... ففزتُ بـــه إلا بشَمْلٍ مُبَدَّدِ

(١) الديوان: ٨٨–٨٩.
(٢) الجدود: الأجداد – الجدود: الحظوظ.
(٣) الخبر في أخبار أبي تمام: ٥٩ – تهذيب ابن عساكر: ٤: ٢٢، ٢٣.
(٤) عمارة بن عقيل: شاعر متقدم فصيح كان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة (الأغاني).
(٥) الديوان: ١٠٠.
(٦) القتاد: شجر صلب له شوك.
(٧) الوفر: المال الكثير.

ولم تُعْطِنى الأيامُ نَوْماً مسكَّناً ... أَلَذُّ بـــه إلا بنَوْمٍ مُشَرَّدِ

فقال عُمارة : لله درّه ، لقد تقدّم فى هذا المعنى مَنْ سبقه إليه على كثرة القول فيه ، حتى لقد حبّب إلىّ الاغتراب . هِيْه ! فأنشده :

وطُولُ مقام المرء فى الحىِّ مُخلِقٌ ... لديباجَتَيْه فاغْــتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

فإنّى رأيتُ الشمسَ زِيدت محبّةً ... إلى الناس أنْ ليست عليهم بسَرْمَدِ

فقال عمارة : كَمُـلَ والله ، وإن كان الشعر بجودة الألفاظ وحُسن المعانى واطّراد المراد واستواء الكلام ، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس!!

وصف(١) على بن الجهم أبا تمام وفَضَّله وبالغ ، فقال له رجل : والله لو كان أبو تمامٍ أخاك ما زدتَ على هذا ! فقال : إن لم يكن أخًا لى فى النسب فإنه أخٌ لى بالأدب والمودّة ! أَمَا سمعتَ ما خاطبنى به حيثُ يقول(٢) :

إن يُـكْدِ مُطَرِّف الإخاء فإنّنا ... نَغْدُو ونَسْرِى فى إخاءٍ تالِدِ(٣)

أَو يَخْتَلِف ماءُ الوِصال فماؤُنا ... عَذْبٌ تَحَدَّرَ من غَمامٍ واحدِ

أَوْ يفترِقْ نَسَبٌ يؤلِّف بيننا ... أَدَبٌ أَقَمْنَاهُ مقام الوَالِدِ

جرى(٤) فى حَلْقَة دِعْبِل ذكر أبى تمام . فقال دِعْبل : كان يتتبع معانىّ فيأخذها فقال له رجل فى المجلس : وأَىّ شىء من ذلك أعزّك الله ؟ ! قال : قلت :

وإنَّ امرأً أَسدَى إلىَّ بشافِعٍ ... إليهِ ويرجو الشُّكْرَ منِّى لَأَحْمَقُ

شَفِيعَك فاشْكُرْ فى الحوائج إنّه ... يصونُك عن مكرُوهها وهو يَخْلَقُ

---

(١) أخبار أبى تمام : ٦١، ٦٢ .

(٢) الديوان : ٨٦ من قصيدة أولها :

هى فرقة من صاحب لك ماجد ... فغدًا إذابة كل دمع جامـــد

(٣) يكد : يقل خيره أو ينقطع ــ المطرف : المستحدث ــ التالد : القديم .

(٤) أخبار أبى تمـام : ٦٣، ٦٤ .

فقال الرجل : فكيف قال أبو تمام ؟ فقال : قال[1] :

فلَقِيتُ بين يدَيْكَ حُلْوَ عطائِهِ ... ولَقِيتَ بين يدَيْه[2] مُرَّ سُؤالِهِ

وإذا[3] امرؤٌ أَسْدَى إليك صَنِيعَةً ... من جاهِهِ فكأنَّها من مالِهِ

فقال الرجل : أحسنَ والله . فقال : كذبت قبّحك الله ، فقال : والله إن كان أخذه منك لقد أجاد فصار به أَوْلَى منك ، وإن كنت أَخذتَه منه لمَا بلَغْتَ مبلَغَه ! فغضب دِعْبل وانصرف .

قال إبراهيم بن العبّاس[4] : ما اتّكلت فى مكاتباتى قط إلا على ما جاش به صدرى وجلبه خاطرى ، إلا أنّى استحسنتُ قولَ أبى تمّام[5] :

فإن باشر الإصحارَ فالبِيضُ والقَنا ... قِراه وأحواضُ المنايا مناهلُه[6]

وإن يَبْنِ حِيطاناً عليه فإنَّما ... أولئك عُقّالاتُه لا معاقلُه[7]

وإلّا فأعلِمْه بأنّك ساخِطٌ ... عليهِ فإن الخوفَ لا شكَّ قاتلُهْ

فأخذت هذا المعنى فى بعض رسائلى فقلت : فصار ما كان يُحْرِزُهم يُبْرِزهم ، وما كان يَعْقِلهم يعتَقِلهم .

---

(١) الديوان : ٢٤٠ من قصيدة أولها :

إن الأمير بلاك فى أحواله ... فرآك أهزعه غداة وصاله

[أهزعه : ذخره] .

(٢) فى غ : يديك . وفى الديوان : يدى .

(٣) فى ت : وإن .

(٤) أخبار أبى تمام .

(٥) الديوان : ٢٣١ من قصيدة أولها :

أجل أيها الربع الذى خف آهله ... لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

(٦) الإصحار : المكاشفة وأصله أن يبرز لعدوه فى الصحراء — قراه : ضيافته .

(٧) عقالاته : قيوده — معاقله : ملاجئه وحصونه .

ولم يكن أحدٌ من الشعراء يقدر أن يأخذ دِرْهما بالشعر فى حياة أبى تمام ، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه .

لما قدم(١) أبو تمام إلى خُراسان اجتمع إليه الشعراء وسألوه أن ينشدهم فقال : قد وعدنى الأمير عبدالله بن طاهر أن أنشده غداً وستسمعوننى ، فلما دخل على عبدالله ابن طاهر أنشده :

هُنَّ عَوَادِى يُوسُفٍ وصواحِبُه ... فعزْماً فقِدْماً أدركَ السُّؤْلَ طَالِبُه(٢)

فلما بلغ إلى قوله :

ورَكْبٍ كأطراف الأَسِنَّة عرَّسُوا ... على مثلها واللَّيْلُ يَدْجُو غياهِبُهْ

لأَمرٍ عليهم قد تَتِمُّ صُدُورُه ... وليس عليهم أَن تَتِمَّ عواقِبُهْ

صاح الشعراء بالأمير : ما يستحق مثل هذا الشعر غير الأمير أعزه الله تعالى ! وقال شاعر يعرف بالرياحى : لى عند الأمير جائزة وعدنى بها وقد جعلتُها لهذا الرجل جزاءً على مدحه(٣) الأمير . فقال : بل نُضْعِفُها لك ونقوم له بما يجب علينا . فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار فلقطها الغِلمان ولم يَمَسَّ منها شيئا ، فوَجَد عليه عبدُ الله وقال : ترفَّع عن بِرى وتهاون بما أكرمتُه به . فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك. قال : فكان يبعث إليه بالشىء بعد الشىء كالقُوت . وقال قصيدته التى أولها(٤) :

لم يَبْقَ للصَّيْف لا رَسْمٌ ولا طَلَلُ ... ولا قَشِيبٌ فَيُسْتَكْسَى ولا سَمَلُ

فبلغت(٥) الأبيات أبا العَمَيْثَل شاعر آل طاهر فأتى أبا تمّام واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر وعاتبه على ما عتب عليه من أجله ، وتضمّن له ما يحبُّه عنه .

(١) أخبار أبى تمام : ١١٥ـ١١٧ .

(٢) الديوان : ٤٣ والرواية فيه : أهن .

(٣) فى غ : قوله .

(٤) الديوان : ٤٢٢ .

(٥) أخبار أبى تمام : ٢١٢ .

ثم قال لعبد الله بن طاهر : أيهـا الأمير أتتهاون بمثل أبى تمام وتجفوه ؟ ! فوالله لو لم يكن له من النباهة فى قدره والإحسان فى شعره والشائع من ذكره ما له لـكان للخوف من شرّه والتوقّى لذمّه على مثلك رعايته فيه ، ومراقبته من أجله ، فـكيف وله بنزوعه إليك عن الوطن ، وفراقه للسكن ، عاقداً بك أمله ، مُعْمِلاً إليك ركائبه، مُتْعِباً فيك فـكره وجسمه ، ما يُلزمك قضاء حقّه حتى ينصرف راضيا ، ولو لم يأتِ بفائدة ولا سُمِـعَ منه فيك ما سُمِـع ، فـكيف أيها الأمير وهو القائل(١) :

يَقُولُ فى قُوْمَسٍ صَحْبِي وقد أخذت مِنَّا السُّرَى وخُطَى المَهْرِيَّة القُودِ(٢)

أَمَطْلَعَ الشمسِ تنوِى أَنْ تَؤُمَّ بنا فقلت : كَلَّا ولـكِن مَطْلَع الجودِ

فقال عبد الله : لقـد نبهّتَ فأحسنتَ وأَجْمَلْتَ ، وشفعت فلطفت ، وعاتبتَ فأَوْجَعْتَ ، ولك ولأبى تمام العُتْبَى ، أُدْعُه يا غلام ! فدُعِىَ لديه فنادمه يومَه ، وأمر له بألفى دينار وما يحمله من الظهر ، وخَلَع عليه خلعة من ثيابه .

قال جابر الـكَرْخى : حضرت أبا دُلَفٍ القاسم بن عيسى العِجْلى وعنده أبو تمّامٍ وقد أنشده قصيدته(٣) :

عَلَى مِثْلِها من أَرْبُعٍ ومَلاعِبِ أُذِيلَتْ مَصُوناتُ الدُّموعِ السَّوَاكِبِ

فلما بلغ إلى قوله :

إذا افتخرت يَوْماً تميمٌ بقَوْسِها(٤) وزادت على ما وَطَّدَتْ من مَناقِبِ

فأَنتم بذى قارٍ(٥) أَمالَت سُيُوفُـكم رُءوسَ الَّذِينَ استَرْهَنُوا قَوْسَ حاجِبِ

---

(١) البيتان من قصيدة فى الديوان : ١٣٦ ـ هبة الأيام : ١٣٧ .

(٢) قومس : صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل ـ المهرية نسبة إلى مهرة بن حيدان ، حى تنسب إليه الإبل ـ القود : جمع قوداء أو أقود وهو الذلول المنقاد أو الشديد العنق .

(٣) الديوان : ٤٠ ـ هبة الأيام : ١١٤ .

(٤) قوس تميم : هى القوس التى رهنها حاجب بن زرارة ضمانا لعهده فوفى بها .

(٥) ذى قار : يوم من أيام العرب انتصر فيها بنو شيبان ومعهم بنو عجل على الفرس .

مَحاسِنُ من مجْدٍ مَتَى تقْرِنُوا بها مَحاسِنَ أَقوامٍ تكُنْ كالمَعائِبِ

فقال أبو دُلَف : يا معشر رَبيعة ، ما مُدِحتم بمثل هذا الشِّعر قط ، فما عِنْدكم لقائله ؟ فبادروه بمطارِفهم يرمونها إليه . فقال أبو دُلَف : قد قَبِلهَا وأَعارَكُم لُبْسَها . وسأنوبُ عنكم فى ثَوابه . تمِّم القصيدة يا أبا تمّام ! فأَتَمَّها فأمر له بخمسين ألف دِرْهم ، وقال : واللهِ ماهى بإزاء استحقاقك وقدرك فأَعْذِرْنا فشكره . وقام ليقبِّل يدَه فحلف ألَّا يفعل ، ثم قال له : أَنْشِدْنا قولك فى محمد بن حُمَيْد فأنشده[1] :

وما ماتَ حَتَّى مات مَضْرِبُ سَيْفِه من الضَّرْبِ واعتَلَّت عليه القَنا السُّمْرُ

وقد كان فَوْتُ الموت سَهْلًا فردَّه إليه الحفاظُ المُرُّ والخُلُق الوَعْرُ

فأَثْبت فى مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ رِجْلَه وقال لها : مِنْ تَحْتِ أَخْمُصِك الحَشْرُ

غَدا غَدْوَةً والحمدُ حَشْوُ رِدائه فلم يَنْصَرِفْ إلّا وأَكفانُه الأَجْرُ

كأنَّ بنى نَبْهانَ يومَ مُصابِه نُجُومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البَدْرُ

يُعَزَّوْن عن ثاوٍ تُعزَّى به العُلا ويَبْكِى عليه البَأْسُ والجودُ والشِّعْرُ

فلما فرغ منها قال : وددت والله لو أنها فىّ وأنا الميّت . فقال : بل أَفْدِى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المقدَّم قبله . فقال : إنّه لم يمت من رُثِىَ بهذا الشعر .

قال الواثق لأحمد بن أبى دؤاد[2] : بلغنى أنك أعطيت أبا تمّام الطائى على قصيدة مدحك بها ألْفَ دينار . قال : لم أفعل ذلك ياأمير المؤمنين ، ولكننى أعطيته خمسمائة دينار رعاية للذى قاله فى المعتصم[3] :

فأشدُدْ بهارونَ الخلافةَ إنّه سَكَنٌ لوحْشَتِها ودارُ قَرار

---

(١) الديوان : ٢٦٩ — هبة الأيام : ١٤٤، ١٤٥ .

(٢) أخبار أبى تمام : ١٤٤، ١٤٥ .

(٣) الديوان : ١٥٥ من قصيدة أولها :

الحق أبلجُ والسيوف عوارٍ فحذار من أسد العرين حذار

ولقد علمتُ بأنَّ ذلك مِعْصَمٌ ما كنت تتركه بغـير سِوارِ

فتبسّم وقال : إنك حقيق بذلك .

خرج(١) أبو تمّام إلى خالد بن يزيد بن مَزْيَد وهو بأرمينيّة فامتدحه فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وقال : تـكون العشرة آلاف موفّرة(٢) عليك . فإن أردت الخروج فعجّل ، وإن أردت المُقام عندنا فلك الحِباء والـكرامة . قال : بل أشخص . فودّعه ، ومضت أيام فركب خالد بن يزيد يتصيّد فرآه تحت شجرة وبين يديه زُكْرَة(٣) فيها شراب وغُلام يغنّيه بالطُّنبور . فقال له : أبو تمام ! فقال : خادمك وعبدك . فقال : ما فعل المال ؟ قال :

عَلَّمَنِى جُودُكَ السَّماح فما أبْـ قَيْتُ شيئاً لدىَّ من صِلَتِكْ
ما مَرَّ شهرٌ حتى سَمَحْتُ بـه كأنّ لى قُدْرةً كمَقْدِرَتِكْ
تُنْفِقُ فى اليوم بالهِبات وفى السـ ـاعة ما تَجْتَنِيهِ فى سَنَتِكْ
فلستُ تدرى(٤) من أيْنَ تُنْفِقُ لَوْ لا أنَّ رَبِّى يَزِيدُ فى هِبَتِكْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى .

حدَّث(٥) أبو عبد الله محمد بن سعد الرقِّى وكان يكتب للحسن بن رجاء قال : قدم أبو تمام مادحا للحسن ، فرأيت رجلا عقلُه وعِلْمُه فوق شعره . فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللامية ، التى امتدحه بها ، فلما انتهى إلى قوله(٦) :

---

(١) أخبار أبى تمام : ١٥٨ .
(٢) فى غ : موفورة .
(٣) زكرة : زقيق للماء والخمر وفى ت : ركوة .
(٤) فى غ : أدرى .
(٥) أخبار أبى تمام : ١٦٧ــ١٧٠ .
(٦) الديوان : ٢٤٦ .

أنا من[١] عرفتَ فإنْ عَرَتْك جهالةٌ ... فأنا المُقيم قِيامة العُذَّال
عادت له أيامُه مسوَدَّةً ... حتى توهَّم أنهنَّ ليالِ

فقال له الحسن : لا تسوَدُّ عليك بعد اليوم . فلما قال :

لا تُنْكِري عَطَل الكريم من الغنَى ... فالسَّيْلُ حربٌ للمكانِ العالِي
وتَنَظَّرِي خَبَبَ[٢] الركابِ يَؤُمُّها[٣] ... مُحْيِي القَرِيض إلى مُمِيتِ المَالِ

قام الحسن بن رجاء على رجليه وقال : والله لا أتممتها إلّا وأنا قائم. فقام أبو تمّام لقيامه وقال :

لمّا بلغنا[٤] ساحةَ الحسن انقضَى ... عَنَّا تملُّكُ[٥] دولة الإمحالِ
بَسط[٦] الرجاءَ لنا برغْم نوائبٍ ... كَثُرتْ بهنّ مصارِع الآمالِ
أغلَى عذارَى الشِّعر إنَّ مهورَها ... عند الكرام وإنْ[٧] رَخُصْن غوالِ
تَرِد[٨] الظنون به على تصديقِها ... ويُحَكِّم الآمالَ فى الأموالِ
أضحَى سمِيُّ أبيك فيك مُصَدَّقا ... بأجل فائدةٍ وأيْمَن[٩] فَالٍ[١٠]
ورأيتَنِي فسألتَ نفسَك سَيْبَها ... لى ثُمَّ جُدْتَ وما انتظرتَ سُؤالِي[١١]

---

(١) فى الديوان والأخبار : ذو عرفت . وذو بمعنى الذى فى لغة طيء .
(٢) فى غ : حيث الركاب .
(٣) فى الديوان والأخبار : ينصها .
(٤) فى الديوان : وردنا .
(٥) فى الديوان : تعجرف .
(٦) فى الديوان : أحيا .
(٧) فى الديوان والأخبار : إذا .
(٨) فى غ : ترنو .
(٩) فى الديوان : وأصدق .
(١٠) فال : أصله فأل وأكثر ما يستعمل فى الخير — وسمى أبيه : يريد : الرجاء .
(١١) فى غ : زيادة بيت .

فتعانقا وجلسا . فقال له الحسن : ما أحسن ما جَلَوْتَ به هذه العروس . فقال : لو كانت من الحور العين لـكان قِيامك لها أَوْفَى مهورها . فأقام شهرين فأخذ على يديّ عشرة آلاف درهم ، وأخذ غير ذلك على غير يدى مِمّا لم أعلم به ، على بُخْلٍ كان فى الحسن بن رَجاء .

قال الحسن[1] بن وَداع كاتب الحسن بن رجاء : حضرتُ أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده[2] :

أسْقَى بلادَهُم[3] أجشّ هَزِيم　　　وغَدَتْ عليهم نَضْرَةٌ و نَعِيمُ

فلمّا فرغ أمر له بألف دينار وخلع عليه خلعة سنية[4] . وأقمنا يومنا . فلما كان من الغد كتب إليه أبو تمام بقوله :

قد كَسانا من كُسْوَةِ الصيفِ خِرْقٌ[5]　　　مُـكْتَسٍ من مكارمٍ ومَساعى

حُـلَّةً سـابريَّـةً ورداء　　　كسحَا القَيْضِ أَوْ رداء الشُّجاع[6]

كالسَّراب الرّقراق[7] فى الحسْن[8] إلَّا　　　أنَّه ليس مِثْلَه فى الخِـداعِ

خلعة[9] من أغرَّ أرْوَع رَحْبِ الصَّـ　　　ـدْرِ رحْبِ الفؤاد رحبِ الباعِ[10]

---

(١) فى الأخبار للصولى : الحسين بن وداع .

(٢) الديوان : ٢٩٩ .

(٣) فى الديوان : طلولهم .

(٤) فى غ : حسنة .

(٥) الخرق : السخى الـكريم .

(٦) السابرية : الرقيقة ـ سحا القيض ، مـا تحت القيض وهو القشرة الأعلى من البيضة . ورداء الشجاع : سلخه. والشجاع : الحية .

(٧) الرقراق: فى ك: الدقاق والتصويب من غ ـ وبعد هذا البيت أربعة أبيات فى غ .

(٨) الحسن : فى الديوان : النعت .

(٩) فى الديوان : حلة .

(١٠) فى الأخبار: الذراع.

سوف أَكسُوكَ ما يُعَفِّى عليها   من ثَناءٍ كالبُرْدِ بُرْدِ الصَّناعِ
حُسنُ هاتِيك فى العُيون وهذا   حُسْنُه فى القُلوب والأَسْمَاع

فقال محمد بن الهيثم : مَن لا يُعْطِى [على][1] هذا مِلكه كلّه ؟! والله لا بَقِى فى دارى ثوب إلّا دفعته لأبى تمّام . فأمر له بكل ثوب كان يملكه فى ذلك الوقت .

قال ميمون بن إبراهيم : مرّ أبو تمام بمخنّث يقول لآخر : جئتك أمس فاحتَجَبْتَ عَنِّى . فقال له : السماء إذا احتَجَبَت بالغيم رُجِّيَ خَيْرُها . فتبيّنت فى وجه أبى تمام أنه أخذ المعنى لينظمه فى شعره ، فما لبثنا إلا أياما حتى أنشدنا قوله[2] :

ليس الحِجابُ بِمُقْصٍ عنكَ لى أَمَلًا   إنّ السماءَ تُرَجَّى حين تَحْتَجِب

كان أبو تمام[3] يتعشّق غلاما خَزَرِيًّا للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشّق غلاما روميا لأبى تمّام ، فرآه أبو تمام يوما يعبث بغلامه ، فقال له : والله لئن أَعْنَقْتَ إلى الروم لنركضنّ إلى الخَزَر . فقال له الحسن : لو شئت حكّمتنا أواحتكمت . فقال له أبو تمام : أنا أُشبِّهك بداود عليه السلام وأُشبِّه نفسى بخَصْمه . فقال له الحسن : لو كان هذا منظوما خِفْناه[4] فأما وهو منثور فلا ، لأنه عارض لا حقيقة له. فقال أبو تمام[5] :

أبا عَلِىٍّ لصَرْفِ الدهرِ والغِيَرِ   وللحَوادِثِ والأيامِ والعِبَرِ
أَذكرتَنى أمرَ داوُدٍ وكُنْتَ فَتًى   مُصَرَّفَ القلب فى الأهواء والفِكَرِ[6]

---

(١) زيادة من غ يقتضيها النص .

(٢) الديوان : ٢٢ من قصيدة أولها :

صبرا على المطل ما لم يتله الكذب   فللخطوب إذا سامحتها عقب

(٣) أخبار أبى تمام : ١٩٤-١٩٦ .

(٤) خفناه : فى ترجمة الحسن بن وهب غ (بيروت): ٢٢/٥٤٨ : حفظناه .

(٥) الديوان : ٤٠٠ باختلاف فى الترتيب. فوات الوفيات : ١١/١٣٢ هبة الأيام : ٥٩ .

(٦) فى الأخبار : والذكر .

أعندكَ الشمسُ لم يحظَ المَغيبُ بها … وأنتَ مُضْطَرِب الأحشاء للقمرِ[١]
إن أنتَ لم تتركِ السيرَ الحثيث إلى … جآذِرِ الرُّوم أَعنقْنا إلى الخزَرِ
سبحان مَن سَبَّحَتْه كلّ جارحة … ما فيك من طَمَحات الأيْرِ والنَّظَرِ[٢]
أنت المقيمُ فما تغـــدو رواحِلُه … وأيرُه[٣] أبداً منـــه على سفر
إنّ الغزال[٤] له مـنّى محلٌّ[٥] هَوًى … يحلُّ مـنّى محلَّ السمعِ والبَصَرِ
ورُبّ امنع منه صاحباً[٦] وحِمًى … أَمسَى وتِـكَّتُه[٧] منه على خَطَرِ
جَرَّدتُ فيه جنودَ العَزْمِ فانـكَشَفَتْ … عنه غيابتُها عن نبْـكَةٍ[٨] هَدَرِ[٩]

قال محمد بن إسحاق[١٠] : قلت لأبي تمّام : غلامك أطوعُ للحَسن من غلام الحسن لك . قال : أَجَلْ والله ، غُلامى يجد عند الحَسَن مالًا وأنا أُعطِى غلام الحسن قِيلًا وقَالا .

مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران فى يومٍ واحد ، فدخل عليه أبو تمّام فأنشده[١١] :

(١) لم يحظ المغيب بها : فى الديوان : قد راقت محاسنها — للقمر فى الأخبار بالقمر — وأنت مضطرب فى الديوان : مشتعل .
(٢) الرواية فى الديوان : ما فيك من طمحان العين بالنظر .
(٣) فى الديوان . وفعله .
(٤) فى الديوان : النفور وفى الأخبار : القطوب .
(٥) فى الديوان : مقر .
(٦) فى الديوان : جانبا .
(٧) وتـكته منه : فى غ : ولـكنه منى .
(٨) نبـكه (بالباء الموحدة) : الأكمة المحددة الرأس أو التل الصغير — ويمـكن قراءتها بالياء وفى الديوان : الفجور .
(٩) هدر : باطل .
(١٠) ليس فى غ : وفى أخبار أبى تمام : ١٩٦ .
(١١) الديوان : ٣٧٩ .

ما زالت الأيَّام تُخْبِرُ سائلًا ... أنْ سوف تفجع مُسْهِلًا أو عاقِلَا[1]

مَجْدٌ تأرَّبَ طارِقاً حتى إذا ... قلنا أقامَ الدهرَ أصبح راحِلَا

نَجْمانِ شاء الله ألَّا يَطْلُعا ... إلّا ارْتداد الطَّرْف حتى يَأْفُلَا

إنّ الفجيعة بالرِّياض نواضِرًا ... لَأَجَلُّ منها بالرِّياضِ ذوابِلَا

لو يُنْسَآن[2] لكان هذا غارِباً[3] ... للمكرُمات وكان هذا كاهِلَا

لَهفِي على تلك المخايِل[4] منهما ... لو أُمْهِلت حتى تكون شَمائِلَا

لَغَدا سكونُهما حِجًا وصِباهُما ... حِلْماً وتلك الأريحيَّة نائِلَا[5]

إنّ الهلالَ إذا رأيتَ نُمُوَّهُ ... أيْقَنْتَ أنْ سَيَكُونُ[6] بدراً كامِلَا

---

(١) المسهل : المقيم فى السهل ـ العاقل : من امتنع فى جبل عال .

(٢) فى غ : ينسبان . وينسآن : يؤخران .

(٣) الغارب : ما يلى السنام والعنق ـ الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق .

(٤) فى الديوان : الشواهد وهما بمعنى .

(٥) الحجا : العقل ـ الأريحية : الارتياح للكرم ـ النائل : العطاء .

(٦) فى الديوان : سيعود .

حاتم الطائى*

هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرج بن امرئ القيس بن عَدِىّ بن أَخْزَم . ابن أبى أخزم واسمه هَزُومة ـ وإنّما سمِّى هَزُومة لأنَّه شَجَّ أو شُجَّ ـ بن رَبيعة بن جَرْول ابن ثُعَل[1] بن عَمْرو بن الغوث بن طيئ واسمه جُلْهُمة ـ وإنما سمّى طيئا لأنّه أوّل من طوى المناهل ـ بن أُدد بن زَيْد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب ابن يَعْرب بن قحطان .

وكنية حاتم أَبُو سَفَّانة وأبو عَدِىّ ، كنى بذلك بابنته سَفَّانة[2] وبابنه عدىّ ، وقد أدرك الإسلام .

وأُتِىَ النبى صلى الله عليه وسلم بسفّانة فى أسرى طيئ فَمَنّ عليها . وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عديّا عن أبيه فقال : يا رسول الله إنّ أبى كان يَحْمِل ويُعْطِى ويُوفِى بالذِّمَّة ويأمر بمكارم الأخلاق ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ أباك خَشَبة من خَشَب جهنم » .

رُوى عن على رضى الله عنه أنه قال : يا سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس فى الخير ، عجبت لرجل يجيئه أخوه فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً ، فلو كنّا لا نرجو جنّة ولا نخشى نارا ولا ننتظر ثواباً ولا عقاباً . لـكان ينبغى أن نطلب مكارم الأخلاق ، فإنها تدلّ على سبيل النجاة . فقام رجل فقال فِداكَ أبى وأمى يا أمير المؤمنين ، أسمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ؛ وما هو خير

---

* الأغانى (بولاق) ـ الأغانى (بيروت) : ١٧/٢٧٨ـ٣٠٤ـ ديوان حاتم (ليزج) .

(١) ليس فى غ .

(٢) سفانة : الخزانة ١/٤٩٤ (ل : سفن : ١٧/٧٣) وأصل السفانة : اللؤلؤة .

منه . لمّا أُتينا بسبايا طيّ كانت فى النساء جارية حَمَّاء[(١)] حوراء لَعْساء[(٢)] لَمْياء[(٣)] عَيْطاء[(٤)] شماء الأنف ، معتدلة القامة ، دَرْماء[(٥)] الكَعْبَيْن ، خَدَلَّجة[(٦)] الساقَيْن ، لفّاء الفَخِذين ، خميصة[(٧)] الخصْرَين ، ظاهرة الكَشْحَيْن[(٨)] مصقولة المَتْنَيْن[(٩)] ، فلمّا رأيتُها أُعْجِبْتُ بها ، فقلت : لأَطْلُبَنّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلها من فيئى . فلمّا تكلّمَتْ نسيتُ جمالها لما سمعت من فصاحتها . فقالت : يا محمّد هلك الوالِد ، وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلّىَ عنى ولا تُشْمِت بى أحياء العرب ، فإنى بنت سيّد قومى . كان أبى يفكّ العانِى ويحمى الذِّمار ، ويَقْرِى الضيف ، ويُشْبِع الجائع ، ويفرّج عن المكروب ، ويُطْعِم الطعام ، ويُفْشى السلام ولم يردّ طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيّ . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يا جاريةُ ، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلاميًّا لترحّمت عليه . خَلُّوا عنها فإن أباها كان يُحِبُّ مكارم الأخلاق » .

وأُمُّ حاتم غُنَيَّة[(١٠)] بنت عَفِيف بن عَمْرو بن امرئ القيس بن عدىّ بن أَخْزم .

---

(١) حماء : بيضاء .

(٢) لعساء : فى شفتيها اسوداد مستحسن .

(٣) لمياء : فى باطن شفتيها سمرة مستحسنة .

(٤) عيطاء : طويلة مربعة .

(٥) درماء الكعبين ممتلئتهما .

(٦) خدلجة : ممتلئة ضخمة .

(٧) خميصة : ضامرة .

(٨) الكشح : ما بين السرة ووسط الظهر .

(٩) المتن : الظهر .

(١٠) فى ك بدون إعجام ــ وفى الديوان : ٤٢ : غنية ــ وفى شرح القاموس : وسموا غنية وغنى كسمية وسمى . وضبطه الصاغانى على فعيلة .

وكانت فى الجود بمنزلة حاتم ، أسخى[1] الناس وأقراهم للضَّيف ، لا تدّخر شيئا ولا يسألها أحد شيئا فتمنعه . وكانت ذات يسار ، فلما رأى أخوتها إتلافها ما لها حجروا عليها ومنعوها ما لها ، فمكثت دهرا لا يدفعون إليها شيئا حتى إذا ظنُّوا أنها وجدت ألم ذلك أعطوها صِرْمةً[2] من إبلها ، فجاءت امرأةٌ من هَوازن كانت تأتيها فى كل سنة تسألها ، فقالت لها : دونك هذه الصِّرْمة فخذيها ، فقد مَضَّنِى الجوعُ ولا أمنع سائلا أبدا . وقالت :

لعمرى لقِدْماً عَضَّنى الجوعُ عَضَّةً ... فآلَيْتُ أن لاأَمْنَعَ الدّهرَ جائعـاً

فقُولا لهـذا اللّائمى اليومَ أَعْفِنى ... فإنْ أنتَ لم تفعلْ فَعَضّ الأصابعـا

فماذا عساكم[3] أن تقولُوا لأُخْتِكم ... سِوى عَذْلِكم أو عَذْلِ من كان مانِعا

وما ذا[4] تَرَوْنَ اليومَ إلّا طبائعاً[5] ... فكيف بتَرْكى يا ابنَ أُمَّ الطَّبائعا

وكانت سَفّانة ابنته أيضا من أجود نساء العرب ، وكان أبوها يعطيها الصِّرْمَة من إبله فتعطيها الناس . فقال لها حاتم : يا بنيّة إن القرينين[6] إذا اجتمعا فى المال أتلفـاه ، فإمّا أنْ أُعْطِىَ وتُمْسِكى ، أو أُمْسِك وتُعْطى ، فإنه لا يَبْقَى على هذا شىء !

وكان حاتم من شعراء الجاهلية ، وكان جواداً أشبَه جودُه شعرَه ، ويُصَدِّق قولَه فعلُه . وكان حيثما نزل عُرِف منزله .

---

(١) فى مجمع الأمثال : غنية أجود من حاتم .

(٢) صرمة من إبلها : قطعة منها .

(٣) فى الديوان : عسيتم .

(٤) فى غ : (بيروت) : وما إن ، وفى الديوان : ولا ما ترون .

(٥) فى الديوان : طبيعة .

(٦) هكذا فى غ (بولاق) وفى غ (بيروت) : القويين . وفى ديوان حاتم : السخيين إذا اجتمعا أتلفا .

وكان مظفّرا إذا قاتل غَلَب ، وإذا غَنِم أنْهَب ، وإذا سئل وَهَب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا أَسَر أَطْلَق . وكان يُقسم بالله ألا يقتل واحدَ أُمِّه . وكان إذا أهلّ الشهر الأصمّ — رجب — الذى كانت مضر تعظّمه فى الجاهلية ينحر فى كلّ يوم عشرةً من الإبل ويطعم الناس ويأتونه من كل فجّ .

وكان ممن يأتيه من الشعراء الُحطيئة وبِشْرُ بن أبى خازم .

وكانت أمّ حاتم قد أُتِيت فى المنام وهى حُبْلَى فقيل لها : أغلامٌ سَمْحٌ ، يقال له حاتم ، أحبُّ إليك أم عشرة أغلمة كالناس ، ليوثٌ ساعة البأس ، ليسوا بأوغاد ولا أنكاس . فقالت : بل حاتم . فولدت حاتما .

فلما ترعرع جعل يخرج طعامه فإن وجد من يأكل معه أكل ، وإن لم يجد من يؤاكله طرحه . فلمّا رأى أبوه أنه يُهلك طعامه قال له : الْحَقْ بالإبل . فخرج إليها ، ووهب له جارية وفرسا وفِلْوَها ، فلما أتى الإبل طَفِقَ يبغى الناس فلا يجدهم، ويأتى الطريقَ فلا يجد عليه أحداً . فبينا هو كذلك إذ بصر بِرَكْب على الطريق فأتاهم . فقالوا : يا فتى هل من قِرًى ؟ فقال : تسألونى عن القِرَى وقد ترَوْن الإبل؟! وكان الذين بصر بهم عَبِيد بن الأبرَص ، وبشر بن أبى خازم ، والنابغة الذبيانى ، وكانوا يريدون النّعمان بن المنذر . فنحر لهم ثلاثة من الإبل فقال عَبيد : إنما أردنا اللَّبَن ، وكان يكفينا بَكْرة إذا كنتَ لا بد متكلِّفاً لنا شيئا . فقال حاتم : قد عرفت ولكنى رأيت وجوها مختلفة ، وألوانا متفرّقة ، فعلمت أن البُلدان غيرُ واحدة . وأردت أن يذكر كلٌّ منكم ما رأى إذا أتى قومَه . فامتدحوه بأشعار وذكروا فضله . فقال حاتم : أردت أن أحسن إليكم فصار لكم الفضل علىّ ، وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلى عن آخرها ، أو تقوموا إليها فتقتسموها . ففعلوا فأصاب كلُّ رجلٍ تسعة[1] وثلاثين بعيرا ، ومضوا على سفرهم إلى النعمان . وسمع أبو حاتم بما فعل

(١) فى غ (بولاق) : تسعة وتسعين .

فأتاه فقال : أين الإبل ؟ فقال : يا أَبَهْ طوّقتُك مجدَ الدهرِ طوق الحمامة ، وكرما لا يزول . قال : أبإبلي فعلت هذا ؟ والله لا أسا كنك أبدا . فخرج أبوه بأهله وترك حاتما ومعه جاريته وفرسه وفِلْوَها . فقال حاتم يذكر تحوّل أبيه عنه[1] :

وإنّى لعَفٌّ الفقرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى ... وتارِكُ شَكْلى لا يوافِقُه شَكْلِى

وشَكْلِىَ شَكْلٌ لا يقومُ لِمِثْله ... من النَّاس إلَّا كل ذى نِيقَةٍ[2] مثلى

وأَجعلُ مالى دون عِرْضِىَ جُنَّةً ... لنَفْسِى وأَستَغْنِى بما كان من فَضْلِ

وما ضَرَّنى أَنْ سار سَعْدٌ بأَهْلِه ... وأَفْرَدَنى فى الدَّارِ ليس معى أهلى

سيكفى ابتنائى المجد سَعْدَ بن حَشرج ... وأَحمل عنكم كلّ ما آد من ثقل[3]

ولى مع بذل المال والمجد صولة ... إذا الحرب أبدت عن نواجذها العُصْل[4]

وقيل : إن هذا الحديث كان مع جدّه ، وإن أباه هلك وحاتم صغير ، وبقى فى حجر جده سعد ، والشعر يشهد بذلك . فلما فتح يده بالعطاء ضيّق عليه سعد ورحل بأهله وخلّفه فى داره .

قيل : بينا حاتم نائما يوما فى منزله بعد أن أنهب ماله ووهبه إذِ انتبه وإذا حوله مائتا بعيرٍ أو نحوها تجول ويَحْطِم[5] بعضُها بعضا فساقها إلى بيته ، فقالوا : يا حاتم أَبقِ على نَفْسك فقد رزقت مالًا ولا تعودَنَّ إلى ما كنتَ عليه من الإسراف. قال : فإنّها نُهبَى بينكم . فانتُهِبت ، فأنشأ حاتم يقول :

---

(١) الديوان : ٦ .

(٢) فى الديوان : خلق — والنيقة : التجود فى الملبس والمطعم والأمور وهو اسم .

(٣) فى غ : نقل . وفى الديوان : كل ما حل من أزل .

(٤) العصل : جمع أعصل وهو الناب المعوج .

(٥) يحطم : يزاحم .

تداركني جَــدّي بسَفْح متالع فلا ييأسن ذُو نومة[1] أن يغنَمَّا

ولم يزل حاتم على حاله من إطعام الطعام وإنهاب المال حتى مضى لسبيله .

مر رجل[2] يقال له أبو الخَيْبَرىّ فى نفر من قومه على قبر حاتم وحوله أنصابٌ متقابلات من حجارة كأنهن نساء نوائح[3] فنزلوا به وبات ليلته كلّهــا يُنادِي يا أبا سفّانة[4] اقْرِ أضيافَك ! فيقال له : مهلا ما تُـكلّم من رِمّة بالية ! فقال : إن طيئا يزعمون أنه لم ينزل به أحد إلّا قراه . قال : فلما كان فى آخر الليل نام أبوالخيبرى، فلما كان فى السحر وثب فجعل يصيح : وَاراحِلَتاه واراحلتاه ! فقال له أصحابه : مالَكَ ؟ قال : خرج والله حاتم بالسيف وأنا أنظر إليه حتى عقر ناقتى ! فقالوا : كذبت. قال: بَلَى والله فانظروا، فنظروا إلى راحلته فإذا هى مختزلة ماتنبعث. فقالوا : قد والله قَراكَ . فنحروها وظلّوا يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا ، وساروا ما شاء الله ، ثم نظروا إلى راكب فإذا هو عدىّ بن حاتم ، راكب[5] وقارِنٌ جملا أسود ، فلحقهم فقال : أيكم أبو الخيبرىّ ؟ قالوا : هو ذا . قال : جاءنى أبى فى النوم فذكر لى شتمك إيّاه ، وأنه قرى راحلتك أصحابك ، وقد قال فى ذلك أبياتا ردّدها علىّ حتى حفظتها وهى :

أبا خَيْبَرِىٍّ وأنت امرُؤٌ ظَلُوم[6] العَشِيرة شَتَّامُها

فماذا أردتَ إلى رِمَّـــةٍ بداوِيَّةٍ صَخِبٍ هامُهـا

تبَغِّى أذاهـا وإعسارها وحولك عوفٌ[7] وأنعامُها

---

(١) فى الديوان : ذو قومه .

(٢) الخبر فى الديوان : ١٠، ١١ .

(٣) العبارة فى ك والديوان : وحوله أنصاب متقابلات نوائح كأنهن نساء، والتصويب من غ.

(٤) فى غ : يا أبا جعفر وفى الديوان : يا أبا جعد .

(٥) فى غ : راكب جملا قائد جملا أسود .

(٦) فى الديوان : حسود .

(٧) عوف : فى الديوان : غوث .

وإنّا لنُطْعِمُ أضيافنَا   من الكوم بالسَّيف نَعتْامُها

وقد أمرنى أن أحملك على بعير فدونكه. فركبه وذهبوا .

جرت[١] مذاكرة عند معاوية فيها ذكر ملوك العرب حتى تذاكروا الزبّاء وبنت[٢] عفزر. فقال معاوية : إنى لأحب أن أسمع حديث حاتم وماويّة وهى بنت عَفزْر فقال رجل من القوم : أفلا أُحدّثك به يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى . قال : ماويّة بنت عَفزَر كانت ملكة وكانت تتزوّج من أرادت ، وإنها بعثت غلماناً لها يأتونها بأوْسم من يجدونه بالحيرة ، فجاءوها بحاتم . فقالت له : استقدم إلى الفراش قال : حتى أخْبُرَكِ . وقعد على الباب وقال : إنى أنتظر صاحِبَيْن لى . فقالت : دونك استَدْخِلِ المِجْمَر فقال : استٌ لم تُعَوَّد المجمر . فأرسلها مَثَلا . فارتابت به وسقته خمرا ليسكر ، فجعل يُهريقه بالباب ولا تراه تحت الليل ، ثم قال : ما أنا بذائق قِرًى حتى أنظر ما فعل صاحباى . فقالت : إنا سنرسل إليهما بقِرًى . فقال حاتم : ليس بنافعى شىء أو آتيهما . فأتاهما فقال : أتكونان عبدين لابنة عَفزْر ترعيان عليها أحب إليكما أو لتقتلنكما ؟ فقالا : كل هذا نبغضه ، ولكن بعض الشرّ أهون من بعض[٣] . فقال حاتم : الرحيل والنَّجاء . وقال شعرا يذكر ابنة عَفزْر أنه ليس بصاحب ريبة .

ثم إن[٤] حاتما دعته نفسه لها بعد انصرافه من عندها فأتاها يخطبها[٥] فوجد عندها النابغة ورجلا من الأنصار من النَّبيت . فقالت لهم : انقلبوا إلى رحالكم وليقل كل منكم شعرا يذكر فيه فعاله ومنصبه ، فإنى أتزوّج أكرمكم وأشعركم .

(١) الخبر فى الديوان : ٣٣ـ٤٠ .

(٢) فى الديوان : الزباء بنت عفزر .

(٣) فى غ : كل شىء يشبه بعضه بعضا وبعض الشر أهون من بعض .

(٤) الخزانة : ٢/١٦٤ .

(٥) فى ك : فخطبها . والتصويب من غ .

فانصرفوا ونحر كلّ واحد منهم جزورا . ولبست ماويّة ثيابا لأَمَةٍ لها واتبعتهم، فأتت النبيتيّ فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثِيل[1] جزوره ، فأخذته ، ثم أتت نابغة بني ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذَنَب جَزوره فأخذته . ثم أتت حاتما فاستطعمته وقد نصب قِدْره فقال لها : قَرِّى[2] حتى أعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك . فانتظرت فأعطاها من العجز والسنام ومن المُخَدَّش[3] وهو عند الحارك[4] ، فانصرفت . وأرسل كل واحد إليها ظهر جَمَله ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها . ولم يكن يترك جاراته إلا بهديّة . ثم إنهم صَبَّحوها . فاستنشدتهم ما قالوا فأنشدها النبيتيّ :

هلّا سألت النبيتيّين ما حَسَبِى ... عند الشتاء إذا ما هَبَّت الرِّيحُ

وردّ جازرُهم حَرْفاً مُصَرَّمَةً ... فى الرأس منها وفى الأصلاب تَمْليحُ[5]

وقال رائدهم : سيَّان مالَهُم ... فى الجَدْب حَبْسٌ لمن يَرْعى وتسريحُ[6]

إذا اللِّقاحُ غدت مُلْقًى أَصِرَّتُها[7] ... ولا كريمَ من الولدان مَصْبوح

فقالت له : لقد ذكرتَ يا هذا مجهدة[8] . ثم قالت للنابغة أنشد فأنشد :

هلّا سألت بنى ذُبْيَان ما حَسَبى ... إذا الدُّخان تَغَشَّى الأَشْمَطَ البَرَما[9]

---

(١) الثيل : وعاء الذكر .

(٢) فى غ : قنى .

(٣) المخدش : مقطع العنق .

(٤) الحارك : أعلى الكاهل .

(٥) حرف : ناقة هزيلة — مصرمة : مقطعة — الأصلاب : فى غ : الأصلاء : جمع صلا وهو وسط الظهر — تمليح : سمن .

(٦) فى غ : مثلان مثل لمن يرعى وتسريح .

(٧) الأصرة : جمع صرار . وهو الخيط يشد به خلف الناقة لئلا يرضع .

(٨) فى الديوان : ذكرت مكرمة إن صدق قولك فعلك .

(٩) البرم : البخيل اللئيم .

وهبَّت الريح من تلقاء ذى أُرُلٍ تُزْجِى مع الصُّبح من صُرَّادها الصِّرَمَا[1]
إنى أُتَمِّم أيسارِى وأَمنحُهم منى[2] الأيادِىَ وأَكسو الجَفْنةَ الأُدُمَا

فلما أنشدها قالت : ما يزال الناس بخير ما ائتدموا . ثم قالت : يا أخا طَيِّئ أَنشِدنا فأنشدها[3] :

أَماوِىَّ قد طال التَّجنُّب والهَجْرُ وقد عَذَرَتْنِى فى طلابكم العُــذْرُ
أَماوِىَّ إنَّ المــال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ
أَماوِىَّ إنّى ما أَقــول لسائلٍ إذا جاء يوماً حَلَّ فى مالنــا نَذْرُ
أَماوِىَّ إما مانعٌ فمُبَيِّنٌ وإمّا عطاء لا يُنَهْنهه الزَّجْـرُ
أَماوِىَّ ما يُغْـنى الثَّراءُ عن الفَـتَى إذا حَشْرَجَتْ يوماً[4] وضاق بها الصَّدْرُ
إذا أنا دَلَّانِى الَّذين أُحِبُّهم بِمَلْحُودَةٍ زُلْجٍ[5] جوانبُها غُبْرُ
وَراحُوا سِراعاً[6] ينفضُون أَكفَّهم يَقُولون قد دَمَّى أَناملَنا الحَفْرُ
أَماوِىَّ إن يُصْبح صَداىَ بقَفْرَةٍ من الأرض لا ماءٌ لدىَّ[7] ولا خَمْرُ
تَرَىْ أَنَّ ما أَهلكتُ لم يَكُ ضَرَّنِى وأَنّ يدى ممــا بَخِلْتُ به صِفْرُ
أَماوِىَّ إنّى رُبَّ واحــدُ أُمِّه أَجَرْتُ[8] فلا قَتْلٌ عليه ولا أَسْرُ
وقد عَلِم الأقوامُ لو أَنَّ حاتِماً أَراد ثَراءَ المــالِ كان له وَفْرُ

---

(١) الصراد : الغيم الرقيق لا ماء فيه ، أو شدة البرد ـ الصرم : قطع السحاب .
(٢) فى ك : من .
(٣) الديوان : ١٩ .
(٤) فى الديوان : نفس .
(٥) زلج : فى غ : زلخ وهما بمعنى .
(٦) فى الديوان : عجالا .
(٧) فى الديوان : هناك .
(٨) فى غ : أخذت .

وإنّىَ لا آلو بمالٍ صنيمةً فأوّله زادٌ وآخره ذُخْرُ
يفكّ به العانِى ويؤكل طيِّبًا وما إنْ يُعَرِّيه القِداح ولا القَمْرُ[1]
ولاأَلطِمُ[2] ابنَ العمّ إنْ كان إخوتِى شُهودًا وقد أودى بإخوانه الدّهرُ
غنينا[3] زمانًا بالتّصعلُك والغِنَى وكُلًّا سَقاناه بكأْسَيْهما الدّهرُ
فما زادَنا بَغْيًا[4] على ذى قرابةٍ غِنانا ولا أَزْرَى بأَحسابِنا الفقْرُ
وما ضَرّ جارًا يابنة القوم فاعلَمِى يُجاورنى ألا يكونَ له سِتْرُ
بعَيْنِيَ عن جارات قَوْمِىَ غَفْلةٌ وفى السَّمعِ منّى عن حَدِيثهم وَقْرُ

فلمّا فرغ حاتم من إنشاده دعت بالغداء وقد كانت أمرت إماءها أن يقدّمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعَمَها ، فقدّمن إليهم ذلك ، فنكّس النبيتىّ والنابغة رأسيهما . فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذى قدم إليهما وأطعمهما ممّا قدم إليه فتسلّلا لِواذًا[5] . وقالت : إنّ حاتمًا أكرمكم وأشعركم .

فلما خرج النبيتىّ والنابغة قالت : يا حاتم خلّ سبيل امرأتك . فأبى . فزوّدته وردّته . فلما انصرف دعته نفسه إليها وماتت امرأته فخطبها فتزوّجته فولدت له عَدِيًّا[6] ودامت ماويّة عنده زمانا .

---

(١) العانى : الأسير — يعريه : يفنيه — القمر : المقامرة . وفى الديوان : الخمر وانظر الخزانة : ٢٠/١٦٤ .

(٢) فى غ والديوان : أظلم .

(٣) غنينا : عشنا والرواية فى الديوان :

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى كما الدهر فى أيامه العسر واليسر
لبسنا صروف الدهر ليناوغلظة وكلاّ سقاناه بكأسيهما الدهر

(٤) فى الديوان والخزانة : بأوا . والبأو : الفخر والتكبر .

(٥) تسللا لواذا : خرج كل إثر صاحبه متدرئا فيه .

(٦) فى الخزانة : ٤/١٦٤ ، والصحيح أن عديا من امرأته نوار لا من ماوية .

ولمّا انتقلت ماوية إليه كان لحاتم ابن عم يقال له مالك ، فقال لماوية يوما : ما تصنعين بحاتم ؟ فوالله لئن وجد مالًا لينفقنّه ، وإن لم يجد ليتكلّفنّ ، وإن مات ليتركنّ ولدك عِيالًا على قومك ! فقالت له ماوية : صدقت إنه لكذلك . وكان النساء فى الجاهلية الطلاق إليهن ، وكان طلاقهنّ أنهنّ كن فى بيوت شعر فيحولن الخباء ، إن كان بابه قِبَل المشرق حوّلنه قِبَل المغرب ، وإن كان قِبَل اليمن حوّلنه قِبَل الشام ، فإذا رأى الرجل ذلك علم أنها قد طلّقته فلا يأتيها . وكانت ماويّة من أحسن الناس فقال لها مالك ابن عم حاتم طلّقى حاتما وأنا أنكحك وأنا خير لك منه وأكثر مالا ، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك . ولم يزل بها حتى طلّقت حاتما . فأتاها حاتم وقد حوّلت باب الخباء . فقال : يا عدىّ ما ترى أُمّك عدا عليها ؟ قال : لا أدرى ، غير أنها قد حوّلت ! فدعاه فهبط به بطن الوادى .

وجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون حتى توافوا خمسين رجلا ، فضاقت بهم ماويّة ذَرْعاً ، وقالت لجاريتها اذهبى إلى مالك فقولى له : إن أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا ، فأرْسِلْ بناب[1] نَقْرِهم ولبن نغبقهم[2] . وقالت لجاريتها انظرى إلى جبينه وفمه ، فإن شافهك بالمعروف فاقبلى منه ، وإن ضرب بلحيته على زوره وأدخل يده فى رأسه فأَقْبِلِى[3] ودعيه. فلما أتت مالكا وجدته متوسدا وَطْباً[4] من لَبَن وتحت بطنه آخر ، فأيقظته وأبلغته ما أرسلتها به ماويّة . وقالت : إنما هى الليلة حتى يعلم الناس بمكانه . فأدخل يده فى رأسه وضرب بلحيته على زَوْره وقال : أقرئى عليها السلام وقولى لها : هذا الذى أمرتك أن تطلّقى حاتما فيه ، فما عندى من

---

(١) الناب : الناقة المسنة .

(٢) فى ك : يقنعهم والتصويب من غ . ونغبقهم : نسقيهم الغبوق وهو ما يشرب فى العشى .

(٣) فأقبلى : فى غ فاقفلى .

(٤) وطبا : سقاء .

كبيرة قد تركت الفحل[1] ، وما كنت لأنحر صفِيَّة غزيرة بشحم كُلاها ، وماعندى لبن يكفى أضياف حاتم. فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه وبما قال لها . فقالت لها : فائتى حاتما فأعلميه الخبر وقولى له إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا بمكانك فأرسل إلينا بناب نقرهم ، ولبن نَسْقِهم وإنما هى الليلة حتى يعرفوا بمكانك . فأتت الجارية حاتما فصرخت به فقال حاتم : لبيك قريباً دعوت . فقالت : إن ماويّـة تقرئك السلام وتقول لك إن أضيافك قد نزلوا بنا فأرسل إليهم بناب ننحرها لهم ولبن نسقهم فقال : نعم بأبى أنتِ واثنين[2] وثلاثا. وقام إلى الإبل فأطلق اثنين من عقالهما ثم صاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما . فطفقت ماويّة تقول: هذا الذى طلقتك فيه، تترك ولدك وليس لهم شىء ! فقال حاتم عند ذلك[3] :

هل الدّهر إلّا اليومُ أو أمسِ أو غَدُ ... كذاك الزّمان بيْنَنا يترَدَّدُ
يردُّ علينا ليـــلةً بعد يَوْمِها ... فلا نحن ما نبقَى ولا الدهرُ ينفَدُ
لنا أجـــلٌ إمَّا تناهَى أمامَه ... فنحن عـــلى آثارِه نتوَرَّدُ
بنو ثُعَلٍ قـــومى فلا أنا مُدَّعٍ ... سِواهُم إلى قـــوم ولا أنا مُسْنِدُ
فمهلًا فِداك اليـــوم أُمّى وخالتى ... فـــلا تأمرِينى بالدنِيَّة أسودُ
على حين أن أدركت[4] واشتدّ جانبى ... أسام الذى أعييت إذْ أَنا أمردُ
فهل تُرِكت قَبْلِى حصونٌ مَكانَها ... وهل من أَنَى[5] ضَيْماً وخَسْفاً مُخَلَّدُ
ومعتسِف[6] بالرُّمح دُون صحابــه ... تَعَسَّفْتَه والسيفُ والقومُ شُهَّدُ

---

(١) فى غ: العمل.

(٢) واثنين وثلاثا : ليس فى غ .

(٣) الديوان : ٣٩ .

(٤) فى غ : ذكيت . وذكى الرجل : أسن .

(٥) فى غ : أبى ، وأنى أبلغ وأليق بالمعنى .

(٦) معتسف : راكب الأمر بلا تدبر .

فخرَّ على حرِّ الجبين وذَادَه ... إلى الموت مطرورُ الوقيعة مِذْوَدُ[1]
فما رُمته حتى أرحتُ عريضَه ... وحتَّى علاه حالكُ اللَّوْنِ أَسْوَد[2]
فأقسمتُ لا أمشى إلى سِرِّ جارةٍ ... مَدَى الدهر مادام الحَمام يغرِّد[3]
ولا أشْتَرِى مالاً بغَدْرٍ علمته ... أَلا كلّ مالٍ خالطَ الغَدْرَ أَنكَدُ
إذا كان بعضُ المال ربًّا لأهله ... فإنِّى بحمد الله مالى مُعَبَّدٌ
يُفَكُّ به العانِى ويؤكَلُ طَيِّباً ... ويُعْطِى إذا ضن البَخِيلُ المُصَرِّدِ[4]
إذا ما البخيل الخِبُّ[5] أخمد ناره ... أقول لمن يَصْلَى بنارِىَ أَوْقِدُوا

خرج حاتم الطائى فى الشهر الحرام يطلب حاجة له ، فلما كان بأرض عَنَزة ناداه أسير : هلُمَّ يا أبا سَفّانة أهلكنى القَمْل . فقال : ويلك ما أنا ببلاد قومى ، وقد أسأت بى إذ نوَّهت باسمى ، ومالى[6] مترك. فساوم به العَنَزِيّين واشتراه منهم . وقال خلّوا سبيله وأنا أقيم مكانه فى قِدِّه[7] حتى أؤدى فِداه . ففعلوا به ذلك ، فأقام حتى أتِىَ بفداه .

وكان عبد الدار بن خُفاف البُرْجُمى أتى حاتماً الطائىّ فى دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها وعجز عنها ، فقال : والله لآتِيَنَّ من يحملها عنّى ! وكان شريفا شجاعا . فلمّا قدم على حاتم قال له : إنى وقعت بينى وبين قومى دماء فتوا كلوها ، وإنى حملتها فى مالى وأملى ، فقدّمت مالى وأخّرت أملى ، وكنتَ أوثق الناس لها فى نفسى ، فإن

(١) ذاده : دفعه ــ مطرور الوقيعة : محدد النصل ــ المذود : الرمح القصير.

(٢) رمته : تركته وفارقته ــ عريضه : فى غ والديوان : عويصه .

(٣) إلى فى غ : على ــ سر : فى ت : بيت ــ مدى الدهر : فى غ : يد الدهر ومعناه : مد زمانه.

(٤) العانى : الأسير ــ المصرد : المقلل عطاءه .

(٥) الخب : الخداع ــ وبعد هذا البيت فى غ أربعة أبيات .

(٦) فى غ : ومالك .

(٧) فى غ : قيده . والقد : الإسار يقد من جلد .

تَحَمّلتها فكم من حقٍ قضيته ، وإن حال دون ذلك حائل لم أَذْمُم يومَك ولم أنس غدَك، ثم أنشأ يقول:

حَمَلْتُ دِماءً للبراجِم جَمّـة | فجئتُك لمّا أسلمَتِني البراجِمُ
وقالوا سِفاهاً ما حملتَ دماءنا | فقلتُ لهم: يَكْفِي الحَمالةَ حاتمُ
متى آتِه فيها يقلْ لِيَ مَرْحَباً | وأهلًا وسهلًا أخطأتْك الأشائمُ
فيحملَها عنّي وإن شئتُ زادَني | زيادة من حيزت إليه المكارم
يعيش الندى ما عاش حاتم طيءٍ | فإن مات قامت بالشجاء المآتم
وقالت رجال: أنهبَ العامُ مالَه | فقلت لهم: إني بذلك عالمُ
ولكنّه يُعْطِي من أموال طيّءٍ | إذا خلف المالَ الحقوقُ اللوازمُ
فيعطى التي فيها الغِنَى وكأنّه | لتصغيره تلك العَطِيَّة حارِمُ
بذلك أوصاهُ عدِيٌّ وحَشْرَجٌ | وسَعْدٌ وعبدُ الله تلك القماقم(١)

فقال له حاتم: إن كنت لأحبّ أن يأتيني مثلُك من قومك! وهذا مِرْباعى من الغارة على بنى تميم فخذه وافراً، فإنْ أوْفَى بالحمالة وإلا أكملتها لك، وهى مائتا بعير، مع أنى لا أحب أن يُؤَيّس قومُك بأموالهم فضحك أبو حنبل وقال: لكم: ما أخذتم منّا ولنا ما أخذنا منكم، وأى بعير دفعتَه إلىّ وليس ذنبه فى يد صاحبه فأنت منه برىء. فأخذها وزاده مائة بعير وانصرف إلى قومه.

قال ملحان(٢) ابن أخى ماويّة امرأة حاتم: حدِّثينى ببعض عجائب حاتم. قالت: كل أمره عجب! قلت: حدثينى ماشئت. قالت: أصابت الناسَ سنة(٣) فأذهبت الخفَّ والظِلْف، وإنى وإياه ليلة وقد أسهرنا الجوع. قال: فأخذ سفّانة وعديًّا

(١) القماقم: جمع قمقام: السيد الكثير العطاء.

(٢) قال ملحان: غ (بيروت): ١٧/٣٠٢ وفى الشعر والشعراء نسبت هذه القصة للنوار.

(٣) سنة. مجاعة وشدة.

يعللهما[1] بالحديث حتى ناما وأقبل عليّ يعلّلنى بالحديث وأعلّله بالحديث حتى نام ، فرقَقْتُ لِمَا به من الجَهْد وأمسكت عن كلامه لينام فقال لى : أنمت مرارا فلم أجبه . فسكت، فنظر فى فَتْق الخِباء فإذا بشىء قد أقبل فرفع رأسه فإذا امرأة فقال : ماهذا ! فقالت : يا أبا سفّانة أتيتك من عند صبية يتعاوَوْن كالذئاب جُوعا . قالت : فقال : أحضرى صبيانك فوالله لأُشْبِعنَّهم . فقلت : بماذا يا حاتم ؟ فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلّا بالتعليل : فقال : والله لأشبعن صبيانك مع صبيانِها . فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحها ثم قدح نارا فأجّجها، ثم دفع إليهم شَفْرة وقال اشووا وكلوا . ثم قال : أيقظى صبيانك . فأيقظتهم فقال : والله إن هذا للؤم ! أتأكلون وأهل الصِّرم[2] حالُهم كحالكم ؟! فجعل يأتى الصِّرْم بيتا بيتا فيقول : انهضوا عليكم بالنار. قال : فاجتمعوا حول الفَرس . وتقنّع[3] بكسائه وقعد حَجْرَةً[4] . فما أَصبحوا وعلى الأرض من الفرس قليل ولا كثير إلا عظمٌ أَو حافِر ، وإنه لأشدّ منهم جوعا وما ذاقه .

---

(١) يعللهما : يلهيهما ويشغلهما عن التفكير فى الطعام .

(٢) الصرم : الحى (الجماعة من البيوت) .

(٣) تقنع بكسائه : غطى به رأسه وتلفف فيه .

(٤) قعد حجرة : ناحية . وفى غ : ناحية .

الحسين[1] المَسْدُود*

هو من أهل بَغداد؛ والموضع المعروف بخَراب المسدود، يُنسب إليه. وكنيته أبو عليّ، وكان أبوه قصّابا. وكان مسدودَ المَنْخَرِ الواحد[2] مفتوح الآخر، وكان يقول: لو أنّى مفتوح الآخر لأذهلت بغنائى أهلَ الأرض وذوى الحلوم والآداب، وشغلت من يسمعنى عن أمر دينه ودُنياه ومعاشه ومعاده.

وكان المسدود أشجَى النـاس صوتاً، وأحضرَهم[3] نادرة. ولم يكسب أحد من المغنّين بطنبور ما كسبه، وكان مع يساره وقلّة نفقته يَقْرِض بالعِينة[4].

كان الواثق قد أمر جلساءه ألا يردّ أحد منهم نادرةً عن أحد ولا عنه. فغـنّى الواثق ذات يوم:

نظرتُ كأنّى من وراء زجاجة إلى الدار من ماء[5] الصَّبابة أنْظُرُ

وقد كان النبيذ عمل فيه وفى الجلساء، فالتفت[6] إليه المسدودُ فقال: أنتَ أبداً تنظر من وراء زجاجة إن كان فى عينيك ماء الصبابة وإن لم يكن. فغضب الواثق من ذلك وكان فى إحدى عينيه بياض، فقال: خُذوا[7] برجل الماصّ بَظْر أمّه. فسُحب من بين يديه. وقال: يُنفَى إلى عمانَ الساعة. فنُفِيَ من وقته وحُدِر ومعه

---

* الأغانى (بيروت): ٢٠/٢٥٠–٢٥٤– الأغانى (بولاق): ٢١.

(١) فى غ (بيروت): الحسن.

(٢) فى غ: فرد منخر.

(٣) أحضرهم نادرة: فى غ: أحذره نادرة.

(٤) العينة: ضرب من الربا يأخذ فيه زيادة بسبب التأجيل.

(٥) فى ك وت: فرط الصبابة والتصويب من غ. والقصة توجيه.

(٦) فى غ: فانبعث.

(٧) فى ك: جروا والتصويب من غ.

الموكَّلون . فلمَّا سلَّموه إلى صاحب البَصْرة سأله أن يقيم عنده يوما ويغنِّيه ، ففعل . فلمّا جلسوا للشراب ابتدأ فقال: احذرونى يا أهل البصرة على حُرَمكم ، فقد دخلتُ بلدكم وأنا أزنَى خلق الله . فقال له الجمَّاز قولًا أغاظه ، وقال : إنّه يعنى أنّه أزْنَى خَلق الله أمًّا . فضرب بُطنبوره الأرضَ وحلف ألا يغنِّى . وسأله الأمير أنْ يقيم وأخرج الجمّاز وكل من حضر : فأبى ولَجَّ . فحدَره إلى عُمان .

ومكث الواثق لا يسأل عنه[1] ، ثم اشتاقه فكتب فى إحضاره ، فلما جاء قبّل الأرض بين يديه واعتذر من هفوته وشكر التفضّل عليه . فأمره بالجلوس ثم قال له : حدّثنى ما[2] رأيت بعدى ! فقال : حديث ليس فى الأرض أطرف منه ! فأعاد عليه حديثَه بالبصرة . فقال له الواثق : قبّحك الله ما أجهلك ! ويلك ! فأنت سُوقة وأنا مَلِك ، وكنتَ صاحِياً وأنا منتشيا ، وبدأت القومَ فأجابوكَ ، وبلغ الغضب منك ما ذكرتَه ، وأنا ما بدأتك فتُجيبنى ، وبَدأتنى من المزاح ـ بما لا يحتمله النظير لنظيره ، ويلك لا تعاود بعدها ممازحة خليفة وإن أذن لك ، فليس كل أحدٍ يحضره حِلمُه كما حضرنى فيك .

قال حَمْدون بن إسماعيل : لم يكن فى الخلفاء أحلَم من الواثق ولا أصبرَ على أذى . وكان يُعجبه غناء أبى حَشيشة الطّنبُورِى[3] ، فوَجَد المسدودُ من ذلك : وكان يبلغه عنه ما يكره فيتجاوز عنه . وكان المسدود قد هجاه[4] ببيتين فكانا معه فى رقعة ، وفى رقعة أخرى حاجة لامرأة تريد أن ترفعها[5] إليه ، فغلط بين الرقعتين ،

---

(١) فى غ : لا يسأل عنه سنة .

(٢) فى غ : بما

(٣) لقب غلب على محمد بن على بن أمية ، ويكنى أباجعفر ، أحسن الطنبوريين غناء (نهاية الأرب ٣٥/٥ .

(٤) فى غ : هجا أبى ببيتين .

(٥) فى غ : تدفعها .

فناوله الرقعةالتى فيها الشعر ، وهو يَرَى[1] أنها رقعة المرأة . فقرأها وإذا فيها :

من المَسْـــدُود فى الأنفِ إلى المَسْـدود فى العَــيْن

أنا طَبْلٌ له شقٌّ فيا طَبْلًا بشقَّيْنِ

فلما قرأ الرقعة علم أنّها فيه ، فقال للمسدود : غلطت بين[2] الرُّقعتين فهات الرقعة الأخرى وخذ هذه واحترس[3] من مثل هذا ! ! ولا واللهِ ما زاده على هذا القول .

تحدّث المسدود فى مجلس المنتصر بحديث، فقال له المنتصر : متى كان ذلك ؟ فقال له : ليلة لا ناهٍ ولا زاجر . يُعرِّض له بليلة قتل فيها المتوَكل . فاغتاظ[4] المنتصر واحتمله .

وقالت الذكوريّة يوما بين يدى المعتمد : غنِّ يا مسدود . قال : نعم يا مفتوحة .

وقدّم إليه طباخ المتوكل طبقا عليه رغيفان ، وقال له . أىّ شىء تشتهى حتى أجيئك به ؟ قال : خُبْزاً . فأمر المتوكِّل بالطباخ فضُرِب مائتى مقرعة .

---

(١) يرى : يحسب ويظن .

(٢) بين فى غ : فى .

(٣) فى غ ، احترز .

(٤) فى غ : فأغضى .

الحارث بن وَعْلَة الجرْمى*

هو الحارث بن وَعْلة بن عبد الله بن الحارث بن بُلَع بن سبيلة بن الهُون بن أعْجَب ابن قُدامة بن جَرْم بن زَبّان(١) وهو عِلَاف بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وإلى عِلاف تنسب الرِّحال العِلافيَّة .

والحارث وأبوه وَعْلة من فرسان قُضاعة وأنْجادها وأعلامها وشُعرائها .

وشهد وَعْلةُ الكُلاب الثانى وأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم ففاته ركضا وعَدْوًا . وذلك أن قيس ابن عاصم التَّمِيمىّ خرج يوم الكُلاب يلتمس أن يصيب رجلا من ملوك اليمن له فداء ؛ فبينا هو فى ذلك إذ أدرك وَعْلة الجَرْمى وعليه مقطّعات له . فقال : عَلَى يمينك . فقال : على يسارِى أَقْصَدُ لى . فقال : هيهات منك اليمن ! قال : العراق منّى أبعد . قال : إنّك لن ترى أهلك العام . قال : ولا أهلك أراهم . وجعل وعلة يُرْكِض فرسه فإذا ظن أنها قد أَعْيَت وَثب عنها وعدا وصاح بها فتجرى وهو يجارِيها . فإذا أَعْيا وثَبَ فركبها حتى نجا . فسأل عنه قيس فعرف أنه وَعْلَة الجرمى فانصرف وتركه . وقال وعلة فى ذلك(٢) :

فِدًا لكما رِجْلَىَّ أُمّى وخالَتِى غَداةَ الكُلاب(٣) إذْ تُحَزُّ(٤) الدوابِرُ
نجوتُ نَجاءً لم يَرَى الناسُ مثلَهُ(٥) كأنّى عُقابٌ عند تَيْمَنَ(٦) كاسِرُ

---

* الأغانى (بولاق) : ١٩/١٣٩-١٤١ - الأغانى (بيروت): ٢٢/٢٢١ .

(١) فى ك : بدون نقط وفى غ (بولاق) : ريان بالراء المهملة والمثناة التحية ، والتصويب من (ل : ع ل ف /١١/١٦٣) .

(٢) النقائض (الصاوى) : ١/١٤١.

(٣) الكلاب: يوم كان لتميم .

(٤) فى غ : تحف .

(٥) فى النقائض والبلدان (تيمن) : ليس فيه وتيرة .

(٦) تيمن : ماء بين نجران إلى بلد تميم (بلدان) .

ولمّا رأيتُ الخَيْلَ تدعُو مُقاعِساً ... ينازِعُنِى من ثُغْرة النّحر حائر[1]

فإن أستَطِع لا يلتبسْ بى مُقاعِسُ ... ولا يَرَنِى مَبْداهم والمَحاضِرُ[2]

ولا يكُ لى حَدّادةٌ[3] مضريّةٌ ... إذا ما غدَت قوتَ العِيال تُبادِرُ

قوله : تحزّ الدوابر : فإن[4] قيس بن عاصم لمّا انهزم أهل اليمن قال لقومه : لا تشتغلوا بأسْرهم ـ فيفوتكم أكثرهم ، ولكن اتبَعُوا المنهزمين يُجزّوا أعصابهم من أعقابهم ودعوهم فى مواضعهم ، فإذا لم يبق أحد رجعتم إليهم فأخذتموهم . ففعلوا ذلك وأهل اليمن يومئذ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم اليزيدون وهم : يزيد بن عبدالمَدان ، ويزيد بن هَوْبر ، ويزيد بن المأبور[5] ، ويزيد بن مُخَرِّم ، والخامس عبد يغوث بن وَقّاص . فقتل اليزيدون أربعتهم فى الوقعة ، وأُسِرَ عبد يغوث فقتلته الرّباب برجل منهم .

وأمّا قوله :

* ولمّا رأيتُ الخيلَ تدعو مُقاعساً *

فإنّ بنى تميم[6] لما التقت مع بنى الحارث بن كعب فى هذا اليوم تداعت تميم فى المَعْمَعة : يالَ كَعْب ، فنادَى أهلُ اليمن يالَ كعب ؛ وتنادوا يالَ الحارِث فتنادَى أهلُ اليمن يالَ الحارث ، فتنادوا يالَ مُقاعس وتميّزوا بها من أهل اليمن .

كتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجّاج : أمّا بعد ، فإنّ مَثلِى ومَثَلُك ما قال القائل :

---

(١) فى غ (بولاق) والنقائض والبلدان : جائر، وفى ك : حابر .

(٢) مبداهم : منتجعهم وفى غ : ميدانهم ـ المحاضر : الراجع الى أعداد المياه .

(٣) حدادة : سجانة .

(٤) الخبر فى النقائض (الصاوى) : ١/١٤١ .

(٥) فى غ : المأمون، وفى النقائض : المأمور .

(٦) المصدر السابق (النقائض) .

سائل مُجاوِرَ جَرْمٍ هل جنيتُ لها　　حَرْباً تُفَرِّقُ[1] بينَ الجيرةِ الخُلُطِ ؟!
أَمْ هل دَلَفْتُ بجَرّارٍ[2] له لَجَبٌ　　يغشَى الأماعز[3] بَيْنَ السَّهْلِ والفُرُطِ[4]
حتى تَرَكتُ نساءَ الحىّ ضاحِيَــةً　　فى ساحة الدار يستوقدْن بالغُبُط

ـ الشعر لوَعْلَةَ الجَرْمىّ ـ هذا مثلى ومثلك وسأَحْمِلك على أَصْعَبِه ، وأُريحك من مركبه .

فكتب الحجّاج بذلك إلى عبد الملك فكتب إليه جوابه :

أمّا بعــد ، فإنّى قد أجبت عبد الرحمن بلا حول ولا قوة إلّا بالله ، ولَعمرُ الله لقد صدَق وخلع سلطانَ الله عزّ وجلّ بيمينه ، وطاعته بشماله ، وخرج من الدين عُريانا كما ولدته أُمّه ، وإنّ مَثَلى ومَثَلَه كما قال الحارثُ بن وَعْلة :

أَناةً وحِلْماً وانتظاراً بهم غــداً　　فما أنا بالوانِى ولا الضَّرعِ الغُمْرِ[5]
أظنُّ صروفَ الدهرِ والجَهْلَ منهم　　سيحملُهم مـنّى على مَرْكَبٍ وَعْرِ
أَلم تعلَمُوا أَنّى تُخاف عَرامَتى[6]　　وأَنّ قَناتِى لا تَلِينُ على القَسْرِ[7]
وإنّى وإيّاهم كمن نَبَّــه القَطَا　　وإن لم يُنَبِّــه باتتِ الطَّيْرُ لاتَسْرِى

فليت شعرى أَسَمَا عدوُّ الله[8] لدعائم دين الله يَهْدِمُها ، أم رام الخلافة أَنْ ينالَها

(١) فى غ (بولاق) : تزيل .
(٢) جرار له لجب : جيش كبير .
(٣) الأماعز : جمع أمعز ، والمعزاء هى الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة ـ فى غ (بولاق) : المخارم .
(٤) الفرط : واحد الأفراط وهى آكام شبيهات بالجبال . ورواية البيت فى (ل : مادة فرط) :
وهـــل سموتُ بجَرار له لجب　　جمّ الصواهل بين السهل والفُرُط
(٥) الضرع : الضعيف ـ الغمر : الذى لم يجرب الأمور .
(٦) شدتى وصولتى .
(٧) هذا البيت والذى يليه ليسا فى غ .
(٨) فى غ : عدو الرحمن .

وأوشك أن يُوهن الله شوكَتَه فاسْتَمِنْ بالله عليه ، واعلم ﴿ إنَّ اللهَ مع الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذين هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

وكانت نَهْدُ قد قتلت أَخا وَعْلة الجَرْمىّ ، فاستمان بقومه فلم يُعِينوه ، فاستعان بحُلَفاء بنى نُمَيْر وكانوا حُلفاء وإخوانا فأعانوه حتى أدرك بثأره . فقال فى ذلك :

سائل مُجاوِرَ جَرْمٍ هل جَنَيت لها   حَرْباً تُفَرِّق[1] بين الجِيرَة الخُلُطِ

الأبيات .

---

(١) فى غ : تزيل .

حَسّان بن تبَّع*

رجل أَحْوَل أَعْسَر ، بَعيدُ الهِمَّة ، شديد البطش . دخل إليه يوماً وُجوه قومه ، وهم الأَقْيال[1] من حِمْيَر ، فلما أخذوا مواضِعَهم أنشدهم مبتدئا :

أَيُّها النـاس إنَّ رَأْيِي يُرِيني   وهُوَ الرَّأْيُ طَوْفَةً فى البـلادِ

بالعَـوالِي وبالقَنـابل تَرْدِي   بالبطارِيق مِشْيَةَ القَـوَّادِ[2]

وبجَيْشٍ عَرَمْرَمٍ عَرَبِيٍّ   جَحْفَلٍ يستجيبُ صوتَ المنادِي[3]

من تميمٍ وخِنْدِفٍ وإيادٍ   والبَهالِيـل حِمْيَرٍ ومُرَادِ

فإذا سرتُ سارت السُّمْرُ[4] خَلْفِي   ومَعِي كالجبال فى كُلِّ وَادِي

سَقِّنِي ثم سَقِّ حِمْيَرَ قَوْمِي   كأسَ خَمْرٍ أُولِي النُّهَى والعِمادِ

ثم قال لهم : استعِدُّوا لذلك ، فلم يُرَاجِعْه أحد لهيبَته . فلما كان بعد ثلاثٍ خرج وتبعه الناس حتى وطِئ أرض العَجَم . وقال : لأبلُغَنَّ من البلاد حيثُ لم يبلغ أحدٌ من التبابِعة . فجال بهم أرض[5] خُراسان ثم مضى إلى المغرب حتى بلغ رُوميـة[6] وخلف عليها ابنَ عَمٍّ له . وأقبـل إلى العراق حتى إذا صار على شاطئ الفرات

---

* الأغانى (بولاق) ٢٠/٧-٩ ـ الأغانى (بيروت) : ٢٢/٣٤٣-٣٤٧- نهـاية الأرب : ١٥/٣٠٠ .

(١) الأقيال : جمع القيل، وهو الحاكم أو الوالى من ولاة حمير دون الملك الأعظم

(٢) العوالى : الرماح ـ القنابل : جمـع قنبله وهى الطائفة من الناس ومن الخيل ـ تردى : ترجم الأرض بحوافرها ـ القواد : فى غ العواد.

(٣) عرمرم وجحفل : كثير .

(٤) السمر : فى غ : الناس .

(٥) فى غ : فى أرض .

(٦) فى ك : إلى رومية .

قالت وجوه حمير : مالَنا نُفْـنِى أعمارَنا مع هذا يطوف فى الأرض ويفرِّق بيننا وبين أولادنا فما ندرى من يَخْلُف عليهم بعدَنا ؟! فـكلّموا أخاه عَمْرًا وقالوا : كلِّم أخاك فى الرجوع إلى بلده ومُلْـكه . فقال : هو أعسر من ذلك وأنـكد[1] . فقالوا : اقتُلْه ونملّـكك علينا فأنت أحق بالملك منه ، وإنك أعقل وأحسن نظراً لقومك . فقال : أخاف ألا تفعلوا ، وأكون قد قتلت أخى وخرج المُلْك من يدى . فواثقوه[2] حتى ثَلِجَ[3] إلى أقوالهم ، واجتمع[4] الرؤساء كلّهم على قَتْل أخيه إلَّا ذو رُعَيْن فإنّه خالفهم وقال : ليس هذا رأى ، يذهب المُلك من حِمْيَر . وشجّعه الباقون على قَتْل أخيه . فقال ذو رُعَيْن : إن قتلتَه بادَ مُلْـكُك .

فلما رأى ذو رُعَيْن ما أجمع عليـه القوم أتاه بصحيفة مختومة فقال : يا عمرو إنّ مستودِعُك هذا الـكتاب فضعه عندك فى مكان حريز ، وكتب فيه :

أَلا مَنْ يَشْتَرِى سَهَرًا بنَوْمٍ سَعِيدٌ مَن يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنِ[5]
فإنْ تَكُ حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخانَتْ فمَعْذِرَةَ الإلٰهِ لذى رُعَيْنِ

ثم إنّ عَمْراً أتى حسّان وهو نائم على فِراشه فقتله ، واستولى على مُلْـكِه ، فلم يبارَكْ له فى سلطانه ، وسلَّط اللهُ عليه السهر ، وامتنع منه النوم . فسأل الأطبّاء والـكهّان والعُيَّاف[6] فقال له كاهِنٌ منهم : إنَّه ما قَتَلَ رجـلٌ أخاه قط إلّا امتنع نومُه . فقال : هـذا عَمَلُ رؤساء حِمْيَر حَمَلُونى على قَتْـله ليرجعوا إلى بلادهم ولم يَنظروا لى ولا لأخى . وجعل يقتل من أشار عليه منهم بقَتْل أخيه رَجُلًا رجلا ،

(١) فى غ : أنـكر .
(٢) فى ك : فوافقوه .
(٣) ثلج : ارتاح واطمأن .
(٤) فى غ : أجمع .
(٥) البيتان فى نهاية الأرب : ١٥/٣٠١ ـ سعيد: فى نهاية الأرب: خلى .
(٦) العياف : جمع عائف وهو المتـكهن ـ وفى نهاية الأرب : ١٥/٣٠٠ : القياف .

حتى خلَص إلى ذى رُعَيْن فأيقن بالشرّ . فقال له ذو رُعَيْن : ألم تعلم أنّى أعلمتُك ما فى قتله ونهيتك ، وبيّنت لك هذا ؟ قال : وما[1] هو ؟ قال : فى الكتاب الذى استودعتك . فدعا بالكتاب فلم يجده . فقال ذو رُعَيْن : ذهب والله دَمِى على أنّى أخذت[2] بالحَزْم فصرت كمن أشار بالخطأ . ثم سأل الملك أن يُنْعِم فى طلبه فأُتِىَ به فقرأه فإذا فيه البيتان . فلما قرأهما قال : لقد أخذت بالحَزْم . قال له : إنى خشيت ما رأيتك صنعت بأصحابى .

قال : وتشتّت مُلْك[3] حِمْيَر حين قتل أشرافها ، واختلفت عليه حتى وثب عليه لَخْنيعة ينوف[4] فقتله واستولى على المُلْك[5] ، ولم يكن من أهل بيت المُلك ، وكان يقال له ذو شَناتِر الحِمْيَرِىّ وكان فاسقا يعمل عمل قوم لوط . وكان يبعث إلى أولاد الملوك فيلُوط بهم . وكانت حِمْيَر إذا لِيطَ بالغلام لم تملّكه ولم ترتفع به .

وكانت له مُشْرَفة يكون فيها يُشرف على حرسه ، فإذا أتى الغلامَ أخرج رأسه إليهم وفى فيه سواك فيقطعون مشافرَ ناقةِ المنكوح وذَنَبها ، فإذا خرج صِيحَ به : أرَطْبٌ أم يَباس . فمكث بذلك زمانا حتى نشأ زُرْعَة[7] ذو نُواس ، وكانت له ذُؤابة وبها سُمّى ذو نواس ، وهو الذى تهوّد وتسمّى بيوسف ، وهو صاحب الأخدود بنجران وكانوا نصارى فحرّقهم وحرق الإنجيل وهدم الكنائس ، ومن أجله غزت الحبشة اليمن لأنهم نصارى ، فلما غلبوا على أهل اليمن اعترض البحر فاقتحمه بفرسه فغرق .

(١) فى غ : وفيم هو .
(٢) فى غ : على أخذى .
(٣) فى غ : أمر حمير .
(٤) فى غ: لحنيعة تنوف.
(٥) فى غ : المملكة .
(٦) فى ك : أتى بالغلام والتصويب من غ .
(٧) زرعة : هو زرعة بن كعب .

فلمّا نشأ ذو نُواسٍ قيل له : كأنك بالملك قد فعل بك كذا وكذا ، فأخذ سكّينا لطيفا فسَمَّه وجعل له غلافا ، فلما دعا به لَخْنِيعة جعله بين أَخْمَصِه[1] ونعله ، وأتاه على ناقة له يقال لها سَراب ، وأناخها وصعد إليه . فلما قام ليجامعه كما كان يفعل انحنى زرعة فأخذ السكّين فوجأ بها بطنه فقتله واحتزّ رأسه وجعل السواك فى فيه وأطلعه من الكوّة ، ورفع الحرسُ رءوسهم فرأوه . ونزل زُرْعة فصاحوا به : زُرعة ياذا نُواس ، أرطب أم يباس . فقال : ستعلم الأحراس أإست ذى نواس ، رطب أم يباس . وجاء إلى ناقته فركبها .

فلما رأى الأحراس اطلاع الرأس صعدوا إليه فإذا هو قد قُتِل . فأتوا زُرعة وقالوا له : ماينبغى أن يملكنا غيرك بعد أن أرحتنا من هذا الفاسق . واجتمعت إليه حمير فملّكوه .

(١) أخمص القدم: ما لايصيب الارض من باطنها .

اَلحسَنُ بن وَهْب*

هو اَلحسَنُ بن وَهْب بن سعيد ، كاتبٌ شاعر مترسِّل فصيح أديب ، وأخوه سُليمان بمحَلٍ من الـكتّاب .

وكنيته أبو علي ؛ وهو عريق فى الـكتابة ، ولأولاده نجابة مشهورة .

وكانوا يقولون إنهم من بنى[1] الحارث بن كعب[2] . وأصلهم نصارَى وفى بنى الحارث نصارَى كثيرة .

وفى الحسن بن وهب يقول البحترى وكان مَدَّاحاً له :

يا أخا الحارِث بن كَعْبِ بن عَمْرٍو أشُهُوراً تَصُومُ أم أَيَّاما[3]

وكان الحسن أَشَدَّ تمسُّكاً بالنسب إلى بنى الحارث بن كعب من أخيه سليمان .
وكان سليمان يُنكر ذلك ويعاتِب عليه أخاه اَلحسَنَ وابنَه أحمد بن سليمان .

وأصلهم من قرية من سواد واسط ، فى خُسْر سابور[4] ، ويقال لها سارقريقا .

وكان الـكتّاب يتهادَوْن فى الديوان أشعار الحسن بن وهب ويتباهَوْن بحفظها .

فمما كتب به إلى أخيه سُليمان من مدينة السلام وهو محبوس فى أيّام الواثق قـولُه :

خَطْبٌ أبا أيُّوب جَلَّ مَحَلُّه فإذا جَزِعْتَ من الُخطوب فمَنْ لَهَا

---

*الأغانى (بولاق) سقطت ترجمته. الأغانى (بيروت): ٢٢/٥٣٣-٥٦٥-فوات الوفيات: ١/١٣٦

(١) فى ت : ولد الحارث.

(٢) فى غ : كعب بن عمرو .

(٣) أياما : فى غ : أعواما .

(٤) خسر سابور فى غ : خس سابور وفى ياقوت (بلدان) خسرو سابور ، والعامة تقول خسابور : قرية قرب واسط. سار قريقا : فى غ سار قيقا .

إن الَّذِى عَقَدَ الَّذِى انعقدَتْ به عُقَدُ المكارِه[1] فيك[2] يُحْسِنُ حَلَّها
فاصْبِر لَعَلَّ الصبرَ يفتقُ ما ترَى ولَعَلَّها أنْ تَنْجَلِى ولَعَلَّها

وقيل له وسُليمانُ محبوس ، كيف أصبحتَ ؟ قال : أصْبَحْتُ قليل النشاط ، كالَّ القريحة ، صَدِئ الذّهن ، مَيِّت الخاطِر من سوء فعل الزمان ، وتَوارُد[3] الأحزان ، وتَغيُّر الإخوان . وآلى ألا يذوقَ طعاما [طيّبا][4] ولا يشرب ماء باردا مادام أخوه محبوسا . فوَفَّى بذلك كُلّه .

بلغ الحسن بن رجاء أنّ الحسن بنَ وهب عابَه بحُبِّ الغِلمان ، وكان الحسنُ أشدَّ حُبًّا لهم منه، فقال : مَثَلِى ومَثَلُه كما قال حَسّان بن ثابت:

وإنّى لأَغْنَى الناسِ عن عَذْلِ[5] صاحب
يرَى النَّاسَ ضُلَّالًا وليس بمُهْتَدِى

كتب رجل إلى الحسن بن وهب يستَمْيِحه ، فوَقّع فى رُقْعَته :

الجُودُ طَبْعِى ولكن ليس لِى مَالُ فكيف يَحْتال من بالرَّهْن يَحْتال[6]

قال أحمدُ بن سليمان بن وَهْب : رآنى عَمِّى أبكِى لفراق بعض ألَّافِى فقال :

ابْكِ فما أَنْفَع ما فى البُكَا لِأَنَّه للوَجْد تَسْهِيلُ
وهْوَ إذا أنت تأمَّلْتَه حُزْنٌ على الخَدَّيْن محْلُول[7]

(١) فى ك: المكارم والتصويب من غ.
(٢) فى غ : لهو .
(٣) فى غ: تورد.
(٤) زيادة من غ يقتضيها النص .
(٥) فى غ : وصل .
(٦) تهذيب ابن عساكر : ٤/٢٥٣ — وفى معجم الأدباء ٩/٢٠٤ (ترجمة ابن خالويه) نسب هذا البيت مع آخر له، والرواية فىمعجم الأدباء : فكيف يبذل من بالقرض يحتال .
(٧) الرواية فى غ : حزن جرى فى الخد محلول— ومحلول : فى الفوات : مطلول .

كان الحسنُ بنُ وهب يهوَى بَناتَ جاريةَ محمّد كاتبِ راشد ، شديدَ الشّغف بها فمادته يوماً فى عِـلّة نالَتْه ، فحين رآها دعا برطل فشرِبه على وجهها وقال: قد عُوفِيت فأقِيمى عندى اليوم، فأبَتْ وقالت: عند مولاى دعوة ، فأمر بإحضار مائتى دينار فقال: هذه مائة لمَوْلاكِ فأبعثى بها إليه، ومائة لك ، فقالت : أما هو فابعث إليه بمائته وأما أنا فوالله لا أخذت المائة الأخرى . ولأتصدّقَنّ بمثلها من مالى لعافيتك . ولـكن اكتُبْ إليه رُقعة تقوم بعُذْرِى فـكتب :

صُـــورةَ الشّمْسِ والقَمَرْ مَتّعِيـنى مِـنَ النَّظَرْ
مَتّعِيـنِى بجَلْسَـــةٍ منك يا أَحْسَنَ البَشَرْ
أَشْتَرِيها إن بِعْتِنِيـ ـها بسَمْعِى وبـالبَصَرْ
أَذْهَبَ السُّقْمَ سُقْمُ طَرْ فِكِ ذى[٢] الغُنْجِ والحَوَرْ
ليس يُبْـقِى عَلَىَّ حُبُّـــكِ هَذَا ولا يَذَرْ
أنـا مِنْهُ فانْعَمِى بمُقامٍ على خَطَرْ
وتَغَنَّىْ فِداكِ كلُّ (م) مُغَنٍّ لِـكَىْ أُسَرّْ
رَبْـعَ سَلْمَى بذى بقر عرْصَةَ الرِّيح والمَطَر

قال أحمد بن سليمان بن وهب : قال لى أبى : إنى قد عزمت على معاقبة عمك فى حبه بنات فقد شُهِرَ بها وافتضح ، فـكن معى وأَعِنِّى عليه، وكان هواى مع عمى . فمضيت معه فقال له أبى ، وقد أطال عتابه: ياأَخى جُعِلْت فِداكَ، الهوى ألَذُّ وأمْتَع ، والرأى أصوَبُ وأنفع[٣]. فقال عمّى متمثّلا[٤]:

---

(١) بنات: ورد هذا الاسم فى ترجمة العباس بن الأحنف ٨/١٧و٢١ بصورة بنان وفى تهذيب ابن عساكر بيان، وفى ك غير واضحة بدون نقط. ومحمد : هو محمد بن حمـاد كاتب راشد أبو عيسى (معجم المرزبانى ٣٦٦) .

(٢) فى غ : بالغنج .

(٣) فى غ : أمنع .

(٤) الزهرة : ٣٢٤ وفيها قال : أنشدنى أحمد بن يحيى .

إذا أَمَرَتْـك العاذِلاتُ بهَجْرِها نَبَتْ كَبِدٌ عمـا يقُلْن صَدِيعُ ![1]

وكيف أُطِيع العاذلاتِ وحُبُّهـا يُؤَرِّقنى والعاذِلاتُ هُجُوع؟ !

فالتفتَ إلىَّ أبى ينظر ما عندى فقلت متمثِّلا :

وإنى لَيَلْحانى على فَرْطِ حُبِّها رِجالٌ أطاعَتْهُم قُلوبٌ صحائحُ[2]

فنهض أبى مُغْضَباً وضَمَّنِى عَمّى إليه وقبَّلنى . وانصرفت إلى بَنات فحدّثتُها بما جرَى وعمّى يسمع. فأخذت العود وغنّت:

يَلُومك فى مَحَبَّتِهـا رِجـالٌ لو أُنَّهُمُ بدائكَ لمْ يَلُومُوا[3]

أهدى الحسنُ بن وهب إلى بنات فى عِـلَّةٍ اعتلَّتها هدايا حسنة ، وأهدى معها قَفَصاً فيه شفانِين[4] وكتب إليها :

شِفـاء أنين بالشّفـانِين أَوّلَتْ لـكم نَفْسُ مَنْ أَهدَى الشّفانينَ عامِدا[5]

كُلوهَا يَـكِلُّ الداءُ عنـكم فإنَّـنِى أزورُكم للشَّوْق لا زُرْتُ عائدا

كان الحسن بن وهب يشرب عند محمّد بن عبد الله بن طاهر ، فمرَضَتْ سحابة فبرَقَتْ[6] وأرْعَدَتْ ومطرت فقال الحسن :

هَطلَتْنـا السماءُ هَطْـلًا دِراكاَ عارَضَ المِرْزَمان[7] فيها السِّماكاَ

قُلتُ للبَرْق إذْ تألّق فيها يا زِنادَ السَّماء مَـــنْ أَوْرَاكاَ

---

(١) نبت : فى غ : أبت. والرواية فى الزهرة : هفت كبد مما يقلن صديع .

(٢) البيت لابن مقبل ـ الزهرة : ٢٣٦ .

(٣) البيت لصخر الغى الهذلى. الزهرة : ٣٢٤ .

(٤) شفانين : جمع شفنين، وهو طائر يعرف فى مصر بالقمرى ، واسم الشفنين هو المعروف فى العراق .

(٥) فى غ : عائدا.

(٦) فى ت : فأبرقت وأرعدت وأمطرت.

(٧) المرزمان : نجمان مع الشعريين وهما من نجوم المطر .

أَحَبِيبٌ نَأَيْتَه فبـكاكا فهو العارِض الذى استبكاكا
أمْ تَشَبَّهت بالأَمير أبى العَـــبَّاس فى جُوده فلستَ[1] كَذاكا

ولدت بناتُ من مولاها ولداً وسمَّتْه إبراهيم ، فأبغضها الحسن بن وهب وكتب إليها :

نَتَّجَ المُهرَةَ الِهجانَ[2] هَجِيناً[3] ثُمَّ سَمَّى الهَجِينَ إبراهِيماَ
بخَلِيـلِ الرَّحمانِ سَمَّيْتَ عَبْـدًا أمْ قريـع الفتيـان ذاكَ الـكرِيمـاَ

وبعث بالبيتين إليها . وكان آخِرَ العهد بها .

---

(١) فى غ : فـكنت .
(٢) الهجان : الـكريمة .
(٣) الهجين : اللئيم .

حرف الخاء

خُويلد: أبو ذؤَيب الهُـذَلى*

هو خُوَيْلد بن خالد بن مُحَرِّث بن زُبَيْد بن مخزوم بن صاهلة[1] بن كاهل بن الحارث[2] بن غُنْم[3] بن سعد بن هُذَيـل بن مُدركة بن الياس بن مُضَر بن نِزار . مُخَضْرَم أدرك الجاهليّة والإسلام وأسلم ومات فى غَزاة إفريقيّة . وكان شاعرا فحلًا لا غميزة[4] فيه ولا وهن .

سئل حَسَّان بن ثابت مَنْ أشعر الناس ؟ قال : حَيًّا أو رَجُلًا[5] ؟ قالوا : حَيًّا قال : أشعر الناس حَيًّا هُذَيْـل ، وأشعرهُم رَجُلًا أبو ذؤيب غيرَ مُدافَع . وكان فصيحا كثير الغريب .

وقال محمد بن معاذ المعمرى : فى التوراة مكتوب : أبو ذؤيب مؤلّف زُوراً . واسم الشاعر بالسريانية مؤلّف زوراً . وكان متمكّنا فى الشعر، تقدّم على جميع شعراء هُذَيْـل

---

* الأغانى (بولاق) : ٦/٥٨-٦٤- (دار الـكتب) : ٦/٢٦٤-٢٧٩- (بيروت وثقافة) ٦/ - تجريد الأغانى : ٧٨٥-٧٨٨ - تهذيب ابن عساكر : ٥/١٧٩-١٨٣ - خزانة الأدب : ١/٢٠٣ - الاستيعاب: ٢/٦٤٦.

(١) صاهلة: فى هـ ك : باهلة . وماهناموافق أيضا لما فى الاستيعاب ومعجم الأدباء : ١١/٨٣

(٢) الحارث : فى خزانة الأدب : معاوية .

(٣) غنم : كذلك فى التجريد والأدباء وابن عساكر. وفى خزانة الأدب والشعر والشعراء والاستيعاب : تميم .

(٤) الغميزة : المطعن .

(٥) حيا أو رجلا فى غ : أحيا أم رجلا .

بقصيدته العينية التى يرْثِى فيها بنيه وهم خمسة أصيبوا فى عام واحد بالطاعون وهى[١] :

أمِنَ المنــون وريْبها تتوجَّع والدَّهْرُ ليس بمُعْتِبٍ مَنْ يجزْع

كان أبو ذؤيب قد خرج فى جُنْد عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، أحد بنى عامر ابن لؤى ، إلى إفريقية سنة ستٍّ وعشرين غازيا ِفرنجة فى زمن عثمان ، فلما افتتح عبدُ الله بن سعد إفريقية وماوالاها بعث عبدَ الله بن الزبير ــ وكان فى جُنْده ــ بشيرا إلى عثمان ، وبعث معه نفرا منهم أبو ذؤيب . فلما قدموا مِصْرَ مات[٢] أبو ذؤيب بها ، وقدم ابن الزبير على عثمان .

وكان سبب قدوم ابن الزبير بالبِشارة مارواه هو قال : أحاط جُرْجِير وهو صاحب إفريقية ، وهو ملك فرنجة[٣] ، بنا فى مائة[٤] وعشرين ألفا ، ونحن فى عشرين ألفا فضاق بالمسلمين أمرُهم ، واختلفوا فى الرأى ، فدخل عبدُ الله بن سعد فُسطاطه يخلو ويفكر . قال عبد الله بن الزبير : فرأيت عَوْرَةً من جُرْجِير والناس على مصافِّهم ، رأيته على بِرْذَوْنٍ أشهبَ خلف أصحابه منقطعا منهم ، معه جاريتان تُظلّلان عليه من الشمس بريش الطواويس . فجئت فسطاط عبــد الله فطلبت الإذن عليه من حاجبه فقال : إنه فى شأنكم ، وقد أمرنى أن أُمسِك الناس عنه . قال ابنُ الزبير : فدُرت فأتيت مؤخّر فُسطاطِه فرفعته فإذا هو مستلْقٍ على فراشه . ففزع وقال : ما أدخلك علىّ يا ابن الزبير ؟ فقلت : إنى رأيتُ عورة من عدوّنا فرجوت الفُرْصة فيها[٥] وخشيت فَوْتَها فاندُبِ الناسَ لى[٦] قال : وما هى ؟ فأخبرته . فقال : فرصة وعورة لعمرى !

---

(١) شرح أشعار الهذليين : ٤ ــ ٤٠ فى ثلاثة وستين بيتا .

(٢) فى فتوح البلدان للبلاذرى : توفى بإفريقية فقام بأمره عبد الله بن الزبير حتى واراه فى لحده .

(٣) فرنجة : فى غ : إفرنجة .

(٤) فى غ : فى عشرين ألفا ومائة ألف .

(٥) فى غ : فيه .

(٦) فى غ : إلى .

ثم خرج فقال : أيها الناس انتدبوا مع ابن الزبير إلى عدوكم . فاخترت ثلاثين فارسا ، وقلتُ : إنى حامل فاضربوا عن ظهرى، فإنى سأ كفيكم مَنْ أَلقى إن شاء الله تعالى . فحمَلْت فى الوجه الذى هو فيه ، وحملوا فذَبُّوا عنى حتى خَرَقْتُهم[1] إلى أرض خالية. فوالله ما حسب[2] إلّا أننى رَسُول ، ولا ظَنَّ أكثر أصحابه إلا ذاكَ ، حتى رأى مابى من أثر السلاح فثنى بِرْذَوْنَهُ هاربا فأدركته فطعنته فسقط، ورَمَيْت نفسى عليه واتَّقَت عنه الجاريتان السيفَ فقطعتُ يد إحداهما وأجهزت عليه ، ثم رفعت رأسه فى رمحى ، وجال أصحابه وحَمَل المسلمون فى ناحيتى وكَبَّروا فقتلوهم كيف شاءوا . وكانت الهزيمة . فقال لى عبد الله بن سعد : ما أَجِدُ أحداً أحقّ بالبشارة منك . فبعثنى إلى عثمان . فقدم مروان بَعْدُ[3] على عثمان حين اطمأنوا وباعوا المَغْنَم[4] . وكان مروان قد صَفَق[5] على الخُمس بخمسمائة ألف فوضعها[6] عنه عثمان ، وكان ذلك مما تُكلِّم فيه بسببه .

فقال عبد الرحمن بن حَنْبل بن مُلَيْل وكان[7] هو وأخوه كَلَدة أخْوَى صَفْوان ابن أميّة بن خَلَف لأمه ، وهى صفيّة بنت معمر بن حَبيب بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح :

أحْلِف بالله جَهْدَ اليمين ما ترك الله أمراً[8] سُدَى

---

(١) خرقتهم : يريد خرقت صفوفهم .

(٢) فى ك : حسبت . والتصويب من غ وهو المناسب للسياق .

(٣) فى غ : بعدى .

(٤) فى غ : باعوا المغنم وقسموه.

(٥) صفق : يريد تعاقد على شراء خمس المغنم .

(٦) وضعها عنه : أعفاه من دفعها .

(٧) وكان هو وأخوه ... إلى قوله بن جمح : ليس فى ك وهو فى ت و غ .

(٨) فى ت : أميرا .

ولـكن خُلِقْتَ[١] لنا فِتْنَةً ... لـكى نُبْتَلَى بك[٢] أو تُبْتَلَى
دعوتَ الطَّرِيدَ[٣] فأدْنَيْتَه ... خلافاً لسنة مَنْ قد مَضَى
وأَعْطَيتَ مَرْوان[٤] خُمس العبا ... دِ ظُلْماً لهم وحَمَيْتَ الحِمَى
ومالًا أتاكَ به الأَشْعَرِىْ ... من الفَىْءِ أعطيتَه من دَنَا
وإنّ الأمينَـيْن[٥] قـد بَيَّنـَا ... مَنار الطريق عليه الهُدَى
فما أَخَذَا دِرْهَماً غِيلَةً ... ولا قَسَّما دِرْهَماً فى هَوَى

والمال الذى ذكر أنّ الأشعرىّ جاء به مالٌ قدم به أبو موسى الأشعرى من العراق ، فأعطى عَبْدَ الله بن أَسِيد بن أبِى العِيص منه مائة ألف درهم ، وقيل ثلاثمائة ألف درهم، فأنـكر الناس ذلك .

وأبو ذؤيب هو القائل[٦] :

أساءَلْتَ رَسْمَ الدّار أم لم تُسائِلِ ... عن الحىِّ[٧] أم عن عهدِه بالأوائلِ
عَفَا غَيْرَ رَسْمِ[٨] الدار ما إن تُبِينُه ... وعَفْرِ ظِباءٍ قد ثَوَتْ فى المَنازِلِ[٩]

(١) فى الاستيعاب : جعلت .

(٢) فى غ : فيك .

(٣) الطريد: هوالحـكم بن العاص بن أمية أبو مروان بن الحـكم، وعم عثمان بن عفان رضى الله عنه، أخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فلما ولى عثمان رده إلى المدينة .

(٤) مروان بن الحـكم بن أبى العاص وهو ابن عم الخليفة عثمان بن عفان ولى الخلافة بعد أولاد يزيد بن معاوية ومات سنة ٦٥ هـ .

(٥) الأمينين : هما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .

(٦) الأبيات فى شرح أشعار الهذليين : (ط العروبة) : ١٤٠ .

(٧) فى أشعار الهذليين : السكن .

(٨) فى الديوان : نؤى .

(٩) فى الديوان : وأقطاع طفى قد عفت فى المعـاقل .

قال فى غ : وهو الصحيح . أقطاع : جمع قطع (بالـكسر) : الغصن تقطعه من الشجرة — الطفى: خوص المقل واحدته طفية — المعاقل : جمع معقل حيث نزلوا فامتنعوا .

منها :

فلو أنَّ ما عند ابن بُجْرَة[١] عندها ... من الخمر لم تَبْلُل لهَاتِي بناطِلِ[٢]

فتلك التى لَمْ[٣] يَذْهَبِ الدّهرَ حُبُّها ... ولا ذِكْرُها ما أرزمت[٤] أمُّ حائِل

منها :

وإن حديثا منك لو تَبْذُلينَه ... جَنَى النَّحْل فى أَلْبَان عُوذ مَطَافِلِ[٥]

مَطافِيلُ أبكار حَديث نِتاجُها ... تُشاب بماء مثل ماء المَفاصِلِ[٦]

معنى قوله : مطافيل أبكار: أى أن لبن الأبكار أطيب الألبان وهو لبنها لأوّل بطن وضعتْ ، وكذلك العسل فإن أطيبه ما كان بِكر النحْل .

لما مات جعفر بن المنصور الأكبر مشى المنصور فى جنازته من المدينة[٧] إلى مقابر قريش ، ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دفنه ، ثم انصرف إلى قصره فأقبل على الربيع[٨] وقال : انْظُر مَنْ فى أهلى يُنْشِدُنى قصيد أبى ذؤيب :

* أَمِنَ المنون ورَيْبِها تَتَوَجَّع *

حتى أتسلَّى عن مصيبتى . قال الربيع : فخرجت إلى بنى هاشم وهم أجمعون حُضور ، فسألتهم عنها فلم أجد فيهم من يحفظها ، فرجعت فأخبرته فقال : والله لمصيبتى بأهل بيتى أن لا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة لقلّة رغبتهم فى الأدب أعظمُ وأشدّ

(١) ابن بجرة : خمار بالطائف .

(٢) الناطل : كوز يكال به الخمر ويقال : هو الجرعة مما يشرب .

(٣) فى غ : لا . والرواية فى الديوان : فتلك التى لا يبرح القلب حبها .

(٤) أرزمت : حنت ــ الحائل : الأنثى .

(٥) جنى النحل : العسل . عوذ : جمع عائذ : الناقة حين تضع ، فإذا تبعها ولدها قيل لها مطفل

(٦) المفاصل : جمع مفصل وهو منفصل السهل من الجبل يستنقع فيه أطيب الماء .

(٧) المدينة : يريد بغداد .

(٨) الربيع : هو الربيع بن يونس مولى المنصور .

من مصيبتى بابنى ! ثم قال : انظر هل تجد من يحفظها ، فإنى أحب أن أسمعها . فاعترضت الناس فلم أجد من يحفظها إلّا شيخا مؤدّبا قد انصرف من تأديبه . فسألته هل تحفظ شيئا من الشعر ؟ قال : نعم شعر أبى ذؤيب . فقلت : أنشدنى فابتدأ فأنشد القصيدة العينية . فقلت : أنت بُغْيَتى. ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إياها فأنشده . فلما قال :

* والدهر ليس بمُعْتِبٍ[1] من يَجْزَع *

قال : صدق والله ! فأنشِدْنى هذا البيت مائة مرة لتردّد هذا المصراع علىّ . فأنشده حتى مرّ فيها على قوله :

والدهرُ لا يبقَى على حَدَثانِه ... جَوْنُ[2] السَّراةِ له جَدائدُ[3] أرْبَعُ

فقال: سلا أبو ذؤيب عندهذا القول! ثم أمرالشيخ بالانصراف. واتبعته فقلت : أمر لك أمير المؤمنين بشيء ؟ فقال : نعم وأرانى صُرَّة معه فيها مائة درهم .

كان أبو ذؤيب يهوَى امرأة يقال لها أم عمرو ، وكان يرسل إليها خالد بن زُهير ، فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عُوَيْمر[4] بن مالك ابن عُوَيْم وكان رسولَه إليها . فلما عَلِمَ أبو ذؤيب بما فعل خالد صَرَمها فأرسلت تترضّاه فلم يفعل .

وقال فيها من أبيات :

تُرِيدِين كيما تَجْمعِينِى وخالداً ... وهل يُجْمَع السيفان وَيْحَكِ فى غِمْدِ[5]

---

(١) معتب : من أعتب بمعنى رجع إلى ما يرضى وترك ما يسخط .

(٢) جون السراة : أسود الظهر أوأبيضه ، ويريد به حمارا .

(٣) الجدائد : الأتن لا لبن لها، واحدها جدود .

(٤) فى غ (بولاق) : عويم بن مالك بن عويمر .

(٥) شرح أشعار الهذليين : ٢١٩ .

خرج[1] أبو ذؤيب ومعه ابنُه وابن أخته أبو عبيد[2] حتى قدموا على عُمَرَ ابنِ الخطاب رضى الله عنه فقال له : أىّ العمل أفضل يا أمير المؤمنين؟ قال : الإيمانُ بالله وبرسوله صلّى الله عليه وسلم . قال : قد فعلت . فما بعدهُ أفضل ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قال : ذلك كان عملى ، ولا أرجو جنة ولا أخاف نارا ، ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين . فلما قفَـلُوا أخذه الموتُ فأراد ابنه وابن أخته أن يتخلّفا عليه جميعا فمنعهما صاحب الساقَة[3] ، وقال : ليتخلّف عليه أحدُكُما ، وليعلم أنه مقتول! فـكلاهما أراد أن يتخلّف عليه . فقال لهما أبو ذؤيب اقترعا . فطارت القرعة على أبى عبيد ، فتخلّف عليه ومضى ابنُه مع الناس .

فحدّث أبو عبيد قال : قال لى أبو ذؤيب : يا أبا عُبَيد ، احْفِر ذلك الجرفَ برُمْحِك ثم اعضد[4] من الشجر بسيفك ، ثم اجررنى إلى هذا النهر فإنك لا تفرغ حتى أفرغ ، فاغسلنى وكفنّى بـكفنى ، ثم اجعلنى فى حفيرتى وأثِلْ[5] الجرفَ علىّ برُمحك وألْقِ علىّ الغصون والحِجارة ، ثم اتبع الناسَ فإن لهم رَهْجَةً[6] تراها فى الأفُق إذا أمسيتَ كأنها جَهامة[7] . قال : فما أخطأ مما قال شيئا . ولولا نعتُه لم أهْتَدِ لأثر الجيش .

---

(١) الخبر فى تهذيب ابن عساكر : ٥/١٨٢ .

(٢) فى غ (بولاق) : أبو عقيل .

(٣) صاحب الساقة : الأمير والقائد .

(٤) فى ت : اخضد ، وهما بمعنى : اقطع .

(٥) فى غ والتجريد : انثل على الجرف : أخرج ترابه فينهار على . وأثل : اكسر الجرف واهدمه .

(٦) الرهجة : ما أثير من الغبار .

(٧) الجهامة : السحابة لا ماء فيها . والعبارة فى غ : إذا مشيت كأنها جهامة .

وقال : وهو يجود بنَفْسِه[١] :

أيا عُبَيْدٍ رُفع الكِتابُ ... واقترب الموعُودُ[٢] والحِسابُ

وعنــد رَحْلِي جَملٌ نجابُ[٣] ... أحْمَرُ فى حارِكه[٤] انصبابُ

ثم مضيت حتى لحقت الناس .

وكان يقال : إن أهل الإسلام أبعدوا الأثر فى بلاد الروم ، فما وراء قبر أبى ذؤيب قبر يُعْلَمَ لأحد من المسلمين .

---

(١) الأبيات ليست فى أشعار الهذليين، وهى فى معجم الأدباء : ٨٩/١١ .

(٢) فى الأدباء : الوعيد .

(٣) فى الأدباء : منجاب، ولعلها نحاب بحاء مهملة مشددة : شديد السرعة .

(٤) الحارك : أعلى الكاهل .

خولة بنت منظور*

هى خَوْلة بنت مَنْظُور بن زَبَّان بن سَيّار بن عَمْرو بن سِنان بن جابر بن عقيل ابن هِلال بن سمى ابن مازِن بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان .

كان منظورُ بن زَبَّان سيِّد قومه غيرَ مدافَع ، وأمّه مُطَهّمة[1] بنت هاشم ابن حَرْملة . وقد ولدت أيضا زهيرَ بنَ جَذِيمة .

وكان آخذا بأطراف الشرف فى قومه ، وهو أحد من طال حَمْلُ أمّه به ، فإنّ أُمّه حملت به أربع سنين فولدته وقد جَمَع فاه ، فسمّاه أبوه منظوراً لطول ما انتظره . وقال فيه :

وما جِئْتَ حَتّى قيل ليس بوَارِدٍ ... فسُمِّيتَ منظوراً وجئتَ على قَدْر

وإنِّى لأرجو أن تـكون كهـاشِمٍ ... وإنِّى لأرجو أن تسودَ بنى بَدْرِ

وكان منظور بن زبّان تزوّج امرأة أبيه مُلَيْـكة بنت خارِجة بن سِنان بن أبى حارثة المُرِّى ، فولدت له هِشاماً وعبد الجبار وخولة . ولم تزل معه إلى خلافة عمر ابن الخطاب ، وكان يشرب الخمر فرُفع أمرهما إلى عمر رضى الله عنه ، فأحضره وسأله عما قيل فيه. فاعترف وقال: ما علمت أن هذا حرام. فحبسه إلى قرب صلاة العصر ثم أحلفه أنه لم يعلم أن الله حَرَّم هذا[4] . فحلف أربعين يمينا . فخلَّى سبيله وفرّق بينه وبين امرأة أبيه وقال : لولا أنّك حَلَفْت لضربتُ عُنُقَك .

---

* الأغانى (ليدن) : ٢١/١٦٠-١٦٣ - (بيروت) : ٢٣/٥٠٢-٥٠٥ .

(١) ك وت. وفى غ (بيروت) : قهطم.

(٢) جمع فاه : تم نبات أسنانه .

(٣) فى غ : أمره .

(٤) فى غ : ما فعله .

ولما طَلَّق مُلَيْـكة تَزَوَّجها محمّد بن طلحة . وأَسِفَ منظور عليها وقال :

أَلَا لا أُبالِي اليومَ ما صَنع[1] الدَّهرُ إذا مُنِعَتْ مِـنّي مُليـكة والخمْرُ
فإنْ تَكُ قد أمْسَتْ بَعيداً مَزارُها فَحَيِّ ابْنَةَ المُرِّيِّ ما طَلَعَ الفَجْرُ
لَعَمْرُكَ مـا كانت مُلَيْـكَة سَوْءَةً ولا ضُمّ في بيتٍ على مِثْلِها سِتْرُ

وقال فيها :

لَعَمْرُ أبي دِينٌ يُفَرِّقُ بيننـا وَبَيْنَكِ قَسْرًا[2] إنَّه لَعَظِـيمُ

وقيل إنّ الذي تزوَّجها طلحةُ بن عُبيد الله . وأما محمد بن طلحة فإنه تزوج خَوَلَة بنت منظور فولدت له إبراهيم بن محمّد ، وكان أعرج فقتل يوم الجمَـل ، فتزوَّجها الحسنُ بن علي رضي الله عنهما ، فولدت له الحسن بن الحسن .

وكان إبراهيمُ بن محمد بن طلحة نازع بعض وَلَد الحسين بن عليّ بعضَ ما كان بينهم وبين بني الحَسَنِ من مالِ عليٍّ رضي الله عنه ، فقال الحُسَيْنيّ لأمير المدينة : هذا الظالم الظَّالع ، يعني إبراهيم . فقال له إبراهيم : اللهُ يعلم أَنِّي أبغضُك . فقال له الحُسَيني : صادق ، والله يُحِبُّ الصادقين . وما يمنعك من ذلك ، وقد قَتَل جَدِّي أباكَ ، وناكَ عَمِّي أُمَّك ! لا يكـنِي . فأمر بهما الأمير فأُقِيما[3] .

ولمّا فرّق عُمَرُ رضي الله عنه بين منظور وبين مُلَيْـكة رآها منظور يوما وهي تَمْشِي في الطريق، وكانت جميلة رائعة الحُسْن ، فقال : يا مليكة لعن الله دِيناً فرّق بيني وبينك ! فلم تـكلِّمه وجازت ، وجاء بعدها زوجُها فقال له منظور : كيف رأيتَ أَثَر أَيْرِي في حِرِ مُلَيْـكَة ؟ قال : كما رأيتَ أثر أَيْرِ أَبيك فيها . فأَفحمه . فبلغ الخبرُ عمرَ رضي الله عنه فطلبه ليعاقبه فهرب منه .

---

(١) في ت : فعل .
(٢) في غ : قهرا .
(٣) في ت : فأخرجا .

وكانت أختُ خَوْلة تحت عبد الله بن الزبير . وكانت خَوْلة قد جعلت أمرها إلى الحسن بن على رضى الله عنهما فتزوّجها ، فبلغ ذلك منظورَ بن زَبّان . فقال له : أمثلى يُفتات عليه فى ابنَتِهِ ؟ فقدم المدينة فركز راية سوداء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق قيسىّ فى المدينة إلّا دخل تحتها . فقيل لمنظور أين يُذهب بك ؟ تزوّجها الحسن بن علىّ وليس مثله أحد ، فلم يقبل . وبلغ الحسنَ رضى الله عنه ما فعل . فقال : شأنك بها . فأخذها وخرج بها ، فلما كان بقُباء جعلت خَوْلة تندّمُه وتقول له : الحسن بن علىّ سيّد شباب أهل الجنة ! فقال: تلبّثى هاهنا فإن كان للرجل فيك حاجة فسيلحقنا هاهنا . فلحقه الحسنُ والحسين وابنُ جعفر وابنُ عباس رضى الله عنهم . فتزوّجها الحسن ورجع بها . فقال فى ذلك جَرير[1] العَبْسى :

إنَّ النَّدَى فى بنى ذُبْيان قد عَلِمُوا ... والجُودَ فى آل مَنْظُورِ بن سَيَّارِ
المَاطِرِين بأَيْدِيهم نَدًى دِيَماً ... وكُلَّ غَيْثٍ من الوَسْمِىِّ مِدْرارِ
تَزُور جاراتِهم وَهْناً فواضِلُهم ... وما فَتاهُمْ لهـا سِرًّا بزَوّارِ
تَرْضَى قُرَيْشٌ بهم صِهْراً لأنفُسِهم ... وهُمْ رِضىً لِبَنِى أُخْتٍ وأَصْهارِ

ومات الحسن رضى الله عنه عن خولة بعد أن أَسَنَّت، أوْ طَلَّقها فكشفت قِناعها وبرزت للرجال .

قال مَعْبد : فأتَيْتُها يوماً أطالِبُها[2] بحاجة فغَنَّيْتُها الحى فى شعرٍ قاله فيها بعض بنى فزارة ، وكان خطبها فلم يُنكِحْها أبوها، فطربت لذلك وقالت : أيَا عَبْدَ بنى قَطن وأنا واللهِ يومئذ أَحْسَنُ من النار المُوقدة فى اللَّيْلة القرَّة فى عَيْن المَقْرور !! والأبيات :

---

(١) فى غ : جعير، وفى مخطوطة منه : جفير .

(٢) فى ك : اطلبها، والتصويب من غ.

(٣) فى ك، ت : أنا حينئذ عند ابن قطن ، والتصويب من غ . وفى ترجمة معبد (غ ١ : ٤٧/١): هو معبد بن وهب مولى ابن قطن .

قفا فى دار خَوْلَةَ فأسألاهـا   تَقَادم عَهْدُها وهَجَرْتُماهَا
بِمِحْلالٍ(١) كأنّ المِسْكَ فِيهِ(٢)   إذا هَبَّتْ بأَبْطَحِه(٣) صَباهَا
كأنك مُزْنَةٌ(٤) بَرَقَت بلَيْلٍ   لحرّانٍ يُضِيء لَهُ(٥) سَنَاهَا
فلم تَمْطُر عليه وجاوَزَتْه   وقد أشْفَى عليها لو رَجاهَا
وما يَمْلَا فؤادى فاعْلَمِيه   سُلُوُّ النفس عَنْك ولا غَنَاهَا
وتَرْعَى حَيْثُ شاءت من حِمانَا   وتَمْنَعُنا فلا نَرْعَى حِماهَا

---

(١) المحلال : الأرض السهلة المرعة الخصبة يكثر الناس الحلول فيها .
(٢) فى غ : يفوح المسك منه .
(٣) الأبطح : مسيل واسع فيه رمل ودقاق حصا .
(٤) المزنة : السحابة فيها ماء .
(٥) فى نسخة من غ : لنا .

خُزَيْمَةُ بن نهد*

هو خُزَيْمَةُ بن نَهْد بن زيد بن لَيث بن سُود بن أَسْلم بن الْحاف بن قُضاعة بن مَعَدّ. شاعر مقلّ من قُدماء شعراء الجاهلية.

كان بدء تفرّق بنى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام عن تهامةَ ونزوعهم عنها إلى سائر الآفاق وخروج من خرج منهم عن نسبه، أنه كان أوّل من ظَعَن عنها وخَرج قضاعةُ بن معدّ.

فكان سبب خروجهم أن خُزَيمة بن نَهْدٍ كان مشؤوماً فاسِداً متعرّضا للنساء مفسداً لهنّ لا يُبالِي على ما قدم، ولا يفكر فى عيب من عابه، فعَلِق فاطمةَ بنت يَذْكر[1] بن عَنَزة بن أَسَدِ بنِ ربيعةَ بنِ نزار. واسم يذكر عامر. فشبَّب بها وقال فيها:

إذا الجَوْزاءَ أَرْدَفت الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بآلِ فاطِمَةَ الظُّنونَا
وحالَتْ دون ذلك من هُمومِى هُمُومٌ تُخْرِج الشَّجَن الدَّفِينا
أَرَى ابنةَ يَذْكُرٍ ظَعَنَت فَحلَّت جَنُوب الحَزْنِ ياشَحطاً مُبينا

فمكث بذلك زمنا[2]. ثم أن[3] خزيمة قال ليَذْكر: أُحِبّ أن تزوّجنى ابنتك، فقال: إنه لا يمكن ذلك. قال: ولِمَ؟! قال: لأنك قد شَهَرْتها بمَيْلك إليها وهتكتها، ولولا ذلك لزوّجتُك. فأقبل يُداريه بكل حيلة ويرغّبه. فما أجابه إلى شىء من ذلك. فحقد ذلك فى نفسه. ومضى على هذا الحديث زمان طويل.

---

* الأغانى: (بولاق): ١١/١٥٩-١٦٣-(دار الكتب): ١٣/٧٨-٨٤- (بيروت): ١٣/تجريد الأغانى: ١٤٦١-١٤٦٣.

(١) فى ت: تذكر والتصويب من الاشتقاق لابن دريد (أسماء بنى ربيعة بن نزار): ٣٢١.

(٢) فى غ: زمانا.

(٣) من قوله ثم إن خزيمة قال ليذكر أحب أن تزوجنى إلى قوله زمان طويل: ليس فى غ.

فلما كان يوم من الأيام قال خُزَيْمة ليَذْكر : أحبّ أن تخرج معى حتى نأتى بقَرظ ، فخرجا جميعا . فلما خلا خزيمة بيَذْكر شدّ عليه ليقتله(١) فمانع يَذْكر عن نفسه ساعة . وكان خزيمة أشدَّ منه بأساً فقتل خزيمة يَذْكر لما كان فى نفسه منه من أجل أنه منعه ابنتَه . فلما رجع إلى حيِّه وحده سأله أهلُ يَذْكر عنه فقال : لستُ أدرِى ، إنه فارقنى ببعض الطريق ولا أدرى أَيْن سلك . (٢فاتهموه بقتْله فأنكر ذلك وتكلّموا فأكثروا٢) . وكان فى ذلك شرّ بين قضاعة ونزار ابْنَىْ معدّ ، ولم يصحّ على خزيمة شىء يطالبونه(٣) به فكان(٤) قومه يقولون : يا قوم هذا رجل خرج مع رجل فى سفر وفارقه فى بعض الطريق وقد يفعل هذا الناس ، فأىّ شىء يلزمه ؟! فلا يستوى لأهل يَذْكر عليه شىء حتى قال خزيمة بن نَهد :

فَتاةٌ كأَنَّ رُضاب العَبِيرِ ... بفِيها يُعَلُّ به الزَّنْجبيلُ
قَتَلْتُ أباهَا على حُبِّها ... فتَبْخَل إنْ بَخِلَتْ أَوْ تُنِيلُ

فلما قال هذين البيتين ثار(٥) الحيّان فاقتتلوا . وكانوا(٦) أحزابا .

ويذْكُر بن عَنَزة أحد القارظَيْن اللَّذَين قال فيهما الهُذَلى(٧) :

وحَتَّى يؤُوبَ القارظان كلاهُما ... ويُنْشَرَ فى القَتْلَى كُلَيْبُ بن وائل

والآخر من عَنَزة أيضا ، يقال له أبورُهْم ، خرج يجمع القَرَظ فلم يرجع ولم يُعرف له خبر .

---

(١) فى غ : قبله والعبارة من قوله فمانع يذكر إلى قوله فلما رجع : ليست فى غ .

(٢–٢) من قوله: فاتهموه إلى قوله وكان : ليس فى غ .

(٣) فى غ : يطالبون .

(٤) العبارة من قوله: فكان قومه يقولون . إلى قوله: حتى قال خزيمة : ليست فى غ .

(٥) فى غ : تثاور .

(٦) فى غ : وصاروا .

(٧) أبو ذؤيب : والبيت فى أشعار الهذليين : ١٤٧ .

ثم إنّ نزارا قالوا اليوم كما بيننا: إن خزيمة قتل يَذْكُرَ فسلموه إلينا حتى نقتله وقد انقضى الشر ـ فيما بيننا ـ أوْ لا فليس غير الحرْبِ!! فقالوا لهم : كيف علمتم أنّ خُزيمة قتل يذْكر ؟ قالوا : بقوله :

* قتلتُ أباها على حُبِّها *

فقالوا : ما قال من هذا شيئا . وأنكر خزيمة هذا القول . قالوا لهم : بَلَى والله لقد قالَه وسمعه منه جماعة ، وليس غير قتله بصاحِبنا . فزاد الشر بينهم، ودخل الناس بينهم فى الصلح فأَبَوْا إلا قتل خزيمة أو الحرب . فاقتتلوا قتالا شديدا صعبا . وهُزمت قضاعة وقُتِلَ خزيمة بن نهد . وخرجت قضاعة متفرقين فى البلاد ؛ فسارت تَيْم[٢] اللات بن أسد وفرقة من رُفَيْدة بن ثور بن كَلْب وفرقة من الأشعريّين نحو البحْرين حتى وَرَدُوا هجر ، وبها يومئذ قوم من النَّبَط فنزلت عليهم هذه البطون وأجلتهم وأخرجتهم من البلاد وأخذوا ما كان لهم . فلما نزلوا هجر قالوا للزرقاء بنت زُهَيْر ـ وكانت كاهنة ـ : ما تقولين يا زرقاء؟ فقالت : سَعَفٌ وإهان[٣] ، وتمْرٌ وألْبان ، خير من الهَوان . ثم قالت :

وَدِّع تِهامة لاوَداعَ مُخالِفٍ[٤] ... بذِمامِهِ لكن قِلًى ومَلَامِ
لا تُنْكِرى هَجَراً مُقام غَرِيبَةٍ ... لن تَعْدَمى من ظاعنين تَهَامِ

فقالوا لها : فما تَرَيْن يا زَرْقاء ؟ قالت: مُقامٌ وتَنُوخٌ ، ما وُلد ولد[٥] وأُنْقِفَتْ[٦]

---

(١) ثم إن نزارا . إلى قوله : فاقتتلوا قتالا شديدا : ليس فى غ. والعبارة فى غ : فلما ظهرت نزار على أن خزيمة بن نهد قتل يذكر بن عنزة قاتلوا قضاعة أشد قتال فهزمت قضاعة .

(٢) فى ك: تيم الله. والتصويب من غ .

(٣) الإهان : العرجون .

(٤) فى غ : مخالق .

(٥) فى غ: مولود .

(٦) أنقفت : ثقبت عن نفسها وخرجت .

فُروخ، إلى أن يجىء غرابٌ أبْقَع ،أصْمَع[١] أنزع، عليه خلخالا ذهب، فطار فألْهَب[٢] ونَعَق فنَعَب ، يقع على النّخْلة السَّحُوق[٣]، بين الدُّور والطريق، فسيروا على وتِيرَة، ثم الِحيْرَةَ الحيرة .

فسمّيت تلك القبائل تَنُوخ لقول الزرقاء (مقام وتُنوخ).ولحق سائرَ قضاعة ومهرة موتٌ ذريع . ولحق بهم قوم من الأزد فصاروا فى تنوخ .

وخرجت فرقة من بنى حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قضاعة يقال لهم بنو تَزِيد[٤] ، فنزلوا عَبْقَر من أرض الجزيرة . فنسج نساؤهم الصوف وعملوا منه الزرابى[٥] فهى التى يقال لهــا العبقرية ، وعملوا البُرود التى يقال لها التَّزِيدِيَّة[٦] . وأغارت عليهم الترك فأصابتهم وسبت منهم وهرب الباقون . وذلك قول عمرو بن مالك[٧] :

أَلَا لِلّهِ لَيْلٌ لمْ أَنَمْهُ ... على ذَاتِ الخضاب مُجَنَّبِينا[٨]
ولَيْلَتَنا بآمِدَ لم نَنَمْهــا ... كلَيْلَتِنا بمَيَّافارِقِينــا[٩]

وأقبل الحارث بن قُراد البَهْرانى ليغيث[١٠] بنى حلوان ، فعرض له أُباغ بن سُليح صاحب العين فاقتتلا ، فقُتل أباغ ومضت بَهْراء حتى لحقوا بالترك فهزموهم واستنقذوا

---

(١) أصمع : صغير الأذن ــ أنزع : منحسر الشعر من جانبى رأسه .
(٢) ألهب : اشتد فى طيرانه .
(٣) السحوق : الطويلة .
(٤) فى غ (بولاق) وت: بنويزيد. وفى ك : غيرمنقوطة. والتصويب من غ (دار) والاشتقاق لابن دريد (أنساب قضاعة) : ٥٣٧ .
(٥) الزرابى : الوسائد والبسط .
(٦) فى ت : اليزيدية ، والتصويب مما سبق .
(٧) هو التزيدى .
(٨) البيتان فى معجم البلدان (آمد) ١/ ٦٢ .
(٩) آمد وميا فارقين : من أشهر مدن ديار بكر .
(١٠) فى غ : ليعيث فى بنى حلوان .

بنى تزيد منهم ، وَسَبوا منهم خلقا كثيرا ، فقال الحارث بن قُراد فى ذلك :

كأَنَّ الدهرَ جُمِّعَ فى لَيالٍ ثَـلاثٍ بِتُّهُنَّ بشَهْرَ زُورِ

صففـنا للأَعاجم من مَعَـدٍّ صُفوفاً بالجزيرة كالسَّعـيرِ

ثم نزلت تَنُوخ فى البحرين سنتين ، ثم أقبل غراب فى رِجْليه حَلْقتا ذهب ، وهم فى مجلسهم ، فسقط على نَخْـلَة فى الطريق فنعق ثم طار فعجبوا منه . فذكروا قول الزرقاء وقالوا[1] : أرأيتم إلى إصابة هذه المرأة وإلى علمها ! ثم قالوا : اعزموا على الرحيل. فقال بعضهم: ولمَ؟ قالوا: لقول الزرقاء قالوا: وما تدرى الزرقاء ما يكون؟! إنما هذا على طريق التَّخْمِين ولا يعلم أحدٌ ما يكون إلا الله ، والوجه أن تقيموا ولا تنزعجوا ولا تدرون ما يكون فى رحيلـكم . فقال أكثرهم : إن الزرقاء قد وعدتنا بأشياء رأيناها كفلق الصبح ، منها : أمرُ هذا الغراب الذى وعدتنا به فما أخطأت فيه ، ولا بد من الخروج إلى الحيرة . فقال الباقون : ما نحن بارحون . فارتحل أكثر تنوخ .

فلما مضوا ندم الباقون فرحلوا فلحقوهم بالحيرة فاختطوا فيهـا وبنوا الأبنية وعَمَرُوها ، فهم أول من اختط[2] الحيرة، منهم مالك بن زهير . واجتمع إليهم لما ابْتَنَوا المنازلَ ناس كثير من القُرى[3] ، فأقاموا بها زمانا طويلا .

ثم أغار عليهم سابور[4] الأكبر ، وذلك[5] أنه بلغه عنهم بَأْسٌ وغَناء وقوة ، فقاتلوا قتالا شديدا صعبا . وكان شعارهم يومئذ يا آل عباد الله فسُمُّوا العبـادَ .

---

(١) هذه العبارة إلى قوله «فلحقوهم بالحيرة» ليست فى غ .

(٢) اختط الحيرة : وضع أساسها وبنى فيها .

(٣) فى غ : من سقاط القرى .

(٤) سابور الأكبر : أحد ملوك الفرس .

(٥) هذه العبارة إلى قوله : غناء وقوة ليست فى غ .

ووافى سابور رَجيشُ آخر فضعفُوا وهزمهم سابور أشد هَزيمة. فصار معظمهم ومن فيه نهوض إلى الحضَر من الحِيرة يقودهم الضَّيْزن بن معاوية التَّنوخى حتى نزل الحضْر ، وهو بناء بناه الساطرون[1] الجُرْمُقانى ، فأقاموا به .

وأغارت حِمْيَر على بقيّة قُضاعة ، فخيّروهم بين أن يقيموا على خَراج يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم[2] . فقالوا[3] لهم : لا تفعلوا بنا هذا ، قد ملكتم فأحسنوا ، ولا تأخذوا الخراج منا فما تدرون ما يكون ، وعلينا فى هذا عار ما بقينا والله الله . فقالت حِمْيَر : ليس عن الخراج أو الخروج . فقالوا لهم : أَنْظِرونا حتى نفكّر فى أمرنا. فأنظروهم أياما وخرجوا وهم : كَلْب ، وجَرْم ، والعلاف بنو زَبَّان بن تُغلب ابن حُلْوان ، وهو أوّل من عمل الرِّحال العِلافيّة ، وعِلافُ لقبُ زَبّان فلحقوا بالشام فأغارت عليهم بنو كِنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر ، فقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة ، وانهزموا فلحقوا بالسَّماوَة[4] فهى منازلهم إلى اليوم .

---

(١) الساطرون : أحد ملوك الفرس قتله سابور ذو الأكتاف .

(٢) بعد هذه العبارة جملة مقحمة لاتتفق والسياق وهى (فخرجوا لأنهم ملكوا البلاد دونهم).

(٣) هذه العبارة إلى قوله: فأنظروهم أياما وخرجوا : ليست فى غ .

(٤) السماوة : موضع بين الكوفة والشام .

الخنساء*

هى الخنساء بنت عَمْرو بن الحارث بن الشَّرِيد بن رِياح[1] بن يَقَظة بن عُصَيَّة ابن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة ابن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار .

والخنساء لَقَبٌ عليها[2] . واسمُها تُماضِر .

وفيها يقول دُرَيْد بن الصِّمَّة ، وكان قد خَطَبها فرَدَّته ، وكان رآها تَهنَأُ بعيرا لها ثم نَضَّت ثيابَها واغتسلت . فقال :

حَيُّوا تُماضِرَ وارْبَعُوا[3] صَحْبِى ... وقِفُوا فإنَّ وقوفَكم حَسْبِى

أَخُناس قد هام الفؤادُ بِكم ... وأصابَه تَبْلٌ[4] من الحُبِّ

ما إنْ رأيتُ ولا سَمِعتُ به ... كاليوم طالِىَ أَيْنُقٍ جُرْبِ

مُتَبَذِّلًا تبدُو محاسِنه ... يَضَعُ الهِنَاءَ مَواضِعَ النُّقْبِ[5]

ولمّا خطبها دُرَيْدٌ قال له أبوها : مرحباً بك أبا قرة ، إنّك لكريم لا يُطعن فى حَسَبه ، والسيِّد لا يُردّ عن حاجته ، والفَحْل لا يُقرَع أنفهُ . ولكن لهذه المرأة

---

* الأغانى : (بولاق) : ١٣/١٣٥-١٥٠ : - (دارالكتب) : ١٤/٧٦-١٠٤- (بيروت الثقافة) : ١٤/٦٠-٨٢ تجريد الأغانى : ١٦١٦-١٦٢٢ .

(١) فى الإصابة : رباح بموحدة. وفى الخزانة : ١/٢٠٨ وغ : الدار وبيروت : كما أثبتنا ، وفى ك : بدون نقط. وفى جمهرة أنساب العرب : الشريد : اسمه عمرو بن يقظة .

(٢) عليها : تجريد : لها .

(٣) اربعوا : انتظروا .

(٤) التبل : السقام .

(٥) الهناء : القطران - النقب : الجرب .

فى نفسها ماليس لغيرها ، وأنا ذا كرُك لها ، وهى عاقلة . فدخل إليها فقال : ياخَنْساء أتاكِ فارس هَوازِن وسيِّد بنى جُشَم ، دُرَيْد بن الصِمَّة ، يَخطُبَك ، وهـو مَنْ تَعْلَمِين . فقالت له : يا أَبَتِ أَنْظِـرْنى حتى أشاور نفسى فى أمره . ثم بعثت خادما لها وقالت: انْظُرِى إليه إذا بال ، فإن كان بولُه يَخْرق الأَرضَ ويخدُّ فيها ففيه بقيَّة ، وإن كان بولُه يَسيح فيها فلا بقيَّة فيه . فأتته ثم عادت إليها وقالت : وجدتُ بَوْلَه قد ساح على وجه الأرض . فقالت: لا بقيّة فى هذا ، وأرسلت إليه : ما كنتُ لأَدَعَ قومى وبَنِى عمِّى وهم مِثْلُ عَوالِى الرِماح، وأتزَوَّجُ شَيْخاً هَرِماً هامةَ اليوم أو غد . وكان دريد يسمعُ قولَها فقال من أبيات :

وَقاكِ اللهُ يا ابنَةَ آلِ عَمْرو ... مِن الفِتيانِ أَمْثَالِى[(١)] ونَفْسِى
وقالت : إنّنى شيخ كـبير ... وما نبّأتُها[(٢)] أنّى ابنُ أمْسِ
فلا تلدى ولا ينـكحك مثلى ... إذا ما ليـلة طرقت بنَحْسِ
تريد شرنبث الـكفين شثنا ... يباشر بالعشيَّة كل كِرْس[(٣)]

فقالت الخنساء تُجيبه :

مَعاذَ اللهِ يَنْـكِحُنِى حَبَرْكَى[(٤)] ... يُقال أبوه من جُشَمِ بن بَكْرِ
ولو أَصْبَحْتُ فى جُشَمٍ هَدِيًّا[(٥)] ... إذاً أصبحتُ فى دَنَسٍ وفقْر

وقيل : إنها هى البادئة بهذا الشعر ، وإنّ دريداً أجابها بالسينية .

---

(١) فى غ : أشباهى .
(٢) فى ت : أنبأتها .
(٣) الشرنبث: الخشن ـ الـكفين : فى غ : القدمين ـ الشثن : الغليظ ـ الـكرس : ما تلبد فى الدار من أبوال الإبل والغنم وأبعارها .
(٤) الحبركى: الطويل الظهر القصير الرجلين، فهو دميم الخلقة .
(٥) هديا : عروسا .

وللخنساء في أخيها صَخْر مراثٍ كثيرة لمَّا قُتل، قتَلَه ربيعة[١] بن ثور الأَسدى يوم ذى[٢] الأَثْل . وذلك أنّ صخراً وأنَس بن عبّاس أصابا فى بنى أسد بن خُزَيمة غنائم وسَبْيا ، وأخذ صخر بُدَيْلَةَ زوجته[٣]، فأصابت صخرا يومئذ طعنةٌ طعنه بها ربيعةُ بن ثَوْر فأدخل جَوْفَه حَلَقاً من الدِّرع فاندمل عليه حتى شُقّ عنه بعد أربع سنين ، فكان ذلك سببَ موته .

وقيل : بل وَرَد هو وبَلْعاء بن قَيْسٍ الكِنانى وكانا أجملَ رَجُلَين فى العرب فشربا عند يهودِىّ خمّار فحسدها لِماَ رأى من جمالها وهَيْئتِهما فقال : إنى لأَحسد العربَ أن يكون فيهم مثلُ هذين ! فسقاها شربة حَرِبا[٤] منها .

قال: فمرّ طبيب بصخر بعد ماطال مرضه فأراه مابه فقال : أَشُقّ عنك فتُفِيق . فعمَد إلى شِفارٍ فجعل يَحمِيها ويشُقُّ بها عنه فلم يَنْشَب أن مات .

وقيل: إنّ صخراً لمّا طُعِنَ مرض حولّا كاملا حتى مَلَّه أهلُه ، فسمع صخرٌ امرأةً وهى تسألُ سَلْمَى امرأته : كَيْفَ بَعْلُك ؟ قالت : لا حَىٌّ فيُرْجَى ولا مَيْتٌ فيُنْعَى . لَقِينا منه الأَمَرَّيْن !

وقيل : إن بُدَيْلَةَ زوجته التى كان سباها من بنى أسد هى التى قالت ذلك . وأنشدوا له :

أَلَا تِلْكُمُ عِرْسِى بُدَيْلَةُ أَوْجَست ... فِراقِى ومَلَّت مَضْجَعِى وَمكانِ

وأمّا من قال إنها سَلْمَى امرأته فأنشد له :

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لا تَمَلُّ من البُكَا[٥] ... ومَلَّت سُلَيْمَى مَضْجَعِى وَمكانِى

(١) فى غ: زيد بن ثور.
(٢) فى ياقوت : ذات الأثل : فى بلاد تيم الله بن ثعلبة كانت بها وقعة مع بنى أسد (أثل).
(٣) زوجته: فى غ: امرأته. وفى رواية أخرى : امرأة .
(٤) حربا منها: فى غ: جويا منها. حربا: قالا: واحرباه! من شدة ماأصابهما. وجوبا: أصابهما جوى وحرقة .
(٥) من البكا . فى غ : عيادتى.

وما كُنتُ أخْشَى أنْ أكُونَ[1] جِنازَةً ... عليكِ ومَنْ يَغْتَرّ بالحَدَثانِ ؟
أهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو استَطِيعُه ... وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزَوانِ
لَعمْرِى لقد نَبَّهْتُ من كان نائمًا ... وأسمعتُ من كانت لـه أُذُنانِ
ولَلْمَوت خَيْرٌ من حَياةٍ كأنَّها ... مَحَلَّةُ يَعْسُوبٍ[2] بِراس سِنانِ
وإنّ[3] امْرَأً ساوَى بأُمٍّ حَليلَةً ... فلا عاش إلّا فى شَقًا وهَوانِ

فلما طال عليه البَلاء وقد نتأت قطعةٌ مثل اليَد[4] فى جَنْبه فى موضع الطعنة فقالوا له : لو قطعتَها لرجونا أن تبرأ فقال : شأنكم . فأشفق عليه بعضهم فنهاهم فأبى وقال: الموت أهون علىّ مما أنافيه. فأَحْمَوْا له شَفْرَةً وقطعوها فيئس من نفسه . قال: وسمع صخرٌ أُخته الخنساء تقول : كيف كان صبرُه ؟ فقال صخر فى ذلك :

أجارَتَنا إنّ الخطوبَ تَنُوب ... على النّاسِ كُلَّ المخطئين تُصيب
فإن تسألِينى هل صَبَرْتُ فإنَّنى ... صَبُورٌ على رَيْبِ الزَّمانِ صَلِيبُ
كأنِّ وقد أَدْنَوْا إلىَّ شِفارَهُمْ ... من الصَّبْرِ دامى الصَّفْحَتين[5] رَكُوبُ
أجارَتَنا لستُ الغَداة بظاعِنٍ ... ولكن مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ[6]

ثم مات. فقَبْرُه هناك مُعلما قريب من عَسِيب .

فقالت الخنساء ترْثيه :

قَذًى بعَيْنِك أم بالعَيْنِ عُوّارُ[7] ... أم أقفرت إذْ خَلَت من أهْلِها الدّارُ

(١) فى ك : تكون ، والتصويب من جميع نسخ الأغانى ـ جنازة : ثقلا وغما .
(٢) اليعسوب : ذكر النحل .
(٣) فى غ : وأى امرئ .
(٤) فى غ : الكبد . وفى نسخة منه : اللبد
(٥) فى ك : الشفرتين والتصويب من هـ، ك ومن غ .
(٦) عسيب : جبل بأرض بنى سليم إلى جنب المدينة .
(٧) عوار : وجع مثل الرمد .

تَبْكِي لصَخْرٍ هي العَبْرَى وقد ثَكِلَتْ[١]
ودُونه من جَدِيد الأَرْض أستَارُ

منها :

وإنّ صَخْراً لوالينا[٢] وسَيّدُنا وإنَّ صخراً إذا نَشْتُو لنَحَّارُ
وإن صخرا لتأْتَمُّ الهُداةُ به كأنَّه عَلَمٌ[٣] في رأسه نارُ
لم تَرَهُ[٤] جارةٌ يَمْشِي بساحَتِها لِرِيبَةٍ حين يُخْلِي بيتَه الجارُ
مثلُ الرُّدَيْنِيِّ[٥] لا[٦] تَنْفَدْ شبيبتَه كأنَّه تحت طَيِّ البُرْدِ أسْوارُ

وقالت فيه أيضا :

بَكَتْ عَيْنِي وعاودها قَذَاها بعُوَّارٍ فما يَقْضِي كَرَاها[٧]
عَلَى صخرٍ وأيّ فتًى كصَخْرٍ إذَا ما النَّابُ لم تَرْأم طَلاها[٨]
فتَى الفِتيان ما بَلَغُوا مَداهُ ولا يُكْدِي إذا بلغت كُداها[٩]
حَلَفتُ بربّ صُهْبٍ معملاتٍ إلَى البيت المُحَرَّم مُنْتهاها[١٠]
لئن جَزِعت بنو عَمْرٍو عليه لقد رُزِئَت بَنُو عَمْرٍو فَتَاها
له كَفٌّ يَسُدُّ بها وكَفٌّ تَجُود فما يَجِفُّ ثرى نَداها

---

(١) فى غ (بيروت) : ذرفت .
(٢) فى ت والتجريد: لمولانا. وما هنا موافق لنسخ الأغانى.
(٣) العلم : الجبل : يريد أنه مشهور .
(٤) هكذا فى ك وفى التجريد أيضا ـ وفى ت و غ : لم ترأه.
(٥) الرديني : الرمح المقوم منسوب إلى ردينة مقومة الرماح .
(٦) فى غ : لم .
(٧) الكرى : النعاس .
(٨) لم ترأم : لم تعطف ـ الطلا : ولد الظبية واستعير للحوار .
(٩) لا يكدى : لا يعجز أمام الصعاب ـ الكدى : جمع كدية وهى الأرض الصلبة الغليظة ويمكن أن يراد أنه لا يبخل حين شدة الزمان فهو لا يمسك العطاء إذا قطع غيره وأمسك .
(١٠) البيت ليس فى غ .

تَرَى الشمُّ الجحاجح من سُلَيْمٍ ... يَبُلُّ نَدَى مَدامِعِها لِحاها[1]
وخَيْلٍ قد كففتُ بجَوْلِ خَيْلٍ ... فدارت بين كَبْشَيْها رَحاها[2]
ترفّع فَضْلَ سابِغَةٍ دِلاصٍ ... على خَيْفانَةٍ[3] خفقٍ حَشاها
وتَسْعَى حِينَ تَشْتَجِر العَوالِى[4] ... بكأْسِ الموت ساعةَ مُصطلاها
محافَظَةً ومَحمِيَةً[5] إذا ما ... نَبا بالقوم من جَزَعٍ لَظاها
فتتركها قد اشتجَرت بطَعْنٍ ... تضَمَّنه إذا اختلفت كُلاها
هنالك لو نزلتَ بآل صَخْرٍ ... قِرى الأَضيافَ شحما من ذُراها[6]
فمَنْ للضَّيْف إنْ هَبَّتْ شَمالٌ ... مُزَعْزِعة يجاوبها صَباها[7]
أَمُطْعِمَكم وحامِيكم[8] تركْتُم ... لدى غَبْرَاءَ مُنْهَدِم رَجاها
لِيَبْكِ عليك قَوْمُك للمعالِى ... وللهَيْجاء إنَّك ما[9] فتاها
وقدوردت طُلَيْمَةُ[10] فاستراحتْ ... فليْتَ الخَيْلَ فارِسُها يَراها

وقالت فيه أيضا :

أَعَيْنَىَّ جُودَا ولا تَجْمُدَا ... أَلَا تبكِيان لصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تبْكِيان الجرِىءَ الجَمِيلَ ... أَلَا تبكِيان الفتَى السَّيِّدَا

---

(١) الشم الحجاجح : الأباة الأشراف ـ يبل ندى مدامعها : فى غ وقد بلت مدامعها .
(٢) كففت : فى الديوان : دلفت ـ بجول: بجولان ـ كبشيها : قائديها .
(٣) الخيفانة : الفرس الخفيفة السريعة، شبهت بالخيفانة من الجراد .
(٤) العوالى : يريد الرماح .
(٥) محمية : حمية وغضبا وأنفة .
(٦) شحما : فى غ (دار) : سخنا ـ ذراها : أسنمتها .
(٧) فى غ : صداها .
(٨) فى غ : حاملكم .
(٩) ما فتاها : ما هنا زائدة للتأكيد .
(١٠) طليمة : اسم فرسه وفى غ : وقد فوزت طلعة .

طَويلُ النّجـاد رَفيـعُ العِما ... دِ ساد عشـيرتَه أَمْرَدا
إذَا القَوْمُ مَدُّوا بأَيْديهمُ ... إلَى المَجْـدِ مَدَّ إلَيْهِ يَدَا
فنـال الَّذِى فَوْق أَيْديهمُ ... من المَجْـد ثُمَّ مَضَى مُصْعِدا
يُحمّـله القـومُ ما عالَهم[١] ... وإن كان أصغرهم مولدا
ترى المَجْـدَ يَهْـوِى إلى بَيْتِه ... يَرَى أفضلَ الكسب[٢] أن يُحْمَدَا
وإن ذُكِرِ المجـد أَلْفَيْتَه ... تأزّر بالمجـد ثم ارتدَى

وأما مقتل معاوية أخيها فالسبب فيه أنه وَافَى يومَ عكاظ فلقى أسماء المُرّية وكانت جميلة ، وقيل : كانت بَغِيًّا ، فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت : أما علمت أنّى عند سيّد العرب هاشم بن حَرْمَلة؟! فأغاظته[٣] وقال : أما والله لأُقَارِعَنَّه عنك . فقالت : شأنَك وشأنَه . ورجعت إلى منزل هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له . فقال هاشم : لعمرى لا أريم[٤] أَبْيَاتَنَا حتى أنظر[٥] ما يكون من جَهْده . فلما خرج الشهر الحرام وتراجع الناس عن عكاظ خرج معاوية بن عَمْرٍو غازيا يريد بنى مُرّة وبنى فزارة فى فرسان أصحابه من بنى سليم، حتى كانوا بمكان يُدْعى الحَوْزَة دوّمت[٦] عليه طير وسنَحَ له ظبى فتطيّر منهما ورجع فى أصحابه . وبلغ ذلك هاشم بن حَرْمَلة فقال : ما منعه من الإقدام إلّا الجبن .

فلما كان فى السنة المُقبلة غزاهم حتى إذا كان فى ذلك المكان سنح له ظبى وغراب فتطيّر منهما ورجع إلى بلاده . ومضى أصحابه وتخلف فى تسعة عشر فارِسا لا يريدون

(١) عالهم : ثقل عليهم وأهمّهم .
(٢) فى غ : المجد .
(٣) فى غ : فأحفظته، وكذلك فى التجريد .
(٤) فى غ : لا يريم .
(٥) فى غ : ننظر .
(٦) دومت : حلقت .

قتالا ، فوردوا ماء وإذا عليه بيت شَعَرٍ فصاحوا بأهله فخرجت إليهم امرأة فقالوا : مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا امرأة من جُهينة أحلاف لبنى سَهْم بن مُرّة بن غطفان ، فوردوا الماءيسقون. فانسلّت وأتت هاشم بن حَرْمَلة وأخبرته أنهم غير بعيد ، وعرّفته عِدّتهم وقالت : لا أرى إلّا معاوية فى القوم . فقال : يا لَكاع معاوية فى تسعة عشر رجلا ، شَبَّهت وأَبْطَلت[1] . قالت : بل قلت الحق ، وإن شئتَ لأصفنّهم لك رجلا رجلا قال : هاتى. قالت : رأيت فيهم شَابًّا عظيم الجُمَّة جبهته قد خرجت من تحت مِغْفره، صبيحَ الوجه عظيمَ البطن على فرس غرّاء . قال: نعم هذه صفة معاوية وفرسه الشمّاء. قالت: ورأيت رجلا شديد الأُدمة شاعرا ينشدهم. قال : ذلك خفاف بن عمير . قالت : ورأيت رجلا لا[2] يبرح وَسَطهم إذا نادَوْه رفعوا أصواتهم . قال: ذلك عبّاس الأصمّ قالت : ورأيت رجلا طويلا يكنونه أبا حبيب ورأيتهم أشد شىء له توقيرا . قال : ذلك نُبَيْشَة بن حبيب . قالت : ورأيت رجلا شابًّا جميلا له وفرة حسنة . قال : ذلك العبّاس بن مرداس السُّلَمِى . قالت : ورأيت شيخا له ضفيرتان سمعته يقول لمعاوية : بأبى أنت أطلت الوقوف ! قال: ذلك عبد العُزّى زوج الخنساء أخت معاوية.

فنادى هاشم فى قومه وخرج . وقيل : إنه لم يخرج إليهم إلّا فى مثل عِدّتهم من بنى مُرّة فلم يشعروا[3] حتى طلعوا عليهم فَلَقوهم . فقال لهم خُفاف : لا تُنازِلوهم رجلا رجلا فإنّ خَيْلهم تَثْبُت للطِّراد وتحمل ثِقْل السلاح وخيلكم قد أنهكها الغزْو وأصابها الحفاء . فاقتتلوا ساعة . وانفرد هاشم ودُرَيد ابنا حَرْمَلة المُرِّيّان فخرج إليهما معاوية فاستطردَ له أحدُهما ، وشدّ عليه معاوية فشغَلَه واغترّه الآخر فطعنه فقتله . وكانت بالذى استطرد له طعنة طعَنَه إياها معاوية . وتنادَوْا بينهم : قُتِل معاوية

(١) فى غ : أو أبطلت .
(٢) فى غ : ليس .
(٣) فلم يشعروا : يريد السلميين .

فقال خُفاف : قتلنى الله إن رمت حتى أَثْـأَر به ، فشَدَّ على مالك بن حمار سيّد بنى فزارة فقتله .

وقال خُفاف فى ذلك، وهو خُفاف بن نَدْبَة ، ونَدْبة[1] أُمُّه وهى أَمَةٌ سوداء سباها الحارثُ بن الشَّريد حين أغار على بنى الحارث فوهبَها لابنه عُمَيْر فولدت له خُفافا ، وهو خُفاف بن عُمَيْر بن الحارث بن الشَّريد[2] :

أَقولُ له والرُّمح يَأْطِرُ[3] مَتْنه ... تأَمَّل خُفافاً إنَّنِى أنا ذَلِكا

وقفت له عَلْوَى[4] وقد خام[5] صُحْبَتِى ... لأَبنىَ مَجْـدًا أو لأَثأر هالِكا

لَدُن ذَرَّ قرنُ الشَّمْس حتى رأيتهم ... سِرَاعاً على خَيْـلٍ تؤم المسالِكا

فلما رأيتُ القــومَ لا وُدَّ بينهم ... شريجين شَـتَّى طالبا ومُواشِكا[6]

تيمَّمتُ كبشَ القوم لمّا[7] عرفتُه ... وجانبت شُبَّان الرِّجال الصعالِكا

فجادت له منّى[8] يمينى بطَعْنَة ... كست مَتْنَه من أَسْوَد اللَّوْن حالِكا

أنا الفارسُ الحامِى الحقيقةَ والَّذى ... به أدركَ الأَبْطال قِدْما كذلكا

فإن يَنْجُ منها هاشم فبطَعْنَةٍ ... كسَتْه نَجِيعاً من دم الجَوْف صائِكا[9]

فإن تَكُ خيلى قد أصيبت صميمها ... فعمداً على عينى[10] تيممْتُ مالكا

فحقّق خُفاف فى شعره أنّ الذى طعن معاوية هو هاشم بن حَرْمَلة .

---

(١) ندبة : ويقال : هى ابنة الشيطان بن بنان من بنى الحارث بن كعب (غ) .

(٢) الأبيات فى الخزانة : ٢/٤٧٠–٤٧٢ .

(٣) يأطر : يعطف ويثنى .

(٤) علوى : اسم فرسه وفى غ (دار) : جلوى وما هنا يتفق ورواية اللسان مادة (علا) ١٩/٣٢٨ .

(٥) فى ك : نام والتصويب من غ واللسان وخام : نـكص .

(٦) شريجين : ضربين وفريقين ـ المواشك : السريع السير .

(٧) فى غ : حتى .

(٨) منى يمينى فى غ : يمنى يدى .

(٩) صائـكا : جامداً لازقا .

(١٠) فى غ : عين ـ مالـكا : هو مالك بن حمار الشمخى سيد فزارة .

وقالت الخنساء ترثى أخاها معاوية :

ألا لا أَرَى فى النَّاس مثلَ مُعاويه ... إذا طرقت إحدى اللَّيالِى بداهِيَهْ

فأقسمتُ لا أَنْفَكّ أَبْـكِى بعولة ... عليك وحُزْنٍ ما دَعَا اللهَ داعِيَهْ(١)

وقالت أيضا ترثيه :

أَلَا ما لعَيْنيك أمْ ما لهـــا ... لقد أَخْضَل(٢) الدمـعُ سربالَها

أَبَعْد ابنِ عَمْرٍو مِنَ آل الشريـ ... ـدِ حَلَّت به الأرْضُ أثقَالَهـــا

فأقسمتُ آسى على هــالِكٍ ... وأسألُ نائحــةً مـا لَهَــا

سأَحْمِل نفسى على آلةٍ(٣) ... فإمَّا علَيْهــا وإمَّا لَهـــا

تُهينُ النفوس وهَوْنُ النفو ... س يومَ الـكريهة أبـقَى لهَا

فإنْ تَصْبر النفس تَلْقَى السرورَ ... وإنْ تجزَع النفسُ أَشْقَى لها(٤)

وقافِيَةٍ مثل حَدّ السِّنا ... نِ تبقَى ويَذْهَبُ(٥) منْ قالها

نطقتَ ابنَ عمرٍو فسَهَّلْتَها ... ولم يَنْطِق الناسُ أمثالَها

فإن تَكُ مُرَّةُ أودَتْ به ... فقد كان يُـكْثِرُ تَقْتالَها

فزالَ الـكواكبُ منْ فَقْدِهِ ... وجُلِّلَت الشمسُ أَجْلالَهـــا

ولما دخل الأَشهر(٦) الُحرم من السنة المقبلة خرج صخر أخو معاوية حتى أتى بنى مُرَّة فوقف على ابْنَىْ حَرْملة فإذا أحدُهما به طعنة فى عَضُده فقال : أيّـكما قتل أخى

(١) الرواية فى غ :

فأقسمت لا ينفك دمعى وعولتى ... عليك بحزن ما دعا الله داعِيه

(٢) أخضل : ندى وبلل .

(٣) آلة : حالة .

(٤) البيت ليس فى غ .

(٥) فى غ : ويهلك .

(٦) فى غ : الشهر الحرام .

معاوية ؟ فسكتا ولم يُحِيرا[١] جوابا. فقال الصحيح للجَرِيح : ما لك لا تُجِيبه فقال : وقفت له فطعنَنى هذه الطعنة فى عَضُدِى وشَدَّ عليه أخى فقتلَه، فأيّنا قتلت أدركت بثأرك . إلّا أننا لم نسلُبْ أخاك : قال : فما فعلت فرسه الشَّمَّاء قال : ها هى تلك خُذْها. فأخذها ورجع .

فلما أتى صخرٌ قومَه قالوا له : اهجُهم قال : إن ما بيننا أجلُّ من القَذَع ولو لم أكفُفْ إلّا رغبة بنفسى عن الخنا لفعلت .

وقال صخر فى ذلك :

وعاذِلَةٍ هَبَّتْ بلَيْلٍ تلومُنِى ... ألَا لا تلومِينى كَفَى اللَّوْم ما بِيَا
تَقولُ ألا تَهْجُو فوارس هاشِمٍ ... ومَا لِىَ إذ أَهْجُوهم ثم ما لِيَا
أبَى الشَّتْمَ أنّى قد أصابُوا كريمتى ... وأنْ ليس إهداء الخنا من فَعالِيا[٢]
إذا ذُكِر الإخوان رَقْرَقتُ عَبْرَةً ... وحَيَّيْتُ رَمساً عند لِيَّة[٣] ثَاوِيَا
إذا ما امرؤٌ أهدى لميْتٍ تَحِيَّةً ... فحَيَّاك ربُّ العَرْشِ[٤] عنى مُعاوِيَا
وهَوَّن وَجْدِى أنَّنِى لم أقُلْ له ... كَذَبْتَ ولم أَبْخَلْ عليه بمَا لِيَا[٥]

وقيل : إنه زاد فيها بيتا بعد أن أوقع بهم فقال :

وذى إخوَةٍ قَطَّعْتُ أقران[٦] بَيْنِهم ... كما تَرَكُونى واحداً لا أَخَا لِيَا

فلما كان فى العام المقبل غزاهم وهو على فرسه الشمّاء، فقال : إنى أخاف أن يعرفونى

---

(١) فى غ : ولم يخبراه شيئا. وفى رواية : ولم يحيرا إليه شيئا .

(٢) فى غ : شماليا ، يريد شمائلى. وفى غ (بولاق) والعقد : ٣/٧٤ : سماتيا .

(٣) لية : موضع بالطائف .

(٤) فى غ : الناس .

(٥) فى غ : أورد بعده بيتا .

(٦) أقران : حبال، عنى بها الصلات وهى كناية عن القتل . وفى غ (بولاق) : أفراق، وهو تحريف .

ويعرفوا غُرَّة الشماء فيتأهبوا فحمَّم غُرَّتها[١] . فلما أشرف على أدانِى[٢] الحىّ رأوها فقالت فتاة منهم : يا أبه هذه والله الشمّاء ، فنظر فقال : الشَّمَّاء غَرّاء وهذه بَهِـيم . فلم يشعر إلَّا والخيل دواس[٣] فاقتتلوا فقتِل صخر دُرَيْدًا وأصاب بنى مُرَّة فقال :

ولقَد قتلتُكم ثُناء[٤] ومَوْحَدًا وتركتُ مُرَّةَ مثل أمسِ المُدْبِرِ
ولقد دَفَعْتُ إلى دريدٍ طعنةً نَجْلاءَتُزْغِلُ[٥] مثل عَطِّ[٦] المَنْحَرِ

وقال صخر أيضا فيمن قتل من بنى مُرَّة :

قَتلتُ الخالِدَيْن به وبِشْراً وعَمْراً يوم جَوْزَة وابنَ بِشْرِ
ومِنْ شَمْخٍ قتلتُ رجالَ صِدْقٍ ومن بَدْرٍ فقد أوفيتُ نَذْرِى[٧]
ومُرَّةُ قد صبحتاها المَنايا ورَوَّيْنا الأَسِنَّة غيرَ فَخْرِ
ومن أفناء ثَعْلَبَة بنِ سَعْدٍ قتلت وما أبيئهم بوتْرِ[٨]
ولكنَّا نريد هلاكَ قَوْمٍ فنقتُلُهم ونَشْرِيهم بكَسْرِ[٩]

ثم إنّ هاشم بن حَرْمَلة بن صِرمة بن مرَّة خرج غازيا، فلما كان ببلاد جُشَم بن بكر ابن هوازن نزل منزلا وأخذ معه أَداوةَ[١٠] وخلا لحاجته بين شجر ، فرأى غفلته

---

(١) حمم غرتها : سودها .

(٢) فى غ : أدنى .

(٣) فى غ (دار) و (بيروت) : دوائس وهما بمعنى .

(٤) فى ك : مثنى ، والتصويب من غ . وثناء ومثنى لا ينونان لأنهما مما صرف عن جهته .

(٥) تزغل : تخرج الدم قطعا قطعا .

(٦) فى غ: غطالمنخر. وماهنا موافق لمافى نهاية الأرب ٥ /٣٦٧ والخزانة/ ٤٧٤ و غ (بولاق).

(٧) شمخ وبدر : قبيلتان .

(٨) أفناء القبائل : أخلاطها ــ أبيئهم: فى ك : أبيتهم والتصويب من غ . وأبأت فلانا بفلان قتلته به: أى وما قتلتهم بثأر لى .

(٩) بكسر : بأخس شىء قليل .

(١٠) الإداوة: خريطة (عيبة) يضع فيها المرء أداته ومتاعه ، وفى غ : صفنا وفى نسخة صفنته: وهى كالأداوة .

قَيْسُ بن الأمرار[1] الجُشَمى فتبعه وقال: هذا قاتل معاوية، لا وألَتْ نفسى إن وأل[2]، فلما قعد على حاجته تَقَتَّر[2] له بين الشَّجَر، حتى إذا كان خلفه أرسل[3] مِعْبَلَةً فقتله. فقالت الخنساء في ذلك :

فِدًى للفارسِ الجُشَمِىّ نفسِى ... وأفْدِيه بمَنْ لِىَ من حَمِيمِ
أُفَدِّيه بكل بنى سُلَيْم ... بظاعِنهم وبالأنَسِ المُقِيمِ
كما مِنَ هاشمٍ أقرَرْتُ عَيْنِى ... وكانت تَنامُ ولا تُنِيمُ[4]

وكان هاشم أَسْوَدَ[5] العرب وأشدَّهم وله يقول الشاعر[6] :

أَحْيَا أَبَاهُ هاشِمُ بن حَرْمَلَهْ ... يوم الهَبا تَيْن ويَوْمِ اليَعْمَلَهْ
يَقْتَلُ ذا الذَّنْبِ ومنْ لا ذنْبَ لَهْ ... تَرَى المُلوكَ حَوْلَه مُغَرْبَلَهْ
* وسَيْفه[7] للوالِدات مَثْكَلَهْ *

قال الأصمعى : مررت بأعرابى يَخْضِدُ شجرة وقد أعجبه سَماحتها[8] وهو يرتجز ويقول :

لو كُنْتِ إنسانا لَكُنْتِ حاتِماً ... أو الغُلاَمَ الجُشَمِىّ هاشِماَ

فقلت : ومن هاشم هذا ؟ قال : ألا تعرفه ؟ فقلت : لا . قال : هو والله الذى يقول :

---

(١) فى غ : الأصور .
(٢) وأل : نجا ـ تقتر : اختبأ واستتر بين الشجر وجعله قترة له .
(٣) معبلة : نصل طويل عريض .
(٤) فى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروى ما لم تسكن القافية.
(٥) أسود : من السيادة .
(٦) الفاخر: ٢٣٤ ـ ل (غربل): ١٤/٣ ـ الطبرى: ٧/١٠ والاشتقاق: ٢٩٠ لعامر الخصفى.
(٧) فى ل (غربل) : ورمحه .
(٨) سماحتها : ضخامتها ونضارتها .

وعاذِلَةٍ هبَّت بلَيْلٍ تلومُنى كأنّى إذا أَنفقْت مالى أَضِيمُها[١]
دَعِينى فإنَّ الجود لن يُتْلِفَ الفَتَى ولن يُخْلِدَ النفسَ اللَّئيمة لُؤْمُها
وتُذْكَر أخلاقُ الفتى وعِظامُه مغَيَّبَة[٢] فى اللَّحْدِ بَالٍ رَمِيمُها
سَلِى كُلَّ قَيْسٍ هل أُبارِى[٣] خِيارَها ويُعْرِضُ عنّى وغدُها ولئيمُها
وتذكُر فِتْيانِيّتى[٤] وتَكَرُّمِى إذا ذُمَّ فِتيانيُّها وكَرِيمُا

قلتُ : لا أعرفه . قال: لا عَرَفْت! هو الذى يقول فيه الشاعر :

* أَحْيَا أباهُ هاشِمُ بنُ حَرْمَلَهْ *

---

(١) أضيمها : أظلمها وأنقصها حقها .

(٢) مغيبة : فى غ : مفرقة . بال : فى غ: باد .

(٤) أبارى: من المباراة وهى المفاخرة وهى رواية غ(دار) وفى غ (بيروت): إبائى من الإباء.

(٤) فى غ (بيروت) : وتذكر قيس منتى ــ وما هنا موافق لرواية غ (دار) . والفتيانية مصدر صناعى من الفتوة : السخاء والكرم .

خُلَيْدَة المَكِّيَّة*

مولاة ابن شَمَّاس ، كانت هى وعَقِيلة ورُبَيْحة يُعْرَفن بالشَّمَّاسِيَّات .

وكانت خُلَيْدة سوداء وفيها يقول الشاعر :

فَتَنَتْ كاتِبَ الأمير رباح[1] يالَقَوْمى خُلَيْدَةُ المَكِّيَّهْ

كان محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان[2] أرسل إلى خُلَيْدة المكية أبا عَوْن مولاه يخطُبها عليه ، فاستأذن فأذنت له وعليها ثِيابٌ رِقاق لا تسترها . ثمّ وثبت فقالت : ظننتك بعض سفهائنا ، ولكن ألبس لك ثِيابَ مثلك ثم أخرج إليك . ففعلت وقالت : قل . قال : أرسلنى إليك مولاى ، وهو مَنْ[3] تعلمين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن[4] علىّ ومن عثمان وهو ابن عمّ أمير المؤمنين ، يخطبك .

قالت : قد نَسَبْته فأبلَغْت ، فاسمع نسبى أنا بأبى أنت . إنّ أبى بِيع على غير عَقْد[5] الإسلام ولا عَهْده ، فماش عبداً ومات وفى رِجْله قيد وفى عُنقه سلسلة على الإباق والسرقة ، وولدتنى أُمِّى منه على غير رِشدة ، وماتت وهى آبِقة ، وأنا مَنْ تعلم ، فإن أراد صاحبك نِكاحاً مُباحا أو زِناً صُراحا فهَلُمَّ إلينا فنحن له . فقال : إنه لا يدخل فى الحرام . فقالت : ولا ينبغى أن يُسْتَحَى من الحلال ، فأمّا نكاح السِرّ فلا والله لا فعلتُه ولا كنتُ عاراً على القِيان أبدا .

---

* الأغانى (بولاق) : ١٥/١٠ (بيروت) : ١٣٣/١٦ ــ تجريد الأغانى ــ نهاية الأرب : ٦٤/٥ .

(١) فى غ (بولاق) : رباحا ، وما هنا متفق مع رواية نهاية الأرب : ٦٤/٥ .

(٢) فى غ : عثمان بن عفان .

(٣) فى غ (بولاق) : ممن .

(٤) فى غ (بولاق) : وبين على وبين عثمان.

(٥) فى غ (بولاق) : عقدة .

قال : فأتيته فأخبرته فقال : ويلك أتزوّجها معلِناً[1] وعندى بنتُ طلحة بن عُبَيْد الله ! لا . ولـكن ارجع إليها فقل لها تختلف إلىّ أُرَدِّد بصرى فيها لعلىّ أسلو . فأبلغتها الرسالة فضحكت وقالت : أمّا هذا فنعم [و] لسنا نحنعه منه .

(١) فى نهاية الأرب : مغنية .

خَالِد بن يزيد بن مُعاوية*

هو خالد بن يَزِيد بن معاوية بن أبى سُفيان بن حَرْب بن أُميَّة بن عَبْد شَمْس ابن عبد مناف .

كان من رِجالات قريش سَخاءً وعارِضَةً وفصاحة . وكان قد شَغَل نفسَه بطلب الكيمياء فأفنى عُمْرَه وأسقط نَفْسَه .

وأمّ خالدٍ أمّ[1] هاشم بنت هاشِم بن عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبدمناف . وكان موصوفاً بالحكمة يقول الشعر .

وزعموا أنه هو الذى وضع ذكر السفيانى وكثّره[2] وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوج أمّه أم هاشم على ماقيل .

ولمّا ولدت أمّ هاشمٍ خالدا اكْتَنَتْ به وتركت كُنْيَتها حُبًّا لخالدٍ وشفقة عليه . فقال فيها يزيد بن معاوية :

ومانحن يوم استعبرَتْ أمُّ خالد بمَرْضَى ذَوِى داءٍ ولا بِصِحاحِ

ولها يقول وقد قدم من المدينة وقد تزوّج أمّ[3] مسكين بنت عمر بن عاصم بن

---

* الأغانى : (بولاق) : ١٦/٨٧-٩٠- (بيروت) : ١٧/٢٥٨-٢٦٦- (معجم الأدباء : ١١/٣٥-٤٢- تهذيب ابن عساكر : ٥/١١٦-١٣٠ .

(١) أم هاشم : بنت هاشم . فى أنساب البلاذرى : تزوج يزيد بن معاوية فاختة وهى حية بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة . وقال فى مكان آخر : وكنيت : أم هاشم ثم كناها يزيد أم خالد بخالد ابنها (٨٥٦ مخطوطة) وفى تاريخ الإسلام : ٣/٨٣ : وأمه أم هاشم بنت أبى هاشم .

(٢) فى غ : وكبره (بالموحدة من تحت) .

(٣) أم مسكين بنت عمر بن عاصم : فى المعارف لابن قتيبة : ٨١ هى بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب .

عمر بن الخطاب فحملت إليه إلى الشام[١] فأعجب بها وجفا أم خالد، فدخل عليها يوما وهى تبكى فقال[٢] :

مَالَكِ أُمَّ خَالِدٍ تَبْكِينْ مِنْ قَدَرٍ حَلَّ بِكُم تَضِجِّينْ

بَاعَتْ على بَيْعِكِ أمُّ مِسْكِينْ مَيْمُونَةٌ مِنْ نِسْوَةٍ مَيَامِينْ

حَلَّتْ مَحَلَّكِ الَّذِى تَحُلِّينْ زَارَتْكِ من يَثْرِبَ فى حَوَارِينْ

فى مَنْزِلٍ كُنْتِ بِهِ تَكُونِينْ

وكانت زوجةُ خالد رَمْلَة بنت الزُّبَيْر بن العوَّام أخت مُصْعب لأبيه[٣] ، أمّها الرَّباب[٤] بنت أُنيف بن عُبَيْد بن مَصَاد بن كَعْب بن عُلَيْم بن جَناب بن ذُهْل[٥] ابن كَلْب . وكانت قبل خالد عند عُثمان بن عبد الله بن حَكِيم بن حِزام بن خُوَيْلد ابن أَسَد بن عبد العُزّى فولدت له عبد اللهِ بن عثمان وهو زوج سُكَيْنة بنت الُحسَيْن ابن علىّ رضى الله عنهما .

لمّا[٦] قُتِل عبدُالله بن الزبير حَجَّ خالد بن يزيد فخطب رَمْلَة فأرسل إليه الحجّاجُ حاجِبَه عُبَيْدَ بن موهب وقال له : قُلْ له : ما كُنتُ أراكَ تخطب إلى آل الزُّبير حتى تشاوِرَنى . وكيف تخطُب إلى قومٍ ليسوا بأكفائك ، وهم الذين قارعوا أباكَ على الِخلافة ورَمَوْه بكلّ قبيحة ، وشهدوا عليك[٧] وعلى جدِّكَ بالضلالة ؟ فنظر إليه خالدٌ طويلا وقال : لولا أنّك رسول ، والرسول لا يُعاقَب ، لقطّعتك إرْباً إرْباً

(١) فى غ : بالشام .

(٢) الأبيات فى نسب قريش : ١٥٥ ـ أنساب البلاذرى : ٨٥٧ مخطوط .

(٣) فى غ : لأمه ، وسيأتى فى النص فى الأغانى . فخطب رملة بنت الزبير بن العوام وفى نسب الأشراف للبلاذرى أخت مصعب لأبيه وأمه وأمهما الرباب .

(٤) الرباب :فى غ : أم الرباب . والصواب ما هنا وهو الموافق أيضا لما فى كتب الأنساب.

(٥) هكذا فى أصول الأغانى ، وفى كتب الأنساب : ابن هبل .

(٦) أنساب الأشراف للبلاذرى (مخطوطة : ٨٥٧) .

(٧) فى غ عليه .

ثم طرحتك على باب صاحبك . ارجع إليه وقل له : ما كنتُ أرَى أنَّ الأمورَ بلغت بك إلى أن أُؤَامِرَكَ[١] فى خِطْبة النساء ! وأما قولُك قارعوا أباك وشهدوا عليه بكلّ قبيحة ، فإنها قريش يقارع بعضُها بعضا ، فإذا أقرّ الله الحق قَراره كان تقاطُعهم[٢] وتراجعهم على قدر أحلامهم وعُقولهم وفَضْلهم ، وأما قولك : ليسوا بأكفاء ، فقبَّحك الله يا حَجَّاج ما أقلّ عِلْمَك بأنساب قريش ! ! أيكُونُ العوَّام بنُ خُوَيْلد كُفْؤاً لعَبْدِ المُطَّلب بن هاشم حتى يزوِّجه صَفِيَّة ويتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم خديجة بنت خُوَيْلدِ ، ولا تراهم أكفاء[٣] لأَبى سُفْيان ؟ ! فرجع الحاجب إليه فأعلمه بذلك ،

ومن شعر خالد فيها[٤] :

أَلَيْسَ يَزِيدُ السَّيْرُ فى كلِّ لَيْلَةٍ ... وفى كل يَوْمٍ من أَحِبَّتِنــا قُرْبَا

أَحِنُّ إلى بنت الزُّبَيْر وقد عَلَتْ ... بنا العِيسُ خَرْقاً من تِهامَةَ أو نَقْبا[٥]

إذا نزلَتْ أرضاً تُحبِّبُ أهلَها ... إلَيْنا وإنْ كانت منازِلُها حَرْبَا[٦]

وإن نزلَتْ ماءً وإنْ كان قَبْلَهَا[٧] ... مَلِيحاً[٨] وجَدْنا ماءه بارِداً عَذْبا

تَجُولُ خَلاخِيلُ النّساء ولا أَرَى ... لِرَمْلَةَ خَلْخَالًا يَجُول ولا قُلْبَا[٩]

---

(١) فى غ : أشاورك .

(٢) فى ك تعاطفهم ، والتصويب من غ .

(٣) فى غ أهلا .

(٤) الأبيات فى معجم الأدباء : ١١/٤١ ــ وفى الكامل (رغبة الآمل) : ٤/٢٢ ثلاث أبيات. المختار من شعر بشار : ١٥١ باختلاف فى الترتيب .

(٥) الخرق : الفلاة الواسعة ــ النقب : الطريق فى الجبل .

(٦) فى غ جدبا .

(٧) فى ك : قبله والتصويب من غ والأدباء .

(٨) المليح : الملح : ضد العذب .

(٩) القلب : سوار المرأة وهو ما كان قلدا واحدا . ويريد أن ساقها مليئة ويدها عبلة فلا سبيل إلى الجول .

أَقِلُّوا عَلَيَّ اللَّوْمَ فيها فإنَّنِي ... تَخَيَّرْتُها منهُم زُبَيْرِيَّةً قَلْبَا[1]
أُحِبُّ بنى العَوَّام طرًّا لِحُبِّها ... ومن أَجْلِها أَحْبَبْتُ أَخْوالَها كَلْبَا

وزادوا فى الأبيات فقالوا[2] :

فإنْ تُسْلِمى نُسْلِمْ وإنْ تَتَنَصَّرِى ... يَخُطُّ رِجالٌ بين أَعْيُنِهم صُلْبَا

فقال له عبد الملك بن مَرْوان: تنصَّرْتَ يا خالد . قال: وما ذاك؟ فأنشده هذا البيت فقال خالد : عَلَى مَن قاله وعلى مَن نَحَلَنِيه لعنةُ الله تعالى .

قدم الحجّاج بن يوسف على عبد الملك بن مروان فمرّ بخالد بن يزيد بن معاوية ومعه بعضُ أهل الشام. فقال الشامىُّ لخالد: ياخالد مَنْ هذا ؟ فقال خالد ـ كالمستهزِئ به ـ: هذا عَمْرو بن العاص[3] . فعدل إليه الحجَّاج وقال : والله ما أنا بعَمْرِو بن العاص ، ولا وَلَدْت عَمْرًا ولا وَلَدَنِى ! ولكنّى ابنُ الغَطارِيف من ثَقِيف ، والعَقائل من قُرَيش . ولقد ضربتُ بسَيْفى هذا أكثرَ من مائةِ ألفٍ كُلُّهم يَشْهَد أَنَّك وأَبَاك وجَدَّك كلهم فى النار[4] ، ثم لم أجد لذلك عندك أجراً ولا شكرا .
وانصرف عنه وهو يقول : عَمْرُو بن العاص ! عمرو بن العاص !!

كان[5] محمد بن عَمرو بن سعيدِ بن العاص قدم الشامَ غازِياً ، فأتى عَمَّتة آمِنَةَ بنتَ سَعِيد ، وهى عند خالد بن يزيد بن معاية ، فدخل خالد فرآه فقال : ما يقدم علينا أَحَدٌ من الحجاز إلا اختار المُقام عندنا على المدينة ؟ فظن محمّد أنه يعرِّض به . فقال له : ما يمنعهم من ذلك وقد قَدِم قومٌ من المدينة على النَّواضح[6] فنكحوا أُمَّك وسلبوكَ

(١) زبيرية قلبا : يريد خالصة النسب .
(٢) فى المختار من شعر بشار رواية تشير إلى أن عبدالملك بن مروان هو الذى عمله ونحله إياه .
(٣) فى غ : العاصى .
(٤) فى غ : من أهل النار .
(٥) الخبر فى أنساب الأشراف : (٨٥٩ مخطوطة)ـ العقد : ٢/١٤٢.
(٦) النواضح : جمع ناضح وهو البعير يستقى عليه .

مُلْكَك وفرَّغُوك لطلب الحديث وقراءة الكتب وطَلَب[١] الكيمياء ، الذى لا تقدر عليه .

لمّا[٢] تزوّج مروانُ بن الحكم أمّ خالد بن يزيد قال مروان يوما لخالد ، وأراد أن يصغِّر[٣] به فى شىء جرى بينهما ، يا ابن الرَّطبة[٤] العِجان . فقال له خالد : إنّك لأمينٌ مختبرٌ وأنت بهذا أعلم. ثم أتى أمّه فقال : أنتِ صنعتِ بى هذا . وأخبرها الخبر . فقالت : دعه فإنه لا يقولها لك بعد اليوم . فدخل مروان عليها فقال : هل أخبَرك خالدٌ بشىء ؟ فقالت يا أمير المؤمنين خالد أشدُّ تعظيماً لك من أن يذكر لى شيئا عنك ممّا يجرى بينك وبينه . فلما أمسى وضعت مِرْفَقَةً على وجهه وجلست عليها هى وجواريها حتى مات .

وكان عبد الملك أراد قتلها، وبلغها ذلك فقالت : إنْ أشد ما عليه أن يعلم الناس أن أباه قتلته امرأة ! فكفّ عنها .

نَشَزتْ سُكَيْنَةُ على زوجها عبد الله بن عثمان — وأمّه رَمْلة بنت الزبير — فدخلت رملة على عبد الملك فقالت : يا أمير المؤمنين لو أنّ لنا من يدبر[٥] أمرنا ما كان لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا ! سُكينة بنت الحسين قد نشزت على ابنى . فقال : يارَمْلةُ إنها سكينة! قالت : وإنْ كانت سكينة ! فوالله لقد ولدنا خيْرَهم ونكحنا خيرهم، وأنكحنا خيْرَهم . تعنى وَلَدُوا فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، ونكَحُوا صفيّة بنت عبد المطلب ، وأنكحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة . فقال : يا رَمْلَة

---

(١) فى غ وعمل الكيمياء .

(٢) الطبقات لابن سعد: ٥/٢٩ — تاريخ ابن الأثير : ٤/٨٠ — تاريخ الإسلام ٣/٧٤ .

(٣) فى غ : يضع منه، وفى نسخة : يقصر به .

(٤) الرطبة العجان : فى غ : الرطبة — وفى الطبرى : ٧/٨٤ الرطبة الاست .

(٥) من يدبر أمرنا : فى غ (بولاق) : لولا أن يبتز أمرنا . وفى مخطوط آخر : لولا أن نبذ أمرنا

غَرَّنى منك عُروة بن الزبير . قالت : ما غَرَّكَ ولكنَّه نصحك . لأنّك قتلتَ أخى مُصْعَبا فلم يَأْمَنِّى عليك .

وقيل : إنّ خالد بن يزيد تزوَّجَ بنتَ[1] عبد الله بن جَعْفر بن أبى طالب .

دخل[2] عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد يوماً فقال : لقد هممتُ اليومَ بقتْلِ الوليد بن عبد الملك . فقال خالد : بئسَ ما هَمَمْتَ به فى ابنِ أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين ! فقال : إنه لَقِىَ خيلى فنفرَّها وتلاعب[3] بها . فقال له خالد : أنا أكفيكه . ثم دخل خالد على عبد الملك وعنده الوليد فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن وَلِىّ عهد المسلمين الوَليد ابن أمير المؤمنين لقى خَيْلَ ابنِ عَمّه عبد الله بن يزيد فنَفَّرها وتلاعب بها . فشقّ ذلك على عبد الملك ونكّس رأسَه وقرع الأرض بقضيب كان فى يده ، ثم رفع رأسه إليه وقال : ﴿ إنَّ المُلُوكَ إذا دَخَلُوا قريةً أَفْسَدُوها وجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً وكذلك يَفْعَلُونَ ﴾[4] فقال خالد : ﴿ وإذا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قريةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فيها فَحَقَّ عليها الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيرا ﴾[5] فقال له عبد الملك : أتكلِّمنى فيه وقد دخل علىّ لا يُقيم لسانَه لَحْناً ! فقال له خالد : يا أمير المؤمنين أفعَلَى الوليد يُعَوَّل[6] فى اللَّحن . قال : إنْ يكن لَحَّاناً فأخوه سليمان. قال خالد : وإن يكن عبدُ الله لَحَّاناً فأخوه خالد . قال الوَليد لخالد : أتكلِّمنى ولست

---

(١) وهى أم كلثوم بنت عبد الله (رغبة الآمل شرح الكامل للمبرد) : ١٩/٥ .

(٢) الخبر فى أنساب الأشراف للبلاذرى (مخطوط) : ٨٥٨ ـ الكامل (رغبة الآمل) : ٢٣٥/٣ ـ ابن عساكر : ١١٨/٥ ـ معجم الأدباء : ٣٧/١١ .

(٣) فى الأنساب : وتلعب ؛ وفى الكامل : فعبث بها .

(٤) الآية : سورة النمل : ٣٤ .

(٥) الآية : سورة الإسراء : ١٦ .

(٦) فى غ : تقول ، وفى مخطوط : أبمثل الوليد تعول فى اللحن .

فى العِيرِ ولا فى النَّفِير . قال : ألا[1] تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول هذا ؟ أنا والله ابنُ العِيرِ والنَّفير ، سيّد العيرجدّى أبو سُفيان ، وسيّد النَّفِير جَدِّى عُتْبَة بن ربيعة . ولكن لو قلْتَ حُبَيْلات وغُنَيْمات والطائف قلنا: صدقت . ورحم الله عثمان . الحُبَيْلات التى عيّره بها حَبَلة العنب[2] . والطائف يعيّره بأمّه لأنها من الطائف . ورحم الله عثمان : يعيّره بنفى الحكم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرده إلى الطائف فرده عثمان .

كان معاوية بن مروان ضعيفا فقال له خالد بن يزيد : يا أبا المُغيرة ، ما أهوَنَك على أخيك! ألَا[3] يولِّيك ولاية ؟ قال : لو أردتُ لفعل . قال : كلّا فسله أن يولِّيك بيت لهيا . قال : نعم . فغدا على عبد الملك فقال له : يا أمير المؤمنين ، أَلَسْتُ أَخاكَ ؟ قال : بَلَى ! والله إنّك لأخى وشَقِيقى . قال : فولِّنى بَيْت لِهيْا. فقال له : متى عهدُك بخالد ؟ قال : عشيّة أمس . قال : إيَّاكَ أن تكلّمه . ثم دخل خالد فقال : كيف أصبحتَ أبا المُغيرة ؟ قال : قد نهانا هذا عن كلامِك. فغلبَ عبدَ الملك الضَّحِك وقام. فتفرّق الناس .

ومعاوية هذا هو الذى أفلت له بازٌ فصاح : أَغْلِقوا باب المدينة لئلّا يخرج .

وقال له رجل : أنت الشريف ابنُ أمير المؤمنين وأخو أمير المؤمنين ، وابنُ عم أمير المؤمنين عثمان وأمُّك عائشة بنت معاوية . قال : فأنا إذًا كما قال الأوّل :

* مردَّد فى بنى اللَّخْناء تَرْديدا *

(١) فى الكامل : اسمع ياأمير المؤمنين .

(٢) حبلة العنب : يريد الكرمة . وذلك أن الحكم حين طرده الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الطائف كان يرعى غنيمات ويأوى إلى الكرمة.

(٣) فى غ : لا .

خُفاف بن نَدْبَة*

هو خُفاف بن عُمَيْر(1) بن الحارث بن الشَّريد بن راح بن يَقَظَة ، هو ابن عَمّ الخَنْساء وقد مضى نسَبه مع نَسَبها . وندبة أُمّهُ وهى أَمَةٌ سَوْداء .

وكان خُفاف أسودَ أيضاً . شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانهم ، جعله ابن سلام(2) فى الطبقة الخامسة مع الفرسان مع مالك بن نويرة ، ومع ابنى عمّه صخر ومعاوية ابنى عمرو بن الشريد ، ومالك بن حماد الجشمى . وهو أحدُ أغربة(3) العرب .

وكان قد أغار هو ومعاوية بن عمرو أخى(4) الخنساء على بنى ذبيان(5) ، فلما قُتِل معاوية قال خُفاف : لا أريم حتى أقتلَ به سيِّدهم وحمل على مالك بن حِمار(6) وهو يومئذ فارِسُ بنى فَزارة وسيِّدُهم فطعنه فقتله . وقال :

فإنْ تَكُ خَيْلى قد أُصِيب صَمِيمُها ... فعَمْدًا على عَيْنِى تَيَمَّمْتُ مالِكا

وقد ذُكرت الأبيات والقصة فى ترجمة الخنساء .

---

* الأغانى : (بولاق) ١٦/١٣٩-١٤٦ (بيروت ثقافة) ١٨/٢٢-٣٨ .

(١) فى (بولاق) : بن عمرو وما هنا موافق لما فى بيروت والخزانة : ٢/٤٧٢ والشعر والشعراء ٣٠٠ .

(٢) لا يوجد هذا النص فى المطبوع من طبقات ابن سلام .

(٣) أغربة العرب : هم : عنترة بن شداد ، وخفاف بن عمير بن ندبة ، وأبو عمير بن الحباب السلمى وسليك بن السلكة ، وهشام بن عقبة بن أبى معيط وهؤلاء هم فى الجاهلية . ومن الإسلاميين : عبد الله بن خازم (بالمعجمة والزاى) وعمير بن أبى عمير بن الحباب السلمى المتقدم ذكره ، وهمام بن مطرف ، ومنتشر بن وهب الباهلى ، ومطر بن أوفى المازنى ، وتأبط شرا ، والشنفرى ، وحاجز (ل : مادة غ رب) .

(٤) فى غ : عمرو بن الحارث بن الشريد .

(٥) على بن ذبيان : وذلك يوم حوزة (انظر نهاية الأرب : ١٥/٣٦٥ و٣٦٧) ـ العقد الفريد : ٣/٧٢ (بولاق) .

(٦) فى غ (بولاق) وت : حماد والتصويب من غ(بيروت) والشعر والشعراء : ٣٠٠ .

وكان بَدْء ما بين خُفاف بن ندبة والعبّاس بن مرداس أنَّ خُفافا كان فى ملأٍ من بنى سُلَيْم فقال لهم : إن عبّاس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا مبلغ عبّاس ابن أنس ، وتأبى ذلك عليه خِصالٌ قَعَدْنَ به . قال فَتًى من رَهْط العبّاس ابن مِرْداس : وما تلك الخصال يا خُفاف ؟ فقال خُفاف : اتقاؤه بخَيْله عند الموت ، واستهانته بسبايا العرب ، وقتله الأسرى ، ومكالبته الصعاليك على الأسلاب ، ولقد طالت حياته حتى تمنّينا موتَه . فانطلق الفتى إلى العبّاس فحدّثه[1] الحديث . فقال العبّاس : يا ابن أخى إلَّا[2] أكُن كالأَصمّ فى فَضْله فلست كخُفاف فى جَهْله . وقد مضى الأصمّ بما فى أمس ، وخلّفنى لما[3] فى غد . فلمّا أمسَى تغَنّى وقال :

خفاف أما[4] تزال تجرّ ذَيْلًا   إلى الأمر المُفارِقِ للرَّشادِ
إذا ما عايَنَتْك بنو سُلَيْمٍ   ثَنَيْتَ[5] لهم بداهيةٍ نآدِ[6]
وقد علم المعاشِرُ من سُلَيْم   بأنّى فيهمُ حَسَنُ الأَيادِى
فأَوْرِدْ يا خُفافُ فقد بُلِيتم   بَنِى عَوْفٍ بحَيَّة بَطْن وادِ

ثم أصبح فأتى خفافاً وهو فى ملأ من الناس ، فقال : قد بلغتنى[7] مقالتك يا خُفاف ، وإنى والله لا أشتم عِرْضَك ولا أسبُّ أباك وأمّك ، ولكنى رامٍ سوادَك بما فيك ، وإنك لتعلم أنّى أحمِى المصافّ[8] ، وأتكرّم[9] على السَّلَب ، وأطلق الأسير ،

(١) فحدثه الحديث : فى غ : فأخبره الخبر .
(٢) فى غ : إن .
(٣) فى غ : بما .
(٤) فى غ : ما .
(٥) فى مخطوط : تبيث وما هنا موافق لما فى غ (بيروت) .
(٦) نآد : شديدة .
(٧) فى غ : بلغنى .
(٨) المصاف : جمع مصف : وهو موقف القتال .
(٩) وأتكرم على السلب : فى غ : وأتكلم على السبى .

وأصون السَّبِيَّة . وأما زعمُك أنى أتقى بِخَيْلِى الموتَ ، فهاتِ من قومك رجلا اتَّقيت به. وأما استهانتى بسبايا العرب فإنى أحْذُو القوم فى نسائهم فعالهم[1] فى نسائنا. وأما قَتْلِى الأسرَى فإنى قتلت الزُّبيدِى بخالك إذ عجزت عن ثأرك . وأما مكالبتى الصعاليك على الأسلاب ، فوالله ما أتيت على مسلوب قط إلا لُمْت سالبَه . وأما تمنِّيك موتى فإنْ مِتُّ قبلَك فأغن غَنائى ، وإنّ سُلَيْماً لتعلم أنّى أخفُّ عليهم مَئُونَةً وأثقل على عدوّهم وطأة منك . وإنّك لتعلم أنّى أبَحْتُ حِمَى بنى زُبَيْد وكسرت قَرْنَىِ الحارث ، وأطفأتُ جَمْرة خَثْعَم ، وقلّدت بنى كِنانة قلائد العار . ثم انصرف. فقال خفاف : [أبياتا][2] لم يحفظ منها إلا قوله :

ولم تَقْتُل أسيرَك من زُبَيْدٍ ... بخَالِى بل غَدَرْت بمُسْتقَادِ
فزَنْدُك فى سُلَيْمٍ شَرُّ زَنْدٍ ... وزَادُك فى سُلَيْمٍ شَرُّ زادِ

فأجابه العباس فقال :

ألا مَنْ مُبْلِغٍ عنّى خُفافاً ... فإنى لا أُحاشِى من خُفاف
نكَحْتَ وليدةً ورضعْتَ أُخْرَى ... وكان أبوكَ تَحْمِلُه قَطافِ[3]
فلستُ لحاصنٍ إن لم نَزُرْهَا ... تُثِيرُ النَّقْع فى ظَهْر النِّعافِ[4]
سَوَاهِمُ قد طَواها الأَيْنُ دُهْمٌ ... وكُمْتٌ لَوْنُها كالوَرْسِ صَافِى[5]

ثم[6] إنّ رهط خفاف لاموه وقالوا : اكفف عن الرجل . فقال : كيف أكف

---

(١) فعالهم: فى غ: بفعالهم .

(٢) زيادة من غ ليستقيم النص .

(٣) قطاف : علم على الأمة .

(٤) لحاصن : فى ت : حاضن. والحاصن: العفيفة وهو المناسب هنا، أما الحاضن فهى الموكلة بالصبى ترعاه — النعاف : جمع نعف ، وهو المكان المرتفع فى اعتراض .

(٥) سواهم : فى غ : سراعا ، وسواهم : جمع ساهم : الضامرة — الأين : الإعياء — دهم وكمت : فى غ دهما وكمتا .

(٦) ثم إن رهط ... إلى قوله قولا جميلا : ليس فى غ (بولاق) .

عن رجل يريد أن يبتزنا أمرنا بغير فضل . وقال رهط العباس : اكفف أيها الرجل فقال قولا جميلا . ثم كفّ العبّاس وخُفاف حتى أتى ابن عمّ للعباس يُكْنى أبا عَمْرِو ابن بدر ، وكان غائبا فقال : يا عبّاس ما نقول فيك خيرا إلا وهو باطل . قال : وكيف ذلك؟ ويحك! قال : أخبرنى عنك : أكُلّ الذى أقررت به من خُفاف — فى نَفْيه أباك وتهجينه عِرْضك ليأس من نصر قومك أو ضعفٍ من[1] نفسك ؟ قال : لا . ولا واحدة منهن ولكنّى أحببت البقيا . قال : فاسمع ما قلته . قال: هات فأنشأ يقول :

أَرَى العَبّاس يَنْفُض مِذْرَوَيْه[2] — دَهِينَ الرأسِ تَقْلِيه النِّساء
وما أَزْرَى بوالِده خُفاف — ولكن نسلُه الداء العياء[3]
فلا تُهْدِ السِّبابَ إلى خُفافٍ — فإنّ السَّبَّ تُحْسِنُه الإماء
ولا تَكْذِبْ وأَهْدِ إليه حَرْباً — مُعَجَّلَةً فإن الحربَ داء
أَذَلَّ الله شَرَّكُما قَبِيلًا — ولا أَسْقَت له رَسْماً سَماء

فقال العباس : قد آذنتُ خفافا بحرب . ثم أصبحا فالتقيا بقومهما فاقتتلوا إلى الليل ، فكان الفضل للعباس على خُفاف . فركب إليهم مالك بن عوف ، ودُرَيْد ابن الصِّمَّة الجُشَمِى ، فى وجوه هوازن . وقام دُرَيْد خطيبا فقال : يا معشرَ بنى سُلَيْم إنّنى أعجلنى إليكم صَدْرٌ وادٌّ[4] ورأْىٌ جامع ، وقد ركب صاحباكم شَرّ مطيَّة ، وأَوْضَعا[5] إلى أصعب غاية ، فالآن قبل أن يندم الغالِبُ ويَذِلّ المَغْلُوب . ثم جلس .

---

(١) فى غ : فى .

(٢) المذروان : طرفا الألية ، ويقال : جاء ينفض مذرويه : جاء باغيا يتهدد .

(٣) البيت فى غ :

وقد أزرى بوالده خفاف — ويحسب مثله الداء العياء

(٤) فى ك : وارد .

(٥) أوضعا : أسرعا .

فقام مالك بن عوْف فقال : يا معشر بنى سُلَيْم : إنـكم نزلتم منزلا بَعُدَتْ منكم فيه هوازن ، وشسعت(١) منكم فيه بنو تميم . ومالت عليكم فيه بكر بن وائل ، ونالت منكم فيه بنو كنانة ، فانزعوا وفيكم بقية قبل أن تلْقَوْا عدوّكم بقَرْنٍ أَعْضَب وكَفٍّ جَذْماءَ(٢) . فلما أمسى تغنّى دُرَيْد بن الصِّمّة فقال :

سُلَيْمُ بنَ مَنْصورٍ أَلَمّا تُخَبَّرَا ... بما كان فى(٣) حَرْبَى كُلَيْبٍ ودَاحِسِ

وما كان فى حَرْب اليحابر من دَمٍ ... مُباحٍ وجَدْعٍ مُؤْلِمٍ للمَعاطِسِ

وما كان من(٤) حَرْبَى سُلَيْم وقبلهم ... بحَرْبِ بُعاثٍ من هَلاكِ الفَوارِس

تسافهت الأحلامُ فيها جهالةً ... وأُضْرِم فيها كلّ رَطْبٍ ويابِسِ

فكُفُّوا خُفافاً عن سفاهَةِ رَأْيِه ... وصاحِبَه العَبَّاسَ قبل الدَّهارِسِ(٥)

وإلّا فأنتم مثل من كان قبْلكم ... وما(٦) يَعْقِل الأَمثالَ غيرُ الأكايِس

وقال مالك بن عوْف النصرى :

سُلَيْم بنَ مَنْصورٍ دَعُوا الحربَ إنَّما ... هى الهُلْك للأَقْصَيْن أو للأقاربِ

ألمْ تعْلَموا ما كان من(٧) حَرْبِ وائلٍ ... وحَرْبِ مُرادٍ أو لُؤَى بنِ غَالِبِ

تفرَّقت الأحياءُ منهم لَجاجَةً ... وهُمْ بين مَغْلُوبٍ ذَليلٍ وغالِبِ

فما لِسُلَيْمٍ ناصرٌ من هَوازِنٍ ... ولو نَصَرُوا لم تُغْنِ نُصرةُ غائِبِ

---

(١) فى غ : شبعت ، وشسعت : انقطعت وبعدت .

(٢) أعضب : مكسور ــ جذماء : مقطوعة .

(٣) فى غ : من .

(٤) فى غ : فى .

(٥) الدهارس: الدواهى ، واحدها : دهرس .

(٦) فى غ : ومن .

(٧) فى غ : فى .

ثم أصبحا[١] واجتمعت بنو سُلَيم ، وجاء العبّاس وخُفاف . فقال لهما دُرَيْد ، ولمن حضر من قَوْمهما : يا هؤلاء إنّ أوّلكم كان خَيْرَ أوّل ، وكلّ حَيّ سَلَف خيرٌ من الخَلَف ، فكفّوا صاحبَيْكم عن لِجاج الحَرْب[٢] . فاستحيا العباس وقال : فإنا نكفّ عن الحرب ونتهادى[٣] الشعر . فقال دُرَيد : فإن كنتما لا بد فاعلَيْن فاذكرا ما شئتما ودعا الشّتْم ، فإن الشتم طَرَف[٤] الحرب . فانصرفا على ذلك .

ولما طال الأمر بينهما من الحرب والتهاجى قال العباس : إنى والله ما رأيت[٥] لخُفاف مثلا إلا شِبام بنى زُبَيْد ، فإنه كان يلقى [من][٦] ابنُ عَمّه ثَرْوان بن مرّة من الشتم والأذى ما أَلْقَى من خُفاف . فلما لجّ ثروان فى شتمه تركه وما هو فيه وقال:

وهَبْتُ لثَرْوانَ بنِ مُرّة نَفْسَه ... وقد أَمْكَنَتْنى من ذُؤابته يَدِى
وأَحْمِل مافى اليَوْم من سُوء رأيه ... رَجاءَ الّذى يأتى به اللهُ فى غَدِ

فقال خُفاف: إنّى والله ما وجدت[٧] لعبّاس مثلًا إلّا ثَرْوان بنى زُبيد فإنّه كان يَلْقى من شِبام ما أَلقَى من العباس من الأَذَى ، فقال ثروان :

رأيتُ شِباما لا يَزال يَعيبُنى ... فلله مـا بَالِى وبالِ شِبـام
فقصرُكَ مـنّى ضربة مازِنيَّة ... بكفّ فتًى فى القوم غَيْر كَهامِ[٨]
فتُقْصِر عنّى يا شِبامُ بنَ مالك ... وما عَضَّ سَيْفى شاتمى بحرام[٩]

(١) فى مخطوط غ : ثم اصطبحا .
(٢) فى غ زيادة : وتهاجى الشعر .
(٣) فى ت : ونتبادل .
(٤) فى غ : طريق .
(٥) فى غ وجدت .
(٦) زيادة من غ ليتسق المعنى .
(٧) وجدت فى ت : رأيت .
(٨) كهام : لا غناء عنده .
(٩) فى مخطوط غ : وما غض منى شاتمى بحرام .

فقال عبّاس : جزى الله عنى خُفافا شرًّا ، فقد كنت أخفّ بنى سُلَيم من دمائها ظَهْرا ، وأخْمَصها من أموالها بَطْنا، وأصبحت العرب تعيّرنى بما كنت أعيب عليها من احتمال الدماء وأكل الأموال، وصرت ثقيل الظهر من دمائها منفضِجَ(١) البطن من أموالها وأنشأ يقول :

أَلَمْ ترَ أَنِّى ترَكت(٢) الحُروبَ ... وأَنّى نَدِمْتُ على ما مَضَى
نَدامَةَ زارٍ على نَفْسِـــه ... لِتلْك التى عارُها يُتَّقَى(٣)
فلم أُوقِدِ الحَرْبَ حتى رَمَى ... خُفافٌ بأسْهمه من رَمَى
فإنْ تَعْطف القومَ أَحْلامُهم ... ويَرْجع مِنْ وُدِّهم ما نَأَى
فلستُ فقـيراً إلى حَرْبِهم ... وما بِىَ عن سِلْمِهم من غِـنَى

وقال خُفاف :

أَعبّاس إمّا كرهت الحروبَ ... فقد ذُقْتَ من عَضِّها ما كَفَى
أأَلْقَحْتَ حَرْباً لها حِدّة(٤) ... زماناً(٥) تُسَعِّرُها باللَّظَى
فلمَّا تَرقَّيْتَ فى غَيِّهـا ... دَحضْتَ وزَلَّ بك المُرْتقَى
فأقبلْتَ تبْـكِى على زَلَّةٍ ... وماذا يَرُدُّ عليـك البُـكا
فإنْ كنتَ أخطأْتَ فى حَرْبنا ... فلَسْنا نُقيلُك ذاك(٦) الخطا
وإنْ كُنْتَ تَطمَعُ فى سِلْمِنا ... فزاول ثَبيرًا ورُكْنَى حِرَا(٧)

(١) منفضج البطن : منتفخها .
(٢) فى الشعر والشعراء (العباس بن مرداس) ٧٢٣ : كرهت — ابن عساكر : ٧/٢٦٦ .
(٣) بعد هذا البيت فى الشعر والشعراء أربعة أبيات لم تذكر فى غ .
(٤) فى غ : شدة ، وفى الشعر والشعراء : درة .
(٥) فى غ : زبونا .
(٦) فى غ : هذا .
(٧) ثبير وحراء : جبلان .

وقال خُفاف فى عبّاس : والله إن أباه لرابط السهم ، وإنّ أمّه لخفيّة الشخص ، وإن طلب مسماتى ليعلمَنّ أنه قصير الخطوة أجذم الكف ، وما ذنبنا إليه إلّا أننا استنقذناه من عصِىّ بنى حزام ، وكافحنا دونه يوم بنى فراس ، ونصرنا أباه على حرب بنى[1] أُمَيّة .

فبلغ ذلك العبّاس فقال : والله ما كنت إلى دَمِه بالعَيْمان، ولا إلى لحمه بالقَرِم، وإنى أخفّ منه على بنى سُلَيْم مَؤُونة، وأَثْقَلُهم على عدوّهم وطأة .

(١) فى غ : ابن أمية .

خالد الكاتب*

هو خالدُ بن يزيد ، وكُنيته أبو الهَيْثم ، من أهل بغداد ، وأصله من خُراسان ، كان أحد كُتّاب الجيش . ووُسْوِس[1] فى آخر عمره ، وقيل : غلبت السوداء عليه ، وقيل : بَلْ كان يهوَى جاريةً لبعض وجوه بغداد فلم يَقْدِر عليها . وولّاه محمد بن عبد الملك الإعطاء بالثُّغور ، فخرج فسمع فى طريقه منشدا يُنْشِد[2] .

مَن كان ذا شَجَنٍ بالشام مَطْلَبُه[3] فنى سِوى الشّام أمسى الأهْلُ والوَطَن[4]

فبكى حتى سقط على وجهه مغشيًّا عليه ، ثم أفاق مختلطا . واتصل به ذلك حتى توسوس[5] وبطل .

وكان قد اتّصَل بعليّ بن هشام ، وذلك أنه صحبه فى وقت خُروجه إلى قُمّ ، فى جملة كُتَّاب الإعطاء ، فبلغه وهو فى الطريق أن خالدا يقول الشعر فأَنِس به وأحضره ، واستنشده فأنشده قوله :

يا تارِكَ الجِسْم بلا قَلْبِ إنْ كنتُ أهواكَ فما ذَنبي
يا مُفردًا فى[6] الحُسْن أَفردْتَني منك بطُول الهَجْرِ والعَتْبِ
إنْ تَكُ عيني أَبصَرَتْ فِتْنَةً فهلْ على قَلْبِيَ مِنْ ذَنْبِ ؟[7]

---

* الأغانى : (ليدن) : ٣١/٤٤-٥٤- (بيروت الثقافة): ٢٠/٢٣٤-٢٤٩. معجم الأدباء ١١/٤٧-٥٣ تاريخ بغداد : ٨/ .

(١) وسوس : أصيب فى عقله وتـكلم بغير نظام .

(٢) فى غ زيادة : ومغنية تغنى .

(٣) فى غ والأدباء : يطلبه .

(٤) فى غ والأدباء : الشجن .

(٥) فى غ : وسوس .

(٦) فى غ : بالحسن.

(٧) فى غ : عتب .

حَسِيبُكَ اللهُ لِمَا بِى كَمَا   أَنَّكَ فى فِعْلِكَ بِى حَسْبِى

فجعله علىّ بن هشام من ندمائه إلى أن قتل ، ثم صحب الفضلَ بن مَرْوان فذكره للمعتصم وهو بالماحوزة[١] قبل أن يبنى سُرَّ مَنْ رَأَى ، فأمر بإحضاره واستنشده شيئا من غزَله فأُعْجِبَ به . ولمّا بُنِيَت سُرَّ مَنْ رَأَى قال خالد فيها :

عَزَمَ السُّرُورُ على المُقا   مِ بِسُرَّ مَنْ رَا للإمامِ

بَلَدُ المَسَرَّةِ والفُتُـو   حِ المُسْتَنِيرات العِظامِ

وتَراه أَشْبَه مَنْزِلٍ   فى الأرضِ بالبَلَدِ الحرامِ

فاللهُ يَعْمُرُه بِمَنْ   أَضحَى به عِزُّ الأَنامِ

فاستحسنها الفضلُ بن مروان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يقال فى بناء سُرَّ مَنْ رَأَى شىء ، فكانت أوّل ما أنشد فى هذا المعنى من الشعر ، فتبرّك بها وأمر لخالد الكاتب بخمسة آلاف درهم .

قال خالد الكاتب : دخلت على إبراهيم بن المَهْدِى فاستنشدنى فقلت : أيها الأمير أنا غلام أقول فى شُجون نفسى لا أكاد أمدح ولا أهجو . قال: ذاك أشدّ لدواعى البلاء فأنشدته :

عاتَبَتْ نفسى فى هوا   كَ فلم أَجِدْها تَقْبَلُ

وأَطَعْتُ دَاعِيها إِلَيْـ   كَ ولم أُطِعْ مَنْ يَعْذِل

لا والّذِى جعل الوُجُو   هَ لحسن وَجْهِك تَمْثُلُ

لا قلتُ إن الصبر عنـ   كَ من التَّصابِى أَجْمَل

فبكَى إبراهيم وصاح : وَىْ عليك يا إبراهيم . ثم أنشدته قولى :

عِشْ فحُبِّيكَ سريعاً قاتِلِى   والضَّنَى إن لم تَصِلْنى وَاصِلِى

---

(١) الماحوزة : موضع قرب سامرا (معجم البلدان : الجعفرى) .

ظَفِرَ الشَّوقُ بقَلْبٍ دَنِفٍ ... فيك والسُّقْمُ بجِسْمٍ ناحِلِ
فهما بين اكتئابٍ وضَنًى ... تَرَكانِى كالقَضِيبِ الذّابِلِ
وبَكَى العاذِلُ لى من رَحْمَةٍ ... فبُكائى لِبُكاءِ العاذِلِ

فقال إبراهيم : يا رَشِيق ! كم معك من العَيْن ؟ قال : سِتَّمائة وخمسون دينارا . فقال : اقسمها بينى وبين الفتى واجعل الكَسْرَ صحيحا له . فأعطانى ثلاثمائة وخمسين دينارا ، فاشتريت منها منزلى بساباط[1] الحسن ، فوارانى إلى يومى هذا .

ولمّا بويع إبراهيم بن المهدى بالخلافة طلب خالداً، وقد كان متصلا ببعض أسبابه فأُدخل إليه فقال : أنشدنى شيئا من شعرك . قال : فقلت يا أمير المؤمنين ليس شعرى من الشعر الّذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً »[2] وأنا أَمْزَح وأهزل. فقال : لاتقُلْ هذا فإن هَزْل الأدب جد ، فأنشِدْنى فأنشدته[3] .

قال خالد : قال لى علىّ بن الجَهْم : بالله هب لى بيتك الذى هو[4] :

لَيْتَ ما أَصْبَحَ مِنْ ... رِقَّةِ خَدَّيْكَ بِقَلْبِك

فقلت له : يا جاهل أرأيت أحداً يَهَبُ ولَده ؟

كان خالد مُغْرَما بالمُرْد يُنفق عليهم كُلَّ ما يكسبه[5] ، فهَوِىَ غلاماً يقال له عبدُ الله ، وكان أبو تَمَّام الطائىّ أيضاً يهواه ، فقال فيه خالد :

---

(١) ساباط : سقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ ، وساباط الحسن : موضع مسمى بهذا . وفى غ : ساباط الحسن والحسين .

(٢) فى غ لحكما . والمعنى : إن من الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما. فإن هزل الأدب جد : فى غ : فإن جيد الأدب وهزله جد .

(٣) فى غ : فأنشدته : عش فحبيك سريعا قاتلى ... الأبيات قد سبقت فى الخبر قبله وكان ذلك قبل الخلافة فقد كان يخاطبه أيها الأمير، ففى الخبرين تداخل .

(٤) غ : الذى تقول فيه.

(٥) فى غ : يفيده .

قَضيب بانٍ جَناه وَرْدُ　　تَحْمِلُه وجَنَّةٌ وخَدُّ
لَمْ أُثْنِ طَرْفِى إلَيْهِ إلَّا　　ماتَ عَزاءٌ وعاش وَجْدُ
مُلِّكَ طَوْعَ النُّفُوس حتَّى　　عَلَّمَه الزَّهْو كيف[1] يَبْدُو
واجتمع الصَّدُّ فيه حتَّى　　لَيْسَ لِخَلْقٍ سِواه صَدُّ[2]

وبلغ ذلك أبا تمام فقال فيه أبياتاً منها :

شِعْرُكَ هذا مُفْرِطٌ كُلُّه[3]　　فى بَرْدِه يا خَالِدُ البَارِدُ

فعَلِقَها[4] الصبيانُ وما زالوا يَصِيحون به : يا خالد البارد ، حتَّى وَسْوَس .

وقيل: إنّ ذلك كان بينه وبين غير أبى تمام . وكان خالد قد هجا أبا تمام، وقال فيه:

يا مَعْشَرَ المُرْدِ إنّى ناصِحٌ لَكُمُ　　والمرء فى القول بين الصِّدْق والكَذِبِ
لا يَنْكِحَنَّ حبيباً منكمُ أَحَدٌ　　فَداء[5] وجْعائِه أَعْدَى من الجَرَبِ
لا تَأْمَنُوا أن تَحُولُوا بعد ثالثةٍ　　فتركبوا عُمُداً ليست من الخَشَبِ

قال حمزة بن أبى سلالة الشاعر الكوفى : دخلت بغداد فبينما أنا مارٌّ إذا رجل عليه مبطّنة نظيفة ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ[6] سوداء ، وهو راكب قصبة والصبيان يضحكون[7] عليه ويصيحون خلفه : ياخالد البارد[8] فإذا آذوه حَمَل بالقصبة عليهم.

---

(١) فى غ والأدباء : حين .
(٢) فى ك : ضد والتصويب من غ والأدباء .
(٣) الرواية فى غ : شعرك هذا كله مفرط .
(٤) فى غ والأدباء : فعلمها .
(٥) فى غ : فإن .
(٦) فى غ : قلنسية .
(٧) يضحكون عليه : هذه العبارة ليست فى غ .
(٨) فى غ : يا بارد .

فلم أزل أطردهم عنـه حتى تفرّقوا[1] وأدخلته بستانا هناك ، فجلس واستراح واشتريت له رُطَبا فأكل واستنشدته فأنشدنى :

قد حازَ قَلبِى فصار يَملِكُه فكيفَ أسْلُو وكيفَ أترُكُهُ ؟!
رَطِيبُ جسم كالماء تَحْسَبُه يَخْطِر فى القَلْبِ منه مَسْلَكُهُ
يكاد يَجْرِى مع القميص من النَّـعْمَة[2] لولا القَميصُ يُمْسِكُهُ

فاستزدته فقال : ولا[3] حرف .

قال أبو الفضل الكاتب : دعوت خالداً ذات يوم فأقام عندنا وخلعت عليه . فما استقرّ به المجلس حتى خرج ، فأتبعتُه رسولا ليتعرّف[4] خبره . فإذا هو قد جاء إلى غلام أمرد كان يحبّه فسأل عنه ، فوجده فى دار القِمار ، فمضى إليه وخلع عليه تلك الثياب وقبّله وعانقه وعاد إلينا. فلما جاء خالد[5] أعطيتُ الغلام الذى عرّفنا خَبره دنانير ليجىء بالغلام ، فجاء به إلينا. وأمرناه بإخفائه ففعل . وسألنا خالدا عن خبره فكتمه وجمجم[6] علينا . وغمزنا الرسول فأخرجه إلينا[7] . فلما رآه دهش وبكى . فقلنا له : لا تُرَع فإن من القصّة كيت وكيت ، وإنما أردنا أن نعرف خبرك لا أن نسوءك . فطابت نفسُه وأجلسه إلى جانبه وقال : قد بُلِيتُ بحبّه كما بُلِى هو بحبّ القِمار . ثم أنشدنا لنفسه فيه :

---

(١) فى مخطوط غ : نفروا .
(٢) فى ت: اللطف .
(٣) فى غ : لا ولا حرف .
(٤) فى غ : ليعرف .
(٥) العبارة فى غ : فلما جاز خالد أعطاه الغلام الذى وجهنا به دنانير ودعاه فجاء به إلينا وأخفيناه .
(٦) جمجم : لم يبين .
(٧) فى غ : علينا .

مُحِبٌّ شَفَّهُ أَلَمُهْ وخامرَ جِسْمَه سَقَمُهْ
وباح بما يُجَمْجِمُه من الأَسْرار مُكْتَتِمُهْ
أما ترثى لمكتئبٍ يُحِبُّك لَحْمُه ودَمُهْ
يَغارُ على قميصك حِيـ ـن تَلْبَسُـــه ويتّهِمُهُ

قال محمّد [بن](١) السرى : أطلت الغيبة عن بغداد ثم قدمتها وقد وَسْوس خالد، فمررت به بالرُّصافة والصبيان يصيحون به : يا غلام الشُّرَيْطيّ يا بارد . فيرجع إليهم ويضربهم ويرميهم بالحجارة فقلت : كيف أنتَ يا أبا الهَيْثم ؟ قال : كما ترَى . فقلت له : مَنْ تعاشر اليوم؟ فقال : من أحذره . فعجبت من جوابه مع اختلاله فقلت له ما قلت بعدى من الشعر ؟ قال : ما حفظه الناس وأُنسيته وعلى ذلك فقولى :

كَبِدٌ شَفَّهـا غَليلُ التَّصـابِى بين هَجْرٍ وسَخْطةٍ وعِتابِ(٢)
كلّ يَوْمٍ تَدْمَى بجُرْحٍ من الشَّوْ قِ ونَزْعٍ مُجَدَّد من عَذابِ(٣)
يا سَقيم الجفون أسْقَمْت جِسْمِى فاشْفِنى كيف شِئْت لا بِكَ ما بى
أن أكُنْ مُذْنِباً فكن حَسَنَ العَفْـ ـوِ أو اجْعَل سِوَى الصُّدود عِقابى

ثم قال لى: يا أبا جعفر ! جننت بعدك . فقلت : ما جعلك الله مجنونا وهـذا كلامك(٤) فى نثرك ونظمك .

روى أبو الفرج عن عمّه قال : مرّ بنا خالد الـكاتب والصبيان يصيحون به ، فجلس إلىّ وقال : فرِّق هؤلاء عـنّى . ففعلت . وألحّ عليه جارية تصيح به :

---

(١) زيادة من غ .
(٢) فى الأدباء : بين عتب وجفوة وعذاب .
(٣) فى الأدباء : عتاب .
(٤) فى غ: كلامك لى ونظمك.

ياخالد يا بارد ، فقال لها : مُرِّى يا مُنْتنة الـكُسّ ، يا من كُسُّها رَسّ(١)

فقلناله : ياأباالهيثم إيش معنى رس ؟ قال: تشتهى الأير الـكبير والصغيروالوسط، لا تـكره شيئا . فأقبل الصبيان يصيحون بتلك الجارية مثل ما قال لها خالد ، وهى ترميهم وتهرب منهم حتى غابوا معها عنا، فأقبل خالد علىّ متمثلا فقال :

وما أنا فى حَقِّى(٢) ولا فى خُصومَتى بمُهْتَضَمٍ حَـقّى ولا(٣) قَارِعٍ سِنِّى

فاحتبستُهُ يومَه عندى وشربنا. فلما طابت نفسُه أنشدنا لأبى تمام(٤) :

أحْبَابَهُ لِمَ تَفعَـلُون بقَلْبِـه ما لَيْس يَفْعَلُه به أعداؤُهُ
مَطرٌ من العبرات خَدِّى أرضُه حـتّى الصباح ومُقْلَتاى(٥) سَماؤُهُ
نَفْسِى فـداء محمَّدٍ ووقـاؤُهُ وكذبتُ ما فى العالَمِين فِداؤُهُ
أزعمتَ أنّ البدر يَحْـكِى وجْهَه والغُصْنَ حين يميد(٦) فيـه ماؤُهُ
أَقصِرْ(٧) فأين جماله وكَمالُه وبهاؤه وحياؤه وضيـاؤه
لا تقرَ أسماء المَلاحة باطِلاً فيمن سواه فإنها أسماؤه

ثم قال : وقد عارضه أبو الهَيْثم يعنى نفسه :

فَدَيْتُ محمـداً من كلّ سوء يُحاذر فى رَواحٍ أو غَـدُوّ

---

(١) فى غ : دس وقد أورد العبارة على أنها بيت ورواه هكذا :

مُرّى يا منتنـة الـكُسّْ ويا من كُسُّهـا دَسّْ

(٢) فى غ : فى أمرى .

(٣) فى مخطوطة غ : ولا سالم خصمى .

(٤) ديوان أبى تمام : ٤٢٨ باختلاف فى ترتيب الأبيات .

(٥) فى ت : ومقلتى .

(٦) فى ت : حين يمد . والرواية فى الديوان :

أزعمت أن الظبى يحكى طرفه والغصن حين يجول فيه ماؤه

(٧) فى غ: اسكت وكذا فى الديوان والبيت فى الديوان :

اسكت فأين ضياؤه وبهاؤه وذكاؤه ووفاؤه وحيـاؤه

أيا قَمَرَ السماء سَفُلت حَتَّى ... كأنَّك قد ضَجِرْت من العُلُوِّ
رأيتُك من مُحِبِّك(١) ذا بِعادٍ ... ومِنْ مَنْ لا يُحِبُّك ذا دُنُوِّ
وحَسْبُك حسرةً لك من حَبيبٍ ... رأيت(٢) زمامَه بيد العَدُوِّ

وتروى هذه الأبيات أيضا لأبى تمام(٣) .

قال الهلالى : مررت بخالد الكاتب وحَوْلَه جماعة ينشدهم ، فقلت له : ياأبا الهيثم سَلَوْتَ عن صديقك فلان(٤) ؟ فقال : لا والله . قلت : فإنه عليل وما عُدْته . فسكت ساعة ثم رفع رأسه إلىّ وقال :

زَعَمُوا أنــى مَلَلْتُ(٥) وكَلَّا ... أُشْهِـد الله أنَّنِى لن أَمَـلَّا
كيف صَبْرى عَمَّن(٦) إذا ازْدَاد تيها ... أبدًا زدتُه خُضـوعا وذُلَّا

ثم قال: احفظ وأبلغه عنى:

بِجِسْمى لا بِجِسْمِك يا عَلِيلُ ... ويكفينى من الأَلَمِ القَليـلُ
تَعَدَّاكَ السَّقـام إلىَّ إنِّى ... على مابى لعادِيه(٧) حَمُـول
إذا ما كنتَ يا أملى صحيحا ... فخالَفَنِى وسالَمَك النُّحول
أَلَسْتَ شقيق ما ضمّت ضُلوعى ... عَلَى أنّى لِعِلّتِكَ العَلِيـلُ

دعا علىّ بن المعتصم خالداً يوما وهو يشرب، وقد أخرجت له وصيفة من وَصائف حَظِيّةٍ له تفاحةً مُغلَّفة بغالِية معضُوضة بعثَتْ بها إليه سِتُّها فقال خالد :

---

(١) فى غ : حبيبك .
(٢) فى ت : يكون .
(٣) هى فى الديوان : ٤٦٦ .
(٤) فلان : ليس فى غ .
(٥) فى غ : صحوت .
(٦) عمن : فى مخطوط : يا من .
(٧) فى غ : لعادته .

تُفَّاحةٌ جُرِحت بالدُّرِّ من فيها   أشْهَى إلىَّ من الدُّنيا وما فِيها
بَيضاءُ فى حُمْرَةٍ عُلَّت بغَالِيَـةٍ   كأنّما قُطِفت من خَدِّ مُهْدِيها
جاءت بها قَيْنَةٌ من عندغَانِيَةٍ   رُوحى من السُّوء والمَكْروه تَفْدِيها
لو كُنْتُ مَيْتاً ونادَتْـنى بنَغْمَتِها   إذاً لأَسْرَعْتُ من لَحْدِى أُلَبِّيها

فاستحسنها علىّ بن المعتصم وغُنِّىَ فيها، وأمر له بتَخْت ثِياب وخمسين دِينارا.

الخَلِيل المُعَلِّم*

هو الخَلِيلُ بن عَمْرو ، مكيٌّ ، موْلًى لبنى عامِر بن لُؤَيّ ، وكان يُلَقَّب خُلَيْلان . وكان يؤدّب الصبيان ويعلّمهم القرآن والخطّ ، ويعلّم الجوارىَ الغِناء فى موضع واحد .

حدّث من حضره قال : كنتُ يوماً عـنده وهو يُرَدِّد على صبىٍّ يقرأ بين يديه ﴿ ومن النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضلَّ عَنْ سَبِيل الله بغَيْر عِلْم ﴾(1) ثم يلتفت إلى صبية بين يديه فيردّد عليها :

عادَ(2) لهذا القلب بَلْبالُه　　　أَنْ قَرُبَت لِلبَيْن أَجْمالُه

فضحكت لما فعله ضحكا مُفرطا . فالتفت إلىّ فقال : ما يُضْحكك ويلك ؟! فقلت : أتنكر ضحكى مما فعلت ؟! والله ما سَبَقَك إلى هذا أحدٌ . ثم قلت: انظر إلى أىّ شىء أخذت على الصبىّ من القرآن ، وأىّ شىء تُلقى على الصبية . وإنّى لأَظُنُّك ممّن يشترى لَهْوَ الحديث لِيُضِلّ عن سبيل الله . فقال : أرجُو ألا أكون كذلك إنْ شاء الله عزّ وجلّ .

---

* الأغانى (ليدن) : ٢١/٧٠-٧٢- (بيروت : الثقافة) : ٢١/٢١٩-٢٢٣ .

(١) الآية : سورة لقمان : ٦ .

(٢) فى غ : اعتاد هذا .

خُوَيْلد الهُذَلى*

(أبو خِراش)

هو أبو خِراش خُوَيْلد بن مُرَّة أحد بنى قِرْد ، واسم قِرْد : عَمْرو بن معاوية ابن سعد بن هُذَيْل بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نزار .

شاعرٌ فَحْل من شعراء هُذيل المذكورين الفصحاء ، مُخضْرَم أدركَ الجاهليّة والإسلام ، فأسلَم وعاش بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم مدّة ، ومات فى خلافة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، نهشتْه أفعَى فمات . وكان يَعْدُو فيسبق الخيلَ فى غارات قومه وحروبهم .

خرج أبو خِراش الهذلى من أرض هُذَيْل يريد مكّة ، فقال لزوجته[1] أمّ خِراش: وَيْحَك إنى أريد مكّة لبعض الحاجة ، وإنّكِ من أَفَكِّ[2] النساء وإن بنى الدِّيل يطلبونَنى بتِرات فإيّاكِ أنْ تذكرينى لأحد حتى أصدر عنها . فقالت : أعوذ بالله أن أَذْكُركَ لأحد من أهل مكة ، وأنا أعرف السبب . قال : فخرج بأمّ خِراش وكَمَن لحاجته ، وخرجت إلى السوق تشترى عِطْرًا أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن ، فجلست إلى عطّار ، فمرّ بها فتيان من بنى الدِّيل فقال أحدُهما لصاحبه: أمّ خِراشٍ وربِّ الكعبة وإنها لمن أَفَكّ النساء ، وإن كان أبو خِراشٍ معها فستدلّنا عليه . قال : فوقفا عليها فسلّما وأَحْفيا[3] فى السّلام والمسألة فقالت : مَن أنتما بأبى أنتما ؟ قالا : رجلان من أهلك[4] ، قالت : بأبى أنتما فإن أبا خِراش معى

---

* الأغانى (ليدن) : ٢١/٥٤ـ٧٠ (بيروت الثقافة) ٢١/٢٣٠ـ٢٥٣ .

(١) لزوجته : فى الديوان : ٢/٦١ : خرج بزوجة أبيه مرة .

(٢) أفك النساء : أحمقهن وأضعفهن رأيا وأفلتهن لسانا .

(٣) أحفيا : بالغا .

(٤) فى غ : من أهلك من هذيل .

فلا تذكراه لأحد ونحن رائحون المشيّة . فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فِتيانهم وأخذوا مولًى لهم يقال له مَخْلد وكان من أجود الرجال عَدْوًا ، فكمنوا له فى عَقبة على طريقه ، فلمّا رآهم قد لاقوه فى عين الشمس قال لها : قتلتِنى وربّ الكعبة ، لمن ذكرتنى ؟ قالت : ما ذكرتك إلّا لفتيين من هُذيل . فقال لها : والله ما هما من هُذيل ، ولكنهما من بنى الديل وقد جلسا وجمعا علىّ جماعة من قومهما ، فإذا جُزْت عليهم فإنهم لن يعرضوا لك لئلا أستوحش فأفوتهم فأرْكِضى بعيرك وضَعِى عليه العصا . والنجا النجا . قال : وهى على قعود عُقَيْلى يسابق الرِّيح[(١)] . فلما دنا منهم وقد تلثَّموا ووضعوا تَمْرًا على طريقه على كساء، فوقف قليلا كأنه يُصْلِح شيئا وجاوزتهم[(٢)] أم خِراش فلم يعرضوا لها لئلا ينفر منهم ، ووضعت العصا على قَعُودها . ومرّ بهم فتواثبوا عليه[(٣)] ووثب يعدو، فزاحمه على المَحَجّة التى يسلك فيها على العقبة ظَبْىٌ فسبقه أبو خِراش، وتصايح القوم : يا مَخْلد يا مَخْلد أَخْذاً أَخْذاً فقال : فات الأَخذ. فقالوا : ضَرْباً ضَرْباً. فقال : فات الضرب ، فصاحوا : رَمْياً رَمْياً فقال: سبق الرَّمى . وسبقت أمّ خراش إلى الحى فنادت : ألا إنّ أبا خراش قد قُتل . فقام أهل الحى إليها . وقام أبوه فقال : ويحك ما كانت القصّة ؟ قالت : إن بنى الديل عرضوا له الساعة فى العَقَبة. قال : فما رأيتِ ؟ وما سمعتِ ؟ قالت : سمعتهم يقولون يا مَخْلد أَخْذاً أَخْذاً . قال : ثم سمعتِ ماذا ؟ قالت : سمعتهم يقولون ضَرْباً ضَرْباً . قال : ثم سمعتِ ماذا ؟ قالت : سمعتهم يقولون رَمْياً رَمْياً . قال : فإن كنتِ سمعتِ رَمْياً رَمْياً فقد أفلت وهو منّا قريب . ثم صاح : يا أبا خِراش . فقال أبو خِراش :

---

(١) فى غ : الرياح .
(٢) فى غ : وجازت بهم .
(٣) فى غ : إليه .

يا لبيك ، وإذا هو قد وافاهم على إثْرِها . وقال أبو خِراش فى ذلك[1] :

رَفونى وقالوا يا خُوَيْلد لا تُرَعْ ... فقلتُ وأنكرتُ الوُجوهَ هُمُ هُمُ

منها :

تقول ابنَتِى لمَّا رأتْنِى عَشيَّةً ... سَلِمْتَ وما أنْ كِدْتَ بالأمْسِ تَسْلَمُ

فقلتُ وقد جاوزت صارَى[2] عَشيَّةً ... أجاوزتُ أولى القومِ أم أنا أحْلُمُ

ولولا دِراكُ الشَّدِّ آمستْ[3] حَلِيلَتِى ... تُخَيَّرُ فى خُطَّابها وهْىَ أيِّمُ

فتَسْخَطُ أو تَرْضَى مَكانِى خَلِيفَةً ... وكاد خِراشٌ عند ذلك يَيْتَمُ

دخل أبو خِراش مكّة وللوليد بن المغيرة فرسان يريد أن يرسلهما فى الحَلْبة فقال للوليد : ما تجعل لى إنْ سبقتهما؟ قال: إن فعلتَ فهما لك . فأُرْسِلا وعَدَا بينهما فسبقَهما وأخذها .

قال الأصمعى: إذا فاتَك الهُذَلِىّ أن يكون شاعراً أو ساعِياً أو رامِياً فلا خير فيه .

أقفر أبو خِراش الهُذَلى من الزاد أيَّاما ، ثم مرّ بامرأة من هذيل جَزْلَة شريفة ، فأمرت له بشاة فذُبحت وشُويت ، فلما وجد بطنُه ريحَ الطّعام قرقر ، فضرب بيده على بطنه وقال : إنك لتقرقر لرائحة الطعام ؟! والله لا طعمت منه شيئا . ثم قال : يا ربّة البيت أما عندكِ شىء من صَبِر أو مُرّ ؟ قالت : تصنع به ماذا ؟ قال : أريده. فأتته منه بشىء فاقتمحه[4] ثم أهوَى إلى بعيره فركبه . فناشدته المرأة فأبَى . فقالت له : يا هذا هل رأيت إنسانا فعل هكذا[5] ؟ أرأيتَ بأسا أو أنكرت شيئا ؟

---

(١) ذكرت القصة مع تغيير فى بعض الألفاظ وزيادات فى ديوان الهذليين ج ٢/٦٢). رفونى: سكنونى وقالوا : لا بأس عليك .

(٢) صارى: جبل قبلى الدينة . والبيت ليس فى الديوان .

(٣) فى غ : قاظت ، ومعناها : أتت عليه قيظة أى صيفية.

(٤) اقتمحه : سفه فى ك : اقتحمه وهو تصحيف .

(٥) هل رأيت إنسانا فعل هكذا : ليس فى غ .

قال : لا والله . ثم مضى . وأنشأ يقول :

وإنّى لَأُثْوى[١] الجوعَ حتى يَمَلَّنِى فأحيا[٢] ولم تَدْنَس ثِيابى ولا جِرْمِى[٣]
وأَصْطَبِح[٤] الماءَ القَراح فأكْتَفِى[٥] إذا الزادُ أَضْحَى للمزَلَّج[٦] ذا طَعْمِ
أَرُدُّ شُجاعَ[٧] البَطْن قد تَعْلَمِينه وأُوثِر غَيْرِى من عِيالك بالطُّعْمِ
مخافة أن أحيا بِرَغْمٍ وذِلَّةٍ ولَلْمَوْتُ خير من حَياةٍ على رَغْمِ

وكان بنو مُرّة عشرة : أبو خِراش ، وأبو جُندب ، وعروة ، والأَبَحّ ، والأَسْوَد ، وعمرو ، وزُهَيْر ، وجُنادة[٨] ، وسُفيان ، وأبو الأسود ، وكانوا جميعاً شعراء دُهاة سِراعاً لا يُدْرَكون إذا عَدَوْا . فأمّا الأسود بن مُرّة فإنه كان ـ على ما مر ـ داهية وهو غلامٌ شاب فوردت عليه إبل رئاب بن ناضرة بن المؤمل اللِّحْيانى ، ورئاب شيخ كبير فرمَى الأسود ضرع ناقة من الإبل فعقرها ، فغضب رئاب فضربه بالسيف فقتله .

وكان أبو جُندب أشدّهم فعرف خبر أخيه فغضب غضباً شديداً وأَسِف ، فاجتمعت رجال هُذَيل إليه فكلّموه ، فقالوا: خذ عَقْلَ[٩] أخيك واستَبْقِ ابنَ عَمّك فلم يزالوا به حتى قال نعم اجمعوا العقل . فجاءوه به فى مرة واحدة. فلمّا أراحوا عليه صمت فأطال صَمْتَه ، فقالوا له : أَرِحْنا ، اقبض منّا . فقال : إنى أريد أن أَعْتَمِر فاحتَبِسُوه

(١) أثوى : أحبسه وأطيل مكثه ، وهو يريد أتحمله وأصبر عليه .
(٢) فى الديوان : فيذهب لم .
(٣) الجرم: الجسد.
(٤) فى الديوان : أغتبق .
(٥) فى الديوان : فأنتهى .
(٦) المزلج : المزعزع لا قوة له على احتمال المكروه والصبر عليه .
(٧) شجاع البطن : يعنى ألم الجوع ، وتوهموه حية أو ثعبانا يعض حين لا يجد طعاما .
(٨) فى غ والديوان : جناد .
(٩) العقل : الدية .

حتى أرجع ، فإن هلكت فلإمٍّ ما أنتم . وهــذه لغة هذيل يقولون إمّ بالكسر ولا يستعملون الضم ، وإن عشت فسترون[1] أمرى. فولى ذاهبا نحو الحرم فدعا عليه رجال من هُذيل وقالوا: اللهم لا تردّه . فخرج فقَدِم مكة فواعَد كلّ خَلِيع وفاتك فى الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا ، فيصيب بهم قومه ، فخرج صادِراً[2] فما رام حتى أخذته الذُّبحة فى جانب الحرم ، فمات قبلِ أن يرجع .

وأمّا زُهير فخرج معتَمِراً فقتلَه قومٌ من ثُمالة على موضع يقال له ذات الأُقَيْر من نَعمان ، فلم يزل أبو خِراش حتى قتل به أهل حلّتين من ثُمالة .

وأمّا عُروة بن مُرّة وخِراش بن أبى خِراش فأخذهما بَطْنان من ثُمالة يقال لهما بنو رِزام وبنو بلال وكانوا متجاورين ، فخرج عروة وخِراش مُغِيرَيْن عليهم طمعاً أن يظفروا بشىء من أموالهم ، فظفر بهما الثُّمالِيُّون . فأمّا بنو رِزام فنهوا عن قتلهما وأمّا بنو بلال ، فأبوا إلّا قتلهما حتى كاد يكون بينهم شر . فألقى رجل[3] من القوم ثوبه على خِراش حين شُغِل القوم بقتل عُروة . ثم قال له : أُنْجُ . وانحرف القوم بعد قتل عُروة إلى الرجل وكانوا سلّموه إليه فقالوا : أين خِراش ؟ قال : أفلت منى . فسعى القوم فى أثره فأعجزهم .

فقال أبو خراش فى ذلك يرثى عروة أخاه ويذكر خلاص ابنه خراش[4] :

حَمِدْتُ إلٰهِى بَعْدَ عُرْوَةَ إذ نَجَا ... خِراشٌ وبَعْضُ الشَّرِّ أهْوَنُ من بَعْضِ

فوالله لا أنْسَى قَتِيــلًا رُزِئْتُه ... بجانِبِ قَوْسَى[5] ماحَيِيتُ[6] على الأَرْضِ

(١) فى غ : فسوف ترون .

(٢) فى غ : مبادرا .

(٣) فى شرح الديوان : هذا الرجل من أسد شنومة .

(٤) الشعر والشعراء (ترجمة أبى خراش) ـ ديوان الهذليين : ٢ / ٦٨ (ليبزج) .

(٥) قوسى (بالفتح ثم السكون وسين ثم ألف مقصورة) : بلدة بالسراة ، وبها قتل عروة أخو أبى خراش .

(٦) فى الديوان : مشيت .

بلَى إنها تعفو[1] الكُلوم وإنما يُوَكَّلُ[2] بالأَدْنَى وإنْ جلَّ مايمضِي
ولم أدْرِ من ألْقَى عليه رداءَه سِوَى أنَّه قد بُزَّ[3] عن ماجدٍ مَحْضِ

وأما أبو الأَسْوَد فقتلته فهمٌ بياتاً تحت الليل .

وأما جُنادة[4] وسفيان فماتا قبل أن يُقتل عمرو ، وقتل عمرو أيضا . وأمُّهم جميعاً لُبْنَى ، إلاّ سُفيان فإن أمه أمّ عمرو القردية وكان أمير[5] القوم وأميزَهم مالا .

دخلت أُميمة[6] على أبي خراش وهو يُلاعب ابنه فقالت له : يا أباخراش تناسيت عُروة وتركت الطلب بثأره ولهوت مع ابنك. والله لو كنت المقتول ما غَفَل عنك ، ولطلب قاتلك حتى يقتله !!

فبكى أبو خراش وأنشأ يقول :

لَعَمْرِى لقد راعت أميمةَ طلعَتِى وإنَّ ثوائِى عندها لقَليلُ
وقالت أُراه بعد عُرْوةَ لاهِياً وذلك رُزْءٌ لو عَلِمْت جَليلُ
فلا تَحْسَبى أنِّى تناسيت عَهْدَه ولكنّ صَبْرِى يا أُمَيْم جَميلُ
ألمْ تعلَمِى أنْ قد تَفَرَّق قبلَنا خَليلاَ صفاءٍ مالكٌ وعَقِيلُ[7]
أبَى الصَّبْرَ أنِّى لا أزال بمُهْجَتِى مَبيتٌ له فيها خَلاَ ومَقِيلُ[8]
وأنّى إذاما الصبحُ آنستُ ضوءَه يُعاودنى قِطْعٌ علىَّ ثَقِيلُ

(١) تعفو الكلوم : تبرأ وتندمل .
(٢) يوكل بالأدنى : يحزن على الأقرب فالاقرب ومن مضى ينسى وإن كان عظيما .
(٣) فى غ والديوان : سل .
(٤) فى غ : جناد .
(٥) فى غ : أيسر .
(٦) أميمة : امرأة عروة .
(٧) مالك وعقيل : هما ابنا فارح نديما جذيمة وهما من قضاعة .
(٨) رواية البيت فى الديوان : ٢/٤٩ :

أبى الصبر أنى لا يزال يهيجنى مبيت لنا فيها خلا ومقيل

هاجر خراش فى أيام عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه وغزا مع المسلمين وأَوغَل فى أرض العدو، وقدم أبوخراش المدينة فجلس بين يدى عمر وشكا إليه شوقه إلى ابنه وأنّه رجل قد انقرض أهلُه وقتل إخوته ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش، وقد غزا وتركه . فكتب عمر رضي الله عنه بأن يُقْفل خراش إلى أبيه وأن لا يغزو من له أب شيخ إلّا بعد أن يأذن له .

قدم نفر من أهل اليمامة من اليمن حُجّاجا فأتَوْ أبا خِراس فقال لهم يا بنى عَمّى الماء منا غير بَعيد وما أمسَى عندنا ماء . ولكن هذه برمة وشاة وقِرْبة فرِدُوا الماء ثم كُلوا شاتَكم ودعوا قِرْبَتَنا وبُرْمتنا على الماء حتى نأخذها ،فقالوا لا والله ما نحن بسائرين فى ليلتنا هذه وما نحن ببارحين حيث أمسينا . فلما رأى أبو خراش ذلك أخذ قربته وسَعَى نحو الماء تحت الليل حتى استقى وأقبل صادِراً فنهشته حَيَّه قبل أن يصل إليهم، فأقبل مسرعا حتى أعطاهم الماء وقال اطبخوا شاتكم وكلوا ولم يُعلمهم بما أصابه، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا وأصبح أبو خراش فى الموتى ، فلم يبرحوا حتى دفنوه .

وقال وهو فى الموت(١) :

لَعَمْرُكَ والمَنايا غالِباتٌ … على الإنسان تَطلُع كُلَّ نَجْدِ
لقد أَهْلَكتِ حَيَّة بطن أَنْفٍ … على الأصحاب ساقاً ذات فَقْد

وقال أيضا :

لقد أَهْلَكَت حَيَّة بَطْن أَنْف … على الأصحاب ساقاً ذاتَ فَضْلِ
فما تَرَكَتْ عَدُوًّا بين بُصْرَى … إلى صنعاء يطلبه بذَحْلِ

(١) الديوان : ٧٥ .

(٢) بطن أنف : ويروى بطن قو ، وهو منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة وهو بين فيد والنباج . وأنف : بلد من بلاد هذيل .

ولما بلغ خبرُه عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه غضب غضبا شديدا وقال : لولا أن تكون سنَّة لأمرت أن لا يضاف يَمانٍ أبدا ، ولكتبت بذلك إلى الآفاق . إن الرجل ليُضيف أحدهم فيبذل له مجهودَه فيسخطه ولا يقبله ويطالبه بما لا يقدر عليه ، كأنه يُطالِب بدَين أو بتبعة ليفضحه ، فهو يكلّفه التكاليف حتى أهلك ذلك من فِعلهم رجلًا مسلما . وقتله .

وكتب إلى عامله باليمن أن يأخذ النَّفر الذين نزلوا بأبي خراش فيُغرمهم دِيَتَه ويؤدّبهم بعد ذلك بعقوبة يمسّهم بها جزاء لفعلهم .

خَالِد القَسْرى*

هو خالدبن عبدالله بن يَزِيد بن أسد بن كُرْز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غَمْغَمة بن جَرِير بن شِقّ بن صَعْب – وشقّ بن صعب هذا هو الكاهن المشهور – ابن يَشْكُر بن رُهم بن أفرك[1] وهو سعد الصّبح ، ابن زيد بن قَسْر بن عَبْقَر بن أَنْمار ابن إراش بن عَمْرو بن لحيان بن الغَوْث بن القرز ويقال الفرز بن نبت بن مالك ابن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

فأما غلبة بجيلة على هذا النسب وشهرته بها فإن بجيلة ليست برجل ، وإنما هى امرأة اختُلف فى نسبها فقال ابن الكلبى : هى بَجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة وتزوّجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث ، ووادعة ، وصهيبة ، وحزيمة[2] وأشْهل وشهلاء ، وطريفا ، والحارث ، ومالكا ، وفهما ، وشيبة .

ويقال إن بجيلة امرأة حبشية حضنت بنى أنمار جميعا غير خَثْعم فإنه انفرد فصار قبيلة على حدته ، ولم تحضنه ، واحتج من قال هذا بقول شاعرهم :

وما قربت بَجِيلَةَ منك دونى ... بشَىْء غير أنْ دُعِيَت بَجِيلَهْ
وما لِلْغَوْث عندك أن نُسِبْنا ... علينا بالقَرابة من فَضِيلَهْ
ولكنّا وإيا كم كَثُرْنَا ... فصِرْنا فى المحلِّ على جَدِيلَهْ

جديلة هاهنا موضع لا قبيلة .

* الأغانى : (بولاق) : ١٩/٥٢–٦٢– (بيروت الثقافة) : ٢٢/٥–٣٨ – تهذيب ابن عساكر : ٥/٦٧–٨٠ .

(١) فى ك ، ت ، غ (بولاق) أقزل ، والتصويت من الاشتقاق لابن دريد : ٥١٨ وابن خلكان والنسب فيه هكذا : ابن أفرك بن أفصى بن نذير بن قسر وهو مالك بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد .

(٢) فى غ (بولاق) : جذيمة ، وما هنا موافق لما فى الاشتقاق .

وهم أهل بيت وشرف فى بجيلة لولا ما يقال فى عبد الله بن أسد ، فإن أصحاب المثالب ينفونه عن أبيه ، ويقولون فيه أقوالا تنافى الشرف .

وكان يقال لكُرْز كُرْز الأَعِنّة .

وكان أسدُ بن كُرْز يدعى فى الجاهليّة ربّ بَجِيلة . وكان ممَّن حرّم الخمر فى جاهليته تنزُّهاً عنها، وله يقول القائل:

فأَبْلِغْ ربنَّا أَسَدَ بنَ كُرْزٍ بأنَّ النأى لم يَكُ عن تقال

وأدرك أسد بن كرز وابنهُ يزيد الإسلام فأسلما. فأمّا أسد فلم يَرْو عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم شيئا . وأما يزيد ابنهُ فروى عنه يسيرا .

وذكر جَرِير بن عبد الله أنّ أسدَ بن كُرز أسلَم ومعه رجل من ثقيف ، فأهدَى إلى النبي صلّى الله عليه وسلم قوساً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : من أين لك هذه النَّبْعة؟ فقال : يارسول الله : تنبُت بجبالنا بالسَّراة ، فقال الثَّقَفِىّ يارسول الله الجبل لنا أو[1] لهم؟ فقال : بل الجبل جَبَل قَسْر ، [به][2] سمى أبوه قسر بن عبقر . فقال أسد : يا رسول الله أدعُ لى . فقال اللهم اجعلْ نصرَك و نَصْر دِينك فى عَقبِ أَسَدِ ابن كُرْز .

قال أبو الفرج الأصبهانى : ما أدرى ما أقول فى هذا الحديث! وأكره أن أكذِّب من رَوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن ظاهر الأمر يُوجِب أن لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بهذا الدّعاء لم يكن ابنهُ مع معاوية بصفِّين على أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، ولا كان ابن ابنه خالد يلعنهُ على المِنْبر ويتجاوز ذلك إلى ما ذكرته[3] فى ترجمته من شنيع أخباره! قَبَّحه الله ولعنه .

(١) فى غ : أم .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . والعبارة فى غ : به سمى إبراهيم قسر بن عبقر

(٣) ما ذكرته فى ترجمته : فى غ : إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره .

خرج يزيد بن أسد في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بُعوث المسلمين إلى الشام، وكان مطاعا فى اليمن عظيمَ الشأن .

ولما كتب عثمان إلى معاوية حين حُصِر يستنجده بعث معاوية إليه يزيد[1] بن أسد فى أربعة آلاف من أهل الشام ، فوجد عثمان رضى الله عنه قد قُتِل ، فانصرف إلى معاوية ولم يُحْدِث شيئا .

ولما كان يوم صفِّين قام فى الناس فخطب وعليه عِمامة خزٍّ سوداء وهو متَّكِئ على قائم سيفه ، فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقد كان من قضاء الله عزّ وجل أن جمعنا وأهلَ ديننا فى[2] هذه البقعة[3] من الأرض، والله يعلم أنّى كنت لذلك كارها ، ولكن لم يبلِعُونا ريقَنا ولم يدعونا نرتاد لديننا أو ننظر لمعادنا ، حتى نزلوا فى حريمنا وبيضتنا ، وقد علمنا أنّ فى القوم حُلَماء وطَغاما ، ولسنا نأمن من طغامهم على ذرّياتنا ونسائنا ، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهلَ ديننا فأحرجونا[4] حتى صارت الأمور إلى أن يصير قتالنا غداً حَمِيّة! فإنّا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين. ووالله الذى بعثَ محمّدا صلى الله عليه وسلم بالحق إنى لوَدِدْت أنّى مت قبل هذا ، ولكنّ الله تبارك تعالى إذا أراد أمراً بلغه ، ولم تستطع العبادُ ردّه ونستعين بالله العظيم . ثم انكفأ راجعا .

ولم يكن لعبد الله بن يزيد نباهة مَنْ ذُكِر من آبائه، وأهلُ المثالب يقولون إنّه دعيّ ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيام خلافه على عبد الملك بن مروان . فلما قُتِل عَمرو هرب حتى سألت اليمانية فيه عبدَ الملك لمّا أمَّن الناسَ عام الجماعة . فأمنه .

---

(١) فى غ : بيزيد .
٢) فى ت : على .
(٣) فى غ : الرقعة .
(٤) فى مخطوط غ : فأحوجونا .

ونشأ خالد بن عبد الله بالمدينة ، وكان فى حداثته يتخنّث ويتتبع المغنين والمخنثين ويمشى بين[1] عمر بن أبى ربيعة وبين النساء فى رسائلهن إليه ورسائله إليهن . وكان يقال له خالد الخرّيت . وكل ما ذكره عمر بن أبى ربيعة فى شعره فقال أرسلت الخرِّيت أو أرسلت الجرىّ[3] فإنما يعنى به خالدا القسرىّ .

قال محمد بن مكرّم جامع هذا المختصر : العجب من أبى الفرج الأصبهانى المؤلّف رحمه الله كيف يقول فى هذه الترجمة متقدما إنه يكره أن يكذّب من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه دَعا لأسد بن كُرز فقال : اللهم اجعل نصرك ونصر دينك فى عقب أسد بن كرز ، ويعجب من ذلك لكون خالد كان على أمير المؤمنين علىّ عليه السلام بصفّين ، وأنه كان يلعنه على المنبر، ثم يروى هاهنا عن خالد أنه كان يتخنّث ويتتبع المخنثين والمغنّين وأنه كان أجبن الناس ، كما ذكر عنه فيما بعد ، ويمشى بين عمر بن أبى ربيعة وبين النساء فى رسائله إليهن ولا يعلم ويقطع أن من يتخنث ويتبع المخنثين والمغنين ويمشى فى رسائل الفواجر يبعد منه نصر دين الله عز وجل ، وأن دعوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن صح الخبر لم تنحصر فى خالد بعينه ، فما بقى إلّا أن يكون الخبر فى الدعاء ليس بصحيح عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أنْ تكون الدعوة إن كان الخبر صحيحا قد خصّ بها غيرَ خالد من ولده . أو هى مذخورة لأحد سوى خالد من عقبه . والله أعلم .

وكان كُرز بن عامر جدّ خالد بن عبد الله القسرى عَبْداً وكان آبقا على[4] مواليه عبد القيس من هجر .

---

(١) فى غ : مع .
(٢) الخريت : الماهر بالدلالة .
(٣) الجرى : الرسول .
(٤) فى غ : عن .

ويقال إن أصلَه من يهود تيماء، وكان أَبَق وظفرت به عبدُ شمس فكان فيهم عند غَمْغمة ابن شق الكاهن، ثم وهبوه لقوم من بنى طُهيَّة فكان فيهم حتى أدرك، فهرب. وأخذته بنو أسد بن خزيمة وكان فيهم فتزوج مولاة لهم يقال لها زرنب، ويقال إنها كانت بغيّا[١] فأصابها فولدت له أسد بن كرز فسماه باسم[٢] أسد بن خزيمة لرقة كانت فيهم. ثم أعتقوه. ثم إن نفرا من أهل هجر مَرُّوا به فعرفوه، فلما صاروا إلى هجر أخذوا فِداه وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه. فلم يزل فيهم حتى خرج فى تجارة إلى الطائف فلما رأى دار بجيلة أعجبته فاشترى نفسه وابنه وجاء فنزل فيهم، وأقام مدّة ثم ادّعى إليهم وعاونه على ذلك حَىٌّ من أحمس يقال لهم بنو[٤] منبّه، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة، وسمّى ذا الرقعة لأن عينه أصيبت فكان يغطيها برقعة من خِرَق — وهو ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شق، فنزل كرز فى بنى سُحمة هاربا من ذى الرقعة، ثم وثب على ابن عمّ القتّال[٥] بن مالك السُّحمِى فقتله وهرب إلى البحرين مع التجار فأقام مدة ثم مات. ونشأ ابنه يزيد بن أسد يُدْعى فى بَجيله ولا تُلحِقُه إلى أن مات. ونشأ ابنه عبد الله بن يزيد فمضى[٦] إلى حبيب بن مسلمة الفِهْرى فكتب له — وكان كاتبا مفوّها — وكان[٧] فى إمارة عثمان رضى الله عنه، وكان يقال له خَطيب الشيطان. ونال حظًّا وشرفا. ووسم خيله القسرىّ ثم تدسس ليملك أرضا فى بلاد قَسْر فمنعته بجيلة ذلك أشد المنع، فلم يقدر عليه حتى عظم أمره ونشأ ابنه خالد، ومات هو فكان خالد فى مرتبته ثم ولى العراق.

---

(١) فى ك : بغية.
(٢) فى ك : اسم.
(٣) لرقة كانت فيهم : هكذا أيضا فى غ، ولعل العبارة : لرقه كان فيهم.
(٤) فى مخطوطة غ : بنو أمية.
(٥) فى غ : للقتال.
(٦) فى غ : ثم مضى.
(٧) فى غ : وذلك.

وكان أسد أكذب الناس . ثم نشأ ابنه عبد الله فسلك منهاجه فى الكذب ، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة ، إلا أن الرياسة والسخاء كانا فيه فسترا ذلك من أمره .

وكان خالد أجبن الناس ، فلما خرج عليه عُرِف ذلك منه وهو على المنبر فدهش وتحيّر وقال : أطعمونى ماء .

قال ابن الكلبى : أول كذبة كذبتها فى النسب أنّ خالدَ بن عبد الله سألنى عن جدّته أمّ كرز وكانت بغيًّا[(١)] لبنى أسد يقال لها زرنب ، فقلت له : هى زرنب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر . فسرّ بذلك ووصلنى .

وكانت أم خالد رومية نصرانية فبنى لها كنيسة فى ظهر قبلة الجامع[(٢)] بالكوفة ، وكان إذا أراد المؤذن أن يؤذن فى المسجد ضرب لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم[(٣)] .

وكان الناس فى الكوفة فى ذلك الوقت إذا ذكروه قالوا : ابن البظراء . فأنف من ذلك ، فقيل إنّه ختن أمّه كارهة ، فقال أعشى هَمْدان يهجوه ويعيّره بأمه[(٤)] :

لَعَمْرُكَ لا أدرى وإنّى لصادقٌ[(٥)] ... أَبَظْراء أمْ مَخْتُونَــة أمُّ خــالِدِ

فإن كانت المُوسَى جَرت فوق بَظْرِها ... فمــا خُتِنَت إلا ومَصّــان قاعِــدُ

يَرَى سَوْءَةً من حيث يَطْلُع[(٦)] رَأْسُه ... تمرّ عليها مرهفات الحدائد

---

(١) فى غ : أمة بغيا .

(٢) فى غ : المسجد الجامع .

(٣) بقراءتهم : فى ت : بقرآنهم .

(٤) ديوان الأعشين : ٣٢٢ (ط. لنـدن) وقد نسب البيت الثانى فى ل مادة (مص ص) إلى زياد الأعجم يهجو خالدبن عتاب بن ورقاء . والرواية فيه : فإن تـكن الموسى .

(٥) فى الديوان : لسائل .

(٦) فى الديوان : أطلع رأسه .

وقال فيه أيضا يرميه باللّواط[1] :

ألم ترَ خالداً يختار ميماً ... وبكره فى النكاح مَشق ّصادِ
ويبغض كلّ آنسةٍ لَعُوبٍ ... وينكح كُلَّ عبدٍ مُستفادِ[2]
ألّا لعن الإله بنى كُرَيْزٍ ... فكرز من خنازير السواد

قتل خِداش الكندىّ رجلًا من بنى أسد ، وكان الكندىّ عاملا لخالد القَسْرى ، وطولب بالقَوَد وهو على المنبر فقال : والله لئن أقَدْت من عاملى لأقيدنَّ من نفسى ، ولئن أقدتُ من نفسى لِيُقيدَنّ أمير المؤمنين من نفسه ، وإن قاد أمير المؤمنين من نفسه ليُقِيدَنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه ، هاه هاه يعرض بالله عز وجل .

قال ابنُ شهاب : قال لى خالد القَسْرىّ : اكتُب لى النسب . فبدأت بنسب مضر ، فمكثت فيه أياما ثم أتيته ، فقال : ماصنعت؟ فقلت : قد بدأت بنسب مضر وما أتْمَمْته . قال : اقطع قطعه الله مع أصولهم ، واكتب لى السيرة . فقلت له : إنه يمرّ بى الشىء من سيرة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فأذكره ؟ فقال : لا . إلّا أن تراه فى قعر جهنم[3] .

حدّث من سمع خالداً وقد لعن علياً رضى الله عنه ، فقال : على بن أبى طالب ابن عم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وزوج ابنته فاطمة ، وأبو الحسن والحسين . هل كَنَيْت ؟

وصعد خالد المنبر فقال : إلى كم يغلب باطلُنا حقّكم ، أما آن لربكم أن يغضب لكم؟!

وكان خالدٌ زنديقا . وكان يولّى النصارى والمجوس على المسلمين ويأمرهم بامتهانهم وضربهم .

---

(١) الديوان (ط لندن) : ٣٢٣ .

(٢) فى الديوان : مستعاد .

(٣) فى غ : الجحيم .

وكان أهلُ الذمّة يشترون الجوارِي المسلمات[١] فيُطلِق ذلك لهم ولا يغيّره عليهم.

وكان خالد قد أخذ بعض[٢] التابعين وحبسه في بعض دور الحضْرَمىّ ، فأعظم الناس ذلك وأنكروه فقال : قد بلغنى ما أنكرتم من أخْذِى عدوّ أمير المؤمنين ومن حاربه ، ووالله لو أمرنى أمير المؤمنين أن أنقضَ الكعبة[٣] لنقضتُها حجراً حَجَراً ، ونقلتها إلى الشام . والله لأمير المؤمنين أكرم على الله من أنبيائه عليهم السلام .

وقال يوما وقد ذُكر النبىّ صلى الله عليه وسلم : أيُّما أكرم عندكم على الرجل ؟ رسولُه فى حاجته أم خَلِيفتَهُ فى أهله ، يعرّض بأن هشاما خيرٌ ممن لا أذكرهاهنا .

ودخل عليه فِراس بن جَعْدة بن هُبيرة وبين يديه نبق ، فقال له : الْعَنْ علىّ ابن أبى طالب ولك بكل نبقة دينار . ففعل ، فأعطاه بكل نبقة دينارا !

وكان يسمّى زمزم أمّ الجُعْلان . وكان له عامل يقال له خالد ألمى[٤] ، فكان يقول : والله لخالدُ ألْمى أفضل إمامة من علىّ بن أبى طالب .

قال يوما : أيّما أعظم : ركيّتنا أم بئر زمزم ؟ فقيل له: أيها الأمير من يجعل الماء العذب النقاخ مثل الأجاج ؟ !

وخطب يوما فقال : إن إبراهيم خليل الله استسقى فسقاه الله ملحا أجاجا ، وإن أمير المؤمنين استسقى فسقاه الله ماء نقاخا .

وكان الوليد حفر بئرا بين ثنيّة ذى طُوَى وثنية الحجون[٥] ، فكان خالد ينقل ماءها فيوضع فى حوض إلى جنب زمزم ليُظهر للناس فضلها . فغارت تلك البئر فلا يُدْرى أين هى .

---

(١) فى غ : المسلمات ويطئونهن .

(٢) بعض التابعين : فى تهذيب ابن عساكر : ٥/٧٩ : سعيد بن جبير وطلق بن حبيب .

(٣) فى غ: هذه الكعبة.

(٤) هكذا فى ك وت — وفى غ : بن آهى .

(٥) فى ك وت : الجون ، والتصويب من غ .

وكان خالد أميرا بمكة فأمر رأسَ الحجبة أن يفتح الباب له فأبى ، فضربه مائة سوْط ، فخرج الشَّيْبِيّ إلى سليمان بن عبد الملك يشكو ، فصادف الفرزدق بالباب فاسترفده ، فلما أذن للناس ودخلا شكا الشَّيبي ما لَحِقه من خالد، فوثب الفرزدق فقال[1] :

سَلُوا خالداً لا أكرم الله خالِداً ... متى وَلِيَتْ قَسْرٌ قريشاً تَدِينُها

أَقَبْلَ رسولِ اللهِ أمْ ذاكَ بَعْدَه[2] ... فتلكْ قُرَيْش قدأَغَثَّ[3] سمِينُها

رَجَوْنا هُداه لا هَدَى اللهُ خالِدًا ... فما أُمُّه بالأُمِّ يُهْدَى جَنِينُها

فحَمِيَ سليمان وأمر بقطع يد خالد . وكان يزيد بن المهلّب عنده فما زال يُفدِّيه ويقبِّل يده حتى أمر بضربه مائةَ سوط ويُعفَى عن يمينه .

فقال الفرزدق فى ذلك[4] :

لَعَمْرِى لقد صُبَّت على ظَهْرِ خالدٍ ... شآبيبُ ما اسْتَهْلَلْنَ من سُبُلِ القَطْرِ[5]

أَيُضْرَب فى الإسلام من كان طائعاً ... ويَعْصَى أميرَ المؤمنين أخُو قَسْرِ[6]

فنفسَكَ لُمْ فيما أتيتَ فإنّما ... جُزِيت جزاءً بالمُحَدْرَجَة السُّمْرِ[7]

وأنت ابن نصرانيّة طَالَ بَظْرُها ... غَذَتْك بألبانِ[8] الخنازيرِ والخمْرِ

---

(١) ديوان الفرزدق (الصاوى) : ٨٧٤ .

(٢) أم ذاك بعده : فى الديوان : أم بعد عهده .

(٣) أغث : هزل وضعف .

(٤) ديوان الفرزدق (الصاوى) : ٣٧٢ .

(٥) صبت : فى الديوان : صابت : ـ الشآبيب : الدفعات من المطر ينهل مرة بعدمرة واحدها شؤبوب .

(٦) الرواية فى الديوان :

أتضرب فى العصيان تزعم من عصى ... وتعصى أميرَ المؤمنين أخا قسر

(٧) المحدرجة : السياط . وهذا البيت مؤخر فى الديوان وروايته فيه :

فخذ بيديك الحتف إنك إنما ... جزيت قصاصا بالمحدرجة السمر

(٨) فى غ والديوان : بأولاد .

فلولا يزيدُ بن المهلّب حلّقتْ ... بكفّك فتخاءُ إلى الفرْخ فى الوَكْرِ (١)
لعَمْرِى لقد صال ابنُ شَيْبَة صَوْلَةً ... أرتْك نجومَ الَّليلِ ظاهرةً تسْرِى (٢)

فحقدها خالد على الفرزدق .

فلما ولى العراق وحفر المبارك بواسط . قال الفرزدق يهجوه من أبيات (٣) :

وأهْلَكْتَ مالَ الله فى غير حقّه ... على النّهَرِ المَشْئُوم غيرِ المُبارَكِ
وتَضْرِب أقواما صحاحاً ظُهورُهم ... وتترك حَقَّ الله فى ظَهْر مالِكِ

فأخذ خالد الفرزدق وحبسه واعتلّ بهجائه إياه فى حفر المبارك ، فقال الفرزدق يهجوه فى السّجن (٤) :

ألَا أبْلغ أميرَ المؤمنين رسالةً ... تَعَجَّلْ (٥) هداكَ الله نَزْعَكَ خالدا
بَنَى بِيْعَةً فيها الصّليبُ لأُمّه ... وهَدَّم من بُغْضِ الإلٰه (٦) مَساجدا

فبعث هشام إلى خالد رسولا يأمره بإطلاق الفرزدق فأطلقه فقال يهجوه (٧) :

ألَا قطع الرّحْمٰن ظهرَ مَطِيّةٍ ... أتتْنا تَخَطَّى (٨) من بَعِيدٍ بخالدِ
وكَيْفَ يؤُمُّ المُسْلِمِين وأُمُّه (٩) ... تَدِين بأنَّ اللهَ ليس بواحِدِ

---

(١) الفتخاء : اللينة الجناح ـ الفرخ ، فى الديوان : الفتخ ، وهو بمعناه .
(٢) صال : فى الديوان : سار . صولة ، فى الديوان : سيرة .
(٣) الديوان : ٦٠١ .
(٤) الديوان : ١٨٩ .
(٥) فى الديوان : فعجل .
(٦) فى الديوان : الصلاة .
(٧) الديوان : ١٨٩ .
(٨) فى الكامل: تهادى .
(٩) الرواية فى الكامل :

وكيف يؤم الناس من كانت أمّه

وكان خالد قريبا من هشام بن عبد الملك مَكِيناً عنده ، وكان إذا ذُكِرَ هشام قال : ابن الحمقاء ! فقال مولى[١] لهشام يوماً : إن هـذا البَطِر الأَشِر الـكافر نعْمَتك ونعمة أخيك[٢] ونعمة أبيك يذكرك بأسوإ الذِكْر . قال : ماذا يقول ؟ لعلّه يقول الأحول ! قال : لا والله ولـكن يقول ما لاتلتقى[٣] به الشفنان . قال : لعلّه قال ابن الحَمْقاء ! فأمسك عنه . فقال : لقد بلغنى ذلك عنه .

واتّخذ خالد ضياعا كثيرة حتى بلغت غلته عشرة آلاف ألف درهم ، فدخل عليه دِهْقان كان يأنس به فقال له : إن النـاس يحبُّون جسمك وأنا أحب جِسْمَك وروحَك . وقد بلغت غلّتك عشرة آلاف ألف درهم سوى غلّة ابنك ، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا . فقال خالد . إنّ أخى أسـد بن عبد الله كلّمنى بمثل هذا ، فأنت[٤] أخبرته ؟ قال : نعم . قال : ويحك دعـه فربّ يوم كان يطلب فيه الدرهم فلا يجده .

وكان خالد بخيلا على الطعام ، فـكان لبعض التجار دين على رجل فأراد استعداء خالد عليه ، فلاذ الرجل ببوّاب خالد وَبرّه ، فقال له سأحتال لك فى أمر هـذا بحيلة لا تدخله عليه أبدا قال : افعل . فلما جلس خالد للأكل أذن البوّاب للتاجر ، فدخل وخالد يأكل سَمَـكا فجلس وأكل أكلا شنيعا . فغاظ ذلك خالدا ، فلما خرج قال خالد لبوّابه فيم أتانى هذا ؟ قال : يستعدى على رجل فى دين له يدّعيه عليـه . قال : والله إنى أعلم[٥] أنه كاذب ، فلا يدخل علىّ ! وتقدّم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن خصمه .

---

(١) فى غ : رجل من أهل الشام .

(٢) فى غ : لإخوتك .

(٣) فى غ (بولاق) : تنشق .

(٤) فى غ : أفأنت .

(٥) فى غ : لأعلم .

وقال خالد يوما فى خطبة وكان لُحَنَة ، وكان له مؤدب يقال له الحسين بن رهمة الـكلبى فـكان يجلس بإزائه فإذا شـك فى شَىء أومأ إليه . فقال فى خطبته : والله ما إمارة العراق ممّا يشرفنى! فبلغ ذلك هشاما فغاظه جدا . ولم تزل أفعاله به حتى عزله هشام وعذّبه. وقتل ابنه يزيد بن خالد ، فرُئى فى رجـله شريط قد شدّ به والصبيان يَجُرُّونه .

قال خالد بن صفوان بن الأهتم : دخلتُ على هشام يوما فحدّثته فأطلتُ فتنفَّس وقال: ياخالد : ربّ خالدٍ كان أحبّ(١) إلىّ حديثا منك، وألذّ قربا إلىّ ! يعنى خالدا القسرىّ. فانتهزتُها ورجوت أن أشفع له وتـكون لى عند خالد يداً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما يمنعك من استئناف الصَّنيعة عنده ؟ فقد أدّبته بما فَرط منه . فقال: هيهات ، إنّ خالدا أَوْجَف فأَعْجَف ، وأدَلّ فأمَلّ ، وأفرط فى الإساءة فأفرطنا فى المكافأة ، فحَلِم(٢) الأديم ، ونغَل الجرح ، وبلغ السَّيْل الزُّبى ، والحزام الطُبْيَين ، فلم يبق فيه مستصلح ولا للصّنيعة عنده موضع . عد إلى حديثك .

---

(١) العبارة فى غ : أحب إلى قربا ، وألذ عندى حديثا منك .

(٢) حلم الأديم : فسد وتثقب مما وقع فيه من دود ، وهو هنا كناية عن تيئيسه مما يسعى فى إصلاحه فقد تم فساده ، والجمل بعده بهذا المعنى .

خنـــث(١)*

هى جارية أبى الخطَّاب النَّخَّاس المعروف بقَرِين ، مولى العبَّاسية بنت المهدى . وكانت تُعرف بذاتِ الخال ، كان لها خال فوق شَفتِها العُليا ، وكانت من أجمل النساء وأكملهن . وكان إبراهيم الموصلىّ يَهْواها . وفيها وفى سيدها يقول :

مابَالُ شمْس أبى الخطاب قد حُجِبتْ ... يا صاحِبَىَّ لعلَّ الساعةَ اقترَبَتْ(٢)
أَوْلا فما بالُ رِيحٍ كنتُ آلَفُها(٣) ... عادت علىَّ بصرٍّ بعد ما جَنَبَتْ(٤)
إليك أشكو أبا الخطّاب جارِيَةً ... غَرِيرةً بفؤادِي اليومَ قد لَعِبَتْ
وأنت قَيِّمُها فانظُرْ لعاشِقِها ... ياليتَها قربتْ مِنِّى وما بعدتْ

واشتهرت بشعره وغنائه فيها. فبلغ الرشيدَ خبرُها فاشتراها بسبعين ألف درهم . فقال لها ذات يوم أسألك عن شىء فإن صدَقْتِنِى وإلَّا صدَقنى غيرك وكذبتك، قالت : أنا(٥) أَصْدُقُك . قال : هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلى قط شىء ؟ وأنا أُحلّفه أن يصدقنى . قال : فسكتت ساعة ثم قالت : نعم مرة واحدة ! فأبغضها .

وقال يوما فى مجلسه: أيكم لا يُبالى أن يكون كَشْخانا حتى أهب له ذاتَ الخال . فبدره حَمُّوَيه(٦) الوصيف فقال : أنا . فوهبها له . وفيها يقول إبراهيم :

---

* الاغانى (بولاق) : ١٥/٧٩-٨٥ ، (بيروت) : ١٦/٣٦٥-٣٧٥ .

(١) خنث : اختلف فى ضبطه ، فى القاموس ولسان العرب (خنث) : خنث (بضم فسكون) : اسم امرأة. والجارى على ألسن الأدباء بفتح الخاء والنون فتكون مسماة بالمصدر من خنث (كفرح) خنثا : تثنت وتكسرت .

(٢) فى غ (بيروت) : أظن ياصاحبي الساعة اقتربت . وما هنا موافق لما فى (غ بولاق).

(٣) فى غ : آنسها.

(٤) جنبت : هبت جنوبا .

(٥) فى غ : بل .

(٦) حمويه : ضبط فى نهاية الأرب : ٥/٩٢ (بفتحات وسكون الياء وآخره هاء) .

أتَحْسَبُ ذاتُ الخال راجيةً رَبًّا ... وقـد سَلبَت قَلْباً يهيم بها حُبًّا
وما عُذْرُها نفسى فداها ولم تَدَعْ ... على أعْظُمِى شَحْماً(١) ولم تُبْقِ لى لُبًّا

واشتاقها الرشيد يوما بعد ما وهبها لحَمُّويه فقال له، ويلك يا حَمُّويه وهبنا لكَ الجارية على أن تسمع غناءها وحدك؟! فقال يا أمير المؤمنين: مُرْ فيها بأمرك. قال: نحن عندك غدا. فمضى فاستعد لذلك، واستعار لها من بعض الجوهريين بَدَنَةً(٢) وعقودا ثمنها اثنا عَشَر ألف دينار، فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها. فلما رآه أنكره. وقال: ويلك يا حَمُّويه من أيْنَ لك هذا، وما ولَّيتك عملا تكسب فيه مثله؟! ولا وصل إليك منّى هذا القدر! فصَدَقَه عن أمره. فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم واشترى الجوهر منهم ووهبه لها. وحلف أن لا تسأله فى يومه ذلك حاجة(٣) إلّا قضاها. فسألته أن يولّى حَمُّويه الخراج والحرب بفارس سبع سنين، ففعل ذلك وكتب له عهدا به، وشرط على ولى العهد أن يُتمّها له إن لم تتم فى حياته.

دعت ذات الخال يوما مولاها الرشيد إليها فوعدها أن يصير إليها، وخرج يريدها فاعترضته جارية غيرها، فسألته أن يدخل إليها فدخل وأقام عندها، فشقّ ذلك على ذات الخال وقالت: والله لأطلبن شيئا أغيظه به. وكان على خدّها خال لم ير الناس أحسنَ منه فى موضعه فدعت بمِقْراض فقصّت الخال الذى فى خدّها، وبلغ الرشيدَ ذلك فشقّ عليه. وبلغ منه، فخرج من موضعه وقال للفضل بن الرَّبيع: مَنْ بالباب من الشعراء؟ فقال: الساعةَ رأيت العبّاس بنَ الأحنف، فقال: أدْخِله. فأدخله فعرّفه الخبر، وقال: اعمل فى هذا شيئا على معنى رسمه له فقال:

---

(١) فى غ: لحما.
(٢) البدنة: قميص لا كمين له تلبسه النساء.
(٣) فى غ: شيئا.
(٤) فى غ: أعطاها.

تخلّصتُ ممّنْ لم يكن ذا حفيظةٍ   ومِلْتُ إلى من لا يُغيِّره حالُ
وإن كان قطعُ الخال لمّا تعطّفَتْ   على غيرها نفسِي فقد ظُلِمَ الخالُ

فنهض الرشيد إليها مسرعا مسترضيا لهـا ، وجعل هذين البيتين سبباً ، وأمر للعباس بألفى دينار .

وكان محمد بن موسى ينشد للعباس بن الأحنف :

ألا لَيْت ذاتَ الخالِ تلقى من الهوَى   عَشيرَ[1] الذى أَلْقَى فيلتئمُ الشَّعْبُ
إذا رضيتُ لم يَهْنَنِى ذلك الرِّضَا   لعلمى به أنْ سوفَ يتبَعُه عَتْبُ
وأبكى إذا ماأذْنبَت[2] خوف صدِّها   وأسألها مرضاتَها ولها الذَّنْبُ
وِصالُكم صَرْمٌ وحُبُّكم قِلًى   وعَطْفُكم صَدٌّ وسِلْمُكم حَرْبُ

وكان يعجبه التقسيم فى الشعر ، فكان يقول : أحسن ما قُسِّم هذا . جعل إزاء كل شىء ضدّه ، وإن هذا لأحسن من تقسيمات إقليدس .

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجَوارى[3] اللّواتى كان الرشيد يهواهُنّ ويقول :

إنّ سِحْرًا وضِياءً وخُنُثْ   هُنّ سِحْرٌ وضِياءٌ وخُنُثْ
أخذَت سِحْرٌ ولا ذَنْبَ لها   ثُلُثَىْ قلبى وتِرْباها الثُّلُثْ

وفيهن يقول أيضاً ، وقيل : إن العبّاس بن الأحنف قالها على لسانه :

مَلَكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنانِى   وحَلَلْنَ من قلبى أعزّ[4] مكانِ
مالِى تُطاوِعُنِى البريّةُ كلُّها   وأُطيعُهُنّ وهُنّ فى عِصْيانِى
ما ذاكَ إلّا أنّ سُلطانَ الهوَى   وبه قَوِينَ أعزّ من سُلْطانِى

(١) عشير : عشر ، وهو الجزء من عشرة أجزاء يقسم إليها الشىء .

(٢) فى غ : إذا أذنبت خوف صدودها .

(٣) فى ك وت : جوارى .

(٤) فى غ : بكل .

وجّه الرشيد يوما إلى جاريته سِحْر لتصير إليه ، فاعتلّت عليه ذلك اليوم بعلة ، ثم جاءته من الغد فقال :

أيا مَن رَدَّ وُدِّى أمْـ ـسِ لا أُعْطِيكَه اليَوْمَا
ولا والله لا أُعْطِيـ ـكَ إلّا الصَّدَّ واللَّوْمَا
وإن كان بقَلْبِى مِنْـ ـكَ حُبٌّ يمنع النَّوْمَا
أيا مَن سُمْتُه الوَصْـ ـلَ فأَغْلَى المَهْرَ والسَّوْمَا

قال إسحاق : وجَّهَ الرشيدُ إلىّ ليلة وقد مضى شطرُ اللَّيل فجئت(١) فجلست ، فأخرج(٢) جارية كأنّها لؤلؤة فأجلسها فى حُجْرَة ثم قال لها : غَنِّنِى فغنتّه :

جِئْنَ من الرُّوم وقَالِيقَلَا يَرْفُلْن فى المِرْط ولِين المُلَا
مُقَرْطَقَات بصُنوف الحُـلَى يا حَبَّذا البِيضُ وتلك الحُلَا

فاستحسنه وشرب عليه . ثم استؤذن للفضل بن الربيع فأذن له ، فلما دخل قال : ماوراءك فى هـذا الوقت . قال : خير(٥) يا أمير المؤمنين ، ولـكن جرى لى الساعة شىء(٦) لم يَجُزْ كتمانه . قال : وما ذاك ؟ قال : أخرج إلىّ فى هذه الساعة(٧) ثلاث جوارٍ(٨) مكيّة ومدنيّة وعراقيّة ، فقبضت المدَنيَّة على ذَكَرِى . فلمّا قام(٩)

(١) فجئت فجلست : فى غ : فأحضرت
(٢) فى غ : فخرجت .
(٣) فى غ : المهاة .
(٤) ثم قال لها : غنى فغنته : فى غ : ثم قال : غنى فغنيته .
(٥) فى غ : كل خير .
(٦) فى غ : سبب .
(٧) فى غ : الوقت .
(٨) فى غ : جوار لى .
(٩) فى غ: أنعظ.

وثبت المكيّة فقعدت عليه فقالت لها المدنيّة : ما هذا التعدى ؟ ألم تعلمى أنّ مالكا حدّثنا عن الزُّهْرِىّ عن عبد الله بن ظالم[١] عن سعيد بن زَيْد أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِىَ لَهُ » . فقالت لها الأُخْرى : أوَ لم[٢] تعلمى أنَّ سفيانَ حدّثنا عن أبى الزِّناد[٣] عن الأَعْرَج عن أبى هُرَيْرَة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصَّيْدُ لِمَنْ صَادَهُ لا لِمَنْ أثَارَهُ » . فدفعتهما العِراقية عنه ووَثبت عليه وقالت : هذا لى وفى يدى حتى تصطلحا أنتما[٤] . فضحك الرّشيد وأمر بحَمْلِهِنّ إليه. فحُمِلوا[٥] إليه وحَظِينَ عنده . وفيهن يقول :

* ملك الثلاث الآنساتُ عنانى *

ولمَّا حَجَّ الرشيد آخر حجَّةٍ حَجَّها كان الناس يتناشدون له فى جواريه :

ثلاثٌ قد حللْنَ حِمَى فُؤادِى ويُعْطَيْنَ الرغائبَ فى[٦] وِدادِى
نظمت قلوبَهُنّ بخَيْطِ قَلْبِى فهُنَّ قرابتى حتَّى التَّنادِى
فمَنْ يَكُ حَلَّ من قَلْبٍ مَحَلًّا فهُنَّ مع النواظر والسَّوادِ

(١) فى غ : طاهر .
(٢) فى ك : أو ما والتصويب من غ .
(٣) فى غ : أبى الزناد الأعرج ، و أبو الزناد هو عبدالله بن ذكوان ، وهو يروى عن الأعرج .
(٤) ليست فى غ .
(٥) فى غ : ففعل .
(٦) فى غ : من .

حرف الدال

داود بن سَلْم*

مَوْلَى بنى تَيْم بن مُرَّة ، وقيل : إنّه مولَى أبى بكر رضى الله عنه ، وقيل : إنّه مولى آل طَلْحة . مُخضْرَم من شُعراء الدولتين الأموية والعباسيّة من ساكنى المدينة . يُقال له داودُ الأَدْلم(١) ، وداود الأَرْمَك(٢) .

وكان من أقبح الناس وجها وأشدّهم بُخلًا . ولُقِّب بالأدْلم(٣) لشدّة سواده . وأبوه رجل من النَّبَط، وأمه بنت خَوْط مولى عُمَر بن عُبَيْد الله بن مَعْمَر . فانتسب لولاء أمِّه .

طرقه قومٌ وهو بالعَقِيق فصاحوا به : العَشاء والقِرَى يا ابن سَلْم . فقال لهم : لا عَشاء لكم عندى ولا قِرَى . قالوا : فأين قولُك فى قصيدتك :

عَوَّدْتُ نَفْسِى إذا ما الضَّيْف نَبَّهَنى ... عَقْرَ العِشارِ عَلَى يُسْرِى وإعْسارِى(٤)

قال : لستم من أولئك الذين عَنَيْتُ .

كان الحسن بن زيد قد أحضر إسحاقَ بن إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عُبَيْد الله

---

* الأغانى (بولاق) : ٥/١٣٥-١٤١ ، (دار الكتب) : ٦/١٠-٢٠ ، (بيروت) : ٦/ معجم الأدباء : ١١/٩٥-٩٨ .

(١) فى غ ومعجم الأدباء : الآدم ؛ وهما بمعنى .

(٢) الأرمك : الأسود ، وفى ك : الأدمك وهو تحريف والتصويب من غ (دار) .

(٣) فى غ : الآدم .

(٤) الرواية فى غ والأدباء :

عُوِّدت فيها إذا ما الضيف نبهنى ... عَقْر العِشار على يُسْرٍ وإعسار

العشار : ماأتى على حملها عشرة أشهر، واحدتها عشراء .

ابن معمر التَّيْمى أيّام كان يَلِى المدينة ودعاه إلى ولاية القضاء ، فأبَى عليه فحبسه ، فدعا مشبرقين يشبرقون[١] له مُغْتَسلًا[٢] فى السجن ، وجاء بنو طلحة بن عمر فانسجنوا معه . وبلغ ذلك الحسنَ بن زيد ، فأرسل إليه فأبَى . فقال: إنّك تلاجَجْتَ عَلَيَّ ، وقد حلفتُ أَلَّا أُرْسِلَك حتَّى تعمل لى ، فأَبْرِرْ يَمِينى! ففعل . فأرسل معه جُنْدًا حتى جلس مجلس القضاء والُجند على رأسه . فجاءه داودُ بن سَلْم فوقف على رأسه ثم قال :

طَلَبُوا العِلْمَ والفُتُوَّة والِحلْـ ـمَ وفيك اجتمعن يا إسْحَاقُ

فقال : ادفعوه . فدفعوه ونُحِّى عنه . وجلس ساعة وقام عن مجلسه ، وأعفاه الحسَن ابن زيد من القضاء . فلما صار إلى منزله أرسلَ لداود بن سَلْم بخمسين دينارا ، وقال للرسولِ : قل له ، يقول لك مولاى : ما حملك على ما أكرهه من مَدْحِى ؟ استعن بهذا على أمرك .

كان سَعْدُ[٣] بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فى مسجد النبى صلّى الله عليه وسلم يقضى بين الناس ، إذ دخل زَيْدُ بن إسماعيلَ بن عبد الله بن جعفر ومعه داودُ ابن سَلْم مولى التَّيْمِيِّين ، وعليهما ثيابٌ ملوَّنة يجرَّانها ، فأومأ أن يُؤْتَى بهما . فجاءا إليه ، فأشار إلى زيد وأجلسه بالقرب منه ، وأومأ إلى الآخر أن اجلس فجلس حيث يجلس مثله ، ثم قال لعَوْنٍ من أعوانه : ادْعُ لى نوحَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ابن عُبَيْد الله ، فدُعِىَ به[٤] فجاء أحسن الناس سَمْتًا وتشميراً ونَقاء ثياب . فأشار إليه فجلس . ثم أقبل على زيدٍ فقال : يا ابن أخِى تَشَبَّه بشيخك هذا وسَمْتِهِ

---

(١) يشبرقون :

(٢) فى غ : مغسلا .

(٣) فى ك : سعيد والتصويب من غ .

(٤) فى غ : له .

وتَشْمِيره ونَقاء ثوبه ، ولا تَعُدْ إلى هذا اللّبس . قُم فانصرف . ثم أقبل على ابن سَلْم وكان قبيحا وقال: هذا ابنُ جعفر : أَحْتَمِل هذا منه[1] ، أنت لأىّ شىء احتمالُك[2]؟ أَلِلُؤْم أصلك أم لسماجة وجهك ؟! جرِّده يا غلام . فجُرِّد وأخذته[3] السياط . فقال ابن رُهَيْمة[4] :

جَلَدَ العادِلُ سَعْدٌ إبْنَ سَلْمٍ فى السَّماجَهْ
فقَضَى اللهُ لِسَعْدٍ من أميرٍ كُلَّ حاجَهْ

قالت ظَبْيَةُ مولاة فاطمة بنت عمر بن مُصْعَب : أرسلتنى مولاتى فى حاجة ، فمررت برَحْبَة القضاء فإذا بضُبَيْعَة العَبْسىّ خليفة جَعْفر بن سليمان يقضى بين الناس ، فأرسل إلىّ فدعانى ، وقد كنت رَجَّلْتُ[5] شَعَرِى ورَبَطْتُ فى أطرافه من ألوان العِهْن. فقال : ما هذا ؟ فقلت : شىء أتَمَلَّح به . فقال : ياحَرَسِىّ قَنِّعها[6] بالسوط . قالت : فتناولتُ السوط بيدى وقلتُ : قاتلك الله ما أَبْيَن الفَرْق بينك وبين سَعْد بن إبراهيم، ذلك يجلد فى السماجة وأنتَ تَجْلِد فى المَلاحة . وقد قال [الشاعر][7] :

جَلَدَ العادِلُ سَعْدٌ إبْنَ سَلْمٍ فى السَّماجَة

قالت : فضحك حتى ضَرَب بيديه ورجليه الأرضَ . وقال : خَلِّ عنها .

قالت : وكان [جعفر][8] يَسُوم بى ، وكانت مولاتى تقول : لا أبيعها إلّا أن تهوَى ذلك . وأقول : لا أريدُ بأهلى بدَلًا ، إلى أن مررت يوماً بالرَّحْبَة فإذا جعفر

(١) فى غ : له .
(٢) فى غ : احتمل لك .
(٣) وأخذته السياط : فى غ : فضربه أسواطا .
(٤) هو محمد بن عبد الله مولى عثمان بن عفان . حجازى أدرك الدولة العباسية .
(٥) رجلت : سرحت ومشطت ، وهى فى غ : رطلت : أى لينته بالدهن ومشطته .
(٦) قنعها : اضربها على رأسها حيث القناع .
(٧) زيادة من غ لتوضيح المعنى ، والشاعر هو ابن رهيمة كما سبق .
(٨) زيادة يقتضيها الخبر مع سابقه .

ابن سليمان فى مَنْظَرة دارِ مروان ينظر ، فأرسل إلىّ فدعانى وهو من وراء كِلّةٍ وأنا لا أشعرُ به ، وحازمٌ وجَرِيرٌ جالسان . قال حازم : الأمير يريدُك . فقلت : لا أريد بأهلى بدَلًا . فكُشِفَت الكِلّة عن جعفر بن سليمان فارتعدتُ لذلك ، وقلت : آه آه . فقال : مالَكِ ؟ فقلت :

سمعتُ بذِكرِ النَّاسِ هِنْدًا فلم أَزَلْ أخَا سَقَمٍ حتى نظرتُ إلى هِنْد

قال : فأبصَرْتِ ماذا وَيْحك ! فقلت :

فأَبصَرْتُ هِنْداً حُرَّةً غير أَنَّهَا تَصَدَّى لِقَتْلِ المُسْلِمِين على عَمْدِ

قالت : فضَحِك حتّى استلْقَى . وأرسل إلى مولاتى ليبتاعنى . فقالت : والله لا أبيعها حتى تستبيعنى فقلتُ : والله لا أستَبِيعُك أبدا .

كان داودُ بن سَلْم قد خرج إلى حَرْب بن خالد بن يَزِيد بن معاوية ، فلما نزل به حَطَّ غِلمانه متاعَ داود وحَلُّوا عن راحلته . فلمّا دخل عليه أنشأ يقول[1] :

ولَمّا دفعتُ لأَبْوابِهِمْ ولاقَيْتُ حَرْبا لَقِيتُ النَّجاحَا

رَأَيْناه يَحْمدُه المُجْتَدُو نَ[2] ويأْبَى عن العُسْرِ إلّا سَمَاحَا

ويُغْشَوْن حتّى تَرَى[3] كَلْبَهم يَهابُ الهَرِير ويَنْسَى النُّباحَا

فأجازه بجائزة عظيمة . ثم استأذنه فى الخروج فأذن له وأعطاه ألف دينار ، ولم يُعِنْه أحد من غِلمانه ولم يَقوموا إليه . فظنّ أنّ حَرْبا ساخطٌ عليه . فرجع إليه فأخبره . فقال له : سَلْهُم لِمَ فعلوا هذا[4] . فسألهم فقالوا : إنا نُنْزِل من جاءنا ولا نُرْحِل من خَرَج عنا . قال : فسمع الغاضِرىّ حديثَه فأتاه فحدَّثه فقال : أنا يَهُودِىٌّ إن لم يكن الّذى قال لك الغلمانُ أحسنَ من شِعْرك .

---

(١) معجم الأدباء : ١١/٩٦ .

(٢) المجتدون : جمع مجتد : طالب العطاء .

(٣) فى غ : يرى .

(٤) فى غ : بك هذا .

وكان داودُ بن سَلْمٍ منقطعا إلى قُثَم بن العباس وفيه يقول(١) :

عَتَقْتِ من حَلّي(٢) ومنْ رِحْلَتِي ... يا ناقُ إن أدْنَيْتِنِي(٣) من قُثَمْ
إنّكِ إنْ أَدْنَيْتِ(٤) منه غدًا ... حالَفَني اليُسْرُ وماتَ العَدَمْ
فى وَجْهِهِ بَدْرٌ وفى كَفِّهِ ... بَحْرٌ وفى العِرْنين منه شَمَمْ(٥)
أَصَمّ عن قِيلِ الخَنَا سَمْعُه ... وما عَن الخَيْرِ به من صَمَمْ
لَمْ يَدْرِ ما « لا » و « بَلَى » قَدْ دَرَى ... فعافَها واعتاضَ عنها(٦) نَعَمْ

(١) معجم الأدباء : ١١/٩٧ — والأبيات فى الكامل للمبرد : ٣٦٩ لسليمان بن قتة مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

(٢) حلى : فى الأدباء : نجوت من حل ومن رحلة .

(٣) فى الأدباء . قربتنى .

(٤) فى الأدباء : بلغتنيه .

(٥) شمم : ارتفاع ، والمراد علو النفس .

(٦) فى غ والأدباء : منها .

وقعة دُولاب*

دُولاب من عَمَل الأهْواز بينها وبينها أربعــة فراسخ . كان بها حربٌ بين الأزارقة وبين ابن عُبَيس بن كُرَيز بن خليفة بن الحارث بن نَوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب فى أيام ابن الزُّبَيْر .

كان نافع بن الأزرق لمّا تفرّقت آراء الخوارج ومذاهبُهم فى أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها يحرّض الناس . وقد كان مُتَشكّــكا فى ذلك، فقالت له امرأته: إن كنت قد كفرت بعد إيمان وشكــكت فدع نِحْلَتك ودعوتك، وإن كنت قد خرجت من الكفر إلى الإسلام فاقتلِ الكفّار حيث لقيتَهم وأَثْخِن فى النساء والصبيان كما قال نوح : ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ على الأَرْضِ من الكافِرِين دَيَّاراً ﴾[1] . فقتل الرجال والنساء والوِلدان ، وجعل يقول : إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثلَ آبائهم ، فإذا وَطِئ بلداً فعل هذا بأهله إلّا أن يُجيبَه أهله جميعا ويدخلوا فى[2] مِلَّتِه فيرفع السيفَ ويضع الجباية ، فيَجْبِى الخَرَاج . فعظُم أمره واشتدّت شوكته ، وفشا عُمَّاله فى السواد فارتاع لذلك أهل البصرة ، ومَشَوْا إلى الأحنف بن قيس فشكوا إليه أمرهم، وقالوا : ليس بيننا وبين القوم إلّا ليلتان ، وسيرتُهم ما ترى ! فقال لهم الأحنف : فإن[3] سيرتهم فى مصركم إن ظفروا مثل سيرتهم فى سوادكم ، فخذوا فى جهاد عدوّكم. وحرّضهم الأحنف فاجتمع إليه عشرةُ آلاف رجل بالسلاح . فأتى[4] عبد الله

---

* الأغانى (بولاق) ٦/٣-٥- (دار الكتب) : ٦/١٤٢-١٥١- (بيروت ثقافة) : ٦/

(١) الآية : سورة نوح : ٢٦ .

(٢) فى غ : ويدخلوا ملته .

(٣) فى غ : إن .

(٤) فى غ : فأتاه .

ابن الحارث بن نوفل وسأله أن يؤمّر عليهم أميرا ، فاختار لهم مسلمَ[(١)] بن عُبَيْس ابن كريز بن ربيعة، وكان فارسا شجاعا دَيِّنا، وأمرّه عليهم وشيّعه . فلما تقدّم من جسر البصرة أقبل على الناس وقال : إنى ما خرجت لامتيارِ ذهب ولا فضة ، وإنى لأحارب قوما إنْ ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم ، فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحيـاة فليرجع . فرجع نفر يسير ، ومضى الباقون معه .

فلما صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تـكسّرت الرِّماح وعُقِرت الخيل، وكَثُرت الجِراح فى القتلى ، وقُتِل فى المعركة ابن عُبَيْس وهو على البصرة ، وذلك فى جمادى الأولى سنة خمس وستين . وقُتل نافع بن الأزرق يومئذ أيضا . وعجب الناس من ذلك . وتصابر الفريقان حتى قُتِل منهم خلق كثير . وقتل رؤساء العسكرَيْن ، والشُّراة يومئذ سِتمائة رَجُل .

وأُتِىَ بابن عُبَيْس وهو يجود بنَفْسه فاستخلف على الناس الرَّبيعَ بن عَمْرو الغُدَانى[(٢)] ،وكان يقال له الأجذم ، وكانت إحدى يديه أصيبت بكابُـل، وعبدالرحمن[(٣)] ابن سَمُرَة .

واستخلف نافع بن الأزرق عبد الله بن بَشير [بن][(٤)] الماحُوز أحد بنى سَلِيْط ابن يربوع . واتصلت الحرب بينهم عشرين يوما .

وادّعى قتلَ نافع رجلٌ من باهِـلَةَ يقال له سَلامة . وتحدّث بعد ذلك ، قال : كنت لمّا قتلتهُ على بِرْذون[(٥)] وَرْدٍ، فإذا أنا برجل ينادى وأنا واقف فى خُمْس بنى تميم ، فإذا برجُلٍ يعرض علىّ المبارزة . فلما أكثر خرجت إليه فاختلفنا ضربتين

(١) فى ك : مسلمة بن عنبس والتصويب من غ والطبرى : ٧/٨٥ (حوادث سنة ٦٥) .
(٢) فى ك : العدوانى ، والتصويب من غ والطبرى .
(٣) فى غ : مع عبد الرحمن .
(٤) تـكملة من غ والطبرى .
(٥) البرذون : ما كان من غير نتاج خيل العرب .

فضربته فصرعتُه ونزلت فأخذت برأسه[1] وإذا هو امرأة قد رأتنى حين قتلتُ نافعا فخرجت لتثأر به .

ولم يزل الربيع بن عمرٍو يقاتل الشّراة نيّفا وعشرين يوما . ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه : إنى مقتول لا محالة ! قالوا : وكيف ؟ قال : إنى رأيت البارحة كأن يدى التى أصيبت بكابُل انحطّت من السماء فاستنشَلَتْنِى[2] ، فلما كان الغد قاتلهم إلى الليل ، ثم غَاداهُم[3] للقتال فقُتِل يومئذ .

فلما قُتل الربيع تدافع أهلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العطب ؛ إذْ لم يكن لهم رئيس . ثم اجتمعوا على الحجّاج بن بابٍ الحِمْيَرِىّ ، وقد اقتتل الناس ذلك اليوم وقبله بيومين قتالا لم يقتتلوا مثله قط ، حتى تطاعنوا بالرِّماح حتى تقصّفت ، ثم تضاربوا بالسُّيوف والعَمَد حتى لم يبق لأحد منهم قوة . كان الرجل يضرب الرجلَ فلا يُغْنِى شيئا من الإعياء ، حتى تَرَامَوْا بالحجارة وتكادَموا[4] بالأفواه .

فلما اتفقوا على الحجّاج بن باب امتنع من أخذ الراية ، فقال له كُريبُ بن عبد الرحمن : خذها فإنها مَكْرُمة . قال : إنها مشئومة ما أخذها أحد إلّا قُتل ! فقال له كُرَيب : يا أعور تقارعت العرب عن[5] أمرِها ثم صيّروها إليك فتأباه خوف القتل ! خذ اللواء وَيْحَك ، فإن حضر أجلك قُتِلْتَ كان معك أو لم يكن . فأخذ اللواء ثم ناهضهم فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس[6] ، والخوارج أقوى عُدّة بالدّروع والجواشِن[7] . فجعل الحجّاج يُغْمِض عينيه ويحمل

(١) فى غ : فأخذت رأسه وسلبته .
(٢) استنشله : رفعه ، وأخذه إليه .
(٣) غاداهم : باكرهم .
(٤) تكادموا : تعاضوا .
(٥) فى غ : على .
(٦) كراديس : كتائب .
(٧) الجواشن : جمع جوشن ، وهو زرد يلبس على الصدر .

حتّى يغيب فى الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظَنّ أنّه قد قتل . ثم يرفع الراية تقطر دما ، ويفتح عينيه فيرى الناس كرادِيس يُقاتل كلٌّ قوم فى ناحية .

ثم التقى الحجّاج بن باب وعِمران بن الحارث الراسبي فاختلفا ضربتين ، فقتلَ كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه .

وجال الناس جَوْلة ثم تحاجزوا ، فأصبح أهلُ البصرة قد هرب عامّتهم . وأمّروا حارِثَةَ بن بدر الغُدانى عليهم[١] وسلّموا إليه الراية ، فنادى فيهم أن يَثْبتُوا فإنْ فتح الله عليهم فللعرب زيادةُ فريضتين ، وللموالى زيادةُ فريضة . فندبَ الناسَ والتقوا وقد فشت الجِراحات ، وما تطأ الخيل إلّا على القتلى . فبينا هم كذلك إذ أقبل من اليمامة جمعٌ من الشُّراة ـ يقول المُكْثِرُ إنّهم مائتان والمُقِلّ أربعون رجلا ـ فاجتمعوا وهم مُرِيحون من[٢] أصحابهم، واجتمعوا فى ليلة واحدة فحملوا على المسلمين، فلما رآهم حارثة بن بدر نكص برايته[٣] وانهزم وقال :

كرنبوا ودَوْلِبوا وحيث شئتم فاذهبوا[٤]

وقال :

أير الحمار فريضة لعبيدكم والخصيتان فريضة الأعراب

وتتابع الناس على أثره منهزمين ، وتبعتهم الخوارج فألقوا أنفُسَهم فى دُجَيْل[٥] وغرق منهم خلق كثير . وغرق فى ذلك اليوم دَغْفَل النسّابة أحد بنى عمرو بن شيبان فقال شاعر الأزارقة :

يَرَى مَنْ جاء ينظرُ فى[٦] دُجَيْلٍ شُيوخَ الأَزْد طافيةً لِحاهَا

(١) فى غ : أمرهم .
(٢) فى غ : مع .
(٣) فى ك : رايته والتصويب من غ .
(٤) كرنبوا : انزلوا كرنبى وهى موضع بالأهواز ـ دولبوا : انزلوا دولاب .
(٥) دجيل : نهر بالأهواز .
(٦) فى الكامل وغ : من دجيل .

وكانت الشُّراة والمسلمون يتواقفون ويَتَساءلون بينهم عن أمرِ الدّين وغير ذلك على أمان وسكون ، لا يَهيج بعضُهم بعضا ، فتواقف يوما عُبَيْدة بن هلال اليَشكُرى وأبو حُزابَة[1] التَّميمى وهما فى الحرب ، فقال عُبيدة : يا أبا حُزابة إنى سائلك عن أشياء أفتَصْدُقنى فى الجواب عنها ؟ قال : نعم إن ضمنت[2] لى مثل ذلك . قال : قد فعلت . قال : قل ما بدا لك . قال : ما تقول فى أئمتكم ؟ قال يُبيحون الدَّمَ الحرام والمال الحرام ، والفرجَ الحرام . قال : ويحك ! وكيف فِعْلُهم فى المال ؟ قال يجبُّونه من غير حِلّه وينفقونه فى غير حِلِّه[3] . قال : فكيف فِعْلُهم فى اليتيم ؟ قال : يظلمونَه مالَه ، ويمنعونه حقَّه ، ويَنيكون أمَّه . قال : ويلك يا أبا حُزَابة أفمثلَ هؤلاء تَتَّبِع ؟ قال : أجبتُ فاسمع سؤالى ، ودع عنك عتابى على رأيى . قال : قل : قال : أىّ الخمر أطيب ، أخمر السهل أم خمر الجبل ؟ قال : ويلك أمِثْلى يُسْأل عن هذا ؟ قال : أنت أوجبت على نفسك أن تجيب ! قال أما إذْ أبيت فإن خمر الجَبَل أقوىَ وأسكَر ، وخمر السهل أحسَنُ وأسلس . قال أبو حُزابة : أىّ الزوانى أفْرَه ، أزوانى رَامَ هُرْمز[4] أم زوانى أرَّجان[5]؟ قال : ويلك إن مثلى لا يُسْأل عن هذا ! قال : لابد من الجواب . قال : أما إذْ أبيت فزوانى رَامَ هُرْمز أحسن[6] أبْدانا . قال : فأىّ الرجلين أشْعَر : أجريرٌ أم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله ، أيهما الذى يقـول :

---

(١) أبو حزابة : هو الوليد بن حنيفة أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم شاعر من شعراء الدولة الأموية (تاج حزب) وله ترجمة فى الأغانى .

(٢) فى غ : تضمنت .

(٣) فى غ : حقه .

(٤) رام هرمز : مدينة بنواحى خوزستان والعامة تنطقها اختصارا رامز (ياقوت) .

(٥) أرجان : مدينة كبيرة وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخا (ياقوت) .

(٦) فى غ : فزوانى رامهرمز أرق أبشارا ؛ وزوانى أرجان أحسن أبدانا .

وَطَوى الطِرادُ مع القِيادِ بُطونَها طىَّ التِجارِ بحَضْرَموتَ بُرودَا[1]

قال : جَرير . قال هو أشعرها .

وكان الناس قد تحادثوا فى أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا فصاروا إلى المهلّب محكّمين له فى ذلك ، فقال : أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغانى، ما كنت لأحكم بينهما ، ولكنّى أدلكم على من يحكم بينهما ، ثم يهون عليه سِبابُهما ، عليكم بالشُّراة فاسألوهم إذا توافقتم ، فلما توافقوا سأل أبو حُزَابة عُبيدةَ ابنَ هلال عن ذلك فأجابه هذا الجواب .

وكانت مع الخوارج امرأة مع قَطَرِىّ بن الفجاءة يقال لها أمّ حكيم ، من أشجع الناس وأجملهم وَجْها ، وأحسنهم بدينه تمسّكا . وخطبها جماعة منهم فردّتهم ولم تُجِبْ إلى ذلك ، فكانت تحمل على النّاس وترتجز :

أَحْمِلُ رأساً قد سَئِمْتُ حَمْلَهُ وقد مَلِلْتُ دَهْنَه وغَسْلَهُ

* أَلا فَتًى يَحْمِلُ عَنِّى ثِقْلَهُ *

وهم يُفدُّونها بالآباء والأمهات ، فلم يُرَ قبلها ولا بعدَها مثلُها .

وكان عُبَيْدة بن هلال إذا تكافّ الناس ناداهم : ليَخْرُجْ إلىّ بعضكم . فيخرج إليه فتيان من العسكر فيقول : أيّما أحبّ إليكم ، أن أقرأ عليكم القرآن أو أُنْشِدكم الشعر ، فيقولون : أما القرآن فقد عرَفْناه مثل معرفتك ، فأنشدنا . فيقولُ : يافسَقَه ، قد والله علِمْتُ أنكم تختارون الشِّعْرَ على القرآن . ثم لا يزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يَمَلُّوا ثم يفترقون .

---

(١) ديوان جرير من قصيدة مطلعها :

أهوًى أراكَ برامتين وقودا أم بالجنينة من مدافع أودا

دُرَيْد بن الصِّمَّة*

هو دُرَيْد بن الصِمَّة . واسم الصِمَّة معاوِيةُ الأصغر بن الحارث بن معاوِيَة الأكبر بن بكر بن عَلَقَة وقيل عَلْقَمة بن خزاعة بن غَزِيّة بن جُشَمَ بن بَكْر ابن هَوازن .

ودُريد . شاعرٌ فارس شُجاع فحل ، جعله ابن سَلَّام أول الفُرسان الشُّعراء . قال : كان أعظم[1] الفرسان غَزْواً وأبعدَهم أثراً ، وأكثرَهم ظَفَرا ، وأيْمَنَهم نقيبةً عند العرب . وأشعرهم .

وكان سيد بنى جُشَم وقائدهم . وغزا نحو مائة غَزاة ، ما أخفق فى واحدة منها .

وأدركَ الإسلام فلم يُسلم . وخرج به[2] قومه يوم حنين مُظاهِراً للمشركين ، ولا فضل فيه للحرب ، وإنما أخرجوه تيمُّنا به وليقتبسوا من رأيه فمنعهم مالكُ بن عَوْف من قبول مَشُورته وخالفه لئلا يكون له ذِكْر ، فقُتِل دريد يومئذ على شِرْكه .

وكان لدريد إخوة وهم : عبدُ الله قتلته غَطَفان ، وعبدُ يغوثَ قتله بنو مُرَّة ، وقَيَسٌ قتله بنو أبى بكر بن كلاب ، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب .

وأمُّهم جميعا رَيْحانة بنت مَعْدِى كَرِب الزَّبِيدِى أخت عمرو بن معدى كرب . كان الصِمَّة سباهــا ثم تزوَّجها فأولدها بنيه . وإيّاها عنى[3] أخوهــا عمرو بن معدى كرب بقوله :

---

* الأغانى : (بولاق)٩/٢-٢٠- (دار الكتب) : ١٠/٣-٤٠ (بيروت : الثقافة): ١٠/ تهذيب ابن عساكر : ٥/٢٢٣-٢٢٧ .

(١) فى غ : أطول .

(٢) فى غ : مع .

(٣) فى غ : يعنى .

أَمِنْ رَيْحانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ ... يُؤَرِّقُنِي وأصحابي هُجُوعُ
إذا لم تَسْتَطِع شَيْئاً[1] فدَعْهُ ... وجَاوِزْه إلى ما تَسْتَطِيعُ

وكان لدريد ابنٌ يقال له : سَلَمَة ، وكان شاعرا ، وهو الذى رَمَى أباعامر[2] الأشعرِىّ بسَهْم فأصاب ركبته فقتله وارتجز وقال :

إنْ تسألوا عنّى فإنّى سَلَمهْ ... ابْنُ سمادِيرَ[3] لمَن توَسَّمَهْ

* أضرب بالسيف رءوس المُسْلِمَهْ *

وكانت لدرَيْد ابنة أيضا شاعرة يقال لها عَمْرة .

قال أبو عمرو بن العلاء : أحسنُ شعر قيل فى الصَّبْر على النوائب قولُ دريد ابن الصمة :

تَقُول ألَا تبكِى أخاك وقد أَرَى ... مكان البُكا لكنْ بُنِيتُ على الصَّبْرِ
لِمَقْتَل عبدِ الله والهالكِ الّذى ... على الشَّرَف الأعلَى قتيلُ أبى بَكْرِ
وعَبْدِ يَغُوث أو خَلِيلِى خَالدٍ ... وعزَّ مُصاباً حَثْوُ قبرٍ على قَبْرِ
أبَى القتلُ إلّا آلَ صِمَّة إنّهم ... أبَوْا غَيْرَه والقَدْرُ يَجْرِى إلى القَدْرِ
فإمّا تَرَيْنا لا تزال[4] دِماؤُنا ... لَدَى معشرٍ يسعَى بها آخرَ الدَّهْرِ
فإنّا لِلَحْمِ السيفِ غيرَ نكِيرَةٍ ... ونَلْحَمُه[5] طَوْرًا وليس بذِى نُكْرِ
يُغارُ علينا واتِرين فيُشْتفَى ... بِنا إن أُصِبْنَا أو نُغيرُ على وِتْرِ
بذاك قَسَمْنا الدَّهرَ شَطْرَين بيننا[6] ... فما يَنْقَضِى إلّا ونحن على شَطْرِ

(١) فى عدة مخطوطات (غ) : أمرا .
(٢) فى ه ك : عمرو تصويبا لأبى عامر ؛ وأبوعامر الأشعرى هو ابن عم أبى موسى الأشعرى.
(٣) سمادير : اسم أم سلمة وهى امرأة دريد بن الصمة .
(٤) فى غ : ما تزال .
(٥) نلحمه : نطعمه اللحم .
(٦) فى غ : قسمة .

فأمّا عبــدُ الله بن الصِمَّة فـكان سبب مقتله أنه غزا غَطَفان ومعه بنو جُشَم وبنو نَصْر ابنى معاوية فظفر بهم وساق أموالهم فى يوم يقـال له يومُ اللِّوَى[(١)] ومضى بِها . فلما كان غيرَ بعيد قال : انزلوا بنا . فقال أخوه دُرَيْد : يا أبا فُرعان — وكان لعبد الله ثلاثُ كُنَى : أبو فُرْعان ، وأبو دُفافة[(٢)] ، وأبو أَوْفَى[(٣)] وثلاثة أسماء: عبدالله، ومعبد، وخالد[(٤)] . فقال له أخوه دُرَيْد : نَشَدْتك بالله لا تنزل . فإن غطفان ليست بغافلة عن أموالها ، فأقسم لا يَرِيم حتى يأخذ مِرْبَاعَه[(٥)] وينتقع نقيعته[(٦)] ويأ كل ويطعم ، ويقسم البقيّة بين أصحابه .

فبينا هم فى ذلك وقد سطعت الدواخن إذا بغُبار قد ارتفع أ كثر من دخانهم ، وإذا عَبْسٌ وفَزَارة وأَشْجَع قد أقبلوا ، فقالوا لربيئتهم[(٧)] : انظر ما تَرَى قال : أرى قوماً جِعادا كأنّ سرابيلهم غُمِسَت فى الجادِى[(٨)] . قال: تلك أشجع ليست بشىء، ثم نظر فقال: أرى قوماً كأنهم الصبيان ، أسنّتهم عند آذان خَيْلِهم ، قال: تلك فزارة. ثم نظر فقال : أرى قوماً أُدْماً[(٩)] كأنما يحملون الجبل بسوادهم ، يخُدُّون[(١٠)] الأرض بأقدامِهم خَدًّا ويَجُرُّون رماحهم جَرًّا . قال : تلك عبس والموت معهم . فتلاحقوا بالمُنْعَرَج من رُمَيْلَة اللِّوى .

(١) اللوى : واد من أودية بنى سليم ، ويوم اللوى : وقعة كانت فيه لبنى ثعلبة على بنى يربوع
(٢) فى غ : ذفافة (بالمعجمة) .
(٣) فى نهاية الأرب : أبو وفاء — وعبارة ثلاثة أسماء : لم ترد فى غ وذكرت فى نهاية الأرب ١٥/٣٦٩ .
(٤) فى ك : خلاد ، وفى هامش ك : خالد. والتصويب منه ومن نهاية الأرب .
(٥) المرباع : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس فى الجاهلية .
(٦) النقيعة : ناقة ينحرها من وسط الإبل فيصنع منها طعاما لأصحابه ويقسم ما أصاب عليهم.
(٧) الربيئة : الطليعة .
(٨) الجادى : الزعفران .
(٩) فى غ : أدمانا . وأدما : جمع آدم وهو من الناس : الأسمر .
(١٠) يخدون : يشقون .

فَقَتَلَ رجلٌ من بنى قارب ــ وهم من بنى عبس ــ عبدَ الله بن الصِّمَّة ، فتنادَوْا : قُتِل أبو دُفافة[1] . فعطف دُريد عليهم فذبَّ عنه فلم يُغْنِ شيئا ، وجُرح دُريد وسقط فكَفُّوا عنه وهم يرَوْن أنّه قد قُتِل. واستنقذوا المالَ ونجا من هرَب . فمر الزَّهْدَمانِ وهُمَا من بنى عَبْس ، وهما : زَهْدَم وقيس ابنا حَرْب بن وهب بن رَواحة ، وإنما قيل لهما الزَّهدمانِ تغليبا لأشهر الاسمين ، كما قيل : العُمَران لأبى بكر وعُمر رضى الله عنهما ، والقمران للشَّمْس والقمر. قال دريد : فسمعت زَهْدَماً العَبْسِىّ يقول لـكَرْدَم الفَزارىّ : إنى لأحسبُ دُرَيْدًا حَيًّا فانزل فأجْهِز عليه . قال : قد ماتَ ، قال : فانزل فانظر سَبَّتَه[2] هل ترَمَّز[3] . قال دريد : فشددت من حِتارِها[4] أى من شَرَجها. قال : فنظر فقال : هيهات ، قد مات . فولّى عنى. ومال بالزُجِّ فى شَرَجِ دريد فطعنه فسال دم كان قد احتبس[5] فى جوفه . قال دريد : فعرفت الخِفَّةَ حينئذ ، فأمهلتُ حتى إذا كان اللَّيل مشيت وأنا ضعيف قد نزَفنى[6] الدم ما أكاد أبصر . فمرت بى جماعة تسير فدخلت فيهم ، فوقعت بين عرقوبى بعير ظعينة من فزارة[7] فنفر البعير فقالت : أعوذبالله منك ! فانتَسَبْتُ لها فأعلمت الحىّ مكانى ، فغُسِل عنّى الدم وزُوِّدت زادا وسقاء ، فنجوت .

ثم حجَّ كَرْدم بعد ذلك فى نَفَر من بنى عبس ، فلمّا قاربوا دِيار دُريد تنكَّروا خوفا . ومرَّ بهم دُريد فأنكرهم فجعل يَمْشِى فيهم ويسألُ من هم ، فقال له كَرْدم :

---

(١) فى غ : ذفافه .

(٢) السبة (بالفتح) : الاست .

(٣) ترمز : تضطرب وتتحرك .

(٤) الحتار : ما أحاط بها .

(٥) فى غ : أحتقن .

(٦) نزفه الدم : سال منه بكثرة حتى أضعفه .

(٧) من فزارة : ليست فى غ . وفى نهـاية الأرب : ١٥/٣٦٩ : من هوازن .

(الأغانى ٣/٣١)

عمّن تسأل ؟ فعرفه[1] دريد ، فقال : أما عنك وعمّن معك فلا أسأل أبدا . وعانقه وأهدَى له فرسا وسلاحا ، وقال : هذا بما فعلت معى يوم اللِّوَى . وقال يرثى أخاه :

أَرَثَّ جَديدُ الحَبْلِ من أمِّ مَعْبَدِ ... بعاقبة[2] وأخلفت كُلَّ مَوْعِدِ
وبانَتْ ولم أَحْمَد إليك جِوارَها ... ولم ترجُ منّا رِدَّةَ اليومِ أو غَدِ
أعاذلتى كلّ امرئٍ وابن أُمّه ... متاعٌ كزاد الرَّاكِب المُزَوِّدِ
أعاذِلَ إنّ الرُّزْءَ أَمْثالُ خالِدٍ ... ولا رُزْءَ مِمَّا أهلَكَ المَرْءُ عن يَدِ
أَمَرْتُهم أَمْرِى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... فلم يستَبينوا النُّصْحَ إلَّا ضُحَى الغَدِ
فلمَّا عَصَوْنى كنتُ منهم وقد أَرَى ... غوايتَهم أو أننى[3] غير مُهْتَدِى
وهَلْ أنَا إلَّا من غَزِيَّة[4] إنْ غَوَتْ ... غَوَيْتُ وإنْ تَرْشُد غَزِيَّةُ أَرْشُدِ
دَعانِى أخى والخَيْلُ بَيْنِى وبينَه ... ولمَّا دَعانِى لم يَجِدْنى بِقُعْدُدِ[5]
تنادَوْا فقالوا أَرْدَتِ الخَيْلُ فارساً ... فقلْتُ : أعبدُ اللهِ ذَلِكُم الرَّدِى ؟
فإنْ يَكُ عبدُ اللهِ خَلَّى مكانَه ... فما كان وَقَّافاً ولا طائِشَ اليَدِ[6]
نظرت إليهِ والرِّماحُ تَنُوشُه ... كوَقْعِ الصَّياصِى فى النَّسِيجِ المُمَدَّدِ[7]
وطاعَنْت عنه الخَيْلَ حتَّى تبدَّدَتْ ... وحتَّى علانِى كل أَشْقَر مُزْبِد[8]
فما رِمْتُ حتَّى خرَّقَتْنى رماحُهم ... وغُودِرْتُ أَكْبُو فى القَنا المُتَقَصِّدِ[9]

---

(١) فى غ : فدفعه .
(٢) بعاقبة : بأخرة .
(٣) فى ك وغ : وأنى .
(٤) غزية : قبيلة من هوازن وهى رهط الشاعر .
(٥) القعدد : الجبان القاعد عن المكارم .
(٦) بعد هذا البيت فى غ بيت آخر .
(٧) تنوشه : تتناوله ـ الصياصى : جمع صيصية : شوكة الحائك يسوى بها السداة واللحمة .
(٨) فى غ : أشقر اللون مزبد .
(٩) المتقصد : المتكسر .

قِتالَ امْرِئٍ آسَى أخاهُ بنفْسِهِ　　ويعلم[1] أنّ المرءَ غَـيْرُ مُخلَّدِ

صَبورٌ على وقع المَصائِب حافِظٌ　　من اليوم أعقابَ الأحادِيثِ فى غَدِ

تمثّل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام عند منصرفه من صِفّين بهذا الشعر لمّا اختلفت كلمة أصحابِه فى أمر الحَكَمين وتفرّقت الخوارج ، وقالوا له : ارجع عن أمر الحَكَمين وتُبْ واعترف أنَّك كفرت إذ حَكَّمت ، فلم يقبل ذلك منهم وفارقوه ، فتمثَّل :

أمرتُهم أمرِى بمُنْعَرَج اللِّوَى　　فلم يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إلّا ضُحَى الغَدِ

الأبيات .

وكان يُقال: أفضل بيتٍ قالته العرب فى الصبر على النوائب قول دُرَيْد بن الصمَّة:

قليـلُ التَّشَكِّى للمُصيبات حافِظٌ　　من اليوم أعقابَ الأحاديث فى غَدِ[2]

وأمّ مَعْبَدٍ التى ذكرها فى قصيدته هى زوجته ، وكانت قد عاتبته لمّا رأت جزعه وشِدَّة حزنه على أخيه، وصغّرت شأنَ أخيه وسبَّته ، فطلقّها وقال الأبيات . فلما قال:

وبانَتْ ولم أَحْمَد إليك جِوارَها　　ولم تَرْجُ مِنّا رِدَّةَ اليوم أو غَدِ

قالت أم معبد : بئس والله ما أَثنيْتَ علىّ ، لقــد أطعَمْتُك مأْدُومى ، وأَبْثثتُك[3] مكْتُومِى، وأَتيتُك باهلا[4] غيرَ ذاتِ صرارٍ ، وما استفرمت[5] قبلك إلّا من حيض .

وقال فى ذلك أيضا :

أَعَبْدَ اللهِ إنْ سَبَّتْك عِرْسِى　　تقدَّم بعضُ لَحْمِى قبل بَعْضِ

---

(١) فى غ : وأيقن .

(٢) سبق رواية البيت بغير هذا .

(٣) فى غ : بثثتك .

(٤) فى ك: ياهذا والتصويب من غ ، والباهل : الناقة لاصرار عليها، وهى تريد أنها أباحته نفسها .

(٥) وما استفرمت إلخ : تريد أنها لم تتضيق لغير حيض، فلم يسبق دريدا غيره فى الاستمتاع بها، فهى نقية العرض.

إذا عِرْسُ امرئٍ شَتَمَتْ أخاهُ ... فليس فُؤادُ شانِيه بحَمْضِ [(١)]
مَعاذ الله أن يَشْتُمْنَ رَهْطِي ... وأنْ يَمْلِكْن إمراري [(٢)] ونَقْضِي

ثم أغار دُرَيْد بعد مقتل أخيه عبد الله على غَطفان يطلبهم بدمه ، فاستقراهم [(٣)] حَيًّا حَيًّا. وقتل من بنى عَبْس ساعدةَ بن مرّة ، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب، أسره مُرّةُ بن عوف الُجشمى، فقالت بنوجشم: لو فاديناه [(٤)] ! فأَبَى ذلك دُريد عليهم، وقتله بأخيه . وقتل من بنى فزارة رجلا يقال له حِزَام [(٥)] وإخوةً له ، وأصاب جماعة من بنى مرّة ومن بنى ثعلبة بن سعد ، ومن أحياء غطفان ، وذلك فى اليوم الذى يقال له: يوم الغدير.

وقال دُريد فى ذلك قصائد منها :

جَزَيْنـــا بنى عَبْس جزاءً مُوَفَّرا ... بمَقْتَلِ عبد الله يومَ الذَّنائبِ
ولولاَ سَوادُ اللَّيْل أدركَ رَكْضُنا ... بذى الرِّمْثِ [(٦)] والأَرْطَى عِياضَ بنَ ناشِبِ
قَتَلْنا بعبد الله خَـيْر لِداتِه ... ذُؤابَ بن أسماء بن زَيْدِ بن قَارِب

قالت ريحانة أختُ عمرِو بن معدى كرب لابنها دريد بن الصِّمَّة ، بعد حَوْل من مَقْتل أخيه : يا بنىّ إن كنت عَجَزْت عن طلب ثأر أخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زُبَيْد . فأنِف من ذلك وحلف ألا يكتحل ولا يَدّهن ولا يمس طيبا ، ولا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتىّ يدرك ثأرَه . فغزا هذه الغزوة [(٧)] وجاءها بذؤاب بن أسماء وقتله بفِنائها وقال : هل بلغتِ ما فى نفسك! فقالت له : نعم مُتّعت بك.

---

(١) بحمض: بفاسد متغير .
(٢) إمرارى : فى غ : إبرامى .
(٣) فاستقراهم : تتبعهم .
(٤) فى ك: فديناه والتصويب من غ وفاداه : أطلقه وأخذ فديته
(٥) فى ك : حذام والتصويب من غ .
(٦) ذو الرمث : موضع ــ والرمث والأرطى : نبتان .
(٧) فى غ : الغزاة .

وأما قتيل أبي بكر الذى ذكره فى قصيدته الرائية أوّلا فهو أخوه قَيْس بن الصِّمَّة ، قتله بنو أبى بكر بن كلاب لأنه غزا فى قومه بنى خُزاعة من جُشَم فأغاروا على إبلٍ لبنى كعب بن أبى بكر وانطلقوا بها ، وخرج بنو أبى بكر فى طلبها حتى إذا دَنَوا منها قال عمرو بن سُفْيان الكلابى ، وكان حازما عاقلا : امكثوا ، ومضى متنكّرا حتى أتى[١] رجلا من بنى خُزاعة فسلَّم عليه واستسقاه وانتسب له هلاليًّا[٢] ، وسأله عن قومه وأين مَراعى إبلهم ، وأعلمه أنه جاء رائداً لقومه يريد مجاورَتَهم ، فخبّره الرجل بكل ما أراد فرجع إلى قومه وقد عرف بُغْيته . فصبَح القومَ فظفرت بهم بنو كلاب وقتلوا قيس ابن الصّمة ، وذهبوا بإبل بنى خزاعة وارتجعوا أموالهم[٣] .

وكان يقال لعمرو بن سُفْيان : ذوالسيفين ، لأنه كان يلقى الحربَ ومعه سيفان خوفا من أن يخونه أحدهما ، وإيّاه عَنَى دريد بن الصّمة بقوله من أبيات :

إنَّ امرأً بات عَمْرو بين صِرْمَته[٤] عَمْرُو بن سفيان ذو السَّيْفَيْنِ مَغْرُورُ

وأما عبد يَغُوث بن الصِّمّة فكان ينزل بين أَظْهُرِ بنى الصارد[٥] فقتلوه ، قتله مُجَمِّع بن مُزَاحِم .

وأما قوله : أو خليلى[٦] خالد فى الأبيات الرائية المتقدمة فإنه يعنى أخاه خالد بن الصّمة ، فإن بنى الحارث بن كعب قتلوه فى غارة أغاروها على بنى جُشَم .

وقيل : إن الذى عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث أخو الصِّمة قتلته أَحْمَسُ بطن من أَزدشنوءة[٧] وكان دريد بن الصمة أغار عليهم فى قومه وظفر بهم واستاق أموالهم ،

---

(١) فى غ : لقى .

(٢) فى ك : خزاعيا والتصويب من غ وهامش ك .

(٣) فى غ : إبلهم وما هنا موافق لنسخة فى هامش غ .

(٤) الصرمة (بكسر الصاد) : القطيع من الإبل والغنم (مختلف فى عدده) .

(٥) فى غ : بنى الصادر وهو تحريف (انظر الاشتقاق : ٢٨٩ تحقيق هارون) .

(٦) فى غ : أو نديمى .

(٧) فى غ : بطن من شنوءة .

وسَبَى نساءهم وملأَ يده وأيدىَ أصحابه . ولم يُصَبْ أحد ممن كان معه إلا عمّه خالد بن الحارث، رماه رجل منهم بسهم فقتله ورماه دريد .

وقيل: إن خالدبن الصِّمَّة قُتِل فى غارة أغارتها بنو الحارث بن كعب على بنى نصر ابن معاوية فى يوم يقال له: يوم ثيل(١) فأصابوا أناسا من بنى نَصْرٍ وبلغ الخبر بنى جُشَم فلحقوهم، ورئيس بنى جُشَم يومئذ مالك بن حَزْن، فاستنقَذُوا ما كان فى أيديهم من غنائم بنى نصر، وأصابوا ذا القَرْن الحارثى أسيراً، وفَقَأُوا عينَ شهاب بن أبَانِ الحارثى بسهم . وقتِل يومئذ خالد بن الصّمة ، وكان مع مالك بن حزن .

فلمّا رجعوا قتلوا ذا القَرْن الحارثى بخالد بن الصِّمَّة .

ولما قُدِّم لتُضْرَب عنُقه صاح بأوْس بن الصمّة ، وكان له صديقا ، ولم يكن أَوْسٌ حاضرا فلم ينفعه . ولمّا قَدِم أوسٌ غضب وقال: قتلتم رجلا استجار باسمى!

فقال عَوْفُ بن معاوية :

نُبِّئتُ أَوْساً بكَى ذا القَرْن إذْ شربا   على عُكاَظ بكاءَ غَال مَجْهُودى(٢)

إنِّ حلفتُ بما جمَّعت من نَشَبٍ   وما ذبَحتُ على أنصابك السُّودِ

لتبكيَنّ قتيلاً منك مُقْتَرناً   إنِّى رأيتك تبكى للأباعِيدِ

تزوّج دريد بن الصمة امرأة قيل له إنها بكر فوجدها ثَيِّباً، فقام عنها قبل أَنْ يصل إليها ، وأخذ السيف ليضربها فتلقّته أمها لتدفعه ، فوقَفَ يدَيْها أى حَزَّهما ولم يقطعهما . فنظر إليها بعد مدة وهى مَعْصُوبة فقال :

أَقرَّ العينَ أنْ عَصَبَتَ يدَيْها   وما إنْ تُعصَبان على خِضَاب

فأبقاهُنَّ أنَّ لهنَّ جَدًّا   وواقِية كواقية الكِلابِ

يريد أن الكلب يُصيبه الجرح فيلحس نفسه فيبرأ .

---

(١) يوم ثيل : هكذا أيضا فى غ. والذى فى ياقوت ثيتل بفتح ثم سكون وهو ماء قرب النباج كانت به وقعة مشهورة . وانظر نهاية الأرب : ١٥/ ٣٨١ .

(٢) غال مجهودى : فى ك : حال تجسيد . والتصويب من غ .

وكان دريد قد أسرَ عياضاً الثَّعْلَبي أحدَ بنى ثَعْلَبة بن سعد بن ذُبيان فأنْعَمَ(١) عليه . ثم إنْ دريدا أتاه يستثيبه ، فقال : إيتِ رَحْلَك حتى أبعثَ إليك بثوابك . فانصرف دريد فبعث إليه بوَطْبٍ(٢) نصفُه لبن ونصفه بول ، فغضب ولم يلبث حتّى أغار على بنى ثعلبة ، واستاق إبلَ عِياض، وأفلَتَ عياضٌ ، منه جريحا.

فقال دريد من أبيات :

فإنْ تَنْجُ يدْمَى عارِضاكَ فإنَّنا ... تَرَكْنا بَنِيكَ للضِّباعِ وللرَّخْمِ (٣)

كان دريد بن الصِّمَّة قد هجَا عبدَ الله بن جُدْعان التَّيْمىّ ، فلقيه عبدُ الله بن جُدْعان بعُكاظ فحَيَّاه وقال : هل تعرفني يادريد ؟ قال : لا . قال : فِلمَ هجوتنى ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : عبد الله بن جُدْعان . قال : هجوتك لأنك كنتَ امرأً كريما ، فأحببت أن أَضَع شِعْرى فى موضع(٤) . فقال عبد الله : لئن كنت هَجَوْت لقد مدحت ! وكساه وحمله على ناقة برَحْلها .

فقال دريد من أبيات :

إليكَ ابنَ جُدْعانَ أَعْمَلْتُها ... مُخَفَّفةً للسُّرَى والنَّصَبْ
فلا خَفْضَ حتَّى تُلاقِى امْرَأً ... جوادَ الرِّضا وحَليمَ الغَضَبْ
وجُلْتُ(٥) البلادَ فماَ إنْ أَرَى ... شَبِيهَ ابنَ جُدْعانَ وَسْطَ العَرَبْ
سِوَى مَلِكٍ شامخٍ مُلْكُه ... لَهُ البَحْرُ يَجْرِى وعينُ الذَّهَبْ

ولما أسنَّ دريدٌ جعل له قومه بيتا منفردا عن البيوت ووكلوا به أمة تخدُمه .

(١) أنعم عليه : أطلقه .

(٢) الوطب : سقاء اللبن يتخذ من جلد .

(٣) يدمى : يسيل دما — الرخم : جمع رخمة وهى طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق .

(٤) فى غ : موضعه .

(٥) فى غ : رحلت .

فكانت إذا أرادت أن تبعد فى حاجته قيَّدته بقيد الفرس . فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت يا دُرَيْد ؟ فأنشأ يقول:

أصبحت أقذف أَهْدَافَ المِئِين[1] كما ... يَرْمِى الدَّرِيئَةَ أَدْنَى فُوقَةِ الوَتَرِ

فى مَنْصَفٍ[2] من مَدَى تسعين من مائة ... كَرَمْيَة الكاعِب العَذْراء بالحَجَر

فى مَنْزِلٍ نازحٍ م الحىّ مُنْتَبِذٍ ... كَمَرْبَط العَيْرِ لا أدعَى إلى خبر

كأنَّنى خَرَب[3] حُصَّتْ[4] قَوادِمُه ... أوجُثَّةٌ من بُغاثٍ فى يَدَىْ خَصِر

يُمْضُون أمرَهم دونى وما فقَدوا ... مِنّى عَزِيمةَ أمرٍ ما خلا كِبَرِى

ونَوْمَة لست أقضيها وإن مَتَعتْ[5]

وما مَضَى قَبْلُ من شَأْنِى[6] ومنْ عُمُرِى

وإنّنى رابَنِى قَيْدٌ حُبِسْتُ به ... وقد يكون[7] وما يُمْشَى على أثَرِى

إنّ السنين إذا قَرَّبْنَ من مائةٍ ... لَوَيْنَ مِرَّةً[8] أحوالٍ على مِرَرِ

قالت امرأة دريد له: قد كَبِرْتَ[9] وضَعُفَ جسدك ، وقُتِل أهلُك وفَنِىَ شبابك، ولا مال لك ولا عدّة، فعلى أى شىء تعوّل إن طال بك العمر ؟ أو على أى شىء تُخَلِّف أهلَكَ إن قتلت ؟ فقال دريد :

---

(١) فى غ : السنين. وما هنا يوافق قراءة مخطوطة من مخطوطات الأغانى .

(٢) منصف : وسط ،

(٣) الخرب : ذكر الحبارى .

(٤) حصت : فى غ: قصت.

(٥) فى ك : منعت (بالنون) ومتعت بالتاء المفتوحة : طالت ، وبالتاء المضمومة : طابت.

(٦) فى غ وهك: شأوى.

(٧) فى غ : أكون .

(٨) المرة : طاقة الحبل .

(٩) فى غ: أسننت .

أعاذِلَ إنما أفنَى شَبابى ... رُكوبى فى الصَّريخ إلى المنادِى
مع الفِتيانِ حَتَّى كَلَّ جِسْمِى ... وأقرَح عاتِقى حَمْلُ النِّجادِ
أعاذلَ إنّه مال طَرِيفٌ ... أحبّ إلىّ من مالٍ تِلادِ
أعاذلَ عُدَّتِى بَدَنى ورُمْحِى ... وكُلُّ مُقلِّص سلس القِيادِ(١)
ويبقَى بعد حِلْم القَوْم حِلْمِى ... وينفَد قبل زادِ القومِ زادِى
أريدُ حياتَه ويُريد قتْلِى ... عَذيرَك منْ خَلِيلك مِنْ مُرادِ(٢)
ولَوْ لاقيتنى ومَعِى سِلاحِى ... تَكَشَّف شَحْم قلبك عن سَوادِ

قال أبو عبيدة: قَتَلتْ بنو يَرْبوع الصِّمَّة أبا دُريد غَدْراً وأسروا ابنَ عمّه فغزاهم دريد ببنى نصر، فأوقع ببنى يَرْبوع وبنى سعد جميعا، فقتلَ منهم. وكان ممّن قتل عَمَّار بن كَعْب. وقال فى ذلك:

دعوتُ الحَىَّ نصراً فاستهَلُّوا ... بشُبَّانٍ ذَوِى كَرَم وشِيبِ
عَلَى جُرْدٍ كأمثال السَّعالِى ... ورَجْلٍ مثل أَهْيلة(٣) الكَثِيبِ
فما جَبُنوا ولكنّا نَصَبْنا ... صدُورَ الشَّرْعَبِيَّة(٤) للقُلُوبِ
فكَمْ غادرن من كابٍ(٥) صريعٍ ... يُمُجُّ نَجِيعَ جائفةٍ(٦) ذنُوبِ
وتِلْكم عادةٌ لبنى رِبابٍ ... إذا ما كان مَوْتٌ من قَرِيبِ
فأَجْلَوْا والسَّوام لنا مُباحٌ ... وكُلَّ كريمةٍ خَوْدٍ عَرُوبِ

(١) بدنى: المراد هنا درعى ـ مقلص: يريد فرسا طويل القوائم منضم البطن ـ سلس: فى غ: شكس.

(٢) البيت والذى بعده لعمرو بن معد يكرب. وفى غ: وخلط المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معد يكرب وأورد البيتين.

(٣) فى غ: أهمية. وأهيلة: جمع هيال وهو ما انهال من الرمال.

(٤) الشرعبية: الطويلة، يريد الرماح.

(٥) كاب: متغير اللون.

(٦) الجائفة: الطعنة تنفذ إلى الجوف.

وقد تُرِكَ ابنُ كَعْبٍ فى مَكَرٍّ خَلِيساً[١] بين ضِبْعان وذِيبِ

وكان الصِمّة أبو دريد شاعرا، وهو القائل فى حرب الفجار[٢] التى كانت بينهم وبين قريش[٣] :

لاقَتْ قريشٌ غَداة العَقِيـ ـقِ أمرا لها وَجدَتْه وَبِيلَا

وجئنا إليهم كموج الأتـيِّ[٤] يملو النجاد[٥] ويَمْلَا المَسِيلَا[٦]

وأعـددت للحَرْب خَيْفانَةً[٧] ورُمحا طويـلا وسَيْفاً صَقِيلَا

ومُحْكَمَة[٨] من دُروع القيُو نِ تَسْمَع للسيفِ فيها صَلِيلَا

وكان دريد قد تحالف هو ومعاوية بن عَمْرو بن الشريد وتوافقا[٩] على أنَّ من هلك منهما رثاه الباقى، وإنْ قُتِل طلب بدَمِه.

فلما قتل معاوية بن عمرو، قتله هاشم بن حرملة بن الأشعر المرّى، رثاه دريد بقصيدته التى أولها :

أَلَا هَبت تلوم بغير قَدْرِ فقد أحفظتِنى وهتكتِ سِتْرِى

فإنَّ الرُّزْءَ يوم وقفتُ أدْعُو فلم أَسْمَع معاوِيَةَ بنَ عَمْرِو

ولو أَسْمَعْتَهُ لأتاكَ يَسْعَى حثيثَ السَّعْى أوْلاقاكَ[١٠] يَجْرِى

---

(١) فى غ : حبيسا : والخليس : المنتزعة روحه ، يريد صريعا هالكا .

(٢) سميت الفجار لأنها كانت فى الأشهر الحرم، وهى فجاران: الفجار الأول ثلاثة أيام، والفجار الثانى خمسة أيام فى أربع سنين وانتهت سنة ٥٨٩ م .

(٣) فى المؤتلف والمختلف للآمدى : ٢١٣ بيتان .

(٤) الأتى : السيل لا يدرى من أين أتى .

(٥) فى ك : النجا .

(٦) المسيلا : فى هـ ك: السيولا .

(٧) الخيفانة : الفرس الخفيفة الضامرة ، وهى تكون سريعة .

(٨) فى المؤتلف : مترصة، وهى بمعناها .

(٩) فى غ : توافقا .

(١٠) فى غ : لأتاك .

ولما افتتح(١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكّة فى عشر ليال بَقِين من شهر رمضان ، أقام بها خمس عشرة ليلة يُقْصِر(٢) الصلاة . وكانت هوازن لما سمعت به دعاها مالك بن عمرو بن عوف النَّصْرى(٣) فاجتمعت إليه ثقيف مع هوازن ، ولم يجتمع إليه من قيس إلّا هوازن وناس قليل من بنى هلال ، وغاب(٤) عنها كَعْبٌ وكلاب ، فجمعت نصر وجُشَم وسعد بنو بكر ، وثقيف واحتشدت ، وفى بنى جُشَم دريد ابن الصمَّة شيخ فانٍ ليس فيه شيء إلّا التيمّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مجرّبا. وفى ثقيف فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معروف ، وفى بنى مالك ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف . فلما أجمع مالك على المسير حط مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم . فلما نزلوا بأوطاس اجتمعت إليه الناس وفيهم دُريد بن الصمة يقاد به(٥) فقال لهم دريد : بأى واد أنتم فقالوا : بأَوْطاس(٦) . قال نِعْمَ مجال الخَيْل ليس بالحَزْن الضَّرِس(٧)، ولا السَّهْل الدَّهِس(٨) مالىَ أسمع رُغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاء ؟! قالوا : ساق مالك ابن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم . فقال : أين مالك ؟ فدُعِى له فقال : يا مالك إنّك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، مالى

---

(١) فى غ : فتح .

(٢) يقصر الصلاة: يترك من ذوات الأربع ركعتين ويصلى ركعتين تخفيفا عن الناس فى ظروف خاصة تذكر فى كتب الفقه .

(٣) فى ك : النضرى، والتصويب من سياق الخبر و غ.

(٤) فى غ : غابت .

(٥) فى غ : فى شجار له يقاد به . والشجار : مركب أصغر من الهودج .

(٦) أوطاس : واد بديار هوازن .

(٧) الضرس : الصعب .

(٨) الدهس : اللين السهل .

أسمع رُغاء البَعير[١] ونَهيق الحمير وبكاء الصغير وثُغاء الشاء ؟ قال سقت مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم . قال : ولم ؟ قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنه . قال فانقضّ به ووبخه ولامه ثم قال : رَاعِي ضأْنٍ والله ! أى أحمق . وهل يردّ المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت نفسك فى أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها أحد منهم ، قال : غاب الجد والحد ، لو كان يوم علاء ورفعة لم يغب عنه كعب وكلاب ولوددت أنكم فعلتم مثل ما فعلوا ! فمن شهدها منهم؟ قالوا : بنو عمرو بن عامر ، وبنو عوف بن عامر . قال: ذاك الجَذَعان[٢] من عامر لا يضران ولا ينفعان! ثم قال لمالك : إنك لم تصنع بتقديم البيضة[٣] بيضة هَوازن إلى نُحور الخيل شيئا . ارفعهم إلى علياء[٤] بلادهم وعلياء قومهم ، ثم الْقَ القوم بالرجال على متون الخَيْل ، فإن كانت لك لحق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك ، ولم تُفْضَح فى حُرَمك[٥] . فقال : لا والله لا أفعل ذلك أبدا . وقد خَرِفت وخَرِف رأيُك وعلمك ! والله لَتطِيعُنَّنِي يا معشر هوازن أو لأَتَّكِئَنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى . ونَفِس على دريد أن يكون له فى ذلك اليوم ذكر، فقالوا له : أطعناك وخالفنا دريدا . فقال دريد : هذا يوم لم أَشْهَدْه ولم أغب عنه :

يا لَيْتَنِي فيها جَذَعْ أَخُبُّ فيها وأَضَعْ
أَقودُ وَطْفاء الزَّمَعْ كأنَّها شاةٌ صَدَعْ

فلما لَقِيَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انهزم المشركون ، فأتوا الطائف ومعهم مالك

---

(١) فى غ : الإبل .

(٢) الجذع : الشاب الحدث .

(٣) بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم .

(٤) فى غ : أعلى بلادهم . وفى السيرة : متمنع بلادهم .

(٥) فى غ : حريمك .

ابن عوف وعسكر بعضهم بأوْطاس ، وتوجه بعضهم نحو نَخْلة[1] . وتبعت خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من سلك نخلة فأدرك ربيعةُ بن رفيع السُّلَمى أحدُ بنى يربوع بن سَمّال بن عوف دريدَ بن الصِّمّة فأخذ بخطام جَمَله وهو يظنُّ أنه امرأة لأنه كان فى شِجار[2] له ، فأناخ به فإذا رجل شيخ كبير ولم يعرفه الغلام. فقال له دريد : ما ذا تريد ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رُفَيْع السلمىّ. فأنشأ دريد يقول:

وَيْحَ ابن ثكمة[3] ماذا يُرِيـد ... مِن الْمُرْعِش الذَّاهِبِ الأدْرَدِ
فأُقْسِم لو أنَّ بِى قُوَّةً ... لَولَّت فَرائِصُه تُرْعَد
ويا لَهْفَ نفسِيَ أن لا تَـكون ... مَعِى قُوّة الشارِخ[4] الأَمْرَدِ

ثم ضرَبه السُّلَمى بسيفه فلم يُغْنِ شيئا . فقال له : بئس ما سَلَحتْك أمّك ! خذ سيفى هذا من مؤخَّرة الرّحل فى القِراب فاضرب به ، وارْفع عن العِظام ، واخْفِض عن الدّماغ ، فإنى كنت كذلك أضرب الرجال . ثم إذا أتيت أمَّك فأخْبِرها أنَّك قتلت دُرَيْدَ بن الصِّمَّة ، فَرُبَّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءك ! ولما ضربه سقط فتكشّف وإذا عجانه[5] وبطن فَخِذيه مثلُ القراطيس أعراهن ركوبُ الخيل.

فلما رجع إلى أمه أخبرها بقتله إيّاه فقالت : لقد أَعْتَق[6] قتيلك ثلاثا من أمّهاتك !!

---

(١) نخلة : واد عسكرت به هوازن يوم حنين وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعرف بنخلة اليمانية .

(٢) شجار : هودج صغير .

(٣) فى غ : أكمة .

(٤) الشارخ : الشاب الفتى .

(٥) العجان : ما بين الدبر والقبل .

(٦) فى ك : عتق والتصويب من غ .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجّه قِبَل أوْطاس أبا عامرٍ الأشعرى ، ابن عم أبى موسى الأشعرى ، فهزمهم الله عز وجل وفتح عليه .

ويزعمون أن سَلَمة بن دُرَيد بن الصمّة رماه بسهم فأصاب ركبته فقتله ، يعنى أباعامر . وقالت عَمْرَة بنت دُريد ترثى أباها :

جَزَى عنّا الإلهُ بنى سُلَيمٍ وعقّتْهم[1] بما فَعلوا عقاقِ
وأَسْقانا إذا سِرْنا إليهم دِماء خِيارهم يومَ التّلاقِ
فرُبَّ منوِّهٍ بِك من سُلَيْمٍ أُجيبَ وقد دعاكَ بلا رِماقِ[2]
ورُبَّ كريمة أعتقْت منهم وأُخْرَى قدفككت من الوَثاق

خرج دريد بن الصِّمَّة فى فوارس من قومه فى غَزاة فلقيه مُسْهِر بن يزيد الحارثى ــ الذى فقأ عينَ عامر بن الطفيل ــ يقود بامرأته أسماء بنت حَزن الحارثية ، فلما رآه القوم قالوا : الغنيمة . هذا فارس واحد يقود ظعينة ، وخليق أن يكون الرجل شريفا[3] . فقال دُرَيد : هل منكم رجل يمضى إليه فيقتله أو يأتينا به وبالظعينة ، فانتدب له رجل من القوم فحمل عليه ولقيه مسهر ، فاختلفا طعنتين بينهما فقتله مُسْهِر ، ثم حمل عليه آخر فكانت سبيله سبيل صاحبه ، حتى قتل منهم أربعة نفر ، وبقى دريد وحده فأقبل إليه . فلما رآه ألْقى الخطام من يده إلى المرأة وقال: خُذى خطامك فقد أقبل إلىّ فارس ليس كالفرسان الذين تقدموه ! ثم قصده[4] وهو يقول :

أما تَرَى الفارسَ بعد الفارِس أرْداهُمُ صاحبُ رُمْحٍ نائس[5]

---

(١) فى غ : أعقبهم : وما هنا موافق لما فى السيرة لابن هشام ــ عقاق : العقوق .

(٢) الرماق : القليل من العيش يمسك الرمق .

(٣) فى غ : قرشيا .

(٤) فى غ : قصد إليه .

(٥) فى غ : يابس .

فقال دريد : من أنتَ لله أبوك ؟! قال : رجل من بنى الحارث بن كعب . قال : أنت الحصين ؟ قال : لا . قال: فالمحجل ابن هَوْذَة ؟ قال : لا. قال : فمن أنت ؟ قال : أنا المُسْهر بن يزيد . فانصرف دريد عنه وقال شعرا[1] .

(١) جاء فى غ بعد ذكر أخبار دريد هذه العبارة : قال مؤلف الكتاب : « هذه الأخبار التى ذكرتها عن ابن الكلبى موضوعة كلها والتوليد بين فيها وفى أشعارها، وما رأيت شيئا منها فى ديوان دريد بن الصمة على سائر الروايات، وأعجب من ذلك الخبر الأخير، فإنه ذكر فيه ما لحق دريدا من الهجنة والفضيحة فى أصحابه وقتل من قتل معه وانصرافه منفردا . ثم أعذر لنفسه فى روايتها فقال: « وإنما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شىء قد رواه الناس وتداولوه » .

دُقاق المغنّية*

جارية ليَحْـيَي بن الرّبيع ، مغنّية محسنة مجملة جميلة الوجه . ولدت ليحي بن الربيع ابنَه أحمد ، وعُمِّر عمرا طويلا . ومات عنها يحي بن الربيع فتزوجت بعده بعِدّة من القوّاد والـكتّاب ، وماتوا وورثتهم . وكانت قد انقطعت إلى حَمْدُونة بنت الرشيد ثم إلى غَضِيض. وكانت مشهورة بالظّرف والمُجون والفتوّة. وهجاها عيسى ابن زَيْنَب لما مات عنها ثلاثة أزواج بعد سيدها :

قلتُ لمَّا رأيتُ دار دُقاقٍ ... حُسْنُها قد أضرَّ بالعُشّاقِ
حَذِّرُوا الرابعَ الشَّقِيَّ دُقاقاً ... لا يكونَنَّ نجمُه فى مُحاقِ[1]
الْهَ عن بَضْعِها[2] فإنّ دُقاقا ... شُؤْمُ حِرها قد شاع فى الآفاقِ
لم تُضاجِعْ بَعْلاً فهبَّ سَلِيما ... بَلْ جَرِيحاً وجُرْحُه غيرُ رَاقِى[3]

قال ابن حَمْدُون: كتبت دُقاق إلى أبى تصفُ له هَنَها[4] صفةً أعجزه الجواب عنها. فقال له صديق له : ابعث إلى بعض المخنَّثين حتى يصفَ متاعك فيكون جوابَها . فأحضر مخنّثا فأخبره الخبر فقال : اكتب إليها : عندى البُوق القُوق[5] ، الأصْلَع المزبُوق[6] ، الأفرع المفروق ، المنتفِخُ العُروق ، يسدُّ البُثوق[7] ، ويملأ الشقوق ،

* الأغانى : (بولاق) : ١١/٩٨-١٠٠- (دار الكتب) : ١٣/٣٨٢-٣٨٥- (بيروت الثقافة) : ١٣/ .

(١) فى محاق : فى أفول. والمحاق: آخر الشهر ويكون شديد الظلمة .

(٢) البضع : التزوج .

(٣) راقى : مسهل راقئ من رقأ الدمع : جف .

(٤) هنها : فرجها .

(٥) البوق القوق : فى غ : القوق البوق ، والقوق : الفاحش الطول .

(٦) المزبوق : المنتوف ، وفى ك: المرتوق.

(٧) البثوق : الشقوق .

ويفتُق الفتوق ، ويَرُمُّ[1] الخروق ، ويقضِي الحقوق ، أسد بين شِبْلَيْن ، بغلٌ بين حِمْلين ، منارةٌ بين صخرتين ، رأسه رأس كلب ، وأصلُه مِتْرَسُ[2] دَرْب ، إذا دخل حَفَر ، وإذا خرج قَشَر ، لو نطح الفيلَ كَنْدَره ، ولو دخل البحر كدَّره ، وإذا رق الـكلام ، وتقاربت الأجسام ، والتفَّتِ الساق بالساق ، ولُطخ باطنُها بالبُصاق ، وقُرِعَ البَيْضُ[3] بالذُّكور ، وجَملت الرِّماحُ تمور ، بطَعْنِ الفِقاح[4] ، وبشَقِّ الأحراح[5] ، صبرنا فلم نجزع ، وسلّمنا طائعين فلم نُخْدَع قال : فقطعها .

قال أحمد بن عليّ بن جعفر : حضرت مجلسا فيه ابن دُقاق ، وفيه النصرانى المعروف بأبي الجاموس اليعقوبيّ البزَّاز ، فعبث به ابنُ دقاق ، فلما أكثر عليه قال: اسمعوا مني ، ثم حلف[6] أنه لا يكذب ، وحدّثنا قال : مضيت وأنا غلام مع أستاذى إلى باب حَمْدُونة بنت الرشيد ، ومعنا بَزٌّ نعرضه للبيع ، فخرجت إلينا دُقاق أمُّ هذا تُقاوِلُنا[7] في ثمن المتاع ، وفي يدها مِرْوَحة على أحد وجهيها منقوشٌ : الحِرُ إلى أَيْرَيْن أَحْوَجُ من الأَيْرِ إلى حِرَيْن . وعلى الوجه الآخر : كما أن الرَّحا إلى بغلَيْن أحوج من البَغْلِ إلى رَحَوَيْن[8] . قال : فأسكته سكوتاً علمنا منه أنه لو خَرِس لـكان الخرس أهون عليه ، وأصوَنَ لِعرضه مما جرى .

---

(١) يرم : يصلح .

(٢) المترس : خشبة توضع خلف الباب .

(٣) البيض : الخوذ تلبس على الرأس ـ الذكور : السيوف من حديد غير أنيث .

(٤) الفقاح : جمع فقحة : حلقة الدبر .

(٥) الأحراح : الفروج : جمع حرح .

(٦) في غ : ثم حلف بالحنيفية .

(٧) تقاولنا : تفاوضنا .

(٨) في ك : رحاين ، وهو خطأ .

وكان لدُقاقِ غلامان خِلاسيّان[1] يروّحانها فى الخَيْش . فقالت لواحـد منهما أن ينيكها فعجز عنها ، فقالت له : ويلك نِـكْنى وأنت حر ، فقال لها : نِيكينى أنتِ وبيعينى فى الأعراب . فقال عيسى بن زينب فيها :

أَحْسَنُ مَنْ غـنّى لنا أو شَدَا ... دُقاقُ فى خَفْضٍ من العَيْشِ
لها غُلامانِ يَنِيـكانِهـا ... بِعِلّةِ التَّرْوِيحِ فى الخَيْشِ

كانت دُقاق تُواصِل جماعةً يميلون إليها وتُرِى كلّ واحد منهم أنها تهواه . وكانت أحسنَ أهلِ عصرها وَجْها ، وأشأمهم على مَن رَابَطها[2] أو تزوّجها . فقال فيها إبراهيم بن المهدى :

عَدِمْتُكِ ياصديقةَ كلِّ شَخْص[3] ... أَكُلَّ النّاسِ وَيْحَكِ تَعْشَقِينا؟
وكيف إذا خلَطْتِ الغَثَّ منهم ... بلَحْمِ سَمِينِهم لا تَبْشَمِينا؟[4]

وكان يحيي بن الربيع قد خرج إلى بعض النواحى وتركها فى داره ، فعمِلت بعده الأوابد[5] ، فقال موسى الأعمى يهجوه :

قُلْ ليَحْـيَي نعمْ صَبَرْتَ على المَوْ ... تِ ولم تَخْشَ سَهْمَ رَيْبِ المَنُونِ
كيف قُلْ لى: أَطَقْتَ وَيْحَك يا يَحْـ ... ـيَي على الضَّعْفِ منك حملَ القُرُونِ
وَيْحَ يحيَي ما مرّ باسْتِ دُقاقٍ ... بعـد ما غابَ من سِياط البُطونِ

---

(١) الخلاسى : الذى ولد بين أبوين أبيض وأسود .

(٢) رابطها : اتصل بها علاقة ولازمها .

(٣) فى ت : يا حليفة كل وغد وفى ك : خلق.

(٤) بشم : أتخم ، وفى مخطوطة : تسمنينا .

(٥) الأوابد : الأفعال المنكرة الشديدة ، واحدها آبدة .

داحِس والغَبْراء*

دَاحِس والغَبْراء فرسان . أمّا داحِس فإنّ أمّه كانت لقِرْواش بن عَوْف بن عاصم ابن عُبَيْد بن ثَعْلَبة بن يَرْبوع ، يقال لها : جَلْوَى ؛ وكان أبوه يسمى ذا العُقّال ، وكان لحَوْط بن أبي جابر بن أوس بن حُمَيْر[1] بن رباح .

والسبب فى تسميته داحِساً أن بَنِي يَرْبوع احْتَمَلُوا سائرين فى نُجْعَة ، وكان ذو العُقَّال مع ابنتي حَوْط تَجْنُبانه ، فمرّتا به على جَلْوَى فرس قِرواش ، فلمّا رآها الفرس صَهَل ووَدَى . فضحك فِتيان[2] من الحىّ لِمَا رأوه . فاستحت ابنتا حَوْط فأرسلتاه فنزا على جَلْوَى ووافق قبُولَها فأَقْضَت له[3] ، ثم أخذه لهما بعض الحىّ . فلحق بهما حَوْط وكان رجلا شرّيرا سَيِّئ الخُلُق ، فلما رأى عينَ فرسه قال : والله لقد نَزَا فرسى ، فأخبرانى ما شأنه ! فأخبرتاه الخبر . فقال : يا آل رباح والله لا أرضَى أبدا حتى آخذ[4] ماءَ فرسى . فقال له بنو ثعلبة : والله ما استكرهنا فرسك وإنما كان مُنْفَلِتاً . فلم يزل الشر بينهما حتى عَظُم . فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : دونكم ماء فرسكم . فسطا عليها وأدخلَ يده فى ماء وتُراب وأدخلها فى رحمها حتى ظنّ أنه قد أخرج الماء . واشتملت الرحم على ما فيها[5] فنتجها قِرْواش مهراً

---

* الأغانى : (بولاق):١٦/٢٦- (بيروت ثقافة) : ١٧/١٢٣-١٤٠ - النقائض : ٨٣- الميدانى: ٢/٣٨.

(١) حمير : فى غ حميرى .

(٢) فى غ وك : شبان .

(٣) أفضت له : مكنته من المباشرة . وفى غ: أقفصت وهو بمعنى حملت .

(٤) فى غ : أخرج .

(٥) فى غ : ما كان فيها .

فسمّاه داحِسا لذلك . وخرج كأنّه أبوه ذو العُقَّال ، وفيه يقول جرير[١] :

إنّ الجِياد يَبِتْن حول قِبابِنا من آلِ أَعْوَج أو لِذِى العُقَّال

وأَعْوَج فرس لبنى هلال .

فلما تحرّك المهر مشى[٢] مع أمّه وهو فِلْوٌ يتبعُها ، وبنو ثعلبة سائرون فرآه حَوْط فأخذه . فقالت بنو ثعلبة : يا بنى رباح ألم تفعلوا فيـه أوّل مرة ما فعلتم . ثم هذا الآن ! فقالوا : هو فرسُنا ولن نترككم أو نقاتلكم عليه أو تدفعوه لنا[٣] . فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : لا نقاتلكم إذاً ، أنتم أعزُّ علينا ، هو فداؤكم فدَفعوه إليهم . فقال بنو رباح: والله لقد ظلمنا إخوتنا مرّتين، ولقد حَلُموا وكَرُموا. فأرسلوا به إليهم مع لقوحين . فمكث عند قِرْواش ما شاء الله عز وجل . وخرج أجودَ خُيول العرب .

ثم إن قيس بن زهير بن جَذِيمة العبسى أغار على بنى يَرْبوع فلم يُصِب أحدا غير ابنتى قِرْواش بن عوف ومائة من الإبل ، وأصاب الحَىَّ وهم خُلوف ، ولم يشهد من رجالهم أحد غير غلامَيْن من بنى أَزْنَم بن عُبيـد بن ثعلبة بن يربوع ، فجالا فى متن الفرس مُرْتَدِفَيْه وهو مقيّد ، وأعجلهما القوم عن حلّ قيده ، واتّبعهما القوم فضَبر[٤] بالغلامين ضَبْرا حتى نجيا به ، ونادتهما إحدى الجاريتين أنّ مفتاح القَيْد مدفون فى مِذْوَد الفرَس بمكان كذا وكذا ، أى لا تنزلا عنه إلا فى ذلك المكان، فسبقا إليه حتى أطلقاه . فلما رأى ذلك قيسُ بن زهير رغب فى الفرَس . فقال لهما : لكما حُكْمُكُما وادفعا إلىَّ الفرَس. فقالا: أوَ فاعلٌ أنت؟ قال : نعم . فاستوثقا منه

(١) النقائض : ٣٠٣ .

(٢) فى غ : سام .

(٣) فى غ : إلينا .

(٤) ضبر : جمع قوائمه ووثب .

على أن يَرُدَّ ما أصاب من قليل وكثير، ثم يرجع عَوْدَه على بدئه، ويُطلِق الفتاتين ويخلّى عن الإبل وينصرف عنهما راجعا. ففعل ذلك قيس، ودفعا إليه الفرَس.

فلما رأى ذلك أصحابُ قيس قالوا: لا نصاحبك أبداً، أصبنا مائة من الإبل وفتاتين فعمدت إلى غنيمتنا فجعلتها فى فرس لك تذهب به دوننا! فعظُم فى ذلك الشرُّ حتى اشترى غنيمتَهم بمائة من الإبل.

فلما جاء قِرْواش قال للغلامين: أين فرسى؟ فأخبراه، فأبى أن يرضَى إلّا أن يُدفع إليه فرسه. فعظّم ذلك فى[1] الشرّ حتى تنافروا فيه. فقُضِىَ بينهم أن تُرَدَّ الفتاتان والإبل إلى قيس بن زُهير، ويردَّ عليه الفرس. فلما رأى ذلك قِرواش رضى بعد شرّ. وانصرف قيس بن زهير ومعه داحس فمكث ما شاء الله تعالى.

فزعم بعضهم أنّ الرِّهان إنما هاجه بين قيس بن زهير وحُذَيفة بن بَدْر بن عمرو ابن جُوَيَّة بن لَوْذان بن عدىّ بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ابن سعد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضر بن نِزار، أنّ قيسا دخل على بعض الملوك وعنده قَيْنة لحُذيفة بن بدر تغنّيه بقول امرئ القيس:

دَارٌ لهنـد والرَّباب وفرْتَنَا ... ولَمِيس قبل حَوادِث الأيَّامِ

وهُنَّ فيما يُذكر نِسْوة لبـنى عَبْس، فغضب قيسُ بن زُهَـيْر وشَقّ رِداءَها وشتمها. فغضب حذيفةُ وبلغ ذلك قيسا، فأتاه ليسترضيَه ويُزيل ما خامَر قلبـه ويستصلحه، فوقف عليه فجعل يكلّمه وهو لا يعرفه من الغضب، وعنده أفراسٌ له، فعابها وقال: ما يرتبِـط مثلُك مثلَ هذه يا أبا مُسْهِر. فقال حذيفة: أتعيبها؟ قال: نعم. فتجاريا حتى تراهنا.

وقيل إن الذى هاجَ الرّهان أنّ رجـلا من بنى عبد الله بن غَطفان ثم أحد بنى جَوْشن، وهم أهل بيت شُؤْم، أتى حذيفة زائرا؛ ويقال إن الذى أتاه الوَرْدُ

(١) فى غ وك: نعظم فى ذلك الشر.

العَبْسى أبو عُروة بن الوَرْد ، فلما أتاه عرض عليه خَيْله فقال : ما أرى فيها جَوادا مُبِرًّا ! والمُبِرُّ: الغالب . فقال له حذيفة : فعند مَن الجوادُ المُبِرُّ ؟ فقال : عند قَيْس بن زُهير . فقال : هل لك أن تراهِنَنى عنه ؟ قال : نعم . قال : قد فعلت . فراهنه على ذَكرٍ من خيله وأنثى ، وأوجبا الرهان .

ثم إن العبدى[(١)] أتى قيسَ بن زهير فقال : إنّى قد راهنت على فرسين من خيلك ذكرٍ وأنثى ، وأوْجَبْتُ الرهان . فقال قيس : ما أبالى من راهنت غير حُذَيْفة . قال : ما راهنت غيره . قال قيس : إنك ما علمتُ لأَنْكَد . ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة فوقف عليه فقال : ما غدا بك ؟ فقال : غدوت لأواضعك الرهان . قال : بل غدوتَ لتغْلقه[(٢)] . قال : ماأردت ذلك . فأبَى حذيفة إلّا الرهان . فقال له قيس : أُخيِّرك ثلاث خلال[(٣)] ، فإن بدأتَ فاخترتَ قَبْلى فلى خَلّتان ولك الأولى ، وإن بدأتُ فاخترتُ قبلك فلك خَلّتان ولى الأولى . قال حُذيفة : فابدأ . قال قيس : الغاية مائة[(٤)] غَلْوة ـ والغلوة : الرَّميةُ بالنُّشَّابة ـ قال حذيفة : والمِضْمار[(٥)] أربعون لَيْلة ، والمَجْرَى من ذات[(٦)] الإصاد . ففعلا ووضعا السَّبَقَ[(٧)] على يدى غَلّاق أو ابن غَلّاق ، أحد بنى ثَعْلبة بن سعد بن ثعلبة . فزعموا أن حذيفة أجرى قُرْزُلًا[(٨)] والحَنْفاء ، وقيل الخَطّار والحَنْفاء . وأجرى قيسٌ داحِساً والغَبْراء .

---

(١) فى غ العبسى .

(٢) لتغلقه : لتوجبه .

(٣) فى ت : ثلاثا .

(٤) فى غ : من مائة غلوة .

(٥) المضمار : وقت وأيام التضمير وذلك أن تشد على الخيل سروجها وتجلل بالأجلة حتى تعرق تحتها فيذهب رهلها ويشتد لحمها فيؤمن بهرها عند حضرها ولا يقطعها الشد .

(٦) ذات الإصاد : موضع ببلاد فزارة .

(٧) السبق : الرهان الذى يوضع بين أهل السباق فمن سبق أخذه .

(٨) أجرى قرزلا والحنفاء : هذا قول بنى فزارة ـ وقيل : الخطار والحنفاء : هذا زعم بنى عبس .

وقيل : إن الذى هاج الرهان أن رجلا من بنى المُعْتَمِر بن قُطَيْعة بن عبس يقال له سُراقة راهن شبَّانًا[1] من بنى بدر وقيسٌ غائب على أربع جزائر[2] من خمسين غَلْوة . فلما جاء قيس كره ذلك وقال : لم ينته رهان قط إلّا إلى شر ، ثم أتى بنى بدر فسألهم المُواضعة فقالوا : لا حتى نعرف سَبْقَنا ، فإن أخذنا فحقّنا وإن تركْنا فحقنا . فغضب قيس ومحك[3] وقال : أمّا إذْ أبيتم فأَعْظِموا الخَطَر وأبعِدُوا الغاية . قالوا : فذلك لك . فجعلوا الغاية من واردات إلى ذات الإصاد ، وذلك مائة غلوة والثَّنيَّة فيما بينهما . وجعلوا القصبة[4] فى يد رجل من بنى ثعلبة بن سعد يقال له حُصين ، ويقال رجل من بنى العُشَراء من بنى فَزارة ، وهو ابن أختٍ لبنى عبس ، وملئوا البركة ماء وجعلوا السابق أوّل الخيل يكرع فيها .

ثم إنّ حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المَبْدَأ[5] الذى أرسلْن منه ينظران إلى الخَيْل كيف خُروجها منه ، فلما أرسلت عارضاها ، فقال حُذيفة : خدعْتك ياقيس . فقال قيس : ترك[6] الخداع من أجْرَى من مائة . فأرسلها مثلا . ثم ركضا ساعة فجعلت خيلُ حذيفة تبرّز[7] ، وخيل قيس تقصّر . فقال حذيفة : سبقتُك يا قيس . فقال قيس : جرى المُذَكِّيات غِلاب[8] فأرسلها مثلا . ثم ركضا ساعة

---

(١) فى غ : شابا .

(٢) جزائر : جمع جزور وهى الناقة .

(٣) محك : نازع فى الكلام ولاج .

(٤) القصبة : ما تركز عند منتهى الغاية ، فمن سبق إليها حازها واستحق الرهان .

(٥) فى ك : المندى وهو تصحيف المبدأ . وفى غ : المدى .

(٦) ترك الخداع : الميدانى : ١/٨١ - العسكرى : ١/١٨٨ - الفاخر : ٢٢٠ .

(٧) تبرز : تسبق وفى ك : تنزو ، وفى غ : تبر .

(٨) فى الفاخر : غلاء وفى الميدانى ول ١٨/٣١٥ (ذكا) غلاب ، ويروى بدون تشديد المذكيات وانظر الميدانى : ١/١٠٦ .

فقال حذيفة : إنك لا تركض مَرْكَضا . سبقتْ خيلك يا قيس! فقال قيس : رويدا يَعْلُون[١] الجَدَدْ. فأرسلها مثلا .

وقد جعل بنو فزارة كمينا بالثَّنِيَّة ، فاستقبلوا داحسا فعرفوه فأمسكوه وهو السابق ، ولم يعرفوا الغبراء وهى خلفه مُصَلِّيَة[٢] حتى مضت الخيل واسْتَهلَّت من الثنيّة ، ثم أرسلوه فتمطَّر فى آثارها ، أى أسرع ـ فجعل يبدُرُها فرساً فرساً حتى سبَقها إلى الغاية مصلِّيا ، وقد طرح الخيل غيرَ الغبراء ، ولو تباعدت الغاية سبقها . فاستقبلها بنو فزارة فلطَمُوها ثم حَلَّئُوها[٣] عن البِركة ، ثم لطموا داحسا وقد جاءا متواليين . وكان الذى لطمه عُمَيْرَ بن نَضْلَة فجفّت[٤] يده فسمّى جاسئا .

فجاء قيسٌ وحذيفة فى آخر[٥] الناس وقد دفعتهم بنو فَزارة عن سبقهم ولطموا فرَسهم ، ولو[٦] يطيقهم بنو عبس لقاتلوهم ، وإنما كان من شهد ذلك من بنى عبس أبيات غير كثيرة . فقال قيس : ياقوم إنه لا يأتِى قومٌ إلى قومهم شَرًّا من الظلم ، فأعطونا حقّنا[٧]. فأبت بنوفزارة أن يُعطوهم شيئا، وكان الخَطَر عشرين من الإبل . فقال بنو عبس: أعطونا بعض حقنا . فأَبَوْا . فقالوا : أعطونا جَزُوراً واحدة ننحرها ونُطعمها أهلَ الماء فإنّا نكره القالة فى العرب . فقال رجل من بنى فزارة : مائة جَزُورٍ وجَزُورٌ واحد سواء . والله ما كنا لنُقِرَّ لكم بالسبق علينا ولم نُسْبَق .

---

(١) فى ك : يعلمون، والتصويب من غ.

(٢) مصلية : تالية .

(٣) حلئوها : منعوها وطردوها .

(٤) فى غ : فجسأت وهما بمعنى : يبست .

(٥) فى ك : أخرى الناس والتصويب من غ .

(٦) ولو يطيقهم بنو عبس لقاتلوهم : فى غ : ولم تطقهم بنو عبس ليقاتلوهم . وما هنا يوافق ما فى النقائض .

(٧) فى غ : سبقنا .

فقام رجل من بنى مازن بن فزارة فقال : يا قوم إن قيسا كان كارهاً لأوّل هـذا الرهان ، وقد أحسن فى آخره ، وإنّ الظلم لا ينتهى إلّا إلى شر[١] ، فأعطوه جزورا من نَعَمكم ! فأبوا. فقام إلى جزور من نَعَمه فعَقلها ليعطيها قيسا ويرضيه بها ، فقام ابنهُ فقال : إنّك لكثير الخطأ ، تريد أن تخالف قومك وتُلحق بهم خزَايةً بما ليس عليهم ؟! وأطلق عقالها فلحقت بالنَّعم . فلما رأى قيس ذلك احتمل عنهم هو ومن معه من بنى عبس . فأتى على ذلك ما شاء الله تعالى .

ثم إن قيسا أغار فلقى عوفَ بن بدر فقتَله وأخذإبلَه، فبلغ ذلك بنى فزارة فهمّوا بالقتال وغضبوا . فحمل الربيع بن زياد أحد بنى عَوْذ بن غالب بن قُطَيعة بن عبس ، ديةَ عوف بن بدر مائةً عُشَراء مُتْلِية ـ والعشراء: الّتى قد أتى على حملها عشرة أشهر من ملقحها ، والمُتْلية : التى قد نتِج بَعْضها ، والباقى يتلوها فى النتاج . وأمّ عوف وأمحذيفة: ابنة نضلة بن جُوَيَّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عدىّ بن فزارة . واصطلح الناس فمكثوا ما شاء الله .

ثم إن مالك بن زهير أتى امرأة يقال لها مُلَيْكة بنت حارثة من بنى عَوْذة ابن فزارة فابتَنى بها باللُّقاطَة[٢] قريباً من الحاجر، فبلغ ذلك حذيفة بن بدر ، فأرسل[٣] له فرسانا على أفراس من مَسَانّ خيله ، وقال : لا تَنْظِرُوا مالكا إن وجدتموه أنْ تقتلوه .

وكان الربيع بن زياد بن عبد الله بن سُفيان العَبْسى مجاورا حذيفةَ بن بدر ، وكانت معاذةُ بنت بدر تحت الربيع بن زياد . فانطلق القوم إلى مالك فقتلوه ثم انصرفوا عنه . وجاءوا عشيّة وقد أجهد[٤] القوم أفراسهم فوقفوا على حذيفة

(١) فى غ : الشر .
(٢) اللقاطة : من منازل فزارة .
(٣) فى غ : فدس .
(٤) فى غ : جهدوا فراسهم .

والربيع بن زياد عنده ، فقال حذيفة : أَقَدرْتم على حمارکم ؟ قالوا : نعم وعقرناه . فقال الربيع ما رأيت كاليوم قط ؟ أهلكتَ أفراسك من أجل حمار ؟ فقال حذيفة : لما أكثر عليه من الملامَة له وهو يحسب أن الذى أصابوه حمارا ، لم نقتل حِمارا وإنما قتلنا مالك ابن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بئس لعمرُ الله[1] القتيل قتلت ! أما والله إنى لأظنه سيبلغ ما يُكْرَه . فتراجعا شيئا من كلام ثم تفرقا .

فقام الربيع يطأ الأرض وَطْئاً شديدا . وأخذ يومئذ حملُ بن بدر ذا النون سيفَ مالك بن زهير .

فزعموا أن حذيفة[2] لما قام الربيع بن زياد أرسل أَمَةً مولّدة له فقال : اذهبي إلى معاذةَ امرأة الربيع فانظرى ماذا تَرينَ الربيع يصنع . فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت فاندست بين الكِفاء والنَّضَد ـ والكِفاء : شقَّة فى آخر البيت ، والنَّضَد : المَتاع يُجْعل على حمار من خشب ـ فجاء الربيع فنفذ البيتَ حتى أتى الفرس فقبض بمعرفته ثم مسح متنه حتى قبض بعُكْوة ذنبه ـ العُكوة : أصل الذنب ـ ثم رجع إلى البيت ورمحه مركوز بفنائه فهزّه هزًّا شديدا ثم ركزه كما كان . ثم قال لامرأته : اطرَحى لى شيئا ، فطرحت له فاضطجع ، وكانت قد طَهُرَت تلك الليلة فدنت منه فقال : إليك عنى فقد حدث أمر ، ثم تغنّى[3] :

نام الخَلِيُّ وما أغمِّض حارِ ... منْ سَيِّئ النبأ الجَليل السَّارِى[4]
منْ مِثْله تُمْسِي النساء حَواسِراً ... ويَقُمْن معولة مع الأسحارِ[5]

---

(١) فى غ: ما فعلت. وما هنا موافق لما فى النقائض .

(٢) فى الفاخر : ٢٢٣ أن الذى دس الأمة هو قيس بن زهير .

(٣) الأبيات فى النقائض: ٨٩ ـ حماسة أبى تمام: ١/٢٩٨ باختلاف فى الترتيب ـ شعراء النصرانية : ٧٩٢ ـ الفاخر: ٢٢٣ .

(٤) الرواية فى الفاخر : منع الرقاد فما أغمض حار ... جلل من النبأ المهم السارى

(٥) تمسى : فى ك : تمشى والتصويب من غ ـ ويقمن فى غ : وتقوم .

من كان مَسْرُوراً بِمَقْتَل مالك فليأتِ نسوتنا بوَجْه نَهـارِ[1]
يَجِد النساء حواسراً يندُبْنَه يَبْكِين قبـل تبَلُّج الأَسحـارِ[2]
قد كُنَّ يخبأْن الوجوهَ تَسَتُّراً فاليَوْمَ حينَ بَرَزْن للنُّظَّارِ
يَخْمُشْنَ[3] حُرَّ وجوهِهِنَّ على فَتًى سَهْـل الخليقة طيّب الأَخْبـارِ
أفبَعْدَ مَقْتل مالكِ بن زُهَيْر[4] تَرْجُو النِّساء عواقِبَ الأَطْهارِ
ما إنْ أرَى فى قتْله لذَوِى الحِجـا إلّا المَطِىَّ تُشَدُّ بالأَكْوارِ
ومُجَنَّبات ما يَذُقْن عَذُوفَة[5] يَقْذِفن بالمُهرات والأَمْهارِ
ومَساعِراً[6] صَدَأُ الحَديد عليهم وكأنَّما طُلِىَ الوُجُوهُ بقَارِ
يا رُبَّ مسرُورٍ بمَقْتلِ مالكٍ ولسوفَ نَصْرِفُه بشر مصار[7]

فرَجَعت الأمةُ فأخبرت حُذَيْفة الخبَر . فقال : هذا حين اجتمع أمر إخوانكم وقع الحرب . وقال الربيع لحذيفة وهو جاره يومئذ : سَيِّرْنى فإنى جاركم، فسيّره ثلاث ليال ، ومع الربيع فَضْلَة من خمر . فدسّ حذيفة فى أثره فوارس وقال : اتبعوه فإنّ معه فضلة خمر ، فإن وجدتموه قد هَراقها فهو جادّ وقد مضى ، فانصرفوا ، وإن لم تجدوه قد هراقها فاتبعوه فإنكم تجدونه قد مال لأدنى منزل فأرتع[8] وشرب فاقتلوه . فتبعه القوم فوجدوه قد شق الزِّقّ ومضى . فانصرفوا .

---

(١) فى الفاخر : بضوء نهار .
(٢) الرواية فى الفاخر : يندبن بين عوانس وعذارى .
(٣) فى غ : يخمشن حرات الوجوه، وما هنا يوافق مخطوطة من مخطوطات غ .
(٩) فى هذا البيت عيب يسمى القطع .
(٥) فى ك: عذوبة ، والتصويب من غ . والعذوفة : مايؤكل .
(٦) فى ك : مشاعر والتصويب من غ . ومساعر : جمع : مسعر : مثير حروب .
(٧) فى غ : محار . والمحار : المرجع .
(٨) فى غ : فرتع .

فلما أتى الربيع قومَه وقد كان بينه وبين قيس شحناء ، وذلك أن الربيع ساوم قيس بن زهير بدرع كانت عنده فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض بها فلم يردّها على قيس ، فعرض قيس لفاطمة بنت الخُرْشب الأنمارية أم الربيع وهى تسير فى ظعائن من قيس ، فاقتاد جملها يريد أن يرهنها بالدّرع حتى تُرَدَّ عليه ، فقالت له : ما رأيت كاليوم فِعْلَ رجل قط[1] . أَضَلَّ حِلْمك ؟! أترجو أن تصطلح أنت وبنو زياد وقد أخذت أمّهم فذهبت بها يمينا وشمالا ، فقال الناس فى ذلك ماشاءوا ؟ وحسبك من شر سماعُه . فأرسلتها مثلا . فعرف قيس بن زهير ما قالت له فخلَّى سبيلها .

وقيل: إنه قال لها أذهب بك حتى ترعى على إبلى. فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت نفسها من على البعير على رأسها فماتت خوفا من أن يلقَى بنوها عاراً فيها . فطرد[2] إبلا لبنى زياد فقدم بها مكة فباعها من عبد الله بن جُدْعان بن عَمْرِو بن سعد بن كعب ابن تَيم بن مُرَّة القرشى، فقال فى ذلك قيس بن زهير[3] :

ألم يَبْلُغْك والأنباء[4] تَنْمِي ... بما لاقَتْ لَبُونُ بنى زِيادِ
وَمَحْبسُها على القرشىِّ تُشْرَى ... بأَدْراعٍ وأسيافٍ حِدادِ
كما لاقَيْتَ من حَمَلِ بنِ بَدْرٍ ... وإخوته على ذات الإصادِ
هُمْ فَخَرُوا علىّ بغير فَخْرٍ ... ورَدُّوا[5] دُون غايَتِه جوادِى
وكنتَ إذا رميتُ[6] بِخَصْمِ سوء ... دَلَفْتُ له بداهيةٍ نآدِ[7]

(١) فى غ : أى قيس .
(٢) فى غ : فأطرد .
(٣) الأبيات فى النقائض : ٩١ـ شعراء النصرانية : ٩٢٦ .
(٤) فى غ : والأنباء .
(٥) فى غ : ذادوا .
(٦) فى غ : منيت .
(٧) نآد : شديدة .

بداهيـة تدقُّ الصُّلْبَ منـه فتقْصِم أو تَجُوبُ[١] عن الفؤادِ
وكنت إذا أتانِى الدهرَ رِبقٌ[٢] بداهيةٍ شَدَدْتُ لها نِجادِى
ألم تَعْـلَم بنـو الِميقابِ[٣] أنِّى كريمٌ غير مُغتَلِث[٤] الزِّنادِ
أُطوِّف ما أُطوِّفُ ثمَّ آوِى إلى جَارٍ كجَارِ أبِى دُوادِ

جارُه[٥] يعنى ربيعة الخَيْر بن قُرْط بن سَلَمة بن بَشِـير[٦] [وجار أبى دُواد يقال له الحارث بن همام بن مرّة بن ذُهل بن شيبان][٧] وكان أبو دُواد فى جواره وكان صبيان الحىّ خرجوا يلعبون فى غدير ماء فغمسوا ابن أبى دُواد فيـه فقتلوه . فخرج الحارث[٨] فقال : لا يبقى صبىّ فى الحىّ إلّا غُرِّق فى الغدير ، فوُدِىَ ابن أبى دُواد بِعدّة [ديات][٩] فذلك قول أبى دُوَاد :

[إبلى الإبـْلُ لا يحوزها الرا عى ومجّ الندى عليها المُدام][١٠]
إليك ربيعـــةَ الخَيْر بن قُرْط وَهُوباً للطَّرِيف وللتِّـلادِ
كَفانى ما أخافُ أبو هِــلالٍ ربيعةُ فانتهتْ عنِّى الأعادِى
تظلُّ جِيادُه يَجْمِزْنَ[١١] حَوْلى بذات الرِّمْث كالحِدَأ الغَوادِى

---

(١) تجوب : تشق وتمزق .
(٢) الربق : مايتقلد، والأصل فيه : الحبل فيه عدة عرا يشد به البهم .
(٣) الميقاب: التى تلد الحمق، ومن معانيها: الواسعة الفرج فهو يسبهم بهذا وهو أشبه بأسلوب إقذاعهم فى السب .
(٤) فى غ : منغلث .
(٥) فى ك : جار أبى دواد. والتصويب من غ.
(٦) فى غ : قشير وكذا فى النقائض .
(٧) زيادة من غ لإقامة النص.
(٨) فى ك : ربيعة وهو خطأ سببه سقوط ما بين القوسين السابقين .
(٩) زيادة من غ .
(١٠) زيادة من غ ليستقيم النص .
(١١) كذا فى النقائض وفى غ : يجرين وفى الفاخر : يسربن أى يتجمعن فى جماعات ذاهبات جائيات .

كأنى إذْ أُنخْتُ إلى ابنِ قُرْطٍ عَقَلْتُ إلى يَلَمْلَمَ أو نَضَادِ[1]

يلملم ونضاد : جبلان . وقال قيس بن زهير :

إنْ تكُ حَرْباً فلم أجْنِها جَنَتْها خِيارُهم[2] أو هُمُ
حَذارَ الرَّدَى إذ رأوا خَيْلَنا مُقَدَّمُها سابِحٌ أدْهَمُ
عليه كَمِيٌّ وسِرْبالُه مُضاعفةٌ نسجُها مُحْكَمُ
فإنْ شَمَّرَتْ لك عن ساقِها فَوَيْهاً ربيعُ ولا تسأمُوا[3]
نَهَيْتُ ربيعاً فلم يَزْدَجِر كما ازدجَرَ[4] الحارِثُ الأَضْخَمُ

الحارِث الأضخم رجلٌ من بنى ضُبَيْعة بن رَبيعة بن نِزار ، وهو صاحب المِرْباع. فكانت تلك الشَّحْناء بين بنى زياد وبنى زُهير . فكان قيس بن زُهير يخاف خِذلانهم إياه ، فزعموا أنّ قيساً[5] دسَّ غلاماً له مُوَلَّدا فقال : انطلق كأنّك تطلب إبلا ، فإنهم سيسألونك ، فاذكر لهم مقتل مالك ثم احفظ ما يقولون . فأتاهم العبدُ فسمعَ الربيعَ يتغنّى :

أفبَعْدَ مَقْتَلِ مالِكِ بن زهيرٍ ترجُو النساءُ عواقِبَ الأَطْهارِ

فلما رجع العبدُ إلى قيس أخبره بما سمع من الربيع بن زياد ، فعرف قيس أنه قد غضب . فاجتمعت بنو عبس على قِتال بنى فَزارة . فأرسلوا إليهم أن رُدُّوا علينا إبلنا التى وَدَيْناها عوفاً أخا حذيفة بن بدر لأمّه ! فقال : لا أعطيكم دية ابن أمّى ، وإنما قتل صاحِبَكم حَمَلُ بن بدر وهو ابن الأسدية ، وأنتم وهو أعلم . وقيل : إن حذيفة بن بدر أراد أن يردّ عليه إبله بأعيانها وقد مضى عليها أربعُ سنين بنتاجها ،

(١) نضاد : كذا أيضا فى غ وفى مخطوطة أخرى ل غ : مصاد وهو جبل أيضا .
(٢) فى النقائض : صبارتهم .
(٣) فى غ : ولم يسأموا .
(٤) ازدجر : فى غ : انزجر .
(٥) تقدم أن حذيفة دس جارية ليتعرف خبر الربيع وأنها سمعت الربيع يتغنى بهذه الأبيات .

فقال له سنان بن خارجة المُرِّى: أتريد أن تُلْحِق بنا خزاية فتعطيهم أكثر ممّا أعطونا فتسبّنا العرب بذلك ؟ ! فأمسكها حذيفة وأبَى بنو عبس أن يقبلوا إلّا إبلهم بعينها . فمكث القوم ما شاء الله .

ثم إنّ مالك بن بدر خرج يطلب إبلًا له فمرّ على بنى رواحة ، فرماه جُندب[1] بسهم فقتله . فقالت ابنةُ مالك بن بدر فى ذلك[2] :

لِلّه عَيْنا مَنْ رأى مثلَ مَالِكٍ ... عَقِيرَةَ قومٍ أَنْ جَرَى فَرَسانِ
فلَيْتَهُما لم يَشْرَبا قطّ شَرْبَةً[3] ... ولَيْتَهُما لم يُرْسَلَا لِرِهانِ
أُحِلَّ به من جُندب أمس نَذْرُه[4] ... فأىّ قتيلٍ كان فى غَطَفانِ
ألَانْ[5] سجَعت بالرَّقْمتَين حمامةٌ ... أو الرسّ تبكى[6] فارس الكَتِفانِ[7]

ثم إن الأسلع بن عبد الله بن ناشب بن بدر بن هِدْم بن أدّ[8] بن عَوْذ بن غالب ابن قُطَيْعة بن عبس مشى فى الصلح، ورهن ثلاثةً من بنيه وأربعةً من بنى أخيه حتى يصطلحوا ، وجعلهم على يد سبيع بن عمرو أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان . فمات سُبَيْع وهم عنده . فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك بن سبيع : إنّ عندك مكرمةً لا تبيد ، إن أنت احتفظت بهؤلاء الغلمة[9] ، وكأنّى بك لو قدْ متُّ وأتاك

---

(١) جندب : فى غ: جنيدب .

(٢) النقائض : ٩٣ وفى شعراء النصرانية ٨٧٠ـ نسب بعض أبيات هذه القصيدة لعنترة وروى شارح الحماسة البيتين الأخيرين لبشر بن أبى حام العبسى ، وانظر الفاخر : ٢٢٨ .

(٣) فى غ : قطرة .

(٤) الرواية فى غ : أحل به أمس الجنيدب نذره . وما هنا متفق مع مخطوط للأغانى .

(٥) فى غ : إذا .

(٦) فى غ : فابكى .

(٧) الكتفان : اسم فرس (تاج كتف ٦/٢٣٠)

(٨) فى ك : أدم ، والتصويب من غ . وفى النقائض : لدم .

(٩) فى غ : الأغيلمة وكذلك فى الفاخر : ٢٢٥ .

حُذَيفةُ خالُك ـ وكانت أمّ مالك بن سُبَيع هذا ابنة بدر ـ فعصَر عينيه ثم قال: هَلَك سيدُنا ، ثم خَدَعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم ، فلا شرف لك بعدها . فإن خفت ذلك فاذهب بهم إلى قومهم. فلما ثَقُل جعل حذيفة يبكى ويقول: هَلَك سيدنا. فوقع ذلك فى قلب مالك . فلما هلك سُبَيْع أطاف بابنه مالك فأعظمه ثم قال له : يا مالك إنّى خالك وأنا أسنُّ منك ، فادفع إلىّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندى إلى أن ننظر فى أمرنا . ولم يزل به حتى دفعهم إليه باليَعْمُرِيّة ـ وهو ماء بوادٍ من[1] بطن نخل من الشَّرَبَّة لبنى ثعلبة ـ فلما دفع مالك إلى حذيفة الرُّهُنَ جعل[2] كلّ يوم يبرزُ غلاما فيجعله[3] غَرَضًا ثم يرميه بالنَّبْل ويقول : نادِ أباكَ ، فينادى أباه حتى يُخرِّقَه بالنَّبْل . وقال لابن جُندب : نادِ أباك ، فجعل ينادى : ياعمراه[4] خلافاً عليهم ويكره أن يأبِسَ أباه بذلك ، والأبْس : القهر والحَمْل على المكروه . وقال لابن الأسلع : ناد حُبَيِّنَة[5] لقب لأمه[6] ، فجعل ينادى : ياعمراه باسم أبيه حتى قتله . وقتل عتبة بن قيس بن زهير .

ثم إنّ بنى فَزارة اجتمعوا هم وبنو ثَعْلبة[7] فالتقوا هم وبنو عبس فقتلوا منهم مالكَ بن سُبَيْع بن عمرو الثعلبى ، قتله مَرْوان[8] بن زِنْباع العبسى وعبد العُزّى ابن حُذار الثعلبى والحارث بن بدر الفزارى ؛ وهَرِم بن ضَمْضَم المُرّى ـ قتله وَرْدُ بن حابس العبسى ـ ولم يشهد ذلك اليوم حُذَيفة بن بدر، فقالت ناجيةُ أخت هَرِم بن ضمضم:

(١) فى غ : بوادى بطن نخل وما هنا متفق مع رواية الفاخر : ٢٢٦ .
(٢) فى الفاخر : فجعل يبرز كل غلام منهم .
(٣) فى غ والفاخر : فينصبه .
(٤) فى غ : يا عماه .
(٥) فى غ : جنيبة وما هنا موافق لرواية النقائض .
(٦) فى غ : لأبيه .
(٧) فى غ : زيادة بعدها : وبنو مرة .
(٨) فى النقائض : قتله الحكم بن مروان بن زنباع .

يا لَهْفَ نفسى لَهْفَةَ المَفْجُوعِ ... أَلَّا أَرَى هَرِماً على مَوْدُوعِ (١)
من أَجْلِ سيِّدِنا ومَصْرَعِ جنبه ... عَلِقَ الفؤادُ بحَنْظَلٍ مَصْدُوعِ

ثم إنّ حُذيفة بن بدر جَمَع وتهيّأ(٢) وأجمع معه بنو ذُبيان بن بغيض، فبلغ بنى عبس أنهم قد ساروا إليهم. فقال قيس: أطيعونى فوالله لئن لم تفعلوا لأتكئنّ على سيفى حتى يخرجَ من ظهرى. قالوا: فإنا نطيعك. فأمرهم فسرحوا السّوام والضعفاء بليل، وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك، ثم ارتحلوا فى الصُّبح وأصبحوا على ظهر العقبة، ومضى سوامُهم وضعفاؤهم. فلمّا أصبحوا طلعت عليهم الخيل من الثنايا فقال: خُذوا غيرَ طريق المال، فإنه لا حاجةَ بالقوم أن يقعوا فى شوكتكم، ولا يريدون(٣) بكم فى أنفسكم شرًّا من ذهاب المال. فأخذوا غير طريق المال، فلما أدرك حُذيفة الأثر وراءهم(٤): قال: أبعدهم الله وما خيرهم بعد ذهاب المال. واتّبع المال.

وسارت ظُعُن بنى عبس والمُقاتِلة من ورائهم. وتبع حذيفةُ وبنو ذبيان المالَ فلما أدركوه رَدُّوا أوّله على آخره، ولم يُفْلِت منه شيء. وجعل الرجل يَطْرُد ما قدر عليه من الإبل فيذهب بها، وتفرّقوا. واشتدّ الحرّ، فقال قيس بن زهير: ياقوم إن القوم قد فَرَّق بينهم المَغْنم فاعْطِفوا الخيل فى آثارهم، فلم يشعر بنو ذُبيان إلّا والخيل دوائس(٥) فلم يقاتلهم كبير أحد. وجعل بنو ذُبيان إنّما هِمَّةُ الرجل فى غنيمته يحوزُها ويمضى بها، فوضعت فيهم بنو عَبْس السلاح حتى ناشدهم بنو ذبيان

(١) مودوع: اسم فرس هرم.
(٢) فى غ (بولاق): تأهب.
(٣) فى ك: ولا يريدونكم، والتصويب من غ.
(٤) فى غ: ورآه.
(٥) فى ك: دواس.

فى البَقِيَّة ، ولم يكن لهم هَمٌّ غير حذيفة . فأرسلوا خيلهم مجتهدين فى أثره ، وأرسلوا خيلا تَقُصُّ[1] الناس ويسألونهم حتى سقط خَبَرُ حذيفة من الجانب الأيسر على شدّاد بن معاوية بن ذُهل بن قُراد بن مَخْزوم بن مالك بن عَبْس ، وعمرو بن الأسلع ، والحارث بن زهير، وقِرْواش بن هُنَىّ بن أنس ، وجندب. وكان حُذيفة قد استَرْخى حِزام فرسه فنَزل عنه فوضع رِجْله على حَجَر مخافة أن يُقتَصَّ أثرُه ثم شَدَّ الحزام ووضع صدر قدَمِه على الأرض . فعرفوه وعرفوا حَنَف فرسه ـ والحَنف أن تُقْبل إحدى يدَيْه على الأخرى ، وفى الناس أن تقبل إحدى رجليه على الأخرى ، وأن يطأ الرجل وَحْشِيَّهما[2] ، وجمع الأحنف : حُنُف ـ فاتبعوه ومضى حتى استغاث بجَفْر[3] الهَباءة وقد اشتدّ الحَرُّ فرمى بنفسه ومعه حَمَل بن بدر، وحَنَشُ ابن عمرو، وورْقاء بن بلال وأخوه ، وهَمَّام بن عَدِىّ بن فزارة ، وقد نزعوا سروجهم وطرحوا سلاحَهم ووقعوا فى الماء وتمعّكت دوابهم ، وقد بعثوا ربيئة لهم فجعل يطّلع وينظر فإذا لم ير شيئا رجع ، فنظر نظرة فقال : إنى قد رأيتُ شخصا كالنعامة وكالطائر فوق القيادة من قِبَلَ مجيئنا . فقال حذيفة : هَنًّا وهَنًّا ، هذا شَدّاد على جِرْوة ـ وجروة : فرس شداد ـ والمعنى دع ذكر شَدّاد عن يمينك وشمالك واذكر غيره ، لما كان يخاف من شداد . فبينا هم يتكلّمون إذاهم بشدّادبن معاوية واقفا عليهم . فحال بينهم وبين الخيل . ثم جاء عمرو بن الأسلع، ثم جاء قِرْواش بن هُنَىّ حتى تتاموا الخمسة . فحَمل جُندب على خيلهم فاطَّردها ، وحمل عمرو بن الأسلع وشدّاد عليهم فى الجَفْر فاقتحموه، فقال حذيفة : يا بنى عَبْس ، وأين العقول والأحلام . فضرب حَمَل بن بدر بين كَتِفَيْه وقال : اتق مأثورَ الكلام بعد اليوم . فأرسلها مثلا . وقتَل

---

(١) فى غ : تنفض تبعا لرواية النقائض .

(٢) الوحشى: الجانب الأيمن من كل شىء ، والوحشى فى الرجل : ظهرها ضد الإنسى .

(٣) جفر الهباءة : مستنقع فى بلاد غطفان .

قِرْواش بن هُنَيّ حُذَيْفة بن بدر . وقَتَل الحارث بنُ زُهير حَمَل بن بَدْر ، وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زُهير ، وكان حَمَل أخذه من مالك بن زهير يوم قتله . فقال الحارث بن زُهَيْرٍ فى ذلك :

تركتُ على الهباءة غير فَخْرٍ ... حُذَيْفةَ حَوْلَه قِصَدُ[١] العَوالِي

سيُخْبِر عنهمُ حَنَشُ بن عَمْرٍو ... إذا لاقاهُم وابنَا بِلالِ

ويُخبرهم مكان النُّونِ مِنّى ... وما أَعْطيتُه عَرَقَ الخِلالِ

العَرَق: المكافأة والمَوَدَّة، والخِلال: الخلّة . يقول: لَمْ يُعطونى السيفَ عن مودّة ، ولكنى قتلتُ وأخذت . فأجابه حَنَشُ بن عمرو أخو ثعلبةَ[٢] بن سعد بن ذُبيان :

سيُخْبِرك الحديثَ به خَبِيرٌ ... يجاهِرُكَ العَداوةَ غيرَ آلِي

بُداءَتُها لِقرْواشٍ وعَمْرٍو ... وأنتَ تجُول جَوْبَكَ[٣] فى الشِّمالِ

يقول : بُداءة الأمر لِقرواش وعَمْرو بن الأسلع ، وهما اقتحما الجُفْر وقتلا من قتلا وأنت تُرْسُك فى يدك تجول لم تُغْن شيئا . ويقال: لك البُداءة ولفلان العُوادة .

وقال قيس بن زهير[٤] :

تَعلَّمْ أنَّ خيرَ النَّاس مَيْتٌ ... على جَفْر الهَباءَة لا[٥] يَرِيمُ

ولولا ظُلْمُهُ ما زلتُ أبكِى ... عليه الدَّهْرَ ما طلع النُّجومُ

ولكنَّ الفَتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ ... بَغَى والبَغْى مصرعه[٦] وَخِيمُ

---

(١) قصد : جمع قصدة وهى القطعة مما يكسر . والعوالى : الرماح .

(٢) فى غ : بنى ثعلبة .

(٣) الجوب : الترس .

(٤) النقائض: ٩٦ (الصاوى): ٨٨ـ حماسة أبى تمام (الرافعى): ١/١١٩ـ الفاخر: ٢٢٧ـ الخزانة : ٣/٥٣٨ .

(٥) فى الفاخر : ما .

(٦) فى غ والفاخر /٢٢٧ : مرتعه .

أظُنُّ الحِلْمَ دَلَّ علىَّ قومِى ... وقد يُسْتَجْهَل الرجلُ الحليمُ
فلا تَغْشَ المظالمَ أن تراه[١] ... تَمَتَّع بالغِنَى الرجلُ الظَّلُومُ

وقال فى ذلك شَدَّاد العبسى[٢] :

من يكُ سائلاً عنِّى فإنِّى ... وجِرْوةُ لا تَرُود[٣] ولا تُعارُ
مُقَرَّبةَ النِّساء[٤] ولا تراها ... أمامَ الحىِّ يَتْبَعُها المِهارُ
لهَا بالصيف آصِرَةٌ وجُلٌّ ... وسِتٌّ من كرائمها غِزارُ

آصرة : حشيش — وست أى ستّ أينُق تُسْقَى لبنها :

ألا أبلغ بنى العُشَراء عنّى ... عَلانيةً ولا يُغنِى السِّرارُ
قتلتُ سَرَاتَكم وحَسَلْتُ منكم ... حَسِيلاً مثلما حُسِلَ الوِبارُ

حُسالة الناس وجُفالتهم ورَعاعهم[٥] وشَرَطُهم وحُثالَتُهم وخُشارتُهم وعُفافتَهم[٦] واحد، وهم : السفلة يقول : قتلت سَراتكم وجعلتكم من بعدهم حُسالة، وكان ذلك اليوم يوم ذى حُساً .

وقيل : إنّ حُذيفة كان أصاب ذلك اليوم من بنى عبس تُماضِرَ بنت الشريد السُّلَمِيّة أمّ قيس فقتلها وكانت فى المال فقال :

ولم أَقْتُلهم سِرًّا ولكن ... عَلانيةً وقد سَطَع الغُبارُ

---

(١) فى غ : لن . وبعد هذا البيت أربعة أبيات فى غ .
(٢) النقائض (الصاوى) : ٨٩ .
(٣) ترود : تختلف فى المرعى مقبلة ومدبرة .
(٤) فى النقائض : الشتاء .
(٥) بعد هذه الكلمة فى غ : وغثائهم .
(٦) فى غ : وغثاؤهم . وهى بمعناها .

دَنانِير البَرْمكيّة*

هى مَوْلاة يحيي بن خالد البَرْمكى ، صفراء مولَّدة ، صادقة المَلاحة ، من أحسن الناس وجها وأظرفهم وأكملهم أدبا ، وأكثرهم رواية للغناء والشعر . وكان الرشيد لشغفه بها يكثر مسيره إلى مولاها ويُقيم عنده ، ويَبرّها ويُفرط فى ذلك . ووهب لها فى ليلة عِقْداً قيمتُه ثلاثون ألف دينار ، وردّته[1] عليه فى مصادرة البرامكة .

وكانت زُبيدة شكت ذلك إلى أهله وعمومته فعاتبوه فى[2] ذلك ، فقال : أنا ما لى أَرَبٌ فى الجارية نفسها ، وإنما أَرَبى فى غنائها فاسمعوها ، فإن استحقت أن يُؤْلَف غناؤها وإلا فقولوا ما شئتم! فأقاموا عنده ونقلهم إلى يحيي فسمعوها عنده فعذروه ، وعادوا إلى أم جعفر وأشاروا عليها ألا تلحّ فى أمرها ، فقبلت ذلك . وأهدت إلى الرشيد عشر جوارٍ[3] ، منهن ماردة أمّ المعتصم ، ومراجل أمّ المأمون ، وفارد[4] أمّ صالح .

ولها كتاب مجرّد فى الغِناء[5] ، وكان اعتمادها على ما أخذته من بَذْل ، وهى خرّجتها .

وكانت لرجل من أهل المدينة خَرَّجها وأدَّبها ، فلما رآها يحيي وقعت بقلبه فاشتراها ، وكانت أروى الناس للغناء القديم .

---

* الأغانى : (بولاق) : ١٦/١٣٦-١٣٩- (بيروت : الثقافة) : ١٨/١٤-٢٠ .

(١) فى غ : وردّ .

(٢) فى غ : على .

(٣) فى ك : جوارى .

(٤) فى غ : فاردة وما هنا موافق لمخطوطة فى هامش غ (بيروت) .

(٥) فى غ : فى الأغانى المشهورة .

قال عَبَّاد النَّسوى(١) : مررت بمنزل من منازل طريق مكة يقال له النِّباج وإذا على الحائط مكتوب ما صورته : النَّيك أربعة : فالأول شَهْوة ، والثانى لَذَّة ، والثالث شِفاء ، والرابع دَوًى(٢) وحِرٍ إلى أَيْرَيْن أحوج من أَيْرٍ إلى حِرَيْن . وكتبت دنانير جارية البرامكة بخطّها .

وكانت قد أصابتها العِلَّة الكَلْبية فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة(٣) واحدة . وكان يحيي يتصدّق عنها فى كل يومٍ من شهر رمضان بألف دينارٍ لأنها كانت لا تصوم(٤) .

وكانت قد حكت غناء إبراهيم حتى لا يكون بينهما فرق ، فكان إبراهيم يقول ليحيي : متى فقدْتَنِى ودنانيرُ باقية فما فقدتنى .

وكان الرشيد قد دعا دنانير بعد قَتْله البرامكة وأمرها أن تغنّى ، فقالت : يا أمير المؤمنين إنى آليت أن لا أغنّى بعد سيّدى أبدا . فغضب وأمر بصَفْعِها . فصُفعت وأقيمت على رجليها وأُعْطِيت العود فأخذته وهى تبكى أحرّ بكاء واندفعت تغنى :

يا دارَ سَلْمَى بنازح السَّنَدِ بين الثَنايا ومَسْقط اللَّبَدِ
لمّا رأيتُ الديارَ قد دَرَسَت أيْقَنْتُ أن النعيم لم يَعُدِ

فرقّ لها الرشيد وأمر بإطلاقها فانصرفت .

وكان عَقِيدٌ مولى صالح بن الرشيد قد هَوِى دنانير وشُغِفَ بها فخطبها فردّته ، فاستشفع إليها(٥) بمولاه صالح بن الرشيد وببذل وبالحسين بن محرز(٦) فلم تجبه وأقامت على الوفاء لمولاها ، فكتب إليها عَقِيد :

(١) فى غ : البشرى . وفى مخطوط غ : النشوى .
(٢) فى غ : داء . وهما بمعنى .
(٣) فى مخطوط غ : مرة .
(٤) فى غ : تصومه .
(٥) فى غ : عليها .
(٦) فى غ : المحرز .

يا دَنانيرُ قـد تَنَكَّرَ عَقْلِي ... وتَحَيَّرتُ بين وَعْـدٍ ومَطْلِ

شَفِّعِي شَافِعِي[1] إليـك وإلّا ... فاقتُلِيـنى إنْ كنت تَهْوِين قَتْلِي

أنا[2] بالله والأمـير وما آ ... مل من موعـد الحُسَيْن وبـذل

لا[3] أُحِبُّ الحياة يا حِبُّ إنْ لَمْ ... يَجْمَعِ الله عـاجلًا بك شَمْلى

فلم يعطفها ذلك، ولم تزل على حالها حتى ماتت.

وفى دنانير يقول أبو حَفْص الشِّطْرَنجى :

أَشْبَهَكِ المِسْكُ وأشْبَهْتِه ... قائمـةً فى لَوْنه قاعِدَهْ

لا شَـكَّ إذ لَوْنُـكما واحد ... أنَّـكما من طِينَةٍ واحِـدهْ

قال مخارق : مرّت بى ليلة ما مرّ بى مثلها قط . جاءنى رسول الأَمِين وهو خليفة فأخذنى وركض بى إليه ركضا ، فحين وافيتُ أُتِىَ بإبراهيم الموصلى[4] على مثل حالى ، فنزلنا فإذا هـو فى صَحْن دار لم أرَ مثلَه وقد ملئ شَمْعًا من الشمع الكبار[5] ، وإذا بالأمين[6] قد دخل فى الخدم ، والدار مملوءة بالوصائف يضربْن[7] بالطُّبول والسرنايات[8] ومحمد فى وسطهم يرقص[9] فى الكرج فجاءنا رسوله فقال : قوما فى هذا الباب ممّا يلى الصحن وارفعا أصواتكما مع السرناى أين بَلَغ ،

---

(١) فى غ : شافعا .

(٢) فى ك : أنا لله والتصويب من غ .

(٣) فى غ : ما .

(٤) فى غ (بولاق): بإبراهيم بن المهدى وما هنا رواية غ (بيروت) .

(٥) فى غ : من شمع محمد الأمين الكبار .

(٦) فى غ : محمد .

(٧) فى غ : يغنين وفى ك : يضربون وهو خطأ .

(٨) السرنايات : من آلات الصفير (كلمة فارسية) .

(٩) فى غ يرتكض .

وإيا كما أن أسمع فى أصواتكما تقصيرا عن السرناى . قال : فقمنا فإذا الجوارى والمخنّثون يضربون ويزمرون :

هَذِى دنانير تَنْسانِى وأذكُرها ... وكيف تَنْسَى مُحِبًّا ليس يَنْساها[1]

أعوذُ بالله من هِجرانِ جارِيَةٍ ... أصبحتُ من حُبِّها أَهْذِى بذِكْراهَا

قد أَكْمَلَ الحسْن فى تركِيب صُورَتِها ... فارتَجَّ أسفلُها واهتزَّ أعلاهَا

قامَتْ تَمشَّى فليتَ اللهَ صَيَّرَنِى ... ذاكَ التُّرابَ الَّذى مَسَّتْه رِجلاهَا

واللهِ واللهِ لو كانت إذا بَرَزَتْ ... نفسُ المتيَّم فى كَفَّيْه أَلْقاهَا

فما زلنا نشقُّ حلوقَنا مع السرناى ونتبعه ، حَذَراً من أن نخرج عن مذهبه[2] أو نقصّر عنه إلى الغداة والأمين[3] يجول فى السكرح ما يَرِيمُه[4] ، ندنو[5] إليه مرّة فى جولانه ونتباعد[6] عنه مرة ، وتحول الجوارى بيننا وبينه حتى أصبحنا !!

---

(١) الأبيات للموصلى عدا البيت الأول فليس له .

(٢) فى غ : طبقته .

(٣) فى غ : محمد .

(٤) فى غ : يسأمه .

(٥) فى غ : يدنو إلينا .

(٦) فى غ : يتباعد عنا .

دِعْبِل الخُزاعى*

دِعْبل[1] بن علىّ بن رَزِين بن سُلَيْمان بن تَمِيم بن نَهْشَل وقيل بيهس[2] ابن خراش[3] بن خالد بن عبد بن دِعْبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم ابن أَفْصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر. كان يقال: اسمه محمد[4] وكنيته أبو جعفر، ودعبل لقب غلب عليه، وقيل كنيته أبو علىّ.

شاعر متقدّم مطبوع هجّاء خبيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا من أولادهم، ولا ذو نَباهة أحسن إليه أو لم يحسن، ولا أفلت منه كبير أحد.

وكان شديد التعصّب على النِّزارية للقحطانية. وناقض الكميت بن زيد فى قصيدته المذهبة التى هجا بها اليمن وهى:

* أَلَا حيّيتِ عنّا يامَدِينَا[5] *

فرُوِى أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ينهاه عن ذِكْر الكميت بسوء. وناقضه أبو سعيد المَخْزُومى فى قصيدته وهاجاه، وتطاول الشر بينهما، فخاف

---

* الأغانى (بولاق): ١٨/٢٩-٦٠ (بيروت): ٢٠/٦٨-١٤٥-طبقات الشعراء: ٢٦٤ تاريخ بغداد: ٨/٣٨٣- معجم الأدباء: ١١/٩٩-١١٣- تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٥/٢٢٧-٢٤٢.

(١) قال الخطيب البغدادى فى تاريخه: هو دعبل بن على بن رزين بن عثمان بن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى. وجرى على هذا ابن عساكر.

(٢) فى غ: بهنس.

(٣) فى غ: خداش وكذا فى الأدباء.

(٤) فى تاريخ بغداد: ٨/٣٨٣: الحسن وقيل عبد الرحمن.

(٥) فى غ: مرينا والبيت فى الخزانة: ١/٨٦ وقوله: يا مدينا أراد يا مدينة فرخم.

بنو مخـزوم لسان دعبل وأن يَعُمَّهم بالهجاء فنفَوا أبا سعيد عن نَسَبهم وأشهدوا بذلك على أنفسهم.

وكان دِعْبِلُ من الشيعة المشهورين بالمَيل إلى على عليه السلام، وقصيدته التى أولها:

مَدارِسُ آياتٍ خَلَتْ من تِلَاوةٍ ومَنْزِلُ وَحْى مقفر العَرَصات

من أحسن الشّعر، وفاخر المدائح المقـولة فى أهل البيت عليهم السَّلام. وقصد بها على بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه، وخلع عليه خلعة[1] من ثيابه فأعطاه بها أهل قُم ثلاثين ألف درهم فلم يَبِعْها، فقطعوا عليه الطريق فأخذوها، فقال لهم: إنها تراد لله وهى محرّمة عليكم، فدفعوا إليه ثلاثين ألف درهم، فحلف ألّا يبيعَها أو يعطوه بعضها ليكون فى كفنه، فأعطوه كُمًّا منها[2] فكان فى أكفانه.

ولما قدم العراق اشترى الشيعة من الدراهم التى أعطاها له على بن موسى الرضا كل درهم بعشرة دراهم، فحصلت له مائة ألف درهم

وكتب[3] هذه القصيدة على ثوب وأحرم فيه، وأمر بأن يكون فى أكفانه. ولم يزل مرهوبَ اللسان يخاف الخلفاء من هجائه لهم، فهو دهره كله خائف متوارٍ[4].

قال إبراهيم بن المهدى يوما المأمون قولًا فى دِعْبل يحرّضه عليه فضحك المأمون وقال: إنّما تحرّضنى عليه لقوله فيك:

يا مَعْشَر الأَجنـاد لا تَقْنَطُوا وارْضَوا بما كان ولا تَسْخَطُوا

---

(١) فى الأدباء: بردة.

(٢) فى غ: فرد كم.

(٣) معجم الأدباء: ١١/١٠٣.

(٤) فى غ: متوار هارب.

فسوف تُعطَون حُنَيْنِيَّـــةً[١] يَـلَذُّهـا الأمردُ والأشْمَطُ
والمَعْبَديّات[٢] لقوّادكم لا تُدخل الكيسَ ولا تُربَطُ
وهَـــكذا يُرزق قوّاده خليفةٌ مصحفُـــه البَرْبَطُ[٣]

فقال له إبراهيم. فقد والله هَجاكَ أنت أيضا يا أمير المؤمنين. فقال له: دع هذا عنك، فقد عفوت عن هجائه إياى لقوله هذا. وضحك.

ثم دخل أبو عَبَّاد، فلما رآه المأمون من بُعْد قال لإبراهيم: دِعْبِـل يجْسُر على أبى عَبّادٍ بالهجـاء، ويُحْجِم عن أحد. فقال له: وكأنّ[٤] أبا عباد أبسط يدا منك ياأمير المؤمنين! قال: لا. ولـكنه حَديدٌ[٥] جاهل لا يؤمَنُ، وأنا أحلُم وأصفح! والله ما رأيت أبا عبّاد قط مُقبِلًا إلّا أضحكنى قولُ دِعْبِلٍ فيه[٦]:

أَوْلَى الأُمور بضَيْعَةٍ وفَسادِ أمـرٌ يُدَبِّره أبو عَبَّـادِ
وكأنّه من دَيْرِ هِزْقِلَ مُفْلِتٌ حَرِدٌ يَجُرُّ سلاسِلَ الأَقْيادِ

قال دعْبل: قال لى أَبى علىُّ بن رَزين: ما قلتَ شيئا من الشعر قط إلّا هذه الأبيات:

خَليليّ ما ذا أَرْتَجى من غَدِ امْرِئٍ طوَى الـكَشْحَ عَنّى اليومَ وهو مَـكِينُ[٧]
وإنّ امرأً قد ضَنّ عنـــه بمَنْطِقٍ يَسُـــدُّ به فَقْرَ امرئٍ لضَنِـينُ

---

(١) حنينية: نسبة إلى حنين المغنى، يريد أغنية مما يغنيها حنين.
(٢) المعبديات: نسبة إلى معبد المغنى.
(٣) البربط: العود والمزهر.
(٤) فى ت: أو كان أبو عباد.
(٥) حديد جاهل: شديد الغضب، سريع إليه.
(٦) البيتان مع آخر فى معجم البلدان (دير هزقل) ٤ / ١٨١ ودير هزقل كان بين البصرة وعسكر مكرم (ياقوت) ويبدو من قول دعبل أنه كان يتخذ مستشفى أو معقلا لمرضى العقول.
(٧) معجم الأدباء: ١١ / ١١١.

وبيتين آخرين وهما :

أقولُ لما رأيتُ الموتَ يطلُبُني   يا لَيْتَني دِرْهَمٌ في كِيس مَيَّاحِ
فياله دِرْهَما طالت صِيانَتُه   لا هالكٌ ضَيْعَةً يوماً ولا ضاحِي

قال أبو زيد الأنصاري : الدِّعْبِل: الناقة[١] التي معها ولدها ، وقيل : البعير[٢] المُسِنّ ، وقيل : الشيء[٣] القديم . وكان يقال : خُتِم الشِّعر بدِعْبل . وكان يقال أيضا : خُتِم الشعر بعُمارة بن عَقِيل .

ولم يزل دِعْبَلٌ عند الناس جليلَ القَدْر حتى رَدَّ على الكُمَيت فوضع ذلك منه .

قال دِعْبل : صُرِع مجنونٌ مرّة فصحت في أذنه دِعْبِل دِعْبِل دِعْبل ثلاث مرات فأفاق من جنونه .

وكان سبب خُروج دِعْبل من الكوفة أنه كان يتشطَّر ويصحب الشُّطّار، فخرج هو ورجل من أَشْجَع فيما بين العشائين ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة كان يروح كلّ ليلة بكِيسه[٤] إلى منزله : فلمّا طلَع مقبلا عليهما وثبا عليه فجرحاه وأخذا ما في كُمِّه فإذا هي ثلاث رُمَّانات في خِرْقة ولم يكن كِيسُه ليلتئذ معه . ومات الرجل في مكانه واستتر دِعبلٌ وصاحبه . وجدّ أولياء الرجل في طلبهما ، وجدّ السلطان في ذلك ، وطال على دعبل الاستتار واضطر إلى أن هرب من الكوفة فما دخلها حتى كتب إليه أصحابه أنّه لم يبق من أولياء الرجل أحد .

قال أبو خالد الخُزاعي الأسلمي : قلتُ لدعبل وَيْحَك قد هَجَوْت الخلفاء والوزراء والقواد، ووَتَرْت الناس جميعا، وأنت دهْرَك كلّه شريد طريد خائف هارب، فلو كففت

---

(١) هذا قول أبي زيد .
(٢) هذا قول أبي عمرو الشيباني .
(٣) سماع عن حذيفة بن محمد الطائي .
(٤) في غ : بكسبه .

عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك . فقال : إنى تأملت ما تقول[1] فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على الرَّهْبَةِ ولا يبالى بالشاعر وإن كان مجيداً إذا لم يخف شره ، ولَمَنْ يتّقيك على عِرْضه أكثر ممّن يرغب فى تشريفه . وعيوب الناس أكثر من محاسنهم ، وليس كل من شرَّفْتَه بِشِعْرٍ شَرُفَ ، ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه ينتفع[2] بقولك ، فإذا رآك قد أوجعت عِرْض غيره وفضحته أبقى[3] على نفسه وخاف مثل ما[4] جرى على الآخر . ويحك يا أبا خالد : إنّ الهجاءَ المقذع آخَذُ بضَبُع الشاعر من المديح المُضرع .

فضحكت من قوله هذا وقلت : هذا والله مقال من لا يموت حَتْفَ أنْفه !

كان دعبل يقول : أنا ابن قولى :

لا تَعْجَبِي يا سَلْمُ من رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِهِ فبَكَى

وكان أبو تمام يقول : أنا ابن[5] قولى :

نَقِّل فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهَوَى ما الحُبُّ إلّا للحَبِيبِ الأَوَّلِ[6]

وكان الحَمْدُونى يقول : وأنا ابنُ قولى فى الطيلسان :

طَالَ تَرْدادُه إلى الرَّفْوِ حَتَّى لو بَعَثْناه وَحْدَه لتَهَدَّى[7]

ومعنى قَوْلهم أنا ابنُ قولى أى أنّى عُرفتُ به . وقول دعبل[8] :

* لا تعجبي يا سَلْمُ من رجل *

---

(١) فى غ : (بيروت) ما أقول .

(٢) فى غ : انتفع .

(٣) فى غ : اتقاك .

(٤) فى غ : من مثل .

(٥) فى أخبار أبى تمام للصولى/٢٦٣ : أنا كقولى ..

(٦) الصناعتين: ١٥٢ ـ المنتحل: ١٧٧ ـ الشريشى : ١/١٥ .

(٧) تهدى : اهتدى إلى طريقه واسترشد .

(٨) الصناعتين بدون عزو : ٢٣٩ وتمام البيت : ضحك المشيب برأسه فبكى .

مأخوذ من قول مُسْلِم بن الوليد[١] :

مُسْتَعبرٌ يبكى على دِمْنَــةٍ ورَأْسُه يَضْحَك فيه المَشِيبْ

فجاء دعبل به أجودَ من مسلم ، فهو أحق به منه .

كان دعبل فى شَهْرَزُور[٢] ، فدعاه رجل إلى منزله وعنده قَيْنَة مُحْسِنة مُجيدة فغنّت الجارية فى شعر دعبل :

أينَ الشبـــاب وأيَّـة سَلَـكا لاأَيْنَ يُطْلَبُ ضَلَّ[٣] بَلْ هَلَـكا

لا تَعْجَبِى يا سَلْمُ من رَجُلٍ ضَحِك المشيبُ برأسه فبَـكَى

يا لَيْتَ شِعْرِى كيف يَوْمُـكما يا صـاحِبَىَّ إذا دَمى سُفِـكاَ

لا تَأْخُذا بظُلامَـتِى أَحدًا قَلْـبِى وطَرْفِى فى دَمِى اشْتَرَكاَ

فارتاعَ[٤] دعبـــل لهذا الشعر وقال : قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة ! !

قال أحمد بن أبى كامل : كان دعبل يُنْشِدُنى كثيرا من أهاجيه فأقول له : فى مَنْ هذا ؟ فيقول : ما يستحقه[٥] من أحدٍ بعينه ، وليس له صاحب ، فإذا وَجَدْتُ[٦] على رجل جعلت ذلك فيه وذكرت اسمَه فى الشعر .

قال إبراهيم بن المدبّر : لقيت دعبل بن علىّ فقلت له : أنت أجسرُ الناس عندى حيث تقول[٧] :

إنِّى من القـــوم الذين سُيوفهم قَتَلَتْ أخاكَ وشَرَّفَتْكَ بمَقْعَد

(١) ديوان صريع الغوانى :

(٢) شهرزور : بين إربل وهمذان . (ياقوت) .

(٣) فى ك : منك والتصويب من غ ومعجم الأدباء وتهذيب ابن عساكر .

(٤) فى غ : فارتاح وهما بمعنى .

(٥) فى غ : استحقه .

(٦) وجد عليه : غضب .

(٧) البيتان مع أبيات فى تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥/٣٥ وهما فى المأمون .

رَفَعُوا مَحلَّك بعـــد طُول خُمولِه
واستَنْهَضُوك[١] من الحَضِيض الأَوْهَدِ

فقال لى : ياأباإسحاق أنا أحمِـلُ خشبتى منذ أربعين سنة فلا أجد أحداً يصلبنى عليها !!

كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلهاويرجع وقد أفادَ وأَثْرَى . وكانت الشُّراة[٢] والصعاليك[٣] يلقَوْنه فلا يؤذُونه ويوا كلُونه ويشاربونه . وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه ودعا بغلامين[٤] له مغنيين فيغنّيانهم ويَسْقِيهم ويشرب معهم ويُنشدهم ، وكانوا قد عرفوه وألِفُوه لـكثرة أسفاره. فكانوا يواصلونه ويَصِلونه .

ومن شعر دعبل فى بُعْدِ سفره :

حَلَّتْ محلاًّ يَقْصرُ البرقُ دُونَه ويعجز عنه الطَّيْف أن يتَجَشَّما

كان البحترىّ يقول : دعبل أشْعَرُ عندى من مُسلم بن الوليد ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأن كلام دعبل آخذُ فى كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم . وكان يتعصّب له .

قال محمّد بن الأشعث : سمعت دِعبلا يقول : ما كانت لأحد قطّ عندى مِنَّة إلّا تمنيت موته .

دخل دِعْبل الرَّىّ فى أيّام الربيع ، فجاءهم ثلج لم يُرَ[٥] مثله فى الشتاء . فجاء شاعر من شعرائهم فكتب هذا الشعر فى ورقة ورماها فى دهليز دعبل :

---

(١) فى غ وابن عساكر : استنقذوك .

(٢) الشراة : فرقة من الخوارج .

(٣) الصعاليك : جمع صعلوك ، وهم الذين خلعهم قومهم حذر مايجنونه من شر ومايغيرون من غارات .

(٤) فى غ : بغلاميه ، ثقيف وشغف .

(٥) فى غ : لم يروا .

جاءنا دِعْبِلٌ بِثَلْجٍ من الشِّعْـ ... ـرِ فجادت سماؤنا بالثلوجِ
نَزَل الرَّيَّ بعد ما سكَنَ البَرْ ... دُ وقد أينعت رياضُ المروجِ
فكسانا بِبَرْدِه لا كساه اللّـ ... ـه ثوباً من كُرْسُفٍ[1] مَحْلُوجِ

فلما قرأها دعبل ارتحل من الريّ .

فخر قوم من خُزاعة على دِعْبل يقال لهم بنو مكلِّم الذئب[2] . فقال دعبل يهجوهم[3] :

تِهْتم علينا بأنَّ الذئب كلَّمكم ... وقد لعَمْرِي أبوكم كلَّم الذِّيبا
فكيف لو كلَّم اللَّيْث الهَصُورَ إذاً ... أفنيتم الناسَ مأكولا ومشروبا
هذا السُّنَيْدِيُّ لا أصلٌ ولا طرفٌ[4] ... يكلِّم الفيلَ تَصْعيداً وتَصْويبا

كان جدّ هؤلاء القوم قد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدّثه أن الذئب أخذ من غنمه شاة فلمّا تبعه غَشِيَهُ بالسيف فقال له : مالى ولك تمنعنى رزقَ الله . قال : فقلت: يا عجباً الذئب يتكلَّم ؟! فقال : أعجب من هذا أن محمّدا صلى الله عليه وسلم نبيٌّ قد بعث بين أظهركم وأنتم لا تتبعونه . فبنوه يفخرون بتكليم الذئب جَدَّهم .

قال دعبل: لمّا هربتُ من الخليفة بتُّ ليلة بنَيْسَابور وحدى وعزمت أن أعمل قصيدة فى عبد الله بن طاهر فى تلك الليلة ، فإنّى لفى ذلك ، والباب مردود علىّ ، إذ سمعتُ قائلا يقول : السلام عليكم ورحمة الله، أَلِجُ[5] رَحِمَك الله ؟ فاقشعرَّ بدَنى من ذلك ، ونالَنى أمرٌ عظيم ، فقال : لا تُرَعْ فإنى رجل من إخوانك من الجنِّ المسلمين من ساكنى اليمن طرأ إلينا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك :

---

(١) كرسف : قطن .

(٢) بنو مكلم الذئب : هم بنو أهبان ، وهم بنو عم دعبل (ابن عساكر : ٥/٢٣٨) .

(٣) الأبيات فى ابن عساكر : ٥/٢٣٨ .

(٤) لا أصل ولا طرف : فى ابن عساكر : لا يسوى أثاوية .

(٥) فى ك : أنج والتصويب من غ .

مدارِسُ آياتٍ خلَت من تِلاوةٍ ... ومــنزلُ وَحْي مُقْفِـر العَرَصـات

فأحببتُ أَنْ أسمعها منك . فأنشدته إياها فبكى حتى خرَّ ، ثم قال : يرحمك الله أَلَا أُحَدِّثك حديثا يزيد فى دِينك ويُعِينُك على التمسُّك بمذهبك ؟ ! فقلت : بَلَى . قال : مكثت حينا أسمع بذكر جعفر بن محمد عليهما السلام، فصرت إلى المدينة فسمعته يقول : سمعتُ أبى عن أبيه عن جَدِّى[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : علىٌّ وشيعته هم الفائزون. ثمّ ودَّعنى وانصرف. فقلت : يرحمك الله إنْ رأيت أن تخبرنى باسمك فافعل . فقال : أنا ظَبْيان بن عَمّار[2] .

قال إسحاق بن محمّد النَّخَعى : كنت جالسا مع دِعْبِل بالبصرة وعلى رأسه غلامُه ثقيف، إذ مرّ به أعرابى يرفل فى ثياب خز، فقال لغلامه : ادع لى هذا الأعرابى . فأومأ الغلام إليه فجاء. فقال له دعبل : ممَّن الرجل؟ فقال من بنى كِلاب ، قال : من أى ولد كلاب أنت ؟ قال من بنى[3] أبى بكر . فقال له دعبل أتعرف القائل[4] :

ونُبِّئت كَلْباً من كلاب يَسُبُّنِى ... ومَحْضُ[5] كلابٍ يقطع الصَّلَوات

فإنْ أنَا لم أُعْلِم كِلاباً بأنَّها ... كِلابٌ وأنّى باسِلُ النّقمـات

فكان إذاً من قَيْسِ عَيْلان وَالِدِى ... وكانت إذاً أُمِّى من الحَبَطاتِ[6]

وهذا الشعر يقوله دعبل فى عَمْرو بن عاصم الكلابى . فقال له الأعرابى: ممّن أنت؟

---

(١) فى غ : جده .
(٢) فى غ : عامر .
(٣) فى غ : ولد .
(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥/٢٣٩ .
(٥) فى ابن عساكر : ومر .
(٦) الحبطات : ابناء الحارث بن عمرو بن تميم ، سمى بذلك لأنه أكل صمغا كثيرا فحبط بطنه أى ورم (اشتقاق : ٢٠٢) .

فكره أن يقول من خزاعة فيهجوهم . فقال : أنا أنتمى إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر(١) :

أناسٌ علىٌّ الخيرِ منهم وجعفرٌ ... وحمزةُ والسجَّاد ذو الثفِنات
إذا فخروا يوماً أتَوا بمحمَّدٍ ... وجبريلَ والفرقانِ والسُّوراتِ

فوثب الأعرابى وهو يقول: ما إلى(٢) محمد وجبريل والفرقان والسورات مرتقى .

كان المعتصم يبغض دِعْبِلا لطول لسانه ، وبلغ دعبلًا أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب إلى الجبل وقال يهجوه :

بَكَى لشَتاتِ البَيْنِ مكتئبٌ صبٌّ ... وفاضَ بفرْطِ الدَّمْعِ من عَيْنه غَرْبُ
وقام إمامٌ لم يكن ذا هِدايةٍ ... فليس له دِينٌ وليس له لُبُّ
وما كانت الأنباء تأتى بمثلِه ... يُملَّكُ يوماً أو تدين له العُرْبُ
ولكن كما قال الّذين تتابعوا ... من السَّلَفِ الماضين إذْ عَظُم الخطْب
ملوكُ بنى العباس فى الكُتْبِ سبْعَةٌ ... ولم تَأْتِنا عن ثامنٍ لهمُ الكُتْبُ(٣)
كذلك أهلُ الكهْفِ فى الكهْفِ سبْعَة ... خيار إذا عُدُّوا وثامنُهم كَلْبُ(٤)
وإنّى لأُعْلِى كلبَهم عنك رِفْعةً(٥) ... لأنّك ذو ذَنْبٍ وليس له ذَنْبُ
لقد ضاعَ مُلْكُ النَّاسِ إذْ ساسَ مُلْكَهم ... وَصِيفٌ وأشناسٌ وقد عَظُم الخطْبُ(٦)

---

(١) البيتان فى ابن عساكر : ٥/٤٢٠ .

(٢) فى غ : مالى إلى .

(٣) هذا البيت والأبيات التى تليه فى تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥/٢٣٦ .

(٤) رواية الشطر الثانى فى تهذيب ابن عساكر : غداة ثووا وثامنهم كلب .

(٥) فى تهذيب ابن عساكر : وإنى لأزهى كلبهم عنك رغبة .

(٦) وصيف وأشناس: غلامان اجتلبهم المعتصم وصاروا قودا . ورواية البيت فى ابن عساكر :

فقد ضاع أمر النـاس حين تسوسهم ... وحل بهم عسر وقد عظم الخطب

وفَضْل بن مروانٍ تَثلَّم[1] ثُلْمَة يظلُّ بها الإسلام ليس له شَعْبُ[2]

قال محمد بن يزيد : سألتُ دِعْبلا عن هذه الأبيات فأنكر أن تكون له ، فقلت : فمن قالها ؟ قال : من حشا الله قبرَه ناراً إبراهيم بن المهدى ، أراد أن يُغرِيَ بى المعتصم فيقتلنى لهجائى إياه .

لمّا ورد نَعْىُ المعتصم وقِيام[3] الواثق قال دِعْبلٌ بَدِيها :

الحمد لله لا صَبْرٌ ولا جَلَدُ ولا عَزاءٌ إذَا أَهْلُ البَلا رَقَدُوا

خَلِيفةٌ ماتَ لم يَحْزن له أَحَدٌ وآخرٌ قامَ لَمْ يفرَح به أَحَدُ

فمَرَّ هذا ومرّ اللؤمُ يتبَعُه وقامَ هذافقام الظُّلْمُ والنَّكَدُ[4]

وكان المتوكّل يُرمَى بالأُبْنة ، فمن هجائه ما أنشده عبد الله[5] بن يعقوب عن دعبل :

فلستُ بقائلٍ قَذَعاً ولكنْ لأَمرٍ ما تَعبَّدَك العَبِيدَ

غضب دِعْبل على جَعْفرِ بن محمد بن الأشعث لشىء بلغه عنه فقال يهجوه :

ما جَعْفرُ بن محمد بن الأَشْعَثِ عِنْدِى بخير أُبُوَّةٍ من عَثْعَثِ

عَبِثاً تمرَّس بى فمارِسْ حَيَّةً[6] سوّارَةً إنْ هِجْتَها لم تَلْبثِ

لم يَعْلَمَ المَغْرورُ ماذا حازَ مِنْ خِزْىٍ لوالده إذا لم يَعْبَثِ

فلقيه عثعث فقال : عليك لعنةُ الله . أى شىء كان بينى وبينك حتى ضربت بى المثل فى خِسَّه الآباء؟! فضحك وقال : لا شىء والله إلّا اتفاق اسمك واسم الأشعث فى قافية ! ألا ترضى أن أجعل أباك فى قافية وهو أسود خيرا من الأشعث بن قيس ؟

---

(١) فى غ : سيثلم .

(٢) شعب : اجتماع والتئام .

(٣) قيام الواثق : ولايته .

(٤) ليس فى غ .

(٥) فى غ : عبيد الله .

(٦) روايه غ : عبثا تمارس بى ممارس حية .

قال دعبل : كان لى صديق متخلّف يقول شعراً فاسدا مَرْذولا وأنهاه عنه ، فأنشدنى يوما :

إنَّ ذا الُحبِّ شَدِيــدٌ ليس يُنْجِيهِ الفَرارُ
ونَجَا من كان لا يَعْ شق مِنْ ذُلِّ المَخازِى

فقلت له : هذا لا يجوز . البيت الأول على الراء والبيت الآخر على الزاى . فقال : لا تَنْقُطه[1] . قلت : فالأوّل مرفوعٌ والثانى مخفوض . فقال : أنا أقول لا تنقطه وهو يشكله !!

قال محمد بن زكريا بن ميمون الفَرْغانى : سمعتُ دِعْبلا يقول فى كلام جرى : لَيْسَك ، فأنكرتُه عليه ، فقال : دخل زيد الخَيْل على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم فقال له : « يا زيد ماوُصِفَ لى رجل إلا رأيته دون وصفه لَيْسك » يريد غيرك .

قال دِعْبل وقد أُنْشِدَ قصيدة بكْر بن خارجة فى عيسى بن البراء النصرانى :

زِنّارهُ فى خَصْرِه مَعْقُودُ كأنَّه من كَبِدِى مَقْدُودُ

فقال : ما أعلمنى واللهِ حسدتُ أحداً على شعر كما حسدت بَكْراً على قوله : كأنه من كَبِدى مقدود.

قال الجاحظ سمعتُ دِعْبلًا يقول : مكثت نحو ستين سنة ليس من يَوْمٍ ذَرَّ شارِقُه إلّا وأنا أقول فيه شعرا .

حضر أبو دُلَف يوماً عند المأمون ، فقال له المأمون: أَىَّ شىء تَرْوِى لأخى خُزاعة ياقاسم؟ قال: وأى أخى[2] خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومَنْ تعرف فيهم[3] شاعرا ؟

---

(١) نقط الحرف : وضع عليه نقطة أو أكثر لتمييزه .
(٢) فى غ : إخوة .
(٣) فى غ : منهم .

قال : أمّا من الصميم[١] فأبو الشِّيص ودِعْبل[٢] ، وأما من مواليهم فطاهر وابنه عبد الله . قال: ومن عسى فى هؤلاء أن تُسأل عن شعره سوى دِعْبل ؟ هات أىّ شىء عندك فيه . قال : وأىّ شىء أقول فى رجل لم يُسلِّم عليه أهلُ بيته حتى هجاهم ، فقرن إحسانَهم بالإساءة ، ونائلَهم[٣] بالمنع ، وكرمهم باللؤم[٤]؟! قال : حين[٥] يقول ماذا ؟ قال : حين يقول فى المطَّلب بن عبد الله وهو أصدق الناس إليه وأقربهم منه ، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة ، وولّاه ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه :

اضْرِبْ ندَى طَلْحة الطَّلَحات مبتديا[٦] ... بلؤم مُطَّلب فينا وكُنْ حَكَما

تَخْرُجْ خزاعةُ من لُؤْمٍ ومنْ كَرَمٍ ... ولا تُحسّ[٧] لها لؤما ولا كَرَما

فقال المأمون لله[٨] درّه ما أغوصه وألطفه وأدْهاه ! وجعل يضحك .

ولم يزل دعبل مائلا إلى مسلم بن الوليد مقرًّا بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان فجفاه مسلم ، وكان فيه بُخْل . فهجَرَه دعبل وهجاه ، وتهاجرا . فلم يلتقيا بعد ذلك .

قال دِعْبل[٩] : حججت أنا وأخى رُزَيْن وأخذنا كُتبًا إلى المطّلب بن عبد الله ابن مالك وهو بمصر يتولاها فصرنا من مكّة إلى مصر ، فصحبنا رجل يعرف بأحمد

(١) فى غ : أنفسهم .

(٢) فى غ : دعبل وابن أبى الشيص وداود بن رزين .

(٣) فى غ : وبذلهم .

(٤) فى غ : وجودهم بالبخل .

(٥) فى غ (بيروت) : حيث .

(٦) فى غ : متئدا ، والرواية فى ابن عساكر :

اضرب بذى طلحة الطلحات مبتدئا ... ببخل مطلبها فينا وكن حكما

(٧) فى غ : وابن عساكر : فلا تعد .

(٨) لله دره : فى غ : قاتله الله .

(٩) الخبر والأبيات فى طبقات ابن المعتز : ٣٠١–٣٠٣ (ترجمة أحمد بن الحجاج) .

ابن فلان السرّاج[١] ، فما زال يحدّثنا ويؤنسنا طول طريقنا ويتولّى خدمتنا كما يتولّاها الرفقاء والأتباع . فرأيناه حسنَ الأدب ، وكان شاعرا ولم نعلم ، وكَتَمنا أمرَه[٢] ، وقد عَلِمَ ما قصدنا به فعرضنا عليه أن نقول فى المطّلب قصيدة ننحله إياها . فقال : إن شئتم ، وأرانا سرورا بذلك ، وتقبّلا له . فعملنا له قصيدة وقلنا له تنشدها المطلب . فلما وافيناه أوصلنا إليه كتبا كانت معنا وأنشدناه فسرّ بموضعنا ، ووصفنا له أحمد السراج وذكرنا له أمره فأذن له ، فدخل ونحن نظن أنه سينشده القصيدة التى نحلناه إياها . فلما مثل بين يديه أنشد :

لم آتِ[٣] مُطَّلِباً إلّا بمُطَّلَبٍ ... وهِمَّة بلغت بى غايَةَ الرُّتَبِ

أَفْرَدْتُه برجاء[٤] لن يُشارِكَه ... فيه[٥] الوسائل أو أَلْقاه بالكُتُبِ

قال وأشار إلى كتبى التى أوصلتها إليه وهى بين يديه . فكان ذلك أشدّ علىّ . ثم مرّ فى إنشاده :

رَحَلْتُ عِيسِى إلى البيت الحرام على ... ما كان من وَصَب[٦] فيها ومِنْ نَصَبِ[٧]

أَلْقَى بها وبوَجْهِى كلَّ هاجِرَةٍ ... تكاد تقدح بين الجِلْد والعَصَبِ

حتى إذا ماقضَت[٨] نُسْكِى ثَنَيْتُ[٩] لها ... عِطف[١٠] الزِّمام فأمَّتْ سيِّدَ العَرَبِ

---

(١) السراج : هو أحمد بن الحجاج كما فى طبقات ابن المعتز ، وهو مولى من موالى المنصور ، وفى غ : قال : نسى عبد الله بن أبى الشيص (وهو راوى الخبر) اسم أبيه .

(٢) فى غ : نفسه .

(٣) فى الطبقات : ما زرت .

(٤) فى الطبقات : ببيانى .

(٥) فى الطبقات : فى .

(٦) فى الطبقات . تعب .

(٧) فى الطبقات : دأب .

(٨) فى الطبقات : انقضى .

(٩) فى الطبقات : ثنى .

(١٠) فى الطبقات عطفت .

فَيَمَّمَتْكَ وقد ذابتْ مفاصِلُها من طُول ما تَعَبٍ لاقَتْ ومن وَصَبِ
إنى استجرتُ[١] بإستارَيْن[٢] مُسْتَلِماً رُكْنَيْن مُطَّلبا والبَيْتَ ذا الُحجُبِ
فذاكَ للآجِل المأمول أَلْمَسُه وأنتَ للعاجِل المرجُوّ والطَّلَبِ[٣]
هذا ثَنائِى[٤] وهذى مصر سانحة وأنتَ أنتَ وقد ناديتُ من كَثَبِ

قال : فصاح المطّلب : لبّيك لبّيك . ثم قام إليه وأخذ بيده وأجلسه ثم قال : يا غلمان البدَر . فأحضرت، ثم قال: ياغلمان الِخلَع فنُشرت، ثم قال: الدّوابّ فقيدَت، وأمر له من كل ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدره وصدْرنا وحسدناه عليه. وكان حسدنا له لما اتفق له من القول[٥] وجودة الشعر ، وغيظنا بكتمانه إيانا نفسه واحتياله علينا أكبر وأعظم . فخرج بما أمر له به وخرجنا صفرا . فمكثنا أياما ثم ولّى دِعبل على أسوان .

وكان دعبل قد هجا مُطّلبا غيظا منه فقال :

تُعَلِّق[٦] مصرُ بك الُمخْزِيات وتَبْصُق فى وجْهك المَوْصِلُ
وعاديتَ قوماً فما ضَرَّهم وشَرَّفتَ قوماً فلم يَنْبُلوا
شِعارُك عند الحروبِ النَّجَاءَ وصاحِبُك الأَخْوَرُ الأَفْشَلُ
فأنتَ إذا ما الْتَقَوا آخِرٌ وأنتَ إذا انهزموا أَوَّلُ

---

(١) فى الطبقات : اعتصمت .
(٢) الإستار : الستر .
(٣) الرواية فى الطبقات :
فالبيت للآجل المرجو آجله وأنت للعاجل المرجو للرغب
(٤) فى الطبقات : رجائى .
(٥) فى غ : القبول .
(٦) فى طبقات ابن المعتز : تنوط .

وكانت قصيدة دعبل التى مدح المُطّلب بها :

أَبَعْدَ مِصْرٍ وبعد مُطّلِبٍ ... تَرْجُوا الغِنَى إنّ ذا من العَجَبِ
إنْ كاثرونا جِئْنا بأُسْرَتِه ... أو وَاحَدُونا جِئنا بمُطّلبِ

بلغ المُطَّلبَ هجاء دعبلٍ إياه بعد أن ولّاه فعزله عن أسْوان وأنفذ إليه كتاب العزل مع مولًى له ، وقال : انتظره حتّى يصعد المِنْبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصِلْ الكتاب إليه وامنعه من الُخطْبة وأنزِله عن المنبر ، واصْعَد مكانه . فلمّا علا المنبر وتنحنح ليخطُبَ ناوله الكتاب . فقال له دعبل : دعنى حتى أخطب وإذا نزلت قرأتُه . فقال له : لا قد أمرنى أن أمنعك الخُطْبَةَ حتى تقرأه فأنزله عن المنبر معزولا .

قال أحمدُ بن مَرْوان : دخلتُ على أبى سعد المخزومى يوماً وهو يقول : وأىّ شىء ينفعنى؟ أُجَوِّدُ فلا يُرْوَى ويُرْذِلُ فيُرْوَى ، ويفضحنى برَديئه ولا أفضحه بجَيّدى ! فقلت : مَنْ تَعْنِى يا أبا سعد ؟ قال : ومَنْ ترانى أعنِى إلّا من عليه لعنة الله دعبل . قلت فيه :

ليس لُبْس الطيالِسِ[(١)] ... مِنْ لِباس الفوَارِسِ
لا ولا حَوْمةُ الوَغَى ... كصُدُور المجالِس
ضَرْبُ أوتارِ نَفْنَفٍ[(٢)] ... غَيْرُ ضرب القَوانِسِ[(٣)]
وظُهُور الجِياد غيـ ... ـر ظُهُورِ الطّنافِسِ
ليس من مارَسَ[(٤)] الُحرُو ... بَ كمَنْ لم يُمارِسِ

(١) الطيالس : جمع طيلسان، وهو ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة .

(٢) نفنف : غلام دعبل وكان مغنيا له .

(٣) فى ك: النواقس، والتصويب من غ ورجحنا هذه القراءة لأنها مناسبة لمقابلاته فى الحرب وما إليها . والقوانس جمع قونس وهو أعلى البيضة الحديد أو مقدمها .

(٤) فى غ : ضارس . وضارس : جرب وعرف ؛ وهما بمعنى .

بأَبِى غَرْسُ فِتْيَةَ من كِرامِ المَغارِسِ
فِتْية من بنى المغِـــيرة شُمٌ[1] المَعاطِسِ
يُطْعِمُون السَّدِيف[2] فى كُلِّ شَهْباء دامِسِ[3]
فى جِفــانٍ كأنّها منْ جِفان العَرائِسِ
ثم يَمْشُون فى السَّنَـــوَّرِ مَشْىَ القَناعِس[4]
ويخوضون باللِّـــوا ء دِماء الأَبالس
نحن خيل الأيام عِنْ د قِياس المُقايِس

فوالله ما التفت إليه من مِصْرنا إلّا علماء الشعر . وقال هو فىّ :

يا أبا سَعْدِ قَوْصَرَهْ زَانِىَ الأُخْتِ والمَرَهْ[5]
لَو تَراهُ مُجَبِّياً[6] خِلْتَه عقد قَنْطَرهْ
أو ترى الأَيْرَ فِيه قُلْتَ سَـاقٌ[7] بِقَطْرَهْ

فوالله لقد رواها صبيان المكتب ومارّة الطرق والسَّفَل . فمـــا أجتاز بموضع إلّا سمعته من سِفْلة يَهُذّه[8] هَذًّا فمنهم من يعرفنى فيعنينى به ، ومنهم من لا يعرفنى فأسمعه منه لسهولته على لسانه .

---

(١) شم المعاطس : أباة أعزة .

(٢) السديف : شحم السنام .

(٣) دامس: كذا فى غ، وفى مخطوطة: جامس، والجامس: الجامد.

(٤) السنور : جملة السلاح ـ القناعس : فى غ: العنابس والقناعس: جمع قنعاس : الضخم العظيم الطويل من الإبل ـ أما العنابس : فهو جمع عنبس وهو الأسد .

(٥) المره : المرأة يعنى الزوجة .

(٦) فى الطبقات : جاثيا. ومجبيا : واضعا يديه على ركبتيه أوعلى الأرض كما يفعل فى السجود من قولهم جبى تجبية .

(٧) فى ك : شياف وفى طبقات ابن المعتز : بيت ولعلها بيب والتصويب من غ .

(٨) يدارك فيه ، ويقوله بسرعة .

قال إسماعيل بن إبراهيم بن ضمرة الخزاعى : سألت دِعْبلا أن أقرأ عليه قصيدته التى يناقض فيها الكميت[1] :

أفيقى من ملامَكِ يا ظعينا كفاكِ اللَّوْمَ[2] مَرُّ الأرْبَعِينا

فقال له : يا أبا الحسن فيها أخبار وغريب ، فليكن معك رجل يقرؤها علىّ وأنت معه ، فيكون أهون علىّ منك . فقلت له : قد اخترتُ صديقا لى يقال له علىّ . فقال : أمن العرب هو ؟ قلت : نعم . قال : من أىّ العرب هو ؟ قلت : من بنى شَيْبان . قال: شيبان كندة أو شيبان ربيعة ؟ قلت : شيبان ربيعة — فقال لى : ويحك تأتينى برجل أُسْمِعُه ما يكره فى قومه؟! فقلت له : إنه رجل يحتمل ويحب أن يسمع مالَه وما عليه . فقال : فى مثل هذا رغبة[3] فأْتِنى به . فلما صِرنا إليه قال : قد أخبرنى عنك أبو الحسن بما سُررت به إذ[4] كنت رجلا من العرب تسمع ما لَكَ وما عليك . فقرأنا عليه الشعر حتى إذا انتهَيْنا فى القصيدة إلى هذا البيت :

مِنَ اىّ ثَنِيَّةٍ طلعت قُرَيْشٌ وكانُوا مَعْشراً مُتَنَبّطينا

فقال دعبل : معاذ الله أن يكون هذا البيت لى . ثم قال : لعنه الله قد انتقم منى[5] ، يعنى أباسعيد[6] المخزومى ، ودسّه والله فى الشعر . وضرب بيده إلى سكين كانت معنا فجرَد البيت بحدّها ، ثم قال لنا : أحدثكم بظريفة :

جاءنى يوما أبو سعد المخزومى هذا ببغداد أشد ما كان بينى وبينه الهجاء وبين يدىّ صحيفة ودواة وأنا أهجوه فيها ، إذ دخل علىّ غلام فقال لى: أبو سعد المخزومى على الباب.

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٥/٢٤٠ .

(٢) فى ابن عساكر : الشيب .

(٣) فى غ : أريحية .

(٤) فى غ: أن.

(٥) قد انتقم منى : فى غ : وانتقم منه .

(٦) فى ك : سعيد ، والتصويب من غ .

فقلت له: كذبت . فقال : بلى والله يامولاى . فأمرته فرفع الدواة والجِلْد الذى كان بين يدىّ ، وأذنت له فى الدخول وجعلت أحمد الله فى نفسى وأقول : الحمد لله الذى أصلح ما بينى وبينه من هتك الأعراض وذكر القبيح . وكان الابتداء منه . فقمت إليه وسلّمت عليه وهو ضاحك مسرور ، فأبديت له مثل ذلك من السرور به ، ثم قلت له: أصبحت والله حاسدا لك! قال: على ماذا ياأباعلى ؟ قلت : لسبقك إياى بالفضل . فقال : أنا اليوم فى دعوة[1] عندك . فقلت : قل ما أحببت . فقال : إن كان عندك ما نأكله وإلّا ففى منزلى شىء معدّ . فسألت الغلمان فقالوا : عندنا قدور إمْسِيَّة[2] ، فقال : غاية واتفاق جيد ! فهل عندك شىء نشربه وإلّا وجهت إلى منزلى ففيه شراب معدّ ؟ فقلت له : عندنا مايشرب. فطرح ثيابَه وردّ دابّته وقال : أحب ألا يكون معنا غيرُنا . فتغدينا وشربنا. فلما أن أخذمنا الشراب قال : مر غلاميك يغنّيانى، فأمرت الغلامين فغنّياه فطرب وفرح واستحسن الغناء حتى سرنى وأطربنى معه . ثم قال: حاجتى إليك يا أبا على أن تأمرهما أن يغنيانى فى هجائك لى . وكان الغلامان لكثرة مايسمعانه منى فى الهجاء له قد حفظا منه أشياء ولحناها . فقلت له: سبحان الله يا أبا سعد ، قد طُفِئت النائرة[3] وذهبت العداوة بيننا وانقطع الشر فما حاجتك إلى هذا ؟ فقال : سألتك بالله إلّا فعلت ، فليس يشقّ ذلك علىّ ، ولو كرهته ما سألته . فقلت فى نفسى أترى أبا سعد يتماجَنُ[4] علىّ ، يا غلمان غنّوه بما يريد . فقال غنوا :

يا أبا سَعْد قَوْصَرَه   زَانِى الأُخْتِ والمَرَهْ

فغنَّوْهُ وهو يحرّك رأسه وكتفيه ويطرب ويصفّق . فما زلنا يومنا مسرورين ،

---

(١) فى ك : دعوى ، والتصويب من غ . وفى مخطوطة غ : أنا عندك وفى دعوتك .

(٢) فى غ : قدرإمسية . منسوبة إلى الأمس ، ولعلها رمسية ؛ منسوبة إلى الرمس وهو الدفن فى الرماد الحار .

(٣) النائرة : العداوة والشحناء .

(٤) يتماجن : يتمازح ويخلط الجد بالهزل .

فلما تَمِـلَ وَدَّعنى وقام وانصرف ، فأمرت غلمانى فخرجوا معه إلى الباب . وإذا غلام منهم قد انصرف إلىّ بقطعة قِرطاس وقال : دفعها إلىّ أبو سعد وأمرنى أن أدفعها إليك ، فقرأتها فإذا فيها :

لِدِعْبِلٍ مِنَّــة يمتُّ[1] بها فلستُ حتَّى المَماتِ أَنساها
أَدْخَلَنا بيتَــه وأَكْرَمَنا ودَسَّ إمْراته[2] فنِـكْناها

فقلت : ويلى على ابن الفاعلة : هاتوا جِلْدًا ودَواة فردّوها علىّ . فعدت إلى هجائه . ولَقِيتُه بعد[3] يومين أو ثلاثة فما سلّم علىّ ولا سلّمتُ عليه .

قال دعبل : لمّا هجوت أبا سعد[4] أخذت معى جَوْزًا كثيراً ودعوت الصبيان ففرّقته عليهم وقلت لهم : صِيحوا :

يا أبا سَعْد قَوْصَرَهْ زانى الأُخْتِ والمَرَهْ

فصاحوا به وعطعطوا[5] عليه فغلبته .

ومن شعر دعبل يعرّض بإبراهيم بن المهدى[6] :

أَنّى يكونُ ولا يكونُ ولم يَـكُنْ يَرِثُ الخِلافَةَ فاسِقٌ عن فاسِقِ
إن كان إبراهيم مُضْطَلِعاً بهـا فَلْتَصْلُحَنْ من بَعْدِه لِمُخَارِقِ

دخل دعبل على عبد الله بن طاهر ببغداد فأنشده :

جئت بلا حُرْمَةٍ ولا سَبَبِ إلَيْـكَ إلَّا بحُرْمَةِ الأَدَبِ
فاقْضِ ذِمامِى فإنَّنِى رَجُـلٌ غير مُلِحٍّ عليك فى الطَّلَبِ

---

(١) فى غ . يمن .

(٢) إمراته : امرأته (بتسهيل الهمزة لضرورة الشعر) .

(٣) فى غ (بيروت) : بعد ذلك بيومين . وما هنا موافق لما فى غ (بولاق) .

(٤) فى ك : سعيد : والتصويب من غ .

(٥) عطعطوا : صاحوا فى ضجة واختلاط .

(٦) الشعر والشعراء : ٨٢٧ .

فانتقل[١] عبـدُ الله ودخل إلى دار الحرم ووجّه إليه بصرّة فيها ألف درهم وكتب إليه :

أَعجلْتَنا فأتاكَ عاجِلُ بِرِّنا   ولو انتظرتَ كثيره لم يَقْلِلِ
فخُذِ القليل وكن كأنَّك لم تَسَلْ   ونكون نحن كأنّنا لم نفعلِ

هجا دِعبلٌ مالكَ بنَ طوق فقال :

سألتُ عنكم يا بني مَالِكٍ   فى نازح الأَرْضِين والدّانِيَهْ[٢]
طُرًّا فلم تُعْرَف لكم نِسْبَةٌ   حتى إذا قلتُ : بنو الزانيَهْ
قالوا: فدع دَارًا على يَمْنَةٍ[٣]   وتلك ها دارُهم الثانيَهْ[٤]

ومما قال فيه أيضا :

لا حدَّ[٥] أخشاهُ علَى   مَن قال أُمُّك زَانِيَهْ
يا زانيَ ابن الزانى ابـــن الزانى ابن الزّانيَهْ
أنت المُرَدَّد فى الزِّنا   ءِ على السِّنين الخالِيَهْ
ومُرَدَّدٌ فيـه عَلَى   كَرِّ السنين الباقِيَهْ

وبلغت الأبياتُ مالكا فطلبه فهرب ، فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس وكان بلغَه هجاءُ دعبل وعبد الله بن أبى عيينة نزارا .

فأمّا ابن أبى عيينة فإنّه هرب . فلم يظهر بالبصرة طول أيّامه ، وأمّا دعبل فإنه لمّا دخل البصرة قبض عليه ودعا بالنِّطع والسيف ليضربَ عنقه ، فحلف بالطلاق على جَحْدها وبكل يمين أنّه لم يَقُلْها ، وأنّ عدوًّا له قالها ، إمّا أبو سعد أو غيره ،

(١) فى غ (بولاق) : فانتقل .
(٢) فى غ: (بيروت) نازح الأرض، وفى الدانية وما هنا متفق مع (غ بولاق) .
(٣) فى غ : يمنة .
(٤) فى غ : ثانية .
(٥) حد : عقوبة .

ونسبها إليه لِيُغْرِىَ بدمه ، وجعل يتضرّع إليه ويقبّل الأرض ويبكى بين يديه . فرقّ له فقال: أما إذْ أعفيتُك من القتل فلابد أن أشهرك . ثم دعا بالعصىّ فضربه بها حتى سَلَح ، وأمر به فأُلْقِىَ على قفاه وفُتِح فمُه فرُدَّ سلحه فيه ، والمَقارع تأخذ رِجْلَيْه ، وهو يحلف أن لا يكفّ حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله ، فما رُفعت عنه حتى بلع سَلْحه كله ، ثم خلّاه . فهرب إلى الأهواز .

وبعث مالك بن طوق رجلا مِقداما وأعطاه سُمًّا وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يطلبُه حتى وجده فى قرية من قرى[1] السُّوس . فاغتاله بعد صلاة العتمة ، فضرب ظهر قَدَمِه بعكّاز لها زُجّ مسموم فمات من غَدٍ ، ودفن فى[2] تلك القرية . وقيل : حُمِل إلى السُّوس فدُفِن بها[3] .

وأمر إسحاق بن العباس شاعراً يقال له الحسين بن زيد ويكنى أبا الذلفاء فنقض قصيدتى دِعْبل وابن أبى عُيَيْنَة بقصيدة أوّلها :

أَمَا تَنْفَكُّ متبولًا حَزِينَا ... تُحِبُّ البِيضَ تَعْصِى العاذِلينا

يهجو بها قبائلَ اليمن ويذكُر مثالبهم ، وأمر بتفسير ما تضمّنته وذِكْر الأيام والأحوال ، ففعل ذلك وسمّاها الدّامِغَة وهى موجودة .

(١) فى غ : نواحى .
(٢) فى غ : بتلك .
(٣) فى غ : فيها .

حرف الذال

وَقعة ذِى قار*

كان كسرى أَبْرَوِيز بن هُرْمُز قد غضب على النُّعمان بن المنذر ، فأتى النعمانُ هانئ بن مسعود بن عامر بن عَمْرِو بن ربيعة[1] بن ذُهل بن شَيْبان فاستودعه ماله وولده وأهلَه والفَشِكَّة أو أربعة آلاف شِكَّة، والشِّكَّة: السلاح كله . ووضع وضائع[2] عند أحياء العرب ثم هرب ، فأتى طيِّئا لصهره فيهم . وكانت عنده فرعة بنت سعيد ابن حارثة بن لأم[3] وزينب بنت أوس بن حارثة بن لأم ، فأبوا أن يُدْخلوه جَبَلَيهم . وأتته بنو رَواحة بن ربيعة بن عبس . فقالوا له : أبيتَ اللَّعْن ، أقم عندنا فإنَّا مانعوك ممّا نمنع منه أنفسنا . فقال: ما أحب أن تَهْلِكُوا بسببى ، فجزيتُم[4] خيراً . ثم خرج حتَّى وضع يده فى يد كسرى ، فحبسه بساباط[5] .

فلما هَلَكَ النُّعمانُ جعلت بكر بن وائل تُغير فى السواد ، فوفد قيس بن مسعود ابن قيس بن خالد[6] ذى الجدين بن عبد الله بن عمرو إلى كسرى ، فسأله أن يجعل له أكلا وطُعمة، على أن يضمن له على بكر بن وائل أن لا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه ،

---

* الأغانى (بولاق) ٢٠/١٣٢-١٤٠ (بيروت) : ٢٣/٢٢٠-٢٤١- نهاية الأرب : ١٥

(١) فى ك : أبى ربيعة والتصويب من غ .

(٢) فى غ : ودائع .

(٣) لأم : ليس فى غ (بولاق) .

(٤) فى غ : وجزاهم ، وما هنا موافق لمخطوطة بهامش غ .

(٥) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

(٦) فى غ : خالد بن ذى الجدين . وما هنا موافق لما فى الاشتقاق لابن دريد : ٣٥٩ (هارون)

فأقطعه الأُبُلَّة وما والاها ، وقال : هى[1] تكفيك وتكفى أعراب قومك .

وكانت له حُجْرة[2] فيها مائة من الإبل للأضياف إذا نُحرت ناقة ردّ مكانها[3] أخرى ، وإيّاه عنى الشمّاخ بقوله[4] :

ارفع بألْبانها عنكم كما رفَعَتْ عنهم لِقاحُ بنى قَيْسِ بن مَسْعُودِ

وكان يأتيه من أتاه منهم فيعطيه جُلَّة[5] تمر وكِرْباسة[6] ، حتى قدم الحارث ابن وَعْلَة بن مُجالد بن يثربى بن الدّيان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة ، والمكسر[7] بن حنظلة بن ثعلبة[8] بن سيار بن حي بن حاطبة بن الأسعد[9] بن خزيمة ابن سعد بن لجيم[10] فأعطاهما جُلّتى تمر وكِرْباسين فأَبَيا أنْ يقبلا ذلك وغضبا، فخرجا فاستَغْوَيا أناساً من بنى بكر بن وائل ، ثم أغارا على السواد، وأغار الحارث على أسافل[11] رودمَنْسان، وأغار المكسر على الأنبار ؛ فلما بلغ ذلك كسرى اشتدّ حنقه على بكر بن وائل، وبلغه أن حَلْقة النُّعمان وولده وأهله عندهم ، فأرسل إلى قيس بن مسعود وهو بالأُبُلّة فقال : لقد غررتنى من قومك فزعمت أنك تكفينيهم[12] ، وأمر به فحُبس بساباط. وأخذ كسرى فى تعبئة الجيوش إليهم . فقال قيس بن مسعود وهو محبوس من أبيات:

---

(١) فى غ : هل .

(٢) الحجرة : حظيرة الإبل .

(٣) رد مكانها : فى غ (بولاق) : أقيدت أخرى .

(٤) الديوان :

(٥) الجلة : القفة الكبيرة .

(٦) الكرباسة : ثياب خشنة .

(٧) فى مخطوطة غ : المكشر .

(٨) فى غ : حنظلة بن حي بن ثعلبة .

(٩) فى غ : اسعد بن جذيمة .

(١٠) فى غ : سعد بن عجل بن لجيم .

(١١) فى هامش ك : أعالى .

(١٢) فى ت : تكفهم .

أَلَا أَبْلغ بنى ذُهْـلٍ رَسُولًا فمَنْ هـذا يكون لـكم مَكانِي
أَيأْ كُلُها ابنُ وَعْلَة فى ظَلِيفٍ[1] ويأمن هَيْثَمٌ وابنـا سِنانٍ[2]

ثم بعث كسرى إلى هانئ يقول له : إنّ النعمان إنما كان عاملى وقد استودعك مالَه وأهله والحلْقة ، فابعث إلىّ بها ولا تـكلّفنى أن أبعث إليك وإلى قومك بالجنود فتقتل المقاتِلَة وتسبي الذريّـة . فبعث إليه هانئ : إن الذى بلغك باطل ، وما عندى لا[3] قايل ولا كثير ، وإن يكن الأمر كما قيل فإنّما أنا أحـد رجلين : إمّا رجل استودع أمانة فهو حقيق على أن يردّها على من استودعها ، ولن يسلِّم الحرّ أمانته ، أو رجل مكذوب عليه ، وليس ينبغى للملك أن يأخذه بقول عدو أو حاسد . وكانت الأعاجم لهم قوّة وحلم ، وكانوا قد سمعوا بعض حِكَم[4] العرب وأن المُلْك كائن[5] فيهم . فلما ورد عليه كتاب هانئ بهذا حملته الشفقة أن يكون ذلك قد اقترب ، فأقبل حتى قطع الفرات ـ فنزل غَمْر بنى مُقاتل ، وقد أحنقه ما صنعت بكر بن وائل فى السواد ، ومنعُ هانئ إياه مامنعه .

ودعا كسرى إياسَ بنَ قَبِيصَة الطائى وكان عاملَه على عين التمْر وما والاها إلى الحيرة ، وكان كسرى قد أطعمه ثمانين قرية على شاطئ الفرات ، فأَتى فى صنائعه من العرب الذين كانوا بالحيرة ، فاستشاره فى الغارة على بكر بن وائل ، فقال له : ماذا ترى ؟ وكم ترى أن نُغْزيهم من الناس ؟ فقال له إياس : إنّ المَلِك لا يصلح

(١) فى ظليف : بغير حق ، يقال : ذهب به ظليفا (ل: ظلف) وأورد البيت بدون نسبة .
(٢) هيثم وابنا سنان يريد الهيثم بن جرير بن يساف بن ثعلبة بن سدوس بن شيبان بن ذهل ابن ثعلبة ، وأبو علباء بن الهيثم .
(٣) فى غ : قليل .
(٤) فى غ : علم .
(٥) كائن فيهم : فى مخطوطة غ : واصل إليهم .

أن يغضبه[١] أحدٌ من رعيته وإن تطمنى لم تُعْلِم أحداً لأىّ شىء عَبَرت وقطعت الفرات ، فيرون أن أمر[٢] العرب قد كَرَبَك . ولـكن ترجع وتضرب عنهم ، وتبعث عليهم العيون حتى ترى منهم غِرّة ، ثم ترسل حينئذ كتيبة[٣] من العجم فيها بعض القبائل التى تليهم فيوقعون بهم وقعة الدهر ، ويأتونك بطَلِبَتِك . فقال له كسرى : أنت رجل من العرب ، وبكرُ بن وائل أخوالك فأنت تتعصّب لهم لا تألُوهم نصحا ـ وكانت أمّ إياس أمامة بنت مسعود أخت هانئ بن مسعود ـ فقال إياس : الملك[٤] أفضل رأيا .

فقام عمرو بن عدىّ بن زيد العبادى وكان كاتبه وتَرْجُمانه بالعربية فى أمور العرب ، فقال له : أقم أيها الملك وابعث إليهم بالجنود يكفوك . وقام إليه النعمان بن زُرعة من ولد السفّاح التغلبى فقال له : أيها الملك إنّ هذا الحىّ من بكر بن وائل إذا قاظوا[٥] بذى قار[٦] تهافتوا تهافت الجراد فى النار . فعقد للنعمان ابن زُرعة على تغْلب والنمر ، وعقد لخالد بن يزيد البهْرانىّ على قُضاعة وإياد ، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب ومعه كتيبتاه : الشَهباء والدَّوسر ، فكانت العرب ثلاثة آلاف، وعقد للهامَرْز على ألف من الأساورة، وعقد لُخنَازرين[٧] على ألف ، وبعث معهم باللّطيمة وهى عِيرٌ كانت تخرج من العراق فيها البز والعطر والألطاف توصل ذلك إلى ياذام عامله باليمن ، وقال : إذا فرغتم من عدوّكم فسيروا بها إلى اليمن .

---

(١) فى غ : يعصيه . وفى ك بدون نقط .

(٢) أمر العرب : فى غ : شيئا من العرب .

(٣) فى غ : حلبة ، وفى مخطوطة : خيلة .

(٤) الملك أفضل رأيا : فى غ : رأى الملك أفضل .

(٥) فى غ (بولاق) : أحاطوا .

(٦) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط .

(٧) فى غ: لخنابرين . وفى مخطوط غ : لخنابورين . وفى معجم البلدان (قار) : وخناير .

وأمر عمرو بن عدى أن يسير بها . وكانت العرب تخفرهم[١] حتى تبلغ اللطيمة إلى اليمن .

وعَهِدَ كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر بن وائل ودنوا منها أن يبعثوا إليهم النعمان بن زُرعة ، فإنْ أتوكم بالحَلْقة ومائة غلام منهم يكونون رُهُنًا بما أحدث سفهاؤهم فاقبلوا منهم ، وإلا فقاتلوهم .

فلما بلغ بكرَ بن وائل الخبرُ سار هانئ بن مسعود حتى نزل[٢] بذى قار ، وأقبل النعمان بن زرعة حتى نزل على ابن أخته مرّة[٣] بن عبد الله بن معاوية بن عبد[٤] بن سعيد بن قيس بن سعد بن عجل ، فحمد النعمانُ اللهَ وأثنى عليه ثم قال : إنكم أخوالى وأحد طرفىّ ، وإن الرائد لا يكذب أهله ، وقد أتاكم مالا قِبَل لكم به من أحرار فارس وفرسان العرب والكتيبتان الشهباء والدّوسر ، وإن فى الشر خيارا ، ولأن يفدىَ[٥] بعضكم بعضا خير من أن تُصطَلَموا . انظروا هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رُهُنًا من أبنائكم إليه بما أحدث سفهاؤكم . فقال له القوم : ننظر فى أمورنا ، وبعثوا إلى من يليهم من بكر بن وائل ، وبرزوا ببطحاء ذى قار بين الجَلْهتَين ، وجلهة الوادى مقدمة مثل جَلْهة الرأس إذا ذهب شعره ، يقال رأس أَجْلَه .

وجعلت بكر بن وائل حين بعثوا إلى من حولهم من قبائل بكر لا تُرْفع لهم جماعة إلا قالوا سيِّدنا فى هذه الجماعة ، إلى أن رُفعت لهم جماعة فيها حَنْظَلة بن ثعلبة ابن سيّار[٦] بن حيى بن حاطبة بن الأسعد بن خزيمة[٧] بن سعد بن عجل ، فقالوا

(١) فى غ : تخفرهم وتجيزهم .
(٢) نزل بذى قار : فى غ : انتهى إلى ذى قار فنزل به .
(٣) فى غ : مرة بن عمرو بن عبد الله .
(٤) فى غ : عبد الله .
(٥) فى غ : يفتدى .
(٦) فى ك : سنان ، والتصويب مما تقدم .
(٧) فى غ : جذيمة .

يا أبا مَعْدان : لقد طال انتظارنا وقد كرهنا أن نقطع أمراً دونك ، وهذا ابن أختك النعمان بن زُرعة قد جاءنا ، والرائد لا يكذب أهله . قال : وما الذى أجمع رأيكم عليه ؟ قالوا : قلنا اللَّخْىُ[1] أهونُ من الوَهْى، وإنّ فى الشر خيارا ، ولأن يُفدى بعضُنا بعضا خير من أن نُصْطَلم جميعا . فقال حنظلة : قبّح الله هذا رأيا! لا يجر أحرار فارس غُرَلها ببطحاء ذى قار ، وأنا أسمع صوتا[2]!!

ثم أمر بقبّته فضربت بوادى ذى قار ونزل ، ونزل الناس فأطافوا به . ثم قال لهانئ بن مسعود : يا أبا أمامة إنّ ذمتكم ذمتنا عامّة ، وإنه لن يوصل إليك حتى تفنى أرواحنا ، فأخرِج هذه الحَلْقة ففرّقها بين قومك ، فإن نَظْفر فستردّ عليك ، وإن نهلك فأهون مفقود . فأمر بها فأخرِجَتْ ففرّقها بينهم . ثم قال حنظلة للنعمان : لولا أنّك رسول لما أُبْت إلى أهلك[3] سالما . فرجع النعمان إلى أصحابه فأخبرهم بما ردّ عليه القوم ، فباتوا ليلتهم يستعدّون[4] للقتال ، وباتت بكر بن وائل يستعدّون[5] للحرب .

فلما أصبحوا أقبلت الأعاجم نحوهم ، وأمر حنظلة بالظُّعن جميعا فوقفها خلف الناس ، ثم قال : يامعشر بنى[6] بكر بن وائل قاتلوا عن ظُعنكم أَوْ دعوا . وأقبلت الأعاجم يسيرون على تعبئة ، فلما رأتهم بنو قيس بن ثعلبة انصرفوا فلحقوا بالخباء[7] فاستخبوا[8] فيه فسمى خباء بنى قيس بن ثعلبة ، وهو موضع خفى ، ولم يشهدوا ذلك اليوم .

---

(١) فى ك : اللحى بالمهملة ، ومعناه إن الموت خير من الضعف . يقال لحيته لحيا : قشرته . واللخى بالمعجمة ، يراد منه : إعطاء المال وما يطلبه كسرى من الحلقة .

(٢) وأنا أسمع صوتا : يريد وأنا حى .

(٣) فى غ : قومك .

(٤) فى غ : مستعدين .

(٥) فى غ : يتأهبون .

(٦) فى غ : بكر .

(٧) فى غ : بالحى .

(٨) فى غ : فاستخفوا .

وكان ربيعة بن غَزالة السكونى ثم التُّجِيبيّ هو وقومه يومئذ نُزُولًا فى بنى شيبان ، فقال : يا بنى شيبان أما إنى لو كُنتُ منكم لأشرت عليكم برأى مثل عروة العِكْم[١] . قالوا : وأنت والله من أوسطنا ، أشِرْ علينا . قال : لا تستهدفوا لهذه الأعاجم فتهلككم بنُشَّابها ، ولكن تكَرْدَسوا[٢] لهم كراديس فيشدّ عليهم كُرْدُوس ، فإذا أقبلوا عليه شدّ الآخر . قالوا : فإنك قد رأيت رأياً ففعلوا .

فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة بن ثعلبة فقال : يا معشر بكر بن وائل إن النشّاب الذى مع الأعاجم يعرفكم ، فإذا أرسلوه لم يُخْطِئكم ، فعاجلوهم اللقاء[٣] وابدأوهم[٤] . ثم قام هانئ بن مسعود فقال : يا قوم مَهْلك معذور خير من مَنْجَى[٥] مغرور ، إنّ الحذر لا يدفع القَدَر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنيّة ولا الدنيّة ، واستقبال الموت خير من استدباره ! يا قوم جدّوا فما من القوم[٦] بدّ ، فتحٌ لو كان له رجال ، أسمع صوتاً ولا أرى قوما[٧] يا آل بكر شدُّوا واستعدُّوا ، وإلّا تَشُدُّوا تُرَدُّوا .

ثم قام شريك بن عمرو بن شراحيل بن مرّة بن همام فقال : يا قوم إنما تهابونهم أنكم ترونهم عند الحفاظ أكثر منكم ، وكذلك أنتم فى عيونهم[٨] ، فعليكم بالصبر فإن الأَسِنَّة تُرْدِى الأَعِنَّة ! يا آل بكر قُدُماً قُدُماً .

---

(١) العِكم : العدل ، أو ما يشد به الشىء ويجمع .
(٢) تكردسوا : تجمعوا على هيئة كراديس . والكردوس : الطائفة من الخيل وهى الكتيبة
(٣) فى غ : باللقاء .
(٤) فى غ : وابدأوهم بالشدة .
(١) فى غ : نجاء معرور .
(٦) فى غ : الموت .
(٧) فى ك : فوتا (ولعلها غوثا) والتصويب من غ .
(٨) فى غ : أعينهم .

ثم قام عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم اليشكرى فقال :

يا قومُ لا تغْرُرْكُم هذِى الخِرَقْ ولا وَمِيضُ البِيضِ فى الشَّمْسِ بَرَقْ
مَن لم يُقاتِلْ منكمُ هذى العُنُقْ(١) فجنّبوه اللحم(٢) واسقوه المَرَقْ

ثم قام حنظلة بن ثعلبة إلى وَضِين(٣) امرأتِه فقطعه ثم تتبَّع الظُّعن يقطِّع وُضُنَهُنّ لئلا يفرّ عنهنّ الرجال ـ الوضين بِطان الناقة ـ فسمى يومئذ مُقطِّع الوُضُن . فكانت بنو عجل فى الميمنة بإزاء خنازرين(٤) ، وبنو شيبان فى الميسرة بإزاء كتيبة الهامَرز ، وأفناء بكر بن وائل فى القلب .

فخرج أُسوار(٥) من الأعاجم مُسَوّر مشنَّف(٦) فى أذنيه دُرَّتان من كتيبة الهامَرْز يتحدّى الناس للبراز ، فنادى فى بنى شيبان ، فلم يبارزه(٧) أحد ، حتى إذا دنا من بنى يشكر برز له يزيد بن حارثة أخو بنى ثعلبة ، فشدّ عليه بالرمح فطعنه فدقّ صلبه ، وأخذه وحليته(٨) وسلاحه . ثم اقتتلوا صدر نهارهم أشد قتال رآه الناس إلى أن زالت الشمس ، فشد الحوفزان واسمه الحارث بن شريك على الهامرز فقتله . وقتلت بنو عجل خنازرين(٩) . وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا ، وتبعتهم بكر ابن وائل ، فلحق مَرْثدُ بن الحارث بن ثور بن حَرْملة بن عَلْقمة بن عمرو بن سَدُوس

---

(١) العنق : يريد هنا الجماعات .
(٢) فى غ : الراح .
(٣) فى غ : وضين راحلة امرأته ـ والوضين : بطان الناقة وهو للهودج مثل الحزام للسرج .
(٤) فى غ : خنايرين وهى هكذا حيثما وردت .
(٥) أسوار : فارس أو قائد .
(٦) مسور : لابس أسورة ـ مشنف : يلبس شنفا وهو الحلق .
(٧) فى غ : يبرز له .
(٨) فى غ : وأخذ حليته .
(٩) خنازرين : فى غ : خنابرين .

النعمانَ بن زُرعة فأهوَى له طعناً فسبقه النعمان بصدر فرسه فأفلته . فقال مَرْثَد في ذلك :

وَخَيْلٍ تنادَى[1] للطِّعان شهدتُها   فأغرقتُ فيها الرمحَ والجمعُ مُحْجِمُ
وأفلتَنِي نُعمانُ فوْتَ[2] رِماحِنا   وفَوقَ قَطاةِ المُهْر أزرقُ لَهْذَمُ[3]

ولحق أسودُ بن بُجَيْر بن عائذ بن شريك العجليّ النعمانَ بن زُرْعة فقال له : يا نعمان هَلُمّ إلىّ فأنا خير آسر، أنا خير لك من العطش . قال : ومَنْ أنت ؟ قال : أنا الأسود بن بُجَيْر . فوضع يده فى يده فجزّ ناصيته وخَلّى سبيله ، وحمله الأسود على فرس له ، وقال له : انجُ على هذه فهى خير[4] من فرسك؛ وجاء الأسود بن بُجير على فرس النعمان بن زُرعة .

وأفلت إياس بن قبيصة على فرس كانت له عند رجل من بنى تيم الله يقال له أبو ثور تعرف بالحمامة . فلما أراد إياس أن يغزوهم أرسل إليه أبو ثور بها فنهاه أصحابه أن يفعل . فقال : والله ما فى فرس إياس ما يعزّ رجلا ولا يذلّه ، وما كنت لأقطع رحمه فيها .

وأتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقيّة يومهم حتى أصبحوا من الغد ، وقد شارفوا السواد ودخلوه ، فلم يفلِت منهم كبير أحد .

وأقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقسموها بينهم وقسّموا تلك اللطائم ، بين نسائهم .

وكان أوّل من انصرف إلى كسرى بالهزيمة إياسُ بن قبيصة ، وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلّا نزع كتفيه، فلما أتاه إياس سأله عن الخبر فقال: هزَمْنا بكرَ بن وائل

(١) فى غ : تبارى .
(٢) فى غ : قاب .
(٣) قطاة المهر : عجزه ــ ولهذم : حاد قاطع .
(٤) فى غ : أجود .

وأتيناك بنسائهم . فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة ثم إنّ إياسا استأذنه عند ذلك فقال : إنّ أخي مريض بعين التمر فأردت أن آتيه ، وإنما أراد أن يتنحّى عنه ، فأَذِنَ له كسرى. فترك فرسه الحمامة وهي التي كانت عند أبي ثور ، وركب جَنِيبَته[1] فلحق بأخيه .

ثم أتى إلى كِسْرَى رجل من أهل الحِيرَة فسأل هل دخل على الملك أحد ؟ فقالوا: نعم إياس . فقال : ثـكلت إياساً أمّه . وظن أنه قد حدّثه بالخبر فدخل عليه فحدّثه بهزيمة القوم وقتلهم . فأمر به فنُزِعت كتفاه .

وكانت وقعة ذِي قار بعد وقعة بدرٍ بأشهُر ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة . فلما بلغه ذلك قال : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نُصِرُوا » .

وروى أنّه قال : إيهاً بني ربيعة ، اللّهم انصرهم . فهم إلى الآن إذا حاربوا نادَوْا بشعار النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته لهم ، وقال قائلهم : يا رسول الله وَعْدَكَ ، فإذا دَعَوا بذلك نُصروا[2] .

وقيل : إن الوقعة مُثِّلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة ، فرفع يده فدعا لبني شيبان أو لجماعة ربيعة بالنصر ، ولم يزل يدعو لهم حتى أُرِيَ هزيمة الفرس .

ومن الأشعار في وَقْعة ذي قار قول أبي كَلْبة التَّيْمِيّ :

لَوْلَا فوارسُ لا مِيلٌ[3] ولا عُزُلٌ من اللّهـــازِمِ ما قِظْتُم بذي قارِ

---

(١) الجنيبة: الفرس يجنب إلى الفرس لتركب عند الشدة أو الحاجة. وفي غ: نجيبة، أي فرس فاره.
(٢) في غ : دعوا .
(٣) الميل : جمع أميل وهو الجبان .

ما زِلْتُ مفترِشاً[1] أَحشاءَ داميَـةٍ ... يشـير أعطافها منهـــا بآثـارِ
إنّ الفوارسَ مـــن عِجْـل همُ أَنِفُوا ... بأن يُخلُّوا لِـكسْرَى عَرْصةَ الدّارِ
لولا فوارسُ من عجل بشِكَّتِهــا ... ليسوا إذا قَلّصت حربٌ بأغمـــارِ[2]
قد أحسنَتْ ذُهْل شيبانٍ وما عَدَلَتْ ... فى يَوْم ذى قَارَ فُرسانُ ابنِ سَيَّارِ
هُم الَّذين أتوهم عن شمائِلِهم ... كما تَلَبَّسَ وُرَّادٌ بصُدّارِ

فأجابه الأعشى فقال :

أَبلِـغْ أبا كَلْبةَ التَّيْمِيّ مَأْلُـكَةً[3] ... فأنتَ من مَعْشرٍ والله أَشْرَارِ
شيبانُ تدفع عنك الحَرْبَ آوِنةً ... وأنت تَنْبَحَ نَبْحَ الـكَلْبِ فى الدّارِ

وقال الأعشى[4] :

فِدًى لبنى ذُهْلِ بن شَيْبانَ نَاقَـتِى ... ورَاكِبُها يوم اللّقاء وقَلَّتِ
هُمُ ضَرَبُوا بالحِنْو[5] حِنْوِ قُراقِرٍ ... مُقدّمةَ الهامَرْز حتّى تولّتِ

ولم يزل قَيْس بن مسعود فى سجن كسرى بساباط حتى مات فيه :

---

(١) مفترشا أحشاء : فى غ : مفترسا أجساد .

(٢) قلصت : شمرت . ـ أغمار : جمع غمر ، وهو غير المجرب أو الجاهل .

(٣) المألكة : الرسالة .

(٤) ديوان الأعشين (ط. لندن) : ١٧٩ رقم / ٤٠ ـ معجم البلدان (حنو) : ٣/٣٥٢ .

(٥) الحنو : بطن الوادى ـ حنو قراقر : هو حنو ذى قار الذى كانت به الوقعة .

حرف الرّاء

الرَّمَّاح بن مَيَّادة*

هو الرَّمَّاح بن أبْرَد بن ثَرْيان(1) بن سُراقة بن قيس بن سَلْمَى بن ظَالِم بن جَذيمة ابن يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرَّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبيان بن بَغِيض بن ريث [ابن زيد](2) بن غطفان بن سعد بن قَيْس بن عَيْلان بن مضر .

وأمه ميّادة أم ولد بربرية . وقيل إنها صَقْلَبِيَّة(3) . وكنيته أبو شَراحيل، وقيل: أبو شُرَحْبيل . وكان هو يزعم أنها فارسية ، وذكر ذلك في شعره فقال :

أنا ابنُ أبي سَلْمَى وجَدِّيَ ظَالِمُ ... وأُمِّي حَصانٌ أحصَنَتْها الأعاجِمُ

أليس غلامٌ بين كِسْرَى وظَالِمٍ ... بأَكْرَمَ مَنْ نِيطت عليه التَّمائِمُ

قال مُوسَى بن سَيَّار : لما أنشدنا ابن مَيَّادة هذا الشعر ، قلت له : لقد أشحطت بدَارِ العجوز وأبعدت بها النُّجْعة ، فهلّا غَرَّبْتَ ! يريد أنها صَقْلَبِيَّة من الغَرْب . فقال : من جاع انْتَجَع ، فدعها تَسِرْ في النَّاس ، فإنَّ من يَسْمَع(4) يَخَلْ .

---

* الأغاني (بولاق): ٢/٨٩-١٢٠ - (الساسي): ٢/٨٥-١١٦ (دار الكتب): ٢/٢٦١ - ٣٤٠ - (بيروت): ٢/٢٢٧-٣٠٠ تجريد الأغاني : ٢٥٦-٢٧٥ .

(١) في غ : ثوبان ، وما هنا موافق لنسخة من مخطوطات غ .

(٢) زيادة من غ والتجريد .

(٣) في ك : صقلية، والتصويب من غ. وصقلب : من بلاد الأندلس من أعمال شنترين (معجم البلدان) .

(٤) من يسمع يخل: هذا مثل معناه من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقع في نفسه عليهم المكروه (ل : خيل) - الميداني .

ولما قال ابن ميّادة هذه الأبيات الميمية ردّ عليه الحَكَم الُخضْرِى فقال :

وما لَكَ فيهم مَن أبٍ ذى دسيعة[١] ... ولا وَلَدَتْك المُحْصنات الكرائمُ
وما أنتَ إلاَّ عَبْدُهم إنْ تُرِبْهمُ ... من الدَّهْر يوماً تَسْتَرِبك المَقاسِمُ
رَمَى نَهْبَلٌ فى فرج أمّك رَمْيَةً ... بجَوْقاء تسقيها العُروقُ الثّواجِمُ،[٢]

ونَهْبَل عبدٌ لبنى مرّة ، كانت ميّادة تزوّجته بعد سيّدها .

وابن مَيَّادة شاعر متقدم[٣] يحتج بشعره ، فصيح من مخضرمى شُعراء الدّولتين ، وجعله[٤] ابن سلّام فى الطبقة السابعة ، وقرن به عَمْرو[٥] بن لَجأ ، والعُجَيْف[٦] العَقِيلىّ ، والعُجَيْر[٧] السّلولىّ ، وغيرهم .

وكان عِرِّيضا للشرّ طالباً مُهاجاة الشعراء ومسابّة الناس ، وكان يضرب بيده على جَنْب أُمّه ويقول :

اعْرَنْزِى[٨] مَيَّادَ للقَوافِى ... واسْتَمعيهنّ[٩] ولا تَخافِى
ستجدين ابنَكِ ذا قِذافِ[١٠]

أى أَنِّى سأهجو الناس فيَهْجُونَكِ .

---

(١) الدسيعة : الكرم والشرف .
(٢) الثواجم : جمع ثاجم وهو الدائم الانصباب .
(٣) فى غ : مقدم .
(٤) ليس فى طبقات الشعراء المطبوع .
(٥) هو من تيم الرباب ، عده ابن سلام فى الطبقة الرابعة .
(٦) لم يرد ذكره فى الطبقات .
(٧) عده ابن سلام فى الطبقة الخامسة .
(٨) اعرنزى : اشتدى واصمدى .
(٩) فى غ : واستمعيهن .
(١٠) ذاقذاف : ذا نضال ومراماة .

قال داود بن عَلْقَمَة[١] الأسدى : جاورتِ امرأةٌ من الُخضْر ـ رهط الحكم الُخضرِى ـ عند أبياتِ ابن مَيَّادة ، فجاءت ذات يوم تطلب رَحًا وثِفالًا[٢] لتَطْحَن، فأعاروها إياهما، فقال لها ابن مَيَّادة : ياأخت الُخضْر، أتَرْوِين شيئًا مما قاله الحكم لنا، يريد بذلك يُسْمِع أمَّه ، فجعلت تأبى ، فلم يزل حتى أنشدته :

أَمَيَّادَ قَدْ أَفْسَدْتِ سَيْفَ ابن ظالمٍ ببَظْرِكِ حتى عَادَ أَثْلَمَ بالِيَا

ومَيَّادةُ تسمع . فضحك الرمّاح وثارت إليها مَيَّادة بالعَمُود تضربها به وتقول : يا زانِيَة إيَّاىَ تَمْنِين ! وقام ابن مَيَّادة يخلّصها فبعد لَأْيٍ[٣] ما أنقذها ، وقد انتزعت منها الرَّحا والثِّفال .

وقيل إنّ مَيَّادة كانت أَمَةً لرجل من كَلْب ، زوّجها لعبدٍ له يقال له نَهْبَل ، فاشتراها بنو ثريان[٤] بن مُراقة فأقبلوا بها من الشام ، فلمّا قَدِموا بها المُلَيْحَة ـ ماء لبنى سُلَيْم[٥] ورَحْل ابنى[٦] ظالم بن جَذِيمة ـ نظر رجل من سُليم[٧] إليها وهى ناعِسَة تمايَلُ على بعيرها فقال : ما هذه ؟ فقالوا : اشتراها بنو ثريان . فقال : وأبيكم إنها لميّادة تميد على بعيرها ! فغلب عليها مَيَّادة .

وكان أَبْرَدُ ضِلَّة[٨] من الضِّلَل ، ورِثَّةً[٩] من الرِّثث ، جِلفاً لا تخلص

---

(١) فى غ : علفة .

(٢) الثفال : جلد يبسط تحت الرحا ليسقط عليه الطحين .

(٣) لأى : شدة وجهد .

(٤) فى غ : ثوبان وهى فيه هكذا حيثما وردت .

(٥) سليم : فى غ : بنى سلمى .

(٦) فى غ : ابن ظالم .

(٧) فى غ : بنى سلمى .

(٨) ضله : لا خير فيه .

(٩) الرثة : خشارة الناس (سفلتهم) وضعفاؤهم .

إحدى يديه من الأخرى ، يرعى[1] على إخوته وأهله . وكان[2] إخوتُه ظرفاء كلهم غيره . وأرسلوا مَيّادة ترعَى الإبل معه ، فوقع عليها فلم يشعروا بها إلّا حُبْلَى . فقالوا : لمن ما فى بطنك ؟ قالت : لأبرد . فسألوه فجعل يسكُت ولا يجيبهم ، حتى رمَت بالرمّاح ، فرأوا غلاماً نجيباً ، فأقرَّ به أبرد . وقالت بنو سَلْمَى[3] ويلكم يا بنى ثريان ابتَطِنُوه[4] لعلّه يُنْجِب . فقالوا : ما له غيرُ مَيّادة فبنَوْا له[5] بيتا وأقعدوها فيه ، فجاءت بعد الرمّاح بثريان وخَليل وبَشِير بنى أَبْرَد . وكانت أول نسائه وآخرَهنّ . وكانت امرأةَ صِدْق ما رُمِيَتْ بشىء ولا سُبَّتْ إلّا بنَهْبَل .

ومما هُجِىَ به الرمّاح بن مَيّادة قولُ عبدِ الرحمن بنِ جُهَيْم الأَسَدى :

لعمرى لئن شابت حَليلةَ نَهبَلٍ ... لبئس شَبابُ المَرْءِ كان شَبابُها

ولم تَدْرِ حَمْراءُ العِجانِ[6] أنهبَلٌ ... أَبُوهُ أم المُرِّىّ تَبَّ تبابُها

وكان ابنُ مَيّادة هَجَا بنى مازِن بن فَزارة بن ذُبيان ، وذلك أنهم ظَلموا بنى الصارِد ، والصارِد بن[7] مرّة ، فأخَذُوا مالَهم وغلبوهم عليه حتّى الساعة .

فقال ابن مَيّادة :

فَلَأُورِدَنَّ على جَماعةِ مَازِنٍ ... خَيْلًا مُقَلَّصةَ الُخصَى ورجالا

ظَلَمُوا بذى أُرُكٍ[8] كأنّ رُءوسَهم ... شَجَرٌ تَخَطّاه الرَّبيعُ فطالا

---

(١) يرعى على أخوته : يرعى لهم ماشيتهم .

(٢) وكان : فى غ : وكانت .

(٣) موافق لما فى غ ، وقد ورد قبل : بنو سليم .

(٤) ابتطنوه : زوجوه .

(٥) فى غ : لها.

(٦) العجان: الدبر أو ما بين القبل والدبر، وكان العرب يسبون الأعجمى بابن حمراء العجان.

(٧) فى غ: من مرة .

(٨) ذو أرك : موضع بين تيماء والمدينة .

وقال رَجُلٌ من بنى مازِن يَرُدّ عليه :

يا ابن الخَبيثة يا ابن طَلَّة[1] نَهْبَلٍ هَلَّا جمعتَ كما زعمتَ رِجالا
أَبِبَظْرِ مَيْدَةَ أم بخُصْيِ نَهْبَلٍ أمْ بالفُساةِ تُنازِل الأَبْطالا
ولئن وَرَدْتَ على جماعةِ مازِنٍ تَبْغِى القِتال لَتَلْقَيَنَّ قِتالا

وبنو مرّة يسمّون الفُساة لكثرة امتيارهم التمر. وكانت منازلهم بين فَدَك وخَيْبر ولُقِّبوا بذلك لأكلهم التمر .

وكان يقال : إنّ الشعر أتى ابن مَيّادة عن أعمامه من قِبَل جَدّهم زهير ، لأنّ أمّ بنى ثَرِيان وهم : أَبْرَد أبو الرمّاح ، والعوثبان وقريض وناعضة ، سَلْمَى بنت كعب ابن زُهَير بن أبى سُلْمى .

وقال ابن ميادة يفخر بأمه :

أنا ابنُ مَيَّادةَ تَهْوِى نُجُبِى صَلْتُ[2] الجبين حَسَنٌ مُرَكَّبى[3]
ترفَعُنى أُمِّى وينميني[4] أَبى فوق السحاب ودُوَيْنَ الكَوْكَبِ

وكان ابن مَيَّادة أحمرَ سَبْطاً[5] عظيمَ الخلْق طُوالاً[6] ، طويل اللّحية لَبَّاسًا عَطِرًا ، ما خولط رجل أطيب عَرْفاً منه .

وقال شيخ عالم من غَطَفَان : كان الرمّاح أشعر غَطفان فى الجاهلية والإسلام ، وكان خيراً لقومه من النابغة ، ولم يمدح غيرَ قريشٍ وقيس. وكان النابغة إنّما يهذى[7] باليمن مضلّلا حتى مات .

---

(١) طلة الرجل : امرأته .
(٢) صلت الجبين : واضحه .
(٣) مركبي : جسمى .
(٤) ينميني : يرفعنى .
(٥) سبطا : طويلا حسن القد .
(٦) ليس فى غ .
(٧) فى ك : يهذ .

وبنو ذبيان يزعمون أن الرمّاح كان آخر الشعراء .

قال أبوصالح : قال القاسم بن جندب : قلت لابن ميّادة : لقد جُدِدْتَ[١] بشعرك وذُكِرْتَ به ، وإنى لأراه كثير السَّقَط ! فقال ابنُ ميّادة : إنما الشّعر كنَبْلٍ فى جَفِيرٍ[٢] يرمى به الغرَض ، فطالعٌ وواقع ، وعاضدٌ[٣] وقاصد .

وكان ابن ميّادة حديث العهد ، لم يُدرك زمانَ قتيبة بن مُسْلم ولا دخل فيمن عَناه حين قال : أشعر قيسٍ المُغلّبون من بنى عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غطفان ، ولكنّه شاعر مُجيد كان فى أيام هشام بن عبد الملك ، وبقى إلى زمن المنصور ، ومدحه ومدح جعفر بن سليمان ، وعبد الواحد بن سليمان .

قال طمّاح ابن أخى الرمّاح : قال لى عمى الرمّاح : ما علمت أنّى شاعر حتى واطأت[٤] الحطيئة فإنه قال :

عَفا من سُلَيْمَى مُسْحُلَانُ فحامِرُهْ ... تَمَشَّى به ظُلْمانُه وجَآذِرُهْ

ووالله ما سمعتُه ولا رأيته فواطأته بطبعى فقلت :

فَذُو العَشِّ والمَمْدُورُ أصبح قاوِيًا[٥] ... تَمَشَّى به ظُلْمانه وجَآذِرُهْ

فلما أنشدتها قيل لى: قد قال الحطيئة :

* تَمَشَّى به ظُلْمانه وجآذره *

فعلمتُ حينئذ أنّى شاعر .

---

(١) جددت : صرت به محظوظا مبخوتا . وفى غ : لو أصلحت شعرك لذكرت به .
(٢) الجفير : ما توضع فيه السهام .
(٣) العاضد : الملتوى الذى لا يصيب الهدف .
(٤) واطأته : وافقته .
(٥) ذوالعش : موضع ببلاد بنى مرة دون حرةِ النار (معجم ما استعجم : ٦٨٤) ـ المدور : موضع فى ديار غطفان ـ قاويا : مقفرا خاليا .

وكان الرمّاح يَنْسُب بأمّ جَحْدر بنت حسّان المُرِّيَّة إحدى نساء بنى جَذِيمة ابن يربوع، وهى من بنى رَحْل بن ظالم ، فحلف أبوها ليخرجنّها إلى رجل من غير عشيرته ولا يزوّجها بنَجْد ، فزوّجها برجل من الشام ، فلَقِىَ عليها ابنُ مَيّادة شِدَّة ، ولم يكن جمالها بارعا ولا حُسنها مشهورا .

قال زياد بن عثمان الغطفانى : كنّا بباب بعض وُلاة المدينة فغَرِضْنا[1] من طول الثَّواء ، وإذا أعرابى يقول : يا معشر العرب ، أما منكم أحد يأتينى أُعَلّله[2] إذْ غرضنا من هذا المكان ، وأخبره عنّى وعن أمّ جحدر ؟! فجئت إليه وقلت له : مَن أنت ؟ فقال : الرمّاح بن أبرد . قلت : أخبرنى ببدوّ[3] أمركما . قال : كانت أمّ جحدر من عشيرتى فأعجبتنى ، وكان بينى وبينها خَلَّة ، ثم إنّى عتبت عليها فى شىء بلغنى عنها ، فأتيتها فقلت : يا أمّ جحدر إنّ الوصل عليك مردود . فقالت : ما قَضَى الله خير . فبقيت على تلك الحال سنة ، وذهبت بهم نُجْعَة فتباعدوا ، واشتقت إليها شوقا شديدا ، فقلت لامرأة أخٍ لى : والله لئن دنت دار بأمّ جحدر لآتينها ولأطلبنّ أن تردّ الوصل بينى وبينها ، وإن ردّته لا نَقَضْتُه أبدا .

ولم يكن يومان حتى رجعوا . فلما أصبحتُ غدوت عليهم، فإذا أنا ببيتين نازلين إلى سندٍ[4] أبرق طويل، فإذا امرأتان جالستان فى كساء واحدٍ ، بين البيتين . فجئت فسلّمت ، فردّت إحداهما ولم تردّ الأخرى . فقالت: ما جاء بك يارمّاح إلينا بعد أن انقطع ما بيننا وبينك ؟! فقلت : إنى جعلت نذرا لئن دنت بأم جحدر دار لآتينها

---

(١) فغرضنا : ضجرنا وقلقنا .

(٢) أعلله : أشغله وأسليه .

(٣) فى غ : بدء .

(٤) السند : ما ارتفع من الأرض فى قُبل الجبل أو الوادى ـ الأبرق: ما كان له لونان من سواد وبياض وقيل: هو المخلوط برمل .

وأطلبن أن تردّ الوصل بيني وبينها ، ولئن هي فعلت لا نَقَضْتُه أبدا . وإذا التي تكلمني امرأة أخيها، والساكتة أمّ جحدر. فقالت امرأة أخيها : فادخل مقدّم البيت فدخلت، وجاءت فدخلت من مؤخّره فدنت قليلا فإذا هي قد برزت ، فساعة برزت جاء غُراب فنعب على رأس الأبرق فنظرتْ إليه وشهَقت وتغيّر لونها. فقلت : ماشأنك؟ قالت : لا شيء ! قلت : بالله إلّا أخبرتني . قالت : أرى هذا الغراب يخبرني أنّا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلّا ببلد غير هذا البلد. فتقبّضتْ نفسي ثم قلتُ : جارية وماهي في بيت عِيافةٍ[1] ولا قِيافةٍ . فأقمت عندها ثم تَرَوَّحت[2] إلى أهلي ، ثم أقمت يومين وأصبحت إليها غاديا . فقالت لي امرأه أخيها : ويحك يا رمّاح أين تذهب ؟ قلت : إليكم. قالت: وماتريد ؟ قد تزوجت[3] أمّ جحدر البارحة . فقلت: بِمَن[4] وَيْحك ؟! قالت : برجل[5] من أهل الشام من أهل بيتها جاءهم من الشام فخطبها فتزوّجها[6] وقد حملت إليه . فمضيت إليه وإذا هو قد ضرب لها سرادقات ، فجلست إليه فأنشدتُه وحدّثته وعدتُ إليه أيّاما، ثم إنه احتملها وذهب بها فقلت :

أجارَتَنا إنّ الخطوبَ تَنُوب ... علينا وبعضَ الآمنينَ تُصيبُ
أجارَتَنا لستُ الغَداة بنازِحٍ ... ولكن مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ[7]

---

(١) العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وممرها ـ القيافة : تتبع الآثار ومعرفتها، والمعروف بها من العرب بنو مدلج قبيلة من كنانة .
(٢) تروحت : سرت .
(٣) في غ : زوجت .
(٤) في ك : لمن .
(٥) في ك : لرجل .
(٦) في غ : فزوجها .
(٧) عسيب : جبل بعالية نجد .

فإنْ تسأليني هـل صبرت فإنّـنى صَبُورٌ على رَيْب الزمان صَلِيبُ
جَرى بانبتات(١) الحَبْل من أمِّ حجدر ظِباء وطـــير بالفراق نعُوبُ
نظرتُ فـلم أعتَف وعافَت فبيَّنت لها الطيرُ قَبْلِى واللَّبيبُ لَبيبُ
فقالت حرام أن نُرَى بَعْدَ هـذه غَرِيبَيْن إلّا أن يُلِمَّ غرِيبُ
أجارَتَنا صَــبْراً فيا رُبَّ هالِكٍ تَقَطَّعُ من وَجْـدٍ عليه قلوبُ

هذه الأبيات أغار الرمّاح فيها على امرئ القيس ، فأخذ الأوَّلَيْن بأعيانهما والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية تمثّل به أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فنقله الرمّاح نقلا .

قال: ثم انحدرتُ فى طلبها وطمعت فى كلتها أَلّا نجتمع إلّا فى بلد غـير هذا . فدرت فى الشام زمانا فتلقّانى زوجها فقال لى : مالك لاتغسل ثيابك هذه ؟ أرسلها إلى الدار تغسل . فأرسلتها ثم وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب . فقالت أمّ حجدر لجاريتها: إذا جاء فأعلميني . فلما جئت وأمّ حجدر وراء الباب ، فقالت : ويحـك يا رمّاح ! قد كنت أحسب أن لك عقلا ، أما ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفسنا عنه؟! انصرف إلى عشيرتك فإنى أستحى لك من هذا المقام . فانصرفت وأنا أقول :

عَسَى إنْ حَجَجْنا نلتَقِي أمّ حَجْدَرٍ ويَجْمعنا من نَخْلَتَيْنِ(٢) طَرِيقُ
وتَصْطَكُّ أعضــادُ المَطِيِّ وبيننا حَدِيثٌ مُسَرٌّ دون كُلّ رَفِيقِ(٣)

---

(١) انبتات الحبل : انقطاع الود .

(٢) النخلتان : واديان عن يمين بستان ابن عامر وشماله ، ويقال لهما النخلة الشامية والنخلة اليمانية .

(٣) فى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروى . وقد نسب ياقوت هذين البيتين فى مادة (نخلتين) إلى الفأفاء بن برمة من بنى عوف بن عمرو بن كلاب .

ومكثت أمّ جَحْدر عند زوجها زمانا، ثم مات زوجها ومات ولدها منه ، فقدمت نجدا على إخوتها وقد مات أبوها .

قال سيّار بن يحيى[١] : لقيت ابن ميّادة وهو يبكى ، فقلت : ويحك ! مالك ؟ قال : أخرجتنى أمّ جحدر وآلت يمينا لا[٢] تكلّمنى ، فانطلِق فاشفع لى إليها . فخرجت حتى غَشِيتُ رِواقَ بيتها فوجدتها تَدْمُك[٣] جَرِيراً[٤] بين الصَّلاية[٥] والمِدَقّ تريد أن تَخْطِم به بعيراً تحُجّ عليه . فقالت : إن كنت جئتَ شفيعا لابن ميّادة فبيتى حرام عليك من الله أن تُلْقِىَ فيه قَدَمك . قال: فحجّت ، ولا والله ما كلّمته ولا رآها ولا رأته .

وكان ابن ميّادة والحكَمَ الُخضْرى قد تهاجيا زمانا ثم كَفّ ابن ميّادة وسأله الصلح ، فصالحه الحكم الخضرى ، والُخضْر ولد مالك بن طريف سُمّوا بذلك ، لأن مالكا كان شديد الأُدْمة ، وكذلك كان ولده فسموا الخضران .

وكان أوّل ما بدأ الهجاء بينهما أنّ الرّماح مرّ بالحكم بن معمر وهو يُنشد فى مصلّى النبىّ صلى الله عليه وسلم فى جماعة من الناس قوله :

لِمَن الدّيار كأنّها لم تُعْمَرِ بين الكِناس[٦] وبين بُرْقِ[٧] مُحَجَّرِ

(١) فى غ : نجيح المزنى .
(٢) فى غ : ألا تكلمنى .
(٣) تدمك : تلين وترقق .
(٤) جريرا : حبلا من أدم ملين يخطم به البعير .
(٥) الصلاية : حجر عريض يدق عليه .
(٦) الكناس : موضع من بلاد غنى (ياقوت) .
(٧) برق : أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل. والغالب على حجارتها البياض.

حتى انتهى إلى قوله :

يا صاحِبِيَّ ألم تَشِيما بارِقاً نُضِحَ المزاد[١] به فهضب[٢] المَنْحَر
قـد بتُّ أرقُبــه وبات مُصَعِّدا نَهْضَ المُقَيَّدِ فى الدِّهاسِ[٣] المُوقَر

فقال ابن ميّاده : ارفع إلىَّ راسك أيها المنشِد مَنْ أنت ؟ قال : أنا حَـكَم بن مَعْمَر الُخضْرىّ . قال : فوالله ما أنت ببيت حَسَب ولا أَرُومة شعر . فقال له حكم : وماذا عبت من شعرى ؟ قال : عبت أنـك أدهست وأوقرت . فقال له الحـكم : ومن أنت ؟ قال : ابن ميّادة . قال: ويحك ولِمَ رغبت عن أبيك وانتسبت إلى أمك؟ قبح الله والدين خيرهما ميادة ! أما والله لو وجدت فى أبيك خيرا لما انتسبت إلى أمك راعية الضأن ؟ وأما إدهاسى وإيقارى فإنى لم آتِ خيبر إلا ممتاراً لا مُتحاملاً[٤] ، وما عدوتَ أن حكيتَ حالَك وحال قومك . فلو سكتَّ عن هذا لـكان خيراً لك وأبقى عليك . فلم يفترقا حتى[٥] تهاجيا .

وقيـل : إنّ أول ذلك أنهما اجتمعا فأقبل ابنُ ميّادة إلى الحـكم ليعرِضَ عليه شعره ويسمع[٦] من شعره ، وكان الحـكم أسنّهما ، فأنشدا جميعا ثم قال ابن ميّادة : لقد أعجبنى بيتان قلتهما ياحكم . قال : وما[٧] أعجبك من شعرى غير بيتين ؟ ! قال :

---

(١) المزاد : فى غ الصراد وهو موضع تلقاء يأجج (معجم ما استعجم) وما هنا موافق لنسخة من مخطوطات غ .

(٢) هضب المنحر : هضاب حمر فى أرض بنى ثعلبة (معجم ما استعجم ص ٣٩٨) .

(٣) الدهاس : المـكان السهل تغيب فيه القوائم ويثقل المشى — الموقر : المثقل . وهو صفة للمقيد .

(٤) متحاملا : متـكسبا عن طريق الحمل بالأجر. وفى ك : مجاملا، والتصويب من غ .

(٥) حتى تهاجيا : فى غ : إلا عن هجاء .

(٦) فى غ: وليسمع.

(٧) فى غ : أوما .

والله لقد أعجبانى ، يردد ذلك مرارا لا يزيدُ عليه . فقال له حكم : وأىُّ بيتين هما ؟ فقال : حين تُساهم بين ثوبيها وتقول[1] :

فو اللهِ ما أدرى أزيدت مَلاحَةً وحُسْناً على النِّسوان أم ليس لى عَقْلُ
تَساهَم بُرداها فـفى الدِّرع غادةٌ وفى المِرط لفَّاوان رِدفهما عَبْلُ[2]

فقال له حكم : أوما أعجبك غيرهذين البيتين ! فقال له ابن ميّادة: لقد أعجبانى . فقال له حكم: أَوماأعجبك غيرهما ؟! قال : لقد أعجبانى . فقال له حكم: فإنى سوف أعيب عليك قولك :

ولا بَرِح المدُور ريّان مُخْصِباً وجِيـدَ[3] أعالى شِعْبه وأَسافلُهْ

فاستسقَيْت لأعلاه وأسفله ، وتركتَ وسطَه وهو خير موضع . فقال : وأىّ شىء تريد ؟ تركتهُ ريّانَ[4] مُخْصِبا ! وتَهاتَرا . فغضب حَـكَم وارتحل ناقته وهدر[5] ، وقال :

* إنّه يومُ قَرِيضٍ ورجز *

فقال رجل من بنى مرّة : اهْدِر كما هدر يا رمّاح . فقال : إنّما يَغِطّ[6] البَـكْر . ثم قال الرمّاح :

---

(١) الحماسة (الرافعى) : ٢/٨٦ باختلاف فى الترتيب .

(٢) برداها : فى غ: ثوباها_الدرع : الثوب الصغير تلبسه الفتاة فى البيت عادة . فى بعض نسخ غ : رأدة وهى الشابة الحسنة الشاب ، والغادة بمعناها _ المرط : كساء يؤتزر به _ لفاوان : يريد بهما فخذيها _ عبل : ممتلىء ضخم .

(٣) جيد : سقى مطرا جودا غزيرا .

(٤) فى غ : لا يزال .

(٥) هدر : رجع صوته فى صدره من غيظه .

(٦) يغط : يهدر فى شقشقته_البكر : الفتى من الإبل .

إنّه[١] يومُ قَرِيضٍ ورَجَزْ   مَن كان منكم نا كِزاً فقد نَكَزْ
وبيّنَ الطِّرْفُ النَّجيب فبرَزْ

يريد بقوله نا كزاً غائضاً قد نَزَف .

قال الزبير : سمعت رجلا من البادية ينزع على إبل له كثيرة من قَليبٍ ويرتجز:

قد نَكَزَتْ أنْ لم يكن خسيفا[٢]   أو يكُنِ البَحْرُ لها حَليفا

وهذا أوّل ما هاج التهاجى بينهما .

وكان ابن مَيّادة وحَكَم وعَمَلَّس بن عقيل وعُلَّفة[٣] متجاورين مُتخالِّين وكانوا جميعاً يتحدّثون إلى أُمّ جَحْدر بنت حسّان المرّية ، وكانت أمّها مولاة ، ففضّلت ابن مَيّادة على الجميع[٤] . وهجاها الحكَم وعَمَلَّس وعُلَّفة . فما قال عُلَّفة يهجوها ويعرّض بابن مَيّادة قوله :

فلا تَضَعا عنها الطّنافِسَ إنّما   يُقَصِّر بالمِرْماةِ[٥] مَن لم يكن صَقْرا
مُنَعَّمَة لم تَلْقَ بُؤْساً وشِقْوَةً   بنَجْدٍ ولم يَكْشِف هَجينٌ لها سِتْرَا

يعرّض بقوله : ــ مَن لم يكن صَقْراً ــ بابن مَيّادة أنّه هجين ليس من أبوين متشابهين كالصقر[٦] . فقال ابن مَيّادة يهجوه بقوله :

أعلّف إن الصقر ليس بمُدْلِجٍ   ولكنّه باللّيْل مُتَّخِذٌ وَكْرَا
ومُفْتَرِشٌ بين الجناحَيْن سَلْحَةً   إذا الليل ألقى فوق خُرْطومه كِسْرَا[٧]

---

(١) فى غ : فإنه .

(٢) فى ك : حليفا والتصويب من غ . والخسيف : بئر تحفر فى الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة .

(٣) فى غ : عقيل بن علفة .

(٤) فى غ : على الحكم وعملس .

(٥) المرماة : سهم يتعلم به الرامى وفى بعض نسخ غ : الموماة وهى المفازة الواسعة .

(٦) فى غ : كما الصقر .

(٧) الكسر : الغطاء والستر ، وهو فى الأصل الشقة السفلى من الخباء .

فإنْ يك صَقْرا بعــد ليلة أُمِّه ... ولَيْـلة جَحَّافٍ فأُفٍّ له صَقْرَا

تَشُدّ بكفيها على جِذْلِ أَيْرِه ... إذا هى خافَتْ من مطِيَّتِها نَفْرَا

يريد أن أمّ عُلَفة من بنى أنمار ، وكان أبوه عقيل بن عُلَّفة ضربها فأرسلت إلى رجل من بنى أنمار يقال له جَحَّاف فأتاها ليلا فاحتملها على جمل فذهب بها .

ويُقال : إنّ جحّاف بن إياد رجل من بنى قتال[1] بن يربوع بن غَيْظ بن مرّة وكان يتحدّث إلى امرأة عقيل بن عُلَّفة بن عقيل ويُتَّهم بها ، وهى امرأة من بنى أنمار ابن بغيض بن رَيْث بن غَطفان يقال لها سُلافة، وكانت من أحسن الناس وجها. وكان عَقِيل من أَغْير الناس فربطها بين أربعة أوتاد ـ ودَهَنها بإهالة[2] وجعلها فى قَرْية[3] نمْل، فمر بها جَحَّاف بن إياد ليلا فسمع أنينها فاحتملها حتى طرحها بفَدَك ،فاسْتَعْدَت واليها على عَقِيل .

وقام عَقيل من جوف اللّيل فأوقد عُشْوة[4] ونظرها فلم يجدها ، ووجد أثر جَحّاف فعرفه ، فتبعه حتى صبّح القرية . وخنس جَحَّاف عنها فأتى الوالى فقال : إنّ هذه رأتنى وقد كبرت وذهب بصرى فاجترأت علىّ . وكان عَقِيل رجلا مهيبا فلم يعاقبه الوالى بما صنع لِمَوْضعه من صهر بنى مروان .

قال : فعيَّر ابنُ ميّادة عُلَّفة بن عقيل بأمر جحّاف هذا فى شعره ولَجّ الهجاء بينهما، فغلب ابن ميّادة عُلّفة، وانقطع عنه عُلَّفة مغلوبا مفضوحا . وماتت أمّ جَحْدر وهما يتهاجيان، ونُعيت إليه فلم يصدّق حتى أتاه رجل يقال له عمّار من بنى رَحْل فنعاها له فقال:

ما كُنْتُ أحسَب أنّ القوم قد صَدَقُوا ... حتى نَعاهـا لِىَ الرَّحْلِىُّ عَمَّارُ

---

(١) فى ك : هلال، والتصويب من غ وهامش ك .

(٢) إهالة : شحم مذاب .

(٣) قرية النمل : جحره وموطن سكناه .

(٤) عشوة : نار يستضاء بها .

ومن شعر ابن ميّادة فى أمّ جَحْدر من قصيدة :

وما أَنْسَ م الأشياءِ لا أنْس قولَها ... وأَدْمُعها يُذْرِين حَشْو المَكاحِلِ
تَمَتَّــع بذا اليَوْمِ القَصِــير فإنَّه ... رَهِــينٌ بأيَّام الشّهورِ الأَطاوِلِ
إذَا حلَّ بَيْتِى بين بَدْرٍ ومـــَازِنٍ ... ومُرَّةَ نِلت الشمسَ واشتدَّ كاهِلِى

يعنى بدر بن عوف بن جُوَيَّـة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عدىّ بن فزارة بن ذُبيان ، ومرّة ابن عوف بن سعد بن ذبيان ، ومازن[1] بن فزارة . وفيها يقول :

فضلنا قريشاً غــيرَ رَهَطِ محمَّدٍ ... وغَيْرَ بَــنِى مَرْوانَ أهلِ الفضائل

فقال له الوليد بن يزيد : قدّمت آل محمّد قبلنا ! فقال : يا أمير المؤمنين ما كنت أظنّ[2] يـكن غـير ذلك . فلمّا أفضت الخلافة إلى بنى هاشم وفد ابن ميّادة إلى المنصور ومدحه . فقال أبو جعفر . لمّا دخل عليه[3] : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره بما قال ، فجعل المنصور يتعجّب .

ولمّا سمع إسحاق الموصلىّ قولَ ابن ميّادة نِلْت الشمسَ واشتدّ كاهلى فقال :

عَطَستُ بأَنْفٍ شامخٍ وتناولت ... يَدَاىَ الثُّرَيَّا قاعداً غيرَ قائم

وللحَـكَم الخضرى فى ابن ميّادة مناقضات كثيرة وأراجيز طوال ، على أن الحـكم كان قد شفع الرمّاح إلى بعض الولاة فى أن يُرْعِيَه عُرَيْجَاء[4] لا يعرض له فيها . فأرعاه إياها فأقبل رمّاح على حَـكَم وقال : جزاكَ الله خيرا يا أبا مَنِيع ، فوالله لقد كان ورائى من يتمنى أن يرعَى عُرَيْجاء بنصف ماله ! ولمّا عزما على الانصراف ودّع كل منهما صاحبَه وانصرفا راضيين .

---

(١) فى غ : ومرة بن فزارة ومازن بن فزارة .
(٢) فى غ : أظنه .
(٣) فى غ : إليه .
(٤) عريجاء : ماءة بحمى ضرية وقد أقطعها ابن ميادة من المرى بنى ذبيان .

وانصرف ابن مَيّادة إلى قومه فوجد بعضَهم قد ركب إلى ابن هشام واستصعبه[1] على حكم فى قوله :

وما وَلَدت مُرِّيّـة ذات لَيْلَةٍ من الدَّهْرِ إلا ازدادَ لُؤماً جَنِينُها

فأَطْرَدَه[2] فقال رمّاح وقد ساءه ما صنعوا : عمـدتم إلى رجل قد صلَح ما بينى وبينه وأُرْعِيتُ بوجهه فاستعديتم عليه وجئتم بإطراده ! فلما بلغ الحـكم الخبر صار[3] إلى الشام فلم يبرح بها حتى مات غرقا فى بعض أنهارها ، لأنه لم يكن يحسن العوم . وهو وَجْهه[4] الذى كان مدَح فيه الأسود بن بلال المُحاربى فى القصيدة التى يقول فيها :

واستَيْقنت أَلّارواحُ[5] من السُّرَى حـتى تُنـاخَ بأسْوَد بن بـلال
قَرْمٌ إذا نَزل الوفودُ ببـابِه سمت العيون إلى أَشَمَّ طُوالِ

ولما قال الحـكم فى هجاء ابن ميّادة :

وما حَمَلتْ مريّـة قطُّ ليلةً من الدّهرِ إلا ازْدادَ لُؤْماً جنِينُها
وما حَمَلت إلّا لِألْأَمِ من مَشَى ولا ذُكِرَتْ إلّا بأمٍ[6] تشينها

وبلغ إبراهيمَ بن هشام قولُه فى نساء بنى مُرّة فغضب ونذَر[7] دمَه فهرب من الحجاز إلى الشام ومات بها . وقال:

لقـد سَبَقَتْك اليومَ عينـاك سَبْقَـةً وأبـكاكَ من عهد الشباب ملاعبُهْ

---

(١) فى غ : استغضبه، واستصعبه فى جميع نسخ المختار، ولعل معناها طلب منه أن يكون صعبا شديدا عليه. ويمـكن أن تـكون محالة عن استعصبه أى أثار عصبيته لقومه .

(٢) فأطرده : أمر بإخراجه وطرده .

(٣) فى غ : فطار .

(٤) وجهه : قصده ورحلته .

(٥) فى غ : براح .

(٦) فى غ : بأمر .

(٧) نذر دمه : أباحه — وفى نسخة غ : هدر دمه .

فوالله ما أدرِى أيغلِبُنِى الهــوَى ... إذا جَدَّ جِدُّ البَيْنِ أَمْ أنا غالِبُــهْ
فإنْ أسْتَطِعْ أَغْلِبْ وإنْ يَغلِبِ الهوَى ... فمثــلُ الذى لاقيتُ يُغْلَبُ صاحبُــهْ
لقد طال حَبْس الوَفْد وفد مُحارِبٍ ... عن المَجْدِ لا يَأْذَنْ لهم بعدُ حاجِبُهْ
وقال لهم كُرُّوا فلست بآذِنٍ ... لـكم أبداً أو يُحْصِى التُّرْبَ حاسِبُهْ

لَقِى ابن مَيّادة صَخْرَ بن الجَعْد فقال له : يا صخر أَعَنْتَ علىّ الحكم بن مَعْمَر ابنَ عمّك . فقال له صخر : والله ما أعنته عليك ، ولـكن خُيِّل إليك ما كان بُخَيَّل إلىَّ . ولقد هاجيته فكنتُ أظنُّ شَجَر الوادِى يُعِينه على .

قال الرمّاح : وصلت أنا والشعراء إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة ، وكان مولًى من موالى خَرَشَة يُقال له شُقْران يعيب ابن ميّادة ويحسُده على مكانته من الوليد ، فلما اجتمعت الشعراء قال الوليد لشُقران : ما عِلْمك بابن[1] مَيَّادة ؟ فقال : علمى فيه يا أمير المؤمنين أنّه :

لَئيمٌ يبارِى فيه أَبْرَدُ نَهْبَلًا ... لَئِيمٌ أتاه اللُّؤْمُ من كُلِّ جانِبِ

فقال الوليد : يا ابنَ مَيّادة ، ما علمك فى شُقْران ؟ قال : علمى يا أمير المؤمنين أنه عبدٌ لعجوز من خَرَشَة كاتبته على أربعين درهما ، [ووعدها][2] أو قال : وعدته أن تُجيزه بعشرين درهما فقبَّضته إياها ، فأغْنِه عنى يا أمير المؤمنين ، فليس له أصل أحتقره ولا فرع أهتصره[3] . فقال له الوليد : اجتنبه يا شُقران فقد أبلغ إليك فى الشتيمة . فقَصَر شُقران صاغراً . ثم أنشدتُه وأقيم الشعراء غيرى ، وأمر لى بمائة لِقْحَة وفَحْلها وراعيها وجارية بِكْرٍ وفرسٍ عربى عَتِيق فقلت :

---

(١) فى غ : فى ابن .
(٢) تـكملة من غ ليستقيم النص .
(٣) أهتصره : أكسره .

أعطيتَنِى مائةً صُفْرا مَدامِعُها ... كالنَّخل زيَّنَ أعلَى نَبْتِه الشَّرَبُ[(١)]
يَسوقها يافِعٌ جَعْدٌ مَفـارِقُه ... مِثْل الغُراب غَذَاه الصَّرُّ والحَلَبُ
وذَا سبيب[(٢)] صُهَيْبِيًّا له عُرُف ... وهامَةٌ ذاتُ فَرْقٍ مَا بِها[(٣)] صَخَبُ

ومنها :

قِسْنِى إلى شعراء النّـاسِ كلِّهم ... وادْعُ الرُّواة إذا ماغُبَّ ما احتلبوا[(٤)]
إنِّى وإن قال أقوامٌ مديحهم ... فأَحْسنوه وما حابوا[(٥)] وما كَذَبُوا
أجْرِى أمامَهُم جَرْىَ امْرِئٍ فَلَجٍ ... عِنانُه حين يَجْرِى ليس يَضْطَرِبُ

أقبل شُقْران مولى بنى سَلامان من اليمامة معه تمرٌ قد امتارَه لأهله ، فلقيه ابنُ مَيّادة فقال له : ما هــذا الذى معك ؟ فقال : تمرٌ امترتُه لأهلى يقال له : زُبُّ رُبَاح[(٦)] فقال ابن مَيّادة يمازحه :

كأنّك لم تَقْفُل لأهْلِك تَمْرَةً ... إذا أنت لم تَقْفُل بزُبِّ رُباحِ

فقال له شُقران :

فإن كان هــذا زبُّه فانطلق به ... إلى نِسْوَةٍ سُودِ الوُجوه قِباحِ

فغضب ابن مَيّـادة وأَمضّه[(٧)] وضربه بالسوط ضربات وانصرف مُغْضَبا . وكان ذلك سبب الهجاء بينهما .

---

(١) الشرب : جمع شربة ، وهى مايحفر حول النخلة أو الشجرة ويملأ ماء فتروى منه. ويروى الشطر :

كأنها النخل رَوّى نبتها الشَرَب

(٢) السبيب : شعر الذنب والناصية .
(٣) فى غ : نابها.
(٤) فى غ : إذا ما غب ما اجتلبوا .
(٥) فى ك : خانوا .
(٦) زب رباح : من تمور البصرة، وقد خففت باؤه فى البيت بعده للضرورة .
(٧) أمضه : آلمه وآذاه .

اجتمع ابن مَيّادة وشُقران مولى بنى سَلامان عند الوليد بن يزيد ، فقال ابن مَيَّادة : يا أمير المؤمنين ، أتجمع بينى وبين هذا العبد وليس مثلى فى حَسَبى ولا نسبى ولا لسانى ولا منصبى ؟ فقال له شُقران :

لَعَمْرِى لئن كُنْتَ ابن شَيْخَىْ عَشِيرَتَىْ ... هِرَقْلٍ وكِسْرَى ما أَرانِى مُقَصِّرَا

وما أَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ ابْنَ نَزْوَةٍ (١) ... نَزَاها ابنُ أَرْضٍ (٢) لم يجد مُتَمَهَّرا

على حائلٍ تلوى الصِّرارَ بكَفِّها ... فجاءت بخَوَّارٍ إذا عُضَّ جَرْجَرا (٣)

واستأذن ابنُ مَيّادة يوما على الوليد بن يزيد وعنده شُقران مولى قُضاعة ، فأدخله فى صندوق وأذن لابن مَيّادة ، فلما دخل أجلسه على الصندوق واستنشده هجاء شُقران فأنشده . ثم أمر بفتح الصُّندوق فخرج عليه شُقران فجعل يَهْدِر كما يهدر الفحلُ ويقول :

سأَعْكِمُ (٤) من قُضاعَة كلبَ قَيْسٍ ... على حجَرٍ فيُنْصِتِ للعِكام

أسير أمام قيس كلَّ يوم ... وما قيس بسائرة أمامى

وقال :

إنّى إذا الشعراء لاقَى بعضُهم ... بعضاً ببَلْقَعَةٍ تُرِيدُ نِضالَها

وقفوا لمرتجز الهَدِيرِ إذا دَنَتْ ... منه البِكارة قطّعت أبوالها (٥)

وتركتهم زُمَراً ترمّزُ باللِّحَى ... منها عنافِق قد حلقت سبالها (٦)

---

(١) فى ك : ثروة وهو تحريف . والنزوة : الوثبة عند السفاد .

(٢) ابن أرض : كناية عن الغريب أو المسافر أو الضيف .

(٣) الحائل : غير الحامل ـ الصرار : خيط يشد فوق خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها ـ خوار : ضعيف ـ جرجر : صوت .

(٤) سأعكم : فى غ سأ كعم ، وهما بمعنى أى أشد فمه بالعكام ، وهو مايشد به .

(٥) مرتجز : متتابع الصوت ـ البكارة : جمع بكرة وهى الفتية من الإبل .

(٦) ترمز : تتحرك ـ العنافق : جمع عنفقة وهى الشعرات بين الذقن وطرف الشفة السفلى ـ سبالها : جمع سبلة (بالتحريك) : وهى الدائرة فى وسط الشفة العليا وقيل : مجتمع الشاربين .

فقال : يا أمير المؤمنين ، اكفف عنى هذا الذى ليس له أصل فأهْتَصِره ولا فَرْعٌ فأحتقره ، فقال الوليد : أشهد أنك قد جرجرت كما قال شُقران :

* فجاءت بخَوَّارٍ إذا عُضَّ جَرْجَرا *

قال ابن مَيّادة : قلت وأنا عنــد الوليد بن يَزيد بأبايِن، وهو موضع كان الوليد ينزله فى الربيــع :

لَعَمْرُكَ إنّى نَازِلٌ بأَبايِنٍ لصوأَر[1] مُشْتَاقٌ وإنْ كنت مُكْرَما
أَبيتُ كأنّى أَرْمَــدُ العَيْنِ ساهِرٌ إذا باتَ أَصحابى من الليــل نُوَّما

فقال الوليـــد : يا ابن مَيّادة كأنك غَرِضْتَ[2] من قُرْبِنـا . قال : ما مثلُك يا أميرَ المؤمنين يُغْرَضُ من قُرْبِه ، ولــكن :

أَلَا ليت شِعْرِى هل أَبيتَنَّ ليلةً بحَرَّةِ ليلَى حيثُ رَبَّتَنى[3] أَهْلى
بِلادٌ بهــا نِيطَتْ علَىَّ تَمائِمى فقُطِّعْنَ عَنِّى حين أدركَنى عَقْلى
وهل أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أصواتَ هَجْمَةٍ تُطالع من هَجْلٍ خَصِيبٍ إلى هَجْلِ[4]
فإنْ كنتَ عن تلك المواطِنِ حَابِسِى فأَيْسِر علَىَّ الرِّزْق واجْمَع إذًا شَمْلى

فقال : كم الهَجْمة ؟ قلت : مائة ناقة . قال : قد صَدَرَتْ [بها][5] كُلّها عُشَراء[6] . قال ابن ميادة : فذكرت له وِلدانًا لى بنجد إذا استطعموا الله أطعمهم وإياى[7] ، وإذا استسقوه سقاهم وإياى ، وإذا استكسوه كساهم وإياى . فقال :

---

(١) صوأر : ماء لـكلب على مسافة من الـكوفة مما يلى الشام .

(٢) غرضت : ضجرت ومللت .

(٣) ربتنى : ربانى .

(٤) الهجمة : القطيع الـكبير من الإبل، وهوما بين الثلاثين إلى المائة ـ الهجل : المطمئن من الأرض

(٥) زيادة من غ .

(٦) العشراء : الناقة أتى على حملها عشرة أشهر ، وجمعها عشار .

(٧) فى غ : وأنا .

يا ابن ميادة وكم وراءك[1] ؟ فقلت : تسعة[2] عشر ، منهم عشرة نفر وتسع[3] نسوة. فقال : ياابن ميّادة قد أطعمهم الله وأمير المؤمنين وسقاهم الله وأمير المؤمنين ، وكساهم الله وأمير المؤمنين! أما النساء فتسع[4] حُلَل مختلفات الألوان ، [وأما الرجال فثلاث حلل مختلفات الألوان][5] وأما السَّقى فلا أرى مائة لِقْحة إلا ستَرْوِيهم ، فإن لم تُرْوهم زدتهم عينين من الحجاز . قلت : يا أمير المؤمنين لسنا بأصحاب عيون يأكلنا بها البعوض وتأخذنا الحمّيات . فقال : وقد أخلفها الله ، كل عام لك مثل ما أعطيتك العام : مائة لِقحه وفحلها وجارية بِكر ، وفرس عتيق .

أمر الوليد بن يزيد لابن ميادة بمائة من الإبل من صدقات بنى كلب ، فلما أتى الحول أرادوا أن يبتاعوا له من الطرائد ، وهى الغرائب ، وأن يمسكوا التِلاد[6] فقال ابن ميّادة :

أَلَمْ يبلغك أنّ الحىَّ كَلْبًا ... أرادُوا فى عَطِيَّتك ارتدادا
وقالوا إنّها صُهْبٌ وزُرْقٌ ... وقد أَعْطَيتَها دُهْماً جِعادا[7]

فعلموا أن الشعر سيبلغ الوليد ويُغضبه فقالوا : انطلق فخذها صُفْرا جِعادا .

روى زُهَير بن مضرِّس قال: أخصب جَناب الحجاز الشامى فمالت لذلك الخُضْر[8]

---

(١) فى غ : ولدانك .

(٢) فى غ : سبعة عشر .

(٣) فى غ: سبع.

(٤) فى غ : فأربع .

(٥) تكملة من غ يقتضيها النص .

(٦) التلاد : القديم مما ولد أو نتج عند صاحبه .

(٧) الصهب : جمع أصهب أو صهباء وهى التى فى ظاهر شعرها حمرة وفى أصوله اسوداد ــ زرق: جمع أزرق أو رزقاء ، وتروى ورق بالواو وهى السود فى غبره ــ الدهم: جمع أدهم أو دهماء وهى السوداء ــ الجعاد : المتقبضة الوبر ليس فيه استرسال أو انبساط .

(٨) فى غ : لذلك الخصب بنو فزارة .

وبنو فَزارة وبنو مُرَّة فتحالُّوا جميعا به . قال : فإني ذات يوم أنا وابنُ ميّادة جالسان على قارعة الطريق عَشِيًّا ، إذا راكبان يُوجِفان[1] براحلتين . حتى وقفا علينا ، وإذا عثمان بن عمرو بن عفَّان معه مولى له ، وقد كان ابنُ ميّادة يُعلِّلني[2] بشِعْرِه . فلما انقضى كلامنا مع القرشيّ ومولاه استعدت ابن ميّادة ما كنّا فيه ، فأنشدني فخراً له يقول فيه :

وعَلَى المُلَيْحَةِ من خُزاعةَ[3] فِتْيةٌ ... يتمارَضُون تمارض الأُسْد

وتَرَى الملوكَ الغُرَّ تحتَ قِبابهم ... يَمْشُون في الحلَقات والقِدِّ[4]

فقال القرشي : كذبت . فقال ابنُ مَيّادة : أفي هذا وحده ! أنا في غير هذا أكْذَب . فقال له القرشيّ : إن كنت تريد في مديحك قريشا فقد كفرت بربك ، ودفعت قوله ﴿ لإيلافِ قُرَيْش ﴾[5] حتى أتى على آخرها . ونهض هو ومولاه وركبا راحلتيهما . فلمّا سارا بعيدا من أبصارنا قال ابن ميّادة :

سَمِينُ قُرَيْشٍ مانعٌ منك نَفْسَهُ ... وغَثُّ قريشٍ حَيْثُ كان سَمِينُ

كان ابن ميّادَة قد هاجَى سنانَ بن جابر أحد بني حُمَيْس بن عامر بن جُهَيْنة بن زيد بن لَيث بن سُود بن أَسْلم فكان ممَّا قاله يهجوه :

وتُبْدِي الحُمَيسِيَّاتُ في كُلِّ زِينةٍ ... فُروجاً كآثارِ الصِغار من البَهْمِ

ثم خرج ابنُ ميّادة يبغي إبلًا له حتى ورد جُباراً[6] ، وهو ماء لحُمَيْس بن عامر ، فأتى بيتا فوجد فيه عجوزا أسنَّت ، فنشَدها إبله فذكرتهاله وقالت: ممّن أنت ؟

(١) يوجفان : يحثان السير .

(٢) يعللني : يشغلني ويلهيني .

(٣) في غ : جذيعة .

(٤) القد : سيور تقد من جلد غير مدبوغ يشد بها الأسير .

(٥) سورة قريش .

(٦) بين المدينة وفيد .

قال : رجل من سُلَيم بن منصور ، فأذِنَتْ له وقالت: ادخل حتى نَقْرِيَك وقد عرفته وهو لا يدرى . فلمّا قرته قال ابن ميّادة . وجدت ريحَ المسك[1] قد نَفَحَ على[2] البيت وإذا[3] بِنْتٌ لها قد هتكت السِّتر ثم استقبلتنى وعليها إزارٌ أحمر وهى مؤتزرة به ، فأطلقته وقالت : انظر يا ابن ميّادة الزانية أهذا كما وصفت[4] ؟ قال : فلم أرَ امرأةً أضخم قُبُلًا منها . وقالت : أهذا كما قلت :

وتُبْدِى الُحمَيْسِيّات فى كُلِّ زينةٍ فُروجاً كآثار الصِغار من البَهْم

قال : قلت : لا ياسيدتى ، ماهكذا قلت ، ولكنى قلت :

وتُبْدِى الُحميسيّات فى كلِّ زينة فُروجاً كآثار المُقَيْسِرةِ[5] الدُّهْمِ

وانصرف يَنْسُب[6] بها فذلك حين يقول :

نَظَرْنا فهاجَتْنا على الشوقِ نَظْرَةٌ[7] لزَيْنَب نارٌ أُوقِدت بجُبارِ

كأنَّ سَناها لاح لىَ من خَصاصةٍ على غير قَصْدٍ والمَطِىّ سَوارِى

حُميسيّة بالرَّمْلَتَيْن مَحلُّها تَمُتّ[8] بحِلْفٍ بيننا وجِوارِ

وكانت بنو حُميس حلفاء لبنى سهم بن مُرَّة[9] بن الُحصَيْن بن الُحمام ، وكانت هذه الُحميسية زينب بنت مالك .

---

(١) فى غ : الطيب .

(٢) فى غ : على من البيت .

(٣) فى غ : فإذا .

(٤) فى غ : نعت .

(٥) المقيسرة : الإبل المسان .

(٦) فى غ : يتشبب .

(٧) فى غ : والهوى .

(٨) فى غ : تمد وهما بمعنى .

(٩) بن مرة بن الحصين بن الحمام : فى غ : بن مرة ثم للحصين بن الحمام .

كان ابن ميّادة قد مدح أبا جعفر المنصور بقصيدته التي يقول فيها :

* طلعت علينا العِيس بالرمّاح *

ثم إنه خرج من عند أهله يريد المنصور ، فمرّ على إبله فحُلِبت له ناقة منها ، وراح عليه راعِيه بلبنها فشربه ، ثم مسح على بطنه وقال : سبحانَ الله ، إنّ هذا لشَرَه[١] ! يكفيني لبن بَكْرَة وأنا شيخ كبير ، ثم أخرج أغترب فى طلب المال ؟ ! ثم رجع ولم يخرج . وهذه القصيدة من جيّد شعر ابن ميّادة وأولها :

وكَواعبٍ قدقلن يَوْمَ تَواعُدٍ[٢] قولَ المُجِــدِّ وهنّ كالمُزّاحِ
يــا ليْتَه فى غير أمرٍ نائرٍ[٣] طلعتْ علينا العِيسُ بالرّمّاح

قال أبو أيوب[٤] بن سَلَمة : اعتمرتُ فى رجب سنة خَمْسٍ ومائة فصادفنى ابنُ ميَّادة بمكّة وقدمها معتمرا ، فأصابنا مطرٌ شديد تهدّمت منه البيوت وتوالَتْ فيه الصواعق . فجلس [إلىّ][٥] ابن مَيَّادة الغد من ذلك المطر، فجعل يأتينى قوم من قومى وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغيث فيقولون : صُعِق فلان وهُدِم منزل فلان . فقال ابن ميادة: هذا هو العيْثُ[٦] لا الغيْثُ . قلت : فما الغيْثُ عندك ؟ . فقال .

سَحائِبُ لا من صَيِّبٍ ذى صَواعِقٍ ولا مُحْرِقاتٍ ماؤُهُنّ حَمِــيمُ
إذا ماهَبَطْن الأرضَ قدداءَعُودها[٧] بَكَيْنَ بهــا حــتى يَعيشَ هَشِيمُ

(١) فى غ : لهو الشره .
(٢) ورد هذا الشطر فى الـكامل للمبرد ١/٣٥ برواية : ونواعم قد قلن يوم ترحلى.
(٣) فى غ : فادح .
(٤) فى غ : إسحاق بن أيوب .
(٥) تـكملة من غ .
(٦) العيث (بالمهملة) : الفساد .
(٧) فى غ : مات. وداءالعود : أصابه داء أوآفة.

قال أبو العلا بن وثّاب : قدم ابن ميّادة المدينة زائراً لعبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك وهو أميرُها ، وكان يسمر عنده فى اللّيل ، فقال عبد الواحد لأصحابه : إنّى أَهُمُّ أن أتزوّج فابْغُوا[1] لى أيِّماً . فقال ابن ميّادة : أنا أدُلُّك . قال : على مَنْ ياأباالشُّرَحْبِيل ! قال : قدمت عليك أيّها الأمير حيث جئت ، فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شىء به وبمن فيه الجنة وأهلها، فبينا أنا أمشى فيه إذ قادتنى رائحة عطر رجُل حتى وقفَتْ بى عليه ، فلمّا وقع بصرى عليه استلهانى[2] حسنُه ، فما أقلعت عنه حتى تكلّم ، فخلته لمّا تكلم يتلو زَبُوراً أو يدرس إنجيلا أو قرآنا حتى سكت . فلولا معرفتى بالأمير ما شككت أنّه هو قد خرج من داره إلى مُصَلّاه . فسألتُ مَنْ هو ، فأخبرت أنه لِلحَيَّين وبين الخليفتين، وأَنْ قد نالته ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لها [نور] ساطع من غُرّته فى ذؤابته . فنِعْم المُنْكِح ونعم حَشْو الدرع الرجل وابن العشيرة ! وإذا اجتمعت أنت وهو على وَلَدٍ ساد العباد وجاب ذكره البلاد . فلما قضى ابن مَيّادة كلامَه قال عبد الواحد لمن حضره : ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان ، وأمّه فاطمة بنت الحسين . فقال ابن مَيّادة :

لَهُمْ ميزةٌ[3] لم يُعطِها اللهُ غيرَهم ... وكُلُّ عطاء الله رِزْقٌ مُقَسَّمُ

ومما مدح به عبدَ الواحد قولُه :

مَنْ كان أخطأه الرَّبيعُ فإنّما ... نُصِرَ[4] الحجازُ بغَيْثِ عبدِ الواحدِ

إنّ المدينةَ أصبحت مَعْمُورةً ... بمتوَّجٍ حُلْو الشمائل ماجدِ

ولقد بلغتَ بغيرِ أمرِ تكلُّفٍ ... أعْلَى الحظوظِ[5] برَغْم أنفِ الحاسدِ

---

(١) فى غ : فابغونى .

(٢) فى نسخة من مخطوطة غ: استهالنى .

(٣) فى غ : نبوة . والنبوة : ما ارتفع من الأرض، وهى هنا كناية عن العلو والارتفاع .

(٤) نصر : سقى .

(٥) فى ك : الخطوب وهو تحريف .

وملكتَ ما بين العِراقِ ويَثْرِبٍ ... مُلْكاً أجار لمُسْلِم ومُعاهِدِ
ماليْهِما ودَمَيْهِما من بعدِ ما ... غَشَّى الضعيفَ شُعاعُ سيفِ المارِدِ

قال أبو حُذافة السَّهْمِىُّ : سبَّ رجل من قريش فى أيامِ بنى أُميَّة بعضَ ولد الحسَن بن علىّ رضى الله عنهم وأغلظ له وهو ساكت ، والناس يعجبون من صبره . فلما أطال أقبل الحسَنِىّ عليه متمثِّلا بقول ابن مَيَّادة وهو :

أَظَنَّت سَفاهاً من سَفاهَة رَأْيِها ... أَنَ اُهْجُوَها(1) لمَّا هَجَتْنى مُحارِبُ
فلا وأَبِيها إنّنى لعَشِيرتى(2) ... وقَوْمِىَ عن ذاكَ المَقامِ لَراغِبُ

فقام القرشىُّ خَجِلًا وما ردّ عليه جوابا .

وكان ابنُ مَيَّادة قد هجا بنى أسد وبنى تميم فقال :

بنى أَسَدٍ إنْ تَغْضَبوا ثم تغضبوا ... وتَغْضَبْ قُرَيْشٌ يَحْمِ قيساً غِضابُها
فأَحْقَرُ محقورٍ تميمٌ أخوكُم ... وإنْ غَضِبت يَرْبُوعها(3) ورِبابُها(4)
أَلا ما أُبالِى أنْ تُخَنْدِفَ(5) خِنْدِفٌ ... ولستُ أُبالِى أن يَطِنَّ ذُبابُها
ولو أنَّ قيساً قيسَ عَيْلان أقسمت ... على الشَّمْسِ لم يَطْلُع عليك(6) حِجابُها
ولو حاربَتْنا الجِنُّ لم نَرْفع القَنَا ... عن الجِنِّ حتَّى لا تَهِرّ كِلابُها
لنا المُلْك إلّا أنَّ شيئاً تَعُدُّه ... قريشٌ ولو شئنا لذَلَّت رِقابُها
وإنْ غَضِبَتْ من ذا قُرَيْشٌ فقل لها ... مَعاذَ الإلٰه أَنْ أَكونَ أَهابُها

---

(1) الرواية فى ك : بأن اهجها .

(2) فى غ : بعشيرتى .

(3) يربوع : هو يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم ؛ ويربوع بن غيظ بن مرة أبو بطن من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

(4) الرباب : قبائل سموا بذلك لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه وغمسوا فيه أيديهم وتحالفوا عليه ، وهم: تيم ، وعدى، وعكل . (راجع ل مادة ربب) .

(5) تخندف : تهرول .

(6) عليك : فى غ : عليكم .

وإنّى لقَوّال الجوابِ وإنَّنِى لمُفْتَجِر(١) أشياءَ يُعْيِي جوابُها
إذا غضبت قَيْسٌ عليك تقاصَرَت يدَاكَ وفاتَ الرِّجْلَ منك رِكابُها

ولمّا دخل ابنُ مَيّادة على عبد الصمد بن علىّ وسلّم عليه بالإمْرة قال له : لا سلّم الله عليك يا ماصَّ بَظْرَ أُمّه . فقال ابنُ مَيّادة : ما أكثر الماصِّين ! فضحك وقال له أنت القائل :

لنا المُلْك إلا أنَّ شيئاً تَعُـدُّه قريشٌ ولو شئنا لذَلَّت رِقابُها

قال : نعم . قال : أفـكنت أمنتَ أن ينقضَّ عليك بازٌ من قريش فيضرب رأسك ؟ فقال : أوكان ذلك البازى آمِناً أنْ يَلقاه بازٌ من قيس وهو يسير فيرميه فتَشُول رجلاه ؟ فضحك عبد الصمد ، ثم دعا له بكسوة فـكساه .

وقد رَدَّ عبدُ الرحمن بن جُهَيْم الأسدى أحد بنى الحارث بن سعد بن ثَعْلبة ابن دُودَان بن أسد على ابن مَيّادة بأبيات أوّلها :

لقد كَذَب العبدُ ابنُ مَيَّادَة الّذِى رَبَا وهْى وَسْطَ الشَّوْل تَدْمى كِعابُها

منها :

لعَمْرِى لئن شابَتْ حَلِيلةُ نَهْبَـلٍ لبِئسَ شَبابُ المرءِ كان شَبابُها
ولم تدر حمراءُ العِجان(٢) أنَهْبَـلٌ أبوه أم المُرِّىّ تَبَّ تَبابُهـا

ومات ابن مَيّادة فى صدر خلافة المنصور ، وقد كان مدحه ، ولم يَفِدْ إليـه ولا أنشده لما بلغه من قِلّة رغبته فى مدائح الشعراء وقِلّة ثوابِه لهم . والله تعالى أعلم.

---

(١) مفتجر : منشئ ومستحدث من غير سابق تعلم .
(٢) حمراء العجان : هو سب كان يجرى على ألسنة العرب يسب به الأعجمى فيقال له : (يا ابن حمراء العجان) .

ربيعة المرقش الأصغر*

هو ربيعة بن سُفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة، وهو عمّ طَرفَة بن العبد. وهو أَشْعَر المُرقِّشَيْن وأطولُهما عُمرا. وهو الذى عشق فاطمة بنت المُنْذِر. وكان لها وليدةٌ يقال لها بنتُ عَجْلان، وكانَ لها قصر بكاظِمَةَ(١) وعليه حرس يجرون كل ليلة حوله الثيابَ فلا يَطَـؤه أحدٌ إلّا بنت عَجْـلان.

وكان لبنت عَجْلان كل ليلة عشية رجل يُعْجبها فيبيت معها. (٢)[فقال عمرو ابن جناب(٣) بن مالك لمرقّش: إنّ بنت عَجْـلان تأخذ كلّ عشية رجلا يعجبها فيبيت معها](٢) وكان مرقِّش لا يفارق إبله، فأقام بالماء وترك إبله ظِماء(٤)، وكان من أجمل الناس وأحسنهم شَعْرا.

وكانت فاطمة بنت المنذر تقعُد فوق القصر فتنظر إلى الناس، فجاء مرقّش فبات عند ابنة عَجْلان، حتى إذا كان من الغد تجرّدت عند مولاتها فاطمة، فقالت: ماذا بفخذيْـك؟ وإذا نُـكَتٌ كأنها آثار السِّياط من شدّة حَفْزِه إياها عند الجماع، قالت: آثار رجل بات عندى الليلة.

وكانت فاطمة قالت لها: رأيتُ رجلًا جميلا راح نحوَنا عشيّةً(٥) لم أرَه قبل!

---

* الأغانى (بولاق): ٥/١٩٣-١٩٥ (دار الكتب): ٦/١٣٦-١٣٩ (بيروت): ٦/ - تجريد الأغانى: ٧٥٦-٧٥٩.

(١) كاظمة: على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان. وفيها آبار كثيرة.

(٢) مابين القوسين فى نسختى ت، ز، آثرنا إثباته.

(٣) ورد فى جميع المواضع حباب، والتصويب من غ والتجريد.

(٤) فى غ: ظمأى.

(٥) فى غ: بالعشية.

قالت : إنّه فتى قَعد عن إبله وكان يرعاها ، وهو الفتى الجميل الذى رأيتِه بات منى ، فأثّر فىّ هذه الآثار .

فقالت لها فاطمة : فإذا كان من الغد[١] وأتاك فقدِّمى إليه مِجْمَراً ومُريه أن يجلس عليه ، وأعطيه سواكا ، فإن استاك به أو ردّه فلا خيرعنده ، وإن قعد على المِجْمَر أو ردّه فلا خير عنده . فأتته بالمِجْمَر فقالت له : اجلس[٢] عليه فأبَى ، وقال : أَدْنيه منى فبخَّر لحيتَه[٣] وجُمَّته وأبَى أن يقعد عليه، وأخذ المِسْواكَ[٤] فقطَع رأسه واستاكَ به . فأتَتْ بنتُ[٥] عجلان فاطمةَ فأخبرتْها بما صنع، فازدادت له عشقا وبه عُجبا، وقالت : ائتِنى به، فتعلّقت به كما كان يتعلّق فمضى معها وانصرف[٦]. فقال القوم[٧] : لشَدَّ ما عَلِقت بنتُ عجلان المرقّش ! .

وكان الحرس ينثرون التُّرابَ حول قُبَّة فاطمةَ ، ويجرُّون عليه الثياب حتى يستوى[٨] ، ويحرسونها فلا يدخل عليها إلّا ابنةُ عَجْلان ، فإذا كان الغد بعث الملك بالقافة فينظرون أثر من دَخل عليها[٩] ويعودون فيقولون : لم نر إلّا أثر ابنة عجلان . فلما كان[١٠] تلك الليلة حمات بنتُ عَجْلان مرقّشاً على ظهرها وحزَمته إلى بطنها بثوب ، فأدخلته فبات معها .

---

(١) من الغد ، فى غ : غد .

(٢) فى غ : اقعد .

(٣) فى غ : فدخن .

(٤) فى غ : السواك .

(٥) فى غ : ابنة .

(٦) فى غ : وانصرف أصحابه .

(٧) فى غ : فقال القوم حين انصرفوا .

(٨) حتى يستوى : فى غ : حين تمسى .

(٩) فى غ : إليها .

(١٠) فى غ : كانت .

فلما أصبح الملك بعث بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا: رأينا[1] أثر ابنة عَجْلان وهى مُثْقَلة . فلبث كذلك[2] حيناً يدخل عليها .

وكان عمرو بن جَناب بن عوف يرى ما يُفعل ولا يعرف مذهبَه ، فقال له : ألم تكن عاهدتنى عهدا لا تكتمنى شيئا ولا أكتمك ، ولا نتكاذب ؟! فأخبره مرقِّش الخبر. فقال له : لا أرضى عنك ولا أكلِّمك أبدا أو تُدْخِلَنى عليها . وحلف على ذلك .

فانطلق مرقِّش إلى المكان الذى كان يواعد فيه ابنةَ[3] عَجْلان فأجلسه فيه وانصرف ، وأخبره كيف يصنع . وكانا متشابهين ، غير أن عمرو بن جناب كان أشعر . فأتَتْه بنتُ عَجْلان فاحتملته وأدخلته إليها ، وصنع ماأمره مرقِّش. فلما أراد مباشرتها وجدت مسّ شعر فَخِذيه فاستنكرته ، وإذا هو يُرْعَد ، فدفعته بقدميها فى صَدْره وقالت : قَبَّح الله سِرًّا عند المُعَيْدى .

ودعت بنت عَجْلان فذهبت به . فلما رآى صاحِبَه قد أسرع الكرّة ولم يلبث إلا قليلا علم أنه قد افتضح ، فعضّ على إصبعه فقطعها . ثم انطلق إلى أهله وترك إبله[4] التى كان مُقيما فيها حياء ممـا صنع، وقال شعرا فيها منه[5] :

ألا فاسْلَمِى[6] لا صَبْرَ[7] لى اليوم فاطِمَا ... ولا أبداً ما دام وَصْلُك دائمَا
أفاطِمُ لو أنَّ النســاء ببَلْدَةٍ ... وأنت بأُخْرَى لاتَّبعْتُك[8] هائمَـا

---

(١) فى غ : نظرنا .
(٢) فى غ : بذلك .
(٣) فى غ : بنت .
(٤) فى غ : المال .
(٥) المفضليات ٢/٤٤ رقم ٥٦ (تحقيق شاكر وهارون) .
(٦) فى غ : يا اسلمى .
(٧) فى غ : صرم .
(٨) فى غ : لابتغيتك ، وما هنا موافق لما فى المفضليات .

منها :

فآلَى[1] جَنَابٌ حِلْفَةً فأَطَعْتَهُ فنفْسَكَ وَلِّ اللومَ إن كنتَ نادِمَا
فمَنْ يلقَ خيراً يَحْمَدِ الناسُ أمرَه ومَنْ يَغْوَ[2] لا يَعْدَم على الغَيِّ لائِمَا

(١) آلى : حلف . وجناب : يريد عمرو بن جناب ، سماه باسم أبيه ، وهو شيء نادر في العربية ، ولعله أراد ابن جناب فحذف المضاف للشعر .

(٢) يغوى : يضل ويخيب .

رَبيعة المُخَبَّل[1] السعدى*

هو رَبيعةُ بن مالك بنِ رَبيعةَ بنِ عَوف بن قتال بن أنْفِ الناقة بن قُريع بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَمِيم .

شاعرٌ فَحْلٌ مخضرم أدركَ الجاهلية والإسلام . وقيل : اسمُه كعب بن ربيعة ، وكنيته أبو يزيد وإياه عنى الفرزدق بقوله[2] :

وَهَبَ القصائدَ لى النوابغُ إذْ مَضَوا ... وأبو يَزِيد وذُو القُروحِ وجَرْوَل

ذو القُروح : امرؤ القيس ، وجَرْول : الحطيئة ، وأبو يزيد : المُخَبَّل .

وجعله[3] ابن سَلّامٍ فى الطبقة الخامسة من فُحول الشعراء ، وقَرَنه بخداش بن زُهير ، والأسود بن يعفر ، وتميم بن مُقْبل . وهو من المقلّين ، وعُمِّرَ فى الجاهلية والإسلام عمراً طويلا[4] ، وأحسبه مات فى خلافة عمر أو عثمان وهو شيخ كبير .

وكان له ابن يقال له شيبان خرج مع سعد بن أبى وقّاص لحرب الفرس فجزع عليه المخبَّل جزعا عظيما ، وكان قد أسنّ وضعف ، وكان قد[5] قال له قبل خروجه : يابنى لا تفقِدْنى وجهك ، فإنّ من المصاب مفارقتى لك ! فلم يقبل . فلما خرج افتقر إليه أبوه ولم يملك الصبر عنه ، وكاد أن يُغْلَب على عقله . فعمد إلى إبله وسائر ماله

* الأغانى (بولاق) : ١٢/ ٤٠ـ٤٥ ـ (دار الكتب) : ١٣/ ١٨٩ـ١٩٨ (بيروت) : تجريد الأغانى . ١٤٩٦، ١٤٩٧ .

(١) المخبل (بفتح الباء المشددة) : فى الشعراء ثلاثة غير هذا هم : المخبل الزهيرى ، والثمالى وكعب المخبل (المؤتلف والمختلف للآمدى : ١٧٧) .

(٢) ديوان الفرزدق .

(٣) فى غ : وذكره .

(٤) فى غ : كثيرا .

(٥) من قوله : وقد قال له قبل خروجه إلى قوله : افتقر : ليس فى غ .

فعرضه ليبيعه ويلحق بابنه ، وكان به ضنينا ، فمنعه علقمةُ بن هَوْذَة من[1] ذلك ، وأعطاه مالًا وفرساً وقال : أنا أكلّم أمير المؤمنين عُمَرَ فى ردّ ابنك ، فإن فعل غَنِمْتَ مالَك وأقمتَ فى قومـك . وإن أبَى فإن[2] الذى أعطيتُك يكفيك لنفقة الطريق ولَحِقْتَ به ، وخلّفت إبلَك لعيالك . ثم مضى إلى عمر فقال[3] له : يا أمير المؤمنين ، إن المخبّل شيخ كبير وقد كان ابنـه عُدَّتَه ، وقد بان عليه فقده ، وأشرف على الوَسْواس ، وهمّ بالخروج خَلْفه ، وأنا أخشَى عليه، وأنشده قوله من أبيات :

أَيُهْلِـكُنى شيبانُ ، فى كلّ ليـلةٍ ... لِقَلْبِـي مِنْ خَوْفِ الفِـراق وَجِيبُ[4]

أشَيْبانُ ما أدراكَ أَنْ رُبَّ[5] لَيْلَةٍ ... غَبَقْتُك فيهـا والغَبُوق[6] حَبِيبُ

فإنْ يَكُ غُصْـنِى أصبحَ اليومَ ذَاوِياً ... وغُصْنُك من ماء الشَّباب رَطِيبُ

فإنّى حَنَتْ ظهرى خُطوبٌ تتابعتْ ... فمَشْـيِي ضَعِيفٌ فى الرجال دَبِيبُ

إذا قال صَحْبِي يا رَبِيعُ أَلَا تَرَى ... أَرَى الشَّخْصَ كالشَّخْصَيْن وهْوَ قَرِيبُ

ويخـبرنى شيبان أنْ لن يَعُقَّنى ... تَعُـقّ إذا فارَقْتَـنى وتَحُـوبُ[7]

فلا يدْخُلَنَّ الدهرَ قَبْرَكَ حَوْبَةٌ[8] ... يقومُ بهـا يوماً عليك حَسِيبُ[9]

---

(١) من ذلك : فى غ : بن مالك .

(٢) فى غ : وإن أبى استنفقتك ما أعطيتك .

(٣) من قوله : فقال له يا أمير المؤمنين إلى قوله : أخشى عليه : ليس فى غ .

(٤) الوجيب : الخفقان .

(٥) فى غ ، ت ، ز : كل .

(٦) الغبوق : الشرب فى العشى .

(٧) تحوب : تأثم .

(٨) الحوبة : الذنب .

(٩) حسيب : يريد الله عز وجل ويمكن قراءة البيت :

فـــلا تُدْخِلَنَّ الدهر قبرك حوبـةً

فلما أنشد عمرَ رضى الله عنه هذه الأبيات بكى ورَقّ له وكَتَب إلى سعد بن أبى وقّاص يأمره أن يُقفِلَ شيبانَ بنَ المُخبّل ويردَّه على أبيه . فلما ورد الكتابُ أعلمَ شيبانَ وردّه ، فسأله الإعفاء عنه وقال: لا تحرِمَنّى الجهاد . فقال له : إنها عَزْمَةٌ من عمر ولا خيرَ لك فى عِصيانه وعقوقِ شيخك . فانصرَف إلى أبيه وهو كاره[1] لذلك . فلما دخل عليه سُرَّ سرورا شديدا ، وقال له : يا بنىّ حلّ لك ما صنعته بى ؟ قال : خرجت فى سبيل الله ! قال : إنك لو عقلت لعلمت أن مقامك عند أبيك خير لك ممّا خرجت فيه . قال : فأنا مقيم عندكَ ما أفارقك إلى الموت[1] .

خطب المخبّل السعدى إلى الزِّبرقان بن بدر أختَه خُلَيْدَةَ فمنعه إياها وردّه لشىء كان فى عقله ، وزوّجها من غيره ؛ فهجاه المخبّل وتهاجيا حتى تواقفا للمهاجاة ، واجتمع الناس عليهما . فاجتمعا لذلك ذاتَ يوم ، وكان المخبّل أشعرهما ، وكان الزبرقان أسودَهُما ، ولم يكن المخبّل أثنى فأنشد المخبّل :

أَفَلَا تُفاخِـــرُنى ليُعْلَمَ أَيُّنا أَدْنَى لأَكْرَم سُؤْدَدٍ وفَعالِ
وأبوكَ بَدْرٌ كان مُشْتَرِط[2] الْخصَى وأَبِى الجَوادُ رَبِيعَــةُ بن قِتَالِ

فلما أنشد المُخَبّل :

وأبوكَ بدر كان مُشْتَرِط الْخصَى وأبى . . . .

انقطع كلامُه إمّا بشَرَقٍ أو لانقطاع نَفَس . فما علم الناس ما يريد أن يقول بعد قوله (وأبى) ، فسبقه الزّبرقان قبل أن يُتِمّ ويُبِين وقال : صدقتَ، وما فى ذلك أن كان شيخانا قد اشتركا فى صنعة ؟! فغلبه الزِّبرقان وضحك الناس من قوله ، وتفرّقوا وانقطع المخبّل .

---

(١) من قوله : وهو كاره إلى قوله : إلى الموت : ليس فى غ .

(٢) مشترط الخصى : قاطعها . والخصى : جمع خصية .

وإنما[1] ضحك الناس من المخبّل لأنهم أرادوا أن يُعِينوا الزِّبرقان لأنّه أسمحُ وأسْوَد . فترادُّوا على المخبّل وهم يعلمون أنه أشعر منه[1] .

كان زُرارة بن المُخبَّل يَليطُ[2] حوضَه فأتاه رجل من بنى عِلْباء بن عوف ، فقال له : صارِعْنى . فقال : إنى عن صِراعك لمشغول . فجذب بحُجْزَته وهو غافل فسقط ، فصاح به فِتيانالحىّ : صُرِع زُرارةُ وغُلِب . فأخذ زرارةُ حجراً فشدخ[3] به رأسَ العِلْباوى . فسأل المُخبَّل بغيضَ بن عامِر بن شماس أن يتحمّل عن ابنه الدِّيَة فتحمّلها وخلّصه[4] ، وكسا المخبَّل حُلَّة حسنة وأعطاه ناقة نجيبة فقال المخبَّل يمدحه:

لعَمْرُ أبيكَ لا أَلْقَى ابنَ عَمٍّ ... على الحَدَثان خَيْراً من بَغِيضِ

أَقلّ ملامـــةً وأعزُّ نصراً ... إذا ما جئت بالأمرِ المرِيضِ

كَسانِى حُـــلَّةً وحبَا بعَنْسٍ ... أَبُسُّ بها إذا اضطربت غُروضى[5]

غَداةَ جَـنَى بُـنَىَّ علىَّ حَرْبا[6] ... وكيف يَدَاى بالحَرْبِ العَضُوضِ[7]

وقد سَـدَّ السبيلَ أبو حُمَيْدٍ ... كما سَدَّ المخاطَبـةَ ابنُ بِيْضِ[8]

أبو حُميد هو بَغيض بن عَامر ، وأما قوله : كما سدّ المخاطَبة ابنُ بِيْض ، فإن ابن بيض من بقايا قـوم عاد كان تاجرا ، وكان لقمان بن عاد يُجيزُ له تجارةً فى كل

---

(١) من قوله : وإنما ضحك الناس إلى قوله أشعر منه : ليس فى غ .

(٢) يليط : يطين .

(٣) فى غ : فأخذ .

(٤) فى غ : وتخلصه .

(٥) العنس : الناقة الصلبة ــ أبس : أسوقها سوقا لينا ــ الغروض : جمع غرض (بالفتح) وهو للرحل كالحزام للسرج .

(٦) فى غ : جرما .

(٧) العضوض : الشديدة .

(٨) البيت فى الميدانى : (سد ابن بيض الطريق) .

سنة بأجرٍ معلوم ، فأجازه سنة من[١] السنين وعاد التاجر ولقمان غائب ، فأتى قومَه فنزل بهم[٢] ولقمان فى سفره . وحضرت التاجرَ الوَفاةُ فخاف لقمانَ على بَنيه وماله فقال لهم : إن لقمان صائر إليكم وإنى لأخشاه[٣] إذا علم بموتى على مالى فاجعلوا مالَه قِبَلى فى ثَوْب وضعوه فى طريقه إليكم ، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقه ، فادفعوه إليه .

ومات الرجل فأتاهم لقمان وقد وضعوا له حقّه على طريقه ، فقال : سَدَّ ابنُ بِيْضٍ الطريق . فأرسلها مثلا وانصرف وأخذ حقه .

وذكرت الشعراء ذلك فقال بشامةُ بن عَمْرو :

كثَوْبِ ابن بيضٍ وقَاهُمْ بـه ... فسَدَّ على السالِـكين الطَّرِيقـا

وحشدت بنو عِلْباء للمطالبة بدمِ صاحبهم ، وحَشَدت بنو قُريع مع بَغيض لنَصْر المُخَبَّل . ومشت المشيخة فى الأمر وقالوا : هذا قَتِيلُ خَطأٍ[٤] ، فارْفعوا[٥] الفتنة واقبلوا الدية ، فقبلوها . فقال زُرارةُ بنُ المخبَّل يفخر بذلك :

قال[٦] المخالِسُ لما أنْ جَرى طَلَقا ... أَمَّا حُطَيم بن عِلْبـاءَ فَقَد غَلَبا

إنّى رَمَيْتُ بجُلْمُودٍ عـلى حَنَقٍ ... مِنّى إلَيْهِ فـكانت ضَرْبَـةً[٧] غَرَبَا

اجتمع الزّبرقان بن بدر والمخبّل السعدى ، وعَبْدة بن الطَّبِيب ، وعمرو بن الأهتم ، قبل[٨] الإسلام و بَعْثة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فنحروا جَزُورا واشتروا

(١) فى غ : سنة وسنتين .

(٢) فى غ : فيهم .

(٣) فى ت : لأخاف .

(٤) فى غ : قتل خطأ .

(٥) فى غ : فلا تواقعوا .

(٦) فى غ : فاز .

(٧) ضربة غرب : لا يدرى من رماها أو هى غير مقصودة .

(٨) قبل الإسلام وبعثة النبي : فى غ : قبل أن يسلموا وبعد مبعث النبي .

خَمْراً وجلسوا يأكلون[1] ويشربون . فقالوا : لو أنّ قوما طاروا من جودة شعرهم لطرنا . فتحاكموا إلى أوّل من يَطْلُعُ عليهم ، فطلع عليهم ربيعة بن حُذار الأسدى، وقيل: رجل من بنى يَربوع يسأل عنهم فدُلّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون . فلما رأوه سرّهم وقالوا[2] : أخبرنا عمّا نسألك عنه . قال : قولوا . قالوا : اعلم أنّا تشاجرنا فى الشعر ، فقال كل واحد منا: أنا أشعر ، فتراضينا بأول من يطلع علينا ، وقد طَلَعْت ورضيناك ، فاحكم بيننا بالحق ، فإنا راضون به .

فقال لهم : يا إخوتى لقد عرضتمونى لما أكره . قالوا له : وكيف ؟ قال : لأنى لمن حكمت منكم عادانى الباقون ، وتكلّموا فىّ بما لا أحبه . فقالوا له : قد أمّنك الله من أن نقول فيك شيئا ، حكمت لنا أو حكمت علينا ، فقل ما عندك . فقال : هاتوا ما عندكم. فأنشده كل واحد منهم على حِدَة .

فلما فرغوا قال : أما عمرو فشعرُه بُرودٌ يَمَنيَّة تُنْشَر وتُطْوَى .

وأما أنت يا زِبْرِقانُ فكأنّك رجل أتى جَزُوراً قد نُحِرت فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك. وقيل: إنه قال له : وأما أنت يا زبرقان فإن شعرَك كلحمٍ لم ينضج فيؤكَل ، ولم يُترك نِيئًا فيُنْتَفَع به .

وأما أنت يا مُخَبّل فشعرك شُهُبٌ من نار الله يلقيها على من يشاء .

وأما أنت يا عَبْدَة فإن شعرك كَمَزَادةٍ[3] قد أُحْكِم خَرْزُها فليس يقطر منها شىء .

مَرَّ المخبل — بعد ما أسن وضعف بصره — بخُلَيْدة بنت بدر أخت الزِّبرقان ، فأنزلَتْه وقرَّبته وأكرمته ووهبت له وليدة وقالت له : إنى قد آثرتك بها يا أبا يزيد

---

(١) فى غ : يشوون ويأكلون .

(٢) من هنا إلى قوله : أما عمرو فشعره برود : ليس فى غ .

(٣) المزادة : الراوية ، وقيل : لا تكون إلا من جلدين بينهما ثالث لتتسع .

فاحتفظ بها . فقال لها : ومن أنت عرّفينى نفسك صانك الله حتى أشكرَكِ ؟ قالت : لا عَلَيْك. قال : بل[1] والله أسألك فإنّ[2] مثلك لا يغفل عن شكره . فقالت: يامخبل أنا بعض من هتكتَ بشعرك ظالما ! أنا خُليدة بنت بدر. فقال: واسوأتاه منكِ، فإنى[3] أستغفر الله تعالى وأستقيلهُ مما جرى ، والمعذرة إلى الله وإليك من خطئى . فقالت[4] له : ما فعلنا معك إلا وقد غفرنا لك ذنبك . فقال لها : أنت والله كريمة . وكان الزبرقان قد مات فذكره وقال : رحمه الله ! ولقد حملنى من أمرك على عظيم لأنى خطبتك إليه وكنت فيك من أرغب الناس فتركنى وزوّج سواى ، فحملنى ما كان فى نفسى من رغبتى إليك على أن قلت ما قلت، وأنا أستغفر الله وأعتذر إليك . فقبلت عذره وزادت فى كرامته[4] فقال :

لقد ضلَّ حِلْمى فى خُلَيْدة إنّنِى ... سأعتِبُ نفسى بعدها وأَتوبُ
فأُقسِم بالرحْمَن إنّى ظَلَمْتُها ... وجُرتُ عليها والهِجاءُ كَذُوبُ

فلما[5] قال هذا ودار فى الدنيا وبلغ الناسَ خبر خُلَيْدة ، قال الناس : لقد احتالت هذه الحرة الكريمة لنفسها فأحسنت الحيلة . فلله أبوها !

وكان المُخبّل يقول : ما ندمت على شيء كندمى على هجائى خُلَيْدة أخت الزبرقان، فإنّى كلّما ذكرتُ إحسانها إلىّ وإساءتى إليها لم تَسَعْنى الأرضُ !! وأنا أستغفر الله عزّ وجل[5] .

---

(١) فى غ : بلى .
(٢) فإن مثلك لا يغفل عن شكره : ليس فى غ .
(٣) فى غ : فإنى أستغفر الله عز وجل وأستقيلك وأعتذر إليك .
(٤) من قوله : فقالت إلى قوله وزادت فى كرامته : ليس فى غ .
(٥) من قوله: فلما قال .. إلى قوله عز وجل : ليس فى غ .

فهرست تراجم الكتاب

تراثنا

مختار الأغاني
في
الأخبار والتهاني

اختيار
ابن منظور محمد بن مكرم
٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء الرابع

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هـــذا الـكتاب بالتعـاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجـامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م

طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه

ج ٠ ع ٠ م ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حرف الرّاء

ربيعة بن مكدَّم*(١)

تَرجمَ صاحب الأصل على هذه الأخبار الّتى أوردتُها هنا ترجمتين: يوم الكَديد(٢)، ويوم الظعينة. وقد ترجمتُه أنا على هذا الاسم؛ لأنّه أشهرُ من تلك الواقعتين، والله أعلم.

هو ربيعة بنُ مكدَّم بنِ عامرِ بنِ حُرْثان(٣) بنِ جَذيمةَ بنِ علقمةَ بنِ جِذْل الطِّعان بنِ فِراس بنِ غَنم بنِ ثعلبة بنِ مالك بنِ كنانة. أحدُ فُرسانِ مُضَرَ المعدودِين، وشجعانِهم المشهورِين؛ قَتَلَه نُبَيْشــه بنُ حبيبٍ السُّلَمىُّ فى يوم الكَديد.

وهو كما قال أبو عبيدة: وقع تَدارُؤٌ(٤) بين نَفَرٍ من بنى سُلَيم بن منصور، وبين نَفَرٍ من بنى فِراس بنِ مالك بنِ كِنانة، فقتل بنوفراس رجُلَيْن من بنى سُلَيم، ثم وَدَوْهُما، ثم ضَرب الدهرُ ضَربَهُ، فخرج نُبَيْشة بنُ حَبيب السُّلَمىُّ غازيا، فلقىَ

* الأغانى ١٦ : ٥٦ ـ ٧٨ (طبعة دار الكتب) .

(١) ب، ج : « مكرّم » بالراء تصحيف .

(٢) الكديد، كأمير : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة .

(٣) ب، ج : « جوبان » تحريف .

(٤) وردت هذه الكلمة فى ب، ج محرفة مضطربة؛ والصواب ما أثبته من الأغانى .

ظُعُناً من بنى كنانَة بالكَديد ، فى رَكْبٍ من قومهم ، و بَصُرَ بِهِمْ[١] نفرٌ من بنى فِراس بن مالك ، فيهم عبدُ الله بنُ جِذْل الطِّعان ، والحارث بن مكدَّم أبو الفارعة — وقيل : الفرْعة — وأخوه ربيعةُ بنُ مكدَّم ، وهو مجدور[٢] يومئذٍ يُحمل فى مِحَفَّة ، فلما رآهُم أبو الفارعة قال : هؤلاء بنو سُلَيم يطلبون دماءهم .

فقال ربيعة : أنا أذهَب حتّى أعلمَ عِلْمَ القوم وآتيكم بخبرهم . فتوجّه نحوهم ، فلما وَلَّى قال بعضُ الظُّعُن : هربَ ربيعة . فقالت أختُه أمّ عَزّةَ بنت مكدَّم : أين تنتهى فرّة الفتى ؟ فعَطَف وقد سمع [قول النساء][٣] فقال :

لقد عَلِمْنَ أنّنِى غيرُ فَرِقْ[٤] ... لأَطْعُنَنَّ طَعْنَةً وأَعْتَنِقْ[٥]

أُعمِلُ فِيهِمْ حين تحمَرُّ الحدَقْ ... عَضْباً حُساما وسِناناً يَأْتَلِقْ

ثم انْطلَق يعدُو به فرَسُه ، فحَمَل عليه بعضُ القوم ، فاسْتطرَد[٦] له فى طريق الظُّعُن ، وانفرَد به ربيعة فقَتَله ، ثم رماه نُبَيْشة أو طعَنَه ، فلَحِق بالظُّعُن يَسْتَدْمِى[٧] حتّى انتَهى إلى أمّه أمّ سَيّار . فقال : شُدِّى على يَدِى عِصابة ، وهو يرْتَجِز ويقول :

شُدِّى علىَّ العَصْبَ أمَّ سَيّارْ ... فقد رُزِئْتِ فارساً كالدِّينارْ

* يَطْعُنُ بالرُّمْح أمامَ الأَدْبارْ *

(١) ب ، ج : « ونصرتهم » ، تصحيف ، والصواب ما فى الأغانى .

(٢) المجدور : المصاب بالجدرى .

(٣) زيادة من الأغانى .

(٤) الفرق ، ككتف : الخائف الوجل .

(٥) العناق والاعتناق بمعنى .

(٦) استطرد له ، أراه أنه يتقهقر ؛ خداعا له .

(٧) ب ، ج : « يشتد » ؛ والصواب ما أثبته من الأغانى .

فقالت أمُّه :

إنّا بنو ثَعلبةَ بن مالكِ   مُرَزَّأٌ خيارُنا كذلكِ

مِن بينِ مقتولٍ وبين هالكِ   ولا يكون الرُّزْءُ إلّا ذلكِ

وشَدّت أمُّه عليه عِصابةً فاستقاها ماءً ، فقالت له أمُّه : إن شربْتَ الماءَ مُتَّ ، فكرَّ على القوم ، فكرَّ عليهِمْ راجعا يَشدُّ عليهِمْ فنَزفه الدَّمُ حتى أُثخِن[1] .

فقال للظُّعُن : أَوْضِعْن[2] رِكابَكُنّ خَلْفى حتى تنْتَهِين إلى أدنى بيوتِ الحىّ ، فإنّى لِمَا بى سوفَ أقِفُ دونَكنّ لهم على العَقَبَة ، وأعتَمِد على رُمْحى ، فلن يَقدِموا عليكنّ لمكانى[3] ، ففعلن ذلك ، فنجون إلى مَأمَنِهِنّ .

قال أبو عمرو بنُ العَلاء : ولا نَعلم قتيلا ولا ميّتا حَمَى الظّعائنَ وهو ميّت غيرَه ؛ وإنه يومئذ لَغلامٌ له ذُؤابة ، فاعتمَد على رمحه ، وهو واقفٌ لهنّ على مَتْن فرَسِه ؛ حتى بلَغْن مَأْمَنَهُنّ ، وما تقدَّم القومُ عليه . فقال نُبَيْشَة بنُ حبيب : إنّه لمائل العُنق ، وما أظُنُّه إلّا قد مات ؛ فأمر رجلا من خُزاعَةَ أن يرْمِىَ فرَسَه ، فرماها ، فقمَصَتْ[4] ، فمالَ عنها ميّتا .

[قال][5] ويقال : إنّ نُبَيْشَةَ هو الّذى رَمَى فرسَه . فانصرَفوا عنه ، وقد فاتَهُم الظُّعُن ، ولحقوا يومئذ أبا الفَرْعة الحارث ، فقتلوه ، وألقَوْا على ربيعةَ أحجارا ، فمرّ به رجلٌ من بنى الحارث بن فِهر ، فنفرَتْ ناقته من تلك الأحجار الّتى على قبرِ ربيعة ، فقال

---

(١) نزفه الدم : سال منه بغزارة ، وأثخن ، أى ضعف من الجراحة .

(٢) الإيضاع : ضرب من السير ، سريع .

(٣) وردت هذه الكلمة محرفة فى ب ، ج ؛ والصواب ما أثبته من الأغانى .

(٤) قمصت الفرس ؛ إذا رفعت يديها وطرحتهما معا .

(٥) تكملة من الأغانى .

يرثيه ويَعتذِر ألّا يكون عقَر ناقته على قبرِه، ويَحُضُّ على قَتَلَتِه ويعيِّر من فرَّ وأسْلَمَه من قومه:

نَفرتْ قَلوصى مِن حِجارةِ حَرّةٍ ... بُنيتْ على طَلْقِ اليدَيْن وَهوبِ[1]
لا تَنفِرِى يا ناقُ منه فإنّه ... شِرِّيب خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُروبِ[2]
لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لترَكْتُها تحبو على العُرقوبِ[3]
فرَّ الفوارس عن ربيعةَ بعدَ ما ... أنجاهمُ من غمْرةِ المَكْروبِ[4]
يدعو عليًّا حينَ أسلمَ ظهرَه ... فلقد دَعَوْتَ هناك غيرَ مُجيبِ
لِلّه دَرُّ بنى عَلِىٍّ إنّهم ... لم يُحَمِشوا غَزْوًا كوَلْغِ الذِّيبِ[5]
نِعمَ الفَتَى أدَّى نُبَيْشةَ بزَّهُ ... يومَ الكَديد نُبَيْشة بنُ حبيبِ[6]
لا يَبعَدنّ ربيعةُ بنُ مكدَّمٍ ... وسَقَى الغَوادِى قبرَه بذَنوبِ[7]

ويقال: قائلُ هذا الشعر محمّدُ بنُ ضِرار بنِ الخطّاب بن مِرْداس، أحدُ بنى مُحارب ابن فِهر.

ويقال: هو لضرارٍ أبيه؛ ويقال: هو لعمرو بن شقيق أحد بنى فِهر بن مالك؛ ويقال: هو مِكْرَز بن حَفْص بن الأحنف الكنانىّ العامرىّ. ويقال: هو حسان[8] ابن ثابت، وعمرو بن شقيق أولى بها.

---

(١) القلوص: الشابة الفتية من الإبل، والحرة: الحجارة السود.
(٢) فى الأغانى: «سباء» خمر، وسباء: مشتريها. ومسعر الحرب: موقدها.
(٣) الخرق: الفلاة الواسعة تنخرق فيها الرياح؛ أى يشتد هبوبها. والمهمه: المفازة المقفرة
(٤) فى الأغانى: «غمة المكروب».
(٥) لم يحمشوا: لم يحرضوا، وفى ب، ج: «لم يحمسوا»، وما أثبت من الأغانى.
(٦) البز: السلاح.
(٧) الغوادى: جمع غادية؛ وهى السحابة، والذنوب: الدلو فيه ماء.
(٨) ب: «الحارث» تصحيف؛ وقد أورد صاحب العقد فى الجزء الأول ص ١٣٦ ثلاثة أبيات منها منسوبة إلى حسان؛ وليست فى ديوانه.

وقال عبدُ الله بنُ جذْل الطِّعان ، واسمه بَلْعاء :

لأطالبنْ ربيعة بن مكدَّمٍ حتى أنال عُصَيَّةَ بن معيصِ[1]

ـ عصيّة بن معيص بن عامر بن لؤيّ بن غالب ـ

يَقتـادُ كل طِمِرّةٍ مَمْحوصَـةٍ ومقلِّصٍ عَبْلِ الشَّوَى مَمْحوصِ[2]

وقال ابنُ جِذْلِ الطِّعان أيضا فى ذلك :

ألا لله دَرُّ بـنى فِراسٍ لقد أَوْرَيْتُمُ حزناً وَجيعاً[3]

غداةَ ثوى ربيعةُ فى مَكَرٍّ تَمُجُّ عُروقه عَلَقاً نَجيعا[4]

فلن أنسَى ربيعة إذ تعالَى بكاءُ الظُّعْنِ يدعو : يارَبيعا

وقالت أم عمرو أختُ ربيعة ترثى أخاها ربيعة :

ما بالُ عَيْنَيْك منها الدمعُ مُهْراقُ سَحًّا فلا عازبٌ منها ولا راقى[5]

أَبـكى على هالِكٍ أودى وأورَثنى بعد التّفرُّق حُزْناً بعده باق

لو كان يَرجِـعُ مَيْتاً وَجْدُ ذى رَحِمٍ أَبقى أَخى سالماً وَجْدى وإشفاق

أو كان يُفدَى لكان الأهلُ كلُّهمُ[6] وما أُثَمِّرُ من مالٍ له واقِ

---

(١) فى الأغانى : « لأطلبن » .

(٢) يقتاد : يقود، والطمرة: الفرس المستعدة للوثب والعدو. والممحوصة : القليلة لحم القوائم التى خلصت من الرهل . والمقلص : الطويل القوائم المنضم البطن . وعبل الشوى: ضخم الأطراف ، وفى ب ، ج : « ممحوض » تحريف .

(٣) فى الأغانى : « لقد أورثتم » . وأوريتم : أثرتم وأججتم ؛ من ورى النار وأوراها؛ إذا أوقدها.

(٤) ثوى: أقام ، والمكر: موضع الحرب . وتمج عروقه: ترمى بدمها ، والعلق ، بالتحريك الدم ، والنجيع : المصبوب .

(٥) راقى ، مخفف « راقىء » ، وهو الساكن .

(٦) ب ، ج : « لو كان » ، والصواب ما أثبته من الأغانى .

لكنْ سِهامُ المنايا من نصِبنَ له ... لم يُنجِه طِبٌّ ذى طبٍّ ولا راقِ
فاذهبْ فلا يُبْعِدَنْك اللهُ من رجلٍ ... لاقَى الّذى كلُّ حيّ مِثلَه لاقِ
فسوفَ أبكيكَ ما ناحتْ مطوّقة ... وما سَرَيْتُ مع السّارِى على ساقِ
أَبكَى لذكْرَته عَبْرَى مفجَّمةً ... ما إنْ يَجِفُّ لها من ذُكْرَةٍ مَاقِ(١)

وقال عبد الله يرثيه :

نادَى الظّعائنُ يا ربيعةُ بعدَ ما ... لَمْ يَبْقَ غيرُ حُشاشةٍ وفُواقِ(٢)
فأجابَها والرُّمْحُ فى حَيْزُومِه ... أنفًا بطعنٍ كالشَّعيبِ رُفاقِ(٣)
يا رَيْطَ إنّ ربيعةَ بنَ مكدَّمٍ ... وربيع قومِك آذنَا بِفراقِ
ولئن هلكتَ لَرُبَّ فارسِ بُهْمةٍ(٤) ... فرّجْتُ كُرْبَتَه وضِيقَ خِناق

ولمّا مرّ حسّانُ بنُ ثابتٍ بقبر ربيعةَ بن مكدَّم الكنانىّ بثَنِيَّةِ كَعْب — وقيل : ثَنيّة غَزال — وقال أبياته الّتى هى :

* نَفَرتْ قَلوصِى من حِجارةِ حَرَّةٍ *

حتّى قال :

لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لتركتُها تَحْبُو على العُرقوبِ

فبلغ شعرُه بنى كنانة ، فقالوا : والله لو عَقَرَها لسُقْنا إليه ألفَ ناقةٍ سوداء الحدَق .

خرج دُرَيْد بنُ الصِّمّة فى فوارسَ من بنى جُشَم ، حتى إذا كانوا بوادٍ لِبنى كِنانَة ، يقال له : أَخْرَم ، وهو يريد الغارة على بنى كنانة ، رُفِع لهم رجلٌ

(١) ماق ، مخفف « مأق » .
(٢) الفواق : ريح يخرج من المعدة إلى الفم ؛ أراد أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة .
(٣) الشعيب : المزادة .
(٤) البهمة : الجيش .

فى[١] ناحية الوادى مع ظعينته[٢] ، فلما نظر إليه ، قال لفارسٍ من أصحابه : صِحْ به أَنْ خَلِّ عن الظّعينة وأَنْجُ بنفْسك ـ وهو لايعرفه ـ فانتهى إليه الرجلُ، فصاح عليه[٣] وألحّ ، فلما أبى ألـقَى زمام الراحلة وقال للظعينة :

سِيرِى على رِسْلِكِ سَيْرَ الآمِنِ   سَـيْرَ رَداحٍ ذاتِ جَأْشٍ ساكِنِ[٤]
إنّ انْثنائى دُون قِرْنى شائنى   وابْلِى بلائى واُخْبُرِى وعايِنِى

ثم حمل على الفارس فطعنة فقتَلَه وأخَذَ فرسَه ، فأعطاه الظَّعينة، فبعثَ دريدٌ فارسا آخر يَنظُر ما صَنَع صاحبُه ، فرآه صريعا ، فصاحَ به فتصامَّ عنه ، فظنّ أنه لم يَسْمَع فغَشِيَه ، فألقى الزّمامَ إليها ، وحَمَل على الفارس فصرَعه ؛ وهو يقول :

خَلِّ سبيلَ الحُرّة المَنيعهْ   إنَّك لاقٍ دونَهـا ربيعهْ
فى كَفِّه خَطِّيّـةٌ مُطيعهْ[٥]   أَوْلا فخُذْها طعنةً سَريعهْ

* والطّعن منّى فى الوَغَى شَريعهْ *

فلمّا أبطأ على دُرَيد ، بعث فارسا آخرَ لينظر ما صنعا ، فانتهى إليهما فوجدهما صريعَيْن ، ونظر إليه يقود ظعينتَه ، ويجُرّ رُمحَه ، فقال الفارس : خَلِّ عن الظَّعينة . فقال لها : اقصِدِى قصدَ البيوت ؛ ثم أقبَل عليه فقال :

ماذا تُريد من شَتِيمٍ عابِسِ[٦]   أَلَم تَرَ الفارسَ بَعْدَ الفارسِ

* أَرْداهُمَا عامِلُ رمحٍ يابِس *

---

(١) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « من ناحية الوادى » .
(٢) الظعينة : المرأة ما دامت فى الهودج ؛ وفى الأغانى : « معه ظعينة » .
(٣) فى الأغانى : « فصاح به » .
(٤) امرأة رداح : عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق .
(٥) خطية ، يريد رمحا ، والرماح تنسب إلى الخط ، ثغر بالبحرين .
(٦) الشتيم : الأسد الكريه المنظر .

ثم طعنه فصرعه ، وأنكسر رُمحُه ، فأرتاب دريدٌ وظنّ أنهمْ قد أخذوا الظّعينة وقتلوا الرّجلَ ، فلَحِق بهم ، فوجد ربيعةَ لا رمحَ معه ، وقد دنا من الحيّ ، ووجد القومَ قد قُتِلوا .

فقال له دُرَيْد : أيّها الفارس ، إنّ مِثلَك لا يُقتَلُ ، وإن الخيلَ ثائرةٌ بأصحابها ، ولا أَرَى معك رُمْحا ، وأراكَ حديثَ السّنّ ، فدُونَك هذا الرُّمح ! فإنّى راجعٌ إلى أصحابى فمثبِّطٌ عنك . فأتى دُرَيد أصحا به وقال : إن فارس الظّعينة قد حَماها وقتل أصحابكم(١) ، وانتزع رمحى ولا طمع لكم فيه ؛ فأنصرَف القوم ؛ وقال دريد فى ذلك :

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمِثلِه ... حامى الظعينـةِ فارساً لم يُقتَلِ

أَرْدَى فوارسَ لم يكونوا نُهْزَةً ... ثم أستمرَّ كأنّه لم يَفْعَـلِ(٢)

متهلِّلٌ تبدو أسِرّةُ وجهه ... مِثلَ الحسام جلاه كفُّ الصّيْقَلِ(٣)

يُزْجى ظعينتَهُ ويَسْحَبُ رمحه ... متوجِّهاً يُمناه نحوَ المنزلِ(٤)

وتَرَى الفوارسَ من مخافةِ رمحِه ... مِثلَ البغاثِ خَشِينَ وقْعَ الأَجْدَلِ(٥)

ياليت شعرى ! مَن أبوه وأُمّه؟ ... ياصاحِ مَنْ يَكُ مِثْلَه لم يُجْهَلِ !

وقال ربيعة :

إن كان يَنفعُكِ اليقينُ فسائِلى ... عنّى الظعينةَ يومَ وادى الأَخْرَمِ

---

(١) الأغانى : « فوارسكم » .

(٢) النهزة : الفرصة .

(٣) فى الأغانى : « جلته كف الصيقل » ؛ والصيقل : جلاء السيوف .

(٤) يقال : توجه فلان يمينه ويمناه ؛ أى توجه ظافرا ؛ وضده : توجه فلان شماله ؛ أى على أمر مشئوم . وفى إحدى نسخ الأغانى « يمناه » .

(٥) البغاث : الطيور الضعيفة . والأجدل : الصقر .

هل هى لأوّل من أتاها نُهزةٌ ... لولا طِعانُ رَبيعةَ بنِ مكدَّمِ
إذ قال لى أوفَى الفوارِس منهُم: ... خَلِّ الظَّعينـةَ طائعا لا تنـدمِ (١)
فصرفتُ راحلةَ الظَّعينة نحوَه ... عَمْدًا ليَعلمَ بعضَ ما لَمْ يَعْلَمِ
وهتكْتُ بالرُّمح الطّويل إهابَه ... فهَوى صريعاً لليدَيْن وللفمِ
ومَنحتُ آخر بعـدَه جَيّاشَـةً ... نَجْلَاء فاغِرَةً كشدْقِ الأَعْلَمِ (٢)
ولقد شَفَعْتُهما بآخرَ ثالثاً ... وأبى الفِرارَ لى الغَدَاةَ تَكرُّمِى (٣)

فلَمْ يَلبث بنو مالك بن كنانة ، رهط ربيعة بن مكدَّم، أن أغاروا على بنى جُشَم رهط دُرَيد، فقَتَلو وأَسَرُوا وغَنِموا وأَسَرُوا دريدَ بنَ الصِّمة ، وأَخفَى نفسَه . فبينا هو عندهم محبوس ، إذ جاء نسوةٌ يتهادَيْن إليه ، فصرخَتْ اُمرأةٌ منهنّ ، وقالت : هلَكتمْ وأهلكتم : ماذا صنعتم (٤) ! هذا واللهِ الّذى أعطى ربيعةَ رمحه يومَ الظَّعينة ، ثم أَلقتْ عليه ثوبَها ، وقالت : يا آل فِراس ، أنا جارةٌ له منكم ، هذا صاحبُنا يومَ الوادى ، فسألوه مَنْ هو ؟ فقال : أنا دُرَيد بنُ الصِّمّة ، فمن صاحبى ؟ قالوا : ربيعة ابن مكدَّم . فقال : ما فعَل ؟ قالوا : قتلَه بنو سُلَيم . قال : فمن الظَّعينةُ الّتى كانت معه ؟ قالت المرأة : رَيْطة بنتُ جِذْل الطِّعان ، وأنا هى، وأنا اُمرأته ؛ فأطلقَه القوم، وذَمّوا أنفسَهم (٥) ، وقالوا : لاينبغى أن تُكْفَر نعمةُ دُرَيْد على صاحبنا.

وقال بعضهم : لا والله ، لَا يخرج من أيدينا إلّا برضا المخارِق الّذى أَسَرَه ؛ فانبعثَت المرأةُ فى الّليل تقول :

---

(١) فى الأغانى : « أدنى الفوارس ميتة » .
(٢) جياشة ، أى طعنة تجيش .
(٣) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « إلى العداة » .
(٤) فى الأغانى : « ماذا جر علينا قومنا » .
(٥) فى الأغانى . « وآمروا أنفسهم » .

سَنَجْزِى دُرَيْدًا عن ربيعة نعمةً ... وكلُّ فتًى يُجْزَى بما كان قدَّما
فإن كان خيراً كان خيرا جزاؤُه ... وإن كان شرًّا كان شرًّا مذمَّما
سَنجزيه نُعْمَى لم تكن بصغيرةٍ ... بإعطائه الرُّمحَ السديدَ المقوَّما
فقد أدركتْ كَفَّاه فينا جزاءَه ... وأهلٌ بأن يُجْزَى الّذى كان أنعما
فلا تكفُروه حق نعماه فيكُمُ ... ولا تركبوا تلك التى تملأ الفما
فلو كان حيًّا لم يضق بثوابه ... ذرعاً غنيًّا كان أو كان مُعدِما
ففُكُّوا دُرَيْدًا من إسارِ مُخارقٍ ... ولا تجعلوا البُؤْسَى إلى الشّرّ سُلَّما

فأصبح القومُ فتعاوَنوا بينهم ، فأَطلقوه وكسَتْه رَيْطةُ وجهّزتْه ، ولَحِق بقومه ، ولم يزل كافًّا عن غزوِ بنى فراس حتّى هَلَك .

سأل عمرُ بنُ الخطّاب ــ رضى الله عنه ــ عمرَو بنَ معدِى كربَ الزُّبيدىَّ : مَن أشجعُ من رأيت ؟ فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ، لَأَخبرنَّك عن أحْيَل الناس ، وعن أشجَع النّاس ، وعن أجبَن الناس فقال له : هات ، فقال : أربعت المدينة ، فخرجتُ كأحسن ما رأيت ، وكانت لى فرس شَقّاء مقاء ، طويلة الأنقاء[٢] ، تمّطقُ بالعَرق تمطُّق[٣] الشيخِ بالمَرق ، فركبْتُها ، ثم آليت ألَّا ألقى أحدا إلا قتلتُه ، فخرجتُ [وعَلَىَّ مُقْدِّى][٤] فإذَا أنا بفتًى بين غُرْضَين[٥] ، فقلت له : خُذْ حِذْرَك فإنّى قاتِلُك ! فقال : والله

(١) كذا فى الأغانى ، وموضعها كلمة فى الأصول غير واضحة .

(٢) شقاء مقاء : طويلة . والأنقاء : جمع نقو ؛ وهو عظم اليدين والرجلين والفخذين . وفى الأغانى : « وكانت لى فرس شمقمقة ، طويلة سريعة الإبقاء .

(٣) التمطق : إلصاق اللسان بالغار الأعلى ؛ فيسمع له صوت عند استطابة الشيء ؛ يريد أن العرق يسيل من وجهها إلى فيها فتتمطق لإلفها الجرى ومزاولة الأسفار .

(٤) تكملة من الأغانى ، والمقد : حديدة يقد بها الجلد ؛ يريد بها سيفه .

(٥) الغرض : شعبة فى الوادى .

ما أنصفتَني يا أبا ثَوْر ، أنَا كما تَرى أعزَل أميَل(١) عُوّارةٌ ـ والعُوّارة الّذى لا تُرْس معه ـ فأَنْظِرْنى حتى آخُذَ نبلِى . فقلتُ : وماغَناؤها عنك ! قال : أَمْتِنع بها ، قلت : خُذْها ، قال : لا والله ، أو تعطينى من العهود ما يثلجنى أنّك لا تروّعنى حتّى آخُذَها . قال : فأنْحلْتُه(٢) . فقال : وإله قريش لا آخذها أبدا ، فسَلِم مِنى وذَهَب(٣) ؛ فهذا أحْيَل الناس .

ثم مضيتُ حتّى اشتمَلَ علىَّ اللّيل ، فإنى لأَسيرُ فى قمر زاهر ، هو كالنّوْر الظّاهر ، فإذا بفتًى على فرسٍ يقود ظعينةً ، وهو يقول :

يا ليتَنا يا لَيْتَنا يا لَيْتَنا ‏ ‏ ‏ يُعْدَى علينا ثم نُبْلَى بالدِّما(٤)

ثم يخرِج حنظلةً من مِخلاةٍ فيَرمِى بها فى السّماء ، فلا تبلغُ الأرضَ حتى ينظمها بمِشْقَصٍ(٥) من نَبْله . فصِحْت به : خُذْ حِذْرَك ، ثَكِلَتْك أُمّك ! فإنِّى قاتلك . فمالَ عن فرسه ، فإذا هو فى الأرض . فقلت : هذا الاُستخفاف(٦) ، فدنوتُ منه ، فصِحْت به : ويلك ! فما تَحلْحَلَ ولا تَزايَل عن موضعِه ، فشككْتُ بالرُّمح إهابَه ، فإذا هو كأنّه قد مات منذ سنة ، فمضيتُ وتركتُه . فهذا أجبَن الناس .

---

(١) الأعزل : الذى لا سلاح معه ، والأميل : الذى لا يستقر على الخيل .
(٢) فى الأغانى : « فأثلجته » .
(٣) فى الأغانى : « وذهبت » .
(٤) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى :

يا لُدَيْنَا يا لُدَيْنَا ‏ ‏ ‏ ليتَنا يُعْدَى علينا

* ثم يُبْلَى ما لَدَيْنَا *

(٥) المشقص : نصل طويل غير عريض .
(٦) فى الأغانى : « إن هذا إلا استخفاف » .

ثم مضيتُ فأصبحتُ [بين دكادك هَرْشى إلى غزال](١)، فنظرت، فإذا أبيات، فعدلتُ إليها ، فإذا فيها ثلاثُ جَوارٍ كأنهنّ نجوم الثريّا ، فبكَيْن حين رأينَني . فقلت : ما يُبْكِيكُنّ؟ فقلن: لما أُتِينا(٢) به منك ، ومن ورائنا أختٌ لنا هيَ أجمل منّا، فأشرفت من فَدْفَد(٣) ، فإذا بمَرْأًى لم أرَ شيئاً قطُّ أحسنَ منه ، وإذا بغلام يَخْصِف نعلَه، عليه ذُؤابة يَسْحَبُها ، فلمّا نظر إليَّ وثَب على الفرس مبادرا ، ثم ركَضَ فسبقَني إلى البيوت ، فوَجدهُنّ قد أُرتَعْن ، فسمعتُه يقول [لهنّ](٤) :

مَهْلًا نُسَيّاتِي إذَنْ لا تَرتعنْ ... إن يُمنَع اليومَ نساءٌ تُمْنَعْنْ

* أَرْضِين أذيالَ المُروط وارْتَعْنْ(٥) *

فلمّا دنوتُ منه قال : أتَطرُدنى أم أطرُدك ؟ [قلت : أطردك](٦) ، فركَضَ وركضتُ فى أثَرِه حتّى إذا أمكنتُ السِّنانَ من لفتته ـ واللفتة أسفلَ من الكَتف ـ اتّكأتُ عليه ، فإذا هو واللهِ مع لَبَب(٧) فرَسِه ، ثم أستوى فى سَرْجه ؛ فقلت : أَقِلْني . فقال : اطرد ، فتبِعْتُه حتّى إذا ظننتُ أنّ السِّنان بين ناغِضيه(٨) أعتمدت عليه ، فإذا هو والله قائم على الأرض والسنان ماض رائح ، ثم أستوى

(١) تكملة من الأغانى . والدكادك : جمع دكدك ؛ وهو ما تلبد من الرمل بعضه على بعض ولم يرتفع كثيرا . وهرشى : هضبة ململمة لا تنبت شيئا ؛ على ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة . وغزال : واد بين هرشى والجحفة.

(٢) فى الأغانى : « لما ابتلينا » .

(٣) الفدفد : المكان المرتفع .

(٤) من الأغانى .

(٥) الأغانى : « واربعن » .

(٦) زيادة من الأغانى .

(٧) لبب الفرس : نحره .

(٨) الناغض : غضروف الكتف حيث يجىء ويذهب فيه، وفى الأغانى : « ماضغيه » .

على فَرَسِه ؛ فقلت : أَقِلْني ؛ قال : اطَّرِدْ ، فطردْتُه حتى إذا أَمْكَنْتُ السِّنان من مَتْنه اتّكأْتُ عليه ، وأنا أظُنُّ أنّى قد فرَغْتُ منه ، فمال فى سَرْجه(١) حتى نظرتُ إلى بَدَنِه(٢) فى الأرض ، ومَضَى السِّنان رائحا ، ثم قال : أبعد ثلاث تُرِيد ماذا ؟ تطرُدنى ثكلَتْك أمُّك ! فولّيتُ وأنا مَرْعوب منه ، فلمّا غشِيَنِى ، ووجدْتُ حَدّ(٣) السِّنان التفت ، وإذا هو يَطْرُدنى بالرُّمح بلا سِنَان ، فكَفَّ عنّى واستَنزَلَنِى ، فنزَلْتُ . ونزَل وجَزَّ ناصِيَتى ، وقال : انْطلِق ، فأنا أنْفَسُ بك عن القتل ، فكان ذلك عندى يا أمير المؤمنين أشدّ من القتل ؛ فذاكَ أشجعُ مَن رأيت .

وسألتُ عن الفتى فقيل : ربيعةُ بنُ مكدَّم الفِراسىّ ، من بنى كِنانة . وكان عَمرو بنُ مَعْدى كَرِبَ على عظم محلّه مشهورا بالكَذِب .

قال يونس : قلتُ لخَلَف الأحمر : أكان عَمْرُو يَكذِب ؟ فقال : يَكذِب فى المَقال ، ويَصدُق فى الفِعال.

قال سُكَيْنُ بنُ محمّد : دخل عَمرو بنُ مَعْدِى كربَ على عمرَ بنِ الخطّاب رضى الله عنه ، فقال : ياأبا ثور ، من أين أقبلْتَ ؟ قال : مِن عند سيِّد بنى مخزوم ، أعظمِها هامَةً ، وأمدّها قامةً ، وأقلّها مَلامَةً وأفضَلِها حِلْماً ، وأقْدَمِها سِلْماً ، وأجرَئها مُقْدَماً . قال : ومن هو ؟ قال : سيف الله ، وسيفُ رسوله(٤) صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) الأغانى : « فمال فى ظهر فرسه » .
(٢) الأغانى : « إلى يديه » .
(٣) فى الأغانى : « حس » .
(٤) يريد خالد بن الوليد .

قال : وأىُّ شىءٍ صنعتَ عندَه ؟ قال : أتيتُه زائرا ، فدعا لى بكَعْبٍ[١] وقَوْس[٢] ، وثَوْر[٣] . فقال : وأبيك إنَّ فى هذا لَشِبَعاً . قال : لى أوْ لَكَ يا أَمِيرَ المؤمنين ؟ قال : لى ولك . قال : فوالله إنى لآكُلُ الجَذَعة[٤] ، وأشرَبُ [التبن من][٥] اللَّبَنَ رَثيئةً[٦] وصِرْفا ، فلِمَ تقول هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال له عمر : أىُّ أحْياءِ قومِك خير؟ قال: مَذْحِج، وكلٌّ قد كان فيه خير، شِدادفوارِسُها، فوارِس أبطالُها، أهل الرِّماحِ والرِّباح[٧] .

قال عمر : فأين سعدُ العَشِيرة ؟ قال : هم أشدُّنا شَرِيساً، وأكثرنا خَمِيسا[٨] ، وأكرمُنا رئيسا ، وهم الأوفياء البررَة ، والمساعير[٩] الفَجَرة . فقال له عمر ـ رضى الله عنه ـ : يا أبا ثَوْر ، ألك عِلْمٌ بالسِّلاح؟ قال : على الخبير سَقَطْتَ[١٠] ، سلْ عمَّا بدالك!

---

(١) كذا فى الأغانى ؛ وهو يوافق ما فى اللسان : « كعب » ، والكعب من اللبن والسمن قدر صبة ، وفى ب ، ج « لفت » ، واللفت : اسم للعصيدة ؛ لأنها تلفت ؛ أى تفتل .

(٢) القوس هنا : ما يبقى فى أصل الجلة من التمر .

(٣) الثور هنا : الكتلة من الأقط .

(٤) الجذعة من الغنم : ما تكون منها بين ستة أشهر وسنة .

(٥) تكملة من رواية الأغانى . واللسان (تبن) . والتبن : القدح الكبير .

(٦) الرثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض ، فيروب من ساعته .

(٧) فى الأغانى : « أهل الربا والرماح » .

(٨) الشريس: الشرس ، والخميس : الجيش ، وفى اللسان شرس : « هم أعظمنا خميسا وأشدنا شريشا » .

(٩) كذا فى الأغانى ، والمساعير : جمع مسعر (بكسر الميم وفتح العين) ، ومسعر الحرب : موقدها ومهيجها ، وفى ب : « المساعرة » ، وفى ج : « السامرة » تحريف.

(١٠) على الخبير سقطت ، مثل ؛ وأول من قاله مالك بن جبير العامرى ؛ وكان من حكماء العرب ؛ وتمثل به الفرزدق حين أقبل من العراق، فلقيه الحسين بن على، قادما من الحجاز فسأله : ما وراءك ؟ فقال: على الخبير سقطت ؛ قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنى أمية، والأمر ينزل من السماء . فقال الحسين : صدقتنى. مجمع الأمثال ٢ : ٢٤

قال : أخبِرنى عن النَّبْل ، قال : منايا تُخطىء وتُصيب . قال : أخْبِرنى عن الرُّمح ، قال : أَخُوكَ وربّما خانَك ، قال : أخبِرْنى عن التُّرْس . قال : ذاكَ المِجَنُّ عليه تَدُور الدّوائر ، قال : أَخْبِرنى عن الدِّرع ، قال : مَشْغَلة الفارس ، مَتْعَبَةُ الرّاجل ؛ قال : أَخْبِرنى عن السَّيف ، قال : عنه قارَعْتُك[١] لأُمِّك الثُّكْل[٢] ، فقال له عمر : لا بل لأُمِّك ، ورفَع عمرُ الدِّرّةَ وضرَبَ بها يدَ عمرو ، وكان عمرٌو محتَبياً فانْحلّتْ حُبْوته فاستوى قائما وأنشأ يقول :

أتضرُبنى كأنّك ذو رُعَيْنٍ ... بخيرِ معيشةٍ أو ذو نُواسِ
فكَم مُلْكٍ قديم قد رأينا ... وعزٍّ ظاهر الجبروتِ راسِ[٣]
فأَضحى أهله بادُوا وأَضحى ... يُنقَّل مِن أُناس فى أُناسِ

فقال : صدقتَ يا أبا ثَوْر ، وقد هدم ذلك الإسلامُ كله ، وقد أقسمتُ عليك لما جلستَ ؛ فجلس . فقال له [عمر][٤] : هل كَعَعْتَ[٥] عن فارس قطُّ ممن لَقِيتَ ؟ فقال : اعلَم يا أميرَ المؤمنين أنّى لم أستحِلَّ الكَذِب فى الجاهلية ، فكيف أستحلّه فى الإسلام ! ولقد قلت لجريدة[٦] من خَيْل زُبَيد : أغِيروا بنا على بنى البَكّاء فقالوا : يَبعُد علينا المُغار ، فقلت : فعَلَى بنى مالك بنِ كنانة ، فأتينا على قوم سَراة ،

---

(١) المقارعة ، أصلها المضاربة بالسيوف فى الحرب؛ ويريد بها المصاولة باللسان .
(٢) فى الأغانى : « لأمك الهبل » .
(٣) فى الأغانى : « قاسى » .
(٤) تكملة من الأغانى .
(٥) كععت : ضعفت وجبنت .
(٦) الجريدة : جماعة الخيل ؛ ويريد بها الفرسان . وفى الأغانى : « جبهة » ؛ وهى جماعة الخيل أيضا .

فقال عمر : وكيف علمت بأنهم سَراة ؟ فقال: رأيت مَذَاوِدَ(١) خيلٍ كثيرة ، وقُدُورا مُثَفّاة(٢) وقِبابَ أَدَم، فعلمتُ أنّ القوم سَراة، فكمنتُ(٣) خيلى حَجْرة(٤)، وجلستُ فى موضعٍ أستَمِع كلامَهم ، فإذا أنا بجاريةٍ منهم قد خرجت من خيمة لها ، فجلستْ بين صواحبَ لها ، ثم دعتْ وليدةً من ولائدِها، فقالت: ادعِى فلانا ، فدعتْ لها رجلا من الحىّ ، فقالت له : إنّ نفسى تحدِّثنى أنّ خيلا تُغير على الحىّ ، فكيف أنتَ إنْ زوّجْتُك نفسى ؟ فقال : أفعَل وأصنَع ، فجعل يصف نفسَه فيُفرِط ، فقالت له : انصرِف حتى أرَى رأيِى ، وأقبلتْ على صَوَاحِباتِها فقالت : ما عندَه خير ؛ ادعِى لى فلانا ، فدعَتْ آخَر ؛ فخاطبتْه فأجابها بمثل جوابه ؛ فقالت له : انصرِف حتى أرَى رأيِى ، وقالت لصَواحباتِها : وما عند هذا خير أيضا . ثم قالت للوليدة : ادعِى لى رَبيعةَ بنَ مكدَّم ، فدعتْه ؛ فقالت له مثلَ قولها للرّجلين . فقال لها : إنّ أعجزَ العجزِ وَصْفُ الرجلِ نفسَه ، ولكنّى إن(٥) لقيت أعذَرْت ؛ وحَسْبُ المرءِ غَناءً أن يُعذِر ؛ فقالت له : قد زوَّجْتُك نفسِى ، فاُحضُرْ غداً مجلسَ الحىِّ ليَعلَموا ذلك .

فاُنصرَفْتُ من عندِها ، فانتظرتُ حتّى ذهب الليلُ ولاحَ الفجر ، فخرجتُ من مَكْمَنِى ، فركبتُ فرَسِى ، وقلتُ لخيلى : أغيرى ؛ فأغارت ، فتركتُها ، وقصدتُ قصدَ النِّسْوة ومجلسَهُنّ ، فكشفتُ عن خَيْمة المرأة ، فإذا بامرأةٍ تامّة الحُسْن ، فلما ملأَتْ عينَها منّى أهوَتْ إلى دِرْعِها فشقّته وقالت : واثُكلاه ! والله ما أبكِى على مالٍ ولا على تِلاد ؛ ولكن على أختٍ لى من وراءِ هذا القَوْر

---

(١) مذاود : جمع مذود ؛ وهو معتلف الدابة .
(٢) مثفاة : منصوبة على الأثافى ، والأثافى : جمع أثفية ؛ وهى الحجر يوضع عليه القدر .
(٣) الأغانى : « فتركت » .
(٤) حجرة : جانبا أو ناحية .
(٥) فى الأغانى : « إذا » .

ـ وأَهْوَتْ إلى قورٍ[١] رَملٍ إلى جانبهم ـ تَبَـقَى بعدى فى مثل هذا الحائط[٢] فَتَهلِك ضيعة . فقلتُ : هـذه غنيمةٌ من وراءِ غنيمة ، فدفعتُ فرسى حتى أوفَيْت على النَقَا[٣] ؛ فإذا أنا برَجُل جَلْد أَهْلَبَ[٤] [أَغْلَب][٥] يَخصِف نعلَه ، وإلى جانبه فرسُه وسلاحُه ، فلمّا رآنى رَمَى بنعْـله ، ثم أستوَى على فرسه ، وأخَذَ رمحَـه ، ومضَى لا يَحفِل بى ، فطفِقْت أَشجرُه بالرُّمح خَفْقاً[٦] وأقول له : يا هـــذا ، استأسِر°[٧] . فمضى لا يَحفِل بى حـتّى أشرَف على الوادى ، فلما رأى الخيل تَحْوِى نَعَمه استعبر باكيا[٨] ، وأنشأ يقول :

قد علمتْ إذْ منحتْنى فاهَا إنّى سأجرى اليوم من مجراها[٩]

* يا ليتَ شِعرى اليومَ مَنْ دَهَاها *

فقلت :

عمرٌو على طُول الوَجَى دَهاهَا بالخيـــلِ يَحمِيها على وَجاها[١٠]

* حتى إذا حَلَّ بها أحْتَواها[١١] *

---

(١) فى الأغانى : « القوز » ، وهما بمعنى .

(٢) فى الأغانى : « الغائط » .

(٣) النقا : الرمل ، وفى الأغانى . « الأيفاع » .

(٤) الأهلب : كثير شعر الرأس والجسد ، وفى ب ، ج : « أهات » تصحيف؛ صوابه ما فى الأغانى .

(٥) تـكملة من الأغانى ، والأغلب : الأسد الغليظ الرقبة يوصف به السادة الشجعان .

(٦) شجره بالرمح : طعنه حتى اشتبك فيه . والخفق : الضرب بشىء عريض .

(٧) استأسر : كن أسيرا ، وفى ج: « استأنس » تصحيف .

(٨) فى الأغانى : « تحوى إبله استعبر باكيا »

(٩) رواية الأغانى : « سأحوى اليوم من حواها » .

(١٠) الوجا : الحفا .

(١١) كذا فى الأغانى ؛ وهوالصواب ، وفى ب ، ج : «اجتواها» ، تصحيف، وفى مروج الذهب ٢ : ٣٣٦ : « حواها » .

فحَمَل عليَّ وهو يقول :

أهونْ بنضر العيش فى دار نَدَمْ[١] أفيض دمعاً كلَّما فاضَ أُنسجَمْ

أنا أبنُ عبـدِ الله محمود الشِّيَمْ مؤتمَن الغيبِ ومُوفٍ بالذِّمم[٢]

أكرَمُ من يمشِى بساقٍ وقدَمْ كالليث إنْ هَمَّ بتَقْضَامٍ قَضَمْ[٣]

فحملتُ عليه وأنا أقول :

أنا ابنُ ذى التّقليد فى الشَّهْرِ الأَصَمّْ[٤] أنا ابن ذى الإكليل قتّال البُهَم[٥]

مَن يَلْقَنِى يُودِ كما أَوْدَتْ إِرَمْ أَتْرُكْهُ لحماً على ظهرِ وَضَمْ[٦]

فحَمَل عليَّ وهو يقول :

هذا حِمًى قد غابَ عنه ذائِدُهْ الموتُ وِرْدٌ والأَنام وارِدُهْ

وحَمَل عليَّ فضرَبنى ، فرُغْت وأخطأنى ، فوقع سيفُه فى قَرَبوس[٧] السَّرْج فقطعه وما تَحتَه ، حتى هَجَم على مِسْح[٨] الفرَس . ثم ثَنَّى بضَرْبة أخرى ، فرُغْت وأخطأَنى ، فوقعَ سيفُه على مؤخر السّرج فقطعه حتى وصل إلى فَخِذ الفرس؛ وصِرْت راجلا ، فقلت له : ويحَك ! مَن أنت ؟ فوالله ما ظننتُ أحداً من العرَب

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « أهن » تصحيف .

(٢) فى الأغانى : « وفى بالذمم » .

(٣) فى الأغانى : «بتقصام قصم» .

(٤) التقليد : أن يجعل فى عنق الدابة ونحوها شيئا يعلم أنه هدى . والشهرالأصم : رجب لأنه كان لايسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال ولا قعقعة سلاح ؛ لأنه من الأشهر الحرم .

(٥) فى الأصول : «ذىالأكال» ، وأثبت ما فىمروج الذهبوالأغانى . والإكليل: التاج؛ وكان عمرو بن معدى كرب من اليمن ؛ وملوكهم كانوا يلبسون التيجان .

(٦) الوضم : الخوان من الخشب يقطع عليه اللحم ؛ يقال : فلان لحم على وضم، مثل يضرب للذليل .

(٧) القربوس من السرج : الجزء المرتفع من مقدمه ومن مؤخره .

(٨) المسح : كساء غليظ من الشعر يجعل تحت السرج .

يُقدِم عليّ إلّا ثلاثة : الحارث بن ظالم للعُجْب والُخيلاء ، وعامرُ بنُ الطُّفَيل للسِّنّ والتّجربة ، وربيعة بن مكدَّم للحداثة والصَّرامة(١) ، فمن أنت ويلك ! قال : بل الوَيْـلُ لك ! فمَن أنت ويلَك ! قلت : عمرو بن مَعدِى كَرِب ، قال : وأنا ربيعةُ ابن مكدَّم ، قلت : يا هذا ، إنى قد صِرْت راجلا ، فاُخترْ مـنّى إحدَى ثلاث : إن شئتَ اجتَلَدْنا بسيفينا حـتّى يَموتَ الأَعْجَزُ مِنّا ، وإن شئتَ اُصطرَعْنا فأيُّنا صَرَع صاحبَه حُـكِّم فيه ، وإن شئت سالمتك [وسالمتَنى](٢) . قال : الصلح إذًا إن كان لقومك فيك حاجة ، وما بى أيضاً على قومى هَوَانٌ ، قلتُ : فذلك لك ، وأخذتُ بيده ، حـتّى أتيتُ أصحابى وقد حازوا نعَمه ، فقلت : هل تعلمون أنّى كعمت عن فارس من الأبطال قطّ إذَا لقيتُه ؟ قالوا : نُعيذُكَ من ذلك ، قلت : فاُنظروا هذا النعم الّذى حُزْتموه نخذوه مـنّى غدا فى بنى زُبَيْد ؛ فإنّه نَعَم هـذا الفتى ! (٣)وإنه لا يُوصَل إلى شىء منـه وأنا حىّ(٣) . فقالوا : لَحاكَ اللهُ مِن فارسِ قوم ! أَشْقَيْتَنا حتى إذا هَجَمْنا على الغَنِيمة الباردة فَثَـأْتَنا (٤) عنها ! فقلتُ : لابدّ لـكم من ذلك ، وأن تهبوها لى ولربيعةَ بن مكدَّم ، فقالوا : وإنّه لَهُوَ ! فقلتُ : نعَم، ورددتُها(٥) وسالَمْتُه ، فأَمِنَ حَرْبى وأَمِنْتُ حَرْبَهُ حـتّى هَلَك .

---

(١) الأغانى : « للحداثة والغرة » .

(٢) تـكملة من الأغانى .

(٣ ــ ٣) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « وأنه لا يوصل منى إليه شىء وأنا حى » .

(٤) فثأتنا : ثبطت عزيمتنا .

(٥) ج : « وددتها » تصحيف ، وفى الأغانى : « فردوها » .

الرَّباب بنت امرئ القيس*

هذه ترجمة لم يُترجِمْها صاحبُ الأصل ، وإنما هو ترْجَم على مولانا الحسين ـ رضى الله عنه ـ فى أصلِه ، فلم أَستحسِن أن أترجمَ على هذا الاسم مع من شمله هذا الكتاب من المجّان والشعراء والمغنّين .

على أنّ هذا الكتاب ـ كما قيل عنه ـ مظلومٌ مع اسمه لم يَشِنْه غيرُه ، وإلّا فقد تضمّنَ وقائعَ وغَزَواتٍ وأحاديثَ لسيّدنا رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . وأحببتُ أن أُترجمَ بهذه الترجمة لأنّها هى الغرَض المقصودُ هنا .

هى الرَّباب بنتُ امرئ القيسِ بنِ عدىٍّ بنِ أَوْسِ بن جابر بن كَعْب بن عُلَيم ابن كَلْب[1] بن وَبْرة بنِ ثعلبةَ بنِ عمرانَ بنِ الحافِ بن قُضاعة .

وأمُّها هنـد بنت الربيع بنِ مسعود بنِ معاذ بن حُصين بن كَعْب بن عُلَيم ابن كلب[1] .

قال عوف بن خارجة المرّىّ : إنّى لَعندَ عمرَ بن الخطّاب رضى الله عنه فى خلافته إذْ أَقبَل رجلٌ أفحج[2] أجلَح[3] أمْعَر[4] يتخطّى رِقاب الناس ، حتّى قامَ بين يدىْ

---

* تقع هذه الترجمة ضمن أخبار الحسين بن على ونسبه فى الجزء السادس عشر من الأغانى من ١٣٧ إلى ١٨٩ (طبعة الدار) .

(١) فى الأصول : « كليب » ، والصواب ما أثبتناه عن الأغانى .

(٢) الأفحج : الذى تتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه إذا مشى .

(٣) الأجلح : الذى انحسر مقدم شعره ، وفى الأغانى : « أجلى » ؛ وهو بمعناه .

(٤) كذا فى الأغانى . والأمعر : الذى تمعر لونه ووجهه ؛ أى تغير وعلتـه صفرة . وفى الأصول : « أصغر » تحريف .

عمرَ رضى الله عنـه ، فحيَّاه بتحيَّة الخلافة ، فقال له عمر : ممَّن[1] أنت ؟ قال : أنا رجلٌ نَصْرانىّ ، أنا أمرؤ القيس بن عدىّ الـكَلْبىّ ؛ فلَم يَعْرِفه عمر ؛ فقال له رجل من القوم : بَلَى ، هذا صاحبُ بكر بنِ وائلٍ الّذى أغار عليهمْ فى الجاهليّة يومَ فَلْج[2] ، قال : فما تريد ؟ قال : أريد الإسلام ؛ فعرضه عليه عمرُ ، فقَبِله ، ثم دعا له برمحٍ فولّاه ، وعَقَدَ له على من أسلم بالشام من قُضاعة ، فأدبَر الشيخُ واللّواء يهتزّ على رأسه ، فوالله ما رأيتُ رجلا لم يُصَلِّ لله ركعةً قطُّ أُمِّر على جماعةٍ من المسلمين قبلَه .

ونهض علىٌّ بنُ أبى طالب كرّم الله وجهه من المجلس ، ومعه ابناه الحسن والحسين حتى أدركه ، فأخَذ بثيـابه ، فقال له : يا عمّ ، أنا علىٌّ بنُ أبى طالب ، أبنُ عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصهْره ، وهذان أبناىَ من أبنتِه ، وقد رغبْنا فى صِهْرِك ، فأنـكِحْنا .

قال: قد أنـكحتُك يا علىُّ المُحَيَّاة[3] بنت أمرئ القيس، وأنـكحتُك يا حُسَين الرَّباب ابنة أمرئ القيس ، وأنـكحتُك يا حَسَن سَلْمَى بنت أمرئ القيس .

ـ وكانت الرَّباب من خِيار النِّساء وأفضلِهنّ وخُطبَتْ بعد قتل الحسين؛ فقالت: ما كنت لأتّخِـذ حَمْوًا[4] بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ـ فتزوّجها الحسين بنُ علىّ ابنِ أبى طالب .

---

(١) فى الأغانى : « فمن أنت » .

(٢) فلج : اسم موضع بين البصرة وضرية، ويوم فلج لبنى عامر على بنى حنيفة (ياقوت).

(٣) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « المحياة » .

(٤) كذا فى ا ؛ وفى ب ، ج : «خمرا» تصحيف ، والحمو . كدلو: أبو زوج المرأة ، وفى الأغانى « حماً » .

واسمُ أبي طالب عبدُ مناف بن عبد المطلب ـ واسمه شيبة ـ بن هاشم ـ واسمه عمرو ـ ابن عبدمناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب .

وأمُّ علىِّ بن أبى طالب فاطمةُ بنتُ أَسَد بن هاشم ، وهى أوّل هاشميّةٍ نكحتْ هاشميّا ، وهى أم سائرِ ولدِ أبى طالب .

وأمُّ الحسين فاطمة سيّدةُ النساء رضوان الله عليها ، وأمّ فاطمةَ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِد ابن أسَد بن عبد العُزّى .

وكانت خديجةُ تكنَى أمَّ هند ، وكانت فاطمةُ تكنَى أمَّ أبيها ، وكان علىّ رضوان الله عليه سَمَّى الحَسَن رضى الله عنه حَرْبا ، فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حَسَناً ، ثم ولد له الحسين رضى الله عنه فسمّاه حَرْبا ، فسمّاه النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم حُسَيْناً . قال رضى الله عنه : كنت رجلا أُحِبُّ الحَرْب ، فلمّا سمّيتُ ابنىّ[1] بذلك غيّره رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال : قد سمّيتُهما باُسمَى اُبنَىْ هارون : شَبّر وشُبَير ، وكان عَلَى الحسن والحسين ـ رضوان الله عليهما ـ تعويذتان حشوها من زَغَب جَناح جبريلَ عليه السّلام .

وَوَلَدت الرّباب للحُسين عبدَ الله وسُكَينة ، وكان اُسمُ سكينةَ آمنة ، وسكينة لقبها .

قال مالك بن أَعين : سمعتُ سكينةَ بنتَ الحسين تقول : عاتَبَ عمّى الحسنُ أَبِى فى أمّى ؛ فقال الحسين رضى الله عنه :

لعمرُكَ إننى لَأُحِبُّ داراً　　　تكونُ بها سُكَيْنَةُ والرّبابُ

---

(١) فى الأصول : « ابناى » ، وهو خطأ .

أُحِبُّهما وأَبْذُل جهدَ مالى ... وليس لعاتبٍ عندى عِتابُ[1]

فلستُ لَهُمْ وإنْ غابُوا مُضيعاً ... حيـاتى أو يغيِّبَـنى التراب[2]

قال أبو إسحاق المالكىّ : قيل لسُكينة : أختُك فاطمة ناسكةٌ وأنتِ تَمْزحين كثيرا ! قالت : لأنّكم سمّيتموها باُسم جدّتها المؤمنة ـ تعنِى فاطمةَ الزهراءَ رضوان الله عليها ـ وأنا سمّيتمونى باُسم جدّتى الّتى لم تدرك الإسلام ـ تعنى آمنةَ بنتَ وهب أمَّ النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم .

ولما قتل الحسين رضوان الله عليه قالت الرّبابُ ترثيه :

إنّ الّذى كان نُورا يُستضاء به ... بكَرْبَلاءَ قتيلٌ غيرُ مدفونِ

سِبْطَ الرّسول جزاكَ اللهُ صالحةً ... عنّا ، وجُنِّبْتَ خُسرانَ الموازينِ

قد كنتَ لى جَبلا صَعْبا أَلوذُ به ... وكنتَ تَصحَبُنا بالرُّحْمِ والدِّينِ

مَن لليتامَى ومَن للسائلين ومَن ... يُغنى ويأوِى إليه كلُّ مسكينِ !

واللهِ لاأبتغِى صِهراً بصهرِكُمُ ... حتّى أُغيَّبَ بين الرَّمْلِ والطِّينِ

كان الحسنُ بنُ الحَسَنِ بنِ علىّ رضى الله عنهم خَطَب إلى عمّه الحسين رضى الله عنه ، فقال له الحسين: يابن أخى . قد كنّا ننتظر هذه منك ، انطلِق معى ، فأدخَلَه منزلَه ، فخيَّره فى اُبنتيه فاطمةَ وسُكينة ، فاختار فاطمةَ ، فزوّجه إيّاها .

وكان يقال: إنّ امرأتين مرذولتهما[3] سُكَينة لَمنقطِعةُ القَرِينِ فى الحسْن .

ويقال : إنّه لما اُختار فاطمة قال : قد اُخترت فاطمة ، فهى أكثر شَبَهاً بأمّى فاطمة بنتِ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) فى الأغانى : « جل مالى » .

(٢) فى الأصول : « مطيعا » تحريف .

(٣) فى الأغانى : « إن امرأة تختار على سكينة » .

حضرتْ سُكينةُ مأتماً فيه بنتٌ لعثمانَ بنِ عفّان ، فقالت بنت عثمان : أنا بنتُ الشَّهيد ، فسكتتْ سُكينة ، فلمّا أذَّن المؤذِّن وقال : أشهد أنّ محمداً رسولُ الله قالت سُكينة : هذا أبى أو أبوكِ ؟ فقالت العثمانيّة : لا جَرَم ! لا أفتخر عليكِ أبدا.

كانت سُكينة تجىء فى سِتارةٍ يومَ الجمعة فتقومُ بإزاء أبن مُطَيْرَة ـ وهو خالدُ بنُ عبدِ الملك بن الحارث بنِ الحَكَم ـ إذا صَعِد المنبر ، فإذا شتَم عليّا شتمتْه هى وجواريها ، فكان يأمر الحرَس فيضربون جواريَها .

لمّا وَلَّى الرشيدُ إبراهيمَ بنَ المهدىّ دمشق استوهَبَه صحبةَ جماعةٍ ، منهم عُبيدة بنُ أشعب ، والغاضرىّ ، وحَكَم الوادىّ ، وغيرهم .

قال(١) : فكان عُبيدة سَميرى ، وهوعديلى ، فلمّا بلغْنا ثَنيّةالعُقاب اشتدّ البَرْد ، فاُحتجتُ إلى أن أزدادَ فى الدِّثار ، فدعوتُ بدُوّاجِ(٢) سَمُّور ، فألقيته على ظهرى ، ودعوتُ بمن كان فى سَمَرِى تلك الليلة ، فكانوا حولى ، فقلت لابن أشعب : حدِّثْنى بأعجبِ ما تَعلَم مِن طمعِ أَبيك ، فقال : أعجبُ من طمعِ أبى طمعُ ابنِه . فقلت : وما بلغَ من طمعِك ؟ قال : لمّا اشتدّ البَرْد آنفا ، ودعوتَ بالدُّوّاج السَّمُّور ، لم أشكَّ أنك دعوتَ به لى لتَجعله علىَّ ، فغلبتَنى عليه ، قال : فغلبنى الضَّحِك ، وخلعتُ عليه الدُّوَّاج ، ثم قلت له أنا : ما أحسب لك قرابةً بالمدينة ! فقال : اللهمّ غفرْرًا ! لى بالمدينة أقارب ، قلت : أَوَ يكونون عَشَرة ! قال : وما عشرة ! قلت : عشرون ! قال : اللهمّ غفرْرًا ، لا تذكُر العَشَرات ولا المِئين . وتَجاوَزْ ذكر الأُلوف إلى ما هو أكثرُ منها .

---

(١) القائل إبراهيم بن المهدىّ .

(٢) الدواج ، كرمان وغراب: ضرب من الثياب؛ وسمور : دابة معروفة تسوى من جلودها فراء غالية الأثمان .

قلت : وَيْحَك ! ليس بينك وبين أشعبَ أحد ، فكيف يكون هذا ؟ قال : إنّ زيد بنَ عمرو بن عثمان لما تزوّج سكينةَ بنتَ الحسين خفّ أبي على قلبها فأحسنتْ إليه ، وكان عطاؤها أكثر من عطاء مولاه ، فمالَ إليها بكلّيّته .

وحجّ سليمانُ بنُ عبدِالملك وهو خليفة ، فاستأذن زيدَ بنَ عمرو سكينة فى الحجّ ، وأعلَمَها أنها أوّل سنة حجَّ فيها الخليفة ، ولا يمكنه التخلّف عن الحجّ معه — وكان لزيد ضَيْعَةٌ يُقال لها : العَرْج[1] ، وكان له فيها جَوارٍ — فأعلمتْه أنها لا تأذن له إلا بشرطِ أن يخرج أشعَب معه ؛ ليكون عَيْناً لها عليه ، ومانعاً له من الغدوّ إلى العَرْج ، ومن اتّخاذ جاريةٍ له فى بَدْأتِه ورجعته ، فقنع بذلك ؛ وأخرجَ أشعب معه . وكان لزيد فرسٌ جوادٌ ، حَسَن المَنْظَر ، يصونُه عن الركوب إلّا فى مُسايَرَةِ خليفة ، أو يومِ زينة ، وله سَرْج يصونُه أن يَركَب به غيرَ ذلك الفرس ، وكان معه طِيب لا يتطيّب به إلّا فى مِثل ذلك اليوم ، وحُلّة مَوْشِيّة يصونُها عن اللِّباس إلّا فى يومٍ يُحِبّ التجمُّلَ فيه بها . فَحجَّ زيدٌ مع سليمانَ ، وكانت له عنده حوائجُ كثيرة ، فقضاها كلّها[2] ووَصَله ، وأجزَلَ صِلتَه .

وانصرف سليمانُ من حَجّته ولم يسلُك طريقَ المدينة ، وانصرف زيدٌ يريد المدينة ، فنزل على ماءٍ لبنى عامرِ بنِ صَعْصعة ، ودعا أشعَب ، وأحضر صُرّةً فيها أربعمائة دينار ، وأعلَمَه أنّه ليس بينه وبين العَرْج إلّا أميال ، وأنه إنْ أَذِن له فى المسير إليها والمَبيتِ بها عندجواريه ، غَلَّس[3] إليه ، فوافاه فى وقتِ ارتحال الناس ،

---

(١) العرج : منزل بطريق مكة من المدينة؛ ومنه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجى الشاعر .

(٢) كذا فى ا ، وفى ب ، ج : « كله » .

(٣) غلس إليه : أتى إليه بغلس ؛ وهو الظلام .

ووهَبَ له الأربعمائة دينار . فقبّل يدَه ورِجْله ، وأذن له فى المسير إلى حيث أحَبّ ، وحَلَفَ [له][1] أنه يَحلِفَ لسُكينة بالأيمـان المُحْرِجة أنه ما سار إلى العَرْج ، ولا اتَّخَذ جاريةً منذ فارقَ سكينةَ إلى أن رجع إليها .

فدفَع إليه مولاهُ الدَّنانيرَ ومضى ؛ فلم يسر نصفَ مِيلٍ حتى رأى أشعَبُ فى الماء جاريتين معهما قِرْبتان ، قد أَلقَيا القِرَب[2] ، وألقيا ثيابَهما عنهما ، ورَمتَا بأنفسهما فى الغَدِير[3] ، وغاصَتَا[4] فيه ، فرأى من مُجرَّدِها ما استحسَنَه ، فسألها عن خروجهما من الماء عن نسبهما ، فأعلمَتَاه أنهما من إماءِ نساء لبنى عامر بن صعصعة ، هُنّ بالقُرب من ذلك الماء[5] ، فسألهما : هل يَسهُل على مواليهما محادثةُ شيخٍ حَسَنِ الخُلُق ، طيِّب العِشْرة ، كثيرِ النّوادر ؟ فقالتا : وأَين لنا بمَن هذه صِفتُه ! فقال لهما : أنا ذاك ، قالتا له : فانهَضْ معنا ، فوثَب إلى فرسِ زيدٍ ذلك الموصوف ، فأَسْرجه بسَرْجه ذلك الموصوف ، وركِبَه ، ولبس حُلّته تلك الموصوفة ، وتطيَّب من ذلك الطِّيب الّذى يَضِنُّ به ، ومضى معهما حتّى وافَى الحىَّ ، فأقام فى محادثة أهلِه إلى أن قرب العصر .

فأقبل من ذلك الوقت رجالُ الحىّ ، وقد انصرفوا غانمين مِن غارَتِهم ، وأقبلتْ تمرُّ به الـكتيبةُ بعدَ الـكتيبة[6] ، فيقفون به ويقولون له : من أنت ؟ فينتَسِب فى نسبِ زيد ، فيقولُ كلُّ مَن اجتازَ به : ما نَرى [به][7] بأسا ، وينصرفون عنه

---

(١) تكملة من الأغانى .

(٢) أراد بالجمع هنا ما فوق الواحد ؛ وهو كثير فى كلامهم . وفى الأغانى « القربتين » .

(٣) الغدير : القطعة من الماء يغادرها السيل .

(٤) فى الأغانى : « وعامتا » .

(٥) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « منه » .

(٦) فى الأغانى : « الرعلة بعد الرعلة » ، والرعلة : الـكتيبة .

(٧) تكملة من الأغانى

إلى غروب الشمس ، فأقبل شيخٌ فانٍ على حِجْر[1] هزيلة هَرِمة، ففعل مِثلَ ذلك ، فأجابه بمثل جوابهم ، فقال مِثلَ قولهم .

قال أشعب : ثم إنى رأيتُ الشيخَ قد وقف بعد قوله ، فأَوْجَسْت منه خِيفة ؛ لأنى رأيتُه قد جعل يدَه اليسرى تحتَ حاجبَيه فرفعهما ، ثم استدار ليَرَى وَجْهى ، فركبتُ الفرس ، فما هو إلّا أن استَوَيْتُ عليه حتى سمعتُه يقول : أُقسِم بالله ما هذا وجهُ قُرَشِيٍّ ، وما هو إلّا [وجه][2] عبد ، فركضْتُ وركَضَ خَلْفى ، فرأى حِجره مقصِّرة ، فلمّا يئس من اللَّحاق بى انتزَع سهماً فرمانى به ، فوقع فى مؤخرة السَّرْج فكسَرَها ، ودخل قلبى من صوتِه رَوعةٌ تَلَطَتْ[3] لها فى الحُلّة ، ووافيْتُ رحلَ مولاىَ فغسلتُ الحُلّة ونشَرْتُها ، فلم تجفَّ ليلا . وغَلَّس زيدٌ من العَرْج فوافانى فى وقت الرَّحيل ، فرأى الحُلّة منشورة ، ومؤخرة السَّرْج مكسورة ، والفرسَ قد أضرّ به الرَّكْض ، وسقَطَ الطِّيب مكسورَ الخاتَم ، فسألنى ، فصدَقْته ، فقال لى : ما كفاك ما صنعتَ حتى انتسبتَ فى نسبى ، فجعلتَنى عند أشراف قومى مِن العرب جمّاشا[4] ! وسكتَ عنّى ولم يقل لى : أحسنتَ ولا أسأتَ حتّى وافَيْنا المدينة .

فسألتْه سكينةُ عن خبره ، فقال لها : يا بنتَ رسولِ الله ، وما سؤالكِ إيّاى ، ولم يزل ثقتكِ[5] مني وهو أمينٌ علىّ ! فسَلِيه عن خبرى يَصدُقك. قال أشعب: فسألتنى

---

(١) كذا فى ا والأغانى، والحجر : الأنثى من الخيل . وب ، ج : « حجرة » قال فى القاموس: وبالهاء لحن .

(٢) تكملة من الأغانى .

(٣) فى الأغانى : « أحدثت » ؛ وهما بمعنى .

(٤) كذا فى الأغانى . والجماش : الذى يغازل النساء ويلاعبهن . وفى الأصول : « حجاما » تحريف .

(٥) ثقتك ، أى الذى تثقين به .

فأخبرتُها أنّى لم أُنكر عليه شيئاً ، ولم أُمكنه من ابتياع جارية ، ولم أطلق له الاجتياز بالعرْج ، فاستحلفتنى على ذلك ، فحلفتُ لها بالأيمان المغلّظة المُحرِجة فيها طلاق أمّك وغيره . فلما حلفت وقف زيدٌ بين يديها وقال : أىْ بنت عمّ ! ويا ابنة رسولِ الله ، كَذَبَكِ واللهِ المِلْج ! وقد أخذ منّى أربعمائة دينار ، وأذن لى فى المسير إلى العرْج ، فأقمتُ بها يوما وليلة ، وغشيتُ بها عدّة من جوارىَّ ، وأنا تائب إلى الله عز وجلّ ممّا كان منّى ، وقد جعلتُ تحقيقَ توبتى هبتهنّ لكِ ، وقد تقدّمْتُ فى حملهنّ إليك ، وهنّ موافيات المدينةَ عشيّةَ هذا اليوم ، فبيعُهُنّ وعتقُهُنّ إليكِ ، وأنتِ أعلمُ بما ترَيْنه فى العبد السَّوْء . فأمرَتْنى بإحضار الأربعمائة دينار ، فلما أحضرتها أمرتْ بابتياع خشب بثلثمائة دينار ، ثم أمرَتْ بنَشْره — وليس عند أحدٍ من أهل المدينة عِلْمٌ بما تريده — ثم أمرتْ بأن يُتّخَذَ بيتٌ كبير ، وجعلتِ النفقةَ على النجّارين من المائة الدّينار الأخرى ، ثم أمرَتْ بابتياع بيض وتبْن وسِرْجَيْن ببقيّة المائة الدّينار ، ثم أدخلتْنى البيتَ ، وحلفَت بحقّ جدّها ألّا أخرُجَ من ذلك البيت حتى أحضُنَ ذلك البيضَ كلَّه إلى أن ينْقف[1] ، ففعلت ذلك ، فلمْ أزلْ أحضِنُه حتى نَقفَ كلُّه[2] ، فخرج منه الألوف من الفراريج . وكانتْ فى دار سُكَينة ، وكانت تَنسُبهنّ إلىّ وتقول: يا بنات أشعَب ، ونَسْل أشعب. وبقىَ ذلك النَّسْلُ فى أيدى الناس إلى الآن ، فكلّهم أهلى وإخوَتى .

قال إبراهيم : فضحكتُ حتى غُلِبْتُ ، وأمَرْتُ له بعشرة آلاف درهم .

وتزوّج سكينةَ عبدُالله بنُ الحسن بنِ علىّ ، وهو ابنُ عمّها وأبو عُذْرتها ، ثم خلفَه عليها مُصْعَب بنُ الزُّبير ، ومهرَها ألفَ ألفَ دِرْهم ، وزوّجه إيّاها أخوها علىُّ بنُ الحسين .

---

(١) ينقف ؛ أى يخرج من البيضة ، وفى الأغانى : « إلى أن يفقس » .
(٢) الأغانى : « فقس » .

وقيل : إن عليّ بنَ الحسين لمّا حَمَلها إلى مُصعَب أعطاه أربعين ألفَ دينار .

وقالت سُكَينة : دخلتُ على مُصعَب وأنا مِثلُ(١) النار المُوقَدَة فى اللّيلة القَرّة، وولدتُ من مصعب بنتاً ، فقال لى : سمِّيها رَيّا(٢) ، فقلت : بل أُسمِّيها باُسم إحدى جَدّاتى(٣) ، فسمّيْتها الرّباب .

فلمّا قُتِل مُصعَب ، وَلِيَ عُرْوَةُ أخوه تَرِكَته ، فزَوّج عُرْوَةُ الرَّبابَ هذه بنتَ مُصعَب لأبنه عثمانَ بن عُروة وهى صغيرة، فماتت، فورّثها عثمانُ بن عروةَ عشرة آلاف دينار .

ولمّا أَمْهَرَها مُصعَب ألفَ ألفَ دِرْهم كتب عبدُ الله بن هَمّام إلى عبد الله ابن الزُّبير :

أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً ... مِن ناصحٍ لكَ لا يريد خِداعاً
بُضْعُ الفَتاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ ... وتبيتُ ساداتُ المُلوكِ جِياعاً !(٤)
لو لأبى حفصٍ أقولُ مَقالتى ... وأبُثّ ما أَبْثَثْتُكُمْ لأُرتاعاَ(٥)

فقال : إنّ مصعبا قد أغمدَ سَيفَه، وسَلَّ أيرَه. وعزله عن البصرة ، وأمره بالحضور ، فقال : إنى لأرجو أن يَخسِف اللهُ بك .

فلمّا بلغ قولُ عبدِ الله مُصعبا ، قال : لكنّ عبد الله أغمدَ سيفَه وأيرَه وخيرَه .

خَطَب عبدُ الملك بنُ مروانَ سُكينةَ ، فقالت أمُّها : والله لا يتزوّجُها أبدا وقد قتَل ابنَ أخى ــ تعنى مُصعبا .

---

(١) فى الأغانى : « وأنا أحسن من النار الموقدة » .
(٢) فى الأغانى : « الزهراء » .
(٣) فى الأغانى : « أمهاتى » .
(٤) كذا فى الأصول ، ورواية الأغانى : « سادات الجنود » ، وهو الوجه .
(٥) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « اولا أبو حفص » ، وهو خطأ .

وقيل : إن الأصبغ بنَ عبد العزيز بن مروان تزوَّجها بعد مصعب ، فقال فيه بعض المؤمنين :

نـكحتْ سُـكينةُ فى الحسابِ ثلاثةً فإذا دخلتَ بها فأنتَ الرابعُ(١)

وكان يتولّى مِصْرَ ، فـكَتَبَتْ إليه : إن أرضَ مصرَ وَخِمَة ، فبَنى لها مدينةً تُسمَّى مدينةَ الأصبغ ، وبلغ عبدَ الملك تزويجها إيّاه فنفِس(٢) بها عليه ، فـكتب إليه : اخْتَرْ مصرَ أو سُـكينة . فـكتب إليه(٣) بطلاقها ، ولَم يَدخل بها ، ومتَّعها بعشرين ألف درهم ، ومرُّوا بها فى الطريق على منزل ، فقالت : ما اُسم هذا المنزل ؟ قالوا : جوفُ الحمار ، فقالت : ما كنتُ لأدخلَ جوفَ الحمار أبدا .

ويقال : إن عبد الله بن عثمان الحِزامىّ خَلَفَ الأصْبغَ عليها ، وولدت منه بنتا .

ويقال : إنّه أثقلَها باللُّـؤلؤ ، وقال لسعدة بنتِ عبد الله بنِ سالم : ما أَلبستُها إيّاه إلّا لتَفْضَحَه(٤) ، يريد أنّها تفضَح الحلى بحُسْنها ؛ لأنها أحسنُ منه .

ولمّا قُتِل مصعب خطبَ سكينةَ إبراهيمُ بنُ عبد الرحمن بن عوف ، فبعثت إليه : أبلَغ من حمقِك أن [تبعث إلى سكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم](٥) تخطبها ! فأمسكَ عن ذلك .

قال : ثم تنفَّستْ يوما بُنانةُ جاريةُ سُـكَينة ، وتنهّدتْ حتى كادت أضلاعُهـا تتحطّم ، فقالت لها سُكينة : ما لَكِ ، ويلَك ! قالت : أحبُّ أن أَرَى فى الدار جَلَبة — تَعـنِى العُرْسَ — فدعت مولى تثق به وقالت له : اذهب إلى إبراهيمَ بنِ عبد الرحمن

(١) بعده فى الأغانى :

إنّ البقيعَ إذا تتابَعَ زرْعُهُ خابَ البقيعُ وخاب فيه الزارعُ

(٢) نفس بها عليه ، أى ضن بها .

(٣) الأغانى : « فبعث إليه بطلاقها » .

(٤) ورد هذا القول فى الأغانى منسوبا إلى سكينة .

(٥) من الأغانى

وقل له : إنّ الّذى كنّا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه ، أنت من أخوال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأحضِرْ بيِّنتك[١] . قال : فجمع عدّةً من بنى زُهرة ، وأفناء قريش من بنى جُمَح وغيرهم ، نحوًا من سبعين رجلا أو ثمانين ، وأرسل إلى علىّ بن الحسين، وحسن بن حسن وغيرهما من بنى هاشم ، فلمّا أتاهم الخبر اجتمعوا وقالوا : هذه السفيهة تريد أن تتزوّج إبراهيمَ بن عبد الرحمن ! فتنادَى بنو هاشم واُجتمعوا ، وقالوا : لا يَخرج منكم إنسانٌ إلّا ومعه عصاً ، فجاءوا وما بقىَ إلّا الكلام ، فاضطربوا بالعِصِىّ هم وبنو زهرةَ حتى شُجّ منهم يومئذ أكثر من مائة إنسان ، ثم قالت بنو هاشم : أين هذه ؟ قالوا : فى البيت ، فدخلوا إليها وقالوا : هذا من ضعف عقلِك ، ثم جاءوا بكِساء فبَسطوه وحملوها ، وأخذوا بجوانبه ، فالتفتت إلى بُنانة ، وقالت : أى بُنانة ! قالت : لبَّيكِ . قالت : [أرأيْتِ][٢] فى الدار جَلَبة ؟ قالت : إى والله إلّا أنها شديدة .

قال أشعب : كان زيدُ بن عَمرو بن عثمان أبخلَ قريش ، فخرج حاجّا ، وخرجتْ زوجتُه سكينةُ معه ، فلم تدعْ دَجاجا ولا إِوَزًّا ولا خَبيصا ، ولا فاكهةً إلا وحملتْه معها ، فخرجْنا ومعنا خمسةُ أحمالِ طعاما ، فلمّا أتينا السَّيالة[٣] نزلنا ، وأمرت بالطّعام ، فقُدِّم إليها ، فلمّا جىء بالأطباق أقبلتْ أُغَيلِمة من الأنصار يسلِّمون على زيد ، فلمّا رآهم قال : أوّه! خاصِرَتى، باسم الله، ارفعوا الطعامَ وهاتوا التِّرياقَ والماءَ الحارّ ، فأُتِىَ بهما ، فجعل يتوجّرُها[٤] حتى اُنصرفوا ، ورحَلْنا ، وقد هلكتُ جوعاً ، فلم آكُلْ إلّا ما اُشتريتُه من السوق .

(١) فى الأغانى : « بيتك » .
(٢) تكملة من الأغانى .
(٣) السيالة : موضع بقرب المدينة على مرحلة منها .
(٤) يتوجرهما : يبتلعهما .

فلمّا كان الغدُ أصبحتُ وبى من الجوع ما شاء الله ، وأُتِيَ بالطَّعام فجاءت مشيخةٌ من قريش يسلِّمون عليه ، فلمّا رآهم أعتلّ بالخاصرة، ودعا بالتِّرياق والماء الحار فتوجَّره ، ورُفِع الطعامُ حتّى انصرفوا ، فدعا به ، فأُتِي به وقد بَرَد ، فقال لى : ياأشعب، هل لك إلى إسخان هذا من سبيل ؟ فقلتُ له : أَهذا دَجاجُك من آل فرعونَ يُعرَضونَ على النّار غُدوًّا وعَشيًّا !

جاء قومٌ من أهل الكوفة يسلّمون على سُكينة ، فقالت لهم : الله يعلمُ أنى أُبغِضكم ؛ قتلتم جدّى عليًّا ، وقتلتم أبى الحسين ، وقتلتم أخى عليًّا ، وقتلتم زَوْجى مُصعَباً، أيتَمْتُمونى صغيرة ، وأرْمَلْتمونى كبيرة !

قال سفيان ، رأيت سكينةَ تَرْمِى الجمار ، فسقَطتِ الحصاة السابعة من يَدِها ، فرمت بِحِلْقِها[1] مكانَها .

وظهرتْ علىسكينةَ سَلَعة[2] فىأسفل عينِها، وكبرتْ حتّىأخذتْ وجهَها وعينَها، وعظُم شأنُها ، وكان بدراقُس منقطعا إليها ، وفى خدمتها ، فقالت له : ألا ترى ما وقعتُ فيه ؟ فقال لها : اصبِرى على ما يمسّك من الألم حتى أعالجك ، قالت: نعم ، فأضجَعَها وشقَّ جلدَ وجهِها حتى ظهرتْ له عروقها ، وكان منها شىءٌ تحتَ الحدَقة ، فرفع الحدَقَة عنه ، ثم سَلّ عروقَ السَّلَعة من تحتها فأخْرَجَها أجمَع ، وردّ العينَ إلى موضعها ، وعالجها وسكينة مضطجِعة لا تتحرّك له ولا تئِنّ حتى فرغ مما أراد ؛ وزال ذلك عنها وبَرِئت منه ، وبقىَ أثر تلك الجِراحة فى مؤخر عينها ، فكان أحسَنَ شىء فى وجهِها ، وكان أحسنَ على وجهها من كلّ حَلْىٍ وزينة ، ولم يؤثِّرْ ذلك فى نظرِها ولا عينها .

---

(١) الحلق ، بكسر فسكون : الخاتم من فضة يكون بلا فص . وفى الأغانى : « بخاتمها » .
(٢) السلعة : ورم كالخراج يحدث فى أى موضع ؛ يكون حجمه أولا كالحمصة ثم يكبر .

اجتمع فى ضيافة سكينةَ جريرٌ والفرزدق وكثيّر وجميل ونصيب ، فمكثوا أيّاما ، ثم أَذِنتْ لهم ، فدخلوا عليها ، فقعدتْ حيث تراهم ولا يرونها ، وتسمع كلامهم ، ثم أخرجتْ وصيفةً لها وضيئةً قد رَوَت الشّعر والحديث ، فقالت : أيّكم الفرزدق ؟ فقال لها : هأنذا ، قالت : أنت القائل :

همـــا دلّتانى من ثمانين قامةً ... كما انقضّ بازٍ أقتمُ الرأسِ كاسِرُه[(١)]

فلمّا استوت رجْلاى فى الأرض قالتا ... أحىٌّ يُرجّى أم قتيلٌ نُحاذِرُه ؟

فقلت ارفعُوا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلت فى أعجاز ليل أبادِرُه[(٢)]

أُبادِر بوّابين قد وكّلوا بنـــا ... وأحمرَ من ساجٍ تَبِصُّ مسامِره[(٣)]

قالت : فما دعاكَ إلى إفشاء سرِّهما وسِرِّك ؟ هلّا سترتَهما وسترتَ نفسَك ! خُذْ هذه الألفَ دينار والحقْ بأهلِك .

ثم دخلتْ على مولاتها وخرجتْ ، فقالت : أيّكم جرير ؟ قال : هأنذا ، قالت : أنت القائل :

طَرقتْكَ صائدةُ الفؤاد وليس ذَا ... وَقْتَ الزِّيارة فارجعى بسلامِ[(٤)]

تُجرِى السِّواكَ على أغـرَّ كأنه ... بَرَدٌ تحدَّرَ من مُتون غَمامِ

لو كان عهْدكِ كالّذى حدّثْتِنا ... لوَصلْتِ ذاكَ وكان غيرَ رُمامِ[(٥)]

إنّى أُواصلُ من أردتُ وصاله ... بحبـالٍ لا صَلِفٍ ولا لوّامِ

ثم قالت : أفلا أخذْتَ بيدِها ورحّبْت بها ، وقلت لها ما يقال لِمثلها ! أنت عفيف

---

(١) أقتم الريش : أسود كالقاتم ، والكاسر : العقاب ، وفى الأغانى : « كما انحط » .

(٢) الأمراس : الحبال .

(٣) الأغانى : « أبادر بوابين قد وكلا بنا » .

(٤) الأغانى : « صائدة القلوب » .

(٥) رمام ، أى متقطع .

وفيك ضَعْفٌ ، خذ هذه الألفَ وألحق بأهلِك ، ثم دخلتْ على مولاتِها وخرجتْ وقالت : أيّكم كُثَيِّر ؟ فقال : هأنذا ، فقالت : أنت القائل :

وأعجبَني يا عزُّ منكِ خلائقٌ　　كرامٌ إذا عُدَّ الخلائق أربعُ
دنوُّكِ حتّى يطمعَ الجاهلَ الصِّبا(١)　　ودفعُكِ أسبابَ الهوى حينَ يَطْمَعُ
فواللهِ ما يَدرِي كريمٌ مماطَلٌ　　أَينساكِ إذ باعدْتِ أم يتضرّعُ

قال : نعم ، قالت : مَلَّحْتَ وشَكَّلْت . خذ هذه الثلاثة الآلاف ، وألحقْ بأهلِك. ثم دخلتْ إلى مولاتِها وخرجتْ ، وقالت : أيّكم نُصَيْب ؟ قال : هأنذا ، قالت : أنت القائل :

ولولا أن يُقالَ صَبا نُصَيْبٌ　　لقلتُ بنفسيَ النَّشَأُ الصِّغارُ
بنفسي كلُّ مهضومٍ حشاها　　إذا ظُلِمتْ فليس لها انتصارُ !

قال : نعم ، قالت : ربّيتنا صِغارا ، ومدحتَنا كبارا ، خذ هذه الأربعة الآلاف وألحقْ بأهلِك ، ثم دخلتْ على مولاتِها وخرجتْ ، وقالت : يا جَميل ، مولاتي تُقرِئك السّلام وتقول : واللهِ ما زلتُ مشتاقةً إليك منذ سمعتُ قولَك :

ألا ليتَ شِعرى هل أبيتنّ ليلةً　　بِوادِى القُرَى إنّى إذًا لَسعيدُ
لكلِّ حديثٍ بينهنّ بَشاشةٌ　　وكلُّ قتيلٍ بينهنّ شَهيدُ

جعلتَ حديثَنا بشاشة ، وقتيلانا شُهداء ! خذ هذه الألف(٢) الدينار ، وألحقْ بأهلِك .

تفاخَرَ كلٌّ من راويةِ جرير ، وراوية الفرزْدق ، وراوية كثيِّر ، وراوية جَميل ، وراوية الأحْوَص ، وراوية نُصَيْب ؛ وقال كلٌّ واحد منهم : صاحِبي أشعَر ،

---

(١) الأغانى : « حتى يطمع الطالب الصبا » .
(٢) فى الأصول : « الألف دينار » ، وفى الأغانى : « الأربعة آلاف الدينار » .

فحكَّموا سُكينةَ لِما يعرفونه من عقلِها وبصرِها بالشِّعر ، فخرجوا يتعادَوْنَ[1] حتى استأذَنوا عليها ، فأذنتْ لهم ، فذكَروا لها ما كان من أمرِهم ، فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الّذى يقول :

طرقتْك صائدة الفؤاد وليس ذا وقت الزيارةِ فأرجعى بسلامِ[2]

وأىُّ ساعة أحلى للزِّيارة من الطُّرُوق ! قبحَ الله صاحبَك وقبحَ شعره ! ألا قال: « فادخُلِى بسَلام » !

ثم قالت لراوية كثيِّر : أليس صاحبك الّذى يقول :

يَقَرّ بعينِى ما يقَرُّ بعينِها وأحسن شىء ما به العينُ قرّتِ

فليس شىء أقرّ لعينها من النّكاح ، أفيحبّ صاحبك أن يُنكَح ! قَبحَ اللهُ صاحبَك وقبحَ شعره .

ثم قالت لراوية جَميل : أليس صاحبُك الّذى يقول :

فلو تركَتْ عقْلِى معى ما طلبتُها ولكنْ طِلَابِيها لِما فاتَ مِن عَقْلِى

فماأَرَى بصاحِبك هوى؛ إنّما يطلب عقلَه ، قَبحَ الله صاحبَك وقَبحَ شعره !

ثم قالت لراوية نُصَيْب : أليس صاحبك الّذى يقول :

أهيمُ بَدعْدٍ ما حَييتُ فإنْ أَمُتْ فواحَزنِى مَن ذا يهيمُ بها بَعْدِى!

، فما أرى له همة إلّا مَن يتعشّقها بعدَه ، قَبحَ الله صاحبَك وقَبحَ شعره ! ألا قال :

* فلا صَلَحتْ دعدٌ لذى خُلّةٍ بعدِى *

ثم قالت لراوية الأحْوَص : أليس صاحبك الّذى يقول :

مِن عاشقَيْن تَواصَلَا وتواعدَا ليلا إذا نجمُ الثُّرَيَّا حلّقَا

---

(١) يتعادون : يتبارون . وفى الأغانى : « يتقادون » ؛ وهما بمعنى .

(٢) فى الأغانى : « حين الزيارة » .

باتا بأنعمِ ليـــلةٍ وألذِّها   حتّى إذا وضح الصّباحُ تفرّقا

قال: نعم ، قالت : قبحه الله وقبح شعره ! ألا قال: « تعانقا » ، فلم تُثن على أحدٍ منهم ، ولم تقدِّمه فى ذلك اليوم .

وقيل : إنّها قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الّذى يقول :

فياليتنى أعمى أصمُّ تقودنى   بُثينةُ لا يخفى علىَّ كلامُها

قال: نعم . قالت : رحم الله صاحبك ! فإنّه كان صادقا فى شعره ، جميلا كاسمه ، فحكمتْ له .

ولم يُصلَّ على أحدٍ بعدَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بغير إمام إلا على سُكينة بنت الحسين ، فإنّها ماتت وعلى المدينة خالدُ بنُ عبدالملك ، فأرسلوا إليه فآذنوه بالجنازة فى أوّل النهار فى حرّ شديد ، فأرسل إليهم: لاتُحدثوا فيها حدثاً حتّى أجيءَ وأصلّىَ عليها ، فوُضع النعشُ فى موضع المصلَّى على الجنائز ، وجلسوا ينتظرون حتى جاءت الظهر ، فأرسلوا إليه فقال : لا تُحدِثوا فيها حدثا حتّى أجىء ، فجاءت العصر ، ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صُلِّيت العتمة ولم يجئْ ، ومكث النّاسُ جلوسا حتى غلبهم النوم ، فقاموا وأقبلوا يصلُّون جمْعا جمْعا عليها وينصرفون .

فقال علىُّ بنُ الحسين رضى الله عنهما : رحم الله مَن أعانَ بطيب ! وإنما أراد خالدُ بن عبد الملك أن تنتن . قال : فأُتِىَ بالمجامر فوُضعتْ حولَ النعش ، ونهض ابنُ أختها محمّدُ بنُ عبد الله العثمانىّ فأتى(١) عطّارا كان يَعرِف عنده عودا ، فاشتراه منه بأربعمائة دينار ، ثم أُتِىَ به فبُخِّر حولَ السّرير حتى أَصبح وقد فُرِغ منه ، فلمّا صُلِّيت الصبحُ قال: صلُّوا عليها ، وادفنوها ، فصلَّى عليها شيبةُ بنُ نصاح .

وقيل : إنّ عبدَ الله بنَ الحسين هو الّذى ابتاع لها العودَ بأربعمائة دينار .

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « فأعطى » ، ولا معنى لها .

ربيعةُ الرَّقّيّ*

هو ربيعةُ بنُ ثابت الرَّقّي الأَسَديّ وكنيته، أبو شَبانَة[1]. وقيل: أبو ثابت. كان يَنزِل الرَّقّة، وبها مولدُه ومنشؤه.

وهو من المُكثِرين المُجيدين، وكان ضَرِيراً. وأشخَصَه المهديُّ إليه فمدَحه بعدّة قصائد، وأثابَه عليها ثوابا كثيرا، وإنَّما أَخْمَلَ ذِكرَه، وأسقطَه عن طبقتِه بُعْدُه عن العراق، وتركُه خدمةَ الخلفاء، ومخاطبةَ الشُّعراء؛ ومع ذلك فما عَدِمَ مفضِّلاً لشعره ومقدِّماً له.

قال دِعْبل: قلتُ لمَرْوانَ بن أبي حفصة: مَن أشعرُكم جماعةَ المحدَثين يا أبا السِّمْط؟ قال: أَشعَرُنا أسيرُنا بيتاً، قلتُ: ومَن هو؟ قال: رَبيعة الرَّقّيّ الّذى يقول فى مَدح يزيدَ بن حاتم[2] المهلَّبيّ وهجاءِ يَزيدَ بن أُسَيْد[3] السُّلَميّ:

لَشتّانَ مابين اليَزِيدَيْن فى النَّدَى ... يَزِيد سُلَيمٍ والأغرّ بن حاتِم
يَزيدُ سُلَيمٍ سالمُ المالِ والفَتى ... أخو الأَسْدِ للأموال غيرُ مُسالمِ
فهَمُّ الفتى الأَسْدِيِّ إتلافُ مالِه ... وهمّ الفَتى القيسيّ جمعُ الدراهِمِ
فلا يَحْسَبِ التَّمتامُ أنّى هجوْتُهُ ... ولكنّنى فضّلْتُ أهلَ المكارِمِ

---

* الأغانى ١٦ : ٢٥٤ - ٢٦٥ (طبع دار الكتب).

(١) شبانة؛ كذا بالنون فى الأصول، وهو يوافق ما فى نكت الهميان ١٥١، وفى الأغانى «شبابة»، بالباء.

(٢) كذا فى الأغانى؛ وهو يوافق ما فى ابن خلكان ٢ : ٢٨١، ومعجم الأدباء ١١ : ١٣٤ وفى الأصول: «يزيد بن محمد» وهو خطأ.

(٣) أسيد؛ كذا ضبطه فى الأغانى «بضم الهمزة وفتح السين المهملة».

فيابنَ أسيدٍ لا تُسامِ ابنَ حاتمٍ فتقرَعَ إنْ ساميْتَهُ سِنَّ نادِم
هوالبحرُ إن كلَّفْتَ نفسَك خَوْضَهُ تهالَكتَ فى موجٍ له متلاطِم

قال أسدُ بنُ أَنَس بن مُجالد الأنصاريّ(1) : قلتُ لأبى زيد النَّحويّ : إنّ الأصمعيّ قال : لا يقال : شتّانَ ما بينهما ؛ وإنّما يقال : « شتّانَ ماهما » ، وأنشد قولَ الأَعشى :

* شتّانَ ما يوْمِى على كُورِها(2) *

فقال : كذَبَ الأصمعيّ . يقال : « شتّان ما بينهما » ، وأنشَدَ لربيعة الرَّقّىّ واحتج لهُ :

* لشتّانَ مابينَ اليزيدَيْنِ فى النَّدَى *

وفى استشهاد مِثلِ أبى زيد على دفع قولِ مِثلِ الأصمعىِّ بشعرِ ربيعة الرَّقّىّ كفايةٌ له فى تفضيله .

وكان سببُ هجاء ربيعةَ يزيدَ بن أُسيد أنه زارَه ليستميحه(3) دَينا عليه، فلم يَجِد عنده ما أَحَبّ ، فبلغ ذلك يزيدَ بنَ حاتم فبرّه ، وطَفَّلَ(4) على قضاءِ دَيْنه ، فاستفرَغَ جهدَه ووسْعَه فى مدحه له . ولمّا عَمِل فيه هذه القصيدة :

* لَشتّانَ ما بينَ اليزيدَيْن فى النَّدَى *

---

(1) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « أسيد بن خالد الأنصارى » .

(2) بقيته :

* وَيَوْمُ حيانَ أخى جابِر *

ديوانه ١٠٨ .

(3) كذا فى ا ، وفى الأغانى : « يستميحه » ، وفى ب ج : « يمتحه » ، وفى ب : « ليمتحنه » تصحيف .

(4) طفل : ترفق وتلطف .

عارَضَه أبو الشَّمَقْمَق ، فقال فى قصيدةٍ يمدَح بها يزيدَ بنَ مَزْيَد ، سَلَخَ بيت[1] ربيعة الرَّقّىّ ، بل نَقَله :

لَشتّانَ مابينَ اليزيدَين فى النَّدى ... إذا عُدَّ فى الناس المكارمُ والمجدُ

يزيدُ بنى شيبانَ أكرمُ منهما ... وإنْ غضِبتْ قيسُ بن عَيْلَان والأزْدُ

فتًى لم تلدْه من رُعَيْنٍ قبيلةٌ ... ولا لَخْمُ تَنمِيه ولم تَنْمِه نَهْدُ

ولكن نمتْه الغرُّ مِنْ آلِ وائلٍ ... وَبرّةُ تَنْميهِ ومِن بَعْدِها هِنْدُ

ولَمْ يَسرْ فى هذا المعنى شىءٌ كما سارتْ أبياتُ ربيعة .

قال أبو دِعامة : لما هجا ربيعةُ يزيدَ بنَ أُسَيْد السُّلَمِىّ — وكان جليلا عند المنصور والمهدىّ — وفضّل عليه يزيدَ بنَ حاتم ، قلتُ لربيعة : يا أبا شبانة[2] ، ما حَمَلك على أن هجوتَ رجلا من قومك ، وفضَّلْت عليه رجلا من الأَزْد ؟ قال : أُخْبِرك ، أَملَقْتُ مرّةً فلم يبق لى إلّا دارى ، فرهنْتُها على خمسمائة درهم ، ورحلت إليه فى أَرْمينيَةَ ، وأَعلَمْتُه بذلك ومدَحْتُه ، وأقمتُ عنده حوْلا ، فوهب لى خمسمائة درهم ، فتحمّلتُ بها وصِرْت إلى منزلى ، ولم يَبقَ معى كبيرُ شىء ، فنزلتُ فى دارٍ بِكراء ، ثم قلت : لو أتيتُ يزيدَ بن حاتم ! ثم قلت : هذا ابن عمّى فَعَل بى هذا الفعل ، فكيف غيرُه ! ثم حملتُ نفسِى على أن أتيتَه ، فأعلمتُه بمكانى ، فتركَنى شهراً حتّى ضجِرتُ ، فأكرَيْتُ نفسى من الحمّالين ، وكتبتُ بيتا فى رُقعة وألقيتُها[3] فى دِهليزه ، وهو :

أرانى ولا كفرانَ لِلّهِ راجعاً ... بخُفَّىْ حُنَينٍ من يزيدَ بن حاتِم[4]

(١) كذا فى ا ؛ وهو يوافق ما فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « من ربيعة » .
(٢) الأغانى : « شبابة » .
(٣) الأغانى : « وطرحتها » .
(٤) كذا فى ا والأغانى ؛ وفى ب ، ج : « من نوال يزيد » .

فوقعت الرُّقعةُ فى يد حاجبه ، فأوصلَها إليه من غير عِلْمى ولا أمرى ، فبعث خَلْفى ، فلمّا دخلتُ عليه قال : إيهِ ! أنشِدْنى ما قلت ؛ فتمنّعتُ ؛ فقال : واللهِ لا بدّ أن تُنشِدَنى ، فأنشدتُه ، فقال : لا والله لا ترجع كذلك ، ثم قال : انزعوا خُفَّيه ، فنزعوهما فحشاهما دنانيرَ ، وأمر لى بغلمانٍ وجَوارٍ وكُساً ، أفلا ترى لى أن أمدحَ هذا وأهجو ذاك ! قلتُ : بلى والله. وسار شِعْرى حتى بلغ المهدىّ ، وكان سببى[1] إليه .

وقال عبدُ الله بن المعتز : كان ربيعةُ الرقىُّ أرقَّ غزَلاً من أبى نُواس[2] ؛ لأنّ فى غزَل أبى نُواس[2] بَرْدا كثيرا ، وغزَل ربيعة منهلٌ عذْب .

اشتَهى جَوارِى المهدىّ أن يَسمَعن ربيعةَ الرّقّ ، فوجَّهَ إليه المهدىُّ مَن حَمَله من بلده[3] على البَريد حتّى قَدِم به عليه ، فلمّا دخل عليه سمع من وراء السِّتْر حِسًّا ، فقال : إنّى أسمع حِسًّا يا أميرَ المؤمنين . فقال : اسكُت يابنَ اللَّخْناء ، واستنْشَدَه ما أراد ، وضَحِك وضحكَ جوارِيه .

وكان فيه لِين ، وكذلك كان أبو العتاهية ، ثم أجازه بجائزة سنيّة ، فقال له :

يا أميرَ المؤمنينَ اللّـ ... ـهُ سَمّاكَ الأَمِينَا
سَرَقونى من بِلادى ... يا أمـيرَ المؤمنينا
سَرَقونى فاقض فيهمْ ... بقضـاءِ السارقينا

قال : قد قضيتُ فيهم[4] بأن يردُّوك إلى حيثُ أَخَذوك ، ثم أمر به يُحمل على البريد من ساعته إلى الرَّقَّة .

---

(١) الأغانى : « فكان سبب دخولى عليه » .

(٢) ب ، ج : « فراس » تصحيف .

(٣) الأغانى : « أخذه من مسجده » .

(٤) ساقطة من ب ، ج .

امتَدَح ربيعةُ الرقىُّ العباسَ بنَ محمّدِ بنِ علىّ بنِ عبد الله بنِ العبّاس بقصيدة لم يُسبَق إليها حُسْنا ، يقول فيها :

لو قيـل للعبّاس يا بنَ محمّدٍ ... قل « لا » وأنتَ مخلَّدٌ ما قالَها

ما إنْ أعُدُّ من المكارم خَصلةً ... إلّا وجدْتُـك عَمَّها أو خالَها

وإذا الملوكُ تَسايَروا فى بَلْدةٍ ... كانوا كواكبَها وكنت[1] هلالَها

إنّ المكارمَ لم تزلْ معقولة[2] ... حتى حَلَلْتَ براحتَيْك عِقالَها

فبعث إليه بدينارين ، فلمّا رآهما كاد أن يُجَنّ غضَباً ، وقال للرّسول : خذ الدِّينارَين لك ، على أن تَرُدّ الرقعةَ علىَّ من حيثُ لا يَدرِى العبّاس ، ففعل الرسولُ ذلك ، فأخَذَها ربيعة ، وكتب على ظهرِها[3] :

مدحتُكَ مِدحةَ السَّيفِ المُحَلَّى ... لتجرىَ فى الكرامِ كما جَرَيْتُ

فهبْها مِدحـةً ذهبتْ ضَياعا ... كذبتُ عليك فيها وافترَيْتُ

فأنْتَ المـرءُ ليس له وَفاءٌ ... كأنّى إذ مدحتُك قـد زَنَيْتُ

ثم دفعَها إلى الرّسول وقال : ضَعْهَا فى المكان الّذى أخذتَها منه ، فردّها الرّسولُ إلى مكانها ، فلمّا كان من الغد أخذَها العبّاس ، فنظر فيها ، فلمّا قرأ الأبيات غضب ، وقام من وقته ، فركِب إلى الرّشيد ــ وكان أثيرا عنـده يبجّلهُ ويقدِّمه ، وكان الرشيدُ قد هَمّ أن يَخطُب إليه ابنتَه ــ فرأى الكراهةَ فى وجهه ، فقال : ما شأنُك؟ قال : هجانى ربيعةُ الرَّقِّىّ . فأحضَرَه الرّشيد وقال : ياماصَّ كذا مِن أُمِّه ، أتهجو عمِّى وآثرَ الخلْق عندى ؟ لقد هممتُ أن أضربَ عُنقَك!

---

(١) ب ، ج : « وأنت » تحريف .

(٢) ب ، ج : « معقودة » .

(٣) فى الأغانى . « وأمرمن كتب على ظهرها » ؛ وهو الوجه ، فقد كان ربيعةالرقى ضريرا ذكره الصفدى فى نكتالهميان .

فقال : والله يا أميرَ المؤمنين لقد مدحتهُ بقصيدة ما قال مِثلَها أحدٌ من الشعراء في أحدٍ من الخلفاء ، ولقد بالغتُ في الثّناء ، وأكثرتُ الوصف . فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يأمُرَه بإحضارها ! فلمّا سمع الرشيدُ ذلك منه سكَن غضَبُه ، وأحبّ أن ينظر القصيدة . فأمر العبّاسَ بإحضارها ، فتلكّأ عليه ، فقال له الرّشيد : سألتُك بحقّي عليكَ إلّا أمرتَ بإحضارها . فعلم العبّاس أنه قد أخطأ وغلِط ، فأمر بإحضارها، فأُحضِرَتْ، فنظر الرّشيدُ فيها(١) وأُعجِب بها واستحسَنَها ، وقال : ماقال أحدٌ من الشعراء في أحد من الخلفاء مِثلَها ، ولقد صدق ربيعةُ وَبرّ ، ثم قال للعبّاس : كم أثبْتَه عليها ؟ فسَكَت العبّاس ، وتغيَّر لونُه .

فقال ربيعة : أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين . فتوهَّمَ الرشيدُ أنه يقول ذلك من المَوْجدة عليه ، فقال : بحياتي يارَقّيّ ! كم أثابَك ؟ فقال : وحياتِك يا أميرَ المؤمنين ، ما أثابَني إلّا بدينارين . فغضب الرّشيد غضبا شديداً ، ونظر في وجه العبّاس وقال : سَوْءَةً لك ! أيُّ حالٍ قعَدتْ بك عن إثابته ! أَقِلّةُ مال ؟ فوالله لقد مَوّلْتُك جهدي ، أم انقطاعُ المادّة عنك ؟ فوالله ما انقطعتْ عنك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل الّذي لا يدانيه شيء . أم نفسُك ؟ فلا ذنبَ لي ، بل نفسك فعلتْ بك ذلك حتى فضحتَ نفسَك وأباكَ وأجدادَكَ وفضحتَني !

فنكّس العبّاسُ رأسَه ولم ينطق ، فقال الرشيد : يا غلام ، أَعط ربيعةَ ثلاثين ألفَ درهم وخِلعة ، واحمله على بغلة ؛ فلمّا حُمِل المالُ بين يديه وأُلبِس الخلعة ، قال له الرّشيد : بحياتي يا ربيعة لا تذكُرْه في شيء من شعرِك تعريضاً ولا تصريحا .

وفتَرَ الرّشيدُ عمّا كان همّ به من التزويج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفاء واطِّراحا .

---

(١) ب ، ج : « إليها » .

وكان ربيعةُ لا يزال يَعبَث بالعبّاس بن محمد بحضرة الرشيد العبثَ الّذى يَبلغ منه الجدّ ، منذ جرى بينهما فى هذا المديح ما جرى من حيث لا يتعلّق عليه فيه شىء . فجاء العبّاس يوما إلى الرّشيد ببَرْنيّةٍ فيها غالية ، فوضعها بين يديه ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، هذه غاليةٌ صنعتُها لك بيدَى ، اُخترتُ عنبرَها من شِحْرِ عُمان ، ومِسْكَها من مَفاوِز التُّبَّت ، وماءَها من قَعْرِ تِهامة(١) ، والفضائل كلُّها فيها مجموعةٌ ، والنّعْت دونَها يَقْصُر . فاُعترضَه ربيعة ، فقال : ما رأيتُ أعجبَ منك ومن صِفتك هذه الغاليةَ ، عند مَن إليه كلّ موصوف يُجلَب ، وفى سُوقِه يَنفُق ، وبه إليه يتقرّب(٢) وما قَدْرُ غاليتِك هذه أعزّك الله حتى تُبالِغَ فى وصفها هذه المبالَغة ! أأجريتَ إليه بها نَهْرا ، أو حَمَلْتَ إليه منها وِقْراً ! إنّ تعظيمَك هذا عند من تُجْبَى إليه خزائنُ الأرض وأموالُها من كلّ بلد ، وتَذِلُّ لهيْبته جبابرةُ المُلوك المطيعة والعاصية ، وتتحِفُه بطُرَفِ بُلْدانها(٣) ، وبدائع مُلْكها ، حتّى كأنّك قد فقتَ بها ما عندَه ، وأبدعتَ له ما لا يعرِفه ، وخَصَصْتَه بما لم يَحوِه ملكه ، لا تخلو فيه من ضَعفٍ أو نقص(٤) همّه . فنشدتُكَ اللهَ يا أميرَ المؤمنين إلّا جعلتَ حَظّى من كل جائزة وفائدة توصِلها إلىّ فى مدّة سنة هذه الغاليةَ حتّى أتلقّاها بحقّها .

قال : ادفَعُوها إليه ، فدُفعتْ إليه ، فأدخَل يدَه فيها ، فأخرَجَ ملءَ كفِّه ، وحَلّ سراويلَه وأدخل يدَه ، فطلَى بها اُستَه ، وأَخرج حَفْنةً أخرى فطَلَى بها ذَكَرَه وأنْثيَيْه ، وأخرَج حَفنتَين فطلَى بهما إبْطيه . ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، غلامى يؤذَن له فى الدّخول ! فقال: أدخِلوه إليه ـ وهو يضحك ـ فأُدخِل فدفع إليه البرْنيّة ، فقال :

---

(١) كذا فى ا ، وهو يوافق ما فى الأغانى . وفى ب ، ج : « قفر » .

(٢) ب ، ج : « وإليه يتقرب » ، وما أثبته من ا والأغانى .

(٣) كذا فى ا والأغانى . وفى ب ، ج : « لذاتها » تصحيف .

(٤) الأغانى : « قصر همة » .

اذهبْ إلى جاريتي فلانه بهذه البَرْنيّة ، وقل لها : طَيِّبي بها حِرِكِ وإبطيك حتّى آتىَ الساعة فأفعلَ بكِ .

فأخَذَها الغلامُ ومضى ، وضَحِك الرّشيدُ حتّى غُشِيَ عليه ، وكاد العبّاس أن يموت غيظا ، ثم قام وانصرف ، وأمَرَ الرشيدُ له بثلاثين ألفَ درهم .

قال علىّ بنُ الحسينِ بنِ عبد الأعلى : رأيت قصيدةً لربيعةَ الرَّقّىّ مكتوبةً فى دَوْر بِساطٍ من بُسُط السّلطان مبسوطةً فى دار العامّة بسُرّ مَنْ رَأى ، وهى هذه[1] :

وتَزْعُم أنّى قــد تبدّلْتُ خُلّةً سِواها وهــذا الباطل المُتَقَوَّلُ !
لَحَا اللّهُ مَن باعَ الصّديقَ بغَيْره فقال نعم حاشاكَ إن كنتَ تفعلُ
ستَصْرِم إنساناً إذا ما صَرَمْتَنِى بحبِّك فانظر بَعده مَن تَبدَّلُ !

كان ربيعةُ يَهْوَى جاريةً يقال لها : عَثّامة ، لرجل من أهل قَرْقيسياء ، يقال له: ابن مَرّار ، وكان بنو هاشم فى سلطانهم قد ولَّوْه مصرَ ، وأصابَ مالاً عظيما ، فبلغه خبرُ ربيعةَ مع جاريته ، فأحضَرَه ، وعرَضَ عليه[2] أن يهبَها له ، فقال : لا تَهَبْها لى ، فإن كلَّ مبذول مملوك ، وأكره أن يَذْهَب حبُّها من قلبى ، ولكن دَعْنى أواصلُها هكذا ؛ فهو أحبُّ إلىّ ، وقال فيها ومدح بها بعضَ وَلدِ يزيدَ بنِ المهلَّب :

اعتاد قلبَك مِن حَبيبكَ عِيدُه شوقٌ عَراكَ فأنتَ عنه تَذودُه
والشّوق قد غَلَبَ الفؤادَ وقادَه والشوقُ يَغلِب ذا الهوى فيقودُه
فى دارِ مَرّارٍ غزالُ كَنيسةٍ عَطِرٌ عليــه خُزُوزُه وبرُودُه
ما ضَرَّ عَثْمة أنْ تُلِمَّ بعاشقٍ دَنِفِ الفــؤاد متيَّم فتَعودُه

(١) ساقطة من ا . وفى الأغانى : « وهى قوله » .

(٢) ساقطة من ا ، ج .

لقىَ ربيعـــةُ الرَّقّىُّ معنَ بنَ زائدة ، فامتدَحه بقصيدة ، وأنشَدَهُ إيّاها ، فلمْ يَهش لها معن ، ولا رَضِىَ ربيعة لِقاءَه إيّاه ، وأثابه ثواباً نَزْرًا فردّه ربيعـةُ وهجاه هجاءً كثيراً ، فما هجاه به قوله :

معنُ يا معنُ يا بن زائدةِ الـكَلْـ ... بِ الّتى فى الذّراع لا فى البَنانِ
لا تُفاخرْ إذا فخَــرْتَ بآبا ... ئك وافْخَرْ بعمِّك الحَوْفزانِ
فهشـامُ بنُ وائلٍ فى مكانٍ ... أنتَ تَرْضَى بدون ذاكَ المكانِ
ومتى كنتَ يابن ظبيـــةَ ترجو ... أن تُثَنّى على ابنـــةِ الغضبانِ !
هى حَوْراء كالمَهـاةِ هِجانٌ ... لِهِجانٍ وأنتَ غـــيرُ هِجانِ
وبنات السُّلَيْك[١] عند بنى ظَبْـ ... ـيَةَ أُفٍّ لـكمْ بنى شَيْبانِ
قيل معن لنـا فلمّا اختبرنا ... كان مَرْعًى وليسَ كالسَّعْدانِ

ظبية الّتى عيّر بها أمّه ، كانت أَمَةً لبنى نَبْهانَ بنِ أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيبان، لقيَها عبدُ الله بنُ زائدة بن مَطَر بن شريك ، جدّ معن بن زائدة بن عبد الله ، وكانت راعيةً لأهلِها فى غَنَمها ، فسَرَقَها ووقَـع عليها ، فولدتْ له زائدة بن عبد الله أبا مَعْن ابن زائدة ودِجاجة بنت عبد الله . وبنت السُّلَيْك الّتى عناها : امرأةٌ من [ولد][٢] الحَوْفزان .

قال أبو بِشْر : كنت حاضرا ربيعةَ الرَّقّىَّ يوما ، وجاءته امرأةٌ من منزل عَثْمة الجارية الّتى يتعلّقها ، فقالت له : تقول لك فلانة : إنّ بنت مولاى محمومة ، فإن كنتَ تعرف عُوذة تَـكتبها لها فافعل ، فقال : اُكتُبْ لها يا أبا بِشْر هذه العُوذَة :

---

(١) الأغانى : « وبنات السليل » .
(٢) تـكملة من الأغانى .

تفُو تفُو باُسمِ إلهى الّذى   لا يعرض السُّقْم لمن قد شَفا
أُعيــذُ مولاتى ومَوْلاتَها   وأبنتَهــا بعُوذَةِ المصطفى
مِن شَرٍّ ما يعْرِض مِنْ عِلّةٍ   فى الصُّبْح واللَّيل إذا أسْدَفا

تفُو تفُو ، هو النَّفْث الّذى ينفِثُه الرّاقى . قال أبو بِشْر : فقلت له : يا أبا شبانة، لستُ أُحْسِن أن أكتب : « تفُو تفُو » ، فقل لى كيف أكتبُها ؟ قال : اِنضح المدادَ من رأس القلم ، يقع فى موضعين ، أو ثلاثة ؛ حتى يكون كالنَّفْث ، وأُدفَع إليها العُوذة ، فإنّها نافعة . ففعلتُ ، ودفعتُها إليهـا ، فلم تَلْبَثْ أن جاءت الجاريةُ وهى لا تَمالك ضَحِكا . فقالت له : يا مجنون ، ما فعلتَ بنا ! كِدْنا واللهِ أن نفتَضِح فقال لها : وما أَصنَع بكِ ؟ أنا شاعر أو صاحب تَعاوِيذ !

الرَّبيعُ بنُ زِياد العبسى*

هو الرَّبيع بنُ زِياد بنِ عبدِ الله بنِ سُفْيانَ بن ناشِب بن هدْم بن عُود بن غالِب ابن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلَان ابن مُضَر بن نِزار ، وأمُّه فاطمةُ بنت الخُرْشب[1] ؛ واسمه عمرو بنُ النَّضْر بن حارثة بن أنمار بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان . وهى إحدى المُنْجِبات ، كان يقال لبَنِيها الكَمَلة ؛ وهم : الربيع ، وعُمارة ، وأَنَس .

ولما سأل معاويةُ علماءَ العرَب عن البُيوتات والمنجِبات ، وحظر عليهم ألّا يُجاوِزوا فى البيوتات ثلاثة ، وفى المنجبات ثلاثاً ، عَدُّوا فاطمة بنت الخُرْشُب فيمن عَدُّوا ، وقبلها حيّة[2] بنتُ رَباح القَنَوية أمّ الأَحْوَص ، وخالد بن مالك ابنِ جعفر بنِ كلاب ، وماوية بنت عبد مَناة بنِ مالك بنِ زيد بنِ عبد الله بنِ دارم ابن عمرو بن تميم ، أمّ لَقِيط وحاجب وعلقمة ؛ بنى زُرارة بن عُدَس بنِ زيد بنِ عبد الله بن دارم .

ولدتْ فاطمةُ بنتُ الخُرْشُب من زياد بنِ عبد الله سبعة ، فعدّت العرب المنجبين منهم ثلاثة ، وهم خيارُهم ، فمنهم : الربيع ، ويقال له : الكامل . وعُمارة — وهو الوهّاب — وأَنَس — وهو أنس الفوارس ، وهو الواقعة — وقيس — وهو البرد — والحارث — وهو الحرون — ومالك — وهو اللّاحق — وعَمرو ، وهو الدّرّاك .

---

* الأغانى ١٦ : ١٩-٤٣ (ساسى) ، ١٧ : ١١٦ - ١٤٠ . (دار الثقافة ببيروت) .

(١) فى الأصول : « الحوشب » ، تصحيف ، وصوابه من الأغانى .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « حُبيه » .

رُوِى أنّ عبدَ الله بن جُدْعانَ لقِىَ فاطمةَ بنت الُخرْشُب تطوف بالكعبة ، فقال لها : نَشَدْتُكِ بالله ربِّ هذه البَنِيّة ! أىُّ بَنيكِ أفضل ؟ قالت : الرَّبيع ، لا بل أَنَس ، لا بل عُمارة ؛ ثَكِلتُهُمْ إن كنت أدرى أيّهم أفضل . وقالت : ـ وقدسئلت أيضا أيُّهم أفضل ـ أَمَاوالله ماحملتُ واحدا منهم تُضْعا ، ولا ولدْتُه يَتْنا، ولا أرضعتُه غَيْلا ، ولا منعتُه قَيْلا ، ولا أَبَتُّه على ماقة[1] .

قال أبواليقظان : معنى قولها: « ما حملتُ واحدا منهم تُضْعا » . تقول : ما حملتُ فى دُبُر الطُّهْر ، وقيل : الَحيْض . وقولها : « ولا ولدْتُه يَتْناً » ؛ وهو أن تخرُج رجلاه قبل رأسه . وقولها : « وماأرضعتُه غَيْلا »، أى ماأرضعتُه قبل أن أحلب ثديى. وقولها : « ولا منعتُه قَيْلا »، أى لم أَمنَعْه اللّبَن عند القائلة . وقولها : « ولا أَبَتُّه على ماقة »، أى وهو يبكى .

وسئِلَتْ فاطمةُ عن بنيها فوَصَفَتْهم ، فقالت : عُمارةُ لا يَنام ليلة يخاف[2] ، ولا يَشبَع ليلةَ يُضاف . وقالت فى الربيع : لا تُعَدّ مآثِرُه ، ولا تُخْشَى فى الجهل بَوَادِرُه . وقالت فى أَنَس : إذا عَزَم أَمْضَى ، وإذا سُئل أَرْضَى ، وإذا قَدَر أَغْضَى . ووصفَتْ كُلًّا منهم بوصفٍ .

ضافَ فاطمةَ ضيفٌ ، فطرحتْ عليه شَمْلَةً من خَزّ ، فلمّا أَعْتَم[3] دنا منها ، فصاحت به ، فكَفّ . ثم إنه لم يَصبر ، فواثبَها فبَطَشَتْ به ، وهى من أشَدّ الناس، فقبَضَتْ عليه ثم صاحت : يا أَنَس ! فأتاها ، فذكَرَتْ له ذلك . فقال لها : أخى

---

(١) فى اللسان : « المائق : السريع البكاء القليل الحزم والثبات ؛ من قولهم : « ما أباتته مئقا ، أى ما أباتته باكيا »؛ وفى الأصول « فاقة » تصحيف ، صوابه ما فى الأغانى .

(٢) كذا فى الأغانى ، ا ، وهو الوجه؛ وفى ب ، ج : « المحاق » تصحيف .

(٣) فى الأغانى : « فلما وجد رائحته وأعتم » .

أكبرُ منّى فسَلِيه ، فنادت : يا عُمارة ، فأتاها فذكرَتْ له ذلك . فقال لها : السّيف ! وأراد قتلَه ، فقالت له : يا بُنَىّ ، لو دَعَوْنا أخاك فهو أكبرُ منك ! فدَعَت الرّبيع ، فذكرَتْ له ذلك . فقال : أفتطيعوننى يا بَنِى زِياد ؟ قالوا : نعم . قال : فلا تزَنُّوا أمَّكم ، ولا تقتلوا ضيفَكم ، وخَلُّوه يَذهب ، فذهب .

قال رجل من طيّء ، ويقال له الربيع بن عُمارة :

فإن تكن الحوادث قَطَّعَتْنِى[1] فلَم أرَ هالكاً كابْنَىْ زِيادِ
هُمَا رُمْحان خَطِّيّانِ كانا مِن السُّمْر المثقَّفةِ الحِدادِ
تَهابُ الأرض أن يَطآ عليها بمثِلهما تُسالِم أو تُعادِى

---

(١) فى الأغانى : « أنطعتنى » .

ربيعة مِسكين الدارِمى*

مِسكين ، لقبٌ غلَب عليه ، واسمُه ربيعة بنُ عامر بنِ أُنَيف بن شُرَيح بنِ عَمرو بنِ زَيد بنِ عبد الله بن عُدُس[1] بن دارِم بنِ مالك بنِ حنظلة بن مالك بنِ زيد مناةَ بنِ تميم . ولُقِّب مِسكينا لقوله :

أنا مِسكينٌ لِمَن أنـكَرَنى ... ولِمَنْ يَعرِفُنى جِـدٌّ نَطِقْ[2]

لا أبيعُ النّاسَ عِرْضى إنّنى ... لو أبيعُ النـاسَ عِرْضى لنفقْ

ولقوله أيضا[3] :

إنْ أُدْعَ مِسكينا فلستُ بمنـكَرٍ ... وهل يُنـكِرَنَّ الشمسَ ذَرٌّ شُعاعِها

لعمرك ما الأسماءُ إلّا عَـلامةٌ ... مَنارٌ ومِن خَـيْرِ المَنارِ ارتفاعُها

شاعرٌ شريفٌ من سادات قومه ، هاجَى الفرزدقَ ثم كافَّهُ[4] ، ثمّ كان الفرزدقُ يَعُدّ ذلك من الشدائد الّتى أفلَتَ منها ، فكان يقول : نجوتُ من ثلاثة أشياءَ لاأخافُ شيئا بعدَها ، نجوتُ من زِيادٍ حين طَلَبنى ، ونجوتُ من ابنى رُمَيلةَ[5] وقد نَذَرا دمى ،

---

* ترجمته فى الأغانى ١٨ : ٦٨-٨٢ (ساسى)، ٢٠ : ١٦٧ - ١٧٩ (دار الثقافة ببيروت).

(١) عدس ، بضمتين ، وفى الخزانة ١ : ٤٦٧ عن ابن الـكلبي : « كل عدس فى العرب بضم الميم وفتح الدال إلا عدس بن زيد هذا ، فإنه مضموم الدال » . وفى ب ج : « عدى » ؛ والصواب ما أثبته من ا والأغانى .

(٢) ب ، ج : « ثم لم يعرفنى » ، وهو خطأ ، والصواب مافى ا ، ونطق ككتف : الـكثير النطق ، من صيغ المبالغة .

(٣) ساقطة من ب ، ج .

(٤) المكافة : أن يكون الشر مكفوفا بين المتخاصمين ، كما تـكف العياب إذا أشرجت على ما فيها من متاع .

(٥) هما الأشهب والرباب أخوه ، وأمهما رميلة ، وهى أمة لخالد بن مالك بن ربعى بن سلمى وانظر الأغانى ٨ : ١٥٣ (ساسى) .

وما فاتهما أحدٌ طَلَباه قطّ ، ونجوتُ مِن مُهاجاةِ مِسْكين الدّارِىّ ؛ لأنّه لو هجانى لاضْطرنى إلى أن أَهدِم شطرَ حَسَبِى ونخرى ؛ لأنّه من بُحبوحة نَسَبى ، وأشرافِ عَشيرتى . فكان جرير حينئذ ينتصِفُ[1] منّى بيَدى ولسانى .

كان زيادٌ أَرْعَى[2] مِسكينا حِمًى له بناحية العُذَيب ، فى عامِ قَحْط حتّى أَخْصَبَ الناس ، ثم كتب له ببُرّ وتمْر وكِساء . فلمّا مات زِياد رثاه مِسكينٌ فقال :

رأيتُ زيادةَ الإسلام وَلَّت ... جِهاراً حينَ وَدَّعنا زِيادُ

فعارَضَه الفرزدق ــ وكان منحرِفاً عن زيادٍ لطلبه له ، وإخافتِه إيّاه ــ فقال :

أمسكينُ أَبكَى اللهُ عَيْنكَ إنّما ... جَرَى فى ضلالٍ دمعُها وتحدَّرا
بكيتَ على عِلْجٍ بمَيْسانَ كافرٍ ... ككِسْرى على عدّانِه أو كقَيْصَرا[3]
أقول له لمّا أتانى نَعِيُّه ... به لا بظَبْيٍ بالصَّرِيمةِ أَعْفَرا[4]

فقال مسكينٌ يجيبه :

ألا أيُّها المرءُ الّذى لستُ قاعداً ... ولا قائماً فى القوم إلّا انبرى ليا
فجئْنى بعمٍّ مِثلِ عمِّىَ أَوْ أَبٍ ... كمِثل أبِى أو خالِ صدقٍ كخَاليا
كعَمرو بنِ عمرٍو أو زُرارَةَ ذى النَّدَى ... أو البِشْرِ من كلٍّ قرعتُ الرَّوابيا

فأمسَكَ الفرزدقُ عنه فلَم يُجِبه ، وتكافأ ، ودخل بينهما شيوخ بَنِى عبد الله وبنى مُجاشِع .

---

(١) ينتصف منى ، أى يأخذ حقه كاملا .

(٢) أرعاه المكان : جعله له مرعى . والعذيب : واد لبنى تميم من منازل حاج الكوفة.

(٣) عدانه : زمانه وعهده . وانظر النقائض ٦٢١ .

(٤) الظبى الأعفر : الأبيض ، أى لتنزل به الحادثة لا بظبى . وانظر مجمع الأمثال ١ : ٩٠ .

قَدِم مسكين الدّارِمىُّ على معاوية ، فسأله أن يفرِض[١] له ، فأَبَى عليه ، وكان لا يَفرِضْ إلّا لليمَن ، فخرج من عندِه وهو يقول :

أخاكَ أخاكَ إنّ من لا أخا لَه ... كساعٍ إلى الهَيْجا بغيرِ سلاحِ
وإنّ ابنَ أُمِّ المرءِ فاْعلمْ جَناحُه ... وهل يَنهَض البازِى بغيرِ جَناحِ !
وماطالِبُ الحاجاتِ إلّا مغرَّرٌ ... وما نالَ شيئًا طالبٌ كنجاحِ[٢]

فلم يزَل معاوية حتّى عَزّت اليمنُ وكَثُرتْ ، وتضعضعَ عدنان ، فبلغ معاويةَ أنَّ رجلا من أهلِ اليمَن قال : لَهَممتُ ألّا أَدَع بالشام أحدا مِن مُضَر ، بل هممتُ ألّا أحُلّ حَبْوَتى حتى أُخرِج كلَّ نِزارِىٍّ بالشام . فبلغت[٣] معاوية ، فَفَرَض من وقته لأربعة آلافِ رجلٍ من قيس سوى خِندِف ، وقدم عليه — على تَفِئَةِ ذلك[٤] — عُطاردُ بن حاجب . فقال له : مافعل الفتى الدارمىّ الصَّبيح الوَجْه ، الفصيح اللّسان ؟ يعنى مِسكينا . فقال : صالحٌ ياأمير المؤمنين ، قال : أَعلِمْه أنّى قد فرضتُ له فى شرف العطاء وهو فى بلاده ، فإن شاءَ أن يقيمَ بها أو عندنَا فليَفْعَل ؛ فإن عطاءه سيأتيه ، وبشِّره بأنّى قد فرضتُ لأربعةِ آلافٍ من قومه من خِندِف .

وكان معاويةُ يُغزِى اليمَن فى البحر ، ويُغزِى قيساً فى البرّ ، فقال شاعرُ اليمَن :

ألا أيّها القومُ الّذين تجمَّعوا ... بعكّا أُناسٌ أنتمُ أمْ أَباعِرُ !
أنترك قيساً آمِنين بِدارِهمْ ... ونركبُ ظهرَ البحرِ والبحرُ زاخرُ
فوالله لا أدرى وإنّى لسائلٌ ... أَهَمْدانَ تحمِى ضَيْمَنا أم يُحابِرُ !

---

(١) يفرض له ، أى يجعل له راتبا يكون ثابتا .
(٢) المغرر : المخدوع .
(٣) ب ، ج : « فتعلقت » ، تصحيف ، والصواب ما فى ا والأغانى .
(٤) على تفئة ذلك ، على حينه وزمانه ، وب ، ج : « بقية ذلك » تصحيف .

أمِ الشّرف الأَعلى من أُولادِ حِمْيَرٍ بَنى مالك إذ تَستمِرّ المَرائرُ
أَأَوصَى أبوهمْ بينهم أن تَواصَلوا وأوصَى أبوكمْ بينكمْ أن تَدابَروا !

فلمّا بلغت هــذه الأبيات معاوية ؛ بعث إلى اليمن ، فاعتذَر إليهم ، وقال : ما أغزَيْتكم البحرَ إلّا لأنّى أتيمّن بكم ، وإنّ فى قيس نكداً وأخلاقا لا يَحتمِلها الثّغر ، وأنا عارفٌ بطاعتكم ونُصحِكم . فأمّا لو ظننتمْ غيرَ ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس لتكونوا جميعا فيه ، وأجعل الغزوَ فيه عَقِباً بينكم . فرضُوا ، وأعقب بينهم فى الغَزاة فى البحر .

قال أبو عبيدة : أشعَرُ ما قيل فى الغَيْرة قولُ مِسكين :

ألا أيُّها الغائرُ المُستَشيطُ فيمَ تَغارُ إذا لَمْ تُغَرْ(١)
فما خَيْرُ عِرْسٍ إذا خِفْتَها وما خيرُ عِرْسٍ إذا لم تُزَرْ(٢)
تَغارُ على النّاس أن يَنظُروا وهل يفتِنِ الصّالحاتِ النّظرْ !
وإنّى سأُخلِى لهــا بيتَها فتَحفظَ لى نَفْسَهَا أو تَذَرْ(٣)
إذا اللهُ لَمْ يعطِنى حُبَّهــا فلن يعطنى الُحبَّ سَوْطٌ مُمَرّ(٤)

كان يزيد بن معاوية يؤثر مِسكينا الدارمىّ ويصلُه ، ويقوم بحوائجه عند أبيه ، فلمّا أراد معاويةُ البَيعة ليزيدَ تهيَّب ذلك ، وخاف ألّا يُمالِئه الناسُ عليه لحسْن البقيّة فيهم ، وكثرة من يرشّح(٥) للخلافة ، وبلغه فى ذلك ذَرْوُ(٦) كلامٍ كرِهَه من

---

(١) المستشيط : الغاضب ، وفى ا : « المستشاط » .
(٢) فى أمالى المرتضى ١ : ٤٧٦ : « وما خير بيت إذا لم يزر » .
(٣) فى الأصول : « فتحفظ لى بيتها » ، والأجود ما أثبته من الأغانى وأمالى المرتضى .
(٤) ممر : مفتول .
(٥) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « ترشيح الخلافة » .
(٦) ذرو كلام : طرف منه .

سعيد بنِ العاص ومروانَ بن الحَكَم وعبدِ الله بنِ عامر . فأمر يزيد مِسكينا أن يقول أبياتا ، ويُنشِدَها معاويةَ فى مجلسه إذا كان حافلا وحضَرَه وجوهُ بنى أميّة، فلمّا اتّفق ذلك دخل مسكينٌ عليه وهو جالس ، وابنهُ يزيد عن يمينه ، وبنو أميّة حولَه ، وأشرافُ الناس فى مجلِسه ، فمَثَل بين يديه وأنشأ يقول :

إن أُدعَ مسكيناً فإنّى ابنُ معشرٍ ... من الناس أَحمِى عنهمُ وأَذودُ
إليكَ أميرَ المؤمنين رحلتُها ... تُثير القَطا ليــلا وهُنّ هُجودُ
وهاجرةٍ ظلّت كأنّ ظِباءَها ... إذا ما اتّقتْهــا بالقُرون سُجود
ألا ليت شِعرى ما يقولُ ابنُ عامرٍ ... ومروانُ ، أم ماذا يَقول سعيدُ !
بنى خلفاءِ الله مَهْــلا فإنّما ... يُبوِّئُها الرّحمٰنُ حيث يُريد
إذا المِنــبر الغَرْبىُّ خَلّاه رَبُّه ... فإنّ أمــيرَ المؤمنين يَزيدُ
على الطائر المَيْمونِ والَجدُّ صاعِدٌ ... لِـكلّ أُناسٍ طائرٌ وجُــدودُ
فلا زِلْتَ أعلى الناسِ كعبا ولم تزَلْ ... وُفودٌ تُسامِيهــا إليكَ وُفود
ولا زال بيتُ المُلْكِ فوقك عالياً ... تشدَّدُ أَطْنابٌ له وعمـــودُ
قُدورُ ابنِ حَرْب كالجوابى وتحتها الـ ... ـأثافِى كأمْثالِ النَّعام رُكود[1]
قُدورٌ كأمثال الَجوابى وحولَها ... رجالٌ عليهــا سيِّدٌ ومَسودُ

فقال له معاوية : ننظر فيما قلتَ يا مِسكين ، ونستخيرُ اللهَ تعــالى ! قال : ولم يتكلّمْ أحدٌ من بنى أُميّة فى ذلك إلّا بالإقرار والموافقة ، وكان ذلك هو الّذى أراده معاوية ؛ ليَعلَمَ ما عندهم ، ثم وصله يزيد ، ووصَلَه معاويةُ وأَجْزَلَ صِلتَه .

---

(١) الجوابى : جمع جابية ، وهى الحوض الضخم .

قال عقيد : غَنَّيْتُ الرشيدَ يوما[1] :

* إذا المِنْبَرُ الغَرْبِيُّ خَلَّاهُ رَبُّه *

ثم فطِنْتُ لأمرى ، ورأيتُ وجهَ الرشيد قد تغيّر ، فتداركتُ نفسى وقلت :

* فإنّ أميرَ المؤمنين عَقِيدُ *

فطَرِب الرّشيد ، وقال : أحسنتَ والله ، بحياتى قل لى :

* فإنّ أميرَ المؤمنين عَقيدُ *

فأنتَ والله أحقُّ بها مِن يزيد ، فتعاظمتُ ذلك ، فحلف ألّا أُغَنِّيه إلّا كما أَمَر ، ففعلتُ ، وشَرِب ثلاثة أرطال ، ووصلنى بصلةٍ سنيّة.

كان لمسكين الدارىّ امرأة مِن مِنقَر ، وكانت فارِكا[2] كثيرةَ الخصومة والمماظّة[3] ، فأنشد يوما فى نادى قومه:

إن كنتُ مِسكينا فما قَصَّرَتْ ... قِدْرى بُيوتُ الحىِّ والجُدْرُ

فوقفتْ عليه تَسْمَع حتّى بلغ إلى قوله :

نارِى ونارُ الجارِ واحدةٌ ... وإليه قَبْلى تُنزَل القِدْرُ

قالت : صدقتَ والله ! يجلس جارُك يَطبُخ ونَصْطَلى بناره ، ثم يُنزلها فيَجلس يأكل ، وأنت بحِذائه مِثل الكَلْب ، فإذا شَبِع أطعَمَك ! أجَلْ واللهِ ! إنّ القِدْر لتُنزَل إليه قبلَك ! فأعرض عنها ومَرَّ فى قصيدته حتّى أنشد :

ما ضَرَّ جاراً لِى أُجاوِرُه ... ألّا يكونَ لِبابِه سِتْرُ

فقالت : أجل ! إن كان له سِتْر هتكْتَه . فوَثَبَ إليها فضَرَبها ، وجعل قومُه يضحكون منهما .

---

(١) الأغانى : « ليلة » .

(٢) الفارك : المرأة التى تبغض الرجال .

(٣) المماظة : المشاتمة والمخاصمة والمنازعة .

خطب مسكين الدارىّ فتاةً من قومه ، فكرهتْه لسوادِ لونه ، وقلّة مالِه ، وتزوّجَتْ بعدَه رجلا من قومه ذا يسار ، ليس له مِثل نسبِ مِسكين ، فمرّ بها يوما وهى جالسةٌ مع زوجها ، فقال :

أنا مسكينٌ فمن يَعرِفُنى　　　لَونىَ السُّمرةُ ألوانُ العربْ

من رأى ظبياً عليه لُؤْلُؤٌ　　　واضحَ الخدَّيْن مقروناً بضبّْ

كَسَبَتْه الوَرِقُ البِيضُ أباً　　　ولقد كان وما يُدْعَى لِأَبْ

أصبحتْ طمّاحةً معتلّةً　　　قَرِمَتْ ، بل هىَ وَحْمَى للصَّخبْ

لا تَلُمْها إنّها من نِسْوَةٍ　　　صَخِباتٍ مِلْحها فوقَ الرُّكَبْ(١)

كشَموسِ الخيلِ تبدو شغْبُها(٢)　　　كلَّما قيل له هالٍ وَهَبْ(٣)

ربّ مَهْزُولٍ سمينٍ بيتُه　　　وسمينِ البيت مهزولِ النّسَبْ(٤)

(١) العرب تسمى الشحم ملحاً . أراد أنها زنجية وليست عربية ، وشحم الزنج يكون على أوراكهم وأكفالهم . وانظر أمالى المرتضى ٢ : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « شهبها » .

(٣) هال ، من زجر الخيل .

(٤) هذا البيت فى ا والأغانى ، وهو ساقط من ب ، ج .

رؤبة بن العجّاج*

هو رؤبة بنُ العجّاج ، واسم العجّاج عبـــد الله بن رؤبةَ بنِ حنيفة ، وهو أبو خزيمةَ بن مالك بنِ قُدامة بن أسامةَ بن الحارث بن عوف بن مالك بنِ سعيد ابنِ زيد مناةَ بنِ تميم . مِن رُجّاز الإسلام وفصحائهم والمذكورين المتقدِّمين منهم ، بدويٌّ نزَل البَصْرَة . وهو من مخضرَمِي الدّولتيْن .

مَدَح بنى أُميّة وبنى العبّاس ، ومات فى أيّام المنصور ، وقد أَخذ عنه وجوهُ أهلِ اللّغة ، واُقتدَوْا به ، واُحتجّوا بشعره، وجعلوه إماماً .

وكُنيته أبو الجحّاف ، وأبو العجّاج .

وروَى الحديثَ المسنَد عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، هو وأبوه .

قال يونس بن حبيب : كنتُ جالساً مع أبى عمرو بنِ العَلاء ، إذ مرّ بنا شُبَيْل ابنُ عَزْرة[1] الضُّبَعِيّ ـ وكان علّامة ـ فقال : يا أبا عمرو، أشعرتَ أنّى سألتُ رؤبةَ عن اسمه ، فلمْ يَدْر ما هو ، وما معناه ؟

قال يونس : قلتُ له : والله لَرؤبة أفصحُ من مَعَدّ بنِ عدنان ؛ وأنا غلامُ رُؤْبة، أفتعرف أنتَ رُوبَة ، ورُوبَة ، ورُوبة ، ورُؤْبة ، ورُؤْبة ؟ قال : فضرب بَغلَته وذهب ، وما تـكلَّم بشىء .

قال أبو عمرو : ما يَسُرُّنى أنّك تَغضَب منها !

الرُّوبة : اللّـبَن الخاثر ، والرُّوبة : ماء الفحل ، والرُّوبة : الساعة تَمضِى من الليل ، والرُّؤْبة : الحاجة ، والرُّؤْبه : شُعَب القدَح .

* ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٥٧ ـ ٦١ (ساسى)، ٢٠ ـ ٣١٢ ـ ٣٢٤ (دار الثقافة ببيروت).

(١) فى الأصول : « عروة » ، والصواب ما أثبته من الأغانى ، وهو يوافق ما فى الاشتقاق ٣١٨ ، وما نبه عليه الزبيدى فى تاج العروس .

وممّا رواه رؤبةُ من الحديث بسنده عن أبى الشعثاء ، عن أبى هريرة ، قال : كنّا مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فى سفر وحَادٍ يحدُو :

طافَ الخيالان فهاجا سَقَمَا   خيالُ لُبنَى وخيال تَكتُمَا
قامتْ ترِيكَ خشيةً أنْ تَصرِما   ساقاً بَخنْدَاة وكعباً أدْرِما[1]

والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يَسْمَع ولا يُنكِر .

حدّث رؤبةُ بنُ العجّاج ، عن أبيه ، قال : سمعتُ أبا هُريرةَ يقول : السِّواك يُذهِب وَضَرَ الطّعام .

قال رؤبة بنُ العَجّاج : بَعَث إلىّ أبو مسلم لمّا أَفْضَت الخلافةُ لبنى هاشم ، فلمّا دخلتُ عليه رأى مِنّى جَزَعاً ، فقال : اُسكُن فلا بأسَ عليك ، فما هذا الجزع الّذى ظهر منك ؟ قلتُ : أخافُك ، قال : ولِمَ ؟ قلت : بلغنى أنّك تقتُل النـاس . قال : إنما أَقتُل مَنْ يُقاتلنى ، ويريد قَتْلى ؛ أفأنت منهم ؟ قلتُ : لا ، قال : فهل ترى بأساً ؟ قلت : لا ، فأقبَل على جلسائه ضاحكا فقال : أمّا إنّ العَجّاجَ فقد رَخَّص لنا ، ثم قال : أنشِدنى قولَك :

* وقاتِمِ الأعماقِ خاوِى المخترَقْ *

فقلت له : أصلحَك الله ! أوَ أُنشِدُك أحسنَ منه ! قال : هاتِ . فأنشدتُه :

قلت ونَسْجى مستجِدٌّ حَوْكا   لَبَّيكَ إذْ دعوتَنى لبَّيْكا

* أحمَـد رَبًّا ساقنى إلَيْكا *

قال : هاتِ كلِمتَك الأولى ، قلتُ : أو أُنشِدك أحسنَ منها ! قال : هاتِ ، فأنشدتُه :

ما زال يَبْنى خَندقاً ويَهْدِمُهْ   ويَستجيشُ عسكراً ويَهزِمُهْ

---

(١) البخنداة : المرأة التامة القصب ، والأدرم : المستوى .

ومَغْنَماً يَجْمَعُه وتَقْسِمُهْ مَرْوانُ لمّا أن تهاوَتْ أنجُمُهْ

* وخانَه فى حكمِه منجِّمُــهْ *

فقال : دَع هذا ، وأنشِدنى :

* وقاتِم الأعماقِ خاوِى المخترَقْ *

قلت : أو أحسنَ منه ؟ قال : هاته ، فأنشدتُه :

رفعتَ بيتاً وخفضتَ بيتا وشدْتَ ركن الدّين إذْ بنيتا

* فى الأكْرَمين من قريش بيتا *

قال : هات ما سألتُك عنه ، فأنشدتُه :

ما زال يأتى الأمْرَ من أقْطَارِهِ على اليمين وعَلَى يَسَارِهِ

مشمِّرًا لا يُصطَلى بنــارِهِ حتى أقرّ الملك فى قَرارِهِ

* وفرّ مَرْوَانُ على حمـــارِهِ *

قال : وَيْحَك ! هاتِ مادعوتُك وأمرتُك بإنشاده ، ولا تُنْشِدْ غيرَه ، فأنشدتُه :

* وقاتِم الأعماقِ خاوِى المخترَقْ *

فلمّا صِرْتُ إلى قوله :

* تَرْمِى الجلاميدَ بجُلْمُودٍ مُدُقّ *

قال : قاتلك الله ! لَشَــدَّ ما أستصلَبْتَ الحافر ! ثم قال : حَسْبُك أنا ذلك الجلمودُ المدقّ .

قال : وجِىء بمِنديلٍ فيه مال ، فوُضِــع بين يدىّ ، فقال أبو مسلم : يا رؤبة ، إنك جئتنا والأموال مشفوهة[1] ، وإن لك إلينا لَعَوْدة ، وعلينا مُعَوَّلًا ، والدّهر

---

(١) أموال مشفوهة ، أى كثرت نحوها الأيدى .

[بيننا وبينك](١) ، الطريق(٢) مستتبّ فلا تجعلْ بيننا وبينك الأســدّة(٣) .
قال رؤبة : فأخذتُ المنديل منه ، وبالله ما رأيتُ أعجمياً أفصحَ منه ! وما ظننتُ أنّ أحداً يعرِف هذا الـكلامَ غيرى وغيرَ أبى(٤) .

يقال : اشتفّ ما فى الإناء ، وشَفَهَه إذا أَتَى عليه ، وأنشد :

وكاد المــالُ يَشْفَهُه عِيالى   وصادف عَيْلَتى مَن لا أعولُ

قال محمّد بنُ يزيد : كان رؤبة يأكل الفأر ، فعُوتب فى ذلك ، فقال : هى والله أنظَفُ من دَواجِنِـكم ودَجاجِكم اللّواتى يأكلن العَذِرة ، وهل يأكل الفأر إلّا نقىّ البُرّ ، ولُباب الطعام !

ولم يوجد لرؤبةَ ولا لأبيه فى شعرِهما حرفٌ مُدغَم قطّ .

وقيل ليونس : مَن أشعَرُ الناس ؟ قال : رُؤبة وأبوه ، فقيل له : لمْ نَعْن الرُّجّاز ، فقال : هما أشعر أهلِ القصيدة ؛ وإنّما الشعر كلام ، وأجوَدهُ أشعَرُه ؛ قال العجّاج :

* قد جَبَرَ الدّينَ الإلهُ فَجُبِرْ *

فهى نحوٌ من مائتى بيتٍ موقوفة القوافى ، فـلو أطلقت قوافيها لـكانت كلُّها منصوبة ، وكذلك عامّة أراجيزِهما .

قال يعقوب بن داود : لقيتُ الخليلَ بنَ أحمـدَ يوما بالبَصْرة ، فقال لى : يا أبا عبدِ الله ، دَفَنَّا الشعرَ واللغةَ والفَصاحة اليوم . فقلت : وكيف ذلك ؟ قال: هذا حين انصرافِنا من جنازةِ رُؤبة بنِ العجّاج .

(١) تـكملة من المحاسن والمساوى .
(٢) فى الأصول « أطرق » ، والطريق المستتب : اللاحب الواضح .
(٣) الأسدة : جمع سد ، وفى الأصول : « الأسرة » .
(٤) الخبر فى المحاسن والمساوى ٢٣٨ ، ٢٣٩ (طبع أوربا) .

ربيعة بنُ مَقْروم الضَّبِّيّ *

هو ربيعة بنُ مَقْروم بنِ قيس بنِ جابر بن خالد بنِ عمرو بن عبد الله بن السِّيد ابن بكر بن سَعْد بن ضَبّة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَرَ بنِ نِزار .

شاعرٌ مُخْضَرم ، أدرَكَ الجاهليّة والإسلام وكان ممّن أصْفَق[1] عليه كِسْرى ، وعاش فى الإسلام زَمانا ، وكان ربيعة قد أُسِر ، واُستيق مالُه ، فخلّصه مسودُ بنُ سالم بن أبى لَيْلى[2] بن ربيعة بن ذبيان بن عامر بن ثعلبة بن ذُؤيب بن السِّيد ، فقال ربيعة فيه :

كفانى أبو الأَشْوسِ المنكَراتِ كفاهُ الإلهُ الّذى يَحْذَرُ
أعزُّ من السِّيد فى مَنصِبٍ إليه العزازةُ والمَفْخَر

وقال أيضا يمدحُه ، من أبيات :

وَجَسْرَةٍ أُجُدٍ تَدمَى مَناسِمُها أعملتُها بىَ حتّى تَقطعَ البِيدَا[3]
كلّفتُها ، فرأتْ حتْما تكلّفَها ظُهيرةً كأَجيج النارِ صَيْخودا[4]
فى مهمهٍ قُذُفٍ يُخشَى الهلاكُ به أصداؤه لا تَنِى باللّيل تغرِيدا[5]

---

* ترجمته فى الأغانى ١٩ : ٩٠ـ٩٤ (ساسى)، ٢٢ : ٨٧ ـ ٩٦ (دار الثقافة ببيروت) .

(١) أصفق عليه : أطبق .

(٢) كذا فى أصول المختار ، وفى حاشية ا « ابن سلم » وفى الأغانى : « ابن أبى سلمى » .

(٣) الجسرة : المتجاسرة فى سيرها . والأجد : الضامرة ، أراد الناقة . والمنسم : طرف خف البعير .

(٤) صيخود ، فيعول من قولهم : صخده ، إذا أذابه .

(٥) المهمه : القفر الذى لا ماء فيه ولا علم ، والقذف : البعيد . أصداؤه : جمع صدى ، وهو الذكر من البوم . لاتنى : لا تقصر والتغريد هنا : التصويت .

لمّا تشكّت إلىّ الأينَ قلتُ لهـــا | لا تَستَريحــين ما لم أَلْقَ مسعودا(١)
مالم أُلاقِ أمــرأً جَزْلًا مَواهبُـه | رَحْبَ الفِناء كريمَ الفِعل محمودا
وقد سمعتُ بقومٍ يُحمدون فـــلَم | أَسمَعْ بمِثلِك لا حِلْما ولا جُودا
ولا عَفافا ولا صَـــبراً لنائبةٍ | وما أخبِّرُ عنـك الباطلَ السِّيدَا(٢)
لا حِلمُك الحلمُ موجودٌ عليه ، ولا | يُلفَى عطاؤكَ فى الأقوام منكودا
وقد سَبَقْت لغايات الجوادِ وقـد | أشبهتَ آباءَك الشُّمَّ الصّناديدا(٣)
هذا ثنائِى بما أَوليتَ مِن حَسَنٍ | لازلتَ ـعَوضُ ـقريرَ العَيْن مَحْسودا(٤)

قال حماد الرّاوية : دخلتُ على الوليد بن يزيد ، وهو مصطبِحٌ ، وبين يديه جماعةٌ من المغنّين ، وعلى رأسه وصيفةٌ تَسْقيه لم أرَ مِثلَها تماما وكَمالا وجَمالا . فقال لى الوليد : ياحمّاد ، إنّى أَمرتُ هؤلاء أن يُغنُّوا صوتا يوافق صفةَ هذه الوَصيفة ، وجعلتُها لمن يُوافِق قولُه صفتَها . فما أَتَى أحدٌ منهم بشىء ، فأنشِدْنى أنت ما يوافق صفتَها ، وهى لك . فأنشدتُه قولَ ربيعة بن مقروم الضّبّى :

دارٌ لسُعْدَى إذ سُعَادُ كأنّهـــا | رشأٌ غَرِيرُ الطّرْف رَخْصُ المِفصَلِ(٥)
شَمّاءُ واضحةُ العَوارض طَفْلَةٌ | كالبَدْرِ مِن خَلَلِ السّحاب المنجلِى
وكأنّما ريحُ القَرنفُـل نَشْرُهـــا | أو حنوة خُلِطت خُزَامى حَوْملِ(٦)

---

(١) الأين : الجهد والإعياء .
(٢) السيد : هو ابن مالك بن بكر ، وهو الجد الأعلى للمادح والممدوح ، والشاعر من بنى غيط بن السيد ، والممدوح من بنى ذؤيب ، يقول : لا أخبر عنك قومنا باطلا ، إنما أمدحك بالحق.
(٣) الصناديد : الكرام .
(٤) أراد بعوض الدهر ، وهو مبنى على الضم .
(٥) هذا البيت لم يرد فى رواية الأغانى .
(٦) الحنوة : نبات سهلى طيب الريح ، والخزامى : خيرى البر ، زهره أطيب الأزهار نفحة، يتمثل به فى الطيب .

وكأنّ فاهَا بعد ما طَرق الكرَى كأسٌ تصفّق بالرحيقِ السَّلْسَلِ (١)
لوْ أنهّا عرَضتْ لأشمطَ راهبٍ في رأسِ مُشرِفةِ الذّرَى متبتّلِ
لَصبَا لبهْجتِها وحُسنِ حديثها ولهَمَّ من ناموسِه بتنزّلِ

فقال لي الوليد : أصبتَ فاُخترْها هي ، أو ألف دينار ، فاخترتُ الألف دِينار فأخذتُها ، وأدخلها إلى حرمه . وهذه القصيدة من فاخِر الشعرِ وجيِّده وحَسَنِه ، ومن مختارِها قولُه :

ولقد شهدتُ الخيلَ يومَ طِرادِها بسَليمِ أوْظِفة القوائمِ هَيْكَلِ (٢)
متقاذفٍ عَبْلِ الشَّوَى شَنِجِ النَّسا سبّاق أنديةِ الجياد عَمَيْثَلِ (٣)
لولا أكَفْكِفُه لكانَ إذا جرَى منه الشّكيم يدقّ فأسَ المِسْحَلِ (٤)
وإذا جرى منه الحميمُ رأيتَه يَهْوِي بفارسِه هُوِيَّ الأَجْدَلِ (٥)
وإذا تَعلَّلُ بالسِّياط جيادُها أعطاكَ ثانيةً ولم يَتعلّلِ
ودعوا: نَزالِ فكنتُ أوّلَ نازلٍ وعلامَ أركبُه إذا لم أَنزلِ !
ولقدِ جمعتُ المالَ مِن جَمْع أمرئٍ ورفعتُ نفسِي عن لئيمِ المأكلِ

---

(١) يصفق : يمزج .

(٢) الهيكل : الفرس الضخم ، والأوظفة : جمع وظيف ، وهو مستدق الزراع والساق من من الخيل وغيرها .

(٣) تقاذف الفرس : تسارع ركضه . والشوى : القوائم ، والعبل : الغليظ الضخم. والنسا: عرق ، وشنج جلده : تقبض ، وصفه بالشنج لأنه أصلب له . والعميثل : الضخم الشديد العريض وهو من صفة الخيل .

(٤) شكيم اللجام : الحديدة التي تحت الجحفلة السفلى، والفأس : الحديدة القائمة في الشكيمة ، والمسحل : اللجام .

(٥) الحميم هنا : العرق .

ودخلتُ أبنيــةَ المُلوكِ عليهمُ ... ولشَرُّ قــولِ المرءِ مالم يُفْعَلِ
وألــدَّ ذي حَنَــقٍ عليَّ كأنَّمــا ... تَغلِي عداوةُ صَدْرِه في مِرْجَلِ (١)
أرجيْتُه عــنّي فأبصرَ قَصــدَه ... وكويْتُه فوقَ النّواظرِ من عَلِ (٢)
وأخِي محــافَظَةٍ عَصَى عُــذّالَــه ... وأطاعَ لــذّته مُعِمٍّ مُخْوِلِ
هَشٍّ يَراحُ إلى النَّدَى نبّهتُه ... والصُّبحُ ساطع ضوئه لم ينجَلِ
فأتيتُ حانوتا لــه فصبحْتُه ... من عاتقٍ بمزاجها لم تُقْتَــلِ
صَهْباءَ إبليسيّة. أغــلى بهــا ... يَسَرٌ كريمُ الخِيمِ غــير مُبَخَّلِ (٣)
ولقــد أصبتُ من المعيشة لِينَها ... وأصابني منه الزّمانُ بكَلْكَلِ
فإذا وذاكَ كأنّــه ما لم يكــن ... إلا تذكّره لمن لم يجهلِ
ولقد أتتْ مائة عليَّ أعــدُّهَا ... حَوْلًا فَحوْلًا إذ بلاها مبتلِي
فإذا الشّباب كمِبْــذَلٍ أَفْضَيْتُه ... والدّهرُ يُبلِي كلَّ جِدَّة مِبْذلِ (٤)
هلّا سألتَ وخُبْر قومٍ عندهمْ ... وشِفاء غَيِّــك خابِراً أن تَسألِ
هل نُــكرِمُ الأضياف إن نزَلوا بنا ... ونَسُود بالمعروف غــــير تَبَحُّلِ
ونَحُلُّ بالثَّغْر المَخوف عــــدوُّه ... ونَرُدُّ خــالَ العارِضِ المتهلِّلِ
ونُعينُ غارِمَناَ ونَمنَع جارَنــا ... ونَزينُ مــولى ذكرِنا في المَحفلِ
وإذا أمرؤٌ منّــا حَبَا فكأنّــه ... ممّا يخــاف على مناكب يَذْبُــلِ
ومتى تَقُمْ عنــد اجتماع عشيرةٍ ... خطباؤُنا بين العشيرةِ تفصلِ

(١) الألد : الشديد الخصومة .

(٢) أرجيته عنى : صرفته . القصد : ما لا سرف فيه؛ وأبصر قصده ، أى أبصر رشده . والنواظر : عروق فى الرأس .

(٣) اليسر : السهل .

(٤) المبذل : الثوب الخلق .

وَيَرى العدوُّ لنــا دروءًا صعبَة   عنـــد النّجوم منيعة المُتَنَاوَل(١)
وإذا الحَمـالةُ أثقلتْ حمّالها   فعَلَى سَوائِمنا ثقيل المِحمَلِ
ونحقّ فى أمـــوالنا لجديبنا   حقًّا يَنُوء بـه، وإن لم يسألِ(٢)

(١) فى المتأول : « المتأوّل » .
(٢) الجديب : الماحل الفقير، وفى الأغانى : « لحليفنا » .

الرَّبيعُ بنُ أبى الُحقَيْق *

هو من مشهوري اليَهود ، من بنى قُرَيظة ، وكان أحدَ الرؤساء فى يوم بُعَاث ، وكان حليفا للخَزْرج هو وقومُه ؛ وكانت رِياسةُ بنى قُرَيظَة للربيع ، ورِياسة الخَزْرج لعمرو بن النّعمان البيَاضىّ .

أقبل النابغة الذُّبْيانىّ يريد سوقَ بنى قَيْنُقَاع ، فلحِقه الرّبيع بن أبى الُحقيق نازلا من أُطُمِه ، فلمّا أشرَفَا على السّوق سمِعَا الضّجّة ، وكانت سوقا عظيمة ، فحاصَت بالنابغة ناقتُه ، فأنشأ يقول :

* كادت تُهَالُ مِن الأصوات راحلِتى *

ثم قال للرَّبيع بن أبى الحقيق : أجِزْ ، فقال :

* والنَّفْر منها إذا ما أَوْجَسَتْ خُلُقُ *

فقال النابغة : ما رأيتُ كاليوم شِعرا ، ثم قال :

* لولا أُنَهْنِهُهَا بالسَّوط لاجتَذَبَتْ *

ثم قال : أجِزْ ياربيع ، فقال :

* منى الزِّمامَ وإنّى راكبٌ لَبِقُ *

فقال النابغة :

* قد مَلّت الحبْسَ فى الآطام واُشتعَفَتْ *

ثم قال : أجِزْ يارَبيع ، فقال :

* إلى مَناهِلِها لو أنّها طُلَقُ *

فقال النابغة : أنت ياربيعُ أشعرُ الناس .

---

* ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٦١ ، ٦٢ (ساسى) ، ٢٢ : ١٢١ ، ١٢٤ (الثقافة ببيروت).

قال أبو الزّناد : قلَّما جَلستُ إلى أبان بن عثمان إلّا سمعتُه يتمثّل بقول أبنِ أبي الُحقَيق :

سَئمتُ وأمسيتُ رهن الفــرا ش من جُرْمِ قوْمِي وَمِنْ مَغْرَمِ
ومن سَفَهِ الـرأى بَعْدَ النُّهَى وَغيْب الرشاد ولم يُفهَمِ
فلوْ أنّ قــومى أطاعوا الْحَليـ ـمَ ، لم يَتعدَّوا ولم نُظْـلَمِ
ولـكِنّ قـومى أطاعوا الغوا ةَ وانتشر الأمْرُ لم يُبْرَمِ (١)
فأودَى السَّفيـهُ برأى الحلـ ـيم حَتى تحكَّمَ أهـلُ الدَّمِ

(١) فى الأغانى :

ولـكنّ قومى أطاعوا الغوا ة ، حتّى تعكّسَ أهلُ الدّمِ

حرف الزّاى

زيد بنُ عَمرو بن نُفَيْل*

هو زيدُ بن عَمرو بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رِياح[1] بن عبد الله بنِ قُرْط بن رَزاح بنِ عدىّ بنِ كعب بنِ لؤىّ بنِ غالب بن فِهر .

وأمُّه جَيداء بنت خالد بن جابِر بن أبى حبيب بن فَهْم ، وكانت جيداءُ عند نُفَيل ابن عبد العُزَّى ، فولدتْ له الَخطّاب ، أبا عُمر بنِ الخطّاب[2] ثم مات عنها نُفَيل ، فتَزوّجت ابنه عمرًا ، فولدتْ له زَيْدا ، وكان هذا نـكاحا من أنـكِحة الجاهليّة .

وكان زيدُ بنُ عمرو أَحدَ[3] من اُعتزَل عبادةَ الأوثان ، وامتنع من أكلِ ذبائحهم ، وكان يقول : يا معشر قريش ، أيُرسِل اللهُ مطر السَّماء ، ويُنبِت بقلَ الأرض ، ويَخلُق السائمةَ فتَرعَى فيه ، وتذبحوها لغيره ! والله ما أعلم أحدا على ظهر الأرض على دِين إبراهيمَ غيرى .

كان الخطّاب بنُ نُفَيل قد أخرج زيدَ بن عمرو من مكّة ، وجماعةً من قريش ، ومنعوه أن يدخلَها حين فارق أهلَ الأوثان ، وكان أشدَّهم عليه الخطّابُ .

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ١٢٣ ـ ١٣٨ (طبعة الدار) .

(١) كذا فى شرح القامـوس مادة «روح» .

(٢) زاد فى الأغانى : «وعبد نهم» ، ونهم : اسم شيطان ، أو صنم لمزينة ، وبه سموا عبدنهم .

(٣) كذا فى ا ، وهو يوافق ما فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « آخر » .

وكان زيد بن عمرو إذا لم يخلص[1] إلى البيت أستقبَلَه ، ثم قال : لبَيّـْك حقًّا حقًّا ، تعبُّدا ورِقًّا ، البِرَّ أرجو لا الخال[2] ، وهل مُتهجِّرٌ[3] كمن قال[4] .

ثم يقول :

عذت بمَن عاذَ بـه إبراهيمُ ... مستقبِـلَ القِبلة وهـو قائمُ
يقول : إنّـِي لك عانٍ راغمُ ... مهما تُجشِّمْنى فإنّى جـاشمُ[5]

ثم يَسجُد .

وهو الذى يقول :

لا همّ إنّى حَرَمٌ لا حِلّهْ ... وإنّ دارِى أوْسَط المَحَلّهْ
* عند الصّفا ليست بها مَضَلّهْ *

وزيدُ بنُ عمرو هو الذى يقول :

عزلتُ الجنّ والجِنّانَ عـنّى ... كذلك يَفعلُ الجلْد الصَّبورُ[6]
فـلا العُزّى أَدينُ ولا ابنتَيْها ... ولا صنمَىْ بَنى طَسْمٍ أزُورُ[7]
ولا غَنْما أَدِينُ وكان رَبًّا ... لنا فى الدّهرِ إذْ حِلْمِى صَغيرُ[8]

---

(١) فى الأغانى : « إذا خلص » ؛ وأثبت ما فى الأصول .
(٢) الخال : الكبر والخيلاء .
(٣) المتهجر : السائر فى الهاجرة
(٤) قال : أقام فى القائلة .
(٥) جاشم ، وصف من جشم الأمر ؛ إذا تجشمه وتكلفه على مشقة .
(٦) قال فى اللسان (جنن) فى شرح بيت للخطفى جد جرير :

يرفعن بالليل إذا ما أسدفَا ... أعناق جِنّانٍ وهاما رجّفَا

«جنان الجبال ، أى الذين يأمرون بالفساد من شياطين الإنس » ؛ وبه يفسر ما ورد فى البيت .
(٧) كذا فى جميع أصول الأغانى ومختاره ، وفى الأصنام لابن الكلبى ٢٢ : « بنى غنم » .
(٨) كذا فى الأصول وفى الأغانى : «ولا هبلا أدين» .

أَرَبًّا واحــدا أم ألفَ رَبٍّ   أَدينُ إذا تُقُسّمَتِ الأمورُ
ألَمْ تَعْلَمْ بأنّ اللهَ أفْنَى   رِجالًا كان شأنَهم الفُجورُ!
وأبقَى آخرِين ببِرِّ قــومٍ   فيَرْبُو منهمُ الطفلُ الصغيرُ
وبينا المرء يَعـثُر ثابَ يوماً   كما يـتروَّح الغُصُن النَّضِيرُ

فقال وَرَقة بن نَوْفل لزيد بن عمرو :

رَشَدْتَ وأنعمتَ ابنَ عمرٍو وإنّما   تجنَّبتَ تَنُّورا من النَّار حامِياً
بدينك رَبًّا ليس رَبٌّ كمِثْله   وترَكِك جِنّانَ الجِنَانِ كما هيا
أقـول إذا وافَيْتُ أرضاً مَخوفةً   حَنانَيْك لا تُظهِر علَيَّ الأعاديا[1]
حنانَيك إنّ الجنّ كانت رَجاءَهُمْ   وأنتَ إلٰهي رَبّنا ورَجائيـا
أدِينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أرَى   أَدِينُ لمن لم يَسْمَعِ الدهرَ داعيـا
أقـول إذا صَلَّيتُ فى كلّ بِيعةٍ   تباركتَ قد أكثرتَ باُسمِك داعيا

يقول : خلقتَ خَلْقا كثيرا يَدْعون باُسمِك .

كان زَيد بنُ عمرو خرج إلى الشّام ، يسأل عن الدِّين وتتبُّعه[2] ، فلقيَ عالِماً من اليهود ، فسأله عن دِينهم ، وقال له : لعلِّي أدِينُ بدِينكم فأخبرُونى عن دِينكم ! فقال اليهوديّ : إنّك لا تكون على دِيننا حتّى تأخذ نصيبَك[3] من غضب الله .

فقال زيد بن عمرو : ما أفِرُّ إلّا مِن غضب الله ، ولا أَحمِل منه شيئا أبدا وأنا أستطيع ، فهل تدُلّني على دينٍ ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلمهُ إلّا أن يكون حَنيفا . قال : وما الحَنيف ؟ قال : دِينُ إبراهيم .

---

(١) فى الأغانى : « أقول إذا ما زرت أرضا مخوفة » .
(٢) فى الأغانى : « ويتبعه » .
(٣) فى الأغانى « بنصيبك » .

فخرج مِن عندِه وتركه ، وأتى عالما من عُلماء النُصارى فقال له مِثلَما قال لليهوديّ ، فقال له النّصرانيّ : إنّك لن تكونَ على ديننا حتى تأخذ بنصيبك مِن لعنةِ الله عزّ وجلّ !

فقال : لا أَحْمِل مِن لعنة الله ولا من غضبهِ شيئا أبدا ، وأنا أستطيع ، فهل تدلّني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحوا مما قاله اليهوديّ ، لا أعلَمُه إلّا أن يكون حنيفا .

فخرج من عندهم وقد رضيَ بما أَخبروه ، واتّفقوا عليه من دينِ إبراهيم . فلمّا بَرَزَ رفع يديه ، وقال : اللهمّ إنّي على دِينِ إبراهيم .

وقيل : إنّ زيدَ بنَ عمرو لمّا بلغه خبرُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أقبَل يريده ، فقتله أهل مَيْفَعة[1] :

قال سعيد بنُ زيدِ بن عمرو بن نُفَيل : سألتُ أنا وعمرُ بنُ الخطّاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم عن زيد ، فقال : « يأتى يومَ القيامة أمّةً وَحْدَه » .

(١) ميفعة : قرية من أرض البلقاء من الشام .

زَنْد أبو دُلامة*

هو زَنْدُ بنُ الجَوْن ، وأكثرُ النّاس يُصحِّف اسمَه ويقول : زيْد بالياء ، وذلك خطأ ، وهو زَنْد بالنون ، كوفىٌّ أسوَد مولًى لبنى أسد[1] .

وكان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له فضافض فأعتقَه . وأدرك آخر زمنِ بنى أميّة ، ولم يكن له نباهة فى أيّامهم ، ونبَغَ فى أيّام بنى العبّاس ، فانقطع إلى أبى العبّاس السفّاح ، وأبى جعفر المنصور ، والمهدىّ ، وكانو يقدِّمونه ويفضِّلونه ، ويستطيبون مجالستَهُ ونوادرَه .

وقد كان انقطع إلى رَوْح بن حاتم المهلّبىّ فى بعض أيّامه . ولم يصل إلى أحدٍ من الشّعراء ما وَصَل لأبى دُلامة من المنصور خاصّة .

وكان فاسدَ الدِّين ، ردىءَ المَذهب ، مرتكِباً للمحارم ، مضيِّعا للفرائض مجاهِراً بذلك ، وكان يُعلَمَ هذا منه ويُعرَف فيه ، ويُتجافَى عنه لِلُطف محلّه ، وكان أوّل ما حُفِظ من شعره ، وأُسنِيَتْ له الجائزة قصيدة مَدَح بها أباجعفر المنصور، وذكر فيها قَتْلَهُ أبا مسلم ، منها :

أبا مُسلمٍ خوّفتَنِى القتلَ فانتحى ... عليكَ بما خوّفتَنى الأَسَدُ الوَرْدُ
أبا مسلمٍ ما غَيّر اللهُ نعمةً ... على عبدِه حتّى يُغيِّرها العَبْدُ

ولما أَنشدَها أبا جعفر فى مَحفِلٍ من النّاس ، قال له : احتَكِمْ ، فقال : عشرة آلاف دِرهم ، فأمر له بها ، فلمّا خلَا به قال : واللهِ لو تَعدَّيْتَها لقتلتُك .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٠ : ٢٣٥ ـ ٢٧٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج « أبى الرشيد » تصحيف .

كان أبو جعفر قد أمر أصحابه بلُبْس السّواد ، وقلانسَ طُوال تُدعَم بعيدانٍ من داخِلها ، وأن يعلِّقوا السُّيوفَ فى المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . فدخل عليه أبو دُلامة فى هذا الزِّىّ ، فقال له أبو جعفر : ما حالُك ؟ فقال : شَرُّ حال . وَجْهِى فى نِصْفى ، وسَيْفى فى أُسْتى ، وقد صبغتُ بالسّواد ثيابى ، ونبذتُ كتاب الله وراءَ ظهرى ، فضحك منه وأعفاه وحدَه من ذلك ، وقال له : إيّاكَ أن يَسمع هذا منك أحد .

وقيل إنه قال :

وكنا نُرجِّى مِنحةً مِن إمامِنا ... فجاءت بُطولٍ زادَه فى القَلانِس[1]

نَراها على هـامِ الرِّجال كأنّها ... دِنانُ يَهودٍ جُلِّلتْ بالبَرانس

كان أبو دُلامة واقفا بين يَدى السَّفّاح ، فقال له : سَلْنى حاجتَك ، فقال أبو دلامة : كَلْب صَيْد . فقال : أعطُوه إيّاه ، فقال : ودابّة أتصيّد عليها . قال : أعْطوه. قال : وغلام يَقُود الكلبَ ، ويَصِيد به[2] قال : أعطُوه غلاما . قال : وغلامٌ يقوم بالدابّة ويُصلِحها . قال : وأَعطُوه غلاما آخر . قال: وجارية تُصلِح الصيد وتطعِمنا منه . قال : أعطُوه جارية . قال : هؤلاء يا أميرَ المؤمنين عيال ، فلا بدّ لهم من دار يسكنونَها . قال : أعطوه دارا تجمَعُهم . قال : وإن لم يكن لهم ضَيْعة ، فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أقطعتُك مائةَ جَريب[3] عامرة ، ومائة جَريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : مالا نَباتَ فيه . قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جَريب غامرة من فَيافِى بنى أسد ، فضَحِك وقال : اجعَلوا المائتين كلّها عامرة . قال :

---

(١) الأغانى « وكنا نرجى من إمام زيادة » .

(٢) الأغانى : « وغلام يصيد بالكلب ويقوده » .

(٣) الجريب من الأرض : ثلاثمائة ألف وستمائة ذراع .

ائذن لى أن أقبِّل يدَكَ ، قال : أمّا هذه فدَعْها ؛ فإنِّى لا أفعل ، قال : والله مامَنعت عيالى شيئًا أقلّ عليهم ضرراً منها .

قال الجاحظ : انظر إلى حِذْقه بالمسألة ولطفِه فيها ، ابتدأ بكلب صَيْد فسَهَّل القصّة به، وجعل يأتى بما يليه على ترتيبٍ و فُكاهةٍ حتى نال مالو سألَه بديهةً ماوَصَل إليه.

وكُنى بأبى دُلامة بجبل بمكّة يقال له أبو دُلامة كانت قريش تَئِد فيه البنات فى الجاهليّة ، وهو بأعلى مكّة .

شهد أبو دُلامَة شهادةً لجارة له عند أبن أبى لَيْلى[١] على أتان نازَعها فيها رجل ، فلمّا فرغ من الشهادة قال لأبن أبى ليلى : اسمعْ ماقلتُ قبل أن آتيكَ ، ثم أقض بما شئتَ ، قال : هاتِ ، فأنشده :

إن النـاسُ غَطَّوْنى تَغطَّيْتُ عنهمُ وإن بحثـوا عـنّى ففيهمْ مَباحثُ
وإن حَفَروا بئرِى حَفَرْتُ بئارَهمْ لتَعلَمَ يَوْماً كيف تلك النَّبائثُ

فأقبل على المرأة فقال : أتبيعينَنِى الأتان ؟ قالت : نعم ، قال : بكَمْ ؟ قالت : بمائة درهم ، قال : ادفعوا إليها مائةَ درهم ، فدفعوا وأقبل على الرّجل فقال : قد وهبتُها لك ، وقال لأبى دلامة : قد أَمضيتُ شهادتَك ولم أبحث عنك ، وابتعتُ ممّن شهدتَ له ، ووهبتُ مِلْكى لمَنْ رأيتُ ، أفرضيتَ[٢] ؟ قال : نعم . وأنصرف .

دخل أبو عطاء السِّنْدىّ على أبى دُلامة يوما ، فاحتبَسه ودَعَا بطعام ، فأَكَلا وشرَابٍ فشَرِبَا ، وخرجتْ إلى أبى دُلامة صبيّةٌ له فحمَلَها على كَتِفه ، فبالت عليه ، فنَبَذها عن كَتِفه ، ثم قال :

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، قاضى الكوفة. أول من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفى ، واستقضاه بعد ذلك بنو العباس .

(٢) الأغانى : « أرضيت » .

بَلَتْ عليّ - لَا حُيِّيتِ - ثوبِي　　فبالَ عليكِ شيطانٌ رَجيمُ !
فما ولدَتْك مريمُ أمُّ عيسى　　ولا رَبّاكِ لُقمانُ الحكيمُ

ثم قال : أجزْ يا أبا عطاء ، فقال :

صدقتَ أبا دُلامَــة لم تَلِدْها　　مطهَّرةٌ ولا فحــلٌ كريمُ
ولــكنْ قــد حوَتْها أمُّ سَوْءٍ　　إلى لبَّاتِهــا ، وأبٌ لئيمُ

فقال أبو دُلامة : عليك لعنةُ الله ، ما حملكَ على أن بلغتَ هــذا كلَّه ؛ والله لا أنازِعُكَ بيتَ شعرٍ أبدا ، فقال له أبو عطاء : [لأن](١) يكون الهربُ من جهتِك أحبُّ إليّ .

وقيل : إن أبا دُلامة غدَا إلى المنصور فأخبرَه بقصّته مع ابنته ، وأنشدَه البيتين ، ثم اندفع فأنشده بعدَهُما :

لو كان يَقعُد فوقَ النَّجم من كرمٍ　　قومٌ لَقيلَ اُقعُدوا يا آلَ عبّاسِ
ثم ارْتَقُوا فى شُعاع الشمسِ كلُّكُمُ　　إلى السّماء فأنتمْ أكرمُ النّاسِ(٢)
وقدِّموا القائمَ المنصورَ رأسَكُمُ　　فالعَينُ والأَنفُ والأُذْنان فى الراسِ

فاُستحسَنَها وقال : بأىّ شيء تحبُّ أن أُعينَك على قُبح ابْنتِكِ هذه ؟ فأخرج خَريطةً قد خاطَها من اللّيل ، وقال : تملأُ لى هذه دراهمَ ، فمُلِئتْ فوسِعتْ أربعةَ آلاف درهم .

لمّا توفّى أبو العبّاس السفّاح دخل أبو دُلامةَ على المنصور ، والنّاس عنده يُعزُّونه ، فأنشأ أبو دُلامة يقول :

أَمْسَيْتَ بالأنبارِ يا بنَ محمّدٍ　　لم تَستطِع عن عُقرِها تحويلَا

---

(١) زيادة من الأغانى.
(٢) الأغانى : « أطهر الناس » .

وَيْلِى عليكَ ووَيْلُ أَهْلِى كلِّهمْ ... وَيْلاً وعَوْلًا فى الحياة طَوِيلا
ماتَ النَّدَى مُذْ مُتَّ يابنَ محمَّدٍ ... فجعلتَه لكَ فى التُّرابِ عَدِيلا[1]
إنِّى سألتُ الناسَ بَعْدَك كلَّهم ... فوجدتُ أسمحَ مَن سألتُ بخيلا
أَلِشِقْوَتِى أُخِّرْتُ بعدَكَ للَّتى ... تَدَعُ العَزِيزَ مِن الرجالِ ذَليلا !
فلأَحْلِفَنَّ يمينَ حَقٍّ بَرَّةً ... باللهِ ما أُعطيتُ بعدَكَ سُولَا
فلتَبْكِيَنَّ لكَ السَّماءُ بعَبرةٍ ... وليَبكِيَنَّ لكَ الرجالُ عَوِيلَا

فأَبكَى الناسَ قولُه ، وغضِبَ المنصورُ غَضَبا شديدا ، وقال : لئن سمِعتُك تُنشِد هذه القصيدةَ لأقطعنَّ لسانَك .

فقال أبو دُلامة : ياأميرَ المؤمنين ، إن أبَا العبّاس أمير المؤمنين كان لى مُكرِما وهو الّذى جاء بى من البَدْوِ ، كما جاءَاللهُ بإخوة يوسفَ إليه ، فقل لى كما قال يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ، فَسُرِّىَ عن المنصور وقال : قد أقلناكَ يا أبا دُلامة ، فسَلْ حاجتَك . قال : يا أَميرَ المؤمنين قد كان أبو العبّاس أمرَ لى بعَشَرة آلافِ دِرْهم وخمسين ثوبا وهو مريض ، ولم أَقبِضها، فقال المنصور : ومَنْ يَعْلَم ذلك ؟ قال : هؤلاء — وأشار إلى جماعةٍ ممّن حَضَر — فوثَب سليمانُ بنُ مُجالد وأبو الجَهْم فقالا : صدق أبو دُلامة ، نحن نعلمُ ذلك .

فقال المنصور لأبى أيوّبَ الخازن — وهو مَغيظ : ياسليمان ، ادْفعها إليه ، وسَيِّرْه إلى هذا الطاغية — يعنى عبدَ الله بنَ علىّ ، وكان قد خرج بالشام وخالف — فوثَب أبو دُلامة وقال : يا أميرَ المؤمنين ، أُعيذُك بالله أن أخرُج معهم ! فوالله إنِّى لمشئوم . فقال المنصور : امْضِ ، فإنّ يُمْنِى يَغْلِب شُؤْمَك فاُخرُج ، فقال : واللهِ

(١) فى الأغانى : « فى الثراء » ، والثّراء لغة فى الثّرى ، وهو التراب .

يا أميرَ المؤمنين ، ما أُحِبُّ لك أن تُجرِّب ذلك مِنّى على مِثلِ هذا العسكر ؛ فإنّى لا أَدرى أيُّهما يَغلِب ؟ أَيُمْنُـك أم شؤمى ؟ إلّا أنّى بنفسى أَوْثَقُ وأَعْرف وأَطْوَلُ تَجرِبة . فقال : دَعْنى من هذا فمالَكَ من الخرُوج بُدّ ! قال : إنّى أَصدُقك الآن ، شهدتُ والله تسعةَ عشرَ عسكرا ، كلُّها هُزِمت وكنتُ سببَها ، فإن شئتَ الآن على بصيرةٍ أن يكونَ عسكَرُك العشرين ، فافعل . فاستفرَغ[1] المنصور ضحكا ، وأمره أن يتخلّف مع عيسى[2] بنِ موسى بالكوفة .

وقيل : إنّ أبا دُلامة دخل على المنصور لمّا وُلِّى بعد موت أخيه ، فقال له : ألستَ القائل :

وكُنّا بالخليفة قــد عَقَدْنا ... لواءَ الأَمرِ فانقطع اللّواءُ[3]

فنحن رَعِيّةٌ هلَكتْ ضَياعاً ... تَسُوق بنا إلى الفِتَنِ الرِّعاءُ

قال : ما قلتُ هذا يا أَمير المؤمنين ، قال : كذبتَ ، أفلستَ القائلَ :

مات النَّدى مُذْ مِتَّ يابْنَ مُحمَّدٍ[4] ... فجعلتَه لك فى التّراب عَديلا

فقال أبو دُلامة : يا أمير المؤمنين ، إنّ أخاك عليه السلام غلبنى على صَبْرِى ، وسلَبَنى عَزِيمتى ، وعَرَانى[5] بإحسانه إلىّ ، وجزَعى عليه ؛ فقلت ما لم أتأمّلْه ، وإنِّى أَرغَب فى الثمن ، فإن أعطيتَنى مثلما أعطى أخذتَ مِثلما أَخذ . فحبسه المنصور ليلة واحدة ، ثم خَلّى سبيله ، ووصله صلة سنيّة ، وعاد له إلى ما كان عليه .

---

(١) الأغانى : « استغرب »

(٢) هو عيسى بن موسى بن محمد بن على الهاشمى العباسى ، أمير الكوفة ؛ وكان ولى عهد المنصور بعد السفاح ، ثم قدم المنصور عليه فى ولاية العهد ابنه المهدى ، ثم خلفه المهدى من ولاية العهد .

(٣) فى الأغانى : « فانتقض اللواء » .

(٤) فى الأغانى : « هلك الندى » .

(٥) فى الأغانى : « وعزنى » .

قال أبو دلامة : أُتِىَ بى إلى المنصور ، أو المهدىِّ ، وأنا سكران ، فحلَف ليُخرِجَنِّى فى بَعْثِ حَرْب ، فأخرَجَنى مع رَوح[1] بنِ حاتم المُهلَّبى لقِتال الشُّراة[2] ، فلمّا التقى الجمعان قلت لرَوْح : أما والله لو كان تحتى فرسُك ، ومعى سلاحُك لأثَّرْتُ فى عَدُوّك اليوم أثرا ترتضيه ، فضحك وقال : واللهِ العظيم لأدفعنّ إليك ذلك ، ولآخُذَنّك بالوفاء بشَرْطك ، فنَزَلَ عن فرسه ، ونَزَع سلاحَه ودفعهُما إلىّ ، ودعا بغيرهما ، فاُستبدَل به ، فلمّا حَصَل ذلك فى يَدِى ، وزالتْ عنّى[3] علامة الطمع قلت : أيّها الأمير ، هذا مَقامُ العائذِ بك ، وقد قلتُ أبياتا فاُسمَعْها ، قال : هاتِ . فأنشدتُه :

إنّى اُستجَرْتُك أن أقدَّم فى الوَغَى ... لِتَطاعُنٍ وتَنـــازُلٍ وضِرابِ
فهبِ السيوفَ رأيتُها مشهورةً ... فتركتُها ومضيتُ فى الهُرّاب
ماذا أقولُ لِما يَجِىءُ ولا يُرَى ... من بادِرات المــوتِ بالنُّشّابِ ![4]

فقال : دع عنك هذا ، وستَعْلَمَ . وبرَزَ رجلٌ من الخوارج يدعو إلى المبارَزة ، فقال له : اخرُج إليه يا أبا دُلامة . فقلت : أنشُدُكَ اللهَ أيّها الأمير دَمِى ! فقال : والله لتَخْرُجَنّ ، فقلتُ :أيُّها الأمير ، إنّه أوّل يوم مِن أيّام الآخرة وآخِرُ يوم من أيّام الدّنيا، وأنا والله جائع ، ما تنبعث[5] منّى جارحةٌ من الجوع ، فمُرْ لى بشىء آكُلُه،

---

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، ولى إفريقية والبصرة وغيرهما .

(٢) الشراة : الخوارج .

(٣) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « عنه »

(٤) رواية البيت فى الأغانى :

ماذا تقولُ لمـا يجىء وما يُرَى ... من وارداتِ الموتِ فى النُّشّابِ

(٥) فى الأغانى : « ما شبعت »

ثم أَخرُج . فأمرَ لى برغيفين ودَجاجة ، فأخذتُ ذلك وبرزتُ عن الصّفّ ، فلمّا رآنى الشارِى أقبلَ نحوِى وعليه فَروٌ قد أصابه المطرُ فابتلّ ، وأصابتْه الشمس فاقفعَلّ[1] ، وعيناه تَقِدَان[2] فأسرع إلىّ ؛ فقلت : على رِسْلِك يا هذا ! فوَقَف . فقلتُ : أتقتل مَنْ لا يُقاتلك ؟ فقال : لا ، قلت : أتستحلُّ أن تَقتُل رجلًا على دِينِك ؟ قال : لا ، فاذهب عنّى إلى لعنة الله . فقلت : لا أفعل ، أو تسمع منّى ؟ قال : قل ، قلت : هل كانت بيننا قطُّ عداوةٌ ، أو تِرَة ، أوَ تعرِفُنى بحالٍ تُحْفِظُكَ[3] علىّ ، أو تعلم بين أهلى وأهلِك وِتْرا ! قال : لا والله ، قلت : ولا أنا والله لكَ إلّا على جميل ، وإنّى لأهواكَ وأنتَحِل مذهبَك ، وأَدِينُ بدينك ، وأُريد السوءَ لمَن أرادَه لك[4] . فقال : يا هذا ، جزاكَ الله خيرا ، فانصرِف .

قلتُ : إن معى زاداً أريدُ أن آكُلَه معك لتؤكِّدَ المؤاكلةُ بيننا المودّة ، ونُرِىَ أهلَ العسكرَيْنِ هوانَهم علينا ، قال : افعل، فتقدّمتُ إليه حتى اختلفتْ أعناقُ دوابّنا ، وجمعْنا أرجُلَنا على أعرافِها[5] وجعلنا نأكل ، والناسُ قد غُلِبوا ضَحِكاً . فلمّا استوْفَيْنا ودّعَنِى ، ثم قلت له : إنّ هذا الجاهلَ إنْ أقمتَ على طلب المبارَزة نَدَبنِى إليك فتَتْعَب وتُتْعِبُنِى ، فإن رأيتَ ألّا تبرُز اليومَ فافعل ، قال : قد فعلتُ . ثم انصرَفَ وانصرَفْتُ .

---

(١) اقفعل : تقبض .

(٢) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب : « وإذا عيناه كأنهما من غؤدرهما فى دفتين » ، وفى ج « تدوران » .

(٣) فى ب ، ج : « تغيظك » .

(٤) كذا فى ب ، و ا ، ج « بك » .

(٥) فى الأغانى : « معارفها »

فقلتُ لرَوْح : أمّا أنا فقد كفيتُك قِرْنى ، فقُلْ لغيرى أن يكفِيك قِرْنَه كما كفيتُك؛ فأَمسَك.

وخرج آخر يَدعو إلى البِراز ، فقال لى : اُخرُجْ إليه ، فقلت :

إنِّى أعوذُ برَوْحٍ أن يقدِّمَنى ... إلى القتال فتَخْزَى بى بَنُو أَسَدِ(١)

إنّ البِراز إلى الأقْرانِ أعلَمُهُ ... ممّا يفرِّق بين الرُّوح والجسدِ

قد خالفتْكَ المنايا إذ صَمدْتَ لها ... وأصبحتْ لجميع الخلقِ بالرَّصَدِ

إنّ المهلَّبَ حُبَّ الموتِ أَوْرَثَكُمْ ... وماوَرِثْتُ اختيارَالموتِ عن أحدِ

لو أنّ لى مُهجةً أخرى لَجُدْتُ بها ... لكنّها خُلقتْ فرداً فلَمْ أَجُدِ

فضحِك وأعفانى .

قال أبو دُلامة : كنتُ فى عَسْكرِ مراونَ أيّامَ زحَف إلى سِنانٍ الخارجىّ ، فلمّا الْتقَى الزَّحْفان خرج منهم رجلٌ ينادى: مَن يُبارِز؟ فلم يخرُج إليه أحدٌ إلّا أعجله ولم يُمْهِلْه(٢) ، فغاظَ ذلك مروان وجعل يندُب الناسَ على خمسمائة ، فقُتِل جماعة(٣) ، فندَبَهمْ مَرْوان إلى ألفٍ ، ولَمْ يزل يزيدُهم حتّى بلغ خمسةَ آلاف درهم ، وكان تحتى فرسٌ لا أخاف خَوْنَه(٤) . فلمّا سمعتُ بالخمسة(٥) آلاف ، هانت علىّ نفسى وندَبْتُه(٦) واقتحَمْت الصّفَّ ، فلمّا نظر إلىّ الخارجىّ علم أنّى خرجتُ طمعا ، فأقبَل علىّ

---

(١) فى الأغانى : « إلى البراز » .

(٢) فى الأغانى : « ولم ينهنهه » .

(٣) فى الأغانى : « فقتل أصحاب الخمسمائة » .

(٤) ج : « لا أخاف خوفه » .

(٥) لغة ضعيفة ؛ والأفصح : « خمسة الآلاف »

(٦) كذا فى ب ج ، وفى ا : « نزفته » ، وفى الأغانى : « فلما سمعت بالخمسة آلاف ترقبته واقتحمت الصف » .

مستهينا[1] بى ، وإذا عليه فَرْوٌ قد أصابه المطر فابتلّ ، ثم أصابته الشمسُ فاقفعلّ ، وإذا عيناه كأنهما من غؤورهما فى وَقبَيْن[2] ، فلمّا دنا منّى قال :

وخارجٍ أخرجَه حبُّ الطمعْ فرّ مِن الموت وفى الموت وَقعْ

* من كان يَنْوِى أهلَه فلا رَجَعْ *

فلمّا وقرَتْ فى أذُنِى انصرفتُ عنه هاربا ، وجعل مَرْوانُ يقول : مَنْ هذا الفاضِح ! إيتُونى به ، فدخلتُ فى غِمار النّاس ونجَوْت .

ولمّا عزم موسى بنُ داودَ الهاشمىّ على الحجّ قال لأبى دُلامَة : احجُجْ معى ولك عشرةُ آلاف دِرهم ، فقال : هاتِها ، فدُفِعَتْ إليه فأخذَها وهَرَب إلى السّواد ، فأنفقَها هناكَ فى شُرْبِ الخمْر[3] . وطلبه موسى فلم يقدِر عليه ، وخاف فَوْتَ الحجّ فخرج ، فلمّا شارف القادِسيّة إذا هو بأبى دُلامة خارجا من قرية إلى قرية أخرى ، وهو سكْران ، فأخذه وقيّده وطرَحَه فى جانب المَحمِل بين يديه ، فلمّا سار غيرَ بعيد أقبلَ على موسى فناداه :

يأيُّها الناسُ قولوا أجمَعين معاً صلّى الإلهُ على موسى بنِ داودِ

كأنَّ دِيباجَتَىْ خدَّيْه من ذَهَبٍ إذا بدا لك فى أثوابه السُّودِ

إنِّى أعوذُ بداوُدٍ وأَعْظُمِهُ من أن أكلَّف حجًّا يابْنَ داوُدِ

خُبِّرتُ أنّ طريقَ الحجِّ مَعْطَشَةٌ لقاصِديه وما شُرْبى بتَصْرِيدِ[4]

والله ما فىَّ مِن أجرٍ فَتَطْلُبَه ولا الثّناء على دِينِى بمحمودِ

فقال موسى : أَلْقُوه عن المَحمِل ، لعنه الله ! ودَعُوه ينصرف ، فأُلْقِىَ وعاد إلى قَصْفِه بالسّواد حتّى فقدتْ منه العشرة آلاف درهم .

(١) فى الأغانى : « متهيئا » .

(٢) الوقب : نقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء .

(٣) فى الأغانى : « فجعل ينفقها هناك ويشرب الخمر » .

(٤) صرد شربه : قطعه .

كان أبو جعفر يحبّ العبَثَ بأبى دُلامة ، وكذلك كان السّفّاح ، فكان كلٌّ واحدٍ منهما يسأل عنه ، فيوجد فى بيوت الخمّارين لا فضْلَ فيه . فعاتبَه على انقطاعه عنه ، فقال : إنّما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّنى ؛ فعلم أنه يُحاجزه[1] ، فأمَرَ الربيعَ أن يوكِّل به مَن يُحضِره الصلواتِ الخمس فى جماعةٍ معه فى الدّار ، فلمّا طال عليه ذلك قال :

أَلم تَرَيَا أنّ الخليفةَ لَزَّنى[2] … بمَسْجدِه والقَصْرِ ، مالى وللقَصْرِ !
لقد صَدَّنى عن مجلسٍ أستَلِذُّه … أعلَّلُ فيه بالسَّماع وبالخمرِ
يُكلِّفنى الأُولَى جميعاً وعَصْرَها … فوَيْلى من الأُولى ووَيْلى من العَصْرِ !
أُصلّيهما بالكَرْه فى غير مَسجدى … فما لِيَ فى الأُولى ولا العَصْرِ من أجرِ
يكلّفنى من بعد ما شِبْتُ خُطَّةً … يَحُطُّ بها عنّى المَثاقيلَ مِن وِزْرى
فقد كان فى قومى مَساجدُ جَمَّةٌ … ولم يَنشرحْ يوماً لغِشْيانها صَدْرى
وواللهِ ما لى نِيَّةٌ فى صَلاتِكُم[3] … ولا البِرُّ والإحسانُ والخيرُ مِن أمْرِى
وما ضَرَّه واللهُ يَغفِر ذَنْبَهُ … لو أنّ ذنوبَ العالَمين على ظَهْرِى

فبلغتْه الأبيات ، فقال : صدَق والله ، ما يضرُّنى ذلك ، ولا ينْصَلِح هذا أبدا ، دَعُوه يَعمَل ما شاء .

وقيل : إنه قال له : قد أَعْفَيْنَاكَ مِن هذه الحال ؛ ولكن[4] لا تَدَعِ القيامَ معنا ليالىَ شهرِ رمضان ، فقد أظَلَّ ، قال : أفعَل . قال : إنّكَ إن تأخّرتَ علمتُ أنّك إنّما تأخّرتَ لشُرْب الخمْر ، ووالله لئن فعلتَ لآخذنّك[5] .

(١) يحاجزه : ينتحل المعاذير الواهية للتخلص منه .
(٢) لزنى : ألزمنى .
(٣) الأغانى : « فى صلاته » .
(٤) فى الأغانى : « على ألا تدع » .
(٥) فى الأغانى : « لأحدنك » ، وكذلك فى ا ، وما أثبته من ب ، ج .

فقال أبو دُلامة : البليّة فى شَهْرٍ أَصلَح منها طُول الدّهر ، فلمّا دخل رمضانُ لَزِم المسجد . وكان المهدىّ يبعث إليه فى كلّ ليلة حَرَسِيًّا يجىء به ، فشَقَّ ذلك عليه ، وفَزِع إلى الخيزُران وأبى عُبَيْد الله[1] وكلِّ مَن كان يلوذ بالمهدىّ ليشفعوا له من القيام[2] فلَم يُجِبْهم . فقال أبو عُبَيْد الله : الدالُّ على الخير كفاعله ، فكيف شُكْرُك ؟ قال : أتمّ شكر . قال : عليك برَيْطَةَ[3] فإنّه لا يخالفها قال : صدقْتَ والله ، ثم رَفَع إليها قصّته فيها :

أَبْلِغا رَيْطَةَ أَنّى ... كنتُ عبداً لأبيهَا
فمَضَى يرحمه اللَّـ ... ـهُ وأَوْصَى بى إليها
وأراها نَسِيَتْنِى ... مِثلَ نسيانِى أخِيها
جاءشهرُالصّوم يَمْشى ... مِشْيَةً ما أشتَهِيها
قائداً لى ليلةَ القَدْ ... رِ كأنّى أبتَغِيها
تَنطَح القِبلة شَهْرًا ... جَبْهتى لا تأْتلِيها
ولقد عشتُ زماناً ... فى فَيافِىَّ وجيها
فى ليالٍ من شِتاءٍ ... كنتُ شيخاًأَصْطَلِيها
قاعداً أُوقِد نارا ... لضِبابٍ أشتَوِيها
وصَبُوحٍ وغَبُوقٍ ... فى عِلابٍ أَحتَسِيها[4]

---

(١) هو أبو عبيدالله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعرى الكاتب الوزير ، كان من رجالات المنصور ثم المهدى ؛ وعزله المهدى عن الوزارة ، ثم جعله على ديوان الرسائل ، ثم عزله عنه سنة ١٦٧ .

(٢) فى الأغانى : « ليشفعوا له فى الإعفاء من القيام » .

(٣) ريطة ؛ هى ابنة الخليفة أبى العباس السفاح وزوجة المهدى .

(٤) العلاب : جمع علبة ؛ وهى قدح ضخم من جلود الإبل ؛ وهى قدح من خشب .

لا أُبالى ليـلةَ القدْ رِ ولا تُسْمِعُنِيها[1]
فاُطلُبِى لى فرجاً منـ ـها وأجرِى لكِ فيها

فقرأتِ الرقعةَ وضحِكَتْ ، وأرسلتْ إليه . اِصبر حتّى تمضىَ ليلةُ القدْر . فكتب إليها : لَم أسأَلْكِ أن تكلّميهِ فى إعفائى فى العام القابل ، وإذا مَضَتْ ليلةُ القدْر فقد فنىَ الشّهر ، وكتب هذه الأبيات :

خافِى إلٰهكِ فى نفسٍ قد اُحتُضِرَتْ قامت قيامتُها بين المصلّينا
ما ليـلةُ القدْر من هَمِّى فأطلبُها إنِّى أخافُ المنايا قبل عِشرينا
يا ليلةَ القدْرِ قد كَسَّرْتِ أرجُلَنا يا ليـلةَ القدْر حَقًّا ما تُمَنِّينا !
لا باركَ اللهُ فى خيرٍ أُؤَمِّلُه فى ليـلةٍ بعد ما قُمنا ثلاثينا

فدخلتْ على المهدىِّ فشفعَتْ له ، وأنشدَته الأبيات ، فضَحِك حتّى استلقى ، ثم دعا به ورَيْطة معه فى الحَجَلة[2] ، فدخل وأخرج رأسَه إليه وقال : قد شفَّعْنا ريطةَ فيك ، وأمَرْنا لك بسبعة آلاف دِرهم . فقال : أمّا شفاعة السيّدة فىَّ حتّى أعْفيتَنِى ، فأعفاكَ الله وأعفاها من النّار . وأما السّبعة الآلاف فما أعجبنى ما فعلته؛ فإمّا أن تُتِمَّها لى بثلاثة آلاف درهم ، فصارت عَشَرة ، أو تَنقُصَ ألفَيْن فصارت خمسة ؛ فإنى لا أحبّ[3] حسابَ السبعة .

فقال : قد جعلتها خمسة آلافِ درهم ، فقال : أعيذُكَ بالله أن تختارَ أدنَى الحالَيْن ، وأنتَ أنتَ . فعبِث به المهدىُّ ساعةً ، ثم تكلّمتْ فيه رَيْطة ، فأتمّها عشرةَ آلافِ دِرهم .

---

(١) لا هنا نافية ؛ وهو خبر يراد به النهى .
(٢) الحجلة ، بالتحريك : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور .
(٣) فى الأغانى : « لا أحسن » .

دخل أبو دُلامةَ على المنصور فأنشدَه :

رأيتُكَ في المنامِ كسوتَ جِلْدى ثيـاباً جَمَّةً وقضيتَ دَيْنى
فـكان بنفْسَجِىُّ الخزِّ فيهـا وِشاحاً ناعما فأتِمَّ زَيْـنِى[1]
فصدِّقْ يا فدَتْكَ النفسُ رُؤْيَا رأتْها فى المنـام كذاكَ عَيْنى

فأمر له بذلك ، وقال له : لا تَعُد تتحلَّمْ[2] علىَّ ثانيةً ، فأجعلَ حلْمَكَ أضغاثاً ولا أتحققه ، ثم خرج مِن عنده ، ومضى فشَرِب فى بعض الحانات وسَكِر فهو يَمِيل إذ أَخذَه العَسَس ؛ فقيل له : من أنتَ ؟ وما دِينُك ؟ فقال :

دِينِى على دينِ بنى العبّاسِ ما خُتِم الطِّين على القِرطاسِ
إذا اصطبَحتُ أربعا بالـكاسِ فقـد أَدارَ شُرْبُها براسى
* فهل بما قلتُ لـكمْ مِن باسِ *

فأخذُوه ومضَوْا ، وخرّقوا ثيابه وساجَه ، وأُتِىَ بـه إلى أبى جعفر ــ وكان يؤتَى بكلّ من أخذه العَسَس فيَحبِسه فى بيت مع الدَّجاج ــ فلمّا أفاقَ جعل يُنادِى غلامَه مرّة ، وجاريتَه أخرى فلا يجيبه أحدٌ ، وهو يسمع صوتَ الدَّجاج وزُقاءَ الدِّيك[3] .

فلما أكثر قال له السَّجّان : ما شأنُك ؟ قال : وَيْلَك ! مَن أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : أنت فى الحَبْس ، وأنا فـلان السجّان . قال : ومَن حَبَسنى ؟ قال : أميرُ المؤمنين . قال : ومن خرّق طَيْلسانى ؟ قال : الحرَس .

فطلَب دَواةً وقِرطاسا ، وكَتَب إلى المنصور :

أمـيرَ المؤمنين فَدتـك نفسِى علامَ حبسْتَنى وخَرقْتَ ساجِى !

---

(١) فى الأغانى : « وساج ناعم » ، والساج : الطيلسان الأخضر .
(٢) فى الأغانى : « أن تتحلم » ؛ يقال : تحلم فلان ؛ قال : حلمت بكذا ؛ وهو كاذب .
(٣) الأغانى : « الديوك » .

أمِن صَهْباءَ صافيةِ المِزاجِ كأنّ شُعاعَها لَهبُ السِّراج
وقد طُبختْ بنارِ الله حتّى لقد صارت من النُّطَفِ النِّضاجِ
تَهَشُّ لها القلوبُ وتَشتهيها إذا برزَتْ ترقرَقُ فى الزُّجاج
أُقادُ إلى السُّجون بغير جُرْمٍ كأنّى بعضُ عمّال الخراجِ
ولو معهمْ حُبستُ لكان سَهْلًا ولكنّى حُبستُ مع الدَّجاج
وقد كانت تُخبِّرنى ذُنوبى بأنِّى من عِقابِك غيرُ ناجِ
على أنِّى وإن لاقيت شرًّا لخيرِك بعد ذاك الشرِّ راجى

فدَعا به وقال : أين حُبِستَ يا أبا دُلامة ؟ قال : مع الدَّجاج، قال : فما كنتَ تصنع؟ قال : أُقَوْقِىُ معهمْ حتى أصبحتُ. فضحك وخلَّى سبيلَه ، وأمر له بجائزة .

فلمّا خرج قال له الربيع : إنّه شَرِب الخمرَ يا أمير المؤمنين ، أما سمعتَ قوله : « وقد طُبِخَتْ بنارِ الله » ، يعنى الشمسَ ! فأمر بردّه وسأله فقال : لا والله ما عنيتُ إلّا نارَ الله المُوقدة الّتى تَطَّلِع على فؤاد الرّبيع . فقال : خُذْها يا ربيع ولا تعاوِد التعرُّض له .

مرّ أبو دُلامة بتمّارٍ بالكُوفة فقال له :

رأيتُك أطعَمْتَنى فى المنامِ قَواصرَ مِن تَمْرِك البارِحَهْ
فأُمُّ العيالِ وصِبيانُها إلى الباب أَعْيُنُهم طامِحهْ

فأعطاه سَلَّتين من تمْرٍ ، وقال : إن رأيتَ هذه الرؤيَا ليلةً أخرى لم يصحَّ تفسيرها .

ولمّا قَدِم المهدىّ من الرّىّ دخل عليه أبو دُلامة ، فأنشأ يقول :

إنّى نَذَرْتُ لئن رأيتُكَ سالِماً بقُرَى العِراق وأنت ذو وَفْرِ
لتُصلِّيَنَّ على النبىّ محمّد ولتملأنّ دراهماً حِجْرى

فقال : صلّى الله على النّبىّ محمّدٍ وآلِه وسلَّم ، وأمّا الدراهم فلا . فقال : أنتَ أكرم من أن تُفرِّق بينهما وتختارَ الأسهل ! فضحك ثم ملأ حجرَه دراهم .

ومِثْل هذا ، لمّا قدم المهلّب من بعض غزَواته لقيْته عجوزٌ من الأَزْد ، فقالت : أيُّها الأمير ، أسألك بالله وبالرَّحِم إلّا ما وَقفْتَ ؛ فوقَفَ . فدنَتْ منه فقبّلتْ يدَه ، وقالتْ : هذا نَذْرٌ كان عليَّ ، إنِّى نَذَرتُ لله عزّ وجلّ إن قدِمْتَ سالما قبّلتُ يَدَكَ، وتَهَبَ لى أربعمائة درهم ، وجاريةً سُغْدِيَّةً(١) تَخْدُمُنِى ، فضحك وقال : أمّا نحن فقد وَفَّيْنا بنَذرِكِ ، ادفعوا إليها ، وإيّاكِ يا أمة وهذه النُّذور ، فليس كلُّ أحد يفِى لك بها ، أوْ يَنشَط لتحليلِك منها .

صامَ الناسُ رمضانَ فى سنةٍ شديدةِ الحرّ على عهد المهدىّ ، وكان أبو دُلامَة يَتنَجَّز جائزةً أَمَر له المهدىُّ بها ، فكتب إليه أبو دُلامةَ رقعةً يشكو إليه فيها أذى الحرّ والصوم :

أَدعوكَ بالرَّحِمِ الّتى جمعتْ لنا ... فى القُرْب بين قريبِنَا والأَبْعَدِ(٢)
إلّا سَمِعتَ فأنتَ أكرمُ مَن مَشَى ... مِنْ مُنشِدٍ يرجو جزاءَ المُنشِدِ
جاء الصيامُ فصمتُهُ متعبِّداً ... أرجو ثوابَ الصّائم المتعبِّدِ
ولقيتُ من حَرِّ الصيامِ وطُولِه ... أمرَيْن قيسا بالعذاب المُؤْصَدِ(٣)
وسجدتُ حتّى جبهتِى مشجوجَةٌ ... ممّا يُناطحنى الحصَا فى المَسجدِ
فامْنُنْ بتَسريحى بعطْلِك بالذى ... أَسْلَفْتَنيه مِنَ البلاء المُرْصَدِ

فلما قرأها المهدىُّ غَضب ، وقال: يا عاضَّ كذا من أمِّه ، أىُّ قرابةٍ بينى وبينَك ! قال : رحمُ آدمَ وحَوّاء ! أنسيتَهُما(٤) يا أميرَ المؤمنين فضحك وقال: لا ما نسيتُهما(٤). وعجّل(٥) له جائزتَه وزاد فيها .

---

(١) سغدية : منسوبة إلى السغد (وقد يقال : الصغد) وهى كورة قصبتها سمرقند .
(٢) فى الأغانى : « أدعوك بالرحم التى هى جمعت » .
(٣) المؤصد: المطبق ، ورواية الأغانى : « ولقيت من أمر الصيام وحره » .
(٤) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « أنسيتها ... ما نسيتها » .
(٥) فى الأغانى . « وأمر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه » .

دخل أبو دُلامةَ على أمِّ سَلَمة بنتِ يعقوبَ بنِ سَلَمَة بعد وفاة أبي العبّاس ، فعزّاها به ، وبكَتْ وبكى ، ثم أنشَدَها أبياته التي تقدّمت حتّى بلغ إلى قوله فيها :

يَجِدُونَ أبْدالًا بِهِ وأنا امرُؤٌ ... لو عشتُ دهراً ما وَجَدْتُ بَدِيلَا

فقالت أم سَلَمَةَ : لم أجِدْ[1] أحداً أُصيبَ به غيري وغيرك يا أبا دُلامة ، فقال : ولا سَواءٌ [يرحمك الله !][2] لكِ منه ولد وما ولَدْتُ أنا منه قَطّ . فضحِكتْ — ولم تكن ضحكتْ منذ ماتَ أبو العبّاس إلّا ذلك الوقت — وقالت : لو حدّثتَ الشيطانَ لأضْحَكْتَه .

دخل أبو دُلامة على المهديّ وهو يَبكي، فقال له : مالَك ؟ قال : ماتت أمُّ دُلامة ! وأنشَدَه :

وكُنّا كزَوْجٍ من قَطاً في مَفازةٍ ... لَدَى خَفْضِ عَيْشٍ ناضِرٍ مُونِقٍ رَغْدِ
فأفْرَدَني ريبُ الزّمانِ وصَرْفُه ... ولم أرَ شيئًا قطُّ أوْحَشَ من فَرْدِ !

فأمر له بثيابٍ وطيبٍ ودنانير ، وخرج ، فدخلت أمُّ دُلامةَ على الخَيْزُران وهي تَبكي ، فقالت لها : مات أبو دُلامة ، فأعطتْها مثلَ ذلك وخرجتْ فلما الْتقَى المهدي بالخَيْزُران عرفا حيلتَهما ، فجعَلا يَضْحكان من ذلك ويَعجَبان.

دخل أبو دُلامَة على المنصور فأنشَده :

أما وَرَبِّ العادياتِ ضَبْحَا ... حقًّا وَربِّ المُورِياتِ قَدْحا[3]
إنّ المُغِيراتِ عليَّ صُبْحا ... والناكِئاتِ من فؤادي قَرْحا[4]
عَشْرُ ليالٍ بينهنّ الأضْحَى ... يَجْلُفْنَ ما لي كلَّ عامٍ ذَبْحا[5]

(١) في الأغاني : « لم أر » .
(٢) تكملة من الأغاني .
(٣) الضبح : صوت أنفاس الخيل إذا عدت ، ليست بصهيل ولاحمحمة .
(٤) نكأ القرْح : قشره قبل أن يبرأ فيندى .
(٥) يجلفن : يستأصلن ، وفي الأغاني « صبحا » .

قال له أبو جعفر : كم تَذْبح يا أبا دُلامة ؟ قال : أربعاً وعشرين شاةً ، ففرَض له على كلِّ هاشميٍّ أربعةً وعشرين ديناراً ، فكان يأخذها منهم . فأتى العباسَ بنَ محمّدٍ فى عَشْرِ الأَضْحى يتنجَّزُها ، فقال : يا أبا دُلامة ، أليس قد مات أبنُك ؟ قال: بلى . قال: انقُصُوه دينارين، قال : أصلح الله الأمير ! لا تفعل ، فقد ترك علىّ ولدَيْن، فأبى إلّا أن ينقُصَه ، فخرج وهو يقول :

أخْطاكَ[1] ما كنت ترجوه وتأمُله ... فاْغسِل يديْك من العبّاس باليَأسِ
واغسِلْ يَدَيْك بأُشْنانٍ وأنْقِهِما[2] ... ممّا تؤمِّل من معروفِ عَبّاس
جزاكَ ربُّك يا عبّاس عن فرَجٍ ... جنّاتِ عَدْنٍ وعنّى خيرَ أَكْياسِ[3]

فضحك أبو جعفر لمّا بلغه الشِّعر ، واُغتاظ على العبّاس ، وأمَرَه بأن يَبْعَث إليه بأربعةٍ وعشرين دينارا أخرى ، وقيل : إنّه حَلَفَ ألّا يأخذ إلّا خمسين دينارا ، فأَتْبَعَه الرسولَ فأعطاه إيّاها ، فقال : أولى له[4] ! أمّا ما سَبقَ فلا حيلةَ فيه ، والمستأنَف[5] فقد أَمِنه ، وقد كان قال فيه :

لعلىِّ بنِ صالحِ بنِ علىٍّ ... نَسبٌ لو يُعِينُه بسَماحِ
وبنو[6] صالحٍ كثيرٌ ولكنْ ... ما لنا فى بقائهم من صَلاحِ[7]
غيرَ فَضْلٍ فإنّ للفضْل فضلًا ... مستبيناً على قُرَيْشِ البِطاحِ

---

(١) ب ، ج : « أخاك » تحريف .
(٢) ا : « ونقهما » والأشنان : بالضم : حمض تغسل به الأيدى .
(٣) كذا فى ب و ج ، وفى ا والأغانى : « وعنى جرزتى آس » . والجرزة : الحزمة .
(٤) أولى له ، معناها التهدد والتوعد .
(٥) ب ، ج : « ومستأنف » .
(٦) ساقطة من ب ، ج ، وفى الأغانى : « وبنو مالك » .
(٧) الأغانى : « من فلاح » .

خاصم رجلٌ أبا دُلامة فى دارِه ، فارتفعا إلى عافيةَ القاضى ، فأنشأ أبو دُلامةَ يقول :

لقد خاصمتْنى دُهـــاةُ الرجال وخاصمتُها سَنــةً وافيَــهْ
فمـــا أدْحَضَ اللهُ لى حجَّـــةً ولا خَيّبَ اللهُ لى قافِيَـــهْ
ومَن خِفتُ مِن جَوْرِه فى القضاء فلستُ أخافُكَ يا عـافِيَهْ

فقال له عافية : أمَا واللهِ لأشكونّك إلى أمير المؤمنين ولأُعْلِمنّه أنّك هجوتنى ، قال : إذاً والله يَعزلك ، قال : ولِمَ؟ قال : لأنّك لا تَعرف المدحَ من الهجاء . وبلغَ المنصورَ ذلك ، فضَحك ، وأمَر لأبى دُلامَة بجائزة .

دخل أبو دُلامَة على المهدىِّ وعنده إسماعيلُ بنُ علىّ ، وموسى بنُ عيسى ، والعبّاسُ بنُ محمد [ومحمد][1] بن إبراهيم الإمام ، وجماعةٌ من بنى هاشم . فقال له : أنا أُعطِى اللهَ عهدا لئن لم تَهْجُ واحدا ممن فى البيت لأقطَعنّ لسانَك ، أو لأضرِبَنّ عُنُقَك ، فنظر إليه القوم ، فكلَّما نظر إلى واحد منهم غمزه بأنْ علىَّ رضـــاك . قال أبو دُلامة : فعلمت أنّى قد وقَمْتُ ، وأنها عَزْمةٌ من عزَماته لا بدَّ منها ، فلم أر أحدا أحقَّ بالهجاء منّى ، ولا أَدْعَى إلى السلامة من هجائى نفسِى ، فقلت :

ألا أبلـغْ لَدَيْك أبا دُلامَــهْ فلستَ من الكِرام ولا كَرامهْ
إذا لبسَ العمامةَ قلتَ قِرْداً[2] وخنزيراً إذا نَزَع العمامهْ
جمعتَ دَمامةً وجمعت لُؤْماً كذاكَ اللّؤم تَتبَعُه الدّمامَــهْ
فإن تَكُ قد أصبتَ نعيم دُنْيـا فلا تفرحْ فقد دَنَتِ القيامَـــهْ

فضحك القوم ولم يَبقَ منهم أحدٌ إلّا أجازه .

---

(١) ساقط من الأغانى .
(٢) الأغانى : « كان قردا » .

خرج المهديُّ وعليُّ بن سليمان إلى الصَّيد ، فسَنح لهما قطيعُ ظِباء ، فأُرسِلتِ الـكِلابُ ، وأُجْرِيَتِ الخيْل ، فرَمَى المهديُّ سهْماً ، فصرَع ظبْياً ورَمَى عليّ ابنُ سليمان، فأصاب كلباً من بعض الـكلاب فقتَله ، فقال أبو دُلامة :

قد رَمَى المهديُّ ظبياً شَـكَّ بالسَّهمِ فُؤادَهْ
وعليُّ بنُ سُلَيْمَا نَ رَمَى كلباً فصادَهْ
فهنيئًا لهما كُـ لُّ أمرِئٍ يأكلُ زادَهْ

فضحك المهديُّ حتى كاد أن يَسقُط عن سَرْجِه، وقال : صدق واللهِ أبو دُلامة ، وأمر له بجائزةٍ سَنِيّة ، ولَقَّبَ عليَّ بنَ سليمان : صائد الـكَلْبُ ، فعلِقَتْ به .

أنشَدَ أبو دلامةَ المنصورَ يوما :

ها تيكَ والدتِى عجوزٌ هِمّةٌ مِثلُ البليّة دِرْعها كالمِشْجَبِ (١)
مهزُولةُ اللَّحْيَيْن من يرَها يَقُلْ أبصرتُ غُولا أو خيالَ القُطْرُبِ (٢)
ما إنْ تركتُ لها ولا لأبنٍ لها مالًا يُؤَمَّل غيرَ بَكْرٍ أجرَبِ
ودَجائجاً خمسا يَرُحْنَ إليهمُ لمّا يَبِضْنَ وغيرَ عَنْزٍ مُقرِبِ (٣)
كتبوا إلىّ صحيفــةً مطبوعةً جعلوا عليهـا طِينَةً كالعقرَبِ (٤)
فعلمتُ أن الشؤمَ عنــد فِكاكِها ففكَـكْتُها عن مثل رِيحِ الجَوْرَبِ

---

(١) الهمة : العجوز الفانية . والمشجب : خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر؛ أراد أن أمه هزلت حتى صارت تشبه خشبات المشجب .

(٢) اللحى : عظم الحنــك ؛ وهو الذى عليه الأسنان . والقطرب هنـا : ذكر الغيلان ، أو الصغير من الجن .

(٣) العنز المقرب: التى اقترب وقت نتاجها ، وفى الأغانى : «غيرعير مغرب»، والعير : الحمار، والمغرب : الذى اشتد بياضه حتى تبيض محاجره وأرفاغه .

(٤) مطبوعة : مختومة .

وإذا شَبيهٌ بالأَفاعى رُقِّشَتْ ... يُوعِدْنَنى بتلمُّظٍ وتأوُّبِ (١)

يَشْكُون أنّ الجوعَ أهلَكَ بعضَهمْ ... لَزَباً فهل لك فى عيال لُزَّبِ! (٢)

لا يسألونك غيرَ طَلٍّ سَحابةٍ ... تَغشاهمُ من سَيْبِك المتحلِّبِ

يا باذلَ الخيْرات يابنَ بَذُولِها ... وأبنَ الكِرام وكلِّ قَرْمٍ مُنْجِبِ

أنتمْ بنو العبّاس نَعْلَمَ أنّكمْ ... قِدْماً فوارسُ كلِّ يومٍ أشهَبِ

أَحْلاسُ خَيْلِ الله وهى مُغيرَةٌ (٣) ... يَخرُجنَ من حَذَرِ الغُبارِ الأكْهَبِ (٤)

فأمر له بدارٍ يسكنها، وألفِ درهم ، وكانت الدار قريبةً من قصره ، فاُحتاج إليها بعد مدّة أن تُزَادَ فى قصره ، فدخل عليه أبو دُلامةَ فأَنشَده :

يا بن عمِّ الرسولِ دعوةَ شَيْخٍ ... قد دنا هَدْمُ دارِه ودَمارُهْ

فهوَ كالماخِضِ التى اعتادها الطَّلْـ ... ـقُ فقرَّتْ وما يَقِرُّ قَرارُهْ

إنْ يَكُنْ عسرُه بكفَّيْك يوماً ... فبِكَفَّيْكَ عُسْرُه ويَسارُهْ

أو تدعْه إلى البَوارِ فأَنَّى ... ولماذا وأنتَ حَىٌّ بَوَارُهْ !

هل يَخافُ الهلاكَ شاعرُ قومٍ ... قدُمَتْ فى مديحِكُمْ أشعارُهْ

لكمُ الأرضُ كلُّها فأَعِيروا ... شيخَكمْ ما اُحْتَوَى عليه جِدارُهْ

فكأَنْ قد مَضَى وخَلَّفَ فيكمْ ... ما أعرْتُمْ وأَقْفَرَتْ منه دارُهْ

فاستَعْبَرَ المنصور وأمر بتعويضِه داراً خيراً منها وَوَصَلَه .

---

(١) رقشت : نقطت بسواد . والتأوب : الرجوع .

(٢) اللزب ، بالتحريك : ضيق العيش .

(٣) كذا فى الأغانى ، وفى ا : « جند الله » ، وفى ب : « جند الهدم » .

(٤) كذا فى الأغانى ، والكهبة : غبرة مشربة سوادا ، وفى الأصول : « الأصهب » ، والوجه ما أثبته من الأغانى .

دخل أبو دُلامةَ على سعيدِ بنِ دَعْلج[١] مولى بنى تميم ، فقال :

إذا جئتَ الأميرَ فقلْ سلامٌ ... عليكَ ورحمـــةُ اللهِ الرّحيمِ
وأمّا بعـــد ذاكَ فلى غريمٌ ... من الأعراب قُبِّحَ من غريمِ !
غريمٌ لازمٌ لِفنـــاءِ بَيْتى ... لزومَ الـكَلْب أصحابَ الرَّقيمِ[٢]
له مائةٌ علىَّ ونِصْفُ أخرى ... ونِصْفُ النِّصف فى صَكٍّ قديمِ
دراهم ما انتفعتُ بها ولـكن ... وصلتُ بهـا شيوخَ بنى تميم
أتوْنِى بالعشـــيرةِ يسألونى ... ولم أكُ فى العشيرة بالذميم[٣]

فضحك وأمرَ له بمائتين وخمسة وسبعين درهما ، فقال : وليس إلّا ! فقال : ما أَساءَ مَن أَنصَفَ، قد كافأْتُك عن قومى[٤] ، وزدتُك مائة .

لمّا توفِّيت حمّادة بنت عيسى حضر المنصورُ جِنازتَها ، فلمَّا وقف على حُفْرتِها قال لأبى دُلامة : ما أعددْتَ لهذه الُحفْرَة ؟ قال : بنتَ عمِّك يا أمير المؤمنين ، حمّادة بنت عيسى ؛ فإنها الساعةَ تُدفَن فيها ! فضَحِك المنصورُ حتّى غُلِب وسترَ على وَجْهِه .

قال الهَيْثم بنُ عَدِىّ : حَجَّتِ الخيْزُران ، فلمّا خرجتْ صاح أبو دُلامة : جعلنى اللهُ فِداكِ ! اللهَ اللهَ فى أمرى ! فقالت : مَن هذا ؟ قالوا : أبو دُلامة ، قالت: سَلُوه ما أَمْرُه ؟ فقالوا له : ما أَمْرُكَ ؟ قال : أَدْنُونى من مَحمِلها ، قالت : أَدْنُوه ، فأُدْنِىَ ، فقال لها : أيتها السيّدة ، إنـنى شيخ كبير ، وأجرُكِ فِىَّ عظيم. قالت: فِيمَ ؟

---

(١) كان أميرا على شرطة البصرة لأبى جعفر المنصور ، ثم ولى البحرين له أيضا وعزله بعد ذلك وولى للمهدى طبرستان وعزله عنها (ابن الأثير) .

(٢) الرقيم : لوح كتبت فيه أسماء أصحاب الـكهف

(٣) فى الأغانى : « باللئيم » .

(٤) فى الأغانى : « وقد كافأتك عن قومك » .

قال : تَهَبِين لى جاريةً من جواريك تؤنسنى وتَرْفُق بى ، وتُرِيحنى من عجوزٍ عندى، قد أكَلَتْ رِفْدِى ، وأطالَتْ كَدِّى ، وقد عافَ جلدى جلدَها ، وتمنَّيْتُ بُعْدَها ، وتشوَّقْتُ فقدَها . فضحكتِ الخيزُران وقالت : سوف آمُرُ لك بما سألْتَ . فلمّا رجعتْ تلقّاها وأذكَرَها ، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غَرِض[1] .

ثم دخل على أمّ عَبيدَة حاضنةِ موسى وهارون ، فدفع إليها رقعةً قد كتبها إلى الخيزُران فيها :

أَبْلِغِى سيِّدَتى باللّـ ـه يا أُمَّ عَبِيدَهْ
إنّها أرشَدَها اللّـ ـهُ وإن كانت رشيدهْ
وعَدَتْنى قبل أن تَخْـ رُجَ للحجّ وَلِيدَهْ
فتأنَّيْتُ وأرسَلْـ تُ بعِشرين قصيدَهْ
كلما أخلقْنَ أخْلَفْـ تُ لها أخرى جديدهْ
ليس فى بيتى لتمهيـ دِ فِراشى من قَعيدهْ
غيرَ عَجْفاءَ عَجوزٍ ساقُها مِثلُ القَديدَهْ
وجهُها أقبحُ مِن حُو تٍ طريٍّ فى عَصيدَهْ
ما حياةٌ مع أُنثَى مِثل عِرسِى بِسَعيدَهْ

فلمّا قُرِئتْ عليها ضحكتْ ، واستعادت منها قوله :

وجهُها أقبحُ من حُو تٍ طرىٍّ فى عَصيدهْ

وجعلتْ تَضحَك ، ودعت بجارية من جواريها فائقةٍ فقالت لها : خذى كلَّ مالَكِ فى قصرى ، ففعلتْ ، ثم دعت بعضَ الخدم وقالت له : سَلِّمها أبا دُلامة[2] ،

---

(١) غرض : مل وضجر .

(٢) ا : « إلى أبى دلامة » :

فانطلقَ الخادمُ بها فلَم يصادِفْه فى منزله ، فقال لامرأته : إذا رجع أبو دُلامةَ فادفَعِيها إليه ، وقولى له : تقول لك السيّدة : أَحسِن صحبةَ هـذه الجارية ، فقد آثَرْتُكَ بها ، فقالت له : نعم ؛ فلمّا خرج دخل ابنُها دُلامةُ فوجدها تبكى ، فسألها عن خبرِها ، فأخبرته وقالت له : يا وَلَدِى ، إنْ أردتَ أن تبرَّنى يوما من الأيّام فاليوم ، قال : قولى ما شئتِ ، فإنّى أفعله . قالت: تَدخُل عليها فتُعلِمها أنك مالِكُها فتطؤها ، فتحرّمها على أبيك . وإلّا ذهبتْ بعقْله وجفانى وجفاك . ففعل دُلامةُ ذلك ، ودخل إلى الجارية ووطِئها ووافقها ذلك منه ، وخرج ، فدخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ قالت : فى ذلك البيت ، فدخل إليها شيخٌ محطَّم ذاهب ، فمدَّ يدَه إليها ، وذهب بها ليقبِّلها ، فقالت : مالَكَ وَيْلَكَ ! تَنَحَّ وإلّا لطمْتُك لطمةً دَقَقت أنفك بها ، فقال لها : أبهذا أوصَتْك السيّدة ؟ قالت : إنّها بعثَتْ بى إلى فتًى من حالِه : كَيْتَ وكَيْتَ ، وقد كان عندى آنِفاً ، ونال منّى حاجتَه ، فعلِم أنّه قد دُهِىَ من أمِّ دُلامةَ وابنِها ، فخرج إلى دُلامة فلَطَمه ، وتلبّب به[1] وحلف أنه لا يُفارِقه [إلّا][2] إلى المهدىّ ، فمضى متلبِّباً حتى وقفَ بباب المهدىّ ، فعُرِّف خبره ، وأنّه قد جاء بابنه على تلك الحال ، فأذن له .

فلمّا دخل قال له : ما لَكَ وَيْلَك ! قال : عَمِل بى هذا ابنُ الخبيثة مالَمْ يعمَلْه ولدٌ بأبيه ، ولا يُرضِينى إلّا أن تقتُلَه : فقال له : وَيْلَك ! ما فعَل بك ؟ فأخبَرَه الخبرَ ، فضحك حتى استَلْقَى ، ثم جلس . فقال له أبو دُلامة : كأنّك أعجبك فِعلُه فتضحَكَ منه ! فقال : علىَّ بالسّيْف والنِّطْع ، فقال له دُلامة : قـد سمعتَ قولَه يا أمير المؤمنين فاسمعْ حُجّتى . قال : هاتِ ، قال : هذا الشيخ أصفقُ النّاس وجها ؛

(١) تلبب به : أخذ بتلبيبه ، أى جمع ثيابه عند صدره ونحره فى الخصومة ثم جره .
(٢) تكملة من الأغانى .

يَنيك أمّي منذ أربعين سنةً ما غضبتُ ، ونِـكْتُ أنا جاريتَه مرّة واحدةً فغَضِب وصَنَع بي ما ترَى ! فضَحِك المهديُّ أشدَّ من ضحكه الأوّل ، ثم قال : دَعْها له ياأبا دُلامة ، وأنا أعطيك خيراً منها . قال : على أن تَخْبَأَها لي بين السماءِ والأرض ؛ وإلّا نا كَها والله كما ناكَ هذه ؛ فتقدَّم إلى دُلامةَ ألّا يَفعَل مثل هـذه الفعْلة ، وحلف أنّه إنْ عاوَدَ قتَلَه ، ووهب له جاريةً أخرى كما وعدَه .

دخل أبودُلامةَ على المهديِّ وعنده شاعرٌ يُنشِده ، فقال له : ماترَى فيه ؟ قال : إنّه أجْهدَ نفسَه لك فأَجْهِدْ نفسَك له . فقال له المهديّ : وأبيك إنّها كلمةٌ عذراء منك ، وأحسَبُك تعرِفه ! فقال : لا والله ما عرفتُه ، ولا قلتُ إلّا حقًّا ، فأمر للشّاعر بجائزة ، ولأبي دُلامَة بمثلها لِحُسْن مَحْضَرِه .

قال أبو عبد الله العُقَيليّ : رأيتُ على أبي دُلامةَ في الصّيف فَرْوة ، فقلت له : ألا تَملُّ هذه ؟ فقال : رُبَّ مملولٍ لا يُستطاع فِراقُه ! فنزعتُ فاضلَ ثيابي في موضعي ودفعتُها إليه .

قال الهيثمُ بنُ عديّ : دخـل أبو دلامةَ على المهديّ يوماً فحادَثه ساعةً وهو يَضْحَك ، ثم قال له : هل بقِيَ من أهلي أحدٌ لم يَصِلْك ؟ قال : إن أَمَّنْتَـني أخبرتُك ، وإن أعْفَيْتَـنِي هو أَحبُّ إليّ . قال : بل تُخبرني وأنت آمِن ، قال : كلُّهم قد وصلَـنِي إلّا حاتمَ بني العبّاس ، قال : ومَن هو ؟ قال : عمُّـك العباسُ بنُ محمّد . فالتفت إلى خادمٍ واقفٍ على رأسه ، فقال : جَأْ(١) عنقَ هذا الماصِّ بَظْرَ أُمِّه ، فلما دنا منه نظر إليه وصاحَ عليه أبو دُلامة : تَنحَّ يا عبدَ السَّوْء ! لا تُحنِث مولاك وتَنقُضْ عهدَه وأمانَه ! فضحك المهديُّ وأمرَ الخادمَ فتنحَّى عنه ، وقال : والله لو متَّ ما أعطاكَ

(١) جأ : اضرب ، وفي ب ، ج : « هات » .

عمِّى شيئا ؛ فإنَّه أبْخَلُ الناس ؛ فقال أبو دُلامة : بل هو أَسخَى النّاس ! فإن أتيتُه فأجازنى ؟ قال : لك بكلّ درهمٍ تأخذه منه ثلاثةُ دراهم .

فانصرَف أبو دُلامةَ ، فحبَّر للعباس قصيدةً ، ثم غدَا بها عليه ، فأنشدَه إيّاها ، وأوّلها :

قِفْ بالدِّيارِ وأىَّ الدَّهرِ لَم تقِفِ ... على المنازلِ بين الظَّهْرِ والنَّجَفِ[1]
وما وقوفُك فى أطلالِ[2] منزلةٍ ... لولا الّذى أستدرجَتْ من قلبِك الكَلِفِ
إن كنتَ أصبحتَ مشغوفًا بساكِنها ... فلا وربِّك لا يَشفِيك مِن شَغَفِ
دَعْ ذَا وقُلْ للّذى قد فاز من مُضَرٍ ... بالمكرُمات وعزٍّ غيرِ مقترَفِ[3]
هذى رسالةُ شيخٍ مِنْ بنى أَسَدٍ ... يُهدِى السَّلامَ إلى العبّاسِ فى الصُّحُفِ
تخُطُّها من جَوارِى المِصْرِ كاتبةٌ ... قد طَالَمَا ضَرَبَتْ فى اللّامِ والألفِ
وطالَما اختَلفتْ صيفاً وشاتِيَةً ... إلى معلِّمِها باللَّوح والكَتِفِ
حتّى إذا نَهَد الثَّدْيانِ فامتلآ ... منها وخِيفَ على الإسْرافِ والقَرَفِ[4]
صِينَتْ ثلاثَ سنينٍ ما تَرى أحداً ... كما يَصُونُ تِجارٌ دُرَّةَ الصَّدَفِ
فبينما الشَّيْخُ يَهوِى نحوَ مسجدِه ... مُبادِراً لِصلاة الصُّبح فى السَّدَفِ[5]
حانت لـه لَمْحَةٌ منها فأَبْصرَها ... مُطِلّةً بين سَجْفَيْها من الغُرَفِ
فخرَّ واللهِ ما يَدرِى غَداتَئذٍ ... أخرَّ منكشِفاً أمْ غيرَ منكشِفِ

---

(١) الظهر : موضع بعينه ، والنجف : موضع بالكوفة.

(٢) ب ، ج : « بالأطلال » ، وما أثبته من ا والأغانى .

(٣) مقترف : مكتسب .

(٤) القرف : التهمة .

(٥) السدف : الظلمة .

وجـاءهُ الناسُ أفـواجاً بمائهمُ ... ليغسلوا الرَّجُلَ المَغْشِيَّ بالنُّطَفِ (١)
ووَسْوَسُوا بقُرانٍ فى مَسامِعهِ ... مَخافَةَ الجِنِّ والإنسانُ لَمْ يَخَفِ
شيئاً ولكنه من حُبِّ جاريةٍ ... أمسَى وأصبحَ من موتٍ على شَرَفِ (٢)
قالوا: لكَ الوَيْلُ ماأَبصرْتَ قلتُ لهم: ... جِنِّيَّـةٌ أقصدَتْني من بني خَلَفِ
أبصرتُ جاريـةً مملوكةً لهمُ ... تطَلَّعتْ من أعالِي القَصْرِ ذى الشُّرَفِ
فقلت : أيُّـكمُ واللهُ يأجُرُهُ ... يُعِينُ قوّتَـه فيها علـى ضَعَفِ ؟
فقام شيخٌ بَهِيٌّ من رِجالهمُ ... قد طالمَـا خَدَعَ الأقوامَ بالحَلِفِ
فابتاعَها لى بألفَىْ درهمٍ فأَتَى ... بها إلىَّ وألقاها على كَتِفى
فبِتُّ ألثِمُها طَـوْراً وألزَمُها ... طَوْراً، وأصنَعُ بعضَ الشىءِ فى اللُّحُفِ
فبـينَ ذاكَ كذا إذ جاءَ صاحبُها ... يَبغِى الدراهمَ بالميزان ذى الكِفَفِ
وذِكْرَ حقٍّ عَـلَى زيْـد وصاحِبه ... والحقُّ فى طَرَفٍ والظَّنُّ فى طَرَفِ (٣)
وبـينَ ذاكَ شهودٌ لا يَضُرُّهمُ ... أكنتُ معترِفاً أم غـير معترفِ
فإن يكن منك شىءٌ فهو حقهمُ ... أوْلَا فإنِّىَ مـــدفُوع إلى التَّلَفِ

قال : فضَحِك العبّاس ، وقال : وَيْحَك ! أصادقٌ أنتَ ؟ قال : نَعَمْ واللهِ ! قال : يا غلام ، ادفَعْ إليه ألفَىْ دِرهم ثمنَها . فأخَذَها ، ثم دخل على المهدىِّ فأخبره بما احتال له به ، فأمر له المهدىُّ بستّة آلافِ درهم ، وقال له المهدىُّ : وكيف لايضرُّهم ذلك ؟ قال: لأنّى مُعدِمٌ لا شىءَ عندى.

---

(١) النطف : جمع نطفة ؛ وهو الماء الصافى قل أو كثر .
(٢) فى الأغانى : « أمسى وأصبح موقوفا على التلف » .
(٣) كذا فى ب ، وفى ج : « والعين فى طرف »، وفى ا والأغانى: « والطين فى طرف ».

وقيل : إن العبّاس بن محمد قال له : شارِكْنى فى[1] هذه الجارية ، قال : أفعلُ ذلك على شريطةٍ ، قال : ماهى ؟ قال : الشَّرِكة لا تكون إلا مُفاوَضَة[2] ، فاُشترِ معها أخرى ؛ ليبعثَ كلٌّ واحد منّا إلى صاحِبه ما عندَه ، ويأخذَ الأخرى مكانَها ليلةً وليلة .

فقال له العبّاس : قبَحك الله ؛ وقَبَح ما جئتَ به ! خُذ الدراهمَ لا باركَ اللهُ لك فيها وانصرِفْ .

كان أبو دلامةَ مع أبى مُسلم فى بعضِ حُروبِ بنى أُميَّة ، فدعا رجلٌ إلى البِراز ، فقال له أبو مسلم : ابرُزْ إليه ، فقال :

ألا لا تَلُمْنِى إن فَرَرْتُ فإنّنِى ... أخافُ على فَخّارَتِى أن تَحطَّمَا
فلو أنّنى فى السُّوق أبتاعُ مِثلَها ... وجَدِّك ما باليتُ أن أتقدَّما[3]

فضحك وأعفاه .

نزل أبو دُلامةَ بالكُوفة ، فأتاه أضيافٌ له ، فقَرَاهم[4] ، وبعث إلى نَبّاذةٍ يقال لها : دَوْمة ، فبعثتْ إليهم جَرّةَ نَبيذٍ فشرِبوها ، ثم أعاد فبعثتْ إليهم أخرى ، ثم جاءت تتقاضاه الثَّمن ، فقال : ليس عندى ثَمنٌ ، ولكنّى أمدَحك بما هو خيرٌ من نَبيذِك ، وقال :

ألَا يادَوْمُ دامَ لكِ النَّعيمُ ... وأَسمرُ مِلْءِ كفِّكِ مستقيمُ
شديدُ الأصْلِ يَنبِضُ حالِباهُ[5] ... يَئِنُّ كأنّه رجلٌ سقيمُ

---

(١) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « على » .

(٢) شركة المفاوضة : هى الشركة العامة فى كل ما يملكه الشريكان .

(٣) فى الأغانى : « وجدك ما باليت » .

(٤) فى الأغانى : « فغداهم » .

(٥) فى الأغانى : « ينبذ » ، وهما بمعنى .

يُرَوِّيه الشَّرابُ ويَزْدَهيه وَيَنفُخ فيه شيطانٌ رجيمُ[١]

فَسُرَّت النَّباذة وقالت : هذا أعجبُ إلىَّ من النَّبيذ !

دخل أبو دُلامةَ على إسحاقَ الأزرق يَعودُه ، وكان إسحاقُ قد مَرِض مرضا شديداً ، ثم أفاقَ وبقىَ فى ضَعْفه ، وعند إسحاقَ طبيبٌ يصف له أدويةً تُقوِّى بدنَه ، فقال أبو دُلامة للطبيب : يابنَ الكافر ، أتَصِف هذه الأدويةَ لرجلٍ قد أضْعَفَه المرَض ؟ ما أردتَ والله إلّا قتلَه ، ثم التفتَ إلى إسحاقَ فقال : اسمعْ منّى قال : هاتِ يا أبا دُلامةَ ، فأَنْشَدَه :

نَحِّ عنكَ الطبيبَ واُسمعْ لوَصْفى[٢] إنّنى ناصحٌ مِن النُّصّاحِ
ذو تَجارِيبَ قد تَغلَّبْتُ فى الصِّحّـ ـةِ دَهْراً وفى السَّقام المُتاحِ
غادِ هذا الكَبابَ كلَّ صَباحٍ من مُتونِ الفَتيّة السُّحَّاحِ[٣]
فإذا ما عَطِشْتَ فاُشربْ ثلاثا من عتقٍ فى الشَّمِّ كالتُّفّاحِ
ثمّ عند المَساء فاعكُفْ على ذا وعلى ذا بأعظَمِ الأَقْداحِ
فتقوِّى ذا الضعفَ منكَ وتُلقَى عن ليالٍ أصحَّ هذِى الصِّحاحِ[٤]
ذا شِفاءٌ فدعْ مقالةَ هذا ناكَ ذا أمَّه بزُبٍّ رَبَاحِ

فضحك إسحاقُ وعُوّادُه ، وأمَرَ لأبى دُلامة بخمسمائة درهم ، وقال الطبيب — وكان حِيريًّا[٥] نصْرانيّا : أعوذ بالله من شَرّك يا رَكُل — (يَعنِى يا رَجُل) اقبلْ منه[٦] أصلحَك الله ؛ ولا تسألْنى عن شىء بحضرته .

---

(١) لم يرد هذا البيت فى رواية الأغانى .

(٢) فى الأغانى : « لنعتى » .

(٣) السحاح : السمان ، واحدها ساح وساحة ، بالحاء المشددة .

(٤) عن ليال ، أى بعد ليال .

(٥) ساقطة من الأغانى .

(٦) فى الأغانى : « اقبل منى » .

فقال أبو دلامة : أمّا وقد أخذتُ أجرة صِفَتِي ، وقضيتُ الحقّ فى نُصْحِ صَديق ، فأنعتْ له الآنَ ما أحببتَ .

دخل أبو دُلامةَ على المهدىِّ ، وبين يديه سَلَمةُ الوصيف ، واقفاً ، فقال له : إنِّى قد أَهدَيْتُ لك مُهْراً ليس لأحد مِثلُه ، فإنْ رأيتَ يا أميرَ المؤمنين أن تشرِّفني بقَبوله ! فأَمَرَه بإدخاله [إليه][1] فخرَج أبو دُلامةَ ، ودخل بدابّته الذى[2] كان تحته ، فإذ هو بِرْذَوْنٌ محطَّمٌ أعجَفُ هَرِمٌ ، فقال له المهدىّ : أيْشٍ هذا وَيْلَك ! ألمْ تزعمْ أنّه مُهْرٌ ! فقال له : أوَليس هذا سلمةَ الوصيفَ بين يدَيْك له ثمانون سنة ، وهو عندك بعدُ وصيف ! فإن كان سَلَمةُ وصيفاً فهذا مُهرٌ . فجعل سَلَمة يَشتُمه ، والمهدىّ يضحك ، ثم قال لسَلَمة : وَيْلَك ! إنّ لهذه منه أخوات ، وإنْ أتى بمِثلِها فى مَحفِل ! فضَحِك[3] ، فقال أبو دُلامة : إى والله يا أميرَ المؤمنين لأَفضَحنّه ! فليس من مواليك أحدٌ إلّا وقد وصلَنى غيرُه ، فإنّى ما شربتُ له الماءَ قطّ . فقال : قد حكمتُ عليه أن يشترىَ نفسَه منك بألف درهم حتى يَتخلّص من يدِك ، قال : قد فعلتُ على ألّا يعاوِد . فقال له : ماترَى ؟ قال : أفعَلُ ؛ فلولا أنِّى ما أخذتُ منه قطّ شيئا ، ما استعملت معه هذا ، فمضى سلمةُ فحمَلها إليه .

جاء ابنُ أبى دُلامةَ يوما إلى أبيه وهو فى مَحْفِلٍ من جِيرانه وعشيرتِه جالس ، فجلس بين يديه ، ثم أَقْبَل على الجماعة فقال لهم : إنَّ شَيْخى كما ترَوْن قد كَبِرتْ سِنُّه ، ورَقَّ جِلْدُه ، ودَقَّ عَظمُه ، وبنا إلى حياته حاجةٌ شديدة ، ولا أزالُ أشير عليه بشىء يُمسك رَمَقَهُ ، ويُبقِى قوّته[4] فيخالفنى فيه ، وإنِّى أسألُكم أن تسألُوه

(١) من الأغانى .

(٢) الدابة تذكر وتؤنث ؛ وفى الأغانى : « دابته التى كانت تحته » .

(٣) ب ، ج : « يفضحك » .

(٤) ب ، ج : « قوامه » .

قضاءَ حاجةٍ لى ، أذكرها بحضرتكم ، فيها صلاحُ جِسْمِه ، وبقاءُ حياتِه ؛ فأَسعِفونى بمسألته معى ، فقالوا : نَفْعَل حُبًّا وكرامة ، ثم أَقبَلوا على أبى دُلامة بألسنتِهم ، فتناولوه بالعتاب حتى رضى ابنُه وهو ساكت . قال : فقولوا للخبيث فليَقُل ما يريد فستعلمون أنّه لم يأت إلّا ببليّة . فقالوا له : قل : فقال : [إن][1] أبى إنَّما يَقتُله كثرةُ الجماع ، فتعاوِنونى عليه حتّى أَخْصِيَه ؛ فلن يَقطعَه عن ذلك غيرُ الخصاء ، فيكون أصحَّ لجسمه ، وأطولَ لعمره ، فعجبوا مما أَتَى به ، وعلموا أنَّه إنما أراد أن يَعْبَثَ بأبيه ويُخجِله حتى يَشيعَ ذلك عنه ، فيرتفع له به ذِكْر .

فضحِكوا ممّا أَتَى به ؛ ثم قالوا لأبى دُلامة : قد سمعتَ فأَجِبْ ، قال : قد سمِعتم أنتم ، وعرَفتم أنه لم يأتِ بخير ، قالوا : فما عندكَ فى هذا ؟ قال : قد جعلتُ أمَّه حَكَماً بينى وبينه ، فقوموا بنا إليها ، فقاموا بأجمَعِهم ، فدخلوا عليها ، وقصَّ عليها أبو دُلامةَ القِصّة ، وقال : قد حكّمتُكِ ، فأقبلتْ على الجماعة فقالت : إنّ أُبنى هذا ـ أبقاه الله ـ قد نَصَح أباه ، ولم يَأْلُ جُهداً ، وإنى إلى بقائه أحوَجُ منّى إلى بقاء أبيه ، وهذا أمرٌ لم تَقَع به تجربةٌ مِنّا ، ولا جرتْ بمِثله عادةٌ لنا ، وما أشكّ فى معرفته بذلك ، فليبدأْ بنفسه فَلْيَخْصِها ، فإذا عوفىَ ورأيْنا ذلك قد أثّر عليه أثرا محمودا أُستعمله أبوه. فنَعَر[2] أبوه ، وضحك منه وخجِل أُبنُه ، وانصرف القومُ يَضحكون ويَعجبون من خُبْثهم جميعا ، واتفاقهم [فى ذلك المذهب][3] .

كان عند المهدىّ رجلٌ من بنى مَرْوَان قد دخل إليه ، وسَلَّم عليه فأُتِىَ المهدىُّ

---

(١) من الأغانى .

(٢) نعر : صاح .

(٣) تكملة من الأغانى .

بعلج(١) ، فأمر المَرْوانىَّ بضرب عُنُقِه ، فأخذ السَّيْفَ وقام فضربَه ، فنبا السيفُ عنه ، فدَحَا به(٢) المَرْوانِىّ ، وقال : لو كان هذا من سيوفِنا ما نبَا .

فسمع المهدىُّ الكلامَ ، فغاظَه حتّى تغيَّر وجهُه ، وبانَ فيه ، فقام يَقْطِين(٣) فأخذ السيفَ ، وحَسَر عن ذراعَيْه ثم ضرب العِلجَ فرمى برأسِه ، ثم قال : ياأميرَ المؤمنين ، إنّ هذه السيوفَ سيوفُ الطاعة ، ولا تَعْمَل إلّا فى أيدى الأولياء ، ولا تعمل فى أيدى أهلِ المعصية ، ثم قام أبو دُلامة فقال : يا أميرَ المؤمنين : [قد حضرنى بيتان ، أفأقولهما ؟ قال : قل ، فأنشده](٤) :

أيُّهذا الإمامُ سيفُك ماضٍ ... وبكفِّ الوَلِى غيرُ كَهامِ(٥)

فإذا ما نبَا بكفٍّ عَلِمْنا ... أنّها كفُّ مُبغِضٍ للإمام

فَسُرِّىَ عن المهدىّ ، وقام عن مجلِسه ، وأمَرَ بقتل المَرْوانىّ ، فقُتِل .

---

(١) العلج : الرجل من كفار العجم .

(٢) فى الأغانى : « فرمى به » ، وهما بمعنى .

(٣) هو يقطين بن موسى البغدادى من وجوه الدعاة ، وانظر أخباره فى الفهرست لابن النديم

(٤) تكملة من الأغانى .

(٥) الكهام من السيوف : الكليل الذى لا يقطع .

زهير بن أبي سلمى*

هو زُهَير بنُ أبي سُلْمَى ـ واسمُ أبي سلمى رَبيعة بن رِياح ـ بن قُرّة بن الحارث ابنِ مازِن بنِ ثعلبة ، بنِ ثَوْر بن هَرْمة بن لاطم[1] بن عثمانَ بنِ عَمرو بن أُدّ بن طابخة بنِ إلياس بن مُضَر بن نِزار . ومُزَيْنة أمُّ عمرو بن أُدّ ، هي بنت كلبِ ابنِ وَبْرة .

هو أحدُ الثلاثة المتقدِّمين على سائر الشعراء ، وإنما اُختُلِف في تقديم بعضِهم[2] على صاحبَيْه ؛ فأمّا الثلاثةُ فلا خلافَ فيهم : امرُؤُ القيس ، وزُهير ، والنابغةُ الذُّبْيانيّ .

وكان يقال : شاعرُ أهلِ الجاهليّة زُهير .

قال عِكرِمة بنُ جَرير : قلتُ لأبي : يا أبت ، مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أعَنِ الجاهلية تسألُني أم الإسلام ؟ قال : قلت : ما أردت إلّا الإسلام ، فإذا كنتَ قد ذكرتَ الجاهليّةَ فأَخْبِرْني عن أهلها ، قال : زُهير أشعَرُ أهلِها ، قلتُ : فالإسلام ؟ قال : الفرَزْدَق نَبْعَة الشِّعر ، قلت : فالأَخطَل ؟ قال : يجيد مدحَ الملوك ويصفُ الخمرَ فيُصيب .

قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : نَحرْتُ الشعرَ نَحْراً .

---

* ترجمته في الأغاني ١٠ : ٢٨٨ ـ ٣١٦ (طبعة دار الكتب)

(١) كذا في ا ، وفي ب ، ج : « هرمة لاطم » وفي الأغاني : « هرمة بن الأصم » وفي طبقات الشعراء لابن سلام : « هدمة بن لاطم » .

(٢) في الأغاني : « في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه » .

وقيل : استحق زهير التَّقدِمة لأنّه كان لا يُعاظِل[1] فى الكلام ، ويجتنب وحشيّه ، ولا يَمدَح أحدا إلّا بما فيه .

قال ابنُ عبّاس : خرجتُ مع عُمر بنِ الخطّاب فى أوّل غزْوة غزاها ، فقال لى ذاتَ ليلة : يا بنَ عبّاس ، أنشِدْنى لشاعرِ الشُّعراء ، قلت ، ومَن هو ؟ قال : ابنُ أبى سُلْمَى ، قلتُ : ولِمَ صار ذلك ؟ قال : لأنَّه لايتّبع حوشىَّ الكلام ، ولايُعاظِل بين المَنطِق ، ولا يقول إلّا ما يَعرِف ، ولا يَمْدَح الرجلَ إلا بما يكون فيه ، أليس هو الّذى يقول :

ولو كان حَمْداً يُخلِدُ الناسَ لَم يَمُتْ ... ولكنّ حَمْدَ الناسِ ليس بمخْلِدِ

أَنشِدْنى له، فأنشدْتُه حتّى بَرَقَ الفَجْر ، فقال: حسبُك الآن ، فاقرأ القرآن ، قلتُ : ما أقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقرأْتُها ، فنزل فأَذَّن فَصَلَّى .

ورُوِى أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم نظر إلى زُهير بنِ أبى سُلْمَى ، وله مائةُ سنة ، فقال : اللّهمّ أعِذْنى من شرّ شيطانِه ، فما لاكَ بَيْتاً حتَّى مات .

وكان زهيرٌ وأهلُ بيتِه من مُزَينة ، وكان بنو عبدِ الله بن غَطفانَ جيرانَهم ، وكان أبو سُلْمَى قد خرج هو وخاله أَسْعَد بن الغَدير بن سهم بنِ مُرّة بن عوف ابن سعد بنِ ذُبْيان بن بَغيض ، وابنه كعب بن أسْعد فى ناسٍ من بنى مُرّة ، يُغِيرُون على طيّئ ، فأصابوا نَعَماً كثيرة وأموالا ، فرجعوا حتّى انتهَوْا إلى أرضهم ، فقال أبو سُلْمَى لخاله أسعد ولابنهِ[2] كعب : أفرِدوا لى سَهْمِى ، فأبَيَا عليه ومنَعاه حقَّه ، فكفّ عنهما ؛ حتّى إذا كان الليل أتى أمَّه فقال : والّذى يُحلَف به لتقُومِنَّ إلى

---

(١) يعاظل فى الكلام ؛ أى يحمل بعضه على بعض ، ويتكلم بالرجيع من القول، ويكرر اللفظ والمعنى ويعقده ، وكل شىء ركب شيئا فقد عاظله . اللسان (عظل).

(٢) فى الأغانى : « وابن خاله كعب » .

بعيرٍ من هذه الإبل ، فلتقعُدِنَّ عليه ، أو لأضرِبَنَّ بسَيفى تحت قُرْطَيْك ، فقامت أمُّه إلى بعير منها فاعتنقَتْ سَنامَه ، وساق بها أبو سُلْمى سَوْقا عنيفا ، وهو يَرتجِز ويقول :

وَيْلٌ لأَجمــالِ العَجوزِ مِنّى إذا دنوتُ أوْ دنوْنَ مِنّى

* كأنى سَمْعَمعٌ مِنْ جِنِّ[1] *

وساقَ الإبلَ وأمَّه حتّى انتهى إلى قومه مُزَينة ، فذلك[2] حين يقول :

ولتَغْدُوَنَّ إِبِـلٌ مجنَّبَــةٌ من عند أسعدَ وابنهِ كعبِ

ـ مجنَّبة : مجنوبة ـ .

الآكلين صريحَ قومِهـا أكلَ الحُبارَى بُرْعُمَ الرُّطْبِ[3]

البُرْعُم : شجر له نَوْر . فلبث فيهم حِيناً ، ثم أقبل بمزَينة مُغيراً على بنى ذُبْيان ؛ حتى إذا مُزَيْنَةُ أسهلَتْ وخَلَّفَتْ بلادَها ، ونظرُوا إلى أرضِ غَطفانَ تطايروا عنه راجِعِين ، وتركوه وحدَه ، فأَقْبَل وحَلّ فى أخوالِه بنى مُرّة ، فلم يزل هو وولَدُه فى بنى عبدِ الله بنِ غَطفانَ إلى اليوم .

وكان زُهيرٌ قد امتدَح هَرِم بنَ سِنان ، والحارثَ بنَ عوف المُرِّيَّيْن وقال ذلك فى قَتْل وَرْد بن حابِس العَبْسى ، لهَرِم بن ضَمْضَم المُرّىّ قصيدته الّتى أوّلها :

* أمِنْ أمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لمْ تَكلَّمِ *

وهذا هَرِم بنُ ضَمْضَم هو الّذى قال عنترةُ فيه وفى أخيه :

ولقد خَشيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ للحَرْب دائرةٌ على ابْنَىْ ضَمْضَمِ

---

(١) فى الأغانى : « سمعمع : لطيف الجسم قليل اللحم » .

(٢) فى الأغانى : « حيث يقول » .

(٣) الحبارى : طائر يضرب به المثل فى البلاهة والحمق؛ وهو طائر صحراوى يبيض فى الرمال النائية . والرطب : المرعى الأخضر من البقل والشجر .

وكان هَرِم قد قُتل فى حرب عَبْس وذُبْيان قبل الصُّلح ، وكانَ قَتَلَه وَرْد ابنُ حابس العَبْسىّ ، وكان حصينُ بنُ ضَمْضَم قد حلَفَ ألَّا يغسل رأسَه حتّى يَقْتُلَ وردَ بنَ حابسٍ أو رجلًا من بنى عَبْس ، ثمّ مِن بنى غالب ، ولم يطَّلعْ على ذلك أحد . وقد حَمَل الحَمالة الحارثُ بنُ عَوْف بن أبى حارثة . وقيل : بل أخوه خارجة(١) بن سِنان .

قال : فأقبَلَ رجلٌ من بنى عَبْس ، ثم أحد بنى مَخزُوم ؛ حتى نزل بحُصَيْن بنِ ضَمْضَم فقال له حُصَين : مَنْ أنتَ ؟ قال : عَبْسِىٌّ . قال : مِنْ أىِّ عَبْس ؟ فانتسَب إلى غالب ، فقتَلَه حُصَين . وبلغ ذلك الحارثَ بنَ عوف وهَرِمَ بنَ سنان ، فاُشتدّ عليهما ، وبلغ ذلك بنى عَبْس ، فركبوا نحوَ الحارث ، فلما بلغه ركوبُهم إليه وهم يريدون قتلَ الحارث ، بعث إليهم بمائةٍ من الإبل معها اُبنُه ، وقال للرّسول : قل لهم : الإبلُ أحَبُّ إليكمْ أم اُبنى تقتلونه مكانَ قتيلكم ؟ قالوا : بل نأخذ الإبلَ ، ونصالح قومَنا، ونُتِمُّ الصُّلح ، فذلك قولُ زُهير ، وهى أوّل قصيدة مَدَح بها هَرِما والحارث :

* أمِنْ أمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ *

قال الحارثُ بنُ عوف بن أبى حارثة المُرّىّ لخارجةَ بنِ سنان بن أبى خارجة : أتُرانى أَخطُب إلى أحد فيردَّنى ؟ قال: نعم . قال: ومَنْ ذلك؟ قال : أَوْس بنُ حارِثةَ ابن لَأْم الطائىّ ، فقال الحارث لغلامه : اِرحَلْ بنا ، ففعَل ، فركِبا حتّى انتهيَا إلى أَوْس ، فوَجَداه فى ثِنْىِ مَنْزِله ، فلمّا رأى الحارثَ بنَ عوف ، قال : مرحباً بك يا حارِ ! قال : وبِك ؛ قال : ما جاء بكَ يا حارِ ؟ قال : جئتُ خاطبا . قال : لستَ هناكَ ! فانصرَفَ ولم يكلِّمْه.

---

(١) فى الأغانى : « حارثة بن سنان » .

ثم دخل أوسٌ على أمرأته مُغضَباً ـ وكانت من بني عَبْس ـ فقالت : مَن رَجُلٌ وقف بك فلَم يُطِل ولم تُكَلِّمه ؟ قال: ذلك سيِّدُ العرب الحارثُ بنعوف بن أبىحارِثة المُرّىّ . قالت : فما لك لم تَسْتَنْزِلْهُ ؟ قال : إنه أُستَحْمَق . قالت : وكيف ؟ قال : إنَّه جاءنى خاطبا ، قالت : أفتريد أن تزوِّج بناتِك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا لم تزوِّجْ سيِّدَ العرب ، فمَن ؟ قال : قد كان ذلك ، قالت : فتدارَكْ ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : أن تَلحقَه فتردَّه ، قال : وكيف وقد فَرَط منّى ما فَرَط إليه ! قالت : تقول له : إنّك لقيتَنى وأنا مُغضَب بأمرٍ لم تقدِّم فيه قولا ، فلم يكن عندى مِن الجواب إلّا ما سمعتَ ؛ فانصرِف ولك عندى كلُّ ما أحببتَ . فاستعجَل فركِب فى أثرِها .

قال خارجةُ بن سِنان : فوالله إنّا لنسير إذ حانتْ منى التفاتةٌ فرأيتُه ، فأقبلتُ على الحارث ، وما يكلّمنى غمًّا . فقلت : هذا أوس فى أثَرِنا ، قال : وما نَصنَع به ؟ اِمضِ ، فلمّا رآنا لا نَقِف عليه صاح : يا حارِ ارْبَعْ علىَّ ، فوقف له فكلَّمه بذلك الكلام فرجع مسرورا ، فلمَّا بلغ أوس منزلَه قال لزوجته : ادْعِى لِى فلانة (أكبر بناته) ، فأتتْه ، فقال : يا بُنَيَّة ، هذا الحارثُ بن عوف سيّدٌ من ساداتِ العرب ، قد جاءنى خاطباً راغباً ، وقد أردتُ أن أزوِّجَك منه ، فما تقولين ؟ قالت : يا أبتِ لا تفعَل ، قال : ولِمَ ؟ قالت : لأنّى امرأةٌ فى وجهى رَدّة[1] ، وفى خُلُقِى بعض العُهْدة[2] ، ولستُ بابنة عمِّه فيَرْعَى رَحِمِى ، وليس بجارِكَ فيستَحِىَ منك ، ولا آمَنُ أن يَرَى منّى ما يَكره فيطلِّقَنِي ؛ فيكونَ علىّ فى ذلك ما فيه . قال : قُومِى بارك اللهُ فيكِ .

---

(١) الردة : القبح مع شىء من الجمال.

(٢) العهدة : الضعف .

ادعُوا لى فلانة (لابنتــه الوسطى) ، فدعَوْها فقال لها مِثْلَ قوله لأختِها ، فأجابته بمِثْل جوابها ، وقالت : إنِّى خَرْقاء ، ولستُ صَناعاً بيـدى ، ولا آمَنُ أن يَرَى منّى ما يَـكره فيطلِّقَنى ، فيـكونَ علىّ فى ذلك ما تَعلَم ، وليس بابنِ عَمِّى فيَرْعَى حَقِّى ، ولا جارِكَ فيستحِىَ منك ، قال : قُومِى بارَكَ اللهُ فيكِ .

ادْعُوا لى بُهَيْسَةَ ـ يعنى الصغيرة ـ فأُتِىَ بها ، فقال لها كما قال لأُختَيْها ، فقالت : أنتَ وذاكَ ، فقال لها : إنِّى عرَضْتُ ذلك على أُخْتَيْكِ فأبَتاه ؛ فقالت : واللهِ لـكنّى الجميلةُ وَجْهاً ، الصَّنَاعُ يَدًا ، الرفيعةُ خُلُقاً ، الحسيبةُ أَباً ، فإنْ طلّقَنى فلا أَخْلَفَ اللهُ عليه بخيرٍ ! فقال : بارَكَ اللهُ عليكِ ، ثم خرج فقال : قد زوَّجْتُك يا حارِ بُهَيْسَةَ بنتَ أَوْس ، قال : قَبِلْتُ .

فأمَرَ أمَّها أن تهيِّئَها وتُصْلِح من شأنِها ، ثم أمر ببَيْتٍ فضُرِب له ، وأنزَلَه إيّاه ، وزَفّها إليه .

قال خارجة : فلمّا دخلتْ عليــه لبث هُنَيْهَةً ثمّ خرج إلىّ فقلتُ له : أفرَغْتَ من شأنِها ؟ قال : لا والله ، قلتُ : وكيف ؟ قال : لمّا مددْتُ يدى إليها قالت : مَهْ ! أعندَ أهلى وإخوَتى ! هذا واللهِ ما لا يكون .

قال : فأمر بالرِّحْلة فارتَحَلْنَا بها ، فلمّا سِرْنا ما شاء الله ، قال لى : تَقَدَّمْنى ، فتقَدَّمْتُ ، وعدلَ بها عن الطريق ، وما لبث أن لَحِقَنى ، فقلت : أفرَغْتَ من شأنك؟ قال : لا والله ، قلت : ولِمَ ؟ قال : قالت : أَوَ كما يُفْعَل بالأَمَة الجَلِيبة ، أو السَّبِيَّةِ الأَخِيذة ! لا واللهِ حتّى تَنْحَرَ الجُزُرَ وتَذْبحَ الغَنم ، وتدعو العَرَب ، وتَعْمَل ما يُعْمَل لمِثْلى !

قال : قلتُ : واللهِ إنّى لأَرَى هِمَّةً وعَقْلا ، وإنّى لأرجو أن تـكون المرأة مُنْجِبَةً إن شاء الله .

فلمّا جئنا بلادَنا أحضرَ الإبلَ والغنمَ ، ثم دخل عليها وخرج إلىّ ، فقلتُ : أفرَغْتَ من شأنِك ؟ قال : لا ، فقلت : ولِمَ ؟ قال : دخلتُ عليها أريدُها ، وقلت : قد أحضرْنا من المال ما ترَيْن ، فقالت : والله لقد ذكرتَ لى من الشَّرف ما لا أراه فيك ، قلتُ : وكيف ؟ قالت : أتتفرّغ لنكاحِ النِّساء والعرَب يُقتِّل بعضُها بعضا! ــ وكان ذلك أيّام حَرْب عَبْس وذُبْيَان .

قال : فتقولين ماذا ؟ قالت : اُخْرُجْ إلى هٰؤلاء القوم فأصلِحْ بينهمْ ، ثم ارجع إلى أهلك فلن يَفوتوكَ(١) ، فقلت : والله إنّى لأرَى هِمَّةً وعَقْلا ، ولقد قالت قولا .

قال خارجة : فاُخرج بنا ، فخرَجْنا حتى أتَيْنا القومَ ، فاصطلحوا على أن تُحسَب القَتْلَى ، ثم يُؤْخَذ الفَضْل ممّن هو عليه ، فحَمَل الحارثُ وخارجةُ الدِّيات ، فكانت ثلاثةَ آلاف بعيرٍ فى ثلاثِ سنين ، وانصرَفا بأجملِ الذِّكْر ، وهناك قال زهيرٌ قصيدتَه الّتى أوّلها :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكلَّمِ ... بحَوْمانَةِ الدَّرَّاجِ فالمتثلَّمِ(٢)

وذَكَرَها فى هذه القصيدة ، فقال :

تداركْتُما عَبْسًا وذُبيانَ بعدَما ... تفانَوْا ودَقُّوا بينهم عِطرَ مَنْشَمِ(٣)

فأصبح يَجرِى فيهمُ مِن تِلادِكُمْ ... مَغانمُ شَتَّى مِن إفالٍ مزَنَّمِ(٤)

---

(١) فى الأغانى : « فلن يفوتك » .

(٢) أم أوفى ، قيل : هى زوج زهير ؛ وهى غير أم كعب وبجير . والدمنة : ما اسود من آثار الديار ، والحومانة : الأرض الغليظة . والدراج والمتثلم : موضعان بالعالية .

(٣) منشم ، زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة ، تحالف قوم فأدخلوا يدهم فى عطرها ؛ على أن يقاتلوا حتى يموتوا ؛ فضرب بها المثل فى الشر ، ونقل المثل كما فى مجمع الأمثال : « أشأم من منشم » .

(٤) الإفال : جمع أفيل ؛ وهو الصغير من الإبل . والتزنيم : سمة كانت تجعل على ضرب من الإبل كرام .

يُنَجِّمها قومٌ لقومٍ غَرامةً ولم يُهَرِيقُوا بينهمْ مِلءَ مِحْجَمِ (١)

وذَكَرَ قِيامَهم فى ذلك فقال :

* صحا القلبُ عن سلمَى وقد كاد لا يَسْلُو (٢) *

يقول فيها :

تداركتُما الأحلافَ قد ثُلَّ عرشُها وذُبْيانَ قد زَلَّت بأخمَصِها النَّعلُ (٣)

وهذه لهمْ شَرَف إلى الآن ، ثم عاد فدخل بها ، فولَدَتْ له بنينَ وبناتٍ .

ومِمّا مَدَح به زهيرٌ هَرِما وأهلَه قوله :

إنّ الخليطَ أَجدَّ البَيْنَ فانفرَقا وعَلِق القَلْبُ من أسماءَ ما عَلِقا (٤)

مَنْ يَلْقَ يوماً على عِلّاته هَرِماً يَلْقَ السَّماحةَ منه والنَّدَى خُلُقا

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يصطادُ الرجالَ إذا ما كَذَّب اللَّيثُ عن أَقرانه صدَقا (٥)

يَطعُنُهم ما ارتمَوْا حتى إذا اطَّعَنوا ضارَبَ حتّى إذا ما ضارَبوا اعْتَنَقا (٦)

ومَدَح أيضا زُهيرٌ سِنانَ بن أبى حارثةَ ، وهو أبو هَرِم ، وكان سِنان قد هَوِىَ امرأةً فهامَ بها ، وتقادَم به الأمرُ حتى فُقِد ولم يُعْلَم له خبر . فقيل : إنّ الجنّ استطارتْه فأدخلتْه بلادَها واستفحلته لكرمه .

---

(١) الغرامة : ما يلزم أداؤه من دية وغيرها . والمحجم : كأس الحجام يعنى أنهما أعطيا الديات ولم يكن لهما ذنب .

(٢) تمامه :

* وأقفر من سَلْمَى التعانيق فالثِّقْلُ *

(٣) الأحلاف : أسد وغطفان.

(٤) الخليط : المخالط .

(٥) عثر : مأسدة بناحية تبالة .

(٦) اعتنق : لزم قرنه .

قيل : إنّه عاش مائةً وخمسين سنةً ، فهامَ على وجهه خَرَفاً ففُقِد . وقيل: إنه خرج لحاجتِه فى اللّيل ، فأبْعَد ، فلمّا رجع ضَلَّ فقام طولَ ليلِه حتّى سقط فمات ، واُتَّبع قومُه أثرَه ، فوجدوه ميّتاً، ورثاه زُهَير بأبياتٍ أوّلُها :

إنّ الرَّزِيّةَ لارَزِيَّةَ مثلُها(١) ما تَبْتَغِى غَطفانُ يومَ أَضَلَّت

قال الأصمعىّ : أُنشِد عُمر بنُ الخطّاب رضى الله عنه قولَ زُهيرٍ فى هرِم ابنِ سِنان :

دعْ ذا وَعدِّ القَــول فى هَرِمٍ خيرِ الكُهُولِ وسَيِّدِ الحضْرِ
لو كنتَ مِن شىءٍ سِوَى بَشَرٍ كنتَ المنوِّر ليــلةَ البدْرِ(٢)
وأَراكَ تَفْرِى ما خلقْتَ وبَعْـ ضُ القَوْمِ يخلُقُ ثم لا يَفْرِى(٣)
ولأَنتَ أَوصَلُ مَن سَمِعتُ به لِشَوابِك الأرحـامِ والصِّهْرِ
ولنِعْمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنتَ إذا دُعِيتْ نَزالِ ولُجَّ فى الذُّعْرِ
أُثْــنِى عليكَ بما سمعتَ وما(٤) أسْلفتَ فى النَّجدات من ذِكْرِ
والسِّــتْر دون الفاحشاتِ ولا يلقاكَ دُونَ الخيرِ مِن سِتْرِ

فقال عُمرُ رضى الله عنه : ذاكَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال عمرُ لبعضِ وَلَدِ هَرِم : أنشِدْنى بعضَ مدائِح زهير فى أبيك . فأنشَدَه ، فقال عمر : إن كان ليُحسِن فيكم القول ؟ قال : ونحن والله إن كنّا لَنُحسن له العطيّة . قال : قد ذهب ما أعطيتُموه وبقىَ ما أعطاكم .

---

(١) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « بعدها» .
(٢) ج : « القدر » ، تصحيف .
(٣) تفرى : تقطع ، وخلقت ، أى قدرت الأديم وهيأته للقطع والخرز ، والمعنى أنك تهيأت لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه، وبعض القوم يقدر الأمر ويتهيأ له ثم لا يقدم عليه ولا يمضيه.
(٤) فى الأغانى : « بما علمت » .

وكان هَرِم قد حلف لا يمدحُه زهيرٌ إلّا أعطاه ، ولا يسأله إلّا أعطاه ، ولا يسلِّم عليه إلّا أعطاه غُرَّةً [١] : عبدا أوأمةً أو فرسا؛ فاستحيا زهيرٌ ممّا كان يَقبَل منه ، فكان إذا رآه فى ملأٍ قال : أنعِموا صباحا غيرَ هَرِم ، وخيرَكم استثنَيتُ .

قال عبدُ الملك بنُ مروان : ما يَضُرّ مَن مُدِح بما مَدَح به زهيرٌ آلَ أبى حارثة ألّا يملِك أمورَ الناس (يعنى الخلافة) . والّذى قصدَه عبدُ الملك قوله فى آلِ أبى حارثة :

على مُكثِريهم حَقُّ مَن يعتريهمُ [٢] وعند المُقلّين السَّماحةُ والبَذْلُ

فإنّه ما ترَك فيهم غنيًّا ولا فقيراً إلّا مدَحه .

ولمّا أُنشِدَ عثمانُ بنُ عفّانَ رضى الله عنه قولَ زُهيرٍ :

ومهما تكنْ عند أمرئٍ من خليقةٍ وإن خالَها تَخفَى على النَّاس تُعلَمِ

قال : أحسَنَ زهير وصَدَق ! ولو أنّ الرجل دخل بَيْتاً فى جوفِ بيتٍ لتحدّثَ به الناس . وقد قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : « لا تَعملْ عمَلا تكرَه أن يُتحدَّثَ به عنك » [٣] .

كان عروةُ بنُ الزبير لمّا قُتِل أخوه عبدُ الله بنُ الزُّبير ، لحق بعبد الملك بنِ مَرْوان ؛ فكان عروةُ إذا دخل منفردا أكرمَه عبدُ الملك ، وإذا دخل إليه وعنده أهلُ الشام استخفَّ به ؛ فقال له يوما : يا أميرَ المؤمنين ، بئسَ المَزُورُ أنتَ ! تُكرِم زَوْرَك [٤] فى الخلا ، وتُهينُه فى الملا ، لله درُّ زهير حيث يقول :

---

(١) الغرة : الرقيق .

(٢) الأغانى : « رزق من يعتريهم » ، ويعتريهم : يقصدهم ويطلب ما عندهم .

(٣) فى الأغانى : «عنك به» .

(٤) فى الأغانى : « ضيفك » .

فقرِّى فى دِيارِكِ إنّ قوماً   متى يَدَعُوا ديارهمُ يهونوا(١)

ثم استأذنه فى الرجوع إلى المدينة ، فقضى حوائجه ، وأَذِن(٢) له .

وكان أبو سُلمى تزوّج أبنة رجلٍ من بنى فَهْمِ(٣) بن مرّة بن عوف بن سعدِ بنِ ذُبْيان ، يقال له : الغَدِير ، والغائر ، والغادر ، فولدتْ له زُهَيرا وأَوْسا .

وكان زهير فى الجاهليّة سيّدا كثيرَ المال ، حليما ، وَرِعاً . وكان لأبى سُلمى خالٌ هو بَشامة بنُ الغدير ، وكان زهيرٌ منقطعا إليه وكان يُعجبه شِعرُه ، وكان بشامةُ رجلا مُقعَداً كثيرَ المال ، ليس له وَلَد ، وكان أحْزَم النّاس رأيا ، وكانتْ غَطَفان إذا همّت بغَزْوٍ أتَوْا إليه فاستشاروه(٤) وصدَروا عن رأيه ، فإذا رجعوا قسموا له مِثلَ ما يَقْسِمون لأفضلِهم ؛ فمن أجل ذلك كثُر مالُه ، وكان أشعرَ غَطفانَ فى زمانِه.

فلمّا حضرَه الموتُ جعل يَقْسِم مالَه فى أهل بيته وبنى إخوته ، فأتاه زهيرٌ فقال : يا خالاه ، لو قسمْتَ لى من مالك ! فقال : يابن أُختى ، قد قسمتُ لكَ أفضلَ من ذلك ، قال : وما هو ؟ قال : شِعرِى ورِثْتَنِيه(٥) ، [وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعر ، وقد كان أوّل ما قال](٦) ، فقال زهير : الشعر شىء(٧) قلتُه ، فكيف تعتدُّ به علىّ ! فقال بَشامة : ومن أين جئتَ به ؟ لعلّك ترى أنك جئتَ به من مُزَينة ! قد علمتِ العربُ أنّ حَصاتَها وعينَ مائها فى الشِّعر لهذا الحىِّ مِن غَطَفان ، ثم لى منهم وقد ورِثتَه مِنّى ، ثم أحْذاه(٨) نصيبا من مالِه ومات .

---

(١) كذا فى الأغانى ، ب ، ج . وفى ا : « فحلى » .

(٢) ب ، ج : « ثم أذن له » .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « فهر » .

(٤) كذا فى ا ، والأغانى ، وفى ب ، ج : « فاستأمروه » .

(٥) ب ، ج : « ورثته » .

(٦) زياة من رواية الأغانى .

(٧) الأغانى : «الشعر شىء ما قلته» .

(٨) أحذاه : أعطاه .

وَبَشامةُ شاعرٌ مُجيد ، وهو القائِل :

أَلا تَرَيْنَ وقـــد قطّعتِنى قِطَعاً ماذا مِن الفوْتِ بين البُخْلِ والجودِ (١)
إلّا يَـكُنْ وَرَقٌ يوما أراحُ بـه للخابِطِين فإنّى ليّنُ العُودِ

وأمّ أَوفَى التى شَبَّبَ بهـا زُهيرٌ فى شعرِه هى زوجتُه ، ولدتْ منه أولادا وماتوا ، وتزوّج عليها أمرأةً أخرى ، وهى أمُّ ابنَيْه كعب وبُجَير ، فغارت من ذلك فآذَتْه فطلّقها ، ثم نَدِم على ذلك فقال :

لَعَمْرُكَ والخطوبُ مغـــيِّراتٌ وفى طُولِ المُعاشرةِ التّقـالِى
لقـــد باليَتْ مَظْعَن أمِّ أَوفَى ولـكنْ أُمُّ أَوفَى لا تُبـالِى (٢)

وكان لزهير ٱبنٌ يقال له سالم ، جميل الوجه ، حَسَن الشِّعر ، فأَهدَى رجلٌ إلى زهير بُرْدَيْن فلَبِسهما سالمٌ ، ورِكب فرساً له ، فمرّ بامرأة من العرب على ماء يقال له النُّتاءة (٣) ، فقالت : ما رأيتُ كاليوم قطّ رجلا ، ولا بُرْدَيْن ولا فرساً ، فعثر [به] (٤) الفرسُ فاندقّت عنقُه وعنُق سالم وٱنشقّ البُرْدان .

وكان لزهيرٍ فى الشِّعر ما لم يكن لغيره ، كان هو شاعراً وأبوه شاعراً ، وخالُه شاعراً ، وأختُه سَلْمَى شاعرة ، وأبناه كعبٌ وبُجَير شاعرَيْن ، وأختُه الخَنْساء شاعرة ، وٱبنُ ٱبنِه المضرَّب بنُ كَعْب بنِ زهير شاعراً .

ومَن قدَّم زهيرا ٱحتَجَّ بأنّه كان أحسنَهم شعرا ، وأبعدَهم من سُخْف ، وأجمعَهم لـكثيرِ المعانى فى قليلٍ من النّطق ، وأشدَّهم مبالغة فى المَدْح ، وأكثرَهم أمثالًا فى شعره .

---

(١) كذا فى ا ، ب والأغانى ، وفى ج : « من الفوز » .
(٢) فى الأغانى : « ما تبالى » .
(٣) النتاءة : ماء لبنى عميلة ، أو لغنى ؛ ويوم النتاءة من أيامهم .
(٤) تكملة من الأغانى .

زياد النّابغة الذُّبيانىّ*

هو زِيادُ بنُ معاوية بنِ خِباب بن جابر(١) بن يربوع بن غُيْظ بنِ مُرّة بن عَوْف ابن سَعْد بنِ ذُبْيانَ بنِ بَغيض بن رَيْث بنً غَطَفان بنِ سعد بن قَيْس بن عَيْلَان ابن مُضَر بن نزار . وكنيتُه أبو أمامة ، وسُمِّىَ بالنابغة لقوله :

وَحَلَّتْ فى بنى الْقَين بنِ جَسْرٍ(٢) فقد نبغَتْ لهمْ منّا شُئونُ

وهو أحدُ الأَشْراف الّذين غَضَّ منهم الشِّعر ، وهو فى الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء .

قال جريرُ بنُ عبد الله البَجَلِىّ : كنّا عند الُجنَيد بن عبد الرّحمن بخُراسان ، وعنده بنو مُرّة وجلساؤه من الناس ، فتذاكَروا شعرَ النّابغة حتّى أَنشَدوا قولَه :

فإنّكَ كالّليلِ الّذى هو مُدْرِكى وإنْ خِلْتُ أنّ المُنْتأَى عنكَ واسعُ

فقال شيخٌ من بنى مُرّة : وما الّذى رأَى من النّعمان حيث يقول له هذا ؟ وهل كان النعمان إلّا على مَنظَرةٍ من مَناظر الِحيرة ! وقالت ذلك القَيْسيّةُ فأكثروا ، فنظَر إلىّ الُجنَيد وقال : ياأبا خالد ، لا يهُولَنّك قولُ هؤلاء الأَعاريب ، فوالله لو عايَنوا من النّعانِ ما عايَنَ صاحبُهم لقالوا أكثرممّا قال ؛ ولكنّهم قالوا ما نَسْمَع وهم آمِنون .

---

* ترجمته فى الأغانى ١١ : ٣ ـ ٤١ (طبعة دار الكتب) .

(١) كذا فى الأصول ، وهو يوافق ما فى شرح التبريزى للمعلقات العشر ، وفى الأغانى : « ضباب بن جناب » .

(٢) الشطر الأول من هذا البيت لم يرد فى ا والأغانى.

وكان النابغةُ تُضرب له قُبّةُ أدَمٍ بسوقِ عُكاظَ ، وتَعرِض عليه الشعراء أشعارَها ، فأوّل من أنشدَه الأعشَى، ثمّ حسّان ، ثم الشّعراء، ثم أنشدتْه الخنْساء بنتُ عمرِو بنِ الشَّريد :

وإنّ صخْراً لتأتمُّ الهُداةُ به　　　كأنّه عَلَمٌ فى رأسِه نارُ

فقال : والله لولا أنّ أبا بَصير أنشدَنى آنفاً لقلتُ إنّك أشعرُ الجنّ والإنس ، فقام حسّان فقال : والله لأنا أَشعَرُ منك ومن أبيك؛ فقال له النابغة : يابنَ أخى ، أنت لا تُحسِن أن تقول :

فإنّك كالّليل الّذى هو مُدرِكى　　　وإن خلتُ أنّ المنتأَى عنك واسعُ

فخَنَس (١) حسّان لقوله .

وهذه القصيدة العينيّة يقولُها فى النّعمان بنِ المنذر ، يعتَذِر إليه بها ، وذلك أنّ النابغة كان خَصيصاً بالنّعمان من نُدَمائه وأهلِ أُنْسه ، فرأى زوجتَه المتجرِّدة يوما ، وقد سقط نصيفُها ، فاستترتْ بيَدِها وذِراعِها ؛ وقد كان ذِراعُها يَستُر وجهَها لعَبالَتِها وغِلَظِها ، فقال :

أمن آلِ ميَّةَ رائحٌ أوْ مُغتَدِى　　　عَجْلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزوَّدِ
زعَم البوارح أنّ رِحلَتنا غدًا　　　وبذاكَ تنْعابُ الغُرابِ الأَسْوَدِ (٢)
لا مَرْحَباً بغدٍ ولا أهلًا به　　　إن كان تفريقُ الأحبّةِ فى غدِ

يقول فيها يصف ما نظر إليه من المتجرِّدة ، وسترِها وجهَها بذراعها :

سَقَطَ النّصيفُ ولَمْ تُرِدْ إسقاطَه　　　فتناولتْه واتّقتْنا باليَدِ
بمخضَّبٍ رَخْصٍ كأنّ بنانَهُ　　　عَنَمٌ على أغصانِه لم يُعْقَدِ

---

(١) خنس : أطرق وتنحى .
(٢) كذا فى الأغانى، ا ، وفى ب ، ج : « زعم الغداف بأن » .

وبفاحمٍ رَجْــلٍ أَثيثٍ نَبْتُه　　كالكَرْم مالَ على الدِّعام المسنَدِ
نظرتْ إليكَ لحاجةٍ لَم تَقْضِها　　نَظَر المريضِ إلى وُجوه العُوَّدِ

ثم إنّ النابغة أنشدَ هذه القصيدةَ مُرّةَ بنَ سَعْد القُرَيْعِيّ ، فأنشدَها مُرَّةُ للنّعمان فامتلأ غضبا ، وأوعدَه وتهدّده ، فهرَب منه وأتى قومه ، ثم شَخَص إلى ملوك غَسّانَ فامتدَحَهم .

وقيل : إنّ عِصام بنَ شَهْبَرَ الجَرْمِيَّ حاجبَ النُّعمان أنذره ، وعرَّفه ما يريد النُّعمان ـ وكان صديقَه ـ وعصام هو الّذي يقول فيه الراجز :

نفسُ عِصامٍ سَوّدتْ عِصاماَ　　وعَلَّمَتْه الكَرَّ والإقداما
* وصَيّرَتْه مَلِكا هُماما[١] *

وقيل : إنّ سببَ هرَبه أنّ عبد قيس بن خُفاف التَّميميّ ومُرّة بن سعد ابن قُرَيع عَمِلَا هِجاءً فى النّعمان على لسانه ، وأنشَداه النعمانَ فمنه :

مَلِكٌ يُلاعِب أمَّهُ وقَطينَهُ[٢]　　رِخْوُ المفاصِلِ أيرُه كالمِرْوَدِ

ومنه أيضا :

قَبّح اللهُ ثمّ ثَــنَّى بلَعْنٍ　　وارثَ الصائغ الجَبانَ الجَهُولَا
من يَضُرُّ الأَدْنَى ويعجز عن ضَـرّ　　الأعادى ومَن يَخُون الخَليلا
يَجمع الجيشَ ذا الأُلوفِ ويَغزو　　ثم لا يَرْزأُ العَدُوَّ فَتِيـلا

وكان جدّ النّعمان لأمّه صائغا بفدَك[٣] ، يقال له : عطيّة . وأمّ النّعمان سَلمَى بنت عطيّة .

(١) كذا فى ب ، ج ، وفى ا والأغانى : « وجعلته » .
(٢) كذا فى ا ، والأغانى ، وفى ب ، ج : يلاعب ابنه .
(٣) فدك : قرية بالحجاز من نواحى خيبر .

وكان سبب ضِغن مُرّة بن سعد على النّابغة أنّه كان له سيفٌ قاطع يقال له : ذو الرِّيقة من كَثْرة فِرِنْده وجوْهَرِه وجوْدته ، فذكره النابغةُ للنعمان ، فأخذه فاضْطغن مرّةُ لذلك عليه وَوشَى به النُّعمان ، وحرّضه عليه .

وقيل فى هرَبه : إنّه كان رفيق المنخَّل عند النّعمان ، وإنّ المنخَّل لمّا رُمِى بالمتجرِّدة زوْجَةِ النُّعمان ، وجرى له ما جرى ، هرب النابغةُ وقد ذُكِر خبرُ المنخَّل فى ترجمته .

ولمّا صار النابغةُ فى غَسّان نزل بعَمرو بنِ الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج ابنِ الحارث الأكبر بن أبى شَمِرٍ الغسّانىّ .

وأمُّ الحارث الأعرج ماريةُ بنت ظالم بن وَهْب بن الحارث بن معاويةَ بن ثَوْر ابن مُرْتِع[١] الكندية ، وهى ذاتُ القُرْطَيْن اللّذَين يُضْرَب بهما المَثَل ، فيقال لما يُغْلَى به من الثمن : خذه ولو بقُرْطَىْ مارية . وأختها هند الهُنود امرأة حُجْر آكِل المُرار ، وإيّاها عَنَى حسّان بقوله فى جَبَلة بنِ الأيْهَم :

أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهمُ   قبرِ ابنِ ماريةَ الجوادِ المُفْضِلِ

فمدح النابغةُ عمرو بن الحارث ، ومدح أخاه النُّعمان ، ولم يزل مقيما مع عمرو حتّى مات ، وملك أخوه النعمان ، فاستعطف له النعمان فعاد إليه ، فمّما مدح به عمراً قوله :

كِلِينى لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصبِ   ولَيْلٍ أُقاسيهِ بطىءِ الكواكبِ

لهمْ شِيمةٌ لمْ يُعطِها اللهُ غيرهمْ   من النّاس، والأحلامُ غيرُ عوازبِ

ولا عَيْبَ فيهمْ غيرَ أنّ سُيوفَهُمْ   بهنّ فُلولٌ مِن قِراع الكتائِبِ

قال معاوية بن بكر الباهلىّ : قلتُ لحمّاد الراوية : بمَ تَقَدَّم النابغة ؟ قال :

---

(١) كذا ضبطه، ضبطه ابن حجر فى التبصير كمحسن ، وضبطه الصاغانى فى العباب كمحدّث .

بالبيتِ[1] من شِعره ، لا بل بنصفِ البيت ، لا بل برُبْـعِ البيت ، مثل قوله :

حلفتُ فلَمْ أتركْ لنفسِك رِيبَةً ... وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ
ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمّه ... على شَعَثٍ ، أىُّ الرجالِ المهذَّبُ !

كلُّ نصفٍ من بيت يُغنيك عن صاحبه ، وقوله : أىُّ الرجال المهذَّبُ ، رُبْـع بيتٍ يغنيك عن غيره ، فلو تمثّلْتَ به لم تحتجْ إلى سواه .

قال الهيْثم بنُ عدىّ : قال لى صالح بنُ حسَّان : كان النابغة مخنَّثاً ، قلت : وما عِلْمُك به ؟ أرأيتَه قطّ ! قال : لا ؛ قلتُ : فأُخبِرْتَ عنه ؟ قال : لا ، قلت : فما عِلْمُك به ؟ قال : أما سمعتَ قولَه :

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَهُ ... فتناولتْه واتّقَتْنَا باليَدِ

لا والله ما أحسَنَ هذه الإشارة ، ولا هذا إلّا قولُ مخنَّث .

كتب عبدُ الملك بنُ مروانَ إلى الحجّاج : إنه ليس شىءٌ من لذَّة الدنيا إلّا وقد أصبتُ منه ، ولم يبق عندى شىءٌ ألذُّ به إلّا مُناقلة الإخوانِ الحديث ، وقِبَلَكَ عامرٌ الشَّعبىّ ، فابعث إلىّ به يحدّثنى .

فدعا الحجّاجُ الشَّعبىَّ فجهّزه ، وبعثَ به إليه ، وقرّظه وأَطْراه فى كتابه . فخرج الشعبىّ ، فلمّا كان فى باب عبد الملك قال للحاجب : استأذِنْ لى ، قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا عامرٌ الشَّعبىّ ، قال : حيّاكَ الله ! ثم نَهَض فأجلسنى[2] على كرسيِّه ، ولم يلبَثْ أن خرج إلىّ[3] ، وقال : ادخُل يرحمُك الله ! قال : فدخلتُ ، فإذا عبد الملك جالس على كرسىّ ، وبين يديه شيخٌ أبيضُ الرأس واللِّحية ، جالس

(١) كذا فى ا والأغانى ؛ وفى ب ؛ ج : « ببيت » .
(٢) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « فأجلسه » .
(٣) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « إليه » .

على كرسىّ ، فسلّمتُ فردّ السلامَ علىّ ، ثم أومأَ إلىّ بقضيبه ، فقعدت على يساره ثم أقبل على الذى بين يديه فقال : وَيْحك! مَنْ أَشْعَر الناس ؟ قال : أنا يا أميرَ المؤمنين ، قال الشَّعبىّ : فأظلَم ما بينى وبينَ عبدالملك ، فلم أصبِرْ أن قُلْتُ : مَن هذا الذى يزعم أنّه أشعَرُ الناس يا أميرَالمؤمنين !فعجب عبدُالملك من عَجَلتى قبل أن يسألنى عن حالى .

فقال: يا شعبىّ ، هذا الأخطل . فقلتُ : يا أخطل ، أشعَرُ منك والله الّذى يقول فى النعمان بن الحارث ، أخى عمرو بنِ هند :

هــــذا غلامٌ حسنٌ وَجْهُه مستقبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمامْ
للحارثِ الأكبرِ والحارث الـ أصغرِ والحارث خيرِ الأنامْ
ثمَّ لهنــــدٍ ولهنـــدٍ وقد أسرعَ فى الخيرات منه أُمامْ
بخمسةٍ آباؤهم وهمْ ما هُمُ همْ خَيْرُ من يَشرب صَوْبَ الغمامْ

أُمام ، يريد « أمامة بنت سلمة بن الحارث » . وقيل: هى أمامةُ أمّ عمرو الأصغر ابن المنذر بن ماء السماء امرئ القيس بنِ النعمان .

قال الشَّعبى : فردَّدْتُها حتى حفظها عبدُ الملك .

فقال الأخطل : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشَّعبىّ . فقال الأخطل : إى والإنجيل بالسّريانية ، والحِلّون(١) ما أُستعذتُ بالله من شرّ هذا ، صدق والله يا أميرَ المؤمنين . النابغة أشعرُ منّى ، ثم أقبـل علىّ فقال : كيف أنتَ ياشَعْبىّ ؟ قلت : بخيرٍ يا أميرَ المؤمنين فلا زلتَ به .

ثم ذهبتُ أمهّد مَعاذِيرى لِما كان من خِلافى على الحجّاج مع عبد الرحمن بنِ محمّد بن الأشعث ، فقال : مَهْ ! إنّا لا نحتاج إلى هذا المنطِق ، ولا تَراه منّا فى قولٍ ولا فعل ، ثم أقبل علىّ وقال : ما تقول فى النابغة ؟ قلت : قد فضَّله عمرُ بنُ الخطّاب

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى: « صدق والله يا أمير المؤمنين ، النابغة والله أشعر منى».

فى غير موطنٍ على جميع الشعراء ، فإنَّه خرج وفى بابه وفدُ غَطفَان ، فقال : يامعشرَ غَطفَان ، أىُّ شعرائكم الذى يقول :

حلفتُ فلم أَترك لنفسكَ ريبةً ... وليسَ وراءَ اللهِ للمرء مَذْهَبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنى خيانةً ... لَمُبلِغُك الواشى أغشُّ وأكذبُ
ولستَ بمُسْتبقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ ، أىُّ الرجالِ المهذَّبُ !
وإنّك شمسٌ والملُوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ

قالوا : النابغة يا أميرَ المؤمنين . قال : فأيّكم الّذى يقول :

فإنّك كاللّيل الّذى هو مدرِكى ... وإن خلتُ أنّ المنتأَى عنكَ واسعُ
خطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ متينةٍ ... تَمُدُّ بها أيدٍ إليكَ نَوازِعُ

قالوا : النابغة يا أميرَ المؤمنين ، قال : فأيّكم الّذى يقول :

إلى ابن محرِّقٍ أَعْمَلْتُ نفسى ... وراحلتى وقد هَدَتِ العُيُونُ[(١)]
أتيتُكَ عارياً خَلَقاً ثيابى ... على خوفٍ تُظَنُّ بىَ الظُّنُونُ
فألفيتُ الأمانةَ لم تَخُنْهَا ... كذلك كان نُوحٌ لا يخون

قالوا : النابغة يا أميرَ المؤمنين . قال : هذا أشعرُ شعرائكم .

ثم أقبل الشّعبىُّ علىَ الأخطل ، فقال : أتحبّ أنّ لك بشعرك قِياضاً[(٢)] بشِعْرِ أحدٍ من العرب ، أم تحبُّ أنّك قلتَه ؟ قال: لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، إلّا أنّى كنت أَوَدُّ أنى قلتُ أبياتاً قالها رجلٌ منّا ، كان واللهِ ماعَلِمتُ قليلَ السّماع ، قصيرَ الذراع. قال : وما قال ؟ قال : فأنشدتُه قصيدةَ القَطامىّ :

إنّا مُحَيُّوكَ فاسلَمْ أيُّها الطَّلَلُ ... وإنْ بَلِيتَ وإن طالت بكَ الطِّيَلُ[(٣)]

(١) هدت : هدأت .
(٢) قايضه قياضا ومقايضة : عاوضه وبادله .
(٣) الطلل : ما شخص من آثار الديار . والطيل : جمع طيلة ؛ وهى الدهر .

ليس الجديدُ به تبْقَى بَشاشتهُ ... إلّا قليلا ولا ذُو خُلّةٍ يَصِلُ[١]

والعيشُ لا عيشَ إلّا ما تَلَذُّ بِهِ[٢] ... عينٌ ولا حالَ إلّا سوفَ تنتقِل

إنْ تَرْجى من أبى عثمانَ مُنْجِحةً ... فقد يَهونُ على المستنجِح العملُ

والناسُ مَن يَلْقَ خيراً قائلون له ... ما يَشْتَهِى ولأُمِّ المُخطىء الهَبَلُ

قد يُدْرِكُ المتأنِّى بعضَ حاجتِه ... وقد يكون مع المستعجِل الزَّلَلُ

حتّى أتى على آخرها . قال الشّعبيّ : فقلت : قد قال القَطامىّ أفضلَ من هذا ، قال : وما قال ؟ قال : قال :

طَرَقَتْ جَنوبُ رِحالَنَا من مَطْرَقِ ... ما كنت أحسِبها قريبَ المُعْنَقِ[٣]

وأنشدتُه القصيدة ، فقال عبدُ الملك : ثَكِلَت القَطامىّ أمُّه ! هذا واللهِ هو الشِّعر.

فالتفت الأخطلُ فقال : يا شعبيّ ، إنّ لك فُنُوناً فى الأحاديث وإنّما لنا فَنٌّ واحد، فإن رأيتَ ألّا تَحْمِلنا على أكتافِ قومِك فأَدَعهم حَرَضا[٤] ! فقلت : لا أعرِض لك من الشِّعر فى شىء أبدا ، فأَقِلْنى هذه المرّة . قال : مَن يتكفّل لى بك ؟ قلتُ : أميرُ المؤمنين . فقال عبد الملك : هو علىّ ألّا يَعْرِض لك أبدا ، ثم قال : يا شعبىّ ، أىُّ نساء الجاهليّة أشعر ؟ قلتُ : الخنساء ، قال : ولِمَ فَضَّلْتَها على غيرها ؟ قلتُ لقولها :

وقائلةٍ والنَّعشُ قد فاتَ خَطوَها ... لتُدرِكَه يالهفَ نفسِى على صَخْرِ !

ألا ثَكِلتْ أمُّ الّذين غدوْا بِهِ ... إلى القَبْرِ ، ماذا يحملون إلى القبر !

---

(١) الضمير فى « به » للدهر فى بيت قبل هذا البيت ؛ وهو :

كانتْ مَنازلُ مِنّا قَدْ نحُلُّ بِها ... حتّى تغيرّ دَهْرٌ خائنٌ خبِلُ

(٢) فى الأغانى : « إلا ما تقر به » .

(٣) المعنق : المكان الذى أعنقت منه ، والعنق : ضرب من السير .

(٤) الحرض ، بالتحريك : الردىء من الناس ؛ يريد أجعلهم بهجائى من أراذل الناس ، والحرض يوصف به المفرد والمثنى والجمع .

قال عبد الملك : أشعر منها الّذى يقول(١) :

مُهَفهَفُ الكَشْحِ والسِّربالِ منخرِقٌ عنه القميصُ لسيرِ الليلِ محتقِرُ(٢)

لا يأمنُ الناسُ مُمساه ومُصْبَحهُ فى كلّ فجٍّ ، وإن لم يَغزُ يُنتظَرُ

ثم قال : ياشعبىّ ، لعلّه شَقَّ عليكَ ما سمعتَ ! قلتُ : إى والله يا أمير المؤمنين ، أشدّ المشقّة ، إنى أحدِّثك منذ شهرين لم أفِدْكَ إلّا أبياتَ النّابغة فى الغلام .

فقال : يا شعبيّ ، إنّى إنّما أعْلَمْتُكَ هذا لأنه بلغَنى أنّ أهلَ العراق يتطاوَلون على أهل الشام ، يقولون : إن كانوا غَلَبُونا على الدّولة فلَم يغلبونا على العِلمِ والرِّواية ، وأهلُ الشام أعلَمُ بعِلمِ أهل العراق مِن أهلِ العراق . ثم ردّد علىّ أبياتَ ليلى حتى حفِظتُها ، فلم أزل عنده ، فكنتُ أوّلَ داخلٍ وآخرَ خارج ، فمكثتُ كذلك سنين .

وبعثَنِى إلى أخيه عبدِ العزيز بنِ مَرْوانَ بمصر ، وكتب إليه : يا أخى ، قد بعثتُ إليك الشَّعْبيّ ، فانظر هل رأيتَ مِثلَه قطّ ! ثم أُذِن لى فانصرَفْتُ .

قال حسّان بنُ ثابت : قدمتُ على النّعمان بنِ المنذر ، وقد امتدحتُه فأتيت حاجبه عصامَ بنَ حَوْشبٍ(٣) ، فجلستُ إليه فقال : إنى لأَرَى عربيًّا؛ أمِن الحجاز أنت ؟ قلتُ : نعم ، قال : فكُنْ قَحْطانيًّا ، قال : قلت : فأنا قَحْطانىّ ؛ قال : فكن يَثرِبيًّا ، قلت : فأنا يَثرِبىّ ؛ قال : فكن خَزْرَجيًّا ، قلت : فأنا خَزْرجىّ ، قال : فكن حسّانَ بن ثابت ، قلت : فأنا هو ، قال : جئتَ بمِدْحة المَلِك ! قلتُ : نعم . قال : إنّك إذا جئته متروكٌ شهرا قبل أن يرسل إليك ، ثم عسى أن يسأل عنك

---

(١) هو أعشى باهلة ، من مرثيته للمنتشر ؛ وفى الأغانى : « التى تقول » ؛ وفى حواشيه : « هى ليلى أخت المنتشر الباهلى — وقيل الدعجاء أخته — ترثيه بقصيدة منها هذان البيتان .

(٢) مهفهف الكشح : ضامره ، وهفهفة السربال : رقته وخفته . ومنخرق عنه القميص ، أى لا يبالى كيف كانت ثيابه .

(٣) فى الأغانى : « عصام بن شهير » .

بعدشهر[1] ، ثم إنك متروك شهرا آخر بعد المسألة ، ثم عسى أن يُؤذَن لك؛ فإن أنتَ خلوتَ به فأعجبته فأنت مصيب ما أردت ؛ فأقِمْ ما أقَمْتَ فإنّى أُرشِدك إذا دخلتَ إليه فإنه سيسألك عن جَبَلة بن الأيهم ويسُبّه ، فإيّاك أن تساعدَه على ذلك ، ولكن أمِرَّ ذِكرَه إمراراً لا تُوافِق فيه ولا تُخالِف ، وقل : ما دخولُ مِثلى أيُّها المَلِك بينَك وبين جَبَلة ، وأنت منه وهو منك ! وإن دعاكَ إلى الطعام فلا تُواكِلْه ، فإن أقسَمَ عليك فأصِبْ منه إصابةَ المُبِرّ قَسَمه ، متشرِّف بمُواكلته ، لا أكْلَ جائعٍ سَغِب ؛ فإنّه يثقُل عليه أن يؤكَل طعامه ، أو يشرب شرابه ، ولا تُطِل محادثَته ، ولا تَبدأْه بإخبارٍ عن شىء حتى يكون هو السائلَ لك ، ولا تُطِل الإقامةَ فى مجلسه .

فقلت : أحسنَ اللهُ رِفْدَك ! قد أوصيتَ راعيا . ودخل ثم خرج إلىّ وقال : ادْخُل ؛ فدخلتُ وسلّمت ، وحيّيته بتحيّة الملوك ، فجارانى فى أمر جَبَلة كما قال عصام ، وأجبتُ بما أمَرَنى به ، ثمّ استأذنتُه فى الإنشاد فأذِن ، فأنشدتُه ، ثم دعا بالطَّعام ففعلتُ ما أمَرَنى به عصام ، وبالشّراب ففعلتُ مِثلَ ذلك . وأمَرَ لى بجائزة سنيّة ، وخرجتُ .

فقال لى عصام : قد بقيَتْ واحدةٌ لم أُوصِك بها ، قد بلغنى أنّ النّابغة الذُّبيانىَّ قادمٌ عليه ، وإذا قدم عليه فليس لأحدٍ سواه من حظّ ، فاستأذِنْ حينئذٍ وانصرِفْ مكرَّماً خيرٌ من أن تنصرِفَ مجفُوًّا .

فأقمتُ ببابه شهرا ، ثم قدم عليه خارجةُ بنُ سِنان ومنظورُ بن زَبّان الفَزارِيّان ، وكان بينهما وبين النُّعمان دُخْلُلٌ (أى خاصّة) وكان النابغةُ معهما قد استجارَ بهما ، وسألها مسألةَ النّعمان أن يرضَى عنه فضرَبَ عليهما قُبّة من أدَم ، ولم يشعر أنّ النابغةَ معهما ، ودَسّ النابغةُ قَيْنَةً تُغَنّيه بشِعْرِه :

يا دار مَيّةَ بالعَلْياءِ فالسَّنَدِ أقوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأمَدِ

(١) الأغانى: «رأس الشهر» .

منها :

نُبِّئتُ أنّ أبا قابوسَ أوْعَدَنِى ... ولا قَرارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الأَسَدِ

مَهْلًا فِداءٌ لكَ الأَملاكُ كُلُّهُمُ ... وما تُثَمِّرُ من مالٍ ومن وَلَدِ[(١)]

إن كنتُ قلتُ الّذى بُلِّغْتَ مُعْتَمِدًا ... إذَنْ فلا رَفَعَتْ سوطِى إلَىَّ يَدِى

هــذا الثَّناءُ فإن تَسْمَعْ لِقائِله ... فما عرضتُ أبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ[(٢)]

فلمّا سمِع الشعرَ قال: أُقْسِم باللهِ إنّه لَشِعر النابغة ، وسأل عنه فأُخْبِر أنّه معهما، وكلّماه فيه ، فأمّنه .

وقد كتبت هذه الحكاية فى ترجمة جَبَلة بنِ الأَيْهم فى حرف الجيم مع غير النُّعمان ابنِ المنذر .

وقيل : إنّ النابغةَ لمّا خرج معهما إلى النّعمان ، كان يُرسل لهما بِطيبٍ وأَلْطاف مع قَيْنَةٍ من إمائه ، فكانا يأْمُرانِها أن تبدأ بالنابغة قبلَهُما ، فذَكَرَتْ ذلك للنُّعمان، فعرَف أنّه النابغة ، ثم أَلْقَى عليها شعرَه ، وسألها أن تُغنّيَه إذا أخذتْ منه الخَمْر ، ففعلتْ فأطْرَبَتْه ، فقال : هذا شِعْرٌ عُلْوِىّ[(٣)] ، هذا شعرُ النّابغة .

قال : ثم خرج فى غِبِّ سَماء ، فعارَضَه الفَزاريّان والنابغةُ بينهما قد خُضِب بحِنَّاء ، فأقنأ[(٤)] خِضابُه ، فقال[(٥)] : هِىَ بِـدَمٍ أحْرَى أن تُخضَب ؛ فقال الفزاريّان : أبيت اللعن! لا تَثْرِيب ، قد أجَرْناه ، والعفوُ أجمل فأَمَّنه واستنشَدَه . قال حسّان : فحسدْتُه على ثلاثٍ لا أدرى على أيّتِهنَّ كنتُ أشدَّ حسداً له !

---

(١) فى الأغانى : « وما أثمر » .

(٢) الصفد : العطاء .

(٣) علوى: نسبة إلى العالية ؛ على غير قياس ؛ وهى مافوق نجد إلى أرض تهامة إلى ماوراء مكة.

(٤) كذا فى الأصول والأغانى ، والذى فى كتب اللغة : قنأ الخضاب : اشتدت حمرته .

(٥) فى الأغانى : « فلما رآه النعمان قال » .

على إدناء النعمانِ له بعد المباعدَة ومسامرته[١] له وإصغائه إليه ، أم على جَوْدة شِعره ، أم على مائة بعيرٍ من عصافيرِه[٢] أمَرله بها !

وسئل أبو عمرو : أمِن مَخافته امتدَحَه وأتاه بعد هَرَبه ، أم لغير ذلك ؟ فقال : لا لعَمْر الله ، مالمخافتهِ فَعَل ، ولقد كان آمناً أن يوجِّه إليه النعمانُ جيشا ، وما كانت عَشيرتُه لِتُسلِمَه أوّلَ وَهْلة ؛ ولـكن رغبةً في عطائه وعصافيرِه .

وكان النابغةُ يأكُل ويَشرَب في آنية الذَّهب والفضَّة من عطايا النّعمان وأبيه وجَدِّه ، لا يَستَعمِل غيرَ ذلك .

وقيل : كان السببُ في رجوعه أنَّه بلغه أنّه عليلٌ لا يُرْجَى ، فأقلَقَه ذلك ولم يَملِك الصبرَ على بعده مع عِلّته ، فلمّا رجع إليه ألفاه محمولا على سريرٍ يُنقَل ما بين الغمْر وقصور الحيرة ، فقال لعصامٍ حاجبه :

ألمْ أُقْسِمْ عليـك لَتُخْبِرَنّي ... أمحمولٌ عـلى النَّعشِ الهُمامُ !
فإنّي لا ألومُـكَ في دُخـولِي ... ولـكنْ ماوَراءَكَ يا عِصامُ !
فإنْ يَهلِك أبو قابوسَ يَهلِكْ ... ربيعُ النّاسِ والشَّهْرُ الحَرامُ
ونُمسِكْ بعدَه بِذِنابِ عَيْشٍ ... أجَبِّ الظَّهْرِ ليسَ لـه سَنام

وكان مُلوكُ العرَب إذا مَرِض أحدُهم حملتْه الرجالُ على أكتافهم ؛ لأنّه عندهم أوطأُ من الأرض .

وقوله :

* فإنّي لا ألومُـــك في دُخولِي *

أي لا ألومك في تركِك الإذْنَ لي في الدّخول ، ولـكن أخبِرْني بكُنْهِ أمْرِه .

---

(١) ب ، ج : « ومسايرته » .
(٢) العصافيرهنا : إبل نجائب كانت للملوك.

وقوله:

* ربيعُ الناس والشهرُ الحرام *

أى أنه كالربيع فى الخِصْب ، وكالشَّهْر الحرام لجارِه ، أىْ أنّه لا يُتوَصَّلُ إلى من أجاره كما لا يُوصَل فى الشهر الحرام إلى أحدٍ .

بَيْنَا النعمانُ فى قُبّة له ، إذا رجلٌ يَرتجز حولَها، فقال النُّعمان : أليس بأبى أمامة ! قالوا : بَلَى ، قال : فأْذَنُوا له، فدخل ، فحيّاه وشَرب معه ، ثم وردَتِ النَّعَم السُّود ، ولم يكن لأحد بعيرٌ أسْوَدُ يُعرَف مكانُه غير النّعمان ، فاستأذنه أن يُنشِده كلمتَه على الباء ، فأذِن له ، فأنشَدَه حتى أتَى على قوله :

فإنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ

ووردتْ عليه مائةٌ من الإبل السُّود الكَلْبِيّة ، فيها رِعاؤها وكلبُها ، فقال : شأنكَ بها يا أبا أُمامَة ، فهى لك بما فيها .

قال حسّان : فما أدرى علامَ أحسُده ! أعلَى ماسمعتُ من فضل شعرِه ، أو مارأيتُ من جزيلِ عطائه ! فجمعتُ جرامِيزى(١) فركبتُ إلى بلادى .

---

(١) يقال : جمع فلان إليه جراميزه ، إذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى .

زياد الأعجم*

هو زيادُ بنُ سليمان، مولَى عبدِ القيس ، أحد بنى عامر بنِ الحارث ، ثم أحدُ بنى مالك بنِ عامر .

وقيل : زياد بنُ جابر بنِ عمرو ، مولَى عبدِ القيس ، وكان ينزل إصْطَخْر ، فغلبَت العُجمةُ على لِسانه ، فقيل : الأَعْجَم .

وقد قيل : إن أصلَه ومولدَه ومنشأَه أصفِهان . ثم انتقَل إلى خُراسانَ ، فلَمْ يَزل بها حتّى مات .

وكان شاعراً جَزْلَ اللّفظ ، فصيحَ الشِّعر ؛ على لُكْنةٍ فى لسانه ، وجَرْيه على [لفظ][1] أهلِ بلدِه .

دعا زيادٌ غلامَه ، فأَرسلَه فى حاجة ، فأبطأ ، فلمّا جاءه قال : منذ لَدُنْ دَأَوْتُك إلى أن قلت : لَبّىْ ، ما كنت تسنأ ؟ يريد : منذ لَدُنْ دعَوْتُك إلى أنْ قلتَ لى : لبَّيْكَ ، ما كنتَ تصنَع ؟ فهذه ألفاظٌ فى نهاية اللّكْنَة والقُبْح .

ولمّا مات المغيرةُ بنُ المهلَّب رثاه بقوله :

قُــل للقوافل والغَزِىِّ إذا غَزَوْا ... والبـاكِرين وللمُجِدّ الرائِحِ[2]

إنّ الشجاعةَ والسّماحـــةَ ضُمِّنَا ... قــبراً بمَرْوَ عَلَى الطَّريق الواضِحِ

---

* ترجمته فى الأغانى ١٥ : ٣٨٠ ــ ٣٩٤ (طبعة دار الكتب) .

(١) زيادة من الأغانى .

(٢) ب ، ج : « والغزاة إذا غزوا » .

فإذا مررتَ بقــبرِه فاعقرْ له(١) كُرمَ المَطِيِّ وكلَّ طِرْفٍ سابحِ(٢)
وانضَحْ جوانبَ قــبرِه بدِمائها فلقد يَـكون أخا دَمٍ وذَبائحِ
يامن بمَهْوَى الشَّمْسِ من حيٍّ إلى ما بين مَطلعِ قَرْنِها المتنازِحِ
ماتَ المغيرةُ بعد طُــولِ تعرُّضٍ للموت بــين أسِنَّةٍ وصَفائحِ
والقَتْل ليس إلى القتالِ ولا أرَى حَيًّا يؤخَّر للشَّفيق النـاصحِ

وهى طويلة ، وهــذا من جيِّد الشــعر ونادرِ الـكلام ونقىِّ المعـانى ومختار القصائد .

يقال : إن يزيد بنَ المهلَّب قالَ له لمّا أنشدَه هذه القصيدةَ : أفعَقَرْتَ أنتَ عندَه ؟ قال : « كنتُ على بنتِ الهِمار » ، يريد « الحِمار » .

ومن الناس مَن يَروِى هذه القصيدةَ للصَّلَتَان العَبْدىّ ، والصحيح أنها لزِياد .

أُنشِدَتْ هذه القصيدةُ لثعلب ، فقال : إنّها لَمِنْ مختار الشِّعر ، ثم قال : لقد أُنشِدْتُ لبعض المحدَثين فى هذا المعنى أبياتا حَسَنة ، ثم أنشد :

أيُّها الناعِيانِ مَن تنعِيانِ وعلى مَنْ أراكُما تبكِيانِ !
أُندُبَا الماجدَ الـكريم أبا إسْـ حاق ربَّ المعروفِ والإحسانِ
واذهبا بِى إنْ لم يكن لَـكُما عَقْـ رٌ إلى تُرْب قــبرِه فاْعقِرانى(٣)
وانضَحَا مِن دَمِى عليه فقد كا نَ دَمِى مِن نَداه لو تعلمانِ

كان المهلَّب بنُ أبى صُفْرَةَ بخُراسان ، فخرج إليه زِياد الأعجم فمدَحه ، فأمر له

---

(١) فى الأغانى : « فاعقر به » .
(٢) الطرف : الجواد الـكريم الطرفين ؛ الأب والأم . والسابح: السريع؛ كأنه يسبح بقوائمه.
(٣) فى الأغانى : « إلى جنب » .

بجائزة ، وأقام عنده أيّاما يَشرَب ، قال ؛ فإذا هو العشيّة يَشْرَب مع حبيب ابن المهلَّب ، فى دارٍ فيها دابّة وفيها حَمامة ، إذ سجعت الحمامة ، فقال زياد :

تَغَنَّىْ أنتِ فى ذِمَمِى وعَهْدى وذمّةِ والدِى أن لن تُضارِى[1]
وبيتُك أَصْلِحيه ولا تَخافى على صُفْرٍ مزغَّبةٍ صِغارِ
فإنّكِ كلَّما غنيّتِ صَوْتاً ذكرتُ أحبّتى وذكرتُ دارى
فإمَّا يَقتلُوكِ طلبتُ ثأرا له نَبأٌ لأنّكِ فى جِوارى

قال حبيب : هاتِ ياغلامُ القوسَ ، فقال زياد : ما تَصنَع ؟ قال : أرمِى جارتَك هذه ؛ قال : واللهِ لئن رميتَ لأَستعدِيَنّ عليك الأمير ، فَأُتِىَ بالقوس فنَزَع لها سهماً فقتَلها ؛ فوثَب زيادٌ فدخل على المهلَّب ، فحدّثه الحديثَ ، وأنشدَه الشعر ، فقال المهلّب : علىّ بأبى بِسْطام ؛ فأُتِىَ بحَبيب ، فقال له : أَعطِ أبا أُمامة ألفَ دينار ديةَ جارتهِ ، فقال : أطال اللهُ بقاءَ الأمير ! إنّما كنتُ ألعَب . قال : أَعطِه كما أمرتُك ، فأعطاه ، فأنشأ زياد يقول :

فللّه عَيْنا مَنْ رأى كقضيّةٍ قَضَى لى بها قَرْم العِراق المهلَّبُ !
رَماها حبيبُ بنُ المهلَّب رَمْيَةً فأثبَتَها بالسَّهم ، والسَّهمُ يُغرِبُ[2]
فألزَمَه عَقْل القتيلِ ابنُ حُرَّةٍ وقال حبيبٌ : إنّما كنتُ ألعَبُ
فقال : زيادٌ لا يِرَوَّعُ جارُه وجارةُ جارِى مِثل جارِى وأقرَبُ

فحمل إليه حبيبٌ ألفَ دينارٍ على كُرْهٍ منه . ثمّ شرب مع حبيب يوما فعَربَدَ عليه حبيب ، وكان قد ضَغِن عليه ممّا جرى ، فأمر بشقّ قباءِ ديباجٍ عليه ــ وكان يَلبَسه تشبهُّاً بالأعاجم ــ فقام وقال :

---

(١) فى الأغانى : « إن لم تطارى » .

(٢) أثبتها : قتلها مكانها . يغرب ، من قولهم : سهم غرب ؛ إذا أتى قاتله من حيث لايدرى .

لَعمرُكَ ما الدِّيباجَ خَرّقْتَ وحدَه ولـكنّما خرّقتَ جلـدَ المهلَّبِ

فبعث المهلّب إلى حبيبٍ فأحضَرَه وقال: صدَق زِياد ، ما خَرّقتَ إلّا جِلْدى ، تَبعَثُ هذا علَى أن يهجوَنى ! فبعث إليه فأحضَرَه واستلَّ سَخِيمَته ، وأَمَر له بمال وصلَه به (١).

ومِن شعرِ زيادٍ يَمدَح عمرَ بنَ عُبيد الله السُّلَمىَّ بفارس :

سألنـاه الجزيلَ فمـا تَأَبَّى وأعطىَ فـوقَ مُنيَتِنَا وزَادا

وأحسن ثمّ أحسن ثم عُدْنا فأحْسَنَ ثم عُـدْتُ له فعَادا

مِراراً مادنوتُ إليـه إلّا تَبسَّمَ ضاحكاً وثَنَى الوِسادَا

أخٌ لكَ لا تَراه الدهرَ إلّا على العِلّاتِ بَسّاماً جَـوادا

فقال له عُمَر : أحسنتَ واللهِ ! ولك بكلّ بيتٍ ألف دينار ، قال : دعنى أُتِمّها مائة . قال : أنّى لك! لو كنتَ فعلتَ لفعلتُ ؛ ولـكن لك ما رُزِقْتَ .

وكان زيادٌ الأعجمُ صديقا لعمرَ بنِ عُبيد الله هذا قبل أن يلىَ فارِس ، فقال له يوما : لو قد وُلِّيتُ يا أبا أمامةَ ، لتركتُك لا تحتاج إلى أحدٍ أبدا ، فلما وَلِىَ عمرُ فارسَ قصدَه زياد ، فلمّا لقيَه أنشأ يقول :

أبلغْ أبا حفصٍ رسـالةَ ناصحٍ أتَتْ من زيادٍ مستبيناً كلامُهـا

كأنّك مِثلُ الشّمس لا سِتْر دونَها(٢) فـكيف أبَا حفصٍ عـلىّ ظَلامها !

فقال له عمر : لا يكون عليك ظلامُها أبدا ، فقال زياد :

لقد كنتُ أدعو اللهَ فى السِّرِّ أن أَرَى أمـورَ مَعَدٍّ فى يديكَ نِظامُهـا

---

(١) فى الأغانى: «وصرفه» .
(٢) كذا فى ا ، وفى ب ، ج والأغانى : « فإنك » .

فقال : قد رأيتَ ذلك ، فقال :

فلمّا أتانى ما أردت تباشرتْ   بناتى وقلن العام لا شكّ عامها

قال : فهو عامهنّ إن شاء الله عزّ وجلّ ، فقال :

وإنّى وأرضاً أنتَ فيها ابنَ معمرٍ   كمكّةَ لم يَطرَب لأرض حَمامُها[1]

قال : فهى كذلك يازياد ، فقال :

إذا اخترتُ أرضاً للمقام رَضيتُها   لنفسى ، ولم يثقُلْ علىّ مقامُها

وكنتُ أمنّى النَّفْس عنكَ ابنَ معْمَرٍ   أمانىَّ أرْجُو أن يَتمّ تمامُها

قال : قد أتمّها الله عليك ، فقال :

فَلَا أكُ كالمجرى إلى رأسِ غايةٍ   يُرجّى سماءً لم يُصِبْه غمامُها

قال : لستَ كذلك ، فسَلْ حاجتَك ، قال : نَجيبةٌ وحالبُها[2] ، وفرس رائع وسائسُه ، وبَدْرَةٌ وحاملها ، وجاريةٌ وخادمُها ، وتَخت[3] ثياب ، ووصيفٌ يحمِله. قال : قد أمرْنا لك بجميع ما سألتَ ، وهو لك علينا فى كلّ سنة . فخرج من عند عمر حتى قَدِم على عبد الله بن الحشْرج وهو بنيسابور فأنزَله وألْطَفَه[4] ، ومدحه زيادٌ وأجاد .

مات عمَر بضُمَيْرٍ من الشأم بالطاعون ، فقام عبدُ المَلِك على قبرِه وقال : والله لقد علمتْ قريشٌ أن قد فَقَدتْ اليوم ناباً من أنيابِها ، فقال خلّاد بنُ أبى عمرو الأعمى: أهوَ اليومَ نابٌ لمّا مات ، وكان أمسِ ضِرْساً كَليلة ! أمَا والله لَودِدْتُ أنّ السماء وقعتْ على الأرض فلم يَعِشْ بينهما أحدٌ بعدَه ! فسمِعَها عبدُ الملك وتَغافَل عنها .

(١) الطرب : الشوق .

(٢) النجيبة : الناقة الكريمة . وفى الأغانى : « ورحالتها » .

(٣) التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

(٤) ألطفه : أتحفه بالهدايا والألطاف .

ورثاه الفرزدقُ بأبياتٍ منها :

يـٰأيُّها الناسُ لا تبكُوا على أحـــدٍ بَعْدَ الّذى بضُمَـــيْرٍ وافقَ القَدَرا
كانت يدَاه لنا سَيْفاً نَصُولُ به على العدوِّ وغَيْثًا يُنْبِت الشَّجَرا
أمَّا قريشٌ أبا حفصٍ فقد رُزِئتْ بالشّام إذْ فارقتْك البأْسَ والظَّفَرا
مَن يَقتُل الجوعَ بَعْدابنِ الشهيدِومَنْ بالسَّيْف يَقتُل كبْشَ القوم إذعَــكَرا[١]

كانت لرجلٍ جاريةٌ يَهواها فاُحتاجَ إلى بيعِها ، فاُبتاعَها منه عُمَرُ بنُ عبيد الله ابن مَعْمَر ، فلمـّا قَبض ثمـَنها أنشأتْ تقول :

هنيئًا لكَ المالُ الّذى قد قبضتَه ولَمْ يبقَ فى كفىَّ غيرُ التحسُّرِ
أَبوءُ بحُزنٍ من فراقكَ موجعٍ أُناجِى به صدراً طويلَ التفكُّرِ[٢]

فقال الرجلُ: [لا ترحلِى، ثم قال][٣] :

فلولا قعودُ الدهرِ بى عنكِ لم يكن يفرِّقُنَا شيءٌ سوى الموتِ فاُعذِرِى
عليكِ سلامُ اللهِ لا وَصْلَ بيننَا ولا قُرْبَ إلّا أن يشاءَ اُبنُ مَعْمَرِ[٤]

فقال : قد شئتُ خذِ الجاريةَ وثمنَها ، فأخذَها واُنصرَف .

---

(١) كذا فى ا وديوان الفرزدق ص ٢٩٢ ، وفى الأغانى : «من يقتل الجوع من بعد الشهيد» وفى ب، ج : « من يقتل الجوع للشهيد » ؛ وهو خطأ لا يستقيم به الوزن . وعكر: كر وعطف .

(٢) رواية الأغانى :

* فإنى لحزنٍ من فراقِكَ مُوجعٍ *

(٣) من الأغانى .

(٤) رواية الأغانى :

عليــــكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننا وَلَا وَصْلَ إلّا أن يشاء ابن مَعْمَرِ

قال بعضهم : كنتُ جالسا عند المهلَّب إذ أقبل رجلٌ مضطربٌ طويل ، فلمّا رآه المهلَّب قال : اللّهمّ إنّى أعوذُ بك من شرِّه ! فجاء فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ! إنّى قد أمتدحتُك ببيت صَفَدُه[1] مائةُ ألف درهم ، فسكَت المهلّب ؛ فأعاد القولَ ثانيةً ، فقال له : أنشِدْه ، فأنشَدَه :

فتًى زادَه السلطانُ فى الخير رغبةً إذا غيَّرَ السلطانُ كلَّ خليــــلِ

فقال المهلَّب : ياأباأمامة[2] ، مائة ألف درهم فوالله ما هى عندَنا ولـكن ثلاثون ألفاً فيها عُروضٌ ، وأمرَ له بها وإذا هو زياد الأعجم.

حَضَرتِ أمرأةً من بنى نُمَيْر الوفاةُ ، فقيل لها : أَوْصِى ، فقالت : وما لىَ من مالى ؟ قيل: الثلُث ، قالت : فمَن يقول:

لَعَمْرُكَ ما رماحُ بنى نُمَـــيْرٍ بطائشةِ الصُّدورِ ولا قِصـــارِ

قالوا : زياد الأعجم . قالت: فثُلُث مالى له ، وماتت فأخذ ثلاثةَ آلافِ درهم .

أقبلَ الفرزدقُ فى المِرْبَد ، وزيادٌ واقفٌ يُنْشِد النّاسَ وقد أجتمعوا حوله، فقال: مَن هذا ؟ فقيل : زياد الأعجم ، فأقبلَ نحوَه، فقيل له : هذا الفرزدقُ قد أَقبل ، فقام وتلقَّاه ، وحَيَّا كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه ، فقال الفرزدق : ما زالتْ نفسى تُنازِعنى إلى هجاء عبدِ القيس منذُ دهر . فقال زياد : وما يَدْعوكَ إلى ذلك ؟ قال : لأنّى رأيت كعباً الأَشْقَرِىَّ هجاكُمْ فلم يصنَع شيئا ، وأنا أشعَر منه ، وقد عرفتُ الّذى هيَّجَ بينَك وبينَه ، قال : وما هو ؟ قال : أنـكم أجتمعتم فى قُبّةِ عبدِ الله بن الحَشْرج بخُراسان ، فقلتَ له : قد قلتُ بيتا من الشِّعر فمن قال مِثله فهو أشعر منّى ، ومن لم يَقُل مثـلَه فليختم فى عنقه لى أنى أشعرُ منه ؛ فقال لك : وما قلت ؟ فقلتَ : قلتُ :

---

(١) الصفد هنا : العطاء .

(٢) ج : « يا أبا دلامة » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

وأَدْرَكَ الإسلامَ ، ووفَد إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولَقِيَه وسُرَّ به وقرَّظَه ، وسمّاه زَيْدَ الخيْر .

وهوشاعرٌ مُقِلٌّ مخضرمٌ ، معدودٌ فى الشّعراء الفُرْسان ، وإنّما كان يقول الشعرَ فى غاراته ومَفاخِره ومَغازِيه وأَيادِيه عند مَنْ مَنَّ عليه ، وأحسن فى ندائه إليه ؛ وإنّما سُمِّىَ زيدَ الخَيْل لكثرة خَيْلِه ، وإنّما لم يكن لأحـــد من قومه ولا لكثيرٍ من العرَب إلا الفرَس والفرَسان . وكانت له الخيلُ الكثيرةُ منها المسمّاة المعروفة التى ذكرها فى شعرِه ، وهى ستّة : الهطّال ، والكُمَيْت ، والوَرْد ، والكامِل ، ولاحق ، وزَمُول[1] ؛ فنى الهطّال يقول :

أُقَرِّب مَرْبَط الهطّـال إنّى أَرَى حَرْباً ستَلْقَحُ عن حِيالِ

وفى الوَرْد يقول :

أبَتْ عـادةٌ للوَرْدِ أن يُكرِهَ القنَا وحاجة نفسى فى نُمَـيْرٍ وعامرِ

وفى زَمُول[1] يقول :

فأُقسِم لا يُفارِقُـنى زَمولٌ[1] أَجولُ به إذا كَثُر الضِّرابُ

وكان لزيد ثلاثة بَنِين : عُرَوة ، وحُرَيث ، ومُهلْهِل ، وكلُّهم يقول الشعر . ومِن الناسِ مَن يُنكِر مُهلهِلاً أنه ولدُه .

وكان قد ظَلع له فرسٌ فى بعض غزَواته لبَنِى أَسَد ، فلم يتبع الخيلَ ، فخلَّفَه فى بعضِ أحياء العرَب [ظالعا][2] ليستقلّ ، فأغارتْ عليهم بنو أَسَد ، فأخذوه مع جُمْلة الغنائم فيما أستاقوا ، فأخذتْه بنو الصَّيْدَاء ـ وهم بطنٌ مِن بنى أسد ـ فصلَح عندهم وأستقلّ .

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « دؤول » .

(٢) من الأغانى .

وقيل : بل أَغْزَى عليه بعض بنى نَبْهان ، فنكَّس[١] عنه ، فأُخِذ ، فقال فى ذلك :

يا بَنِى الصَّيْداء رُدُّوا فَرَسِى ... إنَّما يُفعَل هذا بالذَّليلْ

لا تُذيلوه فإنِّى لَمْ أَكُنْ ... يا بَنى الصَّيْدا لمُهْرِى بالمُذِيلْ[٢]

عوِّدُوه كالّذى عوّدْته ... دَلَجَ اللَّيْلِ وإيطاءَ القَتِيلْ

أحمِل الزِّقَّ على مِنْسَجِهِ ... فَيظلُّ الضَّيفُ نَشْوانًا يَمِيلْ[٣]

وكان زيدُ الخَيْل مُلِحًّا على بنى أَسَد بغاراته ، ثم على بَنى الصَّيْداء .

أُنشِد حبيبُ بنُ خالدِ بن نَضْلَةَ الفقعَسيُّ قولَ زَيْد الخَيْل :

* عَوِّدُوا مُهْرَى ما عَوَّدْته *

فضَحِك ثم قال : قولوا له : إنْ عَوَّدْناه ما عَوَّدْته دفعناه إلى أوّلِ من تلقاه وهرَبْنا .

وَفَدَ زيدُ الخَيل على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه وزر بن[٤] سَدُوس النّبْهانىّ ، وقَبيصة بنُ الأَسْوَد بن عامر ، ومالك بن جبير[٥] ، وقُعَين بن خالِد[٦] الطَّريفىّ وعِدّة من طيِّىء ، فأناخوا ركابَهمْ بباب المسجِد ، وأسلَموا كلّهم إلّا وِزْرًا فإنّه لمّا رأى النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم قال : إنّى لأَرَى رَجُلا يَملِك رقابَ العرَب ، فإنّه لا يَملِك رقبَتِى أبدا ، فلَحِق بالشام فتنصّر وحَلق رأسَه ومات على ذلك .

---

(١) نكس الفرس ؛ أى تأخر ولم يلحق الخيل .

(٢) أذال فرسه : لم يحسن القيام عليه ؛ فضعف وهزل .

(٣) المنسج من الفرس : أسفل حاركه .

(٤) فى الأصول : « زر » ؛ والصواب ما أثبته من الإصابة ٣ : ٥٩٩ .

(٥) فى الأصول : « خبرى » ، والصواب ما فى الأغانى . وانظر الإصابة ٣ : ٣٢١ .

(٦) فى الأصول : « قعن بن خلف » ؛ والصواب ما أثبتناه من الأغانى . وانظر الإصابة ٣ : ٢٣١

وكان زيدُ الخَيْل جميلا طويلا جسيما ، من أتمِّ النّاس ، يَركَب الفرسَ المُشْرِف ورِجْلاه تَخُطّانِ فى الأرض كأنه على حمار ، فلمّا استقبَلَ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم قال : أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك محمدٌ رسولُ الله ، قال : ومن أنت ؟ قال: أنا زيدُ الخَيْل بن مُهَلْهِل ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « بل أنتَ زيدُ الخير ، الحمد لله الّذى جاء بك مِن سَهْلِك وجَبَلك وأرَقَّ قلبَك على الإسلام ، يا زَيْدُ ما وُصِف لى رجلٌ قطُّ فرأيته إلاّ كان دُونَ ما وُصِف به إلّا أنت ؛ فإنك فوقَ ما قيل؛ إنّ فيك لخصلَتَيْن يُحبُّهما اللهُ ورسولهُ » ، قال زيد : وما هما يا رسولَ الله ؟ قال : « الأَناة ، والحِلْم » . فقال زيد : الحمد لله الذى جَبَلنى على ما يُحبُّ اللهُ ورسولُه .

وقيل : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم طَرَح له مُتَّكأً ، فأعظَم أن يتكئَ بين يدىْ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فرَدَّ المتّكأَ وأعادَه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثا ، وعلَّمه دعواتٍ كان يدْعُو بها فيَعرِف الإجابة ، ويَسْتَسقِى فيُستَقَى ، فقال : يا رسولَ الله ، أَعْطِنى ثلاثمائةِ رجلٍ حتى أُغيرَ بهمْ على قصور الرُّوم . فقال له : « أىّ رجل أنتَ يا زَيْد ! ولكنْ أُمُّ الكَلْبة تَقْتُلُك » ـ يعنى الُحمَّى ـ فلَمْ يَلْبَثْ زيدٌ إلّا قليلا حتّى حُمَّ ومات ، ولمّا أخذتْه الُحمَّى قال لأصحابه : جنِّبونى بلادَ قَيس[1] ؛ فقد كانت بيننا حَماسات فى الجاهليّة ، ولا والله لا أُقاتِل مُسلِما حتى أَلْقَى الله تعالى ، فنزل بماءٍ لِجَرْم[2] يقال له : فَرْدَة ، واشتدّت عليه الُحمَّى ، فأنشأَ يقول :

أمُرْتَحِلٌ صَحْبِى المَشارقَ غُدْوةً ... وأُتْرَكَ فى بيتٍ بفرْدَةَ مُفرَدِا![3]

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول « فارس » .

(٢) كذا فى ا ، وفى الأغانى : « لحى من طيء » .

(٣) الأغانى : « بفردة منجد » .

سقَى اللهُ ما بين القَفِيلِ وطابَةٍ ... فما دُونَ أَرْمامٍ فما فوقَ مُنْشِدِ[١]
هنالِكَ إنِّى لو مَرِضْتُ لَعادَنى ... عوائدُ مَن لم يَشْفِ مِنْهُنَّ يَجْهَدِ[٢]
فلَيْتَ اللَّواتى عُدْنَنى لم يَعُدْنَنى ... وليتَ اللَّواتى غِبْنَ عَنِّى عُوَّدِى

وكتَبَ النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم معه كتاباً إلى بَنى نَبْهان بفَرْدَةَ[٣]، فمكث بفَرْدَةَ سبعا، ثم مات فأقام عليه قَبيصةُ بنُ الأسود المَناحَةَ سَبْعا، ثم بعث راحلتَهُ ورَحْلَه، وفيه كتابُ رسولِ الله صلّى الله عليــه وسلّم إلى زوجتِه، فلمّا نظرت إلى الرّاحلة ليس عليها زيدٌ ضربتْها بالنار، وقالت:

أَلَا نبِّهَا زيداً لِكلِّ عظيمةٍ ... إذا أَقبلَتْ أَوْبَ الجراد رِعالُها[٤]
لَقاهُمْ فما طاشَتْ يداه بضَرْبِهِمْ ... ولا طَعْنِهِم حتّى تَوَلَّى سِجالُها[٥]

فلمّا بلَغ رسولَ الله صلّى الله عليــه وسلّم ضربُ امرأةِ زيدٍ الراحلةَ بالنّار وإحراقُ الكِتاب، قال: بُؤْسًا لبنى نَبْهان!

ولمّا دخل زيدٌ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان عنده عمرُ بنُ الخطّاب رضى الله عنه، فقال لزيد: يا أبا مُكْنِف، خبِّرْنا عن طيّئٍ وملوكِها ونَجَدَتِها، وأصحابِ مَرابِعها[٦]؛ فقال زيد: فى كلٍّ يا عمرُ نجدةٌ وبأسٌ وسِيادة، ولكلِّ رجل فى حَيِّه مِرْباع؛ فأمّا بنو حَيّةَ فملوكُنا وملوكُ غيرنا وهم القَداميس[٧] القادة،

---

(١) القفيل وطابة وأرمام: مواضع.
(٢) فى الأغانى: «هنالك لو أنى مرضت».
(٣) الأغانى: «بفيد».
(٤) الرعال: جمع رعلة؛ وهى القطعة من الخيل.
(٥) لقاهم: لقيهم؛ والسجال: المساجلة والمعارضة.
(٦) النجدة: الشجعان. والمرابع: جمع مرباع؛ وكان يأخذه الرئيس فى الغنيمة، وقيمته الربع.
(٧) القداميس: جمع قدموس؛ وهو السيد.

والحُماةُ الذّادة ، والأنجاد السادة ، أعظمنا خميسا[١] ، وأكرَمُنا رئيسا ، وأجملُنا مجالس ، وأنْجدُنا فوارس .

فقال عمر رضى الله عنه : فما تركتَ لمن بَقِىَ من طَيّئٍ شيئا ، قال : بَلَى والله . أمّا بنــو ثُعَــل وبَنو نَبْهان وجَرْم ففوارِسُ[٢] العُدّة ، وطَلّاعُو كلِّ نَجْدَة ، لا تُحَلّ لهم حَبْوَة ، ولا تُرَاعُ لهم نَدْوة ، ولا تُدْرَك لهم نَبْوَة ، عَمُود البلاد ، وحيّةُ كلِّ واد ، وأهلُ الأَسَلِ الحِداد ، والخَيْل الجياد ، والطَّرِيف والتِّلاد . وأمّا بنو جَدِيلة فأسْهَلُنا قَرَارا ، وأعظَمُنا أَخْطارا ، وأطلبنا للأوتار ، وأطعمنا للجار ، وأحمانا للذمار .

فقال له عمر رضى الله عنه : سَمِّ لنا هؤلاء المُلوك ، فقال : نعم ، عُفَيْر المُجيرُ على الملوك ، وعَمرو المفاخر ، ويَزيد شاربُ الدّماء ، والغَمْرُ ذو الجود ، ومُجير الجراد ، وسراجُ كلِّ ذى لَامَة[٣] ، وملحِم[٤] بن حَنْظلة؛ هؤلاء كلُّهم من بنى حَيّة .

وأمّا حاتم بنُ عبد الله الثّعلىّ[٥] الجواد بلا مُجار ، والسمح بلا مُمارٍ ، واللّيث الضِّرغامة ، قَرّاع كلِّ هامة ، جودُه فى النّاس علامَة ، لا يَقِرّ على ظُلامَة .

فاعترض رجلٌ من بنى ثُعَــل لمّا مدح زيد حاتماً ، فقال : ومنّا يزيد بن المهلهل النَّبْهانىّ ، سيِّد الشِّيب والشُّبّان ، وسمّ الفرسان ، وآفةُ الأَقران ، والمَهيب بكلّ مكان ، أسرع إلى الإيمان ، وآمَنَ بالفرْقان ، رئيس قومِه فى الجاهليّة ، وقائدُهم إلى أعدائهم على

---

(١) الخميس : الجيش ؛ وفى الأصول : « أعلمنا » وأثبت ما فى الأغانى .

(٢) الأغانى : « فهم فوارس العدوة » .

(٣) اللامة : الهول .

(٤) فى الأغانى . « ملحم » ، بالحاء المهملة .

(٥) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « البجلى » .

شَحْط المَزار ، وطُموسِ الآثار ؛ وفى الإسلام رائدُنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومجيبُه من غير تلعثُم ولا تلبُّث . ومنّا زيدُ بن سدوس النبهانىّ ، عصمةُ الجيران، والغَيْثُ فى كلّ مكان ، مُضرِم النِّيران ، ومُطعِم النُّدْمان ، ونجرُ كلِّ يمانٍ . ومنّا الأَسَد الرَّهيص ، سيِّد بنى جَدِيلة ، وممدوح(١) كلِّ قبيلة ، قاتلُ عنترةَ فارسِ بنى عَبْس ، وكاشف(٢) كلِّ لَبْس .

فقال عمرُ رضى الله عنه لزيد الخيل: لله دَرُّك يا أبا مُكنِف ! فلو لم يكن لطيّئٍ غيرُك وغيرُ عَدِىّ بن حاتمٍ لقهرتُ بكما العرَب .

أصابت بنى نَبْهان سَنَةٌ ذهبتْ بالأموال ، فخرج منهم رجلٌ بعياله حتى أَنزلَهم الحيرة ، فقال : كُونوا قريبا من المَلِك يُصِيبُكم من خيره حتى أرجع إليكنّ ؛ وآلى أَلِيّةً لا يَرجِعُ إليهنّ حتى يكسبهنّ خيرا أو يموت . فتزوّد زاداً ثم مشى إلى الليل ، فإذا هو بمُهْرٍ مقيَّدٍ يدورُ حَوْلَ خِباء ، فقال : هذا أوّل الغنيمة ، فذهب يَحُلّه ليركبَه فنودِىَ : خلِّ عنه ، واغنَمْ نفسَك . فتركه ومضَى سبعةَ أيام حتى أنتهى إلى عَطَنٍ(٣) إبلٍ مع تَطْفيل(٤) الشمس ، وإذا خِباءٌ عظيم وقبّةُ أَدَم ، قال : فقلت لنفسى : ما لهذا الخِباء بُدٌّ من أَهْل ، وما لهذه القُبّة بُدٌّ من رَبّ ، وما لهذا العَطَنِ بُدٌّ من إبل . فنظرتُ فى الخِباء ، فإذا شيخ كبير قد أختلفت تَرْقُوَتاه(٥) ؛ كأنّه نَسْر ، فجلستُ خلفَه ، فلمّا وَجَبت(٦) الشمسُ إذا فارسٌ قد أَقْبَل

(١) الأغانى : « ومدوخ »

(٢) الأغانى : « مكشف » .

(٣) العطن ، بالتحريك : وطن الإبل ومبركها حول الحوض .

(٤) تطفيل الشمس : دنوها للغروب .

(٥) الترقوة : مقدم الحلق فى أعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس .

(٦) وجبت الشمس : غربت .

لم أَرَ قطّ فارسا أعظمَ منه ولا أجسمَ على فرس ؛ ومعه أسودان يمشيان جَنْبه ، وإذا مائةٌ من الإبل مع فحلِها . فبَرَكَ الفحلُ وبركتْ حولَه ، ونزل الفارسُ وقال لأحدِ عَبْدَيه : احلُبْ فلانة ، ثم أسقِ الشيخَ ، فحَلَب فى عُسٍّ[1] حتّى ملأه ووضَعه بين يدَىِ الشّيخ وتَنحّى ، فكَرِع منه الشيخُ مَرّةً أو مرّتين ثم نَزَع ، وثُرتُ إليه فشربْتُهُ ، فرجع إليه العبد فقال : يا مولاىَ ، شَرِبه حتّى أتَى على آخره ، ففرِح بذلك وقال له : احلُبْ فلانة ، فَحَلَبها ثمّ وضع العُسَّ بين يدَىِ الشيخِ ، فكَرِع منه كَرْعةَ ، ثم نَزَع إليه ، فثُرتُ إليه ، فشربتُ نصفَه وكرهتُ أن آتِىَ على آخره فأُتّهم ، فجاء العبد فأخذَه وقال لمولاه: قدشَرِب وَرَوِىَ . قال : دَعْه ، ثمّ أَمَر بشاةٍ فذُبِحتْ ، وشُوِى للشّيخ منها ثم أكل هو وعبداه ، فأمهلتُ حتّى إذا ناموا وسمعتُ الغَطِيط ، ثُرتُ إلى الفَحْل فحللتُ عِقاله فركبتُه ، واندفع بى فمشيتُ ليلتى حتّى الصباح ، فلمّا أصبحتُ نظرتُ فلم أرَ أحـدا ، فشَلَلْتُه[2] إذاً شَلاًّ عنيفا حتّى تَعالَى النّهار ، ثم التفتُّ التِفاتةً فإذا أنا بشىء كأنّه طائر ، فما زال يدنو منّى حتى تبيّنتُه ، فإذا فارسٌ على فرس ، وإذا هـو صاحبى بالأمس ، فعقَلْتُ الفحْل ونَثَلْتُ كِنانتى ، ووقفتُ بينه وبين الفحل . فقال : احلُل عِقالَه ، فقلت : كلّا والله ، لقد خَلَفْتُ نِساءً[3] بالحِيرة ، وآلَيْتُ لا أرجع إليهنّ أو[4] أفيدهنّ خيراً أو أموت ؛ قال : فإنّك ميّت لا أمَّ لك ! قلتُ : هوَ ماقلتُ لك ، حُلّ عِقالَه ، قال : إنّك لمغرور ، انصُب إلىّ خِطامه ، واجعل فيه خمس عُجَر[5] ، ففعلتُ ؛ فقال : أين

---

(١) العس : القدح العظيم .

(٢) شل الإبل : طردها .

(٣) فى الأغانى : « نسيات » .

(٤) فى الأغانى : « حتى أفيدهن » .

(٥) العجر : جمع عجرة ؛ وهى العقدة .

تحبّ أن أضعَ سهمى ؟ قلتُ : فى هذا الموضع ، فكأنّما وضعَه بيده ، ثم أقبل يَرْمِى حتّى أصاب الخمْسَ بخمسةِ أسْهُم ، فرددتُ نَبلى ، وحططتُ سَهْمى وقوسى ، ووقفتُ معه مستسلِماً ، فدنا منّى ، فأَخذَ السيفَ والقوسَ ، ثم قال : ارتدِفْ خَلْفى ، وعرَفَ أنّى الّذى شربتُ اللّبن ، ثم قال : ما ظَنُّك بى ؟ قلت : أحسنَ(١) ظَنٍّ . قال : وكيف ذلك ؟ قلتُ : لِمَا لقيتَ من تعبٍ ليلتَك ، وقد أظفرَكَ اللهُ بى . فقال : أترانا نَهيجك وقد بتَّ تُنادِم مُهلهلا ! فقلتُ : أزيد الخيلِ أنت ؟ قال : نعم ، فقلتُ : كن خيرَ آخذٍ ، فقال : ليس عليك بأس ، فمضى إلى موضعه الّذى كانَ به ، ثم قال : أمّا لو كانت هذه الإبلُ لى لسلّمتُها إليك ؛ ولكنّها لابنةِ مُهلهل ، فأقِمْ علىَّ ؛ فإنّى على شَرَف غارةٍ . فأقمتُ أيّاماً ، فمضى فأغار على نُمَيْرٍ بالمِلْح ، فأصاب مائةَ بعير ، فقال : هذه أحبُّ إليكَ أم تلك ؟ فقلتُ : هذهِ . قال : دُونَكَها ، وبعث معى خُفَراءَ مِن ماء إلى ماء حتّى وردتُ الحِيرة ، فلقيَنى نَبطىٌّ فقال : يا أعرابىّ ، أيَسُرُّكَ أنّ لك بإبلك هذه بكلّ بعير منها بستان من هذه البساتين ؟ فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : هذا قربُ مخرجِ نبىٍّ يَخرُج ، فيملك هذه الأرضَ ، ويَحُول بين أربابِها وبينها ؛ حتّى إنّ أحدكم يبتاع البستانَ من هذه البساتين بثمنِ بعير . قال : فاحتملتُ بأهلى حتى أنتهيتُ إلى مَواطِننا ، فبينما نحن على ماء لنا إذ جاءنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأسلمتُ ، فما مضتْ أيّام حتى اشتريتُ بثمنِ بعيرٍ من إبلى بستاناً بالحِيرة . وفى يوم المِلْح يقول زيد الخيل :

ويومَ المِلْح مِلْح بنى نُمَيْرٍ ... أصابتكُمْ بأظفارٍ وَنَابِ

---

(١) فى الأغانى : « أسوأ ظن » .

قال ابن أبى ليلى[١] : أنشدَتنى ليلى بنتُ عُروةَ بنِ زيدِ الخيـل الطائىّ لأبيها فى يوم مُحجِّر :

بَنى عامرٍ هل تَعرِفون إذا غَدَا ... أبو مُكْنِفٍ قد شَدَّ عَقْدَ الدَّوائِرِ
بجَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَراتِهِ ... تَرَى الأُكْمَ فيه سُجَّدًا للحوافِرِ
وجَمعٍ كمِثْل اللَّيلِ مُرْتَجِز الوَغَى ... كثيرٍ تَوَالِيه سَريعِ البَوادِرِ[٢]

قالت ليلَى : فقلتُ لأبى : هل شهدتَ ذلك اليومَ مع أبيك ؟ قال : إى واللهِ يا بُنيَّـة ، لقد شهدتُه، قلتُ : كم كانت خيلُ أبيك هذه الّتى وَصَف[٣]؟ قال : ثلاثة أفراس .

كان زيدُ الخيلِ جَمَع طَيِّئاً وجُموعاً من شُذّاذ العَرَب ، وغزَا بهم بنى عامر ومَن جاوَرَهم من قبائل قَيْس ، وغَنِم وقَتَل وأَسَر ، وأسر زيدُ الخيـلِ يومئذ الحُطيئةَ الشاعر ، فجزّ ناصِيتَهُ وأَطْلَقَهُ .

ثم إن غَنِيًّا[٤] بعد ذلك تجمَّعَتْ ، وغزَوْا طيّئاً فى أرضِها ، فغَنِموا وقَتَلوا ، وادرَكوا ثأْرَهم منهم .

وكان لزيد الخيلِ ابنٌ يقال له : عُرْوة ، شاعرٌ فارسٌ شهِد القادِسيّة ، وحَسُن بَلاؤُه ، وقال فى ذلك :

برزتُ لآلِ القادسيّـــةِ مُعلِمـــاً ... وما كلُّ من يَغشَى الـكريهةَ يُعْلِمُ[٥]
ويوما بأكْناف النُّخَيْــلة قبلَهـــا ... شَهِدتُ فــلَم أَبرَحْ أُدمِّى وأُكْلَمُ

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « أبو ليلى » .
(٢) فى الأغانى : « كثير حواشيه » .
(٣) فى الأغانى : « التى وصفت » .
(٤) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « قيسا » .
(٥) يقال : أعلم نفسه ، إذا وسمها بسمة الحرب .

وأَقْعَصْتُ منهمْ فارساً بعدَ فارسٍ   وما كلُّ مَنْ يَلقَى الفوارسَ يَسلَمُ[(١)]
ونجّانىَ اللهُ الأَجَلُّ وجيرَتى   وسيفٌ لأطرافِ المَرازِبِ مِخْذَمُ[(٢)]
وأيقنتُ يومَ الدَّيْلَمِيِّين أنّنى   متى ينصرفْ وَجْهى عن القومِ يُهْزَمُوا
فما رِمْتُ حتّى مَزَّقُوا برماحِهِمْ   ثيابى وحتّى بَلَّ أَخْمَصِىَ الدَّمُ
محافَظَةً إنّى أمروٌ ذو حَفِيظةٍ   إذا لم أَجِدْ مستأخَراً أتقدَّمُ

وشَهِد مع علىّ رضى الله عنه صِفّين ، وعاش إلى زمنِ معاوية ، فأراده على البراءة من علىّ كرّم الله وجهَه فامتنع وقال :

يُحاوِلُنى معاويةُ بنُ حَرْبٍ   وليس إلى الذى يَهْوَى سبيلُ
على جَحْدى أبا حَسَنٍ عَلِيًّا   وحَظِّى فى أبى حَسَنٍ جليلُ

خرج رجلٌ من طَيِّئٍ يقال له : ذُؤاب بنُ عبدِ الله إلى حَىٍّ[(٣)] له من هوازن ، فأُصِيب الرّجلُ ـ وكان شريفا ذا رِياسة فى حَيِّه ـ فبلغ ذلك زيداً ، فركب فى بنى نَبْهانَ ومَن تَبِعه مِن وَلَد الغَوْث ، فأغار على بنى عامر ، ثم جعل كلَّما أخذ أسيرا قال له : هل لكَ علمٌ بالطائىِّ المقتول ؟ فإن قال : نعم ، قتَله ، وإن قال : لا ، خَلَّى سبيلَه ومَنَّ عليه ، وأصاب رجالا من بنى الوحيد والضِّباب ، وبنى نُفَيل ، ثم رجع زيدٌ إلى قومه ، فقالوا : ما صنعتَ ؟ قال : ما أَصبْتُ بثأرِ ذُؤاب وما يَبُوءُ به إلّا عامرُ ابنُ مالك ، مُلاعبُ الأَسِنّة ، وأمّا عامر بنُ الطُّفَيل فلا يَبُوءُ به ، وأنشأ يقول :

لا أَرَى أنّ بالقَتِيل قَتِيلًا   عامِرِيًّا يَفِى بقَتلِ ذُؤاب
ليس مَن لاعَبَ الأَسِنّةَ بالنّقْـ   ـعِ وسُمِّى ملاعِبا بأرابِ

---

(١) أقعص الفارس : قتله مكانه وأجهز عليه .

(٢) المرازب : جمع مرزبان ، وهو الرئيس من الفرس . وسيف مخذم : قاطع .

(٣) فى الأغانى : « صهر » .

عامرٌ ليس عامر بن طُفَيـــلٍ ... لـكن العَمْرُ رأسُ حَىّ كِلابِ
ذاكَ إنْ أَلقَهُ أَنال به الوتْـ ... رَ وقَرّتْ به عيُون الصِّحابِ
أوْ يَفُتْـنِى فقد سُبِقْتُ بـوتْرٍ ... مَذْحِجِىٍّ وجَدُّ قَومِىَ كابى
قــد تَقَنَّصْتُ للضِّباب رجالًا ... وتـكرّمتُ عَن دِماء الضِّبابِ
وأَصَبْنا من الوحيــدِ رِجالًا ... ونفيــلٌ فما أساغوا شَرابِى

وقال أيضا :

يومَ لا مَالَ للمُحارِب فى الحر ... بِ سِوَى نَصْلِ أَسْمَرٍ عَسَّالِ
ودِلاصٍ كالنِّهْىِ ذاتِ فُضولٍ ... ذَاكَ فِى حَلْبَةِ الحوادِثِ مالِى(١)
غير أنّى أُولى هوازَن فى الحرْ ... بِ بضَرْبِ المتوّج المُختـــالِ
وبطَعْن الـكَمِىِّ فى حَمَس النَّقْ ... عِ عَلَى مَـتْنٍ هَيْـكلٍ جوّالِ(٢)

فبلغ قولُه عامرَ بنَ الطُّفَيل فأغضَبَه ، وقال مُجيباً له :

قل لزَيْدٍ قد كنتَ تُؤثَر بالحِلْـ ... ـمِ إذا سُفِّهتْ حُلومُ الرِّجالِ(٣)
ليس هذا القتيلُ من سَلَف الحَـ ... ـىِّ كَلاعٍ ويَحْصُبٍ وكُلالِ(٤)
أو بنى آكِلِ المُرارِ ولا صِيـ ... ـدِ بنى جَفْنَةَ الملوكِ الطِّوالِ
وابن ماءِ السّماء قد عَلِمَ النّا ... سُ ولا خيرَ فى مقالةِ غالِ
إنّ فى قتل عامرِ بنِ طُفَيلٍ ... لبَـواءً لطَـيِّء الأَجْبالِ
إنّنى والّذى يَحُجُّ له النـ ... ـاسُ قليلٌ فى عامرٍ أمثـالى
ولِجام فى رأسِ أجرَدَ كالجِذْ ... عِ طُوالٍ وأبيَضٍ قصّالِ
ولِعمّى فَضْلُ الرّياسة والسِّـ ... ـنِّ وجَدّى على هَوازِنَ عالِ

---

(١) الدلاص : صفة للدرع ، أى لينة ملساء . والنهى : الغدير .

(٢) الهيكل : الضخم . والحمس : الشدة .

(٣) الحلوم : جمع حلم ؛ وهو العقل .

(٤) كلاع ويحصب وكلال : أحياء يمانية .

وكان زيد لمّا بلغه ما كان من الحارث بنِ ظالم وعمرِو بنِ الإطنابة الخزرجىّ، وهجائه إيّاه، غَضِبَ لذلك، وأغارَ على بنى مُرّة، وأسَرَ الحارثَ بنَ ظالم وزوجتَه[١]، ثم مَنَّ عليهما.

كان زيدٌ قد أغارَ على بنى فَزارةَ وبنى عبدِ الله بنِ غَطَفانَ، ورئيسُهم يومئذٍ أبو ضَبّ، ومع زيدِ الخيلِ بَطْنان من بَنى نَبْهانَ، وهما بنو نَصْر وبنو مالك، فأصابَ وغَنِم، وساقُوا الغنيمةَ، ثمّ اقتَسَموا النِّهاب، فقال زيد: أعطُونى حقّ الرِّياسة، فأعطاه بنو نَصْر، ومَنَعه بنو مالك فغَضِب، وانْحدَرَ إلى بنى نَصْر، فبينا بنو مالكٍ يقْتَسِمون إذ غَشِيَتْهم فَزارة، واستَنْقَذُوا ما بأَيْدِيهم[٢]، فناداه بنو مالك: وازَيْداه! أَغِثْنا. فكَرَّ على القوم راجعا، وقَتَل رئيسَهم أبا ضَبّ، وأخَذَ ما فى أيديهم، ودفعَه إلى بنى مالكٍ، وقال فى ذلك من أبيات:

لقد علمتْ نبهانُ أَنّى حَميْتُها ... وأَنّى مَنَعْتُ السَّبْىَ أن يتَبَدَّدا
عَشيَّةَ غادرتُ ابنَ ضَبٍّ كأنّما ... هَوَى عن عُقابٍ من شَماريخ صِمْرِدا[٣]
بذِى شُطَبٍ أغشِى الكَرِيهةَ سَلْهَباً ... أَقَبَّ كسِرْحان الظَّلام معوَّدا[٤]

كان زيد الخيل قد خرج يطلب نَعَماً له فى بنى بَدْر، وأغارَ عامرُ بن الطُّفَيل على بنى فَزارَة، فأخذ امرأةً من بنى بَدْر يقال لها هِنْد، واستاق نَعَماً؛ فقال بنو بدرٍ لزيد: ما كنّا قطُّ إلى نعَمِكَ أحْوَجَ منّا اليوم، فتَبِعه زيد الخيل، وقد مضى وعامرٌ يقول: يا هِنْد، ما ظَنُّكِ بالقَوْم؟ فقالت: ظَنِّى بهم أنهم سيَطْلُبُونَك،

---

(١) فى الأغانى: «وامرأته».
(٢) ا: «ما فى أيديهم».
(٣) الصمرد: واحد الصماريد، وهى الأرضون الصلاب.
(٤) السلهب من الخيل: الطويل.

وليسوا نياماً عنك، فحَطَأَ(١) عَجُزَها ، ثم قال : لا تقول أُسْتُها شيئاً ، فذهبَتْ مَثَلًا. فأدركَه زيدُ الخيل ، فنظر عامرٌ إليه فأنكَرَه لعُظْمه وجَماله ، وغشيَه زيدٌ فبرز له عامر ، فقال له زيد : يا عامر ، خَلِّ عن الظَّعينة والنَّعَم ، فقال : أَخْبِرْنى مَن أنتَ ؟ قال له : فزارىٌّ أنا ، قال عامر : والله ما أنتَ من الفُلْجِ(٢) أَفْواهاً ، فقال زيد : خَلِّ عنها ، قال : أو تُخبِرنى مَن أنت فتَصْدُقنى ؟ قال : أَسَدِىّ ، قال : لا واللهِ ما أنتَ من المتكوِّرين على ظُهورِ الخَيْل ، قال : خَلِّ سبيلَها ، قال : لا ، أوَ تُخبِرنى فتصدقنى ؟ قال : أنا زيدُ الخيل ، قال : صدقتَ ، فما تريد مِن قتالى ؟ فوالله لو قتلتَنى ليطلبنَّك بنو عامر ولتَذْهَبَنّ بنو فَزارَة بالذِّكْر ، فقال له زيد : خَلِّ عنها ، قال : تُخَلِّى عَنّى وأَدَعُك والظَّعينةَ والنَّعَم ؟ قال : أَفْعَل ، وجزَّ ناصِيَته وأَخَذَ رُمْحه والنَّعَم وهِنْدًا فردّها إلى بنى بَدْر ، وقال زيدٌ فى ذلك :

إنّا لنُكْثِر فى قيسٍ وقائعَنا ... وفى تميمٍ وهذا الحىِّ مِن أَسَدِ
وعامر بنُ طُفَيلٍ قد نحوْتُ له ... صَدْرَ القَناة بماضى الحَدِّ مطَّرِدِ
لمّا تيقّن أنَّ الوَرْدَ مُدْرِكُه ... وصارِماً ورَبيطَ الجأْشِ ذا لُبَدِ(٣)
نادَى إلىَّ بسِلْمٍ بعد ما أَخذَتْ ... منه المَنِيّةُ بالحَيْزُوم واللُّغُدِ(٤)
ولو تَصَبَّرَ لى حتّى أُخالِطَه ... أَشْعَرْتُه طَعْنةً تكْتَنُّ بالزَّبدِ(٥)

ومضى عامرٌ إلى قومه مَحْزوناً ، فأخبَرهم الخبرَ ، فغَضِبوا لذلك ، وقالوا :

---

(١) حطأ عجزها : ضربها على عجزها .

(٢) الفلج : المتباعدو ما بين الأسنان . وفى الأغانى : القلح ، بالقاف والحاء : جمع أقلح ، وهو الذى فى أسنانه صفرة .

(٣) الورد : من أسماء الأسد ، يريد الشجاع .

(٤) اللغد : لحمة فى العنق . والحيزوم : وسط الصدر .

(٥) تكتن بالزبد : تستتر به . وفى الأغانى : « تكتار » ؛ أى تجيش وترمى .

لا نذوقُ وَسَناً(١) أبدا ، وتجهّزوا ليغزُوا على طيّئ ، ورأّسُوا عليهم علقمةَ بن عُلاثة ، فخرجوا ومعهم الُحطيئة وكعبُ بنُ زهير .

فبعث عامرٌ إلى زيد الخيلِ دَسِيساً يُنذِره ، فجمع زيدٌ قومَه فلقيهم بالمَضِيق ، فقاتلَهم ، وأسَرَ الحطيئة وكعبَ بنَ زهير وقوماً منهم ، فحبَسهم ، فلمّا طال عليهم الحبْسُ والأَسْرُ ، قالوا : يازَيد ، فادِنا . قال : الأمرُ إلى عامرِ بنِ الطُّفيل ، فأبَوْا ذلك عليه ، فوهبَهم لعامرٍ إلّا الُحطيئةَ وكَعْبا ، فأعطاه كعبٌ فرسَه الكُميت ، وشكا إليه الُحطيئةُ الحاجةَ ؛ فمَنّ عليه ، وقال زيد :

أقـول لعَبْدِى جَرْوَلٍ إذْ أسَرْتُه ... أَثِبْنِى ولا يَغرُرْك أنّكَ شاعِرُ

أنا الفارسُ الحامِى الحقيقةَ والّذى ... له المَكرُماتُ واللُّها والمَآثِرُ(٢)

وقومِى رُءوسُ النّاس والرأسُ قائدٌ ... إذا الحرْب شبّتْها الأكُفُّ المَساعِرُ

ولستُ إذا ما الموْتُ حُوذِرَ وِرْدُه ... وأُتْرِعَ حَوْضاه وحَمّج ناظِـرُ(٣)

بوَقّافـةٍ يخشى الحتوفَ تهيُّباً ... يباعِدُنى عنها من القُبِّ ضامِرُ(٤)

ولـكنّنى أَغْشَى الُحتوفَ وصَعْدَتى ... مجاهِرةً إنّ الشُّجاعَ مجاهِرُ(٥)

وأُروِى سِنانى مِنْ دمـاءٍ عزيزةٍ ... على أهلها إذ لا تُرَجَّى الأَياصِرُ(٦)

فقال الحطيئة :

فإلّا يـكن مالٍى بآتٍ فإنّـه ... سيأتى ثَنائى زَيْداً بنَ مُهَلْهِلِ

---

(١) الوسن: النوم ؛ أرادأنهم لا ينامون عن ثأرهم .

(٢) اللها : العطايا .

(٣) التحميج : تحديد النظر .

(٤) القب : جمع أقب ؛ وهو من الخيل الدقيق الخصر .

(٥) الصعدة : القناة المستوية . وفى الأغانى : « إن الـكريم يجاهر » .

(٦) الأياصر : القرابات ؛ وما يعطفك على رجل من رحم أو صهر .

وأُعطِيتَ منّا الوُدَّ يـومَ لقيتَنَا ومِنْ آلِ بَدْرٍ شِدَّةً لم تُهَلْهَلِ
فما نِلتنا غَدْراً ولـكنْ صَبَحْتَنا غداةَ التَقَيْنا فى المَضِيقِ بأَخْيَلِ (١)
تَفَادَى حُماةُ الخَيلِ مِنْ وَقْعِ رمْحِه تَفادِىَ ضِعافِ الطَّيْرِ من وَقْعِ أجدَلِ (٢)

وقال الحطيئةُ فيه [أيضا] (٣) :

وقَفْتَ بعَبْسٍ ثمّ أنعمتَ عنهمُ (٤) ومِن آلِ بدرٍ قد أصبتَ الأَخايِرا
فإنْ يَشْـكروا فالشكرُ أَدْنَى من التُّقَى وإن يكفروا لم أُلْفَ يا زيدُ كافرا
تَركتَ المِيـاهَ من تَميمٍ بَلاقِعاً بها قد تَرَى منهم حُلُولا كَرَا كِرَا (٥)
وحَىُّ سُلَيْمٍ قد أَبَرْتَ شَرِيدَهُمْ وبالأَمْس ما قتّلتَ يا زيدُ عامرا

فرضىَ عنه زيدٌ لمّا قال هذا الشعرَ فيه ، وعَدَّ ذلك ثواباً من الحطيئة و قَبِلَه ، فلمّا رجعَ الحطيئةُ إلى قومه أقام فيهم حامداً لِزَيدٍ ، شاكرا لنِعمَته ، حتى أسرتْ بنو طـيِّءٍ بنى بدْر ، فطلبتْ فزَارةُ وأَفْنَاءُ قيس إلى شعراء العرب أن يَهْجُوا بنى لأمٍ وزيداً ، فتَحامَتْهم شُعراءُ العَرَب ، وامتنعتْ من هجائهم ، فأتَوْا إلى الحطيئة فأبَى عليهم ، وقال : اطلُبوا غيرى ، فقد حَقَن دمى ، وأطلَقَـنِى بغيرِ فداء ، فلست بكافرٍ نعمتَهُ أبداً . فقالوا : نُعطِيك مائةَ ناقة ، فقال : والله لو جعلتموها أَلْفا لمَا فعلتُ ذلك أبداً ، وقال :

كيف الهِجاءُ وما تَنْفَكُّ صالِحةً لآلِ لَأْمٍ بظَهْرِ الغَيْبِ تَأْتِينا (٦)

---

(١) الأخيل : طائر يتشاءم به ؛ واسمه الشقراق .
(٢) الأجدل : الصقر .
(٣) من الأغانى .
(٤) الأغانى : « فيهم » .
(٥) الكراكر : الجماعات ؛ واحدها كركرة .
(٦) فى الأغانى : « من آل لأم » .

المنعِمِين أَقـامَ العِزَّ وسطَهُمُ   بيضُ الوجوهِ وفى الهَيْجا مَطاعِينا[(١)]

وقيل : إنّ الحُطيئة إنّما أُسِر لمّا خرج مع بُجَيْر بنِ زهير لاصطياد الوَحْش ، فلقِيَهم زيدُ الخيل فأسرَهم ، فافتدَى بُجَير نفسَه بفرَس كانت لأخيه كعب ، وكعب يومئذ مجاورٌ فى بنى مِلْقَط من طَيِّئ ، وشكا إليه الحطيئةُ الفاقَة ، فأطلقَه .

وكان حُرَيثُ بنُ زيدِ الخيل شاعرا ، فبعثَ عمرُ بنُ الخطّاب رضى الله عنه رجلا من قريش يقال له : أبو سفيانَ يستقرئ أهلَ البادية ، فمَنْ لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقَبه ، فنزل بمحِلّةٍ لبنى بَنْهانَ ، فاستقرأَ ابنَ عَمٍّ لزيد الخيل يقال له : أَوْس بنُ خالد بن يزيد[(٢)] بن مِنْهَب ، فلَم يقرأْ شيئا ، فضربَه فمات ، فقامت ابنتُه أمّ أَوْس تندُبه ، وأقبل حُرَيث بنُ زيد الخيل ، فأُخبِر به ، فأخَذَ الرُّمح وشدَّ على أبى سفيان فطعَنه فقتَله ، وقتَل ناساً من أصحابه ، ثمّ هَرَب إلى الشام ، فقال فى ذلك :

ألا بَكَر النّاعى بأَوْسِ بنِ خالدٍ   أخى الشَّتْوَة الغَبْراءِ والزَّمَنِ المَحْلِ
فلا تَجزعى يا أُمَّ أَوْسٍ فإنّه   تُصيبُ المَنايا كلَّ حافٍ وذى نَعْلِ
فإن يَقتُلوا أوساً عزيزا فإنّنى   تركتُ أبا سُفْيانَ ملتزِمَ الرَّحْلِ
فلولا الأَسَى ماعِشْتُ فى النّاس بعدَه   ولكنْ إذا ما شئتُ جاوَبَنى مِثْلى
أصبنا به منهمْ من القوْمِ سَبْعَةً   كراماً ولم نأْكُلْ بهمْ حَشَفَ النَّخْلِ

(١) كذا فى الأصول والأغانى . والوجه : « مطاعين » ؛ ويكون فى البيت إقواء .
(٢) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « زيد » .

الزبير بن العوام*

هو الزُّبير بنُ العوّام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ بن كلاب ، يذكَر هاهنا مَقتَله .

حدّث قتادةُ قال : سار أميرُ المؤمنين عليّ بنُ أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ من الزَّاوِيَة(١) ، يريد طلحةَ والزبيرَ وعائشة ، وساروا من الفُرْضَة يريدونه ، فالتقَوْا عند قَصْر عُبَيْدِ اللهِ بن زياد في يوم الخميس ، النصف من جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين ، فلمّا تراءى الجَمْعان خرج الزُّبير على فرسٍ له وعليه سلاحُه ، فقيل لعليٍّ ـ رضى الله عنه ـ(٢) : هذا الزُّبَيْر ، فقال : أمَا إنّه أَحْرَى الرَّجُلين إن ذُكِّرَ بالله أن يذكُرَه ، وخرج طلحةُ وخرج عليٌّ إليهما ، فدنا منهما حتّى التفَتْ أعناقُ خَيْلِهما(٣) ، فقال لهما : لعمرى لقد أعددْتُما خيلا ورجالا ؛ إن كنتما أعددْتُما عند الله تعالى عُذْرا ، فاتَّقِيا اللهَ ، ولا تكونا كالّتى نَقضَتْ غزْلَها من بعد قُوَّةٍ أنكاثا ؛ ألم أكن أخاكما في دينكما تحرِّمان دَمِى وأحرِّم دَمَكما ! فهل مِن حَدَثٍ أحلّ لكما دَمى ؟ فقال طلحة : أَلَّبْتَ الناسَ على عثمان ، فقال : يا طلحة ، أتطلُبُني بدم عثمان ! فلعَنَ اللهُ قتَلَةَ عثمان ! يا زُبير ، أتذْكر يومَ برزت مع رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم في بني غَنْم ، فنظر إليّ وضحك وضحكتُ إليه ، فقلتَ : لا يَدَع ابنُ أبي طالب زَهْوَه ! فقال : مَهْ ! ليس بمُزْهوٍ ، ولتُقاتلنّه وأنت ظالمٌ له ؛ فقال : اللهمّ نعم ! فلو ذكرتُ ما سرتُ مسيرى هذا ، واللهِ لا أُقاتلك أبدا .

* ترجمته في الأغاني ١٦ : ١٢٦ ـ ١٣٠ (الساسى) .

(١) كذا في الأغاني ؛ والزاوية تطلق على عدة مواضع ، منها موضع قرب البصرة ، وقرية بين واسط والبصرة وفي الأصول : « الزابرية » تحريف .

(٢) كذا في ب ، ج ، وفي ا : « عليه السلام » .

(٣) ا : « دوابهما » . وفي الأغاني : « حتى اختلفت أعناق دوابهم » .

فانصرَف عليٌّ إلى أصحابه فقال : أمّا الزبيرُ فقد أعطى اللهَ عهدا ألّا يقاتِلَني ، ورجَع الزّبيرُ إلى عائشة فقال لها : ما كنتُ فى موْطنٍ منذ عَقَلتُ إلّا وأنا أعرِف فيه أمرِى غيرَ موطنى هذا .

قالت: وما تُرِيد أن أصنَع ؟ قال: أَدَعُهم وأذهب ، فقال له ابنُه عبد الله : أجمَعْتَ بين هذين الغارَيْن[١] حتى إذا حَرَدَ[٢] بعضهم لبعض ، أردتَ أن تذهَب وتترُكهم! أخشيتَ رايات ابن أبى طالب ، وعلمتَ أنها تَحمِلها الفِتْيةُ الأنْجاد ! فأحفَظَه ذلك . فقال : إنّى حلفتُ ألّا أقاتِلَه ، قال : كفِّرْ عن يمينِك وقاتِلْه؛ فدعا غلاماً له يُدْعَى مكحولا ، فأعتقه[٣] ، فقال عبدُ الرحمن بنُ سليمانَ التَّيْمِىُّ فى ذلك :

لم أرَ كاليوم ِ أخَا إخوانِ　　　أعجبَ مِن مكفِّرِ الأَيْمانِ

* بالعِتْقِ فى معْصِية الرّحمٰن *

وقال بعض شعرائهم :

يُعتِق مكحولًا لصَوْنِ دِينِه　　　كفّارَةً باللهِ عن يمينِـه[٤]

* والنَّكْثُ قد لاحَ على جَبينِه *

مرّ الزُّبيرُ ببنى حمّاد فدعَوْه إلى أنفسِهم ، فقال : اكفُونى خيرَكم وشرَّكم ، وواللهِ ما كفَوْه[٥] خيرَهم وشرَّهم .

ومضى ابن فرْتَنَى إلى الأحنف، فقال: هذا الزُّبير، فقال الأحنف : وما أصنَع به !

---

(١) الغار هنا : الجماعة ، وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ١٧٥ وفى الأصول : « العارين »، بالمهملة تحريف .

(٢) حرد : قصد .

(٣) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « فعتقه » .

(٤) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « كفارة لله » .

(٥) فى الأغانى : « فقال عوف : فوالله ما كفوه » ، وعوف راوى الخبر .

جمع بين غارَيْن من المسلمين ، يَقتُل بعضُهم بعضا ، ثم يريد أن يَلْحَق بأهله .
فقام عمرو بن جُرموز وفَضالةُ بنُ حابس ونُفيعُ بنُ كعب ، فلحقوه بالعِرْق ،
فقُتلَ ؛ قتله ابنُ جُرْموز قبل أن يَنتهىَ إلى عياض .

وكان علىٌّ رضى الله عنه قد أرسل ابنَ عبّاس إلى ابن الزُّبير فقال له : يقول لك
علىّ : نَشَدْتُك الله ! ألستَ بايَعْتَنِى طائعا غير مكرَهٍ ! فما الّذى أحدثتُ فاستحلَلْتَ
به قتالى ؟ هل نقِمْتُمَا علىَّ جَوْرا فى حُكْم أو استئثاراً بفَىْء ؟ فقالا : لا ، ولا واحدةً
منهما، ولكن الخوف وشدّة المطامع .

قال ابنُ عبّاس : فأتيتُ عليّا ، فأخبرتُه بما قال ابن الزبير ، فدعا بالبغلة فركبَها
واجتمعوا ، ورجع الزبير ؛ فنادى مُنادِى علىٍّ رضى الله عنه : ألا لا تُقاتِلوا القومَ حتّى
يَستشهِدوا منكمْ رجلا ، فما لبث أن أُتِىَ برجلٍ يَتشحَّط فى دَمِه ، فقال علىّ : اللهمّ[(١)]
اشهد ، اللهمّ اشهد . وأمر النّاس فشَدُّوا عليهم ، وأمَرَ الصُّرّاخَ فصرخوا : ألا
لا تُذَفِّفوا[(٢)] على جَريح ، ولا تَتبعوا مدبِراً ، ولا تَقتلُوا أسيراً .

جاء عمْرو بنُ جُرْموز قاتلُ الزُّبير إلى مصعبٍ حتّى وَضَع يدَه فى يده ، فقذَفه
فى السِّجن ، وكتب إلى عبد الله بن الزُّبير يَذكُر له أمرَه ، فكتب إليه عبدُ الله :
بئسَ ما صنعتَ ! أظننتَ أنّى أقتل أعرابيًّا من بنى تميم بالزُّبير ! خلِّ سبيلَه ، فخلّاه .

وقُتِل الزبيرُ وهو ابن سبعٍ وستّين — أو ستٍّ وستّين — فقالت عاتكةُ بنتُ
زَيْد بن عمرو بن نُفَيْل ترثيه :

غَدَرَ ابنُ جُرْمزٍ بفارسِ بُهْمَةٍ يَوْمَ اللِّقاء وكان غير مُعَرِّد[(٣)]

---

(١) ساقطة من ب .
(٢) ذفف على الجريح : أجهز عليه .
(٣) البهمة : الشجاع » ويراد بالبهمة هنا الجيش . والمعرد : الهارب المحجم عن قومه.

يا عمـــرُو لو نبّهتَه لوجدتَه لا طائشا رَعِشَ الجنانِ ولا اليَدِ
شَـــلَّتْ يمينُك إنْ قتلتَ لمسلمـــاً وجبتْ عليكَ عقوبةُ المتعمِّدِ[١]
إنّ الزُّبيرَ لذو بـــلاءٍ صادقٍ سمـــحٌ سَجِيّتُه كريمُ المَشْهَدِ
كم غَمْرةٍ قد خاضَها لَم يَثْنِه عنها طِرادُك يا بن فَقْـــع القَرْدَدِ[٢]
فاذهبْ فما ظَفِرتْ يـــداكَ بمثـــلِه فيما مضَى ممّا يَرُوح ويغتدِى

وكانت عاتـــكةُ قبلَ الزُّبير عند عبدِ الله بنِ أبى بكر، وكانت امرأةً لها جمالٌ وكمالٌ وتمامٌ فى عقلِها ومَنظَرِها وجزالةِ رأيِها؛ فـكانت قد غلبتْه على رأيه، فمرّ عليها أبو بكر أبوه وهو فى عِلّيّةٍ[٣] يُداعِبُها فى يومِ جمعة، وهو متوجِّه إلى الجُمُعة، ثم رَجَع وهو يُداعِبها[٤]، فقال: يا عبدَ الله، أجمَّعْتَ؟ قال: أوَصَلَّى الناسُ؟ قال: نعم، قال: وكانت قد شغلتْه عن سوقٍ وعن تجارةٍ كان فيها.

فقال له أبو بكرٍ رضى الله عنـــه: قد شغلتْك عاتـــكةُ عن المَعاش والتِّجارة، وألهتْك عن فرائضِ اللهِ تعالى؛ طلِّقْها، فطلَّقَها تطليقةً، وتحوّلتْ إلى جانب الدّار؛ فبيْنَا أبو بكر يصلِّى على سَطْحٍ له فى الدّار[٥] إذ سمعَه يقول:

أَعاتِكَ لا أنساكِ ما ذَرَّ شارقٌ وما ناحَ قُمْرِيُّ الحَمامِ المطوّقُ
أَعاتِكَ قلبى كلَّ يومٍ وليلةٍ إليكِ بما تُخْفِى النّفوسُ معلَّقُ
لها خُلُقٌ جَزْلٌ ورأىٌ ومنطِقٌ وخَلْقٌ سَواءٌ فى حياءٍ، ومَصْدَقُ
فلَمْ أَرَ مِثْلِى طَلَّقَ اليومَ مِثلَها ولا مِثْلَها فى غيرِ شىءٍ تُطَلَّقُ

---

(١) فى الأغانى: «عقوبة المستشهد».
(٢) الفقع: نوع من الكمأة. والقردد المستوى. ويقال للذليل: فقع قرقرة، وفقع القردد.
(٣) العلية، بكسر العين وضمها: بيت منفصل عن الأرض.
(٤) ا والأغانى: «يناغيها».
(٥) فى الأغانى: «فى الليل».

فسمع أبو بكر رضى الله عنه قولَه ، فأشرَف عليه ، وقد رَقَّ له ، وقال : يا عبدَ الله ، راجعْ عاتكة ، فقال : أُشهِدك أنِّى قد راجعْتُها . وأَشرَف على غلامٍ له يقال له : أَيْمَن ، فقال : يا أَيْمَن ، أُشهِدك أنّك حُرٌّ لوجه الله تعالى ، أُشهِدك أنِّى قد راجعتُ عاتكة ، ثمّ خرج يَجرِى إليها إلى مؤخر الدّار ؛ وهو يقول :

أَعاتِكَ قد طُلِّقْتِ فى غير رِيبةٍ ... وروجِعْتِ للأَمْر الّذى هو كائنُ
كذلك أمرُ اللهِ غادٍ ورائحٌ ... على النّاس فيه أُلْفَةٌ وتَبايُنُ
وما زال قلبى للتفرُّق طائراً ... فقلبى لما قَرَّتْ به العَيْنُ ساكِنُ(١)
لِيَهْنِكِ إنِّى لم أجِدْ فِيكِ سَخْطَةً ... وأنّكِ قد تمّتْ عليكِ المَحاسِنُ
وأَنّكِ ممّن زَيَّنَ اللهُ وجهَه ... وليس لوجهٍ زَيَّنَ اللهُ شائِنُ

وأعطاها حديقةً حين راجَعَها على ألّا تتزوّجَ أحداً بعده ، فلمّا مات بالسّهم الّذى أصابَه بالطائف أنشأتْ تقول :

فللّه عَيْنَا من رَأَى مِثْله فَتًى ... أكَرَّ وأحْمَى فى الهِياجِ وأَصبرا
إذا شرعتْ فيه الأَسِنّهُ خاضَها ... إلى المَوْت حتى يَترُكَ الرّمحَ أَحمَرا
فأقسمتُ لا تنفَكُّ عينى سخينةً ... عليكَ ، ولا ينفكُّ جِلْدِىَ أغبرَا
مَدَى الدّهرِ ماغنّتْ حمامةُ أَيكَةٍ ... وما طَرَدَ اللَّيلُ الصّبَاحَ المنوّرا

فخطبها عمرُ رضى الله عنه ، فقالت : قد كان أعطانى حديقةً على ألّا أتزوّجَ بعدَه . فقال لها : استَفْتِى ، فاُستفتتْ أميرَ المؤمنين علىَّ بنَ أبى طالب — رضى الله عنه — ، فقال لها : رُدِّى الحديقةَ على أهله وتزوَّجى ، فتزوّجتْ عمرَ رضى الله عنه ، فَسَيَّرَ(٢) عمرُ إلى عِدّةٍ من أَصحابِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، منهم(٣) علىُّ بنُ

---

(١) فى الأغانى : « وقلبى لما قد قرب الله ساكن » .
(٢) فى الأغانى : « فسرح » .
(٣) فى الأغانى : « فيهم » .

أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فدعاهم لمّا بَنَى بها ، فقال له علىّ : إنّ لى إلى عاتكة حاجةً أريد أن أكلِّمها ، فقل لها تَستتِر ، فقال لها عمر : تستَّرِى ياعاتكةُ ، فإنّ علىَّ ابنَ أبى طالب يريد أن يُكلِّمك ، فأخذتْ عليها مِرْطَها(١) ، فلم يَظهر منها إلّا مابدا من بَراجِمِها(٢) ، فقال : ياعاتكة :

فأقسمتُ لا تَنفكُّ عينِى سَخِينةً ... عليكِ ولا ينفكُّ جلدِىَ أغْبرَا

فقال له عمر : يرحَمُك الله ؛ ما أردتَ إلى هذا ! فقال علىّ : وما أرادت(٣) أن تقول مالا تفعل ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ ﴾(٤) ، فهذا شيء كان فى نفسى ، أحببتُ أن يَخرُج ، فقال عمر : ما حَسَّنَ اللهُ فهو حَسَن .

فلمّا قُتِل عمرُ رضى الله عنه ، قالت ترثيه :

عَيْنُ جُودى بعَبْرةٍ ونَحيبِ ... لا تَملِّى على الإمام النَّجيبِ
فجعَتْنا المَنونُ بالفارِسِ المُعْـ ... ـلِم يومَ الهِيـاج والتَّلْبيبِ(٥)
عصمةِ اللهِ والمُعِينِ على الدَّهْـ ... ـرِ ، غياثِ المُنْتابِ والمَحْرُوبِ(٦)
قلْ لأهل الضَّرّاءِ والبُؤْسِ مُوتُوا ... قد سَقَتْه المَنونُ كأسَ شَعوبِ(٧)

---

(١) المرط : كساء من صوف أو خز .
(٢) البراجم : مفاصل الأصابع ، إذا قبض الشخص كفه نشزت وارتفعت .
(٣) فى الأغانى : « وما أرادت إلى أن تقول » .
(٤) سورة الصف ٣ .
(٥) فى الأغانى : « فجعتنا الحتوف » .
(٦) المنتاب : الذى يأتى للطلب نوبة بعد نوبة ؛ والمحروب : المسلوب ماله .
(٧) شعوب : اسم المنية .

فلمّا انقضَتْ عِدّتُها خطبَها الزُّبيرُ بنُ العوّام ، فتزوّجها ، فلمّا ملكَها قال لها : ياعاتكة لا تخرُجي إلى المسجد — وكانت امرأةً عَجْزاء بادِنةً — فقالت : يابنَ العوَّام ، أتريدُ أن أدعَ لغيْرَتك مصلًّى صَلَّيْتُ فيه مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلّم ، وأبي بكر ، وعمرَ رضي الله عنهما !

قال : فإنّي لا أمنَعُك . فلمّا سمع النداءَ لصلاة الصُّبح يوما خرج فقام لها في سَقيفةِ بني ساعدة ، فلمّا مرّت به ضَربَ بيَدِه على عَجيزَتِها فقالت : مالَكَ قطع اللهُ يدَكَ ! ورجعتْ ، فلمّا رجع الزُّبيرُ من المسجد قال : ياعاتكة ، مالي لَمْ أرَكِ في مُصلّاكِ ؟ قالت : يرحَمُك الله أبا عبدِ الله ! فسدَ النّاسُ بعدَكَ الصلاةُ في القَيطونِ(١) اليومَ أفضلُ منها في البيت ، وفي البيت أفضلُ منها في الحُجْرة ؛ فلمّا قُتِل عنها الزُّبير بوادي السِّباع قالت ترثيه :

* غدَرَ ابنُ جُرْموزٍ بفارسِ بُهْمةٍ *

الأبيات المتقدِّمة .

فلمّا انقضتْ عِدّتُها تزوّجها الحسينُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما ، فكانت أوّل من رَفع خدَّه عن التّراب يومَ قُتِل ؛ وقالت ترثيه :

واحُسَيْنَا ! ولا نسيتُ حُسَيْنَاً أقْصَدَتْه أسنّةُ الأعـداءِ(٢)
غـادروه بكَرْبَلاءَ صَريعاً جادتِ المُزْنُ في ذَرَى كَرْبلاءِ(٣)

ثم تأيَّمَتْ(٤) بعد ذلك ، وكان عبدُ الله بنُ عمرَ يقول : من أراد الشَّهادة فليتزوّجْ عاتكة ، وكان مروانُ قد خَطبها بعدَ الحسين فامتنعتْ عليه ، وقالت :

---

(١) القيطون : المخدع .

(٢) يقال : أقصد السهم فلانا ، إذا طعنه فلم يخطئه .

(٣) الذرى هنا : الفناء .

(٤) تأيمت : مكثت ولم تتزوج .

ما كنت متّخِذةً حَمْواً(١) بعد رَسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم . وكان أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، قد خطب عاتكةَ لَما قُتِل الزُّبير ، فقالت : إنّى لأضَنُّ بك يابنَ عمِّ رسولِ الله عن القتل .

اجتَمع فتيةٌ من قُريش ببَطْن مُحَسِّر يتذاكرون الأحاديث ، ويتناشدون [الأشعار](٢) ، فأقبل طويس ،وعليه قميصٌ قُوهىٌّ(٣) ، وحبرَة قد ارْتَدَى بها ، وهو يَخْطِر فى مِشْيَتِه ، فجلس ، فقال له القوم : يا أبا عبد النّعيم(٤) ، غنِّنا شعراً مليحاً له حديث طَرِيف ، فغنّاهم شعرَ عاتكةَ بنتِ زيد ، ترثِى عمرَ رضىَ الله عنه :

مُنِـع الرُّقادُ فعـاد عينىَ عِيدُ ... ممّا تضمَّنَ قـلبىَ المَعْمودُ
ياليلةً نَحستْ عـلىَّ نُجومُها ... فَسَهِرْتُها والسّاهرون رُقودُ(٥)
قد كان يُسهِرنى حذارُكِ مَرَّةً ... واليوم حقَّ لعينىَ التَّسْهيدُ
أبكِى أمـيرَ المؤمنين ودُونَه ... للزّائرين صفائحٌ وصَعِيـدُ

فقال له القوم : لَمن هذا الشِّعرُ؟ فقال : لأجمل ِخَلْق ِ الله وأشأم ِخلق الله، فقالوا: بأنفسِنا أنتَ ؛ لِمَن هذا؟ قال : والله من لا يُجهَـل نسبُها ، ولا يُدفَع شرفُها ، تزوّجتْ بابن خليفةِ رسول الله؛ وثنّت بخليفة خليفة رسول الله ، وثلثت بحوارىّ رسول الله ، وربّعت بابن رسول الله ، وكلّا قتلت ، فقالوا : جعلنا الله فداكَ ! من هذه ؟ فإنّ أمرَها لعجَب ! قال : عاتكةُ بنتُ زيد . قالوا : نَعمْ ، هىَ على

(١) كذا فى ا ، وفى الأغانى : « حما » ، وهما سواء .
(٢) تكملة من الأغانى .
(٣) الثياب القوهية : ثياب بيض ، معروفة ، تنسب إلى قوهستان .
(٤) فى الأغانى : « يا أبا عبد الله » .
(٥) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « حبست على نجومها » .

ما وَصَفْتَ ، قوموا بنا لا يُدْرِكْ شؤمُها مَجْلِسَنا[١] ، فقال طُوَيس : إنّ شؤمَها قد مات معها . قالوا : واللهِ أنتَ أعلمُ منّا .

ولم يزَلَ السهمُ الّذى أصاب عبدَ الله بن أبى بكر محفوظاً عند أبيه أبى بكر رضى الله عنه حتى قَدِم وفدُ ثقيف ، فأَخرج السهمَ ، فقال : مَن يعرف هذا منكم ؟ فقال سعيدُ بنُ عُبيد من بنى علاج : هذا سَهْمى أنا رِشْتُهُ ، وبَرَيْتُه وعَقَبْتُهُ[٢] ، وأنا رَمَيْتُ به يومَ الطّائف .

فقال أبو بكر : فهذا السّهمُ الّذى قتَل عبدَ الله ، والحمد لله الّذى أكرمَه بيدِك ، ولَم يُهِنْكَ بيدِه .

---

(١) ا ، والأغانى : « لا يدرك مجلسنا شؤمها » .

(٢) عقب السهم والقوس : لوى شيئا من العقب عليها .

الزبيرُ بنُ دَحْمان*

يُذكَر نسبهُ في ترجمة أبيه في حرف العين ؛ لأنّ اسم أبيه عبد الرحمن ؛ وهو دَحْمان الأشقر ، أبوه مولَى بنى لَيْث بنِ بكرِ بنِ عبد مَناة .

كان الزُّبيرُ من المحسِنين المتقدّمين في الصَّنْعة ، قَدِم على الرّشيد من الحجاز ، وكان المُغَنُّون في إيّامه حِزْبَين ، وكان الزبيرُ في حِزْب إسحاق ، وأخوه عُبيدُ الله في حزب إبراهيمَ بن المهديّ ، فلمّا قَدِم الزبيرُ من الحجاز على الرّشيد ، قدمَ رجلٌ ماشئتَ عَقْلا ونُبْلا ، وأَدَباً ودِينا ، وسُكونا ووَقاراً ، وكان أبوه قبله كذلك . وقدِم معه أخوه عُبيد الله .

قال إسحاق بنُ إبراهيم : فلمّا جلسْنا مع الرّشيد تخيّلتُ في الزّبير الفَضْل ، فقلتُ لأبي : يا أَبَهْ[1] ما أَخْلَق الزُّبير بالفَضْل ، وأن يكون أفضلَ من أخيه !

فقال : هذا لا يجيء بالظّن والتَّخمين[2] ، والجواد إنّما يُمتَحن في المَيْدان . فقلتُ : إنّ الجوادَ عَيْنُه فِرُاره[3] ، فضَحِك وقال : نَنظُر في فِراستِك ، فلمّا غنّينا بانَ فضلُ الزُّبير وتقدُّمُه ، فاصطفَيْناه لأنفسنا ، وقرّظْناه ووصَفْناه ، وصار في حِزْبِنا .

وغنَّى الرشيدَ غناءً كثيرا من غِناء المتقدّمين ، فأجادَ وأَحسن .

وسأله الرشيدُ أن يغنّيه شيئا من صنْعته ، فتَلوَّى وقال : قد سمعَ أميرُ المؤمنين

---

* ترجمته في الأغاني ١٧ : ٧٣-٧٨ (ساسي).

(١) في الأغاني : « يا أبت » .

(٢) في الأغاني : « التخيل » .

(٣) فراره ، مثلثة الفاء ، أي يغنيك شخصه ومنظره عن أن تختبره وأن تفر أسنانه .

غناء الُحذّاق ، فما عسى أن يأتىَ من صنْعتى ! فأَقسَم عليــه أن يغنيِّــه من صنعته ، وجدّ به فغنّاه :

ارحَلَا صاحِبَيَّ حانَ الرَّحيلُ   وأُبكيانِى فليسَ تبكِى الطُّلولُ
قد تولَّى النهارُ ، وانقضت الشَّـ   ـسُ يَميناً ، وحانَ منهــا أُفُولُ

فسمعنا صنعةً حسنةً ، لا مَطعَن عليهــا ، فطَرِب الرّشيدُ ، واستعاده ثلاث مرّات ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، ولأخيه بعشرين ألف درهم .

قال إسحاق : فقلتُ لأبى : يا أبهْ ، كيف كانت صنعةُ عبيد الله ؟ قال : أنا أُجمِل لك القول ، لو كان الزبيرُ مملوكاً لاشتريته بعشرين ألف دينار ، ولو كان عُبيد الله مملوكاً لما طابت نفسى أن أشترَيه بعشرين دينارا ، فقلت له: قد أجبتَـنِى بما يكفينى .

وكان غناء دَحمانَ يُشبِـه غِناء ابنه عبدِ الله ، والزبيرُ يَفضُل عليهما فضلا بعيدا.

كَتَب الرشيدُ فى إشخاص الزُّبير بنِ دَحْمانَ إلى مدينة السّلام(١) فوافاها ، واتّفق قدومه فى وقت يخرج الرشيــد إلى الرَّىِّ لُمحارَبة بنِدار هُرْمز أَصْبهبذ(٢) بطبَرستان ، فأقام الزّبيرُ بمدينة السَّلام إلى أن عــاد الرّشيد ، فدخل عليه فى الشمّاسيّة(٣) ، فغنّاه فى أوّل غنائه :

ألا إنّ حِزْب اللهِ ليس بمعجزٍ   وأنصاره فى مَنْعــــةِ المتحرِّزِ
أبَى اللهُ أن يُعْصَى لهــا دونَ أمره   وذَلَّتْ له طَوْعا يَـــدُ المتعزِّزِ
إذا الرّايةُ السَّوداءُ راحتْ أو اغتدتْ   إلى هاربٍ منها ، فليس بمُعجِزِ

---

(١) مدينة السلام : هى بغداد .

(٢) الإصبهبذ : اسم لملوك طبرستان . الألفاظ الفارسية ١٠٧ . وفى الأغانى : « أصبهبذ طبرستان » .

(٣) فى الأغانى : « فلما قدم دخل عليه بالخيزرانية وهو الموضع الذى يعرف بالشماسية ... » .

أطاعتْ لهادونَ العُداة لَدَى الوَغَى ... وكبّر للإسلام بنـدارُ هُرْمُزِ(١)

قيل : إنّ هـذا الشعر للزُّبير بنِ دَحْمان ، والصحيح أنّه لأبى العَتاهيةِ ، فاستحسَنَ الرشيدُ الشعرَ والغِناء ، وأمر له بألفِ دينار ، فدُفِعتْ إليه ، فمكث ساعةً(٢) وغنى صوتا ثانيا :

وأحْوَرَ كالغُصن يَشفِى السَّقامَ ... ويَحْـكِى الغـزالَ إذا ما رَنَا
شربتُ المُدامَ على وجهِـه ... وعاطيتُه الـكأسَ حتّى أنثَنَى
وقلتُ مـديحاً أُرَجِّى بــه ... من الأَجْرِ حظًّا ونَيْـل الغِنى
وأغْـنِى بذاكَ الإمامَ الّـذى ... بـه اللهُ أَعطَى العباد المُـنَى

فما فَرَغ من الصّوت حتّى أَمَر له بألف دينار أخرى ، فأخَذَها ، وخَفَّ على قلبه ، وأُستظرفه ، فأغناه فى أيّام يسيرة .

كان الرّشيد بعد قَتْلِ البرامِكة شديدَ الأسف عليهم ، والنَّدَم على ما فعل بهم (٣ففطن لذلك الزبير بن دحمان ؛ فـكان يغنّيه فى هذا المعنى ويحرّكه ، فغنَّاه يوما فى شعر امرأة من بنى أسد٣) :

مَن للخُصوم إذا جَدّ الخِصَامُ بهمْ ... يومَ الجِدالِ ومَن للضُّمَّر القُودِ(٤)
وموقفٍ قد كفيتَ الناطِقين بـه ... فى مَجمَعٍ من نَواصِى النّاسِ مشهود(٥)
فرّجْته بلسانٍ غيرِ ملتَبِسٍ ... عند الحِفاظ وقلبٍ غـير مزءود(٦)

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول « وكفر » تحريف .
(٢) ب ، ج : « ثانيا » .
(٣ـ٣) ساقط من ب ، ج .
(٤) القود : جمع أقود ؛ وهو من الخيل : الذلول المنقاد .
(٥) يريد بنواصى الناس رءوسهم .
(٦) المزءود : المذعور ؛ وفى الأغانى : « غير مردود » .

فقال الرّشيد: أَعِدْ، فأعاد، فقال : وَيْحَكَ ! كأنّ قائلَ هذاالشعر يصف به يحيي ابن خالد وجعفرَ بن يحيي ؛ وبكى حتّى جرتْ دموعُه ، ووَصَلَ الزّبيرَ صِلةً سنيّةً .

غَضِبَ الرّشيدُ على أمّ جعفر ، ثم ترضّاها ، فأبتْ أن تَرضَى عنه ، فأرِقد ليلتَه[١] ، ثم قال : افرِشوا لى على دِجْلةَ ، ففعلوا ، وجعل ينظر إلى الماء ، وقد زاد زيادةً عجيبة ، فسمع غِناءً فى هذا الشعر :

جرى السَّيْلُ فاُستبكانِيَ السَّيلُ إذْ جَرى
وفاضت له من مقلتىَّ غُروبُ

وما ذاكَ إلّا حينَ خُبِّرتُ أنّه ... يَمُرُّ بِوادٍ أنت منه قريبُ
يكون أُجاجاً دونكمْ فإذا انتهى ... إليكمْ تَلقَّى نَشرَكُمْ فيطيبُ
فياساكِنِى أكنافَ دجلةَ كلُّكمْ ... إلى القلْب من أجل الحبيبِ حبيبُ

فسأل عن النّاحية الّتى فيها الغناء ، فقيل دار المسيّب[٢] ، فبعث إليه أن اُبعث المغنِّى ، فبعث به ، فإذا هو الزّبيرُ بنُ دَحْمان ، فسأله عن الشِّعر ، فإذا هو للعبّاس ابن الأحنف ، فاحضَرَه فاُستنْشَدَه إيّاه فأنشدَه ، وجعل الزبيرُ يغنّيه ، والعبّاس يُنشِده ، وهو يستعيدها، حتى أصبح وقام ، فدخل على أمِّ جعفر ، فسألتْ عن سبب دخوله فعرفتْه ، فوجَّهتْ إلى العبّاسِ ألفَ دينار ، وإلى الزّبير بن دحمان ألفَ دينار.

تشوّقَ الرشيدُ إلى بغدادَ وهو بالرّقّة ، فاُنحدَرَ إليها ، فأقام بها مدّة ، وخلّف هناك جاريةً من حَظاياه لمغاضَبةٍ كانت بينها وبينَه ، فتشوّقها شوقاً شديدا ، فقال فيها :

سلامٌ على النازحِ المُغْتَرِبْ ... تحيَّة صَبٍّ به مكتئبْ

(١) كذا فى ا ، وفى الأغانى : « ليله » ؛ وفى ب ، ج : « ذات ليلة » ، وليس بشىء .
(٢) فى الأغانى : « ابن المسيب » .

غزال مَراقِمُه بالبَليخِ ... إلى دَيْر زَكّى فقصرِ الَخشَب[١]
أيا مَن أَعانَ علـى نفسِه ... بتخليفِهِ طائعاً مَن أَحَبّْ
سأسْتُرُ والسِّـترُ من شِيمتى ... هَوَى مَن أُحِبُّ بمَنْ لا أُحِبّْ

وجَمَع المغنِّين، وأعطاهم الشِّعْر، وقال: لِيَعْمَلْ كلٌّ واحد فيه لَحْناً، فعَمِلوا فيه عشرين لحنا، فما أعجبه منها إلّا لحن الزُّبير بن دَحْمان، وأجازَه خاصّة دون الجماعة بجائزة سنيّة.

---

(١) فى الأغانى: « بقصر الخشب ».

زهيرُ بنُ جَناب*

هو زهيرُ بنُ جَناب بنِ هُبَل بنِ عبدِ الله بن كنانةَ بنِ بكر بن عوف بن عُذْرة ابن زيد اللّات بنِ رُفَيْدةَ بنِ ثوربنِ كَلْب بن وَبرَة بنِ ثعلبةَ[1] بن حُلْوانَ بنِ عمران ابن ألحافِ بنِ قُضاعة .

شاعرٌ جاهليٌّ ، سيِّدُ بنى كَلْب ، وقائدُهم فى حروبهم . وكان شجاعا مظفَّرا ميمونَ النَّقيبة فى غَزَواته ، وهو أحد المعمَّرين ، وأحدُ مَن ملَّ عمرَه ، فشرِب الخمرَ صِرفا حتّى قتلتْه ، ولَمْ يوجَد شاعرٌ فى الجاهليّة والإسلام وَلَد من الشُّعراء أكثرَ مِن وَلَد زُهير[2] .

وكان ظاعناً ، فقال عبدُ الله بن عُلَيْم بن جَناب : إن الحىَّ مقيم . فقال عبدُ الله: إنّ الحىّ ظَاعن ، فقال : مَن هذا الّذى يُخالفنى منذ الْيوم ؟ فقيل له : ابْنُ أخيك عبدُ الله ، فقال : أو ما هاهنا أحدٌ ينهاه عن ذلك ! قالوا : لا تغضب ، فغضب وقال : لا أَرَى ، قد خولِفْتُ ! ثم دعا بالخمر فشربَها صِرْفا بغيرِ مِزاج على غير طعامٍ حتى قتلتْه .

وهو القائل فى ذَمِّ الكِبَر وطولِ الحياة :

الموتُ خيرٌ للفَتَى فليَهْلِكَنْ وبهِ بقيّــهْ
من أن يُرَى الشيخَ البَجا لَ إذا تَهادَى بالعَشيّهْ[3]

---

* ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٦٣ ـ ٦٩ (ساسى) .

(١) فى الأغانى : « تغلب » .

(٢) فى الأغانى : « ممن ولد زهير » .

(٣) البجال : السيد الذى يبجله قومه .

أَبَنِىَّ إن أَهْلِكْ فقد   أورثْتُكم مجداً بَنِيّهْ
فتركتكمْ أبناء سا   داتٍ زِنادُكمُ وَرِيَّهْ(١)
مِنْ كُلِّ ما نالَ الفتى   قد نلتُه إلّا التحيّهْ(٢)

كان الحارثُ بنُ ماريةَ الغسّانىُّ مُكرِماً لزُهيرِ بنِ جَناب، ينادِمُه ويحادِثه، فقَدِم على الحارث رجلان من بنى نَهْدِ بنِ زيد، يقال لأحدهما: حَزْن، وللآخر سَهْل ابنى رَزاح، وكان عندهما من أحاديث العرَب عِلم، فاجتباهُما المَلِك، ونزَلا منه المكان الأثيرَ، فحسدهما زهير بنُ جَناب، فقال: أيّها المَلِك، هما واللهِ عَيْنٌ لذى القَرْنَيْن عليك — يعنى المُنذِرَ الأكبر، جَدَّ النّعمان بنِ المنذر — وهما يكتبان إليه بعَوْرَتِك، وخَلَلِ ما يَرَيانِ منك، قال: كلاّ؛ فلم يزَلْ به زهيرٌ حتّى أوغَلَ صدرَه، وكان إذا ركب بعث إليهما بعيرَيْن، يَرْكَبان معه، فبعث إليهما بناقة واحدة، فعَرَفا الشرّ، فلَم يركب أحدُهما وتوقّف، فقال له الآخر:

فإلّا تَجَلَّلْها يُعَالُوكِ فوقَها   وكيف تُوَقّى ظهرماأنتَ راكبُه!(٣)

فركبها مع أخيه ومُضِىَ بهما فقُتِلا. ثم بَحث عن أمرِهما بعد ذلك فوجَدَه باطلا، فشتَم زهيراً وطردَه، وانصرفَ إلى بلاد قومه. وقَدِم رَزاحٌ أبو المقتولَيْن إلى المَلِك، وكان شيخا عالما، فأكرَمَه المَلِك، وأعطاه دِيّةَ ابنَيْه.

وبلغ زهيرٌ مكانَه، فدعا ابناً له يقال له عامر، وكان من فتْيان العرب لسانا

---

(١) زنادكم وريه، كنى بذلك عن بلوغ مأربهم؛ تقول العرب: وريت بك زنادى، أى نلت بك ما أحب من النجح والنجاة.
(٢) التحية: الملك أو البقاء.
(٣) تجللها: علاها وركبها.

وبيَانًا ، فقال له : إنّ رَزاحا قد قَدِم على الملك ، فالْحقْ به ، واْحتَلْ فى أنْ تكفينيه. وقال له : اتَّهِمْنى عند المَلِكِ ونَلْ مِنّى ، وضربَه ، وأثَّر فيه آثارا .

فخرج الغلامُ حتّى قدِمَ الشام ، فتلطَّفَ للدّخول على المَلِكِ حتى وصل إليه ، فأعجَبَه بيانُه ، فقال له : مَن أنت ؟ قال : عامرُ بنُ زهير بن جَنَاب ، قال : لا حيّاكَ اللهُ ولا حيَّا أباكَ الغادرَ الكذُوب الساعى ! قال[1] عامر : نعم ، فلا حيّاه الله ! انظُر أيّها المَلِكِ ما صنع بظَهْرى ! وأراه آثارَ الضَّرْب ، فقبل ذلك منه ، ثم أدخَلَه فى نُدَمائه ؛ فبينا هو يوما يحدِّثه إذْ قال : أيّها الملِك ، إنّى وإن كان أبى مُسيئاً لا أَدَعُ أن أقولَ الحقَّ فيه ، وقد واللهِ نَصَحَك ، ثم قال :

فيالَكَ نَصْحَةً لمّا يذقْها أراها نَصْحةً ذهبتْ ضلالَا

ثم تركه أيّاما ، وقال بعد ذلك : أيّها المَلِك ، ما تقول فى حيّةٍ قُطِع ذَنَبُها وبقىَ رأسُها ؟ قال : ذلك أبوكَ وصنيعه بالرّجُلين ما صَنَع ، قال : أبيتَ اللَّعْنَ ! فواللهِ ما قَدِم رزاحٌ إلّا ليثأرَ بهما ، فقال له : وما آية ذلك ؟ قال : اسقِه الخمر ، ثم ابعَثْ عليه عَيْناً لكَ يأتِيك بخبرِه ؛ فسقاه ، فلمّا انْتَشَى صرَفه إلى قبّتِه ومعه بنتُه ، وبعث عليه عُيونا ، فلمَّا دخل قبّتَهُ قامت ابنتُه تُسانِدُه ، فقال :

دَعينى من سِنادِكِ إنّ حَزْناً وسَهْلا ليس بعدَهما رُقودُ
ألا تَسَلِين عن شِبْلَيْكِ ماذا أصابَهما إذا اهترَش الأُسودُ !
فإنى لو ثَأَرْتُ المرءَ حَزْناً وسَهْلًا قد بدا لكِ ما أُريدُ

فرجع القومُ إلى المَلِك فأخبروه بما سَمِعوا، فأمر بقتْل النَّهْدىّ ، فقُتِل . وردّ زهيرًا إلى موضعه .

---

(١) ا : « فقال الغلام » .

وكان قد غَزَا غَطفان ؛ وسببُ ذلك أن بنى بغيض خرجوا مِن تِهامة ، فسارُوا بأجمَعِهم ، فتعرّضتْ لهم صُدَاء (قبيلةٌ من مذحِج) فقاتلوهم ، وبنو بَغِيض سائرون بأهليهم ونسائهم وأموالهم ، فقاتَلوا عن حَرِيمهم فظهروا على صُدَاء ، فأوجَعُوا فيهم ، وعزّت بنو بَغيض بذلك وأثْرَت ، وأصابت غنائمَ ، فلمّا رأوْا ذلك قالوا : والله لنتّخِذنّ حَرَماً مثل حَرَمِ مكّة ؛ لا يُقتَل صَيْدُه ، ولا يُعضَد شجرُه ، ولا يُهاج عائذُه .

فوَليتْ ذلك بنو مُرّة بن عوف ، ثم كان القائم على أمرِ الحَرَم وبناء حائطه رِياحُ ابنُ ظالم ، ففعلوا ذلك ، وهم على ماء لهم ، يقال له : « بُسّ » ، وبلغ فِعْلُهم وما اُجتَمعوا عليه زهيرَ بن جَناب ـ وهو يومئذ سيّدُ بنى كَلْب ـ فقال : والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حىّ ، ولا أُخَلِّى غَطَفانَ تتّخذ حَرَماً أبدا ، فنادَى فى قومه ، فاُجتمعوا إليه ، فقام فيهمْ فذكر حالَ غَطفان ، وما بلغه عنها وأنّ أكرَمَ مأثُرَةٍ يَعْتَقِدها هو وقومُه أن يمنعوهم من ذلك ، ويَحُولوا بينهمْ وبينه ، فأجابوه ، واُستمدَّ بنى القَيْن بن جُشَم ، فأبوْا أن يغزُوا معه ، فسار فى قومه حتى غزَا غَطفان ، فقاتَلهمْ وظَفِر بهم زهير ، وأصاب حاجتَه منهم ، وأخَذ فارساً منهم أسيرا فى حَرَمهم الّذى بَنَوْه . فقال لبعض أصحابِه : اضْرِب عُنقَه[1] . فقال : إنه بَسْل[2] فقال زهير : وأبيك ما بَسْلٌ علىَّ بحرام ، وقام إليه فضرب عنقه ، وعَطّل ذلك الحَرَم ، ثم مَنّ على غَطفان ، فردَّ النّسَاء ، واُستاقَ الأموال ، وقال زُهير فى ذلك :

ولَم تَصبِرْ لنَا غَطَفانُ لمّا[3] تلاقَيْنــا وأُحرِزَتِ النّســاءُ
ولولا الفضــلُ منّا ما رجعتمْ إلى عَذْراءَ شيمتُهــا الحَيــاءُ

---

(١) الأغانى : « رقبته » .

(٢) البسل : الحلال والحرام ، ضد ، وهنا بمعنى حرام .

(٣) ب ، ج : « بنو غطفان » .

فـكم غادرتُ مِن بَطلٍ كَمِيٍّ   لَدَى الهيجـاءِ كان له غَنـاءُ
فدونـكمُ دُيونا فاطلبوها   وأَوْتاراً ودونكمُ اللِّقاءُ
فإنّا حيث لا نَخْفَى عليـكمْ   ليوثٌ ، حينَ يُهتَصَرُ اللِّواءُ[1]
نخلِّى بعـدها غَطفـانَ بُسَّـا   وما غَطفانُ والأرضُ الفضاءُ!
فقد أَضحى لحيٍّ بنى جَنابٍ   فضـاءُ الأرضِ ، والماءُ الرَّواءُ[2]
ويَصدُقُ طعننُـا فى كلِّ يوم   وعنـد الطعن يُختَبَرُ اللِّقاءُ
نفينا نَخْوَةَ الأعداءِ عَنّـا   بأرماحٍ أسنَّتُها ظِماءُ
ولولا صـبرُنا يومَ التقَيْنَـا   لقينا مثلَ ما لقيتْ صُداءُ
غداةَ تَعرَّضُوا لِبَـنِى بَغيضٍ   وصِدقُ الطَّعْنِ للنَّوْكَى شِفاءُ
وقد هَرَبتْ حذارَ الموتِ قَيْنٌ   على آثارِ مَنْ ذَهَبَ العَفَاءُ
وقد كنا رَجَوْنا أَن يُمِدُّوا   فأخلَفَنا من أُخوتِنا الرَّجاءُ
وأَلهَى القَـيْنَ عن نَصْرِ الموالى   حِلابُ النِّيبِ ، والمَرعَى الضَّراءُ[3]

كان أَبْرهةُ حين طلع نجداً أتاه زهيرُ بنُ جَناب ، فأكرمَه أبرَهةُ وفضَّلَه على مَنْ أتاه من العرَب ، ثم أمَّره على بَكرٍ وتغلِبَ ابنى وائل ، فوليَهم وأصابَتْهم سنَةٌ شديدة ، فاشتدّ عليهم ما يطلبُ منهم زهير ، فأقام بهم فى الجَدْب ، ومنَعَهم من النُّجعة حتى يُؤَدُّوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تَهلِك ، فلمّا رأى ذلك ابن زَيّابة ، أحد بنى تيْم اللّات بن ثعلبة — وكان رجلا فاتكا — دخل على زهير بن جَناب ، وهو نائم فى قبّةٍ له مِن أَدَم — وكان زهير رجلا عظيمَ البطن — فاعتمد ابن زَيّابَةَ بالسَّيف

---

(١) الاهتصار : سقوط اللواء ، وأصله فى غصن الشجرة .
(٢) الرواء : العذب والكثير.
(٣) الضراء : الشجر الكثيف المتلف فى الوادى .

على بطنِ زهير ، فمارَ فى بطنِه حتّى خرج مارقاً بين الصِّفاق[١] ، وسَلِمت أعفاجُ بطنِه[٢] ، وظنّ ابن زَيّابةَ أنّه قتله ، وعلم زهيرٌ أنه قد سَلِم ، وتخوّف أن يتحرّك فيُجْهِزَ عليه ، فسَكَت وانصرف ابنُ زَيّابةَ إلى قومه ، فقال : قد واللهِ قتلت زُهيراً فـكفيتُكُموه ، فسرّهم ذلك ، ولمّا عَلِم زهيرٌ أنّه لم يُقدم عليه إلّا عن ملأٍ من بكرٍ وتغلبَ ، وإنما مع زهير نفرٌ من قومه بمنزلة الشَّرَط ، فأَمَر زهيرٌ قومَه فغيّبوه بين عمودَيْن فى ثياب ، ثم أَتَوا القومَ فقالوا لهم : إنّكم فعلتم بصاحِبنا ما فعلتم ، فأْذَنوا لنا فى دَفْنِه ، ففعلوا ، فحملوا زهيرا ملفوفا بين العمودَيْن والثّياب ؛ حتى إذا أبْعَدوا عن القوم أخرَجُوه ، فلفّوه فى ثيابِه ، ثم حفَروا حُفرةً فعمّقوها ، ودفَنوا فيها العمودَيْن ، وساروا ومعهم زُهير ، فلمّا بلغ زهيرٌ أرضَ قومِه ، جمع لبكرِ بن وائل الجموعَ ، وبلغهم أن زهيرا حيّ ، فقال ابن زَيّابة :

طعنةً ما طَعنتُ فى غَلَس الصُّبْـ ... ـحِ زُهيراً وقد توافَى الخصومُ[٣]
حين تَجْـبِى له المَوَاسمَ بَـكرٌ ... أين بكرٌ ، وأين منها الحُلومُ !
خانني السيفُ إذ طعنتُ زهيرًا ... وهو سيفٌ مضلَّل مشئومُ

وجمع زهيرٌ بنى كَلْب ، ومن تَجمَّع له من شُذّاذ القبائل[٤] ، ومَنْ أطاعه من أهل اليمن ، فغزا بكراً وتغلبَ ابنَىْ وائلٍ ، وهم على ماء يقال له : الحِنْىّ ، وقد كانوا نَذِروا به[٥] ، فقاتلوا قتالًا شديداً ، ثم انهزمَتْ بكر ، وأَسلمَتْ بنى تغلب ، فقاتلت شيئاً من قتال ، ثم انهزمَتْ ، وأُسر كليبٌ ومهلهلٌ ابنا ربيعة ، وسِيقت

---

(١) الصفاق : الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر ، أو هو جلد البطن كله .

(٢) الأعفاج : جمع عفج ، وهو الموضع الذى يتحول إليه الطعام بعد المعدة .

(٣) الأغانى : « فى عبس الليل » .

(٤) فى الأغانى : « من شذاذ العرب والقبائل » .

(٥) نذروا به : علموا .

الأموال،وقتَلَتْ كلبٌ من تغلبَ قتلَى كثيرة، وأَسَرُوا جماعةً من فُرْسانهم، ووجوههم وقال زهير بنُ جناب فى ذلك :

تبًّا لِتغْلِبَ إذْ تُساقُ نساؤهمْ ... سَوْقَ الإماءِ إلى المواسم عُطَّلَا[١]
لَحِقَتْ أوائلُ خَيْلِنا سَرَعانَهُمْ ... حتى أَسَرْنَ على الحِنِىِّ مُهلهِلَا[٢]
إنّا مُهَلْهِلُ ما تَطِيشُ سِهامُنا ... أيّامَ يَنْبُت فى يدَيْكَ الحَنْظَلَا[٣]
وَلَّتْ حُماتُكَ هارِبِين من الأَسَى ... وبقيتَ فى حَلَق الحديدِ مكبَّلَا
فلئن قُهِرت لقد أسرتُكَ عَنْوَةً ... ولئن قُتِلتَ لقد تكون مُرَمَّلَا[٤]

وقال من قصيدة أخرى فى هذه الوقعة، يعيِّر بنى تَغْلِب:

أينَ أينَ الفِرارُ مِن حَذَر المَوْ ... تِ ، وإذْ يَتَّقُون بالأَسْلابِ
إذْ أَسَرْنا مُهَلهِلًا ، وأخاه ... وأَبنَ عَمْرٍو فى القِدِّ،وابنَ شهابِ
وسَبَيْنا مِن تَغْلِبٍ كلَّ بيضا ... ءَ رَقودِ الضُّحَى بَرودِ الرُّضابِ
يومَ يدعو مُهَلهِلٌ : يا لَبَكْرٍ ! ... ويْحَكُمْ فى حفيظةِ الأَحْسابِ[٥]
وهم هارِبون فى كلِّ فَجٍّ ... كَشَرِيد النَّعامِ فوقَ الرَّوابِى
وأُستدارت رَحَا المنايا عليهمْ ... بلُيوث من عامرٍ وجَنابِ
طَحَنَتْهُم رِحاؤُها بطَحُونٍ ... ذات ظُفْرٍ حديدة الأَنيابِ[٦]
فهُمُ بين هاربٍ ليس يَأْلُو ... وقتيلٍ معفرٍ فى التّرابِ
فَضَلَ العِزَّ عِزُّنا حين نَسْمو ... مِثل فَضْلِ السَّماء فوق السَّحابِ

(١) العطل : من لا حلى عليهن .
(٢) سرعانهم : أوائلهم .
(٣) فى الأغانى : « ينقف فى يديك » .
(٤) المرمل : الملطخ بالدم .
(٥) ب ، ج : « الأنساب » .
(٦) فى الأغانى : « أرجاؤها » ، والطحون هنا : الحرب .

وَفَدزهيرُ بنُ جَنابٍ ، وأخوه حارثةُ على بعض ملوكِ غَسَّان ، فلمّا دخلا عليه حدّثاه وأنشداه ، فأُعجِب بهما و نادماه ، فقال لهما يوما : إنّ أُمِّى عليلةٌ شديدةالعِلّة ، وقد أَعْيانى دواؤها ، فقال حارثة : كَمِرَة حارّة – وكانت فيه لُوثة – فقال له المَلك : أىُّ شيء قلتَ ؟ فقال زهير : كَمْأَة حارّة تُطعِمُها . فوثَبَ المَلِك وقد فهم الأُولَى والأخيرة ، يُريهما أنه يأمر بإصلاح الكَمْأَة لها ، وحَلُم عن مقالةِ حارثة ، فقال حارثة لزهير : اِقلِبْ ما شئتَ ينقَلِب ، فأرسَلَها مَثَلًا .

وعاش زهيرُ بن جناب مائتين وخمسين سنة ، أوقَعَ فيها مائتى وقعةٍ فى العرب ، ولم تجتمع قضاعةُ إلّا عليه وعلى حِنِّ[1] بنِ زَيْدٍ العُذْرِىّ ، ولم يكن فى اليمَن أشجع ولا أَخْطب ، ولا أوْجه عند الملوك من زُهير ، كان يُدْعَى الكاهن لصحّة رأيه .

وقيل : إنّ زهيرا عاش أربعمائة سنة ، وخمسين سنة .

وقيل : أربعمائة سنة ، وكان لمّا أسَنّ ذهب عقلُه ، وكان يَخرجُ تائهاً لا يَدرِى أين يَذهب ، فتلحقهُ المرأةُ من أهله ، أو الصبىُّ فيردّه ، ويقول له : إنّا نخاف عليك الذئبَ أن يأ كلك فأين تذهَب ؟ وممّا قال فى كِبَرِه :

لقد عُمِّرتُ حتّى ما أُبالِى … أحَتْفِى فى صَباحى أم مَسائى
وحُقّ لمن أتت مائتان عاماً … عليه ، أنْ يملّ من الثّواء

وممّن شَرِب الخمرَ صِرْفاً حتّى مات عَمْرُو بنُ كُلثوم التّغْلِبىّ ، وأبو بَرَاء عامرُ بنُ مالكٍ ، مُلاعبُ الأسِنّة .

(١) كذا فى ب ، ج ، والأغانى ، وفى كتاب المعمرين ٢٨ : «ولم تجتمع قضاعة إلا عليه وعلى رزاح بن ربيعة » .

وعاش هُبَل بنُ عبد الله جَدُّ زهير سِتَّمائة سنة وسبعين سنة ، وكان الُجلاحُ ابنُ عوف السَّحِيمىّ أحد بنى سُحَيمة قد وَطّأ لزهيْرَ بن جناب نُزُلَه معه ، فلم يزل تحت جناحِه حتّى كثُر مالُه وولدُه ، وكانت أختُ زهير متزوِّجةً من بنى القيْن بنِ جَسْرٍ ، فجاء رسولُها إلى زُهير ومَعه بُرْدٌ فيه صِرارُ رَمْلٍ وشوكةُ قتاد ، فقال زهيرٌ لأصحابه : أتتكم شوكةٌ شديدة ، وعددٌ كثير فاُحتمِلوا .

فقال له الُجلاح : أنحتَمِل لقول امرأة ! والله لا نفعل ذلك ، فقال زهيرٌ :

أمّا الُجــلاحُ فإنّنى فارقتهُ لا عن قِلًى ولقد يَشِطُّ بنا النَّوَى

فلئن ظَعَنْتَ لأصْبِحَنّ مخيِّماً ولئن أقمتَ لأَظْعَنَنّ على هَــوَى

وأقام الُجلاح ، وظَعَن زهــيرٌ فصبَّحهم الجيش ، فقتل عامّة قومِ الُجلاح وذهبوا بماله ــ واسمُ الُجلاح عامرُ بنُ عوف بنِ بكر بنِ عامر بن عوف بن عُذْرة ــ ومضى زهيرٌ من وجهِهِ ، حتّى اجتمع مع عشيرته من بنى جَنَاب ، وبلغ الجيشَ خبرُه فقصدوه ، وحارَبهم وثبتَ لهم فهزَمَهم ، وقتل رئيسا منهم ، فانصرَفوا عنه خائبين . وقال زهيرٌ فى ذلك من أبيات :

سائلْ أمامَةَ عنّى هــل وَفَيْتُ لها أم هل مَنَعتُ مِن الخيرات جِيرانا[1]

لا يَمنع الضَّيْمَ إلّا ما جدٌ بطلٌ إنّ الكريمَ كريم حيثما كانا

وأمّا الشعراء من ولد زُهير فنهم معاذ[2] بن أسد بن جُنادة بن صَهْبان بن امرئ القيس بن زُهيرِ بنِ جَناب .

ومنهم حُرَيث بنُ عامر بنِ الحارث بنِ امرىء القيس بنِ زُهَير بن جناب .

---

(١) كذا فى ب ، ج ، وفى ا والأغانى . « من المخزاة » .

(٢) فى الأغانى : « مصاد » .

ومنهم الحَزَنْبل بنُ سلامةَ بن زُهير بنِ أسعد بن صَهبان بن أمرئ القيس ابن زُهير بن جناب .

ومنهم غُرَير بن أبى جابر بن زُهير بن جَناب .

ومنهم عَرْفَجة بن جُنادة بنِ النعمان بن زُهَير بن جَناب .

ومنهم : المُسَيَّب بن زُفَر(١) بن حارثة بن جناب بن قيس بن(٢) جابر بن زهير بن جناب ؛ وهذا هو القائل :

قتلنا يزيدَ بنَ المهلَّب بعدَ ما ... تمنَّيتمُ أن يَغلِبَ الحقَّ باطلُهْ

وما كان منكمْ فى العِراق منافقٌ ... عن الدِّين إلّا من قُضاعةَ قاتلُهْ

تَجلَّلَهُ قَحْلٌ بأبيضَ صارمٍ ... حُسامٍ جَلَا عن شَفْرَتَيْه صَيا قِلُهْ

القَحْل هو ابن عيّاش بن شَمر بنِ شَراحيل بن غرير بن أبى جابر بن زُهير بن جَناب ؛ وهو الّذى قَتَل يزيدَ بنَ المهلَّب .

ومن بنى زُهير شعراءُ كثيرٌ ، ذكرنا الفحولَ منهم دونَ غيرِهم .

---

(١) الأغانى : « رفل » .

(٢) فى الأغانى : « ابن أبى حامر » .

زُهَير السَّكْب التَّميميّ الدارِمي*

هو زُهَير بنُ عُروةَ بن جلهمة بن حُجر ، خُزاعيّ جاهليّ ، شاعر ، ولُقِّب السَّكْبَ لقوله :

* برقٌ يضيء خِلالَ البيتِ أُسكوبُ[1] *

وكان من أشراف بني مازن وأشِدّائهم ، وشُعَرائهم وفُرْسانهم ، فغاضَبَ قومَه في شيء ذَمَّه منهم ، وفارَقهم إلى غيرهم من بني تَمِيم ، فلحِقَه فيهم ضَيْم ، وأراد الرجوعَ إلى عَشيرته فأبت نفسُه ذلك ، فقال يتشوّق ناساً منهم كانوا بَنِي عمِّه دِنْيَةً[2] يقال لهم بنو حَنبل :

إذا الله لم يَسْقِ غيرَ الكرامِ فسَقَّى وُجوهَ بني حَنْبَلِ
وسَقَّى ديارَهمُ باكِراً من الغَيْث في الزَّمن المُمْحِلِ[3]
مُلِثًّا أَحَمَّ دَوانِي السَّحابِ هَزيمَ الصَّلاصِلِ والأَزْمَلِ[4]
تُكَفكِفُه خَضْخَضاتُ الجنوبِ وتُفْرِغُه هِزّةُ الشَّمْأَلِ
كأنّ الرَّبابَ دُوَيْنَ السَّحابِ نَعامٌ تعلق بالأَرْجُلِ
فنِعْمَ بنو العَمِّ والأقربونَ لدى حطمة الزَّمن المُمْحِلِ

---

* ترجمته في الأغاني ١٩ : ١٥٦ ، ١٥٧ (ساسي) .

(١) كذا في ا والأغاني والكتاب لسيبويه ٢ : ٣١٦ ، وفي ب ، ج: « مسكوب» تحريف وأسكوب، أي منسكب . قال في اللسان : « كان هذا البرق يسكب المطر » .

(٢) يقال : هو ابن عمه «دنية ودنيا» بكسر الدال وضمها ، أي لحا .

(٣) الممحل : المجدب .

(٤) الغيث الملث : الدائم المطر . والأحم : الداني. وصلاصل : مصوت . والأزمل : الصوت المختلط .

ونِعْمَ المُواسُون فى النّائباتِ ... لِلجارِ والمعتفِى المُرمِلِ
ونِعمَ الحماةُ الكُفاةُ العَظيمَ ... إذا غائظُ المَرءِ لَمْ يَحْلُلِ
ميامينُ صُبْرٌ لدَى المُعْضِلاتِ ... على مُوجِع الحدَث المُعْضِلِ
مباذيلُ عفوٍ جَزيلو العطاء(١) ... إذا فَضْلة الزّاد لم تُبذَلِ
همُ سَبَقُوا يومَ جَرْيِ الكرامِ ... ذَوى السَّبْق فى الزّمَن الأوّلِ
وسامَوْا إلى المَجْد أهلَ الفَعَال ... فطالوا بفعلهم الأَطْوَلِ

سأل رجل أبا عمرو بنَ العَلاءِ عن الرَّباب ماهو ؟ فقال : ماتراه متعلِّقًا بالسَّحاب كالذَّيْل له ؛ أماسمعتَ قولَ صاحِبنا :

كأنّ الرَّبابَ دُوَيْنَ السَّحابِ ... نَعامٌ تَعلَّقَ بالأَرْجُلِ

---

(١) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « مناويل » .

حرف السين

سعيدٌ الدَّارِمِىّ*

هو من وَلَد سُوَيد بن زَيْد ، الّذى كان جدُّه قَتَل أسعد بن عمرو بن هِند ، ثم هربُوا إلى مكّة ، فحالَفُوا بنى نَوْفل بنِ عبد مَناف .

وكان الدارمىُّ فى زمن عمرَ بنِ عبدِ العزيز ، وله أشعارٌ ونوادر ، وكان من ظُرَفاء أهلِ مكّة ، وهو القائل :

ولمـا رأيتك أولَيْتَنى الْ قَبيحَ وأبعَدْتَ عـنّى الجميلَا
تركتُ وِصالكَ فى جانبٍ وصادقتُ فى الناس خِلاًّ بَديلا(1)

قدِمَ تاجرٌ من الـكُوفة إلى المدينة بخُمُر ملوَّنةٍ ، فباعها كلَّها ، وبقِيَت السودُ منها فلَم تَنْفُق(2) ؛ وكان صديقا للدَّارِمىّ ، فشكا إليه ذلك ، وقد كان نَسَك(3) وترَكَ الغِناء وقولَ الشّعر ، فقال له : لا تَهتمّ بذلك ؛ فإنى سأُنَفِّقها عليك حتى تبيعَها أجمعَ ، ثم قال :

قُل للمَليحةِ فى الخِمارِ الأسوَدِ ماذا صَنَعْتِ بزاهِدٍ متعبدِّ
قد كان شَمّرَ للصَّـلاة ثِيابَه حتّى وَقَفْتِ له بباب المسجدِ

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٤٥ ـ ٥١ (طبعة الدار) .

(١) فى الأغانى : « صادفت » ، تصحيف .

(٢) نفقت السلعة نفاقا : راجت ورغب فيها .

(٣) نسك : تعبد .

وغَـنَّى فيه وشاع فى النّاس ، وقالوا : قد فَتَكَ(١) الدارمىُّ ورَجَع عن نُسُـكه ، فلَمَ تَبْقَ فى المدينة ظريفةٌ إلّا أبتاعت خِماراً أسوَدَ حـتّى نَفِدَ ما كان مع الـكوفىّ(٢) منها ، [فلمّا علم بذلك الدارمىّ رجع إلى نسكه ولزم المسجد](٣) .

قال أبو هِفّان : حضرتُ يوماً مجلسَ بعضِ قوّاد الأتراك وكانت له سِتارة ، فنُصِبَتْ ، ثم قال [لجاريته](٣) : غَـنّى صوتَ الخِمارِ الأسود المليح ، فلم نعلم ما أراد حتى غَنَّت :

* قُلْ للمليحةِ فى الخِمارِ الأسوَدِ *

ثم أمسك ، ثم قال لها : غَـنِّى :

* إنِّى خريتُ وجئتُ أنتقِلُه *

فضحكتْ ، ولم نَدْرِ ما أراد حـتّى غَنَّت :

* إنّ الخليطَ أجَدَّ منتقَلَهْ *

كان الدارمىُّ ظريفا ، وكانت مُتَفَتِّيات(٤) مكة لا يطيب لهنّ متنزَّهٌ إلّا به ، فأجتمعتْ جماعةٌ منهنّ فى متنزَّهٍ لهنّ ، وفيهنّ صديقةٌ له ، وكلُّ واحـدةٍ منهنّ قد واعدت هَواها(٥) ، فخرجْنَ حتى أتَيْنَ الجُحْفة(٦) وهو معهنّ .

فقال بعضُهنّ لبعض : كيف لنا أن نخلوَ مع هؤلاء الرّجال من الدّارمىّ ! فإنّا إنْ فعلْنا ذلك قَطَّعَنا فى الأرض!(٧)

(١) فتك : مجن .

(٢) الأغانى : « العراق » .

(٣) تـكملة من الأغانى .

(٤) متفتيات ، وصف من تفتت الجارية إذاراهقت فخدرت ومنعت من اللعب مع الصبيان .

(٥) أراد من تحبه وتهواه .

(٦) الجحفة : قرية بطريق المدينة ، على أربع مراحل من مكة .

(٧) يريد أنه يمزق أعراضهن ، وينشر ذلك فى الأرض بين الناس .

فقالت لهنّ صاحبتُه : أنا أكفيكُـنَّه(١) ، قلن : إنّا نريد ألّا يلومَنا . قالت : علىَّ أن ينصرف حامدا . وكان الدارىُّ من أبخَل الناس ، فأتَتْه ، فقالت : يا دارىّ ، قد تَفِلْنا(٢) فاحتَمِلْ لنا طِيباً ، قال : نعم ، هو فى سُوق الجحْفة فآتيكنّ منها بطيب ، فأتى المُكارِين ، فاكترى حمارا فصار(٣) عليه إلى مكّة وهو يقول :

أنا باللهِ ذِى العِزِّ وبالرُّكْن وبالصَّخْرَهْ
من اللّائى يُرِدنَ الطّيـ ـبَ فى اليُسْرِ وفى العُسرَهْ(٤)
وما أقوَى على هـذا ولو كُنتُ على البَصْره(٥)

فمكَثَ النِّسوةُ ما شاء الله ، ثم قدِمْن مكّة ، فلقيتْه صاحبتُه ليلةً فى الطّواف ، فأخرجتْه إلى ناحيةٍ فى(٦) المسجد ، وجعلتْ تعاتِبه على ذَهَابه ويعاتِبُها ، إلى أن قالت له : يا دارِىّ ، بحقّ هذه البَنيّة(٧) تحِبُّنى(٨) ! قال : نعم ، تحبينني أنت ؟ قالت : نعم ، قال : فيالَكِ الخيرُ ! أنتِ تحبّيننى وأنا أحِبُّكِ ، فما مَدْخَل الدَّراهِم بيننا !

قال محمدُ بنُ إبراهيمَ الإمام للدّارِىّ : لو صلَحتْ عليك ثيابى لكسوتُك ؛ قال : فدَيْتُك ، إن لم تصلُحْ علىَّ ثيابك ، صلَحتْ علىَّ دراهمُك ودنانيرُك !

---

(١) ب ، ج : « اكفيكموه » .
(٢) تفل ، كفرح : تغيرت رائحته لطول عهده بترك الطيب . وفى الأغانى : « فاجلب » .
(٣) فى الأصول : « قطار » ، وما أثبته من الأغانى .
(٤) ا والأغانى : « فى اليسرة والعسرة » .
(٥) يقول : إنى لا أقدر على ذلك ولو كنت والى البصرة .
(٦) فى الأغانى : « إلى ناحية المسجد » .
(٧) البنية : الكعبة .
(٨) فى الأغانى : « أتحبنى » .

كان الدارمىُّ عند عبدِ الصّمد بنِ علىٍّ يحدّثه ، فأَغْفى عبدُ الصمد ، فعَطس الدارمىُّ عطسةً هائلة(١) ، ففزِع عبدُ الصّمد ؛ وغضِبَ غضبا شديدا ثم استوى جالسا فقال له : يا عاضَّ بَظْرَ أُمِّه ! أفزَعْتَنى ، قال : لا والله ، ولكنْ هذا عُطاسِى. قال : لا والله لاينفعُكَ(٢) ذلك ، أوتأتِينى ببيّنةٍ عليه؟ قال : فخرج ومعه حَرَسِىٌّ(٣) ، لا يَدرِى أين يذهب، فلقيه أبنُ الرّيّان(٤) المكّى ، فسأله ، فقال له : أنا أشهَدُ لك ، فمضى حتّى دخل على عبدِالصّمد ، فقالله : بِمَ(٥) تَشهَد لهذا ؟ فقال: إنى رأيتُه مرّة عَطَس عطسةً فسقطَ(٦) ضِرْسه ، فضحك عبدُ الصَّمد وخلَّى سبيلَه .

خرج الدارمىُّ مع السّعاة(٧) فصادَف جماعةً مِنهمْ قد نَزَلُوا على الماء ، فسألهم ، فأعطَوْه دراهم ، فأتى بها فى ثوبه وأحاط به أَعرابيّات ، فجعلْنَ يسألنه وأَلحَحْن عليه ، وهو يردُّهُنّ ؛ فعرفتْه صَبِيّةٌ منهنّ فقالت : يا أخواتى ، أتدرين من تسألْن منذُ اليوم ؟ هذا الدارمىّ السأّل(٨) ، ثم أنشدت :

إذا كنتَ لا بدَّ مستطعِماً ... فَدعْ عنكَ مَن كان يَستطعِمُ

فولَّى الدارمىُّ هاربا منهنّ وهن يتضاحكن منه .

---

(١) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « شديدة » .

(٢) فى الأغانى : « لأنقعنك فى دمك » .

(٣) الحرس : الأعوان ، قال فى المصباح: « جعل علما على الجمع لهذهالحالة المخصوصة ، ولا ستعمل له واحد من لفظه ولهذا نسب إلى الجمع » .

(٤) ابن الريان ، هو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن هشام المكى .

(٥) كذا فى الأغانى ، وفى ا : « لم » ، وهى ساقطة من ب ، ج .

(٦) ب ، ج والأغانى : « سقط » .

(٧) السعاة : جمع ساع؛ وهو العامل على الصدقات ؛ يأخذها من الأغنياء ليردها على الفقراء

(٨) ب ، ج : « السائل » ، وما أثبته منا والأغانى .

مدح الدارمىُّ عبدَ الصمد بنَ علىٍّ بقصيدة ، واُستأذَنه فى الإنشاد ، فأذِن له ، فلمّا فرَغ من إنشاده أُدخِل إليه رجُلٌ من الشُّراة[١] ، فقال لغلامه : أعطِ هذا مائةَ دينار ، واُضربْ رقبةَ[٢] هذا ، فوثب الدارمىُّ وقال : بأبى أنت وأمِّى ! بِرُّك وعُقُوبَتُك جميعا نَقْد ، فإن رأيتَ أن تبدأ بهذا فتقتُله ، فإذا فرَغ منه أمرتَه فأعطانى ؛ فإنّى لَنْ أرِيم من حضرتك حتّى يَفعَل ؛ قال : فلِمَ ؟ ويلَك ! قال : أخشى أن يَغلَط فيما بيننا ، والغَلَط فى هذا لا يستَقال ؛ فضحِك منه وأجابَه إلى ما سأل .

أصابت الدارمىَّ قَرْحةٌ فى صَدْره ، فدخل عليه بعضُ أصدقائه يعودُه ، فرآه قد[٣] نفث [من فيه][٤] شيئًا أخضرَ ، فقال له : أَبْشِر فقد أُخضرّت القُرحة وعُوفيتَ ؛ فقال : هيهات ! والله لو نَفَثْتُ[٥] كلَّ زُمُرُّذةٍ فى الدنيا ما أفلَتُّ منها !

---

(١) الشراة : جماعة الخوارج ؛ سموا بذلك لقولهم : إنا شرينا أنفسنا فى طاعة الله ، أى بعناها بالجنة .

(٢) فى الأغانى : « عنق هذا » .

(٣) ا : « وقد » .

(٤) تكملة من الأغانى .

(٥) كذا فى الأغانى ؛ وفى الأصول : « لو تقيأت »

سعيدُ بن مسجح*

هو سعيدُ بنُ مسجَح . كنيتهُ أبو عثمان ، وقيل أبو عيسى مولى بنى جُمَح . وقيل : موْلَى بنى نوْفَل بن الحارث بن عبد المطّلب ، مكّىٌّ أسوَد ، مُغَنٍّ من أكابر المغنّين ، وهو أوّل من نقل غِناءَ الفرْس إلى غِناء العرَب .

رحل إلى الشام ، وأخذَ ألحانَ الرّوم وغيرهم ، وانقلَب إلى فارس ، وأخذ بها غناءً كثيرا ، وتعلَّم الضَّرْب بالعُود ، ثمّ قدِم الحجازَ ، وقد أخذ محاسنَ تلك النَّغَم ، وألقَى منها ما أستقْبَحَهُ من النَّبرَات وغيرِها .

وقيل : إنه مرَّ على الفرْس وهم يَبنُون المسجدَ الحرام ، فسمع غناءهم بالفارسيّة؛ فقلبه فى شِعْرٍ عربىّ .

وهو الذى علَّم أبنَ سُرَيج ، فإنّه كان هو وأبنُ سُرَيج لمولًى واحد ، وكان فطنا ذَكِيًّا ، أصفرحسَنَ الوجه واللَّوْن . وكان مولاه معجبًا به ، وكان يقول عنه : لَيكونَنّ لهذا الغلامِ شأن ، وما يَمنَعنى من عِتْقِه إلا حسنُ فراسَتِى فيه ، فإن حَيِيتُ لَأتعرَّفَنَّ ذلك ، وإن مِتُّ قبلَه فهو حُرٌّ .

وسمِعَه مولاه يوماً يغنِّى بشعر أبنِ الرِّقاع العاملىّ :

ألْمِمْ على طَلَلٍ عَفَا متقادِمِ ... بين اللّكيكِ وبين غَيْب النّاعِمِ (١)

لولا الحياءُ وأنّ رأسِى قدبَدَا (٢) ... فيه المشيبُ لزُرتُ أمَّ القاسم

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٢٧٦ ـ ٢٨٥ (طبعةالدار) .

(١) اللكيك ، كأمير : موضع فى ديار بنى عامر ؛ وغيب الناعم ؛ قال ياقوت : « ورد فى فى شعر عدى بن الرقاع » ، وأورد البيت .

(٢) ب، ج « فشا » ، وفى ا والأغانى : « عسا » وماأثبته عن رواية أثبتها ناسخ ا فى الهامش .

فدعاه مولاه وقال له : أعِدْ فأعاد، أحسنَ مما بدأ ، فقال : هذا بعض ما كنتُ أقول ، فقال له : لكَ هذا ، قال : سمعتُ هذه الأعاجمَ تتغنّى بالفارسيّة ، فقلبتُها فى هــذا الشعر ، فقال له : أنت حُرٌّ لوجه اللهِ ، فلزِم مولاه وكثُر أدبُه ، واتّسع فى غنائه ، وشُهر بمكّة ، وأُعجبوا به لظَرْفه وحسنِ ما سمعوه منه .

ودَفَع إليه مولاه عُبَيدَ بن سُرَيج ، وقال: علّمه واُجتهِد فيه ، وكان اُبنُ سُرَيج أحسنَ الناس صوتاً ، فتعلّمَ منه ، ثم بَرَّز عليه حتّى لم يُعرَف له نظير .

والذى نشير إليه فى سَماع غِناء الفُرْس فى المسجد الحرام، هو بناء الكعبة لمّا اُحترقتْ فى زمن اُبن الزّبير ، وكان سبب ذلك أنّ أهل الشام لمّا حاصرُوه سمع أصواتا فى الليل فوق الجبل ، فخاف أنّ أهل الشام ، قد وصلوا ؛ فكانت ليلة ظلماء ذات ريحٍ صَعْبَة، ورعدٍ وبرق ، فرفع نارا على رأس رُمْح لينظر إلى النـاس ، فأطارَها الرِّيح ، فوقعتْ على أستار الكَعْبة فأحرقتْها واُستطارت[1] فيها ، وجَهَد النّاسُ فى إطفائها فلم يَقدِروا ، فأصبحتْ الكعبة تتهافت[2] ، وماتت امرأةٌ من قريش ، فخرج الناس كلُّهم فى جنازتها خَوْفاً من أن يَنزِل عليهم العذاب ، وأصبح اُبنُ الزُّبير ساجدا يدعو ويقول : اللهمّ إنى لم أَعْتَمِد[3] ما جرى فلا تُهلِك عبادَكَ بذَنْبى ، وهذه ناصِيَتى بين يديك ؛ فلمّا تعالَى النّهار أَمِن ورَجَع النّاسُ ، فقال لهم : أيَنْهَدِمُ[4] فى بَيْت أحدِكُم حجرٌ أو يَزول عن موضعه حتّى يَبنِيه ويصلِحه ، وأترك الكعبةَ خرابا ! ثم هدمَها مبتدئا بيَدِه ، وتَبِعه الفَعَلَةُ حتى بلغوا إلى قواعدها ، ودعا ببنّائين من الفُرْس والرُّوم فبناها ؛ فسمعَ اُبنُ مسجَحٍ غِناءَهم ، فنَقَلَه وغنّاه .

---

(١) فى الأغانى : « واستطالت » .

(٢) تتهافت : تتساقط حجرا على حجر .

(٣) فى الأغانى : « أتعمد » .

(٤) عبارة الأغانى : « الله الله أن ينهدم فى بيت أحدكم » .

وقيل : إنّه نقَل غِناءَ الفُرْس لمّا بنى معاويةُ بن أبى سفيانَ دُورَه الّتى يقال لها: الرُّقْط[1] . وهى ما بين الدّارَين إلى الرَّدْم أوّلها الدار البيضاء ، وآخرُها دار الحمّام ، وهى على يسار المُصعِد من المسجد إلى رَدْم عُمر ، حَمل لها بنّائِين فُرْسًا من العراق ، فكانوا يبنونَها بالجِصّ والآجُرّ ، وكان ابنُ مِسْجَحٍ يأتيهم ويَسْمَعُ غناءَهم على بنائهم[2] ، ويأخذُ ما يَستحسِنه ويَنقلُه .

ومن قديم غِنائه فى شعر الأحْوَص :

أَسلامُ إنّكِ قد مَلَكتِ فأَسجِحِى ... قد يَملِك الحرُّ الكريم فيسجِحُ[3]

مُنِّى على عانٍ أَطَلْتِ عَناءَهُ ... فى الغُلِّ عندكِ والعُناةُ تُسرَّحُ[4]

إنّى لأنصحُكُمْ وأعْلَمُ أنّه ... سِيّان عندكِ مَنْ يغُشّ وينصَحُ

وإذا شكوت إلى سلامة حُبَّها ... قالت أَجِدٌّ منكَ ذا أم تمزَحُ!

كَتَبَ عاملُ عبدِ الملك بنِ مروان بمكّة إليه : إنّ رجلا أسوَدَ يقال له : سعيدُ ابنُ مسجَح قد أفسدَ فِتْيانَ قُريش ، وأنفقُوا عليه أموالَهم ، فكتب إليه أن اقبِض ماله ، وسَيِّره ، ففَعَل ، ووَجَّه ابنَ مسْجَحٍ إلى الشام فلمّا وَصَل دخل المسجدَ ، فسأل : من أخصُّ الناسِ بأمير المؤمنين ؟ فقيل له : هؤلاء النَّفَرُ من بنى عَمّه ، فوقف عليهمْ وسَلَّم ثم قال : يا فِتْيان ، هل فيكم من يُضِيف رجلًا غريباً[5] من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضُهم إلى بعض ، وكانوا على مَوْعدٍ أن يَذهبوا إلى قَيْنةٍ يقال لها

---

(١) ذكر الأزرقى فى تاريخ مكة (٤٤٩ ، ٤٥٠ – ليبك) أن لمعاوية دورا كانت بمكة وذكر من بينها دارا تسمى الرقطاء .

(٢) ب ، ج : « بنيانهم » .

(٣) الإسجاح : حسن العفو ؛ ومنه المثل : « ملكت فأسجح » .

(٤) العانى : الأسير .

(٥) ا : « عربيا » .

« بَرْق الأُفُق » ، فتَثاقلوا به إلّا فتًى منهم تَذَمَّمَ(١) له ، فقال : أنا أُضِيفُك . وقال لأصحابه : انطلِقوا أنتم ، وأنا أذهبُ مع ضَيْفى ، قالوا : لا ، بل تجىء معنا أنتَ وضيفُك ، فذهبوا جميعا إلى بيت القَيْنَة ، فلمّا أُتُوا بالغَدَاء ، قال لهم سعيد : إنّى رجلٌ أسوَد ، ولعلّ فيكم من يَستقْذِرُنِى ، فأنا أجلس وآكُلُ ناحيةً ، وقام ، فاستَحْيَوْا منه وبعثوا له بما يأكل ، وفعَل مِثلَ ذلك فى الشّراب ، وأَخرَجوا جاريتين فجلَسَتا على سريرٍ قد وُضِع لهما ، فغنَّتا إلى العِشاء ، ثم دَخلَتا ، وخرجتْ جارية ، حسَنةُ الوَجْه والهيئة ، وهما معها ، فجلستْ على السرير ، وجلست الجارِيتان عن يمينه وشِماله ، فتمثَّل ابنُ مِسجَح :

فقلتُ أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعـةٍ ... بدَتْ لك خَلْفَ السِّجْفِ أم أنتَ حالِمُ

فغضِبت الجاريةُ وقالت : أيَضْرِب بى هذا الأسوَد الأمثال ! فنظروا إلىّ نظرا شَزْرا(٢) ، وسَكَّنوها حتى سكنَتْ ، ثم غنّت صوتا . فقال ابن مِسجَح : أحسنتْ والله ، فغضب مولاها ، وقال : مثل هذا الأسوَد يقدِم على جاريتى ! فقال لى الرجل الذى أنزلَنى عنده : قم فانصرفْ إلى منزلى ، فذهبتُ لأقوم ، فتذمَّم القوم وقالوا : بل أَقِمْ وأحسِنْ أدبَك ، فأقمتُ وغنّت ، فقلتُ : أخطأتِ وأسأتِ ! ثم اندفعتُ وغنَّيتُ الصوت ، فوثبَت الجاريةُ وقالت لمولاها : هذا والله أبو عثمان بن مسجح . فقلت : إى والله ! أنا هو ، ولا أقيمُ عندكم ، ووثبتُ فوثَبَ القُرَشيُّون ، وكلٌّ منهم يقول : يكون عندى ، فقلتُ : والله لا أقيمُ إلّا عند سيّدكم — يعنى الرجلَ الذى أنزلَه — فسألوه عمّا أقدَمَهُ ؛ فأَخْبَرهُم الخبر .

فقال له صاحبُه : إنّى أَسْمُرُ عند أميرِ المؤمنين الليلة ، فهل تُحسِن أن تَحْدُو ؟

---

(١) تذمم ؛ أى خشى الذم واللوم .

(٢) يقال : شزره وإليه : نظر فى أحد شقيه ، أو هو نظر فيه إعراض .

فقال : لا والله ، لـكـنّى أَصنَع حُداءً . قال : فإنّ منزلى بحِذاءِ منزلِ أميرِ المؤمنين ، فإذا وافقتُ منه طِيبَ النفسِ ، أرسلتُ إليك .

ومضى إلى عبدِ الملك ، فلمّا رآه طيّبَ النّفس أرسَل إلى ابن مِسجَحٍ ، فأخرَج رأسَه من وراءِ شُرَف القصْر ، ثم حدَا :

إنــك يا مُعاوِىَ المُفَضَّلِ إن زُلزِل الأَقـوامُ لم تُزلزَلِ

عن دينِ موسى والكتاب المُنزلِ تُقيم أَصْـداغَ القُرُوم المُيَّـلِ

* للحقّ حتّى يَنتَحُوا للأَعْدَلِ *

فقال عبد الملك للقُرَشىّ : من هذا ؟ قال : رجلٌ حجازىٌّ قَدِم علىّ . قال : أحضِرْه ؛ فأَحضَرَه ، ثم قال : تَغَنَّ غِناءَ الرّكْبان فغَنّى ، ثم قال : تَغَنّ الغِناءَ المُتقَن ، فغَنّى ، فاهتزّ عبدُ الملك طَرباً ، ثم قال : أُقسِم أنّ لك فى القوم اسما كبيرا ، مَن أنتَ وَيْلَك ! قال : أنا المظـلوم المقبوضُ مالُه ، المنفِىُّ عن وطنِه ، سعيد بن مِسْجح ، قَبَض مالى عاملُ الحجاز ونفانى ، فتبسَّم عبدُ الملك وقال : قد وضَح عذرُ فِتيان قريش فى أن يُنفِقوا عليك أموالَهم . وأمَّنَه ووَصَله ، وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه ، وألّا يَعرِض له بسوء .

سعيد الهُذَليّ*

سعيد وعَبْدال ابنا مسعود ، هُذَليّان ، وسعيدٌ الأكبرُ منهما ، وكنيته أبو مسعود . وقيل : أبو عبد الرحمن ، وأمّه امرأةٌ يقال لها : أمُّ فَيْعَلى ، وكان كثيرا ما يُنسَب إليها .

وكان يَنقُش الحجارة بأبى قُبَيس ، ويعمل البُرَمَ من حِجارة الجَبَل وقد قيل : إن الأكبر عَبْدال .

وكان سعيد إذا أمسى أسرف على المسجد ، ثم غَنَّى ، فلايلبثُ أن يُرَى الجبل كقرص الخبيص[1] ، خُضرةً وصُفرةً من أردِيَة قُرَيش، فيقولون : يا أبا عبدِ الرّحمن، أَعِد . فيقول : أما والله ؛ وهاهنا حجرٌ أحتاج إليه ، لم يرد الأَبْطح ، [2]فلا يضعون أردِيَتهم حتّى يُحدِرونها إلى الأبطح[2] ، ويَنزل معهم ؛ فيجلس على أعظمِها حَجَراً ، ويغنّى لهم .

لمّا احتُضِر ابنُ سُرَيج نظرا إلى ابنته وَبكى ، فقالت له : ما يبكيك ؟ فقال : أخشى عليكِ الضَّيعةَ مِن بعدى ! قالت : لا تَخَفْ ، فما فى غِنائك شىء إلا أخذْتُه . قال : فغَنِّى ، فغنّته ، فقال : قد طابت نفسى ، ثم دعا بالهُذَلىّ فزوَّجها منه ، فأخَذَ الهذلىُّ غِناءَ أبيها كلَّه ، وانتَحَلَه أو أكثرَه .

ووَلدتْ بنتُ ابن سُرَيجٍ منه ابناً ، فلمّا يَفَعَ اجتاز يوماً بأشعبَ وهو جالسٌ فى فِتْيَةٍ من قريش فوثب ، فحمله على كَتِفه ، وجَعَل يُرقِصه ويقول : هذا ابنُ دَفَّتَى المُصْحَف ، هذا ابنُ مَزاميرَ داود .

---

* ترجمته فى الأغانى ٤ : ١٥١ ، ١٥٢ (ساسى) .

(١) كذا فى ا والأغانى ، والخبيص : نوع من الحلواء ، وأراد بالصفرة والحمرة هنا التمر والسمن ، لأن الخبيص يصنع منهما ، وفى ب ، ج : « كعرض المبيض » تصحيف.

(٢ ـ ٢) عبارة الأغانى : «فيضعون أيديهم فى الحجارة حتى يقطعوها ويحدروها إلى الأبطح»

فقيل : ويلَك ! ما تقول ؟ ومَنْ هذا الصبيّ ؟ فقال : أَوَ ما تعرفونه ! هذا أبنُ الهُذَلىّ من أُبنة ابن سُرَيج ، وُلِد على عُود ، واستَهَلّ[1] على غِناء ، وحُنِّك بمَلْوَى[2] ، وقطِعتْ سُرّته بزِير[3] ، وخُتِن بمِضْراب[4] .

(١) يقال : استهل الصبى ؛ إذا رفع صوته بالبكاء عند ولادته .
(٢) الملوى : مفتاح العود الذى تعرف به نسب أوتاره .
(٣) الزير : الدقيق من الأوتار ، أو أحدها .
(٤) المضراب : ما يضرب به على أوتار العود .

سليمانُ بنُ سلّام الكوفى*

كنيتهُ أبو عبدِ الله ، وكان حَسَنَ الوجه ، حسنَ الصّوت ، كان انْقطَع وهو أمرَدُ إلى إبراهيمَ المَوْصِلىّ ، فمالَ إليه وتعشّقه ، فعلَّمه وناصَحَه ، فبرَع ، وكثُرتْ رواتبهُ وصَنَع .

وكان إسحاقُ يهجُوه ويَطعن عليه ، وكان من أَبْخَلِ الناس .

ولمّا مات خلّف جملةً وافرةً من المال ، فقَبَضها السُّلطان ، وكان من أصحابِ أبى مسلم صاحبِ الدَّعْوة ودُعاته وثِقاته ، وكان يكاتب أهلَ العِراق على يدَيْه[1] .

قال أبو الحواجب محمّد الأنصارىّ : قال لى سليم يوما : امْضِ إلى مُوسى بنِ إسحاق الأزرق ، فادْعُه ، ووافِيانِى مع الظّهر ، فجئنا الظّهر ، فأخرج لنا ثلاثين جاريةً مُحْسِنة ، ونَبيذاً ، ولَم يُطعِمْنا شيئا ، ولم نَكنْ أكَلْنا . فغمَزَ موسى غلامَه ، فذهب فاشتَرَى خبزا وبَيْضا ، ودخل به الكَنيفَ ، وجلسْنا نأكُل ، فلمّا رآنا غضِب وخاصَمَنا ، وقال : هكذا يَفعَل الناس ! تأكلون ولا تُطعِمونى معكم ! فجلس معنا فى الكَنيف يأكلُ حتّى فرَغْنا .

---

* ترجمته فى الأغانى ٦ : ١٦٤ ــ ١٧٠ (طبعة دار الكتب) .

(١) فى الأغانى : « يده » .

السّموءل بن عادياء الغسّانى*

هو السَّمَوْءلُ بنُ غَريض بن عادياء بن حيَّا[1] . قيل: هو مِن قَحْطان وقيل : هو من وَلَد الـكاهِن بن ِهارونَ بنِ عمرانَ عليه السلام .

هو صاحبُ تيْماءَ ، والِحصْن الأَبْلق ، واُحتَفَرَ به بئْرا عَذْبة ، وكانت العرب تَنزِل به فيُضيفها ، فتَمْتار من حِصْنه ، ويُقيم لهم هناك سُوقاً ويقال : إنّ جدّه عاديا هو الّذى بَنَى الِحصْن بتَيْماء ، وهو من يهودِ يَثرب ، وهو الّذى يُضرَبُ به المَثَل فى الوفاء لإسلامِه أُبنه حتى قُتِل ، ولم يَخُن أمانتَه فى أَدْراع أُودِعَها ، فيقال : وفاءٌ كوَفاء السَّمَوْءل .

والسببُ فى ذلك أنّ أمرأ القيسِ بن حُجْر ، لمّا سار إلى الشام يريد قَيصَر ، نزل على السّموءل بن ِعادياءَ ِبحصْنه الأَبْلق بعد إيقاعه ببنى ِكنانة ، على أنّهم بنو أسَدٍ وكراهة أصحابه لفِعْله ، وتفرُّقهُم عنه حتى بَقِىَ وحدَه ، واُحتاج إلى الهَرَب ، وطَلَبَهُ المنذرُ بنُ ماءِ السماء ، ووجّه فى طلبه جيشاً من إياد ، وبَهْراءَ ، وتَنُوخ ، وجيشا من الأساوِرة أَمدَّه بهم أنو ِشرْوانَ ، وخذلتْه حِميرُ ، وتفرّقت عنه .

فلجأ إلى السَّمَوْءلِ بن ِعادياء ومعه خمسةُ أَدْراع : الفَضْفاضة ، والضّافية ، والمحصَنة ، والحريق ، وأمّ الذيول ، وكانت لبنِى آكِل المُرار يتوارَثونها ، مَلِكٌ عن مَلِك ، ومعه اُبنتُه هِند ، واُبنُ عمِّه يزيد بنُ الحارث بن ِمعاوية ، وسلاحٌ ومالٌ كان معه ، ورجلٌ من بنى فَزارَة يقال له : الرَّبيـع بن ضُبَيع ، شاعر . فقال له الفَزارىّ:

---

* ترجمته فى الأغانى ١٩ : ٩٨ ، ٩٩ (ساسى) .

(١) كذا فى الأصول ، وفى الاشتقاق لابن دريد ٤٣٦ : « السموءل بن غريض بن حيا بن عادياء » .

قل فى السَّمَوْءل شعرا تمدحه به ؛ فإنّ الشعر يُعجِبه ، وأَنشَدَه الرَّبيع شعرا مَدَحه به ؛ وهو :

ولقدأتيتُ بنى المُضاضِ مُفاخِراً — وإلى السموءلِ زُرْتُه بالأَبْلَقِ
فأتيتُ أفضَلَ مَن تحمَّل حاجةً — إن جئتَه فى مُوثِقٍ أو مُرْهِقِ
عَرفتْ له الأقوامُ كلَّ فضيلةٍ — وحوَى المكارمَ سابقاًلم يُسْبَقِ

فقال أمرؤُ القيس فيــه :

طرقتْكَ هندُ بعدَ طُولِ تجنُّبِ — وَهْناً ولم تكُ قبلَ ذلكَتَطرُقِ

فقال له الفَزارىُّ : إنّ السَّموءَل يمنعمنك حتى ترى ذاتعينك ، وهو فى حِصْنٍ حَصينٍ ، ومالٍ كثير ، فقَدِم به على السَّموءَل وعرَّفه إيّاه ، وأنشداه الشعر ، فعرَف لهما حقَّهما ، وضرَب على هندٍ قبّةً من أَدَم ، وأنزلَ القومَ فى مجلس له بَراح ، فأقاموا عنده ما شاء الله ، ثم إن أمرأ القيس سأله أن يَكتُب له إلى الحارث أبن أبى شَمِر الغسّانى أن يُوصِله إلى قيْصر ، ففَعَل ، واستصحبمعه رجُلًا يدلُّه على الطريق، وأَودَع أبنته وماله وأدراعَه السَّموءل ، فدخل الشام، وخَلَّف أبن عمِّهيزيد بن الحارث مع أبنته هِند ، فنزل الحارثُ بنُ ظالم فى بعض غاراته بالأَبْلَق ـ ويقال : بل الحارث ابن أبى شمر الغسانى ، ويقال : بل كان المنذر وجّه الحارثَ بنَ ظالم فى خَيْلٍ ، وأمره أن يأخذ مالَ أمرىء القيس من السموءَل ، فلمّا نزل به تحصَّن منه ، وكان له أبن قد يَفَع ، وخرج إلى قَنَصٍ له ، فلمّا رجع أخذه الحارثُ بنُ ظالم ، وقال للسّموءل : أتعرِفُ هذا ؟ قال : نعم ، هذا أبنى . قال : أفتسلِم ما قِبَلك أو أقتله ؟ قال : شأنَك به ، فلست أُخفِرُ ذِمّتى ، ولا أسلِم جارى ، فضرب الحارث وسَطَ الغلام فقطعه قطعتين ، وأنصرَف عنه ، فقال السّموءل فى ذلك :

وفَيتُ بأدْرُعِ الكِنْدِىِّ إنّى — إذا ما خانَ أقــوامٌ وفَيتُ
وأَوْصَى عادِيَاً يوماً بألّا — تهُــدِّم يا سموءَلُ ما بَنَيْتُ

بَنَى لى عادِيًا حِصناً حَصِينـــا ... وماءً كلَّمـــا شئتُ أستقَيْتُ
أعاذِلتى ألا لا تعـــذُلِينى ... فكَمْ من أمرِ عاذلةٍ عَصيْتُ !
دَعِينى وأرشُدِى إن كنتُ أغوَى ... ولا تَغْوِى زعمتِ كما غَـوِيتُ
أعاذلَ قد أطَلْتِ اللومَ حتى ... لو أنِّى مُنْتَهٍ لقـــد أنتهَيْتُ
وحتّى لو يـكون فتَى أناسٍ ... بَـكَى من عَذْل عاذلةٍ بكيتُ
وصَفْراء المَعـــاصِم قد دَعَتْنِى ... إلى وَصْلٍ فقلت لهـــا أَبيتُ
وزِقٍّ قد جَرَرْتُ إلى الندامى ... وزِقٍّ قد شربتُ وقد سَقَيْتُ

وكان الأعشى وقع فى أسر عند رجُلٍ كَلْبِيٍّ كان الأعشى هجاه ، ولم يعرف أنه هو الأعشى ، فاستجار بشُرَيح بنِ السموءَل ، فأحسَن ضِيافته ، ومرّ بالكلبيّ ، فناداه الأعشَى :

شُرَيحُ لا تُسْلِمَنِّى اليومَ إذ عَلِقتْ ... حبالُكَ اليومَ بعد القِدِّ أَظفارِى
قد سرتُ ما بَيْن بانِقْيا إلى عَدَنٍ ... وطالَ فى العُجْم تَـكرارِى وتَسْيارِى[1]
فكان أوثقَهم عهداً وأمْنَعَهمْ ... جاراً أَبوكَ بعرفٍ غـير إنـكارِ
كالغَيْث ما أستَمْطَرُوه جادَ وابِلُه ... وفى الشّدائد كالمستأسِد الضارى
كُنْ كالسموءَل إذ طافَ الهمام به ... فى جَحْفلٍ كهَزِيع اللَّيـل جرّارِ
إذ سامَه خطّتَىْ خَسْفٍ فقال له[2] ... قل ما تَشاء فإنّى سامعٌ جارِ
فقـال غَدْرٌ وثُـكلٌ أنتَ بينهمـا ... فاختَرْ ، وما فيهما حَظٌّ لمُختارِ
فَشكَّ غـــيرَ طويل ثم قـال له ... اقتُل أسـيرَكَ إنِّى مانعٌ جارِى
وسوفَ يعقبنيـــه إن ظفرتَ به[3] ... ربٌّ كريمٌ وبيـضٌ ذاتُ أطْهـارِ

(١) فى الديوان ١٢٦ : « ترحالى وتسيارى » .
(٢) فى الأصول : « خطتاخسف » ، وصوابه من الديوان .
(٣) فى الأصول : « وسوف يعقبه أن قد ظفرت به » ، والأجود ما أثبته من الديوان .

لا سِرّهن لدَيْنــا ذاهبٌ هَدَراً　　　وحافظات إذا أستُودِعْن أسرارِى

فاختارَ أدراعَهُ كيلا يُسَبَّ بهــا　　　ولم يكن وعدُه فيها بختّـــارِ (١)

فجاء شريحٌ إلى الكلبىّ فقال له : هبْ لى هذا الأسيرَ ، فقال : هو لكَ ، فأطلقَه فقال له : أقِمْ عندى حتّى أَحْبُوَك وأُكرِمَك ، فقال له الأعشى : إنّ تمام صَنيعِك أن تعطِيَنى ناقةً ناجيةً ، وتخلّيَنى الساعة ، فأعطاه ناقةً ناجية فركِبَها ، ومضى من ساعتِه .

وبلغ الكلبىَّ أن الّذى وَهَب لشُريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شُريح ، ابعثْ لى الأسير الّذى وهبتُه لك حتى أَحْبُوه وأُعطيَه . فقال : قد مضى . فأرسل الكلبىّ فى أثَره فلم يَلْحقه .

وشعبة بنُ غَرِيض بنِ عادِياء ، أخو السموءَل ، شاعرٌ أيضا ؛ فمن شعرِه :

لُبــابُ يا أُخْتَ بنى مالكٍ　　　لا تَشتَرِى العاجلَ بالآجلِ

لبــابُ داوِينى ولا تَقْتُــلِى　　　قد فُضِّل الساقى على القاتِلِ

لبابُ هــل عند أمرىءٍ نائلٌ　　　لعاشقٍ ذى حاجة سائلِ !

علّلْتِه منكِ بمـــا لم يَنَلْ　　　فطَالَمَا علّلْتِ بالباطلِ !

إن تسألى بى فاسألى خابِراً　　　فالعِلْمُ قديكفِى لدَى السائلِ

يُنْبِيكِ مَن كان بنا عالِماً　　　عنّا وما العــالِمُ كالجاهلِ

إنّا إذا مالتْ دَواعِى الهوَى　　　وأنْصتَ السامعُ للقائــلِ

وأعتَلَج القــومُ بألبابِهِمْ　　　نَقضِى بحُكمٍ عادلٍ فاصلِ

لا نَجْعَلُ الباطــلَ حقًّا ولا　　　نُلطُّ دونَ الحقّ بالباطلِ (٢)

نخافُ أن تَسْفُه أحــلامُنَا　　　فنَخْمُلَ الدَّهْرَ مع الخامِلِ (٣)

(١) الديوان : « ولم يكن عهده » .
(٢) نلط : نستر .
(٣) الأحلام : العقول .

سعيد بنُ عبدِ الرّحمن بنِ حسّانَ بنِ ثابت*

قد مضى نسبُه فى نسب جَـدِّه حسّان ، شاعرٌ من شعراء الدّولة الأُمَوية متوسِّط ، ليس معدوداً من الفُحول ، مَدَح بنى أميّةَ ووَصَلُوه ، ولم تـكن له نباهةُ أبيه ولا جَدِّه .

وفد سعيد بنُ عبدِ الرّحمن بن حسّان ، ومعه جماعةٌ مِن قريشٍ إلى الشّام فى خلافة هشام بنِ عبدِ الملك ، وسألهم مَعُونَته ، فلم يُصادِفوا من هشامٍ له نَشاطا .

وكان الوليـدُ بنُ يزَيد قد طلّق امرأتَه العثمانيّة ليتزوّج أختَها ، فمَنعه هشامٌ من ذلك ، ونَهَى أباها أن يزوِّجه ، فمرّ يوما سعيد بالوليـد ، وقد خرج من دارِه ليَركب ، فلمّا رآه وقف ، وأَمرَ الوليدُ به ، فدُعِى إليه ، فلمّا جاءه قال : أنت ابن عبدِ الرحمٰن بنِ حسّان ؟ قال : نعم أيها الأمير . قال : ما أقْدَمَك ؟ قال : وفدتُ على أمير المؤمنين منتجِعاً ومادِحاً ، ومستشفِعاً بجماعةٍ من أهلِه ، فلم أنَلْ منـه حُظْوةً ولا قَبولا . قال : لـكنّك تجد عندى ماتُحبّ ، فأَقِمْ حتى أَعُود ، فأقام ببابِه حتّى دخل على هشام وخرجَ من عنده ، فنزل ودعا بسعيد ، فدَخَل إليه ، فأمر بتحسين هَيْئته وإصلاح شأنِه ثم قال : أَنشِدْنى قصيدةً لك بلَغتْنِى فشوَّقتْنى إليك ، وغُنِّيتُ فى بعضها ، فلم أزل أتمنَّى لِقاءَك ، فقال : أىّ قصيدة هىَ أيّها الأمير ؟ قال : قولُك :

أَبائنةٌ سُعْدَى ولم تُوفِ بالعَهْدِ ... ولم تَشفِ قلباً تيمَّته عـلى عَمْدِ
نعم أفـودٍ أنت إن شطت النّوى ... بسُعدَى ومامِن فُرْقةِالدهرِمن بُدِّ
ومهما أ كنْ جَلْداً عليه فإنّنى ... على هَجْرِها غيرُ الصَّبُورِ ولا الجَلْدِ

---

* ترجمتـه فى الأغانى ٨ : ٢٦٩ ـ ٢٧٦ .

تَجَمَّل يُنشِدُها ودموعُ الوليد تتحدَّر على خدَّيه حتى فرَغ منها ، ثم قال له : لن تحتاج إلى رِفْدٍ من أحد ولا معونةٍ ما بَقِيتُ ، وأمر له بخَمْسِمائة دينار ، وقال : ابعث بهذه إلى أَهْلك ، وأَقِم عندى ، فلَمْ تَعْدَمْ ما تُحِبّ ما بَقِيتَ ، فلَم يزَلْ عنده ، ثم اُستأذنه وانصَرَف .

وَفَد سعيدُ بنُ عبدِ الرّحمن بنِ حسّانَ على هِشام بنِ عبدِ الملك ، وكان جميلَ الوجْه ، فاُختلف إلى عبد الصّمد بنِ عبد الأعلى مؤدِّبِ الوليدِ بن يزيد ، فأراده على نفسه وكان لُوطِيًّا زِنْدِيقاً ، فدخل سعيد على هشامٍ مغضَبا ، وهو يقول :

إنّه واللهِ لولا أنتَ لَمْ ... ينجُ منّى سالمًا عبدُ الصَّمَدْ

فقال هشام : وما ذاك ؟ قال :

إنّه قـد رامَ مِنّى خُطّةً ... لم يَرُمْها قبلَه منّى أَحَدْ

قال : وما هىَ ؟ قال :

رامَ جَهْـلا بى وجَهْلًا بأبى ... يُدخِلُ الأفْعَى إلى بيتِ الأَسَدْ(١)

فضحك هشام وقال له : لو فعلت به شيئاً مِن شعرِك لم أُنكِرْه عليك .

قال اُبن عائشة : قال رجلٌ من الأنصار لعَدِى بنِ الرِّقاع : أنشِدْنى شيئا من شِعْرك . قال : ومِن أىّ العربِ أنت ؟ قال : أنا رجلٌ من الأنصار . قال : مَن منكم القائل :

إنّ الحمامَ إلى الحِجازِ يَهيجُ لى ... طَرَباً تَرَنُّمُه إذا يترَنّمُ
والبَرْقُ حيثُ أَشيمُه مُتيامِناً ... وجَنـائبُ الأَرْواح حين تَنَسَّمُ

فقال له : سعيدُ بنُ عبـدِ الرّحمن بنِ حسّان بن ثابت ، فقال له : عليك

---

(١) فى الأغانى : « خيس الأسد » ؛ وهما سواء .

بصاحبِكم ، فاكتبْ شعرَه ، فلستَ تَحتاجُ معه إلى غيره ، وهـذه الأبيات من قصيدةٍ أوّلها :

بَرَحَ الخفاء فأيْنَ ما بكَ تَـكْتُمُ   ولسوفَ يَظْهَرُ ما تُسِرّ فيُعلَمُ[1]
حُمِّلتُ سُقْماً من علائقِ حبّها   والحبُّ يَملَقُه الصحيحُ فيَسْقَمُ
قالت وماءُ العَيْن يَغسِلُ كُحْلَهَا   عنـد الفِراق بمستهِلٍّ يَسجُمُ
ياليتَ أنّـك يا سعيدُ بأرضِنا   تُلقِي المَراسِيَ ثاوياً وتُخَيِّمُ
فتُصيبَ لذَّةَ عيشِنا ورَخاءه   ونـكون أحرارا فـاذا تَنقِمُ !
لا تَرجِعَنّ إلى الحِجاز فإنّـه   بَلَدٌ بـه عيشُ الـكَرِيم مذمَّمُ !

سأل سعيدُ بنُ عبد الرحمن أبا بكر بن محمّد بن عمرو بنِ حَزْم حاجةً يُكلِّم فيها سليمانَ بنَ عبد الملك ، فلَمْ يَقضِها له ، ففزِع إلى غيرِه ، فقال :

سُئِلتَ فلَمْ تَفعَـلْ فأدركتُ حاجتى   تولّى سِواكُمْ حَمدَها واُصطِناعَهَا
أَبَى لكَ كَسْبَ الحمد رأىٌ مقصِّرٌ   ونفسٌ أضاقَ الله بالخَـيْر باعَها[2]
إذا ما أرادتْه على الخَـيرِ مَرّةً   عصاها وإنْ هَمّت بشرٍّ أطاعَها

---

(١) رواية البيت فى الأغانى :

بَرِحَ الخفَاءُ فأىّ ما بكَ تـكتُمُ   والشّوقُ يظهرُ ما تسِرُّ فيُعْـلَمُ

(٢) كذا فى ا ، والأغانى ، وفى ب ، ج : « وأيد اضاق » .

سائب خاثر*

هو مولَى بنى ليثٍ ، وأصلُه من فىء كِسرَى ، اشتراه عبد الله بنُ جعفر وأَعتقَه . وقيل : بل اُشترى عبدُ الله وَلاءَه . وقيل : بل كان على وَلائِه لبنى لَيْث ؛ وإنّما اُنقطع إلى عبد الله بنِ جعفر ، ولزِمَه فعرُف به ، وكان يبيع الطعامَ بالمدينة . واُسم أبيه الّذى أعتقَه بنو ليث : « يسار »(1) . وهو أوّل من عَمِل العُودَ بالمدينة وغَنَّى به .

كان لعبد الله بنِ عامر بنِ بكر بن سبأ إماءٌ صَنَّاجات(2) ، فأَتَى بهنّ المدينة ، وكان لهنّ يومٌ فى الجمعة يَلْعَبْن فيه ، ويسمع النّاسُ منهنّ ، فأخذ عنهنّ .

وقدِم رجلٌ فارسىٌّ اُسمُه : نَشيط ، فغَنَّى فعَجب عبدُ الله بنُ جعفر منه ، فقال له سائب خاثر : أنا أصنعُ لك مِثلَ غِناءِ هذا الفارسىِّ بالعربيّة ، ثم غَدَا على عبدِ الله ابنِ جعفر فغنّاه :

لمن الدِّيارُ رسومُها قَفْرُ ... لَعبتْ بها الأَرواحُ والقَطْرُ !
وخَلا لهـا مِن بعدِ ساكنِها ... حِجَجٌ مَضينَ ثمانٍ أوْ عَشْرُ
والزّعفرانُ عــلى ترائبِه ... شَرِقَتْ بــه اللَّبّاتُ والنَّحْرُ

وهو أوّلُ شعرٍ غُنِّى به فى الإسلام مِنَ الغِناء العربِّى المتقَن الصَّنعة . ثم اُشترى عبدُ الله بنُ جعفر نَشيطاً بعد ذلك ، فأخذ عنه سائب الغناء العربىّ ؛ وكُنيةُ سائب خاثر : أبو جعفر ، ولم يكن يَضرب بالعُود ؛ وإنّما كان يَقرَع بقضيبٍ ويغَنِّى مرتجِلًا .

---

* ترجمته فى الأغانى ٨ : ٣٢٦-٣٣٤ .

(١) فى الأغانى : « يشا » .

(٢) الصناجات : اللاعبات بالصنج : وهو صفيحة من نحاس تضرب بأخرى مثلها .

وقُتِل أيّامَ الحرّة ، ومَرّ به بعضُ القرشيِّين ، وهو قتيل فضرب به برجله ، وقال : إنّ ها هنا لَحنْجرةً حسنة .

وكان سائب خاثر مُوسِراً ؛ وكان تحتَه أربعُ نِسْوة ، وكان مع أنقطاعه إلى عبد الله بنِ جعفر يخالِط سَرَوات النّاس وأشرافَهم لظَرْفه وحلاوته ، وحُسنِ صوته ، وكان آلَى على نفسه ألّا يغنِّى أحدا سِوَى عبد الله بنِ جعفر إلّا أن يكون خليفة ، أو ولىّ عهدٍ أو ابنَ خليفة ، وبقِىَ على ذلك إلى أن قُتِل .

وفَدَ عبدُ الله بنُ جعفر على معاويةَ ومعه سائب خاثر ، فوقَّع له فى حوائجه ، ثم سأل عن حاجةِ سائب خاثر . فقال معاوية : مَن سائب خاثر هذا ؟ فقال : رجلٌ ليثىٌّ مِن أهل المدينة ، يَروِى الشِّعر ، قال : أوَكلٌّ مَن يَروِى الشعرَ نَصِله ! قال : إنّه يُحسِنه : قال : وإنْ حَسَّنَهُ ، قال : أفأُدخِلُه إليك يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : فألبسه إزاراً ورِداء .

فلمّا دخل وقفَ على الباب وغنّى :

* لِمَن الديارُ رُسومُها قَفْرُ *

فالتفتَ معاويةُ إلى عبد الله بن جعفر وقال : لقد حَسّنه ، وقضَى حوائجَه ، وأحْسَنَ إليه .

وهذا الشّعر يُنسَب إلى أبى بكر بن مِسوَر بنِ مَخْرَمةَ الزُّهْرى ، وإلى الحارث ابن خالد المخزومىّ .

أَشْرَف معاويةُ بنُ أبى سُفيانَ ليلةً على منزل يزيدَ ، فسمع صوتا أعجبَه ، واُستخفّه السَّماع ، فاُستمع قائما حتّى مَلّ ، ثم دعا بكرسىٍّ فجلس عليه ، وقال : أَشتهِى الاُستزادة ، فاُستمع بقيّة ليلته ، ثم غدا عليه يزيد فقال : يا بُنَىّ ، مَن كان جليسَك البارحة ؟ قال : أىّ جليس ؟ واُستعجَمَ عليه ، فقال : عرِّفنى فإنّه لم يَخفَ

علىَّ شىء من أمرِك . قال : سائب خاثر يا أمير المؤمنين ، قال : فأَكْثِرْ(١) له من بِرِّك وصِلَتِك ، فما رأيتُ بمجالسته بأسا .

لمّا قَدِم معاويةُ المدينةَ أمر حاجبَه بالإذن للناس ، فخرج ثم رجع ، فقال : ما بالباب أحد ! فقال معاوية : وأينَ الناس ؟ قال : عندَ عبد الله بنِ جعفر ، فدعا ببغلتِه فركبها ، ثم توجّه إليهم ، فلما جلَسَ ، قال بعضُ القُرَشيِّين لسائب خاثر : مُطْرَفِى هذا مِن خَزٍّ وإن أنتَ اندفعتَ تغنِّى فهو لك ، فقام بين السِّماطين وغنَّى :

لنا الجَفَنات الغُرّ يلمعْن فى الضُّحَى(٢) وأسيافُنَا يَقْطُرن من نجدةٍ دَمَا

فطرب معاويةُ وسَمِع وأصغى إليه حتى سَكَت ، وهو مستحسِن لذلك ، ثم قام وانصرَف إلى منزله ، وأخذ سائب المُطرَف .

وكان سائب خاثر يَخْشَى على نفسِه من أهل الشام ، فخرج إليهم يومَ الحَرّة ، وجعل يقول : أنا مُغَنٍّ ومِن حالى ، ومِن قِصّتى ؛ وقد خدمتُ أمير المؤمنين يزيدَ وأباه قبلَه ، فقالوا : غَنِّ لنا ، ففعل فقام أحدهم فقال : أحسنتَ ، ثم ضربَه بالسَّيف فقتَلَه .

وبلغ يزيدَ خبرُه ومرّ به اسمُه فى أسماء من قُتِل يومئذ ، فلَمْ يعرِفْه ، فقال : ومَن سائب خاثر هذا ؟ فعُرِّف به ، وقيل له : هو سائب خاثر ؛ فعرَفه ، فقال : وَيْلَه ! وماله ومالَنا ، ألم نُحْسِن إليه ونَصِلْه ، ونَخْلِطه بأنفسنا ؟ فما الّذى حَمله على عداوتنا ؟ لا جَرَم إنّ بغيَه صَرَعه ، ثم قال : أوَبلغ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقتِه ! ما أُرَى أنّه بقِىَ فى المدينة أحد ! ثم قال : قبحكم اللهُ يا أهل الشام ! تَجِدهم وجدوه فى حائط أو حديقة مستترا فقتَلوه .

---

(١) فى الأغانى : « فأخثر » ، وهو بمعنى : « أكثر » .

(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى ا : « فى الدجى » ، وفى الأغانى « بالضحى » .

سلّامة القسّ*

مولَّدة من مولَّدات المدينة ، وبها نشأت وأَخَذت الغِناءَ عن مَعْبَدٍ وغيرِه ، فَمَهرتْ وإنّما سُمِّيَت القَسَّ ، لأنّ رجُلًا مشهورا بالعبادة يُعرَف بعبدالرحمن بن عمّار الجُشَمِيّ[1] ؛ من قرّاء أهلِ مكّة ، كان يلقَّب بالقَسّ لعبادته ، شُغِف بها وشُهِر بحبِّها حتى غَلَبَ عليها لقبُه ، واشتراها يزيدُ بنُ عبدِ الملك فى خلافة سليمان أخيه وعاشت بعدَه ، وكانت لمّا مات تَندُبه بهذه الأبيات ، من شعر الأحْوَص :

قد لَعَمْرِى بِتُّ ليلى كأخى الداءِ الوَجيعِ
ونَجِىُّ الهَمِّ مِنّى بات أدنَى مِن ضَجيعى
كلّما أبصرتُ رَبْعاً خالياً فاضَتْ دُمُوعِى
لا تَلُمْنا إن خَشَعنا أو هَمَمْنا بالخشوع
لِلّذى حَلّ بنا اليوْ مَ مِن الأَمْر الفَظِيع
إذ فَقَدْنَا سيّدًا كا نَ لنا غيرَ مضيع

وكانت إحدَى مَن اتُّهِم بها الوليدُ من جَوارى أبيه حِينَ قال له قتلتُه : نَنْقِم عليك أنّك تَطأُ جوارىَ أبيك .

قال : وكانت سلّامة تقولُ الشِّعر ، وكانت قبل ذلك لسُهَيل بن عبد الرحمن .

وكان عبدُ الرحمن بن عمّار بن جُشَمَ بن معاويةَ القَسّ ، يَسكُن بمكّة وكان سبب افتتانه بسلّامة[2] هذه التى غلب عليها اسمهُ ، أنّه كان أعبدَ أهلِ زمانه، وكان

---

* ترجمتها فى الأغانى ٨ : ٣٣٤ ـ ٣٥٠ (طبعة دار الكتب) .

(١) كذا فى ا ، والأغانى ، وفى ب ، ج : « الحبشى » .

(٢) كذا فى ا ، وفى الأغانى : « بها » ، وفى ب ، ج : « بمكة بسلامة » .

يشبَّه بعطاءِ بن أبى رَباح ، فسَمِع غناءَ سلّامة على غير تعمُّدٍ منه ، فبلغ غناؤها منه كلَّ مبلغ ، فرآه مولاها فقال له : هل لك أن تَدْخُل فتَسْمع ؟ فأَبَى ، فقال له مولاها : فأنا أقعِدها حيث تَسمَع غِناءَها ولا تراها ولا تراك ، فلَمْ يزل به ، حتّى دخل فسمع غِناءَها ، فأَعجَبَه ، فقال : هل لك أن أُخرِجها إليك ؟ فأبى ، فلم يزل به حتّى أَخرَجها إليه ، وأقعَدَها بين يديه ، فغنّت فشُغِف بها ، وشُغِفَت به ، وعرَفَ ذلك أهلُ مكّة :

فقالت له يوما : أنا واللهِ أحبّك . فقال : وأنا والله أُحِبُّك قالت : وأُحِبُّ أن أضَع فمِى على فمِك ، وأعانقَك وأقبِّلَك . فقال : وأنا والله أحِبُّ ذلك . قالت : وأَشتهى والله أن أضاجِعَك وأضَع بَطنى على بطنك ، وصَدْرى على صَدْرِك . قال : وأنا والله أحِبُّ ذلك . قالت : فما يَمنَعُك من ذلك ؟ والله إنّ المكان لخالٍ . قال : يَمنعُنى منه قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بعضُهم لبعضٍ عدُوٌّ إلّا المُتَّقِين ﴾ وأنا أكرَه أن تكون خُلّةُ ما بينى وبينك تؤُول إلى عداوةٍ يومَ القيامة .

ثم قام وانصرف ، ولم يَعُد إليها ، وعاد إلى ما كان عليه مِنَ النُّسُك وقال فيها أشعارا ، منها :

سلّامُ هلْ لِى منكُمُ ناصرُ ... أم هل لقلبِى عنكُمُ زاجرُ !
قد سَمِع النّاسُ بِوَجْدى بكُمْ ... فمنهمُ اللّائم والعاذرُ

ومما قال فيها :

إنّ الّتى طرقتْك بين ركائبٍ ... تَمشِى بِمِزْهَرِها وأنتَ حرامُ
باتت تعلِّلنَا وتَحْسَب أننا ... فى ذاك أَيقاظٌ ونحن نِيامُ
حتى إذا سطَع الصّباحُ لناظِرٍ (1) ... فإذا وذلك بينَنا أحلامُ

---

(١) فى الأغانى : « سطع الضياء » .

قد كنتُ أَعزِلُ في السَّفاهة أهْلَها ... فاُعْجَبْ لِما تأتي به الأيّامُ !
فاليومَ أعذِرُهم وأحسَبُ أنّما[1] ... سُبُلُ الضَّلالة والهُدى أقسامُ

وكانت سلّامة وَريّا لرَجُل واحد ، وكانتا أختَيْن ، وكانتا مِن أجْمَل النّاس وأحسنِهنّ غِناء ، وكانت حَبابةُ تنظر إلى سلّامة بعينِ الإجلال والفضل[2] عليها .

لمّا وَلّى عثمانُ بنُ حَبّانَ المُرّيّ المدينة ، قال له قومٌ من وُجوه النّاس : إنّك قد وُلِّيتَ المدينةَ على كثرةٍ من الفساد فإن كنتَ تريد أن تُصلِح فَطهِّرها من الغِناء والزِّنا ، فصاح في ذلك ، وأجّل أهلَه ثلاثا يخرجون [فيها][3] من المدينة .

وكان ابنُ أبي عَتيق غائباً ، وكان من أهل الفَضْل والعَفاف والصّلاح ، فلما كان آخرُ ليلةٍ من الأَجَل ، قدِم ابنُ أبي عَتيق ، فقال : لا أدخُل إلى منزلى حتى أدخلَ على سلّامةَ القَسّ ، فدخل عليها فقال : ما دخلتُ منزلى حتى جئتُكم لأسلِّم عليكم ، فقالت : ما أغفلَكَ عن أمرِنا ! وأخبَروه الخَبَر ، فقال : اصبِروا علىّ اللّيلة . فقالوا: نخاف أن يُلْهِيَك شيء . قال : إن خفتمْ شيئا فاُخرجوا في السَّحَر .

ثم خرج ، فاستأذَنَ على عثمانَ بن حَبّان ، فأَذِن له ، فسلّم عليه ، وذكر غَيْبَته ، وأنّه جاء ليقضىَ حَقَّه ، ثم جزاه خيرا على ما فعل من إخراج أهل الغِناء والزِّنا ، وقال : أرجو ألا يكون [هناك][4] عمل هو خير لك منه .

قال عثمان : قد فعلتُ ذلك وأشار علىّ أَصحابُك به . فقال : قد أصبتَ ، ولكن ما تقول في اُمرأة كانت هذه صناعتُها ، وكانت تُكْرَهُ على ذلك ، ثم تركَتْه ،

---

(١) في الأغاني : « وأعلم أن ما » .
(٢) ب ، ج : « التفضل » .
(٣) تكملة من الأغاني .
(٤) تكملة يقتضيها الكلام .

وأقبلتْ على الصّلاة والصِّيام والخير ، وأنا رسولُها إليك ؛ تقول : أتوجَّهُ إليكَ وأعوذُ بك أن تُخرِجنى من جِوار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومسجدِه .

قال : فإنّى أدعُها لك ولكلامِك .

فقال ابنُ أبى عتيق : لا يدَعُكَ النّاس ، ولكن تأتيك وتَسمعُ كلامَها وتنظرُ إليها ، فإن رأيتَ أنّ مِثلَها ينبغى أن يقول تركتها . قال : نعم ، فجاءه بها ، وقال : احملى معكِ مِسبَحةً وتخشَّعى ، ففعلتْ .

فلمّا دخلتْ على عثمانَ سلّمتْ عليه ، وجلستْ وحدّثته ، فإذا هى من أعلمِ النّاس بأمور الناس ، فأعجب بها ، وحدّثته عن آبائه وأمورِهم ، ففَكِه[1] لذلك.

فقال ابن أبى عتيق : إقرَئى للأمير ، فقرأتْ له . فقال لها : احدِى له ، ففعلتْ ، وكثر تعجُّبه منها ، فقال : كيف لو سمِعتَها فى صِناعتها ، فلَم يزلْ يُنزِله شيئا فشيئا حتى أمرها بالغناء ، فقال لها ابن أبى عتيق : تَغَنَّىْ :

مَلأْنَ خَصاصَ الخَيْمِ لمّا دخلْنَه بكلِّ لَبانٍ واضحٍ وجَبينِ[2]

فغنّته ، فقام عثمانُ من مجلسه فجلس بين يديْها ثم قال: لا واللهِ ما مِثلُ هذه يَخرج .

فقال ابن أبى عتيق : لا يدَعُك الناسُ تُقِرّ سَلّامةَ وحدَها وتُخرِج غيرَها ! قال : فدَعُوهم جميعا ، وترَكهم[3] جميعا .

لمّا قَدمتْ رُسُل يزيدَ بن عبد المَلِكِ فاشتَروْا سلّامةَ بعشرين ألف درهم ، فلمّا خرجتْ من مِلْك أهلِها طلبوا من الرُّسُل أن يتركوها عندهم أيّاما ، ليجهزّوها بما يُشابهُها من حُلِيٍّ وثياب وصِبْغٍ[4] وطِيب .

---

(١) فكه بذلك : طابت نفسه .

(٢) اللبان : الصدر ، وفى الأغانى : « سددن خصاص الخيم » .

(٣) فى الأغانى : « وتركوهم » .

(٤) الصبغ هنا : ما يؤتدم به .

فقالت لهم الرُّسُل : هذا كلُّه معنا لا حاجةَ بنا إلى شيء منه ، وأمروها بالرَّحيل ، فخرجتْ حتى نزلتْ سِقايةَ سليمانَ بنِ عبد الملك ، وشيَّعها الخلْق من أهل المدينة ، فلمّا بلغوا السِّقايةَ . قالت للرُّسُل : إنّ لى قوما كانوا يغْشَوْنني ويسلِّمون علىّ ، فلا بدّ لى من وداعِهمْ ، والسّلام عليهم ، فأُذِنَ للناس عليها ، فانقضُّوا حتى ملأُوا رحبة القصر ، ووقفتْ هى بارزةً لهم ومعها العُود ، فغنّت :

فارَقونى وقد علمتُ يقينــاً ما لِمَنْ ذاقَ مِيتةً مِن إياب
إنّ أهلَ القِباب قد تركونى مُولَعاً مُغرَماً بأهلِ القِبــاب(١)
أهلُ بيتٍ تَتابَعوا للمَنايا ما على الدهر بعدهمْ من عتابِ(٢)

فلم تزل تُردِّدُ هذا الصوت ، والناس يَنتَحِبون حتى ركبتْ وانتَحَب النّاسُ عند رُكوبها ، وتوجّهت .

وقال يزيد بنُ عبدِ الملك : ما يُقرُّ بعينى ما أُتيتُ من الخلافة حتى أشترىَ سلّامة جاريةَ مُصعَب بن سُهَيل الزُّهرِىّ ، وحَبابةَ جاريةَ آلِ لاحق المكّيّة ، فلمّا ملكهما قال : أنا الآن فى بلوغ أُمْنيّتى كما قيل :

فألقتْ عَصاها واستقرّ بها النَّوى كما قرَّ عَيْناً بالإياب المُسافِرُ

ثم قال لهما : قد ملكْتُكما فما شاءَ بَعْدَكُما من أمرِ الدنيا فلْيفُتْنِى .

قال إسحاق المَوْصلىّ : سمعتُ نائحةً مكّيّةً تنوحُ بهذا الشعر :

قد لَعَمْرِى بِتُّ لَيلِى كأخى الدّاءِ الوَجيعِ

فكنتُ أترنّم به لشدّة إعجابى به ، فسمِعَه أبى فقال : ما تَصْنَع به ؟ قلتُ :

---

(١) الأغانى : « بأهل الحصاب » .
(٢) تتابعوا : تهافتوا .

هذا شِعر الأحْوَص ، وصنعةُ معبَد ، وناحت به سَلّامةُ على يزيدَ بن عبد الملك ، ثم ضَرَب الدهرُ ضَرْبَه[1] ، فمات الرّشيد ، فإذا رسولُ أمِّ جعفر يأمرُني بالحضور ، فحضرتُ ، فبعثتْ إليّ : إني قد جمعتُ بناتِ الخلفاء ، وبناتِ بني هاشم لنَنُوحَ على الرّشيد في ليلتنا هذه ، فقلْ أبياتا رقيقةً ، واصنعهن صَنْعةً حسنة حتى أنوحَ بها ؛ فأردتُ نفسي على أن أقولَ شيئا فما حضرَني ، وجعلتْ تَحِثُّني رُسُلُها ، فذكرتُ هذا النّوحَ ، فأردتُ أنْ أصنعَ شيئاً ، ثم قلتُ : قد حضرَني القولُ ، وقد صنعتُ ما أُمرتِ به ، فبعثتْ إليّ بكُنَيزة ، وقالت : طارِحْها حتى تُطارِحَنا ، فأخذت كُنَيزة العودَ وردّدته عليها حتّى أخذتْه ، ودخلت فطارحتْه أمَّ جعفر ، فبعثتْ إليّ بعشرة آلافِ درهمٍ ومائةِ ثوب.

---

(١) ضرب الدهر ضربه : باعد بيننا .

سُوَيد بن أبى كاهل*

هو سُوَيد بنُ أبى كاهل بنِ حارثة بنِ حِسْل بنِ مالكِ بنِ عبدِ سعد بن جُشَم ابن ذُبْيان بنِ كِنانةَ بنِ يشكُر، واسم أبى كاهل: شَبيب وكنيتُه سويدٌ أبوسعد، بدليل قوله:

أنا أبو سعدٍ إذا الليل دجا　　دخلتُ فى سِرْبالِه ثم النّجا

جعَلَه ابنُ سلّامٍ فى الطبقة السادسة، وقرَنَه بعنترةَ العَبْسى وطبقتِه، وهو مخضرَمٌ جاهلىّ إسلامىّ. وكان أبوه أبو كاهل شاعراً، ولمّا قرأ أبو نصر صاحبُ الأصمعىّ علَى الأصمعىّ قصيدةَ سُوَيد، فضّلها وقدّمها، وهى:

فبَسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا　　فوصَلْنا الحبلَ منها ما اتَّسعْ(1)
كيف يَرجُون سُقوطى بعدَ ما　　جلَّلَ الرأس بياضٌ وصَلَعْ(2)
رُبَّ من أنْضَجْتُ غَيظاً صدْرَه(3)　　قد تَمنّى لىَ موتاً لم يُطَعْ
ويَرانى كالشّجا فى حَلْقِه　　عَسِراً مَخرَجُه ما ينتَزَعْ
ويُحَيِّينى إذا لاقَيْتُه　　وإذا أُمكِن من لحمِى رَتَعْ(4)
وأبيتُ الليلَ ما أهجعه　　ويُعَنِّينى إذا النجم طَلَعْ

وكانت العرب تفضِّل هذه القصيدةَ وتقدِّمها وتَعُدُّها من حِكَمها، وكانت فى الجاهليّة تسمّى اليَتيمة.

---

* ترجمته فى الأغانى ١٣ : ١٠٢ ـ ١٠٨ (طبعة دار الكتب) .

(١) اتسع : امتد . والقصيدة مفضلية .

(٢) فى المفضليات : « كيف يرجون سقاطى »

(٣) المفضليات : « قبله » .

(٤) المفضليات : « وإذا يخلو له لحمى رتع » .

وكان زياد الأعجمُ قد هجا بني يَشْكُرَ بقوله :

إذا يَشْكُرِيٌّ مَسَّ ثوبَكَ ثوبهُ فلا تذكُرَنَّ اللهَ حتّى تَطَهَّرا

فلو أنّ مِن لؤم تموتُ قبيلةٌ إذاً لأماتَ اللهُ لا شكّ يشكرَا

فأتى بنو يشكرَ إلى سويدِ بن أبي كاهل ليهجوَ زياداً الأعجم ، فأبى عليهم ، فقال زياد :

وأُنبئتهمْ يَستصرخونَ ابنَ كاهلٍ لِلُّؤْمِ فيهمْ كاهِلٌ وسَنامُ[1]

فإن يأتنا يَرجعْ سويدٌ ووجهُهُ عليه الخزايا غُبْرةٌ وقَتامُ

دَعِيٌّ إلى ذبيانَ طَوْراً وتارةً إلى يشكرٍ ما في الجميع كِرامُ

فقال سويد : هذا ما طلبتمْ! وكان سويدٌ مغلَّبا[2] ، وكان يتأخر عن هجاء زياد .

وأمّا قوله :

دَعِيٌّ إلى ذُبيانَ طَوْراً وتارَةً إلى يشكرٍ . . . .

فإن أمَّ سُوَيد امرأةٌ من بني غُبَر ، وكانت قبلَ أبي كاهل عند رجلٍ من بني ذُبيان بن قيس عيلان ، فمات عنها فتزوّجها أبو كاهل ، وكانت فيما يقال حاملًا ، فاستلاط[3] أبو كاهل ابنها لما ولدَتْه ، وسمّاه سويد ، واستلحقه به ،وكان إذا غَضِب على يشكر ادّعى إلى ذُبْيانَ وإذا رضى عنهمْ أقامَ على نسبه .

وقيل: إنّه وُلد في بني ذُبْيان، وتزوّجتْ أمُّه أبا كاهلٍ ، وهو غلام يَفَع، فاستلحقهُ أبو كاهلٍ وادّعاه ، وقد انتمى سُويدٌ إلى قيس وافتخر بذلك في قوله :

---

(١) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق .

(٢) المغلب هنا : المغلوب مرارا .

(٣) استلاطه : ادعاه ولدا وليس منه .

أنا الغَطفانىّ ابن ذبيان فابعدوا فللزَّنجُ أدنَى منكم ويحابرُ
أبَتْ لىَ عَبْسٌ أن أسامَ دَنِيّةً وسعدٌ وذُبيانُ الهِجانُ وعامرُ
وحىٌّ كرامٌ سادةٌ من هوازنٍ لهم فى المُلِمّات الأنوفُ الفواخر[1]

وكان زهير قد جاور بنى شَيْبان ، فأساءوا جِوارَه وغصبوه شيئا من ماله ، فانتقل عنهمْ وهجاهُم فأكثر ، وكان الّذى ظلمَه وأخذَ مالَه أحد بنى محلِّم، فهجاهم ، وإخوتَهم بنى[2] ربيعة ، فاستعدتْ بنو شيبانَ عليه عامرَ بنَ مسعود الجُمَحىّ والى الكوفة ، فدعا به وتوعَّدَهُ وأمرَه بالكفّ عنهم بعد أن أمر بحَبْسه ، فغضبتْ له قَيس ، وقامت بأمره حتى خلّصتْه ، فقال فى ذلك:

يكفُّ لِسانى عامرٌ وكأنّما يكفُّ لسانًا فيه صابٌ وعَلقَمُ
أأترك أولادَ البَغايا وغيرَهم وتَحبسنى عنهمْ ولا أتكلّمُ !
ألم تَعْلَموا أنّى سويدٌ وأننى إذا لم أَجد مستأخَراً أتقدَّمُ !
حَسِبْتُمْ هجائى إذْ بَطِنتمْ غنيمةً علىَّ دِماءُ البدن إنْ لم تندَّمُوا

وكان سويدٌ قد هاجَى حاضرَ بنَ سَلَمة الغُبَرِىّ ، فطلبهما عبد الله بنُ عامر ابن كرِيز ، فهربا من البصرة [ثم هاجى الأعرج أخا بنى حمّال بن يشكر][3] ثمّ أخذها صاحبُ الصّدَقة فى أيّام ولايةِ عامر بنِ مسعود الجُمَحىّ الكوفةَ ، فَحبَسَهما ، وأمر ألّا يَخرجا من السِّجن حتى يؤدِّيا مائةً من الإبل ، فجاء بنُو حمّال إلى صاحبهم فكفلوه وخذَل بنو عبدِ سعد سُوَيْداً ، وهم قومُه ، فسأل بنى غُبَر ، وكان قد هجاهم فقال :

---

(١) الأنوف الفواخر ، كناية عن ارتفاعها وشممها .
(٢) فى الأغانى : « بنى أبى ربيعة » .
(٣) تكملة من الأغانى .

مَن سَرَّه النَّيكُ بغير مالٍ فالغُبَرِيّاتُ على طِحالٍ[1]
*شَواغِرٌ يُلمِعن للقُفّالِ[2] *

فلما سأل بنى غُبَر قالوا له : يا سُوَيد ، « ضيّعت البِكارَ بِطحال » ، فأرسلُوها مَثَلا ، أى أنّك عممْتَ جماعَتنا بالِهجاء فى الأُرجوزة ، فضاع ما قدَّرتَ ، أنّا نفْديك به من الإبل ، فلَم يزل محبوسا حتّى استوهبَتْه عَبْس وذُبْيان لمديحه لهم ، وانتمائه إليهم ، فأطلقُوه بغيرِ فداء .

(١) طحال : موضع بعينه .

(٢) الشواغر : المرفوعة أرجلها للنكاح . والإلماع : الإشارة . والقفال : الراجعون من السفر .

سليمان بن القَصّار*

هو سليمانُ بنُ على الطُّنْبُورِىّ ، قالت قُمْرِيّةُ البَكْتَمُرِيّة : كنتُ فى حَداثتى لرجل من الكُتّاب يُعرَف بالبَلُّورى ، وكانت سِتِّى الّتى رَبّتْنى له مغنِّيةً شجيّة الصوت ، حَسَنة الغِناء ، وكانت تَعْشَق ابْنَ القَصّار ، وكانت علامةُ مصيرِه إليها أن يَجْتازَ فى دِجلَة وهو يغنِّى ، فإن قدرتُ على لقائه أوصلْتُه إليها ، وإلاّ مضى ؛ فأذكره ، وقد اُجتازَ بنا فى ليلةٍ مقمِرة ، وهو يغنِّى :

أنا فى يُمنَى يَدَيْهَا وهى فى يُسْرى يَدَيَّهْ

إنّ هذا لقَضَاءٌ فيه جَوْرٌ يا أُخَيَّهْ

ويغنّى فى آخره ردّه :

* وَيْلَ وَيْلِى يا أُبَيَّهْ *

وكانت ستّى واقفةً بين يدَىْ مولاها ، فما ملكتْ نفسَها أن صاحتْ : أحسنتَ والله أيُّها الرجل ! فأعِدْ وتفضَّل ؛ ففَعل ، وشربتْ رطْلًا ، فتغافَلَ عنها مولاها لموضِعها من قلبه ، فما أذكر أنّى سمعتُ قطُّ أطيَب من غنائه ولا أَحْسَن .

* ترجمته فى الأغانى ١٤ : ١١٢ ـ ١١٥ (طبعة دار الكتب) .

سليمان بن أبى الزّوائد*

هو سليمانُ بنُ يحيي بن يزيد[1] بن مَعْبَــد بن أيّوب بن هِلال بن عوف ابن[2] نَضْلة بنِ عُصَيّة بنِ بكر بن سعد بن بكر بن هَوازن بن منصور ؛ ويقال له : أبنُ أبى الزّوائد ، شاعرٌ مُقِلٌّ ، من مخضَرمى الدّولتَيْن، وكان يَؤُمُّ النّاس فى مَسجِد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

كان أبن أبى الزّوائد يتعشّق جاريةً سوداء مولاةَ الصُّهَيْبيِّين ، وكان يختلف إليها ؛ فمّا قال فيها :

قد كان لى منــكِ ما أُسَرُّ بهِ ... ولَيْتَ ما كان منكِ لم يَـكُنِ
نَعِفُّ فى لهـونا ويَجْمَعُنا الـــ ... مَجْلِس بين العَرِيش والُجرُنِ[3]
يُعجبنا اللّهو والحديثُ ولا ... نَخلط فى لهـونا هَنَــاً بِهَنِ[4]

كان أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة صديقا لابن أبى الزوائد ، ثم تباعد ما بينهما فهجرَه ، فقال فيه :

قَطَع الصَّفاءَ، ولمْ أكُنْ ... أهـلًا لذاكَ ، أبو عُبَيْــدَةْ
لا تحسَبنّك عاقـلًا ... فلأنت أحمقُ مـن حُمَيْدَهْ

كانت بالمدينة أمرأة رَعْناء يقال لها : حُمَيْدة ، يُضرَب بها المَثَل فى الُحمْق .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٤ : ١٢١ ـ ١٣٠ (طبع دار الـكتب) .

(١) فى الأغانى : « ابن زيد » . ، وأثبت ما فى الأصول .

(٢ـ٢) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « ابن نضلة بن عصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن» .

(٣) أصلها الجرن ، كقفل ؛ وهو موضع تجفيف التمر .

(٤) كناية عما يستهجن ذكره من الرجل والمرأة .

دخل ابنُ أبي الزّوائد إلى حمّاد بن عمرانَ الطَّلْيَحِيّ ، وكان يلقّب بعُطْعُط وكان له قِيانٌ يَسمعهنّ الناس ، فرآهنّ ابنُ أبي الزّوائد ، فقال فيهنّ :

أقولُ وقد صُفِّفَ البُظْرُ لي[1] ... أَلِلْبُظْرِ أدخلَني عُطْعُطُ ؟
وإني امرؤٌ لا أُحِبُّ الزّنا ... ولا يَستفِزُّني البَرْبَطُ[2]
ولو بعضَهنّ ابتغَى صَبْوَتِي ... لخالَط هامتَها المِخْبَطُ[3]
لبئس إذاً فِعْلُ مَن قد قرا ... وهمّت عوارِضُه تَشْمَطُ[4]
وما كنت مُفْترِشاً جارَتي ... وسيّدها نائمٌ يَضرِطُ
أأُفرِغ في جارتِي نُطفةً ... حَراماً كما يُفرَغ المُسْعُطُ[5]

قال ابن دَاب : خرجتُ أنا وأخي يَحْيي ، وابنُ أبي السعلى[6] ومصعب ابنُ عبد الله النَّوْفليّ ، ومعنا ثابتٌ والزّبير ابنا خُبَيْب بن ثابت بنِ عبد الله بنِ الزُّبير ، وابنُ أبي الزّوائد السَّعْدي ، وابنُ أبي ذئب متنزّهين إلى العَقيق . وقد سال يومئذ ، فبَيْنا نحن جلوسٌ إذ أتانا آتٍ ، فسألْناه عن الخبر بالمدينة ، فقال : ورد كتابُ المنصورِ يأمر ألّا تتزوّجَ منافيّةٌ إلّا مَنافِيًّا . فقال ابن أبي ذئب : إذاً والله لا يَخطُب قرشيٌّ إلّا من لا يُحِبُّها ولا يرغَب فيمن لا يرغب فيها ممّن لا فضل لهُ عليها ، وكان غيرَ حسن الرأيِ في بني هاشم وتكلّم ابنا خُبَيبٍ بمثل ذلك ، وقال أحدهما : إن

---

(١) الأغاني : « صنفت البظر » .

(٢) البربط : العود ، معرب .

(٣) المخبط : العصا يخبط بها الورق .

(٤) الشمط ، بالتحريك : بياض في الرأس يخالط سواده . والعارضة : صفحة الخد ، وقرا ، مسهل : « قرأ » ؛ أي الذي قرأ القرآن .

(٥) المسعط : ما يجعل فيه السعوط ويصب في الأنف .

(٦) الأغاني : « السعلاء » .

غَمَّنا من بنى عبدِ مناف قـد طال ، فأَدالَنا الله منهم(١) ، قال : فغضب مصعب النَّوْفلِيّ ، وكان أحْوَلَ ، فازدادت عيناه انقلابا ، فقال : أمّا أنتَ يابنَ أبى ذئب ، فوالله ما شرّفتْك جاهليّةٌ ولا رفَعَك إسلام فيَقع فى بالِ أحدٍ أنك عُنِيتَ بما جَرَى ؛ وأمّا أنتما يا بنى خُبَيْب فبُغضُكما لبنى عبد منافٍ تالدٌ موروث ، لا يزال يتجدّد كلّما ذكرتمْ قتلَ الزُّبير ، وإنّكم لَمِن طينتَين مختلِفتين ، أمّا إحداهما فمِن صَفِيّة(٢) ، وهى الطِّينة الأَبْطَحيّة السنيّة ، تَنزِعان إليها إذا نَفرْتما(٣) ، وتفْخَران بها إذا فَخَرْتُمَا ، والأخرى الطِّينة العوّاميّة التى تَعرِفانها ، ولو شئتُ أن أقـول لقلتُ ، ولـكنّ صفِيّة تحجُزُنى ، فأَحسِنا الشـكر لمن رفعَـكما ، ولا تَميلا عليه بمَن وضَعَـكما .

فقالا له : مهـلا ، فوالله لقَديمُنا فى الإسلام أفضلُ من قَديمك وحَظُّنا فيه بالزُّبير أفضلُ مِن حَظِّـك .

فقال مصعب : ما تَفخَران فى نسبِـكما إلّا بعمّتى ، ولا تَفضُلان فى دينكما إلّا بابْن عمّتى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فَفاخِرُه لى دونَـكُما ، ثم تفرّقوا . فقال ابْن أبى الزّوائد :

لعمرُكُما يابْنَىْ خُبَيْبٍ بْنِ ثابتٍ ... تَجاوزتُما فى الفخر جهلًا مَداكُما
وأنـكرتُما فضلَ الّذين بفضلهمْ ... سمتْ بين أيدى الأكرمين يداكُما
كأنّـكما لَم تعرِفا إذ سمـوْتُما ... إلى العِزِّ مِن آل النبىِّ أباكما
ولا تَعرِفا الفضلَ الّذى قدْ حَويْتُما ... به لا مِن العـوّام حقّا أتاكما
ولولا الـكرامُ الغُرُّ مِن آلِ هاشمٍ ... فـلا تَجْهَلا لَم تدْفَعا مَنْ رَماكما

(١) أدالنا الله منهم : نصرنا عليهم ، وفى ب ، ج : « عليهم » ، بدل « منهم » .
(٢) هى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٣) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « نافرتما » ؛ والمنافرة : المفاخرة والمحاكمة .

سلّامة الزّرقاء*

هى جارية عبد الملك بنِ رامِين ، وكان يقال لها : أمُّ عثمان .

قال بعض المدَنيِّين : أتيتُ منزلَ ابنِ رامينَ ، فرأيتُ عنده جاريةً قد رفع ثديُها قميصَها ، ولها شاربٌ أخضرُ ممتدٌّ على شفَتها امتدادَ الطِّراز ، كأنما خُطّت طُرّتاها وحاجِباها بقلمٍ لا يلحقها فى ضَرْبٍ من ضُرُوب حُسْنِها ، وصفُ واصف ، فسألتُ عنها فقيل لى : هذه الزَّرقاء ؛ ثم رأيتُها فى دار جعفر بنِ سليمان .

كان محمد بنُ الأشعث القرشيُّ الزُّهريُّ الكاتب ، من فِتْيان الكُوفة وظُرفائهم ، يقول الشعرَ ، وكان يألَف سلّامَة الزّرقاء ، فمّا قال فيها :

أَمْسَى لسَلّامَة الزَّرقاءِ فى كَبِدى ... صَدْعٌ مقيمٌ طوالَ الدّهرِ والأَبدِ

لا يستطيعُ صَناعُ القَوْمِ يَشْعَبُه ... وكيف يُشْعَبُ صَدْعُ الحبّ فى الكبِدِ[1]

إلّا بوصلِ التى من أجلِها انصدَعَتْ ... تلك الصُّدوعُ من الأَسقام والكمَدِ

ولم يزلْ محمّد بنُ الأشعث ملازما لابن رامين ولجاريتهِ سلّامة حتّى شُهِر بذلك ، وكان رجلا قصّافا[2] ، فلامَه قومه فى فِعله ، فلَم يَحْفِلْ بمقالتهم ، وطال ذلك منهم حتّى رأى بعضَ ما كَرِه فى منزل ابنِ رامين ، فمال إلى سَحِيقة جارية زُرَيْق ابن مَنيح ، وكان زُرَيق شيخا سخيًّا كريما نبيلا يجتمع إليه أشرافُ أهلِ الكُوفة من كلّ حَيٍّ ، وكان الغالبُ على منزله رَجُلًا من ولد القاسم بنِ عبد الغفّار العِجْليّ ، كغَلَبَةِ محمّد بنِ الأشعث على منزل ابنِ رامِين ، فتلازَما منزلَ زُرَيق ، وفى ذلك يقول محمّد بنُ الأشعث :

---

* ترجمتها فى الأغانى ١٥ : ٥٦ ـ ٧٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) الصناع : الحاذق بالصنعة . والشعب : الإصلاح .

(٢) القصاف : كثير القصف ؛ وهو اللهو واللعب .

يابنَ رامِينَ بُحتُ بالتّصريحِ … في هوايَ سحيقةَ ابنِ مُنيحِ
قينةٌ عفّةٌ ومولًى كريمٌ … ونديمٌ من اللُّباب الصَّريحِ
رَبَعِيٌّ مهذَّبٌ أَرْيَحيٌّ … يَشترِي الحَمْد بالفعال الرَّبيح
نحن منه في كلّ ماتشتهي الأنـ … ـفسُ من لَذَّةٍ وعيشٍ نَجيحِ
عند قَرْمٍ من هاشمٍ في ذُرَاها … وغناءٍ من الغزالِ المَليحِ[1]
في نعيمٍ وفي سرورٍ مُقيمٍ … قد أَمِنّا من كُلّ أمرٍ قَبيحِ
فاسلُ عنها كما سلوناكَ إنّي … غيرُ سالٍ عن ذات نفسِي ورُوحي
حافظٌ عنكَ كلّما كنتَ قد ضَيّـ … ـعْتَ ممّا عصيتُ فيه نصيحي
يابنَ رامِينَ فالزَمنْ مسجد الحـ … ـيِّ بُطولِ الصّلاة والتّسبيحِ

فلم يَدعِ ابنُ رامينَ شريفا في الكوفة إلّا وتحمَّل بـه على ابن الأشعث أن يَرضَى عنه ، ويعاودَ زيارته ، فلَم يفعل حتى تحمَّل عليه بمحمّد بن بِشْر الأسَديّ ، وكان يومئذ على الكوفة ، فكلّمه فرضيَ عنه ، وعاد[2] إلى زيارته ولم يَقطع منزلَ زُريق . وقال في سحيقةَ شِعرا .

كان محمّد بنُ جَميل يَهْوَى سلّامَةَ الزرقاء وتَهواهُ ، وكان رَوْح بنُ حاتم بن المهلَّب كثيرَ الغِشْيان لمنزل سيِّدها ابنِ رامين ، فقال لها محمّد بنُ جميل يوماً : إنّ رَوْح بنَ حاتم قد ثَقُل علينا ، فقالت : وما أصنَعُ فيه ، قد غَمَرَ مولاي بِرُّه ، قال : احْتالِي له ، فبات عندهم رَوْحٌ ليلةً ، فأخذتْ سِرْواله فغسلتْهُ وهو نائم ، فلمّا أصبحَ سأل عنه ، فقالت : غسَلْناه ، ففطِن أنّه أحدَث فيه ، واحتيج إلى غَسْله فاستحيا من ذلك ، وانقطع عنهم ، وخلا وجهُها لابن جَميلٍ .

---

(١) القرم : السيد .

(٢) في الأغاني : « ورجع » .

كان جعفر بنُ سليمانَ اشترى سلّامةَ الزّرقاءَ بثمانين ألف درهم ، وستَرَها عن أبيه ، وأبوه يومئذٍ على البَصْرَة فى خلافة المنصور ، وقد تحرّك فى تلك الأيّام عبدُ الله بنُ علىّ ، فهجم عليهما يوما سليمانُ بنُ علىّ ، فأخفيا العُودَ تحت السرير ، فقال له : وَيْحَك ! نحن على هذه الحال ، وأنت تشترى جاريةً بثمانين ألف درهم ! وأظهرَ له غَضَباً وسُخْطاً بما فعله ، فغمَزَ خادماً له كان[1] على رأسه ، فأَخْرَجها إلى سليمان ، فأَكبَّتْ على رأسه فقبَّلَتْه ، ودعتْ له .

وكانت عاقلةً مقبولةً شَكِلَة[2] ، فأعجبَتْه ، فقام عنها ولم يَعُد إلى معاتبة ابنه بعد ذلك . ولمّا مضت لها مدّة عند جعفر بن سليمان قال لها يوما : هل ظَفِر منكِ أحدٌ قطُّ ممّن كان يهواكِ بخَلْوَةٍ أو قُبْلة ؟ فخشيتْ أن يبلُغَه شىء كانت فعلَتْه بحضرة جماعة ، أو أن يكون قد بلغه شىء ، فقالت : لا والله ، إلّا يزيد بن عون العِبادىّ الصَّيْرَفِىّ ، فإنه قبّلنى قُبلةً وقَذَف فى فمى لؤلؤةً بعتُها بثلاثين ألف درهم . فلم يزل جعفرٌ يحتال له ويطلبه ، حتّى وقع له ، فضَرَبه بالسِّياط حتّى مات .

قال عبد الرّحمن بن مقرون[3] : كتبتُ إلى ابن رامين أستأذِنه فى إتيانِ منزلِه ، فكتب إلىّ : قد سبقكَ رَوْحُ بنُ حاتم ، فإن كنتَ لا تحتشم منه فرُحْ ، فرُحْتُ ، فكأنّنا كنّا فَرَسَىْ رِهان ، فالتقينا ، فعانَقَنى وقال لى : أين تُرِيد ؟ قلت : حيث أردتَ . قال : الحمد لله ، فدخَلْنا فخرجت الزّرقاء فى رِداء وإزار قُوهِيَّين[4] مورَّدَيْن كأنّ الشمس طالعةٌ من بين رأسِها وكعبِها[5] ، ففتَنَتْنا ساعةً ، ثم جاء الخادمُ الّذى

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) شكلة : ذات غنج ودلال وغزل ، وفى الأغانى : « متكلمة » .

(٣) فى الأغانى : « مقرن » .

(٤) القوهى : ضرب من الثياب بيض ؛ منسوبة إلى قوهستان .

(٥) فى الأغانى : « وكتفيها » .

يأذن لها[١] ، وكان الإذن عليها دون مولاها ، فقام على الباب وهى تغنّى فلمّا قطعت الغِناء نظرَتْ إليه ، فقالت : مَنْ ؟ قال : يزيد بنُ عَوْن العبادىّ الصَّيْرَفىّ الملقَّب بالماجن على الباب . قالت : أَدخِلْه ، فلمّا استقبلها كفَّرَ[٢] ثم أَقْعَى[٣] بين يديها ، فجوَّدَتْ[٤] واللهِ له ، ورأيتُ أثرَ ذلك ، وتنوَّقَتْ تنوُّقاً خلافَ ما كانت تفعلُ بنا ، فأدخلَ يدَه فى ثوبه ، فأَخرَجَ لؤلؤتين ، فقال : انظُرى يا زرقاء ، جُعِلت فداكِ ! ثم حلف أنه نُقِدَ فيهما بالأمس أربعين ألف درهم ، قالت : فما أصنع بذاك ؟ قال : أردتُ أن تَعلمِى ، فغنّت صوتاً ثم قالت : يا ماجنُ هبهما لى . قال : إن شئتِ واللهِ فعلتُ . قالت : قد شئتُ . قال : فاليمينُ التى حلفتُ بها لازمةٌ لى إن أخذتِهما إلّا بشفتيك من شَفَتَىَّ !

قال : فذهب رَوْحٌ يتسرّع إليه ، فقلت[٥] : أَلكَ فى بيت القوم حاجة؟ قال: نعم. قلت : إنما يتكسّبون بما ترى .

وقام ابنُ رامينَ فقال : ضَعْ لى ماءً يا غلام ، ثم خرج عنّا . فقالت : هاتِهما ، فمشى على ركبتيه وكفَّيه ، وهما بين شفتيه ، وقال : هاكِ ، فلمّا ذهبَتْ تناوَلُهما ، جعل يصدّ عنها يميناً وشمالا ليستمكِن منها ، فغمزتْ جاريةً على رأسها ، فخرجتْ كأنّها تريد حاجة ، ثم عَطفتْ عليه ، فلمّا دنا وذهب ليَرُوغَ دفعت منكِبَه ، وأمسكته حتّى أخذت الزرقاء اللّؤلؤتين بشفتيها من فمه ورَشَح جبينُها عرَقاً حياءً منّا ، ثم تجلّدتْ علينا ، فأقبلت علينا وقالت : المغبون فى استِه عُود .

---

(١) يأذن لها ، يريد : يستأذن عليها .

(٢) التكفير : أن ينحنى الذمى أو المجوسى برأسه ؛ إيماء إلى التعظيم .

(٣) أقعى : تساند إلى الوراء .

(٤) جودت له : أعجبت به ، وفى الأغانى : « فوجدت والله له » ، أى لحقها الوجد به والحب له .

(٥) فى الأغانى : « فقالت له » .

فقال: أمّا أنا فلا أُبالى. والله لا يَزال طِيبُ هذه الرائحةِ فى أنفى وفمِى ما حَيِيتُ .

اجتمعَ عند ابنِ رامينَ معنُ بنُ زائدة ، ورَوْح بن حاتم ، وابنُ المقفّع فلمّا تغنّت الزّرقاء ، وسَعْدة ، بعث معنٌ فجِئَ ببَدْرة فصبّها بين يدَيْها ، وبعث رَوْح فجِئَ ببَدْرة فصَبّها بين يديها ، ولم يكن عند ابن المقفَّع دراهم ، فبعث فجِئ بصَكٍّ فيه عُهْدة ضَيْعَته، فقال: هذه عُهْدة ضَيْعَتى تَخذيها، وأمّا الدراهم فما عندى منها شىء .

وقال شُراعة بنُ الزّنْدَبوذ :

قالوا شُراعةُ عِنِّينٌ فقلتُ لهمْ ... اللهُ يَعــلَمُ أنّى غـيرُ عِنِّينِ
فإن أَبَيْتم وقلتمْ غيرَ قولِكُمُ ... فأَقْحِمونَى فى دارِ ابن رامينِ (١)
ثم اُخبروا كيف طَعْنى عند مُعْتركى (٢) ... فى حِرِ مَن كنتُ أَرميها وتَرْمِينى

---

(١) أقحمه : ألقاه ورمى به .
(٢) رواية الأغانى : « ثم انظروا » .

سُدَيف*

هو سُدَيف بنُ مَيْمون ، مَولَى خُزاعة ، وسبب ادّعائه وَلاءَ بنى هاشم ، أنّه تزوّج مولاةً لآل أبى لهب[1] ، فادَّعَى وَلاءَهم ، ودخل فى جُملةِ مواليهم .

وقيل : إنّ أباه ميمون هو الّذى تزوّج مولاةَ اللهبيّين[2] ، فولدتْ له سُدَيْفاً .

ولمّا يَفع وقال الشِّعر ، وعُرِف بالبيان ، وحُسْن العارضة ادَّعَى الوَلاء فى موالى بنى أميّة ، فغلبوا عليه .

وسُدَيف شاعرٌ مُقِلٌّ حِجازىٌّ ، من مخضرَمى الدّولتين ، وكان شديدَ التعصُّب لبنى هاشم ، مظهِرًا لذلك فى أيّام بنى أُمَيّة ، فغلبوا عليه ، وكان يخرج إلى أحجارٍ صُفِىٍّ[3] فى أرض ظهر مكّة ، يقال له : صُفِىُّ السِّبَاب ويخرج مولًى لبنى أميّة معه ، يقال له : سَبّاب ، فيتسابّان ويتشاتَمان ويذكران المَثالبَ والمَعايب ، ويخرج معهما من سُفَهاء الفريقَيْن مَن يتعصّب لهذا ولهذا ، فلا يَبْرَحون حتّى يكون بينهما الجراح والشِّجاج ، ويخرج السّلطان إليهم فيفرّقُهم ، ويعاقب الجُناةَ ، فلم تزل تلك العصبيّة بمكّة حتى شاعت فى العامّة والسَّفِلة ؛ وكانوا صنفين ، يقال لهم : السُّدَيْفِيّة والأخرى السَّبَّابِيّة طُول أيّام بنى أميّة ، ثم انقطع ذلك فى أيّام بنى هاشم ، وصارت العصبيّة بمكّة من الخيّاطين والحَرّارين[4] .

---

* ترجمته فى الأغانى ٤ : ٣٤٣ ـ ٣٥٥ ، و١٦ : ١٣٥ ، ١٣٦ .

(١) كذا فى الأغانى ؛ وهو الصواب ؛ وفى الأصول : « لأبى لهب » .

(٢) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « أبى لهب » .

(٣) فى الأغانى : « صفا » .

(٤) الحرارون : صانعو الحرير .

ومِن شعرِ سُدَيف من قصيدة قالها يَذكُر فيها أمرَ بنى حَسَن ، ومَخرَجهم ، وأنشدها المنصور بعد قتله محمّدَ بنَ عبد الله بنِ حسن ، فلمّا أتى على هذا البيت :

واسَوْءَتا للقومِ لا كَفُّوا ولا إذْ حارَبوا كانوا من الأحْرارِ

فقال له المنصور : أتحرِّضهم(١) علىَّ يا سُدَيْف ؟ قال : ولكنِّى أؤنِّبهم يا أميرَ المؤمنين .

سَلَّم سُدَيف على رَجُلٍ من بنى عبد الدّار . فقال له : مَن أنتَ يا هـذا ؟ قال : أنا رجلٌ من قومك ، أنا سُدَيْف بنُ مَيْمون . قال : لا والله يا هذا ، ما فى قومى « مَيْمون » . فقال : صدقتَ والله ما فيهم مَيْمونٌ ولا مُبارَك .

بينا أبو العبّاس فى مجلسه على سريره ، وبنو هاشم دونَه على الكراسىّ ، وبنو أميّة على الوَسائد قد ثُنِيَتْ لهم ، وكانوا فى أيّام دولتهم يجلسون هم والخليفة منهم على السَّرير ، ويجلس بنو هاشم على الكَراسىّ ، فدخل الحاجبُ فقال: يا أميرَ المؤمنين ، رجل حجازىٌّ أسْوَدُ ، راكبٌ على نَجِيب ، متلثِّم يستأذن ، ولا يخبر باُسمِه ، وحَلَف ألّا يَحسِرَ اللِّثامَ(٢) عن وجهه حتّى يَراك .

فقال : هـذا مولاى سُدَيف ، يَدْخُل ، فدخل ، فلمّا نظر إلى أبى العباس ، وبنو أميّة حوالَيه حَسَرَ اللِّثام عن وجهه ، وأنشأ يقول :

أصبحَ الدِّين ثابتَ الآساسِ بالبَهاليلِ من بنى العَبّاسِ(٣)
بالصُّـــدور المقدّمِين قديماً والرءوس القَماقِم الرُّؤّاسِ(٤)

---

(١) الأغانى : « أتحضهم » .
(٢) حسر اللثام عن وجهه : كشفه .
(٣) البهاليل : جمع بهلول ؛ وهو السيد الجامع لكل خير . ورواية الأغانى : «أصبح الملك»
(٤) القماقم : العدد الكثير .

يا أمينَ المطهَّرِين من الذَّ ... مّ ويا رأسَ منتهَى كلِّ راسِ
أنت مَهْدِيُّ هاشمٍ وهُداها ... كم أُناسٍ رَجَوْك بعدَ إياسِ !
لا تُقِيلَنَّ عَبد شمسٍ عِثارًا ... واُقطعَنْ كلَّ رَقْلَةٍ وغِراسِ (١)
أنزِلوها بحيثُ أنزلَها اللَّـ ... ـهُ بدارِ الهَوان والإتعاسِ
خوفُهمْ أظهرَ التودُّدَ منهمْ ... وبهمْ منكمُ كحَزِّ المَواسِي
أَقْصِهِمْ أيُّها الخليفةُ واُحسِمْ ... عنك بالسَّيْفِ شأفةَ الأَرْجَاسِ
واُذكُرَنْ مَصرَعَ الُحسين وزَيدا (٢) ... وقتيلًا بجانب المِهْرَاسِ
والإمام الّذى بحَرّان أَمْسَى ... رَهْنَ قبرٍ فى غُربةٍ وتَناسِ (٣)
ولقد ساءَنى وساءَ سَوائى ... قُربُهمْ مِن نَمارِقٍ وكَراسِى (٤)
نِعْمَ عبدُ الِهراش مولاكَ لولا ... أَوَدٌ من حَبائلِ الإفلاسِ (٥)

فتغيّر لونُ أبى العبّاس ، وأخذه زَمَع (٦) ورِعدة ، فالتفت بعضُ ولدِ سليمانَ ابن عبد الملك إلى رجل منهم كان إلى جَنْبه ، فقال : قتلنا واللهِ العَبْد !

ثم أقبل أبو العبّاس عليهم فقال : يا بنى الفَواعل ، لا أرى قتلاكم من أهلى ،

(١) الرقلة : النخلة الطويلة .

(٢) فى الأصول : « وزيد » ؛ والأجود ما أثبته من الكامل ٤ : ٨ ؛ و« زيد » هو ابن على بن الحسين ؛ وكان قد خرج على هشام بن عبد الملك ؛ وقتله يوسف بن عمر الثقفى وصلبه بالكناسة عريانا ؛ هو وجماعة . والقتيل الذى بجانب المهراس هو حمزة بن عبد المطلب ؛ عم الرسول عليه السلام والمهراس ماء بأحد .

(٣) القتيل الذى بحران هو إبراهيم بن محمد بن على ؛ المعروف بالإمام .

(٤) غاظ سوائى ، أى غيرى . والنمارق : جمع نمرقة ؛ وهى الوسائد .

(٥) الأود : التعب والجهد ؛ ورواية الكامل والعقد :

نعم شبل الهراش مولاك شبل ... لو نجا من حبائل الإفلاس

(٦) الزمع : شبه رعدة تظهر على الوجه عند الغضب .

وقد سلفوا وأنتمْ أحياء تتلذّذون فى الدنيا ! خذوهم ، فأخذتهم الُخراسانية بالـكافر كوبات[1] ، فأُهْمِدوا ؛ إلا ما كان مِن عبد العزيز بنِ عمرَ بنِ عبد العزيز ، فإنـه أُستجار بداودَ بن علىّ ، وقال له : إنّ أبى لم يكن كآبائهم ، وقد علمتَ صنيعَه إليكم، فأجاره ، واستوهبه من السّفاح وقال له : قد علمتَ يا أميرَ المؤمنين صنيعَ أبيه إليكم ، فوَهَبه له ، وقال : لا تُرِيَنّى وجهَه ، وليـكن بحيث تأمنه . وكتب إلى عمّاله فى النّواحى بقتل بنى أميّة .

وقيل : إنّ سبب قتل بنى أميّة أنّ السّفاح أُنشِد قصيدةً مُدِح بها ، فأقبَل على بعضهم فقال : أين هذا مما مُدِحتمْ به ؟ فقال : هيهات ! لا يقول أحدٌ فيـكم مِثلَ قولِ ابن قيس الرُّقيّات فينا :

ما نَقَموا مِن بَنِى أُميّة إلّا أنّهُمْ يحلمُون إنْ غَضِبوا
وأنّهم مَعدِن الملُوك فـلا تَصْلُحُ إلّا عليهمُ الْعَرَبُ

فقال له : يا ماص كذا مِن أمّه إنّ الخلافة لفى نفسك بعدُ ! خُذُوهم . فأُخِذوا فقُتِلوا ، ثم دعا أبو العبّاس بالغَداء حين قُتِلوا ، وأمر بِبساطٍ فبُسِط عليهم ، وجلس فوقَهم يأكل وهم يضطرِبون تحتَه فلما فرغ قال : ما أعلم أنى أكلتُ أكلة قطّ كانت أهنأ ولا أطيب فى نفسى منها . فلما فرغ من الأكل قال : جُرّوا بأرجُلِهم ، وأَلقُوهم فى الطّريق ليلعَنهم الناسُ أمواتا كما لعَنوهم أحياء .

قال : فرأيتُ الـكلاب تجرّ بأرجُلهم وعليهمْ سراويلُ من الوَشْى حتّى أَنتَنوا ، ثمّ حفِرت لهم بئرٌ فأُلقُوا فيها .

---

(١) فى حاشية ١ : « كافر معلوم ، وكوب بالفارسى المدق ، اسم الآلة ؛ يعنى آلة حطم الـكافر. والألف والتاء فى آخره علامة الجمع » .

لمّا دخل سُدَيف علَى أبى العبّاس وعنده رجالٌ من بنى أميّة ، أنشَدَه :

يابنَ عمِّ النّبى أنت ضِياءٌ ... استبنّا بِكَ اليقينَ الجليّا
جَرِّدِ السَّيفَ وارفَعِ العفوَ حتّى ... لا تَرَى فوقَ ظهرِها أُمَوِيّا
لا يَغُرَّنْك ما تَرَى من رِجالٍ ... إنّ تحت الضُّلوعِ داءً دَوِيّا
بَطَن البُغْضُ فى القديم وأَضْحَى ... ثابتاً فى قلوبِهِمْ مَطوِيّا

وهى طويلة ، فقال : يا سُدَيف ، ﴿ خُلِقَ الإنسانُ من عَجَل ﴾ . ثم قال أبو العبّاس متمثِّلاً :

أحيا الضَّغائنَ آباءٌ لنا سَلَفوا ... فلَن تبيدَ ولِلآباءِ أبْناءُ

وأمر بمَن عندَه فقُتِلوا .

روى طارقُ بنُ المبارك عن أبيه : قال : جاءنى رسولُ عمرو بن مُعاوية ابنِ عمرو بن عُتْبة ، قال : يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولة وأنا حديثُ السِّنّ ، كثيرُ العيال ، منتشِر الأموال[1] ، فما أكون فى قبيلة إلّا شُهِر أمرى ، وقد عزمتُ علَى أن أفدىَ حُرَمِى بنفسى ، وأنا سائرٌ إلى باب الأمير سليمان بنِ علىّ ، فَصِرْ إلىّ ، فوافَيْتُه فإذا عليه طَيْلَسانٌ أبيضُ مطبَق وسَراوِيل وشْىٍ مسْدول ، فقلت : يا سبحانَ الله ! ما تصنع الحداثةُ بأهلها ! أبهذا اللباس تلقَى هؤلاء القومَ ، لِمَا تريد لقاءهم فيه ! قال : لا والله ، ولكنّه ليس عندى ثوبٌ إلّا أشهر ممّا ترى ، فأعطيتُه طَيْلسانى ، ولويتُ سراويلَه إلى رُكبتيه ، فدخل ثم خرج مسرورا ، فقلت له : حدِّثنى ما جرى بينكَ وبين الأمير .

قال : دخلتُ عليه ولم يكن رآنى قطُّ ، فقلت : أصلحَ اللهُ الأمير ! بلادى لفَظَتْنى[2] إليك ، ودلَّنى فضلُك عليك ، فإمّا قتلتَنِى غانماً ، وإمّا رددْتنى سالما .

---

(١) الأغانى : « المال » .

(٢) ا : « لفظتنى البلاد إليك » .

قال : ومَن أنت ؟ فأنتسبتُ له ، فقال : مرحباً بك ، اقعد فتكلَّمْ غانما آمنا ، ثم أقبل علىّ فقال : ما حاجتُك يا بنَ أخى ؟ فقلت : إنّ الحُرَم اللّواتى كنتَ أقرَب إليهنّ منّا ، وأولَى الناس بهنّ بعدَنا ، قد خِفْن بخَوْفنا ، ومن خاف خِيفَ عليه .

قال : فوالله ما أجابنى إلّا بدموعِه على خدَّيه ، ثم قال : يا بن أخى يَحقِن اللهُ دَمَك ، ويَحْفظُك فى حُرَمك ، ويوفِّر عليك مالَك ، والله لو أمكنَنى ذلك فى جميع قومِك فعلتُ ذلك ، فكن متوارِياً كظاهرٍ ، وآمِنا كخائف ، ولْتأْتِنى رِقاعُك .

قال : فكنتُ أكتب إليه كما يَكتب الرّجُل إلى أبيه وعمِّه فلمّا فرغ من الحديث ، رددتُ عليه طَيْلَسانَه ، فقال : مهلًا ! فإنّ ثيابنا إذا فارقَتْنا لَمْ ترجِع إلينا.

وقيل : إن الشعر الّذى أنشدَه سُدَيف لأبى العبّاس هو هذا :

كيفَ بالعفوِ عنهُم وقديماً ... قتلوكُمْ وهتّكوا الحُرُماتِ !

أين زيدٌ وأين يَحيَى بنُ زَيْدٍ ... يالَهـا من مُصيبةٍ وتِراتِ !

والإمامُ الّـذى أصيب بحرّا ... نَ إمامُ الهُدَى ورأْسُ الثِّقات

قتَّلوا آلَ أحمدٍ لا عفـا اللّـ ... ـهُ لمَروان ، غافرُ السيّئات

أنشد محمّد بنُ زيد لرجل من شِيعة بنى العبّاس يَحضُّهم على بنى أُميّة :

إيّاكُمُ أن تُلينوا الاعتذارَ لهمْ ... فليس ذلكَ إلّا الخوفُ والطّمعُ

لوْ أنّهمْ أمِنوا أبْدَوْا عداوتَكم(١) ... لكنّهمْ قُمِعوا بالذّلّ فانقَمَعُوا

أليس فى ألفِ شهرٍ قد مضتَ لهمُ ... سقَوْكُمُ جُرَعاً من بعدِها جُرَعُ !

حتّى إذا ما انقضتْ أيّام مدّتهمْ ... متّوا إليكمْ بالأرحامِ الّتى قطعوا(٢)

هيهاتَ لابدّ أن يُسقَوْا بكأسِهمُ(٣) ... رِيًّا وأن تحصدوا الزّرعَ الّذى زرعوا

إنّا وإخوانَنا الأنصار شيعتُكمْ ... إذا تفرّقتِ الأهـواء والشِّيَعُ

---

(١) فى الأغانى : « عداوتهم » .

(٢) كذا فى ا ، وقد ورد البيت محرفا فى ب ، ج .

(٣) ب ، ج : « بكأسكم » ، تصحيف .

ولمّا أنشَد سُدَيف الأبيات ٱلتفَت إليه أبو الغَمْر سليمانُ بنُ هشام ، فقال له : ياماصَّ بَظر أمّه ! أتَجْبهُنا بهذا ، ونحن سَرَوات الناس ! فغضب أبو العبّاس — وكان سليمان صديقَه قديمًا وحديثًا ، ويقضى حوائجه ويَبرُّه فى أيّامهم — فلم يلتفتْ أبوالعبّاس إلى ذلك ، وصاح بالُخراسانيّة : خُذُوهم ! فقتلوهم جميعا إلّا سليمانَ بنَ هشام فأقبل عليه السفّاح فقال : ياأبا الغمر ، ما أَرَى لك فى الحياة بعد هؤلاء خيرا . قال : لا والله ، قال : أقتُلوه ، وكان إلى جانبه ، فقَتَلُوه ؛ وصُلِبوا فى بُستانِه حتى تأذَّى جلساؤُه بريحِهم ، وكلّموه فى ذلك ، فقال : والله إنّ هذا عندى ألذّ من شَمِّ رائحة المِسك والعَنْبر ، غيظا عليهم وحنقا(١) .

ركِب المأمونُ يوما بدمِشقَ يتصيّد حتى بلغ جَبَـلَ الثَّلْج ، فوقف فى بعض الطريق على بِرْكة عظيمة فى جوانبها أربع سَرَوات(٢) ، لم يُرَ أحسنَ منها ، فنزل المأمونُ يَنظر إلى آثار بنى أميّة ، ويَعْجَب منهـا ، ويذكُرهم ثم دعا بطَبَق عليه بَزْماوَرْد(٣) ، ورِطل نبيذ ، فقام عَلّويه فغَنّى :

أولٰئك قَوْمى بعـــد عِزٍّ ومَنْعةٍ   تَفَانَوْا فإلّا تَذْرِفَ العَيْنُ أَكْمَدِ

فغضِب المأمون ، ورَفَـع الطَّبقَ وقال : يا بن الفاعلة ! لم يكن لك وقتٌ تبكِى فيه على قومك إلّا هذا الوقت ! قال : نعم ، أبْـكِى عليهم؛ مولاكُم زِرْياب ، يَركَبُ معهم فى مائة غلام ، وأنا مولاهم معكم أموتُ جُوعا ! فقام المأمون فركب ، وٱنصرَف الناس ، وغَضِب على علَّوَيْه عشرين يوما ، فـكلّمه فيه عبّاس ، فرَضِيَ عنه ، ووَصَله بعشرين ألف درهم .

---

(١) ساقطة من ب ، ج .

(٢) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق .

(٣) البزماورد : « طعام يسمى لقمة القـاضى » مصنوع من اللحم المقلى بالزبد والبيض . وفى شفاء الغليل : « زما ورد » والعـامة تقول : « بز ما ورد » كلمة فارسية استعملتها العرب للرقاق الملفوف باللحم .

السائب أبو العبّاس الأعمى المكّىّ*

المذكور فى صحيح البخارىّ

هو السائب بنُ فَرُّوخ ، مولَى بنى لَيْثٍ ، وقيل : مولى بنى الدِّيل ، وهو الصحيح ، وهو الّذى يَروِى عنه حبيبُ بنُ أبى ثابت ، وهو مَوْلَى جَذِيمة بن علىّ ابن الدِّيل بن بكر بنِ عبدِ مناة .

وهو من شعراء بنى أميّة المعدودِين المتقدِّمين فى مدحهم ، والتشيُّع لهم ، وانصباب الهوَى إليهم ؛ وهو الّذى يقول فى أبى الطُّفَيل عامرِ بن واثلة ، صاحب علىّ بن أبى طالب رضوان الله تعالى عليه :

لَعَمْرُكَ إنَّنى وأبا طُفَيْلٍ ... لَمختلفانِ واللهُ الشَّهيدُ
أَرَى عثمانَ مُهتَدِياً ويأبَى ... مُتَابَعَتى ، وآبَى ما يُرِيدُ

وروى أبو العبّاس عن صَدْرٍ من الصّحابة الحديثَ ، ورَوَى عنه عَطاء ، وعَمرو ابنُ دينار ، وحبيبُ بنُ أبى ثابت .

فمّا رواه أبو العبّاس عن سعيد بنِ المسيِّب قال : قال علىّ رضى الله عنه : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « إسباغُ الوضوء على المَكاره ، وإعمالُ الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصّلاة بعد الصّلاة ، يَغسِل الخطايا غَسْلا » .

قال يزيد بنُ مَزْيَد : سمعتُ الرَّشيد هارونَ يقول : سمعتُ المنصورَ يقول : خرجتُ أريد الشأمَ أيّامَ مروانَ بن محمّد ، فصَحِبَنى فى الطَّريق رجلٌ ضَريرٌ ،

---

* ترجمته فى الأغانى ١٦ : ٢٩٨ ـ ٣٠٦ .

فسألتُه عن مَقصده ، فأخبَرَنى أنّه يريد مروانَ بشِعرٍ امتدَحه به ، فاستنشدته إيّاه[1] فأنشدَنى ، وهو :

ليتَ شِعرى أفاحَ رائحةُ المِسْـ … ـكِ وما إن إخالُ فى الحىِّ إنْسِى
حيث غابتْ بنو أُمَيَّةَ عنـه … والبَهاليلُ من بنى عبدِ شمسِ
خُطَباءٌ على المنابرِ فُرْسا … نٌ عليها وقالَةٌ غيرُ خُرْسِ
لا يُعابُون صامِتِين وإن قا … لوا أصابُوا ولَم يقولوا بلَبْسِ
بحُلومٍ إذا الحُلوم اضمحلّتْ … ووجوهٍ مثل الدنانيرِ مُلْسِ

قال : فواللّه ما فرَغ من إنشادها حتّى توهّمتُ أن العمَى قد أدركَنى ، وافترَقْنا . فلمّا أَفْضَت الخلافةُ إلىّ ، خرجتُ حاجًّا ، فنزلتُ أمشِى بجَبَلَىْ زَرُود ، فبصُرت بالضَّرِير ، ففرّقتُ مَن كان معى ، ثم دنوتُ منـه ، فقلتُ : أتعرِفُنى ؟ قال : لا ، فقلتُ : أنا رفيقُك وأنتَ تريد الشام أيّامَ مروان . فقال : أوَّهْ ! ومَدَّ بها صوتَه ، ثم قال :

آمَتْ نساءُ بنى أُميّةَ بعدَهُمْ … فعِيالُهمْ بَضِيعةٍ أيتـامُ
نامتْ جُدُودُهمُ وأُسقِطَ نَجْمُهمْ … والنجمُ يَسقط والجُدودُ تَنامُ[2]
خَلَت المَنابرُ والأَسِرَّةُ منهمُ … فعليهمُ حتّى المماتِ سَلامُ

قلت : فكم كان مروانُ أعطاكَ ؟ قال : أَغنانى عن أن أسألَ أحداً بعـدَه ، فهممتُ بقَتْله ، ثم ذكرتُ حقَّ الاسترسال[3] والصُّحْبَة ، فأمسكتُ ، وغاب عن عينى ، ثم بدا لى فيه ، فأَمَرْتُ بطلبه ، فكأنَّ البَيْداء[4] بادت به .

---

(١) ساقطة من ب ، ج .
(٢) نامت جدودهم : كناية عن قعود الزمن بهم .
(٣) استرسل إليه : انبسط واستأنس .
(٤) البيداء : الفلاة . وبادت به ، أى ذهبت به .

قَدِم البَعيثُ المُجاشِعيُّ مكّة ، وكان أبو العبّاس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقُها ، وكانت جوائزُ بنى أميّة تأتِيه من الشّام ، وكانت قريشٌ كلُّها تَبرُّه لِلسانه ، وتقرُّبا لبنى أُميّة ، فصلَّى البَعيثُ مع النّاس ، وسأل فى حَمالةٍ كانت عليه ، وكان سَئُولا مُلحِفاً ، شديدَ الطّمع ، وكان الرّجُل من قريش يأتيه بالشىء يتحمّله عنه ، فيقول : لا أَقبَل حتّى تجىءَ معى إلى الصّرّاف فينقدُه ويزنُه ، فإن لم يَفعَل ذمّه وهجاه .

فشكَوْه إلى أبى العبّاس الأعمى ، فقالَ: قُودُونى إليه ، ففعلوا فلمّا عرفَ مجلسَه رفع عَصاه ، ثم ضَرَب بها رأسَه ، وقال :

وهل أنتَ إلّا مُلصَقٌ فى مُجاشعٍ ... نفاكَ جَريرٌ بالهجاء إلى نَجْدِ[1]
تظَلُّ إذا أُعطِيتَ شيئاً سألتَهُ ... تُطَالِبُ مَن أعطاك بالوَزْن والنَّقْدِ
فلا تطمَعَنْ من بعدِ ذا فى عَطِيَّةٍ ... وثِقْ بقَبيح المَنْع والدّفع والرَّدِّ
فلستَ بمُبْقٍ فى قُرَيشٍ خَزايةً ... تُذَمُّ ولو أَنْفَذْتَ فيها مَدَى الجَهْدِ[2]

فتَضاحَك مَن حَضَر ، واستحيا ، ولَم يُحِرْ جوابا ، فلمّا جَنَّ عليه اللّيلُ هربَ من مكّة .

لمّا غَلَب عبدُ الله بنُ الزُّبير على الحجاز ، جعَلَ يَتَتبّعُ شيعةَ بنى مَروان فيَنفِيهم عن مكّة والمدينة ، حتى لم يَبْقَ بهما أحدٌ منهم ، فبلغه عن أبى العبّاس الأعمى الشاعر نَبْذٌ[3] من كَلام ، وأنّه يكاتب بنى أميّة بعَوْراته ، ويمدَح عبدَ الملك وتجيئه جوائزُه وصِلاتُه ، فدعا به ، فأَغْلَظَ له ، وهَمَّ به ، ثم كُلِّمَ فيه ، فقيل : رجلٌ ضَريرٌ ، فعفا عنه ، ونفاه إلى الطّائف ، فهجاه ، وهجا آلَ الزُّبير بأبياتٍ ، منها:

---

(١) الأغانى : « فاضطررت إلى نجد » .

(٢) الأغانى : « ولو أبعد فيها مدى الجهد » .

(٣) نبذ من كلام ، أى شىء يسير منه .

بنى أَسَدٍ لا تَذْكُروا الفخرَ إنَّكمْ ... متى تذكروه تُكْذَبوا وتُحَمَّقوا
متى تُسْأَلُوا فَضْلًا تَضنُّوا وتَبْخَلوا ... ونيرانُكمْ بالشرّ فيها تَحَرّقُ
إذا أُستَبقَتْ يوماً قريشٌ خرجتمُ ... بنى أسَدٍ سَكْتا وذُو المَجد يَسْبِقُ
تجيئون خَلْفَ القومِ سُودًا وجوهكمْ ... إذا ما قريشٌ للأضاميم أصفقُوا[1]
وما ذاكَ إلّا أن للُّؤْم طابَعاً ... يلوح عليكمْ وسمُه ليس يَخلُقُ

كان عمرُ بنُ أبى ربيعةَ يُرامِى جارِيةً لأبى العبّاس ببنادق الغالية فبلغ ذلك أبا العبّاس ، فقال لقائده : قِفْ بى على باب بنى مَخزُوم ، فإذا مَرّ عمرُ بنُ أبى ربيعة، فضَعْ يدى عليه . فلمّا مَرّ عمر وضَعَ يدَه عليه ، فأخَذَ بحُجْزَته[2] وقال :

ألا مَن يَشتَرِى جارًا نَؤُوماً ... بجارٍ لا يَنام ولا يُنِيمُ
ويَلبَس بالنّهار ثيابَ أُنْسٍ[3] ... وشَطْرَ اللَّيل شيطانٌ رجيمُ

فقام[4] إليه بنو مخزوم ، فأمسكوا فاه[5] ، وضمنوا له عن عمرَ بن أبى ربيعة ألّا يُعاوِدَ ما يكرهُه .

---

(١) الأضاميم : الجماعات ؛ واحدها إضمامة . وأصفقوا بهم : جاءوهم من الطعام بما يشبعهم
(٢) الحجزة : معقد الإزار .
(٣) الأغانى : « ناس » .
(٤) الأغانى : « فنهضت » .
(٥) الأغانى : « فمه » .

سيفُ بنُ ذى يَزَن*

سببُ قدوم الحَبَشة إلى اليَمَن ، وغَلَبِهم عليها ، وخروجِ سيف ابن ذى يَزَن إلى كِسرَى يستنجدُه

كان مَلِكٌ من اليمن يقال له : ذُو نُواس ، غزا أهلَ نَجْرانَ وهم نصارى ، فَظفر بهم ، وخَدَّد[1] لهم الأَخاديد ، وعَرَض عليهم اليهوديّة ، فامتنعوا من ذلك ، فحرّقهم بالنار ، وحرّق الإنجيل ، وهدَم البِيَع ، ثم انصرف إلى اليَمَن ، وأَفلَت منه رجلٌ يقال له : دَوْس ثُعلُبان على فرس ، فركَضَه حتّى أعجزَهم فى الرَّمل، ومضى إلى قيصرَ مَلِك الرُّوم يستغيثه ويُخبِره بما فعل ذو نُواس بنَجْران ومن قتل من النّصارى ، وماخَرَّب من كَنائِسها ، وأنه بَقَر[2] بُطونَ النِّساء ، ولم يُبق فِيها ناقوساً يضرب به.

فقال له قيصر : بعدتْ بلادى عن بلادكم ، ولكن أبعث إلى قوم من أهل ملّتى[3] من السُّودان قريب منكم فينصرونكم .

فقال له دوس : فذاك إذاً .

قال قيصر : إنّ هذا الّذى أصنَع لكم أذلُّ للعرب أن يطأَها سُودانٌ ليس ألوانُهم على ألوانهم ، ولا ألسنتُهم على ألسنتِهم .

فقال دوس: الملك : أنظر لأهل دينِه ، وإنّما هم خَوَلُه ، فكَتَب إلى ملك الحبشة ؛ فلمّا قرأ كتابه ، أمر أرياطا وهو عظيم من عظمائهم ، أن يخرج معه

---

* الأغانى ١٧ : ٧١ ـ ٧٤ .

(١) ب ، ج : « خد » ، وما أثبته من ا والأغانى .

(٢) بقر بطون النساء : شقها .

(٣) الأغانى : « دينى » .

فينصره ، فخرج أرياطٌ فى سبعين ألفا من الحبشة وأقبل معه أبرهة، وعهد ملك الحبشة إلى أرياط أنّه إذا دخلت اليَمَن ، فاقتُلْ ثُلُثَ رجالها ، وأَخْرِب ثُلُثَ بلادها ، وأبعث إلىّ ثُلُث السَّبْىِ منها .

فلمّا ورَد اليَمَن رأى أهل اليَمَن جَنداً كثيرا ، فلمّا تَلاحَقُوا قام أرياط فى جنده خَطيبا فقال :

يا معشر الحَبَشة ، قد عَلِمتم أنّكم لن ترجعوا إلى بلادكم أبداً ، هذا البحرُ بين أيديكم ، إنْ دخلتُموه غَرِقتم ، وهذا البَرُّ وراءكم إن سلكتُموه هلكتُم ، واُتّخذتكم العَرَب عَبيداً ، وليس لكم إلّا الصّبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوّكم .

وجَمَع ذو نُواس جَمْعا كثيراً ، ثم سار إليهم فاقتتلوا قتالًا شديداً ، وكانت الدّولة للحبشة ، فظَفِر أرياط ، وقُتِل أصحابُ ذى نُواس وانهزموا فى كلّ وجه .

فلمّا تَخوَّف ذو نُواس أن يُؤْسَر ، ركَضَ فرسَه فاُستَعرضَ به البحر ، فمضى بهفرسُه ، وقال : الموت فى البحر خيرٌ من إسارٍ أسوَد ، ثم اُقتَحَمَ فرسه البَحْرَ ، فكان آخر العهدِ به .

ودَخَل أرياط اليَمَن فقتَل ثُلُثاً ، وبعث بثُلُثِ السَّبى إلى مَلِكِ الحبشة ، وخَرَّب ثُلُثاً ، ومَلَك اليَمَن ، وهدَّم حصونَها ، وقهَر أهلَها .

وكانت الحصون بَنَتْها الشياطينُ فى عهد بَلْقيس، واُسمها عَلقمة[1] ، وأسماؤها: بَيْنُون ، وسَلْحِين ، وغُمْدان وغيرها . وكانت حصوناً لم يُرَ مِثلُها .

فقال الحِمْيَرىّ يذكر ما دخل على حِمْيَرَ من الذّلّ والوَهَن :

هَونك أين تردّ العينُ ما فاتا ... لا تَهلِكنْ أسَفاً فى إثرِمن فاتا[2]

أَبَعْدَ بَيْنُونَ لا عينٌ ولا أثرٌ ... وبعد سَلْحِينَ يَبْنِى النّاسُ أبياتَا

---

(١) الأغانى : « بلقمة » .

(٢) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : «لايهلكنّ أسى»

ولمّا ظفِر أرياط بالأموال أظهر العطاء فى أهل الشّرف ، فغضبت الحبشةُ حين أَعْطَى أشرافَهم ، وترك أهلَ الفقْر منهم ، وأستذَلّهم وأجاعَهم وأعراهم وأتعبهم فى العمل ، وكلَّفهم ما لا يُطيقون ، فجزع الفقراء من ذلك ، وشكا بعضهم إلى بعض ، فقالوا : ما نرَى إلّا أننا شَقِينا ، أينما كُنّا ، إن كان قتالٌ قُدِّمنا فى نُحور العدوّ ، وإن كان قَتْلٌ قُتِلنا ، وإن كان عمل ، فعلينا فالبلايا لنا ، والعطايا لغيرِنا ، مع ما يُقصِينا ويَجفُونا .

فقال لهم أبْرَهة : لو أنّ رجلا غَضِب لغضبكم إذًا لأسلَمْتُموه حتى يذبح كالشاة.

فقالوا : لا والمسيح ما كنّا نُسلِمه حتّى نموتَ عن آخرنا ، فنادى مُنادِيه ، فاُجتمعوا إليه ، فبلغ ذلك أرياطا ؛ أن أبا أَضجَم قد جَمع الجموع ، ودعا النّاس إلى قِتالِك .

قال: أوَقد فعل ذلك أبْرَهة ، وهو ممّن لا بَيْتَ له فى الحبشة ؛ وغضب أرياط غَضَبا شديدا ، وقال: هوأدنى من ذلك نَفْساً وبيْتا ، هذا باطل .

قالوا : فأرسِلْ إليه ، فإنْ أَتاكَ فهو باطل ، وإن لم يأتِكَ فاُعلم أنّه كما يقال .

فأرسل إليه ، أجِب الملكَ أرياطا ، فجلس[1] على ركبَتَيْه ، وخرّ لوجهه وأَخَذ عُوداً من الأرض ، فجعله فى فيه ، وقال للرّسول : اذهب إلى المَلِك ، فأَخبِره بما رأيتَ منّى ، وأنا أخلعه ؛ أنا أشدّ تعظيما له من ذلك ، وأنا آتيه على أربع قوائم بحساب البهيمة .

فرجع الرسولُ فأَخبر أرياطا الخبرَ ، فقال : ألم أقلْ لكم ! فقالوا : المَلِك أعلم منّا وأَعقلُ .

ولمّا وَلّى الرسولُ من عند أبرهة ، وتوارَى عنه ، صاح فى الفقراء من الحَبَشة ،

---

(١) الأغانى : « فجثا » .

فاُجتَمَعوا إليه ، ومعهم السِّلاحُ والآلة الّتى كانوا يعملون بها ، والمَساحِى ، ثم صَفُّوا صَفًّا ، وصَفُّوا خلفَه آخرَ بإزائه ، فلمّا أبطأ أبرَهة على المَلك ، وهو يرَى أنّه يأتيه على أربعِ قوائمَ كما قال ، وأتى أرياط ، فأخبرَه[1] بما صَنَع ، فرَكِب فى المُلوك ومَن تَبِعه ، ولبسوا السِّلاح ، وجاءوا بالفِيَلة ، وهم سبعة ، فلمّا دنا بعضُهم من بعض بَرَز أبرهةُ بين الصَّفَّين ، ونادَى بأعلى صوته : يا معشر الحَبَشة، اللهُ ربُّنا، والإنجيلُ كتابنا ، وعيسى نبيُّنا ، والنجاشىُّ مَلِكُنا ، علامَ يقتُل بعضُنا بعضا ، فتَذْهَب[2] النصرانيّة ! هذا رجل، وأنا رجل، فخلُّوا بينى وبينَه ، فإن قتلَنى عاد المُلْكُ إلى ما كان عليه من الأَثَرة للأغنياء ، وهلاكِ الفقراء ، وإن قتلتُه سَلِمتُم وعملتُ بالإنصاف بينكم ما بقيت .

فقال الملوك لأرياط : قد أخبرناك أنه صَنَع ما ترى ، وأَبَيْتَ إلّا حُسْن ظَنٍّ فيه ، وقد أنصفَك .

وكان أرياط معروفا بالشَّجاعة والنَّجدة ، وكان جميلا ، وكان أبرهة دَميما قبيحا، منكَرَ الفؤاد ، فاُستحيا أرياط من الملوك أن يَجْبُن ، فبَرَز بين الصَّفَّيْن ، ومشَى أحدُهما إلى صاحبه ، وحَمَل عليه أرياط وضرَبَ أبرهةَ ضربةً وقع منها عامّة أنفه[3]، ووقع بين يدىْ أرياط ، فمَدَّ أبرهة إلى عِمامته ، فشَدَّ بها وجهَه ، فسكَن الدَّمُ ، وأخذ عوداً فجعله فى فيه . وقال : أيّها المَلِك ، إنّما أنا شاةٌ ، فاصنع ما أردتَ ، فقد أبصرتُ رُشْدِى ، ففَرِح أرياط بما فعل .

وكان أبرهة قد سَمَّ خِنْجراً ، وجعله فى بطن فَخِذه كأنّه خافِيَة نَسْرٍ فلمّا رأى أبرهة أن أرياطا قد اُنكسر عنه ، وأنه يَنظر يمينا وشِمالا ، اُستلَّ خنجَره ، فطعنَه

---

(١) ب ، ج : « فأخبر » .

(٢) الأغانى : « فى مذهب النصرانية » .

(٣) الأغانى : « وقع منها حاجباه وعامة أنفه » .

طعنةً فى فَرْج دِرْعِه ، فخرَّ أرياط على قَفاه ، وقعَدَ أبرهةُ على صدرِه ، فأجْهَزَ عليه ، فسُمِّيَ أبْرَهَة الأَشْرَم بتلك الضَّرْبة الّتى شَرَمَتْ وجهَه وأنفَه .

ومَلَك أبرهةُ عشرين سنةً ، ثم مَلَك بعدَه ابنُه يَكْسُوم بنُ أبرَهة ، ثم مَلَك بعدَه أخوه مَسْرُوق بن أبرهة ، وأمُّه رَيْحانة امرأةُ ذِى يَزَن أمُّ سَيف بنِ ذى يزَن .

فلمّا طالَ على أهل اليمن البلاءُ مَشَوْا إلى سيف بنِ ذى يزَن فكلَّموه فى الخروج ، وقالوا : إنَّا نجد فيما روتْ حِمْيَر من خبر سطيح إنّ هذا[1] البلاءَ يُفرَّج برجل[2] من أهل بَيْتك ، وقد رَجَوْنا أن تُدْرِك بثأرِنا ، فأنعَمَ لهم .

وخرج إلى قيصر مَلِكِ الرُّوم ، فكلَّمَه فى أن ينصرَه على الحبشة ، فأبى ، وقال : الحبشةُ على دِينى ، وملّتى مِلّتُهم[3] ، وأنتم على دين اليهود .

فخرج من عنده مويَساً عامدا إلى كسرى ، فانتهى إلى النّعمان بن المنذر فى الحيرة ، فدخل عليه ، فأخبَرَه بما لقىَ قومُه من الحَبَشة .

فقال له : أقِمْ ، فإنّ لى على الملك إذْناً فى كلّ سنة ، وقد حان ذلك فلمّا خرج خرجَ معه سيف بن ذى يَزَن ، فأدخَلَه على كسرى ، فقال : أيّها المَلِك ، غُلِبْنا على بلادنا ، ودخل الأحابيشُ إلينا ، وأنا أقربُ إليك منهم ؛ لأنّى أبيَض وأنت أبيض وهم سودان ، فقال : بلادُك بلادٌ بعيدة ، فلا أبعثُ معك جيشا فى غير منفعَة ، ولا آمَنُ أخافُه على مُلْكى ، فلما أيس من النَّصْر له ، أمر له بعَشْرة آلاف درهم وكساه .

فلمّا خرج بها من باب كِسرى نثَرَها بين العَبِيد والغِلْمان ، فرأى ذلك أصحابُ

---

(١) الأغانى : « أن هذا البلاء يوشك » .

(٢) الأغانى : « على يد رجل » .

(٣) كذا فى ب، ج ، وفا : «ومملكتهم مملكتى» ، وفى الأغانى : «ومن أهل مملكتى».

كسرى ، فذكروه له ، فأرسَلَ إليه ، فقال له : ما صنعتَ بجائزتى ؟ نثرتَها للنّاس ! فقال سَيف : وما أعطانى الملك ! جبالُ أرضى ذهبٌ وفضّة ؛ وإنما جئتُ إلى المَلِك ليَمنَعنى من الظلم ، ولم آتِه ليعطيَنِى الدّراهم ؛ فإن ذلك فى بلدى كثير .

فقال كسرى : أنظرُ فى أمرِك . فخرج سيفٌ على طمعٍ منه ، فأقام عندَه ، فجعل سيف كلّما رَكِب كسرَى مَركَباً عَرَض له .

فجمع كِسْرَى مَرازِبَته[1] ، فقال : ما ترَوْن فى هذا العربىّ ؟ فقد رأيتُه رجلا جَلْداً . فقال قائل منهم : إنّ فى السجون قوما قد حبَسهم الملكُ فى مَوْجدةٍ[2] عليهم ، ولو بَعث بهم المَلِك معه ؛ فإن قُتِلوا أُستراح منهم ؛ وإن ظَفِروا بما يريد هذا العربىُّ فهو زيادة فى [ملك][3] الملِك .

فقال كسرى : هذا الرأى ، فأمَرَ كسرَى بإحضارهم ، فأحضروا فوُجدوا ثمانِمائة رجل ، فولّى أمرَهم رجلًا منهم يقال له : وَهْرز ، وكان راميا شُجاعا ، فجهّزهم وأعطاهم سِلاحا ، وحملهم فى البحر على ثمانى سُفُن ، فغرِقتْ سفينتان ، وبقى منهم ستمائة رجل ، وبقى رجل ، فأرسوا إلى ساحِلِ عَدَن .

فلما أَرسَوْا قال وهرز لسَيْف : ما عندَك ؟ فقد جئنا بلادَك . قال : ما شئتَ من رجلٍ عربىّ ، وفَرَس عربىّ ، ثم اجعل رحلى مع رَحْلك حتّى نموت جميعا ، [أو نظفر جميعا][3] .

فقال وَهرز : أنصفت فاستجلَب سيف من استطاع من اليَمَن ، ثم زحفُوا إلى مسروقِ بنِ أبرَهة ، وقد سَمِع بهم مسروق ، فجمع إليه جُندَه من الحَبَشة ، فسار ،

---

(١) المرازبة : الوزراء والمقدمون والرؤساء من الفرس .

(٢) الموجدة : الغضب .

(٣) تكملة من الأغانى .

فالْتقى العَسْكران ، وجعلتْ أمدادُ اليمن تثوب إلى سَيف ، وبعث وهرز أبناً له كان معه على جَرِيدةٍ[1] خَيل ، فقال : ناوِشوهم القتالَ حتى نَنظرُ كَيف قتالُهم ، فناوَشهم وناوَشوه شيئاً من قتال .

ثم تورّط أبنهُ فى هَلَكة لم يَستطع التخلُّص منها ، فاشتَمَلُوا عليه ، فقَتَلُوه ، فازدادَ وهرز عليهم حَنَقاً ، وساءَ العربَ أمرُه ، وفرِحت الحبشةُ ، وأظهَرُوا الصُّلبان[2] ، فوَتَّر وهرز قوسَه ، وكان لا يَقدِرُ أن يوَتِّرها غيرُهُ .

ثم قال وهرز — والناس على صُفوفِهم — : انظُروا أين تَرَوْن مَلِكهم ؟ فقال سَيْف : إنّى أَرَى رجلا قاعدا على الفِيل ، تاجُه على رأسه ، بين عينيه ياقوتةٌ حمراء . قال : ذلك ملِكُهم . ثم قال وهرز : اترُكوه . ثم وقف قليلا[3] فقال : انظروا . فقالوا : قد تحوّل على فرَسٍ . قال : هذا منه أختِلاط ، ثم وقف قليلا وقال : انظُروا . هل تحوّل ؟ قالوا : قد تحوّل على بَغْلة . فقال: أبنةُ الحِمار؟. ذَلَّ الأسْوَدُ وذَلَّ ملكُه ! ثم قال لأصحابه : قتلتهُ فى هذه الرّمية ، تأمّلوا النُّشّابة ، ثم جعل فُوقَها[4] فى الوَتَر ثم نزع فيها حتى ملأها ، وكان أيِّداً[5] ، ثم أرسلَها ، فصكّت الياقوتةُ التى بين عينَىْ مسروق ، وتغلْغَلت النُّشّابةُ فى رأسه حتى خرجتْ من قَفاه ، وحملتْ عليهم الفُرس ، فانهزمت الحبشةُ فى كلّ وجه ، وقُتِل مسروقٌ مَلِكُهم .

وجعلتْ حِمْيَر تَقتُل من أدركوا منهم ، وتُجْهِز على جريحِهم .

---

(١) الجريدة : جماعة الخيل .

(٢) الأغانى : « الصليب » .

(٣) الأغانى : « طويلا » .

(٤) الفوق : موضع السهم من الوتر .

(٥) الأيد : القوى .

وأقبَلَ وهرز يريد أن يدخل صَنْعاء ، وكان موضعهم الّذى التقوْا فيه خارجَ صَنْعاء ضيّقاً ، وكان اسم صَنْعاء أزال فلما قَدِمت الحبشةُ بنَوْها وأحكموها ، فقالت العرب : صنعة ، فسمِّيتْ صَنْعاء .

فلمّا دنا وهْرز من باب المدينة ، رآه صغيرا ، فقال : لا تدخل رايتى منكَّسةً أبدا ، اهدِموا الباب ، فهدموا بابَ صَنْعاء ، ودَخَل ناصبا رايتَه .

فقال سيف بنُ ذى يَزَن : ذهب مُلْك حِمْيَرَ إلى آخر الدهر ، لا يَرجِع إليهم أبدا .

فَملَكَ وهرز اليمَنَ والحبشةَ وقَهرها ، وكَتبَ إلى كِسرَى يُخبِره ، أنِّى ملكتُ اليمَنَ ، وهى أرضُ العَرَب القديمة الّتى يكون فيها مُلوكُهم ، وبعث بجوهرٍ وغيرِه من أموالٍ وطِيبٍ وزَبادٍ[1] وعُود .

فكَتَب إليه كسرَى يأمرُه بأن يملِّك سَيْفاً ويُقدِم عليه . فخرج وهرز إلى كِسْرَى ، وخلَفَ سَيْفا على اليمَن ، فلمّا خلا سيفٌ باليمن ومَلَكَها غدَا على الحبَشة ، فجعل يقتِّل رجالَهم ، ويبقَر بطونَ نسائهم ؛ حتى أفناهم إلّا بقايا منهم أهل ذِلّة وقِلّة ، فاتّخذهم خوَلًا ، واتّخذ منهم من يَمْشى بحِرابهم بين يديه ، فمكث كذلك غيرَ قليل ، فركب يوما وتلك الحبشةُ معه ، وحرابُهم معهم يسعَوْن بين يدَيْه ، حتّى إذا كان وَسَطاً منهمْ مالوا عليه ، فطَعَنُوه بحِرابهم حتّى قتَلوه .

وكان سيفٌ قد آلَى ألّا يَشْرَب الخمْر ، ولا يَمَسّ النِّساءَ[2] حتى يُدرِك ثأرَه من الحَبَشة ، فجُعلتْ لـه حُلّتان واسعتان ، فأتزَر بواحدة وارتَدَى بالأخرى ، وجلس على رأس غُمدَانَ يَشْرَب ، وبَرَّتْ يَمينُه ، وخرج بعد ذلك يتصيّد ، فقتلتْه الحَبَشة .

---

(١) فى الأغانى : « وهو جلود لها رائحة طيبة » .

(٢) فى الأغانى : « امرأة » .

وكان مُلْك أرياط عشرين سنة ، ومُلك أبرهةَ إحدى[1] وعشرين سنة ، ومُلْكُ يكسومَ تسع عشرة سنة ، ومُلك مسروق أثنتى عشرة سنة فهذه اثنتان[2] وسبعون سنة ، وكان قدومُ أهلِ فارسَ ووهرز إلى اليمَن بَعْد الفِجارِ بعشرِ سنينَ ، وقَبْلَ بُنيانِ قريشٍ البيتَ بخمسِ سنين ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبنُ ثلاثين سنةً ونحوها ، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وُلِد بعد قدوم الفِيل بخمسٍ وخمسين ليـــلةً .

وكان ظَفرُ سيفِ بنِ ذى يَزَن بالحَبَشة بعد مولد النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم بسنتين ، ولمّا قدِم أتتْه وُفودُ العرب وأشرافُها وشعراؤها لتهنّئه وتمدَحَه ، وتذكرَ ما كان من بَلائه ، وطلبه بثأر قومه ، فأتتْه وفودُ قريش فيهمْ عبدُ المطّلب بنُ هاشم ، وأُميّةُ بنُ عبدِ شمس ، وخُويلدُ بنُ أَسَد فى وجوه قريش ، فأتوْه بصَنْعاءَ ، وهو فى رأس قصرٍ له يقال له : غُمْدان ، فأخبَرَه الآذِن بمكانِهم ، فأَذِن لهم ، فدخلوا عليه وهو على شَرابِه ، وعلى رأسِه غلامٌ واقفٌ يَنثُر فى مَفرِقه المِسْك، وعن يمينه ويَسارِه المَقاوِل[3] والملوك ، وبين يديه أميّةُ بنُ أبى الصّلْت الثَّقَفِىُّ يُنشِده قولَه فيه :

لا يَطلُب الثأرَ إلّا كابنِ ذى يَزَنٍ ... إذ خَيّم البحرُ للأعداءِ أَحْوالا[4]
أَتَى هِرَقْل وقــد شالتْ نَعامَتُهُ ... فلَمْ يَجد عنده النصرَ الّذى سالا[5]

---

(١) الأغانى : « ثلاثة وعشرون » .

(٢) فى الأغانى : « ثلاثة وسبعون » .

(٣) المقاول : جمع مقول ، كمنبر ؛ وهو من ملوك حمير الذى يقول ما يشاء فينفذ؛ وهو دون الملك الأعلى.

(٤) فى الأغانى :

* فى البَحْرِ خيّمَ للأعداءِ أحوالا *

(٥) سال ، أى سأل ؛ على التخفيف .

ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببنى الأحرار يقدمهم ... تخالهم فوق متن الأرض أجبالا
لله درهم من فتية صبر ... ما إن رأيت لهم فى الناس أمثالا
بيض مرازبة غلب أساورة ... أسد تربت فى الغابات أشبالا[1]
فالتط بالمسك إذ شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم من برديك إسبالا[2]
واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... فى رأس غمدان داراً منك محلالا[3]
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيباً بماء فعادا بعد أبوالا[4]

بنو الأحرار الذين عناهم أمية فى شعره ، هم الفرس الذين قدموا مع سيف ، وهم إلى الآن يسمون بصنعاء بنى الأحرار ، ويسمون باليمن الأبناء ، ويسمون بالكوفة الأحامرة ، وبالبصرة الأساورة ، وبالجزيرة الخضارمة .

فبدأ عبد المطلب فاستأذن فى الكلام ، فقال له سيف بن ذى يزن : إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك.

فقال عبد المطلب : إن الله عز وجل قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا، صعبا منيعا، شامخا باذخاً ، وأنبتك منبتاً طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، فى أكرم موطن وأطيب معدن .

فأنت ملك العرب وربيعها الذى به تخصب، وأنت أيها الملك رأس العرب الذى له

---

(١) المرازبة : الأمراء الكبار . والغلب : جمع أغلب ؛ وهو الأسد . والأساورة : جمع أسوار ؛ وهو قائد الفرس أو الجيد الرمى بالسهام أو الثابت على ظهر الفرس . وتقول : المرأة تربت صبيها ؛ وهو أن تضرب بيدها على جنبه قليلا قليلا حتى ينام .

(٢) التط بالمسك : تلطخ به . وشالت نعامتهم : تفرقت كلمتهم. وأسبل برده : أرخاه .

(٣) مرتفقا : دائما ثابتا .

(٤) شيبا : خلطا .

تنقاد ، وعَمودُها الّذى عليه العِماد ، ومَعقِلُها الّذى يَلجأ إليه العباد ، فسلَفُك لنا خيرُ سَلَف ، وأنت لنا منهم خيرُ خَلَف ، فلن يَخْمُلَ من أنت خَلَفُه ، ولن يَهلِكَ من أنت سَلَفُه .

نحن أهلُ حَرَمِ الله ، وسَدَنةُ بيته ، أشخَصَنا إليكَ الّذى أَبهَجَنا من كَشْفِك[1] الكَرْب الّذى فَدَحنا . فنحن وَفْد التّهنئة ، لا وَفْد المَرْزِئة .

فقال : وأيّهم أنتَ أيّها المتكلِّم ؟ قال : أنا عبدُ المطّلب بنُ هاشم . قال : ابنُ أُختنا ؟ قال : نعم . فأدناه حتّى أجلسَه إلى جانبه ؛ ثم أقبل على القوم وعليه وقال : مرحبا وأهلًا وسهلا ، ناقةً ورَحْلا ، ومناخا سَهلا ، ومَلِكا رِبْحلا[2] ، يُعْطِى عطاءً جَزْلا .

قد سمع المَلِكُ مقالتكم ، وعَرَف قرابتكم ، وقَبِل وسيلتكم ، فأنتم أهلُ الشَّرَف والنَّباهة ، ولكم الكرامة ما أَقَمْتُم ، والحِباء إذا ظَعَنْتُم ، ثم اُستَنْهِضوا إلى دار الضِّيافة والوُفود ، فأقاموا بها شهراً لا يَصِلون إليه ، ولا يأذن[3] لهم فى الاُنصراف ، وأُجْرِيَتْ لهم الأنزال[4] ، ثم انتبه لهم اُنتباهةً ، فأرسل إلى عبدِ المطّلب فأدْناه ، وأخلَى مجلِسَه .

ثم قال : يا عبدَ المطّلب ، إنى مفوِّضٌ إليك مِنْ سِرِّ عِلْمى أَمْرًا لو يكون غيرُك لم أَبُحْ به له ؛ ولكن رأيتُك موضعَه فأطلَعتُكَ طِلْعَه[5] ، فليكن عندَك مطويًّا حتّى يأذَنَ اللهُ فيه بأمْره ، إنّ الله بالِغُ أمرِه . إنّى أَجِدُ فى الكتاب

(١) الأغانى : « لكشفك » .

(٢) الربحل : العظيم الشأن .

(٣) الأغانى : « لا يؤذن لهم » .

(٤) الأنزال : جمع نزل ؛ وهو ما هيئ للضيف أن ينزل عليه .

(٥) يقال : أطلعته طلع أمرى ، أى أبثثته سرى .

المكنون ، والعِلْمِ المَخْزُون ؛ الّذى اخترناه لأنفسنا ، وحَجَبْناه عن غيْرِنا ؛ خَبَرًا عظيما ، وخطرا جسيما ؛ فيه شَرَف الحياة ، وفضيلةُ الوفاة ؛ للنّاس عامّة ، ولرَهْطِك كافَّة ، ولك خاصّة .

فقال عبدُ المطَّلب : مِثْلُكَ أيُّها المَلِك مَن سَرَّ[1] وبَرَّ ، فما هو فِداك أهلُ الوَبَر زُمَرًا بعدَ زُمَرٍ !

فقال له سيف : إذا وُلِدَ غلامٌ بتِهامَة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكمْ به الزّعامة ، إلى يوم القيامة .

فقال عبدُ المطَّلب : أيُّها المَلِك ، لقد أُبْتُ بخيرٍ ما آب بمِثله وافِد ، ولولا هَيْبَةُ المَلِك وإكرامُه وإعظامُه ، لسألتُه أن يزيدَ فى البِشارة ما أزداد به سرورا .

قال ابن ذى يَزَن : هذا حينُه الّذى يولَد فيه أو قد وُلِدَ ؛ واسمُه محمّد ، يموت أبوه وأمّه ، ويكفُلُه جَدُّه وعَمُّه ؛ وقد وجدناه مرارا ، والله عزّ وجلّ باعِثُه جِهارا ، وجاعِلٌ له مِنّا أنصارا ، يُعِزُّ بهمْ أولياءه ويُذِلّ بهمْ أعداءه ، يَضْرِب بهم النّاسَ عن عَرْض ، ويَستفتِح بهم كرائم الأَرْض ، يُخمِد النّيران ، ويَدْحَر الشيطان ، ويُكسِّر الأوثان ، ويَعبُد الرّحمٰن ؛ قولُه فَصْل ، وحكمُه عَدْل ، يأمر بالمعروف ويفعلُه ، صلّى الله عليه وسلّم ، ويَنْهَى عن المنكر ويُبطلُه صلّى الله عليه وسلّم .

فقال له عبد المطّلب : أيُّها الملك ، عَزَّ جَدُّك ، وعَلا كَعبُك ، ودام مُلكُك ، وطال عُمرك ، فهل المَلِك مُخبِري بإفصاح ، فقد أَوضحَ لى بعضَ الإيضاح .

فقال ابن ذى يَزَن : والبيتِ ذى الحُجُب ، والعلامات على النُّصُب[2] ، إنّك يا عبدَ المطّلب ، لَجَدّه غيرُ الكَذِب .

---

(١) كذا فى ب ، ج وفى ا والأغانى : « بشر » .

(٢) النصب : واحد الأنصاب ؛ وهى حجارة تنصب عليها دماء الذبائح .

فخرّ عبدُ المطّلب ساجدا ، فقال له : اِرفَع رأسَك ، ثَلُج صدرُك ، وعلا أمرُك ، فهل أحسستَ شيئاً ممّا ذكرتُه لك ؟

فقال عبدُ المطّلب : كان لى اُبن ، وكنتُ به معجَباً ، وعليه رفيقاً ، زوّجتُه كريمةً من كرائم قومى ، اِسمها آمنــة بنت وَهْب ، فجاءت بغلام سمّيتُه محمّدا ، ومات أبوه وأمُّه ، وكَفَلْتُه أنا وعمُّه .

قال : الأمر ماقلتُ لك ، فاُحتفِظ به ، واُحذَرْ عليه من اليهود ؛ فإنّهم أعداءٌ له ، ولن يَجعلِ اللهُ لهم إليه سبيلا ، واُطْوِ ما ذكَرْتُ لك من هؤلاء الرّهْط الذين معك ؛ فإنّى لستُ آمَنُهم أن تَدْخُلَهم النَّفاسَة(١) ، من أن تكون له الرِّياسة ، فيَنصِبون له الحبائِل ، ويطلبون له الغَوائل ، وهم فاعلون ذلك ، وأبناؤهم ، وبطئٌ ما يُحِبّه(٢) قومه ، وسيلقى منهم عَنَتا ، والله مُبْلِجُ حُجَّتِه ، ومُظهِرُ دَعْوَتِه ، ومُعْلِى كَلِمَتِه ، وناصرُ شيعتِه ولولا أنّى أعلَمُ أنّ الموت مجتاحى قَبل مبعثه لسرتُ بخَيْلى ورَجْلى ؛ حتى أصيرِّ بيثرب فأجعلها دارَ مُلْكى ؛ فإنّى أجدُ فى الكتاب المكنون ، أن فى يثربَ اُستحكامَ نَصْرِه ، وموضِعَ قبرِه ؛ ولولا أنى أتوَقّى عليه الآفات ، وأَخشَى عليه العاهات ، لَأَعلنتُ على حداثة سنِّه أمرَه ، ولكنى صارِفٌ ذلك إليك من غيرِ تقصيرٍ منّى بمن مَعَك .

قال : ثم أمر لكلّ رجلٍ منهم بعشرة أعبُد ، وعَشْرِ إماء ، ومائةٍ من الإبل ، وحُلّتين بُرودا ، وخمسةِ أرطالٍ ذَهَباً ، وعشرةِ أرطالٍ فضّة ، وكَرِشٍ مملوءةٍ عنبرا .

ثم أمر لعبد المطّلب بعشرة أضعافِ ذلك ، وقال : ياعبدَ المطّلب ، إذا حال الحَوْل فأْتِنى .

فمات اُبنُ ذى يَزَن قبل أن يَحُول الحَوْل .

---

(١) يقال . نفس عليه الشيء نفاسة : لم يره أهلا له حسدا منه .

(٢) الأغانى : « وبطيء ما يجيبه قومه » .

وكان عبدُ المطّلب كثيراً ما يقول : يا معشرَ قريش ، لا يَغْبِطني رجلٌ منكم بجزيل عطاء المَلِك وإن كَثُر ؛ فإنّه إلى نَفادٍ ، ولكن ليغبطني بما يَبْقَى لى شَرَفُه وذِكْرُه إلى يومِ القيامة ، فإذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون نبأَ ما أقولُ بعدَ حين ، وفى ذلك يقول أميّة بنُ عبدِ شمس :

جَلَبْنا النُّصحَ تَحْمِلُه المَطايا ... على أكوارِ أجمالٍ ونُوقِ
مُغَلْغَلَةً مرافِقُها ثِقالاً ... إلى صَنْعاءَ من فَجٍّ عميقِ
تَؤُمُّ بنا ابنَ ذى يَزَنٍ ونُهدِى ... مَخالِيَها إلى أَمَمِ الطَّرِيق(١)
فلمّا وافقتْ صنعاءَ صارتْ ... بدار المُلْك والنَّسَب العَرِيقِ(٢)

---

(١) أمم الطريق : قصدها ووسطها .

(٢) فى الأغانى : « والحسب العريق » .

سعيدُ بن حُمَيد*

هو سعيدُ بنُ حُمَيد بن يحيي الكاتب ، كُنيتهُ أبو عثمان ، من أولاد الدَّهاقِين، وأصلهُ من النَّهْرَوَان الأَوْسط ، وكان يقول : إنَّه مولَى بنى سامةَ بنِ لُؤَيّ .

وُلِد ونَشَأ ببغداد ، ثم تنقَّل فى السُّكنى بينها وبين سُرَّ مَن رَأَى .

كان شاعراً مترسِّلًا ، حسنَ الكلام ، فصيحَ اللِّسان ، وكان أبوه وجيها من وجوه المعتزِلة ، وخالف أحمد بنَ أبى دُؤاد فى بعض مَذهبه ، فأغرى به المعتصِم ، وقال : إنَّه شُعوبىٌّ[1] زِنْدِيق ، فحبَسَه مدّةً طويلة ، ثم بانت براءَتُه له ، أو للواثق بعدَه ، فخلَّى سبيلَه .

فقال يهجو أحمدَ بنَ أبى دُؤاد :

لقد أصبحتَ تُنْسَبُ فى إيادٍ ... بأن يُكنَى أبُوكَ أبا دُؤادِ

فلو كان اسمُه عَمرو بنَ مَعْدِي ... دُعِيتَ إلى زُبَيْدٍ أو مُرادِ

لئن أفْسَدْتَ بالتَّخويفِ عَيْشِى ... لَما أصلحتَ أصلَكَ فى إيادِ

فإن تَكُ قد أصبتَ طريفَ مالٍ ... فبُخْلُكَ باليَسيرِ من التِّلادِ

قال أبو يوسف بن الدقَّاق اللُّغَوىّ : دفَع حُمَيْدٌ ولدَه سعيداً إلىّ ، وهو صبىّ ، وقال لى : امِضِ به معك إلى مجلس ابنِ الأعرابىّ .

قال : فحضرناه ذاتَ يوم ، فأنشَدنا ابنُ الأعرابىِّ أرجوزةً لبعض العرب ، فاستحسَنّاها ، ولم يكن معنا مِحْبَرَة نكتبها عنه ، فلمّا انصرفْنا قلت له : فاتَتْنا

---

* ترجمته فى الأغانى ١٨ : ٣ ـ ٨ (ساسى) .

(١) الشعوبى : من يفضل العجم على العرب .

هذه الأُرجوزة . فقال : لم تَفُتك ، أتحبّ أن أُنْشِدَ كها ؟ قلتُ : نعم . فأنشَدَنيها ، وهى نيِّف وعشرون بيتا قد حَفِظها عنه ، وإنما سمعها مرّة واحدة .

فلقيتُ أباه مِن غَدٍ ، فقال لى : كيف رأيتَ سعيدا ؟ فقلت له : إنّكَ قد أَوْصَيْتَنى به ، وأنا أسألك أن تُوصِيَه بى ؛ فضحك وسألَنى عن السَّبب ، فأخبرتُه ، فسُرَّ به .

دخل سعيدُ بنُ حُمَيد يوما على أبى العبّاس بن ثوابة ، وكان أبو العبّاس يعاتِبه على الشَّغَف بالغِلْمان المُرْد ، فرأى سعيدٌ على رأسِ أبى العبّاس غلاما أمرَدَ ، حسنَ الوَجْهِ ، عليه مِنطقةٌ وثِيَابٌ حِسان ، فقال : يا أبا العبّاس :

وزعمتَ أنّكَ لا تَلوطُ فقُلْ لنا ... هـذا القرطن قائماً ما يَصْنَعُ(١)

شهدتْ ملاحتُه عليكَ بِرِيبَةٍ ... وعلى المُرِيب شواهِدٌ لا تُدْفَعُ

فضحك أبو العبّاس وقال : خذه لا بُورِكَ لك فيه حتّى نستريحَ من عَبَثِك(٢) .

وكان يَهْوَى غلاما من أولاد المَوالى ، فهَجَرهُ(٣) مدّة ، ثم جاءه مسلِّماً عليه ، فلمّا أراد الأنصراف قال له : غبتَ عنّى هذه المدّة ثم جئتَنِى ولا تقيمُ عندى ساعةً ! فقال : قد أَمْسَيْنا . فقال : بِتْ . قال : لا أَقدِر ، فلم يزل به حتّى اتفقا على أنّه إذا سَمِع أَذانَ العَتَمة(٤) انصرَف . فقال له : قد رضيتُ ، وَوُضِعَ النَّبيذ ، وجعل سعيدٌ يحث السَّعْيَ بالأَرطال ، فلمّا قَرُب وقتُ العَتَمة ، أخذ رقعةً وكتب بها إلى إمام المسجِد ومؤذِّنه :

---

(١) القرطن : من يلبس القرطن ؛ وهو قباء .

(٢) كذا فى ا وفى ب ، ج والأغانى : « عتبك » .

(٣) الأغانى : « فغاب عنه مدة » .

(٤) العتمة : وقت صلاة العشاء الآخرة .

قل لداعِى الصَّلاة أخِّرْ قليلا ... قد قضَيْنَا حقَّ الصَّلاةِ طويلَا

أخِّرِ الوقتَ فى الصَّلاة وقَدِّم ... بعْدَها الوقتَ بُكرةً وأَصيلا

ليس فى ساعــة تؤخرها وِزْ ... رٌ فنحيا بها وتأتى جميــلا[1]

فتُراعِى حَــقَّ المَودّة فِينا ... وتُعافَى من أن تـكون ثقيلا[2]

فلماقرأالرُّقْعة ضحك ، وكتب إليه يَحْلِف أنه لا يؤذِّن ليلتَه تلك العَتَمة ، وجعل الصبىُّ ينتظر الأَذان حتى ذهب شَطْرُ الليل ، وسمع صوت الحارِس ، فعَلِمَ أنّها حيلةٌ وقعتْ عليه ، وباتَ فى موضعه .

وقال سعيدٌ فى ذلك :

عرَّضْتُ بالحبِّ لــه وعَرَّضَا ... حتّى طوى قلبى على جَمْرِ الغَضَى

وأظهرتْ نفسى عن الدّهرِ الرِّضا ... ثم جفانى وتــولَّى مُعْرِضا

لم يَنقَضِ الُحبُّ بَلَى صَبْرِىانْقضَى ... فذاقَ مَن ذاقَ الْـكرَى أو غمَّضا[3]

حتى طــرقتَ فنسيتُ ما مَضى ... سألتُه حــوائجاً فأعرَضا[4]

وقال : لا ، قــول مجيبٍ بالرِّضا ... وكان ماكان وكابَرْنَا القضــا

كتب سعيدُ بنُ حُميد إلى فَضْلٍ الشاعرة يعتذر إليها من بعد تغيُّرٍ ظنَّتْهُ به :

تَظنُّون أنِّى قــد تبدّلتُ بعدَكمْ ... بَديلًا وبعضُ الظَّنّ إثم ومنـكَرُ

إذا كان قـلبى فى يَديْـكم رهينةً ... فـكيف بلا قلبٍ أُصافِى وأَهْجُر !

---

(١) لم يذكر هذا البيت فى رواية الأغانى .

(٢) فى الأغانى : « حق الفتوة فينا » .

(٣) فى الأغانى : « فذاك من ذاق » .

(٤) فى الأغانى : « سألته حويجة » .

استدعَى أبو العبّاس بنُ ثوابة يوما سعيدَ بنَ حُمَيد ، وجاءه رسولُ فَضْلٍ الشاعرة يسأله المَصيرَ إليها ، فمضى إليها وتأخّر عن أبى العبّاس ، فكَتَب إليه مُعاتبةً فيها بعضُ الغِلْظة . فكَتَب إليه سعيد :

أَقلِلْ عتابَك فالبقاءُ قليلُ ... والدهرُ يَعْدِل تارةً ويَميلُ
لم أَبْكِ من زمنٍ ذَمَمْتُ صُروفَه ... إلّا بكيتُ عليه حينَ يَزولُ
ولكلِّ نائبةٍ أَلَمّت مُدّةٌ ... ولكلِّ حالٍ أقبلتْ تحويلُ
والمنتمُون إلى الإخاء جماعةٌ ... إن حصّلوا أفناهمُ التّحصيلُ
ولعلّ أحداثَ اللّيالى والنَّوَى[(١)] ... يوماً ستَصدَع بيننا وتَحُول
فلئن سبقتُ لتبكيَنّ بعَبْرةٍ ... وليَكثُرنّ علىَّ منكَ عَويلُ
ولتُفْجَعنَّ بمُخلِصٍ لكَ وامِقٍ ... حبلُ الوَفاء بحَبْلِه موصولُ
وليذهبنّ جمالُ كلِّ مُروءةٍ ... وليُقفِرنّ فِناؤُها المأهولُ
ولئن سبقتَ ــ ولا سبقتَ ــ ليَمضيَنْ ... مَنْ لا يشاكِلُه لدىَّ عَديلُ
وأراكَ تَكْلَف بالعِتاب وودُّنا ... باقٍ عليه من الوفاء دليلُ
ودٌّ بَدَا لذَوِى الإخاء جميلُه ... وبدتْ عليه بَهجةٌ وقَبُولُ
ولعلّ أيام الحياة قصيرةٌ ... فعلامَ يَكثُر عَتْبُنا ويَطُولُ !

دخلتْ فَضْلٌ الشاعرةُ على سعيد بنِ حُميد على غَفْلةٍ ، فوثَب إليها ، وسلَّم عليها ، وسألها أن تقيم عندَه ، فقالت : قد جاءنى رسولٌ من القَصْر ، فليس يُمكِنُنى الجلوس ، وكرهتُ أن أمرَّ ببابكَ ولا أراكَ .

فقال سعيدٌ بدَيهاً[(٢)] :

قَرُبْتِ ولَم تُدْنِ اللِّقاءَ ولم نَجِدْ ... لنا حيلةً يدنيكِ منّا احتيالُها

(١) الأغانى : « والردى » .
(٢) الأغانى : « على البديهة » .

فأصبحتِ كالشَّمس المنيرةِ ضوءها قريبٌ ولـكن أين مِنّا نَوالُها ![1]
كظاعنةٍ ضنّتْ بها غربةُ النَّوى علينا ولـكنْ قد يَمُنّ خَيـالُها[2]
تقرِّبُها الآمالُ ثمّ تَعُوقُها مماطَلةُ الدُّنيا بهـا واُحْتيالُها[3]
ولـكنّها أُمْنِيّةٌ فلعلَّهـا يجود بها صَرْفُ النَّوى واُنتقالُها

كان سعيدُ بنُ حُميد فى مجلس الحَسَن بنِ مَخْلَد ، إذ جاءه الغلام برقعـةِ فَضْل الشاعرة ، تشكو شدّةَ شوقِها إليه ، فقرأها وضَحِك ، [فقال له الحسن بن مخلد : بحياتى عليك ، أقرئنيها ، فدفعها إليه ، فقرأها ، وضحك ، وقال له : قد وحياتى][4] مَلّحت فأجِبْ ، فـكتب إليها :

ياواصفَ الشوقِ عندى من شَواهِدِه قلبٌ يَهيم وعينٌ دمعُها يَـكِفُ
فـكنْ عـلى ثقةٍ مِنّى وبيِّنَةٍ إنّى على ثِقةٍ من كلّ ما تَصِفُ
والنّفسُ شاهدةٌ بالوُدّ عارفةٌ وأَنْفُسُ النَّاسِ بالأهواء تأتلفُ

فرضيتْ فضل ، فـكتبتْ إلى سعيد :

الصّبْرُ ينقصُ والغرامُ يزِيدُ والدّارُ دانيةٌ وأنتَ بعيدُ
أشكوكَ أم أشكو إليكَ فإنّه لا يستطيع سِواها المَجْهودُ

أنا يا أبا عثمان فى حال التّلَف ، ولم تَعُدْنى ، ولا سألتَ عن خبرى ، فمضى إليها وسأل عن خَبَرِها ، فقالت : هُو ذا ، أموت وتستريح مـنّى ! فأنشأ يقول :

لا مُتِّ قَبْلِى بل أحيَا وأنتِ معاً ولا أعيشُ إلى يوم تَمُوتِينا

---

(١) الأغانى : « منالها » .
(٢) الأغانى : « قد يلم خيالها » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ب ، ج : « واختيالها » . الأغانى : واعتلالها » .
(٤) تـكملة من الأغانى .

لـكن نعيشُ كما نَهْوَى ونأمُلُه ويُرْغِمِ اللهُ فينا أنفَ واشِينا[١]
حتى إذا قَدَّر الرَّحمٰنُ مِيتَتَنا وحَانَ مِن أمْرِنا ما ليس يَعْدُونا
مِتْنا جميعا كَغُصْنَىْ بانةٍ ذَبُـلا من بعد ما نَضِرا واُستوثقا حينا
ثم السَّــلام علينا فى مَضاجِعنا حتى نَعُودَ إلى ميزانِ مُنْشِينا[٢]

افتصد سعيدُ بنُ حُمَيد فعزَمت فَضْلُ الشاعرةُ على زيارته هى وعَرِيب ، وسَيَّرَتْ فَضْل إليه هدايا ، منها : أَلفُ جَدْيٍ وحَمَـل ، وألفُ دَجاجة فائقة ، وألفُ طبق فاكهة ، ومع ذلك طِيبٌ كثير ، وشراب وتحف حسان . فـكتب إليها سعيد : إنّ سرورى لا يتمّ إلا بحضورك ، فجاءته فى آخر النهار ، وجلسوا يشربون . فاستأذن غلامُ سعيدٍ بُنَان ، فأذِنَ له ، فدخل وهو شابٌ طَرِيرٌ[٣] حسن الوجه ، نظيفُ الثَّوْب ، شَـكِل[٤] ، فذَهَبَ بها كلَّ مَذهَب ، وأقبلَتْ عليه بحديثها ونظَرِها ، ففَمَّ سعيدواُستُطِير غضبا ، وتبَـيَّن بُنَان القصَّة فأقبل عليها سعيد يَعذِلها ساعة ، ثم أَمْسَك ، فـكتبتْ إليه :

يا مَنْ أطلتُ تفرُّسِى فى وجهِه وتنفُّسِى
أفديكَ مِنْ متـدَلِّلٍ يُزْهَى بقتْلِ الأَنْفُسِ
هَبْنى أسأتُ وما أسأ تُ بَلْ أُقِرُّ أَنا المُسِى
أَحْلَفْتَنِى ألّا أُسا رِقَ نظرةً فى مجلسِ
فنظرتُ نظرةَ مخطىءٍ أتبعتُهـــا بتفَرُّسِ
ونسيتُ أنِّى قد حلفـ تُ فما عُقوبةُ مَن نَسِى !

---

(١) الأغانى : « شانينا » .
(٢) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « ميراث منشينا » .
(٣) غلام طرير : طلع شاربه وظهر .
(٤) شـكل ، كـكتف : فيه دلال وغنج .

فقام سعيد فقبّل رأسَها ، وقال : لا عقوبةَ عليه ، بل يَحْمِل هفوتَه ونَتجافَى[1] عن إساءته ، وغَنَّتْ عَرِيبُ ، وشربوا عليه بقيّة يومِهم ثم افترقوا ، وأثَّرَ بُنَان في قلبها وقد عَلِق به ، فلم تَزَلْ به حتى واصَلَتْه ، وقطعتْ سعيدا .

(١) في الأغاني : « نتجاوز » .

سَلْم الخاسر*

سَلْم بن عَمرو مولَى بنى تيْم بن مُرّة ، ثمّ مَولَى أبى بكر الصدّيق ـ رضى الله عنه ـ بَصْرىٌّ شاعرٌ مطبوع ، متصرِّف فى فنون الشِّعر ، من شُعراء الدّولة العبّاسيّة .

وهو راويةُ بشّار بن بُرْد وتلميذُه ، ومن بَحْرِه اُغترَف ، وعلى مذهَبِه ونَمَطِهِ قال الشِّعر ، وعنه أَخَذ .

ولُقِّب الخاسرَ لأنّه وَرِث من أبيه مُصحَفاً فباعه ، واُشْترَى بثمنه طُنْبوراً . وقيل : بل رَدَّه وأخَذَ بدلَه دفاترَ شِعْرٍ كانت عند أبيه . وقيل : وَرِث من أبيه مائةَ ألف دِرْهم ، فأنفقَها على الأدب وأهلِه ، فبقِى لا شىء عندَه ، فلقَّبَه الجِيرانُ ومن يَعرِفه : الخاسر .

وقالوا : أنفق مالَه على ما لا يَنفعُه فلمّا مَدَح المهدىَّ أو الرشيدَ وقد بلغه اللّقب الّذى لُقِّب به ، فأمر له بمائةِ ألفِ دِرهم ، وقال : كَذِّب بها جِيرانَك ، فجاءهم بها ، فقال لهم : هذه المائةُ ألف الّتى أنفقتُها ، ورَبِحتُ الأدب ، فأنا سَلْم الرابح ، لا سَلْم الخاسر .

وقال الجمّاز : سَلْم الخاسر خالى ، وسببُ تلقِيبه الخاسرَ أنه كان نَسَكَ مُدَّةً يسيرة ، ثم رجع إلى أقبح ممّا كان عليه ، وباع مُصحَفا له وَرِثَه عن أبيه ، وكان لجدِّه قبلَه ، واُشترى بثمنِه طُنْبورا ، فشاع خبرُه وافتَضَح .

وكان يقال له : ما فعل أحدٌ ما فعلتَ ، فقال : لم أجد شيئا أتوسّل به إلى إبليسَ هو أقرُّ لعيْنِه مِن هذا .

---

* ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٧٣ ـ ٨٤ (ساسى) .

وكان سَلْم منقطِعاً إلى البَرامِكة ، خصوصا إلى الفَضْل بن يحيي ، وفيـه يقول أبو العَتاهِيَة :

إنّما الفَضْـل لسَلْمٍ وَحْدَهُ ... ليس فيـه لسِوَى سَلْمٍ دَرَكْ

وكان هذا سبب إحداث الفسادِ بينه وبين أبي العَتاهية ، وكان بشّار يقول : لوَدِدْتُ أنّ سَلْماً الخاسرَ ينتمِي فى غيرِ وَلاءِ أبى بكر رضى الله عنه ، وأنّى أغرَم ألفَ دينار ، مَحبّةً منّى لِهَتْك عِرْضِه وأعْراضِ مَواليه . فقيل له : ما أخرَج هذا القولَ منك إلّا غمٌّ شديد ، قال أجَلْ والله لا طَعِمت اليوم ، ولا أغْمَضْت :

لمّا مَدَح بشّار بنُ برد عُمَر بنَ العَلاء بقصيدته الّتى يقول فيها :

إذا دهَمَتْكَ صِعابُ الأمورِ ... فنبِّه لها عُمَراً ثمّ نَمْ[1]

بعث بها مع سَلْم الخاسر ، فوافاه ، فأنشَدَه إيّاها ، فأمر لبشّارٍ بمائة ألف درهم ، فقال له سَلْم : إنّ خادمَك ــ يعنى نفسَه ــ قد قال فى طريقه قصيدةً فيك . قال : وإنّك لَهُناكَ ! قال : تَسمعُ وتَحكُم ، قال : هاتِ ، فأنشَدَهقصيدتَه الّتى يقول فيها :

كمْ كُرْبةٍ قد مَسَّنى ضُرُّها ... نادَيْتُ فيها عُمَرَ بنَ العَلاءْ

فأمرله بعشرة آلافِ دِرهم ، فكان ذلك أوّل عطيّة سنيّة وصلتْ إليه .

وكان عاصمُ بنُ عُتْبة الغسّانى جَوادا ، وكان صديقاً لسَلْم الخاسر ، كثيرَ البِرِّ به ، والمُلاطَفَة له ، وفيه يقول سَلْم:

ألجودُ فى قَحطـانِ ... ما بَقِيتْ غسّانُ

لِعاصمٍ سَمـاءٌ ... عارِضُها تَهتانُ

أَمطارُها اللُّجَيْنُ والـ ... إبْريزُ والعِقْيانُ

(١) فى الأغانى : « إذا نبهتك » .

أَسَلْم لا أُبالِي ما فعلَ الإخوانُ
ما ضَرَّ مُرْتَجيــهِ ما فَعَـل الزَّمانُ
مَنْ غالَهُ مَخُوفٌ فعــاصِمٌ أَمانُ
صَلَتٌ له المَعالِي والسيفُ والسِّنـانُ

فأعطاه عاصمٌ سبعين ألفا ، وكان مبلغُ ما وصل إلى سَلْم من عاصمٍ خَمْسَمائة ألف درهم .

فلمّا حضرتْه الوفاة دعا عاصماً وقال : إنّى ميّت ، ولا وَرَثة لى ، وإنّ مالى مأخوذ ، وأنتَ أحقُّ به ، فدفع إليه خَمسَمائة ألف درهم ، ولم يكن لسَلْم وارث .

وكان يزيدُ بنُ مَزْيَد يقول : ما أَحْسُدُ أحداً على شِعرٍ مُدِح به قطُّ إلّا عاصم ابن عُتبة الغَسّانى ؛ فإنّى حسَدْتُه على قولِ سَلْمٍ فيه :

الجودُ فى قَحْطــانِ ما بَقِيَت غَسّانُ

لمّا تَباعَدَ مابين سَلْم وبشّار ، صار سَلْمٌ يقدِّم أباالعَتاهية ويقول : هو أشعرُ الإنْس والجنّ ، إلى أن قال أبو العتاهية يوما يخاطب سَلْما :

تعالَى اللهُ يا سَــلْمَ بنَ عَمرٍو أَذَلَّ الحِرْصُ أعناقَ الرِّجالِ
هَبِ الدُّنيا تَصيرُ إليك عَفْواً أليس مصيرُ ذاكَ إلى زَوالِ !

وبلغ الرّشيدَ الشِّعرُ ، فاستحسَنَه وقال : لَعَمْرِى إنّ الحرص لَمَفْسَدةٌ لأمرالدِّين والدُّنيا ، ومافتَّشْت عن حريصٍ قطّ إلاانكَشَفَلىعن لُؤْمه ، وما أذمّه(١) ، وبلغ ذلك سَلْماً ، فغضِب على أبىالعَتاهية ، وقال : ويلى على الجرّار بن الفاعلة الزِّنْديق ! زعم أنّى حريص ، وقد كَنَزَ الكُنوز ، وهو يَطْلُب وأنا فى ثَوْبَىَّ هذين لا أمْلِك غيرَهما ، وانْحَرَف عن أبى العَتاهية بعد ذلك ، وقال فيه :

---

(١) الأغانى : « إلا انكشف لى عما أذمه » .

ما أقبحَ التَّزهيدَ مِن واعظٍ　　يُزَهِّد الناسَ ولا يَزْهَدُ !
لو كان فى تزْهيده صادِقاً　　أضحَى وأَمْسَى بيتَه المَسْجِدُ
ورَفَض الدُّنيا ولم يَلْقَهَا　　ولَم يكن يَسعَى ويَسْتَرْفِدُ
يخاف أن تَنْفَدَ أَرْزاقُه　　والرزق عنـد الله لا يَنْفَدُ
الرّزق مقسومٌ على من تَرَى　　يَنالُه الأبيَض والأَسْوَدُ

حضر أبو العَتاهية يوما عند قُثَم بن جعفر بنِ سليمان ، وهو أميرُ البَصْرة ، فجعل يُنشِدشعرا فى الزُّهد ، فأمَر قُثَم بعضَ أصحابه أن يطلُبَ له الجمّاز ، وقال: أَحضِرْنيه الساعةَ حيثُ كان ، فَجِئَ به ، فطُلِب ، فوُجِد عند دارِ جعفر بنِ سليمان ، فقيل له: أجِبِ الأميرَ فحضر وَحَيَّا وجَلَس فى ناحية المجلس ، وأبو العتاهية يُنشِدهم ، ثم قام الجمّاز فواجَهه وأَنشَده :

ما أقْبَحَ التَّزهيدَ من واعظٍ　　يُزَهِّـد النّاسَ ولا يَزْهَدُ

فقال أبو العَتاهية : مَن هذا ــ أعزّ اللهُ الأميرَ ــ ؟ قال : هذا الجمّاز ابنُ أخت سَلْمٍ الخاسر ، يَنْتَصِر لخاله منكَ حيث قلتَ له :

تعالَى اللهُ يا سَلْمَ بن عَمرٍو　　أذلَّ الحِرصُ أَعْناقَ الرِّجالِ

فقال أبو العَتاهية للجمّاز : يا بنَ أخى ، إنّى لم أَذْهَب بشِعرى حيثُ ذهبَ خالُك ، ولاأردتُ أن أهتِفَ به ، ولا ذهبتُ فى حضورى وإنشادى حيث ذهبَ من الحِرص على الرِّزق ، والله يَغفر لـكما ، ثم قام وانصرف .

وكان سَلْم الخاسر شَغِفَ بطلب الـكيمياء ، وكان يُهاجى والبةَ بنَ الحُباب .

قال أبو عُبيدة مَعْمر بنُ المُثَنَّى : كان سَلْمٌ الخاسر لا يُحسِن المدحَ ؛ ولـكنّه كان يُحْسِن أن يَرْثِىَ ويَسْأَل .

قال أبو المستهِلّ : دخلتُ يوماً على سَلْمٍ الخاسر ، وبين يديْهِ رِقاع فيها أشعارٌ

يرثى ببعضها أمَّ جعفر ، وببَعْضها جاريَـةً غيرَ مسمَّاة ، وأقواما لَمْ يَمُوتوا بعدُ ، وأمُّ جعفر أيضا باقيةٌ لَمْ تَمُتْ : فقلتُ له : وَيْحَك ! ما هذا ؟ قال : تَحْدُث الحوادثُ فيَطْلُبونَنا بأن نَقولَ فيها ، ويَستعجلوننا ، ولا يَجْمُل بنا أن نقول غيرَ الجيِّد ، فَنَعْمَل لهم قبل الوَقائع ، فتى حدَثَ حادثٌ أظْهَرْنا ما قُلْناه فيه ، على أنّه قيل فى الوقت .

خرجتْ لِسَلْمٍ جائزة ، فطالبه أبو الشَّمَقْمَق بأن يَهَبَ له شيئا ، فلَمْ يَفْعَلْ فقال أبو الشَّمَقْمَق يهجوه :

يا أمَّ سَلْمٍ هَـداكِ اللهُ زُورِينَا حتَّى نَنيكَكِ فَرْدًا أو تنيـكِينا
ماإنْ ذَكَرْتُكِ إلّا هِجْتِ لى شَبَقًا ومِثْلُ ذِكْرَاكِ أمَّ السَّلْمِ يُشْجِينَا

فجاءه سلم فأعطاه خمسةَ دنانير ، وقال له : أحبُّ أن تُعْفِيَـنِى من اُستِزارتِك أمِّى ، وتأخذ هذه الدنانيرَ فتُنفقها .

ومن هجاء سَلْم والبةَ بنَ الحُباب ، وبَعثَ بها إليه مع أبى المستَهِلّ :

يا والبَ بنَ الحُباب يا حَلَقِى لستَ من أهل الزِّناء فانْطَلِقِ (١)
تُدخِلُ فيـه الغُرْمولَ تُولجه مِثلَ وُلوجِ المِفْتاح فى الغَلَق (٢)

قال أبو المستهِلّ : فأتيتُ والبةَ ، فقلتُ له ذلك ، فقال : قل له : يابن الفاعلة ، سل عنك رَبْعان التَّميمى — يعنى أنّه كان يَنيكه — وكان رَبْعانُ لُوطيّا ، آفةً مِن الآفات ، وكان عَلّامةً ظريفا .

وكان يقول : نِـكْتُ الهيثمَ بنَ عَدِىٍّ ، فمَنْ تَرَوْنَه يُفلِت مِـنّى !

---

(١) الحلق ، من قولهم : أتان حلقية ، محركة : إذا تداولتها الحمر حتى أصابها داء فى رحمها .
(٢) الغرمول : الذكر .

دخل الرّبيعُ على المهدىّ ، وأبو عُبيد الله جالس ، يَعرِض عليه كُتُباً ، فقال له أبو عُبيد الله : مُرْ هذا أن يتنحَّى — يعنى الرَّبيع — فقال له المهدىّ : كأنّك ترانى بالعَين الّتى أنت بها ! قال : لا ، قال : فلِمَ لا تتَنَحَّى إذا أمرتك ؟ قال : أنتَ رُكْن الإسلام ، وقد قتلت أبنَ هذا ، ولا آمَنُ أن يكون معه حديدةٌ ، فيَغتالَك بها ، فقام المهدىُّ مَذعورا ، وأمَرَ بتفتيشه ، فوجَدُوا بين جَوْرَبه وخُفِّه سِكِّيناً ، فرُدَّت الأمورُ كلُّها إلى الرَّبيع ، وعَزَل أبا عُبَيْد الله ، ووَلَّى يعقوبَ بنَ داود مكانَه ، فقال سَلْم فيه :

أدخلتَه فعلًا عَلَيْـ ـكَ كذاكَ شُؤمُ النّاصيهْ
يَعْقوبُ يَنْظر فى الأُمو رِ وأنتَ تَنْظُر ناحِيـــهْ

وكان المهدىُّ قد بلغَه من جهة الربيع أنّ أبنَ أبى عُبيد الله زِنديق . فقال له المهدىّ : هذا حَسدٌ منك . قال : افْحَص عن هذا ، فإن كنت مبطلا بلغتَ فىّ الّذى يَلزَم من كذبك . فأُتِىَ بابن أبى عبيد الله فأقرَّ بذلك ، فاستتابه ، فلَمْ يَتُب ، فقال لأبيه : اُقتُلْه . قال : لا تَطيب نفسى بذلك ، فقتَله المهدىُّ وصلَبَه على باب أبى عُبيد الله . وكان ابنُ أبى عُبَيد الله من أحمَقِ الناس .

رَكِب الربيعُ يوما يسيرُ مع محمّد بن المنصور ، فقال محمّد للرّبيع : رأيتُ كأنّ الكعبةَ قدتصدّعتْ ، وكأنّ رجلا جاء بحبلٍ أسودَ فشدّدَها . فقال له الربيع : مَن الرجل ؟ فلَمْ يُجِبْه ، حتى إذا اُعتلّ قال للرّبيع : أنت الرجلُ الّذى رأيتُه فى نومى يشدُّ الكعبة ! فأىّ شىء تَعْمَل بعدى ؟ قال : ما كنتُ أعمَلُ فى حياتك ، فكان من أمره ما كان مِنْ أَخْذ البيعة للمهدىّ فقال سَلْم الخاسر فى الفَضْل بنِ الرَّبيع :

يابنَ الّذى جَبَر الإسلامَ حين وهَى وأستنقَذَ الناس من عَمْياءَ صَيْخودِ (١)

(١) الصيخود : الصخرة العظيمة ؛ كنى بذلك عن السنة الشديدة .

قالت قريشٌ غداةَ أنهاضَ مُلْكُهُمُ ... يابنَ الرَّبيعِ وأَعْطَوْا بالمَقاليدِ[(١)]

فقامَ بالأَمْرِ مِئْناسٌ بِوَحْدَتِهِ ... ماضِي العَزيمةِ ضَرّابُ القَماحِيدِ[(٢)]

إنّ الأمورَ إذا ضاقتْ مسالكُها ... حلّتْ يدُ الفَضْلِ منها كلَّ معقودِ

إنّ الربيعَ وإنّ الفَضْلَ قد بَنَيَا ... رِواقَ مَجْدٍ على العبّاسِ مَمْدودِ

فوَهَبَ له الفضلُ خمسةَ آلافِ دينار .

ولمّا عقد الرشيدُ البيعة لأبنه محمّد الأمين ، قال سَلْمِ الخاسر :

قد بايَعَ الثَّقَلانِ فى مهدى الهُدَى ... لمحمّد بنِ زُبَيْدَةَ ابنةِ جعفر

ولَّيْتَه عَهْدَ الأَنامِ وأمرَهُمْ ... ودَمَغْتَ بالمعروف رأسَ المُنكَرِ

فأعطتْه زُبيدة مائةَ ألف درهم .

وكان إسحاق بنُ إبراهيمَ أستوهبَ الرشيدَ تَرِكَةَ سَلْمِ الخاسر ؛ لأنّه ماتَ عن غير وارث ، فوهَبَها له قبل أن يتسلّمها أصحابُ المَواريث ، فحصل له منها خمسون ألف دينار .

وقيل : إنّ الّذى خَلَّفَه سَلْم ممّا أَخَذَه من الرّشيد ، ومِن زُبَيْدة خاصّة ألف ألف درهم ، وخمسُمائة ألف درهم ، سوى ماخَلَّفه من عَقارٍ وغيرِه ، فقبَضَهُ الرّشيد ، وتَظلَّمَ إليه مَواليه من آل أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه . فقال : هذا خادمى ونَديمى ، والّذى خَلّفه كلُّه من مالى ، فأنا أحقُّ به ، فلَمْ يُعطِهم إلّا شيئا يسيرا من قديمِ أملاكِه .

دخل سَلْمٌ الخاسر على الفَضْل بنِ يحيى بن خالد البَرْمَكىّ فى يوم نَوْرُوز والهدَايا بين يديْه ، فأنشدَه :

---

(١) المقاليد : المفاتيح .

(٢) القماحيد : جمع قمحودة ؛ وهى الهنة الناشزة أعلى القذال .

أمِنْ رَبْعٍ نُسائِلُهُ ... وقــد أقْوَتْ مَنازِلُه(١)
بقلبِي مِن هوَى الأطلا ... لِ حُبٌّ لا يُزايِلُهُ
رُوَيْدكُمُ عــلى المشغو ... فِ إنْ الحــبَّ قاتِلُهُ !
بَلابلُ صَدْرِه تَسْرِى ... وقــد نامتْ عَــواذلُهُ
أحقُّ الناسِ بالتَّفْضيـ ... ـلِ مَن تُرجَى فَواضِلُهُ
رأيتُ مَــكارِمَ الأخْــلا ... قِ ما ضَمَّتْ حَمائِلُه
فلستُ أرَى فَتًى فى النّا ... سِ إلّا الفضلَ فاضِلُهُ
يقول لســانُه خــيراً ... وتَفْعَــلُه أنامِلُهُ
ومَهْمَا تَرْجُ من خَــيْرٍ ... فإنَّ الفَضْلَ فاعِــلُهُ

وكان إسحاقُ المَوْصِلىّ وأبوه إبراهيم حاضرَين ، فقال لإبراهيم : كيف ترى ؟ قال : أحْسَنُ مَرأًى ومَسْمَع ، وفَضْل الأمير أكبر منه ! فقال : خذوا جميعَ ماأُهدِيَ إلىَّ اليومَ فاقتَسِموه بينكم أثلاثا إلّا ذاكَ التِّمثال ؛ فإنى أريد أنْ أُهدِيَه إلى دَنانير . ثم قال : لا والله ما هكذا تفعل الأحرار ، يُقوَّم وندفعُ إليهم ثمنَه ، ثم نُهْدِيه ، فقوِّمَ بألفَيْ دينار ، فحملها إلى القوم من بيتِ ماله ، وقَسَموا جميعَ الهَدايا بينهم .

حَدَث فى أيّام الرشيد أمرٌ ، فاحتِيجَ فيه إلى الرَّأْى : فأَشْكَل ، وكان الفضلُ غائبا ، واُتّفق حضورُه فى ذلك ، فأُخبِر بالقصّة ، فأشار بالرأْى من وَقْتِه ، وأُنفِذَ الأمرُ على مَشُورتهِ ، فحمِد ما جرَى فيه ، فدخل عليه سَلْمٌ الخاسر ، فأنشدَهُ :

بَدِيهتُهُ وفِكْرَتُه سَواءٌ ... إذا مانابَهُ الخطبُ الكَبيرُ
وأحزَمُ ما يكون الدهرَ رأياً ... إذا عَيَّ المُشاوِرُ والمُشِيرُ

---

(١) أقوت : خلت .

وصَدْرٌ فيـــه للهَمِّ اتِّساعٌ إذا ضاقتْ عن الهمِّ الصُّدورُ

فأمر له بعشرة آلافِ درهم .

جاء أبو الشَّمَقْمَق إلى سَلْم ، يَسْتميحُه ، فمَنَعه ، فقال : اسمعْ ما قلت وأنشدَه :

حَدَّثونى أنَّ سَلْماً يَشْتَكِى جارةً أيْرِهْ

فهو لا يَحْسُد شيئاً غيرَ أَيْرٍ فى أُستِ غَيْرِهْ

فإذا سَرَّكَ يوماً يا خليلى نَيْلُ خَيْرِهْ

قمْ فمُرْ راهِبَكَ الأَصْـ ـلَعَ يَقْرَعْ بابَ دَيْرِه

فضحك سَلْم وأعطاه خمسةَ دنانير ، وقال له : جُعِلتُ فِداكَ ! أُحِبُّ أن تَصرِفه راهِبَك الأَصْلَع عن بابِ دَيْرِنا .

دَخَل سَلْمٌ الخاسرُ على الرّشيد فأنشَدَهُ :

* حَيِّ الأحِبّةَ بالسَّلام *

فقال الرشيد :

* حَيّاهُمُ اللهُ بالسَّلامِ *

فقال :

* أعَلَى وَداعٍ أمْ مُقام *

فقال الرشيد :

حَيّاهُمُ اللهُ على أىّ ذلك كان من أمرِهم .

فقال :

لَم يَبْقَ منكَ ومنهمُ غيرُ الجلودِ على العِظامِ

فقال له الرشيد : بل مِنْك ، وأخرَجَه ، وتطيَّرَ منه ، ولم يسمع باقى شعرِه ، ولا أثابَه بشىء .

لما أتت وفاة المهدىّ إلى الهادى ، وهو بجُرْجان ، بُويع له هناك فدخل عليه سَلْمٌ فأنشدَهُ :

لَمّا أتتْ خيرَ بنِي هاشمٍ   خلافةُ اللهِ بجُرُجانِ
شَمَّرَ للحَرْبِ سَرابيلَه   بغيرِ لا غُمْرٍ ولا وَانِ (١)
لَمْ يُدخِلِ الشُّورَى على رأيِهِ   والحَزْمُ لا يُعصِيه رأيانِ

دخل سَلْم على الرّشيد ، وعنده العبّاس بنُ محمّد ، وجعفرُ بنُ يحيى فأنشدَه :

حَضَرَ الرَّحيلُ وشُدَّت الأَحْداجُ   وغدا بهنّ مشمِّرٌ مِزْعاجُ (٢)

فلمّا انتهى إلى قوله :

إنّ المَنايا فى السُّيوف كَوامِنٌ   حتّى يهيِّجَهَا فتًى هيّاجُ

فقال الرّشيد : ذاكَ معنُ بنُ زائدة ، فقالوا : صدَق أميرُ المؤمنين ، ثم أنشده حتّى انتهى إلى قوله :

ومدّججٍ يغشى المضيق بسيفه   حتّى يكون بسيفه الإفراجُ

فقال الرشيد : ذلك يزيد بن مزيد ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، فاغتاظ جعفرُ ابنُ يحيى ؛ لأنّ يزيد بن مزيد كان عدوّ البرَامِكة مُصافِياً للفضل بنِ الرَّبيع ، ثم أنشَد ، حتّى أتى إلى قوله :

نزلتْ نجومُ اللَّيلِ فوقَ رءوسِهمْ   ولكلّ قومٍ كَوْكَبٌ وَهّاجُ

فقال جعفر بنُ يحيى : مِن قِلّة الشِّعر حتّى تَمدَح أميرَ المؤمنين بشِعْرٍ ، قيل فى غيره ! هذا لبشّار . فقال الرشيد : ما تقول يا سَلْم ؟ قال : صدَقَ يا أمير المؤمنين ، وهل أنا إلّا جزءٌ من محاسن بشّار ، أم هل أَنطِق إلّا بفَضْل منطِقه ! وحَياتِك ياسيِّدى ؛ إنّى لأَرْوِى له تسعةَ آلافِ بيْت ، ما يَعرِف أحدٌ منها شيئاً غيرى .

(١) الغمر : الغر الذى لم يجرب الأمور .

(٢) الأحداج : جمع حدج ؛ وهو مركب للنساء .

فضحك الرشيد ، وقال : ما أحْسَنَ الصِّدق ! امضِ فى شِعرك ، وأَمَر له بمائةِ ألف دِرْهم .

ثم قال للفضْل بنِ الرَّبيع : هل قال أحدٌ غير سَلْم فى طَىِّ[1] المَنازِل شيئا . وكان الرشيد قد انصرف من الحجّ ، وطَوَى المنازل ، فوصَفَ ذلك سَلْمٌ فقال : نَعَمْ يا أميرَ المؤمنين النَّمَرِىّ ، فأمَر سَلْما الخاسرَ أن يَثبُت قائما حتى يَفرُغ النَّمرى من إنشاده ، فأنشَد النَّمَرىّ قوله :

تَخرَّقَ جِلْبابُ الشَّبَابِ مع البُرْدِ ... وحالت لنا أُمُّ الوَليد عن العهدِ[2]

فقال الرّشيد للعبّاس بنِ محمّد : أيّهما أشعَر عندك ياعَمّ ؟ قال : كِلاهما شاعر ، ولو كان كلامٌ يُستفحَل لِجوْدته حتّى يؤخَذَ منه نَسْلٌ ، لاستفْحِل كلامُ النَّمرىّ ، فأَمَر له بمائة ألفِ درهم .

وممّا رَثَى به أشجعُ السُّلَمىّ سلماً الخاسر — ومات قبله — :

ياسَلْمُ إنْ أصبحتَ فى حُفرةٍ ... موسَّداً تُرْبا وأَحْجَارا
فرُبَّ بيتٍ حَسَنٍ قلتَه ... خلّفْتَه فى الناس سَيّارا
لو نَطَق الشِّعرُ بَكَى بعدَه ... عليه إعلانا وإسرارا

---

(١) الأغانى . « طينا » .

(٢) الأغانى : « تخرق سربال » .

سَرِىُّ بنُ عبدِ الرّحمٰن*

هوالسَّرِىُّ بنُ عبدِ الرّحمن بنِ عُتْبةَ بنِ عُوَيْم بنِ ساعدةَ الأنصارىّ . لجدّه عُوَيْم بن ساعدةَ صحبةٌ بالنّبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

والسّرىّ شاعرٌ من شُعَراء المَدينة ، ليس بمُكثِرٍ ولا فَحْل ؛ إلّا أنّه أحد الغَزِلِين ، والفِتْيان المتادِمين على الشّراب ، كان هو وعُتَيْرُ بنُ سَهل بنِ عبدِ الرحمن ابنِ عَوْف ، وجُبَير بنُ أيمَن ، وخالدُ بنُ أبى أيّوبَ الأنصارىّ ، يتنادَمُون ، وفيهم يقول السّرىّ ، وكلُّهم كان جليلا مقبولَ الشهادة :

إذا أنا نادَمْتُ العُتَيْرَ وذا النَّدَى ... جُبَيراً ونازَعْتُ الزُّجاجةَ خالدَا

أَمِنْتُ بحَمد الله أن تُقرع العَصَا ... وأن يُنبِهوامن نَوْمةِ السُّكْر راقدا

وصِرْتُ بحَمد الله من خير عُصْبةٍ ... حِسانِ النّدامَى لا نَخاف العَرابِدا

فقالوا : قبحَك الله ! ماذا أردتَ فى التّنبيه علينا ، والإذاعة لسِرِّنا ؛ إنّه لحقيق ألا نُنادِمَك .

فقال : والله ما أردتُ شيئا ؛ ولكنّه شعرٌ طفَحَ[1] علىّ ، فنَفَثْتُه عن صَدْرى .

جلس نُصَيب فى مَسجد النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأَنشَد ، وكان إذا أَنشَد لَوَى حاجبَيْه ، وأشار بيدَيْه ، فرآه السّرىّ ، فجاءه حتى وقف بإزائه ، وقال :

فقَدْتُ الشِّعرَ حين أَتَى نُصَيباً ... أَلَم تَستَحْىِ من مَقْتِ الكِرام !

إذا رَفَع ابنُ ثَوْبةَ حاجبَيْه ... حَسِبْتَ الكَلْبَ يَضرِب فى الكِعامِ[2]

---

* ترجمته فى الأغانى ١٨ : ٦٥ ـ ٦٨ (ساسى) .

(١) طفح على : غلب .

(٢) الكعام : ما كعم به فم البعير فى هياجه .

فقال نُصيب : مَن هذا ؟ فقالوا : سرىُّ بنُ عُوَيم بنِ ساعدة . فقال : قد وهبتُه لله عزّ وجلّ ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم ، ولعُوَيم بنِ ساعدة .

وكان سَرِىٌّ قد هجا الأحْوَص ونُصَيبا ، فلم يُجِيباه .

وكان سَرِىٌّ قصيرا دَميماً ، أزْرَق ، وكان يهوَى امرأةً يقال لها : زينب ، وشبَّب بها ، فخرج إلى البادية فرآها فى نِسوَةٍ ، فصار إلى راعٍ هناك ، فأعطاه ثيابه ، وأخذ منه جُبّته وعَصاه وأقبل يَسوق الغنَم ، حتّى صار إلى النِّسوة ، فلَمْ يَحْفِلْن به ويَحْسبْن أنّه أعرابىّ ، وأقبل يَقلِبُ بعَصاه الأرضَ وينظُر إليهنّ ، فقلن له : أذَهبَ منك شىء ياراعىَ الغنَم فأنتَ تَطْلُبه ؟ قال : نعم ، قَلْبى . فضربتْ زينبُ بكمِّها على وجهها وقالت : سَرِىٌّ وَاللهِ ! أخزاه الله ! فأنشأ يقول :

ما زالَ فينا سَقِيمٌ يُستطَبُّ له ... مِن ريح زينبَ فينا ليلةَ الأَحدِ
حُزْتِ الجمالَ ونَشْرا طيِّباً أَرِجاً ... فما تُسَمَّيْن إلّا مِسْكَة البَلَدِ
أمّا فؤادى فشىء قد ذَهبْتِ به ... فما يضرُّك ألّا تحْرُبِى جَسَدى

قال عبدُ الله بنُ عُرْوَة بنِ الزُّبير : خرجتُ أنا وغلامٌ لى أَدُورُ فى سِكَك المدينة ، فانتهيتُ إلى فِناء مَرْشوش وشابّ جميلِ الوجه جالسٍ ، فلمّا رآنى دعانى ، وقال : مَن أنتَ ياغلام ؟ فقلتُ : عبد الله ابن عُروة بن الزُّبير . فقال: اجْلس . فجلستُ ، ودعا بالطَّعام ، فتغدَّيْنَا جميعا ، ثم قال : ياجارية ، فأقبلتْ جاريةٌ تتَهادى(١) كأنها مَهاة ، وفى يدها قِنِّينة شَراب صافٍ ، وقُلّة ماء ، وكأس .

فقال لها : اسقِنى ، فصبَّت فى الكأس ، وسكَبتْ عليه ماءً ، وناولتْه فشرِب ، ثم قال : اسقِيه ، فصبَّتْ فى الكأس ، وسكَبتْ عليه ماء ، وناولَتْنى ، فلمّا وجدتُ

---

(١) تهادت الجارية : إذا تمايلت فى مشيتها .

ريحَه بكيتُ ، فقال : مايُبكيكَ يابنَ أخى ؟ فقلتُ : إن أهلى إن وَجدوا رائحة هذا منّى ضربونى ، فأقبلَ على الجارية بوجهه وهو يقول :

ألا اسَقِنى كأسِى ودَعْ عنكَ من أبَى ... ورَوِّ عِظاما قَصْرُهن إلى بِلَى[1]

فإنّ بُطوءَ الكأس موتٌ وحَبْسَها[2] ... وإن دِراكَ الكأس عندى هو الحيَا

فأخذتْه من يدى ، وأعطتْه إيّاه ، فشرِب ، فقمتُ ، فلمّا جاوزْتُه سألت عنه ، فقيل لى : هذا خالدُ بن أبى أيّوبَ الأنصارىّ الّذى يقول فيه الشاعر :

إذا أنتَ نادَمْتَ العُتَيْرَ وذا النَّدَى ... جُبَيْراً ونازَعْتَ الزُّجاجةَ خالدا

---

(١) قصرهن : مصيرهن . وفى الأغانى : « من أبى » .

(٢) فى الأغانى : « بطاء » ؛ وهما سواء .

سَلَمة بنُ عَيّاش*

هو مَوْلَى بنى حِسْل بنِ عامر بنِ لؤىّ . شاعرٌ بَصْرِىّ مخضرم ، شَهِد الدَّوْلتين وكان يتديّن ويتصوّف، وكان منقطعا إلى جعفر ومحمد أُبنَىْ سليمانَ ابن علىّ بنِ عبدِالله ابن عبّاس ومَدَحهما ، فأكثر وأَجاد .

قال سلَمة بنُ عيّاش : دخلتُ على الفَرَزْدق السِّجن ، وهو محبوس ، وقد قال :

إنّ الّذى سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا ... بيْتاً دَعَائِمُه أعزُّ وأطوَلُ

وقد أُفحِم وأَجْبَل[1] ، فقلت له : ألا أُرفِدك[2]؟ فقال : وهل ذلك عندَك؟ قلتُ: نعم . ثم قلت :

بيتٌ زُرَارةُ مُحْتَبٍ بفِنائه ... ومُجاشعٌ وأبو الفَوارس نَهْشَلُ

فاستجادَ البيتَ وغاظَه ذلك ، فقال لى : ممّن أنت ؟ قلتُ : من قُرَيش . فقال : كلُّ أَيْرِ حِمارٍ من قريش ! فمِن أيّها أنت ؟ قلتُ : من بنى عامر بنِ لؤىّ ، فقال : لئامٌ وَضعَة ، حاورتُهم بالمدينة ، فما أحمدتُهم. فقلت : ألأم منهمْ واللهِ ، وأَوْضع قومك ، جاء رسولُ مالكِ بنِ المنذر وأنت سيّدُهم وشاعرُهم ، فأخَذَك بأُذُنك يقودُك حتّى حبَسَك ، فما أعترضَه أحدٌ ، ولا نَصرَكَ .

فقال : قاتلَك الله ! ما أَمْكرَك ؟ وأَخَذَ البيتَ ، فأدخلَهُ فى قصيدته .

---

* ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٨٤ ـ ٨٧ (ساسى).

(١) أفحم : تبلد وأعيا، وأجبل الشاعر : صعب عليه قول الشعر وأرتج عليه .

(٢) أرفدك أعطيك

كان سَلَمةُ بنُ عيّاش ، وأبو سُفْيان بنُ العَلاء عند محمّد بن سُلَيْمان ، وجارِيَته بَرْبَر تغنّيهم وتَسقيهم ، فقال سَلَمة :

إلى اللهِ أشكُو ما أُلاقِى من القِلَى ... لأَهْلِى وما لاقَيْتُ من حُبِّ بَرْبَرِ
على حِينَ ودَّعْتُ الصَّبابة والصِّبا ... وفارقتُ إخوانى وشمّرتُ مِئْزَرِى
نَأَى جَعْفر عَنّا وكان لِمثلِهـا ... وأنتَ لنا فى النّائبات كجعفرِ

فقال محمّد بنُ سليمان لسَلَمة : خذها هى لك ، فاستحيا وارتَدَعَ ، وقال : لا أُريدها ، وأَلَحَّ عليه فى أَخْذِها . فقال : أعتِق ما أَمْلك إن أخذتَها .

فقال أبو سُفيان: يا سَخِين العين ، اِعتِق ما تَملك ! وخُذْهَا ، فهى خيرٌ من كلّ ما تَمْلكُ . فلمّا مات أبو سفيانَ رثاه سَلمةُ فقال :

لَعَمْرُكَ مـا تَعفُو كُلومُ مُصيبـةٍ ... على صاحبٍ إلّا فُجِعتُ بصاحبِ(١)
تَقَطَّـعُ أحشـائى إذاما ذَكرتُهم ... وتَنهَـلُ عَيْنِى بالدُّموع السَّواكِب
وكنتُ امرأً جَلْدًا عـلى ما يَنوبُنى ... ومعترِفاً بالصَّبر عنـد النَّوائِب(٢)
فهدَّ أبو سُفْيانَ رُكْـنِى ولم أكنْ ... جَزُوعاً ولا مُستنكِراً للمصـائبِ(٣)
غَنِينا معاً بِضْعا وخَمْسِينَ حِجَّةً ... خَلِيلَىْ صَفاءٍ وُدُّنا غيرُ كاذبِ
فأصبحتُ لمّـا حالتِ الأرضُ دُونَهُ ... على قُرْبه مِـنّى كأنْ لم أُصاحِب

---

(١) الـكلوم : الجروح .

(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى ا والأغانى : « عند المصائب » .

(٣) كذا فى ب ، ج ، وفى ا والأغانى : « للنوائب » .

سعيدُ بن وَهْب*

هو سعيدُ بنُ وَهْب ، وكنيتُه أبو عثمان ، مَوْلَى بنى سَامَةَ بن لؤىّ ، بَصْرىٌّ المولِد والمَنْشأ ، ثم صار إلى بَغْدادَ ، وأقام بها ، وكانت الكتابَةَ صنعتُه ، وتَصرَّف مع البَرامكة فاُصطَنَعُوه ، وتقدَّمَ عندهم .

وكان شاعراً مطبوعا ، ومات فى أيام المأمون ، وكان شعرُه فى الغزَل والشراب والتّشبيب بالذّكور ، وكان مشغوفا بالغِلْمان ، ثم نَسَك وتاب ، وحجّ راجلا على قَدَمِه ، ومات على توبةٍ وإقلاع ، ومذهبه جميل .

ومات وأبو العتاهية حىّ ورَثاه ، وكان صديقَه ، وكان له عشر بنين ، وعَشْرةُ بنات ، وكان أَخَذ ما قَدَر عليه مِن شعره ، نخرّقه وأحرقه ، وكان أمرأً صِدْقٍ ، كثير الصلاة ، يزكّى فى كلّ سنة عن جميع ما عندَه ، حتى إنّه ليُزكّى عن فضّةٍ كانت على أمرأته .

كان سعيدُ بنُ وَهْب يتعشّق غلاما يتشطّر(١) ، وكان يقال له : سعيد ، فبلغه عنه أنّه توعّده أن يجْرحه . فقال سعيدُ بنُ وَهْب :

مَنْ عَذيرِى مِن سَمِيِّى ! مَنْ عَذيرى مِن سعيدِ
أنا باللّحم أَجِئْهُ ويجئْنى بالحديدِ

نظر سعيدُ بنُ وَهْبٍ إلى قومٍ من كتّاب السلطان فى أحوالٍ جميلة ، فأنشأ يقول:

من كانَ فى الدّنيا له شارةٌ فنحن من نَظّارَةِ الدُّنْيَا
نَنْظرها من كَثَبٍ حَسْرةً كأننا لفظٌ بلا مَعْنَى
يَعْلُوبها النّاسُ وأيّامُنا تَذْهَبُ فى الأَرْذَلِ والأَدْنَى

---

* ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٦٩ ـ ٧٣ .

(١) يتشطر : يدعى الخلاعة .

قال عبدُ الله بنُ العلاء المُغَـنّي : نظر إلىّ سعيدُ بنُ وَهْبٍ ، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل ، حين أُخضرّ شاربى ، ومعه إسحاق الموصلىّ ، فسَلَّم علىّ إسحاق ، فأقبل عليه سعيدٌ ، وقال : مَنْ هذا الغلام ؟ فتبسَّم وقال : هذا أبنُ صديقنا ، فأقْبَـلَ علىّ وقال :

لا تَخْرُجَنّ مع الغَزِىّ لمَغْنَمٍ إنّ الغَزِىَّ يَراكَ أفضلَ مَغْنَمِ (١)
فى مِثلِ وجهِك يستحلُّ ذوو التُّقَى والدّين ، والعلماءُ كلَّ محرَّمِ
ما أنتَ إلّا غادَةٌ مَمْـكورةٌ لولا شَوارِبُك اللّطيفةُ بالفَمِ (٢)

مَرّ سعيد بنُ وهب والـكِسائىّ ، فلقِيَا غلاماً جميلَ الوجه، فاستحسَنه الـكِسائىّ وأراد أن يستمِيله بالنَّحو ، فلم يَمِـلْ إليه ، فأخذ سعيدُ بنُ وَهْب فى الشِّعر ، فمالَ إليه الغلام ، فبعث بهِ إلى منزله ، وبعث معه الـكسائىّ ، وقال : حدّثه وآنِسْه حتّى أجىء ، وتشاغل بحاجته ، فمضى به الـكسائىّ ، وما زال يُدارِيه حتى قضى حاجته منه ثم أنصرفَ ، وجاء سعيد فلَمْ يرَهُ فقال :

أبو حَسَن لا يَفِى فمَن ذا يَفِى بَعْدَهُ !
أثَرْتُ له شادناً فصايَدَهُ وَحْـدَهُ
وأظهر لى غَدْرَةً وأخلَفَ لى وَعْدَهُ (٣)
سـأطلُبُ ما ساءَهُ كما ساءنى جَهْـدَهُ

قال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصلىّ : كان لسعيد بنِ وَهْبٍ ولدٌ يُـكـنَى أبا الخطّاب ، من أكيَس الصِّبيان وأحسنِهم وَجْهاً وأدبا ، وكان لا يفارقه فى كلّ حال

---

(١) الغزى : الجماعة يغزون .
(٢) يقال : امرأة ممكورة الساقين ؛ إذا كانت ممتلئتهما .
(٣) فى الأغانى : « وأخلفنى » .

لِشدّة شَغَفه به ، ورأفَتِه عليه ، فمات وله عشرُ سِنين ، فجزِع جزَعاً شديداً، وانقطع عن لَذّاته . فدخلتُ عليه يوما لأُعاتبَه على ذلك ، وأَستعطِفَه ، فحين رآنى عَرَف ذلك فى وَجْهى ، ففاضت دموعُه وانتَحَب حتى رَحِمْتُه ، ثم أنشدَنِى له :

عَينُ جُودى على أبى الخطّابِ إذْ تولَّى غضًّا بماءِ الشبابِ
لم يُقارِفْ ذَنباً ولم يَبْلُغ الحِنْـ ـثَ مُرَجًّى مطهَّرَ الأثوابِ(١)
فقدتْه عَيْنى إذا ما سَعَى أَتْـ ـرابُه فى جَماعةِ الأَتْرابِ
وإذا ما رأيتُ كُتَّابَـه لَمْ أَرَ فيه رَيْحانةَ الكُتّابِ(٢)
إنْ غدَا مُوحِشاً لدارِى فقَدْ أصْـ ـبحَ أُنْسَ الثّرَى وزَيْنَ التّرابِ
أحمدُ اللهَ يا حبيبى فإنِّى بكَ راجٍ منه عظيمَ الثوابِ

ثم ناشدَنِى ألّا أذكُره بشىء مما جئتُ له ، فقمتُ ولم أخاطبْه بحرف .

كان سعيدُ بنُ وَهْب مَألَفةً لكلِّ غلام أمرَد ، فحدّث رجلٌ ممّن كان يعاشره ، قال : دخل إليه يوما غلامان أمرَدان ، فقالا له : قد تحاكمْنَا إليك ، أيُّنا أجملُ وجهاً ، وأحسَنُ جِسْماً ؟ وجعلْنا أجرَ حُكمِك أن تختار أيّنا حكمت له ، فتقضِىَ حاجتَك منه، فحكَم لأحدهما ، فقام وقَضَى حاجتَه منه ، واحتَبَسَهما عندَه ، وشرِبا ، ثم مالَ إلى الآخر أيضا ، وقمتُ معه فداخلتهما حتّى فعلتُ كفعْلِه .

فقال لى سعيد : هذا يومُ الغارات فى الحارات ، ثم قال :

رِئْمانِ جاءا تحكَّمانى لا حُكْمَ قاضٍ ولا أميرِ
هذا كشَمْسِ الضُّحى جمالا وذا كبَدْر الدُّجى المُنيرِ
وفضلُ هذا كذا على ذا فضلُ خَميسٍ على عشيرِ

---

(١) يقال : بلغ الغلام الحنث ؛ إذا بلغ الإدراك والبلوغ ، والحنث : الحلم أيضا .
(٢) لم يرد هذا البيت فى الأغانى .

قالا أَشِرْ بيننا بِرأْيٍ ... ونَجعل الفَضْلَ المُشِيرِ
تَبادَلَا ثمّ قتُ حَتّى ... أخذتُ فَضْلِى من الكَبير
وكان عَيْباً بأن أرانِى(١) ... أُمنَعُ حَظِّى من الصَّغير(٢)
فكان مِنّى ومن قرِينِى ... إليهما وَثْبةُ المُغِيرِ
فَمَن رأى حاكِماً كحُكْمِى ... أعظَمَ جوْرا بلا نَكِيرِ !

وشاعت الأبياتُ حتّى بَلغَت الرشيدَ ، فدعاه ، فاستنشَدَه ، فتلكّأ ، فقال له: أنشِدْ فلا بأسَ عليك ، فأنشَدَه ، فقال له : وَيْلَكَ ! اخترتَ الكبيرَ سِنًّا أو قَدْرا ؟ فقال : بل الكبيرَ قَدْراً . قال: لو قلت غير هذا لسقطتَ عندى واستخففتُ بك ، ووَصَله ، وصَرَفه .

دخل سعيدُ بنُ وَهْبٍ على الفضل بنِ يَحْيَى فى يومٍ قد جلس فيه للشّعراء ، فجعلوا يُنشِدونه ، ويأمُرلهم بالجوائز حتّى لم يَبْقَ منهم أحد ، ثم التفت إلى سعيد بن وَهْب كالمستنطِق ، فقال له:

أيّها الوزير ، إنّى ما كنتُ استعددتُ لهذه الحال،ولا تقدَّمَتْ لها عندى مقدِّمة، فأعرفهَا ، ولكن قد حضرَنى بَيْتان ، أرجو أن يَنوُبا عن قصيدة ، فقال : هاتِهما فرُبَّ قليلٍ يكون أبلغَ من كثير ، فقال سعيد :

مَدَحَ الفضلُ نفسَه بالفِعالِ ... فَعَلَا عن مَديحنا بالمقالِ
أمَرُونى بمَدْحِه قلتُ كَلَّا ... كَبُرَ الفضْل عن مَديح الرِّجالِ

فَطِرب الفضْل، وقال: أحسنتَ وأجدْتَ، ولئن قَلَّ القوْل،فنَزر لقد اتّسع المعنى ، وكَثُر ، وأمر له بمِثل ما أعطى كلَّ من أنشَده مديحا يومئذ ، وقال: لاخيرَ فيما يجىء بعدَ بَيْتَيْك ، ثم قام من المجلس وخرج النّاسُ يوْمئذ لا يَتناشَدُون غيرَ البيتين .

---

(١) كذا فى ب ، ج ، والأغانى ، وفى ا : « عبثا » .
(٢) فى الأغانى : « أحرم حظى » .

قال الفضلُ بنُ الرَّبيع : عرّفتْنا أيّامُ البَليّة مَن كنّا نَجْهَلُه من الناس ، وذلك أنا احتجْنا أن نُودِع أموالَنا وكانت كثيرةً مُفْرِطة ، فكنّا نُلقيها على الناس إلقاءً، ونُودِعها الثّقةَ وغيرَ الثقة . وكان ممّن أودَعْناه سعيدَ بنَ وَهْب ، وكان رجلا صُعْلوكا(١) لا مالَ له ، وإنّما صَحِبَنا على البَطالة والضّحك(٢) فظننتُ أنّ ما أودِعه ذاهبٌ ثم طلبتُه منه بعدَ حين ، فجاءنى به بخواتِمِه ، وأودَعْتُ عليَّ بنَ الهَيْثم ، وكان كاتِبَنا جُملةً عظيمة ، وكان عندى أَوْثَق مَنْ أودَعْتُه ، فلمّا أَمِنْتُ طالبتُه بالوَديعة ، فجَحَدنى وبهَتَنى ، وحلَفَ على ذلك، فصار عندى سعيدٌ فى السّماء، وبلغتُ به كلَّ مَبْلَغ ، وسقَطَ عليُّ بنُ الهَيْثم ، فلم يَصِلْ إليَّ ولا تلقّانى .

وكان لسعيدِ بنِ وهب خادم يُجنُّ به جُنونا مِن عِشْقه له ، فغضِبَ عليه يوما لشىء أنكرَهمنه، فأمَر به فبُطِح ، وكُشِفت أستُه ، وأخذ القِرعةَ وقام ليَضرِبَه ، ثم قال : إنما غرّتْك منّى أستُك هذه ، حتى اجترأتَ عليّ ، وسأُرِيك هوانَها عليَّ !

فقال الخادم : طالما غرّتْك هذه الأستُ حتى اجترأتَ على ربِّك بما اجترأتَ عليه من أجْلها ! وسترَى هوانك عليه إذا لاقيتَه :

قال سعيد : فورَدَ عليَّ من جوابِه ما حيّرنى حتّى سَقَطت القِرْعَةُ من يدِى ، وكففتُ عنه .

قال عمرو بن بانة : كان فى جِوارى رجلٌ من البَرامكة ، وكانت له جارية شاعرةٌ ظريفة أديبة ، يقال لها حَسْناء ، يَدْخُل إليها الشعراء ويسألونها عن المعانى فتأتى بكلّ مُسْتَحسَن من الجواب . فدخل إليها سعيدُ بنُ وَهْبٍ يوما ، وجلس إليها فحادثَها طويلا ، ثم قال لها بعد ذلك :

---

(١) الصعلوك : الفقير .

(٢) ساقطة من الأغانى .

حاجيتُك يا حسنـــاَ ءُ فى جنسٍ من الشّعرِ
وفيها طوله شـــبرٌ وقد يوفِى على الشّبْرِ
له فى رأســه شقٌّ نَطُوفٌ بالنَّدَى يَجرِى
إذا مــا جَفّ لم يَجْرِ لَدَى بَرٍّ ولا بَحْر
وإن بُلَّ أتَى بالعــ جَبِ المعجِبِ والسِّحْرِ
أجيبى لم أُرِدْ فُحْشا ورَبِّ الشَّفْع والوَتْرِ
ولـكنْ صُغْتُ أبياتا لها حَظٌّ من الزَّجرِ

يريد القلم ، فقالت له : عند أُمِّك من خَبَر هذا المسئولِ عنه عجائب فاُسألْها عنه تُخْـبِرْك .

السُّلَيْك بن السُّلَكة*

هو السُّلَيْك بنُ عَمرو ـ وقيل : عُمَيْر بن يَثْرِبِيّ ـ أحدُ بنى مُقاعِس ، وهو الحارث بنُ عَمرو بنِ كعب بنِ سعد بنِ زَيْد مَناة بنِ تميم. والسُّلَكة أُمُّه وهى أَمَةٌ سَوْدَاء ، وهو أحدُ صَعاليك العَرَب العدائين من الّذين كانوا لم يُلْحَقوا ، ولا تتعلّق بهمُ الخَيْل إذا عدَوْا ، وهم السُّلَيك بنُ السُّلَكة ، والشَّنْفَرَى ، وتأبَّط شَرًّا ، وعَمْرو ابن بَرّاق ، ونُفَيْل بنُ بُراقة ، وغيرهم .

وكان السُّلَيك إذا كان الشتاء ، استوْدَع بيْض النَّعام ماءَ السّماء ثم دَفَنه ، فإذا كان الصّيف ، وانقطعتْ إغارة الخيل أغَار ، وكان أَدَلَّ من قَطاة ، فيجىء فيقف على البَيْضة ، وكان لا يُغير على مُضَر ، وإنّما يُغير على اليَمَن ، فإذا لم يتيسّر له ذلك أَغارَ على رَبيعة .

وكان من أشدِّ رجال العرب ، وأشعرِهم ، وأنكَرِهم ، وكانت العرب تدعوه : سُلَيْك المَقانِب(١) . وكان أدَلَّ الناس بالأَرْض وأعلمَهم بمَسالِكها ، وكان يقول : اللهمّ إنّك تهيّىء ما شئتَ لمن شِئْت ، اللَّهمّ إنّى لو كنتُ ضعيفا كنتُ عبدا ، ولو كنتُ امرأةً كنتُ أمَةً ، اللهمّ إنّى أعوذ بك من الخَيْبَة ، فأمّا الهيبة فلا هَيْبة ، وكان قد أَمْلَق حتّى لم يَبْق له شىء . فخرج على رجليه رجاءَ أن يصيب غِرّةً من بعض من يَمُرّ به ، فيذهب بإبله حتّى أَمْسَى فى ليلة من ليالى الشّتاء ، باردةٍ مُقْمِرة ، فاشتَمَل الصَّمّاء ثم نام ـ واشتِمال الصّمّاء أن يرُدَّ فَضْلَ ثوبِه على عَضُدِه الأَيْمَن ، ثم ينام عليها ـ فبينا هو نائمٌ إذْ جَثَم عليه رجلٌ ، فقعد على جَنْبِه وقال له : اِستأسِرْ ، فرفَعَ السُّلَيْك رأسَه ، وقال : اللّيلُ طَويلٌ وأنت مُقْمِر ؛ فأَرسلَها مَثَلاً .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٨ : ١٣٣ ـ ١٣٩ (ساسى) .

(١) المقانب : جمع مقنب ؛ وهى جماعة من الخيل تجتمع للغارة .

فجعل الرجل يُلهِّزُه (١) ويقول : ياخبيث، اِستأْسِر، فلمّا آذاه ذلك أخرج السُّليكُ يَدَه ، فضمّ الرجلَ إليه ضَمّةً ضرَطَ منها ، وهو فوقَه، فقال له: أَضَرِطاً وأنتَ الأَعْلى ! فأرسَلَها مَثَلاً .

ثم قال له السُّلَيك : مَن أنت ؟ فقال له : أنا رجل افتقرتُ فقلتُ : لأخرجنّ فلا أرجعُ إلى أهلى حتّى أستغنِيَ ، فاصطَحَبا حتّى أتيا الجَرْف ؛ جرفَ مُراد، فلمّا أشرفَا عليه إذا فيه نَعَمٌ قد ملأَتْ كلَّ شيء من كثرتِها ، فخافوا أن يُغيروا فيطرُدوا بعضَها ، فيلحَقهم الطّلَب .

فقال له السُّلَيك : كن قريبا منِّى حتى آتِيَ الرِّعاء ، فأَعلَم لكم عِلْمَ الحىّ ، أقريبٌ أم بعيد ؟ فإن كانوا قريبا رجعتُ إليك ، وإن كانوا بعيدا قلتُ لكمْ قولا أُومِئ لكمْ به فأَغيروا ، فانطلَق حتّى أَتَى الرِّعاء فلَم يَستنطِقهُمْ حتى أَخبَروه بمكانِ الحىِّ فإذا هو بعيد ، إنْ طُلِبوا لم يُدرَكوا

فقال السُّلَيْك للرِّعاء : ألَا أغنّيكم ؟ قالوا : بلى ، فرفع عَقِيرتَه وغَنّى :

يا صاحبيَّ أَلاَ لا حَىَّ بالوادِى ... سِوَى عَبِيدٍ وآمٍ بينَ أَذْوادِ (٢)

أَتنظرانِ قليلا رَيْثَ غَفْلَتِهمْ ... أم تَغْدُوانِ فإنّ الرِّبْح للغادِى

فلمّا سمعا ذلك أتيَا السُّلَيْك ، فطردوا الإبلَ فذهبوا بها ، ولم يَبلُغ الصَّريخُ الحى حتّى فاتُوهمْ بالإبل .

كان جيشٌ لبكر بنِ وائل قد أرادوا الإغارةَ على بنى تَميم ، من غير أن يُعلَم بهم ، فقالوا : إنْ عَلِم بنا السُّلَيك أنذرَ قومَه ، فبعثوا إليه فارسَين على جوادَيْن ،

---

(١) يلهزه : يلكزه ويضربه .

(٢) يقال : فلان ماله آم وعام ؛ أى هلكت امرأته وماشيته . والأذواد : جمع ذود . ؛ وهم ثلاثة أبعرة إلى العشرة .

فلمّا هاَيجاَه خرج يُحضِر (١) كأنه ظَبْي ، وطاردَاه سحابةَ يومهم . قالوا : إذا كان الليل أَعيا وسقَط ، أو قَصَّر عن العَدْو ، فنأخذه . فلمّا أصبحوا وَجَدُوا أَثره ، قد عَثَر بأصلِ شجرةٍ فانتزَعها ، وندَرَتْ (٢) قوسُه فانحطمتْ فوَجَدا قِصْدةً (٣) منها قد ارتزنتْ (٤) بالأرض ، فقالا : ما لَه ؟ أخزاه الله ! ما أشدّه ! فهمّا بالرّجوع ، ثم قالا : لعلّ هذا من أوّل الليل ثم فَتَر ، فتبعاه ، فإذا أَثَرُه ، قد بال فى الأرض فزَعاً منهما وَحَدَها ، فقالا : ما له ؟ قاتلَه الله ! ما أشدّ مُنَّته (٥) ! والله لا نتبعه أبدا ، فانصرَفا ، وتَمّ إلى قومه فأنذرَهم ، فكذَّبوه ، فأنشأ يقول :

يكذّبنى العَمْران عَمْرُو بنُ جُنْدُبٍ ... وعمرُ بنُ سَعدٍ والمكذِّبُ أكذَبُ
ثَكِلْتُهما إن لم أكن قد رأيتُها ... كراديسَ يُهدِيها إلى الحىِّ موكِبُ (٦)
كراديسَ فيها الحَوْفَزان وقومُه ... فوارسُ هَمّام متى يَدْعُ يرْكبوا (٧)
تفاقَدْتم هل أنكِرَنّ مُغِيرةً ... مع الصُّبح يَهديهنّ أشقرُ مُغْرِبُ (٨)

أغار السُّلَيك على بنى عُوَّارة ، بطنٌ من بنى مالِك بن صَعْصَعة (٩) ، فلم يَظفر منهم بشىء ، وأرادوا مُثاوَرَته (١٠) فقال لهم شيخ : إنّه إذا عدا لم تتعلّق به الخيل ، فدعُوه

---

(١) يحضر : يعدو .

(٢) ندرت قوسه : سقطت .

(٣) القصدة : القطعة .

(٤) كذا فى الأصول ، وارتزنت : سقطت . وفى الأغانى : « ارتزت » ، أى أثبتت .

(٥) المنة : القوة .

(٦) الكراديس : جماعة الخيل .

(٧) فى الأغانى : « يعنى الحوفزان بن شريك الشيبانى » .

(٨) تفاقدتم : يدعو عليهم بالتفاقد . ومغيرة : أى خيلا مغيرة . يهديهن : يقدمهن . والمغرب : المرتفع الجرىء .

(٩) فى الأغانى : « ضبيعة » .

(١٠) المثاورة : المواثبة . وفى الأغانى : « مساورته » ؛ وهو بمعناه .

حتى يَرِدَ الماءَ ، فإذا شَرِب وثَقُل لم يَستطع العَدْو ، وظفرتُم به ؛ فأمهَلوه حتّى وَرَدَ الماءَ وشَرِب ، ثم بادَروه ، فلمّا رأى أنّه مأخوذ جامَلَهم، وقصد لأدنَى بيوتِهم حتّى وَلَج على امرأةٍ منهم ، يقال لها : فُكَيْهة ، فاستجار بها ، فمنعتْه ، وجعلته تحتَ دِرعها ، واخترطَتِ(١) السّيف ، وقامت دونه فكاثَرُوها، وكشفتْ خِمارها ، عن شَعرِها ، وصاحتْ بإخوَتِها ، فدفَعوا عنه حتّى تحامَى القتْل .

فقال السُّلَيك فى ذلك :

لعَمْرُ أبيكَ والأنباءُ تَنْمِي ... لنِعمَ الجارُ أختُ بَنِى عُوَارِ
مِن الخفِراتِ لم تفضَح أخاها ... ولم ترفع لوالدِها الشَّنارا(٢)
كأنّ مَجامعَ الأَرْدافِ منها ... نَقًا دَرَجَتْ عليه الرِّيح هارَا(٣)
يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذْل قَلْبي ... ويَتّبِع المُمنَّعةَ النَّوارَا(٤)
وما عجزتْ فُكَيْهةُ يومَ قامتْ ... بنَصْلِ السَّيْف واستَلبُوا الخِمارا

كان السُّليكُ أخَذ رجلا من بنى كِنانة بنِ تيم بنِ أُسامةَ بنِ مالك بنِ بكر ابن حبيب بنِ عمرو بنِ عثمانَ بنِ تَغْلِب يقال له : النُّعمان بن عُقْفان(٥) ، ثم أطلقَه وقال :

سمِعتُ بجَمْعِهمْ فرضَخْتُ فيهمْ ... بنُعمانَ بنِ عُقْفانَ بنِ عَمْرِو
فإنْ يَكفُرْ فإنّى لا أُبالِي ... وإنْ يَشكُرْ فإنّى لستُ أَدرِى

ثم قَدِم بعد ذلك على بنى كِنانة ، وهو شيخٌ كبير ، وهمْ بماءٍ لهم يقال له :

---

(١) اخترطت السيف : سلته .
(٢) الشنار : أقبح العيب ، وفى الأغانى :

* ولم ترفعْ لإخوتها شنارا *

(٣) النقا من الرمل : القطعة تنقاد محدودبة . وهار : ضعف وسقط .
(٤) النوار : النفور من الريبة .
(٥) فى الأغانى : « عقبان » .

قُباقِب[1] ، خلف البِشْر ، فأتاه نعمان بابْنَيْه : الحكَم وعثمانَ ، وهما سيّدا بنى كِنانة ، ونائلة ابنته ، فقال : هذان وهذه لك ، وما أملك غيرَهم . فقالوا : صدق . قال : قد شكَرْتُ لك ، وقد ردَدْتُهُم عليك ، فجمعتْ له بنو كِنانة إبلا عظيمةً ودَفَعُوها إليه ، ثم قالوا له : إنْ رأيتَ أن تُرِينا بعضَ ما بَقِيَ من إحْضارِك . فقال : نعم ، ابغُونى أربعين شابًّا ، وابغُونى دِرْعا ثقيلة ، فأتَوْه بذلك ، فلَبِسَ الدِّرعَ وقال للشبّانِ : الحَقُوا بى إنْ شئتم ، ثم عَدَا ، فلاثَ العَدْوَ لَوْثا ، وعدَوْا بجَنْبَيه فلم يَلْحَقوه إلّا قليلا ، ثم غاب وكَرَّ راجعا حتّى عاد على القوم وهو يُحضِر ، والدِّرع فى عُنقه تَضطَرِب كأنّها خِرْقةٌ من شِدّة إحضاره .

وكان السُّلَيْك يُعطِى عبدَ الملك بن مُوَيْلِك الخَثْعَمِىَّ إتاوَةً من غنائمه ، على أن يُجيرَه ، فيتجاوَز بلادَ خَثْعَم إلى من وراءهم من أهل اليمن فيُغير عليهم .

وكان من مقتل السُّلَيْك أنه لقى رجلًا من خثعم فى أرضٍ يقال لها فجِيّة بين أرضِ عَقِيل وسعدِ تميم ، وكان يقال للرجل : مالك بنُ عُمَيْر بن أبى ذِراع بن جُشَم ابن عوف ، فأخذه ومعه امرأة له من خَفاجةَ ، يقال لها : النَّوار . فقال الخَثْعَمِىّ : أنا أَفدِى نفسِى منك . فقال له السُّلَيْك : ذلِكَ لك على ألا تَخِيسَ بى[2] ، ولا يَطَّلع علىَّ أحدٌ من خَثْعَم ، فحالَفَه على ذلك ، ورجع إلى قومه وخلف امرأتَه رهينةً معه ، فنا كَها السُّلَيْك ، وجعلَتْ تقول له : احذَرْ خَثْعَم فإنِّى أخافهم عليك ، فأنشأَ يقول :

تُحذِّرنى كى أَحذَرَ العامَ خَثْعَماً ... وقد علمتْ أنّى امرؤٌ غيرُ مُسلِمِ
وما خَثْعَمٌ إلّا لِئامٌ أذلّةٌ ... إلى الذُّلِّ والإسْحاقِ تَنْمى وتَنْتَمى

---

(١) قباقب : ماء لبنى تغلب بأرض الجزيرة ، والبشر : جبل بالجزيرة .

(٢) لا تخيس بى : لا تغدر .

وبلغ ذلك شِبلَ[1] بنَ قِلادة ، وأَنَسَ بن مُدْرِك الخثعمىّ نخالفا[2] إلى السُّلَيك ، فلَم يَشعُر إلّا وقد طوّقاه فى الخَيْل ، فأنشأ يقول :

يارُبّ نَهْبٍ قد حويتُ عُثْكُولْ ... ورُبَّ قِرنٍ قد تركتُ مجْدُولْ

ورُبَّ زَوْجٍ قد نكحْت عُطْبولْ ... ورُبَّ عانٍ قدفككْتُ مكْبولْ

* ورُبَّ وادٍ قد قَطعتُ مَسْبولْ *

فقال أَنَس لِشبْل : إن شئتَ كفيتُك القومَ ، وأكفِنى الرَّجُلَ ، وإن شئتَ أكفِنِى القومَ وأكفيك الرَّجُلَ . فقال : بل أكفيكَ القومَ ، فشَدَّ أنسٌ على السُّلَيك فقتلَه ، وقتل شِبل أصحابَه ومَن كان معه .

وكاد الشَّرّ يتفاقَم بين أَنَس وعبدِ المَلِك بن مُوَيْلِك ، لأنّه كان أجاره حتّى وَدَاه أَنَس لمّا خاف أن يَخرُجَ الأمرُ من يَدِه .

وقيل : إنّ أَنساً قال : واللهِ لا دِيَةَ ولا كرامةَ ؛ ولو طَلَب فى دِيَتِه عِقالا ما أعطيتُه ، وقال فى ذلك :

إنّى وقَتْلِى سُلَيْكا ثم أَعقِلُه ... كالثَّوْرِ يُضرَب لمّا عافَتِ البَقَرُ

عجِبتُ للمَرءِ أنْ نِيكَتْ حَليلَتُه ... وأن يُشَدَّ على وَجْعائِها الثَّفَرُ[3]

إنّى لتارِكُ هاماتٍ بمَجْزَرةٍ ... لا يَزدَهِينِى سَوادُ اللّيلِ والقمرُ

أَغشَى الحروبَ وسِرْبالى مُضاعَفةٌ ... تغشى البنان وسَيْفى صارِمٌ ذَكَرُ

كان إبراهيمُ بنُ سعدانَ يؤدِّب ولدَ علىِّ بنِ هِشام ، وكان يُغَنِّى بالعُود تأدُّبا ولَعِبا . قال : فوجَّه إلىّ يوما علىُّ بنُ هشام يَدْعونى ، فدخلتُ ؛ فإذا بين يديه

---

(١) فى الأغانى : « شبيل » .

(٢) خالفا إلى السليك : سارا إليه .

(٣) الوجعاء : الدبر : والثفر ، بالتحريك : السير فى مؤخر السرج .

امرأةٌ مكشوفةُ الرّأس تلاعِبُه بالنَّردْ ، فرجعتُ عَجِلًا ، فصاح بي : أدخُـل ، فدخلتُ فإذا بين يديْهما نَبيذٌ يَشْرَبانه ، فقال : خذْ عُودا وغَنِّ لنا ، ففعلتُ ، وغنّيتُ في وَسَط غِنائي :

مِن الخَفِرات لم تَفْضَحْ أَباها ولم تَرفَع لإخْوَتِها شَنارًا

فوثَبَتِ المرأةُ مِن بين يَدَيْه ، وغَطّت رأسَها وقالت : أُشْهِدُ اللهَ أني تائبةٌ إليه ، ولا أفضَح أَبي ، ولا أَرفَع لإخْوَتي شَنارا .

فتغيّر وَجْهُ عليِّ بنِ هشام ، ولَم يَنطِق ، وخرجتُ من حضرتِه ، فقال لي : وَيْلَك ! مِن أين صَبَّك اللهُ عليّ ! هذه مغنّية بغدادَ ، ولي في طلبها سَنَةٌ لم أَقْدِرْ عليها إلّا اليوم ؛ فجئتَني بهذا الصّوت حتى هَرَبَتْ .

فقلت : واللهِ يا أخي ما اعتمَدْتُ مساءَتَك ؛ ولكنّه شيءٌ حضر على غيرِ تعمُّدٍ منّي لذلك .

السَّمْهَرِىّ*

هو السَّمْهَرِىّ بنُ بِشر بن أَوْس[1] بن مالك بنِ الحارث بنِ أَوْس[1] العُكْلِىّ، وكنيته أبو الدَّيْلَم[2] ، لقىَ هو وبَهْدَل ومَرْوان أُبنا قِرْفة الطائيّان - وقِرْفة أمُّهما ، وأبوهما جَيّان الطائىّ - لَقُوا عَوْن بنَ جَعْدَة بن هُبيرة بن أبى وَهْب ابن عَمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بنِ كعب بن لؤىّ بن غالب ، [3]ومع عون بنِ جَعْدَة خالُه أحد بنى حارثةَ بن لام بن طيّء بالثعلبية[3] وهو يريد الحجّ من الكوفة فى خلافة عبدِ الملك بنِ مَرْوان ، أو هو يريد المدينة ، فقالوا له : العُراضَة[4] ، أى مُرْ لنا بشىء . فقال : يا غلام ، جَفِّن[5] لهم . فقالوا : لا والله ما الطّعامَ نُرِيد ، فقال : عَرِّضْهم . فقالوا : ولا ذلك نُرِيد .

فأُرتاب بهم ، وعَلِم أنّهم لُصوص ، فأخَذَ السَّيْفَ فشَدَّ عليهم وهو صائم ، وكان بَهْدَل لا يَسْقُط سهمُه ، فرمَى عَوْناً فأَقْصَدَه ، فلمّا قتلوه لم يَرَوْا ما كانوا يظنّون ، فلمّا رأَوْا ذلك نَدِموا ، فهرَبوا ولم يأخذوا إبلَه فتفرّقتْ .

فنجا خالُه الطائىُّ إمّا عَرَفوه فكَفُّوا عن قتلِه وإمّا هَرَب ولم يَعرِفْه القَتَلَة ، فوَجَد بعضَ الإبل فى يدِ شافع بن واتر الأَسَدِىّ .

---

* ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٥١ - ٥٩ .

(١) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « ابن قيس » .

(٢) فى الأغانى : « أبو الديل » .

(٣-٣) كذا وردت العبارة فى الأغانى ؛ وهى فى الأصول غير واضحة .

(٤) العراضة ، بضم العين : ما يعرضه المائر ؛ أى يطعم من الميرة .

(٥) جفن لهم ، أى أطعمهم اللحم فى الجفان .

وبلغ عبدَ الملك بن مروانَ الخبر ، فكَتَب إلى الحجّاج بنِ يوسفَ الثّقفىّ وهو عامله على العِراق ، وإلى هشام بن إسماعيل بالمدينة ، وإلى عامله باليمامة ، أن يبالغوا فى طَلَب قَتَلَةِ عَوْن ، وأن يَجعَلوا لمن دَلَّ عليهم جَعالَةً[1] .

وأقام السَّمْهَرِىُّ ببلاد غَطَفان ما شاء الله عزّ وجلّ ، ثم مرّ بنَخْلٍ فقالت عجوز من بنى فَزارة : أظنّ والله هذا العُكْلىّ الّذى قتَل عَوْنا ! فوثبوا إليه فأخذُوه . ومرّ أيُّوب بن سَلَمة المخزومىُّ بهم ، فقالت له فَزارة : هذا العُكْلىُّ الّذى قتل عَوْناً ابن عمِّك ، فأخَذَه منهم .

فأَتَى به هشامَ بنَ إسماعيلَ المخزومىّ ، عامل عبد الملك على المدينة ، فجَحَد ولم يُقِرّ ، فحبسه ، وألَحُّوا على بَهْدَل بالطَّلَب ، وضَيَّقوا على السَّمْهَرِىّ فى السِّجن والقُيود بالمدينة ، فأيقَنَ السَّمْهَرِىُّ أنّه غيرُ ناجٍ ، فجعل يلتمس الخروجَ من السِّجن.

فلمّا كان يومَ جُمُعة والإمام يَخطب ، وقد شُغِل الناسُ بالصّلاة ، كَسَرَ[2] إحدى حَلْقَتَىِ القيْد ، ثم رَمَى بنفسه من فوق السِّجن ، والناس فى صلاتهم ، فقصَد الحرّة ، فولَج غاراً فى الحرّة ، وانصرَف الإمام من الصّلاة ، فجَمَعَ عامّةَ أهلِ المدينة ، وقال لهم : اتَّبِعوه ، فقالوا : كيف نتَّبعه وحْدَنا ؟ فقال لهم : أنتم ألْفَا رَجُل ، فكيف تكونون وحدَكم ؟ فقالوا : أرسِلْ معنا الأُبُلِّيِّين[3] وهم حَرَسٌ وأعوانٌ من الأُبُلَّة .

ولمّا أَمْسَى السَّمْهَرِىّ كَسَر الحَلْقَةَ الأخرى ، وأَصبَح وقد قطع أرضاً بعيدة ؛ فبينا هو يَمشِى إذ نَعَب[4] غرابٌ عن شِماله ، فنظر فإذا هو بالغُراب على شَجرةٍ

(١) الجعالة هنا : الأجر الذى يأخذه الإنسان على فعل الشىء .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « فك » .

(٣) الأبليون ، نسبة إلى الأبلة ؛ موضع بالبصرة ؛ وكان من متنزهات الدنيا الأربعة .

(٤) نعب الغراب : صوت .

بانٍ[١] يُنَشْنِشُ[٢] رِيشَه ويُلقِيه ، فاُعتاف[٣] شيئًا فى نفسِه ومضى وفيها ما فيها ، فإذا هو قد لَقِىَ راعياً فى وجهِه ذلك ، فسأله مَن أنتَ ؟ فقال : رجلٌ من لِهْبٍ ، انتجَعَ أهلى[٤] ، فقصَّ عليه حالَه ، وخبرَ الغُراب والشَّجَرة .

فقال اللِّهبىّ : هذا الّذى فَعل ما فعل ، ورأى الغرابَ على البَانَة يَطْرَح ريشه سَيُصْلَب .

فقال السَّمْهَرِىّ : بفِيك الحجَر ! فقال اللِّهبىّ : بفِيكَ أنتَ الحجَر ! اِستخبرتنى فأخبرتُك ، ثم تَغْضَب ! فمضى حتى أتى أرضَ بنى عُذْرَة بن سعد يستجيرُ من قومٍ إلى قومٍ متنكِّراً ، ويَسْتَحْلِب الرُّعيانَ اللَّبن ، فيَحْلِبون له .

ولقيَه عبدُ الله الأَحْدَب بن بَغِيض السَّعْدى ، أحدُ بنى مخزوم بن عبدِ شمس ، وكان أشدَّ منه وألَصّ ، فجَنَى جنايةً ، فطُلِب ، فترَك بلادَ بنى تميم ، ولَحِق بلادَ بنى قُضاعة ، وهو على نَجيب[٥] لا تُسايَر .

فبينا السَّمهرىُّ يماشى راعيا لبنى عُذْرة ويحدِّثه عن خيارِ إبلهم ، وإنما يستدلّه[٦] عن أَنْجاهُنّ ليرْكَبها ، فيهرُبَ بها ليْلًا ويرافقَ الأَحْدب[٧] ؛ فأشار إلى ناقة . فقال السّمهرىّ : هـذه خيرٌ من الّتى تفضّلها ، هذه لا تُجارَى ، فتحَيَّن الغَفْلة حتى غَفل ، فوثَب عليها وصاح بها ، فخرجتْ تطيرُ به ، وذلك فى آخر الليل .

---

(١) البان : شجر لحب ثمره دهن طيب .
(٢) نشنش الطائر ريشه بمنقاره : أهوى له إهواء خفيفا فنتف منه وطيره .
(٣) اعتاف : تكهن وتطير .
(٤) انتجع أهلى : ذهبوا فى طلب الكلأ .
(٥) كذا فى ب ، ج ، وفى ا : « نجيبة لاتساير » .
(٦) فى الأغانى : « يسأله » .
(٧) فى الأغانى : « لئلا يفارق الأحدب » .

فلمّا أصبحوا فقدوا الأحْدَب ، فطلبوه فى الأثَر ، وخرجا حتى استقبلتْهما سعة ، وهى أوسع من الطريق ، فظنَّا أن الطريق فيهما ، فسارا مليًّا ، فلمّا عرفا أنهما حائدان ، والتفّت الجبالُ أمامهما ، ووجد الطّلبُ أثر بعيريْهما ، ورأوْه قد سلك النقْب فى غير الطريق . عرفوا أنّهما يرجعان ، فقعد لهما الطّلب بفم النقْب .

ثم كرَّا راجعيْن ، وجاءت النّاقةُ على رأسها مثل الكوْكب من لُغامها[1] ، وأبصرا القومَ ، فهمّ أن يعقِر ناقتهم ، فقال له الأحدب : ماهذا جزاؤُها ؟ فنزل ونزل الأحدب . فقاتلهما القومُ حتّى كادوا يغشوْن السَّمْهرِيّ ، فهتف بالأحْدب فطرد عنه القومَ حتى توقّلا[2] فى الجبل . وقال الأحدب فى ذلك :

ولمّا دعانى السَّمْهرِىُّ أجبْتُهُ   بأبيضَ من ماء الحديدِ صقيلِ
وما كنتُ ما اشتددّت على السيف قبْضتى
لأُسْلِمَ من حُبِّ الحياةِ زميلى

ورجع إلى صحراء منْدِج ـ وهى إلى جنب أُضاخ ، والحِلّة قريبٌ منها ، وفيها منازل عُكْل ـ فكان يتردّد ولا يقرُب الحِلّة ، وقد كان أكثر الجُعْلَ فيه .

فمرّ بابْنَىْ حبيب من بنى أَسَد ، ثم من بنى فقْعَس ، فقال . أجيرًا متنكّرا ، فحلبا له فشرب ، ومضى ولا يعرِفانه ، ثم لبث السَّمْهرِىُّ ساعة وكرَّ راجعا ، فتحدّث إلى أخت ابنى فائد ، فوجداه منبطحا على وجهه يحدّثها ، فنظر أحدهما إلى ساقه ومكدَّحة ، وإذا كُدُوحٌ[3] طرِيّة ، فأخبرَ أخاه بذلك ، فنظر فرأى ما أخبرَه به أخوه .

---

(١) اللغام : الزبد الذى يخرج من فم الجمل أو الناقة .

(٢) توقل فى الجبل ؛ إذا علاه .

(٣) الكدوح : جمع كدح ؛ وهو الخدش .

فقال أحدُها : هذا واللهِ السَّمْهَرِىّ ، وقد جَعل فيه ما جَعل ، فوثبا عليه ، فقعد أحدُهما على ظَهْرِه ، وأخَذَ الآخر برِجْلِه ، فوَثَب السمهرىُّ فألقَى الّذى على ظهره تحتَ إبطه ، وعاجَلَ الآخَر فجعل رأسَه أيضا تحتَ إبطه ، وجَعلَ الرَّجُلان يعالجانه ؛ فناديَا أُختَهما أن تعينَهما ، فقالت : ولى الشِّرْكُ فى جُعْلِكما ، قالا : نعم ، فجاءت بجريرٍ (١) فجعلَتْه فى حَلْقِه بأُنْشُوطة (٢) ، ثم جذبتْه حتى ذبحتْه وهو مشغول بالرَّجُلين يَمنَعُهما فلمّا استحكمتْ العُقْدة خَلَّى عنهما ، وشدَّ أحدَهما وجاء بحَبْل ، فألْقاه فى رِجْله وهو يُداوِر الآخر ، والأخرى تَخنُقه ، فخرَّ لوَجْهه ، فربَطاه وانطلقَا به إلى عمرو بن حيّان المُرىّ أمير المدينة ، وأخذا ماجُعِل لأخذه . فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن أدفعه إلى ابن أخى عَوْن. فقال له السَّمهرىّ : أتقتلُنى وأنتَ لا تَدْرِى أقاتلُ عَمِّكَ أنا أم لا ؟ ادنُ أُخبِرْكَ ، فأراد الدنوَّ منه ، فنُودِىَ : إيّاكَ والكَلْبَ ، وإنما أراد أن يَقْطَع أنفَه فقتَله .

ومما قال السَّمهرِىُّ فى الحبْسِ :

أَلا حَىِّ لَيْلَى إذْ أَلَمَّ لِمامُها ... وكان مع القومِ الأعادى كَلامُهَا
تَعَلَّلْ بلَيْلَى إنّما أنتَ هامَةٌ ... من الغَدِ يَدْنُو كلَّ يومٍ حِمامُهَا
وبادِرْ بلَيْلَى أوْجُه الرَّكْبِ إنَّهُمْ ... مَتى رَجَعوا يَحرُمْ عليكَ لِمامُها (٣)
وكيف تُرَجِّيها وقد حِيلَ دونَها ... وأَقْسَمَ أقوامٌ مَخوفٌ قَسامُها !
لأَجْتَنِبَنْها أو لَيَبْتَدِرُونَنِى ... بِبيضٍ عليها الأثْر فعْمٌ كلامُها (٤)

(١) الجرير : الحبل .
(٢) الأنشوطة : العقدة .
(٣) الأغانى : « كلامها » .
(٤) فعم : طيب ، وأثر السيف : جوهره ورونقه .

لقد طرقتْ ليلى وَرِجْلِى رَهينةٌ ... فما راعنى فى السِّجن إلّا سَلامُها
فلمّا ارتفعَتْ للخَيالِ الّذى سَرَى[1] ... إذا الأرضُ قَفْرٌ قد عَلاها قَتامُهَا
فإن لا تكنْ ليلى طوَتْكَ فإنّهُ ... شَبيهٌ بلَيْلَى حُسْنُهَا وقَوامُها
ألا ليتَنا نَحْيَا جميعاً بغبطةٍ ... وتَبلَى عظامِى حين تَبْلَى عِظامُها !
كذلك ما كان المحبُّون قَبْلَهَا ... إذا مات مَوْتاها تزَاوَرُ هامُها

وأمّا بَهْدَل ومروان ، فإنّ طيّئًا أخذتْ بهما أشدَّ أَخْذ ، فقالوا : إن حُبِسنا لم نَقْدِر عليهما ونحن محبوسون ؛ ولكن خَلُّوا عنّا حتّى نأتيَكم بهما ، وكانا قد تأبّدَا[2] مع الوُحوش يَرْمِيان الصَّيْد ، فهو رِزْقُهما ؛ فلمّا طال ذلك على مَرْوَان هَبَط إلى راعٍ ، فتحدَّث إليه وسَقاه ، وبَسَط إليه حتّى عَرَفه ، ولم يُخبِرْه أنّه عَرَفه ، وجعل يأتيه بين الأيّام فلا يُنكِره .

فانطَلَق الرّاعى فحدَّث باختلافه إليه ، فجاء الطَّلَب معه ، فكَمِنُوا حتى إذا جاء مَرْوانُ إليه سقاه وحَدَّثه ، فلم يَشْعُر حتّى أَطافوا به وأخذوه ، وأَتَوْا به عثمان ابنَ حيّانَ المُرّىّ ، فأَعْطَى الّذى دَلَّ عليه جُعْلَه ، وقَتَلَه .

وأمّا بَهْدَل ، فإنّه كان يأوِى إلى هَضْبَةٍ بِسلْمَى ، فبلغ ذلك سَيِّدٌ من سُلْمَى ، فقال : قد أُخيفَتْ طَيّء وشردت من أجلِ هذا الفاسقِ الهارب ، فجاء حتى حَلَّ بأهله أسفلَ تلك الهَضْبَة ، ومعه أهلات[3] من قومه ، فقال لهم : إنكم بعينَى الخبيث ، فإذا كان النهار فلْيَخْرُج إلىَّ الرِّجالُ من البيوت ، ولْيَغْلُوا النِّساء ،

(١) فى الأغانى : « انتبهت » .
(٢) التأبد : التوحش .
(٣) فى الأصول : « أهلاب » ؛ والصواب ما أثبته من الأغانى ، وأهلات ؛ جمع أهل ؛ وأهل الرجل : عشيرته وقرباه .

فإذا رأى ذلك نزَل فطلب الحاجة ، فكانوا يُخلّون الرجالَ نهاراً ، وإذا أظلَموا أَتَوْا إلى رِحالهم أيّاما .

فظَنّ بَهْدَل أنَّهم فعلوا ذلك لشُغْلٍ نابَهُم ، فانحدر إلى قُبَّة السَّيِّد وقد أمر النساء : إذا انحدر إليكم رجلٌ فإنّه ابنُ عمّكم ، فأطْعِمْنَهُ ، وادهِنَّ رأسَه .

وفى قُبَّة السَّيِّد ابنَتان له ، فسألها : مَن أنتما ؟ فأخبَرَتاه وأطعَمَتاه وسَقَتاه ، ثم انصَرَف . فلمّا راح أبوهُما أخبَرَتاه ، فقال : أحسنتُما إلى ابن عمّكما ، فجعل يَنْحَدِر إليهما حتى اطمأنّ ، وغسلتا رأسَه ودَهَنَتاه .

فقال الشيخ لابنتيه : افْلِياه ولا تَدْهُناه إذا أتاكُما هذه المَرّة واعقِدا خُصَل لِمَّته إذا نَعَس رُوَيْدًا بخَمْل القطيفة ، ثم إذا شَدَدْتُما ذلك عليه فاقلِبا القطيفةَ على وجهه ، وخذا أنتما بشَعْره من ورائه ، فمُدّا به إليكما . ففعَلَتا ، وشَدُّوا عليه فرَبَطُوه له ، فدَفَعه إلى عثمانَ بنِ حيّان فقتَلَه ؛ فقالت بنتُ بَهْدَل ترثيه بشعر، منه :

فيا ضَيْعَةَ الفِتْيانِ إذ يَعْتُلُونَهُ ... ببَطْنِ الشَّرَى مِثْلَ الفَنِيقِ المُسدَّمِ (١)
دَعَا دعوةً لما أَتَى أرض مالكٍ ... ومن لا يُجِبْ عند الحفيظة يُسْلَمِ
سنَقتُلُ جَبْرًا فى فَتًى لم يَكُنْ له ... وَفاءٌ ولكنْ لا تَماثُلَ بالدَّمِ

أى لا يكون الدَّم مِثلَ الدَّمِ فى الكَثْرَة والقِلَّة .

وجَبْر هذا هو الّذى أخَذَ بَهْدَلا وحَمَله إلى السُّلطان حتّى قُتِل ، وهو جَبْرُ بنُ عُبَيْد ، من بنى مالكِ بن نبْهان.

(١) الفنيق : الفحل الكريم لا يؤذى لكرامته على أهله . والمسدم : الهائج ، والعتل : أن تأخذ بتلبيب الرجل فتعتله؛ أى تجره إليك وتذهب به إلى حبس أو بلية ، وفى الأصول : «تقتلونه» وما أثبته من الأغانى .

سُحَيم عبدُ بنى الحَسْحَاس*

هو عبدٌ أسوَدُ ، نُوبِىٌّ أعجمىٌّ مطبوعٌ فى الشِّعر ، اشتراهُ بنو الحَسْحاسِ ابن نُفاثة بن سعد[1] بن عَمرو بنِ مالك بن ثَعْلبة بنِ دُودان بن أَسَد بنِ خُزَيمة . و بنُو الحَسْحاس بطنٌ من بنى أَسَد .

وكان إذا أُنشِد الشِّعْرَ فاُستحسَنه يقول : أهْسَنْت والله ، يريد أحْسَنت .

وأدرَكَ النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم ، ويقال : إنه تمثَّل بكلماتٍ من شِعره غيرِ مَوْزونة ، فقال : « كَـفَى بالإسلام والشيبِ ناهِيا » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : « يا رسولَ الله ، إنّما قال الشاعر :

* كَفَى الشَّيبُ والإسلام للمَرء ناهِيَا[2] *

فجعل لا يُطِيقهُ ، فقال أبو بكر : أَشْهَدُ أنّك لَرسولُ الله ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعرَ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ ﴾ .

وقيل إنّ اسمه حيّة . وكان حُـلْوَ الشعر ، رقيقَ الحواشِى ، وفى سَوادِه يقول :

وما ضَرّ آبائى سَـوادِى وإنّـنى ... لَـكالمِسْك لا يصحو عن المِسْك ذائقُهْ[3]

لبستُ قَميصـاً ذا سَوادٍ وتَحْتَهُ ... قَميصٌ من القُوهِىِّ بِيضٌ بَنـائقُهْ

و يُرْوَى « قَميصٌ مِن الإحسان » .

---

* ترجمته فى الأغانى ٢٠ : ٢ ــ ٩ (ساسى) .

(١) فى الأغانى : « سعيد » .

(٢) ديوانه ١٦ ، وصدره :

* عُميرة ودّع إن تجهّزت غاديا *

(٣) ديوانه ٦٩ ؛ وفيه : « لا يسلو عن المسك » ؛ وهى أيضا رواية الأغانى .

ومما يُستحسَن من شِعْره :

أشعارُ عبدِ بنى الحَسْحاسِ قُمْنَ لَهُ ... عند الفَخَارِ مَقام الأَصْلِ والوَرِقِ[1]

إن كنتُ عبداً فنفسِى حُرَّةٌ كَرَماً ... أو أسْوَدَ اللَّوْنِ إنِّى أبيَضُ الخُلُقِ

وأنشدَ سُحَيْمٌ عُمَرَ بنَ الخطّاب رضى الله عنه :

عُمَيْرة وَدِّع إن تَجَهَّزْتَ غادياً ... كَفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهِيا[2]

فقال له عمر رضى الله عنه : لو قلتَ شعرَكَ كلَّه مِثْلَ هذا لأعطيتُك [عليه][3] .

وقيل : إنه قال له : لو قدَّمْتَ الإسلام على الشَّيب لأجزْتُك .

كان عُبيدُ الله بنُ أبى ربيعة عاملا لعثمانَ بنِ عفّان على الجُنْد، فكتب إلى عثمان: إنّى قد اشتريتُ غلاما حَبَشيًّا يقول الشّعر ؛ فكتب إليه عثمان : لا حاجةَ بنا إليه فارْدُدْه ؛ فإنّما حَظُّ أهلِ العَبْد الشاعرِ منه أنّه إنْ شَبِع شَبَّب بنسائهم ، وإن جاع هَجاهُمْ ، فاشتراه أحدُ بنى الحَسْحاس ، فلمّا رَحَل به قال فى طريقه :

أشَوْقاً ولمّا يَمض لى غيرُ ليْلَةٍ ... فكيفَ إذا سارَ المَطِىُّ بنا شَهْرَا[4]

وما كنتُ أَخْشَى مالِكاً أن يَبيعَنى[5] ... بشىءٍ ولو أمْسَتْ أنامِلُه صِفْرا

أَخُوكُمْ وَوالِى أمرِكُمْ وحَليفُكُمْ ... ومَنْ قد ثَوَى فيكُمْ وعاشَرَكُمْ دَهْرا

فلمّا بلغ شعرُه أهلَه استردّوه ورَقُّوا له ، فكان يشبِّب بنسائهم .

---

(١) ديوانه ٥٥ .

(٢) ديوانه ١٦ — ٣٣ .

(٣) من الأغانى .

(٤) كذا فى الأصول والأغانى ؛ ورواية الديوان ٥٩٦ : « عشرا » .

(٥) رواية الديوان :

* وما خِفْتُ سَلّامًا على أن يبيعنى *

وقيل : إنّهم لمّا أستردُّوه رُئِيَ واضعاً إحدَى رِجْلَيْه على الأُخرى يُشبِّبُ بأختِ مَوْلاه — وكانت عليلةً — يقول :

ما ذا يُريدُ السَّقامُ من قمرٍ   كلُّ جمالٍ لوجْهِه تبَعُ[1]
ما يَرْتَجِى — خابَ[2] — من محاسِنِها   أمَا لَهُ فى القِباحِ مُتَّسَعُ !
غيَّرَ مِن لَوْنِها وصفّرها   فأُرتدّ فيه الجمالُ والبِدَعُ
لو كان يَبغِى الفِداءَ قلتُ له   ها أنا دُونَ الحَبيبِ يا وَجَعُ

وكان سَحَيمٌ قد جالسَ نساءً من بنى صُبَيْر بن يَرْبوع ، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزُّل أن يتعابَثُوا بشَقِّ الثِّياب ، وشدّة المغالبة على إبداء المحاسِن ، فقال سُحَيم :

كأنّ الصُّبَيْرِيّاتِ يومَ لقِينَنَا   ظِباءٌ جَنَتْ أعناقَها لِلْمكانِسِ[3]
فكم قد شقَقْنا مِن رداءٍ مُزَفَّرٍ   ومِن بُرْقُعٍ عن ناظرٍ غيرِ ناعِسِ
إذا شُقَّ بُرْدٌ نيطَ بالبُرْد بُرْقُعٌ   على ذاكَ حتّى كلّنا غيرُ لابِسُ

فلمّا قال هذا الشّعر ، اتَّهمه مولاه [بابنته][4] فجلَس له فى مكان إذا رَعَى نام[5] فيه ، فلمّا أضطجع تنفّس الصُّعَداء ، وقال :

يا ذِكْرَةً ما لَكَ فى الحاضِرِ   تَذْكُرُها وأنتَ فى الصّادِرِ
من كلِّ حَسْناءَ لها كَعْثَبٌ   مِثلُ سَنامِ البَكْرة المائرِ[6]

---

(١) ديوانه : ٥٤ .
(٢) فى الديوان : « جار » .
(٣) ديوانه ١٥ ، ١٦ .
(٤) من الديوان ٣٤ .
(٥) الديوان : « قال فيه » ، من القيلولة .
(٦) المائر : المضطرب .

فظَهَر سيِّدُهُ من المَوضع الّذى هو فيه كامِن ، وقال له : ما لَكَ ؟ فلَجْلَجَ فى مَنْطِقه ، فاسْتَرابَ به ، فأجْمَع على قَتْلِه .

فلمّا وَرَد الماءَ ، خرجتْ إليه صاحبتُه فحادثَتْه ، وأخبرتْه بما يُراد به ، فقام يَنفضُ ثوبه ويعفِّى أَثَرَهُ ، ويَلقُط رَضًّا من مَسْكِها[1] كان كَسرَه فى لَعِبه معها ، وقال :

أتُكتَمُ حُيِّيتُمْ على النَّأْى تُكتَمَا ... تَحِيّةَ مَن أَمْسَى بحبِّكِ مُغرَمَا[2]

وما تُكتَمِينَ أَنْ أَتَيْتِ دَنيَّةً ... ولا إنْ ركِبْنا يا ابنةَ القَوْمِ مَحْرَمَا

ومِثلُكِ قد أبرزْتُ من خِدْرِ أمِّها ... إلى مجلسٍ تَجُرُّ بُرْداً مُسَهَّمَا

وماشيةٍ مَشْىَ القَطاةِ اتَّبعتُها ... مِن السِّتْرِ يَخشَى أهلُها أن تَكَلَّمَا

فقالت : صَهٍ ، يا وَيْحَ غيرِكَ إنّنى ... سمعتُ حديثا بينهمْ يَقطرُ الدَّمَا

فنفَّضتُ ثوبَيْها ونظّرتُ حولَها ... ولم أَخْشَ هذا اللّيلَ أن يتصرَّمَا

أعفِّى بآثار الثِّياب مَبيتَها ... وأَلْقُطُ رضًا من وُقُوفٍ تحطَّما[3]

ثم غدَوْا به ليَقْتُلوه فلمّا رأتْه امرأةٌ كانت بينها وبينه مودّة ثم فَسدتْ ، ضحكتْ شَماتةً به ، فنظر إليها وقال :

إن تَضحكِى منّى فيارُبَّ ليلةٍ ... تركتُكِ فيها كالقَباءِ المفرَّجِ[4]

فلمّا قُدِّم ليُقتَل قال :

شُدُّوا وَثاقَ العبدِ لا يُفلِتْكُمُ ... إنّ الحياةَ من المماتِ قريبُ[5]

---

(١) المسك : السوار .

(٢) ديوانه ٣٤ ـ ٣٦ .

(٣) الوقوف : جمع وقف ؛ وهو سوار من ذبل أو عاج أو قرون .

(٤) ديوانه ٥٩ .

(٥) ديوانه ٦٠ .

ولقد تَحدَّرَ من جبينِ فتاتِكُم ... عَرَقٌ على جَنْبِ الفِراشِ وطِيبُ[1]

وقُدِّم فقُتِل . وقيل : إنّه حُفِر له أُخْدُود فأُلقِيَ فيه وأُحرِق ، وقصيدة سُحَيْم :

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إن تَجهَّزْتَ غادِيَا ... كفَى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرءِ ناهِيَا[2]

فما بَيْضَةٌ باتَ الظَّلِيمُ يَحُفُّها ... ويَرْفَعُ عنها جُؤْجُؤًا متجافِيَا

بأحسنَ منها يومَ قالتْ : أظاعِنٌ ... مَعَ الرَّكْبِ أم ثاوٍ لدَيْنا لَيالِيَا ؟

وَهَبَّتْ شمالٌ آخرَ اللَّيلِ قَرَّةٌ[3] ... ولا ثَوْبَ إلّا دِرْعُها ورِدائيا

وما زالَ بُرْدِي طَيِّبًا من ثِيابِها ... إلى الحَوْلِ حتّى أنهج البُرْدُ باليَا[4]

تُوَسِّدُني كَفًّا وتَثْنِي بِمِعصَمٍ ... علَيَّ وتَحْنُو رِجْلَها من وَرائِيَا[5]

تجمَّعْنَ من شَتَّى ، ثلاثًا وأَرْبعًا ... وواحدةً حتّى كَمَلْنَ ثمانِيَا[6]

وأقبلنَ من أَقصَى الخِيامِ يَعُدْنَني ... نَواعِمَ لم يَقْصِدْنَ خَلْقًا سَوائِيا[7]

يَعُدْنَ مَرِيضًا هُنَّ هَيَّجْنَ داءَهُ ... أَلا إنَّ بعضَ العائِداتِ دَوائِيا[8]

لمَّا أنْشَدَ سُحَيْم عمرَ بنَ الخطّاب رضِيَ الله عنه :

تُوَسِّدُني كَفًّا وتَثْنِي بِمِعصَمٍ ... علَيَّ وتَحْنُو رِجْلَها مِنْ وَرائيا

قال له عُمَر : وَيْلَك ! إنّك لمقتول .

---

(١) الديوان : « على ظهر الفراش » .

(٢) ديوانه ١٦ ـ ٣٣

(٣) قرة : باردة .

(٤) أنهج البرد : رث وبلى .

(٥) الديوان : « وتحوى » .

(٦) الديوان : « تجمعن من شتى ثلاث وأربع » .

(٧) الديوان : « نواهد لم يقصدن » .

(٨) الديوان : « بعض العوائد دائيا » .

سَجاح التَّميميّة*

ادّعت النبوّة بعد وَفاةِ رَسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم ، واجتمع عليها بنو تَمِيم لنُصْرَتِها ، وكان فيما أدّعت أنّه أُنْزِل عليها : « يأيّها المُؤْمنون المتّقون ، لنا نِصفُ الأرضِ ولقريشٍ نِصفُها ، ولكنّ قريشاً قومٌ يَبْغُون » .

وكان ممّن اجتمع إليها الأحنفُ بنُ قيس وحارثةُ بنُ بدر ، ووجوهُ بني تميم . وكان مؤذّنَها شبيبُ بنُ رِبْعيّ الرِّياحيّ ، فعَمدتْ في جيشها إلى مُسَيْلَمة الكذّاب وهو باليَمامة ، فقالت : « يامعشَرَ تَميم ، اقصِدُوا اليمامة ، فاُضربوا فيها كلَّ هامة ، وأضرِبوا فيها نارا ملهامة[1] ؛ حتّى تَتْركوها سَوْداء كالحَمامَة » .

وقالت لبني تَميم : إن الله لم يَجْعَل هذا الأمر في رَبيعة وإنما جعله في مُضَر ، فاقصدوا هذا الجَمْع ، فإذا فَضَضْتموه كَرَرْتُم على قريش . فسارت في قومِها ، وبلغ مسيلمةَ خرُوجُها ، فضاق بِه ذَرْعاً وتحصّن في حِجْرٍ (حصن اليَمامة) وكان في حَوْشها[2] ، فأحاطتْ به وأرسَل إلى وُجوه قومِه وقال : ما تَرَوْن ؟ قالوا : نرَى أن تُسلِّم هذا الأمرَ إليها .

وكان مسيلمةُ داهيَةً ، فقال : أنظُرُ في هذا ، ثم بعث إليها : إنّ الله تبارك وتعالى أَنْزَل عليكِ وَحْياً ، وأَنزَل عليّ ، فهَلُمّي نَجتمعْ فنتدارسْ ما نزَل علينا ، فمَنْ عرَف الحقّ يتّبِعه ، واجتمعنا ، فأكَلْنا العرَب أكْلًا بِقَوْمِي وقَوْمِك .

فبعثتْ إليه ، أفْعَل ؛ فأمَر بقُبَّة أَدَمٍ فضُرِبَتْ ، وأمر بالعود فبخِّر فيها ،

* الأغاني ١٨ : ١٦٥ – ١٦٧ (ساسى) .

(١) ملهامة ، أي من الهامة .

(٢) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : « وجاءت في جيوشها » .

وقال : أكثِرُوا من الطِّيب ؛ فإنّ المرأة إذا شَمَّت الطِّيبَ ذَكَرَتْ الباه، ففعلوا ذلك وجاءها رسوله يخبرها ، فقالت : هاتِ ما أُنزِل عليك ، قال : « ألم ترَ كَيْفَ ما فَعَلَ رَبّكَ بالحُبْلَى ؛ أَخرَجَ منها نَسَمةً تَسْعَى ، من بين صِفاقٍ وَحشاً ، مِنْ بين ذَكرٍ وأُنثى ، أمواتٍ وأَحْيا ، ثم إلى رَبِّهم يكون المُنتَهى » .

قالت : وماذا قال ؟ قال : « ألم ترَ أنّ الله خلقَنا أفواجاً ، وجعل النِّساءَ لنا أَزْواجا ، فَنُولِجَ فيهنّ قعساً[1] إيلاجاً ، ونُخْرِجها منهنّ إذا شِئْنا إخراجاً » .

فقالت : فبأىّ شىء أَمُرُكَ ؟ فقال :

ألا قُومِى إلى النَّيْك … فقد هُيِّىءَ لَكِ المَضْجَعْ
فإن شئتِ ففى البَيْتِ … وإن شئتِ ففى المَخْدَعْ
وإن شِئْتِ سَلَقْناكِ … وإن شئتِ على أربَعْ
وإن شئتِ بثُلْثَيْهِ … وإن شئتِ به أَجْمَعْ

فقالت : بل به أجمَع .

قال : كذلك أُوحِىَ إلىّ ، فواقعَها ، فلمّا قام عنها ، قالت : إن أَمْرِى لا يَجرى هكذا فتكون وَصْمَة على قَوْمى وعلىّ ؛ ولكنّى مُسلّمة لك النبوّة ، فاُخْطُبْنى إلى أوليائى يُزَوِّجوك ، ثم أقود تميماً معك . فخرج وخرجتْ ، فاُجتمع الحَيّان من حنيفةَ وتَميم ، فقالت لهم سَجَاح : إنّه قرأ علىّ ما نَزَل عليه ، فوجدتُه حقّا ، فاتَّبعتُه ، ثم خَطَبها فزوَّجوه إيّاها ، وسألوه عن المَهْر ، فقال : قد وضعتُ عنكمْ صلاةَ العَصْر .

قال : فبَنُو تميم إلى الآن بالرَّمْل لا يُصَلُّونها ، ويقولون : هذا حقٌّ لنا ، ومَهْرُ كريمتنا لا نَرُدُّه ، ثم أسلمَتْ سَجاح بعد هذا كلِّه ، بعدَ قَتْلِ مُسَيْلمةَ وحَسُنَ إسلامُها .

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « الغراميل » .

سليمان بن وَهْب*

قد تقدَّم نسبُه وأُنماؤه إلى الحارث بن كعب ، فى حرف الحاء فى ترجمة أخيه الَحسَن بنِ وهب .

كان المهتدى قد أستَوْزَر جعفرَ بنَ محمّد ، فبلغه عنه تشيُّعٌ فكَرِهَه ، وقال : هذا رافضِىٌّ لا حاجةَ لى به ، فاستَوْزَرَ جعفرَ بنَ عمّار ، فاستمرّ حتى مضت سنةٌ من خلافة المهتدى .

ثم قدم موسى بن بُغا من الجبل ، وكاتبُه سليمان بن وَهْب وابنه عبيد الله ، وأستوزر المهتدى سليمان ، ولقّب الوزير حقًّا ، لأن من كان قبلـه [كان](1) غيرَ مستحِقٍّ للوزارة ، ولا مُسْتقِلٍّ بها .

قال أحمد بنُ الخصيب : لعَهْدِى بيزيدَ بنِ محمّد المهلبىّ عنـد سليمان بن وهب بعد ما أستوزَرَهُ المهتدى ، وقد أجْلَسَه إلى جانبه وهو يُنشِده :

وَهبتمْ لنا يا آلَ وَهْبٍ مودَّةً ... فأبقَتْ لنـا جاهاً ومالًا يؤثَّلُ(2)

فمن كان للآثام والذلّ أرْضُهُ ... فأرْضُكُم للأجر والعِزّ مَنزِلُ

رأى الناسُ فوقَ المَجدِ مقدارَ مجدِكُمْ ... فقد سألوكمْ فوقَ ما كان يُسْألُ

يقصِّر عن مَسْماتِكُمْ كلُّ آخرٍ ... وما فاتكمْ ممَّن تقـدَّمَ أوّلُ

بَلغْتَ الّذى قد كنتُ أمَّلْتُه لكمْ ... وإن كنتُ لم أبلغْ بكم ما أؤمِّلُ

---

* ترجمته فى الأغانى ٢٠ : ٦٧ ــ ٧٣ (ساسى) .

(١) من الأغانى .

(٢) الأغانى . « ومجدا يؤثل » .

فقَطع عليه سليمانُ الإنشاد ، وقال له : لِمَ يا أبا خالد ؟ فأنت والله عندى كما قال عُمارة بن عَقِيل لأبنه :

أُقهقِهُ مسرورا إذا بِتَّ سالِماً وأَبكِى من الإشفاق حيث تَغِيبُ(١)

فقال له يزيد : فَلْيَسْمَع الوزير ، فإنّ آخر الشعر خير من أوّله(٢) ، وتمّم فقال :

وما لِىَ حقٌّ واجبٌ غيرَ أنّنى بجودِكُمُ فى حاجتى أتوسَّلُ
وأنّكمُ أفضلتمُ وبررتمُ وقد يَسْتَتِمُّ النِّعمةَ المتفضِّلُ
وأوليتمُ فِعْلا جميلًا مقدَّما فعُودوا فإنّ العَوْد بالحُرِّ أجملُ
وكم مُلْحِفٍ قد نالَ ما دامَ عندكمْ ويَمْنَعُنا مِنْ مِثْل ذاكَ التّجمُّلُ
وعوَّدتُمونا قبلُ أن نسْأَلَ الغِنَى ولا بَذْلَ للمعروف والوجهُ يُبْذَلُ

فقال له سليمان : والله لا تَبْرَحُ إلّا بقضاء حوائجك كائنةً ما كانت ، ولو لم أستَفِدْ من لَدُن(٣) أميرِ المؤمنين إلّا شكرك(٤) لرأيتُ بذلك جَنابى مُمْرِعاً ، وغَرْسِى مُثْمِراً . ثم وَقّع له فى رِقاعٍ كثيرةٍ كانت معه .

لمّا وَلّى المهتدى سليمانَ بنَ وَهْب وَزارتَهُ ، قام إليه رجلٌ من ذوى حُرْمَتِه(٥) ، فقال : أنا — أعزّ اللهُ الوزيرَ — خادِمُك ، المؤمِّلُ دَوْلتَك ، السّعيدُ بأيّامك ، المطوِىُّ القلبِ على وُدِّك ، المنشورُ اللّسان بمَدْحِك ، المرتَهَن بشُكرِ نِعْمَتِك ، وقد قال الشاعر :

وفّيْتُ كلّ أديبٍ وَدَّنى ثمَناً إلّا المؤمِّلَ دَوْلاتى وأيّامى

(١) فى الأغانى : « حين تغيب » .
(٢) فى الأغانى : « فيسمع منى الوزير آخر الشعر لا أوله » .
(٣) الأغانى : « كتبة أمير المؤمنين » .
(٤) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « شكرا »
(٥) الأغانى : « من ذوى حرفته » .

فإنّنِي ضامنٌ ألّا أكافئه إلّا بتسويفِه فَضْلى وإنعامى

وإنّنى كما قال القيسىّ : ما زلتُ أمتطى النّهارَ إليك ، وأستدِلّ بفضْلك عليك ، حتّى إذا جَنَّنِى اللّيل ، فقبض البَصَر ، ومحَا الأثَر ؛ أقامَ بدَنِى ، وسافرَ أمَلِى ، والاجتهاد عُذر وإذا بلغتُك [فهو مُرَادِى][1] فقط .

فقال له سليمان : لا عليك ، فإنّى عارفٌ بوسيلتك ، محتاجٌ إلى لقائك ، ولستُ أؤخِّر فى يومى هذا النّظرَ فى أمرك ، وتوْلِيتك ما يَحْسُن أثرُه عليك .

كان أبو عبد الله الباقِطانىّ يتقلّد ديوان الرّزق ، فتقلد أبنُ أبى السَّلاسل ماسَبذَان وغيرَها ، فجاءه ليأخذ كتبه ، فجعل يوصيه كما يوصى أصحابُ الدّواوين العمّالَ . فقال له أبنُ أبى السّلاسل : كأنّك استكثرتَ لى هذا العمل؛ أنت أيضا كنتَ تكتبُ لأبىّ العبّاس بن ثَوابةَ ، ثم صرتَ صاحبَ ديوان .

فقال له الباقِطانىّ : يا جاهل ، يامجنون ، لولا أنّه قبيحٌ بمِثْلِى مكافأةُ مِثْلِك لراجعتُ الوزيرَ فى أمرِك ؛ حتى أُزيلَ يدكَ ؛ ومن لى بأن أجدَ مِثلَ ابن ثوابة فى هذا الزمان ، فأَكْتبَ له ، ولا أريد الرياسة ! ثم أقبل يحدّث الحاضرين فقال : دخلتُ مع أبى العبّاس على المهتدى ، و [كان][1] سليمانُ بنُ وهب وزيرَه ، وكان يدخل إليه مع الوزراء أصحابُ الدّواوين والعمّال والكتّاب ، فيكتبون بحضْرته ويوقِّع إليهم فى الأمور . فأمر سليمانَ بأن يَكتُب عنه عشرة كُتُب مختلفة إلى جماعة من العمّال ، فأخذ سليمان بيَدِ أبنِ ثوابةَ ، وقال له : أنت اليومَ أحدُّ ذِهْناً مِنّى ، فهلمّ نتعاون ، فدخَلَا بيتا ودخلتُ معهما ، فأخذَ سليمانُ خمسةَ أنصاف [وأبو العباس خمسة أنصاف أخَر][1]؛ فكتبا ما رَسَم ، وقرأ كلٌّ واحدٍ منهما

---

(١) من الأغانى .

ما كَتب به ، فاُستحسَنه وقرّظه ، ثم وضع سليمانُ الـكتبَ بين يدَيِ المهتدِى ، فقال له وقد قرأها : أحسنتَ ياسليمان ، ونعمَ الرجلُ أنت ، لولا المعجَّل والمؤجَّل !

وكان سليمانُ إذا وَلَّى عاملا أخذ منه مالا معجَّلَا ، وأَجَّل عليه مالًا إلى أن يتسلّم عملَه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا قول لا يخلو من أن يكون حقًّا أو باطلا ؛ فإن كان باطلا فليس مِثْلك من يَقْبَلُه ، وإن كان حقًّا فقد علمتَ أنّ الأصول محفوظة ، فما يضرّ من يُساهِمُنى على بعض ما يصل إليهم من بِرٍّ ، ولا ينتَقِصُ الأموال ، ولا يُجْحِفُ الرّعيّه ! فقال : إذا كان هكذا فلابأس. ثم قال : اكتب إلى فلان العامِل بقبض ضَيْعَةِ فلانٍ المصروفِ المعتقَل فى يده بباقى ما عليه من المصادَرة .

فقال أبو العبّاس بن ثوابةَ : كلُّنا يا أمـــيرَ المؤمنين ممتثلٌ لأمرِكَ ، ساعٍ فيما يُرضيك ويؤيِّد مُلْـكَك ، أفتمضِى ما تأمُر به على ما خيَّلت[1] ، أو تقولُ الحق ؟ قال : لا ، بل : قل الحقّ ياأحمد .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، المُلْك يقين ، والمصادَرة شكّ ، أفترى أن تزِيلَ اليقين بالشّكّ ؟ قال : لا ، قال : فقد شهدتَ للرجل بِملك الضَّيعة ، وصادرتَه عن شكّ فيما بينَك وبينه ، وهل خانَك أم لا ، فجعلت المصادرة صُلْحا ، فإذا قبضتَ ضيعتَه بها فقد أزلتَ اليقينَ بالشكّ .

فقال له : صدقت ، فـكيف الوصولُ إلى المال ؟ فقال له : أنت لابدّ مُوَلٍّ عاملا على أعمالك ، وكلُّهم يَرتزِق ويَرتَفِق ، فيحوز رِزْقه ورفقه إلى بيته ، فاُجعلْه أحدَ عُمّالك ؛ ليصرف هذين الوجهين إلى ما عليه ، ويسعفَه معاملوه ، فيخلِّص نفسَه وضَيعتَه ، ويعود إليك مالُك يا أميرَ المؤمنين .

فأمر سليمانَ بنَ وهب بأن يفعل ذلك ؛ فلمّا خرجا عن حضرة المهتدى قال له

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « جبلت » .

سليمان : يا أبا العبّاس ، عهدى بهذا الرجل عدوّك ، وكلٌّ منكما يَسْعى على صاحبه ، فكيف زال ذلك حتى نُبْتَ عنه فى هذا الوقت نيابة أحببتَه بها ، وتخلّصت نفسُه ونعمتُه!

فقال : إنّما كنتُ أعاديه وأسعى عليه ، وهو يقدر على الانتصاف منّى ، فأمّا وهو فقير إلىّ فهذا ما يَحْظُره الدِّين والمروءة والصِّناعة .

فقال له سليمان : جزاكَ اللهُ خيرا ! والله لأشكرنّ لك هذه النيّة ، ولأعتقِدنّك من أجلِها أخاً وصديقا ، ولأجعلنّ هذا الرجلَ لك عَبْدا ما بَقِىَ ثَمَّ .

قال الباقِطانىّ : كنت آلفُ سليمانَ بنَ وَهْب كثيرا ، وأحدِّثه؛ وكان يَخُصُّنى ويأنَسُ بى ، فأنشدَنِى لنفسه ، يذكر نَكْبَتَهُ فى أيّام الواثق :

نوائبُ الدّهرِ أدّبَتْنى وإنّما يوعَظ الأَدِيبُ
قد ذقتُ حُلْوًا وذُقْتُ مُرًّا كذاكَ عيشُ الفَتى ضُروبُ
ما مَرَّ بُؤْسٌ ولا نَعيمٌ إلّا وَلِى فيهما نَصِيبُ

قال أبو الحسن علىّ بن يحيى : ما رأيتُ أظرفَ مِن سليمانَ بن وهب ولا أحسنَ أدبا ، خرجنا نتلقّاه عند قدومه من الجبل مع موسى بن بُغا . فقال لى : هاتِ يا أبا الحَسَن ، حدِّثنى بعجائبكم بعدى ، وما أظنّك تحدِّثنى بأعجب من خبرِ ضَرْطةِ أبى وَهْب بحضرة القاضى ، وما سُيِّرَ من خَبرِها ، وماقيل فيها حتّى قيل فيه —وجعل يَضحك— :

ومن العجائب أنّها بِشهادة الـ قاضِى فليسَ يُزِيلُها الإنكارُ

كان سليمانُ بنُ وَهبٍ وهو حَدَثٌ يتعشّق إبراهيمَ بن سَوّار بن ميمون ، وكانَ مِن أحسنِ النّاس وَجْهاً ، وأملحِهم أَدَباً ، وأظرفِهم . وكان إبراهيمُ يعشق مغنِّيةً يقال لها رخاص ، فاجتمَعُوا يوما ، فسَكِر

إبراهيمُ ونام ، فرأت رخاصُ سليمانَ يقبِّـلُه ، فلمّا أنتبه لامَتْه ، وقالت له : كيف أصفو لك ، وقد رأيتُ سليمانَ يقبِّـلك ؟ فهجَرَه إبراهيمُ ، فـكَتَب إليه سليمان :

قـل للّذى ليس لى مِن — جَوَى هـواهُ خَلاصُ
أَإِنْ لثمْتُكَ سِرًّا — فأبصرَتْنى رُخـاصُ
وقال فى ذاكَ قـومٌ — عـلى أغتيابى حِراصُ
هجـرتَنى وأتتنى — شَتيمةٌ وأنتقـاصُ
وسَرَّ ذاكَ أناساً — لهمْ علينـا أختِراصُ
فهـاكَ فاُقتصَّ منّى — إنّ الجروحَ قِصـاصُ

وأَهْدَى سليمانُ إلى رُخاص هدايَا كثيرةً ، فاُستَصْلَحَها ، وكانوا بعد ذلك يتناوَبُون الأيّام ؛ يوماً عند سليمان ، ويوماً عند إبراهيم ، ويوماً عند رُخاص .

كتب سليمانُ بنُ وهب بقلمٍ صُلْب ، فاُعتمد عليه أعتماداً شديداً ؛ فصَرَّ القلمُ(1) فى يَدِه ، فقال :

إذا ما حَدَدْنا وأنتضَيْنَا قَواطِعاً — أصمّ الذّكىّ السّمْع منها صَريرُها(2)
تَظَلُّ المَنـايا والعَطايَا شَوارِعاً — تَدُورُ بمـا شِئنا وتَمْضِى أُمورُها
تُساقِط فى القِرْطاس منهـا بدائعا — كمِثْلِ اللّآلِى نظمُها ونَثِيرُها
تَقُودُ أَبِيّاتِ البَنانِ بفِطْنَةٍ — تـكَشَّفَ عن وجهِ البلاغةِ نُورُها
إذا ماخُطوبُ الدّهرِ أرخَتْ سُتُورَها — تجلّت بنـا عمّا يسرُّ سُتورُها

ومات سليمانُ بنُ وَهب فى الحَبْس فرثاه البُحْتُرىّ ، فقال :

هـذا سليمانُ بنُ وهبٍ بعد ما — طالت مساعِيه النجـومَ سُموكا(3)

---

(1) صر القلم : صوت .

(2) انتضينا : حملنا . والقواطع : السيوف .

(3) سموكا : ارتفاعا .

وَتَنَصَّفَ الدُّنيا يدبِّر أمرَها سبعين حَوْلًا قد تَمن دكيكا(1)
أغْرَتْ به الأقدارُ بَعْثَ مُلِمَّةٍ ما كان رَثُّ حديثِها مأفوكا
أبلِغْ عُبيدَ الله فارِعَ مذحجٍ شَرَفًا ومُعْطِى فضلَها تَمْليكا(2)
إن الرَّزِيّة فى الفقيد فإن هَفا جَزَعٌ بِلُبِّك فالرَّزِيّة فِيكا
ومتى وجدْتَ الناسَ إلّا تاركاً لحميمه فى التُّرْب أو مَتْرُوكا(3)
بَلَغ الإرادةَ إذْ فَداكَ بنفسِه وتَوَدُّ لو تَفْديه لا يَفْديكا
لو ينْجَلِى لكَ ذُخْرُها مِن نَكبةٍ جَلَلٍ لأَضْحكَكَ الّذى يُبْكيكا

ذكر أنّه لما قَبَض الموفَّق على سليمانَ بنِ وهب، وأبنِه عُبيد الله [ذكروا أنّه](4) لم يكن أُستكْتِبهما إلا ليقف منهما على ذخائر موسى بن بُغا وودائعه، فلمّا أُستَصْفَى ذلك منهما نَكبَهما لكَثْرة مالِهما، فقال أبن الرُّومىّ:

ألم ترَ أنّ المالَ يُتلِفُ ربَّه إذا جُمَّ آتيه وسُدَّ طريقُهُ
ومَن جاوَرَ الماءَ الغزيرَ مَجمُّهُ وسَدَّ بَغيض الماء فهو غريقُهُ

---

(١) الدكيك: التام.
(٢) الفارع: الحسن الهيئة.
(٣) الحميم: الصديق.
(٤) من الأغانى.

سعيد بن العاص*

كان قومٌ من وُجوه أهلِ الكُوفة من القُرّاء ، يَخْتَلِفون إلى سعيد بن العاص يُسامِرونَه ، فتذاكَروا يوم السَّهل والجَبَل ، فقال حسّان بن محدوج : سَهْلُنا خيرٌ من جَبَلنا ؛ أكثرُ بُرًّا وشَعِيراً ، فيه أنهارٌ مطّردة ، ونخيلٌ باسِقات ، وكلّ فاكهةٍ أنبتَها الجَبَل إلّا والسَّهل يُنبِتُ مِثلَها .

فقال عبد الرحمن بن حُنَيس[1] : صدقْتُمْ ، ولوددتُ أنّه للأمير ، وأنّ لكم أفضل منه .

فقال الأشتر : تمنَّ للأمير أفضل منه ، ولا تتقرّب إليه بأموالنا !

فقال : ما ضَرّكَ ذلك ، ولو شاء أن يكون لكان !

فقال : كذبتَ ، واللهِ لو أراد ذلك لمَا قَدَر عليه .

فقال سعيد : ما السَّوادِ إلّا بُستانُ قُرَيش ، فما شئنا أَخَذْنا منه ، وما شئنا تَرَكْنا .

فقال له الأَشْتَر : وأنتَ تقول هذا ، أَصْلَحك الله ، وهذا مركَزُ رِماحنا ، وفَيْئنا !

وضَرَبوا عبدَ الرحمن بن حُنَيس حتّى سَقط .

وقيل : بل قال سعيد: اخرُجوا من داري ، فخرجوا، فلمّا أصبحوا أتَوُا المسجد، فداروا على الحَلَق ، فقالوا : أميرُكم هذا الصبيُّ السفيه يَزعُم أنّ السوادَ بُستانٌ له ولِقَوْمه ، وهو فَيْئُنا ومَرْكَزُ رِماحنا ، فوالله ما على هذا بايَعْنا ولا عليه أَسْلَمْنا .

---

* الأغاني ١٢ : ١٤١ (طبع دار الكتب) .

(١) الأغاني : « حبيش » .

وكتب سعيد إلى عثمانَ : إن قِبَلِى أقواماً يُدْعَوْن القُرّاء ، وهم السُّفهاء ، وَثبوا على صاحب شُرْطَتِى فضَرَبوه، واستَخَفُّوا به وبى ، وهم: عَمرو بنُ زُرارة ، وكُميل ابن زياد ، والأَشْترُ ، وحُرْقُوص بن زُهير ، وشُريح بن أَوْفَى ، ويَزيد بن المُكفف ، وزيد وصَعْصَعة أبنا صُوحان ، وجُنْدَب بن عبد الله .

فكتب إليهم عثمان يأمرهم أن يَخرُجوا إلى الشام ، ويَغزُوا مغازِيَهم .

وكتب إلى سعيد : قد كفيتُك الّذين ذكرت ، فأقرئْهُم كتابى ؛ فإنهم لن يخالفوا إن شاء الله عزّ وجلّ ، فاُتّق الله وأَحْسِن السِّيرةَ . فأقرَأَهم الكتاب . فخرجوا إلى دِمَشق ، فأكرَمَهُم معاوية ، وقال : إنّكم قَدِمْتُم بلدا لا يَعْرِفُ أهلُه إلّا الطاعة ، فلا تجادلوهم فتُدخلوا الشكَّ فى قلوبهم .

فقال الأشتر : إنّ الله عزّ وجلّ أَخَذ على العلماء فى عِلْمِهم ميثاقا ، أنّهم يُبَيِّنُون للنّاس ولا يَكْتُمونه ، فإن سأَلَنا سائلٌ عن شىء نَعلَمُه لم نَكْتُمْهُ .

فقال : قد خفتُ أن تكونوا مُرصِدين للفتنة ، فاُتّقوا الله ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا ، واختلفوا مِنْ بَعْد ما جاءتهم البيِّنات . فقال عمرو بن زُرارة : نحن الّذين هدَى اللهُ .

فأمر معاوية بحَبْسِهم ، فقال له يزيدُ بنُ صُوحان : إنّ الذين أشخصونا لم يَعْجِزوا عن حَبْسنا لو أرادوا ، فأحسِنْ جوارَنا ، فإن كنّا ظالمين فنستغفرُ اللهَ ، وإن كنّا مظلومين فنسأل الله العافية .

فقال معاوية : إنِّى لأحسبَك اُمرأً صالحاً ، فإن أحببت أن آذنَ لك حتى ترجعَ مِصْرك ، وأكتب إلى أمير المؤمنين بإذْنك فعلْتُ .

قال : يَحْسْبى أن تأذَن لى ، وتكتب إلى سعيد ، فكتب إليه ، فأذِن له ، فلمّا أراد يزيدُ الشُّخوص كلّمه فى الأَشْتر وعمرو بن زُرارة ، فأخْرَجَهُما .

فأقام القومُ فى دِمشق لا يَرَوْن أمرا يَكرَهُونه ، ثم أشخَصَهُم معاوية إلى حِمْص ، فكانوا بها حتّى أجمَعَ أهلُ الكوفة على إخراج سعيد ، فكتبوا إليهم فقَدِموا ، وكان أهلُ الكوفة قد قَدِموا على عثمانَ يشكُون سعيدا. فقال لهم : أكْتُبُ إليه ، فأَجمَعُ بينكم وبينه ، وفعل ، فلَم يحَقِّقُوا عليه [شيئا](١) إلّا قولَه : السَّواد بُسْتان قريش ، وأَثْنَى عليه الآخَرون .

فقال عثمان : أرى أصحابكم يسألون إقراره ، ولم يثبتوا عليه إلاّ كلمةً واحدة ، لم يَنْتَهِكْ بها لأحدٍ حُرمة ، ولا أَرَى عَزْلَه إلاّ أن تُثْبِتُوا عليه ما لا يَحِلّ لى معه تَرْكُه ، فانصرِفوا إلى مِصْرِكم فرجع سعيدٌ والفَرِيقان معه ، وتقدَّمَهم علىُّ ابنُ الهَيْثم السَّدوسىّ حتى دخل رَحَبة المسجد .

فقال : يا أهل الكوفة ، إنّا أَتَيْنا خليفتَنا ، وشكَوْنا عامِلَنا ، ونحن نرى أنّه سيَصرفه عنّا ، فردّه علينا(٢) ، وهو يَزعُم أنّ السوادَ بُسْتان له ، وأنا أمرؤٌ منكم أَرضَى إذا رَضيتم .

فقالوا : لا نَرْضَى . وجاء الأشتَر فصَعِد المنبرَ ، وخَطَب خُطبةً ذَكَر فيها النبىَّ صلَّى الله عليه وسلّم ، وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وذَكَرَ عثمانَ فحرَّض عليه ، ثم قال : من كان يَرَى لله حقًّا فليُصبِّح بالجَرَعة . ثم قال لِكُمَيْل بن زياد : انطلِق فأَخْرِج ثابتَ بنَ قيس بن شمّاس(٣) بن الخطيم من القَصْرِ . فأخرَجه ، واستعمَل أهلُ الكوفة أباموسى الأشعرىّ .

---

(١) تكملة من الأغانى .

(٢) الأغانى « إلينا » .

(٣) ساقطة من الأغانى .

قال جهم[1] : أنا شاهد الأمر ، وقد قالوا لعثمان : ننقم عليك أنك استعملتَ سُفهاء أقاربِك . قال : فليَقُم أهلُ كلِّ مصرٍ فليُسَمّوا صاحِبَهم .

فقام أهلُ الكوفة فقالوا : اعزِلْ عنّا سعيدا واستعمِلْ علينا أبا موسى الأشعريّ ؛ فَفَعل ، وكان سعيد قد أبغضَهُ أهلُ الكوفة لأمور ؛ منها : أن عَطاء النِّساء كان بالكوفة مائتين ، فحَطَّه سعيد إلى مائة . فقالت امرأة من الكوفة تذمُّه ، وتُثْنِي على سعيد بن أبي وَقّاص :

فليْتَ أبا إسحاقَ كان أميرَنا ... وليتَ سعيداً كان أوّلَ هالِكِ[2]

يحطِّط أَشرافَ النِّساء ويَتَّقِي ... بأبنائنا من مُرهَفات النَّيازِكِ[3]

كتب جماعةٌ من وُجوه أهلِ الكوفة ونُسَّاكِهم، مِثل مَعْقِل بن قيس الرِّياحيّ، وعبدِ الله بنِ طُفَيْل العامريّ ومالكِ بنِ حبيب اليَرْبوعيّ وحُجْر بن عَدِيّ الكِنْدِيّ وزِياد بن خَصَفَةَ التَّيْمِيّ ويزيد بن قيس الأَرْحَبِيّ وعَمرو بن الحَمِق الخُزاعيّ وسُليمان بن صَبِرة الخزاعيّ وزيد بن حُصَيْن الطائيّ وكعب بن عَبَدَة النَّهديّ إلى عثمان ، ولم يسمِّ أحدٌ منهم نفسَه إلا كعبَ بن عَبَدَة : إن سعيداً أكثرَ عَذْلَه على قومٍ من أهل الوَرَع والدِّين والفَضْل ، فحَمَلَك من أمرِهم على ما لا يَحِلُّ لك، وإنَّا نذكِّرُكَ اللهَ في أمرِ أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم ؛ فإنَّكَ قد بسطتَ يدَكَ فيها ، وحملتَ بني أبيك على رِقابها ، وقد خِفْنَا أن يكون فسادُ الأمّة . فاتّقِ الله تعالى ، فإنَّك إمامُنا ما أَطَعْتَ اللهَ واستقَمْتَ .

وبعثُوا بالكتاب مع أبي رَبيعة العَنَزِيّ ، فقال له عثمان : مَنْ كَتب هذا ؟ قال: صلحاءُ أهلِ المِصْر وأشرافُهم . قال : فسمِّهم ، قال : ما أُسمِّي إلَّا مَنْ سَمَّى نفسَه .

---

(١) الأغاني : « جهيم » .

(٢) أبو إسحاق كنية سعيد بن العاص .

(٣) النيازك : جمع نيزك ؛ وهو الرمح القصير .

فكتب عثمانُ إلى سعيدِ بن العاص : اضرِبْ كعبَ بنَ عَبدَة عِشرين سوطا ، وسَيِّره إلى الرَّىّ ، وحَوِّلْ ديوانَه إليها .

فقال كعب :

أترْجُواعتِذارِى يابن أَرْوَى ورَجْعتى	عن الحقّ قِدْما غالَ حِلمَك غُولُ
وإنّ دُعائى كلَّ يومٍ وليلةٍ	عليكَ بما أَسْدَيْتَهُ لَطَويلُ
وإنّ اغترابى فى الإله وجَفْوَتِى	وشَتْمِىَ فى ذاتِ الإله قَليلُ

فبلغ شعرُه عثمانَ ، فكتب إلى سعيد : قد خفتُ أن تكون قد احتملت من أبن ذى الحنكة حَوْبَة ، فابْعَثْ إليه بمن يُقدِمُه عليك ، ثمّ احمِلْه إلىّ .

فبعث سَعيدٌ بكرَ بن حمران ــ وهو كان أشخَصَه ــ فلمّا قَدِم على سعيد أَشْخَصَهُ إلى المدينة . فقال له عثمان رضى الله عنه : يا أخا بنى نَهْد ؛ إن كان لكم علىَّ حقٌّ فإنّ لى عليكم حقًّا ، قد كانت مِنّى طُرّة ؛ كتبتُ إلى سعيد أن يضربك عشرين سوطا ، فإنْ أحببتَ أن تقتصّ فاقتصّ ، قال : أقتصّ ؛ فخلع عثمان ثيابَه وأعطاه السّوط ، وقعد بين يديه . فقال : قد عفوتُ يا أمير المؤمنين ، وتركتُه لله .

فلمّا قَدِم الكوفةَ لامَه بعضُ قومه ، وقال : ما مَنَعَك أن تقتَصّ ! فقال : سبحان الله ! والى المسلمين قادَنِى مِن نفسِه ــ ولو شاء لَمْ يَفْعَل ــ أقتصُّ منه عند تَوْبَتِه ! ما كنتُ لِأَفْعَل .

سَعْيَةُ بنُ الغَرِيض*

هو سَعْيَةُ بنُ غَرِيض بن عادِياء ، وقد ذُكِرَ بعضُ نَسَبِه فى ترجمةِ أخيه السَّمَوْءَل بنِ غَرِيض . وكان سَعْيَةُ شاعرا ، وهو الّذى رَثَى نفسَه لمَّا حضَرَتْه الوفاةُ بالأبيات الّتى تُذْكَر بعد هذه الحكاية ؛ وأَسْلَمَ سَعْيَةُ وعُمِّرَ عُمراً طويلا .

ويقال : إنَّه مات فى آخِرِ خلافةِ معاوية .

رَوَى الهَيْثَم بنُ عَدِىّ قال : حَجَّ معاويةُ حَجَّتَين فى خلافتِه ، وكان له ثلاثون بَغْلَةً ، تَحُجّ عليها نساؤه وجَوارِيه .

قال : فَحجّ فى إحداها فرأى شيخاً يصلِّى فى المَسْجِد الحرام ، عليه ثوبان أبيضان ؛ فقال : مَن هذا ؟ فقالوا : سَعْيَةُ بنُ غَرِيض ــ وكان من اليهود ــ فأَرسَل إليه يَدْعوه ، فأتاه رسولُه فقال : أَجِبْ أميرَ المؤمنين . قال : أَوَلَيْس قد مات ! قيل : فأجب معاوية ، فأتاه فلَم يسلِّم عليه بالخلافة .

فقال له معاوية : مافعلَتْ أرضُك التى بتيماء؟قال: يُكْسَى منها العارِى ويُرَدّ فضلُها على الجار . قال : أتبيعُها[1] ؟ قال : نعم . قال : بِكَم ؟ قال : بستِّين ألفَ دينار ، ولولا خَلّةٌ[2] أصابت الحىَّ لم أَبِعْها . قال : لقد أَغْلَيْتَ[3] ! قال : أمَا لو كانت لبعض أصحابك لأخذتَها بستّمائةِ ألف ، ثم لم تُبَلْ[4] ! قال : أَجَلْ ، قال : فإذ

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ١٢٩ ــ ١٣٢ (طبعة الدار) ، ١٩ : ١٠٠ــ١٠٢ (ساسى)

(١) الأغانى : « أفتبيعها » .

(٢) الخلة : الفقر والحاجة .

(٣) أغليت : بالغت فى الثمن .

(٤) لم تبل ، أى لم تبال.

بَخِلْتَ بأرضك ؛ فأَنشِدْنِى شعرَ أبيكَ الّذى يَرْثى به نفسَه ، قال : قال أبى :

يا ليتَ شِعرى حينَ أَندُب مالكاً ماذا يؤبِّنُنى به أنْوَاحِى !(١)
أيَقُلْن لا تبْعَدْ فرُبَّ كَريهةٍ فرَّجْتُها بشجاعة وسَماحِ(٢)
ولقد ضربتُ بفضْل مالى حَقَّهُ عنــد الشّقاء وهَبّةِ الأَرواحِ(٣)
ولقد أخذتُ الحقَّ غيرَ مُخاصَمٍ ولقد رددتُ الحقَّ غيرَ مُلاحِ
وإذا دُعِيتُ لصَعْبَةٍ سَهَّلتُها أُدْعَى بأَفْلَحَ مَرَّةً ونَجاحِ

فقال : أنا كنتُ بهذا الشِّعر أَوْلَى من أبيك . قال : كَذَبْتَ ولَؤُمْتَ ! قال : أمَّا كذبتُ فنعَمْ ، وأمَّا لَؤُمْتُ فكيف ، ولِمَ ؟ قال : لأنَّكَ كنتَ ميّتَ الحقِّ فى الجاهلِيّة ومَيّتَه فى الإسلام ؛ أمَّا فى الجاهليّة فقاتَلْتَ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكَذَّبْتَ الوَحْىَ ؛ حتّى جعلَ اللهُ تعالى كَيْدَكَ المرْدُود . وأمَّا فى الإسلام فمَنَعْتَ وَلَدَ النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم الخلافة ، وما أنت وهى وأنتَ طَلِيق(٤) ! فقال معاوية : قد خَرِف(٥) الشيخُ فأَقِيموه ؛ فأُخِذ بيدِه فأُقِيم .

---

(١) الأنواح : النساء ينحن .
(٢) الكريهة : الأمر العظيم .
(٣) الأرواح : جمع ريح .
(٤) أى من الطلقاء الذين حاربوا النبى صلى الله عليه وسلم من قريش وآذوه ، فلما غلبهم عام الفتح خطبهم فقال : يا معشر قريش ؛ ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا: خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .
(٥) يقال : خرف الشيخ ؛ إذا فسد عقله .

حرف الشين

الشَّمّاخ*

هو الشمّاخ بنُ ضِرار بنِ سِنان بن أُمامة[1] بنِ عمرو بنِ جِحاش بن بَجالة بن مازِن بنِ ثعلبة بنِ سعدِ بنِ ذُبْيان ؛ وقيل : هو الشمّاخ أبنُ ضِرار بن حَرْملة بن صَيْفيّ بنِ إياس بن عبدِ بنِ عثمانَ بنِ جِحاش بن بَجالة .

وأمّ الشّمّاخ أَنْمارِيّة من بَنات الخُوْشب[2] . ويقال : إنّها أنجبُ نساء العَرَب ، وأسمُها : مُعاذَة بنتُ بُجَير بن خَلَف[3] بنِ إياس .

والشّمّاخ مخضرَم ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام ؛ والشمّاخ لقبٌ غلَب عليه ؛ وأسمه مَعْقِل ، وقيل : الهَيْثم . ومَعقِل هو الصحيح ، وهو أحدُ مَنْ هجا عشيرتَه ، وهجا أضيافَه ومَنَّ عليهمْ بالقِرَى .

وللشمّاخ أخوان لأبيه وأمّه شاعران ؛ أحدهما مزرِّد وهو مشهور ، وأسمُه يزيد ، وسمِّى مزرِّداً لقوله :

فقلتُ تزَرَّدْها عُبَيْدُ فإنّنى ... لِدُرْدِ المَوالى فى السِّنين مُزَرِّدُ[4]

والآخَر جَزْء[5] بنُ ضِرار . وهو الّذى رَثَى عمرَ بنَ الخطّاب رضىَ اللّه عنه فقال:

عليكَ سلامٌ مِن أميرٍ وباركَتْ ... يدُ اللهِ فى ذاكَ الإهابِ المُمزَّقِ

* ترجمته فى الأغانى ٩ : ١٥٨ ـ ١٧٣ (طبعة الدار) .

(١) الأغانى : « أمية » .

(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « الخرشب » . ١

(٣) الأغانى : « خالد » .

(٤) تزردها : ابتلعها .

(٥) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج « جرير » ، تصحيف .

فمَن يَسْعَ أو يَرْكَبْ جَناحَىْ نَعامةٍ ... لِيُدرِكَ ماقدّمْتَ بالأمس يُسْبَقِ (١)

وقيل : إنّ الجِنّ ناحتْ بهذا الشِّعر على عمرَ رضىَ الله عنه ، فإنّه قيل : إنّ عمرَ أَذِن لأزواج النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يَحْجُجْن فى آخر حِجّة حَجَّها ، فلمّا أرتحل من الحَصْبة(٢) أقبل رجلٌ ملثَّم فقال : أين كان منزلُ أميرِ المؤمنين ؟ فقال قائل : هذا كان منزِلُه ، فأناخَ فى منزِلِه ، ثم أنشدَ هذه الأبيات :

* عليكَ سلامٌ مِن أميرٍ وباركتْ *

فقالت عائشة : اعلَموا عِلمَ الرَّجُل ، فذهبوا فلم يَجِدوا فى مُناخِه أحدا .

قالت عائشة : فإنّى لأحسَب أنّه من الجِنّ ، فلمّا قُتل عمرُ رضىَ الله عنه ، نَحَل الناسُ هذه الأبيات إلى الشّمّاخ بنِ ضِرار .

وهو فى الطبقة الثالثة مقرونٌ بالنابغة ولَبيد وأبى ذُؤَيْب . وكان شديدَ مُتونِ الشِّعْر ، أشدَّ كلاما من لَبيد ، ولَبيد أسهلُ منه مَنطِقا .

وقال الحُطَيئة فى وصيّته : أبلغوا الشَّمّاخ أنّه أشعرَ غَطَفان ، وهو أَوْصَف الناس للحَميرِ ، والفرَس .

وقال الوليدُ بنُ عبدِ المَلِك ، وقد أُنشِد شيئا مِن شِعره فى الحَمير : ما أَوْصَفَه لها ! أَحسَب أنّ أَحَد أبوَيْه حِمار(٣) . وكان أَرْجزَ النّاسِ على البَديهة .

قالت مُعاذَةُ بنتُ بُجَير لولَدَيْها : الشّمّاخ ومُزَرِّد : عرَضْتُمانى لشُعراء العرب : الحُطَيئة ، وكعبِ بنِ زُهير . فقالا لها : لا تَخافِى . فقالت : فما يؤمِّننى ؟ قالا : إنّكِ رَبَطْتِ ببابِ بيتِك كَلْبَى هِراش(٤) ، لا يجترئ عليهما أحد ـ يعنِيان أنفسَهما .

---

(١) الأغانى : « ليدرك ما حاولت » .

(٢) كذا فى ب ، ج ؛ وفى الأغانى عن ابن سعد : « المحصب » .

(٣) الأغانى : « كان حمارا » .

(٤) الأغانى . « جروى هراش » .

وقال مزرِّد لأمّه : كان كعبُ بنُ زُهير لا يهاَبُنى ، وهو اليوم يَهاُبنى . فقالت له : يا بُـنَىّ ، إنه يَرَى نِعمَ جَرْوِ الهِراش مربوطا بباب أهلِك ـ تعـنِى أخاه .

قَدِم قومٌ من بَهْز إلى المدينة ، يَستعْدُون على الشمّاخ ـ وبَهْز اسمُـه تَيْم بنُ سليمانَ بن منصور ، وزعموا أنّه هَجاهم ـ فجحَد ذلك الشمّاخ فأمرَ عثمانُ بن عفّانَ كَـثيرَ بنِ الصَّلْت أن يستحلِفَه على مِنبر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنه ما هجاهم ! فانطَلَق كثير إلى المسجد ، ثم انتحاه دونَ بَهْز ، فقال له : وَيْحَك ياشمّاخ ! إنـك لتَحْلِف على مِنبر رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، ومَن حَلَف بالله كاذبا ؛ فإنما يَتبوّأ مَقْعَده من النّار ؛ قال : فـكيف أَفعَل فِداك[1] أبى وأمّى ! قال : إنّى سأحلّفُك ما هجوتَهم[2] فأرِدْنى وناحِيَتى بذلك ؛ فإنّى سأدفع عنك .

فلمّا وقف حَلَف كما قال ، وأقبَل على كَـثير وقال : ما هجوتُهم[3] ، فقالت له بَهْز : ما عَـنَى غيرَكم ، فأَعِدْ لنا اليَمينَ عليه ، فقال : مالى أتأوّله ! هلّا أستحْلَفْتُه إلّا لـكم ! وما اليمينُ إلّا مرّةً واحدة ! انصرِفْ ياشمّاخ ، فانصرَف وهو يقول :

أَتَتْـنِى سُلَيْمٌ قَضُّها وقَضِيضُها ... تُمسِّح حَوْلى بالبَقيعِ سِبالَها
يقولون لى يا احْلِفْ ولستُ بحالفٍ ... أخادعُهمْ عنهـا لـكَيما أَنالَهـا
ففرّجْتُ هَمَّ الموتِ عَنِّى بحلْفَةٍ ... كما شَقّت الشّقْراء يوما جِلالَها[4]

وقيل: إن الشمّاخ تزوّج امرأةً من بنى سُلَيم ، فأساء إليها وضَربها وكَسر يَدها. فمرَضَت امرأةٌ من قومها يقال لها أسماء ذات يوم للطريق ، تَسأَل عن صاحبتِها ،

---

(١) الأغانى : « فداؤك » .

(٢) زاد فى الأغانى بعد هذه الـكلمة : « فاقلب الـكلام على وعلى ناحيتى ، فقل : والله ما هجوتـكم » .

(٣) فى الأغانى : « ما هجوتـكم » .

(٤) فى الأغانى : « عنها جلالها » .

فاجتازَ بها الشمّاخ [وهى لا تعرفه فقالت له : ما فعل الخبيث شمّاخ ؟](١) فقال : ما تُرِيدِين منه ؟ قالت : إنّه فعَـل(٢) بنا كَيْتَ وكَيْت ؛ فتجاهَلَ عليها وقال : لا أعلمُ له خَبَراً. وتركها ومضى.

ودخل المدينةَ فى بعض حوائجه، فتعلّقت به بنوسُلَيم يطلبون بظُلامة صاحبتِهم ، فأنـكرَها ، فقالوا له : اِحلِف ، فجعل يَطلُب إليهم ويُغلِّظ أمرَ اليمين وشدّتها عليه ليرْضَوْا بها حتى رَضُوا ، فحَلَف وقال الأبيات :

ألا أصبحتْ عِرْسِى من البَيْتِ جامِحاً   بغيرِ بَلاءٍ أىُّ أمرٍ بدَا لَها !

وكان الشمّاخ يَهوَى امرأةً من قومه ، يقال لها كَلْبة بنت جَوّال أخت جَبَل ابن جَوّال بن صَفْوان بن بلال بنِ الأصرم بنِ إياس بنِ عبدِ تَميم بنِ جحاش ابن بَجالة بن مازِن بن ثعلبة . وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر . وخطبها ، فأجابته ، وهمت أن تتزوّجه ، ثم خرج إلى سفر ، فتزوّجها أخوه جزْء(٣) بن ضِرار ، فآلى الشمّاخ ألاّ يكلِّمه أبدا ، وهجاه بقصيدته التى يقول فيها :

لنا صاحبٌ قد خانَ من أجلِ نَظْرةٍ   سَلِيبُ الفؤادِ حُبُّ كَلْبَةَ قاتلُه(٤)

[فماتا متهاجرين](٥) .

خرج الشمّاخ يريد المدينة ، فلقِيَه عَرابَةُ بنُ أَوْس فسأله عمّا أقدَمه فقال : أردتُ أن أمتِـارَ(٦) ، وكان معـه بَعيران فأوْقَرَها(٧) له بُرًّا وتَمْراً وكساه ،

(١) من الأغانى .

(٢) فى الأغانى : « إنه فعل بصاحبة لنا » .

(٣) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « جرير » ، تصحيف .

(٤) الأغانى : « شاغله » .

(٥) من الأغانى .

(٦) أمتار : أطلب الميرة .

(٧) أوقرها : حملهما حملا ثقيلا .

وأكرمه ، فخرج عن المدينة وأمتدحه بقصيدته التى يقول فيها :

رأيتُ عَرابةَ الأَوْسِىَّ يَجْرِى[(١)] ... إلى الخيْراتِ مُنقطع القَرِين

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ ... تلقّاها عَرابَةُ باليَمِين

هو عَرابةُ بنُ أَوْس بن قَيْظِىّ بن عَمرو بنِ جُشَم بنِ حارثةَ بنِ الحارث ابن الخزْرج ، وإنّما قالله [الشمّاخ][(٢)] : « عَرابةُ الأَوْسِىّ » وهو من الخزْرج ؛ نسبة إلى أبيه أَوْس بن قَيْظِىّ ؛ لأنّ عَرابةَ من الخزْرج .

وكان عَرابةُ قد أتى النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم ليغزوَ معه فى أُحُد ، فردّه فى تِسعةٍ أستصغرَهم ، منهم عبدُ الله بنُ عمرَ بنِ الخطّاب ، وزيدُ بنُ ثابت ، وأُسَيْد ، والبَرَاء بنُ عازِب ، وعَرابةُ الأَوْسِىّ ، وأبو سعيد الخُدْرِىّ .

وكان أَوْسُ بن قَيْظِىّ أبو عَرابةَ من المنافِقين الّذين شهدوا أُحُدًا مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو الّذى قال : ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ﴾ . وأخوه مِرْبَع بنُ قَيْظِىّ الأَعمى الّذى حَثا[(٣)] فى وجهِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم التّراب لمّا خرج إلى أُحُد ، وقد مرّ بحائطه[(٤)] وقال له : إن كنت نبيًّا فما أَحَلَّ لك أن تدْخُلَ [فى][(٢)] حائطى ؛ فضربَه سعدُ بنُ زَيْد الأَشهلىّ بقوسه فشجّه ، وقال لرسول الله : دَعْنى أَقتلْه ؛ فإنّه منافق ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « دَعْه فإنّه أعمى القلب أعمى البصر » . فقال أخوه أَوْسُ بنُ قَيْظِىّ : لا والله ، ولكنّها عداوتُكم يا بنى عبدِ الأَشْهَلِ . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « لا والله ، ولكنّه نِفاقُكم يا بنى قَيْظِىّ » .

---

(١) فى الأغانى : « يسمو » .

(٢) من الأغانى .

(٣) حثا : رمى .

(٤) الحائط هنا : البستان .

وكان عَرابةُ سَيِّدًا من ساداتِ قومِه ، جَوَادًا ؛ وقد انقرَض عَقِبُه فلم يَبْقَ منهمْ أحد .

وقال معاويةُ لعَرابة بنِ أَوْس : بأيِّ شيء سُدْتَ قومَك ؟ قال : أَعفُو عن جاهِلِهم ، وأُعطِى سائلَهم ، وأَسعَى فى حاجاتِهم ؛ فمَن فَعل مِثلَ ما أَفعل فهو مِثْلى ، ومَن قصّر عنه فأنا خيرٌ منه ، ومَن زاد فهو خيرٌ مِنّى !

وقال الشمَّاخ يَمدَح عبدَ الله بنَ جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

إنّك يابنَ جعفرٍ نِعْمَ الفَتَى ونعمَ مَأْوَى طارقٍ إذا أَتَى !
ورُبَّ ضيفٍ طَرَقَ الحىَّ سُرَى (١) صادَفَ زاداً وحديثاً ما اشتهَى

قال ابنُ دَأْبٍ : العَجَب للشمّاخ ، يقول هذا لعبد الله بنِ جعفر ، ويقول لعَرابةَ :

إذا ما رايةٌ رُفعَتْ لمجدٍ تَلقَّاها عَرابةُ باليمينِ

وعبدُ الله بنُ جعفر كان أحقَّ بهذا من عَرابة .

وقال أبو نُواس : ما أحسَنَ الشمّاخُ فى قوله :

إذا بَلَّغتِنى وحطَطْتُ رَحْلِى عَرابةَ فاشرَقِى بدَمِ الوَتينِ (٢)

ألا قال كما قال الفرزدق :

عَلامَ تلفَّتِين وأنتِ تحتِى وخيرُ النّاس كلِّهمُ أَمامِى !
مَتى تَردى الرُّصافةَ تستريحى من التَّهجير والدَّبَر الدَّوامِى (٣)

ومن هذا أَخذ داودُ بنُ سَلْم فى مدحِه قُثَمَ بنَ العبّاس ، فأَخَذ وأحسَن :

غَنيتِ مِن حلِّى ومِن رِحْلَتى ياناقُ إنْ أدنيْتِنِى مِن قُثَمْ

---

(١) السرى : سير عامة الليل .

(٢) فى الأغانى : « إذا بلغتنى وحملت » . والوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه.

(٣) التهجير : المشى فى الهاجرة . والدبر ، بالتحريك : القروح . والدوامى : التى تدمى بالدم .

ولمّا أُنشِد عبدُ الملك قولَ الشمّاخ فى عَرابة :

إذا بَلّغتِنى وحَطَطْتُ رَحْلى عَرابةَ فاشرَقِى بدمِ الوَتينِ

فقال : بئستِ المكافأة كافأها ! حمَلَتْ رَحْلَه ، وبلّغَتْه بُغيتَه ، فجعل مكافأتَها نحرَها .

نَصَبَ عبدُ الملك بنُ مروانَ موائدَ للنّاس ليطعمَهم ، فجلس رجلٌ من أهل العِراق على بعضِ الموائد ، فنظر إليه خادمٌ لعبد الملك فقال: أعراقىٌّ أنت ؟ قال : نعم . قال : أنت جاسوس ؟ قال : لا ، قال : بلى . قال : وَيْحَك ! دَعْنى أتهنّأ بزاد الأمير، ولا تُنغِّصْنى به. ثم إنّ عبد الملك وقف على تلك المائدة وقال: مَن القائل:

إذا الأَرْطَى توسَّدَ أَبْرَدَيْهِ خُدودُ جوازىءٍ بالرَّمْلِ عِينِ(١)

وما معناه ؟ ومن أجابَ فيه أَجَزْناه ، والخادم يَسمَع ، فقال له العراقىّ : أتُحِبُّ أن أشرحَ لك ما معناه ، وفيمَ قيل ؟ قال : نعم . قال : يقوله : عدىُّ بنُ زَيد فى صفة البِطِّيخ الرَّمْسىّ.

فقال الخادم ذلك لعبد الملك ، فضحك عبدُ الملك حتّى سقط ؛ فقال له الخادم : أخطأتُ أم أصبتُ؟ قال : بل أخطأتَ، فقال الخادم : هذا العراقىُّ فعل الله به وصنع لَقَّنَنيه ، فقال : أىّ الرجال هو ؟ فأراه إيّاه ؛ فعاد عبدُ الملك إليه فقال : أنتَ لقّنْتَه هذا ؟ قال نعم . قال : أخطأً لقّنْتَه أم صوابا ؟ قال : بل خطأً . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّى كنتُ متحرّما بمائدتك ، فقال : كَيْتَ وكَيْت ، فأردتُ أن أكفّه عنّى ، وأُضحِكك . قال : وكيف الصّواب ؟ قال : يقوله الشمّاخ الغَطَفانىُّ فى صفة البَقَر الوحشيّة ، وقد جزَأَتْ بالخضِر(٢) عن الماء. قال: صدقتَ؛ وأجازَه، ثم قال: حاجتَك؟ قال : تُنحِّى هذا عن بابك ؛ فإنّه يَشِينُه.

---

(١) الأرطى : شجر من أشجار البادية تدبغ به الجلود ، والأبردان : الظل والفىء ؛ سميا كذلك لبردهما . والجوازىء : بقر الوحش . والعين : الواسعات العيون .

(٢) فى الأغانى : « الرطب » .

ذِكرُ شَبيبِ بنِ البَرْصاء*

هو شبيبُ بنُ يزيدَ بنِ جمرةَ[1] بن عوفِ بن أبى حارثةَ بن مرّة بنِ نُشْبةَ بن غيظِ ابن مُرّة بنِ سعدِ بنِ ذُبْيان .

والبَرْصاء أمُّه، واسمُها قِرْصافةُ بنتُ الحارث بنِ عوف بنِ أبى حارثة ؛ وهو ابن خالةِ عَقيل بن عُلَّفَةَ المُرّىّ .

وأمُّ عَقيل عَمْرَةُ بنتُ الحارث بنِ عوف ، ولُقِّبت قِرْصافةُ البَرْصاء لبياضِها لا لبَرَصٍ[2] فيها .

وشَبيبٌ شاعر فصيحٌ إسلامىّ من شعراء الدّولة الأمويّة، بَدَوىّ ، وكان يُهاجى عَقيلَ بنَ عُلَّفَة ويُعاديه بشراسَةٍ كانت فى عَقيل وشرٍّ عظيم ، وكلاهما كان شريفا سيّدا فى قومه ، فى بيت سَبْقهم[3] وسُؤْدُدِهم .

والسبب فى المهاجاة بينهم ، أنّ جاراً من بنى سَلامانَ بن سَعْد كان يطوف فى بنى مرّة يتحدّث إلى النّساء ، فبلغ ذلك عَقِيلا فامتلأ عليه غَيْظاً ، فبيْنا هو جالس وعندَه غِلْمان ، وهو يجرُّ إبِلًا له على الماء ، إذْ طَلَع السَّلامانىُّ على راحلتِه ، فوَثَب إليه هو وغِلمانُه ، فضَرَبه ضَرْبا مبرِّحا ، وعقَروا راحِلَته ، وانصرَف من عندِه بشرّ ، فلم يَعُدْ إلى ذلك الموضع ، ولَجّ الهجاء بينهما .

وكان عَقيلٌ سيّىءَ الخُلُق ، غيُورا ، وكان شبيبٌ أعوَرَ ، أصاب عينَه رجلٌ من طيّئٍ فى حَرْب كانت بينهم .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٢ : ٢٧١ ـ ٢٨١ (طبعة الدار) .

(١) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « جمرة » .

(٢) فى الأغانى : « لا لأنها كان بها برص » .

(٣) الأغانى : « شرفهم » .

فاخرَ عقيلُ بنُ عُلَّفة شبيبَ بنَ البَرْصاء، فقال شبيبٌ شعرا يهجوه ويعيِّره برجل من طيّئ كان يأتى أمّه عمرةَ بنتَ الحارث ، يقال له : حيّان، ويهجو غَيْظَ بنَ مُرّة. واجتمعا عند يحيى بنِ الحكم ، وتكلّما فى بعض الأمر ، فاستطال عقيلٌ على شَبيبٍ بالعمّةِ (١) التى بينهم . فقال فيه شَبيبٌ يَهجُوه :

ألا أَبلغْ أبا الحَرْباء عنّى (٢) … بآياتِ التَّباغُضِ والتَّقالِى
فلا تذكُرْ أباكَ العبدَ وافخرْ … بأمٍّ لستَ مُكْرِمَها وخالِ
إذا طارت نفوسُهُم شَعاعا … حَمَيْنَ المحصَناتِ لدَى الحِجالِ (٣)
بطعنٍ تَعْثُرُ الأبطالُ منه … وضربٍ حيثُ تُقتَنَص العَوالِى (٤)
أَبَى لِى أنّ آبائى كِرامٌ … بَنَوْا لِى فوقَ أَشْرافٍ طِوالِ (٥)
أبا الجحّافِ شَرُّ الناسِ حَيًّا … وأعناقِ الأُيُورِ بنى قِتالِ (٦)
رَفَعْتَ مُسامِياً لتَنالَ مَجْداً … فقد أصبحت فيهم فى سَفالِ (٧)

بنو قتال : إخوة بنى يَرْبوع ، رَهْط عقِيل بنِ عُلَّفة ، وهم قومٌ فيهم جَفاء، مات رجلٌ منهم فكفنه أَخَواه فى عَباءةٍ له .

وقال أحدُهما للآخَر : كيف تَحمِلُه ؟ فقال : كما تُحمَل القِربة ، فعمَد إلى حَبْل فَشدّ طَرَفه فى عُنُقه ، وطَرَفه فى رُكْبَتَيْه ، وحَمَله على ظهرِه كما تُحمَل القِرْبة ،

(١) الأغانى : « بالصهر » .
(٢) الأغانى : « الجرباء » . ج : « الحرقاء » ؛ وما أثبته من ب .
(٣) شعاعا : متفرقة . والحجال : جمع حجلة ؛ وهى الكلة تهيأ للعروس .
(٤) العوالى : جمع عالية ؛ وهى أعلى الرمح :
(٥) أشراف : جمع شرف ، وهو المكان العالى .
(٦) ب ، ج : « أبا الجحاف » ، وفى الأغانى : « أبا الحفاث » . وفى الحواشى : الحفاث : حية ، على تشبيه قوم عقيل بها .
(٧) الأغانى : « منهم » .

فلما صاروا به إلى الموضع الّذى يُدفَن فيه حَفروا له حُفرةً وألقَوْه فيها، ووارَوْه بالتُّراب فلمّا انصرَفا قال له : يا هَناه[1] ، أنسِيتُ الحبلَ فى عُنق أخى ورِجْليه ، وسيَبْق مكتوفا إلى يوم القيامة ! قال : دَعْه ، يا هَناهْ ، فإنْ يُرِد اللهُ به خيرا يَحُلّه .

خَطب شبيبُ بنُ البَرْصاء إلى يزيدَ بنِ هاشم بن حَرْملة المُرّىّ الصّريمى[2] ابنتَه ، فقال : هى صغيرة ، فقال : لا ، ولكنّكَ تبغِى أن تَرُدّنى ، فقال له يزيد : ما أردتُ ذاكَ ولكنْ أنظِرْنى[3] هذا العام ، فإذا انصرَم فعلىَّ أن أزوِّجَك .

فانصرَفَ شبيبٌ مِن عندِه مُغضَباً ، فلمّا مضى قال ليزيدَ أهلُه[4] : والله ما أفلحتَ ، خَطَب إليك شبيبٌ سيّدُ قومِك فرددْتَه ، قال : صغيرة ، قالوا : وإن كانت صغيرةً فإنّها ستَكبرُ عندَه ، فبعث إليه يزيد ارجِع فقد زوّجْتُك ، فإنّى أكرَه أن تَرجع إلى أهلِك وقد رددْتُك ، فأبَى شبيبٌ أن يَرجع ، وقال :

تُرَجِّى النُّفوسُ الشىءَ لا تَستطيعُهُ ... وتَخشَى من الأشياء ما لا يَضِيرُها
تَبيَّنُ أدبارُ الأمورِ إذا مضتْ ... وتُقبِلُ أَشباهاً عليك صُدورُها
ألا إنّما تكفِى النّفوسَ إذا اتَّقتْ ... تُقَى اللهِ ممّا حاذرَتْ فيُجيرُها
ولا خيرَ فى العيدان إلّا صِلابُها ... ولا ناهِضاتِ الطَّيرِ إلّا صُقُورُها
ومستنبِحٍ يَدْعو وقد حالَ دونَه ... من اللّيل سِجْفَا ظُلْمَةٍ وسُتورُها[5]

---

(١) هن: كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان؛ وتزاد الألف فى آخر النداء .
(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « الصرمى » .
(٣) أنظرنى : أمهلنى .
(٤) الأغانى : « بعض أهله » .
(٥) السجف : الستر .

رفعتُ له نارِى فلما اهتدَى بهـــا زجرتُ كلابى أن يَهِرَّ عقـورُهـا[١]
فبات وقد أسْرَى من الليل عُقْبـةً بليلةِ صدقٍ غاب عنها شُرورُها[٢]

كان بين بنى كلبٍ وقومٍ من قيس دِياتٌ ، فمشى القوم إلى أبناء أخوالهم[٣] من بنى أميّة يستغيثون بهم فى الحمالة[٤] ، فحملها محمد بنُ مَرْوانَ كلَّها عن الفريقين ، وتمثَّل بقول شبيب بن البَرْصاء :

ولقـد وقفتُ النّاس عن حاجاتِهمْ والنفسُ حاضرةُ الشَّعـاعِ تَطلَّعُ[٥]
وغَرِمْتُ فى الحسَبِ الرّفيعِ غَرامةً يعيا بها الحصر الشّحِيح ويَظْلَعُ[٦]
إنِّى فـــتًى حُرٌّ لِقَدْرِى عارفٌ أُعطِى به وعليـــه ممّا أَمنَـــعُ

اِستعدَى رهطُ أرْطاة بنِ سُهَيّـةَ على شبيبِ بنِ البَرْصاء إلى عثمانَ بنِ حَيّان المُرّىّ ، وقالوا له : عمَّنا بالهجاء ، وشتَم أعراضَنا . فأمَرَ بإشخاصِه إليه ، فدخل على عثمانَ وقد أُوتِىَ بثلاثة لُصوص قد أفسَدوا فى الأرض، يقال لهم : بَهْدل ومَسْعود[٧] وهُضَيم ؛ فقتَل بَهْدلا وصَلَبه ، وقَطع مسعودا والهضَيم، ثم أَقبَل على شبيب، فقال له: كم تَسُبُّ أعراضَ قومِك ، وتَسْتَطِيل عليهم ، أُقسِم قسَما صادقاً[٨] لئن عاودتَ هجاءَهم لأقطعنّ لسانَك . فقال شبيب :

---

(١) هرير الكلب : صوته ؛ وهو دون النباح .
(٢) العقبة : مقدار فرسخين .
(٣) الأغانى : « أخواتهم » .
(٤) الحمالة : الدية يحملها القوم .
(٥) نفس شعاع : متفرقة .
(٦) الحصر : البخيل ، وظلع : غمز فى مشيه ؛ وهو شبيه بالعرج .
(٧) فى الأغانى : « ومتغور وهيصم » .
(٨) فى الأغانى : « حقا » .

سجنتَ لسانى يا بنَ حيّان بعدَما ... تولَّى شَبابى إنّ عَقْدكَ مُحكَمُ
وَعيدُكَ أَبقَى مِن لسانى بذاءَةً ... هيُوباً وصَمْتاً بعدُ لا يتكلَّمُ(١)
رأيتكَ تحلَوْلِى إذا شئتَ لامرِئٍ ... ومُرًّا مُرَاراً فيه صابٌ وعلْقَمُ(٢)
وكلّ طَريدٍ هالكٌ متحيِّرٌ ... كما هَلكَ الحيرانُ والّليلُ مُظلِمُ
يداكَ يدَا خَيْرٍ وشرٍّ فمنهما ... تَضُرّ ، وللأخرى ثوابٌ وأَنْعُمُ

هجا أَرْطاةُ بنُ سُهيّة شبيبَ بنَ البَرْصاء ، ونفاه عن بنى عَوْف فقال :

فلو كنتَ عَوْفِيًّا عَمِيتَ وأَسهلَتْ ... كُداكَ ولكنّ المُرِيبَ مُرِيبُ(٣)

فعَمِى شبيبُ بنُ البَرْصاء بعد موت أَرطاةَ بنِ سُهيّة ، وكان يقول : ليت ابنَ سُهيّة كان حيًّا ؛ لِيعلَم أَنّى عَوْفِيّ !

قال: والعَمَى شائعٌ فى بنى عَوْف ، إذا أسَنَّ الرجلُ منهم عَمِىَ ، وقلّ مَن يُفلِت من ذلك منهم .

وكان عبدُ الملك يتمثّل بقول شبيبٍ فى بَذْل النَّفس عند اللقاء ، ويُعجَب به :

دَعانى حُصَيْنٌ للفِرار وساءَنِى ... مَواطنُ أن يُثنَى عليها فأُشتَما(٤)
فقلتُ لِحِصْنٍ : نَحِّ نفسَك إنَّمَا ... يَذُودُ الفَتَى عن حوضِه أنْ يُهدَّما
تأخّرتُ أَستبقِى الحياةَ فلَمْ أَجِدْ ... لنفسِى حياةً مثل أن أتقدَّما(٥)
سيكفيكَ أطرافَ الأسنَّةِ فارسٌ ... إذا رِيعَ نادَى بالجواد فأُلجِما
إذا المرء لم يَغشَ الكريهةَ أَوْشكَتْ ... حبالُ الهُوَيْنَى بالفتى أن تَجذَّما(٦)

(١) الأغانى : « من لسانى قذاذة » ؛ وفى شرحه : القذاذة من كل شىء : ما قطع منه .
(٢) احلولى : حلا . المرار : شجر مر .
(٣) الكدى : جمع كدية ؛ وهى الأرض .
(٤) فى الأغانى : « على فأشتما » .
(٥) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « بعد ما أتقدما » ؛ والوجه ما فى الأغانى .
(٦) تجذم : تقطع .

ذكر الشَّمَرْدَل*

هو الشّمردَلُ بنُ شَرِيك بنِ عبدِ اللهِ[1] بن رُؤْبة بن سَلَمة بن مكرم بن ضِبارى ابن عبيد بن ثعلبة بن يَرْبوع . إسلامىّ من شعراء الدّولة الأُمويّة ، معاصرُ جَريرٍ والفرزدق . وكان قد أُخرِج هو وإخوتُه : حَكَم ، ووائل ، وقُدامة إلى خُراسانَ مع وَكيع بنِ أبى سُود . فبعث وكيع أخاه وائلا إلى حَرْب التُّرْك ، وبعث أخاه قدامة إلى فارسَ ، وبعث أخاه حكما إلى سِجِسْتانَ .

فقال له الشّمردل : إنْ رأيتَ أيُّها الأميرُ أن تُنفِذَنا معاً فى وجهٍ واحد ، فإنّا إذا اجتمعْنا تعاوَنّا وتَناصَرْنا ! فلَم يفعَل ، وأنفَذَهم إلى الوُجوه الّتى أرادَها .

فقال الشّمردل يَهْجوه[2] . ولم يَنشَب أن أتاه نَعْىُ أخيه قدامةَ من فارس ، قتَله جيشٌ لقَوهم بها ، ثم تلا ذلك نعىُ أخيه وائل بعدَه بثلاثة أيّام ، فقال :

أعاذِلُ كم من روعةٍ قد شهدتُها　　وغُصّةِ حُزْنٍ فى فِراقِ أخٍ جَزْلِ
إذا وَقَعتْ بين الحيازيم أَسْدَفتْ　　علىَّ الضُّحَى حتّى تُنَسِّيَنى أَهْلِى[3]
وما أنا إلّا مِثلُ مَن ضُرِبَتْ له　　أُسَى الدَّهرِ عن ابنَىْ أبٍ فارَقا مِثْلى
أقول إذا عَزَّيْتُ نفسِى بإخوةٍ　　مَضَوْا لا ضِعافٍ فى الحياةِ ولا عُزْلِ
أبَى الموتُ إلّا فَجْعَ كلِّ بنى أبٍ　　سَيُمْسُون شتَّى غيرَ مجتَمِعى الشَّمْلِ

---

* ترجمته فى الأغانى ١٢ : ٣٥١ ــ ٣٦٣ (طبع الدار) .

(١) الأغانى : « عبد الملك » .

(٢) كذا فى الأصول . وانظر الأبيات فى الأغانى ١٢ : ٣٥١

(٣) الحيازيم : جمع الحيزوم ؛ وهو ما استدار بالظهر والبطن أو ضليع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . أسدفت : أظلمت فى لغة تميم ؛ والشمردل تميمى .

وقال يَرثِى أخاه وائلا ، وهى من مختار المَراثى[1] :

لعَمْرِى لئن غالَت أخِى دارُ فُرْقةٍ ... وآبَ إلينا سَيْفُه ورَواحِلُهْ
وحَلَّتْ به أثقالَها الأرضُ وانتهَى ... بمَثْواه منها وهو عَفٌّ مآكِلُهْ
وَصُولٌ إذا استَغْنى وإن كان مُقْترًا[2] ... مِن المال لم يُحفِ الصديقَ مُسائلُهْ[3]
مَحلٌّ لأضيافِ الشِّتاء كأنَّما ... هُمُ عنـــدَه أيتامُه وأرامِلُهْ
أقولُ وقد رَجَّمْتُ عنـه فأسرعتْ ... إلىّ بأخبـــار اليَقِين مَحاصِلُهْ[4]
إلى الله أشكو لا إلى الناسِ فَقْدَهُ ... ولوعةَ حُزْنٍ أوجَعَ القَلْبَ داخِلُهْ
وتحقيقَ رُؤيا فى المَنام رأيتُها ... وكان أخِى رُمحاً ترَفَّضَ عامِلُهْ[5]
سَقَى جَدَثاً أعرافُ غَمرةَ دونَه ... وبِبيشَةَ دِيماتُ الرَّبيع ووابِلُهْ[6]
بمَثْوَى غريبٍ ليس مِنَّا مَزارُه ... بدانٍ ، ولا ذُو الوُدِّ مِنَّا مُواصِلُهْ
إذا ما أتَى يومٌ مِن الدهر دُونَه ... فحَيَّاك عنّا شَرْقُه وأصائلُهْ
سَنَا صُبْحِ إشراقٍ أضاءَ ومَغربٌ ... من الشَّمس وافَى جُنْحَ ليلٍ أوائلُهْ
تحيَّـــةَ مَنْ أدَّى الرسالةَ حُبِّبَتْ ... إليه ، ولم ترْجع بشىء رسائلُهْ
أبَى الصبرَ أنَّ العَيْنَ بعدَكَ لم يزَلْ ... يخالِط جَفْنَيْها قَذًى لا تُزايِلُهْ[7]
وكنت أُعيرُ الدَّمعَ قبلَك مَن بَكَى ... فأنت على مَن ماتَ بعدَكَ شاغِلُهْ

---

(١) فى الأغانى : « وجيد شعره » .
(٢) المقتر : القليل المال .
(٣) أحفاه : برح به فى الإلحاح عليه ، أو سأله فأكثر عليه الطلب .
(٤) الترجيم : من الرجم ؛ وهو القذف بالغيب والظن .
(٥) ترفض : تكسر وتحطم . وعامل الرمح : صدره .
(٦) الأغانى : « ببيشة » .
(٧) القذى : ما ترمى به العين من غمص ورمص .

يذكّرني هَيْفُ الجنوب ومُنتهَى ... مسيرِ الصَّبا رَمْسٌ عليك جَنادِلُه (١)
وهتّافةٌ فوقَ الغُصون تفجّعتْ ... لفقْدِ حَمامٍ أفردتْها حَبائلُه
مِن الوُرْق بالأَصْياف نوّامةُ الضُّحَى ... إذا الغَرْقَد ألتفّت عليه غياطِلُه (٢)
وسَوْرَةُ أيدى القوم إذ حُلّت الحُبَا ... حُبَا الشّيْب واستعْوَى أخا الحِلْم جاهِلُه (٣)
فعَيْنَيَّ إذ أبكاكما الدّهر فابكِيا ... لِمن نصرُه قد بان مِنّا ونائلُه (٤)
فما كنتُ أُلفِي لامرئٍ عند مَوْطِنٍ ... أخاً بأخي لو كنتُ حيًّا أبادِلُه
وكنتُ به أَغْشى القِتالَ فعزّنِي ... عليه من المِقْدار من لا أقاتلُه (٥)
لعَمْرُك إنّ الموتَ منّا لَمُولَعٌ ... بمَن كان يُرْجَى نَفْعُه ونَوافِلُه

ثم قُتِل أخوه حَكَم في وجهه ، وبَرَز بعضُ عَشيرته إلى قاتله فقتَله ، وأتى الشمردَل أيضاً نعيُه ، فقال :

يقولون احتَسِب حَكَما وراحُوا ... بأبيَضَ لا أراهُ ولا يَرانِي
وقبلَ فِراقِه أيقَنْتُ أنّي ... وكلّ بني أبٍ متفارِقانِ
أخٌ لِيَ لو دَعوْتُ أَجابَ صَوْتي ... وكنتُ مُجيبَه أنّى دَعاني
فقد أفنى البُكاءُ عليه دَمْعي ... ولو أنّي أَموتُ لقد بَكاني (٦)
قتَلْنا عنه قاتِلَه وكُنّا ... نَصولُ بهِ لَدَى الحَرْب العَوانِ (٧)

---

(١) الهيف : ريح حارة تأتي من نحو اليمن. الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.
(٢) غياطله : ما اجتمع عليه والتف . الغرقد : شجر .
(٣) الحبا : جمع حبوة ؛ وهو الثوب يحتبي به . وحل الحبا ، كناية عن الاستعداد للحرب ونحوها .
(٤) بان : بعد وانفصل . والنائل : العطاء .
(٥) عزني : غلبني . المقدار : القدر ، بالتحريك .
(٦) الأغاني : « ولو أني الفقيد إذن بكاني » .
(٧) العوان من الحرب : التي قوتل فيها مرة بعد مرة .

قتيلاً ليسَ مِثــلَ أخى إذا مَا ... بَدَا الخفِرات مِنْ هَوْلِ الجَنانِ[1]
وكنتَ سِنانَ رُمحى فى قَناتِى ... وليس الرُّمحُ إلَّا بالسِّنانِ
وكنتَ بَنانَ كَفِّى فى يَمِينى ... وكيفَ صَلاحُها بعدَ البَنَانِ !
وكان يَهابُكَ الأعــداءُ فِينا ... ولا أَخشَى وراءَكَ مَنْ رَمانى
فقد أَبدَوْا ضغائنَهُمْ وشَــدُّوا ... إلَىَّ الطِّرْف واْعتمدوا لِيانى[2]
فِداكَ أخٌ نبَا عنــه غَنــاهُ ... ومولًى لا تَصُولُ له يَدَانِ

كان الشَّمَرْدَل رأى فى مَنامِه كأنّ سِنانَ رُمحه سَقَط ، فعبّره على بعض من يَعْبُرُ الرُّؤيا ، فأتاه نعىُ أخيه وائل ، فذلك قوله :

وتفســيرُ رؤيَا فى المنامِ رأيتُها ... فكان أَخِى رُمحاً تَرَفَّضَ عامِلُهْ

كان الشَّمَرْدَل مُغْرَماً بالشَّراب ، وكان له نَديمان يعاشِرانه فى حانات الخَمّارين بخراسان ، أحدهما يقال له : دَيْكَل من قومه ، والآخر من بنى شَيْبان يقال له : قَبيصة . وتَنادَموا يوما على جَزُور نَحَروه ، وشربوا حتى سَكِروا ، واْنصرَف قبيصة حافيا ، وترك نعلَه عندهم وأُنْسِيَها من السُّكْر ؛ فقال الشَّمَرْدَل :

شربتُ ونادمتُ الملوكَ فلم أَجِدْ ... على الكأس نَدْماناً لها مِثلَ دَيْكَلِ[3]
أقلَّ مِكاساً فى جَزورٍ وإن غَلَتْ ... وأسرعَ إنْضاجا وإنزالَ مِرْجَلِ[4]
عَشِيَّــةَ أَنْسَيْنا قَبيصــةَ نَعلَه ... فراحَ الفتَى البكرىُّ غيرَ منعَّلِ

---

(١) الخفرات : جمع خفرة ؛ وهى الشديدة الحياء .
(٢) الطرف : الكريم من الخيل .
(٣) الندمان والنديم بمعنى .
(٤) المكاس : انتقاص الثمن فى البيع واستحطاطه .

كان رجل من بنى ضَبَّة عدوًّا للشَّمَرْدَل ، وكان نازلا فى بنى دارِم بن مالك ، ثم خرج فى البعث الّذى بعث مع وَكيع ، فلمّا قُتِل إخوَة الشَّمَرْدَل وماتوا ، بلغه عن الضَّبّىِّ سرورٌ بذلك وشماتةٌ بمصيبته ، فقال :

يأيّها المُبْتَغِى شَتْمِى لأشتمَهُ ... إن كنتَ أعمَى فإنِّى عنك غيرُ عَمِ

وما بناءٌ وإن شُدَّت دَعائِمُه ... إلّا سيُصْبِح يوما خاوِىَ الدِّعَمِ

لئن نَجَوْتَ من الأحداث أوسَلِمتْ ... منهنّ نفسُك لم تَسْلَمَ من الهرَمِ

وكان الشَّمَرْدَل صاحبَ قَنَص وصَيْد وجَوارح ، وله فى الصَّقْر والكَلْب عِدّة أراجيز .

ذكر شَارِيَة*

هى من مولَّدات البَصْرة ، كان أبوها رجلا من بنى سَامة بن لؤىّ المعروفين ببنى ناجية ، جَحَدها[1] .

وأمّها أَمَة ، فدخلتْ فى الرِّقّ ، وقيل : بل سُرِقت فبِيعت ، فاشترتْها امرأةٌ من بنى هاشم ، فأدّبتْها وعلّمتْها الغِناء ، ثم اشتراها إبراهيمُ بنُ المهدىّ ، فأخذتْ غِناءَه كلَّه أو أكثره ، وبذلك يحتجّ من يقدّمها على غيرِها .

وصنّف ابنُ المعتزّ كتاباً فى أخبارها ، وذكر أنّها كانت لامرأة بَصْريّة من الهاشميّات ، من وَلَد جعفر بنِ سليمان ، فحملتْها لتبيعَها فى بغداد ، فعُرِضت على إسحاقَ بن إبراهيمَ الموصلىّ ، فأعطاها ثلاثمائة درهم ، واستغلاها بذلك ، ولم يَزِدْها . فجىء بها إلى إبراهيمَ بنِ المهدىّ ، فعُرِضت عليه ، فساوَمَ بها ، فقالت له مولاتُها : قد بَذَل لنا إسحاقُ ثلاثمائةِ درهم ، وأنت ـ أعزّ اللهُ الأميرَ ـ أحقُّ بها ، فقال : زِنُوا لها ماقالت ، فوُزِنلها ، ثمّ دَعَا بقيِّمته ، فقال: خذى هذه الجارية ولا تُرِينيها[2] لسنة[2] ، وقولى للجوارى يطرحنَ عليها .

فلمّا كان بعد سنة أُخرِجت إليه ، فنَظَر إليها ، وسَمِعَ منها ، فأرسل إلى إسحاق ابنِ إبراهيم ، ودعاه فأراه إيّاها ، وأسمَعَه غِناءها ، وقال : هذه الجارية تُباع ، فبِكَمْ تأخذها لنفسك ؟ فقال : آخُذُها بثلاثة آلاف درهم ، وهى رخيصةٌ بها . فقال إبراهيم : أفتعرفها ؟ قال : لا . قال : هذه الجارية الّتى عرضَتْها الهاشميّة

---

* ترجمتها فى الأغانى ١٦ : ٣ ـ ١٦ (طبعة دار الكتب).

(١) الأغانى : « وأنه جحدها » .

(٢) الأغانى : « سنة » .

بثلاثمائة درهم فلم تقبلها . فبقى إسحاقُ يَعجَب من حالها ، وما أُنقلبت إليه . وكانت لها أُمٌّ حَبَشيّة تَدَّعى أنها بنت محمد بن زيد ، من بنى سامة بنِ لؤىّ .

وقيل : كانت تدّعى أنها من بنى زُهْرة ، فجىء بشارية إلى بغداد ، وعُرِضتْ على أبن المهدىّ ، فأُعِجب بها إعجابا كثيراً ، وبلغتْ ثمانية آلاف درهم ، ولم يكن عند إبراهيمَ درهمٌ ولا دانِق .

قال هِبَة الله بنُ إبراهيم : قال لى أبى : ويحك ! قد والله أعجبتْنى هذه الجارية إعجابا شديدا ، وليس عندنا شىء . فقلت : نبيع ما نملِكه حتى الخزَفَ[1] ونجمع ثمنها .

فقال لى : قد تفكّرت[2] فى شىء ، اذهب إلى علىّ ابنِ هشام فأَقْرِئه منّى السّلام ، وقل له : جعلتُ فِداكَ ! عُرِضتْ علىّ جاريةٌ وقد أخذتْ بمَجامِع قلبى ، وليس عندى شىء ، وأحبّ أن تُقرِضنى عشرَة آلافِ درهم .

فقلت له: إنّ ثمنَها ثمانية آلافِ درهم ، فلِم تُكثر على الرّجل بعشرة آلافِ درهم؟ فقال : إذا أشتريْناها بثمانية آلافٍ ، ليس لنا بدٌّ من أن نَكسوَها بألفين ، فصِرْتُ إلى علىّ بن هشام وأبلغتهُ الرسالة . فدعا بوكيلٍ له ، وقال : ادفع إلى خادمه عشرين ألف درهم ، وقل له : أنا لا أصِلكُ ، ولكن هى لك حلال فى الدنيا والآخرة ، فصرت إلى أبى بالدراهم ، فلو طلعتُ عليه الخلافة لم تكن تَعدِل عنده تلك الدّراهم .

وكانت أمّها كلّما لم يُعطِ إبراهيمُ أبنتهَا ما تشتهى ترَفَع قصّته إلى المعتصم ، وتسألُه أن تأخذ أبنتها من إبراهيم.

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « حتى الأخرق » .
(٢) الأغانى : « فكرت » .

قال يوسف بنُ إبراهيم المصرىّ ، صاحب إبراهيم : وجّه بى إبراهيم إلى عبدِ الوهّاب بنِ علىّ فى حاجة ، فلقيتهُ وأُنصرفتُ من عنده ، فلم أخرج من دِهليز الباب حتى أُستقبَلَتْنى أمرأة ، فلمّا لَصِقتْ بى سترتْ وجهها ، فأخبَرَنى شاكِرِىٌّ[1] أنّ المرأة أمُّ شارية جاريةُ إبراهيم .

فبادرتُ إلى إبراهـيم وقلت له : أدرك ، فإنى رأيتُ أمّ شارية فى دار عبدِ الوهّاب ، وهى مَن تعلَم ، وما تَفْجَؤُكَ إلّا بحيلةٍ قد أوقعتها .

فقال لى فى جواب ذلك : إنّ جاريتى شارية صدقةٌ على ميمونة بنت إبراهيم ابن المهدىّ ، ثم أشهد أبنه هبةَ الله على ذلك ، ثم أمرَنى بأن أذهب إلى دار ابن أبى دُوَاد وإحضار مَنْ أقدر عليه من الشهود المعدَّلِين عنده ، فأحضرت عشرين شاهدا ، وأمر بإخراج شارية فخرجت .

فقال لها : أسفِرى عن وجهِك ، فجزِعت من ذلك ، فأعلمَها أنه إنما أَمرها بذلك لخيرٍ يريده بها ، ففعلت . فقال لها : تسمَّىْ ، فقالت : أنا شارية ، فقال لهم : تأملوا[2] وجهَها ، ففعلوا ، فقال : إنِّى أُشهِدكم أنها حُرَّةٌ لوجه الله تعالى ، وأنى قد تزوّجتها ، وأصدقتها عشرةَ آلافِ درهم ، يا شارِية مولاة إبراهيم ، أرضيتِ ؟ قالت : نعم يا سيّدى قد رضيتُ ، والحمد لله على ما أنعمْتَ به علىّ ، فأمرَها بالدّخول ، وأطعَم الشهودَ وطيَّبهم ، وأنصرفوا .

فما تجاوزوا دارَ أبى دُوَاد حتى دخل علينا عبدُ الوهاب بن علىّ ، فأقرأ عمّه سلامَ المعتصِم ، ثم قال له : يقول لك أمير المؤمنين : من الفرْضِ علىَّ طاعتُك وصِيانتُك عن كلّ ما يضرّك ، إذ كنتَ عمِّى وصِنْوَ أبى ، وقد رُفِعَتْ إلىّ قصة :

---

(١) الشاكرىّ : أحد الجنود الشاكرية ؛ من جند العباسيين .

(٢) كذا فى الأغانى وفى الأصول : « اعلموا » .

أنّ أُمَّ شارية أمرأةٌ من قريشٍ من بنى زُهْرة صَلِيبة[1] ، واحتجَّت أنَّهُ لا تكون امرأة من قريشٍ أمةً ، فإن كانت هذه المرأة صادقةً فى أنّ شارية بنتها ، وأنّها من بنى زُهْرة ، فمن المحال أن تكون شارية أَمَةً ، والأَشْبَهُ بك والأَصْلَح إخراجُ شاريةَ من دارك ، وتَدَعها عند من تثق به من أهلك حتّى نَكشِف عمّا قالت هذه المرأة . فإن ثبت ذلك أمرتَ من جملتَها عنده بإطلاقها ، وكان فى ذلك الحظّ لكَ فى دِينك ومُروءَتك ، وإن لم يَصِحَّ ذلك أُعِيدت الجارية إليك ، وقد زال عنك القولُ الّذى لا يَلزَمُك .

فقال إبراهيم : فديتُك يا أبا إبراهيم ! هب شارية بنت زُهرة بن كلاب ، أَتُنكر على أبنِ العبّاس بنِ عبد المطّلب أن يكون لها بَعْلا ! فقال عبد الوهّاب : لا ، فقال إبراهيم : فأبلِغْ أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ السَّلامَ ، وأخبره أنّ شارية حُرّة ، وأنه قد تزوّجها بشهادةِ جماعةٍ من العُدول ، وقد كان الشّهود بعدَ منصرفهم من عند إبراهيمَ صاروا إلى أبى دُواد ، فشمّ منهمْ رائحةَ الطِّيب ، فأنكَرَه ، فسألهم عنه ، فأَعلَمُوه أنّهم حضروا عِتْقَ شاريةَ وتزويجَ إبراهيمَ إيّاها .

فرَكِب إلى المعتصم ، فحدّثه بالحديث معجِّبا له منه ، فقال : ضَلَّ سعىُ عبدِ الوهاب ! ودخل عبدُ الوهّاب على أمير المؤمنين ، فلمّا رآه يمشى فى صحن الدار سَدَّ المعتصمُ أنفَه ، وقال : يا عبدَ الوهّاب ، أنا أَشَمُّ رائحةَ صُوفٍ مُحرَق ، وأحسَب عَمِّى لم يَقنَعْ برَدّك إلّا وعلى أُذُنك صوفةٌ حتى أحرقها ، فشممتُ رائحتَها منك .

فقال له : الأمرُ على ما ظَنَّ أميرُ المؤمنين وأَقبَح .

ولمّا انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم ، ابتاع إبراهيم شاريةَ من ميمونة بعشرة آلافِ درهم ، وسَتَر ذلك عنها ، وكان عِتْقُه إيّاها وهى فى مِلك غيره ، ثم أبتاعها من ميمونةَ ، فَحَلَّ له فَرْجُها .

---

(١) الصليبة : الخالصة النسب .

ذِكرُ الصِّمَّة*

هو الصِّمّةُ بنُ عبدِ الله بنِ الطُّفَيل بنِ قُرَّة بنِ هُبَيْرةَ بنِ عامرِ بن سَلَمةِ الخير ابن قُشَيْر بنِ كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعَةَ بن معاوية بن بكر بن هَوازِن ابن منصور بن عِكْرِمةَ بنِ خَصَفَةَ بنِ قيسِ بن عَيْلان بن مُضَر بنِ نِزار .

شاعرٌ إسلاميٌّ بَدَوِيّ ، من شعراء الدولة الأُموّية . ولقُرّةَ بنِ هُبَيرة صحبةٌ بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ولمّا وَفَد عليه جدُّه قُرّة ، قال له : يا رسولَ الله ، إنّا كنّا نَعبـد آلهةً لا تَنفعُنا ولا تضرُّنا . فقال له رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم : نِعْمَ [ذا عَقْلا][1] !

وكان من خبرِه أنّه هَوِىَ امرأةً من بنى عمِّه ، يقال لها : العامريّة بنت غُطَيْف ابن حَبيب بن قُرّة بن هُبيرة ، فخطبها إلى أبيها ، فأبَى أن يزوِّجها ، وخطبها عامرُ ابنُ بِشر بن مالك مُلاعِب الأسنّة بن جعفر بن كلاب ، فزوّجه إيّاها ــ وكان عامر قصيراً قبيحا ــ فقال الصمّة فى ذلك :

فإنْ تُنكِحوها عامرًا لاطِّلاعِكُمْ ... عليـه يُدَهْدِيكُمْ برِجْلَيْـه عامرُ[2]

شبَّهه بالجُعَل الّذى يُدَهْدِى البَعْرَة برجليه . فلمّا بَنَى بها زوجُها ، وجَد الصِّمّةُ بها وَجْدا شديدا ، وحَزِن عليها ، فزوَّجه أهلُه امرأةً منهم يقال لها : خيرة[3] بنت وَحْشِىّ ابن الطُّفَيل بن قُرّة ، فأقامَ معها مُقاما يسيرا ، ثم رحل إلى الشام غضِباً على قومه ، وخلّف امرأتَه فيهم ، وقال لها :

---

* ترجمته فى الأغانى ٦ : ١ ــ ٩ (طبعة دار الكتب) .

(١) تكملة من الأغانى .

(٢) الأغانى : « يدهدهكم : » ؛ ودهداه ودهدهه . دحرجه .

(٣) الأغانى : « جبرة » .

كُلِى التَّمْرَ حتّى يَهْرَمَ النخلُ واُضفِرِى ... خِطامَكِ لا تَدْرِينَ يَوْمَكِ من أَمْسِ

وقال فى العامريّة أشعارا كثيرة .

رَوَى ابن دَأْب عن جماعةٍ من قُشَير ، أنّ الصِّمّة خرج فى غَزِيٍّ[(١)] من المسلمين إلى الدَّيْلَم ، فمات بطَبَرِستان . وحدّث رجلٌ من أهلِ طبرِستان كبيرُ السّنّ . قال: بينا أنا يوما أمشى فى ضَيْعة لى فيها ألوانٌ من الفاكهة والزّعفران وغير ذلك من الأشجار ، إذا أنا بإنسان فى البستان مطروحٍ ، عليه ثيابٌ خُلْقان ، فدنوت منه ، فإذا هو يتحرّك ولا يتكلّم ، فأصغيْتُ إليه ، فإذا هو يقول بصوت خَفِىّ :

تَعزَّ بصبرٍ لا وَجَدِّكَ لا تَرَى ... بَشامَ الحِمَى أُخرى اللّيالى الغوابرِ[(٢)]

كأنّ فؤادى من تذكُّرِهِ الحِمَى ... وأهلَ الحِمَى يَهفُو به ريشُ طائرِ

فما زال يردّد هذين البيتين حتى فاظَتْ[(٣)] نفسُه ، فسألتُ عنه ، فقيل لى : هذا الصِّمّة بن عبد الله القُشَيرى .

قال إبراهيمُ بنُ محمّد بن سليمان الأَزْدِى: لو حَلَف حالفٌ أنّ أحسَن أبياتٍ قيلت فى الجاهليّة والإسلام فى الغزَل قولُ الصِّمّة ما حنث:

حَنَنْتَ إلى رَيَّا ونفسُك باعَدَتْ ... مَزارَكَ من رَيَّا وشَعبَا كُما مَعَا

فما حَسنٌ أن تأتَى الأمرَ طائعاً ... وتجزَعَ أنْ داعِى الصَّبابة أَسمَعَا

بكتْ عينىَ اليُمنَى فلمّا زجرتُها ... عن الجهل بعد الحِلْمِ أَسْبَلَتا معَا

وأذكُرُ أيّام الحِمَى ثمّ أنثَنِى ... على كَبِدى من خَشْيةٍ أن تَصدَّعا

فليستْ عَشيّاتُ الحِمَى برَواجعٍ ... عليكَ ، ولكنْ خَلِّ عينَيْك تَدمَعا

أما وجلالِ الله لو تَذْكُرِينَنى ... كذِكْرِيكِ ما كفكَفْتِ للعَيْن مَدمَعا

---

(١) الغزى : الجماعة الغازون .

(٢) البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

(٣) فاظت وفاضت بمعنى .

بَلَى وجَـلالِ الله ذكراً لوَ أنّه ... يُصبّ على صُمِّ الصَّفا لتَصـدّعا

فلمّا رأيتُ البِشْرَ قد حالَ دُوننَا ... وجالتْ بناتُ الشَّوْقِ تَحْتى فُزَّعا[1]

تَلَفّتُّ نحو الحىِّ حتّى وجدتُنى ... وَجِعْتُ من الإصغاء لِيتاً وأخدَعا[2]

وتُروَى لقيس بن ذَرِيح .

ورَوَى الهيثمُ بنُ عَدىّ أنه لمّا خطب ابنةَ عمِّه ساق أبوه الإبلَ عنه إلى أخيه فى مهر ابنته فعدَّها ، فإذا هى تَنقُص بعيرا ، فقال : لا آخُذُها إلّا كاملة ، فغضِب أبوه وحَلَف لا يَزيده على ماجاء به شيئا ، ورجع إلى الصِّمّة ، فقال له : ما وراءك ؟ فأخبَرَه . فقال : والله مارأيتُ ألأَمَ منكما ! وإنى لألأمُ منكما إن أقمتُ .

ثم ركِبَ ناقتَه ، ورَحَل إلى ثَغْرٍ من الثُّغور ، فأقام به حتّى مات ، وقال :

أمن أجْلِ دارٍ بالرَّقاشيْنِ أعصفَتْ ... بها بارحاتُ الصَّيف بَدْءًا ورُجَّعا[3]

---

(١) الأغانى : « وجالت بنات الشوق فى الصدر » .

(٢) الليت : صفحة العنق . والأخدع : عرق فى العنق .

(٣) رواية الأغانى للبيت :

أمن ذكْرِ داءٍ بالرَّقاشيْن أصبحتْ ... بها عاصفاتُ الصَّيف بدءا ورجَّعا

وفى الحاشية : « الرقاشان : جبلان بأعلى الشريف فى متلق دار كعب وكلاب ؛ ونسب البيت إلى يزيد بن الطثرية » .

ذكر أبى سُفْيان*

هو أبو سُفْيانَ صَخْرُ بنُ حَرْب بن ِأميّةَ بن ِعبدِ شَمس بن عبدِ مناف .

وأمّ حَرْب بن ِأميّة بنتُ أبى هَمْهَمَة بن ِعبد العُزّى بن عامر بن عمرو(١) ابن وديعة بن الحارث بن فِهْر(٢) بن مالِك بن ِالنَّضْر بن ِكنانة .

وأمّ أبى سفيانَ صَفِيّة بنتُ حَرْب بن ِبُجَيْر بن الهُزَم بن رُوَيْبَة بن عبد الله ابن ِعامر بن ِصَعْصَعَة . وهى عَمّةُ ميمونة أمّ المؤمنين ، وأمّ الفَضْل بنت الحارث ابن ِحَزْن أمّ بنى العباس بن ِعبدِ المطّلب .

وكان حربُ بنُ أميّة قائدَ بنى أميّة ، وكانت الجِنُّ قد قتلتْه هو ومِرداس ابنُ عامر السُّلَمىّ ؛ وذلك أنّ حرب بنَ أميّة لما انصرَف من حرب عُكاظ هو وإخوتُه، مرّ بالقُرَيّة ـ وهى إذ ذاك غَيْضةُ شجرٍ ملتفّ لا يُرام ـ فقال له مِرداس بنُ عامر السُّلَمىّ : أما تَرَى هذا الموضع ؟ قال : بلى ، فما له ؟ قال : نِعمَ المُزْدَرَع ؛ فهل لك أن تكون شريكى فيه ، ونحرِّق هذه الغَيْضة ، ثم نَزْرَعُه بعد ذلك ؟ قال ، نعم . فأضرَمَا النارَ فى الغَيْضة ، فلمّا استطارت نارا ، سُمِع فيها أنين وضَجيج ، ثم ظهرتْ منها حيّاتٌ بيضٌ تَطير ؛ حتّى خرجتْ منها ، وسُمِع هاتفٌ من الغَيْضة لما احترقت يقول :

---

* ترجمته فى الأغانى : ٦ : ٣٤١ ـ ٣٥٦ (طبعة دار الكتب) .

(١) فى الأغانى : « ابن عميرة » .

(٢) كذا فى الأغانى ؛ وهو الوجه ، وفى ب ، ج : « ابن فهم » .

وَيْلٌ لَحرْبٍ فارِساَ مطاعِناً مُخالساَ
وَيْـلٌ لعمْرو فارساَ إذ لَبِسوا القَوانِسا(١)
لَنَقْتُلَنْ بقَتْلِه جَحاجِحاً عَنابساَ(٢)

ولم يلبثْ حربُ بنُ أميّة ومرداسُ بنُ عامر أنْ ماتَا ، فأمّا مِرداسٌ فدُفِن فى القُرَيّة ، ثم أدّعاها بعد ذلك كليب بن عَهْمة السُّلَمىّ .

وكان أبو سُفيانَ سيّدًا من سادات قريشٍ فى الجاهليّة ، ورأساً من رءوس الأحزاب على رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم فى حياته ، وكهفاً للمنافقين فى أيّامه ، وأسلَمَ يومَ الفتْح ، وكان تاجراً يجهِّز التجارات من مالِه وأموالِ قريشٍ إلى العَجَم .

وشَهِد مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم مَشاهِدَه بعـدَ الفتْح ، وفُقِئَتْ عينُه يوم الطائف ، فلم يزَلْ أعوَر إلى يوم اليَرْمُوك ، ففُقِئَت الأخرى يومئذ ، فعمِىَ .

وسُمِع أبو سفيانَ يوماً يُمازِح النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم ، ويقول : ما هو إلّا أن حارَبْتُك حتى حارَبَـك الناسُ(٣) ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يَضحَك ويقول : أنتَ تقول ذلك يا أبا حَنْظَلة(٤) ! وذلك فى بيت أبنتِه أمِّ حبيبة ، ويقول : إنْ هو إلا أن تركْتُك ، فتركَتْك العرب ، فما انتَطَحتْ جَمّاء(٥) ولا ذاتُ قَرْن .

وتزوّج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أمَّ حبيبةَ بنت أبى سُفْيان وأبو سُفيانَ

---

(١) القوانس : جمع قونس ؛ وهو أعلى البيضة .

(٢) الجحاجح : جمع جحجح ؛ وهو السيد العظيم . والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الستة . حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو .

(٣) الأغانى : « والله إن هو إلا تركتك فتركك العرب فما انتطحت جماء ولا ذات قرن » .

(٤) حنظلة ابن لأبى سفيان ، قتله على بن أبى طالب يوم بدر .

(٥) الجماء : الشاة التى لا قرن لها .

مُشرِكٌ يُحارِب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقيل : إنّ محمدا قد نَكَح ابنتَك ، فقال : ذاكَ الفَحْلُ لا يُقدَع أَنْفُه[1] .

واسمُ أمِّ حبيبة رَمْلة ، وقيل: هَيْفاء[2] ، والصحيح رَمْلة .

حدّث أبو سُفيانَ بنُ حَرْب قال : كنّا قوما تُجّارا ، وكانت الحربُ بيننا وبينَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قد نَهَكَتْ[3] أموالَنا ، فلمّا كانت هُدْنة الحُدَيْبِيَة ، خرجتُ فى نفرٍ من قريش إلى الشّام ، فقدِمْناها حين ظَهَر هِرَقْل على ما كان من بلادِه مِن الفُرْس ، فأخرَجَهم منها ، وردّ عليه صَليبَه الأعظم ، وقد كان استلبوه إيّاه ، فلمّا بلغه ذلك ــ وكان منزلُه بحِمْص من أرضِ الشام ــ خرج منها يَمشِى إلى بيت المَقدِس ليصلِّىَ فيه ، تُبسَط له البسط ، ويُطرَح له عليها الرَّيْحان ، حتى انتهى إلى إيلياءَ ، فصلَّى بها . فأصبح ذات غداةٍ وهو مهمومٌ يقلِّب طَرْفَه إلى السّماء ، فقالت بَطارِقَتُه :

أيّها المَلِك ، لقد أصبحتَ مهموما ، فقال : أجَلْ ، فقالوا : وما ذاكَ ؟ فقال : أُرِيتُ فى هذه الليلة أنّ مُلْك الخِتان ظاهر ، فقالوا : واللهِ ماعلِمْنا أُمّةً من الأُمم تَختَتِن إلّا اليهود ، وهم تحتَ يدَيْك ، وسلطانك ، فإن كان هذا قد وقع فى نفسِك منهم ، فابعثْ فى مملكتِك كلِّها ؛ لا يَبقَى يهودىٌّ حتّى تُضرَب عُنُقُه ، فتَستريحَ من هذا الهمّ .

فإنّهم فى ذلك فى رأيهم يدبِّرونه ، إذ أتاهم رسولُ صاحبِ بُصْرَى برجلٍ من العرب ، قد وَقَع إليهم . فقال : أيّها المَلِك ، إنّ هذا رجلٌ من العَرَب من أهل الشاءِ والإبِل يحدِّثك عن حدَثٍ فى بلاده ، فسَلْه عنه .

---

(١) فحل لا يقدع أنفه ؛ أى لا يضرب أنفه لكرمه .

(٢) الأغانى : « هند » .

(٣) نهكت أموالنا : أتت عليها .

فلمّا انتهى قال لترجمانه : سَلْه ما الخبر ؟ قال : رجلٌ من العرب من قريش يزعُم أنه نبيّ ، وقد تبِعه قومٌ وخالفه آخرون ، وكانت بينهم ملاحم فى مواطن ، فخرجتُ من بلادى وهمْ على ذلك . فلمّا أخبَره الخبر ، قال : جرِّدوه ، فإذا هو مختون ، فقال: هذا والله الذى أُرِيتُ لا ما تقولون ، أعطِه ثوابَه ، انطلق لشأنك . ثم دعا صاحبَ شُرْطته ، فقال : قلِّب لىَ الشامَ ظهْرا وبطْنا ، حتى تأتيَنى برجل من قومِ هذا أسأله عن شأنِه .

قال أبو سفيان : فوالله إنى وأصحابى لبغزّةَ إذ هجم علينا فسألنا مَن أنتم ؟ فأخبرْناه ، فساقنا إليه جميعا ، فلمّا انتهَينْا إليه ؛ ما رأيتُ من رجلٍ قطُّ أزْعُم أنه كان أدهَى من ذلك الأقلف[1] ! يعنى هِرَقل. فقال لنا : أيُّكم أمسُّ به ؟ فقلت : أنا . فقال : أدنُوه منّى ، ثم أجلس أصحابى خلْفى ، وقال : إن كذَب فرُدُّوا عليه .

فقال أبو سُفْيان : ولقد عرفتُ أن لو كذبتُ ما ردُّوا علىّ ، ولكن كنتُ امرأً سيّدًا ، أتكرّم وأستحِى من الكذِب ، وعرفت أنّ أدنى ما يكون فى ذلك أن يردّوه علىّ ، ويتحدَّثوا به عنّى فى مكّة ، فلمْ أكْذِبه ، فقال: أخبِرْنى عن الرّجل الّذى خرج فيكم ؛ فزهّدْتُ له شأنَه ، وصغّرتُ أمرَه ، فوالله ما التفَت إلى ذلك منّى . وقال : أخبِرْنى عمّا أسألك عن أمرِه ، كيف نسبُه فيكم ؟ فقلت : محضٌ[2] ، مِن أوْسطِنا نسَبا .

قال : فأخبِرْنى ، هل كان من أهل بيتِه أحدٌ يقول مِثلَ قوله ، فهو يتشبّه به ؟ فقلتُ : لا ، فقال : أخبِرْنى هل كان له فيكم مُلْك فاستلبْتموه إيّاه ، فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه مُلكَه ؟ فقلتُ : لا ، قال : فأخبِرنى عن أتباعِه مَن هم ؟

---

(١) الأقلف : الذى لم يختن ، وفى الأغانى : « الأغلف » وهما سواء .

(٢) المحض : الخالص النسب .

فقلت : الأحداثُ والضُّعفاء والمساكين[١] ؛ فأمّا أشراف قومه ، وذوو الشأن منهم[٢] فلا . قال : فأَخبِرنى مَن يَصحَبه[٣] ؛ أيحبّه ويكرِمه أم يَقْلِيه ويفارقه ؟ قلت : قَلَّما صَحِبه رجلٌ ففارَقَه .

قال: فأَخبِرْنى عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت: سِجالٌ يُدال علينا ، ونُدال عليه. قال : فأَخبِرنى هل يَغْدِر ؟ فلم أَجِــدْ شيئاً أَغمز فيه إلّا هــذه ، فقلت : لا ، ونحن فى هُدْنَة[٤] ، لا نأمَن غَدْره ، فوالله ما التفتَ إليها منّى ، وأعاد إلىّ الحديث .

فقال : زَعمتَ أنّه مِن أمحَضِكم نَسَباً ، وكذلك يأخذُ اللهُ النبىَّ إذا أخَــذه ؛ لا يأخُذُه إلّا مِن أَوْسَط قومِه ، وسألتُك : هل كان من أهل بيتِه أحد يقول مثلَ قوله فهو يتشبّه به ؟ فقلتَ : لا ، وسألتُك : هل كان له مُلْكٌ فاستلبْتُموه إيّاه فجاء بهذا الحــديث لتَرُدُّوا عليه مُلْكَه ؟ فقلتَ : لا ، ولو كان من آبائه مَلِك قلتُ : رجلٌ يَطلب مُلْكَ آبائه ، وسألتُك عن أَتْباعه ، فقلتَ : إنّهم الأحداث والمساكين والضعفاء ، وكذلك أَتباعُ الأنبياء فى كلّ زمان ، وسألتُك عمّن يتبعه ، أيحبُّه ويكرِمُه ، أمْ يَقْلِيه ويفارقه ؟ فزعمتَ أنّه قَلّ مَن يَصحَبه فيُفارقه ، وكذلك حلاوةُ الإيمان لا تَدْخُل قَلْباً فتَخرج منه . وسألتُك : كيف الحَرْب بينكم ؟ فزعمتَ أنّها سِجال ، وكذلك يكون حربُ الأنبياء ، ولهم تكون العاقبة . وسألتُك : هل يَغْدِر ؟ فزعمتَ أنّه لا يَغْدِر ؛ فإنْ صدقتَنى ليَغلِبَنِّى على ما تحتَ قدمىَّ هاتَيْن ، ولَوَدِدْتُ أَنّى عَبْدُه[٥] فأغسِلُ قدميه ؛ انطلق[٦] لشأنك .

---

(١) زاد فى الأغانى بعد هذه الكلمة : « من الغلمان والنساء » .

(٢) فى الأغانى : « وأما ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد » .

(٣) الأغانى : « يتبعه » .

(٤) كذا فى ب ، ج وفى الأغانى : « مدة » .

(٥) الأغانى : « عنده » .

(٦) كذا فى الأغانى ؛ وهو الوجه؛ وفى ب ، ج : « الحق بشأنك » .

فقمتُ وأنا أَضْرِب بإحدَى يَدَىَّ على الأخرى ، وأقول : أىْ عِبـاد الله ، لقد أَمِرَ(١) أَمْرُ ابنِ أبى كَبْشَةَ(٢) ! إنّ ملوكَ بنى الأصْفَر(٣) يخافونه فى سُلْطانِهم .

وعن ابن عبّاس : أنّ رسولَ الله صلّى الله عليـه وسلّم لمّا عزم على فتح مكّة ، خرج لعشرة مضيْنَ من شهرِ رَمَضان ، فصامَ وصامَ النـاسُ معه حتّى إذا كان بالـكَدِيد أفطَر ، ثم مَضَى رسولُ الله صلّى الله عليـه وسلّم حتى نزل مَرَّ الظَّهْران فى عشرةِ آلافٍ من المسلمين ، وقد عمِيَت الأخبارُ عن قُرَيش فلا يأتيهم خبرٌ عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولا يَدْرُون ما هو فاعل !

فخرج فى تلك اللّيـلة أبو سفيانَ بنُ حَرْب ، وحَـكِيم بنُ حِزام ، وبُدَيْـل ابنُ وَرْقاءَ يتَجَسَّسون وينظرون ، هل يَجِدون خبَرًا أو يَسْمَعونه !

قال العبّاس : فقلتُ : واصباحَ(٤) قريشٍ إنْ دخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم مكّة عَنْوة قَبلَ أن يَأْتُوه فيَستأْمِنوا منه ، إنّه لَهلاكُ قُرَيش إلى آخرِ الدَّهْر .

قال : فركبتُ بغلة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم البَيْضاء ، فخرجتُ عليها حتى جئت الأَراكَ(٥) أقول : لعلّى أَلقَى بعضَ الحطّابة ، أو صاحبَ أُتُن(٦) ، أو ذا حاجةٍ يأتيهم فيخبرهم بمكانِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ؛ لِيَخرجوا إليه ، فوالله إنى

---

(١) أمِر: عظم .

(٢) أبو كبشة ، رجل من خزاعة خالف قريشا فى عبادة الأوثان ، وعبد الشعرى العبور ؛ فسمى المشركون النبيّ صلى الله عليه وسلم : « ابن أبى كبشة لخلافه إياهم إلى عبادة الله ؛ تشبيها له بأبى كبشة الذى خالفهم إلى عبادة الشعرى . وقال بعضهم : أبو كبشة كنية وهب بن عبد مناف ؛ جد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ اللسان (كبش) .

(٣) بنو الأصفر : لقب ملوك الروم عند العرب .

(٤) واصباح ؛ مما يستعمل فى الإشفاق من المكروه .

(٥) الأراك : واد قرب مكة .

(٦) فى الأغانى : « صاحب لبن » .

لأَسيرُ فأَلتمِس ما خرجتُ إليه إذْ سمعتُ كلامَ أبى سُفْيان ، وبُدَيْل بن وَرْقاء ؛ وأبو سفيانَ يقول : ما رأيتُ كالليلة نيرانًا قطّ ولا عَسْكرا !

فعرفتُ صوتَ أبى سُفْيان ، فقلت : ياأبا حَنْظَلة ! قال : فعرَفَ صوتى ، فقال : أبو الفضْل ! قلتُ : نعم ، قال : ما وراءك ؟ فِداكَ أبى وأمى ! قلت : وَيْلك ! هذا رَسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى النّاس ، واصباحَ قُرَيش ! فقال : ما تأمُرُنى ؟ قلت : تركَب عَجُزَ هذه البغلة ، فأستأمِنُ لكَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فوالله لئن ظَفِر بك ليَضرِبَنّ عُنقَك . فرَدِفَنِى ، فجئت به أركُض نحوَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وكلّما مررتُ بنارٍ من نِيران المسلمين فنظَروا إلىّ يقال : عَمُّ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قَدِم على بَغْلةِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتّى مررتُ بنارِ عُمَر بنِ الخطّاب رضى الله عنه ؛ فقال : أبو سُفْيان ! الحمد لله الذى أمكنَ منك بغيرِ عَهْد ولا عَقْد ! ثم اشتدّ نحوَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وركَضتُ البغلةَ حتّى اقتحمتُ على باب القُبّة ، وسَبَقْتُ عمر بما تَسبِق به الدّابة البطيئة والرجلُ البَطىء .

فدخل عمرُ على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يارسولَ الله ، هذا أبو سُفيانَ قد أمكَنَ الله منه من غير عَهْد ولا عَقْد ، فدَعْنى أضربْ عُنُقَه !

فقلتُ : يارسولَ الله ، قد أجَرْتُه ، ثم جلستُ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخذتُ برأسه ، فقلت : والله لا يُناجيه اليومَ أحدٌ دُونى . فلمّا أكثرَ فيه عمرُ قلت : مهلًا يا عُمَر ، فوالله ما تَصنع هذا إلّا لأنّه رجلٌ من بنى عبدِ مناف ، ولو كان من بنى عدىٍّ بنِ كَعْب ماقلتَ هذا !

قال : مهلًا يا عبّاس ، فوالله لَإسلامُك يومَ أسلمتَ كانَ أحبّ إلىّ مِن إسلام الخطّاب لو أسْلَمَ !

فقال رَسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : اذهبْ فقد أمّنّاه حتى تغْدُوَ به بعد الغَداة ،

فرجعتُ إلى منزلى ، فلمّا أصبح غدَا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا رآه قال : وَيْحَك يا أبا سُفْيان ! ألم يَأْنِ لكَ أن تعلَم أنه لا إله إلّا الله !

قال : بأبى أنتَ وأمّى ما أَوْصَلَك وأحلَمَك وأكرَمَك ! لقد ظننتُ أنّه لو كان مع الله عزّ وجلّ إلهٌ لقد أَغـنَى عـنّى شيئا .

فقال : وَيْحك يا أبا سفيان ! ألم يأنِ لك أن تعلَم أنّى رسولُ الله !

فقال : بأبى أنتَ وأمّى ما أوْصَلَك وأحلَمك وأكرَمَك ! أمّا هذه ففى النَّفْس منها شىء !

قال العبّاس : فقلتُ له : وَيْحك ! تشهَّدْ شهادةَ الحقّ قبل أن تُضرَب عُنقُك ! قال : فتَشهَّدَ ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للعبّاس حين تشهَّد أبو سُفْيان : انصرفْ يا عبّاس فأجلِسْه[1] عند خَطْم[2] الجبل بمَضيقِ الوادى ؛ حتى تمرّ عليه جنودُ الله عزّ وجلّ .

فقلتُ له : يا رسولَ الله ، إنّ أبا سُفْيانَ رجلٌ يحِبّ الفَخْر ، فاْجعلْ له شيئا يكون فى قومه ، قال : نَعَم ، مَن دخل دارَ أبى سُفيانَ فهو آمِن ، ومن دَخَل المسجِد فهو آمِن ، ومَنْ أغلقَ بابَه فهو آمِن .

فخرجتُ به حتّى جلستُ به عند خَطْم الجَبَل بمَضيق الوادى ، فمرّت بـه القبائلُ ، فجعل يقول : مَن هؤلاء يا عبّاس ؟ فأقول : سُلَيم ، فيقول : مالى ولسُلَيم! فتمرّ به قبيلة ، فيقول مَن هؤلاء ؟ فأقول : أَسْلَم ، فيقول : مالى ولأَسْلَم ! وتَمرُّ جُهَيْنة ، فيقول : مَن هذه ؟ فأقول : جُهينة ، فيقول : مالى ولجُهَيْنة ! حتى مَرّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالكَتيبة الخضْراء من المُهاجِرين والأَنْصار فى الحديد ،

---

(١) فى الأغانى : « فاحتبسه » .

(٢) خطم الجبل : مقدمه .

لا يُرَى منهم إلّا الحَدَق ، فقال : مَن هؤلاء يا أبا الفضْل ؟ لقـــد أصبح مُلْكُ ابنِ أخيك عظيما ! فقلتُ : وَيْحَكَ ! إنها النبوّة ، فقال : نعم ، فقلت : الحق الآن بقومِك فحذِّرْهم ، فخرج سريعا حتّى أتى مكّة فصرَخ فى المسجد : يا معشَر قريش ، هذا محمّد قد جاءكم بمـا لا قِبَل لـكم به . قالوا : فمَهْ ! قال : مَن دَخل المسجدَ فهو آمِن ، ومَن دَخل دارِى فهو آمِن ، ومَن أغلَق بابَه فهو آمِن .

قال عبـد الله بنُ الزّبير : لمّا كان يومُ اليَرْمُوك خلّفنى أبى فأخذتُ فرساً له وخرجتُ ، فرأيتُ جماعةً من الطُّلَقاء فيهم أبو سفيان ، فوقفتُ معهم ، فـكانت الرُّوم إذا هزَمت المسلمين قال أبو سُفْيان : إنّهم بنو الأَصْفَر ، فإذا كَشفهم المُسلِمون قال أبو سفيان :

وبَنُو الأَصْفَرِ الـكرامُ ملوكُ الـ ... أَرْضِ لم يَبق منهمُ مذكورُ(١)

فلمّا فتح اللهُ على المسلمين ، حدّثتُ أبى ، قال : قاتَلَه الله ! يَأْبَى إلّا نِفاقا ! أَلَسْنا خيراً له من بنى الأَصْفَر! ثم كان يأخذ بيَدِى فيَطوف بِى على أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فيقول : حدِّثهم فأُحَدِّثهم فيعْجَبون من نِفاقه .

دخل أبو سفيانَ على عثمانَ بعد أن كُفَّ بصَرُه ، فقال : هل علينا من عَيْن ؟ فقال له عثمان : لا ، فقال : يا عثمان ، إن الأمرَ أمرُ عالَمِيّة ، والمُلكَ مُلكُ جاهليّة ، فاجعل أوتادَ الأرض بنى أُمَيّة .

وجاء أبو سفيانَ إلى علىّ بنِ أبى طالب رضى الله عنــه ، فقال : يا أبا الحَسَن ، ما بالُ هــذا الأمرِ فى أَضعَف قريش وأقلِّها ! فوالله لئن شئت لأملأنّها عليهمْ خَيْلًا ورَجْلًا .

---

(١) فى الأغانى : « ملوك الروم » .

فقال له علىّ : يا أبا سفيان ، طالَما عاديْتَ الله تعالى ورسولَه والمسلمين ، فما ضَرَّهم ذلك شيئاً ، إنّا وجدنا أبا بكرٍ لها أهلا !

ولمّا وُلِّىَ عثمانُ ، دخل عليه أبو سُفيانَ فقال له : إنّ الخلافة صارت فى تَيْم[1] وعَدِىّ[2] حيث طَمِعَتْ فيها ، وقد صارت إليكم فتلقَّفوها تلقُّفَ الكُرَة ، فوالله ما من جَنّة ولا نار ! فصاحَ به عثمان : قُمْ عنّى فَعَل اللهُ بك وفَعَل .

---

(١) تيم بن مرة بن كعب ؛ قبيلة أبى بكر .

(٢) عدى بن كعب بن لؤى بن غالب ؛ قبيلة عمر بن الخطاب .

حرف الصاد

ذكر صالح أبى عيسى بن الرشيد*

اسمُه صالح ، وقيل: أَحْمد. أمّه أمُّ وَلَد بَرْبَرِيّة ، وكان من أحسَنِ الناس وَجْها ومُجالسةً وعِزّة ، وأمجَنِهم ، وأجَدِّهم نادرة وأشدِّهم عَبَثا .

وكان يقول شِعْرا طيّبا ، وكان إذا عَزَم على الرّكوب جلسَ الناسُ له حتى يروْنه لجمالهأ كثَرَ ممّا يجلسون للخلفاء، وكان المعتزّ فى طِرازِها ، وما رُئِىَ أحسَنُ من غِنائه، ولا أحسنُ من وَجْهه .

وقال الرّشيد لأبى عيسى[(١)] ـ وهو صبىّ ـ : ليتَ جمالَكَ لعبد الله ! يعنى المأمون . فقال له : على أن حظّه منك لى[(٢)] ! فعجب من جوابه على صباه ، وضمّه إليه وقبّله .

وكان المأمون ليلةً مع جماعة يتراءَوْن هلالَ رَمَضان ، [وأبو عيسى معه ، وهو مستلق على قفاه][(٣)] ، فرأَوْه ، وجعلوا يَدْعون ، فقال أبو عيسى قولًا أُنكِر عليه فى ذلك المعنى ، كان يسخط بورود[(٤)] الشهر ، فما صامَ بعده . ولمّا قال أبو عيسى :

دعانِىَ شهرُ الصَّوْمُ لا كانَ مِن شهرِ ... ولا صمتُ شهراً بعدَه آخِرَ الدَّهْرِ
فلو كان يُعدِينِى الإمام بقدرةٍ ... على الشَّهْرِ لاستعْدَيْتُ جَهْدِى على الشهر

نَالَه[(٥)] ، عَقِب[(٦)] هذا القول صَرْع ، فكان يُصرَع فى اليوم مرّات إلى أن مات ولم يَبلُغْ شهرا مِثلَه[(٧)] .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٠ : ١٨٧ ـ ١٥٣ (طبعة دار الكتب) .
(١) الأغانى : « لأبى عيسى ابنه » .
(٢) كلمة « لى » ساقطة من ج ؛ وهى فى ب والأغانى .
(٣) من الأغانى .
(٤) كذا فى ب ، وفى الأغانى : « لورود » ، وفى ج : « برود » ؛ تصحيف .
(٥) كذا فى ب ، وفى الأغانى : « فناله » ، وفى ج : « قاله » تصحيف .
(٦) كذا فى ج ، وفى ب : «عقيب» ، وفى الأغانى : «بعقب» . (٧) الأغانى: « آخر » .

كان أبو عيسى بنُ الرشيد وطاهر بن الحسين يتغدّيان مع المأمون ، فأخذ أبو عيسى هِنْدَباءة[1] فغمسها فى الخلّ ، وضرَبَ[2] بها عينَ طاهر الصحيحة ، فغضب طاهر وشقّ عليه ذلك[3] ، وقال : يا أمير المؤمنين، إحدى عينىّ ذاهبة، والأخرى على يدَىْ عَدْل ؛ يُفعل هذا بى بين يديك !

فقال المأمون : [يا أبا الطيب][4] إنه والله يَعْبَث بى أكثر من هذا العبث . وكان المأمون يخطب يوم الجمعة على المنبر بالرُّصافة ، وأخوه أبو عيسى تلقاء وَجْهِه فى المقصورة ، فأقبل يعقوب بن المهدىّ ، وكان أفسى الناس ، معروفاً بذلك ، فلمّا أقبل وَضَع أبو عيسى كمّه على أنفه ، وفهم المأمون ما أراد ، فكاد أن يضحك .

فلما انصرف بعث إلى أبى عيسى فأحضره ، فقال : والله لهممتُ أن أبطحك[5] فأضربك مائةَ سوط[6] ، ويلك ! أردْتَ أن تفضَحنى بين أيدى الناس يوم جمعة ، وأنا على المنبر ! إياك أن تعود لمثل ذلك[7] !

وكان يعقوب بن المهدىّ لا يقدر أن يمسك الفُسَاء إذا جاءه ، فاتخذت دايةٌ له مُثَلّثةً وطيّبتها ، وتنوّقت فيها ، فلما وضعتْها تحتهُ فسا ، وقال : هذه ليست بطيّبة . فقالت له الدّاية : فديتُك ! هذه كانت طيّبة وهى مُثَلّثة ، فلمّا ربعتَها فَسَدَت .

---

(١) الهند باءة : صنفان من النبات : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق ، والآخر أدق وأرق منه : وفى طعمة مرارة . مفردات ابن البيطار ٢ : ١١٨ .

(٢) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « فرت بها عين طاهر الصحيحة » .

(٣) ساقطة من ج ، وفى الأغانى : « وشق ذلك عليه » .

(٤) من الأغانى .

(٥) بطحه : ألقاه على وجهه .

(٦) الأغانى : « درة » .

(٧) الأغانى : « هذه » .

وكان المأمون أشدَّ النّاسِ حُبًّا لأبى عيسى أخيه ، وكان يُعدُّه للأمر[1] بعده ، وكان يقول : إنه ليسُهلُ علىَّ أمر الموت وفقد المُلْكِ ، ولا يسهل[2] شىء منهما على أحَدٍ ، وذلك لمحبتى أن يَلِىَ أبو عيسى الأمر من بعدى ؛ لشدّة حبّى إياه .

وقيل : كان سبب موت أبى عيسى أنه كان يحبّ صيد الخنازير ، فوقع عن دابّته ، فلم يسلَمْ دِماغه ، وكان يختبط[3] فى اليوم مراتٍ حتى مات .

قال محمد بن عبّاد المهلّبى : لما مات أبو عيسى بن الرّشيد ، دخلت إلى المأمون وعِمامتى علىّ ، فخلعت عِمامتى ونبذتها ورائى[4] ، والخلفاء لا تُعزَّى فى العمائم — فقال لى : يا محمّد ، حال القَدَر دون الوَطَر ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، كلّ مصيبة أخطأتك شوًى[5] ، فجعل الله الحزن لك لا عليك !

وكانت وفاته سنة سبع ومائتين وصلّى عليه المأمون ، ونزل فى قبره ، وامتنع من الطعام أياما ؛ حتى خاف أن يَضُرّ ذلك به ؛ وكان قد وَجَد عليه وجْدًا شديدا ، وركب إلى داره حتى حَضَر أمره . وما رُئِىَ مصاب حزين أجمل أمراً فى مصيبته ، ولا أحرق منه ، من رجل صامت ، دموعه تجرى على خديه من غير كلح[6] ، ولا استنثار[7] ، ولم يبك ويمسح عينيه.

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « الأمر » ، تصحيف .

(٢) كذا فى ج ، وفى ب : « ولم يسهل » ، وفى الأغانى : « وما يسهل » .

(٣) فى الأغانى : « يتخبط » .

(٤) الأغانى : « وراء ظهرى » .

(٥) الشوى : الأمر الهين ، وفى الأغانى : « هين » .

(٦) كذا فى الأصول ؛ والذى فى كتب اللغة : كلح وجه الرجل كلوحا وكلاحا : تكشر فى عبوس

(٧) الاستنثار : إخراج ما فى الأنف من أذى .

وكان أحمد بن أبى دُواد حاضرا ، وعمرو بن مسعدة ، فتمثّل أحمد بن أبى دواد :

نَقْصٌ من الدُّنيا وأسبابِها　　نَقْصُ المنايا من بنى هاشم

فلم يزل المأمون يبكى وينتحب ثم تمثل (١) :

سَأبْكيكَ ما فاضَتْ دُمُوعى فإن تَغِضْ　　فحسبكَ منّى ما تُجِنُّ الجوانحُ

كأنْ لم يمت حَىٌّ سِواكَ ولم تقم (٢)　　على أحدٍ إلّا عليكَ النوائحُ

قال أحمد بن أبى دُوَاد : فالتفت إلىّ فقال : هيه يا أحمد ! فتمثّلتُ بقول عَبَدة ابن الطبيب :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ قَيْسَ بن عاصمٍ　　ورحمتُه ما شاء أن يترحَّمَا

تحيةَ من أوْلَيْتَه مِنْكَ نِعْمَةً　　إذا زارَ عَنْ شَحْطٍ بلادَك سَلَّما

فما كان قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ　　ولكنَّهُ بُنْيانُ قَوْمٍ تَهدّمَا

فبكى ساعةً ثم التفت إلى عمرو بن مسعدة ، فقال : هيه يا عمرو ! فقال : نعم . يا أمير المؤمنين :

بَكَّوا حُذَيفة لن تُبَكُّوا مِثْلَهُ　　حتّى تعود قبائلٌ لم تُخْلَقِ

قال : وإذا عَرِيبٌ وجواريها يسمعون ما يدور بيننا ، فقالت : اجعلوا لنا معكم فى القول نصيباً ، فقال المأمون : قُولِى ، وربّ صواب منك كثير ، فقالت :

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ ولْيَفْدَحِ الأمْرُ　　فليس لعينٍ لم يفض ماؤها عُذْرُ

كأنَّ بنى العبّاس يوم وفَاتِهِ　　نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها الْبَدْرُ

فبكى وبكينا ، ثم قال لها المأمون : نوحِى به ، فناحتْ ، وردّ عليها الجوارى ، فبكى المأمون حتى قلت : قد فاظت نفسه ، وبكينا معه أحرَّ بكاء ، ثم أمسكت ،

---

(١) الأغانى : « ثم مسح عينيه وتمثل »

(٢) الأغانى : « ولم تنح » .

ثم قال لها المأمون : اصْنَعِى فيه لحنا على مذهب النَّوْح ، وغَنِّى به . ففعلت وغنّتْه على العُود . فلقد بكينا عليه غناء أكثر ممّا بكينا عليه نوحاً .

دخل أبو العتاهية على المأمون وقد امتنع من الطعام والنّوم أياماً فقال له المأمون : حدّثني يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان فى مثل حالنا وفارقها ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لبس سليمان بن عبد الملك أفخرَ ثيابه ، ومسّ أطيب طيبه ، وركب أفْرَه خَيله ، وتقدَّم إلى جميع من معه أن يركب فى مثل زيّه وأكمل سلاحه ، ونظر فى مرآته ، فأعجبته هيئته وحُسْنه . فقال : [أنا][1] الملك الشاب ، ثم قال لجارية له : كيف ترين ؟ قالت :

أنتَ نعم المتاعُ لو كنتَ تبقَى غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
أنتَ خِلْوٌ من العُيُوب ومِمّا يَكْرَه النَّاسُ غيرَ أنَّك فانى

فأعرض بوجهه ، فلم تَدُرْ عليه الجمعة إلّا وهو فى قبره ؛ فبكى المأمون والناس، فما رُئِىَ باكٍ أكثر من ذلك اليوم .

(١) تكملة من الأغانى .

ذكر الصّلت الوابصىّ *

هو الصَّلت بن العاصى بن وابِصة بن خالد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الوابصىّ .

تنصَّر فألحق ببلاد الروم؛ لأن عمر بن عبد العزيز حدّه فى الخمر ، وهو أمير الحجاز فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصر ، فمات هناك نصرانيًّا .

قال إسماعيل بن حكيم : كنتُ عند عمرَ بن عبد العزيز ، فأتاه البريد من قسطنطينيّة ؛ قال : بينا أنا أجولُ فى القسطنطينيّة ؛ إذْ سمِعتُ رجلًا فصيح اللسان ، يتغنّى بصوت شجٍ :

وكم من حرمة بين المصلَّى ... إلى أحُدٍ إلى الكناف كريم (١)

فسمعتُ غِناءً لم أسمع أحسنَ منه ، فلمّا سمعتُ الغناء وحسنَه ، ولم أدرِ أهو كذلك حسن ؛ أم هو لعربيته وغربة العربية فى ذلك المكان (٢) ! فدنوتُ من الصوت ، فإذا هو فى غُرْفة ، فنزلت عن بغلتى فأوثقتها ثم أصغيت إليه ؛ فإذا هو مستلقٍ على قفاه يغنِّى هذين البيتين ، وهو واضع إحدى رجليْه على الأخرى ، فإذا فرغ بكى ما شاء الله ثم يُعيد الغناء ، ففعل ذلك مرّاتٍ ، فقلت : السَّلام عليكم ، فوثب وردّ السلام : فقلت : البُشرى (٣) ، قد فكَّ الله أسرَك ، أنا بريدُ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

---

* ترجمته فى الأغانى ٦ : ١١٦ ــ ١١٩ (طبعة دار الكتب) .

(١) البيت فى الأغانى :

فَكَمْ من حُرَّةٍ بين المنقَّى ... إلى أحُدٍ إلى جنبات ريم

(٢) الأغانى : « أم لغربته وغربة العربية فى ذلك الموضع » .

(٣) كذا فى الأغانى ، والكلمة وردت محرفة فى ب ، ج .

إلى هذه الطاغية فى فكّ الأَسْرَى ، ثم سألت : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا الوابصىّ أخذتُ فَعُذِّبت حتى دخلت فى دينهم .

فقلت : فأنت والله أحبّ من أفتديه[1] إلى أمير المؤمنين وإلىّ إن لم تكن دخلْت فى الكفر قال : دخلت فيه[2] . فقلت : أنشدك الله إلّا أسلمت ! فقال : أأُسلِم ، وهذان ابناى وقد تزوجتُ منهم امرأة ، وهذان ابناها ، فإذا دخلت المدينة قيل لى : يا نصرانىّ ، وقيل مثل ذلك لولدىّ ولأمّهم ! لا والله لا أفعل . فقلت له : قد كنت قارئا للقرآن فما بقى معك ؟ قال : والله ما أذكر إلّا هذه الآية : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ . فعاودته وقلت له : إنك لا تعيَّر بهذا . قال : فكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ؟ فقلت : سبحان الله أما تقرأ : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان ﴾ ، فجعل يعيد علىّ قوله : فكيف بما فعلت ؟ ولم يجبنى إلى الرجوع .

فرفع عمر يديه وقال : اللهمّ لا تُمتْنى حتى تمكِّننى منه .

قال : فما زلتُ راجيا دعوة[3] عمر رضى الله عنه .

(١) كذا فى الأغانى .

(٢) الأغانى : « قد والله دخلت فيه » .

(٣) الأغانى : « راجيا لإجابة دعوة عمر » .

ذكر صخر الجعدىّ الخُضْرِىّ

والخُضْرى[1] مالك بن طريف بن مالك بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضر . وصَخْر أحد بنى جِحاش بن سلَمَة بن ثعلبة بن مالك بن طرِيف ، وسمى ولد مالك بن طريف الخُضْر لسوادهم. وكان مالك شديد الأُدْمة، وخرج ولده إليه، فقيل: الخُضْرِىّ[2] ، والعرب تسمى الأسْود أخضر .

شاعر فصيح من مُخضرمى الدّولتيْن[3] الأموية والعباسية ، وقد كان يتعرّض[4] لابن ميّادة لما انتقض ما بينه وبين الحكم الخُضرىّ من المهاجاة ، ورام أنْ يهاجيَه فترَفَّع[5] ابنُ ميادة عنه .

وكان صخر مغرما بكأس بنت بُجَير بن سعد بن كعب بن جُنْدَب ، يشبّب بها فلقيَه أخوها وقّاص ـ وكان شجاعا ـ فقال له : يا صَخْر ، إنك تشبّب بابنة عمّك ولعمرى ما بها عنك مَذْهب ، ولا لنا عنك مرغب ، فإن كانت لك بابنة عمك حاجة فهلمّ أزوِّجكها ، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلم ما عرضْت [بذكر][6] لها ، ولا أسمعه منك ؛ فوالله[7] إن فعلت ذلك ليخالطنّك السيف .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٩ : ٦٥ ـ ٦٩ (ساسى).

(١) الأغانى : « والخضرى ولد مالك بن طريف » .

(٢) الأغانى : « فقيل لهم الخضر » .

(٣) ب ، ج : « الدولة » ؛ وما أثبته من الأغانى .

(٤) الأغانى : « يعرض » .

(٥) فى ب ، ج : « رفع » ؛ وما أثبته من الأغانى .

(٦) من الأغانى .

(٧) الأغانى : « فأقسم بالله » .

فقال له صخر : لا ، بل والله إن بى لأشدّ الحاجة إليها ، فوعده مَوْعدا ، فخرج صخر لموعدِه حتى نزل بإزاء [١] القوم ، فنزل منزلَ الضيف ، فقام وقّاص فذبح ، وجمع أصحابه وأبطأ صخر عليهم ، فلمّا رأى ذلك بعث إليه : أن هَلُمّ لحاجتك ، فأبطأ ورجع الرسول ، فقال : [ما] [٢] رأيته إلا بطيئاً ، واستأناه [٣] وقّاص فأبطأ ، فلما رأى فعله غضب وقّاص ، وعمَد إلى رَجُلٍ من الحىّ ليْسَ يُعْدل بصخر ، يقال له : حِصْن [٤] [وهو مغضب لما صنع] [٥] ، فحمِد الله ، وأثنى عليه ، وزوّجه أخته [٦] ، وافترق من القوم ، فمرّوا بصخر فأعلموه تزويج كأس حصناً ، فرحل عنهم تحت الليل ، واندفع يهجوها بالأبيات التى منها :

وأنكَحها حِصناً ليطمس حَمْلَهَا ... وقد حملت من قبل حِصْنٍ وجَرّتِ [٧]

وترافع القوم إلى والى المدينة طارق مولى عثمان ، فأقاموا عليه البيّنة بقذف كأس ، فضرب وعاد إلى قومه ، وأسف على مافاته من تزويج كأس ، وطفق يقول فيها الشعر ، فما قاله :

تذكرت كأساً أن سمعتُ حمامةً ... بكت فى ذُرَا نَخْلٍ طِوالٍ جريدُها
دعت ساق حُرٍّ فاستجبْتُ لصوتها ... مولَّهةً لم يبقَ إلّا شريدُها
فيا نفسُ صَبْراً كلُّ أسباب واصلٍ ... سَتُمْلَى لها أسبابُ صَرْمٍ تُبيدها
وليلٍ بدت للعين نارٌ كأنّها ... سنا كوكبٍ لا يستبين خُمودُها

(١) الأغانى : « بأبيات القوم » .
(٢) زيادة يقتضيها السياق ؛ وفى الأغانى : « فقال مثل قوله فأبطأ » .
(٣) استأناه : ترقبه .
(٤) كذا فى الأغانى ، وهو الصواب ، وفى ب ، ج : « حصين »
(٥) تكملة من الأغانى .
(٦) الأغانى : « كأس » .
(٧) بعده فى الأغانى : «أى زادت على تسعة أشهر».

فقلت عساها نار كأس وعلّها ... تَشَكَّى فأمضِي نحوها فأعُودها
فتسمع قولى قبل حَتْفٍ يُصيبنى[1] ... تُسَرُّ بـه أو قبل حتف يصيدُها
كأنْ لم يكن ما كان إلْفَى مودّةٍ[2] ... إذ الناس والأيام تُرْعَى عهودُها

وكان صخر بن جَعْد خِدْناً لعوّام بن عُقْبة، وكان عوّام يهوى امرأة من قومه، يقال لها: سوداء، فماتت فرثاها، فلمّا سمع صخر المرثيّة قال: وددت أن أعيش حتى تموت كأس وأرثيها، فماتت كأس ورثاها، فقال:

عَلَى أمِّ دَاودَ السَّلامُ ورحمةٌ ... من الله يجرِى كلَّ يوم كثيرها[3]

وكان الجعْد المحاربىّ، أبو صخر [قد عُمِّرَ][4] حتى خرف، وكان يكنى أبا الصموت، وكانت له وليدة يقال لها: سحماء[5] فقالت له يوما: ياأبا الصَّمُوت، زعم بنوك أنّك[6] إن متَّ قتلونى. قال: ولِم؟ قالت: مالى غير حقّ[7] حبى لك؛ فأعتقها على أن تكون معه، فأقامت يسيرا ثم قالت: يا أبا الصّموت، هذا عرابة من أهل المعدن يخطبنى، فقال: أين هذا مما قلت؟ قالت: [إنه ذو مال][4] وإنما أردت ماله لك، قال: فأتنى به، فأتت به، فزوّجها إياه فولدت له أولادا وقوّته بما كانت تصيبه من الجعْد، وكانت تأتى الجعْد فى الأيام [فتخضب رأسه][4] ثم قطعته، فأنشأ يقول:

---

(١) فى الأغانى: «يصيدنى».
(٢) الأغانى:
* كأن لم نكُنْ يا كأسُ إلْفَىْ مودّةٍ *
(٣) الأغانى: «بشيرها».
(٤) من الأغانى.
(٥) الأغانى: «سمحاء».
(٦) كذا فى الأغانى، وفى ب، ج: «إنه».
(٧) الأغانى: «ذنب غير حبى».

أمسى عَرابةُ ذا مالٍ وذا ولدٍ ... من مالِ جَعْدٍ وَجَعْدٌ غيرُ محمودِ
تظل تُنشقهُ الكافور مُتَّكِئاً ... على السرير وتمطيني على العُودِ

ولمّا كبر حملَهُ بنوه وأتوْا به مكة ، وقالوا له: تعبّدها هنا ، واقتسموا المال الذى كان له ، وتركوا له منه ما يصلحه فقال :

ألا أَبلغْ بنى سَوْداءَ عَنِّى(١) ... وإن حالتْ جِبالُ الغَوْرِ دُونى
فلم أرَ مَعْشراً تركُوا أباهُمْ ... من الآفاق حيثُ تركتمُونى
فإنّى والرّوافض حولَ جَمْعٍ ... ومَحْطِمُهنّ من حَصَبِ الحَجُون
لوَ انّى ذو مُدافعةٍ وحَوْلى ... كما قد كنتُ أحياناً أكونُ(٢)

---

(١) من الأغانى .
(٢) فى البيت إقواء .

حرف الطاء

طُوَيس*

طويس لقب ، واسمه طاوس ، مولى بنى مخزوم ، وهو أول من غَنَّى الغناء المتقَن من المُخَنّثين .

(١ وفد على عبد الملك أبَان١) ، فأمَّره على الحجاز ، فأقبل حتى دَنا من المدينة تلقّاه أهلُها ، وخرج إليه أشرافُهَا ، فخرج معهم طُوَيس ، فلمّا رآه سلّم عليه ، ثم قال له : أيها الأمير ، إنّى كنتُ أعطيتُ اللهُ عهداً لئِنْ رأيتُك أميراً لأخضِبَنّ يدىّ إلى المِرْفَقَيْن ، ثم أدق(٢) بالدُّفّ بين يديك ؛ ثم أبْدَى عن دُفّه ، وتغَنَّى بِشِعْر ذى يَزَنِ الحِمْيَرِىّ :

ما بالُ أهلِك يا رَبابُ　　خُزْراً كأنَّهُمُ غِضَابُ
إنْ زُرْتُ أهلَكِ أوْعَدُوا　　وتَهِرُّ دُونَهُمُ الكِلابُ

فطرِب أبَان حتَّى كاد يَطِير ، ثم جعلَ يقول : حَسْبُكِ يا طاوس ولم يقل له « طُوَيس » لنُبْله فى عَيْنه ، ثم قال له : اجْلِسْ ، فجلس ، ثم قال له أبان : قد زَعَمُوا أنك كافرٌ ، فقال له : جُعِلْتُ فداكَ ! والله إنّى أشْهَدُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم ، وأصلِّى الخمس وأصوم شهرَ رمضان ، وأحجُّ البيت .

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٢٧ ، ٤ : ٢٢٠ (طبع دار الكتب) .

(١ ــ ١) الأغانى : « أن أبان بن عثمان وفد على عبد الملك بن مروان » .

(٢) الأغانى : « أزدو » ، وأزدو : أضرب .

قال : أفأنت أكبر أم عمرو بن عثمان ؟ ـ وكان عمرٌو أخا أبانٍ لأبيه وأمّه ـ فقال له طُويس : أنا والله [جعلت فداءك](١) مع جلائِل نساء قومى ، أُمْسِكُ بذيولهنّ يوم زُفّت أمُّك المباركة إلى أبيك الطيّب ، فاستحيا أبان ، ورمى بطرْفه إلى الأرض .

وقيل : إنه قال له : يقولون : إنك مشئوم . قال : وفوق ذلك ! قال : وما بَلَغ من شؤمك ؟ قال : وُلِدْتُ ليلةَ قُبِضَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وفُطِمْتُ يوم مات أبو بكر ، واحتلمتُ ليلة قتل عمر ، وزُفِفْتُ ليلة قتل عثمان .

قال : فاخرج عنى ، عليك الدّمار(٢) .

قال نوفل بن عُمارة : خرج يحيي بن الحكَم أميرُ المدينة ، فبصُر بشخصٍ فى السَّبخَة ، مِمّا يَلِى الأحزاب ، فلمَّا نظر إلى يحيى بن الحكم جلس فاستراب به ، فوجّه أعوانَه فى طلبه ، فأُتِىَ به كأنّه امرأة فى ثياب مصبَّغة مَصْقولة ، وهو مُمْتَشِط مُختَضِب . فقال له أعوانه : هذا ابن نماش(٣) المخنث . قال : ما أحسبك تقرأ من كتاب الله شيئا ؛ اقرأ أمّ الكتاب ! فقال له : لو(٤) عرفت الأم عرفتُ البنات . قال : أتهزأ بالقرآن لا أمّ لك ! فأمر به فضربت عُنُقه ، وصاح فى المخنّثين ؛ من جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة درهم .

قال زرجون(٥) المخنّث : فخرجت [ابعد ذلك](٦) أريد العالية ، فإذا بصوت

(١) تكملة من الأغانى .

(٢) الأغانى : « الدبار » ؛ وهما بمعنى .

(٣) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « نغاش » .

(٤) كلمة « لو » ساقطة من ج ؛ وهى فى ب ، وفى الأغانى : « لو عرفت أمهن عرفت البنات »

(٥) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « زربوح » .

(٦) من الأغانى .

دُفٍّ أعجبَنِى ، فدخلت من الباب حتى فهمت نغمات قومٍ آنسُ بهم ، فدخلت فإذا بطُوَيس قائم وفى يده الدفُّ يُغنِّى ، فلمّا رآنِى قال : إيه يا زَرَجُون ! قتلَ يحيى ابن الحكم ابنَ نُعَاش ؟ قلت : نعم ، قال : (١وجعل فى المخنثين بأسمائهم؟! قلت : نعم ثم قال له : ويحك ! أما جعل فىّ زيادة ، ولا فضّلنى عليهم فى الجُعْل بِفَضْل!١)

قال الُحسَين بن الأشقر : كنت بالمدينة فخلا لى الطريق فى نصف النهار، فغنّيت :

* ما بال أهلك يا رباب *

فإذا خَوْخَةٌ(٢) قد فتحت ، ووجه قد بدا تتبعُه لحية حمراء ، فقال : يافاسق ، أسأت التّأدية ، ومنعت القائلة ، وأذَعْت الفاحشة ! ثم اندفع يغنّيه ، فظننت أن طُويسا قد نُشِر [بعينه](٣) ، فقلت له : من أين لك هذا الغناء ؟ قال : نشأت وأنا غلام أتَّبِع المغنّين وآخذ عنهم ، فقالت لى أمى : يا بُنَىّ ؛ إنّ المغَنِّى إذا كان قبيح الوجه [لم يُلتفتْ إلى غنائه ، فدع الغناء ، واطلب الفقه ، فإنّه لا يضرّ مع قبح الوجه](٤)، فتركت المغنين واتبعت الفقهاء ، فبلغ الله بى ما ترى ، فقلت له : أعِدْ ، جعلت فداك ! فقال : لا ، ولا كرامة ، أتريد أن تقول : أخذته من(٥) مالك بن أنس ! وإذا هو مالك ولم أعلم .

(١ ـ ١) العبارة فى الأغانى : «أو جعل فى المخنثين ثلاثمائة درهم؟: قلت : نعم؛ فاندفع يغنى:

ما بالُ أهلِك يا ربابُ ... خزرًا كأنّهُمُ غضابُ
إن زرْت أهلكِ أوعدوا ... وتهرّ دونهمُ كلاب

ثم قال لى : « ويحك ! أفما جعل فى زيادة ، ولافضلنى عليهم فى الجعل بفضلى شيئا ! » .

(٢) الخوخة : البويب ، أو الباب الصغير فى الباب الكبير .

(٣) من الأغانى .

(٤) تكملة من الأغانى ؛ وبها يتم المعنى .

(٥) الأغانى : « عن مالك » .

ذِكْرُ طُرَيح*

هو طُرَيح بن إسماعيل بن عُبَيد بن أُسَيْد بن عِلاج بن إسماعيل بن أبى سلَمة[1] ابن عبد العُزّى بن عَنَزَة بن عَوْف بن قسِىّ ـ وهو ثقيف ـ بن منبّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكْرمة بن خصفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضر .

وقيل : إنّ ثقيفا كان عبدالأبى رِغال ، وكان أصلُه من قوم نَجَوْا من ثمُود ، فانتمى بعد ذلك إلى قَيْس .

روى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنّه مرّ بثقِيف فتغامزوا ، فرجع إليهم فقال لهم : ياعبيد أبى رِغَال ، إنّما كان أبوكم عَبْداً له فهرب منه ، فثقِفه[2] بعد ذلك ، ثم انتمى إلى قَيْس .

وقال الحجّاج فى خطبة له بالكوفة : بلغنى أنكم تقولون : إنّ ثقيفاً من بقيّة ثمود ، ويلكم ! هل نجا من ثمود إلا خيارهم ومَنْ آمن بصالح فبقى معه ! ثم قال: الله عز وجل : ﴿ وَثمُودَ فمَا أَبْقَى ﴾ .

فبلغ ذلك الحسن البصرىّ ، فتضاحك وقال : حكم أُلكَع[3] لنفسه ! إنما قال : ﴿ فَمَا أَبْقَى ﴾ ، أى لم يُبْقهم إنما أهلكهم ، فرُفِع ذلك إلى الحجّاج فطلبه ، فتوارى حتى هلك الحجاج ، وهذا سبب تواريه منه .

وكان حمّاد الرّاوية يذكر أنّ أبا رِغال أبو ثقيف كلها ، وأنّهُ من بقيّة ثمود ،

---

* ترجمته فى الأغانى ٤ : ٣٠٢ ـ ٣٢٩ (طبعة دار الكتب) .

(١) كذا فى الأغانى واللآلى ٧٠٥ ومعجم الأدباء ١٢ : ٢٢ ، وفى ب ، ج : « شكر » .

(٢) ثقفه : أدركه وظفر به .

(٣) الأغانى : « لكع » .

وأنّه كان ملكا بالطائف ، وكان يظلم رعيّتَه ، فمرّ بامرأة تُرضِع صَبِيًّا يتيما بلبَنِ عَنْزٍ لها ، فأخذها منها ، فبقي الصبيّ بلا مرضعة فمات ، وكانت سنة مجدِبة ، فرمَاهُ اللهُ بقارعةٍ أهلَكتْه ، فرجمت العربُ قبرَه ، وهو بين مكّة والطائف .

وقيل : بل كان قائد الفيل ، ودليلَ الحبشة ؛ لمـا غزوا الكعبة ، فهلك فيمَنْ هلك منهم ، فدُفِن بين مكّة والطائف . فمرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بقبْره ، فأمر برجْمه ، فصار ذلك سنّة .

ورُوِى عن ابن عبّاس ، قال : كان ثَقِيف والنَّخَع من إياد ، فثقيف : قَسِيّ بن منبّه بن النَّبيت بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن إياد . والنَّخَع بن عمرو بن الطّمثان بن عبد مناف بن يَقْدُم بن أَفْصَى ؛ فخرجا ومعهما عَنْزٌ لهما يشربان لبنَها ، فعرض لهما مُصَدّق[1] لملك اليمن ، فأراد أخذها فقالا له : إنّما نعيش بِدَرِّها ، فأبى أن يَدَعها ، فرماه أحدُهما فقتله ، ثم قال لصاحبه : إنّه لا يحملني وإيّاك أرض .

فأما النّخَعُ فمضَى إلى بيشة[2] فنزل بها ، وأقام فيها ؛ وأما قَسِيّ فنزل قريبا من الطائف ، فرأى جارية ترعَى غنماً لعامر بن الظَّرِب العَدْوانىّ ، فطمِع فيها ، وقال : أقتلُ الجارية ، وأحْوِى الغنَم ، فأنكرت الجارية منظَره ، وقالت له : إنى أراك تريد قتلى وأخذَ الغنم ؛ وهذا شيء إن فعلتَه قُتِلْتَ ، وأخِذَتِ الغنمُ منك ، وأظنّك غريبا جائعاً ؛ فدلّته على مولاها فأتاه ، فاستجاره[3] فزوّجه بنته ، وأقام بالطائف ، فقيل : لله درّه ! ما أثقفه حين ثقِفَ عامراً فأجاره !

---

(١) المصدق : عامل الزكاة الذى يأخذها من أربابها .

(٢) بيشة : أرض باليمن .

(٣) الأغانى : « استجاربه » .

وقد كان مرّ بيهوديّة بوادي القرى[١] حين قتل المُصدّق ، فأعطته قُضْبان كَرْم ، فغرسها بالطائف ، فأطعمتْه ونفعتْه .

قال: ويُعيَّر الظَّرِب بتزويجه قَسِيًّا ؛ وقيل : زَوَّجْتَ عَبْداً ، فصار[٢] إلى الكهان يَسْألهم ، فانتهى إلى شِقّ ؛ وكان أمرهم منه ، فلمّا انتهى إليه قال : إنّا قد جئناك في شيء ماهو[٣] ؟ قال : جئتم في قَسِيّ ، وقَسِيٌّ عبد إياد ، أبقَ ليلة الواد ، في وَجٍّ[٤] ذات أبْدَاد ، فوالى سعدًا ليفَاد[٥] ، ثم لوى بغَيْر معاد يعني سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر . ثم توجّه إلى سَطِيح ، فقال : إنا جئناك في أمر ، ماهو ؟ قال : جئتم في قَسِيّ ، وقَسِيّ من ثمود القديم ، ولدتْه أمه بصحراء تريم[٦] فالتقطه إيادٌ وهو عديم ، فاستعبده وهو مُليم[٧] . فرجع الظّرِب وهو لا يدرى ما يأتى[٨] فى أمره ، وقد وكّد عليه فى الحِلف والتزويج ، وكانوا على كُفْرهم يقولون فيوفُون بالقول ؛ فلهذا يقول من قال : إن ثقيفا من ثمود ؛ لأن إياداً من ثَمُود .

وقيل: إن حرباً كانت بين إيادٍ وقيس ، وكان رئيسهم عامر بن الظَّرِب ، فظفرت بهم قَيْس فنفتْهُم إلى ثمود ، وأنكروا أن يكونوا من نِزَار .

---

(١) وادى القرى : واد بين المدينة والشام كثير القرى ؛ فتحه النبى صلى الله عليه وسلم عنوة سنة سبع من الهجرة ، ثم صالح أهله على الجزية .

(٢) الأغانى : « فسار » .

(٣) الأغانى . « إنا جئناك فى أمر فما هو ؟ » .

(٤) وج : اسم واد بالطائف .

(٥) ليفاد : ليطلق .

(٦) تريم إحدى مدينتى حضرموت والمدينة الأخرى شبام .

(٧) ألام الرجل : فعل ما يلام .

(٨) الأغانى : « ما يصنع » .

وقال عامر بن الظرب فى ذلك :

قالت إيادٌ قــد رأينا نسبـا فى ابْنَىْ نزارٍ ورأينا غَلَبَا
سِيرى إيادُ قــد رأيت عَجَبَا لا أصْلُكمْ مِنّا فسامِى الطّلبا
* دارَ ثَمُود إذ رأيتِ النَّسَبا *

ورُوِى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنـه أنَّه كان على المنبر بالـكوفة ، وذكر ثَقِيفاً ، فقال : لقد هممت أن أضع الجزية على ثَقِيف لأن ثقيفاً كان عبداً لصالح النبىّ عليه السلام ، وأنّه سَرّحه إلى عامل له على الصدقة ، فبعث العامل بها معه ، فهرب واستوطن الحرَم ، وإنّ أوْلَى الناس بصالح محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنّى أشهدكم أنى قد رددتهم إلى الرّقّ .

وقال ابنُ عباس ـ وقد ذكر عنده ثقيف فقال : هو قَسِىّ بن منبّه ، وكان عبداً لامرأة صالح عليه السلام ، ولما مرّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بقبر أبى رِغال ، قال : « فيه عمودٌ من ذهب » ، فابتدرَه المسلمون فأخرجوه .

قال الحسن ـ وذكرت القبائل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « قبائل تنتمى إلى العرب ، وليسوا من العرب ؛ حِمْيَر من تُبّع ، وجُرْهم من عادٍ ، وثقيف من ثمود » .

روى الزهرىّ أنَّ النَّبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : « بنو هاشم والأنصار حِلْفَان ، وبنو أمية وثقيف حِلْفَان » .

ورُوِى عن قَتَادة ، قال : جاء رجلان إلى عمران بن حُصَين فقال : مِمّن أنتما ؟ قالا : من ثَقِيف ، قال لهما : أتزعمان أنَّ ثقيفاً من إياد ؟ قالا : نعم ؛ قال : فإن إياداً من ثَمُود . فشقَّ ذلك عليهما . قال : أساءكما قولى ؟ قالا : نعم والله ، قال : فإنّ الله تعالى أنجى من ثمود صالحا والذين آمنوا معه ، فأنتم إن شاء الله من ذرّيّة مَنْ آمن ؛ وإن كان أبو رِغال قد أتى ما بلغـكما ، فقالا له : ما اسم أبى رِغال ، فإنّ النّاس قد اختلفوا علينا فى اسمه ؟ فقال : قَسِىّ بن مُنبّه .

وروى الزهرىّ أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر [فلا يحبّ ثقيفا ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر][1] فلا يُبْغض الأنصار » .

وأمّ طُرَيح بنت عبد الله بن سِباع بن عبد العُزّى بن نضلة بن غُبْشَان من خُزَاعة، وهم حلفاء لبنى زُهْرة بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب ؛ وسِباع بن عبد العُزّى هو الذى قتله حمزة بن عبد المطّلب رضى الله عنه يوم أحدُ لمّا برز إليه ، وقال له حمزة : هَلُمَّ يابن مقطِّعة البُظُور ـ وكانت أمّه تفعل ذلك ، وتَقْبَل[2] نساء قريش بمكة ـ فحمى وحشىٌّ لقومه ، وغضب لِسِباع فرمى حمزةَ بحربته فقتله .

يكنى طُرَيح بأبى الصّلت ، كُنِى بذلك بابنٍ كان له اسمه الصَّلْت ، وله يقول طُرَيح :

يَا صَلْتُ إنَّ أباكَ رَهْنُ مَنيَّــةٍ ... مكتوبةٍ لا بُدّ أن يَلْقاهــا
سبقت سوابقها بأنْفُس مَنْ مضى[3] ... وكذاك يَتْبَــعُ باقيــاً أُخْرَاهــا

وقال أبو الحسن الكاتب : ماتَتْ أم الصّلت بن طُرَيح وهو صغير ، فطرحه طُرَيح إلى أخواله بَعْدَ موته ، وفيه يقول :

بَاتَ الخيالُ من الصُّلَيْت مؤرِّقِي ... يَفرِى السَّرَاة مــع الرَّباب الملثِقِ[4]
ما رَاعَنِى إلّا بيَاضُ جَبينه[5] ... تحت الدُّجُنّة كالسِّراج المُشْرِق

ونشأ طُرَيح فى دَوْلة بنى أميّة ، فاستفرغ شعرَه فيهم ، وخاصّةً فى الوليد بن يزيد ، وأدرك دَوْلة بنى العبّاس ، ومات فى أيّام الهادى .

---

(١) من الأغانى .
(٢) تقبل نساء قريش : تتلقى أولادهن عند الولادة .
(٣) فى الأغانى : « سلفت سوالفها » .
(٤) الملثق : البالّ ؛ يقال : لثق الطائر إذا ابتل ريشه ، وألثقه غيره إذا بلّه .
(٥) الأغانى . « وجيهه » .

وكان الوليد مكرماً له لخئولته فى ثقيف .

قال طُرَيح : خُصِصْتُ من(١) الوليد بن يزيد بقُرْب ؛ حتى كنتُ أخلو معه ، فقلت له ذات يوم ، وأنا معه فى مشرقة(٢) : يا أمير المؤمنين ، خالُك يحبّ أن تعلم شيئا من خُلُقه ، قال : وما هو ؟ قلت : لم أشرب شرابا ممزوجا(٣) إلّا من لبن وعسل . قال : قد عرفتُ ذلك ، ولم يباعدْكَ من قلبي .

فدخلت عليه يوما وعنده الأُمَويُّون ، فقال : إلىّ يا خالى ، فأقعدنى إلى جانبه ، ثم أُتِىَ بشراب فشرِب ، وناولنى القدَح ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد أعلمتُك رأيى فى الشّراب ، قال : ليس لذلك أعطيتُك ، إنَّما رفعتُه إليك لتناوله للغلام ، وغضب ؛ ورفع القوم أيديَهم كأنّ صاعقةً وقعت على الخِوان ، فذهبتُ أقوم ، فقال : اقعُدْ ! فلمّا خلا البيتُ علىّ قال لى : يا عاضّ كذا وكذا من أمّه ، أردت أن تفضحنى ! لوْلَا أنّك خالى لضربتُك ألف سوط ، ثم نَهَى عن إدخالِى ، وقطع عنّى أرزاقِى ، فمكثت ما شاء الله ، ثم دخلتُ عليه يوما متنكّراً ، فلم يشعر إلّا وأنا بين يديْه ، وأنا أقول :

يابنَ الخلائفِ مالِى بعد تَقْرِبَةٍ ... إليكَ أُقْصَى وفى حالَيْكَ لِى عَجَبُ !

كأنَّنِى لم يكنْ بيْنِى وبينَكُمُ ... إلٌّ ولا خُلَّة تُرْعَى ولا نَسَبُ(٤)

لو كان بالوُدّ يُدْنَى منك أزلَفَنِى ... بقُرْبكَ الوُدُّ والإشفاقُ والحدَبُ

وكنتُ دونَ رجالٍ قد جعلتَهُمُ ... دُونى إذا ما رأوْنى مُقْبِلًا قَطَبُوا(٥)

---

(١) الأغانى : « بالوليد بن يزيد » .

(٢) المشرقة : موضع القعود فى الشمس بالشتاء . وفى الأغانى : « المشربة » ؛ وهى الغرفة.

(٣) الأغانى : « شرابا قط » .

(٤) الإل : العهد .

(٥) قطب الرجل : زوّى ما بين عينيه وكلح .

إنْ يسمَعُوا الخير يُخفوه وإن سمِعوا ... سُوءاً أذاعوا وإن لم يَسْمَعُوا كَذَبُوا[1]

رأَوْا صدودَكَ عَنّى فى اللقاء فقد ... تَحَدّثُوا أنّ حَبْلى منك مُنْقَضِبُ

فتبسّم ، وأمرنى بالجلوس ، ورجع إلىّ وقال : إياكَ أن تعاود ! وبقية القصيدة :

فَذُو الشَّماتةِ مَسْرورٌ بقصتنا[2] ... وذُو النّصيحةِ والإشفاقِ مكتئبُ

أين الذِّمامةُ والحقّ الذى نزلتْ ... بحفظه وبتعظيمٍ له الكُتُبُ

وحَوْكِى الشِّعْرَ أُصْفِيه وأنظِمه ... نظم القلائد فيها الدُّرّ والذّهَبُ

وإن سُخْطَك شىءٌ لم أناج به ... نفسى ، ولم آكُ مما كنت أكتسِبُ

لكن أتاك بقول كاذبٍ أثِمٍ ... قومٌ بَغَوْنى فنالوا فيه ما طلبوا

وقيل : إن الوليد كان يكرم طُرَيحا ويُدْنِى مجلسَه ، وأنّه جَعَلَهُ أوّل داخلٍ عليه وآخرَ خارج ، ولم يكن يُصْدِرُ إلّا عن رأيه ، فحسده الناس من أهل بيت الوليد .

وقدم حَمّاد الرّاوية إلى الشّام ، فسألوا ذلك إليه ، وقالوا : لقد ذَهَب طُرَيح بالأمير ، فما لنا منه ليلٌ ولا نهارٌ !

فقال حماد : أَبْغُونى مَنْ ينشد الأمير بيتين من الشّعر ، فأسقط منزلتَه ؛ فطلبوا إلى الخصىّ الذى كان يقوم على رأسِ الوليد ، وجعلوا له عشرة آلاف درهم أن يُنْشد الأمير البيتين فى خَلْوة ، فإذا سأله : قول[3] من هذا ؟ قال : من قول طُرَيح . فأجابهم إلى ذلك وعلّموه البيتين .

فلمّا كان ذات يوم دَخَل طُرَيح مع الوليد ، فدعا بغدائه فتغدّيا جميعا ، وخرج طُرَيح فاستلقى الوليد على فراشه ، واغتنم الخصىّ خلوتَه ، فأنشده البيتين وهما :

---

(١) الأغانى : « وإن سمعوا شرا » .

(٢) الأغانى : « بهيضتنا » .

(٣) الأغانى : « من قول من هذا » .

سِيرِى رِكَابِى إلى مَنْ تسْمَدين بهِ ... فقد أقمتِ بدار الهُونِ ما صَلَحَا
سيرِى إلى سَيّدٍ سَمْحٍ خلائقُه ... ضخمِ الدَّسيعةِ قَرْمٍ يحمل المِدَحا[1]

وأعادها مرارا ، والوليد مصغٍ إليها ، فقال : ويحك يا غلام ! مِن قول من هذا؟ قال : مِن قَوْل طريح ، فغضب الوليد حتى امتلأ غَضَباً . ثم قال له : والهفاه على أمٍّ لم تلدْنى ! جعلته أول داخل وآخر خارج ، يزعُم أن هشاما يحمل المِدَحَ ولا أحملها !

ثم قال: علىّ بالحاجب، فأتاه فقال : لا أعلم ما أذنت لطُرَيْحٍ ولا رأيته فى الأرض، فإن جاء لك فاخطفْه بالسيف ، فلمّا كان العشىّ جاء طُريح فى الساعة التى كان يُؤْذن له فيها ، فدنا من الباب ليدخل ، فقال له الحاجب : وراءك ! فقال : ما لك ؟ هل دخل على ولىّ العهد أحدٌ غيرى[2] ؟ قال : لا ، ولكن ساعة ولّيت من عنده ، فدعانى وأمرنى ألّا آذن لك ، وإن حاولتَنِى فى ذلك خطفتك بالسيف .

فقال : لك عشرة آلاف درهم ، وأْذَن لى فى الدخول .

فقال له الحاجب : والله لو أعطيتَنى خراج العراق ما أذنتُ لك ؛ وما لك فى الدخول عليه من خير ، فارجع . قال : ويحك ! هل تعلم من دهانى عنده ؟ قال الحاجب : لا والله ، لكن الله يحدث مايشاء فى الليل والنهار سبحانه وتعالى .

فرجع طُريح ، وأقام فى بابه سنة لا يخلُص إليه ، وأراد الرجوع إلى بلده، فقال: والله إنَّ هذا لعجز بى أن أرجع عنه ، ولم ألقه ؛ فأعلم من دهانى عنده .

ورأى أناسا كانوا له أعداء قد فرحوا[3] ، فلم يزل يَلْطُف بالحاجب حتى قال له : إنّ الأمير يوم كذا وكذا يدخل الحمام ، ثم يأمر بسريره فليبرز وليس عليه حجاب،

---

(١) الدسيعة هنا : العطية الجزيلة .

(٢) الأغانى : « بعدى » .

(٣) الأغانى : « فرحوا بما كان من أمره » .

فإذا يومئذ كان ذلك اليوم أعلمتُك ، فتكون قد دخلتَ عليه ، وظفرت بحاجتك، فلما كان ذلك اليوم دخل الحمام ، وأمر بسريره فأبرز ، وجلس عليه ، وأذِنَ للنَّاس فدخلوا ، والوليد ينظر إلى مَنْ أقبل ، وبعث الحاجب إلى طُريح فأقبل ، وقد تَتَامَّ النَّاسُ ، فلمَّا نظر الوليد إليه من بعيدٍ صرف عنه وجهه ، واستحيا أن يردّه من بين النّاس ، فدنا فسلّم ، فلم يرد عليه السلام ، فقال طريح يستعطفه ويتضرع إليه :

بات الخليّ من الهموم وبات لى (١) ليلٌ أكابده وهمٌّ مُضْلِـعُ
وسهرت لا أَكْرَى ولا فى لَذّةٍ (٢) أرْقِى وأغفلُ ما لقيتُ الهجَّعُ
أبغِى وُجُوهَ مَخارِجى من تُهْمَةٍ أَزَمَتْ عَلَىَّ وسُدَّ منها المطْلَعُ
جَزَعاً لمعتبةِ الوليد ولم أكُنْ من قبل ذاكَ من الحوادث أَجْزَعُ
يابنَ الخلائف إنّ سخطك لامرئٍ أمْسَيْتَ عِصْمَتَهُ بلاءٌ مفظِعُ
فلأنْزِعَنَّ عن الّذى لم تَهْوَهُ إن كان لى ورأيتُ ذلك منزعُ
فاعطفْ فِدَاكَ أبى عَلَىَّ تَوَسُّماً وفضيلةً فعلَى الفضيلةِ تَتْبَعُ
فلقد كَفَاكَ وزَادَ ما قَدْ نَالَنِى إن كنتَ لى ببلاءِ ضُرٍّ تَقْنَعُ
سِمَةٌ لذاكَ علىّ جسمٌ شاحِبٌ بادٍ تَحَسُّرُه ولَوْنٌ أَسْفَعُ (٣)
إن كنتَ فى ذنبٍ عتبت فإنّنِى عمّا كَرِهْتَ لنازعٌ متضرّعٌ (٤)
ويئست منك فكلُّ عُسْرٍ باسطٌ كفًّا إليك وكل يُسْرٍ أقطعُ (٥)
من بعد أخذى من حبالِك بالّذِى قد كنت أحسَبُ أنه لا يُقْطَعُ

(١) الأغانى : « باتا الخلى » .
(٢) أكرى : أنام ، وفى الأغانى : « لا أسرى » .
(٣) أسفع شاحب متغير » .
(٤) ا : « متودع » .
(٥) أقطع : مقطوع اليد .

فأرْبُبْ صنيعك بى فإنّ بأعينٍ ... للكاشحين وسَمْعِهم ما يُصْنَعُ
أفهاضمٌ ما قــد بنيتَ وخافضٌ ... شَرفِى وأنت لى بغير ذلك أوسعُ
أفلا خشيتَ شماتَ قوم فُتَّهُمْ ... سَبْقاً وأنفسهمْ عَليك تَقَطَّعُ
وَفضَلْت فى الحسب الأديم عليهمُ ... وصنعت فى الأقوام ما لا يُصْنَع
فكأنّ أنفُسهم بكلّ صنيعة ... أسدَيتها وجميل فعلك تُجْدَعُ(١)
ودُّوا لو انَّهمُ يَنال أكفّهم ... شَلَلٌ وأنَّك عن صنيعك تنزع
أو تستليمُ فيجعلونك أُسْوَةً(٢) ... وأبى المَلامَ لك النَّدى والموضِع

فأدناه وقرّبه إليه ؛ وضحك ، وعاد له ما كان عليه .

قيل : إن طُرَيحاً دخل على أبى جعفر المنصور فى الشعراء ، فقال له : لا حيّاك الله ، ولا بيّاك ! ما اتّقيت الله عزّ وجلّ حيث تقول للوليد بن يزيد :

لو قلتَ للسَّيْل دَعْ طريقك والـ ... ـموجُ عليه كالهُضْب يَعْتَلِجُ
لساخَ وارتدّ أو لكان له ... فى سائر النَّاس عنك مُنْعَرَجُ

فقال طُريح : قد علم الله أنّى قلت ذلك ، ويَدِى ممدودة إليه عزّ وجلّ ، وإياه تبارك وتعالى عنيتُ .

فقال المنصور : يا ربيع ، أما ترى هذا التخلص !

روى المدائنىّ أنّ الوليد جلس يوماً فى مجلس عامٍّ ، ودخل إليه أهل بيته ومواليه ، والشُّعراء وأصحاب الحوائج فقضاها ، وكان أشرف يوم رُئِىَ له ، فقام بعض الشعراء وأنشده ، ثم وثب طُرَيح وهو عن يسار الوليد بين أهله وذويه ، فأنشده هذين البيتين فى أبيات :

* لو قلت للسيل دع طريقك *

(١) الأغانى : « أسديتها » .

(٢) تستليم : تفعل ماتستحق عليه اللوم.

فطرب الوليد حتّى رُئِىَ الارتياح فيه ، وأمر له بخمسين ألف درهم وقال : ما أرى فيكم أحداً يجيئنى اليوم بمثل ما قال خالى ، ولا ينشدنى أحد شيئا بعده ، وأمر للشّعراء بصِلاتٍ وانصرفوا ، وأوّل هذا الشعر :

أنت ابنُ مسلنطح البِطاح ولَمْ ... تُطْرَقْ عَلَيْك الُحنىُّ والوُلُجُ

طُوبَى لِفَرْعَيْك مِنْ هُنا وهُنَا ... طوبى لأَعراقك التى تَشِجُ

المسلنطح من البطاح : ما اتسع واستوى سطحه منها ، وتطرِق عليك : تطبق عليك وتغطيك وتضيق مكانك ، والحنىّ : ما انخفض . والوُلُج : ما اتّسع من الوادى. والوشيج: أصل النَّبت. يقول: أعراقك واشجة فى الكرم ، أى نابتة فيه ، لكن أنت كريم الأبوين فى قريش وثقيف ، ؛ ولست فى موضع خفى من الحسب ، فكأنه يقول : أنت مالِك هذا الأبْطَح والمطاع فيه ، فكل من تأمره يطيعك ؛ حتى لو أمَرْتَ السيْل بالانصراف لفَعل، لنفوذأمرك ؛ وإنَّما ضرب هذا مثلا؛ لأنه لاشىء أشدّ تعذُّرًا منه ، فإذا صرفه كان علَى ماسواه أقدر .

قال أبو عبيدة : سمع عمر بن الخطاب رضى اللّٰه‌عنه رجلا يقول لآخر يفخر عليه : أنا ابن مسلنطح البطاح ، وأنت كذا وكذا .

فقال عمر : إن كان لك عقل فلك أصل ، وإن كان لك خلق فلك كرم ؛ وإلا فذاك الحمار خيرٌ منك .

روى إبراهيم بن عبد السّلام بن أبى الحارث ، قال : إنى لقاعد عند مسلَمة ابن محمد بن هشام؛ إذ مرّ به ابن جُوان بن عمر بن أبى ربيعة وكان يغنّى، فقال: اجلس يا أخى غنّنا ، فجلس وغنى :

أَنْتَ ابنُ مُسْلَنْطِح البِطاحِ ولَمْ ... تُطْرَقْ عَلَيْك الُحنِىُّ والوُلُجُ

فقال: يابن أخى ، ماأنت وهذا حتى تتغنّاه ولا حظَّ لك فيه ! هذا قاله طُرَيح فينا :

* إذ النَّاس ناسٌ والزمانُ زمانُ *

ومِن حِسانِ قصائد طُريح ، يَمدَح الوليد :

* أقفر مِمَّنْ يُحلّه السَّندُ *

يقول فيها :

أنتَ إمامُ الْهُدَى الَّذِى أصلَح اللهُ به الناسَ بعدَ ما فَسدوا
لما أتى النّاسَ أنَّ مُلْكهُمُ إليكَ قَدْ صَارَ أمرُه سَجَدُوا
وأستبشَروا بالرِّضا تَباشُرَهُمْ بالخُلْدِ لو قيل إنّهم خَلَدُوا
وعَجَّ بالحَمْدِ أهلُ أَرضِك حتّى كادَ يهتزُّ فَرْحَةً أُحُدُ
واسْتَقْبَلَ النَّاسُ عِيشةً أُنُفاً إنْ تَبْقَ فيها لهمْ فَقَدْ سَعِدُوا
رُزِقْتَ من وُدِّهِمْ وطاعتِهِمْ ما لَم يَجِدْهُ لوالدٍ وَلَدُ
أثْلَجَهُمْ منك أنّهم عَلِمُوا أنّك فيها وُلِّيتَ مجتهدُ
وأَنّ ما قد صنَعْتَ مِن حَسَنٍ مِصداقُ ما كنتَ مرّةً تَعِدُ
أَلِفْتَ أهواءَهُمْ فأصبحَت الْـأَضْغانُ سِلْماً وماتَت الحقد
كنتُ أَرَى أنَّ ماوَجدْتُ من الـفَرْحةِ لَم يَلْقَ مِثله أَحَدُ
حتّى رأيتُ العبادَ كُلَّهمُ قد وَجَدوا مِنْ هَواكَ ما أَجِدُ
قد طلبَ النَّاسُ ما كَلِفْتُ فما نالُوا ولا قارَبوا ولا وَجَدُوا
يَرفَعُكَ اللهُ بالتكرّم والتّقوَى فتعلُو وأنتَ مُقتصِدُ
حَسْبُ أمرىءٍ من غِنًى تقرُّبُه مِنكَ وإنْ لم يكنْ له سَنَدُ

ذكر الطرمّاح*

هو الطِّرِمّاح بن حَكِيم بن الحكَم بن نَفْر(1) بن قيس بن جَحْد(2) بن ثَعْلَبة ابن عبد رِضاً بن مالك بن أنمار(3) بن عَمْرو بن ربيعة بن جرول(4) بن ثُعل بن عَمْرو ابن الْغَوْث بن طَيّ ، ويكنى أبا نفر ، وأبا ضَبِينة ، والطِّرِمّاح الطَّوِيل .

وقيل : إنّه كان لقبه ؛ لقّب به لقوله :

أَلَا أَيُّها اللَّيْلُ الطويل ألا ارْتَحِ(5) ... بِصُبْحٍ وما الإصباح منك بأَرْوَحِ

بَلَى إنّ للعَيْنَيْن فى الصُّبح راحة ... بطرحهما طرفيهما كلَّ مَطْرَحِ

وهو من فحول الشُّعراء الإسلاميين وفصحائهم ، نشأ بالشّام وانتقل إلى الكوفة ، ونزل فى تَيْم اللات بن ثعلبة ، واعتقد مذهب الشُّراة الأزارقة(6) حتى مات ، وفيهم يقول :

لله دَرُّ الشُّراة إنَّهُمُ ... إذا الكرى مال بالطُّلَى أَرِقُوا(7)

يرجِّعُون الحنينَ آوِنَةً ... وإن علا ساعةً بِهِمْ شَهِقُوا

خوفاً تبيت القلوبُ واجفةً ... يكاد عنها الصُّدورُ تَنْفَلِقُ

---

* ترجمته فى الأغانى ١٢ : ٣٥ ـ ٤٥ (طبعة دار الكتب) .

(١) كذا فى الأغانى والمؤتلف والمختلف ١٤٨ ، وفى ب كلمة مطموسة ، وفى ج : « معسر » تحريف

(٢) فى الأصول : « جحد » ، والتصويب من الأغانى والمؤتلف والمختلف ١٤٨ .

(٣) فى الأغانى : « أمان » .

(٤) ب ، ج : « جرو » ، والتصويب من الأغانى والمؤتلف والمختلف ١٤٨ .

(٥) فى الأصول : « أرح » ، والتصويب من الأغانى .

(٦) الشراة : الخوارج ؛ والأزارقة : طائفة منهم .

(٧) الطلى : جمع طلية ؛ وهو العنق .

كيف أَرَجِّي الحيـاةَ بَعْدَهُمُ   وقـد مضى مُؤْنِسِيَّ فانطلقوا
قومٌ شِحاحٌ على اعتقادهمُ   بالفوز مِمَّا يُخافُ قَدْ وَثِقُوا

قال رؤبة : كان الطِرِمّاح والـكُميت يصيران إلىّ ، فيسألانى عن الغَرِيب فأخبرها به ، وأراه بَعْدُ فى أشعارهما .

وقال محمد بن حبيب : سألتُ ابنَ الأعرابىّ عن ثمانِىَ عَشْرَةَ مَسْألة كلُّها من غريب شعر الطِرِمَّاح ، فلم يعرف منها واحدة ، وقال فى جميعها : لا أدرى(١) .

وكان الطِرِمّاح صديقا للـكُميت بن زيد لا يكادان يفترقان فى حال [من أحوالهما](٢) ، فقيل للـكميت : لا شىء أعجبُ من صَفاء ما بينك وبين الطرِمّاح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلد . وهو شامىٌّ قحطانى شارىّ ، وأنت كوفى نِزارىّ شيعىّ ، وكيف اتفقتما مع تبايُن المذهب وشدّة العصبية ؟ قال: اتفقنا على بغض العامَّة .

وأنشد الـكُميت قول الطرماح :

إذا قُبِضَتْ نَفْسُ الطِرِمَّاح أَخلَقت   عُرَى المجْدِ واسترخى عِنانُ العقَائِدِ

فقال : إى والله ! وعِنانُ الخطابة والرّواية والفصاحة والشّجاعة .

وفد الطِرِمَّاح بن حَـكيم والـكُمَيت بن زيد على مَخْلَد بن يزيد المهلبىّ فجلس لهما [ودعاهما](٢) ، فتقدم الطرِمّاح لينشِد ، فقيل له : أنشِدْ قائما ، فقال : كلاّ ، والله ! ما قَدْرُ الشِّعر أن أقومَ له فيحطّ فى مقامى(٣) ، وأحطَّ منه بضَراعتى ، وهو عمود الفَخْر ، وبيت الذِّكْر لمـآثر العرب . قيل له : فتنحَّ . ودُعِى بالـكُميت فأنشده قائما ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، فلما خرج الـكُمَيت شاطَرَ الطِرِمّاح ، وقال : أنت أبعد(٤) هِمّة ، وأنا ألطف منك حِيلة .

---

(١) فى الأغانى : « لا أدرى ، لا أدرى » .
(٢) من الأغانى .
(٣) الأغانى : « فيحط منى بقيامى » .
(٤) الأغانى : « وقال له : أنت أبا ضبينة أبعد همة » .

قال خالد بن كُلْثوم : بينا أنا فى مسجد الكوفة ، وإذا الطِّرِمَّاح والكُمَيت ؛ وهما جالسان بقرب بابِ القِبْلة ، إذْ رأيتُ أعرابيًّا قد جاء يسحب أهداماً(١) له ؛ حتّى إذا توسَّط المسجد خرّ ساجداً ، ثمّ رَمَى ببصره ، فإذا الكُمَيت والطِّرِمَّاح فقصدهما ، فقلت : مَنْ هذا الحائن(٢) الذى وقع بين هذين الأسدين ! وعجبت من سَجْدته فى غير موضع سُجودٍ وغير وقت صلاة ، فقصدته ، ثم سلّمت عليهم وجلست أَمَامهم ، فالتفتَ إلى الكُمَيْت ، فقال : أَسْمِعْنِى شيئًا يا أبا المستهِلّ ، فأنشده :

* أبتْ هَذِهِ النَّفْس إلّا ادّكَارا *

حتَّى أتىْ على آخرها ، فقال له : أحسنت يا أبا المستهِلّ فى ترقيص هذه القوافى، ونظم عقدها .

ثمّ التفت إلى الطِّرِماح وقال : أسمِعْنى شيئاً يا أبا ضَبِينَةَ ! فأنشد كلمته الَّتى يقول فيها :

أَسَاءكَ تَقْوِيضُ الخليطِ المبَايِنِ ... نَعَمْ والنَّوَى قَطَّاعَةٌ للقرائنِ(٣)

فقال : لله دَرّ هذا الكلام ! ما أحسن إجابته لِرَوِيّتك ! (٤)إن كدْتُ لأطيل إليك حسداً(٤). ثم قال الأعرابىّ : والله لقد قلت بعدكما ثلاثة أشعار : أحدُهما كدت أطير به فى السماء فَرَحاً ، وأمّا الثانى فكدت أدّعِى به الخِلافة ، وأما الثالث : فلقد رأيت من فصاحته(٥) ما استفزنى به الجَذل [حتّى أتيت عليه](٦) .

---

(١) الأهدام : جمع هدم ؛ وهو الثوب البالى المرقع .

(٢) الحائن : الهالك ؛ وكل مالم يوفق للرشاد فهو حائن .

(٣) التقويض : نزع القوم أعواد خيامهم وأطنابها . والخليط هنا : القوم الذين أمرهم واحد

(٤ــ٤) وردت العبارة فى ب ، ج هكذا : « إن كنت لأطيل إلى أحـد » ؛ وأثبت ما فى الأغانى .

(٥) الأغانى : « فرأيت رقصانا استفزنى » .

(٦) من الأغانى .

قالوا : فهات ؛ فأنشدهم :

أألتوهَّمت من خَرْقاء منزِلَةً   ماءُ الصَّبابةِ مِن عَيْنَيْكَ مَسْجُوم[1]

حتى بلغ إلى قوله :

تَنْجُو إذا جَعَلَت تَدْوى أخِشَّتُها   وابتلَّ بالزَّبَدِ الجَعْد الخراطِيمُ[2]

قال: أعلمتم أنى فى طلب هذا البيت مُنْذ سنة ، وما ظَفِرْتُ به إلا آنفا! وأحسِبُكم قد رأيتم السجدة له . ثم أسمعهم قوله :

* مابَالُ عَيْنَيْكَ مِنْها الماءُ يَنْسَكِبُ[3] *

ثم أنشدهم كلمته التى يقول فيها :

إذا اللَّيْل عَنْ نَشْزٍ تجلَّى رَمينَهُ   بأمثالِ أَبْصارِ النِّساء الْفَوارِكِ[4]

فضرب الكُمَيت بيده على صَدْر الطِّرِمّاح ، ثم قال : هذا والله الدِّيباجُ لا نسيجى ونسجك الكَرابيس[5] . فقال الطِّرِمّاح : إنى لا أقول ذلك ، وإن أقررت بجودته .

فقطّب الأعرابىّ وقال : أأنت تحسن أن تقول :

وكائنْ تَخَطَّتْ ناقتِى مِنْ مَفازَةٍ   إليك ومن أحواضِ ماءٍ مُسَدَّمِ[6]

---

(١) مسجوم : مصبوب .

(٢) تنجو : تسرع . وأخشتها : جمع خشاش ؛ وهو الحلقة التى توضع فى أنف البعير ليجذب بها . والجعد من الزبد : الثخين الغليظ . وفى الأغانى والديوان ٤٧٥ : « تدمى أخشتها » ، وما أثبته من ب ، ج .

(٣) بقيته كما فى الديوان .

كأنّهُ مِنْ كُلَى مَفْرِيّةٍ سَرِبُ

(٤) النشز : ما ارتفع من الأرض . تجلى : انكشف . الفارك : المرأة التى تبغضت زوجها وثنت طرفها عنه ونظرت إلى كل شىء دونه (من شرح الديوان ٤٢٧) .

(٥) الكرابيس : جمع كرباس ؛ وهو ثوب غليظ من القطن .

(٦) ديوانه ٦٣٠ ، المسدم : المتغير لطول العهد .

بأعْقَارِهِ القِرْدَانُ هَــزْلَى كأنَّها   نوادر صِيصاء الهَبيد المحطَّمِ [١]

فأصغَى الطِرِمَّاح إلى الـكُمَيت ، وقال له : فانظُرْ ما أخذ من ثواب هذا الشعر !

وهذه القصيدة امتدحَ بها ذو الرُّمة عبدَ الملك ، فلم يمدحْه فيها إلَّا بهذين البيتين ، وسائرها فى ناقته ، فلمّا أنشده إيّاها قال له : ما مدحتَ بهذه القصيدة إلّا ناقتَك ، فخذْ منها الثَّواب ، وكان ذو الرُّمة غير محظوظ من المديح ، فلم يفهم ذو الرُّمة قول الطرماح للـكميت . فقال الـكميت : إنه ذو الرُّمة ، وله فَضْلُه ، فأعتَبه [٢] .

فقال الطِرِمّاح : معذرة إليكَ ، إن عنان الشُّعراء [٣] فى كَفِّـك ، فارجع مُعتَباً ، وأقولُ فيك كما قال أبو المستهلّ .

قال أبو تمّـام الطائىّ : مرّ الطِرِمَّاح بن حكيم فى مَسْجد البصرة يخطر فى مِشْيته ، فقال رجلٌ : مَنْ هذا الخطّار ؟ فسمعه فقال : أنا الذى أقول :

لَقَدْ زَادِنى حُبًّا لنفسِى أننى   بَغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ [٤]
وأنّى شَــقِىٌّ باللئام ولا ترَى   شَقيًّا بهم إلا كريمَ الشَّمائِــلِ
إذا ما رآنى قَطَّع اللَّحْظَ بينـه   وبينىَ فِعْلَ العـارف المتجاهِلِ
ملأتُ عليـه الأرْضَ حـتّى كأنَّها   من الضيق فى عينيه كِفَّةُ حابلِ [٥]

---

(١) الأعقار : جمع عقر ، وعقر الحوض : مؤخره حيث تقف الإبل إذا وردت . وفى الديوان « بأعطائه » . والهبيد : حب الحنظل . والصيصاء : الضاوى الهزيل منه .

(٢) أعتبه : أرضاه .

(٣) فى الأغانى : « الشعر » .

(٤) رجل غير طائل ، أى دون خسيس .

(٥) كفه الصائد : حبالته ، أى مصيدته .

حرف الظاء

أبو الأسود الدؤليّ*

هو ظالم بن[1] عَمْرو بن سفيان بن جَنْدل بن يعمَر بن حِلْس بن نفاثة بن عديّ ابن الدُّئِل بن بكْر بن عَبْد مناف بن كنانة بن خُزيمة بن مدركه بن إلياس بن مُضر ابن نزار ، وهم إخوة قُريش ؛ لأن قريشا مختلَف فى الموضع الذى افترقت فيه مع بنى أبيها ، نُحصَّت بهذا الاسم دونهم . وأبعد من قال فى ذلك مدًى من زعم أن النَّضْر ابن كِنانة منتهى نسب قريش .

ومن الناس مَنْ يقول : إنَّ مَنْ لم يلده فِهْر بن مالك بن النَّضْر فليس قرشيًّا .

وكان أبو الأسود الدُّؤَلِيّ من وجوه التَّابعين ومحدّثيهم وفقهائهم .

قال الجاحظ : أبو الأسود الدّؤليّ معدودٌ فى طبقات من النّاس ، مقدّم فى كلّها : فى[2] التّابعين والفقهاء ، والمحدّثين والشّعراء والأشراف ، والأمراء والفرسان ، والدُّهاة والنحويّين ، والحاضِرى الجواب ، والشّيعة والبُخلاء ، والصُّلْع الأشراف ، والبُخْر والأشراف .

ورَوَى عن عُمرَ وعثمان وعليّ ، رضوان الله عليهم . وكان من وُجُوه شيعة عليّ عليه السّلام .

وقيل : إنّه أدركَ الإسلام ، وشهد بَدْراً مع المسلمين ، واستعمله عليّ عليه السلام على البَصْرة بعد ابن عباس .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٢ : ٢٩٧ _ ٣٣٤ (طبعة دار الكتب) .

(١) ب ، ج : « أبو » ، والتصويب من الأغانى .

(٢) الأغانى : « كان معدودا فى التابعين » .

وهو الأصل فى بناء النَّحو وعَقْد أصوله ؛ فإنّه دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت : ياأبتِ . « ما أشدُّ الحرّ » ! فرفعت « أشدّ » ، وظنّها تستفهم منه أىّ زمان الحرِّ أشدّ؟ فقال لها : شَهر ناجر[1] . فقالت : يا أبتِ ، إنّما أخبرتك ولم أسألك ، فأتى أميرَ المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ذهبتْ لغةُ العرب لما خالطت العَجم ، ويوشك[2] إذا تطاول عليها الزّمان أن تضمحلّ ، فقال له : وما ذاكَ ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صُحُفاً بدرهم ، وأملَى[3] عليه: الكلام كلّه لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى . وهذ القول أوّل كتاب سيبويه ، ثم رسم أصولَ النَّحو كلها ، فتقبلها[4] النحويون وفرَّعُوها .

وأمر زيادٌ أبا الأسود الدؤلىّ أن ينقط المصاحف ، فنقطها ورسم من النَّحو رُسُوماً ، ثم جاء بعده ميمونٌ الأقْرن ، فزادَ عليه فى حُدودالعربية ، ثم زاد بعده فيها عَنْبَسة بن مَعْدان المَهْرِىّ ثم جاء عبدُ الله بن أبى إسحاق الحضرمىّ وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزْدىّ ، وكان صليبة[5] فلحبَهُ[6]، ونجم علىّ بن حمزة الكِسائىّ مولَى بنى كاهلٍ ، من أسد ، فرسم للكوفيين رسوماً هم الآن يعملون عليها .

جاء أبو الأسود إلى زيادبالبصرة فقال : أصلَح الله الأمير ! إنى أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم ، وتغيّرت ألسنتهم ، أفتأذن لى أن أضع لهم عِلْماً يقيمون به

---

(١) فى الأغانى : « يريد شهر صفر » .
(٢) الأغانى : « وأوشك »
(٣) الأغانى : « أمل » ، وهما سواء .
(٤) الأغانى : « فنقلها » .
(٥) يريد ذانسبة صليبة ، والصليب : العربى الخالص النسب .
(٦) فى الأغانى ، « فلحب الطريق » ؛ أى بينه .

كلامهم ؟ قال : لا ، ثم جاء رجل زيادا فقال : « مات أبانا وخلّف بنون » فقال زيادٌ : « مات أبانا وخلّف بنون ! » ردُّوا علىّ أبا الأسود ، فردّ إليه . فقال : ضع للناس ما نهيتُك عنه ؛ فوضع النَّحْوَ لهم .

وقيل : إنّ أوّل باب وضع فى النحو باب التعجّب ، وكان أبو الأسود كاتبا لابن عباس على البَصْرة ، وهو الذى يقول :

وإذا طلبتَ من الحوائج حاجةً ... فادْعُ الإله وأحْسِنِ الأعْمالَا
فليعطينَّكَ ما أراد بقُدْرَةٍ ... فهو اللَّطِيف لِمَا أرادَ فِعالا
إن العباد وشأنَهُمْ وأمورهم ... بيد الإله يقلِّب الأحْوَالَا
فدعِ العِبادَ ولا تكُنْ لطلابِهِمْ ... لَهِجاً تَضَعْضَعُ لِلْعِبادِ سؤالا

كان أبو الأسود الدُّؤَلِىّ قد كَبِر وأسَنَّ ، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسّوق ، ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل : يا أبا الأسود ، أراك تكثر الرّكوب وقد ضَعُفْت وكَبرت ! فلو لزمتَ منزلك ، كان أودَعَ لك ، فقال له : صدقت ؛ ولكن الرّكوب يَشُدّ أعضائى ، وأسمع من أخبار النّاس مالا أسمعه فى بيتى ، وأستنشق[1] الريح ، وألقى إخوانى ، وإن جلست فى بيتى لاغتمّ بى أهلى ، وأنِسَ بى الصبيّ ، واجْترأ علىّ الخادم ، وكلّمنى من أهلى من يهابنى ويهاب كلامى لإلْفِهم إيّاىَ ، وجلوسهم عندى ؛ حتى لعل العنز أن تبولَ علىّ ، فلا يقول لها أحد هس[2] .

كانت بين بنى الدّيل وبنى ليث منازعة ، فقتل بنو الدّيل منهم رجلًا ، واصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدُّوا ديتَه ، فاجتمعوا إلى أبى الأسود ، فسألوه المعاونة على أدائها ، وألحّ عليه غلام منهم ذُو بيانٍ وعارِضة ، فقال له : يا أبا الأسود ، أنت شيخ

---

(١) الأغانى : « وأستنشى ».
(٢) الأغانى : « هس » زجر للغنم .

العشيرة وسيّدهم ، وما يمنعك من معاونتهم قلّة ذاتِ يدٍ ، ولا سؤدُد ولا جُود. فلمّا أكثر أقبل عليه أبو الأسود ، وقال : لقد أكْثَرْتَ يا بن أخى فاسْمَعَ مِنّى ؛ إن الرَّجُل لا يعطى مالَه إلّا لإحدى ثلاث خلال : إمّا رجلٌ أعطى ماله رجلًا مكافأة مِمّن يعطيه ، أو رجلٌ خاف على نفسة فوقاها بماله ! أو رجلٌ أراد وَجْهَ الله تعالى وما عنده فى الآخرة ، أو رجل أحمق خُدِع عن ماله ، والله ما أنتم إحدى هذه الطبقات ، ولاجئتم فى شىء منها ، ولاعمُّك الرَّجلُ العاجز الأحمق فينخدع لهؤلاء ، ولمَا أفدتُك إيّاه فى عَقْلِك خيرٌ لك من مال أبى الأسود لَوْ وَصَلَ إلى بنى الديل . قوموا إن شئتم ، فقاموا يتبادرُون(١) الباب .

قال أبو عبيدة : كانت طريق أبى الأسود إلى المسجد والسُّوق على بنى تيم الله ابن ثعلبة ، وكان فيهم رجلٌ متفحّش يكثر الاستهزاء بمن يمرُّ به ، فمرّ به أبو الأسود الديلىّ يوما فقال لقومه: كأنّ وجهَ أبى الأسود وجهُ عجوز راحت إلى أهلها بطلاق ! فضحك القوم ، وأعرض عنهم أبو الأسود .

ثم مرّ به مرة أخرى فقال : كأنّ غضون قفا أبى الأسود غضون الفِقَاح(٢) ، فأقبل عليه أبو الأسود ، فقال : هَلْ تعرف فقحة أمّك فيهنّ ! فأفحمه ، وضحك القوم منه ، وقاموا إلى أبى الأسود ، فاعتذرُوا منه ممّا كان ، ولم يعاودْه الرّجل بعد ذلك .

كان أبو الأسود جالساً فى دِهْليزٍ وبين يديه رُطَب ، فجازَ بِهِ رجلٌ من الأعراب ، يقال له : ابن الحمامة ، فسلَّم عليه ، فقال : السَّلامُ عليك ، فقال له أبو الأسود : كلمة مقـــولة ، فقال : أأدْخُل ؟ فقال : وراءك أوْسَعُ [لك](٣) ،

---

(١) الأغانى : « يبادرون » .
(٢) الفقاح : جمع فقحة ؛ وهى حلقة الدبر .
(٣) من الأغانى .

قال : إن الرَّمْضاء أحرقت رِجْلَيَّ . قال : بُلْ عليهما ، أوائت الجبل يفيء عليك .
قال : هل عندك شيء تطعمني[1] ؟ قال : نأكل ونطعم العيال ؛ فإن فضل شيء ، فأنت أحقُّ به من الكلب . قال الأعرابيّ : ما رأيت الأم [قطّ][2] منك ! قال أبو الأسود : بلَى قد رأيت ؛ ولكنك أنسيت . قال : أنا ابن الحمامة ، قال : كن ابن أيّ طائر[3] شئت ، وانصرف . قال : أسألك بالله إلّا ما أطعمتَنِي مما تأكل ! فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رُطبات ، فوقعت إحداهنّ في التراب ، فأخذها يمسحها في ثوبه ، فقال له أبو الأسود : دَعْها فإنّ الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به ، فقال : إنما كرِهت أن أدَعَها للشيطان ، فقال : لا والله ، ولا لجبريل ، ولا لميكائيل تَدَعُها !

خطب أبو الأسود الديليّ امرأةً من عبد القَيْس ، يقال لها : أسماء بنت زياد بن غَنْم[4] ، فأسرّ أمرها إلى صديق له من الأزْد ، يقال له : الهيثم بن زياد ، فحدّث ابن عم لها كان يخطبها — وكان لها مال عند أهلها — فمشى إليهم ابنُ عمّها الخاطب لها ، فأخبرهم خبرَ أبي الأسود ، وسألهم أن يمنعوها من نكاحِه ومن ماله الذي في أيديهم ففعلوا ، حتى تزوّجت بابن عمها ، فقال أبو الأسود في ذلك من أبيات :

لعمرِي لقد أفشيتُ يوماً فخانني ... إلَى بَعْضِ مَنْ لم أخش سرًّا مُمَنَّعَا
فمزَّقَهُ مَزْقَ العمى وهو غافلٌ ... ونادَى بما أخفيت منه فأسْمَعَا
فقلت ولم أفحش لَعاً لك عاثراً[5] ... وقد يَعْثُر السَّاعِي إذا كان مُسْرِعا

---

(١) الأغاني : « تطعمنيه » .
(٢) من الأغاني .
(٣) الأغاني : « كن ابن طاوسة » .
(٤) الأغاني : « ابن غنيم » .
(٥) لعا لك : كلمة يدعى بها للعاثر أن ينتعش .

ولست بجازيك الملامةَ إنَّنِي ... أرى العَفْو أدنى للرَّشاد وأوْسَعا
ولكن تعلّمْ أنه عهد بيننا ... فكن غيرَ مذموم ولكن مُودَّعا[1]
حديثا أضعناه كلانا فلن أرَى ... وأنت نَجِيّي آخرَ الدهر أجمعا[2]
وكنتَ إذا ضيَّعت سرّك لم تَجِده ... سواك له إلّا أشتّ وأضيعا

ومما قال فيه:

أمنتُ امرأً فى السِّرّ لم يكُ حازماً ... ولكنَّهُ فى النُّصح غيرُ مُرِيب
أذاعَ به فى الناسِ حتّى كأنّهُ ... تَصَلَّى بنارٍ أوقدَتْ بثُقوب[3]
وكنتَ متى لَمْ تَرْعَ سِرّك تنتشر[4] ... قوارعُه من مخطئٍ ومصيب
فما كلّ ذى لبٍّ بمؤتيك نُصْحَهُ ... ولا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بلبيبِ
ولكنْ إذا ما اسْتَجْمَعَا عِنْدَ واحدٍ ... فحقٌّ لَهُ من طاعةٍ بنصيب

كان لأبى الأسود الدِّيلى صديقٌ من بنى تَيْمٍ، ثمّ من بنى سعد، يقال له: مالك ابن الأصْرَم، وكان بينه وبين ابن وعلة[5] خصومة فى دار لهم، فاجتمعا عند أبى الأسود فحكّماه بينهما، فقال له خَصْم صديقه مالك: إنِّى بالذى بينك وبين هذا عارف، فلا يحملنّك ذلك على أن تَحِيف علىّ فى الحكم — وكان صديقه مالك ظالما، فقضى أبو الأسود على صديقه بالحقّ لخصمه.

فقال له صديقه مالك: والله ما باركَ الله لى فى صداقتك، ولا نفعنى بعلمك وفقهك، ولقد قضيت علىّ بغير الحق. فقال أبو الأسود:

---

(١) الأغانى: «فبن غيرمذموم».
(٢) النجى: المسار، وفى الأغانى: «وأنت نجيا».
(٣) الثقوب: ما أثقبت به النار؛ أى وقدتها، أوفى الأغانى: «بعلياء نار أوقدت بثقوب».
(٤) الأغانى: «تلتبس».
(٥) كذا فى ب، ج، وفى الأغانى: «ابن عم له».

إذا كنتَ مظلوماً ولَمْ تُلْفَ راجيا عن القوم حتى تأخذ النِّصفَ فاغْضَبِ[1]

وإن كُنْتَ أنتَ الظَّالمُ القومَ فاطَّرِحْ مقالتَهُمْ واشْغَب بهمْ كُلَّ مَشْغَبِ

وقَارِبْ بذِي جهلٍ ، وَبَاعِدْ بعالمٍ جَلُوبٍ عليك الحقَّ من كلِّ مَجْلَبِ

وإن حَدِبُوا فاقْعَسْ وإنْ هُمْ تقَاعَسُوا[2] ليستمكِنُوا مِمَّا وراءك فاحْدَبِ

وَلَا تَدْعُنِي لِلْجَوْرِ واصْبِرْ عَلَى الَّتِي بِهَا كُنْتُ أقضِي للبعيد على أبِي

فإنِّي امرؤٌ أخشى إلهي وأتَّقِي معادِي ، وقد جَرَّبْتُ مالم تُجَرِّبِ

تقدّم رجل إلى عُبيد الله بن الحسَن بن الحصين بن أبى الحرّ ، قاضى البصرة مع خَصْمٍ له ، فخلط فى قوله : فتمثّل عُبيد الله بقول أبى الأسود :

يُصيبُ ومايَدْرى ويُخْطِى ومَادَرَى وكيف يكونُ النُّوكُ إلا كذلكا!

فقال الرجل : إنْ رأى القاضِي أن يدنيني إليه لأقول له شيئا فعل ؛ فقال : ادْنُ . فقال له : إنّ أحقَّ الناس بِسَتْرِ هذا الشعر أنت ، وقد علمت فيمن قيل ! فتبسم عُبيد الله ، وقال : إنى أرى فيك مُصْطنعا ، فقُمْ إلى منزلك ، وغَرم لخصمه ما كان يطالبه به .

وهذا البيت من أبيات قالها أبو الأسود فى الحُصَين ابن أبى الحرّ ، وقد كتب إليه كتابا فنبذَه وراء ظهره ، وكتب إلى نُعيم بن مسعود كتابا فقرأه ، وانتهى إلى آخره ، فأخبره رسوله بذلك ، فقال :

---

(١) النصف : الانتصاف .

(٢) حدب : خرج ظهره ودخل بطنه ، وقعس : نقيضه .

حَسِبْتُ كتابِى إذْ أتاكَ تَعَرُّضاً ... لِسَيْبِك لم يذهب رجائِى هنالِكا[1]
وخَبَّرَنِى مَنْ كنت أرسلتُ أنَّمَا ... أخذتَ كتابِى مُعْرِضاً بِشمالِكا
نظرتَ إلى عنوانِه فنبذته ... كنبذِكَ نَعْلاً أخلقت من نعالِكَا
نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ أحقّ بما أتَى ... وأنت بما تأتِى حَقِيقٌ بذلكا
يُصِيبُ وما يَدرى ويُخطِى ومادَرى ... وكيف يكون النُّوكُ إلّا كذلكا !

فبلغت الأبيات حُصينا فغضب ، وقال : ما ظننت منزلة أبى الأسود بلغت ما يتعاطَى من مساءتنا ، وتوعّدنا وتَوبيخنا ! فبلغ ذلك أبا الأسود فقال من أبيات :

أبلِغْ حُصَيناً إذا جئتَهُ ... نصيحة ذى الرأى للمجْتنِيهَا
ولا تكُ مثل التى استخرجَتْ ... بأظلافِها مُدْيةً أو بفِيها
فقام إليْهَا بِهَا ذابحٌ ... ومن تَدْعُ يوما شَعوبُ يَجِيهَا

قال أبو بكر الهذلىّ : كان أبو الأسود يوما يحدّث معاوية ، فضرَط فقال لمعاوية : استُرها علىّ . فقال : نعم ، فلمّا خرج حدّث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم . فلما غدا إليه أبو الأسود قال له عمرو : ما فعلت ضَرْطتك يا أبا الأسود بالأمس؟ فقال : ذهبت كما تذهبُ الريح [مُقْبلةً مدبرة][2] ، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمَه عن إمساكها ؛ وكل أجوف ضَرُوط . ثم أقبل على معاوية فقال له : إنّ أمرأ ضعفت أمانتهُ ومروءته عن كتمان ضَرْطة لحقيق ألّا يُؤْتمن على أمر المؤمنين !

كان أبو الأسود الدّيلىّ يجلس إلى قبّة امرأة بالبَصرة ، فيتحدّث إليها ، وكانت بَرزةً جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك أن أتزوّجك ؟ فإنّى صَناع الكفّ ،

---

(١) السيب : العطاء .
(٢) من الأغانى .

حسنة التدبير ، قانعة بالميسور . قال : نعم ، فجمعت أهلها ، ثم تزوّجته فوجد عندها خلاف ما قدّره ، وأسرعت فى ماله ، ومدت يدها إلى جانبه ، وأفشت سرّه ؛ فغدا على مَنْ كان حضر تزويجَه إياها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا ، فقال لهم :

أَرَيْتَ امرأ كنتُ لم أَبْلُهُ ... أتانى فقال اتَّخِذْنى خليلا
فخاللتُــه ثم أكرمتُه ... فلم أَسْتَفِدْ مِنْ لَدَيْه فتيلا
وألفيتُــه حين جَرَّبتُه ... كَذوبَ الحديث سروقًا بخيلا
فذكّرتُه ثم عاتبتُــه ... عتابا رقيقاً وقولاً جميلا
وألفيتُــه غير مستَعتِبٍ ... ولا ذاكرِ الله إلا قليلا[1]
ألستُ حقيقًا بتوديعه ... وإتباع ذلكَ صَرْما طويلا!

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود ؛ فقال : تلك صاحبتكم وأنا أحبّ أن أستُر ما أنكرتُه من أمرها ، فطلّقها وانصرفت معهم .

كان أبو الأسود أبخر ، فسارّ معاويةَ يومًا بشيء ، فأصغى إليــه ممسكاً بكمِّه على أنفه ، فنحّى أبو الأسود يده عن أنفــه ، وقال : لا والله [لا تسود] [2] حتى تصبر على إسرار[3] الشيوخ البُخْر .

كان أميرُ المؤمنين علىّ بن أبى طالب استعمل أبا الأسود على البصرة، واستكتب زياد بن أبيه على ديوان الخراج ، فجعل زياد يقع فى أبى الأسود عند علىّ ، فلما بلــغ ذلك أبا الأسود قال [فيه] [2] :

رأيتُ زياداً ينتحينى بشرّهِ ... وأعرِض عنه وهو بادٍ مَعاقِلُهْ
وكان امرأً واللهُ بالنَّاسِ عالمٌ ... له عادة قامت عليهــا شمائلُهْ

---

(١) استعتبه : استرضاه .
(٢) من الأغانى .
(٣) الأغانى : «سرار» .

تعَوَّدَها فيما مضى من شبابِهِ ... كذلك يدعو كلَّ أمرٍ أوائلُهْ
ويُعْجِبُهُ صَفْحِي لهُ وتحمّلي[1] ... وذوالجهل يحذو الجهل من لا يعاجله[2]
فقلت له دعنى وشأنى إننا ... كلانا عليـهِ معملٌ وهو عامِلُهْ
فلولا الذى قد يُرتجى من رَجَائه ... لجرّبتَ منّى بعضَ ما أنت جاهِلُهْ
لجرّبت أنّى أَمْنَحُ الغَىّ مَنْ غوى ... علىّ وأجزِى ما جَزَى وأطاوِلُهْ

فلما ادّعى معاويةُ زيادا وولّاهُ العراق ، كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجَـه ؛ فربّما قضاها ؛ وربما منعها ؛ لما يعلمه من رأيه وهواه فى علىّ عليه السلام . ومما كان بينهما فى تلك الأيام وهما عاملان ، وكان أبو الأسود يُداريه ما استطاع ، ويقول فى ذلك :

رأيتُ زياداً صَدَّ عنّى بوجهِهِ ... ولمْ يَكُ مَرْدُودًا عن الخير سائِلُهْ
يُنَفِّذُ حاجاتِ الرِّجال وحاجتِى ... كداء الجَوَى فى جوفه لا يزايِلُهْ
ولا أنا ناسٍ ما نسيت فآيسٌ ... ولا أنا راءٍ ما رأيت ففاعِلُهْ
وفى النَّاس حَزْمٌ للّبيب وراحةٌ ... من الأمر لا يُنسى ولا المرء نائلُهْ

كان أبو الأسود يدخل على عبد الله بن زياد يشكو إليه دَيْنًا ، لا يجد إلى قضائه سبيلا ، فيقول له : إذا كان غدًا فارجع إلى حاجتك فإنى أحبّ قضاها ، فيدخل إليه فى غد فيذكُر له أمره ووعده فيتغافل عنه ، ثم يعاوده ولا يصنع شيئا فى أمره، فقال أبو الأسود :

دعانى أميرِى كى أفوهَ بحاجتِى ... فقلتُ فما ردَّ الجواب ولا استَمَعْ
فقمتُ ولم أَحْسُسْ بشىء ولم أصُنْ ... كلامِى وخير القول ما ضَرّ أو نَفَعْ
وأجمعتُ يأساً لا لبانَةَ بعْدَهُ ... ولَلْيَأْسُ أدنَى لِلْعفاف من الطَّمَعْ

---

(١) الأغانى : « وتجملى » .

(٢) يحذو : يعطى .

سأل رجلٌ أبا الأسود شيئا ، فمنعه ، فقال له : يا أبا الأسود لقد أصبحت حاتميًّا — يهزأ به — فقال: نعم، أصبحت حاتميًّا من حيث لا تدرى أنت، أليس حاتمٌ الّذى يقول :

أماوىَّ إما مانعٌ فمبيّنٌ … وإمَّا عطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ !(١)

دخل أبو الأسود على معاويةَ ، فقال له : لقد أصبحتَ جميلا يا أبا الأسود فلو تعلقت تميمةً تدفع(٢) العين ! فقال :

أفنَى الشَّبابَ الَّذى فارقت جِدَّتَهُ … كَرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلقِ

لم يتركا لى فى طول اختلافهما … شيئًا يُخاف عليه لَذْعَةُ الحَدَقِ

كان لأبى الأسود جارٌ فأولع جارهُ برميه بالحجارة كلّما أمسى وآذاه ، فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم ، فكلّموه ولاموه .

فقال : لستُ أرميه وإنما يرميه الله ؛ لقطعه للرّحم ، وسرعته إلى الظلم فى بخله بما له ، فقال أبو الأسود : لا أجاوِرُ رجلا يقطع رحمى ، ويكذب على ربّى فباع داره فى بنى الدُّئل ، واشترى دارا فى هذيل فقيل له : يا أبا الأسود ، بعتَ دارك . فقال : لم أبعْ دارى ولكنّى بعتُ جارى فأرسلها مثلا ، وقال فى ذلك :

رَمَانِى جَارِى ظَالِمًا لى رميةً(٣) … فقلت له مهلا فأنكَرَ ما أتَى

وقال الّذى يرميك ربُّك جازيًا … بذنبك والحوبات تُعْقِبُ ما ترَى

فقلت له لو أنّ ربّى برَمْيةٍ … رمانِى لما أخْطَا إلهِىَ مَا رَمَى

جزى الله شرًّا كلَّ من قال سوءة … ويَنْحَلُ فيها ربَّهُ الشرَّ والأذى(٤)

---

(١) نهنهه : كفه .

(٢) الأغانى : « تنفى » .

(٣) الأغانى : « ظالما برمية »

(٤) نحله : نسبه إليه .

وقال فيه :

وإنى لَتَثْنِينِى عن الشَّتْمِ والخَنَا ... وَعَنْ سَبِّ ذى القربى خلائقُ أرْبَعُ
حياءٌ وإسلامٌ وتقوى وأنَّنى ... كريمٌ ، ومثلى قد يضرُّ وينفَعُ
فإن أعف يوماً عن ذنوب أتيتَها ... فإنّ العصا كانت لمثلىَ تُقْرَعُ
وشتّان ما بينى وبينك ، إنّنى ... علىّ كل حال أستقيم وتظلَعُ[(١)]

وقال فى غيره :

بُليتُ بصاحبٍ إنْ أدْنُ شبراً ... يَزِدْنى فى تباعده ذراعا[(٢)]
وإن أمدُدْ له فى الأصل ذَرْعِى ... يَزِدْنى فوق قِيس الذَّرع باعا[(٣)]
أبَتْ نفسِى له إلّا اتبّاعا ... وتأبَى نفسُه إلّا امتناعا
كلانا جاهدٌ أدنو وينأى ... فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه :

أعَصَيْتَ أمْرَ ذَوِى النُّهَى ... وأطعْتَ أمرَ ذوى الجهالَهْ
أخطأت حين صَرَمْتَنِى ... والمرء يعجِزُ لا مَحالَهْ
والعَبْدُ يُقْرَعُ بالْعَصَا ... والحرّ تكفيه المقالَهْ

وقال:

أَحْبِبْ إذا أحبَبْتَ حُبًّا مقارباً ... فإنَّكَ لا تدرى متى أنت نازع !
وأبْغِضْ إذا أبغضتَ بغضا مقارباً ... فإنك لا تدرى متى أنت راجع!
وكن معدنا للحلْم واصفح عن الخنا ... فإنّك راءٍ ما فعلت وسامعُ

وأبو الأسود هو القائل : ليس للسائل الملحف مثل الرّد الجامس[(٤)] .

(١) ظلع : غمز فى مشيه .
(٢) الأغانى : « مباعدة ذراعا » .
(٣) قيس : قدر .
(٤) فى الأغانى : « يعنى بالجامس الجامد » .

كان أبو الأسود نازلاً فى بنى قُشَير [وكانت بنو قُشَير](١) عثمانية ، وكانت امرأته أم عوف منهم ، وكانوا يؤذونه ويسبُّونه ، وينالون من علىّ عليه السلام بحضرته ؛ ليغيظوه به ويرمونه بالليل ، وإذا أصبح قال لهم : يا بنى قُشير ، أى جوار هذا ! فيقولون له : لم نَرْمِك إنَّما رماكَ الله لسوء مَذْهَبِك ، وقُبْح دينك ، فقال فى ذلك :

يقول الأرذلُون بَنُو قُشَيرٍ ... طَوالَ الدَّهْر ما تنسى عليًّا !
فقلت لهم وكيف يكون تَرْكى ... من الأعمال مفروضا عَلَيَّا !
أحبُّ محمَّداً حُبًّا شديداً ... وعَبّاساً وحمزةَ والوصِيَّا(٢)
بنو عَمِّ النبى وأقربُوهُ ... أحبُّ النَّاسِ كُلِّهُمُ إليَّا
فإن يك حبهم رُشْداً أصبت(٣) ... ولست بمخطىءٍ إن كان غَيًّا
همُو أهل النصيحة غير شَكٍّ ... وأهلُ مودَّتى ما دُمتُ حَيًّا
هَوًى أعطيتُه لَمَّا استدارَتْ ... رَحَا الإسلام لم تعدِلْ سَوِيًّا(٤)
أحبُّهُم لحُبِّ الله حتّى ... أجىء إذا بُعِثْتُ على هَوَيًّا(٥)
رأيتُ الله خالقَ كلِّ شىءٍ ... هَدَاهُمْ واجتبى منهم نبيًّا
ولم يَخصص به أحداً سواهم ... هنيئا ما اصطفاه لهم مرِيًّا

فقال له بنو قُشير : شككت يا أبا الأسود فى صاحبك بقولك :

فإن يك حُبّهم رشدا أصبت ... ولَسْتُ بمخطىءٍ إن كان غَيًّا

---

(١) من الأغانى .
(٢) الوصى : على بن أبى طالب .
(٣) فى الأغانى : « أصبه » .
(٤) السوى : الطريق المستقيم .
(٥) على هويا ، على هواى .

فقال له : أما سمعتم قول الله عز وجل : ﴿ وإنّا أو إيّاكُم لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِين ﴾ . أفترون الله عزّ وجلّ شكّ فى نبيّه صلى الله عليه وسلم !

كان لأبى الأسود على باب داره دُكّانٌ يجلس عليه، مرتفع عن الأرض إلى قدر صَدْر الرجل ، وكان يوضع بين يديه خِوانٌ عَلَى قَدْر الدكان ، فإذا مرّ به مارٌّ دعاه إلى الأكل لم يجد موضعا يجلس فيه ، فمرّ به ذاتَ يوم فتًى ، فدعاه إلى الغَدَاء ، فأقبل عليه ، فتناول الخوانَ فوضعه أسفَل ، ثم قال : يا أبا الأسود ، إن عزَمت على الغداء فانزِلْ ، وجعل الفتى يأكل ، وأبو الأسود ينظر إليه مغتاظا ، حتى أتى على الطعام . فقال أبو الأسود : ما اسمُك يا فتى ؟ فقال : لُقمان الحكيم ، فقال : لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك!

كان أبو الجارود سالم بن سلَمة بن نوفل الهُذَلىّ صديقا لأبى الأسود يُهاديه الشعر ، ويحبّ كلٌّ منهما صاحبَه ، ويتماشران ويتزاوران ، فوُلِّىَ أبو الجاورد ولاية، فجفا أبا الأسود وقطَعه ، ولم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه ، فقال أبو الأسود فيه :

أَبْلِغ أبا الجارودِ عَنِّى رسالةً ... يَرُوح بها الغادى لربعكَ أو يغدو
أألن نلتَ خيراً سرّنى أن تنالَهُ ... تنكَّرت حتى قلت ذو لِبْدةٍ وَرْدُ[(١)]
فعيناكَ عيناه ، وصوتُك صوتُه ... تُمَثِّله لى غيرَ أنَّكَ لا تَعْدُو
فإنْ كنتَ أزمعْتَ بالصرم بيننا ... لقد جعلت أشراط أوّله تبدُو
فإنى إذا ما صاحبٌ رَثَّ وَصْلُه ... فأعرض عنّى قلّ مِنِّى لَهُ الْوَجْدُ

كان لأبى الأسود صديق . يقال له : الحارث بن خالد[(٢)] ، وكان فى شرف من العَطاء ، فقال لأبى الأسود : ما يمنعُك من طلب الديوان فإنَّ فيه غَناءً وجَزَاءً[(٣)] .

(١) ب ، ج : « ذو كبد » ، تصحيف ، صوابه من الأغانى . واللبدة : الشعر المتراكم بين كتفى الأسد . والورد : الأسد .
(٢) الأغانى : « خليد » .
(٣) الأغانى : « غنى وأخيرا » .

فقال أبو الأسود : قد أَغْنَانى اللهُ عنه بالقناعة والتجمل ، فقال : كلّا ، ولكنك ببَرَكة إقامة على محبّة علىّ بن أبى طالب وبغض هؤلاء القوم ، وزاد الكلام بينهما حتى أغلظ له الحارث بن خالد ، فهجره أبو الأسود ، وندم الحارث على ما فرَط منه ، فسأل عشيرته أن يصلحوا بينهما .

فأتوا أبا الأسود ، وقالوا له : قد اعتذر مما فرط منه ، وهو رجل حَدِيد[1] ، فقال أبو الأسود :

لنا صاحبٌ لا كليلُ اللسانِ فَيَصْمُتُ عَنَّا ولا صارمُ
وشَرُّ الرِّجالِ عَلَى أهلِهِ وأصحابه الحمِقُ الْعَارِمُ

ولما أتى أبا الأسود نعىُ علىّ بن أبى طالب عليه السلام ومعه الحسن عليه السلام ، قام على المنبر فخطب الناس ، ونَعَى لهم عليًّا عليه السلام فقال فى خطبته : وإنّ رجلا من أعداء الله المارقة عن دينه ، اغتال أميرَ المؤمنين كرّم الله وجهه ومثواه فى مسجده ، وهو خارج لتهجّده فى ليلة يُرْجَى فيها مصادفة ليلة القَدر فقتله ، فيالله هو من قتيل ! وأَكرِمْ به وبمقتله ؛ وروحه من روح عَرَجت إلى الله عزّ وجلّ بالبرّ والتقى ، والإيمان والإحسان ! لقد أطفأ منه نورَ الله فى أرضه ؛ لا يتبين بعده ، وهدَمَ رُكْناً من أركان الله عزّ وجلّ ، لا يشادُ مثلُه ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ! وعند الله نَحْتَسِب مصيبَتنا بأمير المؤمنين ، وعليه السلام ورحمة الله يوم وُلد ويوم قُتل ويوم يبعث حيا !

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال :

وقد وَصَّى بعده بالإمامة إلى ابن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ابنه وسليله ، وشبيهه فى خَلْقه وهديه . وإنى لأرجُو أن يجبر الله به ما وَهَى ، ويسدّ ما انْثَلَمَ ، ويجمع به الشَّمْل ، ويطفئ به نيران الفتنة ؛ فبايِعُوه ترشدوا .

---

(١) حديد : حاد اللسان .

فبايعت الشّيعة [كلّها][1] وتوقّف من يرى رأى العثمانيّة ، ولم يظهروا أنفسهم بذلك ، وهربوا إلى معاوية .

فكتب إليه معاوية مع رسول دسَّه إليه ، يُعلِمه أنّ الحسن راسله فى الصُّلح ، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويعدُه ، ويمنّيه ، فقال أبو الأسود :

أَلَا أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ فَلا قَرَّتْ عُيونُ الشَّامِتِينا
أَفِى شَهْرِ الصِّيام فَجعْتمونَا بخير النَّاسِ طُرًّا أجمعينا
قتلتمْ خيرَ مَنْ ركِبَ المطايَا وخَيَّسَها ومَنْ ركِبَ السَّفِينا[2]
ومَنْ لَبِسَ النِّعالَ ومَنْ حَذَاها[3] ومَنْ قرأ المثانِى والمئِينا
إذا استقبلتَ وَجْهَ أبى حسينٍ رأيتَ الْبَدْر راقَ لناظرِينا
لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيشٌ حيثُ حَلَّتْ بأنَّك خيرُها حَسَباً وَدِينَا

كان أبو حَرْب بن أبى الأسود قد لزِمَ منزل أبيه بالبَصْرة ، لا ينتجع أرضا ، ولا يطلب الرزق فى تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه ؛ فقال أبو حرب : إن كان لى رزق فسيأتينى ؛ فقال أبوه أبو الأسود :

وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ بالتَّمنِّى ولكنْ ألقِ دَلْوَكَ فى الدِّلَاءِ
تجئْك بِملْئها يوماً ويوما تجئْك بحمأةٍ وقليلِ ماء[4]

اشترى أبو الأسود جاريةً للخدمة ، فجعلت تتعرَّض منه للنّكاح ، وتتطيب وتشتمل بثوبها ، فدعاها أبو الأسود وقال لها : إنَّما اشتريتُك للخدمة لا للنكاح ، فأقبلى على خدمتك ، وقال :

---

(١) من الأغانى .

(٢) خيسها : ذللها .

(٣) حذاه نعلا : أعطاه إياها.

(٤) الحمأة : الطين الأسود المنتن .

أصلاح إنّى لا أريدُكِ للصِّبَا   فدعِى التشمل حولَنَا و تَبَذَّلِى[١]
إنى أريدُكِ للعجينِ وللرَّحا   ولحمل قربتنا وغَلْى المِرْجَلِ
وإذا تَروَّحَ ضيف أهلك أوغدا   نحّذى لآخر أهبة المستقبِلِ

كان المنذر بن الجارود العبدىّ صديقا لأبى الأسود ، يعجبه مجالسته وحديثه ، وكان كل واحد منهما يغشَى صاحبه ، وكانت لأبى الأسود مقطّعة من بُرودٍ يكثر لبسها ؛ فقال له المنذر : لقد أدْمنت لُبْس هذه المقطّعة ! فقال له أبو الأسود : رُبَّ ملولٍ لا يستطاع فراقه !

فعلم المنذر أنّه قد احتاج إلى كسوة ، فأهدى إليه ثيابا ، فقال أبوالأسود يمدحُه :

كَسَاكَ وَلَمْ تَسْتَكْسِه فشكرتَهُ   أخٌ لك يعطيكَ الجزِيلَ وناصرُ
وإنَّ أحقّ الناس إن كنت حازماً[٢]   بحمدِكَ مَنْ أعطاكَ والعِرْضُ وافرُ

وقال أبو الأسود يُوصى ابنه :

لَا تُرْسِلَنَّ رسالةً مشهورةً   لا تستطيعُ -إذا مضت- إدراكَهَا
أكرمْ صديق أبيك حيث لقيتَه   واحبُ الكرامةَمَنْ بدا فَحَبا كَها
لا تبدينّ نميمةً حُدِّثْتَهَا   وتحفظنّ من الّذى أنبأكَها

توفّى أبو الأسود فى طاعون الجارف ، سنة تسع وستين ، وله خمس وثمانون سنة ، وقيل غير ذلك .

وله — وكتب بها إلى زياد ابن أبيه :

إنّنى مجرمٌ وأنت أحقّ النّا   سِ إن تقبل الغَداةَ اعتذارِى
فاعفُ عَنِّى فقد سُفِهْت وأنت الْـ   ـمرء تعفُو عن الهَناتِ الكبارِ

---

(١) تبذل : لبس ثوب البذلة ، وهو ثوب الخدمة والاعتمال . تشتمل بالشملة : تغطى بها ؛ وهى كساء دون القطيفة يلتحف به .

(٢) الأغانى : « حامدا » .

حرف العين

عُبيد بن سريج*

[كتب الوليدُ بن عبد الملك إلى عامل مكة : أن أشخِصْ إليّ ابنَ سُرَيج ، فأشخصه ، فلمّا قدِم مكث أيّاما لا يدعُو به ، ولا يلتفت إليه . قال : ثمّ إنه ذكره، فقال : ويلكم ! أينَ ابنُ سريج ؟ قالوا : هو حاضر ، قال : عليَّ به ، فقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فتهيأ ولبس وأقبل حتى دخل عليه فسلّم ، فأشار إليه : أن اجلِسْ ، فجلس بعيداً ، فاستدناه فدنا حتى كان منه قريبا ، وقال : ويحك يا عُبيد ! لقد بلَغَني عنك ما حَمَلنى على الوِفادة بك من كثرة أدبك ، وجَوْدة اختيارك ؛ مع ظرف لسانك ، وحلاوة مجلسك ، فقال : جعلت فداءك يا أمير المؤمنين ! « تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه » .

قال الوليد : إنّى لأرجو ألّا تكون أنت ذاك ، ثم قال : هات ماعندك ، فاندفع ابن سُريج ، فغنّى بشعر الأحوص :

أمَنْزِلَتَيْ سَلْمى على القِدَمِ اسْلَمَا ... فقد هِجْتُما للشَّوْق قلبا مُتَيَّما
وذكَّرتُما عَصْرَ الشَّبابِ الّذِي مضى ... وجِدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُهُ قد تَجَذَّمَا(1)

---

* ترجمته فى الأغانى ١ : ٢٤٨ ـ ٣٢٣ (طبع دار الكتب) ؛ وهو عبيد بن سريج ؛ ويكنى أبا يحيي ، مولى بني نوفل بن عبد مناف ، وذكر ابن الكلبي أنه مولى لبنى الحارث بن عبد المطلب . وقيل : هو مولى لبني ليث . وقد سقط صدر ترجمته من الأصلين ب، ج ؛ ومابين العلامتين من الأغانى . وانظر ص ٣٩٩ من هذا الجزء

(١) تجذم : تقطع .

وإنّى إذا حَــلَّتْ ببيش مُقيمةً ... وحــلّ بوجٍّ جالساً أو تَتَهّما[1]

يمَانِيــةٌ شَطَّتْ فأصبح نفعُهَا ... رَجَـاءً وظَنًّا بالمغيب مُرَجَّما

أحِبُّ دُنُوَّ الدارِ منهـا وقد أَبَى ... بها صَدْعُ شَعْبِ الدَّارِ إلّا تثلُّما[2]

بـكَاهَا وَمَايَدْرِى سِوَى الظَّنِّ مَنْ بَـكَى ... أحيًّا يُبَـكِّى أمْ تُراباً وأعظُما

فَدَعْهَا وأخْلِفْ للخليفةِ مِدْحَةً ... تُزِلْ عَنْك بُؤْسِى أو تفيدُك أنعُمَا

فإن بكفَّيْهِ مفـاتيحَ رحمـةٍ ... وغيثَ حياً يَحْيَا به النَّاسُ مُرْهِمَا[3]

إمَامٌ أتاه المُلْكُ عفْوًا ولم يُثِبْ ... عَلَى مُلْكِهِ مَالًا حَرَاماً ولا دَمَا

تَخَيّرَهُ ربُّ العِبــادِ لِخَلْقِهِ ... وَلِيًّا وكانَ اللهُ بالنَّاس أعْلَمَا

فَلَمَّا قَضَاهُ اللهُ لم يَدْعُ مُسْلِماً ... لبيْعَتِه إلّا أجابَ وَسَلَّما

يَنَالُ الْغِـنَى والعزَّ مَنْ نال وُدَّهُ ... وَيرْهَبُ مَوْتاً عاجِلًا مَنْ تَشَأَّمَا[4]

فقال الوليد : أحسنت والله وأحسن الأحوص ! علىَّ بالأحْوَص ، ثم قال : ياعُبيد هيه ؛ فغنَّاه بشعر عدىّ بن الرِّقاع العاملىّ ، يمدح الوليد :

طارَ الْـكَرى وألَمَّ الهمُّ فا كْتنعا ... وحيل بينى وبين النَّوم فامتنعا[5]

كانَ الشَّبَابُ قِناعاَ أستكِنُّ بـه ... وأستظلّ زمانا ثُمَّتَ انْقَشَعـا

فاستَبْدَلَ الرّأس شَيْباً بعد داجيةٍ ... فَيْنَانةٍ مَاترَى فى صُدْغِها نزَعا[6]

---

(١) بيش : أحد مخاليف اليمن . وج : اسم واد بالطائف. جالسا : آتيا الجلس، وهو نجد . وتتهم : أتى تهامة .

(٢) يطلق الشعب على التفرق وعلى الاجتماع ؛ وهو المراد هنا .

(٣) يقال : أرهمت السماء : أتت بالرهام ؛ جمع رهمة ، وهى المطر الضعيف الدائم.

(٤) تشأم بمعنى تشاءم .

(٥) ألم : نزل ، واكتنع : دنا وحضر .

(٦) فينانة : حسنة الشعر طويلته ، النزع : انحسار مقدم شعر الرأس عن جانبى الجبهة .

فإنْ تـكُنْ مَيْعةٌ مِنْ باطلٍ ذهبَتْ   وأعقب الله بَعْدَ الصَّبْوَةِ الوَرَعَا[1]
فقد أبيتُ أراعِي الخوْدَ رَاقِـدَةً   على الوسائدِ مَسْروراً بهـا وَلِعا[2]
بَرّاقَـةَ الثَّغْر تشفِي الْقَلْب لَذّتُها   إذا مقبِّلُها فى ريقها كَرَعا
كالأُقْحُوانِ بضاحِي الرَّوْض صَبَّحَهُ   غيث أرشَّ بتنضاحٍ وما نَقَعَا[3]
صلّى الّذى الصّلَواتُ الطّيباتُ لـه   والمؤمنون إذا ما جَمَّعوا الجُمَعَا
عَلَى الَّذِى سَبَق الأقوامَ ضاحِيَةً   بالأَجْرِ والحمدِ حتّى صاحِبَاه مَعَا
هُوَ الَّذِى جَمع الرَّحْمٰن أُمَّتَه   على يديْه ، وكانوا قبْلَهُ شِيَعا
عُذْنَا بذِي الْعَرْشِ أنْ نحيا ونفقدَه   وأن نـكون لراعٍ بعـدَهُ تَبَعا
إنَّ الوليـدَ أميرَ المؤمنين لَهُ   مُلْكٌ عليـه أعانَ اللهُ فارتفعا
لا يمنعُ النَّاس ما أعطى الذين هُمُ   له عبـادٌ ولا يُعْطُون ما مَنَعا

فقال له الوليد : صَدَقْتَ يا عُبيد ، أنَّى لك هذا ؟ قال : هو من عنـد الله ، قال الوليد : لو غير هذا قلت لأحسنت أدبك ! قال ابن سريج : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ! قال الوليد : يزيد فى الخلق ما يشاء ، قال ابن سريج : هذا من فضل ربى؛ ليبلونى أأشـكر أم أكفر !

قال الوليد : لَعِلْمُـكَ واللهِ أكبرُ وأعجب إلىّ من غِنائك ! غَنِّنِى ، فغنّاه بشعر عدىّ بن الرِّقاع العاملىّ ، يمدح الوليد :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُّماً فاعْتـادَهَا   من بعد ما شَمَل الْبِلَى أَبْلَادَهَا[4]

---

(١) ميعة كل شيء : حدته .

(٢) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ؛ ما لم تصر نصفا .

(٣) التنضاح ، من النضح والرش.

(٤) اعتادها : أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها . أبلادها : آثارها ؛ جمع بلد وهو الأثر .

وَلَرُبَّ واضحةِ العوارض طَفْلةٍ كالرِّيم قد ضَرَبَتْ بهـا أوْتَادها[1]
إنّى إذا ما لم تصلنى خُلَّـتى وتباعَدَتْ منّى اغتفرتُ بِعادها[2]
صَلّى الإلَهُ عَـلَى امرئٍ ودعته وأتمّ نعمتَه عليـه وزادَهـا
وإذا الربيـعُ تتابعتْ أنواؤهُ فَسَقَى خُناصِرَةَ الأحصِّ فَجادَهـا[3]
نَزَلَ الوليدُ بِهَا فكانَ لأهْلِهـا غيثا أغاث أنيسَهـا وبِلادَهـا
أوَلا تَرَى أنَّ البرِيّةَ كُلَّهـا ألقتْ خزَائمها إليـه فقادَها!
ولقد أراد الله إذ ولاّكهـا من أمةٍ إصلاحَها ورَشَادَهَا
أعْمَرْتَ أرضَ المسلمين فأقبلَتْ وكففتَ عنها مَنْ يَرومُ فسادَها
وأصبت فى أرض العـدوّ مصيبةً عمَّتْ أقاصىَ غَوْرها ونِجادهـا
ظَفَرًا ونَصْراً ما تنـاول مثلَه أحـدٌ من الخلفـاء كان أرَادَها
فإذا نشرتُ له الثّناء وجدتُه جَمَع المكارمَ طِرْفَها وتِلادَها

فأشار الوليد إلى بعض الخدَم، فغطَّوْهُ بالخِلَع، ووضعوا بين يديه كِيساً من الدّنانير وبِدَراً من الدراهم، ثم قال الوليد بن عبد الملك: يا مولَى بنى نوفل بن الحارث! لقد أوتيت أمراً جليلا، فقال ابنُ سُرَيج: يا أميرَ المؤمنين! لقد أتاك الله مُلْكا عظيما وشرفا عالياً وعِزًّا بَسَطَ يدكَ فيه فلم يقبِضْه عنك ـ ولا يفعل إن شاء الله ـ فأدَام اللهُ لك ما ولّاكَ وحفظك فيما استرْعَاكَ، فإنَّك أهلٌ لما أعطاك، ولا نزعه منك إذا رآك له موضعا، قال: يا نوفلىّ، وخطيب أيضا! قال ابن سُرَيج: عنك نطقت، وبلسانك تعلّمت، وبعزّك بَيّنْت. وقد كان أمر بإحضار الأحوص بن محمد الأنصارىّ، وعدىّ

---

(١) العوارض: الثنايا؛ سميت بذلك لأنها فى عرض الفم. والطفلة: الرخصة الناعمة.

(٢) خلتى: صديقتى.

(٣) أنواء: جمع نوء؛ وهو النجم إذا مال للمغيب. خناصرة: بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين من ناحية البادية.

ابن الرِّقاع العاملىّ ، فلمّا قدما عليه أمر بإنزالهما حيث ابنُ سُريج ، فأنزلا منزلًا إلى جنب ابن سريج ، فقالا : والله لَقُرْب أمير المؤمنين كان أحبّ إلينا من قربك يا مولَى بنى نَوْفل ، وإن فى قربك لما يلذّنا ويشغلنا عن كثير مما نريد ، فقال لهما ابن سريج : أوَ قلة شكر ! فقال له عدىّ : كأنك يابن اللخناء تمنّ علينا ! علىّ وعلىّ]⁽¹⁾ لا يَجمعنى وإياكَ صَحْن دار ، أو سقف دار إلّا عند أمير المؤمنين ! وأمّا الأحوص فقال : أو لا يَحتمل لأبى يحيى الزّلّة والهفْوة ! كفّارة يَمين خيرٌ من عدم المحبّة ، وإعطاء النفس سؤلَها خيرٌ من لجاجٍ من غير منفعة . فتحوّل عدىّ وبقىَ الأحوص.

وبلغ الوليد ما جرَى بينهم فدعا ابنَ سُريج فأدخله بيتاً ، وأرخى دونه سِتْرًا ، ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدىّ من كلمتيهما أن يُغنّىَ . فلمّا دخلا وأنشداه مدائح له ، رفع ابن سريج صوته من حيث لا يرونه ، وضرب بعوده فقال عدىّ : أتأذن لى يا أمير المؤمنين أن أتكلم ؟ قال : قلْ يا عاملىّ ، قال : مثل هذا عند أمير المؤمنين ويبعث إلى ابن سريج يتخطى به رقاب قريش ، والعرب من تهامة إلى الشام ، ترفعه أرض وتخفضه أخرى . فيقال : من هذا ؟ فيقال : عبيد بن سُريج مولى بنى نوفل ، بعث إليه أمير المؤمنين ليسمع غناءه ! قال : ويحك ياعدىّ ! أو تعرف هذا الصوت ؟ قال : لا والله ما سمعته قطّ ، ولا سمعت مثله حِسًّا ، ولولا أنه فى مجلس أمير المؤمنين لقلت : طائفة من الجن يُغنون⁽²⁾ .

فقال: اخرج عليهم، فخرج؛ فإذا ابنُ سُريج. فقال عدىّ: حقّ لهذا أن يُحْتمل⁽³⁾! ثمّ أمَر لهما بمثل ما أمرَ [به]⁽⁴⁾ لابن سريج ، وارتحل القومُ ، وكان الذى غناه ابن سريج فى شعر عمر بن أبى ربيعة:

---

(١) من أول هذا الخبر إلى هنا تكملة من الأغانى .

(٢) الأغانى : « يتغنون » .

(٣) الأغانى بعدها : « ثلاثا » .

(٤) من الأغانى .

باللهِ يا ظبيَ بني الحارثِ هَلْ مَنْ وَفَى بالعهد كالنّاكثِ!
لا تخدعَنّي بالمُنَى عنوةً(١) وأنت بي تلعب كالعابثِ
حتى تراءت لنا هكذا(٢) نفسي فداءٌ لك يا حارثِي!
يا منتهى همِّي ويا مُنْيَتي ويا هوَى نفسِي ويا وارثي

[عن مالك بن أبي السمح ، قال : سألت ابن سُرَيج عن قول الناس : فلان يخطئُ ويصيب ، وفلان يحسن ، وفلان يسيء ، فقال : المصيب المحسن من المغنين هو الذي يشبع الألحان ، ويملأ الأنفاس ، ويعدّل الأوزان ، ويفخّم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الإعراب](٣) ، ويستوفي النّغم(٤) [الطوال](٣) ، يُحسن مقاطع النَّغَم القِصار ، ويصيب أجناس الإيقاع ، ويختلس مواضع النبرات ، ويستوفي ما يشا كلها من الضرب من النقَّرات ، فعَرضْتُ(٥) ما قال على مَعْبد ، فقال : لو جاء في الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا !

ورُوِي أنّ ابنَ سريج كان جالساً ، فمر به عطاء وابن جريج ، فحلف عليهما بالطلاق أن يغنيهما على أنهما إنْ نَهياه عن الغناء بعد أن يسمعا منه تركه ، فوقفا له وغنّاهما :

إخْوَتِي لَا تَبعدُوا أبداً وَبَلَى واللهِ قد بَعدوا(٦)

فغُشِيَ عَلَى ابن جُرَيج ، وقام عَطاء فرقَص .

---

(١) الأغاني : « باطلا » .
(٢) الأغاني : « حتى متى أنت لنا هكذا » .
(٣) من الأغاني .
(٤) ب ، ج : « الضم » ، وما أثبته من الأغاني .
(٥) ب ، ج : « فوصفت » ، والصواب ما أثبته من الأغاني .
(٦) في الأغاني : « وابلى » .

وروى إسحاقُ أنَّ ابنَ سُرَيج كان عند بستان ابن عامر فغنّى .

لمن نارٌ عـلى الخبْـ ـتِ[1] دُون البئر ماتَخْبُو
أرقت لذكر مُوقدها[2] فَحَنَّ[3] لذِكْرِها القلب

فجعل الحاجُّ يركبُ بعضُهم بعضاً حتّى جاء إنسانٌ من آخر القُطُرات[4] ، فقال : يا هَذَا ، قد قطعتَ على الحاجّ وحبستهم ، والوقت قد ضاق فاتّقِ الله وقم عنهم ! فقام وقام النّاس .

وروى إسحاق الموصليّ أنّ سليمان بن عبد الملك لما حجّ ، فرّق بين المغنين بَدْرة ، فجاء ابنُ سريج وقد أغلق الباب فلم يأذنْ له الحاجب ، فأمسك حتى سكنُوا، ثم غنّى :

سَرَى هَمِّى وَهَمُّ المرءِ يسْرِى وغاب النَّجْم إلّا قِيدَ فِتْرِ
أراقِبَ فى المجرَّةِ كُلَّ نَجمٍ تَعَرَّض للمجرّة كيف يَجْرِى !
لهمٍّ ما أزالُ لَهُ مديمـا[5] كأنّ الْقَلْب أسعِر حَرَّ جَمْرِ
عَلَى بَكْرٍ أخِى وَلَّى حَمِيداً وأىّ العيش يَصْفُو بَعْدَ بَكْرِ

فقال سليمان : ينبغى أن يكون هذا ابن سريج . قالوا : هو هو ! قال : أدخلوه فأُدْخِل ، فأمره[6] بإعادة الصوت فأعاده فقال : خُذِ البَدْرَة ، وأمَرَ للمغنّين بأخرى .

---

(١) الأغانى : « الخيف » ؛ وكلاهما موضع .
(٢) الأغانى : « موقعها » .
(٣) ب ، ج : « فحى » ، وما أثبته من الأغانى .
(٤) القطرات : جمع قطر ؛ وهو جمع القطار .
(٥) الأغانى : « لا أزال » .
(٦) ج : « فاه » تصحيف ؛ وصوابه من ب .

وقال ابن منممة[١] : دخلت على ابن سريج فى مرضه الذى مات فيه ، فقلت : كيف أصبحت يا أبا يحيى ؟ قال : أصبحت والله كما قال الشاعر :

كأنّى مِنْ تَذَكُّرِ ما الاقِى   إذا ما أظلمَ اللَّيْلُ البَهِيمُ
سَقِيمٌ مَلَّ منه أقربُوه   وأسلمه المداوى والحكيمُ

ثم مات .

ولما احتُضِر نظر إلى ابنته تبكى ، فبكى وقال : إنَّ مِنْ أكبر هَمِّى أنت ! وأخشى أن تضيعى بعدى ! فقالت : لا تخَفْ فما غنّيتَ شيئاً إلا وأنا أُغنّيه ، فقال : هاتِى ، فاندفعت تغنِّى أصواتاً وهو مُصْغٍ إليها ، فقال : قد أصبتِ ما فى نفسى ، وهَوَّنْتِ علىّ أمركِ !

ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلىّ ، فزوّجه إيّاها ، فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله ، فهو الآن يُنسب إليه .

وقال كَثير بن كَثير السَّهمىّ يرثيه :

ما اللَّهْوُ بعدَ عُبَيْدٍ حين يَخْبرهُ   مَنْ كان يلهُو بِه منه بمُطَّلبِ
لِله قَبْرُ عُبَيْدٍ ما تضمَّنَ مِنْ   لذاذةِ العَيْش والإحسان والطَّرَبِ
لولا الغَرِيضُ ففيه من شمائِلِهِ   مشابهٌ لم أكن فيه بذى أَرَبِ

ومات بعلة الُجذام بمكّة ، فى خلافة سليمان بن عبد الملك أو فِى خلافة الوَليد ، ودُفِن فى موضع هناك ، يقال له دَسْم[٢] .

وحدَّث إسحاق بن يعقوب العثمانىّ ، مولى آل عثمان ، عن أبيه قال :

إنَّا لبِفِناءِ دار عمر[٣] بن عثمان بالأبطح فى صبح خامسة من الثمان — يعنى أيام الحج —

(١) الأغانى : « مقمة » .

(٢) دسم : موضع قرب مكة ؛ ذكره ياقوت .

(٣) الأغانى : « عمرو » .

إذا برجلٍ على راحلةٍ ، عليها رَحْلٌ جميل ، وأداةٌ حسنة ، معه صاحب له على راحلةٍ ، قد جَنَب إليها فرساً وبغلا ، فوقفا علىّ ، وسألانى ، فانتسبتُ لهما عثمانيًّا فنزلا ، وقالا : رجلان من أهلك قد طلبا حاجة ، تحبّ[1] أن تقضيها قبل أن تبدأ[2] بأمر الحج .

قلت : حاجتكما ؟ قالا : نريد إنساناً يوقفنا على قبر ابن سُرَيْج ، قال : فنهضت معهما [حتى بلغت معهما][3] محِلّة أبى قارَة ، من خُزاعة ، وهم موالى عُبَيد بن سُرَيج ، فالتمست لهما إنساناً يصحبهما حتّى يُوقفهما على قبره [بدسم ، فوجدت ابن أبى دباكل ، فأنهضته معهما ، فأخبرنى بعد أنه لما وقف على قبره][3] نزل أحدهما فحسَر عمامته عن وجهه ، وإذا هو عبد الله بن سَعِيد بن عبد الملك بن مَرْوان ، فعقر ناقتَه ، وانْدَفع يندبه بصوت شجٍ حسنٍ ، ويقول :

وَقَفْنَا عَلَى قبرٍ بدسْمٍ فهاجَنَا ... وذكَّرنا بالعيش إذ هو مصحِبُ[4]

فجالتْ بأرجاءِ الْجُفُونِ سَوَافِحٌ ... من الدَّمع تستبكى الّذِى يتعقَّبُ

إذا أبطأتْ عن ساحةِ الخدّ ساقَها ... دمٌ إثْرَ دمعٍ بعـــده يتصبّبُ[5]

فإنْ تُسعِدَا نَنْدُبْ عُبَيْدًا بعَوْلَةٍ ... وقلَّ لهُ مِنَّا البُكا والتحوُّبُ[6]

ثم نزل صاحبُه فعقر ناقتَه ، وقال له القرشىّ : خذ فى صوت أبى يحيى ، فاندفع يُغَنِّى :

---

(١) الأغانى : « ونحب » .

(٢) الأغانى : « قبل أن نشده » أى نشغل .

(٣) تكملة من ب والأغانى .

(٤) المصحب : الذليل المنقاد بعد صعوبة .

(٥) الأغانى : « دم بعد دم » .

(٦) العولة : رفع الصوت بالبكاء . والتحوب : التوجع . وفى ب ، ج : « وقل له » ، والصواب ما أثبته من الأغانى .

أسْعِدانِى بعبرة أترابى[1] من دموع كثيرة التسكابِ
إنَّ أهـل الحِصَاب قد تركونى مولَهاً مولَعاً بأهل الحِصَابِ
أهلِ بيت تتابعوا للمنـايا[2] ما على الموت بعـدهم من عتابِ
فارقونِى وقد علمتُ يقيناً ما لمنْ ذَاقَ مِيتَـةً من إيابِ
كم بذاكَ الحَجُون من حَىٍّ صدق[3] وكـهولٍ أعفَّـــةٍ وشَبابِ
سكنوا الجَزْع جزع بيت أبى مو سَى إلى النخل من صُفِىِّ السِّبابِ[4]
فلِىَ الويلُ بَعْـدَهُمْ وعليهمْ صرتُ فَرْدًا ومَلَّنِى أصحابى

قال ابن أبى دُباكل : فوالله ما تمّ صاحبه منها ثالثا[5] حتى غُشِىَ على صاحبه ، وأقبل يُصْلِحُ السَّرْج على بغلتِه ، وهو غير معرِّجٍ عليه ، فسألته : من هو ؟ فقال : رجلٌ من جُذام ، قلت : بمن تُعْرَف ؟ قال : بعبد الله بن المنتشِر ، قال : ولم يزل القرشىّ على حاله ساعة ، ثم أفاق . فجعل الجذامىّ ينضح المـاء على وجهه ويقول كالمعاتب له : أنت أبداً مصبوبٌ[6] على نفسك ! مَنْ كَلَّفَك ما ترى ؟ ثم قرّب إليه الفرس ، فلمّا علاه استخرج [الجذامىّ][7] من خُرْج علَى البغل قدحاً وإداوة ماء ، فجعل فى القدَح تُراباً من تراب قبر ابن سريج ، وصب عليـه من ماء الإداوة ، ثم قال : هاكَ فاشرب ، هذه السّلْوة[8] ، فشرب ، ثمّ فعل هو مثـــلَ ذلك .

(١) أى يا أترابى ، وفى الأغانى : « أسراب » .
(٢) فى الأغانى : « تتابعوا » ، والتتابع : الوقوع فى الشر خاصة .
(٣) الحجون . جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .
(٤) صفى السباب : موضع بمـكة ؛ ذكره ياقوت .
(٥) الأغانى : « ثلاثا » .
(٦) مصبوب ، أى محثوث على اتباعها تستغويك فتلبس لها القياد .
(٧) من الأغانى .
(٨) السلوة : خرزة شفافة إذا دفنتها فى الرمـل ثم بحثت عنها رأيتها سوداء يسقاهاالإنسان فتسليه .

وركب على البغل وأردفني، فخرجنا ، فلا والله ما يعرّضانِ بذكر شيء ممّا كانا فيه ، ولا أرى في وجوههما شيئاً ممّا كنت أرى قبل ذلك .

فلمّا اشتمل علينا أبطح مكة ، قالا : انزل يا خُزاعيّ ، فنزلت وأومأ الُخزاعيّ إلى الفتى بكلام ، فمدّ يده إليّ وفيها شيء فأخذته ، وإذا هو عشرون دينارا ومضينا . وانصرفت إلى قبره ببعيرين ، فاحتملت عليهما إداوة الراحلتين اللّتين عقراها ، فبعتهما بثلاثين دينارا .

ذِكْرُ العَرْجِيّ*

هو عبدُ الله بن عَمْرو بن عثمان بن عفّان بن أبى العاصى بن أميّة بن عبد شمس .

وأمّ عفّان وجميع بنى أبى العاصى آمنة بنت عبد العزّى[1] بن حُرثان[2] ابن عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كعب .

وأم عثمان أروى بنت كُرَيز بن ربيعة بن عبد شمس ، وأمّها البيضاء أمّ حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم ، وهى أخت عبد الله بن عبد المطلب أبى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأمّه ، ولدا فى بطن واحد . وأمّ عمرو بن عثمان أم أبان بنت جُنْدب الدَّوْسِيّة .

ولما قدم جُندب بن عمرو بن حُمَم الدَّوْسِىّ المدينة مهاجراً فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، خلف ابنته أم أبان عند عمر ، ثم مضى إلى الشام ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنْ وجدْتَ لها كفئاً فزوّجه بها ولو بِشِرَاك نَعْله[3] ، وإلّا فأمْسِكها حتى نُلْحِقَها بدار قومها بالسَّرَاة[4] . فكانت عند عمر ، ثم مضى إلى الشام ، واستشهد أبوها ، فكانت تدعو عمرَ أباها ، ويدعوها ابنتَه .

قال : فإنّ عُمَر يوماً على المنبر يكلّم الناس فى بعض الأمور ، إذ خطرت على قلبه فقال : مَنْ له فى الجميلة الحسِيبة ، بنت جندب بن عمرو بن حُمَمَة !

---

* ترجمته فى الأغانى ١ : ٣٨٣ ـ ٤١٧ (طبع دار الكتب) .

(١) ورد الاسم فى ب ، وج مصحفا ، وأثبت ما فى الأغانى .

(٢) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « حرباس » .

(٣) شراك النعل : سيرها الذى على ظهر القدم ؛ وهو مثل فى القلة .

(٤) السراة : أعلى كل شىء ؛ وهى مضافة إلى عدة قبائل ومواضع .

فقام عثمان فقال : أنا يا أمير المؤمنين ، فقال : أنت لعَمْرُ الله ! كم سقت إليها ؟ قال : كَذَا وكَذَا . قال : وقد زوّجتكها ، فعجِّله فإنها مُعَدَّة .

ونزل على المنبر ، فجاءه عثمان بمهرها ، فأخذه عمر فى رُدْنه فدخل به عليها ، فقال : يا بنيّة ، مُدِّى حِجْرك ، ففتحت حِجْرها فألقى فيه المال ، ثم قال لها : قُولى : اللهمّ بارك لى فيه ! فقالت : اللهمّ بارك لى فيه ! وما هذا يا أبتاه ؟ فقال : مَهْرُكِ ؛ فنفحت(١) به وقالت : واسوءتاه ! فقال : احتَبِسِى منه لنفسك ، [ووسِّعِى منه لأهلك](٢) . ثم قال لحفصة : يا بنتاه ، أصلِحى من شأنها ، وغيِّرى بدَنَها(٣) ، واصبُغِى ثوبها . ففعلت ، ثم أرسلت بها مع نسوة إلى عثمان .

فقال عمر لمّا فارقته : إنها أمانة فى عُنق ، أخشى أن تضيع بينى وبين عثمان ، فلحقهم ، فضرب علَى عثمان بابه ، ثم قال : خذ أهلَك ، باركَ اللهُ لك فيهم .

فدخلتْ على عثمانَ ، فأقام عندها مُقاما طويلا ، لا يَخرُج إلى حاجة ، فدخل عليه سعيدُ بنُ العاص ، فقال له : يا أبا عبدِ الله ، لقد أقمتَ عند هذه الدَّوْسيّة مُقاما ما كنتَ تقيمُه عند النساء ، فقال : أما إنّه ما بقيتْ خَصلةٌ أُحِبُّ أن تكون فى امرأةٍ إلّا صادفتُها فيها ، ما خلا خَصْلةً واحدة ، قال : وما هيَ ؟ قال : إنّى قد دخلتُ فى السّنّ ، وحاجتى فى النّساء الوَلَد ، وأحسَبُها حديثةً لا وَلَد فيها اليومَ .

قال : فتبسّمتْ ، فلمّا خرج سعيدٌ من عندِه ، قال لها عثمان : ما أضحكك ؟ قالت : قد سمعتُ قولَك فى الولد ، وإنّى لَمِن نسوةٍ ما دخلتِ امرأةٌ منهنّ على سيّد قطّ فتَراءت الدَّمَ حتّى تَلِدَ سيِّدَ مَنْ هُوَ منه ؛ فما رأت الحمراءَ حتّى ولدتْ عمرو بنَ عثمان ، وأمُّ العَرْجىّ آمِنة بنتُ عمرَ بنِ عثمان .

---

(١) نفحت به : رمته وردته .

(٢) من الأغانى .

(٣) البدن : شبه درع إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد فقط ، قصير الكمين .

وقال إسحاق : بنت سعيد بن عثمان هى أمّ ولد .

وإنما لُقِّب بالعَرْجىّ لأنه كان يَسكُن عَرْجَ الطّائف[1] .

وقيل : بل سمّى بذلك لمـاء كان له ، ومالٍ عَلَيْه بالعَرْج . وكان من شُعراء قريش ، ومن شُهِر بالغَزْل منها ، ونحا نحوَ عمرَ بنِ أبى ربيعة فى ذلك ، وتَشبّه به ، وكان مشغوفا باللّهو والصَّيْد ، حريصا عليهما ، قليلَ المُحاشاة[2] فيهما ، فلم يكن له نَباهةٌ فى أهْلِه ، وكان أشقر أزرَقَ ، جميلَ الوجه ، كَوْسَجاً[3] ، ناتِئَ الحنجرة .

وجَيْداء الّتى شبّب بها بقوله :

إلى جَيْداءَ قــد بَعثوا رَسولًا ليَحْزُنَها فلا صُحِب الرّسولُ

كأنّ العـامَ ليس بعـامِ حَجٍّ تغيّرتِ المَواسمُ والشُّـكُولُ[4]

وهى أمّ محمد بنِ هشامِ بنِ إسماعيلَ المخزومىّ ، وكان يشبِّب[5] بهـا ليفضح أباها[6] لا أبنها لمحبّةٍ كانت بينهما ، فـكان ذلك سببَ حبس محمد إياه وضربِه له ؛ حتى مات فى السّجن .

وكان العَرْجىّ من الفُرْسان المعدودين مع سلمَة بنِ عبد الملك بأرضِ الرّوم ، وله معه بَلاءٌ حَسَن ، وباعَ أَمْوالا عِظاما كانت له ، وأَطعَم ثمَنَها فى سبيل الله حتّى نَفِذَ ذلك كلُّه واتخذ غُلامَين إذا كان اللّيلُ نَصبا قُدوره[7] ، وقام الغلامان بالنَّوْبة

---

(١) عرج الطائف : قرية جامعة فى واد من نواحى الطائف ؛ وهى أول تهامة .

(٢) أى قليل المبالاة والاكتراث .

(٣) الـكوسج : الأثط ؛ وهو الخفيف شعر اللحية أو الخفيف شعر العارضين .

(٤) الشكول : جمع شكل .

(٥) كذا فى ب ، ج ؛ وفى الأغانى : « ينسب » .

(٦) فى الأغانى : « ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما » .

(٧) فى الأغانى : « قدره » .

يُوقِدان ، إذا نام أحدُهما قامَ الآخر ، فلا يزالان كذلك حتى يُصبحا ، يقول : لعلّ طارِقاً يَطرُق !

وقال مصعب : كانت حبَشِيّةٌ من مولّدات الكوفة(١) ، ظريفة ، صارت إلى المدينة ، فلما أتاهم موتُ عمرَ بنِ أبي ربيعة أشتدّ جزَعُها ، وجعلتْ تبكى وتقول : مَن لِمكّةَ وشِعابِها ، وأباطِحِها ونزُهِها ، ووَصْفِ نسائها وحسنِهنّ وجمالِهنّ ، ووَصْفِ ما فيها !

فقيل لها : خَفّضِي عليكِ ، فقد نَشَأ فتًى مِن ولد عثمانَ يأخُذ مأخَذَه ، ويَسلُك مَسلَكَه ، فقالت : أَنشِدُونى من شِعره ، فأنشَدُوها ، فسحتْ عينَيها وضحكتْ ، وقالت : الحمد لله الّذى لم يضيِّعْ حرمه .

وكانت لثقيفٍ مولاةٌ يقال لها : كلابة، كانت عندَ عبدِ الله بنِ القاسم الأُموىّ ، وكان يَبلُغها تَشبيبُ العَرْجى بالنِّساء ، وذِكرُه لهنّ فى شعره ، فكانت كلابة تقول : ما أشدَّ ما أجترأَ العَرْجىُّ على نساءِ قريش ، حتى يذكُرهنّ فى شِعره ! ولَعَمرِى مالقِىَ أحدا فيه خَيْر ، ولئن لقيته لأُسوِّدنّ وجهَه ، فبلغَه ذلك عنها .

قال إسحاق : وكان نازلاً على ماءٍ لبنى نَصْرِ بنِ معاوية ، يقال له : الفُتُق(٢) ، على ثلاثٍ(٣) ليالٍ من مكّة ، على طريقِ مَنْ جاء من نَجْرانَ إلى مكّة والعرْج أعلاها قليلا ممّا يلِى الطائف .

فبلغ العرْجىَّ أنّ الأُموِىَّ خرج إلى مكّة ، فأتَى قصرَه فطافَ به ، فخرجتْ إليه كلابةُ ، وكان الأُموىّ خلّفها فى أهله ، فصاحتْ به : إلَيْك وَيْلَك ! وجعلتْ

---

(١) الأغانى : « مكة » .

(٢) الفتق : قرية بالطائف .

(٣) فى الأغانى : « على ثلاثة أميال » .

تَرميه بالحجارة ، وتمنعه أن يدنوَ من القَصْر ! فاُستَسْقاها ماءً ، فأبتْ أن تَسقِيَه ، وقالت : لا يُوجَدُ واللهِ أثرُكَ عندي ، فيَلْصَقَ بى منك شيء ، فانصرف ، وقال : ستعلَمين ، وقال :

حورٌ بَعثْن رسولًا فى ملاطفةٍ ... ثقْفًا إذا غفَلَ النَّساءةُ الوَهِمُ(١)

منها :

قالت كُلابةُ مَن هذا فقلتُ لها ... أنا الذى أنْتِ من أعدائه زَعَموا

أنا امرؤٌ لَجّ بى حُبٌّ فأحرَضَنِي ... حتى بليتُ وحتّى شَفَّنِى السَّقَمُ

فأنعِمِى نِعمةً تُجْزَىْ بأحْسَنِها ... فطالَما مَسَّنِى من أهلِكِ النِّعَمُ

هٰذى يَمينىَ رَهْنٌ بالوَفاءِ لكمْ ... فارضَىْ بها ولأَنْفِ الكاشِحِ الرَّغْمُ(٢)

قالت رضيتُ ولكن جئتَ فى قمرٍ ... هلّا تلبّثْتَ حتّى تدخُلَ الظُّلَمُ

فبتُّ أُسقَى بكاسات أُعَلُّ بها ... من باردٍ طابَ منه الطَّعْمُ والشَّبَمُ(٣)

حتى بدا ساطعٌ للفَجْر تحسَبُه ... سَنَا حريقٍ بلَيْلٍ حين يَضطَرِمُ

ودّعْتُهنّ ولا شىءٌ يُراجِعنى ... إلّا البَنانُ وإلّا الأعيُنُ السُّجُمُ(٤)

إذا أردنَ كَلامى عندَه اُعترضتْ ... مِن دونِه عَبَراتٌ و اُنثَنى الكَلِمُ

تكادُ إذ رُمْنَ نَهضًا للقيام معى ... أعجازُهُنَّ من الأنصافِ تَنْقَصِمُ

فسَمع اُبنُ القاسم بالشّعر يُغنَّى به ، وكان العَرْجىّ قد أعطاه جماعةً من المغنِّين ، وسألهم أن يُغَنُّوا فيه ، فصنَعوا فيه عدّةَ ألحان ، وقال : ما أجد لهذه الأَمَة شيئا أبلغَ من إيقاعها تحتَ التُّهمَة عند اُبنِ القاسم ؛ ليَقطع مأْكَلتَها مِن مالِه .

---

(١) يقال : رجل ثقف ؛ إذا كان حاذقا فهما ، والنساءة : صيغة مبالغة فى الناسى ، والوهم : الكثير الوهم ؛ وهو السهو والغلط . والبيت ورد محرفا فى الأصول ؛ وأثبت ما فى الأغانى .

(٢) الرغم : الذل والصغار ، وسكون الغين ضرورة .

(٣) الشبم والبارد بمعنى ، وفى الأغانى : « النسم » .

(٤) السجم : جمع سجوم : يقال : عين سجوم ؛ أى تسيل بالدمع .

فلما سَمِع ابنُ القاسم بذلك أَخرج كَلابة واتَّهمها ، ثم أرسَلَ بها بعد زمان على بعيرٍ ، فأَحْلَفها بمكّة بَيْنَ الرُّكن والمقام أنّ العَرْجيَّ كذَبَ فيما قاله ، فحلفتْ سبعين يمينا ، فرضِيَ عنها وردّها . وكان بعد ذلك إذا سَمِع قول العَرْجيّ :

* فطالَما مَسَّنا مِنْ أَهْلِكِ النِّعَمُ *

يقول : كَذَب والله ما مَسَّه ذلك منّا قَطُّ .

وقيل : إنّ صاحب هذه القصيدة أبو جِراب العُقَيلي[1] ، وأنّ كَلابةَ كانت أمةً لسُعْدَة بنتِ عبدِ الله بن عَمرو بنِ عُثْمان ، وكان العَرْجيُّ قد خَطَبها ، وسُمّيتْ به ، ثم خطبَها يزيدُ بن عبدِ الملك ، أو الوليدُ بنُ يَزيد ، فزُوِّجَتْه .

فقال العَرْجيُّ ذلك فيها .

وأبو جراب هو محمّد بنُ عبدِ الله بن الحارث بن أميّة الأصغر بن عبدِ شَمْس .

[كان العَرْجي غازيا ، فأصابت الناس مجاعة ، فقال للتجّار : أَعطُوا الناس وعليّ][2] ما تُعْطون ، فلم يزل يُعطِيهم ويُطعِمُ الناسَ حتى أَخْصَبوا ، فبلغ الخبرُ عُمرَ بنَ عبدِ العزيز ، فقال : بيتُ المال أحقُّ بهذا ، فقَضَى التُّجارُ ذلك من بيتِ المال .

ورُوِى أنّ العَرْجيَّ خرج إلى الطائف متنزِّها ، فمرَّ ببَطْن النَّقِيع[3] ، فنظَر إلى أمّ الأَوْقَص — وهو محمّد بنُ عبدِ الرَّحمن المخزوميّ القاضي ، وكان يتعرّض لها — فلمّا رأته رمتْ بنفسِها وتستّرتْ منه ، وهي امرأةٌ من بني تميم ، فبصُر بها في نسوةٍ جالسةً ، وهنّ يتحدّثن ، فعرَفها ، وأحبَّ أن يتأمّلها مِن قُرْب ، فعَدَل عنها .

---

(١) في الأغاني : « العبلي » .

(٢) من الأغاني .

(٣) النقيع : موضع بجنبات الطائف .

ولقىَ أعرابيّا من مُضَر[1] على بَـكْرٍ له ، ومعه وَطْبَا[2] لَبَن ، فدفع إليه دابّته وثيابَه ، ثم أَقبَـل على النّسوة ، فصِحْن به : يا أعرابىّ ، أمعَكَ لَبَن ؟ قال : نعم . ومالَ إليهنّ ، وجلس يتأمّل أمّ الأَوْقَص ، وتَواثَبَ مَن معها إلى الوَطْبَين ، وجلس العَرْجىّ يُلاحِظها ، ويَنظُر أحيانا إلى الأرض كأنّه يَطلُب شيئا ، وهنّ يَشْرَبْن من اللّبَن .

فقالت له امرأةٌ منهنّ : أىّ شىء تَطلُب فى الأَرْض ؟ أضاعَ مِنكَ شىء ؟ قال : نَعَم ، قلبى .

فلمّا سمعت التميميّةُ كلامَه نظرتْ إليه ـ وكان أزرَق ـ فقالت : ابنُ عُمَرَ وربِّ الـكَعْبة ! ووثبتْ وسَتَرها نساؤها ، وقلن : اِنصرِف عنّا ، لا حاجة بنا إليك، ولا لِلبَنِك ، فمضى منصرِفا ، وقال فى ذلك :

أقولُ لِصاحِبَىَّ ومِثلُ ما بِى ... شَكاهُ المرءُ ذو الوَجْد الأليمِ
إلى الأَخَوَيْن مِثلهما إذا ما ... تأوَّبه مؤرِّقـةُ الهُمومِ[3]
لِحَيْنِى والبـلاءِ لقيتُ ظُهْراً ... بأعـلى النَّقْع أختَ بنى تَميمِ
فلمّا أن رأتْ عيناىَ منهـا ... أسيلَ الخـدّ فى خَلْقٍ عَميمِ[4]
وعيْـنَىْ جُـؤْذَرٍ خَرِقٍ وثَغْراً ... كلَوْن الأُقْحُوانِ وجِيدَ رِيمِ[5]
حَنَا أترابُهـا دُونِى عليهـا ... حُنُوَّ العائداتِ عـلى السَّقيم

(١) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « من بنى نصر » .
(٢) الوطب : سقاء اللبن .
(٣) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « من الأخوين » .
(٤) العميم: التام.
(٥) يقال : خرق الظبي فهو خرق ، إذا دهش من فزع .

وقال رجل من بنى جُمَح يقال له : عامر[1] الأَوْقص ، وقَضَى عليه بقضيّة ، فتظلم منه ، وقال له : واللهِ لو كنتُ أنا عبدَ الله بن عُمَر العَرْجىّ ، لكنتَ قد أسرَفْتَ علىّ ، فضرَبه الأَوْقَص سبعين سَوْطا .

وحدّث مصعبُ بنُ عبدِ الله ، عن أبيه ، قال : أتانى أبو السائب المخزومىّ ليلةً بعد ما رَقَد السّامر ، فأشرفْتُ عليه ، فقال : سَهِرْتُ ، وذكرتُ أخاً لى أستمْتِع به ، فلَم أجدْ سِواكَ ، فلو مَضَيْنا إلى العَقِيق فتناشَدْنا وتَحدَّثْنا ! فمضينا ، فأنشدْتُه فى بعض ذلك بيتيْن للعَرْجىّ :

باتَا بأنعَمِ عِيشةٍ حتّى بَدَا ... صُبْحٌ يُلَوِّحُ كالأَغَرِّ الأشْقَرِ[2]

فتَلازَمَا عنــد الصَّباح صَبابةً ... أخْذَ الغَرِيم بفَضْلِ ثوبِ المُعْسِرِ[3]

فقال : أَعِدْهُ ، فأَعَدْتُه ، فقال : أحسَنَ واللهِ ! امرأتُه طالقٌ إن نَطَق بحرفٍ غيرِه حتّى يرجعَ إلى بيته ؛ فلقينا عبــدَ الله بنَ حَسَن بن حسن ، فلمّا صِرْنا إليه وَقَف بنا ، وهو مُنصرِف مِن ماله يريد المَدِينة ، فسَلَّم ، ثمّ قال : كيف أنتَ يا أبا السّائب ؟ فقال له :

فتلازَمَا عند الصَّباحِ صَبابةً ... أَخْذَ الغَرِيم بفَضْلِ ثوب المُعْسِرِ

فالتفتَ إلىّ فقال : مَتَى أنكرتَ صاحِبَكَ ؟ فقلتُ : منذُ اللّيلة . فقال : إنّا لِلّه ، أىُّ كَهْلٍ أُصيبتْ به[4] قُرَيش ؟ ثم مضيْنا فلقينا محمّد بنَ عِمْرانَ التَّيْمىَّ قاضىَ المدينة ، يريد مالًا له على بَغْلة له ، ومعه غلامٌ على عُنُقه مِخْلاةٌ فيها قَيدٌ للبَغْلة ، فسَلَّم ، ثم قال : كَيْفَ أنتَ يا أبا السّائب ؟ فقال له :

---

(١) الأغانى : « ابن عامر » .

(٢) فى الأغانى : « بأنعم ليلة » .

(٣) الأغانى : « فتلازما عند الفراق » .

(٤) الأغانى : « منه » .

فتلازَماَ عند الصَّباح صَبابةً   أَخْذَ الغَرِيم بفَضْلِ ثوبِ المُعْسِرِ

فالتفتَ إلىّ وقال : متى أنكرتَ صاحِبَك ؟ قلتُ : آنِفاً ، فلمّا أراد المُضِىَّ قلتُ : أفتدعُه هكذا؟ واللهِ ما آمَنُ أن يتهوَّرَ[1] فى بعض آبارِ العَقيق. قال: صدقتَ. ياغلام! قَيْدَ البَغْلةِ ، فوَضَعَه فى رِجْلِه وهو يُنشِد البيت ، ويُشير بيدِه إليه يُرِى أنه يَفهم عنه قصّته ، ثم نزل الشيخُ وقال لغلامه : اِحمِلْه على بَغْلتى وأَلحِقْه بأهلِه ، فلمّا كان بحيثُ علمتُ أنه قد فاته أخبرتُه بخَبَرِه .

فقال : قَبَحك الله ماجناً ! ، فَضَحتَ شيخاً من قريشٍ وغَرَرْتَنى !

وأنشد ابنُ جُنْدَب الهُذَلىُّ ابنَ أبى عَتيق قولَ العَرْجىّ :

وما أَنْسَ مِلْأَشْياءِ لَا أَنْسَ قولَها   لخادِمِها قومِى اُسأَلِى لى عن الوَتْرِ

فقالت: يَقُولُ النّاسُ فى ستٍّ عَشْرةٍ   فلا تَعجَلِى فيه فإنّكِ فى أَجْرِ

فما ليلةٌ عندى وإن قِيلَ جمعةٌ   ولا ليلةُ الأَضْحَى ولا ليلةُ الفِطْرِ

بعادِلةِ الإثْنَيْن عندى وبالحَرَى   تكونُ سواءً منهما ليلةُ القَدْرِ

فقال ابنُ أبى عَتيق : أشهِدكم أنّها حُرّة فى[2] مالى ، إن أجازَ ذلك أهلُها ، هذه ، واللهِ أفقَه من ابنِ شِهاب .

وتزوّج العَرْجىّ أمَّ عثمانَ بنتَ بُكَيْر بنِ عَمْرو بنِ عثمان بن عفّان ، وأمُّها سُكَيْنَة بنتُ مُصعَب بن الزُّبير ، فقال :

إنّ عُثمانَ والزُّبيرَ أَحَلّا   دارَها بالبَقِيع إذْ وَلَداها[3]

إنّها بنتُ كلِّ أبيضَ قَرْمٍ   نالَ فى المَجْدِ من قُصَىٍّ ذُراها[4]

سَكَنَ الناسُ بالظَّواهر منها   وتَبوّا لنفسِه بَطْحاها

---

(١) يتهور : يسقط .

(٢) الأغانى : « من مالى » .

(٣) الأغانى : « فى اليفاع » .

(٤) القرم : السيد العظيم .

ولما تزوّج الرشيدُ زوجته العُثْمانيّة ، أُعجب بها ، فكان يتمثّل بهذه الأبيات :

وقال عبدُ الله بن عمرَ العُمَرِىّ : خرجتُ حاجّا فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلم بكلام أرفثتْ فيه ، فأَدْنيْتُ ناقتِى منها ، وقلتُ لها : ياأَمةَ الله، ألستِ حاجّةً ! أَمَا تَخافين اللهَ تعالى ! فسَفَرتْ عن وجهٍ يَبهَر الشّمس حُسْنا ثم قالت : تأمّلْ يا عَمّ ؟ فإنّنى ممّن عَناه العَرْجىُّ بقوله :

أماطَتْ كِساءَ الخزِّ عن حُرِّ وَجْهِها ... وأَدْنَتْ على الخدَّين بُرْداً مُهَلْهَلا

مِن اللّاءِ لم يَحْجُجْنَ يبغين حِسْبَةً ... ولـكنْ ليَقْتُلْن البَرِىءَ المُغَفَّلا

قال : فقلت لها : فإنّى أسألُ الله تعالى ألّا يُعذِّب هذا الوَجْهَ بالنار .

قال : وبلغ ذلك سعيدَ بنَ المسيَّب ، فقال : أمَا واللهِ لو كان من بعض بُغضاء[1] العِراق لقال لها : أُعْزُبى قبّحكِ الله ! ولـكنّه ظَرْف عُبّادِ الحجاز .

وكان العَرْجىُّ يشبِّب بجَيْداءَ أمِّ محمد بن هشام بن إسماعيلَ المخزومىّ ، ويهجو ابنَها محمدا ؛ لأنّه كان تيّاهاً جبّارا كثيرَ الـكِبْر ، فلَم يَزَلْ يتطلّب عليه العِلَل حتّى حَبَسه وقيّده وضَرَبه .

ولمّا ولى خالُه هشام بن عبد الملك الخلافةَ ، كتب إليه أن يحُجَّ بالناس ، فهَجَاه العَرْجىُّ بأشعار كثيرةٍ . منها قوله :

كأنّ العامَ ليسَ بعامِ حَجٍّ ... تغيّرت المَواسِمُ والشُّكُولُ

إلى جَيْداءَ قـد بَعثُوا رَسولًا ... ليَحزُنَها فلا صُحِبَ الرّسولُ

ومن الهجاء أيضا قولُه :

ألا قُـلْ لِمَنْ أَمسى بمـكّة قاطِناً ... ومَنْ جاء من عَمْقٍ ونَقْبِ المُشَلَّلِ[2]

---

(١) يريد المتزمتين المغالين فى الورع .

(٢) عمق : واد من أودية الطائف . والمشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر : والنقب : الطريق فى الجبل .

دَعُوا الَحجّ لا تَستهلِكوا نفقاتِكُمْ
فما حَجُّ هـذا العامِ بالمُتقبَّلِ

وكيف يُزكّى حجُّ مَن لم يكن له إمامٌ لَدَى تَجْهيزِه غيرُ دُلْدُلِ !
يَظَلُّ يُرائِى بالصِّيام نهارَه ويَلبَسُ فى الظَّلْماء سِمْطَىْ قَرَنْفُلِ (١)

فلم يزلْ محمدٌ يَطلُب عليه العِلَل ؛ حتّى وَجدها ، فحبَسه .

وقال العرجىُّ يشبِّب بأمِّ محمد بنِ هشام ، وهى من بنى الحارثِ بنِ كعب ، وهى الجيْداء :

عُوجى علينا رَبّةَ الهَوْدَجِ إنّكِ إنْ لا تفعَلى تَحْرَجى
إنّى أُتيحت لى يَمانيّةٌ إحدَى بَنِى الحارثِ مِن مَذْحِجِ
نَلبَث حَوْلًا كاملًا كُلَّه لا نَلتَقِى إلّا على مَنْهَجِ
فى الَحجِّ إن حَجّتْ ، وماذا مِنًى وأهلُه إنْ هِىَ لَم تَحْجُجِ !

فلمّا سَمِعَ عطاءُ بنُ أبى رَباح قولَه :

[فى الحجّ إن حَجّت](٢) وماذا مِنًى وأهلُه إن هىَ لم تَحْجُجِ

فقال الخيرُ والله فى مِنًى وأهلِه حَجّتْ أمْ لم تحج .

وقال فى زوجته جَبْرَةَ المخزوميّة ، يَعنِى زوجةَ محمد بنِ هشام :

عُوجى علىَّ فسَلِّمِى جَبْرُ فِيمَ الوُقوفُ وأنتمُ سَفْرُ (٣)
ما نَلتقِى إلّا ثلاثَ مِنًى حتّى يُفرِّق بيننا النَّفْرُ (٤)

---

(١) السمط : الخيط ما دام فيه الخرز ؛ وإلا فهو سلك .

(٢) من الأغانى .

(٣) الأغانى : « فيم الصدور » .

(٤) بعده فى الأغانى :

الْحَوْلُ بَعْدَ الْحَوْلِ يجمعُنا ما الدَّهْرُ إلا الحوْل والشَّهْرُ

فقال له ابن جُرَيج : أحسنتَ واللهِ ، ثلاثَ مرّات ، وَيْحَك ! أعِدْه قال : مِن الثلاثة فإنّي قد حلفتُ . قال : أَعِدْه ، فأعاده . قال : أحسنتَ . فأَعِدْه من الثّلاثة ، فأعادَه وقامَ .

قال إسحاق : وبلغني أنّ محمد بنَ هشام كان يقول لأمّه جَيْداء : أنتِ غَضَضْتِ مِنّي بأنك أُمّي ، وأهلكتِني وقتلتِني ، فتقول له : وَيْحَك ! وكيف ذلك ؟ قال : لو كانت أمّي مِن قُرَيش ما وَلِيَ الخلافةَ غيري . ولم يَزَلْ محمدٌ مُضْطغِناً على العَرْجيّ بما يقوله مِن الأشعار ، متطلّبا سبيلًا حتّى وَجَده ، فحبَسه وضرَبه .

إن العرْجيّ كان له موْلًى ، فأَمَضَّه[1] العَرْجيّ ، فأجابَه المَوْلى بمِثل ما قال له ، فأَمْهلَه ؛ حتّى إذا كان الليلُ أتاه مع جماعة من مواليه وعبيدِه ، فهجَم عليه في منزله ، فأخَذَه وأوْثقه كِتافا ، ثم أمر عبيدَه أن يَنكِحوا امرأتَه بين يدَيْه ، ففعلوا ، ثم قتَلَه وأحرَقَه بالنار فاستعدت امرأتُه إلى محمد بنِ هشام فحبَسه .

وقيل : إنه كان وَكّل بحُرَمِه[2] مولًى له يقوم بأمورهنّ ، فبَلَغه أنّه يخالفُ إليهنّ ، فلم يَزَل يَرْصُده حتّى وجَدَه يحدِّث بعضَهنّ ، فأَوقعَ به .

وقيل : إنّ أشعَبَ كان حاضرا للعَرْجيّ ، وهو يَشتُم مَوْلاهُ ، فلمّا أكثَر ردَّ المَوْلى عليه فاغتاظ العَرْجيُّ من ذلك ، وقال لأَشْعَب : اشهَدْ على ذلك ، فقال أَشْعب : وعلامَ أَشهَد وقد شتمتَه ألفاً وشَتَمك واحدة ! واللهِ لو أنّ أُمَّك أمُّ الكِتاب ، وأمَّه حَمّالة الحطَب ما زاد على هذا .

---

(١) أمضه : آلمه .

(٢) حرمه : نساؤه .

وقال حمزةُ بنُ عُتْبَة اللّهبي : لمّا أَخذ محمدُ بنُ هِشام المخزوميّ العَرْجيَّ واُعتَقَله، أخذ معه الُحصَين بنَ محمد بن غُرَيْر الِحمْيَريّ ، فجلَدَهما وصَبَّ على رأْسَيهما الزَّيت ، وأقامَهما على البُلُس فى الَحنّاطِين بمكّة ، فجعَل العرجيُّ يُنشِد :

سَيَنصُرُنى الخليفة بعدَ ربِّى ... ويَغضَب حين يُخبَر ما أُلاقِى
علىَّ عَباءةٌ بَلقاءُ لَيستْ ... مع البَلْوَى تُغَيِّب نِصفَ ساقى
وتَغضَب لى بأَجْمَعها قُرَيْشٌ ... قَطينُ البَيْت والدُّمْثِ الرِّقاقِ(١)

ثم يصيح : يا غُرَيرَ أجياد(٢) ، يعنى بنى مخزوم ، كانتْ منازلُهم فى أجْياد ، فعيّرهم بأنهم ليْسُوا من أهلِ الأَبْطَح .

وذكر أنَّ رَجُلا مَرَّ بالعَرْجىّ ، وهو واقفٌ على البُلُس ومعه اُبن غُرَير وقد جُلِدا وحُلقا ، وصُبَّ الزَّيتُ على رأسَيْهما ، وأُلبِسا عَباءَتين ، واُجتمع الناسُ يَنظُرون إليهما ، وكان الرجل صَديقا للعَرْجىّ ، وكانَ فأْفاءً ، فوقَف عليه فأراد أن يتوجّع لِما(٣) به، فلَجْلَج لِما كان فى لسانه كما يفعل الفَأْفاء .

فقال له العَرْجىّ : لا خرجتْ مِن فيكَ أبدا ؛ فقال له الرّجل : مكانَك إذاً لا بَرِحْتَ منه أبدا .

وقال العَرْجى فى حَبْسه :

أضاعُونى وأىَّ فَتًى أضاعُوا ... ليوم كَريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ(٤)
وصبرٍ عند مُعْتَرَك المَنايا ... وقد شُرِعَتْ أَسنّتُها بنَحْرِى

---

(١) الدمث : جمع دمثاء ؛ وهى الأرض اللينة السهلة .
(٢) أجياد : موضع بمكة يلى الصفا .
(٣) الأغانى : « لما نابه » .
(٤) سداد الثغر : ما يسد به الثغر من خيل ورجال وغير ذلك من عدد الحرب .

أُجَرَّرُ فى الجوامع كلَّ يومٍ　　فيالله مَظْلِمَتِى وصَبْرِى!(١)

كأنّى لم أَكُنْ فيهمْ وَسِيطاً　　ولم تَكُ نِسْبَتِى فى آلِ عَمْرِو!

قال الأصمعىّ : كان لأبى حنيفةَ جارٌ بالكوفة يُغنِّى ، فكان إذا انصرَف وقد سَكِر يُغَنِّى فى غُرْفته ، فيَسمَع أبو حَنيفَة غِناءَه فيُعجِبه ، وكان يُكثِر أن يُغنّى :

أضاعُونى وأىَّ فتًى أَضاعُوا　　ليَوْمِ كَرِيهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فلقيه العَسَسُ(٢) لَيْلةً فأُخِذ وحُبِس ، ففقَد أبو حنيفةَ صَوْتَه تلك اللّيلة ، فسَأَل عنه من غَدٍ ، فأُخبِر، فدَعَا بسَوادِه(٣) وطَويلته(٤) فلَبِسَهما ، وركب إلى عيسى بنِ موسى ، فقال له : إنّ لى جارا أخَذَه عَسَسُك البارِحةَ فحُبس ، وماعلمتُ منه إلّا خَيْرا .

فقال عيسى : سَلِّموا إلى أبى حنيفة كلَّ مَن أخَذَه العَسَس البارحةَ، فأُطلِقوا جميعا ، فلمّا خرج الفَتَى ، دَعَا بِه أبو حنيفةَ ثم قال له سِرًّا : ألستَ كنتَ تُغَنِّى يافتَى كلَّ ليلةٍ :

* أضاعُونى وأىَّ فتًى أَضاعُوا *

فهل أضَعْناك ؟ قال : لا والله أيّها القاضى ، ولكن أحسَنْتَ وتكرّمْتَ ، أحسَنَ اللهُ جزاءَك . قال : فعُدْ إلى ما كنتَ تُغنِّيه ؛ فإنّى آنَسُ به ، ولَم أَرَ بِه بَأْسا . قال : أَفعَل .

---

(١) الجوامع : جمع جامعة ؛ وهى الغل .

(٢) العسس : جمع عاس ؛ وهو الذى يطوف بالليل يحرس الناس .

(٣) السواد ؛ شعار بنى العباس ؛ وكان أشياعهم يرتدونه ؛ ولذلك سموا بالمسودة ، بكسر الواو المشددة .

(٤) الطويلة : القلنسوة العالية المدعمة بعيدات ؛ وكان القضاة يلبسونها .

قال إسحاق : لمّا حبَس المنصورُ عبدَ الله بنَ علىّ كان يُكثِر التمثُّل بقول العَرْجىّ :

أضاعُونى وأىَّ فتًى أضاعُوا　　ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فبلغ ذلك المنصور ، فقال : هو أضاعَ نفسَه بسُوء فِعلِه ، وكانت أنفُسُنا آثر عندنا مِن نفسِه .

قال الأصمعىّ : مررتُ بكنّاس بالبَصْرة يَكْنُس كَنيفا وهو يغنّى :

أضاعُونى وأىَّ فتًى أضاعُوا　　ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فقلت له : أمّا سِداد الكَنيف فأنتَ ملىءٌ به ، وأمّا الثغر فلا علْم لنا بك كيف أنتَ فيه . وكنتُ حديثَ السِّنّ ، وأردتُ العَبث به ، فأعرَض عنّى مليًّا ، ثم أقبَل علىَّ وأنشَد متمثّلا :

وأُكرِم نفسِى إنّنى إنْ أهنْتُها　　وَحقِّك لم تَكْرُمْ على أحدٍ بعْدى

فقلت : لا والله ما يكون من الهوانِ شىءٌ أكثرَ ممّا بَذلْتَها به ، فبأىّ شىءٍ أكرمتَها ، فقال : بَلَى، والله إنّ مِن الهَوانِ لَشرًّا أكثر ممّا أنا فيه قلت : وماهو ؟ قال : الحاجةُ إليك وإلى أمثالك ، فانصرفتُ عنه أخْزَى الناس !

قال : واختَصر الأصمعىُّ الجوابَ ، وستَر أقبَحه على نَفْسه ؛ وإلّا فكنّاس كَنيف قائمٌ يكنُسه ويعبَث به هذا العَبَث ، فيرضَى بهذا الجواب الذى لا يُجيب بمثله الأحْنف بنُ قَيْس ، لو كانت المخاطَبةُ اه !

وكان الوليدُ بنُ يزيدَ مضطغِنا على محمد بنِ هشام لأشياء كانت تَبلُغه عنه فى حياة هشام ، فلمّا ولى الخلافةَ قبضَ عليه ، وعلى أخيه إبراهيم بن هشام ، وأشخِصا إلى الشام ، ثم دعا لهما بالسِّياط .

فقال له محمد : أسألك بالقَرابة ! قال : وأىُّ قَرابة بينى وبينَك، وهل أنتَ إلّا مِن

أَشجَع ! قال : فأسألُك بِصِهْرِ عبدِ الملك ، قال : لَم تَحْفَظْه ، فقال له : ياأميرَ المؤمنين ، قد نَهَى رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم أن يُضرَب قُرَشيٌّ بالسِّياط فى غيرِ حَدّ. قال : ففِي حَدٍّ أَضرِبُك وقَوَد ؛ أنتَ أوَّلُ من سَنَّ ذلك على العَرْجيّ ، وهو ابنُ عَمّى وابنُ أميرِ المؤمنين عُثمانَ ، فما رَعيتَ حقَّ جَدِّه ولا نَسَبَه بهشام ، ولا ذَكرتَ حينئذ هذا الخبرَ ، وأنا وَلِيُّ ثأره ! اضرِب ياغُلام ؛ فضَرَبهما ضَرْبا مُبرِّحا ، وأُثقِلَا بالحديد ، ووَجَّه بهما إلى يوسفَ بنِ عمرَ بالكوفة ، وأمرَه باستصفائهما[1] وتعذيبهما حتّى يَتلَفا .

وكتب إليه : احبِسْهما مع ابنِ النَّصْرانيّة ــ يعنى خالداً القَسْرِيّ ــ ونَفْسَك نفسَك إنْ عاش أحدٌ منهم ، فعذَّبهما عذابا شديدا ، وأَخَذ منهما مالًا عظيما ؛ حتى لَم يبق فيهم موضعٌ للضَّرْب .

وكان محمد بن هِشام مطروحا ، فإذا أرادوا أن يقيموه أخَذُوا بِلحْيته فجَذَبُوه بها ، ولمّا اشتدّت عليهما الحال ، تَحامَل[2] إبراهيمُ لِينظُر فى وَجْه محمد فوَقَع عليه فماتَا جميعا ، وماتَ خالدٌ القَسْرِيُّ مَعَهما فى يومٍ واحد .

وقال الوليدُ بنُ يزيدَ لمّا حَمَلهما إلى يوسفَ بنِ عمرَ من أبيات :

قــد جَعَل اللهُ بَعْدَ غَلْبتِكُمْ ... لنــا عليكُمْ تَدارُكَ الغَلَبَه[3]

لستَ إلى هاشمٍ ولا أَســدِ ... ولا إلى نَوفَلٍ ولا الحَجَبَه[4]

لـكنّما أشجَعُ أبُـوكَ سَلِ الْـ ... ـكَلْبِيَّ لاما يُزوِّقُ الـكَذَبَه[5]

---

(١) باستصفائهما : بأخذ أموالهما .

(٢) تحامل ؛ أى تكلف التحرك بعض الشيء ليرى حالة أخيه .

(٣) كذا فى ب ، ج ؛ وفى الأغانى : « لنا عليكم يا دلدل الغلبة » .

(٤) يريد حجبة الكعبة ؛ وكانت الحجابة فى بنى قصى .

(٥) يريد بالكلبي محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي ؛ النسابة المعروف .

قال إسحاق : غنّيتُ الرّشيد يوماً فى عُرْضِ غِناء قولَ العَرْجيّ :

أضاعُونى وأىَّ فَـتًى أضاعُوا ليَوْمِ كَرِيهـةٍ وسِدادِ ثَغْرِ !

فقال : ما كان سببُ حَبْسِ العَرْجى ؟ فأخبرْتُه أخبارَه حتّى مات ، فرأيتُه يتغيّظ كلّما مرّ به شىء ، فأتْبَعْتُه بحديثِ مَقتَلِ ابنَىْ هِشام ، فجعل وجهُه يُسفِر ، وغَيْظُه يَسكُن ، فلمّا انقَضَى الحديثُ قال لى : يا إسحاق ، واللهِ لولا ما حدّثْتَنى به مِن فِعل الوَليد لمَا تركتُ أحداً من أماثِل بنى مخزومٍ إلّا قتلتُه بالعَرْجىّ .

ذِكرُ أخبارِ عَدِيِّ بنِ زيد ومقتلِه*

هوعَدِيّ بنُ زيد بنِ حمّاد بنِ زيد بن أيّوبَ بن مَحْروف بنِ عامر بن عُصَيّة ابن أمرئ القَيْس بنِ زيد مَناةَ بنِ تَميم بنِ أُدّ بنِ طابخةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَر ابنِ نِزار .

وكان أيّوب هذا ـ فيما يَزعُم ابنُ الأعرابيّ ـ أوّل من سُمِّيَ من العرب أيوبَ . شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الجاهليّة ، وكان نَصْرانيًا ، وكذلك كان أبوه وأهلُه ، وليس ممّن يُعَدّ من الفحول هو فيُروَى شعرُه ، وقد أُخِذ عليه أشياء أُعيب بها .

وكان الأصمعيّ وأبو عُبَيدة يقولان : عديُّ بنُ زيد في الشعراء كسُهَيْلٍ في النّجوم ، يُعارِضها ولا يَجرِي مَجراها .

ومثلُه كان عندَهم أُميّة بنُ أبي الصَّلْت ، ومِثلهما عندهم في الإسلاميِّين : الكُمَيْت والطِرِمّاح .

قال العجّاج : كانا يسألاني عن الغريب فأخبِرهما به ، ثم أراه في أشعارهما ، وقد وَضعاه في غيرِ موضعه .

فقيل له : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنّهما قرَويانِ يَصِفان ما لَمْ يرَيا، فيَضَعانه في غير موضعه ، وأنا بدويٌّ أَصِفُ ما رأيتُ فأَضَعُه في مواضعه ، وكذلك عندهم عَدِيّ وأُمَيّة .

وقال ابن الكلبيّ : كان سبب نزول عَدِيّ بنِ زَيْد الحِيرَةَ ، أنّ جدّه أيّوبَ ابنَ مَحْرُوف ، كان منزِلُه اليمامةَ ، في بَني أمرئ القيس بن زيدِ مَناة ، فأصابَ دماً في قومه ، فهَرب ، فلَحِق بأوْسِ بنِ قَلّامٍ أَحَدِ بني الحارث بنِ كَعْب بالحيرة .

---

* ترجمته في الأغاني ٢ : ٩٧ ـ ١٥٦ (طبعة دار الكتب) .

وكان بين أيوبَ بن مَحْرُوف وبين أَوْسِ بنِ قَلّامٍ نَسَبٌ من قِبَل النّساء ، فلمّا قَدِم عليه أيّوب أكرَمه ، وأنزله فى داره ، فمكث معه مدّة ، ثم إن أَوْسا قال له : يابْنَ خالٍ ، أتريد المُقامَ عِندى ، وفى دارى ؟ قال له أيّوب : نَعَم ، فقد علِمتُ أنّى أَتيتُ قومى ، وقد أصبتُ فيهم دَماً ، وما لِى دارٌ إلّا دارُك آخرَ الدّهر .

قال أوْس : فإنّى قد كَبِرتُ ، وإنّى خائف أن أموتَ ولم يَعرِف ولَدى لكَ من الحقِّ مِثلَما أعرِف ، وأَخشَى أن يقعَ بينَك وبينهُم أمرٌ يَقْطعون فيه الرَّحِم ، فانظرْ أحبَّ مكانٍ فى الحيرة إليكَ فأَعلِمْنى به لأُقْطِعَكَه أو أَبْتاعَه لك .

وكان لأيّوبَ صديقٌ فى الجانب الشرقىّ من الحِيرة ، وكان مَنزلُ أوْس فى الجانب الغربىّ ، فقال له : أحببتُ أن يكون المنزلُ الّذى تُسكِننيه عند منزل عِصام ابنِ عَبْدة ، أحدِ بنى الحارث بن كعب ، فابتاعَ له موضعَ داره بثلاثمائة أوقيّةٍ من الذهب ، وأنفقَ عليها مائةَ أوقيّة من ذهب ، وأَنفقَ عليها مائتين من الإبل برُعاتِها[1] ، وفرساً وقَيْنة . فمكث فى منزلِ أَوْس حتّى هَلَك ، ثم تحوّل إلى داره التى فى شرقِ الحِيرة فهَلَك بها .

وقد كان اتّصل قبلَ مَهْلَكِه بالمُلوك الّذين كانوا بالحِيرة ، وعرَفوا حقّه ، وحقَّ ابنِه زيد بن أيّوب ، فلم يكن منهم مَلِك يَملِك إلّا وَلِوَلَد أيُّوبَ منه جوائزُ وحُمْلان[2] .

ثم إن زيدَ بنَ أيوبَ نكَح امرأةً من آلِ قَلّام ، فولدتْ له حَمّادا ، فخرج زيدُ بنُ أيوبَ يوما إلى الصَّيْد فى ناسٍ من أَهلِ الحِيرة، يتصيّدون[3] بحفير، المكانِ

---

(١) الأغانى : « برعائها » .

(٢) الحملات ، بالضم : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

(٣) كذا فى ب، ج ؛ وفى الأغانى : «منتدون » ، وفى الحاشية : «انتدى القوم: اجتمعوا وحفير : موضع بالحيرة .

الّذى يذكرُه عدىّ بنُ زيدٍ[1] فى شعرِه ، فانفرد فى الصّيد ؛ فتباعَد عن أصحابه ، فلقيَه رجلٌ من بنى امرئ القيس الّذين كان لهم عند أبيه ثأْر ، فقال له ــ وقد عرَف فيه شبَه أيوب : ــ مِمّن الرّجُل ؟ قال : مِن بنى تَميم . قال : مِن أيِّهم قبيلة ؟ قال : مَرَئى[2] ، قال له الأعرابىّ : وأين منزلُك ؟ قال الحيرة ، قال : أمِن بنى أيُّوب ؟ قال : نعم ؛ ومن أينَ تعرف بنى أيّوب ؟ واستوحَشَ من الأعرابىّ ، وذَكَر الثّأْرالّذى هرب منه أبوه .

فقال له : سمعتُ بهم ، ولم يُعلِمْه أنّه قد عرفه ، فقال له ابنُ أيّوب : فمِن أىّ العرَب أنتَ؟ قال : من طيّء. فأمِنَه زَيْد ، وسكَت عنه .

ثم إنّ الأعرابىّ اغْتَفَلَ ابنَ أيّوبَ ؛ فرماه بسَهْم بين كتفَيه ، ففلَق قلبه ، فلم يَرِمْ[3] حافر دابّتِه حتّى مات .

فلبث أصحابُ زَيْد حتّى إذا كان اللّيلُ طلبوه ، وقد افتقدُوه ، وظنّوا أنّه قدأمْعَن فى طَلَب الصّيْد ، فباتوا يطلبُونه حتّى يَئِسوا منه ، ثم غدَوْا فى طَلبه فاقتصُّوا[4] أثَره حتى وقفُوا عليه ، ورأَوْامعه أثَر راكب آخرَ يُسايِره ، فاتّبعوا الأَثَر حتّى وجدوه قتيلًا ، فعرفوا أنّ صاحبَ الراحلة قتَله ، فاتّبعوه ، وجَدُّوا[5] فى السير فأدركوه فى مُمْسَى[6] اللّيلة الثانية ، فصاحوا به ــ وكان مِن أرْمَى النّاس ــ فامتنَع منهم بالنَّبْل حتّى حالَ اللّيلُ بينهمْ وبينَه ، وقد أصابَ رجلا منهم فى مَرْجِع[7] كتفَيْه بسَهْم ،

---

(١) كذا فى الأغانى ؛ وهو الصواب ، وفى ب ، ج : « زيد بن عدى » .

(٢) مرئى : منسوب إلى امرئ القيس .

(٣) لم يرم : لم يبرح .

(٤) كذا فى ب ، ج وفى الأغانى : « فاقتفوا » .

(٥) الأغانى : « وأغذوا السير » .

(٦) الممسى والمساء بمعنى .

(٧) مرجع كتفيه : أسفلهما .

فلمّا جَنّهمات وأفلتَ الأعرابيّ، فرجعوا، وقد قُتِل زيدُ بنُ أيّوبَ ورجلٌ آخر من بنى الحارث بنِ كعب، فمكث حمّاد فى أخواله حتّى أيفع، ولَحِق بالوُصفاء[1]، فخرج يوما من الأيّام يلعب مع غِلمانِ بنى لِحْيان، فلَطم اللِّحْيانىُّ عينَ حَمّاد فشجّه حمّاد. فخرج أبو اللحيانى فضَرَب حمّادًا، فأتى حمّادٌ أمّه يبكى، فقالت له: ما شأنك؟ فقال: ضَرَبنى فلان؛ لأنّ ابنه لَطَمنى فشجَجْتُه، [2]فخرجتْ من ذلك أمُّه وإخوتُه إلى دارِ زيدِ بنِ أيّوب[2]، وعلّمته الكتابةَ فى دارِ أبيه. فكان حمّادٌ أوّلَ من كتَبَ من بَنِى أيّوب، فخرج مِن أكتبِ الناس، وطُلِب حتّى صار كاتب المَلِكِ النُّعْمان الأكبر، فلَبِث كاتبا حتّى وُلِد له ابنٌ مِن امرأةٍ تزوّجها من طيّئ، فسمّاه زيدا باسم أبيه.

وكان لحمّادٍ صديقٌ من الدّهاقِين[3] العظماء، يقال له فَرّوخ ماهان، وكان مُحسِنا إلى حمّاد، فلما حضَرتْ حمّاداً الوَفاةُ، أوصَى بابنِه زيدٍ إلى الدِّهْقان وكان من المَرازِبَة[4]، فأخذَه الدِّهقان إليه، فكان عنده مع ولدِه، وكان زيدٌ قد حَذَق الكتابةَ بالعربيّة قبلَ أن يأخذَه الدِّهْقان، فعلّمه لمّا أخذَه الفارسيَّة، وكان لبيبا، فأشار الدِّهْقان على كِسْرى أن يجعَله على البَريدِ فى حوائجه، ولم يكن كِسْرى يفعَل ذلك إلّا بأولاد المَرازِبَة؛ فمكَث يتولّى ذلك لكسرى زمانا. ثم إنّ النّعمانَ اللَّخْمىَّ هَلَك، فاختَلَف أهلُ الحيرة فيمن يُملّكونه؛ إلى أن يَعقِد كِسْرى الأمرَ لرجلٍ ينصِّبه. فأشار عليهم المَرْزُبانُ بزَيْد بنِ حمّاد، فكان على الحيرة إلى أن مَلَّك كِسْرى المنذرَ بنَ ماءِ السَّماء.

---

(١) الوصفاء: جمع وصيف؛ وهو الغلام.

(٢ـ٢) الأغانى: «فجزعت من ذلك وحولته إلى دار زيد بن أيوب».

(٣) الدهاقين: جمع دهقان؛ وهو التاجر؛ فارسى معرب.

(٤) المرازبة: جمع مرزبان؛ وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك عند الفرس.

ونَكَح زيدُ بنُ حمّاد نعمةَ بنتَ ثعلبةَ العَدَويّة ، فولدت له عَدِيًّا ؛ وملك المنذرُ فكان لا يَعصِيه فى شىء ، ووُلِد للمَرْزُبان ٱبنٌ فسمّاه « شاهان مَرْد » . فلمّا تحرّك عدىُّ بنُ زيد وأَيْفع ، طرَحه أبوه فى الكُتّاب حتى إذا حَذَق أَرسَله المَرْزُبان مع ٱبنِه « شاهان مَرْد » ، إلى كُتَّابِ الفارسيّة ، فتعلّم الكتابةَ والكلامَ بالفارسيّة ، حتى خرج من أفهَم الناس وأفصَحِهم بالعربيّة . وقال الشِّعر ، وتعلَّم الرَّمْىَ بالنُّشّاب ، فخرج بالأساوِرة[1] الرُّماة ، وتعلَّمَ لِعْبَ العَجَم على الخَيْل بالصَّوالِجة[2] وغيرها .

ثم إنّ المَرْزُبانَ وفَدَ على كسرى ومعه ٱبنُه « شاهان مَرْد » ، فبينما هما واقِفان بين يديه ، إذْ سَقَط طائران على السُّور ، فتطاعَما كما يَتَطاعم الذكَر والأُنثى ، فجعل كلٌّ واحدٍ منهما مِنْقارَه فى مِنْقار الآخَر . فغَضِب كِسْرى من ذلك ولحِقَتْه غَيْرة . فقال للمَرْزُبان وٱبنِه : لِيَرْمِ كلٌّ واحدٍ منكما واحدا من هذين الطائرَين ؛ فإنْ قتلتُماهما أدخلتُكما بيتَ المال ، وملأتُ أفواهَكما بالجَوْهر ، ومَن أخطأ منكما عاقبتُه . فاعتَمد كلُّ واحد منهما طائرا منهما ، ورَمَيا فقتَلاهما جميعا ، فبعَثَ بهما إلى بيت المال ، فمُلِئتْ أفواهُهما جَوْهرا وأثبَت « شاهان مَرْد » وسائرَ أولاد المَرازِبة فى صَحابَتِه .

فقال فرّوخ ما هان عند ذلك للمَلِك : إنّ عندى غلاماً من العَرب مات أبوه وخَلَّفه فى حِجْرى ، فربَّيْتُه ، وهو أفصَح الناس كلّهم ، وأكتَبُهم بالعربيّة والفارسيّة ، والمَلِك محتاجٌ إلى مِثله ، فإنْ رَأى أن يُثبِتَه فى وَلَدى فَعَل .

فقال : ٱدْعُه ، فأرسَل إلى عَدِىّ بنِ زَيْد ، وكان جميلَ الوجه ، فائقَ الحُسْن — وكانت الفُرْسُ تتبرّك بالجميلِ الوجه — فلمّا كلّمه وجدَه أظرَفَ الناس وأحضَرَهم جوابا ، فرغِب فيه فأثبتَه مع وَلَد المَرْزُبان .

---

(١) الأساورة : جمع أسوار ؛ وهو الجيد الرمى بالسهام .

(٢) الصوالجة : جمع صولجان ؛ وهو عصا يعطف طرفها ؛ يضرب بها الكرة .

فكان عديٌّ أوّلَ مَن كَتَب بالعربيّة فى ديوانِ كسرى ، فرَغب أهل الحِيرة فى عَدِىّ ورَهِبوه ، فلم يَزَل بالمَدائن فى ديوان كِسْرى يؤذَن له عليه فى الخاصّة ، وهو معجَبٌ به ، قريبٌ منه .

وأبوه زيدُ بنُ حمّاد يومئذٍ حَىّ ، إلّا أنّ ذِكْرَ عَدِىٍّ قد ارتفع ، وخمَل ذِكْرُ أبيه ، فكان عَدِىٌّ إذا دَخَل على المُنذِر قام جميعُ مَنْ عِنْده حتّى يَقعُدَ عَدِىّ . فعَلَا له بذلك صِيتٌ عظيم . فكان إذا أرادَ المُقامَ بالحِيرة فى مَنزِله مع أبيه وأهلِه ، استأذَنَ كِسْرَى ، وأقامَ فيهم الشَّهْرَ والشَّهْرَيْن وأكثَر وأقَلّ .

ثم إنّ كِسرَى أرسَل عديَّ بنَ زَيْد إلى مَلِك الرُّوم بهَدِيّةٍ من طُرَف ما عِنْده، فلمّا أتاه عديٌّ بها أكرَمَه وحمَله على البَريد إلى عُمّاله ليُرِيَه سعةَ أَرْضه ، وعَظِيمَ مُلْكِه ، وكذلك كانوا يَصْنَعون ، فمِن ثَمَّ وَقَع عَدِىٌّ بدِمَشْق ، وقال فيها الشِّعْر ، وكان ممّا قاله فى الشأم ، وهو أوّلُ شِعرٍ قاله :

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجِزْعِ مِن دُو ... مَةَ أَشهىَ إلىَّ من جَيْرُونِ (١)

ونَدامَى لا يَفرَحون بما نا ... لُوا ولا يتّقُون صَوْلَ المَنُونِ (٢)

قد سُقِيتُ الشَّمُولَ فى دارِ بِشْرٍ ... قَهْوَةً مُزَّةً بماءِ سَخِينِ

قال : وفَسَد أمرُ الحِيرة وعدىّ بدمشقَ حتّى أصلَح أبوهُ بينهم ؛ وذلك لأنّ [أهْلَ] (٣) الحِيرة حين كان عليهم المُنذِر أرادوا قَتْلَه ؛ لأنّه كان لا يَعدِل فيهم ، وكان يأخذ مِن أموالِهم ما يُعجِبه ، فلمّا تيقّن أنّ أهلَ الحِيرة قد أجمَعوا على قتْلِه ، بَعثَ إلى زيدِ بنِ حمّاد بن زيد بن أيّوب ، وكان قبلَه على الحِيرة . فقال له : يا زيد ،

---

(١) جيرون : بناء عند باب دمشق ، وهو سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها . معجم البلدان .

(٢) الأغانى : « ولا يرهبون صرف المنون » .

(٣) من الأغانى .

أنت خليفةُ أبى ، وقد بلغنى : ما اجتمع عليه أهلُ الحِيرة ، فلا حاجة لى فى مُلْككم دُونكموه، فملّكوه مَن شئتم.

فقال زيد : إنّ الأمر ليس إلىّ ، ولكنى أَسْبُرُ لك هذا الأمر ، ولا آلوك نُصْحا ، فلمّا أصبح غدَا إليه الناس ، فحيَّوْه تحيّةَ الملوك ، وقالوا له : أَلَا تبعثُ إلى الظالم عَبْدِكَ ـ يعنُون المُنذِر ـ فتريحَ منه رعيّتَك !

قال : أَوَ لا خيرٌ مِن ذلك ! قالوا له : أَشِرْ علينا ، قال : تدَعونه على حاله ، فإنّه من أهل بيتِ مُلْك ، وأنا آتِيه فأُخبِرُه أنّ أهلَ الحِيرة قد اُختاروا رَجُلا يكون أمرُ الحِيرة إليه ، إلّا أن يكون غَزْوٌ أو قِتال . فلَكَ اُسمُ المُلْك ، وليس إليكَ سِوَى ذلك من الأُمور . قالوا : رأْيك أفضَل .

فأتى المنذرَ فأخبَرَه بما قالوا ، فَقَبِل ذلك وفَرِح وقال : يا زَيْد ، علىَّ نعمة لا أكفُرُها ما عرفتُ حَقَّ سَيِد ـ وسَيِّد صَنَم كان لأهل الحِيرَة ـ فولّى أهلُ الحِيرة زَيْدا على كلّ شىء سوى اُسم المُلْك ، فإنّهم أقرّوه للمُنْذِر وفى ذلك يقول عَدِىّ :

نحنُ كُنّا قد عَلِمْتُم قبلَكُمْ   عَمَدَا البَيْت وأَوْتَادَ الإصارِ[1]

ثم هَلَك زيدٌ وابنُه عدِى يومئذٍ بالشأم ، وكان لزَيدٍ أَلْف ناقةٍ للحَمالات[2] كان أهلُ الحِيرة أعطوْه إيّاها حين وَلَّوْه ما وَلّوْه ، فلمّا هَلَك أرادوا أخْذَها ، فبلغ ذلك المنذرَ فقال : لا ، واللّات والعُزّى لا يُؤخَذ ممّا كان فى يَدِ زيد ثُفْروق[3] ، وأنا أسمع الصوتَ . ففى ذلك يقول عَدِىُّ بنُ زَيْد لابنه النعمان بنِ المُنذِر :

وأَبُوكَ المَرْءُ لَم يَشْقَ له   يومَ سِيمَ الخسفَ قُمْنا بخَسارِ[4]

(١) الإصار : الطنب ؛ وهو حبل الخباء والسرادق ونحوهما .

(٢) الحمالات : جمع حمالة بالفتح ، وهى الدية والغرامة التى يحملها قوم عن قوم .

(٣) الثفروق : علاقة ما بين النواة والقمع من التمرة .

(٤) كذا فى ب ، ج ، ورواية البيت فى الأغانى :

وأبوكَ المرءُ لم يُشْنأْ لَهُ   يوم سِيمَ الخسفَ قمنا بخسارِ

قال: ثم إنّ عَدِيًّا قَدِم المدائنَ على كِسرَى بهديّة قَيْصَر، فصادف أباه والمَرْزُبانَ الّذى ربّاه قد هلكا جميعا، فاستأذَن على كسرى فى الإلمام بالحِيرة، فأَذِن له، فتوجّه إليها، وبلَغ المنذرَ خبرُه، فخرج فتلقّاه فى الناس ورجع معه؛ وعدىٌّ أنبلُ أهلِ الحِيرة فى أنفسهم، ولو أراد أن يملّكوه لملّكوه؛ ولكنّه كان يُؤْثِر الصَّيْد واللَّهوَ واللَّعِب على المُلْك، فمكث سنين يَبْدو[1] فى فصْلَى السَّنَة، فيصيف[2] بالبَرّ ويَشْتو بالحِيرة، ويأتى المدائنَ فى خلال ذلك فيخدمُ كِسرَى.

وكان لا يؤْثِر على بلادِ بنى يَرْبُوع شيئاً[3] من بوادِى العَرَب؛ ولا ينزِل فى حىٍّ من أحياءِ بنى تَمِيم غيرِهم. وكان أخلّاؤه من العَرَب كلّهم بنى جعفر، وكانت إبلُه فى بنى ضَبّة، وبلاد بنى سَعْد، وكذلك كان أبوه يفعَل، لا يجاوز هذين الحيين بإبله، ولم يزَل على حاله تلك حتّى تزوّج هنداً بنتَ النُّعمان بنِ المنذر، وهى يومئذ جاريةٌ حين بلغتْ أو كادت.

وخبرُ تزْويجها يُذكر فيما بعدُ.

وكان لعَدِىٍّ بنِ زيدٍ أخوان: أحدُهما اسمُه عمّار، ولقبُه [أُبَىّ، والآخر اسمُه عمرو ولقبُه سُمَىّ، وكان لهم أخٌ من أمّهم يقال له عَدِىُّ بنُ حَنْظَلة، وكان أُبَىٌّ يكون عند][4] كسرى، وكانوا أهلَ بيتٍ نصارى يكونون مع الأكاسرة، ولهم معهم أُكُلٌ[5] وناحية، يُقطِعونهم القطائع، ويُجْمِلون[6] صِلاتهم.

---

(١) يبدو، أى يخرج إلى البادية.

(٢) الأغانى: «فيقيم فى جفير».

(٣) الأغانى: «مبدى من مبادى العرب».

(٤) تكملة من الأغانى.

(٥) الأكل، بالضم: الرزق.

(٦) الأغانى: «ويجزلون».

وكان المُنذرُ لما مَلَكَ جعلَ ابنَه النّعمان فى حِجْرعَدِيّ بن زيد،فهمالّذين أرضَعوه وربَّوْه .

وكان للمنـــذر ابنٌ آخَر يقال له : الأسودُ بنُ ماريةَ بنت الحارث بن جُلْهُم مِن تَيْم الرِّباب ، فأرضَعَه ورَبّاه قومٌ من أهل الحِيرة يقال لهم : بنو مَرِينا[1] ، يُنسَبون إلى لَخْم ، وكانوا أشرافا .

وكان المنذر سِوَى هذين من الوَلَد عشَرة ، وكان ولدُه يقال لهم : الأشاهِب[2] من جَمالهم ، فذلك قولُ أَعشَى بنى قيس بن ثعلبة :

وَبنُو المُنذِرِ الأَشاهبُ بالحِيـ ... رَةِ يَمْشُون غُدْوةً كالسُّيوفِ[3]

وكان النّعمان من بينهم أحمرَ أبرَشَ[4] . وكان قصيرا ، وأمُّه سَلمَى بنتُ وائل ابن عَطيّةَ من أهل فَدَكَ[5] .

فلمّا احتُضِر المُنذِر وخلّف ولدَه هؤلاء العَشَرة ــ وقيل بل كانوا ثلاثةَ عشرَ ــ أَوصَى بهم إلى إياسِ بنِ قَبيصةَ الطائىّ ومَلّكه على الحِيرة إلى أن يَرَى كِسرى رأيَه، فمكث مُملَّكا عليها شهرا ، وكِسرَى فى طَلَب رجلٍ يملِّكه عليها، وهو كِسرى ابن هُرْمز ، فلم يجد أحداً يَرْضاه ، فضَجِر وقال : لأبْعَثَنَّ إلى الحِيرة اثنَىْ عَشَر ألفا

---

(١) بنو مرينا قوم من أهل الحيرة من قبائل العباد ؛ ذكرهم امرؤ القيس فى شعره فقال :

فلو فى يوم معركة أصيبوا ... ولكن فى ديار بنى مَرِينَا

(٢) الشهبة فى الأصل: بياض يخالطه السواد ؛ وقد يطلق على مطلق البياض ؛ كما قالوا : سنة شهباء لكثرة الثلج ؛ وفى القاموس ؛ « والأشاهب بنو المنذر لجمالهم » ، وفى تاج العروس : « سموا بذلك لبياض وجوههم » .

(٣) الأغانى : « فى الحيرة» .

(٤) الأبرش : «الأرقط ؛ وهوالذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان » .

(٥) فدك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان .

من الأَساوِرة ، ولأمَلِّكنَّ عليهم رجلا من الفُرْس ، ولآمرنّهم أن يَنزِلوا على العَرَب فى دُورِهم ، ويَملِكوا عليهم أموالَهم ونساءَهم .

وكان عدىُّ بنُ زَيد واقفا بين يديه ، فأقبلَ عليه وقال : وَيْحك يا عَدِىّ ! مَن بَقِىَ من آل المنذر ! وهل فيهم أحدٌ فيه خَيْر ؟ قال : نَعَم أيّها الملك السّعيد ! إنّ فى وَلَد المُنذِر لبقيّةً ، وفيهم كلٌّ خير .

قال: اِبعثْ إليهم. فبَعَث عدىّ إليهم فأحضرَهم ، وأنزَلهم جميعا عندَه .

ويقال : بل شَخَص عدىُّ بنُ زَيد إلى الحِيرة حتى خاطبهم بما أرادوا(١) ، وأوصاهم ، ثم قَدِم بهم على كسرى .

قال : فلمّا نزلوا على عدىّ بن زيد أرسَل إلى النّعمان : لستُ أُمَلِّكُ غيرَكَ ، فلا يُوحشنّك ما أُفضِّل به إخوتَك عليك من الكرامة ، فإنّى إنما أغْترُّهم بذلك . ثم كان يفضِّل إخوتَه جميعا عليه فى النُّزُل والإكرام والمُلازَمة ، ويريهم تَنقُّصا للنعمان ، وأنّه غيرُ طامع فى تمام أمرٍ على يده . وجَعَل يخلُو بهم رَجُلا رَجُلا ، فيقول : إذا دخلتمْ على المَلِك فالبَسوا أفخرَ ثِيابكم وأجملَها ، وإذا دعاكم إلى الطَّعام لتأكلوا فتباطَئُوا فى الأَكل، وصَغِّروا اللُّقَم ، ونَزِّرُوا ماتأكلون . فإذا قال لكم : أَتكفوننِي أمرَ العربِ؟ فقولوا : نَعَم . فإذا قال لكم: فإن شَذَّ أحدُكم عن الطاعة ، أو أفسَد ، أتكْفُونِيه ؟ فقولوا : لا ؛ لأنّ بعضَنا لا يَقدِر على بعض ، لِيَهابَكم ، ولا يَطمَعَ فى تفرُّقكم ، ويَعلمَ أنّ للعرَب مَنَعةً وبأسا . فقَبِلوا منه .

وخَلاَ بالنعمان فقال له : اِلبَسْ ثيابَ السَّفَر وادخُل متقلِّدا سَيْفَك، وإذا جلستَ للأَكل فعظِّم اللُّقَم ، وأسرِع المَضْغ والبَلْعَ ، وزِدْ فى الأكل وتجوَّع قبلَ ذلك ؛ فإنّ كسرى يُعجِبه كثرةُ الأكل من العرَب خاصّة ويَرَى أنه لا خيرَ فى العربىّ

---

(١) الأغانى : « بما أراد » .

إذا لم يكن أَكولًا شَرِهًا ؛ ولا سيَّما إذا رأى [غيرَ](١) طعامِه وما لا عهدَ له بمثله؛ فإذا سألك : هل تكفيني العرَب ؟ فقل : نعَم ، وإذا قال لك : فمَن لى بإخوتك ؟ فقل له : فإن عجزتُ عنهم ؛ فإنّى عن غيرهم أعجز .

قال : وخلاَ ابنُ مرِينا بالأَسْوَد ، فسأله عمّا أوصاه به عدىّ ، فأخبرَه فقال : غَشّك والصليبِ والمعمودِيّة، وما نَصَحك ؛ ولئن أطَعْتَنى لتخالِفَنّ كلّ ما أمرَك به، ولتملِكن ، ولئن عصيتَنى ليملِكَنّ النُّعمانُ، فلا يَغرّنّك ما أوْلاكَه(٢) من الإكرام والتفضُّل على النّعمان ؛ فإنّ ذلك دَهاءٌ ومَكْر ، وإن هذه المَعَدّيّة لا تخلو من مكر وحيلة .

فقال له : إنّ عَدِيًّا لم يألُنِى نُصْحا ، وهو أعلم بكسْرَى منك ، وإن خالفتُه أوحشتُه ، فأفسَدَ علىّ ، وهو جاء بنا ووَصَفنا ، وإلى قوله يرجع كسرى . فلمّا يَئِس ابنُ مرِينا من قبوله منه ، قال له : ستعلَم .

ودعا بهم كسرى ، فلمّا دخلوا عليه أعجَبَه جمالُهم وكمالُهم ، ورأى رجالا قلّ ما رَأَى مِثْلَهم ، فدعا لهم بالطّعام ، ففعلوا ما أَمرَهم عدى، فجعل يَنظُر إلى النُّعمان من بينهم ويتأمّل أَكْلَه .

فقال لعدِىّ بالفارسيّة : إن يكن فى أحدهم [خيرٌ](٣) ففى هذا . فغَسلوا أيديَهم وجعل يدعو بهم رَجُلا رجلا ، فيقول : أتكفيني العرَب ؟ فيقول : نعم أكفيكَها كلَّها إلّا إخوَتى ، حتى أنتهَى إلى النّعمان آخرَهم .

قال : أتكفيني أمرَ العرَب ؟ قال : نعم ، قال: فكيف لى بإخوَتك ؟ قال :

---

(١) تكملة من الأغانى .
(٢) الأغانى : « ما أراكه » .
(٣) من الأغانى .

إن عجزتُ عنهم فأنا عن غيرِهم أعجز . فملّكه وخَلَع عليه وألبَسَه تاجاً قيمتُه ستّون ألفَ دِرْهم ، فيه اللّؤلؤ والجوْهر ، والياقوت والزَّبرْجَد .

فلمّا خرج ـ وقد مُلّك ـ قال ابنُ مَرِينَا للأسود : دونَك عُقبَى خلافِك لى !

ثم إنّ عَدِيًّا صنع طعاما فى بِيعةٍ ، وأرسَلَ إلى ابن مَرِينَا أن ائتنى فيمن أحببْتَ ، فإنّ لى حاجة ، فأتاه فى ناسٍ ، فتغدَّوْا فى البِيعَة فقال عدىّ بنُ زيد لابن مَرِينَا : إنّ أحقَّ من عرفَ الحقَّ ولم يَلُمْ عليه [من كان](١) مِثلَك ، وإنّى قد عرفتَ أنّ صاحبك الأسوَد بن المنذر كان أحبَّ إليك أن يملَّكَ من صاحبِى النّعمان ، فلا تَلُمنى على شىء كنتَ على مِثله ، وأنا أُحِبُّ ألّا تحقِد علىّ شيئا لو قدرتَ عليه ركبتَه ، وأنّا أحبُّ أن تعطِيَنى من نفسِك ما أعطيتُك من نفسى ، فإنّ نصيبى من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبِك .

وقام إلى البِيعة ، فحَلَف ألّا يَهجوه أبداً ، ولا يَبْغيه غائلة ، ولا يَزْوِى عنه خيْراً أبداً .

فلمّا فرَغ عدىُّ بنُ زَيْد ، قام ابنُ مَرِينا فحَلَف مثل يمينه ألّا يزالَ يَهجُوه أبدا ، ويَبْغيه الغوائل ما بقىَ .

وخَرجَ النّعمانُ حتّى نزَل منزلَ أبيه بالحِيرة ، فقال عدىّ بنُ مَرِينَا لعَدِىّ ابنِ زَيْد :

ألا أبلِغْ عَدِيًّا عن عَــدِىٍّ ... ولا تجزَعْ وإن رَثّتْ قُواكَا(٢)

هيا كلَنا تــبرُّ لغير فقْرٍ ... لتُحْمَدَ أو يَتمَّ بــه غِناكَا(٣)

---

(١) من الأغانى .

(٢) رثت : ضعفت .

(٣) ب ، ج : « عناكا » ، والصواب ما فى الأغانى .

فانْ تَظفَر فـلَم تَظفَر حَميدا وإنْ تَعطَبْ فلا يَبعُدْ سِواكا
ندِمْتَ نَدامـةَ الـكُسَعِيِّ لمّا رأتْ عيناكَ ما صَنعتْ يداكا(١)

ثم قال عَدِىّ بنُ مَرِينا للأسود : إذا لم تَظفَر فلا تَعجِزنّ أن تَطْلُبَ بثأرك من هذا المعدّىّ الّذى فَعَل بك ما فَعَل ، فقد كنتُ أخبرتُك أن مَعدًّا لا يَنام كَيدُها ، وأمرتُك أن تعصِيَه فخالفتَنى .

قال : فما تُريد؟ قال : أريد ألّا تأتيَك فائدةٌ من مالِكَ وأرضِكَ إلّا عرضتَها علىّ ، ففعلَ .

وكان ابن مَرِينا كثيرَ المال والضَّيْعة ، فلم يكن فى الدّهر يومٌ يأتى إلّا وعلى بابِ النُّعمان هَديّة من ابن مَرِينا ، فصار من أكرمِ النّاس عليه ؛ حتى كان لا يَقضِى فى مُلكِه شيئا إلّا بأمر ابن مَرِينا .

وكان إذا ذُكِر عدىُّ بنُ زيد عند النّعمان أحسنَ الثّناء عليه ، وشَيَّعَ(٢) ذلك بأن يقول : عَدِىّ بنُ زَيد فيه مَكْر وخديعة ، والمَعَدّىّ لا يَصلُح إلّا هكذا . فلمّا رأى من يُطِيف بالنعمان منزلةَ ابن مَرِينا عنده أكرموه وبايَعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتمُونى أذكر عَدِيًّا عند المَلِك بخير فقولوا : إنّه كذلك ؛ ولـكنّه لا يَسلَم عليه أحَد ، وإنّه ليقول : إنّ المَلِكَ ـ يعنى النّعمان ـ عامِلُه ، وإنّه هو ولّاه ، فلم يزالوا كذلك حتّى اضطَغَنوه(٣) عليه ، وكتبوا كتابا على لسانه إلى قَهْرَمان(٤) له . ثم دَسُّوا إليه حتّى أخذوا الكتابَ منه ، وأتَوْا به النعمانَ ، فقرأه

(١) الـكسعى : رجل من كسع ؛ حىّ فى قيس ، رمى فى الليل عيرا فأصابه ، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، فلما أصبح وجد العير مقتولا وسهمه فيه ، فندم وكسر قوسه؛ فضرب المثل به فى الندم ، فى خبر مشهور فى كتب الأمثال .

(٢) شيع ذلك : أتبع .

(٣) الأغانى : « أضغنوه » .

(٤) القهرمان : أمين الملك .

فاشتدّ غضبُه ، وأرسَل إلى عديّ بنِ زيد : عزمتُ عليكَ إلّا زُرْتَنى ؛ فإنّى قد أشتقتُ إلى رؤيَتِك ، وعديٌّ يومئذٍ عند كِسرَى .

فاستأذَنَ كِسرَى ، فأَذِن له ، فلمّا أتاه لم ينظُر إليه حتى حُبِس فى مَحْبِسٍ لا يدْخُل عليه فيه أَحَدٌ ، فجعَل عديٌّ يقول الشِّعرَ فى السِّجن ، فأوّل قولِه :

لَيتَ شِعْرِى عن الهُمامِ ويأتيـ ـكَ بخُبْرِ الأَنْباءِ عَطْفُ السُّؤالِ (١)
أيْنَ عَنّا إخْطارُنا المالَ والأَنْـ ـفُسَ إذ ناهَدُوا ليَوْمِ المِحَالِ (٢)
ونِضالِى فى جَنْبِكَ الناسَ يَرْمُو نَ وأَرمِى وكلُّنا غيرُ آلِ (٣)
فأُصيبُ الّذى تُرِيد بلا غِشٍّ وأُرْبى عليهمُ وأُوالى (٤)
ليتَ أنِّى أخذْتُ حَتْفِى بكفِّـ ـىَّ ولَم أَلْقَ مِيتةَ الأَقْتَالِ (٥)
مَحَلُوا مَحْلَهمْ لصَرْعَتِنا العا مَ فقد أَوقَعُوا الرَّحَى بالثِّفالِ (٦)

وقال من قصيدة :

أَلا مَن مُبْلِغُ النُّعمانَ عَنِّى وقد تُهدَى النَّصِيحةُ بالمَغيبِ
أَحَظِّى كان سِلْسلةً وغُلاًّ وقَيْداً والبيانُ لَدَى الطَّبيبِ
أَتاكَ بأنَّنى قد طالَ حَبْسى فلا تَسأَمْ لَمحْزُونٍ حَرِيبِ (٧)
وبَيْتِى مُقْفِرٌ إلّا نِساءً أَراملَ قد هَلَكْنَ منَ النَّحيبِ

---

(١) ب ، ج : « بعطف الأنباء » ، والصواب ما أثبته من الأغانى .

(٢) إخطار المال والأنفس : بذلهما وجعلهما خطرا .

(٣) غير آلى : غير مقصر .

(٤) أربى : أزيد .

(٥) الأقتال : جمع قتل ، وهو العدو .

(٦) يقال : محل فلان بصاحبه ، إذا سعى به إلى السلطان . والثفال : الجلد الذى يبسط تحت رحا اليد ليقى الطحين من التراب .

(٧) الأغانى : « ولم تسأم بمسجون حريب » ، والحريب : الذى سلب ماله وعقاره .

يُبادِرْنَ الدُّموعَ على عَدِىٍّ ... كشَنٍّ خانَه خَرْزُ الرَّبيبِ (١)
يحاذِرْن الوُشاةَ علي عَدِىٍّ ... وما اقترَفوا عليه من الذُّنوب
فإنْ أخطأتُ أو أوهمْتُ أمْراً ... فقد يَهِمُ المُصافِى بالحبيبِ
وإنْ أَظْلِمْ فقد عاقبْتمُونى ... وإن أُظلَمْ فذلك من نصيبى
وإنْ أَهْلِكْ تَجِدْ فَقْدِى وتُخذَلْ ... إذا التقت العَوالى فى الحرُوبِ
فهل لكَ أن تَدارَكَ ما لَدَيْنا ... ولا تُغْلَبَ على الرأى المُصيب
فإنِّى قد وَكَلْتُ اليومَ أمرِى ... إلى ربٍّ قريبٍ مستجيبِ

فى قصائدَ كثيرة كان يقولها فيه ، ويكتبُ بها إليه، فلا تُغْنِى عنه عندَه شيئا .

خرج النُّعمانُ إلى البَحْرين ، فأقبَل رجلٌ من غَسّانَ ، فأصابَ فى الحيرة ما أَحبّ ــ ويقال : إنه جَفْنةُ بن النُّعمان الجَفْنِى ــ فقال عَدِىٌّ فى ذلك من أبيات :

سَمَا صَقرٌ فأشْمَلَ جانِبيْها ... وألهاكَ المروَّحُ والعَزِيبُ (٢)

فلمّا طال سجنُ عَدِىّ بن زَيْد ، كَتَب إلى أخيه، أُبَىّ ، وهو مع كسرى بهذا الشعر :

أَبلغْ أُبَيًّا على نَأْيِهِ ... فقد ينفعُ المرءَ ما قَدْ عَلِمْ (٣)
بأنّ أخاكَ شقيقَ الفُؤا ... دِ كنتَ به والِهاً ما سَلِمْ (٤)
لَدَى مَلِكٍ مُوثَقٌ بالحديـ ... ـدِ إمَّا بِحَقٍّ وإمّا ظُلِمْ
فلا أعرِفَنْكَ كذاتِ الغُلا ... مِ ما تَجِدْ عارِماً تَعْتَرِمْ (٥)
فأَرْضَكَ أَرْضَكَ إنْ تأْتِنا ... تَنَمْ نَوْمَةً ليس فيها حُلُمْ

(١) الشن : الآنية تصنع من الجلد ، والربيب ، من رب الأمر إذا أصلحه .
(٢) المروح : الإبل الذاهبة إلى أعطانها . والعزيب : ما ترك مراعيه .
(٣) الأغانى : « وهل ينفع » .
(٤) الأغانى : « واثقا » .
(٥) ذات الغلام : الأم المرضع . والعارم : الراضع ، يقال : عرم الصبى أمه عرما : رضعها

وكتب إلى أخيه أُبَىٍّ أبياتاً أيضا ، فلمّا قرأ أُبَىٌّ أبياتَ عَدِىٍّ قامَ إلى كِسرَى فكلَّمَه فى أمره ، وعرَّفَه خَبَرَه ، فكَتَبَ إلى النُعمان يأمُره بإطلاقِه ، وبَعثَ بالكتاب . وكتب خليفةُ النُّعمان إليه : إنه قد كُتبَ إليك فى أمرِه ، فأتاه أعداءُ عَدِىٍّ من بنى بُقَيْلة ، وهم مِن غَسّان ، فقالوا له : اقتلْه الساعةَ فأَبَى عليهم ، وجاء الرسولُ ، وقد كان أخو عَدِىٍّ تقدَّم إليه ورَشَاه وأَمَره أن يَبدأَ بعَدِىّ ، فيدخلَ عليه وهو محبوسٌ بالصِّنَّيْن(١) ، وقال له : ادخُلْ عليه فانظرْ ما يأمُرُك به فامتثِلْه ، فدخل الرسولُ على عَدِىّ ، فقال له : إنّى قد جئتُك بإرسالك ، فما عِندَك ؟ قال: عندى الّذى تُحِبّ ؛ ووعَدَه عِدةً سَنِيّة ، وقال له : لاتخرجَنّ من عندى وأعطِنى الكتابَ حتى أُرسِل به ؛ فإنّك والله إن خرجتَ من عندى لأُقتلَنّ .

فقال : لا أستطيع إلّا أن آتىَ المَلِك بالكتاب ، فأوصِلَه إليه، فانطلَق مَنْ كان هُناك من أعدائه ، فأخبَر النعمانَ أنّ رسولَ كِسرَى دخل على عَدِىّ ، وهو ذاهبٌ به ، وإن فعلَ واللهِ لم يَسْتَبْقِ منّا أحداً ، أنتَ ولا غيرك .

فبعث النُّعمان إليه أعداءَه ، فغمُّوه(٢) حتّى مات ثم دَفَنوه ، ودخل الرسولُ فأَوصَل الكتابَ إليه ، فقال : نَعَم وكَرامة ، وأمَرَ له بأربعة آلافِ مثقالٍ من الذّهب ، وجاريةٍ حَسْناء ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخُلْ أنتَ بنفسك فأَخْرِجْه .

فلمّا أَصبَح رَكِب فدخل السِّجن ، فأعلَمَه الحرسُ أنّه قد مات منذ أيّام ، ولم نَجْترِئْ على إخْبار المَلِك خوفاً منه ، وقد عرفْنا كراهتَه لموته .

فرجع إلى النُّعمان فقال : إنّى كنتُ أَمْسِ دخلتُ على عَدِىٍّ وهو حىّ ، وجئت اليومَ فجَحَدنى السَّجّان وبهَتَنى(٣) ، وذَكَر أنه قد مات منذُ أيّام .

---

(١) الصنين : بلد كان بظاهر الكوفة ، كان من منازل المنذر ، وبه نهر ومزارع (مراصد الاطلاع) .

(٢) غموه : غطوا وجهه بشىء ليختنق .

(٣) بهتنى : قال الكذب فى وجهه .

فقال له النّعمان: أيبعثُ بك المَلِكُ إليّ فتدخلَ عليه قَبْلى! كذبتَ؛ ولكنّك أردتَ الرِّشْوة والُخبثَ، وتهدّدَه، ثم زادَه جائزةً وأكرمه، وتوثّق منه ألّا يُخبِر كسرى، إلّا أنه قد مات قبلَ أن يقدمَ عليه.

فرجع الرسولُ إلى كِسرَى فقال: إنّى قد وجدتُ عَدِيًّا قد مات قبل أن أدخلَ عليه، ونَدِم النّعمان على قَتْل عَدِىّ، وعَلِم أنه قد أحتيل عليه، وأجترأ أعداؤه عليه، وهابَهم هَيبةً شديدة. ثم إنّه خرج إلى صَيْده ذاتَ يوم، فلقىَ أبناً لعَدِىّ يقال له: زيد، فلمّا رآه عرَف شَبَهَه، فقال له: مَن أنت؟ فقال: أنا زيدُ بنُ عَدِىّ بنِ زيد. فكلّمه، فإذا غلامٌ ظَريف، ففرِح به فَرحاً شديدا، وقرّبه، وأعطاه ووَصَله، وأعتذَرَ إليه من قَتْل أبيه، وجهّزَه[1].

ثم كتَب إلى كسرى: إنّ عَدِيًّا كان ممّن أُعِينَ به المَلِكُ فى نُصْحِه ولُبِّه، فأصابَه مالا بدّ منه، وأنقضتْ مدّته، وأنقطع[2] أكْلُه، ولم يُصَب به أحدٌ أشدّ من مُصيبتى.

وأمّا المَلِك فلم يكن ليَفقِدَ رَجُلا إلّا جعلَ اللهُ منه خَلَفا لِما عَظَّمَ اللهُ عزّ وجلّ فى مُلكِه وشأنِه، وقد بلغ أبنٌ له ليس بدونه رأيتُه يَصلُح لخدمة المَلِك، فسيّرْتُه[3] إليه، فإنْ رأَى المَلِك أن يجعلَه مكانَ أبيه فعَل، وليصرِفْ عمَّه عن ذلك إلى عملٍ آخر.

وكان هو الّذى يلى المكاتبَة عن المَلِك إلى مُلوك العَرَب، وفى أمورِها، وفى خواصّ المَلِك، وكانت له من العَرَب وظيفةٌ موظَّفةٌ فى كلّ سَنَة: مُهْرانِ أَشقَران يُجْعلان له هُلَاماً[4]، والكَمْأَةُ والأَقِطُ والأُدْمُ، وسائرُ تِجارات العَرَب.

---

(١) جهزه: أعد له معدات السفر.
(٢) الأغانى: «انقضى أجله».
(٣) الأغانى: «فسرحته».
(٤) الهلام: مرق السكباج المصفى من الدهن، والسكباج: لحم يطبخ بخل.

وكان زيدُ بنُ عَدِى يَلِى ذلك له ، وكان هذا عمل عَدِىّ ، فلمّا وَقَع زيدُ بنُ عدىٍ عند المَلِك هذا المَوْقِع ، سأله كِسرَى عن النّعمان ، فأَحسَن الثَّناء عليه ، ومَكَث على ذلك سَنَوات ، على الأمر الّذى كان أبوه عليه ، وأُعجِب به كِسرَى ، فكان يُكثِر الدخولَ عليه ، والخِدمةَ له ، وكان لمُلوك العَجَم صفةٌ من النّساء مكتوبةٌ عندهم ، فكانوا يَبعَثون فى تلك الأَرَضِيين بتلك الصِّفة ، فإذا وُجِدَتْ حُمِلتْ إلى المَلك ؛ غير أنّهم لم يكونوا يَطلبونها فى أرضِ العَرَب ، ولا يظنّونها عندهم ، ثم إنه بَدَا للمَلِك فى طَلَبِ تلك الصِّفة ، فأَمر ، فكُتِب بها إلى النَّواحى .

ودخل عليه زيدُ بنُ عَدِىّ وهو فى ذلك القَوْل ، فخاطَبَه فيما دَخَل فيه ، ثم قال : رأيتُ المَلِك كتَبَ فى نِسوةٍ يُطلَبْنَ لـه ، وقرأتُ الصِّفة ، وقد كنتُ بآل المنذر عارفا ، وعند عبدِك من بناتِه وأخواتِه وبناتِ عمِّه وأهلِه أكثرُ من عشرين امرأةً على هذه الصِّفة .

قال : فاكتبْ فيهنّ ، قال : أيّها المَلِك ، إن شيئاً فى العَرَب[1] وفى النُّعمان خاصّة أنّهم يتكبّرون[2] فى أَنفُسِهم على العَجَم ، فأنا أكره أَن يُغيِّبَهنّ عمّن تبعث إليه ، أو يَعرِض عليه غيرَهنّ ؛ وإن قدِمتُ أنا عليه لم يَقدِر على ذلك ، فابعَثْنى وابعثْ معى رجلا من ثِقاتِك يَعرِف[3] العربيّة حتى أبلغَ ما تحبّه ، فبعث معه رجلا جَلْدًا فهِماً .

فخرج به زيد ، فجعل يُكرِمُه ويُلطِفه حتّى بلغ الحِيرَة ، فلمّا دخل عليه أعظمَ المَلِكَ ، وقال : إنّه قد احتاج المَلِك إلى نِساء لنفسه وولدِه وأهلِ بيته ، وأراد كرامتَك بصِهْره .

---

(١) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « إن شر شىء فى العرب » .
(٢) فى الأغانى : « يتكرمون زعموا فى أنفسهم » .
(٣) فى الأغانى : « يفهم » .

فبعث إليك ، فقال : وما هؤلاء النِّسْوَة ؟ فقال : هذه صفاتُهُنّ قد جئنا بها ، وكانت الصِّفة أن المُنذِر الأكبرَ أهدَى إلى أنوشِرْوانَ جاريةً كان أصابَها إذْ أغارَ على الحارث الأكبر بن أبى شَمِر الغسّانىّ .

فكتب إلى أنُوشِرْوانَ يصفها له ، وقال : إنّى قد وَجَّهتُ إلى المَلِك جارية معتدلةَ الخَلْق ، نقيّةَ اللّون والثَّغرِ ، بيضاءَ قَمْراء ، وَطْفاء[1] كَحْلاء دَعْجاء[2] حوْراء ، عَيْناء قَنْواء[3] ، شَمّاءَ[4] بَرْجاء[5] ، زَجّاء[6] ، أَسِيلةَ الخدّ شَهِيّةَ المقبَّل ، جَثْلَةَ[7] الشَّعر ، عظيمة الهامة ، بعيدةَ مَهْوَى القُرْط ، عَيْطاء[8] عريضةَ الصَّدْر ، كاعبَ الثَّدْى ، ضخمةَ مُشاشِ المَنْكِب والعَضُد ، حسنةَ المِعْصَم ، لطيفةَ الكَفّ ، سَبْطة البَنان ، ضامرةَ البَطْن خَمِيصةَ الخَصْر ، غَرْثَى[9] الوِشاح ، رَداحَ[10] الأَقْبال ، رابِيَة الكَفَل ، لَفّاءَ[11] الفَخِذَين رَيّا الرَّوادِف ، ضخمة المأْكِمَتَيْن[12] ، مُفعمَةَ الساقين[13] ، مُشْبِعةَ[14] الخَلْخال ، لطيفةَ الكعب والقدَم ،

---

(١) الوطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين .

(٢) الدعج : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها .

(٣) قنواء ، وهو ارتفاع فى أعلى الأنف واحديداب فى وسطه وسبوغ فى طرفه .

(٤) الشمم فى الأنف : ارتفاع القصبة وحسنها .

(٥) البرجاء : الجميلة الحسنة الوجه .

(٦) الزجاء : الدقيقة الحاجبين فى طول .

(٧) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه .

(٨) العيطاء : الطويلة العنق .

(٩) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

(١٠) الرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والأقبال : ما استقبلك من مشرف والواحد قبل.

(١١) لفاء : ضخمة الفخذ مكتنزته .

(١٢) المأكمتان : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين ، الواحدة مأكمة .

(١٣) مفعمة الساقين : ممتلئتهما .

(١٤) مشبعة الخلخال ، كناية عن السمن ؛ وفى اللسان : امرأة شبعى الخلخال : ملأى سمنا .

قَطوفَ(١) المَشْى ، مِكْسالَ(٢) الضُّحَى ، بَضّةَ(٣) المتجرَّد ، سَمُوعاً للسيّد ، ليست بخَنْسَاء(٤) ولا سَفْعاء(٥) ، دقيقةَ(٦) الأَنْف ، عَزيزَةَ النَّفْس ، لم تُغَذَّ فى بُؤس ، حَيِيَّةً رَزِينة ، حَكِيمة ، رَكِينة ، كريمةَ الخال ، تَقْتَصِر على نَسَب أبيها دون فَصِيلتها ، وتستغْنى بفصيلتها دونَ جِماعِ قبيلتها ، قد أحكمتْها الأمورُ فى الأَدَب ، فرأيُها رأىُ أهلِ الشَّرَف ، وعمَلُها عملُ أهلِ الحاجة ، صَناعَ الكَفَّين ، قطيعةَ(٧) اللِّسان ، رَهْوَةَ(٨) الصَّوْت ساكِنَتَهُ تَزِينُ البيْت ، وتَشِين العَدُوّ إنْ أردتَها اشتَهتْ ، وإن تركتَها انتهتْ ، تُحَمْلِق(٩) عيْناها ، ويحمرُّ خَدّاها ، وتذَبْذَبُ شَفَتاها ، وتُبادِرُك الوَثْبةَ إذا قمتَ ، ولا تجلسُ إلّا بأمرك إذا جَلَست .

قال : فقبّلها أنو شِروَانَ ، وأمرَ بإثبات هذه الصِّفة فى دواوينه ، فلَمْ يزالوا يتوارَثُونها حتى أفْضَى ذلك إلى كِسرَى بن هُرْمُز .

فقرأ زيدٌ هذه الصِّفَة على النُّعمان ، فشَقّ عليه ، فقال لزَيْد والرسولُ يَسْمَع : أمَا فى مَها السَّوادِ وعِينِ فارس ما يبلُغ به كسرى حاجتَه !

فقال الرسول لزيد : ما المها والعِين ؟ فقال له بالفارسيّة : « كاوان » أى البَقر ، فأمسَك الرّسولُ .

---

(١) القطوف : وصف من القطاف ؛ وهو تقارب الخطو .

(٢) المكسال : المرأة التى لا تكاد تبرح مجلسها ؛ وهو مدح لها مثل نؤوم الضحى .

(٣) البضة : الناعمة .

(٤) الخنساء ، من الخنس ، بالتحريك ، وهو تأخر الرأس وارتفاعة عن الشفة .

(٥) السفعاء ، من السفع ، وهو السواد .

(٦) فى الأغانى : « رقيقة » .

(٧) كذا فى ب ، ج ، والأغانى . وفى القاموس : امرأة قطيع الكلام بغير هاء ، إذا لم تكن سليطة .

(٨) رهوة الصوت : سهلة .

(٩) المحملق من الأعين : ما حول مقلتيها بياض لم يخالطه سواد .

وقال زيدٌ للنعمان : إنما أراد المَلِك كرامتَك ، ولو عَلِم أنّ هذا يَشُقّ عليك لما كَتب إليك .

فأنزَلهما يومين عندَه ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ الذى طَلَب المَلِكُ ليس عندى . وقال لزيد : اعذرْنى .

فلمّا رَجَعا إلى كسرى قال زيدٌ للرسول الّذى قَدِم معه : أصْدُقِ المَلِكَ عمّا سمعتَ ، فإنى سأحدّثه بمثل حديثك ، ولا أخالفك فيه .

فلمّا دَخَلا على كسرى قال زيدٌ : هذا كتابُه ، فقرَأه عليه . فقال كسرى : وأين الّذى أخبرتَنى به ؟ قال : كنت أخبرتُك بِضَنَّتِهم بنسائهم على غيرِهم ؛ وإنّ ذلك من شقائهم ، واختيارهم الجوعَ والعُرْىَ على الشِّبَع والرِّياش وإيثارِهم السُّمُوم والرياح على طِيب أرضِكَ هذه ؛ حتى إنّهم ليسمّونها السِّجْن ؛ فاسأل الرسولَ الّذى كان معى عمّا قال ؛ فإنّى أُكرِمُ المَلِكَ عن مُشافهته بما قال وأجابَ به .

فقال للرسول : وما قال ؟ فقال : قال : أيّها المَلِك ، أما كان فى بقرالسَّوادِ وفارسَ ما يكفيه حتى يطلبَ ما عندنا !

فعُرِف الغضبُ فى وجهِه ، ووقع فى قلبه منه ما وَقَع ؛ لكنّه لم يَزِدْ على أن قال : رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هوَ أشدُّ مِن هذا ؛ ثم صار أمرُه إلى التَّباب(١) ، وشاع هذا الكلامُ حتّى بلغ النُّعْمان .

وسكتَ كِسرَى شهراً على ذلك ، وجعل النعمانُ يستعدّ ويتوقّعُ ، حتّى أتاه كتابُه ؛ أنْ أَقْبِلْ ، فإنّ للمَلِك إليك حاجةً فانطَلَقَ حين أتاه كتابُه ؛ فحمل سلاحه ، وما قَوِى عليه ، ثم لَحِق بجَبَلَىْ طَيّئ .

وكانت فَرْعَة بنتُ سعد بن حارثةَ عندَه ، وقد ولدتْ له رجلا وامرأة ، وكانت

---

(١) التباب : الخسران .

أيضا عنده زينبُ بنت أَوْس بن حارثة ، فأراد النُّعمانُ طيِّئاً على أن يُدْخلوه الجَبَلَيْن ويَمنَعوه ، فأَبَوْا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صِهْرُك لَقَتَلْناك ؛ فإنّه لا حاجةَ لنا في مُعاداةِ كِسْرَى ، ولا طاقةَ لنا به .

فأقبَل يطوف على قبائل العَرَب ، ليس أحدٌ منهم يَقبَله ، غير أنّ بني رَواحةَ ابن ربيعة [بن قطيعة][1] بن عبس قالوا : إن شئتَ قاتلْنا معك ، لِمنّةٍ كانت له عندهم في أمرِ مَرْوان[2] القَرَظ .

فقال : ما أُحبّ أن أُهلِكَكُم ؛ فإنّه لا طاقةَ لكم بِكِسْرَى ، فأَقبَل حتى نزل بِذي قار[3] في بني شَيْبانَ سِرّا ، فلَقِي هانئَ بنَ قَبيصة .

وقيل : بل هانئ بن مسعود بن عامر بن أبي ربيعةَ من ذُهل بن شَيْبان ، وكان سيّدا مَنيعا ، والبيتُ يومئذ من ربيعةَ في آلِ ذي الجَدَّيْن لقَيْس بنِ مسعود بن قيس ابن خالد ذي الجَدَّين .

وكان كِسرَى قد أطعَم قيسَ بنَ مسعود الأُبُلّةَ[4] ، فكَرِه النعمانُ أن يَدفع إليه أهلَه لذلك ، وعلِم أنّ هانئاً يمنعه ممّا يمنع نفسَه .

وقال حمّاد الرّاويةُ في خبره : إنه لمّا استجار بهانئ كما استجار بغيره فأجارَه ، وقال له : لقد لزِمَني ذِمامُك ، وإنّي مانِعُك ممّا أَمنَع منه نفسي وأهلِي ووَلَدي ما بَقِي مِن عشيرتي الأَدْنَيْن رجلٌ ! وإنّ ذلك غيرُ نافِعك ، لأنه مُهلِكِي

---

(١) من الأغاني .

(٢) هو مروان بن زنباع العبسي ، أضيف إلى القرظ ؛ لأنه كان يغزو اليمن ، وبها منبته ، أو لأنه كان يحمي القرظ لعزته ؛ ويضرب به المثل في العزة فيقال : أعز من مروان القرظ .

(٣) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة ؛ فيه الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس .

(٤) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل منه إلى البصرة .

ومُهلِكُك ، وعندى رأىٌ لستُ أشيرُ به لأدْفعك عمّا تريدُه مِن مجاوَرتى ولكنه الصّواب .

فقال هاتِه، [فقال : إن][1] كل أمرٍ يَجمُل بالرّجل أن يكونَ عليه إلا المُلْك ، وأن يكون بعْدَ المُلْكِ سُوقة ، والموتُ نازلٌ بكلّ أحد ، فلأَن تموت كريماً خيرٌ من أن تتجرّع الذّلّ أو تبقى [سُوقةً][1] بعد المُلْكِ، هذا إن بَقِيتَ . فامضِ إلى صاحبِك، واحمِل إليه هدايا ومالاً ، وألقِ نفسكَ بين يديه؛ فإمّا أن يَصفح عنك فعُدتَ مَلِكا عزيزا، وأما إن أصابَكَ فالموتُ خيرٌ من أن تتلاعَبَ بك صَعاليكُ العرَب ، وتتخطّفك ذِئابُها ، وتأكلَ مالَك ، وتعيشَ فقيرا ، أو تُقتَل مقهورا .

قال: وكيف بحُرَمِى ؟ قال : هنّ فى ذِمّتى لا يُخلَص إليهن حتّى يُخلَصَ إلى بناتى ، قال : هذا وأبيكَ الرأىُ الصّحيحُ، ولن أتجاوَزَه . ثمّ اختارَ خَيْلا وحُلَلا من عَصْب[2] اليَمن ، وجَوْهراً وطُرَفا كانت عندَه ، ووجّه بها إلى كِسْرَى، وكتَبَ إليه يعتذِر ويعلِمُه أنّه صائر إليه ، ووجّه بها مع رسول . فقَبِلها كِسرَى ، وأمَرَه بالقُدومِ عليه .

فعاد الرسول إليه ، وأخبَرَه بذلك ، وأنّه لم يَرَ له عند كسرى سُوءاً .

فمضى إليه حتّى إذا وَصَل إلى المَلِك[3] لقيَه زيدُ بنُ عدِىّ على قنطرةِ ساباطَ[4]، فقال : انجُ نُعَيْمُ إنْ وَجدْتَ[5] النّجاء ! فقال له : أفعلتَها يا زيدُ ! أما واللهِ لئن عشتُ لكَ لأقتلنّك قِتلةً لم يُقتَلْها عربِىٌّ قطُّ قبلَك ، ولأُلحِقنّك بأبيك !

(١) من الأغانى .

(٢) العصب : ضرب من برود اليمن يعصب غزله ؛ أى يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتى موشى لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٣) الأغانى : « المدائن » ؛ وهى مدينة بفارس كانت مسكن الملوك من الأكاسرة .

(٤) ساباط : موضع قريب من المدائن .

(٥) الأغانى : « إن استطعت » .

فقال له زيد : امضِ لشأنِكَ نُعَيمُ ، فقدَ واللهِ أَخَّيْتُ لك أَخِيَّةً[1] لا يَقْطَعها المُهْرُ الأَرِنُ[2] .

فلمّا بلغ كسرى أنّه بالباب ، بعث إليه فقيّده ، وبعث به إلى سجنٍ كان له بخانِقِين[3] ، فلَم يزلْ فيه حتّى وقع الطاعونُ هناك ، فماتَ فيه .

وقال حمّادٌ وغيرُه : بل ماتَ بساباطَ فى حَبْسه .

وقال ابنُ الكَلْبيّ : رماه[4] تحت أرجُل الفِيَلة فوطِئتْه حتّى مات ، واحتجّوا بقول الأعْشى :

فذاكَ وما أَنجَى من الموتِ رَبَّه بساباطَ حتّى ماتَ وهو مُحَزْرَق

المُحَزْرَقُ : المضيَّق عليه . وكان قتلُه سبباً لغَضَب العَرَب ، ووقعةِ ذى قار قبلَ الإسلام .

وكان عَدِيُّ بنُ زَيْد بن حمّاد بن زيد يَهوَى هنداً بنتَ النُّعمانِ بنِ المُنذِر ابن امرئ القيس ، وفيها يقول :

عَلِقَ الأَحشاءَ من هندٍ عَلَقْ مُسْتَسِرٌّ فيه نَصْبٌ وَأَرَقْ[5]

فى أشعارٍ كثيرة ، وكان سببُ عِشقِه إيّاها ، أنّ هندا كانتْ من أَجمَل نساء أهلِها وزمانها ، وأُمُّها ماريَةُ الكِنديّة ، فخرجتْ فى خَميس الفِصْحِ تتقرّب فى البِيعة ، ولها حينئذ إحدى عشرةَ سنةً ؛ وذلك فى مُلْك المُنذِر وقد قَدِم عديٌّ حينئذ بهديّةٍ من كِسرَى إلى المنذر ، والنعمانُ يومئذ فتًى شابّ ، فأنكر دخولَها البِيعة ، وقد دَخَلها عديّ ليتقرّب .

---

(١) الأخية : عود يعرض فى الحائط ويدفن طرفاه فيه ، ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة .
(٢) الأرن : النشيط .
(٣) خانقين : بلد بسواد بغداد كان النعمان خنق به عدى بن زيد حتى قتله .
(٤) فى الأغانى : « ألقاه » .
(٥) العلق ، بالتحريك : العشق والهوى . والنصب : البلاء .

وكانت مديدةَ القامة ، عَبْلَة[1] الجسم ، فرآها عَدِىّ وهى غافلة ، فلم تَنْتبه له حتّى تأمَّلها ، وقد كانت جوارِيها رأيْنَ عَدِيّا وهو مُقْبل ، فلمْ يقلن لها ذلك ، لكَىْ يراها عدىّ ؛ وإنّما فعلن هذا من أجل أَمَةٍ لهند ، يقال لها: مارِية . وقد كانت أحبّتْ عدِيّا ، فلَمْ تدْرِ كيف تتأتَّى[2] له . فلمّا رأت هندٌ عَدِيًّا ينظر إليها ، شَقَّ ذلك عليها ، وسبَّتْ جَوارِيَها ، ونالَتْ بعضَهُنّ بضَرْب ، ووقعَتْ هِنْدٌ فى نفسِ عَدِىّ.

فلَبِث بذلك حَوْلًا لا يُخبِر أحدا ، فلمّا كان بعد حَوْلٍ ، وظَنّتْ مارِيةُ أنّ هنداً قد أضربَتْ عمّا جرَى ، وصَفَتْ لها بِيعةَ دُومةَ ، وقِيل : بِيعةَ تُوماً[3] وهو الصحيح ، ووَصفتْ لها مَن فيها مِن الرّواهب ، ومَن يأتيها من جوارى الحيرة ، وحُسنَ بنائها وسُرُجها ، وقالت لها : سَلِى أُمَّكِ الإذْنَ لكِ فى إتيانها ، فسألتْها ذلك ، فأَذِنَتْ لها ، وبادرتْ ماريةُ إلى عَدِىّ فأخبرَتْه ، فبادَر إلى لُبْسِ حُلَّةٍ مُذْهَبةٍ لم يُرَ مِثْلُها حُسْنا .

وكان عَدِىٌّ حسنَ الشَّعْرِ ، مَديدَ القامة ، حلوَ العَيْنَيْن ، حَسَنَ المبْتَسم ، نقِىَّ الثَّغْر . وأخذ معه جماعةً من فِتيان الحيرة ، فدخل البِيعةَ ، فلمّا رأته ماريةُ ، قالت لهند : انْظُرِى إلى هـذا الفتى ، فهو أحسَنُ واللهِ من كلِّ ما ترَيْن ، قالت : ومَن هو ؟ قالت : عَدِىّ بنُ زَيْد ، قالت : أتَخافين أن يعرفنى إنْ دَنَوْتُ منه لأَراه مِن قُرْب ؟ قالت : ومِن أين يَعْرِفك ، وما رآكِ قطُّ ! فدَنَتْ منه وهو يُمازِح الفِتْيانَ الّذين معه ، وقد بَرَع عليهم بجَمالِه ، وحُسْنِ كلامه وفصاحته ، وما عليه من الثّياب ، فذَهِلَتْ لمّا رأتْه ، وبُهِتَتْ[4] تنظرُ إليه ، وعَرفَتْ ماريةُ ما بها ،

---

(١) عبلة الجسم : ضخمته .

(٢) الأغانى : « تأتى له » .

(٣) ذكر ياقوت فى معجم البلدان « ديرتومان » ؛ ولم يحدد موقعه .

(٤) بهتت : انبهرت .

وتبيّنَتْه فى وجهِها ، فقالت لها : كلِّميه ، فكلّمَتْه وانصرفَتْ ، وقد تتبّعَتْه نفسُها وهَوِيَتْه .

وانصرَف عَدِىٌّ بِمثل حالِها ، فلمّا كان الغدُ تعرّضتْ له مارية ، فلمّا رآها هَشَّ لها ، وكان قبل ذلك لا يكلّمها ، وقال لها : ما غدَا بِكِ ؟ قالت : حاجةٌ إليك . قال : اُذكُرِيها ، فوالله لا تَسْألين شيئاً إلّا أعطيتُكِ إيّاه ، فعرّفَتْه أنها تَهْواه ، وأنّ حاجتَها الخَلْوَةُ به ؛ على أن تَحتالَ فى هِند ، وعاهَدَتْه على ذلك ، فأدخلَها حانوتَ خَمّارٍ بالحِيرة ، ووقع عليها ، ثم خرجَتْ وأتتْ هِنْدا ، فقالت : أما تَشْتَهِين أن ترَىْ عَدِيًّا ؟ قالت : وكيفَ لى به ؟ قالت : أَعِدُه مكانَ كذا وكذا فى ظاهرِ القَصْر ، وتُشْرِفين عليه ، قالت : أفعَلى . فواعَدَتْه ، فأتاه وأشرفَتْ هندٌ عليه ، فكادت أن تموتَ ، وقالت : إنْ لم تُدْخِليه علىَّ هَلَكْتُ .

فبادرَتْ الأَمَةُ إلى النُّعمان فأخبرتْه خبرَها ، وصَدَقَتْه ، وذَكَرَتْ أنّها قد شُغِفَتْ به ، وأنّ سببَ ذلك رؤيتُها له فى يوم الفِصْح ، وأنّه إن لم يزوّجْها به افتضحَتْ فى أَمْرِه .

فقال لها : وكيف أبدَؤُه بذلك ؟ فقالت : هو أَرْغَبُ فى ذلك من أن تبدأه أنتَ ، وأنا أحتالُ فى ذلك من حيث لا يعلَم أنّك عرفتَ أَمْرَه .

فأتتْ عَدِيّا فأخبرتْه الخبَر ، وقالت : ادعُه ، فإذا أَخَذ الشّرابُ فيه[1] فاخطُبْ إليه ؛ فإنّه غيرُ رادِّك .

قال : أخشَى أن يُغضبه ذلك ، فيكونَ سببَ العداوة بينَنا . قالت : ما قلتُ لك هذا حتّى فرغتُ منه ، فصَنَع عدىٌّ طَعاما ، واحتفَل فيه ، ثم أتى النعمانَ بعدَ الفِصْحِ بثلاثة أيّام ، وذلك فى يوم الاثنيْن ، فسألَه أن يتغدَّى هو وأصحابُه عندَه ، ففعَل ،

---

(١) الأغانى : « منه » .

فلمّا أَخذ فيهم الشّراب، خطبَها إلى النُّعمان، فأجابه وزوَّجه ، فضمَّها إليه بعد ثلاث[1]، فمكثت[2] عندَه حتّى قتلَه النُّعمان .

فترَهَّبَت وحبَسَت نفسَها فى الدَّيْر المعروف بدَيْر هِنْد فى ظاهر الحِيرة ، وقيل : بل ترهَّبَتْ بعدَ ثلاثِ سنينَ ، ومنعتْ نفسَها ، واُحتبستْ فى الدَّيْر حتّى ماتت فيه ، وكانت وفاتُها بعد الإسلام بزمان طويل ، فى ولاية المُغيرةِ بنِ شُعْبَة الكُوفِىّ ، وخطبَها المغيرةُ بنُ شُعْبَة فردّته ؛ وذلك أنّه اُستأذن عليها فأَذِنَتْ له ، وبسَطَتْ له مِسْحا[3] ، فجلس ثم قالت له : ما جاء بك ؟ قال : جئْتُكِ خاطِبا . قالت : والصَّليبِ لو علمتُ أنَّ فِىَّ خَصْلَةً من جَمالٍ أو شَباب رَغَّبَتْكَ فِىَّ لأجَبْتُك؛ ولكنّك أردتَ أن تقولَ فى المواسم: مَلكتُ مملكةَ النُّعمانِ بن المنذر ، ونكحتُ ابنتَه ، فبحقِّ معبودِكَ هذا أردتَ ؟ قال : إى واللهِ . قالت : فلا سبيل إليه ، فقام المُغيرةُ ، فاُنصرَف وقال :

أدركْتِ ما مَنَّيْتُ نفسِى خالياً ... للهِ دَرُّكِ يا اُبنةَ النُّعمانِ !
ولقد رَدَدْتِ على المُغيرة ذِهْنَهُ ... إنّ الملوكَ نَقِيَّةُ الأَذْهانِ
ياهِنْدُ حَسْبُكِ قد صَدَقْتِ فأَمْسِكِى ... والصدقُ خيرُ مَقالةِ الإنسانِ

ورَوَى علىُّ بنُ الصَّبّاح أنّ هنداً كانت تَهْوَى الزَّرْقاء ، زَرْقاء اليمامة ، وأنّها أوّل امرأةٍ أحبّت امرأةً من العرَب ، وأنّ الزَّرْقاء كانت ترَى الخيلَ مِن مسيرةِ ثلاثين مِيلا ، فغزَا قومٌ مِن العرَب اليمامةَ ، فلمّا قرُبوا من مسافةِ نَظَرِها ،

(١) الأغانى : « بعد ثلاثة أيام » .
(٢) الأغانى : « فكانت عنده » .
(٣) المسح : كساء من شعر .

قالوا : كيف لكم بالوصول مع الزَّرْقاء ؟ فأجمعوا رأيهم على أن يَقْتَلِعوا شجراً تَسْتُر كلُّ شجرةٍ منها الفارسَ إذا حَمَلها ، فقَطَع كلُّ واحدٍ منهم بمقدار طاقته وساروا ، فأَشْرَفَتْ كما كانت تفعل ، فقال لها قَوْمُها : ما تَرَيْن يا زَرْقاء ؟ وذلك في آخِر النهار ، قالت : أَرَى شجراً يَسِير . فقالوا لها : كذبتِ ، أو كذبتْ عَيْنُكِ ، واستهانوا بقولها ، فلمّا أصبحوا صَبحهم[1] القوم ، فا كتَسَحُوا[2] أموالهم ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وأخذوا الزَّرْقاء ، فقلَعوا عينَها فوجَدُوا فيها عُروقاً سَوْداء ، فسئلت عنها ، فقالت : إنّى كنتُ أُدِيم الا كتحال بالإِثْمِد ، فلعلّ هذا منه ، وماتت بعد ذلك بأيام ، وبلغ هنداً خبرُها ، فترَهَّبَت ، ولَبِسَت المُسوح ، وبنَتْ دَيْرًا يُعْرَف بدَيْر هند إلى الآن وأقامت فيه حتّى ماتت .

وقال ابن الأعرابىّ : إن النُّعمانَ بنَ المُنذر الأكبر ، خرج [يتنزّه][3] بظَهْر الحِيرة ، ومعه عدىُّ بنُ زَيْد العِبادىّ ، فمرَّ على المَقابِر من ظَهر الحِيرة ونَهرِها . فقال له عدىّ بنُ زَيْد : أبيتَ اللَّعْن ! أتدرى ما تقول هذه المَقابِر ؟ قال : لا ، قال : تقول :

كُنّا كَمَا كُنتمُ حِيناً فغَيَّرَنا ... دَهْرٌ فسوفَ كما صِرْنا تَصِيرُونَا

قال : فانصرَف وقد دخلَتْه رِقّة ، فمكثَ بعد ذلك يسيرا ، ثم خرج خَرْجَةً أُخرى فمرّ على المَقابر ، ومعه عَدِىّ ، فقال له : أبيتَ اللَّعْن ! أتدرى ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ، قال : إنها تقول :

مَن رآني فليُحَدِّثْ نفسَه ... أنّه مُوفٍ على قَرْنِ زَوالِ[4]

---

(١) صبح القوم : أتاهم صباحا .
(٢) اكتسحوا أموالهم : أخذوها عن آخرها .
(٣) من الأغانى .
(٤) الأغانى : « من رآنا » .

وصُروفُ الدّهرِ لا يَبْـقَى لها ... ولِما تأْتِى به صُمُّ الجبـالِ
رُبَّ رَكْبٍ قد أناخُوا حوْلَنا ... يَشرَبون الخمرَ بالمـاءِ الزُّلالِ (١)
وأباريقُ عليهـــا فُدُمٌ ... وجيادُ الخيْلِ ترْدِى فى الجلالِ (٢)
عَمرُوا دَهْرًا بعَيْشٍ حَسَنٍ ... آمِنِى دَهْرِهم غــيرَ عِجالِ
ثمّ أضحَوْا عَصفَ الدّهْرُ بهمْ ... وكذاكَ الدّهرُ حالًا بعدَ حالِ (٣)

فرجع النعمانُ مِن وَجهِه ، وقال لعَدِىّ : أئتِـنِى اللّيلةَ إذا هـدأَتِ الرِّجْل لتعرِفَ (٤) حالى ، فأتاه فوجَدَه قد لبس المُسوحَ وتنصَّر وترَهَّب ، وخرج سائحا على وجهه ، فلا يُدرَى ما كانت حالُه ، فتنصّر ولدُه بعدَه ، وبنَوُا البِيعَ والصَّوامِع ، وبنتْ هندٌ بنتُ النُّعْمان بنِ المنذرِ بنِ النعمان الدَّيْرَ الّذى بِظَهر الـكُوفة ، ويقال له : دَيْرُ هِنْد .

فلمّا حَبَس كسرَى النّعمانَ الأصغرَ أباها ، وماتَ فى حَبْسه ، ترهّبتْ هند ، ولَبِست المُسوحَ ، وأقامتْ فيه مترهِّبةً حتّى ماتت ودُفِنَتْ فيه .

قال أبو الفرَج : وعدىّ بنُ زيد إنّما هو صاحبُ النُّعمان الّذى صَحِبَه عَدِىّ .

رَوَى خالدُ بنُ صَفْوان بن الأهْتم ، قال : أوْفَدَنى يوسفُ بنُ عمرَ إلى هشام ابنِ عبدِ الملك فى وَفْدِ أهلِ العِراق ، قال : فقدِمْت عليه وقد خرج بقَرَابته وحَشَمه

---

(١) فى الأغانى : قد أناخوا عندنا .

(٢) فدم : جمع فدام ، بفتح الفاء وكسرها ؛ وهو ما يوضع فى فم الإبريق لتصفية ما فيه من شراب . وتردى : تعدو وترجم الأرض بحوافرها .

(٣) فى الأغانى :

ثم أضحوا عصفَ الدّهرُ بهمْ ... وكذاكَ الدهر يودى بالرجالِ
وكذاكَ الدّهـر يرمى بالفتى ... فى طلابِ العيش حالا بعد حالِ

(٤) فى الأغانى : « لتعلم » .

وحاشيَتِه وجُلسائِه ، فنزل فى أرضٍ قاعٍ صَحْصَحٍ[1] مُنيفٍ أَفْيَحَ[2] فى عامٍ قد بكَّر وَسْمِيُّه[3] ، وتتابع وَلِيُّه[3] ، وأَخَذتِ الأرضُ زُخْرُفَها من نَوْرِ رَبيعٍ مُونِق ، فهو فى أَحْسَنِ منظَر ، وأحسَنِ مَخْبَر ، وأحسَنِ مُسْتَمْطَر؛ بصعيدٍ كأن ترابَه قِطَعُ الكافور .

قال : وقد ضُرِب له سُرادِقٌ من حِبَرةٍ كان يوسفُ بنُ عمرَ قد اُصطنعه له باليَمَن ، فيه فُسْطاطٌ فيه أربعةُ أَفْرِشةٍ مِن خَزٍّ أحمرَ مِثلُها مَرافِقُها ، وعليه دُرّاعةٌ من خَزٍّ أحمَر مثلُها عِمامَتُها ، وقد أَخذَ الناسُ مجالسَهم .

قال : فأخرجتُ رأسى من ناحيةِ السِّماط[4] ، فنظر إلىّ شِبْهَ المُسْتَنطِق لى ، فقلت : أتمّ اللهُ تعالى عليكَ أميرَ المؤمنين نِعَمَه ، وجَعَل ما قلّدكَ من هذا الأمر رُشْدا ، وعاقبةَ ما يؤول إليه حَمْدا ، وأَخْلَصَه لك بالتُّقَى وأكثرَه لك بالنَّماء ، ولا كدَّر عليك منه ما صَفَا ، ولا خالَطَ سرورَه بالرَّدَى ، فلقد أصبحتَ للمؤمنين ثقةً وملجأً ، إليكَ يَقصِدون فى مظالِمِهم ، ويَفزَعون فى أُمورِهم ، وما أَجِد شيئًا يا أميرَ المؤمنين هو أبلغُ فى قَضاء حقِّك ، وتوقيرِ مَجلسك ، وما مَنَّ اللهُ عزّ وجلّ به من مُجالَستك من أن أُذكِّرَكَ نِعَمَ اللهِ عليك ، وأنبِّهَك لشُكرِها ، وما أَجِد فى ذلك شيئًا هو أبلغُ مِن حديثِ مَن سَلَفَ قبلَك من الملوك ، فإن أذِنَ أميرُ المؤمنين أخبرتُه به .

قال : فاُستوَى جالساً — وكان متّكِئاً — ثم قال : هاتِ ، يا بنَ الأهتَم . قال : قلت : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ مَلِكا من المُلوكِ قَبلَكَ خرج فى عامٍ مثلِ عامِك هذا

(١) الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ؛ ذات حصى صغار .

(٢) الأفيح : الواسع .

(٣) الوسمىّ : مطر الربيع الأول ، والولىّ : مطر الربيع الذى يلى الوسمى .

(٤) السماط : جمع سمط ؛ وهو الصف من الناس وغيرهم .

إلى الخَوَرْنَق والسَّدِير فى عامٍ قد بَكَّر وَسْمِيُّه، وتتابَعَ وَلِيُّه، وقد أُعطِىَ فَتاءَ السِّنِّ مع الكثرة والغلبة والقَهْر، فنظَر فأبْعَد النَّظَر، ثم قال لجلسائه: هل رأيتم مِثلَ ما أنا فيه، أم هل أُعطِىَ أحدٌ مِثْلَ ما أُعطِيتُ؟ قال: وعندَه رجلٌ من بقايا حَمَلة الحُجَة — ولَم تَخْل الأرضُ من قائمٍ لله عزّ وجلّ بحجّتِه فى عبادِه:

فقال: أيها المَلِك، إنّك قد سألتَ عن أَمْر، أفتأذَنُ فى الجواب عنه؟ قال: نَعَم. قال: أرأيتَ هذا الّذى أنتَ فيه؛ أشىءٌ لم تزَل فيه، أم شىءٌ صار إليك مِيراثا، وهو زائلٌ عنك، وصائرٌ إلى غيرك كما صار إليك؟

قال: كذلك هو. قال: فلا أراك إلّا عجبتَ بشىءٍ يسيرٍ تكون فيه قليلا، ويَغيبُ عنكَ[1] طويلا، وتكون غداً بحِسابه مرتَهَنا!

قال: وَيْحَك! وأين المَهرَب؟ وأين المَطْلَب؟ قال: إما أن تقيم فى مُلْكك فتعمَل بطاعةِ ربِّك على ما ساءَك وأَمَضَّك، وإمّا أن تَضَع تاجَك وأطمارَك، وتَلبَس أَمساحَك، وتعبُدَ ربَّك حتى يأتيَك أجلُكَ. قال: فإذا كان السَّحَر فاْقرعْ علىَّ بابى، فإنّى مختارٌ أَحَدَ الرَّأْيَين، فإن اُخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا يُعصَى، وإن اُخترتُ فَلَواتِ الأَرضِ، وقَفْرَ البلاد كنتَ رفيقا لا يخالَف، فقَرَع عليه البابَ عند السَّحَر، فإذا هو قد وَضَع تاجَه وأطمارَه، ولبس أمْساحَه، وتهيّأ للسِّياحة، فلزِما الجَبَل حتّى أتاهما أجلُهما، وهو حيثُ يقول عدىّ بن زَيْد أخو بنى تَميم:

أيُّها الشامِتُ المُعيِّرُ بالدّهْـ ـرِ أأنتَ المُبرَّأُ المَوْفُورُ!
أم لَديْكَ العَهْدُ الوَثيق من الأيّـ ـامِ أم أنتَ جاهلٌ مغرورُ
من رأيتَ المَنونَ خَلّدْنَ أمْ مَنْ ذا عليه من أن يُضام خَفِيرُ!

(١) الأغانى: «وتغيب عنه طويلا».

أين كِسرَى كِسرَى المُلوكِ أنوشِرْ ... وانَ أم أينَ قبلَه سابُورُ !
وأَخُو الحَضْر إذ بَنَاه وإذ دِجْ ... لةُ تُجْبَى إليه والخابورُ
شادَهُ مَرْمَراً وجَلَّله كِلْ ... ساً فللطَّيْرِ فى ذُراه وُكورُ(١)
لم يَهَبْهُ رَيْبُ الزّمان فباد الْ ... مُلْكُ عنه فبابُه مهجورُ(٢)
وتذكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَق إذ أَشْ ... رَفَ يوماً ولِلْهُدَى تفكير
سَرَّهُ مالُهُ وكثرةُ ما يَمْ ... لِكُ والبحرُ مُعرِضاً والسَّدِيرُ(٣)
فارْعَوَى قلبُه فقال : وما غِبْ ... طةُ حَيٍّ إلى المماتِ يَصيرُ !
ثم بَعدَ الفَلاحِ والمُلْك والإمّ ... ةِ وارَتْهُمُ هناكَ القُبورُ(٤)
ثم صارُوا كأنّهم وَرَقٌ جَ ... فَّ فألْوَتْ به الصَّبا والدَّبُورُ

فبكى هشامٌ حتّى أخضلّت لحيتُه ، وبُلّت عِمامته ، وأَمر بنَزْع أَبْنِيَتِه ، وبنَقْل قرابته وأَهلِه وحَشَمِه ، وغاشِيَتِه من جُلَسائه ، ولَزِم قصرَه ، فأقبلَت المَوالى والخَدَم على خالد بن صَفْوانَ ، فقالوا : ما أردتَ يا أميرَ المؤمنين ! أفسدْتَ عليه لذّتَه ، ونَغَّصْت عليه فائدَته .

فقال : إليكم عنّى ، فإنّى عاهدتُ الله عزّ وجلّ عهداً ؛ لا أَخْلو بمَلِكٍ إلا ذكَّرْته اللهَ عزّ وجلّ .

وسنذكر خَبَر الحَضْر وصاحبِه، والخَوَرْنَق وصاحبِه ، ها هنا .

الحَضْر : حصْن بِجِبال تَكْرِيتَ ، بين دِجْلَة والفُرات ، وصاحبه الّذى عَناه عَدِىّ بنُ زيد هو الضَّيْزَن بنُ معاويةَ بن العَبيد بن الأجرام بن عمرو بن النَّخَع

---

(١) الكلس : الصاروج ، وهو النورة .
(٢) الأغانى : « ريب المنون ».
(٣) معرضا : متسعاً .
(٤) الإمة : النعمة .

ابن سَلِيح بن حُلْوان بن عِمْران بن ٱلحاف بنِ قُضاعة . وأُمّــه جَبْهَلَةُ امرأةٌ من بني تَزِيدَ بنِ حُلْوان أخي سَلِيح بنِ حُلوان ، وكان لا يُعرَف إلّا بأمّه هذه ، وكان مَلِكَ تلك الناحية ، وسائرِ أرضِ الجزيرة . وكان معه من بني الأجرام من بني العَبيد ابن الأجرام وسائر قبائل قُضاعَة ما لا يُحصَى . وكان مُلْـكُه بلغ الشام ، فأغارَ الضَّيْزَنُ ، فأصابَ أُخْتاً لسابورَ ذي الأكْتاف ، وفَتَح مدينةَ شَهْرَزُور(١) ، وقَتَلَ فيهم ، فقال فى ذلك عَمرو بنُ السَّلِيح بن جُدَىّ بن الدّها بن غَنْم بن حُلوانَ بن عمرانَ ابن ٱلحاف بن قُضاعَة :

لَقيناهمْ بجَمْـعٍ من عِلافٍ ... وبالْخيلِ الصَّلادِمةِ الذُّكُورِ(٢)
فلاقتْ فارسٌ منّا نَـكالًا ... وقَتَّلْنا هَرابِذَ شَهْرَزُورِ(٣)
دَلَفْنا للأَعاجِمِ من بعيـــدٍ ... بجَمْـعٍ مِن جَزِيرَةَ كالسَّعِيرِ(٤)

ثم إنّ سابُور ذا الأكتاف جَمَع لهم ، وسارَ إليهم ، فأقامَ على الحضْر أربعَ سِنين لا يَسْتَغِلّ منهم شيئا . ثم إن النَّضِيرَةَ بنتَ الضَّيْزَن عَرَكَتْ ـ أى حاضَتْ ـ فأُخْرِجَت إلى الرَّبَض(٥) ، وكانت من أجملِ أهلِ دَهْرِها ، وكانوا يفعلون بنسائهم كذلك إذا حِضْنَ .

وكان سابورُ مِن أجمَلِ أهلِ زمانه ، فرآها ورأتْه ، وعشِقَها وعشِقَتْه ، فأرسلَتْ إليه : ما تجعَلُ لى إنْ دَلَلْتُك على ما تَهْدِم به هـذه المدينة وتقتُل أبى ؟ قال : أُحَـكِّمُكِ ، وأرفعُـكِ على نسائى ، وأَخُصُّكِ بنفسى دونَهنّ .

---

(١) شهرزور : كورة واسعة بين إربل وهمذان .
(٢) الصلادمة : القوية الشديدة .
(٣) الهرابذ : خدم نار المجوس ، واحده هربذ .
(٤) دلفنا : قربنا .
(٥) الربض : ما حول المدينة من خارج.

قالت : عليكَ بحمامةٍ مطوَّقة وَرْقاء ، فاُكتُبْ فى رِجْلها بحَيْض جاريةٍ تكون زَرْقاءَ ، وأَرْسِلْها فإنّها تقع على حائط المدينة ، فتتَداعى المدينة ، وكان ذلك طِلَّسْمَها[١] لا يَهْدِمها إلّا هو . ففعل ، وتأهّب لهم ، وقالت له : أنا أسقى الحَرَسَ الخمْرَ ، فإذا صُرِعوا فاُقتلْهم وأُدخُل المدينة . ففعل ، فتَداعتْ المدينة ، وفتحها سابورُ عَنْوَةً ، وقتَل الضَّيْزَنَ يومَئذ ، وأبادَ بنى العَبِيد ، وأَفنَى قُضاعةَ الّذين كانوا مع الضَّيْزَن ، فلم يَبْقَ منهم باقٍ يُعْرَف إلى اليوم ، وأُصيبتْ قبائلُ حُلوانَ وأُنقرَضوا ودَرَجوا .

فقال فى ذلك عمرو بن آلة[٢] ، وكان مع الضَّيْزَن :

ألم يَحزُنْك والأَنباءُ تَنْمِى ... بما لاقتْ سَراةُ بنى العَبِيدِ[٣]
ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبنى أَبيه ... وأَحْلاسِ الكَتائبِ مِن تَزِيدِ[٤]
أَتاهمْ بالفيُولِ مُجلَّلاتٍ ... وبالأبطالِ سابُورُ الجنودِ
فهدَّمَ من أَواسِى الحَضْرِ صَخْراً ... كأنَّ ثِقالَه زُبَرُ الحديدِ[٥]

فأَخرَبَ سابورُ المدينةَ ، واُحتَمَل النَّضيرةَ بنتَ الضَّيْزَن ، فأَعْرَسَ بها بعَيْن التَّمْر[٦] ، فلم تزل ليلَتها متضجِّرة من خُشُونةِ فُرُشها ، وهى من حرير محشوّة بالقزّ ، فالتُمِس ما كان يُؤْذيها ، فإذا هو ورقةُ آسٍ ملتصِقةٌ بعُكْنَةٍ من عُكَنها قد أثَّرَتْ فِيها ، وكان يُنظَر إلى مُخِّها من لِينِ بَشَرَتِها .

---

(١) الطلسم : السر المكتوم .
(٢) فى تاريخ الطبرى ١ : ١٨٢٨ (طبع أوربا) : « عمر بن إلة » .
(٣) تنمى : تشيع . والباء فى قوله : « بما لاقت » زائدة وما لا قت : فاعل لقوله : «يحزنك»
(٤) أحلاس الكتائب : الشجعان الملازمون لها .
(٥) الأواسى : جمع آسية ؛ وهى ما أسس من بنيان فأحكم أصله من سارية وغيرها .
(٦) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة .

فقال لها سابور : وَيْحَك ! بأىّ شىء كان أبوكِ يَغْذُوكِ ؟ قالت : بالزُّبْد والمُخّ وشُهْدِ الأَبْكار من النَّحْل ، وصَفْوَة الخمْر . قال : وأبيكِ لأَنا أحدثُ عَهْدًا بمَعْرِفتك ، وآثَرُ لكِ من أبيكِ الذى غذَّاكِ بما تذْكُرِين . ثم أمر رَجُلا فركب فرسًا جَمُوحا ، وضَفَر غدائِرَها بذَنبه ، ثم استرْكَضها فقطَّعها قِطَعا ، فذلك قولُ الشاعر :

أَقْفَرَ الحَضْرُ من نَضِيرَةَ فالمِرْ باعُ منها فجانبُ الثّرثارِ (١)

وكان الضَّيْزَنُ صاحبُ القَصْر يُلقَّب : السَّاطِرُون .

وأمّا صاحبُ الخوَرْنَق فهو النُّعمان بن الشَّقِيقة ــ والشَّقيقةُ أُمُّه ــ أو هو الّذى ساحَ على وجهِه فلَم يُعلَم له خَبَر ، والشَّقِيقةُ أمُّه بنتُ أبى ربيعةَ بن ذُهْل بنِ شيبان ، وهو النُّعمان بنُ أمرئ القيس بن عَمْرو بن أمرئ القيس بن عَمْرو بن عَدِىّ بن نَصْر ابن ربيعةَ بن الضَّخْم اللَّخْمِىّ ، وهو صاحب الخوَرْنَق .

وكان سببُ بنائِه أنّ يَزْدَجِرْدَ بنَ سابور كان لا يبقَى له وَلَد ، فسأل عن منزلٍ صحيحٍ من الأَدْواء والأَسقام ، فدُلَّ على ظَهر الحِيرة فدفع ابنَه بَهرامَ إلى النُّعمان ابن الشَّقِيقة ــ وكان عاملَه على أرض العرَب ــ وأمرَه أن يبنِىَ الخوَرْنَق مَسكَنا له ولابنِه ، ويُنزِلَه إيّاه معه ، وأَمرَه بإخراجِه إلى بوَادِى العرَب .

وكان الّذى بَنى الخوَرْنَق رجلٌ يقال له : سِنِمّار ، فلمّا فرغ من بنائه عَجِبوا مِن حُسنه وإتقان عَمَله ، فقال : لو علمتُ أنّكم توفُونى أُجْرَتى وتَصْنعون بى ما أستحقّه لبَنَيْتُه بناءً يدورُ مع الشَّمس حيثُما دارت .

فقالوا : وإنّك لَتبْنى ما هو أفضلُ منه ولَم تبْنِه ! فأمَر به فطُرِح من رأس الخوَرْنق (٢) .

(١) الثرثار : واد بين سنجار وتكريت .

(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « الجوسق » ، والجوسق : القصر .

وقيل : إنّه قال : إنى لأعرف فى هذا القصر موضعَ عَيْب إذا هُدِم تداعَى القصرُ أَجمَع ، فقال له : أما واللهِ لا تَدُلّ عليه أحـدا ، ثم رُمِىَ به من أعلى القَصْر . فقالت الشُّعراء تذكُر ذلك فى أشعارهم ، منها قولُ أبى الطَّمَحان القَيْـنِىّ :

جَزاءَ سِنِمّارٍ جَزَاها ورَبّها وباللّاتِ والعُزّى جزاءَ المُكَفَّرِ (١)

وكان عبدُ العُزَّى بنُ أمرئ القيس الـكَلْبىّ قد أَهدَى إلى الحارث بنِ مارية الغَسّانى أَفْراسا ووَفَد إليه ، فأَعجَبَه واُختصّه .

وكان للمَلك اُبنٌ مسترضَعٌ فى عبـدِ(٢) وُدٍّ مِن كَلْب ، فنهشَتْه حَيّةٌ ، فظنّ المَلكُ أنّهم قد اُغتالوه ، فقال لعبدالعزَّى: جئنى بهؤلاء القوم . فقال: هم قومٌ أحرارٌ، ليس لى عليهم فضلٌ فى نَسَب ولا فِعْل . فقال: لَتَأْتِيَنِّى بهمْ أو لَأَفعلَنّ وأفعلَنّ . فقال له : رَجَوْنا من حِبائك(٣) أَمْراً حالَ دونَه عِقابُـك ، ودعا اُبنَيْه شَراحِيلَ وعبدَ الحارث ، وكَتَب معهما إلى قومِه بهذين البَيْتَيْن :

جَزانا جَزاهُ اللهُ شَرَّ جزائهِ جَزاءَ سِنِمّارٍ وما كان ذا ذَنْبِ
سِوَى وَضعِهِ البُنْيَانَ عِشْرِين حِجّةً يُعَلِّى عليها بالقَراميدِ والسَّـكْبِ (٤)

ولمّا نُعِىَ النُّعمانُ بنُ المُنْذِر إلى النابغةِ الذُّبْيانىّ ، وحُدِّثَ بما فَعَـله كِسْرَى معه ، قال : طَلَبه مِن الدَّهْرِ طالبُ المُلوك ، ثمّ تمثّل :

مَن يَطْلُبِ الدَّهرُ تُدْرِكْه مَخالِبُهُ والدَّهْرُ بالوِتْرِ ناجٍ غيرُ مَطلوبِ (٥)

---

(١) المـكفر : المحسن المجحود إحسانه .
(٢) الأغانى : « فى بنى عبد ود » .
(٣) الحباء : العطاء .
(٤) القراميد : مفرده قرمد ؛ وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص . وفى الحيوان ١ : ٢٣ : « سبعين حجة » .
(٥) الوتر : الذحل والثأر .

مامِن أُناسٍ ذَوِى مَجْدٍ ومَكرُمَةٍ إلّا يَشُدُّ عليهم شَدَّةَ الذِّيبِ
حتَّى يُبِيدَ على عَمْدٍ سَراتَهُمُ بالنّافذاتِ من النَّبْلِ المَصابِيبِ
إنِّى وَجَدتُ سِهامَ الموتِ مُعْرِضَةً(١) بكلِّ حَتْفٍ من الآجالِ مكتوبِ

قال يونس النحوىّ : مات رجلٌ من جُنْد الشّام ، عظيمُ القَدْر فيهم ، له عِزّ ، فحضر الحجّاجُ جنازَتَه ، وصَلَّى عليه ، وجلسَ على قبره ، وقال : لِيَنْزِل عليه بعضُ إخوانه ، فنزل عليه نفرٌ ، فقال أحدُهم : رَحِمَك الله أبا فلان(٢) ! إنك كنت لَتُجِيد الغِناء ، وتُسرِع رَدَّ الكأس، ولقد وقعتَ فى موضعِ سُوءٍ لا تخرُج واللهِ منه إلى يوم القيامة والدَّكّة .

فما تَمالَكَ الحجّاجُ أن ضَحِك ـ وكان لا يُكثِر الضَّحِكَ فى جِدٍّ ولا هَزْلٍ ـ وقال له : أهذا موضعُ هذا ! لا أُمَّ لَك ! فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، فرسُه حَبيسٌ فى سبيل الله ؛ لو سمِعَه الأميرُ يتغنّى فى شعر عَدِىّ :

يا لُبَيْنَى أَوْقِدِى النّارا إنَّ مَنْ تَهْوَيْنَ قد حارا
رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرْقُبُها تَقضِمُ الهِنْدِىَّ والغارا
عندها ظَبْىٌ يؤرِّثُها عاقِدٌ فى الجِيدِ تِقْصارا

لأَثْنَى الأميرُ على سَعْنَة ـ وكان الميّت يلقَّب : سَعْنة ـ فقال: إنا لله! أخرجوه من القبر! ما أبيَنَ حُجَّةَ أهلِ العراق فى جَهْلِكم يا أهلَ الشام . وكان سَعْنَةُ هذا الميّتُ من أَوْحَش خَلْقِ الله كلِّهم صورةً ، وأذمِّهم قامةً ، فلم يَبْقَ أحدٌ حضر القبرَ حتّى(٣) أستفرغ ضحكا .

---

(١) مغرضة : تصيب الغرض .
(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « أبا قنان » .
(٣) فى الأغانى : « إلا » .

ذِكر عبدِ الرَّحمٰن بنِ أرطاة*

هوعبدُ الرّحمن بنُ أَرْطاة ـ وقيل: عبدُ الرحمن بن سَيْحانَ بنِ أرطاة ـ بن سَيْحان ابن عَمرو بنِ نُجَيد بنِ سَعْد بنِ لاحِب بنِ ربيعةَ بنِ شُكْم بن عبدِ الله بنِ عوف ابن زَيد بن بكر بن عُمَير بنِ عليّ بنِ جَسْر بنِ مُحارب بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلانَ ابن مُضَر بن نِزار .

وأمُّ جَسْر بن مُحارِب كَأْس بنت بكرِ بنِ وائل . وشُكْم أوّل مُحارِبيٍّ سادَ قومَه ، وأجوَدُهم[1] رَأْياً لنفسه .

وكانوا جيراناً لهَوازِن ، وآلُ سَيْحانَ حُلَفاء حَرْب بنِ أُمَيَّة بنِ عبدِ شَمْس ابنِ عبدِ مناف ، و [بمنزلة][2] بعضهم عندهم خاصّة ، وعند سائر بنى أميّة عامّة .

وقال عبدُ العزيز بنُ عِمْران : بنو سَيْحانَ من بنى جَسْر بنِ مُحارِب ، وبنو عبدِ منافٍ ادّعَوْا حِلفَهم ، وهم ليسوا بأحلافهم .

وقال أبو غسّان محمّدُ بنُ يحيى : لمّا قتل هشامُ بن الوَليد أبا أُزَيْهِر ؛ بعثتْ قريشٌ أرطاةَ بنَ سَيْحانَ حليفَ حَرْب بن أميّة إلى الشَّراة[3] ، يحذِّر مَن بها من تُجّار قريش . وخرج حاجزٌ الأَزْدِىّ ليُخبِر قومَه ، فسبَقَه أرطاةُ ، وقال فى ذلك ـ وقد حذَّرهم فنجَوْا:

---

* ترجمته فى الأغانى ٢ : ٢٤٢ ـ ٢٦٠ (طبع دار الكتب) .

(١) الأغانى : « وأبذهم رأسا بنفسه » .

(٢) من الأغانى .

(٣) الشراة : صقع بالشام بين دمشق والمدينة .

مثلُ الحليفِ يَشُدُّ عُرْوَتَهُ يَثْنِى العِناجُ له مع الكَرَبِ (١)
زَلَمٌ إذا يَسَرُوا بــه يُسُرٌ ومُناضِلٌ يَحمِى عن الحَسَبِ (٢)
هل تَشكُرَنْ فِهرٌ وتاجِرُها ذاتَ السُّرَى باللَّيلِ والخَبَبِ (٣)
حتّى جَلَوْتُ لهمْ يَقينَهُمُ بنيانَ لا لَبْسٍ ولا كَذِبِ (٤)

وكان عبدُ الرحمن شاعرا مُقِلّا إسلاميّا، ليس من الفُحول المشهورِين، ولكنه كان يقول فى الشَّراب والغزَل والفخر. ومَدَح أخْلافَه من بنى أميّةَ كواحدٍ منهم؛ إلّا أنّ اختصاصَه بآل أبى سُفْيان وآلِ عثمانَ خاصّةً كان أكثر، وخصُوصُه بالوَليد بنِ عثمان، ومُؤانَستُه له أزْيَدَ من خصوصه بسائرهم؛ لأنّهما كانا يتنادَمان على الشّراب.

وكان حليفاً لقُريش، يَنزِل المدينة، وأصابه ذاتَ يومٍ خُمارٌ (٥)، فذَهب لسانه، وسكَنتْ أطرافُه، وصرَختْ أهلُه عليه، فأقبَل الوليدُ إليه جَزِعا، فلمّا رآه قال: أخى مخمورٌ وربِّ الكَعْبة! ثم أمر غلاما له، فأتاه بشرابٍ من منزِله فى إداوَة، فأمَر به فأُسخِن، ثم سَقاه إيّاه وقَيّأَه، وصنَع له حساءً (٦)، وجعَل على رأسه دُهْنا، وجعَلَ رجلَيْهِ فى ماءٍ سُخْن فما لَبِث أن انطَلَق (٧) وتكلّم، وذَهب ما كان به.

---

(١) العناج، قال فى اللسان: عناج الدلو عروة فى أسفل الغرب من باطن، تشد بوثاق إلى أعلى الكرب؛ فإذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع فى البئر». والكرب: الحبل الذى يشد على الدلو.

(٢) الزلم: أصل القدح الذى لا ريش فيه. ويسروا: لعبوا الميسر.

(٣) السرى: السير بالليل عامة. والخبب: ضرب من السير.

(٤) فى الأغانى: «بنيان لا ألس»، والألس: الخيانة.

(٥) الخمار: ما يصيب الرجل من ألم الخمر وصداعها.

(٦) الحساء: طبيخ يتخذ من دقيق وماء ودهن، وقد يحلى ويكون رقيقا يحسى.

(٧) أى مشى بطنه.

ومات الوليدُ بعد ذلك ؛ فبينا ابن سَيْحانَ جالسٌ ، وبعضُ مَتاعِه يُنقل من بيتٍ إلى بيت ؛ إذ مرّ الخادم بإداوة الوليد الّتى داواهُ بما كان فيها من الشّراب ، وقد يَبِستْ وتَقبّضتْ ، فانتحبَ وقال :

لا تَبعَدَنّ إداوةٌ مطروحَةٌ … كانتْ قَديماً للشّراب العاتِق(١)

إنْ تُصبِحى لا شىءَ فيكِ فرُبَّما … أُتْرِعْتِ مِن كأسٍ تَلَذُّ لذائِقِ

بأبى الوليدُ وأُمِّ نفسى كلّما … بَدَت النجومُ وذَرَّ قَرْنُ الشارقِ

أَثْوَى فأكرَمَ فى الثّواء وقُضِّيتْ … حاجاتُنا من عند أرْوَعَ باسِقِ

كم عندَه من نائلٍ وسَماحةٍ … وشمائلٍ ميمونةٍ وخلائقِ(٢)

وكرامَة للمُعْتفِين إذا اعتفَوْا … فى ماله حَقًّا وقَوْلٍ صادقِ(٣)

لمّا أتَيْناه أتينَا ماجِدَ الْـ … أَخلاقِ سَبّاقا لقَرْمٍ سابِقِ(٤)

قَالَ الوَليدُ يَدِى لكمْ رَهْنٌ بما … حاوَلْتُمُ من صامِتٍ أو ناطِقِ(٥)

فَإلى الوليدِ اليوم حَنّتْ ناقَتى … تَهوِى بمُغْبَرِّ المُتُونِ سَمالِقِ(٦)

حَنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِى … بعْضَ الحَنِينِ فإنّ شَجْوَكِ شائقِى

وقيل : كان الوليدُ بن عُثمانَ ذا غَلَّةٍ بالحجاز ، فكان يَخرُج إليها فى زمن التَّمْر بنَفَرٍ مِن قومِه ، يَجْنُون له ويُعاوِنونَه ، فكان إذا حضر خُروجهم خرَجَ بهم ، ودَفَع إليهم نفقَات لأهلهم إلى رَجْعته .

---

(١) الأغانى : « كانت حديثا » .

(٢) فى الأغانى : « وفضائل معدودة » .

(٣) المعتفون : جمع معتف؛ وهو الضيف وكل طالب فضل أو رزق . وفى الأغانى : « وسماحة » موضع : « وكرامة » .

(٤) القرم : السيد الكريم .

(٥) الأغانى : « حاولتم » .

(٦) ب ، ج : « فإلى اليوليد إليه » ، وما أثبته من الأغانى .

فخرج بهم مرّةً وفيهم أبن سَيْحانَ ، فقال أبن سَيْحان : زوِّدونى من شرابِكمْ هَذا ، فزَوّدُوه إداوة ، فملئُوها له ، فكان يَسعَى بها فى طَريقه حتّى قَدِم على أهله ، فألقاها فى جانب بَيْته فارِغةً .

فمكث زمانا لا يَذكُرها ، ثم كَنسُوا البيتَ فرأَوْها مُلْقاةً ، فقال الأبيات :

* لا تبعَدَن إداوَةٌ مُطروحَةٌ *

وكان عبدُ الرحمن بنُ سَيْحانَ المُحارِبىّ شاعراً حلوَ الأحاديث ، عنده أحاديثُ حَسَنةٌ غريبةٌ من أخبار العَرَب وأيّامها وأشعارِها ؛ وكان على ذلك يُصيبُ من الشّراب ، فكان كلُّ مَن قَدِم مِن وُلاةِ بنى أُميَّة وأحداثِهم يَدعُوه ويُنادِمُه .

فلمّا وَلِىَ الوليدُ بنُ عُتْبة بن أبى سُفْيان ، وعُزِلَ مَروان ، وجَد مروانُ فى نفسِه — وكان قد سَبَعه(١) — فحقَد عليه واُضطغَنه .

وكان الوليدُ يُصيبُ من الشّراب ، ويَبعْث إلى ابن سَيْحانَ فيشرب معه ، وأبن سَيْحانَ لا يظنّ أنّ مروان يَفعل به الّذى فَعَله بعد أن نَدَمه ووَصَله ؛ ولكنّ مروانَ أراد فضيحةَ الوَليد ، فرَصَده ليلةً فى المسجد .

وكان أبن سَيْحانَ يَخرُج فى السَّحَر من عند الوليدِ ثَمِلا ، فيمرّ فى المقصورة من المسجد حتى يَخرُج على زُقاقِ عاصم . وكان محمد بنُ عَمرو يَبيتُ فى المسجد يصلِّى ، وكان كذلك عبدُ الله بنُ حَنْظلة وغيرها من القُرّاء ، فلمّا خرج أبنُ سَيْحانَ ثَمِلًا مِنْ دارِ الوَليد ، وأَخَذه مروانُ وأعوانُه ، ثمّ دعا له محمدَ بنَ عَمرو ، وعبدَ الله بن حَنْظلة ، وأشهدَهما على سُكْره ، وسأله أن يَقرأ أمَّ الكتاب ، فلَم يقرأْها ، فدفعَه إلى صاحب شُرْطتِه فحبسه .

---

(١) سبعه : شتمه .

فلمّا أصبحَ الوليدُ بلغه خبرُه ، وشاعَ فى المدينة ، وعَلِم أنّ مروانَ إنّما أراد أن يَفضَحه ، وأنّه لو لقِىَ ابنَ سَيْحانَ ثَمِلا خارجا مِن عند غيرِه لم يَعرِض له .

فقال الوليد : لا يُبرِّئنِى عند أهل المدينة إلّا ضربُ ابن سَيْحانَ ، فأَمَر صاحبَ شُرْطتِه ، فضَرَبه الحدَّ ثمانين سَوْطا ، ثم أرسَله ، فجلس ابنُ سَيْحَان فى بيته لا يَخرُج حياءً من النّاس .

فجاءه عبدُ الرّحمن بنُ الحارث بنِ هشام فى ولده ــ وكان له جَليسا ــ فقال له : ما يَحبِسك[1] فى بيتك ؟ قال : الاستحياءُ من النّاس . قال : اُخرجْ أيّها الرّجل ــ وكان عبدُ الرحمن قد حَمل له معه كُسْوَة ــ فقال له : اِلبَسْها واُخرج[2] معنا إلى المسجد ، فهذا أَحْرَى أن يُكَذَّب به مكذِّب ، ثم ترْحَلُ إلى أمير المؤمنين فتُخْبِره بما صنع بك الوليد ؛ فإنّه يَصِلُك ويُبطِل عنك الحدّ .

فراحَ مع عبدِ الرحمن فى جماعةِ ولدِه متوسِّطا لهم حتى دخل المسجدَ ، فصلَّى ركعتين ، ثم تَساندَ مع عبدِ الرحمن إلى الأُسْطُوانة ، فقائل يقول : لم يُضْرَب . وقائل يقول : أنا رأيتُه يُضرَب . وقائل يقول : عُزِّرَ أسواطا .

فمكث أيّاما ثم رحَل إلى مُعاوية ، فدخل على يزيدَ فشَرِب معه ، وكلّم يزيدُ أباه معاويةَ فى أمرِه ، فدَعَا به ، فأخبَرَه بقصّته ، وما صَنَع به مروان . فقال : قبّح اللهُ الوليد ! ما أَضعفَ عقلَه ! أما اَستَحْيَا مِن ضربِك فيما شَرِب ! وأمّا مَرْوان فإنّى ما كنتُ أحسَبه يَبلُغ هذا منك مع رأيكَ فيه ، ومودَّتِك له ؛ ولكنّه أراد أن يضَع الوليدَ عندى ، ولم يُصِب ، وقد صَيَّر نفسَه فى حدٍّ كنّا نُنزِّهه عنه ، صار شُرَطِيّا . ثم قال لكاتبِه : اكتُبْ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، مِن معاوية إلى الوليدِ بنِ عُتْبَة :

(١) الأغانى : « ما يجلسك » .
(٢) الأغانى : « ورح » .

أمّا بعـــد ؛ فالعَجَب لضَرْبك أبنَ سَيْحَان فيما تَشْرَب منه ، وإنّك ضربته في نَبيذِ أهلِ الشّام الّذى يَستعمِلونه وليس بحرام ؛ وإنّما ضربتَه حيث كان حليفاً إلى أبى سُفْيان بن حَرْب ! وأيْم الله ! لو كان حَليفاً للحَـكَم ما ضربتَه ، فأَبطِلْ عنه الحدّ ، أو لَأُقِيدَنّه منك قَبلَ أن أَضرِب مَن أُخِذ معه ، وهو أخوك عبدُ الرّحمن أبنُ الحـكَم ؛ فطُفْ به فى حَلَق المَسجِد ، وأَخبِرهم أنّ صاحِبَ شُرْطَتِك تعدّى عليه وظَلَمه ، وأنّ أميرَ المؤمنين قد أَبطَل ذلك عنه .

أليس أبنَ سَيْحانَ الّذى يقول :

وإنى أمروٌ أُنْمى إلى فَضْل الرُّبا(١) ... عَديداً إذا أرفَضَّتْ عصا المُتحلِّفِ

إلى نَضَدٍ من عبدِ شَمسٍ كأنّهُمْ ... هِضابُ أجَا أركانُها لم تَقَصَّفِ(٢)

مَيامِينُ يَرْضَوْنَ الـكِفاية إنْ كُفُوا ... ويَـكْفُون ما وُلُّوا بغير تـكلُّفِ

غَطارِفةٌ سادُوا البِلادَ فأَحسَنوا ... سِياستَها حـتّى أقرّتْ لمُرْدِفِ(٣)

فمَن يكُ منهمْ مُوسِرًا يُفْش فضلَه ... ومَن يكُ منهمْ معسرًا يتعفّفِ

وإن تُبْسَط النُّعْمَى لهم بَسَطُوا بِها ... أَكُفًّا سِباطًا نفعُها غيرُ مُقرَفِ(٤)

إذا انصرَفوا للحقّ يوماً تصرّفوا ... إذا الجاهلُ الحيرانُ لم يتصرّفِ

سَمَوْا فعلَوْا فوقَ البرّية كلِّها ... بِبُنْيان عالٍ من مُنيفٍ ومُشرِفِ

---

(١) الأغانى : « الورى » .

(٢) النضد ، بالتحريك : الأعمام والأخوال المتقدمون فى الشرف ، وأجا ، مخفف « أجأ » أحد جبلى طيء .

(٣) الغطارفة : السادة الأشراف . والمردف : اسم فاعل من « أردف » ، بمعنى تبع .

(٤) سباط : جمع سبط ؛ وهو السمح الكريم . وغير مقرف غير متهم بما يشينه .

وكتب إليه أن يُعطَى مائةَ شاة[١] وثلاثين لِقْحَةً ممّا يُوطِن السَّيالة[٢] ، وأعطاه هو خمسمائة دينار ، وأعطاه يزيدُ مائتَىْ دينار .

فلمّا وردَ الكتابُ على مَرْوانَ عَظُم ذلك عليه ، ودعا بابنه عبدِ الملك ، فقرَأه عليه ، وشاوَرَه فيه ، فقال له عبدُ الملك : راجِعْه فيه ولا تكذِّب نفسَك ، ولا تُبطِلْ حُكْمَك .

فقال مروان : أنا أعلمُ بحَماقاتِ[٣] معاويةَ منك ، فلمّا كان يوم الجمعة فرغَ من الخطْبة ، فقال : وابن سَيْحانَ ! فإنّا كَشَفْنا أمرَه ، فإذا هو لم يَشْرَب مُسكِرا، وإذا نحن قد أعجَلْنا عليه ، وقد أبطَلْتُ عنه الحدَّ .

ثم نزل ، فأرسَلَ إليه بألفَىْ درهم .

ودعا الوليدُ عبدَ الرحمن بنَ سَيْحانَ أن يعودَ للشَّراب معه ، فقال : واللهِ لا أذوقُ شَرابًا أبدا .

ولمّا قَدِم سعيدُ بنُ عثمانَ المدينةَ قتَلَه غِلمانٌ جاء بهم من الصُّغْد[٤] ، وكان معه عبدُ الرحمن بنُ أرطاةَ بن سَيْحان ، حليفُ بنى الحارثِ بنِ أميّة ، فهرَب عنه لمّا قتلوه .

فقال خالدُ بنُ عُقْبَة بنِ أبى مُعَيط ، يرثِى سعيدَ بنَ عُثمانَ — وعثمانُ أخوه لأُمّه — :

يا عينُ جُودِى بدمعٍ منكِ تَهتانَا ... وابكِى سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عفّانَا
إنّ ابنَ زِينةَ لم تَصْدُق مودَّتُه ... وفَرَّ عنه ابنُ أرطاةَ بنِ سَيْحانا

(١) فى الأغانى « أربعمائة شاة » .
(٢) السيالة : أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة .
(٣) الأغانى : « بعزمات » .
(٤) الصغد : موضع بسمرقند .

وقال ابنُ سَيْحان [يعتَذِر من ذلك][1] :

يقول رجالٌ قد دَعاكَ فلم تُجِبْ ... وذلك من تِلْقاءِ مِثْلِك رائعُ

فإن كان نادَى دَعوةً فسمِعتُها ... فشَلَّتْ يَدِي واستَكَّ مِنّي المَسامِعُ[2]

وإلّا فكانت بالّذى قال باطلًا ... ودارَتْ عليه الدّائراتُ القَوارِعُ

يَلُومُونَنِي أنْ كنتُ فى الدّار حاسِرًا ... وقد فرّ عنه خالدٌ وهو دارِعُ[3]

فقال بعضُ الشعراء يُجيبُه :

فإنّكَ لم تَسمَعْ ولكنْ رأيتَه ... بعَيْنَيْك إذ مَجْراكَ فى الدّار واسعُ

وأَسلمتَه للصُّغْد تَدْمَى كُلومُه ... وفارقتَه والصوتُ فى الدّار شائعُ

وما كان فيها خالدٌ بمُعذَّرٍ ... سواءٌ عليه صَمَّ أو هو سامعُ[4]

فلا زِلتُما فى غُلِّ سَوْءٍ لِعبْرَةٍ ... ودارتْ عليكُمْ بالشَّماتِ القَوارِعُ

وقال العُتْبىّ : لمّا قُتِل سعيدُ بنُ عُثْمان بنِ عفّان قالت أمُّه : أشتَهى أن يرثيه شاعرٌ كما فى نَفْسى حتّى أُعْطِيَه ما يَحتَكِم ، فقال فيه ابن سَيْحان :

إن كنتِ باكيةً فتًى ... فابْكِي هُبِلْتِ على سعيدِ[5]

فارقْتَ أهلَكَ بَغتةً ... وجَلَبْتَ حَتْفَك من بعيدِ

أَذْرِى دُمُوعَكِ والدِّما ... ءَ على الشَّهيد ابنِ الشَّهيدِ

فقالت : هكذا كنتُ أَشتَهى أن يقال فيه ؛ ووصَلَتِ ابنَ سَيْحان ، وكانت تَندُبه بهذا الشِّعر .

---

(١) تكملة من الأغانى .

(٢) استك منى المسامع ، أى صممت .

(٣) الدارع : لابس الدرع .

(٤) المعذر : الذى لم يثبت له عذر .

(٥) ب ، ج : « باكية دما » ، والأجود ما أثبته من الأغانى .

وكان ابن سَيْحانَ صاحِبَ شَراب ، فدخل على ابن عَمٍّ له يقال له : الحارث ابن سَرِيع ، فوَجَده يشرَب نَبيذَ الزَّبيب ، فجعل يَعِظُه ويأمره بشُرْب الخمر ، وقال له : يا بنَ سَرِيع ، إن كنتَ تشربُها حَلالًا إذ نبيذُ الزَّبيب حَلٌّ لك ؛ فإنّك أَحْمَق ، وإن كنتَ تشربُه على أنّه حرامٌ تَستغفِر منه وتتوب فاشربْ أجودَه ؛ فإنّ الوِزْرَ واحد ، ثم قال :

دَعِ ابنَ سَريع شُرْبَ ما كان[1] مَرّةً ... وخُذْها سُلافاً حَيَّةً مُزّةَ الطَّعْمِ

تَدَعْكَ على مُلْك ابنِ ساسانَ قادِرًا ... إذا حرّمت قُرّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ

فشتّانَ بين الحيِّ والمَيْتِ فاعتزِمْ ... زياد على صَهْباءَ رَاوُوقُها يَهْمِى[2]

فإنَّ سَريعاً كان أَوصَى بحُبِّها ... بَنِيه وعَمِّى جاوَزَ اللهُ عن عَمِّى

ويا رُبَّ يومٍ قد شهدتُ بنى أَبى ... عليها إلى أن غاب تاليةُ النَّجْمِ[3]

حَسَوْها صلاةَ العَصْر والشمسُ حَيَّةٌ ... تُدار عليهمْ بالصَّغير وبالضَّخْم

فماتُوا وعاشُوا والمُدامةُ بينهمْ ... مُشَعْشَعة كالنَّجْم تُوصَف بالوَهْمِ[4]

وكان ابن سَيْحان ضَرَب رجلا من أَخْواله بالسَّيْف ، فقَطع يدَه ، ولم تَقُم عليه بيِّنَةٌ ، فتآمرَ به القومُ ، ومنع منه ابنُ خالٍ له ، وخاف الوليدُ بن عُقْبة أن يرجع إلى المدينة هارباً منهم ؛ خوفاً من جِنايته عليهم ، فيفارقَه وينقطعَ عنه ، فدعاهم فأرضاهم وأَعْطاهم دِيَةَ صاحِبهم ، فلم يَزَلْ عند الوليد حتّى عُزِل ، وهو يُدنِيه ويُصْفِيه[5] ، وهو القائل فى الوليد :

---

(١) فى الأغانى : « مامات » .

(٢) رواية الأغانى :

* على مزّةٍ صفراء راووقها يهمى *

(٣) فى اللسان : « وتوالى كل شىء آخره ، وتاليات النجوم أخراها » .

(٤) مشعشعة : ممزوجة .

(٥) فى الأغانى : « وهو نديمه وصفيه » .

إنَّا لنَشْرَبُها حتَّى تميلَ بنا   كما تَمايَلَ وَسْنانٌ بوَسْنانِ

فقال له عبدُ الرّحمن : معاذَ الله أَنْ أَشرَبها وأَنعتَها ، ولكن أنا الَّذى أقول :

سَمَوْتُ بحِلْفِي للطِّوالِ من الرُّبا   ولم تَلقَنى كالنَّسْرِ فى مُلتقًى جَذْبِ

وقام يجرّ مِطْرَفَه(١) بين الصَّفَّيْن حتى خرج ، فأقبل عمرُو بنُ سعيد على أبيه ، فقال : لو أمرتَ بهذا الكلب فضُرب مائتين لكان خَيْرا له ؛ فقال : يا بُنىّ ، أضرِبُه وهو حليفُ حَرْب بن أُمَيَّة ، ومعاويةُ خايفةٌ بالشام ! إذَنْ لا يَرْضَى .

فلمّا حَجّ معاويةُ لقِيَه بمِنًى ، فقال له : يا سعيد ، أَمَرَكَ أَحْمَقُك أن تَضرِب حَلِيفى مائتىْ سَوْط ، أما والله لو جلدتَه سَوْطا لجلدْتُك سَوْطَيْن ، فقال له سعيد : ولِمَ ذاك ؟ أو لم تجلِدْ أنتَ حليفَك عمرو(٢) بن جَبَلة ! فقال له معاوية : هو لَحْمِى آكلُه ولم أُوكِلْه .

---

(١) المطرف . رداء من خز مربع ، فيه أعلام .

(٢) الأغانى : « عمر » .

ذِكرُ عبدِ المَلِكِ الغَرِيض

الغَرِيض لَقَبٌ لُقِّبَ به ، لأنّه كان طَرِيَّ الوجه نَضِرا ، غَضَّ الشَّباب ، حَسَنَ المَنظَر . والغَرِيض : الطَّرِيُّ من كلّ شيء .

قال الكلبي[1] : شُبِّه بالإغْرِيض – وهو الجُمّار – فسُمِّيَ بذلك ، وثَقُل على الألْسُن ، فحُذِفَت الألفُ منه ، فقيل الغَرِيض ، واسمُه عبدُ المَلِك ، وكُنيتُه أبو يزيد .

وقال جماعةٌ من المكّيِّين : كان يُكنَى أبا مَرْوان ، وهو مَوْلَى العَبَلات ، وكان مولَّداً من مولَّدِي البَرْبَر ، ووَلاؤُه ، وولاء يحيى قَيْل ، وسُمَيّةُ لِلثُّرَيّا صاحبة عمرَ ابن أبي رَبيعة ، وأخواتِها : الرُّضَيَّا وقُرَيْبَة ، وأمّ عثمان ، بنات عليّ بن عبدِ الله ابن الحارث بن أميّة الأصغر . وقد مضت أخبارُهنّ .

وكان الغَرِيض يَضرِب بِالعُود ، وينقر بالدّفّ ، ويُوقِع بالقَضِيب ، وكان جميلًا وَضِيئا ، وكان يصنِّعُ نَفْسَه[2] ويُبرِّقُها[3] ، وكان قبل أن يغنِّيَ خَيّاطا ، وأَخَذَ الغناءَ في أوّل مرّة عن ابن سُرَيْج ، وكان يَخدُمه .

فلمّا رأى ابنُ سُرَيج طَبعَه وظَرْفَه ، وحلاوةَ مَنطِقه ، خشِيَ أن يأخُذَ غِناءَه ، ويَغلِبَه عند النّاس عليه ، ويفوقَه بحُسْن وجهِه وجَسدِه ، فاعتلّ عليه ، وشكاه إلى أوليائه ، وهنّ كنّ دفعْنَه إليه ليعلِّمه الغِناء ، وجعل يتجنّى عليه ، ثم طَرَده ،

---

* ترجمته في الأغاني ٢ : ٣٥٩ – ٤٠٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) الأغاني : « ابن الكلبي » .

(٢) يصنع نفسه : يقوم على تزيينها وتحسينها .

(٣) يبرقها ؛ أي يزوقها ويزينها .

فشكا ذلك إلى مَوْلَياته ، وعرّفهن غرضَ ابنِ سُرَيج فى تجنُّبه إيّاه عن نفسه ، وأنّه حَسَده على تقدُّمه ؛ فقلن له : هل لك أن تَسمع نَوْحَنا على قَتْلانا ، فتأْخُذَه ، فتُغنِّى عليه ؟ قال : نعم ، فافْعلْنَ .

فأسمعْنه المَرَاثِىَ ، فاحتذاها ، وخَرَج غِناؤه عليها كالمَراثِى ، وكان يَنُوح مع ذلك فيدخُل المآتم ، وضُرِبتْ دونَه الحُجُب ، فينُوح فيفتِن كلَّ مَن سَمِعه ؛ لِما كان فيه من الشَّجْو[1] .

وكان ابن سُرَيج لا يغنِّى صوتاً إلّا عارَضَه فيه فغنَّى فيه لحناً آخر ؛ فلمّا رأى ابنُ سُرَيج موقعَ الغَرِيض اشتدّ عليه وحَسَده ، فغنَّى الأَرْمالَ والأَهْزاجَ واشتهاها الناسُ .

فقال له الغَرِيض : يا أبا يحيي ، قَصَّرتَ الغِناء وحَذَفْتَه ، قال : نعم ، يا مخنَّث ، حين جعلتَ تَنُوح على أبيك وأمِّك !

ولمّا غَضِب ابنُ سُريج على الغَرِيض وأقصاه وهَجَره لَحِق بجَوْراءَ وبَغُومَ ، النائحتَيْن كانتَا بشِعْب ابنِ عامر بمكّة ، ولم يكن قَبْلَهما ولا بعدَهما مِثْلُهما ، فرأَيَاه يوماً يَعصِر عَيْنَيه ويبكِى ، فقالتا له : مالَكَ تبكِى ؟ فذَكَر لهما ما صَنَع بـه ابنُ سُرَيج ، فقالتا له : لا أَرَقَأَ اللهُ دَمْعَك ، ألْزِزْ[2] رأسَك بينَ ما أخذتَه عنه ، وبين ما تأخذه عنّا ، فإن ضِقْتَ [بعدَها][3] فأَبْعَدَك الله !

وحدث أبو عبدِ الله الزُّبَيْرىّ ، قال : رأيتُ جَرِيرا فى مجلسٍ من مجالسِ قريش ، فسمعتُه يقول : كان المغنُّون بمكّة اثنين ، فسيّد مبرّز ، وتابع مسدّد .

فسألناه عن ذلك ، فقال: السّيّد أبو يحيي بن سُريج ، والتابعُ أبو يزيدَ الغَرِيض.

---

(١) الأغانى : « الشجا » .
(٢) أى اجعل رأسك بينهما .
(٣) من الأغانى .

وكان هناك رجلٌ عالمٌ بالصّناعة ، فقال : كان الغريضُ أحذقَ أهلِ مكّة بالغِناء بعد ابنِ سُرَيج ، ومازال أصحابُنا لا يُفرِّقون بينهما لمقاربتِهما فى الغِناء .

وقال بعضهم : لو حُكِّمْتُ بين أبى يحيى وأبى يزيدَ لمَا فرّقتُ بينهما ، وإنّما تفضيلى لأبى يحيى بالسَّبْق ، فأمّا غيرُ ذلك فلا ؛ لأنّ أبا يزيدَ من عندِه أخذ ، ومن بحرِه اغترَف ، وفى مَيْدانه جرَى ، وكان كأنّه هو ؛ ولذلك قالت سُكَينةُ بنتُ الحُسَين رضى الله عنه ، لمّا غَنَّى ابنُ سُرَيج والغَرِيض :

* عُوجِى علينا رَبّةَ الهَوْدَجِ *

والله ما أفرِّق بينكما ، وما مَثَلُكما إلا كمَثَل اللّؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارِى الحِسان ، لا يُدرَى أىّ ذلك أحسن !

وقال عبدُ الرحمن بنُ محمّد السَّعْدىّ : حضَرتُ شَطْباءَ المغنِّية ، جاريةَ علىّ بن جعفر ذاتَ يومٍ تُغَنِّى :

ليْس بين الحيَاة والمَوتِ إلّا   أنْ يَرُدُّوا جِمالَهُمْ فتُزَمّا[1]

فطَرِب علىُّ بنُ جَعْفَر ، وصاحَ : سبحانَ الله العظيم ! ألا يُوكُونَ[2] قِرْبةً ، ألا يَشُدّون محمِلا ، ألا يعلِّقون سُفْرَةً[3] ، ألا يسلِّمون على جار ! هذه والله العَجَلة .

قال إسحاق : وَلِىَ قضاءَ مكّةَ الأوْقَص المَخْزومىّ ، فما رأى الناسُ مِثلَه فى عَفافِه ونُبْله ؛ فإنّه لَنائمٌ ليلةً إذ مرّ به سَكرانُ يتغنّى :

* عُوجِى علينَا رَبّةَ الهَوْدَجِ *

فأشرَف عليه ، وقال : يا هذا ، شربتَ حَراماً ، وأيقظْتَ نِياماً ، وغَنَّيْتَ خَطأً ، خُذْه عنى فأصْلَحه له وانصرَف .

---

(١) الأغانى : « ليس بين الرحيل والبين » .
(٢) أوكى القربة : شدها بالوكاء ؛ وهو رباطها .
(٣) السفرة هنا : ما يبسط ليؤكل عليه .

حدّث بعضُ المَدَنيِّين قال : خرج ابنُ أبي عَتِيق على نَجِيبٍ له من المدينة ، قد أَوْقَرَه[1] من طُرَف المدينة ، فلَقِيَ فتًى من بني مَخْزوم مُقْبِلا من بعض ضِياعه ، فقال له : يا ابنَ أخي ، أتَصْحَبُنا ؟ قال : نعم. فلمّا كانا قريباً مِن مكّة ، صارا إلى قصْرٍ ، فاستأذَنَ ابنُ أبي عتيق ، فأُذِن له فدخَلَا ، فإذا رجلٌ جالسٌ كأنّه عجوزٌ بَرْبَرِيّة مختضَبة ، وإذا هو الغَرِيض وقد كَبِر ، فقال له ابن أبي عَتِيق : تشوّقْنا إليك ! وأَهدَى إليه ما كان معه ، ثم قال : نُحِبّ أن نَسْمَع ، قال : ادعُوا فلانةَ — جاريةً له — ، فجاءت فغنّت ، فقال : ما صنعتِ شيئا ، ثم حلّ خِضابَه وغنّى :

* عُوجِي علَيْنا رَبّةَ الهَوْدَجِ *

فما سمعتُ أحسنَ منه قطُّ ، فأقاما عندَه ، وخَبّازُه قائم ، وطعامُه كثير . ثم قال ابنُ أبي عتيق لأبي يزيد : أُريد الشُّخوصَ . فلَم يَبقَ بمكّة تُحفةٌ إلّا أَوْقرَ بها راحلَتَه. فلمّا ارتحَلا وبرزا صاحَ الغَرِيض ، فرَجَعا إليه ، فقال : ألم تَرْوُوا عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « يُحشَر من بَقيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمرِ ليلةَ البَدْر » ؟ فقال له ابن أبي عَتِيق : بلى . قال : هذه سِنٌّ لي انتزَعَتْ ، فأُحِبُّ أن تَدْفِنَها في البَقِيع .

قال : فخرجْنا والله أَخْسَرَ اثنَيْن ، لم نَعْتَمِر ، ولم نَدْخُلْ مَكّة حاملِيْن سِنَّ الغَرِيض حتّى دفنّاها بالبَقِيع .

رَوَى بعضُ أهلِ المدينة قال : خرج الغريضُ مع قوم فغنّاهم هذا الصوت :

جرَى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينَها ... فقرّبَني يومَ الحصابِ إلى قَتْلِي
فقالت وأَرختْ جانِبَ السِّترِ إنّما ... معي ؛ فتكلَّم غيرَ ذي رِقبةٍ أهلي
فقلتُ لهـا ما بي لهمْ من ترقُّبٍ ... ولـكنّ سِرِّي ليس يحمِله مِثلي

---

(١) أوقره : حمله .

فاشتدّ سرورُ القَوْم ، وكان معهم غلامٌ أعجبَه ، فطَلَب إليهم أن يكلِّموا الغلامَ في الخَلْوة معه ساعةً ، ففعلوا ، فانطلق مع الغلام حتّى توارَى بصَخْرة ، فلمّا قضى حاجتَه أقبَل الغلامُ إلى القوم ، وأقبلَ الغريضُ يتناولُ حَجَرا حَجَرا ويَقرعُ بها الصَّخْرة ، ففعل ذلك مراراً . فقالوا له : ما هذا يا غَرِيض ؟ قال : كأنّى بها وقد جاءت يومَ القيامة رافعةً ذَيْلَها تَشهَد علىّ بما كان مِنّا إلى جانِبها ، فأردتُ أن أُجَرِّح شهادتَها علىّ ذلك اليوم .

ولمّا أعرضَ ابنُ سُرَيج عن الغَرِيض ، تعلَّمَ النَّوْحَ وبَرّز فيه ، فجاء يوما إحدى مَوْلياته ، وقال: نَهتْنى الجنُّ أن أنوحَ ، وأسمعتْنى صوتا عجيبا ، وقد بَنَيتُ عليه لَحْنا، فاسْمَعْنه منّى ، واندفَع ، فغَنَّى بصوتٍ عجيبٍ في شِعر المَرّار الأَسَدى :

حَلَفتُ لها باللّه مابين ذِى الغَضَا ... وَهَضْب القَنَانِ مِن عَوانٍ ولا بِكْرِ[1]

أحَبُّ إلينا منكِ دَلاًّ وما نَرَى ... به عند لَيْلَى مِن ثواب ولا أجرِ

فكذّبناه ، وقلنا : شىء فكّر فيه وأخرجه على هذا الجِنس[2] ، فكان كلّ يوم يأتينا فيقول : سمعتُ البارحةَ صوتاً من الجِنّ ، بترجيعٍ وتقطيع ، وقد بنيتُ عليه صوتَ كذا وكذا ، فلم يَزَل كذلك ونحن ننكِر عليه ؛ فإنّا لكذلك ليلةً وقد اجتَمع جماعةٌ من نساء أهل مَكّة في جَمْع لنا ، سهِرْنا فيه ليلتنا ، والغَرِيض يغنِّينا بشعر عمرَ بن أبى ربيعة :

أمِن آلِ زينبَ جَدَّ البُكورُ ... نعمْ فلأَىٍّ هَواهاتَصِيرُ !

أبا الغَوْرِ أم أَنْجَدَتْ دارُها ... وكانت حديثاً بعَهْدى تَغُورُ

نظرتُ بخَيْفٍ مِنًى نَظْرةً ... إليها فكادَ فؤادى يَطيرُ

---

(١) القنان : جبل لبنى أسد .

(٢) كذا فى ب ، ج: وفى الأغانى : « اللحن » .

إذ سمعْنا فى بعض اللّيل عزِيفاً عجيبا ، وأصواتاً مختلفةً ذعرَتنا وأفزعَتْنا، فقال لنا الغَرِيض : إنّ فى هذه الأصوات صوتا عجيبا ، إذا نِمتُ سَمِعْتُه ، فأصبح فأبْنى عليه غِناء ، فأصغَيْنا إليه فإذا نَغَمَتُه نغمَةُ الغَرِيض بعَيْنها ، فصدّقناه تلك اللّيلة .

ورَوَى محمّد بن سلّام قال : حجّت عائشةُ بنتُ طلحةَ بنِ عُبَيد الله ، فجاءتْها الثُّرَيّا وأخَواتُها ونساء مكّة من القُرَشيات وغيرهنّ ، وكان الغَرِيض فيمن جاء ، فدَخَل النِّسوةُ فأمرتْ لهنّ بكُسْوة وألْطاف[1] كانت قد أعدّتها لمن جاءها ، فجعلتْ تَخرُج كلّ واحدة ومعها جاريتها حاملةً ما أمَرتْ لها به عائشة ، والغَرِيض بالباب ، حتى خرجتموْلَياته مع جواريهنّ الخِلعُ والألطاف .

فقال الغَرِيض : أين نصيبى من عائشة ؟ فقلنا : أغفَلْناك وذهبتَ عن قلوبنا ، فقال : ما أنا ببارحٍ من بابها ، أو آخُذَ حَظّى منها ، فإنّها كريمةُ بنت كِرام . ثم اندفع يغنّى بشعر جَميل :

تذكّرتُ ليلَى والفؤادُ عَميـدُ وشطّت نَواها والمَزارُ بَعيدُ

فقالت : وَيْلكم ! هذا موْلَى العَبَلات بالباب ، يذكِّر بنفسه ، هاتُوه فدخل ، فلمّا رأتْه ضحكتْ وقالت : لم أعلَمْ بمكانك، ثم دعَتْ بأشياءَ أمرتْ له بها، ثم قالت له: إنْ أنتَ غنّيتَنى صوتاً فى نفسى فلكَ كذا كذا — بشىء سمّتْه له — فغنّاها فى شعر كُثَيِّر :

وما زلتُ مِن لَيلَى لَدُنْ طرّ شارِبى إلى اليوم أُخفى حبَّهـا وأُداجِنُ[2]
وأَحمِل فى ليـلَى لقومٍ ضَغينـةً وتُحمَل فى ليلَى علىّ الضَّغائنُ

فقالت : ما عَدَوْتَ ما فى نفسِى ، ووصَلَتْه ، وأجزلَتْ له .

---

(١) الألطاف : جمع لطف ؛ وهو من طرف التحف ما ألطفك به أخوك لبره بك .

(٢) طر شاربه : طلع ونبت .

قال إسحاق : قلتُ لأبي عبد الله : وهل علمتَ حديثَ هذين البيتين ؟ ولم سألتَ الغريضَ عن ذلك ؟ قال : نعم .

قال الشّعْبي : دخلتُ المسجدَ، فإذا بمُصعَب بن الزُّبير على سَرِير جالسٌ، والناسُ عندَه ، فسلّمتُ ثمّ ذهبتُ لأنصرِف ، قال : ادْنُ ، فدنَوْت حتّى وضعتُ يدى على مَرافِقه[1] ، ثم قال : إذا قُمْتُ فاتّبِعْني ، فجلس قليلا ثم قال : أدخُل ، فدخلتُ ، فإذا أنا بالحجلة[2] ، وإنها لأوّل حَجَلة رأيتها لأمير ، فقام ودَخَل الحَجَلة ، فسمعتُ الحركة وكرهتُ الجلوسَ ، ولم يأمرْني بالانصراف .

فإذا جاريةٌ قد خرجتْ ، فقالت : يا شَعْبيّ ، الأميرُ يأمرُك بالجلوس ، فجلستُ على وِسادة ، ورُفع سَجْف الحَجَلة ، وإذا بعائشة بنتِ طلحة ، فلم أرَ زَوْجين قطُّ كان أجملَ منهما ، مُصعَب وعائشة . فقال مصعب : يا شَعْبيّ ، هل تَعرِف هذه؟ قلتُ: نعم ، أصلَحَ الله الأميرَ ! قال : فمَن هِيَ ؟ قلت : سيّدة نساء العالمين ، عائشةُ بنت طلحة. قال : لا ، ولكن هذه التى يقول فيها الشاعر :

* وما زلتُ مِن لَيلَى لَدُنْ طَرّ شارِبى *

وقال : إذا شئتَ فَقُم فقُمت ، فلمّا كان العشاء رُحْت إلى المسجد ، فإذا هو جالسٌ على سريرِه في المَسجِد ، فلمّا رآنى قال : ادنُ ، فدنَوْتُ فأَصغَى إلىّ[3] ، فقال : هل رأيت مِثلَ ذلك لإنسانٍ قطّ ؟ لِمَ أَدْخَلْناك ؛ هل تعرف؟ قلت : لا ، قال: لِتُحدِّثَ بما رأيتَ ، ثم التفت إلى عبد [الله[4] بن فَرْوَة] : أعطِه عشرةَ آلافِ درهم ،

---

(١) جمع مرفق أو مرفقة ؛ وهى المخدة .

(٢) حجلة العروس : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور .

(٣) أصغى إلى : أمال رأسه .

(٤) من الأغانى .

وثلاثين ثوبا ، فانصرفتُ بعشرة آلافِ درهم ، وبمِثْل كارةِ[1] القَصار ثيابا بنَظْرةٍ من عائشةَ بنت طلحة .

قَدِم يزيدُ بنُ عبدِالمَلِك مكة ، فبعث إلى الغَرِيض سِرّا فأتاه، فغنّاه بشعرِ كُثَيِّر :

وإنى لأَرْعَى قومَها من جَــلالِها   وإن أَظهروا غِشًّا نصحتُ لهم جَهْدِى

ولو حارَبُوا قَوْمى لـكنتُ لقومهــا   صديقاً ولم أحمِل على قومِها حِقْدِى

فأشير إلى الغريض أن اُسْكُت وفَطِن يزيد فقال : دعوا أبا يزيدَ حتّى يغنّيَنى بما يريد . فأعاد عليه الصوتَ مرارا ، ثم قال : زِدْنى ممّا عندك ، فغنّاه بشِعر عَمرو ابن شَأْس الأَسَدىّ :

أرادتْ عَرَاراً بالهَوان ومَن يُرِدْ   عَرَارًا لَعَمْرِى بالهوان فقد ظَلَمْ

وإن عَرَارًا إن يكن غيرَ واضحٍ   فإنى أُحِبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ[2]

قال : فطَرِب يزيدُ وأَمَر له بجائزةٍ سنِيّة .

قال إسحاق : وكان قُدومُ يزيدَ إلى مكّة ، وبَعْثُه إلى الغَرِيض سِرّا قبــل أن يُستخلَف ، فقلت لأبى عبــد الله : لِمَ أُشير إلى الغَرِيض بأن يَسكتَ حين غنّاه بشعرِ كُثيّر :

* وإنى لأَرْعَى قومَها من جَلالِها *

وما السَّبَب فى ذلك ؟

فقال أبو عبدالله : أنا أحدِّثك[3] ، حدّثنى أبى قال: كان عبدُ المَلِك بنُ مَروانَ من أشدّ النّاس حُبًّا لعاتـكةَ امرأته ، وهى أمُّ ابنه يَزيد ، وهى بنت يزيدَ بنِ معاوية،

---

(١) الـكارة من الثياب : ما يجمع ويشد ، وكارة القصار سميت بذلك لأنه يكور ثيابه فى ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض .

(٢) يقال : رجل عمم ، أى خير يعم خيره .

(٣) فى الأغانى : « أحدثكه » .

وأمُّها أمُّ كُلثوم بنت عبدالله بن عامر بن كُرَيز ـ وكان بينهما باب ـ فحجَبَته وأغلقَتْ ذلك البابَ ، فشقَّ غضبُها على عبد المَلِك ، وشكاها إلى رجل من خاصّته ، يقال له : عمر بن بِلال الأَسَدِيّ ، فقال له : ما لِي عندكَ [إذا رَضِيَتْ ؟][1] قال : حُكْمُك، فأتى عُمر بابَها فجعل يَتَباكى ، وأشار إليها بالسَّلام ، فخرجتْ إليه حاضِنَتُها وجَوارِيها ومَوالِيها ، فقلن : ومالَكَ ؟ قال : لى ابْنان لم يكن لى غيرُهما ، قَتَل أحدُهما صاحبَه . فقال أميرُ المؤمنين : أنا قاتِلُ الآخَرَ به ، فقلتُ : أنا الوَلِيُّ ، وقد عفَوْتُ ، فقال : لا أُعَوِّدُ الناسَ هذه العادة ، فرجَوْتُ أن يُنْجِيَ اللهُ ابنى هـذا على يَدِها ، فدخَلْنَ إليها فذَكَرْن لها ذلك ، فقالت : وكيف أصنَع مع غَضَبِي عليه ، وما أَظْهرتُ له ؟ قلن : إذًا واللهِ يُقتَل ، فلم يزَلْن بها حتّى دعت بثيابها فأَجْمَرَتْها[2] ، ثمّ خرجتْ نحوَ الباب .

وأقبل حُدَيج الخَصِيّ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذه عاتِكةُ قد أقبلَتْ ، قال : وَيْلَك ما تقول ؟ قال : واللهِ طَلَعَتْ فأقبلَتْ ، وسَلَّمت فلم يَرُدَّ عليها السَّلامَ ، فقالت : أما والله لولا عُمر ما جئتُ ، إنّه تَعَدَّى أحدُ ابنيه على الآخَر فقتَلَه ، فتريد قَتْلَ الآخَر ، وهو الوَلِيُّ ، وقد عَفَا .

قال : إنى أكرَه أن أُعَوِّدَ الناسَ هذه العادة . قالت : أَنشُدُكَ اللهَ يا أميرَ المؤمنين ، فقد عرفتَ مكانَه من أمير المؤمنين معاوية ، ومن أمير المؤمنين يزيد ؛ فلم تَزَلْ به حتّى أخذَتْ بِرِجْله فقبّلَتْها .

فقال : هُوَ لَكِ ، فلم يَبْرَحا حتى اصطَلَحا ، ثم راح عُمر بنُ بِلال إلى عبدالمَلِك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، كيف رأيتَ ؟ فقال : رأينا أَثَرَكَ فهاتِ حاجَتَك .

---

(١) تكملة من الأغانى .

(٢) أجمرتها : بخرتها .

قال : مَزْرعةٌ بعَبِيدِها وما فيها، وألف دينار ، وفرائض لأهل بيتى ووَلَدى وعِيالى .

قال : ذلك لك ، ثم تمثّل بشعرِ كُثيِّر :

* وإنى لأَرْعى قومَها من جَلالِها *

فعلمتْ عاتكةُ ما أراد ، فلمّا غَنَّى يزيدُ بهذا الشِّعر كرهَتْه مَواليه ، إذ كان عبدُ المَلِك تمثَّلَ به فى أُمّه ، ولم يُنكِره[1] يزيد .

ثم قال : لو قيل هذا الشِّعرُ فيهما ثم غُنِّىَ به لما عِيبَ[2] فكيف ، وإنّما هو مَثَل تمثَّل به أميرُ المؤمنين فى أجمل العالمين !

قال أبو عبدِ الله : وأمّا خبرُه لمَّا غَنَّى بشِعر عَمرو بنِ شَأْس ، فإنّ ابنَ الأَشْعَث لمَّا قُتِل بعثَ الحجَّاجُ برأسِه إلى عبدِ الملك مع عَرار بن عَمرو بنِ شَأْس ، فلمّا وَرَد به ، وأَوْصَلَ كتابَ الحجَّاج ، جعَلَ عبدُ الملك يقرؤه ، فكلَّما شكَّ فى شىء يَسأَل عَرارا عنه ، فأخبَرَه به ، فعَجِب عبدُ الملك من بَيانِه وفصاحته مع سَوادِه ، فقال متمثِّلا :

وإن عَرارًا إن يكنْ غيرَ واضحٍ فإنى أُحِبّ الجَوْنَ ذا المَنكِبِ العَمَمْ

فضَحِك عَرار من قولِه ضحكا غاظَ عبدَ الملك ، فقال له : ممّ ضَحِكْتَ وَيْحك ! قال : أَتعرِف عَرارا يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : لا والله ، قال : فأنا عَرار[3] ، فضَحِك عبدُ الملك ، ثم قال : حَظٌّ وافقَ كلِمة ، ثم أَحْسَنَ جائزته وسَرَّحه .

وإنما أراد الغَرِيضُ أن يغنِّى يَزيدَ بمُتَمَثَّلاتِ عبدِ الملك فى الأمور العظام فلما تبيّن كراهةَ مواليه غِناءه فيما تمثَّل به فى عاتكةَ بنت يزيد بن معاوية أراد أن يُعقِبَه بما تمثَّل به فى عَرار .

---

(١) فى الأغانى : « ولم يكرهه » .

(٢) الأغانى : « لما كان عيبا » .

(٣) الأغانى : « فأنا والله هو » .

وحَدّث يونسُ الكاتبُ قال : حدّثني مَعبَد ، قال : خرجتُ إلى مكّة فى طلب لِقاءِ الغَريض ، وقد بَلَغنى حُسْنُ غِنائه فى لَحْنِه :

وماأَنْسَ مِ الأَشْياءِ لاأَنْسَ شادِناً ... بمَكَّةَ مكحولًا أَسيلًا مَدامِعُهْ

وقد بلغنى أنّه أوّل لَحْن صَنَعَه ، وأنّ الجنّ نَهَتْه أن يغنِّيَه ، لأنّه قهر[(١)] طائفةً منهم ، فانتقَلوا عن مَكَّة من أجْل حُسْنِه ، فلمّا قدِمْتُ مكّةَ سألت عنه ، فدُلِلتُ على منزله ، فأَتَيتُه فقرَعْت البابَ ، فما كلّمنى أحد ، فسألتُ بعضَ الجيران ، فقلت : هــل فى الدار أحَدٌ ؟ فقال لى : نعم ، فيها الغَرِيض . فقلت : إنّى قـد أكثرتُ دَقَّ الباب فما أجابنى أحدٌ ، قالوا : إن الغَرِيض هُناك فرجعتُ فدقَقْتُ البابَ ، فلَم يُجِبْنى أحد . فقلتُ : إنْ نفَعَنى غِنائى يوما ما نفعنى اليومَ ، وأُندفعْتُ فغنّيتُ شِعْرى ولَحْنى فى شِعرِ جَميل :

عَلِقتُ الهوَى منها وَلِيداً ولَم يَزَلْ ... إلى اليــومِ يَنمُو حبُّها ويَزيدُ

فوَاللهِ ما سمعتُ حَركةَ الباب ، فقلت : بَطلَ سِحْرِى[(٢)] ، وضاع سَفَرِى حيث جئتُ أَطلُب ما هوَ عَسيرٌ علىّ ، واُحتقرْتُ نفسِى وقلتُ : لم يتوهّمْنى[(٣)] لضَعْف غنائى عندَه ، فما شَعرتَ إلّا وَصائحٌ يَصيح : يا مَعْبَدَ المغـنّى ، افهَمْ وتلَقَّنْ[(٤)] غـنّى شعرَ جَمِيل الذى تغـنّى فيه يا شَقِىَّ البَخْت ، وغَـنّى :

وماأَنْسَ مِ الأَشياءِ لا أَنْسَ قولَها ... وقد قرّبتْ نِضْوى أَمِصْرَ تُرِيدُ[(٥)]

---

(١) الأغانى : « فتن » .

(٢) بطل سحرى : ضاعت حيلتى .

(٣) لم يتوهمنى : لم يتبينى ولم يعرفنى .

(٤) الأغانى : « وتلق » .

(٥) النضو : المهزول من الإبل .

ولا قولَها لولا العُيونُ الّتى[1] تَرَى ... لزُرْناكَ فاُعذِرْنى فَدَتْك جُدودُ
خَليلىَّ ما أُخفِى من الوجدِ باطِنٌ ... ودمْعِى فيما قُلتُ فهــوَ شَهِيدُ[2]
لــكلِّ حديثٍ بينهنّ[3] بشاشةٌ ... وكلّ قتيــلٍ بينهنّ شهيدُ

قال : لقد سمعتُ شيئًا لم أَسْمع أحسنَ منه ، وقَصَّر إلىّ نَفْسى ، وعلمتُ فضيلتَه علىّ ، وعلمتُ أنه حَرِىٌّ بالاُستتار من النّاس تَنْزِيهاً لنفسه ، وتعظيما لقَدْره ، وإنّ مِثلَه لايَسْتَحِقّ الاُبتِذال ، ولا أن تَتداوَله الرِّجالُ . وأردتُ الاُنصرافَ إلى المدينة ، فلمّا كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائحٍ يصيح : يا مَعبَد ، انْتَظِرْ أكلِّمْك ، فرجعتُ ، فقال لى : الغريضُ يَدْعوك ، فأسرعتُ فَرِحا ، فدنوتُ من الباب فقال : أتُحِبُّ الدخول ؟ فقلت : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ فقَرَع الباب ، ففُتِح ، وقال : ادخُل ولا تُطِل الجلوسَ ، فدخلتُ فإذا بشمسٍ طالعة فى بَيْت ، فسلّمت فرَدَّ السلامَ ، ثم قال : اجلسْ ؛ فجلستُ ؛ فإذا أَنْبلُ الناس وأحسَنُهم وَجْها وخَلْقا وخُلُقا ، فقال : يامَعْبَد ، كيف تطرّبْتَ[4] إلى مَكّة ؟ فقلتُ : وكيفَ عرفتَنى ؟ قال : بصَوْتك ، فقلتُ : وكيف وأنتَ لم تَسمَعه قَطّ ؟ قال : لمّا غنّيتَ عرفتُك ، وقلتُ : إن كان مَعبَدٌ فى الدّنيا فهذا ، فقلتُ : فـكيف أَجبتَنى بقولك :

وما أَنْسَ مِ الأشياء لا أَنْسَ قَولها ... وقد قرّبتْ نِضْوى أمصرَ تُريدُ

قال : علمتُ أنك تريد أن أُسمِعَك صوتى :

وما أَنْسَ مِ الأشياء لا أَنْس شادِياً ... بمَكّةَ مكحولًا أَسِيلًا مَدامِعُهْ

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « الذى »
(٢) الأغانى : « ودمعى بما قلت الغداة شهيد » .
(٣) الأغانى : « عندهن » .
(٤) الأغانى « طرأت » ، وتطربت : اشتقت .

ولم يكُ إلى ذلكَ سبيلٌ؛ لأنّه صوت نُهيتُ عنه، فغنّيتُ هذا جواباً لك، فقلت: والله ما عَدَوْتَ ما فى نفسى شيئاً، فهل لك حاجةٌ؟ فقال لى: يا أبا عبّاد، لولا مَلالةُ الحديث، وثِقَل الإطالة، لأستكْثَرْتُ منك فأعذِرْ.

فخرجتُ من عندِه، وإنّه لأجلُّ الناس عندى، ورجعتُ إلى المدينة، فحدّثتُ بحَديثه، وذكرتُ بهذا الشعرِ الجميلِ، أمرَ جميل وبُثَيْنَة، فقلت: ليتَنى وجدتُ إنسانا يحدّثنى بقصّة جَميل فى هذا الشّعر، فأكونَ قد أخذتُ بفضيلة الأمرِ كلّه فى الغِناء والشّعر، فسألتُ عن ذلك، فإذا الحديثُ مشهور.

وقيل: إن أردتَ أن تُخبَرَ بمشاهَدَته، فأْتِ بنى حَنْظلةَ؛ فإنّ فيهم شيخا منهم يقال له: فلان يُخبِّرْكَ الخبرَ، فأتيتُ الشيخَ فسألتُه، فقال: بينا أنا فى إبلى فى الرّبيع؛ إذا أنا برجل مُنطوٍ على راحلتِه كأنّه جانّ، فسَلّم علىّ وقال: مَن أنتَ يا عبدَ الله؟ فقلتُ: أحدُ بنى حَنظلة. قال: فسألنى حتّى بلغ الفَخِذ الّتى أنا منها، ثم سألَنى عن بنى عُذْرة، أين نزَلوا؟ فقلتُ: هل ترَى ذلك السَّفْح؟ فإنّهم نزَلوا مِن وَرائه، قال: يا أخا بنى حَنْظَلة، هل لك فى معروف تصطَنِعه إلىّ، فوالله لو أعطيتَنى ما أصبحتَ تَسُوق من هذه الإبل، ما كنتُ بأشكَرَ لك منّى عليه.

قلتُ: نعم. ومَن أنتَ أوّلا؟ قال: لا تَسألْنى ولا أُخْبِرْك؛ غير أنّى رجلٌ بينى وبين هؤلاء القومِ ما يكون بين بنى العمّ، فإن رأيتَ أن تأتيهم فإنّك تَجد القومَ فى مجلسهم، فتنشدُهم بَكْرَةً(١) أَدْماءَ تَجُرُّ خُفَّيها غُفْلاً(٢) مِن السِّمة، فإن ذَكَروا لك شيئا فذاك، وإلّا فاستأْذِنْهم فى البُيوت، فقلت: إنّ الصبىّ والمرأةَ قد يَرَيان مالا يرَى الرِّجالُ فتنشدُهم، ولا تَدَع أحدا تُصيبُه عينُك، ولا بيتاً من بيوتِهم إلّا نَشَدْتَها فيه.

---

(١) البكرة: الفتية من الإبل، والأدماء: وصف من الأدمة، والأدمة فى الإبل: السمرة.
(٢) غفلا من السمة، أى لا علامة بها.

فأتيتُ القومَ ، وإذا هم على جَزُور لهم يتقاسَمُونها ، فسَلّمتُ وأنتسَبْتُ لهم ، ونشَدْتُهم ضالّتي ، فلم يَذكُروا لى شيئا ، فاستأذنتهم فى البيوت ، فأَذِنوا لى ، فأتيتُ أقصاهم ، ثم أستقْصَيْتُها بيتًا بيتا ، فأنشدهم فلا يذكرون شيئا حتى أنتصَف النهارُ وآذانى حرُّ الشمس ، وعَطِشتُ وفَرغْتُ من البيوت ، وذهبتُ لأنصرف ، فحانتْ منّى ٱلتفاتةٌ فإذا ثلاثةُ أبيات ، فقلت : ما عندَ هؤلاء إلّا ما عند غيرهم ! ثم قلتُ فى نفسى : سَوْءَةً ! وَثِق بى رجلٌ زعم أنّ حاجته تعدِل مالى ، ثم آتيه فأقول : عَجَزْتُ عن ثلاثة أبيات ، فانصرفتُ عامدا إلى أعظمها بيتا ، فإذا هو قد أُرْخِيَ مقدّمُه ومؤخَّرُه ، فسلَّمتُ فردّ علىّ السلام ، وذكرتُ ضالّتي .

فقالت جاريةٌ لهم : يا عبدَ الله ، قد أَصبتَ ضالّتك ، وما أَظنُّك إلّا قد اشتدّ الحرُّ عليك ، واشتهيتَ الشراب . فقلت : أَجَلْ ، قالت : ادخُل ، فدخلتُ ، فأتتْنى بصَحْفةٍ فيها تمرٌ من تمرِ هَجَر ، وقَدَح فيه لَبَن ، والصّحْفةُ مصريّة مفضَّضة ، والقدَح مفضَّض ، ولَم أَرَ إناءً قطُّ أحسنَ منه ، فقالت : دونَك ، فتجمعَّتُ وشربتُ من اللَّبَن حتى رَوِيت ، وقلت : يا أَمَةَ الله ، واللهِ ما أتيتُ اليومَ أكرمَ منكِ ولا أحقَّ بالفَضْل ، فهل ذَكرتِ من ضالّتي ذِكْرا[1] !

فقالت لى : هل ترَى هذه الشجرةَ فوقَ الشَّرَف[2] ؟ فقلتُ : نعم ، قالت : إن الشّمس غَرَبَتْ أمسِ وهى تُطِيفُ حولَها ، ثم حالَ الليلُ بينى وبينها . فقمتُ فجزَيْتها خيْرا ، وقلتُ : واللهِ لقد تغدَّيْتُ ورَوِيتُ ، فخرجتُ حتّى أتيتُ الشّجرةَ فأَطَفتُ بها ، فوالله ما رأيتُ من أثَرِها شيئا ، فانصرفْتُ إلى صاحبى ، فإذا هو مُتَّشِحٌ فى الإبل بكِسائه ، وهو رافعٌ عَقِيرتَه[3] يغنّى ، فقلتُ : السّلام عليك .

---

(١) الأغانى : « شيئا » .
(٢) الشرف : المكان العالى .
(٣) عقيرة الرجل : صوته .

قال : وعليكَ السّلام . ما وراءَك ؟ قلتُ : ما وَرائى شَىء . قال : لا عليك ، فأَخْبِرْنى بما فعلتَ .

فقصصتُ عليه القصّة حتى أنتهيتُ إلى ذكر المرأة ، وأخبرتُه الّذى صنعتْ .

فقال : قد أصبتَ ضالّتَك . قال : فعجبتُ من قوله ، وأنا لم أجد شيئا ، ثم سألنى عن صفة الإناءَيْن : الصَّحْفة والقَدَح ، فوصفتُهما له ، فتنفّسَ الصُّعَداء ، ثم قال : قد أصبتَ طَلِبتَك ، وَيْحَك ! ذكرتْ لكَ الشجرةَ ، وأنها تُطيف بها فقال: حَسْبُك! فمكثتُ حتّى إذا أوَتْ إبلى إلى مَبارِكها ، دعوتُه إلى العَشاء ، فلم يَدْنُ منه ، وجلس عنى[1] بمَزْجَرِ الكلب ، فلمّا ظنّ أنى قد نِمْتُ رمقتُه فقام إلى عَيْبةٍ[2] له ، فاستَخرَج منها بُرْدَين ، فأتزَرَ[3] بأحدِهما وأرتَدَى بالآخَر ، ثم أنطلَق عامدا نحوَ الشّجرة ، فاستبطَنْتُ الوادىَ ، فجعلتُ أحْضِرُ حِينَ خِفْتُ أن يَرانى أنبطحتُ ، فلَم أزَلْ كذلك حتى أتيتُ إلى شَجَراتٍ قريبة من تلك الشجرة حيثُ أَسمَع كلامَها ، فاستترتُ بهِنّ ، فأقبَلَ حتّى إذا كان منها غيرَ بعيد ، قالت : اجلِس ، فوالله لكأنّه لَصِق بالأرض ، فسلَّم عليها وسألَها أكرمَ سؤالٍ سَمِعتُ به قَطّ ، وأبعدَه من كلّ رِيبة ، وسألتْه مِثْلَ مسألتَه ، ثم أمرَتِ الجاريةَ فقدّمتْ له طعاما ، فلمّا أكل وفرَغ قالت : أنشِدْنى ما قلتَ : فأَنشَدَها قولَه :

عَلِقتُ الهَوَى منها وَليداً فلَم يَزَلْ ... إلى اليومِ يَنمِى حُبُّها ويَزيدُ

فلمْ يَزالَا يتحادَثان[4] ، مايقولان هُجْرا ولا فُحْشَا ؛ حتى ألتفتَت التفاتةً ، فنظرتْ إلى الصُّبح ، فوَدَّع كلٌّ واحد منهما صاحبَه أحسنَ وَداع ماسمِعتُ بمثله قطُّ ،

---

(١) الأغانى : « منى » :

(٢) العيبة : وعاء من أدم يكون فيه المتاع .

(٣) الأغانى : « فاتزر » .

(٤) الأغانى : « يتحدثان » .

ثم أنصرَفا ، وقمتُ فمضيتُ إلى إبلى ، فاُضطجَعْت ، وكلٌّ واحـدٍ منهما يمشى خَطْوةً ثم يَلتفِت إلى صاحبه ، فجاء بعد ما أصبحْنا ورَفع بُرْدَيه ، ثم قال : يا أخا بنى تَميم ، حتّى متى تَنام ؟ فقمتُ وتوضّأت وصَلَّيت وحلبتُ إبلى وأعانَنى عليها ، وهو أظهرُ النّاس سرورا ، ثم دعوتُه إلى الغَداء فتغدَّى ، ثم قام إلى عَيْبَتِه فافتَتَحها ؛ وإذا فيها السِّلاح وبُرْدانِ ممّا كستْه الملوك ، فأعطانى أحدَها ، وقال : أما والله لو كان معى شىء ما أدّخرتُه عليك(١) ، وحدَّثنى بحديثه ، وأنتَسَب لى ؛ فإذا هُوَ جَميل ، والمرأةُ بُثَيْنَة ، فقال لى : قد قلتُ أبياتاً فى مُنْصرَفى مِن عندِها ، فهل لكَ أن تأتِيهَا(٢) فتُنْشِدَها ؟ فقلتُ : نعم ، فأنْشَدنى :

وما أَنْسَ م الأشياء لا أَنْسَ قولَها … وقد قَرّبتْ نِضْوى أمِصْرَ تُرِيد !

ثم ودَّعَنى وأنصرَف ، ومكثتُ حتّى أخذَتِ الإبلُ مَراتِعها ، ثمّ عَمَدْتُ إلى دُهْن كان معى ، فدَهَنْت به رأسى ، ثم أرتَديْتُ بالبُرْدَين ، وأتيتُ المرأةَ فقلتُ : السلامُ عليكم ، إنِّى جئتُ أمسِ طالبا ، واليومَ زائرا ، أفتأذَنُون ؟ قالت : نعم . فسمعتُ جُوَيْرِيَةً تقول : والله يا بُثَيْنة عليه بُرْدُ جَميل ، فجعلتُ أُثنِى على ضَيْفى ، وأصِف(٣) فَضْلَه . وقلتُ : إنّه ذَكَرَكِ(٤) ، فهل أنت بارِزةٌ لى فأنظرَ إليك ؟ قالت : نعم .

فلَبِست ثيابَها ، وبرَزَتْ ، ثم دعتْ لى بمُطْرَف(٥) ، ثم قالت : ياأخا بنى تميم ،

---

(١) الأغانى : « عنك » .

(٢) الأغانى « إن رأيتها » .

(٣) الأغانى : « وأذكر » .

(٤) زاد فى الأغانى بعدها : « فأحسن الذكر » .

(٥) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام .

والله ما ثَوْباكَ هذان بمشتبِهَيْن ، ودَعَتْ بعَيْبَتِها ، وأخرجتْ لى مِلْحَفةً[1] مَرَوِيّةً مشبَعَةً من العُصْفُر .

ثم قالت : أقسمتُ عليك لتقومَنّ إلى كِسْرِ البيت ، وتَخلعَنَّ مِدرَعتكَ[2] ، ثم لتَبْرُزَن[3] بهذه الخِلْعة ، فهىَ ببُرْدِكَ أشبَه .

ففعلتُ ذلك ، وأخذتُ مِدْرَعَتى بيَدِى، فوضعتُها إلى جانبي ، وأنشدتُها الأبيات ، فدمَعَتْ عيناها ، وتحدَّثْنا طويلا من النّهار .

ثم انصرفتُ إلى إبلى بِمِلْحَفَةِ بُثينة وبُرْدِ جَميل ، ونظرةٍ مِن بُثَيْنة .

قال مَعبَد : فجزيتُ الشيخَ خَيْرا ، وانصرفتُ مِن عندِه ، وأنا واللهِ أحسنُ الناسِ حالًا بنظرةٍ مِن الغَرِيض ، وأستماعٍ لغنائه ، وعلمٍ بحديث جَميلٍ وبُثَيْنَةَ ، فما سمعتُ[4] قَطُّ زَوْجَين أحسنَ مِن جَميلٍ وبُثينة ، ومِن الغريض ومِنّى .

وسَمِع الغَريضُ أصواتَ رُهْبانٍ باللّيل فى دَيْرٍ لهم ، فاستحسَنَها ، فقال له بَعضُ مَن كان مَعَه : يا أبا يزيد ، صُغْ[5] لنا فى هذا الصّوت لَحْنا ، فصاغ مِثْلَه فى لَحنِه :

يا أمَّ بَكْرٍ حُبّكِ البادِى ... لا تَصْرِمِينى إنَّنى غادِى
جَدَّ الرحيلُ وحَثَّنى صَحْبِى ... وأُرِيدُ إمْتاعاً مِن الزّادِ

رَوَى عَمرو بنُ عُقْبة المعروف بابن الماشطة ، قال : خرجتُ أنا وأصحابٌ لى منهم ابن أبى عُقْبة[6] هيثم إلى العَقِيق ، ومعنا رجلٌ ناسِكٌ كنّا نَحْتَشِم منه ، وكان

(١) الملحفة : اللباس الذى فوق اللباس من دثار البرد ونحوه ومروية : نسبة إلى مرو .

(٢) المدرعة : ضرب من الثياب ، ولا يكون إلا من صوف .

(٣) الأغانى : « ثم لتأتزرن » .

(٤) الأغانى : « فما سمعت ولا نظرت » .

(٥) الأغانى : « صغ على مثل هذا الصوت لحنا » .

(٦) الأغانى : « فيهم إبراهيم بن أبى الهيثم » .

محموما نائما ، ونحن نَهابُه ونَحتَشِم منه ، فقلتُ له : إنّ فينا رَجُلا يُنشِد الشعرَ فيُحسِن ، ونُحبّ أن نَسمَعه ؛ لـكنّا نَهابُه(١) .

قال : وما علىَّ منـكم ! أنا محمومٌ نائم ، فاْصنعوا ما بدَا لـكم ، فاْندفع إبراهيمُ يُغَنِّى :

يا أمَّ بَكْرٍ حُبُّكِ البادِى لا تَصْرِمِينى إنّنى غادِى

فأجادَه وحسَّنَه ، فوَثَب الناسكُ وجعل يرقُصُ ويَصِيح : أُريدُ إمْتاعاً من الزّاد ثم كَشَف عن أَيْرِه ، وقال : أنا أَنِيكُ أمَّ الحُمَّى .

فكان يقول ابنُ الماشِطة لى : أَعتقْتُ ما أملِك إن كان ناكَ أمَّ الحمَّى أحدٌ قبلَه .

وكانت وفاةُ الغَرِيض فى أيّام سليمانَ بنِ عبدِ المَلك ـ أو عمرَ بنِ عبد العزيز ـ لم يَتجاوَزْها .

والأشبَه أنّه مات فى خلافة سليمانَ ؛ لأنّ الوليدَ كان ولّى نافعَ بنَ علقمةَ مكّة ، فهرَب منه الغَرِيض ، فأقامَ باليَمَن واْستوطَنَها مدّة ، ثم مات بها .

قال أبو غسّان : إنّ نافع بنَ عَلْقمة لما وُلّىَ مكّة خافه الغَرِيضُ ، وكان كثيرا ما يَطلُبه فلا يَجيئُه ، فهرَب منه ، واْستخفَى فى بعض منازلِ إخوانه ، فحدّثنى رجلٌ من أهل مكّة كان يَخدمُه ، إنه دَفَع إليه يوماً رَبْعةً(٢) ، وقال : صِرْ بها إلى فلان العطّار يملؤها طِيبا .

قال: فصِرتُ بها إليه ، فلقيَنى نافع بنُ علقمة، قال : هذه رَبْعةُ الغَرِيض والله ، فلَمْ أقدِرْ أن أكتمَه ، فقلتُ : نعم ، فقال : وما قصّتُه ؟ فأخبرتُه الخبرَ ، فضَحِك وقال : صِرْ معى إلى المنزل ، ففعلتُ فمَلأَها طِيبا ، وأعطانى دنانيرَ ، وقال : أَعطِه

---

(١) الأغانى : « نهابك » .

(٢) كذا فى الأغانى ، وفى ب ج : « رقعة » .

إيّاها ، وقل له : يَطْهَر فلا بأسَ عليه ، فصِرْتُ إليه مسرورا ، فأخبرتُه بذلك ، فجزِع وقال : الآن ينبغى لى أن أَهرب ، إنّما هذه حيلةٌ أُحتالَها علىّ لأقَعَ فى يدِه ، ثم خرج مِن وقتِه إلى اليمَن ، فكان آخرَ العهْد به .

ولما خرج إلى اليمَن اُجتاز به بعضُ أصحابِه فى سَفَرهم ، فلمّا رآهم بكى فقالوا له : ما يُبكِيكَ ؟ قال : وكيف يَطيبُ لى أن أعيشَ بين قوم يرَوْننى أَحْمِل عُودِى فيقولون : يا هَناه(١) ، أتبيع مؤخرةَ(٢) الرَّحْل .

فقالوا له : اِرجعْ إلى مكّة فبها أهلُك . فقال : إنّما كنتُ أستلِذّ مكّة ، وأعيشُ بها مع إخوانى ، وقد أَوْطَنْتُ(٣) هذا البلد ، فلستُ تارِكَه ما عشتُ .

قالوا له : فغَنِّنا بشىء من غِنائك ، فتأبَّى ، فأقسَموا عليه ، فأجابَ ؛ وعَمَدوا إلى شاةٍ فذَبحوها ، وخرطوا مِنْ مُصْرانِها أوتارا ، فشدَّها على عُودِه ، واُندفع يغنّى فى شعر زُهَير :

جَرَى دمعِى فهيَّجَ لى شُجونا ... فقلبِى يُسْتَجَنُّ به جُنونا
أأبكِى للفراقِ وكلُّ حَىٍّ ... سَيَبكِى حين يَفْتَرِقُ القَرِينا(٤)
فإن تُصْبِح طُلَيْحَةُ فارَقَتْنى ... بِبَيْنٍ فالرَّزِيّةُ أن تَبِينا
فقد بانتْ بكُرْهِى يومَ بانتْ ... مُفارِقةً وكنتُ بها ضَنِينا

فما سمِعنا شيئاً أحسَنَ منه ، فقالوا : اِرجع إلى مكّة ، فكلُّ مَن بها يشتاقُك ، ولم نزَلْ نُرَغِّبُه فى ذلك حتى أجاب إليه ، ومضوا لحاجَتِهم ثم عادوا فوَجدوه عَليلا ، فقالوا له : ما قِصَّتُك ؟ قال : جاءنى منذ ليالٍ قومٌ ، وكنتُ أُغَنِّى فى اللّيل ، فقالوا :

---

(١) الهناه : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان ، وقد تزاد فى النداء الألف والهاء .
(٢) الأغانى : « آخرة الرحل » .
(٣) أوطنت : اتخذته وطنا .
(٤) الأغانى : « حين يفتقد » .

غَنّنا فأَنْكَرْتهم وخِفْتهم ، فجعلتُ أُغنِّيهم ، فقال بعضُهم غَنّنى :

لقــد حَثُّوا الجمال ليهْـ ـرُبُوا مِنّا فلم يَئِلُوا[1]

فغعلتُ ، فقام إلىّ واحد منهم ، فقال لى : أحسنتَ والله ! ودَقّ رأْسى حتى سقطتُ لا أدرى أين أنا؟ فقمتُ بعد ثلاثة أيّام وأنا عَليلٌ كما تَرَوْن ، فما أُرانى إلّا سأموت.

قال : فأَقَمْنا عنده بقيّة يومِنا ، وماتَ مِن غَدٍ ، فدفنّاه وأنصرَفْنا .

وقال أبوغسَّان : زعم المكّيُّون أن الغَرِيض خرج إلى بلادِ عَكٍّ[2]، فغَنَّى ليلا :

هُمُو رَكْبٌ لَقُوا رَكْباً كما قد تجمعُ السُّبُلُ

فصاح صائح: اُكفُفْ يا مَرْوان ، فقد سفَّهتَ حُلماءَنا ، وأصبيْتَ[3] سُفَهاءَنا!

قال : وأصبح ميّتا .

ورَوَى أبو قَبِيل مَولًى لآلِ الغَرِيض ، قال : شهدتُ مجمَعا لآل الغريض ، إمّا عُرْسا أو خِتاناً ، فقيل له : تَغَنَّ ، فقال : هو أبنُ زانيةٍ إنْ فَعَل . فقال له بعضُ مَواليه : فأنتَ واللهِ كذلك ؛ قال: أوَ كذلك أنا! قال: نعم، قال: أنت أعلَم بى والله! ثم أخذ الدُّفَّ فرَمَى به ، ثم تَمَشَّى مِشْيَةً لم نرَ أحسنَ منها ، ثم تغَنَّى :

تَشرَّبَ لَوْنَ الرّازِقِيِّ بياضُه أو الزّعفرانِ خالَطَ المِسْكَ رادِعُه[4]

فجعل يغنِّيه مُقبِلا ومُدْبِرا ؛ حتى اُلْتوَتْ عُنُقه ، فخَرَّ صريعاً ، وما رَفَعْناه إلّا ميّتاً ، وظننّا أنّ فالِجًا عاجَله .

قال أبو مسكين : إنَّما نَهتْه الجنّ أن يغنِّى هذا الصوتَ ، فلمّا أغضَبه مَواليه تَغَنّاه ، فقتلَتْه الجنّ .

---

(١) لم يئلوا : لم يجدوا موئلا وملجأ يعتصمون به .

(٢) عك : من قبائل اليمن .

(٣) أصبيت : دعوتهم إلى الصبا .

(٤) الرازقى : ثياب الكتان الأبيض .

ذكر عيسى طُوَيْس*

طُوَيْس : لَقَب غَلَب عليه ، واسمُه عيسى بنُ عبدِ الله ، وكنيته أبو عبدِ المنعِم ، وغيَّرها المخنَّثون . فجعلوها : أبا عبد النَّعيم ، وهو مولَى بنى مخزوم .

وقال جماعة : هو أوّل من غنّى بالعربيّة بالمدينة ، وهو أوّل من ألقى الخنَثَ بها .

وكان طويلا أحولَ ، وكان لا يَضرِب بالعُود ؛ وإنّما يَنقُر بالدُّفّ ، وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأنسابِ أهلِها ، وكان يُتَّقَى للسانه .

وسئل عن مولِده ، فذكر أنه وُلِد يوم قُبض النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وفُطِم يومَ مات أبو بكر ، وخُتِن يومَ قُتِل عمر ، وزُوِّج يومَ قُتِل عثمان ، وولدله يوم قُتِل علىّ بن أبى طالب .

وقيل : إنّه وُلِد له يومَ مات الحسَن بنُ علىّ رضى الله عنهما .

وكانت أمه تَمشى بين نساء الأنصار بالنّميمة .

قال صالح بنُ حسّانَ الأنصارىّ : اجتَمَع يوما جماعةٌ بالمدينة يتذاكرون أمرَ المدينة ، إلى أن ذَكَروا طُوَيساً ، فقالوا : كان وكان . . . ، فقال رجل : أمَا لو شاهدتُموه لرأيتُم ما تُسَرّون به ؛ عِلْما وظَرْفا ، وحُسنَ غِناء ، وجودةَ نَقْرٍ بالدُّفّ ، ويُضحِك كلَّ ثَكْلَى حرَّى .

فقال بعض القوم : إنّه والله مشئوم ، وذَكَر مَولِدَه ، فقال : إنّه وُلِد يومَ مات النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم ، وفُطِم يوم مات صِدِّيقُنا ، وخُتِن يومَ قُتِل فارُوقُنا ، وزُوِّج يومَ قُتِل نورُنا ، ووُلِد له يومَ قُتِل أخو(١) نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم .

---

* الأغانى ٣ : ٢٧ ـ ٤٤

(١) نورنا ، يريد عثمان بن عفان ، وكان يلقب ذا النورين .

وكان مع هذا مخنَّثا ، ويطلُب عثَراتِنا ، وكان مُفرِطا فى طُوله، مضطربا فى خَلْقه، أحْوَل فقال رجل من جِلّةِ أهلِ المجلس: إن كان كما قلتَ ، لقد كان مُمتِعاً فَهِماً، يُحسِن رعايةَ مَن حَفِظ له حَقَّ المجالسةَ ، ورعايةَ حرمةِ الخدْمة ، وكان لا يَحمِل قولَ مَن لا يَرعَى له بعضَ ما يرعاه له .

ولقد كان معظِّما لموَاليه بنى مخزوم ومن والاهُم من سائر قُرَيش ، ومسالمًا لمن سالَمَهم ، ومعادِياً لمن عاداهم دون التَّحكيكِ به ، وما يُلامُ مَن قال بعِلْم ، والظّالم المَلُوم ، والبادئُ أَظلَم .

وقال رجلٌ آخر : كان كما قلتَ ، لقد رأيتُ قريشا يكتَنِفونه ، ويُحدقون به ، ويُحبُّون مجالستَه ، ويُنصِتون إلى حديثه ، ويتمنَّوْن غِناءه ، وما وضَعَه شىءٌ إلّا خَنَثُه ، ولولا ذلك ما بقى رجلٌ من قريش والأنصار وغيرهم إلّا أدناه .

وقال سِياط : أوّل من تَغنَّى بالمدينة بغِناءٍ يَدخُل فى الإيقاع[1] طُوَيس ، ووُلِد وهو ذاهبُ العَيْن اليُمنَى ، وكان يلقَّب بالذائب ؛ لأنه غنَّى :

قَدْ بَرانى الحبُّ حـــتّى كِدْتُ من وَجْدِى أَذُوبُ

قال هِيتُ لعبدِالله بنِ أبى أميّة : إن فتَح الله عليكم الطائفَ . فسَلِ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم باديةَ بنتَ غَيْلان بنِ سَلَمة بن مُعَتِّب فإنّها هَيْفاء شَمُوعٌ[2] نَجْلاء ، إن تـكلّمتْ تغنّت ، وإن قامت تثنّت ، تُقبِل بأَرْبع ، وتُدْبِر بثمانٍ[3] ، بثغرٍ[4] كأنه الأُقْحُوان ، وبين رِجْلَيها كالإناء المَـكْفُوء ، كما قال قيسُ بنُ الخطِيم :

---

(١) الإيقاع : بناء ألحان الغناء على موقعها وميزانها .

(٢) الشموع : اللعوب الضحوك .

(٣) يريد أن عكن بطنها إذا أقبلت أربع ، وإذا أدبرت ثمان .

(٤) الأغانى : « مع ثغر » .

تغْتَرِقُ الطَّرفَ وهى لاهِيَةٌ   كأنّما شَفَّ وجهَهــا نُزُفُ[1]
بين شُكُولِ النِّساء خِلقَتُها   حَذْوٌ فــلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ

فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : لقد غَلغلتَ النظر ياعَدُوَّالله ، ثم جَلَاه عن المدينة إلى الحِمَى ، ولمّا فُتِحت الطائفُ تزوّجها عبد الله[2] بنُ عوْف ، فولدت له بُرَيْهَـة ، فلم يزل هِيتٌ بذلك المـكانِ حتى قُبِض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا ولى أبو بكر ، كُلِّم فيه ، فأَبَى أن يَرُدَّه . فلما ولىَ عمرُ كُلِّم فيه ، فأبى أن يردّه ، وقال : إن رأيتُه ضربتُ عنقَه .

فلما ولّى عثمانُ كُلِّم فيه فأَبَى أن يردَّه ، فقيل له : قد كَبِر وضعُف واُحتاج ؛ فأَذِن له أن يدخل فى كلّ جمعة ، فيسلّمَ[3] ويَرجع إلى مكانه .

وكان هِيتٌ مولًى لعبد الله بنِ أبى أميّة بن المُغِيرة المَخْزوميّ ، وكان طُوَيْس جالسا يوما فى مجلس فيه ولدٌ لعبد الله بنِ أبى أميّة ، فغنَّى :

* تَغْتَرِقُ الطرفَ وهى لاهيَـةٌ *

فأُشيرَ إلى طُوَيس أن اُسكت . قال : فقال : والله ما قيل هذان البيتان فى اُبنة غَيْلانَ بنِ سَلَمة ، وإنّما هذا مَثَلٌ ضَرَبه هِيتٌ فى أمّ بُرَيْهة ، ثم اُلتفت إلى اُبن عبد الله فقال : يابن الطّاهر ، هل وَجَدْتَ علىّ فى نفسِك ؟ أُقسِم بالله قَسَما حقًّا لا أُغنِّى بهذا الشعر أبدا .

قال المَدائنىّ : حُدِّثتُ أنّ طويسا تَبِع جارية فراوغَتْهُ ، فلم ينقطع عنها ، فحَثّتْ[4]

---

(١) تغترق الطرف ، أى تغترق الناظرين إليها ؛ أى تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنها .

(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « عبد الرحمن » .

(٣) الأغانى : « فيسأل » .

(٤) حثت : أسرعت . وفى الأغانى : « نخبت » ، والخبب : ضرب من السير أيضا .

فى المَشْى فلَم ينقطعْ عنها ، فلمّا جازت بمجلسٍ وقفتْ ، ثمّ قالت : يا هؤلاء ، لى صديقٌ ، ولى زوجٌ ومولًى ينكحوننى[١] ، فسَلُوا هذا مايريد منى ؟ فقال : أُضَيِّق ما وَسَّعُوه .

وكان طُوَيْس مُولَعاً بالشِّعر الّذى قالتهُ الأَوْس والخَزْرج فى حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء فقَلَّ مجلسٌ اجتمَع فيه هذان الحيّان فغَنَّى طُوَيْس فيه إلّا وقع فيه شَرّ[٢] ، فنُهِى عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغِناءَ بشِعر الأنصار حتّى يُوسِّدُونى فى التُّراب؛ وذلك لكثرة تَولُّع القومِ به ، فكان يبدى السّرائر ، ويُخرِج الضغائن .

وكان القوم يَتشاءَمون به ، وكان يُستحسَن غِناؤه ولا يُصبَر عن حديثه .

وقد ذكر أبو الفرج هنا قَتْلَ مالكِ بن العَجْلان ، وطلب مالكٍ لسُمَيْر[٣] وما جَرَى بينهما ، وقد تقدّم ذكرُنا له فى ترجمةِ قيسِ بنِ الخطِيم ، فلَم نَختَرْ إعادتَه هنا .

---

(١) الأغانى : « ينكحنى » .

(٢) الأغانى : « شيء » .

(٣) هو سمير بن يزيد بن مالك ، رجل من الأوس ، ثم أحد بنى عمرو بن عوف . وانظر القصة برمتها فى الأغانى ٣ : ٤٠ (طبعة دار الكتب) .

ذكر عُروةَ بنِ الوَرْد*

هو عُروةُ بنُ الوَرْد بن زيد ــ وقيل : ابن عَمرو ــ بن زيد بن عبد الله بن ناشب ابن هِرِيم بن لُدَيْم بن عوذ بن غالب بن قُطيعَة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطفان ابن سعد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار .

شاعر من شعراء الجاهليّة ، وفارسٌ من فُرْسانِها ، وصُعْلوكٌ من صَعاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد .

وكان يلقَّب عروة الصَّعاليك؛ لجمعِه إيّاهم، وقيامِه بأمورهم إذا أخفقوا في غَزَواتهم، ولم يكن لهم مَعايِشُ(١) ولا مَغْزًى .

وقيل : لقِّب عروةَ الصَّعاليك لقوله :

لَحَى اللهُ صُعْلوكاً إذا جَنَّ ليلُه ... مَضَى فى المُشاشِ آلِفاً كلَّ مَجزرِ(٢)

يَعُدُّ الغِـنَى مِن دَهرِه كلَّ ليلةٍ ... أصابَ قِراها من صديقٍ ميسَّرِ(٣)

ولِلّهِ صُعْلوكٌ صحيفةُ وَجْهِـــهِ ... كضوءِ شِهابِ القابِس المتنوِّرِ

قال عمرُ بنُ شَبّة : بلغني أنّ معاوية قال : لو كان لعروة بنِ الورْد ولدٌ لأحببتُ أن أتزوَّجَ إليهم .

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٧٣ ــ ٨٨ (طبعة دار الكتب) .

(١) الأغانى : « معـاش » .

(٢) المشاش : رءوس العظام اللينة . والمجزر : الموضع الذى تجزر فيه الإبل . وفى الأغانى . « مصافى المشاش » ، وأثبتما فى الأصول والديوان .

(٣) يقول : إذا ملأ ذلك الصعلوك بطنه عد ذلك غنى كل الغني ، ولم يبال بعد ذلك ما وراءه من عياله وذوى قرابته . والميسر : الذى قد أقبل خير شأنه ؛ يقال : قد يسرت شأوه .

وقال : بلغنى أنّ عمرَ بنَ الخطّاب قال للحطيئة : كم[1] كنتم فى حَربكم ؟ قال : كنّا ألفَ حازمٍ . قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيسُ بنُ زُهَير ، وكان حازماً ، وكنّا لا نعصيه ، وكنّا نُقْدِم إقدامَ عَنْترةَ ، ونَنْقاد لأمرِ الرّبيع بنِ زياد ، ونأتمُّ بشِعر عروةَ بنِ الورد .

حدّث معنُ بنُ عيسى قال : سمعتُ أنّ عبدَ الله بنَ جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قال لمعلِّم ولدِه : لا تروِّهمْ قصيدةَ عروةَ بنِ الوَرْد الّتى يقول فيها :

دَعِينى للغِنَى أَسْعَى فإنّى ... رأيتُ الناسَ شرّهم الفَقيرُ

ويقول : إنّ هذا يَدْعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم فى طلَبِ الغِنى ، وكان النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم قد جَلَاه مع من جَلَا من بنى النضِير .

وذكر أبوعمرو الشَّيبانى أنّ عُروةَ بنَ الوَرْد أصاب امرأةً من بنى كنانة بِكْرا ، يقال لها : سَلْمَى ، وتكنَى أمَّ وَهْب ، فأعتقها واتّخذها لنفسه ، فمكثتْ عنده بضعَ عشرةَ سنة ، وولدتْ له أولادا ، وهو لا يشكّ أنها أرغبُ الناسِ فيه ، وهى تقول له : لو حَجَجْت فأمرَّ على أهلى وأَراهُمْ ! فحجّ بها ، وأتى مكّة ، ثم أتى المدينة .

وكان يُخالط بنى النَّضيرمن يَثرِب ، فيُقرِضونه إذا احتاج ويُبايِعُهم[2] إذاغنِم ، وكان قومُها يخالطون بنى النَّضِير ، فأتَوْهم وهو عندهم ، فقالت لهم سَلْمَى : إنهخارجٌ بى قبل أن يَخرُجَ الشهرُ الحرام ، فتعالَوْا إليه ، فأخبِروه أنكم تستحْيون أن تكون امرأةٌ منكم معروفةُ النّسب ، صَريحته[3] سبِيّة ، وافتدُونى منه ، فإنه لايرَى أن أفارِقه

---

(١) الأغانى : « كيف » .

(٢) يبايعهم : يعقد معهم البيع .

(٣) فى الأغانى : « صحيحته » .

ولا أختار عليه أحدا ، فأتوه فسقوه الشراب ، فلما ثمل قالوا له : فادنا بصاحبتنا فإنها وسيطة[(١)] النسب فينا معروفة ، وإن علينا سُبّةً أن تكون سبيّة، فإذا صارت إلينا وأردت معاودتها فاخطبها إلينا ، فإنا ننكحك .

فقال لهم : ذاك لكم ، ولكن لي الشرط فيها أن تخيّروها ، فإن اختارتني انطلقت معي إلى ولدها ، وإن اختارتكم انطلقتم بها .

قالوا : ذلك لك ، قال : دعوني أله بها الليلة وأفادها[(٢)] غدا . فلما كان الغد ، جاءوه فامتنع من فدائها ، فقالوا : قد فاديتها[(٣)] منذ البارحة ، وشهد عليه جماعة ممن حضر ، فلم يقدر على الامتناع وفادها ، فلما فادوه بها خيّروها ، فاختارت أهلها ، ثم أقبلت عليه فقالت : ياعروة ، أما إني أقول — وإن فارقتك — الحق ، والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك ، وأغض طرفا ، وأقل فحشا ، وأجود يدا ، وأحمى لحقيقة[(٤)] ؛ وما مرّ عليّ يوم منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب إلي من الحياة بين قومك ! لأني لم أكن أنا أسمع امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا، فوالله لا أنظر في وجه غطفانية أبدا ، فارجع راشدا إلى ولدك، وأحسن إليهم ؛ فقال عروة فيها أبياته التي فيها :

سقوني الخمر ثم تكنّفوني ... عُداة الله من كذب وزور
وقالوا لست بعد فداء سلمى ... بمغنٍ ما لديك ولا فقير

وأولها :

أرقت وصحبتي بمضيق عمق ... لبرق من تهامة مستطير[(٥)]

(١) وسيطة النسب : حسيبة في قومها .
(٢) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « وأفاديها » .
(٣) الأغاني « فاديتنا » .
(٤) الحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحميه .
(٥) عمق : موضع قرب المدينة من بلاد مزينة .

سَقَى سَلْمَى وأَيْنَ دِيارُ سَلْمَى إذا كانت مُجاوِرةَ السَّرِير[1]

وقيل : إنّ قومَها أغلَوْا الفِداءَ فيها ، وكان معه طَلْقٌ جُبار وأخوه وأبنُ عمّه ، فقالا له : والله لئن تقبل ما أعطوْكَ لا تَفتقر أبدا ، وأنتَ على النِّساء قادر متى شِئت . وكان قد سَكِرَ ، فأجاب إلى فِدائها، فلمّا صَحَا نَدِم ، فشَهِدُوا عليه بِفدائها فلم يَقدِر على الأمتناع .

وجاءت سَلمَى تُثْنى عليه ، فقالت : والله إنّك ما علمتَ لضَحُوكٌ مُقبِلًا ، كَسوبٌ مُدْبِراً ، خفيفٌ على مَتْن الفرَس ، ثقيلٌ على مَتْن العدوّ، طويلُ العِماد ، كثيرُ الرَّماد . فأستَوْصِ ببنِيك .

[ثمّ فارقَتْه][2] وتزوّجها رجلٌ من بني عمِّها ، فقال لها يوما من الأيّام: ياسَلْمَى أَثنِي عليَّ كما أَثْنَيْتِ على عُرْوةَ، وقد كان قولُها فيه شُهِرَ، فقالت له : لا تُكلِّفْني ذلك. فقال : عَزَمْتُ لتَأْتِينِّي في مجلِسي[3] فلَتُثْنِينّ عليّ بما تَعلَمين . وخرج فجلس في نادي قومِه ، وأَقبلتْ فرماها الناسُ بأبصارِهم ، فوقفتْ عليهم وقالت : أنعِمُوا صَباحا ؛ إنّ هذا عزَم عليَّ أن أُثنِيَ عليه بما أَعلَم ، ثم أَقبلتْ عليه فقالت : واللهِ إنّ شِمْلَتَكَ لَالْتِحاف ، وإنّ شُرْبَكَ لَاشتِفاف[4] ؛ وإنّك لَتنامُ ليلةَ تَخاف ، وتَشبَع ليلةَ تُضاف ، وما تُرضِي الأهلَ ولا الجار[5] .

ثم أنصرفتْ فلامَه قومُه ، وقالوا : ما كان أغناكَ عن هذا القولِ منها .

---

(١) السرير : موضع ذكره ياقوت ، وفي ب ، ج « السدير » ، والصواب ما أثبته من الأغاني .

(٢) تكملة من الأغاني .

(٣) الأغاني : « في مجلس قومي » .

(٤) الاشتفاف : شرب كل ما في الإناء .

(٥) الأغاني : « ولا الجانب » .

وقال أبو فَقْعَس : كان عروةُ بنُ الوَرْد إذا أصابت الناسَ سَنَةٌ شديدة ، تركوا فى ديارهم المريضَ والكبيرَ والضّعيف ، وكان عروة يَجمع أشباهَ هؤلاء مِن دون الناسِ مِن عشيرتِه فى الشِّدّة ، ثم يَحفِر لهم الأَسْراب ، ويَكْنُف عليهم الكُنُف[1] ، ويَسُلُّهم[2] فمن قَوِىَ منهم خرج به معه ، فأغارَ ، وجعل لأصحابه الباقين فى ذلك نصيبا ، فإذا أخْصَب الناسُ أَلحقَ كلَّ إنسانٍ بأهله ، وقسم له نصيبَه مِن غنيمته ؛ فربّما أَتَى الإنسان أهلَه وقد استغنَى ؛ فلذلك سُمِّىَ عُروةَ الصَّعاليك ؛ فقال فى بعض السِّنين ، وقد ضاقتْ حالُه :

لعلّ ارتيادِى فى البلادِ وبُغيَتِى ... وشَدِّى حَيازيمَ المطيّة بالرَّحْلِ
سَيَدْفَعُنِى يوماً إلى ربِّ هَجْمةٍ ... يُدافِعُ عنها بالعُقوقِ وبالبُخْلِ[3]

فزعموا أن الله عزّ وجل قيّضَ له ـ وهو مع قوم من عشيرته فى شتاءٍ شديد ـ ناقتَيْن دَهْماوَيْن ، فنحَر لهم إحداها ، وحَمَل متاعَهم وضُعفاءَهم على الأخرى ، وجعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان ، فنزَل بهم ماءً يقال له : ماوَان[4] .

ثم إن الله عزّ وجلّ قيّضَ له رجلا صاحبَ مائةٍ من الإبل ، قد فرَّ بها من حقوقِ قومه ؛ وذلك أوّل ما ألْبَنَ الناسُ ـ فقتَله ، وأخذ إبلَه وامرأتَه ، وكانت من أَحسَن الناس[5] ، فأَتى بالإبلِ أصحابَ الكَنيف فحَلَبها لهم ، وحَمَلهم عليها ؛ حتّى إذا دَنَوْا من عشيرتهم أَقبَل يَقسِمها بينهم ، فيأخذ مثلَ نصيب أحدهم ، فقالوا له : واللاّت والعُزّى لا نَرضَى حتّى تَجعل المرأةَ نصيبا لمن[6] أَخذَها ، فجعل يَهُمُّ أن يَحمِل

(١) يكنف عليهم الكنف ؛ أى يتخذ لهم حظائر يؤويهم إليها ، واحدها كنيف .
(٢) الأغانى : « ويكسبهم » .
(٣) الهجمة من الإبل : ما بين السبعين إلى المائة ، فإذا بلغت المائة فهى هنيدة .
(٤) ماوان : قرية فى أودية الفلاة من أرض اليمامة .
(٥) الأغانى : « النساء » .
(٦) الأغانى : « فمن شاء أخذها » .

عليهم ليقتلهم ، وينتزِعَ الإبلَ منهم ، ثم ذكر أنهم صنائعه[(١)] وأنه إنْ فعَل ذلك أفسد ما كان يَصنَع ؛ فأفكر طويلا ، ثم أجابهم إلى أن يَرُدَّ عليهم الإبلَ إلاّ راحلةً يَحمِلُ عليها المرأةَ حتى يَلحَق بأهلِه ، فأبَوْا عليه حتّى انتَدبَ رجلًا منهم ، فجعل له راحلةً من نَصِيبِه ؛ فقال عروةُ فى ذلك قصيدتَه التى منها :

أَلاَ إنَّ أصحابَ الكَنِيف وجدتُهمْ ... كما النّاس لمّا أَمْرعُوا وتَموَّلُوا

فإنِّى لمدفوعٌ إلىَّ ولاؤُهُمْ ... بِمَاوانَ إذ نَمشِى وإذْ نتملْمَلُ

وكان عروة قد سَبَى امرأةً من بنى هِلال بنِ عامر بنِ صَعْصعَة ، يقال لها : لَيلَى بنتُ شَعْواء ، فمكثتْ عنده زمانا وهى معجَبةٌ به ، تُرِيه أنها تُحِبّه ثم اُستزارتْه أهلَها ، فحملَها حتّى أتاهم .

فلمّا أرادالرجوعَ أبتْ أن ترجِع معه ، وتوعَّدَه قومُها بالقتْل ، فانصرَف عنهم ، وأقبَل عليها وقال لها : يا لَيلَى ، خَبِّرى صاحِباتِك[(٢)] عنّى كيف أنا ؟ فقالت : ما أرَى لك عقْلا ، أتُرانى قد اُخترتُ عليك ، وتقول : خبِّرى عنّى ؟ فقال فى ذلك :

تَحِنُّ إلى لَيلَى بحُرِّ بلادِها ... وأنتَ عليها بالمَلاَ كنتَ أقدرا[(٣)]

وكيف تُرَجِّيهاوقد حِيلَ دونَها ... وقد جاوزتْ حَيًّا بتَيْمَنَ مُنكَرا[(٤)]

لعلّك يوماً أن تُسرِّى ندامةً ... علىَّ بما جشّمتَنى يومَ غَضْوَرا[(٥)]

ثم إنّ بنى عامر أخذوا امرأةً من بنى عَبْس ، ثم من بنى سُكَيْن ، يقال لها :

---

(١) الأغانى: « صنيعته » .

(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « صواحبك » .

(٣) حر بلادها : أكرمها ووسطها . الملا : الأرض الواسعة الملساء التى لا جبل فيها ولا شجر ؛ وهى هنا موضع .

(٤) الأغانى : « بتيماء » ، وتيماء وتيمن : موضعان .

(٥) تسرى : تكشف . وغضور : مدينة فيما بين المدينة إلى خزاعة وكنانة .

أَسْماء ، فما لبِثتْ عندَهم إلاّ يوما واحدا حتى أُستنقَذَها قومُها ، فبلغ عروةَ بنَ الورد أن عامرَ بنَ الطُّفيل فَخَر بذلك ، وذكر أخْذَه إيّاها ، فقال عروةُ يعيِّرهم بأخْذِه لَيلَى بنت شَعْواء الهلاليّة :

إنْ تَأخُذُوا أسماءَ موقِفَ ساعةٍ فمأْخَذُ لَيلَى وهى عَذْراءُ أعجَبُ

لَبِسْنا زمانًا حُسنَها وشَبابَها ورُدَّت إلى شَعْواءَ والرأسُ أَشْيَبُ

دَخَل ثُمامةُ بنُ الوليدِ على المنصور ، فقال : يا ثُمامة ، أتحفَظُ حديثَ أبنِ عمِّك عُروةَ الصَّعاليك ، أبنِ الورْدِ العَبْسِيّ ؟ قال : أىُّ حديثٍ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقد كان كثيرَ الحديث حَسَنَه ؛ قال : حديثه مع الهُذَلِيّ الّذى أخَذَ فرسَه ؛ قال : ما يَحضُرنى ذلك فأَرْوِيَه .

فقال المنصور : خرج عُروةُ حتّى دنا من مَنازِل هُذَيل ، فكان منها على نحوِ مِيلَين ، فإذا هو بأرْنَب فرماها ، ثم أَوْرَى نارًا فشواها وأَكلها ، ودَفَن النارَ على مقدارِ ثلاثةِ أذرُع ، وقد ذهب الليلُ ، وغارت النجوم ، ثم أَتَى سَرْحَةً[1] فَصعِدها ، وتخوّف الطَّلَب ، فلمّا تغيَّب فيها إذا الخيلُ قد جاءت ، وتخوَّفوا البَياتَ[2] .

قال : فجاء جماعةٌ معهم رجلٌ على فَرَس ، فجاء حتّى رَكَزَ رُمحَه فى موضع النار ، وقال : لقد رأيتُ النارَ هاهنا ، فنزَل رجلٌ ؛ فحفَر قدرَ ذِراع فلم يجِد شيئا ، فركِب القومُ[3] يَعذِلونه ويَعيبون أمرَه ، ويقولون : عَنَّيْتَنا فى مِثل هذه الليلة القَرّة ، وزعمتَ لنا شيئا كَذَبتَ فيه .

---

(١) السرحة : واحدة السرح ؛ وهو شجر كبار عظام لا ترعى ؛ وإنما يستظل به .

(٢) البيات : الإيقاع بالقوم ليلا دون أن يعلموا .

(٣) الأغانى : فأكب القوم على الرجل .

فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيتُ النارَ فى موضع رُمْحى . فقالوا : ما رأيتَ شيئا ؛ ولكن تَحَذْلُقُك[1] هو الذى حَمَلك على هذا ، وما نَعْجب إلاّ لأنفسنا حينَ أطعْنا أمرَك .

ولَم يزالوا بالرّجل حتّى رجع ، وأُتبعهم عروةُ بنُ الورد ، وكَمِن[2] فى كِسْر بيت ، وجاء الرجل إلى امرأته ، وقد خالفَه إليها عبدٌ أسوَد ، وعروةُ ينظر ، فأتاها العبدُ بعُلْبة فيها لَبَن ، فقال : اِشرَبى . فقالت : لا أو تَبْدأ ، فبَدَأَ الأسوَد فشرِب .

فقالت للرجل حين جاء : لعنَ اللهُ صَلَفَك[3] ، عنّيْتَ[4] قومَك منذ اللّيلة ! قال : لقد رأيتُ نارا ، ثم دعا بالعُلْبة ليَشرَب ، فقال حين ذهب ليَكرَع : رِيحُ رجُل وربِّ الكَعْبة !

فقالت المرأة : وهذه أخرى ، أىُّ رِيح رجلٍ تجِده فى إنائك غيرَ رِيحك ! ثم صاحت ، فجاء قومُها فأخبرتْهم خبَره ، ثم قالت : يتهمُنى ويظنُّ بىَ الظُّنون ! فأقبَلوا عليه حتى رَجَع عن قوله .

فقال عُروة : هذه ثانية . ثم أَوَى الرجلُ إلى فِراشه ؛ فوثَب عروةُ إلى الفرَس ، وهو يريد أن يذهب به ؛ فضرب الفرسُ بيَدِه ، وتحرّك فرجَعَ عروةُ إلى مَوضعه ، ووثَب الرجلُ فقال : ما كنتَ تَكذِبُنى ، فما لَك ؟ فأقبلتْ عليه امرأته لَوْماً وعَذْلا .

قال : فصنَع عروةُ كذلك ثلاثا ، والفرس تمنَعه ، وتلك حالُ الرَّجُل ، ثم أَوَى إلى فِراشه ، وضَجِر من كثرة قيامِه ، وقال : لا أقوم إليكَ اللّيلة .

---

(١) التحذلق : إظهار الحذق .

(٢) كمن : استخفى ؛ وكسر البيت : جانبه .

(٣) الصلف : مجاوزة الرجل قدره .

(٤) عنيت قومك : أتعبتهم .

وأتاه عُروةُ ، فجالَ فى مَتْنِه[1] يقول : الحقى فإنـك من نَسْلِه ، قال : فلمّا انقَطع عن البيوت قال : أيُّها الرجل ، قِفْ ؛ فإنـك لو عرفتنى لم تُقدِم علىَّ ، أنا عروةُ بنُ الورد ، وقد رأيتُ منكَ الليّلةَ عَجَبا ، فأخبرنى به وأردّ عليكَ[2] فَرسَك .

قال : وما هو ؟ قال : جئتَ مع قومك حتى ركَزْتَ رُمحَك فى موضع نارٍ قد كنتُ أوقدْتُها ، فثنَوْكَ عن ذلك ، فانْثَنَيْتَ وقد صدَقتَ ؛ فاتبعتُك حتى أتيتَ بيتَك ، وبين منزلِك وبين النارِ مِيلان فأبصرتَها منهما ، ثم شَممتَ رائحة رجل فى إنائك ، وقد رأيتُ الرجلَ حين آثرتْه زوجتُك بالإناء وهو عبدُكَ الأسوَد ، وأظنّ بينهما مالا تُحِبّ ، فقلتَ : ريحُ رجـلٍ ؛ فلم تزلْ تَثْنيك عن ذلك حتى انْثَنَيْتَ ، ثم خرجتُ إلى فرسكَ فأردتُه ؛ فاضطرَب إلى أن ضَجِرت ، فأضربتَ عنه .

فرأيتُك فى هذه الخِصَال كاملا ، ولـكنّك تَنْثَنى وترجِع ؛ فضَحِك ، وقال : ذلك لأَخْوال السَّوْء ، والذى رأيتَ من صَرامتى فهى مِن قِبَل أعمامى ، وهم هُذَيل ، وما رأيتَ من كَماعَتى[3] ، فهى من قِبَل أخْوالى وهم بطنٌ من خُزاعة ، والمرأةُ التّى رأيتَ امرأةٌ منهم ، وأنا نازلٌ فيهم وذلك ما يَثْنِينى عن أشيـاءَ كثيرة ، وأنا لاحقٌ بقَوْمى ، وخارجٌ عن أَخْوالى ، ومُخَلٍّ سبيلَ المرأة ؛ ولولا ما رأيتَ من كَماعتى لم يَقْوَ على مُناوأةِ قومِى أحدٌ من العرَب .

فقال عُروة : خُذْ فرسَك ، وامض راشدا .

فقال : ما كنت لآخذَه منك ، فعندى من نَسْلِه جماعةٌ ، فخذه مُبارَكا لكَ فيه .

---

(١) كذا فى ب ، ج ؛ وفى الأغانى : « فحال » .

(٢) الأغانى : « إليك » .

(٣) الـكماعة : الجبن والضعف .

ثم قال المنصور : أفلا أحدِّثك بحديثٍ هو أظرفُ مِن هـذا ؟ قال : بلى يا أميرَ المؤمنين . فإنّ الحديث إذا جاءَ منكَ كان له فضلٌ على غيرِه . قال : خرج عروةُ وأصحابُه حتّى نزل ماوانَ ، فأنزَل أصحابَه وكَنَف عليهم كَنِيفا من الشَّجر ، وهم أصحابُ الكَنِيف الّذى سمعتَه يقول فيهم :

ألا إنّ أصحابَ الكَنِيفِ وجدتُهمْ كما النّاس لمّا أمرَعُوا وتموَّلُوا

وفى هذه الغَزاة يقول :

ألا إنّ أصحابَ الكَنِيفِ تروَّحُوا عشيّةَ بِتْنا عِندَ ماوانَ رُزَّحِ [1]
لِيَبْلُغَ عُـذْراً أو يَنالَ غَنيمةً ومُبلِغُ نَفْسٍ عُذْرَها مِثْلُ مُنْجِحِ [2]

ثم مضى يبتغِي لهم شيئا ، وقد جُهِدوا ، فإذا هو بأبياتِ شَعَرٍ وامرأةٍ ، قد خَلَا سِنُّها ، وشيخٍ كبيرٍ كالجِلْد[3] المُلْقَى ، فكَمِن فى كِسْر بيتٍ منها ، وقد أجدَبَ الناسُ ، وهلَكت الماشية ، فإذا هو فى البيت بسُحورٍ ثلاثةٍ مشويّة — والسُّحُور : الحلقوم بما فيه — والبيتُ خالٍ ، فأَكَلها وقد مكث قبلَ ذلك يومَيْن لا يأْكل شيئا ، فأشبعتْه وقوِىَ ، فقال : لا أُبالِي بمَن لقيتُ بعدَها ، ونظرتِ المرأةُ فظنّت الكلبَ أكَلها .

فقالت للكلب : أفَعَلْتَها ياخبيثُ ! وطردَتْه ؛ فإنّه لكذلك إذا هو عند المساء بإبلٍ قدأقبلَتْ ، وقد مَلأَتِ الأُفُق ، وإذا هى تلتفِتُ فَرَقًا ، فعلمتْ أنّ راعيَها جَلْدٌ شديدُ الضَّرْب لها ، فلما أتت المُناخَ بركَتْ ، ومكث الراعى قليلا ، ثم أتى ناقةً منها فمَرَى[4] أخلافَها ، ثم وَضع العُلْبة على ركبتيه وحلَبَ حتّى ملأها ، ثم أتى الشيخَ

---

(١) رزح : جمع رازح ؛ وهو الهالك هزالا .
(٢) الأغانى : « أو يصيب غنيمة » .
(٣) الأغانى : « كالحقاء » ، والحقاء : الإزار .
(٤) مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدر .

فسَقاه ، ثم أَتى ناقةً أُخرى ففعَل بها كذلك ، وسَقَى العَجوز ، ثم أَتَى ناقةً أُخرى ففعل بها مثلَ ذلك ، فشَرِب، هو ثم الْتَفَع بثوبٍ واُضطَجَع ناحيةً .

فقال الشيخ للمرأة ـ وأعجبَه ذلك : كيف تريْنَ ابنى ؟ فقالت : ليس باُبنِك : قال : فاُبنُ مَن وَيْلكِ ! قالت : ابنُ عروةَ بن الوَرْد . قال : ومِن أين ؟ قالت : أتذكُر يوم مرّ بنا ونحن نُريد سوقَ ذِى المَجاز . فقلتَ : هذا عروةُ بنُ الوَرد ، ووصفتَه لى بجَلَد ؛ فإنّى استَبْطَنْتُه[1] ، فسكت حتّى نوّم[2] ؛ وَثَب عروةُ وصاحَ بالإبل فاقتَطع منها نحوا من النِّصف ، ومضى ورجا ألّا يَتْبَعه الغلام ـ والغُلام: حينَ بدا شارِبُه ـ فاُتّبَعه ، فاتّخذا[3] وعالَجهَ وعاجَلَه .

قال : فضَرَب به الأرضَ فوقع قائما ، فتخوّفه على نفسه ، ثم واثَبه ، فضَرَب به وبادَره .

فقال : أنا عُروة بنُ الوَرْد ـ وهو يريد أن يُعجِزَه عن نفسه ـ قال : فاُرتَدَع ، ثم قال : مالَكَ وَيْلَك ! لستُ أَشُكّ أنّك قد سمعتَ ما كان من أُمِّى .

قال : قلتُ : نعم ، فاُذهبْ معى أنت وأمُّك ، وهذه الإبلُ ودَعْ الرجلَ فإنّه لا يَنْهاكَ[4] عن شىء .

قال : الّذى بقَى من عُمر الشيخ قليـل ، وأنا مقيمٌ معه ما بقىَ ؛ فإنّ له حقًّا وذِماما ، فإذا هَلَك فما أسرعَنى إليك ، وخُذْ من هذه الإبل بعيرا .

قلتُ : لا يَكْفينى ، إنّ معى أصحاباً[5] قد خَلَّفتُهم . قال : اثنان ؟ قلت : لا .

---

(١) استبطنته : وقفت على حقيقة أمره . وفى الأغانى : « استطرفته » ، أى عدته طريفا.

(٢) نوم ؛ مبالغة فى « نام » .

(٣) يقال : اتخذ القوم ؛ إذا أخذ بعضهم بعضا فى القتال .

(٤) كذا فى الأغانى ؛ وهو الصواب ؛ وفى ب ، ج : « ينهيك » .

(٥) الأغانى : « أصحابى » .

قال : فثلاثة ، واللهِ لا زِدْتُك على ذلك ، فأَخَذَها ومَضَى إلى أصحابه ؛ ثم إنّ الغلامَ لحِق به بعدَ هلاكِ الشّيخ .

قال ثُمامة : واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، لقد زَيَّنْتَه عندنا وعظَّمْتَه في قلوبنا .

قال : فهل أعقبَ عندَكم ؟ قال : لا ، ولقد كنّا نتشاءَمُ بأبيه ؛ لأنّه هو الذى أَوقَع الحربَ بين عَبْس وفَزارة ، ولقد بلَغنى أنه كان له ابنٌ أَسَنُّ مِن عُروة ، وكان يُؤْثِره على عُرْوَة فيما يعطيه ويُقَرِّبُه . فقيل له : أتُؤْثِر الأكبرَ مع غِناهُ على الأَصْغر مع ضَعفِه ؟

قال : أتَرَوْن هذا الأصغر؛ إنْ بقَى مع ما أَرَى من شِدّة نفسِه ، ليَصيرَنّ الأكبرُ عِيالًا عليه .

ذِكرُ عُكّاشةَ العَمِّيّ*

هو عُكّاشة بنُ عبد الصَّمد ، مِن أهلِ البَصْرَة ، من بنى العَمّ ، وأصلُ بنى العمّ كالمدفوع ، يقال: إنَّهم نزلوا فى بنى تميم بالبَصْرة فى أيّام عمرَ بنِ الخطَّاب ، فأسلَمُوا، وغَزَوْا مع المُسْلِمين ، وحُمِد[1] بلاؤُهم .

فقال الناسُ لهم : أنتم ـ وإنلم تكونوا مِن العرب ـ إخوانُنا وأهلُنا ، فأنتم الأنصارُ وبنو العَمّ . فلُقِّبوا بذلك ، وصاروا فى جُملة العَرَب .

وقال كعب بنُ مَعْدانَ الأشْقَرِىّ يهجو بنى ناجِيَةَ ويشبِّهُهُمْ ببنى العَمّ :

وجدْنَا العَمَّ شامةَ فى قُرَيْشٍ كمِثلِ العَمِّ بين بنى تَميمِ

حدّث أبو عُبيدة قال : لما تَواقَف[2] جَرِيرٌ والفرزدقُ بالمِرْبَد للهجاء ، أقبلَتْ بنو يَرْبوع وبنو مُجاشِع ، فأمدَّتْ بنو العَمّ بنى مُجاشِع ، وجاءوهم وفى أيديهم الخشبُ ، فطرَدُوا بنى يَرْبوع .

فقال جرير : مَن هؤلاء ؟ فقالوا : بنو العَمّ . فقال جريرٌ يهجوهم :

ما لِلفرزدَقِ مِنْ عِزٍّ يلوذُ به سِوَى بنى العَمِّ فى أيديهم الخشَبُ[3]

سِيرُوا بنى العَمِّ فالأهوازُ منزِلُكُمْ ونهرُ تِيرَى ولا تَعرِفْكُم العَرَبُ[4]

الضّارِبُو النَّخْلِ ما يَثْنُو مَناجِلَهُمْ عَنِ العُذُوقِ ولا يُغنِيهم الكَرَبُ

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٢٥٧ ـ ٢٦٥ (طبعة دار الكتب)

(١) الأغانى : « وحسن » .

(٢) تواقفا : وقف أحدهما الآخر .

(٣) الأغانى : « إلا بنى العم » .

(٤) الأغانى : « فالأهواز داركم ».

وعُكَّاشة شاعرٌ مُقِلٌّ من شُعراء الدّولة العبّاسيّة ، لكن ليس له شُهرة ولم يَخْدُم الخلفاء .

قال سعيد الكاتب : كان عُكَّاشة العَمِّيُّ صديقاً لى ، وكنّا نتعاشَر ولا نكاد أن نفترِق ، ولا يكتُم أحدُنا صاحبَه شيئاً ، فرأيته فى بعض أيّامه متغيِّرَ الهيئة عمّا عهِدتُه ، منقسمَ[(١)] الفِكْر ، غيرَ آخِذٍ فيما كنّا فيه من الفُكاهة والمُزاح فسألتُه عن حاله ، فكاتَمَنيها مَلِيّا ، ثم أخبَرَنى أنه هَوِىَ جاريةً لبعض الهاشميِّين ، يقال لها : نُعَيْم ، وأن مَرامَها عليه مُستصعب ، لا يراها إلّا من جَناحٍ لدارِهم تُشرِف عليه فى الفَيْنة[(٢)] بعد الفَيْنة ، فتكلّمه كلاما يسيرا ، فعاتبتُه على ذلك ، فلم يزدَجِرْ .

ثم جاءنى يوما فقال : قد وعدَتْنى الزِّيارة ؛ لأنَّ شكوايَ إليها طالت . فقلتُ : فهل حقَّقَتْ لك الوعدَ على يومٍ بعينه ؟ فقال : لا ، إنّما سألتُها الزِّيارة . فقالت : نعم ، فقلتُ : وهذا أعجبُ من سائر ما مضى ، وأىُّ شىءٍ لك فى هذا من الفائدة بلا تحصيلِ الوعدِ ؟

فقال : يا أخى ، إن لى فى قولها [نَعَمْ][(٣)] فَرَجاً كبيرا . فقلتُ له : أنت أَقْنَعُ الناسِ ، ثم جاء بعد يومين وهو كاسفُ البال مهمومٌ . فقلتُ له : مالَك ؟ فقال : مضيتُ إلى نُعَيْم فتنجَّزْتُها وعدَها ، فقالت : إنَّ لى صاحبةً أَستنصِحُها ، وأعلَمُ أنّها تُشْفِق علىَّ شفقةَ الأختِ على أختِها ، والأمِّ على وَلَدِها ، وقد نَهَتْنى عن ذلك . وقالت : إنَّ فى الرجال غَدْرًا ومَكْرا ، ولا آمَنُ أن تفتضِحين ثم لا تحصُلين منه على شىء ، وقد انقطعَتْ عنّى ، وأنشَدَنى لنفسِه أبياتاً فيها :

---

(١) الأغانى : « مقسم القلب والفكر » .

(٢) الفينة : الحين .

(٣) من الأغانى .

عَلامَ حَبْـلُ الوفاءِ منصرِمُ وفيمَ عـنّى الصُّدودُ والصَّمَمُ
يا مَن كَنَيْنا عن اسْمِه زَمَنًا نَتْبَـعُ مَرْضاتَه ويَجـتَرِمُ
قد عِيلَ صَبْرِى وأنتِ لاهيةٌ عنى وقلبى إليكِ يَضْطَرِمُ
يا رَبِّ خُذْ لى من الوُشاة إذا قاموا وقُمْنا إليكَ نَخْتَصِمُ
يا حاسِدِينا مُوتُوا بغَيْظِـكُمُ حَبْلِى مَتِينٌ بقولها « نَعَمُ »

ثم طال تَردادُه إليها واُستصلاحُها ، فلم أَلبَثْ أن جاءتنى رقعتُه فى يوم خميس يُعلِمنى فيها أنَّها حصلَتْ عنـدَه ، ويستَدْعينى ، فحضرتُ فتوارَتْ عنى ساعةً ، وهو يُخبِرها أنَّه لا فرق بينى وبينه إلى أن خَرجَتْ ، فاُجتمَعْنا وشَرِبنا ، وغنَّتْ غِناءً حَسَنا إلى وقتِ العَصْر ، ثم انصَرَفَتْ فأخَذَ دَواةً وكَتَب :

حُبًّا لمَجْلِسنا الّذى كُنّا به يومَ الخميس جمـاعةً أَصحابًا[(١)]
فى غُرْفةٍ مَطرَتْ سَماوَةُ سَقْفِها ثَمرَ النَّعيمِ مِنَ الكُروم شَرابا[(٢)]
إذ نحنُ نُسقاها شَمولًا قَرْقَفًا تَدَعُ الصحيحَ بعقلِه مُرْتابا
حمراءَ مِثلَ دَمِ الغَزالِ وتارةً بعدَ المِزاجِ تَخالُها زِرْيابَا
مِن كفِّ جاريةٍ كأنَّ بَنانَها مِنْ فِضَّـةٍ قد قُمِّعَتْ عُنّابا
والعُودُ مُتَّبعٌ غِناءَ خَرِيدةٍ غَرِدًا يقول كما تقول صوابا
وكأنَّ يُمْناها إذا نَطقَتْ به تُلقِى على يَدِها الشِّمالِ حِسابا
آلَيْتُ لا أَلْحَى على طلبِ الهوَى متلذِّذًا حتّى أكونَ تُرابا

قال : ثم قَدِم قادمٌ من بَغداد ، فاُشترَى « نُعَيْم » هـذه من مولاها[(٣)] ،

---

(١) الأغانى : « سقيا لمجلسنا » .
(٢) السماوة : السماء . وفى الأغانى : « بحيا النعيم »
(٣) الأغانى : « مولاتها » .

ورَحَل بها عن البَصْرة إلى بغداد ، فأَسِفَ عُكّاشة ، وجَزِع عليها ، وهامَ بها طولَ عمرِه ، واُستحالت صورتُه وخِلقتُه وطَبْعُه ؛ إلى أن فرّق الدّهرُ بينهما .

وكان أكثر شُغْلِه وفكرِه أن يقول فيها الشِّعر ، وينوحَ به عليها ويبكى ، فكان ممّا قال فيها :

ألا لَيْتَ شِعْرِى هل يعودنّ ما مَضَى … وهل راجعٌ مافاتَ مِن صِلَةِ الحَبْلِ !
وهل أجلِسنْ فى مِثل مجلِسنا الّذى … نَعِمْنا به يومَ السّعادة بالوَصْلِ
وقَيْنَتِنُا كالظَّبْىِ تَسْمَحُ بالهوَى … وبَثِّ تَبارِيحِ الفُؤادِ على رِسْلِ[1]
إذا ما حَكَتْ بالعُود رَجْعَ لسانِها … رأيتَ لسانَ العُودِ من كفِّها يُمْلِى
فلم أرَ كاللّذّات أمطرَتِ الهوَى … ولا مِثلَ يوْمِى ذاك صادَفَه مِثْلِى

وممّا قال فيها :

لَهْفِى على الزّمَن الّذى … وَلّى ببهْجتِه القَصِيرِ
إذْ نحن خُلّانُ الهوَى … رَيْحانُنا عَبِق العَبِيرِ
وحَدِيثُنا بحواجبٍ … نطَقَتْ بألْسنة الضَّمِيرِ
بل رُسْلُنا الكُتُبُ الّتى … تَجرِى بخافِيَةِ الصُّدورِ

قال الزبيرُ بنُ بكّار : أنشَد عُكّاشة مُوسى الهادىَ قولَه :

كأنّ فُضولَ الكأسِ مِنْ زَبَداتِها … خَلاخِيلُ شُدّتْ بالُجمانِ إلى حِجْلِ[2]

فقال له موسى : واللهِ لأجْلِدَنَّك حَدَّ الخَمْر ، قال : ولِمَ يا أميرَ المؤمنين وإنّا نقول ولا نَفْعل ؟ قال : كذبتَ ، قد وصفتَها صفةَ عالمٍ بها ، فقال : اجعَل لى

(١) الرسل : التؤدة والرفق .

(٢) الزبدات : جمع زبدة ؛ وهى الطائفة من الزبد ؛ وهو طفاوة الماء . والجمان : اللؤلؤ والحجل : الخلخال .

الأمانَ حتّى أتكلّم بحُجّتى ؛ قال : تكلَّمْ وأنتَ آمِن ، قال : أَجَدْتُ صِفتَها أولَمْ أُجِد ؟ قال : بلى ، قد أجدت إن كنتَ لا تَعرِفها، قال : إن كنتُ وصفتُها بطَبْعى دون اُمتحانِى فقد شرِكْتَنى فى ذلك بطبعك ، وإن كان وصْفُها لا يُعلَم إلّا بالتجربة فقد شرِكْتَنى أيضا فيها .

فضَحِك موسى ، وقال : اغْرُب[1] عَنّى ، قبحك الله !

وممّا وُجِد من شِعر عُكّاشة قولُه :

وجاءوا إليه بالتَّعاوِيذِ والرُّقَى ... وصَبُّوا عليه الماءَ من ألم النُّكْسِ[2]

وقالوا به مِن أعيُنِ الجِنّ نَظرةٌ ... ولو عَقَلوا قالوا به أعيُن الإنس[3]

---

(١) اغرب عنى : تنح وابعد .

(٢) التعاويذ : جمع تعويذة ؛ وهى مايرقى به من فزع أو جنون أو نحوه . والنكس : عود المرض بعد البرء منه .

(٣) الأغانى : ولو صدقوا .

ذكر عبد الرحيم* [الدَّفّاف][1]

هو عبدُ الرّحيم بن الفَضْل الكوفىّ الدَّفّاف ، ويُكْنَى أبا القاسم ، وهو عبد الرحيم بن سَعد ؛ وقيل : ابن القاسم بن سَعْد ، مَوْلًى لآل الأشعث بنِ قيس . وقيل : بل مَولَى خُزاعة .

قال حمّاد : رأيتُ عبدَ الرّحيم الدَّفّاف أيامَ الرَّشيد هارون بالرَّقّة ، وسمعته يغنِّى صوتا سُئِل عنه ، وذَكَر أنّه من صَنْعته وهو :

فَديتُكِ لو تَدرِين كيف أُحِبُّكم ... وكيف إذا ما غِبتُ عنكِ أقولُ

وكان عبدُ الرحيم منقطِعا إلى علىّ بن المدىّ ، المعروف بأمِّه رَيْطة بنتِ أبى العبّاس .

قال عبدُ الصّمد بنُ المعذَّل : غنّت جاريةٌ بحضرة الرَّشيد .

قُل لِعَلِىٍّ أيَا فَتَى العَرَبِ ... وخيرَ نامٍ وخيرَ منتسِبِ[2]

أعْلاكَ جَدّاكَ ياعلىّ إذا ... قصَّر جَدٌّ عن ذِروةِ الحَسَبِ

فأمَرَ بضَرْب عنقِها ، فقالت له : ياسيّدى ، ما ذَنْبي ؟ هذا صوتٌ عُلِّمْتُه ، والله ما أدرى مَن قاله ، ولا فيمَن قيل .

فعَلِم أنّها صادقة ، فقال لها : عمّن أخَذْتِه ؟ فقالت : عن عبد الرّحيم الدَّفّاف ، فأمَرَ بإحضاره ، فقال : يا عاضّ كذا وكذا من أمِّه ، أتُغنِّى فى شعرٍ تُفاخِر فيه بينى وبين أخى ؟ جرِّدوه ، فجرَّدوه ، وأمَرَ بالسِّياط فضُرِب بين يديه خمسمائة سَوْط.

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٢٦٦ ـ ٢٦٩ (طبع دار الكتب)

(١) من الأغانى .

(٢) فى الأغانى : « مكتسب » .

قال عبدُ الرّحيم الدَّفّاف : دخلتُ على عليِّ بنِ رَيْطةَ يوما ، وستارَتُه منصوبةٌ ، فغنّت جاريتُه :

أناسٌ أَمِنّاهمْ فنمُّوا حَديثَنا ... فلمّا كتمْنا السِّرَّ عنهمْ تَقَوَّلُوا

فقلتُ : أرأيتَ إن غنّيتُك هذا الصوتَ وفيه تمامُه(١) ، أيُّ شيءٍ لى عليك ؟

فقال : خِلْعَتى التّى علىّ ، فغنّيتُه :

فلَمْ يَحفَظوا الوُدَّ الّذى كان بيننا ... ولا حينَ هَمُّوا بالقَطيعة أجْمَلُوا

قال : فنزَع خلعتَه فجعَلَها علىّ ، وأقمتُ عندَه بقيّة يومِى على عَرْبدةٍ كانت فيه .

(١) بعدها فى الأغانى : « زيادة بيت واحد » .

ذكر عَطَرَّد*

عَطَرَّد مولَى الأنصار[1] من بنى عَمْرو بنِ عَوْف ، وقيل : إنَّه كان مولَى مُزَيْنة ، مَدَنىّ ، يُكنَى أبا هارُون .

[وكان][2] يَنزِل قُباء ، جميلَ الوَجْه ، حَسَنَ الغِناء ، طيّبَ الصّوت ، جيّدَ الصَّنْعة ، حسنَ الزِّىِّ[3] والمروءة ، فقيها ، قارئا للقرآن ، وكان يغنّى مُرتجِلا .

وأدركَ دولةَ بنى أُميّة ، وبقىَ إلى أوّل أيّام الرشيد ، وكان معدَّلَ الشّهادة بالمدينة .

لما وَلِىَ عبّادُ بنُ سَلَمة القَضاء بالبَصْرة ، كاد عَطرَّد قد قَصَد آل سليمانَ بن علىّ ، وقَدِم عليه ، فركِب عبَّاد بن سَلَمة بن عبّاد فى وجوهِ أصحابه ، ذَوِى القَلانِس ، وأتَى إلى باب عَطرَّد لَيْلا ، فخرج عطرَّد إليه ، فلمّا رآه ومَن معه ارتاعَ ، فقال له : لا تُرَعْ :

إنِّى قصدتُ إليكَ مِن أهلِى ... فى حاجةٍ يأتِى لها مِثْلِى

فقال : وماهى أصلحَك الله ؟ فقال :

لا طالِباً شيئاً إليكَ سِوَى ... «حَىِّ الحُمولَ بجانبِ العَزْلِ»[4]

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٣٠٣ ـ ٣٠٧ (طبع دار الكتب)

(١) الأغانى : « ثم مولى بنى عمرو بن عوف » .

(٢) من الأغانى .

(٣) الأغانى : « الرأى » .

(٤) العزل : موضع فى ديار قيس ، ذكره البكرى فى معجم ما استعجم؛ والشطر الثانى من مطلع قصيدة لامرىء القيس بن حجر فى ديوانه ٢٣٦ ، وبقيته :

* إذْ لا يُلائِمُ شَكْلُها شَكْلِى *

(٤/٣٣ مختار الأغانى)

فقال : انزلوا على بَرَكة الله ، فلم يزلْ يغنيهم هذا وغيرَه حتّى أصبحوا ؛ وهذا الشِّعر لامرئ القيس بن عابس الكِنْدِىّ ، وهو الّذى يقول فيه :

اللهُ أَنجحُ ما طلبتَ بِهِ   والبِرُّ خير حَقيبة الرَّحْلِ[1]
وشمائِلى ما قد علمتَ وما   نَبحَتْ كلابُك طارِقاً مِثلى

قال خالد بنُ كلثوم : كنتُ مع زَبْراءَ بالمَدينة ، وهو والٍ عليها ، وهو من بنى هاشمٍ أحد بنى ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب ، فأمَرَ بأصحاب المَلاهى فحُبِسوا ، وحُبِس فيهم عطرّد ؛ فجلس ليَعرِضهم ، وحضَره رجالٌ من أهل المدينة شفَعوا فى عطَرّد ، وأخبَروه أنّه من أهل الهَيْئة والمُروءة والنّعمة والدِّين ، فدعَا به ، فخلّى سبيلَه ، وأمرَه برَفْع حوائجه إليه ، فدعا له وخرج ؛ فإذا هو بالمغنِّين قد أخرِجوا[2] ليُعرَضوا ، فعاد إليه عطَرّد فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ! أعلَى الغِناءِ حَبستَ هؤلاء ! قال : نعم ، قال : فلا تَظْلِمهم ، فوالله ما أحسَنوا منه شيئا ، فضَحِك وخلّى سبيلَهم .

حدّث أيّوبُ بنُ إسماعيلَ قال : لمّا أُستُخلِف الوليدُ بن يَزيدَ كتَب إلى عامِلِه بالمدينة بإشْخاصِ عَطَرّد إليه .

قال عَطَرّد : فأقرأنِى العاملُ الكِتابَ ، وزوّدنى نَفَقة ، وأشخَصَنى إليه ، فأُدخِلتُ عليه ، وهو جالسٌ فى قَصْره على شَفيرِ بِرْكة مرصَّصةٍ مملوءةٍ خَمْراً ، ليست بالكبيرة ؛ ولكنّها يَدُور الرجلُ فيها ، فوالله ما ترَكنى أسلِّم حتّى قال : أَعطَرّد ؟ قلتُ : نعمْ يا أميرَ المؤمنين . قال : مازلتُ إليك مُشتاقا يا أبا هارُون . غَنِّنى :

---

(١) ورد البيت محرفا فى ب ، ج ؛ وأثبته صحيحا من الأغانى والديوان .
(٢) الأغانى : « أحضروا » .

حَيِّ الحمولَ بجـــانب العَزْلِ ⁂ إذ لا يُشاكِل شكلُها شَـكلِى[1]
اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به ⁂ والبِرُّ خيرُ حَقِيبــة الرَّحْــلِ
إنّى بِحَبْلكَ واصــلٌ حَبْلِى ⁂ وبرِيشِ نَبْلكَ رائشٌ نَبْلِى
وشَمــائِلِى ما قـــد علمتَ وما ⁂ نبحَتْ كلابُك طـارقا مِثْلِى

قال : فغنّيتُه ، فوالله ما أتممْتُه حتّى شقّ حُلّةَ وَشْىٍ كانتْ عليه ، لا أدرى كم قيمتُها ! فتجرّدَ منها كما ولدتْه أمُّه ، وألقاها نصفَين ، وألقى[2] نفسَه فى البرْكة ، فنهِل منها حتّى تبيّنتُ ـ عَلِم اللهُ ـ أنّها قد نقصَتْ نُقصانا بيّنا ، وأُخرِجَ منها وهو كالميّت سُكْراً ، فأُضجِع وغُطّىَ ، فأخذتُ الحلّةَ وقمتُ ، فوالله ما قال لى أحدٌ دَعْها ولا خُذْها .

فانصرفتُ إلى منزلى متعجّبا ممّا رأيتُ من ظَرْفه ، وفِعله وطَرَبه ؛ فلمّا كان فى غد جاءنى رسولُه فى مِثل الوقت ، فأحضَرنى ، فلمّا دخلتُ عليه قال : يا عَطرّد ، فقلتُ : لبّيك يا أميرَ المؤمنين . قال : غنِّنى :

أيَذهَبُ عُمرِى هــكذا لم أنَلْ به ⁂ مجالِسَ تَشفِى قَرْحَ قَلبِى مِن الوَجدِ[3]
وقالوا تَداوَ إنّ فى الطِّبّ راحةً ⁂ فعلّلتُ نفسِى بالدّواء فلَمْ يُجْـــدِ

فغنّيْتُه إيّاه ، فشقّ حُلّةَ وَشْىٍ كانت تلمع عليه بالذّهَب ، احتقَرْتُ والله الأُولَى عِندَها ، ثم ألقَى نفسَه فى البِرْكةِ فنهَل منها ؛ حتّى تبيّنتُ ـ علِم الله ـ نُقصانَها ، وأُخرِج كالميّت سُكْراً ، فأُلقِىَ وغُطّىَ ونام ؛ وأخذتُ الحلّة فوالله ما قال لى أحدٌ دَعْها ولا خُذْها .

---

(١) الأغانى : « إذ لا يلائم » .
(٢) الأغانى : « ورمى نفسه » .
(٣) الأغانى : « لم أنل بها » .

وأُنصرفتُ ، فلمّا كان فى اليوم الثالث ، جاءنى رسولُه فدخلتُ إليه وهو فى بَهوٍ قد أُلْقِيتْ سُتورُه ، فـكلَّمنى من وراء السُّتور ، وقال : يا عَطَرّد ، قلتُ : لَبَّيك ياأميرَ المؤمنين ! قال: كأنِّى بكَ الآنَ قد أتيتَ المدينة ، فقمت بى فى مجالسها(١) وقَعَدْتَ وقلتَ : دَعانى أميرُ المؤمنين ؛ فدخلتُ إليه ، فاُقترَح علىّ فغنّيتُه فأطربْتُه ، فشَقَّ ثيابَه وأخذتُ ثيابَه ، وفَعَل وفَعَل . ووالله يا بنَ الزّانية ، إنْ تحرّكتْ شَفَتاك بشىءٍ ممّا جرى لأضربنّ عُنقَك؛ يا غلام ، أَعطِه ألفَ دينار . خُذْها وأنصرِفْ إلى المدينة .

فقلتُ : إنْ رَأَى أميرُ المؤمنين أن يأذَن لى فى تقبيل يدِه ، ويزوِّدَنى نظرةً منه ، وأغنّيَه صوتا !

قال : لا حاجةَ بى ولا بكَ إلى ذلك ، فانصَرِف .

قال : فخرجتُ مِن عندِه ، وما عَلِم الله أنّى ذكرتُ شيئا ممّا جرى حتّى مضتْ من دولةِ بنى هاشم مُدة .

(١) الأغانى : « فى مجلسها ومحفلها » .

ذِكرُ عُبيد الله الأَبْجَر *

عُبَيد الله بن القاسم بن منبه(١) ، يُكنَى أبا طالب . والأَبجر لقبٌ غَلَبَ عليه .

وقيل : إنّ اسمَه محمّد بن القاسم بن منبّه ، وهو مولًى لكنانة ، ثم لبنى بَكْر .

وقيل : إنه كان مولًى لبَنى لَيْث . وكان يلقَّبُ بالحَسْحاس .

ولم يكن بمكّة أحدٌ أظرفَ ولا أَسْرى ولا أحسَن هيئةً من الأَبْجَر . كانت حُلّته بمائة دينار ، وفرسُه بمائة دينار ، ومركَبُه بمائة دينار ، وكان يَقِف بين المَأْزِمَين(٢) فيرفع عَقِيرتَه(٣) ، فيقفُ الناسُ له ، يركَب بعضُهم بعضا .

جلسَ الأبجر فى ليلة اليوم الرّابع(٤) ، من أيّام الحجّ على قريبٍ من التَّنْعيم(٥) . فإذا عسكرٌ جرّارٌ قد أَقبَل آخر اللّيل ، وفيه دوابٌّ تُجْنَب ، وفيه فَرَسٌ أدْهمُ عليه سَرْجٌ حِليَتُه ذَهَب ، فاندَفَع يغنِّى :

عَرفتُ دِيارَ الحىِّ خاليةً قَفْرَا ... كأنّ بها لمّا توهّمْتُها سَطْرَا

وقفتُ بها كَيْمَا تَرُدَّ جوابَها ... فما بيّنَتْ لى الدارُ عن أهلِها خُبْرا

فلمّا سَمِعه مَن فى القِباب والمحَامِل أمسَكوا ، وصاح صائحٌ : وَيْحَك ! أَعِدِ الصوت .

فقال : لا والله ، إلّا بالفرَس الأَدْهم بسرْجِه ، ولِجامه ، وأربعِمائة دينار ؛

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٣٤٤ ـ ٣٤٨ .

(١) الأغانى : « ابن ضبية » ، ونبه عليه محققه أنه لم يعثر على هذه التسمية فيما راجعه من المصادر .

(٢) المأزمان : جبلا مكة .

(٣) الأغانى : « صوته » .

(٤) الأغانى : « السابع » .

(٥) التنعيم : موضع بين مكة وسرف .

وإذا الوليدُ بنُ يزيدَ صاحبُ العسكر[١]، فنُودِيَ: أينَ منزِلُك؟ ومَن أنت؟ فقال: أنا الأَبْجَر، ومَنزِلى على زُقاق باب الخرّازين؛ فغَدا عليه رسولُ الوليدِ بذلك الفرس، وأربعمائة دينار وتخْتِ ثيابٍ وَشْيٍ وغيرِ ذلك، ثم أتى به الوليدَ فأقام عنده.

وراحَ مع أصحابه عشيّةَ التَّرْوِيَة[٢]، وهو أحسنُهم هيئة، وكان هشام قد أمرَ الوليدَ أن يَحُجّ، وكان قصدُه بذلك أن يهتِكه عند أَهْل الحَرَم ليَجد السَّبيلَ إلى خَلْعِه، وظهر منه أكثرُ ممّا أراد به من التّشاغل واللّهْوِ بالمُغَنِّين، وأقدَمَ الأبجَرُ معه، فلم يزل هناك حتى قُتِل الوليد، ثمّ خرج إلى مصرَ فمات بها.

قال: وخَتَن عطاء بنُ أبى رَباحٍ بَنيه، أو بَنِى أخيه، فكان الأبجرُ يختلف إليهم ثلاثةَ أيّام يُغنِّى لهم.

حدّث عمرو[٣] بن حفص بن أبى كلاب، قال: كان الأبجرُ مولانا، وكان مَكّيّا، وكان إذا قدِم مكّة[٤] نزَل علينا، فقال لنا يوما: أَسمِعُونا غناءَ ابنِ عائشتِكُمْ، فجمعْنا بينهما فى بيت ابن هبّار، فغنّى ابنُ عائشةَ.

فقال الأبجر: كلُّ مملوكٍ له حُرٌّ إنْ غنّيتُ معك إلّا بنصفِ صوْتى، ثم أَدخَل إصبَعَه فى شِدْقه وغنّى، فسَمِع صوتَه مَن فى السُّوق، فجرَى الناسُ علينا، فلَمْ يفترِقا حتى تشاتَمَا.

قال أشعب: دعا الوليدُ بنُ يزيدَ ذات يومٍ المغنِّين، وقال: أنتَ لا تدخُل فى جُملتِهم. فقلت: أنا أحسَنُ غناءً منهم، ثم غنّيتُ. فقال: لقد سمِعتُ حسَنا؛ ولكنّى أخاف؛ قلت: لا تخَفْ، ولكن شرط؛ كلّ ما أصبتَه فلَكَ شطرُه. فأَشهد الجماعةُ ومضَيْنا.

---

(١) كذا فى ب، ج؛ وفى الأغانى: «الإبل».
(٢) عشية التروية؛ يعنى عشية اليوم الثامن من ذى الحجة.
(٣) الأغانى: «عمر».
(٤) الأغانى: «المدينة».

فدخلْنا على الوليد وهو لَقِسُ[1] النَّفْس ، فغنّاه المغنُّون فى كلِّ فن ، خفيفٍ وثقيلٍ ، فلم يتحرّك ، ولم يَنْبَسِط[2] .

فقام الأبجرُ إلى الخلاء ـ وكان خبيثا داهيةً ـ فسأل الخادمَ عن خبره ، وبأىّ شىء هو حائر[3] ؟ فقال : بينه وبين امرأته شرّ ؛ لأنّه عَشِق أختها ، فغضبتْ عليه ، وهوَ إلى أُختِها أَمْيَل ، وقد عزم على طلاقِها ، وحلَف لها لا يذكُرها أبدا ، ثم أتتْ ولم تخاطِبْه ، وخرج على هذه الحالِ مِن عندِها .

فعاد الأبجرُ إلينا ، وجلس ؛ فما استقرّ به مجلسُه حتى اندفَع يغنِّى بشعر عبدِ الرحمن بنِ الحَكَم :

فبينِى فإنِّى لا أُبالِى وأَيقِنِى ... أساعَدَنا حُكْمُ الهوَى أم تَصوَّبا[4]
أَلَمْ تعلَمى أنِّى عَزُوفٌ عن الهوَى ... إذا صاحبِى من غيرِ شىءٍ تَغَضَّبا

فطَرِب الوليدُ وارتاح ، وقال : أصبتَ واللهِ يا عُبَيْدُ ما فى نفسى ، وأمَر له بعشرة آلافِ درهم ، وشَرِب حتّى سَكِر ، ولَم يحظَ أحدٌ بشىء سِوَى الأبجر .

فلما أيقنتُ بانقضاء المجلس وَثَبْتُ ، وقلتُ : إن رأيتَ يا أميرَ المؤمنين أن تأمرَ مَنْ يَضرِبنى مائةَ سوطٍ السَّاعةَ بحضْرَتك! فقال: قبّحكَ الله ! وما السّبب؟ فأخبرتُه بقصّتى مع الرسول ، وقلتُ له : إنّه بَدَأَنِى بالمكروه فى أوّل يومِه بما اتّصل علىَّ إلى آخره ، فأريد أَنْ أُضرَب مائةَ سَوْط ، ويُضرَب بَعْدِى مِثلها .

فقال: لقد لَطُفتَ ؛ أَعطُوه مائةَ دينار ، وأَعطُوا الرَّسولَ خمسين دينارا مِن مالِنا عِوَضاً من الخمسين الّتى أراد أن يأخذَها من أَشْعَب ، فقبَضْتُها ، وقامَ وما حَظِىَ أحدٌ غيرُ الأبجرِ وغيرى .

---

(١) لقس النفس ؛ وصف من لقست نفسه ؛ إذا غثت وخبثت .
(٢) الأغانى : « ولا نشط » .
(٣) الأغانى : « خاسر » .
(٤) الأغانى :

* أصعّد باقِى حُبّكُمْ أم تصوّبا *

ذِكْرُ عَلَس ذی جَدَن*

هو عَلَس بنُ الحارث بن زيدِ بن الغَوْث بنِ سعد بنِ عوف بن عَدِيّ بن مالك ابنِ زَيْد الجمهور بنِ عَمرو بن قَيْس بنِ معاوية بنِ جُشَم بنِ عبدِ شمس بن وائل ابن الغَوْث بن قطَن بنعَريب بن زُهير بن أعزّ بن الهمّ بن هَمَيْسَع بن حِمْيَر بن سَبَأ ابن يَشجُب بنِ يَعْرُب بن قَحْطان . عَلَس ذو جَدَن مَلِكٌ من ملوك اليَمَن ، لُقِّب ذاجَدَن لِحُسْنِ صَوْته ، والجَدَن: الصّوت بلُغتهم .

ويقال : إنه أوّل مَنْ تغَـنَّى باليمَن ، مِن شعره :

ما بالُ أهلِكِ يا رَبابُ خُزْرًا كأنَّهُمُ غِضابُ[(١)]

إن زرتُ أهلَكِ أوعَدُوا وتَهِرُّ دُونَهم الكِلابُ

حدّث رجلٌ من أهلِ صَنْعاءَ أنَّهم حفرُوا حَفيرا فى زمنِ مَرْوانَ ، فوقفوا على أَزَجٍ[(٢)] له باب ، فإذا همْ برجُل على سريرٍ كأعظمِ ما يكون من الرِّجال ، عليه خاتَمٌ من ذَهب ، وعِصابةٌ من ذَهب ، وعنـد رأسِه لَوْحٌ من ذَهب ، مكتوبٌ فيه : «أنا عَلَس ذو جَدَن، وأنا ابنُ مائةِ سنةٍ من عُمْرِى، وكانت الوَحْشُ تأوِى[(٣)] لصَوْتى، وهذا سَيْفِى ذو الكَفّ عندى ، ودِرْعِى ذاتُ الفرُوج ، ورُمْحى الهِزَبْرِىّ ، وقَوْسِى الفَجّاء[(٤)] ، أعددتُ ذلك لدَفْعِ الموتِ عنّى فخانَنى .

قال : فنظروا ، فإذا جميعُ عُدّته عندَه .

قيل : وكان طُولُ السَّيْف اثنَىْ عَشَر شِبْرا ، وعليـه مكتوبٌ تحتَ شاربِه بالمُسْنَد[(٥)] : بئس[(٦)] امْرؤٌ كنتَ بيدِه ولم يَنتصِر .

---

* ترجمته فى الأغانى ٤ : ٢١٧ ، ٢١٨

(١) خزرا : جمع أخزر ؛ وهو الذى ينظر بلحظ عينه .

(٢) الأزج : بيت يبنى طولا .

(٣) الأغانى : « تأذن » ، أى تسمع، يشير بذلك إلى جمال صوته .

(٤) القوس الفجاء : هى التى يبين وترها عن كبدها؛ ومثلها: «الفجواء» ؛ وهو مافى الأغانى.

(٥) المسند : خط حمير . (٦) الأغانى : « باست امرئ »

ذكرُ الأحْوَص عبدِ اللهِ*

الأحوَص لقَبُه ؛ واسمُه عبدُ الله على ما قيل ، ابنُ محمّد بنِ عبدِ الله بنِ عاصم ابن ثابت بن أبى الأَقْلَح ، واسم أبى الأقْلَح قيسُ بن عُصَيْمة بن النّعمان بن أُميَّة ابن ضُبَيْعَة بن زيد بن مالك بن الأَوْس .

وكان يقال لبنى ضُبَيْعَة بن زَيْد فى الجاهليّة : بنو كِسْر الذّهَب .

ولُقِّبَ الأحْوَص لحَوَصٍ كان فى عَيْنَيْه ، وكان جدُّه عاصم يقال له : حَمِيُّ الدَّبْر .

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بَعَثَه بَعْثا ، فقتَلَه المشركون ، وأرادوا أن يَصْلُبوه ، فحمَتْه الدَّبْر ، وهى النَّحْل ، فلَم يَقدِروا عليه ، وجاء السَّيْلُ[1] فى اللّيلِ واحتَمَله ، وذَهَب به ، وفى ذلك يقول الأحْوَص مفتخراً :

وأنا ابنُ الّذى حَمَتْ لَحْمَهُ الدَّبْـ ـرُ قَتِيلَ اللّحْيانِ يومَ الرَّجيعِ[2]

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد قَدِم عليه بعدَ أُحُد رَهْطٌ من عَضَل والقارَة[3] ، فقالوا : يا رسولَ الله إنّ فينا إسلاماً وخَيْراً ، فابعثْ معَنا نفراً من أصحابك يفقّهُونَنا فى الدِّين ، ويقرئونَنا القُرآنَ ، ويعلّمونَنا الشّرائع الإسلاميّة .

فبعَثَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ستّةً من أصحابه : خالدَ بنَ البُكَيْر ، وعاصمَ بنَ ثابت بن أبى الأَقْلَح ، وزَيْدَ بنَ الدَّثِنَة ، وعبدَ الله بنَ طارق ، وخُبَيب ابنَ عَدِيّ ؛ وأمَّرَ عليهمْ مرثَد بنَ أبى مَرْثَد .

---

* ترجمته فى الأغانى ٤ : ٢٢٤ ـ ٢٦٨ (طبع دار الكتب).

(١) الأغانى : «فلم يقدروا عليه حتى بعث الله عز وجل الوادى فى الليل فاحتمله. والوادى : كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام» .

(٢) لحيان : حى فى هذيل .

(٣) عضل : بطن من الهون بن خزيمة بن مدركة والقارة : بطن من الهون .

فخرجوا حتّى إذا كانوا على الرَّجيع (ماء لِهُذَيْل بالحجاز) غَدَرَ بهم القوم، واستصرَخوا عليهم هُذَيلا ، فلَم يُرَع القومُ وهم فى رحالهم إلّا بالرِّجال ، فى أيديهم السُّيوف قد غَشُوهم ، فأخذوا أسيافَهم ليُقاتلوا القومَ ؛ فقالوا : واللهِ ما نُريد قتالَكم؛ ولكنّا نريد أن نصيبَ شيئاً من أهل مكّة ، ولكم عهدُ الله وميثاقُه ألّا نقتُلَكم .

فأمّا مرثَد بن أبى مَرْثد ، وخالد بن البُكَير ، وعاصمُ بنُ ثابت ، فقالوا : واللهِ لا نَقبَل من مشرِكٍ عَهْدا ، ولا عَقْدا ، فقاتَلُوهم حتّى قُتِلوا جميعا .

وأمّا زيدُ بنُ الدَّثِنة ، وخُبَيْب بنُ عَدِىّ ، وعبدُ الله بنُ طارق ، فلانُوا ورَغِبوا فى الحياة ، وأعطَوْا بأيْديهم ، فأسَرُوهم ، وخرَجوا بهم إلى مكّة ليَبيعوهم ؛ حتّى إذا كانوا بالظَّهْران[١] ، انتزَع عبدُالله بنُ طارق يدَه من القِران[٢] ، ثم أخذَ سَيْفَه ، وتأخَّر عن القوم ، فرمَوْه بالحجارة حتّى قتلوه ؛ فقبره بالظَّهْران .

وأمّا خُبَيْب بنُ عَدِىّ وزيدُ بنُ الدَّثِنة فقدِموا بهما مكّة ، فباعوهما ، فابتاعَ خُبَيْبا حُجَيْر بنُ أبى إهاب ، حليفُ بنى نَوْفَل لعُقْبة بن الحارث بن عامرِ بن نَوْفَل ـ وكان حُجَيْر أخا الحارث بنِ عامرٍ لأُمّه ـ ليقْتُلَه به[٣] .

وأمّا زيد بنُ الدَّثِنَّة فابتاعَه صَفْوان بنُ أُميّة ليقتُله بأبيه أميّةَ بنِ خلَف ، وقد كانت هُذَيل حين قُتل عاصمُ بن ثابت ، أرادوا أن يحملوا رأسه إلى سُلافة بنت سعد بن شُهَيْد[٤] ؛ ليَبيعوه منها ، وكانتْ قد نَذَرَتْ حين أصابَ[٥] ابنَها يومَ أُحُد : إنْ قدَرتْ على رأسِ عاصمٍ لتشرَبَنّ فى قِحْفه[٦] الخمر ، فمنعته الدَّبْر .

(١) الظهران : اسم واد بين مكة وعسفان .
(٢) القران : الحبل .
(٣) فى الأغانى : « ليقتله بأبيه » .
(٤) ب ، ج : « سهيل » ؛ والصواب ما فى طبقات ابن سعد (٣ ق ٢ ص ٣٧ طبع أوربا)
(٥) الأغانى : « قتل » .
(٦) القحف : العظم الذى فوق الدماغ .

فلمّا حالت بينه وبينهم قالوا : دَعُوه حتّى يُمسى ، فتذهَب الدَّبْر عنه ، فنأخذه . فبعث الله سَيْلا فاُحتمَل عاصِماً ، فذهَب به .

وكان عاصِمٌ قد أعطى اللهَ عهدا ألا يَمسَّه مُشرك أبدا ، ولا يَمسّ مشرِكا أبدا في حَياته ، فمَنعه الله تعالى بعدَ وفاتِه .

وقيل : إن خُبَيْبا بَيْنَا هو عند بعضِ بَنات الحـارث ، استعارَ من إحداهنّ مُوسَى يَستَحِدّ(١) بها لمّا عَزَموا على قتلِه ، فما راعَ المرأةَ ـ ولها صبيٌّ يَدْرُج ـ إلّا بِخُبيب قد أجلس الصبيّ على فَخذِه والموسَى في يده ، فصاحتِ المرأةُ ، فقال خُبيب : أتحسَبِينى أَقتُله ؟ إنّ الغَدْر ليس من شأننا .

فقالت المرأة بعدُ : ماراأيتُ أسيراً أكرَمَ مِن خُبيب ، لقدرأيتُه ومابمكّةَ من ثمرةٍ ، وإنّ في يدِه لقِطفًا من عِنَب يأكله ، إن كان إلّا رِزْقا رزَقَه الله تعالى خُبَيْبا .

ولمّا خَرجوا بخُبَيْب مِنْ الحرم ليَقْتلوه قال : ذَرُونى أصلِّ ركعتين فترَكوه ، فصلّى ، فجرت سُنّةً لِمن قُتِل صَبْرا أن يصلّى ركعتين ، ثم قال : لولا أن يقال : جَزِع لزِدْتُ ، ثم قال :

وَلَسْتُ أُبالِى حينَ أُقتَلُ مُسلِماً ... على أىِّ جَنْبٍ كان لِلّهِ مَصْرَعِى(٢)

وذلِكَ فى ذَاتِ الإلهِ وإن يَشَأْ ... يُبارِكْ على أَوْصالِ شِلْوٍ ممزَّعِ(٣)

اللهمّ أَحصِهمْ عَدَدا ، وخُذْهُم بَدَدا ، ولاتُبقِ منهم أَحَدا ثم تقدّم أبو سَرْوَعَة ابن الحارث بن عامر بن نَوْفل بن عبدِ مناف فقتَلَه .

حدّث جعفرُ بن عمر بن أميّة ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بَعثَه وَحْدَه عَينا إلى قُرَيش .

---

(١) يستحد : يحلق شعر عانته .

(٢) فى الأغانى : « على أى شق » ؛ ولم يرد فيه إلا العجز .

(٣) فى ذات الإله : فى طاعته . والشلو : الجسد . وممزع : مقطع .

قال : فجئت إلى خَشَبةِ خُبَيْب ، وأنا أتخوّف العيون ، فرقيتُ فيها فحللتُ خُبَيبا فوَقَع إلى الأرض ، فاستدَرْتُ[1] غيرَ بعيد حتى التفتُّ ، فلَمْ أر لخبيب أثرا ، فكأنَّما الأرضُ ابتلعَتْه ، فلم يَظْهَر لخبيبٍ رِمّةٌ حتّى الساعة .

وأمّا زيدُ بنُ الدَّثِنَّة ؛ فإنه لمَّا خرج اجتمع رهطٌ من قُريش ، فيهم أبو سفيانَ ابنُ حَرْب ، فقال له أبو سُفْيانَ حين قُدِّم ليُقتَل : أَنشُدُك اللهَ يازَيْد ! أتُحِبّ محمدا ؟ قال : لو أنّ محمدا الآنَ فى مكانه الّذى هو فيه تُصيبُه شَوكةٌ تُؤْذيه وأنا جالس فى أهلى مارضيتُ .

قال : فكان يقول أبو سفيان : ما رأيتُ من النّاس أحداً يُحِبّ أحداً كأصحابِ محمدٍ محمداً ، وقتَلَه نِسْطاس .

وكانت كُنْيةُ الأحْوَص أبا محمد ؛ وأمُّه أُثَيْلةُ بنت عُمَير بن مَخْشِىّ ، وكان أحمرَ أحوصَ العَيْنَين .

قَدِم الفرزدُق المدينةَ ، ثم خرج منها فسُئل عن شُعرائِها فقال : رأيتُ بها شاعرَين ، وعجبتُ لهما ، أحدُهما : أَخضَرُ يَسكُن خارجا من بُطْحانَ[2] ـ يريد ابن هَرْمةـ والآخَر أحمر كأنّه وَحَرَةٌ[3] على بُرودةٍ فى شِعره ـ يريد الأحْوَص .

وقد جعل محمدُ بنُ سلّام ابنَ قَيس الرُّقيّات ، والأحْوَص ، ونُصيبْا ، وجَميل ابنَ معمَر طبقةً سادسةً من شُعراء الإسلام .

وقيل : لولا ما وَضَع الأحْوَصُ مِن نفسه من دَنِىءِ[4] الأفعال لكان أشدَّ تقدُّما عند أهلِ الحجاز ؛ وأكثرِ الرُّواة ؛ وهو أسمحُ طَبْعا ، وأسهَلُ كلاما وأوضحُ

(١) الأغانى : « فانتبذت » .

(٢) بطحان : أحد أودية المدينة .

(٣) الوحرة : دويبة حمراء تلزق بالأرض .

(٤) الأغانى : « من دنى الأخلاق والأفعال » .

معنًى منهم . ولشعره رونقٌ وديباجةٌ صافيَة ، وحلاوةٌ وعُذوبةُ ألفاظٍ ليست لواحدٍ منهم .

وكان قليلَ المُروءة والدِّين هَجَّاءً للنّاس ، مَأْبونا فيما يُروَى عنه .

وكان الأحْوَص يوما عند سُكينةَ بنتِ الُحسَين عليهما الرِّضوان ، فأَذَّن المؤذِّن ؛ فلمّا تشهّدَ فَخَرتْ سُكينةُ بما سمعتْ ، فقال الأحْوَص :

فخَرَتْ وأنتمتْ فقلتُ ذَريِنى ليسَ جَهْلٌ أتيتِهِ ببَديعِ [1]
وأنا ابنُ الّذى حَمَتْ لحمَه الدَّبْـ ـرُ قَتيلِ اللَّحْيانِ يومَ الرَّجيعِ
غَسّلتْ خالىَ الملائكةُ الأبْـ ـرارُ مَيْتاً طـوبَى له مِن صَريعِ

ولما جاء ابن حَزْم عامِلاً على المدينة والحجّ مِن قِبَل سليمانَ بنِ عبدِ الملك ، جاءه ابنُ أبى جَهْم [2] ، وحُمَيْدُ بنُ عبدِ الرّحمن بنِ عوف وسُراقةُ ، فدخلوا عليه ، فقالوا : إيهاً يا ابنَ حَزْم ، ما جاء بكَ ؟ قال : استعمَلَنى أميرُ المؤمنين على رَغْم أنفِ من زَعَم [3] .

قال ابنُ أبى جَهْم : يا بن حَزْم ، فإنّى أوّلُ مَن رَغِمَ أنفهُ بذلك ، فقال له ابنُ حَزْم: صدقتَ ، والله يحبّ الصادقين ؛ فقال الأحْوَص:

سليمانُ إذْ وَلّاكَ رَبُّك حُكْمَنا وسلطانَنا فاُحكمْ إذا قلتَ واُعدِلِ
يَؤُمُّ حَجيجَ المُسلمينَ ابنُ فَرْتَنَى فذلك حَجٌّ ليسَ بالمتقبَّلِ [4]

قولُه : « ابن فَرْتَنَى » ، يعنى ابن أَمَة ؛ لأنّ كلَّ أَمَة يقال لها : فَرْتَنَى . وقيل : الأَمَة بنتُ الأَمَة .

(١) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « ليس جهلا » .
(٢) فى الأغانى بعدها : « ابن حذيفة » .
(٣) الأغانى : « على رغم أنف من رغم أنفه » .
(٤) الأغانى : « فهب ذاك حجا ليس بالمتقبل » .

وفَدَ الأحْوَص على عبدِ المَلِك وامتَدَحه ، فأَنزَله مَنزِلا ، وأمرَ بمَطبَخه أن يُمالَ عليه .

ونزَل على الوليد شُعَيبُ بنُ عبدِ الله بن عمرو بن العاص .

وكان الأحْوَص يُراوِد وُصَفاءَ خَبّازِين للوليد على[1] أنفسِهم ، ويُريدُ أن يَفْعَلوا به . وكان شعيبٌ قد غَضِب على مَـولًى له ونَحّاه ، فلمّا خاف الأحْوَص أن يفتَضِح بمُراوَدَته غِلْمانَ الوَليد ، قال لمولَى شُعيب ذلك : ادخُلْ على أميرِ المؤمنين ، فاذكُرْ له أنّ شُعَيبا أرادَكَ على نفسِه[2] ، فَفعَل المولَى ذلك .

فالتَفَت الوليدُ إلى شُعَيب ، فقال: مايقول هذا ؟ فقال :الخلافة غَوْرٌ[3] يا أميرَ المؤمنين ، فاشدُدْ به يَدَكَ يَصدُقْك ، فشدّد عليه .

فقال: أمرَني بذلك الأحْوَص.

فقال : قِيمَ الخائن[4] ! إنّ الأَحْوَص يراوِدُ غِلْمانك على أنفُسِهم[5] ، فأَرسَل به الوليدُ إلى أبنِ حَزْم بالمدينة ، وأَمرَه أن يَجلِده مائةً ، ويَصُبَّ على رأسه زَيتا ، ويُقِيمَه على البُلُسِ[6] ، ففُعِل ذلك به .

فقال وهو على البُلُس أبياتَه النونية الّتي يقول فيها :

ما مِن مُصيبةِ نَـكبةٍ أُمْنَى بها ... إلّا تُشرِّفُنى وترفَعُ شـانِي
إنّى إذا خَفِيَ الجُناةُ رأيتَـنى ... كالشّمسِ لا تَخفَى بكلِّ مكانِ[7]

(١) الأغانى : « عن أنفسهم » .
(٢) الأغانى : « عن نفسك » .
(٣) غور ؛ أى امتحان واختبار .
(٤) الأغانى : « فقال قيم الخبازين » .
(٥) الأغانى : « عن أنفسهم » .
(٦) البلس ، بضمتين : جمع بلاس ، كسحاب ؛ وهى غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه .
(٧) الأغانى : « إنى إذا خفى اللئام » .

قال عبدُ الله بنُ محمّد بنِ عُمارَة : فَرْتَنَى أمٌّ لهم فى الجاهليّة ، ثمّ مِن بَلْقَيْن[1] كانوا يُسَبّون بها ، لا أدرِى ما أمرُها ، وقد طَرَحوها من كِتاب النّسب .

وهى أمّ خالدبنِ[2] خالدبن شَيْبانَ بن وَهْب بن لَوْذان السَّمْدِيّة[3] ، أم ابنِ حَزْم.

وكان الأحْوَص قد أوْسَع قومَه هِجاءً ، ومَلأَهم شرّا .

ولقيَه ابن جَرِير[4] جدّ بنى عَجْلان ، وكان شديدا ضابطاً ، فقال له الأحْوَص :

وإنّ بقَوْمٍ سَوَّدُوك لحاجَـةً إلى سيّـدٍ لو يَظفَرون بسَيِّدِ

فألقَى ثيابَه ، ثم ألقَى بحَلْق الأحْوَص ، ومع الأحْوَص راوِيَتُه ، وجاء النّاسُ يخلّصونه، فحلَف إنْ خَلّصه أحدٌ مِن يدِه ليأْخُذَنّه وليَدَعَنّ الأحْوَص ، فَخَنقه حتى اُسترخَى ، وتَرَكَه حتى أفاق ، ثم قال له : كلُّ مملوكٍ لى حُرٌّ إن سُمِع أو سَمِعتُ هذا البَيْتَ مِن أحدٍ من النّاس لأضرِبَنّك ضربةً بالسّيف أندرُ[5] بها رأسَك، ولو كنتَ تحتَ أسْتارِ الكَعْبَة .

فأقبل الأحْوَص على راويتِه ، فقال : [إن هذا مجنون ، ولم يسمع هذا البيت غيرك ، فإياك إن يسمعه منك أحد][6] ، فقال الأحوص يمازحه :

وليس بسَعْدِ النار من تَزعمونه ولكنّ سَعدَ النارِ سعدُ بنُ مُصعَبِ

ألم تَر أنّ القومَ ليلةَ نَوْحِهِمْ بَغَوْه فألقَوْه على شرِّ مَركَبِ

فما يبتَغِى بالغَىِّ لا دَرَّ دَرُّه وفى بيته مِثلُ الغزالِ المربَّبِ

قال : وسعدُ النّار هو سعد بن حضنة ، وهو الّذى جدّد لزياد بنِ عُبيد الله

(١) الأغانى : « أم لهم فى الجاهلية من بلقين » .
(٢) فى الأغانى : « بنت خالد بن سنان » .
(٣) فى الأغانى : « الساعدية أم بنى حزم » .
(٤) فى الأغانى : « ابن أبى جرير » .
(٥) أندر : أطار .
(٦) تكملة من ب والأغانى .

الحارثىّ الكتابَ الّذى فى جدار المسجد، وهو آياتٌ من القرآن، أحسَب منها:
﴿إنّ اللهَ يَأْمُرُ بالْعَدْلِ والإحْسَان...﴾ الآية.

فلمّا فَرغ قال لزياد: أعطِنى أجرَتى. فقال له: انتَظِر، فإذا رأيتَنا نَعمل بما كتبتَ، فتعالَ نخذْ أُجرَتك.

فعمِل سعدُ بن مُصعَب سُفْرة، وقال للأحْوَص: اذهبْ بنا إلى عند عبدِ الله ابنِ عمر نتغدَّى عليها، ونشرب من مائه فذهَبَ معه، فلمّا صار إلى ذلك الموضع أمرَ غِلمانَه أن يَربطوه، وأرادوا ضرْبَه، وقال له: ما جزِعتُ من هِجائك إيّاىَ؛ ولكنْ ما ذِكرُكَ زَوْجتى؟

فقال له: يا سعدُ، إنّك لتَعلم أنّك إن ضربتَنى لم أكْفُفْ عن الهجاء، ولكن خيرٌ من ذلك أن أحلِفَ بما يُرضيك، ألّا أهجوَ أحداً من آلِ الزُّبير أبدا، فأحلَفَه وترَكه.

وكان الأحْوَصُ يُشَبِّب بنساءٍ ذواتِ أَخطارٍ من أهلِ المدينة، ويتغنّى به مَعبدٌ ومالك، ويَشيع [ذلك][1] فى الناس، فنُهىَ فلَم ينتهِ، فشُكِىَ إلى عامِل سليمانَ ابن عبد المَلِك على المدينة.

وكاتَب سليمانَ بن عبد الملك فيه، فكتَب إليه يأمُرُه أن يضربَه مائةَ سَوْط، ويقيمَه على البُلُس للنّاس، ثمّ يسيّرَه إلى دَهْلَك[2]، ففعل به ذلك، وبقِى فى دَهْلَك بقيّة[3] سلطانِ سُلَيْمان.

ثم وَلِى عمرُ بنُ عبدِ العزيز، فكتَب إليه يستأذِنه فى القدوم ويمدَحه، فأبى أن يأذن له، وكان ممّا كتَب إليه قوله:

---

(١) من الأغانى.
(٢) دهلك: جزيرة فى بحر اليمن.
(٣) بقية سلطان سليمان؛ أى بقية مدة سلطانه.

أيَا راكِباً إمّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ　　هُدِيتَ أميرَ المؤمنين رسائلى
وقلْ لأبى حَفْصٍ إذا ما لقيتَه　　لقد كنتَ نفّاعا قليلَ الغوائل
فكيف تَرَى للعَيْش طيباً و لَذّةً　　وخالُك أمسى مُوثقا فى الحبائلِ

وأَتى رِجالٌ من الأنصار عمرَ بنَ عبد العزيز فكلّموه فيه ، وسألوه أن يُقدِمه ، وقالوا : قد عرفتَ نسبَه وموضعَه وقَديَمه ، وقد أُخرِج إلى أرض الشِّرْك ، فنطلُب إليك أن تردَّه إلى حَرَم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودارِ قومه ، فقال لهم عُمَر : من الّذى يقول :

فما هوَ إلّا أنْ أَراها فُجاءةً　　فأُبْهَت حتّى ما أكادُ أُجيبُ

قالوا : الأحْوَص ، قال : فمن الّذى يقول :

أدُورُ ولو لا أن أَرَى أمّ جعفرٍ　　بأبياتكُمْ ما دُرتُ حيثُ أَدورُ
وما كنتُ دوّاراً ولكنّ ذا الهَوَى　　إذا لم يُزَرْ لا بدّ أن سيَزُورُ

قالوا : الأحْوَص ، قال: فمن الّذى يقول :

كأنَّ لُبْنَى صَبِير غاديةٍ　　أو دُمْيَةٌ زُيِّنتْ بها البِيَعُ[1]
اللهُ بَيْنى وبينَ قَيِّمها　　يَفِرّ مِنّى بها وأتّبِعُ

قالوا : الأحْوَص ، قال : بل اللهُ بينَ قَيِّمها وبينَه ؛ فمن الّذى يقول :

سَيَبقَى لها فى مُضْمر القلبِ والحشَا　　سريرةُ حُبٍّ يومَ تُبلَى السّرائرُ[2]

قالوا : الأحْوَص ، قال : إنّ الفاسق عنها يومئذٍ لَمشغول ، واللهِ لا أرُدُّه مادام[3] لِى سلطان ، فمكث بقيّةَ وِلايةِ عمَر وصَدْراً من ولاية يزيدَ بن عبد الملك .

---

(١) الصبير : السحاب الأبيض الذى يصبر بعضه فوق بعض درجا . والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

(٢) الأغانى : « سيبقى لكم فى مضمر القلب والحشا » .

(٣) فى الأغانى : « ما كان » .

فبينا يزيدُ وجاريتُه ذاتَ ليلة على سطح تغنِّيه بشِعر الأحْوَص ، قال لها : مَن يقول هذا ؟ قالت : لا أدرى، وقد ذَهَب شطْر الليل . قال: اِبعثوا إلى ابن شِهاب الزُّهرى ، فأُتِىَ به مروَّعا ؛ فقال له يزيد : لا تُرَعْ ، لم ندْعُك إلّا لخير ، اجلسْ، من الّذى يقول هذا الشّعر ؟ قال : الأحْوَص بن محمّد، قال : ما فعل ؟ قال : قد طالَ حبسُه بدَهْلَك ، قال : عجبتُ لعُمَر كيف أغفَلَه ! فأمَر بتخليَته ، وأمر له بأربعمائة دينار .

فأقبَل الزّهرِىّ من ليلته إلى قوم الأحْوَص من الأنصار ، فبشّرهم بذلك،وكانت الجارية الّتى غنتّه حَبابة جاريته ، والشّعر الّذى غنَّتْه :

أيُّهذا المُخبِّرى عن يَزِيدٍ بصلاحٍ فداكَ أهلِى ومالِى
مـا أُبالِى إذا بقِى لى يَزِيـدُ مَن توَلّت به صُروفُ اللّيالى(١)

قال أبو عُبيدة : عَرّض الأحْوَصُ بعمَر بنِ عبد العزيز ، ولم يَقدِر أن يصرّح مع بنى مَرْوان ؛ وقيل : إنّ الشِّعر الذى تغنَّت به حَبابة هو :

كريمُ قريشٍ حين يُنسَب والّذى أقرّت له يالمُلك كَهْلا وأَمْرَدَا
وليس وإنْ أعطاكَ فى اليوم مانِعاً إذا عُدْتَ من أضعافِ أَضعافِه غدَا
أهانَ تِلادَ المـالِ فى الحمدِ إنَّه إمامُ هدًى يَجرِى على ما تعوَّدَا

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز جفا الأحْوَص ، وأَدْنَى يزيدَ بن أَسلَم، فقال الأحْوَص:

ألستَ أبا حفصٍ هُديتَ مُخبِّرِى أفِى الحقّ أن أُقصَى ويُدنَى ابنُ أَسلَما!

فقال له عُمر : فذاكَ هو الحقّ .

ودَخَل الأحْوَص على يزيدَ بنِ عبـد الملك وهو خليفة ، فقال له يزيد : والله

---

(١) رواية الأغانى : « ما أبالى إذ يزيد بقى لى » .

لو لم تَمُتَّ إلينا بحُرْمة ، ولم تَصِرْ إلَيْنا بدالّة[١] ، ولم تُجَدِّد لنا مِدْحةً ، غير أنّك مقتَصِر على البيتين اللّذَين قلتَهما فينا ؛ لـكنتَ مستوجِبا لجزيلِ الصِّلة مِنّى حيثُ كنتَ [تقول][٢] :

وإنّى لأستحييكمُ أن يَقُودَنى إلى غيرِكمْ من سائرِ الناسِ مَطْمعُ
وأَنْ أَجْتَدِى للنَّفْعِ غيرَك منهمُ وأنتَ إمامٌ للبريّة مَقنَعُ

وهذه القصيدة مَدَح بها عمرَ بنَ عبد العزيز .

ولمّا قَدِم الأحْوَص على يزيدَ بنِ عبدالمَلك أكرمه ، وأجازه بثلاثين ألفَ درهم . فلمّا قَدِم قُباءَ صَبَّ المالَ على نِطْع ، ودَعَا بجماعةِ قومِه ، وقال : قد صنعتُ لـكم طعاما ، فلمّا دخلوا كَشَفَ لهم عن المـال ، فقالوا : ما هذا ؟ فقال : أَفَسِحْرٌ هٰذا أم أنتم لا تُبصِرون !

ولمّا حجّ يزيدُ بنُ عبدِ الملك تزوّج بنتَ عون بن محمد بن علىّ بن أبى طالب ، وأصدَقَها مالاً كثيرا ؛ فـكَتبَ الوليدُ بنُ عبدِ الملك إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حَزْم : إنّه بلغَنا أنّ يزيدَ بنَ عبد الملك تزوّج بنت عَوْن وأصدَقها مالًا كثيرا ، ولا أُراه فَعل ذلك إلّا وهو يَراها خيراً منه . قبَح الله رأيَه ! فإذا جاءكَ كتابى هذا فادُع عَوْنا ، واُقبِض المالَ منه ، فإن لَم يَدفَع إليك فاُضربْه بالسِّياط ؛ حتّى تَستوفىَ ذلك منه ، ثم افسخْ نِـكاحه . فأرسَلَ أبو بكر إلى عَوْن يطالِبُه بالمال ، فقال : ليس عندى ، وقد فرّقتُه . فقال له أبو بكر : إنّ أميرَ المؤمنين أمرَنى إن لم تَدْفَعْه إلىّ كلَّه أن أضربَك بالسِّياط ، ثم لا أرفَع عنكَ حتّى أَستوفيَه ؛ فصاح به يزيدُ : تَعالَ إلىّ ؛ فجاءَه ، فقال له فيما بينَهوبينه : كأنّك خَشيتَ أن أُسلِمَك إليه ، ادفَع المالَ إليه

---

(١) الأغانى : « ولا توسلت بدالة » .
(٢) من الأغانى .

ولا تمرِّضه[1] ؛ فإنّه إن دَفَعه إلىّ رددْتُه إليك ، وإن لم يردُدْه علىَّ أخلفتهُ لك .

ففَعَــل .

فلمّا وَلى يزيدُ بنُ عبد الملك ، كتب فى أبى بكر بن حَزْم وفى الأحْوَص فحُمِلَا إليه ؛ لما بين أبى بَــكْر والأحْوَص من العداوة .

وكان أبو بكر قد ضربَ الأحْوَص وغرّبه إلى دَهْلَك ، فلمّا صارا على باب يَزيدَ أَذِن للأحْوَص ، فرَفَع أبو بكر يدَيْه يدْعو ، فــلم يَخفِضْهما حتّى خرج الغِلمان بالأحْوَص مُــكِبًّا[2] مكسورَ الأَنْف ، وإذا هو لمّا دخل عليه قال : أصلحَكَ الله يا أميرَ المؤمنين ! هذا ابنُ حَزْم الّذى سَفَّه رأيك وردَّ نِــكاحَك .

فقال يزيد : كَذبتَ ! عليك لعنةُ الله وغضَبُه ، وعلَى من يقول ذلك، اكسِروا أنفَه ، فأُخرِج مُــكِبًّا .

ولمّا وَلِى يزيدُ بنُ عبدِ المَلِك ولَّى عبدَ الواحد بنَ عبد الله النَّصْرىّ المدينة ، فقرَّب عِراكَ بن مالك ، وكان عِرَاكُ من أشدّ أصحاب عمرَ بن عبد العزيز على بنى مَرْوان فى انتزاع ما حازُوا من الفَىْ والغَنائم ، والمَظالم من أيديهم .

فــكان عبدُ الواحد يُجلِس عِراكا معه على السّرير ، ولا يَقطَع أمراً دُونَه ، فبينا هوَ ذات يومٍ معه ؛ إذا أتاه كتابُ يزيدَ بن عبد الملك ، أن ابعثْ مع عِرَاكِ ابنِ مالك حَرَسيّا حتّى يُنزِلَه دَهْلَك ، وخُذْ من مالِ حَمولَته ؛ فقال لحَرَسىّ بين يدَيه ، وعِرَاكُ معه على السّرير : خذْ بيَدِ عِرَاكَ فابتَعْ من مالِه راحلةً ، ثم توجّهْ به إلى دَهْلَك حتى تُقِرَّه فيها ؛ ففَعَل الحَرَسىّ ذلك ؛ وأقدَم الأحْوَص ، فمدَحه فأكرَمه يزيدُ وأعطاه .

---

(١) الأغانى : « ولا تعرض نفسك » .

(٢) الأغــانى : « ملببا » ، والملبب : المأخوذ بتلابيبه ؛ وهو أن يجمع ثيابه عند صــدره ونحره ثم يجر منها .

قال : فأهلُ دَهْلَك يَأثُرُون الشِّعرَ عن الأحْوَص ، والفقهَ عن عِرَاك ابن مالك .

ولمّا قُتِل يزيدُ بنُ المهلَّب بَعَث يزيدُ بنُ عبد المَلِك إلى الشعراء ، فأمَرَهم بهَجْوِ يزيدَ بن المهلّب ، منهم : الفرزدَق ، و كثيِّر ، والأحْوَص .

فقال الفرزدق : لقد مدحتُ أبنَ المهلَّب بمدائح ما أمتدحتُ بمثلها أحدا ، وإنّه لقبيحٌ بمِثْلِي أن يكذِّب نفسَه على كِبَر السّنّ ، فليُعْفِنى أميرُ المؤمنين ، فأعفاه .

وقال كثيِّر : إنّى لأَكرَه أن أعرِّض نفسى لشُعراء أهلِ العراق ، إن هجوتُ بنى المهلَّب .

وأمّا الأحْوَص فهجاهم .

فلمّا بَعث يزيدُ بنُ عبدِ الملك إلى الجرّاح بن عبدِ الله الحَكَمىّ ، وهو بأذْرَبيجان — وقد بَلَغ الجرّاحَ هِجاءُ الأحوص بنى المهلَّب — فبعث إليه بزِقِّ خَمْرٍ فأُدخِل مَنزِلَ الأحْوَص ، ثم بَعَث إليه خَيْلًا فدخلتْ منزلَه ، فصبُّوا الخمرَ على رأسه ، وأخرَجوه على رءوس الناس ، فأَتَوْا به الجَرّاح ، فأمر بحَلْق رأسِه ولِحيتِه ، وضرَبه الحدَّ بين أوجه الرجال ، وهو يقول : ليسَ هكذا تُضرَب الحدود . فجعل الجَرّاح يقول : أجلَ ؛ ولكن لمّا تعلم .

ثم كتب إلى يزيدَ بن عبد الملك يعتذِر ، فأغضَى له عليها .

قال أبو الفرَج مامعناه : ليس ذِكرُنا هذا إرادة الحطّ[١] من شِعر الأحْوَص؛ ولكن لمعرفةِ حالِه من تقلُّباته من فضيلةٍ ونَقْص .

وأمّا تقدُّمه فى الشِّعر فمعلومٌ فى تقدُّمه وحُسن رَوْنَقِه وصَفائه ؛ وكان حمّاد الراوية يقدِّم الأحْوَصَ فى النَّسيب .

---

(١) الأغانى : « إرادة الغض » .

وهجا الأَحْوَصُ رجلا من الأَنْصار يقال له : ابن بَشِير ، وكان كثيرَ المـال ، فغَضِب من ذلك ، فخرج حتّى قَدِم على الفرزدق بالبَصْرَة ، وأَهدَى إليه وألطفَه[1] ، فقبل ذلك منه ، ثم جَلَسا يتحادَثان[2] .

فقال له الفرزدق : ممَّن أنت ؟ قال : من الأنصار ، قال : ما أَقدَمَك ؟ قال : جئتُ مستجيراً باللهِ وبِك من رجلٍ هَجانى ، قال : أجارَكَ الله تعالى منه ، وكفاكَ مُؤْنتَه ، فأين أنت من الأحْوَص ؟ قال : هو الّذى هَجانى ، قال : فأَطرَقَ ساعةً ثم قال : أليس هو الّذى يقول :

ألا قِفْ بِرَسْم الدّارِ فاستنطِقِ الرَّسْمَا ... فقـد هاجَ أحْزانى وذكَّرنى نُعْمَى

قال : بلَى والله لا أهجو رجلًا هذا شِعرُه .

فخرج ابن بَشير فاشترى هديّةً أفضلَ من الأُولى ، وقَدِم بها على جرير ، فأَخَذَها . وقال : ما أَقدَمَك ؟ قال : جئتُ مستجيراً بالله وبِكَ مِن رجلٍ هَجانى ، قال : قد أجارَكَ اللهُ منه ، فأين أنتَ عن ابنِ عمِّـك الأحْوَص ؟ قال : هو الّذى هَجانى . قال : فأَطرَقَ ساعةً ، ثم قال : أليس هذا الّذى يقول :

تَمَشَّى بِشَتْمِى فى أَكَارِيسِ[3] مالكٍ ... تُشِيدُ به كالـكَلْبِ إذْ يَنْبَح النَّجْما

فمـا أنا بالمَخْسوسِ فى جِذْمِ مالكٍ ... ولا بالمسمَّى ثم يلتزِمِ الإسْمَا

ولـكنّ بَيْـتى إن سألتَ وجـدتَه ... تَوسّط منها العِزّ والحَسَبَ الأَكْمَى[4]

قال : بلى ، قال : فلا والله لا أهجُو شاعراً أبدا هذا شعرُه ؛ فاشتَرَى أفضل من تلك الهدايا وقدِم على الأحْوَص ، فأهداها إليه وصالَحَه .

---

(١) ألطفه : أكرمه وبره بطرف التحف ، والاسم : اللطف ، بالتحريك .

(٢) فى الأغانى : « يتحدثان » .

(٣) أكاريس : جمع أكارس ، وأكارس : جمع كرس ؛ وهو الجماعة من الناس .

(٤) الأغانى : « والحسب الضخما » .

قال تَيمُ بنُ عبدِ الله بن سعد : قدِم الأحْوَص البَصْرة ، فَخَطب إلى رجلٍ من بني تَميمٍ ابنتَه ، وذكَر له نَسَبَه ، فقال : هاتِ لى شاهدا واحدا يَشهَد أنّك ابن حَمِيِّ الدَّبْر(١) ، وأزوّجَك . فجاءه بمن شَهِدله على ذلك ، فزوّجه إيّاها ، وكانت أختُها عندرجلٍ من بنى تميم قريبا من طريقهم، فقالت له : اِعْدَل بى إلى أُخْتى ، ففعَل ، فذبحتْ لهم وأكرمَتْهم ، وكانت من أحسَن الناس وَجْها ، وكان زَوْجها فى إبلِه .

فقالت زوجةُ الأحْوَص له : أقِمْ حتّى يأتىَ ، فلمّا أمسَوا راحَ مع إبلِه ورِعائه ، وراحتْ غنمُه ، فراحَ فى ذلك أمرٌ كثير ، وكان يسمَّى مَطَرا؛ فلمّا رآه الأحْوَص ازدراه ، واقتحمتْه عينُه ، وكان قبيحا دَميما .

فقالت له زوجتُه : قُمْ إلى سِلْفِك(٢) وسلِّم عليه ، فقال ـ وأشار إلى أختِ زوجتِه بأصبَعه :

سَـــلامُ الله يا مطرٌ عليهـــا ... وليس عليكَ يا مَطرُ السّلامُ
وإن يكن النِّكاح أحلَّ أُنْثى ... فإنّ نكاحَها مَطراً حَرامُ
فــلا غَفَر الإله لمُنكِحِيهـا ... ذنوبَهمُ وإن صَلّوا وصاموا

وأشار إلى مَطر بإصبَعه ، فوثَبَ إليه مطر وَثْبَة ، وكاد الأمرُ بينهم يتفاقم .

قال الزبير بنُ بكّار : وكان الأحْوَص كثيرا ما يشبِّبُ بأمّ جعفر ، وشاعَ ذكرُه فيها ، وهذه أمّ جعفر امرأةٌ من الأنصار ، من بنى خَطْمة ، وهى أمُّ جعفر بنت عبدِ الله بن عُرفُطة بن قَتادة بن مَعبَد بن غِياث بن رَزَاح بن عامر بن عبد الله بن خَطْمة ابن مالك بن جُشَم بنِ الأَوْس .

---

(١) الدبر : جماعة النحل ، وحميها ؛ أى محميها .

(٢) السلف ، بالكسر ويفتح ، هو للرجل زوج أخت امرأته .

فلما أكثَرَ توعَّدَه أخوها أيْمَن وتهدّدَه ، فلم يَنْتَهِ ، فاستعدَى عليه عمرَ بنَ عبد العزيز ، فربَطَهما فى حَبْل ، ودَفع إليهما سَوْطَين ، وقال لهما : تَجالَدَا ، فغلَبه أخوها .

وقيل : سَلَح الأحْوَصُ فى ثيابه وهَرَب ، وتَبِعه أخوها حتّى فاتَه الأحْوَص هَربا ؛ وإنّما فعَل عمرُ بنُ عبد العزيز ذلك اقتداءً بعثمانَ بنِ عفّان ؛ فإنّه لمّا تَهاجَى سالمُ بنُ دارةَ ومُرّة بن نافع الغَطَفانىّ ، قرَنهما عثمان بحبْل ، وأعطاهما سَوْطين ، فتجالَدَا بهما ، وكان الأحْوَص قد قال فيها :

لئن مَنعتْ معروفَها أمُّ جعفرٍ ... فإنّى إلى معروفِها لَفقيرُ (١)
وقد أنكرتْ بعد اعترافٍ زيارَتى ... وقد وَغِرَتْ فيها علَىَّ صُدورُ
أَزورُ على أن ليس أنْفَكُّ كلَّما ... أَتيتُ عَدُوًّا بالبَنانِ يُشيرُ (٢)

فقال السائب بن عَمرو بن عوف ، يعيِّره فِرارَه ويعارِضُه :

لقد مَنَع المعروفَ من أمِّ جعفرٍ ... أخو ثقةٍ عند الجِلادِ صَبورُ
عَلاكَ بِمَتْنِ السَّوْطِ حتّى اتَّقيتَه ... بأَصفرَ من ماءِ الصِّفاقِ يَفورُ (٣)

فقال الأحْوَص :

إذا أنا لم أغفِرْ لأَيْمَنَ ذَنْبَهُ ... فمن ذا الّذى يغفِرْ له ذَنْبَه بَعْدِى (٤)
أُريدُ مكافأةً له ويَصُدُّنى ... يَدٌ لأَدانيهِ مُبارَكةٌ عِندِى (٥)

---

(١) الأغانى « لقد منعت » .

(٢) الأغانى : « لست أنفك » .

(٣) الصفاق : جمع صفق ؛ وهو الأديم الجديد يصب عليه الماء فيخرج ماء أصفر ؛ واسم ذلك الماء الصفق .

(٤) فى الأغانى : « يعفو » .

(٥) رواية الأغانى :

* أريد انتقام الذّنب ثم يردّنى *

وقال الأحْوَص فى أمّ جعفر :

وإنّى ليَدْعونى إلى أمّ جعفرٍ وجارَاتِها من ساعةٍ فأُجيبُ[1]
وإنى لآتِى البيتَ ما إنْ أُحبُّه وأُكْثِر هَجْرَ البيتِ وهوَ حبيبُ
وأُغضِى على أشياءَ منكمْ تَسُوءُنى وأُدْعَى إلى ما سَرَّكُمْ فأُجيبُ
هبِينى أمرأً إمّا بَرِيئًا ظَلَمْتِه وإمّا مُسيئًا مُذْنِبًا فيتوبُ
وما زلتُ مِن ذِكراكِ حتّى كأننى أهيمُ بأفناءِ الدّيار سَلِيبُ
أَبُثُّكِ ما ألقَى وفى القلب حاجةٌ لها بين جِلدِى والعظامِ دَبيبُ[2]
لكِ اللهُ إنّى واصلٌ ما وَصَلْتِنى ومُثْنٍ بما أوْلَيتِنى ومُثِيبُ
وآخُذَ ما أَعطَيْتِ عَفْوًا وإنّنى لأَزْوَدَ عمّا تَكرهين هَيوبُ
فلا تَتْرُكى نَفْسى شَعاعًا فإنّها من الوَجْد قد كادتْ عليكِ تَذُوبُ

ولمّا أكثَرَ الأحْوَص ذِكرَ أمِّ جعفر ، جاءت إليه منتَقبة[3] ، فوقفتْ عليه فى مجلِس قومه وهو لا يعرفها ـ وكانت أمرأةً عفيفة ـ فقالت: أَقبِضنى[4] ثمنَ الغنَمِ الّتى أبتعتَها منّى ، فقال : ما أبتَعْتُ منكِ شيئًا ، فأظهرتْ كتابًا وضعتَه عليه ، وبَكَتْ وشكَتْ حاجةً وضُرًّا وفقْرًا[5] ، وقالت : يا قوم ، كلّموه ، فلامَه قومُه ، وقالوا له : اِقضِ المرأةَ حقَّها ، فجعَل يَحلِف أنّه ما يَعرِفها ، ولا رآها قطّ . فكشفتْ وجهَها وقالت: وَيْلَكَ أَما تعرِفنى! فجعل يَحلِف مجتهدا أنّه ما رآها قطّ ، ولا يعرِفها ، حتى إذا أستفاض قولُها وقولُه ، وأجتمَع الناسُ وكَثُروا ، وسَمِعوا ما دارَ بينهما ، وكَثُر لَغَطُهم .

---

(١) الأغانى : « هوى أم جعفر » .

(٢) فى الأغانى : « وفى النفس حاجة » .

(٣) انتقبت المرأة وتنقبت : وضعت النقاب على وجهها .

(٤) فى الأغانى : « اقض » .

(٥) فى الأغانى : « وفاقة » .

ثم قامت وقالت : يا عدوّ الله ! والله صدقتَ ، وما لى عليكَ من حقّ ، ولا تَعْرِفنى ، وأنا أمُّ جعفر ، وأنت تقول : قلتُ لأمّ جعفر ، وقالت لى أمُّ جعفر فى شِعرك .

فخجِل الأحْوَص ، وأَبْلَس عند ذلك ، وبُرِّئتْ أمُّ جعفر عندهم .

كانت بالمدينة جاريةٌ مغنِّية يقال لها : سلّامة، مِن أحسَن الناس وَجْها ، وأتمِّهِنّ عَقْلا ، قرأتِ القرآنَ ورَوَت الشِّعرَ[1] وقالتْه .

وكان الأحْوَص وعبدُ الرحمن بنُ حَسَّانَ يجلسان إليها ، ويروِّيانِها الشعر ويناِ بذانِها[2] إيّاه، فعلِقت الأحْوَصَ وصدّت عن عبدِالرّحمن ، فقال لها عبدُالرحمن يعرِّض بما ظَنّه من ذلك :

أَرَى الإقبال منكِ على جليسِى   ومالى فى حديثِكما نَصيبُ

فأجابتْه :

لأنَّ الله علَّقه فؤادى   فحازَ الوُدَّ دونَكما الحبيبُ[3]
خليلِى لا تَلُمْنى فى حَبيبى   هواه أَلَذُّ ما تَهوَى القلوبُ[4]

فانصرف[5] عنها عبدُ الرحمن .

وخرج يَمتدِح يزيدَ بنَ عبدالملك[6] ، فأكرَمه وأعطاه . فلمّا أراد الانصرافَ،

---

(١) الأغانى : « وروت الأشعار وقالت الشعر » .

(٢) الأغانى : « ويناشدانها » .

(٣) الأغانى : « فحاز الحب » .

(٤) فى الأغانى :

خليلى لا تلمْها فى هواهـا   ألذّ العيشِ ما تَهوى القلوبُ

(٥) الأغانى : « فأضرب » .

(٦) الأغانى : « ابن معاوية » .

قال له : يا أميرَ المؤمنين ، عندى نصيحة . قال : ما هى؟ قال : جاريةٌ خلّفتُها بالمدينة لامرأةٍ من قريش ، من أجمل النِّساء ، وأ كمَلِهِنّ ، لا تَصْلُح إلّا أن تكون لأمير المؤمنين وفى سُمّاره .

فأرسَل يزيدُ فاُشتُرِيَتْ له ، وحُمِلَتْ إليه ، فوقعَتْ منه موقعاً عظيما ، وفَضَّلَها على جميعِ مَن عندَه .

وقَدِم عبدُ الرحمن بنُ حَسّان المدينة ، فمرّ بالأحْوَص ، وهو قاعدٌ على بابِه ، وهو مهموم ، فأراد أن يزيدَه على ما به ، فقال :

يا مُبْتلًى بالهم مَقْرُوحـا ... يَلقَى من الحبّ تَبارِيحا[1]

أَلْجَمَه الحبُّ فمـا يَنْثَـنِى ... إلّا بكأسِ الحبّ مَصْبوحا[2]

قد نالَها مَن أصبحَتْ عنده ... يَنالُ منها الشَّمَّ والرِّيحا[3]

خليفةُ الله فسَلِّ الهوى ... وعَزِّ قَلْباً منك مَجْروجا[4]

فأَمسَك الأحْوَص عن جوابه ، ثم إنَّ شابَّيْن من بنى أُميّة ، أرادا الوِفادة على يزيدَ ، فأتاهما الأحْوَص ، فسألهما أن يَحمِلا كتابا إليها ، ففعلا ، وكَتَب معهما إليها مِن أبيات :

سَلّامَ ذِكْرُكِ لاصقٌ بِلسانى ... وعلى هَواكِ تَعُودنى إخوانى[5]

لا تَقتُلى رَجُلا يَراكِ لِما بـه ... مِثلَ الشّراب لغُلّة الظّمْآنِ

ولقد أَقُول لقاطِنَين مِن أَجْلِها ... كانَا على خُلُقِى من الإخْوانِ

لا أستطيعُ الصـبرَ عنها إنّها ... مِن مُهْجتى نَزلتْ أعزَّ مَـكان

(١) الأغانى : « مفدوحا » .

(٢) الأغانى : « إلا بكأس الشوق » .

(٣) الأغانى : « قد حازها » .

(٤) الأغانى : « وعز قلبا » .

(٥) الأغانى : « ملصق » .

ثم غَلبَه الجزع ، فخرج إلى يزيد ممتدِحاً ، فقرَّبه وأكرَمه ، فدسّت إليه سَلّامة خادما ، وأعطته مالًا على أن يُدخِله عليها ، فأَخبرَ الخادمُ يزيدَ بذلك ، فأمرَه أن يمضِيَ لرسالته ، فأُدخِل الأحْوَص ، وجلس يزيدُ حيث يراهما .

فلمّا أبصرتِ الجاريةُ الأحْوَصَ ، شكَت[1] إليه وشكا إليها ، وأَمرتْ فأُلقِيَ له كرسىٌّ ، فقعَدَ عليه ، وجعَلا يتشاكيان شدّةَ الشّوق ، ولم يزالا إلى السَّحَر ، ويزيدُ يَسمَع كلامَهما من غير أن يكون بينهما رِيبة ؛ حتّى إذا همّ بالخروج قال :

أَمسَى فؤادىَ فى همٍّ وَبِلْبالِ   فى حُبِّ مَن لَم أَزلْ منه على بالِ

[فقالت][2] :

صَحَا المُحِبُّون بعد اليَأْس إذ يَئِسوا[3]   وقد يئستُ وما أَصحُو على حالِ

[فقال][2] :

من كان يَسْلُو بيأسٍ عن أخى ثقةٍ   فمِنْكِ سَلّامُ ما أمسيتُ بالسّالِى[4]

فقالت :

واللهِ واللهِ ما أَنساكَ يا سَكَنى   حتّى يفارِقَ مِنّى الرُّوحُ أَوْصَالى

فقال :

ما خابَ واللهِ مَن أَمسَى وأنتِ له   ياقُرّةَ العَين فى أهلٍ وفى مالِ[5]

ثم وَدَّعها وخَرَج ، فدعا يزيدُ به وبها ، فقال : أخبِرانى عمّا كان بينكما فى ليلتِكما ، فأَخبَراه ، وأنشَداه ، ولم يغيِّرا شيئاً ممّا سمِعَه .

(١) الأغانى : « بكت إليه وبكى إليها » .

(٢) من الأغانى .

(٣) الأغانى : « بعد النأى » .

(٤) الأغانى :

* فمن سلّامة ما أمسيت بالسالى *

(٥) الأغانى : « والله ما خاب » .

فقال يزيد : أتحبُّها يا أحْوَص؟ فقال : إى واللهِ يا أميرَ المؤمنين .

حُبًّا شَديداً تليداً غيرَ مُطَّرِفٍ   بين الجوانِحِ مِثلَ النار يَضطرِمُ

فقال : أتُحبِّينه ؟ قالت : إى والله يا أميرَ المؤمنين .

حُبًّا شَديداً جرَى كالرُّوحِ فى جَسدِى   فهل يفرِّق بين الرُّوح والجسدِ

فقال يزيد : إنّكما لتَصِفان حُبًّا شديدا ، خُذْها يا أحْوَص ، فهىَ لك ؛ ووصلَهُ بصِلةٍ سنيّة ، فانصرَفَ بها إلى الحِجاز .

قال عبدُ الأعلى بنُ عبدِ الله بنِ محمد بن صَفْوان الجُمَحىّ : حمَلتُ دَيْنا بعسكر المَهْدِىّ ، فرَكِب المهدىُّ بين أبى عُبيد الله وعمر بن بَزِيع ، وأنا وراءَه فى مَوْكِبه على بِرْذَوْنٍ قَطوف(١) ، فقال : ما أنسبُ بيتٍ قالتْه العرَب ؟ فقال أبو عُبَيد الله : قولُ امرئ القيس :

وما ذَرَفتْ عَيناكِ إلّا لتَضرِبى   بسَهْمَيْكِ فى أعشارِ قلبٍ مُقتَّلِ

فقال : هذا أعرابىٌّ قُحّ ، فقال له عمر بن بَزِيع : قولُ كُثيِّر بن عبد الرحمن :

أُريدُ لأنسَى ذِكْرَها فكأنَّما   تَمثَّلُ لى ليلَى بكلِّ سبيلِ

فقال : ما هذا بشىء ؟ وماله يريد أن يَنسَى ذِكرَها حتّى تَمثَّل له .

فقلت : عندى حاجتُك يا أميرَ المؤمنين ، قال : الحَقْ بى ، قلتُ : لا لَحاقَ بى ، ليس ذلك فى دابّتى . قال : احمِلوه على دابّة ، فلحِقتُ به فقال لى : ما عِندَك ؟ قلت : قول الأحْوَص :

إذا قلتُ إنّى مُشتفٍ بلِقائها   وحُمَّ التّلاقِى بيننَا زادنى شَوْقا(٢)

قال : أحسَنَ واللهِ ؛ اقضُوا عنه دَيْنَه ، فقضَى عنّى دَيْنى .

---

(١) القطوف : الدابة التى تبطئ فى سيرها .

(٢) الأغانى : « زاد فى سقما » .

قال مطرّف بنُ عبدِ الله الهُذَلى : بينا أنا أطوفُ بالبَيْت ومعى أبى ، إذا أنا بامرأةٍ عَجوز ؛ يَضرِب أحدُ لَحْيَيْها بالآخَر ، فقال أبى : أتعرف هذه ؟ قلتُ : لا . قال : هذه الّتى يقول فيها الأحْوَص :

يلومُننِى فيكِ إخوانٌ أُجالِسهمْ ... فما أُبالِى أطارَ اللَّوْمُ أمْ وَقَعا

أَدعُو إلى هجرِها قَلْبِي فيَتْبعُنى ... حتّى إذا قلتُ هذا صادِقٌ نزَعا

فقلت : يا أَبَتِ ، ما أَرَى أنه كان فى هذه حُسْنٌ قطّ ، فضَحِك وقال : هكذا يَفعَل الدهرُ بأهلِه .

فهرست تراجم الكتاب

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

تراثنا

مختار الأغاني في الأخبار والتهاني

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء الخامس

تحقيق

عبد العزيز أحمد

الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هذا الكتاب بالتعاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٥هـ — ١٩٦٦م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

ج ٠ ع ٠ م ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حرف العين

ذكر عبيد الله بن قيس الرقيات[1]

هو عُبَيد الله بن قيس بن شُرَيح بن مالك بن رَبيعة بن إهاب[2] بن صاب[3] ابن حُجَير بن عبد بن بغيض[4] بن عامر بن لؤىّ بن غالب .

وأُمه قتيلة بنت وهب بن عبد الله بن ربيعة بن طريف بن عدىّ بن مسْمر[5] بن ليث بن بكر بن عبد مناة[6] بن كنانة .

كان يقال لبنى بغيض[4] بن عامر بن لؤىّ وبنى محارب بن فهر الأجربان ، من أهل تهامة ، وكانا متحالفين .

وإنما قيل لهما الأجربان من شدة بأسهما وعَرِّهما مَنْ ناوأهما كما يُعرُّ البعيرَ الجرب[7] .

وإنمـا لُقِّب عبيدُ الله بن قيس الرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة ، تَسمين جميعا رُقَيّـة .

---

(١) أغانى ٥ : ٧٣ دار الكتب .

(٢) أهيب ٥ : ٧٣ .

(٣) فى ب : صاب أيضا وفى الأغانى ضباب .

(٤) فى ا ، ب وفى بعض نسخ الأغانى : معيص وفى بعضها معيض .

(٥) سعد (أغانى) .

(٦) مناف فى ب وفى الأغانى مناه .

(٧) فى الأصل كأمعر وفى الأغانى كما بعر الجرب .

منهم رُقية بنت عبد الواحد بن[١] أبى قيس بن وهب[٢]، وابنة عم لها يقال لهـا رقية أيضا .

وامرأة أُخرى من بنى أُمية يقال لها رقية أيضا .

وكان هواه فى رقية بنت عبد الواحد وإياها عنى ابن قيس بقوله :

ما خـيرُ عَيْش بالجزيرة بعد ما غبر[٣] الزمانُ ومات عبدُ الواحد

وله فى الرقيات عدة أشعار .

وأما أبياته التى منها :

مَنَع اللهوَ والهوى وسُرَى الليلِ مُصعبُ
وسـياطٌ على أَكُفـــ[٤] رجالٍ تقلَّبُ

يقولُهـــا فى مصعب بن عبـد الرحمن بن عوف الزهرىّ ، وكان صاحبَ شرطة مروان بن الحـكم ، ولاه مروانُ المدينةَ فقال : إنى لا أضبط المدينة بحرس المدينة ، فابْـغِنى رجالا من غيرها، فدعا له[٥] بمائة رجل من أهل أيلة ، فضبطها ضبطا شديدا ، فدخل المِسْوَرُ بن مَخْرَمة على مروان ، فقال : أما ترى ما يشكو الناس من مصعب؟ فقـال :

ليس بهـذا من سِياقٍ عَتْبُ يمشى القَطوفُ[٦] وينام الركْبُ

وقيل : إنه ولى[٧] إلى أن ولى عمرُو بن سعيدٍ المدينـةَ ، وخرج الحسينُ

---

(١) ابن أبى سعد بن أبى قيس (أغانى) .
(٢) ابن أهبان (أغانى) .
(٣) عثر (أغانى) .
(٤) فى الأصل ألف والتصويب عن الأغانى .
(٥) فأعانه بمثى ٥ : ٧٤ .
(٦) القطوف من الدواب : التى تسىء السير وتبطىء .
(٧) بقى (أغانى) .

وعبدُ الله بن الزبير ، فقال له عمرو : اهْـدِمْ دُورَ بنى هاشم وآل الزبير ، فقال : لا أفعل . فقال : انتفخ سَحْرك يا ابن أُم حريث !! ألق سيفنا . فألقاه ، ولحق بابن الزبير ، وولى عمرُو بن سعيد شرطتَه عمرو بنَ الزبير بن العوام ، وأمرَه بهدم دور بنى هاشم وآل الزبير ، ففعل ، وبلغ منهم كلَّ مبلغ ، وهدم دار ابن مُطيع التى يقال لها العنقاء ، وضرب محمدَ بنَ المنذر بن الزبير مائةَ سوط . ثم دعا بعُروةَ بن الزبير ليضربَه . فقال له محمد : أتضرب عروة ؟ قال : نعم ياسَبَلان إلا أن تَحْتَمِل ذلك عنه ، فقال : أنا أحتمله ، فضربه مائـةَ سوط أُخرى ، ولحق عروةُ بأخيه ، وضرب عمرُو الناسَ ضرباً شديداً ، فهربوا منه إلى ابن الزبير ، وكان المِسْور بن مخرمة أحدَ من هرب منه ، ولما أفضى الأمر إلى ابن الزبير أقاد منه ، وضربه بالسوط ضربا مُبَرِّحا ، فمات فدفنه فى غير مقابر المسلمين ، وقال للناس : إن عَمْراً مات مرتدا عن الإسلام .

قال الزبير : سألت عمى مصعبا ومحمدَ بن الضحاك ومحمدَ بن حسن عن شاعر قريش فى الإسلام ، فـكلهم قال(١) : قيس الرقيات .

وجاء ابن قيس إلى طلحة بن عبد الرحمن بن عوف فقال : ياعم إنى قلت شعراً فاسمعه ، فإنك تَنْصح لقومك ، فإن كان خيراً قلت ، وإن كان رديئاً كففت . قال : أنْشِدْنى ، فأنشدَه قصيدته التى يقول فيها :

منع اللهو والهـوى وسُرى الليلِ مصعبُ(٢)

فقال : قل يا ابن أخى فإنك شاعر .

وكان عبيدُ الله بنُ قيس زبيريَّ الهوى .

---

(١) قالوا : ابن قيس (أغانى) .

(٢) حال دون الهوى ودو ن سرى الليل مصعب (تجريد ١ : ٦٣٢) .

وخرج مع مصعب على عبد الملك ، فلما قُتل مصعب وعبد الله لجأ إلى عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبدَ الملك فى أمره فأمّنه . قال عبيد الله بن قيس الرقيات : خرجت مع مصعب حين بلغه شخوصُ عبد الملك بن مروان إليه ، فلما نزل مصعب مَسْكن ورأى معالم[1] الغدر ممن معه دعانى ، ودعا بمال ومناطق ، فملأ المناطق مالًا[2] وألبسنى منها ، وقال : انطلق حيث شئت ، فإنى مقتول . فقلت : والله لا أَريمُ حتى أرى سبيلَك ، فأقمتُ معه حتى قتل ، ثم أقبلت[3] إلى الكوفة فأولُ بيت صرتُ إليه دخلته ، فإذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما ظبيتان ، فرقيت إلى مشربة فقعدت فيها فأمرت لى المرأة بما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء ، فمكثت كذلك عندها أكثر من حول ، تقتحم[4] لى بما يصلحنى ، وتغدو علىّ فى كل صباح ، فتسألنى بالصباح والحاجة ، ولا تسألنى من أنا ولا أسألها من هى . وأنا مع ذلك أسمع الصياح فىّ والجُعْل ، فلما طال المقامُ وفقدت الصياحَ فىّ وغَرِضْتُ[5] مكانى غدتْ علىّ تسألنى الصباح والحاجة فأعلمتها أنى قد غَرِضْتُ وأحببت الشخوصَ إلى أهلى . فقالت لى : يأتيك[6] ماتحتاج إليه إن شاء الله تعالى ، فلما أمسيتُ رقت إلىّ وقالت: إذا شئت فانزل [فنزلت][7] وقد أعدّت راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ، ومعهما عبد ، وأعطتِ العبدَ نفقةً لطريقه وقالت : العبد والراحلتان لك . فركبنا حتى طرَقْتُ أهلى بمكة ، فدققت منزلى ، فقالوا لى : من هذا ؟

---

(١) معالم فى ب والأغانى ، وكأنها مسالم فى الأصل .

(٢) من ذلك المال (أغانى).

(٣) مضيت (أغانى) .

(٤) تقيم لى ما يصلحنى (أغانى) .

(٥) يقال : غرض من المكان : مل وضجر .

(٦) نأتيك بما (أغانى) .

(٧) ما بين القوسين (أغانى) .

قلت : عبيدُ الله، فبكَوْا وولْوَلُوا ، وقالوا : ما فارقَنا طلبُك إلا فى هـــذا الوقت . فأقمتُ عندهم حتى أسحرت ، ثم نهضت ومعى العبد فأتيت[1] المدينة فجئت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عند المساء ، وهو يُعَشِّى أصحابـه فجلست معهم ، وجعلت أتعاجم ، فلما خرج أصحابه كشفتُ عن وجهى ، فقال : ابنُ قيس ! ؟ فقلت : ابنُ قيس ، جئتك عائذا بك، فقال : ويحك ، ماأجَدَّهُم فى طلبك ، وأحرَصهم على الظفر بك . ولـكنى سأكتب إلى أمِّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان ، فهى زوجة الوليد بن عبد الملك ، وعبدُ الملك أرقُّ شىء عليها ، فـكتب إليها يسألهـا أن تشفع لى إلى عمِّها ، وكتب إلى أبيها يسأله أن يكتب إليها كتابا يسألها فيه الشفاعة. فدخل إليها عبد الملك كما كان يفعل ، وسألها : ألك حاجة ؟ فقالت : نعم لى إليك حاجة . فقال : قضيتُ كل حاجة لك إلا ابنَ قيسِ الرقيات . فقالت : لا تَستَثْنِ علىّ شيئا . فنفح بيده فأصاب وجهها فوضعت يدها على خدها فقال: يا بنتى[2] ارفعى يدك فقد قضيت كل حاجة لك وإن كان ابنَ قيس الرقيات . فقالت : إن حاجتى ابنُ قيس ، تؤمنه فقد كتب إلىّ يسألنى أن أسألك ذلك . قال : فهو آمن فمرِيه أن يحضر مجلسى العشيةَ ، فحضر ابن قيس ، وحضر الناس ، حين بلغهم مجلس عبد الملك وأخَّر الإذنَ ، ثم أذن للناس ، وأخَّر إذنَ ابن قيس الرقيات حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أذن له ، فلما دخل عليه قال عبد الملك : يا أهل الشام أتعرفون هذا ؟ فقالوا : لا ، قال : هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذى يقول :

كيف نومى على الفراش ولمّا ... تشْمَلِ الشأمَ غـارةٌ شعواءُ
تُذْهِلُ الشيخَ عن بنيه وتُبْدِى ... عن خِدَامِ العقيلةُ العـذراءُ

---

(١) حتى قدمت المدينة (أغانى) .
(٢) فى الأصل ا ، ب : يا أمى .

فقالوا : يا أمير المؤمنين اسْقِنا دمَ هذا المنافق . قال : الآن ، وقد أمَّنْته وصار فى منزلى [وعلى بساطى][1] وقد أخرت الإذن لتقتلوه فلم تفعلوا ، فاستأذنه ابنُ قيس الرقيات أن يُنْشده مديحه فأذِن له فأنشده :

عادَ له عن[2] كثيرةَ الطربُ ... فعينُه بالدمـــوع تنسكبُ

حتى قال فيها :

إن الأغرَّ الذىّ أبوه أبو الـ ... ـعاصى عليه الوقارُ والُحجُب

يعتدِلُ التاجُ فوق مَفْرِقِه ... على جبينٍ كأنّه ذهبُ[3]

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس ، تمدحُنى بالتاج كأننى من العجم ، وتقول فى مصعب :

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللـ ... ـه تَجَلَّتْ عن وجهه الظَّلماء

مُلْكُه مُلْكُ عِزَّةٍ ليس فيه ... جَبَروتٌ منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً . قال : فقال ابن قيس لعبدالله بن جعفر : ماينفعنى أمانى، تُرِكْتُ حياً كَميّتٍ لا آخذ مع الناس عطاء أبداً ، فقال له عبد الله بن جعفر : كم بلغت من السن ؟ قال : ستين سنة . قال : فعمِّرْ نفسَك . قال : عشرين ، فذاك ثمانون سنة . قال : كم عطاؤك ؟ قال: ألفا دِرهم. فأمر له بأربعين ألف درهم . وقال ذلك [لك] عَلَيَّ حتى تموت على تعْميرك نفسك فقال عبيد الله يمدحه :

تَقَدَّتْ[4] بى الشهباء نحو ابن جعفر ... سواء عليها ليلُها ونهــارُها

---

(١) الزيادة عن الأغانى .

(٢) فى ا ، به عن ، وفى الأغانى من .

(٣) الذهب (أغانى) .

(٤) تقدت : سارت سيرا ليس بعجل ولا مبطىء .

تَزورُ امرأً قد يعــلم الله أنه ... تَجُودُ له كفٌّ قليل غِرارهــا
أتيناكَ نُثْنِي بالذى أنت أهْلُه ... عليك كما أَثْنَى على الروض جارها
ووالله لولا أن تَزورَ ابن جعفر ... لـكان قليلا فى دمشقَ قَرارُها
إذا متّ لم يُوصلْ صديقٌ ولم تقم ... طريقٌ من المعروف أنت منارُها
ذكرتك إذ فاض الفرات بأرضنا ... وفاض بأعلى الرّقتين(١) بحارها
وعندىَ ممّا خوّلَ الله هجمةٌ(٢) ... عطاؤك منها شَوْلُها وعِشارُها
مباركة كانت عطاءَ مُبــارك ... منائح كبراها وتنمى صغارها

قال عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس: [ويحك يا بن قيس](٣) أما اتقيت الله تعالى حين تقول لابن جعفر:

تزور امرأً قد يعلم الله أنه ... تجود له كف قليل غرارها

ألا قلت: قد يعلم الناس، ولم تقل: قد يعلم الله... فقال ابن قيس: قد والله علمه الله وأنت وأنا والناس.

ومما عيب على ابن قيس الرقيات هذا المعنى:

تَقَدَّتْ بى الشهباءُ نحو ابن جعفر ... سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

وذلك أنه نقض صدره بعجزه، لأن (تَقَدَّت) أى سارت سيرا غير عجل، ثم قال (سواء عليها ليلها ونهارها) وهذا غاية الدأب فى السير، فناقض المعنى فى بيت واحد.

---

(١) الرقتين (أغانى).

(٢) الهجمة من الإبل ما بين الأربعين أو السبعين إلى المائة ـ والشول: جمع شائلة وهى من الإبل التى تشول بذنبها للقاح ولا لبن لها.

(٣) ما بين القوسين (أغانى) ٥ : ٨١.

وقال الأصمعى (كثيرة) التى ذكرها فى شعره :

عاد له من كثيرة الطرب ... ...

هى المرأةُ التى آوتْه بالكوفة ، لما أقام عندها سنة . فلما كان بعد سنة إذ أشْرَف من جناح إلى الطريق . فإذا منادى عبد الملك ينادى ببراءة الذمَّةِ ممن أصيبَ عنده ، فأعلمت المرأة أننى الرجل . فقالت لى : لا يرُعْك[١] ما سمعتَ ، فإن هـذا نداءٌ شائع منذ نزلت بنا. فإن أردت المقامَ ففى الرحبِ والسعة ، وإن أردت الانصراف فأعلمنى . فقلت : لابد من الانصِراف ، فلما أحْضَرت لى الراحلتين والعبد قلت لها : من أنتِ لأكافِئك ؟ قالت : ما فعلت هذا لِتكافئنى ، فانصرفتُ ولا أعرفها، إلا أنى سَمِعْتها تُدْعى بكثيرة فذكرتها فى شعرى .

وقيل : إن ابن قيس لما منعه عبد الملك بن مروان عطاءه وطلَبَه ليقتله ، واستجار بعبد الله بن جعفر ، دخل عليه وعرَّفه خبرَه فدعا بظَبْيَةٍ[٢] فيها دنانير ، وقال لسائب خاثر : عدَّ له منها، فجعلت أعدّ وأُطَرِّب بجهدى، حتى بلغت ثلاثمائة دينار ، وسكتّ . فقال لى عبدُالله بن جعفر : مالك ، ويلك، سكتّ!! ما هذا وقت قطع الصوت الحسن. فجعلت أعدّ حتى نَفِدَ ما كان فى الظَّبْية ، وفيها ثمانمائة دينار ، فدفعتها إليه . فلما قبضها قال لابن جعفر : سَلْ أميرَ المؤمنين فى أمرى، قال : قم[٣] فإذا دخلتُ ودخلتَ معى إليه، ودعا بالطعام، فكل أكلا فاحشا، فركب ابنُ جعفر فدخل معه على عبدالملك، فلما قُدِّم الطعام جعل يسىء الأكل . فقال عبد الملك لابن جعفر : من هذا ؟ قال هذا إنسان لا يحرز[٤] إلا أن يكون صادقا إن استُبْقىَ ، وإن قتل كان أكْذبَ الناس . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه يقول :

---

(١) لا يروعنك (أغانى) .

(٢) الظبية : الجراب ، أو الصغير خاصة .

(٣) نعم فى ا وفى الأغانى .

(٤) لا يجوز (أغانى) .

ما نَقَموا من بنى أُمية إلّـ ـا أنهم يحْلُمون إن غَضِبوا
وأنهم مَعْدِنُ[1] الملوك فما تصلح إلا عليهمُ العَرَبُ

فإن قتلتَه لغضبك عليه أَكْذَبْته فيما مَدَحَكم به . قال : هو آمن ، ولكن لا أُعْطِيه عطاءً من بيت المال . قال : ولِمَ ؟ وقد وهبْتَه لى ، وأُحبُّ أن تهب عطاءه لى أيضا ، كما وهبت لى دَمَه وغفرتَ ذنبه، قال : قد فعلت . قال : وتُعْطيه ما فاته من العطاء . قال : قد فعلت ، وأمر له بذلك .

وكان عبد الله بنُ جعفر قد فرض على نفسه عطاءَ عبيد الله بن قيس أيامَ حياته ، وأعطاه غيرَ ذلك من عطايا ، أَكثرَ منها ثم جاءته صِلةٌ من عبد الملك وابنُ قيس غائب ، فأمر عبدُ الله بن جعفر جارية[2] لتخبأ له صلته منها . فلما قدم دفعها إليـــه [وأعطاه][3] جارية حسناء فقال ابن قيس :

إذا زرتُ عبدَ الله نفسى فداؤه رجعتُ بفضلٍ من نداه ونائلِ
وإن غبتُ عنه كان للودِّ حافظا ولم يك عنى فى المغيب بغافـلِ
تَداركنى عبدُ الإله وقد بَدَتْ لذى الحقد والشَّنآن منى مقاتلى
فأنقذنى من غمرة الموت بعد ما رأيت حياض الموت حُمْرَ[4] المناهل

اعترض الرشيدُ جاريةً فغنت :

ما نقموا من بنى أُمية إلّا ... ...

فلما ابتدأتْ به تغير وجهُ الرشيد ، وعلمت أنها قدغلطت وأنها إن مَرّتْ فيه قُتِلتْ فانتبهت وقالت :

... ... إلّا أنهم يَجْهلون إن غضبوا
وأنهم معـدن النفاق فلا تفسـد إلّا عليهم العربُ

---

(١) سادة (أغانى) .
(٢) خازنه فخبأ له صلته (أغانى ٥ : ٨٢) .
(٣) عن الأغانى . (٤) جم (أغانى ٥ : ٨٢)

فقال الرشيد ليحي بن خالد : سمعت يا أبا على ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تُبْتَاعُ هذه وتُسْنَى لها الجائزة ويُعَجَّلُ لها الإذن[١] ليسكن قلبها. قال : ذاك جزاؤها ، قومى فأنت منى بحيث تحبين ، فأُغمى على الجارية . فقال يحي بن خالد :

جُزِيتَ أميرَ المؤمنين بأَمْنِهـا　　　من الله جنات تفوزُ بِعَدْنِهـا

مر عبد الله بن قيس بابن أبى عتيق ، فسلم عليه ، فقال : عليكَ السلامُ يا فارسَ العمياء. فقال له : ما هذا الاسم الحادثُ يا أبا محمد؟ قال : سميت به نفسك حيث تقول :

... ...　　　سواءٌ عليها ليلها ونهارها

فما يستوى الليل والنهار إلا على الأعمى. قال : إنما عنيت التَّعب . قال : فبيتك يحتاج إلى ترجمان يُتَرْجِمُ عنه.

أنشد كُثَيِّرٌ ابن أبى عتيق كلمته التى يقول فيها :

واستُ براضٍ من خليلٍ بنائل　　　قليل ولا أرضَى له بقليـل

فقال له : هذا كلامُ مُكافىءٍ وليس بعاشق . القرشيان[٢] أصدق وأقنع منك : ابن أبى ربيعة حيث يقول :

ليت حظِّى كطرفة العين منها　　　وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنَّى

وقوله :

فعِدِى نائلا وإن لم تُنيلى　　　إنه يُقْنِـعُ المحبَّ الرجاء

وابن قيس الرقيات حيث يقول :

رُقَىَّ بعيشِـكم لا تهجرينا　　　ومَنِّينا المُنَى ثم امطُلينـا

عِدينا فى غـد ما شئت إنا　　　نحبُّ وإن مَطَلْتِ الواعدينا

فإما تُنْجِزِى وَعْدِى وإما　　　نعيشُ بمـا نُؤَمِّلُ منك حينا

(١) فى الأصل الآن .

(٢) فى الأصل القرشيات .. من كابن أبى ربيعة .

أغرَّكِ أنني لا صَبْرَ عنـدى على هَجْرٍ وأنَّكِ تَصْبرينا

فذكر ذلك لأبى السائب المخزومى فقال : صدق ابنُ أبى عتيق وفقه الله ، ألا قال المذنوب كما قال المجنون حيث يقول :

وأبْكِى فلا لَيْلَى بَكَتْ من صبابة لباكٍ ولا ليلَى لذى الرزء(١) تبذلُ
وأقْنَع بالعُتْبَى إذا كنت مُذْنِبا وإن أذنَبَتْ كنتُ الذى أتنصَّلُ

حدّث فِنْدٌ(٢) قال : حجَّتْ رقيةُ بنتُ عبد الواحد العامرية . فكنت آتيها وأُحَدِّثُها فتستظرفُ حديثى وتضحكُ منِّى ، وطافت ليلةً بالبيت ، ثم أهْوَتْ لتستلمَ الركنَ الأسودَ وتقبِّلَه ، وقد طُفْت مع عبيد الله بن قيس الرقيات، فصادف فراغُنا فراغَها ، ولم أشعر بها فأهوى ابن قيس يستلم الركن الأسود [ويقبله](٣) فصادفها قد سبقته إليه فنفَحَته بُرْدُها فارتَدَع . وقال لى : من هذه ؟ فقلت: أَوَ لا تعرفها ؟ هذه رقية بنت عبد الواحد. فعند ذلك قال:

مَنْ عَذِيرى ممن يَضِنُّ بمبذو لِ القِرَى علىّ عند الطوافِ

يريد أنها تقبل الحجر الأسود وتضن عليه بقبلتها ، وقال فى ذلك :

حدثونى هل على رجل عاشقٍ فى قُبْلَةٍ حَرَجُ

* * *

كان عبد الملك بن مروان قد أراد البيعة لابنه الوليد ، بعد عبد العزيز بن مروان، فكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك ، فامتنع عليه وكتب إليه يقول له : لِىَ ابنٌ وليس ابنُك أحبَّ إلىّ منه ؛ فإن استطعت ألّا يُفرِّق بيننا الموت ، وأنت قاطع لى فافعل ، فَرَقَّ له عبد الملك فكفَّ عن ذلك فمات عبد العزيز بعد ستة أشهر .

(١) لذى الود (أغانى) .
(٢) فند مولى عائشة بنت سعيد بن أبى وقاص ٥ :٩٦ .
(٣) عن الأغانى : ٥ : ٩٦ .

ذكر عبد الرحمن دَحمان[1]

دَحمان لقبٌ غَلَبَ عليه ، واسمه عبد الرحمن بن عمرو ، مولى بنى ليث بن بكر ابن عبد مناة، من كنانة . ويكنى أبا عمرو ، ويقال له دحمان الأشقر . وكان مع شهرته بالغناء صالحا كثير الصلاة مُعَدَّلَ الشهادة مُدْمِنا للحج. وكان يقول: ما رأيت باطلا أشْبَهَ بحق من الغناء .

وشهد دحمان لرجل عند عبد العزيز بن[2] عبد المطلب بن حنطب ، وهو يَلى القضاء على رجل من أهل العراق بشهادة ، فأجازها وعَدَّله فقال له العراق: إنه دحمان. قال : أعرفه ، ولو لم أعرفه لسألت عنه . قال : إنه يغنى ويُعَلِّم الجوارىَ الغناءَ . قال: غفر الله لنا ذلك ، وأيُّنا لا يتغنى؟ أُخْرُج إلى الرجل عن حقه.

وكان دحمانُ من رُواة مَعبد ، ومن جملة مَنْ كان من المُعَدّلين من المغانى مَعْبد فإنه كان فى ابتداء أمره مقبول الشهادة ، فلما خُصَّ بالوليد بن يزيد وعاشره على تلك الهَنات[3]، وغنّى له ، أُسقطت شهادته ، وعدالته ، لا لأن شيئا بان عليه من دخول فى محظور ، ولكن لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله .

قيل إن المهدى أعطى دحمان فى ليلة واحدة خمسين ألفَ دِرهم[4] وذلك لما غَنَّاه فى شعرِ الأحوص بن محمد :

قَطوفُ المَشْىِ إذ تمشى ترى فى مَشْيِها خَرَقا
وتُثْقِلُها عجيزتُها إذا ولت لتَنْطَلِقا

---

(١) الأغانى ٦ : ٢١، فى الأصل رحمان والتصويب عن الأغانى .

(٢) ابن المطلب بن عبد الله بن حنطب ٦ : ٢١ .

(٣) فى الأصل الهيئات .

(٤) دينار (أغانى ٦ : ٢٣) .

فاستخفه السرور والطرب ، حتى قال لدحمان : سَلْنى . قال : ريان[١] وغالب – ضيعتان بالمدينة – فأقطَعَهُ إياها ، فلما خرج التوقيع بذلك إلى [أبى][٢] عبيد الله وعمر راجما المهدى ، وقالا له : إن هاتين ضيعتان لم يملكهما قط إلا خليفة ، وقد استقطعَهما ولاة العهود فى أيام بنى أُمية [فلم يقطعوها][٣] . فقال : والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى ، فصولح على خمسين ألف درهم[٤] .

كان دَحمان جمّالا يُكرِى إلى المواضع ويَتّجر ، وكانت له مروءة، فبينا هو ذات يوم قد أَكْرَى وأخذ ماله إذ سمع رَنَّة ، فاتبعها فوجد جاريةً تبكى ، فقال لها : أمملوكة أنت ؟ قالت : نعم . قال : لمن أنت ؟ قالت : لفلانةَ امرأةٍ من قريش[وسمتها له][٥] فدخل فاشتراها منها بمائتى دينار ونقدها الثمن . قال : وأخذتُها وانصرفتُ بها . فأقامت عندى مُدّةً أطرحُ عليها أنا ومعبد والأَبْجَر وغيرنا ، ثم خرجت بها بعد ذلك إلى الشام ، وقد حذقت ، وكنت لاأزال إذا نزلنا أُنْزِلُ الحمول ناحيةً وأُنزِلُ بها معى ، معتزلا ناحية فى محْمِل ، وأطرح على المحْمِل من أعبِية الجمّالين ، وأجلس أنا وهى تحت ظلها. فأُخرج شيئا آكلُه وأضع زُكرة[٦] فيها شراب فنشربُ وتُغنينى حتى نرحلَ، فلم نزَلْ كذلك حتى قَرُبْنا من الشام ، فبينا أنا ذاتَ يوم نازلٌ وأنا أُلقى عليها لحنى فى شعر إسماعيل بن يسار :

---

(١) فى الأصل ديار والتصويب عن الأغانى والتجريد .
(٢) الزيادة عن الأغانى . والنص فيه . . إلى أبى عبيد الله وعمر بن بزيغ .
(٣) الزيادة عن الأغانى ٦ : ٢٣ والتجريد .
(٤) دينار (أغانى) .
(٥) الزيادة عن الأغانى .
(٦) الزكرة بالضم : زق للخمر و الخل كما فى القاموس . وفى الأغانى ركوة وهى إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

لو رَدّ ذو شَفَق حِمَامَ مَنِيَّة   لرَدَدْتُ عن عبد العزيز حِماما
صلى عليك اللهُ من مستودَع   جاورت رمسا فى القبور وهاما[١]

فبينا هى تغنيه وإذا براكبٍ قد طلع فسلم علينا ، فرددنا عليه السلام ، فقال : أتأذنون لى أن أنزل تحت ظلكم هذا ساعة ؟ قلنا : نعم، فنزل وعرضنا عليه طعاما وشرابا ، فأجاب . فقدمنا إليه السُّفرةَ والزُّكْرَة ، فأكل وشرب واستعاد الصوتَ مراراً ، ثم قال للجارية : أتغنين لدحمان شيئاً ؟ قالت : نعم . فقال : غنّينى من صَنْعَته شيئاً ، فغنته أصواتاً ، وغمزْتُها الا تعرِّفَه أننى دحمان ، فطَرِب وامتلأ فرحاً وسروراً وشرب أقداحاً ، والجارية تغنيه ، حتى قَرُب وقتُ الرحيل ، فأقبل علىّ وقال : أتبيعنى هذه الجارية ؟ فقلت : نعم . قال : بكم ؟ فقلت كالعابث : بعشرة آلاف دينار. فقال : قد أخذْتها ، فهلم قرطاساً ودواةً ، فجئتُ بذلك . فكتبَ : ادفع لحامل كتابى هذا ساعةَ تقرَأه عشرةَ آلاف دينار ، واستوص به خيراً وأعلمنى مكانَه ، وختم الكتاب . ثم قال : أتدفعُ إلىّ الجاريةَ أم تكونُ معك لتقبضَ مالَك ، فقلت : بل أدفعُها إليك . فحملها وقال : إذا جئت البَحْرَ أقبِل على فلانٍ وادْفع كتابى هذا إليه ، واقبض منه مالك. ثم انصرف بالجارية ومضَيت فدللت على الرجل فإذا دارُه دارُ مُلْك فدخلتُ عليه ، ودفعت التوقيعَ إليه فقبَّلَه ووضَعَه على عينيه ، ودعا بعشرة آلاف دينار ، ودفعها إلىّ ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين . وقال : اجلس حتى أُعْلِم أميرَ المؤمنين بك . فقلت له : حيث كنت فأنا عَبْدُك[٢] ، وبين يديك ، وقد كان أمر لى بأنزال[٣] وكان بخيلا فاغتنمت ذلك فارتحلت وكنت

---

(١) ينسب الشعر فى الأغانى لكثير يرثى عبد العزيز بن مروان وزعم بعض الرواة أنه لعبد الصمد بن على الهاشمى يرثى ابنا له، وهوفى تجريد الأغانى منسوب إلى ابن يسار وقد كانت فى الأصل ابن بشار .

(٢) فى الأصل أنا عندك . والتصويب عن الأغانى .

(٣) الأنزال : جمع نزل وهو ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه .

أُصِبْت بجملين ، وكانت عدة جمالى خمسةَ عَشر فصارت ثلاثة عشر . قال : وسأل عنى الوليد بن يزيد فـلم يَدْرِ القهرمانُ أين يطلبنى . فقال له الوليد : عدَّةُ جماله خمسة عشرَ جملا ، ولم يعرف اسمى . وأقامت الجارية عنده شهراً ، لا يسأل عنها ، ثم دعاها بعد أن استُبْرِئت ، وأُصلح من شأنها فظل معها يومه حتى إذا كان فى آخر نهاره قال لها : غنى لدحمان ، فغنت . فقال لها : زيدى ، فزادت ، ثم أقبلت عليه فقالت : يا أمير المؤمنين أو ما سمعتَ غناءَ دَحمان منه ؟ قال : لا . قالت : بلى والله . فقال : وما ذاك ويحك ؟ فقالت : إن الرجل الذى اشتريتنى منه هو دحمان ، قال : أو ذلك هو؟ قالت : نعم [هو هو](١) قال : وكيف لم أعلم ؟ قالت : غمزنى بألا أُعلمك. فـكتب إلى عامل المدينة بأن يحملَ إليه دحمان ، فحمل فلم يزل عنده أثيراً .

وكان دحمانُ طيبا ظريفا . قال ابنُ جامع : تذاكروا يوما كِبَرَ الأُيور بحضرةِ بعض الأُمراء فأطالوا القولَ ، ثم قال بعضهم : إنما كِبَرُ أيرِ الرجل فى مقـدار حِرِ أمه ، فالتفت الأمير إلى دَحمان فقال : يا دُحيم كيف أيرك ؟ فقال : أيها الأمـير إنك لم ترد أن تعرف كبر أيرى وإنما أردت أن تعرف مقدار حر أمى .

وأول ما عُرِفَ من ظرف دحمان أن رجلا مرَّ به فقال له : أَيْر حمارى فى حِرِ أُمك يا دُحَيْم . فلم يفهم ما قاله له ، وفهم رجلٌ كان حاضراً معه فضحك . فقال له : مِمَّ ضحكت ؟ فلم يخبره . فقال له : أقسمت عليك إلا أخبرتنى . فقال : شتمك بما لا أُحب أن ألقاك به . قال: والله لتخبرنِّى به كائناً ما كان. قال : قال كذا وكذا مِنْ(٢) حمارى فِى حر أُمك . فضحك ثم قال : أعجبُ والله من شتمه كنايتُك عن أير حماره وتصريحُك بِحِرِ أمى .

(١) عن الأغانى .

(٢) فى الأصل : أير حمارى والتصويب عن الأغانى وهو بالصواب أشبه لما فيه من الـكناية المشار إليها بعد .

ذكر عبد الرحمن أعشى همدان(1)

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث ابن مالك بن عبد الحق(2) بن جشم بن حاشد بن خَيْران بن نَوْف بن همدان بن مالك ابن زيد بنِ أَوْسِلة بن ربيعة بن الجناب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب ابن يعرب بن قحطان .

ويكنى أبا المُصَبِّح ، شاعرٌ فصيح كوفيٌّ من شعراء الدولة الأُموية .

وكان زوجَ أُختِ الشَّعْبِيّ الفقيه عامرِ بن شراحيل ، والشعبيُّ زوجُ أُخته . وكان أحدَ القراء والفقهاء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر ، وآخَى أحمد النصْبِيّ بالعشيرية[والبلدية](3) وكان إذا قال شعراً غنى فيه أحمد ، وخرج مع ابن الأشعث فأُتى به الحجاج [أسيرا] فقتله صبرا .

وكان الأعشى قد أتى إلى الشعبي فقال له : إنى رأيت كأنى أُدخلت بيتا فيه حِنطة وشعير ، وقيل لى: خذ أيَّهما شئت ، فأخذت الشعيرَ. فقال له الشعبيّ : إن صَدَقَتْ رُؤْياك تركت القرآنَ وقراءتَه ، وقلتَ الشعرَ ، فكان كما قال .

روى حماد الراوية قال : كان أعشى همدان أبو المُصَبِّح ممن أغزاه الحجاج بَلَدَ الديلم ، فأُسر فلم يزل أسيراً مدة ، ثم إن بنتا للعِلْج الذى أسره هَوِيَته وصارت إليه ليلا ، فأمكنته من نفسها ، فأصبح وقد واقعها ثمانى مَرات فقالت له الدَّيْلَمِية :

---

(1) أغانى ٦ : ٣٣ .

(2) فى ا ، ب الحق ولعلها محرفة. وفى الأغانى : الحر . وفى التجريد : الجن.

(3) فى الأصل العشرة ، والعشيرية وما بين القوسين عن الأغانى ٦ :٣٣

يا معشر المسلمين ؛ أهكذا تفعلون بنسائكم ؟ فقال : هكذا نفعلُ كلُّنا ، فقالت : بهذا العمل نُصرتم ، أفرأيتَ إن خلصتك أتصْطَفيني لنفْسك ؟ فقال : نعم ، وعاهدها ، فلما كان الليلُ حَلَّتْ قيودَه وأخذت به طريقا تعرفها حتى خَلَّصَتْه فقال شاعر من أسرى[١] المسلمين :

فمن كان يَفْديه من الأسر مالُه　　　فهمدانُ يفديها الغداةَ أُيورها

وقال قصائد يَذكرُ فيها ما لَحِقه من أَسْر الديلم .

وأخرجه الحجاجُ أيضا على جيش الكوفة إلى مُكْران[٢] فطال مقامه بها وعمل فيها شعراً .

وكان خالدُ بن عَتّاب بن ورقاء الرِّياحىّ يَعِدُ الأعشى ويُمنِّيه ويقول له : إن وُلِّيت عملا كان لك ما دون الناس جميعا ، فمتى استُعْمِلتُ فخذ خاتمى واقض فى الأُمور كيف شئت . فاسْتُعْمِل خالدٌ على أصفهان وسار معه الأعشى ، فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه ، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة ، وهجاه بأبيات منها :

تُمنِّينى إمارتَها تميمٌ　　　وما أُمِّى وأُمُّ[٣] بنى تميم

وكان أبو سليمانٍ أخاً لى　　　ولكنَّ الشِّراكَ من الأديم

وأعطى خالدٌ الناسَ عطاء كثيراً ، وجعل الأعشى فى أقلِّها وفضل عليه آل عُطارِد ، فهجاه فحبسه مدة ثم أطلقه .

وكان الأعشى يمدح ابنَ الأشعث لما خرج ويُحرِّض أهلَ الكوفة ، وكان له مع ابن الأشعث مواقفُ محمودة .

---

(١) فى الأصل : أشداء والتصويب عن الأغانى .

(٢) مكران : ولاية واسعة تشتمل على عدة مدن وقرى ، وهى بين كرمان من غربيها وسجستان شماليها والبحر جنوبيها والهند شرقيها (مراصد الاطلاع) .

(٣) بأم .

وكان الأعشى من أخواله لأن أمَّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أمُّ عمرو بنتُ سعيد[١] بن قيس الهمدانىّ .

ومن مدائح ابن الأشعث من قصيدة طويلة :

يأبى الإلـهُ وعزةُ ابنِ محمـد   وخلود[٢] ملك قبل آل ثمـود
إن يأنسوا بمُذَمَّمِينَ عروقُهم   فى الناس إن نُسِبوا عروقُ عَبيد

فلما صار ابنُ الأشعث إلى سِجِسْتَان جَبَى مالا كثيراً فسأله أعشى همدان أن يعطيه [منه] زيادة على عطائه فامتنع فقال الأعشى فى ذلك يعدد عليه أُموراً :

هـل تعرف الدارَ عفاَ رسمُهـا   بالحضْر[٣] فالرَّوْضةِ من آمدِ
نحن حَمَيْناك وما تَحْتَمِى   فى الرَّوْعِ من مَثْنًى ولاواحد
يـومَ انتصرنا لك من عـابدٍ   ويـوم أنجيناك من خـالد
ووقعة الرَّىِّ التى نِلْتَهـا   بجحفلٍ من خيلنـا عاقـد
وكم لَقِينا لك من واترٍ   يصرفُ نابَىْ حَنِقٍ حـاردِ
ثم وَطِئْنـاه بأقدامنا   وكان مثـل الحَيَّة الراصـدِ
إلى بـلاء حسنٍ قـد مَضَى   وأنت فى ذلك كـالزاهـد
فاذكر أيادينا وآلاءنا   ودعوة[٤] من حَبْلك الراشد
ويومَ الأُهْواز فلا تَنْسَه[٥]   ليس النثا[٦] والقول بالبائد

---

(١) فى الأصل سعد وما أثبتناه عن الأغانى ٦ : ٤٦ .

(٢) وجدود (أغانى ٦ : ٤٦) .

(٣) الحضر : مدينة بإزاء تكريت فى البرية بينها وبين الموصل والفرات .

(٤) بعوده من حلمك الراشد (٦ : ٤٧) .

(٥) فى الأصل : تثنه .

(٦) فى الأصل : التنا ـ والنثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أوسيء .

إنا لنرجـــوك كما نَرْتَجى صوبَ الغمام البارق[1] الراعـد
فانفَع بكفَّيْك وما ضمَّتــا وافعل فَعالَ السيدِ الماجــد
ما لَك لا تُعطى وأنت امــروٌ مُثرٍ من الطــارِف والتــالد
تَجْبِى سجستان وما حولهــا ممـكنا[2] من عيشك الراغـد
لا ترهب الدهر وأيامَـــه وتجرُد الأرضَ مــع الجـارد
إن يك مــكروهٌ تَهجْنــا له وأنت فى المعروف كالراقــد
ثم ترى أنا سنرضى بذا كلاَّ وربِّ الراكع الساجـدِ
وحُرْمة البيت وأستــاره [ومَنْ به من ناسكٍ عابدِ][3]
تلك لـكم أُمنِيَّــة باطــل وغفوة من حُلُم الراقــد
ما أنا إن هاجك مِنْ بعـدِها هَيْــجٌ بآتيــك ولا كابد[4]
ولا إذا ناطوك[5] فى حَلْقَة بحــامــل عنك ولا ذائد
فأعـط ما أعطيته طَيِّبــاً لا خير فى المنكود والنا كد
نحن ولدناك فلا تَجْفُنــا والله قــد أوصــاك بالوالد
إن تك من كِندَة فى بيتهـا فإن أخوالَك من حاشـــد[6]
شمٌ العرانين وأهلُ الندى ومنتهى الضِّيفان والرائد
كم فيهمُ من فارس مُعْلَم وسائس[7] للجيش أو قائد

(١) المبرق (أغانى) ٦ : ٤٨ .
(٢) متكئا فى عيشك .
(٣) ما بين القوسين عن الأغانى وهو بياض فى الأصل .
(٤) يقال : كابد الأمر مكابدة: قاساه وتحمل المشاق فى فعله ، والـكابد: فاعل المـكابدة .
(٥) فى الأصل ولا أرانا طول ، وناطه : علقه .
(٦) حاشد : حى من همدان .
(٧) فى الأصل ا ، ب كابس وفى الأغانى : سائس.

فارْتَحْ(١) لأخوالك واذكرهمُ ... وارحمهمُ للسَّلَف العائد
فإنّ أخوالك لم يبرحوا ... يَرْبُونَ بالرِّفْد على الرافد
لم يجعل الله بأحسابنا ... نَقْصا وما الناقصُ كالزائد
ورب خالٍ لك فى قومه ... فرع طويل الباع والساعد
لم يبخلوا يوما ولم يجبنوا ... فى السلف الغازى ولا القاعد
ورب خال لك فى قومه ... حَمَّال أثقالٍ لهـا واحد
مُعْتَرِفٍ للبر فى ماله ... والحق للسائلِ والقاصد(٢)

خرج أعشى همدان إلى الشام، فى ولاية مروان بن الحكم، فلم ينل فيها حظا، فجاء إلى النعمان بن بشير فكلم اليمانية، فقال لهم: هذا شاعر اليمن، ولسانها واستماحهم له، فقالوا: نعم، يُعْطِيه كلٌّ رجلٍ منا دينارين من عطائه. فقال: لا، بل أعطوه ديناراً ديناراً، واجعلوا ذلك معجلا. فقالوا: أعطه إياه من بيت المال، واحتَسِبْها على كل رجل من عطائه، وكانوا عشرين ألفا. ففعل النعمان ذلك، وأعطاه عشرين ألف دينار، وارتجعها منهم عند العطاء، فقال الأعشى يمدح النعمان ابن بشير:

[و] لم أر للحاجات عند التماسها ... كنعمانَ نُعمانِ الندَى ابن بَشير
إذا قال أَوْفَى ما يقول ولم يكن ... بِمُدْلٍ إلى الأقوام حبل غرور

وله أيضا:

إنْ يك ذا الدهرُ قد أضرَّ بنا ... من غير رحل فربما نفعا
أبكى على ذاك الزمان ولا ... أحسب شيئا قد فات مرتجعا
إذ نحن فى ظل نعمة سلفت ... كانت لها كل نعمة تبعا

---

(١) فارتع (أغانى) وفى ا، ب تقرأ: فارع أو فادع.

(٢) فى الأغانى: للرزء (مكان للبر) والعامد (مكان للقاصد) ٦ : ٤٩.

وقال :

ألا مَنْ لنفسٍ لا تموت فينقضي العناء ولا تحيا حياةً لها طعمُ
أأتركُ إتيانَ الحبيبِ تأثُّما ألا إن هجرانَ الحبيب هو الإثمُ
فذق هجرَها إن كنت تزعم أنه رشاد ألا يا رُبَّما كذبَ الزعْمُ

وتوفى سنة [١٠٢ هـ] اثنتين ومائة .

وقيل : مات بالمدينة سنة [٩٨هـ] ثمان وتسعين .

ذكر عمر بن عبد العزيز (1)

هو عمرُ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاصى بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، ويكنى أبا حفص .

وأمه أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وكان أحسنَ الناس صوتا ، حَسَنَ القراءةِ للقرآن .

قيل : إنه صَنَع ألحانا، والله أعلم .

قال محمد بن الحسن : رأيت عمر بن عبد العزيز فى النوم ، وعليه عمامةٌ ورأيته الشجَّةَ فى وجهه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين صوتٌ يزعم الناس أنك صنعتَه من شعر جرير :

قفا يا صاحِبَيّ نَزُرْ سعادا لِوَشْكِ رحيلها وذَرِ البِعادا

فتبسم ولم يرد جوابا .

ذكر يحيى بن سعيد الأموى أن عبد الملك كان يُؤْثِر عمر بن عبد العزيز ويَرِقُّ له ويُدْنيه إذا دخل عليه ، ويرفَعُه فوق ولَدِه جميعا إلا الوليد ، فعاتَبه بعض بنيه على ذلك ، فقال له : أوَما تعلم لِمَ فعلتُ هذا ؟ قال : لا ، قال : إن هذا سَيَلِى الخلافةَ وهو أشَجُّ بنى مروان الذى يملأُ الأرض عدلا بعد أن تُملأَ جَوْراً ، فما لى لا أحبه وأُدنيه؟ وكان قد خرج يلعب فرمَحَتْه بَغْلةٌ على جبينه ، فبلغ أمَّه ، أمَّ عاصم ، فخرجت فى خدمها ، وأقبل عبد العزيز بن مروان إليها ، فقالت : أما الكبيرُ فيكرم وأما الصغير فيُرْحَم وأما الأوسط فيَضِيع ، لِمَ [لا] (2) تتّخِذُ لابنى حاضنا

(1) الأغانى ٩ : ٢٥٤ دار، تجريد جـ ٣ ل ١ : ١٠٨٥ .

(2) الزيادة عن الأغانى والتجريد .

حتى أصابه ما ترى ؟ فجعل عبد العزيز يمسحُ الدم عن وجهه ثم نظر إليها وقال : ويحك ، إن كان هو أشَجّ بني مروان إنه لسعيد .

وكانت بنتٌ لعبيدِالله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نُعَيْم[1] النحّام فماتت ، فأخذ عاصم بيده ، فأدخله منزله ، فأخرج إليه بنتيه ؛ حفصة وأُمّ عاصم وقال له : اختر ، فاختار حفصة ، فزوّجه إياها ، فقيل له : تركت أمّ عاصم وهى أجملُهما فقال : رأيتُ جارية رائعة ، وبلغني أن آل مروان ذكروها ، فقلت : لعلهم أن يصيبوا فى[2] دنياهم فتزوّجها عبد العزيز بن مروان فولدت له أبا بكر وعمر ، فكانت عنده ، وقُتل إبراهيم يوم الحرة ، وماتت أُم عاصم عند عبد العزيز بن مروان ، فتزوّج أُختها حفصة بعدها فحملت إليه إلى مصر فمرت بأَيْلة[3] وبها معتوه أو مخنث ، وقد كان أهْدى لأُم عاصم فأثابته ، فلما مرت به حفصة أهدى لها فلم تُثِبْه فقال : ليست حفصةُ من رجال أُم عاصم ، فذهبت مثلا . فلما وَلِىَ عمر بن عبد العزيز [بدأ بلُحْمته][4] وأهل بيته وأخذ ما كان فى أيديهم وسمى أعمالهم المظالم ، ففزعت بنو أُمية إلى فاطمة بنت مروان عمّتِه ، فأرسلتْ إليه أنه قد دعانى[5] أمر لا بد من لقائك فيه ، فأتته ليلا ، فأنزلها عن دابتها ، فلما أخذت مجلسها قال : يا عمة ، أنتِ أولى بالكلام ، لأن الحاجة لك فتكلّمى . فقالت : تكلم يا أمير المؤمنين ، فقال : إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لم يبعثه عذابا، إلى الناس كافة ، ثم اختار له ما عنده فقبضه إليه ، فترك لهم نهراً ، شِربهم فيه سواء ، ثم قام أبو بكر ، رضى الله عنه ،

---

(١) فى الأصل نعم والتصويب عن (أغانى ٩: ٢٥٥) .
(٢) من (أغانى) .
(٣) فى الأصل : ـ بإيله وهى مصحفة .
(٤) ما بين القوسين عن الأغانى وهو بياض فى الأصل .
(٥) عنانى (أغانى) .

فترك النهر على حاله ، ثم وَلِيَ عمرُ رضى الله عنه ، فعمل على أمر صاحبه ، فلما وَلِيَ عثمانُ رضى الله عنه اشتق من ذلك النهر نهراً ، ثم وَلِيَ معاويةُ فشق منه الأنهار ، ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أفضى الأمر إلىّ وقد يَبِس ذلك النهر الأعظم [ولن يَرْوَى أصحاب النهر حتى يعود إليهم النهر الأعظم إلى][1] ما كان عليــه ، فقالت له : لقد أردتُ كلامَك ومذاكرتَك فأما إذا كانت هذه مقالتُك فلست بذاكرة لك شيئاً أبداً ، ورجعت إليهم فأبلغتهم كلامه .

وقيل : إنها قالت لهم : ذوقوا مَغَبَّة أمرِكم فى تزويجكم إلى عمر بن الخطاب .

قال حماد الراوية : دخلت المدينةَ ألتمس العلمَ فـكان أولَ من لقيت كُثَيِّرُ عزة ، فقلت : يا أبا صخر ، ما عندك من[2] بضاعتي ؟ فقال : عنــدى ما عند الأحوص ونُصيب ، فقلت : وما هو ؟ فقال : هما أحق بأخبارك ، فقلت : إنَّا لم نحُثّ المطىّ نحوكم شهرا نطلب ماعندكم إلا ليبقى لـكم [ذكر][3] وقلَّ مَن فعل ذلك ، فأخبِرْنى عما سألتك ليـكون ما تخبرنى حديثاً آخذه عنك ، فقال : إنه لمّا كان من أمر عمر ابن عبد العزيز ما كان قدمت أنا والأحوص ونُصيب وكل منا يُدِلُّ بسابقة عنـد عبد العزيز [وإخائه لعمر][4] ، فـكان أولَ من لقينا مسلمةُ بن عبد الملك وهو يومئذ فتى[5] العرب ، وكل منا ينظر فى عِطْفَيْهِ ولا يشك أنه شريك الخليفة فى الخلافة ، فأحسن ضيافتَنا وأكرم مثوانا ، ثم قال : [أما علمتم][6] أن إمامكم لا يعطى

(١) الزيادة عن الأغانى ٩ : ٢٥٦ .

(٢) فى الأصل : فى .

(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٤) فى الأصل وإحسانه وما بين القوسين عن الأغانى ٩ : ٢٥٧ .

(٥) فى الأصل : فى .

(٦) الزيادة عن الأغانى .

الشعراء شيئاً ؟ قلنا : قد جئنا الآن ، فافتح لنا فى هذا الأمر فتحا ، فقال : إن كان ذو دين[1] آل مروان قد ولِيَ الخلافة فقد بقى من ذى دنيا كم مَن يَقْضى[2] حقَّكم ويصل بكم ما أنتم له أهل ، فأقمنا على بابه [أربعة][3] أشهر لا نصل إليه ، وجعل مسلمةُ يستأذن لنا فلا يؤذن له . فقلت : لو أتيت المسجد يوم الجمعة ، فتحفظت من كلام عمر شيئا ، فأتيت المسجد ، فأنا أولُ من سمع كلامَه ؛ سمعته يقول فى خطبته: لكل سَفَرٍ زاد لا محالة ، فتزوّدوا من الدنيا إلى الآخرة التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد اللهُ له من ثوابه وعقابه، فعمل طلباً لهذا أو خوفاً من هذا، ولا يطولَنّ عليكم الأمدُ فتقْسُو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم ، واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا مَن وَثِقَ بالنجاة من عذاب الله ، وأما من لا يداوى جُرْحا إلا أصابه جُرْح[4] من ناحية أُخرى ، فكيف يطمئن بالدنيا ؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه ، فتخسر صفقتى [وتبدو عِلّتى وتظهر مسكنتى][5] وتجهر مسألتى يوم لا ينفع إلا الحق والصدق . فارتج المسجد بالبكاء وبكى عمر حتى بلّ ثوبَه ، وظننا أنه قضى نحبه ، فبلغت إلى صاحِبَىّ فقلت: جَدِّدَا لعمرَ من الشعر مدحا غير ما أعددناه فليس الرجلُ بدنيائى[6] .

ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم الجمعة بعد ما أَذِن للعامة ، فدخلنا كافة ، فسلمنا عليه بالخلافة ، فرد علينا فقلت له : يا أمير المؤمنين ، طال الثواء وقلت الفائدة ، وتحدّثت بجفائك إيانا وفودُ العرب . فقال : يا كُثير ، أما سمعت قول الله تعالى « إنما الصدقاتُ

---

(١) فى الأصل دردير والتصويب عن الأغانى .

(٢) فى الأصل نقص والتصويب عن الأغانى وهى فيه (يقضى حوائجكم) .

(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٤) فى ا ، ب: جارح.

(٥) الزيادة عن الأغانى .

(٦) بدنيوى (أغانى — تجريد) .

لِلفقراءِ والمسا كينِ والعامِلين عليها ، والمؤلَّفةِ قلوبُهُمْ ، وفى الرِّقابِ والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيلِ فَرِيضةً من اللهِ واللهُ عليمٌ حكيم » أفمن هؤلاء أنت ؟ فقلت له ؛ وأنا ضاحك : أنا ابن السبيل يا أمير المؤمنين ومُنْقَطَعٌ بى . فقال : أولسْتَ ضيفَ أبى سعيد ؟ قلت : بلى ، قال : ما أحسبُ من كان ضيفَ أبى سعيد ابنَ سبيل ولا مُنْقطعا به .

ثم إنى استأذنته فى الإنشاد فقال : قل ، ولا تقل إلا حقا ، فإن الله تعالى يُسائلك. فقلت :

وَلِيتَ ولَمْ تشتُم عليا ولم تُخِفْ ... بريًّا ولم تَتْبَع مقالة مُجْرِمِ
وقلتَ فصَدَّقْتَ الذى قلتَ بالذى ... فعلتَ فأمسى راضيا كلُّ مسلم
فلما أتاك الملكُ عفوا ولم يكن ... لطالب دنيا بعده من تَكَلُّمِ
تركتَ الذى يَفْنَى وإن كان مُونقا ... وآثرْتَ ما يبقى برأىٍ مُصَمِّمِ
فأضررت بالفانى[1] وشمرت للذى ... أمامك فى يوم من الشر[2] مظلم
وما لَك إذ كنتَ الخليفةَ مانعٌ ... سوى الله من مال رَغِيبٍ ومن دم[3]
سما لك همٌّ فى الفؤاد مُؤَرِّقٌ ... صعدتَ به أعلى المعالى بسُلَّمِ
فما بين شرق الأرض والغرب كلِّها ... منادٍ ينادى من فصيح وأعجم
ينادى[4] أميرَ المؤمنين ظلمتنى ... بأخذٍ لدينارٍ و [لا] أخذٍ لدرهم
ولا بَسْطِ كفٍّ لامرئٍ ظالمٍ له ... ولا السفكِ منه ظالما مِلْءَ مِحْجَمِ
فلو يستطيع المسلمون لَقَسَّمُوا ... لك الشطرَ من أعمارهم غيرَ نُدَّمِ

(١) تجريد : ١٠٨٨ وفى الأصل : فأصدرت للفانى .
(٢) أغانى (من الهول) .
(٣) فى الأصل: رعيت وفى الأغانى والتجريد : رغيب ، ولادم .
(٤) يقول : (أغانى وتجريد) .

فأَرْبِحْ بها من صفقة لمبايعٍ ... وأَعْظِمْ بها أَعْظِمْ بها ثم أَعْظِمِ

فقال له: يا كُثَيِّر، إن الله تعالى يُسائلك عما قلت كلِّه.

ثم تقدم الأحوصُ فاستأذنه فقال: قل ولا تقل إلا حقا، فإن الله عز وجل يسائلك

فأنشده:

وما الشعر إلا خطبةٌ من مُؤَلِّفٍ ... بمنطقِ[1] حقٍّ أو بمنطق[1] باطلِ

فلا تقبلَنْ إلا الذى وافق الرضا ... ولا ترجعنَّا كالنساء الأرامل[2]

رأيناك لم تعدِلْ عن الحق يَمْنَةً ... ولا يَسْرَةً فعلَ[3] الظلوم المخاتل

ولكن أخذتَ القصدَ جهدَك كله ... وتقفو مثال الصالحين الأوائل

فقلنا ولم نَكْذِب بما قد بدا لنا ... ومن ذا يرد الحق من قول قائل[4]

ومن ذا يرد السهم بعد مروقه ... على فُوقِه إن عار[5] من نَزْعِ نابل

ولولا الذى قد عوَّدَتْنا خلائفٌ ... غطاريفُ كانوا كالليوث البواسل

لما وخدتْ شهراً بِرَحْلى جَسْرَةٌ[6] ... تَفُلُّ متونَ البيدِ بين الرواحل

ولكن رجونا منك مثل الذى به ... صُرِفنا قديما من ذويك الأفاضلِ

فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ ... وإن كان مثلَ الدُّرِّ من قول قائل

فإن لنا قربى وصدقَ[7] مودة ... وميراث آباء نَشَوا[8] بالمناصِلِ

---

(١) فى الأصل: لمنطق.

(٢) أغانى وتجريد وفى الأصل: ولا ترجعن إلا ثناء الأرامل.

(٣) فى الأصل: إلا والتصويب عن الأغانى وفيه: المجادل مكان: المخاتل.

(٤) عاذل (أغانى وتجريد).

(٥) عار: طاش.

(٦) فى الأصل: حرة.

(٧) ومحض (أغانى وتجريد).

(٨) نشوا فى ا، ب وفى الأغانى: مشوا وفى اللغة: نشى بالشىء: عاوده مرة بعد مرة.

فذادوا عدو السلم عن عقْر دارهم | وأرسَوْا عمود الدين بعد تمايل (١)
فقبلك ما أعطى الهنيــدةَ جِلّةً | على الشعر كعبا من سديس وبازل (٢)
رسول الإله المصطفى برسالة | عليه سلام بالضحى والأصائل
فـكلٌّ الذى عدّدت يكفيك بعضُه | [ونَيْلك خير من بحور سوائل] (٣)

فقال عمر : يا أحوص اللهُ تعالى مسائلك عن كل ما قلت ، ثم تقدم نصيبٌ فاستأذنه فى الإنشاد ؛ فأبى أن يأذن له ، وغضب غضبا شديداً ، وأمره باللحاق بدابق ، وأمر لى وللأحوص لـكل واحد منا بمائة وخمسين درهما ، وقيل إنه قال : ما عندى ما أُعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائى فأُواسيكم . فانتظرناه (٤) حتى خرج عطاؤه فأمر لى وللأحوص لـكل واحد منا بثلاثمائة درهم ، وأمر لنُصَيب بمائة وخمسين درهما ، فما رأيت أعظم بركة من الثلاثمائة درهم التى أعطانى ، ابتعتُ بها وصيفةً فعلمتها الغناء ، فبعتها بألف دينار .

قال دُكَيْن الراجز : امتدحت عمر بن عبد العزيز ، وهو والى المدينة ، فأمر لى بخمس عشرة (٥) ناقةً كرائم فـكرهت أن أرْمِىَ بهن الفِجاجَ ولم تَطِبْ نفسى ببيعهن ، فقدمت علينا رفْقَة من مِصْر فسألتهم الصحبة ، فقالوا : ذاكَ إليك ، ونحن نخرج الليلةَ ، فأتيته فودعْتُه ، وعنده شيخان لا أعرفهما ، فقال لى : يا دكين ، إن لى نفسا تواقةً ، فإن صرتُ إلى أكثر مِمّا أنا فيه ، فأتنى ، فلك الإحسانُ . فقلت : أَشْهِدْ لى بذلك . قال: أُشهدُ الله عز وجل ، قلت : ومِنْ خَلْقِه . قال : هذين الشيخين

(١) فى الأصل : ا ، ب التماثل .

(٢) الهنيدة : المائة من الإبل . السديس : ما دخل من الإبل فى السنة الثامنة . والبازل من الإبل ما انشق نابه . وفى التجريد : فقبلك ما أعطى الرسول هنيدة بنبوبة (أغانى) .

(٣) الزيادة من الأغانى وهى بياض بالأصل ، وفيه وذلك مكان : ونيلك .

(٤) فى الأصل : فانتظروه .

(٥) فى الأصل : بخمس عشرة ناقة .

فاستسميتهما ، فإذا هما سالمُ بنُ عبد الله بن عمر ، وأبو يحيي مولى الأمير . فخرجت إلى بلدى بالنوقِ فرمى الله تعالى بالبركة فى أذنابهن حتى اقتنيت[١] منهن الإبل والعبيد، فإنى لبصحراء فَلْج[٢] ، إذاناع ينعى سليمان، فقلت : من القائمُ بعدَه ؟ قال : عمر بن عبد العزيز، فتوجهتُ نحوه فلقيني جريرٌ منصرفامن عنده ، فقلت: ياأبا حَزْرَة من أين أقبلت ؟ قال : من عند من يعطى الفقراءَ ويمنعُ الشعراءَ . فانطلقتُ فإذا هو فى عرصة الدار ، وقد أحاط به الناس ، فلم أخْلُص إليه فناديت :

يا عمرَ الخيراتِ والمكارمِ وعمرَ الدسائعِ[٣] العظائمِ
إنى امرؤٌ من قَطَنِ بن دارم طلبتُ دَيْنِي من أخِي مكارمِ
إذ تَنْتَحِي واللهُ غيرُ نائم عند أبي يحيي وعندَ سالمِ

فقام أبو يحيي فقال : ياأميرَالمؤمنين عندى لهذا البدوى شهادةٌ عليك . فقال : أعْرِفُها يا دكين ، أنا كما ذكرت لك ، إنّ نفسي لم تنل شيئا إلا تاقَتْ إلى ماهو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدنيا فنفسى تَتوق إلى الآخرة ، والله ما رَزَأْتُ من أموال المسلمين شيئا ، وماعندى إلا ألفا درهم فخذ نِصْفَها. قال: فوالله مارأيت ألفا كان أبركَ منها .

ودكين هو الذى يقول :

إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللؤم عِرْضُه فكل رداءٍ يرتديه جميلُ
وإن هو لم يحمل على النفس ضَيْمَها فليس إلى حُسْنِ الثناء سبيلُ[٤]

(١) اعتقدت (أغانى) ويقال : اعتقد المال جمعه .
(٢) فى الأصل أفلح — وفلج : بين البصرة وحمى ضرية .
(٣) الدسائع (جمع دسيعة) وهى العطايا والشمائل .
(٤) تروى الأبيات للسموءل .

قال هارونُ بن صالح : حدثني أبى قال : كنا نعطى الغَسَّالَ الدراهمَ الكثيرةَ حتى يغسل ثيابنا فى إثر[1] عمر بن عبد العزيز من كثرةِ طِيبها ومسكها ، ثم رأيته وقد وَلِىَ الخلافة فرأيت غيرَ ما كنتُ أعرف .

دخل عبدُ الله بنُ حسن على عمرَ بن عبد العزيز ، وهو حديث السن ، وله وَفْرَةٌ[2] فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ثم أخذ عُكْنة[3] من عُكَنِه ، فغمزها حتى أوجعه ، وقال له : اذكرها عندك للشفاعة ، فلما خرج لامه قومُه[4] . وقالوا : فعلت هذا بغلامٍ حديثِ السنِّ فقال : إن الثقة حدثنى حتى كأنى أسمعه مِنْ فِى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [قال] : إنما فاطمة بَضْعَةٌ منى يسُرُّنى ما يَسُرُّها ، وأنا أعلم أن فاطمة عليها الرضوان ، لو كانت حيّةً لسرَّها ما فعلتُ بابنها . قالوا : فما معنى غَمْزِكَ بطنَه وقَوْلِك ماقلت . قال: إنه ليس أحدٌ من بنى هاشم إلا وله شفاعة، فرجوت أن أكون فى شفاعة هذا .

قال يزيد بن علىّ بن فورك[5] : كنت بالشام زمن وَلِىَ عمر بن عبد العزيز ، وكان يعطى الغُرَباءَ[6] مائتى درهم ، فوجدته متكئا على إزارٍ وكساء من صوف . فقال لى: مَن أنت ؟ فقلت: من أهل الحجاز . قال: من أىِّ الحجاز ؟ قلت: من المدينة. قال : من أيهم ؟ قلت : من قريش . قال : من أىِّ قريش ؟ قلت : من بنى هاشم . قال : من أىِّ بنى هاشم ؟ قلت : مولى عَلِىّ . [قال : من علىّ][7] فسكت .

---

(١) فى الأصل فى باب وهو تصحيف والتصويب عن الأغانى .

(٢) الوفرة ــ الشعر الكثير .

(٣) العكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن .

(٤) أهله (أغانى وتجريد) .

(٥) يزيد بن عيسى بن مورق (أغانى) يزيد بن عمر بن مورق (تجريد) .

(٦) فى الأصل العرفاء وما نقل عن الأغانى والتجريد .

(٧) الزيادة عن الأغانى والتجريد .

قال : من ؟ قلت : عليّ بن أبي طالب . فجلس وطرَح الكساء ، ثم وضع يدَه على صدره ، وقال : وأنا والله مولى عليّ ، ثم قال : أشهد على عدد ممن أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن كنتُ مَوْلاه فعَلِيٌّ مَوْلاه ، أين[1] مزاحم ؟ كم تُعْطِي مِثلَه ؟ قال : مائتى درهم . قال : أعْطِه خمسين ديناراً ، لولائه[2] عليا . ثم قال : أَفِي فَرْضٍ أنتَ ؟ قلت : لا . قال : فافرِض له . ثم قال : فالحق ببلادك فسيأتيك إن شاء الله ما يأتى غيرَك .

لما حضرَتْ عمرَ بنَ عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله ، فلما رآهم استعبر ، ثم قال : بأبي وأمى من خَلَّفْتُهم بعدى فقراءَ ، فقال مسلمة بن عبد الملك : فتعقب فعلك[3] وأَغْنِهِمْ فما يمنعُك أحدٌ فى حياتك ، ولا يرتجِعُه [الوالى][4] بعد وفاتك . فنظر إليه نَظَرَ مُغْضَب متعجب ، ثم قال: يا مسلمة ، منعتُهم إياه فى حياتى وأشقَى به بعد وفاتى ، إن وَلَدِى بين رجُلين ؛ إما مطيعٌ لله عز وجل فالله مُصْلِحٌ له شأْنَه ورازقُه ما يكفيه ، أو عاصٍ له فما كنت لأُعينَه على مَعصية الله . يا مسلمة ، إنى حضرتُ أباك لمّا دُفِن فحملتنى عينى عند قبره ، فرأيته قد أفضى إلى أمر من أمر الله ؛ راعنى وهالنى ، فعاهدت الله عز وجل ألا أعمــلَ بمثل عمله إن وُلِّيت ، وقد اجتهدت فى ذلك طولَ حياتى ، فأرجو أن أُفضِيَ إلى عفو الله وغفرانه .

---

(١) فى الأصل: أبا — وهو مزاحم بن أبي مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز .

(٢) من على (أغانى وتجريد) .

(٣) فى الأصل : لعب عقلك واغنهم — والتصويب عن الأغانى ٩ : ٢٦٤ .

(٤) الزيادة عن الأغانى .

قال مسلمة : فلما دُفِن حضرتُ دفْنَه فحملتنى عينى ، فرأيته وهو فى روضة خضراء نضرة فيحاء ، وأنهارها مُطَّرِدَة وعليه ثياب بيض ، فأقبل علىّ فقال: يا مسلمة ، لِمِثْلِ هذا فلْيَعْمَل العاملون .

كتب عمرُ بن عبد العزيز إلى الأسارى بقسطنطينية : أما بعد فإنكم تَعُدُّون أنفُسَكم أسارى ، معاذَالله ، أنتم الُحبساء فى سبيل الله تعالى ، واعلموا أنى لست أَقْسِمُ شيئا بين رَعِيَّتى إلا خَصَصْتُ أهلَكم بأَوْفَرِ ذلك وأطيبه وقد بعثت إليكم خمسة دنانير ، خمسة دنانير ، ولولا أنى خشيت إن زدتكم وكثرتكم [أن يحبسه عنكم طاغية الروم] لأعطيت ذكركم وأنثاكم ومملوككم ما يسأل فأبشروا ثم أبشروا .

كتب الحسنُ البصرىُّ إلى عمر بن عبد العزيز ، وقد كان يكاتبه فلما استخلف كتب إليه كعادته فقيل له : إن الرجل قد وَلِىَ وتغَيَّر فقال : لو علمتُ أن غيرَ ذلك أحبُّ إليه لاتبعت محبَّتَه ، ثم كتب : من الحسن إلى عمرَ بنِ عبد العزيز ، أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزَلْ .

قال سليمانُ بن أرقم : فمضيت بالكتاب إليه ، فلما قَدِمْت عليه ، وإنى لَمِنْدَه أتوقع الجواب ، إذ خَرَجَ يوما غيرَ الجمعة ، فصعد المنبر ، واجتمع الناس فلما كثرُوا قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أيها الناس ، اعلموا أنكم لم تُخْلَقوا عبثا ولم تُتركوا سدى ، وإن لكم معادا يتولى الله ، عز وجل ، فيه الحكمَ فيكم والفصلَ بينكم. فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، التى وَسِعت كلَّ شىء ، وحُرِم الجنةَ التى عرضها السموات والأرض ، ثم إنكم فى أسلافِ الماضين وسَيَرِثُكم الباقون ، حتّى تصيروا إلى خير الوارثين . كلّ يوم تجهزون غاديا إلى الله ، ورائحا قد حضر أجله ، وطُوِىَ أمله ، وعاين الحساب ، وخلع الأسباب ، وسكن التراب ، ثم تدَعُونه غيرَ مُوَسَّد ولا مُمَهّد ، ثم وضع يده على وجهه وبكى مَلِيًّا ، ثم رفعها ، وقال : أيها الناس

من وَصَل إلينا منكم بحاجته لم نألُه خيرا ، ومن عجز فوالله لوددت أنه وآل عمر فى العَجْزِ سواء . ثم نزل وأرسل إلىّ فدخلت ، فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فكأنك [لست][1] بأوّلِ مَن كُتِبَ عليه الموتُ قد مات ، والسلام.

واشترى عمرُ بن عبد العزيز موضعَ قبره بعشرةِ دنانير .

قال مسلمة : كنا عند عمر بن العزيز ؛ أنا وفاطمةُ بنت عبد الملك ، فقلنا له : يا أمير المؤمنين إنا قد منعناك النوم ، فلو تأخَّرْنا عنك شيئا عسى أن تنام ، فقال : ما أُبالى لو فعلتما. فتَنَحَّيْنا عنه ، وبيننا وبينه سِتْر ، فلم نلبث أن سمعناه يقول : حَىّ الوجوه ، فابتدرناه أنا وهى ، فجئناه وقد أَغْمَضَ ، وإذا هاتف يهتف فى البيت لا نراه : «تلك الدارُ الآخرةُ نجعلُها للذين لا يريدون عُلُوًّا فى الأرض ولا فساداً ، والعاقبةُ للمتقين».

وقد رَوَى عمر بن عبد العزيز الحديثَ ورُوِىَ عنه .

روى عمر بن عبد العزيز عن أُمه عن أبيها ؛ عاصم بن عمر ، عن أبيه ، عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ الأُدْم الخلّ .

(١) ما بين القوسين عن الأغانى ٩ : ٢٦٦

ذكر عَدِىّ بن الرِّقاع[1]

هو عَدِىُّ بن زيد بن مالك بن عدىّ بن الرِّقاع بن عمرو[2] بن عبيد بن سعد بن معاوية بن الحارث ، وهو عاملة بن عدىّ بن الحارث بن مرة بن أُدد .

وأُم معاوية بن الحارث عاملةُ بنتُ وَدِيعة بن قضاعة ، وبها سُموا عاملة ، ونسبه الناس إلى الرِّقاع وهو جَدُّ جَدِّه لشُهْرَته .

كان شاعراً مقدماً عند بنى أُمية ، مدّاحاً لهم ، خاصا بالوليد بن عبـد الملك وله بنتٌ شاعرة ، يقال لها سَلْمى .

وجعله ابن سَلّام فى الطبقة الثالثة[3] من شعراء الإسلام .

وكان منزله بدمشق وهو من [حاضرة][4] الشعراء لا من باديتهم .

وتعرّض لجريرٍ وناقضه ، ولم تَتِمّ بينهم مهاجاة ، إلا أن جريراً هجاه تعريضاً فى قوله :

* حَىّ[5] الهِدَمْلة من ذاتِ المواعيس[6] *

ولم يصرِّح لأن الوليد حَلَف له ، إن هجاه أسْرَجَه وألْجَمَه وحَمَله على ظهره .

---

(١) الأغانى ٩:٣٠٧ ، دار والتجريد .

(٢) ابن أعصر بن عك بن شعل بن معاوية بن الحارث ، أغانى .

(٣) فى الأصل : الثانية والتصويب عن الأغانى والتجريد .

(٤) الزيادة عن الأغانى

(٥) ى الأصل هى وهو تحريف .

(٦) الهدملة والمواعيس : مكانان .

دخل جريرٌ على الوليد بن عبد الملك ، وهو خليفة ، وعنـده عَدِىُّ بن الرِّقاع العاملى ، فقال لجرير : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين ، قال الوليد : هذا عَدِىُّ بن الرِّقاع ، قال جرير : [فشر الثياب الرقاع قال:](١) ممن هو؟ قال : من عاملة قال جرير : الذى(٢) يقول الله عز وجل : عاملةٌ ناصبةٌ تصلَى ناراً حامية . ثم قال :

يَقْصُر باع العاملىِّ عن العُلا ... ولـكنّ أيْرَ العاملىّ طويلُ

فقال له عدىّ :

أأُمك كانت أخْبَرَتْك بطُولِه ... أم أنتَ امرؤٌ لم تَدْرِ كيف تقولُ

فقال : بل أدرى كيف أقول ، فوثب العاملىّ إلى الوليد ، فقبّل رجله وقال : أجرنى منه ، فقال الوليـد لجرير : لئن شتمته لأُسرِجَنَّك وأُلجِمَنَّك حتى يركبَك فيُعَيِّرَكَ الشعراء بذلك . فـكنى جريرٌ عن اسمه ثم قال :

إنى إذا الشاعر المغرورُ جَرَّبنى ... جارٌ لقلبِىٍ على مُرَّان مَرموسِ

قد كان أشوسَ(٣) آباءُ فأوْرَثَنا ... شَغْبا على الناس فى أيامه الشوسِ

أقصِرْ فإن نزاراً لن(٤) يفاخرَهم ... فرعٌ لئيم وأصلٌ غيرُ مغروس

وابن اللبونِ إذا ما لُزَّ فى قَرَن ... لم يستطع صَوْلَةَ البُزْل المقاعيس(٥)

وقيل : إنه لما قال له مقالَته « عاملة ناصبة » قال الوليد : ليركبَنَّك شاعرُنا ومادِحُنا ، ورائى أمواتِنا ، تقول له هذه المقالة ، يا غلام علىَّ بإكافٍ(٦) ولجام ،

---

(١) الزيادة عن الأغانى .

(٢) هى التى يقول: (أغانى).

(٣) فى الأصل : أشرس وشعبا .

(٤) فى الأصل: لم والتصويب عن الأغانى وفيه : يفاخرها .

(٥) القرن حبل يقرن به البعير — والمقاعيس جمع مقعنسس : الشديد الممتنع. وفى الأغانى : القناعيس .

(٦) الإكاف : البرذعة .

فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعفيه ، فأعفاه . وقال : والله لئن هَجَوْته لأفعلن بك وأفعلن ، فلم يُصَرِّح بهجائه .

ذُكِرَ كُثَيِّرٌ وعديٌّ بن الرقاع العامليّ فى مجلس بعض خلفاء بنى أُمية ، فامتروا فيهما أيهما أشعر ، فقال جرير : لقد قال كُثَيِّرٌ بيتاً واحداً هو أشهر وأعرفُ فى الناس من عديٍّ بن الرِّقاع نفْسِه وهو :

أإن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاح غرابُ البينِ أنت حزينُ

قال : فحلف الخليفةُ إن كان عَدِيّ بن الرِّقاع أعرفَ فى الناس من بيْتِ كُثَيِّر ليُسْرِجَنَّ جريراً ويُلْجِمَنَّه وليَحْمِلَنّ عديّ بن الرقاع على ظهره . وكتب إلى واليه بالمدينة: إذا فرغت من خُطْبَتِك فسَلِ الناسَ مَن الذى يقول :

أإن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاح غرابُ البينِ أنت حزينُ

وسَلْهُم عن نسب عَدِيٍّ بن الرقاع ، فلما فرغ الوالى من خطبته قال : إن أميرَ المؤمنين كتب إلىَّ أن أسألكم ، مَن الذى يقول :

أإن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ . . . . إلخ

فابتدروا من كل ناحية يقولون : كُثَيِّرٌ كُثَيِّرٌ . قال : وأمرنى أن أسألكم عن نَسَب عديّ بن الرقاع ، فقالوا : لا ندرى ، حتى قام أعرابىّ من مُؤَخَّر المسجد فقال : مِن عاملة .

قال محمدُ بن موسى المُنَجِّم : ما أحَدٌ ذُكِرَ لى أحببتُ أن أراه ، فإذا رأيته أمرتُ بصَفْعِه إلا عديَّ بن الرقاعِ ، فقلت : ولِمَ ذاك ؟ قال: لقوله :

وعلمتُ حتى ما أُسائلُ واحداً(١) عن عِلْمِ واحدةٍ لكى أزْدَادَها

وكنت أَعْرِضُ عليه أصنافَ العلوم ، فكلما مر به شىء لا يحسنه أمرتُ بصَفْعِه.

---

(١) عالما (تجريد) .

كان عديُّ بن الرقاع ينزل الشام ، وكانت له بنتٌ تقول الشعرَ فأتاه قوم من الشعراء ليماتنوه(١) ، وكان غائبا ، فسمعتْ ابنتُه وهى صغيرة ذَرْواً من وعيدهم فخرجت إليهم وأنشأت تقول :

تَجَمَّعْتمُ من كل أَوْبٍ وبلدةٍ ... على واحد لا زِلْتمُ قِرْنَ واحدِ

فأفحمتهم . ولعدى بن الرقاع :

ألمِمْ على طللٍ عفا متقادمِ ... بين الدخيل وبين عَتْبِ الناعمِ

لولا الحياءُ وأنَّ رأسِيَ قد عسا(٢) ... فيه المشيبُ لزُرْتُ أُمَّ القاسمِ

وكأنها وسْطَ النساءِ أعَارَها ... عَيْنَيْه أحورُ من جآذرِ(٣) جاسمِ

وسْنَانُ أقصدَه النعاسُ فرَنَّقَتْ ... فى عينه سِنَةٌ وليس بنائمِ

جرت هذه الأبيات بحضرة أبى عمرو الشيبانى . فاستحسنها ، وبالغ . فقال له رجل أعرابى كان بحضرته ، كأنه مدنى : أما والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعة وقُضبانُ الدِّفْلَى(٤) تأخذه لكنت له أشد استحسانا ، يعنى إذا كان يغنى به على العود .

عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الأُردن وضربه وأقامه للناس وقال للموكلين به : من أتاه مُتَوَجِّعاً أو أثنى عليه فائتونى به . فأتاه عدى بن الرقاع ، وكان عبيدة إليه محسناً ، فوقف عليه وأنشأ يقول :

فما عزلوك مسبوقاً ولكن ... إلى الغاياتِ(٥) سبَّاقاً جوادا

وكنت أخى وما ولدتك أُمِّى ... وَصُولًا باذلا لى مستزادا

فقد هَيضَتْ لِنكبتك القُدامى ... كذاك اللهُ يفعل ما أرادا

(١) فى الأصل : ليباينوه . والتصويب عن الأغانى . والمماتنة : المعارضة .

(٢) عسا : اشتد ، وفى الأصل : فشا .

(٣) فى الأصل ا ــ ب : طاسم وروى : عاسم والتصويب عن الأغانى .

(٤) الدفلى شجر حسن المنظر يكون فى الأودية وهو مما يقدح به ــ وفى الأصل وقصبات .

(٥) الخيرات (أغانى) .

فوثب الموكَّلون به فأدخلوه إلى الوليد ، وأخبروه بما جرى فتغيظ عليه الوليد ، وقال : أتمدح رجلا قد فعلتُ به ما فعلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه كان لك مُحبًّا ولى مؤثراً ، ففى أى وقت كنتُ أُكافئه بعد هذا اليوم ؟ فقال : صدقت وكَرُمْت ، قد عفوت عنك وعنه ، وهو لك فَخُذْه وانصرف . فأخذه وانصرف به إلى منزله .

قال جرير : سمعت عدى بن الرقاع ينشد :

تُزْجِى أغَنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوقِه ... ...

فرحمته من هذا التشبيه وقلت : بأى شىء يُشَبِّهُه ؟ فلما قال :

... ... قلمٌ أصاب من الدواةِ مِدادَها

رحمت نفسى منه .

بلغ كُثَيِّرًا أن عدىَّ بن الرقاع يطعن على بشعره ويقول : هذا شعرٌ حجازى مقرورٌ إذا أصابتهُ قرُّ الشام جمدَ وهلك ، فحضر يوما مجلسَ الوليد وقد أنشد عدىُّ ابن الرقاع قصيدته :

* عرفَ الديارَ توهُّما فاعتادها *

فلما أتى إلى قوله :

وقصيدة قد كنت أجمع بينها حتى أُقَوِّمَ مَيْلَهـا وسِنادها

فقال له كثير: لو كنت مطبوعا أو فصيحا أو عالما لم تأت فيها بميل ولا سناد فتحتاج إلى أن تقومها ثم أنشد قوله فيها :

وعَلِمت حتى ما أسائل واحدًا عن علم واحدة لـكى أزدادها

فقال له كثير : كذبت ورب الـكعبة فليمتحنْك أميرُ المؤمنين بأن يسأَلك عن صغيرِ الأُمورِ دون كبيرِها حتى يَبِينَ جَهلُك وما كنتَ قط أحمقَ منك الآن حين تظن هذا بنفسك، فضحك الوليد ومن حضره ، وقُطِـعَ بِعَدى بن الرقاع حتى ما نطق .

ذكر عُلَيّة بنت المهدى(1)

أمها أُمُّ ولد مغنية يقال لها مَكْنونة ، كانت من جوارى المروانية المغنية ، وليست من آل مروان بن الحكم ، وهى زوجة الحسين بن عبد الله بن العباس ، مغنية ، وكانت أحسنَ جارية بالمدينة وجها وكانت رسحاء(2) ، وكانت حسنة الصدر والبطن وكان من يمازحها يعبث بها فيصيح : طَسْت طَسْت ، فاشتريت للمهدىّ فى حياة أبيه بمائة ألف درهم فغلبت عليه حتى كانت الخيزران تقول: ما مَلَكَ أمةً أغلظ(3) عَلىَّ منها .

ولما اشتراها ستر أمرها عن المنصور حتى مات فولدت له علَيّة، وكانت علَيّة من أجمل الناس وأظرفهم تقول الشعر الجيد وتصوغ فيه الألحان الحسنة .

وكان بها عيب ، [كان](4) فى جبينها فضلُ سعة فاتخذت العصائب المكلّلة بالجوهر لتستر بها جبينها ، فأحدثت ، والله ، شيئا ما رُئى فيما أعَدّه النساء وابتَدَعْنه أحسنَ منه .

وكانت حسنة الدِّين لا تُغنى ولا تشربُ النبيذَ إلا إذا كانت معتزلةَ الصلاة ، فإذا طَهُرت أقبلت على قراءة القرآن والصلاة وقراءة الكتب ولم تك [تلذ](5) بشىء غير قول الشعر فى الأحيان إلا أن يدعوَها الخليفةُ إلى شىء فلا تقدر على خلافه .

---

(1) أغانى دار الكتب ١٠ : ١٦٢ـ التجريد ٣ : ١٠٢١ .

(2) الرسحاء : القليلة لحم العجز والفخذين.

(3) فى الأصل : أغلى والتصويب عن التجريد .

(4) زيادة عن الأغانى والتجريد .

(5) فلا تلذ بشىء (أغانى) وما بين القوسين يقتضيه السياق .

وكانت ، رحمها الله تعالى تقول : ما حرّم الله شيئا إلا وقد جعل فيما حلل منه عوضا، فبأىّ شىء يحتج عاصيه والمنتهكُ لحرماته . وكانت تقول : لا غفر الله لى فاحشةً ارتكبتها قطُّ وماأقول[1] فى شعرى إلاعبثا. وكانت تحب أن تراسل بالأشعار من تختصُّه ، فاختصت خادما من خدم الرشيد ، يقال له طل ، فلم تره أياما ، فمشت على مِيزَابٍ وحدثته ثم قالت فى ذلك :

قد كان ما كُلِّفْتُهُ زمنا ‏ ‏ ‏ يا طَلُّ من وجدٍ[2] بكم يكفى
حتى أتيتُكَ زائراً عَجِلا ‏ ‏ ‏ أمشى على حتفى إلى حتفى[3]

فحلف عليها الرشيدُ ألا تكلِّم طلا ولا تُسميه باسمه ، فضمنت له ذلك ، فدخل عليها يوما وهى تقرأ[4] حتى بلغت إلى قوله تعالى « فإنْ لم يُصِبْها وابلٌ فطَلٌّ » ، فأرادت أن تقول : « طل » فقالت : فالذى نهى عنه أمير المؤمنين ، فدخل فقبَّلَ رأسها ، وقال: قد وهبتُ لك طَلًّا ولاأمنعك بعد هذا من شىء تريدينه.

وكان طلّ قد حُجبَ عنها فقالت فيه وصَحَّفَتْ اسمه فى أول بيت :

أيا سَرْوةَ البستانِ طال تَشَوُّق ‏ ‏ ‏ فهل لى إلى ظل إليك سبيل[5]
متى يلتقِى من ليس يُقْضَى خُروجُه ‏ ‏ ‏ وليس لمن يَهْوَى إليه رسول[6]
عسى اللهُ أن نرتاحَ من كُرْبةٍ لنا ‏ ‏ ‏ فَيلْقَى اغتباطا خُلَّةٌ وخليل

---

(١) ولا أقول (تجريد ١١٧٢) .
(٢) وجدى (تجريد) .
(٣) حتف إلى حتف (تجريد) .
(٤) تدرس آخر سورة البقرة (تجريد) .
(٥) لديك مقيل (أغانى وتجريد) .
(٦) سبيل (تجريد) .

ومما قالت علية أيضا فى طل وصحفت اسمه[1] فيه قولها :

سلم على ذاك الغزالِ   الأغيدِ الحسنِ الدلالِ
سلِّمْ عليه وقل له   ياغُلَّ ألبابِ الرجالِ
خليت جِسْمِى ضاحيا   وسكنت فى ظِلِّ الحِجالِ
وبلغت منى غايةً   لم أَدْرِ فيها ما احتيالى

وكانت لأُم جعفر جاريةٌ يقال لها طُغْيان فوَشَت بعُليَّة إلى رشأ وحكت عنها مالم تقل فقالت علية :

لطغيان خُفٌّ مذ ثلاثين[2] حِجَّةً   جديدٌ فما يبلى ولا يتخرَّقُ
وكيف بِلَى خُفٍّ هو الدهرَ كلّه   على قدَمَيْها فى السماء مُعلَّقُ
فما خَرَقَتْ خُفًّا ولم تُبْلِ جَوْرَباً   وأما سَراويلاتُها فتمزَّقُ

وكانت عُليّة أيضا تقول الشعر فى خادم اسمه رشأ وتكنى عنه ، فمما قالت فيه مصحّفا :

وجد الفؤادُ بزينبا   وجداً شديداً مُتعِبا
أصبحتُ من كَلَفِى بها   أُدْعَى شَقِيًّا[3] مُنْصَبا
ولقد كَنَيْتُ عن اسمها   عَمداً لكيلا تَغْضَبا
وجعلتُ زينبَ سُتْرَةً   وكتمت أمراً مُعْجِبا
قالت وقد عَزَّ الوصا   لُ ولم أَجِدْ لى مَذْهبا
والله لا نِلْتَ المودْ   دَةَ أو تنالَ الكوكبا

---

(١) فى الأصل : اسمها وهو تحريف .
(٢) فى الأصل: ثلاثون .
(٣) سقيما (أغانى دار الكتب ١٠ : ١٦٥) .

وحلَفَ رشأٌ لا يشربُ النبيذَ فقالت عُلَيّة فى ذلك :

قد ثَبَتَ الخاتم فى خنصرى ⁂ إذ جاءنى منك تَجَنِّيكا

حَرَّمْتُ شربَ الرَّاحِ إذ عِفْتَها ⁂ فلست فى شىء أُعاصيكا

فلو تطوعتَ لعوَّضْتَنى ⁂ منه رضابَ الريقِ من فيكا

فيالها عنــدىَ من نِعمة ⁂ لستُ بها ما عِشْتُ أَجْزِيكا

يا رشأً[1] قد أَرَّقْتَ مُقْلتى ⁂ أمتعنى الله بحُبِّيكا

قال أحمد بن يزيد : حدثنى أبى قال : كنّا عند المنتصر فغنّاه بَنان :

يا ربةَ المَنْزِلِ بالفـدك[2] ⁂ وربَّةَ السلطانِ والمُلْكِ

تحَرَّجى بالله من قتلنـا ⁂ لسنا من الدَّيْلَم والتُّرْكِ

فضحِكتُ، فقال لى : مِمّ تضحك ؟ قلت : من شَرَف قائلِ هذا الشعرِ وشرفِ مَن لحَّنَه وشرفِ مَن يَسْتَمِعُه . قال : وما ذاك ؟ قلت : الشعرُ للرشيد ، والغناء لعُلَيَّة بنت المهدى ، وأمير المؤمنين يستمعه . فأعجبه ذلك ، وما زال يستعيده .

قال إسحاق الموصلى : عملت فى أيام الرشيد لحنا فى شعر بشار فى النساء :

سَقْياً لأرضٍ إذا ما نِمْتُ نَبَّهَنِى ⁂ بعد الهُدوءِ بها قرعُ النَّوَاقِيسِ

كأَنَّ سَوْسَنَها فى كل شارقَةٍ ⁂ على الميادين أذنابُ الطواويس

فأعجبنى ، وعملت [على][3] أن أباكرَ به الرشيدَ ، فلقينى فى طريقى خادم [لعلية][3] بنتِ المهدى فقال: مولاتى تأمرُك بدخول الدِّهليز لتسمعَ من بعض جواريها غناءأخذتهعن أبيك وشَكَّتْ فيه الآن، فدخلتُ معه إلى حجرة قدأُفرِدَتْ لى كأنها كانت

---

(١) فى الأغانى : يازينبا وبذلك كان الخطاب فى الشعر لمؤنث والضمير يعود إليها .

(٢) بالبرك (أغانى) .

(٣) الزيادة عن الأغانى والتجريد .

مُعَدَّة ، فجلست ، وقُدِّمَ لى طعامٌ وشراب فنِلتُ حاجتى منهما ، ثم خرج إلىَّ خادمٌ فقال : تقول لك مولاتى : أنا أعلمُ أنك قد غدوتَ إلى أمير المؤمنين بصوتٍ مُحْدَثٍ أعْدَدْتَه له فأسْمِعْنيه ، ولك جائزةٌ سَنِيَّة تتعجَّلُها ، ثم ما يأمُرلك به أمير المؤمنين بين يديك ، ولعله لا يأمرُ لكَ بشىء ، أو لا يقعُ الصوتُ منه بحيث توَخَّيت فيذهب سعيُك باطلا . فاندفعتُ فغنيتها إياه ، ولم تزل تستعيده مراراً ثم أخرجتْ إلىَّ عشرين ألفَ درهم ، وعشرين ثوبا ، وقالت: هذه جائزتُك ثم قالت : اسمَعْه الآن ، فغنته غناءً ما خَرَق سمعى مثلُه ، ثم قالت : كيف ترى ؟ قلتُ: أرى ، والله ، مالم أرَ مثلَه. قالت: يا فلانةَ أعيدى له مثلَ ما أَخَذَ ، فأحضرتْ عشرين ألفا أُخرى ، وعشرين ثوبا ، فقالت : هذا ثمنه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ، ولن أبدأ بغناء غيره وأُخبره أنه من صنعتى ، وأُعطى اللهَ عهداً لئن نطقتَ بأن لك فيه صنعةً لأقتلَنّك هذا إن نجوتَ منه ، إن عَلِم بمصيرك إلىّ . فخرجت من عندها فوالله إنى كالموقر[1] بما أكره من جائزتها أسَفاً على الصوت فما جسرت بعد ذلك أن أتنغَّم به فى نفسى ، فضلا عن أن أُظهره ، حتى ماتت ، فدخلتُ على المأمونِ فى أولِ مَجْلِسٍ جَلَسَه للهو بعدها ، فبدأت به أولَ ما غنيتُ فتغير وجهُ المأمون وقال : من أين لك هذا ؟ قلت : ولِيَ الأمانُ على الصِّدْق؟ قال : ذاك ، فحدثته الحديثَ . قال : يا بغيض، فما كان لك فى هذا من النفاسة حتى شَهَرْتَه وذكرتَ هذا منه، مع الذى أخذتَه من العوض. وهجَّنْتنِى فيه هُجْنة وَدِدْتُ معها أنِّى لم أذكره لك فآليت ألا أُغنِّيه بعدها أبداً.

أُهديت للرشيد جارية فى غاية الجمال ، فخلا معها يوما ، وأخرج كلَّ قَيْنَةٍ فى داره . واصْطَبَح . وكان من حضر من جواريه للغناء والخِدْمة فى الشراب

---

(١) لكالموقن بما (أغانى) — تجريد — وفى الأصل كالموقر ما .

زُهاءَ أَلفَيْ جارية فى أحسن زى من كل نوع من أنواع الثياب والجَوْهَرِ . واتصل الخَبَرُ بأُم جعفر فغَلُظ عليها ذلك . فأرسلتْ إلى عُلَيَّة تشكو إليها . فأرسلت إليها عليةُ : لا يَهُولَنَّكِ هذا ، والله لأَرُدَّنَّه إليك ، قد عزمت أن أصنع شعراً وأصوغَ فيه لحنا وأطْرَحَه على جَوَارِيَّ فلا تَبقَى عندك جاريةٌ إلا بعثت بها إلىَّ وألبِسِيهنَّ أنواع[1] الثياب ليأخُذْنَ الصوت مع جواريَّ ، ففعلتْ أم جعفر ما أَمَرَتْها ، فلما جاء وقتُ صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وعُلَيّة وأُمُّ جعفر قدخرجتا إليه من حُجرتهما، معهما[2] زهاء من ألفى جارية من جواريهما وسائرِ جوارى القصر عليهن غرائبُ اللباسِ وكلّهن فى لَحْنٍ واحد هزج صنعته علية وهو :

مُنْفَصِلٌ عنى وما قلبيَ عنه مُنفصلْ
يا هاجرى[3] اليوم لمن نويتَ بعدى أن تَصِلْ

فطرب الرشيدُ ، وقام على رجليه ، حتى استقبلَ أُمَّ جعفر وعُلَيَّة ، وهو على غاية السرور، وقال : لم أر كاليوم قطُّ ، يامسرورُ ، لا تُبْقِيَنَّ فى بيت المال درهما إلا نَثَرْته. فكان ما نَثَر يومئذ ستة آلاف ألف درهم، وما سُمِعَ بمثل ذلك اليوم .

قال محمد بن يزيد المبرد : كانت علية تقول : من لم يُطْرِبْه الرملُ لم يطربه شىء ، وكانت تقولُ : من أصبح عنده طباهجة باردة ولم يَصْطَبِحْ فعليه لعنة الله .

تمارت خشف الواضحية وعريب فى غنـاء عُلَيّة[4] بحضرة المتوكل وغيره من الخلفاء . فقالت خشف: هى ثلاثة وسبعون صوتا وقالت عريب : اثنان وسبعون ، فقال المتوكل : غَنِّيا غناءها فلم يزالا يُغَنِّيان حتى مضى اثنان وسبعون صوتا ، ولم تَعرِف خشفُ الثالثَ والسبعين ، فقطع بها واستَعْلَتْ عريبُ عليها ، وانكسرت،

(١) ألوان (أغانى ١٠ : ١٧٢ تجريد).
(٢) فى الأصل معها — وجواريها .
(٣) فى الأغانى : ياقاطعى .
(٤) فى الأصل عريب والتصويب عن الأغانى والسياق يقتضيه .

فلما كان الليل رأيتُ عُلَيّة فى النوم . فقالت : يا خشف ، خالَفَتْكِ عريبُ فى غنائى ، قلت : نعم يا سيدتى ، قالت : الصوابُ معك ، فتَدْرِين ما الصوت الذى نسيتيه ؟ قلت : لا ، والله ، ووددت أنى فَدَيْتُ ما جرَى بكلِّ ما أملك . قالت : هو :

بُنِىَ الحبُّ على الجوْرِ فلو ... أَنْصَف المحبوبُ[1] فيه لَسَمُجْ

ليس يُسْتَحْسَن فى وصفِ[2] الهوى ... عاشقٌ يُحْسِنُ تأليفَ الحُجَجْ

لا تعيبَنْ من مُحِبٍّ ذِلَّةً ... ذِلَّةُ[3] العاشقِ مِفتاحُ الفرج

وقليل الحب صرفا خالصا[4] ... لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزِج

وكأنها قد اندفعَتْ تُغَنِّى فيه فما سَمِعْتُ أحسنَ مما غَنَّته ، وزادتنى فيه أشياء فى نومى لم أَكُنْ أعرفُها ، فانتبَهتُ ، وأنا لا أعقِلُ فرحا ، فباكرت الخليفةَ وذكرت له القصةَ . فقالت عريب : هذا شىء صنعتِه أنتِ لما جرى أمس ، وأما الصوتُ فصحيحٌ . فحلفتُ للخليفة بما رَضِىَ به أن القصةَ كما حكيتُ ، فقال : رُؤْياكِ أعجبُ ، ورحم الله عُلَيَّة فما ترَكَتْ ظرفَها حية وميتة ، وأجازنى جائزةً سَنِيّةً .

قال مسرورٌ الكبيرُ : اشتاقَ الرشيدُ إلى إبراهيم الموصلى يوما ، فركب حماراً يَقْرُبُ من الأرض ثم أمر بعض خَدَمِ الخاصةِ بالسعى بين يديه ، وخرج من داره فلم يزل حتى دخل على إبراهيم الموصلى فلما أحس به استقبله ، وقبّل رجليه ، وجلس الرشيد ، فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ، ثم نهضوا ، ورأى عيدانا كثيرةً . فقال : يا إبراهيم ما هذا ؟ فجعل يدافعُ ، فقال : ويلك أَصْدِقْنى . فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، جاريتان أطْرَحُ عليهما . قال : هاتِهما . فأحضر جاريتين

---

(١) المعشوق (الأغانى ١٠ : ١٧٥ تجريد) .

(٢) فى حكم (الأغانى) .

(٣) فى الأصل زلة بالزاى، والتصويب عن الأغانى .

(٤) فى الأصل صرف خالص .

ظريفتين ، وكانتا لعُلَيَّة بنت المهدى بعثتْ بهما إليه ، يطارحهما . فقال الرشيد لإحداها : غَنِّى ، فغنتْ هذه الأبيات :

بُنِىَ الُحبُّ على الجَوْر فلو ... أنصف المحبوبُ فيـه لَسَمُجْ

فقال : أحسنت جدا . وقال : يا إبراهيم لمن الشعر ؟ ما أملحه!! لمن اللحن ؟ ما أطربه! فقال : لا أعلم . فسأل الجاريةَ فقالت : لسيدتى . فقال : ومن سيدتك ؟ قالت : عُلية أختُ أمير المؤمنين . قال : الشعر واللحن ؟ قالت : نعم ، فأطرق ثم رفع رأسه إلى الأُخرى ، وقال : غنى فغنت :

تحبَّبْ فإن الحبَّ داعيــةُ الحب ... وكم من بعيدِ الدار مُستوجِبُ القرب

تَبَصَّرْ فإن حُدِّثْتَ أن أخا الهوى[1] ... نجا سالما فارجُ النجاة من الُحبِّ

إذا لم يكن فى الُحبِّ سُخْطٌ ولا رِضا ... فأين حلاواتُ الرسائلِ والـكُتْبِ

فسأل إبراهيمَ عن الغناء والشعر فقال : لا أعـلم . فسأل الجارية فقالت : لسيدتى ، قال : ومن سيدتُك؟ قالَت : علية أُخت أمير المؤمنين، فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين . [ومضى فركبَ حماره وانصرف إلى علية فقال : قد أحببت أن أشرب عندك اليومَ فتقدَّمتْ فيما تُصْلِحُه][2] وأخذا فى شأنهما فلما كان فى آخر الوقتِ حَمل عليها بالنبيذ ثم أخـذَ العودَ من حِجْر جارية فدفعه إليها فأكبرت ذلك فقال : بتُرْبَـة المهدىّ لتُغَنِّين ، قالت : وما أُغنى ؟ قال : غنى:

بُنِىَ الحبُّ على الجَوْر فـلو ... أنْصف المحبوبُ فيـه لسَمُجْ

فعلمت أنه قد وقفَ على القصة فغَنَّتْ ، فلما أَتَتْ عليه ، قال لها ، غنى :

تَحَبَّبْ فإن الحبَّ داعيةُ الحبِّ ... وكم من بَعيد الدار مستوجبُ القُرْبِ

(١) هوى (أغانى ١٠ : ١٧٦ تجريد) .

(٢) بياض فى الأصل وما بين القوسين عن الأغانى والتجريد .

فلَجْلَجَتْ ثم غنتْ ، فقام فقَبل رأسها ، وقال : ياسيدتى أهذا عندك ولا أعلم؟ وتمَّمَ يومَه عندها .

قال محمد بن جعفر بن يحيي بن خالد : شهدت أبي جعفرا، وأنا صغير ، يحدِّث يحيي ابنَ خالد جدِّى فى بعض ما كان يُخبِرُه به مِنْ خَلَواته مع الرشيد . قال : يا أبة ، أخذ أميرُ المؤمنين بيدى ، وَأقبل فى حُجْرةٍ يخترقُها حتى انتهى إلى حجرةٍ مُغْلَقَة ، ففتحها بيده ودخلها ، ودخلنا جميعاً ، وأغلق بابَها من داخلٍ بيده ، ثم صِرْنا إلى رِواقٍ ففتحه بيده ، وفى صدره مجلس مُغْلَقٌ فقعد على باب المجلس ، فنقر الباب بيده [نقرات](١) فسمعنا حِسًّا ، ثم أعاد النقر ثانية . فسمعنا صوت عـود . ثم أعاد النقر ثالثة . فغنت جاريةٌ ما ظننتُ أن الله عز وجل خَلَقَ مثلَها فى حسن الغنـاء وجودةِ الضَّرْبِ، فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنت أصواتا: غنى صوتى :

وُمخَنَّثٍ شَهِدَ الزِّفافَ وقَبْلَه   غَـنَّى الجوارىَ حاسرا ومُنَقَّبا
لبس الدَّلَالَ وقامَ ينقرُ دُفَّه   نَقْرًا أقرَّ به العيونَ وأطْرَبا
إن النساء رَأَيْنَه فعَشِقْنَه   فشكون شِدَّةَ ما بِهِنَّ فأَكْذَبا

قال: فطربت طربا هَمَمْتُ معه أن أنْطَحَ برأسى الحائطَ، ثم قال لها غنى فغنَّت:

طال تَـكذيبى وتَصْـديقى   لم أجِـــد عَهْـدًا لمخلوقِ
إن ناساً فى الهوى غَدَرُوا   حَسَّنُوا نقضَ المواثيـــق
لا ترانى بعـــدهم أبداً   أَشْتَـكى عِشْقا لمشـــوقِ

فرقص الرشيد ورَقَصْتُ معه . ثم قال : امض بنا ، فإنى أخشى أن يبدوَ منا ما هو أكثرُ من هذا . فلما صرنا إلى الدِّهليز قال ، وهو قابض على يدى : هل عرفت هذه المرأة ؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، فقال : إنى أعلم أنك ستسأل عنهـا ،

(١) ما بين القوسين (أغانى) .

ولا تـكتم ذلك . وأنا أُخبرك ، هـــذه عُلَيَّة بنت المهدى ، ووالله إن لَفَظْتَ به بين يدى أحدٍ ، وبلغنى لأقتلنك . قال : فسمعت جدى يقول له : فقـد ، والله ، لفظت به ، ووالله ليقتلنك ، فاصنع ما أنت صانع .

لما خرج الرشيد إلى الرّىّ أخذ معه أُخته عُلَيَّة ، فلما صار بالمَرْج[1] عملَتْ شعراً، وصاغت فيه لحنا وغنّته :

ومُغْتَرِبٍ بالمَرْج يبكى لشَجْـوِه — وقد غاب عنـه المُسْعِدون على الُحبِّ
إذا ما أتاه الرَّكْبُ من نحو أرضِهِ[2] — تَنَشَّـــق يَسْتَشْفِى برائحة الركب[2]

فلما سمع الصوت علم أنها اشتاقت إلى العراق وأهلها به فردّها .

قال أبو عيسى بن الرشيد: غنّت عُلَيَّة الرشيد فى يوم عيدِ فِطْر :

طالَتْ علىَّ ليالى الصومِ واتصلَتْ — حتى لقد خِلتُها زادت على الأَبَدِ
شوقاً إلى مجلس يزهو[3] بصاحبه — أُعِيـذُه بجَـلالِ الواحد الصَّمَدِ

وُلِدَت عُلَيَّة سنة ستّين ومائة وتوفِّيت سنة عشر ومائتين ولها خمسون سنة . وقيل: ماتت سنة تسع وصلّى عليها المأمون .

وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمها إليه وجعل يقبّل رأسها ووجهها مُغَطًّى فشرقت من ذلك ، وسعلت ثم حُمَّتْ بعَقِبِ هذا أياماً كثيرة ، وماتت رحمها الله تعالى.

---

(١) هو مرج القلعة بينه وبين حلوان منزل إلى جهة همذان .

(٢) أرضهم . . . القرب (تجريد) .

(٣) يزهى (تجريد) .

ذكر على بن الجهم(١)

أبوه بدرُ بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أُذَيْنة بن كَرّاز [بن كعب](٢) بن مالك ابن عُتْبة(٣) بن حار بن الحارث بن عبد البيتِ بن الحارثِ بن أسامة(٤) بن لُؤَيّ بن غالب. وقريش تدفع هذا النسبَ وتسميهم بَنى ناجيةَ ينسبونهم إلى أُمهم ، وهى امرأة سامة(٤) ابن لؤى بن غالب .

وكان سامة خرج إلى البحرين مغاضبا لأخيه كعب بن لؤى فى مُمَاظَّةٍ(٥) فطأطأت ناقتهُ رأسَها إلى الأرض لتأخذ شيئا من العشب فعَلق بمشفرها أفعى ثم عطفت(٦) على قَتَبِها فحكَّتْه به فدبَّ الأفعى على القَتَبِ فنَهَشَ [ساقَ](٧) سامة فقتله . فقال أخوه يرْثيه :

عينُ جودى لسامةَ بن لُؤَيٍّ ... عَلِقَتْ ساقَ سامــةَ العَلَّاقَهْ

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَها ابنَ(٨) لُؤَيٍّ ... حَذَرَ الموتِ لم تكنْ مُهْرَاقَهْ

وقال من يدفع بنى سامةَ من نَسَّابِى قريش : إنه كانت معه امرأتُه ناجيةُ ، فلما مات تزوجتْ رجلا من أهل البحرين فولدتْ منه الحارث . ومات أبوه وهو صغير ،

(١) الأغانى ١٠ : ٢٠٣ ـ التجريد ٣ : ١٩٣ .

(٢) الزيادة عن الأغانى وفى الأصل : كدار مكان : كراز .

(٣) ابن عيينة بن جابر (أغانى . تجريد) وفى الأصل : حار فى النسختين كما هو مدون ٣ : ١١٩٣ .

(٤) ابن سامة (أغانى) وستأتى كذلك . وفى الأصل : أسامة فى النسختين .

(٥) فى الأصل مماطلة ، والمماظة المخاصمة .

(٦) فعطفته (مكان ثم عطفت) أغانى ١٠ : ٢٠٣

(٧) الزيادة عن الأغانى والتجريد .

(٨) فى الأصل من .

فلما ترعرع طَمِعَتْ أُمُّه أن تُلْحِقَه بقُرَيْش ، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤى ، فرحل من البحرين إلى عمه كعب ، فأخبره[1] أنه ابن أخيه سامة فعرف كعبٌ أُمَّه ، وظنّ أنها صادقة ، فقَبله وسكت[2] فقدم مكة ركب من البحرين ، فرأوا الحارث فسلموا عليه وحادثوه فسألهم كعب بن لؤى ومن أين يعرفونه ؟ فقالوا : هذا ابن رجل من بلادنا يقال له فلان ، وشرحوا له خبره فنفاه كعب هو وأمه فرجعا إلى البحرين فكانا هناك وتزوج الحارث فأعقب هذا العَقِب .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عَمِّى سامةُ لم يُعْقِب » وكان بنو ناجية ارتدّوا عن الإسلام ، فلما وَلِيَ عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه الخلافةَ دعاهم إلى الإسلام ، فأسلم بعضهم ، وأقام الباقون على الرِّدَّة فسباهم واسترقهم فاشتراهم مَصْقَلةُ وأعتقهم وهَرب من تحتِ ليله إلى معاوية ، فصاروا أحراراً ، ولزمه الثمنُ فبِيعَتْ عليه دارُه، وقيل هَدَمها. ولم يدخل مصقلةُ الكوفةَ حتى قُتِلَ على رضى الله عنه .

وزعم ابنُ الكلبيِّ أن سامةَ بن لؤى وَلَدَ[3] غالب بن سامة ، وأمه ناجية ، ثم هلك سامةُ فخلفَ عليها ابنُه الحارثُ بن سامة ثم هلك ابنا سامة ولم يعقبا وأن قوما من بنى ناجية[4] بنت جَرْم بن رَبّان بن عِلاف ادعوا أنهم بنو سامة بن لؤى وأن أُمهم ناجية هذه وانتموا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من مصقلة ، ودليل ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جَرْم . قال علقمة الخصى التميمى أحد بنى ربيعة بن مالك :

زعمتم أن ناجية بن[4] جَرْم   عجوزٌ بعد ما بَلِيَ السَّنَامُ

---

(١) فى الأصل : فأخبرته .

(٢) ومكث عنده مدة حتى قدم (أغانى) .

(٣) فى الأصل : وإن .

(٤) . . ناجى بنت جرم (أغانى ١٠ : ٢٠٥) .

فإن كانت كذلك فالبسوها ... فإن الحلْىَ للأُنثى تمامُ

وهذا أيضا قول الهيثم بن عدىّ. فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم فى قريش وقال: هم قريش العازبة لأنهم عزبوا عن قومهم ونسبوا إلى أُمهم ناجية بنت جَرْم ابن رَبّان وهم عِلاف وهم أول من اتخذ الرحال العِلافيّة .

واسم ناجية ليلى، وإنما سميت ناجية لأنها سارت معه فى مفازة فعطشت فاستسقته فقال لها: الماء بين يديك وهو يريها السراب حتى جاءت الماء فشربت فسميت ناجية .

وللزبير فى إدخالهم فى قريش مذهب وهو مخالفة[1] فعل أمير المؤمنين على رضى الله عنه عليه وميله إليهم لاجتماعهم على بغضه عليه الرضوان حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير فى ذلك .

وكان علىٌّ بن الجهم شاعراً فصيحاً ، وخُصَّ بالمتوكل حتى جالسه ثم أَبْغَضه لما كان كثيرَ السعاية إليه بندَمائه وَذكْرهم بالقبيح عنده وإذا خلا به عَرَّفه أنهم يَعيبونه ويَتَنَقَّصونه ويَثْلِبونه فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقةً فحبسه مدة ونفاه .

وكان ينحو نحو ابن أبى حَفْصةَ فى هجاء آل أبى طالب والإغراء بهم وهجاء الشيعة وهو القائل :

ورافضةٍ تقول بشِعْب رَضْوَى ... إمامٌ خابَ ذلك من إمامِ
إمامٌ مَنْ له عشرون ألفاً ... من الأتراك مُشْرَعةُ السهامِ

وفيه يقول البحترى :

إذا ما حُصِّلَتْ عُليا قريش ... فلا فى العِيرِ أنت ولا النَّفيرِ
ولو أعطاك ربُّك ما تمنَّى ... لزاد الخلْقَ فى عِظَمِ الأُيور[2]

---

(١) فى الأصل : هو حالفة (والتصويب عن الأغانى) .

(٢) فى الأصل : الأمور .

عَلَامَ هجوتَ مُجتهدا عَلِيًّا ... بما لَفَّقْتَ من كَذِبٍ وزورِ
أمالك فى استِك الوِجعاء شُغْلٌ[1] ... يَكفُّكَ عن أَذَى أهلِ القُبورِ

وسمعه أبو العَيْناء يوما يَطعن على علىٍّ كرّم الله وجهه ، فقال له : أنا أدْرى لِمَ تَطعن على أمير المؤمنين . فقال له : أتعنى قِصَّةَ بَيْعةِ أَهْلِى من مصقلةَ بن هُبَيْرَةَ؟ قال : لا ، أنت أَوْضَعُ من ذلك ولكنه قَتَلَ الفاعل [فِعْلَ][2] قوم لوط والمفعول [به][2] وأنت أسفَلُهما .

وكان علىُّ بن الجهم قد هجا بختيشوع فحبسه المتوكلُ . فقال عِدَّةَ قصائدَ وكتب بها إلى المتوكل ، فأطلقه بعد سنة ، ثم نفاه بعد ذلك ، إلى خراسان ، فمما قاله هذه القصيدة وكتب بها إلى أخيه:

تَوَكَّلْنا على رب السماءِ ... وسلّمْنا لأسباب القضاءِ
ووطَّنّا على غِيَرِ الليالى ... نفوسا أسْمَحَتْ[3] بعد الإباء
وأفنيةُ الملوكِ مُحَجَّباتٌ ... وبابُ اللهِ مبذولُ الفِناء
هى الأيامُ تَكْلِمُنا وتأسو ... وتأتى بالسعادةِ والشقاء
حلبنا الدهرَ أَشْطُرَه ومَرَّتْ ... بنا عُقَبُ الشدائدِ والرخاءِ
وجَرَّبْنا وجَرَّبَ أَوّلونا ... فلا شىءٌ أعزُّ من الوفاء
ولم ندَعِ الحياءَ لِمَسِّ ضُرٍّ ... وبعضُ الضُّرِّ يذهبُ بالحياء
ولم نحزن على دنيا تَوَلَّتْ ... ولم نُسْبَقْ إلى حُسْنِ العزاءِ
تَوَقَّ الناسَ يا ابن أبى وأُمِّى ... فَهُمْ تَبَعُ المخافةِ والرَّجاءِ

---

(١) فى اوب : حقا والتصويب عن الأغانى والتجريد .
(٢) فى الأصل : (ولكنه فعل الفاعل من قوم) وما بين القوسين عن الأغانى .
(٣) فى الأصل أصبحت .

ولا يَغرُرْكَ من وَغدٍ إخاءٌ ... لأمرٍ مّا غدا حَسَنَ الإخاءِ

ألم تر مُظهِرين على عَيْباً(١) ... وهم بالأمسِ إخوانُ الصَّفاءِ

فلما أن بُليتُ غدَوْا وراحُوا ... عَلَىَّ أشَـــدَّ أسبابِ البلاءِ

وما حَبْسُ الخليفــةِ لى بعارٍ ... وليس بمُؤْيِسى منــه التنائى

أبت أَخْطَارُهُمْ أن ينصرونى ... بمـــالٍ أو بجاهٍ أو ثراءِ

وخافوا أن يقال لهم خَذَلْتُمْ ... صديقا فادَّعَوا قِدَمَ الجفـاء

تضافرت(٢) الروافضُ والنصارى ... وأهلُ الإعتزالِ على هجائى

وعابونى وما ذنبى إليهم ... ســوى علمى بأولادِ الزِّناءِ

إذا ما عُدّ مِثلُكمو رجالٌ ... فما فَضْلُ الرجالِ على النساء

إذا سُمِّيتُمُ فى النـاسِ قالوا ... أُولئك شرٌّ مَن تحتَ السماء

أنا المتــوكلىُّ هوًى ورأيا ... وما بالْوَاثِقيَّة من خفـــاء

وقيل كان سبب حبسه أن جماعة من الجلساء سعوا به إلى المتوكل وقالوا له إنه يُجَمِّشُ(٣) الخدمَ ويغمزهم ، وأنه يطعن عليـك إذا غاب عنك ، ويَعْبَثُ عليك ويزرى بك ، ولم يزالوا يوغرون صدرَه عليه حتى حبسه ، ثم أبلغوه أنه هجـاه فنفاه إلى خراسان ، وكتب بأن يُصْلَبَ إذا وَرَدَها يوما إلى الليـل . فلما وصـل إلى الشاذِياخ(٤) حبسه طاهرُ بنُ عبدِ اللهِ بن طاهر ، ثم أُخرج فصلب يوما إلى الليل مجردا ثم أُنزل فقال فى ذلك :

---

(١) عتبا (فى الأصل) .

(٢) تضافرت : تعاونت وفى رواية: تظاهرت .

(٣) جمشه : قرصه ولاعبه .

(٤) الشاذياخ من ضواحى نيسابور كانت قديما بستانا لعبد الله بن طاهر بن الحسين فبنى هو بها ثم عمرت حتى اتصل بناؤها بنيسابور (ياقوت) .

لم يصلبوا[1] بالشاذياخ عشية الـ ... إثنين مسبوقا ولا مجهـولا
نصبوا بحمد الله مـلء قلوبهم ... شرفاً ومـلء صدورهم تبجيلا
ما ازداد إلا رفعـة بنكوله ... وازدادت الأعـداء عنه نكولا
هل[2] كان إلا الليث فارق غيله ... فرأيته فى محمل محمولا
لا يأمن الأعـداء من شداته ... شـداً يفصل هامهم تفصيلا
ما عابه أن بز عنه ثيـابه[3] ... فالسيف أهـول ما يرى مسلولا
إن يبتذل فالبدر لا يزرى بـه ... أن كان ليل تمامه مبذولا
أو يسلبوه المـال يحزن فقده ... ضيفاً ألم وطارقا ونزيـلا
أو يحبسوه فليس يحبس سائر ... من شعره يدع العزيز ذليـلا
إن المصائب ما تعدت دينـه[4] ... نعم وإن صعبت عليـك قليلا
والله ليس بغـافل عن أمره ... وكفى بربـك ناصراً وكفيلا
فلتعلمن إذا القلوب تكشفت ... عنها الأكنة من أضل سبيلا

وكتب المتوكل إلى طاهر بإطلاق على بن الجهم فلما أطلقه قال :

أطاهر إنى عن خراسان راحـل ... ومستخبر عنها فـما أنا قائل
أالصدق أم أكنى عن الصدق[5] إنما ... تخيرت أدنه إليك المحافل
وسارت به الركبان واصطفقت به ... أكف قيان واجتلته[6] القبائل

(١) لم ينصبوا (أغانى ــ تجريد) .
(٢) ما كان (أغانى ــ تجريد) .
(٣) لباسه .
(٤) ذنبه (أصل ا ، ب) .
(٥) الحق (تجريد) .
(٦) اجتبته .

وإنى بغالِى الذَّمِّ والمدحِ عالمٌ … بمـا فيهما نامى الرمية ناضلُ(١)
وحقًّا أقولُ الصدق إنى لمائلٌ … إليك وإن لم يحْظَ بالوُدِّ مائلُ
ألا حُرْمَةٌ تُرْعَى ألَا عَقْدُ ذِمَّةٍ … لِجارٍ(٢) ألا قولٌ لفعلٍ يُشاكِل
ألا مُنْصِفٌ إن لم نَجِد مُتَفضلا … علينا ألا قاضٍ من الناس عادلُ
فـلا تقطعن(٣) غيظا عَلَيَّ أناملا … فقبلك ما عُضَّت علىّ الأناملُ
أطاهرُ إن تُحْسِن فإنّىَ مُحْسِنٌ … إليك وإن تَبْخَلْ فإنىَ باخِلُ

فقال له طاهر : لا تقُلْ إلا خيراً فإنى لا أفعلُ إلا ما تحب ، ووصَلَه وحَمَلَه وكساه .

وكان علىّ بن الجهم فى مجلس فيه قَيْنَة فَجَمَّشَها فباعَدَتْه وأعْرَضَت عنه فقال :

خَفِى الله فيمن قد سلبتِ(٤) فؤادَه … وغادرتِه نِضْـواً كأن به وَقْرَا
دعى البُخْلَ لاأَسْمَعْ به منك(٥) إنما … سأَلْتُكِ شيئا ليس يُمْرِى لكم ظَهْرَا

فقالت : صدقتَ يا أبا الحسن ليس يُمْرِى لنا ظَهرا وإنما يمْلَأُ لنا بَطْنا .

أنشد رجُل إبراهيم بن المدبر لعَلِىّ بن الجهم قوله :

أَميلُ مع الذِّمام على ابن عمى … وآخذ للصديق من الشقيقِ
وإنْ أَلْفَيْتَنِى حُرًّا مُطاعا … فإنك واجدى عبدَ الصديقِ
أُفرِّقُ بين معروفى ومَنِّى … وأجمعُ بين مالىَ والحقوقِ

فقال إبراهيم : كذب علىّ بن الجهم وأَثِمَ ، والله لَهـذا الشعرُ أشبهُ بإبراهيم ابن العباس .

---

(١) فى الأصل : تأتى البرية فاضل ، والتصويب عن التجريد ـ أغانى .
(٢) فى اوب : تجار الاقول لفعل يشاكل . وفى الأغانى والتجريد : لجار الا فعل لقول مشاكل .
(٣) كذا فى الأغانى وفى الأصل : الا تقطعا .
(٤) تبلت (تجريد) .
(٥) فى الأصل : بيومك ـ وفى الأغانى أمرا (مكان شيئا) .

قال المتوكل : عليّ بن الجهم أكذبُ خلق الله ، حَفِظتُ عليه أنه أقام بخراسان ثلاثين سنة ، ثم مضت مدة فأخبرنى أنه أقام بالشام ومصر ثلاثين سنة ، فيجب أن يكون عمرُه على هذا مائةً وخمسين سنة ، وإنما نراه فى سن الخمسين ، فليت شعرى أىُّ فائدة له فى هذا الكذب ؟

قال إبراهيم بن المدبر : كتب صاحبُ الخبر إلى المتوكل أن أبا الحسن بن عبدالملك ابن صالح أُحرق فمات ، فقال له على بن الجهم : قد بلغنى أن العامل قتله ، وصانَعَ صاحبَ الخبر حتى كتب بهذا ، وكان يسعى بالجلساء إلى المتوكل ، فأبغضه وألزمه بيته وحبسه .

وأحسن شعر قاله فى الحبس قوله :

قالت حُبِسْتَ فقلت ليس بضائرى ... حبسى وأىُّ مهنـد لا يُغمدُ
أو ما رأيت الليثَ يألفُ غِيلَه ... كِبْراً وأوباشُ السباع تَرَدَّدُ
والبدرُ يدركه السِّرار فتَنْجَلِى ... أيامُه وكأنَّه يتجدَّدُ
والشمس لولا أنها محجوبةٌ عن ناظريك ... لما أُضيب(1) الفرْقَدُ
والزاعِبيَّة(2) لا يقيم كُعوبَها ... إلا الثقافُ وجذوة تتوقَّدُ
والنار فى أحجارها مخبوءةٌ ... لا تُصْطَلَى إن لم تُثِرْها الأَزْنُدُ
والحبسُ ما لم تغْشَه لِدَنِيَّةٍ ... شنعاءَ نِعْمَ المنزلُ المُتَوَرَّدُ(3)
بيتٌ يُجَدِّدُ للكريم كرامةً ... ويُزارُ فيه ولا يَزورُ ويُحْمَدُ
لو لم يكن فى الحبس إلا أنه ... لا يَستَذِلُّك بالحجاب الأعبدُ

---

(١) أضاء (الأغانى ــ التجريد).

(٢) الزاعبية : رماح تنسب إلى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأسنة .

(٣) المتورد : الذى يزار ويورد .

كم من عليل قد تَخَطاه الرَّدَى ... فنجـا ومات طبيبُـه والعُوَّدُ
يا أحمدُ بنَ أبي دؤاد إنما ... تُدْعَى لـكل عظيمةٍ يا أحمدُ
أبلغ أمـير المؤمنين ودُونَه ... خوفُ(١) الرَّدَى ومخاوفٌ لا تَنْفَدُ
أنتم بنو عم النبي محمـدٍ ... أولَى بما شَرَعَ النبيُّ محمدُ
ما كان من كَرَمٍ فأنتم أهلُه ... طَابَتْ(٢) مغارسُكم وطابَ المحْتِدُ
أمن السَّويَّة يا ابن عمٍّ محمـد ... خَصْمٌ تُقَرِّبُه وآخرُ تُبْعِدُ
إن الذين سعوا إليك بباطلٍ ... حُسَّادُ نِعمَتِك التي لا تُجْحَدُ
شهدوا وغبنا عنكمو فتحَكَّمُوا ... فينا وليس كغائب من يَشْهَدُ
لو يَجْمَع الخصماءَ عندك مجلسٌ ... يوما لبانَ لك الطريقُ الأَقْصَد
فبأى جُرْمٍ أَصْبَحَتْ أعراضُنا ... نهباً تَقَسَّمَها اللئيمُ الأوغدُ

وكان أحمد بن أبي دؤاد منحرفاً على عَلِيٍّ بن الجهم لاعتقاده مذهب الحَشْويّة فلم يشفع له وقَعَد عنه فلما نفَى المتوكلُ أحمد بن أبي دؤاد شَتَمه عليٌّ بن الجهم وهجاه فقال فيه من أبيات :

يا أحمدُ بنَ أبي دؤاد دعوةً ... بعثَتْ إليك جنادلا وحديدا
ما هذه البِدَعُ التي سَمَّيْتَها ... بالجهل منك العدلَ والتوحيدا
أفسدت أمرَ الدين حين وَلِيتَه ... ورَمَيْتَه بأبى الوليد وليدا

كتب عَلِيّ بن الجهم إلى طاهرٍ من الحَبْس :

إن كان لى ذنبٌ فلى حُرْمَةٌ ... والحقُ لا يدفعُه الباطلُ
وحُرْمَتِي أعظمُ من زَلَّتِي ... لو نالَني من عَدْلِك(٣) النائلُ

(١) خوض (أغانى) .
(٢) كرمت (أغانى ـ تجريد) .
(٣) عدلكم نائل (أغانى) .

ولى حقوقٌ غيرُ مجهولةٍ　　　يعرفُها العاقلُ والجاهلُ
وكل إنسانٍ له مَذْهَبٌ　　　وأهلُ ما يفعله الفاعلُ
وسِيرةُ الأَمْلَاكِ منقولةٌ　　　لا جائرٌ يَخْفَى ولا عادلُ
وقد تَعَجَّلْتَ الذى خِفْتُهُ　　　منكَ ولم يَأْتِ الذى آمُلُ

كان على بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أُطْلِقَ من حبسه ، ورُدَّ من النَّفْى يتقاينون[1] ببغداد ويلزمون منزل مغن[2] بالـكرخ يقال له المفضل ، فقال فيه على بن الجهم :

نزلنا بباب الـكَرْخ أطيبَ مَنْزِلٍ　　　على مُحْسِناتٍ من قِيان المُفَضَّـلِ
فلا ابنُ سُرَيْج والغريضُ ومعبدُ　　　بدائعُ فى أسماعنــا لم تُبَدَّلِ
أوانسُ ما للضيف مِنهنَّ حِشْمَةٌ　　　ولا رَبُّهُنَّ بالجليـلِ المُبَجَّلِ
يُسَرُّ إذا ما الضيفُ قَلَّ حياؤُه　　　ويَغْفُلُ عنـه وهو غيرُ مُغَفَّلِ
ويُـكْثِرُ من ذَمِّ الوقارِ وأَهْلِه　　　إذا الضيفُ لم يأْسْ ولم يَتَبَذَّلِ
ولا يَدْفَعُ الأيدى المُرِيبة غَـيْرَةً　　　إذا نال حظا من لَبُوسٍ ومأكلِ
ويُطْرِق إطراقَ الشجاعِ مهابةً　　　ليطلقَ طرفَ النـاظِرِ المُتَـأَمِّلِ
أَشِرْ بِبَعِيدٍ واغمِزْ بطَرْفٍ ولا تَخَفْ　　　رقيباً إذا ما كنت غير مُبَخَّلِ
وأَعْرِضْ عن المصباحِ والْهَج بِذَمِّه[3]　　　وإن خَمَدَ المصباحُ فادْنُ وقَبِّـلِ
وسَلْ غيرَ ممنوعٍ وقُلْ غيرَ مُسْكَتٍ　　　ونَمْ غير مذعورٍ وقُمْ غيرَ مُعْجَلِ
لك البيتُ ما دامت هداياك جَمَّـةً　　　وكنت مليئا بالنبيـذِ المُعَسَّلِ
فبـادِرْ بأيام الشبابِ فإنهـا　　　تَقَضَّى وتَفْـنَى والغَوَايَة تَنْجَلِى

(١) أغانى وفى الأصل : يتتابعون .
(٢) مقين (أغانى) .
(٣) بمثله (أغانى) .

ودع عنك قولَ الناس أتلفَ مالَه ... فلانٌ فأضحى مُدْبِرًا غير مُقْبِلِ
هل الدهرُ إلا ليلةٌ طرحَت بنا ... أواخرُها فى يوم لهوٍ مُعَجَّلِ
سقى الله بابَ الكرخ من مُتَنَزَّه ... إلى قَصْرِ وَضَّاحٍ فبِرْكةِ زَلْزَلِ (١)
مَسَاحِبُ أذيالِ القيانِ ومَسْرَحُ الـ ... حِسَانِ ومهوى كل خِرْق مُعَذَّل
لو أنَّ امرأ القيس بن حُجْر يَحُلُّها ... لأقصرَ عن ذكر الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
إذًا لرأى أن يمنح الوُدَّ شادنا ... مُشَمِّرَ(٢) أذيالِ القَبَا غيرَ مُسْبِلِ
إذا الليلُ أدنى مضجعى منه لم يَقُل ... عَقَرْتَ بعيرى ياامرأ القيس فانْزِلِ

قال إبراهيم بن المدبر: أنشدنى على بن الجهم لنفسه:

وإذا جزى الله امرأً بفعاله ... فجزى أخًا لى ماجداً سَمْحا
ناديته عن كُرْبَةٍ فكأنما ... أطلعْتُ عن ليلٍ به صُبْحا

فقلت له: ويحك!! هذا لإبراهيمَ بن العباس، يقوله فى محمد بن عبد الملك الزيات، فجحدنى وكابر، فدخل يوما علىّ بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده فلما رآنى قال: قد اجتمع الإبراهيمان، فتركته ساعة ثم أنشدت البيتين وقلت لإبراهيم: إن هذا يزعمُ أن هذين البيتين له، فقال: كذب، هذان البيتان لى فى محمد بن عبد الملك الزيات.

فقال على بن الجهم بقِحَة: ألم أَنْهَك أن تنتحلَ شِعرى؟ فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده: سوءة عليك، سَوْءَة لك، ماأوقحك! وهو لا يفكر فى ذلك ولا يخجل. ثم التقينا بعد مدة فقال لى: أرأيت كيف أخزيتُ إبراهيم بن العباس؟ فجعلت أعجب من صلابة وجهه.

---

(١) قصر الوضاح: قصر بنى المهدى قبل الرصافة بولاية الوضاح مولى المنصور (مراصد الاطلاع) وبركة زلزل: ببغداد بين الكرخ والصراة.

(٢) مقصر أذيال القبا.

كان لسليمان بن وهب نديمٌ يأنسُ به ويألفُه فعربدَ ليلةً من الليالى عربدةً قبيحةً فاطَّرَحَهُ وجفاه مدة ، فوقف له على الطريق فلما مرَّ به وثبَ إليه ثم قال: أيها الوزير الا تكون فى أمرى كما قال على بن الجهم :

القوم إخوانُ صِدْقٍ بينهم نسبٌ من المَوَدَّةِ لم يُعْدَلْ بها نسبُ
تراضعوا دِرَّةَ الصهباءِ بينهمو فأوجبوا لرضيع الكأسِ ما يَجِبُ
لا يحفظون [1] على السَّكْران زَلَّتَهَ ولاتَريبُك[1] من أخلاقه رِيَبُ

فقال له سليمان: رضيت عنك رضاء صحيحا فعد إلى ما كنت عليه من ملازمتى.

وأول هذه القصيدة هو قوله :

الوردُ يضحك والأوتارُ تصْطَخبُ والناى يندب أحيانا[2] ويَنْتَحِبُ
والراح تُعْرَضُ فى نَوْرِ الربيعِ كما تُجْلَى العروسُ عليها الدُّرُّ والذهب[3]
واللهوُ يُلْحِق مَغبُوقا بِمُصْطَبِحٍ والدور سيّان محثُوثٌ ومُنْتَخَبُ
وكلما انسكَبَتْ فى الكأس آوِنَةً أقْسَمْتُ أنَّ شُعَاعَ الشمس يَنسكب

دخل علىّ بن الجهم يوما على عبد الله بن طاهر فى غداة من غدوات الربيع وفى السماء غيم رقيق والمطر يجىء طلاًّ[4] ويسكن قليلا ، وقد كان عبد الله عَزَم على الصَّبوح فغاضبته حَظِيَّة له فتنغَّص عليه يومُه وفَتَر فخُبِّرَ علىٌّ بن الجهم وقيل له : قل فى هذا المعنى شيئا لعله يُنَشِّط الأميرَ للصبوح ، فأنشده :

أما ترى اليوم ما أحلَى شمائلَه غيمٌ وصحوٌ وإبراق وإرعادُ
كأنه أنت يا مَن لا شبيهَ له وصلٌ وهجرٌ وتقريبٌ وإبعادُ

---

(١) لا تحفظن ... ولا تريبنك (أغانى) .
(٢) أشجانا (تجريد) ١٢٠٠ .
(٣) فى الأصل : أزؤرذهب .
(٤) قليلا (تجريد) .

فباكِرِ الراحَ واشرَبها مُعتَّقةً لم يَدَّخِرْ مثلَها كِسرى ولا عادُ
واشرب على الرَّوْضِ إذ لاحت زَخارِفُه
زَهْرٌ ونَوْرٌ وأَوراقٌ وأَوْرادُ
كأنما يومُنا فِعلُ الحبيب بنا بَذْلٌ وبُخْلٌ وإيعادٌ وميعادُ
وليسَ يذهبُ عنى كلُّ فِعْلِكمو غيٌّ ورُشْدٌ وإصلاحٌ وإفساد

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلاثمائة دينار ، وحمله وخلع عليه وأمر أن يُغَنَّى في الأبيات واصْطَبح .

وُجد عليّ بن الجهم بعد أن أُطلق من محبسه جالسا فى المقابر فقيل له : ما أجلسك هاهنا ؟ فقال :

يَشْتاقُ كلُّ غريبٍ عند غُرْبتِه ويذكُرُ الأهلَ والجيرانَ والسكنا
وليس لى وطن أمسيتُ أذكُرُه إلا المقابرَ إذ كانت لهم وطنا(١)

ولعليّ بن الجهم :

لو تَنَصَّلْتَ إلينا لَغفَرْنا(٢) لك ذَنْبَكْ
بأبى ما أبْغَضَ العيشَ إذا فارقتُ قُرْبَكْ
ليتنى أَمْلِكُ قلبى مِثْلَ ما تملِكُ قَلْبَكْ
أيها الواثق بالله لقد نَاصَحْتَ ربَّكْ
ما رأى الناسُ إماماً أنهبَ الأموال نَهْبَكْ
أصبحتْ حُجَّتُك العُلْيا وحِزْبُ اللهِ حِزْبَكْ

قال عبيدُ اللهِ بن عبد الله بن طاهر: دخل علينا على بن الجهم عقيب موت أبى ، والمجلس حافل بالمُعزِّين فمَثَلَ قائما وأنشد مرثية :

(١) سكنا (التجريد) .
(٢) لوهبنا (أغانى) .

أى رُكْنٍ وهَى من الإسلامِ | أىُّ يومٍ أخـنى على الأيامِ
جَلَّ رزءُ الأمير عن كل رُزْءٍ | أدركتْـه خواطرُ الأوهـام
سَلَبَتْنا الأيامُ ظِلاًّ ظليـلا | وأباحت حِمًى عزيزَ المرَام
يا بنى مُصْعَبٍ حللتم من النا | س مَحَلَّ الأرواحِ فى الأجسام
فإذا رابكم من الدَّهْرِ رَيْبٌ | عم ما خَصَّكم جميعَ الأنام
انظروا هل ترون إلا دموعا | شاهداتٍ على قلوبٍ دوامى
من يداوِى الدنيا ومن يكلأ المُلْ | كَ لدَى فادحِ الخطوب الجسام(١)
نحن مِتْنا بموته وأجَلُّ الـ | خَطْبِ موتُ الساداتِ والأعلامِ
لم يَمُتْ والأميرُ طاهرُ حَىٌّ | دائمُ الإنتقامِ والإنعامِ
فهو من بعده نظامُ المعالِى | وقوامُ الدنيا وسيفُ الإمام

قال: فما أذكر أنى بكيت أو رأيت فى دورنا باكيا أكثر منه يومئذ .

قال أبو الدهقانة(٢) : دخلنا يوما إلى المُعْتَزِّ وهو مصطبح على صَوْتٍ اختاره لعَلِىٍّ بن الجهم اقترحه على عَرِيب وهو :

العين بعدكَ لم تَنْظُرْ إلى حسنٍ | والنفس بعدك لم تَسْكُن إلى سَكَنِ
كأن روحِى إذا ما غبتَ غائبةٌ | حتى إذا عدت لى عادَتْ إلى بدَنى

فلم يزل يشرب عليه نهاره فلما سَكِر أمر لها بثلاثين ألفَ درهم وفرّقَ على الجلساء كلِّهم الجوائزَ والخِلَع والطِّيبَ .

ولعلى بن الجهم، ويقال إنه آخر شعر قاله:

يارحْمَتا للغريب(٣) فى البلد النا | زحِ ما ذا بنفْسِه صنعا
فارقَ أحبابَه فما انتفعوا | بالعَيْشِ من بعده ولا انتفعا

(١) العظام (تجريد) .
(٢) أغانى (و الأصل الدهقان).
(٣) يا رحمة ... بالبلد (تجريد) .

ولما حبس المتوكلُ على اللهِ عليّ بن الجهم واجتمع الجلساء على عداوته وإبلاغ الخليفة عنه كلّ مكروه ووصفهم مساوئه، قال هذه القصيدة :

أقلــــنى أقالك من لَمْ يَزَلْ يَقيكَ ويَصْرِفُ عنك الرَّدَى
وتَجرِى مقـــاديرُه بالذى تريدُ إلى أن بلغتَ المَدَى
ويُعْليك حـــتى لوَ أنَّ السماءَ تُنالُ لجاوزتَها مُصْعِدا
فما بــين ربِّـك جَـــلَّ اسْمُهُ وبينكَ إلا نبيُّ الهُدى
عفــا الله عنك ألا حُرْمَـــةٌ تَعُودُ بفضلك أنْ أُبْعَدَا
لئن جَلّ خطب[1] ولم اعتمد فأنتَ أَجَلّ وأَعْلَى يدا
ألم تَرَ عَبْدا عدا طَوْرَه ومَولًى عفا ورشيدا هَدَى
ومُفسِـــد أمرٍ تلافَيْتَه فعاد فأَصْلَحَ ما أفسدا
فلا عُدْتُ أَعْصِيك فيما أمرْ تَ حتى أَزُورَ الثَّرى مُلْحَدا
وإلا تخالفتُ ربَّ السماء وخُنتُ الصديقَ وعِبتُ[2] النَّدى
وكنتُ كمروان[3] أو كابن عمرو مبيحِ العيال لمن أولدا

ووجه بها إلى بيدون الخادم، فدخل بها إلى قبيحَة[4] وقال لها: إن عليّ بن الجهم قد لاذ بك، وليس له ناصر سواك، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب، لأنه رجل من أهـــل السنة، وهم روافض، وقد اجتمعوا على الإغراء بقتـله، فدعت

---

(١) ذنب (تجريد) .
(٢) وغفت (الأغانى)
(٣) كعزون (أغانى وتجريد)
(٤) فى الأصل منيحة والتصويب عن التجريد ١١٩٨ والأغانى .

بالمعتز وقالت: اذهب بهذه الرقعة يابنى إلى سيدك ، وأوْصِلْها إليه ، فجاءه بها ووقف بين يديه ، فقال له : ماهذامعك، فَدَيْتك؟ فدنا منه وقال: هذه رقعة دفعَتْها إلىّ أمى، فقرأها المتوكل، وضحك ، ثم أقبل عليهم، فقال: أصبح أبوعبدالله، فَدَيْتُه، خَصْمَكم. هذه رُقْعَةُ على بن الجهم يستقيلُ(١) ، وأبوعبد الله شفيعُه، وهو من لا يُرَدُّ. وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله :

وكنت كمروان أوكابن عمرٍو مبيح العيالِ لمن أوْلَدا

وثب ابن حمدون ، ثم قال : يا سيدى من دفَعَ هذه الرقعةَ إلى السيدة ؟ قال بيدون الخادم [: أنا](٢) . فقال : أحسنت، تعادينا وتوصل رقعةَ عدونا فى هجائنا ! وانصرف بيدون ، وقام المعتزُّ ، فانصرف ، فاستلب ابن حمدون قوله :

وكنت كمروان أوكابن عمرٍو مبيح العيالِ لمن أولدا

فجعل يُنشِدُهم إياه وهم يشتُمونه ، والمتوكل يضحك ، ويصفق ، ويشرب حتى سكر ، ونام ، وسرقوا القصيدةَ من بين يديه وانصرفوا ، ولم يُوَقِّعْ بإطلاقه ونَسِيَه فقالوا لابن حمدون : ويحك! تُعيدُ هجاءنا وتَشْتُمنا؟ فقال : ياحمقى ! والله لو لم أفعل ذلك حتى ضحكَ وشرب وسكر ونام ، لوَقَّعَ بإطلاقه ولوَقَمْنا معه فى كلِّ ما نكره .

لما فتحت أَرْمِينِيَّة وقُتِلَ إسحٰقُ بنإسمٰعيل دخل علىُّ بن الجهم فأنشد المتوكلَ قصيدتَه التى يمدحُه ويهنئه بالفتح ، فقال فيها ، وأومأ بيده إلى الرسول الوارِد بالفَتْح وبرأْسِ إسحاقَ بنِ إسماعيل :

أهلا وسهلا بك من رسولِ جئتَ بما يَشْفِى من الغليلِ

---

(١) يستقيل : يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه .

(٢) زيادة يتم بها الكلام .

بجُمْلَةٍ تُغْنِي عن التفصيلِ   برأس إسحٰق بنِ إسماعيلِ
قَهْراً بلا خَتْل ولا تطويلِ

فاستحسن من حضر ارتجالَه هذا وابتداءَه ، وأمر له المتوكل بثلاثين ألفَ درهم، ثم تمم القصيدة وقال فيها :

جَيش يَلُفُّ الحَزْنَ بالسهولِ   كأنه مُعْتلج السيولِ
يَسوسُه كهـلٌ من الكهول   لا ينثني[1] للصعبِ والذلولِ
على أغرَّ واضحِ الحجـولِ   حـتى إذا أَصْحَرَ للخـذول
ناجزَه بصـارمٍ صقيـلِ   ومَنْجَنيقٍ مثل حلق الفيلِ
يُرْقِلُ[2] عن خرطومِه الطويلِ   صواعقٌ من حَجَرِ السِّجِّيل
يترك كَيْدَ القومِ فى تضليـلِ   ما كان إلا مثلَ رَجْعِ القِيلِ
حتى انجلت عن حِزْبه المفلولِ   وعن نسـاءٍ حُسَّرٍ ذهولِ
صَوارخٍ يَعْـثُرْنَ فى الذيول[3]   ثواكِل الأولادِ والبعولِ
لا والذى يُعْرَفُ بالعقولِ   من غير تحديدٍ ولا تمثيلِ
ما قام للهِ وللرسولِ   بالدين والدنيا وبالتنزيلِ
خليفةٌ كجَعْفرٍ المأمولِ

قال محمد بن عبد السلام : رأيتُ مع على بن يحيى المُنَجِّم قصيدةً لعلى بن الجهم يمدح بها المتوكل ويصف الهارونى[4] فقلت : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة ؟ فضحك، وقال : قصيدةٌ لعلى بن الجهم سألنى أن أعْرِضَها على أمير المؤمنين فعَرَضْتُها. فلما سمع قوله :

(١) فى الأصل : لا ينسى الصعب .
(٢) يرقل : يسرع ، وفى رواية : ترفض.
(٣) فى الأصل يعصرن بالذيول
(٤) الهارونى : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون بن الواثق بالله .

وَقُبَّةِ مُلْكٍ كأن النجو   مَ تُصْغِي[1] إليها بأسرارِها
تَخِرُّ الوفود لهـا سُجدا   إذا ما تَجَلَّتْ لأبصـارها[2]
وفَوَّارة ثأرُها فى السماء   فليست تُقَصِّر عن ثارها
تَرُدُّ على المُزْنِ مانَزَّلت[3]   إلى الأرض من صَوْبِ مدرارها

تهلل وجهُه واستحسنها فلما انتهيتُ إلى قوله :

تبوأتُ بعدَك قعر السُّجون   وقد كنت أرثى لزُوَّارِها

غضب واربدّ وجهه وقال : هذا بما كَسَبَتْ يداه ، ولم يسمع تَمَامَ القصيدةِ .

قال الحسن بن موسى : لما شاع فى الناس مذهبُ على بن الجهم وشَرُّه وذَكَرَه كل أحدٍ بسوءٍ من صديقِه وعدوِّه تحاماه الناس ، فخرج من بغداد إلى الشام ، فاتفقنا فى القافلة إلى حلب ، وخرج علينا نفرٌ من الأعراب فتَسَرَّع إليهم قومٌ من المقاتلة ، وخرج فيهم فقاتل قتالا شديداً وهزَمَ الأعرابَ. فلما كان من الغد خرج علينا منهم خَلْقٌ كثيرٌ ، فتسرع إليهم المقاتلةُ ، وخرج فيهم فأصابته طعنة فجئنا إليه واحتملناه ينزف دمُه فلما رآنى بكى ، فقلت له : لا بأس عليك ، فلما أمسى قَلِقَ قلقا شديداً وأحسّ بالموت فجعل يقول :

أَزِيدَ فى الليـــل لَيْلُ   أم سال بالصُّبْحِ سَيْلُ
ذكرت أَهْلَ دُجَيْـــلٍ   وأين مِنِّى دجيلُ

وبكى فأبكى كلَّ من كان فى القافلة . ومات مع السَّحَرِ ودفن فى ذلك المنزلِ على يوم من حَلَب .

---

(١) فى بعض الأصول وفى التجريد (تفضى) .
(٢) عن الأغانى وفى الأصل لأسرارها
(٣) أنزلت (تجريد) .

ذكر عبد الله بن المعتز (1)

أمرُه مشهورٌ، فى فضائله، وآدابه وجودةِ صَنْعَتِه، وحسن شعره، وإن كان فى شِعرِه رِقّةُ الملوكية، وغَزَلُ الظرفاءِ وهَلْهَلَةُ المُحْدَث، فإنه لا يَقْصُرُ عن مَدَى السابقين، ويكفيه أن قُتِلَ ودَرَج، ولم يكن له خَلَفٌ يُقرِّظُه ولا عَقِبٌ يَرْفَع منه وما يزدادُ تأدُّبُه وفضلُه وشعرُه وتَصرُّفُه فى كلّ فن من العلوم إلا رفعةً وعلوا. وانظر إلى أضدادِه لما طَعَنوا عليه إذا وقع عليه المحقق عدلوا عن مِلّته فى الأدب إلى الشناعةِ بأمرِ الدين وهجاءِ آل أبى طالب.

كان لعبد الله بن المعتز خادمٌ يُحبُّه يقال له نَشْوانُ، وكان يُغَنِّى غناء صالحا مُجدِر فَجزِع عليه بعض أصحابه، وجاء يوما فقال له ابن المعتز: قد عُوفى نَشْوَانُ، وخرج أحسنَ مما كان عليه، وقد قلتُ فيه بيتين وَغَنّتْ زرياب فيهما رَمَلا ظريفا فاسمَعْهما إنشاداً قبل أن تسمعهما غناء، وأنشده:

لى قمرٌ جُدِّر لما استوى ... فزاده حسنا وزالت هُمومْ

أظُنُّه غَنَّى لشمسِ الضُّحى ... فنقّطته طرباً بالنجومْ

ثم خرجتْ زريابُ فغنته فى الزيك(2) أحسن غناء، فشربا عليه عامة يومهما.

جاء عبدُ الله بن المعتز يوما إلى أبى عيسى بن المتوكل مُسَلِّما وسِنُّه، يومئذ، عشرون سنة، فدخل عَلِىّ بن محمد بن أبى الشوارب القاضى فأكْرمه أبو عيسى، ونهض له، فلما استقَرّ به المجلس قال لأبى عيسى: قد احتجتُ إلى معونتك

---

(1) أغانى دار الكتب ١٠ : ٢٧٤، وتجريد ١٢٢٤.

(2) الرمل، أغانى ١٠ : ٢٨١.

فى أمرٍ دُفِعْتُ إليه ، ولا غَناءَ عن تـكليفك المعاونةَ فيه، قال: ماهو ؟ قال : زوَّجْتُ ابنةً من بناتنا رجلا من أهلنا ، فخرج عن مذاهبنا وأساء عشرة[1] أهله وجعل منزلَ عيسى بن هٰرون وطَنَه وتَهدَّدَنا به وتوعدنا بسَيْرِه حتى بسط عيسى بنُ هٰرون يدَه ولسانَه بالقبيح والقول ، وكثرت معاونته له على ما يُزْرِى بدينه ، وقد توعدنا بأنه يَـكْشِف وجهَه لنا فى معاونة صهرنا العادى علينا ، ولولا نسبه الذى فَخْرُه لنا وعارُه علينا لا نتصفنا منه بالحق، إلا أنى أستعهدك منه. فقال له أبو عيسى : أنا أُوجه إليه فأُراسله بما أنا المتكفِّل بعده بأن لا يعود إلى عشرته ، والضامن أن أَرُدَّ هذا الصهرَ إلى حيث تحبُّ ويقعُ بموافقتك. فشكَرَه وانصرفَ . فقال أبو عيسى: أما ترون إلى هذا الرجل النبيه السَّرِىّ الشريفِ الفاضِل يدفع إلى مثل هذا ؟ طوبى لمن لم تـكن له بنت . فقال له عبد الله بن المعتز : إن لى فى هذا المعنى بيتين[2] ، وقد استحسنهما جماعة ممن يعلم الشعر ويقوله . فقال له هاتِ ، فأنشده :

وبِكْرٍ قلتُ موتى قبل بَعْـلٍ ... وإنْ أَثْرَى وعُدَّ من الصميمِ
أأمزُجُ باللـئام دَمِى ولَحْمِى ... فما عُذْرِى إلى النَّسب الـكريمِ

قال جعفرُ بن قُدامة: كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا النُّمَيْرِى ، وحضر وقتُ الصلاة ، فقام النميرىُّ فصَلَّى صلاة خفيفة جدًّا ، ثم دعا بعد الصلاة ، وسجد سجدة طويلة، استثقله جميع من حضر ، وعبدُ الله ينظر إليه مُتعَجِّبا، ثم قال :

صلاتُك بين الملا[3] نَقرةٌ ... كما اختلس الجَرْعَةَ الوالِغُ
وتسجُد من بعدِها سجدةً ... كما خُتِمَ المِزْوَدُ الفـارِغُ

---

(١) فى الأصل تقرأ (ولنا عرة) والتصويب من الأغانى ١٠ : ٢٧٢ .

(٢) يروى أن سبب إنشادهما أن رجلا نبيها فاضلا احتاج إلى تزويج ابنته من دنىء ، فقال ابن المعتز البيتين (تجريد) .

(٣) الورى (تجريد) .

كانت بنتُ الكراعة تألف عبدَ الله بن المعتز ، وكان يحب غناءها، ويستظرفُها، ويواصل إحضارَها ، ثم انقطعت عنه فقال :

ليت شعرى بمن تشاغَلْتِ عَنِّى   وهو لا شَكَّ جاهلٌ مغرورُ
هكذا كنتُ مثلَه فى سرورٍ   وغداً بالهموم مثلى يصيرُ

قال جعفر بن قدامة: كنا عند ابن المعتز يوما، ومعنا النميرى، وعنده جاريةٌ لبعض بناتِ الكوفة تغنيه ، وكانت محسنة إلا أنها فى نهاية القبح . فجعل عبد الله يُجَمِّشها ويتعاشقُها، فلما قامت قال له النميرى : سألتك الله ، أتَعْشَقُ هذه التى ما رأيت أقبحَ منها ؟ فقال عبد الله ، وهو يضحك :

قلبىَ وثَّابٌ إلى ذا وذا   ليس يرى شيئــا فيأباهُ
يهيم بالُحسنِ كما يَنبغِى   ويرحمُ القبــحَ فيهواهُ

قال عبدالله بن المعتز: كانت خزامى جارية الضَّبْط المغنى(١) تنادمنى وأنا حَدَثٌ ، وكانت مغنية مُحْسِنةً شاعرةً ظريفةً ، ثم تركت النبيذَ وتابت فراسلتها مراراً ، فتأخرت عنى فكتبت إليها :

رأيتُكِ قد أظْهَرْتِ زهداً وتَوبةً   فقد سَمُجَتْ من بعد توبتك الخمرُ
فأهديتِ لى ورداً يذكر عِيشةً(٢)   بمن لَمْ يُمَتِّعْنا ببهْجَتها الدهرُ

فأجابتنِى :

أتانِى قريضٌ يا أمــيرى مُحَبَّرٌ   حكى لىَ نَظْمَ الدرِّ فُصِّلَ بالشَّذْرِ(٣)
أأنـكرتَ يا ابن الأكرمين إنابَتِى   وقد أفصحتْ لى ألسُنُ الدهرِ بالزَّجْرِ

---

(١) فى الأصل ا ، ب (الطط المتعن) والتصويب عن الأغانى ٩ : ١٣٨
(٢) رواية الأغانى والتجريد « فأهديت وردا كى يذكر عيشة » .
(٣) الشذر: خرز تفصل به الجواهر فى النظم .

وأَدَّبَنى[1] شرخُ الشباب ببَيْنِه فياليت شعرى بعد ذلك ما عُذْرِى

كان مُؤْنِسٌ قد استخْلَفَ محمدَ بن عبيدِ الله بن عبد الله ، فقال يهنئه :

فرحتُ بما أضْعَافُه دون قدرِكم وقلت عسى قد هَبَّ من نومه الدهرُ
فترْجِع فينا دولةٌ طاهريَّةٌ كما بدأتْ والدهرُ من بعده الأمرُ
عسى اللهُ إنَّ اللهَ ليس بغافلٍ ولا بدمن يُسْرَى إذاما انتهى العُسْرُ

فكتب إليه محمد بن عبد الله قصيدة منها :

ونحن لكم إن مَسَّنَا بعضُ جَفْوةٍ[2] فمِنَّا على لأْوَائِها الصبرُ والعذرُ
وإن رَجَعَت من نعمةِ الله دَوْلةٌ إلينا فمِنَّا عندها الحمدُ والشكرُ

ثم جاءه محمد بن عبيد الله شاكراً له .

وجفاه مدة طويلة فكتب إليه ابن المعتز :

قد جئتَنا مرةً ولم تَكَدِ فلم تزُرْ[3] بعدَها ولم تَعِدِ[3]
لست ترى واجداً بنا عِوَضا فاطْلُب وجَرِّب واستقصِ واجتهِدِ
ناوَلَنِى حبلَ وَصْلِه بيدٍ وهجْرَه جاذباً له بيدِ
فلم يكن بين ذا وذا أَمَدٌ إلا كما بين ليلةٍ وغَدِ

---

(١) وآذنى (أغانى — تجريد) .

(٢) ونحن إذا ما نالنا مس جفوة — أغانى ١٠ : ٢٨٦ .

(٣) فى الأغانى تعد بضم العين من عاد يعود ، والثانية بكسرها من وعد يعد .

ذكر عِملاق الملك وعَفيرة[1]

هى عَفِيرةُ بِنْت عِفار ، وقيل عَفيرةُ بنتُ عَبَّاد الجَديسيّة ويقال لها الشَّموس .

وعِملاق ملكُ طَسم بن لوذ[2] بن أزهر بن سام بن نوح .

وجديس بن عابر[3] بن إرم بن سام بن نوح .

وكانت منازلُهم فى موضع اليمامة ، وكان الظلم فى أيام عِملاق قد تمادى والغشمُ والشرهُ بغير الحق . وكانت امرأةٌ من جديس يقال لها هُزَيلة لها زوج يقال له قرقَس ، فطلقها وأراد أخذ ولدها منها ، فخاصمته إلى عملاق . وقالت : أيها الملك إنى حملته تسعا ، ووضعتُه دفْعا ، وأرضعته شفعا ، حتى تَمّتْ أوصاله ، ودنا فِصاله ، أراد أن يأخذه منى كَرْها ويتركنى من بعده وَلْهَى . فقال لزوجها : ما حجتك ؟ قال : حجتى ، أيها الملك ، أنى أعطيتُ المهر كاملا ، ولم أصبْ منها طائلا ، إلا وليدا خاملا ، فافعل ما كنت فاعلا . فأمر بالغلام أن يخرج منهما جميعا ويُجعلَ فى غلمانه . وقال لهُزَيْلة : ابغيه ولدا ، ولا تنكحى أحدا ، واجزيه صفدا ، فقالت هُزَيلة : أما النكاح فإنما يكون بالمهر ، وأما السفاح فإنما يكون بالقهر ، وما أرى فيهما من أمر . فلما سمع عملاق ذلك أمر أن تُباع [هى] وزوجها فيعطى زوجها خُمْس ثمنها وتُعْطَى هُزيلة عشر ثمن زوجها . فقالت هُزيلة :

أتينا أخا طَسْم ليحكم بيننا   فأنفذ حكما فى هزيلةَ ظالما

---

(١) أغانى ١١ : ١٦٤ ـ تجريد ٣ : ١٢٧٥ وفيهما : عفيرة وعمليق الملك ، وهى فى الأصل : عقيرة بالقاف وعملاق .

(٢) لاوذ بن إرم (أغانى) .

(٣) فى الأصل : عامر والتصويب (عابر بن إرم) من الأغانى .

لعَمْرِى لقد حُكِّمتَ لا متورعا ولا كنتَ فيمن يُبْرِمِ الحكمَ عالما
ندمتُ ولم أندم وأنّى لعَثْرَتى وأصبح بَعْلِى فى الحكومة نادما

فلما سمع عملاق قولها أمر ألا تزوجَ بِكْرٌ من جديس وتهْدَى إلى زوجها حتى يَفْتَرِعها هو قبل زوجها . فلقُوا من ذلك بلاءً وجهداً وذُلاً فلم يزل كذلك حتى زُوِّجَت الشَّموسُ وهى عَفِيرةُ بنت عَبّاد الجديسيّة ، أُختُ الأسودِ الذى وقع إلى جَبَلَىْ طَيِّئ فقتلته طيِّئ ، وسكنوا الجبلَ من بعده . فلما أرادوا حَمْلَها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عِملاقِ الملِك لينالها قبلَه ومعها القيان يتغنين ويقلن :

اِبْدَىْ بِعِمْليقٍ وقومِى واركَبِى وبادرى الصبحَ لأمرٍ مُعْجِبِ
فسوف تَلْقَيْنَ الذى لم تَطْلُبِى وما لِبِكْرٍ عنده من مَهْرَبِ

فلما دخلت عليه واقعها وخَلّى سبيلَها فخرجت إلى قومها فى دمائها شاقّةً دِرْعها من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ ، والدم يَبِينُ وهى فى أَقْبَحِ مَنْظر وهى تقول :

لا أحدٌ أذلّ من جَدِيسِ أهكذا يُفعلُ بالعروسِ (١)
لأَخْذَةُ الموتِ كذا بنَفْسِه خيرٌ مِنَ أَنْ يُفعَل ذا بعِرْسِه

وقالت تحرّض قومها :

أَيَجْمُل ما يُؤْتَى إلى فتياتكم وأنتم رجالٌ فيكمُو عددُ النمل
وتصبحُ تمشِى فى الديار عَفيرةٌ عفيرةُ زُفَّتْ فى النساء (٢) إلى بعل
فلو أننا كنَّا رجالا وكنتمو نساءً لكنا لا نُقِرُّ بذا الفعلِ
فموتوا كراماً أو أميتوا عدوَّكم ودِبُّوا لنار الحرب بالحطَبِ الجزْلِ

---

(١) بعده :

يرضى بهذا يالقَومى حُرُّ أهدَى وقد أَعطَى وسيق المَهْر

أغانى ١١ : ١٦٦

(٢) فى الدماء إلى البعل — تجريد ١٢٧٦ .

وإلا تخلوا بطنها وتحمَّلوا ... إلى بلد قفْرٍ وموتوا من الهُزْلِ
فَلَلْبَيْنُ خير من مُقامٍ على أذى ... وللموْتُ خيرٌ من مُقامٍ على ذُل
وإن أنتمو لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساءً لاتعابُ(١) من الكُحْل
ودونكمو طيبَ العَروس فإنما ... خُلِقْتم لأثواب العروس وللغِسْلِ(٢)
فبُعدا وسُحْقا للذى ليس دافعا ... ويختال يمشى بيننا مِشْيَةَ الفحل

وكان أخوها الأسودُ سيداً مُطاعاً ، فلما سمع مقالها ، قال لقومه : يامعشرَ جديس ، إن هؤلاء القومَ ليسوا بأعزَّ منكم فى داركم إلا بما كان من مُلْكِ صاحبهم علينا وعليهم ، ولولا عجزنا وإدهاننا(٣) ما كان له فضلٌ علينا وعليكم ، ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصَف ، فأطيعونى فيما آمرُكم به فإنه عزُّ الدهرِ وذهابُ ذُلِّ العمْر ، واقبَلوا رأيى. وكان قوْله(٤) قد أحمى جديسا فقالوا : نطيعك ، ولكن القومَ أكثرُ وأقوى حِمًى. قال : فإنى أصنعُ للقوم طعاما ثم أدعوهم إليه جميعا ، فإذا جاءوا يرفُلون فى الحُلل ثُرْنا إلى سُيوفنا ، وهم غارون(٥) فأهْمَدْناهم بها . قالوا : نفعل . فصنع لهم طعاما كثيراً ، وخرج بهم إلى ظَهْر بلدهم ، وأتى عملاقا(٦) يسأله أن يتغدى عنده هو وأهلُ بيته فأجابه. وخرج معه أهله يرْفُلون فى الحُلِيِّ والحُلَل حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم فشد الأسودُ على عملاق ، وكل رجلٍ منهم على رَجُلٍ حتى أبادوهم ، فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السِّفْلة ، فلم يدَعُوا منهم أحداً. فقال الأسود فى ذلك :

---

(١) فى الأصل : لا تعب

(٢) فى الأصل: للغل ، (والتصويب عن الأغانى) .

(٣) فى الأصل: واهدائنا . والإدهان : المصانعة واللين، مثل المداهنة .

(٤) فى الأصل : قولها . وهى فى الأغانى والتجريد : قوله ، والسياق يقتضيه .

(٥) غارون = غافلون .

(٦) عمليقا وسأله (أغانى) .

ذوق ببَغْيِكِ يا طَسْمُ مُجَـلِّلَةً ... فقد أتيتِ لعمرى أَعْجَبَ العَجَبِ
إنا أَتَيْنا فلم ننفل بقتلهمو[1] ... والبَغْىُ هَيَّجَ منا سَوْرَةَ الغَضَبِ
ولن يعــود علينا بغيُهم أبدا ... ولم يكونوا لدى أَنْفٍ ولا ذَنَبِ
فإن رَعَيْتم لنا قربى مُؤَكَّدَةً ... كنا الأقاربَ فى الأرحامِ والنَّسَبِ

ولجأ بقية طَسْمٍ إلى حسان بن تُبَّع فغزا جديساً فقتَلها وأَخْرَب بلادها ، فهرب الأسودُ قاتلُ عملاق وأقام بجبَلَىْ طَيِّئٍ قبل نزولِ طَيِّئٍ إياها ، وكانت طيئ تسكن الجرف من أرض اليمن ، وهى اليوم محل مراد وهمدان ، وكان سيدُهم يومئذ سامة ابن لُؤَى بن الغوث بن طيئ .

وكان الوادى مسبعة وهم قليل عددهم ، وكان يأتيهم بعيرٌ فى زمان الخريف ولا يرونه إلى قابل .

وكانت الأزد قد خرجت من اليمن أيام العَرِم، فلما هموا بالظَّعْن قالوا لأُسامة: إن هذا البعيرَ يأتينا فى كل خريف من بلد ريفٍ وخِصْب وإنا نرى فى بَعْرِه النوى، فلوأنا نَتَعَهَّدُه عند انصرافه ، فشَخَصْنا معه لعلنا نصيب مكاناً خيراً من مكاننا. فأجمعوا أمرهم على ذلك .

فلما كان الخريف جاء البعيرُ فضَرب فى إبلهم ، فلما انصرف احتملوا واتبعوه يسيرون [بسَيْرِه] حتى هبط على الجبَلَيْن فهجمت طيئ على الفحل فى الشِّعابِ فإذا هم برجل فى شِعْب مِن تلك الشعاب وهو الأسودُ قاتل عملاق فهالهم ماراًوا من عظم خِلْقته وتخَوَّفوه، ونزلوا ناحية من الأرض فاسْتَبَروها[2] هل يرون بها أحدا ، فلم يروا بها

---

(١) انا أبينا فلم ننفك نقتلهم .

(٢) استبروها : اختبروها من السبر وهو الاختبار، وفى الأصل: اسبروها .

أحداً غيره ، فقال أسامة[١] بن لؤى لابن له يقال له الغَوْث : إن قومَك قد عرفوا فضلَك عليهم ، ولو كفَيْتَنا هذا الرجلَ سُدْتَ قومَك آخرَ الدهر ، وكنتَ الذى أنْزَلْتَنَا هذا البلدَ . فأتى إلى الأسود فكلَّمَه وسألَه ، فعجب الأسودُ من صِغَر خَلْق الغَوْث وقال : من أين أقبلتم ؟ فقال : من اليمن . وأخبره خبر البعير ومجيئهم معه وأنهم رهبوا ما رأوا من عظم خَلقه وصِغَرهم عنه ، وشَغَلَه بالكلام ، ورماه الغوثُ بسهم فقتله . وأقامت طيء بالجبلين بعده ، فهم هناك إلى اليوم .

(١) كذا فى الأصل وفى التجريد — وقد سبق أن ذكر فى مواضع أخرى أن اسمه سامة من غير همز أوله (انظر ترجمة علي بن الجهم) .

ذكر عائشة بنت طلحة(١)

عائشةُ بنتُ طلحة بن عُبَيْد الله بن عُثمان بن عامر بن عَمْرو بن كعب بن سعد ابن تيم. أُمُّها أم كلثوم بنتُ أبى بكر الصديق، رضى الله عنه. كانت لا تَسْتُر وجْهَها من أحد، فعاتبها زوجُها مصعبٌ فى ذلك فقالت: إن الله تبارك وتعالى وَسَمَنى بِميسم الجمال، فأحببت أن يراه الناسُ ويعرفوا فَضْلى عليهم، وما كنتُ لأَسْتُرَه، ووالله ما فىَّ وصمةٌ يَقْدر أن يذكرنى بها أَحَد. وطالت مُرادَّةُ مُصْعبٍ لها.

وكانت شرسةَ الخُلُقِ، وكذلك نساء بنى تميم هنَّ أشرسُ خلق الله، وأحظاهن عند أزواجهن.

وكانت أمُّ إسحقَ بنتُ طلحةَ عنـد سيدنا الحسن بن علىّ، رضى الله عنهما. وكان يقول: والله لربما حَمَلَتْ ووضَعَتْ وهى مُصارِمَةٌ لا تـكلمنى.

آلَتْ عائشةُ من مُصْعَبٍ أن تُـكَلِّمَه، وقالت: أنت علىّ كظَهْرِ أُمِّى. وقعدتْ فى غُرفة، وهيأت لها ما يُصْلِحها، فجهد مصعبٌ أن تـكلمه فأَبَتْ، فبعث إليها ابنَ قيسِ الرقيّاتِ فَسَألَها كلامَه فقالت: كيف بيمينى؟ فقال: الشعبىُّ فقيهُ العراقِ فاستَفْتيه. فدخل عليها فأخبَرَته. فقال: ليس هذا بشىء، فقالت: ما تخرجُ خائبا. وأمرت له بأربعة آلاف درهم.

وقال ابن قيس الرقيات لما رآها:

إنَّ الخليطَ قد أُزمعوا تَرْكِى ... فوقفتُ فى عَرَصاتِهم أبْـكِى

---

(١) الأغانى ١١ : ١٧٦ (دار الـكتب) والتجريد ٣ : ١٢٧٩ ـ مهذب الأغانى ٦ : ١٧٣

جِنّيّةٌ بَرَزَتْ لتقْتُلَنى(١) مَطْلِيّةُ الأثواب(٢) بالمسك
عجبـــا لمثلِكِ لا يكونُ له خَرْجُ العراق ومِنْبَرُ المُلْكِ

وقيل إن مُصْعبا لما غَضِبَتْ عليه عائشةُ أنْفَذَ إليها أشْعَبَ فقال له أشْعَب(٣) : ما لى إن رَضِيَتْ؟ قال : حُكْمك. قال : عشرة آلاف درهم . قال : هى لك . فأتاها ، فقال : جعلتُ فداكِ قد علمتِ حُبى لك ومَيْلى قديما وحديثا إليك من غير منالة(٤) ولافائدة، وهذه حاجة قد عَرَضَتْ تَقضين بها حَقِّى . قالت : وما هى ؟ قال : قد جعل لى الأميرُ عشرةَ آلاف درهم إن رَضِيتِ عنه . قالت : ويحك ! لا يمكننى ذلك . قال : بأبى أنت وأمى إرضَىْ عنه حتى يُعطيَنى المــال ، ثم عودِى إلى ما عَوَّدَكِ الله من سُوء الخلق . فضحكت منه ، ورضيت عن مصعب ، وأخذ أشعبُ المالَ .

كان بالمدينة امرأة يقال لها عزةُ الميـلاء تألفها الأشرافُ وغيرهم من أرباب المروءات . وكانت من أظرف الناس، وأعلمهم بأمور النساء ، فأتاها مصعبُ بن الزبير، وعبدُ الله بنُ عبـد الرحمن بن أبى بكر ، وسعيد بن العاص ، فقالوا : إنا خَطَبْنا فانْظُرى لنا . فقالت لمصعب : يا أبا عبد الله ومَن خَطَبْتَ ؟ قال : عائشة بنت طَلحة . قالت : فأنت يا ابنَ أُحيحة . قال : عائشة بنت عثمان بن عفان . قالت : فأنت يا ابن الصديق . قال : أم الهيثم بنت زكريا بن طَلحة . فقالت: يا جارية هاتى مَنْقَلَىَّ، تعنى خُفَّيْها ، فلبستهما ، وخرجت ، ومعها خادم لها ، فبدأت بعائشةَ بنتِ طلحة ، قالت : فديتك ، كنا فى مَأْدُبَة أو مأْتمٍ لقريش ، فتذاكروا جمال النساء ، وخَلْقَهُنَّ فذكروكِ ، فلم أَدْرِ كيف أَصِفُك ، فأَلْقِى ثيابَك ، ففعلت ، فأقبلت وأَدْبَرَتْ فارْتَجَّ

(١) لتقتلنا (تجريد) .
(٢) الأقراب (تجريد) وهى جمع قرب بالضم : الخاصرة ، والجمع للتوسع .
(٣) فى الأصل : فقال لأشعب ، والسياق غير هذا .
(٤) فى الأصل: مقالة .

كلُّ شيء منها . فقالت لها عَزَّة : خذى ثوبَك ، فَدَيْتُك . فقالت عائشةُ : قد قضيتُ حَقَّك وبَقِي حَقِّى . قالت عزة : وما هو ؟ قالت عائشة : تغنينى صوتا، فغنتها :

خليلى عُوجا بالمحلة من جُمْل ... ...

فقامت عائشة فقبّلت بين عينيها ودعت لها بعشرةِ أثوابٍ وطرائفَ من أنواع الفِضة فأخذتها ، وأتت النسوةَ على مثل ذلك . وأتت القوم فى السَّقيفة ، فقالوا : ما صنعتِ ؟ فقالت : يا ابن أبى عبد الله ، أما عائشةُ فلا والله ما رأيت مثلَها مُقبلةً ولا مدبرةً ، محْطوطةُ المَتْنَيْن ، عظيمةُ العَجُز ، ممتلئة التَّرائب ، نقيّة الثَّغْرِ وصفحة الوَجْه ، فرعاء الشَّعْر ، ممتلئةُ الصدر ، خميصةُ البطن ، ذات عُكَن[1] ، ضخمةُ السُّرَّة يرْتَجّ ما بين أعلاها إلى قدميها ، وفيها عيبان ؛ أحدُهما يواريه الخمارُ ، والآخر يواريه الُخفُّ — أى عظيمةُ القدَمِ والأُذُنِ .

ثم قالت عزة : وأما أنت يا ابن [أبى] أُحَيْحَة ، فإنى والله ما رأيت مثل خَلْق عائشة بنت عثمان لامرأةٍ قط ، ليس فيها عيب ، كأنما والله أُفرِغَت إفراغا ، ولكنّ فى الوجه رَدَّةً[2] وإن استشرْتَنى أشرتُ عليك ، قال : هاتى . قالت : عليك بوجه تستأنس به .

وأما أنت يا ابنَ الصِّدِّيق ، فوالله ما رأيت مثل أُم الهيثم كأنها خُوطُ بانٍ[3] تَثَنَّى ، أو كأنها جانٌّ يتثنى على رَمْل ، ولو شئت أن تَعْقِد طرَفَاها لفعلْت فإنها شَخْتَةُ[4] الصدر وأنت عريضُ الصَّدْر فإن كان كذلك كان قبيحا ، لا واللهِ حتى يملأ كلُّ شىء مثلَه .

قال : فوصلها الرجالُ والنساء وتزوّجوهن .

---

(١) العكن جمع عكنة وهو ما انطوى وتثنى من لحم البطن .
(٢) يقال فى الوجه ردة : أى قبح مع شىء من الجمال .
(٣) الخوط : الغصن الناعم .
(٤) فى الأصل: سخيفة والتصويب عن الأغانى ١١ : ١٧٩ .

وكانت عائشة بنتُ طلحة تُشَبَّه بخالتها عائشةَ أُمِّ المؤمنين رضى الله عنها .

وكانت عائشة قد زوَّجَتْها لعبدِ الله بنِ عبد الرحمن بن أبى بكر ، وهو ابن أخيها، وابن خال عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عُذْرَتِها ، ولم تلد من أحد من أزواجها إلا منه . ولدت له عِمرانَ وبه كانت تُكْنَى، وعبدَ الرحمن، وأبا بكر ، وطلحة ، ونفيسة تزَوَّجها الوليدُ بن عبد الملك وكُلُّهم أَعْقَب ، وكان ابنُها طلحةُ أجودَ أجواد قريش وله يقول الحزين[1] الدِّيلىّ :

فإن تك يا طَلْحُ أعطيتنى عُذَافِرةً[2] تستخفُّ الضِّفارا
فما كان نفعُك لى مَرَّةً ولا مرّتين ولكن مرارا
أبوك الذى صدّق المصطفى وسار مع المصطفى حيثُ سارا
وأُمك بيضاء تيْميَّةٌ إذا نُسِبَ الناسُ كانت نُضارا

فصارمت عائشة زوجها عبد الله ، وخرجت من داره غضبى ، عليها مِلْحَفَة تريد عائشة أمَّ المؤمنين ، فرآها أبو هريرة فسبَّح الله وقال : سبحانَ الله ، كأنها من الحور العين، فمكثت عند عائشةَ قريبا من أربعه أشهُر ، وكان زوجها قد آلى منها ، فأرسلت عائشة : إنى أخاف عليك [الإيلاء][3] ، فضمها إليه فقيل له : طلقها، فقال من أبيات :

وإن فراق أهل بَيْتٍ أُحِبُّهم لهم زلفةٌ عندى لإحدَى العظائمِ

فتوفى عبد الله بعد ذلك ، وهى عندَه فما فتَحَتْ فاها عليه ، فكانت عائشة أم المؤمنين تعُد هذا عليها فى ذنوبها التى تُعَدِّدُها .

---

(١) فى الأصل: الحسن بن الدئلى، وما أثبتناه عن الأغانى ١١ : ١٧٩ .

(٢) العذافر بالضم : العظيم الشديد من الإبل .

(٣) الزيادة عن التجريد .

ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير ، فمهرها خمسمائة ألفِ درهم ، وأهدى لها مثلَ ذلك ، فبلغ ذلك أخاه عبدَ الله . فقال : إن مصعبا قدّم أيْرَه وأخر خَيْرَه . فبلغ قوْلُه عبدَ الملك بن مروان. فقال : لكنه هو أخَّر أيره وأخَّر خيرَه ، فكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب يُؤَنِّبه على ذلك ، ويقسم عليه بأن يلحق به إلى مكة ، وكان لا ينزلُ بالمدينة ، ولا ينزل إلا البَيْداء . وقال له : إنى لأرجو أن تكون الذى يُخْسَفُ[1] به بالبيداء ، فما أمرتك نزولها إلا لهذا ، فصار إليه وأرضاه من نَفْسِه فأمسك عنه .

وكان مصعبُ بن الزبير لا يقدر عليها إلا بتَلاحٍ ينالُها منه وبضَرْبها، فشكا ذلك إلى أبى فَرْوة كاتبه . فقال له : أكفيك هذا إن أذِنْتَ لى . قال : نعم ، افعل ماشئت، فإنه أفضل شىء تناله فى الدنيا . فأتاها ليلا ومعه أسودان فاستأذن عليها فقالت له : أفى مثلِ هذه الساعةِ ؟ قال : نعم، فأدخلته. فقال للأسودَين: احفرا هنا بئرا ، فقالت له جاريتها: وما تصنع بالبئر؟ قال: شؤم مولاتك[2]، أمرنى هذا الظالمُ أن أدفِنَها حيةً ، وهو أسفكُ خَلْقِ الله لدَمٍ حرام . قالت عائشة : فأَنْظِرْنى أذهبْ إليه . قال : هيهات لا سبيل إلى ذلك . وقال للأسودين : احفرا ، فلما رأت الجدَّ منه بكت ، وقالت : يا ابن أبى فروة إنك لقاتلى[3] قال : نعم ، وإنى لأَعْلَم أن اللهَ ، عز وجل ، سيَجْزيه بعدكِ ، ولكنه قد غضب ، وهو كافرُ الغضب ، قالت : وفى أى شىء غضبُه ؟ قال: من امتناعِك عليه ، وقد ظن أنك تُبْغِضينه وتتطلعين إلى غيره ، فقد جُنَّ . فقالت: أَنْشُدُك اللهَ إلا عاودْتَه . قال : أخاف أن أُقتل ، فبكت وبكى جواريها ، فقال : قد رققتُ إليك ، وحلف لها أنه يُغَرِّر بنفْسِه . وقال لها : فما أقول ؟ قالت : تَضْمَنُ عنى

(١) فى الأصل : تخف والصواب عن الأغانى والمهذب
(٢) فى الأصل : مواليك (تجريد) .
(٣) فى الأصل : لتأتلى .

أنى لا أعودُ أبدا. قال : فما لى عندك ؟ قالت : قيامى بحَقِّك ما عشتُ. فأخذَ المواثيقَ عليها ، وقال للأسودين : مكانَكما ، وأتى مُصعبا فأخبره . فقال : استوثق منها بالأَيْمان ، قال : قد فعلت . وصلحت بعد ذلك لمصعب .

ودخل ، يوما عليها ، مصعب وهى نائمة ، ومعه ثمانى لؤلؤاتٍ قيمتُها عشرون ألفَ دينار ، فأنبهها و نَثَر اللؤلؤَ فى حِجْرها ، فقالت له : نومتى كانت أحبَّ إلى من هذا اللؤلؤ .

وكان مصعب من أشد الناس إعجاباً بعائشة ، ولم يكن لها شبيه فى زمانها حُسْنا ودَمَاثةً وجمالا وهيأةً وشارةً وعِفَّةً .

وإنها دعت نسوة من قريش يوما ، وأجلستهن فى مجلس ، قد نضد فيه الريحانُ والفواكهُ والطيبُ والمِجْمَرُ ، وخلعتْ على كل امرأة منهن خِلْعةً من الوَشْى والحبر ونحوها ، ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضْعَفَته لها ثم قالت لعزة : هاتى ياعزّ فغنينا ، فغنتهن لامرئ القيس :

وثَغْرٍ أغرَّ شتيتِ النباتِ   لذيذِ المُقَبَّلِ والمُبْتَسَم
ومـا ذُقْتُه غيرَ ظَنٍّ به   وبالظن يَقْضِى عليك الحَكَم

وكان مصعب قريبا منهن ومعه إخوانٌ له فقام حتى دنا منهن والستور مسبلة فصاح بهـا : يا هذه إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت فبارك الله فيك يا عزة .

ذكر عَلُّويَه[1]

هو عليّ بنُ عبدِ الله بن سَيْف .

وكان جده سيفٌ من الصُّغْدِ الذين سباهم الوليدُ بن عثمان بن عفان ، واسترَقّ منهم جماعة ، اختصَّهم بخدمته ، وأعتق بعضَهم ولم يُعْتِق الباقين ، فقتلوه .

وقيل : إنه من أهل يثربَ ، مولًى لبنى أميـة ، وكنيته أبو الحسن .

كان مغنيا حاذقا وضاربا متقدما مع خفة رُوح وطيبِ مُجالسة ومَلاحَة نوادر .

غنى لمحمد الأمين ، وعاش إلى أيامِ المتوكل ، ومات بعد إسحاق المَوْصلى بمدة يسيرة .

وكان سببُ موتِه أنه خرج عليه جَرَبٌ فشـكاه إلى يحيي بن ماسَوَيْه فبعث إليه بدواءٍ مُسْهِلٍ وطلاءٍ فشربَ الطلاءَ واطّلى بالدواء فقتله ذلك .

وكان الواثقُ يقول : غناء عَلُّويه مثل نقر الطَّسْت ، يبقى ساعة فى السمع بعد سكوته . وكان مع هذا أعْسَر . وكان عودُه مطربا فى يد غيره . البَمّ أسفلُ الأوتار ، والمثلثُ فوقَه ، والمثنى فوقه ، والزِّيرُ فوقَه . وكان العود فى يده اليمنى ، ويضربُ باليسرى .

كان عبد الله بن محمد الخَلَنْجِيّ القاضى بن أُخت عَلُّويه المغنى وكان تيّاها صَلِفاً ، فتقلد فى خلافة الأمير قضاءَ الشَّرقية[2] وكان يجلس إلى أُسطوانة من الأساطين فيستند إليها بجَميع جسده ، فإذا جاءه الخَصْمان ترك الاستناد حتى يفصل بينهما ،

---

(١) أغانى (دار الكتب) ١١ : ٣٣٣ .

(٢) الشرقية : محلة بغربى بغداد ، شرقى باب البصرة (مراصد) .

ثم يَعود إلى حالته . فعمد بعض المُجّانِ إلى رُقْعة من الرِّقاع فألصقها فى موضع ذَنَبته بالدِّبْق[١] ومكن منها الدبق . فلما جاء وقعد وجلس إليها على عادته والتصقت ذَنَبَتُه بالدِّبْق تقدم إليه خصمان ، فأقبل عليهما على عادته بجميع جسده فانـكشَفَ رأسُه وبقيت الذَّنَبَةُ ملصوقة فقام الخلنجيّ مُغْضبا ، وعلم أنها حيلة وقعت عليه ، فغطى رأسه بطيلسانه ، وقام وانصرف وتركها مكانها حتى جاء بعض أعوانه فأخذها .

وقال فيه الشعراء :

إنّ الخلَنْجيَّ من تَتايُهِهِ أثقــلُ بادٍ لنــا بطَلْعَتِهِ
يصالح الخصمُ من يُخاصِمُه خوفا من الجَوْر فى قَضيتهِ
لو لم تُدَبِّقْه كَفّ قانِصِه لطار تيهــا على رَعيتهِ

واشتهرت الأبيات والقصة فى بغـداد ، وعمل له علويه حكايةً أعطاها بعضَ المُخَنَّثِين ، فأخْرجوه فيها ، وكان علويه يعاديه لمُنازعةٍ كانت بينهما ، ففضحه ، فاستعفى الخلنجيّ من القضاء ببغداد ، وسأل أن يولَّى بعضَ الـكُوَرِ البعيدة فوُلِّيَ جندَ دِمشقَ أو حِمْص . فلما ولى المأمون الخلافة غنّاه علويه بشعر الخَلَنْجيّ :

برئتُ من الإسلام إن كان ذا الذى أتاكِ به الواشون عَنِّى كما قالوا
ولـكنهم لـــا رأوكِ غَرِيَّةً بهَجْرى تواصوا بالنميمة واحتالوا
وقد صِرتِ أُذنا للوشاة سميعةً ينالون من عرضى ولو شئتِ ما نالوا

فقال له المأمون : مَن يقول هـذا الشعر ؟ قال : قاضى دمشق ، فأمر بإحضاره ، فوصل وجلس المأمون للشرب ، وأحضر علويه ودعا بالقاضى فقال : أنشدنى قولك :

برئتُ من الإســلام ... ...

(١) الدبق : غراء أخضر اللون ينشر على قضبان توضع فى الأشجار فينخدع الطير بها ويجثم عليها فتلصق به .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه أبيات قلتها منذ أربعين سنة ، وأنا صبى ، ووالذى أكرمك بالخلافة ، وورَّثك ميراثَ النبوة ، ما قلت شعراً من عشرين سنة إلا فى زهد أو عتاب صديق ، فقال له : اجلس، فجلس فناوله قدحَ نبيذ كان فى يده ، وقال له : اشرب، فأرْعَد وَبكى وأخذَ القدح من يده ، فقال : والله ياأمير المؤمنين ما غيرتُ الماء بشىء قط مما يُخْتَلفُ فى تَحليله. فقال: لعلك تريد نبيذ التمر أو الزبيب ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئا منهما ، فأخذ القدح من يده وقال: أَمَ والله لو شربتَ شيئا من هذا لضربتُ عنقك ، ولقد ظننت أنك صادق فى قولك كله ولكن لا تتولى لى القضاء أبداً لأنك رجل بدأ فى قوله بالبراءة من الإسلام ، انصرف إلى منزلك . فانصرف وأمر علويه فغير الكلمة وجعل مكانها : حُرِمْتُ مرامى منك .

كان علويه يوما يغنى بين يدى الأمين فغنى فى بعض غنائه :

ليت هنداً أنجزَتنا ما تَعِد وشَفَت أنفسَنا مما تجد

وكان الفضلُ بن الربيع يَطْعن عليه أشياء ، فقال للأمين : إنما يُعَرِّضُ بك ويستبطىء المأمونَ فى محاربَتِه إياك ، فأمر به فضرب خمسين سوطا ، وجُر برِجْله حتى أُخرج ، وجفاه مدة حتى ألقى نفسه على كَوْثر فتَرَضَّاه له ، وأقره على خدمته ، وأعطاه خمسةَ آلاف درهم. فلما قدم المأمون تقرب بذلك إليه ، فلم يقع بحيث يحب . وقال: إن الملكَ بمنزلة الأَسَدِ أو النَّارِ فلا تتعرضْ لما يغضبه ، فإنه ربما جرى عليك ما يُقْلِقُك ولا تَقْدِر بعد ذلك على تلافِى ما فَرَط منك. ولم يعطه شيئا .

ومثلُ هذه الحكاية ما حكاه إسحاق الموصلى ، قال : دخلت يوما على الأمين فرأيته مُغْضَباً كالِحاً ، فقلت : ما لأمير المؤمنين تمم الله سرورَه ولا نَغَّصه ؟ قال : أغاظنى أبوك ، لارحمه الله ، والله لو كان حيا لضربته خمسمائة سوط ، ولولاك لنَبَشْتُ عظامه ، وأحرقتها فى قبره . فقمت على رِجْلَىَّ ، وقلت : أعوذ بالله من سُخْطِك

يا أمير المؤمنين ، ومن هو أبى ؟ وما مقـداره حتى تغتاظ منه ؟ وما الذى أغاظك ؟ فلعلى أعذر عنه . قال : شدةُ محبَّتِه للمأمون وتقديمُه علىّ حَتى قال فى الرشيد شعراً يُقَدِّمُه فيه علىّ وغناه فيه ، وغُنيتُه الساعة ، فأفقد منى هـذا الغيظَ . فقلت : والله ما سمعت بهذا قط ، ولا لأبى غِناء إلا وأنا أرويه ، فما هو ؟ قال : قوله :

أبو المأمونِ فينـــا والأمينِ ‏ ‏ له كَنَفَانِ من كرمٍ ولِينِ

فقلت : يا أمير المؤمنين ، لم يُقدِّم المأمون فى هذا لتقديمه إياه ، ولا لتفضيله فى الموالاة ، ولـكن الشعرَ لم يصح له وزنُه إلا هكذا . فقال : ينبغى له إذا لم يصح له إلا هكذا أن يَدَعَه إلى لعنة الله. فلم أزل أُداريه حتى سَـكَت ، فلما قدم المأمون سألنى عن هذا الحديث ، فحدثته به فجعل يضحك ويعجب منه .

قال عبد الله بن طاهر : لو خُيِّرتُ لونا من الطعام لاخترتُ الدُّراجة[1] لأنى إن زِدْتُ فى خَلِّها صارت سِكْباجةً[2] ، وإن زدتُ فى مائها صارت إسْفيدبَاجَة ، وإن زِدْتُ فى تَشْبيطها صارت مُطَجَّنة[3] . ولو اقتصرتُ على رَجُلٍ واحد لاقتصرتُ على عَلُّويه ؛ لأنه إن حدّثنى ألهانى ، وإن غنانى أشجانى ، وإن رجعت إلى رأيه كفانى .

قال علويه : أمرنى المأمونُ يوما أن نُبا كِرَه ليَصطبح ، فلقينى عبدُ الله بن إسماعيلَ المراكبى ، مولى عَريب ، فقال : أيها الظالم المعتدى ، أما ترحم ولا تَرِقُّ ؟ عريب

---

(١) الدراج : ضرب من طير العراق أسود باطن الجناحين وظاهرها أغبر ؛ على خلقة القطا إلا أنه ألطف. وفى الأصل : الدحراجة.

(٢) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل .

(٣) مطجنة : مقـلوة بالطاجن وكانت الـكلمة فى الأصل تقرأ (اسطمحه)، وماأثبتناه عن الأغانى : ٣٤٢ .

هائمةٌ من الشوق إليك ، تدعو الله وتستحكمه عليك ، وتحلُمُ بك[1] فى يومها وليلتها ثلاث مرات ، قال علويه : فقلت : أَمْرُ الخلافة[2] ومضيتُ معه ، فحين دخلت عليها ، قلت : استوثقوا من الباب فإنى أَعْرَفُ الناسِ بفضولِ الحجابةِ ، وإذا عريبٌ جالسةٌ على كرسى تطبخ ثلاثَ قدورٍ من دجاج ، فلما رأتنى قامت ، وعانقتنى ، وقبلتنى ، وقالت : أىَّ شىء تشتهى ؟ فقلت : قدراً من هذه القدور ، فأفرغت بينى وبينها قِدْراً ، فأكلنا ، ودعت بالنبيذ فصَبَّت رطلا ، فشَرِبَتْ نصفه وسقتنى نصفه ، فما زلت أشرب حتى كدتُ أسكر . فقالت : يا أبا الحسن ، غنيت البارحةَ فى شعرٍ لأبى العتاهية فأعجبنى فاسمعه وأصلحه ، وغنت :

عَذيرِى من الإنسانِ لا إنْ جَفَوْتُه ... صفا لى ، ولا إن صِرْتُ طَوْعَ يديهِ
وإنى لمشتاقٌ إلى ظِلِّ صاحبٍ ... يَرِقُّ ويصفو إن كَدُرْتُ عليهِ

فقالت : قد بقى فيه شىء ، فلم أزل أنا وهى حتى أصلحناه ، ثم قالت : أختارُ أن تغنى أنت أيضا فيه لحنا ، ففعلت ، وجعلنا نشرب على اللحنين مليا ، ثم جاء الحُجَّاب ، وكسروا الباب ، واستخرجونى ، ودخلتُ على المأمون ، وأقبلت أرقصُ من أقصَى الإيوان ، وأُصفق وأُغنى الصوت ، فسمع المأمون والمغنون ما لم يعرفوه فاستظرفوه ، وقال المأمون : ادْنُ يا عَلُّويه ورُدَّه ، فرددته سبع مرات ، فقال لى فى آخرها عند قول الشاعر :

... ... يرقُّ ويصفو إن كدرت عليه

يا علويه خذ الخلافةَ وأعطنى هذا الصاحب .

قال علويه : قال لى إبراهيم الموصلى يوما : إنى صَنعتُ صوتا، وما سمعه منى أحد،

---

(١) فى الأصل : وتحكمه والتصويب عن الأغانى وفيه (نومها) مكان يومها ١١ : ٣٤٦ .
(٢) فى الأغانى (أم الخلافة زانية) .

وقد أحببت أن أنفعَك به وأرفعَ منك ، بأن أُلْقيَه عليك وأهَبَه لك ، ووالله ما فعلتُ هـــذا بإسحاق قط ، وقد خصصتك به فانقله وادَّعِه ، فلست أَنْسُبه لنفسى ، وستكسب به مالا .

فألقى علىَّ فى شعرِ حاتمٍ الطائى :

إذا كان لى نَفْسَان يا أُمَّ مالك فإن لجارى منهما ما تَخَــيَّرَا

فأخذته عنه ، وادّعيته ، وسترته ، طول أيام الرشيد والأمين ، خوفاً من أن أُتهم فيه ، فلما حدث ما حدث وقدم المأمونُ من خراسانَ كان يخرج إلى الشماسيّة[1] دائما يتنزّه ، فركبت يوما فى زَلَّال[2] وجئت أَتبعه فرأيت حرّاقة[3] علىّ بن هشام فقلت للملاح : اطرد زَلَّالِى على الحرّاقة ، ففعل ، واستؤذن ، فدخلتُ ، وهو يشرب مع الجوارى ، وما كانوا يحجبون جوارِيهم ، فغنيته الصوت فاستحسنه جدًّا وطرب عليه ، وقال : لمن هذا ؟ فقلت : هذا صوت صَنَعْته وأهديته لك ، ولم يسمعه أحد قبلك ، فازداد به عجبا وطربا ، وقال لجواريه : خُذْنَه عنــه ، فألقيته عليهن حتى أخذنه فسرّ بذلك وطرب ، وقال : ما أجد لك مكافأة على هذه الهدية إلا أن أتحوّل عن هذه الحرّاقة بما فيها وأُرسِلَها إليك . فتحوّلَ إلى أُخرى وسُلِّمَتْ إلىّ بما فيها ، وجميع آلاتها ، فبعت من ذلك بمائة وخمسين ألف درهم ، واشتريت به ضيعتى الصالحية .

كان المعتصمُ يوما يشرب ، والخيل تُعْرَضُ عليـه ، فعُرِض عليه فرسٌ كميتٌ أحمرُ لم يُرَ مثلُه ، وبين يديه علويه ومخارق فتغامزا على الفرس فغنى علويه :

---

(١) الشماسية : صحراء كانت فى أعلى بغداد .

(٢) الزلال : ضرب من الزوارق .

(٣) الحراقة : السفينة فيها مرامى نيران يرمى بها العدو .

إذا ما شربوها وانْتَشَــوْا وهَبُوا كلَّ جــوادٍ وطِمِرّْ

فتغافل عنه ، فغَـنَّى مخارق :

يهب البِيضَ كالظباءِ وجُرْدًا تحت أَجْلالها وعُنْسَ الركابِ

فضحك ثم قال : اسكتا يا ابنى الزوانى فليس يملِـكه أحدٌ منـكما .

ثم دار الدور فغنى علويه :

وإذا ما شَربوها وانتشوا وهبوا كل بِغالٍ وحُمُرُ

فضحك وقال : أما هذا فنعم . وأمر لأحدهما ببغل والآخر بحمار .

قال محمد بن محمد الأبزارى : كنت عند زليهدة[1] النخاس ، وكانت عنـده جارية ، يقال لها خشف ، ابتاعها من علويه ، ومعنا رجل هاشمى من ولد عبد الصمد ابن علىّ يقال له عبـد الصمد ، وإبراهيم بن عمر بن نَهْبُون وكان يحبها ، وأعطى زليهدة فيها أربعةَ آلاف درهم ، فلم يبعها منه وبقيت عنده ، حتى توفيت ، فغنتنا أصواتا ، ونحن عندها فى رمضان فـكان من غنائها :

أشارتْ بطرفِ العين خيفةَ أهلِها إشارةَ محزونٍ ولم تتـكَلَّمِ

فأيقنت أن الطَّرْفَ قد قال مَرْحبا وأهلا وسهلا بالحبيبِ المُتَيَّمِ

وأبرَزْتُ طَرفِى نحوَها لأُجيبهَا وقلت لها قَوْلَ امرئٍ غيرِ مُعْجِمِ

هنيئاً لـكم قَتْلى وصَفْو مودتى وقد سِيطَ فى لَحْمِى هواكم وفى دَمِى

ثم وثَبْتُ للانصرافْ ، فقال : قد اشتد الحر ، فأقيموا عندى ، فوجهت غلاما معى ، وأعطيته دينارا ، وقلت له : ابتع لنا فراريج بعشرة دراهم ، وثلجا بخمسة دراهم ، وعزمنا على الإفطار عندها ، فلما جاء الغلام بالفراريج والثلج دفعه إلى زليهدة ، وأمرناه بإصلاح الفراريج ألوانا ، وكتبتُ إلى علويه فعرَّفْتُه خبرنا فجاء ، وأقام معنا ،

(١) فى الأغانى : زلبهزة ١١ : ٣٥٣ وجاء فى الأصل مرة زليهده ومرة زلهدة .

وجاء العشاء ، وأفطرنا عند زلهدة وشرب منا من استخار الشرب ، وغنى علويه ، وقام عبدالصمد ليبول ، فقال علويه : كلُّ شيء عرفت معناه ، أما أنت فصديق الجماعة ، وهذا يتعشق هذه ، وهذا مولاها ، وأنا ربّيتُها وعلمتها ، وهذا الهاشميُّ [أيشٍ معناه؟ فقلت لهم :](١) دعونى أحكّهُ وآخذ لزلهدة منه شيئا. فقال: والله لا أريد منه شيئا فقال له: أنت أحمق، أنا آخذ منه شيئا لا يستحى القاضى من أخذه. قال: إن كان هذا فنعم. فقال: إذا جاء عبدُالصمد فقل لى : ما فعل الآجُرُّ الذى وعدتنى به ، فإن حائطى قد مال، وأخاف أن يقع ، ودعنى والقصة. فلما جاء الهاشمى قال لى زلهدة ما أمرته به. فقلت: ليس عندى آجر ، ولكن اصبر حتى أطلبَ لك من بعض أصدقائى ، وجعلت أنظر إلى الهاشمى نظرَ مُتعَرِّضٍ به. قال الهاشمى : يا غلامُ دواةً ورقعةً ، فأحضرَ ذلك ، فكتب له بعشرة آلاف آجرة إلى مُعاملٍ له ، وشربنا حتى السحور ، وانصرفنا . فجئت برقعته إلى الآجرى ، ثم قلت له : بِكَمْ تبيع الآجر؟ قال : بسبعة وعشرين درهما الألفُ . قلتُ : بكم تشتريه [منى]؟ قال بنقصانِ ثلاثة دراهم فى الألف. قلت : هات ، فأخذت منه مائتين وأربعين درهما ، فاشتريت بها نبيذاً وفاكهة ولحما وثلجا ودجاجاً بأربعين درهما ، وأعطيت زلهدة مائتى درهم ، وعرفتُه الخبَر ، ودعونا علويه والهاشميَّ ، وأقمنا عند زلهدة ليلتنا الثانية فقال علويه: الساعة كما عرفت معنى الهاشمى(٢) .

جرى حديثُ المأمونِ يوما عند علويه فقال : كدتُ ، علم الله، أَهْلك على يده دفعة ، لولا أن الله عز وجل سلمنى، ووهب لى حِلْمه. فقيل له : كيف كان السبب ؟ فقال : لما خرج إلى الشام كنتُ معه فدخلنا إلى دمشق ، وطفنا فيها ، وجعلنا نطوف قصور بنى أمية ، وتتبع آثارهم ، فدخلنا صحنا من صحونهم ، وإذا هو مفروشٌ بالرخام الأخضر

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى ١١ : ٣٥٤ .

(٢) فقال علويه : نعم الآن صار للهاشمى عندكم موضع ومعنى (أغانى) ١١ : ٣٥٤ .

كلُّه وفيه بركةُ ماءٍ يدخل إليها الماء ويخرج منها ، وعين تَصُبُّ إليها ، وفي البركة مسمار ، وبين يديها بستان ، على أربع زواياه أربعُ سرَوات[1] ، كأنها قصت بمقراض ، ماروُى أحسن من التفافها ، قدًّا وقدْرًا. فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح وقال : هاتوا لى الساعةَ طعاما خفيفا. فأُتى ببَزْماورد[2] فأكل ودعا بالشراب ، وأقبل علىّ وقال : غنني ونَشِّطْنى . فكأن الله عز وجل أنسانى كل غِناءٍ أعرفه إلا هذا الصوتَ لعبيد الله بن قيس الرقيات :

لو كان حَوْلِي بنــو أُميــة لم ... تنطقْ رجالٌ أراهمو نَطقوا

من كل قَرْمٍ مَحْضٍ ضرائبُه ... عن مَنْكِبَيْه القميص يَنْخَرِقُ

فنظر إلىّ مغضبا وقال : عليك وعلى بنى أُمية لعنةُ الله ، ويلك! ألم يكن لك وقتٌ تذكر فيه بنى أُمية إلا هذا الوقت تُعَرِّضُ بى ؟ فتجلدت عليه ، وعلمت أنى قد أخطأت ، فقلت : أتلومنى على أن أذكر بنى أُمية ؟ هذا مولاكُم زرياب عندهم يركب فى ثلاثمائة مملوك ، ويملك ثلاثمائة ألف دينار ، سوى الضياع والخيل والرقيق ، وأنا عندكم أموت جوعا . فقال : ألم يكن لك وقت تُذَكِّرُنى به نَفْسَك غير هذا ؟ قلت : هكذا حضر فى حين ذَكَرْتُهمْ . فقال : اعدل عن هذا ، وتنبه وغَنِّ. فأنسانى الله عز وجل كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت فى شعر عمرو الوادى :

الحَينُ ساق إلى دمشق ومــا ... كانت دمشق لأهلنـا بلدا

قادتك نَفْسُك فاستَقَدْتَ لها ... ورأيتَ أَمْرَ غوايــةٍ رَشَــدا

فرمانى بالقدح فأخطأنى وانكسر القَدَح ، وقال : قم إلى لعنة الله وحَرِّ سَعيره. وقام فركب ، فكانت تلك الحال آخرَ عهدى به حتى مرض ومات .

---

(١) السروة : واحدة السرو وهو ضرب من الشجر حسن الهيئة قويم الساق .

(٢) البزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلى بالزبد والبيض ـ أو هو الرقاق الملفوف باللحم .

قال علويه : كنت أحفظ خمسةَ آلاف صوت وأغنى ، والله ، أكثر من ذلك ، ذهب الجميعُ عنى حتى كأنى لم أعرف غـــيرَ ما غَنَّيْته. ولقد ظننت أنه لو كانت لى ألفُ رُوحٍ ما نَجَتْ لى واحدةٌ منها ، ولـكنه كان حليما وكان فى العمر بقية .

قال إسحٰق بن إبراهيم: دعانى الرشيد لما حج ، فقال: صر إلى موضع كذا وكذا من المدينة فإن هناك غلاما مجنونا يغنى صوتا حسناً وهو :

هما فتاتانِ لَمَّا يَعْرِفا خُلُقى وبالشباب على شَيْبى يَدُلَّان

كلٌّ الفَعال الذى يَفْعَلْنَه حسنٌ يُضْنِى فؤادى ويُبْدِى سِرَّ أشجانى

بل أحذَرَا صولةً من صَوْلِ شَيْخِكُما مهلا عن الشيخ مهلا يا فتاتان

وله أم فَصِرْ إليها . وأَقِمْ عندها ، واحْتَل أن تأخذه منه ، قال : فجئت أستدل حتى وقفت على بابها ، فخرجت إلىَّ فوهبت لها مائتى درهم . وقلت: أُريد أن تحتالى لى على ابنِك حتى آخذَ منـه الصوتَ الفلانى . فقالت : نعم ، وأدخلتنى إلى منزلها وأمرتنى فصعدت إلى عِلِّيَّـةٍ لها ، فلم ألبث أن جاء ابنها . فقالت له : ياسليمان فَدَتْك أُمك قد أصبحتُ اليومَ حاسرةً مهمومةً فأُحب أن تغنينى :

هما فتـــاتان ... ...

فقال لها : ومتى حدث لك هذا الطرب ؟ قالت : ما طربت ، ولـكنى أحببت أن تُفَرِّجَ من همى. فاندفع فغناه . فمارأيت أحسن من غنائه . فقالت له أُمه : فديتك قد كَشَفْتَ قطعة من همى ، فأسألك أن تعيده ، فقال : لا ، والله ما بى نشاط ، ولا أشترى هَمِّى بفرحِك . فقالت له : أعده مرتين ولك درهم صحيح تشترى ناطفا[1] ، فقال : من أين لك درهمٌ ؟ ومتى حدث لك هذا الطرب والسخاء ؟ فقالت: هذا فضول لا تحتاجُ إليه. وأخرجت إليه درهما وغناه مرتين فدار لى وكاد يستوى . فأومأت إليها من فوق

---

(١) الناطف : ضرب من الحلوى يقال لها القبيطى .

أن تستزيده ، فقالت له : بحقى عليك يا بنى إلا أَعَدْتَه . فقال : أظنك تريدين أن تأخذيه وتَصِيرى تُغَنِّينه ، قالت : نعم ، هكذا هوفقال : لا وحق القبر لا أَعَدْتُه إلَّا بدرهم آخر . فأخرجت الدرهم فأخذه وقال : أظنك قد تزندقتِ وعَبَدْتِ الكَبْشَ فهو يَنْقُدُ لكِ هذه الدراهمَ أو قَدْ وجدتِ كنزا ، فغناه مرتين ، فأَخَذْتُه واستوى لى ، ثم قام فخرج يعدو على وجهه ، فجئت الرشيد فغنيته وأخبرته القصة فضحك وأمر لى بألفى دينار[1] وقال : هذه عِوَضُ مائتى الدرهم .

ثم غناه إسحق بعد ذلك بين يدى الرشيد ، فطرب وأمر له بألف دينار ، فقال له ابن جامع ، وكان أحسدَ الناس : اسمع غناءَ العُقلاء ودَعْ غناء المجانين ، وغنى :

ولقد قالت لأَتراب لهـــا كالمَهَا يَلْعَبْنَ فى حُجْرَتِها
خُذْنَ عنى الظِّلَّ لا يَتْبَعُنى وعَــدَتْ تَسْعَى إلى قُبَّتِها

فطرب وأمر له بألفٍ وخمسمائة درهم، ثم تغنى:

يمشون فيها بــكل سابِغَةٍ أُحْـكِمَ فيها القتيرُ والحَلَقُ

فاستحسنه وأمر له بخمسمائة دينار، ثم تغنى علويه:

وأرى الغوانى لا يواصلن امرأً فَقَدَ الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمردا

فدعا به الرشيد وقال : يا عاضَّ كذا وكذا من أمه ، تُغَنِّى فى مدح المُرْدِ وذَمِّ الشِّيبِ ، وستارتى منصوبة ، وقد شِبْتُ كأنك تُعَرِّضُ بى . ثم دعا بمسرور وقال: اضربه ثلاثين دِرّة[2] ولا يرد إلى مجلسه ، ففعل ذلك . ولم ننتفع بالرشيد بقيــةَ يومنا ولا انتَفَع بنفسه ، وجفا علويه شهراً ، ولا أذن له حتى سألناه فيه فأذن له .

---

(١) بألف دينار (أغانى) ١١ : ٣٦٢ .

(٢) الدرة : السوط يضرب به .

عبد الله بن الحَشْرج[1]

هو عبدُ الله بن الحَشْرج بن الأشهب[2] بن وَرْد بن عَمْرو بن ربيعة بن جَعْدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن .

كان سَيِّدًا أميرا ، وَلِيَ أكثر أعمال خراسان وفارس وكرمان.

وكان جواداً مُمَدَّحا . وفيه يقول زياد الأعجم :

إذا كنتَ مرتاد السما خير رائد　　فسَائِلْ تُخَبَّرْ عن ديار الأشاهب

نسبة إلى الأشهب جده .

وفى بنى الأشهب يقول النابغة الجعدى :

أبعــد فوارسِ يومِ السَّدِ　　فِ أُمْسِى وبَعْدَ بنى الأشْهَبِ

وكان أبوه الحشرج سيداً شاعراً ، وأميراً كبيراً .

وكان غلب على قُهسْتان[3] فى أيام المسَيّب بن أبى أوفى القُشَيْرى فقتلَ الحشرجَ وأخذ قُهستان .

وكان عمُّه زياد بن الأشهب أيضا سيداً شريفاً .

وكان قد صار إلى أمير المؤمنين ، علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ليصلح بينه وبين معاوية ، على أن يُوَلِّيه الشام ، فلم يجبه ، وفى ذلك يقول نابغة بنى جعدة يعتَدّ على معاوية :

قام زيادٌ عنــد باب ابن هاشمٍ　　يريد الصلاحَ بينـكم ويُقَرِّبُ

---

(١) أغانى ١٠ : ١٤٤ ـ مهذب ٤ : ١٩٦ .

(٢) فى الأصل الأشيب والتصويب عن الأغانى ـ المهذب .

(٣) ويقال قوهستان : قصبة من قصبات خراسان .

جاء قدامة بن الأحرز إلى عبد الله بن الحشرج وهو بقهستان فدخل عليه وامتدحه بأبيات ، فأعطاه أربعةَ آلاف درهم . وقال : اعذرنى فإنى فى حالةٍ اللهُ بها عليمٌ من كثرة الطلابِ، وأنت أحق مَنْ عذرنى. فقال : والله لو لم تُعْطنى شيئا مع ما أعلمه من جَهْل رأيك فى عشيرتك ، ومن انقطع إليك لعذرتك ، فكيف وقد أجزلت العطاء وأرغمت الأعداء ؟

وقال عبد الله بن الحشرج فى ابن عم له يعاتبه :

أَطِلْ حَمْلَ الشناءة لى و بُغْضى   وعِشْ ما شئتَ فانظُر مَن تضير
فما بيديك خيرٌ أَرتجيه   وغَيْرُ صدودِك الخطبُ الكبير
إذا أبصرْتنى أعرضتَ عــنى   كأن الشمس من قِبَلى تدور
وكيف تعيبُ مَن يمشى إليه   فقيرٌ حــين تَحْزُبُك الأُمور
ومن إن بعتَ منزلةً بأُخرى   حللت بأَمْرِه وبه بشير

أعطى عبدُ الله بن الحشرج بخراسان ، حتى أعطى مِنشفة كانت عليه ، وفراشه ولحافه ، فقالت امرأتُه: ماأشدَّ ما تلاعبَ بك الشيطان ، فصرتَ من إخوانه مُبذِّرًا كما قال الله عز وجل « إن المُبَذِّرين كانوا إخوانَ الشياطين » فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعةَ بن دوَى ــ وكان صديقاله وأخاً ــ ألا تسمعُ إلى ماتقول هذه النُّوكَى ، وماتتكلم به؟ فقال : صَدَقَتْ وبَرَّتْ، إنك لمُبَذِّرٌ وإن المُبَذِّرين إخوانُ الشياطين . فقال عبد الله ابن الحشرج :

سأجعل مالِى دونَ عِرْضى وقايةً   من الذَّمِّ إن المال يَفْنَى ويَنْفَدَ
ويُبْقِى لىَ الجودُ اصطناعَ عشيرتى   وغيرهمو والجودُ عِزٌّ مُخلَّدُ
ومُتَّخِذٍ ذنباً علىَّ سماحَتِى   بمالِى ونارُ البخلِ بالذمِّ تُوقَدُ
يَبيدُ الغِنَى والحمدُ ليس ببائدٍ   ولكنه المرء فضــلٌ مُؤَكَّدُ

ولا شيءَ يَبْقَى للفتى غيرُ جوده بما ملكت كفَّاه والقومُ شُهَّدُ
ولائمةٍ فى الجودِ نهنهتُ غَرْبها وقالت لها يبنى المكارمَ أحمَدُ
فلما ألَحَّتْ فى الملامةِ واعترتْ بذلك غَيْرى واعتراها التبلُّدُ
عَرَضْتُ عليها خَصْلتين سماحتى وتطليقَها والكف عنّى أرْشَدُ
فلَجَّتْ وقالت أنت غاوٍ مُبَذِّرٌ قرينُك شيطانٌ مريـــد مُفَنِّدُ
فقلت لها بينى فما فيك رغبةٌ ولى عنك فى النسوان ظِلٌّ ومَقْعَدُ
وعيشٌ أنيقٌ والنساء معادنٌ فمنهن غُلّ ضُرُّها يتجدَّدُ
لها كلَّ يوم فوقَ رأسى عارضٌ من الشر بَرَّاقٌ مدى الدهرِ سَرْمَدُ
وأخرى يلذُّ العيشُ منها ضجيعُها كريمٌ يغاديها من الطير أسعدُ
فيارا حلا حُرًّا اخذ القصدَ واترك الـ بلايا فإن الموت للناس موعِدُ
فعش واحداً واترك مقالة لائم (١) يلومك فى بذل الندى ويفنِّدُ
وجُدْ باللُّهى إن السماحة والندَى هى الغايةُ القُصْوى وفيها التمجُّدُ
وحسبُ الفتى مجداً سماحةُ كفِّه وذو المجد محمودُ الفَعالِ مُحَسَّدُ

فقالت له امرأته : والله ماوفَّقَك اللهُ لحظك، أنهبتَ مالك وبذَّرْته وأعطيته فلانا وفلانا ، ومن لا تدرى من أى هاوية هو ، فغضب وطلَّقها . وكان لها محبا فعنَّفه حنظلة بن الأشهب ابنُ عمه وقال له : نَصَحَتْك فكافأتها بالطلاق . فوالله ما وُفِّقْت لرُشْدك ولا نلتَ حظك ، ولقد خاب سعيك بعدها عند ذوى الألباب ، فهلّا مضيت لطيَّتِك ورجعت على مَبْدَئك ولم تلتفتْ إلى امرأة من أهل الجَهالة والطيش لم تُخْلَق للمشورة ولا يمثل رأيها يُهْتَدَى وإنّما خُلقت للباءة ، وإن الرَّشَد واليُمْنَ فى خلاف المرأة . فقال له الحشرج يخاطب حنظلة ويمدح بها محمد بن مروان :

(١) ناعما (مهذب) وعاذل مكان (لائم) .

أحنظلُ دع عنك الذى نال مالَه ... ليَحْمَدَه الأقوامُ فى كل مَحْفِـل
فـكم من فقير بائسٍ قد جَبَرْتَه ... ومن عَائل أغْنَيْتَ بعد التَّعَيُّـلِ
ومن مُقْرِفٍ عن مَنْهَجِ الحق جائرٍ ... علوتَ بمَضْبِ ذى غِرارين[1] مفصل
فمثلك قد عاصيتُ دهراً ولم أكن ... لأسمعَ أقوال اللئيم المُبَخَّـــل
أبَى لى جَدِّى البخلَ مذ كنت يافعا ... صغيرا ومن يَبْخَل يُلَمْ ويُضَلَّل
ويستغْنِ عنه الناسُ فاركب مَحَجَّةَ الـ ... ـكرام ودع ما أنت عنه بمعزِل
ومستحمق غاوٍ أتَتْه نذيرتى ... فَلَجَّ ولم يعرف مَعَرَّة مقْولى
نفحت ببيت يملأ الفم شَارِدٍ ... له خبرٌ كأنه غير مقول
وليـل دجوجى كأن ظلامــه ... بناجية كالريح وجناء عيهل
إلى ملك من آل مروان ماجد ... كريم المُحَيَّا سيدٍ متفضِّل

---

(١) الغرار : حد السيف .

عبد الله بن جعفر الطيار[1]

[حدثنا أحمدُ بن محمد بن سعيد : قال أخبرنا يحيي بن الحسن ، قال : بلغني أن أعرابيا وقف على مروان بن الحكم ، أيام الموسم بالمدينة يسأله ، فقال : يا أعرابي ما عندنا][2] ما نَصِلك به ، ولكن عليك بابن جعفر ، فأتى الأعرابيُّ بابَ عبد الله ابن جعفر ، فإذا بغلة بالباب عليها متاعها ، وسيف مُعَلَّق ، فخرج عبد الله من داره فأنشده الأعرابي :

أبو جعفر من أهل بيتِ نُبُوَّةٍ ... صلاتهمُ للمسلمين طَهورُ
أبا جعفر ضَنَّ الأميرُ بماله ... وأنت على ما في يديك أميرُ
وأنت امرؤ في هاشمٍ من صميمِها ... إليك يصير المجدُ حيث تصيرُ
أباجعفرٍ ما مثلُك اليومَ أرتَجي ... فلا تتركَنِّي في الفلاة أدُورُ

فقال : يا أعرابي [سار الثقلُ][3] فدونَك الراحلةَ وما عليها ، وإياك أن تُخْدَع عن السيف ، فإني أخذتُه بألفِ دينار . فأنشأ الأعرابي يقول :

حباني عَبْدُ الله نَفْسِي فداؤُه ... بأعْيَسَ موّار سِباطٍ مشافِرُه
وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهابٌ بدا والليلُ داجٍ عَساكِرُه
وكلُّ امرئٍ يرجو نوالَ ابنِ جَعْفر ... سيُجْزَى له باليُمْنِ واليُسْرِ[4] طائِرُه

---

(١) أغاني ١٢ : ٢١٥ ـ تجريد : ١٤٠٦ .

(٢) ما بين القوسين بياض في الأصل وما أثبتناه هو صدر الخبر المروى ووصل لما أنقطع (أغاني ١٢ / ٢١٧) .

(٣) ما بين القوسين يوضح المعنى ويتفق مع السياق ، وهي عن الأغاني وجاءت الثقل بدل كلمة (البغل) في الأصل .

(٤) والبشر (أغاني) .

فياخيرَ خَلْقِ الله نَفْساً ووالدا　　وأكْرَمَه للجارِ حِينَ يُجاوِرُه
سأُثْنِى بماجاوَرْتَنى (١) ياابنَجعفرٍ　　وما شاكرٌ عُرْفا كمن هو كافِرُه

جاء شاعر إلى عبد الله بن جعفر فأنشده :

رأيت أبا جعفر فى المنام　　كسانى من الخزِّ دُرَّاعه
شكوت إلى صاحبى أمْرَها　　فقال سَتُؤْتى بها الساعَه
سَيَكْسُوكَها الماجدُ الجَعْفَرِىُّ　　ومَنْ كَفُّه الدَّهْرَ نَفَّاعه
ومن قال للجود لا تَعْدُنى　　فقال له السمعُ والطاعه

فقال عبد الله لغلامه : ادفع إليه دراعتى الخز ، ثم قال له : كيف لم تَرَ جُبَّتى المنسوجةَ بالذهب التى اشتريتُها بثلاثمائة دينار ، فقال له : دعْنِى أُغْفِى غَفْوةً أُخرى لعلى أراها فضحك منه ، وقال يا غلام : ادفع إليه جُبَّتى الوَشْى .

كان أهلُ المدينة يتداينون بَعضُهم من بعض إلى أن يأتى عطاء عبد الله بن جعفر .

قال ابن سيرين : جَلَبَ رجلٌ إلى المدينة سُكَّراً فكَسَد عليه . فقيل له : لو أهْدَيْتَه إلى عبد الله بن جعفر ، ليقْبَلَنّه منك ، وليعطينّك الثمن ، فأتى ابن جعفر ، فأخبره ، فأمره بإحضاره فبُسِطَ ثم أمر به فنُثِر ثم قال انتَهِبوه . فقال صاحِبُه: جعلت فداك ، آخذُ معهم قال : نعم ، فجعل الرجل يَهِيلُ فى غرارة . ثم قال له عبد الله : كم ثمنُ سُكَّرِك ؟ قال : أربعةُ آلاف درهم . فأمر له بها فأخذها . ثم قال الرجل : إن هذا لا يَعْقِلُ أَخَذَ أم أَعْطَى ، لأُطالِبَنّه بالثمن ، ثم غدا عليه فقال : أصلحك الله ثمنُ سُكَّرِى فأطرق ابنجعفر مَلِيّا ثم قال : يا غلام أعْطِه أربعةَ آلافِ درهم، فأعطاه إياها ثم غدا عليه فقال: أصلحك الله ثمنُ سُكرى فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال : يا غلام أعْطِه أربعةَ آلاف درهم ، فلما ولى ليقبضها قال له عبد الله : يا أعرابىُّ هذه تمام اثنى عشرَ ألف درهم، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله.

(١) بما أوليتنى .

وروى مثل هذا عن أعرابى باع راحلته من عبد الله ، وعاوده فى ثمنها ثلاثا ، وهو يأمر له به : فقال له الأعرابى :

لاخيرفى المُجْتَدِى فى الحين(١) يسألُه ... فاستَمْطِروا من قريش كل مُخْتَدع

تخالُ فيه إذا حاورته بلَهاً ... من جُودِه وهو وافى العقل والوَرَعِ

وروى هذا الشعر لابن قيس الرقيات

لما وَلِىَ عبدُ الملك الخلافة جفا عبدَ الله بن جعفر فراح يوماً إلى الجمعة ، وهو يقول : اللهم إنك عوّدْتنِى عادةً جريتُ عليها فإن كان ذلك قد انقضى ، فاقبضْنى إليك ، فتوفى بعد الجمعة الأُخرى وهو ابن تسعين سنة فى عام ثمانين بالجحّاف ، وهو سيل كان بمكة ، أجْحَفَ بالناس ، فذهب بالإبل عليها الحُمُول .

وكان والى المدينة أبانَ بن عثمان ، وصلى عليه أبانٌ وشهده أهلُ المدينة كلُّهم .

وكان رحمه الله مأوى المساكين وملجأَ الضعفاء فما تَنْظُر إلى ذى حجاً إلا رأيته مستعبراً قد أظهر الجزَع والهلعَ عليه .

فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان على شَفِيرِ القبر (٢) وقال : رحمك الله ياابن جعفر ، فوالله إنك كنت لرَحِمك وصولا ، ولأهل الشر مُبْغِضا ولأهل الريبة قاليا ، ولقد كنتَ فيما بينى وبينك كما قال الأعشى :

رَعَيْتَ الذى [قد] كان بينى وبينكم ... من الوُدِّ حتى غَيَّبَتْك المقابر

فرحمك الله يومَ ولدتَ ، ويوم كنت رجلا ، ويوم مت ، ويوم تبعث حيا ، والله إن (٣) كانت هاشمٌ أُصيبتْ بك ، لقد عم قريشا كلها هُلْكُك ، فما يُظَنُّ أن يُرَى بعدك مثلك

---

(١) فى الأصل (الحب) والتصويب عن الأغانى ١٢ : ٢٢٠ .

(٢) فى الأصل المنبر والتصويب عن الأغانى .

(٣) لئن (أغانى) .

وقام عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق فقال : لا إله إلا الله، الذى يرث الأرض ومن عليها ، وإليه ترجعون . ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر ، وما أقبح[1] ما أصبح بعدك ، والله لو كانت عينى دامعة على أحد لدمعت عليك . كان والله حديثُك غيرَ مشرب بكذب وودُّك غير ممزوج بكدر .

فوثب ابن المغيرة بن نوفل فقال يا عمرو بمن [تعُرِّض]؟[2] بمزج الود شَوْب الحديث أَفَبابْنَىْ فاطمة رضى الله عنهما ؟ فهُما والله خير منك . فقال : على رسلك ، أردت أن أُدخلك معهم ، هيهات لستَ هنالك ، والله لو مت أنت، ومات أبوك ، ما مدحت ولا ذممت ، فتكلم بما شئت فلست واجدا مجيبا فما هو إلا أن سمعهما الناس يتكلمان إذ حجزوا بينهما وانصرفوا .

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات فى علة عبد الله التى مات فيها :

بات قلبى تشفه الأوجاع ... من هموم تُجِنُّها الأضلاع
من حديث سمعتُه مَنَع النو ... مَ فقلبى مما سمعتُ يُراعُ
إذ أتانا بما كَرِهنا أبو اللَّسْلاَ ... سِ كانت بنفسه الأوجاع
قال ما قال ثم راح سريعا[4] ... أدركت نفسه المنايا السراع
قال يشكو الصداع وهو سقيم ... بك لا بالذى عَنيت الصداع
ابن أسماء لا أبالك تعنى ... إنه غير هالك نفاع

(١) ما أسمج (أغانى) .
(٢) ما بين القوسين عن الأغانى .
(٣) فى الأصل اللباس وما أثبتناه عن الأغانى ج ١٢ : ٢٢٢ .
(٤) فى الأصل : (قال ما كان من أراح سريعا . .) وما أثبتناه عن الأغانى والمهذب .

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار (1)

[هو عبد الله بن معاويةَ بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف] وأُمُّ معاويةَ بنِ عبد الله بن جعفر أُمُّ ولد ، ولم يكن فى ولد عبد الله مثلُه. ولما ولد معاوية كان أبوه عبد الله عند معاوية ، فأتاه البشير بذلك ، وعرف معاويةُ الخبرَ فقال له: سَمِّه معاوية، ولك مائةُ ألف درهم ، ففعل وأعطاه المالَ فأعطاه عبدُ الله الذى بَشَّرَ به .

قال المدائنى: وكان عبد الله بنُ جعفر لا يؤدب ولده ، ويقول : إن يرد الله بهم خيرا يتأدبوا ، فلم يَنْجُب فيهم غيرُ معاوية .

كان معاويةُ بن عبد الله صديقا ليزيد بن معاوية ، فسمى ابنه يزيد معاوية أيضا .

ولما حضرت عبدَ الله الوفاةُ دعا ابنه معاوية ، فنزع شَنْفاً (2) كان فى أُذنه وأوصى (3) إليه ، وفى ولده من هو أسنّ منه ، وقال له : إنى لم أزل أُؤَهِّلك لها ، فلما توفى احتال لدين أبيه حتى قضاه ، وقسّم أموال أبيه بينه وبين وَلَدِه ، ولم يستأثر عليهم بشىء .

وأم عبدِ الله بن معاوية أُمُّ عون ، وهى أسماء بنتُ عياش (4) بن أبى ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب ، وعياش ممن رَوى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وشهد معه حنينا ، وثبت معه فيها .

---

(1) الأغانى ١٢ : ٢١٥ وما بين القوسين عنه وهو بياض فى الأصل .

(2) الشنف : القرط .

(3) فى الأصل : وأفضى : والتصويب عن الأغانى ١٢ / ٢٢٥

(4) ويقال : بنت عباس (أغانى) .

وكان عبدُ الله من فتيان بنى هاشم وأجوادهم وشعرائهم ، ولم يكن محمودَ المذهَبِ فى دِينه ، وكان يُرْمَى بالزندقة ، واستولى عليه من يُعْرَفُ بها . استخدم عمارة ابن حمزة كاتبا ، وكان زِنديقا ، ونادم مطيعَ بن إياس ، وكان زنديقا مأبونا ، ونادم شخصا يعرف بالبقلى ، وإنما سمى بذلك لأنه كان يقول الإنسان كالبَقل ، فإذا مات لم يَرْجِع ، فقتله المنصور لما ولى الخلافة ، [وكان هؤلاء الثلاثة خاصته](١) وكان له صاحبُ شُرْطة يقال له قيسٌ وكان دهْرِيًّا لا يؤمن بالله تعالى ، معروفا بذلك ، وكان يَعس(٢) بالليل فلا يَلْقى أحداً إلا قتله ، فدخل على ابن معاوية يوما فقال :

إن قَيْساً وإن تَقَنَّعَ شَيْبا ... لخبيثُ الهوى(٣) على شَمَطِه

ابنُ تسعين منظراً ومَشِيبا ... وابنُ عَشْرٍ بعدُ فى سَقَطِه

وأقبل على ابن مطيع فقال له : أَجِزْ ، فقال :

وله شُرْطَةٌ إنأَجَنَّه الليلُ ... فعوذوا بالله من شُرَطِه

وكان ابنُ معاوية أقسى خلقِ الله قَلْباً ،كان يأمرُ بالرجل فيُضرب بالسياط ويتغافلُ عنه بالحديث حتى يموت ، تحت الضرب ، وضرب رجلا فجعل يستغيثُ ولا يلتفت إليه . فقال له : يا زنديق! أنت الذى تزعم أن الله يوحِى إليك؟ فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات .

وغضب يوما على غلام وهو فى غُرْفة له بإصبهان ، فأمر أن يرمى به منها إلى أسفل، ففعل به ذلك فسقط وتعلق بدرابزين كان على الغرفة ، فأمر فقطعت يده التى تعلق بها، ومر الغلام يهْوِى إلى الأرض فمات .

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٢) عس يعس : طاف بالليل .

(٣) فى الأصل : لحبيب .

وخرج بالكوفة فى آخر أيام مروان ، ثم انتقل منها إلى نواحى الجبل ، ثم إلى خراسان فقتله أبو مسلم هناك .

وكانت كنيةُ عبد الله بن معاوية أبا معاوية .

وكان عبدُ الله بنُ معاوية قدم زائراً ومستميحا لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فتزوج بالكوفة بنت الشَّرْقِيِّ بن عبد المؤمن بن شبث[١] بن رِبْعى الرياحى ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بنى أمية ، وقالوا له : أنت أحق بهذا الأمرِ ، واجتمع له جماعة ، فلم يشعر عبد الله بنُ عمر إلا وقد خرج عليه ، وبايَعَه[٢] جماعةٌ من أهل الكوفة ولم يجتمع أهل المصر كلهم عليه ، وقالوا له : ما فينا بقية وقد قُتِل جمهورُنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بقصد فارس ، ونواحى المشرق ، فجمع جموعا وخرج معه عبد الله بن العباس التميمى ، ودس ابن عمر إلى رجل من أصحاب عبد الله بن معاوية يقال له [ابن][٣] حمزة وعَدَه بمواعيدَ على أن ينهزم عنه ، وتنهزم الناس بانهزامه ، فبلغ ذلك عبدَ الله بن معاوية ، فذكره لأصحابه وقال لهم: إذا انهزم [ابن] حمزة فلا يهولنَّكُم ذلك ، فلما التقوا انهزم [ابن] حمزة وانهزم الناس معه فلم يبق غيرُ عبد الله بن معاوية وحده ، فجعل يقاتل وحده ويقول :

تَفَرَّقَتِ الظباء على خراش[٤] فما يدرى خَراش ما يَصيد

ثم ولى وجهه منصرفا ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحى من أجابه ، حتى صار فى عِدَّةٍ وغَلَب على مياه البصرة ، وماء الكوفة[٥] ، وأقام هو بإصبهان ،

---

(١) شبث (تجريد) ١٤١١ .

(٢) فى الأصل : مانعه .

(٣) زيادة (ابن) عن التجريد والأغانى .

(٤) خداش (التجريد) .

(٥) فغلب على ماه الكوفة وماه البصرة (تجريد) ـ وماه الكوفة : الدينور ، وماه البصرة: نهاوند .

وكان الذى أخذ له البيعة بفارس محارب[1] بن موسى ، مولًى لبنى يشكر ، فدخل دار الإمارة بنَعْلٍ ورداء ، واجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة . فقالوا: عَلَامَ نُبايع ؟ فقال : على ما أحببتم وأردتم[2] . فبايعوه على ذلك .

وكتب إلى سائر الأمصار يدعو إلى نفسه ، لا إلى الرضا، واستعمل أخاه الحسنَ على إصْطَخر ، وأخاه يزيد على شيراز ، وأخاه عليا على كِرْمان وأخاه صالحا على قُمٍّ ونواحيها ، وقَصَدَهُ بنو هاشم جميعا ، منهم السفاحُ والمنصورُ وعيسى[3] بن على ، ووجوه بنى أُمية : سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وعمرو بن سهل بن عبد العزيز ابن مروان ، فمن أرادصِلَتَه وَصَلَه، ومن أراد عملا ولَّاه، ولم يزل مقيما بهذه النواحى حتى وَلِىَ مروانُ بن محمد الحمارُ ، فوجه إليه عامرَ بن ضُبَارَةَ فى عسكر كثيف ، فسار إليه حتى قرب من إصبهان ، فندب ابنُ معاوية أصحابَه للخروج لقتاله ، فلم يفعلوا ، فخرج هو وإخوته على دَهَشٍ ، قاصدين خراسان وقد خرج أبو مسلم بها ، ونفى عنها نَصْرَ بن سَيّار ، فلما صار إلى بعض الطريق نزل على رجل من التنّاء[4] ذى مروءة ونعمة وجاه فسأل [ذلك الرجل] ابنَ معاوية . فقال له : أنت من ولد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . قال : فأنت إبراهيمُ الإمام[5] الذى يُدْعى إليه بخراسان؟ قال: لا. قال: فلا حاجة لى فى نُصْرَتِك، فخرج إلى أبى مُسْلم فحبسه عنده، وجعل عنده عَيْناً عليه يرفع إليه أخبارَه ، فرَفَعَ إليه أنه يقول : ليس على وجه الأرضِ أحمقُ من أهل خراسانَ ، فى طاعتهم لهذا الرجل ، وتسليمِهم مقاليدهم إليه ،

---

(١) فى الأصل محمد وما أثبتناه عن الأغانى والتجريد .

(٢) وكرهتم (تجريد) .

(٣) فى الأصل : موسى وما أثبتناه عن الأغانى والتجريد .

(٤) التناء جمع تانئ وهو الدهقان زعيم فلاحى العجم أورئيس الإقليم .

(٥) فى الأصل ابن الإمام والتصويب عن الأغانى والتجريد .

من غير أن يراجعوه فى شىء ، أو يسألوه عنه ، والله ما رضيَت الملائكةُ بهذا ، من الله عز وجل ، حتى راجعوه فى آدم عليه السلام ، فقالوا : « أتجْعَلُ فيها من يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدماء » حتى قال لهم « إنى أعْلَمُ مالا تعلمون » .

ثم كتب عبدُ الله بن معاوية إلى أبى مسلم يَسْتَعطفه برسالته المشهورة ، التى يقول فيها : إلى أبى مسلم من الأسير فى يده بلا ذَنْب إليه ، ولا خِلافٍ عليه ، أما بعد فإنك مُسْتَوْدَع ودائع ومُوَلَّى صَنائعَ . وإن الودائعَ مَرْعِيَّةٌ ، وإن الصنائع عارِيةٌ ، فاذكر القصاصَ واطلب الخلاصَ ، وأنبِه للفكر قَلْبَك ، واتق الله ربك ، وآثِر طاعَتَه فيا يلقاك أبدًا(١) ، فإنك لاقٍ ماأسْلَفْتَ وغيرُ لاقٍ ماخَلَّفْتَ . فلما قرأ كتابه رمى به ، ثم قال : لقد أفسد علينا أصحابَنا وأهلَ طاعتِنا ، وهو محبوس فى أيدينا ، فلو خرج ومَلَكَ أَمْرَنا لأهْلَكَنا . ثم أمضى تدبيرَه فى قَتْلِه ، وقيل دَسَّ إليه سَمًّافات منه ، ووجه برأسه إلى ابن ضُبارة ، فحمله إلى مروان .

ولما قاتل مروانُ عبدَ الله بن على بقربِ الزَّابِ سأل عنه ، فقيل : هو الشابُّ المُصْفَرُ(٢) الذى كان يَسُبُّ عبدَ الله بنَ معاوية يوم جىء برأسه إليك ، فقال : والله لقد هَمَمْتُ بقتله مراراً ، كل ذلك يحال بينى وبينه ، وكان أمر الله قدراً مقدورا .

ومن شعر عبدالله بن معاوية فى صديق له يقال له قُصَىٌّ بن ذكوان ، وكان قد عتب عليه فقال :

رأيت قُصَيًّا(٣) كان شيئـــا مُلَفَّفاً ... فَمَحَّصَه التكشيفُ حتى بدا لِيا

فلا زاد ما بينى وبينك بعـــد ما ... بَلَوْتُك فى الحـــاجات إلا تمـــاديا

---

(١) غدا .
(٢) المصفر (تجريد) وفى الأصل الأصفر .
(٣) حسينا (أغانى) ١٢ : ٢٣٣ .

وعين الرضا عَنْ كُلِّ عيب[١] كليلةٌ ولكن عينَ السخطِ تُبْدى المساويا
وأنت أخى ما لم يكن لى حاجةٌ فإن عَرَضَتْ أيقنتُ أن لا أخا ليا

وقيل : إن هذه الأبيات قالها الحسين بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكانا متصافيين[٢] فتهاجرا وأن أولها :

وإن حسينا كان شيئا ملففا ... ...

ومن شعره :

إذا افتقرت نفسي قَصَرْتُ[٣] افتقارَها عليها فلم يَظْهَرْ لها أبداً فَقْرِى
وإنْ تَلْقَنى فى الدهر مندوحة الغِنى يكن لأَخِلاَّئى التوَسُّعُ فى اليُسْرِ
فلا العُسْرُ يُزرى بى إذا هو نالنى ولا اليسرُ يوما إن ظَفِرْتُ به فَخْرِى

قال إبراهيمُ الموصلى : بينا نحن عند الرشيد ، أنا وابنُ جامع ، وعمرو الغزَّال إذ قال صاحبُ الستارة لابن جامع : تَغَنَّ فى شعر عبد الله بن معاوية ، ولم يكن ابن جامع يُغَنِّى فى شيء منه ، فأُرْتِجَ عليه وفَطِنْتُ لما أراد من شعره ، فلما رأيت ما حَلَّ به اندفعتُ فغنيت فيه :

ألا تنزَعُ القلبَ عن جَهْلِه وعما تُؤَنَّبُ من أَجْلِه
فأُبْدِلَ[٤] بعد الصبا حِلْمَه وأَقصرَ ذو العذلِ عن عَذْلِه
فلا تَرْكَبَنَّ[٥] الصنيعَ الذى تلومُ أخاكَ على فِعْلِه
ولا يُعْجِبَنَّك قولُ امرئ يخالف ما قال فى فِعْلِه
ولا تُتْبِعِ الطرفَ ما لا تنال ولكن سَلِ اللهَ من فَضْلِه

---

(١) فى الأصل : سخط .
(٢) فى الأصل : وكانا متضافين فيها خيرا ، والتصويب عن الأغانى .
(٣) فى الأصل : فضرب .
(٤) تبدل (تجريد) .
(٥) فى الأصل : تتركن — مثله : (مكان فعله) .

فكم من مُقِلٍّ ينال الغِنَى ... ويحمُدُ فى رزقـــه كلِّه

يهيم بجُمْـلٍ وما إن يرى ... له من سبيـــل إلى جُمْلِه

كأن لم يكن عاشقاً قبلَه ... وقدعشِقَ الناسُ مِن قَبْلِه

فمنهم مَن الحبُّ أودى به ... ومنهم [من] اشفَى على قَتْلِه

فإذا يد قد رَفَعَتِ الستارة فنظر إلىّ وقال : أحسنتَ والله فأعِدْ ، فأعَدْتُه ، ففعل ذلك ثلاث مرات ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً ، فدعا صاحبُ الستارة غلاما فـكلمه ، فمرّ الغلامُ يسعى فإذا بَدْرَةُ دنانير ، قد جاءت يحملها فرّاشٌ ، فوضعت تحت فَخِذِى اليُسْرى ، وقال لى : اجعلها تـكاءك ، فلما انصرفنا قال ابن جامع : هل كنت وضعتَ لهذا الشعر غناءً قبلَ يومك ؟ قلت : ما من شعرٍ قيل فى الجاهلية والإسلام يدخلُ فى الغناء إلا وضعتُ له لحنا خوفاً من أن ينزل بى مانزل بك. فلما كان المجلس الثانى وحضرنا قال صاحبُ الستارة : يا ابن جامع تَغَنّ فى شعر عبد الله ابن معاوية، فوقع فى مثل الذى وقع فيه بالأمس فلما رأيت ما حل به اندفعت أُغنى :

يا قومُ كيف سِواغُ عَيْـ ... ـشٍ ليس تُؤْمَنُ فاجعاتُه

ليست تزال مُطِـــلّةً ... تغدو عليـــك مُنَغِّصَاتُه

الموتُ هولٌ داخـــلٌ ... يومـــاً على كُرْه أناته

لا بُدَّ لِلْحَـــذِرِ النَّفو ... رِ مِنَ أَنْ تَقَنَّصَه رُماتُه

قد أمنح الود الخليـــ ... ـل بغير ما شىء رزاته

وله أُقيـم قنـاةَ ودْ ... دِى ما استقامت لى قناتُه

قال: فأومأ إلى صاحبِ الستارةِ أن أَمْسِكْ ووضع يدَه على عينيه كأنه يُومِئُ إلى أنه يبكى فأمسكتُ وانصرفنا ثم حضرنا بعد ذلك ، فلما اطمأن بنا المجلس ، قال ابنُ جامع بكلام خفى ، اللهم أنْسِه ذ كرَ ابن جعفر . فقلت : اللهم لا تستجب ، فقال صاحبُ الستارة : يا ابن جامع تَغَنّ فى شعر عبد الله بن معاوية ، فقال ابن جامع :

لو كان فى عبدِ الله بن معاوية خيرٌ لطار مع جَدِّه ولم يقل الشعرَ ، فسمعنا ضحكةً من وراء الستارة واندفعت أغنى :

سَلَا رَبَّةَ الخِدْرِ ما شأنُها ... ومن أيِّما شأنِنا تَعْجَبُ
فلست بأوَّلِ مــــن فاتَه ... على رأيه[1] بعضُ مايَطلبُ
وكائن تعرَّضَ من خاطبٍ ... فزُوِّجَ غيرَ الذى يَخْطُبُ
وكنا حديثاً صَفِيَّيْنِ لا ... نخاف الوشاةَ وما سبَّبوا
فإن شَطَّتِ الدارُ عَنَّا بِها ... وبانَتْ ففى الناس مُسْتَعْتَبُ
فأصبح صَدْعُ الذى بَيْنَنا ... كصدْعِ الزجاجة لا يُشْعَبُ
وكالدَّرِّ ليستْ له رَجْعَةٌ ... إلى الضَّرْعِ من بعدما يُحْلَبُ

فقال صاحبُ السِّتارة: أَعِدْ، فأَعَدْت ، فأَحْسِبُ الرشيدَ نظر إلى ابن جامع كاسفَ البالِ فأمر له بمثل ما أمر بالأمس ، فجاءوا ببَدْرَةِ دنانير فوضِعَتْ تحت فخذه اليُسْرى ، وكان ابن جامع حسوداً : فلما انصرفنا قال : اللهم أرِحْنا من ابن جعفر هذا ، فما أشد بُغضِى له ولقد بَغَّضَ إلىَّ جَدَّه ، فقلت له : ويحك ما تدرى ما تقول ؟ قال : فمن يدرى ما يقول ؟ وددت أنى لم أر إقباله عليك ، ولا على غنائك فى شعر هذا البَغيض، وإنى تَصدقتُ بها — يعنى البَدْرَة.

هذا الصوت الذى هو :

سلا رَبَّةَ الخِدْرِ ماشأنُها ... ...

يقوله عبدُ الله بن معاوية فى زوجته، أمِّ زيد بنت على بن الحسين ، رضى الله عنهم، فإنه كان خطب ربيحةَ بنتَ محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر ، وخطبها بَكَّار بن عبد الملك بن مروان فتزوجت بَكَّارا فشمِتَتْ أُمُّ زيد بزوجها عبدالله بن معاوية ، فقال هذا الشعرَ فيها ، فقالت له: والله ما شَمِتُّ ، ولكنى نَفِسْتُ عليك . فقال لها : لا جَرَم والله لأسوءَنَّك ما حييت .

(١) لاربه (أغانى ومهذب) .

عَقيلُ بن علَّفة[1]

هو عَقيلُ بن عُلّفة بنِ الحارثِ بن معاوية بنِ ضِباب[2] بن جابر بن يربوع بن غَيْظ بن مُرّة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الرَّيْث بن غطفان بن سعد بن قيس ابن غيلان بن مضر.

ويكنى أبا العَمَلَّس وأبا الجَرْباء.

وأم عقيل بن علفة هى عمْرة العوراء بنت الحارث بن عوف بن أبى حارثة بن مرة ابن نُشْبة بن غيظ بن مرة.

وأمها زينب بنت حصن بن حُذيفة.

وعمرة العوراء هذه أُخت البَرْصاء، أُم شَبيب بن البرصاء واسم البرصاء قرصافة.

أُمها بنت نجبة بن ربيعة بن رَباح بن مالك بن سَمْح.

وعَقيل شاعر مجيد، فصيح مقل، من شعراء دولة بنى أُمية، وكان أعرجَ جافيا شديد الهَوَج والفخر بنسبه من بنى مرة، لا يرى أن له كفئا. وهو فى بيت شَرُفَ فى قوْمِه من كِلا طرَفيْه.

وكانت قريش ترغب فى مصاهرته، وتزوج إليه خُلفاؤُها وأشرافُها.

تزوج يزيدُ بن عبد الملك ابنتَه الجرباء، وكانت قبله مع ابن عمها مطيع بن قُطْمَة بن الحارث بن معاوية.

وولدت ليزيد.

وتزوج مَسْلمةُ بن عبد الله بن المغيرة ابنته عَمْرة، فولدت له يعقوبَ بن مسلمة، وكان [من] أشراف قريش وأجوادها.

---

(١) أغانى ١٢ : ٢٥٤ تجريد ١٤٢١.

(٢) أغانى وتجريد، وفى الأصل: صاب.

وتزوج ابنته أُمَّ عمرة ثلاثةٌ من بنى الحكم بن أبى العاص؛ يحيى والحارث وخالد .

دخل عَقيلُ بن عُلَّفة على عثمان بن حَيّان ، وهو يومئذ على المدينة، فقال له عثمان : زوجنى ابنتك . قال : أبَكْرَةً [من إبلى] تعنى ؟ فقال له عثمان : ويلك ! أمجنون أنت ؟ قال : أىَّ شيء قلتَ لى ؟ قال : قلت لك : زوجنى ابنتك. قال : إن كنتَ عَنَيْتَ بَكْرَةً من إبلى فنعم . فأمر به فوُجِئَتْ عُنقه ، فخرج وهو يقول :

كنّا بنى غيظ الرجال فأصبحت ... بنو مالكٍ غَيْظا وصِرْنا كمالك

لحا الله دهراً ذَعْذَعَ[1] المالَ كُلَّه ... وسَوَّدَ أشباهَ الإماءِ العَوارِكِ

كان لعقيل جارٌ من بنى سَلامان بن سَعْد ، فخطب إليه ابنتَه فغضِبَ عقيلٌ وأخذ السلامانىَّ فكَتَفَه ودهن استه بشحم وألقاه فى قرية النمل ، فأكل النمل خُصاه ، وورم جسده ، ثم حله . وقال: خطب إلىّ عبدُالملك فرَدَدْته وتجترئ أنت علىّ !!

أجْدَبَتْ مراعى بنى مُرَّةَ فانتجع عقيلٌ أرض جُذامٍ ، وقربهم عُذْرَة . قال عقيل : فجاءنى هُنَىٌّ مِثْلُ البَعْرَة ، فخطب إلىَّ ابنتى أُمَّ جعفر ، فخرجت إلى أَكَمة قريبة من الحى ، فجعلت أنبحُ كما ينبحُ الكلب ، ثم تَحَمّلْتُ فخرجت ، فاتبعنى جمعٌ من حُنّ من بطون عُذْرةَ فقالوا : اختر ؛ إن شئتَ حبسناك وإن [شئت] حدَرْناك وبَعْرَةً من رأس الجبل ، فإن سَبَقْتَها خلّينا عنك ، فأرسلوا بعرةً فسبقتُها ، فخلّوا سبيلى ، فقلت لهم : ما طمِعْتم بمثل هذا من أحَد قط ، فقالوا: أردنا أن نضع منك حيث رغبت عنا . فقال فيهم :

لقد هزئت حُنٌّ بنا وتلاعبَتْ ... وما لعِبت حُنٌّ بذى حَسَب قبلى

رويداً بنى حُنٍّ تَسيحوا[2] وتأمَنوا ... وتَنْتَشِرُ الأنعام فى بلد سَهْلِ

والله لأموتن قبل أن أضع كرائمى إلا فى الأكفاء

(١) ذعذع المال : فرقه وبدده ، وسوده : جعله سيدا . والعوارك : الحيض .

(٢) فى الأصل تسيئوا وهذه عن الأغانى .

خرج عَقيلُ بن عُلَّفة وابناه عُلَّفَة وجَثّامةُ وابنته الجرباء حتى أتوا بنتا له [ناكحا][1] بالجماء ، فى بنى مروان بالشامات ، ثم قَفَلوا بها فلما كانوا ببعض الطريق قال عقيل :

قضت وطَراً من دَيْر سَعْد وطالما　　　علـى عُرُضٍ ناطَحْنَهُ بالجماجم

إذا هَبطَتْ أرضا يمـوتُ غرابُها　　　بهـا عطشا أَعْطَيْنَه بالخزائم

ثم قال : أَجز يا عُلَّفة . فقال :

فأصبحن بالمَوْماةِ يحملن فِتْيَةً　　　نشاوَى من الإدلاج مِيلَ العمائم

إذا عَلَمٌ غادرْنَه بتَنُوفَةٍ　　　تذارَعْن بالأيدى لآخرَ طـاسمِ

ثم قال: أجيزى يا جرباء: قالت : وأنا آمنة؟ قال : نعم. قالت:

كأن الـكرى سَقَّاهم صَرْخَدِيَّـة[2]　　　عُقاراً تَمَشَّى فى المطا والقـوائم

فقال عقيل : شربتِها وربِّ الـكعبة ! ولولا الأمانُ لضربتُ بالسيف تحت قُرْطَيْك ، أمَا وجدتِ من الـكلام غير هذا ؟

فقال جثامة : وهل أساءَتْ؟ إنما أجازتْ ، وليس غيرى وغيرُك ، فرماه عقيلٌ بسهم فأصاب ساقَه فأنفذَ السهمُ ساقَه والرحْلَ ثم شَدَّ على الجرباء فعقر ناقتها ، ثم حملها على ناقة جثامة ، وترك جثامة عقيرا مع ناقة الجرباء .

ثم قال: لولا أن تَسُبَّنِى مُرَّةُ ماذقت الحياةَ بعد اليوم ، ثم توجه إلى أهله ، وقال: إن أخبرتِ أهلك بشأن جثامة ، أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون لأقتلنك . فلما قدموا على أهل أُبَـيْرٍ ، وهم بنو القَيْن ، قالت لهم : الزموا أَثَر هذه الراحلة حتى تجدوا

---

(١) عن الأغانى والمهذب .

(٢) نسبة إلى صرخد : قلعة ملاصقة لبلد حوران حصينة من أعمال دمشق وينسب إلى صرخد الخمر الجيد (مراصد) .

الجزور ، فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدمُ فاحتملوه ، وتقسموا الجزور وأنزلوه عليهم ، وعالجوه حتى ألحقوه بقومه ، فلما كان فى الطريق تغنى جثامة :

أيعذر لاهينا ويُلحَيْن فى الصبا   وما هُنّ والفتيانُ إلا شقائق

فقال له القوم : إنما أفلَتَّ من الجراحة التى جرحك أبوك آنفا ، وقد عاوَدْت ما يكرَهُه فأمسك عن هذا ونحوه إذا لقيته ، لا يَلحَقْك منه شر ، فقال : إنما هى خَطْرَةٌ خطرتْ ، والراكب إذا سار تغنى .

قدم عقيل بن علفة المدينة ، فنزل على ابن بِنْتِه يعقوبَ بن سَلَمة المخزومى ، فرض فأصابه القولنج ، فوصفت له الحُقْنَة فأبى ، وقدم ابنه عليه فبلغه ذلك فقال :

لقد سرنى والله يَكْفيك شَرَّها   نجاؤك منها حين جاء يَقُودها

كفى خِزْيةً ألا نراك مُجنَّبا   على شَكْوة تُوكى وفى استِك عُودُها

غدا عَقيلُ بن عُلّفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ، ثم رجع فإذا بنوه مع بناته وأُمهم فشد على عَمَلّس ، فحادَ عَنْه وتغنى علفة :

قفِى يا ابنة المُرِّى أسألك ما الذى   تريدين فيما كنت تَغْشَيْننا[1] قبلُ

يُخَبِّرْكِ إن لم تنجزى الوعدَ أننا   ذوا خُلَّة لم يبق بينهما وَصْل

فإن شئت كان الصرم ماهبت الصَّبا   وإن شئت لا يَفنَى التكارمُ والبذلُ

فقال عقيل : يا ابن اللخناء متى مَنَّتْك نفسك بهذا ؟ وشَدّ عليه بالسيف ، وكان عَمَلَّس أخا عُلَّفَة لأُمِّه فحال بينه وبينه ، فشد على عَمَلّس بالسيف ، وترك علفة لا يلتفتُ إليه ، فرماه بسهم ، فأصاب رُكْبتَه فسقط عَقيل يَتمعّك بالتراب ، ويقول :

(١) منيتنا (أغانى ــ مهذب) .

إن بَنِىَّ زَمَّلونِى بالدمِ   من يَلْقَ أبطال الرجال يُكْلَم
ومن يكن ذا أَوَدٍ يُقوَّمِ   شنشنةٌ أعرِفُها من أَخْزَم

وأخزم فحل مُنْجِب ، كان لرجل من العرب ، فضرَبَ فى إبلِ رجل آخرَ ، ولم يعلم صاحبه ، فرأى ذلك فى نَسْله فقال :

شِنْشِنَةٌ أعرفُها من أَخْزَم

ولما رمى عَمَلّسٌ أباه عقيلا ، وأصاب رُكْبَتَه غَضِبَ ، وأقسم لا يساكن بَنِيه ، فاحتمل ، وخرج إلى الشام ، وجرت بينهما مكاتبات ، ثم رضى عنهم وقدم عليهم .

عاتب عمرُ بنُ عبد العزيز رجلاً من قُرَيش ، أُمُّه أُختُ عَقيل بن عُلّفة فقال له : قَبَحَك الله ، أشبهتَ خالك فى الجفاء ، فبَلَغَتْ عقيلا ، فجاءَ حتى دخل على عمر ، فقال له : ما وجدتَ لابن عمك شيئا تُعَيِّره به إلا خئولتى فقَبَحَ اللهُ شَرَّ كما خالا ، فغضب عمر بن عبد العزيز ، فقال له صخر بن أبى الجهم العدوى : وأُمه قرشية أيضا: يا أمير المؤمنين ، فقَبَحَ اللهُ شَرَّ كما خالا وأنا معكما أيضا ، فقال له عمر : إنك لأعرابىٌّ جِلْفٌ جافٌّ ، أما لو كنتُ تقدمتُ إليك لأَدَّبْتُك ، والله ما أراك تقرأ من كتاب الله شيئا ، قال : بلى إنى لأقرأ « فمَنْ يعْمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يرَهْ ، ومَنْ يَعملْ مثقالَ ذَرَّةٍ خيراً يرَهْ » فقال له عمر : أَلَمْ أقُلْ لك إنك لا تحسنُ أن تقرأ؟ فقال : أو لَمْ أَقْرَأْ ؟ قال : لأَنَّ الله عز وجل قدم الخَيْر ، وأنت قدمت الشر ، فقال عقيل :

خذا بَطْنَ هَرْشَى أو قفاها فإنه   كِلَا بطنِ هَرْشَى والقَفَاء طريقُ(١)

فضحك القومُ من عجرفته .

---

(١) كلا جانبى هرشى لهن طريق (أغانى) ١٢ : ٢٩١ .

قدم عَقيلٌ المدينة فدخل المسجدَ ، وعليه خفان غليظان ، فجعل يَضْرِبُ برجليه فضحكوا منه ، فقال : ما يُضْحِكُكُم ؟ فقال له يحي بن الحكم ، وكانت ابنة عقيل تحته : إنهم يضحكون من خُفَّيْك وضَرْبِك برجليك ، وشِدَّةِ جفائك. فقال عقيل : لا ، ولكن يضحكون من إمَارَتِك ، فإنها أعجب من خُفَّيَّ . فجعل يحي يضحك منه .

قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن عُلفة : إنك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدعُ بناتك في الصحراء لا كالئ لهن ، والناس يَنْسُبونك إلى الغَيْرةِ ، وتأبى أن تُزوجهن إلى الأكفاء . قال : إنى أستمين عليهن بخَلَّتَيْن تكلؤهن وأستغنى عن سواهما قال : وماهما ؟ قال : العُرْيُ والُجوعُ .

دخل عقيلُ بن عُلَّفَةَ على يحي بن الحكم ، وهو أميرُ المدينة ، فقال له يحي : أنْكِحْ ابنَ خالى ، يعنى ابنَ أبى أَوْفَى ، فلانةَ ابنَتَك . فقال له : إن ابن خالِك يرضى مِنّى بدون ذلك . قال : وما هو ؟ قال : أن أَكُفَّ عنه سنن الخيل إذا غُشِيتْ سَوامُه . فقال يحي لحَرَسِيَّيْن بين يديه : أخرجاه ، فأخرجاه . فلما وَلَّى قال : أعيداه، فأعاداه . فقال : مالك تُكَرِّرُنى تكرارَ الناصح ؟ قال : أمَ والله إنى لأراك أهوجَ جافيا . قال عقيل : كذلك قلت ، وأنشد قوله :

تَعَجَّبَتْ إذ رَأَتْ رأسى تَجَلّلهُ　　من الروائع شَيْبٌ ليس من كِبَرِ
ومن أديم تولى بعد جِدَّتِه　　والَجفْنُ يَخْلَقُ فيه الصارمُ الذَّكر

فقال له يحي : أنشدنى هذه القصيدة كلَّها . قال : ما انتهيت إلا إلى ما سمعتَ . قال: أمَ والله إنك لتقولُ فتَقْصِر(١) فقال: إنما يكفى من القلادة ماأحاط بالرَّقَبة: قال : فأنكِحْنى أناإحدى بناتِك. قال: أمَّا أنت فنعم . قال : أَمَ والله لأَمْلأَنَّك مالا وشرفا .

---

(١) يقال : قصر الشيء يقصره بكسر الصاد جعله قصيرا .

قال : أَما الشرفُ فقد حَمَلَتْ ركائبي منه ما أطاقت ، وكلفتها تجشم مالا تطيق ، ولـكن عليك بهذا المال ، فإن فيه صلاحَ الأيّم ورضا الأبىّ. فزوجه ، ثم خرج فأهداها إليه ، فلما قَدِمَتْ عليه ، بعث إليها يحيى مولاةً له ، لتنظر إليها ، فجاءتها فجَعَلَتْ تَغمِزُ عَضُدَها ، فرفعت يدها فدَقَّت أنفها ، فرجعت إلى يحيى وقالت: بعثْتَنِى إلى أعرابيةٍ مجنونةٍ فصنَعَتْ بى ما ترى ، فنهض إليها يحيى ، فقال لها يحيى: مالك ؟ فقالت : ما أردتُ بمـا فعلتُ إلا أن يكون نظرُكَ إلىّ قبلَ كُـلِّ ناظر ، فإن رأيت حَسَناً كنتَ أولَ من رآه وإن كان قبيحا كنتَ أولَ من واراه . فسر بقولهـا ، وحَظِيتْ عنده .

خطَبَ يزيدُ بن عبدالملك إلى عقيلٍ ابنته الجرباء . فقال له عقيل : قد زَوَّجْتُـكها على أن لا يَزُفَّها إليك أعلاجُك بل أكونُ أنا الذى أجيء بها إليك . قال : ذلك لك. ومكثوا ما شاء الله ، ثم دخل الحاجبُ يوما على يزيد فقال له : بالباب رجلٌ على بعير معه امرأةٌ فى هَوْدج فقال : أُراه والله عقيلا . قال : فجاء بها حتى أناخ بعيرَها على بابه ثم أخذ بيدها فأذْعَنَت فدخل بها على الخليفة ، فقال له: إن كنت بها مُتمَسِّكاً فبارك الله لـكما ، وإن كرِهْتَ شيئا فضع يَدَها فى يدى كما وضَعْتُ يدَها فى يدك ، ثم برِئَتْ ذِمتُك . فحمَلَت الجرباء بغلام ففرح به يزيدُ ونحَلَهُ وأعطاه ، ثم مات الصَّبيُّ فورثت أُمه منه الثلثَ، ثم ماتت الجرباء فورِثَها زوجُها وأبُوها . فـكتب يزيدُ إلى عقيل : إن ابنك وابنتَك قد هَلَـكاَ وقد حَسِبتُ ميراثَك منهما فوجدته عشرةَ آلاف دينار فهلم فاقبِـضْه . فـكتب إليه: إن مصيبتى بابنى وبنتى تشغلنى عن المـال وطلبه ، فلا حاجةَ لى فى ميراثهما ، وقد رأيت عندك فرسا سَبَقَت عليه الناسَ فأعطنيه أجْعَلْه فحلا لخيلى . فبعث إليه يزيد بالفرس فأخذه ، ولم يأخذ المال .

خطب رجلٌ من بنى مرة يقال له داودُ إلى عقيلِ بن عُلَّفة بعضَ بناته ، فنظر إليه عقيل ، وقد أقبل على ناقة له ، فإذا السيف لا يناله فطَعَنَ ناقته بالرمح ،

فسقطت ، وصرعه وشد عليه عقيلٌ فهرَب ، وثار عقيل إلى ناقته ، فنحرها وأطعمها أصحابَه وقال :

ألم تقل يا صاحبَ القَلوصِ　　داودَ ذا الساجِ وذا القميصِ
كانت عليه الأرض حِيصَ بيصِ　　حتى يَلُفَّ عِيصَه بعِيصِ
ولست بالسنان ذا بَغيصِ

فقال داود فيه من أبيات :

لئيمٌ يرى أن الحلالَ ببِنْتِهِ　　حرام ويَقْرِى الضيفَ عَضْباً مُهنَّدا

وخطب إليه رجل من بنى مرة كثيرُ المال يُغْمَزُ فى نَسَبه فقال :

لعمرى لئن زَوَّجْتُ من أجلِ مالِه　　هجينا لقد حُبَّتْ إلىَّ الدراهمُ
أأُنْكِحُ عَبدا بعد يحيى وخالدٍ　　أولئك أكفائى الرجالُ الأكارمُ
أَبَى لِىَ أنْ أَرْضَى الدَّنِيَّةَ أنَّنِى　　أُمُدُّ عِناناً لم تَخُنْه الشكائمُ

لما نشبتِ الحربُ بين جَوْشَن وبين بنى سهم ، وهم إخوةُ رهطِ عَقيل بن عُلَّفة المرى هو وبنى غَيْظ بن مرة ، وسهم من بنى مرة وإخوتهم واقتتلوا فى أمر يهودى خمّارٍ كان جاراً لهم فقتله بنو جَوْشن من غطفان .

وكانوا متقاربى المنزل ، وكان عقيل بن علفة بالشام غائبا فكتب إلى بنى سهم يُحرِّضهم :

إمّا هَلَكْتُ ولم آتِكمْ　　فأبلغْ أماثِلَ سَهْمٍ رسولا
بأن الذى ساءكم قومُكم　　لقد جعلوها عليكم عُدولا(١)
هوانُ الحياة وضَيْمُ المماتِ　　وكلاًّ أراه طعاما وَبيلا
فإن لم يكن غيرُ إحداهما　　فسيروا إلى الموت سيراً جميلا
ولا تقعدوا وبكم مُنَّةٌ　　كفى بالحوادث للمرء غُولا

(١) بأن التى سامكم قومكم　　هم جعلوها عليكم دليلا　　(تجريد) .

فلما وردت الأبيات تكفل بالحرب الحصين بن الحمام المرىّ أحد بنى سَهْم وقال: لى كَتَبَ وبى نَوَّه فإنه خاطبَ أماثلَ بنى سهم ، وأنا من أماثلهم ، فأبْلَى فى تلك الحرب بلاء شديداً وقال من قصيدة طويلة :

تأخرتُ أستبقى الحياةَ ولم أجد لنفسى حياةً مثلَ أن أتقدما

وكان عقيل فى إبلِهِ وحدَه ، فمر به ناسٌ من بنى سلامان فأسَرُوه ومَرُّوا به فى طريقهم على ناس من بنى القين فانتزعوه منهم وخلَّوْا سبيله .

ولما مات علفة قال أبوه عقيل يرثيه لما أتاه خبره :

لعمرى لقد جاءت قوافلُ خَبَّرَتْ بأمرٍ من الدنيا علىَّ ثقيلِ
وقالوا ألا تَبْكى لمصرعِ فارسٍ نَعَتْه جنودُ الشامِ غيرِ ضئيلِ
كأن المنايا تبتغى فى(١) خيارنا لها سببا(١) أو تهتَدِى بدليلِ
فأقسمتُ لا أبكى على هُلْكِ هالكٍ أصاب سبيلَ اللهِ خير سَبيلِ
نحلّ(٢) المنايا حيث شاءَتْ فإنها مُحَلَّلةٌ بعد الفتى ابنِ عقيلِ
فَتًى كان مولاه يَحُلُّ برَبْوَةٍ تَحُلَ الموالى بعده بمَسيلِ

كان عقيل قد طرد بَنيه، فتفرقوا فى البلاد ، وبقى وحده، ثم إن رجلا من بنى صرمة يقال له بَجيلٌ ، وله ماشية ومال كثير ، فحَطَّمَ بجيلٌ هذا بيوتَ عقيلٍ بماشيته ، ولم يكن قبلَ ذلك أحدٌ يقربُ من بيوت عقيل إلا لَقِىَ شراً ، فطردتْ صافية ابنةُ عقيل الماشيةَ فضربها بَجيلٌ بعصا كانت معه ، فشَجّها ، فخرج إليه عقيل وحده ، وقد هَرِمَ يومئذ ، وكبرَتْ سِنّه فزَجرَه فضرَبه بعصا واحتقره ، فجعل عقيلٌ يَصيح: يا عُلَّفة يا عَمَلَّسُ يافلانُ بأسماء أولاده ، يستغيث بهم ، وهو يَحْسَبهم لهرَمه أنهم معه، فقال أرطاة بن سهية:

(١) من . . . نسبا تجريد ١٤٢٧ .
(٢) تحل (تجريد) .

أَكَلْتَ بنيك أَكْلَ الضَّبِّ حتى ... وجَدْتَ مرارةَ الكلأِ الوبيل

ولو كان الأُلى غابوا شُهودا ... مَنَعْتَ فِناءَ بَيْتِك من بَجيل

وبلغ خبر عقيل ابنَه العَمَلّس ، وهو بالشام ، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه ، ثم عَمَدَ إلى بجيلٍ فضربَه ضربا مُبَرِّحا ، وعقر عِدَّةً من إبله ، وأوثقه بحبل وجاء به يقوده ، حتى ألقاه بين يدى أبيه ، ثم ركب راحلته وعاد إلى الشام من وقته لم يَطْعَم لأبيه طعاما ، ولم يشرب له شرابا .

نزل أعرابى على المُقَمْشَر بن عقيل بن علفة فشربا حتى سَكِرا وناما فانتبه الأعرابى فى الليل مُرَوَّعا فقال له المقمشر : مالك ؟ فقال : هذا مَلَكُ الموت يَقْبِضُ روحى ، فوثب ابن عقيل . فقال : لا والله ، ولا كرامة ولا نعمة عَيْنٍ ، أيقبضُ رُوحَك وأنت ضيفى فى بيتى وجارى ؟ فقال : بأبى أنت وأمى، طالَما منعتم عن الضيف الضَّيْمْ. وتلفَّفَ ونام .

العُجَيْرُ السَّلولى (١)

هو العُجَيْر بن عبيد الله بن عبيدة(٢) بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضُبيط ابن جابر بن عبد الله بن سلول .

وقيل العجيرُ بن عبد(٢) الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عَمرو بن سَلول ابن مُرة بن صعصعة أخى عامر بن صعصعة .

شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأُموية ، جعله ابنُ سَلّامٍ من طبقة أبى زُبَيْد الطائى ، وهى الخامسة من طبقة شعراء الإسلام.

هجا العجيرُ قوما من بنى حنيفةَ وسَبَّهم ، فأقاموا عليه البيِّنَةَ عند نافع بن عَلقمة الكِنانى ، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقيم الحدَّ عليه . وقال لهم : إن وجدتموه أنتم فأقيموا الحدَّ عليه ، وليكن ذلك فى ملأٍ يشهدون به ، لئلا يدعى عليكم تجاوزا الحد ، فهرب العُجَيْر منهم ليلا حتى أتى نافع بن علقمة ، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد ثم تعلق بثوبه فقال :

إليك سَبَقْنا السَّوْطَ والسِّجْنَ تَحْتَنا ... حِبال يُسامِينَ الظلالَ(٣) ولُقَّحُ
إلى نافــعٍ لا نرتجى ما أصابنــا ... تحومُ علينا السانحاتُ وتَبْرَحُ
فإن كنتَ مجلوداً فكن أنت جالِدى ... وإن كنت مذبوحا فكن أنت تَذْبَح

فسأله عن المطر كيف أثره فقال :

يا نافع يا أكرم البَريّه ... والله لا أَكْذِبُكَ العَشيّه

---

(١) أغانى ١٣/٥٨ـ المهذب ٤ : ١٦٢ ـ التجريد ق ٢ جـ ١/ ١٤٥٨ .

(٢) فى الأصل عبيد وما أثبتناه عن الأغانى والمهذب والتجريد .

(٣) فى الأصل الظلام وما أثبتناه عن الأغانى .

إنا لقينا سَنَــةً قسيَّــه[1]   ثم مُطِرْنا مطْرَةً رَوِيَّــه
فنبتَ البقـــلُ ولا رَعِيّه

يعنى هَلَـكَت المواشى قبل نبات البَقْلِ .

فقال : انج بنفسك فإنى سأُرضِى خصومَك ، ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقهم ، وضمن لهم ألا يُعاود هجاءَهم.

اصطحب العجيرُ وصاحبٌ من خُزاعة لوُدٍّ كان بينهما ، فقصد الُخزاعىُّ الحسنَ ابنَ الحسنِ بن على رضى الله عنهم ، وقصد العجير رجلا من بنى عامر بن صعصعة ، كان قد نال سلطانا ، فأما الحسن فإنه أعطى الخزاعىَّ وكساه ، وأما العجير فإنه أتى إلى صاحبه العامرىِّ فما أعطاه شيئا ، فلما التقيا قال الخزاعىُّ للعجير : أىُّ شىءٍ كان منك مع العامرى ؟ قال : أتيت رجلا حسنَ الزىِّ حسن الصورة له نِعْمَـةٌ ، فلم أَشُكَّ أن لى عنده ما أُحبّ ، وتلقانى بالرَّحْبِ وقربنى وأدنانى ، وقال : ما جاءبك يا عجير؟ فقلت : شوقا إلى الأمير ولأُنشِده مديحا فيه ، قال: هات ، فأنشدتُه قصيـــدتى ، فاستحسنها ، فلما فرغت سكت ساعة ، وأمر لى بشىء ، فقلت: أيها الأمير إن رأيت أن تأمر لى بما أنت أهله ؟ قال : وما هو ؟ قلت : شىءٌ أُنفقه وأكتسى منه وأتجمل به فى طريق . فقال : لا ، وحقك ما يحضرنى فى هذا الوقت شىء ، فوردَ علىّ مَوْرِدٌ عظيم ، وقلت له : فإنى قد أتيتُ من طريق شاسع إليك وقد لزمتنى مُؤْنة غليظةٌ . قال : فأى شىء يلزمنى من ذلك ؟ فبقيت لا أحير جوابا ، وفرغت منه وانصرفت ، فأنت ما خبرك ؟ قال : أتيت الحسنَ فأصبت رجلا كريماً جواداً . فقلت له : إنى قد أتيت بأبيات أمدَحُ بها سيدَنا . فقال : هات ، فامتدحته فاستحسن ما أتيتُ وكسانى ومَوَّلَنِى وما قَصَّر فى أمرى ، وحملنى على نجيب ، واعتذر إلىّ من تقصيره.

---

(١) يقال : عام قسى شديد من حر أو برد أو قحط .

فورد على العُجير من ذلك أمرٌ عظيم . وقال : لقدقصدتَ قوماقلَّ من قَصَدَهم نخاب، وقصدتُ قوما قل من قصدهم فأفلَح. ثم قال العجير :

يا ليتـني يومَ حزمتُ القـلوصَ له يمَّمْتُهـا هـاشميًّا غـير مَمْذوقِ(١)

مَحْضَ النِّجارِ من البيتِ الذىجُعلتْ فيـه النبوةُ يَجْرِى غـيرَ مسبوق

لا يُمْسكُ الخير إلا رَيْثَ يُسْأَلُه ولا يُلاطِم عنـد اللحم فى السُّوقِ

فبلغت أبياتُه الحسنَ وقِصَّتُه مع العامرى ، فضحك وقال : لو أتانا لأعطيناه ، وإذا لم يأتنا فإنا لا نَحْرِمه ، ووجه إليه بصِـلَةٍ إلى مَحِلَّة قومِه وقال له ، قد أتاكَ حظُّك ، ولم تقصدله، فورد على العُجير سرورٌ عظيم وقال : هل رأيتم أهل بيْتٍ أكرم من هؤلاء القوم ، وأجمل فعلا ؟ ومدحه بأبيات واعتذر من تأخُّرِه عنه . وقال : أبيْتَ يا ابن رسول الله إلّا كرماً وجوداً .

مر العجير بقوم يشربون فسَقَوْه ، فلما انتَشى قال : انحروا جَمَلِى وأَطْعِمونا منه . فقالوا : كُفَّ عن هذا . قال : لا والله لابد لى من ذلك. ففعلوا ، ونحروا الجمل وجعلوا يطعمونه ويسقونه فلما سكر أنشأ يقول :

عللَّانى إنما الدنيا عَلَلْ واسقيـانى عَلَلاً بعد نَهَلْ

وانْشُلاَ ماا غْبَرَّ(٢) من قِدريكما واُصبَحانى أبْعَدَ الله الجَمَـل

أصحبُ الصاحبَ ما صاحَبَنِى وأكُفُّ اللومَ عنه والعَـذَلْ

وإذا أَتْلَفَ شيئا لم أَقُلْ أبداً يا صاحِ ما كان فَعَلْ

فلما أصبح وصحا سأل عن جمله فقيل له نَحَرْتَه البارحة . فجعل يبكى ويصيح : واغُرْبتاه ! ويحكم نَحَرْتم جَمَلِى، فعَلَى أىِّ شىء أركب؟ ويَطْلُبُ إليهم: أَهَلْ ذلك حق؟

(١) غير ممذوق : غير مشوب وده بكدر .

(٢) وانشلا لى اللحم من قدريكما (أغانى) ١٣ : ٧٦ .

فيقولون له : يا هـذا ، واللهِ أنتَ حملتنا على نحره ، وأبرَمْتنا ، وما أردنا ذلك. فيَلْطِم ويرْقُص، ويقول : هَلَـكتُ واللهِ ، وأين رَحْلُه؟ هو عندكم ؟ فيقولون : نعم فيقول : لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ ، واغُرْبتاه ! فلما رأوه قد كاد عَقْلُه أن يزولَ جَبَوْا له من بينهم ثَمَنَ جَمَلٍ ثم دعوه وقالوا له: أنت رجل جاهل وقد حذرناك فأبيت إلا نَحْرَه وقد رَحِمناك مما رأيناه بك ، فإياك أن تعود إلى مثل ذلك ، فقال لهم : هى التوبةُ ، فأتوه بجمل فركبه ، وفرح وسرَّ وارتحله وانصرف . وقيل إنه لم يبك ولم يصح ، وأنه لما أصبح ساق إليه قومُه مائةَ بعير .

خرج العجير فنظر إلى امرأة وهى تَلْحَظُ رجلا من بُعْدٍ وتُـكلمه فقال فيها :

أيا رب لا تغفر لِعَثمةَ ذَنْبَهـا ... وإن لم يعاقِبهْا العُجَيْرُ فعاقِبِ
أشارت وعَقْدُ اللهِ بينى وبينها ... إلى راكبٍ من دونِه ألفُ راكبِ
حرامٌ عليـكِ الحجُّ لا تقرَبِنَّه ... إذا حان حَجُّ المسلماتِ التوائبِ

قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : إذا رَوَّيْتهم الشعرَ فلا تُرَوِّهم إلا مثل شعر العجير :

يبـينُ الجارُ حين يبـين عنِّى ... ولم تَأْنَسْ إلىَّ كلابُ جارى
وتَظْعنُ جارتى من جَنْب بيتى ... ولم تُسْتَر بسِتْرٍ من جِـدارى
وتأمَنُ أن أطالعَ حين آتى ... عليهـا وهى واضعـةُ الخمارِ
كذلك هَـدْىُ آبائى قديمـا ... تَوارَثه النِّجارُ(١) عن النجارِ
فَهَدْيِى هَدْيُهُمْ وهُمُ افتَلَوْنِى(٢) ... كما افْتُلِىَ العَتيقُ من المهـارِ

كان العجير يتحدث إلى امرأةٍ من بنى عامر ويَفرحُ بحديثها وكان فى نفسه

---

(١) النجار : الحسب والأصل .
(٢) افتلى الصبي أو المهر : فطمه وعزله عن أمه .

من حبها أمر عظيم ، وكان يقال لها جُمْل فأَلِفها إلفاً عظيما ، وكان ملازما لها ، ثم انتجع أهلُها نواحى نَصيبين ، فتبعتها نفسُه فسار إليهم ، فنزل فيهم مجاوراً ، ثم رأوه ملازما محادثته تلك المرأة ، فنهوه عنها وقالوا : قد رأينا أمْرَك مع هذه المرأة ، وفى هذا علينا غَضَاضَةٌ ، فإن ارتحلتَ أو انتهيتَ وإلا فأْذَنْ بحرب ، فقال : يا قوم ما بينى وبينها ما يُنـكَر ، وإنما كنتُ أتحدثُ إليها كما يتحدثُ الرجل الـكريمُ إلى المرأة الحرّةِ الـكريمةِ ، فأما الريبةُ فحاشَ لله منها ، فقالوا له : إنك ما تركتَ أهلك ونساءهم وجئتنا لشىء من الخير ، فإن انتهيت وإلا كان ما وعَدْناك . فرجع إلى نفسه فوجدها تصبرُ على فراقها ، فعاودها وأتاها فلما رأوه انتهبوا ماله وطردوه ، فأتى محمد بن مروان ، وهو يومئذ مُتوَلِّى الجزيرةِ لأخيه عبدالملك ، مُسْتَعْدِياً على بنى عامر ، وقال : أيها الأمير خذ بيدى فإن الذى تولى أخذَ مالى منهم حليفٌ فيهم من بنى كلاب ، يقال له ابنُ لِجام. وأنشده من أبيات :

أحقا عبادَ الله [أن] لست ناظراً إلى وجهها إلا عَلَىَّ رقيبُ
أيؤكل مالى وابنُ مروانَ شاهدٌ ولم يَقْضِ لى وابنُ الُحسَام قريبُ
فتى محضُ أطرافِ العروقِ مساورٌ حبالَ العلا طَلْقُ اليدين وهوبُ

فقال محمد بن مروان ، وقد أعجبته القصيدة : إيش الذى تُحبُ؟ قال : تنتصفُ لى من خَصْمِى أيها الأمير ، فأحضره محمدُ بن مروان فقال له : ويلك ما حملك على ظلم هذا ، وهو خادمى ووَلِـيِّي ؟ فقال له : يا سيدى إنه قد أفسد امرأةً منا فنهيناه عنها ، مرتين وثلاثا ، فلم ينته ، فلما كثُر ذلك منه طردناه ، وأخذنا ماله على طريق التأديب له. فردَّه عليه ، وأمره بالانصراف إلى بلده ونهاه عن النزول على المرأة والإلمامِ بحَيِّها .

عبدُ الله بن الحجاج(1)

عبدُ الله بنُ الحجاج بن مِحْصَن بن جُندُب بن نصر بن عمرو بن عبد الله بن غَنم ابن جحّاش بن بَجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بَغيض بن الرَّيْث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضر .

وكنيته أبو الأقْرع .

شاعرٌ فاتِكٌ ، صعلوكٌ من صعاليك العرب ، شجاعٌ من معدودي فرسانِ مُضَر ، ذوي البأس والنجدة فيهم .

وهو ممن خرج مع عَمْرو بن سعيد عَلَى عبد الملك بن مروان ، فلما قَتَلَ عبدُ الملك عَمْراً هرب ، فلحق بابن الزبير ، فكان معه إلى أن قُتِلَ ، ثم جاء إلى عبد الملك ابن مروانَ متنكراً ، فقال: يا أميرَ المؤمنين صنعتُ ما صنعتُ ، وجنَيتُ ما جنيت ، وقد أتيتُك مستجيراً ، إذ لا يحميني إلا الله ، فأقِلْني أقالَك الله ، وإلا فاصْنَع بي ما بدالك ، فأمَّنَه .

ثم قيل له بَعدَ ذلك في أمره، فقال: هذا رجل استجار بي ، ولم يَتَوَسَّلْ إلىّ بسِواي، وحقيق علىَّ أن أغفر ذنبه ، وأُقيلَه عثْرَته .

وقيل : إنه بعد أن قُتِلَ ابنُ الزبير وأمَّنَه عبدُ الملك خرج مع نَجدة بن عامر الحنفي ، فلما انقضى أمرُه هَرَب ثم ظَفِرَ به الوليدُ بن عبد الملك فكُلِّم فيه فأمَّنه .

وقيل : إنه لما قُتِل عبدُالله بن الزبير هرب عبدُ الله بن الحجاج واحتال حتى دخل على عبد الملك وهو يُطْعِم الناس فجلس حَجْرة(2) فقال له عبد الملك : ما لك يا هذا

---

(1) أغاني ١٣/١٥٨ ، تجريد ق ٢ ج ١ : ١٤٨٧ ، مهذب ٤ : ١١٣ .

(2) حجرة : ناحية .

لا تأكلَ؟ قال: استحْيَيْتُ أن آكل حتى تأذن لى . قال: إنى قد أذنتُ للناس جميعا . قال: لم أعلم، أفآكلُ بإذنك؟ قال: كُل. فأكلَ وعبدُ الملك ينظرُ إليه ويَعْجَب من فعاله. فلما أكلَ عبدُ الملك بعد أن أكل الناس جلس فى مجلسه وجلس خواصُّه بين يديه ، وتفرق الناس، جاء عبدُ الله بنُ الحجاج فوقف بين يديه واستأذنه فى الإنشاد فأذن له، فأنشده قوله :

أبلغ أمـير المؤمنين بأننى ... مما لَقيتُ من الحوادث مُوجَعُ
مُنِعَ القَرارُ فجئت نحوك هارباً ... جَيْشٌ يَجُرُّ ومِقْنَبٌ[1] يتَلَمَّعُ

فقال له عبدالملك: وماخَوْفُـك لا أُم لك؟ لولا أنَّك مُرِيب. فقال :

إن البلاد علىَّ وهْى عريضةٌ ... وَعُرَتْ مذاهِبُها وسُدَّ المَطْلَع

فقال عبد الملك: ذلك بما كسَبَتْ يداكَ ، وما اللهُ بظَلَّامٍ للعبيد ، فقال :

كنا تَنَحَّلنا البصائر مَرَّةً ... وإليك إن عَمِىَ البصائرُ نَرْجِعُ
إن الذى يَعْصيك منَّا بعدهـا ... من دينه وحياته[2] مُتَوَدِّع
آتِى رضاكَ ولا أعـودُ لمثلهـا ... وأُطيع أمرَكَ ما أَمَرْتَ وأَسْمَع
أُعطِى نصيحتىَ الخليفةَ باخِعاً[3] ... وخِزامَـةَ الأنف المَقُودِ فأتْبَعُ

فقال عبد الملك: هذا لا نقبلُه منك إلا بعد المعرفة بك، وبذنبك ، فإذا عرفنا الحَوْبة[4] قبلنا التوبة. فقال :

ولقد وَطِئْتَ بنى سعيد وَطْأَةً ... وابنَ الزبير فعرْشه مُتَضَعْضِعُ

فقال عبد الملك : لله رب العالمين الحمد والمنة على ذلك . فقال :

---

(١) المقنب : جماعة الخيل زهاء الثلاثين ــ يتلمع: تبرق سيوفه ورماحه .

(٢) فى الأصل : من ذنبه وجناته. وما ذكر عن التجريد.

(٣) باخعا : مطيعا ذليلا. وفى المهذب والأغانى: ناجعا.

(٤) الحوبة : الإثم .

مازلتَ تَضرب مَنكبا عن منكبٍ تَعْلو ويسفُل غيركم(١) ما يُرفَعُ
وُضِعَتْ أُميةُ واسِطِين لقومهم ووُضِعْتَ وَسْطَهم فنعم الموضعُ
بيتٌ أبو العاصى بنــاه بِرَبْوةٍ عالى المشارفِ عِزُّه ما يُدْفَعُ

فقال له عبدالملك: إن توريتك(٢) عن نفسك لتُريبنى ، فأى الفَسَقة أنت ؟ وماذا تريد ؟ فقال :

حُرِمَتْ أُصَيْبِيَتِى يدٌ أرْسَلْتَها وإليك بعــدَ مَعادِها ما تَرْجِعُ
وأرى الذى يرجو تُراثَ محمـد أفَلَتْ نُجومهُم ونَجْمك يَسْطَعُ

فقال عبد الملك: ذلك جزاء أعداء الله . فقال :

فانعش أُصَيْبِيَتى الأُولاءِ كأنهم حَجَلٌ تَدَرَّجَ بالثوية(٣) جُوَّعُ

فقال عبد الملك : لا نَعَشَهم اللهُ ، وأجاع أكبادَهم ولا أبقى وليداً من نَسْلِهم ، فإنهم نسل كافرٍ فاجر لا يبالى ما صَنَع . فقال :

مَالٌ لهم ممــا يُضَنُّ جَمَعْتَه يومَ القَليبِ فَحِيزَ(٤) عنهم أجمعُ

فقال عبد الملك : أخذته من غير حِلِّه ، وأنفقته فى غــير حقِّه وأرصدته لمُشَاقَّةِ أوليــاءِ الله ، وأعْدَدْته [لمعاونة] أعدائه(٥) فنزعه الله منك إذ استَظْهَرْتَ به على معصية الله . فقال :

أَدْنــو لترحمنى وتَجْبُرُ فاقتى وأراكَ تَدْفَعُنى فأين المــدفعُ

فتبسم عبد الملك ، وقال له : إلى النار المُؤْصَدَةِ التى أُعِدّت لك ، ولأشباهك ،

---

(١) فى الأصل : غيركيا .
(٢) فى الأصل : توبتك ، وما أثبتناه عن التجريد .
(٣) بالشربة (تجريد) .
(٤) حيز : أبعد ، وفى الأصل : فحين .
(٥) فى الأصل: لا لأعدائه وما بين القوسين والتصويب عن الأغانى .

فمن أنت الآن ؟ قال : أنا عبدُ الله بن الحجاج التَّغْلَبِي وقد وطِئْتُ دارَك وأكلت طعامَك وأنْشَدْتُك ، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه ، وأنت عارف بما عليك فى هذا ، وعاد إلى إنشاده فقال :

ضاقت ثياب المُلْبسين وفَضْلُهُم عَنِّى فألْبِسْنى فثوبُك أوسع

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه ، لا لَبِسْت. فالتحف به . ثم قال له عند ذلك : أولى لك ، والله لقد طاولتك طمعا فى أن يقوم إليك أحد هؤلاء فيقتلك ، فأبى اللهُ ذلك ، ولا تجاورْنى فى بلد وانصَرِفْ آمنا فأقم حيث شئت من بلاد الله ، فما أَبْقيت ، لعنك الله ، فى ولاء ، وإنى والله لمُتَعَجِّبٌ من عفوى عنك غيرُ آمنِك على ثلاثة ، يكون عفوى للطريق إلى أن تُصيبها . فقال له : يا أمير المؤمنين فأين أذهب إذا طَرَدْتنى ومفاتيحُ خزائن الله قد جعلها الله إليك ، فأين المذهب ؟ ومن لصبيتى الصغار ؟ قال : لك ولهم النارُ ، ويلك ! ماحدَّثْتَ نفسك بهذا وأنت تحَزِّبُ الأحزابَ ، وتجمع علىّ الجيوشَ ، اخرجْ عنى فقد عفوت عنك. ويلك ! ما أصنع بعد أن تكون معى فى دار مملكتى ؟ أما تَرْضَى أنى قد جعلت الفعل فى عفوى عنك حتى تطالبَنى بما تجاورنى فى بلد ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين إن قتلى لأهونُ من حياتى فقيراً لا شىء معى. فأمر له بشىء وصرَفَه وقال : لا تُرِنى وجهك. فخرج من بين يديه .

ولما خرج على الوليد مع نَجدة بن عامر الحنفى الشارى ، وهرب ، طلَبه الوليدُ وقال : رأيتم إلى عدو الله عبدِ الله بن الحجاج كيف عفا عنه أبى مَرَّةً بعد مرة ، ولا يزيده ذلك إلا تمرداً علينا ، فلما انقضى أمر نجدة طلَبه الوليدُ أشدَّ طَلَبٍ ، ووجه إلى سائرِ عُمَّالِه أن يجتهدوا فى طلبه ، وحيثُما أصابوه قتلوه ، وأتوا برأسه ،

فبلغه هذا فضاقت عليه الأرض ، ولم يدر أين يتوجه ، ولاما يَصنع فاستجار ببعض العَرَبِ فأجاره ، فكان يأوى عنده على أشرِّ حال من الجزَع ثم قال :

رأيت بـلادَ اللهِ وهى عريضة ٌ ... على الخائفِ المطلوبِ كِفَّةَ حابلِ
تؤدى إليـه أنَّ كلَّ ثنيـةٍ ... تيمَّمَها ترمى إليـه بقاتِلِ

ثم لجأ بعد ذلك إلى أُحيمِح بن خالد بن عُقْبة بن أبى ربيعة ، فأطعمه وآواه أياما ، فلما استوطن كتب إلى الوليد : اعلم أميرَ المؤمنين أن عبدَ الله بن الحجاج عندى وأنا محتفظ ٌ به إلى أن يجىء رسولك ، فأُسْلِمَه إليه ، فأتى الكتاب إلى الوليد بذلك فسُرَّ به ووَجَّه فى الوقت من أخَذَه وحمله إليه . فلما دخل سلَّم عليه فقال له الوليد : لا سَلَّم الله عليك ولا ملائكتُه ولا أنبياؤُه ولا رسلُه ، ولعنك فى الدنيا والآخرة ، ويلك ! ألستَ المؤَلِّبَ علينا عمرو بن سعيد بن العاص ؟ أو لستَ المؤلِّب علينا عبدَ اللهِ ابن الزبير ؟ ثم عفا عنك أميرُ المؤمنين ، فما أقنعَك ذلك حتى صِرْتَ مع الشُّراةِ علينا . فقال له : يا أمير المؤمنين فأين عفوُك ومغفرتُك فإنك وأباك ما رأيتما فى العفو إلا خيراً . وما رأيتُ فى الغدرِ إلا شرا فاعفُ عنى إذ قطَعَنِى العالمُ عفا الله تعالى عنك . قال : هيهات. وأمرَ به إلى السجن، وأمر أن يوضع فى رجليه الحديد الثقيلُ . فقال وهو فى الحبس أبياتا منها :

فإن يُعرِضْ أبو العباس عنى ... ويرْكبْ بى عَروضا فى عَروضِ
ويجعل عُرْفَه يوما لِغَيْرِى ... ويُبْغِضْنى فإنى من بغيضِ
كأنى إذ فزِعْتُ إلى أُحَيْمِحٍ ... فزعت إلى مُقَوْقِيَةٍ ببَيوضِ

قال : فدخل أُحيمح ٌ على الوليد فقال : يا أميرَ المؤمنين إن عبدَ الله بن الحجاج قد هجاك ، فقال: بماذا ؟ فأنشده البيتين الأولين ، فقال الوليد : وأىّ هجاء هـذا ؟ هو من بغيضٍ إن أعرضتُ عنه أو أقبلتُ عليه أو أحببته أو أبغضتُه ، ثم ماذا ؟ فأنشده البيتَ الثالث ، فضحك الوليدُ وقال : ما أراه هجا غيرَك فأردتَ أن تُحرِّضَنى عليه ،

لآخذ بثأرك منه . فقال: يا أمير المؤمنين، أنت تعلم أنه ما هجانى إلا فى رضاك ، ولو أردتُ أن أستره لستَرْتُه ، ولكن كان حقُّ أميرِ المؤمنين أوجبَ علىَّ ، وهذا رجل قد ثبت غدرُه وفِعلُه معك ومع أبيك . فقال : هذا مالا نَشُكّ فيه منه . فلما خرج شاور الوليد فى أمره من حضر مجلِسَه فحضره جليس خُيِّرٍ فقال : يا أمير المؤمنين إن الله قد ملّكَكَ وبلّغَكَ ماأردتَ، ومارأيتَ أنت وأبوك من العفو قط إلا خيراً فاعف عنه. فعفا عنه وخلّاه .

وقال عبد الله بن الحجاج قصيدته التى منها :

نأتْـك ولم تخش الفراقَ جنوبُ   وشطت نوًى بالظاعنـين شعوبُ

كُمَيْتٌ إذا شُجَّتْ وفى الـكاس وَرْدَةٌ[1]   لهـا فى عظامِ الشاربين دَبيبُ

كان كثير بن شهاب بن الحصين عـلى ثَغْر الرَّىِّ ، ولاه إياه المغيرةُ بنُ شعبة إذ كان خليفةَ معاوية على الـكوفة ، وكان عبدُ الله بن الحجاج معه فأغار الناس على الديلم ، فأصاب عبد الله بن الحجاج رجلا منهم ، وأخذ سَلَبَه فانتزعه منه كثير وأمر بضربه فضرب مائةَ سوط وحُبِس فقال عبد الله بن الحجاج فى ذلك وهو محبوس :

تُسَائِلُ سَلْمَى عن أبيها صحابةً   وقد عَلِقَتْه من كثيرٍ حبائلُ

فـلا تسألى عنه الرِّفاقَ فإنه   بأبهرَ لا غازٍ ولا هـو قافلُ

فمكث فى الحبس مدة ثم خلى سبيله فقال :

سأترك ثغرَ الرَّىِّ مادمتَ واليا   عليـه لأمر غالَنى وشجانى

فإن أنا لَمْ أُدركْ بثأرى واتئد   فلا تَدْعُـنِى للصَّيدِ من غَطَفانِ

تَمَنَّيْتَـنِى يابنَ الحصينِ سفاهةً   ومالَكَ لى يابنَ الُحصَيْنِ يدانِ

---

(١) جاء فى التجريد مكان هذا الشطر :

فبتُّ أسَقّاها سلافا مدامة

فلما عزل كثير ، وقدم الكوفة ، كمن له عبد الله بن الحجاج فى سوق التمّارين ، فكان كثير يخرج من منزله إلى القصر يُحدِّثُ المغيرة، فخرج يوما من داره فحادثه ، فأطال ، وخرج من عنده عَشيًّا يريد منزله ، فضربه عبدُ الله بن الحجاج بعمود حديد على وجهه فهَشَمَ مقاديمَ أسنانِه كلها . وقال له : أنا عبد الله بن الحجاج صاحبُك بالرى ، وقد قابلتُك بما فعلت بى ، ولم أكن لأكْتُمَك نفسى ، وأُقسم بالله لئن طالبت فيها بقود لأقتلنك ، فقال له : أنا أقتصُّ منك أو من مثلِك ؟ والله لا أرضى بالقصاصِ إلا من أسماءَ بن خارجة . وتكلمت اليمانية ، وتجارت الناسُ فكتب إلى معاوية فكتب إلى المغيرة : أحْضِرْ كثيرا وعبد الله بن الحجاج ، ولا يبرحان من مجلسك حتى يَقتَصّ كثيرٌ أو يعفو . فأحضرهما المغيرةُ فقال : قد عفوتُ، وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله . فقال له : والله يا أبا الأقرع لا نلتقى ونحن جميعا أهمّان ، وقد عفوت عنك .

وكتب ناسٌ من أهل الكوفة إلى معاوية أن سيِّدنا ضربه خَسيسٌ من غطفان ، فإن رأيت أن تُقِيد فإنه من أسماءَ بن خارجة ، فلما قرأ معاوية الكتابَ قال : ما رأيت كاليوم كتابَ قومٍ أحمقَ من هؤلاء . وكتب : إن القود ممن لم يَجْنِ محظورٌ فليُقتَصَّ من الجانى . فقال كثير بن شهاب : لا أستقيدها إلا من سَيِّدِ مضر، فبلغ قولُه معاويةَ فغضب وقال : أنا سيدُ مضر فليستقدها منى . وآمَنَ عبدَ الله ابن الحجاج ، وأطلقه ، وأبطل ما فعله بابن شهاب ، فلم يقتصّ ولا أخذَ منه عَقْلا .

وقال عبد الله بن الحجاج :

من مبلغ قيساً وخِنْدف أننى ... أدركتُ مَظْلمتِى من ابنِ شهابِ
خُضْتُ الظلامَ وقد بَدَتْ لى عورةٌ ... منه فأضرِبه على الأنيابِ
وتركته يَكْبو لفِيهِ وأنفِه ... ذَهِلَ الجنانِ مضرجَ الأثوابِ

وكان له ولدان يقال لهما حُوَيْن وجُندب ، فمات جُندب فى حياته .

كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يعرفه آثارَ عبد الله بن الحجاج وبلاءه فى محاربته إياه ، وما حرض عليه مع ابن الزبير ، ويقول : يا أميرَ المؤمنين ، رجل قد أساء فيما بينك وبينه مرة ، فعفوت عن ذنبه ثم خرج ثانية مع ابن الزبير وماأبقى ، والله ، ولا وَزَر ، فلما قتل اللهُ ابن الزبير ولم يكن له فى الأرض مَذْهبٌ وافَى إليك فاعتصم بك ، والله ما يُؤمَنُ عبدُ الله بن الحجاج على فَعْلة ثالثة ، هى أعظم من الأولَيَين ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يُنفِذه إلىّ لأتولَّى أمرَه وقتْلَه فليفعلْ . وبلغ ذلك عبدَ الله بن الحجاج ، فجاء ووقف بين يدى عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل ساقنى برحمته إليك ، إذ لم أجد فى الأرض مَذْهبا حتى عَفوتَ عن زَلَلِى وأصْبَيْتك(١) أكرمُ من ولدته النساء وأعفى من نَسَلَه الرجال، وقد أعطيتنى عهداً ومَوْثِقا ، وقد بلغنى أن عاملَك الحجاجَ كتب إليك يحرضك علىَّ ويعلمك من أمورى أشياء أنت أعرف منه بها ، وأمير المؤمنين أولى الناسِ بالإقامة على العفو ، أو قتلى بين يديه ، وأنشد :

أعــوذ بثَوْبَيْك اللذَيْن ارتداهما ... كريمُ الثَّنا من جَيْبه المسكُ ينفحُ
فإن كنتُ مأكولا فــكنْ أنت آكلى ... وإن كنتمذبوحا فــكن أنت تَذْبح

فقال عبد الملك : ما صنعت شيئا، فقال من أبيات :

تداركَنِى عفوُ ابنِ مروان بعد ما ... جرى لى من دون الحياة سَنيحُ(٢)
رَفَعْتُ مُريحاً ناظِرَىَّ ولم أكَدْ ... من الــكَرْبِ والغَمِّ الشديدِ أُريحُ

فــكتب عبد الملك إلى الحجاج : إنى قد عَرَفْتُ من أمر عبــدِ الله بن الحجاج التغلبىّ ومن فِسْقه وإقدامه على المنــكراتِ مالا تزيدُنى عِلْماً به ، إلا أنه اغْتَفَلَنِى

---

(١) يقال : أصبى الرجل : إذا كان له صبى .

(٢) السنيح : السانح مما يتفاءل به ، ورواية الأغانى (من بعد الحياة) .

متنكراً ، فدخل دارى ، وأكل طعامى ، واستكسانى فكسوتُه ثوبا من ثيابى ، وأنشدنى وعاذ بى فأعَذْتُه ، وقلت له : من أنت ؟ فعرفنى بنفسه ، فلما عرفته ورد علىّ منه أمر عظيم ، ولم يَحْسُن بى بعدَ ما جرى أن أقتلَه وفى دونِ هذا ما حظَرَ علىَّ دَمَه ، وعبد الله أقل وأذل من أن يَنْكُثَ عهدا ، فإن شكر على النعمة وأقام على الطاعة فلا سبيل عليه ، وإن كفر ما أُوتى وشاقَّ الله ورسوله وأولياءه ، فالله قاتلُه بسيف البَغْى الذى قُتِلَ به نظراؤهُ ، ومن هو أشدُّ شكيمةً منه من الملحِدين. فلا تَعرِضْ له ولا لأحدٍ من أهله بسَيِّئة إلا بخير ، والسلام .

فلما ورد الكتاب على الحجاج ورد عليه منه مَوْرِدٌ عظيم، وكان قد مد يده إلى أسبابه فخلى يده عنهم . وقال: من يعفُ عنه أميرُ المؤمنين فلا سبيل لنا عليه، وكف عن أهله وأطلقهم .

عبد الصمد بن المَعَذَّل[1]

هو عبدُ الصمد بن المُعَذَّل بن غيلان بن الحكم بن البَخْتَرِيّ بن المُختارِ بن ذَرِيح وقيل دريح بن أوس بن همام بن ربيعة بن بشر بن حُمْرَان بن حِدْرِجان بن عِسَاس ابن ليث بن حُداد بن ظالم بن زهر[2] بن عِجْل بن عمرو بن وَديعة بن لُكَيْز بن أفصى ابن عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وقيل ربيعة بن الليث بن حمدان .

قال غيلانُ بن المُعَذَّل أخو عبد الصمد : كان أبي يقول : أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بن جَديلَة بن أسَد ، وأفصى جديلة بن وائل هو أفصى بن دُعْمِيّ .

والنسابون يَغْلطون فى قولهم عبدُ القيس بن أَفْصى بن دُعْمِيّ .

وكان عبدالصمد بن المعذل يُكْنَى أبا القاسم .

وأمه أُمُّ ولد يقال لها الزَّرْقاء .

وهو شاعرٌ فصيحٌ من شعراءِ الدولةِ العباسية .

بصريُّ المَوْلِد والمَنْشأ .

هجَّاءٌ خبيثُ اللسانِ ، شديد العارِضَة .

وأخوه أحمد أيضا شاعر ، إلا أنه كان عَفيفاً ، ذا مروءة ودين ، وتَقَدُّم فى المعتزلة ، وله جاه واسع فى بلده ، وعند سلطانه ، لا يقارنُه عبدُ الصمد فيه .

وكان يَحْسُده ويهجوه ، فيحلم أحمدُ عنه ، وعبد الصمد أشعرُهما .

---

(١) الأغانى ١٣ : ٢٢٦ والتجريد ق ٢ ج ١ : ١٥٠٧ .

(٢) (ذهل) تجريد ٥ أ كبر .

وكان المعذل أبوه ، وغيلان جده ، شاعرين ، وقد رُوِى عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديثِ ليس بالكثير .

والمُعَـذَّل بن غيلان هو الذى يقول :

إلى الله أشكو لا إلى الناسِ أننى ... أرى صالحَ الأعمالِ لا أستطيعُها
أرى خَلَّةً فى إخوةٍ وأقارب[1] ... وذى رحم ما كان مِثْلِى يُضيعها
فلو ساعدتنى فى المكارم قُدْرَةٌ[2] ... لفاضَ عليهم بالنوال رَبيعُهـا

وهو القائل أيضا :

ولست بمَيّالٍ إلى جـانبِ الغِـنَى ... إذا كانت العَلْيَاءُ فى جـانب الفَقْرِ
وإنى لصَبَّـارٌ على ما يَنوبـنى ... وحسْبُك أن اللهَ أثنى على الصَّبْرِ

هجا أبانٌ اللاحِقِىُّ المعذلَ بن غيلان فقال :

كنت أمشى مع المُعَـذَّل يوماً ... فَفَسَا فسوةً فـكدتُ أطيرُ
فتَلَفَّتُّ هل أرى ظَرِبانا ... من ورائى والأرض بى تستدير
فإذا ليس غَـيْرُه وإذا إعـ ... صارُ ذاك الفساءِ منه يفور
فتعجبتُ ثم قُلتُ لقد أَعْـ ... رِفُ هذا فيما أرى خِـنْزِيرُ

فأجابه المعذل فقال :

صحفت أُمُّكَ إذ سمْـ ... ـتْكَ فى المهـدِ أبانا
قـد علمنـا ما أرادتْ ... لم تُرِدْ إلا أتانـا
صَيَّرَتْ باء مكان الـ ... ـتاء والله عيـاناً
قَطَعَ اللهُ وشيكا ... مِنْ مُسَمِّيك اللسـانَا

---

(١) وقرابة (تجريد) .
(٢) إخوة (تجريد) .

مر المُعَـذَّل بن غيلان بعبد الله بن سَوَّارٍ العَنْبَرِىّ القاضى فاستتر له عنده، وكان من عادة المعَـذل أن ينزل عنده، فأنشده :

أمن حَقِّ المودةِ أن نُقَضّى ذمامَـكُم ولا تَقْضُوا الذماما
وقدقال الأديب مَقالَ صِدْقٍ رآه الآخرون لهم إماما
إذا أكْرَمْتُـكُمْ وأهَنْتُمُونى ولم أغْضَب لذالِـكُمُ فذاما

قال ، وانصرف ، فبكر إليه عبدُ اللهِ بن سَوَّار فقال له : رأيتُك يا عَمُّ مُغْضَباً . فقال : أجل ، ماتت بنتُ أُختى ، ولم تأتنى . قال : ما علمتُ ذلك . قال : ذنبُك أشدُّ من عُذْرِك ، وما لى أنا أعرف خبَرَ حقوقك ، وأنت لا تَعْرِفُ خبرَ حقوقى . فما زال عبد الله بن سوار يعتذر إليه حتى رضى عنه .

كان شروين المُغَنِّى حسنَ الغناء والضَّرْب ، وكان مَنْ أراد أن يُغَنِّيَه حتى يخرجَ من جِلْدِه جاء بجُوَيْرية سوداءَ فأمرها أن تطالعَه أو تُلَوِّح له بخِرْقة حمراءَ ليظنها امرأةً تطالعه ، فـكان حينئذ يغنى أحسن غناء ، يقدر عليه ، تَصَنُّعاً لذلك ، فغضب عليه عبدُ الصمد بن المعذل فى بعض الأمور ، لأنه دعاه يوما فتملل عليه ، فقال : والله لأَسِمنه سِمةً لا يدعوه بعدَها أحدٌ بالبصرة إلا بعد أن يَبْـذُلَ عِرْضَه وحَرِيمَه . فقال يهجوه :

من حَلَّ شروينُ له منزلا فلتَنْهَه الأولى عن الثانيهْ
فليس يـــدعـوه إلى بَيْتِه إلى فـتًى فى بَيْتِه زانيهْ

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطر إلى أن خرج إلى بغداد وسُرَّ من رأى .

نظرعبدُ الصمد إلى جارٍ له فقيرٍ رَثِّ الحال يختالُ فى مَشْيِه ويخطر خَطْرَةً مُنْـكَرَةً ، فقال فيه :

يتمشى فى ثوب عصْب من العُرْ ى على عَظْمِ ســاقِه مَسْــدولِ

دبّ فى رأســه خُمارٌ من الجـو ع سُرى خَمْرَةِ الرحيق الشَّمولِ
فبــكى شَـكْوةً(١) وحَنَّ إلى الخبـ ـز ونادى بزَفْرَةٍ وعَويلِ
من لقلبٍ مُتَيَّمٍ برغيفيـ ـن ونَفْسٍ تاقَتْ إلى التَّطْفيلِ
ليس تَسْمُـــو إلى الولائم نفسى جَـلَّ قَدْرُ الأعراسِ عن تأْميـلى
هـاتِ لَوْنا وقُلْ لتلك تُغَنِّى لست أَبْـكى لدارسات الطُّلُولِ

كان بالبصرة طُفَيْلِىٌّ يُـكْـنَى أبا سَلَمة ، وكان إذا بلغه خبرُ وليمةٍ لَبِسَ لِبْسَ القضاة ، وأخذ بنِيه معه ، عليهم القلانسُ الطوالُ والطيالسةُ الرِّقاقُ ، فَيُقْدِمُ ابنَيْه فيدُقّ أحدهما البابَ ويقول : افتح يا غلام لأبى سلمة ، ثم لا يلبث البوابُ حتى يتقدم الآخرُ فيقول: افتح ويلَك فقدجاءأبو سَلَمة. ويتلوهم هو فيدُقّون جميعاً الباب، ويقولون: بادِرْ ، ويلك ، فإن أبا سلمة واقف . فإن لم يكن يعرفهم فتح لهم ، وهاب منظرَهم ، وتركَهم يدخلون ، وإن كان البوابُ قد تقدمَتْ له بهم معرفةٌ لم يلتفت إليهم ، ويستخفُّ بهم ويقول: انصرفوا فلست أفتحُ لـكم . وكانوا إذا حضروا وليمة فى بعض هذه المواضع ، أخذوا معهم فِهْرَين(٢) مدورين يسمون كل واحد منهما كيسان، فإذا وافى أحدُ المدعوين وفتح له شد أحدُهما على فِهْر فيحُطّه فى دوارة الباب عند العتبة فلا يقدِرُ البوابُ على غَلْقِه ، فيهجمون على الدار فيدخلون ، وكان إذا رآهم أهل الحقِّ أعْظَموهم لموضع القضاء . لأنهم يرون زيّة القاضى ، ويرون خلفه اثنين ، فلا يَشُـكُّون أنه قاض فيُوَسَّعُ له إلى أن يصير فى الصدر .

وكان أبو سلمة حسن الـكلام عذب الألفاظِ طَيِّبَ المحادثةِ ، فـكان إذا دخل وجرى الحديث ، أتى بكل طَريفةٍ ، وأقبل الناس عليه .

---

(١) شجوه (تجريد ــ أغانى) .
(٢) الفهر بالـكسر : الحجر قدر ما يدق به الجوز أو ما يملأ الـكف ، ويؤنث .

وكان هذا أبو سلمة من عجائب الدهر ، ولم يكن فى البصرة للطفيلية مثلُه ، فحضر يوما من الأيام فى عُرسٍ من الأعراس فتخَطّى إلى أن صار فى الصدر ، وأقبل يُحدِّثُ الناس ، وهم مقبلون عليه إلى أن قرب الطّشتُ فغَسل الناسُ أيديهم وقُدِّمَت المائدة وعليها كلُّ طعامٍ فأكل الناسُ وأكل أبو سلمةَ أكلا عظيما ، ثم قُرِّبَت الحلواء فأول ماوافى الفالوذجُ ضَرَب بيده إلى لُقمة حارّة ، وألقاها إلى فيه ، فأحْرَقَتْ فمـه ، فابتلعها لحرارتها ، فسقطت فى جوفه ، فجمعت أحشاءه فمات على المائدة ، فورَدَ على الناسِ مَوْرِدٌ عظيم فأقبل ابناه يبكيان عليه ، والناس ينظرون إليهم ويعجبون مما تمّ على الشيخِ ، وحُمل إلى منزله وكُفِّنَ ودُفِن ، فقال عبد الصمد بن المعذَّل يرثيه من أبيات :

أحزانُ نفسى عليها غيرُ مُنْصَرِمَه ... وأدمعى من جُفونى الدَّهْرَ مُنْسَجِمه
على صديقٍ ومولًى لى فُجِعْتُ به ... ما إن له فى جميع الصالحين لَمَهْ[1]
كم جَفْنَةٍ مثلِ جوفِ الحوْضِ مُتْرَعَةٍ ... كَوْماءَ جاء بها طبّاخُها رذِمه[2]
قد كللتها شحومٌ من قلايتها ... ومن سنامِ جزورٍ عَبطة سَنِمه
غُيِّبْتَ عنها فلم تَعْرِفْ لها خبرا ... لَهفِى عليك ووَيْلى أبا سَلَمَه
ولو تكون لها حيًّا لما بَعُدَت ... يوما عليك ولو فى جاحِمِ الحُطَمَهْ
قد كنت أعلم أن الأكل يَقْتُله ... لكننى كنت أخشى ذاك من تُخَمَه
إذا تَعَمَّمَ فى شبليه ثم غدا ... فإن حَوْزَةَ من يأتيه مُصْطلِمَه

كان عبد الصمد يتعشق فتى من المغنين يقال له أحمد ، فغاضبه الفتى وهَجَره فكتب إليه :

---

(١) اللمة : المثل والشكل .

(٢) الرذمة التى تسيل دسماً .

سَلْ جزَعِى مذ صَدَدْتَ عن حالى ... هــل خَطَرَ الصبرُ لى على بالِ
لا غـــيَّرَ اللهُ سوءَ فعلك بى ... إن كنتُ أَعْتَبْتُ فيــك عُذَّالِى
ولا ذَمَمْتُ البــكا عليـــك ولا ... حَمِدتُ حسنَ السُّلُوِّ من سالِى
لو كنت أبغى سواك ما جَهِلَتْ ... نفسيَ أنَّ الصدودَ أَعْفَى لِى

قال أبو شراعة: لما هجا الجمّازُ عبدَ الصمد بن المعذَّل جاءنى وقال : أَنْقِذْنى منه ، فقلت له : أمثلُك يَفْرُقُ من الجمّاز ؟ قال : نعم ، لأنه لا يبالِى بالهجاء ، ولا عِرْضَ له ، وشعره يَنفُقُ على من لا يدرى . فلم أزل حتى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فى عبد الصمد وهو :

ابن المُعَذَّلِ مَنْ هُــوَ ... ومن أبــوه المُعَذَّلُ
سألت وهبــان عنه ... فقال : بَيْضٌ مُحَوَّلُ

ووهبانُ هذا هو رجل يبيع الحمام ، فجمع جماعة من أصحابه وجعل يَغْشَى المجالسَ والمحافلَ ويَحْلِفُ لهم أن الجمازَ ماسأله عن عبد الصمد ، وأنه ما قال : أنه بَيْضٌ مُحَوَّل — ويسألهم أن يعتذروا إليه ، وصار هــذا منه نادرة وطُرْفَة . فجاءنى عبدُ الصمد يستغيثُ وقال : ألم أقل لك إن آفَــتِى منه عظيمةٌ ، وأن دَورانَ وَهْبانَ على الناسِ يَحْلِفُ لهم أنه ما قال : بَيْضٌ مُحَوَّلُ — أشد علىَّ من هجائِه لى ، فبعثتُ إلى وَهبانَ فأحضرتُه ، وقلت : ياهذا قد عَلِمْنا أن الجمازَ كَذَبَ عليك ، وعَذَرْناك فنحبُّ ألا تتكلفَ العُذْرَ إلى الناسِ فإنا قد عذرناك ، فانصرف وقد لقى عبد الصمد منه بلاء .

كان عبد الصمد يقول : هجانى الجمازُ ببيتين مُنْتَجَمَيْن فسارا فى أفواه الرجال حتى لم يبق حاضرٌ ولا بادٍ إلا رواهما . فقلت أنا فيه شعراً تركته يتحاجى فيه كلُّ أحدٍ فما رواه أحد وذلك لضَعْتِه ، وهو:

نَسَبُ الجمّازِ مقصو رٌ إليه مُنْتَهاه
يتراءى نسب النا س فما يخفى سواه
يَتَحاجَى فى أبى الجمّ از مَنْ هُو كانباه
ليس يَدْرِى من أبو الجم ازِ إلّا من يراه

بَلَغ أَبا جعفر مضرطان أنّ عبد الصمد بن المعذل هجاه ، فاجتمعا عند أبى وائلة السَّدوسِي فقال له مضرطان : بلغنى أنك هجوتنى فقال له عبد الصمد : من أنت حتى أهْجُوَكَ ؟ قال : هذا شرٌّ من الهجاء ، ووثب إلى عبدالصمد يَضْرِبُه ، فقال إسمعيل ابن إبراهيم بن حَمْدويه الحمدونى :

ألذُّ من صحبة القنانى(١) أو اقتراحٍ على قيانِ
لِكُزُ فتًى من بنى لُكَيْزٍ يُهدَى له أهْوَنُ الهوانِ
يَهْوِى له بازلٌ خِدَبٌّ(٢) يَطْحَنُ قَرْنيه بالجرانِ
ينالُ منه ثُؤورَ قَوْمٍ باليدِ طَوْراً وباللسانِ
وكان يَفْسو فصار حقًّا مُضَرِّطامن خَوف مضْرِطانِ

فبلغ عبدَ الصمد شعرُ الحمدونىّ فقال : أنا له ، ففزع الحمدونى منه فقال :

تَرَحٌ طُعِنْتُ به وَهَمٌّ واردُ أن قيل إن ابن المُعَذَّل واجدُ
هيهات أَنْ أَجِدَ السبيلَ إلى الكَرَى وابنُ المُعَذَّلِ من مِزاحى حاردُ

وكان عبدُ الصمد بن المعذل يعاشر عبدَ الله بن المُسَيّب ويأْلَفُه فبلغه عنه أنه اغتابه يوما ، وهو سكران ، وعاب شعره ، وقال إن عبدَ الصمد يأتى بأشياءَ باردةٍ غَثّةٍ ليست بحَسَنَةٍ ، فترْكُه لها أحسنُ من قولها. فقال عبد الصمد فيه وكتب إليه من أبيات :

---

(١) الأصل محنة القنان والتصويب عن الأغانى ١٣/ ٢٣٦ .
(٢) فى الأغانى أهوى ... خدب .

عتبي عليك مُقــارِنُ العُذْرِ قد زاد عنك حَفيظتي صَبْرى
لك شافع منى إلَىّ فما يَقْضِى عليك بِهَفْوَةِ فِـكْرِى
لمــا أتانى ما نَطَقْتَ بــه فى السُّـكْرِ قلت جناية السُّـكْرِ
حاشا لعبــد الله يَذْكُرُنى مُسْتَعْدِيا بنقيصتى ذِكْرى
إن عاب شعرِى أو تَحَيَّفَه فلْيَهْنِه ماعاب من شِعْرِى
يا ابن المسيب قد سَبَقْتَ بما أَصْبَحتُ مرتَهنا به شُـكْرى
فتى خَمَرْتَ فأنت فى سَعَــةٍ ومتى هَفَوْتَ فأنتَ فى عُذْرِ
تركُ العتابِ إذا استَحَقَّ أخٌ منــك العتابَ ذريعةُ الهَجْرِ

كان عبد الصمدِ بنُ المُعَذَّل قدوقع بينه وبين ابن رَهْم، فقال يهجوه من أبيات:

هــو والله مُنْصِفٌ زَوْجُه زَوْجُ زوجته
يقْسِمُ الأَيْرَ عادلا بين حِرِها وفَقْحَتِه(١)

قال محمد بن يزيد المبرد : نظر عبدُ الصمد بن المعذل إلى الأفْشِين بسُرَّ من رأى ، وهو غلام أمْرَدُ ، وكان من أحسن الناس ، وهو واقف على باب الخليفة ، مع أولاد القواد ، فأنشدنا لنفسه من أبيات :

أيها اللاحِظِى بطرف كليــــلِ هل إلى الوصْلِ بيننا من سبيلِ
عــلم الله أَنَّــنِى أتمنّى زورةً منك عنــد وقت المَقِيلِ
بعدما [قد] غدوت فى القُرْطَق الجَوْ نِ تهادَى وفى الحُسَامِ الصقيلِ
وتـكَفَّيْتَ فى المواكب تَخْتا لُ عليها تميــل كلَّ مميلِ
وأطلتَ الوقوفَ منك بباب الا قصر تَلْهو بكل قالٍ وقيــلِ
وتحدَّثْتَ فى مطاردةِ الصيـ ـد بخُبْرٍ به ورَأْيٍ أصيــلِ

---

(١) الفقحة حلقة الدبر .

ثم نازعتَ فى السنانِ وفى الرُّمْـ ح ِ(١) وعِلْمٍ بمرهَفاتِ النُّصولِ
وتـكلمت فى الطِّرادِ وفى الطعْـ نِ ووثبٍ على صِعابِ الخيولِ
وإذا ما تفرق القــومُ أقبَلْـ ت كريحانةٍ دنَتْ لذبولِ
وقد كساكَ الغبـارُ منه رداء فوق صَدْغ وجفن طرفٍ كَحيلِ
وبدَتْ وُرْدةُ البَشامةِ(٢) من خَدْ دِكَ فى مُشْرِقٍ نقىٍّ أَسَيلِ
يرْشَحُ المِسك منه سالِفَةُ الظَّبْـ ى وجيــدُ الأدمانةِ المُطْبولِ
فأسوف(٣) الغبارَ ساعــة ألقا كَ بِرَشْفِ الخدَّيْنِ والتقبيلِ
وأُحُلُّ القَبـاءَ والسيفَ من خَصْـ رِكَ رِفقاً باللُّطفِ والتعليلِ
ثم نوْئى بما هَويتَ من التشـ ريف عندى والبرِّ والتبجيلِ(٤)
ثم أجْلوكَ كالعروسِ على الشَّرْ ب تهادَى فى مُجسَدٍ(٥) مصقولِ
ثم أسقيك بعد شُرْبَى من ريـ قِك كأساً من الرحيقِ(٦) الشمولِ
وأُغَنِّيك إن هَـوِيتَ غنـاءً غـير مُسْتَنْـكَرٍ(٧) ولا مَمْـلولِ
لا يزال الخلْخَالُ فــوق الحشايا مثل أثنـاء حَيَّةٍ مفتولِ
فإذا ارتاحت النفوس اشتياقـا وتمنى الخليــلُ قربَ الخليل
كان ماكـان بيننا لا أُسمـ يه ولـكنه شفـاءُ الغليلِ

---

(١) الدرع (تجريد) ١٥٠٩ .
(٢) القسامة (التجريد) ـ والوردة بالضم الحمرة ـ والقسامة : الحسن ـ أسيل : أملس .
(٣) أسوف : أشم وكانت فى الأصل : أسرق، والتصويب عن التجريد .
(٤) التدليل (تجريد) .
(٥) المجسد : الثوب المعصفر .
(٦) المدام (تجريد) .
(٧) مستكره .

قال جامعُ هذا المُختار : سمعتُ بعضَ الفضلاء يحكى على أنه وجد فى الأغانى عن ابن المُعذَّل أن زَوْجَتَه كلفته أن يتردَّد إلى يحيى بن أكثم القاضى ، ويستمنِحه ويستعطِيه وهوَّنتْ عليه ذلك ، فقال لها :

تُكَلِّفُنى إذلال نفسى لغَيْرِها ... وهان عليها أن أُهان لتَكْرُما
تقول سَلِ المعروفَ يحيى بنَ أكثمٍ ... فقلت سَليه ربَّ يحيى بنِ أكثما

ومن شعره :

صرفت الوُدَّ فانصرفا ... ولم ترْعَ الذى سَلَفا
وبنْتَ فلم أَمُتْ كَمَداً ... عليك ولم تمت أَسَفا
كلانا واجد فى الناس ... ممن مَلَّهُ خَلَفا

كان لبعض وجوه أهل البصرة جارية يقال لها مُتيّم فعلِقَها عبدُ الصمد وكانت لا تخرج إلا مُتحجِّبةً (١) ، فخرج عبد الصمد يوما إلى نزهة وقدِمَتْ متيمُ إلى أبى عُبَيْدِ اللهِ بن الحسنِ القاضى ، فاحتاج أن يُشهِدَ عليها ، فأمرها أن تُسْفِرَ ، فلما قدم عبد الصمد قيل له : لو رأيت مُتَيَّماً وقد أسْفَرَها القاضى لرأيت شيئا حسناً لم يُرَ مثلهُ . قال : فحدثونى كيف كان ؟ قال فحدثوه كيف أتى بها وأسْفَرت وأشْهَدَ عليها، فقال عبد الصمد : لقد جددتم علىّ أحزانا ، وقال :

ولما سَرَتْ عنها القِناعَ مُتَيَّمٌ ... تَروَّحَ منها العَنْبَرِىُّ مُتَيَّما
رأى ابنُ عُبَيْدِ اللهِ وَهْوَ مَحَكَّمٌ ... عليها لها طَرْفاً عليه مُحَكَّمَا
وكان قديما كالِحَ الوجهِ عابساً ... فلما رأى منها السفورَ تبَسَّمَا
فإن يَصْبُ قَلْبُ العَنْبَرِىِّ فقَبْلَه (٢) ... صبا باليتامَى قلبُ يحيى بنِ أكثما

---

(١) منقبة (ب) .
(٢) فربما (تجريد) .

فبلغ قولَه يحيي بنَ أكثم ، فكتب إليه: عليكَ لعنةُ اللهِ ، أيُّ شيءٍ أردتَه مني، حتى أتانى شعرُكَ من البصرة ؟ وأين لك هذه الشهادةُ التى قطعتَ عليَّ بها فى شعْرِكَ؟ فقال لرسوله : قل له : مُتَيَّمٌ أقْعَدَتْكَ على طريق القافية .

جَمَعَ بين أبى تمّام الطائىِّ وعبدِ الصمد مجلسٌ ، وكان عبدُ الصمد سريعاً فى قولِ الشِّعْرِ ، وفى أبى تمام إبطاءٌ، فأخذ عبدُ الصمد القرطاسَ وكتب فيه :

أنت بين اثنتينِ تَبْرزُ للنــا ... س وكلتاهما[1] بوَجْهٍ مُذالِ

لستَ تَنْفَكُّ طالبـا لوِصـالٍ ... من حبيبٍ أو طالبا[2] لنوالِ

أيُّ ماءٍ لُحرٍّ وجْهِك يبـقَى ... بين ذُلِّ الهوى وذُلِّ السؤالِ

فأخذ أبو تمام القرطاسِ وخلا طويلا وجاء به وقد كتب :

أفِيّ تَنْظِمُ قـــولَ الزورِ والفَنَدِ ... وأنت أنْزَرُ من لا شَيْءَ فى العددِ

أشْرَجْتَ قلبَكَ من بُغْضى على حُرَقٍ ... كأنها حركاتُ الروح فى الجَسَدِ

أقْدَمْتَ وَيْحَك من هَجْرِى على خَطَرٍ ... كالعَيْرِ يَقْدُم من خوفٍ على الأَسَدِ

فقال له عبد الصمد : ياعاضّ بَظْرَ أُمه ، يا غَثّ ، أخبرنى عن قوْلك :

... ... أنزَرُ من لا شيءَ فى العَدَدِ

كيف يكون لا شيء فى العَدَدِ ـ وأخبرنى عن قولك : أشرَجت قلبَك . قلبي مَفرَشٌ أو عَيْبَةٌ أو خُرْجٌ فأُشْرِجه، عليك لعنةُ الله فما رأيت أغثَّ منك ـ فانقطع أبو تمام انقطاعا ما يُرى أقبحُ منه وقام وانصرف وما راجعه بحرف .

---

(١) بكلتيهما (تجريد) .

(٢) أو راغبا فى (تجريد) .

شرب عليّ بنُ عيسى بنجعفرٍ وهو أميرُ البصرة الدُّهْنَ فدخل عليه عبدُالصمد بعد خروجه مما شَرِبَه فقال :

بأيمَنِ طائرٍ وأسَرِّ بالِ — وأعلَى رتبةٍ وأَجَلِّ حالِ

شربتَ الدُّهْنَ ثم خرجتَ عَنْه — خروجَ المَشْرَفِيِّ من الصِّقالِ

تَكَشَّفَ عنك ما عايَنْتَ منه — كما انكشف الغمامُ عن الهلالِ

وقد أهديت رَيْحانا ظريفا — به حاجيتُ مُسْتَمِعا سُؤالِي

وما هو غيرُ ياءٍ قبل(١) حاءٍ — وقد سبقا بجيم قَبْـلَ دالِ

وريحانُ النبات يَعيشُ يوما — وليس يموت ريحانُ المَقالِ

ولم يك مُؤْثِراً تُفَّاحَ شَمٍّ — على تُفَّاحِ أسماعِ الرجالِ

ودخل رجل على أبى المُسْتَهِلّ الاسكافى ، وكان عبد الصمد حاضراً ، فدفع إليه رقعة ، فدفع أبو سهل الورقة إلى عبد الصمد فقرأها ، فإذا فيها :

هذا الرحيلُ فهل فى حاجتى نَظَرٌ — أولا فأعْلَمُ ما آتى وما أَذَرُ

فقال: أجب عنها. فكتب عبد الصمد :

النفسُ تسخو ولكن يَمْنَع العُسرُ — والحُرُّ يَعْذُرُ من بالعُسْرِ يَعْتَذِرُ

ثم قال عبد الصمد لأبى سهل هذا الجواب قَوْلًا ، وعليك أعزك اللهُ الجوابُ فِعْلا ونُجْحُ سَعْيِ الآملِ واجبٌ على مثلك. فاستحيا وأمر للرجل بمائةِ دينار .

كان لأحمدَ بنِ المُعَذّل ابنٌ تَيّاهٌ شديد الذهابِ بنفْسِه مُبَغّضٌ عند أهل البصرة، فمر يوما بعمه عبد الصمد فقال :

لو كان يُعْطَى المُنَى الأعمامُ بابن(٢) أخٍ — أصبحتَ فى جَوْفِ قُرْقُورٍ إلى الصين

---

(١) فى الأغانى : بعد مكان قبل .

(٢) فى ابن (أغانى ١٣ : ٢٠٧) والقرقور : السفينة .

قد كان هما طويـــلا لا يُقـامُ له ... لو كان رؤيَتُنـا إياكَ(١) فى الحِينِ
فـكيف بالصبرِ إذا أصبحتَ أكثَرَ فى ... مجالِ أعيُنِنا من رَمْلِ يـبرينِ
يا أبغضَ الناس فى عُسْرٍ(٢) ومَيْسَرةٍ ... وأقْذَرَ الناسِ فى دنيـا وفى دِينِ
لو شاء رَبِّى لأضْحَى واهباً لأخِى ... بُمرٍّ ثُـكْلِكَ أجراً غـيرَ مَمْنونِ
وكان خـيراً له لو كان مـؤتزراً ... فى السالفاتِ علـى غُرْمول عِنِّينِ
وقائلٍ لِىَ : ما أضْنَاكَ؟ قلتُ له : ... شخصٌ ترَى وجْهَه عيـنِى فيُضْنِيـنِى
إن القلوبَ لتُطْوَى منك يا ابن أخى ... إذا رأتك على مِثْلِ السكاكينِ

---

(١) قد كان هم طويل لا ينام له ... لو ان رؤيتنا .. (أمالى) .
(٢) فقر (أمالى) .

عبدُ الرحمنِ بنُ الحَكَم(١)

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس .

وأمه ، أم أخيه مروان ، آمنةُ بنتُ صفوان بن أمية بن مُحَرِّق بن شِقّ ابن رقية(٢) بن مذحج بن كنانة .

وكنيته عبد الرحمن أبو مُطَرِّف .

شاعر إسلامى متوسط الحال ، فى شعراء زمانه .

وكان يهاجى عبدَ الرحمنِ بنَ حسانِ بن ثابتٍ فيقاوِمُه وينتصفُ كلٌّ واحد منهما من صاحبه .

رأى مروانُ بن الحكم يطوفُ بالبيت وهو يقول : اللهم أَذْهِبْ عنى الشِّعرَ .

وأخوه عبد الرحمن ، يقول : اللهم إنى أسألك ما استعاذ بك منه . فذهب الشعرُ عن مروان وقالَه عبدُ الرحمن .

لما عزَلَ معاويةُ بن أبى سفيان مروانَ بن الحكم عن الحجاز ، ووَلّى سعيدَ ابن العاص قَدِمَ عبدُ الرحمن بن الحكم على معاوية لأن أخاه قال له : إلْقَه أمامى وعاتِبْه لى واستَصْلِحْه .

وقيل : بل كان عبدُ الرحمن فى دمشق فلما بلغَه خبرُ أخيه خرج إليه فتلقّاه وقال له : أقِمْ حتى أدخل على الرَّجُلِ ، فإن كان عَزَلك عن مَوْجِدَةٍ دخلتُ إليه منفرداً وإن كان عن غير مَوْجِدة دخلتُ إليه مع الناسِ . فأقام ومضى عبد الرحمن أمامه .

---

(١) أغانى ١٣ : ٢٥٩ والتجريد ١٥١٢ ومهذب ٧ : ٤٣ .

(٢) فى الأغانى : شق بن رقية بن مخدج وفى الأصل ا ، ب : ابن سورقية .

فلما قدم على معاوية دخل إليه وهو يُعَشِّى الناسَ فقال :

أَتَتْكَ العِيسُ تَنْفَخُ فى بُراهــا تَــكَشَّفُ عن مناكِبِها القُطوع

بأبيضَ من أُمية مَضْرَحِيٍّ (١) كأن جبينَه سيفٌ منيعُ (٢)

فقال له معاوية: أزائراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً ؟ قال : أى ذلك شئتَ. قال : ما أشاء من ذلك شيئا ، وأراد معاوية أن يقطع عَنْ كلامِه الذى عَنَّ له فقال : على أى الظَّهْرِ أتيْتَنَا ؟ قال : على فَرَس ، فقال : فما صنعت ... ... غلالة أَجش هزيم ... ...

يُعَرِّضُ بقول النجاشى له :

ونجَّى ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذوغُلالة أَجَشُّ هَزِيمٌ والرِّماحُ دَوانى

إذا خِلْتَ أطرافَ الرماح تَنَالُه مَرَتْه به الساقان والقَــدمانِ

فغضب معاوية وقال: أما إنه لا يَرْكَبُه صاحِبُه فى الظُّلَمِ إلى الرِّيَبِ ولا هو مِمَّنْ يَتَسَوَّرُ على جاراتِه ولا يتوثبُ على كَنائِنِه بعد هَجْمَةِ الناسِ .

وكان عبد الرحمن مُتَّهما بذلك فى امرأة أَخيه ، فخجل عبدُ الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ما حَمَلَكَ على عَزْل ابن عمك ؟ ألجناية أَوْجَبَتْ سُخْطا ؟ أم لرأى رأيتَه وتدبير أصْلَحْتَه ؟ قال : بل لرأى رأيتُه وتدبير أصْلَحْتُه، قال : فلا بأس بذلك. فخرج فلقى أخاه مروانَ فأخبره بما جرى فاستشاط غيظا . وقال لعبد الرحمن : قبحك الله ما أضْعَفَكَ ، عرضْتَ للرجل بما أغْضَبَه حتى إذا انتصف منك أحْجَمْتَ عنه . ثم لَبِسَ حُلَّتَه وتقلد سيفه وركب فَرَسَه ودخل على معاوية ، فقال له حين رآه وتبينَ الغضبَ فى وجهه : مرحبا بأبى عَبْدِ الملكِ، لقد زُرْتَنا بعد اشتياق منا إليك ،

---

(١) المضرحى : السيد الكريم .

(٢) صنيع (أغانى) .

فقال : لا والله ما زرتُك لذلك ولا قَدِمْتُ عليك فألفَيْتُك إلا عاقًّا قاطعا . والله ما أنصَفْتَنا ولا جَزَيْتَنا جزاءنا . لقد كانت السابقةُ من بني عبد شمس لآل أبي العاصي والصهْر برسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، والخلافةُ فيهم ، فوصَلُوكم يا بني حَرْب ، وشرفوكم ووَلَّوْكُمْ فما عَزَلُوكم⁽¹⁾ ولا آثَرُوا عليكم حتى إذا وُلِّيتم وأفضَى الأمرُ إليكم أبَيْتُم إلا أثَرَةً وسوءَ صنيعةٍ وقُبْحَ قطيعةٍ ، فرويداً رويداً ، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفا وعشرين ، وإنما هي أيام قلائل حتى يَكْمُلوا أربعين ، ويعلم امْرُؤٌ أين يكونُ منهم حينئذ ، ثم هُمْ للجزاء بالْحُسْنَى والسُّوءَى بالمرصاد .

وقيل : قال له معاوية : عَزَلْتُك لثلاثٍ لو لم يكن إلا واحدةٌ منهن لأوْجَبَتْ عزلَك ، إحداهن أنى أمَّرْتُك على عبد الله بن عامر ، وبينكما ما بينكما ، فلم تستطع أن تَشْتَفِي منه ، والثانية كراهِيَتُك لأمرِ زياد ، والثالثة أن ابْنَتِي رملةَ استعْدَتْك على زوجها عَمرِو بن عثمانَ فلم تُعْدِها ، فقال مروان : أما ابْن عامر فإني لا أستَنْصِرُ منه في سلطاني ولكن إذا تساوت الأقدامُ عَلِمَ أين مَوْقِعُه . وأما كراهتي أمرَ زياد فإن سائرَ بني أمية كَرِهوه ، ثم جعل الله لنا في تلك الكراهة خيراً كثيراً ، وأما استعداء رملة على عَمْرٍو فوالله إنه لتأْتِي عَلَيَّ سنةٌ أو أكثرُ وعيبتي⁽²⁾ بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا يُعَرِّضُ بأن رَمْلَةَ إنما تَسْتَعْدِي عليه طلباً للنكاح . فقال له معاوية : يا ابن الوَزَغِ ، لستَ هناك . فقال مروان : هو ذاك الآن ، والله إني لأبو عشرة ، وأخو عشرة ، وقد كاد ولدي أن يُكْمِلُوا العِدَّةَ — يعني أربعين — ولو قد بلغوها لعلمت أين تقَعُ مني . فانخزلَ معاويةُ ثم قال :

فإن أكُ في شِرارِكُمو قليلا ... فإني في خيارِكُمو كثيرُ
بغاثُ الطَّيرِ أكثرُها فِراخا ... وأُم الصَّقْرِ مقلاتٌ نزورُ

---

(١) في الأصل (وعزلوكم) والتصويب عن الأغاني وبه يستقيم المعنى .

(٤) عيبة الرجل: موضع سره . وفي التجريد والأغاني (وعندي).

فلما فرغ مروانُ من كلامه استخْذَى معاوية فى يده وخَضَع له وقال : لك العُتْبَى وأنا رادُّك إلى عمَلِك . فوثب مروانُ وقال : كلا ، والله . وعَيْشِك ، لا رأيتنى عائداً إليه أبداً . وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيتُ لك سَقْطَةً مِثْلَها قطّ . ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأىُّ شىء يكون منه ومن بنى أبيه إذا بلغوا أربعين؟ وأىَّ شىء تخشاه منهم ؟ فقال: ادنُ منى أُخبِرْك بذلك ، فدنا منه، فقال له: إن الحكَمَ بن أبى العاصى كان أحَدَ من وفَدَ معَ أُختى أُمِّ حبيبة ، لما زُفَّتْ إلى النبى، صلى الله عليه وسلم ، وهو تولى نَقْلَها إليه ، فجعل النبىُّ صلى الله عليه وسلم يَحُدّ النظر إليه ، فلما خرج من عنده قيل له : يا رسولَ الله ، لقد حَدَّدْتَ النظرَ إلى الحكم فقال : ابن المخزومية ؟ ذلك رجُلٌ إذا بلغ ولدُه ثلاثين ــ أو قال أربعين ــ ملَكُوا الأمر بَعْدِى ، فوالله لقد تَلقَّاها مروانُ من عينٍ صافية . فقال له الأحنف : لا يَسْمَعَنّ هذا منك أحَد ، فإنك تَضَع من قَدْرِك وقَدْرِ ولدِك بَعْدَك ، وإن يَقْضِ الله عز وجل أمراً يكُنْ . فقال له معاوية : فاكْتُمها علىَّ يا أبا بحر إذاً فقد ، لعَمْرِى ، صَدَقْتَ ونَصَحْتَ .

كان عبدُ الرحمن بن الحكم عند يزيد بن معاوية ، وقد بعثَ إليه عبيدُ الله ابنُ زياد برأسِ الحسين بن على ، رضى الله عنهما ، فلما وضع بين يدى يزيد فى الطست بكى عبدُ الرحمن ثم قال :

أَبْلِـغ أَميرَ المؤمنين فلا تـكن ... كمُوتِرِ أقْواسٍ وَليس لها نَبْلُ
لهَـامٌ بجَنْب الطَّفِّ أدْنَى قرابـةً ... من ابن زياد الوغدى الحسب الرذْلِ
سُمَيَّةُ أمسى نسلُها عددَ الحصَى ... وبنتُ رسولِ الله ليس لها نَسْلُ

فصاح به يَزيد : اسكت يا ابن الحمقاء، وما أنتَ وهذا .

قال ابن أبى مليكة : رأيت بنى أمية يتتابعون نحو ابن عباس من حِينِ نفى

ابنُ الزبيرِ بنى أُميةَ عن الحجازِ ، فذهبت معهم ، وأنا غلام ، فلقينا رجلا خارجا من عنده ، فدخلنا عليه فقال له عُبَيْدُ بن عُمَيْر : مالى أراك تَذْرِفُ عيناك ؟ فقال : إن هذا ، يعنى عبد الرحمن بن الحكم ، قال بيتا أبكانى وهو :

وما كنتُ أخشى أن ترى الذُّلَّ نِسْوَتِى وعبدُ منافٍ لم تَغُلْها الغوائلُ

فذكرت قرابةً بيننا وبين بنى عَمِّنا بنى أُمية ، وأنّا إنما كنا أهل بيت واحد فى الجاهلية حتى جاء الإسلامُ فدخل الشيطان بيننا أيَّما مَدْخل .

كان عبد الرحمن بن الحكم مُولَعا بجارية لأخيه مروان يقال لها شنباء ، ويَهيمُ بحبها ، فبلغ ذلك مروانَ فنهَرَه وتَوعَّده وتحفظ منه فى أمر الجارية ، وحجبها عنه ، وقال عبد الرحمن فيها :

لعَمْرُ أبى شَنْباءَ إنى بذِكْرِها وإن شَحَطَتْ دارٌ بها لَحَقيقُ

وإنِّى لها ، لا يَنْزِعِ اللهُ ما لَها لَدَىَّ[1] ، وإن لم تَرْعَهُ ، لصديق

ولما ذَكَرْتُ الوصلَ قالتْ وأَعْرَضَتْ متى أنت عن هذا الحديثِ مُفيقُ

لما ادعى معاوية زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم فى ذلك والناس ينسبونها إلى ابن مُفرِّغٍ وذلك غلط :

ألا أَبلِغْ مُعاويةَ بنَ حرب مُغَلْغَلَةً من القَرْمِ الهِجان[2]

أتغضبُ أن يقال أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال أبوك زانى

فأشْهَدُ أن رَحْمَكَ من زيادٍ كرَحْمِ الفيلِ من وَلَدِ الأتانِ

وأشهد أنها ولدت زياداً وصخرٌ من سُمَيَّة غيرُ دان

---

(١) على (أغانى) .

(٢) القرم: السيد العظيم ــ الهجان من كل شىء : خياره وخالصه، ورجل هجان : كريم حسيب .

فبلغ ذلك معاوية فحلف ألا يَرْضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد ، فخرج عبدالرحمنُ إلى زيادٍ فلما دخل عليه قال: إيه ياعبد الرحمن، أنت القائل :

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... ...

فقال: لاأيها الأمير ما كذا قلت ولـكنى قلت :

ألا مَنْ مُبلِغٌ عنى زياداً ... مغلغلةً من القَرْمِ(١) الهجانِ
من ابن القَرْمِ قَرْمِ بنى قُصَىٍّ ... أبى العاصى بن آمنةَ الحصانِ
حلفت برَبِّ مكة والمُصَلَّى ... وبالتوراة أحلفُ والقُرانِ
لأنت زيادةٌ فى آل حَرْب ... أَحَبُّ إلىَّ من وُسْطى بنَانِى
سُرِرْتُ بقُرْبه وفَرِحْت لمـا ... أتانى الله منـه بالبيـانِ
وقلت له أخو ثِقَةٍ وعَمّ ... بعون الله فى هـذا الزَّمانِ
كذاك أراك والأهواء شَتَّى ... فما أدرى بغيْبٍ ما ترانى

فرضي عنه زياد ، وكتب بذلك إلى معاوية ، فلما دخل عليه بالـكتاب ، قال: أنشدنى ما قلت لزياد، فأنْشَده فتبسم ثم قال :

قبح الله زياداً ما أجهله والله لما قلتَ له حيث تقول :

لأنت زيادة فى آل حرب ... ...

شرٌّ من القولِ الأولِ ولـكنك خَدَعْتَه فجازَتْ خديعتُـك عليه .

استعمل معاويةُ بن أبى سفيان الحارثَ بن الحـكم بن أبى العاصى على غَزاة البَحْرِ فنكَصَ واستعْـفَى فوجَّهَ مكانه ابن أخيه عبدَ الملك بنَ مروانَ وهو يومئذ شاب ، فمضى وأبْلَى بلاءً حسنا . فقال عبدُ الرحمن بنُ الحـكم لأخيه الحارث :

---

(١) الرجل (أغانى) .

شَنَأْتُكَ إذ ارَأَيْتُكَ حُوتَكِيًّا[١] قريبَ الْخُصْيَتَيْنِ من التُّرابِ
كأنك قَمْلَةٌ لقحت كشافا لبُرْغُوثٍ بيعْرة أو صُؤابِ[٢]
كفاكَ الغَزْوَ إذ أحجمتَ عنه حديثُ السن مُقْتَبلُ الشبابِ
فليتكَ حَيْضَةٌ ذهبت ضلالا وليتك عند مُنْقَطَع السرابِ

نظر عبد الرحمن بن الحكم إلى قتلى قريش يوم الجمل فبكى وأنشأ يقول :

أيا عين جودى بدَمْعٍ سَرِبْ على فِتْيَةٍ من خيار العَرَبْ
وما ضرَّهُم عند حَيْنِ النفوسِ أىَّ أَميرَىْ قريشٍ غَلَبْ

عرض معاويةُ على عبد الرحمن بن الحكم خَيْله فمر به فرسٌ فقال له : كيف تراه ؟ قال : سابح . ثم عرض عليه آخر فقال : هذا ذو عُلالة، ثم مر به آخر فقال : هذا أجَشُّ هزِيم. فقال له معاوية: قد علمتُ ما أردت إنما عرَّضْتَ بقول النجاشي فيّ:

ونجى ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلالةٍ أجشُّ هَزِيمٌ والرماحُ دَوانى
سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى سَنْجُ النَّسَا كَسِيدِ الغَضَا باقٍ على النَّسَلَانِ

أُخرج عنى ولا تساكِنّى فى بلد ، فتلقى عبدُ الرحمن أخاه مروانَ فشكا إليه معاويةَ فقال له عبدُ الرحمن : حتى متى نُسْتَذَلّ ونُضام ؟ فقال له مروان : هذا عَمَلُك بنَفْسك فقال :

أَتقْطُرُ آفاقُ السماءِ لنــا دَماً إذا قلت هذا الطّرْفُ أجردُ سابحُ
فحتى متى لا نَرْفَعُ الطرفَ ذِلَّةً وحتى متى تَعْيَا عليك المنـائحُ

فدخل مروانُ على معاوية فقال له : حتى متى هذا الاستخفاف بآل أبى العاص ؟ أماوالله إنك لتَعْلم قول النبى صلى الله عليه وسلم فينا ، ولقل ما بَقِى من الأَجَل . فضحك معاوية ، وقال : لقد عفوتُ لك عنه يا أبا عبد الملك .

(١) الحوتكى : القصير الضاوى (قاموس ـ حتك) وهى فى الأصل حوبكيا .
(٢) الصؤاب جمع صؤابة وهى بيضة القمل .

ديك الجن (1)

ديكُ الجِنِّ لقبٌ غَلَبَ عليه .

وهو عبد السلام بن رَغْبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رَغْبَان (2) ابن زيد بن تميم .

وكان جَـدُّه تميمٌ ممن أنعم الله ، عز وجل ، عليه بالإسلام من أهلِ مؤتة (3) على يد حَبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرِىّ .

وكان شديدَ التَّشَعُّبِ والعَصَبِيَّةِ على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضلٌ ، جَمَعَنا وإياهم وِلادةُ إبراهيمَ ، وأسْلَمْنا كما أسْلَموا ومَنْ قتَلَ منهم رجلًا قُتِلَ به ، ولم نَجد الله ، عز وجل ، فَضَّلَهم علينا إذ جَمَعَنا الدين .

وهو شاعر مُجيد ، يذهب مَذْهَبَ أبى تمام والشاميين فى شعره .

من شعراء الدولة العباسية، [وكان من] ساكنى حِمْص ولم يَبْرَحْ نواحى الشام ولا وَفَد على العراق ، ولا على غيره منتجعا بشعره إلى أحد .

وكان ماجنا خليعا ، منعكفا على اللهو والقصف ، متلافا لما وَرِث عن أبيه .

وكان مُتَشَيِّعا تَشَيُّعا حسنا ، وله مراثٍ كثيرةٌ فى الحسين ، رضى الله تعالى عنه ، وعدة أشعار فى هذا المعنى .

وكانت له جاريةٌ يهواها فاتَّهَمَها بغلام له فقتلها ، واستنفد شِعْرَه بعد ذلك فى مراثيها .

---

(1) أغانى ١٤ : ٥١ ـ التجريد ق ٢ ج ١ ـ ١٥٤١ .

(2) فى الأصل : عنان بن يزيد .

(3) مؤتة : قرية من أرض البلقاء من الشام وكانت بها غزوة فى جمادى الأولى سنة ثمان . التقى فيها المسلمون بالروم . وكانت كلمة مؤتة فى الأصل (بيته) .

ومن شعره :

أنتِ حديثي فى النومِ واليَقَظَه ... أَتْعَبْتُ مما أَهْذِى بك الحفَظَه

كم واعظٍ فيك لى وواعظةٍ ... لو كنتُ ممن تَنهاه عَنْك عِظَه

وكان عبدُ السلام قد اشتهر بجارية نصرانيةٍ ، من أهل حمص هَوِيَها ، وغلبَتْ عليه ، وذَهَبَتْ به ، فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ، فأجابته لعلْمِها برغبته فيها فأسلمت على يده فتزَوّجها وكان اسمها وَرْداً ففى ذلك يقول :

انظر إلى شمسِ القصورِ وبَدْرِها ... ولِلَوْنِ حُمرتها[(١)] وبَهْجَةِ زَهْرِها

لم تَبْكِ[(٢)] عينُك أبيضاً فى أسْوَدٍ ... جمع الجمال كوجْهِها فى شَعْرِها

وَرْدِيَّةُ الوجنات يَخْتبِرُ اسْمَها ... من نَعْتِها من لا يُحيطُ بخُبْرِها

وتمايلتْ فضَحِكتُ من أردافها ... عَجَباً ولكنى بَكَيْتُ لخصْرِها

تَسْقيك كأسَ مدامةٍ من كفِّها ... وردية ومُدامة من ثغرِها[(٣)]

وكان قد أعْسَرَ واختلّت حالُه فرحل إلى سَلَمْية[(٤)] قاصداً لأحمد بنِ على الهاشمى ، فأقام عنده مدة طويلة وحمل ابنَ عَمِّه على بغضِه إياه [بعد مودته وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أنه أذاع على تلك المرأة التى تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاما له ، وقرر ذلك جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه . . .][(٥)] فشاع الخبر حتى انتهى إلى عبد السلام فكتب إلى أحمد بن على شعراً يَسْتأذِنُه فى الرجوع إلى حمص ، ويعلمه ما بَلَغَه من خَبَرِ المرأةِ من قصيدة أوّلُها :

---

(١) وإلى خزاماها (أغانى ١٤ : ٥٥ وتجريد : ١٥٤٢) .

(٢) لم تبل (تجريد) .

(٣) فى الأصل تقديم وتأخير فى وضع أشطر البيتين الأخيرين والتعديل عن التجريد .

(٤) سلمية من أعمال حماه .

(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل ، ونقلناه عن الأغانى لما يقتضيه السياق .

إن رَيْبَ الزمانِ طال انتكاثُه كم رَمَتْنِى بحادثٍ أَحْدَاثُه

[يقول فيها] :

ظَبْيُ إنسٍ قَلبى مَقيلُ ضُحاه وفُؤادى بَرِيرُه وكَبَاثُه(١)

[وفيها يقول] :

خيفةً أن يخون عهدى وأن يُضْ حِى لغيرى حُجُوله ورِعاثُه(٢)

ومدح أحمدَ فيها ، فأمره بالرجوع ، فرجع إلى حمص وفر ابنُ عَمِّه ، وقت قدومه ، فأرصدَ له قوما يُعْلمونه بموافاته باب حمص ، فلما وافاه ، خَرَجَ إليه مُسْتَقبِلًا ومُعَنِّفًا على تمَسُّكه بهذه المرأة بعد ما شاع أمرُها بالفساد ، وأشار عليه بطلاقِها ، وأَعلمه أنها أَحْدَثَتْ فى مغيبه حادثةً لا يَجْمُلُ [به] معها القيامُ عليها ودَسَّ الرجلَ الذى رماها به ، وقال : إذا قدم عبدُ السلام فقِفْ على بابه ، كأنك لم تعلم بقدومه ، ونادِ باسم وَرْدِ فإذا قال : من أنت ؟ فقل : أنا فلان ، فلما نزل عبدُ السلام مَنْزِلَه وألقى ثيابَه سألها عن الخبر وأغلظ عليها ، فأجابته جوابَ من لمْ يَعرف من القصةِ شيئًا، فبينا هو فى ذلك إذ قُرِعَ البابُ فقالت : من هذا ؟ فقال : أنا فلان ، فقال لها عبدُ السلام : يازانية زعمتِ أنك لا تعرفين مِنْ هذا شيئًا ، واخْتَرَطَ سيفَه وضربَها فقتَلها وقال :

ليتنى لم أَكُنْ لعطفِك نِلْتُ وإلى ذلك الوصالِ وَصَلْتُ

فالذى منى اشْتَمَلْتُ عليه العارُ ما قَدْ عليه اشتَمَلْتُ

قال ذو الجهلِ قَدْ حَلُمْتَ ولا أعلم أنى حلُمتُ حتى جَهِلْتُ

---

(١) البرير: من ثمر الأراك ، والكباث ما نضج منه .

(٢) الحجول جمع حجل : وهو الخلخال ـ والرعاث : ما يعلق فى أذن المرأة من القرطة والواحدة رعثة .

لائمٌ لى بجَهْلِه ولماذا أنا وحدى أَحْبَبْتُ ثم قَتَلْتُ
سوف آسَى طولَ الحياةِ وأَبكيـ ـكِ على ما فَعَلْتِ لا ما فعَلْتُ

وقال أيضا فيها :

لك نَفْسٌ مواتيه والمنايا مُعَادِيَه
أيها القلب لا تَعُد لهوَى البيض ثانيه
ليس بَرْقٌ يكون أخـ ـلَبَ مِنْ بَرْقِ غانيه
خُنْتِ سِرِّى ولم أَخُنْـ ـكِ فمُوتِى عَلانيه

ثم بلغ السلطانَ خَبَرُه فطَلَبَه ، فخرج إلى دمشق ، فأقام بها ، وكتب أحمدُ ابن عَلِيٍّ إلى أميرِ دمشقَ يَسْأَلُه أن يُؤَمِّنَه ويحمل عليه بإخوانه حتى يَسْتوهبوه جنايَته ، فقدم حمص ، وبلغه الخبرُ على حقيقته وصِحَّته فندِم ، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ، ولا يطعم من الطعام إلا ما يُمْسِكُ رَمَقَه .

وقال فى ندبه عليها :

ياطَلْعَةً طلع الحِمَامُ عليها وجنى لها ثَمَرَ الردى بيدَيْها
رَوَّيْتُ من دمِها الثَرَى ولطالما رَوَّى الهوَى شَفَتَىَّ من شفتيْها
مَكَّنْتُ سيفِى (١) فى مجالِ وشاحِها ومدامعى تَجْرِى على خَدَّيْها
فوَحَقِّ نَعْلَيْها فما وطِىءَ الحَصَى شىءٌ أَعَزُّ علىَّ من نَعْلَيْها
ما كان مقتلُها (٢) لأنى لم أكن أَبكِى إذا سقط الذبابُ عليها
لكن ضَنَنْتُ على العيون بحُسْنِها وأَنِفْتُ من نَظَرِ الحسودِ إليها

وتروى هذه القصيدة لغيره .

---

(١) قد بات سيفى (أغانى) .
(٢) قتلیها (أغانى) .

قيل كان فى غَطَفانَ فَتًى يقال له السُلَيْكُ بن مجمّع ، وكان من الفرُسان ، وكان مطلوبا فى سائر القبائل بدماء قَوْمٍ قتلهم وكان يَهْوَى بنتَ عمٍّ له ، فكان يخطبُها مُدَّةً ، فيمنعُها أبوها ، ثم زَوَّجها خوفا منه ، فدخل بها فى دار أبيها ثم نقلَها بعد أُسبوع إلى عَشيرتِه ، فلقيه من فزارة ثلاثون فارسا كلهم يَطْلُبُه بدَمٍ فقاتلهم فقتَلَ منهم عددا ، وأَثْخَنَ بالجراح آخرين وأُثْخِنَ هو حتى أيْقَن بالموت ، فعاد إليها فقال : ما أسْمَح بكِ نَفْساً لهؤلاء ، وإنى أُحِبُّ أن أُقَدِّمَك قَبْلى . قالت : افعلْ ، ولو لم تَفْعَلْه لفعَلْته أنا بَعْدَكَ . فضربها بسيفه حتى قتَلَها وقال :

يا طلعة [طلع] الحمام عليها ... ... الأبيات

ثم نزَلَ إليها وتمرَّغ بدمها ، وتخضب به ، ثم تَقَدَّم فقاتل حتى قُتِلَ . وبلَغَ قوْمَه خبرُه فحملوه وابنةَ عَمِّه ودفنوهما وحَفِظَتْ فزارةُ عليه الأبياتَ فنقَلوها ، وقيل : إن قَوْمَه أدركوه وبه رَمَق فسمعوه يُرَدِّد الأبياتَ فحفظوها ، وبقى عندهم يوما ومات .

وقال ديك الجن فى هذه المقتولة :

أشفَقْتُ أن يرِدَ الزمانُ بِغَدْرِه ... أو أُبتَلَى بعد الوِصال بهَجْرِهِ
قمر أنا استَخْرَجْتُه من دُجْنِه ... لبَلِيَّتِى وجَلَوْتُه من خِدْرِهِ
فقتَلْتُه وبه علىَّ كرامةٌ ... مِلْءُ الحشا . وله الفؤادُ بأسْرِه
عهدى به مَيْتا كأحسنِ نائمٍ ... والحزْنُ يَسْفِى[1] عَبْرَتِى فى نَحْرِه
لو كان يَدْرِى الميتُ ماذا بَعْدَه ... بالحىِّ[2] كان بكَى له فى قَبْرِه
غُصَصٌ تكاد تفيظ منها نَفْسُه ... ويكادُ يخرج قلبُه من صَدْرِه

---

(١) يسفح دمعتى (أغانى) .

(٢) بالحى حل (أغانى) .

كان ديك الجن يَهْوَى غلاما من أهل حمص يقال له بكر بن رُهم[(١)] ، وكان شديدَ التمنُّعِ والصَّوْنِ ، فاحتال عليه قوم من أهل حمص فأخرجوه إلى منتزه لهم يعرف بمِيماسَ فأسْكَروه وفَسَقُوا به جميعا ، وبلغ ذلك ديكَ الجِنّ فقال فيه :

قـل لهضيم الـكَشْحِ مَيَّاسِ ... أُنتقِضَ العهدُ من النـاسِ
ياطاقةَ[(٢)] الآسِ التى لم تمـد ... إلا أَذَلَّتْ قُضُبَ الآس
وَثِقتَ بالـكاسِ وشُرَّابِهـا ... وحَتْفُ أمثـالك فى الـكاس
وَرَدْتَ[(٣)] مِيماساً ويا بُعْدَ ما ... بَيْنَ مُغيثيك وميماس
تُقَطِّعُ أنفاسَـك فى إثْرهم ... ومُلْـكُهُم قَطَّع أَنفاسى
لا بأس مولاى عـلى أَنَّها ... نِهايةُ المـكروهِ والبـاسِ
بَيْنا أنافتْ وعَلَّتْ بالفَـتَى ... إذ قيل حَطَّتْه على الراس
فالهُ ودَعْ عنـــك أحاديثَهم ... سيصبح الذاكِرُ كالنَّاسِى

وقال فيه وقد جلسا يتحادثان حتى غاب القمر :

دَعِ البَدْرَ فليَغْرُبْ فأنت لنا بَدْرُ ... إذا ما تَجَلَّى من محاسِنك الفَجْرُ
إذا ما انْقضَى سِحْرُ الذين ببابلٍ ... فطَرْفُك لى سِحرٌ وريقُك لى خَمْرُ
ولوقيل لى قُمْ فادْعُ أحسنَ من ترى
لصِحْتُ بأعْلَى [الصوت] يا بَـكْرُ يا بَـكْرُ

وقال فيه أيضاً :

يا بَدْرُ ما فعلت بك الأرطال[(٤)] ... يا دارُ ما فَعَلَتْ بك الأيامُ

---

(١) فى الأغانى والتجريد : بكر بن دهمرد .
(٢) يا طلعة (أغانى) .
(٣) وحال ميماس (أغانى) .
(٤) فى الأصل (الأبطال) والتصويب عن الأغانى، ويريد بها أرطال الخمر .

في الدارِ بَعْدُ بقيــةٌ نستامها ... إذ ليس فيك بقيــةٌ تُسْتام
عَرِمَ الزمانُ على الديارِ برَغْمِهِمْ ... وعليـك أيضا للزمانِ عُرام
شغل الظلام كراكَ عن ديوانهم[1] ... وتفرغت لدواتك الأقــلام

وقال فيه أيضاً :

قولا لبَكْرِ بن دَهْمَرْد[2] إذا اعتكرت ... عسا كرُ الليلِ بين الطاسِ والجامِ
أَلَمْ أَقُلْ لك إن البَغْيَ مَصْرَعَةٌ[3] ... والبَغْيُ والعُجْبُ إفسادٌ لأقــوام
قَدْ كُنْتَ تَنْفِرُ[4] مِنْ سَهْمٍ بِغانية ... فصِرْتَ غير ذَميمٍ جعْبَة الرامي
وكنت تَفْزَعُ من لَمْسٍ ومن قُبَلٍ ... فقد ذَلَلْتَ لإسراجٍ وإلجــامِ
وإنْ تَدُمْ فَخُذْ ذاك من رَكْضٍ فرُبَّما ... أُمسي فؤادي عليلٌ موجعٌ دامي[5]

وقال يُعَزِّي جعفرَ بن عَلِيٍّ الهاشميَّ من قصيدة :

نَغْفُلُ والأيامُ لا تَغْفُلُ ... ولا لنا من زَمَنٍ مَوْئِلُ
إذا عفا عنك وأَوْدَى بنا ... ذا الدهرُ فهْوَ المُحْسن المُجْمِلُ

ثم مات جعفرُ بن عَليٍّ فقال يرثيه :

على هــذه كانت تدورُ النوائبُ ... وفي كل جَمْع للذهابِ مَـذاهِبُ
ألا أَيُّها الركبــانُ والردُّ واجبٌ ... قفوا خبِّرونا ما تقول النَوادِبُ
إلى أي فتيانِ الندى قَصَدَ الرَّدَى ... وأيّهمُ نابَتْ حِمــاهُ النوائبُ

---

(١) في ديوانه (أغاني) .
(٢) في الأصل : رهم والتصويب عن الأغاني .
(٣) مهلكة (تجريد) .
(٤) تفرق (تجريد) .
(٥) أمسى عليك وقلبي الموجم الدامي (أغاني ـ تجريد) .

فيا قَبْرَه جد كلَّ يومٍ بجودِه ... ففيك سماءٌ ثَرَّةٌ وسحائبُ
فإنك لو تَدْرِى بما فيك من عُلًا ... عَلَوْتَ فباتَتْ فى ذُراك الكواكبُ
أألسعى لأحظى فيه بالأجر إنه ... لَسَعْىٌ إذنْ مِنِّى إلى اللهِ خائبُ
وما الإثمُ إلا الصَّبْرُ عنك وإنما ... عواقبُ حَمْدٍ أن تَدومَ العواقبُ
يقولون مِقْدارٌ على المرءِ واجبٌ ... فقلتُ وإعْوالٌ على المَرْءِ واجبُ
تَرَشَّفْتُ أيامى وهُنَّ كوالحٌ ... إليك وغالَبْتُ الرَّدَى وهو غالبُ
فدافعتُ فى صَدْرِ الزمانِ ونَحْرِه ... وأىّ يَدٍ لى والزمانُ محاربُ
لو أن يدى كانت شفاءك أو دمى ... دمَ القلب حتى ينصب القلب ناصب(1)
لسلمت تسليم الرضا وتَخِذْتُها ... يداً للرَّدَى ما حَجَّ لِلّهِ راكبُ
فتى كان مثلَ السَّيْفِ من حيث جِئْتَه ... لنائبةٍ نابَتْك فهو مُضَارِبُ
بكاكَ أخٌ لم تَحْوِه بقرابةٍ ... بَلَى إن إخوان الصفاءِ أقاربُ
فَتًى هَمُّه حَمْدٌ على الدهرِ رابحٌ ... وإن غابَ عنه ماله فهو عازب
نزلنا على حكم الزمان وأمْرِه ... وهل يقبل النَّصفَ الألَدُّ المُشاغِبُ
شمائل إن يشهد فهن مَشَاهدٌ ... عظام وإن يرحَلْ فهن كتائب
وتَضحكُ سِنُّ المرءِ والقلبُ مُوجَعٌ ... ويرضَى الفتَى عن دَهْرِه وهو عاتب
وأظلمت [الدنيا](2) التى كنتَ جارَها ... كأنك للدنيا أخٌ ومناسِبُ
يُبرِّدُ نيرانَ المصائبِ أنَّنِى ... أرى زمَنًا لم تَبق فيه مَصائبُ

---

(١) يقضب القلب قاضب (أغانى) .

(٢) مابين القوسين عن الأغانى .

كان خطيب حمص يُصَلِّى عــلى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ثلاثَ مراتٍ فى خُطْبَتِه ، وأهل حمص كلُّهم من اليمَن [لم يكن فيهم من مضر][١] إلا ثلاثة أبيات فتعصبوا على الخطيب وعزلوه فقال فيهم ديك الجن :

سَمِعُوا الصلاةَ على النَّبِىِّ تَوالَى | فتَفَرَّقوا شِيَعًا وقالوا لَا لَا
ثم استمر عــلى الصلاةِ إمامُهم | فتَحَزَّبوا ورَمَى الرجالُ رِجالا
شاهَتْ وجوهكمُ وُجُوهٌ طالمـا | رَغِمَتْ معاطِسُها وساءت حالا

(١) ما بين القوسين من الأغانى .

عليٌّ بن الخليل[1]

مولًى لمعن بن زائدة الشيبانى .

كوفىٌّ كنيته أبو الحسن .

كان يعاشر صالحَ بن عبد القدوس ، ولا يفارقه فاتُّهِم بالزندقة وأُخذ مع صالح ثم أُطلق لما انكشف أمره .

لما جلس الرشيد بالرَّافِقَة[2] المظالم ، دخل عليه على بن الخليل وهو مُتوكِّئٌ على عصا وعليه ثياب نِظافٌ ، وهو جميلُ الوجهِ والثياب وفى يده قِصَّةٌ فلما رآه أمر بأخذ قصته . فقال : ياأمير المؤمنين أنا أحْسَنُ عبارة لها ، فإن رأيت أن تأذن لى فى قراءتها فعلت ، فقال : اقرأْها ، فاندفع يُنْشد ما فيها من الأبيات :

إنِّى لجأتُ إليك من رَهَبٍ ... قد كان شرَّدنى ومن لَبْس
واخترتُ حكمك لا أُجاوِزُه ... حتى أُوَسَّد فى ثرَى رَمْسِى
كم قد قَطَعْتُ إليـك مُدَّرِعا ... ليـلاً بَهِيمَ اللونِ كالنِّقْسِ
إن هاجـنى من هاجسٍ جَزَعٌ ... كان التَّوَكُّلُ عنده تُرْسِى
ما ذاكَ إلا أنَّنِى رَجُلٌ ... أصْبُو إلى بَقَرٍ من الإنْسِ
بقرٍ أوانسَ لا قرونَ لها ... نُجْلِ العيون نواعمٍ لُمْسِ
رَدْعُ العبير عـلى ترائبهـا ... يُقْبِلن بالتقبيلِ[3] والخلْس
وتشاهد الفتيانَ بينهمو ... صَفْراء عند المَزْجِ كالوَرْسِ

---

(١) أغانى ١٤ : ١٧٤ .

(٢) الرافقة بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات (مراصـد) وكانت فى الأصل: بالرافعة . (٣) الترحيب (أغانى) .

لِلماء فى حافاتها حَبَبٌ نَظْمٌ كرقْمِ صحائفِ الفُرْسِ
واللهِ يَعْلَمُ فى بَقِيَّتِه ما إن أَضَعْتُ فرائض[1] الخَمْس
يا خَيْرَ من وَخَدَتْ بأرحُلِه نُجُبٌ تَخُبُّ بِمَهْمَهٍ جَلْسِ
تَطْوِى السباسِبَ فى أزِمَّتِها طَىَّ التجارِ عمائمَ البِرْسِ[2]
لما رأتك الشمسُ إذ طَلَعَتْ كَسَفَتْ بوجهك طَلْعَةُ الشمْسِ
خيرُ البرية أنت كلِّهمُ فى يومك الغادى وفى أَمْسِ
للهِ ما هارونُ مِن مَلِك بَرِّ السريرةِ طاهرِ النفْسِ
ملك عليه لربِّه نِعَمٌ تزدادُ جِدَّتُها على اللُّبْسِ
تحكى خلافتُه بِبَهْجَتِها أَنَقَ السرور صبيحةَ العُرْسِ
من عِتْرَةٍ طابت أَرومَتُها أهلُ العفافِ ومُنْتَهى القُدْسِ
نُطُقٌ إذا احتُضِرَتْ مجالِسُهم وعن السفاهةِ والخَنا خُرْسِ

فأطلقه الرشيد وقتلَ صالحَ بن عبد القدوس واحتج عليه فى أنه لا تُقْبَلُ له توبةٌ بقوله :

والشيخ لا يَتْرُكُ أخلاقَه حتى يُوارَى فى ثرى رَمْسِه

وقال : إنما زعمت أنك لا تترك الزندقة ولا تحُولُ عنها أبداً .

وقال محمدُ بن الجَهْم الرَّمْلى : قال لى المأمون يوما : أَنْشِدْنى بيتا جيدا فى المديح فاخِراً عربيا لُمحْدَث حتى أُوَلِّيك كورةً تختارُها قال قلت : قولُ عَلى بن الخليل :

فمَعَ السماءِ فروعُ نَبْعَتِهِمْ ومع الحضيضِ منابتُ الغَرْسِ
مُتَهَلِّلِينَ على أَسِرَّتِهِمْ ولدى الهياج مَصَاعِبُ الشُّمسِ[3]

(١) إقامة (الأغانى).
(٢) البرس بالكسر والضم : القطن أو شبيه به .
(٣) الشمس (جمع شموس) من الرجال : الصعب الخلق .

فقال : أحسنتَ وليَّتْكُ الدِّينور ، فأنْشِدْنى بيت هجاء على هذه الصفة ، حتى أوليك كورة أُخرى فأنشدته :

قَبُحَتْ مناظِرُهم فحين خَبَرْتهُم ... حَسُنَتْ مناظِرُهم لقُبْح المخْبَرِ

قال : أحسنتَ وليَّتْكَ هَمَذَان . فأنْشِدْنِى مَرْثِيةً حتى أُوَلِّيك كورةً أخرى فأنشدته :

أرادوا ليُخْفوا قَبْرَه عن عَدُوِّه ... فَطِيبُ تراب القَبْرِ دَلّ على القَبْرِ

قال: أحسنت وليتك نَهاوَنْد ، فأنْشِدْنى بيتا من الغَزلَ ، على هذا النَّمط ، حتى أُوليك كورة أُخرى ، فأنشدته :

تَعالَ نُجَدِّدْ دارسَ العَهْدِ بيننا ... كلانا على طولِ الجفاءِ مَلومُ

فقال : أحسَنْتَ قد جعلت الخيارَ إليك ، فاخترتُ السُّوسَ من كُوَرِ الأَهوازِ فولانى ذلك أجْمَع ووجهتُ إلى السُّوسِ بعضَ أهلى .

نزل أبو دُلامة بدِهْقانٍ يقال له أبو بِشْرٍ فسقاه شرابا أَعْجَبَه فقال :

سقانى أبو بِشْرٍ من الراحِ شَرْبَةً ... لها لَذَّةٌ ما ذُقْتُها بشَرابِ

وما طَبَخوها غيرَ أن غُلامَهم ... سعى فى نواحى كَرْمِها بِشِهابِ

فأُنشِدَ عَلِىّ بن الخليل هذين البيتين ، فقال : أحْرَقَه العبدُ أحْرَقَه الله تعالى .

ولد ليَزِيدَ بن مَزْيَدَ ابنٌ ، فوافاه علىُّ بن الخليل ، فقال : اسْمَعْ منى أيها الأميرُ تهنئةً بالفارسِ الواردِ فتبسم وقال : هات ، فأنشده :

يزيد يا ابن الغُرِّ[1] من وائلٍ ... أهلِ الرياساتِ وأهلِ المَعَالْ

يا خيرَ من أَنْجَبَه والدٌ ... ليَهْنِك الفارسُ ليثُ النِّزالْ

جاءتْ به غراء ميمونةٌ ... والسعْدُ يبدو فى طُلوع الهِلالْ

---

(١) الصيد (أغانى) ١٤ : ١٨٠ .

عليه من مَعْنٍ ومن وائلٍ سِيما تباشير وسِيما جَلالْ
فاللهُ يُبْقيه لنا سَيِّدا مُدافعاً عنّا صروفَ الليالْ
حتى نراهُ قد علا مِنْبَرا وفاض فى سؤاله بالنَّوالْ
وسَدَّ ثغراً فكفى شرَّه وقارعَ الأبطالَ تحتَ العوالْ
كما كفانا(١) ذاك آباؤه فيحتذى أفعالهم عن مِثالْ

فأمرَ له عن كلِّ بيتٍ بألف درهم .

دخل عَلِيُّ بن الخليل على المَهْدِيِّ فقال له : يا عليُّ ، أنت على معاقرَتِك الخمرَ وشُرْبك لها ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : كيف ذلك ؟ قال: تُبْتُ منها . قال: فأين قولُك فيها :

أولِعَتْ نفسِي بلذَّتِها ما ترى عن ذاك إقصارا

وأين قولك :

إذا ما كنتَ شاربَها فسِرًّا ودع قول العواذلِ واللواحى

قال : هذا شيء قلتُه فى شبابى يا أمير المؤمنين ، وأنا القائلُ بعد ذلك:

على اللذاتِ والراحِ السلامُ تَقَضَّى العهدُ وانقطع النِّدامُ
مضى عَهْدُ الصِّبا وخَرَجْتُ عنه كما من غِمْدِه خرج الحُسامُ
وَقُرْتُ(٢) على المشيبِ فليس مِنِّى وِصالُ الغانيات ولا المُدامُ
ووَلَّى اللهوُ والقَيْناتُ عَنِّى كما ولى عن الصُّبْحِ الظلامُ
حلبت الدهرَ أشْطُرَه فعندى لصَرْفِ الدَّهْرِ محمودٌ وذامُ

---

(١) فى الأصل (كفتنا) وما أثبتناه عن الأغانى .
(٢) وقر على وزن كرم ووعد : رزن .

دخل عليٌّ بن الخليل ذاتَ يومٍ على زائدةَ بن مَعْنٍ فحادثه وناشده ، ثم قال له زائدةُ: هل لك فى الطعام ؟ قال : إذا نَشِطَ الأميرُ، فأُتِيا بالطعامِ فأكلا ، ثم قال : هل لك فى الشراب ؟ فقال : إن سقيتنى [ما أريد شربت] (١) وإن سقيتنى من شرابك فلا حاجة لى فيه . فضحك ثم قال : قد عرفتُ الذى تريد ، وأنا أسقيكَ منه فأُتى بشَراب عتيق ، فلما شَربَ منه ، وطابت نَفْسُه أنشأ يقول :

يا صاحِ قد أنْعَمْتَ إصباحى ... فبادر (٢) السلسالَ بالراحِ
قد دارَتِ الكأسُ بِرَقْراقةٍ ... حياةُ أبدانٍ وأرواحِ
تَجْرى على أَغْيد ذى رَوْنَق ... مُهَذَّبِ الأخلاقِ جَحْجَاحِ
ليس بفحَّاشٍ على صاحبٍ ... ولا على الراحِ بفضَّاحِ
تَسُرُّه الراحُ إذا أقبلَتْ ... بريح أُتْرُجٍّ وتُفَّاحِ
يسعى بها أزهرُ فى قرْطَقٍ ... مُقَلَّدِ الجيدِ بأوْضاحِ
كأنها الزُّهْرَةُ فى كفِّهِ ... أو شُعْلَةٌ أو ضوءُ مِصْباحِ

كان لعليِّ بن الخليلِ صديقٌ من الدَّهاقين يُعاشِره ، فغاب عنه غيبةً طويلة ، وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالا فدَفَنَه ، وقَويتْ حاله وادَّعى أنه من بنى تَمِيم ، فجاءه علىٌّ بن الخليل فلم يَأْذَنْ له ولَقِيَه فقال يهجوه :

فرشتُ له قريحَ المِسْـ ... ـكِ والنِّسرينَ والعَرَبا
فأمْسَكَ أنفَه عنها ... وقام مُوَلِّياً هَرَبا
يَشُمُّ الشيحَ والقَيْصو ... مَ كى يَسْتَوْجِبَ النَّسَبا
وقام إليه ساقينا ... بكأس تَنْظِمُ الحَبَبا

---

(١) الزيادة عن الأغانى ١٤ : ١٨٠ .

(٢) فى الأغانى : ببارد .

مُعَتَّقَةٍ مُرَقْرَقَةٍ[١] تُسَلِّى هَمَّ من شَرِبا
فآلى لا يُسَلْسِلُهــا وقال أُصبب لنــا حَلَبا
وقد أَبْصَرْتُه دَهْراً طويــلا يَشْتَهى الأَدَبا
يروحُ بِنِسْبَة المولى ويُصْبِـحُ يدَّعِى العرَبا
فلا هــذا ولا هــذا ك يَدْرِكُه إذا طَلَبــا
أتينــاهُ بشَبُّوطٍ[٢] يرى فى ظَهْرِه حَـدَبا
فقالَ أما لِخلِّك[٣] فى طَعامٍ يُذْهِبُ السَّغَبا
فصِدْ لأخيك يَرْبُوعاً وضَبّا واترِكِ اللَّعِبا
فصار تَشَبُّهُا بالقَوْ مِ جِلْفاً جافياً جَشِبا[٤]
إذا ذُكِرِ البَرِيرِ[٥] بَـكَى وأبْدَى الشوقَ والطربا
وليس ضَميرُه فى القو م إلا التِّينَ والعِنبا
جَحَدْتَ أباكَ نسْبَتَه وأرجو أن تُفيدَ أبا
أترغب عن بنى كِسْرَى وما عن مِثْلِهِم رَغِبا

كان على بن الخليل جالسا مع ولد المنصورِ وكان الفتى يَهْوَى جارِيةً لعتبةَ مولاةِ المهدى ، فمرَّت عتبةُ فى مولاتها ، والجاريةُ معها فوقَفَتْ وسَلَّمَتْ وسأَلَتْ عن خبره، فلم يُوَفِّها حقَّ الجوابِ لشغله[٦] بالجارية فلما انصرف أنشده على بن الخليل :

---

(١) مروقة (أغانى) .
(٢) الشبوط : سمك نهرى صغير الرأس عريض الوسط .
(٣) أما لبخلك من (أغانى) .
(٤) الجشب : الخشن الغليظ .
(٥) فى الأصل (الزبير) والتصويب عن الأغانى ، والبرير: ثمر الأراك .
(٦) لشغل قلبه (تجريد) .

راقِبْ بطرْفِك من تَخَا ف إذا نظرت إلى الخليلِ
فإذا أَمِنْتَ مخاوفاً(١) فعلَيْك بالنَّظَر الجميلِ
إن العيونَ تدلُّ بالنَّ ظَر المليح على الدخيل
إمّا على حب شديـ د أو على بُغْضٍ أصيل

كتب والبةُ بنُ الُحباب يوما إلى على بن الخليل يَسْتدعيه ويسأله ألا يشْتغِل بالهاشمى يوْمَه ذلك ويَصِفُ له مَجْلِسَه وغلاما دعاه وغناه عنده فكتب إليه على بن الخليل من أبيات :

أما ولحاظُ جارية تذيب حُشَاشَةَ المُهَجِ
وسِحْرِ جفونِها المضْنِيـ ك بين الفتْرِ والدَّعَجِ
مَليحةُ كلِّ شيء ما خلا من خُلْقِها السَّمِجِ
وحُرْمَةِ دَنِّك المبزو لِ والصهباء منه تَجى
كأن مجيئَها فى الكأْ سِ حين تُصَبّ من وَدَجِ
لو انْعَرَج الأنامُ إلى بَشاشةِ مَجْلِسٍ بَهِجِ
وكنت بجانبٍ جَدْبٍ لكان إليك مُنْعَرِجى

وصار إليه فى أثرِ الرُّقْعَة .

(١) لحاظهم (أغانى — تجريد).

أبو الشِّبْل عِصْمةُ بن وَهْب البُرْجُمِىّ[1]

هو عصمة[2] بن وهب من البراجم .

وَلِد بالكوفة ، وتأدب بالبصرة .

وقدم إلى سُرّ من رأى أيامَ المتوكل ومَدَحه .

وكان طَبًّا نادراً [كثير الغزل][3] ماجنا ، فنفق على[4] المتوكل بإيثاره العبث وحَدَّثه[5] وخُصَّ به فأثرى وأفاد .

ولما مدحه بقوله :

أَقْبِلِى فالخَيْرُ مُقْبِلْ ... واترُكى قَوْلَ المُعَلِّلْ

وثِقِى بالنُّجْحِ إذ أَبْـ ... صَرْتِ وَجْه المُتَوَكِّلْ

مَلِكٌ يُنْصِفُ ياظا ... لِمتِى منك ويَعْـدِلْ

فهو الغايةُ والمأْ ... مول يرجوه المُؤَمِّلْ

أمرَ له لكُلِّ بيتٍ بألفِ دِرهم ، وكانت ثلاثين بيتا ، فانصرف بثلاثين ألف درهم .

مدح أبو الشِّبْل البرجُمىُّ مالكَ بن طَوْق بمَدْح عجيب ، فبعث إليه بصُرَّةٍ مختومةٍ فيها مائةُ دينار ، فظنها دراهم فردها و كتَب معها :

---

(١) أغانى ١٤ : ١٩٣ . والبرجمى : نسبة إلى البراجم وهى قبيلة من تميم وهو لقب لخمسة بطون : عمرو ، والظليم وقيس وكلفة وغالب بنو حنظلة بن مالك (اللباب) .

(٢) عاصم (أغانى) .

(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٤) عند .

(٥) وخدمه

فلَيْتَ الذى جادت [به] كَفُّ مالكٍ ومالكُ مدسوسان فى استِ أمِّ مالكِ
وكانا إلى يوم القيامــةِ فى استِها فأيْسَرُ مفقودٍ وأهـونُ هالكِ

وكان [مالك][1] يومئذ أميراً على الأهواز ، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره فأُحضر فقال له : يا هذا ظَلَمْتَنا واعتديتَ علينا . فقال : قَدَّرْتُ عندك ألفَ درهم ، فوصلْتَـنِى بمائةِ درهمٍ فقال : افتحها ففتَحها فإذا هى مائةُ دينار . فقال : أقلنى أيها الأمير . فقال : قد أقلْتُـك ولك كلُّ ما تُحِبّ أبدا ما بقيتُ وقَصَدْتَـنِى .

وقال أبو الشِّبل البُرْجُمِىّ : كان فى جيرانى طبيبٌ أحمقُ فمات فرثَيْتُه فقلت :

قد بَكاهُ بَوْلُ المريضِ بدَمْعٍ واكِفٍ فَوْقَ مُقْلَتَيْه ذَروفِ
ثم شَقَّتْ جُيوبَهُنَّ القواريـ رُ عليه ونُحْنَ نَوْحَ اللَّهيفَ
يا كسادَ الخيــارِ شَنْبَر والأقـ راصِ طُرًّا ويا كسادَ السَّفُوفِ
كيف تَمْشِى مع القَوِى فإن جا ءَ ضعيفٌ لم تَـكْتَرِثْ بضعيفِ
لهف نَفْسِى على صنوفِ رَقاعا تٍ تَوَلَّتْ منه وعقلٍ سخيفِ

قال أبو الشِّبل : لما عَرَضَ لى الشِّعْرُ أتيتُ جاراً لى نحويا ، وأنا حديثُ السِّنِّ ، أظنّه المازنىَّ فقلت له : إن رجلا لم يكن من أهل الرواية وقد جاش صدره بشىء من الشعر ، فـكره أن يظهره حتى تسمعه ، قال : هاتِه وكنتُ قلتُ شعراً ليس بالجيد ، إنما هو قولُ مبتدِئ فأنشدته إياه . فقال : من العاضُّ بَظْرَ أُمِّه القائلُ هذا ؟ فقمت خَجِلا ، وقلت له : أعَضّك اللهُ بِبَظْرِ أُمّك .

كان أبو الشِّبل إذا حضَر مكانا أضحك الثواكل بنوادره ، قال ابن المَرْزُبان : فرأيته يوما عند أبى ، وقد قال له : حَدِّثْنا ببعض نوادرك . قال : نعم زَنَى ابْـنى بجاريةٍ سِندية لبَعْض جيرانى ، فحَبِلَتْ وولدت : وكانت قيمةُ الجارية عشرين

---

(١) أغانى ١٣ : ٢٣ .

ديناراً[1] فقال لى: يا أبتِ ، الصبىُّ ابنى ، فساومت به ، فقيل لى: خمسون ديناراً ، فقلت له : ويحك كنتَ أخبرتنى الخبرَ وهى حُبلى فأشتريها بعشرين ديناراً ، وتربح الفضل بين الثمنين ، وأمسكتُ عن المساومة بالصبىّ حتى اشتريتُه بما أرادوا ، ثم أحْبَلها ثانيةً فولدت ابنا آخر فجاء يسألنى أن أبتاعه . فقلت له : عليك لعنة الله ، أى شىء حَمَلَك على أن تُحْبِل هذه ؟ ألا عَزَلْتَ عنها ؟ فقال : لا أستحل العزْلَ وأقبل عَلَى جماعةٍ يُعَجِّبُهم منى ويقول : أبى شيخٌ كبيرٌ يأمرنى بالعزْل . ويستحِلُّه ، فقلت له : يا ابن الزانية تستحلُ الزنى وتتحرّج من العزْل . فضحكنا منه . وقلنا له: زدنا فقال :

دخلت أنا ومحمودُ الوراقُ إلى حانة يهودىٍّ خمّارٍ فقلت له أُريد بنتَ عشْرٍ قد أنضجها الهَجير فأخرج لنا شيئا عَجيبا فابتَعْنا منه وشربنا . فقلت له : اشْرَبْ معنا ، فقال : لا أستحل شربَ الخمر . فقال لى محمودُ : ويلك ! ! رأيتَ أعجبَ مما نحن فيه ؟ يهودىٌّ يتحرَّجُ من شرب الخمْرِ ، ونحن نشربها ونحن مسلمون ، فقلت : أجل ، والله لا نُفلِح أبداً ، ولايعبأ الله بنا . ثم سَكِرْنا وقمنا فى الليل ، فنِكْنا بِنْته وامرأته وأُخته وسرَقْنا ثيابَه وخَرِيْنا فى مغاراتِ نبيذٍ له وانصرفنا .

قال أبو الشِّبْلِ البُرْجُمِىُّ : حضرت مجلسَ عُبيدِ اللهِ بن يحيى بن خاقان وكان إلىَّ مُحْسِناً وعلىَّ متفضلا ، فجرى ذكر البرامكةِ ووَصَفَهم الناسُ بالجود وقالوا فى كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثروا ، فقمت فى وسط المجلس فقلت لعبيد الله : أيها الوزيرُ قد حَكَمْتُ فى هذا الخطْب حُكْما نظمتُه فى شعر لا يقدرُ أحدٌ أن يَرُدَّه عَلَىَّ ، وإنما جعلتُه شعراً ليُدَوَّن ويبقى فيأذن الوزيرُ فى إنشاده فقال : قل ، فقلت :

رأيتُ عُبيدَ اللهِ أكبرَ سُؤدداً ... وأكرمَ من فَضْلِ بن يحيى وخالدِ
أُولئك جادوا والزمانُ مساعِدٌ ... وقد جاد ذا والدهرُ غيرُ مساعدِ

(١) فى الأصل : درهما والتصويب عن الأغانى والسياق يؤكده .

فتهلل وجه عبيد الله ، وظهر السرور فيه ، وقال : أفرطْتَ يا أبا الشِّبْل ولاهذا كله . فقلت : والله ما حابيتُك أيها الوزير ، ولا قلت إلّا حقا ، واتّبَعَنِي القومُ في تقريظِه فما خرجتُ من مجلسه إلا وعليّ الخِلَعُ وتحتي دابةٌ بسرجها وإِجامها ، وبين يدى خمسه آلاف درهم .

كان أبو الشبل بعث بقَيْنَةٍ كانت لهشام النَّحْوىِّ الضرير تُدْعى خَنساء ، وكانت تقول الشعر : فعبَثَ بها يوما فأَفْرَطَ فأغْضَبَهَا فقالت له : ليت شعرى بأى شىء تُدِلُّ أنت؟أنا أشعرُ منك ، ولئن شئت لأَهْجُوَنَّك حتى أفضَحَك فأقبل عليها وقال :

خنساءُ قد أفْرَطَتْ علينا ... ولَيْس منها لنا مُجِير
تاهت بأشعارها علينا ... كأنما نا كها جَرِيرُ

فخجِلَتْ حتى بان ذلك عليها ، وأمسَكَتْ عن جوابه .

ومن شعر أبى الشِّبلِ البُرْجُمِىّ :

عذيرىَ من جوارِى الحَــيِّ إذ يَزْهَدْن فى وَصْلِى[(١)]
رأينَ الشيبَ قد أَبْدَ ... سِنى أُبهَــةَ الكَهْل
فأعْرَضْنَ وقد كُنَّ ... إذا قيــل أبو الشِّبْلِ
تسارعن وقُلْنَ ... لَقَدْ وافى أبو الشِّبْلِ[(٢)]

سرقه من قول العتبي[(٣)] :

رأَيْنَ الغـوانى الشيبَ لاح بمفرقى ... فأعرضْنَ عنى بالُخدودِ النواضرِ
وكنَّ إذا أَبْصَرْنَنى أو سمعن بى ... أتين[(٤)] فرقَّعْن الكُوَى بالمحاجر

---

(١) يرغبن عن وصلى (أغانى) ١٤ : ٢٠٠ .
(٢) تساعين فرقعن الـكوى بالأعين النجل (أغانى) .
(٣) فى الأصل من الضبى، والمنقول عن الأغانى .
(٤) سعين (أغانى) .

عبد الله بن الزَّبيرِ الأسديّ(١)

عبد الله بن الزَّبيرِ الأسديُّ ابن الأشيم بن الأعشى بن بَجْرة بن قيس بن مُنْقذ ابن طريف بن عمرو بن معن(٢) بن الحارث بن قعنب بن ثعلبة [بن] دودان(٣) بن أسد ابن خزيمة .

شاعرٌ إسلاميٌّ كوفيٌّ المنشأ والمنزل من شعراء الدولة الأُموية .

وكان من شيعةِ بني أُمية ، وذوى الهوى فيهم ، والتعصب لهم ، والنصرة على عدوهم ، ثم غَلَبَ مصعبُ بن الزبيرِ على الكوفَة فأُتِيَ به أسيراً فمنَّ عليه ووصله ، وأحسن إليه ، فمدَحَه وأكثَرَ ، وانقَطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل مصعب . ثم عَمِيَ عبدُ الله بن الزبير بعد ذلك ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان .

وكنيتُه أبو كَثير ، وهو أحد الهجائين للناس ، المرهوبِ شِعْرُهم وهو القائل يخاطب نفسه :

فقالَتْ ما فعلتَ أبا كثيرٍ   أصحَّ الوُدُّ أم أخلَفْتَ عَهْدِى

كان قومٌ من بنى علقمة بن قَيْس بن وهب بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن مُنْقذ قتلوا رجلا من بنى الأَشْيم ، رهطِ عبد الله بن الزبير ، فخرج عبدُ الرحمن بن الحكم ، وهو إذ ذاك على الكوفة من قبل خاله معاوية بن أبى سفيان وافداً إلى معاوية ، ومعه ابنُ الزبير ورفيقان له من بنى أسد ، فقال عبد الرحمن لابن الزبير : خذ من بنى عمّك دِيتَيْنِ لقَتيلِكَ فأبى ابنُ الزبير فكان عبدُ الرحمن يميلُ إلى هذا القاتل ، فغضب عليه

---

(١) الأغانى ١٤ / ٢١٧ .

(٢) فى الأصل معنى والتصويب عن الجمهرة والأغانى .

(٣) وفى «ب» : ذروان وفى جمهرة الأنساب دودان (١٨٣) .

عبـــدُ الرحمن وردَّه عن الوفد ، من منزل يقال له فَيَّاض ، فخالفه ابنُ الزبير الطريقَ إلى يزيدَ بن معاوية ، فأعاده وقام بأمره ، وأمره يزيد أن يهجوَ عبد الرحمن ابن أُم الحـكم ، وكان يزيد يُبْـغِضُه فهجاه بأبيات ، فلما بلغت عبد الرحمن هَدَمَ داره فأتى عبدُ الله معاويةَ فشكاه ، فقال له : كم كانت قيمةُ دارك فاستشهد أسماء بن خارجة وقال له : سَلْه عنها ، فقال : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمَتَها ولـكنه بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للمساحِ فأمر له معاويةُ بمائة ألفِ دِرْهم ، وإنما شهد له أَسماء بذلك ليَرْفِدَه عند معاوية ولم تـكن دارُه إلا خِصاصَ قَصَب .

حبس عبدُ الرحمن بنُ أبي الحـكم عبدَ الله بن الزَّبير ، وهو أمير الـكوفة ، في جناية وضعها عليه ، وضربه ضربا مُبَرِّحاً بهجائه إياه ، فاستغاث بأسماء بن خارجة ، فلم يَزَلْ يُلْطِفُ في أمره ، ويرضي خصومَه ، ويشفعُ إلى عبد الرحمن في أمره حتى خَلَّصه وأطلقَه بشفاعته ، فـكساه أسماء ، ووصله ، وجعل له ولعياله جراية دائمة من ماله ، فقال فيه قصيدته المشهورة :

ألم تر أن الجودَ أرْسَل فابتغى … حليف صفاء وأْتَلَى لا يزايله(١)
تَخَيَّرَ أسماءَ بنَ حصنٍ فبطنت … بفعل العلا أيمانُه وشمائله
فلا مَجْدَ إلا مجدُ أسماءَ فوقَه … ولا جَرْيَ إلا جَرْيُ أسماءَ فاضِلُه
وفضلُ أسمـــاءَ بنِ حصنٍ عليهمو … سمـاحةُ أسماءَ بنِ حصنٍ ونائلُه
تراه إذا ما جئته متهللا … كأنك تُعْطِيه الذى أنت سائلُه
ترى الجندَ والأعرابَ يَغْشَوْنَ بابَه … كما وردت ماءَ الكلاب نواهلُه
إذا ما أتوا أبوابَه قال مَرْحَباً … لِجُوا البابَ حتى يَقْتُلَ الجوعَ قاتِـلُه
ولو لم يكن في كفه غَيْرُ نَفْسِهِ … لجاد بها فلْيَتَّقِ اللهَ سائلُه

فأعطاه أسماء أَلْفَيْ درهم .

(١) أغاني : ١٣ : ٣٣ وفي الأصل صفيا ثم بياض (وبعده وأتلى) .

وكان لأسماءَ بن خارجة ذِكْرٌ قبيحٌ عند الشيعةِ ، ويَعدونه فى قَتَلَةِ الحسينِ ابن علىٍ ، رضى الله عنهما .

خطب المختارُ بن أبى عُبيد يوما على المنبر فقال : أرى ناراً من السماء تَسوقُها ريحٌ كالحةٌ سوداءُ تحرقُ آل أسماءَ ودارَ أسماء .

وكان المختارُ يحتالُ عليه ويُدَبِّر فى قَتْلِه من غير أن يُغْضِب قَيسا فتنْصُرَه ، فبلغ أسماءَ قولُ المختار فيه . فقال : أو قد سمع بى أبو إسحاق ... ...

ولا قرار على زَأْرٍ من الأسَدِ

فهرب إلى الشام ، وطلبه المختار ففاته ، فأمر بهَدْم داره، فلم يُقْدِمْ عليها مُضَرِىٌّ لموضع أسماءَ وجَلالةِ قَدْرِه فى قَيس ، فتولت ربيعةُ واليمنُ هَدْمَها فقال فى ذلك عبدالله ابن الزَّبير الأسدى :

تأوّب(١) عينَ ابنَ الزبيرِ شهودُها ... وقلَّ على ما قد عَراهـــا هُجودُها
أتانى وعَرْضِ الشام بينى وبينها ... أحاديثُ والأنباءُ يَنمى بعيدُها
بأن أبا حَسَّانَ تَهْدِمُ دارَه ... لكيزٌ سمتْ فُسَّاقُها وعَبيدُها
جَزَتْ مضرا عنه الجوازى بِفِعْلِها ... ولا أصْبَحَتْ إلا بشَرٍّ جُدودِها
فما جُرْهُمٌ لا سَيِّداً يَمنعونه ... ولا خائفا إن جاء يوما طَريدُها
ألم تَغْضبوا تبًّا لكم إذ سَطَتْ بكم ... مَجوسُ القُرى فى دارِكم ويَهودُها
تركتم أبا حسان تُهْدَمُ دارُه ... مُشَيَّدَةً أبوابُها وحَديدُها
ففى رَجَبٍ أو غُرَّةِ الشهرِ بعدَه ... تزوركُم حُمْرُ المنايا وسُودُها
ثمانون ألفا دِينُ عثمانَ دِينُهم ... كتائبُ فيها جِبْرَئيلُ يقودُها
فمن عاش منكم عاش عَبْداً ومن يمت ... ففى النار سُقياه هناك صَديدُها

(١) تأوب (أغانى) وفى الأصل يأقرب .

وقيل إن الذى هدمَ دار أسماء مصعبُ بن الزُّبَيْر .

وقيل إن مصعبا لما وَلِيَ العراقَ دخل إليه عبدُ الله بن الزّبير الأسَدى فقال له: إيه أنت القائل:

إلى رجبٍ أو غُرَّة الشَّهْرِ بعده ... ... البيتان

فقال له : أنا القائلُ ذلك . فقال : لو قَدَرْتَ على جَحْدِه لَجَحَدْتَه قال : فاصْنَع ما أنت صانع . فقال : أمَا إنى لا أصنع إلّا خَيْرًا ، أحْسَنَ قومُك إليك فأحْبَبْتَهم ووالَيْتَهم ومَدَحْتَهم ، وأمر له بجائزةٍ وكُسْوةٍ وردّه إلى منزله مُكرّما . فكان ابنُ الزّبير بعد ذلك يمدحه ، ويذكره . فلما قَتَلَ مُصعبَ بن الزُّبَيْرِ عبيدُ الله ابن ظبيان اجتمع معه فى مَجْلس وكان ابن الزبير قد أضر فعرف خَبَره فاستقبله بوجهه وقال :

أبا مَطَرٍ شُلَّتْ يمينٌ تَفَرَّغَت   بسيفك رأس ابن الحوارىِّ مصعب

فقال له ابنُ ظبيان: كيف النجاةُ من ذلك ؟ قال : لا نجاةَ من ذلك ، هيهاتَ سبق السَّيْفُ العَذَل .

وكان ابنُ ظبيانَ بعد قَتْلِه مُصعَبًا لا ينتفع بنَفْسِه فى نوم ولا يَقَظَة ، وكان يُهَوَّل[1] عليه فى منامه فلا ينام حتى كَلَّ جسمه[2] ونُهِك فلم يزل كذلك حتى مات .

دخل عبدُ الله بن الزّبير الأسدى على عُبيد الله بن زياد وعنده أسماءُ بنُ خارجة ، حين قدم ابنُ الزّبير من الشام ، فلما مثل بين يديه أنشده :

حنَّتْ قلوصِيَ وَهْناً بعد هَدْأَتِها   فهيَّجَتْ مُغْرَما صَبّا على الطَّرَبِ
حَنَّتْ إلى خَيْرِ من حُثَّ المطِىُّ له   كالبدر بين أبى سفيانَ والعُتَب

---

(١) يقال هول عليه بكذا : افزعه به .

(٢) فى الأصل ا ـ ب (يحل حمد) والتصويب عن الأغانى ١٣ : ٣٧ .

تذكَّرتْ بقُرَى البلقاء نَائلَهُ ... لقد تذكرته من نازح عَزَب
والله ما كان بى لولا زيارَتُه ... وأن أُلاقِ أَبا حسانَ من أَرَبٍ
حَنَّتْ لترجعَنى خَلْفِى فقلت لها ... أُرى(١) أمامَكِ فالْقَيْهِ فتى العرب
لا يحسب الشرَّ جارٌ لا يفارقه ... ولا يعاقِبُ عندَ الحِلْمِ بالغَضَبِ
منْ خيرِ بيتٍ عَلِمْناه وأكْرَمِه ... كانت دماؤهمو تَشْفى من الكَلَبِ

قال الأعمش: كانت العرب تقول : إنّ من أصابه الكَلَبُ أو الجنونُ لم يبرأ إلا أن يُسْقى دمَ مَلِك فيقول : إنه من أولادِ الملوك .

كان عبدُ الله بن الزَّبِير الأسدى صديقا لعمر بن الزبير بن العوام ، فلما أقامه أخوه ليُقْتَصّ منه بالغَ كلُّ ذى حِقْدٍ وتدْسيسٍ فيه من يَتَقَرَّبُ إلى أخيه ، وكان أخوه لا يَسْأَلُ من ادَّعى عليه شيئا بينةً ولا يَطْلُبُه بحُجَّة وإنما يقبل قوْلَهُ ثم يُدخله السجنَ ليُقْتَصّ منه فكانوا يضربونه ، والقيح ينْضَحُ من ظهرِه وأكتافِه على الأرضِ والحائطِ ، لشِدَّةِ ما يَمُرّ به ، وهو على تلك الحال . ثم أمر بأن يرسل عليه الجِعْلان(٢) فكانت تدبُّ عليه تَنْتَقِبُ لحمَه وهو مقيدٌ مغلولٌ يستغيث فلا يُغاث حتى مات على تلك الحال . فدخل الموَكَّلُ به على أخيه عبد الله بن الزُّبير ، وفى يد عبدِ الله قَدَحُ لبنٍ يريد أن يتسَحَّر به ، وهو يبكى ، فقال له : مالك أمات عمرو ؟ قال : نعم . قال : أبْعَدَه اللهُ ، وشرب اللبن . ثم قال : لا تَغْسلوه ولا تُكَفِّنوه وادفنوه فى مقابرِ المشركين ، فدفن فيها . فرثاه عبد الله بن الزَّبير الأسدى ، بهذه الأبيات :

عقَدْتُم لعمروٍ عُقْدَةً وغَدَرْتُمُ ... بأبيض كالمصباحِ فى ليلة الدّجْنِ

---

(١) هذا أمامك (أغانى ١٣ : ٣٤) .
(٢) فى الأصل ا، ب : المغيلان والجعلان عن الأغانى .

وكبّلته حولا يجودُ بنفسِه ... تنوءُ به فى ساقِه حَلَقُ اللّبْنِ
فما قال عمرو إذ يجود بنفسه ... لضارِبه حتى قضى نحْبَه دعْنِى
يُحدِّثُ من لاقيْتُ أنك عابدٌ ... وصرّعْتَ قتْلَى بين زمزم والرُّكْنِ
فلم أرَ وفداً كان للغدر عاقداً ... كوَفْدِك شدُّوا غيرَ موفٍ ولا مُسْنى
وكنتَ كذاتِ الفِسْق لم تدر ماحَوَتْ ... بخير حاليْها أتسرقُ أمْ تزْنى
جزى اللهُ عنى خالداً شرّ ما جَزَى ... وعُرْوةَ شرّا من خليلٍ ومن خِدْنِ
قتلتمْ أخاكم بالسِّياطِ سفاهةً ... فيالك للرأى المُضَلّلِ والأفْنِ
فلو أنكم أجْهزتمو إذ قتلتمو ... ولكن قتلتمُ بالسياطِ وبالسجنِ
وإنى لأرجو أن أرى فيك ما ترَى ... به من عقابِ اللهِ ما دُونَه يُغنِى
قطعت من الأرحامِ ما كان واشجاً ... على البَغْىِ إذ بِعْتَ المخاوفَ بالأمْنِ[1]
وأصبحتَ تَسْعَى قاصداً بكتيبةٍ ... تُهَدِّمُ ما حولَ الحطيمِ ولا تبنى
فلا تجْزعَنْ من سُنَّةٍ قد سَنَنْتَهَا ... فما للدِّماءِ الدَّهْرَ ماعشتَ من حَقْنِ

لما قدم الحجاجُ الكوفة والياً صعِد المنبر فخطبَهم فقال : يا أهل العراق ، ياأهل الشقاق والنفاق ، ومساوئِ الأخلاق ، إن الشيطان قد باض وفرَّخَ فى صدوركم ، ودَرَج فى حُجورِكم ، فأنتم له خَدِين وهو لكم قَرِين . ومن يكن الشيطانُ له قرِينا فَسَاء قرِينا .

ثم حثّهُم على اللَّحَاقِ بالمُهلَّبَ بن أبى صُفْرة وأقسم لا يَجِدُ منهم أحداً اسمه فى جَريدةِ المُهلَّب بالكوفة بعد ثالثة إلا قتَله .

فجاءه عميرُ بن ضابئ البُرْجمى[2] فقال له : أيها الأمير إنى شَيْخ كبيرٌ لا فَضْلَ فىّ وقد خَرَجَ اسمِى فى هذا البعث ، ولى ابنٌ شابٌّ هو أجلد منى ، فاقبله بديلا بى .

---

(١) على الشبب وابتعت المخافة بالأمن .

(٢) فى ا ، ب الجرهمى وهو تصحيف .

فقال له الحجاج : انصرف أيها الشيخ فلما وَلّى قال له عيينة بن سعيد بن العاص : أيها الأمير ، إن هذا جاء إلى عثمانَ وهو مقتولٌ فرَفَسَه وكَسَر ضِلْعا من أضلاعه ، وجعل يقول : أين تركْتَ ضابئاً يا نعثل . وكان عثمانُ حَبَس أباه ضابئاً فمات فى الحبس . فقال الحجاج : رُدُّوه فردُّ . فقال له : أيها الشيخ أتطلب اليومَ منى بديلا ؟ ألا طَلَبْت بديلا يوم الدارِ فى قتْلِ عثمان ؟ يا حَرَسِىّ ، اضرب عُنُقَه ، فضربَ عنقه .

وسمع الحجاج ضوضاء فقال : ما هذه الضوضاء ؟ قال : هذه البَراجِمُ جاءت لتَنْصُر عُمَيْراً . فقال : ارموهم برأْسِه ، فولّوا منهزمين إلى بلادهم . وازدَحَم الناسُ على الجِسْرِ للعبور إلى المُهَلَّبِ حتى غَرِق بعضُهم فقال عبد الله بن الزَّبير الأسدى :

أقول لإبراهيمَ لما لَقِيتهُ ... أرى الأمرَ أمسى واهيا مُتَشَعِّبا

تَخَيَّرْ فإما أن تزور ابن ضابئ ... عُمَيْرًا وإما أن تَزور المُهَلَّبا

هما خُطَّتَا خَسْف نَجاؤكَ منهماَ ... ركوبُك حَوْلِيًّا من الثلج أشْهَبا

فأضحى ولو كانت خُراسانُ دونه ... رآها مكانَ السُّوقِ أو هى أقربا

دخل عبد الله بن الزَّبير الأسدى على مصعب بن الزُّبَيْر بالكوفة لما وَلِيها ، وقد مدحه ، فاستأذنه فى الإنشاد ، فلم يأذَن له ، وقال : لِمَ تُسْقِطُ السماءَ علينا ، وتَمْنَعُنا مَطرَها فى مديحك لأسماء بن خارجة ؟ وقال لبعض من حضر أنشدها فأنشد :

إذا مات ابنُ خارجةَ بنِ حِصْنٍ ... فلا مَطرَتْ على الأرضِ السماءُ

ولا رَجَع الوفودُ بغُنْمٍ جَيْشٍ ... ولا حَمَلَت على الطُّهْرِ النساءُ

ليومٌ منك خَيْرٌ من أُناسٍ ... كثيرٍ حَوْلَهم بَقَرٌ وشاءُ

فبُورِكَ فى أبيك وفى بنيه ... إذا ذُكِرُوا ونَحْنُ لك الفِداءُ

فالتفت إليه مُصعبٌ وقال : اذهب إلى أسماء ، فما لك عندنا شيء ، فانصرف وبلغ ذلك أسماءَ فعوَّضَه حتى أرضاه ، ثم رجع له مُصْعَبٌ بعد ذلك وأحضرَه وسمِع مديحَه وأحسن إليه .

لما قُتِلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْر صَلَبَ الحجاجُ جَسَدَه ، وبعث برأْسِه إلى عبدِ المَلِكِ فجلس على سريره ، وأذِنَ للناسِ فدخلوا عليه فقام عبدالله بن الزَّبير الأسدى، فاستأذنه فى الإنشاد فقال : قل ، ولا تقل إلا خيراً وتوَخَّ الحقّ فيما تقوله . فأنشأ يقول :

مشى ابنُ الزُّبَيْرِ القهقرى وتَقَدَّمَتْ أُميةُ حتى أحرزوا القَصَباتِ
وجئتَ المُجَلِّى[1] يا ابن مروانَ سابقا أمَامَ قريش تَنْفُضُ العذرات
فلا [زلت] سباقا إلى كل غاية من المجد نجّاء من الغمرات

فقال له : أحسنت ، سل حاجتَك قال له : أنت أعلى عيناً بها وأرحب صَدْراً ياأميرَ المؤمنين ، فأمر له بعشرين ألف دِرهم وكُسْوةٍ ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يُعيدُ الأبيات فقال : لا ، ولكن أبياتك التى قلتها فى الحجاج ، فأنشده :

كأنى بعَبْدِ الله يَرْكَبُ رَدْعَه وفيه سِنَانٌ زاعِبِىٌّ مُحَرَّبُ[2]
وقد فر عنه الملحدون وحَلّقَتْ به وبِمَنْ آساه عَنْقَاءُ مُغْربُ
تولَّوْا وخَلَّوْه فشال بشلوه طويل من الأجذاع عارٍ مُشَذَّبُ
بكَفَّىْ غلامٍ من ثقيفٍ نمت به قريشٌ وذو المجدِ التليدِ مُعَقَّبُ

فقال له عبد الملك : لا تقل « غلام » ولكن قل « هُمام » وكتب إلى الحجاج يأمُر له بعشرة آلاف درهم أُخرى .

---

(١) فى الأصل : المصلى . والمجلى السابق من الخيل ، والعذرات : جمع عذرة وهى الناصية وقيل الخصلة من الشعر .

(٢) محرب : محدد يقال حرب السنان : حدده .

دخل عبد الله بن الزَّبير الأسدى على بِشرِ بن مروان ، وعليه ثيابٌ خلعها بشر عليه ، وكان قد بلغ بشراً أنه كرهه لجفاه ، فلما وصل إليه وقف بين يديه ، وجعل يتأمل مَنْ حوله من بنى مروان ، ويجيل بَصَرَه فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيأتهم . فقال له بشر : إن نظرَك يا ابن الزبير ليَدُلُّ على أن وراءه قولًا . فقال : نعم أيها الأمير قال : قل فقال :

كأن بنى أُمية حول بِشْرٍ نجومٌ وَسْطَها قَمَرٌ منيرُ
هو الفرْعُ المُهَذَّبُ[1] من قريشٍ إذا أَخَذَتْ مآخِذَها الأُمورُ
لقد عَمَّتْ فواضِلُه فأضحى غَنيا من نوافِلِهِ الفقيرُ
فأنت الغيثُ قد عَلِمَتْ قريشٌ لنا والواكفُ الجَوْنُ الغزيرُ[2]
جَبَرْتَ مَهِيضَنا وعَدَلْتَ فينا فعاش البائسُ الكَلُّ الكسيرُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم ، ورضى عنه .

دخل عبد الله بن الزَّبير الأسدى على بِشر بن مروان [متعرضا له ويسمعه شيئا من شعره][3] فقال : أظنك مُتَعَرِّضاً لأن أسمع منك ، فهل أبقى أسماء بنُ خارجةَ منك أو من شِعْرِكَ أو من وُدِّكَ شيئا ؟ لقد نَزحت فيه بحرك[4] يا ابن الزبير . فقال : أصلح الله الأميرَ ، إن أسماء كان للمديح أهلا ، وكانت له عندى أيادٍ كثيرةٌ ، فكنتُ لمعروفه شاكراً ، وأيادى الأمير عندى أجَلّ وأكثرُ وأملى فيه أعظمُ وإن كان قولى لا يحيط بها ، ففى فَضْلِ الأمير عَلَى أوليائه ما قبل به ميسورهم ، فإن أذِن لى بالإنشاد رجوت أن أُوَفَّق للصواب ، فقال : هاتِ . فقال :

---

(١) المقدم (أغانى) .
(٢) المطير (أغانى) .
(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .
(٤) فى الأصل : برحت بخبرك وما ذكرناه عن الأغانى .

تداركني بِشرُ بنُ مروان بَعْدَ ما تعاوَتْ على شِلْوِى الذئابُ العواسلُ
غياثُ الضعافِ المُرْمِلينَ وعِصْمَةُ الـ يتامى ومَنْ تأوى إليه العَياهِلُ
قَرِيعُ قريشٍ والهمامُ الذى له أَقَرَّتْ بنو قحطانَ طُرًّا ووائلُ (١)
يداكَ بن مروان يد تقتل (٢) العِدى وفى يدكَ الأُخرى عطاءٌ ونائلُ
إذا أَمْطَرَتْنا منك يوما سحابةٌ رُوِينا بما جادَتْ علينا الأناملُ
فلا زلتَ يا بِشرَ بن مروانَ سَيِّدًا يَهل علينا منك طَلٌّ ووابلُ
فأنت المُصَفَّى يا ابن مروان والذى تدانَتْ إليه للعطاءِ القبائلُ (٣)
فلولا بنو مروان طاشتْ حلومُنا وكنا فَراشاً أَحْرَقَتْها الشمائل

فأمر له بجائزة وكساه خِلْعَة. وقال: إنى أُريد أُوفِدُكَ على أمير المؤمنين فتهَيَّأْ لذلك يا ابنَ الزَّبير. فقال أنا فاعل أيها الأمير قال: فما ذا تقول إذا وفدت عليه قال فارتجل هذه القصيدة وقال:

أقولُ أميرَ المؤمنين عَصَمْتَنا ببِشْرٍ من الدهرِ الكثيرِ الزلازلِ
واطفَأْتَ عنّا نارَ كلِّ منافقٍ بأبيض بُهلول (٤) طويلِ الحمائلِ
نَمَتْه قروم (٥) من أُميةَ للعُلا إذا افتخر الأقوامُ وَسْط المحافلِ
هو القائد (٦) الميمونُ والعصمةُ التى غدا حقُّها يعلو على كل قائلِ (٧)
إذا ما سألْنا رِفْدَه هَطَلَتْ لنا سَحَابَةُ كَفَّيْه بجودٍ ونائلِ

---

(١) وبعده: وقيس بن عيلان وخندف كلها أقرت وجن الأرض طرا وخابل
(٢) فى الأصل: بريقتك.
(٣) وبعده: يرجون فضل الله عند دعائكم إذا جمعتكم والحجيج المنازل
(٤) فى الأصل مملوك (والتصويب عن الأغانى ١٤ : ٢٥٤).
(٥) نمته قروم. فى الأصل: تمنته قوم.
(٦) فى الأصل: القائل.
(٧) أتى حقها فينا على كل باطل (أغانى).

أخوكَ أميرُ المؤمنين ومن به نُجَاد ونُسْقَى صوبَ أسْحَمَ هاطلِ
حليمٌ على الجُهّالِ منا ورحمةٌ على كل حافٍ من مَعَدٍّ وناعلِ

فقال بشر لجلسائه : كيف تسمعون ، هذا والله الشعرُ وهذه القدرة عليه فقال له حَجار بن أبْجَر العِجْلِيّ ، وكان من أشراف أهل الكوفة ، وكان عظيمَ المنزلة عند بِشْر أصلح الله الأمير هذا أشْعَرُ الناس وأحضرُهم قولا إذا أراد . فقال محمد بن عُمَيْر ابن عُطارد وكان عدوا لحَجَّار : أصلح الله الأمير ، إنه لشاعر وأشعر منه الذى يقول :

لبشرِ بن مروانٍ على كل حالةٍ من الدهرِ فضلٌ فى الرخاء وفى الجَهْدِ
قريعُ قريشٍ والذى باع مالَه ليَكسِب حمداً حين لا أحَدٌ يُجْدى
يُنافس بشرٌ فى السماحةِ والندى ليُحْرِزَ غاياتِ المكارمِ بالحمدِ

فقال بشرٌ من يقول هذا ؟ قال : الفرزدق ، وكان بشر مُغْضَباً عليه . فقال : ابعثْ فأحْضرْه . فقال : هو غائب فى البَصْرة ، وإنما قال هذه الأبيات وبعث بها إلىَّ لأُنْشِدَكَها لترضى عَنْه وقال بشرٌ : هيهاتَ لستُ أرضَى عنه حتى يأتينى ، وكتب محمد بن عمير بن عطارد إلى الفرزدق أن يَأْتيَه ، فتهيأ للقدوم على بِشرٍ ثم بلغَه أن البصرة قد جُمِعَتْ له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومه . فقال عبد الله بن الزَّبير لمحمد بن عطارد فى مجلسه ذلك بحضرة بِشْر بن عمير :

بنى دارمٍ هل تعرفون محمـدا بدَعْوَتِه فيكم إذا الأمْرُ حُقِّقَا
وسامَيْتُم قوماً كراماً بجَدِّكم وجاء سُكَيْتاً[1] آخر القومِ مُخْفِقا
فأَصْلُك دَهمانُ بنُ نصرٍ فَردّهم ولا تَكُ وَغْداً فى تميم مُعَلَّقا
فإن تميما لستَ منهم ولا لَهم أخاً يا ابن دَهْمان فلا تك أحْمَقا

---

(١) السكيت : آخر خيل الحلبة .

فلولا أبو مروان لاقيتَ وابلا   من السَّوْط يُنْسِيك الرحيقَ المُعَتّقا
أَحِينَ علاكَ الشيبُ أصبحت عاهراً   وقلت اسقنى الصهباء صرفاً مُرَوَّقا
تركت شرابَ المسلمين ودينَهُم   وصاحبتَ عبداً من فَزارةَ أزْرقاً
تبيتان فى شرب المدامة كالذى   أُتيح له حبل فأضحى مخنقا

فقال له بشر : أقسمتُ عليك إلّا أمْسَكْتَ . فقال : أفعلُ ، أصلحك الله والله لولا مكانُك لأفقدتُ خُصْيَتَيْه بالحق ، وكف ابن الزبير ، وأحسن بشرٌ جائزته وكسوتَه ، وشَمِتَ حجّار بن أبْجَر بمحمد بن عمير ، وأقبل بنو أسد على ابن الزَّبير فقالوا : عليك لعنةُ الله تُشْمِتُ حَجّاراً بمحمد ! ؟ والله لا نرضى عنك حتى تَهْجُوَه هجاءً يرضى به محمدُ بن عميرٍ عَنْك أو لَسْتَ تعلمُ أن الفرزدقَ أشعرُ العرب ؟ قال : بلى ، ولكن محمداً ظلَمنى وتعرّض لى ، ولم أكن لأحلم عنه إذ فعل فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجاراً فقال :

سليلَ النصارَى سُدْتَ عِجْلا ولم تَكُنْ   لذلك أَهْلًا أن تَسود بنى عجلِ
ولكنَّهُم كانوا أُناساً(١) فسُدْتَهم   ومِثْلُك من سادَ اللئامَ بلا عَقْلِ
فكيف بعِجْلٍ إن دنا الفِصْحُ واغْتَدَتْ   عليك بنو عِجْلٍ ومِرجلُكم يَغْلى
وعندك قِسِّيسُ النصارى وصُلْبُها   وعانيةٌ صهباءُ مثلُ جَنَى النحلِ

فبلغ حجاراً قوله ، فشكاه إلى بشر ، فقال له : أهجوت حجاراً ؟ فقال : والله ما هجوتُه ولقد كَذَبَ عَلىّ ، فأتاه ناس من بنى عجل ، فتهددوه بالقتل فقال :

تَهَدَّدُنى عِجْلٌ وما خلت أننى   خَلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ
وما خِلْتُنى والدهرُ فيه عجائبٌ   أُعَمَّرُ حتى قد تُهَدِّدُنى عِجْلُ
وتُوعِدُنى بالقتل منهم عِصابةٌ   وليس لهم فى العز فَرْعٌ ولا أَصْلُ

---

(١) لئاما (أغانى) .

وعِجْلٌ أُسودٌ فى الرَّخا وثعالبٌ ... إذا التقتِ الأبطالُ واختلف النَّبْلُ
فإن تلْقَنا عِجْلٌ هناك فما لنَا ... ولا لهمو مَلْجا ولا بَعْلُ

وكان الزَّبير بن الأشيم، أبو عبد الله بن الزبير، شاعراً. وهو القائل:

ألا يالقَوْمِى للرقادِ المُؤَرِّقِ ... وللرَّبْع بعد الغِبْطَةِ المُتفرِّقِ
وهَمِّ الفَتَى بالأمْرِ من دون نَيْلِه ... مراتِبُ صَعْبَاتٌ على كل مرتقى
ويومٍ بصحراء البديدين قِلْته ... بمَنْزِلة النعمانِ وابنِ مُحَرِّقِ
وذلك عَيْشٌ قد مضَى كان بَعْدَه ... أُمورٌ أشابت كلَّ رأْسٍ ومَفْرِقِ
وغَيَّر ما اسْتَنْكَرْتِ يا أُمَّ مالكٍ ... حوادثُ إلا تَكْسر العظمَ تَعْرِقِ(١)
فِراقُ حبيبٍ أو تَغيُّرُ حالةٍ ... من الدَّهْرِ أو رامٍ لشَخْصِى مُفوِّقِ
على أننى جَلْدٌ صبورٌ مُرَزَّأٌ ... وهل تتركُ الأيامُ شيئا لمُشْفِقِ

وأما ابنه الزبير بن عبدِ الله بن الزَّبير الأسدى فهو الذى يقول يمدح عيينةَ بنَ أسماءَ بن خارجة الفزارىّ:

قالت عُيينةُ مَوْهنا ... أين اعتراكَ الهمُّ أيْنَه
هل يَبْلُغَنّ بك المُنَى ... ما كنت تأمل فى عُيَيْنَه
بَدْرٌ له الشِّيَمُ الكرا ... ئم كاملاتٌ فاعْتَلَيْنَه

وهو القائل فى بعض بنى عمه:

ومولًى كداء البَطْنِ أو فَوْقَ دائِه ... يَزيدُ موالى الصِّدْقِ خيراً ويَنْقُصُ
تَرَبَّصْتُ(٢) أرجو أن يتوبَ ويَرْعَوِى ... به الحُكْمُ حتى استيأس المُتَربِّصُ

---

(١) تعرق العظم: تأكل ما عليه كله.

(٢) تلومت (أغانى).

أتى عبد الله بن الزَّبير الأسدى إبراهيمَ بن الأشْتَر النَّخَعى فقال له : إنى قد امتدحْتُك بأبيات ، فاسمعها ، فقال : إنى لستُ أُعطى الشعراءَ شيئا قال : اسمعها منى ، ثم ترى رأيَك قال : هات إذاً فأنشده :

اللهُ أعطاكَ المهابةَ والتُّقَى   وأحلَّ بيتَك فى العديدِ الأكثرِ
وأَقَرَّ عينك يوم وقْعَةِ خازر   والخيل تَعْثُر بالقنا المُتَكَسِّرِ
إنى مَدَحْتُك إذ نَبَا بِىَ مَنْزِلى   وذَمَمْتُ إخوانَ النَّدَى من مَعْشَرِ
وعرفت أنك لا تُخَيِّبُ مِدْحَتى   ومتى أكن بسبيل خير أشكر(١)
فهَلُمَّ نحوى من يمينك نَفْحَةً   إن الزمان ألحَّ يا ابن الأشْتَرِ

فقال : كم ترجو أن أعطيك ؟ فقال ألف درهم ، أُصلح بها أمرَ نفسِى وعيالى ، فأمر له بعشرين ألف درهم .

(١) فى الأصل جاءت غير واضحة هكذا (ومنى التى تسل ... لتشكر) والتصويب عن الأغانى ١٤ : ٢٦٢

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت(١)

ذكرتُ نسبَه في ترجمة أبيه .

كان عبدُ الرحمن قد شَبَّبَ برملةَ بنتِ معاوية فقال :

رَمْلُ هَلْ تذكرين يومَ عراكٍ   إذ قَطَعْنا مَسيرَنا بالتَّمنِّي

إذ تقولين عَمْرَكَ اللهُ هل شيءٌ   وإن جل سوف يُسْليك عَنِّي

أم هل أطْمعتُ فيك يا ابنَ حسانَ   كما قد أراكَ أُطْمِعْتَ مِنِّي

فبلغ ذلك يزيدَ بن مُعاويةَ فغضب ، ودخل على معاوية ، وقال : يا أمير المؤمنين ألا تَنْظُر إلى هذا العِلْج من أهل يَثْرِب يَتَهَكَّمُ بأعراضنا ، ويُشَبِّبُ بنسائنا ، قال : ومن هو ؟ قال : عبدُ الرحمن بنُ حسّان ، وأنشده ما قال : فقال معاوية : ليست العقوبةُ مِنْ أحدٍ أقبحَ منها من دُونِ القُدْرة ، ولكن امهل حتى يَقدَمَ وفدُ الأنصار ، ثم أَذْكِرْني به ، فلما قدموا ذَكَّرَه ، فلما دخلوا عليه ، قال : ياعبد الرحمن يبلغني أنك شَبَّبْتَ برَمْلَةَ بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ولو علمتُ أن أحداً شَرَّفَ شِعْري أشرفَ منها لَذَكَرْتُه قال : فأين أنت عن أُخْتِها هِنْد ؟ قال : وإن لها لأُختا يقال لها هند ؟ قال : نعم قال : وإنما أراد معاويةُ أن يُشَبِّبَ بها أيضا ، فيُكْذِبَ نَفْسه ، فلما فعل ذلك وبلغ الناسَ قالوا : قد كنا نرى أن تشبيبَ ابنِ حَسَّانٍ بابنة معاويةَ لِشَيْءٍ فإذا ذلك الشيءُ عن رأيِ معاوية وأقرّه وعَلِمَ من كان يَعْرِفُ أن معاويةَ ليستْ له بنتٌ أخرى وأنه خَدَعه لِيُشَبِّب بها ، ولا أصل لهذا فيعلم الناس أنه قد كذب على الأُولى لما ذَكَرَ الثانية . ولم يَرْضَ يزيدُ بما كان من ذلك من معاوية ، فأرسل إلى كعب بن جُعَيْل . فقال : اهج الأنصار . فقال :

---

(١) أغاني ١٥ : ١١١ وما يليها .

أرادُنى أنت إلى الشِّرْك ؟ أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآوَوْه وصَدَّقُوه ، لا أفعل ، ولـكن أدُلُّك على الشاعر الـكافر ، قال : ومن ؟ قال : الأخطلُ . قال : فدعاه وقال : اهْجُ الأنصار . قال : أفْرَقُ من أميرِ المؤمنين . قال : لا تخف شيئا أنالك بذلك فهجاهم فقال :

وإذا نَسَبْتَ ابنَ الفُرَيْعَـةِ خِلْتَه ... كالجحْشِ بين حِمارةٍ وحمارِ

لعن الإلٰهُ من اليهودِ عصابةً ... بالجِزْعِ بين صُلَيْصِلٍ وصِرَارِ

قومٌ اذا هَدَرَ العصير رأيتهم ... حُمْراً عيونهمو من المُسْطار(١)

خلُّوا المـكارمَ تَسْتَمِرّ مِنَ اهْلِها ... وخُذوا مساحِيَـكم بنى النَّجَّارِ

إن الفوارسَ يعرفون ظُهُورَكم ... أولاد كل مقبح أكَّار

ذهبت قريشٌ بالمـكارم كلّهـا ... واللؤمُ تحتَ عمائم الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمانَ بنَ بشير ، فدخل على معاويةَ ، وحسر رَأْسَه وقال : يا أمير المؤمنين أترى لُؤْماً ؟ قال : لا بَـلْ أرى كَرَماً وخَيْرًا . قال : زعم الأخطل أن اللؤمَ تحت عمائمنا . قال : أو فعَـلَ ؟ قال : نعم ، قال لك لسانُه ، وكتب أن يُؤْتَى به . فلما أُتِى به قال للرسول : أَدْخِلْـنى على يزيدَ أولا ، فأدخله عليه ، فقال : هذا الذى كنتُ أخافُ قال: لا تَخف شيئا ودخل على معاوية فقال عَلاَمَ أرسلتَ إلى هذا الرَّجُل الذى يَمْدَحُنا ويَرْمى وراءَ حَوْزَتِنا . قال : إنه هجا الأنصار . قال ومن زَعَمَ ذلك قال : النعمانُ بن بشيرَ قال : لا تقبل قَوْلَه عليه ، وهو يَدَّعِى لنفْسِه ، ولـكن تدعوه بالبيِّنَة ، فإن ثبتَ شىء أَخَذْتَه به ، فدعاه بالبَيِّنة فلم يأت بها . فخلَّاه .

وقيل : إن معاوية قال للأنصار لما استَعْدَوْهُ عليه ، لـكم لسانُه إلا أن يكون ابنى يزيدُ قد أجارَه ، ودس إلى يزيد إنى قد قُلْتُ اليوم كَيْتَ وكَيْتَ فأجِرْه فأجارَه.

---

(١) المسطار : الخمرة الصارعة لشاربها . أول عصير الخمر قبل طبخه .

ولما شبَّبَ عبدُ الرحمن بأُختِ معاويةَ غضب يزيدُ فقال : يا أمير المؤمنين اقتُلْ عبدَ الرحمن بن حسان ، فإنه شبَّب بعمَّتِي قال : وما قال ؟ قال :

طال لَيْلِي وبتُّ كالمحزونِ ومللتُ الثواءَ في جَيْرُونِ[١]

قال : وما علينا من طُولِ لَيْلِه ؟ قال : فإنه يقول :

فلذاكَ[٢] اغتَرَبْتُ بالشام حتى ظَنَّ أهلي مُرَجَّماتِ الظُّنونِ

فقال معاوية : وما علينا مِنْ ظَنِّ أهْلِه؟ قال: فإنه يقول:

هي زهراءُ مِثلُ لؤلؤةِ الغَوَّاصِ مُيِّزَتْ من جَوْهرٍ مكنونِ

قال معاوية : صدق يا بُني. قال. فإنه يقول:

وإذا ما نَسَبْتَهَا لم تَجِدْهــا في سنـاءٍ من المكارم دُونِ

قال معاوية : صدق يابني فإنها لكذلك . قال: فإنه يقول :

ثم خاصَرْتُها[٣] إلى القُبَّـةِ الخضـ ـراءِ تمشي في مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

خاصَرْتُها : أخذتُ بخَصْرِها وأَخَذَتْ بخَصْرِي . قال : لا ولا كُلُّ هذا يابني وضحك . ثم قال : أنشدني ما قال أيضا فأنشده :

قُبَّةٌ من مَراجِلٍ ضَرَبوهـا[٤] عنـد حَدِّ الشتاءِ في قَيْطُونِ

عن يَساري إذا ما دخلتُ من البا ب وإن كنتُ خارجاً عن يَميني[٥]

تَجْعَلُ النَدَّ والأُلُوَّةَ[٦] والعُو دَ صِلاءً[٧] لهـا عن الكانون

---

(١) روى البيت في الأغاني ٣ : ١٨٨ :

صاح حيا الإله حيا ودورا عند أصل القناة من جيرون

(٢) فبتلك (أمالي) .

(٣) ماشيتها (أمالي) .

(٤) ضربتها (أمالي ٣ : ١٨٨) .

(٥) دخلت إلى الدا ر ... فيميني

(٦) الألوة ، العود الذي يتبخر به .

(٧) الصلاء والصلى: النار أو العظيم منها. وقودها تجعل المسك واليلنجوج والنـد د ... (أمالي) .

وقبابٌ قـــد أُسْرِجَتْ وبيوتٌ   نُضِّدَتْ بالريحـان والزَّرْجُونِ (١)

فقال: يابنى ليس يجبُ القتلُ فى مثل هذا والعقوبةُ دون القتل تُغْرِيه ، ولـكننا نَـكُفُّه بالصِّلةِ والتجاوز عَنْه .

كان عبدُ الرحمن قد تَهاجَى هو وعبدُ الرحمن بنُ الحـكم بن أبى العاص . والسببُ فى ذلك أن عبدَ الرحمن كان خليلا له مخالِطا . فقيل لعبد الرحمن بنِ الحـكم : إن ابن حَسان يَخْلُفُك على فراشِك فى أهْلِك ، فراسَل امرأةَ ابن حسان فأخْبَرَتْ بذلك زَوْجها ، وقالت : ارسل إلَىّ إنى أُحِبُّـك حبًّا أراه قاتِلِى ، فأرسل ابنُ حسانٍ إلى امرأة ابن الحـكمِ ، وكانت تواصِلُه وقال للرسول إليها : قل لها : إن امرأتى تزورُ أهْلَها فزُورينى حتى نَخْلُوَ ساعةً فزارته ، فقعدَ معها ، ثم قال لهـا : قد جاءتْ امرأتى ، فأَدْخَلَها بيتا إلى جَنْبه وأمرَ امرأته ، فأرسلت إلى عبدِ الرحمنِ بن الحـكم إنَّك ذكرتَ حبَّك لى ، وقد وقع ذلك فى قلبى ، وإن ابن حسان قد خَرج اليوم إلى ضَيْعَته ، فهلم . فتهيَّأَ ثم أقْبَـلَ ، فإنه لقاعدٌ معها إذ قالَتْ : قد جاء زوجى . فادخل هذا البيتَ فإنه لا يَشْعُر بك ، فأدخلته البيتَ الذى فيه امرأَتُه فلما رآها تيقَّنَ بالشر ، ووقع الشرُّ بينهما ، وهجا كلّ واحدٍ صاحبَه .

وقيل: سبب التهاجى بينهما أنهما خَرَجا إلى صيد بكِلابٍ لهما فى إمارة مروان فقال ابن الحـكم :

ازجُرْ كلابَـك إنها قلطية (٢)   تُقْمِى ومثلُ كلابِكمْ لم تَصْطَد

فرد عليه ابن حسان :

من كان يأ كلُ من فريسةِ صَيْدِه   فالتمر (٣) يغنينا عن المُتَصَيِّدِ

(١) الزرجون قضبان الـكرم ـ الواحدة زرجونة ، صبغ أحمر والخمر .

(٢) القلطى: الرجل الخبيث المارد . والقلاط : القصير جدا من الناس والـكلاب والسنانير.

(٣) فى الأصل فالتم والتصويب عن الأغانى .

إنا أُناس رَيّقون وإنــــكم ... كـكلابكم فى الوَلْغ والمُتَرَدّد
حُزْناكمو للضَّبِ تَحْترشونه ... والرّيفُ يَمْنَعكم بكل مهنـــد

ثم رجعا إلى المدينة ، فكانا يتعارضان الشعر ، فقال عبد الرحمن بن الحكم :

ومِثلُ أُمِّك أُمّ العبد قد ضربَتْ ... عندى وَلِى بغنائى مزهر خـدم
وأنت عنـــد ذُناباها تعاودها ... غَلْى القدور تحسى خاثر الـبرم

فنقضها ابن حسان عليه فقال :

يا أيها الراكبُ المُزْجى مَطيّته ... إذا عرَضْتَ فسائلْ عن بنى الحكمِ
القائلين إذا لاقَوْا عَدُوّهمو ... فِرُّوا وكُرُّوا على النِّسوان والنَّعَمِ
كم من أمين نصيح الحب قال لكم ... ألا نهَيْتم أخاكم يابنى الحكمِ
عن رَجُلٍ لا بغيض فى عَشيرته ... ولا ذليلٍ قصير الباع مُهْتَضَمِ

وقال ابن حسان فيه أيضاً :

صار العزيزُ ذليـــلًا والذليلُ له ... عِزٌّ وصار فروعُ الناسِ أذنابا
إنى لَمُلْتَمِسٌ حتى يَبِينَ لكم ... فيكم متى كنتمو للناس أَربابا
فارْقَوْا على ظَلْعِكم ثم انظروا وسلوا ... عنّا وعنكم قديمَ العلم أنسابا
فسوف يضحك أو يعتادُه ذِكَرٌ ... يا بُؤْسَ للـــدهرِ للإنسان ريابا

كتب معاويةُ إلى سعيد بن العاص ، وهو عاملُه على المدينة ، أن يضربَ كلَّ واحد من ابن حسان وعبد الرحمن بن الحكم مائةَ سَوْط . وكان ابن حسان صَديقا لسعيد ، وما مدح أحداً قطُّ غيرَه فكرِه أن يضرِبَه أو يضرب ابنَ عمه ، فأمسك عنهما ، ثم وَلِىَ مروانُ فلما قدم المدينة ضرب ابن حسان مائةَ سوط ، ولم يضرب أخاه ، فكتب ابنُ حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام وكان أثيرا عند معاوية مكينا :

ليت شعرى أغائبٌ أنتَ(١) بالشا ... م خليلِى أمْ راقــدٌ نعْمانُ
إنه إن يكن(٢) فقــد يرجع الغا ... ئبُ يــوما ويُوقَظُ الوَسْنانُ
إن عمراً وعامراً أَبوَيْنا ... وحراما قِدْما على العهــدِ كانوا
إنهم مانعــوك أم قِلّةُ الكتا ... ب أم أنت عــاتبٌ غضبانُ
أم جفــاء أم أعْوزَتْك القراطيد ... س أم أمرى بــه عليك هوان
يــوم أُنبِئْتَ أن ساقِىَ رُضَّت ... وأتاكم بـذلك الرُّكْبانُ
ثم قالوا إنَّ ابنَ عمِّك فى بَلْـ ... وى أُمــور يأْتِى بها الحدثانُ
فتُلَاطُ الأرحام والود والصحـ ... بة فيما أتتْ به الأزْمانُ
إنمــا الرمح فاعلَمنّ قنــاةٌ ... أو كبعض العيدانِ لولا السِّنانُ

وهى طويلة ، فدخل النعمانُ على معاويةَ فقال : يا أمير المؤمنين إنك أمرْت سعيدا أن يضرب ابن حسان مائة سَوْط وابنَ الحكم مائةَ سَوْط ، فلم يفعل . ثم كتب إلى مروان بذلك(٣) ، فضرب ابن حسان مائةً ولم يضربْ أخاه . قال : فتريدُ ماذا ؟ قال : أن تكتب إليه بمثل ما كتبتَ إلى سعيد . فكتب إلى مروان ، وعزم عليه أن يَضرِب أخاه مائةً وبعث إلى ابن حسان بحلّة . فلمــا ورد الكتابُ على مروانَ بعث إلى ابنِ حسان أنا مثلُ والدك وما كان منِّى إليك إلا على سبيل التأديب لك ، واعتذر إليه . فقال ابنُ حسان : ما بدَا لَهُ فى ذلك إلا لشىء قد جاء . وأبى أن يَقْبل منه . فأبلغ الرسولُ ذلك مروانَ فوَجَّه إليه بالُحلّة فرمى بها فى الُحشّ فقيل له : حلة أمير المؤمنين ترمى بها فى الُحشّ ؟ فقال : نَعَمْ ، ما أصنع بها ؟ وجاءه قومُه

---

(١) فى الأصل ا ـ ب (ليس) .
(٢) أية ما تكن (أغانى) ٤ : ١١٥ .
(٣) ثم وليت مروان ١٥ : ١١٦ .

فأخبروه الخبَر . فقال : قد عرفتُ أنه لم يفعل ما فعل إلا لأمر قد حدث . فقال الرسول لمروان : ما تصنع بهذا ؟ قد أبى أن يَعْفُوَ ، فهلم أحْضِرْ أخاك ، فبعث مروانُ إلى الأنصار وطلب إليهم أن يطلبوا إليه أن يَضْرِبَه خمسين ، فإنه ضعيف ، فطلبوا إليه ، فأجابهم فأخرجه فضربه خمسين ، فلقى ابن حسان بعض من كان لا يَهْوَى ما تركَ من ذلك . فقال له : يضربُك مائةً ويضربهُ خمسين !! بئس ما صَنَعْتَ إذ وَهَبْتَها له . فقال : إنه عَبْد ، وإنما ضربتُه ما يُضْرَبُ العبد ، وهو نِصْفُ ما يضربُ الحرّ ، فحُمِلَ هذا الكلامُ حتى شاع فى المدينة ، وبلغ ابنَ الحكَم فشقَّ ذلك عليه . وأتى أخاه مروان فأخبره الخبر ، وقال : فَضَحْتَنى لا حاجةَ لى فيما تركْت فهلُمّ فاقتصَّ . فضرب ابنَ الحكَم خمسين سوطا أُخرى . فقال عبدالرحمن ابن حسان يهجو ابن الحكَم :

دع ذا وعَدِّ قريضَ شعرِك فى امرئٍ ... يَهْذِى ويُنْشِدُ شِعْرَه كالفاخِرِ
عثمانُ عمُّكمو ولستم مثْلَه ... وبنو أميَّة منكمو كالآمِرِ
وبنو أبيه سخيفةٌ أحلامُهم ... فُحُشُ النفوسِ على الجليسِ الزائرِ
أحياؤُهم عارٌ على أمواتِهم ... والميّتون مَسَبَّةٌ للغابر
هل[1] ينظرون إذا مَدَدْتَ إليهمو ... نَظَرَ التيوسِ إلى سِفادِ الجادرِ[2]
خزر العيون مُنكَّسو أذقانِهم ... نَظَرَ الذليلِ إلى العزيزِ القاهرِ

ثم إن أبا واسع أحدَ بنى الأشمر ، من بنى أسد بن خزيمة ، هجا ابنَ حسان وعيَّره بضَرْبِ ابن المُعَطَّل أباه حسّاناً على رأسه ، وعيَّره بأكل الخصى فقال :

إن ابنَ المُعَطَّلِ من سُلَيْمٍ ... أذلّ قيادَ رأسِك بالحُطامِ[3]

(١) هم (أغانى) ٢٥ : ١١٧ .
(٢) الجادر الحسن السمين وفى الأغانى إلى شفار الجازر ١٥/١١٧ .
(٣) فى الأصل : إذا يقتاد رأسك بالحسام .

عمدت إلى الخُصى فأكلت منها ... لقد أَخْطَأْتَ فاكهةَ الطعامِ
وما للجارِحين يَحلّ فيكم ... لديكم يا بنى النجّارِ حامى

فلما عَمّ بنى النجارِ بالهجاء ولا ذنبَ لهم دعَوا اللهَ عليه ، فخرج من المدينة يريد أهله ، فعرض له أسد فقَضْقَضَه . فقال ابن حسان فى ذلك :

أَبْلِغْ بنى الأشعثِ إن جِئْتَهم ... ما بالُ أبناءِ بنى واسِعِ
والليثُ يعلوه بأنيابِه ... منعفراً فى دمِه الناقِعِ
إذ تركوه وهو يدعوهمُ ... بالنسبِ الدانى وبالشّاسِعِ
لا يرفع الرحمن مصروعكم ... ولا يُوَهِّى قُوَّةَ الصارِعِ

فقالت له امرأته : ما دعا أحد قبلك للأسَدِ بخير قط ، قال : ولا نصر أحداً الأسدُ كما نصرنى قط .

كان الأخطل ومسكينٌ الدارِىّ صديقين لابن الحَكَم فاستعان بهما على ابن حسان ، فهجاه الأخطلُ ، وقال مسكين : ما كنت لأهجُوَ أحداً ، واعتذر إليه ، وكتب مسكينٌ إلى عبد الرحمنِ بقصيدته اللامية ، يدعوه إلى المنافرة والمفاخرة ، فكتب إليه عبد الرحمن :

ألا إن الشبابَ ثيابُ لُبسٍ ... وما الأموال إلا كالظلالِ
فإن يَبْلَ الشباب فكل شىء ... سمعتَ به سوى الرحمن بَالِ
أتانى عنك يا مسكينُ قَوْلٌ ... بَذَلْتَ النّصْفَ فيه غَيْرَ آلِ
دعوت إلى التناضل غير قَحْمٍ ... ولا غَمْرٍ يطيل لدى النضال

وهى أطول من قصيدة مسكين ، ثم انقطع التناضل بينهما .

عامر أبو الطفيل (1)

هو عامرُ بن واثِلةَ بن عبد الله بن عُمَير بن جابر بن حُمَيْس بن جُدَىّ بن سعد (2) ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركةَ .

له صحبةٌ بسيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه ، وعُمِّر بعده عمراً طويلا .

وكان مع أمير المؤمنين ، علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه . وروى عنه أيضا ، وكان من وجوه شِيعَته ، وله منه محلٌّ خاص ، يُسْتَغْنى بشهرته عن ذكره .

وخرج طالبا بدم الحسين ، رضوان الله عليه، مع المختار بن أبى عبيد ، حتى قُتِلَ المختارُ ، وأفْلَتَ هو وعُمِّرَ بعد ذلك .

روى أبو الطُّفَيْل قال : سمعت عليا ، رضى الله عنه ، يخطب . فقال : سلُونى قبل أن تَفْقِدُونى . فقام إليه ابن الكوَّاء فقال : ما الذاريات ذَرْواً ؟ فقال : الرياح فقال : فالحاملات وَقْراً ؟ قال : السحابُ، قال : فالجاريات يُسْرًا ؟ قال : السُّفُن قال : فالمُقْسِمات أمراً ؟ قال : الملائكة .

قال : فَمَنْ الذين بَدَّلوا نعمةَ اللهِ كُفْراً ؟ قال : الأفْجرانِ مِنْ قريشٍ ! بنو أُمية ، وبنو مخزوم .

قال: فما كان ذو القرنين ِ؟ أنبيًّا أمْ مَلِكاً ؟ قال: كان عبداً مؤمناً أو قال : صالِحًا أحبَّ اللهَ وأَحَبَّه اللهُ ، ضُرِبَ ضَرْبةً على قَرْنه الأيمن فماتَ ، ثم بُعِثَ فضُرِبَ ضربةً على قَرْنِه الأيسر فمات . وفيكم مثله . لما استقام الأمر لمعاوية لم يكن شىء أحبَّ إليه من لقاء

---

(1) الأغانى : ١٤ : ١٤٧ .

(2) فى الأصل ابن سعيد . وكذلك فى ب .

أبى الطفيل ، فلم يزل يكاتبُه ويَلْطُف له حتى أتاه ، فلما قدم عليه جعل يُسائله عن أمر الجاهلية فدخل عمرٌو بن العاص ونفر معه فقال له معاوية : أما تعرِفون هذا ؟ قالوا: لا قال: هذا فارس صِفّين وشاعِرُها ، هذا خليل أبى الحسَن. ثم قال : يا أبا الطفيل ، ما بَلَغَ من حبِّك لعلى ؟ قال : حُبُّ أمِّ موسى لموسى . قال : فما بَلَغ من بكائك عليه ، قال : بكاء العجوز الثكْلَى والشيخ الفقُود ، وإلى الله عز وجل أشكو التقصير. فقال معاوية: لكنّ أصحابى هؤلاء لو كانوا سُئِلوا عنى ما قالوا ما قلت فى صاحبك . قالوا : إذاً والله لا نَقُولُ الباطلَ ، فقال معاوية : لا والله ولا الحق تقولون .

ثم قال معاوية هذه الذى يقول :

إلى رجب السبعين تعترفوننى(١) مع السيف فى حواء جَمٍّ عَديدُها

ثم قال: أَنْشِدْنا هذه الأبيات يا أبا الطفيل ، فأنشده :

رَجوف كَمَتْن الطودِ فيها معاشرٌ كغُلْب السباع نُمْرُها وأُسودُها
كهولٌ وشبانٌ وساداتُ مَعْشَرٍ على الخيل فُرسانٌ قليلٌ صُدودُها
كأن شعاعَ الشمسِ تحت لوائها إذا طلعت أَعْشَى العيونَ حديدُها
شِعارهمو سيما النبيِّ ورايةٌ بها انتقم الرحمنُ ممن يَكيدُها
تخطفكم آباؤهم وعبيدهم تخطف ضوارى الطير طيراً تصيدها

فقال معاوية لجلسائه: أعرفتموه ؟ قالوا : نعم ، هذا أفحش شاعر وألأمُ جليس ، فقال معاوية : يا أبا الطفيل ، أتعرفهم ؟ قال ما أَعْرِفُهم بخير ، وما أُبعِدُهم من شر . وقام خزيمة الأسدى فأجابهم(٢) فقال :

إلى رجبٍ أو غُرَّةِ الشهرِ بعده تُصَبِّحُكم حمرُ المنايا وسُودها

---

(١) فى الأصل (لا يعرفوننى) وما أثبتناه عن الأغانى ١٥ / ١٤٩ .

(٢) (فى ا ـ ب) وفى الأغانى: فأجابه .

ثمانون ألفاً دِينُ عثمانَ دينُهم   كتائبُ فيها جِبْرَئيلُ يقودُها
فمن عاش فيكم عاش عَبْدًا ومن يمت   ففى النارِ سُقْياه هناك صَديدُها

لما رجع محمدُ بنُ الحنفيةِ من الشام حبَسَه ابنُ الزبير فى سجن عارِم ، فخرج إليه جيشٌ من الكوفة ، عليْهم أبو الطفيل ، فكسروا السجنَ وأخرجوه ، فكتب ابنُ الزبير إلى أخيه مصعبٍ أن يسيِّر نساءَ كلٍّ من خرج لذلك . فأخرج مصعبٌ نساءَهم ، وفيهن أمُّ الطُفَيْل امرأة أبى الطفيل ، وابناً له صغيراً ، يقال له يحيي . فقال أبو الطفيل فى ذلك :

فإن يَك سَيَّرَها مُصعبٌ   فإنِّى إلى مُصْعَب مُذْنِبُ
أقود الكتيبةَ مُسْتَلْئِما   كأنى أخو عُرَّة أجْرَبُ
عَلَىَّ دِلاصٌ تخيرْتُها   وفى الكف ذو رَوْنَقٍ مِقْضَبُ
شَعَرْتُ عليهم مع الشاعري   ن ناراً إذا خَمدَتْ تنقبُ
فلو أن يحيي به قُوَّةٌ   فيَغْدو مع القوم أو يَرْكَبُ
ولكنّ يحيي كفرخ العُقا   بِ فى الوَكْرِ مُسْتَصعبٌ أزغبُ

وقال أبو الطفيل لم يبق من الشيعة غيرى ثم يقول :

وخلفْتُ سهماً فى الكنانةِ واحداً   سيَرْمِى بكم أو يكسر السهمَ كاسِرُه

وكان أبو الطفيل مع المختار فى القصر ، فرمى بنفسه قبل أن يؤخذ . وقال :

ولما رأيت الباب قد حيل دُونَه   تكسرتُ باسم الله فيمن تكسَّرا

دخل عبدالله بن صفوان على عبد الله بن الزبير ، وهو يومئذ بمكة ، فقال: أصبحتُ كما قال الشاعر :

فإن تصبْك من الأيام جائحةٌ   لم أبك منها على دنيا ولا دين

قال ولِمَ ذاك يا أعرج ؟ قال عبد الله بن عباس يُفَقِّه الناسَ وأخوه عُبَيْدُ الله

يُطعِم الناس ، فما أَبْقَيَا لك ؟ فأحفَظَه ذلك ، وأرسل صاحبَ شُرْطَتِه عبدَ الله ابن مُطيع ، فقال : انطلق إلى ابن عباس وإلى أخيه ، فقل لهما أعمدتما[1] إلى راية ترابيّة قد وضعها الله فنصبتماها ؟ بَدِّدَا عَنِّى جمعَكُما ومن ضوىَ إليكما من ضُلّال أهل العراق وإلا فعلت وفعلت. فقال له ابن عباس : قل لابن الزبير يقول لك ابن عباس : ثَكِلَتْك أُمُّك ، والله ما يأتينا من الناس غيرُ رجلين ، طالبُ فقه أو طالب فَضْل فأى هذين تمنع ، فأنشأ عند ذلك أبو الطفيل يقول :

لا دَرّ دَرُّ الليالى كيف تُضْحِكُنا ... منها خطوبٌ أعاجيبٌ وتُبْكينا
ومِثْل ما تُحْدِثُ الأيامُ من غِيَرٍ ... يا ابنَ الزُّبَيْر عن الدنيا تُسَلِّينا
كنا نَجِىءُ ابنَ عباسٍ فيُقْبِسُنا[2] ... علمــا ويُكْسِبُنا أجراً ويَهْدينا
ولا يزال عبيدُ الله مُتْرَعــةً ... جِفانُه مُطْعِماً ضيفاً ومِسكينا
فالبِرُّ والدينُ والدنيا بِدارِهمـا ... ننالُ منها الذى نَبْغِى إذا شِينـا
إن النبى هو الذى كُشِفَتْ ... بــه عماياتُ باقِينا وماضِينا
ورهْطُه عصمةٌ فى دينِنــا ولهم ... فضلٌ علينا وحَقٌّ واجبٌ فينا
ولست فاعلمه[3] أدنى منهما رَحِما ... يا ابن الزبير ولا أَوْلَى به دينـا
ففِيمَ تَمْنَعُهُم عنا وتَمْنَعُنا ... منهم وتُؤْذيهمُ فِينــا وتُؤذينا
لن يُؤْتِىَ الله من أجرى ببغضهمو ... فى الدين عِزًّا ولا فى الأرضِ تمكينا

ومن شعر أبى الطُّفَيْل يرثى ابنه ، ودُعِىَ إلى وَلِيمة فسمع قينة تغنيها فبكى حتى كاد يموت :

---

(١) فى الأصل : أعدتما إلى راية ابن أبيه ... بدراعتى جمعكما ومن صونى اللباب من أهل صلائل العراق وقال له فعلت وفعلت، والتصويب عن الأغانى ١٥ : ١٥٢.

(٢) ا ، ب وفى الأغانى فيقبسنا .

(٣) فى الأصل فاعلم وهذه عن الأغانى .

خلّى عَلىّ طُفَيْلُ الهم فانشعبا وهَدَّ ذلك رُكْنِى هــدّةً عَجَبا
وابْنَىْ سُمَيّة لا أنساهما أبـداً فيمن نَسيتُ وكلٌّ كان لى وَصَبَا
فامْلِك عزاءك إن رُزْءٌ بُليتَ به فلن يَرُدَّ بكاء المرء ما ذهبا
وليس يُشفى حزينـا من تذكُّرِه إلا البكاء إذا ماناح وانْتَحَبا
فإن سلكتَ سبيلا كنتَ سالكها ولا محـالةَ أن يأتى الذى كُتِبا
فما لبطنك[1] من رىٍّ ولا شبع ولا ظللت بباقى العيش مرتقبا

بينـا فتيةٌ من قريش ببطن محسّر ، يتذاكرون الأحـاديث ، ويتناشدون الأشعارَ ، إذ أقبل طُوَيْس ، وعليه قُوهىّ وحبَرَةٌ قد ارتدى بها وهو يَخْطُر فى مِشْيَتِه ، فسلم وجلس ، فقال له القوم : يا أبا عبد النعيم أَوَتُغَنِّينا ؟ قال : نعم ، وكرامةً ، أُغنيكم بشعر شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من شيعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وصاحب رايتهِ ، أدرك الجاهلية والإسلامَ ، وكان سيدَ قومِه وشاعِرَهم . قالوا : ومن ذلك يا أبا عبد النعيم ؟ فَدتك أنفسُنا . قال : ذلك أبو الطفيل ، عامر بن واثلة ، ثم غناهم :

أتدعوننى شَيْخا وقد عِشْتُ حِقْبَةً وهنَّ من الأزواج نَحْوى نوازعُ
وماشاب رأسِى من سنينَ تتابَعَتْ علىَّ ولكنْ شَيَّبَتْنى الوقائعُ

فطرب القوم ، وقالوا : ماسمعنا قط بأحسن من هذا .

---

(١) لفظتك (ب) .

عمرو بن معديكرب الزبيدى[1]

هو عَمرُو بن معديكرب بنِ عبدِ الله .

ويقال : مَعْديكرب بن ربيعةَ بن عبد الله بن عمرو بن عُصم بن عمرو بن زُبَيد ، وهو مُنَبِّـه بن سَلَمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سَعْد العشيرة بن مالك ، وهو مَذْحِجُ بن أُدد بن زيد بن يَشْجُب بن يَعْرُب[2] بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان .

وكنيته أبو ثَوْر .

وأمه وأُم أخيه عبدِ الله امرأة من جرم[3] ، وهى معدودة من المُنْجِبات .

وهو فارس اليَمَن ، مقدم على زَيد الخَيْل فى الشدة والبأس .

وكان يقال لعمرو : مائِقُ زبيد ، وكان لا يُدْعى فى الخِفّة ، فبلغهم أن خثعم تريدهم ، فتأهب لهم ، وجمع معديكرب بنى زبيد ، فدخل عمرٌو على أُختِه فقال : لو أشْبَعَنى أبى غداً كَفيْتُه خثعم ، فجاء معديكرب ، فأخْبَرَته ابنتهُ بذلك . فقال : هذا المائق يقول ذلك ؟ قالت : نعم . قال : فسليه ما يُشْبِعُه قال : فسألَتْه فقال : فرق من ذُرَةٍ وعناق[4] رباعية قال : وكان الفرق يومئذ ثلاثةَ أصْوُع ، فصنع له ذلك ، وذبح له العَنْزَ ، وهيأ له الطعامَ ، فجلس عليه ، وأكله جميعا ، وأتتْهُم خثعم فى الصباح ، فلقُوهم وجاء عَمْرٌو فرمَى بنفْسِه ، ثم رفع رأْسَه ، فإذا لواء أبيه قائمٌ

---

(١) أغانى ١٥ : ٢٠٨ ــ تجريد مهذب ١/ ٦٢ ط ١٦٤٨ .

(٢) عريب أغانى وتجريد .

(٣) فى الأصل : (حترم) وما أثبتناه عن الأغانى .

(٤) العناق الأنثى من أولاد المعز .

فوضع رأسَه ، ثم رفَعَه ، فإذا لواء أبيه قد زال ، فقام كأنه سَرْحَةٌ مُحْرَقة فتلَقّى أباه وقد انهزم ، فقال : انزل عنها ، فقال : إليك اليومَ يا مائقُ فقال له : بنو زبيد خَلِّه ، أيها الرجل ، وما يريدُ فإن قُتِلَ كُفيتَ مُؤْنَتَه وإن ظَهَرَ فهو لك ، فألْقَى إليه سلاحَه فركب ، ثم رمى بنفسه فى خثعم ، حتى خرج من بين ظهرانيهم ، ثم كر عليهم ، وفعل ذلك مراراً ، وحملت عليهم بنو زبيد ، فانهزمت خثعم ، وقهروا فقيل له يومئذ : فارسُ زبيد .

وكان عمرٌو قد قال لقَيْس بن مَكْشوح المُرادِى ، وهو ابن أُخته ، حين انتهى إليهم أمرُ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياقيس ، إنك سيدُ قومِك ، وقد ذُكِرَ لنا أن رجلا من قريشٍ يقال له محمدٌ قد خرج بالحجاز ، يقال إنه نَبِيٌّ ، فانطلق بنا حتى نعلم عِلْمَه وبادر فَرْوة بن مُسَيْك لا يَغْلِبْكَ على الأمر . فأبى قَيْسٌ ذلك وسَفَّه رأيه وعصاه ، فركب عمرٌو متوجها إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : خالَفْتَنى يا قيس .

وقال عمرو فى ذلك :

أمَرْتُك يومَ ذى صنعا ءَ أمراً بيِّناً رَشَدُه
أمرْتُك باتقاء اللّـ ـه تأتيه وتَعْتَمِدُه[١]
وكنْتَ كذى الحُميِّرِ غرْ رَه من عَيرِه وتده

ولما قَدم عمرٌو ، فى وفد مذحج ، مع فَروة بن مُسَيْك المرادى ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسْلَموا ، وبعثَ فروة على صدقاتٍ من أسْلَمَ منهم ، وقال له : ادعُ الناسَ وتألَّفْهم فإذا وجدتَ الغَفْلَةَ فانتهبها[٢] واغزُ ، ولم يكن فَرْوَةُ دخل

---

(١) تتعده (أغانى ١٥/ ٢١٠) .
(٢) فاهتبلها (أغانى) .

فى الإسلام مُفارِقا لملوك كندة ، مباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان قبل الإسلام وَقْعةٌ بين مراد وهَمْدان أصابت فيها همدانُ من مرادٍ حتى أثخنوهم فى يوم ، يقال له يوم الرَّزْم(١) وكان الذى قاد همدانَ إلى مراد الأجْدعُ بن مالك الشاعر الهمدانى أبو مسروق بن الأجْدَع ففَضَحَهم يومئذ . وفى ذلك يقول فروة :

فإنْ نَغْلِبْ فغلَّابون قِدْما   وإن نُهزَمْ فغيْرُ مُهزَّمينا

فلما توجه فروة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول :

لما رأيتُ ملوكَ كِنْدَةَ أعْرَضَتْ   كالرِّجْل خان الرِّجْلَ عرقُ نسائها
يممتُ راحلتى أمامَ محمـــدٍ   أرجو فواضِلَها وحسنَ ثرائها

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما انتهى إليه : هل شانَك ما أصاب قومَك يوم الرَّزْم ؟ فقال : يا رسول الله من ذا الذى يصيبُ قومَه ما أصاب قومى ولا يَسوءه ؟ فقال : أما إن ذلك لم يَزِدْ قومَك فى الإسلام إلّا خيراً ، واستعمله على مراد وزبيد ومذحج كلها .

ثم لم يلبث عمرُو بن معديكرب أن ارتد عن الإسلام وقال :

وجَدْنا مُلْكَ فروةَ شرَّ مُلْكٍ   حمـارٌ ساف مِنْخَرَه بقَذْرِ
وإنَّك لو رأيتَ أبا عُمَيْرٍ   ملأْتَ يديك من غَدْرٍ وخَتْرِ

فلما ارتد عمرو مع الذين ارتدوا من مذحج استجاش(٢) فروة عليهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فوجه إليهم خالدَ بن سعيد بن العاص ، وخالدَ بن الوليد ، وقال لهما : إن اجتمعتم فعلىٌّ بن أبى طالب أميرُكم ، وهو على الناس ، ووجه عليًّا رضى الله عنه بكتيبة من أرض اليمن فاقتتلوا فقُتِلَ بعضُهم ونجا بعضٌ فلم تزل جرمُ وزبيدُ وأُددُ

---

(١) كانت فى الأصل : الرؤم والتصويب عن الأغانى ومراصد الاطلاع

(٢) يقال استجاش: طلب المدد والجيش وجمعه عليهم .

بنو سعد العشيرة بعدها قليلةً فى هذا الوجه وقعت الصَّمْصَامةُ إلى آل سعيد ، وكان سببُ وقوعها إليهم أن ريحانةَ بنتَ معديكرب سُبِيَتْ يومئذ ، ففداها خالدٌ ، فأثابه عمْرٌو الصمصامة فصارت إلى سعيد بن العاص(١) ، ووُجدَ سعيدٌ جريحا يوم حُصِرَ عثمانُ وقد ذهب السيفُ والغمْدُ ثم وُجِدَ الغِمْدُ . فلما قام معاوية جاء أعرابى بالسَّيْفِ بغير غِمْد وسعيد حاضر فقال سعيد : هذا سيفى ، فجحَدَه الأعرابى . فقال سعيد : الدليلُ على أنه سيفى أن تبْعَث إلى غمده(٢) فتغْمِده فيه فيكون كِفافه . فبعث معاوية إلى الغِمْد فأُتى به من منزل سعيد ، فإذا هو عليه . فأقر الأعرابى أنه أصابه يومَ الدار ، فأخذه سعيد منه ، فلم يزل عندهم حتى أصْعَد المهدىُّ من البصرة . فلما كان بواسط بعث إلى بنى(٣) سعيد فيه ، فأعطاهم خمسين ألف درهم ، وأخذه . وكان بنو سعيد قالوا : إنه فى السَّبيلِ(٤) فقال : خمسون سيفا قاطعا أغنَى من سيفٍ واحد وأعطاهم خمسين ألفاً(٥) .

ولما قَفَل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غزاة تبوك يريد المدينة أدركه عمرو ابن معديكرب ، فى رجال من بنى زبيد ، فتقدم عمرو ليلْحَق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأُمْسِك عنه ، حتى يُؤْذَنَ له فخُلِّيَ سبيلُه . فلما تقدم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسير قال : حياكَ إلهُك ، أبيتَ اللعن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لعنةَ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، فآمِنْ بالله يُؤَمِّنْك يوم الفزَعِ الأكبر . فقال عمرو : وما الفزَعُ الأكبرُ ؟

---

(١) فى الأصل : إلى آل سعيد والتصويب عن الأغانى .

(٢) فى الأصل : يبعث إلى غمدى فيغمد وفى التجريد أنه يحضر غمده فيغمد فيه (١٦٤٩) .

(٣) آل (تجريد) .

(٤) للسبيل (التجريد) ومعناها : المعتمد والأيد والفخر .

(٥) خمسين ألف درهم (تجريد) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه فَزَعٌ ليس كما تحسب وتظن ، إنه يصاح بالناس صيحة لا يبقى مَيِّتٌ إلا نُشِرَ ثم تَلِجُّ تلك الأرضُ بدَوِيٍّ تَنْهَدّ منه الأرضُ، وتَخِرُّ الجبالُ ، وتَنْشَقُّ السماء فى عرضها انشقاقَ القُبْطِيَّة الجديدة ، ما شاء الله من ذلك ، ثم تبرز النار ، فتنظر إليها حمراءَ مظلمةً قد صار لها لسانٌ فى السماء يَرْمِي بمثل رءوسِ الجبالِ من شرر النار ، ولا يبقى ذو رُوحٍ إلا انخلع قلبه وذَكَر ذَنْبَه . فأين أنت يا عمرو ؟ قال : إننى أسمع أمراً عظيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو أَسْلِم تَسْلَمَ ، فأسلمَ وبايعَ لقومِه عن الإسلام ، وذلك عند مُنْصَرَفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تَبوك . وكانت فى رجب سنة تسع ، وكان عمرُ ابن الخطاب رضى الله عنه ، إذا نظر إلى عمرو قال : الحمد لله الذى خَلَقَنا وخلق عمراً تعجُّباً من خَلْقِه .

قال بعض الرواة : رأيت عمرو بن معديكرب فى خلافةِ معاوية شيْخا عظيما أعظمَ ما يكونُ من الرجال، أجشَّ الصوت إذا التفَتَ التفت بجميع جَسَده . وهذا خطأ لأنه مات فى آخر خلافة عمر بن الخطاب ودفن برُوذَة وهى بين قمّ والرىّ .

وقيل إنه قتل فى وقعة بها فى موضع يعرف بفَنْدِيسجان[1] ودفن بها هو والنعمان بن مقرن .

وقيل إنه أدرك خلافة عثمان ومات بالفالج .

قال الشعبي : وفرض عمرُ رضى الله عنه ، لعمرو بن معديكرب فى ألفين فقال : يا أمير المؤمنين ، ألفٌ هنا ــ وأومأ إلى شِقٍّ بطْنِه الأيمن ــ وألفٌ هنا ــ وأومأ إلى شِقٍّ بطنه الأيسر ــ فما يكون ههنا ــ وأومأ إلى وَسَطِ بَطْنِه ــ فضحك عمر رضى الله عنه ، وزاده خمسمائة .

---

(١) فنديسجان قرية من قرى نهاوند (مراصد) وكانت تقرأ فى الأصل هكذا (نعمد سسحان) . مهملة النقط ــ وهى فى الأغانى ١٥/٢١٣ قبد يشجان .

قال عمرو بن معديكرب : لو سرت بظَعينة وحدى على مياه مَعَدٍّ كلِّها[1] ما خفت أن أُغْلَب عليها ، ما لم يَلْقَنى حُرَّاها وعَبْداها :

أما الحُرَّان فعامر بن الطفيل وعُتَيْبة[2] بن الحارث .

وأما عَبْداها فأسودُ بنى عَبْس وأسودُ بنى سعد ـ يعنى عنترةَ والسُّلَيْك ابن السُّلَكَة ـ وكلهم قد لَقِيت .

فأما عامر فسريع الطعنِ على الصَّعْب .

وأما عُتَيْبة[2] فأولُ الخيل إذا غارَتْ وآخرُها إذا أَتَتْ .

وأما عنترة فقليل النَّبْوَةِ شديد الكَلَب .

وأما السُّلَيْك فبعيد الغارةِ كالليث الضارى .

قالوا : فما تقول فى العباس بنِ مرداس ؟ قال : أقول فيه كما قال فِيّ :

إذا مات عمرٌو قلْتُ للخيلِ اوطئوا زُبَيْدًا فقد أودى بنَجْدَتِها عَمْرو

وقام مغضبا ، وعلم أنهم أرادوا توبيخه بعباس .

كتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص : إنى قد مَدَدْتك بألفى رجل : عمرو بن معديكرب وطُلَيحة[3] بن خويلد الأسدى فشاورهما فى الحرب ، ولا تُوَلِّهما شيئا .

وشهد عمرو بن معديكرب القادسيّةَ وهو ابن مائةٍ وستٍّ سنين ، وقيل مائة وعَشْر .

ورماه رجلٌ فى القتال بسهم ، فوقع فى كَتِفه ، وكان عليه درع حَصينةٌ فلم يَنْفُذْ ، وحملَ على العِلْج فعانقه فسقط إلى الأرض ، فقتله عمرو وسَلَبَه ، ورجع بِسَلَبِه وهو يقول :

---

(١) العرب كلها (تجريد) .

(٢) كانت فى الأصل عيينة والتصويب عن الأغانى .

(٣) فى الأصل طلحة والتصويب عن الأغانى ١٤ : ٢٧ .

أنا أبو ثَوْرٍ وسيفي ذو النُّونْ أضْرِبهم ضَرْبَ غلام مَجْنونْ
يا لَزبيد إنَّهُمْ يموتونْ

وكان الفارس عليه سِوارا ذَهَبٍ ومِنْطَقَةُ ذَهَبٍ وقباء ديباجٍ .

وقال عمرو أيضاً :

ألمم بسَلْمَى قبـل أن تَظْعَنا إن لنـا من حُبِّها دَيْدَنا
قد عَلِمَتْ سلمَى وجاراتُها ما قَطَّرَ الفارسَ إلا أنا
شـكَـكْتُ بالرمحِ حيازِيمَه والخيلُ تعـدو زِيَما بيننـا

ولما قَتَلَ العلج عَبَرَ نهرَ القادسية ، هو وقيس بن مكشوح المرادى ، ومالك بن الحارث الأشتر(١) وكانت فرسُ عمرو ضعيفةً فطلبَ غيرَها فأُتى بفرس فأخذ بعُكْوَة(٢) ذَنَبه وضرب به الأرض فأقعى الفرس فرده وأُتى بآخر ففعل به ذلك فتحَلْحَل ولم يقع ، فقال : هذا على كل حال أقوى من ذاك وقال لأصحابه : إنى حاملٌ وعابرٌ الجسر ، فإن أسرعتم بمقدار جَزْرِ جَزورٍ وجدتمونى وسيفى فى يدى أُقاتل به تلقاءَ وجهى ، وقد عَقَرَ بى القوم ، وأنا قائم [بينهم] وقد قتلتُ وجرَّدْت وإن أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم وقد جُرِّدْت [ثم انغمس فحمل فى القوم فقال بعضهم : يابنى زبيد تدعون صاحبكم والله مانرى أن تدركوه حيا فحملوا فانتهوا إليه وقد صُرِعَ عن فرسه وقد أخذ برِجل فرس رجل من العجم فأمسكها وإن الفارس ليضربُ الفرس فما تقدر أن تتحرك من يده فلما غشيناه رمى الأعجمى بنَفْسِه وخَلَّى فرسه فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور كدتم والله تفقدوننى . قالوا : أين فرسك؟ قال : رُمِى بنُشَّابة فشب فصرعنى وعار](٣) .

---

(١) فى الأصل (وطلب الحرب الأشتر) وما أثبتناه عن الأغانى .

(٢) العكوة بفتح العين وضمها : أصل ذنب الدابة حيث عرى من الشعر .

(٣) عار يعير : ذهب كأنه منفلت .

[عن الشعبي قال : جاءت زيادة من عند عمر بعد القادسية فقال عمرو بن معد يكرب لطليحة : أما ترى أن هذه الزعانف تزاد ولا نزاد ؟ انطلق بنا إلى هذا الرجل][1] نكلمه قال : هيهات والله لا ألقاه فى هذا أبدا ، فقد لقينى فى بعض فجاج مكة ، فقال : يا طليحة ، أقتلت عكاشة ؟ فتوعدنى وعيداً ظننت أنه قاتلى ولا آمَنُه . فقال عمرو : لكنّى ألقاه . فقال : أنت وذاك . فخرج إلى المدينة ، فقدم على عُمر وهو يُغَدِّى الناس ، وقد جَفَن لعشرة عشرةٍ ، فإذا أكلوا جلسَ عشرة ، فأقعدَه عمرُ مع عَشرة ، فأكلوا ونهضوا ، ولم يقم عَمْرو فأقعدَ معه تكملةَ عَشرة ، فأكلوا ونهضوا ، فلم يقم عمرو ، فأقعد معه تكملةَ عشرة ، حتى أكل مع ثلاثين ، ثم قام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لى مآكلُ فى الجاهلية ، فمنعنى منها الإسلام ، وقد ضربتُ فى بطنى ضَرْبتين وتركت بينهما هواء فَسُدَّه . فقال له : عليك بحجارة من حجارة الحَرّة فسُدَّ بها . يا عمرو بلغنى أنك تقول : إن لى سيفا يقال له الصَّمْصَامة وعندى سَيْفٌ يقال له المصمم وإنى إن وضعته بين أُذنيك لم أرفعه حتى يخالط شراسيفك[2] .

وكان عمرٌو مع هذا المحل مشهورا بالكذب . كان الأشراف يخرجون بالكوفة إلى ظاهرها يتحدثون ويتذاكرون أيام الناس ، ويتناشدون الأشعار ، فوقف عمرو إلى جَنْب خالد بن الصَّقْعَب النَّهْدِى فأقبل عليه يُحَدِّثه ويقول : أغرتُ على بنى زيد ، فخرجوا إلى مُسْتَرْعفين[3] وخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنتُه طعنة فوقع وضربته

---

(١) بياض فى الأصل : وما بين القوسين عن الأغانى : ١٥/٢١٧ .

(٢) الشرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن والجمع شراسيف — وفى الأغانى : أضراسك مكان هذه الكلمة .

(٣) الاسترعاف : السبق والتقدم .

بالصمصامة حتى فاظ وسَلَبْتُه سلاحَه وفرَسَه . فقال له رجل : ياأبا ثور إن مقتولَك الذى تذكره هو الذى تُحَدِّثه . فقال : اللهم غَفْرًا ، إنما أنت مُحَدَّثٌ فاسمع فإنما نتحدثُ بمثل هذا وأشباهِه لنُرْهب هذه المعدِّية .

كان عَمْرو قد حمل حمالة ، فأتى مُجاشعَ بنَ مسعود فقال : أسألُك حِمْلانَ مِثْلِى وسلاحَ مِثْلِى ، فأمر لـه بعشرين ألف درهم وفرسٍ جوادٍ عتيقٍ وسيفٍ صارمٍ وجارية نفيسة ، ومر ببنى حَنْظلة فقالوا له : يا أبا ثور كيف رأيت صاحبَك ؟ فقال : للهِ بنو مجاشعٍ ، ما أشدَّ فى الحرب لقاها ، وأجزل فى الأزمات عَطاها ، وأحسن فى المكرمات بِناها ، لقد قاتلتها فما أجْبَنْتُها ، وسألتها فما بَخّلْتُها ، وهاجيتها فما أفْحَمْتُها .

جاء رجل إلى الكُناسة[1] فرأى عمرو بن معديكرب واقفا على فرس ، فقال : لأَنْظُرْ ما بقى من قوة أبى ثور ، فأدخل يده تحت[2] ساقه وبين السرج ، ففطن له عمرو ، وضمها عليه ، وحَرّك فرسَه ، فجعل الرجل يعدو مع الفرس ، لا يقدر أن ينزع يده ، حتى إذا بلغ منه قال له : يا ابن أخى مالك ؟ قال : يـدى تحت ساقك فخَلِّ عنه ، وقال : يا ابن أخى إن فى عمك بَقِيَّةً بَعْدُ .

حدّث من شهد موت عمرو بن معديكرب ، قال : كانت مغازى العرب إذ ذاك الرَّىَّ ودَسْتَبى[3] فخرج عمرو مع شباب من مَذْحِج حتى نزل الخان الذى دون روذة ، فتغدى القومُ ، ثم ناموا ، وقام كل واحد منهم لقضاء الحاجة ، وكان عمرو إذا أراد حاجةً لم يجترئ أحد أن يدعوه ، وإن أبطأ . فقام الناسُ للرحيـل فرحلوا

(١) الكناسة بالضم : محلة بالكوفة مشهورة (مراصد) .

(٢) بين ساقيه ١٥ : ٢٢٢ .

(٣) كورة كبيرة كانت مشتركة بين الرى وهمذان فقسمت كورتين . وهذه هى كورة همذان التى أفردت لها تشتمل على تسعين قرية وتسمى قرية منها دستبى همذان (مراصد) .

إلا من كان فى الخان الذى فيه عمرو ، فلما أبطأ صِحْنا به: ياعمرو ، فلم يجبنا وسمعنا عَلَزًا شديدا ومِراسا ، فى الموضع الذى دخله ، ونَفَسًا عاليا ، فدخلناه فإذا به مُحْمَرَّةٌ عيناه مائل شِقُّه مفلوج ، فحملناه على فرس ، وأمرنا غلاما شديدَ الذراع فارتَدَفه ، ليَعْدلَ مَيْله فمات برُوذة ودُفِن على قارعةِ الطريق . وقالت امرأته الجعفية[1] ترثيه:

لقد غادر الركب الذين تحمَّلوا ... برُوذة شخصا لا ضعيفا ولا غُمْرا[2]
فقل لزُبيدٍ بل لمَذْحجَ كلِّها ... فقَدْتم أبا ثَوْرٍ سِنانكمُ عَمْرا
فإن تَجْزعوا لا يُغْنِ ذلك عنكمُ ... ولكن سلُوا الرحمن يُعْقِبْكمُ أَجْرا

وقال عمرُو بن معديكرب فى أُخته رَيحانة لما سباها الصِّمَّةُ بن بَكْر ، وكان أغار على بنى زبيد فى قَيس ، فاستاق أموالهم ، وسبى ريحانَة ، وانهزمت زبيد من بين يديه ، وتبعه عمرٌو وأخوه عبدالله بنُ معديكرب، وهو يناشده أن يُخَلِّىَ عنها له، فلم يفعل ، فلما يئس منها وَلَّى وهى تناديه بأعلى صوتها: ياعَمْراه ، فلم يقدر على انتزاعها فقال :

أَمِنْ ريحانةَ الداعى السميعُ ... يُؤَرِّقنى وأصحابى هُجوعُ
سباها الصِّمَّةُ الجُشَمِىُّ غَصْباً ... كأن بياض غُرَّتِها صديع
وحالت دونها فرسان قَيْس ... تكَشَّف عن سواعدها الدروعُ
إذا لم تستطع شيئًا فدَعْهُ ... وجاوزه إلى ما تستطيعُ
فكيف تريد أن تُدْعَى حكيما ... وأنتَ لكل ما تهوى تَبوعُ

وقيل : إن الشعرَ قاله عَمرو فى امرأة كان تزوجها من مراد ، وذهب مُغِيراً قبل أن يدخل بها ، فلما قدم أُخْبِر أنه ظهر بها وَضَحٌ ، وهو داء تَحْذَرُه العرب ،

---

(١) فى الأصل الجعفرية والتصويب عن الأغانى والتجريد .

(٢) الغمر مثلثة الغين : من لم يجرب الأمور .

فطلقها ، فتزوجها رجل من بنى مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عَمْراً ، وأن الذى قيل فيها باطل ، فشبب بها فى هذه القصيدة .

كان عبدُ الله بنُ معديكرب أخو عمرو رئيسَ بنى زبيد ، فجلس مع بنى مازن فى شَرْب[١] منهم فتغَنَّى عنده حَبَشِىٌّ ، عبدٌ للمُخَزَّم أحد بنى مازن ، يشبب بامرأة من بنى زبيد ، فلطمه عبدُ الله وقال : ما كفاكَ أن تشرب معنا حتى تُشبب بالنساء ، فنادى الحَبَشِىُّ : يا لَبنى مازن ، فقاموا إلى عبدالله فقتلوه ، ورَأَسَ عمرُو مكانَ أخيه وكان عمرٌو غزا هو وأُبَىٌّ المرادىُّ ، فأصابوا غنائم ، فادّعى أُبىٌّ أنه كان مُسَاندا فأَبَى عمرٌو أن يُعطِيَه شيئا ، وكره أُبَىٌّ أن يكون بينهما شَرٌّ لحداثة قَتْلِ أبيه ، فأمسك عنه ، وبلغ عمراً أنه توعّده ، فقال من أبيات :

أعاذلَ مَلَّنى[٢] بدَنى ورُمْحى ... وكلُّ مُقَلَّصٍ سَلِسٍ[٢] القيادِ
أعاذلَ إنما أَفْنَى شبابى ... وأقْرَحَ عاتقى أَثَرُ[٣] النجادِ
تمنانى ليلقانى أُبَىٌّ ... وددت وأينما منى وِدادى
ولو لاقيْتَنى ومعى سلاحى ... تكَشَّفَ شَحْمُ قلبِك عن سواد
أُريد حَياتَه[٤] ويريدُ قَتْلِى ... عذيرَكَ من خليلِك من مُرادِ
تمنانى وسابِغَتِى دِلاصٌ ... كأن قَتِيرَها[٥] حَدَقُ الجراد
وسَيْفِى كان من عهد ابن صَدٍّ ... تَخَيَّرَه الفتى من قومِ عادِ
ورُمْحى العَنبرىُّ تخال فيه ... سِناناً مثل مِقْباسِ الزنادِ

---

(١) الشرب : جمع شارب .
(٢) شكتى . . . سهل القياد (تجريد) .
(٣) حمل (تجريد) ، ثقل (أغانى) .
(٤) حباءه (أغانى) .
(٥) القتير : رؤس المسامير فى الدرع .

كان أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضى الله عنـــه إذا أعطى الناسَ ورأى ابن مُلْجَم لعنه الله قال :

أُريد حيـاته ويريد قَتْلِى   عذيرَك من خليلِك من مُراد

قال أبو الطفيل: لما جَمع علىٌّ ، رضى الله عنه ، الناسَ للبيعة جاء عبدُ الرحمن بن مُلْجَم المرادى فردَّه مرةً أو مرتين ، ثم بايعه . فقال : ما تحبس أشقاها فوالذى نفسى بيده ليَخْضِبَنّ هذه من هذه ثم تمثل :

اشْدُد حيازيمَك للموتِ   فإن المـــوتَ لاقِيكا

ولا تجزعْ من الموتِ   إذا حل بِواديكا

وجاءت بنو مازن لعمرو فقالوا : إن أخاك قتلَه رجلٌ مِنّا سفيهٌ ، وهـو سكرانُ ، ونحن سَيْفُك وعَضُـدُك ، نسألك بالرحِمِ إلا ما أخذتَ منا الدِّيةَ ، ما أحببت ، فهَمَّ عمرو بذلك وقال :

* إحْدَى يَدَىّ أصابَتْنى ولم تُرِدِ *

فبلغ ذلك أُختاً لعمْرٍو ، يقال لها كَبْشة . وكانت ناكحةً فى بنى الحارث بن كعب ، فغَضِبَتْ . فلما وافى الناسُ من الموسم قالت شعراً تُعَيِّرُ به عمراً :

أرسل عبـدُ الله إذ حان يَوْمُه   إلى قومـه لا تَعْقِلوا لهمُ دمِى

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكُرا(١)   وأُتْرَكَ فى بيتٍ بصَعْدَةَ مُظْلِمِ

ودَعْ عنـك عمراً إن عمراً مُسالِم   وهل بَطْنُ عمْرٍو غيرُ شِبْرٍ لَمطْعَمِ

فإن أنتم لم تفعـلوا وأبيتم(٢)   فمَشُّوا بآذان النعام المُصَلَّم

أَيَقْتُلُ عبدَ الله سيدَ قومِـه   بنـو مازن أن سب راعى المخزّم

(١) فى الأصل : احالا وابكروا — والإفال جمع أفيل وهو من أولاد الإبل مابلغ سبعة أشهر (أغانى) ١٥/ ٢٣٠.

(٢) فإن أنتم لم تثأروا واتديتم (الحماسة) وأغانى .

فقال عمرو قصيدة يقول فيها :

أَرِقْتُ وأمسيتُ لا أرقدُ وساورنى المُوجِعُ الأَسْوَدُ
وبت لذِكْرَى بنى مازن كأنى مُرْتَفِق أرمد

ثم أكبَّ عمروٌ على بنى مازن ، وهم غارُّون فقتلهم ، وكان عبد الله أخَا كبشةَ لأبيها وأمها ، دون عمرو ، يأنف عنهم من قتل منهم فبكت كبشة فى نساء قومها ورثت أخاها وعيرت عمراً فأحمته فأكب عليهم أيضا بالقتل فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا . وقال عمرو بن معديكرب :

تمنت مازن جهــلا خلاطى فذاقت[1] مازن طعمَ الخِلاط
أطلت فراطكم[2] عاما فعاما ودين المَذْحِجىّ إلى فراط
أطلت فراطكم حتى إذا ما قتلت سراتكم كانت قَطَاط[3]
غَدَرْتم غدرة وغدرت أُخرى فما إن بيننا أبداً يَعاط[4]

حدّث من شهد الأشعثَ بنَ قيس وعمرو بن معديكرب ، وقد تنازعا فى شىء ، فقال عمرو للأشعث : نحن قتلنا أباك ونكنا أمَّك . فقال سعد : قُوما أُفٍّ لكما !! فقال الأشعث لعمرو : والله لأضرطنك ، فقال : كلا إننا غرور موثقة .

قال جريرُ بنُ عبد الله البَجَلى : فأخذت بيد الأشعث فنَتَرْتُه[5] فوقع على وجهه ثم أخذت بيد عمرو فجذبته فما تخلخل ، والله لكأنما حركت أُسطوانة القصر .

---

(١) فى الأصل : (حملا طلاطى ـ فذق فى) وما أثبتناه عن الأغانى ١٥/٢٣٢).
(٢) أطلت فراطكم أى أطلت إمهالكم والتأنى بكم إلى أن قتلتكم وفى الأصل : فراقكم .
(٣) كانت قطاط : أى حسبي .
(٤) كانت فى الأصل تعاطى والتصويب عن الأغانى، يقول: ليس بيننا إنذار وإنما الحرب مفاجأة.
(٥) نتره : جذبه بشدة .

قدم عمرُو بن معديكرب والأجْلَحُ بن وَقَّاص على عُمَر رضى الله عنه ، فأتياه وبين يديه مالٌ يوزن فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يومَ الخميس . قال : ماحبسكما عنى ؟ قالا : شُغِلْنا بالمنزل يوم قدمنا . ثم كانت الجمعة ثم غَدَوْنا عليك اليوم . فلما فرغ من وزنِ المال نحَّاه ، ثم أقبل عليهما فقال : هيــه . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين هذا الأجْلَحُ بنُ وقَّاص شديدُ المروءة ، بعيدُ الغرَّة شديدُ[1] الـكرَّة ، والله ما رأيت مثلَه من الرجال صارعا ومصروعا ، ولـكأنه لا يموت . فقال عمر ، للأجلح ، وأقبل عليه : هيه . قال : وأنا أعرفُ الغضبَ فى وجهه ، فقلت : يا أمير المؤمنين الناس صالحون كثيرٌ نسلُهم دَارَّةٌ أرزاقهم خِصْبٌ نباتُهم أجرياء[2] على عدوهم جبان عدوهم عنهم ، صالحون بصلاح إمامهم ، والله ما رأيت مثلك إلا مَنْ تقَدَّمك ، فنستمتع اللهَ بك . قال : ما منعك أن تقول فى صاحبك مثلَ الذى قال فيك ؟ قال : منعنى ما رأيتُ فى وجهك . قال : أصبت ، أما لو قلتَ له مثلَ الذى قال لك لأوجعتـكما ضربا وعقوبة ، فإن تَرَكْتُكَ لنفسك فإنى ساتر لذلك والله لوددت لو سَلِمَتْ لـكم حالُـكم هذه أبداً . أما إنه سيأتى عليك يومٌ تَعَضُّه وينهَشُك وتَهُرُّه وينْبَحُك ، ولستَ له يومئذ وليس لك ، فإن لم يكن بعيداً فما أقربه منكـم .

لما كان يومُ القادسية أصاب المسلمون أسلحةً وتيجانا ومناطق [ورقابا] وغير ذلك ، فبلغَتْ مالا عظيما ، فعزل سَعْدٌ الُخمسَ ثم فَضَّ[3] البقية ، فأصاب الفارسَ ستةُ آلافِ درهم ، والراجلَ ألفان ، وبقى مال دَثْر[4] ، فـكتب إلى عمرَ رضى الله عنه بما فعل ، فـكتب إليه أن رُدَّ على المسلمين الُخمسَ وأعْطِ من لَحِقَكَ ممن لم يشهد

---

(١) وشيك (أغانى ١٥/٢٤٢).

(٢) فى الأصل : حربا .

(٣) يقال : فض الشىء على القوم : فرقه وقسمه

(٤) مال دثر : كثير.

الوَقعة ففعل وأَجْرَى من لم يَشْهَدْ مَجْرَى من شهد ، وكتب إلى عمر بذلك فكتب إليه أن فُضَّ ما بقى على حَمَلَةِ القرآن ، فأتاه عَمْرو بن معد يكرب فقال له : ما معك من كتاب الله ؟ قال: إنى أسْلَمْتُ باليمن ، ثم غزوتُ فشُغِلْتُ عن حِفْظِ القرآن . قال : مالك فى هذا المال نَصيب . وأتاه بشرُ بن ربيعة الثقفى الخثعمِىّ صاحبُ جَبَّانة بشر فقال له : ما معك من كتاب الله تعالى؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك وضحك القوم منه ، ولم يعطه شيئا فقال عمرو :

إذا قُتِلْنـا ولا يبكى لنا أحـدٌ ... قالت قريشُ ألا تلك المقاديرُ
نُعْطَى السَّوِيَّةَ من طَعْنٍ له نَفَذٌ ... ولا سَوِيَّةَ إذ تُعْطَى الدنانـيرُ

وقال بشر بن أبى ربيعة الخثعمى :

أنَخْتُ بباب القادسية ناقتى ... وسعدُ بن وقَّاصٍ عَلَىَّ أميرُ
وسعد أميرٌ شرُّه دون خَيْرِه ... وخيرُ أمـيرٍ بالعراقِ جريرُ
وعند أمير المؤمنين نوافلٌ ... وعند المُثَنَّى فِضَّةٌ وحريرٌ
تذَكَّرْ هداكَ اللهُ وَقْعَ سيوفِنا ... بباب قُدَيْس والمَكَرُّ(1) عسير
عشيةَ وَدَّ القومُ لو أن بعضَهم ... يُعارُ جَنَاحَىْ طـائرٍ فيطيرُ
إذا ما فرغنا من قِراعِ كتيبةٍ ... دَلَفْنا لأُخرى كالجبال نسير
تَرَى القومَ فيها واجمين كأنهم ... جِمالٌ بأحمالٍ لهن زفـيرُ

فكتب سعدٌ إلى عمرَ بما قال لها وبما رَدّا عليه من القصيدتين فكتب إليه أن أعْطِهما على بلائهما ، فأعطى كلّ واحد منهما ألفى درهم .

---

(١) فى الأصل قويس والتصويب عن الأغانى ومراصد الاطلاع وهى موضع بناحية القادسية . والمكر فى الأصل المكين وما أثبتناه عن الأغانى ١٥/٢٤٣ .

كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلام والمناظرة فى مجلسه فتناظر ، يوما ، محمد ابن العباس الصُّولىُّ هو وعلىٌّ بن الهيثم ، حولنا فى الإمامة فتقلّدها أحدُهما ودفعها الآخر ، فلَجّت المناظرةُ بينهما إلى أن نبط محمدٌ عليا فقال له على : إنما تكلمتَ بلسان غيرِك ، ولو كنتَ فى غير هذا المجلس لسمعتَ أكثرَ مما قلت ، فغضب المأمونُ وأنكر على محمد ما قاله ، وما كان منه من سوء الأدب بحضرته ، ونهض عن فرشه ، ونهض الجلساء ، فخرجوا ، وأراد محمد أن ينصرف فمنعه ابنُ صالح صاحب المُصَلَّى ، وهو إذ ذاك يحجب المأمون وقال : فعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ، ونهض على الحال التى رأيت ، وتنصرف بغير إذن منه ، فاجلس حتى يَرَى رأيَه فيك ، وأمر بأن يجلس ومكث المأمونُ ساعةً ثم خرج فجلس على سريره وأمر بالجلساء فرُدُّوا إلى المجلس ، فدخل علىُّ بن صالح فعرَّفه ما كان من أمر محمد فى الانصراف ، وما كان من منعه إياه ، فقال دعه يَنْصرفْ إلى لعنة الله وقال المأمون لجلسائه : أتدرون لم دخلتُ إلى النساء فى هذا الوقت؟ قالوا : لا . قال : لمَّا كان من أمر هذا الجاهلِ ما كان ، لم آمن فلتاتِ الغضب ، وله بنا حُرْمة ، فدخلت لِأَغْشاهُنّ حتى يَسْكن غضبى . ومضى محمدٌ من وجهه إلى طاهر فسأله الركوبَ إلى المأمون ، وأن يستوهبه جُرْمَه فقال له طاهر : ليس هذا من أوقاتى ، وقد كتب إلىَّ خليفتى فى الدار أنه قد دعا بالجلساء ، فقال : أكره أن أبيتَ ليلة ، وأميرُ المؤمنين علىَّ ساخط ، ولم يزل به حتى ركب طاهر معه ، فأُذن له ، فدخل ومُجيرٌ الخادم واقف على يمين أمير المؤمنين ، فلما بَصُر المأمون بطاهر أخذ منديلا من بين يديه ، فمسح به عينيه مرتين أو ثلاثا ، حتى وصل طاهرٌ وحرك شفتيه بشىء أنكره طاهر ثم دنا فسلم فردَّ السلام ، وأمره بالجلوس ، فجلس فى موضعه ، فسأله عن مجيئه فى غير وقته ، فعرفه الخبرَ واستوهبه ذَنْبَ محمد فوهبه له ، وانصرف وعرَّف محمدا ذلك ، ثم دعا بهارون بن خنمويه وكان شيخا خراسانيا داهيةً ثقةً عنده فذكر له فعلَ المأمون من تحريك شفتيه ، ومسح

عينيه ، فقال له كاتبٌ مُجيراً والطفْ له واضمن له عشرةَ آلافِ درهمٍ على تعريفك ما قال المأمون ، ففعل ذلك وألطف له فعرَّفه أنه لما رأى طاهراً دمعت عيناه وترَحَّم على محمد الأمينِ ومسح دمعه بالمنديل ، فلما عرف ذلك طاهر ركب من وقته إلى أحمدَ بن أبى خالد الأحول ، وكان طاهر لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون ، وكلهم يركبون إليه ، فقال له قد جئتك لتوَلِّيَنى خراسانَ وتحتالَ لى فيها . وكان أحمدُ يتولى فضَّ الخرائط بين يدى المأمون ، وغسانُ بن عَبَّاد إذ ذاك يتولى خُراسان. فقال له أحمد : فهلَّا أقمت بمنزلك وبعثت إلى حتى أصيرَ إليك ولا يَشْتَهر الخبرُ بما تريده مما ليس بعادتك ؟ لأن المأمون يعلم أنك لا تركبُ إلى أحد من أصحابه وسيَبْلُغه ذلك فانصرفْ وغُضَّ عن هذا الأمر وأمْهِلْنى مدة حتى أحتال لك فيه ، فلبث مدة ثم زَوَّرَ ابن أبى خالد كتابا عن غسان بن عَبّاد إلى المأمون ، يَذْكر أنه عليل ، ولا يأمن على نفسه ، ويستخلفُ غيره على خراسانَ وجعله فى خريطة وفضَّها بين يدى المأمون فى خرائط ، فلما قرأ المأمون ذلك اغتمّ وقال : ما ترى ؟ فقال لعلها عِلَّةٌ عارضة تزول وسيرد بعد هذا غيرُه فيرى أميرُ المؤمنين حينئذ رأْيَه . ثم أمسك أياما ، وكتب كتابا آخر ودَسّه فى الخرائط يذكر فيه أنه قد تناهَى فى العِلّةِ إلى مالا يرجو معه نَفْسَه ، فلما قرأه المأمون قَلِقَ وقال له : يا أحمد إنه لا يَدْفع لأمرخراسان فما ترى ؟ قال: هذا رأى إن أشَرْتُ فيه بما أرى فلم أُصب لم استَقِلْه ، وأميرُ المؤمنين أعلم بخَدَمِه ومن يصلحُ لخراسان منهم ، فجعل المأمون يُسمِّى رجالا ، ويطعن أحمد فيهم واحداً بعد واحد ، إلى أن قال : فما ترى فى الأَعْور ؟ فقال له : إن كان عند أحدٍ قيام بهذا الأمر ونهوضٌ فيه فعنده ، فدعا به المأمون فعَقَدَ له على خراسان وأمره أن يُعَسْكِر بمعسكر باب خراسان ، ثم تعقب الرأى فعلم أنه قد أخطأ فتوقف عن إمضاء أمره وخشى أن يوحش طاهراً بنقضه أمره فمضىَ شهرٌ تام وطاهرٌ مقيمٌ بعسكره ثم أمر المأمون فى سَحَرِ ليلة أحد وثلاثين يوماً من عَقْد اللواء له بإحضار مُخارقٍ المُغَنِّى

فأحضره وعند ما صلى المأمون الغداةَ مع طلوع الفجر قال يا مخارق أتغنى :

إذا لم تَسْتَطِعْ أمراً فدعه ... وجاوزْه إلى ما تستطيع
وكيف تريدُ أن تُدْعَى حكيما ... وأنت لكل ما تَهْوَى تَبُوعُ

قال : نعم قال : هاته ، فغناه . فقال : ما صنعتَ شيئا ، فهل تعرف من يتولى أحسن مما تقول ؟ قال : نعم علوية . فأمر بإحضاره ، فكأنما كان بالباب فغنّاه واحتفل ، فلم يُعْجبه . وقال : ما صنعت شيئا ، أتعرف من يقوله أحسن مما تقوله . قال : نعم عَمْرو بن بانة ، فأمر بإحضاره فحضر فغناه فقال : أحسنتَ ما شئتَ ، هكذا ينبغى أن يقال . يا غلام اسقنى رِطْلا واسْقِ صاحبيه رطلا رطلا ، ثم دعا له بعشرةِ آلافِ درهم وخِلْعَةٍ وثلاثةِ أثوابٍ ثم أمره بإعادته . فأعاده ، فرد القولَ الذى قال وأمر له بمثلِ ما أمر له به أولا ، حتى فعل ذلك عشراً ، فحصل لعمرِو بن بانة مائةُ ألفِ درهم وثلاثون ثوبا ، ودخل المؤَذِّنون فأذنوا بالظهر فعَقدَ إصْبعَه الوسطى بإبهامه ، وقال : أنعَمْتَ علىّ وأحسنتَ إلىّ ، فإن أذنت أن أقاسم أَخَوَىّ ما وصل إلىّ فإنَّهما حضرا فقال : ما أحسن ما استمحت لهما ، بل نُعْطيهما نحنُ ولا نُلْحِقهُما بك ، وأمر لكل واحد منهما بمثل جائزة عَمْرو وبَكَّر إلى طاهر فرحله فلما ثَنَى عِنانَ دابته منصرفا دنا منه حُمَيْدٌ الطوسى فقال: اطرح على ذَنَبِه ترابا : فقال : اخسأ يا كلب وسار طاهر لوجهه وقدم غسانُ بن عَبَّادٍ فسأله المأمون عن عِلتّه وسبَبِها فخاف أنه لم يكن عليلا ولا كَتَبَ بشىء من ذلك . فعلم المأمون أن طاهراً احتال عليه بأحمد بن أبى خالد ، وأمسك عن ذلك ، فلما كان بعد مدة من مَقْدَم طاهر إلى خراسان ، قطع الدعاء للمأمون يوم الجمعة . فقال له عونُ بن مجاشع بن مسعدة(1) صاحبُ البريد [لِمَ لَمْ] تَدْعُ لأمير المؤمنين فى هذه الجمعة ؟ فقال : سهوٌ وقع فلا تكتبْ فيه ، وفعل مثلَ

(١) فى الأصل : ا ب (معدة) والتصويب عن الأغانى .

ذلك فى الجمعة الثانية ، وقال لعونٍ : لا تكتب به وفعل مثلَ ذلك فى الجمعة الثالثة ، فقال عون : إن كُتُبَ التجارِ لاتنقطعُ عن بغداد وإن اتصل هذا الخبرُ بأمير المؤمنين من غيرنا لم نأمَنْ أن يكون ذلك سببا لزوال نعمتى ، فقال : اكتب بما أحببت . فكتب إلى المأمون ، فلما وصل كتابُه دعا بأحمدَ بن أبى خالد ، وقال له : إنه لم يذهَبْ علىّ احتيالُك فى أمر طاهر وتمويهُك له ، وأنا أعطى الله عهداً لئن لم تشخص حتى توافينى به كما أخرجته من قبضتى (١) وتصلح ما أفسدْتَه علىّ من أمر مَمْلكتى (٢) ، لتذُمَّن عاقبتك فشخص أحمدُ وجعل يتَلَوّمُ فى الطريق ، ويقول لأصحاب البُردا كتبوا بخبر عِلّتِى فلماوصل إلى الرَّىِّ لقيته الأخبار بوفاة طاهرٍ ووافاه رسولُ طلحة بن طاهر فأغذَّ السيرَ حتى قدم خراسانَ فلقيه طلحة فقال له أحمد : لا تكلِّمْنى ولا تُرِنى وجهك ، فإن أباك عرَّضَنِى للعطبِ وزوالِ النعمةِ مع احتيالى له ، وسعيي إنما كان فى مَحبَّتِه فقال له : الآن أبى مضى لسبيله ، ولو أدركْتَه لما خرج عن طاعتِك وأنا فأحلف لك بكل ماتسكن إليه [نفسك] وأبذل كل ماعندى من مال وغيره ، فاضمنْ عنّى حسنَ الطاعةِ وضبطَ الناحية والإخلاصَ فى الصُّحْبة فكتب أحمد إلى المأمون بخبر طاهرٍ وخبر ابنه طلحةَ ، وأشار عليه بتقليده ، فأنفذ إليه المأمونُ اللواءَ والعهدَ والخِلع ، وانصرف أحمد إلى مدينة السلام .

كتب عُمر إلى النعمان ، إن فى جُندِك رجلين من العرب ، عمرَو بنَ معد يكرب وطلحةَ بن خويلد الأسدى (٣) فأَحْضِرْهما الحربَ وشاورهما فى الأمر ، وابعثهما فى الطلائع ولا تُوَلِّهما عملا والسلام .

وكتب إليه كتاباً آخر : فإذا وضَعَتِ الحربُ أوزارها ، فضمهما حيث وَضَعا أنفُسَهما يشير إلى أن عمراً ارتدَ وطليحةَ تنبأ .

---

(١) فى الأصل : إن لم توافنى بشخص حتى يوافينى به كما أخرجته من يدى .
(٢) من أمر ملكى لأبيدن خضراءك . أغانى والتصويب عن الأغانى — ١٥ / ٢٣٦ .
(٣) رواية الأغانى : (فإذا حضر الناس فأدنهما وشاورهما وابعثهما ...) ١٥ / ٢٤٤ .

عمرو بن بانة[1]

هو عمرُو بن محمد بن سليم بن راشد مولى ثقيف، كان أبوه صاحبَ ديوان ووجها من وجوه الكُتَّاب .

ونسب إلى أُمه بانة بنت روح القحطبية . وكان صالحَ الشِّعْرِ حسن الصنعةِ والغناء ، وكان يُقْعِدُه عن اللحاق بالمتقدمين فى صنعته أنه كان مُرتجلا . والمُرْتَجِلُ [من المحدثين] لا يلحق الضُّرَّاب ، وليس فيه مَطْعَن .

وكان تَيّاها معجبا شديد الذهاب بنفسِه ، وهو معدودٌ فى ندماءِ الخلفاء ومُغَنِّيهم على ما كان به من الوَضَح . وفيه يقول الشاعر :

أقول لِعَمْرٍو وقد مَرّ بى فسَلَّم تسليمةً جافِيَــه
لئن فَضَّلوكَ بفَضْلِ الغِناء فقد فَضّلَ اللهُ بالعــافيه

وقال يوما لإسحاق فى كلام جَرَى بينهما : ليس مثلى يُقاسُ بمثلِك ، لأنك تعلمت الغناءَ تَـكَسُّبا وتعـلَّمْتُه تَطَرُّبا ، وكنتُ أَضْرِبُ لئلا أَتَعلّم وكنتَ تضربُ حتى تَتَعلَّم .

كان عمرُو بن بانة يُحِبّ خادما فزاره يوما فطلبَ من يَضْرِبُ عليه فلم يجد ، فقال له جعفر الطبال : إن أنا أغنيتك اليوم عن عود يضرب به عليك[2] ، أى شىء يكون لى عندك ؟ قال : مائةُ درهم قال : ودَسْتَجَةٌ[3] نبيذ قال : نعم ، وكان جعفر حاذقا نادراً طيِّبا ، وكان بَذْل الهمة فقال : أسمِعْنى مَخْرَج صوتِك ، ففعل فسَوّى عليه

---

(١) أغانى ١٥ : ٢٦٩ .

(٢) رواية الأغانى : إن أنا غنيتك اليوم على عود يضرب به عليك (١٥ : ٢٧٣) .

(٣) الدستجة : الإناء الـكبير من الزجاج ، وكانت فى الأصل (دستيجة) .

طَبْلَة فكأنما يُسَوِّى الوترَ واتكأ عليه بِرُكْبَتِه ، وأوقع عليه ، ولم يزل عمرو يغنى بقيةَ يومِه حتى أمسى ، لا ينكِر عليه شيئا ، ودفع له مائةَ درهم وأُحضرت الدَّسْتَجة فلم يكن له من يَحْمِلُها فحملها تحت طَيْلسانه .

وكان صديقَ إبراهيمَ بن المهدى فقال له : يا جعفر ، حَذِّقْ جاريتى فلانةَ ضَرْبَ الطبل ، ولك مائة دينار ، أُعَجِّلُ لك منها خمسين ديناراً ، قال : نعم ، فعَجَّل له الخمسين ، فلما حَذَقَتْ طالَبَ إبراهيمَ ببقية المائة فلم يُعْطه شيئا ، فاستعدى عليه أحمدَ ابن داود الحَسَنى خليفته فأعْداه ووَكَّلَ إبراهيمُ وكيلا فلما تقدم مع الوكيل إلى القاضى أراد الوكيل أن يُكَذِبَ حجته فقال: أصلح الله القاضى، سَلْه من أين له هذا الذى يدعيه ؟ وما سببه ؟ فقال جعفر : أصلح الله القاضى ، أنا رجل طَبّال وقد شارطنى إبراهيمُ على مائة دينار ، على أن أُحذِقَ جاريتَه وعَجَّلَ لى خمسين ديناراً ، ومنعنى الباقى ، بعد أن رَضِيَ حِذْقَها فيُحْضِرُ القاضى الجاريةَ وطبْلَها وأُحضِرُ أنا طبلى ويَسْمَعُنا القاضى ، فإن كانت مثلى فيَحْكُم عليه وإلا حَذَّقْتُها [فيه] حتى يرضى القاضى . فقال : قم عليك وعليها لعنةُ الله وعلى من يَرْضَى بذلك منك ومنها ، فأخذ الأعوانُ بيده فأقاموه .

وصنع عمرُو بن بانة لحنا فى هذا الشعر فشاع عنه ، فعرضه على مُتَيَّم الهمامية ليَعْلَمَ ما عندها فيه ، فقالَت : إيْشٍ هذا اللحنُ الجديد والكميت المحدَث ؟ قيل : لحن صنَعَه عمرو بن بانة ، فتغنى بين يديها فقالت متيم للجارية التى تغنيه : اقطعِى ، اقطعِى ، حَسْبُك هذا والله كحمارِ حُنَيْنٍ المكسورِ المُشَبَّه به كالكميت .

عمرُو بن عُبيد الحزين[1]

هو من كِنانةَ صَليبة ، والحزينُ لقب غَلَب عليه .

واسمه عمرُو بن عُبَيْد بن وَهْب بن مالك .

ويكنى أبا الشَّعثاء بن حُرَيْث بن جابر بن بكر ، وهو راعى الشمس الأكبر ، ابن يعمر بن عدىّ بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

وقيل : هو مولى ، وأنه الحزين[2] بن سليمان ، وسليمانُ يُكْنَى أبا الشعثاء .

وكنية الحزين أبو حكيم[3] ، حجازى شاعر من شعراء الدولة الأُموية ، مطبوع ، ليس من فحول طَبَقَتِه ، هجَّاء خبيثُ اللسان ساقطٌ يرضيه اليسير [ويتكسب] بالشعر وهجاءِ الناس لم يَخْدم الخلفاء ولا انتجَعَهم بمَدْح ، ولم يزل بالحجاز حتى مات .

وهو الذى مدح عبدَ الله بنَ عبدِ الملك بن مروان ، وكان عبدُ الله من فتيان بنى أُمية وظرفائهم ، حسنَ الوجه حسنَ المذهب ، وأُمه أُم ولد ، وزوجةُ عبد الله رَمْلة[4] ابنة عبد الله بن عبيد الله[5] ، وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان ابن الريان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو. وزوجتُه الأُخرى هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن المطلب

---

(١) الأغانى ١٥ : ٣٢٣ ـ تجريد ١٦٦٢ .

(٢) فى الأصل تقرأ (رابه الحزين) والتصويب عن الأغانى .

(٣) ويكنى أبا الحكم (أغانى)

(٤) فى الأصل : ريطة وما أثبتناه عن الأغانى .

(٥) فى الأصل عبيد الله بن عبيد الله .

ابن أسد بن عبد العزى بن قصى تزوجها لما كان يقال إنه ناتق فى ولادها[1] فمات عنهما ولم تلد منه .

فخلفه محمد بن على بن عبد الله بن العباس على رملة فولدت له محمداً وإبراهيم وموسى وبنات .

وكان عبدُ الله بنُ عبد الملك قد حَجّ ، فقال له أبوه : سيأتيك الحزينُ ، الشاعرُ بالمدينة ، وهو ذَرِبُ اللسان ، فإياك أن تحتَجِبَ عنه وأرْضِه . وصِفتُه أنه أشْعَرُ ذو بطن ، عظيم الأنف ، فلما قدم عبد الله المدينةَ وصفَه لحاجبه ، وقال له : إياك أن ترُدَّه ، فلم يأت الحزينُ حتى قام ودخل لينامَ فقال له الحاجب : قد ارتفع فلما ولّى ذكر فلَحِقَه فقال : ارجِعْ فاستأذنَ له ، فدخل . فلما صار بين يديه ورأى جَمالَه وكمالَه وفى يده قضيبُ خيزرانٍ وقف ساكتا وأمهله[2] عبدُ الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له : السلام عليك ورحمةُ الله أولا ، فقال له: وعليك السلام وحيا الله وَجْهَك أيها الأميرُ ، إنى قد كنت مدحتك بشعر ، فلما دخلت عليك ، ورأيت جمالَك وبهاءَكَ أَذْهَلنى عنه ، فأُنسيت ما كنت قلته وقد قلت فى مقامى هذا بيتين قال : ما هما ؟ قال :

فى كَفِّه خَيْزُرانٌ رِيحُه عَبِقٌ ... من كَفِّ أروعَ فى عِرنينِه شَمَم
يُغْضِى حَياءً ويُغْضَى من مهابَتِه ... فما يُكَلَّمُ إلا حين يَبْتَسِمُ

فأجازَه فقال : أَخْدِمْنى أصلحَك الله ، فإنه لا خادم لى ، فقال : اختر أحد هذين الغلامين ، فأَخذ أحدهما . وقال عبد الله : أعلينا ترْذُل ؟ خذ الآخر .

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق ، فى أبياته التى امتدح بها علىّ بن الحسين رضى الله عنه ، التى أولها :

هذا الذى تَعرِفُ البطحاءُ وَطْأَتَه ... والبيتُ يَعرِفُه والحِلُّ والحَرَمُ

(١) فى الأصل : (كائن فى أولادها) وما ذكر عن الأغانى . والناتق الكثيرة الأولاد — والولاد : الولادة .

(٢) فى الأصل (أمله) والتصويب عن الأغانى .

وهو غَلَطٌ ممن رواه فيها ، وليس هذان البيتان مما يُمْدَحُ بهما مثلُ على بن الحسين ، رضى الله عنهما ، لأنهما من نعوت الجبابرة والملوك ، وليس كذلك ولاهذا من صفته رضى الله عنه ، وله من الفضل المتعارف ماليس لأحد .

قال الزهْرِى : ما رأيت هاشميا أفضلَ من على بن الحسين ، رضى الله عنهما ـ وكان بالمدينة ناس يعيشون ما يَدرون من أين معاشُهم ، ولما مات عَلِىّ بنُ الحسين فقدوا ما كانوا يُؤْتَوْنه . وذُكِرَ أنه كان يعول مائةَ أهل ِبَيْتٍ بالمدينة .

ومن الناس من يروى هذه الأبيات لداود بن مُسْلِم فى قُثَم بن العباس ، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد ، مولى قثم فيه ، وأن الفرزدقَ أدخلها فى الأبيات التى قالها فى على بن الحسين .

والأبيات التى رويت وقيل إنها قيلت فى قثم :

وكم صارخ بك من راج وراجيَةٍ يدعوك ياقُثَمَ الخيراتِ ياقُثَمُ

والبيتان بعد ذلك ، والصحيحُ من كل ماقِيل أنَّهُما للحَزِين فى عبدِ اللهِ وهما فى قصيدة مُنْتَظَمَةِ المعانى متشابهة تُنْبِىء عن نفسها ، قالها لما قدم على عبد الله ، وهو عاملُ مصر ، فأُتِى رقيقٌ من البربر ، وفى الرقيق أخوان ، فقال عبد الله للحزين : أى الرقيق أعجب إليك ؟ قال : ليختَرْ لى الأمير ، فقال الأمير : خذ هذا فإنى رأيته حسنَ الصلاة[1] قال الحزين : لا حاجة لى به فأعطنى أخاه ، فأعطاه إياه . والغلامان مزاحمٌ مولى عمر بن عبد العزيز ، وهو الذى عَجِبَ عبد الله من صلاته ، وتميم أبو محمد بن تميم ؛ وهو الذى اختاره الحزين . فقال فى عبد الله يمدحه :

اللهُ يعلمُ أن قد جِئْتُ ذا يَمَنٍ من العراقين لا يُثْنِينِىَ السأمُ

(١) فى الأغانى (حسن الصلاح ـ وصلاحه) .

ثم الجزيرة أعلاها وأسفلَها ... لذاك تَسْرِى على الأهوالِ بى القَدَمُ
ثم المواسم قد أَوْطَأتُها زمناً ... وحيثُ تُحلَق عند الجمْرَةِ اللِّمَمُ
قالوا دمشق ينبيك الخبير بها ... ثم ائْت مصر فثم النائل العمم
لمّا وقفتُ عليها فى الجموعِ ضُحًى ... وقد تَعرَّضَت الُحجّابُ والَخدَمُ
حيَّيْتُه بسلام وهو مرتفق ... وضَجّةُ القوم عند الباب تَزْدحمُ
فى كفه خيزرانٌ رِيحُه عَبِقٌ ... من كَفِّ أروعَ فى عِرنينه شَمَمُ
يُغضِى حياءً ويُغْضَى من مهابتِه ... فما يُكلَّم إلّا حين يَبْتسمُ
ترى رءوسَ بنى مروان خاضعةً ... يَمْشُون حولَ رِكابَيْه وما ظَلموا
إن هَشّ هشُّوا له واستبشروا جَذَلا ... وإنْ هُم أَنِسُوا إعراضَه وَجِمُوا
كلتا يدَيْه ربيعٌ غيرُ ذى خُلُفٍ ... فتلك بَحْرٌ وهذِى عارضٌ هَزِمُ

ومن الناس من يقول : إنها قيلت فى عبد العزيز بن مروان لذِكْرِه دمشقَ ومصرَ ، وعبدُ الله بنُ عبد الملك أيضا ، ولى مصر ، وكان الحزينُ بها . كان على المدينة طائفٌ يقال له صفوانُ مولى لآل مَخْرَمَةَ بن نَوْفل ، فجاء الحزينُ إلى شيخ من أهل المدينة ، فاستعاره حمارَه ، وذهب إلى العَقيق ، فشرب وأَهَلّ على الحمار ، وقد سكر ، فجاء به الحمارُ حتى وقف على باب المسجد ، كما كان صاحبُه عوَّده ، فمر به صفوان ، فأخذه فحبسه ، وحبس الحمار معه ، فأصبح فوجد الحمار عنده محبوسا ، فأنشده :

أيا أهلَ الجزيرة خبِّرونى ... بأىِّ جريرةٍ حُبِس الحمارُ
فما للعَيْر(١) من جُرْمٍ إليكم ... وما بالعَيْر إن ظُلِمَ انتصارُ

---

(١) فى الأصل : للعيس .

فردوا الحمارَ على صاحبه ، وضربوا الحزينَ الحدَّ ، فأقبل إلى مولى صفوان وهو بالمسجد فقال له :

نَشَدْتُك بالبيتِ الذى طِيفَ حَوْلَه   وزَمْزَم والبيتِ الحرامِ المُحَجَّبِ
لِزانيةٍ صفوانُ أمْ لعَفيفةٍ   لأَعْلَمَ ما آتِى وما أَتَجَنَّب

فقال له مولاه : هو لِزانيةٍ . نخرج ينادى إنَّ صفوانَ ابنُ زانيـة ، فيتعلق به صفوان ، فقال له : هذا مولاكـ يشهد أنك ابن زانية، فخلّى عنه .

كان الحزينُ قد ضَرَبَ على كل رجلٍ من قريشٍ دِرهمين دِرهمين فى كل شَهْر ، منهم ابنُ أبى عَتيق ، فجاءه لأخْذ درهميه ، وهو على حمار له أعجف ، وكُثَيِّر مع ابن أبى عتيق ، فدعا ابنُ أبى عتيق للحزين بدرهمين ، فقال له الحزين : من هذا معك ؟ قال : هذا أبو صخر ، كُثَيِّر بن أبى جمعة ، وكان قصيراً دميما ، فقال له الحزين : أتأذن لى أن أهْجُوَه ببيتٍ من الشعر ؟ قال: لا ، لَعَمْرى لا آذَنُ لك أن تهجو جليسى ، ولـكن أشْتَرِى عرضَه منك بدرهمين آخرين[1] ودعا له بهما فأخذهما ، ثم قال : ما أنا بتاركه حتىأهْجُوَه، قال كُثَيِّر: ائذَنْله ، وما عسى أن يقول فىّ ؟ فأذن له ، فقال الحزين :

قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته   يَعَضُّ القرادُ باسْتِه وهو قائم

فوثب إليه كُثير فَأَزَّه[2] فسقط هو والحمارُ وخلص ابنُ أبى عتيق بينهما ، وقال لـكُثَيّر : قبحَك الله ، أتأذن له وتَسْفُه[3] عليه ؟ فقال كثير: وأنا ظَنَنْتُه يبلغ بى هذا كلَّه فى بيت واحد ؟

---

(١) فى الأصل : أخرى .
(٢) فوكزه (أغانى) وألزه بمعنى شده وألصقه .
(٣) وتبسط إليه يدك (أغانى) ١٤ : ٧٨ .

مر الحزينُ بجعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث ، وعليه أَطْمارٌ فقال له : يا ابن أبي الشَّعثاء ، إنى أصبحت عاريا ، أمْتَع اللهُ بك ، وقد نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرّة يريد الحج ، وقد كنت وَفدْت إليه بمصر فأحسن إلى ، قال : أفما وجدت شيئا تَلْبسه غيرَ هذه الثياب ؟ فدعا جعفرٌ غلاما له فقال : ائتنى بجُبّة وقميص ، فدعا فجاءَ بذلك فقال : الْبَسْ وأَبْلِ وجَدِّدْ ، فلما ولّى الحزين قال جلساء جعفر له : ما صنعت ؟ إنه يَعْمِد إلى هذه الثياب التى كَسَوْته إياها فيبيعها ، ويُفْسِدُ بثمنها . فقال : ما أُبالى إذا كافأتُه بثيابه ماصنع بها ، فسمع الحزينُ قولَهم وما رَدّ عليهم ، ومضى حتى أتى عبدَ الله بن عبد الملك فأحسن إليه وكساه ، فلما أصبح الحزينُ أتى جعفراً ومعه القوم الذين لاموه بالأمس فأنشده :

وما زال ينمى جعفرُ بنُ محمدٍ ... إلى المَجْدِ حتى جَهَّلَتْه عواذلُه

وقلنا له هل من طريفٍ وتالدٍ ... من المال إلا أنتَ فى الجود باذِلُه

تحاوله عن شيمة[1] قد علمتَها ... وفى نَفْسِه أمرٌ كريمٌ يحاولُه

ثم قال له: بأبى وأمى قد سمعت ما قالوا ، وما رددت عليهم .

صحب الحزينُ رجلا من بنى عامر بن لؤى ، يلقب أبا بَعْرَة ، واسمه عيسى ، وكان قد اسْتُعْمِلَ على سعايات ، فلما لم يصنع معه شيئا قال :

صَحِبْتُك عاما بعد سَعْدِ بن نوفلٍ ... وعَمْرٍو فما أشْبَهْتَ سعداً ولا عمرا

قال : وكان قد صحب قبله عمراً وسعدَ بن نَوْفَل بنِ مُساحِق فحمدهما :

وجادا كما قَصَّرْتَ فى طلب العُلا ... فحُزْتَ به ذَمّا وحازا به فَخْرا

أُولاكَ الجِيادُ البيضُ من آل مالك ... وأنتم بنو قَيْنٍ لحقتم به نَزْرا

(١) شيمة (أغانى) .

وكان الحزين سفيها [نذلا] يمدح البرَّ إذا أُعْطِيه ويهجو على مثله إذا مُنِعَه(١) ،
فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان ، فلم يَقْرِه فقال :

سيروا فقد جَنّ الظلامُ عليكمُ فشرٌّ امرئٍ يبغى القِرَى عند عاصمِ
ظَلَلْنا عليه وهو كالتَّيْسِ طاعما نَشُــدُّ على أكبادنا بالعمائم
وما لىَ من ذنب إليه عَلِمْتُهُ سوى أننى قد جئته غيرَ صائمِ

فقيل له : إن عاصما فى قريش كثيرٌ فقال : والله لأُبَيِّنَنَّه ، فقال :

إليك ابنَ عثمان بنِ عفان ، عاصم بْـ ن عمرو سَرَتْ عِيِسِى نخاب سُراها
وقد صادَفَتْ كَزّ اليدين مُبَخَّلا إذا ما خَلَتْ عِرْسُ الخليل أتاها

(١) [نذلا] يمدح بالنزر إذا أعطيته ويهجو على مثله إذا منعته (أغانى) .

عنترة بن شداد(1)

وقيـل : عنترةُ بن عمرو بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قُراد بن مخزوم ابن زَمْعة بن ربيعة .

وقيل: مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قُطَيْعَـة بن عيسى بن بغيض بن الريث ابن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر .

وكان يلقب بعَنْتَرَةَ الفَلْحاء ، وذلك لتشقُّق شفته .

وأُمه أَمَةٌ حبشية يقال لها زَبيبة .

وكان لها ولدٌ عبيدٌ من غير شداد وهم إخوته من أُمه .

وكان شدّادٌ نفاه وأنـكره مدة ، ثم اعترف به فأُلحق بنسبه . وكانت العربُ تفعل ذلك ، تستعبد بنى الإماء ، فإن أنجب اعترفوا به وإلا بقى عبداً .

وكانت زوجةُ أبيـه شدادٍ قبل أن يدعيه قد شـكَتْه إلى أبيه ، وقالت له : إنه يراودنى عن نفسى ، فغضب شداد ، وضربه ضربا مبرحا ، وضربه بالسيف فوقعت عليه امرأة أبيه ، وكَفَّتْه عنه فلما رآها ـ وكان اسمها سمية ، وقيل بل سهية ـ قال عنترة :

أَمِنْ سُمَيَّة دمعُ العين مذروفُ ... لو أنّ ذا منكِ قبلَ اليوم معروفُ
تجللتْنى إذ أهوى العصا قِبَلى ... كأنهـا صنم يُعْتَادُ معكوفُ
قد أطعنُ الطعنة النجلاءَ عن عُرُضٍ ... تَصْفَرّ كفُّ أخيها وهو منزوفُ

وغلب عليه اسمُ جدِّه وهو عنترةُ بن شداد .

---

(1) الأغانى 8 : 237 تجريد 966 مهذب 2 : 27 .

وقيل : إن عنترة نشأ فى حِجْرِه فنُسِب إليه دون أبيه ، وما ادعاه أبوه إلا بعد الكبر .

وكان سببُ ادعائه أن بعضَ أحياءِ العرب أغاروا على بنى عبس ، فأصابوا منهم واستاقوا إبلا ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم ، فقاتلوهم عما معهم ، وعنترة فيهم . فقال له أبوه : كُرَّ يا عنترة . فقال عنترة : العبدُ لا يُحْسِنُ الكَرَّ ، ولكن يُحْسِنُ الحِلابَ والصَّرَّ . فقال له أبوه : كُرَّ وأنت حُرّ . فكَرَّ وهو يقول :

أنا الهجينُ عنتره كلُّ امرئ يَحْمِى حِرَه
أسودَه وأحمرَه والواردات مُشعَرَه[1]

فقاتل يومئذ قتالا شديدا ، وأبلى بلاء حسنا ، فادعاه أبوه بعد ذلك ، وألحق نسبَه به .

وقيل : إن عبسا أغارت على بنى طيِّئ ، فأصابوا نعما ، فلما أرادوا القسمة قالوا لعنترة : لا نقسم لك نصيبا من أنصبائنا لأنك عبد ، فلما طال الخطبُ بينهم كَرَّتْ عليهم طيِّئ ، فاعتزلهم عنترة ، وقال : دونكم القوم ، فإنكم عددهم ، فاستنقذت طيِّئ الإبلَ فقال له أبوه : كُرَّ يا عنترة فأجابه ذلك الجواب ، فحينئذ اعترف به أبوه وقال له : العبد غيرك .

وأغربة العرب ثلاثة: عنترة وأُمه زبيبة ، وخفاف بن عمرو الشَّريدىّ وأُمه ندبة، والسُّلَيْك بن عمير السَّعْدِى وأُمه السُّلَكَة وإليهما ينسبان .

وفى ذلك يقول عنترة :

بَكَرَتْ تخوفنى الحتوفَ كأننى أصبحت عن عَرَضِ الحتوفِ بمَعْزِلِ

---

(١) فى الأغانى وفى الديوان :

والشعرات المُشْعَرَه الواردات مِشْفَره

فأجبتها إن المنيــــةَ منهلٌ | لا بد أن أُسقَى بذاك المَنهَلِ
فاقنَىْ حياءك لا أبا لكِ واعلمى | أنى امرؤ سأموتُ إن لم أُقْتَلِ
إن المنيــــة لو تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ | شخصى[1] إذا نزلوا بضَنْك المنزلِ
إنى امرؤ من خير عَبْسٍ مَنصِبا | شَطْرِى وأحمى سائرى بالمُنْصُلِ
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت | أُلْفِيتُ خيرا من مُعِمٍّ مُخْوِلِ
والخيـــل تعلمُ والفوارسُ أننى | فرَّقْتُ جمعَهمُ بضربة فَيْصَلِ
إذ لا أُبادِرُ فى المضيق فوارسى | أوَ لا أُوكِّلُ[2] بالرعيلِ الأولِ
إن يُلْحَقوا أكْرُر وإن يُسْتَلْحَموا | أشْدُد وإن يُلفَوْا بضنكٍ أنزل
حين النزول يكون غايةَ مِثْلِنا | ويفـرُّ كل مُضَلَّلٍ مُسْتَوْهِلِ
والخيـــل ساهمةُ الوجوهِ كأنما | تُسْقَى فوارسُها نقيعَ الحنظلِ
ولقد أبيتُ على الطَّوَى وأظلُّه | حتى أنال به كريم المأكل

قوله : إنى امرؤ من خير عبس منصبا :

يقول : لأن أبى من أكرم عبس ، فله شطرى ، والشطر الآخر ينوب عن كرم أُمى فيه ضربى بالسيف ، فأنا خير فى قومى ممن عمه وخاله منهم ، وهو لا يغنى غنائى .

ويقال : إن هذه الأبيات قالها فى حرب داحس والغبراء .

قوله : ولقد أَبيتُ على الطَّوَى ، يعرض بقيس بن زهير سَيِّد بنى عبس ، فإن بنى عبس أغارت على بنى تميم ، فانهزمت بنو عبس ، وطلبَتْهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترةُ ، ولحِقَهم ليلته ، فحامَى عنترة عن الناس ، فساء ذلك قيسا وكان أكولا فبلغ ذلك عنترة فقال يُعَرِّضُ به : ولقد أبيت على الطوى ... ...

---

(١) مثلى (أغانى ٨ : ٢٤١) .

(٢) فى الأصل : (ولا أوكل) .

كان رجل من عبس قد هجا عنترة وذكر سوادَه وسوادَ أُمه وإخوتِه وعَيَّره بذلك . فقال عنترة : والله إن الناس بالطّعمةِ يترافدون ، والله ماحضرت مَرْفَدَ الناسِ ، ولا أبوكَ ولا جدكَ قط . وإن الناس ليُدْعَوْن فى الفزع فما رأيناكَ ، فى خيل قط ، أنت ولا أحداً من أهل بيتك ، ولا كنت إلا فى أرامل النساء ، ولو كنت فى مَغْرِسكَ الذى أنت منه أو طاولتك لطلتك ولو سألتَ أُمك وأباكَ عن صحة هذا لأخبراكَ بصحته، وإنى لأحضر الوغى وأوفى المغنم وأعفُّ عن المسألة ، وأجود بما ملَكْتُ ،وأفصل الُخطَّةَ الصمعاءَ فقال له الآخر: فأنا أشعر منك ، فقال عنترة : ستعلم ـ وكان عنترة لا يقول من الشعر إلا البيت والبيتين فى الحرب ، ولا يَقْصد فقال قصيدته هذه والعرب تسميها الُمذَهَّبة :

هـــــل غادر الشعراء من مُتَرَدَّم ... أم هل عرفتَ الدارَ بعد تَوَهُّمِ
يادارَ عبــلةَ بالجواء تــكلَّمِي ... وعِمِى صباحا دارَ عبلةَ واسْلَمِى
ولقد نزلتُ فــلا تظنى غَيْرَه ... منى بمنزلة الُمحَبِّ المـكْرَمِ
ولقد شربتُ من المـدامة بعدما ... رَكَدَ الهواجرُ بالمشُوفِ الُمعْلَمِ
ولقد خشِيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ ... للحرب دائرةٌ على ابـنَىْ ضمضمِ
الشاتِمَىْ عرضِى ولم أَشْتُمْهما ... والناذرَيْن إذا لَقِيتهما دمِى
ولقد شفى نفسِى وأبرأَ سُقْمهــا ... قِيلُ الفوارسِ وَيْكَ عنترةُ اقدمِ
هلا سألتِ القومَ(١) ياابنةَ مالكٍ ... إن كنتِ جاهلةً بمــا لم تَعْلَمِى
يُخْبِرْكِ من شهد الوقائع(٢) أننى ... أغشَى الوغَى وأَعَفُّ عند المَغْنَمِ
فإذا شربتُ فإننى مُسْتَهْلِكٌ ... مالى وعِرْضِى وافرٌ لم يُـكْلَمِ
وإذا صحوتُ فما أُقَـصِّرُ عن ندى ... وكما علمتِ شمـائِلى وتَـكَرُّمِى

(١) الخيل (أغانى ـ معلقات) .

(٢) الوقيعة (معلقات) .

ولما أُنشد النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، قولَ عنترة :

ولقد أبيتُ على الطوى وأظَلُّه حتى أنالَ به كريم المأْكَلِ

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : ما وُصِفَ لى عَربىٌّ قط فأحببت أن أراه إلّا عنترة .

قيل لعنتره : أنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال : لا ، قيل : فلم شاع لك هذا فى الناس ؟ قال : كنت أُقْدِمُ إذا رأيت الإقدام عَزْما وأُحْجِمُ إذا رأيتُ الإحجام حزما ، ولا أدخل موضعا لا أرى لى منه مخرجا ، وكنت أعتمد الضعيفَ الجبانَ فأضْرِبُه الضربةَ الهائلةَ يطير لها قلبُ الشجاع فأنثنى عليه فأقتله .

أغار عنترةُ على بنى نبهانَ من طَيِّء فأطردَ لهم طريدةً وهو شيخ كبير فجعل يَطْرُدُها ويرتجز ، ويقول :

كأنما آثارها بالحَثْحَثِ آثار ظُلْمانٍ بقاعٍ محدث

وكان وزر بن جابر النَّبْهانى فى عيره فرماه وقال : خذها وأنا ابن سلمى فقطع مطاه(١) فتحمل بالرمية حتى أتى أهله فقال وهو مجروح :

وإن ابن سَلْمَى فاعلموا عنده دمى وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمى
إذا ما تَمَشَّى بين أجبال طَيِّءٍ(٢) مكان الثُّريا ليس بالمُتَهَضِّم
رمانى ولم يَدْهَش بأزرق لَهْذَمٍ(٣) عشيةَ حَلُّوا بين نَعْفٍ ومَخْزِم

وكان الذى قتله يسمى بالأسد الرهيص .

وقيل : غزا طيئا مع قومه فانهزمت عبس فجزعت فَرَسُه ولم يقدر من الكبر أن يعودَ يركب فدخل دَغْلا فأبصره رَبيئةُ طَيِّء وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه فقتله .

(١) المطا : الظهر .

(٢) هذا الشطر رواه الأغانى :

* يحل بأكناف الشعاب وينتمى *

(٣) اللهذم : الحاد القاطع من السيوف .

عيسى بن موسى(١)

هو عيسى بنُ موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن هاشم .

ولد ونشأ بالحُمَيْمَةِ من أرض الشام .

وكان من فُحول أهله وشجعانهم ، وذوى النجدة والرأى والبأس والسُّؤدد منهم ، ولم يكن الشعرُ من شأنِه ، ولكنه قاله لما خلعه أبو جعفر ، وبايع المهدىَّ ابنه، كما حكى ناقدٌ خادمُ عيسى بن موسى أنه كان واقفا بين يدَيْه وجاءه(٢) خبر المنصور وما دبره عليه من الخلع ، فجعل يَتَمَلْمَلُ فى فراشه ويُهَمْهِم ثم جلس فأنشد :

خُيِّرْتُ أمرين ضاع الحزمُ بينهما ... إما صَغارٌ وإما فتنــةٌ عَمَمُ
وقد هممتُ مراراً أن أُساقِيَهم ... كأسَ المنيــةِ لولا اللهُ والرَّحِمُ
ولو فعلت لزالت عنهمُ نِعَمٌ ... بكُفر أمْثالِها تُسْتَنْزَلُ النِّقَمُ

قال موسى بن محمد بن على : رأيت فى المنام كأنى دخلت بستانا فلم أر فيه إلا عنقوداً واحداً عليه من الحب المُرَصَّف ما الله به عليم ، فوُلِدَ لى عيسى ، ثم وُلِد لعيسى ما رأيت .

كان عيسى بن موسى إذا حَجَّ يحجُّ ناسٌ كثير من أهل المدينة يتعرضون لفضله ومعروفه فيَصِلُهم .

قال : فمر الزبيرُ بنُ هشام بنِ عروة بأبى الشدائد الفزارى وهو يُنْشِد :

---

(١) الأغانى ١٦ : ٢٤١ .

(٢) ليلة أتاه خبر (١٦ : ٢٤١) .

عصابةٌ إن حَجّ عيسى حَجُّوا ... وإن أقام بالعراق دَجُّوا
قد لَعِقُوا لُعَيْقَةً فلَجّوا ... فالقومُ قومٌ حَجُّهمْ مُعْوَجٌّ
أهكذا كان يكون الْحَجُّ

ثم لقى أبو الشدائد بعد ذلك الزبير فسلم عليه فلم يَرْدُدْ عليه السلام ، فقال له : ما لك يا عبدَ الله لا ترد السلام على ؟ فقال له : ألم أسمعك تهجو حاجَّ بيتِ الله فقال أبو الشدائد :

إنى وربِّ الكعبةِ المبْنِيَّهْ ... والله ما هجوتُ من ذى نِيَّه
ولا امرىءٍ ذى رغْبَةٍ تَقِيّهْ[1] ... لكنَّنِى أرعى على البَرِيَّه
من عُصْبةٍ أَغْلَوْا على الرعيهْ ... [بغير أخلاق لهم شرِيّهْ][2]

(١) ذى رعة نقيه (أغانى) ١٦/٢٤٣ .
(٢) مابين القوسين زيادة من الأغانى .

عامر بن الطفيل[1]

وعلقمة بن علاثة

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر .

وعلقَمَةُ بن عُلَاثةَ بن عوف بن الأحوص .

وأمعامر كَبْشَةُ بنت عُرْوَةَ الرحَّال بن عُتْبة بن جعفر وأمها أُم الظِّباء بنتُ معاوية ، فارس الهرار ، ابن عبادة بن عَقيل بن كعب بن ربيعة .

وأُمها خالدةُ بنتُ جعفر بن كلاب .

وأُمها فاطمة بنتُ عبد شمس بن عبد مناف .

وأم أبيه الطفيل أم البنين[2] بنت ربيعةَ بن عمرو بن عامر بن صعصعة .

وأُم علقمةَ لَيْلى بنتُ أبى سفيان بن هلال من النَّخْع ، سَبِيَّةٌ وأُم أبيه ماويّةُ بنتُ عبد الله بن الشيطان بن بكر بن عوف من النخع مهيرة .

كان أول ما هاج التنافُرَ بينهما أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبولُ ، فبَصُر به عامرٌ فقال له : لم أر كاليوم عَوْرَةَ رجلٍ أقبحَ منك فقال علقمة : أما والله ماتَثِبُ على جاراتها ولاتنازل كَنّاتها ؛ يعرض بعامر. فقال عامر : وما أنت والقُروم ؟ والله لفَرَسُ أبى حَنْوَةَ[3] أذكرُ من أبيك ، ولفَحْلُ أبى غَيْهَب أعْظَمُ ذِكْراً منك فى نجد . وكان فرسه فرساً جواداً ، نجا عليه يوم بنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان فحلُه فحلًا لبنى حَرْملة بن الأشعر بن حرملة بن مرة بن عوف بن سعد ،

---

(١) الأغانى : ١٦ : ٢٨٣ . مهذب ٢ : ٦٨ تجريد ١٧٥٣ .

(٢) كانت فى الأصل: اليتيم وما أثبتناه عن الأغانى .

(٣) كانت فى الأصل حيوة والتصويب عن الأغانى .

وسمى غيهبًا لسواده ، فاستعاره منهم ، يستطرقه فغلبهم عليه ، فقال له علقمة : أما فرسكم فعارة، وأما فحلكم فغدرة، ولكن إن شئت نافرتك . فقال: قد شئت. فقال عامر : لأنا أكرم منك حسبا ، وأثبت منك نسبا ، وأطول منك قصبا ، فقال علقمة : لأنا خير منك ليلا ونهاراً . فقال عامر : لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك ، فقال علقمة : [على ماذا تنافرنى ياعامر ؟ فقال عامر :](١) أنافرك على أنى أنحر منك للقاح ، وخير منك فى الصباح ، وأطعم منك فى السنة الشياح(٢) . فقال عامر : أنت رجل تقاتل الناس والناس يزعمون أنى جبان ، ولأن تلقى العدو وأنا أمامك أعز من أن تلقاهم وأنا خلفك ، وأنت جواد ، والناس يزعمون أنى بخيل ، ولست كذلك ، ولكنى أنافرك أنى خير منك أثراً ، وأحد منك بصراً ، وأعز نفراً ، وأسرح منك ذكراً ، وقال عامر : ليس لبنى الأحوص فضل على بنى مالك فى العدد ، وبصرى ناقص وبصرك صحيح ، ولكنى أنافرك على أنى أنشر منك أمة(٣) وأطول منك قمة(٤) وأحسن منك لمة(٥) ، وأجعد منك جمة(٦) ، وأبعد منك همة . فقال علقمة : أنت رجل جسيم ، وأنا رجل قصيف ، وأنت جميل وأنا قبيح، ولكنى أنافرك بآبائى وأعمامى، فقال عامر: آباؤك أعمامى، ولم أكن(٧) لأنافرك بهم ولكنى أنافرك على أنى خير منك عقبا ، وأطعم منك جدبا . فقال علقمة : قد عرفت أن لك عقباً فى العشيرة وقد أطعمت طيئا إذ سارت ولكنى أنافرك

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى وبه يستقيم الكلام (١٦/ ٢٨٤) .

(٢) الشياح : القحط .

(٣) الأمة : الجماعة ، الجيل من الناس .

(٤) القمة : جماعة الناس ، أعلى كل شىء ، القامة .

(٥) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(٦) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

(٧) فى الأصل : ولكنى والتصويب عن الأغانى .

على أنى خير منك وأولى بالخيرات [منك] وقد أكثرنا المراجعة ، منـــذ اليوم ، فخرجت أُم عامر ، وكانت تسمع كلامهما ، فقالت : يا عامر نافِرْه ، أيكما أولى بالخيرات . وقيل : قال عامر فى مراجعته : والله لأنا أركب منك فى الحُماة وأقتلُ منك للكُماة ، وخير منك للمَوْلى والمَوْلاة . فقال علقمة : والله [إنى أعَزّ منك ؛][1] إنى لبَرٌّ وإنك لفاجر ، وإنى لوَفِىّ وإنك لغادر ، ففيم تفاخرنى يا عامر ؟ فقال عامر : والله إنى لأنزَلُ منك فى القَفْرَة ، وأنحر منك للبَكْرَة ، وأطعن منك للثُّغْرَة ، وأطعم منك للهَبْرَة . فقال علقمة : والله إنك لـكليلُ البَصَر بليدُ النظر ، وثابٌ على جاراتِك فى السَّحَر . فقال بنو خالد بن جعفر ، وكانوا يدا مع بنى الأحوص على بنى مالك بن جعفر : لن تطيق عامراً ولـكن قل له : أُنافرك بأشَرِّنا وأقربنا للخيرات وخُذْ عليه بالـكِبَر ، فقال له علقمة هذا القول . فقال عامر : عَيْرٌ وتَيْسٌ وتَيْس وعَنْز فذهبت مثلا نعم على مائة من الإبل إلى مائة من الإبل يُعْطَاها الحـكمُ أيّنا نُفِّر عليه صاحبه أخْرَجها ، ففعلوا ووضعوا بها رهنا من أبنائهم ، على يد رجل من بنى الوحيد يُقِرّ بذلك ، فسمى الضمينَ إلى الساعة ، وهو الـكفيل . وخرج علقمةُ ومن معه من بنى خالد ، وخرج عامر ومن معه من بنى مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامرُ بن مالك ، وهو أبو بَراء ، فقال : يا عماه أعِنِّى فقال : يا ابن أخى سُبَّنى فقال : لا أسُبُّك وأنت عمى . فقال : فسُبَّ الأحوصَ فقال عامرٌ : ولا أسُبُّ الأحوص وهو عمى . فقال : فلا أُعينك ، ولـكن دونَك نعْلى فإنى قد ربعت[2] فيها أربعين مرباعا فاستَعِنْ بها فى نِفارك وجعلا منافرَتهما إلى أبى سفيان بن حرب ، فلم يقُلْ بينهما شيئاً ، وكره ذلك لحالها وحال عشيرتهما ، وقال : أنتما كرُكْبتى

(١) الزيادة بين القوسين عن الأغانى ١٦ /٢٨٦ .

(٢) فى الأصل فإن ربعت وما أثبتناه عن الأغانى .

البعيرِ الأَنِف قالا : فأيُّنا اليمين ؟ قال : كلاكما يَمين . وأَبَى أن يَقْضى بينهما ، فانطلقا إلى أبى جهل بن هشام ، فأبى أن يَحْكُم بينهما ، فوثب مروان بن سُراقة ابن قَتادةَ بن عمرو بن الأحوص بن جعفر فقال :

يا لَقريشٍ بَيِّنوا الكلاما إنا رَضينا منكمُ الأَحْكاما
فبيِّنوا إن كنتمُ حُكاما كان أبونا لَهُمُ إماما
وعَبْد عمرو منع الفِئاما فى يوم نحْرٍ مُعْلما إعلاما
ودعلجٌ أُقدمه إقداما لولا الذى أجْشَمَهم إجشاما
لاتَّخَذَتْهُم مَذْحِجِ نَعاما

فأبوا أن يقولوا بينهما شيئا ، فأتوا إلى غَيْلان بن سلمة بن مغيث الثقفى ، فردهما إلى حَرْملة بن الأشعرِ المُرِّى ، فردهما إلى هَرِم بن سِنان بن عمرو الفزارى ، فانطلقا حتى نزلا به . وقيل : ساقا الإبل معهما ، حتى أَنْتَجَتْ وأربَعَتْ لا يأتيان أحداً إلا هاب أن يقضي بينهما ، فقال هَرِم : لَعَمْرِى ، لأحكمن بينهما حكما ثم لأَفْصِلَنّ ، ثم لا أثق إلى واحد منكما ، فأعطيانى موثقا أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول ، وتُسَلِّما بما قضيت بينكما ، ففعلا فأمرهما بالانصراف ، ووعدهما ذلك اليومَ من قابل ، فانصرفا ، حتى إذا بلغ الأجلُ خرجوا إليه ، فخرج علقمة ببنى الأحوص ، فلم يتخلف منهم أحد مع القبابِ والجُزُرِ والقدورِ يَنْحَرون فى كل يوم ويُطْعِمون وجمع عامرٌ بنى مالك ، فقال : إنما تخاطرون بأَحْسابكم فأجابوه ، وساروا معه ، ولم ينهض أبو براء معهم ، وقال لعامر : والله لا تطلع ثَنِيَّة إلا وجدت الأحوصَ منيخا بها ، وكره أبو براء ما كان من أمرهما ، فقال عامر : فما كان من منافرتهما ودعا عامرٌ أباه أن يسير معه فقال :

أَؤُمَرُ أن أسُبَّ أباشُرَيْحٍ (١) ولا واللهِ أفعلُ ما حَيِيتُ

(١) فى الأصل (أسب شريح كلا) وما أثبتناه عن الأغانى .

أكاف سَعْى لقمانَ بنِ عـاد قتال أبى شريح ما لَقيتُ
ولا أهـدى إلى هرم لقاحا فيُحْيي بعد ذلك أو يُميت

وكره كلٌّ واحد من البطنين ما بينهما . وقال عبدة بن عمرو بن شُريح بن الأحوص :

لحى الله وَفْدَيْنَا وما ارتحلا بـه من السَّوْءةِ الباقى عليهم وبالُها
ألا إنما بُرْدى صِفاق متينة أبى الضَّيْم أعلاها وأثْبتَ حالُها

وسار عامرٌ وبنو عامر على الخيل مُجْنِبي الإبل ، عليهم السلاح ، فقال رجل من غنى : يا عامر بئس ماصنعتَ ، أخرجتَ بنى عامر تنافرُ بنى الأحوص ، ومعهم القبابُ والُجزُر ، وليس معك شيء تُطْعِمُ الناس ، ما أسوأ ما صنعتَ . فقال عامر لرجل من بنى عمه : أَحْصِيا كلَّ شيء مع عَلْقَمة من قُبَّة أو قِدْرٍ أو لَقْحَةٍ ففعلا ، فقال عامرٌ : يا بنى مالك إنها المقارعةُ عن أحسابكم فاشخَصوا بمثلِ ما شَخَصُوا به ففعلوا ، وثار مع عامرٍ لبيدٌ وربيعةُ والأعشى ، ومع علقمةَ الحطيئةُ وفتيانٌ من بنى الأحوص منهم السنْدَرِىّ بن يزيد بن شُرَيْح ، ومروان بن سُراقة بن قتادة ابن عمرو بن الأحوص وهم يرتجزون فقال لبيد :

يا هَرِمٌ وأنت أهلُ عَدْلِ إن نُفِّرَ الأحوصُ يوما قبلى
ليَذْهَبَنّ أهـلُه بأهلى لاتَجْمَعَنّ شكلَهم وشَكْلِي
ونَسْلَ آبائهم ونَسْلى

وقال أيضا :

إنى امرؤٌ من مالكِ بن جعفرِ عَلْقَم قد نافرْتَ غـير مُنَفَّرِ
نافرت سَقْبا من سِقَاب العَرْعَر

وقال قحافة بن عوف[١] بن الأحوص :

نَهْنِهْ إليك الشعرَ يالبيدُ   واصْدُدْ فقد يَنْفَعُك الصدودُ
ساد أبونا قبل أن تَسودوا   سُؤددُكم مُطَّرَفٌ زَهيدُ

وقال أيضا :

إنى إذا ما نُسِى الحياء   وضاع يومَ المَشْهَدِ اللواء
أَحْمِى وقد حُقَّ لى النماء   إلى كُهولٍ[٢] ذِكْرُها سناء
إذ لا تَزالُ جَلْدَة كَوْمَاء   مبقورة لِسَقْبِها رُغاء
لم يَنْهَنا عن نَحْرِها الصفاء   لنا عليكم سُورةٌ ولاء
المجدُ والسؤددُ والعطاء

وقال أيضا :

أنتم هزَلْتم عامر بن مالك   فى شتواتِ مُضَر الهوالكِ
ياشرَّ أحياءٍ وشرَّ هالكِ

وقال السَنْدَرِىّ ورفع صوته بإنشادها فقيل من هذا ؟ فقال :

أنا لمن أَنكَرَ صَوْتِى السَّنْدَرِى   أنا الفَتَى الجَعْدُ الطويلُ الجَعْفَرِى
من وَلَدِ الأحوصِ أخوالى غَنِى

فقال عامر : أجب يالبيد ، فرغب لبيدٌ عن أجابته ، وذلك لأن السَّنْدَرِىّ كانت جدته أمةً اسمها عَيْساء فقال :

لَمَّا دعانى عامرٌ لأَسُبَّهم   أبيتُ وإن كان ابن عيْساء ظالما
لِئلَّا يكونَ السندَرِىُّ يسبنى[٣]   ويشتم أعماما قُروما[٣] عماعما

---

(١) فى الأصل : تقرأ (محافر بن عون) والتصويب عن الأغانى .

(٢) ذكور (أغانى) .

(٣) (نديدتى . . . أعماما عموما) أغانى ١٦ / ٢٩٠ .

وأُنْشِرَ من تحتِ القبور أُبُوَّةً كراماً همُ شدّوا علىّ التمائمـا
لعِبْتُ على أكتافهم وحُجورِهم وليدا وفَدَّوْنِى وليدا وعاصما[1]
ألَا أيُّنا ما كان شرّا لمـالك فلا زال فى الدنيا ملوما ولائما

فوثب الحطيئة فقال :

ما يحسن الحـكام بالفصل بعدما بدا سابقٌ ذو غُرّةٍ وحُجُولِ

وقال أيضا :

يا عامِ قد كنت ذا باعٍ ومَكْرُمَةٍ لو كان مسماةَ من جارَيْته أَمَمُ
جاريتَ قَرْما أَجارَ الأحوصان به سَمْحَ اليـدين وفى عِرنينه شَمَمُ
لايَصْعُبُ الأمْرُ إلا رَيْثَ يرْكَبُه ولا يبيتُ على مالٍ له قَسَمُ
كانت[2] بنو مالك مجداً ومكرمة وغايةً كان فيهـا الموتُ لوقدِموا
وما أساءوا فراراً عن مُجَلْجلة[3] لا كاهن يَمْتَرِى فيها ولا حَـكَمُ

فأقام القومُ عنده أياما ، وأرسل إلى عامر ، فأتاه سرًّا لا يعلم به علقمة ، فقال : يا عامر إنى كنت أرى لك رأيا ، وإن فيك خيراً ، وما حبَسْتُك هـذه الأيام ، إلا لتنصرفَ عن صاحبك ، أتنافرُ رجلا لا تفخر أنت ولاقومك إلا بآبائه ؟ فما الذى أنتَ به خيرٌ منه . فقال له عامر : نَشَدْتُك اللهَ والرحمَ أن تُفَضِّل عَلىَّ علقمة ، فوالله لئن فَعلْتَ لا أفلحُ بعدها أبداً . هذه ناصيتى فاجْزُزْها واحْتَـكِمْ فى مالى ، وإن كنتَ لا بد فاعلا فسَوِّ بينى وبينه . قال : انصرفْ فسوف أرى رأيى ، فخرج عامر ، وهو لا يَشُكُّ أنه مُنَفَّرٌ عليه . ثم أرسل إلى علقمةَ سرًّا لا يعلم به عامر ، فأتاه فقال : والله يا علقمة إنْ كنتُ لأحْسِبُ فيك خيرا ، وأنَّ لك رأيا ، وماحبسْتُك

---

(١) (وليدا وسمونى مفيدا وعاصما) (الأغانى) .

(٢) هابت (أغانى) .

(٣) مجلجلة: مدوية بعيدة الذكر ــ وفى الأغانى: مجلحة وهى المصيبة التى تستأصل كل شىء.

هذه الأيامَ إلا لتنصرفَ عن صاحِبك ، أتفاخر رجلا هو ابن عمك فى النسب ؟ وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظمُ قومك غَناء وأحمدُهم لقاء ، فما الذى أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : نَشَدْتُك اللهَ والرَّحِم أن تُنْفِرَ علىّ عامراً ، اجزُزْ ناصيتى واحتكِم فى مالى ، وإن كنتَ لا بد فاعلا فسوِّ بينى وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى رأيى فخرج ، وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامرا .

وقيل إن هَرِما قال لعامر ، وقد استدعاه : ياعامر كيف تفاضلُ علقمة ؟ فقال عامر : ولِمَ يا هرم ؟ قال : لأنه أنْجَلُ منك عينا فى السناء ، وأكرمُ منك نفَراً يوم الدعاء ، قال عامر : هل غيرُ هذا ؟ قال : نعم ، هو أكثر منك نائلا عند العطاء ، وأعظم منك جَفْنةً عند الدعاء ، ثم قال لعلقمة : كيف تنافر عامراً ؟ قال : ولِمَ يا هَرِم ؟ قال : أنفذُ منك لسانا وأمضَى منك سنانا . قال علقمة : فهل غيرُ ذلك ؟ قال : نعم هو أقتلُ منك للكُماة وأفَكُّ منك للعفاة .

ثم إن هرما أرسل إلى بَنيه وبنى أُميةَ إنى قائل بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فعلتُ فليَطرُدْ بعضُكم عشرَ جزائر فلْيَنْحَرها عن عامر ، ويَطرُدْ بعضُكم عشرَ جزائر ، ولينْحَرْها عن علقمة ، وفرِّقوا بين الناس لئلا يكونَ لهم جماعة .

وأصبح هَرِمٌ فجلس مَجْلِسَه ، وأقبل الناس ، وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا ، فقام لبيدٌ . فقال :

يا هَرِمَ ابن الأكرمين مَنْصِباَ إنك قد وُلِّيتَ حُكْماً عَجَبا
فاحْكُمْ وصَوِّبْ رأس من تَصوَّبا إن الذى يعلو عليها تُرْتُبا(١)
لَخَيْرُنا عمـا وأما وأبا وعامرٌ خيرها مُرَكَّبا
وعامرٌ أدنى لقيسٍ نَسَبا

(١) فى الأصل : ندبا وما أثبتناه عن الأغانى والمهذب والمعنى : أبدا أو جميعا .

فقام هرمٌ فقال : يا بني جعفر تحاكمتما عندي ، وأنتما كرُكبتي البعير الأَزم تقعان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحدٌ إلا وفيه ماليس فى صاحبه ، وكلاكما سيد كريم .

وعَمِد بنو هَرِمٍ وبنو أبيه إلى تلك الجُزُر فنحروها ، حيث أمرهم هرم ، عن علقمة عَشْراً وعن عامر عَشْراً ، وفرقوا على الناس ، ولم يُفضِّل هرمٌ واحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يقول وهما ابنا عم ، فيجلب بذلك عداوةً ويوقِعَ بين الحيين شرا .

وكان الأعشى حين رَجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوارَ والخُفرَةَ من علقمة ، فلم يكن عنده ماطلب ، فأجارَه عامر وخَفرَه حتى أدَّاه وماله إلى أهله فقال :

علقمُ ما أنت إلى عامرِ ... الناقضِ الأوتارِ والواترِ
إن تَسُدِ الحوصَ فلم تَعْدُهم ... فعامرٌ ساد بني عامرِ
ساد وأَلْفَى قومَه سادةً ... وكابراً سادوك عن كابرِ
عهْدِي بها فى الحىِّ قد دُرِّعَتْ ... صفراءَ مثل المُهْرَةِ الضامرِ
قد حجم(١) الثَّدْى على صدرها ... فى مُشْرِقٍ ذى بَهْجَةٍ ناضرِ
لو أَسْنَدَتْ مَيْتا إلى صدرِها ... عاش ولم يُنقَلْ إلى قابرِ
حتى يقولَ الناسُ مما رأوا ... يا عجباً للميِّتِ الناشرِ

فلما بلغ علقمة ماقال الأعشى ، وشاع فى العرب أن هَرِما قد فَضَّله توعَّد الأعشى فقال :

* لئن أمْسَى من الحى شاخصا *

---

(١) حجم الثدى : نهد وصار له نتوء وارتفاع .

وعاش هرِم حتى أدرك سلطانَ عمرَ بن الخطابِ ، رضى الله عنه ، فسأله عمر فقال : ياهرِم أى الرجلين كنت مفضّلا لو فضلت ؟ فقال : لو قلتُ ذلك لعادت الحرب جَذَعَةً ولبلغت شعاف(1) هجر . فقال عمر : نعم مُسْتَوْدعُ السِّرِّ ومستندُ الأمر أنت يا هرِمُ ، مثلُ هـذا فليُسَوّد العشيرة وإلى مثلك فليَسْتَبْضِع القومُ بأحكامهم .

وكان علقمة على كلاب وما والاها . وكان قد أسلم ثم ارتد فى حياة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج بعد فتحِ الطائف حتى لحق بالشام مُرْتَدًّا . فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ، أقبل مسرعا حتى عسكر فى بنى كَعْب مُقَدِّماً رجلا ومؤخرا أُخرى. وبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه ، فبعث إليه سَرِيّة أمّر عليها القعقاعَ ابن عمرو ، وقال : ياقعقاعُ : سِرْ حتى تُغيرَ على علقمة بن علاثة ، لعلك تأخذُه لى أو تقتُله ، واعلم أن شفاء النفس الحِرْصُ ، فاصنع ما عندك ، فخرج حتى أغار على المـاء الذى علقمة عليه ، وكان لا يبرح أن يكون على وجل فسابقهم على فرسه مراكضةً وأسلم ولدَه وأهلَه واستاق القعقاعُ امرأةَ علقمة وبناته ونساءه ومن أقام من الرجال ، فاتَّقَوْه بالإسلام ، فقدم بهم على أبى بكر ، فجحَدَتْ زوجتُه وبناتُه أن يكونوا مالئوا علقمة على أمره ، فـكانوا مقيمين على الدار ، ولم يكن بلغه عنهم غيرُ ذلك وقالوا لأبى بكر : ماذنبنا نحن فيما صنع علقمة ؟ فأرسلهم ، ثم أسْلَمَ علقمةُ بعد ذلك فقبِـلَ منه .

كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ربما حدّث أصحابه ، وربما تركهم يتحدثون ، ويصْغِى إليهم ويبتسم ، فبينما هم ، يوما كذلكِ ، يتذاكرون الشعرَ وأحاديثَ العرب سمع حسانَ بن ثابت ينْشِد هجاءَ أعشى بنى قيس بن ثعلبة لعلقمةَ بن عُلاثة ومَديحَه لعامر بن الطفيل بقوله :

---

(1) شعاف جمع شعفة ، وهى من كل شىء أعلاه .

علقمَ ما أنت إلى عامر ... ...

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : كُفَّ عن ذِكْرِه يا حسانُ فإن أبا سفيان لما سبّني عند هِرَقْل رد عليه عَلْقمة ، فقال حسان : بأبي أنتَ وأمّي يا رسولَ الله من يُولِّيك يدَه فقد وجب شكره .

لما قَدِمَ عَلْقَمَةُ بن عُلَاثة المدينةَ ، وكان صديقا لخالد بن الوليد ، لقيه عمرُ ابن الخطاب ، رضي الله عنه ، في المسجد في جوف الليل ، وكان عمرُ يُشْبِهُ خالدَ ابن الوليد ، وكانت أمُّه حسمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، وكان خالدٌ صديقا لعلقمةَ ، فسلم عليه وظن أنه خالدٌ فقال له: أعزلوك ؟ قال : قد كان ذلك، قال : والله ما هو إلا نَفَاسَةٌ عليك وَحَسَدٌ لك ، فقال عمرُ رضي الله عنه : فهل عندك معونة على ذلك ؟ قال : معاذَ الله ، إن لعمر علينا سمعا وطاعةً ولا نخرج إلى خلافه ، فلما أصبح عمرُ أذِنَ للناس ، فدخل خالدٌ وعَلْقَمةُ فجلس خالدٌ ، وعَلقةُ إلى جنب خالد ، فالتفت عمر إلى علقمة فقال : إيه يا علقمة أنت القائل لخالد ما قلت ؟ فالتفت علقمةُ إلى خالد فقال : يا أبا سليمان أفعلتها ؟ فقال: والله ما لَقِيتُك قبلَ ما ترىَ وإني لأراك لقيتَ الرَّجُلَ . قال : أُراه والله . ثم التفت إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، ما سمعتُ إلا خيراً قال: أجل فهل لك أن أُوليِّكَ على حُوران ؟ قال: نعم، فولاه إياها فمات بها .

وكان الحطيئةُ لما أطْلَقَه عمرُ من حَبْسه ، قال له : يا أمير المؤمنين ، اكتب لي كتابا إلى عَلْقمةَ بن عُلَاثة لأقصده به ، فقد منعتني التكَسُّبَ بشعري ، فقال : لا أكتب . فقيل لعمر : يا أمير المؤمنين ، وما عليك من ذلك ؟ إن علقمةَ ليس بعامِلك فتخشى أن يأثم . وإنما هو رَجُلٌ من المسلمين تشفعله إليه ، فكتب له بما أراد فمضى الحطيئةُ بالكتاب فصادفَ علقمةَ قد مات ، والناس منصرفون من قبره ، فوقف عليه وأنشد :

أرى العيسَ تخْدِى[1] بين قوٍّ فضارج ... وقد لاح فى الصبح الأَشاءُ الحوامِلُ
فأَتْبَعْتُهُمْ عَيْنَىَّ حتى تفرَّقَتْ ... مع الليل عن ساق الفريد الجمائلُ
لعَمْرِى لنعمَ المرءُ[2] من آل جعفر ... بحوران أمسى أعلقتْه[3] الحبائل
فإن تَحْىَ لا أمْلَلْ حياتى وإن تمت ... فما فى حياتى بعد موتك طائل
وما كان بينى لو لَقِيتُكَ سالما ... وبين الغِنَى إلا ليالٍ قلائلُ

فقال له ابنُه : كم ظننتَ أن علقمة يُعطيك ؟ قال : مائة ناقة يَتْبعها من أولادها مائةٌ قال: فهى لك ، وأعطاه إياها .

(١) يقال : خدى البعير ، والفرس ، يخدى : أسرع وزج بقوائمه .
(٢) الحى (أغانى) .
(٣) اقصدته (أغانى) .

عبد يغوث[1]

هو عبد يغوث بن صلاءة[2]

وقيل عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة بن المُعَقَّل وهو ربيعة بن كعب الأَرَتّ[3] بن ربيعة بن كاب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة[4] بن خالد بن مالك ابن أُدد بن زيد بن يشجب[5] بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح .

وكان يقال ليعرب المُرَعَّف .

وكان عبدُ يغوث شاعرا من شعراء الجاهلية ، فارسا سيداً لقومه ، من بنى الحارث بن كعب ، وهو قائدُهم يوم الكُلَابِ الثانى إلى بنى تميم ، وفى ذلك أُسِر فقُتِل .

وعبد يغوثَ من أهل بيت مُعْرِقٍ فى الشعر فى الجاهلية والإسلام، فمنهم اللجلاجُ الحارثىُّ ، وهو طفيلُ بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة ، وأخوه مُسْهِر ، فارسٌ شاعرٌ ، وهو الذى طعن عامرَ بن الطفيل فى عينه يوم فَيْف الريح .

ومنهم ممنْ أدرك الإسلام جعفرُ بن عُلْبَة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث ابن الحارث بن معاوية بن صلاءة كان فارساً شاعرا صعلوكا ، أُخِذَ فى دم ، فحُبس

---

(١) أغانى ١٦ : ٣٢٨ .

(٢) فى الأصل وب : صلاة .

(٣) فى الأصل : (كاب الأزب) وما أثبتناه عن الأغانى .

(٤) فى الأصل : (عليه) .

(٥) فى الأصل : (يعرب) .

فى مكة ، ثم قُتِلَ صَبْراً ، وقد ذكرته فى حرف الجيم ـ لما أوقع كسرى ببنى تميم الصّفا[1] بالمشقّر فقتل المقاتلة ، وبقيت الأموالُ والذرارى ، بلغ ذلك مَذْحِجاً ، فمشى بعضهم إلى بعض ، وقالوا : اغتنموا بنى تميم ، ثم بعثوا الرسلَ فى بلاد اليمن وأحلافها من قضاعة ، فقالت مذحج للمأموم الحارثى ، وهو كاهن : ما ترى فى هذا اليوم؟ فقال لهم المأموم : لا تغزوا بنى تميم ، فإنهم يسيرون أغبابا[2] ويَرِدُون مياها جبابا فتكون غنيمتكم ترابا. واجتمع من مذحجٍ ولفيفِها اثنا عشر ألفا من مذحج وكِندة وخولان وهمدان ونهد وجرم وأخلاط من اليمن ، وكان رئيس مذحج عبد يَغوث بن صلاءة ، ورئيس همدان رجل يقال له مسروح[3] ورئيسُ كِندة البراء بن قيس بن الحارث الملك فأقبلوا إلى تميم ، فبلغ ذلك سَعداً والرّبابَ ، فانطلق ناسٌ من أشرافهم إلى أكثم بن صَيْفِىّ وهو قاضى العرب ، فاستشاروه ، فقال لهم : أقِلّوا الخلافَ على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفَشَل ، وادَّرِعوا الليلَ ، وابرزوا فى الحرب وتثبَّتوا فرُبَّ عجلةٍ تهَبُ رَيْثا ، ولا تختلفوا فلا جماعة لمن اختلف ، فاستعدوا للحرب ، وأقبلَ أهلُ اليمن من بنى الحارث وأشرافهم ، فنزلوا قريبا من الكلاب ، ورجلٌ من بنى زيد ابن رياح بن يربوع يقال له مُشَمِّت بن زنباع فى إبل له ، عند خاله من بنى سعد ، يقال له زهر ، فلما أبصرهم المُشَمِّت قال له : إيه دونَكَ الإبلَ ، وتَنَحّ عن طريقهم ، ثم أتى الحى فأنذرهم ، وركب المشمت ناقةً ، وسار حتى أتى سعداً والرباب وهم على الكُلَابِ فأنذرهم فأعدوا القوم وصبحوهم فأغاروا على النَّعَمِ فطردُوها وجعل يرتجز ويقول :

فى كلِّ عام نَعَمٌ نَنتابُه　　　على الكُلَابِ غُيَّباً أربابُه

(١) فى الأصل : (الصفقة) .
(٢) فى الأصل : (يرون أعقابا) .
(٣) فى الأغانى (مسرح) . وفى النقائض (مشرح) .

فأجابه غلام كان من بنى سعد فى النعم على فرس له فقال :

عما قليلٍ سترى أرْبَابه صُلْبَ القناة حازما شبابه[1]

على جياد ضمر غيابه

وأقبلت سعد والرباب ، ورئيسُ الرباب النعمانُ بن حسان التميمى ، ورئيسُ بنى سعد قيسُ بن عاصم المنقَرِىّ ، فقال صبى حين دنا من القوم :

فى كلِّ عام نَعَمٌ تحوونه يُلْقِحُه قومٌ وتُنْتِجونَه

أربابُه نوكى فلا يحمونَه ولا يلاقون الطِّعانَ دُونَه

أنَعَمَ الإماء تَحْسَبونَه هيهات هيهات لما تَرجونَه

فقال ضمير بن أسد الحارثى[2] : انظروا إذا سُقْتُم النعمَ فإن أتتكم الخيلُ عُصَباً عُصَباً تثبت الأُولى للأُخرى حتى تَلحَق فإن أمرَ القوم هَيِّن ، وإن لحق بكم القوم فلم ينظروا إليكم حتى يردوا وجوه النعم [ولا ينظر بعضهم بعضا فإن أمر القوم شديد][3] فأقبل القوم فاقتتلوا قتالا شديداً يوْمَهم حتى إذا كان من آخر النهار قُتل النعمانُ بن حسان، قتله رجلٌ من أهل اليمَن ، وكانت أُمه من بنى حَنْظلة ، يقال له : عبدُ الله بن كَعْب، وهو الذى رماه ، وقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحنظلية . فقال النعمان: ثَكِلَتْكَ أُمك ، رُبَّ ابن حنظلية قد غاظنى ، فذهبت مثلا . وظن أهل اليمن أن بنى تميم سيَرُدُّهم قتلُ النعمان فلم يزِدْهم ذلك إلا حرصا عليهم ، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ، فباتوا يحرُس بعضهم بعضا ، فلما أصبحوا غَدَوْا على القتال ، فنادى قيسُ ابن عاصم : يا لَسَعْدٍ فنادى عبدُ يغوث : يا لَسَعْدٍ . قيسُ بن سعد يدعو سعدَ بنَ زيد مناة بنَ تميم ، وعبدُ يغوثَ يدعو سعدَ العشيرة ، فلما سمع سعدٌ ذلك نادى: يا لَكَعْب ،

---

(١) فى الأصل (حان ما ننتابه) .

(٢) ضمرة بن لبيد الحماسى (أغانى) .

(٣) مابين القوسين عن الأغانى وبه يكمل الكلام .

فنادى عبدُ يغوث: يالَــكَعْب . قيسٌ يدعو كعبَ بن سعد ، وعبدُ يغوث يدعو كعبَ ابن عمرو .

فلما رأى ذلك قيسٌ قال : ما لهم أخزاهم الله ؟ ما ندعو لشعارٍ إلا دعوا بمثله ، فنادى قيس : يالَمُقَاعِس ، يعنى ابنَ الحارث بن عمرو بن كعب ، فلما سمع وَعْلَةُ ابنُ عبد الله الجرمى الصوتَ وهو صاحب اللواء يومئذ طرحه ، وهو أول مُنْهزِم من اليمن ، وحملت عليه بنو سَعْدٍ والربابُ فهزمتهم أفظعَ هزيمة ، وجعل قَيسُ ابن عاصم ينادى : ياتميم لا تَقْتُلُوا إلا فارسا ، فإن الرَّجَّالة لــكم ، وجعل يرتجز ويقول :

لما تَوَلَّوا عُصبا شوازبا[1] أقسمتُ لا أطعن إلا راكبا

إنى وجدتُ الطعنَ فيهم صائبا

وجعل يأخذ الأسارى ، فإذا أخذ أسيراً قال له : ممن أنت ؟ فيقول : من بنى زَعبل ، وهو زَعبلُ بن كعب أخو الحارث بن كعب ، وهو أنذال. فــكان الأسارى يريدون بذلك رِخَصَ الفداء فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم دفعه إلى من يليه من بنى تميم ، ويقول له : امسك حتى أصطاد لك زَعْبلة أُخرى ، فذهبت مثلا ، فما زالوا فى آثارهم يقتلون ويأسرون ، حتى أُسر عبدُ يغوث ، أَسَرَه فتى من بنى عُمير بن عبد شمس ، وقتل يومئذ عَلقمة بن سَبّاع القُرَيعى ، وهو فارس هبّود ، وهبّود فرس عمرو ابن الجعد المرادى، وأُسِر الأهتم رئيس كندة، أسره ابنُ قيس وقتل من بنى ضبة ضَمرةُ ابن أسيد الحماسي[2] قتله قبيصة[3] بن ضرار .

---

(١) الشازب : الخشن أو الضامر .

(٢) فى الأغانى : وقتلت بنو ضبة ضمرة بن لبيد الحماسى الــكاهن .

(٣) فى الأصل : (قيصه) .

وأما عبد يغوث فانطلق به العبشمى إلى أهله ، وكان العبشمىُّ أهوج فقالت له أُمه ، وقد رأت عبد يغوث جميلا وسيما ضخما : من أنت ؟ قال : أنا سيدُ القوم فضحكت وقالت : قَبحَكَ اللهمن سيد قوميأسرك هذا الأهوج، فقال لها : أيتها الحرّة هل لك إلى خير ؟ قالت : وماذلك ؟ قال: أُعطِى ابنك مائةً من الإبل ويَنْطلق بى إلى الأهتم فإنى أتخوف أن تنتزعنى سعد والربابُ منه ، فضمن لها مائةً من الإبل وأرسل إلى بنى الحارث بن كعب فوجهوا بها إليه ، فقبضها العبشمىُّ وانطلق به إلى الأهتم فأنشده عبد يغوث :

أأهـــتمُ يـا خـــيرَ البَرِيّة والدا ورَهْطا إذا ما الناس عَدّوا المساعيا

تدارَكْ أسيرًا عانيــا فى بــلادِكم ولا تَثْقَفَنّى التَّيْمُ ألْقَى الدواهيـا

فمشت سعد والرباب فيه ، فقالت الرباب : يا بنى سعد قُتِلَ فارسُنا وسيدُنا ، ولم يُقتَلْ لكم فارس مذكور ، فدفعه الأهتمُ إليهم فأخذه عِصمة بن أثير التيمى فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بنى تيم اقتلونى قتلة كريم ، فقال له عصمة : نعم ، وما تلك القِتْلة ، فقال : اسقونى الخمرَ ودعونى أنوحُ على نفسى . فقال له عصمة : نَعَم ، فسقاه الخمرَ وقطع له عِرْقاً يقال له الأكحل، وتركه يَنْزِفُ الدَّمَ، ومضى عنه ، وبقى عنده ابنان له ، فقالا له : جمعت أهل اليمن ، وجئت تصطلمنا ، فكيف رأيت صنع الله بك ؟ فقال عبد يغوث :

ألا لا تلومانى كفى اللومَ ما بيــا فمــا لكما فى اللوم حَظٌّ ولا ليــا

ألم تعلما أن الملامـــةَ نفْعُهــــا قليل وما لومِى أخى من شمــاليـــا[1]

أيا راكباً إما عَرَضْتَ فبلِّغَنْ نداماى من نَجْرانَ ألا تلاقيا

أبا كَرِبٍ والأيهَمَيْن كلاهما وقيسا بأعلى حضرموتَ اليمانيا

---

(١) شماليا : يريد شمائلى .

جزى الله قومى بالكُلاب ملامةً ... صريحَهُم والآخرين المواليا
ولو شئت نجّتْنى من الخيل نهدَةٌ ... ترى خلفها الحُوَّ الجيادَ تواليا(١)
ولكننى أحمى ذمار أبيكمُ ... وكان الرماحُ يختطِفْن المُحاميا
وتضحكُ منى شَيْخَةٌ عبشَمِيَّةٌ ... كأن لم ترَ قبلى أسيراً يمانيا
وقد علمت عِرْسِى مُلَيْكَةُ أننى ... أنا الليثُ مَعْدُوًّا علىَّ وعاديا

وكانوا قد شدوا لسانَه لئلا يَهْجُوهم وأبوا إلا قتْلَه فقال :

أقول وقد شدُّوا لسانى بِنِسْعَةٍ ... أمعشرَ تيمٍ أطلقوا من لسانيا
أمعشر تَيْمٍ قد ملكتم فاسْجِحوا ... فإن أخاكم لم يكن من بوائيا
فإن تقتلونى تقتلوا بىَ سيِّدا ... وإن تطلقونى تَحْرُبُونى(٢) بماليا
أحقا عبادَ الله أن لست سامعا ... نشيد الرعاء المُعْزِبين المتاليا
وقد كنت نحّارَ الجزورِ ومُعْمِلَ الـ ... ـمَطِىِّ وأَمْضِى حيثُ لا حَىَّ ماضيا
وأنحر للشَّربِ الكرامِ مَطيتى ... وأصْدَعُ بين القَيْنتين ردائيا
وعادية سوم الجراد وزعتها(٣) ... بكفى وقد انحَوْا إلىَّ العواليا
كأنىَ لم أركبْ جواداً ولم أقل ... لخيلى كُرِّى نَفِّسِى عن رِجاليا
ولم أسْبَأْ الزِّق الروِىَّ ولم أقل ... لأيسارِ صدق أعظموا ضوءَ ناريا

فقتلوه بالنعمان بن حسان وقالت صفية بنت الخرع ترثى النعمان :

لقد أجدْنا شفاءَ النفسِ لو شُفِيَتْ ... وما قتلنا بــه إلا امرأً دونه

وأما وَعْلة بنُ عبدُ الله الجَرْمى فلحقه رجل من بنى سعد فعقَر مَرْكُوبَه

---

(١) فى الأصل : (يرى خلفها يهجو الجبان مواليا) وما أثبتناه عن الأغانى ١٦/٣٣٤ .
(٢) حرب الرجل : سلبه ماله .
(٣) فى الأصل : (بين الجراد رعيتها) .

فنزل وجعل يعدو على رجليه ، فلحق رجلا من بنى نهد ، يقال له سليط بن قتب بن رفاعة فقال له : اردفنى ، فأبى فطرحه عن فرسه ، وركب عليه وأدركت الخيلُ النهدىَّ فقتلوه فقال وعلة فى ذلك :

ولما سمعتُ الخيلَ تدعو مُقَاعِسا علمتُ بأن اليوم أغْبَرُ فاجرُ
نجوتُ نجاءً لم يرِ الناسِ مِثْلَه[1] كأنى عقابٌ دون تَيماءَ[2] كاسرُ

وقالت نائحة عمرو بن الجعد :

أشاب قَذالَ الرأسِ مَصْرَعُ سيدٍ وفَارِسُ هَبُودٍ أشابَ النواصيا

وقال علقمة بن سَبّاع لعمرو بن الجعد :

لما رأيت الأمرَ مَخْلوجَةً أَكْرَهْتُ فيه ذا بِّلا مارنا
قلت له خُذْها فإنى امرؤٌ يعرف رُمْحِى الرجُلَ الكاهِنا

يعنى أن عَمْرو بن الجعد كان كاهنا .

---

(١) نجوت نجاء ليس فيه وتيرة (أغانى) .
(٢) تيم (أغانى).

عبد الله بن الدمينة(١)

هو عبدُ الله بن عبيدِ الله ، أحدُ بنى عامر بن تيم الله بن مُبَشّر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن خلف بن أفتل ، وهو خثعم بن انمار بن إياس بن عمرو بن الغوث ابن نبت بن مالك .

وقيل إن أكلب هو ربيعة بن نزار وليس هو ابن عفرس وإنما هم حالفوا خثعم ، ونزلوا فيهم ونسبوا إليهم .

والدُّمَيْنَة أمه ، وهى بنت حُذَيفة السلولية .

وكانت كنيةُ ابنِ الدمينة أبا السرى .

كان بلغَه أن رجلا من أخواله ، من سلول ، يقال له مزاحُم بن عمرو يأتى امرأته حماء ليلا فرَصَدَه حتى أتاها فقتله ، وقتلَها بعده وقتَلَه مصعبُ بن عمرو أخو مزاحم .

وكان مزاحم بن عمرو قد هجا ابنَ الدمينة بقصيدة أفْحشَ فيها وذكر امرأته فقال :

يا ابنَ الدمينةِ والأخبارُ يرفعُها ... وخْدُ النجائبِ والمحقور يُخفيها

يا ابن الدمينة إن تَغْضَبْ لما فَعلَتْ ... وطال خِزيُك أو تَغْضَبْ مَوالِيها

أو تُبْغِضُونى فكم من طعنةٍ نَفَذَتْ ... يمدو خلال(٢) اختلاج الجوفِ عاديها

جاهدتُ فيها لكم إنى لكم أبدا ... أبغى نجابَتكم(٣) عَمْداً فآتيها

لا بر(٤) عندى لكم حتى تُغَيِّبَنى ... غبراءُ مظلمةٌ هارٍ نواحيها

(١) أغانى (أميرى) ١٥/١٥٤ مهذب ٣/٩٠ .

(٢) فى الأصل : تبدو اختلال .

(٣) معايبكم (أغانى) .

(٤) فذاك (أغانى) .

أغشَى نساءَ بنى تَيْمٍ إذا هجعت ... عَنِّى العيونُ ولا أبغى مَقاريها
كم كاعب من بنى تَيْمٍ قعدتُ لها ... وعانسٍ حين ذاق الموت(١) حاميها
كقعْدةِ الأعْسرِ الملفوف(٢) منتحيا ... مُتَيْنةً من متون(٣) السَّيْلِ يُنْحيها
علامَةُ كَيَّةٍ ما بين سُرَّتِها ... وبين عانتها لا شُلَّ كاويها
وشهقة عند حَبْس الماء تشهقها ... وقول رُكْبَتِها قض حين تثنيها
وتَعْدِلُ الأيرَ إنْ زاغتْ فتبعثه ... حتى يُقيمَ برفقٍ صدرَه فيها
بين الصفوفين فى مستهدف وَمِد(٤) ... ذى حرة ذاق طعم الموت صاليها
ماذا يرى ابن عبيد الله فى امرأة ... ليست بالحصيفة عذراً أُجاريها

فلما بلغ ابنَ الدُّمَيْنة هذا الشعرُ أتى امرأتَه ، فقال لها : قد قال هذا الرجلُ فيك ما قال ، وقد بلَغَكِ ، فقالت : والله ما رأى ذلك منى قط ، فقال : فمن أين له العلاماتِ؟ قالت : وصفَها له النساء، فقال : هيهات أن يكون ذلك كذلك. ثم أمْسَك يده وصبَر حتى ظن أن مزاحماً نَسِى القصة ، ثم أعاد عليها القول ، وأعادت الحلِفَ أن ذلك مما وصفه له النساء . فقال لها : والله لئن لم تُمْكِنينى منه لأَقْتُلَنَّك ، فعلمت أنه سيفعل ذلك ، فبعثت إليه وواعدته ليلا ، وقعد له ابن الدُّمينة وصاحبٌ له فجاءها للوعد ، فجعل يكلمها ، وهى مكانها ، فلم تكلِّمْه ، فقال لها : ياحماء ما هذا الجفاء الليلةَ ؟ فقال له ابنُ الدمينة بصوتٍ ضعيفٍ : ادخلْ، فدخلَ فأهوى بيده ليَضَعَها عليها فوضعَها على ابن الدمينة . فوثب إليه هو وصاحبُه ، وقد جعل له حصًى فى ثوبٍ

---

(١) النوم (أغانى) .
(٢) فى الأصل : المعلوف وما أثبتناه عن الأغانى. والعلفوف : الجافى المسن الكثير اللحم .
(٣) من متين النبل يرميها (١٥ : ١٥٢) .
(٤) يقال ومد اليوم والليلة : اشتد حرهما مع سكون الريح فهو ومد .

فضربَ به كَبده حتى قتَلَه فأخرجه فطرحَه مَيِّتا . وجاء أهله فاحتملوه ولم يجدوا به أَثَر السلاح فعلموا أن ابن الدمينة قتله . وقال ابن الدمينة :

قالوا هَجَتْك سلولُ القوم مُخفِيةً فاليومَ أهْجُو سلولا لا أُخافيها
قالوا هجاكَ سَلُولِيٌّ فقلت لهم قد أنصَفَ الصَّخْرَةَ الصماءَ راميها
رجالهمُ شرٌّ من يمشِى ونِسْوَتُهمْ شرُّ البريةِ واستٌ ذَلَّ حاميها
يَحْكُكْنَ بالصخر أستاهاً بها نَقَبٌ لا يَحْكُّ نِقَابَ الجُربِ طاليها

وقال يذكر دخولَ مُزاحمٍ ، ووَضْعَ يده عليه :

لك الخير أن واعدْتَ حماءَ فالقَها نهاراً ولا تَدْلِجْ إذا الليل أَظْلما
فإنك لا تدرى أبيضاءَ طَفْلَةً تعانقُ أم ليثا من القوم ضَيْغَما
فلما سَرَى عن ساعِدَىّ ولِحْيَتِى وأيقن أنى لستُ حَمّاءَ جَمْجَما

ثم إن ابن الدمينة أتى امرأته ، فطرح على وجهها قطيفةً وجلس عليها ، فبكت بُنَيَّة له منها ، فضرب بها الأرض فقتلها . وقال :

* لا تتخذن من كلب سوءٍ جرواً *

وجلس عليها حتى قتلها وقال :

إذا قعَدْتَ على عِرنينِ جاريةٍ فوق القطيفة فادعو لى بِحَفَّارِ

وخرج جناح أخو مزاحم إلى أحمد بن إسماعيل فاستَعْداه على ابن الدمينة فحبسه . وقالت أم أبان والدةُ مزاحم ترْثى مُزاحِما وتحُضّ جناحًا ومُصعبا :

بأهلِى ومالِى بل بِجُلِّ عشيرتِى بنى تيم لا تغدو بغير سلاح[1]
فهلا قتَلْتُم بالسلاح ابنَ أُختكم فيظهر فيه للشهود جِراح
فلا تَطْمَعوا فى الصلح مادمت حية وما دام حيا مصعب وجناح

(١) قتيل بنى تيم بغير سلاح (أغانى ١٥ : ١٤٦) .

ألم تعلموا أن الدوائر بيننا تدورُ وأن الطالبين شِحاحُ

ولما طال حبسه ولم يجد أحمد بن إسماعيل عليه حُجَّةً ولا سبيلا خَلَّاه .

وقتلت سلولُ رجلا من خَثْعَم مكانَ المقتول ، وقتلت خثعم نفراً من سلول ، ولهم فى ذلك قِصَص . وأقبل ابن الدمينة حاجا بعد مدة فنزل بتبالة فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه ، وقد كانت أُمه حرضته عليه ، وقالت له : اقتل ابنَ الدمينة فإنه قتل أخاك ، وهجا قومه ، ودمُ أخيك مَطلولٌ ، وكنت أَعْذرك قبل هذا ، فإنك كنت صغيراً ، وقد كَبِرْت الآن ، فلما أكْثَرَتْ عليه خرج من عِندِها وبَصُر بابن الدمينة واقفاً يُنْشِدُ الناسَ ، فعدا إلى جزار فأخذ شَفرَته ، وعدا على ابن الدمينة فجرحه بها جرْحَيْن . فقيل : مات لوَقْتِه ، وقيل سَلِمَ . ومر عليه مصعبٌ بعد ذلك ، وهو فى سوقٍ يُنْشِد فعلاه بسيفِه حتى قتله ، وعَدَا واتَّبعه الناس حتى اقتحم داراً وأَغْلَقَها على نفسه ، فجاء رجل من قومه فصاح به : يا مصعب إن لم تضع يدك فى يد السلطان قَتَلَتْك العامةُ فاخرج . فلما عرفه قال : أنا فى ذمتك حتى توصلنى إلى السلطان ، فسلمه إلى السلطان ، فقذفه فى سجن تبالة . ومكث ابنُ الدمينة ليلته جريحا ومات من الغد .

وبلغ مصعبا أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجنَ تبالة فيقتلوه ، فقال يحرض قومه بهذا الشعر :

إذا انْتَبَحَتْ كلابُ السجنِ حولى طمعتُ هشاشة وهفا فؤادِى

طماعةَ أن يَدُقَّ السجنَ قومى وخوفاً أن يُبَيِّتنى الأعادى

فما ظنى بقومى شَرُّ ظَنٍّ ولا أن يُسْلِمونى فى البلاد

وقد جَنْدَلْتُ قاتلهم فأمسى يَمُجُّ دَمَ الوتينِ على الوِساد

فجاءت بنو عقيل إليه ليلا فكسروا السجن ، وأخرجوه منه وهرب إلى صنعاء ، ولم يكن جَلْدًا من الرجال فقال :

أَبِينى أفى يُمنَى يدَيْك جعلتِنى ... فأطمع أم صَيَّرْتِنى فى شمالكا
أبيت كأنى بين شِقَّيْنِ من عصا ... حذار الردى أو خيْفةً من زيالكا
تعاللت كى أشجَى وما بك علة ... تريدون قتلى قد ظفرت بذلكا

كان ابن الدمينة قد هوى امرأة من قومه يقال لها أُميمة ، فهام بها مدة ، فلما وصلته تجَنّى عليها ، وجعل ينقطع عنها ، ويغاضبها. ثم زارها ذات يوم ، فتعاتبا طويلا ، ثم أقبلت عليه أُميمة فقالت :

وأنت الذى أَخْلَفْتَنى ما وعدتنى ... وأَشْمَتّ بى من كان فيك يلومُ
وأبرزتنى للناس حتى(١) تركْتَنى ... لهم غرَضا أُرْمَى وأنت سليمُ
فلو أن قولا يَكْلِمُ الجسمَ قد بدا ... بجِسْمِىَ من قولِ الوُشاة كلومُ

فأجابها ابن الدمينة بقوله :

وأنت الذى كَلَّفْتِنى دَلَجَ السُّرَى ... وجُونُ القطا بالجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ
وأنت الذى قَطَّعْتَ قَلْبى حزازة ... وفرقت جُرْحَ القلبِ فهو كَليمُ
وأنت الذى أَحْفَظْت قومى فكُلُّهُم ... بعيدُ الرضا دانى الصُّدودِ كَظِيمُ

ثم تزوّجها بعد ذلك وقُتِل وهى عنده .

ومن شعر ابن الدمينة :

ألا يا صَبَا نَجْدٍ متى هِجْتَ من نَجْدِ ... لقد زادنى مَسْراك وَجْدًا على وَجْدِ
أإن هَتَفَتْ ورقاء فى رَونق الضُّحى ... على فَنَنٍ غَضِّ النباتِ من الرَّنْدِ
بكيتَ كما يبكى الوليدُ ولم أَكُنْ ... جزوعاً وأبديتَ الذى لم تكن تُبْدِى
وقد زعموا أن المُحِبَّ إذا دنا ... يُمَلّ وأن النَّأْىَ يَشْفِى من الوجد
بكلٍّ تداوينا فلم يَشْفِ ما بنا ... على أن قُرْبَ الدارِ خيرٌ من البُعْدِ
على أنَّ قُرْبَ الدارِ ليس بنافعٍ ... إذا كان من تهواه ليس بذى وُدِّ

(١) ثم (أغانى) .

كان ابن الدمينة يهوى امرأة من قَوْمِه ، فأرسلت إليه إن أهلى قد نهونى عن لقائك ومراسلتك ، فأرسل إليها :

أَطَعْتِ الآمريك بِبَتِّ حَبْلى | مُرِيهم فى أَحِبَّتِهِمْ بذاكِ
فإنْ هُمُ طاوعوك فطاوعيهم | وإن عاصَوْك فاعْصَىْ من عصاك
أَمَا والراقصاتِ بذات عرق[1] | ومن صَلَّى بنعْمَان الأراكِ
لقد أضْمَرْتُ حُبَّك فى فؤادى | وما أضمرتُ حُبًّا من سواكِ

قال الأصمعى : مررت بالكوفة بجاريةٍ تَطَلّع من جِدار إلى طريق على فتى واقف وهو يقول لها :

أسهرُ فيك وتنامين عنى ، وأبكى وتضحكين منى ، وتستريحين وأتعبُ ، وأمحضُك المودةَ وتَمْذُقينها ، وأَصْدُقُك وتُنافقينى ، ويأمرك عَدُوِّى بهجرى فتُطيعينه ، ويأمرنى نَصوحى بهَجْوك فأعْصِيه .

ثم تنفَّسَ وأجهشَ بالبكاء .

فقالت له : إن أهلى يمنعوننى منك ، ويَنْهَوْننى عنك ، فكيف أصنع ؟

فأنشدها :

أُريت[2] الآمريك بِبَتِّ حَبْلى | ... ... الأبيات

ثم التفتَ فرآنى فقال : يا فتى ما تقول أنت فيما قلت ؟

فقلت : والله لو عاش ابن أبى ليلى ما حكم إلا بمثل حكمك .

---

(١) بكل فج (أغانى) .

(٢) أطعت (الأغانى) .

عزة المَيْلاء[1]

مولاةٌ للأنصار ، مسكنها المدينة ، من أجمل النساء وجها وأحسنهن جسما .

وسُميت الميلاءَ لتمايلها فى مشيها .

وقيل : كانت تلبس المُلاءَ وتَتَشَبّه بالرجال ، فسميت بذلك .

وقيل : بل كانت مُغْراةً بشُرْبِ النبيذِ ، وكانت تقول : خذ ملاءً واردُد فارغا .

وكانت مطبوعةً على الغناء ، أحسنَ الناس صوتا بعُودٍ . وهى أقدم من غنى الغناء المُوَقَّعَ من نساء الحجاز .

لما قدم سائبُ خاثر ونشيط المدينةَ غنّيا أغانى الفارسيّة فلُقِّنَتْ عزةُ عنهما نَغَما وألَّفَتْ عليه ألحانا أعْجَمِيّة ، فهى أولُ من غنى أهل المدينة بالغناء ، وحرض نساءَهم ورجالهم عليه .

وكان مشايخُ أهل المدينة إذا ذكروا عَزَّةَ قالوا : لله درُّها ، ما كان أحسنَ غناءَها وأحلى صَوتَها وأندى حَلقَها وأحسن ضَرْبَها وأجمل وجْهَهَا وأظرف لسانَها وأقرب مجلسَها وأكرم خلقَها وأسخى نفسَها وأحسن مساعدتَها .

وكان ابن سُرَيْج فى حداثة سِنِّه يأتى المدينةَ ، ويتعلم غناءها .

وكان إذا سئل من أحسنُ غِناءً ؟ قال : مولاة الأنصار المُفَضَّلةُ على كل من غَنَّى وضرب بالمعازفِ والعيدانِ من الرجال والنساء .

كان طويس أكثر ما[2] يأوى إلى عزة الميلاء ، وكان فى جوارها وكان إذا

---

(١) الأغانى أميرى ١٦ : ١٣ .

(٢) فى الأصل : (أكرم) .

ذَكَرَها يقول : هى سيدةُ مَنْ غَنّى من النساء ، مع جمال بارع ، وخلق فاضل ، وإسلام لا يشوبه دنَس ، تأمر بالخير وهى من أهله ، وتنهى عن السوء وهى مُجانِبَتُه ، فناهيك بها ما كان أنبلَها وأنبلَ مجلِسِها .

كانت إذا جلست جلوسا عامّا كأن الطير على رءوس أهل مجلسها . فمن تكلم أو تحرك نَقَرَ رأسه .

قال ابن سلام : وما ظنك بمن يقول فيها طُوَيْسٌ هذا القولَ ومن هو الذى سَلِمَ من إساءة طُويس ؟

وكان عبدُ الله بنُ جعفر بن أبى طالب ، وابنُ أبى عتيق وعمرُ بن عبد الله بن أبى ربيعة ، يَغْشَوْنها فى منزلها فتُغَنِّيهم .

وغنت عُمَرَ لحنا لها فى شعر من شعره ، فشق ثيابه ، وصاح صيحة عظيمة صعق معها ، فلما أفاق قال له القوم : لغيرِكَ الجهلُ يا أبا الخطاب . قال : إنى سمعتُ ما لم أمْلِكْ نفسى ولا عقلى .

وكان حسانُ بن ثابت مُعْجَبا بغنائها ويُقدِّمها على سائر قيان المدينة . خَتَن زيدُ بن ثابتٍ بَنيه ، وأَوْلَم ، فاجتمع إليه المهاجرون والأنصار وعامة أهل المدينة ، وحضر حسانُ بنُ ثابت ، وقد كُفَّ بصرُه وثقُل سَمْعه .

وكان يقول إذا دعى : أعُرْسٌ أم اعْذَارُ ؟ فحَضَرَ ، وبين يديه خِوانٌ ليس معه عليه إلا ابنُه عبد الرحمن ، وكان يسأله فلما وضِعَتِ الصَّحْفَةُ قال : أطعامُ يدٍ أو يدين؟ فقيل : طعامُ يد . فلم يزل يأكل حتى جىء بشواء . فقيل: أطعامُ يد أو يدين ؟ فقيل : بل طعام يدين ، فأمسك يده فلما فرغ من الطعام ثنِيَتْ وسادة وأقبلتْ عزة الميلاء ، وهى يومئذ شابة فوضع فى حجرها مِزْهَرٌ فضربت فيه ، وغنت أول غنائها فى شعر حسان وهو :

فلا زال قَصْرٌ بين بُصْرَى وجِلّقٍ   عليه من الوَسْمِيّ جــودٌ ووابلُ

فطرب حسان ، وجعلت عيناه تنضحان على خديه ، وهو مُصْغٍ لها . وكَنَى بطعام اليدِ عن الثريد ، وطعامِ اليدين عن الشواء ، لأنه ينهش نهشا .

حضر حسان فى مأْدُبة لآل نبيط وغَنَّت عزةُ الميلاء ورائقة(١) فى شعر حسان .

انظر نهاراً بباب جِلّقَ هل   تُؤَنِّس(٢) دون البلقاء من أحد

فجعل حسان يقول : قد أرانى هناك سميعا بصيراً ، وهو يبكى فإذا سكتتا سكن عنه البكاء .

وكان ابنه عبدُ الرحمن كلما سكتتا يشير إليهما أن غنيا فيبكى أبوه ، فلما انقلب حسان من المأدبة إلى منزله استلق على فراشه ، ووضع إحدى رجليه على الأُخرى ، وقال : لقد أذكرتنى عزةُ وصاحبتُها أمرا ماسمِعَتْه أُذناى بعد ليالى جاهليتنا مع جبلةَ ابن الأيهم .

قال خارجة بن زيد : فقلت : يا أبا الوليد ، أكان القيانُ يَكُنَّ مع جبلة بنِ الأيهم ؟ فتبسم ثم جلس إليه ، فقال : لقد رأيت عَشْرَ قيانٍ خمسَ روميّاتٍ يغنِّينَ بالرومية بالبَرْبَطِ وخمسا يغنين غناءَ أهل الحِيرةِ أهداهُن إليه إياسُ بنُ قبيصة ، وكان يفد عليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها .

وكان إذا جلس للشرب فُرِشَ تحته الآسُ والوردُ والياسمينُ وأصنافُ الرياحين وضرب العنبر والمسك فى صُحُفِ الفضة وأُوقِدَ له العودُ الهندىّ إن كان شتاء وبُطِّنَ بالثَّلْجِ إن كان صيفا . ويأتى هو وأصحابه بكُسًى من الكتّان ، وبالشتاء بفراء الفَنَكِ(٣) وما أشبه ذلك . ولا والله ما جلست معه يوما قط إلا خلع علىَّ من

---

(١) فى الأصل (ريقة) .

(٢) أنس الشيء : أبصره وعلمه .

(٣) الفنك : جنس من الثعالب أصغر من الثعلب المعروف وفروته من أحسن الفراء .

ثيابه التى عليه فى ذلك اليوم وعلى غيرى من جلسائه. هذا، مع حلم مِمَّنْ جَهِل وضَحِكٍ وَبذْلٍ من غير مسألة، مع حُسْنِ وجهٍ وحسنِ حديثٍ، وما رأيت فى مجلسه خَنًا قط ولا عربدةً، ونحن يومئذ على دين الشرك، فجاء الله بالإسلام فتركنا الخمر وما كَرِه وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر والفضيخ[1] فى الزهور والطرب، فلا يشرب أحدُكم ثلاثةَ أقداح إلا يصاحب صاحبه[2] ويفارقه وتضربون فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون.

وقيل: إن حسان لما فُرِغَ من الطعام ثقُلَ جلوسه على من كان حاضراً فأومأ ابنه إلى عَزّةَ فغنت:

انظر خليلى بباب جلق هل　　تؤَنِّس دون البلقاء من أحد
أجمال شعثاء إذ هبطن من الـ　　مَحْبِص بين الطبثان فالسند

فبكى حسان حتى سَدَرَ ثم قال: هذا عمل الفاسق، أما لقد كرهتم مجالستى فقبح الله مجلسَكم سائرَ اليوم. وانصرف إلى بيته.

وشعثاء المذكورةُ هى امرأةٌ من أَسْلَمَ تزوَّجها حسان فولدت له بنته أُمَّ فراس، فتزوجها عبد الرحمن بن الحكم.

وقيل: هى شعثاء بنت عمرو من بنى ماسكة من يهود، وكان أبوها مدراس الذى يلى الدراسة للتوراة وكان ذا قدر فيهم.

وكان حسانُ لما خطبها إلى قومها مِنْ أسلم ردوه فهجاهم.

قال رجل من أهل المدينة ما ذكرت قط بيت حسان بن ثابت:

أَهْوَى حديثَ النُّدمانِ فى فَلَقِ الصُّـ　　ـبْحِ وصَوْتَ المُسامِرِ الغَرِدِ

إلا عُدْتُ فى القوة كما كنت.

---

(١) الفضيخ: عصير العنب، وشراب يتخذ من التمر، ولبن مزج بماء كثير فصار رقيقا،
(٢) صاحبته ويفارقها وتضرب فيه (أغانى).

اجتمع فتيةٌ من قريش عند قَينة من القَينْاتِ ، ومعهم عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت ، فبينا هم مجتمعون إذ استأذن حسانٌ ، فكره القومُ دخولَه وشق عليهم. فقال عبدالرحمن: أيَسُرُّكم ألا يجلس؟ قالوا: نعمْ، قال: مروا هذه إذا دخل أن تغنى :

أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهمُ ... قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ
يَسْقون من وَرَدَ البريصَ عليهمُ ... كأسا تُصفَّق بالرحيق السَّلْسَلِ
بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأنوف من الطرازِ الأوَّلِ
يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهم ... لا يَسْألون عن السوادِ المُقْبِلِ

فبكى حسانٌ حتى ظنوا أنه سيلفظ نفسه ، ثم قال : أفيكم الفاسقُ ؟ لعمرى لقد كَرِهْتم مُجالستى . وقام فانصرف .

كان فى المدينة رجلٌ ناسك من أهل العلم والفقه ، وكان يَغْشَى عبد الله بن جعفر ، فسمع جارية مغنية لبعض النخاسين تغنى :

بانتْ سعادُ وأمسى حبلُها انقطعا ... واحتلت الغَوْرَ فالجَدَّيْن فالفَرَعا
وأنكرتْنِى وما كان الذى نَكِرتْ ... من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلعا

فهام بها وترك ما كان عليه ، فمشى إليه عطاءٌ وطاوسُ ولاماه فكان جوابه أن تمثل :

يلومنى فيكِ أقوامٌ أجالسُهم ... فما أُبالى أطارَ اللومُ أم وَقَعا

وبلغ عبدَ الله بن جعفر خبرُه ، فبعث إلى النخاس ، وأحضر الجاريةَ وسمع غناءَها فى هذا الصوت ، فقال لها : ممن أخَذْتِيه ؟ فقالت : من عزة الميلاء ، فابتاعها بأربعة آلاف درهم ، ثم بعث إلى الرجل يسأله خبرَها فأعلمه إياه . وصدقه عنه . فقال : أتحب أن تسمع هذا القول ممن أخَذَتْه عنه الجاريةُ ؟ قال : نعم . فدعا بعزةَ الميلاء فقال : غنيه إياه. فغنته فصُعِقَ الرجل وأُغمى عليه . فقال ابن جعفر : أَثِمنْا فيه، الماءَ الماءَ . فنُضِحَ على وجهه ، فلما أفاق قال له : أكلُّ هذا بلغ بك من عشقها ؟ فقال :

وما خَفِىَ عنك أكثر . قال : أفتحِبّ أن تسمعه منها [قال : قد رأيت ما نالنى حين سمعته من غيرها وأنا لا أحبها فكيف يكون حالى إن سمعته منها][1] وأنا لا أقدر على مِلْكها، قال : أفتعرِفُها إن رأيتها؟ قال: لم أعرف غيْرَها فأمر بها فأُخرجت. فقال: خذْها فهى لك ، ووالله ما نظرتُ إليها إلا عن عرض فقبل الرجل يديه ورجليه [وقال : أنمتَ][2] عينى وأحييتَ نَفْسى، ورددت علىّ عَقْلِى ، وتركتنى أعيشُ بين أهلى.ودعا له دعاء كثيرا ، فقال عبدالله : ما أرضى أعطيكها هكذا يا غلام احمل معه مثل ثمنها لكى تهتم به ويهتم بها .

بينا عزة يوما بحضرة ابن أبى عتيق تغنى ، وكانت له جارية تَعلَّقَها فتى من فتيان المدينة ، وكان كثيراً ما يعبث بها ، فأعلَمَتْ ابنَ أبى عتيق بذلك . فقال لها : قولى له: وأنا أيضا أُحبُّك ، فإذا قال لك . فكيف لى بك ؟ فقولى له : مولاى يخرج إلى مالٍ له ، فإذا خرج أدْخَلْتُك المنزل . وجمع ابنُ أبى عتيق ناساً من أصحابه وقال لعزّة غنى فغَنَّتْ ساعةً وتلبثت الجاريةُ ساعة. ودخلت البيتَ كأنها تطلب حاجة . فقال لها: تعالَىْ فقالت: الآن آتيك. ثم عادت فدعاها فاعتَلّتْ فوثَبَ فأخذَها فوقعا على الحَجَلَةِ. فوثب ابنُ أبى عتيق هو وأصحابُه فقال وهو غير مكترث : يافساقُ ما يُجْلِسُكم مع هذه المغنية ؟ فضحك ابنُ أبى عتيق من قوله وقال له : استر علينا ستر الله عليك . فقالت له عزة : يا ابن الصديق ما أظرفه لو لا فِسْقُه. فاستحى وخرج .

وبلغه عن ابن أبى عتيق بعد ذلك أنه إن وقع فى يده أن يَصيربه إلى السلطان فأقبل يعبثُ بها كلما خَرَجَت فشكت ذلك إلى مولاها . فقال لها : أوَلَمْ يرتدعْ عن العبث بك؟ قالت له: لا. قال: فهيِّئِى طحن ليلة إلى الغداة . فهيأتْ ثم قال لها : عديه

---

(١) ما بين القوسين تكملة للكلام وهو من الأغانى .

(٢) ما بين القوسين عن الأغانى وهو بياض بالأصل .

الليلةَ ، فإذا جاء قولى : إن وظيفتى الليلةَ طَحْنُ هذا كلِّه . ثم اخرجى إلى البيت واتركيه ، ففعلت . فلما دخل طَحَنَتِ الجاريةُ قليلا ثم قالت له : خذ الرَّحى فإن مولاى قد جاء إلىَّ أو بعض من وَكَّلَه بى ، فاطحن حتى نأمن من أن يجيئنا أحَد ثم نَصيرَ إلى قضاءِ حاجتِك. ففعل الفتى ، ومضت الجارية إلى مولاها وتركته . وقد أمَرَ ابن أبى عتيق عِدَّة جوارٍ أن يتراوَحْن على سهر ليلهن ويتفقَّدْن أمر الطحين وتَحْثيثه كلما أمسك ، ففعلن وجعلنَ يناديْنَه كلما كف : يا فلانةَ ، باسم الجارية ، إن مولاكِ مستيقظٌ والساعةَ يعلمُ أنك قد كففتِ عن الطحين ، فيقومُ إليك بالعصا على عادتِه مع من تقدَّمَك فى نوبتها إذا نامت . فلم يزل الفتى كلما سمع ذلك الكلام يجتهدُ فى العمل والجارية تتفقده ، وتقول له: استيقَظَ سيدى ، والساعة ينام ، فلم يزل يَطْحن حتى أصبح ، وفرغ من جميع القمح . فلما علمتْ بفراغه أتته فقالت له : قد أصبحتَ فانج بنفسك فقال : أوفعلتها يا عدوةَ الله ، نخرج متعوبا ، فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله تعالى ألّا يعود إلى كلامها فلم تر منه بعد ذلك ما تكره .

عروة بن الزبير(١)

قدم عروةُ بن الزبير على عبد الملك بن مروان فأجلسه معه على السرير . فجاء قوم فوَقَعوا فى عبدِ الله بن الزبير ، فخرج عروةُ فقال للآذن : إن عبدَ الله بن الزبير ابنُ أُمى وأبى ، فإن أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لى عليكم ، فذُكِرَ ذلك لعبد الملك فقال له عبد الملك: قد أخبرنا الآذن بما قلت. وإن أخاك لم يكن قَتْلُنا إياه لعداوة، ولكنه طلب أمراً وطلبناه فقُتِلَ دونَه ، وإن أهل الشام قومٌ من أخلاقهم ألا يقتلوا رجلا إن شتموه ، فإذا أذنا لأحد قبْلَكَ فلا تَدْخُل ، وإن أذنا ، وأنت جالس ، فقد جاء من يَشْتمه فانصرف .

ثم قدم ابن الزبير على عبد الملك حين شكا رِجْلَه فقال له : اقطعها ، فقال : إنى أكره أن أقْطَعَ منى طائفا ، فارتفعت إلى الركبة ، فقيل له : إن بلغت ركبتك قتلتك ، فقطعت ولم يقبض وجهه .

وقيل له قبل أن يقطعها : نَسْقيك دواء لا تجد للقَطْع ألماً فقال : ما يسرنى أن هذا الحائطَ وقانى أذاها .

سقط محمد بن عُروةَ بنِ الزبير من أعلى سَطح فى اسطَبْلِ دوابّ عبد الملك فضربته بقوائمها حتى قتلته ، فأتى عروةَ رجلٌ يعزيه فقال : إن كنت تعزينى بِرِجْلى فقد احتسَبْتُها . فقال : لا بل أُعزيك بمحمد فقال : ماله؟ فأخبره بشأنه فقال:

وكنت إذا الأيام أحدَثْنَ نكبةً أقولُ شوى(٢) ما لم يُصِبْنَ صميمى

---

(١) أخباره فى مواضع متفرقة من الأغانى .

(٢) الشوى : رذال المال ، الأمر الهين ، اليدان والرجلان والأطراف ما كان غير مقتل .

اللهم أخذتَ عضواً وتركتَ أعضاء ، وأخذت ابنا وتركت أبناء ، وإن كنتَ أخذتَ فقد أبقيتَ ، وإن كنتَ ابْتَلَيْتَ فقد عافيتَ .

فلما قدم المدينةَ أتاه ابنُ المُنكَدِر فقال : كيف أنت ؟ فقال : لقد لَقِينا من سَفَرِنا هذا نَصَبا .

ولما قُطِعَتْ رِجْلُ عروةَ بن الزبير جاءه عيسى بنُ طَلْحَة ، فقال عروة لبعض بنيه : اكشف لعمِّك عن رِجْلي ينظرْ إليها فقال عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا أبا عبد الله ما أعْدَدْناك للصراع ولا للسباقِ ولقد أبقى الله لنا منك ما نحتاجُ إليه من رأيك وعلمك ، فقال له عروة : ما عزّانى أحد عن رِجْلي مثلك .

قال هشام بن عُروة : خرجت مع أبي عروة حاجًّا ، ومعنا أخي محمد بن عروة ، وكان من أحسن الناس وجها ، وقد سُمِّيَ زينَ المواكب لحسنه وجماله ، فلما كنا ببعض الطريق ، إذا نحن بعمرَ بنِ أبي ربيعة فكلم بعضُنا بعضا ، وقلنا : هذا أبوالخطاب ، لو سايرناه ! فرآنا عروةُ فقال : فيم أنتم ؟ فقلنا : هذا عمرُ بن أبي ربيعة فضرب عروةُ إليه راحِلَتَه فلما رآه عمر عدل إليه فسلّم عليه . ثم قال له : وأين زينُ المواكب ؟ يعني محمداً . قال : قد تقدم فعدل عمرُ واتبع محمداً فقال له عروة : نحن أكفاء لك ، وأولى أن تُسايرنا . فقال : إني رجلٌ موكل بالجمال أتبعه حيث كان . ثم ضرب راحلته ومضى نحوه .

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه[1]

واسمُ أبي بكر عبدُ الله وكان يسمى في الجاهلية عتيقا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبدَ الله بن عثمان بن عامر بن عويمر[2] بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وكان اسمُ عبد الرحمن عبدَ العزى ، فسماه رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، عبدَ الرحمن .

وأُمُّه وأُمُّ عائشةَ أُمِّ المؤمنين ، أُم رومان بنت عامر بن عويمر[2] بن عبد شمس ابن عتاب بن عبـد الرحمن بن أُذينة بن سُبيع بن دَهْمان بن الحارث بن غنم بن مالك ابن كنانة بن خزيمة .

وقيل : إنها بنتُ عمير بن عبد مناف[3] بن دهمان بن الحارث بن غنم .

ولعبد الرحمن صحبة برسول الله صلى الله عليـه وسلم ، ولم يهاجر مع أبيه صِغَرًا عن ذلك ، فبقى بمكة ، وخرج قبلَ الفتح مع فِتيةٍ من قريش .

وقيل : بل كان إسلامُه يومَ الفتح ، وإسلامُ معاويةَ في وقت واحد .

وكان عبد الرحمن قد خَرَج في فِتية من قريش مُهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قبل الفتح ، وربما كان معاويةُ معهم .

وكان عبد الرحمن أحد الرماة ، وهو المخاطِبُ لمروان يوم دعا لبيعة يزيد ، والقائلُ له : إنمـا تريدون أن تجعلوها كِسْرَوِيّة أو هِرَقليّة ، كلما هلك كسرى

---

(١) أغاني أميرى : ١٦ : ٩٣ . تجريد ١٨٩٧ .

(٢) في الأصل : عويم .

(٣) في الأغاني : بنت عويمر بن عتاب بن دهمان ١٦/ ٩٤

أو هرقل ملك كسرى أو هرقل . فقال مروان : أيها الناسُ هـذا الفتى الذى قال لوالديه : أُفٍّ لـكما أَتَعِدانني أن أُخْرَجَ وقد خَلَتِ القرونُ من قَبْلِى . فصاحت به عائشة رضى الله عنها : أَلِعَبْدِ الرحمنِ تقول هكذا ؟ كذبت ، والله ، ما هو به ، ولو شئتُ أن أُسَمِّىَ الرجلَ الذى نزَلَتْ فيه لسَمَّيْتُه ، ولـكنى أَشْهَدُ أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، لعنَ أباكَ وأنتَ فى صُلْبه ، فأنت بعضُ مَن لَعَنَ رسولُ الله صلى الله عليهوسلم. أَفِينا تتأَوَّلُ القرآنَ وإلينا تسوقُ اللَّعْن ؟ والله لأقومن يومَ الجمعة بك مقاما ما تودّ أنى لم أَقُمه . فأرسل إليها وتَرَضَّاها وحَلَفَ ألا يصلى بالناس أو تُؤَمِّنَه ففعلت .

وكان عبدُ الرحمن اشتهر بليلى بنت الجودِىّ بن عَدى بن عمرو بن أبى عمرو الغسانى ، وأحبها حبًّا شديداً وقال فيها :

تذكرتُ ليلى والسماوةُ دونَها ... فما لابنةِ الجودىِّ ليلَى وماليـا
وإنّى تعاطى قلبـــه حارثية ... تحل ببُصْرى أو تحل الحوانيا
وكيف تلاقيها بلى ولعلها ... إذا الناس حجوا قابلا أن تلاقيا

وقال فيها :

يا ابنةَ الجودِىِّ قلبى كئيبُ ... مستهامٌ عنـــدها ما يُنيبُ
جاورت أخوالَها حىَّ عُكْلٍ ... فلعُكلٍ فى فؤادى نصيبُ
ولقــد لاموا فقلتُ دَعوها ... إن من تَنْهَوْن عنــه حبيبُ
إنمـا أبلَى عظامى وجسمى ... حُبُّهـا والحبُّ شىء عجيبُ
أيها العائب عنـــدى هواها ... أنت تُغْرِى بمن أراك تعيبُ

وكان قدم فى تجارة فرآها هناك على طنفسة ، حولها ولائد فأعجبته ، فقال له عمر : ما لك ولها يا عبد الرحمن !؟ فقال : والله ما رأيتها قطُّ إلا ليلةً فى بيت المقدس فى جوار ونساء يتهادين ، فإذا عَثَرَتْ إحداهن قالت : يا ابنةَ الجودى ، وإذا حلفت

حلفت بابنة الجودى . فكتب عمرُ إلى صاحب الثغرِ الذى هى فيه : إذا فتح اللهُ عليكم دمشقَ فقد غنّمتُ عبدَ الرحمن بنَ أبى بكر ليلى ابنةَ الجودى ، فلما فتح اللهُ عليهم غنّموه إياها ، ونفلها له عمرُ بن الخطاب . قالت عائشة : فكنت أُكلمه فيها وفيما يصنع بها ، فيقول: يا أُخَيّة دعينى، فوالله لكأنى أَرْشُف من ثناياها حبَّ الرمان، ثم مَلَّها وهانت عليه ، فكنت أُكلمه فيما يسيء كما كنتُ أُكلمه فى الإحسان إليها ، فكان إحسانه إليها أن ردَّها إلى أهلها . فقالت له عائشة : يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلى فأفْرَطْتَ وأبغضتها فأفْرَطْتَ ، فإما أن تُنْصِفَها وإما أن تُجَهِّزَها إلى أهلها وكانت بنتَ ملك دمشق .

ومات عبد الرحمن بن أبى بكر بالُحبْشِىّ ، جبلٍ من مكةَ على أميال ، فُحمل فدُفِن بمكة ، فقدمت عائشةُ فوقفت على قبره ثم قالت متمثلة :

وكنا كنَدْمانَىْ جذيمةَ حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا ... لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معا

أما والله لو حَضَرْتُكَ يا ابن أُمّ لدفنتك حيث مت ، ولو أنى شهدتك لما زرتك .

قال القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق : لما قتل معاويةُ بنُ خديجٍ الكِنْدى وعمرُو بن العاص أبى ، يعنى محمد بن أبى بكر الصديق بمصر ، جاء عمى عبدُ الرحمن ابن أبى بكر الصديق فاحتملنى أنا وأخاً لى من مصر ، فقدم بنا المدينة ، فبعثت إلينا عائشةُ ، رضى الله عنها ، فاحتملتْنا من منزل عبد الرحمن إليها ، فما رأيتُ قط والدة أبرَّ منها ، فلم نزل فى حِجْرها حتى إذا كان ذاتَ يوم ، وقد ترعرعنا ، ألْبَسَتْنا ثياباً بيضاً ، ثم أجلست كل واحد منا على فخذها ، ثم بعثت إلى عمى عبد الرحمن ، فلما دخل عليها تكَلَّمَتْ ، فحمدت الله عز وجل ، وأثنتْ عليه ، فما رأيتُ متكلما ولا متكلمة قط قبلَها ولا بعدَها أفصحَ منها وأبلغ ، ثم قالت : يا أخى : لم أزل أراك

معرضا عنى منذ قَبَضْتُ هذين الصبيين منك ، ووالله ماقبضتهما تطاولا عليك ، ولا تُهَمَةً لك [فيهما] ولا لشيء تكرهه ، ولكنك كنت رجلا ذا نساء وكانا صبيين لا يكفيان من أنفُسهما شيئا ، فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذّرْن به من قبيح أمر الصبيان ، وكنت ألْطَف لذلك وأحَقّ بولايته وقد قويا على أنفسهما وشبَّا وعرفا ما يأتيان به ، وها هما فضمهما إليك ، وكن كحُجَيّة بن المضرب أخى كندة ، فإنه كان له أخ يقال له مَعدان ، فمات وترك صبيةً صغاراً فى حجر أخيه ، فكان أبرَّ الناس بهم ، وأعطفَهم عليهم ، وكان يؤثرهم على صبيانه ، فمكث ماشاء الله ، ثم إنه عرض له سفر ، لم يجد بُدًّا من الخروج فيه ، فخرج وأوصى بهم امرأتَه ، وكانت إحدى بنات عمه ، وكان يقال لها زينب ، فقال : اصنعى ببَنِى أخِى ما كنتُ أصنع بهم ، ثم مضى لوجهه ، فغاب أشهراً ثم رجع ، وقد ساءت حالُ الصبيانِ وتغيَّرتْ ، فقال لامرأته : [ويلك] مالى أرى بنى معدان مهازيلَ ، وأرى بَنِىَّ سِمانا؟! فقالت : قد كنت أُواسى بينهم ، ولكن يعْبَثون ويلعبون ، فخلا بالصبيان فقال لهم : كيف كانت فلانة معكم ؟ فقالوا : ماكانت تعطينا من القوت إلّا ملءَ هذا القدحِ من لبن ، وأروه قدحا صغيراً فغضب على امرأته غضبا شديداً ، وتركها حتى إذا أراح عليه راعيا إبله قال لهما : اذهبا فأنتما وإبلُكما لبنى معدان ، فغضبت من ذلك زينب ، وهجرته وضربت بينها وبينه حجاباً ، فقال : والله لا تذوقن منها صبوحاً ولا غبوقا أبدا ، وقال فى ذلك :

لججنا ولجت هـذه فى التغضب ... ولطَّ الحجاب بيننا فى التجنب
وخطت بعُودىْ أثمدٍ جفنَ عينها ... لتقتلنى وشَدَّما حُـبُّ زينب
رحمتُ بنى معدانَ إذ قَلّ مالُهم ... وحـق لهم منى ورَبِّ المُحصّب

---

(١) لط الشيء ستره . ولط الستر : أرخاه .

وكان اليتامى لا يَسُد اختـلالهم   هدايـا لهم فى كل قعب مشعب
فقلت لعبْدَينا أَريحــا عليهمو   سأجعل بَيْنى مثـل آخر مغرب
وقلت خذوها واعلموا أن عَمّـكم   هو اليوم أولى منـكمُ بالتـكسب

فلما بلغ زينب الأبياتُ خرجت حتى أتت المدينة ، فأسلمت . وذلك فى ولاية عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فقدم حجيةُ المدينة يطلب زينب أن تُرَدَّ عليه ، وكان نصرانيا ، فنزل بالزبير بن العوام ، فأخبره بقصته ، فقال عُمر للزبير: قد بلغتنى قصةُ ضيفك ، ولقد هممت به لولا تحَرُّمُه بالنزول عليك ، فرجع الزبيرُ إلى حُجَيَّة فأعلمه قول عمر فقال حُجَيَّة فى ذلك :

إن الزبير بن عوَّامٍ تداركنى   منــه بِسَيْبٍ كريم سَيْبُه عصمُ

عمران بن حطان[1]

هو عِمرانُ بن حِطان بن ظَبيان بن لوذان بن عمرو بن الحارث بن سَدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

وكنيته أبو سِماك[2] .

شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الشّراة ودعاتِهم ، والمقدم[3] فى مذهبهم ، وكان من القَعَدة ، لأن عمرَه طال فضَعُف عن الحرب وحضورها ، فاقتَصر على الدعوة والتحريض بلسانه .

وكان قبل أن يُفتن بالشراة مُشتهِراً بطلب العلم والحديث ، ثم بُلِىَ بذلك المذهب ، فضَلّ وهلك .

وأدرك صدراً من الصحابة ، روى عنهم ورَووا عنه .

فما رُوِىَ عنه أنه قال : كنت عند عائشةَ ، رضي الله عنها ، فتذاكروا القُضاةَ ، فقالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يُؤْتَى بالقاضى العَدْلِ يومَ القيامة ، فلا يزال به ما يرَى من شِدّةِ الحسابِ حتى يتمنى أنه لم يَقْضِ بين اثنين فى تَمْرة .

وكان من أهل السنة ، لكنه تزوج امرأةً من الشُّراة ، من عشيرته وقال : أرُدُّها عن مذهبها إلى الحق ، فأضَلّته وذهبت به .

---

(١) أغانى (أميرى) ١٦ : ١٥٢ ، مهذب الأغانى ٣ : ٢٥٠ . تجريد ١٩٢٦

(٢) فى الأصل (شهاب) .

(٣) والمقدمين (أغانى) .

وقيل : قدم عليه غلامٌ من عمان ، وكان يصلى ففتَله(١) عن مذهبه فى مجلس واحد ، وكان أصْلُه من البصرة .

ولما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجاجُ فهرب ، وكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك بن مروان فهرب ، ولم يزل ينتقل فى أحياء العرب وقال فى ذلك :

حللنا فى بنى كعب بن عوف   وفى عـــك وعامر عوثبان

وفى جَرْم وفى عَمرِو بن مُرٍّ   وفى زيد وحَىٍّ بنى الغُدانِ

ثم لحق بالشام ، فنزل برَوْح بن زنباع الُجذامى ، فقال له روح : ممن أنت ؟ فقال : من الأزد ؛ أزد شنوءة . وكان روحٌ يسْمُر عند عبدِ الملك فقال له: يا أمير المؤمنين إن فى أضيافِنا رجلا ما سمعت منكَ حديثاً قط إلا سمِعْتُه منه ، حدثنى به وزادنى ماليس عندى ، فقال : ممن هو ؟ قال : من الأزد . قال : إنى لأسْمَعُك تصف صِفةَ عِمران بن حطان ، لأنى سمعتك تذكر لغة فزارية ، وصلاةً وزُهْداً وروايةً وحِفظا وهذه صِفَتُه . فقال روح : وما أنا وعمران !! ثم دعا بكتاب الحجاج فإذا فيه : أما بعد فإن رجلا من أهل الشقاق والنفاق ، قد كان أفسد علَىَّ أهلَ العراق وحبَّبَهم بالشُّراة ، ثم إنى طلبته فلما ضاق عليه عملى تحول إلى الشام ، فهو ينتقل فى مدائنها . وهو رجلٌ ضَرْبٌ(٢) طُوالٌ أفْوَهُ أزرق . فقال روح : والله هذه صفة الرجل [الذى عندى](٣) .

ثم أنْشَدَ عبدُ الملك يوما قولَ عِمرانَ بن حِطّان ، يمدحُ عبدَ الرحمن بن مُلْجم ، لعنه الله ، بقتلِه أميرَ المؤمنين ، علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه :

---

(١) يقال فتل وجهه عنهم أى صرفه .

(٢) الضرب : الرجل الماضى الندب .

(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .

يا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ[١] ما أراد بِها إلا لِيَبْلُغَ من ذى العَرْشِ رُضْوانا[٢]
إنى لأُفَكِّرُ فيـه ثم أَحْسَبه أوفَى البَرِيَّةِ عنـدَ اللهِ ميزانا

ثم قال عبدُ الملك : من يعرفُ منكم قائلَها ؟ فسكت القوم جميعا . فقال لرَوْح : سَلْ ضيفَك عن قائلها . قال : نعم ، أسألُه ، وما سألته عن شيء قط فلم أجده إلا عالما به ، وراح روح إلى أضيافه فقال لهم : إن أمير المؤمنين قد سألَنا من الذى يقول :

يا ضَرْبَةً من تَقِيٍّ ما أراد بها ... ...

فلم يكن عند أحد عِلْمٌ بها . فقال عمران: هذا قولُ عمرانَ بنِ حِطان فى ابن مُلْجم ، لعنه الله ، قاتِل عَلِيّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فقال له: فهل فيها غير هـذا تقدمه؟[٣] قال :

للهِ دَرُّ المرادِيِّ الذى سَفَكَتْ كفَّاه مُهْجَةَ شَرِّ الخلقِ إنسانا
أمسَى عَشِيَّةَ غَشَّاه بضَرْبَتِهِ مما جناه من الآثامِ عُريانا

فغدا روحٌ فأخبر عبد الملك . فقال : من أَخْبَرَكَ بهذا ؟ قال : ضيفى فقال : أظنُّه ، والله ، عمرانَ بنَ حِطّان ، فأَعْلِمْه أنى قد أمرتك أن تَلْقَنِي[٤] به . فقال : أفعَل ، فراح رَوْحٌ إلى أضيافه ، ثم أقبل على عمران فقال : إنى ذكَرْتُك لعبد الملك فأمرنى أن آتيه بك . فقال : قد كنت أختارُ ذلك ، وما منعنى من ذِكْرِه إلا الحياء منك ، أنا مُتَّبِعُك ، فانطَلِقْ ، فمضى روح إلى عبد الملك فدخل عليه ، فقال له : إن صاحبى قال : أنا مُتَّبِعُك . فقال عبد الملك : إنى لأظن أن سَتَرْجِعُ فلا تجده .

(١) كريم (أغانى) ومهذب .
(٢) رضوانا (مهذب) .
(٣) تفيدنيه (أغانى) .
(٤) تأتينى (أغانى).

فلما رجع إلى منزله إذا عمرانُ قد مضى ، وإذا هو قد خَلَّفَ رقعةً عند فِراشه فيها مكتوب :

يا روحُ كم من أخى مَثْوًى نَزَلْتُ به | قد ظنّ ظنّك من لَخْمٍ وغسّانِ
حتى إذا خِفْتُه فارقتُ منزِلَه | من بعد ما قيل عِمْرانُ بن حِطّانِ
قد كنتُ ضيفَك حولا لا تُرَوِّعُنِى | فيه الطوارقُ من إنْسٍ ومن جانِ
حتى أردتَ بى العُظْمَى فأوْحَشَنِى | ماأوْحَشَ الناسَ من خَوْفِ ابن مروانِ
فاعذِرْ أخاك ابن زنباعٍ فإن له | فى الحادثاتِ هَنَاتٍ[٢] ذات ألوانِ
يوما يَمانٍ إذا لا قَيْتُ ذا يَمَنٍ | وإن لَقيتُ مَعَدِّيًا فعدنانى
لو كنت مُسْتغفراً يوما لطاغيَةٍ | كنتَ المُقَدَّمَ فى سرى وإعلانى
لكن أبت ذاك آياتٌ مُطَهَّرَةٌ | عند التلاوة فى طه وعِمْرانِ

ثم إن عمران أتى الجزيرةَ فنزل بزفر بن الحارثِ بقَرقيسيا ، فجعل شبابُ بنى عامر يتعجبون من صلاته وطولها ، وانتسب لزُفَرَ أوْزاعيًّا وقدم على زفرَ رجل من أهل الشام ، كان قد رأى عِمرانَ عند رَوْح بن زنباع ، فصافحه وسلم عليه ، فقال زفرُ للشامى : أتعرِفُه ؟ قال : نعم هذا شيخٌ من الأزْد . فقال زفر : أزْدِىٌّ مرةً وأوزاعِىٌّ أخرى ! ! إن كنتَ خائفا آمنَّاك وإن كنت عائلا أغنيناك . فقال : إن الله هو الغنىُّ وخرج وهو يقول :

إن التى أصبحت يَعْيَى بها زُفَر | عَيَّتَ عَياءً على روحِ بنِ زِنباعِ
أمسى[٢] يُسائلنى حولًا لأُخْبِرَه | والناسُ من بين مخدوع وخَدّاعِ
حتى إذا انْجذَمَتْ منى حبائلُه | كفّ السؤالَ ولم يُولَعْ بإهْلاعى[٣]

---

(١) فى الأصل : حتى هنأت وما أثبتناه عن الأغانى .
(٢) ما زال يسألنى (مهذب) .
(٣) إهلاعى : إفزاعى وترويعى .

فاكْفُفْ كما كَفَّ رَوْحٌ إننى رجل ... إما صُرِيحٌ وإما فقعة القاعِ
أما الصلاة فإنى لستُ[1] تاركها ... كلُّ امرئٍ للذى يسعَى به ساعى
واكففْ لسانك عن هزّى[2] ومسألتى ... ماذا تريد إلى شَيْخٍ لأوزاع
أَكْرِمْ بِرَوْحِ بنِ زنباعٍ وليس[3] به ... قومٌ دعا أوّلِيهم للملا داعى
جاوَرْتُهُمْ سنةً فيما دعَوْتُ به ... عِرضى صحيحٌ ونومى غيرُ تهْجاعِ
فاعمل فإنك مَنْعِيٌّ بحادثة[4] ... حسبُ اللبيب بهذا الشيبِ من ناعى

ثم خرج فنزل بعُمَان ، بقوم يكثرون ذِكْرَ أبى بلال بن مرداس بن أُدَيَّة ويُثْنُون عليه ، ويذكرون فضله ، فأظهر فضْلَه ويَسَّر أمرَه عندهم . وطلبه الحجاجُ من هناك فهرب ونزل فى روذميسان،[5] طسُّوج من طساسيج السوادِ إلى جانب الكوفة، فلم يزل بها حتى مات وكان نازلا على رجل من الأزد فقال فى ذلك :

نزلتُ بحمد الله فى خير أُسْرَة ... أُسَرُّ بما فيهم من الأُنْسِ والخفرْ
نزلتُ بقوم يَجمعُ الله شَمْلَهم ... وما لهمُ عُودٌ سوى المجدِ يُعْتَصرْ
من الأزد إن الأزدَ أكرمُ أُسْرَة ... يمانية تعلو إذا ذُكِرَ البَشَرْ
فأصبحت فيهم آمنا لا كَمَعْشَرٍ ... بَدَوْا بى[6] فقالوا من ربيعة أو مُضَرْ
أو الحىِّ قَحْطان وتلكَ سفاهةٌ ... كما قال لى روحٌ وصاحبُه زُفَر

---

(١) غير (مهذب) .
(٢) لوى (مهذب) .
(٣) وأسرته (مهذب) .
(٤) بواحدة (مهذب) .
(٥) فى الأصل رودسان وما أثبتناه عن الأغانى .
(٦) أتونى (مهذب) .

وما منهمو إلا يُسَرُّ بِنسْبَةٍ يُصَيِّرُنى[1] منه وإن كان ذا نَفَر
فنحن بنو الإسلام والله ربُّنا[2] وأولى عبادِ اللهِ باللهِ من شَكَرْ

اجتمع الشعراء عند عبد الملك بن مروان ، فقال لهم : أَبَقِىَ أحدٌ أشعرُ منكم؟ فقالوا : لا . فقال الأخطل : قد بَقِى منهم ، يا أمير المؤمنين ، من هو أشعرُ منهم . فقال : ومن هو ؟ قال : عمرانُ بن حِطّان. قال: وكيف ذلك ؟ قال : لأنه قال وهو صادق ، ففاتهم ، فكيف لو كَذَب كما يكذبون .

لما دخلت غزالةُ الحَرورِيّةُ ـ هى وشبيبٌ على الحجاج ـ الكوفةَ تَحَصَّنَ منها ، وأغلق عليه قصره . فكتب إليه عِمرانُ بن حِطّان وكان الحجاجُ لَجّ فى طَلَبِه :

أسدٌ علىَّ وفى الحروبِ نعامةٌ فتخاء تَنْفِرُ من صفيرِ الصافرِ
هلا بَرَزْتَ إلى غَزالةَ فى الوَغَى بل كان قَلْبُك فى جَناحَىْ طائرِ
صَدَعَتْ غزالةُ قَلْبَه بفوارسٍ تركتْ معارفه[3] كأمْسِ الدابرِ

ثم مضى إلى الشام فنزل على رَوْحِ بنِ زِنباع .

وكان الفرزدقُ يقول: لقد أحسن بنا عِمرانُ بنُ حِطَّانَ فلم يأخذ فيما أَخَذْنا فيه ، ولو أخذ فى ذلك لأسْقَطَنَا ، يعنى لجَوْدَةِ شِعْرِه .

مر عمرانُ بن حِطّان بالفرزدق وهو ينشد ، والناس حَوْلَه ، فوقف عليه وقال :

أيها المادحُ العبادَ ليُعْطَى إن لله ما بأيدى العبادِ
فاسأل اللهَ ما طلبتَ إليهم وارْجُ فَضْلَ المُقَسِّمِ العَوّاد
لا تَقُلْ للجواد ما ليس فيه وتُسَمِّى البخيلَ باسم الجوادِ

فقال الفرزدق : لولا أن الله شَغَلَ هذا عنا برَأْيه للقينا منه شرا .

---

(١) يقربنى (مهذب) .
(٢) واحد (مهذب .
(٣) مدابره (أغانى) .

اجتمع عند مَسْلَمَةَ بنِ عبد الملك ناسٌ من سُمّارِه ، فيهم عبدُ الله بن عبدِ الأعْلَى الشاعرُ . فقال مسلمة : أيُّ بيت قالته العرب أوعظ وأحكم ؟ فقال له عبـــد الله : قول الشاعر :

صَبَا ما صَبَا حتى علا الشيبُ رَأْسَه   فلما علاه قال للبــاطلِ ابْعَدِ

قال مسلمة : إنه ما وعَظَنى شِعْرٌ قط كما وعظنى شعرُ عِمرانَ بنِ حِطَّان حيث يقول :

فيوشك يومٌ أن يُقارِنَ ليــلةً   يسوقان حَتْفاً راح نَحْوَك أو غَدا

فقال بعضُ من حضر : أما والله لقد سَمِعْتُه أجَّلَ الموتَ ثم أفناه وما صَنَع هذا شاعرٌ قبلَه . فقال مسلمة : وكيف ذلك ؟ قال : قال :

لا يُعْجِز الموتَ شيءٌ دون خالقِه   والموتُ فانٍ إذا ما ناله الأجَلُ

وكلُّ كَرْبٍ أمامَ الموت مُتَّضِـعٌ   للموْتِ والموتُ فيما بعــده جَلَلُ

فبــكى مسلمةُ حتى اخْضَلَّت لحيتُه ثم قال : اردُدْها علىَّ فردَّدَها حتى حفظهما .

قالت امرأة عمران بن حطان لعمران يوما : أتزعمُ أنك لا تــكذبُ فى شعرك ؟ قال : بلى !! قالت : أفرأيتَ قولَك :

وكَذاكَ مَجْزَأَةُ بنُ ثَوْ   رٍ كان أشْجَعَ من أُسامَهْ

أيكونُ رجلٌ أشجعَ من الأسد ؟ قال : نعم ، إن مجزاةَ بنَ ثَوْر فتح مدينةَ كذا وكذا ، والأسدُ لا يقدر على فتح مدينة .

عمارة بن الوليد[1]

هو عمارةُ بنُ الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤىّ بن غالب .

وهو أحد أزوادِ الرَّكْبِ ، ويقال له الوحيد ، وكان يقال لهم أزواد الركب لأنهم لم يَنزل بهم غريب إلّا قَرَوْه ، وأحسنوا ضيافَته وزوَّدوه ما يحتاج إليه .

وكان عمارةُ فخوراً مُتَعَرِّضا لكل من عارضه من قريش ، فمر يوما بمسافرِ ابن عمرو بن أُمية فوقف عليه ، فقال :

خُلِقَ البيضُ الحسانُ لنا وجيادُ الرَّيْط[2] والأُزُرُ
كابراً كُنا أحقَّ به حين صِيغ الشمسُ والقمرُ

فأجابه مسافر فقال :

أعمارةَ بنَ الوليد وقد يَذْكُرُ الإنسانُ من ذَكَرَهْ
هل أخو كاسٍ مُحَفِّفُها وموق صَحْبَهُ سكرهْ
ومُحَيِّيهمُ إذا شربوا ومُقِلٌّ فيهمُ هَذَرَهْ
خُلِقَ البيضُ الحسان لنا وجيادُ الريط والحِبَرَهْ[3]
كابراً كنا أحقَّ به كلُّ حيٍّ تابعٌ أثَرَهْ

كان عمارةُ بن الوليد خطب امرأةً من قَوْمِه فقالت : لا أتزوجُك أو تتركَ الشرابَ والزنا . قال : أما الزنا فأتركه ، وأما الشرابُ فلا أستطيع تركَه ، ثم اشتدّ

---

(١) الأغانى أميرى ١٦ : ١٥٨ والتجريد ٣ : ١٠٢٤ .
(٢) الريط جمع ريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحدا وكل شىء يشبه الملحفة .
(٣) الحبرة (بكسر الحاء وفتحها) ضرب من برود اليمن .

وَجْدُه بها ، فحلف لا يشربُه وتزوجها ومكث حينا لا يشرب ، ثم لبس ذات يوم حُلَّتَه وركب ناقتَه وخرج يسير ، فمر بخمار عنده شَرْبٌ يشربون فدَعَوْه ، فدخل عليهم ، وقد أنفدُوا ما عندهم . فقال الخمار : أطعِمْهم ، ويلك . فقال : ليس عندى شيء ، فنحر لهم ناقتَه فأكلوا . فقال : اسْقِهم ويلك، ولم يكن معهم شيء يشربون به فسقاهم ببُرْدَتِه ، ومكثوا أياما ذات عَدَد ثم خرج وأتى أهله فلما رأته امرأته قالت: ألم تحلف أنّك لا تشرب ؟ ولامته . فقال فى ذلك :

ولسنا بِشَرْبٍ أُمَّ عمرو إذا انتَشَوْا ثيابُ الندامَى عندهم كالغنائمِ
ولكننا أُمَّ عمرو نديمُنا بمنزلةِ الرَّيَّانِ ليس بعائمِ
أسركِ لما صَرَّعَ القومَ نشوةٌ أن أُخْرُجَ منهم سالما غير غارمِ
خَلِيًّا كأنى لم أكن كنتُ فيهم وليس الخداعُ مرتضًى فى التنادمِ

قدم رجل من تجارِ الروم بحُلَّة من لباسِ قيصر على أهل مكة ، فأتى بها عمارةَ ابنَ الوليد ، فاستغلاها. وقال : لن تعدِم لها عوْنا فى بنى سهم، فقال عمرو: قد أخذتُها. واشتراها بمائة بعير ، ثم أقبل يخطُر فيها حتى انتهى إلى بنى مخزوم فناداه عمارة : أتبيع الحُلَّة ؟ فغضب عمرو والتفت إلى عمارة فقال له :

عليك بجَزْرِ أيْرِ أبيك إنا كفيناك المُسَهَّمَةَ الرقاقا
ذروها عنكم وغلَتْ عليكم وأُعطينا بها مائة حِقاقا
وقلتم لا نطيقُ ثيابَ سهم وكلٌّ سوف يلبس ما أطاقا

فغضب عمارة ، وقال: ياعمرو ما هذا التهور ؟ إنك لست بعُتْبةَ بن ربيعة ، ولا بأبى سفيان بن حرب ، ولا بالوليد بن المغيرة ، ولا سهيل بن عمرو ، ولا أُبىّ ابن خلف ، فقال عمرو: إن فىّ من كل واحد منهم خيرَ ما فيه ؛ من عتبةَ حِلْمُه ، ومن أبى سفيان رأيُه ومن سُهَيْل جودُه ومن أُبىٍّ بن خلف نجْدَتُه ، وأما الوليد فوالله ما أُحب أن فىّ كلَّ ما فيه من خير وشر ، ولكنك والله ما لَكَ عقلُ الوليد

ولا بأسُ ابن حَرْب ولا لسانُ أبي الحكم ، يعني أبا جَهْل . وانصرف عمارةُ فأمر بجَزور فنُحِرَت على الطريق ، أي طريق عمرو ، وأقبل عمرو فقال : لمن هذه الجزور؟ فقيل : لعمارة . فقال له : أطعِمْنا منها يا عمارة ، فضحك منه ثم قال :

عليك بجَزْرِ أيرِ أبيك إنا كفيناك المساسة والعراقا(١)
ومَسْغَبَة الأطايبِ من قريش ولم يُرَ كأسُنا إلّا دهاقا(٢)
ونَلْبَسُ في الحوادث كلَّ زغْفٍ(٣) وعند الأمن أبراداً رِقاقا

فوقع الشرُّ بينهما فقال عمرو :

لعمر أبيك والأخبار تَنْمِي لقد هيَّجْتَنِي يا ابن الوليدِ
فلا تعْجَلْ عِمارة إن سهما كمخزومِ بن يَقْظَة في العديدِ

فأجابه عمارةُ بن الوليد :

ألا يا عمرُو هل لك في قريش أبٌ مثلُ المغيرةِ والوليد
وَجَدٌّ مثلُ عبدِ الله يُنْمَى إلى عمرِو بن مخزوم بعُودِ
إذا ما عُدَّت الأعوادُ نَبْعا فما لي في الأباطحِ من نديدِ
وإني للمُنابِذِ من قريش شجًى في الحلْقِ من دون الوريدِ
أحُوطُ ديارَهم وأذودُ عنهم وأصبرُ في وغا السوم الشديدِ
وأبذلُ ما تَضنّ به رجال وتطمِعُني المروءةُ في المزيد
وإنك من بني سهمِ بن عمرو مكان الرِّدْفِ من عَجُزِ القعودِ
وقد علِمَتْ سرَاةُ بني لُؤَيّ بأني غير مُؤْتَشَبٍ زَهيدِ
وكان أبوك جزَّاراً وكانت له فاس وقدر من حديد

(١) المسهمة العراقا (أغانى) .
(٢) كانت (الاده هاقا)
(٣) الزغف جمع زغفة : الدروع الواسعة أو المحكمة.

وكان النجاشى قد أمر السحرةَ فسحرت عمارة بن الوليد . وذلك أن عمارة خرج هو وعمرُو بن العاص بن وائل السَّهْمى ، وكانا قد خرجا تاجريْنِ إلى النجاشىِّ ، وكانت أرض الحبشة لقريش مُتَّجَراً ووجها ، وكلاهما فى جاهليته شاعرٌ مُشْرِكٌ فاتكٌ ، وكان عمارة معجبا بالنساء ، وصاحِبَ محادثة ، فركبا السفينة ليالى ، فأصابا من خَمْرٍ معهما ، فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو : [قبليني ، فقال لها عمرو :](١) قَبِّلى ابنَ عمك فقبّلَتْه وحذر عمروٌ على زوجته فرَصَدَها ورَصَدَتْه ، وجعل إذا شرِبا أقلَّ عمرٌو من الشراب وأرَقَّ لنفسه بالماء مخافة أن يَسْكر فيغلبَه عمارةُ على أهله ، وجعل عمارةُ يريدها على نفسها ، فامتنعت منه ، وإن عمراً جلس على ناحية السفينة يبول ، فدفعه عمارة إلى البحر ، فلما وقع فيه سبح حتى أخذ القَلْسَ(٢) فارتفع ، فظهر على السفينة ، فقال له عمارة : أما والله ياعمرو لو علمت أنك تحْسِنُ السباحةَ ما فعلت . فلما قال ذلك عمارةُ لعمرو اضْطَغَنَها عمرٌو وعرف أنه أراد قتله . ومضيا على وجههما ، فلما نزلا الحبشة كتبَ عمرو إلى أبيه العاص أن اخْلَعْنى وتبرأ منى ومن جريرتى إلى بنى المغيرة وجميع بنى مخزوم ، وخَشِى على أبيه أن يُتَتَبَّع بجريرته وهو يَتَرَصَّد لعمارة ما يَترَصد ، فلما وردَ الكتاب على العاص [بن وائل] مشى فى رجال من قومه ، منهم نبيهٌ ومُنَبِّه ابنا الحجاج ، إلى المغيرةِ وغيرِه من بنى مخزوم ، فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتُم وكلاهما فاتك صاحب شرٍّ ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ، ولا ندرى ما يكون ، فإنى أبرأ إليكم من عمرو وجريرته ، وقد خلَعتُه : فقال بنو المغيرة : أنت تخافُ عمراً على عمارة ، قد خلعنا عمارة وتبرأنا منه إليك ، ومن جريرته ، نخلِّ بين الرجلين . فقال السهميون : قد قَبِلْنا فابعثوا

---

(١) ما بين القوسين عن التجريد وهى زيادة يستقيم بها الكلام .

(٢) القلس : حبل السفينة وكانت فى الأصل القلعة والتصويب عن التجريد ٣ : ١٠٢٥ .

مناديا بمكة: إنا قد خلعناها، وتبرأ كل واحد منا من صاحبه، فبعثوا مناديا فنادى بمكة [بذلك]، فقال الأسود بن المطلب : والله طُلّ دم[1] عمارة بن الوليد إلى آخر الدهر، فلما اطمأنا بأرض الحبشة لم يَلْبَث[2] عمارةُ أن دَبَّ لامرأةِ النجاشي فأدخلته، فاختلف إليها. فجعل إذا رجع من مَدْخله يخبرُ عمرو بن العاص بما كان من أمره فجعل عمرو يقول : ما أُصَدِّقك أنَّك قدرتَ على هذا الشأن، إن المرأة أرفعُ من ذلك، فلما أكثر على عمرو بما كان يخبره، وكان قد صَدَّقه، ولكنه أحب التثبت وأراد أن يأتيَه بشيء لا يستطيع دفعَه إن هو دفَعَه إلى النجاشي، وكانا في بيت واحد، وكان عمارة يغيب عنه حتى يأتيه في السحر، وجعل عمارةُ يدعوه إلى أن يَشْرب معه فيأبى[3] عمرو ويقول : هذا يَشْغَلك عن مَدْخَلك فقال له عمرو يوما : إن كنت صادقا فقل لها فلتَدْهنك من دُهْنِ النجاشيِّ الذى لا يَدَّهِنُ به غيره، فإني أعرفه، وإني به أُصدقك ففعل عمارة، فجاء بقارورة من دُهْنه فلما شمها عمرو عَرَفها وقال : أشهد أنك صادق. ولقد أصبتَ شيئا ما أصابه أحد من العرب من امرأةِ الملكِ، ما سمعنا بهذا، وسكت عنه حتى إذا اطمأن دخل على النجاشيِّ فقال : أيها الملك إن ابن عمي سفيه، وقد خشيتُ أن يَعُرَّنى[4] عندك أمرُه. وقد أردت أن أُعلمك شأنَه فلم أفعل حتى استَثْبَتُّ، وإنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر، وهذا من دُهْنِك قد أُعْطِيَه ودهَنَنِي منه، فلما شم النجاشي الدهنَ قال : صدقت، هذا دهني الذى لا يكون إلا عند نسائى، ثم دعا بعمارة وقال له :

---

(١) في الأصل : (بطل عمارة) وما أثبتناه عن التجريد ١٠٢٦

(٢) في الأصل : لم يثبت.

(٣) في الأصل : فينادى.

(٤) في الأصل : يعيرنى، والتصويب عن التجريد. ويقال : عره يعره : إذا ساءه، أو رماه بما يكره.

إنى أكره أن أقتُل قرشيا ، ولو قتلتُ قرشيا لقتلتُك. ثم دعا بالسواحر فجرّدوه من ثيابه ، ثم أمَرَهن فنفَخْن فى إحليله ، ثم خلى سبيله ، فخرج هاربا[1] ، فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فخرج إليه عبدُ الله بن أبى ربيعة وكان اسمه بَجيراً قبل أن يُسْلِم فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، عبد الله ، فرصده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يردُه مع الوحْش فلما وَجَدَ ريح الإنْس ِهَرَبَ حتى إذا أجْهدَه العطَشُ وردَ ، فشرب حتى تَمَلَّأَ وخرجوا فى طلبه ، فقال عبد الله بن أبى ربيعة : فسعيت فالتَزَمْتُه فجعل يقول : يا بجير أرسِلْنى فإنى أموت إن أمْسَكْتمونى. قال عبد الله : فضبطْتُه فمات فى يدى مكانه فواريته[2] ثم انصرفت ، وكان شعرُه قد غَطَّى كلّ شىء منه .

(١) جاء فى التجريد ص ١٠٢٧ (فخرج هائما على وجهه مع الوحش ومتى رأى الإنس هرب منهم وطلع له شعر غطى جميع بدنه ولم يزل كذلك مدة أيام النبى صلى الله عليه وسلم وأيام أبى بكر وصدرا من خلافة عمر رضى الله عنه فخرج إليه عبد الله بن أبى ربيعة ...).

(٢) فى الأصل فواراه ثم انصرف والسياق يقتضى ما أثبتنا .

عبد الله الأعشى (1)

هو عبدُ الله بنُ خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن خارجة بن أبي ربيعة ابن ذهل بن شيبان بن [ثعلبة الحصين](2) بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

شاعرٌ إسلاميٌّ من ساكني الكوفة ، مروانيُّ المذهبِ شديدُ التعصُّبِ لبني أمية .

قدم على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : ما الذي بَقِي منك ؟ قال : أنا الذي أقول :

وما أنا في أمْرِي ولافي خُصومَتِي ... بمهتَضَمٍ حقِّي ولا قارعٍ سِنِّي

ولا مُسْلِمٍ مولاى عنــد جنايةٍ ... ولا خائفٍ مَوْلاىَ من شَرِّ ما أجْنِي

وإن فؤادى بين جَنْبَيَّ عالمٌ ... بما أبصرتْ عَيْنِي وما سَمِعَتْ أُذْنِي

وفَضَّلَنِي في الشعرِ واللُّبِّ أنني ... أقول على عِلْمٍ وأعرف من أعْنِي

وأصبحتُ إذْ فَضَّلْتُ مروانَ وابنَه ... على الناس قد فَضَّلْتُ خيرَ أبٍ وابْنِ

فقال عبد الملك : من يلومني على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة تخوت ثياب ، وعشر [فرائض] من الإبل ، وأقطعه ألف جريب ، وقال له : إمْضِ إلى زيد(3) الكاتبِ يكتبْ لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عَيِّلا(4) فمضى فأتى زيدا

---

(1) الأغاني أميرى ١٦ : ١٦٠ تجريد ١٩٣١ .

(2) بياض بالأصل: وما بين القوسين عن الأغاني .

(3) في الأصل يزيد .

(4) العيل : أهل بيت الرجل الذين ينفق عليهم، للمذكر والمؤنث .

فقال له: ائتني غدا فأتاه فجعل يردده فقال فيه شعراً وأتى سفيانَ بن الأبْرَدِ الـكلبي ، فـكلمه سفيان ، فأبطأ عليه فأتى[1] سفيان فقال له :

عُدْ إذ بَدَأْتَ بحُسْنَى فأنت لها ولا تكنْ من كلام الناس هيّابا
واشفعْ شفاعةَ أَنْفٍ لم يكن ذَنَبا فإن من شُفعاءِ الناسِ أذنابا

فأتى سفيانُ زيداً الـكاتبَ فلم يفارقه حتى قضى حاجته .

دخل أعشى ربيعة على عبد الملك وهو يَتَرَدّد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يَجِدّ فقال له : يا أمير المؤمنين مالى أراك متلوما يُنْهِضُك الحزمُ ، ويقعدك العَزْمُ ، وتَهُم بالإقدام ، ثم تجنح إلى الإحجام؟ انفذْ لنُصْرَتك وامض لرأيك ، وتوجَّهْ إلى عدوك ، تَجِدُّك مُقْبِلٌ ، وجده مُدْبِر وأصحابه له ماقِتون ، ونحن لك مُحِبون ، وكلمتهم متفرقة ، وكلمتنا عليك مُجْتَمِعة واللهما تؤتى من ضَعْفِ جَنان ، ولا قلّةِ أعوان ، ولا يُثَبِّطُك عنه ناصح ولا يحرضك[2] عليه غاشٌّ ، وقد قلتُ في ذلك أبياتا . فقال : هاتها فإنك تنْطق بلسان وَدود ، وقلب ناصح ، فقال :

آلُ الزُّبَيْرِ من الخلافة كالتي عَجِلَ النتاجُ بحَمْلِها فأحالها
أو كالضعافِ من الحمولةِ حُمِّلَتْ ما لا تُطيقُ فضَيَّعَتْ أحمالَها
قوموا إليهم لا تناموا عنهمُ كم للغُواة أطَلْتمُ إهمالَها
إن الخلافةَ فيكمُ لا فيهمُ لا زلتمُ أركانَها وثِمالَها
أمسوا عن الخيرات قُفْلا مُوثَقا فانهض بيُمْنِك فافتتح أقفالَها

فضحك عبدُ الملك ، وقال : صدقت يا عبد الله إن أبا خُبَيْب لقُفْلٌ دون كل خير ، ولن يتأخر عزمنا إن شاء الله ، ووصله بصِلَةٍ سنية .

---

(١) فعاد إلى سفيان (أغاني) ١٦ : ١٦١ .

(٢) في الأصل : ولا عرضك .

كان الحجاجُ قد جفا الأعشى ، واطَّرَحه لحالة كانت عند بشر بن مروان ، فلما فرغ الحجاجُ من حرب ذى الجماجم ذكر فتنةَ بن الأشعثِ وجعل يُوَبِّخ أهل العراق ويؤنبهم على فعلهم ، فقال من حضرهم من أهل البصرة : إن الذنبَ والمعصيةَ بدأا من أهل الكوفة . فقال أهلُ الكوفة : لا بل أهلُ البَصْرة أولُ من أظهر المَعْصِية مع جرير بن هَمْيان السَّدوسى ، إذ جاء مخالفا من السند ، وأكثروا فى ذلك ، فقام أعشى بنى ربيعة فقال : أصلح الله الأمير ، لا براءة من ذَنْب ولا ادعاءَ على الله عصمةً لواحد من أهل المِصْرين . قد والله اجتهدوا جميعا فى قتالِك ، فأبى الله إلّا نَصْرَك . وذلك أنهم جزعوا وصَبَرْتَ وكفروا وشَكَرْتَ إذ قدرت ، فوسِعَهم عفوُ الله تعالى وعفوُك فنجَوْا ، ولولا ذلك لبادوا وهلكوا . فسر الحجاج بكلامه . وقال له جميلا ، وقال : تهيَّأْ للوفادة على أمير المؤمنين ، ليسمعَ هذا منك .

دخل أعشى بنى ربيعة على عبد الملك بن مروان فأنشده :

رأيتُك أمس خَيْرَ بنى مَعَدٍّ ... وأنت اليوم خيرٌ منك أَمْسِ
وأنت غداً تَزيد الضِّعْفَ ضِعْفا ... كذاك تَزيد سادة عبدِ شَمْسِ

فقال له : من أى بنى ربيعة أنت ؟ قال : فقلت له : من بنى أُمامة . فقال : إن أُمامةَ ولد قيساً وحارثة ، فأحدهما نجَمَ والآخر خَمَل فمن أيهما أنت ؟ قال : فقلت له : أنا من ولد حارثة ، وهو الذى نجَم ، وقد كانت بكر بن وائل تَوَّجته فقال بمَخْصَرَة فى يده وغمزها فى بطنى ثم قال : يا أخا بنى ربيعة ، هُمُّوا ولا تفعلوا فإذا حدثْتَنى فلا تكذبنى ، فجعلت له عهداً لا أُحدث أبداً قرشيا بكَذِب .

عَمرو بن قَمِيئَة

هو عمرو بن قميئة [بن ذريح] بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

قال ابن الكلبي : ليس من العرب من له ولد ، كلٌّ واحدٍ منهم قبيلة قائمةٌ مفردةٌ بذاتها غير ثعلبة بن عكابة ، فإنه ولد أربعة ؛ كل واحد منهم قبيلةٌ قائمة بنفسها :

شيبان بن ثعلبة ــ وهو أبو قبيلة . وقيس بن ثعلبة ــ وهو أبو قبيلة . وذُهْل ابن ثعلبة ــ وهو أبو قبيلة ، وتَيْم الله بن ثعلبة ــ وهو أبو قبيلة .

وكان عمرُو بن قميئة من قدماء الشعراء فى الجاهلية ، يقال : إنه أولُ من قال الشعر من نزار .

وهو أقدم من امرئ القيس، ولَقِيه امرؤ القيس فى آخر عُمْرِه فأخرجه معه إلى قيصر ، فمات فى طريقه ، وسمَّتْه العرب عمرا الضائع لموته فى غربةٍ ، وفى غير أرب ولا مطلب ، وإياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكى صاحبى لما رأى الدربَ دونه ... وأيقن أنا لاحِقـان بقَيْصرا
فقلت له لا تَبْكِ عَيْنُك إنما ... نحاولُ ملـكا أو نموتَ فنُعْذَرا

وكان شاعراً مقداماً مخلَّا ، وكان شابًّا حسناً ، جميل الوجه مديد القامة [حسن الشعر][(٢)] .

---

(١) الأغانى أميرى ١٦ : ١٦٣ تجريد ١٩٣٣ .

(٢) بياض فى الأصل وما أثبتناه عن الأغانى ١٦/١٦٣

مات أبوه وخلَّفَه صغيرا ، فكفله عمه مَرْثدُ بنُ سعد ، وكان سبّابتا[1] قدميه ملتصقتين.

وكان عمُّه محباله ، معْجَبا به ، رفيقا عليه ، وكانت عنده امرأةٌ ذاتُ جمال فهويت عمراً وشُغِفَتْ به ، ولم تُظْهِر له ذلك ، فغاب مَرْثِد لبعض أمْرِه ، فبعثت امرأته إلى عمرو ، تدعوه على لسانِ عمه ، وقالت للرسول : ائتنى به من وراء البيوت ، ففعل ، فلما دخل أنكر شأنَها ، فوقف ساعة فراودَتْه عن نفسه ، فقال : لقد جئتِ بأمر عظيم ، وما كان مثلى ليُدْعَى لمثل هذا ، ووالله لو لم أمتَنِـعْ من ذلك وفاء لعمى امتنعت خوف الدناءة والذكر القبيح الشائع عنى فى العرب . قالت : والله لتفعلن أو لأسوءَنَّك . قال : إلى المساءة دعَوْتِنى ، ثم قام نخرج من عندها ، وخافت أن يخبرَ عمه بما جرى ، فأمرت بجفنة فكُبَّتْ[2] على أثر عمرو ، فلما رجع مَرْثد وجدها متغيظة[3] فقال لها : مالك ؟ فقالت: إن رجلا من قومك قريبَ القرابة يستامُنى نفسى ، ويريد فراشك منذ خرجت . قال : ومن ؟ قالت : أما أنا فلا أُسميه ، ولكن قم أنت فاقتَفِ[4] أثره تحْتَ الجفْنة . فلما رأى الأثرَ عرفه ، وكان لمرثد سيفٌ يسمى ذا الفَقار ، فآلى ليضرِبَنَّه به فهرب ، فأتى الحيرة ، فكان عند اللخميين . ولم يكن يقوى على بنى مَرْثد لكثرتهم . وقال لعمرو بن هند : إن القوم طردونى ، فقال : ما فعلوا إلا وقد أجْرَمْت ، وأنا أفحص عن أمرِك ، فإن كنت مُجرِماً رددتك إلى قومك ، فغضب وهم بهجائه وهجا مرثداً ، ثم أعرض عن ذلك ومدح عمه واعتذر إليه .

---

(١) فى الأصل : سناتيا .

(٢) فكفئت .

(٣) متغضبة (أغانى) .

(٤) فاقتقد (أغانى) .

وقيل: إن مرثداً لما سمع ذلك هجر عمراً فأعرض عنه ولم يعاتبه لموضعه من قلبه فقال عمرو يعتذر إليه من أبيات :

خليليَّ لا تستعجلا أَنْ تزَوَّدا   وأن تجمعا شَمْلِي وتنتظرا غدا
وأن تُنْظِرانى اليومَ أَقْضِ لبانةً   وتستوجبا [مَنًّا](١) علىّ وتُحْمَدا
لَعَمْرُكَ ما نفس بِجِدٍّ رشيدةٍ   تؤامِرُنى سُوءا لأصْرِمَ مَرْثِدا

سأل رجل حماداً الراوية بالبصرة ، وهو عند بلال بن أبي بردة: [من أشعر الناس؟ قال : الذى يقول](٢) :

رمتنى بَنات الدهر من حيث لا أرى   فـــا بالُ من يُرْمى وليس بِرامِ

والشعر لعَمْرو بن قميئة ، قاله لما بلغ تسعين سنة ، من أبيات أولها :

كأنى وقد جاوزتُ تسعين حِجّةً   خلعتُ بهـــا عنى عِنانَ لجامى
على الراحَتَيْن مرة وعلى العصا   أنوء ثـــلاثا بعدَهن قِيـــامى
رمتنى بناتُ الدهرِ من حيث لا أرى   فما بالُ من يُرْمى وليس بِرام
ولو أن ما أُرْمَى بنَبْلٍ رميتُها   ولـكننى أرمى بغير سهام
إذا ما رآنى الناس قالوا ألم يكن   حديثا جديد البَرْى غير كهام
وأفنى(٣) وما أفنى من الدهر لَيْلة   ولم يُغْن ما أفنيتُ سِلْكَ نظام
وأهلـكنى تأميل يومٍ وليلة   وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعام

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى : ١٦ / ١٦٤ وبه يصح البيت .
(٢) ما بين القوسين عن الأغانى ١٦ : ١٥٦ وبه يستقيم الـكلام .
(٣) فى الأصل : وابنى وما يغنى .

عروة بن أُذينة(١)

أُذينة [لقبه] وهو عروة بن يحي بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله ابن رحل بن يعمر وهو الشدَّاخ بنُ عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

وسُمِّيَ يَعْمر بالشدّاخ لأنه تَحَمَّل دياتِ قتلى ، كانت من قريش وخزاعة . وقال : لقد شَدَخْتُ هذه الدماءَ تحت قدمى ، فسمى الشَّدَّاخَ .

وقيل فيه: الشُّداخ بضم الشين.

وكنية عروةَ أبو عامر .

وهو شاعر غَزِلٌ ، مقدَّمٌ من شعراء أهل المدينة ، معدودٌ فى الفقهاء والمُحَدِّثين ، روى عنه مالكُ بنأَنَس ، وعبد الله بن عُمَر العدوى ، وجَدُّه مالكُ بن الحارث ، روى عن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه . قال يحي بن عُرْوة بن أُذينة : أتى أبى وجماعةٌ من الشعراء هشامَ بن عبد الملك فنسبهم فلما عرف أبى قال له أنت القائل :

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خُلُقى ... أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

أسعى له فيُعنيِّنى تَطَلُّبه ... ولو جلستُ أتانى لا يُعَنِّينى

وإن حَظَّ امرىءٍ غيرى سيبلغهُ ... لا بد لا بد أن يَحْتازَه دونى

لا خيرَ فى طَمَع يُدْنى لمَنْقَصَةٍ ... وعفة من كَفافِ العيشِ تكفينى

لا أركب الأمرَ تُزْرِى بى عواقِبُه ... ولا يعابُ به عِرْضِى ولا دينى

كم من فقير غنِىٍّ النفسِ تعرفه ... ومن غنى فقير النفس مسكين

ومن عَدُوٍّ رمانى لو قصدتُ له ... لم آخذ النِّصْفَ منه حين يرمينى

(١) أغانى ساسى : ٢١ : ١٠٥ ـ مهذب ٦/٣٩ . تجريد ١٩٧٤

ومن أخ لي طوى كَشْحاً فقلت له ... إن انطواءَكِ عني سوف يَطْويني
إني لَأَنْطِق فيما كان من أَرَبي ... وأُكثِرُ الصمتَ فيما ليس يعنيني
لا أبتغي وصل من يَبْغِي مقاطعتي ... ولا أَلِينُ لمن لا يشتهي ليني

فقال له ابن أُذينة: نعم، أنا قائلها. قال: فهلا قَعَدْتَ في بيتك حتى يأتيَك رزقك؟ وغَفَل عنه هشام، فركب من وقته راحلتَه ومضى منصرفا. ثم افتقده هشامٌ فعرف خبرَه فأتبعَه جائزَته. وقال للرسول: قل له أردتَ أن تُكَذِّبنا وتُصَدِّقَ نَفْسَك. فمضى الرسول فلحقه وقد نزل على ماء يتغدّى عليه، فأبلغه رسالته، ودفع إليه الجائزة فقال: قل له: قد صدَقَني الله وكذَّبك.

قال يحيى: وفرضَ له فريضتين كنت أنا في إحداها.

مر ابن عائشة المغني بعروة بن أُذينة فقال له: قل أبياتا هزجا أُغني فيها فقال له: اجلس وقال:

سُلَيْمى أجمعتْ بينا ... فأين تقولها أينا
وقد قالت لأتْرابٍ ... لها زهرٍ تلاقينا
تعالَيْن فقد طاب ... لنا العيش تعالَيْنا
فغاب البَرَم الليلة ... والعين فلا عينا
فأقبلن إليها مُسْ ... رِعاتٍ يَتهادَيْنا
إلى مثل مَهاةِ الرَّمْ ... ل تكسو المجلسَ الزينا
تَمَنَّيْن مُناهُن ... فكُنَّا ما تَمَنَّيْنا

فرواها ابن عائشة لما سمع قوله:

تمَنَّيْن مُناهُنّ ... فكنا ما تمنينا

ثم قال: يا أبا عامر تمنتك لما أقبل بَخرك وأدبر ذكرك.

وقفتْ سكينةُ بنتُ الحسين ، رضى الله عنه ، على عروةَ بن أُذينة فى موكبها وجواريها ، فقالت : يا أبا عامر أنت الذى تزعم أن لك مروءةً ، وإن غزلَكَ من وراء عِفَّة، وأنك تقِيٌّ . قال : نعم ، قالت: فأنت الذى تقول :

قالت وأبْثَثْتُها وجدى فبحْتُ به ... قد كنتَ عندى تحبّ السّتْرَ فاستترِ
ألستَ تُبْصِرُ مَن حَولى فقلت لها ... غَطّى هواكِ وما أُلقَى على بصرى

قال : بلى ، قالت : هن حرائرُ إن كان هذا خرج من قلبٍ سليمٍ أو صحيح .

قال الزبير بن بكار : حدثنى عمى قال: كان عروة بن أُذينة نازلا فى العقيق ، فى دار أبى فسمعته يُنشد :

إن التى زعمتْ فؤادَكَ ملّها ... جعلت هواكَ كما جُعِلْت هوًى لها
فبكَ التى زَعمْتَ بها وكلاكما ... يُبدى لصاحبه الصبابَةَ كلَّها
ولعمرُها لو كان حبُّـك فوقها ... يَوْما وقد ضَحِيَتْ إذاً لأظلها
ويبيت بين جوانحى حُبٌّ لهـا ... لو كان تحت فراشها لأقلَّها
وإذا وَجَدْتُ لها وساوسَ سَلْوَةٍ ... شفعَ الضميرُ إلى الفؤاد(١) فسلّها
بيضاء باكَرَها النعيم فصاغهـا ... بلَبَاقَة فأدَقَّهـا وأجلَّها
لما عَرَضْتُ مسلما لى حاجةٌ ... أرجو معونَتَهـا وأخشى ذلَّها
منَعتْ تحيَّتهـا فقلت لصاحبى ... ما كان أكثرَها لنا وأقلَّهـا
فدَنا وقال لعلهـا معذورة ... من أَجْلِ رِقْبَتِها فقلت لعلهـا

قال : فأتى أبو السائب المخزومى ، وأنا فى دارى بالعقيق ، فقلت له بعد الترحيب: هل بَدَتْ لك حاجة ؟ قال : وكما تـكون الحاجةُ . أبيات لعروةَ بن أُذينة بلغنى أنك سمعتَها منه. فقال له : وأية أبيات ؟ قال: وهل يخفى القمر؟ قوله :

---

(١) شفع الفؤاد إلى الضمير (أغانى ــ مهذب) .

إن التى زعمت فؤادك ملها ... ...

فأنشدتُه فلما بلغتُ إلى قوله :

... ... فقلت لعلها

قال لى: أحسن والله :

إن كان أهلُك يمنعونك رغبةً عنى فأهلى بى أضنّ وأرغب

اذهب لا صحِبَك اللهُ ولا وَسّع عليك (يعنى قائلَ هذا البيت). لقد تعدى هذا الأعرابىّ طَوْرَه ، وإنى لأرجو أن يغفرَ اللهُ لصاحبك (يعنى عُروةَ) حُسْن ظنه بها وطلبه العذرَ لها . ثم عرضت عليه الطعام فقال: لا والله ما كنت لأخْلِط بهذه الأبيات طعاما إلى الليل ، وانصرف .

لقى ابن أبى عتيق عروةَ بن أُذينة فأنشده شيئا من شعره حتى أنشده :

سَرَى هَمِّى وهَمُّ الليل يَسْرِى وغاب النجمُ إلا قيد فِتْرِ
أُراقبُ فى المجَرَّةِ كلَّ نَجْم تَعَرَّض للمَجَرَّة كيف يجرى
لِهَمٍّ ما أزال به مُديمًا كأن القلبَ أُضْرِمَ حَرَّ جَمْر
على بكر أخى وَلّى حميداً وأىّ العيش يصفو بعد بَكْر

فقال ابن أبى عتيق : كلُّ العيش والله يصلُح بعده حتى الخبز والزيت ، فغضب عروة من قوله ، وقام من مجلسه ، وحلف لا يكلمه أبداً ، وماتا متهاجرين .

أبو محجن الثقفى(١)

هو عبدُ الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عُقدة بن عمرو بن عوف بن قسى ، وهو ثقيف من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

وهو شاعر فارس شجاع ، معدود فى ذوى البأس والنجدة ، وهو من المعاقرين للخمر المحدودين فى شربها .

ولما كَثُر شرْبُه الخمر ، وأقام عليه عمر ، رضى الله عنه ، الحد ، وهو لا ينتهى نفاه إلى جزيرة فى البحر يقال لها حَضَوْضَى وبعث معه حرسيا يقال له ابن جهراء ، فهرب منه على ساحل البحر ولحق بسعد بن أبى وقاص وقال :

الحمـــد لله نجانى وسلمنى(٢) … من ابن جَهْراءَ والبوصىّ قد حَبَسا

من يَجشم البحرَ والبوصِىُّ مَرْكَبُهُ … إلى حَضَوْضَى فبئسَ المركبُ التمَسا

أبلغ لديـــك أبا حفص مُغَلْغَلَةً … عنـد الإله إذا ما غارَ أو جَلَسا(٣)

أنى أكُرّ على الأُولَى إذا فَزِعــوا … يوما وأحْبِسُ تحت الراية الفرسا

أغشى الهياجَ وتَغْشانى مُضَاعَفَةٌ … من الحديـد إذا ما بعضُهم خنسا

وقيل : كان سببُ نَفْيه أن أبا مِحْجن هَوِىَ امرأة من الأنصار يقال لها شموس ، فحاول النظرَ إليها بكل حيلة ، فلم يقدر عليها ، فآجر نَفْسَه من عامل يعمل فى حائط إلى جانب منزلها ، وأشرف من كُوّة فى البستان فرآها فأنشأ يقول :

ولقد نظرتُ إلى الشَّموسِ ودونَها … حَرَجٌ من الرحمنِ غيرُ قليلِ

---

(١) أغانى ٢١ : ١٣٧ مهذب ٢/ ٤٧ تجريد ١٩٨٢ .

(٢) وخلصنى (أغانى)

(٣) غار : أتى الغور ، وجلس : أتى نجدا .

فاستعدى زوجُها عليه عمرَ بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فنفاه إلى حضَوْضى مع ابن جهراء وقال له عُمَرَ : لا تدعه يُخْرِج معه سيفا ، فعمد أبو محجن إلى سيفه فجعل نصْلَه فى غِرارة ، وجفنَه فى غرارة أُخرى ، فيهما دقيق ، فلما انتهى به إلى الساحل وقرب البوصى ابتاع أبو محجن شاةً وقال لابن جهراء هلم نتغدَّ . ووثب إلى الغِرارة كأنه يخرج منها دقيقا ، فأخذ السيف ، فلما رآه ابن جهراء والسيفُ معه ، خرج يعدو حتى ركِبَ بعيرَه راجعا إلى عمر ، فأخبره الخبرَ . وأقبل أبو محجن إلى سعد ابن أبى وقاص ، وهو يقاتل العجمَ يومَ القادسية ، وبلغ عُمَرَ خبرُهُ فكتب إلى سعدٍ بحَبْسه فحبسه . فلما كان يوم قس الناطف ، والتحم القتال ، سأل أبو محجن امرأةَ سَعْدٍ أن تعطيَه فرسَ سعد وتَحُلَّ قَيْدَه ليقاتل المشركين ، فإن استشهد فلا تبعةَ عليه ، وإن سَلِم عاد ، حتى يضع رجْلَه فى القيد ، فأعطته الفرس ، وخلت سبيله وعاهدها على الوفاء فقاتل فأبلى بلاء حسنا إلى الليل ، ثم عاد إلى محبسه .

وهذه القصة كانت لأبى محجن فى يوم أرْماث ويوم الكتائب ، وهو أنه لما كان يومُ الكتائب اقتتل المسلمون والفُرْسُ منذ أصبحوا إلى أن انتصفَ النهار ، فلما قامت الشمسُ تزاحم الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل ، وهذه الليلةُ التى كان فى صبيحتها يومُ أرماث ، وقد كان المسلمون يومَ أرماثَ أشرفوا على الظَّفَر وقتلوا عامةَ أعلام الفُرْس ، وجالت خيلهم فى القَلْب ، فلولا أن رَجْلَهم ثبتوا حين كَرّت الخيلُ لكان رئيسُهم قد أُخذ لأنه كان يَنْزِلُ عن فرسه ، ويجلس على سريره ، ويأمر الناسَ بالقتال ، فلما انتصف الليل تحاجز الناس ، وبات المسلمون ينتمون منذ لدن أمسوا وسمع ذلك سعدٌ فاستلقى لينام ، وقال لبعض مَنْ عِنْده ، إن تم الناسُ على الانتماء فلا توقظنى ، فإنهم أقوياء على عدوهم ، وإن سكتوا وسكت العدو فلا توقظنى فإنهم على السواء ، وإن سمعت العدو ينتمون ، وهؤلاء سكوت فأنْبِهْنى فإن انتماء العدو من السوء .

فلما اشتد القتالُ فى تلك الليلة : كان أبو محجن فى الحبس ، وهو وسعد فى القصر ، فأراد أن يَصعدَ إلى سعد فيستَعْفِيَه ويستقيله فنهره وردّه ، فنزل وأتى سلمى بنتَ أبى حفصة ، فقال لها : يابنت أبى حفصة هل لك إلى خير ؟ قالت : وماذاك ؟ قال: تُخَلِّين عنى، وتعيرينى البلقاء ، فلله عَلَىَّ إن سَلّمنى اللهُ أن أرجعَ إلى حضرتك حتى تضعى رجلى فى قيدى ، فقالت : وماأنا وذاك ؟ فرجع يرسف فى قيوده ويقول :

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا ... وأُتركَ مشدوداً عَــلَىَّ وثاقيا
إذا قمت عنّانِى الحديدُ وأُغلقت ... مصاريعُ من دونى تُصِمُّ المناديا
وقد كنتُ ذا مال كثير وإخوةٍ ... فقد تركونى واحــداً لا أخا ليا
وقد شفَّ جسمى أننى كل شارقٍ ... أُعالج كَبْلا مُصْمَتا قــد برانيا
فلله درِّى يــومَ أُتركُ موثقا ... وتَذْهَلُ عنى أُسْرَتى ورجاليـا
حبيسا عن الحربِ العوانِ وقد بَدَتْ ... وإعمالُ غــيرى يومَ ذاك العواليا
ولله عهدٌ لا أَخيسُ(١) بعهده ... لئن فُرِجَتْ ألّا أزورَ الجوانيا

فقالت له سلمى : قد استخرتُ الله تعالى ورضيتُ بعَهْدِكَ فأطلقته . وقالت : أما الفرسُ فلا تقْرَبْها ورجعتْ إلى بيتها ، نخالفها أبو محجن إلى الفرس فأخذها ، وأخرجها من باب القصر الذى يَلِى الخندق ، فركبها ثم دَبّ عليها ، حتى إذا كان بحِيالِ الميمنة ، وأضاء النهارُ ، وتصافَّ الناسُ كَبَّر ثم حمل على ميسرة القوم ، يلعب برُمْحِه بين الصفين ، ثم رجع من خَلْفِ المسلمين إلى القَلْب ، فبَدَر أمامَ الناس ، فحمل على القوم ، يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه ، وكان يَقصف الناس أشد قصف منكر ، فعجب الناس منه ، وهم لا يعرفونه ، ولم يروه بالأمس . فقال بعضُ القوم : هذا من أوائل أصحاب هاشم بنِ عُتْبَة ، أو هاشمٌ نفسه . وقال قوم :

---

(١) يقال : خاس العهد وبالعهد : نقضه .

إن كان الخضرُ يشهدُ الحربَ فهو صاحب البلقاء . وقال آخرون : لولا أن الملائكةَ لا تباشرُ القتالَ ظاهراً لقلنا هذا مَلَكٌ بيننا . وجعل سعد يقول ، وهو مشرف : هذا أبو مِحْجَن ،[1] وهذه البلقاء ، فلم يزل يقاتلُ حتى انتصف الليل ، فتحاجز الناس ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ، ووضع عن نفسه السلاحَ وعن دابته وأعاد رجليه فى القيد ، وأنشأ يقول :

لقد عَلِمَتْ ثقيفُ غير فَخْرٍ ... بأنا نحنُ أكرمُهم سيوفا
وأكرمُهم دروعا سابغاتٍ ... وأصبرُهم إذا كَرِهوا الوقوفا
وأنا رِفْدُهم فى كلِّ يومٍ ... فإن جَحَدوا فسَلْ بهمُ عريفا
وليلة قادس لم يشعروا بى ... ولم أَكْرَه بمخرجى الصفوفا
فإن أُحْبَسْ فقد عرفوا بلائى ... وإن أُطلق أُجرِّعْهم حتوفا

فقالت له سلمى : يا أبا محجن فى أى شىء حبسك هذا الرجل ؟ فقال : أما والله ما حبسنى بحرام أكلتُه ولا شَرِبْتُه ، ولكنى كنت صاحبَ شراب فى الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشِّعْرُ على لسانى فيبعثُه أحياناً فحبسنى لأنى قلت :

إذا مِتُّ فادفِنِّى إلى أصل كَرْمَةٍ ... تُرَوِّى عظامى بعد موتى عروقُها
ولا تدفِنِّنى بالفلاة لأننى ... أخاف إذا ما مِتُّ ألّا أذوقُها
ليُرْوَى بخمر الحصِّ لحمى فإننى ... أسيرٌ لها من بَعْدِ ما قد أَسُوقها

وكانت سلمى رأت من المسلمين جَوْلَةً ، وسعدُ بن أبى وقاص فى القصر ، لعلة كانت به ، لم يقدر على حضور الحرب ، وكانت قَبْلَه عند المُثَنَّى بنِ حارثة الشيبانى ، فلما قُتِلَ خلف عليها سَعْدٌ ، فلما رأت شِدّةَ البأسِ صاحت وامُثَنَّاه ولا مُثَنَّى اليومَ فلطمها سعد ، فقالت : أُف لك ! أجُبْناً وغَيْرَة ؟ وكانت مغاضِبَتَه ليلةَ أرماث ، وليلةَ الهَدَّة ،

---

(١) أعيرها (أغانى) ٢١ : ٣٩ .

وليلةَ السواد ،فلما أصبحت أتَتْه فصالحته ، وأخبرته خبرَ أبي محجن ، فدعاه وأطْلَقَه . وقال : اذهب فلستُ مؤاخذَك بشيء تقوله حتى تَفعَلَه فقال لا جرَمَ ، والله لا أجبتُ لساني إلى صِفَةِ قبيحٍ أبداً .

وكان أبو محجن كلما أتى إلى سعد بن أبي وقاصٍ شاربا يَتَهَدَّدُه فيقول : لست تاركَها إلا لله ، فأما لقولك فلا ، فأُتى به يوم القادسية وقد شَرِب فأمر به إلى القَيْد ، وكانت بسعْدٍ جراحةٌ فلم يَخْرج للناس ، وجرى لأبي محجن ما تقدم ذكره .

وقيل : إن أبا محجن لما قال له سعد: لستُ مؤاخذَك بشيء تقوله حتى تفعله . قال: قد كنت أشربها وكان الحدّ يقامُ عَلَيّ وأطهرُ منها فأما إذ نَهَيْتني فلا والله لا أشرَبُها أبداً وقال :

إن كانت الخمرُ قد عزَّتْ وقد مُنِعَتْ ... وحال من دونِها الإسلامُ والحَرَجُ

فقد أباكِرُها صِرْفا وأمزِجُها ... ريّا وأطْرَبُ أحيانا وأمْتَزِجُ

وقد تقومُ على رأسى مُنَعَّمَةٌ ... فيها إذا رفَعَتْ من صوتِها غَنَجُ

ترفع الصوتَ أحياناً وتَخْفِضُه ... كما يَطِنّ ذبابُ الروضةِ الهزِجُ

وقال المفضل: إن الناسَ لما التقوا بالأعاجم ، يوم قسِّ الناطف ، [كان مع الأعاجم فيل][1] يكر عليهم فلا تقوم له الخيل . فقال أبو عبيدة بن مسعود : هل له مَقْتَلٌ ؟ فقيل : نعم خُرطومُه ، إلا أنه لا يُفلِتُ منه من ضَرَبه . قال : فأنا أهبُ نفسى لله ، وكَمَنَ له حتى إذا أقبَلَ وسامَتَه[2] فضرب خرطومَه بالسيف ، فرمى به ، وشدّ عليه الفيل فقتله . ثم استدار فطحنَ الأعاجمَ وانهزموا : فرثاه أبو محجن بأبيات :

---

(١) بياض فى الأصل وما بين القوسين عن الأغانى ٢١ : ١٤١ .

(٢) سامته : قابله ووازاه .

دخل ابنُ أبي محجن الثقفي على معاوية فقال له : أليس أبوك الذى يقول :

إذا مت فادْفِنِّى إلى جنب كرمة . . . . الأبيات

فقال له ابن أبي محجن: لو شئتُ لذكرت له ما هو أحسنُ من هذا من شعره .
قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تسألى اليوم عن مالى وكَثْرَتِه وسائلى الناس ما فِعْلِى وما خُلُقِى
أُعطى السِّنانَ أمامَ الروْعِ حِصَّتَهُ وعاملَ الرُّمْح أُرويه من العَلَقِ
وأطعنُ الطعنةَ النجلاءَ عن عُرُضٍ وأحفظُ السرَّ فيه ضربةُ العنقِ
عفُّ المطالبِ عما لستُ نائله[1] وإن ظُلِمْت شديدُ الحقدِ والحنقِ
وقد أجود وما مالى بذى قَنَعٍ[2] وقد أَكُرّ وراء المُحْجِمِ الفرِقِ[3]
والقوم تعلمُ أنى من سراتهمُ إذا سما بصرُ الرِّعديدةِ الشَّفقِ
قد يُعْسِرُ المرء حينا وهو ذو كرم وقد يثوب ثواب العاجزِ الحَمِقِ
سيكثُر المال حينا بَعْدَ قلّتِه ويكتسى العودُ بعد اليَبْسِ بالورقِ

فقال له معاوية : إن كنّا أسأنا إليك القولَ لنُحْسِنَنّ لك الصفدَ[4] . ثم أجزل صلته ، وقال : إذا حَبِلَت ووَلَدَت النساء فلْتلدْ مثلَك .

أُتى عمر رضي الله عنه بجماعة ، منهم أبو محجن ، وقد شربوا الخمرَ فقال: أشربتم الخمرَ بعد أن حرمها الله تعالى ورسولُه ؟ فقال : ما حرّمها الله ولا رسولُه ، إن الله عز وجل يقول : « ليس على الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ جُناحٌ فيما طَعِموا إذا ما اتقوا و وآمنوا وعَمِلوا الصالحات» فقال عمر لأصحابه : ما ترون فيهم ؟ فاختلفوا فيهم

---

(١) فى الأصل : قائله .
(٢) القنع : الجود الكثير ، الفضل الواسع ، الكثير من كل شيء .
(٣) وقد أكر وراء المجحر البرق (أغانى) .
(٤) الصفد: العطاء ـ وكانت العبارة فى الأصل (لنحسن إلى الصفة) والتصويب عن الأغانى.

فبعث بهم إلى عَلِىِّ بن أبى طالب ، رضى الله عنـه ، فشاورَه فقال على رضى الله عنه : إن كانت هـذه الآيةُ كما يقولون فينبغى أن يَسْتَحِلّوا المَيْتَةَ والدمَ ولحمَ الخنزير ، فسكتوا . فقال عمر لعلى : ما ترى فيهم ؟ فقال : أرى إن كانوا شربوها مُسْتَحِلِّين لها أن يقتلوا ، وإن كانوا شربوها وهم موقنون أنها حرام ، فعليهم الحد . فسألهم فقالوا : والله ما شككنا فى أنها حرام ، ولكن قدَّرْنا أن لنا نجاةً فيما قلناه . فجعل يَحُدُّهم رجلا رجلا ، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبى محجن ، فلما جلده أنشأ يقول :

ألم تر أن الدهر يَعْـثُر بالفتى ... ولا يستطيعُ المرءُ صرف المقادرِ
ضُرِبْتُ فـلم أَجْزَعِ ولم أكُ جازعا ... لحادث دهرٍ فى الحكومةِ جائرِ
وإنى لذو صَبْرٍ وقد مات إخوتى ... ولست عن الصهباءِ يوما بصابرِ
رماها أمـــير المؤمنين بحَتْفِها ... فخلّانُها يبكون حــولَ المعاصرِ

فلما سمع عمر قوله :

... ... ولست عن الصهباء يوما بصابر

قال : قد أبديتَ مافى نفسك ولأزيدنّك عقوبة ، لإصرارك على شرب الخمر ، فقال له على ، رضى الله عنه : ليس إلى ذلك سبيلٌ ، ولا يجوز أن تعاقبَ رجلا قال : لأفعلن وهو لم يفعل ، وقد قال الله عز وجـل فى الشعراء : « وأنهُمْ يقولون مالا يَفعلون » فقال عمر : « قد استثنى الله تعالى منهم قوما ، فقال : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فقال على رضى الله عنه : أفهؤلاء عندك منهم ؟ وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، لا يشرب [العبد] الخمرَ حين يشرَبُها وهو مؤمن .

حَدّث من مَرّ بقبرِ أبي محجن فى نواحى أذربيجان ، أو قال : نواحى جرجان . قال : رأيت قَبْرَه وقد نَبَتَ حوله ثلاثةُ أُصول كَرْم ، وقد طالت فأثمرت ، وهى مُعَرَّشَةٌ على قبره ، مكتوبٌ : هذا قبر أبى محجن الثقفى ، فوقفت طويلا أتعجب مما اتفق له حتى صار كأُمنيته حيث يقول :

إذا مت فادْفِنّى إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ ⁂ تُرَوِّى عظامى بعد موتى عُروقُها

عويف القوافى (١)

هو عُوَيْفُ بن معاوية بن عُقبة بن حِصن .

وقيل ابن عُقْبة بن عُيَيْنَة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جُوَيَّة بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار .

شاعرٌ مُقلٌّ من شعراء الدولة الأُموية ، من ساكنى الكوفة ، وبيته أحد البيوتاتِ المقدَّمةِ الفاخرةِ فى العرب ، وكانت العرب تعُدّ البيوتاتِ المشهورةَ بالكبرِ والشرفِ من القبائل ، بعد هاشم بن عبد مناف ، فى أربعة بيوت :

أولُها بيتُ آل حُذَيْفة بن بدر الفزارى ، بيت قيس ، وبيت آل زُرارة بن عدس الدارميين (٢) ، بيت تميم .

وبيت [آل] ذى الجدَّيْن [بن] (٣) عبد الله بن همام ، بيت شيبان .

وبيت بنى الدَّيَّان ، من بنى الحارث بن كعب، من اليمن. فأما كندة فلا يُعَدُّون من أهل البيوتات ، وإنما كانوا ملوكا .

قال كسرى للنعمان : هل للعرب قبيلةٌ تَشْرُف على قبيلة ؟ قال : نعم قال : بأى شىء ؟ قال : من كانت له ثلاثةُ آباء متواليةٍ رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع ، والبيت من قبيلته فيه . قال : فاطلب لى ذلك ، فطلَبه فلم يجدْه إلا فى بيت حُذيفة ابن بدر بيتِ قيس عيلان ، وآل حاجب بن زرارة ، بيت تميم . وآل ذى الجدّيْن بيتِ شيبان ، وآل الأشعث بن قيس بيت كندة .

---

(١) الأغانى ١٧ : ١٠٥ المهذب ٦٩/٤ . تجريد ٢٠٢٧

(٢) فى الأصل: ابن عبد الدار .

(٣) فى الأصل: بيت ذى الجد بن عبد الله ، والتصويب ومابين القوسين عن الأغانى .

قال : فجَمَعَ هؤلاء الرهطَ ، ومن تَبِعَهُم من عشائرهم ، فأقعد لهم الحُـكّامَ العدولَ ، وأقبل مِنْ كلٍّ واحدٍ منهم شاعرٌ وقيل لهم : ليتكلمْ كلُّ رجل منكم بمآثِر قومه وفعالِهم ، وليقلْ شاعِرُهم فليصْدُقْ . فقام حذيفةُ بنُ بدر وكان أَلْسَنَهم وأجزَلَهم مَقْدَما فقال :

[لقد] علمَتْ معدٌّ أن فينا الشرفَ الأقدمَ والعزَّ الأعظمَ ومآثِر الصنيع الأكرم . فقال من حوله : ولِمَ ذاك يا أخا بنى فزارة ؟ قال : ألسنا الدعائم التى لا تُرام والعزَّ الذى لا يُضام . قيل له : صدقت .

ثم قام شاعرهم فقال :

فزارةُ بيتُ العزِّ والعزُّ فيهمُ ... فزارةُ قَيْسٍ حَسْبُ قيس نِضالُها[1]
لها العزةُ القعساءُ والحسبُ الذى ... بناه لقيسٍ فى القديم رجالُها
فمن ذا إذا مُدّ الأكفُّ إلى العُلا ... يمد بأُخرى مِثْلَها فينالُها
فهيهات قد أعيا القرونَ التى مضتْ ... مآثِرُ قيس مَجْدُها وفعالُها
وهل أحد إن مَدّ يوماً بكَفِّه ... إلى الشمس فى مَجْرى النجوم ينالُها
فإن تصلحوا نَصْلُح كذاك جميعُنا ... وإن تَفسدوا يَفسُدْ على الناسِ حالُها

ثم قام الأشعث بن قيس يُعَدِّدُ مآثِرَ كِنْدَةَ ، وإنما أذن له قبل ربيعة وتميم لقرابتِه من النعمان .

وقام بعده بسطام بن قيس يُعدد مآثر ربيعة .

وقام بعده حاجبُ بن زرارة يعدد مآثر معد . فقام بعده قيس بن عاصم . فقالوا نثرا ونظما .

فلما سمع ذلك كسرى منهم ومن شعرائهم ، قال : ليس منكم إلّا سيدٌ يَصْلُح لموضِعِه. وأسْنَى جوائزَهم وصرفهم.

---

(١) فى الأصل : حيث قيس نصالها بالصاد ، وهذه عن الأغانى .

وسمى عُوَيْفَ القوافى لبيت قاله :

سأُكْذِبُ من قد كان يزعم أننى ... إذا قلتُ قولا لا أُجيدُ القوافيا

فسُمِّى عُوَيفَ القوافى .

ووقف على جرير بن عبد الله البَجَلِى ، وهو فى مجلسه ، فقال :

أَصُبُّ على بجيلةَ من شَقاها ... هجائى حين أدركنى المشيبُ

فقال له جرير : ألا أشترِى منك أعراضَ بَجيلة ؟ قال : بلى . قال : بكم ؟ قال : بألف درهم وبرذون . فأمر له بما طلب . فقال له :

لو لا جريرٌ هَلَكَتْ بَجيله ... نِعْمَ الفتى وبِئْسَتِ القَبيله

فقال له جرير : ما أراهم نَجَوْا منك بعد .

حدث جماعة من مشيخة قريش ، قالوا : لم يكن رجل من قادة[١] بنى عبد الملك ابن مروان أنْفَسَ على قومه ولا أحسدَ لهم[٢] من الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أذن يوماً للناس فدخلوا عليه ، وأذن للشعراء فكان أول من بَدَرَ بين يديه عويفُ القوافى الفزاريُّ فاستأذَنَه فى الإنشاد ، فقال: ما أبقيت لى بعدَ ماقلت فى أخى زهرة[٣] ما قلت. قال : وماقلت له مع ماقلت لأمير المؤمنين ؟ قال: ألستَ الذى تقول له :

يا طَلْحَ أنت أخو الندى وحَليفهُ ... إن الندى من بعد طلحةَ ماتا

إن الفعال إليك أطْلَقَ رَحْلَه ... فبحيثُ بِتَّ من المنازل باتا

أو لست الذى تقولُ له :

إذا ما جاء يومُك يا ابنَ عوف[٤] ... ذريعَ المَوْتِ ليسَ له شفاء

---

(١) ولاة (أغانى) .

(٢) فى الأصل : آخذ لهم .

(٣) لأخى بنى زهرة (أغانى)

(٤) رواية الشطر الأول فى الأغانى: تساق الناس بعدك ياابن عوف.

ألم تَقُمْ عليك الساعةُ يومَ قامَتْ عليه. لا والله لا أسمع منك شيئا ، ولا أنفعك بنافعة أبداً ، أخرجوه عنى . فقال له القرشيون والشاميون : وما الذى أعطاك طلحةُ حتى استخْرَج هذا منك ؟ قال : أما والله لقد أعطانى غيرُه أكثرَ من عَطِيَّتِه ، ولكن لا والله ، ما أعطانى أحدٌ قطُّ أجلَّ فى قلبى ، ولا أبقى شكراً ، ولا أجدر ألّا أنساها ما عرفت الصِّلات [من عطيته][1] قالوا : وما أعطاك ؟ قال : قدمت المدينة ومعى بُضَيْعَةٌ لى[2] لا تبلغ عزمه أريد أن أبتاع قعوداً من قُعْدان الصّدَقة فإذا رجُلٌ بصحن السوق، على طنفسةٍ قدطرحت له وإذا[3] الناس حوله وإذا بين يديه إبلٌ معقولة ، فظننت أنه عاملُ السُّوقِ ، فسلمت عليه فأثْبَتَنى وجَهَّلْتُه فقلت له : بأبى رحمك الله ، هل أنت معينى بنَظَرِك على قَعودٍ من هذه القُعْدان تبتاعه لى ؟ فقال : نعم أو مَعَكَ ثمنُه ؟ فقلت نعم . فأهوى بيده إلىَّ فأعطيتُه بُضيعتى ، فرفع طنفسته فألقاها تحتها ، ومكث طويلا ، فقمتُ إليه فقلت : رحمك الله انظر فى حاجتى . فقال : ما منعنى منك إلا النسيان ، أمعك حبل ؟ قلتُ : نعم فقال : هكذا ، أفرِجُوا فأفرَجُوا حتى استقبلَ الإبلَ التى بين يديه فقال: اقرنْ هذه، وهذه، وهذه ، فما برحت حتى أمر لى بثلاثين بَكرة [أدنى بكرة فيها ولا دنية فيها خير من بضاعتى][4] ثم رَفَع طنفسته ، فقال : شأنك ببضاعَتك ، فاستعن بها على من ترجعُ إليه . فقلت : أى رحمك الله ، أتدرى ما تقول ؟ فما بقى عنده إلا نهرنى وشتمنى ، ثم بعث معى نفرا فأطْردوها حتى أطْلَعُوها فى رأس الثَّنِيّة . فوالله لا أنساه ما دمتُ حيا أبداً .

---

(١) مابين القوسين عن الأغانى .

(٢) فى الأصل (مضيعة) .

(٣) فى الأصل : (أزواد) .

(٤) ما بين القوسين عن الأغانى .

قال أبوموسى الأشعرى: حضرت مع عمرَ بن عبد العزيز جنازةً فانصرفت معه ، وعليه عمامة قد سَدَلَها من خَلْفه فما علمت به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به :

أجِبْنى أبا حفص لقِيتُ محمدا على حَوْضِه يَسْقِى به و يَرا كا(١)

فقال له عمرُ: لَبَّيْك ، ووقف ووقف الناس معه ، ثم قال له : فَمَهْ . فقال :

فأنت امرؤ كلتـا يَدَيْه مفيدة شمالُك خيرٌ من يمين سِواكا

قال: ثمّ مَهْ؟ فقال :

بلغْتَ مَدَى الُمجْرِينَ قبلك أن جَرَوْا ولن يدرك الُمجْرون بُعد مَداكا

فجدَّاك لا جَدَّيْن أكرمُ منهمـا هُناك تناهَى المجدُ ثم هُناكا

فقال عمر : لا أراك إلاشاعراً ، ما لك عندى من حق . قال: لا ، ولكنى سائلٌ وابنُ سبيل وذو نَهمة . فالتفت عمر إلى قَهْرمانِه فقال : أعطه فضْلَ نفقتى ، فإذا هو عويفُ القوافى .

وكانت أختُ عويف القوافى عند عُيَيْنَة بن أسماء بن خارجة فطلّقها وكان عويفٌ مراغِماً لعُيَيْنَة . فقال : الحرة تُطَلَّقُ لغير ما بأسٍ . فلما حَبَسَ الحجاج عُيَيْنَة وقيَّده قال عويف :

مَنـعَ الرقادَ فما يُحَسّ رقـادُ خـبرٌ أتاك ونامتِ العُوّادُ(٢)

خبرٌ أتانى عن عيينةَ موجِعٌ ولمثله تَتَصَـدَّع الأكبـادُ

بلغَ النفوسَ بلاؤه فـكأننـا مَوْتى وفينا الروحُ والأجسادُ

ساء الأقاربَ يوم ذاك فأصبحوا بهجين قد سروا به الحسـاد

يرجون عَثْرَةَ جَدِّنا ولو أنهم لا يدفعون بنـا المـكاره بادوا

---

(١) رواية الشطر الثانى فى الأغانى :

على حوضه مستبشراً ورآ كا

(٢) رواية الحماسة : ذهب الرقاد . . . مما شجاك ونامت العواد

لما أتانى عن عُيَيْنة أنه ... عانٍ[1] عليه تظاهرُ الأقيادُ
نَخَلَتْ له نفسى النصيحةَ أنه ... عند الشدائدِ تذهبُ الأحقادُ
وذكرت أىَّ فتى يَسُدُّ مكانه ... بالرِّفْد حين تقاصر الأرفادُ
أم من يُهينُ لنا كرائم ماله ... ولنا إذا عُدْنا إليه مَعادُ
لو كان من حَضَنٍ تضاءل ركْنُه ... أو من نضادَ بَكَتْ عليه نَضَادُ

سأل عويفُ القوافى فى حمالة ، فمر به عبدُ الرحمن بنُ محمد بن مروان ، وهو حديث السن ، فقال له : لاتسألْ أحداً وصِرْ إلىّ أكْفِك. فأتاه فاحتملها أجمع . فقال يمدحه :

غلامٌ رماه الله بالخير يافعا ... له سيمياء لا تَشُقُّ على البَصَرْ
كأن الثريا عُلِّقَتْ فى جبينه ... وفى خده الشِّعْرى وفى أنفه القمرْ
ولما رأى المجد استعيرت ثيابُه ... تردى رداءً واسع الذيل واتزَرْ
إذا قيلت العوراء أغضى كأنه ... ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لانتصرْ
دعانى فآسانى ولو صدّ لم يُلَمْ ... على حين لا بادٍ يُرَجَّى ولا حضرْ

قال أبو زيد : وهذه الأبيات تمثل بها عويفٌ وإنما هى لابن عَنْقاء الفزارى ، يقولها لابن أخ له . وكان قومٌ من العرب أغاروا على نَعم ابن عنقاء ، فاستاقوها ، حتى لم يبق له شىء ، فأتى ابن أخيه فقال له : يا ابن أخى قد نزل بعمِّك ما ترى ، فهل من حَلوبَة ؟ قال : نعم ياعم ، اصبر حتى يروحَ المال ، وأبلغ مروان ، فلما راح قاسمه إياه وأعطاه شَطْرَه . فقال فيه هذه الأبيات .

ولما مات سليمانُ بنُ عبد الملك ووَلِىَ عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه عويف القوافى ، وأنشده :

---

(١) أمسى (الحماسة) .

لاح سحابٌ فرأينا بَرْقَه ثم تدانى فسمعنا صَعْقَه
وراحت الريح تُزَجِّي بُلْقَه ودُهْمَه ثم تُزَجِّي وُرْقَه
ذاك سَقَى قبراً فَرَوَّى وَدْقَه قبر امرىء[1] عَظَّمَ ربي حَقَّه
قبرَ سليمان الذى مَنْ عَقَّه جَحَدَ الخيرَ الذى قد بَقَّه
فى المسلمين[2] جِلّه ودِقّه فارق فى الجحودِ منه صِدْقَه[3]
قد ابتلى الله بخيرٍ خَلْقَه ألقى إلى خَيْرِ قريش وَسْقَه
سُمِّيتَ بالفاروق فافْرُق فَرْقَه وارزق عيال المسلمين رِزْقَه
واقصد إلى الجود ولا تَوَقَّه بَحْرُكَ عَذْبُ الماء ما أَعَقَّه
رِيُّك وَالمحرومُ من لم يُسْقَه

فقال عمر : لسْنا من الشعر فى شىء ، وما لك فى بيت المال من حق ، فألح عويف يسأل ، فقال : يا مزاحم ، انظرْ ما بقى من أرزاقنا فشاطره إياه، ونحن نصبرُ على الضيق إلى وقت العطاء ، فقال له عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك : بل نُوَفِّر على أمير المؤمنين، وعَلَيَّ رضاء الرَّجُل . فقال: وما أولاك بذلك ، فأخذ بيده وانصرف وأعطاه حتى رضى .

---

(١) فى الأصل قبرا ثوى .
(٢) فى العالمين (الـكامل) والجل بكسر الجيم الـكبير ، والدق بكسر الدال الصغير .
(٣) روى الـكامل مكان هذا البيت :

لما ابتلى الله بخير خلقه

وجاء بعده : وكادت النفس تساوى حلقه (الـكامل جـ ٢/ ٢١٤ مطبعة أزهرية) .

عبد الله بن جحش (1)

كان بالمدينة امرأةٌ يقال لها صهباء، من أحسن الناس وجها . وكانت من هُذيل، فتزوجها ابن عم لها ، فمكث حينا معها لا يقدر على افتضاضها لارتقاقها فأبْغضته وطالبته بالطلاق ، فطلقها. وأصاب الناس مطر شديد فى الخريف ، فسال العقيق سيلا عظيماً ، فخرج أهل المدينة ، وخرجت صهباء معهم ، فصادفت عبد الله بن جحش وأصحابَه فى نزهة، فرآها ثم مضت إلى أقصى الوادى فاستنقعت فى الماء ، وقد تفرق الناس وخفوا فاجتاز عليها ابن جحش ، فرآها فتهالك عليها وهام بها . وكان بالمدينة امرأة تدل على النساء يقال لها قطنة كانت تداخل القرشيات وغيرَهم ، فلقيها ابن جحش ، فقال لها : اخطبي علىّ صهباء ، فقالت له : قد خطبها عيسى بنُ طلحة بن عبيد الله وأجابوه ، ولا أراهم يختارونك عليه ، فشتمها ابنُ جحش وقال لها : كل مملوك لى حر إن لم تحتالى لى فيها حتى أتزوجها ، لأضربنك ضربة بالسيف ، وكان مقداما جسورا ، ففزعت منه ودخلت على صهباء وأهلها، فتحدثت معهم ثم ذكرت ابن عمها، فقالت لعمة صهباء : ما لَه فارقها ؟ فقالت : لم يقدر عليها ، فقالت ، وأسمعت صهباء: إن هذا ليمترى (2) كثيرا من الرجال ، ولا ينبغى أن تقدموا فى أمرها إلا على من تختبرونه، ووالله لو كان ابنُ جحش لثقبَها ثقب اللؤلؤ ولو رُتِقَت بحجر ، ثم خرجت من عندها ، فأرسلت إليها صهباء أن مرى ابن جحش فليخطبنى ، فلقيَتْه فأخبرته الخبر فخطبها وأنعمت له ، وأبى أهلُها إلا عيسى بن طلحة ، وأبت هى إلا ابن جحش ، فتزوجته ودخل بها ، وافتَضّها ، وأحب كل واحد منهما صاحبه فقال فيها :

---

(1) أغانى ١٧ / ١١٨ . تجريد ٢٠٣١

(2) فى الأصل التعزير وما أثبتناه عن الأغانى .

نعم الضجيعُ إذا النجوم تغوَّرَتْ   بالغور أُولاها علـى أُخراها
عذبٌ مُقبَّلُها وثيرٌ رِدْفهـا   عبلٌ شواها طَيِّبٌ مَجْناها
صهباءُ يطويها الضجيـع لجنبها   ملءُ الحمالة لَيِّنٌ متناهـا
لو يستطيع ضجيعها لأجنَّها   فى الجوف شهْوَةَ ريحها وجناها
يا دارَ صهباء التى لا أنتهى   عن ذكرها أبداً ولا أنساها

كان عبد الملك بن مروان مُعْجَبا بشعر عبد الله بن جحش ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، فورد كتابُه وقد توفى ، فقال إخوانُه لابنه : لو شخصت إلى أمير المؤمنين عن إذنه لأبيك لعله كان ينفعك ، ففعل فبينا هو فى طريقه إذ ضاع منه كتاب الإذن، فهم بالرجوع ، ثم مضى لوجهه ، فلما قدم على عبد الملك سأله عن أبيه ، فأخبره بوفاته ، فسأله عن كتابه ، فأخبره بضياعه ، فقال أنشدنى فى قول أبيك :

هل يبلغنْها السلام أربعـة   منى وإن يفعلوا فقد نفعوا
على مِصَكَّيْن (١) من جمالهمُ   وعنتريسين فيهما سطع
قرب جـيراننا جمالهم   صبحا فأضحوا بها قد انتجعوا
ما كنت أدرى بوشـك بينهمُ   حتى رأيت الحُداةَ قد طلعوا
قد كان قلبى والعين تبصرهم   لما تَوَلَّوا للبين ينصدع
ساروا وخلفت بعدهم دنفاً   أليس بالله بئس ما صنعوا

فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ماأرويه ، قال : لاعليك أنشدنى قول أبيك :

وماذا كثرة الجـيران تغنى   إذا ما بان من أهوى فسارا

---

(١) المصك : القوى من الناس وغيرهم .

فقال : لا والله ياأمير المؤمنين ما أرويه ، قال: ولا عليك ، أنشدنى قوله :

يا دار صهبـــاء التى لا أنتهى عن ذكرها أبدا ولا أنساها(١)

قال: لاوالله يا أمير المؤمنين ما أرويه ، وأن هذه صهباء لأُمى ، قال : لا عليك ، قد يتَنَقَّصُ الرجلَ أن يُشَبَّب بأُمه ولـكن إذا شبب بها غير أبيه ، فأُفٍّ لك ورحمة الله على أبيك فقد ضيعت [أدبه وعققته إذ لم ترو شعره](٢) اخرج فلا شيء لك عندنا.

---

(١) رواية البيت فى الأغانى :

دار لصهباء التى لا ينثنى عن ذكرها قلبى ولا أنساها

(٢) جاء النص محرفا تحريفا شديدا وما أثبتناه بين القوسين عن الأغانى .

عبدُ الله بن العباس الربيعى[1]

هو عبدُ الله بن العباس الربيعى بن الفضل بن الربيع ، والربيعُ على ما يَدَّعيه أهله [ابن][2] يونس بن أبى فروة ، وقيل إنه ليس ابنَه . وآلُ أبى فروة يدفعون ذلك ، ويزعمون أنه لقيط ، وجد منبوذاً ، فكفله يونس بن أبى فروة . ورباه ، فلما خَدَم المنصورَ ادَّعَى إليه ، وكذبه عبدُ الله بن العباس .

وكان عبدُ الله شاعراً مطبوعا ، مغنيا حسن الصنعة والَخلق والرواية ، حلوَ الشعر ظريفَه ، ليس من الجيد الَجزْل ولا المرذول ، ولكنه مليحُ المذهب من أشعار المُتْرَفين وأولاد النِّعَم .

قال عبدُ الله بن العباس : دخل محمدُ بن عبد الملك الزيات على الواثق ، وأنا بين يديه أُغَنِّيه ، وقد استعادنى صوتا مراراً ، وهو يستحسنه ، فقال له محمد بن عبد الملك : هذا يا أميرَ المؤمنين أَوْلى الناس بإقبالك عليه ، وإصغائك إليه ، قال : أجَلْ ، هذا مولاى وابنُ مولاى لا تعرفون غيرَ ذلك . فقال له : ليس كلُّ مولى ، يا أمير المؤمنين ، مولىً لمواليه ، ولا كلُّ مولى يتجملُ بولائه ، ولا كلُّ مُتَجَمِّل بولائه يجمع ماجمعه عبدُ الله من ظرفِ أدبٍ وصحةِ عقلٍ وفضلٍ وعلم وجودة شعر . فقال له: صدقت يامحمد . فلما كان من الغد جئت محمدَ بن عبد الملك شاكراً لُحسْنِ مَحْضره فقلت فى أضْعاف كلامى : وأفرط الوزيرُ أعزّه الله فى وصفى وتقريظى بكل شىء حتى وصفنى بجودةِ الشعر ، وليس ذلك عندى ، وإنما أعبث بالبيتين والثلاثة

---

(١) الأغانى ١٧ : ١٢١ . تجريد ٢٠٣٣

(٢) فى الأصل (أهل يونس) وما أثبتناه عن الأغانى .

ولو كان عندى أيضاً شئ من ذلك لصَغُر عن أن يصفه الوزير ، ومحله فى هذا الباب المحل الرفيع المشهور ، فقال : والله يا أخى لو عرفتَ مقدارَ قولك :

ياشادنا رام إذ مرْ رَ فى الشمانين قتلى
يقول لى كيف أصبحـ ت كيف يُصبح مثلى

لما قلتَ هذا القولَ ، والله لو لم يكن لك شعرٌ فى عمرك كلِّه إلا قولك :

... ... كيف يصبح مثـلى

لـكنت شاعراً مجيداً .

وكان عبدُ الله بن العباس يقول : أنا أول من غنى بالـكاـكلة فى الإسلام وصنعت عليها :

أتانى يؤامرنى بالصبو ح [ليلا] فقلت له غادها[1]

قال : وكان سبب دخولى فى الغناء وتعليمى إياه أننى كنت أهوى جاريةً لعمتى رُقيَّة بنتِ الفضلِ بن الربيع ، وكنت لا أقدر على ملازمتها والجلوس معها ، خوفا من أن يظهر مالها عندى ، فيكون ذلك سببَ منعى منها ، فأظهرت لعمتى أننى أشتهى أن أتعلمَ الغناء ، ويكونَ ذلك فى ستر عن جَدِّى ، ولعمتى من الرِّقَّة والمحبَّةِ لى على حال لا نهايةَ وراءها ، لأن أبى تُوفى فى حياة جَدِّى الفضـل . فقالت : يابنى وما دعاك إلى ذلك ؟ فقلت : شهوةٌ غَلَبَتْ على قلبى إن مُنِعْتُ منها مت غما . وكان لى فى الغناء طبع قوى فقالت لى : أنت أعلم وما تختاره[2] ، والله ما أُحبُّ منعَك عن شىء ، وإنى لـكارهةٌ أن تَحْذق فى ذلك وتَشْتَهِر به فتَسْقُط ويَفْتَضِحَ أبوك وجدُّك فقلت : لا تخافى من ذلك ، فإنما آخذُ منه مقدارَ ما ألهو به ، ولازمتُ الجاريةَ لمحبتى

---

(١) الشطر الثانى عن الأغانى ــ وقد جاء فى الأصل هكذا : فقلت له . . . عادها .

(٢) فى الأصل : أنت أعلم يوما تختاره ، والتصويب عن الأغانى .

إياها بِمِلَّةِ الغناء ، فكنت آخذُ عنها وعن صويحباتها ، حتى تقدمتُ الجاريةَ حِذْقاً وأقَرَّتْ لى بذلك ، وبلغتُ ما كنت أُريدُ من أمر الجارية ، وصرت أُلازم منزل جدى ، فكان يُسَرُّ بذلك ويظنُّه تَقَرُّباً منى إليه ، وإنما كان وكدى[1] فيه أخذ الغناء فلم يكن عمر لإسحاق ولا لابن جامع ولا لابن دحمان ولا لغيرهم صوتٌ إلا أخذته ، وكنت سريعَ الأخذ ، وإنما كنت أسمَعُه مرتين أو ثلاثا ، وقد صحّ لى وأحسستُ من نفسى قوةً فى الصناعة فصنعتُ أوَّلَ صوت صنعتُه فى شعرِ العرجى :

أماطَتْ كساءَ الخزِّ عن حُرِّ وجْهِهَا ... وأدْنَتْ على الخدَّين بُرْداً مُهَلْهَلا
من اللَّاءِ لم يَحْجُجْن يبغين حِسْبَةً ... ولكن ليَقْتُلْنَ البرىء المُغَفَّلا
وتَرْمِى بعينيها القلوبَ ولا ترى ... لها رَمْيَةً لم تُصْمِ منهن مَقْتلا

ثم صنعت :

أَقْفَر من بعد حله سَرِفُ ... فالمنحنى فالعقيقُ فالجرفُ

وعرضتُها على الجارية التى أهواها ، وسألتها عما فيها ، فقالت : لا يجوز أن يكون فى الصنعة فوق هذا .

وكانت جوارى الحارثِ بن حجر بن بحر ، وجوارى محمد ، يدخلن إلى دارنا فيَطْرَحْن على جوارى عمتى وجوارى جدى ، ويأخذن أيضا ما ليس عندهن من غناء دارنا ، فسمعننى أُلقِى هذين الصوتين على الجارية فأخَذْنَهما منى وسألن الجارية عنهما ، فأخبرتهن أنهما من صنعتى ، فسألنها أن تُصَحِّحَهُما لهن ، ففعَلَتْ ثم اشتهرا حتى بلغا الرشيد ، فغُنِّىَ بهما بين يديه يوما ، فاستطرَفَهما واستخَفَّهما ، وسأل إسحاق: هل يعرفهما ؟ فقال : لا أعرفهما ، وأنهما لمن حسْنِ الصنعةِ وجيِّدها . ثم سأل الجاريةَ عنهما فوقفت، خوفا من عمى ، وحذراً أن يبلغ جدى ، أنها ذَكَرَتْنى

---

(١) الوكد : القصد .

فانتهرَها الرشيد ، فأخبرته القصة ، فوجه من وقته ، فدعا جدى ، فلما أحْضَره قال : يا فضل ، أيكونُ لك ابنٌ يغنى ، ثم يبلغ فى الغناء المحلَّ الذى يُمكِّنُه أن يصنعَ صوتين يستَحْسنُهما إسحاق وسائرُ المغنين ويتداولهما جوارى القِيان ، ولا تُعلِمنى بذلك ، كأنك رفعتَ قَدْرَه عن خدمتى فى هذا الشأن ، فقال له جدى : وحَقِّ نعمتِك وولائك يا أمير المؤمنين ، وإلا فأنا برىء من نعمتك وعلىّ العَهْدُ والميثاق والعتق والطلاق إن كنت علمت بشىء من هذا قط إلا منك الساعة ، فمن هذا مِنْ وَلَدى ؟ قال : عبدُ الله بن العباس ، فأحْضِرْنيه الساعة ، فجاء جدى وهو يكادُ أن ينشقَّ غيظا ، فلما خرجت إليه شتمَنى ، وقال : يا كلب بلغ من أمْرِك ومقدارِك أن تجسِر على أن تتعلم الغناء بغير أمرى ، ثم زاد ذلك حتى صَنَعْتَ ، ولم تقنع بذلك حتى ألقيت صَنْعَتَك على الجوارى فى دارى ، ثم تجاوزتَهُنَّ إلى جوارى الحارث [بن يشخير][(1)] فاشتهرت وبلغ أمير المؤمنين فتنكَّرَ لى ولامنى وفَضَحْتَ آباءك فى قبورهم ، وسقطت إلى الأبد من المغنين وطبقة الجناكرين ، فبكيت غما بما جرى علىَّ ، وعلمتُ أنه قد صدقَ فرَحِمَنى وضمَّنِى إليه . وقال : قد صارت الآن مصيبَتى فى أبيك مصيبتين ، إحداهما به وقد مضى وفات ، والأُخرى بك ، وهى موصولةٌ بحياتى ، ومصيبةٌ باقيةُ العارِ علَىَّ وعلَى أهلى بعْدِى . وبَكَى ، وقال : عز علَىَّ يا بُنى أن أراك أبداً على غير ما أُحِبّ وليستْ لى فى هذا الأمر حيلةٌ لأنه أمْرٌ قد خرج عن يدى . وقال : جِئْ بعود حتى أسْمعَك وأنظرَ كيف أنت ، فإن كنت تصلحُ للخدمة فى هذه الفضيحة ، وإلا جئته بك منفرداً أوعرّفْتُه خبرَك واستعْفَيْتُه لك . فأتيته بعود وغنيتهُغناءً قديما ، فقال : لا ، بل غن صوتَيْك اللذين صنعتَهما فغنيّتُه إياهما فاستحسنَهما ، وبكى ، ثم قال : تطلبُ وَكيسةَ يا بُنَىّ ، وخاب أملى فيك فوا حَزَنِى عليك وعلى أبيك .

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

فقلت له : يا سيدى ليتنى مت قبل هذا الذى أنكرْتَه منى أو جَرَّمت ، ومالى حيلةٌ . ولكن وحياتِك يا سيدى ، وعلىَّ عهدُ الله وميثاقُه والعتقُ والطلاقُ وكلُّ يمين يَحْلِفُ بها حالفٌ لازمةٌ لى لا أُغنى أبداً إلا لخليفةٍ أو وَلِيِّ عَهْدٍ فقال : قد أحسنت فيما نبهت عليه من هذا الأمر ، ثم ركب وأمرنى فأُحْضِرْت ، فوقفت بين يدى الرشيد ، وأنا أُرْعَدُ فاستدنانى حتى صرت أقربَ الجماعة إليه ، ومازحنى ، وأقبل علىَّ وسكَّن منى وأمَرَ جَدِّى بالانصراف ، وأومأ إلى الجماعة فخدَموني وسُقِيتُ أقداحا ، وغنى المغنون جميعا ، فأومأ إلىَّ إسحاقُ مُغَنِّيه أن ابْدَأْ فَغَنِّ إذا بَلَغَتِ النوبةُ إليك قبلَ أن تُؤمَرَ ليكون أملحَ وأجملَ بك. فلما جاءت النوبة إلىَّ أخذتُ عوداً ممن كان إلى جانبى ، وقمت قائما واستأذنت فى الغناء فضحِك الرشيدُ وقال : غَنِّ جالساً فجلستُ وغنيتُ لحنَ الأولَ فطَرِبَ واستعادَه ثلاثَ مراتٍ ، وشرب عليه ثلاثةَ أنصاف ، ثم غنيتُ الثانى فكانت هذه حالُه وسَكِرَ ودعا بمسرور ، وقال : احمل الساعةَ مع عبد الله عشرة آلافِ دينارٍ وثلاثين ثوبا من فاخرِ ثيابى وعَيْبَةً مملوءةً طيبا فحَمَل ذلك كلَّه معى .

قال عبد الله : ولم أزل كلما أراد ولىُّ عهدٍ أن يعلم مَن الخليفةُ بعد الخليفة الولىُّ هو أم غيرُه ، دعانى ، وأمرنى بالغناء ، فأُعَرِّفُه يمينى فيستأذن الخليفةَ فى ذلك فإن أَذِن لى فى ذلك علم أنه ولِىُّ عهد وإلا عَرَفَ أنه غيرُه حتى كان آخرُهم الواثقَ فدعانى فى أيام المعتصم ، وسأله أن يأذن لى فى الغناء ، فأذن لى ، ثم دعانى من الغد ، فقال ما كان غناؤك إلا سببا لظهور سِرِّى وأسرار الخلفاء قبلى ، ولقد هممت أن آمر بضرب رقبتك فلا يَبْلُغَنِّى أنك امتنعت من الغناء عند أحد ، فوالله لئن امتنعت لأضربَنَّ عُنُقَك فأَعْتِقْ من كنتَ تملِكه يوم حلفتَ وطَلِّقْ من كان عندك يومئذ وأرِحْنا من يمينك هذه المشئومة . فقمت ، وأنا لا أعقل جزعا منه ، فأعتقتُ جميعَ

من كان بقي عندي من مماليكي ، الذين حلفتُ يومئذٍ وهم في مِلكي ، ثم تصدقت بجملته واستفتيت في يميني أبا يوسف القاضي ، حتى خرجت منها وغنيت بعد ذلك إخواني جميعا ، حتى اشتهر أمري ، وبلغ المعتصم خبري ، فتخلصتُ منه ، ثم غضب عَليَّ الواثقُ لشيء أنكره ، ووَلىَ الخلافةَ وهو ساخط عَليَّ فكتبت إليه :

أذكرْ أمير المؤمنين رسائلي　　أيامَ أرهبُ سَطْوَةَ السيف

أدعو إلٰهي أن أراك خليفة　　بين المقام ومسجد الخَيْف

فدعاني ورضي عني .

قال سليمان بن أبي شيخ : دخلت على العباس بن الفضل بن الربيع ذات يوم ، وهو مختلط مغتاظ ، وابنُه عبدُ الله عنده فقلت : مالك أمتعَ الله بك ؟ فقال : لا يُفْلِحُ ، والله ، ابني عبد الله أبداً ، فظننته قد جنى جناية وجعلت أعتذر إليه له فقال : ذنبُه أعظمُ من ذلك وأشنع . فقلت : وما ذنبُه ؟ قال : جاءني بعض غلماني فحدثني أنه رآه بقُطْرُبُّل يشرب نبيذَ الداذِيّ(١) بغيرِ غناء . فهل هذا فعل من يفلح؟ فقلت وأنا أضحك : سَهلت عليّ القضية . قال : لاتفعل، هذامن ضَعة النفس وسقوط الهِمَّة : قلت : فكنت إذا رأيت عبدَ الله بعد ذلك في جُملة المغنين ، وشاهدت تبذُّله في تلك الحال ، وانخفاضَه عن مراتب أهله ذكرت قول أبيه فيه .

قال إسحاق بن إبراهيم : لقيت عبد الله بن العباس الرَّبيعي يوما في الطريق ، فقلت له : ما كان من خَبَرِك أمس ، قال : اصطبحتُ . فقلت : على ماذا ؟ ومع من ؟ فقال : مع خَادم صالح بن عجيف وأنت به وبخبري معه عارف ، وبمحبتي له ، واصطبحنا على زنى بنت الجن لمَّا حَمَلَتْ من زنى ، وقد سئلت ، ممَّنْ حَمْلُك ؟ فقالت :

---

(١) في الأصل : الراوي وما أثبتناه عن الأغاني وفي القاموس الداذي : شراب الفساق .

أَشَمّ كغصن البان جَعْدٌ مُرَجَّل ... شغفتُ به لو كان شيئا مدانيا
ثَكِلْتُ أبى إن كنتُ ذقتُ كريقه ... سُلافا ولا ماءً من المزن صافيا
وأُقسم لو خُيِّرْتُ بين فراقه ... وبين أبى لاخترتُ ألّا أباليا
فإن لم أوسِّدْ ساعدى بعد هَجْعةٍ ... غلاما هِلاليا فَشُلَّتْ يمينيا

فقلت له : أقمتَ على لُواطٍ ، وشربْتَ على زنى ، والله ما سبقك إلى هذا أحد .

واتفق أول رمضان فى يوم النوروز فشرب عبدُ الله بن العباس فى تلك الليلة إلى أن قارب الفجر أن يَطْلُع وقال فى ذلك وغناه بهذا الشعر :

اسقنى صهباء صافيةً ... ليلة النوروزِ والأحدِ
حرم الصومُ اصطباحتها ... فتَزَوَّدْ شربها لغد
وأْتنا أو فادعُنا عَجِلا ... نشترك فى عيشةٍ رَغَدِ

وكان عبد الله مصطبحا دهره ، لا يفوته إلا فى يوم الجمعة ، أو صوم شهر رمضان ، وكان يكثر المدحَ للصبوح ، ويقول الشعر فيه ويغنيه ، فما قال فيه :

ومُستطيل على الصهباء باكَرها ... فى فتيةٍ باصطباحِ الراحِ حُذّاقِ
فكلّ شىء رآه خالَه قَدَحاً ... وكل شخصٍ رآه خالَه الساقى

وكان عبدُ الله بن العباس يعشقُ عساليج ، فقالت له بذل الكبيرة : قد بلغنى أنك عشقت جاريةً اسمها عساليج فاعرضها علىّ فإما عَذَرْتُك وإما عَذَلْتُك ، فوجه إليها فحضرت ، وقال لبذل : هذه سيدتى ، فاسمعى وانظرى ، ثم مرينى بما شئتِ أُطِعْك. فأقبَلَتْ عليه عساليج وقالت : ياعبدَ الله أتشاورُ فِىّ؟ فوالله ما شاورتُ فيك لما صاحَبْتُك. فتغيرتْ بذلُ وصاحتْ : أحسنتِ والله ياصبية ولو لم تُحْسِنى شيئا ولم يكن فيك خَصْلَةٌ تحمدُ لوجب أن تُعْشقى لهذه الكلمة ، ثم قالت لعبد الله : احتفظ بصاحبتك .

قال عبد الله بن العباس : جمع الواثق المغنين يوما ليصْطَبِحَ وقال لى : بحياتى إلّا صنعت هَزَجا حتى أدخل وأخرج إليكم الساعة ، ودخل إلى جواريه ، فقلت هذه الأبيات وعملتُ فيها هَزَجا جوَّدْتُه بجهدى قبل أن يخرج وهو :

بأبى زَوْرٌ أتـــانى فى الغَلَسْ قمت إجلالا له حتى جلسْ
فتعانَقْنا جميعا ساعةً كادت الأرواحُ فيها تُخْتَلَسْ
قلت ياسُؤْلِى ويا كلَّ المُـنَى (١) فى سواد الليل ما خِفْتَ العَسَسْ
قال قد خفتُ ولـكنَّ الهوى آخذٌ بالروح منى والنَّفَسْ
زارنى يخطر فى مشيته حـــوله من نورِ خَدَّيه قَبَسْ

فلما خرج من دار الحرم قال لى : إيه يا عبد الله ، ماذا صنعت ؟ فاندفعت فغنيته فشرِب على الصوتِ حتى سَكِرَ ، وأمر لى بخمسة آلاف درهم ، وأمرنى بِطرْحِه على الجوارى فطرَحْته عليهن .

قال عبدُ الله بن العباس : لقينى سَوَّارُ بن عبد الله القاضى ، وهو سوار الأصغر ، فقال : لى إليك حاجة فأْتنى فى خفية فأتيته فقال : إنى قد أنشدْتُك ولى إليك حاجة ، إن شرَطْتَ لى كتمانَها أفضيتُ بها إليك . فقلت : ذلك للقاضى علىَّ شَرْطٌ واجبٌ فقال : إنى قد قلتُ أبياتا فى جارية لى أحبها ، وقد قتلتْـنِى وهجرتنى ، وأُحب أن تصنع فيها لحنا ، وتُسْمِعنيه ، فإن غنَّيْتَه وأظهرْتَه بعد ألّا يعلمَ أحدٌ أنه شعرى فلست أبالى ، أفتفعل ذلك ؟ فقلت : حبا وكرامة للقاضى ، فأنشدنى لنفسه :

سَلَبْتِ عظـــامى لحمَها فتركْتِها أنابيبَ فى أجوافها الريحُ تَصْفِرُ (٢)

---

(١) ويا بدر الدجى (أغانى) .

(٢) فى الأغانى جاء الشطر الثانى هكذا :

عوارى فى أجلادها تتـكسر

وبعده :

وأخليت منها مخها فـكأنها أنابيب فى أجوافها الريح تصفر

إذا سمعتْ ذكر الفراق ترعَّدَتْ مفاصلُها من هــول ما يُتَنَظَّرُ
خُذى بيدى ثم ارفعى الثوبَ فانظرى ضَنَى جَسدى لـكننى أتسَتَّرُ
وليس الذى يجرى من العين ماؤها ولـكنها روحى تذوبُ فتقْطُرُ

قال عبد الله : فصنعت فيه لحنا ، ثم عرَّفتُه خبَرَه فى رقعة ، وسألته أن يعدنى المصير إليه ، فـكتب إلىّ : نظرتُ فى هذه القصة فوجدت هذا لا يصلح ولا ينـكتمُ على حضورك وسماعى إليك ، وأسأل الله تعالى أن يَسُرَّك ويبقيَك ، فغنيت الصوت ، وظهر حتى تغنى به الناس ، فلقينى سوار يوما فقال لى : يا ابن أخى قد شاع أمرك فى ذلك الباب حتى سمعناه من بُعْدٍ كأننا لم نعرف القضية ، وجعلنا نضحك من ذلك .

قال على بن عيسى بن جعفر الهـاشمى : دخل عَلَىَّ عبد الله بن العباس فى يوم نصفِ شعبان ، وهو يوم سبت ، وقد أصبحت عازما على الصوم فأخذ بعضادَتى باب مجلسى وقال :

تصبحُ فى السبت غير نَشوان وقد مضى عنك نصفُ شعبان

فقلت له : قد عزمتُ على الصوم ، فقال لى : أفمليك وِزْرٌ إن أفطرتَ اليـوم لمـكانى ، وسررتنى بمساعدتك لى ، وصمت غدا ، وتصدقت مكان إفطارك ؟ قلت : أفعل ، ودعوت بالطعام : فأكلنا وجلسنا للشرب فشربنا ، وأصبح من غـد فاصطبح وساعدته.

فلما كان اليوم الثالث انتبهت سحراً وقد قال هذا الشعر :

شعبان لم يبق منـه إلا ثـــلاثٌ وعَشْرُ
فباكر الراح صُبْحا(١) لا يسبقَنَّك فَجْــرُ
وإن يَفتْكَ اصطباحٌ فـــلا يفوتنك سُكْرُ

---

(١) صرفا (أغانى) .

فأطربنى واصطبحت معه فى اليوم الثالث ، فلما كان فى آخر النهار سكر وانصرف وما شربنا ذلك اليوم إلا على قوله :

وإن يَفُتْكَ اصطباحٌ فلا يفوتَنك سُكْرُ

ومن شعر عبد الله بن العباس الربيعى فى يُسْرٍ خادم صالح بن عجيف وقد بَرِئ من عِلّة وزاره ، فأجلسه إلى جانبه ، وشرب سروراً لعافيته ، وقال :

مولاى ليس لِعَيْشٍ أنت حاضِرُه قدرٌ ولا قيمةٌ عندى ولا ثَمَنُ
ولا فقدتُ من الدنيا ولَذّتِها شيئاً إذا كان عندى وجهُك الحسنُ

عبد الله بن الخياط[1]

هو عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس .

وقيل : يونس بن سالم ، مولى قريش ، وقيل : مولى هذيل .

شاعرٌ ظريفٌ ماجنٌ خليعٌ هجاءٌ خبيثٌ مُخَضْرم من شعراء الدولتين الأُموية والعباسية .

وكان منقطعا إلى آل الزبير بن العوام مدّاحا لهم .

وقدم على المهدى مع عبد الله بن مُصْعب ، فأوصله إليه ، وتوصل له إلى أن سمع شعرَه وأحْسَنَ جائزَته .

قال يونس بن عبد الله بن الخياط : دخل أبى على المهدى فمدحه ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، ففرقها كلَّها على الجوارى . وقال يمدحه بهذين البيتين :

لمستُ بِكَفِّى كَفَّه أبتغِى الغنى ولم أدْرِ أن الُجودَ من كَفِّه يُعْدِى

فلا أنا منه ماأفاد ذوو [الغنى][2] أفدت فأَعْدانى فأنفقتُ ماعندى

فبلغ ذلك المهدىَّ ، فأضعفَ جائزته ، وأمر بحملها إلى منزله .

قال الزبير بن بكار: سرق ابن الخياط هذا المعنى من ابن هرمة .

وكان يونس عاقًّا لأبيه عبد الله ، يتهجمُ عليه بالمكاره فى كل وقت .

مر رجل بيونس هذا ، وهو يخنق أباه ، ويعصر حلقه ، فقال له : ويلك ! أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلصه من يده . ثم أقبل على أبيه يعزيه ويُسَكِّنُه فقال له :

---

(١) الأغانى ١٨ : ٩٤ . التجريد ٢٠٥٤

(٢) ما بين القوسين بياض بالأصل وهو عن الأغانى .

يا ابن أخى لا تلمه ، واعلم أنه ابنى حَقًّا ، والله لقد خنقتُ أبى فى هذا الموضع بعينه ، الذى خنقنى فيه ، فانصرف الرجل وهو يضحك .

ونشأ ليونس ابنٌ يقال له دُحَيْم فكان أعقَّ الناسِ به ، حَكَى عن نفسه قال : جئتُ يوما إلى أبى ، وهو جالس وعنده أصحاب له ، فوقفت عليهم لأغيظَه وقلت : الا أُنشدكم شعراً قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى . فأنشدتهم وهم مُنصتون وأبى يسمع :

ياسائلى من أنا أو من يناسبنى   أنا الذى ماله أصل ولا حَسَبُ
الكلب يختال فخراً حين يُبْصِرُنى   والكلبُ أكرمُ منى حين يَنْتَسِبُ
لو قال لى الناس طُرًّا أنت ألأَمُنا   ما أوْهَمَ الناسُ فى ذاكم ولا كذبوا

فقام أبى إلىَّ ليضربنى ، فعدوتُ بين يديه ، فجعل يَشْتمنى وأصحابه يضحكون .

ومما قاله دحيم فى أبيه يونس بن عبد الله بن الخياط :

جَلا دُحَيْمٌ عمايةَ الشَّكِّ   والريبِ منى والطعن فى نَسَبى
مازال فى الظنِّ والتَّشَكُّكِ   حتى عَقَّنى مثلما عَقَقْتُ أبى

علي بن جبلة[1]

هو عليُّ بن جَبَلَةَ بنِ عبد الله بن عبد الرحمن الأَنْبارى .

وكنيته أبو الحسن ، ويلقب بالعَكَوّك .

من أبناء الشيعة الخراسانية ، من أهل بغداد وبها نشأ .

وولد بالحرْبِيّة من الجانب الغربى .

وكان ضريراً ، يقال : إنه ولد ضريراً أكْمَهَ ، وزعم أهله أنه عَمِىَ بعد أن نشأ .

وهو شاعر مطبوعٌ عذبُ اللفظ جَزْلُه لطيف المعانى مداح ، حسن التصرف .

واستَنْفَدَ شعرَه فى مدح أبى دُلَفٍ ، القاسم بن عيسى العجلى ، وأبى غانم ، حميد ابن عبد الحميد الطوسى ، وزاد فى تفضيلهما وتفضيل أبى دلف حتى فَضَّلَ ربيعةَ على مضر ، وجاوز الحدَّ فى ذلك ، فيقال : إن المأمون طلبه حتى ظفر به ، فسَلّ لسانَه من قفاه ، وقيل : بل هَرَب ولم يزل متواريا مدةً حتى مات فى تواريه ، ولم يقدر عليه ، وهو الصحيح .

وكان عَلِىٌّ أصغرَ إخوته ، وكان أبوه يَرِقُّ عليه ، فجُدِرَ فذهبت إحدى عينيه بالجُدَرِىّ ، ثم نشأ وأُسْلِمَ إلى الكُتّاب فحذقَ بعض ما يَحْذِقُه الصبيان ، فحمل على دابة ونثر عليه اللوز ، فوقعت على عينه الصحيحةِ لوزةٌ فذهبت ، فقال الشيخ لولده : أنتم لكم أرزاقٌ من السلطان ، فإن أعَنْتمونى على هذا الصبى وإلا صرَفْتُ بعضَ أرزاقكم إليه ، فقال أولادُه : وما تريد ؟ قال : تختلفون به إلى مجلس الأدب ، فكانوا يأتون به مجالس العلماء ، ويتشاغلون بما يتشاغل به الصبيان ، فما أتى عليه

---

(١) الأغانى ١٨ : ١٠٠ . تجريد ٢٠٥٦

الحَوْلُ حتى برع ، وحتى كان العالِم إذا رآه قال لمن حوله: أوسعوا للبغوِيّ. وكان ذكيا مطبوعا ، فقال الشعر ، وبلغه أن الناسَ يأتون أبا دُلَف لجودِه ، وما كان يعطى الشعراء ، فقصده وامتدحه بقصيدته المشهورة التى أولها :

ذاد وِرْد الغَىِّ عن صَدَرِهْ ... وارعوى واللهوُ من وَطَرِه
وأبَتْ إلا البكاءَ له ... ضَحِكاتُ الشَّيب فى شَعَرِهْ
ندمى أن الشبابَ مَضَى ... لم أبلغه مدى أشَرِه
وانقضتْ أيامُه سلما ... لم أجِدْ حَوْلًا على غِيَرِه
حُسِرَتْ عنى بشاشَتُه ... وذَوَى المحمودُ من ثَمَرِه
ودم أهدرتُ من رشأٍ ... لم يُرِدْ عَقْلا(١) على هدَرِه
فاتت دونَ الصِّبا هَنَةٌ ... قلَبَتْ فُوقى(٢) على وَتَرِه
دع جَدًا قحطانَ أو مُضَرٍ ... فى يمانِيه وفى مُضَرِه
وامتدحْ من وائلٍ رجلا ... عصر الآفاق من عصره
المنايا فى مقانِبه(٣) ... والعطايا فى ذُرى حجره
ملك تَنْدَى أنامِلُه ... كانبلاج النَّوءِ عن مَطَرِه
مُسْتَهِلٌّ عن مواهِبه ... كابتسام الرَّوْضِ عن زَهَرِه
جبلٌ عزَّتْ مناكبه ... أمِنَتْ عدنانُ فى ثغره
إنما الدنيا أبو دُلَفٍ ... بين بادِيه ومُحْتَضَرِه
فإذا ولى أبو دُلَفٍ ... ولّت الدنيا على أثَرِه
لست أدرى ما أقول له ... غير أن الأرض فى خَفَرِه

(١) العقل : الدية .
(٢) الفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .
(٣) المقانب جمع مقنب وهى جماعة الخيل تجتمع للغارة .

يا دواء الأرض إن فَسَدَتْ ومُــديلَ اليُسْر من عُسُره
كلُّ من فى الأرض من عرب بين معداه ومُحتَضَرِه(١)
مستعيرٌ منك مَكْرُمــةً يَلْبَسَنْها يوم مُفْتَخَرِه

منها :

ولقرقور أدرت رحًى(٢) ولم تكن تَرْتَدّ فى فِكَرِه
قـد تأتيت البقــاءَ له فأبى المحتومُ من قَدَرِه
وطغى حتى رفعت [له](٣) خطة شنعاء من ذكره

فلما وصل إلى أبى دُلَف ، وعنده مَنْ عِنْدَه من الشعراء ، وهم لا يعرفونه استرابوا به ، فقال له قائده : إنهم اتهموك ، وظنوا أن الشعر لغيرك ، فقال : أيها الأمير ، إن المحنةَ تزيلُ هذا . قال : صدقت . فامتحنوه فقالوا : صف لنا فرسَ الأمير ، وقد أجَّلْناك ثلاثة أيام . قال : فاجعلوا معى رجلا تثقون به ، يكتب ما أقول ، فجعلوا معه رجلا فقال هذه القصيدة فى ليلته :

رِيعَتْ لمنشور عــلى مفرقه ذم لها عهد الصباحين انتسب
أهدابُ شَيْب جدد فى رأسه مكروهة الجِدَّة أنضاء العَقِبْ
أشْرَفْنَ فى أسْوَدَ أزْرَيْنَ(٤) به كأن دجاه لهَوَى البيضِ سَبَبْ
واعتقن أيام الغوانى والصبـا عن ميت مطلبه حىّ الأدب
لم يَزْدجر مُرْعَويا حين ارعوى لـكن يدٌ لم تَتَّصِلْ بِمُطَّلَبْ

---

(١) باديه إلى حضره (أغانى) .
(٢) فى الأصل : (ولقد بورارددت رجا) وما صوبناه عن الأغانى — وقرقور : اسم لص فاتك .
(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .
(٤) فى الأصل : (إن رين به) .

لم أر كالشيب وقاراً يَجْتوِى ... وكالشباب الغضِّ ظِلاًّ يُستَلبْ
فنـــازلٌ لم يُبْتَهَجْ بِقُرْبه ... وذاهبٌ أبقى جوًى حين ذَهَبْ
كان الشباب لِمَّةً أزهو بهـا ... وصاحبا حُرًّا عزيزَ المُصْطَحَبْ
إذ أنا أجْرى سـادرا فى غيِّه ... لا أعتبُ الدهرَ إذا الدهرُ عَتَبْ
أبعد شأوَ الدهرِ فى أحداثه(١) ... وأقصدُ الخودَ وراءَ المُحْتَجِب
وأذعرُ الرَّبْرَبَ عن أطفـاله ... بأعْوَجِىٍّ دُلَفِىٍّ المنتسب
تحسبـه من مَرَح العِزِّ بِهِ ... مُسْتَعِراً بروعة أو مُلْتَهِبْ
مضْطَرِبٌ يرتَجُّ من أقطاره ... كالماءِ جالت فيه ريحٌ فاضطربْ
تحسبه لاهثا فى استقبـــاله ... حتى إذا استدبرْتَه قلت أكَبّ
وهـــو عـــلى إرهاقِه وطيِّه ... يَقْصُر عنه المحزَمان واللَّبَبْ
تقول فيه خَبَبٌ إذا انثَـنَى ... وهو كمتن القِدْح ما فيه خَبَب
يخطو على عُوج يناهزْن الثرى ... لم يتواكل عن شظا ولا عصب
تحسبهـا ثـابتـــة إذا خطت ... كأنهـا واطئة على ركب
شثقـا وقاظ برهتيه عندنـا ... لم يؤت من بر به ولا حدب
يصان عَصْرَىْ حَرِّه وقَرِّهِ ... ويقصر الخور عليه بالحَلَبْ
حتى إذا تَمَّتْ له أعضاؤه ... لم تَنْحَبِسْ واحدة على عَتَبْ
رمنا به الصَّيْدَ فرادَتْنا به(٢) ... أوابدُ الوحش فأجْدَى واكتسَبْ
مُجْـذمُ الجَـرْى يبارى ظِلَّه ... ويعرقُ الأحْقبَ(٣) فى شوطِ الخَبَبْ

---

(١) الشطر الأول فى الأغانى (أبعد شأو اللهو فى اجرائه) .

(٢) يقال : رادت الإبل إذا اختلفت فى المرعى مقبلة مدبرة .

(٣) يقال : أجذم السير إذا أسرع فيه ، والفرس : اشتد عدوه ، والأحقب حمار الوحش .

إذا تظنناَّ به صدَّقناَ وإن تَظَنَّى فوته العيرُ كَذَبْ
لا يبلغ الجهْدَ به راكبُه ويبلغ الريحُ به حيثُ طَلَبْ
ثم انقضى ذاك كأن لم يقنه وكلٌّ بُقْيا فإلى عَطَبْ
وخلف الدهر على أحبابه بالقرح فيهم وارتجاع ما وهب
فحمل الدهرَ ابنُ عيسى قاسمٌ ينهض به أبلجُ فرّاجُ الكُرَبْ
كرَوْنق السيفِ انبلاجا بالندى وكغراريه على أهل الرِّيب
ما وسنَتْ عينٌ رأت طَلْعَتَه فاستيْقظَتْ بنوْبةٍ من النُّوَبْ
لولا ابنُ عيسى القرم كنّا هملاً لم يؤْتثَلْ مجدٌ ولم يُرْعَ حَسَبْ
ولم يقمْ فى يوم بأسٍ وندًى ولا تلاقى سببٌ إلى سَبَبْ
تكاد تبدى الأرضُ ما تُضْمِره إذا تداعت خيلُه هلّا وَهَب
ويستهل آملا وحتفه جانبها إذا استهل أو قطب
وهو وإن كان ابنَ فرْعَى وائلٍ فبمساعيه ترَقّى فى اللُّجَبْ
وبعلاهُ وعُلا آبائه يحوى غداةالسبق أخْطَارالقَصَبْ
يا زهرةَ الدنيا ويا بابَ الندَى ويا مُزيلَ الرعْبِ فى يوم الرَّهَبْ
لولاك ما كان سُرًى ولا ندًى ولا قريشٌ عُرِفَتْ ولا العَرَبْ
خذها إليك من مَلِيءٍ بالثنا لكنه غيرُ مليءٍ بالنَّشَبْ
فارْقَ رُبَى الأرضِ أو استقدر بها أنت عليها الرأسُ والناسُ الذَّنَبْ

فلما غدا عليه بالقصيدة استحسنها من حضر وقالوا : نشهد أن قائل هذه قائل تلك ، وأعطاه ثلاثين ألف درهم .

قال المأمون يوما لجلسائه : أقسمُ على من حضر ممن يروى قصيدة علىِّ بن جبلةَ الأعمى فى أبى دُلَفٍ إلا أنْشَدَنيها ، فقال له بعض جلسائه : قد أقسم أمير المؤمنين ، ولا بد

من إبرار قَسَمِه ، وما أحْفَظُها ولـكنها عندى مكتوبة ، قال : فقم فجئنى بها ، فمضى فأتاه بها فوقف عليها وأتى على آخرها فغضب ، وقال : است لأبى إن لم أقطع لسانه وأَسْفِكْ دَمَه ، وإنما نَقِمَ من ذلك أنه جعل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ عصرِ أبى دلف فى قوله :

واممتــدح من وائل رجلا عصر الآفاق من عصره

وهذه القصيدة قالها علىٌّ بن جبلة ، وقصد بها أبا دلف بعد قتله الصعلوكَ المعروفَ بقرقور ، وكان من أشد الناس وأعظَمِهم ، وكان يقطعُ على القوافلِ هو وغلمانٌ له الطريقَ وأبو دُلَفٍ يجتَهدُ فى أمره فلا يقدر عليه ، فبينا أبو دلف ذات يوم يتصيد ، وقد أمعن فى طلب الصيد وحْدَه ، إذا بقرقور قد طلع عليه ، وهو راكب فرسا ، تشق الأرض شقا ، فأيقن أبو دلف بالهلاك ، وخاف أن يُوَلِّىَ فيهلكَ ، فحمل عليه وصاح: يافتيانُ يَمْنَةً يَمْنَةً ، يوهِمُه أن معه خيلا قد كَمَنها له ، فخاف قرقور وعطف يسارَه هاربا ، ولحقه أبو دلف فوضع رُمْحَه بين كتفيه ، وأخرجه من صدره ، ونزل فاحتز رأسه ، وحمله على رمحه ، حتى أدخله الـكَرْخ فحدَّث من رأى رُمْح قرقورٍ أُدخل بين يديه يحمله أربعة نفر ، فلما أنشد على بن جبلة القصيدةَ سُرّ بها وأمر له بمائة ألف درهم .

بينما أبو دلف يسير هو وابنه مَعْقِل ، وهما بالعراق إذ مرا بامرأتين تتماشيان ، فقالت إحداها لصاحبتها : هذا أبو دلف فقالت لها الأُخرى: من أبو دلف؟ قالت: ويحك الذى يقول فيه الشاعر :

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ بــين باديه ومُحْتَضَرِه
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ ولَّتِ الدنيا على أَثَرِه

فاستعبر أبو دُلَفٍ حتى جَرَتْ دموعه . فقال له معقـل : ما لَك ؟ فبكى قال : لأنى لم أقض حقّ على بن جبلة . قال : أولم تُعطِه مائةَ ألف درهم بهذه القصيدة؟ قال:

والله ما فى قلبى حسرةٌ تقارب حسرةً إلا أنى لم أكن أعطيته مائةَ ألفِ دينار . ولو فعلت ذلك ما كنت قاضيا حقه .

قال عبد الله بن محمد بن جرير : أنشدت أبا تمام الطائى يوما قصيدة علىّ بن جَبَلة البائية فلما بلغت إلى قوله :

ورد البيض والبيض إلى الأغماد والحُجْبِ
كأن الناس جِسْمٌ وهْـ وَ فيهم موضعُ القَلْبِ

اهتز أبو تمام من قُرْنَةٍ إلى قُرْنَةٍ أخرى ، ثم قال : أحسن والله لوددت أن لى هذين البيتين بثلاثِ قصائدَ من شعرى يتخيَّرُها مكانَها .

ولعلى بن جبلةَ مدائحُ فى حُمَيْد الطوسىّ منها قصيدة مَدَحَه بها ووصف قصرَه الذى بناه على دجلة وهى :

جعـل الله حُمَيْـدا لبنى الدنيا كفيلا
مَلِكٌ لم يجعل اللـ ـهُ له فيهم عديلا
فأقاموا فى ذُراهُ مطمَئنِّينَ حُـلولا
لا يَرَى فيهم مُقلّا يسألُ المُثْرِى فُضولا
جاد فى الأموال حتى علَّمَ الجودَ البخيلا
وبنى الفخر على الفخـ ـر بناء مستطيلا
صار للخائف أَمْنـاً وعلى الجودِ دليلا

ولما مات حُميد رثاه بقصيدته العينية المشهورة ، وهى من نادر الشعر وبديعه ، وهى :

أَلِلدَّهرِ تبـكِى أم على الدهرِ تَجْزَعُ وما صاحبُ الأيامِ إلا مُفَجَّعُ
ولو سهلت عنك الأسى كان فى الأسى عزاءٌ مُعينٌ للَّبيب ومَقْنَـعُ
تعزَّ بمـا عَزَّيْتَ غيرك إنهـا سهامُ المنـايا جائمـاتٌ ووُقَّـعُ

أُصِبْنـــا بيوم من حميـــدٍ لو َانَّه ... أصاب عروشَ الدهرِ ظلت تَضَعْضَعُ
وأَدَّبَنا ما أَدَّبَ النـــاسَ قبلنـــا ... ولـكنه لم يبْقَ للصـــبر مَوْضِـعُ
ألم تر للأيام كيف تَصَرَّفَتْ ... به ، وبه كانت تُذادُ وتُدْفَعُ
وكيف التقى مثْوًى من الأرض ضَيِّقٌ ... على جبل كانت به الأرض تُمْنَعُ
ولما انقضت أيامُه انقضت العلا ... وأضحى به أنْفُ الندى وهو أجْدعُ
وراح عدوُّ الدين جـذلانَ ينْتَحِي ... أمانيَّ كانت فى حَشاه تَقَطَّعُ
وكان حميد معقلًا رَكَعَتْ به ... قواعدُ ما كانت على الضيم ِتَرْكَعُ
وكنت أراه كالرزايا رُزِئْتُها ... ولم أدْرِ أن الخلقَ تبكيه أجْمَعُ
حمام رماه من مواضع أَمْنِه ... حمام كذاكَ الخطبِ بالخطْب يقرع
وليس بغَرْوٍ أن تصيب مَنِيَّةٌ ... حِمَى أُختِها أو أن يَذِلّ الُمَنَّعُ
لقد أدركَتْ فينا المنايا بثأرِها ... وحلّتْ بخطبٍ وَهْنُه ليس يُرْقَعُ
كأن حميداً لم يقـد جيش عسـكر ... [إلى عسكر](1) أشياعه لا تروع
ولم يبعث الخيلَ المُغيرةَ بالضحى ... مِراحاً ولم يَرْجع بها وهى ظُلَّعُ
رواجعَ يحملن النِّهابَ ولم تـكن ... كتائبُه إلا على النَّهْبِ تَرْجعُ
هوى جبل الدنيا المنيعُ وغيثُهاا ... مَريعُ وحاميها الـكَمِيُّ الُمَنَّعُ
وسيفُ أميرِ المؤمنين ورُمْحُه ... ومفتاح باب الخطْبِ والخطبُ أفظعُ
فأقْنعَه من مُلْـكِه ورِباعِه ... ونائلِه قفرٌ من الأرض بَلقعُ
على أى شَجْوٍ تَشتكى النفسُ بعده ... إلى شجوه أو يَذْخَرِ الدمعَ مَدمعُ
ألم تر أن الشمس حال ضياؤها ... عليه فأضحى لونُها وهو أسْفَعُ
وأوْحَشَتِ الدنيا وأودى بهاؤها ... وأجدب مرعاها الذى كان يَمْرَعُ

---

(١) بياض بالأصل : وما بين القوسين عن الأغانى .

وقد كانت الدنيا به مطمئنةً ... فقد جعلت أوتادها تتقلع
بكى فقدَه روحُ الحيـــاة كما بكى ... نداه الندى وابنُ السبيلِ المُدفَّع
وفارقت البيضُ الخدورَ وأبرزَتْ ... عواطِنَ حَسْرَى بعده لا تَقَنَّعُ
وأيقظ أجفانا وكان لها الـكرى ... ونامت عيونٌ لم تـكن قبلُ تهْجَعُ
ولـكنه مقدارُ يومٍ ثوى بـــه ... لـكل امرىءٍ منه نِهالٌ ومَشْرَعُ
وقد رأب الله الملا بمحمد ... وبالأصل ينمى فرعـــه المتفرع
أَغَرّ على أسيافِهِ ورماحِهِ ... تُقَسَّمُ أنفـالُ الخميس وتُجْمَعُ
حوى عن أبيه بَذْلَ راحتِه الندى ... وطَعْنَ الـكُلَى والزاعبيةُ[(١)] شُرَّعُ

قيل لعلى بن جبلة : ما بلغتَ فى مديح أحدٍ ما بلغتَه فى مديح الطوسىِّ . فقال : كيف لا أفعل ذلك وأدنى ما وصل إلىَّ منه أنى أهديتُ إليه قصيدة يوم نوروز فسر بها وأمر أن يحمل إلىَّ كلُّ ما أُهدى إليه فى ذلك اليوم ، فحُمِلَ إلىّ ما قيمتُه مائتا ألف درهم .

وأهديتُ إليه [قصيدة] فى يوم عيد ، فبعث إلىّ بمثل ذلك .

دخل علىُّ بن جبلة يوما على أبى دلف ، فقال : هاتِ يا علىّ ما معك . قال : إنه قليل . قال : هاته ، فـكم من قليلٍ هو أجودُ من كثير .

فأنشدته :

اللهُ أجرَى من الأرزاق أكْثَرَها ... عـلى يديك فشُـكْراً يا أبا دُلَفِ
أعطى أبو دُلَفٍ والريحُ عاصفةٌ ... حتى إذا وَقَفَتْ أعطى ولم يَقِفِ

فأمر له بعشرةِ آلاف درهم . فلما كان بعد مـدة دخل عليه فقال له : هات ، فأنشده :

---

(١) الرماح الزاعبية : التى إذا هزت كأن كعوبها يجرى بعضها فى بعض .

من مَلَكِ المـوتِ إلى قاسمٍ رسالةٌ فى طَىٍّ قِرطاسِ
يا فارسَ الفرسان يومَ الوغى مرْنى بمن شِئْتَ من الناسِ

فأمر له بألفى درهم .

وكان قد نظر ما بَدَأ به فى هذا الشعر ، فقال له : ليست هـذه من عطاياك أيها الأمير ، فقال له : قد بلغ بها هـذا القدرَ ارتياعُنا من تَحَمُّلِك رسالةَ مَلَكِ الموتِ إلينا .

وكان علىُّ بن جبلة أعمى ، وبه وضح ، فهَوِىَ جاريةً أديبة شاعرة ، وكانت تحبه على قبح وجهه وعماه ووضَحِه ، فزارته يوماً وأمكنته من نفسها ، فافتَضَّها ، وذلك حيث يقول فى قصيدته الرائية :

ودمٍ أهْـرَقْتُ من رشأٍ لم يُرِدْ عَقْلا على هَدَرِه

من جملة القصيدة التى مدح بها أبا دلف .

قال على بن جبلة : قصدتُ حُمَيْداً الطوسى بقصيدة فلما استؤذن لى عليه أبى أن يأذن لى ، وقال : قولوا له : أىُّ شىء أتيت لى بعد قولك فى أبى دلف :

إنمـا الدنيا أبو دُلَفٍ بين باديه ومُحْتَضَره
فإذا ولى أبو دلـف ولَّتِ الدنيا عـلى أثره

فقال للحاجب : قل له الذى قلت فيك أحسن من هذا ، فإن أوْصَلْتَنى سمعت [فأمر لى بمائتى دينار فنثرتها فى حجر عشيقتى ثم حَيَّيْته بقصيدتى التى أولها :

دِجلةُ تَسقِى وأبـو غانم يطعم من تَسقِى من الناس
الناس جسمٌ وإمام الهـدى رأسٌ وأنت العينُ فى الراس]

فأوصلنى فأنشدته قولى فيه :

إنمـا الدنيا حميدٌ وعطاياه الجسامْ
فإذا ولى حميـدٌ فعلى الدنيا السلام

فأمر لى بمائتى دينار .

وكان أبو دلف قد غضب على عَلِيّ بن جَبَلة وجفاه ، فأتى إلى حميد الطُّوسىّ مستشفعا به إلى أبى دلف ، فركب معه شافعا فى أمره ، فأجابه واتصل الحديثُ بينهما ، وعلىٌّ بن جبلةَ محجوبٌ ، فأقبل على رجل من جانبه وقال له اكتب فكتب :

لا تَتركَنِّى بباب الدار مُطَّرحا ... فالُحرُّ ليس عن الأحرار يَحتجبُ

هَبْنا بلا شافعٍ جئنا ولا سبب ... ألستَ أنت إلى معروفك السببُ

فرضى عنه ووصله .

قال سعيد المخزومىُّ : دخلت على حميد الطوسىّ فأنشدته قصيدةً مدحته بها ، وبين يديه رجل ضرير ، فخلف لا يمرُّ به بيت إلا قال : أحْسَنَ قائله ، والله أحسن قائله ، أحسن لله أبوه ، أحسن أيها الأمير ؛ فأمر لى حميد ببَدْرة ، فلما خرجت قام إلىّ البوابون ، فقلت لهم : عرفونى أولا مَن المكفوفُ الذى رأيته بين يدى الأمير ؟ فقالوا : هذا علىٌّ بن جبلة المَكَوّك فارفضضت عرقا ، ولو عرفت به ، قبل ذلك ما جَسَرْت على الإنشاد بين يديه .

لما أُدخل ابنُ جبلةَ على المأمون قال له : إنى لست استحلُّ دَمَك لتفضيلِك أبا دُلفٍ على العرب كلها ، وإدخالك فى ذلك قريشا ، وهم آلُ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وعِتْرَتُه ، ولكنى استحْلَلْته بقولك وكفرك فى شعرك ، حيث تقول القول الذى أشركت فيه وهو :

أنت الذى تُنْزِلُ الأيامَ مَنزِلَها ... وتنقلُ الدهرَ من حال إلى حال

وما مددتَ مَدَى طَرْف إلى أحد ... إلا قضيتَ بأرزاق وآجال

كذبت يا عاضّ بَظْرَ أمه ، مايقدر على هذا أحدٌ إلا الله عز وجل ، الملك الواحد القهار ، سلُّوا لسانَه من قفاه . ففعل به ذلك .

وقيل إن المأمون لما بلغه قولُ على بن جبلة :

كلُّ من فى الأرض من عربٍ ... بين باديه ومُحتضَرِه
مستعيرٌ منــك مَكْرُمةً ... يكتسيها يومَ مُفتخَره

غضب من ذلك ، وقال : اطلبوه حيث كان ، فلم يقدر عليه ، وذلك أنه كان فى الجبل ، فاتصل به الخبر فهرب إلى الجزيرة ، وتوسط الشام ، وقد كتبوا إلى الآفاق فى طلبه ، فظفروا به فحملوه إلى المأمون فلما صار إليه قال له : يا ابن اللخناء أنت القائل للقاسم بن عيسى :

كل من فى الأرض من عرب ... ... البيتين

جعلتنا ممن يستعيرُ المكارمَ منه فقال : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهل بيت لا يقاسُ بكم أَحَد ، لأن الله عز وجل فضلكم على خلقه ، واختاركم لنفسه ، وإنما عَذيرِى فى قول القاسم وأقرانِه . فقال : والله ما استثنيتَ أحدا من الكلِّ ، سلوا لسانه. فَسُلَّ من قفاه .

قال على بن جبلة : جاءنى أبو يعقوب الخزيمى فقال : إن لى إليك حاجةً . فقلت : وما هى ؟ قال : تهجو لى الهيثمَ بن عَدِيٍّ . قلت : ومالَك أنت لا تهجوه وأنت شاعر ؟ قال : قد فعلت ، وما جاءنى شىء مما أُريد ، فقلت : أهجو رجلا لم تتقدمْ لى منه إساءةٌ ولا جُرْمٌ يُحْفِظُنى ؟ فقال : بعرضي فإنى ملىء . فقلت : نعم ، فأمْهِلْنى اليوم. فمضى وغدوت عليه فأنشدته:

للهيثم بنِ عَدِيٍّ نسبةٌ جمعَتْ ... آباءه فأراحتنا من العــددِ
اعدد عَدِيًّا فلو مُــدَّ البقاء له ... ما عُمِّرَ الناسُ لم تَنْقُصْ ولم تَزِدِ
نفسى فداء بنى عبد المدان وقد ... تَلَوَّوه للوجه واستعملوه بالعمد
حتى أزالوه كرها عن كريمتهم ... وعزروه بذل أين أصل عــدى
يا ابنَ الخبيثةِ مَنْ أهجو فأفضحه ... إذا هجوتُ وما تَنمِى إلى أَحَدِ

فركب محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى أخو يحيى بن زياد ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد فسألوه أن يفرق بينهما فقال الرشيد : أليس هو الذى يقول فيه الشاعر :

إذا نسبتَ عديا فى بنى ثُعَلٍ　　فقدِّم الدالَ قبل العين فى النَّسبِ

فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، فقال : هذا الشعرُ لرجل من الكوفة فى بنى شيبان ، يقال له ذهل بن ثعلبة ، فأمر الرشيدُ داودَ بن يزيد أن يُفرِّقَ بينهما فأخذوه فأدخلوه داراً ، وضربوه بالعصا ، إلى أن طلَّقها .

قال عمر بن شبة : تذاكرنا يوما أقبحَ ما هُجِىَ به الناسُ فى منزل الضيافة وإضاعةِ الضيف فأنشدنا على بن جبلة :

أقاموا الدَّيْدَبانَ على يِفاعٍ　　وقالوا لا تَنَمْ للديدبانِ
فإن آنستَ شخصا من بعيد　　فصَفِّقْ بالبنانِ على البنانِ
تراهم خَشْيَةَ الأضيافِ خُرْسا　　يؤدون الصلاةَ بلا أذانِ

كلَّم حميد الطوسىُّ المأمونَ فى أن يسمعَ من علىِّ بن جبلة مديحا مدحه به ، قال : فأى شىء يقول فىَّ بعد قوله فى أبى دلف :

إنما الدنيا أبو دُلف　　بين باديه ومحتَضَرِه
فإذا ولىَّ أبو دلفٍ　　ولَّتِ الدنيا على أثَرِه

وبعد قوله فيك أنت :

يا واحد العُرْبِ الذى　　عزّت بِعِزته العربْ
لولا حميدٌ لم يكن　　حسبٌ يُعَدُّ ولا نَسَبْ

أحسنُ أحوالِهِ أن يقولَ فىَّ كما قال فى أبى دلف ، فيجعلنى نظيراً له ، هذا إن قَدَر على ذلك ولم يَقْصُرْ عنه ، نخيِّره بين أمرين : إن كان مدحُه إياى أفضلَ من مدحه أبا دلف وَصَلْتُه ، وإلا ضربت عنقه ، أوقطعت لسانه ، وبين أن أُقيلَه وأُعْفِيَه من هذا وذا ، نخيره فى ذلك. فاختار الإقالة .

عبد الله التيمى (١)

هو عبدُ الله بن أيوب ، وكنيته أبو محمد ، مولى بنى تَيْم ، مولى بنى سَلْم .

وكان لرجل يقال له أبو التيحان . وكلاهما شاعر ، وهما من أهل الكوفة ، من شعراء الدولة العباسية.

كان عبدُ الله أحدَ الخلعاء المُجَّانِ الوصّافين للخمر .

وكان صديقا لإبراهيم المَوْصِلِيّ ، وابنه إسحاق ، واتصل بالبرامكة ومدحهم ، واتصل بيزيدَ بنِ مَزْيد ، وانقطع إليه حتى مات .

واستنفد شعره فى وصف الخمر ، وأكثر فى ذلك ، وبلغ المبالِغ ، وهو الذى يقول :

شربتُ من الخمرِ يومَ الخميس ... فى الكاسِ والطاسِ والقَنْقَلِ (٢)
فما زالتِ الكاسُ تُعَبِّى (٣) لنا ... وتذهبُ بالأولِ الأول
إلى أن توافت صلاةُ العِشا ... ونحن من السُّكرِ لم نَعْقِلِ
فمن كان يعرفُ يومَ (٤) الخميس ... وحقّ المدام فلا يَجْهَلِ
وما إنْ جرَت بيننا مزحةٌ ... تهيج مراء على السلسل

وكان له ابن يقال له حبان فمات ، وهو حديث السن ، فجزع عليه جزعا شديداً ، وقال فيه قصيدته المشهورة التى أولها :

---

(١) الأغانى ١٨ : ١١٥ .

(٢) القنقل : المكيال الضخم .

(٣) فى الأغانى (تغتالنا) .

(٤) حق الخميس (أغانى) .

يا دَيْرَ هندٍ لقد أصبحتِ لى أُنساً　　وما عهدتُكِ لِى يادير مئناسا
أَوْدَى بحَبّان ما لم يَتْرِكِ الناسا　　فامنح فؤادَكَ مِنْ أحبابك الياسا
فبتُّ أرْعَى نجومَ الليل مُكتئبا　　إخالُ سنته فى الليل قرطاسا

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : فقلت :

* وُصِفَ الصَّدُّ لمن أهوَى فصَد(١) *

ثم أقمتُ عدة(٢) ليال لا يستوى لى تمامُه فدخل علىّ أبو محمد التَّيْمىُّ فرآنى مفكرا [فقال لى : ما قصتك ؟ فأخبرته فقال :

* وبدا يمزح بالهجر فجد](٣) *

ثم أتممتها فقلت :

ماله يَعْدِلُ عنى وجْهَه　　وهو لا يَعْدِلُه عند أحدْ

وخرجتُ إلى مديح الفضل فقلت :

قد أرادوا غُرَّةَ الفضلِ وهل　　تُطْلَبُ الغُرَّةُ من خِيسِ(٤) الأسد
مَلِكٌ يدفعُ ما نَخْشَى به　　مَلِكٌ يُصْلِحُ منا ما فَسَدْ
يفعلُ الناسُ إذا ما وعَدُوا　　وإذا ما فَعَلَ الفضلُ وَعَدْ

قال محمدٌ الراويةُ المعروفُ بالبيدق ، وكان يقرأ أشعار المحْدَثين على الرشيد : قال الرشيدُ يوما : أنشدنى مَرْثية مروانَ بنِ أبى حفصة فى معنِ بن زائدة التى يقول فيها :

كأن الشمْسَ يومَ أُصيبَ معنٌ　　من الإظلام مُلْبَسَةٌ جلالا

---

(١) فى الأصل : (وصف الصد أن أهوى) والتصويب عن الأغانى .
(٢) فى الأصل : عنده .
(٣) ما بين القوسين عن الأغانى وبه يتسق الكلام .
(٤) الخيس الشجر الملتف — غابة الأسد .

هو الجبـل الذى كانت معد ... تَهُدُّ من العَدُوِّ به الجبالا
أقمنـا باليمامة بَعْدَ معنٍ ... مُقاما لا نريدُ به زيالا
وقلنا أين نذهبُ بعد مَعْنٍ ... وقد ذهب النوالُ فلا نوالا

فأنشدته إياها ، ثم قال : أنشدنى قصيدة أبى محمدٍ التيمىِّ فى مرثية يَزيدبن مَزْيد فهى أحبُّ إلىّ من هذه فأنشدته :

أحقًّا أنـه أوْدَى يزيـدُ ... تَبَيَّنْ أيها الناعى المشيـدُ
أتدرى من نعيت وكيف فاهَتْ ... به شفتاك كان بهـا الصعيدُ(١)
أحامى المجدِ والإسلامِ أوْدَى ... فمـا للأرض وَيْحَكَ لا تميدُ
تأملْ هل ترى الإسلامَ مالت ... دعائمُه وهل شاب الوليـدُ
وهل شِيمتْ سيوف بنى نزار ... وهل وُضِعَتْ على الخيل اللبودُ
وهل تُسْقَى البلادُ عشار مُزْنٍ ... بدرَّتِها وهل يخضرّ عـودُ
أمـا هُدَّتْ لمصرَعِـه نزارٌ ... بلى وتقوَّضَ المجدُ المَشيدُ
وحلَّ ضريحَه إذ حل فيه ... طريفُ المجدِ والحسبُ التليدُ
أما والله لا تنفكُّ عينى ... عليك بدَمْعِها أبداً تجودُ
فإن تَجْمُدْ دمـوعُ لئيمِ قومٍ ... فليس لدمع ذى حسب جُمودُ
أبعْدَ يزيد تَخْتَزِنُ البواكى ... دموعا أو يُصانُ لها خُدودُ
لتَبْـكِكَ قبةُ الإسلام لمـا ... هوَتْ(٢) أطنابُها ووَهَى العمودُ
ويبْـكِكَ شاعرٌ لم يُبْقِ دهرٌ ... له نَشَبا وقد كَسَدَ القصيدُ
فمن يدعو الإمامَ لـكلِّ خَطْبٍ ... ينوبُ وكل مُعْضِلةٍ تؤودُ

---

(١) الصعيد : التراب .
(٢) وهت (أغانى) .

ومن يحمى الخميس إذا تعايى ... بحيلة نفسه البطلُ النجيدُ
فإن يهلك يزيدُ فكلُّ حىٍّ ... فريسٌ للمنيةِ أو طريدُ
ألم تعجبْ له إن المنايا ... فتكْنَ به وهن له جُنودُ
قصدْنَ له وكنّ يحِدْن عنه ... إذا ما الحربُ شُبّ لها وقودُ
لقد عزّى ربيعةَ أن يوما ... عليها مثلَ يومِك لا يعودُ

فبكى الرشيد بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سُكُرّجة[1] من دموعه ملأها .

خرج كوثرٌ ، خادم الأمين بن أبى الحارث ، فأصابته رَجْمَةٌ[2] فى وجهه ، فجلس يبكى ، فوجه الأمينُ من جاء به ، وجعل يمسحُ الدموعَ عن وجهه ، وقال :

ضربوا قُرّةَ عينى ... ومِن اجلِى ضربوه
أخذَ الله لقلبِى ... من أُناس رَجَمُوه

وأراد زيادةً فى الأبيات فلم تُواتِه فقال للفضل : مَنْ هاهنا من الشعراء ؟ فقال : الساعةَ رأيتُ عبدَ الله بن أيوب التيمى بالباب فقال : علَىَّ به ، فلما دخل أنشده البيتين وقال : أَجِزْ ، فقال :

ما لِمَنْ أهْوَى شبيــه ... فَبِهِ الدنيا تتيه
وصْلُه حلوٌ ولكنْ ... هَجْرُه مُرٌّ كريه
مذ رأى الناسُ له الفضـ ... ـلَ عليهم حسَدوه
مثلَ ما [قد][3] حسدَ القا ... ئمَ بالملك أخوه

---

(١) السكرجة : الصفحة التى يوضع فيها الأكل .
(٢) الرجمة : ضربة الحجر .
(٣) ما بين القوسين عن الأغانى وبه ينتظم الوزن .

فقال محمد : أحسنتَ ، والله هذا خيرٌ مما أردناه، بحياتى عليك ياعباسُ إلا نَظَرْتَ فإن جاء على ظَهْرٍ ملأْتَ أحمالَ ظَهْرِه دراهم ، وإن جاء فى زورقٍ ملأته له ، فأوقرت له ثلاثة أبغالٍ دراهمَ .

ولما قُتِـل محمدٌ الأمينُ خرج أبو محمد التيمىُّ إلى المأمون وامتدحه، فلم يأذن له، فصار إلى الفضلِ بن سهل ، ولجأ إليه ، وامتدحه فأوصله إلى المأمون ، فلما مثل بين يديه وسلّم بالخلافة عليه ، قال له : إيه يا تيمىّ :

مثلَ ما قد حسـدَ القـا ئمَ بالملك أخـوه

فقال له التيمى : بل أنا القائلُ يا أمير المؤمنين :

نصرَ المأمونُ عبدَ الـ لهِ لمّا ظلموه
نقضوا العهدَ الذى كا نوا قديمـــا أكّدُوه
لم يُعامِلْه أخوهُ بالذى أَوْصَى أبوه

ثم أنشدَه قصيدة له امتدحه بها أولها :

جَزِعْتَ ابنَ تَيْمٍ إذ علاك مشيبُ وبان شبـابٌ والشبـابُ حبيبُ

فلما أنشده إياها وفرغ منها قال له : لقد وهبتُك لله عز وجل ولأخى أبى العباس، يعنى الفضلَ بنَ سهل ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

قال أبو محمد التيمى : دخلت عَلَى محمدٍ الأمينِ أولَ ماوَلِىَ الخلافةَ فقال : ياتَيْمِىّ وددت أنه قيل فىّ مثل قول طريح [بن إسماعيل] فى الوليد بن يزيد :

طوبَى لفرْعَيْك من هنا وهنا طوبى لأعراقك التى تشِـــجُ

فإنى والله أحقُّ بذلك منه ، فقلت : أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين. ثم دخلت إليه من غد ، فأنشدته قصيدتى التى أولها :

لا بد من سَـكْرَةٍ على طربِ لعل روحا تزيلُ من كَربى

خليفةُ الله خَــيْرُ مُنْتَخَبٍ　　لخيرِ أمٍّ من هــاشمٍ وَأَبِ
خلافةُ الله قد توارَثَها　　آباؤه فى سوالِفِ الـكُتُبِ
فهى لـكم دونَه مُوَرَّثَةٌ　　عن خاتَمِ الأنبياءِ فى الحِقَبِ
يابن الندى من ذوائبِ الشَّـ　　ـرَفِ الأقدمِ أنتم دعائمُ العربِ
أكرِمْ بفرعيْن[١] يجريان به　　إلى الإمام المنصور فى النسبِ

فتبسم ثم قال : ياتيميُّ أحسنتَ ولـكن كما قيل : مرعًى ولا كالسَّعدان. ثم التفت إلى الفضل ابن[٢] الربيع وقال: بحياتى أوقِرْ زورقَه مالا فقال : نعم يا سيدى ، فلما خرجتُ طالبتُ الفضلَ بذلك ، فقال لى : أنت مجنون ؟ من أين لنا مال نملأ به زورَقَك ؟ ثم صالَحَنى على مائة ألف درهم .

أمر محمدٌ الأمينُ لأبى محمد التيميِّ بجائزة عشرة آلاف دينارٍ ، ثوابا عن بعض مدائحه، فاشترى بها ضَيْعة بالبصرة حسنةً ، وقال بعد أن ابتاعها يذكر ذلك :

إنى اشتريتُ بما وهبت لِيَهْ　　أرضا أمُون بهــا قرابَتِيَهْ
فبِحُسْنِ وجهك حين أسأل قُلْ:　　يا ابن الربيعِ احملْ إليه مِيَهْ

فقال : بحياتى يا عباسيُّ احمل إليه مائة ألفِ درهم ، فدعاه فأعطاه خمسين ألفا ، وقال : الخمسون الأُخرى لك علينا ، إذا اتسعت أيدينا .

عشق التيميُّ جارية لبعض النخاسين فشكا وجْدَه بها إلى أبى عيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: ياأمير المؤمنين ، إن التيميَّ يَجِدُ[٣] بجارية لبعض النخاسين، وقد كتب إلىّ بيتين يسألنى ثمنَها. قال : وما هما؟ فقال :

---

(١) فى الأصل لعرقك وهذه عن الأغانى .
(٢) فى الأصل : إلى والتصويب عن الأغانى .
(٣) وجد بفلان بكسر الجيم : أحبه حبا شديدا .

يا أبا عيسى إليك المُشْتَكى | وأخو الصَّبْرِ إذا عِيلَ شكا
ليس لى صبرٌ على فِقدانها | وأعافُ المَشْرَبَ المُشْتركا

فأمر له بثلاثين ألفَ درهم ، فاشتراها بها .

مدح أبو محمد التيمىُّ الفضلَ بن يحيى ، فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، والأبيات التى مدحه بها :

لعمرُك ماالأشرافُ فى كل بلدة | وإن عَظُموا للفضلِ إلا صنائعُ
ترى عظماءَ الناس للفضل خُشَّعا | إذا ما بدا والفضلُ لله خاشعُ
تواضعَ لما زاده الله رفعةً | وكلٌّ خليلٍ عنده متواضعُ

كتب الحجاجُ إلى قتيبة بن مسلم :

إنى نظرت فى سنِّى فإذا أنا ابن ثلاث [وخمسين] (١) سنة وأنا وأنت لِدةُ عام واحد ، وإن امرأً قد سار إلى مَنْهل خمسين سنة لقَمِنٌ أن يَرِدَه والسلام :

فسمع التيمى هذا فقال :

إذا ذهب القَرْنُ الذى أنت منهمُ | وخُلِّفْتَ فى قَرْن فأنت غريبُ
وإن امرأً قد سار خمسين حِجَّة | إلى مَنْهلٍ من وِرْدِه لقَريبُ

قال عبد الله بن أحمدَ التيمى ابنُ أختِ أبى محمد التيمى : أنشدنى أبو محمد :

لا تَضْرَعَن لمخلوق على طمعٍ | فإن ذلك نقصٌ منك بالدينِ
واطلبْ (٢) إلى الله مما فى خزائنه | فإنما هى بين الكافِ والنونِ (٣)
أماتَرَى كلَّ من ترجو وتسألُه (٤) | من الخلائق مسكينَ بن مسكينِ

(١) بياض فى الأصل : وما بين القوسين عن الأغانى .
(٢) وأرغب (أغانى) .
(٣) إشارة إلى قوله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) .
(٤) وتأمله (أغانى) .

عمرو بن أبى الكنّات(١)

هو عمرُو بنُ عثمانَ بن أبى الكنّات مولى بنى جُمَح .

مغنٍّ محسنٌ طيبُ الصوتِ من طبقةِ ابن جامع وأصحابه ، مكىٌّ وفيه يقول الشاعر :

أحسنُ الناسِ فاعْلَموه غناءً رجلٌ من بنى أبى الكنّاتِ

وكان يُكْنى أبا عثمان وقيل أبا معاذ ، وكان له ابن يغنى أيضا يقال له دَرّاج .

وقف ابن أبى الكنّات على جسر بغداد ، أيام الرشيد ، فحدَّثه رجل أن ابن عائشة وقف فى أيام المَوْسم ، فمر به بعضُ أصحابه ، فقال له : ما تعمل ؟ فقال إنى لأَعْرِفُ رجلا لو تكلم لَحبَس الناسَ ، فلم يذهب أحدٌ ولم يجىء أحد ، فقال له(٢) : ومن هذا الرجل ؟ فقال : أنا . ثم اندفع يغنى :

جَرَتْ سنحاً(٣) فقلت لها أجيزى نوًى مشمولةٌ فمتى اللقاءُ

بنفسي من تَذَكُّرُه سَقَامٌ أُعالِجُه ومَطْلَبُه عَنَاءُ

فحُبِسَ الناسُ واضطربت المحاملُ ، ومَدَّت الإبلُ أعناقَها ، وكادت الفتنةُ أن تقع ، فأُتِىَ به هشام ، وكان فى الموسم ، فقال : يا عدوَّ الله أردتَ أن تفتنَ الناس ، وكان تيّاها فقال له هشام : ارفق بتيهك فقال ابن عائشة : حق لمن كانت هذه قدرتُه على القلوب أن يكون تيّاها فضحك هشام وأطلقه ، فقال ابن أبى الكنات ، وكان معجبا بنفسه : أنا أفعلُ كما فعل ، وقُدْرتى على القلوب أكثرُ من قدرته عليها ،

---

(١) الأغانى ١٨ : ١٢٦ .

(٢) فى الأصل: فقلت وفى ب والأغانى : فقال .

(٣) فى الأصل : شبحا .

ثم اندفع فغنى هذين البيتين ، وهو على جسر بغـــداد ، وكانوا إذ ذاك ثلاثة جسور فانقطعَت الطرقُ، وامتلأت الجسورُ بالناس ، وازدحموا عليها ، واضطربت حتى خِيف عليها أن تنقطع لِثقْل من عليها من الناس، فأُخذ فأُتى به الرشيدُ فقال: ياعدو الله أردتَ أن تفتن الناسَ ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولـكنى بلغنى أن ابن عائشةَ فعلَ مثل هذا فى أيام هِشام ، فأحببت أن يكون فى أيامك مثلُه ، فأعجبه ذلك ووصله بمال وأمره أن يغنى ، فسمع شيئاً لم يَسْمع مثلَه قط ، فحبسه عنده شهراً ، يستزيده فى كل يوم ويجيزه ، وهو يذكر الانصراف فلا يأذن له حتى تَمَّ شهرا .

قال المُخْـبِرُ لهذه الحـكاية : وكان ابن أبى الـكنّات كثيرَ الغشيان(١) لى فلما أبطأ توهَّمْتُه قد قُتِـل فصار إلىَّ بعد شهر بأموالٍ جَمَّةٍ ، وحدثنى بما جرى بينه وبين الرشيد .

قال عيسى بن موسى : كنا يوما على شَرابٍ ، ومعنا عمرو بن أبى الـكنّات ، إذ قال لنا طلوعَ الشمس : من تحبون أن يجيئكم ؟ قلنا : منصور الحجبى قال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذى ينحدر فيه إلى سوق البقر(٢) فمكثنا ساعة ثم اندفع يغنى :

عَفَت الدارُ بالهضابِ اللواتى بـين ثَوْرٍ فمُلْتَقَى عرفـاتِ
أحسنُ الناس فاعلموه غناءً رجل من بنى أبى الـكنّات

فلم نلبث أن رأينا منصورا من بُعْدٍ قد أقبل يركض دابّتَه نحونا ، فلما جلس إلينا قلت له : من أين علمت ؟ قال : سمعت صوتَ عمرو وأنا فى سوق البقر فخرجت أركضُ دابتى حتى صِرْتُ إليكم ، وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

---

(١) كذا فى الأغانى وفى الأصل : الغناء .
(٢) عن الأغانى وفى الأصل : هكذا (المعسه) .

عَبْدةُ بن الطبيب[1]

والطبيبُ اسمه يزيدُ بن عمرو بن وَعْلة بن أنس بن عبد الله بن عبد تَيْم بن جُشم ابن عبد شمس ، ويقال عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، كلها تُدْعى فى الجاهلية عَبْدَ تيم ، وتيم صنم كانوا يعبدونه .

عَبْدة شاعرٌ مجيدٌ ليس بالمكثر ، وهو مُخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ، وكان فى جيش النعمان بن مُقَرّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن .

قال الأصمعى : أرثى بيت قالته العرب قول عَبْدة :

عليك سلامُ اللهِ قَيْسَ بن عاصم ورحْمَتُه ما شاء أن يَتَرَحَّمَا
تحيةَ من أوليْتَه منك نعمةً[2] إذا زار عن شَحَطٍ بلادَك سلّما
فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْك واحدٍ ولكنه بنيانُ قومٍ تَهَدّما

قال رجل لخالد بن صفوان : كان عبدة لا يحسنُ أن يهجو ، فقال : لا تَقُلْ ذلك فوالله ما أَبَى مِنْ عِىٍّ[3] ولكنه كان يترفع عن الهجاء ، ويراه ضَيْمَةً كما يرى تركَه مروءةً وشرفاً وأنشد :

وأجرأ من رأيتُ بظهر غيبٍ على عيبِ الرجال أخو العيوب

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : أىُّ المناديلِ أشرفُ ؟ فقال قائل منهم : مناديلُ مصر ، كأنها غِرْقِئُ البيض ، وقال آخر : مناديلُ اليمن كأنها نَوْرُ الربيع ،

---

(١) الأغانى ١٨ : ١٦٣ — مهذب ٢/١٥٩ . تجريد ٢١٦٤

(٢) تحية من غادرته غرض الردى (الحماسة) .

(٣) فى الأصل : ا ، ب ما أبى مرعى والتصويب عن الأغانى .

فقال عبد الملك : مناديل أخى بنى سَعْد ، عَبْدة بن الطبيب ، أحسن حيث يقول :

لما نَزَلْنا ضَرَبْنا ظِلَّ أخبيةٍ[1] وفار للقوم باللحمِ المراجيلُ
وَرْدٌ وَأشقَرُ ما يُنْهِيه طابِخُهُ ما غَيَّرَ الغلىُ منه فهو مأكولُ
ثُمَّتَ قمنا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أعرافُهُنَّ لأيدينا مناديل

(١) لما وردنا رفعنا ظل أردية (مهذب الأغانى) .

عريب[1]

شاعرةٌ صالحة مغنيـةٌ محسنة مليحة الخطِّ والمَذْهب في الـكلام ، ونهايةٌ في الحسن والجمال والظرف ، وحسن الصورة وجودة الضرب ، وإتقان الصنعة ، ومعرفة النَّغَم ، والرواية للشعر والأدب .

لا يتعلقُ بها أحدٌ من نظرائها ، ولا ترى في الدنيا بعد القيانِ الحجازياتِ القدماءِ[2] مثل جميلة وعزّة الميلاء وسلّامة الزرقاء ، ومَن جرى مجراهن ، على قلة عددهن ، نظيراً لها .

وكان فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهن ، مما يكونُ في مثلِها من جواري الخلفاء ، ومَن نشأ في قصور الخلافة ، وغُذِّيَ برقيق العيش ، الذي لا يدانيه عيشُ الحجاز ، والنشءِ[3] بين العامة من العرب الجفاة ومن غَلُظ طبعُه . وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته إلى غيره[4] .

قال إسحاق بن إبراهيم : ما رأيت امرأةً أضربَ من عريب ، ولا أحسن صنعة ، ولا أجمل وجها ، ولا أخف روحا ، ولا أحسن خطابا ، ولا أسرع جوابا ، ولا ألعبَ بالشطرنج والنردِ ، ولا أجمع لخَصْلة حسنةٍ أراها[5] في امرأة غيرها قط .

فذُكِر ذلك ليحيي بن أكثم ، فقال : صدق أبو محمد ، هي كذلك ، قيل له :

---

(١) الأغاني ١٨/١٧٥ .

(٢) القديمات (أغاني) .

(٣) في الأصل : والنشر ... من العرب، وما أثبتناه عن الأغاني.

(٤) كانت في الأصل (من لا يحتاج إلى شهادته غيره) وما ذكرناه عن الأغاني .

(٥) لم أر مثلها في امرأة (الأغاني) .

أفسمعتَها ؟ قال : نعم ، هناك ، يعنى فى دار المأمون ، قيل : أفكانت كما ذكر أبو محمد من الحِذْق ؟ فقال يحيى : هذه مسألةٌ الجواب فيها على أبى إسحاق ، فهو أعلمُ بها منى .

قال حماد : فأخبرتُ أبى بذلك فضحك ، ثم قال: أما استَحْيَيْتَ من قاضى القضاة أن تسأله عن مثل هذا ؟

ويقال : إنه كان لها من الغناء ألفان ومائةٌ وخمسةٌ وعشرون صوتا .

وكان أبو عبد الله الهشامىُّ يطعنُ على صَنْعتها ، وليست كما يَزْعُم فيها ، ولكن كان ذلك لسبب ، وهو أنه حضرَ يوما مجلسا فقال له عبد الملك بن عبيدالله بن طاهر : غَنِّ يابن هشام ، فقال : تبتُ عن الغناء منذ قُتِل سيدى المتوكل ، فقالت له عريب : والله لقد أحسنتَ حين تُبْتَ فإن غناءك كان قليلَ المعنى ، لا متقنٌ ولا صحيحٌ ولا مُطرِب. فأضحكتْ أهلَ المجلس جميعا منه ، فخجل فكان بعد ذلك يبسط لسانه فيها ، ويعيب صنعتَها ، وليس هى كذلك .

وكان يقال إن عريبَ كانت لعبد الله بن إسماعيل صاحبِ مراكبِ الرشيد ، وهو ربّاها وأدبها وعلمها الغناء .

وكان يقال : إنها بنتُ جعفر بن يحيى ، وأن البرامكة لما نُهِبُوا سُرِقَتْ وهى صغيرة ، وذلك أنه يقال : إن أُمَّها كانت تسمى فاطمة ، وكانت قَيِّمةً لأُمِّ عبد الله بنت يحيى بن خالد ، وكانت صبيةً نظيفةً ، فرآها جعفر بن يحيى ، فهَوِيهَا وسأل أُمَّ عبد الله أن تزوِّجَه إياها ، ففعلت وتزوجها جعفر بن يحيى ، فأنكرَ عليه أبوه ، وقال له : تتزوج بمن لا يُعرفُ لها أم ولا أب ، اشتر مكانها ألفَ جارية ، فأخرجها فأسكنها فى دارٍ ، ناحيةَ باب الأنبار ، سرا من أبيه ، ووكَّلَ بها من يَحْفَظُها ، وكان يتردد إليها فولدَتْ عريبا فى سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وكانت سِنُّها إلى أن ماتت ستا وتسعين سنة .

وماتت أمُّ عريب فى حياة جعفر ، فدفعها إلى امرأة نصرانيةٍ ، وجعلها داية لها فلما حدثتْ بالبرامكة تلك الحادثةُ باعتها من سنبس[1] النخاس فباعها من المراكبي .

وقال يوسفُ بن يعقوب : كنت إذا نظرتُ إلى قَدَمَيْ عريب شَبَّهْتُهما بقدمى جعفر بن يحيي ، وذكرت[2] بلاغتَها فى كتبها ، فقلت : وما يمنعُها من ذلك وهى بنت جعفر بن يحيي ؟

قالت عريب : بعث الرشيدُ إلى أهلنا ، تعنى البرامكةَ ، رسولا يسألُهم عن أحوالهم ، وأمره ألّا يُعْلِمَهُم أنه مِنْ قِبَلِه ، قالت : فصار إلى عَمِّى ، تعنى الفضلَ ، فسأله فأنشأ يقول :

سألونا أنْ كيف نحن فقلنا[3] ... من هَوَى نَجْمُه فكيف يكونُ
نَتَمَنَّى من الأمينِ إيابا ... كلَّ يومٍ وأينَ منّا الأمينُ
نحن قومٌ أصابنا غِيَرُ[4] الدهـ ... ـرِ فظَلْنا لرَيْبِه نَسْتَكينُ

ذكرتْ عريبُ أن هذا الشعرَ للفضل بن يحيي ، وليس كذلك ، وإنما هو للحسين بن الضحاكِ يرثى به الأمينَ محمداً بعد قتله .

وكان المراكبيُّ مولى عريب قدخرجَ بها إلى البصرةِ فأدّبها وخرّجها وعلمها الخطَّ والنحوَ والشعرَ والغناءَ ، فبرعت فى جميع ذلك ، وتزايدت حتى قالت الشعر .

وكان لمولاها صديقٌ يقال له حاتمُ بن عدى من قوادِ خراسانَ وقيل : إنه كان يكتبُ لعجيف على ديوان الفرض ، فكان مولاها يدعوه كثيرا ويخالِطُه ، فركبه دينٌ

---

(١) كانت فى الأصل سنبس .

(٢) النص فى الأغانى : وسمعت من يحكى بلاغتها فى كتبها وذكرت لبعض الكتاب فقال : وما يمنعها ...

(٣) « سألونا عن حالنا كيف أنتم » (أغانى) .

(٤) عنت ـ حادث (أغانى) .

فاستتر عنده ، فمد عينه إلى عريب . وكاتبها ، فأجابته ، ودامت المواصلة بينهما ، وعشقته عريب ، فلم تزل تحتال حتى اتخذت سلما من عقبٍ[1] ، وقيل من خيوطٍ غلاظٍ وسترته حتى همت بالهرب إليه بعد انتقاله من منزل مولاها مدة وقد اتخذ لها موضعا فلفّت ثيابها ، وجعلتها فى فراشها بالليل ، ودثّرتها بدثارها ، ثم تسورت من الحائط فهربت ، فمضت إليه فمكثت عنده ، ومولاها لا يطلبها بفريةٍ ولا يتهمه بشىء من أمرها ، فلما صارت عنده بعث إلى مولاها يستعير منه عوداً لتغنيه به ، فأعاره عودها وهو لا يعلم أنها عنده : فقال عيسى بنُ عبد الله بن إسماعيل المراكبى : يهجو أباه ويعيره بها ، وكان كثيراً ما يهجوه :

قاتل الله عَريباً ... فَعَلَتْ فعلا عجيبا
ركِبَتْ والليلُ داجٍ ... مركَبا صعبا مَهيبا
ولقد أصبح عبدُ الـ ... له كَشحانا حَريبا
قد لعمرى لَطَمَ الخدْ ... دَ وقد شَقّ الجيوبا
فارتقت متصلا بالنـ ... نَجْمِ أو منه قريبا
صَبَرَتْ حتى إذا ما ... أقْصَد النومُ الرقيبا
مَثَّلَتْ بين حشاياها ... لكيلا تستريبا
خلفاً منها إذا نو ... دِىَ لم يُلفَ مجيبا
ومضت يحملها الخو ... فُ قضيبا وكثيبا
مُحّة لو حُرِّكَتْ خِفْ ... تَ عليها أن تذوبا
فتدلّت لمحبٍّ ... فتلقّاها حبيبا
جَذِلاً قد نال فى الدنـ ... ـيا من الدنيا نصيبا

---

(١) العقب : العصب الذى تعمل منه الأوتار .

أيهـــا الظبيُ الذى تَسْـ ـحر عيناه القلوبا
والذى يأكل بعضاً بعضُـــه حسنا وطيبا
كنت بَهْماً لذئابٍ فلقد أطعمتَ ذِيبـا
وكذا الشـاء إذا لم يـك راعيها لبيبـا

ثم إن عريبَ ملّته بعد ذلك فهربت منه ، فكانت تغنى عند أقوام عرفتهم ببغداد ، وهى مستترة متَخَفِّية .

فلما كان فى بعض الأيام اجتاز ابنُ أخٍ للمراكبىّ ببستان كانت فيه مع قوم تغنى ، فسمع غناءها ، فعرفه فبعث إلى عمه من وقته ، وأقام هو بمكانه ، حتى جاء عمه فكَبَسها[1] وأخذها وضربها مائة مقرعة ، وهى تصيح : يا هذا لم تقتلنى ، لست أصبر عليك ، أنا امرأة حرة ، وإن كنت مملوكةً فبعنى ، فلست أصبر على الضِّيقة[2] .

فلما كان من الغدِ ندم على فعلِه ، وصار إليها ، وقبل رأسها ويدَها ورجْلها ، ووهب لها عشرة آلاف درهم .

ثم بلغ محمداً الأمين خبرُها فأخذها منه ، وكان خبرُها قبل ذلك قد اتصل بالأمين فى حياة أبيه ، فطلبها منه فلم يجبه إلى ما سأل . وقبل ذلك كان قد طلبَ خادما عنده فمنعه ، فاضطغن ذلك عليه .

فلما وَلِىَ الخلافةَ جاء المراكبى ، ومحمد راكب ، ليقبل يَدَه فأمر بمَنْعِه ودَفْعِه ، ففعَل ذلك الشاكرى ، فضربه المراكبىُّ وقال : أتمنعنى عن تقبيلِ يد مولاى ؟ فجاء الشاكرىُّ لما نزل محمدٌ فشكاه ، فدعا محمدٌ المراكبىَّ وأمر بضرب عنقه ، فسئل فى أمرِه فعفا عنه وحبسه ، وطالبه بخمسمائة ألف درهم ؛ ثم اقتطعها من نفقات

(١) يقال كبس القوم داره : هجموا عليها فجأة .
(٢) الضيقة : سوء الحال ، الفقر .

الـكُرَاع[1] ، وبعث فأخذ عريبَ من منزله مع خدم كانوا له ؛ فلما قُتِلَ محمدٌ هربت عريبُ إلى المراكبيِّ فـكانت عنده .

ومما قال حاتم بن عدى حين هَرَبَتْ عريب من عنده من أبيات :

ورُشُّوا على وجهِى من الماء واندُبوا قتيلَ عَرِيبٍ لا قتيـلَ حُروبِ
فليتكِ إذْ عَجَّلتِنِى فقتَلتِنِى تـكونين من بعـد المماتِ نصيبى

وقيـل إنها لما هَرَبَتْ من المراكبى هربت إلى محمدِ بن حامدِ الخاقانى ، أحد قواد خراسان ، وكان أشقرَ أزرقَ أصهبَ . وفيه تقول عريب :

بأبى كلُّ أصْهَب أزرقِ العينِ أشْقَر
جُنَّ قلـبى به وليس جنونى بمنكر

قال ابن المدبّر : خرجت مع المأمون إلى أرض الروم أطلبُ ما يطلبُ الأحداثُ من الرزق ، فـكنا نسير مع العَسْـكرِ ، فلما خرجنا من الرقة رأيت جماعة من الخدم، فى العماريات على الجمازات ، وكنارفقةً ؛ كلُّنا أتراب . فقال لى بعضُهم : على بعض هذه الجمازات عَريب . قلت : من يراهِنُنى فى أننى أمُرُّ فى جنبات هذه العماريات ، وأنشد أبياتَ عيسى ؟ فأنشدتُ الأبيات ، وأنا رافع صوتى بها حتى أتممتها ، فإذا أنا بامرأة قد أخْرَجَت رأسَها . فقالت : يا فتى قد أُنسيتَ أجود الشعر وأطيبَه، نسيت قوله :

وعريبٌ رطبةُ الشَّفْـ ـرَيْن قد نيكت ضروبا

اذهب نخذ ما راهنت به . ثم ألقت السَّجْف ، فعلمت أنهـا عريب ، وبادرت إلى أصحابى ، خوفا من مكروه يلحقنى من الخدم .

---

(١) الـكراع من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو ما استدق من الساق. والـكراع أيضا اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

كانت للمراكبى جاريةٌ يقال لها مظلومة ، جميلةُ الوجه بارعةُ الحُسْن ، وكان يبعث بها مع عريب إلى الحمّام ، وإلى من تزوره [من أهله ومعارفه](١) فكانت ربما دخلت مع عريب إلى ابن حامد الذى كانت تحبه ، فقال فيها بعض الشعراء وقد رآها عنده :

لقد ظلموكَ يا مظلوم لما ... أقاموكَ الرقيبَ على عريبِ
ولو أولوكَ إنصافاً وعَدْلا ... لما أخْلَوْكَ أنت مع الرقيب
أتنهَيْن المريبَ عن المعاصى ... وكيف وأنت من شأن المريبِ
وكيف يُجانبُ الجانى ذنوبا ... لديك وأنتَ داعيةُ الذنوبِ
فإن يَسْتَرْقِبوكَ على عريب ... فما رَقَبُوكَ من رَيْب القلوبِ

ويشبه هذا قول الناشئ فى رقيبة المغنية :

فديْتُك لو أنهم أنصفوا ... لما مَنعوا العينَ عن ناظرَيْك
وقد بعثوك رقيبا لها ... فمن ذا يكون رقيبا عليك
ألم يقرءوا وَيْحَهُم ما يرو ... ن من وحى طرْفِك فى مقلتيك
يصدون أعيُنَنا عن سواك ... وهل تنظر العين إلا إليك

لما نُمِىَ خبرُ عريب إلى الأمين بعث فى إحضارها وإحضار مولاها ، فأُحضرا فغنت بحضرة إبراهيم بن المهدى :

لكل أُناس جوهرٌ متنافسٌ ... وأنتِ طرازُ الآنساتِ الملائحِ

فطرب الأمين ، واستعادها الصوتَ مراراً ، وقال لإبراهيم : كيف سمعت يا عم ؟ قال : سيدى سمعتُ حسناً ، وإن تطاولَتْ بها الأيام ، وسكن روعُها ازداد غناؤها حسناً . فقال الربيع : خذها إليك ، وساوم بها ، ففعل واشتط مولاها فى السوم ، ثم أوجبها له بمائة ألف درهم ، وانتقض أمرُ الأمين وشُغِلَ عنها وشغلت عنه ، فلم يأمرْ

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

لمولاها بثمنها حتى قتل ، بعد أن افتضَّها ، فرجعت إلى مولاها ، ثم هَربت منه إلى حاتم ابن عدى ، فلم تزل عنده حتى قدم المأمونُ بغدادَ فتظلم إليه المراكبيُّ من حاتم فأمر بإحضاره ، فأُحضِرَ فسأله عنها ، فأنكرها . فقال له المأمون : كذبت وقد وقع إلىَّ خبرك . وأمر صاحبَ الشرطةِ أن يُجرِّده فى مجلس الشُّرطَ ، ويضع عليه السياط حتى يردها ، فأخذه وبلغها الخبرُ فركبت حمار مكار ، [وجاءت] وقد جُرِّد ليُضرَب ، وهى مكشوفةُ الوجه ، وهى تصيح : أنا عريب ، إن كنت مملوكةً فليَبِعنى ، وإن كنت حرةً فلا سبيل له عَلَىَّ . فرُفِعَ خبرُها إلى المأمون ، فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضى ، فعُدِّلَتْ عنده ، وتقدم إليه المراكبى مطالبا بها ، فسأله البيِّنَة على ملكه إياها ، فعاد متظلما إلى المأمون ، فقال : قد طولبتُ بما لم يُطَالَبْ به أحدٌ فى رقيق ، لا يوجد مثله فى يدِ من ابتاع عبداً أو أمة ، وتظلمَتْ إليه زُبيدةُ وقالت : من أغلظ ما جرى علىَّ من بعد قتْل ابْنى هجومُ المراكبيِّ على دارى ، وأخذُ عريب منها . فقال المراكبى : إنما أخذتُ مِلْكِى ، لأنه لم يَنقُدْنى الثمن . فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمر الواقدى ، وكان قد ولّاه القضاء بالجانب الشرقى ، فأخذها من قتيبةَ بن زياد ، وأمره ببيعها ساذَجَةً فاشتراها المأمون بخمسين ألفَ درهم ، فذهبت به كل مذهب مَيْلًا إليها ومحبة لها .

ولقد حَدَّثَ علىُّ بن يحيى المنجم أن المأمونَ قبّل فى بعض الأيام رِجْلها . ولما مات المأمون بيعتْ فى ميراثِه ولم يُبَعْ له عبدٌ ولا أمة غيرها [فاشتراها المعتصم بمائة ألف درهم وأعتقها فهى مولاته . وأخبرنى جحظة عن ميمون بن هارون أن المأمون اشتراها][(١)] بخمسة آلافِ دينار . ودعا بعبد الله بن إسماعيل فدفع الثمن ، وقال : لولا أنى حَلَفْتُ ألّا أشترى مملوكا بأكثرَ من هذا لزِدْتُكَ ، ولكنى سأُوَلِّيك عملا

(١) ما بين القوسين بياض بالأصل وما أثبتناه عن الاغانى وبه يستقيم الكلام .

تكسب فيه أضعاف هذا الثمن مضاعفا ، ورمى إليه بخاتمين من ياقوتٍ أحمرَ قيمتهما ألفا دينار ، وخلع عليه خلعاً سنية . فقال : يا سيدى إنما ينتفع بهذا الأحياء وأما أنا فإنى لا محالةَ ميِّتٌ ، لأن هذه الجاريةَ كانت حياتى ، وخرج عن حضرته فاختلط وتغير عقله ، ومات بعد أربعين يوما .

قال إبراهيم بن رباح : كنت أتولَّى نفقاتِ المأمون ، فوَصَف له إسحٰقُ بن إبرٰهيم الموصلى عريبا ، فأمره أن يشتريها ، فاشتراها بمائة ألف درهم ، فأمرنى المأمونُ بحملها إليه ، وأن أحمل إلى إسحٰقَ مائةَ ألفِ درهمٍ أُخرى ، ففعلت ذلك ولم أدر كيف أُثبت ذلك فى الديوان ، فكتبتُ أن المائة الألف درهم خرجت فى ثمن جوهرة ، والمائة الألف درهم الأُخرى خرجت لصانعها ، ودلالها ، فجاء الفضلُ بن مروان إلى المأمون ، وقد رأى ذلك ، فأنكره على وسألنى عنه ، فقلت : نَعَمْ هو ما رأيت ، فسألَ المأمونَ عن ذلك ، فقال : وهبت لدلَّال وصانعٍ مائةَ ألف درهم وغَلَّظَ القضيةَ فأنكرها المأمون ، ودعانى فدنوتُ فأخبرته أن المالَ الذى خرج فى ثمن عَريبٍ وصِلَةِ إسحٰق ، وقلت : أيما أَصوبُ ، يا أمير المؤمنين ، ما فعلت أو أن أُثبت فى الديوان أنها خرجت فى ثمن مغنية وصلة مغن؟ فضحك المأمون ، وقال : الذى فعلت أصوب، ثم قال للفضل بن مروان : يا نَبَطِىّ لا تعترض على كاتبى هذا فى شىء .

ولما صارت عريبُ فى دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد، وكانت قد عَشِقَتْهُ وكاتَبَتْهُ ، ثم احتالت فى الخروج إليه، فكانت تلقاه فى الوقت بعدالوقت، حتى حَبِلتْ منه ، وولدت بنتا ، فبلغ المأمون فأمر بإلباسها جُبَّةَ صوف ، وختم زيقَها[1] وحبَسَها فى كنيفٍ شهراً لا ترى الضوء ، يدخل إليها خبزٌ وملحٌ وماءٌ من تحت الباب ، كلَّ يوم ، ثم ذَكَرَها فرَقَّ لها وأخرجها ، فلما فتح الباب عنها وأُخرجت . فلم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغنى :

(١) الزيق من الثوب : ما أحاط بالعنق ، وما كفّ من جانب الجيب .

لو كان يقدرُ أن يَبُثَّك ما به لرأيتَ أحسن عاتبٍ يتعتبُ
حَجَبوه عن بصرِى فمثل شَخْصُه فى القلب فهو مُحَجَّبٌ ما يُحجبُ

وبلغ المأمون فعجب منها ، ثم قال : لن تصلح هذه أبداً. فزَوَّجَه إياها .

اصطبح المأمون يوما ، وعنده جلساؤه ، وفيهم محمد بن حامد وجماعة المغنين ، وعريبُ جالسةٌ معه على مُصلاه ، فأومأ إليها محمد بن حامد يطلبُ قبلةً فاندفعت تغنى ابتداء :

رَمَى ضرعَ ناب فاستمر بطَعْنَةٍ كحاشيـــةِ البردِ اليمانى المُسَهّمِ

فقال لها المأمون : أمسكى فأمسكت ، ثم أقبل على الندماء ، فقال : أيكم أومأ إلى عريب بقُبْلة ؟ والله لئن لم يَصْدُقنى لأضربن عُنُقَه ، فقام محمد ، وقال : أنا يا أمير المؤمنين أومأت ، والعفو أقرب للتقوى . فقال : قد عفوت . فقال : كيف استدلَّ أميرُ المؤمنين على ذلك ؟ قال : ابتدأتْ صوتا وهى لا تغنى ابتداء إلا لمعنى ، فعلمت أنها لم تبتدئ هذا الصوت إلا لمعنىً أُومِئ به إليها ولم يكن من شرط هذا الموضع الإيماء بقُبْلةٍ ، فعلمت أنها أجابت بطعنة .

وكانت عريب قد عَشِقتْ صالحَ بن المنذر الخادم ، فتزوجته سرًّا من المتوكل ، فوجه به المتوكل إلى مكانٍ بعيدٍ فى حاجة له ، فقالت فيه شعراً وغنت فيه وهو :

أما الحبيبُ فقــد مضى بالرغمِ منِّى لا الرضـا
أخطأت فى تركى لمن لم ألْفِ عنـــه مُعوّضا

فطرب المتوكل واستعادَه ، وجعل جواريـه يتغامَزْن ويضحكن ، ففطنت ، فأصغت إليهن سِرّا من المتوكل . وقالت : يا سحاقات ، هذا خيرٌ من عملـكن .

قال محمدُ بن يحيي الواثق: قال لى محمدُ بن حامد ليلةً : أُحبُّ أن تُفْرِغ لى مضربك ، فإنى أُريد أن أجيئَك فأُقيمَ عندكـ ، ففعلت، ووافانى. فلما جلس جاءت عريبُ ، فدخلتْ

فجعل يعاتِبُها ، فيقول : فعلتِ كذا وفعلت كذا ، فقالت لى : يا محمدُ هذا عندك رأى ؟ ثم أقبلتْ عليه فقالت : يا عاجز خذْ بنا فيما نحن فيه ، وفيما جئنا له ، واجعل سراويلى مِخْنقَتى والصق خَلْخالى بقُرْطِى وإذا كان غداً فاكتب بمتابك فى طومار ، حتى أكتب إليك بعذرى فى مثله ، ودع هذا الفضول فقد قال الشاعر :

دعى هذى الذنوبَ إذا التقينا تعالَىْ لا نَعُدُّ ولا تَعُدِّى
فأُقسم لو هممتِ بعد شعرى إلى نار الجحيم لقُلْت مدى

دخلتْ بعضُ جوارى المتوكل يوما إلى عريب ، فقالت لها عريب : ويحك تَعالَىْ فقبِّلى سالفتى ، فإنك تجدين ريح الجنة. ففعلت ، ثم قالت لها : ما السبب فى ذلك ؟ فقالت : قبَّلَنى الساعةَ صالح بن المنذر فى هذا الموضع .

حدّث بعض من دخل إلى عريب يوما ، قال : دخلنا مُسَلِّمين فقالت : أقيموا عندى اليوم ، حتى أُطعمكم لَوْزَيْنَجة ، صنعتها بدعة بيدها من لوز رطب ، وماحضر من الوظيفة ، وأُغنيكم أنا وهى ، فقلت لها : على شريطة . قالت : وما هى ؟ قلت : شىء أُريدُ أن أسألَكِ عنه منذُ سنين ، وأنا أهابك . قالت : ذلك لك ، وأنا أُقدِّم الجوابَ قبل أن تسألنى عن شَرْطى . أىّ شىءٍ هو . فقلت : والله ذلك الذى أَرَدْت . فقالت : أيرٌ صُلْبٌ ونكهةٌ طيبةٌ ، وما انضاف إلى ذلك من حُسْنٍ يُوصفُ وجمالٍ يُحْمَد ، زاد قدرَه عندى ، وإلا فهذان مالا بد لى منهما .

وكانت سنها لما كانت عند المأمون أربعةَ عشرَ سنة . وكان الواثق منحرفا عنها ؛ لأنها كانت تكايِدُه فيما يصوغُ من الألحان . وكان المعتصمُ منحرفا عنها ؛ لأنه وجد لها كتابا إلى العباس بن المأمون ، ببلد الروم : اقتل أنت العِلْج ، وكان يَشْتَهِرُ

---

(١) اللوزينج : نوع من الحلواء شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز .

بالليلى ، حتى أقتلَ أنا الأعورَ الليـلى ههنا ؛ تعنى الواثق ، وكان المعتصم استخلفه ببغـداد .

قال أبو العَنْبس بن حمدون : غضِبَتْ عريبُ على بعض جواريها ، فجئت إليها يوما وسألتها أن تعفو عنها ، فقالت فى بعض ما تقول من تعداد ذنوبها : إن كنتَ تشتَهِى أن ترى زنائى وصـفاقةَ وجهى وجُرأتى على كل عظيمة أيامَ شبابى فانظر إليها .

وكانت عريب فى أيام شبابها يقدم إليها البِرْذون فتطفر[1] عليه بلا ركاب .

تمارى المأمونُ وأبو على يوما فى صوتٍ ، فقال المأمون : أين عريب ؟ فجاءتْ ، وهى محمومة ، فسألها عن الصوت ، فقالت فيه بعلمها ، فقال لهـا : غَنِّيه ، فولَّتْ لتجىءَ بالعودِ ، فقال لها : غنيه بلا عود ، فاعتمدت من الُحمَّى على الحائط وغنت ، فأقبلت عقرب فضربَتْها فى يدها مرتين أو ثلاثاً ، فما رفعتْ يدها ولا سكتت حتى فرغ الصوت ، ثم سقطت وقد غُشِى عليها .

قالت تحفة جاريةُ عريب : كانت عريبُ تجد فى رأسها بَرْداً ، وكانت تُغَلِّفُ رأسها مكانَ الغَسْلَةَ بستين مثقالا من مسك وعنبر ، وتغسله من جُمعة إلى جمعة . فإذا غسلته أعادته ، ويقتسم الجوارى غُسالةَ رأسها بالقوارير ، وماتُسَرِّحُه بالميزان .

قال على بن يحيى المنجم : دخلت يوما على عَريب مُسَلِّما ، فلما اطمأننْتُ جالسا ، هطلت السماء بمطر عظيم ، فقالت : أقم عندى اليوم حتى أُغنِّيك أنا وجوارِىّ ، وابعثْ إلى من أحببت من إخوانـك ، فأمرتُ بدوابى فرُدَّتْ وجلسنا نتحدث ، فسألتنى عن خبرنا بالأمس فى مجلس الخليفة ، ومن كان يغنينا ، وأىّ شىء استحسنّا .

---

(١) يقال طفر يطفر طفورا : وثب فى ارتفـاع كما يطفر الإنسان على الحائط أى يثب إلى ما وراءه (وفى الأصل : يطفو عليه بالركاب) والتصويب عن الأغانى .

فأخبرتها أن صوتَ الخليفة كان لحنا صنعه بَنان بن الماخورى فقالت : ما هو ؟ فقلت :

تُجَـافِى ثم تَنْطَبِـقُ جفونٌ حشْـوُها الأَرَقُ
وذى كَلَفٍ بكى جَزَعا وسفر القومِ منطلقُ
بـــه قلق يُعَلْمِلُه وكان وما بـــه قَلق
جوانحُه عـلى خطرٍ بنـار الشوق تحترقُ

فوجهتْ رسولا إلى بنان فحضر ، وقد بلّه المطر ، فأمرت بخِلَع فاخرة فخُلعت عليه وقُدِّم له طعام ، فأكل وجلس يشرب معنا ، فسألته عن الصوت فغناها ، فأخذت دواة ورقعة وكتبت فيها :

أجاب الوابِـلُ الغَدِقُ وصـاح النَّرْجسُ الغَرِقُ
وقــد غــنّى بنانٌ لنا جفونٌ حشْوها الأَرَقُ
فهات الـكاسَ مترعـةً كأن حُبابَها حَدَقُ

فما شربنا بقية يومنا إلا على هذه الأبيات .

قال الفضل بن العباس : زارتنى عريبُ يوما ، ومعها عِدَّةٌ من جواريها فوافتنا ونحن على شرابنا ، فتحادثنا ساعة ، وسألتها أن تقيم عندى . فأبت ، وقالت : دعانى جماعة من إخوانى ؛ أهل الفضل والأدبِ والظرفِ ، وهم مجتمعون فى جزيرة المربد ، وفيهم إبراهيمُ بن المـدبر ، وسعيد بن حُمَيد ، ويحي بن عيسى ، وقد عَزَمْتُ على المصير إليهم ، فحلفت عليها فأقامت عندنا ، ودعت بقرطاسٍ ودواة وكتبت إليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم — وكتبت فى سطر واحد بعد البسملة ثلاث كلمات متفرقة ولم تزد عليها وهى : أردت ، ولولا ، ولعلى .

ووجهت بها إليهم فلما وصلت الرقعة إليهم كتبوا تحت

أردت : ليت ، وتحت لولا : ماذا ، وتحت ولعلى : أرجو

ووجهوا بالرقعة ، فلما وصلت إليها صَفّقَتْ ونَعَرَتْ[1] وشربت رطلا وقالت : أنا أترك هؤلاء وأقعدُ عندَكم إذا تركنى الله من يديه ، ولكن أُخلِّفُ عندكم من جوَارِيَّ من يكفيكم وأقوم إليهم ، وقامت وخلفت عندنا بعضَ جواريها ، وأخَذتْ معها بعضَهم وانصرفت .

عتب المأمونُ على عريب فهجرها أياماً ، ثم اعتلّتْ فعادها ، فقال : كيف وجدتِ طعمَ الهجر ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لولا مرارةُ الهجرِ ما عُرِفَتْ حلاوةُ الوَصْلِ ، ومن ذَمَّ بَدْء الغضب حَمِدَ عاقبةَ الرضا ، فخرج المأمون إلى جلسائه فحدَّثهم بالقضية ، ثم قال : أترى هذا لو كان من كلام النظَّامِ لم يكن كثيرا ؟

وجرى بين المأمون وبينها كلام ، فكلمها المأمونُ بشيء غَضبتْ منه ، فهجرته أياماً ، قال أحمد بن أبى دؤاد : فدخلت على المأمون يوما ، فقال : يا أحمد اقْضِ بيننا ، فقالت عريب : لا حاجة لى فى قضائه ودخوله بيننا ، وأنشأت تقول :

وتخلِطُ الهجرَ بالوصالِ فلا تُدْخِل فى الصلح بينَنا أحدا

قال حمدون : كنت حاضراً عند المأمونِ ، ببلاد الروم ، عند العِشاءِ الآخرة ، فى ليلة ظلماءَ ، ذاتِ رعودٍ وبروقٍ فقال لى المأمون : اركب الساعةَ فَرَساً من النَّوْبَة ، وسر إلى عسكر أبى إسحاق ، ـ يعنى المعتصم ـ فأَدِّ إليه رسالتى ، وهى كيت وكيت ، فركبْت ، فلم تلبثْ معى شمعة ، وسمعتُ وقع حافرِ دابة ، فرهبت ذلك ، وجعلت أتوقَّاه حتى صَكَّ ركابى ركابُه ، وبَرَقَتْ برقةٌ فأصابت وجهَ الراكبِ ، فإذا عريبٌ ، قالت : عريب ؟ قالت : نعم ، حمدون ؟ فقلت : نعم ، ثم قلت لها : مِنْ أين أقبلت فى هذا الوقت ،

---

(١) نعر الرجل ينعر : صاح وصوت بخيشومه .

فقالت : من عند محمد بن حامد ، فقلت : وما صنعتِ عنده ؟ فقالت : يا نكيس ، عريبُ تجىء فى مثل هذا الوقتِ من عند محمد بن حامد ، خارجةً من مضارب الخليفةِ وراجعةً إليها ، تقول لها : إيش عملت ؟ صليت معه التراويحَ ، قرأتُ عليه أجزاءً من القرآن ، دارستُه شيئا من الفقه يا أحمق !! تعاتبنا وتحادثنا واصطلحنا ، ولعبنا وشربنا وغنينا وتنايكنا ، وانصرفنا، فأخجلتنى، وغاظتنى ، فسُقْت وتركتُها ومضيت ، فأديت الرسالة ، وعدتُ إلى المأمون، وأخذنا فى الحديث، وتناشدنا الأشعار، فهممت أن أحدثه حديثها ، ثم هِبْتُه فقلت : أُقَدِّمُ قبل ذلك تعريضاً بشىء من الشعر فأنشدته :

ألا حى أطلالا لقاطعة الحَبْل ... ألوفٌ تساوى صالحَ القوم ِبالنذل[1]
فلو أن ما أمسى بجانب تَلْعَة ... إلى جَبَلَىْ طى لساقطةِ الحَبْلِ
جلوس إلى أن يَقْصُر الظلُّ عندها ... لراحوا وكلُّ القوم ِمنها على وَصْلِ

فقال المأمون : اخفض صوتك ، لئلا تسمَعَك عريب ، فتغضب ، وتظن أننا فى حديثها ، فأمسكت عما أردتُ إلى آخره ، وخار الله لى فى ذلك .

قال إبراهيم اليزيدى : كنت مع المأمون فى بلد الروم ، فبينا أنا أسير فى ليلة مظلمةٍ باردةٍ ذاتِ غَيْم وريح ، وإلى جانبى قُبَّةٌ إذ برقت بَرْقَةٌ فإذا فى القبة عريب ، فقالت : إبراهيم ؟ فقلت : لبيك ؟ فقالت : قل أبياتا مِلاحاً فى هذا البَرْق لأُغنى فيها ، فقلت :

ما بقلبى من أليم الخفق ... إذا رأيت لمعان البرق
من قبل الأُردن أو دمشق ... لأن من أهوى بذاك الأُفق
فإن فيه وهو أعز الخلق ... على والزورُ خلاف الحق
ذاك الذى يملك منى رقى ... ولست أبغى ما حييت عتق[2]

---

(١) بالرذل (أغانى) .

(٢) فى ا ، ب : عشق . وفى الأغانى عتق وهى تقابل رقى فى البيت .

فتنفَّسَت نَفَسا ظننته قد قطع حيازيمَها ، فقلت : ويحك على من هذا النَّفَس ؟ فضحكت ثم قالت : على الوطن ، فقلت : هيهات ليس هذا كله على الوطن . فقالت : ويحك ظننت أنك تَسبِقُهُن ، والله لقد نَظَرَتْ نظرةً مريبةً فى مجلس ، فادعاها من أهل المجلس أكثرُ من ثلاثين رئيساً ، واللهِ ما علم أحد منهم من أين كانت إلى هذا الوقت .

وقع بين عريب وبين محمد بن حامد شرٌّ فتقاطعا بسببه ، وكان يجِدُ بها الوجدَ كلَّه ، وكان فى قلبها أكثرُ مما فى قلبه ، فلقيته يوما ، فقالت : كيف قلبُك يا محمد ؟ قال : أشقى ما يكون وأقرحُه : فقالت : استبْدِلْ تَسْلُ ، فقال لها : لو كانت البلوَى باختيارِى لفعلت ، فقالت : لقدطال إذاً تعَبُك . فقال: وما يكون ؟ أصبرُ مُكْرَها ، أما سمعت قول العباس بن الأحنف :

تعب يطولُ مع الرجاءِ لذى الهوى خيرٌ له من راحةٍ فى الياسِ
لولا كرامتُكم لما عاتبْتُكم ولكنتمُ عندى كبعضِ الناسِ

قال : فذرفت عيناها ، واعتذرت إليه ، واصطلحا ، وعادا إلى أفضل ما كانا عليه .

قال أحمد بن الفرات : كنا يوما عند جعفر بن المأمون نشربُ ، وعريب حاضرةٌ عنده ، إذ غنى بعضُ من كان هناك هذا الصوت :

يا بدرُ إنك قد كُسِيتَ مشابها من وجه ذاك المستنيرِ الواضحِ
وأراك تَسْمُج بالمحاقِ وحُسْنُها باقٍ على الأيام ليس بنازحِ

فضحكت عريب وصفقت ، وقالت : ما على وجه الأرضِ أحدٌ يعرف خبرَ هذا الصوتِ غيرى ، فلم يقدر أحدٌ منا على مسألَتِها غيرى ، فسألتها فقالت : أنا أخبركم بالقصة ، ولولا أن صاحب القصة قد مات لما أخبرتكم . إن أبا مُحَلِّم قدِمَ بغداد ،

فنزل بقرب دار صالح المسكين ، فى خان هناك ، فاطَّلَعَت يوما أُم محمدٍ بنت صالح فرأتْه يبول ، فأعجبها أيرُه ، وأحبت مواصلَتَه ، فجعلت لذلك عِلَّة بأن وجهت [إليه] تقترض منه مالا ، وتُعْلِمه بأنها فى ضِيقَة ، وأنها تَرُدُّه [إليه] بعد جُمْعَة ، فبعث إليها عشرةَ آلاف درهم ، وحلف أنه لو ملك أكثر منها لبعث به ، فاستحسنت ذلك فواصلته ، وجعلت القرضَ سببا للوُصلة ، وكانت تُدْخِله إليها ليلا ، وكنت أنا أُغنى لهما ليلة فشربنا فى القمر ، وجعل أبو محلم ينظر إليها ثم دعا بدواة وكتب :

يابدر إنك قد كُسيتَ مُشابِها ... من وجه أُم محمـدِ ابنةِ صالح

والبيت الآخر . . .

وقال لى : غنى فيه ، فغنيت فاستحسناه ، وشربنا عليه فقالت أُم محمد فى آخر المجلس : ياأُختى إنك قد غنيتِ فى هذا الشعر وهو سيبقَى علىّ فضيحةً إلى آخر الدهر ، فقال أبو محـلم أنا أُغيره ، تُغَنِّى مكانَ : أُمِّ محمد ، ابنة صالح [من وجه ذاك المستنير الواضح] .

فغنيتُه كما غيَّرَه ، وأخذه الناس عنى ، ولو كانت أُم محمد باقيةً لما أخبرتكم الخبر .

وأبو مُحلِّم هو النسابةُ ، واسمه عَوْفُ بن محلم .

كتبت عريبُ إلى محمد بن حامد تستزيره ، فكتب إليها :

إنى أخاف على نفسى ، فكتبت إليه :

إذا كنت تحْذَرُ ما تَحْذرُ ... وتزعمُ أنـك لا تَجْسِرُ

فـالى أُقيم على صَبْوَتى ... ويـومُ لقائِك لا يُقـدرُ

فصار إليها من وقته .

عبد الله بن الحسن بن الحسن(1)

ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

كنيته أبو محمد ، وأم عبد الله بن الحسن فاطمةُ بنتُ الحسين بن على ، وأُمها أم إسحاقَ بنتُ طلحة بن عبيد الله ، وأُمها الجرباء بنتُ قَسامَة بن رومان من طَيِّيء ، وسُميت الجرباء لُحسْنِها ، وكانت لا تقفُ إلى جانبها امرأةٌ ، وإن كانت جميلةً إلا اسْتُقْبِحَ منظرُها لجمالها ، فكان النساء يتحامَيْن أن يَقِفْن إلى جانبها ، فسميت الجرباء بالناقة الجرباء التي يتوقَّاها الإبلُ مخافة أن تُعْدِيها .

وكانت أُم إسحاق من أجمل نساء قريش ، وأسوئهن خُلُقاً .

ويقال : إن نساء بنى تميم كانت لهن حُظوةٌ عند أزواجهن على سوء أخلاقهن .

ورُوِى أن أُمَّ إسحاق كانت ربما حَمَلَتْ وولدتْ ، وهى لا تكلم زوجَها ، وكانت أُمُّ إسحاقَ عند الحسن بن على قبلَ أخيه الحسين ، فلما حضرتْه الوفاة دعا بالحسين ، فقال له : يا أخى ، إنى أرضى هذه المرأة [لك] فلا تَخْرُجَنَّ من بيوتِكُم فإذا انقضتْ عدتُها فتزوجْها .

فلما توفى الحسنُ تزوجها الحسين ، وهى كانت ولدت من الحسن ابنه طلحةَ بن الحسين . فهو أخو فاطمةَ وابنُ عمها .

وقد دَرَجَ طلحةُ ولا عَقِبَ له(2) .

---

(1) الأغانى ١٨ : ٢٠٣ ، ذب ٧ / ١٣٣ .

(2) فى الأصل : روج ولاحفت له والتصويب عن الأغانى .

ومن ظريف أخبار النساء التميميات في حظوتهن وسوء أخلاقهن أن أمَّ سلمةَ بنت محمد بن طلحة كانت عند عبد الله بن الحسن ، فكانت تقسو عليه وتُغْلِظ عليه و يَفرُق منها ولا يخالفها ، فرأى منها يوما طيبَ نَفْس فأراد أن يشكو إليها قسوتَها . فقال لها : يابنت محمد قد أُحْرِقَ والله قلبي . فحدّدتْ إليه النظر ، وجمعت وجهَهَا فقطع كلامَه . فقالت : أحْرَقَ قلبَكَ ماذا ؟ فخافها ، ولم يُقدِم على أن يقول : سوء خُلُقِك ، فقال : حبُّ أبي بكر الصديق ، فأمسكت عنه .

وتزوج الحسنُ بنُ الحسن فاطمةَ بنتَ الحسين ، في حياة عمه ، وهو زوّجه إياها ، لأنه خَطَبَ إلى عمه الحسين ، وسأله أن يزوِّجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين : اختر يا بُنَيّ أحبهما إليك ، فاستحيا الحسن ولم يُحِرْ جوابا ، فقال له الحسين : إني قد اخترت لك فاطمةَ ، فهي أكثرها شبهاً بأمي فاطمةَ بنتِ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ويقال إنه لما خيَّره اختار فاطمة ، فكانوا يقولون : إن امرأة سكينة مردودتها[1] لمنقطعة القرين في الجمال .

لما حضرت الحسنَ بنَ الحسن الوفاةُ جَزِعَ ، وجعل يقول : إني لأجد كَرْبا ليس منه كَرْبُ الموت ، فقال بعض أهله : ما هذا الجزع ؟ تقدمُ على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو جدُّك وعلى عَلِيّ والحسنِ والحسينِ وهم آباؤك ، قال : لعَمرِي إن الأمرَ كذلك ، ولكني كأني بعبد الله بن عَمْرو بن عثمان حين أموتُ قد جاء في مضرجتين أو مُمَصَّرَتَيْن وقد رَجّلَ جُمّتَه ، ويقول : أنا من بني عبدمناف ، جئت لأشهد ابن عمي[2] ، وما به إلا أن يَخْطُب فاطمةَ بنت الحسين فإذا جاء

---

(١) في الأصل : (أمر بهى مردو لهما) وما صوبناه عن الأغاني .

(٢) في الأصل : لا أشهد أن غمى والصواب عن الأغاني .

فلا يدخلْ عليّ ، فصاحت به فاطمة : أتسمع ؟ قال : نعم . قالت : كلُّ مملوكٍ لى حُرّ وكل مالٍ لى صدقة إن تزوجتُ بعدكَ أحداً أبدا . قال : فسكن الحسنُ فما تنفسَ ولا تحركَ ، حتى قَضَى ، فلما ارتفع الصياحُ أقبل عبدُ الله على الصِّفة التى ذكرها الحسن ، فقال بعض القوم : يدخل ، وقال بعض القوم : لا يدخل ، فقال قوم : ما يَضُرّ من دُخوله ، فدخل وفاطمةُ تَصُكّ وجهها ، فأرسل إليها وَصيفاً معه ، فجاء يتخطّى الناس حتى دنا منها ، فقال : يقول لك مولاى : أبْقِى على وجْهِكِ فإن لنا فيه أرَباً ، فأرسلت يدَها فى كُمِّها واختَمَتْ فعُرِفَ ذلك منها فما لطمَتْ حتى دُفِن ، فلما انقضتْ عدتُها خطبَها . قالت : كيف لى بنَذْرِى ويمينى ؟ فقال : نُخْلِفُ عليك بكل عبدٍ عَبْدَيْن وبكل شىء شيئين ، ففعل وتزوجته .

وقيل إنه لما خطبها أبَتْ فحلَفَتْ عليها أُمُّها أن تتزوجَه ، وقامت فى الشمس ، وآلت لا تبرحُ حتى تتزوجَه ، وكرهت فاطمةُ أن تُخْرِجَ أُمَّها فتزوجته .

وكان عبدُ الله بن الحسنِ بن الحسنِ شيخَ أهلِه ، وسيداً من ساداتهم ، مقدَّما فيهم ؛ علما وفضلا وكرما .

وحبسه أبو جعفر المنصورُ فى الهاشمية بالكوفة ، لما خرج عليه ابناه محمدٌ وإبراهيم ، فمات فى الحبس وقيل: سقط عليه وقيل غير ذلك .

وكان يقال : مَن أحسن الناس ؟ فيقال : عبدُ الله بن الحسن . ويقال : من أفضل الناس ؟ فيقال : عبد الله بن الحسن .

وكان يقول : أنا أقربُ الناس إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولدنى مرتين (١) .

وهو أول من اجتمع له ولادةُ الحسن والحسين ، رضوان الله عليهما .

---

(١) وفى الأغانى : ولدتنى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين .

وكان مكتسبا نوراً من قَرْنِه إلى قَرْنِه .

وقال مصعب الزبيرى : انتهى الُحسْنُ إلى عبدِ الله بن الَحسَنِ .

لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار ، الذى يُدْعى رصافةَ أبى العباس، قال لعبد الله ابن الحسن : ادخل فانظر ، فدخل معه ، فلما رآه تمثل:

ألم تر حَوْشَباً يبنى قصورا ليبــقى نفعُها لبنى نُفَيْـله
يُؤَمِّل أن يُعَمَّرَ عُمْرَ نوح وأمرُ الله يحدثُ كُلَّ لَيْلَهْ

كان أبو العباس قد كتب إلى عبـد الله بن الحسن فى تغييب ابنيه ، فاحتمله أبو العباس ولم يبليه بهما :

أُريد حياتَه ويريدُ قتـلى عَذيرَكَ من خليلك من مراد

فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود ، مولى أبى حسين ، فأجاب عنها فقال :

وكيف يريد ذاك وأنت منـه وزندُكَ حـين يُقدَحُ فى زناد
وكيف يريد ذاك وأنت منـه بمنزِلةَ النِّياطِ من الفُؤاد
وكيف يريد ذاك وأنت منـه وأنت لهـاشم رأسٌ وهادِ

قال عبد الله بن الحسن : بينا أنا فى سَمَرِ أبى العباس ، وكان إذا تثاءبَ ، أو ألْقَى المروحةَ من يده قمنا ، فألقاها ليلة . فقمنا على الرسم ، فأمسَـكَنِى ولم يُبْقِ غيرى ، فأدخل يده تحت فراشه ، فأخرج إضبارة كُتُبٍ وقال : اقرأ يا أبا محمد . فإذا كتاب محمدٍ ابنى إلى هشام بن عمرو التغلبى ، يدعوه إلى نَفْسه ، فلما قرأته قلت : ياأمير المؤمنين عهد الله وميثاقُه ألا ترى منهما شيئاً تَـكْرَهُه ما كانا فى الدنيا .

قال عُقْبَةُ بن سَلَمَة : دعانى أبو جعفر فسألنى عن اسمى ونسبى . فقلت له : أنا عقبة بن سَلَمَة بن رافع . قال : إنى لأرى الرهبة ، وإنى أُريدُكَ لأمر أنا مَعْنِىٌّ به . قلت : أرجو أن أصدقَ ظنك يا أمير المؤمنين . قال : فأَخْفِ شخصَك ، وأْتنى

فى يوم كذا ، فأتيته ، فقال : إن بنى عمِّنا قد أبوا إلا كَيداً لملكنا ، ولهم شيعة بخراسان ، بقرية كذا وكذا ، يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات وألطاف ، فاخْرُجْ بكتبي وألْطَافِي حتى تأتيَهم متنكرا ، بكتاب أكتبه عن أهل القرية ، ثم تسير إلى ناحيتهم ، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمتَ ذلك ، وإلا كنتَ على حذرٍ منهم ، حتى تلق عبدَ الله بن الحسن متنجعا ، فإن جبَهَك ، وهو فاعل ، فاصبرْ وعاوِدْه أبداً حتى يأمَنَك(١) ، فإذا أظهر لك ما فى قلبه فأعْجِلْ إلىّ . ففعل ذلك ، وتردد إليه ، وخيبه عبدُ الله بن حسن ، فلم يزل به حتى أنِسَ به ، فقال عُقْبَة : الجواب ، فقال: أما الكتابُ فإنى لا أكتبُه ولكن أنتَ كتابى إليهم ، فأقرئهم السلام ، وعرفهم أن ابنِى خارجٌ لوقتِ كذا وكذا ، فقدم عقبةُ على أبى جعفر وأخبره الخبر ، فلما حج أبو جعفر جلسَ يتغدى بأوطاس(٢) ، ومعه على المائدة عبدُ الله بن الحسن ، وجماعة من بنى العباس ، فأقبل على عبدِ الله بن الحسن ، وقال : يا أبا محمد ، محمدٌ وإبراهيمُ قد استوحشا من ناحيتى ، وإنى لأحب أن يأنسانى ويأتيانى ، وأصلهُما وأُزوجُهما وأخْلِطهما بنفسى ، قال ، وعبدُ الله مطرق طويلا ، ويقول : والله يا أمير المؤمنين ؛ مالى بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ، وقد خرجا عن يدى ؛ فيقول : لا تفعل ، يا أبا محمد ، فاكتب إليهما وإلى من يُوَصِّل كتابك إليهما ، وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضِعَهما ، وأبو جعفر يكرر عليه : لا تفعل يا أبا محمد ، وكان أبو جعفر قد قال لعُقْبةَ بن سَلَمة : إذا فرغنا من الطعام ولَحَظْتُك فامْثُلْ بين يدى عبدِ الله فإنه سيصرفُ عنك بَصرَه فدُرْ حتّى تَغْمِز ظَهْرَه بإبهامِ رجلِك ، حتى يملأ عَيْنَه منك ، ثم حَسْبُك . وإياك إياك أن يراك ما دام يأكل ، ففعل

---

(١) يأنس بك (أغانى) .

(٢) أوطاس واد بديار هوازن (مراصد) .

عقبةُ ذلك ، فلما رآه عبد الله وثبَ حتى جثَا بين يدى أبى جعفر ، فقال : يا أمير المؤمنين أقِلْنى أقالَك الله ، قال : لا أقالنى الله إن أقلتك ، ثم أمر بحبسه .

وقيل : إنه لما سأل عبدَالله عن ابنيه قال : لاعلم لى بهما ، حتى تغالظا ، فأمضّه[(١)] أبو جعفر ، فقال له : يا أبا جعفر ، بأى أُمهاتى تُمِضُّنى[(١)] ؟ بخديجةَ بنت خويلد ، أم بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم بفاطمةَ بنت الحسين ، أم بأمِّ إسحاق بنت طلحة ؟ فقال : ولا بواحدة منهن[(٢)] ، ولكن بالجرباء بنت قسامة ، فوثب المسيب بن زهير فقال : يا أمير المؤمنين ، دعنى أضربْ عُنُقَ ابن الفاعلة ، فقام زياد بنُ عبد الله ، فألقى عليه رداءَه وقال : يا أمير المؤمنين هبْه لى ، فأنا أستخرج ابْنَيه ، فنجا منه .

وكان حج أبى جعفر فى سنة أربعين ومائة .

وتوفى عبدُ الله فى مَحْبَسه ، بالهاشمية فى سنة خمس وأربعين ومائة ، وسِنُّ عبدُ الله إذ ذاك خمسٌ وسبعون سنة .

ومن شعر عبد الله بن الحسن قوله :

يا هندُ إنــك لو علمتِ ... بعاذِلَـــيْن تتابعا
قالا فلم يُسْمَعْ لمـــا ... قالا فقلتُ بـــل اسمعا
هنـــدٌ أحبُّ إلىَّ من ... أهـــلى ومالى أجمعـا[(٣)]
فلقد عَصَيْتُ عـــوازلا ... وأطعت قلبـــا موجعا

وهندُ هذه التى عناها زوجَتُه ، هندُ بنت أبى عُبَيْدَةَ بن عبد الله بن زمعة[(٤)] ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى .

---

(١) أمضه الأمر : أوجعه وشق عليه .
(٢) فى الأصل : (ولا وابوك جده محهدن) وما نقلناه عن الأغانى .
(٣) مالى وروحى فارجعا (أغانى) .
(٤) فى الأصل ربيعة ، والتصويب عن الأغانى . وجمهرة الأنساب ١١٠ .

وكان أبو عبيدة جواداً سيداً مُمَدَّحاً .

وأم هند قرينة بنت يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود بن المطلب .

وكانت هند قبل عبدِ الله بن الحسن تحتَ عبدِ الله بن عبد الملك بن مروان ، فمات عنها . وكان عبدُ الملك زَوَّجَ ولدَه عبدَ الله هذا هندا هذه ، وريطةُ بنتُ عبدِ الله بن عبدِ المَدَان لما كان يقال إنه كائن فى أولادها فمات عبدُ الله عن هند أو طلَّقَهَا ، فتزوجَ هندا عبدُ الله بن الحسن بن الحسن وتزوج رَيْطَةَ محمدُ بن على فجاءتْ بأبى العباس السفاح . وكانت هندٌ قد ورِثَت من عبد الله بن عبد الملك مالا ، فقال عبد الله بن الحسن لأُمه فاطمة : اخطُبى علىّ هنداً فقالت : إذًا تَرُدُّك ، أتطمع فى هند ، وقد ورثت من عبد الله ما ورثته ، وأنت ترب لا مال لك[1] فتركها ومضى إلى أبى عبيدة أَبى [هند] فخطبها إليه ، فقال : فى الرحبِ والسَّعَة أما مِنِّى فقد زوَّجتُك ، ومكانَك لا تبْرَح ، ودخل على هِند فقال لها : يا بُنيَّة هذا عبدُ الله ابن الحسن قد أتاكِ خاطبا ، فقالت : فما قلت له ؟ قال : زوَّجتُه . فقالت : أحسنْتَ قد أجزتُ ما صنعت ، وأرسلت إلى عبد الله : لا تَبْرَح حتى تَدْخُل إلى أهلِك ، ونَشَرَتْ له قِبابا فبات مُعرِّسا بها فى ليلته ، ولا تشعر أُمه ، فأقام سبعاً ثم أصبح يوم سابعه غاديا على أُمه ، عليه رَدْع الطيبِ وهو فى غير ثيابه التى تعرف . فقالت : يا بُنَىَّ أمر بك[2] قال : من عند التى زعمتِ أنها تردنى ولا تريدنى .

ومن شعره فيها :

إن عينى تعودت كُحْل هند جمعت كفُّها مع الرفق لينا

---

(١) وفى الأصل (وأنت لا مال ترث إلى) .

(٢) يابنى : من أين لك هذا ؟ (أغانى) .

علقمة الفحل[1]

هو علقمةُ بن عَبْدةَ بنِ النعمان بن ناشرة[2] بن قيس بن عبد الله بن ربيعة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة بن أُد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار .

وكان زيدُ مناة بنِ تميم ، هو ، وبكر بن وائل لِدةً فى عصرٍ واحد ، فوفدا على بعض الملوك .

وكان زيد مناة شرهاً حسودا . وكان بكرُ بنِ وائل خبيثاً داهية؛ فخاف زيدُ مناةَ أن يحظى من الملك بفائدة ، ويقلّ معها حظه ، فقال له : يا بكر لا تلقَ الملكَ بثياب سفرك ، ولـكن تأهب للقائه ، وادخل إليه فى أحسن هيئة. ففعل بكرٌ ذلك ، وسبقه زيدُ مناة إلى الملك . فسأله عن بكر ؟ فقال : ذلك مشغول بمغازلة النساء والتصدر[3] لهن ، وقد حدَّث نفسه بالتصدر[3] لبنت الملك ؟ فغاظه ذلك ؛ ونُمِيَ الخبرُ إلى بكر ابن وائل ؛ فدخل على الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة ؛ فصدقه واعتذر إليه .

فلما كان من غد اجتمعا عند الملك [فقال الملك لزيد مناة : ما تحب أن أفعل بك ؟ فقال : لا تفعل ببكر شيئاً إلا فعلت بى مثليه][4] ـ وكان بكر أعور العين اليمنى ، أصابه ماء فذهبت . فـكان لا يعلمُ من رآه أنه أعورُ وأقبل على بكر بن وائل فقال له: ما تحبّ أن يُفْعل بك يا بكرُ؟ فقال : تفقأُ عينى [اليمنى] فتُضْعِفُ لزيد مناة ؛ فأمر بعينه اليمنى ففُقِئت ، وأمر بعينى زيدمناة ففقئتا ؟ فخرج بكرٌ وهو أعورُ بحاله ، وخرج زيدُ مناة وهو أعمى .

---

(١) الأغانى ٢١ / ١١١ ـ تجريد ٢١٧٦ مهذب ٢/١٧٤ .

(٢) فى الأصل : (ياسره) والتصويب عن الأغانى وجمهرة الأنساب .

(٣) (والتعرض) أغانى .

(٤) ما بين القوسين عن الأغانى وبه يتسق الحديث .

وسُمِّى علقمةَ الفحل ـ لأنه خَلَفَ على امرأةِ امرئ القيس لما حَكَمَتْ له على امرئ القيس بأنه أشعرُ منه فى صِفَةِ فرسه ؟ فطلَّقها ؛ نخلفه عليها . وما زالت العرب تسميه بذلك .

قال حماد الراوية : كانت العرب تَعْرِض شعرها على قريش ؛ فما قَبِلوا منه كان مقبولا ، وماردّوا منه كان مردودا ؛ فقدم عليهم علقمةُ الفحل فأنشدهم قصيدته :

هل ما علمتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ ... أم حبْلُها أن نأتْك اليومَ مصرومُ

فقالوا : هذه سِمْطُ الدهر .

ثم عاد عليهم فى العام المقبل فأنشدهم :

طحابك قلبٌ فى الحسان طروبُ ... بُعَيْدَ الشباب عصرَ حان مَشيبُ

قالوا : هاتان سِمْطا الدهر .

كانت تحت امرئ القيس امرأةٌ من طَيِّئ يقال لها : أمّ جُنْدب ، تزوجها حين جاور فيها ؛ فقَدِم عليهم علقمةُ بن عَبدة التَّميمى . فقال كل واحد منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ؛ فتحاكما إليها . فأنشد امرؤ القيس قوله :

خليلىّ مُرّا بى على أم جندب ... ...

حتى انتهى إلى قوله :

فللساق أُلهوبٌ وللسوط درّةٌ ... وللزجر منه وَقْعُ أهوجَ مُتْعبِ

وأنشدها علقمة قوله :

ذهبتَ من الهجران فى غير مذهب ... ...

حتى انتهى إلى قوله :

فأدركـ(١) منه ثانيا من عِنانِه ... بمرٍّ كمرِّ الرائح المُتَحلِّبِ

---

(١) فأدركهن ثانيا . . . يمر كغيث رائح متحلب (أغانى) .

فقالت له : علقمة أشعرُ منك . قال : وكيف؟

قالت : لأنك زجرتَ فرسك وحرّكْتَه بساقك وضرَبْته بسوطك ، وأنه جاء هذا الصيد ثم أدركه ثانيا من عنانه .

فغضب امرؤ [القيس] وقال : ليس كما قلتِ ، ولكنكِ هَويْتِه ، فطلّقَها ، فتزوجها علقمةُ الفحل .

تحاكم علقمةُ بن عبدة التميمى والزبرقانُ بنُ بدر والمخبل السعدى وعمر [بن] الأهتم إلى ربيعة بن حُذَار[١] الأسدى ، فقال :

ـ أمّا أنت يازبرقانُ فإن شِعْرك كلحمٍ لاينضجُ فيؤكل، ولا يُتركُ نِيئا فينتفع به.

ـ وأما أنت يا عمرو ، فإن شِعرك كبُرْد حِبَرَة ، يتلألأُ فى البَصَرِ وكلما أعدْته نَقَص .

ـ وأما أنت يا مخبَّلُ فإنك قَصَّرْتَ عن الجاهلية ، ولم تُدرك الإسلام .

ـ وأما أنت ياعلقمة ، فشِعْرك كمزَادةٍ قد أُحْكِم خَرْزُها فليس يقطر منها شىء .

مرّ رجلٌ من مُزينَة على باب رجل من الأنصار، وكان يُتَّهمُ بامرأته ؛ فلما حاذَى بابه تَنَفّس يتمثل :

هل ما علِمْتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ ... أم حَبْلُها أن نأتْك اليوم مصرومُ

فتعلَّق به الرجل ورفعه إلى عمر[٢] ، فاستعداه عليه . فقال له المتمثل : وما علىّ أن أنشدتُ بيت شعر ؟ فقال له عمر: ما لك لم تُنْشِدْه قبل أن تبلغَ إلى بابه ؟ ولكنك عرّضْتَ به مع ما تَعْلَمُ من القالة[٣] فيك ؟ ثم أمر به فضُرِب عشرين سوطا .

---

(١) فى الأصل : جدار والتصويب عن القاموس .

(٢) فى الأصل : عمرو والمراد عمر بن الخطاب (ض)

(٣) فى الأصل : ا ـ ب (السالة) والتصحيح عن الأغانى .

عمر أبو حفص الشطرنجى[1]

هو عمرُ بن عبد العزيز ، مولى بنى العباس .

وكان أبوه من موالى المنصور ، وكان اسمُه اسما أعجميا ؛ فلما نشأ أبو حفص وتأدب[2] غيّرَه وسماه عبدَ العزيز .

ونشأ أبو حفص فى دار المهدى ، مع أولاد مواليه ، وكان كأحدهم فتأدب ، وكان لاعبا بالشِّطْرِنج مشغوفا به ، فلُقِّب به لغلبته عليه .

ولما مات المهدى انقطع إلى عُلَيّة، وخرج معها لما زُوِّجَت وعاد معها لما عادت إلى القصر . وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبنى إخوتها من الخلفاء ، فتَنْتَحِلُ بعضَ ذلك وتتركُ بعضه . ومما ينسب إليها من شعره :

تَحَبَّبْ فإن الحبَّ داعيـــةُ الحبِّ وكم من بعيدِ الدارِ مستوجبُ القُرْبِ
إذا لم يكن فى الُحبِّ عَتْبٌ ولا رضاً فأين حلاواتُ الرسائل والكُتْبِ
تَفَكَّر فإن حُدِّثْتَ أن أخا الهوى نجا سالمـــا فارْجُ النجاةَ من الحبِّ
وأطيبُ أيام الهوى يومُك الذى تُرَوَّعُ بالتحريشِ فيـــه وبالعَتْبِ

قال محمد بن الجهم البرمكى : رأيت أبا حفص الشّطرنجىَّ الشاعرَ ، فرأيت فيه إنسانًا يُلْهيك حضورُه عن كل غائب، وتُسْليك مُجالسَتُه همومَ المصائبِ ، قُرْبُه عُرْسٌ، وحديثه أُنسٌ ، جِدُّه لَعِبٌ ، ولعبه جِدٌّ [خليعٌ ماجنٌ دَيِّنٌ][3] إن لبسْتَه على ظاهره لبستَ منه مَوْصُوفًا لا تَملُّه ، وإن تتبَّعته لتنظر خَبَرَه وقفتَ[4] على مروءة

(١) أغانى ١٩ : ٦٩ .

(٢) فى الأصل : وقارب والتصويب عن الأغانى .

(٣) فى الأغانى (دين ماجد إن لبسته على ظاهره لبست مومقا لا تمله) .

(٤) فى الأغانى : لتستبطن خبرته وقفت .

ظاهرة ، لا تطير الفواحشُ بجوانبها . وكان ما عَلِمْتُه أقلُّ ما فيه الشعر .

ومن شعره :

عَـــرِّضَنْ للذى تُحِبُّ بحبٍّ ... ثم دعـــه يروضـــه إبليس

فلعل الزمـــانَ يُدْنيـــك منه ... إن هذا الهوى جليـلٌ نفيسُ

صابِر الحب لا يَغُرَّنْك فيـــه ... من حبيب تَجَشُّمٌ وعبوسُ

وأَقِلَّ اللجاجَ واصْبِرْ على الجهـ ... ـد فإن الهوى نعيمٌ وبوسُ

قال الأصمعى : ما رأيت قطُّ أثراً لنبيذ فى وجه الرشيد إلّا مرة واحدة ؛ فإنى دخلت إليه أنا وأبو حفص الشطرنجى، فرأيت السُّكْرَ فى وجهه ، فقال لنا : من أصاب مافى نفسى فله عشرة آلاف درهم ؛ قال : فأشفقت ومنَعَتْنى هيبتُه . فقال أبو حفص :

كلما دارت الزجاجةُ زادَتْه ... اشتياقا وحُرْقَةً ونـكالا

فقال : أحسنت ، لك عشرة آلاف درهم .

قال : فزالت الهيبة عنى فقلت :

لم بتلك البرْحاءِ أن تحضرينى ... وتجافت أمْنِيَّتى عن سواكِ

فقال : لله درُّكـ ، لك عشرون ألفا .

قال : وأطرق رأسه مَلِيّا ثم رفع وقال لنا : والله استقى منكما ثم قال :

فتمنيتُ أن يُغشّيَنِى اللـ ... ـهُ نُعاسا لعل عينى تراكِ

كان الرشيد يحب ماردةَ جاريتَه ، وكان خَلَّفَهابالرَّقّة ، فلما قدم إلى مدينة السلام اشتاقها فـكتب إليها :

ســـلام على النازح المُغْـــتَرِبْ ... تحيـــةَ صبٍّ به مُـكْتَئِبْ

غزالٌ مراتعـه بالبَلِيـخِ (١) ... إلى دَيْرِزَكّى (٢) فقصرِ الخشَبْ

---

(١) البليخ : اسم نهر بالرقة .

(٢) دير بالرها ــ وقيل هو بالرقة قريب من الفرات (مراصد) .

أيَا من أعان على نَفْسِه ... بتخليفه طائعا من أَحَبّْ
سأستر والسِّتْرُ من شيمتى ... هوى من أُحِبّ بمن لا أحِبّْ

فلما ورد كتابُه إليها أمرت أبا حفص فأجاب عنها الرشيد بهذه الأبيات :

أتانى كتـابُك يا سيـدى ... وفيه العجائبُ كلُّ العجَبْ
أتزعمُ أنك لى عاشـقٌ ... وأنك بى مستهـامٌ وصَبّْ
فلو كان هـذا كذا لم يـكن ... لتترُكَنِى نُهزَةً للـكُرَبْ
وأنت ببغدادَ ترعى بهـا ... نباتَ اللذاذةِ معْ من تُحِبّْ
فيا من جفانى ولم أَجْفُه ... ويامن شجانى بما فى الـكُتُبْ
كتابك قد زادنى صَبْوةً ... وأسْعَرَ قلبى بِحَرِّ اللَّهَبْ
فهَبْنى ، نعم ، قد كتمتُ الهوى ... فـكيف بكتمان دَمْعٍ سَرِبْ
ولولا اتقـاؤك[1] يا سيدى ... لوافتك بى الناجياتُ النُّجُبْ

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ خادما على البريد حتى حدَرَها إلى بغداد فى الفرات ، وأمر المغنين فغنَّوْا بهذا الشعر .

دخل أبو حفص الشطرنجىُّ علَى يحيي بنِ خالد ، وعندَه ابنُ جامع ، وهو يُلقِى على دنانيرَ صوتا ، أمره يحيي بإلقائه عليها ، فقال لأبى حفص : قل فى دنانيرَ بيْتين يُغَنِّى بهما ابنُ جامع ، ولك بكل بيت مائةُ دينار ــ إن جاءا كما أريد . فقال أبو حفص :

أشْبَهَكِ المسكُ وأشْبَهْتِه ... قائمةً فى لونه قاعِدَهْ
لا شك إذ لونـكُمَا واحدٌ ... أنـكما من طينةٍ واحدهْ

فأمر له يحيي بمائتى دينار ، وغنى فيهما ابن جامع.

---

(١) فى الأصل بقاؤك

غضب الرشيد على عُلَيّة فأمرت أبا حفص شاعرَها أن يقول شعرا يعتذرُ عنها ويسألُه الرضا عنها . فقال :

لو كان يمنع حسنُ العقـلِ صاحبَه ... من أن يــكون له ذنبٌ إلى أحَدِ
كانت عُلَيَّةُ أَبْرَا الناس كلِّهمُ ... من أن تــكَاَفا بسوءٍ آخرَ الأبدِ
مــالى إذا غبتُ لم أذكر بواحـــدة ... وإن سَقِمت وطال السُّقم لم أُعَدِ
ما أصعبَ[1] الشيء ترجوه فتُحْرَمه ... قد كنتُ أحسبُ أنى قد ملأتُ يدى

فغنت بهم ، وألقت الغناء على جماعةِ جوارى الرشيد ، فغنيْنه إياه فى أول مجلس ، فبعث إليها فحضرت وقبلت رأسه واعتذرت فقبل عُذْرَها ، وسألها إعادة الصوت ، فأعادته ، فبكى ، وقال : لا ، حسبه ـ أى : لا غضبتُ عليك أبدا ما عشت .

قال أبو حفص الشطرنجىُّ : قال لى الرشيد يوما : ياحبيبى لقد أحسنتَ ما شئتَ فى بيتين قلتهما . قلت : وما هما يا سيدى ؟ فمن شرفهما استحسانك لهما ؛ قال : هما قولك :

لم ألق ذا شَجْوٍ يبوحُ بشَجْوه[2] ... إلا حسِبْتُك ذلك المحبـــوبا
حـــذراً عليك وإننى بك واثقٌ ... ألّا ينَالَ سواى منك نصيباً

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليسا لِى ، بل هما للعباس بن الأحنف . فقال : صِدْقُك ، والله ، أعْجَبُ إلىَّ وأحسنُ منهما حيث تقول :

إذا سرها أمرٌ وفيه مساءتى ... قضيت لها فيما تريد عَلَى نفْسِى
وما مر يومٌ أرتجى فيه راحةً ... فأذْكُرُه إلا بكيتُ على أمسى

---

(١) ما أعجب .
(٢) لم ألق ذا شجن يبوح بحبه (أغانى ١٩ : ٧٢).

قال عبدُ الله بن الفضل : دخلت على أبى حفصٍ الشطرنجىِّ أَعُودُه فى عِلّته التى مات فيها ؛ فجلست عنده ، فأنشدنى لنفسه :

نعى لك ظلّ الشبابِ المشيبُ   ونادتك باسمِ سواكَ الخطوبُ
فكن مستعداً لداء الفَنَاءِ   فإن الذى هو آت قريبُ
ألست(١) ترى شهوات النفوسِ   تفْنَى وتبقَى عليها الذنوبُ
وقبلَك داوى الطبيبُ المريضَ   فعاش المريض ومات الطبيبُ
يخاف على نفسه من يتوبُ   فكيف ترى حالَ من لا يتوبُ

(١) ألسنا (أغانى) .

عَبيدُ بن الأبرص[1]

هو عبيد بن الأبرص بن جُشَم بن عامر[2] بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث ابن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزَيْمَة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية ـ وجعله ابنُ سَلَّام فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقَرَنَ به طرفةَ وعلقمةَ بن عَبْدة وعديَّ بن زيد .

قال أبو عبيدة : اجتمعَتْ بنو أسد بعد قتْلِهم حُجْرَ بن عمرو ، أبا امرئ القيس ابن حجر ، على امرئ القيسِ ابنِه على أن يُعْطوه ألفَ بعيرٍ ديةَ أبيه ، أو يُقِيدُوه أيَّ رجل شاء من بنى أسد ، أو يمهلهم سنة ؛ قال : أما الديةُ فما ظننتُ أنكم تعرِضونها على مثلى ، وأما القود فلو قِيدَ لى ألفُ رجل من بنى أسد ما رضيتُهم ، ولا رأيتُهم كفؤا لحجْر ، وأما النَّظِرَةُ فلكم ، ثم إنكم ستعرفوننى فى فرسان قحطان أُحَكِّم ظُبا السيوفِ ، وشبا الأسنة حتى أشْفِيَ نفسى وأنالَ ثأرى ـ فقال عبيد فى ذلك :

يا ذا المُخَوِّفُنا بقتـ ـل أبيه إذلالا وحَيْنا
أزعمت أنك قد قَتَلْـ ـتَ سَراتَنا كَذِباً ومَيْناَ
هلا على حُجْرِ بن أمْـ[3] ـمِ قطام تبكى لا علينا
إنَّا إذا عض الثقا فُ برأس صَعْدَتِنا لَوَيْنا
نحمى حقيقتَنا وبعـ ـضُ الناس يَسْقُط بينَ بَيْنا

---

(١) أغانى ١٩ : ٨٤ مهذب ٢/٢٠٣ .

(٢) ابن هر (جمهرة الأنساب) .

(٣) فى الأصل : قحطان ا ـ ب .

هلَّا سألتَ جموع كنـ ـدةَ يوم ولَّوْا أين أينا
أيام نَضْرِبُ هامَهم ببواترٍ حتى انْحَنَيْنا
وجميعُ غسانَ الملـو كَ أتيتهم وقد انطوَيْنا
نُحْفاً(١) أياطِلُهُنّ قد لاقَيْن أسفاراً وأَيْنا
نحن الأُلَى فاجمَعْ جمو عَك ثم وجِّهْهُم إلَيْنا
واعلم بأن جيادَنا آلَيْنَ لا يَقْضِين دَيْنا
ولقد أبحْنا ما حَمَيْـ ـتَ ولا مُبيحَ لما حَمَيْنا
هـذا ولو قدَرَتْ عليـ ـك رماحُ قومى ما انتَهَيْنا
حتى تنوشك نوشةٌ(٢) عاداتُهن إذا انقوينا
نُغْلِى السِّباء بكلِّ عا تقـةٍ شَمولٍ ما صَحَوْنا
ونُهِينُ فى لذّاتِنا عُظْمَ التلادِ إذا انتَشَيْنا
لا يُدركُ البانى أن يرفع دعائم ما بنينا(٣)
كم من رئيس قد قتلـ ـناهُ وضَيْمٍ قد أبَيْنا
ولرُبَّ سيِّد مَعْشَرٍ ضَخْمِ الدسيعةِ قد رَمَيْنا
عقبـانه بظِلالِ عِقْـ ـبانٍ تيممُ من نوَيْنا
ولقد تركنا شِلْوَه جَزَرَ السباعِ وقد مَضَيْنا
إنَّا لعمرُك ما يضا مُ حليفُنا أبداً لدَيْنا
وأوانسٌ مثلُ الدُّمَى حورُ العيونِ قد استبَيْنا

---

(١) فى المهذب (لحقا) أى قد لحقت الخواصر بالأصلاب. والأين : الإعياء .
(٢) فى الأصل : يبوسك بؤسه . وهذه عن الأغانى .
(٣) رواية المهذب : لا يبلغ البانى ولو رفع الدعائم مابيننا

كان المنذرُ بن ماء السماء قد نادَمَه رجلان من بنى أسد ؛ أحدهما خالدُ بن المضَلّل ، والآخر عمرُو بن مسعود بن كَلَدَةَ ، فأغضباه فى بعض المنطق ، فأمر بأن يُحْفَر لكل واحدٍ حُفْرةٌ فى ظهر الحِيرَةِ ، ثم يجعلان فى تابوتَيْن ويُدفنان فى الحفرتين ، ففُعِل ذلك بهما ، حتى إذا هو أصبح سأل عنهما ، فأُخبر بهلاكهما فندِمَ على ذلك وهمّه ، وفيهما يقول شاعرُ بنى أسد :

يا قبرُ بين قبور[1] آل مُحَرِّقٍ جادت عليك رواعدٌ وبروقُ
أما البكاءُ فقلَّ عنك كثيرُهُ ولئن بكيت فبالبكاءِ خليقُ

ثم ركب المنذرُ حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغَرِيَّيْنِ[2] عليهما ، فبُنِيا وجعل لنفْسِه يومين من السنة ، يجلس فيهما عند الغَرِيَّيْن سمى أحدَهما يومَ نعيمٍ والآخرَ يومَ بؤس . فأولُ من يطلعُ عليه يومَ نعيمه يعطيه مائةً من الإبل سوداءَ ، وأول من يطلعُ عليه يومَ بُؤْسِه يعطيه رأس ظَرِبان أسود[3] ، ثم يأمُر به فيُذْبح ويُغرَى بدمه الغَرِيَّان . فلبِث بذلك بُرْهةً من دَهْرِه .

ثم إن عبيدَ بن الأبرص كان أول من أشرفَ عليه يومَ بؤسِه . فقال : هلّا كان الذبح لغيرك يا عبيد ؟ فقال : أتتك بحائن رِجْلاه . فأرسلها مثلا . فقال له المنذر : أوْ أَجَلٌ بلَغَ مداه .

ثم قال المنذر : أنشدنى ، فقد كان شِعْرُك يُعجبنى . فقال : حال الجريضُ دون القَريض ، وبلَغَ الحزامُ الطُّبْيَيْن . فأرسلها مثلا . وقال له بعض القوم : هبلتك أُمُّك ، أنشد الملك . فقال : وما قولُ قائلٍ مقتول ؟ فأرسلها مثلا .

---

(١) فى الأصل : تقرأ يافير ويفور .
(٢) الغريان مثنى غرى وهو البناء الجيد وهما بناءان مشهوران كانا قرب الحيرة .
(٣) فى الأصل : ضربان وهذا بالصواب أشبه .

وقال له آخر : ما أشد جزَعَك من الموت ! فقال : لا يَرْحَلُ رحْلَك من ليس معك. فأرسلها مثلا . فقال المنذر : قد أَمْلَلْتَني فأرِحْني قبل أن آمر بك . فقال عبيد : من عَزَّ بَزَّ . فأرسلها مثلا . فقال له المنذر : أنشدنى قولك :

أقفر من أهله ملحوب ... ...

فقال :

أقفرَ من أهله عَبيــدُ والبومَ لا يُبْدِى ولا يُعِيدُ

فقال له المنذر : ويحك يا عبيد !! أنْشِدْنى قبل أن أذْبحَك . فقال عبيد : والله إن مِتُّ ما ضَرَّنى ، وإن عشت ما عشتُ فى واحدِ . فقال له المنـذر : إنه لا بدَّ من الموتِ ، ولو أن النعمانَ عرض لى فى يوم بؤسى لذبَحْتُهُ ، فاختر إن شئت الأكحل ، وإن شئت الأبْجَل ، وإن شئت الوريد . فقال عبيد : ثلاث خصالٍ كسحاباتِ عادِ ، وارِدُها شرُّ وارِد ، وحاديها شَرّ حاد ، ومعادُها شرُّ معاد ، ولا خير فيهن لمرْتاد ، وإن كنتَ لا محالةَ قاتلى فاسقِنى الخمرَ حتى إذا ماتت مفاصلى ، وذُهِلَتْ لها ذَواهلى ، فشأنك وما تريد . فأمر له المنذر بحاجته من النبيذ ، حتى إذا أخذَتْ منه ، وطابت نفسه ، دعا به المنذر ليقتله فلما مثل بين يديه أنشد يقول :

وخـيَّرَنى ذو البُؤْسِ فى يوم بؤْسِه خصالا أَرَى فى كلها الموتَ قد برَقْ
كما خُيِّرَتْ عادٌ من الدهر مَرَّةً سحائبَ ما فيها لذى خِيْرَةٍ أَبَقْ
سحائبُ رِيحٍ لم تُوَكَّلْ ببلدة فتتركُها إلا كما ليـــلة الطَّلَقْ

فأمر به المنذر ففُصِد فلما مات غُرِّى بدمه الغَرِيَّان ، فلم يزل كذلك حتى مرَّ به رجل من طيء ، يقال له حنظلةُ من بنى عفراء . فقال له : أبيتَ اللعن ، إنى والله أتيتُك سائرا ، ولأهلى من خَيْرك مائرا ، فلا تـكن مِيرَتُك قَتْلِى . فقال له : لابد من ذلك ، فاسألنى حاجتَك أَقضها لك . فقال له : تُؤَجِّلُنى سنةً أرجعُ فيها إلى أهلى وأُحْـكِمُ من أمرهم ما أُريد . ثم أصيرُ إليك فتُنْفِذ فِىَّ أمرك . فقال :

ومَن يكْفُلك حتى تعود ، فنظر فى وجوه جُلَسائه فعرف منهم شريكَ بن عمرٍو أبا الحوْفزانِ بنِ شَريك فأنشأ يقول :

يا شريك يا ابنَ عمْرو ما مِنَ الموتِ مَحَاله

يا شريكَ يا ابنَ عمرو يا أخا مَنْ لا أخا له

يا أخا شيبانَ فُكَّ الـ ـيوم رَهْنا قد أنى(١) له

يا أخا كلِّ مضافٍ وحَيَا من لا حَيَا لَهْ

إن شيبان قبيلٌ أكْرَم الله رجالَه

وأبوكَ الخيْر عمرو وشراحيلُ الحِمالَه

وقبال القوم فى المَجْـ ـد وفى حسنِ المقاله

فوثب شريكٌ فقال : أبيت اللعن يَدِى بيده ، ودمى بدمه ، إن لم يعُدْ إلى أجَلِه ، فأطلقه المنذر . فلما كان من قابلٍ جلس فى مجلسه ، ينتظر حنظلة أن يَأْتِيه فأبطأ ، فأمر بشريك فقُرِّبَ ليقتله . فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم ، فتأملوه ، فإذا هو حنظلة قد طَلَع مُتَكَفِّنا متحنطا ، معه نادبةٌ تَنْدُبه وقد قامت نادبة شَريكٍ تندُبه . فلما رآه المنذر عَجِبَ من وفائهما وكرمهما فأطلقهما ، وأبطل تلك السُّنَّة :

وعبيد القائل يخاطب حجرا أبا امرئ القيس :

أبلغ أبا كَرِبٍ عنى وإخْوَتَه قولا سيذهب غَوْراً بعد إنْجادِ

لأَعْرِفَنَّك بعد الموت تَنْدُبنى وفى حياتى مازَوَّدْتنى زادى

إن أمامك يوماً أنت مدرِكُه لا حاضرٌ مفلتٌ منه ولا بادى

فانظر إلى ظِلِّ مُلْكٍ أنت تارِكُه هل تُرسين أواخيه بأوتاد

الخير يَبْقى وإن طال الزمانُ به والشرُّ أخبثُ ما أوْعَيْت من زاد

---

(١) أنى : حان وقته .

قال سيف الكاتبُ : وليتُ ولايةً ، فمررت بصديقٍ لى فى بعض المنازل ، فنزلتُ به ، فنلنا من الطعام والشراب ، ثم غلب علينا النبيذُ فنمنا ، فانتبهتُ من نومى ، وإذا بكلبٍ قد دخل على كَلْبِ الرجل فجعل يَبَشُّ به ويسلمُ عليه ، ولا أُنْكر من ذلك منهما شيئا — ثم جعل الكلب الداخلُ عليه يجره على طريقه وطول شعره — ثم قال له : هل عندك شىء تُطعمنيه فقال : قد بقى لهم فى موضع كذا وكذا طعامٌ ليس عليه شىء . فذهبا إليه فكنت أسمع ولوغهما فيه — ثم سأله نبيذا فقال : نعم ، لهم نبيذٌ فى إناء ليس عليه غطاء ، فذهبا إليه ، ثم شربا منه . ثم قال له هل تُطْرِبُنى بشىء ؟ قال: إى وعيْشِك ، صوتٌ كان أبو يزيد يغنيه فيُجيدُه ، ثم غناه فى شعر عبيد الأبرص :

طاف الخيال علينا ليلةَ الوادى ... لِآلِ أسماءَ لم يُلْمِمْ بميعاد

إنى اهتديتُ لركب طال سيرهمُ ... فى سَبْسَبٍ بين ذكوالٍ وأعقادِ

فلم يزل يُغنيه هذا الصوتَ ويشربان مَلِيّا حتى فَنِىَ ذلك النبيذ . ثم خرج الكلب الداخلُ ، نخفت على نفسى أن أذكر ذلك لصاحبِ المنزل فأمسكتُ ، وما أذكر أنّى سمعتُ أحسنَ من ذلك الغناء .

عُبَيْدَةُ الطَّنبورية[1]

من المحسنات المتقدماتِ في الصنعةِ والآداب . وكانت من أحسن الناس وجها وأطْيَبهم صوتا .

وكانت لا تخلو من عِشْق . ولم تُعرفْ قط امرأةٌ أعطر[2] منها .

قال جحظة — وهب لى جعفرُ بن المأمون طنبورَ عبيدة ، فإذا عليه مكتوب بالأبنوس : « كل شيء — سوى الخيانةِ — فى الُحبِّ يُحتَملُ » .

قال على بن الهَيْثم اليزيدى :

كان إسحاقُ بنُ إبراهيم الموصلى يألَفُنى ويدعونى ، فمر بى يوماً وأنا مُشْرِفٌ من جناحٍ لى ، فوقف علىَّ وقال لى : هل تَنْشَط اليوم للمصير إلىَّ . فقلت : ما على وجه الأرض أحدٌ أحبُّ إلى من ذلك . ولكنى أُخبرك بقصتى ، ولا أكتمُ منها شيئا . فقال : : هاتها . فقلت : عندى اليوم عمرُو بن مَسْعَدة وهَارونُ بن أحمدَ بن هاشم ، وقد دعوْنا عبيدةَ الطنبورية ، وهى حاضرةٌ ، والساعةَ يجىء الرجلان ، فامض فى حفظ الله ، فإنى أجلسُ حتى تنتظم أُمورهم وأروحُ إليك . فقال لى : هلا عرضت علىَّ المقامَ عندك ؟ فقلت : لو علمتُ أن ذلك مما تَنْشَطُ له لرغِبْنا إليك فيه . فإن تفضلتَ بذلك كان أعظم لمنَّتك . قال : افعل ، فإنى كنتُ أشتهى أن أسمع عُبَيْدة ، ولكنَّ لى عليك شريطةً . فقلت : هاتها قال : إنها إن عرفتنى وسألتمونى أن أُغنى بحَضْرتها لم يَخْفَ عليها أمرى ، وانقطعت ، ولم تصنع شيئا ، فدعوها على جَهْلها . فقلت : أفعلُ ما أمرْتَ به . فنزل وردَّ دابته ، وعرّفتُ صاحبىَّ ماجرى ، فكتماها أمره ، فأكلنا ما حضر وقُدِّمَ النبيذُ فغنت لحنا لها :

---

(١) الأغانى : ١٩ : ١٣٤ .

(٢) فى الأصل ا — ب أعطس وفى الأغانى (أعطر) .

قريبٌ غـيرُ مقتربٍ ومؤتلفٌ كمجتنبِ
له وُدِّى ولى منـه دواعى الهمِّ والـكَرَبِ
أُواصِلُه على سَبَبٍ ويهجُرنى بلا سَبَبِ
ويظلِمُنى على ثقـةٍ بأن إليه مُنْقَلَبِى

فطرب إسحاق وشرب نصفا ، ثم غنَّته وشرب ، ولم يزل كذلك حتى والى بين عَشْرَةِ أنصافٍ ، وشربناها معه ، وقام ليصلى ، فقال لها هارون بنُ أحمد : ويحك يا عبيدةَ ، ما تُبالين متى مت ؟ قالت : ولِمَ ؟ قال : أتدرين من المستحسنُ غناءَكِ والشاربُ عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله . قال: إسحاقُ بن إبراهيم الموصلى، فلا تُعَرِّفيه أنكِ قد عرفْته . فلما جاء إسحاق ابتـدأتْ تغنى فلحقها هيبة له واختلاط ، فنقصت نقصا بينا. فقال لنا: أَعَرَّفْتموها من أنا ؟ فقلت: نعم، عرَّفها إياكَ هارونُ بن أحمد . فقال إسحاق: نقوم إذاً فننصرف ، فإنه لا خير فى عِشْرتـكم الليلة ، ولا فائدة لى ولا لـكم ، وانصرف .

وكانت عبيدةُ بنتُ رجل يقال له صَبَاح مَوْلَى بن السمراء الغسَّانى(١) وأبو السمراء أحد العشرة الذين وصلهم عبد الله بن طاهر فى يوم واحد ، لـكل رجل منهم مائةُ ألف درهم .

وكان الزبيدى الطنبوريُّ أخو قطينَ العمياء يختلفُ إلى أبى السمراء ، فإذا لم يصادِفْه أقام عند صباحٍ أبى عبيدة ، وبات وشرب وغنى وأنس. وكان لعبيدة صوت مديد ، وطبعٌ جيد ، فسمعَتْ غناء الزبيدى ، فوقع فى قلبها واشتهته ، وسمع الزبيديُّ صوتها ، وعرف طبعها ، فطمعها ، وواظب عليها ، ومات أبوها ، ورقَّتْ حالها ، وقد حَذَقت على الغناء على الطنبور ، فخرجت تغنى وتقنع باليسير .

---

(١) فى الأصل ا ــ ب المغانى ــ وفى الأغانى الغسانى .

وكانت مليحةً مقبولةً خفيفة الروح فلم يزل أمرها يزيد حتى تقدمت وكبُرَ حظُّها واشتهاها الناس ، ورغب فيها الأحداث الفتيان .

وكان أول من تَعَشَّقها على بن الفرج البُرْجُمى أخو عمرو ، كان حسن الوجه ، كثير المال . ثم ولدتْ منه بنتا فحجبها إلى حد[1] ذلك، وكانت تحتال فى الأوقات بعِلَّة الحَمَّام وغيرِه فتلم بمن[2] كانت توده ويودها ، ثم ماتت بنتُها ، وصادف ذلك نكبةَ البرجمى وأهلِه واختلال أحوالِهم فطلَّقها ؛ فخرجت فكانت تخرج بدينارين فى النهار، ودينارين فى الليل ، ونزلت بعضَ دور أبى السمراء ، وتزوجت أمُّها بوكيل له ، فتعشقت غلاما من آل حمزةَ بن مالك يقال له شرائح ، وهو صاحب ساباط شرائح ببغداد وكان يغنى بالمِعْزفة غناءً مليحا ، وكان حسن الوجه لا عيبَ فيه إلا أنه كان مُتَغَيِّرَ النكهة ، وكانت شديدةَ الغُلْمة ، وكانت لا تَحْرِم أحداً ، ولا تكْرَهُه ، من حد الكهول إلى الطفل ، حتى تعشقت شابا يعرف بأبى كرب بن الخطاب[3] متدلى الوجه أفطس قبيح الأُدمة ، فقيل لها : أىّ شىء رأيتِ فى أبى كرب؟ فقالت : قد تمتعتُ بكل حَسَنٍ من الرجال إلا السودان ، فإن نفسى تتبعهم . وهذا بين الأسود والأبيض ، وبيته خالٍ لما أُريد ، وهو وكيلى إذا أردت ، وصفعانى إذا أردت .

وكان لها غلام يضرب عليها يقال له على ، ويلقب طيز عبيدة ، وكانت إذا اختلت فى البيت وشبقت اعتمدت عليه . وقالت : هو بمنزلة بغل الطحان يصلحُ للحَمْل والطحنِ والركوبِ .

وماتت عبيدة من نَزْف أصابها . وأفرط حتى أتلفها.

وكان إسحاق يقول : الطنبورُ إذا جاوز عبيدة هَذَيان .

---

(١) لأجل ذلك (الأغانى) .

(٢) فى الأصل فتلمه ثم . وما ذكر عن الأغانى .

(٣) فى الأغانى : ابن أبى الخطاب .

عليّ بن عبد الله بن جعفر[1]

عليّ بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

وأمه ولّادَة بنت الحَجَل بن عيينة بن سعيد بن العاص بن أُمية ، شاعر ظريف حجازى .

وكان عمرُ بن الفرج بن البرجمى يأتى من الحجاز إلى سُرّ من رأى مع جُمْلةٍ من الطالبيين ، أيام حج المنصور ، فحبسه المتوكلُ معهم، لأنه كان شيخ القوم وكبيرَهم.

قال على بن عبد الله : فمكث فى الحَبْسِ ، فدخل على رجُلٍ من الكتاب يوما، فقال : أُريد هذا الجعفرىّ الذى تَدَيَّث فى شعره ، فقلت : أنا هو . فمدل إلىّ وقال لى : جعلتُ فداك ، أُحب أن تنشدنى بيتيك اللذين تديثت[2] فيهما فأنشدته :

ولما بدا لى أنها لا تريـــدُنى ... وأن هواها ليس عنى بمُنْجَلِى

تمنيتُ أن تهوَى سواى لعلها ... تذوقُ حراراتِ الهوى فترقُّ لى

فكتبتُهما ؛ ثم قال لى : اسمع، جُعلت فداك بيتين قلتهما فى الغـــيرة . فقلت: هاتهما فقال :

ربما سَرّنى صدودُك عنى ... فى طِلابيـك وامتناعِـك منى

حذراً أن أكون مفتاحَ غيرى ... فإذا ما خلوتُ كنتَ التمنّى

---

(١) الأغانى ١٩ : ١٤١ .

(٢) فى الأصل تديب وتديبت وهذا التصويب عن الأغانى .

ومن شعر على بن عبد الله بن جعفر قولُه :

وقف الهوى بى حيثُ أنت فليس لى   متأخَّرٌ عنه ولا مُتَقَدَّمُ
أجِدُ الملامةَ فى هواك لذيذةً   حبًّا لذكرك فلْيَلُمْنِى اللُّوَّمُ
أشبهتَ أعدائى فصرتُ أُحبهم   إذ كان حظى منك حظِّىَ منهمو
وأهنْتَنى فأهنتُ نفسى صاغرا   ما من يهونُ عليك ممن يُكْرَمُ

عيينة بن مرداس[1]

هو أحد بنى كعب بن عمرو بن تميم .

شاعرٌ مُقِلٌّ غير معدود فى الفحول ، مخضرم ، أدرك الجاهليةَ والإسلام . هجّاءٌ خبيث اللسان ، معروفُ المَعَرَّة فى جاهليته وإسلامه .

وابنُ فَسْوَةَ لقب لزِمَه فى نفسه ، ولم يكن أبوه يُلَقَّبَ فَسْوة وإنما لقب هو به. والسبب فى ذلك أن عُيينةَ كان فاحشا كثيرَ الشَّرِّ فأقبل ابنُ عم له من الحج ، وكان من أهل بيتٍ منهم ، يقال لهم بنو فسوة . فقال له عيينة : كيف أنت يا ابن فسوة ؟ فوثب مُغْضَبا ، فركب راحلته ، وقال : بئس والله ، ما حييْتَ به ابنَ عمك ، قدم عليك من سَفَرٍ ، ونزل دارَك . فقام إليه عيينةُ مستحييا ، فقال : لا تغضب ، يا ابن عم ، فإنما مازَحْتك . فأبى أن ينزل ـ فقال له : انزل ، وأنا اشترى منك هذا الاسم، فأتسمَّى به . وظنَّ أن ذلك لا يَضُرّه . فقال : لا أفعل أو تشتريَـه بمحضرٍ من العشيرة . قال : نعم . فجمعهم وأعطاه بُرْداً وحملا وكبشا وقال لهم عيينةُ : اشهدوا أنى قبلتُ هذا اللقب وأَنْقَدْتُ الثمن ، وأنا ابن فسوة ، فزالت عن ابنِ عمه يومئذ ، وغلبت عليه ، وعُمِّرَ عمراً طويلا .

وكان أوصف الناس للإبل :

أتى عيينةُ بن مرداس عبدَ الله بن عباس ، وهو عاملٌ لعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، علَى البصرةِ ، وتحته شُمَيْلَة بنت جنادة[2] بن أبى أزهر الزهرانية وكانت قبله تحت مجاشعِ بن مسعود السُّلَمى ، فاستأذن عليه فأذن له . وكان لا يزال يأتى

---

(١) الأغانى : ١٩ : ١٤٣ . مهذب الأغانى ٢ : ١٥٥ .

(٢) فى الأصل جناكره والتصويب عن الأغانى .

أُمراء البَصْرة فيمدَحُهم فيعطونَه ، ويخافون لسانه ، فلما دخل على ابن عباسٍ قال له : ما جاء إلىَّ بك يا ابن فسوة ؟ قال : وهل عنك معدى ؟ جئتك لتُعينَنى على مروءتى ، وتصل قرابتى . فقال له ابن عباس : وما مروءةُ من يعصى الرحمن ويقولُ الطغيان[1] ويقطع ما أمرَ اللهُ به أن يوصل ؟ والله إن أعطيتُك لأعننك على الـكفر والطغيان والعصيان . انطلِقْ فأنا أُقسم بالله إن بلغنى أنك هجوتَ أحداً من العربِ لأقطَعَنَّ لسانك . فأراد الـكلام ، فمنعه من حضر . وحبسه يَوْمَه ذاك ، ثم أخرجه من البصرة فوفد إلى المدينة بعد قتلِ علىٍّ كرم الله وجهه . فلقى الحسنَ ابن على ، وعبدَ الله بن جعفر ، رضى الله عنهما ، فسألاه عن خبره مع ابن عباس ، فأخبرهما فاشتريا عرضَه منه بما أرضاه . فقال يمدحهما ويلوم ابنَ عباس من قصيدة :

أتيتُ ابن عباسٍ فلم يقضِ حاجتى ... ولم يرجُ معروفى ولم يخشَ مُنْـكَرِى
حُبِسْتُ فلم أنْطِـقْ بعذرٍ لحاجةٍ ... وشد خصاص البيتِ من كل مَنْظَرِ
وجئتُ وأصواتُ الخصوم وراءَه ... كصوتِ الحمام فى القليبِ المُغَوَّرِ
وما أنا إذ زاحمتُ مصراعَ بابِه ... بذى صَوْلَةٍ ضارٍ ولا بجَزَوَّرِ
ولو كنت فى زَهرانَ لم تنس حاجتى ... ولـكننى مولى جميـل بن مَعْمَرِ
وباتت لعبد الله من دون حاجـتِى ... شميلة تلهو بالحـــديث المُقَـتَّرِ
فليتَ قلوصى عُريت أوْ رحلتها ... إلى حَسنٍ فى وكره وابن[2] جعفر
إلى ابن رســولِ الله يأمرُ بالتقى ... وبالدين يدعو والـكتابِ المُطَهَّرِ

وقدم على عبد الله بن عامر بن كُرَيز ، وكان جوادا ، فلما استؤذن له عليه أرسل

---

(١) البهتان (أغانى ــ مهذب) .

(٢) فى الأغانى : داره ــ وابن جعفر ، وكانت فى الأصل : وأبى جعفر .

إليه : إنك والله لا تسألُ بحسبٍ ولا دينٍ ولا منزلةٍ ولا أَرَى لرجل من قريش شيئا أو يأمر به [أن يعطيك](١) فقال ابن فسوة :

وكائن تَخَطَّتْ ناقتى وزمِيلُها(٢) ... إلى ابن كريز من نحوس وأسْعُدِ
وأغبرُ مسحولِ الترابِ ترى له ... خَباً طردته الريح من كل مُطْردِ
لعمركَ إنى عند باب ابن عامر ... لـكالظَّبْى عند الرَّمْيَة المتردد
فلم أر يوما مثلَه إن تـكشَّفَتْ ... ضبابَتُه عنى ولم أُقيد

فبلغ قولُه ابنَ عامر نخاف لسانه ، وما يأتى [به] بعد هذا فلَانَ ورجع ، وأحْسَنَ القومُ رفدَه ، وقالوا : هذا شاعرٌ وفارسٌ وشيخ من شيوخ قَوْمِه واليسير يرضيه فقال: ردوه فردوه فقال : ياعيينة ! اردد على ما قلت. فقال : ما قلت إلا خيرا فقال : هاته قال: فقلت:

أتعرف رسم الدارِ من أُم معبدِ ... نعم فرماكَ الشوقُ قَبلَ التَّجَلُّدِ
فيالك من شَوْقٍ ويالك عَبْرَة ... سوابِقُها مثل الجمان المُبَدَّدِ
وكائن تَخَطَّتْ ناقتى وزميلُها(٢) ... إلى ابن كُرَيزٍ من نحوسٍ وأسعدِ
فتى يشـترى حسنَ الثناء بماله ... ويعـلمُ أن المرءَ غـيرُ مُخلَّدِ
إذا ما مُلِمَّاتُ الأُمورِ اعترينه(٣) ... تجلَّى الدُّجَى عن كوكبٍ مُتوَقِّدِ

فتبسم ابنُ عامر ، ثم قال : لعمرى ما كذا قلت ، ولـكنه قولٌ لَسْنا(٤) نتَّقيه ، وأعطاه حتى رضى ، وانصرف .

---

(١) فى مهذب الأغانى : « وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئا فأمر به فلـكز وأهين قال »
(٢) فى الأصل : (وكائن نحطب يا فتى ودمثلها) وما أثبتناه عن الأغانى .
(٣) اعتلينه .
(٤) مستأنف (أغانى) .

وكان عبد الله بن عامر بن كُرَيز قد تزوج أُخت بشر بن كَهْف أحد بنى خزاعة ابن مازن ، وكان أثيراً عنده ، واستعمله على الحِمَى ، فسأله ابنُ فَسوة أن يُرْعِيَه ، فأبى ومنعه ، وطرد إبله ، فقال فى ذلك :

ومن يــــك أرعاه الحمى أَخَوَاتُه ... فمــالى من أُختٍ عوانٍ ولا بكرِ
وما ضرها أن لم تـكن رعت الحمى ... ولم تطلب الخيرَ المُمَنَّعَ من بِشْرِ[1]
فإن تمنعوها[2] من حِمــا كم فإنه ... مُباحٌ لها ما بين أنْبَط[3] فالـكُدْر
إذاً ما امرؤ أثنى بفضل ابنِ عَمِّه ... فلعنــةُ ربِّ العالمين على بِشْرِ

كان ابنُ فَسْوَةَ قد نزل ببنى سعد بن مالك ، من بنى قيس بن ثعلبة ، وبات بهم ، وبعث جاريةً له يقال لها حَوْراء ، فسرقوا عيبةً له فيها ثيابُه وثيابُ جاريته ، فرحل عنهم ، فلما عاد إلى قومه أعلمهم بما فعله به بنو سعد بن مالك ، فركب معه فرسانٌ منهم حتى أغاروا على إبل لبنى سعد ، فأخذوا منها صرمةً فاستاقوها ، ودفعوها إليه ، فقال يمدح قومَه ويهجو بنى سعد :

جزى اللهُ قومى من شفيعٍ وشاهدٍ ... جزاءَ سلـــيمانَ النــبىِّ المُكَرَّمِ
هموالقومُ لا قومُ ابن دارةِ ســالمٍ ... ولا ضابئٍ إن أَسْلَما شَرَّ مُسْــلَمِ
وما عيبةُ الحوزاءِ إذ غَدَرَتْ بهــا ... سراةُ بــنى قيس بسِرٍّ مُكَتَّمِ
إذا ما لقيتُ الحىَّ سعــدَ بن مالك ... على زُمَّ فانزل خائفا أو تَقَدَّمِ

---

(١) بعده :

متى ما نحا يوما من المــال وارثى ... يجد قبض كف غير ملأى ولا صفر
يجد مُهرة مثـــل القناة طمرةً ... وعضبا إذا ما هُز لم يرض بالهَبْرِ

(أغانى)

(٢) فإن تمنعوا منها (أغانى)

(٣) أنبط بوزن أحمد وأحمد موضع فى ديار كلب بن وبره .

أُناس أجارونا فكان جوارُهم … شماعا كلحم الجازر المُتَقَسَّمِ
لقد دُنِّسَتْ أعراضُ سعدِ بن مالكٍ … كما دُنِّسَتْ رِجْلُ البَغِيِّ من الدَّمِ
لهم نِسْوَةٌ طلسُ الثيابِ مواجِنٌ … ينادين من يبتاعُ قِردا بدرهمِ
إذا أيِمتْ قيسيةٌ بعد بعلها … وكان لها جارٌ فليست بأَيِّمِ
تمشّى قريش بينهن مقابلا[1] … بأير كأير الأحجرى[2] المحرم
إذا راح من أبياتهن كأنما … طليت بتَنُّومٍ قفاه وخِمْخِمِ

---

(١) يمشى ابن بشر بينهن مقابلا (أغانى) .
(٢) الأرجحى المخزم (أغانى) .

عبد الله بن العجلان النهدى(١)

هو عبد الله بن العجلان بن الأَحَبّ بنِ عامر بن كعب بن صباح بن نَهد بن زيد ابن ليث بن سود بن أسْلم بن الحاف بن قضاعة .

شاعر جاهلى ، أحد المتيمين [من الشعراء] ومن قتله العشقُ منهم .

وكانت زوجته يقال لها هند ، فطلقها ، ثم ندم على ذلك فزُوِّجَتْ غيره فمات أسفاً عليها .

وكان سيداً فى قومه وابنَ سيِّدٍ من ساداتهم .

وكان أبوه أكثرَ بنى نَهْد مالا .

وكانت امرأتُه هندُ من قومه ، وكانت أحبَّ الناس إليه ، وأحظاهم عنـــده ، فبقيت معه سنين سبعا ، أو ثمانيا ، لم تلد . فقال له أبوه : إنه لا ولد لى غيرك ، ولا ولد لك . وهذه المرأة عاقر فطلِّقها ، وتزَوَّجْ غيرها ، فأبى ذلك عليه ، فآلَى لا يكلِّمُـه حتى يطلّقها . فأقام على أمْرِه ثم عَمَد إليه يوماً ، وقد شَرِب الخمرَ حتى سكر ، وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه : أن صِرْ إلَىَّ . فقالت له هند : لا تَمْض إليه ، فوالله ما يريدُك لخير ، وإنما يريدك لأنه بَلَغَه أنك سكرانُ فطمِعَ فيك أن يُقْسِمَ عليك فتُطَلِّقنى ، فنَمْ مكانَك ولا تمض . فأبَى وعصاها وتعَلَّقَتْ بثوبه فضربَها بمسواك ، فأرْسَلَتْه . وكان فى يدها زعفرانٌ فأثَّر فى ثوبه مكانُ يدها ، ومضى إلى أبيه ، فعاوده فى أمرها ، وجمع عليه مَشْيَخَةَ الحىِّ وفتيانَهم فنالوه بألسنتهم ، وعيروه بشَغَفِه بها وضَعْفِ حَزْمِه ، ولم يزالوا به حتى طلقها . فلما أصبح أُخْبِرَ بذلك ، وعلمت به هندُ فاحتجَبَتْ عنه ، وعادت إلى أبيها . فأسِف عليها أسفاً شديداً .

(١) الأغانى ١٩ : ١٠٢ .

فلما عادت إلى أبيها خطبها رجل من بنى نُمَير فزوجها أبوها منه ، فبنى بها عندهم . وأخرجها إلى بلده ، فلم يزل عبدالله دَنِفاً سقيما ، يقول فيها الشعر ويبكيها حتى مات ، أسفا ، وعرضوا عليه فتياتِ الحىِّ جميعا فلم يقبل واحدة منهن .

وقال فى طلاقها :

فارقْتُ هنـــدا طائعا ... فندمتُ عنـــد فِراقِها
فالعينُ تَذْرِفُ دمْعَها ... كالدر فى آماقِها
مُتَحَلِّياً فوق الرداء ... يجـــول مِنْ رَقْرَاقها
خُـــود رَداحٌ طفلةٌ ... ما الفحشُ من أخلاقها
ولقـــد أَلَذُّ حديثَها ... وأُمَرُّ عنـــد عِناقها

[وفى هذه القصيدة يقول](١) :

أن كنت ساقية ببـــذ ... ل الأدم أو بحقاقها
فاسْقِ بنى نَهـــد إذا ... شربوا خيـــارَ زِقاقِها
فالخيـــلُ تعلم كيف الْـ ... ـحَقُها غـــداة لحاقِها
بأسِنَّةٍ زُرقٍ صَبَحْـ ... ـنا القَوْمَ حَدَّ رِقاقِها
حتى ترى قَصْدَ القنـــا ... والبيضَ فى أعْنـــاقِها

قالوا : ولما طلق عبدُ الله هندا تزوجها رجل من بنى عامر ، وكان بينهم وبين نَهْدٍ مُناوراتٌ فجمع بنو عامر مَرَّةً لبنى نهد ، فقالت هندُ امرأةُ عبدِالله بن العجلان ، التى كانت ناكحًا فيهم ، لغلام فقيرٍ من بنى عامر : هل لك فى خمس عشرة ناقةً على أن تأتىَ قومى فتنذِرَهم قبل أن تأتيهم بنو عامر . فقال : أفعل ، فحملَته على ناقةٍ لزوجها ناجيةَ وزوَّدَتْه تمراً وَوَطْبا من لبن . فركب وجَدَّ فى السيرِ ، وفنى اللبن وأتاهم ، والحى خُلوفٌ ، فى غَزْوِ مُرَّة ، فنزل بهم ، وقد يَبِس لسانُه ، فأمر خرَاشُ

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

ابن عبد الله بلبن وَسَمْنٍ فَسُخِّن ، وسقاه إياه ، فابتل لسانه ، وتكلم ، فقال لهم : أنا رسول هند إليكم تُنْذِرُكم ، فاجتمع بنو نهد ، واستعدوا ، ووافتهم بنو عامرٍ فلَقُوهم على الخيل ، فاقتتلوا قتالًا شديداً ، فانهزمت بنو عامر ، وقال عبد الله ابن العجلان فى ذلك شعرا .

ولما اشتد ما به من السّقمِ خرج سرا من أبيه ، مخاطرا بنفسه ، حتى أتى أرضَ بنى عامر ، لا يرهبُ ما بينهم من الشر ، حتى نزل ببنى نمير ، وقصد خباء هند ، فلما قاربه رآها وهى جالسةٌ على الحوْض وزوجُها يذود الإبلَ عن مائِه ، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره ، وأقبل يشتد إليها مُسْرِعا ، فأقبلت تَشْتَدّ إليه ، واعتنقا وجعلا يبكيان وينتحبان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما . وأقبل زوج هند لينظر ما حالها ، فوجدهما ميتين .

وقيل : إن أباه خَوَّفَه من التغريرِ بنفسه ، ووعده أن يجتمع معهم فى الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة ، وجاء الوقت ، وحج أبوه معه ، فنظر إلى زوج هند ، وهو يطوف بالبيت ، وأثر كَفِّها فى ثوبه بخلوق[1] ، فرجع إلى أبيه فأخبره بما رأى ، ثم سقط على وجهه فمات .

قال ابنُ سيرين : وما سمعتُ أحداً مات من العشق غير هذا .

ومن جيد شعره فيها :

خليليّ زُورا قبلَ شَحْطِ النَّوَى هندا ... ولا تأمَنا من دارِ ذى لطف بعدا
ولا تعجلا لم يَدْرِ صاحبُ حاجة ... أغيًّا يلاقى فى التَّعَجُّلِ أم رُشْدا
ومُرَّا عليها بارك الله فيكما ... وإن لم تكن هندٌ لوَجْهِكُما قَصْدا
وقولا لها ليس الطريقُ أَجازَنا ... ولكننا جُزْنا لنلقاكُمُ عَمْدا
غدا يكن الباكون منا ومنكمُ ... وتزدادُ دارى من ديارِكُمُ بُعدا

(١) الخلوق : ضرب من الطيب .

العُدَيل بن الفرخ(1)

هو العديلُ بن الفرْخِ بنِ معن بن الأسود بن عُروة بن عوف بن ربيعة بن جابر ابن ثعلبة بن شنى بن الحارث ، وهو العباب بن ربيعة بن عِجْل بن لجيم بن صعب ابن على بن بكر بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار .

وكان العباب اسمَ كلبٍ للحارثِ بن ربيعة بن عجل ، فلُقِّبَ باسم كَلْبِه وغَلَبَ عليه .

وكان عِجلٌ من مُحَمَّقِي العرب ، قيل له : إن لكل فرسٍ جوادٍ اسما ، وإن فرسَك هذا جوادٌ سابق فسمه . ففقأ إحدى عينيه وقال : سميتُه الأعورَ .

وفيه يقول الشاعر :

رمتني بنو عجلٍ بداء أبيهمُ ... وهل أحدٌ فى الناس أحمقُ من عِجْلِ
أليس أبوهم عار عينَ جواده ... وسارت به الأمثال فى الناس بالجَهْلِ

والعُديلُ شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأُموية ، وكان له ثمانية إخوةٍ ، وأُمهم جميعا من بنى شيبان .

فمن كان منهم شاعراً فارساً : أسودُ وسَوادةُ وشَمْلة ـ وقيل : سَلَمَة ـ والحارثُ، وكان يقال لأُمهم درمنا .

وكان للعديل وإخوتِه ابنُ عم يسمى عَمْرًا ، فتزوج بنتَ عم لهم بغير أمرهم(2)

---

(1) الأغانى ٢٠ : ١١ ـ مهذب ٣ : ٢٢٦ .

(2) فى الأصل عمرا من تيم (وما أثبتناه عن الأغانى والمهذب) .

فغضبوا فرَصَدوه ليضربوه ، وخرج عمرٌو ومعه عبدٌ له يسمى دابغا فوثب العديلُ وإخوتُه فأخذوا سيوفَهم فقالت أُمهم : إنى أعوذ بالله من شركم . فقال لها ابنها الأسود : وأىّ شيء تخافين علينا ؟ والله لو حَمَلْنا أسيافَنا على أهل الحِنْو ، حِنْوِ قُراقر ، لما قاموا لنا . فانطلقوا حتى أتوا عمراً ، فلما رآهم ذُعِرَ منهم ، وناشدهم فأبوا ، فلما أبوا حمل عليه سوادة فضرب عمراً ضربة بالسيف وضربه عمرو فقطع رجله فقال سوادة :

ألا من يشترى رِجْلًا برجلٍ تأبّى للقيام فما تقـــوم

وقال عمرو لدابغ: اضرب وأنت حر . فحمل دابغ فقتل رجلا منهم [وحمل عمرو فقتل آخر] وتداولاهم[1] وصاولاهم فقتلا منهم أربعةَ نفر ، وضربا العديل على رأسه ، ثم تفرقوا وهربَ دابغ حتى أتى الشامَ ، فداوى ربضة بنُ النعمان الشيبانى للعديل ضَرْبتَه ، ومكث مدة ، ثم طرح عليه العديلُ الرصد حتى إذا خرج دابغ ركب العديلُ راحلته وهو متلثم ، فانطلق معه حتى لقيه خلف الرِّكاب يحدو بشعر العديل :

يادارَ سلمى أقفرَتْ من ذى قار وهـــل بإقفارِ الديار مِنْ عَارِ
وقد كُسِينَ عرقا مثلَ القـــار يخرج من تحت ظلالِ الأوتارِ[2]

فلقيه العديل فحبسَ عليه بعيرَه ، وهو لا يعرفه ، وسار رويدا ودابغ يمشي رويدا ، وتقدمت إبلهُ وذهبتْ ، وإنما يريد أن يباعدَه عنها بوادِى حُنَيْن ــ ثم قال العديل : والله لقد استرخى حَقَبُ[3] رَحْلِى ، انزل فأُغَيِّر الرحل وتعيننى . فنزل وغيَّرَ الرحل وجعل يعينهُ حتى إذا شَدَّ الرحلَ أخرجَ العديلُ السيفَ وضرب به دابغا حتى برد . ثم ركب راحلته وأنشأ يقول :

---

(١) فى الأصل : (واحتز وصار لاهم) وما أثبتناه عن الأغانى .
(٢) يخرجن من تحت خلال الأوبار (أغانى).
(٣) الحقب : الحزام الذى يلى حقو البعير .

ألم تَرَنى جلَّلْت بالسيف دابغا ··· وإن كان ثارا لم يُصْبه غليلى
بوادى حُنَيْن ليلة البدر رُعْتُه ··· بأبيضَ من ماء الحديد صَقيلِ
وقلت لهم هذا الطريقُ أمامَكم ··· ولم أكُ أن ساروا لهُمْ بدليلِ

وكان العُديل هجا جُرْثومة [العنزى الجلانى فقال فيه :

أهاجى بنى جلان إذا لم يكن لهـا ··· حديث ولا فى الأولين قديم

فأجابه جرثومة فقال:](١)

إن امرءاً يهجو الكرام ولم ينل ··· من الثار إلا دابغـا للئيم

ثم إن مَوْلى دابغ استعدى على العديلِ الحجاجَ بن يوسف ، وطالبه بالقوَدِ ، فهرب العديلُ من الحجاج إلى مَلِكِ الرومِ ، ولجأ إلى قيصر ، فأمَّنَه فقال فى الحجاج :

ودونَ يدِ الحجاج من أن ينالَنى ··· بساط لأيدى الناعجات عريضُ
مهامه أشباهٌ كأن سرابَها ··· مُلاءٌ بأيدى الغانيات(٢) رحيضُ

فبلغ شعرُه الحجاجَ فكتب إلى قيصر : لتبعثن به أو لأغْزِيَنَّكَ جيشا يكون أوله عندك وآخره عندى . فبعث به قيصر إلى الحجاج ، فقال له الحجاج لما دخل عليه : أنت القائل :

ودون يد الحجاج من أن ينالنى ··· ... ...

فكيف رأيتَ أمكنَ الله منك ؟ قال : بل أنا القائل أيها الأمير :

إذا ذُكِرَ الحجاج أَضْمَرتُ خيفةً ··· لهـا بين أثناء الضلوعِ نَفِيضُ

فتبسم الحجاج وقال: أولى لك ــ وعفا عنه [وفرض له] .

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٢) الراحضات (أغانى) . والرحيض المغسول من رحض الثوب إذا غسله .

خرج العديلُ يريد الحجاجَ ، فلما صار ببابه حجبه الحاجب ، فوثب عليه العديل ، وقال له : لن يدخل على الأمير بعدَ رجالاتِ قريشٍ أكرمُ منى ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجبُ الكلامَ فأحفظَه ، وانصرف العديلُ إلى باب يزيدَ بن المهلّبِ ، فلما دخل عليه ، أنشأ يقول :

لئن أرْتجَ الحجاجُ بالبُخلِ بابَه ... فبابُ الفتى الأزدىِّ بالعُرْفِ يُفتَحُ

فتى لا يبالى الدهرَ ماقلّ ماله ... إذا جعلت أيدى المكارم تَسْبَحُ

يداه يدٌ بالعُرْف تُنْهِبُ ماحَوَتْ ... وأُخرى على الأعداء تَسْطو وتَجْرَحُ

إذا ما أتاه المُرْملون تيقنوا ... بأن الغنى فيهم وشيكا سَيَسْرَح

أقام على العافين حُراس بابه ... ينادونهم والحرُّ بالحرِّ يَفرَحُ

هلموا إلى سيب الأميرِ وعُرْفِه ... فإن عطاياه على الناس تفسح

وليس كعلج من ثمود بكفه ... من الجود والمعروف جِذم مُطوَّحُ(١)

فقال له يزيد : عرَّضْت بنا وخاطرت بدمك ، وتالله لا يصل إليك وأنت فى حَيِّزِى ، فأمر له بخمسين ألفَ درهم ، وحمله على فرس ، وقال له : الحق بعلياءِ نَجْد واحذَرْ أن تَعْلَقَك حبائلُ الحجاج أو تحتجنك محاجنه وابعث إلى فى كل عام ، ولك مثلُ هذا ، فارتحل . وبلغ الحجاج خبره فأحفظه ذلك على يزيد وطلب العديلَ ففاته وقال لما نجا بيتيه الضاديين :

ودون يد الحجاج ... ...

وبالغ الحجاجُ فى طلبه فلفظته الأرض ، ونبا به كلُّ مكان هربا منه ، فأتى بكرَ ابن وائل ، وهم يومئذ بادون ، فشكا إليهم أمرَه ، وفيهم بنو شيبان وبنو عجل وبنو بكر ، وقال لهم : أنا مقتولٌ أفتسلمونى هكذا ، وأنتم أعز العرب ؟ فقالوا له :

---

(١) الجذم : الأصل والمنبت — وفى الأغانى : حزم مطرح .

لا والله ، ولكن الحجاجَ لا يراغَم ، ونحن نَستوهبك منه ، فإن أجابنا فقد كُفِيت ، وإن حادّنا فى أمرك منعناك ، وسألنا أميرَ المؤمنين أن يَهَبك لنا ، فأقام فيهم واجتمعت وجوه بكر بن وائل ، فقالوا له : أيها الأمير ، إنا قد جنينا جميعا عليك جناية ، [لا يغتفر مثلها][(١)] وها نحن قد استسلمنا ، وألقينا بأيدينا إليك ، فأما إن وَهَبْتَ فأهل لذلك أنت ، وإن عاقبتَ فأنت المُسَلَّطُ الملكُ العادلُ. فتبسم وقال : قد عفوت عن كل جرم إلا جرم الفاسق العديل ، فقاموا على أرجلهم ، فقالوا: مثلك أيها الأمير لا يستَثْنى على أهلِ طاعته وأوليائه فى شىء ، فإن رأيت ألّا تُكَدِّرَ مَنَّك باستثناء ، وأن تهب لنا العديلَ فى أول ما تهب . فقال : قد فعلتُ فهاتوه قبّحَه الله ، فأتوه به فلما مثل بين يديه أنشد :

فلو كنتُ فى سلمى أجا وشما بِها ... لكان لحجاجٍ على سَبيلُ
خليلُ أميرِ المؤمنين وسَيْفُه ... لكل إمام صاحبٌ وخليلُ
بنى قبةَ الإسلام حتى كأنها ... هُدًى الناس من بعد الضلال رسولُ
إذا جارَ حُكْمُ الناس ألجأ حُكْمَه ... إلى الله قاض بالكتاب فعول
به نصرَ اللهُ الخليفةَ منهمو ... وثبّت مُلْكا كاد عنه يَزول
فأنت كسيفِ الله فى الأرض خالدٌ ... يصولُ بعون الله كيف يصولُ
وجازيت أصحابَ البلَا ببلائهم ... فما منهمو عما تُحِبّ نكولُ
وصلت بجُرّاقِ العراق فأصبحت ... مناكِبُها للوطء وهى ذلولُ
أذقتَ الحِمام ابنى عباد فأصْبَحا ... بمنزل مَوْهونِ الجَناح ثكول
ومِنْ قَطَرِىّ نلتَ ذاك وحوله ... كتائبُ من رجّالةٍ وخيولُ
إذا ما أتت باب ابن يوسفَ ناقتى ... أتتْ خيرَ منزول به ونزيلُ

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

وما خفتُ شيئاً غير ربِّىَ وحدَه   إذا ما انتحَيْتُ النفس كيفَ أقول
ترى الثَّقَلَيْن الجنَّ والإنسَ أصبحا   على طاعة الحجاجِ حين يقول

فقال له: أَوْلَى لك ، لقد نجوت ، وفرض له وأعطاه عطاءَه .

فقال يمدح سائرَ قبائلِ وائل، ويذكر دفْعَها عنه ، ويفتخرُ بها ــ قصيدَته التى أولها :

صرَمَ الغوانى واستراح عواذلى   وصحوتُ بعد صَبابةٍ وتمائلِ
وذكرتُ يومَ لِوَى عقيقٍ نسوةً   يَخْطُرْنَ بين أَكِلَّةٍ ومراحلِ
لعب النعامُ[1] بهن فى أطلاله   حتى لبسن زمانَ عَيْشٍ غافلِ
يأخذْنَ زينتهن أحسنَ ما ترَى   فإذا عَطِلْنَ فهن خيرُ عواطلِ
وإذا خَبأْنَ خدودهن أرينَنا   حَدَقَ المها وأَرَيْنَ سهمَ القاتلِ
وَرَمَيْننى لا يَسْتَتِرنَ بجُنَّةٍ   إلا الصِّبا وعَلِمْن أين مقاتلى
وإذا تطاولَتِ الجبالُ رأيتَنا   بفروع أرعنَ فوقها مُتَطاولِ
وإذا سألتَ ابْنَىْ نزارٍ يُنبئا   عنِّى[2] ومنزلتى من ابْنَىْ وائلِ
حَدَبَتْ بنو بكر عَلَىَّ وفيهمو   كلُّ المكارم بالعديدِ الكاملِ
خطروا وركْنى بالقنا وتجمَّعُوا[3]   منهم قبائلُ أُردِفوا بقبائلِ

ونحو فيها بقبائله . قال أبو النجم للعديل: أرأيت قولك :

فإن تك من شيبانَ أُمى فإننى   لأبيضَ عِجْلِىٍّ عريضُ المفارقِ

---

(١) النعيم (أغانى) .

(٢) بينا . . مجدى (أغانى) .

(٣) رواية الأغانى :

* خطروا ورائى بالقنا وتجمعت *

أكنتَ شاكاًّ فى شِعرك حين قلت هذا ؟ فقال له العديل : أشَككْتَ أنت فى نفسك ، وفى شعرك حين تقول :

أنا أبو النجْمِ وهــذا شِعرى ... لله دَرِّى ما يجنُّ صــدرى

فأمسك أبو النجم واستحيا .

كان حوشبُ بن يزيدَ بن الحارثِ الشيبانى وعكرمةُ بن ربْعِىٍّ البكرى يتنازعان الشرفَ ويتباريان فى إطعامِ الطعام ، ونحْر الُجزُر فى عسكر مُصْعَب فكان حوشبٌ يغلبُ عكرمة لسَعة يده ، وقدم عبد العزيز بن بشار[1] بسقاء[2] من دقيق ، فأتاه عكرمةُ فقال له : اللهَ اللهَ فىّ ، كاد حوشبٌ أن يغلبنى ويَسْتغلبنى[3] بماله ، فبعنى هذا الدقيق بناجز ولك فيه مثل ثمنه ربحا فقال : خُذه وأعطاه إياه ، فدفعه إلى قومه وفرّقه فيهم ، وأمرهم بعجْنه فعجنوه ، ثم جاء بالعجينِ كله فجمعه فى هُوَّةٍ عظيمةٍ ، وأمر به فغُطِّىَ بالحشيش ، وجاءوا بِرَمْكَة[4] فقربوها إلى فرس حوشب ، حتى ألقوها فى ذلك العجين ، ومعها الفرسُ ، حتى تورطا فى ذلك العجين ، وبقيا فيه جميعا ، وخرج قومُ عكرمةَ يصيحون فى العَسْكر : يا معشر المسلمين أدركوا فرسَ حوشب قد غرق فى خميرة عكرمة ! فخرج الناس يتعجبون من ذلك أن تكون خميرةٌ يغرَقُ فيها فرسٌ ، فلم يبق فى العسكر أحد إلا رَكب لينظر ، فجاءوا إلى الفرس وهو غريقٌ فى العجين ، ما يبينُ منه إلا رأسُه وعنقُه ، فما خرج إلا بالعمدِ والحبالِ ، وغَلَبَ عليه عكرمة وافتضح حوشب فقال العديل يمدحهما ويفخر بهما :

---

(١) الأغانى (يسار) ١٨ .

(٢) بسفائن (أغانى) وأما السقاء فهو وعاء من جلد للماء واللبن ونحوهما .

(٣) فى الأغانى : « يستعلينى » .

(٤) الرمكة : الفرس أو البرذونة تتخذ للنسل .

وعكرمة الفيّاضُ فينا وحوشبٌ		هما فَتَيـا الناسِ اللذا لم يعمُرا
هما فتيا الناس اللذا لم ينَاْهمـــا		رئيسٌ ولا الأقيالُ من آل حميرا

وفى حوشب هذا يقول الشاعر :

وأجـودُ بالمـال من حـاتم		وأنحرُ للجُزْر من حَوْشبِ

قدم العديلُ البصرةَ ، ومدح مالكَ بن مسمع الجَحْدَرِىّ فوصله ، فأقام بالبصرة واستطابها ، وكان مقيما بها عند مالك ، فلم يزل بها حتى مات. وكان ينادم الفرزدق فقال يرثيه:

ما ولَدَتْ مثلَ العديل حليـلةٌ		قديما ولا مُسْتَحْدَثَاتُ الحلائلِ
وما زال مذ شَدَّتْ يداه إزَارَه		به تفتحُ الأبوابَ بكرُ بن وائلِ

عمرٌو ذو الكَلْب

هو عمرُو بن العجلانِ بنِ عامر بن بُرْد بن مُنبه ، أحد بنى كاهِل بن حيّان ابن هُذيل .

وسُمِّىَ ذوالكَلْب لأنه كان خرج غازيا ، ومعه كلب يصطاد به ، فقال له أصحابه : يا ذا الكَلْب ، فثَبتَتْ عليه .

وقيل : من الناس من يقول عمرو الكَلْبُ ـ ولا يقول ذو الكَلْب. وكان من رجالات هذيل .

وكان يغزو بنى فَهْم غزوا متصلا ، فنام ليلةً فى بعض غزَواتهم فوثب عليه نِمْران فأكلاه ، فادّعتْ فهمٌ قتْلَه .

وكان علِقَ امرأةً من فهم يقال لها أم خلنجة فأحبها وأحبّته . وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه ، فطلبوا دمه ـ إلى أنْ جاءها عاما من ذلك ، فنذروا به ، وخرجوا فى أثره ، وخرج هاربا ، فتبعوه يومَهم ذلك ، وهم على أثَرِه حتى أمسى ، وهاجت ريحٌ شديدةٌ فى ليلة ظَلماء ، فبينا هو يسير على ظهْر الطريق إذ رأى ناراً عن يمينه ، فقال : أخطأتُ الطريق ، فحار وشَكّ وقصد النارَ حتى أتاها ، وقد كاد يُصْبِح فإذا رجلٌ قد أوقد ناراً ، ليس معه أحد . فقال له عمرو : من أنت ؟ فقال : أنا رجل من عَدْوان . قال : فما اسم هذا المكان ؟ قال : السَّدّ . فعرف أنه قد هَلَك ، وأخطأ . . والسد شىء لا يُجاوَز . فقال : ويلك لم أوْقَدْت ؟ فوالله ما تشتوى ولا تَصْطَلِى ، وما أوقدتَ إلا لِمَنِيّـة عمرو الشقىّ ، هل عندك شىء تُطْعمنيه ؟ فأخرج له تمرات قد بَقّاها فى يده فقال لما رآها فى يده: تمراتٌ تَتبَعُها عَبَرات من نسوةٍ خَفِرات،

(١) الأغانى : ٢٠ : ٢٢ .

ثم قال : اسقني . قال : ما ذا ؟ ألبنًا ؟ قال : لا ولكن ماء فإنى مقتولٌ صباحا ، ثم انطلق فاستَدَّ فى السدّ ، ورأى القومَ الذين جاءوا فى طلبه حيث أخطأ ، فاتبعوه حيث وجدوه ، وقد دخل غارا فى السَّدِّ ، فلما ظهروا على السّد علموا أنه فى الغار فنادوه ، وقالوا : ياعمرو ! ! فقال عمرو : ما تشاءون؟ قالوا : اخرج . قال : فَلِمَ دخلتُ إذاً ؟ قالوا : بلى ، فاخرج . قال : لا أخرج . قالوا : فأنشدنا قولك :

ومَقْعَدِ كُرْبة قد كنت منهـا مكان الأصْبَعَيْن من القِبـال[1]

قال : هاهى ذِهْ أنا فيها . قال : وعنّ له رجل من القوم ، فرماه عمرو فقتله . فقالوا : قَتَلْتَه يا عدوَّ الله . قال : أجل ، ولقد بَقِيَتْ معى أربعةُ أسهم كأنها أنياب أمِّ خلنجة ، لا تصلون إلىّ أوأقتلَ بكل منهم[2] واحداً منكم. فقالوا لعبدهم: ياأبا نجاد، ادخل إليه وأنت حر . فتهيأ أبو نجاد ليَدْخُلَ عليه، فقال له عمرو: ويحك يا أبا نجاد، ما ينفعُك أن تكون حراً إذا قُتِلْت ، فنكص عنه .

فلماراأوا ذلك صعدوا فنَقَبُوا عليه ، ثم رَمَوْه حتى قتلوه ، وأخذوا سلبه ، فرجعوا به إلى أم خلنجة ، فإذا هى تَتَشَوّف ، فلما رأوها ، قالوا لها : يا أُم خلنجة ما رأيك فى عمرو ؟ قالت : أرى أنكم طلبتموه سريعا ، ووجدتموه منيعا ، ووصفتموه مريعا قالوا : قد والله قتلناه ، فقالت : والله ما أراكم فعلتم ، وإن كنتم فعلتم لرُبَّ ثَدْيٍ منكم قد افترشه وضَبٍّ منكم قد احترشه ، فطرحوا إليها ثيابه ، وقالوا لها : دونك ثيابَه ، فأخذتها فشمَّتْها وقالت : ريح عطر وثوبُ عمرو ، ووالله ما وجدتموه ذا حُجْزَة جافية ولا عانةٍ وافية ، ولا ضالة كافية .

---

(١) القبال من النعل زمامها .

(٢) بكل سهم منها واحـدا (الأغانى) .

وقالت أُخته ريطة ترثيه :

كل امرئ بمحال العيش مكروبُ ... وكل مَنْ غالبَ الأيامَ مغلوبُ
وكلُّ حيٍّ وإن عَزُّوا وإن سَلِموا ... يوما طريقهمو فى الشر دُعبوبُ
أبْلِغ هُذيلا وأبلغْ من يُبَلِّغها ... عنى رسولا وبعضُ القولِ تكذيبُ
بأن ذا الكلبِ عَمْرًا خَيْرهم نسبا ... ببطن شِرْيانَ يَعْوِى حوله الذِّيبُ
الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ يَتْبَعُها ... مُثْعَنْجِرٌ(١) من نجيعِ الجوفِ أُسْكوبُ
والتاركُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أناملُه ... كأنه من نجيع الجوفِ مَخضوبُ
تمشى النسورُ إليه وهى لاهيةٌ ... مشى العذارَى عليهن الجلابيبُ
والمخرِجُ العاتقَ العذراء مُذْعِنَةً ... فى السَّبْيِ ينفَحُ من أردانها الطيبُ

(١) المثعنجر : السائل من ماء أو دمع أو غيره .

عنان الناطفية(١)

مولَّدَةٌ من مولداتِ اليمامة ، وبها نشأَتْ وتأدبتْ ، واشتراها الناطفى ، ورَبَّاها .

وكانت صفراءَ مليحةَ الوجهِ ، والأدب والشعر ، سريعةَ البديهة .

وكان فحولُ الشعراء يساجلونها ويقارضونها فتَنْتَصِفُ منهم .

دخل أبو نواس يوما على عِنان فتحدّثا ساعة ، ثم قال لها : قد قلت أبياتا .

قالت : هات . فقال :

إن لى أيْرا خبيثا ⁂ عارِمَ الرأسِ فَلُوتا
لورأى فى الجو صَدْعا ⁂ لَنَزَا حتى يَمُوتا
أو رآه حول سَقْفٍ ⁂ صار فيه عنكبوتا
أو رآه جوف بَحْرٍ ⁂ خِلْتَه فى البحر حُوتا

قال : فما لبِثَتْ أن قالت :

زَوِّجوا هذا بألفٍ ⁂ وأظنُّ الألفَ قوتا
إننى أخشى عليه ⁂ إن تمادَى أن يَموتا
مادَرَوْا ما حلّ بالمسـ ⁂ ـكينِ خوفاً أن يَفُوتا
قبل أنْ ينتكسَ الداء ⁂ فلا يأتِى ويُوتَى

فأخجلته ، ثم قال لها مولاها : اعتذرى إليه . فقال : لا تعتذرى لا أعذرَ اللهُ من عَذَرَكِ ، ثم تفارقا بعد ذلك . وكان كلٌّ واحد منهما لا يصبر عن صاحبه :

ودخل عليها يوما فقال لها :

ماذا تَرَيْنَ لصَبٍّ ⁂ يريدُ منكِ قُطَيْرَهْ

فأجابته :

إياى تعنى بهــذا عليكَ فاجْلِدْ عُمَيْرَهْ

فقال لها :

أُريد هــذا وأخشى على يدى منك غَيْرَهْ

فخجِلَتْ وقالت : تمست وتمِسَ من يغارُ عليك .

قال مروان بن أبى حفصة : لقيني الناطِفانىُّ فدعانى إلى عِنان ، فانطلقت معه ، فدخل إليها قبلى ، فقال لها : قد جئتُك بأشعرِ الناسِ مروان بن أبى حَفْصَة. فوجدها عليلة . فقالت له : إنى عن مروانَ فى شُغْل ، فأهوى إليها بسوطٍ فضرَبها به ، وقال لى : ادخل ، فدخلت ، وهى تبكى ، فرأيت الدموعَ تتحدر من عينيها فقلت :

بكت عِنـانٌ تَجْرِى دمعها كالدُّرِّ إذ يَسْتَنّ من خيطه

فقالت وهى تبـكى :

فليتَ من يَضْرِبها ظالمـا تيْبَس يُمنـاه على سَوْطه

فقلت له : عَتَقَ مروان ما يملـكه إن كان فى الجنِّ والإنسِ أشعرُ منها .

ودخل بعضُ الشعراء على عِنانٍ فقال لها مولاها : ساجِليه فقالت :

سَقْيا لبغــدادَ لا أرى بلداً يسكنُه الساكنون يُشْبِهُها

فقال :

كأنها فِضَّـــةٌ مُمَوَّهَةٌ أخلصَ تمويهُها مُمَوِّهُها

فقالت :

أمْنٌ وخفضٌ ولا كبَهْجَتِها أرغَدُ أرضٍ عَيْشا وأرفَهُها

فانقطع .

قال بعضهم: تصفحت كُتُباً فوجدتُ فيها بيتاً جَهِدتُ جَهْدى أن أَجِدَ من يُجيزُه فقال لى صديقٌ لى : عليك بعنان الناطفانية فجئتها فأنشدتها :

وما زال يشكو الحب حتى رأيته تنَفَّسَ من أحشائه وتـكلما

فلم تلبث أن قالت :

وَيَبْكِي فأبكي رحمةً لبكائه ... إذا ما بكى دمعاً بكيتُ له دما

قال الأصمعى : بعثت إلىّ أمُّ جعفر أنّ أميرَ المؤمنين قد لَهِجَ بهذه الجارية عنانٍ فإنْ صَرَفْتَه عنها فلك حُكْمُك .

قال : فكنت أتوقع لأن أَجِدَ للقول فيها موضعا ، فلا أجدُه ، ولا أقدم عليه هيبةً له . فدخلت يوما فرأيت فى وجهه أثَرَ الغضبِ ، فانخزلت . فقال لى : مالك يا أصمعى ؟ فقلت : رأيت فى وجه أمير المؤمنين أثر الغَضَب ، فلعن اللهُ من أَغْضَبه . فقال : هذا الناطفى ، والله لولا أنى لم أَجُرْ فى حكم قطُّ متعمداً لجعلت على كل جبلٍ منه قِطْعةً ، وما لى فى جاريته من أَرَبٍ غير الشِّعْر . فذكرت رسالةَ أُمِّ جعفر ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، واحدةٌ ما فيها غيرُ الشعر ، أَفَتَسُرّ يا أمير المؤمنين أن تَنِيك الفرزدق ؟ فضحك واستلقى ، واتصل قولِى بأُم جَعْفر ، فأَجْزَلَت الجائزة .

وكان الرشيدُ استامَ من الناطفى جاريَتَه ، فأبى أن يَبيعها بأَقَلّ من مائة ألف دينار ، على أن يأخذ بالدينار تسعةَ دراهم ، فامتنع عليه ، فأمر بأن تُحْمَل فدخَلَتْ مَجْلِسَه فى هيأتها تَنْتَظِره ، فدخل عليها ، فقال لها : ويلك !! إن هذا قد اشتَطّ علىّ فى أمرك ، فقالت : وما يمنعك أن تُرْضِيَه وتُؤَمِّنَه ؟ فقال : ليس يَقْنَع بما أُعطيه ، وأمرَها بالانصراف .

فيقال إن الناطفىّ تصدّقَ بثلاثين ألفَ درهم ، حين رجعت إليه . فلم يزل فى قلب الرشيد منها شىء ، حتى مات مولاها .

فلما مات بعث مسرور الكبير فأخرجَها إلى باب الكرخ ، وأقامها على سرير ، وعليها رِداءٌ رشيدى قد جللها ، فنُودِى عليها فيمن يزيد ، بعد أن شاور الفقهاء فيها ،

وقال : هـذه لبدة رطبة ، وعلى الرجل دين . فأشاروا ببيعها ، فكانت تقول وهى فى المصطبة : أهان الله من أهاننى وأَرْذَلَ من أرذلنى . فلكزَها مسرورٌ بيده ، وبلَغَ بها مسرورٌ مائتى ألفِ دِرْهم ، فجاء رجل فقال : علىّ زيادةُ خمسةٌ وعشرون ألفا فلكَزَه مسرورٌ وقال : أتزيد على أمير المؤمنين ؟ ثم بلَغَ بها مائتين وخمسين ألفا ، وأخذها له ، ولم يكن فيها شىء تعاب به ، وطلبوا لها عَيْبا لئلا تصيبهَا العين فوضعوا بخنصرها فى ظفر رجلها شينا . وأولدها اثنين . وأظنُّهما ماتا صغيرين ، ثم خرج إلى خراسان ، ومات هناك ، وماتت عنان بعده .

وقال أبو نواس من قصيدة يمدح بها يَزيدَ بنَ مَزْيد وشَبَّبَ فيها بعنان :

عنان يا من تُشبه العِينا ... أنت على الحب تَلومِينا[1]
حسنُك حسنٌ لا أرى مثلَه ... قد ترك النـاس مجانينا

لما ساوم الرشيدُ بعنانٍ بلغ أُمَّ جعفرٍ ذلك ، فشقّ عليها فدَسَّتْ إلى أبى نواس أن يحتال فى أمرها ، فقال يهجوها :

إن عنـان النِّطافِ جاريةٌ ... أصبح حِرُها للنَّيْك ميدانا
ما يشتريها إلا ابن زانيـة ... أو قَلْطُبانٌ يكون من كانا

فبلغ شعرُه الرشيدَ ، فقال : لعن الله أبا نواس وقبَحه ، فلقد أفسدَ علىَّ لذَّتى فى عنان بما قال ، ومنعنى من شرائها .

---

(١) أنتم على الحب تلومونا (ديوان ٣٩٨) .

علي بن أُميةَ بنِ أبي أُمية[1]

كان أبوه يكتبُ للمهدى على ديوان بيت المال ، وديوان بيت الرسائل والخاتم . وكان هو منقطعا إلى إبراهيمَ بنِ المهدى ، وإلى الفضل بن الربيع .

ولما قال على بن أُمية هذه القصيدة :

يا ريحُ ما تصنعين بالدِّمنِ ... كم لك من مَحْوِ منظرٍ حَسَنِ
محَوْتِ آثارنا وأحدَثْتِ آ ... ثاراً بربعِ الحبيبِ لم تكنِ
إن تكُ يارَبْعُ قد بَليتَ من الر ... يحِ فإنى بالٍ من الحزَنِ
قد كان يا ربعُ فيك لى سَكَنٌ ... فصِرْتَ مُذْ بانَ بعده سَكَنى
شبَّهْتُ ما أبْلَتِ الرياحُ من آ ... ثارِ حبيبىَ النائى بِلَى بدَنى
حاشاك ياريحُ أن تكون على الـ ... ـعاشق عَوْناً لحادثِ الزَّمَنِ
يا ربِّ خذنى وخذ عليا [وخذ] ... يا ريح ما تصنعين بالدمن
عَجِّلْ إلى النارِ بالثلاثةِ والـ ... ـرابعِ عَمْرٍو الغزّالِ فى قَرَنِ

ندم وقال : هؤلاء أهلُ بيتٍ ، وهم إخوتى ، ولا أُحِبّ أن تَنْشب بينى وبينهم عداوةٌ وشَرٌّ ، فأتى أُميةَ فقال : إنى أذنبتُ فيما بينى وبينكم ذنبا ، وقد جئت مستجيراً بك من فتيانك ، فدعا بعلى بن أُمية ، فقال : هـذا عمُّك ، أبو موسى ، قد أتاك مستعيذاً[2] من الشعرِ الذى قاله . قال: وما هو ؟ فأنشده ، فقال: قد ضجرنا [نحن] والله منه كما ضجرت [أنت] وأكثر وأنت آمن أن يكون منا جواب .

وأتى محمد بن أبى أُمية فقال له مثل ذلك .

---

(١) الأغانى ٢٠ : ٦٣ .

(٢) معتذرا (أغانى) .

ومضى أبو أُمية ، فأخذ على بن أُمية رقعة وكتب فيها :

كم شاعرٍ عنــد نفسِه فَطِنٌ   ليس لدينـا بالشاعرِ الفَطِنِ
قد أُخْرِجَتْ نفسُه بغُصَّتِهـا   ياريحُ ماتصنعين بالـدِّمَنِ

ودفع الرقعة إلى غلام له ، وقال : ادفعها إلى غلام أبى موسى ، وقل له : يقول لك مولاك : اذكرنى بهذه الرُّقْعَـةِ إذا انصرفْتَ إلى المنزل ، فلما انصرف إلى المنزل أتاه غلامُه بالرُّقعة ، فقال له : هذه الرقعةُ التى بعثتَ بها إلىّ قال : واللهِ ما بعثتُ إليك رقعةً وأظن الفاسقَ قد فَعَلها .

ثم دعا ابنَه فقرأها عليه ، فلما سمع ما فيها قال لى : يا غلام لا تَنْزِعْ عن البغلة ، فرجع إلى عَلِىّ بن أُمية فقال : نشدتك اللهَ أن تزيد عـلى ما كان . فقال له : أنت آمن .

كان عبيدُ الله بنُ جعفر بن المنصور محبا لعمرو الغزال . وكان عمروٌ يستحق ذلك بكلِّ وجه ، إلا من طريق[1] صنعة الغناء ، فإنه كان ظريفا أديبا حسَنَ الوجـه واللباس ، معه من كل شىء من آلة الفتوة ، وكان عبيد الله قليلَ الفهمِ بصناعة الغناء فـكان يظنُّ أنه قـد ظَفِرَ منه بكنز من الـكنوز . وكان أحظى الناس عنده من استحسن غناء عمرو الغزال وصنعته . فـكان من يحضر مجلسه ممن يَفهم هـذه الصناعةَ يشق بغم ، ويتنـكدُ من لسانه .

وكان الرشيد قد استحضره وسمع غناءه :

ياريح ما تصنعين بالدمن   ...   .

وكان صوتا مليحا خفيفا ، فأطربه ووصله بألف دينار ، وأخذه إليه باتفاق غريب . وذلك أن عيسى أخا عُبَيْدِ الله بن جعفر كان يطعن فى عقل أخيه ، عبيد الله ،

---

(١) إلا ما يدعيه من طريق (أغانى) .

عند الرشيد ، ويقع فيه لديه ، فسمعه يوما عيسى ، فأظهر من السرور والطرب أمراً عظيما ، ليزيد بذلك عبيدَ الله رغبة فيه ، ويجعله سببا قويا عند الرشيد إذا سمعه بضَعْفِ عقله .

فلما سمعه الرشيد كان أول ما سمع منه :

يا ريح ما تصنعين بالدمن ... ...

فاستخَفَّه وصار فى عداد مغنيه ، فاتفق أن عبيدَ الله بن جعفر انصرف يوما من الشمَّاسيّة[1] فلقيه الخضرُ بن جبريل . وكان فتى الناس فى العسكر ، فعاتبه عبيد الله على تَرْكه ، وانقطاعه عنه . فقال : والله ما أفعلُ هذا جهلا بحقِّك ، ولا إخلالا بواجبك ، ولكنا فى طريقين متباينين ، ولا يمكن معهما اجتماعٌ فقال : وما هما ؟ قال : إنك على نهاية السَّرَفِ فى أمْرِ عمرو الغزّال وحبه ، وأنا على نهاية السَّرف فى بُغْضه ، وأنت تتوهم أنك لا يطيبُ عيشُك إلا به ، وأنا أتوهم أننى إن عاشرته ساعةً مِتُّ وتقطعت نفسى غيظا وكمدا ، فما يستقيمُ بيننا مع هذا عِشْرَةٌ أبداً .

فقال له عبيد الله : إذا كان هذا على هذه الصورةِ فأنا أُعْفيك منه إذا زُرْتنى ، فصر معى الآن آمنا ، ففعل ، ولم يجلس عبيد الله حتى قال لحاجبه : لا تُدخل علىّ اليومَ أحداً ، ولا تستأذنْ علىّ لخلقٍ ألبتةَ ؛ ودخل.

فلما وُضِعَت المائدة لم يَسْتَقِرّ حتى دخل الحاجبُ ، فوقف بين يديه وأقبل عمروٌ الغزّالُ خلفَه يراه من أقصى الصحن . فقال له عبيد الله : ثَكِلَتْك أُمُّك ، ألم أقل لك لا تُدْخِل علىّ أحدا من خلق الله ؟ فقال له الحاجب : امرأتُه طالق إن [كان] عنده إنّ عمراً عندكَ فى هذا المَجْرَى ، ولو كان الملائكةُ لم يدخلوا عليك إلا بإذنٍ سوى عَمْرٍو ومن قبل أمرتنى ألّا أستأذِنَ له خاصَّةً ، وأن يدخل متى شاء على كل حال .

---

(١) الشماسية : صحراء كانت بأعلى بغداد ينسب إليها باب من أبوابها .

ولم يَفرُغ الحاجبُ من كلامه حتى دخل عمرو فجلس على المائدة ، وتغير وجه الخضْر وبانت الكراهيةُ فيه فما أكل أكْلا فيه خيرٌ . وتبين عبيدُ الله ذلك فرُفعت المائدة ، وقُدِّم النبيذُ ، فجعل الخضرُ يشرب شربا كثيرا شديداً لم يُعْهَدْ بِشُرْبِ مثله ، فظَنّ به أنه يريد بذلك أن يستريح من عمرو الغزّال ، وعمرٌو يُغَنِّى لا يفْتر وكلما تَغَنّى قال له عبيد الله : لمن هـذا الصوت يا حبيبى ؟ فيقول : لى ، وفى المجلس جـوارٍ مطرباتٌ محسناتٌ ، وعمرٌو يقْطَعُ غناءهن بغنائه ، وتبين فى وجه الخضْر العربدةُ إلى أن قال عمرو ، عَقِبَ صوتٍ غنّاه : هذا لى ، فوثب الخضرُ فكشف استه وخَرَى فى وسط المجلس على بساط خَزٍّ لم يُرَ مثلُه لأحد ، ثم قال : إن كان هذا الغناء لك فهذا الخراء لى . فغضب عبيدُ الله وقال : يا خَضْر أكنت تستطيع تفعلُ أكثرَ من هذا ؟ قال : أى والله ، أيها الأمير ، ثم وضع رجليه على سَلْحِه ومشى على البساط مقبلا ومدبرا ، وهو يقول : وهذا لى ، وهذا لى ، وتفرق الجماعة على أسوأ حال ، وشاع الخبرُ ووصل إلى الرشيد ، فضحك حتى غلب عليه ودعا بالخضْرِ فجعله فى ندمائه منذُ يومئذ . وقال : هذا أطيبُ خلق الله ، وانكشف عنه عوارُ عمرو الغزّال وحُجِب ، فسقط منذ يومئذ وسقط غناؤه فلم يُذْكَرْ منه حرف إلا غناؤه :

يا ريحُ ما تصنعين بالدمن ... ...

قال أبو هَفّان : كنا فى مجلس ، وعندنا مغنيةٌ تغنينا ، وصاحب المجلس يهواها ، فجعلت تـكايدُه وتومئ إلى غيره بالمَزْح والتجميش ، وتَغيظُه بجهدِها ، وهو يكاد يموت قَلَقاً وهمًّا ، وتنغص عليه يومه والْحَتْ فى أمرها ، ثم سقط المضرابُ من يدها ، فأكبَّتْ على الأرض ، فضرطت ضرطةً سمِعَها جميعُ من حضر ، وخَجِلَتْ فلم تدرِ ما تقول ، فأقبلَتْ على عشيقها فقالت له : أى شىء تشتهى أن أُغنى لك ؟ قال : غنى :

يا ريح ما تصنعين بالدمن ... ...

فخجِلَت ، وضحك القومُ حتى أفرطوا فبَكَتْ ، وقامت من المجلس ، وقالت : أنتم قومٌ سفل، فلعنةُ الله على من يعاشِرُكم ، وغضبت ، وخرجت، وانقطع ما بينهما .

قال الحسين بن الضحاك :

كنتُ فى مجلس قد دُعينا إليه ، ومعنا علىّ بن أُمية ، فعلِقَتْ نَفْسُه بقَيْنة دُعِيَتْ يومئذ إلى مجلسنا فأقبل عليها ، فقال : أَتُغَنِّين :

خَبِّرِينى مَنِ الرسولُ إليك   واجعليه من لا يَنِمُّ عليك
وأشيرى إلى من هو باللَّحْظِ   ليَخْفَى على الذين لديك

فقالت : نعم وغنته لوقتها وزادت فيه [هذا البيت] :

وأقل المزاحِ فى المجلس اليـ   ـوم فإن المزاح بين يديكِ

ففطِنَ لما أرادت ، وسُرَّ بذلك ، ثم أقبلت على خادم واقف ، فقالت له : يا مسرور اسقنى ماء فسقاها ، ففطن ابنُ أبى أُمية أنها أرادت أن تُعْلمه أن مسرورا هو الرسولُ ، فخاطبه فوجَدَه كما يريد ، وما زال ذلك الخادم يتردد فى الرسائل بينهما .

عبدُ الله بن يحيى الكندى(1)

أحدُ بنى عمرو بن معاوية ، من حضرموت ، وكان مجتهداً عابداً ، فكان يقول قبل أن يخرج : لقِيَنى رجلٌ فأطال النظرَ إلىّ . وقال : ممن أنت ؟ قلت : من كِنْدة قال: من أيهم؟ قلت: من بنى سَيْبان(2) قال: والله لتَمْلِكَنّ ولتَبْلُغَنّ خَيْلُك وادى القرى. وذلك بعد أن تذهبَ إحدى عينيك ، فقد ذهبت وأنا أتخوفُ ما قال ، وأستخيرُ الله عز وجل .

ورأى باليَمَنِ جَوْراً ظاهراً ، وعسفا شديدا ، وسيرةً فى الناس قبيحة . فقال لأصحابه: مايحلّ لنا المُقامُ على ما نرى ، ولا يَسَعُنا الصبرُ عليه ، وسنكتب إلى أبى عبيدة ومسلمة بن أبى كريمة الذى يقال له كودين مولى بنى تميم ، وكان ينزل فى الأزد ، وإلى غيره من الأباضية فى البصرة ، ليشاورَهم فى الخروج . فكتبوا إليه : إن استطعتَ ألّا تقيم يوما واحداً فافعل ، فإن المبادرةَ بالعمل الصالحِ أفضلُ ، ولست تدرى متى يأتى عليك أجلُك ، ولله خِيَرَةٌ من عباده يبعثهم متى شاء لنَصْرِ دِينِه ويختصُّ بالشهادة منهم من يشاء ، وشخص إليه أبو حمزةَ المختارُ بن عوف الأزْدى أحدُ بنى سَلَمَةَ وبلج بن عُقْبة فى رجالٍ من الأباضية ، فقدموا عليه حضرموت ، فحثّوه على الخروج ، وأتَوْه بكتبِ أصحابه ، وفيها : إذا خرجتم فلا تغْلوا ولا تغدروا واقتَدوا بسلفِكم الصالحين وسِيروا سيرَتَهم .

فدعا أصحابه فبايعوه ، وقصدوا دار الإمارة بحضرموت سنة ثمان وعشرين ومائة، فدخلها ، وأقام بها أشهراً ، فكثُرَ جمْعُه ، وسموه طالبَ الحق ، وكان على حضرموتَ

---

(1) الأغانى ٢٠ : ٩٧ .

(2) فى الأصل (سهمان) والتصويب عن الجمهرة والقاموس .

إبراهيمُ بن جَبَلة بن مَخْرمة الكِنْدىُّ فأخذوه وحبسوه يوما، ثم أطلقوه فأتى صنعاء، ثم كتب إلى من كان من أصحابه بصنعاء: إنى قادم عليكم، واستخلفَ على حضرموتَ عبدَ الله بن سعد الحضرمىَّ، وتوجه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة، فى ألفين. وبلغ الخبرُ القاسمَ بن عمرٍو، أخا يوسف بن عمرو، وهو عاملُ مروانَ بنِ محمد على صنعاء، فالتقيا ليلا علَى مسيرة يومين من صنعاء، فقال الناس للقاسم: أيها الأمير لا تُقاتلْ الخوارِجَ ليلا، قال: فقاتَلَهم، فقتَلوا من أصحابه كثيرا، وانهزم ليلا، فمر بعسكره، فأمَرَهم بالرحيل، ومضى إلى صنعاء، فأقام يوما، ثم خرج فعسكر قريبا من صنعاء، نخندق، وخَلَّفَ بصنعاء الضحّاكَ بنَ زيْد. فأقبل عبدُ الله بن يحيي فنزل على مِيلين من عسكرِ القاسمِ فوجّه القاسمُ يزيدَ بن الفَيْض، فى ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا، فرجع يزيدُ إلى القاسم، فاستأذنه فى بَياتِهم فأبى أن يأذن له، فقال له يزيد: لئن لم تُبيِّتْهم ليُغَمِّنَّك. فأبى، فأقاموا يومين لا يلتقون، فلما كان فى الليلة الثالثة أقبل عبد الله بن يحيي، فوافاه مع طلوع الفجر، فقاتلهم الناسُ على الخندق، فغلبتهم الخوارجُ عليه، ودخلوا عسكرهم، والقاسم يصلى، فركب وقاتلَهم الصلتُ بنُ يوسف، فقُتِلَ فى المعركة. وقام بأمر الناس يزيدُ بن الفَيْض، وقاتلوا حتى ارتفع النهار، فانهزم أهلُ صنعاء فأراد أبرهة بن الصبّاح اتباعَهُم فمنعه عبدُ الله بن يحيي، واتبع يزيدُ بنُ الفَيْضِ القاسمَ بن عمرو، وأخبره الخبر، ودخل عبدُ الله بن يحيي صنعاء، وأخذ الضحاكَ بنَ زيد وإبراهيمَ بنَ جبلةَ ابنِ مَخْرَمة فحبسهما، وجمع الخزائنَ والأموالَ فأحْرَزَها، ثم أطلق الضحاكَ وإبراهيم. وقال: إنما حبستكما خوفا عليكما من العامّة، وليس عليكما مكروه، فأقيما إن شئتما أو اشخصا، فخرجا.

ثم إن عبدَ الله بن يحيي لما استولى على اليمن خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه، محمد صلى الله عليه وسلم، وحذَّر ووعَظَ وذَكَّر، ثم قال:

إنا ندعوكم إلى كتاب الله ، عز وجل ، وسنةِ نبيِّه ، وإجابة من دعا إليهما . الإسلامُ ديننا ، ومحمدٌ صلى الله عليه وسلم نبيُّنا ، والكعبة قبلَتُنا ، والقرآن إمامُنا ، رضِينا بالحلال حَلَالًا لا نبتغى به بَدَلا ، ولا نشترى به ثَمنا ، وحرَّمْنا الحرامَ ، ونبذْناه وراءَ ظهورنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكَى ، وعليه المُعوَّل . من زنى فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، ومن شرب الخمرَ فهو كافر ، ومن شَكَّ فى أنه كافر فكافر . ندعوكم إلى فرائضَ بيِّنات ، وآياتٍ محكماتٍ ، وآثار نقتدى بها ، ونشهد أن الله صادقٌ فيما وَعَد ، عدلٌ فيما حَكَم ، وندعو إلى توحيد الربِّ ، واليقينِ بالوعيدِ والوَعْدِ ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والولايةِ لأهل ولاية الله ، والعدواة لأعدائه .

أيها الناس ، إن مِنْ رحمة الله أن جعل فى كل فَتْرةٍ بقايا من أهلِ العلم ، يدعون من ضلَّ إلى الهدى ، ويصبرون على الألم فى جَنْب الله ، يُقبلون على الجدّ فى سالفِ الدهور ، فلم يَنْسَهم ربُّهم « وما كان ربُّك نَسِيًّا » .

أُوصيكم بتقوى الله ، وحسن القيام على ما وكلكم به ؛ فأَبْلوا فى الله بلاء حسنا بالقيام فى أمْرِهِ وزَجْره .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وأقام عبد الله [بن يحيى] بصنعاء أشهراً ، يحسن السيرةَ فيهم ، ويُلِينُ بالقيام جانِبَه لهم ، ويكف عن الناس فكثُرَ جمْعُه ، وأتته الشُّراة من كل جانب .

فلما كان وقتُ الحج ، وجه أبا حمزة ، المختارَ بن عوف ، وبلج بن عُقْبة وأبرهة ابن الصباح إلى مكة فى ألف[1] رجل ، وأمَرَه أن يقيم بمكة إذا صدر الناس ، ويوجِّه بلجاً إلى الشام . فأقبل المختار إلى مكة فقدمها يومَ الترْوِية ، وعليها عبدُ الواحد ابن سليمانَ بن عبد الملك وأُمه بنتُ عبد الله بن خالد بن أسيد فكرِه قتالَهم .

(١) فى تسعمائة وقيل بل فى ألف ومائة (أغانى) .

وكان أول أمر المختار بن عوف الأزدى السُّلَمِيِّ من أهل البصرة أن كان يوافى كل سنة يدعو إلى خلافة مروان ، فلم يزل يختلفُ فى كل سنة حتى وافى عبدَ الله ابن يحيى فى سنة ثمان وعشرين ومائة، فقال له : يارجل . إنى أسمعُ كلاما ، وأراك تدعو إلى الحق ، فانطلق معى ، فإنى رجلٌ مطاع فى قومى [1] فبايعه على الخلافة .

وخرج فى سنة تسع وعشرين ومائة حتى أتوا مكةَ يومَ التروية ، فلم يشعر الناسُ وهم بعرفة حتى طَلَعَتْ أعلامٌ سود فى رءوس الرماح ، ففزع الناس حين رأوهم ، وقالوا لهم : مالـكم وما حالـكم ؟ فأخبروهم بخلعهم مروانَ ، وآل مروان والتبرِّى منهم ، فراسلهم عبدُ الواحد بن سليمان يومئذ ، وهو على المدينة ومكة ، والموقف ، ودعاهم إلى الهُدنة ، فقالوا : نحن لَحجِّنا أضْونُ ، وعليه أشحُّ . فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون ، بعضهم من بعض ، حتى يَنْفِر الناس النَّفْرَ الأخير ، وأصبحوا من غَدٍ فوقفوا بعرفة ، ودفع عبدُ الواحد بالناس ، فلما كانوا بمنى ، قالوا لعبد الواحد : قد أخطأت فيهم ، ولو حمل عليهم الحاجُّ ما كانوا إلا أكلةَ رأس ، فنزل أبو حمزة بقرن [2] الثعالب من منى ونزل عبد الواحد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر ورجال من أمثالهم فلما دَنوا من قرن الثعالب لقيهم مشايخُ أبى حمزة فأخذوهم ، فدخلوا بهم على أبى حمزة ، فوجدوه جالسا ، وعليه إزار قطرىٌّ ، فلما دنوا منه تقدم إليه عبدُ الله بن حسن ، ومحمدُ بنُ عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فنسبهما ، فلما انتسبا عَبَس فى وجوههما ، وأظهر الكراهةَ لهما ، ثم تقدم بعدهما البكرىُّ والعُمَرِىُّ فنسبهما ، فلما انتسبا هش لهما وتبسم فى وجوههما ، وقال لهما : ما خرجنا إلا لنسيرَ بسيرة أبويْكما . فقال له

(١) فخرج حتى ورد حضرموت (أغانى) .

(٢) قرن الثعالب هو قرن المنازل ، ميقات أهل نجد تلقاء مكة ، على يوم وليلة (مراصد) وكانت قرن فى الأصل قرى .

عبدُ الله بن حسن : ما جئناك لتفاضل[1] بين أبوينا ، ولكن بعثنا الأميرُ إليك برسالة ، وذكروا له نقضَ العهدِ . قال بلج وأبرهة : الساعةَ الساعةَ ، فأقبل عليهما أبو حمزة ، فقال : معاذ الله أن ننقض العهد ، وأن نبخس به ، والله لا أفعلُ ولو قُطعت رقبتى هذه ، ولكن تنقضى هذه الهدنة بيننا وبينكم ، فلما أبى عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبدَ الواحد ، فلما كان النَّفْرُ الأول نَفَر عبد الواحد ، وخلت مكةُ لأبى حمزة ، فدخلها بغير قتال ، فقال بعض الشعراء يهجو عبدَ الواحد بن سليمان :

وأرى الحجيجَ عصابةً قد خالفوا ... دينَ الإلـه ففرَّ عبدُ الواحدِ
تركَ الإمارةَ والحلائلَ هاربا ... ومضى يخبط كالبعيرِ الشاردِ
لو كان والدُه تخَيَّرَ أمَّه ... لصِقتْ خلائله بعِرْقِ الوالد

ثم مضى عبدُ الواحد فدخل المدينة ، وضرب على الناسِ البعث وزادهم فى العطاء عشرةً عشرةً ، واستعمل على الناس عبدَ العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وخرجوا ، فلما كانوا بالحرَّة لقيتهم جُزُرٌ منحورة ، فمضوا ، فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسَمرة ، فانكسر الرمح ، وتشاءم الناس بالخروج ، ثم ساروا حتى نزلوا قديداً ، ليلا ، فنزل قوم يتعثرون ، ليسوا بأصحاب حرب ، فلم يرعهم إلا والقومُ قد خرجوا عليهم .

وقيل : إن خزاعة دلت أبا حمزة على عَوْرتهم ، فأدخلوهم عليهم فقتلوهم ، وكانت المَقْتَلَةُ على قريش ، وكانوا أكثرَ الناس فيهم ، ولهم كانت الشوكة . فأُصيب منهم عدد كثير .

ثم ورد الخبرُ إلى المدينة ، وبكى الناس قتلاهم ، فكانت المرأة تقيم على حميمها النوائح ، والنسوة عندها ، فيأتى النسوةَ أيضا خبر حَميمهن فينصرفن حتى لا يبقى إلا صاحبةُ المأتم .

---

(٢) فى الأصل : (إلا لتفاضل) وظاهر الكلام يقتضى حذف إلا .

وكانت الوقعة يوم الخميس لسبع خَلَوْن من صفر سنة ثلاثين ومائة .

وبلغت قتلَى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلا ، منهم من قريش أربعةٌ وخمسون رجلا ، ومن الأنصار ثمانون رجلا ، ومن الموالِي والقبائل ِ ألفٌ وتسعُمائة رجل .

ودخل بلجٌ المدينةَ بغير حرب ، فدخلوا فى طاعته ، وكَفَّ عنهم ، ورجع أبو حمزة إلى مكة ، وكان على شُرْطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سُراقة ، من بنى عَدِىّ ، فكان أهلُ المدينة يقولون : لعن الله السُّراقِىّ ولعن بَلْجًا العراقىّ .

وقالت نائحة أهل المدينة تبكيهم :

ما للزمان وما ليه ... أفْنَتْ قديدُ رجاليه

فلأبكين(١) سريرة ... ولأبكين(١) علانيه

ولأبكين(١) إذا خلوت ... مع الكلاب العاويه

ولأثنين(٢) على قديد ... بسوء ما أبلانيه

وقال عمرو بن الُحصَين ِ الأباضىُّ الكوفىُّ ، مولى بنى تميم ، يذكر وقعةَ قَديد وأمرَ مكة ، وأنشدها الأخفشُ عن السُّكَّرى(٣) والأحول وثعلب وكان يستجيدها ويفضلها :

ما بالُ هَمِّك عنك ليس بعازب ... تمرى سوابقُ دمْعِك المتساكبِ

وتبيت تكلئ النجومَ بمُقْلةٍ ... عَبرى تُسَرُّ بكل نجم آيبِ

حذرَ المنية أن تجىءَ بداهـة ... لم أقض من بيع الشُّراةِ مآربى

(١) فى الأصل فلا تكن فى ا ـ ب ، وما ذكرناه عن الأغانى .

(٢) فى الأصل : (ولايدى) .. والشطر الثانى بياض فى الأصل ثم (ابلانيه) والتصويب عن الأغانى

(٣) فى الأصل : اليشكرى وفى الأغانى ما ذكرناه .

فأقودُ فيهم للعدا شَنِج النَّسا(١) عبلَ الشَّوَى أسوانَ ضمرَ الحالبِ
فى فتيةٍ صُبر ألَّفهمو به لف القداحِ يد المفيض الضاربِ
فتــدور عن وهم وفيهم بيننــا كأسُ المنون تقولُ هل مِنْ شاربِ
فيظل يسقيهم ويَشربُ من قنا سُمْرٍ ومُرْهَفةِ النصولِ قواضبِ
بينا كذلك نحن حَارَتْ طعنةٌ نجلاء بين رهائبٍ وترائبِ
جوفاء منهرة ترى تامورَها(٢) ظُبتا سنانٍ كالشهاب الثاقب
ومُبَرِّزين من القانب(٣) أحرزوا خُصَلَ المكارم أتقياء أطايبِ
هزوا صوارمَ للجلاد وباشروا حَدَّ الظُباة بآنُفٍ وحواجبِ
ناطوا أمورَهمُ بأمر أخٍ لهم فرمى بهم أَمَمَ الطريق اللاحبِ
مُتَسَرْبلى حلق الحديد كأنهم أُسْدٌ على لحقِ البطونِ سلاهِبِ
قيدت[من]أعْلَى حضرموتَ فلم تزل تنفى عداها جانبا عن جانب
تحمى أعنتَّها وتحوى نهبهــا لله أكرمُ فتيـــةٍ وأشائبِ
حتى وردن حياضَ مكَّةَ قطنا يحكين واردةَ الهمامِ القاربِ
ما إن أتين على أخى جَبْرية إلا تركنهمو كأمسِ الذاهبِ
فى كل معترك لها من هامِهم فلق بقَضٍّ عُلِّقَت بمنــاكبِ
سائل بيوم قديدَ عن وقعاتهم تُخْبِرْكَ عن وقعاتهم بعجائبِ

ودخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة .

ومضى عبدُ الواحد بن سليمان إلى الشام ، فرقى أبو حمزةَ المنبرَ فحمد الله تعالى وأثنى عليه .

---

(١) الشنج محركة: تقبض فى الجلد وقرس وشنج النساء مدح لأنه إذا شنج لم تسترخ رجلاه، قاموس
(٢) التامور : النفس وحياتها والقلب وحبته وحياته والدم .
(٣) فى الأغانى (ومبرئين من المعايب) .

ثم بكّتَ أهلَ مكةَ وأهلَ المدينة بما فعلوه حرفا حرفا ، وما فعله بهم بنو مروانَ ، وذمَّهم وذمَّ سيرتهم ، ومدح أصحابه وأثنى عليهم .

ففعل ذلك فى غيرِ مرَّة فى كلها، ذلك دأْبُه .

ثم رقى المنبر يوما فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

تعلمون يا أهلَ المدينة أنا لم نخرجْ من ديارنا وأموالنا أشَراً ولا بَطَراً ولا عَبثا ولا لهوا ، ولا لدولة مُلْكٍ نريد أن نخـوض فيه ولا لثأر قديم نِيلَ منا ، ولكنا لما رأينا مصابيحَ الحقِّ قد عُطِّلت ، وعُنِّفَ القائلُ بالحق ، وقُتِلَ القائم بالقِسْط ، ضاقت علينا الأرضُ بما رَحُبَت وسمِعنا داعيا يدعو إلى طاعةِ الرحمن، وحُكْمِ القرآن، فأجَبْنا داعى الله « ومَن لا يُجِبْ داعِيَ الله فليْسَ بِمُعْجِزٍ فى الأرض » فأقبلْنا من قبائلَ شتى النفر منا على بعير واحد ، عليه رداؤهم وأنفُسهم يتعاورون لحافا قليلون مستضعفون فى الأرض فآوانا الله عز وجل وأيدنا بنصره فأصبحنا ــ والله حميد ــ بنعمته إخوانا ، ثم لقينا رجالـكم بقديد ، فدعوناهم إلى طاعةِ الرحمن ، وحُكْم القرآن ، ودَعُونا إلى طاعة الشيطان ، وحكم مروان وآل مروان ، فشتانَ ، لعمرُ الله، ما بين الغَيِّ والرُّشْد .

ثم أقبلوا يُهْرَعون ويزِفّون ، فضرب الشيطانُ عليهم بجرَانه وغَلَتْ بدمائهم مراجِلُه ، وصدق عليهم ظَنُّه ، وأقبلتْ أنصارُ الله عصائبَ وكتائبَ ، بكل مهند ذى رَوْنَق ، فدارت رحانا ، واستدارت رحاهم ، بضَرْبٍ يرتابُ منه المبطلون .

وأنتم يا أهل المدينة ، إن تنصروا مروان وآلَ مروان يُصِبْـكم الله بعذاب من عنده ، أو بأيدينا ، ويَشْفِ صدورَ قوم مؤمنين .

يا أهلَ المدينة ، أوَّلُـكم خيرُ أوَّل، وآخركم شرُّ آخر .

يا أهـل المدينة ، الناس مِنّا ونحن مِنْهم إلا مشركا أو عابدَ وَثَن، أو كافرا من أهل الـكتاب ، أو إماماً جائرا .

يا أهلَ المدينة ، من زعم أن اللهَ كلَّفَ نفسا فوقَ طاقتها ، أو سألها عمَّا لم يُوْتِها فهو لله عَدُوٌّ ، ولنا حَرْب .

يا أهل المدينة ، أخبرونى عن ثمانية أسْهمٍ فَرَضَها الله فى كتابه على القوىّ والضعيف ، فجاء التاسعُ ، وليس له منها ولا سهمٌ واحد ، فأخذ جميعَها لنفسه ، مكابراً جائرا ، محاربا لربه ، فما تقولون فيه وفيمن عاونَه على فِعْله ؟

يا أهل المدينة ، بلغنى أنكم تَنْتَقصون أصحابى ، قلتم : هم شبابٌ أحداثٌ وأعراب جفاة .

وَيْحَكم يا أهل المدينة ، وهل كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا شبابا أحداثا !!

شبابٌ والله مُلْهمون[1] فى شبابهم ، غضيضةٌ عن الشر أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أقدامُهم ، قد باعوا أنفسا تموت غداً بأنفس لا تموت أبدا .

قد خَلَطوا كلَالَهم بكِلالِهم ، وقيامَ ليلِهم بصيامِ نَهارِهم ، منحنيةً أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآيةِ خَوْفٍ شَهَقُوا خوفا من النار ، وإذا مروا بآية شَوْق شَهقوا شوقا إلى الجنة ، فلما نظروا إلى السيوف انْتُضِيَتْ ، وإلى الرماح أُشْرِعت ، وإلى السهام فُوِّقَتْ ، وأرعدت الكتائبُ بصواعقِ الموت ، استخفوا وعيدَ الكتيبة عند وعيد الله عز وجل ، ولم يستخِفّوا وعيدَ الله ، عز وجل ، عند وعيدِ الكتيبة . فطوبى لهم وحُسْنُ مآب .

فكم مِنْ عَيْنٍ فى منقارِ طائر[2] طالما بكى صاحبُها من خَشْية الله .

---

(١) مكتهلون (أغانى) .

(٢) فى الأصل طار والتصويب عن الأغانى .

وكم من يد أُبينَتْ عن ساعدها ، طالما اعتمد عليها صاحبُها راكعاً وساجداً .

أقول قولى هذا وأستغفرُ الله فى تقْصيرنا .

وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب .

ورَقِىَ المنبَر مرةً أخرى ، وهو مُتنكب قوسا عربية ، فحمِدَ الله ، ثم أثنى عليه ثم قال :

قد بلغنى مقالتكم فى أصحابى ، ولولا معرفتى بضَعْف رأيكم وقِلَّة عقولكم لأحسنتُ آدابكم ، بحكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، أُنزِلَ عليه الكِتابُ ، وبُيِّن له فيه السِّيَر ، وشُرِعَ فيه الشرائع ، وبُيِّن له فيه ما يأتى وما يَذَر ، فلم يكن يتَقَدّم(١) ولا يُحْجِم حتى قبضه الله ، عز وجل إليه ، صلى الله عليه وسلم . وقد أدّى الذى عليه ، ولم يَدَعْكم من أمرِكم فى شُبهة ، ثم قام من بعده أبوبكر ، فأخذ بسُنّته ، وقاتلَ أهلَ الرِّدة ، وشمّر فى أمر الله ، حتى قبَضَه الله إليه . والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ومغفِرَتُه .

ثم ولى بعده عمر ، فأخذ بسُنَّة صاحِبه ، وجند الأجنادَ ، ومصر الأمصار ، وجبى الفىء ، وقسَمه بين أهله ، وشمّر عن ساق اجتهادِه ، وحَسَر عن ذراعه ، وضربَ فى الخمرِ ثمانين ، وقام فى شهر رمضان ، وغزا العدُوَّ فى بلادهم ، وفتح المدائنَ والحصون ، حتى قبضه الله تعالى إليه ، والأُمةُ عنه راضون ، رحمة الله ورضوانه عليه .

ثم وَلِىَ بعده عثمانُ بن عفان ، فعمِل فى ست سنين بسُنَّةِ صاحبيه ، ثم أحدَثَ أحداثا ، أبطل الآخرُ منها الأولَ ، فاضطرب حبلُ الدين مَعَه(٢) وطلبها كلُّ امرىء لنفسه ، وأسَرَّ كلُّ رجلٍ سريرةً ، وأظهرها اللهُ وأبداها ، حتى مضَوْا على ذلك .

(١) إلا بأمر الله ولا يحجم إلا عن أمر الله (أغانى) .

(٢) بعدها (أغانى) .

ثم وَلِيَ عليٌّ بن أبي طالب(١) ـ فضَعَّفه وذكره رضي الله عنه بما نتبرأ عن حكايته .

ثم ولي معاويةُ بن أبي سفيان لَعِينُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وابنُ لَعِينه ، وجلفٌ من الأعراب ، وبقيةٌ من الأحزاب ، مؤلف طليق ، فسَفَكَ الدمَ الحرامَ ، واتخذ عبادَ الله خَوَلا ، ومالَ الله دوَلا ، وبغى دينه عِوَجا ، ودَخَلا(٢) ، وأحلّ الفرجَ الحرامَ ، وعمل بما يشتهيه ، حتى مَضَى لسبيله فعلَ الله به وفعل .

ثم ولي بعده يزيد الُخمور ، يزيد الصقور ، يزيد الفهود ، يزيد الصيود ، يزيد القرود ، فخالف القرآن ، واتبع الكُهّان ونادم القرد(٣) وعمل بما يشتهيه ، حتى مضى لسبيله ، فعل الله به وفعل .

ثم ولي مروان بن الحكم ، فضيض(٤) لعنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وابنُ لَعِينه ، فاسقُ بطْنِه وفَرجه ، فالعنوه والعَنوا أباه .

ثم تداولها بنو مروانَ بعده ، أهلُ بيت اللعنة وطرداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقومٌ من الطُّلقاء ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار ، ولا التابعين بإحسان ، فأكلوا مالَ الله أكلا ، ولعبوا بدين الله لَعِباً ، واتخذوا عباد الله عبيدا ، يورثُ الأكبرُ منهم الأصغر ، فيالها من أُمّةٍ ما أضيَعَها وأضْعَفَها ، والحمد لله رب العالمين .

ثم مَضَوا على ذلك من أعمالهم ، واستخفافهم بكتاب الله ، عز وجل ، ينبذونه وراء ظهورهم ، فالعنوهم كما يستحقون .

وقد وَلِيَ منهم عمرُ بن عبد العزيز ، فبلغ ولم يَكَدْ ، وعجز عن الذى أظْهَرَ ، حتى مضى لسبيله ـ ولم يذكره بخير ولا شر .

---

(١) فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ومضى . . . (أغانى) .

(٢) دغلا (أغانى) .

(٣) فى الأصل : ونادى القود، وما ذكرناه عن الأغانى .

(٤) طريد (أغانى) .

ثم ولى يزيدُ بن عبد الملك ، غلام ضعيف سفيه ، غيرُ مأمون على شيء من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشُدَّه ، ولم يُؤْنَسْ رُشْدُه ، وقد قال الله عز وجل : « فإن آنَسْتم منهم رُشْدا فادفعوا إليهم أموالهم » فأمْرُ أُمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فى أحكامها وفروجها ودمائها أعظمُ من ذلك كله ، وإنْ كان ذلك عندَ الله عظيما .

مأبونٌ فى بطنه وفرجه ، يشربُ الحرامَ ويأكل الحرام [ويلبس الحرام] .

يلبس بُرْدَيْن قد حيكا له ، فَقُوِّما على أهلِهما بألف دينار ، وأكثر وأقل ، وأُخذت من غير حِلِّها ، وصرفت فى غير وَجْهِها ، بعد أن ضُرِبَتْ فيها الأبشار ، وحُلِّقَتْ فيها الأشعار ، واستُحِلّ ما لم يَحلّ لعبدٍ صالحٍ ولا لنبيٍّ مُرْسل ، ثم يجْلِسُ — حَبابة عن يمينه ، وسَلّامة عن يساره ، يُغَنِّيانه بمزامير الشيطان ، ويشربُ الخمر الصُّراحَ المُحَرَّمة نصا بعينها ، حتى إذا أخذت مأْخَذَها وخالطت دَمَه وروحَه ، وغلبت سَورتُها على عَقْله مَزّق حُلّتَه ، ثم التفت إليهما وقال : أتأذنان لى أنْ أطير ؟ نَعَمْ فطر إلى النار ، إلى لعنة الله ، حيث لا يَرُدُّك الله .

ثم ذكر بنى أمية وأعمالَهم وسِيرَتَهم فقال :

أصابوا إمارةً ضائعةً ، وقوما طَغاماً جُهّالا ، لا يقومون لله بحق ، ولا يفرقون بين الضلالةِ والهُدى ، ويَرَوْن أن بنى أُميةَ أربابُهم ، فملكوا الأمرَ ، وتسلطوا فيه تَسَلُّط ربوبية ، بطْشُهم بطشُ الجبابرة ، على الهدى(١) ، يقتلون على الغضب ، ويأخذون بالظَّنِّ ، ويُعَطِّلون الحدودَ بالشفاعات ، ويأتمنون الخونةَ ، ويقصون ذوى الأمانات ، ويأخذون الصدقةَ من غير فرضها ، ويضعونها فى غير موضِعها .

فتلك الفِرْقةُ الحاكمةُ بغير ما أنزل الله عز وجل ، فالعنوهم لَعَنَهم الله .

وأما إخوانُنا من هذه الشيعة وليسوا بإخواننا فى الدين الذين سمعت الله عز وجل قال فى كتابه : « يا أيها الناسُ إنّا خَلَقْنا كم من ذكرٍ وأُنثى وجعلنا كم شعوباً وقبائل » .

---

(١) يحكمون بالهوى (أغانى) .

شيعةٌ ظاهرين بكتاب الله فأعلنت الفرية على الله ، لا يرجعون إلى نظرٍ نافذٍ فى القرآن ، ولا عقلٍ بالغٍ فى الفقه ، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب ، قد قلَّدوا أمرهم أهواءهم ، وجعلوا دينهم عَصَبية لِحزْبٍ لزموه . وأطاعوه ، فى جميع مايقوله لهم ، غَيًّا كان أو رُشْدًا أو ضلالةً أو هدى ، ينتظرون الدول فى رَجْعَةِ الموتى ، ويؤمنون بالبعث قبلَ الساعة ، ويَدَّعون علمَ الغيبِ لمخلوقين ، لا يعلمُ أحدُهم ما فى داخل بيته ، بل لا يعلمُ ما ينطوى عليه ثوبُه ، أو يحويه جسمُه ، يَنْقِمُون المعاصىَ على أهلها ، ويعملون إذا ظَهَروا بها ولا يعرفون المَخْرَج منها .

جفاةٌ فى الدين ، قليلةٌ عقولُهم ، قد قلَّدوا أهلَ بيت من العربِ دينَهم وزعموا أن موالاتهم لهم تُغنيهم عن الأعمال الصالحة ، وتُنْجيهم من عقاب الأعمال السيئة . قاتلهم الله أنَّى يُؤْفَكُون .

فأىُّ هؤلاء الفرقِ يا أهل المدينة تَتَّبِعون ؟

أو بأى مَذاهِبِهم تَقْتَدون ؟ !

ثم إنَّ مروانَ بَعَثَ من عسكره بأربعة آلاف ، لينحيهم واستعمل عليهم ابنَ عَطِيَّة ، وأمَرَه بالجدِّ فى المسير ، وأعطى كلَّ رجل من أصحابه مائةَ دينار ، وفرسا عربية وبغلا لثِقْله ، وأمره أن يَمضِىَ فيقاتلَهم .

وقيل : بعثَ معهم ألفَ رجل من أهل الجزيرة ، فشَرَطوا على مروان أنهم إن قتَلوا عبدَ الله وأصحابه رجعوا إلى الجزيرة ، ولم يقيموا بالحجاز . فأجابهم إلى ذلك . فخرج حتى نزل بالعلاء[1] فكان رجلٌ من أهل المدينة يقال له العلاء بن أَفْلَح مولى لأبى الغيث[2] يقول :

---

(١) بالمعلى (أغانى) .

(٢) فى الأصل لبنى العبث ، وما أثبتناه عن الأغانى ، ويؤيده ما جاء بعد ذلك بقليل ، وإن كانت العبث كررت ، وهى الغيث .

لقينى ، وأنا غلام ، رجلٌ من أصحاب ابنِ عطية ، فسألنى : ما اسمُك يا غلام ؟ قلت : العلاء . قال : ابنُ مَنْ ؟ قلت : ابن أفْلَح . قال : عربى أم مَوْلى ؟ قلت : مولى . قال : مَوْلَى مَن ؟ قلتُ : مولى أبى الغيث . قال : فأين نحن ؟ قلت : بالعلاء قال : وأين نحن غدا ؟ قلت : بغالب ، فما كلَّمنى حتى أرْدفنى خلفَه ، ثم مضى بى حتى أدخلنى على ابنِ عطية . فقال : سل هذا [الغلام] عن اسمه فرددت عليه القولَ كالذى قلتُ فسُرَّ بذلك ، ووهب لى دراهم .

فبعث أبو حمزة بلجا فى ستمائة رجل ، ليقاتلَ ابنَ عطية ، فلقيه بوادِى القُرى لأيام خلت [من جمادى الأولى][1] ســنة ثلاثين ومائة . فتواقفوا ، ودعاهم بلج إلى الـكتاب والسنة ، وذكروا بنى أُميةَ وظُلْمَهم ، فشتَمَهم أهلُ الشام ، وقالوا : أنتم يا أعداءَ الله بهـذا أحقُّ ممن ذكرتموه . فحمل عليهم بلجٌ وأصحابه ، فانـكسرت[2] طائفةٌ من أهل الشام ، وثبَتَ ابنُ عطية فى عُصْبة ، صبروا معه ، فنادى أهلَ الشام : يا أهلَ الحفاظِ ناضلوا عن دينِـكم وأميركم ! فـكَرُّوا وصبروا صبراً حسناً ، وقاتلوا قتالا شديداً ، فقُتِلَ بلجٌ وأكثرُ أصحابِه ، وانحازَت قطعةٌ من أصحابه ، نحو المائة، إلى جبل فاعتصموا به . فقاتلهم ابنُ عطية ثلاثةَ أيام ، فقتل منهم سبعين رجلا ، ونجا ثلاثون ، فرجعوا إلى أبى حمزة ، ونصبَ ابنُ عطية رأسَ بلج على رُمح ، وجزع الذين انهزموا إلى أبى حمزة ، فقال لهم أبو حمزة : لا تجزعوا ، فأنا لـكم فئة ، وإلىَّ انحَزْتُم .

وخرج أبو حمزةَ من المدينة إلى مكة ، واستخلف عليها رجلا يقال له المفضل فقام عليه أهلُ المدينة ، فقُتِلَ جماعةٌ من أهلِ بيته ، وهرب الباقون ، فلم يبق منهم بالمدينة أحد .

---

(١) ما بين القوسين ، بياض بالأصل ، وهو عن الأغانى .

(٢) فانـكشفت (أغانى) .

ولما قدم ابنُ عطية المدينةَ أقام بها شَهْرًا ، وأبو حمزة مقيمٌ بمكة ثم توجه إليه فقَدِمها فصَيَّر أصحابَه فرقتين ، ولقى الخوارجَ من وَجْهَيْن فانهزم أهلُ الشام إلى عَقَبَةِ مِنًى ، فوقفوا عليها . ثم كَرُّوا(١) وقاتلوهم . فقُتِل أبو حمزة وأبرهة بن الصباح وتفرق الخوارجُ وتبعهم أهلُ الشام يقتلونهم(٢) حتى دخلوا المسجد . وأسر أهلُ الشام منهم أربعمائة غلام . فدعاهم ابنُ عطية فقال : ويلَكم ، ما دعاكم إلى الخروج مع هذا ؟ قالوا : ضَمِن الكَنَّة — يريدون : الجنة [وهى لغتهم](٣) فقتلهم وصلب أبا حمزة وأبرهة وصَلَبَ معهما غيرَهما على فم شعب(٤) .

وبعث برأس أبي حمزة إلى مروان مع عروةَ بنِ عَطِيّة ولم يزالوا مصلوبين حتى أفضى الأمرُ إلى بنى العباس .

وحج مُهَلْهَلٌ الهُجَيْمى فأنزل أبا حمزة ليلا فدَفَنه ، ودفن خَشَبه .

ولما بلغ قتلُ أبي حمزة عبدَ الله بنَ يحيي بصنعاء أقبل ومعه أصحابه ، يريد قتالَ ابنِ عطيةَ ، وشخَصَ إليه ابنُ عطية ، فالتقوا وأكثرَ أهلُ الشام القتلَ فيهم ، وأخذوا أثقالَهم وأموالهم ، وتشاغلوا بالنَّهْب ، فركب عبدُ الله بنُ يحيي فكشفهم ، وقتل منهم نحو مائةِ رجل ، وقتل قائداً من قُوَّادِهم، يقال له يزيدُ بن حَمَل القشيرىّ ، وأمسوا ، فكف بعضُهم عن بعض .

ثم التقَوْا من الغد فى موضع كثير الشجر والكَرْم والحيطان ، وطال القتال بينهم وكَثُر(٥) القتل فى الشُّراة فترَجّل عبدُ الله بن يحيي فى ألف رجل فقاتلوا حتى

---

(١) فى الأصل ذكروا .

(٢) فى الأصل يقتلوهم .

(٣) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٤) الشعب ، شعب الخيف (أغانى) .

(٥) استحر (أغانى) .

قُتلوا جميعا عن آخرهم ، وانهزم الباقون ، فتفرقوا فى كل وجه ونجا(١) من نجا منهم بصنعاء .

فقال أبو صخر الهذلى :

قتلنا دعيسا والذى يَكْتَنِى الكُنَى ... أبا حمزةَ الغاوى المضلَّ اليمانيا
وأبرهةَ الكِنْدِىَّ خاضتْ رماحُنا ... وبلجا صَبَحْنا الحتوفَ القواضيا
وما تركَتْ أسيافُنا منذُ جُرِّدَتْ ... لمروانَ ختَّارا(٢) من الأرض عاديا

ثم بعث عبدُ الملك بنُ عطية رأسَ عبد الله بن يحيي مع ابنه يزيد بن عطية إلى مروان .

وقال عبدُ الله بن الحُصَين ، ويقال الحَسَن العَنَزِىّ ، مولًى لهم ، يرثى عبدَ الله بن يحيي وأبا حمزة ، من قصيدة طويلة منها :

هَبَّتْ قُبيلَ تبلُّجِ الفَجْرِ ... هندٌ تقولُ ودمعُها يجرى
إذ أبصرت عَيْنِى وواكِفَها(٣) ... ينهلُّ منحدرا على النَّحْرِ(٣)
أنّى اعتراكَ وكنتَ عَهْدِى لا ... سَرِبَ الدموع وكنتَ ذا صَبْرِ
أقذىً بعينِك لا يفارقُها ... أم عائرٌ أم مالَها تَذْرِى
أم ذِكْرُ إخوانٍ فُجِعْتَ بهم ... سلكوا سبيلَهمُ على خُبْرِ ؟
فأجبتُها بل ذِكْرُ مَصْرَعِهم ... لا غيرُه عَبَراتُها تَجْرِى
يارَبِّ أَسْلِكْنِى سبيلَهمُ ... ذا العَرْش واشْدُد بالتُّقَى أَزْرِى
فى فتيةٍ صَبَرُوا نفوسَهمُ ... للمَشْرَفِيّة والقنا السُّمْرِ
تاللهِ ألقى الدهرَ مثلهمُ ... حتى أكونَ رَهِينةَ القَبْرِ

(١) ولحق (أغانى) .
(٢) الختار : الغادر — وفى الأغانى جبار .
(٣) مدامعها . . . ينهل واكفها . .

أُوفِى بذِمَّتِهِم إذا عَقَدوا ‏ ‏ وأعفّ[1] عند اليُسْر والعسر
متأهِّلِين لـكل صالِحَةٍ ‏ ‏ ناهين من لاقَوْا عن النُّـكْرِ
كم من أخٍ لك قد فُجِعْتَ به ‏ ‏ قوَّامِ ليلتِه إلى الفجر
ومُبَرَّإٍ من كل سَيِّئَةٍ ‏ ‏ عفٍّ الهـوى ذى مِرَّة شَزْر
متأوهٍ يتلو قوارع من ‏ ‏ آى الـكتابِ مُفزَّعِ الصدرِ
نخليلك المختار أوْل به ‏ ‏ من معتقد فى الله أو مسر
خـواض غمرة كل متلفة ‏ ‏ فى الله تحت العـثير الـكدر
وابنُ الُحصَيْن وهـل له شَبَهٌ ‏ ‏ فى العُرْف أنّى كان والنُّـكْرِ
ومُخالِطِى بَلج وخالِصَـتِى ‏ ‏ سُم العداةِ وجابرُ الـكَسْرِ
وأخيك أبرهةَ الهجانِ أخى الـ ‏ ‏ حرْبِ العوانِ مُلَقّح الجمْرِ
وولى حِلمِهم[2] فجعت بـه ‏ ‏ عمرو فواندمى[3] عـلى عمرو
ومُسَيَّبٍ فاذْكُر وصيَّتَه ‏ ‏ لا تَنْسَها إن كُنْت ذا ذُكر
فى محسنين[4] ولم أسَمِّهمُ ‏ ‏ كانوا يَدِى وهمُ أُولو النصر

وكتب مروانُ إلى ابن عطيةَ يأمره بالمسير إلى صنعاء ، ليقاتلَ من بها من الخوارج ، فاستخْلَفَ ابنَه ، محمـدَ بنَ عبد الملك ، على مكة وتوجه إلى صنعاء ، ورجع أهلُ الجزيرة جميعا إلى بلدهم ، كما كان مروانُ شَرَط لهم .

فلما قَرُبوا من صنعاء هرب عاملُ عبدِ الله بن يحيى منها ، وأخذ أهلُ صنعاء أثقالَه وحِملين من مال ، كانا معه ، وسلموا ذلك إلى ابن عطية ، وتبع أصحابَ

---

(١) فى الأصل وألف .
(٢) حكمهم (أغانى) .
(٣) فوا كبدى (أغانى).
(٤) مخبتين (أغانى) .

عبدِ الله بن يحيى فى كل موضع يَقتُلهم ، وأقام بصنعاء أشهرا ــ وخرج عليه عِدّةُ نفرٍ من الخوارج وظفر بهم .

ثم ورد عليه كتابُ مروان يأمره بالتعجيل إلى مكة ، ليحجَّ بالناس ، فصالح أهلَ حضرموتَ على أن يَرُدَّ عليهم ما عرفوا من أموالهم ، ويُوَلِّى عليهم من يختارون ، ويسالموه ، فرضي بذلك وصالحهم .

وشَخَص إلى مكة متعجلا ــ ولما نفذ مروان الكتابَ ندم بعد ذلك بأيام ، وقال: إنَّا لله ، قتلتُ ، واللهِ ، ابنَ عطية ، فإنه الآن يخرج مخفًّا متعجلا ليلحقَ الحج فتقتلَه الخوارج، فكان كما قال. تعجَّلَ فى بضعةَ عشرَ رجلا ، فلما كان بأرض مُرَادٍ تلففَّتْ عليه جماعةٌ فمن كان فى تلك الجماعة أباضيا عرفه فقالوا : ما ننتظرُ بهذا أن ندرك ثأرَ أصحابنا فيه ، ومن لم يكن أباضيا ظنَّه منهم ، فلما علم أنهم يريدونه قال لهم : ويلكم ، إنى عاملُ أمير المؤمنين على الحج ، فلم يلتفتوا إليه وقتلوه ، ونصبت الأباضيةُ رأسَه ، فلما فتشوا متاعه وجدوا فيه الكتاب بولايته ، فأخذوا من الأباضية رأسه ودفنوه مع جسده .

عبد الله بن أبى معقل (١)

هو عبدُ الله بن أبى مَعْقل بن نهيك بن أَسَاف بن عدى بن زيد بن جُشَم بن حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو وهو النبيت بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

حجازىٌّ شاعرٌ مقل من شعراء الدولة الأُموية .

وكان يقال لأبيه مُنْهِب الوَرِق .

وقيل : بل جَدُّه المسمى بذلك لأنه كَسَب مالا فعَجِبَ أهل المدينة من كَثْرَته ، فأباحهم إياه ، فنهبوه .

وكان عَبَّادُ بن نُهيك بن أساف عَمُّ أبيه أدركَ النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وصحبه وصلى معه إلى القبلتين ، وصلى معه الظهرَ ، وصلى ركعتين منها إلى البيت المقدس ، وركعتين إلى الكعبة .

وأدرك النبىّ ، صلى الله عليه وسلم ، وهو شيخ كبير لا فَضْل عنده ، فوضع عنه الغزو .

وكان نهيك بن أسافٍ يهاجى أبا الخضْر الأشْهَلِىَّ فى الجاهلية ، وأشعارهما موجودة فى أشعار الأنصار .

وكان ابنُ أبى مَعْقل محسودا فى قومه ، يجاهرونه بالعداوة ، ليسارِه وسعة ماله ، ويحسدونه .

وكان بَنَى قصرًا فى بنى حارثة وسماه مرْغما . فقال له قائل : ما لَك ولِقَوْمِك ؟

---

(١) الأغانى : ٢٠ : ١١٦ .

فقال : ما لِي لهم ذَنْبٌ إلا أنى أثْرَيْتُ ، وكنت معدما ، فبنيتُ مُرْغما ، وأنكحت مريم ومريما ـ يعنى : ابنَتَه وابنةَ ابنه .

فأما ابنته مريم فتزوجها حبيبُ بن الحكم بن أبى العاص بن أمية . وبنتُ ابنه تزوجها محمد بن خالد بن الزبير بن العوّام .

وكان حبيبُ بن الحكم ومحمدُ بنُ خالد قد خطبا إلى عبد الله بن أبى مَعْقل ابنَتَه مريمَ فأرغبه حبيبٌ فى الصداق فزوجه إياها .

ثم شبّت مريمُ بنت مسكين بن عبد الله بن أبى معقل ، فرغب فى جمالِها فلقِيَ محمدَ بنَ خالد ، فقال له : يا ابن خالد إن تكن مريمُ قد فاتَتْك فقد يَفعَتْ مريمُ بنتُ أخيها ، وما هى بدونها فى الجمال ، وقد آثرْتُك بها ـ قال: فتزوجها على عشرين ألفا .

وكان ابن أبى مَعْقِل كثيرَ الأسفار فى طلب الرزق ، فلامَتْه امرأتُه أم نهيك ، وهى بنتُ عمه على ذلك ، وقد قدم من مصر ، فلم يلبث أن قال : جَهِّزينى إلى الكوفة ، إلى المغيرة بن شُعْبة ، فقد وَلِيَها ، وهو صديق ، فَجهَّزَتْه ثم قالت له : لم تزَلْ فى أسفارِكَ هذه تترددُ حتى تموتَ فقال لها : أو أُثْرِى ، ثم أنشأ يقول :

أأُمَّ نُهَيْك ادفعى الظعنَ(١) صاعدا ... ولا تيأسِى أَنْ يُثْرِيَ الدَّهْرَ بائسُ
سيغنيك سَيْرِى فى البلاد ومَطْلَبِى ... وبَعْلُ التى لم يَخْطُ فى الدارِ جالسُ
فلولا ثلاثٌ هن من عيشة الفتى ... وجَدِّكِ لم أحْفِلْ متى قام رامسُ
فمنهن تحريكُ الكميتِ عِنانَه ... إذا ابتدر النهبَ البعيدَ الفوارسُ
ومنهن سبقُ العاذلاتِ بشربةٍ ... كأَن أخاها وهو يقظانُ ناعسُ
ومنهن تحريكُ الأوانسِ كالدُّمَى ... إذا ابتُزَّ عن أكفالِهن الملابسُ

---

(١) ارفعى الطرف (أغانى) .

سأكسبُ مالا أو تَبِيتن ليـــلة بصدْرِكَ من وَجْدٍ عليَّ وساوس[١]
ومن يطلب المالَ المُمَنَّعَ بالقنـا يَعِشْ مُثْرِياً أو يُودِ فيما يُمارِسُ

ثم قدم المدينة فلم يزل مقيما بها حتى ولى مصعبُ بن الزبير العراقَ فوفد إليه ، ولقيه ، فدخل إليه وهو يَنْدُبُ الناسَ إلى غزوة زَرَنْج[٢] ويقول: مَنْ لها ؟ فوثب عبدُ الله بن أبى معقل ، وقال : أنا لها . فقال له مصعب : اجلس ، ثم نَدَبَ الناسَ ، فانتدبَ لها مرّة ثانيةً . فقال له مصعب : اجلس . ثم نَدَبَ الناسَ ثالثةً فقال عبد الله : أنا لها ، فقال له: اجلس ، فقال : له أَدْنِنِى حتى أُكَلِّمَك ، فأدناه ، فقال له : قد علمتُ أنه لا يمنعُك منى إلا أنك تَعْرِفُنى ، ولو انْتَدَبَ لها رجلٌ ممن لا تعرِفُه لبَعَثْته ، فلعلك تجدنى[٣] أن أُصيب خيرا أوأُسْتَشْهِد فاستريحَ من الدنيا والطلب لها ، فأعجبه قوله وجزالتُه فولاه ، فأصاب فى وَجْهه ذلك مالا كثيرا ، وانصرف إلى المدينة ، فقال لزوجته : أَلَمْ أُخبرْكِ فى شعرى أنه :

سيُغْنِيك سَيْرِى فى البلادِ ومَطْلَبِى وبعلُ التى لم يَخْطُ فى الدارِ جالسُ

فقالت : بلَى !! والله قد أخبرتنى ، فصدق خَبَرُك .

وفى الغَزاة يقول ابن قيس الرقيات :

إن يعش مصعبٌ فنحن بخَيْرٍ قد أتانا من عَيْشِنا ما نُرَجِّى
مَلِكٌ يطعمُ الطعامَ ويَسْــقى لبنَ البُخْتِ فى عساسِ الخَلَنْجِ
جَلَبَ الخيلَ من تِهامة حتى بلغَتْ خيــلُه قصورَ زَرَنْج

(١) فى الأصل : ملابس .
(٢) زرنج : مدينة هى قصبة سجستان .
(٣) تحسدنى (أغانى) .

عمير القطامى(١)

هو عُمَيْرُ بن شُيَيْم وكان نصرانيا ـ وهو إسلامى .

شاعرٌ فحل مُقِلٌّ مجيد .

قال عبد الملك بن مروان للأخطل : ياأبا مالك أتحب أن يكون لك بشِعْرِك شِعرُ شاعرٍ من العرب ؟ قال: اللهم لا، إلا شاعر منا مغدف القناع خاملُ الذكْرِ ، حديثُ السّنّ ، إن يكن فى أحدٍ خيرٌ فسيكون فيه ، ولوددت أنى سَبَقْت إلى قوله :

يَقْتُلْنَنَا بحديث ليس يَعْلمه   من يَتقين ولا مكنونُه بادِى
فهن يَنْبِذْنَ من قول يُصِبْنَ به   مواقعَ الماء من ذى الغُلَّةِ الصادى

كان القطامىُّ أول من لقِّبَ صريع الغوانى بقوله :

صريعُ غوانٍ راقهن ورقْنَه   لَدُنْ شَبَّ حتى شابَ سودُ الذوائبِ

نزل القطامىُّ ببعض أسفارِه بامرأةٍ من محاربِ قَيْس ، فنسبها . فقالت : أنا من قوم يِشوون القِدَّ من الجوع ، قال : ومَنْ هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب ، ولم تُقْرِه ، فبات عندها بأسوإ ليلة . فقال فيها قصيدته التى أولها :

نأتْك بليلى نِيَّةٌ لم تُقارِب   وما حُبُّ ليلى من فؤادى بذاهبِ
ولا بد أن الضيفَ يخبر ما جرى   مُخَبِّرُ أهلٍ أو مُخَبِّرُ صاحبِ
سأُخبرُك الأنباءَ عن أمِّ منزلٍ   تَضَيَّفْتُها بين العُذَيْبِ فراسبِ
تَلَفَّعْتُ(٢) فى طلٍّ وريح تَلُفُّنى   وفى طِرْمساء(٣) غير ذات كواكب

---

(١) أغانى ٢٠ : ١١٨ .

(٢) تقنعت (ابن قتيبة) .

(٣) الطرمساء : الظلمة الشديدة .

إلى حَيْزبونٍ توقِدُ النار بعد ما ... تلففَّتِ الظلماءَ من كل جانبِ
تَصَلّى به بَرْد الشتاء ولم تـكن ... تخال وميضَ النار يبدو لراكبِ
فما راعها إلا بُغام مَطيَّةٍ ... تُريحُ بمَحْسور من الصوت لاغب
تقول وقد قربتُ كُورى وناقتى ... إليكَ فلا تَذْعَرْ علىَّ ركائبى
فلما تنازعنا الحديث سألتُها ... مَن ِالحىُّ؟ قالت: مَعْشَرٌ من مُحاربِ
من المشْتَوِين القِدّ مما تراهمُ ... جياعا وريفُ الناسِ ليس بعازبِ
فلما بدا حرمانُها الضيفَ لم يكن ... على مناخُ السُّوء ضربةُ لازبِ

كان أول ماحَرَّك من القطامى ورفع ذِكْرَه أنه قَدِمَ فى خلافة الوليد بن عبدالملك دمشقَ ليمدَحه ، فقيل له : إنه بخيلٌ لا يعطى الشعراء .

وقيل : بل قدِمَها فى خلافة عمرَ بن عبدالعزيز ، فقيل له : إن الشعرَ لا يَنْفُق عند هذا ، ولا يعطِى عليه شيئا . وهذا عبدُ الواحد بن سليمان ، فامتَدِحْه فمدَحَه بقصيدة :

إنا محيوكَ فاسْلَم أيهـا الطلل ... وإن بليتَ وإن طالت بك الطِّيَلَ
يمشين زهواً فلا الأعجازُ خاذلةٌ ... ولا الصدورُ على الأعجازِ تتَّكِلُ

فقال له : كم أمَّلْتَ من أمير المؤمنين ؟ قال : أمَّلت أن يُعْطِيَنى ثلاثين ناقة . قال : قدأمرتُ لك بخمسين ناقة ، وأن تُوقَرَ لك بُرًّا وتمراً وثياباً. ثم دفَع ذلك إليه.

قال أبو عمرو الشيبانى : لو قال القطامىُّ بيته :

يمشين زهوا فلا الأعجازُ خاذلةٌ ... ولا الصدورُ على الأعجازِ تتَّكِلُ

فى صِفةِ النساء لـكان أشعرَ الناس .

ولو قال كُثيِّر بيتَه :

فقلتُ لهـا يا عزُّ كل مصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوما لها النَّفْسُ ذلَّتِ

فى مرثيةٍ أو صفةِ حربٍ لـكان أشعرَ الناس .

حدَّث رجل كان يُديم الأسفارَ قال : سافرت مرة إلى الشام فتمثّلت بهذا البيت:

قد يدركُ المتأنِّى بعضَ حاجتِه وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومعى أعرابى قد استأجرتُ منه مَرْكَبى . فقال لى : ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبَّطَ الناسَ عن الحزم ، فهلّا قال بعدَ بيتِه هذا :

وربما ضرَّ بعضَ الناسِ رَيْثُهُمُو وكان خيراً لهم لو أنهم عَجِلوا

عبد الله بن صخر الهذلى[1]

هو عبدُ الله بن سَلْم السَّهْمى أحد بنى مُرْمِض .

شاعرٌ إسلامى من شعراء الدولةِ الأُموية .

وكان مواليا لهم مُتَعصِّباً لهم .

وله فى عبدِ الملك بنِ مروان عدةُ مدائح ، وفى أخيه عبد العزيزِ[2] فى الحَبْس إلى أن قُتِلَ .

لما ظهر عبدُ الله بنُ الزبير بالحجاز ، وغَلَبَ عليها بعد موتِ يزيدَ بن معاوية ، وتشاغل بنو أُمية بالحرب [بينهم] فى مرج راهط وغيره ، دخل عليه أبو صخر الهُذَلى فى هُذَيْل ، وقد جاءوه ليَقْبضوا عطاءَهم ، وكان عارفا بهواه فى بنى أُمية ، فمنعه عطاءَه . فقال : علَامَ تمنعنى حقِّى ، وأنا امرؤ مسلم ما أحدثت فى الإسلام حدثا ، ولا أخْرَجْت من طاعة يدا ؟ قال : عليك ببنى أُمية ، فاطلبْ عندهم عطاءَك . قال : إذاً أجدُهم سِباطا أكفُّهم سمْحَةً أنفسُهم، بذلاءَ لأموالِهم ، وهابين لمُجْتَديهم ، كريمةً أعراقُهم ، شريفةً أُصولُهم ، زاكيةً فروعُهم ، قريبا من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم نسبُهم ، وسببُهم ، ليسوا إذا نُسِبوا بأذناب ولا وشائظَ ولا أتباعٍ ، ولا هم فى قريش كَفَقْعَةِ القاع ، لهم السؤدَد فى الجاهلية ، والملكُ فى الإسلام ، لا كَمَنْ لا يُعَدّ فى عِيرِها ولا نَفيرِها ، ولا حَكَم أولوه[3] فى نَقيرها ولا قِطْميرها

---

(١) الأغانى ٢١ : ٩٤ ـ المهذب ٦ : ٩٢ (هو أبو صخر الهذلى) .

(٢) رواية الأغانى والمهذب (وفى أخيه عبد العزيز وعبدالعزيز بن خالد بن أسيد، وحبسه ابن الزبير إلى أن قتل) .

(٣) آباؤه (أغانى)

ليس من أحلافها المُطيّبين ، ولا من ساداتها المطعمين ، ولا من جودائها الوهابين ولا من هاشمِها المنتخَبين ، ولا من عبد شمسها المُسوَّدين .

وكيف تقاس الرءوسُ بالأذناب ، وأين النَّصْلُ من الجفْن والسنانُ من الزُّجِّ والذُّنابىَ من القُدامىَ .

وكيف يُفضَّلُ الشحيحُ على الجواد ، والسوقةُ على المَلِك ، والمجيع[1] بُخلاً على المطعمِ فضلا .

فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصُه وعَرِقَ جبينُه واهتزّ من قَرْنه إلى قدَمه وامتُقِع لونُه وقال :

يا ابن البوّالة على عَقِبَيْها ، يا جلفُ ، يا جاهلُ ، أمَا والله لولا الحرماتُ الثلاثُ: حرْمةُ الإسلام ، وحُرْمةُ الحرم ، وحرمة الشهرِ الحرامِ لأخذتُ الذى فيه عيناك .

ثم أمر به إلى سِجْنِ عارم فسُجِن به مدة ، ثم استوهَبَتْه قريشٌ وهذيلٌ ومن له من قريش خُئولةٌ فى هُذَيْل ، فأطلقه بعدسنة ، وأقسم ألا يعطيَه عطاءً مع المسلمين أبداً .

فلما كان عامُ الجماعة ، وولى عبدُ الملك ، وحج ، لقيه أبو صخر ، فلما رآه عبدُ الملك قرّبه وأدناه ، وقال له : لم يَخْفَ علىّ خبرُك مع المُلْحِد ، ولا ضاع لك عندى هواك ومُوالاتُك ، فقال له : أما إذ شَفَى الله نفسي منه ورأيته قتيلَ سَيْفِك ، صريعَ أوليائك ، مصلوبا مَهْتوكَ السِّتْرِ مفرق الجماعة[2] ، فما أُبالى ما فاتنى من الدنيا .

ثم استأذنه فى الإنشاد ، فأذن له ، فمثل قائما وأنشد :

عفت ذات عرق عُصْلُها فرئامها فصحياؤها وحش قد أجلى سوامها

(١) والجامع (أغانى ــ مهذب) .
(٢) الجمع (أغانى ــ مهذب) .

فلمّا فرغ منها أمرَ له عبدُ الملك بما فاته من عطائه ، ووصَله بمثله من ماله ، وكساه، وحمله .

وكان أبو صخر منقطعا إلى أبى خالدٍ عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أُسيد مدَّاحا له ، فقال له يوما : ارْثِنى وأنا حى، أسمعْ كيفَ تقولُ وأينَ مراثِيك لى بَعْدِى من مدحك إياى فى حياتى . فقال : أعيذك بالله أيها الأمير ، بل يُبْقِيك الله ، ويُقدِّمُنى قبلك . فقال : ما من ذلك بد .

فرثاه بقصيدته التى يقول فيها :

أبا خالدٍ نَفْسِى وقت نفسَك الرَّدَى ... وكان بهـا من قبـل عَثْرَتِك العُثْرُ
لتَبْكِك يا عبدَ العزيز قـلائصٌ ... أضرَّ بهـا نَصُّ الهواجر والزَّجْرُ
سَموْن بنا يحثثن كل تنـوفةٍ ... تَضِلّ بها عن بيضهن القطَا الكُدْرُ
فما قَدِمت حـتى تواتر سَـيْرُها ... وحتى أُنيخَتْ وهى طالمـة دُبْرُ
ففَرّجَ عن رُكْبانِها الهمَّ والطَّوَى ... كريمُ المحيا ماجدٌ واحـدٌ صَقْرُ
أخو شَتَواتٍ[1] تَقْتُل الجوعَ دارُه ... لمن جاء لا ضيقُ الفِنـاءِ ولا وَعْرُ
فلا يهـنىءِ الفتيانَ بعـدك لذةٌ ... ولا بَلَّ هـام الشامتين بك القَطْرُ
وإن تُمْسِ رمسا[2] بالرصافة ثاويا ... فما مات يا ابن العيص[3] نائلُك الغَمْرُ
وذى ورق[4] من فضـل مالِك مالُه ... وذى حاجة قد رِشْت ليس له وَفْر
فأضحى[5] مريحا بعـد ما قد يؤوبه ... وكلَّ به المولَى وضـاقَ به الأمر

فأضعف له عبدُ العزيز جائزَته ووصَله .

---

(١) فى الأصل : سنوات .

(٢) فى الأصل : رمسى .

(٣) فى الأصل : الفيض .

(٤) فى الأصل : (رزق) .

(٥) فى الأصل : فامسى.

وكان لأبى صخر ولد يقال له دَاودُ ، ولم يكن له غيرُه فمات فجزع عليه جزَعاً شديداً حتى خُولِطَ عقلُه وقال يرثيه :

لقد هاجنى طيفٌ لداود بعــد ما ... دنت فاستقَلَّتْ تالياتُ(١) الـكواكبِ

ولولا يقينِى أنما الموتُ عَزْمَةٌ ... من الله حتى يبعثوا للتَّحاسُبِ(٢)

لقلت له لما أَلَمَّ برَمْسِه(٣) ... هل أنت غــداً غادٍ معى فمُصاحبِى

وكان أبو صخر يَهْوَى امرأة من قضاعةَ مجاورةً فيهم ، يقال لها لَيْلَى بنتُ سعد ، وتـكنى أُمَّ حكيم ، وكانا يتواصلان بُرْهَةً من دهرهما ثم تزوجَتْ ورَحَلَ بها زوجُها إلى قومه فقال فيها أبو صخر :

أَلِمْ خيالٌ طارقٌ متأوِّبُ ... لأُم حكيم بعد ما نمت مُوصِبُ

وقد دنت الجوزاءُ وهىَ كأنها ... ومِرْزَمُها(٤) بالغَوْرِ ثَوْرٌ ورَبْرَبُ

فبات سرار فى المنام مـــع المنى ... عريض لمن يسمى من الحزن أشيبُ(٥)

قضاعية أدنى ديارٍ تَحُلُّهــا ... قناةٌ وأنَّى من قناةِ الُمحَصَّبُ

دميثةُ ما تحت الثيابِ عميمةٌ ... هضيم الحشا بكر المجسَّة ثيبُ

تعلقتها خَوْدًا لذيذاً حــديثُها ... ليالى لا تَحْمِى(٦) ولا هى تُحْجَبُ

فـكان لها ودى ومحض(٧) علاقتى ... وليدا إلى أنْ راسىَ اليومَ أشيبُ

فلم أر مثلى أيأستْ بعد علمهـــا ... بودى ولا مثلى على اليأس يَطْلب

---

(١) فى الأصل : باكيات .

(٢) للمحاسب (أغانى ـ مهذب)

(٣) فيا ألم برمسه (أغانى ـ مهذب) .

(٤) المرزمان : نجمان مع الشعريين .

(٥) رواية الأغانى والمهذب : فبات شرابى ... غريض اللمى يشفى جوى الحزن أشنب .

(٦) لا تعدى (مهذب) .

(٧) وريعة ميعتى (مهذب) .

ولو تَلْتَقِي أصداؤنا بعـــد موتنا ... ومن دون رَمْسَيْنا من الأرض سَبْسَبُ
لظل صدى رسْمي[1] ولو كنت رِمَّة ... لصوت صدى لَيلَى يَهَشُّ ويَطْرَبُ

ومن مختار شعر أبي صخر قوله :

لليلي بذات العرق[2] دارٌ عَرَفْتُها ... وأُخْرَى بذات الخيس آياتها سطر
وقفت بِرَسْمَيْها فلمَّا تنكرا ... صَدَفْتُ وعَيْنِي دمعُها سَرِبٌ هَمِرْ
وفي الدمع إن كُذِّبْتُ بالحبِّ شاهدٌ ... يُبَيِّنُ ما أُخفِي كما بَيَّنَ البدْرُ
صبرتُ فلما غال نفسي وشَفَّهـا ... عجاريف[3] تأتي دونها غلب الصبر
إذا لم يكن بين الخليلين[4] ردّة ... سوى ذِكْرِ شيء قد مضى دَرَسَ الذكر
إذا قلتُ هـذا حين أسلو يَهيجني ... نسيم الصِّبا من حيث يطلعُ الفَجْرُ
وإني لَيَعْرُوني لذكراكِ هِـزَّةٌ ... كما انتفض العصفورُ بلَّلَه القطرُ
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ... وزرتُك حتى قيل ليس له صَبْرُ
صدقت أنا الصَّب المصابُ الذي به ... تباريحُ حبٍّ خامرَ القلبَ أو سِحْرُ
أما والذي أبكَى وأضحكَ والذي ... أماتَ وأحْيَا والذي أمرُه الأمرُ
لقد تركَتْنِي أحسدُ الوحشَ أن أرى ... أليفَيْنِ منها لا يَرُوعهما الذُّعْرُ
فياهجر لَيلي قد بلغتَ بيَ المدَى ... وزدتَ على مالم يكن بَلَغَ الهَجْرُ
ويا حبَّها زدني جوًى كلَّ ليلةٍ ... ويا سلوةَ الأيام موعِدُكِ الحَشْرُ
عجبتُ لسعي الدهرِ بيني وبينَها ... فلما انقضى ما بيننا سكنَ الدهرُ
وليستْ عشياتُ الحِمَى برَواجعٍ ... لنا أبدا ما أوْرَقَ السَّلَمَ النَّضْر

---

(١) صوتي .
(٢) الجيش (أغاني) ـ البين (مهذب) .
(٣) عجاريف : حوادث .
(٤) الحبيبين (أغاني) .

وإنى لآتيها لكيما تثيبنى ... وأوذنها بالصوم ما وضح الفجر(١)
فما هو إلا أن أراها فُجَاءَةً ... فأُبْهَتَ لا عُرْفٌ لدى ولا نُكْرُ
تكاد يدى تَنْدَى إذا ما لَمَسْتُها ... ويَنْبُتُ فى أطرافها الورَقُ الخضْرُ

ومن شعر الهذلى :

بيد الذى شَغَفَ الفؤاد بكم ... تفريجُ(٢) ما ألقَى من الهَمِّ
هَمٌّ من اجلِك ليس يكشفُه ... إلا مليكٌ جائر الحُكْمِ
ولما بَقِيت ليبقيَنَّ جوًى ... بين الجوانح مُسْقِمُ الجِسْمِ
قد كان صرم فى الممات لنا ... فعجلت قبل الموتِ بالصَّرْمِ
ويُقِر عينى وهى نازحةٌ ... دارى وليس كذا أخو الحكم(٣)
أطلال نُعْمٍ إذ كلِفْتُ بها ... بادين هذا القلبِ من نُعْمِ
ولو اننى أسْقى على سَقَمِى ... بلَمَى عوارِضها شَفت سَقَمِى
ولقد عجبت لنَيْلِ مُقْتَدِرٍ ... بَسِطُ الفؤادِ بها ولا يُدْمِى
يرمى فيَجْرَحُنى برَمْيَتِهِ ... فلو اننى أَرْمِى كما يَرْمِى
فاستيقنى أن قد كلفت بكم ... ثم افعلِى ماشئْتِ عن عِلْمِ

---

(١) رواية الأغانى والمهذب :

(... لآتيها وفى النفس هجرها ... بتاتا لأخرى الدهر ما وضح الفجر)

(٢) فرج الذى.

(٣) ما لا يقر بعين ذى الحلم (أغانى — مهذب).

فهرست تراجم الكتاب

تراثنا

مختار الأغانى في الأخبار والتهانى

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء السادس

تحقيق

الدكتور طه الحاجرى

الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هــذا الـكتاب بالتعـاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجـامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٦هـ -- ١٩٦٦م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

ج . ع . م .

حرف العين

عروة بن حزام

هو عُروة بن حزام بن مُهاصر[1] ، أحد بنى حزام بن ضبة بن عبد بن كثير ابن عذرة .

شاعر إسلامى ، أحدُ المتيَّمين الذين قتلهم الهوى ، ولا يعرف له شعر إلا فى عفراءَ بنتِ عمِّه عِقال بن مهاصر .

لما هلك حزام ترك ابنه عروة صغيرا فى حجر عمه عقال ، وكانت عَفراء تِرباً لعروة ، يلعبان جميعا ويكونان معا ، حتى ألف كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه إلفا شديدا ؛ وكان عقال يقول لعروة لما يرى من إلفهما : أبشر فإن عَفراءَ امرأتُك ، إن شاء الله تعالى . فكانا كذلك حتى لحِقت عفراء بالنساء ، ولحق عُروةُ بالرجال ، فأتى عروة عمة له يقال لها هِندُ بنتُ مهاصر ، فشكى إليها ما به من حبِّ عَفراء ، وقال لها فى بعض ما يقول : يا عمّة ! إنى لأ كلك[2] وإنِّى منكِ لمُسْتَحْىٍ ، ولكن لم أفعلْ هذا حتى ضِقتُ ذرعاً بما أنا فيه . فذهبت عمته إلى أخيها فقالت له : يا أخى قد جئتك فى حاجة أحب أن تحسن فيها ، فإن الله يأجرك بصلة الرحم فيما أسألك ؛ فقال لها : قولى ، فلن تسأليني حاجةً إلا ردَدْتك بها ، قالت : تُزَوِّجُ عروةَ ابنَ أخيك ابنتَك عَفراء ، قال : ما عنه مَذهب ، ولا هو دونَ رجلٍ يُرغَب فيه ، ولا بنا عنه رَغبة ؛

---

(١) مهاصر (صححنا) : الأغانى ، (ترجمة عروة ج ٢٠) جمهرة أنساب العرب (أنساب بنى عذرة) ، مهاجر : التيمورية والأزهر ، فى سائر المواضع .

(٢) لا أ كلمك : التيمورية والأزهر ، لمكلمك : الأغانى .

ولـكنه ليس بذى مال ، وليست عليه عَجَلة . فطابت نفسُ عُروة ، وسكن بعض السكون . وكانت أمها سَيِّئة الرأى فيه ، تُرِيد لابنتها ذا مالٍ ووَفر ، وكانت عُرْضَة(١) ذلك جمالًا وكمالًا .

فلما تـكاملت سِنّه وبلغ أشُدّه ، عرف أن رجلا من قومه ذا يسار ومال كثير يخطبها ، فأتى عمّه فقال : يا عم قد عرفت حقّى وقرابتى ؛ وإنى ولدك ، وربيت فى حِجرك ؛ وقد بلغنى أنّ رجلا خطب عَفراء ، فإن أسعفته بِطلبته قَتَلْتَنى وسفكت دمى ؛ فأنشُدك الله عز وجل ورحمى وحقى . فرقَّ له وقال : يا بنى أنت مُعـدِم ، وحالُنا قريبةٌ من حالك ، ولستُ مخرجَها إلى سواك ، وأمّها قد أبت أن تزوِّجها إلا بمهر غال ، فاضرِبْ(٢) واسترزق الله عز وجل . فجاء إلى أمها فلاطفها وداراها ، فأبت أن تُجيبه إلا بما تحتـكم عليه(٣) من المهر ، وبعد أن يسوق شَطره إليها ، فوعدها بذلك .

وعلم أنه لا تنفعه قَرابة ولا غيرُها إلا المال الذى يطلبونه ؛ فعزم على قَصد ابنِ عمّ له مُوسِر كان مقيما باليمن . وجاء إلى عمّـه وامرأةِ عمّـه وأخبرهما بعزمه ، فصوَّباه ، ووعداه ألا يحدثا حَدَثاً حتى يعود . وصار فى ليلةِ رَحيله إلى عَفراء ، فجلس عندَها ليلةً هو وجَوارى الحىِّ يتحدثون إلى أن أصبحوا ثم ودَّعها وودَّع الحىّ ، وشَدَّ على راحِلته ، وصَحِبه فى طريقه فَتَيانِ من بنى هِلال بن عامر كانا يَألفانه ، وكان حياهم متجاوِرَين ، فـكان فى طول سفره ساهياً ، يكلمانه فلا يفهم ، فِـكْرُه فى عَفراء ، حـتى يردّا عليه القولَ مراراً . حتى لقى ابنَ عمّـه ، فعرَّفه حاله وما قَدِمَ له ، فوصَله وكساه وأعطاه مائةً من الإبل ، فانصرفَ بها إلى أهله .

---

(١) عرضت : اليتمورية والأزهر .
(٢) فاضطرب : الأغانى .
(٣) تحتـكمه : الأغانى .

وقد كان رجلٌ من الشام من أسباب بنى أميّة نزل بحىّ عَفراء ، فنحر وأطعم ووهب ، وكان ذا مالٍ عظيم ، فرأى عَفراء ــ وكان منزله قريباً من منزلهم ــ فأعجبته ، فخطبها من أبيها ؛ فاعتذر إليه وقال له : قد سَمَّيْتُها لابن أخى وهو يعدلها عندى[١] ، وما لها إلى غيره سبيل ، فقال له : إنى أُرغِبك فى المهر ، قال : لا حاجة لى بذلك . فعدل إلى أمها ، فوافق عندها قبولا لبذله ورغبــة فى ماله ، فأجابته ووعدته ، وجاءت إلى عقال فلامته وصنجته[٢] ، وقالت له : أىُّ خير فى عُروةَ حتى تحبس ابنتى عليه ، وقد جاءها الغنى يطرُق بابها ، ووالله ما ندرى أعروةُ حىّ أم ميت ، وهل ينقلب بخير أم لا ؟ فتكون قد حرمتَ ابنتَك خيراً حاضراً ورزقاً حسناً سنيًّا ، فلم تزل به حتى قال لها : إن عاوَدنى خاطباً أجبتُه .

فوجَّهت إليه : اغدُ عليــه خاطباً . فلما كان من غد نحر جُزوراً عدة وأطعم ووهب ، وجمع الحىَّ معه على طعامه وفيهم أبو عفراء ، فلما طعِموا أعاد القول فى الخِطبة ، فأجابه وزوّجه ، وساق إليه المهر ، وحُوِّلت عَفراءُ إليه ، وقالت قبل أن تدخل عليه :

يا عُرْوَ إنّ القومَ قد نَقَضوا   عهدَ الإلٰهِ وحاولوا الغَدْرَا

فى أبيات طويلة .

فلما كان الليلُ دخل بها زوجُها ، وأقام فيهم ثلاثاً ، ثم ارتحلَ بها إلى الشام ، وعَمَد أبوها إلى قبر عتيق فجدّده وسوّاه ، وسأل الحىَّ كِتمانَ أمرها .

وقدِم عُروةُ بعد أيّام ، فنعاها أبوها إليه ، وذهب به إلى ذلك القبر ، فمكث يختلف إليه أياماً وهو مُضْنًى هالِك ، حتى جاءته جاريةٌ من الحىِّ فأخبرته خبرهم ؛

---

(١) وهو يعدلها عذرى : الأزهر والتيمورية .

(٢) كذا فى الأزهر والتيمورية ، وفى الأغانى : واستصحبته ، كأنه يعنى : جعلته يصحب أى ينقاد .

فتركهم وركب بعض إبله ، وأخذ معه زاداً ونفقة ورحل إلى الشام حتى قَدِمها ، وسأل عن الرجل فأُخبِرَ به ودُلَّ عليه ؛ فقصده وانتسب له فى عدنان ، فأكرمه وأحسن ضِيافتَه ؛ فمكث أياما حتى أنسوا به ؛ ثم قال لجارية لهم : هل لك فى يَدٍ تُولِينها ؟ قالت : نعم ، قال : تدفعين خاتَمى هــذا إلى مَولاتِك عَفراء ، فقالت : سَوْءَةً لك ، أما تَستَحى بهذا[1] القول ؟ فأمسك عنها ، ثم أعاد عليها وقال لها : ويحكِ ، هى والله بنتُ عمِّى ، وما أحدٌ منا إلا هو أعزُّ الناس على صاحبه من الناس جميعا ، فاطرحى هذا الخاتَم فى صَبوحها[2] ، فإذا أنكرت عليك فقولى لها : اصطبح ضيفُنا قَبلك ، ولعله سقط منه . فرقّت له الأمةُ وفعلت ما أمرها به .

فلما شربت عفراء اللبن رأت الخاتَم فعرفته فشهقت ثم قالت: اصدُقينى عن الخبر ، فصدَقتَها ، فلما جاءَ زوجُها قالت : أتدرى مَن ضيفك هذا ؟ قال : نعم فلان بن فلان العدنانى ، للنسب الذى انتسَبَه له عُروة ، فقالت : كلا والله بل هو عُروة بن حِزام ، ابنُ عمى ، وقد كتمكَ نفسه حياءً منك .

وقيل : بل جاءه ابنُ عمٍّ له فقال : أتركتم هذا الكلبَ الذى قد نزل بكم هكذا فى داركم يفضحكم ؟ قالوا له : ومن تعنى ؟ قال : عروةُ بن حزام العُذرىّ . ضيفكم هذا ، قال : وإنه لعُروة ؟ بل أنت والله الكلبُ ، وهو الكريم القريب ؛ ثم دعاه وعاتبه على كتمانه إيّاه نفسه ، وقال له : على الرَّحب[3] والسعة ، نشدتُكَ الله إن رُمت هذا المكان أبدا . وخرجَ وتركه مع عَفراءَ يتحادثان ، وأوصى خادماً له بالاستماع عليهما وإعادة ما تسمعُه منهما عليه . فلما خَلَوا تشاكيا ما وجدا بعد الفراق ، فطالت الشكوى وهو يبكى أحرَّ بكاء ، ثم أتته بشرابٍ وسألته أن يشربَه ، فقال :

---

(١) بهذا : الأزهر والتيمورية .
(٢) صحنها : الأغانى .
(٣) بالرحب : الأغانى .

والله ما دخل جَوفى حرامٌ قطّ ، ولا ارتكبته منذ كنت ؛ ولو استحللتُ حراما كنت قد استحللتُه منكِ ، فأنت حظِّى من الدنيا ، وقد ذهبت مـنّى وذهبتُ بعدكِ ، فما أعيش وقد أجمل هذا الرجل الكريم وأحسن ، وأنا مستحىٍ منه ، ووالله لا أقيمُ بعد علمه بمكانى ، وإنى عالم أنى راحل لمنيتى ، فبكى وبكت . وانصرف .

فلما جاء زوجُها أخبرته الخادم بما كان منهما ، فقال : يا عفراءُ امنعى ابنَ عمك من الخروج ، فقالت : لا يمتنع ، هو والله أكرمُ وأشدّ حياءً من أن يقيم بعد ما جرى بينكما ، فدعاه وقال له : يا أخى ! الله فى نفسك ، فقد عرفتُ خبرك وأنك إن رحَلت تلفت . والله لا أمنعك من الاجتماع معها أبدا ، وإن شئت لأفارقنّها ولأنزلنَّ عنها لك ؛ فجزاه خيرا وأثنى عليه وقال : إنما كان الطمع فيها آفتى(١) والآن فقد يئست وحملت نفسى على اليأس والصبر ، فإن اليأس يسلّى ، ولى أمورٌ لا بدَّ من رجوعى إليها ، فإن وجدت بى قوة على ذلك وإلّا عدتُ إليكم ، وزُرتكم حتى يقضى الله فى أمرى ما يشاء . فزودوه وأكرموه وشيَّعوه وانصرف .

فلما رحَل عنهم نُكِسَ بعد صلاحه وتماثُله ، وأصابه غَشْى وخَفَقان ، فكان كلّما أغشى عليه ألقَى على وجهه خِماراً لعفراء زوَّدته إياه فيفيق .

ولقيه فى الطريق عرّافُ اليمامة فرآه وجلس عنده وسأله عما به ، هل هو خَبَل أم جُنون ؟ فقال له عُروة : ألك علم بالأوجاع ؟ قال : نعم ، فأنشأ يقول :

وما بِىَ من خَبْل وما بى جِنّةٌ   ولكنَّ عمِّى يا أُخَىّ كَذوب

أقول لعرّاف اليمامة داوِنى   فإنّك إن داويتنى لأريب(٢)

فوا كِبدًا أمستْ رُفاتًا كأنما   يلذِّعها بالموقِداتِ لهيب(٣)

---

(١) آفتى : الأغانى ، منى : الأزهر والتيمورية .

(٢) لطبيب : الأغانى .

(٣) طبيب : الأغانى .

عَشِيَّةَ لا عفراءُ منك بعيــدةٌ فتسلو ولا عفراءُ منك قريب
عشيَّة لا خلفى مكَرٌّ ولا الهوى أمامى ولا يهوَى هَواى غريب
فوالله لا أنساكِ ما هبّت الصَّبا وما أعقَبتها فى الرياح جنــوب
وإنى ليغشانى لذكراكِ فَترةٌ (١) لها بين جلدى والعظام دبيب

* * *

وقال يخاطبُ صاحبيه الهلاليين بقضيَّته :

خَليلىَّ من عَليا هِلالِ بنِ عامر بصنعاءَ عوجا اليــوم وانتظرانى
ولا تزهَدا فى الأجر (٢) عندى وأجملا فإنــكما بى اليـــومَ مُبتَليان
ألِمَّا على عَفراءَ إنــكما غــداً بوَشْكِ (٣) النوَى والبيْن مُعترفان
فيا واشِيَىْ عفراءَ ويحــكما بمَن ؟ وما ؟ وإلى من جئتما تَشِيان ؟ (٤)
بمَن لوْ أراه عانِيــا لفديتُــه ومن لو رآنى عانِيــا لفدانى
متى تــكشِفا عنى القميصَ تبيَّنا بى الضُّرَّ من عَفراءَ يا فتَيان
إذًا ترَيا لحماً قليــــلًا وأعظُماً بَلِينَ وقلباً دائمَ الخفقـــان
فقـــد تركْتنى لا أَعِى لمحدِّثٍ حَــديثا وإن ناجَيْتُه ونَجَانى
جعلتُ لعرَّاف اليمــامة حُــكْمَه وعرَّافِ حَجْرٍ (٥) إن هما شَفَيانى
فما تركا من حيلة يعرفانها ولا شربة (٦) إلا وقد سقيانى

---

(١) هزة : الأغانى .
(٢) الذخر : الأغانى .
(٣) بشحط النوادر (ذيل الأمالى ص ١٥٨ ط دار الــكتب المصرية)
(٤) هكذا فى الأغانى ، وهو فى الأزهر والتيمورية مضطرب .
(٥) (نجد) النوادر (١٥٩) .
(٦) فما تركا من رقية يعلمانها ولا سلوة : النوادر (ص ١٥٩) .

ورشّا على وجهى من الماء ساعة   وقاما مع العوّاد يبتــــدران
وقالا شفاكَ اللهُ والله ما لنــا   بما ضُمِّنَتْ منك الضلوعُ يدَان
فوَيْـلى على عَفراء وَيْـلًا كأنه   على الصدر[1] والأحشاء وَخْزُ سِنان
أحبُّ ابنةَ العُذرى حبًّا وإن نأت   ودانيتُ منها غــــير ما تريان[2]
إذا رام قَلْبي هَجرها حال[3] دونَه   شفيعانِ من قلبي لها جَدِلان
إذا قلتُ: لا قالا : بَلَى ثم أصبحَا   جميعاً على الرأى الذى يرَيان
فيا ربِّ أنت المستعانُ على الذى   تحمّلتُ من عَفراء منـذُ زمان
تحمَّلتُ من عَفْراء ما ليسَ لى به   ولا للجبـــال الراسياتِ يدان
كأن قطاةً علِّقت بجنـــاحها   على كبدى من شدة الرجفان[4]
لعمرُكَ إنِّى يومَ بُصرى وناقتى   لمختلفا الأهـــواءِ مُصْطَحبان
متى تحملى شَوْقى وشوقَك تظلَعى   وما لكِ بالحمل[5] الثقيل يدان
ألا يا غُرابَىْ دِمْنة الدار خبِّرا   أ بالبَيْن[6] من عَفراءَ تنتحبان
فإن كان حقا ما تقولان فانهضا[7]   بلحمى إلى وكريكما وكلانى
ولا يَعلَمَنَّ الناسُ ما كان قِصَّتى[8]   ولا يأكلنَّ الطير ما تذَران

***

(١) الـكبد : النوادر (ص ١٦١) .

(٢) ما متدان : الأغانى .

(٣) حال : حيل فى الأزهر والتيمورية . وهذا البيت والذى بعده ليسا فى الأغانى ولا فى النوادر .

(٤) الخفقان : الأغانى .

(٥) بالعبء : النوادر ص ١٥٩ .

(٦) بينا : بالهجر: النوادر ١٦٠.

(٧) فاذهبا : النوادر .

(٨) قصتى : النوادر ، منيتى : الأزهر والتيمورية .

ثم لم يزل مُضْنًى فى طريقه ، حتى مات قبل أن يصل إلى حيِّه بثلاث ليال .
فبلغ عفراءَ خبرُ وفاته ، فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه :

ألا أيها الركبُ المخبُّون ويحكم   بحقٍّ نَعَيْتم عُروةَ بن حزام
فلا تهنئ الفتيانَ بعدك لذةٌ   ولا رَجَعوا من غَيْبَةٍ بسلام
وقل للحبالَى لا تُرَجِّينَ غائباً   ولا فَرِحات بعده بغُلام

ولم تزل تردِّد هذه الأبيات تندبه بها[(١)] حتى ماتت بعده بأيام قلائل .

ويقال: إنه لم يعلم بتزويجها حتّى لقى الرُّفقةَ التى هى فيها ، وأنه كان توجَّه إلى عمه بالشام لا باليمن ، فلما رآها وَقَف ودُهِش ، ثم قال :

فما هو إلا أن أراها فجاءةً   فأُبهَتَ حتى ما أكادُ أجيب
وأصِدُف عن رأيى الذى كنت أرتئى   وأنسى الذى أزمعتُ حين تغيبُ
ويُظهر قلبى عُذرَها ويعينُها   علىّ فمالى فى الفؤاد نصيبُ
وقد عَلِمتْ نفسى مكانَ شفائها   قريباً ، وهل ما لا ينال قريبُ
حلفتُ بربِّ الساجدين لربِّهم   خُشوعاً ، وفوق الساجدين رقيب
لئن كان بردُ الماء حرّان صادياً   إلىَّ حبيبا إنها لحبيب

* * *

وقيل إنه عاد من عند عَفراءَ إلى أهله وقد ضنى ونحل ، وكان له أخوات وخالة فعالجنه فلم ينفع ، وجاءوه بعرّاف حجر ، وهو أبو نخيلة أبو طلحة رباح بن أسد مولى بنى يشكر[(٢)] ليداويه فلم ينفع دواؤه . وكان عروةُ يأتى حياضَ الماء التى كانت إبل عفراء تردها ، فيلصق صدرَه بها ، فيقالُ له : مهلاً فإنك قاتلٌ نفسَك ، فاتّق الله ولا تقتلها ، حتّى أشرفَ على التلف وأحس بالموت .

---

(١) وتبديها : الأزهر والتيمورية .
(٢) كذا فى الأزهر والتيمورية . وفى الأغانى: وجئن بأبى كحيلة رباح بن شداد مولى بنى ثعيلة .

قال ابن أبى عتيق: إنى لأَسِير فى أرض عُذرة إذا أنا بامرأة تحمل غلاماً جَزلا ليس مثله يُحمل ، فعجبت لذلك حتى أقبلت به فإذا له لحية ، فدعوتها فجاءت ، فقلت لها : ويحك ما هذا ؟ فقالت : هل سمعت بعروةَ بنِ حزام ؟ فقلت : نعم ، فقالت : هذا عروة بن حزام ، فقلت له : أنت عروة ؟ فكلمنى وعيناه تدوران فى رأسه وقال : نعم أنا القائل :

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه   وعرّاف حجر إن هما شفيانى
وقالا نعم نشفى من الداء كله   وقاما مع العوّاد يبتدران
فعفراء أحظى الناس عندى مودة   وعفراء عنى المعرض المتوانى

***

وذهبت المرأة فما برحت من الماء حتى سمعتُ الصيحة ، فسألت عنها ، فقيل : مات عروة بن حزام .

ولما بلغ عفراءَ خبرُه قالت لزوجها : ياهناه قد كان من خبر ابن عمى ما بلغك ، ووالله ما بينى وبينه قط إلا الحسن الجميل ، وقد مات فىّ وبسببى ، ولا بد لى من أن أندبه وأقيم عليه مأتما ، قال : افعلى ، فما زالت تندبه ثلاثا حتى ماتت فى اليوم الرابع. وبلغ خبرهما معاوية بن أبى سفيان فقال : لو علمت بخبر هذين الحرين الكريمين لجمعت بينهما . قال خارجة المكىّ : رأيت عروة بن حزام يطاف به حول البيت فدنوت منه وقلت : من أنت ؟ قال : أنا الذى أقول :

أفى كلِّ يوم أنت رامٍ بلادها   بعينين إنسانا هما غَرِقان
ألا فاحملانى بارك الله فيكما   إلى حاضر الروحاء ثم ذرانى

فقلت له : زدنى ، فقال : لا والله ولا حرفا .

قال أبو صالح : كنت مع ابن عباس فى عرفة ، فأتياه فتيان يحملان بينهما فتى

لم يبق منه الصبر إلا خيالا ، فقالا : يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعُ له ، فقال : وما به ؟ فقال الفتى :

بنا من جوى الأحزان فى الصدر لوعةٌ　　تـكاد لهـا نفسُ الشفيقِ تذوب
ولـكنما ابقى حُشاشةَ مِقْوَلٍ[1]　　على ما به عُودٌ هنـاك صليب

* * *

قال : ثم خَفَت فى أيديهم فإذا هو قد مات ، فقال ابنُ عبّاس : هذا قتيل الحب لا عقلَ ولا قَوَد ، ثم ما رأيت ابن عباس سأل الله عز وجل فى عشيته إلا العافية مما ابتلى به ذلك الفتى . وسألنا عنه فقيل : هذا عروة بن حزام .

(١) ولـكنما أبكى حشاشة معول : الأزهر والتيمورية .

عبد الله القتّال

القتّال لقبٌ غَلبَ عليه لتمرده وفتكه[١]، وهو عبدُ الله بن المُجيب بن المَضْرَحيّ ابن عامر بن الهصار[٢] بن كعب بن عبيد[٣] بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة، كنيته أبو المسيَّب، أمُّه عمرة بنت حذيفة[٤] بن عوف بن شداد ابن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، وقد ذكرها في شعره وفخر بها فقال:

لقد ولدتني حُرَّةٌ رَبَعِيةٌ   من اللاءِ لا يحضُرن في القيظ دَيْدَنا

كان القتّالُ يتحدّث إلى ابنة عمٍّ له يقال لها «العالية بنت عبيد الله»[٥]، وكان لها أخٌ غائب يقال له «زياد بن عبيد الله» فلما قدم رأى القتال يتحدث إلى أخته، فنهاه، وحلف لئن رآه ثانيةً ليقتلَنَّه، فلما كان بعد ذلك بأيام رآه عندها، فأخذ له السيف، وبصُر به القتّال فخرج هاربا وخرج في أثره، فلما دنا منه ناشده القتال بالله والرحم فلم يلتفت إليه؛ فبينا هو يسعى ـ وقد كاد يلحقه ـ وجد القتالُ رمحاً مركوزا ـ وقيل وجد سيفا ـ فأخذه، وعطف على زياد فقتله وقال:

نهيتُ زياداً والمقامةُ[٦] بيننا   وذكّرتُه أرحامَ سَعدٍ وهيثم

فلما رأيت أنّه غيرُ مُنتهٍ   أملتُ له كفّي بلدنٍ مقوَّم

ولما رأيت أنني قد قتلتهُ   ندمت عليه أيَّ ساعةِ مندم

---

(١) وفتكه، الأغاني: وقتله، الأزهر والتيمورية.

(٢) الهصار، الأغاني: الهضاب، الأزهر والتيمورية (الهصان: جمهرة أنساب العرب.

(٣) عبد الله، الأغاني، جمهرة أنساب العرب.

(٤) حرفة، الأغاني.

(٥) عبد الله، الأغاني.

(٦) المهامه، الأغاني.

وقال فيه أيضا :

نهيت زيادا والمقامة(١) بيننا وذكّرته بالله حولا مجرّما
فلما رأيت أنه غير منته ومولاى لا يزداد إلا تقدُّما
أملت له كفِّى بأبيض صارمٍ حُسامٍ إذا ماصادف العظم صمَّما
بكفِّ امرىء لم تحذم(٢) الحىَّ أمه أخى نَجَداتٍ لم يكن مُتهضَّما

* * *

ثم خرج هاربا ، وأهل القتيل يطلبونه . فمر بابنة عم له تدعى زينب مُتَنحية عن الماء ، فدخل عليها ، فقالت له : ويحك ما دهاك ؟ قال : ألقى علىَّ ثيابك ، فألقت عليه ثيابَها وبُرقُعها ؛ وكانت تمسُّ حِنّاء ، فأخذ الحنّاء فلطخ يديه بها ؛ وتنحَّت عنه ، وجدَّ به الطلب ، فلما دنوا من البيت قالوا له — وهم يظنون أنه زينب — : أين الخبيث ؟ قال لهم : أخذ كذا(٣) ، لغير الوجهِ الذى يريد أن يأخذه . فلما عرف أن قد بعُدوا أخذ فى وجه آخر ، فلحق بعَماية ، وعمايةُ جبلٌ فاستَتَر فيه ، وقال :

فمن مبلغٌ فِتيان قومى أننى تسمَّيتُ لما شَبّت الحربُ زينبا
وأرخيتُ جِلبابى على نَبْت لِحيتى وأبديتُ للناس البَنان المخضَّبا

* * *

فمكث بعَمايةَ زمانا يقال إنه عشر سنين ، يأتيه أخ له بما يحتاج إليه ، وألفه نَمِرٌ فى الجبل ، كان يأوِى معه فى شِعب ، فلما راح النَّمِر إلى الشِّعب على عادته وجد القتّال ، فلما رآه كشَر عن أنيابه ، ودلع لسانه ؛ فجرّد القتال سيفه من جَفنه ،

(١) المهامه ، الأغانى .
(٢) لم تحذم : الأغانى : لا يحذف : الأزهر والتيمورية .
(٣) هاهنا ، الأغانى .

فردَّ النمر لسانه ، فشام القتَّال سيفَه ؛ فربض بإزائه ، وأخرج برائِنه ، فنثر القتّال سِهامَه من كنانته ؛ فضرب بيده وزأر ، فأوتر القتَّال قوسه ، وانبض بوترها ؛ فسكن النمرُ وألِفه . فكان النمر يصطاد الأروَى ، فيجىء بما يصطاده فيلقيه بين يدى القتال ؛ فيأخذ ما يقوته ، ويلقى الباقىَ للنمر فيأكلُه . وكان القتّال يخرج فيرمى الوحشَ بنبله ، فيصيب منها الشىء بعد الشىء ، فيأتى به الكهف ، فيأخذ لقوته بعضه ، ويلقى الباقى للنمر ، وكان القتال إذا ورد الماء أقام عليه النمر حتى يشرب ثم يتنحى ، ويرد النمر فيقيم عليه القتَّال حتى يشربَ فقال فى ذلك :

ولى صاحبٌ فى الغار بعدك صاحبى ⁂ أبا الجود[1] إلا أنه لا يُعلَّل
كلانا عدوٌّ لا يرى فى عدوِّه ⁂ مهزًّا وكل فى العداوة مُجملُ
إذا ما التقينا كان أنسَ حديثنا ⁂ صُماتٌ وطَرف كالمعابل أكحل
لنا موردٌ صاف[2] بأرضٍ مَضَلَّة ⁂ شَريعتُها لأيِّنا جاء أول
تضمنت الأَروى لنا بشوائِنا ⁂ كلانا له منها سَديفٌ مخردَل
فأعلمُه فى صَنعة الوُدّ[3] أننى ⁂ أميط الأذى عنه وما إن يهلِّلُ

* * *

وكان ابن هبَّار القرشى قد خرج إلى الشام فى تجارة ، فاعترضته جماعة فيهم القتّال الكلابى وغيره ، فقتلوه وأخذوا ماله ، فشاع خبره ، واتّهم به جماعة من بنى كلاب فأُخذوا وحُبِسوا ، أخذهم عامل مَروان بن الحكم ، فوجههم إليه وهو بالمدينة ، فحبسهم ليبحثَ عن الأمر ثم يقتل قتلةَ ابن هبّار . فلما خشى القتّال أن يعلم

(١) يعدل صاحبا أبا الجون ، الأغانى .
(٢) صاف ، الأغانى : قلب ، الأزهر والتيمورية
(٣) فأعلمه فى صنعة الود ، الأغانى : فأغلبه فى صنعة الزاد ، التيمورية والأزهر .

أمرُه ، ورأى أصحابَه ليس فيهم غَناء ، اغتال السّجان وقتله ، وخرج هارباً من السجن مع نفر كانوا معه .

وأما النمرُ الذى كان يألفه فيقال إن القتّال كان صالح خصماه عنه ، وأتاه فأخبره بصُلحه القومَ ، وأقبلا من الجبل منحدِرَيْن ، حتى إذا ما أسهلا عرف النمر أنه يريد الذهاب ، فازبأرّ وانتفخ ، وهاله ذلك حتى خشى على نفسه ، وجعل يمر عن يمينه فلا يشعر به إلا هو عن شِماله ، فبينا هو قدامه إذا هو خلفه ، فلما خشى أن يقتله رماه بسهم فقتله[1] .

وقيل: إن ابن هبّار كان بينه وبين ابن عم له من قريش شيء ، فلما حُبس القتّالُ الكلابى أتاه ابن عم هبّار فقال له : أرأيت إن أنا أخرجتُك أتقتلُ ابن عمِّىَ ابنَ هبّار ؟ قال: نعم ، قال : فإنى سأرسل إليك بحديدة فى طعامك فعالج بها قيدَك حتى تفكّه ، ثم البَسه حتى لا يُنكَر عليك ، فإذا خرجتَ إلى الوضوء فاهرب من الحرس فإنى جالس لك ومعطيك فرساً تنجو به ، وسيفاً تمتنع به ؛ فإن خلّصك ذلك وإلا فأبعدَك الله . فقال : قد رضيت ، قال : وكان أهلُ المدينة يخرجون المحتبسين إذا أمسَوا للوضوء ومعهم الحرس ، ففعل ما أمره ، وأتاه بالفرس ليخلصه . وآواه حتى أمسك عنه الطلب ، ثم جاءه وأعطاه سيفاً ، فقتل له ابن عمه ابن هبّار ، ووهب له نجيباً فنجا عليه وقال :

تركتُ ابنَ هبّار لدى الباب مُسْنَداً ... وأصبح دونى شَابَةٌ وأروم
بسيف امرئ لا أخبرُ الدهرَ باسمه ... ولو أجهَشَتْ نفسى إلى هُمُوم

وزّوج القتّال ابنَته أمَّ قيس رَذَاذَ بنَ الأخرَم بن مطرف بن كعب بن عوف ابن عبد بن أبى بكر ، فولدت له أولاداً ثم أعادها .

---

(١) « وأما النمر . . . فقتله » ، ليس هذا الخبر فى الأغانى .

وكانت عند القتّال بنتُ ورقاء بن الهيثم بن الهصار[١] ، وكان جاراً لأبى الحصر بن الحصر[٢] بن كعب بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب ، وكان لها ضرة عنده يقال لها أم رباح بنت ميسرة بن نصير بن الهضار وهى أم جنوب بنت القتّال ، فخرج القتّال فى سفر له ، فلما آب أقبل حتى أناخ على أهله ، فوجد عند بنت ورقاء جريرَ بنَ الحُصين ، فلما رأى جريرٌ القتّال نهض ، فسأل القتال عنه فقالت له امرأته أم رباح : إن هذا البيت لا نزال نسمع فيه مالا يعجبنا ، فطلق القتّال بنتَ ورقاء وهى حاملٌ فولدت له بعد طلاقها المسيَّب ابنه ، وقال القتال :

ولما أن رأيتُ بنى حُصَين ... بهم حنَفٌ إلى الجارات بادى
خلعتُ عِذارها فلهيتُ عنها ... كما خُلع العذارُ من الجوادِ
وقلت لها عليكِ بنى حُصَين ... فما بينى وبينك من عَواد
أناديها بأسفل واردات ... ولدت أبا المسيب من تنادى
فرحت كأننى سيف صقيل ... وعزّت جارة ابن أبى قراد

* * *

ثم إن كلاب بن ورقاء بن أبى حذيفة بن عمار بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبى بكر ذبح جزوراً ووضع طعاماً وجمع القوم عليه وقال : كلوا أيها الفتيان فإن الطعام فيكم خير منه فى الشيوخ ، فقال القتّال : أنا والله خير للصبيان منك أرى المرأةَ وقد أعجبت أحدَهم فأطلّقها له ، وفى القوم جرير بن الحصين الذى كان وجده عند امرأته ، فرفع جرير السوط فضرب به أنف القتال ، ثم إنهم أعطوا القتّال حقّه ،

---

(١) الهصان ، الأغانى .

(٢) لبنى الحصين بن الحويرث، الأغانى.

فلم يقبله حتى أدرك ابنهُ المسيَّب وعبدُ السلام ، وقيل حتى أدرك بنوه الأربعة حبيب وعبد الرحمن وعبد الحى وعمير – أمهم ريّا بنتُ مَعن بن عامر بن كعب بن أبى بكر – فحملهم على الخيل حين أظلم الليل ، ثم أتى بهم بنى حُصين فلقى لقاحا لهم ثمانين ، فأسمرها وبات يسوقها ، لا يتخلّف منها ناقة إلا عقرها حتى حبسها على الحصباء(١) حين طلعت الشمس ، والحصباء ماء لبنى عبد الله بن أبى بكر ، فحبسها وزجرهم عنها حتى جاء بنو حصين ، فعقلوا له من ضريبته أربعين بكرة وأهدرت الضريبة ، وإنما أخذ الأربعين مكرها ، لأن قومه أجبروه على ذلك .

وكانت لعمٍّ القتّال سَرِيّة ، فقال له القتال : يا عمّ لا تطأ هـذه السرية فإنا قوم نبغض أن تلد فينا الإماء ، فعصاه عمه ، فضربها القتّال بسيفه فقتلها فادعى عمُّه أنه قتلها وفى بطنها جنين منه ، فمشى القتال إليها فأخرجها من قبرها وذهب معه بقوم عدول وشق بطنها وأخرج رحمها ، حتى رأوه لا حمل فيه . فـكذبوا عمَّه ، وقال القتّال فى ذلك :

أنا الذى انتشلتها انتشالا ثم دعوت غلمة أزوالا

فصدعوا وكذبوا ما قالا

(١) الحصى ، الأغانى .

عبيد الراعى

هو عُبيد بن حُصين بن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحرث ابن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس عيلان بن مضر ، وكنيته أبو جَندل ، والراعى لقب غلب عليه لجودة نعته الإبل وكثرة وصفه لها .

شاعر فحل من شعراء الإسلام وكان مفضَّلا مقدِّما ، حتى اعتَنَّ بين جرير والفرزدق ، واستكفَّه جرير ، فأبى أن يكفَّ ، فهجاه ففضحه .

ومدح سعيدَ بن عبد الرحمن بنِ عتّاب بن أسيد بن أبى العِيص بن أميَّة فقال :

ألم تسأل بعَارِمَةَ الديارَا عن الحىِّ المفارِقِ أينَ سارا

بلَى ساءلتُها فأبت جواباً وكيف سؤالُك الدُّثُرَ[1] القفارا

نرجّى من سَعيد بنى لؤىٍّ أخى الأعياص أنواءً غِزارا

تلقَّى نَوْءهن سِرَار شَهرٍ وخيرُ النَوْءِ مالقِى السِّرارا

خليلٌ تعزُبُ العِلّاتُ عنه إذا ما حان يومٌ أن يَزارا

متى ما تأتِه ترجُو نداه فلا بخلًا تخافُ ولا اعتذارا

هو الرجل الذى نسبت قريشٌ فصار المجدُ منها حيث صارا

* * *

وكان الراعى من رجال العرب ووجوه قومه ، وكان يقال له فى شعره كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل ، أى أنه لا يحتذى[2] شعر شاعر ولا يعارضه .

---

(١) الدثر : الدبر ، الأزهر والتيمورية .

(٢) لايحتذى : لا يجتنب ، الأزهر والتيمورية .

(١)[قدِمَ جَندلُ بن الراعى على بلال بن أبى بُردة ، وقد مدحه ، وكان يكثر ذكر أبيه ووصفه ؛ فقال له بلال : أليس أبوكَ الذى يقول فى بنت عمِّه وأمّه وامرأة من قومه :

فلما قضتْ من ذى الأراكِ لُبانة   أرادت إلينا حاجةً لانريدها

وقد كان بعد هجاء جرير إياه](١) . مغلَّبا ، فقال له جندل : لئن كان ابن جرير غلبه لما أمسك عنه عجزا ، ولكنه أقسم غضبا ألا يجيبه إلى سَنَة ، وأينَ أنتَ عن قولِه فى عدىِّ بن الرِّقاع :

لو كنتَ من أحدٍ يُهجى هجوتُكمُ   ياابنَ الرِّقاع ولكن لستَ من أحد

تأبى قضاعةُ أن ترضى لكم نسباً   وابنا نِزارٍ فأنتم بيضة البلد

فضحك بلال وقال : أما هذا فصدقت .

لما أنشد عُبيدُ الراعى عبدَ الملك بن مَرْوان :

فإن رفعتَ بهم رأساً نَعَشْتَهمُ   وإن لَقُوا مثلَها من قابلٍ فسدوا

قال له عبد الملك : فتريد ماذا ؟ قال : تردُّ عليهم صدَقاتِهم فتنعشهم بها ، فقال له عبد الملك : هذا كثير ، فقال : أنت أكثر منه ، قال : قد فعلتُ ، فسلنى خاصّة(٢) ، فضحك وقال : قد قضيتُ حاجتى ، قال : سلنى حاجة لنفسك ، قال : ما كنت لأفسد هذه المكرُمة .

وكان جَندلُ بنُ الراعى شاعرا ، وهو القائل :

طلبت الهوى الغَوْرى(٣) حتى بلغتُه   وسيَّرت فى نَجْديَّة ما كفانيا

وقلتُ لحلمى لا تَزَعْنى عن الصِّبا   وللشَّيبِ لا تَذْعَر علىَّ الغوانيا

---

(١) [قدم . . . إياه] ، وقد سقط فى الأزهر والتيمورية ، فاضطرب السياق .

(٢) حاجة تخصك ، الأغانى .

(٣) العذرى ، الأزهر والتيمورية .

وكان جندلُ بخيلا ، وكان له امرأة من بنى عَقيل ، فرآها يوما وقد هُزِلت وتَخَدَّد لحمها ، فأنشأ يقول :

عُقَيْلِيَّة أمّا أعالى عظامها فعُوجٌ وأما لحُمها فقليل(1)

فقالت مجيبة له :

عقيلية حسناء أزرى بلحمها طعامٌ لديك ابنَ الرِّعاء قليل

فجعل جندل يسُبُّها ويضربها ، وهى تقول : قلتَ فأجبتُ ، وكذبتَ فصدقتُ ، فما أغضبك ؟

(١) رواية البيت فى الأغانى :

عقيلية ، أما ملاث أزارها فضمم وأما لحمها فقليل

عمّار ذو كُنَاز

هو عمّار بن عمرو بن عبد الأكبر ، يلقب ذا كِناز ، هَمْدانىٌّ صَليبة ، كوفىٌّ لَيِّن الشعر ، ماجن خِمِّير معاقِر للشراب ، حُدَّ فيه مِراراً ، وكان يقول شِعرا ظريفاً يُضحكُ مِن أكثره ، شديد التهافت[1] حمى السخف ، وله أشياء صالحة .

وكان هو وحمّادُ الرَّاوية ومُطيعُ بن إياس يتنادمون ويجتمعون على شرابهم ، لا يفترقون ، وكلٌّ منهم متّهم بالزندقة .

ونشأ عمّار فى دولة بنى أمية ، ولم يُسمَع له خبرٌ فى دولة بنى العباس ، ولا كان – مع شَهْوَة الناس لشِعره واستِطابتِهم إياه – يَنْتَجع ، ولا يبرحُ الكوفة لضعفِ بصره وعَشاء نظره .

قال حمّادُ الراوية : استقدمنى هشام بن عبد الملك فى خلافته ، وأمر لى بصِلة سنيّة ، فلما دخلت عليه استنشدنى للأفوه الأودى :

منّا معاشِرُ لم يبنوا لقَومهم وإن بنى قومُهم ما أفسدُوا عادوا

فأنشدته إياها ، ثم استنشدنى قول عدى بن زيد :

« أرواحٌ مودِّع أم بُكور » فأنشدتُه فأمر لى بمنزِل وجِراية ، فأقمت عنده شهرا ، يسألنى عن أشعار العرب وأيامها ومآثرها وحسن أخلاقها ، وأنا أخبره وأنشده ، ثم أمر لى بجائزة وخِلعة وحملان ، وردّنى إلى الكوفة ، فعلمت أن أمرَه مُقبِل . ثم استقدمنى الوليدُ بنُ يزيد بعدَه ، فما سألنى [عن شىء من][2] الجد إلّا مرة واحدة ، ثم جعلت أنشدُه بعدَها فى ذلك النحو فلا يلتفت إليه ولا يهتزّ

(١) التهافت ، الأغانى : التعلق ، الأزهر والتيمورية .

(٢) عن شىء من ، الأغانى : على ، الأزهر والتيمورية .

لذكر شيء منه ، حتى جرى ذكر عمّارٍ ذي كِناز ، فتشوقه وسأل عنه ، وما ظننت أن شعرَ عمار شيءٌ يراد ولا يعبأ به . ثم قال : هل عندك من شعره شيء ؟ فقلت : نعم أحفظ له قصيدة ، وكنت لكثرة عبثي بها قد حفظتها فأنشدته :

أصبح الحبلُ مِن سَلا   مةَ رثًّا مجذَّذا
حبَّذا أنتِ يا سلا   مةُ ألفَينِ حبَّذا
ثم ألفَينِ مُضْعَفيـ   ـنِ وألْفينِ هكذا
فى صَميم الأحشاءِ مِـ   ـنِّى وفى القلب قد جَذا
جُذْوَةً من صَبابة   تركتْهُ مفلَّذا
أشتهى منكِ منكِ منـ   ـكِ مكاناً مُجَنبَذا
مفعما ذا قبالة   بين ركنين رَبَّذا
مُدْغَماً ذا مناكبٍ   حسنَ القدِّ محتذا
رابياً ذا مجسّة   أخنساً قد تَقَنْفَذا
لم تَر العينُ مثلَه   فى مَنامٍ ولو كذا
تامِكا كالسَّنامِ إذ   بَزَّ عَنْهُ مقذَّذا
ملء كفَّىْ ضجيعها   نال منها تفخَّذا
لو تأمّلته دُهِشْتَ   وعاينت جَهْبَذا
طيِّبَ العُرف والمجسَّة   واللمسِ هَرمذا
فأجافيه فيـ   ـه بأيرٍ كمثل ذا
ليتَ أيْرِى وليت حِرْ   كِ جميعاً تآخذا
فآخِذٌ ذا بشقِّ ذا   وآخِذٌ ذا بقَعْرِ ذا

ومن مرذول هذه القصيدة :

أنتَ وجداً بها كغْـ ـضٍ جُفوناً على قذى
لم يقل قائلٌ من النـا س كنحو ذا
بحت حبى وصلتــه صار شعرا مهــذذا
قول عمَّار ذى كِثا ز فيا حسنَ ما احتـذا
علِّلانى بذكرِها واسقيـانى محـذَّذا
من كُميتٍ مُدامةٍ حبَّـذا تلك حبَّـذا
أَصبح القـومَ قهوةً فى أباريقَ تحتـذا
يترِكُ الأذنَ شُربُها أرجُوانا به خُـذا

* * *

فضحك الوليدُ حتى استلقى على قفاه ، وصفَّق بيديه ورِجليه ، وأمر بالشراب فأحضِر ، وأمرنى بالإنشاد ، فجعلتُ أنشد هذه الأبياتَ وأ كرِّرها عليه ، وهو يشرب ويصفِّق حتى سكِر ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم . فتداولت الأيامُ ثم دخلتُ على أبى مسلم ، فاستنشدَنى فأنشدتُه قولَ الأَفْوَه حتى بلغتُ إلى قوله :

تُهدَى الأمورُ بأهل الرُّشدِ ماصلحت(١) فإن تولت فبالأشراف تنقاد

فقال : أنا ذلك الذى تنقادُ به الناس ، فعلمت أن أمرهم مقبل .

عدنا إلى حديث حمّاد قال : ثم قال الوليد : ما فعل عمّار ؟ قلت : حى كميّت ، وقد غُشِىَ بصرُه وضُعُف جِسْمه ولا حراك به ، فأمر له بعشرة آلاف درهم . فقلت له : ألا أخبرُ أميرَ المؤمنين بشىء يفعله لا ضررَ عليه فيه ، وهو أحبُّ إلى عمَّار من الدنيا بحذافيرها لو سيقت إليه ؟ قال : وما ذاك ؟ قلت : إنه لا يزال ينصرف من الحانات

---

(١) ما صلحت ، الأمالى (٢ : ٢٢٥) : ما صلحوا ، الأزهر والتيمورية .

وهو سكران فيرفعه الشُّرَط فيضرب الحدَّ ، وهو لا يدع الشراب ولا يكفُّ عنه ، وقد قطع بالسياط ، فتكتبُ بألا يُتعرَّضَ له ، فكتب إلى عامله بالعراق ألا يرفعَ أحدٌ من الحرس عمّارًا فى منكَر ولا غيرِه إلا ضُرِب الرافعُ له حدَّين وأُطلِقَ عمّار . فأخذتُ المال وجئت به إليه به فقلت : ما ظننتُ أنّ الله تعالى يكسب أحداً بشعرك خيرا [1] ، ولا يسأل عنه عاقلٌ ، حتى كسبتُ بأوضعِ شعرٍ قلته ثلاثين ألفا ، كل ذلك لقلة شكرك يا ابن الزانية ، فقال : هات منها ، فقلت : قد استغنيتَ عن ذلك بما خُصِصْتَ به ، ودَفعتُ إليه العشرة آلاف دِرهم ، فقال : وصلك الله يا أخى ، وجزاك خيرا، ولكنَّها سببُ هلاكى وقَتْلى ، لِأَنِّى أشربُ بهاما دار معى منها درهم ، وأضربُ أبدا حتى أموت ، فقلت له : قد كفيتُكَ ذلك ، وهذا عهدُ أميرِ المؤمنين ألا تضربَ وأن يُضربَ من يرفعُك حدَّين ، فقال : والله إنى لأشدُّ فرحاً بهذا من فرحى بالمال ، فجزيت خيرا من أخ وصديق . وقبض المال ولم يزل يشرب به حتى مات وبقيته عنده .

حضر عمَّارٌ مع هَمْدانَ ليقبِض عطاءه ، فقال له خالدُ بنُ عبد الله : ما كنت لأعطيَك شيئا ، قال : ولم ذاك أيها الأمير ؟ قال: لأنك تنفق مالك فى الخمر والفجور ، قال : هيهات ذلك وهل بقى لى أرب فى هذا وأنا الذى أقول :

أيرُ عمّارٍ أصبحَ اليـو ... م رِخْوًا قد انكسر
أَلِداءٍ يُرى به ؟ ... أم من الهمِّ والضجر ؟
أم به أُخْذَةٌ ؟ فقـد ... تُطلِقُ الأُخذةَ النُّشَر
فلئن كان قوَّس اليومَ ... أو عضَّـه الكبر
فلقِـدماً مضى ونال ... من اللذّة[2] الوطر

---

(١) نقيرا ، الأغانى .

(٢) اللذة ، الأغانى : الحرذا ، الأزهر والتيمورية .

ولقـــد كنت مُنعِظاً دائماً[1] قائم الذكر
فأنا اليومَ لو رأى الُحورَ عنـــدى لمـــا انتشر
ساقطٌ رأسُـــه على خُصْيتيه به زور
كلما مسّهُ النهـــو ضَ إلى وَكرِه عثَر

قال : فضحك خالدٌ وأمر له بعطائه . فلما قبضه قضى منه دينَه ، وأصلح حاله ؛ وعاد إلى شأنه ، وقال :

أصبح اليـوم أيرُ عمَّار قد قام واسْبطَرْ
أخـــذَ الرزقَ فاشتشا ط قياماً من البطر
فهو اليـــوم كالشَّطا طِ من النَّعظ والأشر
يترك القِرنَ فى المكرِّ صريعاً وما فتَر
يَشْرَعُ العرْدَ للطعا ن إذا انساعَ ذو الحورَ[2]
سَلْمَ نِعمَ الضجيعُ أنتِ له ليـــلةَ الَخصَر
ليـــلةَ البرقِ والرعود مع الغَيْم والمَطَر
ليتَنى قد لقيتُكم فى خَلاءٍ من البَشَر
فنشَرنا حديثَنـــا عنـــدكم كلَّ مُنتَشَر
خالياً ليـــلة التِّما م بسَلْمَى إلى السَّحَر
فهى كالدرَّة النقيَّـ ـة والوجهُ كالقمر

وكانت لعمَّارٍ امرأة يقال لها دُومة بنتُ رَبَاح ، وكان يكنِّيها أمَّ عمار ، وكانت قد تخلَّقت بخُلُقه فى الشراب والمجون والسَّفَه ، حتى صارت تُدخِلُ الرجال إليها

---

(١) أبدا ، الأغانى .
(٢) يشرع . . . الحور ، الأغانى : قرع العود إذا مطاع ذو الحور ، الآزهر والتيمورية .

وتجمّعهم على الفواحِش ، ثم حجت فى إمارة مَخْرَمة بنِ عمرو ، فقال لها عمّار :

اتق الله قد حَجَجْتِ فتُوبى	لا يكونَنَّ ما صنعتِ خبالا
وَيْلكِ يادُومَ لا تَدومى على الخمْر	ولا تُدخِلى عليك الرِّجالا
إن بالمصر يُوسُفاً فاحذَريه	لا تصيرى للعالَمين نَكالا
قد مَضَى ما مضى وقد كانَ ما كا	نَ وأودى الشبابُ منكِ وزالا

* * *

فضربتْه دُومة ، وخرقت ثيابَه ، ونتفت لحيته ، وقالت: أتجعلُنى غرضاً لشِعرك؟ فطلَّقها ، واشترى جارية حَسناء فزادت فى أذاه وضَربه غَيْرَةً عليه ، فشكاها إلى يوسف بنِ عُمر ، فوجَّه بحرسٍ فضربُوها ، وكسروا نبيذها ، وغرَّموها ثيابَ عمَّار وبلغوا منها الرضى له .

عبد الله بن مصعب

هو عبد الله بنُ مصعَب بن ثابت بن عبد الله بن الزبَيْر بن العوّام بن خُوَيلد بن أسد ابن عبد العُزَّى بن قُصَىّ بن كِلاب .

شاعرٌ فصيحٌ خَطيبٌ ، ذو عارِضَة وبيان ، واعتبارٍ بين الرجال وكلام فى المحافل ؛ ونادم أوائلَ الخلفاء من بنى العباس وتولَّى لهم أعمالا ، وكان خرجَ مع محمَّد بن عبد الله ابن الحسن بالمدينة على أبى جعفر المنصور فيمن خرج من آل الزبير ، فلما قُتِل محمَّد بن عبدالله بن الحسن استتر مدَّةً يسيرة إلى أن حج أبو جعفر ، وآمَنَ الناسَ جميعاً فظهر .

قال محمد بن أبى فروة : دخلت على المهدى فإذا هو يكتب على الأرض بفحمة قول عبد الله ابن مصعب :

فإن يَحجبُوها أو يَحُلْ دونَ وصلِها ... مقالةُ واشٍ أو وعيــدُ أميرِ

فلَنْ يمنعُوا عينىَّ من دائم البكا ... ولن يخرِجوا ما قــد أجنَّ ضميرى

وما بَرِح الواسواس[1] حتى بدَتْ لنا ... بطونُ الهــوى مقلوبةً لظهور

إلى الله أشكو ما أُلاقى من الهوى ... ومن نَفَسٍ يعتادُنى وزَفـــير

وهو يقول : أحسن والله عبد الله ما شاء . وربما نسبت هذه الأبيات إلى المجنون .

لما ولى عبد الله بن مصعب اليمامة مر بالجواب ، ماء لبنى بكر بن كلاب[2] ، وهو الذى ذكره النبىُّ صلّى الله عليه وسلم لعائشة . فرأى على الماء جارِيةً منهم ، فهَوِيَها وهَوِيَته فقال فيها شعراً شبَّب بها فيه ، ثم خطبها ، وكانت العربُ لا تُنكِح المرأةَ الرجلَ إذا شبَّب بها قبل خِطبته ، فلم يزوِّجوه ، فلما يئِست منه قالت :

(١) الواشون ، الأغانى .

(٢) لبنى أبى بكر بن كلاب ، الأغانى .

إذا خَدِرَتْ رِجلى ذكرتُ ابنَ مُصْعَبٍ ... فإن قيلَ : عبدُ الله ، خفَّ فُتُورها
ألا ليتنى صاحبت ركبَ ابنِ مُصْعَبٍ ... إذا ما مطاياه اتلأَبَّتْ صُــــدورها
لقد كنتُ أبكى واليمـــامةُ دونَه ... فكيف إذا التفَّتْ عَلَيــه قُصُورها

وكان لها إخوةٌ شُرُسٌ فقتلوها .

خاصم عبد الله بن مُصْعَب رجلا من ولد عمرَ بنِ الخطاب رضى الله عنه بحضرة المهدىّ ، فقال له عبدُ الله بن مُصْعَب : أنا ابنُ صفيَّة ، فقال له : هى أدْنَتْكَ من الظلِّ ، ولولاها لكنتَ ضاحياً ، وكنت بين الحيّة والعقرب(١) . قال : أنا ابن الحوارىِّ فقال له العمَرىُّ : بل أنت ابن وَرْدَان المُكارِى ، ويقال إن أُمَّه كانت تهوى رجلا يُكرِى الحميرَ يقال له وَردان ، فكان يُسبُّ بنَسبِه إليه ، وفيه يقول الشاعر :

وتُدعَى حَوَارِىَّ الرسول تخرُّصا ... وأنتَ لوَرْدانِ الحميرِ سَليلُ

فقال : والله لأنا أشبهُ بأبى من التمرة بالتمرة والغراب بالغراب ، فقال له العمرى : كذبتَ ، وإلّا فأخبرنى ما بالُ آل الزُبير ثُطّ اللِحى وأنت ألحَى ، وما بالهم سُمراً جِعادا وأنت أحمرُ سَبْط ، فقال . ألى تقول هذا يا ابن قتيلِ أبى لؤلؤة ؟ فقال : يا بن قتيل ابن جُرموز على ضَلالة ، أتعيِّرنى أن قتلَ أبى نصرانى ، وهو أمير المؤمنين قائماً يُصلِّى فى مِحرابه ، وقد قتل أباكَ رجلٌ مسلم بين الصفَّين يدفعه عن باطل ويدعوه إلى حق ، فأنا أقولُ : رحمَ الله ابنَ جُرموز ؛ فقل أنت : رحم الله أبا لؤلؤة ، ثم أقبل على المهدى فقال : ألا تسمعُ يا أمير المؤمنين ما يقولُه عائذُ الكلاب فى عُمَرَ بنِ الخطاب ، وقد عرفتَ ما كان بينَه وبين أبيك العبّاسِ بن عبد المطلب وابنه عبدِ الله من المودة ، وتعلمُ ما كان بين جدِّ هذا عبدِ الله بن الزبير وبين جَدِّكَ عبدِ الله بن العباس من العداوة ، فأعزَّ يا أمير المؤمنين أَولياءكَ على أعدائك ، فوثَب رجلٌ من آل طلحة

---

(١) كذا فى الأزهر والتيمورية : بين الفوث والحوبة ، الأغانى ، ولعلها : الحوية .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ألا تكفّ هذين السفيهين عن تناول أعراضِ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكلّم الناسُ بينهما ، وتوسطوا كلامهما وأكثروا ، فأمر المهديُّ بكفِّهما والتفريق بينهما .

وكان عبدُ الله بنُ مصْعَب يلقَّب عائدَ الكلب لقوله :

مالى مرضت فلم يعدْنى عائدٌ منكم، ويَمرضُ كلبُكم فأعودُ
وأشدُّ من مرضى علىَّ صدودكم وصدودُ كلبِكم علىَّ شديدُ

فلقب عائدَ الكلب .

أنشد الأحيحى المهدىَّ قصيدةً مدحه بها ، وكان عبد الله بن مُصعَب حاضراً ، فحسده على إقبال المهدىِّ عليه ، وكان المهدى يحبُّه . فجعل يخاطب المهدىَّ ويحدِّثه فقال له: أمسك فما يشغلنى كلامُك عنه ، فقطع الأحيحى الإنشادَ ، ثم أقبل على المهدىِّ فقال له :

عبدُ منافٍ أبو أبُوَّتِنَا وعبدُ شَمسٍ وهاشِمٌ تؤم
بَحْرانِ خرَّ العوَّام بينهما فالتطماه والبحرُ يَلتَطِم[1]

فقال له المهدى : كذلك هو ، فدعْ هذا المعنى وعد إلى ما كنتَ فيه . فخجل عبدُ الله ولم ينتفع بنفسه يؤمئذ .

(١) فالتطما والبحار تلتطم ، الأغانى .

عمارة بن عقيل

هو عمارة بن عَقيل بن بِلال بن جَرير بن عَطِيَّة الخَطَفى ، كنيته أبو عقيل . شاعر متقدم فصيح ، شاعرُ بادِية البصرة ، كان يزورُ الخلفاء فى الدَّولة العبّاسية فيجْزِلون صِلتَه ، ويمدح قوّادهم وكتّابهم فيحظَى منهم بكل فائدة ، وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللّغة ، وكان يقال : خُتِمتْ الفصاحةُ فى شِعر المحدَثين بعمارةَ بنِ عَقيل ، وهو أشدُّ استواءً من شعر جرير لأن جريرا أسْقَطَ فى شِعره وضَعُفَ ، وما وجدوا لعمارة سَقْطَةً واحدة فى شعره .

هجا عمارة بنُ عقيل امرأةً ، ثم أتته فى حاجة بعد ذلك فجعل يعتذر إليها ؛ فقالت له : خفض عليك يا أخى ، فلو قتل الهجاءُ أحدا لقتلك وقتل أباك وجدّك . وكان عمارة هجّاء خبيثَ اللسان هجا فَروة بن خَميصة الأسَدى وطال التهاجى بينهما فلم يغلب أحدُهما صاحبَه حتى قُتِلَ فَروة ، وقيل لعمارة : أقتلت فروة ؟ فقال : والله ماقتلتُه ولكنى أَقْتَلْتُه ، أى سبَّبت إليه شيئاً قُتِل به . لما أُنشِدَ فَروةُ قولَ عمارة فيه :

ما فى السَّوِيَّة أن تجرَّ عليهم وتكونَ يومَ الرَّوْع أولَ صادر

قال : والله ما قتلنى إلا هذا البيت ، فلما تكاثرتْ الخيلُ عليه من طى يوم قُتل قيل له : انجُ بنفسك ، قال : كلّا والله ، لا حقَّقْتُ قول عمارة ، فصبَر حتى قُتِل . وكان أحسنَ الناس وجهاً وقدّا . وكان فروةُ[1] كثيرَ الظفر فى طيء ، كثير العفو عمَّن قَدَر عليه منهم ، فقالوا له : والله لا عرَضْنا لك ، ولا أوصلنا إليك سوءا فامضِ لطِيَّتك ، قال : فأنا إذًا كما قال ابنُ المراغة :

ما فى السوِيَّة أن تجرَّ عليهم وتكونَ يومَ الرَّوع أولَ صادر

---

(١) فى الأصل عمارة والتصويب بالهامش .

فلم يزل يحمِى أصحابَه وينكى فى القوم حتى اضطرهم إلى قتله ، وكان جمعُهم مثلَ جمعه أضعافاً .

قال عمارة : رحتُ إلى المأمون ، وكان ربَّما قرَّب إلىّ الشيء مِنَ الشرابِ أشرَبُه بينَ يديه ، وكان يأمر بكَتْبِ كثيرٍ مما أقول ، وقال يوماً : كيفَ قلتَ « قالت مفدَّاة » ؟ ونظر إلىّ نظراً منكرا ، فقلت : يا أمير المؤمنين مفدَّاة امرأتى ، نظرت إلىّ وقد ساءتْ حالى ، قال : فكيف قُلتَ ؟ فأنشدتُه :

قالت مُفدّاةُ لما أن رأت أرَقِى والهمُّ يعتادنى من طَيْفِه ألمُ[1]
أنهبت[2] مالك فى الأدنين آصرة وفى الأباعد حتّى حفَّك العَدَم
فاطلبْ إليهم تجدْ ما كنتَ من حَسَنٍ تُسْدِى إليهم فقد بانت لهم حُرَم
فقلتُ : عاذلتى أكثرتِ لائمتى ولم يمُت حاتِمٌ هَزْلًا ولا هَرِم

قال : فنظر المأمونُ نَظَرَ مُغضَب ثم قال : لقد علت همتُك أن ترقى إلى هَرِم ، وقد خرج من ماله فى إصلاح قومه .

لما قال عمارة يمدح خالد بن يزيد :

تأبى خلائقُ خالدٍ وفعالُه إلّا[3] تجنُّبَ كلِّ أمرٍ عائب
فإذا حضرتَ الباب عند غَدائه أذِنَ الغداء لنا برَغمِ الحاجب

لقيه خالدٌ فقال : يا عمارة ، أوجبتَ لك علىّ حقًّا ما حَيِيتُ .

* * *

(١) لم ، الأغانى .

(٢) انهبت : الأزهر والتيمورية ، اتيت ؛ الأغانى ، نهبت .

(٣) الا ، الأغانى : أبدا ، الأزهر والتيمورية .

حرف الغين

المعجمة

غياث الأخطل

هو غِياث بن الغَوْث بن الصَّلت بن طارِقة بن سَيْحان بن عَمرو بن الفَدَوْكس ابن عمرو بن مالك بن جُشَم بن بكر بن حَبيب بن عمرو بن غُنم بن تغلب ، وقيل: غِياثُ بن غَوث بن سَلَمة بن طارِقة ، ويقال لسَلَمة سَلَمة اللحَّام .

وكان النعمانُ بن المنذِر بعث بأربعة أرماح لِفرسانِ العرب ، فأخذ أبو بَراء عامرُ ابن مالك رُمحاً ، وسَلَمةُ بن طارقةَ اللحَّام رمحا ، وهو جدُّ الأخطل ، وأسَدُ بن مدركةَ رمحاً ، وعمرُو بنُ مَعْد يكربَ رمحاً .

والأخطلُ لقبُه . قال ابنُ السكِّيت : إن عُتبةَ بن الوَغْل بنِ عبد الله بن عمرو ابن حبيب بن الهِجْرِس بن تيم بن سعد بن جُشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم ابن تغلب حمل حِمالةً ، فأتى قومه فسأل فيها ، فجعل الأخطل يتكلم ، وهو غلام ، فقال عتبة : من هذا الغلامُ الأخطل ؟ فلقِّب بها . وقيل: إن كعب بن جُعَيل كان شاعراً لتغلِب ، فكان لا يأتِي قوماً منهم إلا أكرموه وضربوا عليه قبَّة ، حتى إنه كان تمدُّ له حِبالٌ بين وَتِدَين فتملأ له غنما[1] ، فأتى بني مالكِ بن جُشَم ففعلوا ذلك له ، فجاء الأخطلُ وهو غلامٌ فأخرج الغنم وطردها ، فسبّوه وردّوا الغنم إلى مواضعها ، فعاد وأخرجها ، وكعبٌ ينظر إليه ، فقال : إن غلامَكم هذا الأخطل ، والأخطل السفيه ، فغلب[2] عليه ولجّ الهجاء بينهما . ومما قال الأخطل فيه :

---

(١) فتملأ له غنما ، الأغانى (٨ : ٢٨٠) : فيملوها ، المخطوطتان .

(٢) فغلب ، الأغانى : فلحق ، المخطوطتان .

سمّيت كعباً بشرِّ العِظام

فقال كعب : قد كنتُ أقول : إنه لا يقهرُنى إلا رجُلٌ له ذكر ونباهة وثناء وعفة ، ولقد أعددتُ هذين لأن أهجى بهما منذ كذا وكذا ، فغلبَ عليهما هـذا الغلام . وكان الأخطل يُقرْزِم ـ والقَرْزَمة الابتداء بقول الشعر ـ فقال له أبوه : أ بِقَرْزَمَتِكَ تريد أن تقاوم ابنَ جُعَيل . وضربه ، وجاء ابن جُعيل[1] فقال : من صاحبُ الكلام ؟ فقال له أبو الأخطل : لا تحفِل به فإنه غلامٌ أخطل ، فقال كعب :

« شاهدتُ هذا الوجهَ غثَّ الجمة »[2] .

فقال له الأخطل :

« فناكَ كعبُ بنُ جُعَيل أمَّه »

فقال كعب : ما اسم أمِّك ؟ قال : ليلى ، قال : أردت أن تعيذها باسم أمى ، قال : لا أعاذها الله إذن . وكان اسمُ أم الأخطل ليلى ، فسمى الأخطل يومئذ .

وقال الأخطل :

هجا الناس ليلى أمَّ كعبٍ فمزِّقت   فلم يبق إلا نَفْنَفٌ أنا راقعه

وقال الأخطل أيضا :

هجانا المُنْتِنَانِ ابنا جُعَيل   وأىُّ الناس يقتُلُه الهِجاء

ولدتم بعد إخوتكم مِنَ اُستٍ   فهلّا جئتما من حيثُ جاءوا

فانصرف كعب عنهم ولج الهجاء بينهما .

وكانت أم الأخطل من إياد ، واسمها ليلى .

وكان الأخطل نصرانيا من أهل الجزيرة ، ومحله فى الشعر أكبر من أن يوصف ، وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة ، جعلها ابن سلّام أول طبقات الإسلام ،

---

(١) ابن جعيل ، الأغانى : الأخطل ، المخطوطتان .

(٢) كذا فى المخطوطتين ولعلها : كث الجمة ، وفى الأغانى : شاهد هذا الوجه غب الجمة .

ولم يقع إجماعٌ على أحدهم أنه يفضلهم ، ولكل واحد منهم مزية[١] تفضله على الجماعة. قال أبو عبيدة : جاء رجل إلى يونس فقال : من أشعرُ الثلاثة ؟ قال : الأخطل ، قلنا : من الثلاثة ؟ قال : أى ثلاثة[٢] ذكروا فهو أشعرهم . وقيل : كان أكثرَهم عددَ جياد ليس فيها سقط ولا فحش ، وأشدَّهم تهذيباً لشعره . وقال الأصمعىّ : كان الأخطل يقول تسعين بيتا ثم يختار منها ثلاثين بيتا فيظهرُها . وكان سَلَمَةُ ابن عيّاش يفضِّله على جرير والفرزدق ، وإذا ذكر قال : ومن مِثلُ الأخطل وله فى كل بيت شعر بيتان ؟ ثم ينشد قوله :

ولقد علمت إذا الرياح تناوحت … هَدَجَ الرِّحال تكبُّهن شَمالا
أنا نعجِّل بالغبيط لضيفنا … قبل العيال ونقتل الأبطالا

ثم يقول لو قال :

ولقد علمتُ إذا الريا … حُ تناوحت هَدَجَ الرحال
أنا نعجِّل بالغبيط … لضيفنا قبل العيال

لكان شعرا ، وإذا أتمهما[٣] كما قال أولا لكان شعراً من رَوِيٍّ آخر .

قال رجل من بنى سعد : كنتُ مع نوحِ بن جَرير فى ظلِّ شجرة ، فقلت له : قَبَحك الله وقَبَح أباك ، أما أبوك فأفنى عمره فى مدح عَبد بنى ثقيف — يعنى الحجاج — وأما أنت فانتحيت قُثَم بن عبّاس فلم تهتد لمناقبه ومناقب آبائه ، حتّى امتدحته بقِصَرِ بنائه ، فقال : والله لئن كنتَ سُؤتَنى فى هذا الموضع لقد سُؤتُ فيه أبى ، بينا أنا آكل معه يوماً وفى فيه لقمة وفى يده أخرى ، قلت : يا أبتِ أنت أشعرُ أم الأخطل ؟ فجَرِضَ بالتى فى فيه ورمى بالتى فى يده ، وقال : يا بنىّ ، لقد سررتَنى وسؤتَنى ،

---

(١) طبقة ، الأغانى ٨ : ٢٨٢ .
(٢) ثلاثة ، الأغانى : الثلاثة ، المخطوطتان .
(٣) أتمهما : أتمهم ، المخطوطتان .

فأما سرورُك إياى فتعمُّدك لمثل هذا وسؤالُك عنه ، وأما ما سؤتنى به فذكرك رجلًا قد مات ؛ يا بنى ، أدركتُ الأخطل وله نابٌ واحـد ، ولو أدركته وله نابٌ آخر لأكلنى ، ولـكن أعاننى عليه خصلتان : كِبر سنٍّ وخُبثُ دين .

وقال أبو عمرو : لو أدرك الأخطل يوماواحدا من الجاهلية ما فضلت عليه أحدا .

وسئل حمادٌ الراوية عن الأخطل فقـال : ما تسألوننى عن رجُلٍ قد حبَّب شعرُه إلى النصرانية .

وقال الأصمعى : قال أبو عمرو : سئل جرير : أى الثلاثة أشعر ؟ فقال : أما الفرزدق فيتكلَّف ما لا يطيق ، وأما الأخطل فأشدنا اجتراءً وأرمانا للفرائص ، وأما أنا فمدينة الشعر . سئل جرير عن الأخطل فقال : أمدح الناس للـكرم وأوصفهم للخمر .

وكان الأخطل يشبَّه بالنابغة لصحة شعره . كان حمّاد يفضِّل الأخطل على جرير والفرزدق فقال له الفرزدق : إنما تفضِّله لأنه فاسق ، فقـال : لو فضّلتُه بالفِسق لفضلتُك .

قال الأخطل لعبد الملك بن مَرْوان : زعم ابنُ المراغة أنه يبلُغ مدحك فى ثلاثة أيام ؛ وقد أقمتُ فى مِدحتك « خفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا » سنةً ، فمـا بلغتُ كلَّ ما أردت ، فقال لى عبد الملك : فأسمعناها يا أخطل ، فأنشدتُه إياها ، قال: فرأيت عبد الملك يتطاول ، ثم قال : ويحك يا أخطل ! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ ، قلت : أكتفى بقول أمير المؤمنين ؛ وأمر لى بجَفنة كانت بين يديه ، فملئت دراهمَ وألقيت على خلع ، وخرج بى مولى لعبد الملك يقول للناس : هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا أشعر العرب .

قال هشام بن عَوانة : أُنشد عبد الملك قول كثيِّر فيه :

فمـا تركوها عَنْوة عن مودَّة ولـكن بحدِّ المشرفىِّ استقالها

فأعجب به ، فقال الأخطل : ما قلت لك يا أميرَ المؤمنين أحسنُ منه ، قال : وما قلت ؟ فأنشد :

أهـلّوا من الشهر الحرام فأصبحوا مـوالىَ مُلك لا طريفٍ ولا غصبِ

فإنى جعلته لك حقاً ، وجعله لك غصباً ؛ قال : صدقت .

قدِم الأخطل على عبد الملك ، فنزل على ابن سَرْحون كاتبه ، فقال له عبد الملك : على من نزلت ؟ فأخبره ؛ فقال : قاتلك الله ! ما أعلمك بصالح المنازل ، فما تريد أن نرسل لك ؟ قال : دَرْمَك مه دَرْمَكِـكُم هذا ولحمٌ وخمرٌ من بيتِ رأس ؛ فضحك عبد الملك وقال له : ويحك ! على أىِّ شىء اقتتلنا إلا على هذا[1] ، ثم قال له : ألا تُسلم فنفرضَ لك فى الفىء[2] ونعطيك عشرة آلاف درهم ، قال : فكيفَ بالخمر ؟ قال : وما تصنعُ بها ؟ فإن أولها لمرّ وإن آخرها لسكر ، قال : لئن قلت ذلك إن فيما بين هاتين لمنزلةً ما ملكك فيها إلا كعُلقة[3] من ماء الفرات بالأصبع ، فضحك عبد الملك ثم قال : ألا تزور الحجاج ؟ فإنه قد كتب يستزيرك ، قال: أطائع أم كاره؟ قال : بل طائع ، قال : ما كنت لأختار نوالَه على نوالك وقُربه على قربك ، ولا أراكا إلا كما قال الشاعر :

كمبتـاع لمركبه[4] حمـارا تخيره[5] من الفرس الكريم

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمر له بمدح الحجاج فمدحه بقوله :

صرمت أمامة حَبْلَنا ورَعُوم[6] وبدا المجمجَم منهما المكتومُ

---

(١) « على . . . . هذا » ، الأغانى : على كبر سنك اوسلما إلا على هذا، المخطوطتان .

(٢) فى الفىء ، الأغانى : فى الفين من عطائك ، المخطوطتان .

(٣) كلعقة ، المخطوطتان .

(٤) بمركبه ، المخطوطتان .

(٥) يغيره ، المخطوطتان .

(٦) صرمت لعامة حبلنا ورعوم ، المخطوطتان : صرمت حبالك زينب ورعوم ، الأغانى .

وهما بنتا شُعبة بنِ إياس بن هانئ بن قبيصة ، كان الأخطلُ نزل عليه وهما جاريتان مُكَعَّبان[١] ، ثم نزل عليه بعدَ أن كبرتا فحُجِبتا عنه ، فسأل عنهما فأخبره بكبرهما ، فشبَّب بهما ، والرعُوم هي التي كانتْ عند قتَيبة بن مُسلم ، وهي التي تزوَّجت في أخماس البصرة محمَّد بن المهلَّب ، وعامر بن مسمع[٢] ، وعبَّاد بن الحصين ، وقتيبة بن مسلم[٣] ، وابن الجارود[٤] ، ثم وجه بالقصيدة إلى الحجاج ، وليست من جيِّد شعره .

دخل الأخطل على بِشر بن مَروان وعنده الرّاعي ، فقال له بشر : أنت أشعرُ أم هذا؟ قال : أنا أشعرُ وأكرم ، فقال للرّاعي : ما تقول ؟ قال : أما أشعر منِّي فعسى ، وأما أكرمُ فإن كان في أمَّهاته من ولدَت مثل الأمير فنعم . فلما خرج الأخطل قال له رجل : أتقولُ لخال أمير المؤمنين : أنا أكرمُ منك ؟ قال : ويلَك ! إن أبا نَسطوس وضع في رأسي أكؤسا[٥] ، والله ما أعقل معها .

دخل الأخطل على عبد الملك بن مَروان فاستَنْشده فقال : قد يبس حَلقي ، فمُرْ من يسقيني ، فقال : اسقوه ماءً ، فقال : شرابُ الحمار ، وهو عندنا كثير ، قال : فاسقوه لبناً ، قال : عن اللبن فُطِمتُ . قال : فاسقوه عسلاً ، قال : شرابُ المريض ، قال : فتريدُ ماذا ؟ قال : خمراً يا أميرَ المؤمنين ، قال : أوَعَهِدتني أسقِي الخمر ؛ لا أمَّ لك ، لولا حرمتُك بنا لفعلتُ بك وفعلت . فخرج فلقي فرّاشاً لعبد الملك ، فقال : ويلك ! أميرُ المؤمنين استَنْشَدني وقد صَحِل حَلقي فاسقني شَربة خمر ، فسقاه رطلا ، فقال : اعدِلْه بآخر ، فسقاه رطلًا آخر ، فقال : تركتَهما يعترِكان في بَطني ، اسقني ثالثا ،

---

(١) مكعبان : محبعبان ، والمخطوطتان ؛ فخدمتاه ، الأغاني (٨ : ٣٠٢) .

(٢) وعامر بن مسمع ، الأغاني : وعامر بن مسلم ، المخطوطتان .

(٣) وقتيبة بن مسلم ، الأغاني : وقيس بن مسلمة ، المخطوطتان .

(٤) وابن الجارود : وكان يقال لها : الجارود ، الأغاني .

(٥) أكؤسا ثلاثا : الأغاني .

فسقاه ثالثاً ، فقال : تركتنى أمشى على واحدة ، اعدل مَيْلى برابع ، فسقاه رابعاً .
فدخل على عبد الملك فأنشده :

خفَّ القطينُ فراحوا منكَ أوبكروا وأزْعَجَتْهم نوًى فى صَرفها غِـيرُ

فقال له عبد الملك : بل منك . وتطيَّر من قوله . ومرَّ فى القصيدة حتى انتهى إلى قوله :

شُمْسُ العداوة حتى يُسْتَقَادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

فقال عبد الملك: خذ بيده يا غلام فأخرجه ، ثم ألقِ عليه من الخِلَع ما يغمرُه ، وأحسنْ جائزتَه ، ثم قال : إن لكل قوم شاعراً وإن شاعر بنى أميةَ الأخطل .

قال الأخطل : أشعرُ الناس قبيلةً بنو قَيْس بن ثَعْلبة ، وأشعرُ الناس بيتاً آل أبى سُلمى[1] ، وأشعر الناس رجلاً رجل فى قميصى[2]. قال إسحاق بن مرَّار الشَّيْبانى : الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة ، فقال له ابن النَّطَّاح : يقال إنه أمدَحُهم ، فقال : لا والله ! ولكن أهجاهم ، من منهما يحسن أن يقول :

ونحن رفعنا عن سلول رماحَنا وعَمْداً رَغِبنا عن دماء بنى نَصْر

قال الجلَّاح بن ضَوْء[3] : دخلتُ حمَّاما بالكوفة وفيه الأخطل ، فقال : مِمَّن الرجل ؟ فقلت : من بنى ذُهل ، فقال : أتَروِى للفرزدق شيئاً ؟ قلتُ : نعم ، قال : ما أشعر خليلى ! على أنَّه ما أسرعَ مارجَع فى هِبته ، قلتُ : وما ذاك ؟ قال: قوله :

أبنى غُدانَةَ إنَّنى حَرَّرْتكم فوهبتكم لعطيَّة بن جِعَال
لولا عَطِيَّة لاجتدعتُ أنوفكم من بين الأم أعين[4] وسبال

(١) بنى سلمى ، الازهر والتيمورية .
(٢) رجل فيه قميصى ، الأزهر والتيمورية : وأشعر الناس رجلا فى قميصى ، الأغانى .
(٣) الحلاج بن ضوء ، الأزهر والتيمورية : ضوء بن اللجلاج ، الأغانى (دار الكتب). مصححة عن الجلاح بن ضوء كما جاءت فى الأصول ، والتصحيح عن شرح القاموس .
(٤) آنف ، الأغانى .

وهَبهم فى الأوّل ورجع فى الثانى ، فقلتُ : لو أنكر الناسُ كلّهم هذا ما كان ينبغى لك أنتَ أن تنكرَه ، قال : كيف ؟ قلتُ : هجوتَ زُفَر بن الحارث ، ثم خوّفْتَ الخليفة منه فقلت:

بنى أمية إنىّ ناصحٌ لكم فلا يبِيتَنَّ فيكم آمناً زُفَرُ
مُفْتَرِشاً كافتراش الليثِ كَلْكَلَه لِوَقْعَةٍ كائنٍ فيها له جَزَرُ

ومدحتَ عِكْرِمة بن رِبْعِىّ فقلتُ :

قد كنتُ أنبؤُه(١) فَيْناً وأُخْبُرُه فاليومَ طُيِّر عن أثْوابه الشَّرَرُ

ولو أردْتَ المبالغةَ فى هِجائه مازدتَ على هذا ، فقال : أما والله لولا أنَّك من من قومٍ سَبَقَ لى منهم ما سبق لهجوتُكَ هجاءً يدخل معك قبرك . ثم قال :

ما كنتُ هاجىَ قومٍ بعد مَدْحِهم ولا مُلَوِّثَ(٢) نُعمى بعد ماتَجِبُ

اخرُجْ عنى .

لما استَنْزَل عبدُ الملك زُفَرَ بن الحارث الكِلابىّ من قرقيسيا ، أقعدَه معه على سريره ، فدخل عليه ابنُ ذى الكَلاع ، فلما نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى ، فقال له : ما يُبكيك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، وكيفَ لا أبكى وسيفُ هذا يقطرُ دماً من دماء قومى فى طاعتهم لك وخِلافِه عليك ؟ ثمَّ هو معك على السَّرير وأنا على الأرض؟ فقال له : أجلسه معى لا أن يكون أكرم على منك(٣)، ولكن لسانه لسانى وحديثُه يُعجِبُنى. فبلغتِ الأخطلَ وهو يَشْرب ، فقال: أما والله لأقومَنَّ فى ذلك مَقاماً لم يقمه(٤) ابنُ ذى الكَلاع ، ثم دخل على عبد الملك فلما ملأَ عَيْنيه منه أنشد :

---

(١) أحسبه ، الأغانى .
(٢) ولا تكدر ، الأغانى .
(٣) أنى لم أجلسه معى أن يكون أكرم على منك ، الأغانى .
(٤) لم يقم فيه ، الأزهر والتيمورية .

وكأسٍ مثل عَيْن الدِّيك صِرفٍ ... تُنسِّى الشاربين لها العقولا

إذا شَرِب الفتى منها ثلاثاً ... بغير الماء حاول أن يَطولا

مَشى قُرَشيَّةً لا شكَّ فيها ... وأرخى من مآزِره الفُضولا

فقال له عبد الملك : ما أخرج هذا منك إلا خُطَّةٌ فى رأسك ، قال : أجل يا أمير المؤمنين حينَ تُجلِس هذا عدوَّ الله(١) معك على سَريرك ، وهو القائل بالأمس :

وقد يَنْبُتُ المرعى على دِمَن الثَّرى ... وتبقَى حَزازاتُ النفوسِ كما هِيا

قال: فقبَض عبدُ الملك رِجله ، وضرب بها صَدرَ زُفَر ، فقلبه عن السرير ، وقال : لا أذهب الله حزازات تلك الصدور أبداً(٢) ، فقال : أنشُدُك يا أميرَ المؤمنين العهدَ الذى أعطيتَنى ، وكان زُفَر يقول : ما أيقنتُ بالموت إلا تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال .

طلَّق أعرابىٌّ زوجتَه فتزوَّجها الأخطل ، وكان الأخطلُ قبل ذلك طلَّق امرأتَه فبينما هى معه إذ ذكرت زوجها الأوَّل فتنفَّست ؛ فقال الأخطل :

كِلانا على همٍّ يبيتُ كأنَّما ... بِجَنْبَيْه من مَسِّ الفِراش قُروح

على زوجها الماضى تنُوح وإنَّنى ... على زَوْجَتى الأخرى كذاك أنُوح

قال الأخطلُ لعبد الملك بن المهلَّب : ما نازعتْنى نفسى قط إلى مدح أحد منازعتَها إياى إلى مدحكم ، فأعطنى عطيةً أنشط(٣) بها لسانى ، فوالله لأُردِّينكم أرديةً يبقى صقالها إلى يوم القيامة ، قال : أعلمُ أنَّك بذلك ملِىء ، ولكنَّنى أخاف أن يبلُغ أميرَ المؤمنين أنى أسأل فى غُرْم وأعطى الشعراء فأهلك ، ويظنّ أن ذلك منى حيلة . فلما قدم على إخوته لاموه كلٌّ لَوْمٍ فيما فعله فقال : أخبرتُه بعُذرى .

---

(١) عدو الله هذا ، الأغانى .

(٢) أذهب الله حزازات تلك الصدور ، الأغانى .

(٣) تبسط ، الأغانى (٨ : ٢٩٨) .

كان الأخطل يجىء فى جُبَّة خَزّ وبرنُس خَزّ ، وفى عنقه سلسلة ذهب فيها صليب من ذهب ، تنفض[١] لحيته خمراً ، ويدخل على عبد الملك بغير إذن .

بينا الفرزدقُ والأخطلُ يشربان بالكوفة ، فى إمارة بشر بن مَروان ، إذ دخل عليهما فتىً من أهل اليمامة ، فقالا له : هل تروى لجرير شيئاً ؟ فأنشدهما :

لما وضعتُ[٢] على الفرزدق مِيسَمِى وعلى البَعيثِ لقد نكحت الأخطلا

فأقبل الفرزدقُ وقال : يا أبا مالك ، أتَراه إن وسَمنى يتورّكك مع كِبَرَ سنّك؟ ففزع الفتى[٣] وقام وقال : أنا عائذٌ بالله من شَرِّكما ، فقالا : اجلس لا بأس عليك ! ونادماه بقيّةَ يومهما .

وممَّا تقدَّم به الأخطلُ على نظرائه أنه كان أخبثَهم هِجاءً فى عَفافٍ عن الفُحش. وقال الأخطلُ : ما هجوتُ أحداً قطّ بما تستحى العذراء أن تُنْشِدَه أباها .

كانت بكرُ بنُ وائل إذا تشاجرت فى شَىء تَراضت[٤] بالأخطل . وكان يدخلُ المسجدَ فيقدَمون إليه . فرأيتُه فى الجزيرة ، وقد شُكِىَ إلى القَسّ ، فأخذ بِلحيته وضربَه بِعَصاه ، وهو يَصِىء كما يَصِىء الفَرْخ ، فقيل له : أين هذا مما كنتَ فيه بالكوفة ؟ فقال : يا ابنَ أخى ، إذا جاء الدينُ ذَلَلْنا .

مدح الأخطلُ هشاما فأعطاه خمسَمائة درهم فلم يرضَها ، وخرج فاشترى بها تفّاحا وفرّقه على الصبيان . فبلغ ذلك هِشاماً فقال : قبّحه الله ! ما ضرّ إلا نفسَه .

أوْفد الحجَّاجُ بنُ يوسفَ وفداً إلى عبدِ الملك فيهم جرير ، فجلس لهم ، ثم أمر بالأخطل فدُعِى به ، فلمَّا دخل عليه قال : يا أخطلُ ، هذا سبَّك — يعنى جريراً —

(١) تنفض ، الأغانى (٨ : ٢٩٩) : تعصر ، الأزهر والتيمورية .
(٢) لو قد بعثت ، (الأغانى (٨ : ٣٠٠) .
(٣) ففزع (الفتى) ، الأغانى .
(٤) رضيت ، الأغانى (٨ : ٣٠٣) .

فأقبل عليه جرير فقال : أين تركتَ خنازيرَ أمِّك ؟ قال : راعيـةً مع أعيار أمِّك وإن أتيتَنا قَرَيْناك منها ، قال : فأقبلَ جريرٌ على عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين إن رائحةَ الخمر لتفوحُ منه ، قال : صدق يا أمير المؤمنين ، وما اعتِذارى عن ذلك ! ثم قال :

تَعيبُ الخمرَ وهى شراب كِسْرَى ... ويَشربُ قومُك العَجَبَ العجابا[1]

منىُّ العبـدِ عبدِ أبى سُواج ... أحقُّ مِنَ المدامةِ أن يُعابا[2]

فقال عبد الملك : دَعُوا هذا ، وأَنشِدْنى ياجرير ؛ فأنشدَه ثلاث قصائدَ كلُّها يمدح فيها الحجّاجَ فأَحفِظ عبدُ الملك وقال : ياجَرير ، إن الله عز وجل لم ينصُر الحجّاج ولـكن نصر دينَه وخليفتَه ؛ ثم أقبلَ على الأخطل فقال : أنشِدنى فأنشده :

* خفَّ القطينُ فراحوا منكَ فابتـكروا *

معنى قول الأخطل «منّى العبدِ عبدِ أبى سواج» أن أباسُواج ، وهو عبّادبن خَلَف الضّبّي جاور بنى يَربوع ، وكانت له فرسٌ يقال لها بذوة[3] ، وكانت لصُرَدَ بنِ جَمْرَةَ اليَربوعى فرسٌ يقال لها القَضِيب ، فتراهنا عشرين بعشرين ، فسبقت بذوة فظلمه[4] ابن جَمرَةَ اليربوعىّ حقَّه ومنعه سَبَقَه وجَعل يفجُر بامرأته ، ثم إن أبا سُواج ذهب إلى البحرين يَمتار ، فلما رجع ــ وكان معجبا بنفسه ــ جعل يحدُو ويقول :

* يا ليتَ شِعرى هل بَغَتْ من بَعدى *

فسمع قائلًا يقول من خلفه :

* نعم بعلوى[5] قفاه جعدى *

---

(١) العجيبا ، الأغانى (٨ : ٣٠٦) .

(٢) تعيبا ، الأغانى .

(٣) بذوة ، الأغانى : بذرة ، المخطوطتان .

(٤) فظلمه ، الأغانى : فطلبه ، المخطوطتان .

(٥) بعـكوى ، الأغانى (٨ : ٣٠٧) .

فعاد إلى قَوْلِه فأجابه بمثلِ ذلك . وقَدِم إلى منزِله فأقام به مدَّة ، فتغاضب صُرَدُ على امرأةِ أبى سُواج وقال : لا أرضى أو تقدِّى من است أبى سُواج سَيْرًا ، فأخبرتْ زوجَها بذلك ، فقام إلى نَعجةٍ له ، وقدَّ من باطن استها[1] سيرا فدفعه إليها ، فجمله صُرَدُ بن جَمْرَة فى نعله ، وقال لقومه : إذا أقبلتُ وفيكم أبو سُواج فسَلُونى من أين أقبلت ، ففعلوا ، فقال : من ذى بِلِيّان ، وأريد ذا بِلِيّان ، وفى نعلى شِرا كان ، من استِ إنسان ، فقام أبوسُواج وكشف[2] ثوبَه وقال: أنشُدكم اللهَ هل تَرَوْنَ بأساً ؟ ثم أمر أبو سُواج غُلامَين له رَاعِيَين أن يأخُذا أمةً فيتراوحاها ودفع إليهما عُسًّا ، وقال : إن قَطَرَتْ منكما قطرةٌ فى غير العُسِّ لأقتلنكما ، فباتا يتراوَحانها ويصبَّان ما جاء منهما فى العُسِّ ، وأمَرهما أن يحلُبا عليه حتّى يملآه ؛ ثم قال لامرأته : اسقيه صُرَداً أو لأقتلنَّك . واختبأ ، وقال: ابعَثى إليه حتى يأتيك ، فأتاها على عادتِه كما كان يأتيها ، فرحَّبت به واستبطأته ، ثم قامت إلى العُسِّ فناولته إيَّاه ، فلما ذاقَه رأى طعماً خبيثاً ، وجعل يتمطّق[3] من اللبن الذى يَشْربه ، وقال : إنى أرى لبنكم خاثِراً وأحسب إبلكم رعت السَّعْدان ، فقالت : إنَّ هذا من طولِ مُكثه فى الإناء ، أقسمتُ عليك إلّا شَرِبتَه ، فلما وقع فى بطنه وجد الموتَ ؛ فخرج إلى أهْلِه ، ولم يعلم أصحابَه بشىءٍ من أمره . فلما جَنَّ على أبى سُواج الليل أمر أهلَه وغِلمانَه فانصرفوا إلى قومه ، وخلّف الفرسَ وكلبَه فى الدار ، فجعل الكلبُ ينبَح ، والفرسُ يَصْهَل ، وذلك ليظنَّ القومُ أنَه لم يرحل ، فساروا ليلتَهم والدارُ ليس فيها غيرهَ وكلبه وفرسِه وعُسِّه ، فلمَّا أَصبح ركب فرسَه وأخذ العُسَّ ؛ فأتى مجلسَ بنى يَرْبُوع فقال : جزاكم الله خيراً ! لقد أحسنتم الجِوار وفعلتم ما كنتُم أهلَه ، فقالوا : يا أباسُواج

---

(١) اليتها ، الأغانى .

(٢) فطرح ، الأغانى (٨ : ٣٠٨) .

(٣) يتمطق ، الأغانى : يتمطط ، المخطوطتان .

ما بدا لك فى الانصراف عنَّا ؟ . قال : إن صُرَدَ بنَ جَمْرَةَ لم يكن فيما بينى وبينه مُحسِناً ، وقد قلتُ فى ذلك :

إنّ المنىّ إذا سرَى　　فى العبد أصبح مُسْمَغدّا

أينال سَلْمىَ باطلاً　　وخُلِقتُ يومَ خَلقتُ جَلداً

صُرَدُ بن جَمرة هل لقيـ　　ـتَ رثيئة لبناً وعَصْدًا

ألا واعلموا أن هذا القَدَح قد أحبَلَ منكُم رجلاً وهو صرد بن جَمْرَة . ثمَّ رمى بالعُسِّ على الصخرة فانكسر وركَضَ فرسَه ، وتَنَادَوْا: عليكم الرجلَ . فأعجزَهم ولَحِقَ بقومه . فقال فى ذلك عَمْرُو بن لَجَأ التَّيْمِىّ :

تُمَسِّح يربوعٌ سِبالًا لئيمةً　　بها من مَنىِّ العبد رطبٌ ويابسُ

وإيّاه عنى الأخطلُ بقوله :

« ويشربُ قومُك العجب العجيباً »

كان الأخطلُ متمسِّكاً بدينه ، وكانت امرأتُه حاملًا ، فمر الأسقف يوماً فقال لها : الحَقِيه فتمسَّحِى به ؛ فعدَت ، فلم تلحَق إلا ذَنَبَ حِماره ، فتمسَّحت به ؛ فرجعت فأخبرته ؛ فقال : هو وذنبُ حماره سَوَاء .

سَمِعَ هِشامُ بنُ عبد الملك الأخطلَ يقول :

وإذا افتقرتَ إلى الذّخائر لم تجِد　　ذُخراً يكون كصالح الأعمال

فقال : هنيئاً لك يا أبا مالك هذا الإسلام ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ما زلت مُسْلِما فى دِينى .

خرج الفرزدقُ يَؤُمُّ بعض ملوك بنى أمية فرُفِع له فى طريقه بيتٌ أحمرُ من أَدَم، فسأل عنه فقيل له : الأخطل . فأتاه فقال له : أنزِل ، فلما نزل قام إليه الأخطلُ وهو لا يعرفه إلا أنه ضيف ؛ فقعدا يتحدّثان فقال له الأخطل : ممَّن الرجل ؟ قال : من بنى

تميم ، قال : فأنتَ إذاً من رَهْط أخى الفرزدق . فهل[1] تحفظ له شيئا ؟ . قال : نعم كثيراً . فما زالا يتحدّثان ويتناشدان ، ويتعجّب الأخطلُ من حفظه شعر الفرزدق، إلى أن عَمِل فيه الشراب ، وكان الأخطلُ قد قال له : أنتم معشرَ الحنيفيَّة لا ترَون أن تشربوا من شرابنا . فقال له الفرزدق : خفِّض عليك قليلاً وهاتِ من شرابك ، فلما عَمِلَت فيه الراح قال : والله أنا الذى أقول فى جرير ، وأنشدَه ، فقام الأخطلُ فقبَّل رأسَه وقال : لا جَزاكَ الله عنّى خيراً لم كتمتَنى نفسَك منذ اليوم ؟ وأخذا فى شرابهما وتناشدهما[2] إلى أن قال الأخطل : والله إنك وإيّاى لأشعر منهُ ، ولكن أُوتِىَ من سَيْر الشعر ما لم نُؤتَه ، قلت أنا بيتاً ما أعلمُ أن أحداً قال أهجى منه، قلت :

قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبهمُ   قالوا لأمِّهم بُولى على النار

فلم يرْوِه إلا حُكَماء أهل الشعر . وقال هو :

والتغلَبىُّ إذا تنحنح للقِرَى   حكّ استَه وتمثَّل الأمثالا

فلم يبق سُقاةٌ ولا أمثالُها إلا رَوَوه فهو أسْيَرُنا شعراً .

---

(١) فقال ، الأغانى (٨ : ٣١٨ .

(٢) وتناشدا ، المخطوطتان .

غَيْلان الثقفي *

هو غَيْلان بن سَلَمة ، بن مُعَتِّب بن مالك ، بن كعب ، بن عمرو ، بن سعد ، ابن عَوف ، بن قَسِيّ ، وهو ثَقِيف ، وأمُّه سُبَيعة بنتُ عبدِ شمس بن عبدِ منافأختُ أُميَّة بن عبد شمس .

أدرك الإسلام وأسلم بعد فتح الطائف . ولم يهاجر ، وأسلم ابنُه عامر قبلَه وهاجر ، ومات في الشام في طاعون عَمْواس وأبوه حيّ .

وغَيلان شاعرٌ مقلّ ليس بمعدود في الفحول ، وبنتُه بادية بنتُ غيلان التى قال هِيتُ المخنَّث لعُمَر بن ِ أمّ سلمة أمِّ المؤمنين : إن فتح الله عليكم الطائفَ فسَلْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يهبَ لى[1] بادية بنتَ غيلان ، فإنها كحلاء ، شَموع نَجْلاء خُمصانة هَيْفاء ، إن مشَت تثنَّتْ ، وإن قعدت تبنَّتْ ، وإن تكلَّمتْ تغنَّتْ ، تُقبِل بأربع ، وتدبر بثمان ، وبين فخذيها كالإناء المكفوء[2] .

وغَيلان فيما يقال أحدُ من قال من قُرَيش ٍ للنبيّ صلى الله عليه وسلم: « لولا أُنزِلَ هذا القُرْآنُ على رَجُلٍ ٍ القرْيَتَيْن ِ عَظِيمٍ » .

تزوَّج غَيلان بنُ سَلمة خالِدةَ بنتَ أبى العاص، فولدت له عَمَّاراً وعامرا؛ فهاجر عمّار إلى النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، فلما بلغَه خبرُه عَمَد خازنٌ كان لغيلان إلى مال له فسرَقه ، وأخرجه من حِصنه فدفنه ، وأخبر غيلانَ أنَّ ابنه عماراً سرَق ماله وهرَب به ، فأشاع ذلك غَيلان وشكاه إلى الناس ، وبلغ خبرُه عماراً فلم يعتذرْ إليه ، وقال :

---

* الأغانى ١٢ : ٤٥ ـ ٤٩ (ط بولاق) .

(١) لك ، الأغانى .

(٢) المكفوء الأغانى : المكفى ، المخطوطتان .

هذا قاله فىَّ ليُحاربنى إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، فوالله لا رجعتُ إليه أبدا ؛ ولم يذكر براءته لأبيه . فلما شاع ذلك جاءت أمه إلى أبيه وقالت[1] له يا غيلان .

إنِّى ما عهدتُ ابنى سارقا فى صِغَره ولا فى كِبَره ، ومع هذا فمالُك كان تحت يدِ خازِنك وتحت خَتمه ، فكيف جاء ابنى حتى أخَذَه من خزن الخازن ؟ تبيَّن أمرَك فإنى أظنُّ أن آفتَك من الخازن ؛ فأنكرَ ذلك إنكاراً شديداً ، وقال : إن خازنى لا يكذب ، وقد بلغ عمَّارا هذا الخبرُ ، ولو كان بريئاً لوجَّه يعتذِر وينكرُ ذلك ؛ فقالت له سَيَبِينُ ذلك ، وأقبلَت تبحثُ عن الخبر فى ذلك حتى وافت إلى غيلان أمَةٌ لبعض ثَقِيف ، وامرأته جالسة عنده ، فقالت له : أىُّ شىء لى عليك إن دَلَلْتُك على مالك ؟ قال : ما شئت . قالت : تبتاعنى وتُعْتِقُنِى وتُحسِنُ إلىَّ ، قال : ذلك لك ، فلما سمعت امرأتُه بذلك فرحتْ وسُرَّت ، وقالت : ألم أقل لك إن الخازن دهاك وأخذ مالك ؛ ثم قالت الأمة : أُخرج معى . فخرج معها فقالت : إنى رأيت عبدك فلاناً قد احْتَفَرها هنا ليلةَ كذا وكذا ودفن شيئاً ، وإنَّه لا يزال يَعْتَادُه ويتفقَّده فى اليوم مرّاتٍ وأُراه المال الذى اتهمتَ به ابنك . فاحتفَر الموضعَ فإذا هو بماله ، فأخذه وشاع الخبرُ أن عبد غَيْلان قد سَرَق مالَه واتّهم به ابنه وأنه أصابه ؛ وأقبلت أمُّ عمّار على غَيْلان فقالت : لقد ارتكبتَ من ابنى أمراً عظيما ، والآن لا بدَّ لى من قتل هذا الغلام ، وإلا فسلِّمه إلىَّ ؛ فإن أنت لم تفعل لم أقاربْك على ذلك ، واشترى الجاريةَ وأعتقها وأتى بعبدِه فقرَّره فأقرَّ بعد أن ضرَبه ضرباً متلِفا وبلغ الخبرُ عمارا فقال : والله لا اقى وجهى وجهَ أبى أبداً ، ولا نظرَ إلىَّ عمرَه فيما قصَّر من أمرى وقال :

حلفت له[2] بما يقول[3] محمد وبالله إن الله ليس بغافل

(١) (خبرته) وقالت ، المخطوطتان .
(٢) لهم ، الأغانى .
(٣) بما يقول ، الأغانى : قولا بحق ، المخطوطتان .

برئت[١] من المال الذى تدعونه[٢] أبرِّئ نفسى أن أُلِطَّ بباطل
ولو غيرُ شيخى من مَعدٍّ يقوله تيمَّمته بالسيف غـير مواكل[٣]
وكيف انطلاقى بالسِّلاح إلى امرئٍ تبشِّره بى تَبتَدِرن قوابلى

فلما أسلم غيلان خرج عامر وعمّار مغاضِبين له مع خالد بن الوليد ، فتوفّى عامرٌ بعَمواس ، وكان فارسَ ثقيفٍ يومئذ ، وهو صاحب شَنُوءة يوم تَثْليث ، وهو قتل سيِّدهم جابرَ بن سِنان ، أخا دهنه . فقال غيلان يرثى عامرا :

عَينى تجود بدمعها الهتّان سحًّا وتبـكى فارس الفرسان
يا عامِ من للخيل لما أحْجَمت عن شِـدَّة مرهوبة وطِعان
لو أستطيعُ جعلت منى عامراً بين الضلوع وكلُّ حىّ فان
يا عَينُ بكِّى ذا الحَزامة عامِراً للخيـل يوم تَوَاقُفٍ وطِعان
وله بتَثْليثات شَدَّةُ مُعْلِمٍ منـه وطَعنةُ جابرِ بن سِنان

لما أسنَّ غَيلان وكثرت أسفاره مَلَّته زوجته ، وتجنَّت عَلَيه ، وأنـكر أخلاقها؛ فقال :

يا رُبَّ مثلِك فى النساء غريرةٌ بَيْضاء قد صبَّحتها بطلاق
لم تَدر ما تحت الضلوع وغرَّها منى تحمُّل عشرتى وخلاقى

لما حضرت غيلانَ بنَ سلمة الوفاةُ ، وكان قد أحْصَن عشراً من نساء العرب فى الجاهلية ، فقال : يا بَنِىّ ، إنى قد أحسنتُ خِدْمة أموالـكم وأمجدت أمهاتـكم ، فلن تزالوا بخير ما غَذَوتم من كريم وغذا منـكم ؛ فعليـكم ببيوتات العرب فإنها

---

(١) لبرئت ، الأغانى ، المخطوطتان .
(٢) الأغانى ، يدفنونه .
(٣) غـير مواكل ، الأغانى : عمر الاحاول ، المخطوطتان .

مدارج[١] الكرم ، وعليكم بكل رَمكاء مكينة ، أو بيضاءَ رزينة فى خِدر بيت يتبع ، أو جدّ يرتجى[٢] ، وإيّاكم والقصيرةَ الرَّطْلة ، فإنَّ أبغَض الرجال أن يُقاتِل عن إبلى أو يُناضل عن حسبي القصيرُ الرَّطل ، ثم قال :

وحُرَّةِ قومٍ قد تفوَّق فِعلها ... وزَيَّنها أقوامهـا فتزيَّنَت

رحلتُ إليها لا تُرَدُّ وسِيلتى ... وحُمِّلتُها من قومِها فتحمَّلت

خرج أبو سفيان بن حرب فى جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة ، فلما ساروا ثلاثا جمعهم أبو سفيان فقال لهم : إنا من مسيرنا هذا على خطر وغدر ، مع قدومنا على مَلِك جبّار لم يأذن لنا فى القدوم عليه ، وليست بلاده لنا بمتجر[٣] ، ولكن أيكم يذهب بالعِير ، فإن أصيب فنحن برآء من دمه ، وإن غنم فله نصف الربح ؟ . فقال غيلان بن سلمة : دعونى فأنا لها . فدخل الوادى فجعل يطوفه ويضرب فروع الشجر ويقول :

فلو[٤] رآنى أبو غيلان إذ حسرت ... عنى الأمور إلى أمر له طبقِ

لقال رَغْبٌ ورَهْبٌ يجمعان معا ... حبُّ الحياة وهولُ النفس والشفَق

أما بقيت على مجـد ومكرمة ... أو أسوة لك فيمن يهلك الورق

ثم قال: أنا صاحبكم . فدخل فخرج بالعيس وكان أبيض طويلا جعدا نخما جميلا، فلما قَدِم بلاد كسرى تخلَّق ولبس ثوبين أصفرين وشهَّر أمره ، وجلس بباب كسرى حتى أُذِن له ، فدخل عليه وبينهما شُبّاكة[٥] ذهب فقال له الترجمان : يقول لك الملك :

---

(١) معارج ، الأغانى .

(٢) جد يرتجى ، الأغانى : خدر بيت ينحى، المخطوطتان .

(٣) بمتخـير : المخطوطتان .

(٤) ولو : الأغانى ١٢ : ٤٨ .

(٥) شباكة : سباله ، المخطوطتان . شباك ، الأغانى .

ما أدخلك بلادى بغير إذنى . فقال : قُل له : إنى لستُ من أهل عداوة ، ولا أتيتُك جاسوسا لضد من أضدادك ، وإنما أتيتُك بتجارة تستمتع بها ، فإن أردتَها فهى لك ، وإن رددتَها وأذنت لى فى بَيعها لرعيَّتك بعتُها ، وإن لم تأذن فى ذلك رددتُها . وإنّه ليتكلم إذ سمع صوت كسرى فسجد . فقال له الترجمان : يقول لك الملك : لِمَ سجدتَ ؟ قال : سمعتُ صوتا عاليا حيث[1] لا ينبغى لأحدٍ أن يرفعَ صوته ، إجلالا للملك ، فعلمت أنه لم يُقدِم على رفع الصوت هنا إلا الملك، فسجدت إعظاما له. فاستحسن كسرى ما فعل وأمر له بمرفقة توضع تحته . فلما أُتِى بها وجد عليها صورة الملك فوضعها على رأسه ، فاستجهله كسرى واستحمقه ، وقال للترجمان : قل له : إنما بعثنا بهذه إليك لتجلس عليها . قال : قد علمت ، ولكننى لما أُتِيتُ بها رأيتُ عليها صورة الملك فلم يكن حقّ صورة الملك أن أجلس عليها ، ولكن حقّها التعظيم ، فوضعتها على رأسى لأنه أشرف أعضائى وأكرمها . فاستحسن فعله جدا .

وقال له الملك : ألك ولد ؟ قال : نعم . قال : أيهم أحبّ إليك . قال : الصغيرُ حتى يكبُر ، والمريضُ حتى يبرَأ ، والغائب حتى يؤوب . قال له كسرى : زه ! ما أدخلك علىَّ ودَلَّك[2] على هذا القول والفعل إلا حظُّك . وهذا فعل الحكماء وأخلاقهم ، وأنت من قوم جُفاةٍ لا حكمة[3] فيهم فما غذاؤك ؟ قال : خبز البُرّ . قال : هذا العقل من البرّ ، لا من اللبن والتمر .

ثم اشترى منه تجارته بأضعاف ثمنها ، وحباه وكساه ، وبعث معه من الفرُس من بَنَى له أُطُماً بالطائف ، فكان أول أطم بُنِى بها .

---

(١) ساقطة فى المخطوطتين .

(٢) ساقطة فى المخطوطتين .

(٣) حكمة ، الأغانى : حلم، المخطوطتات.

وقيل : إن كسرى قال لغيلان : خبز البُرّ طعام صحيح ، ولحم الحمل طعام صحيح، فإذا أكل الرجل صحّ مِزاجه وإذا صحّ مِزاجه صحّ عقله .

لما استُشهِد نافعُ بن غيلان مع خالدِ بن الوليد بدُومة الجندل جزع عليه غيلان وكثر بكاؤه وقال يرثيه :

ما بالُ عيني لا تغمِّض ساعةً ... إلا اعترتني عَبرة تغشانى
أرعَى نجومَ الليل عند طلوعها ... وَهْناً وهنَّ من الغروب دوانى
يا نافعاً من للفوارس أحجمت ... عن فارسٍ يعلو ذُرا الأقران
يا نافعاً من للأعادى بعد ما ... أُوطِنت دُومة ، أو ليوم طعان[1]
فلو استطعتُ جعلتُ منى نافعاً ... بين اللَّهاة وبين عَكْدِ[2] اسانى

وكثر بكاؤه عليه ؛ فعوتب على كثرة بكائه فقال : والله لا تسمح[3] عينى بمائها فأَضَنّ به على نافع . فلما تطاول العهد انقطع ذلك من فعله فقيل له فيه ، فقال : بَلِى نافِعٌ وبلى الجزع ، وفَنِى وفَنِيت الدموع ، واللحاق به قريب .

(١) هذا البيت ليس فى الأغانى .
(٢) عكد ، الأغانى : عقد ، المخطوطتان .
(٣) تسمح ، الأغانى : تسح ، المخطوطتان .

غيلان بن عقبة

هو غَيْلان بنُ عقبةَ بنِ مسعود بن حارثةَ بن عمرو بن ربيعة بن ملكان بن عديّ بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وقيل : غيلان بن عقبة ابن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة ابن ربيعة بن ملكان . كنيته أبو الحارث ، وذو الرُّمة لقبٌ لقّبته به مَيّة ، وهى مَيَّة بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى . وكان قد اجتاز بِخِبائها ، وهى جالسة إلى جَنب أمها ، فاستسقاها ماء ، فقالت لها أمها : قومى فاسقيه . وقيل : بل خرَق إداوته لما رآها وقال لها : اخرزى لى هذه . فقالت : والله ما أُحسن ذلك ، وإنى لَخرقاء . والخرقاء التى لا تعمل بيديها شيئا لكرامتها على قومها . فقال لأمها : مُريها أن تسقِيَنى ماء . فقالت أمُّها : قومى يا خرقاء فاسقيه ماء . فقامت تأتيه بماء ، وكانت على كتفه رُمّة ، وهى قطعة من حبل ، فقالت : اشرب ياذا الرُّمّة . فلُقّب بذلك ولقوله :

* أشعثُ باقى رُمّة التقليد *

وقيل : كان يُصيبه فى صِغَره فزَع ، فأتت به أمّه إلى الُحصَين بن عنيزة[1] ابن نُعيم العدَوِىّ ، وهو يقرئ الأعرابَ فى البادية احتسابا ، بما يُقيم لهم من صلاتهم ، فقالت له : يا أبا الخليل ، إن ابنى هذا يُرَوّع بالليل ، فاكتب له مَعاذَةً أعلقها فى عُنقه . فقال لها : ائتنى برَقّ أكتب لك فيه . قالت : فإن لم يكن فهل يستقيم فى غير رَقّ أن تكتب له فيه . قال : فجيئينى بقطعة جلد ، فأتته بقطعة جلد غليظ . فكتب له فيه مَعاذَةً ، وعلّقته فى عنقه . فمكث دهرا طويلا . ثم إنها مرت

---

(١) عبده ، الأغانى .

مع ابنها فى بعض حوائجها بالُحصين ، وهو جالسٌ فى نادى قومه ، فدنت منه وسَلَّمت عليه ، وقالت : يا أبا الخليل أما تسمع شعر غيلان ؟ قال : بلى . فتقدم فأنشده ، والمعاذة مشدودة بيساره فى حبل أسود . فقال الُحصين : أحسن ذو الرمة . فغلبت عليه .

وكان له ثلاثة أخوة : مسعود وجِرفاس(١) وهشام . وكلّهم شعراء . وكان أحدُهم يقول أبياتاً فيبنى عليها ذو الرمة أبياتاً أخر ويُنشدها الناسَ ، فيغلبُ عليها لشهرته بين الناس وتنسب إليه . ومسعود الذى يقول ، يرثى ذا الرُّمَّة ويرثى أوفى بن دلهم وهو ابن عمه :

نعى الركبُ أوفى حينَ آبت ركابُهم ... لعمرى لقد جاءوا بشرٍّ فأوجعوا
نَعَوا باسق الأخلاق لا يخلفونه ... تكاد الجبال الصمُّ منه تصدّعُ
هوى(٢) المسجدُ المعمورُ بعدابن دَلْهَمٍ ... وأضحى بأوفى قومُه قد تضعضعوا
تعزَّيتُ عن أوفى بغيلانَ بعده ... عزاء ، وجفن العين ملآن مترع
ولم يُنْسنى أوفى المصائبَ بعده ... ولكنَّ نكْءَ القرح بالقرح أوجع

وأخوه الآخر هشام ، وكان شاعراً ، وهو الذى يقول لذى الرمة :

أغيلانُ ، إن ترجع قوى الوُدِّ بيننا ... فكلُّ الذى ولَّى من العيش(٣) راجع
فكن مثلَ أقصى الناس عندى فإننى ... بطول التنائى مثل أخى السوء قانع

خرج ذو الرمَّة وأخوه مسعودٌ يسيران بأرض الدهناء ، فسنحت لهما ظَبية ، فقال ذو الرمة :

أقول لدهناويَّة عوهج جرت ... لنا بين أعلى برقة فالصرائم

(١) جرواس ، المخطوطتان .
(٢) خوى ، الأغانى .
(٣) العيش ، الأغانى : الود ، المخطوطتان .

أيا ظبيةَ الوعساء بين جلاجل　　وبين النقا آأنت أم أمُّ سالم

فقال له مسعود :

فلو تُحسِن التشبيه والنعت لم تقل　　لشاة النقا : آأنت أم أمُّ سالم

جعلتَ لهـا قَرنين فوق قِصاصها　　وظلفين مَشْوِيَّين(٢) تحت القوائم

فقال ذو الرمة :

هى الشِّبه لـولا مِذرواها وأذنها　　سواءٌ ولولا مَشْقَةٌ فى القوائم

كان ذو الرُّمة كثيرا ما يأتى الحضر فيقيمُ بالـكوفة والبصرة ، وكان طفيليًّا ، وكان مُدوَّرَ الوجه ، حسنَ الشعر جَعدَه ، أقنى ، أنزع ، خفيف العارضين ، أكحل ، حسن الضحك مفوّها . إذا كلَّمك كلَّمك أبلغُ الناس ، يضع لسانَه حيث شاء .

اجتمع الناس مرَّةً وتحلقَّوا على ذى الرمة وهو ينشدهم ، فجاءت أمُّه فاطَّلعت من بينهم ، فإذا رجلٌ قاعدٌ وهو ذو الرمة ، وكان دميما شَخْتاً فقالت : استمعوا شِعرَه ولا تنظروا إلى وجهه .

كان الفرزدقُ وجرير يحسُدان ذا الرُمّة على جَودة شِعره ، وكان أهلُ البادية يعجبهم شعرُه وما أخَّر القومُ ذكرَه إلا لحداثة سِنِّه وأنهم حسدوه .

قال الأصمعى : ما أعلم أحدا من العشّاق المخضرَمين وغيرهم شكا حبًّا أحسنَ من شكوى ذى الرُمّة ، مع عِفّة وعقل رصين .

وقال أبو عبيدة : ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر ، ثم يرد على نفسه الحجَّة من صاحبته فيحسن الرد ، ثم يعتذر فيحسن التخلُّص ، مع حسن إنصاف وعفاف فى الحكم .

قام رجلٌ فى المربد يعارض ذا الرمة ويهزأ به ، فقال له : يا أعرابىّ ، تشهد بما لم تر ؟ قال : نعم : قال : بماذا ؟ قال : أشهد بأن أباك فعل بأمك .

---

(١) مسودين : الأغانى .

كان جرير عند بعض الخلفاء فسأله عن ذى الرُّمَّة فقال : أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه أحد ، وقال أبو عمرو : خُتِم الشعر بذى الرمَّة ، وختم الرجز برؤية بن العجّاج . قيل : فما تقول فى هؤلاء الذين بعدهما ؟ قال : كَلٌّ على غيرهم ، إن قالوا حسَناً فقد سُبِقوا إليه وإن قالوا قبيحا فمن عندهم ، وقال حماد الراوية : امرؤ القيس أحسنُ أهل الجاهلية تشبيهاً ، وذو الرمة أحسنُ أهل الإسلام تشبيها ، وكان لذى الرُّمَّة حظٌّ فى التشبيه ليس لأحد من الإسلاميين . قال ابنُ شُبرُمة : سمعت ذا الرمَّة يقول : إذا قلت : « كأنَّ » ولم أجد فقطع الله لسانى .

وكان أوَّل ما قاد الهوى بينه وبين ميَّةَ أن خرج هو وأخوه وابنُ عمّه فى ابتغاء إبل لهم ، قال ذو الرُّمَّة : فبينا نحن نسير إذ وردنا على ماء وقد أجهدَنا العطش ، فعدلنا إلى خِباء عظيم ، فقال أخى وابن عمى : إئتِ الخباءَ فاستَسْقِ لنا فأتيتُه وبين يدَيه فى رِواقه عجوز جالسة ، فاستسقيت ؛ فالتفتَتْ إلى ورائها فقالت : يامىّ ، اسقِ الغلام . فدخلت عليها فإذا هى تمسح عِلْقَةً لها[1] وهى تقول :

يامن رأى بَرْقاً على يَبْرِينا ... زمزم رعـداً وانتحى حنينا[2]
كأنَّ فى حافتـه[3] جنيناَ ... أو صوتَ خيل ضُمَّرٍ تَردِينا

قال : ثم قامت تصبُّ فى شَكْوَتى ماء ، وعليها شَوْذَبٌ لها ؛ فلما انحطَّت على القِربة رأيت مُوَلىًّ لم أر أحسن منه . قال : فلهوتُ بالنظر إليها ، وأقبلت تصبُّ فى شَكْوَتى ، والماء يذهب يميناً وشمالًا . قال : فأقبلت علىَّ العجوز وقالت : يابنىّ : ألهتْكَ مىّ عمـا بعثك أهلكَ له . أما ترى المـاء يذهب يميناً وشمالًا . فأقبلتُ على العجوز فقلت : أما والله ليطولَنَّ هُيامى بها . قال : فملأَتْ لى شَكوتى وأتيت أخى

---

(١) تمسح علقة لها . تسبح علقة لها ، الأغانى ؛ مسح شعر لها ، المخطوطتان .

(٢) عينا ، الأغانى .

(٣) حافاته ، الأغانى .

وابنَ عمى ، ولففتُ رأسى وانْتَبَـذت ناحيةً . وكانت مىّ قد قالت له : لقد كلَّفك أهلُك السفر على ما أرى من صِغَرِكَ وحداثة سنِّـك . قال : فأنشأت أقول :

قـــد سَخِرت أختُ بنى لبيد   منّى ومن سَلم ومن وَليد

رأت غلامَىْ سفرٍ بعيـــد   يدَّرعان اللَّيـــل ذا السدود

* مثل ادِّراع التَلْمق الجديد *

ثم أتمها ، وأولها :

* هل تعرف المنزل بالوحيد *

ثم بُليتُ بها أهيم فى ديارها عشرين سنة .

قال محمد النوفلى : ضاف[١] ذو الرُّمة زوجَ مىّ فى ليلة ظلماء ، وهو طامع فى ألا يعرفه زوجها فيُدخلَه بيتَه ويَقْريَه فيراها ويكلمها ، ففطِن له الزوج وعرفه ولم يُدْخله وأخرج إليه قراه وتركه بالعَراء وراحلته . وقد عرفته مىّ . فلما كان فى آخر[٢] الليل تغنى غناء الركبان :

أراجعـــةٌ يا مىُّ أيامُنا الألى   بذى الأَثْل أم لا ما لهن رجوع ؟

فغضب زوجُها وقال : قومى فصيحى به : « يا ابن الزانية ، وأىُّ أيام كانت لى معك بذى الأثل » ؟ . فقالت : « سبحان الله ! ضيف ، والشاعر يقول » . فانتضى السيف وقال : « لأضربنَّك به حتى آتيَ به عليك أو لتقولين » . فصاحت به كما أمرها زوجها . فنهض إلى راحلته فركبها وانصرف مُغْضَباً يريد أن يصرف مودّته عنها إلى غيرها . فمر بفَلْج . فى رَكب وبعض أصحابه يريد أن يرقع خُفّه ، وإذا هو بجوارٍ خارجات من بيت يُردن بيتا آخر ، وإذا خرقاء فيهنّ ، وهى امرأة من بنى عامر ، وإذا هى جارية حُلوة شَهْلاء ، فوقعت عينُ ذى الرُّمة عليها : فقال لها :

---

(١) ضاف، الأغانى: صادف ، صادق ، المخطوطتان.

(٢) جوف ، الأغانى .

يا جارية أترقعين لهذا الرجل خُفَّه ؟ . فقالت تهزأ به : « أنا خَرقاء لا أحسن أن أعمل » فسمّاها خَرقاء ، وترك ذكر ميّ ، يريد أن يغيظ بذلك ميًّا ، فقال فيها قصيدتين أو ثلاثا ، ثمّ لم يلبث أن مات .

وقيل : بل كانت خَرقاء كحّالة داوت عينيه فشبَّب بها .

حدَّثت جارية لأمّ ميّ قالت : كنّا بأرض الدّهناء وكان رهط ذى الرّمة مجاورين لنا ، فجلست ميَّة ، وهى فتاة حين نهد ثديها أحسنَ من رأيته قط ، تغسل ثياباً لها ولأمّها فى بيت مفرد ، وكان بيتاً رثًّا وقد أَخْلَق وفيه خروق ، فلما فرغَت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أمّها ، وأقبل ذو الرمة حتى دخل عليها فسلَّم ثم . نَشَد ضالَّته ، وجلس ساعة ثم خرج . فقالت ميَّة : إنى أرى هذا العُذْرِيَّ قد رآنى منكشِفةً واطَّلع علىَّ من حيث لا أعلم ، فإن بنى عُذْرة أخبثُ قوم فى الأرض، فاذهبى فقصِّى أثَره . قالت: فخرجتُ فأتيتُ مُقامه فقصصت أثره ، حتَّى رأيتُه قد تردَّد أكثر من ثلاثين مرة ، كلَّ ذلك يدنو فيطَّلع عليها ثم يرجع على عقبيه . فأخبرتُها بذلك ثم لم تلبث أن جاءنا شعرُه فيها من كل وجه ومكان .

وكان هوى ذى الرمَّة مع الفرزدق على جرير ، وذلك لما كان بين جرير وبين ابن لجأ التيمى . وتَيْمٌ وعَدِيٌّ أخوان من الرَّباب وعكل أخوهم .

كان لآل قيس بن عاصم المنقرى أمة مولَّدة يقال لها كثيرة ، وهى أمّ سهم ابن بردة اللص(١) الذى قتله سنان بن محسن(٢) البصرى أيام محمد بن سليمان فقالت كثيرة:

على وجه ميٍّ مسحة من ملاحة … وتحت الثيـاب الخزى لو كان باديا
ألم تر أنَّ المـاء يخبث طعمـه … وإن كان لون الماء أبيض صافيـا

ونحلتهما ذا الرمة ، فامتعض من ذلك وحلف جهد أيمانه أنه ما قالها

---

(١) اللبن ، الأغانى ، وفى موضع آخر : سلهمة اللص .

(٢) محسر ، الأغانى .

وقال: « كيف أقول هذا وقد قطعتُ دهري وأفنيتُ شبابي في التشبيب بها ومدحها؟ ». ثم اطلع على أن كثيرةَ قالتهما ونحلتهما إياه .

وقف ذو الرمة على ميَّة في ركب له فسلموا عليها فقالت : « وعليكم السلام إلا ذا الرمة » . فأحظفه ما سمع منها بحضرة القوم فغضب وانصرف وهو يقول :

أيا مَيُّ قد أشمتِّ بي ـ ويحكِ ـ العدا　　وقطَّعت حبلا كان يا ميُّ باقيا

فيا ميُّ لا مرجوعَ للوصل بيننا　　ولكن هجرا بيننا وتقاليا

الم تر أن[1] الماء يخبث طعمه　　وإن كان لون الماء أبيض صافيا

قال محمد بن الحجاج الأسيدي[2] : مررتُ على ميّة وقد أسنّت ، فوقفت عليها وأنا يومئذ شاب فقلت: يا ميَّة ، ماأرى ذا الرمة إلا قد ضيَّع فيك شِعره حيث يقول :

ما أنتَ عن ذكراك ميّة مُقْصِرُ　　ولا أنت ناسي العهد منها فتذكر

تهيمُ بها ما تستفيق ودونها　　حِجاب وأبواب وستر مستَّر

قال : فضحكت ثم قال : « يا ابن أخى رأيتَنى وقد ولَّيتُ وذهبت محاسنى . ورحم الله غَيْلان فلقد قال هذا أيامَ شبابي وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّة في عين المقرور ، ولن تبرح حتى أقيم عذره » . ثم صاحت : « يا أسماء ، اخرجي». فخرجت جارية كالمهاة ما رأيت مثلها . فقالت : أما لِمن شبَّب بهذه وهَوِيها عذر ؟ فقلت : بلى . قالت : والله لقد كنتُ أزمان كنت مثلها أحسنَ منها ، ولو رأيتَنى يومَئذٍ لازدريتَ هذه ازدراءك بي الآن . انصرفْ راشداً .

وكانت مية مسنونة[3] الوجه طويلة الخد[4] شماَء الأنف عليها وَسْم جمال ،

---

(١) ألم ترين ، الأغانى .

(٢) الأسيدى ، الأغانى : الأسدى ، المخطوطتان .

(٣) مسنونة ، الأغانى : مشربة ، المخطوطتان .

(٤) الخد ، الأغانى : القد، المخطوطتان

وكانت تسمع شِعر ذى الرمة وجعلت لله عليها أن تنحر بدنه يوم تراه . فلما رأته رأت رجلاً دميماً أسود ، وكانت من أجمل النساء ، فقالت : واسوأتاه ! واضيعة بدنتاه ! فقال ذو الرمة :

على وجه مىّ مسحة من ملاحة ... وتحت الثياب الخزى لو كان باديا

قال : فكشفت ثوبها عن جسدها وقالت : أشيئاً ترى لا أم لك . فقال :

ألم تر أنّ الماء يخبث طعمه ... وإن كان لون الماء أبيض صافيا

فقالت : « أمّا ما تحت الثياب فقد رأيته ، وعلمت أن لا شَيْنَ فيه . ولا يبقى إلا أن أقول لك هلمّ حتى تذوق ما وراءه . ووالله لاذقتَ ذلك أبدا » فقال :

فواضيعةَ الشعر الذى لجّ وانقضى ... بمىّ ولم أملك ضلالَ فؤاديا

قال : ثم صلح الأمر بينهما بعد ذلك ، لما غلبه من حبها[1] .

وكان ذو الرمة يكشف نفسها بذلك ويلتم ذلك فقيل له فى ذلك فقال : اكتموا ذلك على فإنه عندنا عيب .

قال رؤبة : كلما قلت شعراً سرَقه ذو الرمة فقيل له : وما ذاك ؟ . قال : قلت :

* حَىُّ الشهيق ميِّتُ الأنفاس *

فقال :

* يطرحنى بالمهمه الأغفال *

كل حنين لينَ السربال[2] ... حى الشهيق ميت الأوصال

فقيل له : قوله أجود من قولك وإن كان سرقه . قال : فذاك أغمُّ لى .

قيل لذى الرمة : إنما أنت راوية الراعى فقال : والله لئن قيل ذلك ما مَثَلى ومَثَله

---

(١) لما كان عليه من حبها ، الأغانى .

(٢) كل حصين لصق السربال ، الأغانى .

إلا شابّ صَحِب شيخاً فسلك به طريقاً ثم فارقه ، فسلك الشاب بعده شعابا(١) وأودية لم يسلكها الشيخ قط .

وكان ذو الرمة لا يحسن أن يهجوَ ولا يمدح. وهذا البيت وضع منه ، وقد مدح بلالَ بنَ أبى بردة فقال :

رأيتُ النــاس ينتَـجِعون غيثاً　　　فقلت لصيدحَ : انتجعى بلالا

فلما أنشده قال : لم ينتجعنى غير صيدح يا غلام ؟ أعطه حمل قَتّ لصيدح فأخجله .

قال ابن المذَّل : قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد الناس قصيدته الحائية حتى انتهى إلى قوله :

إذا غَيَّر النأى المحبين لم يـكد　　　رسيس الهوى من حب ميَّـة يبرح

فناداه ابن شبرمة : « يا غيلان ، أراه قد برح » . قال : فشقّ ناقته(٢) ، وجعل يتأخّرُبها ويفـكر ، ثم عاد فأنشد :

« إذا غير النأى المحبين لم أجد »

قال : فانصرفت وأخبرت أبى فقال : أخطأ ابن شُبرمة . إنما هذا مثل قوله تبارك وتعالى : ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها . وإنما هو لم يرها ولم يكد .

كان سببُ تشبيب ذى الرمة بخرقاء أنها داوت عينيه ، فقال : « تحكَّمى لأعطيك ما تختارين » . فقالت : لى بناتٌ أيامَى ، فشبِّب بى أرغب الناس فيهن ، إذا علموا أن فى بقية للتشبيب » ففعل . وقيل : إنه كان كايد بها ميَّة .

نزل رَكبٌ بأبى خرقاء العامرية ؛ فأمر لهم بلبن فشربوا ، وقصّر عن شاب منهم فأعطته خرقاء صَبوحها وهى لا تعرفه ، فشربه وركبوا ومضوا . فقال لها أبوها :

---

(١) سقوبا ، المخطوطتان .

(٢) فاستق لنا فيه ، المخطوطتان .

« أتعرفين الرجلَ الذى سقيتِه صَبوحَك ؟ » . فقالت : « لا والله » . قال : «هو ذو الرمة القائل فيك الأقاويل » . فوضعت يدها على رأسها وقالت : « واسوأتاه ! وابؤساه! » ودخلت بيتها فما رآها أبوها ثلاثا ـ وقيل: إن ذا الرمة شبب بخرقاء وهى بنت ثمانين سنة .

قال محمد بن الحجاج التميمى : لما حججت صرت بمرّان ، فإذا أنا بغلام أشعث الذوابه ، قد أورد غنيمات له لجُثته واستنشدته فقال : « إليك عنى ، فإنى مشغول» فألححت عليه فقال : « أرشدك إلى بعض ماتحب . انظر إلى ذلك البيت الذى يلقاك فإن فيه حاجتَك. هذا بيت خرقاء صاحبة ذى الرمة » ، فمضيت نحوه فطرحت السلام من بعيد فقيل لى : « إدنُ » فدنوت . فقالت : « إنك لحضَرى فمِمَّن أنت ؟ » . قلت : « من بنى تميم » وأنا أحسَب أنها لا معرفة لها بالناس فقالت : « من أى تميم ؟ » فأعلمتها . فلم تزل تسألنى حتى انتهيت إلى أبى فقالت : « الحجاج بن عمرو ابن زيد ؟ »[1] فقلت : نعم. قالت : « رحم الله أبا المثنَّى فلقد كنا نرجو أن يكون خلفاً من عمرو[2] ، فعاجلته المنية شاباً حياكَ الله يا فتى وقرَّبك . من أين أقبلت ؟ » قلت : « من الحج » . قالت : « فما لك لم تمرَّ بى وأنا أحدُ مناسِكك[3] ؟ إن حجَّك لناقص ، فأقم حتى تكفِّر بحج أو بعتق[4] قلت : وكيف ذلك ؟ . قالت : أما سمعت قول غيلان :

تمام الحج أن تقف المطايا   على خرقاء واضعة اللثام

قال : وكانت قاعدة بفناء البيت كأنها قائمة من طولها ، بيضاءَ شَهْلاء فخْمة الوجه

---

(١) ابن عمير بن يزيد ، الأغانى .

(٢) عمير ، الأغانى .

(٣) مناسك الحج ، الأغانى .

(٤) حتى تحج أو تكفر بعتق .

قال : فسألتها عن سنها فقالت : « لا أدرى ، إلا أنى أذكر شمر بن ذى الجوشن أخبر أنه حين قتل الحسين بن على رضى الله عنهما مرَّ بنا وأنا جارية ومعه كسوة فقسمها فى قومه » قالت : « وكان أبى قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حملات » . قال : فلما أنشدتنى بيت ذى الرمة قلتُ « هيهات ياعمة ، ذهب ذلك منك » قالت : لا تقل يابنى ، أما سمعت قول العجيف فىّ :

وخَرقاءُ لا تزداد إلاّ ملاحةً ولو عُمِّرت تعميرَ نوحٍ وجَلَّت

ثم قالت : « رحم الله ذا الرمة ، فلقد كان رقيق الشعر ، عذب المنطق ، حسن الوصف ، عفيف الطرف ، كامل الظرف » ، فقلت لها : « لقد أحسنت الوصف » فقالت : « هيهات أن يدركه وصف ، رحمه الله ورحم من سمّاه اسمه » . قلت : « ومن سمّاه اسمه ؟ » . قالت : « سيّد بنى عَدِىّ ، الحصَين بن عبدة بن نُعيم » .

قال أبو بكر بن عباس : كنت إذا أصابتنى مصيبة تصبَّرت لها وأمسكت عن البكاء ، فأجد ذلك يشتدُّ علىَّ حتى مررت يوماً بالكُناسة فإذا أنا بأعرابىّ على ناقة له ينشد :

خليلىَّ عوجا من صدور الرواحل بجرعاءِ حُزوى فابكيا فى المنازل
لعلَّ انحدارَ الدمع يعقِبُ راحةً من الوَجد أو يشفى نَجىَّ البلابل

فسألت عنه فقيل لى : هذا ذو الرمة . فكنت إذا أصابنى شىء بكيت فأجد بذلك راحة فقلت : قاتل الله الأعرابى ما كان أعلمه وأفصح لهجته .

حدّث رجل من بنى النجار(١) قال : خرجتُ أمشى بالبادية ، فمررتُ على فتاةٍ قائمة بباب خِباء ، فقمتُ أكلمها ، فنادتنى عجوز من ناحية الخباء : « ما يقيمُك على هذا الغزال النجدى ؟ فوالله ما تُصيب منه خيراً ولا ينفعك » . قال : فسمعتها تقول:

---

(١) من التجار ، المخطوطتان .

دعيه يا أماه يكن(١) كما قال ذو الرمة :

فإن لم يكن إلا مُعرَّس ساعة　　قليـل ، فإنى نافع لى قليلها

فسألت عنهما فقيل لى : « العجوز خرقاء صاحبة ذى الرمة ، والفتاة ابنتها » .

وتوفى ذو الرمّة فى خلافة هشام وله أربعون سـنة ، ودفن بحُزْوى وهى الرملة التى كان يذكرها فى شعره وهو قاصدٌ هشاماً .

وأنشد ذو الرمة يوماً حلبسَ الأسدىَّ شعراً نعت فيه الفلاة نعتا جيّدًا ، فقال له حلبس : إنك تنعت الفلاة نعتاً لا تـكون منيتك إلا بها ـ وصدر ذو الرمة عن قوم فلما أشرف على الفلاة قال :

وإنّى لعاليها وإنى لخائف　　لما قام يوم الثعلبية حلبس

فيقال : إن هذا آخر شعر قاله . فلما توسط الفلاة نزل عن راحلته فنفرت عنه ، ولم تزل تنفر وعليها طعامُه وشرابُه ، فـكلّما دنا منها نفرت حتى مات فيقال : إنه قال عند ذلك :

ألا أبلِـغ الرّكبان(٢) عنى رسالةً　　أهينوا المطايا ، هُنَّ أهلُ هوان

فقـــد تركَتْنى صَيْدح بمضلَّة　　لسانى ملتاث من الطلوان

فيقال : إنّ ناقته وردت على أهله فى مِياههم وفيها أخوه ، فركبها أخوه وقصّ أثرها ، فوجد البيتين مكتوبين على قوسه .

وقيل : كانت منيّةُ ذى الرّمّة أنه اشتـكى النَّوطة(٣) (غدّة تصيب البعير فى بطنه لا تلبث أن تقتله)(٤) فوجمها(٥) دهرا وقال :

---

(١) يأمتاه يكون ، المخطوطتان .

(٢) الفتيان ، الأغانى .

(٣) البوطة ، المخطوطتان .

(٤) عد مصد الشعر فى مطد لا يلبثه أن يقتله ، المخطوطتان . وليست فى الأغانى .

(٥) فوجمها ، الأغانى : وجعها ، المخطوطتان .

ألفتُ كلابَ الحيِّ حتى عرفنَني ... ومُدَّت مسوح(1) العنكبوت على رجلي

ثم قال لأخيه مسعود : « يا مسعود قد أجدنى تماثلتُ(2) ، وقد خفَّت الأشياء عندنا ، واحتجنا إلى زيارة بنى مروان ، فهل لك [أن] نوافيهم(3) ؟ » قال : نعم . فأرسله إلى الإبل يأتيه منها بلبن يتزوَّده ، وواعده مكاناً . وركب ذو الرمَّة ناقته فقمصت به ، وكانت قد أُعْفِيت من الركوب ، فانفجرت النَّوطة التى كانت به ، وبلغ مَوعِدَ صاحبه وجُهِد . فقال : « أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً . وإن العلَّة التى كانت بى انفجرت ، فأعلم أهلى » . ومات . فأتوه وصلَّوا عليه ودفنوه فى رأس حُزوى فى الرملة التى كان يذكرها فى شعره .

وكان حسن الصلاة حسن الخشوع . فقيل له : ما أحسنَ صلاتَك . فقال : إن العبدَ إذا قام بين يَدَيِ الله عزّ وجلّ لحقيق أن يتخشّع .

ولما احتُضِر قال : إنى لست ممن يُدفَن فى الغُموض والوِهاد . قالوا : كيف نصنع ونحن فى رمال الدهناء ؟ قال : فأين أنتم عن كُثبان حُزوى ؟ قال : وهما رملتان مشرفتان على ما حولها من الرمال . قالوا : وكيف نحفر لك فى رملٍ هائل ؟ قال : فأين الشجرُ والمدَرُ والأعواد ؟ . قال : فصلَّينا عليه فى بطن الماء ثم حملناه وحملنا الشجر والمدَر على الكباش ، وهى أقوى على(4) الصعود فى الرمل من الإبل. فحملوا قبره هناك ، ودثَّروه بذلك الشجر والمدر ، ودلَّوه فى قبره فأنت إذا عرفتَ موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء وأنت بالدوّ على مَسيرة ثلاث .

---

(1) نساج ، الأغانى .

(2) بما بليت ، المخطوطتان .

(3) فهل لك نوافيهم، المخطوطتان، فهل لك بنافيهم ، الأغانى.

(4) فى ، المخطوطتان .

وكان ذو الرُّمَّة حسن العينين حسن النغمة ، إذا حدّثك لم تسأم حديثه ، وإذا أنشد بربر وجَشّ صوتُه ـ وكان ينشد فإذا فرغ من إنشاده قال : والله لأتبعنك [1] بشيء ليس فى حِسابك : سُبحانَ الله ، والحمدُ لله ، ولا إله إلا الله ، والله وأكبر ، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال عصمة بن مالك : جمعنى وإياه مربع مرةً فقال لى : هَيَا عِصمة ، إن ميًّا مِن مَنقِر ، ومنقر أخبث حىّ [2] وأقفاه لأثر ، وأثبته فى نظر ، وأعلمه بشرّ ؛ وقد عرفوا آثار إبلى فهل عندك من ناقة نَزْدَارُ عليها ميّة ؟ فقلت : إى والله ، عنـــدى الجوُذر بنت يمانية [3] . فقال : علىّ بها . فأتيتهُ بها فركِبَ ورَدَفتهُ . فأتينا حِلَّة ميَّة والحىّ خُلوف والنساء فى الرحال ، فلما رأين ذا الرمة اجتمعن إلى مىّ ؟ فأنخنا قريباً وأتيناهن وجلسنا إليهن ، فقالت ظريفة منهن : أنشدنا يا ذا الرمة . فقال لى: أنشدهن ياعِصمة فأنشدتهن قصيدتَه التى يقول فيها :

نظرت إلى أظعان مَىٍّ كأنها ... ذُرا النخل أوأثلٌ تميل ذوائبه
فأسبلت العينـان والقلب كاتم ... بمُغرورقٍ نمّت عليه سواكبه
بكاء فتى خاف الفراق ولم تجل ... جوائلهـا أسراره ومعاتبـــه

فقالت الظريفة : فالآن فلتجل . ثم أنشدت حتى أتيت إلى قوله :

إذا نازعتـــك القولَ ميَّة أو بدا ... لك الوجهُ منها أو نضا الدِّرع سالبه
فما شئتَ من خدّ أسيلٍ ومنطقٍ ... رخـــيمٍ ومن خلق يعلل جاذبه

فقالت الظريفة : فقد بدا لك الوجه وتنوزع القول ، فمن لنا أن ينضو الدرع سالبه ؟ فقالت لها ميَّةُ : قاتلكِ الله ! ما ذا تأتينَ به ؟ . فتضاحكت الظريفة وقالت :

---

(١) لأكسعنك ، الأغانى .

(٢) حى ، الأغانى : عربى ، المخطوطتان .

(٣) الجوذر بنت يمانية ، الأغانى : الجود ربيب ثمانية ، المخطوطتان .

إن لهذين شأنا ، قوموا بنا عنهما ، فقامت وهنَّ معها ، وقمتُ وخرجتُ . فمكثت قريباً حيثُ أراهما وأسمع ما ارتفع من كلامهما، فوالله ما رأيتهُ تحرَّك من مكانه الذى خلَّفته فيه حتى ثاب[1] أوائل الرجال ، فأتيتهُ فقلت : انهض بنا ، فقد ثاب[1] فقام فودَّعها وانصرفنا .

(١) بان (فى الموضعين) ، المخطوطتان .

غالب أبو الهندى

هو غالِبُ بنُ عبد القُدُّوس بن شَبَث بن رِبْعى . شاعر مطبوع أدرك دولةَ بنى أميَّة ودولة بنى العباس . جَزل الشعر سهل الألفاظ لطيف المعانى ؛ وإنَّما أخملَه وأمات ذكره بُعدُه عن بلاد العرب ، ومُقامُه بسجستان وخراسان ، وشَغَفه بالشراب ومعاقرته إيّاه ، وفسقُه وما اشتهر به من فساد الدين . واستَفْرغ شِعْرَه فى صفة الخمر ، وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام ، فجعل وصفها قصده . ومن مختار قوله فيها :

سقيتُ أبا المطوّع إذ أتـــانى ... وذو الرعَثَاتِ منتصِب يصيحُ

شرابًا يهرب الذّبانُ منـــه ... ويلثغ حين يشربه الفصيحُ

قال إسحاق بن إبراهيم[1] يومًا ، وقد أُنشد شعرًا لأبى الهندىّ فى صِفة الخمر واستحسنه وقرّظه ، وذكر أبا نواس فقال : ومن أين أخذ أبو نواس معانيَه إلَّا من هذه الطبقة ؟ وأنا أوجدكم سلخَه المعانى كلها فى شعره . وجعل يُنشِد بيتًا من شعر أبى الهندى ويستخرج الموضع الذى سَرقه أبو نواس منه ، حتَّى أتى على الأبيات كلِّها من شعره واستخرجها .

اشتهى أبو الهندىّ الصَّبوح فى الحانة يومًا ، فأتى خمَّارا بسجستان فى محلَّة يقال لها « كوه زيان » وتفسيره « جبل الُخسران » يباع فيها الخمر والفاحشة ويأوى إليها كل زان وبغيّة[2] فدخل إلى الخمَّار وأعطاه دينارا وقال له : اسقنى فـكال له ، وجعل يشرب حتى سكِر ونام ، وجاء قوم يسلِّمون عليه فصادفوه على تلك الحال ، فقالو

---

(١) أهتم ، المخطوطتان : الموصلى ، الأغانى .

(٢) ومغنية ، المخطوطتان .

للخمّار : « الحقنابه »، فسقاهم حتى سكِروا وناموا . وانتبه أبو الهندىّ ،فسأل عنهم، فعرّفه الخمّار خبرهم ، فقال : « هذا وقت السكر ، الآن طاب[(١)] ؛ أَلحِقنى بهم » . فجعل يشرب حتى سكر ونام . وانتبهوا فقالوا للخمّار : « ويحك ! هذا نائمٌ بعد ؟ » قال : « لا ، قد انتبه فلمّا عرف خبركم شرب حتى سكِر » فقالوا : « الحقنا به » فسقاهم حتى سكروا ولم يزل ذلك دأبَه ودأبَهم ثلاثة أيام لم يلتقوا وهم فى موضع واحد . ثم تركوا هم الشراب عمداً حتى أفاق ، فلقوه فسلّموا عليه ـ وهذا الخبر بعينه يروى لأبى نواس ووالِبةَ بن الُحباب ، والصحيح أنه لأبى الهندىّ . وفى ذلك يقول أبو الهندىّ :

نَدامَى بعد ثالثةٍ تلاقَوا ... يضمُّهم بـكوهِ زِيانَ[(٢)] راحُ
وقد باكرتُها فتركتُ منها ... قتيلًا ما أصابتنى جراحُ
وقالوا : أيُّها الخمّار من ذا ... فقال : أخٌ تخوَّنه اصطِباح
فقالوا : هات راحك ألحِقَنَّا ... به وتملّلوا ثم استراحوا
فما إن لبّثتْهم أن رَمَتْهُم ... بحدِّ سلاحها ، ولها سِلاح
وحان تنبُّهى فسألت عنهم ... فقال : أتاحهم قَدَرٌ مُتاح
رأوك مجــدَّلًا فاستخبرونى ... فحرّكهم إلى الشرب ارتياح
فقلتُ بهم فألحقنى فهبُّوا ... فقالوا : هل تنبَّه حين راحوا
فقال : نعم . فقالوا : ألحِقَنَّا ... به قد لاح للرائى الصباح
فما إن زال ذاك الدأب منا ... ثلاثا يستهبُّ ويستباح
نبيتُ معاً وليس لنا التقاءٌ ... ببيتٍ ما لنا منـــه براح

---

(١) الآن طاب ، الأغانى : وطبقته ، المخطوطتان .

(٢) رحال ، المخطوطتان .

قال صَدَقة بن إبراهيم البكرى : كان أبو الهندىّ يشرب معنا ، وكان إذا سكِر يتقلَّب تقلّباً قبيحاً فى نومه ، فكنّا كثيراً ما نشدُّ رجله بحبل طويل ليقدر على القيام للبول وغير ذلك من حوائجه ، فتقلّب فسقَط من السطح فأمسكه الحبل ، فبقى منكّسا معلَّقا ، وتخنّق بما فى جوفه من الشراب ، فأصبحنا فوجدناه ميتاً . فمررتُ بعد ذلك على قبره فوجدتُ عليه مكتوباً من شعره :

إجعلوا إن مِتُّ يوماً كفنى ورقَ الكَرْم وقشر المعصرة[1]
إننى أرجو من الله غـداً بعد شُرْبِ الرّاح حُسن المغفرة

فكان الفِتيانُ يجيئون إلى قبره ، فيشربون ويصبّون القدح إذا انتهى إليه على قبره .

وقيل : إنه خرج وهو سكران فى ليلة باردة مثلجة من حانة خمّار ، فأصابه الثّلج فى الطريق فقتله ، فوجد ميّتا على الطريق .

حج نصر بن سيّار وأخرج أبا الهندى معه ، فلما حضرت أيام الموسم قال له : يا أبا الهندىّ ، إنا بحيث ترى وفدَ الله وزوّارَ بيته فهب لى النبيذ[2] فى هذه الأيام واحتكم ، فلولا ماترى ما منعتُك ، فضمِنَ له ذلك وأغلظ عليه فى الاحتكام . فوكل به نصر بن سيار . فلما انقضى الأجل مضى فى السحَر قبل أن يلقى نصرا ، فجلس على أكمة يشرف[3] منها على فضاء واسع ووضع بين يديه أداوة وجعل يشرب ويبكى ويقول :

أديروا علىّ الكأسَ إنى فقدتُها كما فقد المفطومُ درَّ المراضع
حليفُ مُدامٍ فارق الراحَ روحُه فظلّ عليها مستهِلّ المدامع

---

(١) وقبرى معصره ، الأغانى .
(٢) النصف ، المخطوطتان .
(٣) على أكمة يشرف : على الشرف ، المخطوطتان .

عاتب قوم أبا الهندىّ فى معاقرته الشراب وفسقه فقال :

إذا صلَّيتُ خمساً كلَّ يوم فإنَّ الله يغفرُ لى فسوقى
ولم أشركْ بربِّ الناس شيئاً فقد أمسكتُ بالحبل الوثيق
وجاهدتُ العدوَّ ونلتُ مالاً يبلِّغنى إلى البيتِ العتيق
فهذا الدين ليس به خفاءٌ دَعُونى من بُنَيّات الطريق

حرف الفاء

فريدة

هما اثنتان ، أكبرهما مولَّدة نشأت بالحجاز ، ثم وقعت إلى آل الربيع[1] فعلِّمت الغناء فى دُورهم ، ثم صارت إلى البرامكة ، فلما قُتِل جعفرُ بن يحي هربت ، فطلبها الرشيد فلم يجدها . ثم صارت إلى الأمين ، فلما قتِل خرجت فتزوجها الهيثم بن بشار[2] فولدت له ابنَه عبد الله ، فلما مات تزوجها السندى بن الحَرشِيّ ، وماتت عنده .

والأخرى ، وهى التى عليها الترجمة ، جاريةُ عمرو بن بانة ، أهداها إلى الواثق ، وكانت من الموصوفات المُحسنات ، ورُبِّيَت عند عمرو بن بانة مع صاحبة لها اسمها « خِلّ » ، وكانت حَسَنة الوجه ، حسنة الغناء ، حادَّة الفِطنة والفَهم .

قال عمرُو بنُ بانة غنَّيتُ الواثقَ يوماً :

قلت حِلًّا فاقبلى[3] معذرتى ما كذا يجزى محبًّا[4] من أَحبّ

فقال لى : « تقدمْ إلى الستارة فألقِه على فريدة » ، فدنوت منها فألقيته عليها فقالت : « هو حل أو خل كيف هى ؟ » فعلمت أنها سألَتْنى عن صاحبتِها فى خفاء من الواثق .

---

(١) إلى الربيع ، المخطوطتان .
(٢) مسلم ، سلم ، الأغانى .
(٣) خلا فاقبلن ، المخطوطتان .
(٤) محب ، الأغانى .

قال محمد بن الحارث : كانت لى نَوبة فى خِدمة الواثق فى كلِّ جمعة . إذا حضرت النوبةُ ركبتُ إلى الدار ، فإن نَشِط إلى الشراب أقمتُ عنده ، وإن لم ينشَط انصرفت . وكان رسمُه ألا يحضُر أحدٌ منّا إلا فى يوم نَوْبته ، فإنى لفى منزلى فى غير يوم نوبتى إذا برسل الخليفة قد هجموا علىَّ وقالوا لى : « احضر » فقلت : « ألخيرٍ ؟ » . قالوا : « الخير » . قلت : « إنّ هذا يوم لم يُحضِرنى فيه أمير المؤمنين قط ، ولعلكم غَلِطتم » . قالوا : الله المستعان لا تطوِّل وبادر ، فقد أَمَرنا ألا ندعَك تستقرُّ على الأرض » . فداخلنى فزعٌ شديد وخفت أن يكون سعى بى ساع ، فتقدمتُ بما أردت وركبتُ حتى وافينا الدار . فذهبتُ لأدخلَ على رسمى من حيث كنت أدخل فمُنِعت ، وأخذتْ بيدى الخدمُ فعدلوا بى إلى مَمرّات لا أعرفها ، فزاد ذلك فى جزعى ؛ ثم لم تزل الخدم يسلمونى إلى خَدَم حتى أفضيتُ إلى دار مفروشة بالوشْى المنسوج مُلْبَسة الحيطان(١) ثم أفضيتُ إلى رِواق أرضُه وحيطانُه ملبسة مثل ذلك ، والواثقُ فى صدره على سرير مرصَّع بالجوهر ، وعليه ثياب منسوجة بالذهب ، وإلى جانبه فريدةُ جاريتُه ، عليها مثلُ ثيابه وفى حِجرها عود . فلما رآنى قال : « جودت والله يامحمدُ . إلينا » . فقبَّلتُ الأرض ثم قلتُ : « يا أمير المؤمنين ، خير » . قال : « خير . طلبتُ ثالثا يؤنسنا فلم أر أحقَّ بذلك منك . فبحياتى بادِرْ وكلْ شيئاً وعجِّل إلينا » فقلت : « والله يا سيِّدى قد أكلتُ وشربتُ أيضا » . قال : « فاجلس » . فجلستُ ، فقال : « هاتوا لمحمد رِطلًا فى قدح » فأحضر ذلك واندفعت فريدة تغنى :

أهابُكِ إجلالًا ، وما بك قدرةٌ   علىَّ ، ولكن ملءُ عينٍ حبيبُها
وما هجرتكِ النفس يا لَيْلَ أنها   قَلَتْكِ ، ولا أنْ قلَّ منكِ نصيبُها

فجاءت بالسِّحر ، وجعل الواثق يجاذبها(٢) ، وفى خِلال ذلك يُغنِّى(٣) الصوت

(١) ملبسة الحيطان بالوشى المنسوج بالذهب ، الأغانى .
(٢) يجاوبها ، المخطوطتان .
(٣) تغنى ، الأغانى .

بعد الصوت وهى تغنى[١] وأنا أغنى فى خلال غنائهما[٢] ، فمرّ لنا أحسنُ يومٍ مر لأحدنا[٣] . فإنا لكذلك إذ رفع الواثق رجله فضرب بها فى صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من على السرير إلى الأرض ، وتفتّت[٤] عودها ومرت تعدو وتصيح ، وبقيتُ أنا كالمنزوع الروح ، ولم أشكّ فى أن عينه وقعت علىّ ، وقد نظرتُ إليها ونظرت إلىّ ، فأطرقت إلى الأرض متحيّراً أتوقع القتل ، فإنى لكذلك إذ قال لى : « يامحمد » ، فوثبتُ فقال : ويحك ! رأيتَ أعجب مما تهيأ لنا ؟ » فقلت : « ياسيدى الساعةُ تخرج روحى ، فعلى من أصابنا بالعين لعنةُ الله . فما كان السببُ لذلك ؟ ألِذَنبٍ ؟ » . قال : « لا والله ، فكرتُ[٥] فى أن جعفراً يقعُد غداً هذا المقعد ، وتقعد معه فريدة كما هى قاعدة معى ، فلم أُطِق الصبر ، وخامرنى ما أخرجنى إلى مارأيت » فسرِّىَ عنى وقلت : « بل يقتلُ الله جعفراً ، ويحيا أميرُ المؤمنين أبداً » ، وقبلتُ الأرض وقلت : « ياسيدى : الله الله ، إرحمنا[٦] ومُرْ بردّها » فقال لبعض الخدم : « جىء بها » . فلم يكن أسرعَ من أن خرجَتْ وفى يدها عود ، وعليها غيرُ الثياب التى كانت عليها ، فلما رآها جذبها إليه وعانقها ، فبكت وبكى ، واندفعتُ أنا فى البكاء . فقالت : « ماذا يا مولاى ؟ وبأىِّ شىء استَوجبت هذا ؟ » . فأعاد عليها ما قاله لى وهو يبكى وهى تبكى فقالت : « سألتُك يا أمير المؤمنين إلاَّ ضربتَ عنق الساعة ، وأرحتَنى من الفِكر فى هذا ، وأرحتَ قلبك من الغمّ[٧] بى » .

---

(١) وهى تغنى ، ليست فى نص الأغانى .

(٢) غنائها ، الأغانى .

(٣) أحسن ما مر لأحد ، الأغانى .

(٤) وبقى ، المخطوطتان .

(٥) ذكرت ، المخطوطتان .

(٦) ارحمها ، الأغانى .

(٧) الهم ، الأغانى .

وبكيا . ثم مسحا أعينهما ورجعتْ إلى الغناء ، وأومى إلى خدم وُقوف فى شئ لا أعرفه ، فمضَوا وأحضروا أكياساً فيها عَيْن ووَرِق ، ورُزَما فيها ثياب كثيرة، وجاء خادم بدُرج ففتحه ، وأخرج منه عِقداً ما رأيت قط مثل جوهره ، فألبسها إيّاه ، وأُحضِرت بَدْرة فيها عشرة آلاف درهم فجُعلت بين يدىَّ ، وخمسة تخوت فيها ثياب ؛ وعدنا إلى أمرنا وإلى أحسن ما كنا فيه . فلم نزل كذلك إلى الليل ، وتفرّقنا . وضرب الدهرُ ضَرَباته ، ووُلِّى المتوكِّل ؛ فوالله إنى لفى منزلى يوم نَوْبتى إذ هجم علىَّ رسُل الخليفة ، فلم يُمهلونى حتى ركبتُ ، فصرت إلى الدار فأدخلت والله الحجرة بعينها ، وإذا المتوكل فى الموضع الذى كان فيه الواثق ، على السرير بعينه وإلى جانبه فريدة ، فلما رآنى قال : « ويحك! أما ترى ما أنا فيه من هذه ؟ أنا منذ غُدْوَةٍ أطالبها بأن تغنِّى فتأبى علىّ » . فقلت لها : « ياسبحان الله ! تخالفين سيدَكِ وسيدَنا وسيد البشر ، بحياته غنِّى . فاندفعت تغنّى :

مقيم بالمجازة[1] من قَنَوْنَا وأهلُك بالأُحَيْفِر فالثِّماء
فلا تَبْعَد ، فكلُّ فتى سيأتى عليه الموت ، يطرُق أو يغادى

ثم ضربتْ بالعود الأرض ، ورمَتْ بنفسها عن السرير ، ومرَّت تعدو وهى تصرخ : « واسيِّداه ! واسيِّداه ! » فقال لى : « ويحك ما هذا ؟ » . فقلت : «والله لا أدرى ياسيدى » . قال : «فما ترى ؟» . قلت : « أرى أن أنصرف أنا ، وتحضُرَ هذه ومعها غيرُها ، فإن الأمر يؤول إلى ماريد أمير المؤمنين » . قال : « فانصرف فى حفظ الله تعالى » . فانصرفتُ ، ولم أدر ما كانت القصّة .

(١) المجازة ، الأغانى : المجاور ، المخطوطتان .

فُلَيْحُ بن العَوْراء[1]

رجل من أهل مكة ، مولًى لبني مخزوم ، لم يعرف اسمُ أبيه ، وهو أحد مُغنّى الدولة العباسيّة ، له محلّ كبير ، وموضع جليل فى صِناعته .

وكان المهدىّ يسمع المغنّين من وراء الستارة ، يحضُرون مجلسه ولا يرون له وجها ، إلا فُلَيحَ بن العوراء ، فإن عبد الله بن مُصعب كان يُرَوِّيه شعره يغنّى فيه فى مدائحه المهدىّ ، ودسّ فى أضعافها بيتين يسأله فيهما أن ينادمه ويَسأَل فُلَيحا أن يغنيهما فى أضعاف أغانيه ، وهما :

يا أمينَ الإله فى الشّرق والغر ... ب على الخلق وابنَ عمّ الرسول

مجلساً بالعشىِّ عنــدك فى الميـ ... دانِ أبغِى ، والإذنَ لى فى الوصول

فغناه فليح إياهما ، فقال المهدىّ للفضل بن الربيع : « يا فضل ، أجب عبد الله إلى ماسأل ، فأحضِرْه مجلسى إذا حضره أهلى وموالىَّ وجلستُ معهم ، وزده على ذلك أن ترفع بينى وبين رَاوِيته فُليح الستارة » فـكان فليح أوّلَ مغنٍّ غـنَّى معه[2] فى مجلسه .

قال محبوب[3] بن الهَفْتِىّ : دعانى محمد بن سليمان بن على فقال : قد قَدِم فُليح من الحجاز ، ونزل عند محمد بمسجد عتّاب[4] ، فصِر إليه ، فأعلمه أنه إن جاءنى قبل أن يدخل إلى الرشيد خلعتُ عليه خِلعةً سريّة من ثيابى ، وأعطيتُه خمسةَ آلاف

---

(١) فليح بن أبى العوراء ، الأغانى .

(٢) عاين وجهه ، الأغانى .

(٣) محبوب ، الأغانى : محمود ، المخطوطتان .

(٤) عند مسجد ابن رغبان ، (ابن عتاب) ، الأغانى .

درهم . فمضيتُ إليه فأخبرتُه بذلك ، فأجابني إليه إجابةَ مسرور نشيطٍ[1] له ؛ وخرج معي وعدل إلى حمّام كان بقربه ، ودُعي القيِّم وأعطاه درهمين ، وسأله أن يجيئه بشيء يأكله ونبيذ يشربه ؛ فجاءه برأس كبش عجلي[2] ، ونبيذ دوشابيّ غليظ رديّ . فقلت : « لا تفعل » وجهدتُ به ألا يأكل ولا يشرب إلا عند محمد بن سليمان ؛ فلم يلتفت إليّ ، وأكل من ذلك الرأس وشرب من ذلك النبيذ الغليظ ، حتى كادت نفسه تخرج[3] ، وغنّى وغنّى القيّم معه مليًّا ، ثم خاطب القيِّمَ بما أغضبه ، وتلاحيا وتواثبا ؛ فأخذ القيّم شيئا فضرب به رأسه فشجّه حتى جرى دمه ، فلما رأى الدم على وجهه اضطرب وجزِع ، ثم قام وغسل جرحه ، وعالجه بصوفة مُحرَقة وزيت ، وعَصَبه واعتمّ ، وقام معي . فلما دخلنا على محمد بن سليمان في داره ، ورأى الفرشَ والآلة ، وحضر الطعام فرأى طِيبه ، ورأى النبيذ وآلته ، ومُدَّت الستائر وغنّت الجواري ، أقبل عليّ وقال : « يا محمود[4] ، سألتُك بالله أيُّهما أحقُّ بالعربدة : مجلسُ الأمير أو مجلسُ القيم ؟ » فقلت : « وكأن لابدّ من عربدة » . فقال : « والله لا بدُّ لي منها ، فأخرجتُها من رأسي هناك » . فقلت : « أمّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أجْوَد » فسألني محمد عما كنا فيه فأخبرتُه ، فضحِك ضَحِكا كثيرا وقال : « هذا الحديث أطيب من الغناء » وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم .

قال فُلَيح : كان بالمدينة فتى يعشَق ابنةَ عمّ له ، فوعدته أن تزوره ، وشكا إليّ أنها تأتيه ولا شيء عنده ، فأعطيتُه دينارا للنفقة ، فلما زارته قالت له : « من يُلهِّينا ؟ » قال : « صديق لي » ووصفني لها ، ودعاني ، فأتيتُه . فكان أول ماغنّيتُه

---

(١) بشرط ، المخطوطتان .

(٢) برأس كأنه رأس عجل ، الأغاني .

(٣) حتى طابت نفسه ، الأغاني .

(٤) يا مجنون ، الأغاني .

فى شِعر السُّلَيك بن السُّلَكة السعدى(١) :

مِن الخَفِرات لم تفضَح أخاها ولم تَرْفَع لوالدها الشَّنارا

كأن مجامعَ الأردافِ منها نقاً درَجت عليه الريحُ هارا

يعافُ وِصال ذاتِ البذْل قلبى وأتّبع المنعَّمة النَّوارا

فقامت إلى ثوبها فلبسته لتنصرف ، فتعلَّق بها وجَهِد الجهدَ فى أن تقيم فلم تفعل ، وانصرفت . فأقبل على يلومنى فى أن غنيَّتُها هذا الصوت فقلتُ : « ما هو شىء اعتمدتُ به(٢) مساءتك ، ولكنه شىء اتفَّق » . فلم نبرَحْ حتى جاء رسولُها إلى الفتى ، ومعه ألفُ دينار فدفعها إلى الفتى ، وقال : « تقول لك ابنةُ عمِّك : هذا مَهرى ، فادفعْه إلى أبى واخطبنى » ففعل وتزوَّجها .

(١) الجعدى ، المخطوطتان .

(٢) اعتمدت عليه به ، المخطوطتان .

الفضل أبو النجم

قال أبو عمرو الشيباني : اسمه المفضَّل . وقال ابن الأعرابي : اسمه الفضل بن قُدامة ابن عُبَيد الله بن عبد الله بن الحارث بن إلياس[1] بن عَوْف بن ربيعة بن مالك ابن ربيعة بن عِجْل بن لُجَيْم بن صَعب بن عليّ بن بَكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

من رُجَّاز الإسلام الفحول المتقدِّمين ، فى الطبقة الأولى منهم . وكان أبلغ فى النعت من العجّاج .

قال أبو عبيدة : ما زالت الشعراء تقصِّر بالرجّاز ولا تنتصف منهم ، حتى قال أبو النجم :

* الحمدُ لله الوهوبِ المُجْزِلِ *

وقال العجّاج :

* قد جَبَرَ الدينَ الإلهُ فجبر *

وقال رؤبة :

* وقاتِم الأعماق خاوى المُخْتَرَق *

فانتصفوا منهم .

وُجِد فى أخبار أبى عمرو الشيبانى أن فِتياناً من بنى عجل قالوا لأبى النجم : «هذا رؤبةُ بالمِرْبَد يجلس فيُنشِد شعره، فتجتمع إليه الناسُ وفتيانٌ من بنى تميم ، فما يمنعك من ذلك ؟ » . قال : « أفتحبّون هذا ؟ » . قالوا : « نعم » . قال : « فأْتُونى بعسٍّ من نبيذ » ، فأتوه به ثم نهض فقال :

---

(١) لياس ، المخطوطتان .

إذا شربت[١] أربعاً عرفتني ثم تجشَّمتُ الذى جشَّمتــنى

فلما رآه رؤبة أعظمه وقام له عن مكانه ، وقال : « هذا رجّاز العرب » وسألوه أن ينشدهم فأنشدهم .

* الحمد لله الوَهُوب المُجزِل *

وكان إذا أنشد أزبد ووحشَ بثيابه[٢] ، (أى رمى بها) ـ ، وكان من أحسنِ الناس إنشاداً . فلما فرغ منها قال رؤبة : هذه أمُّ الرَّجَز . ثم قال : يا أبا النجم قد قرَّبت مرعاها إذ جعلتها بين[٣] رجل وابنه . يُوهِمُ عليه رؤبةُ أنه حيث قال :

تبقَّلت من أوّل التبقُّل بين رِماحَىْ مالكٍ ونَهْشَل

أنه يريد نَهْشَل بن مالك بن حَنْظَلة بن زيدِ مَنَاة بن تميم . فقال له أبو النجم : هيهات ! إنما أريدُ مالكَ بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُـكابة بن صَعب ابن علىّ بن بكر بن وائل . ونَهْشل قبيلة من ربيعة ، وهؤلاء يَرْعَون الصَّمَّان وعرض الدَّهناء . وسبب ذكر هاتين القبيلتين ، (يعنى مالك ونهشل) . أنَّ دماءً كانت بين بنى دَارِمٍ وبنى نَهْشل وحروباً فى بلادهم ، فتحامى جميعُهم الرَّعْىَ فيما بين فَلْج والصَّمَّان مخافةَ أن يُعَـيَّروا بشرٍ ، حتى عفا كلؤه وطال . فذكر أن بنى عجل جاءت لعزِّها[٤] إلى ذلك الموضع فرعته ، ولم تخف من هذين الحيَّين ، ففخر به أبو النجم وقال ما قال . ويدلُّ على ذلك قول الفرزدق :

أرتَع بالأحياء سعدُ بنُ مالكٍ وقد قتلوا مَثْـنَى بِظِنّة واحد

فلم يبق بين الحىِّ سعدِ بن مالك ولا نَهْشَلٍ إلا دماءُ الأساود

---

(١) اصطبحت ، الأغانى .

(٢) ووحش ، الأغانى . وحسر ، المخطوطتان .

(٣) من ، المخطوطتان .

(٤) لعزها ، الأغانى : أباعرها ، المخطوطتان .

قال الأصمعى : قيل لبعض رواة العرب : من أرجزُ الناس ؟ . قال : بنو عِجل، ثم سَعدُ بن زيد الأغلب ، ثم العجّاج ، ثم أبو النجم ، ثم رؤبة .

خرج العجّاج محتفِلا ، عليه جُبّة من خَزّ وعمامة من خز ، على ناقة له قد أجاد رَحْلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون ، فأنشدهم قوله :

* قد جَبَر الدِّينَ الإلهُ فجبر *

وذكر فيها ربيعةَ وهجاهم . فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبى النجم وهو فى بيته فقال : أنت جالسٌ وهذا العجّاج يهجونا فى المِربد ، قد اجتمع عليه الناس! فقال : صف لى حاله وزيّه الذى هو فيه . فوصف له فقال : « ابْغِنى جملا طحانا قد أُكثِر عليه من الهِناء » . فجاء بالجمل إليه ، فأخذ سراويله فجعل إحدى رجليه فى السراويل ، واتّزر بالأخرى ، وركب الجمل ، ودفع خِطامه إلى من يقوده ، وانطلق حتى أتى المربد . فلما دنا من العجّاج قال : اخْلَع خِطامه فخلعه ، وأنشد :

* تذكَّر القلبُ وجَهلًا مّا ذكر *

فجعل الجملُ يدنو من الناقة يتَشَمَّمُها(١) وتباعد عنه العجّاج لئلا يفسد ثيابَه ورَحْله بالقَطِران ، حتى بلغ إلى قوله:

* شَيْطانُه أُنثى وشَيْطانى ذَكَرْ *

فعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج منه .

كان أبو النجم عند عبد الملك بن مروان ـ أو سليمان ولده ـ يوماً ، وعنده جماعةٌ من الشعراء ، وكان الفرزدق منهم ، وجاريةٌ واقفة على رأس سليمان أو أبيه عبد الملك تَذُبُّ عنه فقال: من صَبَّحنى بقصيدة يفتخر فيها ، وصدق فى فخره ، فله هذه الجارية.

(١) يتشممها ، الأغانى : ليثبها ، المخطوطتان .

فقالوا : نعم[١] . فقاموا على ذلك ثم قالوا : إنّ أبا النجم يغلبنا بمقطّعاته ، يعنون الرجز . فقال : « إنى لا أقول إلا شعراً مقصَّدا » ، فقال من ليَلْته قصيدته التى نخر فيها ، وهى التى أوّلها :

* عَلِق الفؤادَ حبائلُ الشعثاء[٢] *

ثم أصبح فدخل عليه بين الشعراء ، فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

مِنّا الذى رَبَع الجيوشَ لصُلبه[٣] عشرون وهو يُعَدّ فى الأحياء

فقال له عبد الملك : قِفْ . إن كنت صدقتَ فى هذا البيت فلا نريدُ ما وراءه ، فقال الفرزدق : أنا أعرف منهم ستة عشر ، ومن وَلَد وَلَده أربعة كلُّهم قد رَبَع . فقال عبد الملك أو سليمان : وَلَدُ وَلَدِه هم وَلَده ، ادفع إليه الجاريةَ يا غلام . فغلبهم يومئذ .

ويقال : إن عبد الملك قال للفرزدق : إذا أقررتَ له بستةَ عشرَ ، فقد وهبتُ له أربعة . ووهب له الجارية .

بعث الجنيد[٤] بن عبد الرحمن المرى إلى خالدِ بن عبد الله القَسرى بسبيٍ بيضٍ من الهند ، فجعل يَهب أهلَ البيت ، كما هو للرجُل من قُريش ، ومن وجوه الناس ؛ حتّى بقيت منهن واحدة جميلة كان يدّخرها ، وعليها ثياب من خزّ[٥] . فقال لأبى النجم : « هل عنـدك فيها شىء حاضر ، وتأخذها الساعة ؟ » قال : « نعم ، أصلحك الله » . فقال العُريان بن الهيثم النَّخَعى : « كذب ما يقدر على ذلك » .

---

(١) فقالوا نعم ، زيادة ليست فى نص الأغانى .
(٢) علق الهوى بحبائل الشعثاء ، الأغانى .
(٣) لظهره ، الأغانى .
(٤) الحميد ، المخطوطتان .
(٥) ثياب أرضها قوطتان ، الأغانى .

وكان على شُرَط عبد الله بن خالد . فقال أبو النجم :

عَلِقتُ خَوْدًا من بناتِ الزُّطِّ   ذَاتَ جَهاز مُضْغَطٍ مُلَطِّ
رابِى الَمجَسِّ جَيِّدِ المحطِّ   يقول من رآه قَطْنِى قَطِّ
كأنّه قُطٌّ على مِقَطِّ   إذا بدا منه الَّذى تُغَطِّى
كأنَّ تحت ثوبها المنعطِّ   شَطًّا رَمَيْتَ فوقَه بشَطِّ
لم يَعْلُ فى البَطْنِ ولم ينحطّ   فيه شِفَاءٌ من أذَى التَّمَطِّى
كهَامَة الشَّيْخِ اليَمَانى الثَّطِّ

وأومأ بيده إلى هامة العُريان . فضحك خالد وقال للعُريان : « هل تراه احتاج إلى أن يُرَوِّىَ فيها » . قال : « لا والله ! ولـكنه مَلْمُون بن مَلمون » .

ورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك فى الشعراء ، فقال لهم هشام : « صِفُوا إبلا فقطِّروها[1] وأورِدُوها وأصدِروها، حتّى كأنى أنظر إليها » . فأنشدوه وأنشده أبو النجم :

* الحمد لله الوهوب المجزل *

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال :

* فهى على الأفق كعين . . . . *

وأراد أن يقول : « الأحول ، فذكر حَوَلَ هِشام ، فلم يتمّ البيت ، وأُرْتِج عليه . فقال هشام : « أجز » . فقال : « كعين الأحول » ، ومر فى القصيدة . فأمر به هشام فوُجِئت عنقه ، وأُخرِج من الرّصافة ، وقال لصاحب شرطته :
« إياك يا ربيع أن أرى هذا » . فـكلّم وجوهُ الناس صاحبَ شُرطته أن يقرّه ففعل، فـكان يُصِيبُ من فضول أطعمة الناس ، ويأوى المساجد . ولم يكن بالرصافة أحدٌ

(١) فقبطوها ، المخطوطتان .

يُضِيف إلا سليمانَ(١) بن كَيْسان الكلبي وعمرو بن بسطام التَّغلَبي . قال أبو النجم : فكنت آتى سليمانَ فأتغدَّى عنده ، وآتى عمراً فأتعشَّى عنده ، وآتى المسجدَ فأبيت فيه . قال : فاهتمَّ هشامٌ ليلةً وأمسي لَقِسَ النفس ، فأراد محدِّثا يحدِّثه ، فقال لخادمٍ له : ابْغِنى محدِّثا شاعراً أعرابياً أهوج يروى الشعر ، فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبى النَّجم ، فضربه برجله وقال : « أجب أمير المؤمنين » . قال . قلت : « إنى رجل غريب أعرابى » . قال : « إيّاك أبغى . أتروى الشعر ؟ » . قلت : « نعم وأقوله » . فأقبل بى حتى دخلنا القصر وأغلق الباب ، فأيقنت بالشرّ . ثم دخلتُ على هِشام فى بيتٍ صغيرٍ ، بينَه وبين نسائه سِتْرٌ رقيق ، والشمعُ بين يديه تَزْهَر . فلما دخلتُ قال لى هشام : « أبو النجم ؟ » . قلت : « طريدك » . قال : « إجلس » ، فسألنى وقال : « أين كنت تأوى وأين منزِلُك ؟ فأخبرته فقال . « ومن أين كنتَ تطعم ؟ » قلت : « كنت أتغدّى عندهذا وأتعشَّى عندهذا » قال : « وأين كنت تبيت ؟ » قلت : « فى المسجد حيثُ وجدنى رسولُك » . قال : « وما لك من الولد والمال ؟ » قلت : « أمَّا المالُ فلا مالَ لى . وأمّا الولد فلى ثلاثُ بنات وبنىٌّ يقال له شَيْبان » فقال : « هل أخرجت من بناتك أحدا ؟ » قلت : « نعم ، زوَّجتُ اثنتين ، وبقيت واحدةٌ تجمِزُ فى أبياتنا كأنها نعامة . قال : « وما وصَّيتَ به الأولى ؟ » ، وكان اسمُها بَرَّة ، قال : قلت :

أوصيتُ من بَرَّةَ قلبا حُرّا ... بالكلب خيراً والحماةِ شرّا

لا تسأمى ضرباً لها وجَرّاً ... حتّى ترى حُلْوَ الحياة مُرّا

وإن كَسَتْكِ ذهبا ودُرَّا ... والحىَّ عُمِّيهم بشرٍّ طُرّا

فضحك هشام ، وقال : « ما قلت للأُخرى ؟ » قال : قلت :

سُبِّى الحماةَ وابهتى عليها ... وإن نأت فازدلفى إليها

(١) سليم ، الأغانى .

وأوجِعي بالفِهر رُكْبَتَيْها ... وبيِّضي بالقَرْعِ ناظِرَيها
ومِرْفَقَيها واضربي جَنبَيْها ... وظاهِري النُّذْر لها عليها
لا تُخبري الدَّهرَ به ابنتَيها

فضحك هشام حتى بدت نواجذُه، وسقط على قفاه، وقال: « ويحك! ماهذه الوصيَّةُ كوصيَّة يعقوب لولده ». فقال: « ولا أنا كيعقوبَ يا أميرَ المؤمنين » قال: « فما قلت للثالثة ». قال: قلت:

أوصيكِ يا بنتي، فإني ذاهب ... أوصيكِ أن تحمَدكِ القرائبُ[1]
والجارُ والضيفُ الكريم الساغبُ ... لا يرجع المسكينُ وهو خائب
ولا تَنِي أظفارُكِ السلاهبُ ... مِنهنَّ في وجه الحماةِ كاتبُ
والزوج إن الزوج بئسَ الصاحبُ

قال: « فكيف قلت هذا ولم تتزوَّج؟ وأيَّ شيء قلتَ في تأخر زواجها؟ »

قال قلت:

كأنَّ ظلَّامةَ أختَ شَيْبان ... يَتيمةٌ، ووالداها حيّان
الرأسُ قَمِلٌ كلُّه وصِئْبان ... غيرَ بِقاعٍ يبتغيها الصِّبيان
وليس في الساقيْن إلا خَيْطان ... تلك التي يَفْزَعُ منها الشَّيْطان

فضحك هشام حتى ضحك النساء لضَحِكه، وقال للخصيّ: « كم بقي من نفقتك؟ » قال: « ثلاثمائة درهم[2] ». قال: أعطِه إياها ليجعلَها في رِجل ظلَّامة مكان الخيطين.

دخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك، وقد أتت عليه سبعون سنة فقال له هشام: « ما رأيُك في النساء؟ » قال: « إنِّي لأنظرُ إليهن شَزْراً وينظرن إلى خَزْرًا »،

(١) هذا البيت ساقط في المخطوطتين.
(١) دينار، الأغاني.

فوهب له جارية ، وقال « اغْدُ علىَّ فأعلِمنى ما كان منك » . فلمَّا أصبح غدا عليه فقال له : « ما صنعتَ ؟ » . قال : « ما صنعتُ شيئاً ولا قدرتُ عليها وقلت :

نظرتْ فأعجبَهـا الذى فى دِرعها　　　من حُسْنِه ونظرتُ فى سِربالِيا
فرأت لها كَفَلاً ينوء[1] بخَصْرِها　　　وَعْثاً روادفه وأجْثَمَ جاثِيا
ورأيتُ منتشِر العروق[2] مقلِّصا　　　رِخْواً مفاصلُه وجلداً باليا
أُدنى له الرَّكَبَ الحليق كأنَّما　　　أُدنى إليه عَقاربا وأفاعيا

فأمر له هشام بجائزة .

قال هشامٌ لأبى النجم : « حدثنى يا أبا النجم » . قال : « عنِّى أو عن الناس؟» قال : « لا بل عنك » . قال : « إنى لما كبرتُ عَرَض لى البول ، فوضعت عند رجلى شيئاً أبول فيه ، فقمتُ فى الليل فخرج منى صوت فتشدَّدت ، ثم عدت فخرج منى صوت آخر ، فعدتُ إلى فِراشى فقلت : يا أم الخيار هل سمعتِ شيئاً ؟ . قالت : لا ، ولا واحدةً منهما » . وأم الخيار هذه هى التى يقول فيها :

قد أصبحتْ أمُّ الخيار تدَّعى　　　علىَّ ذنباً كلّه لم أصنع

مدح أبو النجم الحجَّاج برَجَز يقول فيه :

ويلُ أُمِّ زُور عِزَّة ومَجْد　　　دُورِ ثَقيفٍ بسَواء نجد
أهل الحصون والخيول الجُرْدِ

فأعجب الحجاج رجزه فقال : « حاجتَك » . فقال : « تُقطِعُنى ذا الخَيْس[3] » . فوجَم لها وسكت ، ثم دعا بكاتِبه فقال انظرُ ذا الخيس ما هو ؟ فإن هـذا الأعرابىَّ سألنيه ، فما هو ؟ لعلَّه نهرٌ من أنهار العراق » فسألوا عنه فقيل: وَادٍ فى بلاد عجل ،

---

(١) يميل ، الأغانى .
(٢) العجان ، الأغانى .
(٣) ذا الجبنين ، الأغانى .

أعلاه خَشَفة وأسفله سَنجة ، وتخاصم فيه هو وبنو عمٍّ له . فقال : « اكتبوا له به » . فأهلهُ به إلى اليوم .

قال الأصمعى : أخطأ أبو النجم فى أشياء أخذت عليه ، منها قولُه ، يصف فَرَسَه وقد أجراه فى حَلْبة :

* تَسْبحُ أُخراه ويَطْفُو أوّلُه *

وهو إذا سبَحَت أُخراه كان حِمار الكُساح أسرعَ منه ، وإنّما يوصف الجواد بأنه تسبح أُولاه وتلحق أخراه . قال الأصمعى[1] : ورأيت فرسه هذا فقومته بسبعين درهما .

---

(١) عبارة الأصمعى فى الأغانى : « وحدثنى أبى أنه رأى فرسه هذا فقومه بسبعين درهما » .

فَضَالةُ بن شَرِيك

هو فَضالةُ بن شَرِيك بن سلمان بن خُوَيلد بن سَلَمة بن عامرٍ مُوقِدِ النار بن الحَرِيش بن نُمَيْر بن الحارث بن ثَعْلبة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار .

شاعِرٌ فاتِكٌ صُعلوكٌ مخضرم أدركَ الجاهليَّة والإسلام ، وكان له ابنانِ شاعران، أحدُها فاتِك ، والآخر عبدُ الله الواردُ على عبدالله بن الزُبَير ، والقائلُ له : إنَّ ناقَتى نَقِبَ خُفُّها ودَبِرت . فقال له : ارْقَعها بِسِبْتٍ واخْصِفْها بهُلْبٍ وسِرْ بِها البَرْدَيْن . فقال له : إنِّى جئتُك مسْتَحمِلًا ولم آتك مسْتَوصِفاً ، فلعن الله ناقةً حملتنى إليك . فقال له ابنُ الزبير : إنَّ وراكبهَا . فانصرف وهو يقول :

أقولُ لغِلْمَتى شُدُّوا رِكابى ... أُجاوِزْ بَطنَ مكَّةَ فى سَوَاد

فما لى حينَ أقطعُ ذاتَ عِرقٍ ... إلى ابن الكاهليَّة من مَعاد

سيُبعِدُ بيننا نصُّ المطايا ... وتعليقُ الأَداوَى والمَزاد

أرى الحاجاتِ عند أبى خُبَيبٍ ... نَكِدْنَ ولا أُميَّةَ فى البلاد

فإن وليتْ أميةُ أبدأوكم ... سميدع . وارى الزناد

من الأَعْياصِ أو من آل حربٍ ... أغرُّ كغُرَّة الفرَس الجواد

فلما وُلِّى عبدالملك طلب فَضالة فوجده قدمات ، فأمر لورثته بمائة ناقة تحمل وقرها تمراً وبرًّا ، وأما فاتك فكان سيداً جواداً وله يقول الأُقَيشِرْ يمدحه :

وفد الوفودُ فكنتَ أفضل وافدٍ ... يافاتكُ بنَ فَضالة بنِ شَرِيك

مرَّ فَضالة بن شَرِيك بعاصمِ بن عمر بن الخطاب وهو بالمدينة ، فنزل فلم يَقره شيئاً ولم يبعث إليه ولا إلى أصحابه بشىء ، وقد عرَّفوه بمكانهم ، فارتحلوا عنه .

والتفت فَضالةُ إلى مَوْلًى لعاصم وقال : قل له : « أما والله لأطوِّقنّك طوقاً لا يبلى ».

وقال يهجوه :

ألا أيُّها الباغى القِرى لست واجداً ... قِراك إذا ماباتَ فى دار عاصم

إذا جئتَه تبغى القِرى بات نائماً ... بطيناً وأمسى ضَيفُه غير طاعم

فدع عاصماً إذ لا فَعَال(١) لعاصمٍ ... إذا حُصِّل الأقوامُ أهل المكارم

فتًى من قريش لا يجودُ لسائلٍ(٢) ... ويحسَب أنَّ البخلَ ضربةُ لازم

ولولا يدُ الفاروق قلَّدتُ عاصماً ... مطوَّقةً يُحدَى بها فى المواسم

فليتك من جَرْم بن زَبَّانَ أو بنى الـ ... فُقَيْم أو النَّوكى أبانِ بن دارِم

أُناسٌ إذا ما الضَّيْفُ حلَّ بيوتَهم ... غدا جائماً عَيمان ليس بغانِم

فلما بلغت أبياتُه عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص ، والى المدينة ، فهرب فَضالة ، فلحِق بالشام ، وعاذ بيزيدَ بن معاوية ، وعرَّفه ذنبه وما يتخوَّف منه من عاصم ، فأعاذه . وكتب إلى عاصمٍ يخبره أن فَضالة استجار به ، ويحِبُّ أن يهبَه له ، ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره ويضمن له(٣) ألّا يعود لهجائه فقبل ذلك عاصم وشفع يزيد فيه، فقال فضالة يمدح يزيد بن معاوية :

إذا ما قُريشٌ فاخرت بقديمها ... فخرتَ بمجدٍ يايزيدُ تليد

بمجدِ أمير المؤمنين ولم يزل ... أبوك أمينُ الله غيرَ بليد

به عَصَم اللهُ الأنام من الرَّدى ... وأدرك تَبْلًا من معاشرَ صيد

ومجدِ أبى سفيان ذى الباع والنَّدى ... وحَرْبٍ وما حربُ العُلا بزهيد

فمَنْ ذا الذى إن عدَّد الناسُ مجدَه ... يجىء بمجدٍ مثل مجد يزيد

(١) إذ لا فعال ، المخطوطتان : اف الأفعال ، الأغانى .

(٢) بنائل ، الأغانى .

(٣) ويضمن له ، الأغانى : ويخبره ، المخطوطتان .

كان عبد الله بن الزبير قد ولَّى عبدَ الله بنَ مُطيع بن الأسـود بن فَضْلة بن عُبَيد الـكوفةَ ، فطرده عنها المختارُ بن أبي عُبَيـد حين ظهر ، فقال فَضالةُ يهجو ابن مطيع :

دعا ابنُ مطيعٍ للبِيَاع فجئتُه ... إلى بَيعةٍ قلبي بهـا غيرُ عارف

فمدَّ يداً(١) خَشْناءَ لـما لمستُهـا ... بـكَفِّى لم تُشبِه أكفَّ الخلائف

معوَّدةً حمل الهراوَى لِقَومهـا ... فَرُوراً(٢) إذا ما كان يومُ التسايُف

(١) فقرب لى ، الأغانى

(٢) نزورا ، المخطوطتان .

الفضل بن العباس

هو الفَضْل بن العبّاس بن عُتْبَة بن أبى لهب ، واسمه عبد العُزَّى بن عبد المطّلب ابن هاشم بن عبد مناف . أحدُ فصحاء بنى هاشم وشعرائهم المذكورين وكان شديد الأُدمة ، ولذلك قال :

طَرِب الشيخ ولا حينَ طرب　　وتصابى ، وصِباً الشيخ عَجَب
وأنا الأخضرُ من يعرفنى　　أخضرُ الجلدة من بيت العرب
من يساجِلْنى يساجِلْ ماجداً　　يملؤ الدلوَ إلى عَقْد الكَرَب
إنّما عبد مناف جوهر　　زيَّنَ الجوهرَ عبدُ المطلب
كلّ قوم صِيغَةٌ من فِضَّة　　وبنو عبد مناف من ذهب
نحن قومٌ قد بنى الله لنا　　شرفاً فوق بُيوتات العرب
بنبيٍّ الله وابنَى عمِّه　　وبعبّاس بن عبد المطّلب
شاب رأسى ولِداتى لم تَشِب　　بعد لَهْوٍ وشبابٍ ولَعِب

وهو هاشمىّ الأبوين . أمُّه بنت العباس بن عبد المطلب ، وإنَّما أتاه السوادُ من قِبَل جدَّته وكانت حَبَشِيَّة .

كان النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم زوَّج عُتبة إحدى بناته ، فلما بعثه الله تعالى نبياً أقسمت عليه أُمُّ جميل أن يطلِّقها ، فجاء إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم فوقف عليه فقال : يا محمد ، أُشهد من حَضَر أنى كفرتُ بربِّك ، وطلقت ابنتك ؛ فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث الله عليه كلباً من كلابه فيقتله ؛ فبعث الله عليه أسداً فافترسه ، وقيل : لما نزلَ قولهُ تعالى « والنَّجْمِ إِذَا هَوَى » قال عُتبة بن أبى لهب للنبىِّ صلى الله عليه وسلم : أنا كفرت بربِّ النجم إذا هوى ، فدعا عليه رسول الله

صلى الله عليه وسلم . فلما خرج إلى الشام فى رَكْب فيهم هَبَّار بن الأسود ، حتى إذا كانوا بوادى الغاضِرة ، وهو وادٍ مسبع ، نزلوا ليلًا فافترشوا صفًّا واحداً ، فقال عتبة : « أتريدون أن تجعلونى حَجْرَة ؟ لا والله ، لا أبيتُ إلا وسْطكم » فبات وسطهم . قال هبّار : فما أنبهنى إلا السَّبُع وهو يشمّ رءوسهم رَجُلًا رجلا ، حتى انتهى إليه ، فالتقت أنيابُه فى صُدغه ؛ فصاح : يا قوم ، قتلنى قتلنى ، دعونى أستمت به . فأمسكوه ، فلم يلبَثْ أن مات فى أيديهم .

مرّ الفضلُ بالأحوص وهو يُنشد ، وقد اجتمع عليه الناس ، فحسده ، فقال له : « يا أحوص[1] ، إنك لشاعر ولكنك لا تعرف الغريب[2] ولا الإعراب » .قال : « بلى ، والله إنى لأبصر الناس بهما . فأسألك[3] ؟ » قال : « نعم » . قال :

« ماذاتُ حَبْلٍ يراها الناسُ كلُّهم … وَسْط الجحيم فلا تخفَى على أحد
كلُّ الحبالِ حبالِ الناس من شَعَرٍ … وحبلُها وَسْطَ أهل النار من مَسَد

فقال له الفضل بن العباس :

ماذا أردتَ إلى شَتْمى ومَنْقَصتى ؟ … ماذا أردتَ إلى حَمَّالة الحطب ؟
ذَكرتَ بنتَ قُروم سادةٍ نُجُبٍ … كانت حليلةَ شيخ ثاقِب النسب

وانصرف عنه .

كان الحزين الدِّيلى مُغرًى بالفضل وبهجائه ، فمرّ بالفضل يوم جمعة ؟ وعنده قومٌ يُنشِدهم ، فقال له الحزين : « أتنشد الشعر والناس يروحون إلى الصلاة ؟ » فقال له : « ويحك ياحزين ! أتتعرّض لى كأنك لا تعرفنى ؟ » قال : « بلى ، والله إنى لأعرفك ويعرفك معى كل من يقرأ سورة ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ » ثم قال :

---

(١) الأحوص ، المخطوطتان .
(٢) العرب ، المخطوطتان .
(٣) قال فأسألك ، المخطوطتان .

إذا ما كنتَ مفتخراً بجَدٍّ فعرِّج عن أبى لَهَبٍ قليلا
فقد أخزى الإلٰه أباك دهراً وقلَّد عِرسه حبـلا طويلا

فأعرض عنه الفضل وتـكرّم عليه[1] .

قدِم الوليدُ بن عبد الملك حاجًّا وهو خليفة ، فدخل عليه الفضلُ بن العباس بن عتبة ، فشـكا إليه كثرةَ العيال ، وسأله فأعطاه مالاً وإبلًا ورقيقاً . فلمّا مات الوليد وَلِيَ سليمان ، فحجّ ، فأتاه الفضل فسأله فلم يعطه شيئا ؛ وكان الوليد فرض له فريضةً يُعطاها فى كل سنة ، فقال له : « يا أمير المؤمنين ، فشاربُ الريح » فقـال : « وما شارب الريح ؟ » قال : « حمارى ، افرض له شيئاً » : ففرض له خمسة فأخذها ، ولم يكن يطعمه شيئا .

وكان الفضل بخيلا ثقيلَ البدن ، وكان كلَّما أراد أن يمضىَ فى حاجة له استعار مركوباً ، فطال ذلك عليه وعلى أهل المدينة من فعله ، فقال له بعضُ بنى هاشم : « أنا أشترى لك حمارًا تركبه وتستغنى عن العارية » ، ففعل وبعث به إليه ، فـكان يستعير سَرْجاً إذا أراد أن يركبه ؛ فتواصى الناس بألا يعيرَه أحـدٌ سرجاً فلما طال ذلك عليه اشترى سرجا بخمسة دراهم ، وقال :

ولما رأيت المـال يألف أهـله وصان ذَوِى الأخطار أن يتبذّلوا
رجعتُ إلى مالى فعاتبت بعضه فأعتبنى[2] إنى كذلك أفعـل

وقال للّذى اشترى له الحمار : « إنّى لا أطيق عَلَفه ، فإمّا أن تبعث بعَلَفِه أو رددتَه » فـكان يبعث بعَلَفه كلَّ ليلة ، ولا يَدَعُ هو أيضا أن يطلب من كلِّ أحد ما يشترى علفاً له ، فيبعث به ، فيعلفه التبن دون الشعير ، حتى هُزِل وعطِب . فرفع

---

(١) عن جوابه ، الأغانى .

(٢) فعاتبنى ، المخطوطتان .

الحزين الكنانى إلى ابن حزم رقعة[1] كتب فيها قصّة حِمار الفضل اللّهبى ، وشكا فيها أن يركبه ويأخذ عَلَفه وقَضِيمهُ من الناس ، فيبيعُ الشعير ويعلفه التبن ، ويسأل أن يُنصِفَ منه ؛ فضحك منه وقال : لئن كنتَ مازحاً إنى لأظنك صادقاً ، فأمر بتحويل حمارِ الفضل إلى اصطبله ، ليعلِفَه ؛ فكان إذا أراد ركوبه دُفِع[2] إليه وأعاده.

ومن شدَّة بخله أنّه أتى علىّ بن عبد الله بن عباس لما حجَّ ، مسلّما عليه فى منزله ، فقال له : « كيف أنت . وكيف حالك ؟ » قال : « بخير نحن فى عافية » ، قال[3] : « هل لكَ من حاجة ؟ فقال الفضل : لا والله . ولكنِّى أشتهى هذا العِنب ، وقد أغلاه علينا هؤلاء العُلوج » . فغمز غلاماً له ، فذهب فأتاه بسَلَّة عظيمة من عِنب ، فجعل يغسِل عنقوداً عنقوداً ويناوله ، فقال له : « بَرَّتك رَحِم » .

كان إسحاقُ بن عيسى بن علىّ والىَ البصرة ، فاجتمع عنده وجوه أهل البصرة ، وقد كانت فيهم بقيَّة حسنة فى ذلك الدهر ، فأفاضوا فى ذكر بنى هاشم وما أعطاهم الله من الفضل بنبيِّه صلى الله عليه وسلم ؛ فمن مُنشِد شعراً ، ومن متحدِّث حديثا ، وذاكرٍ فضيلةً من فضائل بنى هاشم . فقال محمد النوْفَلى : قد جمع هذا الكلامَ الفضلُ بن العباس اللَّهَبى فى قوله :

مابات قومٌ كرامٌ يدّعون يداً ... إلا لقومى عليهم منَّةٌ ويدُ
نحن السَّنام الذى طالت شَظِيَّته ... فما يخالطُه الأدواء والعمَد

يعنى : من صلَّى صلاتنا ، وذبح ذبائحنا ، عرَف أن لرسول الله صلّى الله عليه وسلم يداً عليه ، بما هداه الله عزّ وجلّ للإسلام به ، ونحن قومُه ، فتلك منّة لنا على الناس ، والشَّظِيَّة الشظى . ومنه قول دُريد بن الصِّمة :

---

(١) قصة ، المخطوطتان .
(٢) دفعه ، المخطوطتان .
(٣) ساقطة فى المخطوطتين .

سليم الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شَيخ النَّسا أمينُ القُوى نَهدٌ طويلُ المقلَّد

والعَمَد داء يصيب البعير فى مؤخَّرة سَنامة إلى عَجُزه فلا يلبثُ أن يقتلَه .

خرج علىٌّ بن عبد الله بن عباس بالفضل اللهبى إلى عبد الملك بن مروان بالشام ، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيبٍ له ، ومعه حادٍ يحدُو به ، وعلىّ بن عبد الله يُسايره على نَجيبٍ له ، ومعه الفضلُ على نَجيب . فحدا حادى عبد الملك فقال :

يأيها البَكرُ الذى أراكا عليك سهلَ الأرض فى ممشاكا
ويحكَ ! هل تعلمُ من علاكا إن ابنَ مَرْوان على ذُراكا
خليفة الله الذى امتطاكا لم يَعْلُ بَكراً مثلُ من علاكا

فعارضه الفضلُ اللهبى ، يحدو بعلىٍّ بن عبد الله بن عباس ، فقال :

يأيها السائلُ عن علىّ سألتَ عن بدرٍ لنا بدرىّ
مقدَّمٍ فى الخير أبْطَحىّ أغلبَ فى العلياء غالبىّ
ولينِّ الشّيمةِ هاشمى جاء على بَكر له مَهْرِىّ

فنظر عبدُ الملك إلى علىّ فقال : « هذا مجنونُ آل أبى لَهَب ؟ » قال : « نعم » . فلمّا أعطى قريشاً مرَّ به اسمُه فحرمه وقال : « يُعطيه علىّ » .

وقيل : إن سليمان بنَ عبد الملك حجَّ فى خلافة الوليد ، فجاء إلى زمزم فجلس عندها ، ودخل الفضلُ اللَّهَبي يستَقى ، فجعل يَرْتجز ويقول : « يأيها السائل عن علىّ » الأبيات وزاد فيها :

زمزمُ ، يا بوركتِ[1] من رَكِىٍّ بوركتِ للساقى وللمسْقىّ

فغضب سليمان وهمَّ بالفضل ، فكفَّه عنه علىٌّ بن عبد الله ، ثم أتاه بقَدَحٍ فيه نبيذ من نبيذ السِّقاية ، فأعطاه إياه وسأله أن يشرب به ، فأخذه من يده كالمتعجِّب ،

---

(١) زمزمنا بوركت ، الأغانى .

ثم قال : « نعم إنه يستحبّ » . ثم وضَعَه من يده فلم يشربه ، فلما وَلِى الخلافة وحجَّ لقيه الفضل ، فلم يعطه شيئاً .

كان الحارثُ بن خالد المخزومى يحسُد الفضلَ على شعره ، ويعاديه ، لأن أبا لهب جدَّ الفضل كان قامر جدَّه العاصىَ بن هشام على ماله فقَمَره ، ثم قامره على رقِّه وعبوديته فقَمَرَه ، فاستلمه قِناًّ ، وبعثَ به يوم بدرٍ مقاتِلا عنه ، فقتله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . وكان إذا أنشد شيئاً من شعره يقول : « هذا لابن حمَّالة الحطب » فقال الفضل فى ذلك :

ماذا تحاول من شتمى ومَنْقَصتى ماذا تعـيِّر من حمَّالة الحطب
غرّاء سَائلةٌ فى المجــد غُرَّتها كانت حليلة شيخ ثاقب النسب
أما أبوكَ فعبــدٌ لستَ تنـكره وكان مالــكه جدى أبو لهب
النَّبْعُ عِيــدانُنا والمجدُ شِيمتنا لسنا كقَومك من مَرْخٍ ومن غَرَب

لما وفد عمرُ بن أبى ربيعة على عبد الملك بن مروان أدخل عليه ، فاستنسبه(١) فانتسب ، فقال له :

« لا أنعم الله بقَينٍ عينا تحية السخط إذا التقينا

ألست القائلَ لا أمّ لك ! :

نظرتُ إليها بالمحصَّب من مِـنًى ولى نظر لولا التحرُّج عارم
فقلت : أشمسٌ أم مصابيح بِيعة بدت لك خلف السجفِ أم أنت حالمُ
بعيدة مَهوى القُرْط إمَّا لنوفلٍ أبوها وإما عبد شمس وهاشمُ
ومدَّ عليها السِّجف يوم لقيتُها على عجلٍ تُبَّاعُها والخــوادم
فلم استَطِعْها غير أن قد بدا لنا عشيَّة راحت كفُّها والمعـاصم
معاصم لم تَضرِبْ على البَهْم بالضُّحى عصاها ووجهٌ لم تَلُحه السمائم

(١) فنسبه ، المخطوطتان . وفى الاغانى : فسأله عن نسبه .

قاتلك الله ! ما ألأمك ! أما كانت لك فى بنات العرب مندوحة عن بنات عمِّك » . فقال عمر : « بئست والله يا أمير المؤمنين هذه التحيَّة لابن العم ، على شَحط الدار ونأى المزار » . فقال عبد الملك : « أتُراكَ مُرتَدِعاً عن ذلك ؟ » فقال : « إنى إلى الله تائب » . فقال عبد الملك : « إذن يتوب الله عليك ، ويحسن جائزتك ؛ ولكن أخبرنى عن مُنازعتك للفضل اللهبى فى المسجد ، فقد أتانى[1] نبأ ذلك ، وكنتُ أحبّ أن أسمعه منك » . فقال عمر : « يا أمير المؤمنين ، بينا أنا جالسٌ فى المسجد فى جماعة من قريش إذ دخل علينا الفضل بن عباس ، فسلّم وجلس ، ووافقنى وأنا أتمثَّل بهذا البيت :

وأصبح بطنُ مكة مُقشَعِرًّا كأنَّ الأرض ليس بها هِشام

فأقبل علىَّ فقال : يا أخا بنى مخزوم ، والله إن بلدةً تَبَحْبح بها عبد المطلب ، وبُعِثَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، واستقرَّ بها بيتُ الله عز وجل ، لحقيقة ألا تقشَعِرّ لهشام . وإنَّ أشعرَ من هذا وأصدق قولُ القائل :

إنما عبدُ منافٍ جوهر زيَّن الجوهرَ عبدُ المطلب

فأقبلتُ عليه فقلت : يا أخا بنى هاشم ، وإنَّ أشعرَ من صاحبك الذى يقول :

إن الدليلَ على الخيراتِ أجمعِها أبناء مجتمَع الخيرات[2] مخزومِ

فقال لى : أشعرُ والله من صاحبك الذى يقول :

جبريل أهدى إلى[3] الخيرات أجمعها أبناء[4] هاشم لا أبناء مخزوم

(١) أنبأنى ، المخطوطتان .
(٢) مخزوم للخيرات ، الأغانى .
(٣) لنا ، الأغانى .
(٤) إذ أم ، الأغانى .

فقلت : غلبنى والله . ثم حملنى الطمعُ فى انقطاعه على مخاطبته فقلت : بل أشعرُ منه الذى يقول :

أبنـــاء مخزوم الحريق إذا حرّكته تارةً ترى ضَرَما
يخرج منه الشَّرار مَعْ لهب من حاد عن حَرِّه فقد سلما

فوالله ما تلعثَم أن أقبل علىّ بوجهه ، ثم قال : يا أخا بنى مخزوم ، أصدقُ من صاحبك الذى يقول :

هاشمُ بحرٌ إذا طمى وسما أخمد حرَّ الحريق مضطرَّ ما
فاعلمْ ، وخير المقال أصدقُه ، بأنَّ من رام هاشماً هُشِما

فتمنيّت[1] والله يا أمير المؤمنين أن الأرضَ ساخت بى ، ثم تجلَّدت فقلت : يا أخا بنى هاشم ، أشعرُ من صاحبك الذى يقول :

أبناء مخزومَ أنجُمٌ طلعت للناس تجــلُو بنورها الظُلَما
تجودُ بالنَّيْل قبــل مَسألةٍ[2] جُودا هنيئاً وتضرب القُحما

فأقبل علىّ كأسرع من اللَّحظ ، فقال : أشعر من صاحبك وأصدق الذى يقول :

هاشمُ شمسٌ بالسعد مَطلعها إذا بَدَت أخفت النجوم معا
اختــار ربِّى منها النبىَّ فمن قارعها[3] بعد أحمــد قُرِعا

فاسودَّت الدنيا فى عينى ، وانقطعت ، فلم أُحِر جواباً ، ثم قلت : يا أخا بنى هاشم إن كنت تفخر علينا بالنبى صلى الله عليه وسلم فما تسعنا مفاخرتُك . فقال : كيف لا أمّ لك ! والله لو كان منك لفخرت به علىّ . فقلت : صدقت وأستغفِر الله فإنه

(١) فتيقنت ، المخطوطتان .
(٢) تسأله ، الأغانى .
(٣) نازعها ، المخطوطتان .

موضع الفخار . وداخلنى السرورُ لقطعه الكلام ولئلا ينالنى عَقَدٌ(١) عن إجابته فأفتضح . ثمَّ إنه ابتدأ المناقضة فأفكر هُنَيهة ثم قال : قد قلتُ مالا بدَّ لك من الاستماع ، فقلت : هاتِ ، فقال :

نحن الذين إذا سما لفخارهم ... ذُو الفخر أقعدَه هناك القُعْدُد
فافخر بنا إن كنت يوما فاخِرا ... تَلْقَ الأُلَى فخروا بفخرك أُفرِدوا
قل ياابن مخزومٍ لكلِّ مفاخرٍ ... منا المباركُ ذو الرسالة أحمد

فَحُصِرت والله وتبلَّدت ، وقلت : إن لك عندى جواباً فأنظِرنى فأفكرتُ مليًّا ثم أنشدت :

ماذا يقولُ ذَوُو الفخار هنا لكم ... هيهاتَ ذلك ؟ هل يُنال الفرقَد(٢)
لا فخرَ إلا قد علاه محمَّدٌ ... فإذا فخرتَ به فإنى أشهَدُ
أَنْ قد فَخَرتَ وفُقت كلَّ مفاخِرٍ ... وإليكَ فى الشرفِ الرفيع المَعْمَد
ولنا دَعائِمُ قد بناها أوّلٌ ... فى المكرُمات جرى عليها المولدِ
من رامها حاشَى النبيَّ وأهلَه ... بالفخر غَطْمَطَه الخلِيجُ المُزْبِد
دَعْ ذا ورُح لغناء خَوْدٍ بَضّة ... مما نطقتَ به وغنَّى مَعبدُ
مع فِتْيةٍ تندَى بطونُ أكفِّهم ... جُوداً إذا هرّ الزمانُ الأنكد
يتناولون سُلافةً عانِيَّةً ... طابت لشاربها فطاب المقعدُ

فوالله ، يا أمير المؤمنين ، لقد جاوبنى بجواب كان أشدّ على من الشعر . قال : يا أخا بنى مخزوم ، أريك الثريّا وترينى القمر ؟ (أدلّك على الأمر الغامِض وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح)، أتخرجُ من المفاخرة إلى شُرب الخمر ؟ فقلت : أماعلمت

---

(١) عوز ، خور ، الأغانى ، وليس بشىء .

(٢) جعل هذا البيت فى الأغانى من تمام قول الفضل .

أن الله تعالى يقول فى الشعراء « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالَا يَفْعَلُونَ » . فقال : صدقت ، وقد استثنى الله عز وجل قوماً منهم ، فقال « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات » ، فإن كنتَ مؤمنـا دخلت تحت الاستثناء واستحققْتَ العقوبة بدعائك إليها ، وإن لم تـكن منهم فالشِّرك بالله عليك أعظمُ من شرب الخمر . قلت : أصلحك الله ، لا أجد للمستخذى شيئاً أصلح من السكوت فضحك وقال : «أستغفرُ الله . وقام عنى » .

فضحك عبدُ الملك حتى استلقى على قفاه ، وقال : يا ابن أبى ربيعة أما علمتَ أن لبنى عبد المطّلب ألسنةً لا تطاق ؟ إرفع حوائجك . فرفعتُها فقضاها ، وأحسن جائزتى ، وصرفنى .

الفَضْل الرَّقاشي

هو الفضلُ بن عبد الصّمد ، مولى رَقاش ، وهو من ربيعة . وكان مطبوعاً سهلَ الشعر نقيّ الكلام . وقد ناقضَ أبا نُواس وفيه يقول أبو نواس :

وجدنا الفضلَ أكرمَ من رقاشٍ   لأنّ الفضلَ مولاه الرسول

أراد أبو نواس بهذا نفيَه عن ولائه ، وذهب أبو نواس إلى قوله صلى الله عليه وسلّم : أنا مَوْلى من لا مولى له ، وقيل : إن الرقاشيّ من العجم من أهل الرّى ، ومدح الرشيد وأجازه .

وكان منقطعا إلى آل بَرْمك وأغنَوه عن سواهم وغَنِيَ بهم ، وكانوا يصولون به على الشعراء ويُرَوُّون أولادهم أشعاره فيهم ، ويدونون القليل والكثير منها تعصُّبا له ، وحفظا لخدمته ، وتنويهاً باسمه ، وتحريكاً لنشاطه ؛ فحِفظ ذلك لهم . فلما نُكِبوا صار إليهم فى مَحبِسهم ، فأقام معهم مدّة أيامهم ، يُنشِدُهم ويُسامِرهم ، إلى أن ماتوا ، فرثاهم فأكثر ، ونَشَر محاسنَهم وجودَهم ومآثرهم فأفرط ، حتى نَشَر منها ما كان مطويًّا ، وأذاع منها ما كان مستوراً . وكان كالموقوف لمديح صغيرهم وكبيرهم . ثم انقطع إلى طاهر بن الحسين ، وخرج إلى خُراسان فلم يزل بها معه إلى أن مات .

وكان مع تقدُّمه فى الشِّعر ماجناً خليعاً متهاوناً فى مُروءته ودينه . وقصيدته التى يُوصى فيها بالخلاعة والمُجون مشهورةٌ سائرة فى الناس ، مبتذَلة فى أيدى العامّة والخاصّة ، وهى التى أولها :

أوصى الرقاشيُّ إلى إخوانه   وصيَّةَ المخمور فى نُدمانه

ورأيت هذه القصيدة بعينها بخط الجاحظ ، فى شعر أبى نعامة ، فى جملة قصيدة طويلة يهجو فيها جماعة ، ويأتى فى وسطها بقصيدة الرقاشى .

ولما قال أبو دُلَف العجْلى :

ناوِلينى الدِّرع[1] قد طا ل عن الحرب جِمامى
مر لى شهران مذلم أرم قوما بحمام[2]

قال الرقاشىُّ يعارضه :

جَنِّبِينى الدِّرع قد طا ل عن القَصْفِ جِمامى
واكْسِرِى المِطْرَد البيـ ض وأثنِى بالحسام
واقـذِفِى فى لُجّة البحر بقَوْسى وسِهامى
وبتُرْسِى وبرمحى وبسَرْجى ولجامى
فبحسبى أن تَرَيْنى بين فِتْيانٍ كرام
سادةٍ راحوا مجدِّيـ ن على شُرب[3] المدام
واصْطِفاقِ العُود والنايا ت فى جُنح[4] الظلام
ثم خلِّ الطّعنَ والضر ب لأجسادٍ وهام
لشقىٍّ قال : قد طا ل عن الحرب جِمامى

لما توفى العباس بن محمد بن خالد بن برمك والرشيد بالرّصافة ، كان فى يوم جمعة ، وحضر الرشيد والمأمون ، وأخرجت المضاربُ إلى مقابر البرامكة بباب البَرَدان ، وفُرِشَ للرّشيد فى مسجدٍ هناك . وجاء الرشيد فى الحَلَق والأعلام والحراب ، فصلّى

(١) الرمح ، الأغانى .
(٢) بسهام ، الأغانى .
(٣) حرب ، الأغانى .
(٤) جوف ، الأغانى .

عليه ، ووقف على قبره حتى دُفن . فلما خرج يحيي ومحمد من قبره قبّلا يَدَى الرشيد وسألاه الانصراف ، فقال : لا ، حتّى يُسوَّى عليه التراب . ولم يزل قائما حتى فُرِغ من أمره ، وعزّاها، وهمّ بالركوب ، فقال الرّقاشي يرثى العباس :

أتحسَبُنى باكرتُ بعــدك لذّةً   أبا الفضل ، أورَفّمتعن عاتِقٍ سِترا

ولما قتل جعفرُ بنُ يحيي وصُلِب اجتاز الرقاشيُّ وهو على الجِذْع ، فوقف يبـكى وأنْشَد :

أمــا والله لولا خوفُ واشٍ   وعينٌ للخليفة لا تنام
لطُفنا حَول جِذعك واسْتَلمنا   كما للنّاس بالحَجَر استلام
فما أبصرتُ قبلك يا ابنَ يحيي   حساماً قدّه السيفُ الحسام
على المعروف والدنيا جميعاً   ودولةِ آل برمكٍ السلام

فـكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد فأحضره وقال له : ما حملَك على ما قلت ؟ » قال : « يا أميرَ المؤمنين ، كان إلىّ محسناً ، فلمّا رأيته على الحال التى هو عليها حرّكنى إحسانه ، فما ملـكتُ نفسى حتى قلتُ ما قلت » . قال : « فـكم كان يُجرى عليك ؟ » قال : « ألفَ دينارٍ فى كل سنة » . قال : « فإنّا قد أضْعَفناها لك » .

كان ابنُ درّاج عثمانُ الطُّفَيلىُّ كثيرَ التطفيل فقيل له يوما : إن فلاناً وفلاناً قد اشتروا رءوسا ودخلوا البستان ، فأقبل يُحضِر عَدْواً خوفا من فوتهم ، فوجدهم قد كوّموا العِظام ، فوقف عليهم ينظر ، ثم استعْبَر ، وتمثّل بقول الرقاشى :

آثار رَبْــعٍ قدُما   أعيي جَوابى صمَمَا
سحّت عليه دِيَمٌ   بمائها فانهدَما
كان لسُعدى عـلَماً   فصار وَحْشا رِمَما
أيام سُعدى سَقَمٌ   وهى تُداوِى السَّقَما

وكان عثمان هذا يلزم[١] سعيدَ بن عبد الكريم الخطَّابى ، أحدَ ولَد[٢] زيد ابن الخطاب . فقال له : « إنى أصونك[٣] وأضَنُّ بك عما أنتَ فيه من التطفيل ، ولى وظيفةٌ رَاتِبةٌ كل يوم ، فالزَمْنِى[٤] فكن مدعواً ، أصلحُ لك ممّا تفعل » . فقال : « رحمك الله ! أين يُذهب بك ، أين لذَّة الجديد ، وطيب التنقّل كلّ يوم من مكان إلى مكان ؟ وأين هو نَيْلُكُ[٥] ووظيفتك من احتفال العُرس ؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة ؟ » قال : « فأمّا إذ أبيتَ ، فإذا ضاقت عليك المذاهب ، فإنى فيئة لك[٦] » قال : « أما هذا فنعم » .

وقال هذا الخطّابى[٧] لابن درّاج : « كيف تصنع بأهل العُرس إذا لم يدخلوك ؟ » قال : « أنوح على بابِهم فيتطيّرون من ذلك فيُدخِلونى » .

صار ابن درَّاج هذا يوماً إلى باب علىّ بن زيد ، وكان يكتب للعباس بن المأمون ، فحجبه الحاجب وقال : له « ليس هذا وقتك ، وقد رأيت القوَّاد محجوبين ، فكيف يؤذن لك أنت ؟ » فقال : « ليست سبيلى سبيلَهم ، لأنه يحبُّ أن يرانى ويكره أن يراهم » . فلم يأذن له . فبينما هما على ذلك إذا خرج علىٌّ بن زيد فرآه ، فقال : « ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل ؟ » قال : « منعنى هذا البغيض » فالتفت إلى الحاجب فقال : « بلغ من بُغضِك أنك تحجُب هذا ؟ ثم قال : « يا أبا سعيد ، ما أهديت إلى من النوادر ؟ » قال : مرَّت بى جِنازة ومعى ابنى هذا ، ومع الجنازة

---

(١) يكرمه ، المخطوطتان .
(٢) ولدى ، المخطوطتان .
(٣) زيادة عن الأغانى يقتضيها السياق .
(٤) يكرمنى ، المخطوطتان .
(٥) نيلك ، الأغانى : ينال ، المخطوطتان
(٦) فإنى فيئة لك ، الأغانى : ساقطة فى المخطوطتين .
(٧) الخطابى هذا ، الأغانى .

امرأة تبكيه وتقول : « يذهبون بك إلى بيت لا فِراشَ فيه ولا وطاء ، ولا ضِيافةَ ولا غطاء ، ولا خبز فيه[١] ولا ماء » فقال لى ابنى : « يا أبت إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة » قلت : « وكيف ذلك ؟ » قال : « لأن هذه صفةُ بيتنا » . فضحك علىٌّ وقال : « قد أمرتُ لك بثلاثمائة درهم » فقال : « قد وفَّر الله عليك نِصفها ، على أن أتغدَّى معك » . وكان عثمان مع تطفيله أكيَس الناس ، فقال له على : « هى كلُّها عليك موفَّرة ، وتتغدى معها » .

وعثمان بن درّاج هو القائل :

لذَّةَ التطفيل دومى وأقيمى لا تريمى
أنتِ تشفينَ غليلى وتسلِّين همومى

دخل الرقاشىُّ على بعض أمراء البصرة ، فقال له : « لقد أصبح خِضَابُك قانياً » قال : « لأنى أصبحت له معانيا » ، قال : « وكيف تفعل به ؟ » قال : « أنعم الحنَّاء عجناً وأجعل ماءه سخنا وأروِّى شَعْرى قَبله دُهْناً ؛ فإن ثبت أقنى ، وإن لم يثبت أغنى » .

---

(١) خرقة ، المخطوطتان .

فند أبو زيد

مولى عائشة بنتِ سعد بن أبي وقَّاص ومنشؤه المدينة ، وكان خليعاً متهتّكا يجمع بين الرجال والنساء في منزله ، وكذلك يقول ابن قيس الرقيّات :

قل لفَنـد يشيِّع الأظعانا طال ما سرَّ عيشنـا وكفانا
صادراتٍ عَشِيَّةً من قديد وارداتٍ مع الضحى عُسفانا
زوَّدتنا رقيـة الأحزانا يوم جازت حُمولها السكرانا

وبفند يضرب المثل في الإبطاء . فإن عائشة أرسلتـه يجيئها بنار ، فخرج لذلك ، فلقي عِيرا خارجةً إلى مصر فخرج معهم ، فلما كان بعد سنة رجع ، فأخذ نارا ، ودخل على عائشة وهو يعدو ، فسقط وقد قرب منها فقال : تَعِسَت العَجَلة . فقال بعضُ الشعراء في رجلٍ ذُكِرَ بمثل هذه الحال :

ما رأينـا لسعيدٍ مثـلا إذ بعثنـاه يجي بالمشمله
غير فَندٍ بعثوه قابِسـا فثوى حولا وسبَّ العجله

وكان سعدٌ قد ضرب فندا أبا زيد ضرباً مبرِّحاً ، فحلفت عائشة لا تكلمه أبدا ، وكانت خالته ، فصار إليه سعدٌ طاعةً لخالته فوجده وَجِعا من ضربه ، فسلَّم عليه ، فجعل وجهه إلى الحائط ولم يكلِّمه ، فقال له : « أفند ، إن خالتي حلفَت ألا تكلِّمني حتَّى ترضى ، ولست ببارح حتّى ترضى عني » فقال : « أما أنا فأشهد أنك مَقيتٌ سَمِج مُبغَّض . وقد رضيتُ عنك على هذه الأحوال لتقوم عني ، وتريحَني من وجهك والنظر إليك » . فقام من عنده فدخل على عائشة فأخبرها بما قال له فند ، فقالت له : « قد صدق ، وأنت كذلك » ورضيت عنه . وكان سعدٌ مضطرب الخلق سَمِجاً .

كان معاوية يستعمل مَرْوان بن الحكم على المدينة سنة ، ويستعمل سعيد بن العاص سنة ، وكانت ولايةُ مروان شديدة يهرب فيها أهل الدَّعارة والفسق ، وولاية سعيدٍ ليِّنة يرجعون إليها . فبينا مَرْوان يأتى المسجد وفى يده عُكَّازه ، وهو يومئذ معزول ، إذ بفَنَد بين يديه ، فوكزه بالعكازة وقال له : « ويلك ! هيه ! قل لفند يشيِّع الأظعانا . أتشيِّع أظعان الفساد لا أمَّ لك إلى أهل الريبة ؟ ستعلم ما يحلُّ بك منى » فالتفت إليه فَنْد وقال : « نعم أنا ذاك . سبحان الله ! ما أسمجك واليًا ومعزولا ! » . فضحك مروان وقال : « تمتَّع فإنما هى أيام قلائل ثم تعلم ما يمرُّ بك منِّى » .

حلف الفضول

كان سببُ حِلف الفضول أن رجلا من أهل اليمن قَدِم مكّة ببضاعة له ، فاشتراها رجلٌ من سهم ، فلوى الرجلُ حقَّه ، فسأله متاعَه فأبى عليه ، فقام فى الحجر فقال :

يال قُصَىٍّ لمظلومٍ بضاعته ... ببطن مكّة نائى الدار والنَفَر
وأشْعَثٍ مُحرمٍ لم يقض حرمته ... بين المَقام وبين الركن والحَجَر
أقائم من بنى سهم بذمّتهم ... أم ذاهب فى هلاكٍ مالُ معتمِر
إن الحرامَ لمنْ تمّت حرامته ... ولا حرام لثوب الفاخر العذر

وقال بعضهم : إن قيس بن شَيْبة السُلَمى باع متاعاً من أبىّ بن خلف ، فلواه وذهب بحقِّه ، فاستجار برجل من بنى جُمح فلم يقم بجواره فقال :

يال قُصىٍّ كيف هذا فى الحرم ... وحرمة البيت وأعلاق الكرم
أظلُّ لا يُمنَع عنّى من ظَلَمَ

فبلغ الخبر عباسَ بنَ مِرداس ، فقال :

إن كان جارُك لم تَنْفَعك ذمّتُه ... وقد شربت بكأسِ الغلِّ أنفاسا
فأتِ البيوت وكن من أهلها صددا[1] ... لا يَلْقَ ناديهم فُحشا ولا باسا
وثمّ كن بفِناء البيت معتَصِماً ... تلق ابنَ حرب وتلق المرء عبّاسا
قَرْمَىْ قريشٍ وحلَّا فى ذوائبها ... بالمجد والحزم ما حازا وما ساسا
ساقى الحجيج وهذا ياسر فلج ... والمجد يورَث أخماساً وأسداسا

وقام العباس وأبو سفيان حتى ردا عليه متاعه . واجتمعت بطون قريش فتحالفوا

(١) سددا ، المخطوطتان .

فى دار عبد الله بن جُدْعان وشهد الحِلْفَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم . وقال قومٌ من قريش : هذا والله فَضْلٌ من الحِلف ، فَسمِّى حِلفَ الفضول ، وكان قبل البعثة . وقال أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه : شهدتُ حِلفاً فى دار عبد الله بن جُدعان لم يزده الإسلام إلا شدَّة ، ولو دُعيتُ له اليوم لأجبت ، ولا أحبُّ أنى نقضته ولو أن لى حُمر النعم . وصَنَع عبدالله بن جُدعان فى ذلك اليوم طعاماً عظيماً . وكان سنُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك خمسا وعشرين سنة .

واجتمع بنو هاشم وأسد وزهرة وتيم وتحالفوا على ألا يُظلَم أحدٌ بمكّة ، قريبٌ ولا غريبٌ ولا حرٌّ ولا عبدٌ ، إلّا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقِّه ، ويردُّوا إليه مظلَمته من أنفسهم ومن غيرهم ، وأن يكونوا جميعاً على الظالم ومع المظلوم ، حتى يأخذوا مظلَمته منه ، شريفاً كان أو وضيعاً ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ثم عَمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه فى جَفنة ، ثم بعثوا به إلى البيت ، فغُسِلت منه أركانُه ، ثم أتوا به فشربوه ، ثم انطلقوا إلى العاصِ بن وائل ، وكان قد أخذ بضاعة تاجر ولواه بحقه ، فقالوا له : « ما نفارقُك حتى تؤدِّىَ إليه حقَّه » . فأعطى الرجل حقه . ومكثوا كذلك لا يَظلِم أحدٌ أحداً بمكة إلا أخذوا له حقَّه ، وكان عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : « لو أنَّ رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل فى حلف الفضول » عتبا لهم .

وقيل : إنما سُمِّى حلفَ الفضول لأنه كان فى جُرهُم رجال يردُّون المظالم ، وحلفوا على ذلك ، يقال لهم : الفَضْل وفضالة وفضال ومُفضِل ، فسمِّى بذلك .

خرج الحسين بن علىّ رضى الله عنهما من عند معاوية وهو مُغْضَب ، فلقِىَ ابن الزُبير ، فذكر له الحسين أن معاوية قد ظلمه فى حقٍ له ، وقال له الحسين : أخيِّره فى ثلاث خصال والرابعة الصَّيْلَم : أن يجعلَك أو ابنَ عمر بينى وبينه ، أو يقرَّ بحقِّى ويسألنى فأهبَه له ، أو يشترِيَه منى . فإن لم يفعل فوالذى نفسى بيده لأهتفنّ بحِلف

الفُضول . فقال ابن الزبير : فوالذى نفسى بيده لئن هتفتَ به وأنا قاعدٌ لأقومنّ ، أو قائما لأمشِيَنّ ، أو ماشيا لأشتدنّ ، ثم لآتينَّك حتى تَفْنَى روحى مع رُوحك أو يُنصِفَك . قال: وذَهَب ابن الزبَير إلى معاوية فقصّ عليه الخبر وقال : « قد جئتُك فى ثلاثِ خِصال والرابعة الصيلم » . فقال معاوية : « لا حاجةَ لنا فى الصَّيلم » . قال : « فإنى لقيته مُغضَبا » ، قال : «هاتِ الثلاث» فأخبره بها ، ثم أخبره بالرابعة، وقال لمعاوية كما قال للحسين إنه إن دُعِى إلى حِلف الفُضول أجابه . فقال معاوية : « لا حاجةَ لنا بهذا » . ثم اشترى الحقَّ من الحسين رضى الله عنه .

وكان بنو سَهْم قد زاد ظلمهم قبلَ هذا الحِلف ، وأعظَمَ الزبَير بنُ عبد المطلب ذلك ، وقال : يا قومُ ، إنى أخشى أن يُصيبَنا مثلُ ما أصاب الأمم السابقة من ساكنى مكة . فمشى إلى ابن جُدعان ، وهو شَيخُ قريشٍ يومئذ ، فأخبره بظُلم بنى سَهم وبَغيهم وما كان أصاب بنى سهم من إحراق المقاييس منهم ، وهم قَيْس ومَقيس وعبدُ قيس بصاعقة ، ومنه موتُ الركب الذين وردوا من الشام ؛ فإن ركباً منهم وردوا من الشام ، فنزلوا بماء يقال له القطيعة ، فصبُّوا فَضْلة خمرٍ لهم فى إناء وشربوا ثم ناموا ، وبقيت منه بَقِيَّة ، فكرع منها حَيَّة أسودُ ثم تقيَّأ فى الإناء ، وهبَّ القومُ فشربوا منه ، فماتوا عن آخرهم . فأذكره هذا ومثلَه وخوفَه من وقوعه ، فكان حِلفُ الفضول .

فُرات بن حِبَّان العِجْلي

أسَره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سَرِيّة بعد بدر . وذلك أن قريشاً قالت: « قد عوّر علينا محمّد متاجرنا ، وهو على طريقنا ، وإن أقمنا بمكّة أكَلْنا رءوس أموالنا » . فقال ربيعةُ بن الأسود : « أنا أدلكم على رجل يسلك بكم النجديَّة ، لو سلكها مغمضاً لاهتدى » . وأتاهم بفُرات بن حِبَّان ، فخرج بهم فى الشّتاء ، فسلك بهم على ذات عِرق ، ثم خرج إلى غمرة . وأتى الخبرُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى العِير مال كثير وآنِيَة من فضّة حملها صفوان بن أمية . فأرسل إليها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيدَ بن حارثة ، فاعترضها وظفر بالعِير ، وأفلت أعيانُ القوم فكان الُخمْسُ عشرين ألفاً ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلّم وقسم الأربعةَ الأخماسِ على السرية ، وأتى بفُرات بن حِبّان أسيراً ، فقيل له : إن أسلمت لم تُقتل . فلما دعا به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسلَم فأرسله . فى ذلك يقول حسّان ابنُ ثابت لقريش ، حين تركت الطَّرِيق المسلوك ، واستأجرت فُراتَ بن حبّان دليلا :

إذا سلكت حُورانَ من رمل عالج ... فقولا لها : ليس الطريقُ هنالكِ
دعوا فَلَجات الشام قد حِيل دُونها ... بضَرْبٍ كأفواه العِشَارِ الأوارك

كتبَ إبراهيمُ بن هِشام إلى هِشام بن عبد الملك : « إن رأى أميرُ المؤمنين ، إذا فرغَ من دَعوة أعمامه بنى عبد مناف ، أنْ يبدأ بدعوة أخواله بنى مخزوم » . فكتب إليه : « إن رَضِى بذلك آلُ الزُّبير فعلت » ، فلما فرغ من إعطاء بَنِى عبدِ مناف نادى مُنادِيه بنى مخزوم ، فناداه عُثمانُ بن عُروة :

إذا سلكت حُواران من رمل عالجٍ ... فقولا لها : ليس الطريقُ هنـالكِ

فنادى مُنادِيه بنى أَسَد بن عبد العزَّى ، ثم مضى على الدعوة .

قال علىٌّ رضى الله عنه ، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لفُرات بن حِبّان يوم الخندق ، وكان عيناً للمشركين فأمر بقتله فقال : إنى مُسلِم فقال : إن منكم من نتألّفه على الإسلام ونـكِلُه إلى إيمانه ، منهم فُرات بن حِبّان .

فضل الشاعرة

جارية مولَّدة من مولَّدات البصرة، وأمُّها من مولَّدات اليمامة. وُلِدت ونشأت في دار رجل من بني عبد القيس، وباعها بعد ما أدَّبها، فاشتُرِيت وأهديت إلى المتوكِّل، وكانت هي تزعُم أن الذي باعها أخوها، وأن أباها وطئ أمَّها فولدتها منه، وأن بنيه من غير أمها تواطئوا على بيعها ولم تكن تُعْرَف بعد أن أعتِقت إلا بفَضْل العبديَّة. وكانت حسَنة الوجه والجِسم والقوام، فصيحةً أديبة سريعةَ البديهة، مطبوعة في قول الشعر، لم يكن في نساء زمانها أشعرُ منها، من أحسنِ الناس وَجْها وخَلْقا وخُلُقاً.

وكانت فضلُ لرجل نخّاسٍ يقال له حُسْنَوَيْه، فاشتراها محمدُ بن الفرَج أخو عُمَر بن الفَرَج الرخَّجيّ، وأهداها للمتوكِّل، فكانت تجلِس للرجال، وتأتيها الشعراء. فألقى عليها أبو دُلَف:

قالوا: عشِقتَ صغيرةً، فأجبتُهم   أشْهى المَطِيِّ إليَّ ما لم يُركَبِ
كم بينَ حبَّة لؤلؤ مَثْقوبةٍ   نُظِمت وحبَّة لؤلؤ لم تُثْقَبِ

فأجابته:

إن المطيَّة لا يلَذُّ ركوبُها   ما لم تُذلَّل بالزمام وتُركب
والدرُّ ليس بنافعٍ أصحابَه   إن لم يؤلَّف للنِّظام ويُثقَبِ

لما دخلت فضل على المتوكِّل يومَ أهديت له قال[1] لها: «أشاعرةٌ أنتِ؟». قالت: «كذلك زَعَم من باعني واشتراني»، فضحك المتوكِّل وقال: «أنشدينا شيئاً من شعرك»، فأنشدته:

---

(١) فقال، المخطوطتان.

استقبلَ الأمرَ[1] إمامُ الهدى عامَ ثلاثٍ وثلاثينـا
خِلافةٌ أفْضت إلى جَعفرٍ وهو ابنُ سَبْعٍ بعدَ عِشرينا
إنا لنرجو يا إمامَ الُهدى أن تَملِكَ الأمر ثمانينا
لا قَدّس الله امرأً لم يقل عنــد دُعائى لك : آمينا

فاستحسَنَ الأبيات ، وأمر لها بخمسين ألف درهم ، وأمر عَرِيباً فغنَّت بالأبيات.

ومن شعر فضل :

الصبرُ ينقص والغَرامُ يزيد والدار دانيةٌ وأنت بعيــدُ
أشكُوك ، بل أشكو إليك ، فإنَّه لا يستطيعُ سِــواها المجهود
إنى أعوذُ بحُرمَتى بك فى الهوى من أن يُطاوَع فى هواى حسود

وكتبَ إليها بعضُ من كان يجمعُه وإياها مجلس الخليفة ، يطلعها على حبِّه لها :

ألا ليتَ شِعرى فضلُ هل تذكُرينَنى فذكراكِ فى الدنيـا إلىَّ حَبيبُ
وهل لى نصيبٌ فى فؤادك ثابتٌ كما لكِ عندى فى الفؤاد نصيب
فلست بموصولٍ فأحيــا بزَوْرَةٍ ولا النفسُ عند اليأسِ منك تطيب

فكتبت إليه :

لَعمرُ إلٰهى إنَّنى بكَ صبَّة فهل أنتَ يا من لا عُدِمت نصيب[2]
لِمَن أنت منه فى الفؤاد مصوَّر وفى العينِ نصبُ العين حين تَغيب
فثِقْ بِوِداد أنت مُظهِر مثــله على أنَّ بى سُقما وأنتَ طبيب

قالت بنانُ الشاعرة : اتــكأ المأمونُ على يدى وعلى يد فَضل الشاعرة ، وجعل يمشى بيننا ، فقال فى بعض حَديثه : « أجيزا قولَ الشاعر :

تعلَّمتُ أسبابَ الرضى خوفَ سُخطها وعلَّمها حبِّى لها كيف تغضَب »

---

(١) الملك ، الأغانى .

(٢) مثيب ، الأغانى .

فقالت فَضل :

تصـــدُّ وأدنو بالمودّة جاهداً وتبعُد عـنِّى بالوصال وأقرب

فقلت أنا :

وعندى لها العُتْـبَى على كلِّ حالة فما منه لى بدٌّ ولا عنـه مذهب

ألقى بعض أهل الأدب على فَضل يوماً :

ومُسْتَفتحٍ بابَ البلاء بنظرةٍ تزوّد مِنها قلبُه حَسْرة الدّهر

فقالت مجيبةً له ، وأحسنت :

فوالله ما يدرى : أتدرِى بما جَنَت على قلبه ، أم أهلـكته وما تدرى

قال علىّ بن الجهم : كنتُ يوماً عند فضل ، فلَحَظتُها لَحظةً استرابت منها ، فقالت مُسرعةً ولم تتوقف :

يا ربَّ رامٍ حسنٍ تعرّضه يَرْمِى ولا يشعُرُ أنى غرضُه

فقلت مجيباً :

أىُّ فـتًى لحظُك ليس يُمرِضُه وأىُّ عَقْـــد محـكَم لا ينقضُه

فضحكت وقالت : « فى غير هذا الحديث حدِّثنا » .

قال إبراهيمُ بن المدبّر : كانت فضل أحسنَ خَلْق الله خطًّا ولفظاً ، وأبلغَه فى مخاطبة ، وأفصحَه فى محاوَرة . فقلتُ يوماً لسعِيد بن حُمَيد الـكاتب : « أظنُّك يا أبا عثمان تـكتب لفَضْل رِقاعَها وتفيدُها وتخرِّجها ، فقد أخذَت نحوَك فى الـكلام، وسلـكت سَبيلك » ، فقال لى وهو يضحك : « ليتَها تسلم منى لا آخذ منها كلامها ورسائلها ![1] والله يا ابن أخى لو أخذ أفاضِلُ الـكتّاب وأماثلُهم عنها لما استغْنَوْا عن ذلك » .

---

(١) كذا فى المخطوطتين ، وفى الأغانى (ترجمة سعيد بن حميد) : لأخذ كلامها ورسائلها .

خرجت قبيحةُ إلى المتوكِّل فى يوم نوروز ، ومعها عُودٌ وفى يدها كأس بِلَّور فيه شراب فقال لها : « ما هذا ؟ فديتك ؟ » قالت : « هذا هَديَّتى فى هذا اليوم ، عرَّفك الله بركته » ، فأخذه من يدِها وإذا على خدها مكتوبٌ « جعفر » فشرِب الكأسَ ، وقبّل خدها . وكانت فضلُ واقفةً على رأسه فقالت :

وكاتبةٍ فى الخدِّ بالمسك جعفرا بنفسى سوادُ المِسك مِنْ حيثُ أثّرا

لئن أثَّرت بالمِسك سَطراً بخدِّها لقد أودَعت قلبى من الحبِّ أسطُرا

فيا مَن مُناها فى السَّريرة جَعْفَر سَقَى الله من سُقْياَ ثناياكِ جَعفرا

فاستحسنه ، وأمر عَريباً فغنت فيه .

قال المتوكِّل يوماً لعلىِّ بن الجهم: «قل بيتاً ، وطالبْ فضل الشاعرة أن تجيزه».

فقال علىٌّ : أجيزى يا فضل :

لاذَ بهـا يشتكِى إليها فلم يجدْ عنـدَها مَلاذا

فأجابته :

ولم يزل ضارعاً إليهـا تهطِل أجفـانُه رَذاذا

فعـاتبوه فزاد عِشقاً فمات وجدا ، فكان ماذا

فطرب المتوكل وقال : « أحسنتِ وحياتى يا فضل » ، وأمر لها بألفى دينار[1] ، وأمر عَرِيباً فغنَّت الأبيات .

---

(١) بمائتى دينار ، الأغانى .

حروب الفجار

هذه الحروب كانت بين قُريش وبين قَيْس عَيْلان فى أربعة أعوام مُتَوَاليات ، ولم يكن لقريشٍ فى أوَّلها مدخل .

فأمَّا الفِجار الأوَّل فكانت الحربُ فيه ثلاثة أيام ، ولم يُسمَّ باسمٍ لشهرته .

وأما الفِجارُ الثانى فكان أعظمها ، لأنهم استحلُّوا فيه الحَرَم ، وكانت أيّامه يومَ نخلة ، وهو الذى لم يشهده رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم منها وشَهِد سائرَها . وكانت الرؤساء فيه حربَ بن أميَّة فى القَلْب ، وعبدَ الله بن جُدعان وهِشامَ بن المغيرة فى المُجَنِّبَتَين[1] ثم يومَ سَمطة ، ثم يومَ عكاظ ، ثم يوم الحرَّة[2] .

وكان أوّلُ الفِجار أن بدرَ بن مَعْشر الغفارى ، أحدَ بنى غِفار بن مالك بن ضَمْرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، كان رجلاً مَنِيعا مُسْتطيلا بمَنَعة ، ورد عُكاظ[3] فاتَّخذ مجلساً بسوق عكاظ وقعد فيه ، وجعل يتبجَّح على الناس ويقول :

نحن بنو مُدرِكَةَ بنِ خِندف ... من يطعنوا فى عَينه لا تطرف
ومن يكونوا قومَه تغطرف ... كأنهم لجّة بحرٍ مُسدف

وبدرُ بن مَعْشر باسطٌ رجله يقول : « أنا أعزُّ العرب ، فمن زعم أنَّه أعزُّ منى فليضرِبها بالسّيف فهو أعزُّ منى » فوثب رجلٌ من بنى نَصرِ بن مُعاوية يقال له الأحمرُ بن مازن بن أوْس بن النَّابغة ، فضربه بالسيف على ركبته فأندرها وقال : « خذها إليكَ أيها المخندِف » وهو ماسكٌ سيفه . وقام أيضا رجلٌ من هوازن فقال:

---

(١) الجيش ، المخطوطتان .

(٢) الجزيرة الحبرة ، المخطوطتان .

(٣) بمنعته على من ورد عكاظ ، الأغانى .

أنا أبو دهمان(١) ذو التغطرُف بحر بحورٍ زاخرٌ لم ينزف
نحن ضَربنا رُكبَةَ المخندِف إذ مدَّها في أشهُر التعرف

ثم كان اليومُ الثانى من الفِجار الأول ، وكان سببُه أن شبَّاناً من قريش وبنى كِنانة ، كانوا ذوى غُرامٍ وشرّ ، رأوا امرأةً جميلة من بنى عامر ، وهى فى سوق عُكاظ فى دِرع ، وهى فُضُل عليها برقع لها ، وقد اكتنفَها شبابٌ من العرَب وهى تحدِّثهم . فجاء الشبابُ من كِنانة وقريش فأطافوا بها وسألوها أن تُسفِر ، فأبت ؛ فقام أحدُهم فجلس خلفَها وحل طَرْفَ دِرعها وشدَّه إلى فوقِ حُجْزَتِها(٢) بشوكة ، فلما قامت انكشفَ دِرعها عن عَجُزها ودُبُرها ، فضحِكوا وقالوا : مَنَعَتْنا النظرَ إلى وَجْهِها وجادت لنا بالنَّظر إلى دُبُرها ، فنادت : يا آل عامر ! فثارُوا وحملوا السِّلاح ، وحملته كِنانة واقْتَتَلوا قِتالًا شديداً ، ووقعَتْ بينهم دِماء ، فتوسَّط حربُ بن أميَّة واحتمل دماءَ القوم ، وأرضى بنى عامرٍ عن مُثلة صاحِبَتِهم .

وكان اليومُ الثالثُ من الفِجار الأوَّل ، وسَبَبُه : أنَّه كان لرجلٍ من بنى جُشَم ابن بَكر بن هَوَازِن دَينٌ على رجل من كِنانة ، فلواه به ، وطال اقتِضاؤه له ، فلم يعطِه شيئاً فلما أعياه وافاه الجُشَمىُّ فى سوق عُكاظ بِقرْد ، ثم جعل يُنادى : « من يبيعُنى مثل هذا الرُّبَّاح بمالٍ على فلان الكِنانى » رافعاً صَوْتَه ؛ فلما طال نداؤه بذلك ، وتَعْيِيره كنانةَ ، مرَّ به رجلٌ منهم ، فضرب القِرْدَ بسَيْفه فقتله ، فهتَف الجُشَمى: يا آل هوازن ! وهتَف الكِنانِىُّ: يا آل كنانة ! فاجتمع الحيَّان واقتتلوا حتى تحاجَزوا ولم يكن بينهم قَتْلَى ، وكفُّوا وقالوا : « فى رُبَّاح تُريقون دِماءكم وتَقْتُلون أنفسكم؟! » وحمل ابنُ جُدعان ذلك مِن ماله بينَ الفريقين .

ثم كان الفجارُ الثانى . وأوَّلُ أيام حروبه يومُ نخلة ، وبينه وبين مَبْعَث النبىِّ

(١) همدان ، الأغانى .
(٢) عجزها ، المخطوطتان .

صلّى الله عليه وسلم ستٌّ وعشرون سنة . وكان الذى هاج حربَها أن البرّاض بن قيْس ابن رافع ، أحَد بنى ضَمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، كان سكّيراً فاسقاً خلعه قومُه وتبرّأوا منه ، فشرِب فى بنى الدِّيل فخلعوه ، فأتى مكّة ، فأتى قريشاً ، فنزل على حَربِ بن أميَّة فحالفه ، فأحسن حربٌ جِواره ، وشرب بمكّة حتى همَّ حربٌ بخلعه ، فقال لحرب : « إنّه لم يبق أحدٌ من قومى الّا خلعنى سِواك ، وإنَّك إن خَلَعْتَنى لم ينتَصِر لى(١) أحد بعدَك ، فدَعْنى على حِلفك ، وأنا خارجٌ عنك » ، فتركه فخرج فلَحِق بالنُّعمان بن المنذِر بالحيرة . وكان النُّعمانُ يبعثُ إلى سوق عُكاظ فى وقتها بلَطيمة يُجيزها له سيِّد مُضَر ، فتُباع ويُشتَرى له بثمنها الأَدَم والحرير والوِكاء والحِذاء والبرود من العَصْب والوَشْى والمسيَّر العَدَنى . وكانت سوقُ عُكاظ فى أوّل ذى القَعْدة ، فلا تَزال قائمةً يُباع فيها ويُشتَرى إلى حضور الحج ، وكان قيامها فيما بين نَخْلة والطائف ، عشرة أميال ، وبها نَخْلٌ وأموال لثقيف . فجهَّز النُّعمان لَطِيمتَه وقال : « من يجيزُها ؟ » قال البَرّاض : « أنا أجيزها على بنى كنانة » فقال له النعمان : « أنا أريد رجلا يجيزُها على أهل نجد » ، فقال عُروة الرحّال بن عُتبة بن جعفر بن كلاب ، وهو يومَئذ رجلٌ من هوازن : « أنا أجيزها ، أبيتَ اللعن » . فقال له البَرّاض : « وعلى بنى كنانةَ تجيزُها يا عُروة ؟ » قال : « نَعم ، وعلى النّاس كلهم . أو كلبٌ خليع يُجيزُها ؟ » . ثم شخص عروةُ بها وشَخَص البرّاض ، وعروةُ يرى مكانَه ولا يخافُه على ما صنع ، حتّى إذا كان بين ظهرى غَطفان إلى جنب فَدَك ، بأرض يُقال لها : أُوَارة ، قريب من الوادى الذى يقال له تيمن ، نام عُروة فى ظلٍّ شجرة ، ووجد البرّاض غَفلته فقتله ، وهرب فى عَضَاريط الركّاب فاستاقها ، وقال البرّاض فى ذلك :

وداهيةٍ يُهالُ الناسُ مِنها   شَدَدْتُ لها بنى بكر ضُلوعى

(١) لم ينظر إلى ، الأغانى .

هتكتُ بها بيوتَ بنى كلابٍ　　وأوضعتُ الموالِىَ بالضُروع
جمعتُ له يدىَّ بنَصل سيفٍ　　أفـــلَّ فخرَّ كالجِذعِ الصَّريع

وكانت أمُّ عروةَ الرحَّال نفيرة بنتُ أبى ربيعةَ بن نَهْشل بن هِلال بن عامر ابن صعصعة ، وقال لبيد يحرِّض على الطَّلب بدم عُروة :

أبلــغْ إن عَرَضتَ بنى نُمَير　　وأخوالَ القتيـــل بنى هلال
بأن الوافد الرحَّال أضحى　　مقيما عنــد تيمن ذى الظلال

ثم إن البرَّاض لقى بشرَ بن أبى خازم فقال له : « هذه القلائصُ لك ، على أن تأتىَ حربَ بن أميَّة وعبدَ الله بن جُدعان وهشاماً والوليدَ بن المغيرة تُخَبِّرهم بأن البرَّاض قتل عروةَ الرحَّال ، فإنِّى أخاف إن يسبقْ الخبرُ إلى قَيْس أن يكتموه حتى يقتلوا به من قومك رجلًا عظيما » فقال له : « ومن يؤمِنُك أن تـكون أنت ذلك القتيل ؟ » قال : « فإنَّ هوازن لا ترضى أن تَقتُل بسيِّدها رجلًا خليعاً طريداً من بنى ضُمرة » ، ثم مرَّ بهما الُحلَيس بن يزيد ، أحدُ بنى الحارث بن عبد مناة ، وهو يومَئذٍ سيِّدُ الأحابيش من بنى كنانة ، والأحابيشُ بنو الحارث بنِ عبد مناة وبنو نفاثة بن الدِّيل وبنو لَحْيان من خُزاعة والقارة ، فقال لهم الُحليس: « مالى أراكم هنا » فأخبره الخبر ، ثم ارتحلوا وكتموا الخبر ، وكانت العربُ إذا قَدِمت عُـكاظاً دفعت أسلحتها إلى ابن جُدعان ، حـتَّى إذا فرغوا من أسواقهم وحَجِّهم ردَّ عليهم سلاحهم إذا ظعنوا ، وكان سيِّدًا حليماً مُثريا من المال . فجاءه القومُ وأخبروه خبر البرَّاض وقتل عروة الرحَّال ، وأخبروا حربَ بن أميَّة وهشاماً والوليدَ ، فجاء حربٌ إلى عبدِ الله بن جُدعان فقال له : احبِسْ قِبلَكَ سِلاحَ هوازن . فقال له ابن جدعان : « أبالغدرِ تأمرنى يا حرب ؟ فوالله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيفٌ إلا ضُرِبتُ به ولا رمحٌ إلا طُعِنتُ به ما أمسكتُ منها شيئا ؛ ولـكن لـكم مائةُ سيفٍ ومائةُ درعٍ ومائةُ رمحٍ من مالى تستَعِينُون بها » ثم صاح ابنُ جُدعان فى الناس : « من كان له قِبَلى سِلاحٌ فليأتِ

ليأخذَه » فأخذ النـاسُ أسلحَتَهم ، وبعث ابن جُدعان وحربٌ وهشامٌ والوليدُ إلى أبى بَراء أنّه قد كانت بعد خروجنا حرب ، وقد خِفنا تعاظُمَ الأمر ، فلا تنـكروا خروجَنا . وساروا راجِعين إلى مكّة . فلما كان آخرُ النهار بلغ أبا البَراء قتلُ البرّاض عروةَ فقال : « خدعنى حربٌ وابن جُدعان » وركب فيمن حضر عُـكاظًا من هوازن فى أثَر القوم ، فأدركهم بنخلة ، فاقتتلوا حـتّى دخلت قريشٌ الحرم وجنَّ عليهم الليل ، فـكفّوا . ونادى الأدرمُ بن شُعيب أحدُ بنى ربيعة بنِ عامر ابن صعصعة : « يامعشر قُريش، ميعادُ ما بيننَا هذه الليالى من العام المقبِل بعكاظ » ، وكان رؤساء قريش حربَ بن أميَّة وعبدَ الله بن جُدعان وهشامَ بن المغيرة . وكان رؤساء قيس يومَئذ عامرَ بن مالك ملاعبَ الأسنَّة على بنى عامر ، وبراءَ بن عُمَير على فَهم وعُدوان ، ومسعودَ بن وهب على ثقيف ، وسُبَيْـع بن ربيعة النَّصرى على بنى نصر بن معاوية ، والصِّمَّةَ بن الحارث وهو أبو دُرَيد على جُشَم ، وكانت الرايةُ مع حربِ بن أميَّة ، وهى راية قصىّ التى يقال لها العُقاب . وقال فى ذلك خِداش بن زُهير :

يا شدَّةً ما شدَدْنا غـيرَ كاذبةٍ ... على سَخِينةَ لولا الليلُ والحَرَمُ
إذ يتقَّينا هشامٌ بالوليد ولولا ... أنا ثَقِفْنَا هِشاماً سالت الخدم
بين الأراك وبين المرج تبطحهُم ... زُرق الأسنَّة فى أطرافها شمم
فإن سمعتُم بجيشٍ سالكٍ شرفاً ... أوبطنَ مرٍّ فأخْفُواالجرسَ وا كتتموا

ثم قدم البرّاض ملتزما للّطيمة فـكان يأكلها . وكان عامرُ بن يزيدَ بن الملوَّح الـكنانىُّ نازلًا فى أخوالِه بنى نُمَير بن عامر ، وكان ناكحًا فيهم فهمَّ بنو كلاب بقتلِه، فمنعه بنو نُمَير ، ثم شَخَصوا به حتى نزل فى قومه .

فلما كان اليومُ الثانى من الفِجار الثانى ، وهو يومُ سِمطة ، تجمَّعت كنانةُ وقريشُ بأسرها وبنو عبدمناف والأحابيش ، فأعطت قريش رؤساءَ القبائل أسلحةً تامَّة

وأعطى عبدُ الله بن جُدعان خاصَّة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامَّةوأداة ، وجمعت هوازنُ وخرجت ، ولم تخرج معهم كلابٌ ولا كعب ، ولا شهد هذان البطنان من أيَّام الفِجار إلا يومَ نخلة مع أبي براء . وكان القومُ جميعاً متسانِدين ، على كلِّ قبيلةٍ سيدُهم ، وكان على بني هاشم وبني المطلب الزُّبيرُ بن عبد المطلب ، ومعهم النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم . فسبقَت هوازنُ قريشاً فنزلت سمطة من عُكاظ ، وظنُّوا أن كِنانة لن توافيَهم ، وأقبلت قريشٌ فنزلت من دون السهل[1] ، وجعل حربٌ بني كنانة في بطن الوادي ، وقال لهم : « لا تبرحوا مكانكم ولو أبيحت قريش » وكانت قريش من وراء الجبل ، وكان عبدُ الله بن جُدعان وهشامُ بن المغيرة في المجنبتين وحربٌ في القلب ، وكانت الدائرةُ في أوّل النهار لكِنانة ، فلما كان آخر النهار تداعت هَوازن وصَبَروا واستحرَّ القتل في قريش ، فلما رأى ذلك بنو الحارث من كِنانة ، وهم في بَطن الوادي مالوا إلى قُريش وتركوا مكانَهم فلما استحرَّ القتل بهم قال أبو مُساحق بلعاء بنُ قيس لقومه بني بكر : « الحقوا برخم » ، وهو جبل ففعلوا ، وانهزم النـاسُ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيرُ في فئةٍ إلَّا انهزم من يحاذيها ، فقال حربُ بن أميَّة وعبدُالله بن جُدعان : « ألا ترَوْنَ إلى هذا الغلام ، ما يحملُ على فئةٍ إلا انهزمت » .

ثمَّ كان اليومُ الثالث من الفِجار وهو يومُ العَبْلاء ، وكانت الهزيمة على كنانة .

ثم كان اليومُ الرابع من الفِجار ، يومُ عكاظ ، فالتقَوا في هذا الموضع على رَأس الحوْل ، وقد اجتمع بعضُهم لبعض ، وحمل يومَئذ عبدُ الله بن جُدعان ألفَ رجل من بني كنانة على ألف بعير ، وخشِيت قريشٌ أن يجرى عليها مثلُ ما جرى في يوم العَبْلاء ، فقيَّد حربٌ وسفيانُ وأبو سفيان بنو أميَّة بن عبد شمس أنفسَهم ، وقالوا : لا نبرحُ حتَّى نموت مكاننا ، وكان على أبي سفيانَ يومئذٍ درعان قد ظاهر بينهما ،

(١) المسيل ، الأغاني .

وقيل: إن أبا سفيان وحدَه قيَّد نفسه ، فسمَّوا هؤلاء الثلاثةَ المنابس ، وهى الأُسْد، واحدها عَنْبَسَة ، واقتَتَل الناسُ يومَئذٍ قتالا شديداً ، وثبت الفريقان ، حتى همَّت بنو بكر بن عبد مناة وسائر بطون كنانة بالهرب ، وكانت بنو مخزوم تلى بنى كنانة، فحافظت حِفاظاً شديداً ، وكان أشدَّهم يومئذٍ بنى المغيرة ، فإنهم صبَروا وأبلوا بلاء حسناً ، فلما رأت ذلك بنو عبد مناة تذامروا ، فرجَعوا واقتتلوا قتالا شديدا ، وحمل بلماء بن قَيس يومئذ وهو يقول :

إن عكاظا ماؤنا نخلّوه وذا المجاز بعد أن تحِلّوه

وحملت قريشٌ وكنانة على قيْس من كل جانب ، فانهزمت قيس كلها ، وكان مسعود بن معتِّب الثقفى قد ضرَب على امرأته سُبَيعة بنتِ عبد شمس بن عبد مناف خِباءً وقال : « من دخله من قريش فهو آمن » فجعلت توسّع فى خِبائها ليتّسع ، فقال لها : « لا تتجاوزى خِباءكِ ، فإنى لا أُمضى لكِ إلا ما أحاط به الخباء » ، فأحفظها ذلك وقالت : « أما والله إنى لأظنّك أن ستودُّ أنى لو زدت فى توسيعه » . فلما انهزمت قيس دخلوا خِباءها ، مستجيرين بها ، فأجارَ لها حربُ بن أميَّة جيرانَها ، وقال لها : « ياعمّة ، من تمسَّك بأطناب بيتِك أو دار حولَه فهو آمن » فنادت بذلك ، فاستدارت قيسٌ بخبائها حتى كثُروا جدا ، ولم يبقَ أحدٌ أراد نجاةً إلا دار بخبائها ، فقيل لذلك الموضع : « مَدَار قَيس » وكان يضرب به المثل ، فتغضَّبت قيس منه ، وقال ضِرار بن الخطَّاب الفِهرى فى ذلك :

ألم تسألِ النَّاس عن شأنِنا ولا يثبتُ الأمر كالخابر

غداةَ عُكاظَ إذا استكملت هوازنُ فى كفِّها الحاضر

وجاءت سُلَيمٌ تهزُّ القنا على كل سَلْهَبةٍ ضامر

وجئنا إليهم على المضمَرات بأرْعَنَ ذى لجب زاخر

فلما التقينا أذقناهم طعانًا بسُمر القنا العاثر

ففرَّت سُلَيم ولم يصبروا وطارت شَعاعًا بنو عـــامر
وفرت ثقيفٌ إلى لاتِها بمنقلَب الخائبِ الخـــاسِر

ثم كان اليوم الخامس وهو يوم الحُرَيْرة ، التقوا على رأس الحول بالحريرة ، وهى حرَّةٌ إلى جنب عكاظ ، ورؤساؤهم على حالهم ، إلا بلعاء بن قيس فإنه مات ، وصار أخوه مكانَه على عشيرته ، فاقتتلوا ، فانهزمت كِنانة وقُتل يومئذ سفيانُ بن أميَّة ، وثمانيةُ رهطٍ من بنى كنانة ، قتلهم عثمان بن راشد(١) من بنى عَمْرو بن عامر ، وقتل ورقاء بن الحارث ، أحدُ بنى عمٍّ ابن عامر من بنى كنانة ، خمسةَ نفر ، وقال خِداشُ بن زُهَير فى ذلك :

لقـــد بلَوكُم فأبلوكم بـــلاءهم يومَ الحُرَيرة ضرباً غـير مكذوب
إن تُوعدونى فإنى لابنُ عمِّـكمُ وقد أصابوكمُ منـــه بشؤبوب
وإن عثمان قـــد أردى ثمانية منـكم وأنتم على خُـــبر وتجريب
وإن ورقاءَ قد أردى أبا كنف وابـنَىْ إياس وعَمْراً وابن أيوب

ثم تداعَوا إلى الصلح على أن يَدى من عليه فضل فى القتل الفضل إلى أهله .

وكان ممن قتل فى حرب الفِجار من قريش العوّام بن خُويلد ، قتله مرّة ابن مُعَتب ، وقتل حزام بن خُويلد ، وأُحَيحَة بن الجُلاح ، ومَعْمَر بن حبيب الجمحى ، وجُرح حربُ بن أميَّة ، وقتـل من قيس الصِّمَّة أبو دُريد ، قتله حفص(٢) بن الأحنف . ثم رَضُوا بأن يعدّوا القتـلى فيبدوا من فَضَل ، وكان الفضلُ لقيس على قريش وكنانة ، فاجتمعت القبائل على الصُلح ، وتعاقدوا ألا يَعرِض بعضهم لبعض ، فرهن حربُ بن أميَّة ابنَه أبا سفيان ، ورهن الحارث بن دارةَ ابنه النضر ،

---

(١) أسد : الأغانى .
(٢) جعفر ، الأغانى .

وغيرهم حتى وديت[1] الفضول ، ويقال : إن عتبة بن ربيعةَ تقدَّم يومئذ فقال : « يامعشرَ قريش ، هلمّوا إلى صِلة الأرحام والصلح » قالوا : « وما صلحُكم ؟ هؤلاء أصحابنا موتورون » فقال : « نَدِي قتلاكم ونتصدّق عليكم بقتلانا » فرضُوا بذلك ، فسادَ قومَه يومئذ إلى أن قُتِل . فلما رأت هوازن رهائنَ قريشٍ فى أيديهم رَغِبوا فى العفو فأطلقوهم .

ولم يشهد الفِجارَ من بنى هاشم إلا الزُّبير بن عبد المطلب ، وشهد النبيُّ صلى الله عليه وسلم سائرَ الأيام إلا يومَ نخلة ، وكان يناول عمَّه وأهله النبل ، وهو ابن ثمانية وعشرين سنة وقيل : أربع عشرة سنة ، وسئل النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن مَشهده يومئذ فقال : « ما يسرنى أن لم أشهدْه ، لأنَّهم تعدَّوا على قومى . عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البرَّاض صاحبهم فأبوا ذلك » ، ولما انهزمت قيسُ خرج مسعود بن معتِّب لا يعرِّج على أحد حتى أتى سُبَيعة بنتُ عبد شمس زوجتَه ، فجعل أنفَه بين ثدييْها وقال : « أنا بالله وبك » . فقالت : « كلا ! زَعَمت أنك تملأ بيتى من أسرى قومى . إجلس فأنت آمن » ، وقالت أُمَيمة بنتَ عبد شمس ترثى ابنَ أخيها أبا سفيان ابن أميَّة ، ومن قُتِل من قومها . وأمها هجر بنت عُبَيْد بن دواس بن كلاب ، وكانت عند حارثة بن الأرقم بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمى . وولدت له أمَيْمة بنت حارثة .

أبى ليلك أن يذهب ونيطَ الطرفُ بالكوكب
ونجمٌ دونه النسرات[2] بين الدَّلو والعقرب
وهذا الصبحُ لا يأتى ولا يدنُو ولا يقرب
لفقد عشيرةٍ منّا كرامِ الخِيم والمذهب

---

(١) أديث ، المخطوطتان .
(٢) الأهوال ، الأغانى .

أمال عليهم دهرٌ حديدُ النـاب والمِخلب
فحلَّ بهم وقـد أمِنوا فـلم يقصُر ولم يشطب
وما عنـه إذا ما مال لا منجَى ولا مَهرب
ألا ياعينُ فابكيهم بدمعٍ منـك مستغرب
فإن أبكى فهمْ عزِّى وهمْ رُكـنِى وهم منـكِب
وهم أصْـلى وهم فَرعى وهم نَسَبى إذا أُنسب
وهم مَجدى وهم شَرَفى وهمْ حِصْنى إذا أَرهب
وهم رُمْحى وهم تُرسى وهم سَيْفى إذا أَغضب
وكم مِن قائلٍ منهم إذا ما قال لم يكذب
وكم من ناطـقٍ منهم خطيبٍ مِصقَع مُعرِب
وكم من فـارسٍ منهم كمىٍّ مُعْـلَمَ مِحرب
وكم من مِـدْرَهٍ منهم أديبٍ حـوَّلٍ قلّب
وكم من جَحْفل فيهم عظيمِ النـار والموكب
وكم من حضرم فيهم نجيب ماجـد منجب

حرف القاف

قيس المجنون

هو قيْسُ بن الملوّح بن مُزاحِم بن قيس بن عدىّ بن ربيعة بن جَعدة بن كعب ابن رَبيعة بن عامِر بن صَعْصعة . وقيل : إنّ اسمه مهدىّ ، والصحيح أنّه قيس ، لقول ليلى صاحبته فيه :

ألا ليت شعرى والخطوبُ كثيرةٌ   متى رحلُ قيسٍ مستقلٌّ فراجـع

وقال الأصمعى : لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لوثة كلَوثةِ أبى حية النميرى .

قال أيوب بن عُبَاية : سألتُ بنى عامر بطناً بطناً عن مجنون بن عامر فما وجدتُ أحدا يعرفه، قال ابن راب : قلتُ لرجلٍ من بنىعامر : « أتعرفُالمجنون، وتروى من شعرهشيئاً؟» فقال : «أو قد فرَغْنَا من شِعر العقلاء حتّى نروِىَ أشعار المجانين. إنّهم لكثير » فقلت : « ليس هؤلاء أعنى ، إنما أعنى مجنونَ بنى عامر الشاعرَ الذى قتله العشق»[1]. فقال: «هيهات! بنوعامر أغلظأ كباداً من ذلك، إنمايكون هذا فىاليمانيَة الضِّعافِ قلوبُها ، السخيفةِ عقولُها ، الصَّعلةِ رءوسُها ، فأما نزارٌ فلا». قال المدائنىّ : المجنون المشهورُ بالشِّعر بين الناس ، صاحب ليلى ، قيسُ بن مُعاذ ، من بنى عامر، ثم من بنى عُقَيل ، أحدِ بنى نُمير بن عامر بن عُقَيل . ومنهم رجل يقال له : مهدىٌّ ابن الملوَّح من بنى جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

قال ابن الكلبىّ : حديثُ المجنون وشعرُه وضعه فتًى من بنى أميَّة كان يهوى

---

(١) الصعلة ، الأغانى : الصعبة ، جميع النسخ .

ابنةَ عمٍّ له يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون ، وقال الأشعارَ التى يَرويها الناس للمجنون ونسبها إليه .

قال أبو عمرو الشيبانى : حدّثنى رجل من أهل اليمن أنه رآه وسأله عن اسمه ونسبه ، فذكر أنه قيس بن الملوّح وحدّث أن أباه مات قبل اختلاطه ، فعقَر على قبره ناقتَه ، وقال فى ذلك يرثيه :

عقرتُ على قبر الملوّح ناقتى ... بذى السَّرح لما أن جفَتْه أقاربه(١)
وقلت لها : كونى عَقِيراً فإنَّنى ... غداً راجلٌ أمشي وبالأمس راكبه(٢)
فلا يُبْعِدنْك الله يا ابن مُزاحِم ... فكلٌّ بكأس الموت لابدَّ شاربُه(٣)
فقد كنت طلّاع النِّجاد ومعطىَ الـ ... جياد وسيفاً لا تُفَلُّ مضاربه(٤)

وليلى صاحبةُ المجنون هى لَيْلى بنتُ سَعد بن مَهْدِىّ بن ربيعة بن الحَرِيش ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ، وكانت من أجمل الناس ، وأظرف النساء ، وأحسنِهن جسما وعقلا ، وأفضلِهن أدبا ، وأملحهن شكلا ، ومن شعره فيها :

أخذن محاسنَ كلَّ ما ... ضنَّت محاسِنُه بحُسنه
كاد الغزالُ يكونها ... لولا الشَّوَى ونشوزُ قَرنه

قال الأصمعى : سألتُ أعرابيًّا من بنى عامر بن صعصعة عن المجنون العامرىّ ، فقال : « عن أيِّهم تسأل ؟ فقد كان فيهم جماعةٌ رُموا بالجنون فعن أيِّهم تسأل » ؟ . فقلت : « عن الذى كان يشبِّبُ بليلى » . فقال : « كلهم كان يشبِّب بليلى » . قلت : « فأنشدنى لبعضهم » .* فأنشدنى لمزاحم بن الحارث المجنون :

---

(١) الأقارب ، الأغانى .
(٢) راكب ، الأغانى .

* بدء سقط فى نسخة كبريلى *

(٣) شارب ، الأغانى .
(٤) هذا البيت ليس فى نص الأغانى .

ألا أيُّها القلب الذى لجَّ هائما … وليداً بلَيْلَى لم تقطَّع تمائمُه
أفق ، قد أفاق العاشقون وقد أنَى … لك اليومَ أن تلقى طبيباً تلائمه
أجِدَّك لا تُنسيكَ ليلى ملمَّة … تلمُّ ولا عهداً يطول تقادمه

قلت : « أنشدنى لغيره منهم » ، فأنشدنى لمُعاذ بن كُلَيب المجنون :

ألا طال ما لاعبتُ ليلى وقادنى … إلى اللَّهو قلبٌ للحِسان تَبُوع
وطال امتراءُ الشوقِ عينىَ كلَّما … نَزَفتُ دموعا تَستَجِدُّ دموع
وقد طال إمساكى على الكَبِد التى … بها من هوَى ليلى الغداةَ صُدوع

قلت : « فأنشدنى لغير هذين منهم » ، فأنشدنى لمهدىٍّ بن الملوح :

لَو انَّ لك الدُّنيا وما عُدِلت به … سواها ولَيْلَى بائن عنك بَينُها
لكنت إلى ليلى فقيراً ، وإنما … يقود إليها ودَّ نفسِك حَينُها

فقلت له : « فأنشدنى لمن بقى من هؤلاء »، فقال : « حسبك! فوالله إن فى واحدٍ من هؤلاء لمن يوزن بعقلائكم اليوم » .

قال ابنُ الأعرابى : كان مُعاذ بن كُلَيب مجنونا ، وكان يحبُّ ليلى ، وشاركه فى حبِّها مزاحمُ بن الحارث العُقَيْلى فقال مزاحم يوما لمعاذ:

كِلانا يا معاذُ يحبُّ ليلى … بِفىَّ وفيكَ من لَيلى الترابُ
شَرِكتُك فى هوَى من كان حظِّى … وحظُّك من مودَّته العذابُ
لقد خَبَلت فؤادَك ثم ثنَّت … بقلبى فهو مخبولٌ مُصابُ

فلما سمع هذه الأبيات التُبِس وخُولط عقله . وقيل : بل سَمِع فى الليل هاتفاً يهتف بهذه الأبيات فكانت سببَ جنونه .

وقال عَوانة : إن المجنون اسم مستعار لا حقيقة له ، وقال الجاحظ: ما ترك الناس شعراً مجهول القائل فى ليلى إلا نسبوه إلى المجنون ، ولا شعراً هذا سبيلُه قيل فى لُبنى

إلا نسبوه إلى قيس بن ذَرِيح ، وقال عَوانة : ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا في الوجود : ابنُ أبى العَقِب صاحبُ قصيدة الملاحِم ، وابن القِرِّيَّة ، ومجنون بني عامر .

قال اسحاق أنشدتُ أيّوب بن عَبايَةَ هذين البيتين :

وخَبَّرْتُمانى أن تَيْماءَ منزلٌ للیلى إذا ما الصَّيفُ ألقى المراسِيا

فهذى شُهور الصَّيف عنا قدانقضت فما للنَّوى ترمى بلَيْلَى المراميا

وسألتُه عن قائلِهما ، فقال: « جميل » . فقلتُ : « الناسُ يروونهما للمجنون ». فقال : « ومن هو[1] المجنون؟ » ، فأخبرته ، فقال : « ما لهذا حقيقة ولاسمعت به». قلت : « فهل معهما غيرها ؟ » قال : « نعم » ، وأنشدنى :

وإنِّى لأخشى أن أموتَ فُجاءَةً وفى النفس حاجات لليلى[2] كما هيا

وإنى لينسينى لقاؤكِ كلَّما لقيتُك يوماً أن أبثَّك ما بيا

وقالوا : به داءٌ عَياء أصابه وقد علمت نفسى مكانَ دوائيا

وكان المجنون يهوَى ليلى بنتَ مَهدىّ بن سَعد بن مَهدىّ بن رَبيعة بن الحَرِيش ابن كَعب بن رَبيعة بن عامِر بن صَعْصَعة ، وكنيتُها أمّ مالك ، وهما حينئذٍ صبيَّان ، فعلِق كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه وهما يرعَيان مواشىَ أهلهما ، فلم يزالَا كذلك حتى كَبِرا فحُجِبت عنه . ويدل على ذلك قوله:

تعلَّقت ليلَى وهى ذاتُ ذؤابةٍ ولم يبدُ للأتراب من ثديها حَجْمُ

صغيرين نرعَى البَهْمَ يا ليتَ أنَّنا إلى اليوم لم نَكْبَر ولم تكبر البَهم

بينا ابن ليلى[3] يؤذن يوما إذ سمع الأخضرَ الجُدِّى من دار العاص بن وائل

---

(١) ومن هو ، الأغانى : وما هما و ، المخطوطتان .

(٢) إليك ، الأغانى .

(٣) ابن مليكة ، المخطوطتان .

يُنشِد هذين البيتين ، فأراد أن يقول : « حيَّ على الصلاة » فقال: « حيَّ على البَهم » ، حتى سمعه أهلُ مكّة ، فغدا يعتذر إليهم .

وكان سببُ عشق المجنون ليلى أنَّه أقبل ذات يومٍ على ناقةٍ له كريمة ، وعليه حُلَّتان من حُلَل الملوك ؛ فمرَّ بامرأةٍ من قومه يقال لها : « كريمة » ، وعندها جماعةٌ من النساء يتحدثْنَ وفيهن ليلى ، فأعجبهُنَّ جمالُه وكمالُه ، فدعونَه إلى النزول والحديث، فنزل وجعل يحدثُهُنَّ ، وأمر عبداً له كان معه ، فعقَر لهن ناقتَه ، وظل يحدثهنَّ باقي يومه . فبينا هو كذلك إذ طلع عليهم فـتًى في بُردة من بُرُود الأعراب يقال له : « مُنازِل » يسوق مِعزًى له ، فلما رأينه أقبلنَ عليه وتركن المجنون ، فغضِب وخرج من عندهن وأنشأ يقول :

أأعْقِرُ من جرّا كريمة[1] ناقتى ... ووَصْلِىَ مقرونٌ بوَصل مُنـازِل

إذا جاءَ قَعْقَعْنَ الحُلىَّ ولم أكن ... إذا جئتُ أرضَى صوتَ تلك الخلاخل

متى ما انْتَضَلْنا بالسِّهام نَضَلْته[2] ... وإن يَرْمِ رشقاً دونها فهو قاتلى

فقال له الفتى : هلمَّ نتصارع أو نتناضل . فقال له : إن شِئتَ ذلك فقم إلى حيثُ لا تراهنَّ ولا يرَيْنَك ، ثم ما شئتَ فافعل . فلما أصبح لبس حُلَّتَه وركب ناقةً له أخرى ، ومضى متعرِّضا لهنَّ ، فألفى لَيلى جالسةً بِفناء بيتها ، وقد علق حبُّه بقلبِها وهَوِيته ، وعنـدها جُوَيْرِيات يتحدثْنَ معها . فوقف وسلَّم ، فدعونه إلى النزول وقلن له : « هل لكَ فى محادثة من لا يشغله عنك مُنازلٌ ولا غيره » . قال : « إى لعمرى ! » فنزل وفعل مثل فعله بالأمس . فأرادت أن تعلم هل لها عنـده مثلما له عندها ، فجعلت تُعرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعة ، وتحدِّث غيره . وكان قد عَلِق بقلبه مثلُ حبِّها إياه ، وشغفَته واستملحها ، فبينا هى تحدِّثه إذ أقبل فـتًى من الحىِّ

(١) حر الكريمة ، المخطوطتان .

(٢) فضلته ، المخطوطتان .

فدعَتْه وسارَّته سِرارًا طويلا ، ثم قالت له : « انصرف » ، ونظرت إلى وجه المجنون قد امتُقِـع وتغيَّر لونه وشق عليه فعلها ، فأنشأت تقول :

كلانا مظهِرٌ للنَّاس بغضاً   وكلٌّ عنـد صاحبه مَـكينُ
تبلِّغنا العيونُ بمـا أردنا   وفى القلبَيْنِ ثَمَّ هوى دَفِينُ(١)

فلما سَمِـع البيتَين خرَّ مَغْشِيًّا عليه ، ثم أفاق فاقدا عقله بعد أن نضحوا الماء على وجهه ، فـكان لا يلبس ثوباً إلا خرقه ، ولا يمشى إلّا عارياً ، ويلعب بالتراب ، ويجمع العظامَ حوله ، وإذا ذُكِرت له ليلى أنشأ يحدِّث عنها عاقلًا لا يخطئ . وترك الصلاة ، فإذا قيل له : مالَكَ لا تصلِّى ؟ لم يردَّ حرفا ؛ وكان يحبَسُ ويقيَّد فيعضُّ لسانَه وشفتيه فيخلَّى سبيلُه فيهيم .

ولما شُهِر أمرُ المجنون ولَيْلَى ، وتناشَدَ الناس أشعارَه فيها ، خطبَها وَبذَل فيها خمسينَ ناقةً حمراء ؛ وخطبَها وَرْدُ بنُ محمَّد وبذل لها عشراً من الإبل وأرْغَبها ، فقال أهلها : « نحن مخيِّروها بينـكما ، فمن اختارت تزوجته » ودخلوا إليها وقالوا : « لئن لم تختارى وَرْدًا لنمثلنَّ بك » ، فقال المجنون :

ألَا ياليـلَ إن مُلِّكْتِ فينَا   خيارك(٢) فانظرى كيف الخيارُ
ولا تستَبْدِلى مـِنّى بديلًا   ولا بَرَماً إذا حُبَّ القتَـار
يُهَرْوِلُ فى الصغير إذا رآه   وتُعجِزُه الملمَّاتُ الـكِبار
فمثلُ تأيُّمٍ منـه نِـكاحٌ   ومثلُ تحوُّلٍ منه افتِقـار

فاختارت وردًا فتزوجته على كُرهٍ منها .

---

(١) بعدالبيتين، فى « المخطوطتان » بيت ليس فى أصل الأغانى ، وهو :

وأسرار الملاحظ ليس تخـفى   وقد تغرى بذى اللحظ العيون

والإشارة بعد إلى بيتين اثنين . على أن هذا البيت ورد فى الأغانى فى موضع آخر مع البيت الأول.

(٢) خيارك ، الأغانى .

قال عثمانُ بن عِمارة بن خُرَيم الأسدى(١) : خرجت إلى أرض بنى عامر لألقى المجنون ، فدُلِلْتَ على محلّه ، فلقيتُ أباه شيخاً كبيراً ، وحوله إخوة المجنون مع أبيهم رجالًا فسألتُهم عنه فبكَوا ، وقال الشيخ : والله لهو آثَرُ عندى من هؤلاء جميعاً ، وإنّه عَشِق امرأةً من قومه ، والله ما كانت تطمعُ فى مِثْله ، فلمّا فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يزوِّجها إيّاه من بعد ما ظهر من أمرهما ، فتزوَّجها غيره . وكان أوَّلَ ما كَلِف بها يجلس إليها فى نَفَرٍ من قومها ، فيتحدّثان كما يتحدَّث الفِتيان إلى الفتيات ، وكان أجملَهم وأظرفَهم وأرواهم لأشعار العرب ، فيُفيضون فى الحديث إفاضةً فيكون أحسنهم إفاضة ، فتعرضُ عنه وتقبلُ على غيره ، وقد وقع له فى قلبها مثلُ ما وقع لها فى قَلبه ، فأقبلت عليه يوما وأنشدته:

كلانا مُظهِرٌ للناس بغضاً وكلٌّ عند صاحِبه مكين

الأبيات . نخر مغشيًّا عليه واختُلِط عقله .

كان مروان بن الحكم قد ولى عمرَ بنَ عبدِ الرحمن بن عَوْف صَدقاتِ بنى كعب وقُشَير وجَعدة والحَرِيش وحَبيب وعبدِ الله ، فنظر إلى المجنون قبل أن يستحكِمَ جنونُه ، فكلَّمه فأُعجِب به ، وسأله أن يخرجَ معه فأجابه إلى ذلك . فلما أراد الرَّواح جاءه قومُه فأخبروه خبرَه وخبرَ ليلى ، وأنَّ أهلَها استعدَوا السُّلطان عليه ، فأهدرَ دمه إن أتاهم ، فأضربَ عما وعده به ، وأمر له بقِلاص ، فلما عَلِم بذلك وأُتِى بالقِلاص ردَّها عليه ، وانصرف . وقيل : إنّه هو الذى سأل عُمَرَ بن عبد الرحمن أن يخرج به ، وقال : أكونُ معك فى هذا الجمع الذى تجمَعُه غداً ، وأتجمَّل فى عشيرتى بك ، وأفخرُ بقربك ، فجاءه رَهْطُ ليلى وأخبروه بقِصّته ، وأنه لا يريد التجمُّل به وإنما يريد أن يدخُل عليهم بيوتَهم ، ويفضحَهم فى امرأةٍ منهم يهواها ،

---

(١) المرى ، الأغانى .

وأنهم شكوه إلى السلطان فأهدر دمه ؛ فأعرض عنه ، وأمر له بالقِلاص فردَّها عليه. وقال فى ذلك :

رَدَدْتُ قلائِص القُرَشِيّ لما بدا لى النقضُ منه للعهود
وراحوا مُقصِرين وخلَّفونى إلى حُزنٍ أعالجُه شديدِ

ورجع آيِساً ، فصار إلى حالته الأولى . فلم تزل تلك حالُه ، إلا أنَّه غير مستوحِش ، إنَّما يكون فى جَنَبات الحيِّ منفرداً عارياً ، لا يلبس ثوبا إلا خَرَّقه . يهذى ويخطِّط فى الأرض ، ويلعب بالتراب والحجارة ، ولا يجيب أحداً سأله عن شىء . فإذا أحبّوا أن يتكلَّم أو يثوبَ إليه عقله ذكروا له ليلى ، فيقول : « بأَبى هى وأمِّى » ، ثم يرجع إليه عقلُه ، فيخاطبونه فيُجيبهم ؛ ويأتيه أحداثُ الحيِّ فيحدِّثونه عنها ويُنشدونه الشعر ، فيجيبهم جواباً صحيحا ، ويُنشدهم أشعاراً قالها ؛ حتّى سعى إليهم فى السنة الثانية ، بعد عُمَر بن عبد الرحمن ، نَوْفَلُ بن مُساحِق ، فنزل مَجمعا من تلك المجامع ، فرآه يلعَبُ بالتراب وهو عُريان، فقال لغلامٍ له : « يا غلام ، هات ثوبا »، فأتاه به فقال لبعضهم : « خذ هذا الثوبَ فألقه على ذلك الرجل » فقال : « أتعرفُه جُعِلتُ فداكَ ؟ » قال : « لا » . قال : « هـذا ابنُ سيِّد الحيّ . لا والله ما يلبس الثياب ، ولا يزيدُ على ما تراه من فعله الآن ، وإن طُرِحَ عليه شىءٌ خرّقه . ولو كان يلبسُ ثوباً لكان فى مال أبيه ما يكفيه » . قال : « فحدِّثنى عن أمره » . فدعا به وكلَّمه ، فجعل لا يعقِل شيئاً يكلمه به ؛ فقال له قومه : إن أردت أن يُجيبَك جواباً صحيحاً فاذكر له ليلى ، فذكرها له وسأله عن حبه لهـا ، فأقبلَ عليه يحدِّثه بحديثها ، ويشكو إليه ، ويُنشِد شعرَه فيها . فقال له نَوفَل : « الحبُّ صيرك إلى ما أرى ؟ » قال : « نعم وسينتهى بى إلى أشدَّ ممـا ترى » ، فعجب منه وقال : « أتحب أن أزوِّجكها ؟ » قال : « نعم . وهل إلى ذلك سبيل ؟ » قال : « انطلق معى حتّى أَقْدمَ على أهلها بك ، وأخطبهاَ عليك ، وأرغِّبهم فى المهر لها » . قال :

«أتُراك فاعلا؟» قال: «نعم». قال: «انظر ما تقول» قال: «لك عليّ أن أفعلَ بك ذلك». ودعا له بثيابٍ فألبسه إيّاها، وراح معه المجنون كأصحِّ أصحابه، يحدِّثه ويُنشِده. فبلغَ ذلك رهطَها فتلقَّوه بالسلاح وقالوا له: «يا ابنَ مُساحِق، لا والله لا يَدخُل المجنونُ منازلنا أبداً أو يموت، وقد أهدر السُلطان لنا دمَه». فأقبلَ بهم وأدبر، فأبَوا. فلما رأى ذلك قال للمجنون: «انصرف»، فقال له المجنونُ: «والله ما وَفَيت لى بالعهد». قال له: انصرافُك بعد أن أيأسنى القومُ من إجابتِك أصلحُ من سَفكِ الدماء، فقال المجنون:

أياويح من أمسى تخَلَّجَ(١) عقلُه فأصبحَ مذهوباً بـه كلّ مذهب
خليًا من الخلّان إلا معذِّراً يضاحِكُنى من كان يهوَى تجنُّبى
إذا ذكِرتْ لَيلَى عَقَلتُ وراجعَتْ روائعُ عقْلِى من هَـوًى متشعِّب
تجنَّبتُ ليلى أن يلجّ بىَ الهـوى وهيهاتَ! كان الحبُّ قبل التجنّبِ
ألا إنمـا غادرتِ يا أمّ مالك صدًى أينما تذهَبْ به الريحُ يذهب

قال ابنُ سلّام: لو حلفتُ أن مجنونَ بنى عامر لم يكن مجنوناً لصدَقتُ فى ذلك، ولـكنه قولُه لما تزوّجت ليلى، وأيقن باليَأس منها، ألم تسمع إلى قوله:

«أيا ويح من أمسى تخَلَّج عقله»

الأبيات.

روى الـكلبيّ أنّ أبا المجنون وأمّه ورجالَ قومه وعشيرتِه اجتمعُوا إلى أبى لَيْلَى، فوعظوه وناشدوه الله والرحم. وقالوا له: «إنَّ هذا الرجُلَ هالِك، وقبلَ ذلك فهو(٢) أقبـح من الهلاك بذهاب عقله، وإنّك فاجعٌ به أباه وأهله، فنَشَدْناك الله والرحم أن تفعلَ ذلك؛ فوالله ما هى أشرفُ منه ولا مالُك مثلُ مال أبيه، وقد حكَّمك

(١) تجلجل، المخطوطتان وفى نص الأغانى: تخلس.

(٢) ففى، الأغانى.

فى المهر وإن شئت أن يخلع(١) نفسَه إليكَ من مالِه فعــل » ، فأبَى وحلَف بالله وبالطلاق من أمِّها الا يزوِّجَه إياها أبداً وقال : « أفضَحُ نفسى وعَشِيرتى وآتِى ما لم يأتِه أحدٌ من العَرَب وأَسِمُ ابنَتى بمِيَسَم فَضيحة ؟ » فانصرفوا عنه . وخالفهم اوَقتِه فزوَّجها رجلًا من قومه ، وأدخلها عليه ، فما أمسى إلا وقد بنى بها ـ وبلغه الخبرُ فيئس منها حينئذ ، وزال عقله جملة ، فقال أهلُ الحىِّ لأبيه : « احجُجْ به إلى مكَّة ، وادعُ الله له ، ومُرْهُ أن يتعلَّق بأستار الـكعبة ، فنسأل الله أن يعافِيَه مما به ، ويبغِّضها إليه ، فلعلّ الله أن يخلِّصه من هذا البلاء » فحجَّ به أبوه ، فلما صاروا بمِـنًى سمع صائحاً فى الليل يصيح : « يا لَيْلَى » ! فصَرخ صرخةً ظنّوا أن نفسَه قد تلِفَت ، ووقع مغشِيًّا عليه ، فلم يزل كذلك حـتّى أصبـح ، ثم أفاق حائل اللَّون ذاهلًا ، وأنشأ يقول :

عرضتُ على قلبى العزاءَ فقال لى : مِنَ الآنَ فايأسْ لاأعزّكَ من صَبْرِ
إذا بانَ من تهوَى وأصبـح نائياً فلا شىءَ أجدى من حلُولك فى القبرِ
وداعٍ دعا إذ نحنُ بالخَيْفِ من منًى فهيَّـج أطرابَ الفُؤاد وما يـــدرى
دعا باسم ليـــلى ضلَّلَ اللهُ عقلَه وليلى بأرضٍ عنه نائيةٍ قَفْرِ

ثم قال له أبوه : « تعلَّق بأستار الـكعبة ، وسَل الله أن يُعافيكَ من حبِّ ليلى » ، فتعلق بأستار الـكعبة وقال : « اللّهم زدنى لليلَى حبًّا وبها كلفاً ، ولا تُنسِنى ذكرها أبداً » . فهام بها حينئذ واختُلِط فلم ينضبط ، فـكان يهيم فى البَرِّيَّـة مع الوحش ، لا يأكلُ إلا ما ينبت فى البَرِّيَّـة من بقل ، ولا يشرب إلا مع الظباء إذا وردت مناهِلها . وطال شَعرُ جسده ورأسه وألِفَته الوحوش فـكانت لا تنفر منه ، وجعل يهيم حتى يبلُغَ حدود الشام ، فإذا ثاب إليه عقلُه سأل من يمرُّ به من أحياء العرب

(١) يخلع ، الأغانى : معمل ، المخطوطتان .

عن نجد ، فيقال له : « وأين أنتَ من نجد ؟ قد شارفتَ حدودَ الشام . أنت فى موضع كذا » . فيقول : « فأرونى وِجهةَ الأرض والطريق » ، فيرحمونَه ويَعرِضون عليه أن يحملوه ويكسوه فيأبى ، فيدلّونه على طريق نجد فيتوجه نحوه .

قال أبو مسكين : خَرَج منَّا فتى حتَّى إذا كان ببئر مَيْمونٍ إذا جماعةٌ فوق تلك الجبال ، وإذا معهم فتًى أبيضُ طُوَالٌ جَعْدٌ كأحسن من رأيتُ من الرجال ، على هُزال منه وصُفرة ، وإذا هم متعلِّقون به . فسألتُ عنه فقيل لى : هذا قَيْسُ المجنون ، خرج أبوه يَسْتجير له بالبيت ، وهو على أن يأتىَ به قبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعوَ له هناك ، لعلَّ ، أن يكشف ما به ، فإنه يصنع بنفسه صنعاً يرحمه منه عدوُّه . ويقول : « أخرِجونى لعلِّى أتنسم صَبَا نجد » فيخرجونه ، فيُتَوَجَّه به نحو نجد . ونحن مع ذلك نخافُ أن يُلقىَ نفسَه من الجبل ، فإن شئتَ دنوتَ منه فأخبرتَه أنك أقبلتَ من نجد ، فدنوتُ منه ، وأقبلوا عليه فقالوا : « يا أبا المهدىّ ، هذا الفتى أقبل من نَجْد » فتنفَّس نَفَساً ظننت أن كبده قد انصدعت ، ثم جعل يسألنى عن وَادٍ وادٍ ، وموضعٍ موضعٍ ، وأنا أخبرُه وهو يَبكى أحرَّ بكاءٍ وأوجعه للقلب ، ثم أنشأ يقول :

ألا ليتَ شِعرى عن عُوَارِضَتَىْ قَنًا ... لطول الليالى . هل تغيَّرتا بَعــــدى
وهل جارتانا بالبَتِيــلِ إلى الحمى ... على عَهدنا أم لم يدوما على العهــد
وعن عُلْوِيَّات الرياح إذا جرت(١) ... بريح الُخزامىَ هل تهبُّ على نجـد
وعن أقْحُوانِ الرَّمل ما هو فاعــلٌ ... إذا هو أَسْرى ليلةً بثَرًى جَعْـد
وهل انفضَنَّ الدهرَ أفنانَ لِمَّتى ... على واضحِ المَتْنَين مُنْدَاقِ الوَخْد
وهل أسمعنَّ الدهرَ أصوات هَجْمةٍ ... تحدَّرُ(٢) من نَشْزٍ خصيب إلى وَهْدِ

(١) جرت، الأغانى : بدت ، المخطوطتان.

(٢) تحدر ، الأغانى : تطلع المخطوطتان .

حدث العتبي قال: مرّ المجنون ذاتَ يوم بزوج ليلى، وهو جالس يصطلى فى يوم شاتٍ، وقد أتى ابنَ عمٍّ له فى حاجة بحيِّ المجنون، فوقفَ عليه وأنشد:

بربِّك هل ضممتَ إليك ليلى   قُبيلَ الصبح أو قبّلت فاها
وهل رفّت عليك ذُؤابتاها   رفيفَ الأقحوانة فى نداها

فقال له: « اللهم إذ حلّفتنى فنعم ». قال: فقبض المجنونُ بكلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فارقهما حتى خرّ مَغْشِيًّا عليه، وسقط الجمرُ مع لحم راحتيه؛ وعضّ على شفَتِه فقطعها، وقام زوجُ ليلى مغموماً بفعله، متعجباً منه، ومضى.

قيل: إنّ أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادى القُرى قبل توحُّشه ليمتاروا، خوفاً عليه أن يضيع ويهلك، فمرُّوا فى طريقهم بِجَبَلَىْ نَعمان، فقال له بعض فِتيان الحىّ: « هذا جبلا نَعمان، وقد كانت ليلى تنزل بهما ». قال: « فأى الرياح تأتى من قِبلهما؟ » قالوا: « الصَّبا »، قال: « فو الله لا أريمُ هذا الموضعَ حتى تهبّ الصبَا ». فأقام ومَضَوا فامتاروا لأنفسهم، ثم أتوا إليه فأقاموا معه ثلاثاً حتى هبت الصَّبا، ثم انطلق معهم، وأنشأ يقول:

أيا جَبَلَىْ نَعمان بالله خلِّيا   سَبيلَ الصَّبا يخلصْ إلىَّ نسيمُها
أجدْ بردها أوتشفِ منى حرارةً   على كَبِد لم يبقَ إلا صميمُها
فإن الصَّبا ريح إذا ما تنسَّمت   على نَفْس مهمومٍ تجلَّت همومُها

ولما منع أبو ليلى وعشيرتُه المجنونَ من تزويجه بها، كان لا يزال يغْشى بيوتَهم ويهجم عليهم، فشكَوْه إلى السلطان، فأهدر دمه لهم، فأخبروه بذلك فلم يرُعْه وقال: « الموتُ أروَحُ لى، ليتهم قتلونى »، فلمَّا علموا بذلك، وعلموا أنه لا يزال يطلب غِرَّةً منهم، حتى إذا تفرّقوا دخل دارهم، فارتحلوا عنها، وأبعدوا، وجاء المجنونُ عَشيَّةً فأشرف على دارهم، فإذا هى بلاقع، فقصد منزل ليلى الذى كان بيتُها فيه، فألصق صدره به، وجعل يمرِّغ خدّيه على ترابه ويبكى ويقول:

أيا حَرَجاتِ الحيِّ يوم ترحّلوا   بذى سَلَمٍ لا جادكنّ ربيع
وخَيْماتُكِ اللاّتى بمنعَرج اللِّوى   بَلِينَ بِلًى لم تَبْلَهن ربوع

وذُكِر أن ليلى وعدته قبل أن يُختلط أن تستزيره ليلةً إذا وجدت فُرْصَةً لذلك، فمكث مدّةً يراسلها فى الوفاء وهى تمِدُه وتسوِّفُه فأتى أهلها ذات يوم والحىّ خلوف، فجلس إلى نسوةٍ من أهلها حَجْرَةً منها، حيثُ تسمع كلامَه، فحادثهنّ طويلا ثم قال: «ألا أنشدكنّ أبياتاً أحدثتها فى هذه الأيام» قلن: «بلى» فأنشدهنّ:

ياللرِّجال لهمّ بات يعرونى   مستطرَفٍ وقديم كاد يبلينى
مَن عاذِرى من غريمٍ غير ذى عُسُر   يأبى فيمطُلُنى دَيْنى ويَلوينى
لا ينكر البعضَ(١) من حقّى فيجحدَه   ولا يحدِّثنى أن سَوْفَ يقضينى
وما كشُكْرِىَ شكرٌ لو يوافِقُنى   ولا مُنایَ سواه لو يوافينى(٢)
أطعتُه وعصيتُ الناسَ كلَّهم   فى أمرِه وهواه وهو يعصينى
خَيرى لمن يبتغى خيرى ويأملُه   من دون شرِّى وشرى غيرُ مأمون
وما أشاركُ فى أمرى أخا ضَعفٍ   ولا أقول أخى من لا يُوَاتينى

فقلن له: «ما أنصفَك الغريمُ الذى ذكرتَه». وجعلن يتضاحكن، وهو يبكى، فاستحيت ليلى منهنّ ورقّت حتى بكت وقامت إلى بيتها وانصرف هو.

وكان للمجنون ابنا عمٍّ يأتيانه فيحدِّثانه ويسألانه ويؤنسانه، فوقف عليهما يوماً وهما جالسان، فقالا له: «يا أبا المهدىّ، ألا تجلس؟» فقال: «لا بل أمضى إلى منزل ليلى فأتوسّمَه وأرى آثارها فيه، فأشفى بعضَ ما فى صدرى»، فقالا له: «فنحن معك». فقال: «إذا فعلتما فكرّمتمانى(٣) وأحسنتُما» فقاما معه حتى أتى

---

(١) لا يبعد النقد، الأغانى.

(٢) يوافينى، الأغانى: يواتينى، المخطوطتان.

(٣) أكرمتما، الأغانى.

دار ليلى ، فوقف فيها طويلا يتتبَّع آثارَها ، ويقف فى موضعٍ موضعٍ ويبكى ، ثم قال :

يا صاحبىَّ ألمّا بى بمنزلةٍ قد مرَّ حينٌ عليها أيُّما حين
إنى أرى رَجَعات الحبِّ قاتلتى وكان فى بَدْئها ما كان يكفينى
لا خيرَ فى الحبِّ ليست فيه قارعةٌ كأنَّ صاحبَها فى نَزع مَوْتون
إن قال عُذَّالُه : مهلًا فلان لهم قال الهوى: غيرُ هذا القولِ يَعْنينى
ألقى من الحبِّ ثارات[1] فيقتلُنى وللرجاء بشاشاتٌ فتحيينى

قيل لقيس بن الملوح قبل أن يُخالَط : ما أعجبُ شىء أصابك فى وَجدك بليلى ؟ قال : طرقتنا ذاتَ ليلة أضيافٌ ولم يكن عندنا لهم أُدْم ، فبعثنى أبى إلى منزل أبى ليلى ، وقال : « اطلُب لنا منهم أُدْماً » ، فأتيته فوقفت على خبائه وصحت به ، فقال لى : « ما شأنك ؟ » فقلتُ : « طرقتنا أضياف ولا أدم لنا ؛ فأرسلنى أبى أطلب منك أدماً » ؛ فقال : «ياليلَى ، أخرجى إليه ذلك النِّحْىَ فاملئى له إناءه من السمن » ، فأخرجَته، ومعى قَعْب ، فجعلت تصبُّ السمن لى فيه وتتحدث ، فألهانا الحديث وهى تصبّ السمن وقد امتلأ القَعْب ، ولم نعلم جميعاً وهو يسيل حتى استَنْقَعَت أرجُلُنا من السمن.

قال : وأتيتهم مرَّة ثانية أطلبُ نارا وأنا متلفِّع ببُرد لى ، فأخرجت لى ناراً فى عُطْبَة فأعطَتْنيها ، ووقفنا نتحدّث ، فلما احترقت العُطْبَة خرقتُ من بُردى ، وجعلت النار فيها ، فكلما[2] احترقت خرقتُ أخرى وأذكيت بها النار حتى لم يبقَ من البُرد إلا ما وارى عَورتى ، وما أعقل ما أصنع .

---

(١) اليأس تارات ، الأغانى .
(٢) فلما ، المخطوطتان .

ومن شعره فيها :

أمُسْتَقْبِلِى ريحُ(١) الصَّبا ثم شائقى   بِبَرد ثنـــايا أمِّ حسَّان شائقُ
كأنَّ على أنيـابها الخمرَ شَجَّها   بماء الندى من آخر الليل عاتِقُ
وما ذقته إلا بعيـنِى تفرسا   كما شِيمَ فى أعلى السحابة بارق

وقيل : إن هذه الأبيات لنُصَيب .

قال إبراهيم بن سعد الزُّهرى : أتانى رجل من عُذْرة لحاجة ، فجرى ذكر العشق والعشَّاق ، فقلت له : « أنتم أرقُّ قلوباً أم بنو عامر ؟ » ، فقال : « إنا لأرَقُّ الناس قلوباً ، ولـكن غلبتنا بنو عامر بمجنونها » .

ومن شعره فيها :

طمعتُ بلَيْلَى أن ترِيعَ وإنمـا   تقطِّـع أعناقَ الرجال المطامعُ
وداَينْتُ ليلى فى خلاءٍ ولم يكن   شُهودٌ على ليلى عُدُول مَقَانِع

قال محمد بن سلام : قضى عُبَيْدُ الله بن محمد بن الحسَن بن الحرِّ العنبرى على رجل من قومه قضيةً أوجبها الحـكم ، فظنَ العنبرىُّ أن عبيدَ الله تحامل عليه ، فانصرف مُغضَباً ، ثم لقيه فى طريق فأخذ بلجام بَغلته ، وكان شديدا أيِّدًا ، فقال له : إيه يا عُبيدَ الله :

طمعتُ بليلى أن تريع وإنَّمـا   تقطِّـع أعنـاق الرجال المطامع
وداينت ليلى فى خلاء ولم يكن   شهود على ليلى عدول مقانع(٢)

فقال له عبيدُ الله : خلِّ عن البغلة نخلّاها .

قال يونس(٣) النحوى : لما اختَلِط عقل المجنون قيسٍ ، وترك الطعام والشراب،

(١) نفح ، الأغانى .
(٢) البيت ، فى الأغانى ، بعد : « فقال عبيد الله » .
(٣) أبو يونس ، المخطوطتان .

مضت أمُّه إلى ليلى فقالت : « إنَّ قيساً قد ذهب عقله وترك المطعم والمشرب ، فلو جئتِه وقتاً لرجوتُ أن يثوب إليه بعض عقله » ، فقالت ليلى : « أما نهاراً فلا ، لأنِّى لا آمَن قومى على نفسى ، ولكن ليلًا » ، فأتته فقالت : « يا قيسُ ، إن أمَّك تزعُم أنك قد جُننتَ من أجلى ، وتركت المطعم والمشرب ، فاتَّقِ الله وابق على نفسك » ، فبكى وقال :

قالت : جُنِنتَ على رأسى ، فقلت لها ... الحبُّ أعظم ممَّا بالمجانين

الحبّ ليس يفيق الدهرَ صاحبُه ... وإنما يصرَعُ المجنونُ فى الحِين

قال : فبكت معه ، وتحدّثوا حتى كاد الصبح أن يسفر . ثم ودَّعته وانصرفت . فكان آخر عهده بها .

قال القَحْذَمىّ : لما قال المجنون :

خليلىَّ لا والله لا أملكُ الذى ... قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيرى وابتلانى بحبِّها ... فهلَّا بشىءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا

سُلِب عقلَه . وقيل : إنه لما قال هذا البيتَ مرض[1] . وقيل : إنه لما قال البيتين نُودِى فى الليل : « أنت المتسخِّط لِقضاء الله والمتعرِّض أحكامَه » فأحس عقله فتوحّش منذ تلك الليلة ، وذهب مع الوحش على وجهه ، وقيل : إنه سمِّى المجنون لقوله :

مابالُ قلبك يا مجنونُ قد خُلِعا ... فى حُبِّ مَنْ لا ترى فى نَيْله طمعا

الحبّ والودّ نيطا بالفؤاد لها ... فأصبحا فى فؤادى ثابِتَين معا

وقال الأصمعى : لم يكن مجنوناً ولكن جننه العشق ، وأنشد له :

يسمّونَنى المجنونَ حين يرونَنى ... نعم ، بى من ليلى الغداةَ جنون

---

(١) برص . الأغانى .

وقال العُتبي : إنما سمِّي المجنونَ لقوله :

يقول أناسٌ : علَّ مجنونَ عامرٍ يروم سلُوّا ، قلت : أنَّى لما بيا

وقد لامني في حبِّ ليلى قرابتي أخي وابنُ عمِّي وابنُ خالي وخاليا

يقولون : ليلى أهلُ بيت عداوةٍ بنفسيَ ليلى من عدوٍّ وماليا

ومن قوله فيها :

ألا ليتَ ليلى أطفأت حرّ زَفرةٍ أعالجها لا أستطيع لها ردّا

إذا الريح من نحو الحِمى نَسَمتَ لنا وجَدتُ لمجراها ومَنْسِمها بردا

على كبدٍ قد كاد يبدي بها الهوى ندوباً ، وبعض القوم يحسَبني جَلدا

ويروى هذا البيت الثالث لابن هرمة .

وكان المجنون كَلِفاً بمحادثة النساء صبًّا بهن ، فبلغه خبرُ ليلى وبعثت له ، فصبا إليها وعزم على زيارتها ، فتأهّبَ لذلك ، ولبِس أفخر ثيابه ، ورجّل جُمّته ، وارتحل ناقةً كريمة برَحلٍ حسن ، وتقلّد سيفه ، وأتاها فسلّم فردَّت ، وتحادثا وكلّ واحد منهما مقبل على صاحبه حتى أمسيا ، ثم انصرف إلى أهله فبات بأطول ليلة ، ثم عاد إليها لما أصبحَ فلم يزل عندها حتى أمسى فانصرف إلى أهله ، واجتهد أن يُغمِض فلم يقدر على ذلك ، فذلك حيث يقول :

نهاري نهارُ الناس حتى إذا بدا لي الليلُ هزّتني إليكِ المضاجع

أقضِّي نهاري بالحديث وبالمُنى ويجمَعُني والهمّ بالليل جامع

لقد ثبتت في القلب منك محبّةٌ كما ثبتت في الراحتينِ الأصابعُ

قال : وأدام زيارتَه لها ، وترك من كان يأتيه فيتحدَّث إليه غيرَها . وكان يأتيها في كلّ يوم فلا يزال عندها نهارَه أجمعَ وينصرف ، فخرج ذات يوم يريد زيارتَها ، فلما قرُب من منزلها لقيته جارية عَسْراء ، فتطيّر منها ، وأنشأ يقول :

وكيف ترجّى وصلَ ليلى وقد جرى بِجَدِّ القُوى والوصلِ أعسرُ كاسر (١)
صَدِيعُ العصا صَعبُ المرام إذا انتحى لوصلِ امرئٍ جُذّت لديه الأواصر

ثم صار إليها فى غدٍ فحدّثها بقصّته وطِيَرته وأنه يخاف تغيّر عهده ، وشكا وبكى ، فقالت : « لا تُرَعْ ؛ حاشَ لله من تغيّر عهدى ، لا يكون ذلك أبداً » فحدّثها بقيةَ يومه ، ووقع فى قلبها منه ما وقع فى قلبه لها ، فجاءها يوماً فحدّثها فأعرضت عنه ، وأقبلت على غيره بحديثها . تريد بذلك مِحنتَه وأن تعلمَ ما فى قلبه لها ، فجزع جزعاً شديداً عُرِف عليه ، فلما خافت عليه أقبلت عليه كالمسِرّة له وقالت :

كلانا مُظهرٌ للناس بغضا وكلٌ عند صاحبه مَكين

الأبيات المتقدمة . فسُرِّى عنه ، وعَلِم ما فى قلبها ، وقالت : « إنما أردت أن أمتحنك والذى لك عندى أكثرُ من الذى لى عندك ، وأُعطِى الله عهداً إنْ أنا جالستُ بعد يومى هذا رجلًا سواك ، حتى أذوق الموت ، إلا أن أُكْرَه عليه » فانصرف عَشِيّةً وهو أشدُّ الناس سروراً وأقرُّهم عينا ، وأنشأ يقول :

كأنّ هواها تاركى بمَضَلّة من الأرض ؛ لا مالٌ لدىّ ولا أهلُ
ولا أحدٌ أُفضِى إليه وصيّتى ولا صاحبٌ إلا المطيّة والرحلُ
محاحبُّها حبّ الأُلى كنّ قبلها وحلّت مكاناً لم يكن حُلَّ من قبل

لما حُجِبت ليلى عن المجنون خطبها جماعة فلم يرضهم أهلُها ، وخطبها رجل من ثَقِيف مُوسِر فزوّجوه ، وأخفَوا ذلك عن المجنون ، ثم نُمِى إليه طرَف منه لم يتحقّق ، فقال :

دعوتُ إلهى دعوةً ما جهلتُها وربِّى بما يُخفى الضميرُ بصيرُ
لئن كان يُهدَى بَرْدُ أنيابها العُلى لأفقرَ منّى إننى لفقير
وقد شاعت الأخبارُ أن قد تزوّجت فهل يأتينّى بالطلاق بَشيرُ

(١) حاسر ، الأغانى .

وجعل يمرُّ ببيتها ولا يسأل عنها ، ولا يلتفت إليها ، ويقول إذا جاوزه :

ألا أيُّها البيتُ الذى لا أزورُه وقد حلَّه شخص إلىَّ حبيب
هجرتُكَ إشفاقاً وزرتُك خافياً وفيك علىَّ الدهرَ منك رقيب
سأستَعْتب الأيّام فيك لعلَّهـا بيوم سرور فى الزمان تؤوب

وقال فيها أيضا :

ألا إن ليلى العامريَّة أصبحت تقطَّعُ إلا من ثقيفٍ حبالُها
همُ حَبَسوها محبِسَ البُدن وابتغى بها المالَ أقوام ، ألَا قلَّ مالُها

وبلغه أن أهلها يريدون نقلها إلى الثقفى ، فقال :

كأنَّ القلبَ ليلة قيل يُغْدَى بليلى العامريّة أو يُراح
قطاةٌ عزَّها شَرَكٌ فباتت تجاذِبُه وقد عَلِق الجناح

ولما نقلت إلى الثقفىّ قال :

طربتُ وشاقتنى الحمولُ الدَّوافع غداةَ غدا[١] بالبين أسفَعُ نازع
شَحَافاه نَعْباً بالفِراق كأنَّه جَريبٌ[٢] سَلِيب نازحُ الدار جازعُ
فقلتُ بلَى ! قد بيَّن الأمرُ فانْصرِف وقد راعنا بالبيْن[٣] قبلَك رائع
سُقيتَ سِماماً من غُرابٍ ، فإنَّنى تبيَّنتُ ما خبَّرتَ مذ أنتَ واقع
ألم ترَ أنِّى لا محبٌّ ألومُه ولا ببديلٍ بعدهم أنا قانع
ألم تر أن الحىَّ[٤] فى رَوْنق الضحى بحيثُ انحنَتْ بالهَضبتين الأجارع

---

(١) دعا ، الأغانى .
(٢) غريب ، المخطوطتان .
(٣) بالأمر ، المخطوطتان .
(٤) دار الحى ، الأغانى .

وقد يتنَاءى الإلفُ من بعد قُربه ويصدَع ما بين الخليطين صادع
وكم من هوًى أو جيرةٍ قد ألفتهم زماناً فلم يمنعهم البينَ مانع

لما حج أبو المجنون بابنه ليدعو الله له فى الموقِف أن يعافيَه ، كان معه ابن عمِّه زيادُ ابن كعبِ بن مُزاحم ، فمرّ بحمامة تدعو على أيكة فوقف يبكى ، فقال له زياد : « أيُّ شىء هذا ؟ ما يبكيك ؟ سِرْ بنا حتى نلحق الرُّفقة » فقال قيس :

أألْ هَتَفتْ يوماً بوادٍ حمامة بكيتَ ولم يَعذِرْك بالجهل عاذر
دعت ساقَ حرٍّ بعد ماعَلَت الضحى فهاجت لىَ الأحزان أن ناح طائر
تغنّى الضحى والصبح فى مُرجَحِنّة كِثافِ الأعالى تحتهـا الماء حائر
يقـول زيادٌ إذ رأى الحىَّ هَجَّروا أرى الحىَّ قدساروا ، فهل أنتسائر
وإنى وإن غالَ التقادمُ حاجـتى مُلِمٌّ على أوطـان ليـلى فناظرُ

كان المجنونُ وليلى وهما صبيَّان يرعيانِ غنماً لأهلهما ، عند جبلٍ فى بلادهما يقال له : التَّوباد ، فلما ذهب عقلُه ، وتوحَّش كان يجىء إلى ذلك الجبل فيقيم فيه ، فإذا تذكّر أيام كان يُطيف به هو وليلى جَزِع واستوْحَش فهام على وجهه ، حتى يأتِىَ نواحِىَ الشام ، فإذا ثاب إليه عقله رأى بلادًا لا يعرفها فيقول للناس : « بأبى أنتم أين التّوباد ، جبلٌ فى أرض بنى عامر ؟ » فيقالُ له : « وأين أنت من أرض بنى عامر ؟ أنت بالشام عليْكَ بِنَجم كذا فأُمَّه » فيمضى على وجهه نحو ذلك النجم ، حتّى يقع بأرض اليمن ، فيرى بلاداً لا يعرفها ، وقوما ينكرهم ، فيسألهم عن التَّوباد من أرض بنى عامر ، فيقولون له : « وأين أنت من أرض بنى عامر ؟ عليك بنجم كذا » فلا يزال كذلك حتّى يقع على التَّوباد . فإذا رآه قال :

وأجهشتُ للتَّوباد حين رأيتُه وكـبَّر للرحمن حين رآنى
وأذرَيتُ دمعَ العين لمـا عرفتُه ونادى بأعلى صوْتِه فـدعانى
وقلت له : قد كان حولَك جِيرَةٌ وعهدى بذاك الصَّرمِ منذ زمان

فقال: مَضَوا واستَوْدَعوكَ ديارَهم ومَن ذا الذى يبقى على الحَدَثان
وإنى لأبكِى اليومَ من حَذَرى غداً فِراقَك والحيَّان يأتلفان[١]

قال هارون بن موسى : قلت لعبد العزيز[٢] بن طلحة المخزومى : من أشعرُ من قال شعراً فِى منى عرفات ؟ فقال : أصحابُنا القُرشيون . ولقد أحسن المجنونُ حيثُ يقول :

وداعٍ دعا إذ نحنُ بالخَيْفِ من مِنًى فهيَّج أطراب الفؤاد وما يدرى
دعا باسم لَيْلى غيرُها فكأنَّما أطار بليلى طائراً كان فى صدرى

ومما قال قيس أيضا فى ليلى — وقيل : كانت كنيتها أم عمرو :

أبى القلب إلَّا حبَّها عامريَّةً لها كُنيةٌ عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدى تندَى إذا ما لمستُها وينبُت فى أطرافها الورقُ الُخضر

ومن شعره فيها :

وأحبِسُ عنكِ النفسَ والنفسُ صبَّة بذكرك[٣] والممشى إليك قريبُ
مخافةَ أن يسعَى الوُشاة بظِنَّة وأحرُسكم أن يَسْتَريب مُريب
لقد جعلتْ نفسى — وأنت اجترمْته وكنت أعزَّ الناس — عنكِ تطيبُ
فلو شئتِ لم أَغْضَبْ عليك ولم يزَلْ لكِ الدهرَ منِّى ما حييتُ نَصيب
أمَا والذى أبلى السرائرَ كلَّها ويعلمُ ما يبدو بها ويَغيب
لقد كنتِ ممن تصطفى النفس خُلَّة لها دون خُلَّان الصفاء حُجوب

قال أبو الحسن اليَنْبعى : بينا أنا وصديقٌ لى من قريش نمشى بالبلاط إذا ظِلّ فى القمر ، فسمعتُ إحداهن تقول : « هو هو » ، فقالت لها الأخرى : « إى والله إنه لهو » ، فدنت منِّى ثم قالت : « يا كهل ، قل لهذا الذى معك :

(١) مجتمعان ، الأغانى .
(٢) لعبد العزيز ، المخطوطتان : لغرير ، الأغانى .
(٣) بذكراك ، الأغانى .

ليسَت لياليك فى خَاخٍ بعائدة كما عهدتَ ولا أيامُ ذى سَلَم

فقلت : « أجب ، فقـد سمعت » . فقال : « قد والله قُطِع بى وأُرتِج علىّ فأجب عنى » فقلت :

فقلتُ لهـا يا عزّ كل كبيرةٍ إذا وطِّنت يوماً لها النفسُ ذلّت

ثم مضينا حـتّى إذا كنا بمفْـتَرق طريقين مضى الفتى إلى منزله ، ومضيتُ إلى منزلى ، فإذا أنا بجُوَيرية تَجذِبُ ردائى[1] ، فالتفتُّ فقالت لى : « المرأة التى كلّمتهاَ تدعوك » فمضيتُ معها حـتّى دخلتُ داراً واسعة ، ثم صرتُ إلى بيتٍ فيه حصير ، وثنَت لى وسادةً فجلست عليها ، فقالت لى : « أنت المجيب ؟ » قلت : « نعم » . قالت : « ما كان أفظّ جوابك وأغلظه » فقلت : « ما حضرنى غيرُه » فسكتت ، ثم قالت : « لا ، والله ، ما خلق الله خلقاً أحبَّ إلى من إنسان كان معك » . فقلت : « أنا الضامن لك عند ما تحبّين » فقالت : « هيهات أن يقع بذلك وفاء » . فقلت : « وأنا الضامن ، وعلىّ أن آتيك به الليلة القابلة » قال : فانصرفت فإذا الفتى ببابى فقلتُ ، « ما جاء بك ؟ » قال : « ظننتُ أنها سترسل إليك ، وسألتُ عنك فلم أعرف لك خبراً ، فظننتُ أنك عندها ، فجلستُ أنتظرك » فقلت له : « قد كان الذى ظننتَ وقد وعدتُها أن أمضىَ بك إليها فى الليلة المقبلة » ، فلما أصبحنا تهيَّأْنا ، ولما جاء الليل رُحنا إليها ، فإذا بها منتظِـرةٌ لنا ، فدخلنا الدار فإذا رائحةٌ طيبة ، ومجلسٌ قد أعِدّ ونُضِّد ، فجلسنا على وسائد قد ثُنيت لنا ، وجَلستْ مليًّا ثم أقبلت عليه معاتبةً ، وقالت :

وأنتَ الذى أخْلَفْتَنى ما وعدتَنى وأشمتَّ بى من كان فيك يلومُ

وأبرزتنى للنّاس حـتّى تركتَنى لهم غرضـــاً أُرمَى وأنت سَليم

فلو كان قولٌ يـكلِم الجسمَ قد بدا بجسمىَ من قولِ الوُشاة كلُوم

(١) تحدث ورائى ، المخطوطتان .

ثم سكتت وسكت الفتى هنيهة ثم قال :

غَدرتِ فلم أغْدِر وخُنتِ فلم أخُن … وفى بعض هــذا للمحبِّ عزاء
جَزيتُك ضِعفَ الوُدِّ ثم صَرمتنى … فحبُّك من قلبى إليــكِ أداء

فالتفتت إلىّ وقالت : « ألا تسمع مايقول ؟ قد أخبرتُك » ، فغمزتُه : أن كُفَّ . فكفّ ثم أقبلتْ عليه ، فقالت :

تجاهلتَ وصْلى حين لَجّت عَمايتى … فهلا صرمتَ الحبل إذ أنا أبصرُ
ولى من قُوى الحبل الذى قد قطعته … نصيبٌ وإذ رأيى جميــعٌ موفَّر
ولــكنما آذنت بالصَّرم بغتةً … ولستُ على مثل الذى جئتَ أقدر

فقال :

لقد جَعلتْ نفسى ـ وأنت اجترمتِه … وكنتِ أعزَّ الناس ـ عنكِ تطيب

قال : فبكت ثم قالت : « أو قد طابت نفسك ؟ لا ، والله ما فيك بعد هذا خير » ، ثم التفتت إلىّ وقالت : « قد علمتُ أنك لا تفى بضمانك ولا يفى به عنك » .

قال الهَيْثَم بن عدِىّ : إن رهطَ المجنون اجتازوا فى نُجْعةٍ لهم بحىِّ ليلى ، وقد جمعتهم نجعة ، فرأى أبياتَ أهلِها ولم يقدر على الإلمام بهم ، وعدل أهلُه إلى وِجهة أخرى ، فقال المجنون :

لعمرُكَ إن البيت بالقِبَل الذى … مررتُ ولم أُلمِمْ عليــه لشائقُ
وبالَجزْع من أعلى الُجنَيْنة منزلٌ … فَسيحُ المدَى قلبى به متضايِق
لعمرُكَ إن الحبَّ يا أمَّ مالكٍ … بِقلْبى ـ يرانى اللهُ منه ـ لَلاصِقُ
يضمُّ عليه الليلُ أطرافَ حبكم … كما ضمَّ أزرار القميصِ البنائق
وماذا عَسَى الواشون أن يتحدّثوا … سِوى أن يقولوا : إننى لك عاشق
نعم صَدَق الواشون ، أنت حبيبَةٌ … إلىَّ وإن لم تصفُ منك الخلائق

دخلت ليلى على جارة لها من عُقَيل ، وفى يدها مِسواكٌ تستاك به ، فتنفّست

ثم قالت: « سقى الله من أهدى لى هذا المِسواكَ » ، فقالت لها جارتها : « ومن هو ؟ » قالت : « قيسُ بن الملوَّح ، وبكت ، ثم نزعت ثيابها تغتسل ، فقالت : « ويحه ! لقد عَلِق منى بما أهلكه ، من غير أن يستحق[1] ذلك ، فنشدتُك الله ، صدَق فى صفتى أم كذب ؟ » فقالت : « لا ، والله ، قد صَدَق » . وبلغ المجنونَ ذلك ، فبكى وأنشأ يقول :

نُبِّئتُ ليلى وقد كنا نبخِّلها ... قالت : سقى المزنُ غيثاً منزلا خَرِبا
وحبَّذا راكبٌ كنَّا نهش له[2] ... يُهدِى لنا من أراك الموسِم العُقُبا
قالت لجارتها يوما تسائلها ... لما استحَمَّت وألقتْ عندها السَّلَبا
يا عمرَكِ الله إلّا قلتِ صادقةً : ... أصادقاً وصف المجنونُ أم كَذِبا

حدّث رجل من بنى عامر قال : مُطِرنا مطراً شديداً فى ربيع ارتبعناه ، ودام المطر ثلاثاً ، ثم أصبحنا فى اليوم الرابع على صَحْوَةٍ ، وخرج الناسُ يمشون على الوادى ، فرأيتُ رجلا جالسا حَجْرَة وحدَه ، فقصدتُه فإذا هو المجنون ، جالسٌ وحده يبكى ، فوعظته وكلمته طويلا ، وهو ساكت ، ثم رفع رأسه إلىّ فأنشدنى بصوت حزين لا أنساه أبدا وحرقتَه :

جرى السيلُ فاستبكانى السيل إذ جرى ... وفاضَت له من مقلتىَّ غُروب
وما ذاك إلّا حينَ أيقنتُ أنّه ... يمرُّ بوادٍ أنتِ منه قريب
يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى ... إليكم تلقَّى طيبكم فيطيب
أظلُّ غريبَ الدار فى أرْضِ[3] عامر ... ألا كلّ مهجور هناك غريب
وإنَّ الكثيبَ الفردَ من أيمَنِ الحمى ... إلىّ وإن لم آته لحبيب

---

(١) استحق ، الأغانى .
(٢) به ، الأغانى .
(٣) أم ، المخطوطتان .

فلا خيرَ فى الدنيا إذا أنتَ لم تزُر حبيباً ولم يطربْ إليك حبيبُ

وأول القصيدة :

ألا أيُّها البيتُ الذى لا أزوره وهِجرانه منِّى إليه ذنوب
هجرتُك مشتاقاً وزرتك خائفاً وفيك علىّ الدهرَ منك رقيب
سأستَعطفُ الأيام فيك لعلّها بيوم سرورٍ فى هواكَ تُثيب
وأُفرِدت إفرادَ الطريدِ وباعدت إلى النفس حاجاتٌ وهنَّ قريب
لئن حال ناسٌ دون لَيلى لربَّما أتى اليأسُ دون الأمر وهو قَريب
ومَنَّيْتِنى حتَّى إذا ما رأيتِنى على شَرَفٍ للناظرين يُريبُ
صَدَدتِ وأشمتِّ العدوَّ بصرمنا أثابك يا ليلى الجزاءَ مُثيبُ

مرَّ المجنونُ فى بعض توحُّشه ، فصادف حىَّ ليلى راحلًا ، ولقيها فجأةً ، فعرفها وعرفته ، فصُعِق وسقط على وجهه ، وأقبل فتيانٌ من حىِّ ليلى فأخذوه ومسحوا الترابَ عن وجهه ، وأسندوه إلى صدورهم ، وسألوا ليلى أن تقف له وَقفة ، فرقَّت لما به ، وقالت : « أمّا هذا فلا يجوز أن أفتَضِح به ، ولكن يا فلانةُ — ودعت أمة لها فقالت — : اذهَبى إلى قيسٍ فقولى له : ليلى تقرأ عليك السلام ، وتقول لك : أَعزِز علىَّ بما أنت فيه ، ولو وجدتُ سبيلًا إلى شفاء دائك لوقيتُك بنفسى منه » فمضت الوليدة إليه فأخبرته بقولها ، فأفاق وجلس وقال : « أبلغيها السلام وقولى لها : هَيهات ! إن دائى ودوائى أنت ، وإن حياتى ووفاتى فى يديك ، ولقد وكَّلت بى شقاء لازما وبلاء طويلا » ثم بكى وأنشأ يقول :

أقول لأصحابى: هى الشمس ضوءها قريبٌ ولكن فى تناولها بعد
لقد عارضَتْنى الريحُ منها بنفحةٍ على كبدى من طِيب أرواحها بَردُ
فما زلتُ مغشيًّا علىّ وقد مضت أناةٌ وما عندى جواب ولا ردّ
أُقلَّب بالأيدِى وأهلى بِعَوْلةٍ يفدُّوننى لو يستطيعون أن يَفدوا

ولم يبقَ إلا الجلدُ والعظمُ عارياً ... ولا عظمَ لى إن دام ذاك ولا جِلد
أدُنيايَ مالى فى انقطاعى وغفلتى (١) ... إليك ثوابٌ منك دَيْنٌ ولا نقد
عِدينى – بنفسى أنتِ – وعداً فربَّما ... جلا كُربة المكروب عن قلبه الوَعدُ
وقد يُبتلى قومٌ ولا كبليَّتى ... ولا مثلَ جَدِّى فى الشقاء بكم جَدّ
غَزَتْنى جُنود الحبِّ من كل جانبٍ ... إذا كان من جُند قفُول أتى جند

وقيل : كان سبب توحُّش المجنون أنه كان يوما بضَرِيَّة جالسا وحده إذ ناداه مُنادٍ من الجبل :

كلانا يا أخىَّ يُحبُّ ليلى ... بفىَّ وفيك من ليلى الترابُ
لقد خَبَلت فؤادَك ثم باتت (٢) ... بقلبى فهو مهموم مصاب

قال : فتنفَّس الصُعَداء ثم غُشِى عليه ، وكان هذا سببَ توحُّشه فلم يره أحد حتى وجده نوفل بن مساحق ، قال : قدِمتُ البادية فسألت عنه فقيل لى : توحَّش وما لنا به عهد ، ولا ندرى أين هو صار ، فخرجتُ يوماً للصيد ومعى جماعة من أصحابى ، حتى إذا كنت بناحية الِحمَى إذ نحن بأراكة عظيمة قد بدا منها قطيعٌ من الظِباء ، فيها شخصُ إنسان يُرى من خلل تلك الأراكة ، فعجب أصحابى من ذلك ، فعرَفته وأنيته ، وعلمتُ أنّه المجنون الذى خُبِّرتُ عنه ، فنزلتُ عن دابَّتى وتخففَّت من ثيابى ، وخرجتُ أمشى رويداً حتَّى أتيت الأراكة ، فارتقيت حتى صرتُ إلى أعلاها ، وأشرفتُ عليه وعلى الظباء ، وإذا به قد تدلَّى الشعر على وجهه ، فلم أكد أعرفُه إلا بعد تأمُّل شديد ، وهو يرْتَعِى من ثمر تلك الأراكه ، فرفع رأسه فتمثلت ببيتٍ من شعره :

أتبكى على ليلى ونفسُك باعدت ... مكانَك من ليلى وشِعبا كما معا

---

(١) وغربتى ، الأغانى .

(٢) ننت ، الأغانى .

قال : فنفرت الظباء ، واندفع فى باقى القصيدة ينشدها ، فما أنسى نغمتَه وحُسنَ صوته يقول :

فما حسنٌ أن تأتِىَ الأمرَ طائعاً ... وتجزعَ أن داعى الصبابة أسمعا
بكَتْ عينىَ اليُسرى فلما زجرتُها ... عن الجهل بعد الحلم أسْبَلَتا معا
وأذكرُ أيّام الحِمى ثم أنثنى ... على كَبِدى من خَشْيةٍ أن تصدّعا
فليستْ عَشِيَّاتُ الحِمَى برواجعٍ ... إليك ولكن خلِّ عينك تدمعا

ثم سقط مغشيا عليه فتمثَّلتُ بقوله :

يادار ليلى بِسقْطِ الحىِّ قد درست ... إلا الثُّمامَ وإلا مَوْقِدَ النار
ماتفتأُ الدهرَ من ليلى تموت كذا ... فى موقفٍ وقفتَهْ أو على دار

قال : فرفع رأسه إلى وقال لى : « من أنتَ حيَّاكَ الله ؟ » فقلت : أنا نوفل بن مُساحق » فحيَّانى ، فقلت له : « ما أحدثتَ بعدى ؟ » فأنشدنى :

الا حُجِبَتْ ليلى وآلى أميرُها ... علىّ يميناً جاهدا لا أزورُها
وأوعدنى فيها رجالٌ أبوهمُ ... أبى وأبوها خُشِّنَتْ لى صدورُها
على غير جُرمٍ غير أنى أحبُّها ... وأن فؤادى رَهنُها وأسِيرُها

ثم سنحت له ظباء فقام يعدو فى إثرها حتى لحقها فمضى معها .

ومن شعره فيها :

أعدُّ الليالى ليلةً بعد ليلةٍ ... وقد عشتُ دهرا لا أعدُّ اللياليا
أرانى إذا صلَّيت يَمّمتُ نحوها ... بوجهى وإن كان المصلَّى ورائيا
وما بىَ إشراكٌ ولكنّ حبَّها ... مكان(١) الشجى أعيي الطبيب المداويا
أحبُّ من الأسماء ما وافق اسمَها ... وأشبهَه أوكان منه مُدانيا
وخبَّرتمانى أن تيماءَ منزلٌ ... لليلى إذا ما الصَّيف ألقى المراسِيا

---

(١) كمود ، الأغانى (وفى بعض نسخه : لمان) .

فهذى شُهور الصيف عنا قد انقضت ... فما للنَّوى ترمى بليلى المراميا
ولو كان واشٍ باليمامة بيتُه ... وبيتى بأعلى حضرموى[1] اهتدى ليا
وماذا لهم لاأحْسنَ الله حفظهم ... من الحظِّ فى تصريم لَيْلى حِباليا
فأنتِ التى إن شئتِ أشقيتِ عيشتى ... وإن شئتِ بعد الله أنعمت باليا
أمضروبةٌ ليلى على أن أزورَها ... ومتَّخذ ذنباً لها أن ترانيا
هى السحرُ إلا أن للسحر رُقْيَةً ... وإنى لا أُلفى لسحرى راقيا

قال الهيثم : مرَّ المجنون بوادٍ فى أيام الربيع وحمامُه يتجاوب ، فقال :

ألا يا حمامَ الأيْك مالك باكياً ... أفارقتَ إلفا أم جفاك حبيبُ
دعاك الهوى والشوق لما ترنَّمت ... هَتُوف الضّحى بين الغُصون طَروب
تجاوبُ وُرقاً قد أرنَّت بصوتها[2] ... فكلٌّ لكلٍّ مُسعِد ومُجيب

وقيل : إن رجلاً من بنى جَعدة كان أخا وخلّا للمجنون ، مرَّ به وهو جالس يخطُّ فى الأرض ويعبث بالحصى ، فسلّم عليه وجلس عنده وأقبل يخاطبه ويعظُه ويسلّيه ، وهو ينظر إليه ويعبث بيده كما كان يعبث ، وهو مفكر قد غمره ما هو فيه ، فلما طال خطابه إياه قال له : « يا أخى ما علمتُ أنك تكلّمنى فاعذرنى ، فإنى كما ترى مذهوبٌ بى مشترَك اللُّب » . وبكى ثم أنشد :

وشُغِلتُ عن فهم الحديث سوى ... ما كان منكِ فإنَّه شغلى
وأديمُ لحظَ محدِّثى ليرى ... أن قد فهمتُ وعندكم عقلى

كان زوجُ ليلى وأبوها خرجا فى أمرٍ طرق الحىَّ إلى مكة ، فأرسلت ليلى أمةً لها إلى المجنون فدعته لها ، فأقام عندها ليلةً وأخرجته فى السحر ، وقالت له : « صِر إلىَّ فى كلِّ ليلة ما دام القوم سَفْرا » ، فكان يَختلِف إليها حتى قدِموا ، وقال فيها فى آخر ليلة لقيها وودّعته :

---

(١) هكذا فى الأصل. ولعلها «حضرموت»
(٢) أذن لصوتها ، الأغانى .

تمتَّع بليلى . إنما أنت هامةٌ من الهام يَدنو كلَّ يومٍ حِمامها
تمتَّع إلى أن يرجعَ القوم إنهم متى رجَعوا يَحرُم عليك كلامُها

حدَّث بعضُ بنى عُقَيل قال : قيلَ للمجنون : « أيُّ شىء رأيتَه أحبُّ إليك؟ » قال : « ليلى » . قالوا : « دَعْ ليلى فقد عرفنا حالها عندك، ولكن سِواها » . قال : « واللهِ ما أعجبنى شىء قطّ فذكرتُ ليلى إلا سَقط من عينى ، وأذهبَ ذكرُها بشاشته عندى ، غير أنِّى رأيتُ ظبياً مرّة فتأمّلتُه ، وذكرتُ ليلى فجعل يزداد فى عينى، ثم إنه عارضه ذئبٌ وهرَب منه وتبعه ، حتَّى اختفيا عنى ، فوجدتُ الذئبَ قدصرَعه وأكل بعضَه فرميتُه بسهمٍ فما أخطأ مقتله ، وبقرتُ بطنه فأخرجت منه ما أكل ، ثم جمعته إلى بقيَّة شِلوه فدفنتُه ، وأحرقت الذئب ، وقلت فى ذلك :

أبى الله أن يبقى لحىٍّ بشاشَةٌ فصبراً على ما شاءه الله لى صبرا
رأيت غزالًا يرتعى وسْطَ روضةٍ فقلت : أرى ليلى تراءت لنا ظُهرا
فياظبى ُكلْ رغداً هنيئاً ولا تخف فإنَّك لى جارٌ ولا ترهبِ الدَّهرا
فما راعنى إلا وذئبٌ قد انتحَى فأعلَق فى أحْشائِه النابَ والظُّفرا
فبوَّأتُ سهمى فى كَتُوم غَمَزْتُها فخالطَ سهمى مهجة الذئبِ والنَّحرا
فأذهب غيظى قتلُه وشفى الجوى بقلبى . إن الُحرَّ قد يدرِكُ الوِترا

وبلغ المجنون قبل توحّشه(١) أن زَوْجَ ليلى ذكره وقال : « أو بلغَ من قدر قَيْس بن الملوَّح أن يدَّعى محبَّة ليلى ويفوه باسمها(٢) ؟ » فقال ليغيظه بذلك:

فإن كان فيكم بعلُ ليلى فإنَّنى وذِى العرش قد قبَّلت ليلى ثمانيا
وأشهدُ عند الله أنى رأيتها وعشرونَ منها إصبعاً من ورائيا

---

(١) توجعه ، المخطوطتان .
(٢) وينوه ، الأغانى .

أليس من البلوى التى لاشوى[1] لها ... بأن زُوِّجت كلباً وما بُذِلت ليا
ألا أيها الركبُ اليمانون عرِّجوا ... علينا فقد أمسى هوانا يمانيـا
أسائلكم هل سالَ نَعمانُ بعدنا ... وحَبَّ إلينا بطنُ نَعمان واديا
ألا يا حمامَىْ قصرِ وَدَّانَ هجتما ... علىَّ الهوى لما تَغَنَّيتُما ليا
وأبكيتُمانى وسْطَ أهلى ولم أكن ... أُبالى دموعَ العين لو كنتُ خاليا
فوالله إنى لا أحبُّ ، لِغَيْرِ أن ... تَحُلَّ بها ليلى ، البِراق الأعاليا
ألا يا خليلى حُبُّ ليلى مجشِّمى ... حِياضَ المنايا أو مصيبى[2] الأعاديا
ويآيها العُمَريّتان تجاوَبا ... بلَحْنيكما ثم اسجعا عَلَلانيا
فإن أنتُما استَطربتما أو أردتُما ... لحاقاً بأطراف[3] الغضا فاتبعانيا

خرج المجنونُ فى عِدَّة من قومه يريدون سفرا ، فمرّوا فى طريقٍ متشعبِّ وِجهتين : إحداهما ينزِلُها رهطُ ليلى وفيها زيادةُ مرحلة ، فسألهم أن يغدوا[4] معه إلى تلك الوجهة ، فأبوا ومضى وحدَه وقال :

أأتركُ ليلى ليس بينى وبينها ... سوى ليلةٍ إنى إذاً لصبور
هَبونى امرأً منكم أضلَّ بعيرَه ... له ذِمَّةٌ إن الذِّمام كبير
وللصَّاحبُ المتروكُ أعظمُ حرمةً ... على صاحب من أن يضلَّ بعير
عفا الله عن ليلى الغداةَ فإنَّها ... إذا وَلِيت حكماً على تَجُور

كان المجنونُ ذات ليلة جالسا مع أصحاب له من بنى عمِّه، وهو والهٌ يتلظّى ويتململ ، وهم يعظونه ويحادثونه ، إذ هتفت حمامةٌ فى سَرحة كانت بإزائهم ، فوثب قائماً وقال:

---

(١) شفاء ، المخطوطتان .

(٢) مقيدى ، الأغانى .

(٣) بأطراف ، الأغانى (وفى بعض النسخ : بأطلال) : باحلال ، المخطوطتان .

(٤) يغدلوا ، الأغانى .

لقد غرَّرتْ فى جُنح ليلٍ حمامةٌ   على إلفها تبكى ، وإنى لنائمُ
كذبتُ وبيتِ الله لو كنت عاشقاً   لما سبقتنى بالبُكاء الحمائمُ

ثم بكى حتى سقط على وجهه مغشِيًّا عليه ، فما فاق حتى حَمِيتْ عليه الشمس من غد .

لما أراد زوجُ ليلى الرحيلَ بليلى إلى بلده بلغ المجنونَ أنه غادٍ بها فقال :

أمزمعةٌ للبين ليلى ولم تَمُت   كأنَّك عما قد أظلَّك غافل
ستعلمُ إن شطَّت بهم غُربةُ النوى   وزالوا بليلى أن لبَّك زائل
وأنَّك ممنوعُ التصبرُّ والعزَا   إذا بَعُدت ممَّن تحبُّ المنازل

ذكر ابن الأعرابى أن نِسوةً جلسنَ إلى المجنون ، فقلن له : « ما الذى دعاك إلى أن أحْلَلْتَ بنفسك ما ترى فى هوى ليلى ، فإنَّما هى امرأةٌ من النساء ؟ هل لك فى أن تصرِفَ هواك عنها إلى إحدانا ، فنساعِفَك ونجزيكَ بهواك ، ويرجعَ إليك ما عزَب من عقلك وجسمك ؟ » فقال لهن : « لو قدرتُ على صرف الهوى عنها إليكُنَّ لصرفتُه عنها وعن كل أحد بعدها ، وعشت فى الناس سويًّا مستريحا » . فقلن له : « فما أعجبك منها ؟ » قال : كلُّ شىء رأيتُه وشاهدتُه وسمعتُه منها أعجبنى ، والله ما رأيت منها شيئاً إلا كان فى عينى حسناً ، وبقلبى عَلِقا ، ولقد جَهِدتُ أن يقبُح منها شىء عندى أو يسمجَ أو يعابَ لأسْلُوَ بِهِ عنها فلم أجد » . فقلن : « فصفها لنا » ، فقال :

بيضاء خالصة البياض كأنها   قمرٌ توسَّط جنحَ ليل مُبْرَد
مَوسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسِدٍ   إن الجمالَ مَظِنَّة للحسَّد
وتَرِى مدامعُها ترقرقَ مقلةٍ   سوداءَ ترغب عن سواد الإثمِد

قال رجل من عشيرة المجنون : « إنِّى أريد الإلمام بحىِّ ليلى ، فهل تُودِعُنى إليها شيئاً ؟ » قال : « نعم : قِفْ بحيث تسمعُك ، ثم قل :

الله يعلم أن النفس قد هلكت   باليأس منك ولكنى أُعَنِّيها
منَّيْتُكِ النفسَ حتى قد أضرَّ بها   وأبصرت خُلُفاً ممَّا أُمنِّيها
وساعةٌ منك ألهوها وإن قَصُرَت   أشهى إلىّ من الدنيا وما فيها »

فمضى الرجل ولم يزل يترقَّب خَلوة حتى وجدها ، فوقف عليها ثم قال : « ياليلى ، لقد أحسن الذى يقول :

الله يعلم أن النفس قد هلكت   باليأس منك ولكنى أعنِّيها »

وأنشدها الأبيات ، فبكت بكاء طويلا ، ثم قالت : « أبلغه السلام وقل له :

نفسى فداؤُك لو نفسى ملكتُ إذاً   ما كان غيرُك يحويها[1] ويرضيها
صبراً على ما قضاه الله فيكَ على   مرارةٍ فى اصطبارى عنك أخفيها »

فأبلغه الفتى البيتين ، وأخبره بحالها ، فبكى حتى سَقط على وجهه مَغْشِياً ، ثم أفاق وهو يقول :

عجبتُ لعُروةَ العذرىِّ أضحى   أحاديثاً لقوم بعد قوم
وعروةُ مات موتاً مستريحاً   وها أنا ميِّتٌ فى كل يوم

سأل الملوَّحُ أبو المجنون رجلًا قدِم من الطائف أن يمرَّ بالمجنون ويجلس إليه ، ويخبرَه أنه لَقِىَ ليلى وجلس إليها ، ووصفَ له صفاتٍ منها ومن كلامها يعرفها المجنون، وقال له : « حدِّثه بها ، فإذا رأيته قد اشرأبَّ لحديثك واشتهاه فعرفه أنك ذكرته لها ، فوصفتَ ما به فشتمتْه وسبَّته ، وقالت : إنه يكذِب عليها ويشهِّرها بفعله ، وأنها ما اجتمعت معه قطّ كما يصف » . ففعل الرجلُ ذلك وجاءه وأخبره بلقائها فأقبل عليه وسأله عنها فأخبره ، وهو يزداد نشاطاً ، ويثوب إليه عقله ، إلى أن أخبره بسبِّها إياه وشتمها له ، فقال وهو غير مكترثٍ بما حكاه عنها :

تمرُّ الصَّبا صفحاً بساكن ذى الغَضَا   ويصدعُ قلبى أن يَهُبَّ هُبوبها

(١) يجزيها ، الأغانى .

إذا هبّت الريح الشّمال فإنما جواى بما يهدى إلى جنوبها
قريبةُ عهد بالحبيب ، وإنّما هوى كلِّ نفسى أين حلّ حبيبها
وحسبُ الليالى أن طرحنك مَطرحاً بدار قِلًى تمسى وأنتَ غريبها
حلالٌ لليلى شتمُنا وانتقاصُنا هنيئاً ومغفورٌ لليلى ذنوبها

وقال المجنون :

كأن لم تكن ليلى تزارَ بذى الأَثْل وبالسِّدر من أجزاع وَدّان والنخل
صَديقٌ لنا فيما نرى غير أنّها ترى أن حبِّى قد أحلّ لها قتلى

خرج رجلٌ إلى ناحية الشام والحجاز وما يلى تَيماء والسراة وأرض نجد فى طلب بغية له ، وإذا هو بخَيْمةٍ قد رُفعت له ، وقد أصابه المطر ، فعدَل إليها وتنحنح ، وإذا امرأة كلّمته وقالت له : « إنزل » ، فنزل وراحت إبلُهم وغنمهُم فإذا أمرٌ عظيم ، فقالت : « سَلُوا هذا الرجلَ من أين أقبل ؟ » فقلت : « من ناحيةِ نجد وتهامة » ، فقالت : « أدخل أيها الرجل » ، فدخلتُ إلى ناحيةٍ من الخيمة ، فأرخت بينى وبينها ستراً ثم قالت لى : « ياعبدَ الله أىَّ بلاد نجدٍ وطئت؟ » فقلت : « كلها ». قالت : « فيِمَن نزلتَ هناك؟ » قلت : « ببنى عامر » ، فتنفّست الصُّعَداء ، ثم قالت : « فبأىِّ بنى عامر نزلت ؟ » قلتُ : « ببنى الحَرِيش » ، فاستعْبَرت ثم قالت « هل سمعتَ بذِكر فتىً منهم يقال له : قيسُ بن الملوّح ، ويلقّب بالمجنون ؟ » فقلت : « بلى والله ، وعلى أبيه نزلت ، ولقد نظرتُ إليه يهيمُ فى تلك الفيافى ، ويكونُ مع الوحش لا يعقل ولا يفهم ؛ إلا أن تُذكَرَ امرأةٌ يقال لها : ليلى ، فيسكنُ وينشدُ أشعاراً فيها » قال : فرفعت الستر بينى وبينها فإذا فِلقةُ قمر لم ترعينى مثلَها ، فبكت حتى ظننتُ أن قلبها قد انصدع ، فقلت : « أيها المرأة ، اتّقى الله فما قلتُ بأساً » فمكثتْ طويلاً على تلك الحال من البكاء ثم قالت :

ألا ليت شعرى والخطوبُ كثيرةٌ متى رحلُ قيسٍ مستقِلٌّ فراجع

بنفسىَ من لا يستقــلُّ برحْله ومن هو إن لم يحفظِ الله ضائع

ثم بكت حتى سقطت مغشِيًّا عليهــا ، فقلت لهـــا : « من أنتِ يا أمةَ الله ، وما قصتَّك ؟ » قالت : « أنا ليلى صاحبتهُ ، المشئُومة عليه ، غير المواسية له » فما رأيتُ مثلَ حزنها ووجدها عليه .

رُوِى أن شيخاً من بنى مرَّة قال : خرجتُ إلى أرض بنى عامر لألقى المجنون ، فدلّونى على فتى من الحىِّ صديق المجنون وقالوا : إنه لا يأنَس إلا بالمجنون ، ولا يأخذ أشعارَه عنه غيرُه . فأتيتهُ فسألته أن يدلَّنى عليه فقال : « إن كنتَ تريدُ شعره فــكلُّ شعر قاله أمسِ عندى ، وأنا ذاهبٌ إليه غداً ، فإن كان قال شيئاً أتيتكُ به » فقلت : « بل تدلُّنى عليه » فقال : « اطلبه فى هذه الصحارى ، فإذا رأيته فادنُ منه مستأنساً ، ولا ترِه أنك تهابهُ ، فإنه يتهدَّدك ويتوعَّدك أنْ يرميَك بشىء ، فلا يروِّعك ، واجلس صارفاً بصرَكَ عنه ، والحظْه أحياناً ، فإذا رأيتَه قد سكن من نِفاره فأنشده شعرا غَزِلًا ، فإن كنتَ تروى شيئاً من شعر قيسِ بن ذَريح فأنشِده إياه ، فإنه يُعجَب به » . فطلبتهُ يَوْمى إلى العصر ، فوجدته جالساً على رملٍ قد خط فيه بأصبعه خطوطا ، فدنوتُ منـــه غير منقبِض ، فنفر منى نفورَ الوحش من الإنس ، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً ، فأعرضتُ عنه ، فمــكث ساعةً كأنه نافِر يريد القيام ، فلما طال جلوسى سكَنَ وأقبلَ يخطُّ بأصبعه ، فأقبلتُ عليه وقلت له : « أحسَنَ والله قيسُ بن ذَريحٍ حيث يقول :

ألا يا غرابَ البين ويحك نبِّنا بعلمك فى ليلَى فأنت خَبير

فإن أنت لم تُخبِر بشىء علمتَه فلا طِرتَ إلا والجناح كسير

ودُرت بأعداء حبيبُك فيهم كما قد ترانى بالحبيب أدور »

فأقبل علىّ وهو يبكى ، وقال : أحسَنَ والله ، وأنا أحسنُ منه قولًا حيثُ أقول :

كأن القلبَ ليلةَ قيل يُغدَى بليـــلى العامريّةِ أو يُراح

قطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتت   تجاذِبه وقد عَلِق الجنــاح
فلا بالليــل تألفُ فى مبيت   ولا فى الصّبح كان لها براح

قال : فأمسكت عنه هُنيهة ، ثم أقبلتُ عليه فقلت : أحسنَ قيسُ بن ذَرِيح حيث يقول :

وإنى لمفْنٍ دمعَ عينىَّ بالبــكا   حِذاراً لما قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ   فراقُ حبيبٍ لم يَبِن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تــكون منيَّتى   بكفَّيك إلا أن مَن حَانَ حائن

قال : فبــكى حتى ظننت أن نفسه قد فاضت ، ورأيتُ دموعه قد بلَّت الأرض والرملَ الذى بين يديه ، ثم قال : « أحسَنَ لعمرُ الله ، وأنا أشعرُ منه حيثُ أقول :

وأَدْنيتِنى حتى إذا ما سَبَيْتِنى   بقولٍ يحلُّ العُصمَ سَهل الأباطح
تناءيتِ عنِّى حيث لا لىَ حيلةٌ   وخلَّفتِ ما خلَّفت بين الجوانح

ثم سنحت له ظبيةٌ فوثب يعدو خلفها حتى غاب عنِّى ، وانصرفت . وعدتُ من غدٍ فطلبتُه فلم أجده ، وجاءت امرأةٌ كانت تضع له الطعام ، فنظرتُ إلى الطعام فوجدتُه بحالِه ؛ فلما كان فى اليــوم الثالث غدوتُ وجاء أهله معى فطلبناه يومَنا فلم نجده ، وغدَوْنا فى اليوم الرابع نستقرى أَثَرَه فوجدناه فى وادٍ كثيرِ الحجارة خَشِن ، وهو ميِّتٌ بين تلك الِحجارة ، فاحتملَه أهله فغسَّلوه وكفَّنوه ودفنوه . فلم تبقَ فتاةٌ فى بنى جَعدة ولا بنى الَحرِيش إلا خرجت حاسِرَةً صارخةً عليه تندُبه ، واجتمع فتيانُ الحىِّ يبكون أحرَّ بكاء ، وينشجون أشدَّ نَشيج . وحضرهم حىُّ ليلى معزِّين وأبوها معهم ، فــكان أشدَّ القوم بكاءً وجزعاً عليه ، وجعل يقول : ما علمتُ أنَّ الأمر يبلغُ كلَّ هذا ، ولــكنِّى كنت امرأً أعرابيًّا أخاف مِنَ العار وقبحِ الأحدوثة ما يخافُه مثلى ، وزوّجتُها وخرجَت عن يدى ، ولو علمتُ أن أمره يجرى

على مثل هذا ما أخرجتُها عن يده ، ولاحتملتُ ما كان عليّ فى ذلك ، فما رُئِىَ يومٌ كان أكثرَ باكٍ وباكيةً على ميِّت منه يومَئذ ، وروى أنَّهم بينا هم يقلِّبونه وهوميّت إذ وجدوا خِرقةً فيها مكتوب :

ألا أيها الشيخُ الذى ما بِنا يرضَى ... شَقِيتَ ولا هنيتَ من عيشك الخفْضا
شَقِيتَ كما أشقيتَنى وتركتَنى ... أهيمُ مع الهُلَّاك لا أطعم الغَمضا
كأن فؤادى فى مخاليب طائرٍ ... إذا ذُكرتْ ليلى تشدُّ به قبضا
كأن فِجاجَ الأرض حَلْقَةُ خاتمٍ ... علىَّ فما تزداد طولًا ولا عَرضا

قال بعض القُشَيْرِيِّين : مررتُ بالمجنون وهو مشرِفٌ على وادٍ فى أيامّ الربيع ، وذلك قبلَ أن يُخْتَلَط ، وهو يتغنَّى بشعرٍ لم يُفهم ، فصحتُ به : « يا قيسُ ، أما تشغلُك ليلى عن الطرَب والغناء » ، فتنفَّس نفساً ظننتُ أن حيَازيمه قد انقدَّت ، ثمّ قال :

وما أُشرِفُ الأَيْفاعَ إلا صَبابةً ... ولا أُنشِدُ الأشعارَ إلا تداوِيا
وقد يجمعُ اللهُ الشتيتين بعد ما ... يظنّان كل الظن أن لا تلاقيا
لحا الله أقواماً يقولون : إنَّنى ... وجدتُ طَوالَ الدّهر للحبِّ شافيا

اجتاز قيسُ بن ذَريح بالمجنون وهو جالسٌ وحَده فى نادى قومه ، وكان كلٌّ واحدٍ منهما مشتاقاً إلى لقاء الآخر ، وكان المجنونُ قبل توحُّشه لا يجلس إلا منفرداً ، ولا يحدِّث أحداً ، ولا يردُّ على متكلِّم جواباً ، ولا على مسلِّمٍ سلاماً ؛ فسلم عليه قيسُ بن ذريح فلم يردَّ عليه السلام ، فقال له يا أخى : « أنا قيسُ بن ذريح » ، فوثب إليه فعانقه وقال : « مرحباً بك يا أخى ، أنا والله مذهوبٌ بى ، مُشْتَرَكُ اللُّب ، فلا تلمنى » . فتحدَّثا ساعةً وتشاكيا وبكيا . ثم قال له المجنون : « يا أخى ، إن حىّ ليلى قريبٌ منا ، فهل لك أن تمضىَ إليها وتبلغها عنى السلام » ، فقال : « أفعل » . فمضى قيسُ بن ذريح حتَّى أتى ليلى فسلَّم وانتسب ، فقالت له : « حيّاكَ الله ! ألك

حاجة ؟ » قال : « إن ابنَ عمِّك أرسلنى إليك » ، فأطرقت وقالت : « ما كنتَ أهلاً للتحيَّة لو علمتُ أنك جئتَ رسولَه ، قل له عنِّى : أرأيتَ قولَك :

أبت ليـــلةٌ بالغَيْل يا أمَّ مالك ... بكم غير حبٍّ صادقٍ ليس يكذب

ألا إنمـــا أبقيتِ يا أمَّ مالك ... صدى أينما تذهَبْ به الريحُ يذهب

أخبرْنى عن ليلة الغَيْل . أىّ ليلةٍ هى ؟ وهل خلوتُ معَكَ قطُّ فى الغَيْل أو غيره ، ليلاً أو نهاراً ؟ » فقال لها قيس : « يا ابنةَ عمّ ، إنَّ الناسَ تأوَّلوا قوله على غير ما أراد ، فلا تكونى منهم ؛ إنَّما أخبر أنه رآكِ ليلة الغَيْل فذهبتِ بقلبه ، لا أنَّه عنَى السوء » . قال : فأطرقَتْ طويلًا ودموعُها تجرى وهى تكفكفها ، ثم انتحبت حتى قلتُ : تقطَّعت حيازيمُها . ثم قالت : « أقرِ ابنَ عمِّى السلامَ وقل له : بنفسى أنتَ والله ، إن وَجْدى بك لفوقَ ما تَجِد ، ولكن لا حيلة لى فيك » فانصرف قيسٌ إليه ليخبرَه فلم يجده .

مرَّ المجنونُ بعد اختلاطه بليلى تمشى فى ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويل ، فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشيًّا عليه ، فانصرفَتْ خوفاً من أهلها أن يَلْقَوها عنده ، فمكث مليًّا فلما أفاق قال :

بكى فرحاً بليـــلى إذ رآها ... محبٌّ لا يرى حَسَناً سواها

لقد ظفِرتْ يداه ونال مُلكاً ... لئن كانت تراهُ كما يراها

قيس بن الخطيم

هو قَيْسُ بن الَخطيم بن عَدِىّ بن عمر بن سُود بن ظَفَر . وكنيتُه أبو يزيد ، أُنْشِدَ ابنُ أبى عَتِيق قولَ قيس بن الخطيم :

بين شـكُول النساء خِلْقتُها حَذْواً فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ

فقـال : لولا أن أبا يزيد قال : حَذْواً ما درى النـاسُ كيف يحشون هذا الموضع .

حدَّث أبو عبيدة عن محمّدبن عَمّار بن ياسر ، وكان عالماً بحديث الأنصار ، قال: كان من حديث قَيس بن الَخطيم أن جدَّه عدىَّ بن عمرو قتَلَه رجلٌ من بنى عامر بن صعصعة، يقال له : مالِك، وقتل أباه الَخطِيم بنَعدىّ رجلٌ من بنىحارثة بن الحارث ابن الخزرج يقال له : مالك ، اغتاله فقتَله ، وقيل : إن الَخطِيم قتله رجلٌ من عبد القيس ممن يسكن هَجَر . وكان قيسٌ يوم قُتِل صغيراً ، وقُتِل الَخطيمُ قبل أن يثأر بأبيه عدىٍّ ، فخشِيَتْ أمُّ قيسٍ على ابنها أن يخرجَ فيطلبَ بثأر أبيه وجده فيهلِك ، فعمدَت إلى كوم تراب عند باب دارهم فوضعت عليه أحجاراً ، وقالت لقَيس :هـذا قبرُ أبيك وجدِّك ، فـكان قيسٌ لا يشكّ فى ذلك . ونشأ أيِّداً شديد الساعدين ، فنازع يوماً فـتًى من فِتيان بنى ظفَر ، فقال له ذلك الفتى : «لو جعلتَ شدَّة ساعدَيك على قاتلى أبيك وجدِّك لـكان خيراً من أن تخرجهما علىّ » . قال : « ومن قاتلُ أبى وجدِّى ؟ » قال : « سل أمَّك تخبرْك » فأخذ السيفَ فوضع قائمه على الأرض وذُبابَه بين ثَدْيَيه ، وقال لأمِّه : « أخبرينى من قتَل أبى وجدِّى » . قالت : ماتا كما يموت الناس ، وهـذان قبراهما بالفِناء » ، قال : « والله لتخبرِنَّنى من قتلَهما أو لأتحاملنَّ على السيفِ حتى يخرُجَ من ظهرى ». فقالت « أما جدُّك فقتله رجلٌ من

بنى عَمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك ، وأما أبوكَ فقتلَه رجلٌ من عبد القَيس ممن يسكُنون هَجَر » . فقال : « والله لا أنتهى حتى أقتُلَ قاتلَ أبى وجـدى » . قالت : « يا بنىَّ ، إن مالـكاً قاتلَ جدِّكَ من قوم خِداش بن زُهير ، ولأبيك عند خِداشٍ نعمة هو لهـا شاكر ، فأته فاستشره فى أمرِكَ ، واستَعِنه يُعِنْك » ، فخرج قيْسٌ من ساعتِه حتى أتى ناضِحه وهو يسقى نخله ، فضرب الحبلَ بالسيف فقطعه ، فسقطت الدَّلو فى البئر ، وأخذ برأسِ الجمل فحمل عليه غِرارتين من تَمْر وقال : « من يكفينى هذه العجوزَ ؟ يعنى أمَّه ، فإن مِتُّ أَنْفَقَ عليها من هذا الحائط حـتّى تموت ، ثم هوله ، وإن عِشتُ فمالى عائدٌ لى ولَهُ منه ما شاءَ أن يأكل من تمره » فقال رجلٌ من قومه « أنا لها » ، فأعطاه الحائطَ ، ثم خرج يسأل عن خِداش بنِ زهير حتى دُلَّ عليه بمرِّ الظَّهْران ، فأتى خِباءه فلم يجده فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافُه ، ثم نادى امرأةَ خِداش : « هل من طعام ؟ » فاطَّلعت عليه ، فأعجبها جماله ، وكان من أحسنِ الناس وَجهاً فقالت : « والله ماعندنامن نُزُل نرضاه لك إلا التمر » ، فقال : «لا أبالى ، أخْرِجى ما كان عندكِ » ، فأرسلتْ إليه بقباعٍ فيه تَمر ، فأخذ منـه تمرة فأكل شِقَّها ، وردَّ الشقَّ الباقى فى القُباع ، ثم أمر بالقُباع فأدخل على امرأة خِداش ، ثم ذهب لبعضِ حاجاتِه. فرجع خِداشٌ فأخبرته امرأتُه خبرَ قيس فقال : « هـذا رجلٌ متحرِّم بنا » وأقبل قيسٌ راجعاً ، وهو يأكل مع امرأته رُطَبا ، فلما رأى خِداشٌ رَحْلَه وهو على بعيره قال لامرأته: «هذا ضيفك؟» قالت : «نعم» قال « كأنَّ قدمَه قدمُ الخطيم صديقى اليَثْربىّ» . فلما دنا منه قرَعَ المِظلَّة بسِنان رُمحه واستأذن ، فأَذِن له خداش ، وقال : « أدخل » فدخل ، فنسبَه فانتَسب ، وأخبره بالذى جاء له ، وسأله أن يُعينَه ويشيرَ عليه فى أمره ، فرحَّب به خِداش وذكر نعمة أبيه عنده ، وقال : « إنّ هذا الأمرَ ما زلت أتوقَّعُه منذ حين ، فأما قاتل جدِّكَ فهو ابن عمَّة لى وأنا أُعينُك عليه ، فإذا اجتمعنا فى نادينا جلستُ إلى جَنْبه وتحدثت معه ، فإذا ضربتُ فخذه فثِبْ إليه فاقتله

قال قيس : فأقبلتُ نحوَه حتى قمتُ على رأسه لمّا جالسه خِداش ، فحين ضرب فَخِذه ضربتُ عنقَه بسيفٍ يقال له ذو الخُرصَيْن ، فثار إليَّ القومُ ليقتلونى ، فحال خِداشٌ بينهم وبينى وقال : « دعوه فإنه والله ما قَتَلَ إلا قاتل جدِّه » ثم دعا خِداشٌ بجَمَل من إبله فركِبَه وانطلَق مع قيس إلى العَبْدىِّ الذى قتل أباه ، حتى إذا كان قريبا من هَجَر أشار عليه خِداشٌ أن ينطلق حتى يسأل عن قاتِل أبيه ، فإذا دُلَّ عليه قال له : « إن لصًّا من لصوص قَوْمِك عارضنى فأخذ متاعى ، فسألتُ عن سيِّد قومه فدُلِلتُ عليك ، فانطلِق معى حتَّى تأخذ متاعى منه » فإن اتَّبعك وحدَه فسبيلُ ذلك [1] ، وإن خرج معه غيرُه فاضْحَك ، فإن سألَكَ : « ممَّ ضحِكْتَ ؟» فقل : «إن الشريفَ عندنا لا يصنَعُ كما صنعت إذادُعِى إلى اللصوص من قَومه ، وإنما يخرجُ وحدَه بسَوطه دون سيفه ، فإذا رآه اللصُّ أعطاه كلَّ شىء أخذَه هيبة له» ، فإن أمر أصحابه بالرجوع فسبيلُ ذلك ، وإن أبَوْا إلَّا أن يمضوا معه فأْتِنى به فإنى أرجو أن نَقتُله ونَقتُل أصحابه فنزل خِداشٌ تحت ظلِّ شجرة ، وخرج قيس حتى أتى العبدىّ فقال له ما أمره خداش ، فأحفظه وأمر أصحابه فرجعوا ، فمضى مع قيس . فلما طلع على خِداش قال له : « اخترْ يا قيس : إما أن أعينَك وإمَّا أن أكفِيَك » فقال : « لا أريدُ واحدةً منهما ، ولكن إن قتَلنى فلا يَفُتْك » ، ثم نازله فطعنه قيس بالحربة فى خاصِرته فأنفذها من الجانب الآخر ، فمات مكانَه ؛ فلما فرغ منه قال له خِداش : « إنّا إن فررنا الآن طلبَنا قومُه ، ولكن ادخل بنا إلى مكانٍ قريب من مقتله ، فإن قومه لا يظنُّون أنك قتلتَه وأقمت [2] قريباً منه ، ولكنَّهم إذا افتقدوه اقتصُّوا أثره ، فإذا وجدوه قتيلًا خرجوا فى أثرِنا هناكَ من كل وَجه ، فإذا يَئِسوا رجعوا » قال : فدخلا فى داراتٍ من رمل هناك ، وفقد العبدىَّ قومُه فاقتصّوا أثره فوجدوه قتيلا ، فخرجوا يطلبونهما

---

(١) فستنال ما تريد منه ، الأغانى .

(٢) ولا أقمت ، المخطوطتان .

فى كلِّ وَجه ثم رجعوا ، فكان أمرُهم على ما قال خِداش . وأقاما مكانَهما أياماً ثم خرجا ، فلم يتكلَّما حتى أتيا منزل خداش ، ففارقه عنده قيسُ بن الخطيم ورجع إلى أهله . ففى ذلك يقول قيس :

تذكَّر ليلى حسنَها وصفاءها ... وبانَتْ فما إن يَستطيع لقاءها
ومثلُكِ قد اصْبَيْتُ ليس بكَنَّةٍ ... ولا جارةٍ أفضت إلىَّ خِباءها
ثأرت عديًّا والخَطِيمَ ولم أُضِع ... وَديعةَ آباءٍ(١) جُعِلتُ إزاءها*
ضربتُ بذى الخُرصَين ربقة(٢) مالك ... وأبتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءها
وساعدنى فيها ابن عمرو بن عامر ... خداشٌ وأدَّى نِعمة وأفاءها
طعنت ابنَ عبد القيس طعنةَ ثائرٍ ... لها نَفَذٌ لو لا الشُّعاع أضاءها
ملكتُ بها كفِّى فأنهرت فَتْقَها ... يرى قائمٌ من دونِها ما وراءها

قال أنس بن مالك : جلسَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فى مجلسٍ له ليس فيه إلا خَزْرَجىّ ، ثم استنْشَد قصيدة قَيْس بن الخطيم :

* أتعرفُ رسماً كاطِّراد المذاهب *

فأنشده بعضُهم إيَّاها ، فلما بلغ إلى قوله :

أجالِدُهم يوم الحديقة حاسِراً ... كأن يدى بالسيف مِخراقُ لاعب

فالتفت إليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فقال : « هل كان كما ذكَر ؟ » فشهد له ثابتُ بن قيس بن شمّاس الخزرجىّ ، وقال : والذى بعثَكَ بالحقِّ يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابِع عُرسه عليه غِلالَةٌ ومِلْحفة مُوَرَّسة فجالدنا كما ذكر .

قال مُصعب : لم يكن بينهم فى هذه الأيام حرب إلا فى يوم بُعاث ، فإنه كان عظيما ، وإنما كانوا يَخْرجون فيترامَوْن بالحجارة ويتضاربون بالخشب .

(١) وصية أشياخ ، الأغانى .
* آخر السقط فى نسخة كوبريلى .
(٢) رقبة ، المخطوطتان .

قال الزبير وأنشدت محمّد بن فَضَالة هذا البيت :

أجالِدُهم يوم الحديقـة حاسِراً   كأن يدى بالسَّيف مِخراق لاعب

فضحك وقال ، : « ما اقتَتَلوا يومَئذٍ إلا بالرطائب والسعف » .

وهذه القصيدة من خيار شعر قيس بن الخطيم .

قال حسّان بن ثابت : قدم نابغة بنى ذُبيان السوق ، فنزل عن راحلته ، ثم جثا على ركبتيه واعتمد على عصاه ، ثم أنشد :

عرفت منازلا بعُرَيْتِنَاتٍ   فأعلى الجزع للحىِّ المبِنِّ(١)

فقلت:هلك الشيخ . ورأيته تَبِـع قافيةً منـكرة . ويقال : إنه قالها فى موضعها ، فمازال يُنشِد حتى أتى على آخرها ، ثم قال : « ألا رجلٌ ينشد ؟. » فتقدَّم قيسُ بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشد:

* أتعرِفُ رسماً كاطِّراد المذاهب *

حتى فرغ منها فقال : « أنت أشعرُ الناس » وقيل : إنه قال له : « أنت أشعر الناس يابنَ أخى ؛ » لما أنشده نصفَ البيت خاصّة : «أتعرِفُ رسماً كاطراد المذاهب» قال حسَّان : « فداخلنى منه ما يداخِل ، وإنّى فى ذلك لأجدُ فى نفسى قوّةً عليهم ، ثم تقدمتُ فجلست بين يديه فقال : أَنْشِد فوالله إنك لشاعر قبل أن تتـكلم » ، قال : وكان يعرِفنى فأنشدتُه ، فقال : أنت أشعرُ الناس .

وكان قيس بن الخطيم مقرونَ الحاجبين أدعج العَينين أحمّ الشفَتَين برّاق الثنايا كأن بينها برقاً ، ما رأته حليلةُ رجل قطّ إلا ذهب عقلُها .

قال حسّان بن ثابتٍ للخنساء : أُهجى قيسَ بن الخطيم ، فقالت : « لا أهجو أحدا حتى أراه » ، فجاءته يوماً فرأته فى مَشْرَفة ملتفاً بكساء له ، فنَخَسَتْه برِجلها وقالت : « قم » ، فقام فقالت : « أدبِر » ، فأدبَرَ . ثم قالت : « أقبل » ، فأقبل

(١) للحى المبن ، الأغانى : بالخيف المبين ، جميع النسخ .

قال : « والله لـكأنَّها تتعرَّض عبداً لتشتريه » ثم عاد إلى حاله نائماً فقالت : « والله لا أهجو هذا أبداً » .

وكانت عند قَيس حَوَّاء بنت يزيد بن سِنان بن كُرز بن زَعُوراء ، فأسلمت ، وكانت تـكتُم قيسَ بن الخطيم إسلامَها ، فلما قدِم قيسٌ مكّة عرض رسـولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عليه الإسـلام ، فاستَنْظره قيس حتى يقدَم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، فسأله رسولُ الله صلى الله عليـه وسلّم أن يجتنب زوجَتَه حوَّاء وأوصاه بها خيرا ، وقال له : « إنها قد أسلمت » ، ففعل قيس ذلك وحفظ وصيَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فبلغ رسولَ الله صلّى الله عليـه وسلّم ذلك فقال : وفَى الأُدَيْعِـج .

قال أبو الفرج المصنف : *أحسَب هذا غلَطا من رُواته ، وأنّ صاحبَ هذه القصّة قيسُ بن شمّاس ، وأما قيسُ بن الخطيم فقُتل قبل الهجرة .

روى المفضَّل أن حربَ الأَوْس والخزرج لـما هدأت تذكَّرت الخزرجُ قيسَ ابن الخطيم ومكانتَه فيهم فتوامروا وتواعدوا قتله ، فخرج عشيَّة فى مُلاءَتين من منزله، يريد مالا له بالشَّوْط حتى مر بأُطُم بنى حارثة فرُمِى من الأُطُم بثلاثةِ أسهُم ، فوقَـع أحدُها فى صدره ، فصاح صيحةً أسمَعها رهطه فجاءوه ، فحملوه إلى منزله ، فلم يروا[1] إلا أبا صَعْصَعَة يزيدَ بن عوف بن مُدْرِك النجّاريّ ، فاندسَّ إليه رجلٌ من رهط قيسٍ حتى اغتاله فى منزله ، فضربَ عُنقه واشتمل على رأسه ، فأتى به قيسا وهو بآخِر رَمَق ، فألقاه بين يديه وقال : « يا قيس ، قد أدركتُ بثأرك » فقال : عَضَضْتَ بأيْرِ أبيك إن كان غيرَ أبى صَعْصَعَة » ، فأراه الرأس ، فلم يلبث قيسٌ بعد ذلك أن مات .

---

* بدء سقط آخر فى نسخة كبريلى .

(١) فلم يروا له كفئا ، الأغانى .

وكان قيسُ قد شبَّب بعَمرة بنت رَوَاحة وقيل : بعَمْرَة بنت صامِت بن خالد ، زوجة حسَّان بن ثابت ، فقال فيها :

* أجدّ بعَمْرَة غُنْيانُها *

لأن حسَّان بن ثابت ذكر ليلى بنتَ الخطيم فى شِعره ، فكافأه قيس بن الخطيم بذلك ، وكان ذلك فى حَربٍ بينهم يقال لها يومُ الربيع ، لأنّ حسانَ مرَّ بليلى بنت الخطيم ، وأخوها قيس بمكّة ، حين خرجوا يطلبون الحِلْف فى قريش ، فقال لها حسّان : اظعَنى(١) والَحقى بالحىِّ فقد ظعنوا ، وليتَ شِعرى ما خلَّفك وما شأنك ؟ أقلَّ ناصرُك أم راثَ وافدك » فلم تكلِّمه وشتَمه نساؤُها ، فقال :

لقد هاج نفسَك أشجانُها ... وعاوَدَها اليومَ أزمانها(٢)
تذكَّرتُ ليلى وإنّى بها ... إذا قُطِّعت منك أقرانها
وحجّل فى الدار غِربانُها ... وخفَّ من الدار سُكّانها
وغيَّرها مُعصِراتُ الرِّياح ... وسحُّ الجَنُوب وتَهتانها
وَقفتُ عليها فساءلتُها ... وقد ظعَن الحىُّ ، ما شأنها
فعيَّت وجاوَبنى دونها ... بما راع قلبىَ أعوانُها

فأجابه قيسُ بن الخطيم بقوله :

أجدَّ بعَمرةَ غُنْيَانُها ... فتَهجُرَ أم شأنُنا شانُها

وفخر بيوم الربيع فيها ، فقال :

ونحن الفوارسُ يومَ الرَّبيـ ... ـع قد علموا كيفَ فُرسانُها
حِسانُ الوُجوه حِدادُ السيو ... ف يَبْتَدِرُ المجدَ(٣) شبَّانُها

---

(١) أطيعينى ، المخطوطتان .

(٢) أديانها ، الأغانى .

(٣) تبتدر الوخد ، المخطوطتان .

لما دخل النعمانُ بن بشير الأنصاريُّ المدينة أيامَ يزيدَ بنِ معاوية وابنِ الزُبير قال : والله لقد أخْفَقَتْ أذُنایَ من الغِناء فأسمِعُونی ، فقیل له : « لو وجَّهتَ إلى عزَّة المَيْلاء » ، فقال : « إی وربِّ البيت ، إنها ممن يزيدُ النَّفس طرباً[١] » ، إبعثوا إليها عن رسالتی ، فإن أبَتْ صِرنا إليها » . فقال له بعض القوم : « إن النُّقْلةَ تشتدُّ عليها لِثقَل بدنها ، وما بالمدينة دابَّـةٌ تحملها » فقال النُّعمان : « وأين النَّجائبُ عليها الهوادِج » . فسيَّر إليها نجيباً ، فذكرتْ عِلَّة ؛ فلما عاد الرسول إلى النُّعمان قال لجليسه : « أنت كنتَ أخبرَ بها ، قوموا بنا » فقام مع خواصِّ أصحابه حتى طرَقَها ، فأذنَت لهم وأكرمت واعتذرت ، فقبل النُّعمان عُذْرَها وقال : « غنِّينی » ، فغنتـه :

أجِـد بعَمرةَ غُنْيَانُها فتهجُرَ أم شأنُنا شانُها

فأُشيرَ إليها أنّها أمُّه فسكتت ، فقال : « غنِّينی ، فوالله ما ذكرتِ إلا كرماً وطيباً ، لا تغنِّينی سائرَ الأيّام غيرَه » فلم تزل تغنيِّه هذا اللحنَ فقط حتى انصرف .

قال أبو المنهال عيينة[٢] بن المِنهال : بعث رجلٌ من غَطَفان [٣]من بَنی ثَعلبة ابن سعد بن ذُبيان إلى يَثرب بفرسٍ وحلّة مع رجل من غَطفان[٣] ، وقال : ادفعهما إلى أعزِّ أهل يثرب ، فجاء الرسولُ بهما حتّى ورد سوقَ بنی قَيْنُقاع فقال ، ما أُمِر به ، فوثب إليه رجلٌ من غَطَفان كان جاراً لمالك بن العَجلان الخزْرجی يقال له : كَعب الثَّعْلبی ، فقال : « مالكُ بن العَجلان أعزُّ أهل يثرب » وقام رجلٌ آخرُ فقال : « بل أُحَيْحَة بن الجُلاح أعزُّ أهل يثرب » ، وكثُر الـكلام فقبـِل الرسُولُ من الغَطَفانیِّ قولَ الثَّعْلبی جارِ مالك ، ودفعهما إلى مالكِ بن العَجْلان ، فقال كعبُ

---

(١) طيبا والعقل شحذا ، الأغانی .

(٢) عتيبة ، عتبة ، بعض نسخ الأغانی .

(٣) من بنی ثعلبة ... من غطفان ، ساقط فی المخطوطتين

الثَّعلبي : « ألم أقل لـكم إن جارى أعزُّكم ؟ » فغضِب رجلٌ من بنى عمرو بن عَوْف ابن مالِك بن الأَوْس يقال له : سُمَيْر ، فرصَد الثَّعلبي حتى قتله ، فأُخـبِر مالكٌ بذلك ، فأرسلَ إلى بنى عمرو بن عوف بن مالك : « إنـكم قتلتم منَّا قتيلًا فأرسلوا بقاتِله إلينا » ، فلمّا جاءهم رسولُ مالك ترامَوْا به ، فقالت بنو زيـد : « إنَّما قتلَه بنو جَحْجَبى » . وقالت بنو جَحْجَبَى : « إنّما قتله بنو زيد » ، ثمَّ أرسلوا إلى مالك : « إنه قد كان فى السُّوق التى قُتِل فيها صاحبُـكم ناسٌ كثير لا يُدرى أيُّهم قتله » قال : فأُخـبِر مالكٌ أن أهلَ تلك السّوق تفرَّقوا فـلم يبق فيها غير سُمَيَر وكعب ، فأرسل مالكٌ إلى بنى عمرو بن عوف بالذى بَلَغه من ذلك وقال : « إنّما قتَلَه سُمَيَر فأرسلوا إلى به أقتله » ، فأرسلوا إليه أنه ليس لك أن تَقْتُل سُمْيراً بغير بيِّنة ، وكثُرت الرُسُـل بينهم فى ذلك : تُسائلهم(١) أن يُعطوه سُمَيرا ويأبون أن يُعطوه إياه ؛ ثم إنَّ بنى عمرو بن عَوْف كرهوا أن يُشِبُّوا بينهم وبين مالكٍ حربا ، فأرسلوا إليه يعرِضون عليه الدِّية فقبلها ، فأرسلوا إليه : « إن صاحبَـكم حليفٌ وليس لـكم إلا نصفُ الدية » ، فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلا الديةَ كاملةً ، أو يقتل سُميراً ، فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دِيَة الحليف ، وهى نصف الدية ، ثم دَعَوْه أن يحكُم بينه وبينهم عمرُو بن امرئ القيس ، أحدُ بنى الحارث ابن الخزرج ، وهو جدُّ عبد الله بن رَواحة ، فانطلقوا حـتّى جاءوا بنى الحارث بن الخزرج ، فقضى على مالك بن العَجلان أنه ليس لـه فى حَليفه إلا دية الحليف ، وأبى مالكٌ أن يرضى بذلك ، وآذن فى بنى عمرو بن عوف بالحرب ، واستَنْصر قبائلَ الخزرج ، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصرَه غضباً حين ردَّ قضاءَ عمرو ابن امرئ القيس ، فقال مالك بن العَجلان يذكر خِذلان بنى الحارث له ، وحَدَبَ بنى عمرو بن عَوف على سُمير ، ويحرِّض بنى النجار على نَصْره :

(١) يسألهم مالك ، الأغانى .

إن سُمَيراً أرى عشيرتَه قد حَدِبوا دونه وقد أَنِفوا
إن يكن الظنُّ صادقى ببنى النَّـ ـجّارِ لا يَطْعَموا الذى عُلِفوا
لا تسلِمونا لمعشرٍ أبداً ما دام منا بِبَطْنها شَرَف
لكن مَوالىَّ(١) قد بدا لَهمُ رأىٌ سوى ما لدىَّ أو ضَعُفوا
بين بنى جَحْجَبَى وبين بنى زيدٍ فأنَّى تخاذل(٢) السلفُ
يمشون فى البَيْض والدّروع كما تمشى جِمالٌ مَصاعِبٌ قُطُف

وقال دلهم(٣) بن زَيد بن ضُبَيعة أخو سُمير فى ذلك :

ياقومِ لا تقتُلوا سُمَيراً فإن الـ ـقتلَ فيه البوارُ والأسف
إن تقتلُوه ترنَّ نِسوتكم على كريمٍ ويفزَع السلفُ
إنى لعمرُ الذى يَحُجُّ له النَّا سُ ومن دون بيتِه سَرِفُ
يمينُ برٍّ باللهِ مجتهِد يحلفُ إن كان ينفع الحَلِف
لا نرفعُ العبدَ فوق سنَّته ما دام منا ببطنها شَرَف
إنك لاقٍ غداً غواةَ بنى عمرو فانظُر ما أنت مُزْدَهِف
فأبدِ سيماك يعرفُوك كما يُبدُون سيماهُمُ فتَعْترِفُ

معناه أن مالك بن العَجلان إذا شهد الحربَ غـيَّر لباسه وتنكَّر لئلا يعرف فيُقْصَد ، وقال دَلْهم أيضا فى ذلك :

يا مالِ لا تبغيَنْ ظُلامتنا يا مالِ إنّا معاشِرٌ أُنُف
يا مالِ والحقُّ إن قَنِعت به فينا وفيه لأمْرِنا نَصَف
إن بُجَيراً عبدٌ نخذ ثمنا فالحقُّ يُوفى به ويُعترف

---

(١) كأن مولاى ، المخطوطتان .
(٢) لجارى ، لجارك ، بعض نسخ الأغانى .
(٣) درهم ، بعض نسخ الأغانى .

ثم اعلَمَنْ إن أردت ضَيْمَ بنى زيـــدٍ فإنّى ومَنْ له الحَلِف
لأَصْبِحَن دارَكم بذى لَجَبٍ جَوْنٍ له من أمامِـــه عَزَف
البَيْضُ حِصنٌ لهم إذا فَزِعوا وسابِغاتٌ كأنهـــا النَّطَف
والبِيضُ قد ثُلِّمت مضـاربُها بهـا نفوسُ الـكُماة تُختَطف
كأنَّها فى الأكفِّ إذ لمعتْ وَمِيضُ برقٍ يبدو وينـكَسف

وقال قيس بن الخطيم فى ذلك ، ولم يدركه ، وإنما قاله بعد الحرب بزمان :

ردَّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وَقفـوا
فيهم لَعوبُ العِشاءِ واضحةُ الدَّلِّ م عَرُوب يَسُـــوءها الخُلُف
بين شُكول النســاء خِلقتُها قَصْـد فلا عبلةٌ ولا قَضَف
تنـامُ عن كُبْر شأنِها فإذا قامَتْ رُويداً تـكاد تنقصِف
حَوْراء جَيْداء يُستضاء بهـا كأنّها خُوط بانةٍ قَصِفُ
قَضَى لها اللهُ حين صوَّرها الـ خالقُ ألّا يُكِنَّها صَدَف
أبلغ بنى جَحْجَبَى وإخوتَهم زيـداً بأنّا وراءهم أُنُفُ
إنا وإن قـــلّ نصرُنا لهم أكبادُنـــا من ورائهم تَجِف
لمـــا بدتْ نحونا جِباههم حنَّت إلينا الأرحامُ والصُّحف
نَفْلِى بحـدِّ الصفيح هامَهم وفَلْيُنا هامَهم بهـا جنف (١)

فرد عليه حسّانُ بن ثابت ولم يدرك ذلك ، فقال :

ما بال عينَيك دمعهـا يكف من ذكرِ خَودٍ شطَّت بها قَذَف (٢)
بانَتْ بها غربة تؤمّ بهـــا أرضاً سِوانا والشكل مختلفُ
دع ذا وعدِّ القريضَ فى نَفَر يرجُون مدحى ومدحِيَ الشَّرَف

(١) وقلبنا هائم بها عنف ، المخطوطتان .

(٢) البيت ساقط فى المخطوطتين .

إن تدعُ قومى فى المجد(١) تُلْفِهِم   أهل تعالٍ يبــدو إذا وُصِفوا
إن سُمَيراً عبــد طغى سفهاً   ســاعده أعبُدٌ لهم نَطَف

وأرسل مالك بن العجلان إلى بنى عمرو بن عوف يُؤذنهم بالحرب ، ويَعدهم يوماً يلتقون فيه ، وأمر قومَه فتأهَّبوا ، وتحاشَد الحيَّان ، وجمع بعضهم لبعض . وكانت يهودُ قد حالفت قبائلَ الأَوْس والخَزْرج إلا بنى قُرَيظة وبنى النضير فإنهم لم يحالفوا أحداً ، حتى كان هذا الجمع ، فأرسلت إليهم الأوسُ والخزرجُ كلٌّ يدعوهم إلى نفسه ، فأجابوا الأوسَ وحالفوهم ، والذين حالفوا قُريظةَ والنَّضير من الأوس أوس الله وهم خَطْمة ووَاقف ووائل وأميَّة ، فهذه قبائل أَوْسِ الله . ثم زحف مالكٌ بمن معه من قومه من الخزرج ، وزحفت الأَوس بمن معها وحلفاؤها من قُرَيظة والنَّضير ، فالتقَوا بفضاء كان بين بنى سالم وقُباء ، وكان أوّلَ يومٍ التقوا فيه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انصرفوا وهم منتَصِفون ؛ ثم التقَوا مرَّةً أخرى عند أُطُم بنى قَيْنُقاع ، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم ، وكان الظفرُ يومئــذ للأوس على الخزرج ، فقال أبو قَيْس بنُ الأسلت فى ذلك :

لقد رأيتُ بنى عمرو فمــا وَهَنوا   عند اللقاء ولا هَمُّوا بتكــذيب
ألا فِداءٌ لهم أمِّى ومــا ولدت   غداةَ يمشون إرْقالَ المصاعيب
بل سَلْهبةٍ كالأَيْم ماضية(٢)   وكلِّ أَبيضَ ماضى الحدِّ مَخْشوب

ولبث الأوسُ والخزرجُ متحاربين عشرين سنة فى أمر سُمَير ، يتعاوَدون القتالَ فى تلك السنين ، فلما رأت الأوسُ طولَ الشر ، وأن مالــكاً يَنزِع قال لهم سُويد بن صامت الأوسىُّ ، وكان يقال له الــكاملُ فى الجاهليّة ، وكان الرجل عند العرب إذا كان شاعراً شُجاعاً كاتبا سابِحا رامياً سمَّوه الــكامل ، وكان سويدٌ أحدَ الــكَمَلة فقال :

---

(١) للمجد ، الأغانى .

(٢) دامية ، المخطوطتان .

« يا قوم : أَرضُوا هـذا الرجلَ من حليفه ، ولا تُقيموا على حرب إخوتـكم فيقتلَ بعضكم بعضا ، ويطمع فيكم غيركم ، وإن حملتُم على أنفسكم بعضَ الحمل » ؛ فأرسلت الأوسُ إلى مالكِ بن العَجلان يدعونه أن يَحـكُم بينهم وبينه ثابتُ بن المنذِر بن حَرَام ، أبو حسّان بن ثابت ، فأجابهم إلى ذلك ، فخرجوا حتى أتَوْا ثابتاً ، وهو فى البئر التى يقال لها سُمَيحة ، فقالوا : « إنّا قد حكّمناك بيننا » . قال : « لا حاجةَ لى فى ذلك » . قالوا : « ولم ؟ » قال : أخاف أن تردُّوا حكمى كما رددتم حكمَ عمرو بن امرئ القيس » . قالوا : « فإنّا لا نردُّ حكمك بيننا »(١) . قال : «لا أحكمُ بينكم حتّى تُعطونى مَوْثِقاً وعهداً لترضَوُنَّ بحـكمى وما قضيتُ ولتُسْلِمُنَّ له » ، فأعطوه على ذلك عهودَهم ، فحـكم بأن يؤدِّىَ حليفُ مالك دِيَةَ الصَّريح ، ثم تـكون السُّنَّة فيهم بعده على ما كانت عليه : الصريح على ديته والحليف على دِيَته ، وأن تُعَدَّ القتلى التى أصاب بعضُهم من بعضٍ فى حروبهم ، ثم يكون بعضٌ ببعض ، حتى يعطوا الديَةَ لمن كان له فَضْلٌ فى القتلى من الفريقين ، فرضُوا بذلك ، وسلَّمت الأوس وتفرّقوا على أن على بنى النجار نصفَ دِيةِ جار مالك معونةً لإخوتهم ، وعلى بنى عمرو ابن عوف نصفَهـا . فرأت بنو عوف أنهم لم يُخرجوا إلا الذى كان عليهم ، ورأى مالكٌ أنه قد أدرك ما كان يطلب ، ووُدِى جارُه دِيَةَ الصَّريح ، ويقال : بل الحاكم هو المنذر .

(١) فاحكم بيننا ، الأغانى .

« قطبة بن أوس ، الحادرة »

الحادِرة لَقَبٌ غلَب عليه ، والحويدرة أيضا ؛ واسمه قُطْبة بن أَوْس بن مِحْصَن بن جَرْوَل بن حَبيب بن عبد العزَّى بن خُزَيمة بن رِزَام بن مازِن بن ثَعلبة بن سعد بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيث بن غَطَفان بن سَعد بن قَيس عيلان بن مُضر بن نزار .

شاعر جاهِليّ مقلّ . وسمِّى الحادرة لأنه خرج هو وزَبَّان بن سيّار الفزارى ، يصطادان فاصطادا جميعاً ، فجعل زبَّان يشوى ويأكل ليلًا وحده ، فقال الحادرة :

تركتَ نزيلَ رَحْلك قد تراه   وأنت لفيكَ بالظَّلماء هاوِى

فحقَدها زبَّان عليه ، ثم أتيا غَدِيراً فتجرَّد الحادرة ، وكان ضَخْمَ المنكبين أرسحَ فقال له زبّان :

كأنك حادرةُ المنكبين   رَصْعاءُ تُنْقِضُ فى حائر

عجوزُ ضفادِعَ محجوبةٌ   يُطِيف بها ولدُ الحاضر

فقال له الحادرة :

لحا الله زبّانَ من شاعرٍ   أخى خَنْعَةٍ غادرٍ فاجر

كأنك فُقّاحةٌ نوَّرت   مع الصُبح فى طَرَف الحائر

فغلب هذا اللقب على الحادرة ، وكان هذا سببَ الهجاء بينهما .

كان حسّان بن ثابت إذا قيل له : تُنُوشِدت الأشعار فى موضع كذا ، يقول : « فهل أُنشدت كلمةُ الحويدرة » ؟ ، وهى من مختار الشعر وهى :

بَكَرَتْ سُمَيّةُ غُدوةً فتمتَّع   وغدت غُدوَّ مُفارقٍ لم يَرْبَع

وتعرَّضت لك فاستَبَتْك بواضحٍ   صَلْتٍ كمُنْتَصِّ الغزال الأتلع

(٦/١٢ مختار الأغانى)

أسُمىَّ ما يدريكِ كم من فِتْيةٍ ... با كرتُ لذَّتهم بأدكَن مُتْرَع
بكَرُوا علىَّ بسُحرة فصَبَحْتُهم ... من عاتقٍ كدمِ الذَّبيح مُشَعْشع

وهذه القصيدة أصمعيَّة مفضَّلية .

كان للحادرة جارٌ من بنى سُلَيم ، فأغارَ زَبّانُ بن سيَّار الفزارىّ على إبله، فأخذها فدفعها إلى رجُل يهودىّ من أهل وادى القُرى كان له عليه دَين ، فأعطاه إياها بدَينه ؛ وكان أهلُ وادى القُرى حُلَفاءَ لبنى ثعلبة ، فلما سمع اليهودىُّ بذلك قال : « سيجعل الحادرةُ هذا سبباً لنقض العهد الذى بيننا وبينه ، ونحن نقرأ الكتاب ولا ينبغى لنا أن نَغْدُر » فردَّ الإبلَ على الحادرة ، فردّها على جاره ، ورجع إلى زَبّان فقال : « أعطِنى مالى الذى لى عليك » ، فأعطاه إياه زَبَّان ووقع الهجاء بينه وبين الحادِرة ، فقال الحادرةُ فيه :

لعَمْرةَ بين الأَخْرَمَيْنِ طُلول ... تقادَمَ منها مُشْهِرٌ ومُحِيل
وقَفتُ بها حتّى تعالى لى الضُّحى ... لأُخْبَرَ عنها إنَّنى لَسَئُول
فإن تحسَبوها بالحجاز[1] ذليلةً ... فما أنا يوماً إن ركبتُ ذليل
فإن شِئتُمُ عدنا صديقاً وعُدتمُ ... وإمّا أَبيْتُم فالمُقام زَحُول

ولجَّ الهجاء بينهما .

أغار جَيش لبنى عامرِ بن صَعَصعة على بنى ثَعلبة بن سعد رهطِ الحادرة ومن معهم من مُحارب ، فلما التقوا عرَف عُقيل بن مالك النميرى ، من جيشِ عامرِ بن صعصعة جُؤَيَّة بن نَصر الثَّعلبى من أصحاب الحادرة ومحارب ، فناداه عُقَيل : « إلىَّ إلىَّ يا جُؤَيَّة بن نصر ، فإنَّ لى خَبَراً أسرُّ إليك »[2] فقال : « إليكَ أقبلتُ ، ولكن لغير ما ظننت » . قال له : « ما فعلَت قَلوصُ قوْمك » ؟ يعنى امرأته ، قال : « هى

(١) بالحجاب ، الأغانى .

(٢) فإن لى خبرا أسره إليك ، الأغانى : فإنى خير أسير لك، المخطوطتان.

فى الظُّعُن أسَرَّ ما كانت قطّ وأجمل » ، ثم حمل كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه ، فاختلفا بِطَعْنتين ، فطعنه جُؤَيَّة طعنةً دقّت صلبه ، واشتدَّ القِتال ، وهرب[1] بنو نُمَيْر وسائر بنى عامر ، ومات عُقَيل النُّميرى ، وقال الحادرة فى ذلك أشعاراً منها القصيدة التى أولها :

كأنَّ عُقَيلًا بالضحى حَلَّقت به ‏ ‏ وطارت به فى الجوِّ عنقاءُ مُغرِب

(١) وهزمت ، الأغانى .

« القاسم ، أبو دُلَف العجلى »

هو القاسِم بن عِيسى بن إدريس ، أحدُ بنى عِجل بن لُجَيم بن صَعب بن علىّ ابن بكر بن وائل ، ومحلُّه فى الشجاعة وعلوّ المنزلة عند الخلفاء ، وعِظَم الغَناء فى المشاهد ، وحسنِ الأدب وجودَة الشعر ، محلّ ليس لأحدٍ من نظرائه .

وهو القائل :

بِنَفْسى يا جِنانُ وأنتِ منّى   مكانَ الرُّوح من جسد الجبان
ولو أنّى أقول مكانَ نفسى   خَشِيت عليك بادرةَ الزمان
لإقدامى إذا ما الخيلُ حامت   وهابَ كُماتُها حَرَّ الطِّعان

أخذ أبو دُلَفٍ قوله : « من جَسَد الجبان » من حِكايةٍ تُروى عن إبراهيم النظّام.

قيل : إن إبراهيمَ النظّام لقى غلاماً حسنَ الوجه ، فاستَحسنه وأراد كلامَه ، فعارَضَه . ثم قال له : « يا غلام ، لولا ما سَبَق من كلام الحكماء ، ممّا جعلوا به السبيلَ لمثلى إلى مثلك ، فى قولهم : لا ينبغى لأحدٍ أن يكبُر عن أن يَسْأل ، كما أنّه لا ينبغى لأحد أن يَصْغُر عن أن يقول ؛ لما أنِسْتُ إلى مُخاطبتك ؛ ولا انشرح صدرى إلى محادثتك ، لكنه سَبَبُ الإخاء وعَقْد المودّة ومحلُّه من قلبى محل الروح من جسد الجبان » فقال له الغلام وهو لا يعرفُه : « لَئِن قلتَ ذلك أيُّها الرجل ، لقد قال أستاذنا إبراهيم النظام : إن الطبائع تُجاذِب ما شاكَلَها بالمناسبة ، وتَميل إلى ما قارنها بالموافقة ؛ وكِيانى مائلٌ إلى كِيانك بالكلّية ، ولو كان الذى انطوى عليه عَرَضاً لما اعتددته[1] ودًّا ، ولكنّه جوهرُ نفسى فبقاؤه بقاء النفس وعَدَمُه عَدَمُها . وأقول كما قال الهُذَلىّ :

---

(١) لما اعتددته ، لما أعددته، المخطوطتان ؛ لم أعتدبه، الأغانى.

فتيقَّنى أن قد كَلِفتُ بكم ثم افْعَلى ماشئتِ عن علم»

فقال له النظام: « إنما كلَّمتُك بما سمعت وأنت عندى غلامٌ مُسْتَحْسن، ولو علمتُ أن محلَّك مثل محل مَعْمَر وطبقته فى الجدال لما تعرضت لك » .

وكان أبو دُلَف جواداً ممدَّحا .

كان أبو دُلَف فى جملةٍ من كان مع الأفشِين خَيْذَر بن كاوس لما خرج لمحاربةِ بابك ، ثم تنكّر الأفشينُ لأبى دلف فوجَّه بمن جاءه به ليقتله ، وبلغ المعتصمَ الخبرُ ، فبعث إليه أحمدَ بن أبى دؤاد وقال له : « أدركه ، وما أُراك تلحقهُ ، واحتَلْ فى خَلاصِه منه كيف شئت » . قال ابن أبى دؤاد : فمضيتُ ركضاً حتى وافيتُه ، فإذا أبو دلف واقفٌ بين يدَيه ، قد أخذ بيدَيه غُلامان تركيَّان ، فرميتُ بنفسى على البساط ؛ وكنتُ إذا جئتُه دعا لى بمصلًّى ؛ فقال : « سبحانَ الله ! ما حملكَ على هذا ؟ » ، قلتُ : « أنتَ أجْلَسْتَنى هذا المجلس ، ثم كلَّمتُه فى القاسم ، وسألته فيه ، وخضَعْتُ له ؛ فجعل لا يزداد إلا غِلَظَةً ؛ فلما رأيتُ ذلك قلت : « هذا عبدٌ ، وقد أغْرَقتُ فى الرّفق به ، وليس ينفعُ الآن إلا أن آخُذَه بالرَّهبة والصِّدق ، فقمت وقلت : « كم تراكَ قدَّرتَ فى نفسِك ! تقتل أولياءَ أمير المؤمنين ، واحداً بعدَ واحد، وتخالفُ أمرَه فى قائدٍ بعد قائدٍ ؟ قد حملتُ هذه الرِّسالة عن أمير المؤمنين ، فهاتِ الجواب . قال: فذلَّ حتى لَصِق بالأرض، وبان لى الاضطرابُ فيه، فلما رأيتُ ذلك نهضتُ إلى أبى دُلَف وأخذتُ بيده وقلت:« قد أخذتُه بأمر أَمِير المؤمنين » فقال: « لا تفعلْ يا أبا عبد الله » فقلت : « قد فعلتُ » . وأخرجتُ القاسمَ فحملتُه على دابَّة ووافيت المعتصم ؛ فلما بَصُر بى قال : «بكَ يا أباعبدِ الله أوريتُ زَنْدى» ؛ ثم رَدَّ علىَّ حديثى مع الأَفشين حَدْساً وفطنة ، فما أخطأ فيه حرفاً ، وسألنى عن ذلك فأعلمتُه أنَّه لم يخطئْ فيه حرفاً واحدا .

كان أحمدُ بن أبى دؤاد ينكر الغناء إنكاراً شديداً ، فأعلمه المعتصمُ أن صديقه أبادُلفٍ يغنِّى ، فقال : «ماأُراه مع عقله يفعل ذلك» فَستَرَ المعتصمُ أحمدَ بن أبى دؤاد (١ فى موضعٍ ، وأحضَر أبا دُلَف وأمره أن يغنِّى ، ففعل ذلك وأطال ، ثم أخرج أحمد بن أبى دؤاد١) عليه من موضعه ، والكراهةُ ظاهرةٌ عليه . فلما رآه أحمدُ قال له : « سوءةً لهذا من فعل ! أبعدَ السنِّ وهذا المحلِّ تصنعُ من نفسك كما أرى ؟ » فخجل أبو دُلَف وقال : « إنهم أكرهُونى على ذلك » فقال : « هَبْهم أكرهوكَ على الغِناء أفأكرهوك على الإحسان فيه والإصابة ؟ » .

وقد مدح علىُّ بن جَبَلة أبا دُلَف بقصيدته المشهورة التى أوَّلها :

ذادَ وِرْدَ الغىِّ عن صَدَرِه وارعَوَى واللَّهوُ من وَطَره
إنما الدُّنيا أبو دُلَف بين بادِيه ومُحتَضَرَه
فإذا ولّى أبو دُلَفٍ ولَّت الدنيا على أثَره

بينا أبو دلف يسير مع ابنه مَعْقِل بالعراق إذ مرَّ بقصر ، فأشْرَفَ منه جاريتان ، فقالت إحداها للأُخرى : « هذا أبو دلف » . فقالت الأخرى : أَوَ هٰذا هو ؟ قد والله كنتُ أحبُّ أن أراه منذ سمعتُ قولَ علىِّ بن جَبَلة فيه :

إنما الدنيا أبو دُلَف بين باديه ومُحتضَره

فالتفت أبو دُلَف إلى مَعْقِل فقال : « ما أنصفْنا علىَّ بنَ جَبَلة ولا وفيناه حقّه ، وإن ذلك لمن كبير همِّى » وكان قد أعطاه ألفَ دينار .

قال علىُّ بن جَبَلة : زرتُ أبا دُلَف فكان يظهر من برِّى وإكرامى أمراً مُفرِطا حتى تأخرت عنه حيناً حياءً ، فبعث إلىَّ ابنه مَعْقِلا فقال : « يقول لك الأمير قد انقطعت عنِّى ، وأحسَبك قد استقْلَلْت برِّى ، فلا يغضِبْك ذلك فسأزيد فيه حتى ترضَى » . فقلت : « والله ما قطعنى إلا إفراطُه فى البرّ » وكتبت إليه :

(١) فى موضع . . . بن أبى دؤاد ، ساقط فى المخطوطتين .

هجرتُك: لم أهْجُركَ من كُفرِ نعمة　　وهل يُرْتَجَى نيلُ الزيادة بالـكفر
ولـكنني لمـا أتيتُكَ زائراً　　وأفرطْتَ فى برِّى عجزتُ عن الشكر
من الآنَ[1] لا آتيك إلا مسلِّما　　أزورك فى الشهرين يوماً أو الشهر
فإن زدتَنى برًّا تزايدت جَفْوة　　ولم تلقَنى طولَ الحيـاة إلى الحشر

فلما قرأها مَعْقِل استحسنها جدًّا وقال: «أحسنتَ والله، وإنّ الأمير لتعجبه هذه المعانى» فلما أوصلَها إلى أبى دُلَف قال: «قاتله الله! ما أشعرَه وأدقَّ معانيه!» وأعجبَتْهُ، وأجابنى لوقته، وكان حَسَن البديهة حاضر الجواب:

ألا ربّ ضيفٍ طارقٍ قد بسطتُه　　وآنستُه قبـل الضِّيافة بالبشر
أتانى يُرَجِّينى، فما حالَ دونه　　ودون القِرى والعُرف من نائل سِترى
وجدتُ له فضـلًا علىّ بقصده　　إلىّ وبرًّا يستحقُّ به شكرى
فلم يعدُ أن أدنيتُه وابتـدأته　　ببِشرٍ وإكرام وبرٍّ على برّ
وزوَّدتُه مالًا يقلُّ بقـاؤه　　وزوَّدنى مدحاً يدومُ على الدَّهر

وبعث بالأبيات مع وصيف، وبعث معها ألف دينار، وذلك حيث أقول:

إنما الدنيـا أبو دُلَف　　بين باديه ومُحتَضَره

قال أحمدُ بن عُبَيد الله بن عمّار: كنّا عند أبى العباس المبرّد يوماً، وعنده فتى من ولد أبى البَخترِىّ، وهبِ بن وهب القاضى، أمردُ حسنُ الوَجه، وفتًى من ولد أبى دُلَف العجلىّ، شبيهٌ به فى الحال، فقال المبرّد لابن أبى البختري: أعرف لجدِّك قصةً ظريفة من الـكرم لم يسبق إليها، فقال: «وما هى؟». قال: «دُعِىَ رجلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضِع، فسقَوه نبيذاً غير الذى كانوا يشربون منه، فقال:

---

(١) فم الآن، الأغانى.

نبيذان في مجلسٍ واحدٍ لإيثار مُثْرٍ على معسر[1]
فلو كان فِعلُك ذا في الطعام لزمتَ قِياسَك في المُسكر
ولو كنت تطلبُ شأوَ الكرام صنعتَ صنيعَ أبي البَخْتري
تتبَّع إخوانه في البلاد فأغنَى المقلَّ عن المكثِرِ »

فبلغت أبياتُه أبا البَخْتريّ فبعث إليه ثلاثمائة دينار ، قال ابن عمّار: فقلت له : « قد فَعَل جَدٌّ هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أحسنُ من هذا » قال : « ومافعل ؟» قلت : « بلغَه أن رجلًا افتقر بعد ثروة فقالت له امرأته : افْترِضْ في هذا الجند ، فقال :

إليكِ عنّي فقد كلَّفتِني شططاً : حملَ السِّلاح وقولَ الدَّارعين قِفِ
تمشي المنايا إلى قومٍ فأكرهها فكيف أمشي إليها عارِيَ الكتِف
حَسِبتِ أن نَفَادَ المال غيَّرَني وأن رُوحِيَ[2] في جنبي أبي دلف

فأحضره أبو دُلَف وقال له : « كم أمَّلت امرأتُك أن يكون رزقُك ؟ » . قال : « مائة دينار » . قال : « وكم أمَّلْتَ أن تَعيش ؟ » قال : « عشرين سنة » قال : « فذلك لك على ما أمَّلت امرأتك ، في مالِنا دون مال السلطان » وأمر بإعطائه إيّاه. قال : فرأيتُ وجهَ ابنِ أبي دُلَف متهلِّلا وانكسر ابنُ أبي البَختري انكساراً شديداً .

---

(١) مقتر ، الأغاني .
(٢) قلبي ، المخطوطتان .

قيس بن ذَرِيح

هو قيسُ بن ذَرِيح بن سُنَّة بن حُذافة بن طَرِيف بن عُتْوَادة بن عامر بن لَيْث ابن بَكر بن عبد مَنَاة وهو علىّ بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضر ابن نِزار ، وقيل : قَيْس بن ذَرِيح بن الُحباب بن سنّة ، واحتجّ من قال ذلك بقول قَيْس :

فإنْ يك تَهْيامى بلُبْنَى غواية ً فقد ياذَرِيحُ بنَ الحُباب غَوَيْتُ

وقيل : إن أمّه بنت سُنّة بن الكاهل[1] بن عمرو[2] الُخزاعى . وهذا هو الصحيح ، وأنه كان له خالٌ يقال له : عمرو بن سُنّة شاعر ، وهو القائل :

ضربوا الفِيل بالمغمّس حتّى ظلّ يحبو كأنه محموم

حدث عَدَدٌ من الكِنانيين[3] أن قيس بن ذَرِيح كان رضيعَ الحُسَين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، أرضعتهما أمُّ قيس ، وكان منزله بسَرِف ، وهو على ستَّة أميال من مكّة ، ويدلّك على منزله بها قولُه :

الحمدُ لله ، قد أمستْ مجاورةً أهلَ العقيق وأمسينا على سَرِفِ

وأوّل أمرِه مع لُبْنى أن قومَه كانوا ينزِلون بظاهر المَدينة ، فمرّ قَيْس لبعض حاجْتِه بخيام بنى كعب بن خُزاعة ، والحى خُلُوف ، فوقف على خْيمةِ لُبْنَى بنتِ الُحباب الكَعْبيَّة ، فاسْتَسْقى ماءً فسقتْه وخرجت إليه به ، وكانت امرأةً مديدة القامة ، شَهلاءَ حُلوة المنظَر والكلام ، فلما رآها وقعتْ فى نفسِه ، وشرب الماء ،

---

(١) الداهل ، الأغانى .

(٢) عامر ، الأغانى .

(٣) عدى بن الكناس ، المخطوطتان .

فقالت له : « إنزلْ فتبرَّد عندنا »[1] . قال : « نعم » فنزل بهم ، وجاء أبوها فنحرَ له وأكرمه ، وانصرف قيسٌ وفى قلبه من لُبنى حرٌّ لا يطفأ ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوى ، ثم أتاها يوماً آخر ، وقد اشتد وَجدُه بها ، فسلَّم ؛ فظهرت له وردَّت سلامه وتحفَّت به ، فشكى إليها مايجِد من حبِّها ؛ فبكت وشكت إليه مثلَ ذلك وأطالت ، وعرف كلٌّ واحد منهما مالَه عند صاحبه ؛ وانصرف إلى أبيه فأعلمه حالَه وسأله أن يزوِّجه إيّاها ، فأبى عليه وقال : « يابنىَّ عليك بإحدى بناتِ عمِّك فهو أحقُّ بك » ، وكان ذَريحٌ كثير المال مُوسِراً فأحبَّ إلى ألا يخرج ابنه إلى غريبة ؛ فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه به أبوه ، فأتى أمَّه وشكا ذلك إليها ، واستعان بها على أبيه ؛ فلم يجد عندها مايحبّ ، فأتى الُحسيْن بنَ على رضِى الله عنهما وابنَ أبى عتيق ، وكان صديقَه ، فشكا إليهما ما به ، وما ردَّ عليه أبواه ، فقال له الحسينُ رضى الله عنه : « أنا أكفيك » ومَشَى معه إلى أبى لُبْنى فلما بصُر به أعظمه ووثب إليه وقال له : « يا ابنَ رسول الله ، ما جاءبك ؟ ألَا بعثتَ إلىَّ فآتيك » قال : « إن الذى جئتُ فيه يوجب قصدَك . قد جئتُك قاصداً خاطِباً ابنتك لقيس بن ذَرِيح » فقال : يا ابنَ رسول الله ، ما كنا لنعصى لك أمراً ، وما بِنا عن الفتى رغبة ولكنَّ أحبَّ الأمرين إلينا أن يخطبها أبوه ذَرِيح عليه ، وأن يكون ذلك عَن أمرِه فإنا نخاف إن لم يَسْعَ أبوه فى ذلك أن يكون ذلك عاراً علينا وسبّة » ، فأتى الحسينُ رضى الله عنه ذَريحاً وقومه ، وهم مجتمعون ، فقاموا إليه إعظاماً له وقالوا له مثلَ قولِ الخزاعىّ ؛ فقال لذَرِيح : «أقسمتُ عليك إلّا خطبتَ لُبنَى على قيس» قال : « السمعُ والطاعة لأمرك » . فخرج معه فى وجوه قومه حتى أتوا حىَّ لُبنى ؛ فخطبها ذَرِيح إلى أبيها على ابنه ، فزوَّجها أبوها وزفت إليه فأقام معها مدَّة لا ينكرُ أحدُهما من صاحبه شيئاً . وكان أبرَّ الناس بأمِّه فألهته لُبْنى وعكوفُه عليها عن بَعض

(١) أتنزل فتتبرد عندنا ، الأغانى .

ذلك ، فوجَدت أمُّه فى نفسها وقالت : « لقد شَغَلت هذه المرأةُ ابنى عن برِّى » .
ولم ترَ للكلام فى ذلك موضعاً حتّى مرض قيسٌ مرضاً شديداً ، فلما برئ قالت
أمّه لأبيه : « لقد خشيتُ أنْ يموت قيسٌ ولم يترك خلفاً ، وقد حُرِم الولَد من هذه
المرأة وأنتَ ذُو مال ، فيصيرُ مالُك إلى الكلالة ، فزوِّجه بغيرها لعلَّ الله تعالى أن
يرزقُه ولداً » ، وألّحت عليه فى ذلك ؛ فأمهل قيساً حتى إذا اجتمع فى قومه دعاه وقال
له : « يا قيس ، إنّك قد اعتللت هذه العلَّة فخفتُ عليك ، ولا ولدَ لى سواك ، وهذه
المرأةُ ليست بوَلُود ، فتزوَّج بإحدى بناتِ عمك لعل الله تعالى أن يهبَ لك ولداً تقر به
عينك وأعيننا » ، فقال قيس : « لستُ متزوجاً غيرها أبدا » فقال له أبوه : « إنَّ
فى مالى سَعَة ، فتسرّ بالإماء » قال : « وما أسوءها* بشيء أبداً قال أبوه : فإنى أقسِم
عليك إلّا طلّقتَها » ، فأبى وقال : « الموت عندى أسهلُ من ذلك ، ولكنى أخيِّرك
خَصْلةً من ثلاث خِصال » قال : « وما هى ؟ » قال : « أن تتزوَّج أنت فلعلَّ الله
أن يرزقَك أنتَ ولداً غيرى » قال : « ما فىَّ فضلٌ لذلك » . قال : « فدعْنى أترحَّل
عنك بأهلى ، واصنعْ ما كنتَ صانعاً لو متُّ فى علّتى هذه » قال : « ولا هذه »
قال : « فأدعُ لُبنى عندك وأرتحل عنك ، فلعلّىَ أسلُوها ، فآتى ما تحبُّ بعد أن
تكون نفسى طيبةً أنها فى خِباك » قال : « لا أرضى أو تطلِّقها » وحلف
ألا يكنّه سقفُ بيتٍ أبدا حتَّى يطلِّق لبنى ، وكان يخرجُ ويقفُ فى حرّ الشّمس ،
فيجئ قَيس فيقفُ إلى جانبه فيظلُّه بردائه ، ويَصْلَى هو بحرِّ الشمس ، حتَّى
يفِء الفيء . فينصرف عنه ، ويدخلُ إلى لبنى فيعانقها ، ويبكى وتبكى معه وتقول له :
« يا قيس ، لا تُطِع أباك فتهلك وتهلكنى » فيقول : « ما كنتُ لأطيعَ فيكِ
أحداً أبداً » ، فمكث كذلك سنة وقيل : أربعين يوما ثم طلَّقها وقيل : إن قيساً
قال : هجرنى أبواى فى لُبنَى عشرَ سنين ، أستأذِنُ عليهما فيردَّانى ، حتى طلقتُها .

(*) آخر السقط الذى بدأ فى ص .

ولقى عبدُ الله بن صَفْوان الطويلُ ذَرِيحاً فقال : « ما حملَك على أن فرَّقت بينهما؟ أما بلغك أن عُمر بنَ الخطَّاب رضى الله عنه قال : ما أبالى أفرقتُ بينهما أو مَشَيتُ إليهما بالسيف ؟ » .

فلما بانت لُبنى بالطّلاق ، وفُرغ من الكلام لم يصبر حيناً ، ولم يلبث حتى استُطير عقلُه ، وذهب لبّه ، ولحقه مثل الجنون ، وذكَر لُبنى وحالَها معه ؛ فأسِف وجعل يبكى وينشج وبلغَها الخبرُ فأرسلتْ إلى أبيها ليحملَها ، وقيل : بل أقامت حتى انقضت عدَّتها ، وقيسٌ يدخل عليها ، فأقبل أبوها بهَوْدجٍ على ناقة ، وبإبلٍ لتحملَ[1] أثاثَها ، فلما رأى قَيسٌ ذلك أقبل على جاريتها وقال : « ويحك ما دهانى فيكم؟» قالت : «لا تَسَلْنى وسل لُبنى » فذهب إلى خِبائها ليسألَها فمنعَه قومُها ، وأقبلتْ عليه امرأةٌ من قومه وقالت : « ما لك تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل ؟ هذه لُبنى ترحل الليلةَ أو غداً » فسقط مغشيًّا عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول :

وإنى لمفنٍ دمعَ عينىَ بالبكا حِذارَ الذى قد كانَ أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ فراقُ حبيبٍ لم يَبِن وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكون منيَّتى بكفيكِ إلّا أن ما حان حائن

وقال فيها أيضاً :

يقولون : لُبنَى فتنةٌ كنتَ قبلها بخيرٍ ، فلا تندم عليها وطلّقِ
فطاوعتُ أعدائى وعاصيتُ ناصحى وأقررتُ عينَ الشَّامت المتخلِّق
كأنّى أرى الناس المحبِّين بعدَها عصارةَ ماء الحنظل المتفلِّق
فتنكرُ عينى بعدَها كلَّ منظر ويكرَه سمعى بعدَها كلَّ منطِق

وسقط غراب قريباً منه ، ونعق مراراً ، فتطيَّر به وقال :

لقد نادى الغُرابُ ببَيْن لُبنى فطار القلبُ من حَذَر الغراب

---

(١) حتى تحمل ، المخطوطتان .

وقال غـــداً تَبَاعَدُ دار لُبنى ... وتنأى بعـــد وُدٍّ واقتراب
فقلتُ تَعِسْتَ ويحكَ من غراب ... وكان الدهرَ سعيُك فى تباب

وقال ، وقد مَنَعه قومُها من الإلمام بها :

ألا يا غرابَ البين ويحكَ نبِّنى ... بعلمك فى لُبنى وأنت خبير
فإن أنت لم تُخبِر بما قد علمتَه ... فلا طرتَ إلا والجنـاحُ كسير
ودُرتَ بأعـــداء حبيبُك فيهم ... كما قد ترانى بالحبيبِ أدورُ

ولما ارتحل بها قومها اتَّبعها مليًّا ثم علم أن أباها سيمنعه من المصير إليها ، فوقف ينظرُ إليهم ويبكى حتى غابوا عنه ، فـكرَّ راجعاً ، ونظر إلى أثَر خفٍّ بعيرها فأكبَّ عليه يقبله ، ورجع فقبَّل موضعَ مجلسها وأثرَ قدمِها ، فلاموه على تقبيل التراب ، فقال :

وما أحْبَبْتُ أرضَـكمُ ولـكن ... أقبّل إثْرَ من وَطِىء الترابا
لقد لاقيتُ من كَلَفى بلُبنى ... بلاءً ما أُسِيغ له شَرَابا
إذا نادَى مُنـادٍ باسم لُبنى ... عَيِيت فلا أطيق له جوابا

وقال : وقدْ نظر إلى آثارها :

(١)ألَا يا ربعَ لُبْنى ، ما تقول ... أَبِنْ لى اليــوم ما فعل الحلول
فلو أنّ الربوعَ تجيبُ صَبًّا ... لردّ جوابَى الربعُ المُحيــلُ
ولو أنّى قدرتُ غداة قالت : ... غدرتَ ، دماءُ مُقْلَتها يَسِيلُ
نحرتُ النفسَ حين سَمِعتُ منها ... مَقَالتَها ، وذاك لها قليلُ(١)

وقال وقد اشتد به الأمر :

أيا كبداً طارت صدوعاً نوافِذاً ... ويا حَسْرَتَا ماذا تغلغَلَ فى القلب
فأقسمُ ما عمْشُ العيونِ شَوارِفٌ ... روائمُ بوٍّ حائماتٌ على سَقْبِ

(١) ساقطة فى المخطوطتين .

بأوْجَد منِّى يوم ولَّت حمولُها   وقد طلَعت أولى الركاب من النَّقب
وكلُّ ملمَّاتِ الزَّمانِ وجدتُها   سوى فُرقةِ الأحْبابِ هيِّنة الخطب

ولما جنَّ عليه الليلُ وانفرد وآوى إلى مَضْجَعه لم يَقِرَّ بِه ، وجعل يتململ فيه تململَ السَّلِيم ، ثم وثب حتى أتى موضع خِبائها فجعل يتمرَّغ فيه ويقول :

بت والهمُّ يا لُبَيْنى ضَجِيعى   وجَرَت ـ مُذْ نأيتِ عنى ـ دموعى
فتنفَّستُ إذ ذكرتُك حتَّى   زالت اليومَ عن فُؤادى ضُلوعى
أتناسَاكِ كى يُرِيغَ فُؤادى   ثم يشتدُّ عند ذاك وَلُوعى
يا لُبَيْنَى، فدتكِ نفسى ومالى !   هل لدهرٍ مَضَى لنا من رُجوع؟

وجعل قيس يعاتب نفسه فى طاعته أباه وطلاقِه لُبنى[1]، ويقول : « أفلا رحلت بها عن بلده ، فلم أر ما يفعل ولم يرَنى ، فكان إذا فقدَنى أقلَع عما يفعله ، وإذا فقدتُه لم أحرَج من فعله ، ما كان على لو اعتزلتهُ وأقمتُ فى حيِّها أو فى بعض بوادى العَرب ، أو عصيتهُ فلم أطعه ، هذه جِنايتى على نفسى فلا ألوم أحداً ، وها أنذا ميت بما فعلتهُ ، فمن يردّ روحى إلى ؟ وهل سبيلٌ إلى لبنى بعد الطلاق ؟ » وكلما قرَّع نفسه وأنبها بلون من التقريع والتأنيب بكى وألصق خدَّه بالأرض ووضعه على أثرها ، وقال :

ألا ليتَ لُبنى فى خلاءٍ تزورُنى   فأشكُو إليها لَوْعَتى ثم تَرجِع
صحاَ كلُّ ذى لبٍّ وكلُّ متيم   وقلبى بلُبْنَى ماحَييتُ مروَّع
فيامن لقلبٍ لايفيقُ من الهوى   ويا مَن لعينٍ بالصَّبابة تدمع

ومما قال فيها :

قد قلتُ للقلبِ : لا لُبناكَ فاعترف   قَضِّ اللُّبانةَ ما قضَّيت وانصرفِ
قد كنت أحلفُ جَهداً لا أفارقها   أفّ لكثرة ذاك القولِ والحَلِف
حتى تكنَّفنِى الواشون فافتُلِتَتْ   لا تأمَنَنْ أبداً من غِشِّ مكتنِف

(١) طاعة أبيه وطلاقها ، المخطوطتان .

هيهاتَ هيهاتَ ! قد أمستْ مجاورةً أهلَ العقيق وأمسَيْنا على سَرِف

حيٌّ يمانون والبطحاءُ منزِلنا هذا لعمرِكَ شَمْلٌ غير مؤتلف

وبعثَتْ أم قيس إليه بفتَيَاتٍ من قومه يعبن لبنى عنده ، ويعبنه بجزَعه وبكائه ، ويتعرَّضْن لوصاله ؛ فأتينَه واجتمعْن حوله يمازِحْنَه ويَعِبْنَ لبنى ويعيِّرنه بما يفعلُه ؛ فلما أطَلْنَ أقبل عَليهنَّ وقال :

يقرّ بعيني قربُها ويزيدُني بها عجبا من كان عندي يعيبُها

وكم قائلٍ قد قال : تُبْ ، فعصيتُه وتلك لعمري تَوْبةٌ لا أتوبُها

فيانفسُ صبراً لستُ والله فاعلمي بأولِ نفس غابَ عنها حبيبُها

فانصرفن إلى أمِّه فأيأسنها من سلوِّه ، وقيل : إن الفتَيات أطَلْنَ الجلوسَ عنده وهو ساهٍ عنهنَّ ، ثم نادى : « يالبنى » فقلن له : « مالك ويحك ! » قال : « خَدِرت رِجلي . ويقال : إن دُعاءَ الإنسان بأحبِّ الناس إليه يسكِّن رجلَه إذا خَدِرت ، فناديتُها لذلك » . فقمنَ عنه فقال :

إذا خَدِرتْ رجلي تذكَّرت مَنْ لَها فناديتُ لُبنى باسمِها ودعَوْتُ

دعوتُ التي لو أنَّ نفسي تطيعُني لفارقتُها من حبِّهــا وقَضَيت

برت نَبلها للصَّيد لُبنى وريَّشت وريَّشتُ أُخرى مثلَها وبَرَيتُ

فلما رمتْني أقْصَدتني بنَبلها وأخطأتُها بالسَّهم حين رميتُ

وفارقتُ لُبنى ضلَّةً فكأنَّني قُرِنْتُ إلى العَيّوقِ ثم هَوَيتُ

فياليتَ أنى مِتُّ قبل فِراقها وهل يرجِعَنْ قولَ القضيَّة ليتُ

فإن يَكُ تَهيامى بلُبنى غَوايةً فقد ياذرِيحُ بنَ الُحباب غَويتُ

فلا أنتَ ما أمَّلت فيَّ رأيتَه ولا أنا لُبنَى والحياةَ حَويتُ

فوطِّن لهُلكى منك نفساً فإنَّني كأنَّك بى قَدْ ياذَرِيحُ قضيتُ

ومرض قيس ، فسأل أبوه فتَيات الحيِّ أن يعدنَه ويتحدَّثن عنده ، لعله أن يتسلَّى بهن ، أو يعلق بعضَهن ، ففعلن ؛ ودخل إليه طبيبٌ والفتيات معه[1] ، فلمّا اجتمعن عنده جعلْنَ يحادِثْنَه وأطلن السؤال عن سبب علّته ، فقال :

عِيدَ قَيسٌ من حبِّ لُبنَى ، ولُبنى داء قيسٍ ، والحبّ داءٌ شديـد
فإذا عادنى العوائدُ يوماً قالت العينُ : لا أرى من أريـدُ
ليتَ لُبنى تعودنى ثم أقـضِى إنّها لا تعودُ فيمن يَعُود
ويحَ قيسٍ لقـــد تضمَّن منها داءَ خَبْلٍ والقلبُ منـه عميد

فقال الطبيب : « مُذ كم هذه العلّة بك ؟ ومذ كَمْ وجَدت بهذه المرأة ؟» فقال :

تعلَّق رُوحى روحَها قبلَ خَلقنا ومن بعد ما كنّا نِطافا وفى المهد
فزادَ كما زِدنا فأصبح نامياً وليس إذا مِتْنَا بمنفصِم العَقـد
ولـكنّه باقٍ على كلِّ حادثٍ وزائرُنا فى ظُلمة القـبر واللّحد

فقال له الطبيب : « إنَّ مما يسلّيك عنها ذِكرُ مساويها ومَعايبها وما تعافه العين منها من أقذار بنى آدم ، فإن النفس تَنْبُو حينئذٍ ويخفّ ما بها ، فقال :

إذا عبتُها شبَّهتُها البـدرَ طالِعاً وحسبُك من عيبٍ لها شَبَهُ البدر
لقد فُضِّلت لُبنى على النّاس مثلَما على ألف شهر فُضِّلت ليلةُ القدر

ودخلَ أبوه وهو يخاطِبُ الطبيب بهذه المخاطبة ، فأنّبه ولامه وقال له :« يابنىّ ، اللهَ اللهَ فى نفسِك ، فإنك ميتٌ إن دُمتَ على هذا » ، فقال :

وفى عُروةَ العُذرىِّ إن مِتُّ أسوةٌ وعمرِو بن عَجْلانَ الذى قتلتْ هِندُ
فِى مثلُ ما مَاتَا به غـيرَ أنّنى إلى أجلٍ لم يأتِنى وقتُه بعـدُ
هل الحبُّ إلا عَـبرةٌ بعد زَفرةٍ وحرٌّ على الأحشاءِ ليس له بَرْدُ
وفيضُ دموعٍ تَستَهِلّ إذا بـدا لنا علَمٌ من أرضِكم لم يكن يبدُو

---

(١) معه الفتيات ، المخطوطتان .

فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه أن يزوّجه امرأةً جميلة ، فلعله أن يَسْلوَ بها عن لُبنى ، فدعاه إلى ذلك فأبَى ، وقال :

لقد خِفتُ ألَّا تقنَع النفسُ بعدَها بشيء من الدنيا وإن كان مَقْنَعا
وأزجُرَ عنها النفس إن حِيلَ دونها وتأبى إليها النفسُ إلا تطلّعا

فأعلَمَهم أبوه بما رد عليه . قالوا : « مُرْهُ بالمسير فى أحياء العرب والنزول بهم ، فلعلَّ عينَه تقعُ على امرأةٍ تعجِبُه فتزوِّجُه إياها ، فأقسم عليه أبوه أن يفعل ، فسار حتى نزل بحيٍّ من فَزارة ، فرأى جاريةً حسناءَ قد حَسَرت بُرقُعَها عن وجهِها ، وهى كالبدرِ ليلةَ تِمِّه ، فقال لها : « ما اسمُك يا جارية ؟ » قالت : « لُبنى » ، فسقط مغشيًّا عليه ، فنضَحَت على وَجْهِه الماءَ وارتاعت ، لما عَراه ، ثم قالت : « إن لم يكن هذا قيسَ بنَ ذَرِيح إنَّه لمجنون » ، فأفاقَ ، فنَسَبَتْه فانتسب لها ، فقالت : «قد علمت أنَّك قيسُ ، فنَشَدتُك وحقِّ لبنى إلاَّ أصبتَ من طَعامنا » ، وقدَّمت إليه طعاماً فأصاب منه وركب ؛ وأتى على إثره أخٌ لها كان غائباً ، فرأى مُناخ ناقتِه ، فسألهم عنه فأخبَروه ، فركبَ فلحِقه وردَّه إلى منزله ، وحلف ليقيمَنَّ عنده شهراً ، فقال : « لقد شَقَقْتَ علىَّ ، ولـكنَّنى سأتبع هواك ، فأقام عنده شهراً ، والفزارىُّ يزداد إعجاباً بحديثِه وعقلِه ورِوَايته فعرض عليه الصِّهر فقال : يا هذا ، إنَّ فيك لرَغبة ، ولـكنِّى فى شُغلٍ لا يُنْتَفع بى مَعَه » ، فلم يزل يعاوِدُه والحىُّ يلومونه ويقولون : « لقد خَشِينا أن يصير فِعلُك علينا سُبَّة » فقال : « دعونى ، ففى مثل هذا يرغَبُ الكرام » ، فلم يَزَلْ به حتَّى أجابه وعقد الصِّهْرَ بَيْنَه وبَينه على أُختِه لبنى ، وقال له : « أنا أسوقُ عنك صَدَاقها » ، فقال : أنا والله يا أخى أكثر قومى مالاً ؛ فما حاجتُك إلى تكلُّف هذا ؟ «أنا سائرٌ إلى قومى وسائقٌ إليها المهر » ، ففعل ، وأعلم أباه بما كان منه فسرَّه ، وساق المهرَ ، ورجع إلى الفزاريين حتّى أُدخِلَت زوجتُه عليه ، فلم يهشّ لها

ولا دنا منها ولا خاطبها بحرف ، وأقام على ذلك أياماً كثيرةً ؛ ثم أعلَمهم أنه يريد الخروج إلى قومِه فأذِنُوا له فى ذلك ، فمضَى على وجهه إلى المدينة ، وكان له صديقٌ من الأنصار بها ، فأعلمَه أن خبرَ تزويجِه بلغ لُبنى فغمَّها ، فقالت : « إنه لغدَّار ؛ ولقد كنتُ أمتَنِع من إجابة قومى من التَّزْويج ، فأنا الآن أُجِيبُهم » ، وقد كان أبوها شكاَ قَيساً إلى مُعاوية وأعلمَه تعرُّضَه لها بعد الطلاق ، فكتب إلى مَرْوان بن الحكم يهدر دمه إن تعرّض لها ، وأمر أباها أن يزوّجها رجلًا يُعرف بخالد بن حِلِّزه من بنى عبد الله بن غطَفان ، ويقال : بل أمره أن يزوِّجها رجلًا من آل كَثِير بن الصَّلت الكِندى حليفِ قريش . فزوَّجها أبوها منه ، فجعل نساء الحىِّ يقلن ليلةَ زِفافها ؟

لُبَيْنَى زوجُها أصْبَـــحَ لا حُرَّ بوادِيه
له فضلٌ على الناس بمَا باتَتْ تُنَاجيه
وقيسٌ ميِّتٌ حقاً صريعٌ فى بَواكيه
فلا يُبعدُه الله وبعداً لنواعيه

فجعل قَيْسٌ يبكى أشدَّ بكاء وجَزِع جَزَعاً شديدا ، وركب من فَوْره حتى أتى محلَّة قومِها ، فناداه النساء : « ما تصنعُ هاهنا الآن ؟ قد نُقِلت لُبْنَى إلى زَوْجها » وجعل الفِتيانُ يعارِضونه بهذه المقالة وشِبْهِها ، وهو لا يجيبهم حتى أتى موضعَ خِبائها ، فنزل عن راحِلته وجعل يَتَمَعَّك فى موضِعها ويمرِّغ خدَّه على ترابها ويبكى ، ويقول :

إلى الله أشكو فقدَ لُبنى كما شكا إلى الله فقدَ الوالدَيْن يتيمُ
يتيمٌ جفاه الأقرَبون بِجسمُه نَحيلٌ وعهد الوالدَين قديمُ
تهيَّضَنى من حبِّ لبنى علائقٌ وأصناف حبٍّ هَوْلُهنَّ عظيم
ومن يتعلّق حبَّ لبنى فؤادُه يمُتْ أو يَعِشْ ماعاش وهو كَليم
وإنّى وإن أجمعتُ عنكِ تجلُّداً على العهدِ فيما بيننَا لمقيم
أفى الحقِّ هذا إن قلبَك فارغٌ صحيحٌ وقلبى فى هواكِ سَقيم

ووجَّهتْ لُبنى إلى قَيْسٍ قاصداً يُعلِمه ما جرى من هَدْر الخليفة دمَه ، ويحذِّره . وبلغ أباه الخبرُ فعاتبَه وتجهمَّه وقال : « انتهى الأمرُ إلى أن يهـــدر السلطانُ دمَك » فقال :

فإن يحجُبوها أو يحُـل دونَ وَصْلِها ... مقالةُ واشٍ أو وعيــدُ أمــير
فلن يمنعوا عَيْـنيَّ من دائِم البُـكا ... ولم يُذهِبوا ما قد أجنَّ ضمـيرى
سأبـكى على لُبنى بعـينٍ غزيرة ... بكاءَ حزينٍ فى الوثـاق أسـير
وكنّا جميعاً قبـل أن يَظهرَ الهوى ... بأنعَمِ حالَىْ غِبطــةٍ وسُرور
فمــا برِح الواشُون حتى بدت لنـا ... بطونُ الهـوى مقلوبةً لظهـور
لقد كنتِ حسبَ النفس لو دام وَصْلُنا ... ولـكنما الدنيـا متـاعُ غرور

وقال فى إهدار معاوية دمَه إن زارها :

فإن تك لُبنى قد أتَى دون قومِها ... حجابٌ منيع ما إليـه سبيلُ
فإن نسيمَ الجوِّ يجمـع بيننَا ... ونُبصِرُ قرنَ الشَّمسِ حين تزُول
وأرواحُنا فى الحىِّ باللَّيل تلتقِى ... ونعلمُ أنَّا بالنهـار نَقِيـل
وتجمعُنا الأرضُ القَرارُ وفوقَنـا ... سماءٌ نرى فيها النجومَ تجَول
إلى أن يعودَ الدهرُ سَلْماً وتَنْقَـضى ... تِراتٌ بغاها عنـدنا وذُحول

وحجَّ قيسُ بن ذَريح ، واتَّفق أن حجت لُبْـنى فى تلك السنة ، فرآها ومعها امرأةٌ من قَومِهـا ، فدَهِش ووَقَف مكانَه ، ومضت لسَبيلها ، ثم أرسلتْ إليه بالمرأة تبلِّغُه السَّلام ، وتسأله عن خَبَرِه ، فألفتْه جالساً مكانَه وحدَه ، يبكى ويُنشد :

ويومَ مِـنًى أعرضْتِ عنِّى فلَمْ أقُل ... بحاجةِ نفسٍ عند لُبنى مقالُها
وفى اليأسِ للنَّفس المريضَةِ راحةٌ ... إذا النفسُ رامتْ خُطَّةً لا تنالُها

فدخلَتْ خِباءه ، وجعلَتْ تحدِّثه عن لُبنى ، ويحدِّثها عن نفسِه ، ولم تعلمه أن لُبْـنَى أرسلتها إليه ، فسألها أن تبلِّغها عنه السلام ، فامتَنَعتْ عليه ، فأنشأ يقول :

إذا طلعت شمسُ النهـار فسلِّمى   فآيةُ تسليمى عليـكِ طلوعُهـا
بعَشْرِ تحيّاتٍ إذا الشمسُ أشرقت   وعَشْرٍ إذا اصفرَّت وحان رُجُوعها
ولو أبلغتْها جارةٌ قَولِىَ اسلَمى   بكَتْ حزَناً وارفضَّ منها دموعُها
وبان الذى يخفَى من الوَجْد فى الحشا   إذا جاءها عنِّى حديثٌ يُروعها

و قَضَى الناسُ حجَّهم وانصرفوا ، فمرض قيسٌ فى طريقه مرضاً شديداً أشفَى منـه ، فلم يأتِه رسولُها عائداً وقد علمت بمرضه[1] ، لأن قومها رأوه ، وعلموا بذلك فقـال :

ألُبـنَى ، لقد جلَّت عليك مُصِيبَتى   غَداةَ غـدٍ إن جـلَّ ما أتوقّع

مِنهـا :

أخـبِّرتِ أنى متُّ فيك بحسرتى[2]   فما فاض من عَينيك للوجد مَدمُع
ولـكنْ لعَمرى قد بكيتُك جاهداً   وإن كان دَائِى كلُّه منكِ أجمَع
صَبيحةَ جاء العائداتُ يَعُدْنَنى   فظلّت علىَّ العائداتُ تفجَّـع
فقائلهٌ جئنـا إليـه وقد قَضَى   وقائلةٌ بل قـد تركنـاه ينزِع
فما غَشِيت عَيْنيكِ من ذاك عَبْرةٌ   وعَيْنِى على مابى لِذِكراكِ تَدْمـع
إذا أنتِ لم تبـكِى علىَّ جنازةً   لديكِ فلا تبـكِى غداً حين أرفع

وبلغَتْها الأبيات ، فجزِعت وبكَت بكاءً شديداً ، ثم خرجتْ إليه ليلاً علىمَوْعِد ، فاعتذرَت وقالت : « إنمَّا أُبقِى عليك ، وأَخْشى أن تُقْتَل ، فأنا أتجافاكَ[3] لذلك ، ولولا هذا لما افترقنا » . وودَّعته وانصرفت .

---

(١) وقد علمت بمرضه ، كبر يلى : ليست فى الأغانى ، وفى المخطوطتين بعد: وعلموا بذلك .
(٢) فيك ميت بحسرة ، الأغانى ؛ بحسرة ، المخطوطتان .
(٣) أتحاماك ،الأغانى .

وبلغه فى مَرَضِه أن أهلَها قالوا لها : « إنَّه عليلٌ لما به ، وإنه سيموتُ فى سَفَره هذا » . فقالت لهم ـ لتدفعَهم عن نفسها ـ : « ما أُراه إلا كاذباً فيما يدَّعى ، ومتعللا لا عليلا » . فبلغه ذلك فقال :

تـكاد بلادُ اللهِ يا أمَّ معْمَرٍ ... بمـا رَحُبت يوماً علىَّ تضيق
تـكذِّبنى بالودِّ لُبنَى وليتها ... تُـكلَّف منِّى مثلَه فتـذُوق
ولو تعلمينَ الغيبَ أيقنتِ أنَّنى ... لـكم ، والهدايا المُشعَراتِ ، صديق
تتوقُ إليكِ النفسُ ثم أردُّها ... حياءً ، ومثلى بالحيـاءِ خليق
وحدَّثتَنى يا قلبُ أنك صابرٌ ... على البُعد من لُبنى فلستَ تطيق
فمتْ كمداً أو عِشْ سقيماً ، فإنما ... تـكلِّفنى ما لا أراكَ تُطيق
أطعتُ وشاةً لم يكن لكَ فيهم ... خليـلٌ ولا جارٍ عليك شفيقُ
بلُبنى أنادِى عنـدَ أوَّلِ غَشْيَةٍ ... ويَثْنى بها الداعى بها فأفيـقُ

منها :

صَبوحى إذا ما ذرَّت الشمسُ ذِكرُكم ... ولى ذِكرُكم عند المَسـاء غَبُوق
هـل الصبرُ إلا أن أصُدَّ فلا أرى ... بأرضكِ إلَّا أن يـكونَ طريق

ثم إن قيساً أتى أهله ، فاقتطع قطعةً من إبله ، وأعلم أباه أنه يريدُ بها المدينةَ ليبيعها ، ويمتارَ لأهله بثمنها . فعرَف أنه إنما يريدُ لُبنى ، فعاتَبه وزَجَره عن ذلك فلم يقبلْ منه . وأخذَ إبله ، وقدِم بها المدينة ، فبينا هو يعرِضُها إذ ساوَمه زوجُ لُبنى بناقة منها ، وهما لا يتعرَّفان [1] فباعـه إيَّاها ، فقال : « إذا كان فى غَـدٍ فائتنى فى دار كَثير بن الصَّلت ، فاقبض الثمن » ، قال : « نعم » ومضى زوجُ لُبنى إليها ، فقال : إنى ابتعتُ ناقةً من رجل من أهل البادية ، وهو يأتينا غداً لقبض الثمن ، فأعدِّى له طعاما ، ففعلَت . فلما كان من الغَد جاء فصوَّت بالخادم : « قولى لمولاك :

(١) يتعرفان ، كبريلى : يتعارفان ، الأغانى ؛ يشعران ، المخطوطتان .

صاحبُ الناقة بالباب » . فعرفَت لبنى نَغْمته ، فلم تقُل شيئاً ، فقال زَوجها للخادم : « قولى له يدخل » ، فدخل فجلَس ، فقالت لُبنى للخادم : قولى له : « يافتى ، أراكَ أشْعثَ أغْبَر » . فقالت له ، فتنفَّس ثم قال : « هكذا يكونُ حالُ من فارق الأحبَّة ، واختار الموتَ على الحياة » ، وبكى . فقالت لها لبنى : قولى له:«حدِّثنا حديثك » . فلما ابتدأ يحدِّثهم كشفَت الحجاب وقالت : حسبك ، فبُهِت ساعة ، لا يتكلَّم ، ثم انفحمَ(١) باكياً ، ونهض فخرج ، فناداه زوجُها : « ويحك ! ما قِصَّتك ؟ ارجع فاقَبِض ثمنَ ناقتك ، وإن شِئْتَ زدناك » . فلم يكلِّمه ، واغترَزَ فى رحْلِه ومضى . فقالت لُبنى لزَوْجها : « هذا قَيْس بن ذريح ، فما حَمَلك على ما فعلتَ به ؟ فقال : « ما عرفتُه » . وجعل قيسٌ يبكى فى طريقِهِ ، ويندُب نفسه ويوبخِّها على فعلها ، ويقول :

أتبكى على لُبْنَى وأنت تركتَها ... وأنتَ عليها بالملا كنت أقدر
فإن تكن الدنيا بلُبنى تقلَّبت ... فللدَّهر والدنيا بُطونٌ وأظهر
لقد كان فيها للأمانةِ موضعٌ ... وللكفِّ مُرْتادٌ وللعين مَنظر
وللحائِم العطشانِ رِىٌّ بريقِها ... وللمَرِح المختال خَمْرٌ ومُسكِر
كأنِّى فى أرجُوحة بينَ أحْبُلٍ ... إذا ذُكْرَةٌ منها على القلبِ تَخْطُر

وعاد إلى قومه بعد رُؤيته إيَّاها ، وقد أنكر نفسه ، ولحقه أمرٌ عظيم ، فأنكَروه وسَألوه عن حاله ، فلم يخبرهم ، ومَرِض مرضاً شديدا ، أشفى منه على الموت . فدخلَ إليه أبُوه ، ورجالٌ من قومه ، وعاتَبوه ، وناشَدوه الله ، فقال لهم : «ويحكم ! أتُرَونى أمرضتُ نفسى ، أو وجدْتُ لها سَلْوَةً بعد اليأس ، فاخترتُ البلاء ، أَوَلِى فى ذلك صُنْع ؟ هذا ما اختارَه لى أبواى ، وقتَلانى به » . فجعل أبوه يبكى ، ويدعُو له بالفَرَج والسَّلوة ، فقال قيس :

(١) انفحم ، كبريلى ، والمخطوطتان : انفجر ، الأغانى .

لقد عذَّبتَنى يا حبَّ لُبنى ... فقعْ إما بموتٍ أو حياةِ

فإنَّ الموتَ أروَحُ من حياةٍ ... تدومعلى التباعُد والشتاتِ

وقال الأقربونَ: تعزَّ عنها ... فقلت: نعم،إذاحانَت وفاتى

ودسَّت إليه لُبنى بعد خُروجهرسولا ، وقالت: «استَنْشِده، فإذا سألك عن نَسَبك فانتَسِبْ له خُزَاعِيًّا ، فإذا أنشدكَ قل له : فلِمَ تزوَّجت بعدهـا حتى أجابَتْ إلى أن تتزوَّج بعدك ، واحفظ ما يقوله إلى أن توردَه علَىّ » . فأتاه الرسول ، فسلَّمَ عليه ، وانتَسب خُزاعياً ، وذكر أنه من أهل الشام ، واستنشده فأنشدَه ، فقال له الرجل : فلِم تزوَّجتَ بعدها؟ فأخبره بخَبَره ، وحلف له أن عينهما اكتَحَلَت بالمرأةالتى تزوَّجها ، ولو رآها فى نِسوةٍ ما عرفها ، وأنَّه ما مدَّ يدَه إليها ولا كلَّمها ، ولا كشف لها ثوباً. فقال له الرجل : « فإنى جارٌ لها ، وإنها لمن الوَجد على حال قـد تمنَّى زوجُها أن تـكون قريباً منها ، ليصلُح حالها بِك . فحمِّلنى إليها ما شئتَ أؤدِّه إليها » ، فقال : « تعودُ إلىّ إذا أردت الرحيل » . فعاد إليه . فقال : « تقول لها :

ألا حىِّ لُبنى اليومَ إن كنتَ غادِيا ... وألْمِمْ بها من قَبلِ ألّا تلاقِيا

وهى طويلةٌ مخلَّطة بقصيدة المجنون .

وشُهِر أمرُ قيسٍ بالمدينة ، وغُنِّى فى شعره . فلم يبقَ شريفٌ ولا وضيعٌ إلا سمِع بذلك وأعجَبه وحزن لقيسٍ ما به . وجاء زوجُها فأنَّبها على ذلك وعاتَبها وقال : « قد فَضَحتِنى بذكرك » . فغضِبت وقالت : « يا هــذا ، إنى والله ما تزوَّجتُك رغبةً فيك ، ولا فيما عندك ، ولا دُلِّس أمرى عليك ، ولقد علمتَ أنى كنتُ زوجته قبلك، وأنه أُكرِه على طلاقى . ووالله ماقبِلتُ التزويجَ حتى أُهدِرَ دمُه إن ألمّ بحيِّنا، فخشيتُ أن يحملَه ما يجدُ على المخاطرة فيُقتل فتزوّجتُك . وأمرُكَ الآنَ إليك ، ففارِقْنى ، فلا حاجةَ لى بِك » . فأمسكَ عن جوابها، وجعل يأتِيها بجوارِى المدينة،

يغنِّينَها بشعر قَيْسٍ فيها ، ليَسْتَصْلِحها بذلك ، فلا تزدادُ منه إلا بُعدًا ، ولا تزال تبكى ، كلَّما سَمِعَت شيئاً من ذلك ، أحرَّ بكاء وأشجاه .

وكان بالمدينة امرأةٌ من موالى بنى زُهرة ، يقال لها بُرَيْكة ، من أظرفِ النِّساء وأكرمهنّ ، وكان لها زَوج من قُريش ، وله دارُ ضِيافة . فلما طالت عِلَّة قيس قال له أبوه : « إنّى لأعلمُ أن شِفَاءَك فى القُرب من لُبنى ، فارحَل إلى المدينة » . فرحَلَ إليها حتى أتى دار الضِّيافة التى لزَوْج بُرَيْكة . فوثَب غِلمانه إلى رَحْله ليحطُّوه ، فقال : « لستُ بنازِلٍ أو ألقَى بُرَيكة ، فإنِّى قصدتُها فى حاجة ، فإن وجدتُ لها عندها موضعاً نزلت بكم ، وإلا رَحَلت » . فأتوها فأخبَرُوها ، فخرجت إليه وسلَّمت عليه ورحَّبت به ، وقالت : « حاجتُك مقضيَّةٌ ما كانت ، فانزِل » . فنزل ودنا منها ، وقال : « أذكرُ حاجتى ؟ » قالت : « إن شئتَ » . قال : « أنا قيسُ بن ذريح » . فقالت : « حيَّاك الله وقرَّبك ! إن ذكرَك عندنا لجديدٌ كلَّ وقت » . قال : « وحاجتى أن أرى لُبنى نظرةً واحدة كيف شئتِ » ، قالت : « ذلك علىّ » . فنزل وأقام عندَهم ، وأخفَتْ خبرَه . ثم أهدى لها هَدايا كثيرة وقال : « لاطِفِيها وزوجَها بهذه ، حتى يأنسَ بك » . ففعلتْ وزارتْها مِراراً ، ثم قالت لزَوجها : « أخبرْنى عنك ، أنت خير من زَوجى ؟ » قال : « لا » ، قالت : « فلُبنى خيرٌ منِّى ؟ » قال : «لا» ، قالت : « فما بالى أزورُها ولا تزورُنى؟» قال : « ذلك إليها » . فأتَتْها وسألتْها الزيارة ، وأعْلَمتها أن قيساً عندها . فسارعَت إلى ذلك وأَتتْها . فلما رآها ورأَتْه بكيا حتى كادا يتلفان ، ثم جعَلت تسأله عن خبره وعلَّته ، ويسألها فتخبرُه ، ثم قالت له : أنشِدنى . فأنشدَها :

ألا ليتَ أياماً مضَيْن تعـودُ ... فإنْ عُدْنَ يوماً إنّى لسعيد
سقى دارَ[1] لُبنى حيث حلَّت وخيَّمت ... من الأرض منهلُّ الغمام رَعُود

(١) دار ، الأغانى : وجه ، كبريلى والمخطوطتان .

أعالجُ من نفسى بقايا حُشاشةٍ على ظَمأٍ[1] والعائداتُ تعود
فإن ذكَرُوا لُبنى هَشَشْتُ لذكرِها كما هشَّ للثَّدْى الدَّرُور وَلِيدُ
أجيبُ بلُبنى من دعانى تجلُّدًا ولى زَفَراتٌ تنجلى وتعُود
تُعيدُ إلى رُوحِى الحياةَ وإنَّنى بنَفْسى لَوْ عَايَنْتَنى لأجُود
سلا كلُّ ذى وَجدٍ علمتُ مكانه وقلبى للبُنَى ما حييتُ وَدود

وعاتبته على تزوُّجه ، فحلف لها أنه لم ينظُر إليها بملء عينيه ، ولا دَنَا منها . فصدّقته . وقال :

ولقد أردتُ الصبرَ عنك فعاقنى عَلَق بقلبى من هواك قديم
يبقى على حَدَث الزّمان وريْبه وعلى جَفائِك ، إنه لكريم
ولو أنَّنى أضمرتُ فيك خيانةً لنَبا بِهِ قلبٌ إليكِ يهيمُ
فصَرمته وصَحَحْتِ وهو بدائه شتَّان بينَ مصحَّح وسقيم

ولم يزل يومَه معها يحدِّثها ، ويشكو إليها ، أكرمَ حديثٍ ، وأعفّ شكوى حتى أمست وانصرفت ، ووعدَتْه الرجوعَ إليه من غدٍ ، فلم ترجع ، وشاع خبرُه فلم ترسل إليه رسولًا . فكتب هذه الأبياتَ ورفعها إلى بُرَيْكة ، ورحل متوجِّهاً إلى معاوية . وهى :

بنفسىَ من قَلبى له الدّهر ذاكرٌ ومَن هُو عنِّى معرِضُ القلب صابر
ومن حبُّه يزداد عندِى تجددا[2] وحبِّى لديه مخلِق العهد داثر

فلما دخل على يزيد وامتدَحه[3] ، وشكا مابه إليه ، فرقَّ له وقال[4] له : « سَلْ

(١) رمق : الأغانى .
(٢) جدة ، الأغانى .
(٣) على يزيد وامتدحه : على معاوية ويزيد وامتدحهما ، كبريلى والمخطوطتان .
(٤) إليهما فرقا ، كبريلى والمخطوطتان .

ما شِئتَ ، إن شئتَ كتبتُ إلى زَوْجها ، واحتِّم عليه أن يطلّقِها فعلت » ، قال : « لا أريدُ ذلك ، ولكن أحبُّ أن أُقيمَ حيثُ تقيم من البلاد ، فأعرِفَ أخبارَها ، وأقنعَ بذلك من غير أن يُهْدَر دمى » . فقال : لو سألتَ هذا من غير أن ترحلَ إلينا لما وجب أن نمنعه ، فأقم حيثُ شئت » وأخذ كتاب معاوية بأن يقيمَ حيثُ أحبّ ، ولا يعترض عليه(١) أحد ، وأزالَ ما كان كتبَ به من إهدار دَمِه . فقدِم إلى بلَدِه ، وبلغ خبرُه الفزاريّين وإلمامُه بلُبنى ، فكاتبوه بذلك وعاتَبوه ، فقال للرّسول : « قل للفتى ، يعنى أخا الجارية التى تزوّجها : يا أخى ، ما غرَرْتُك بنفسى ، وقد أعلمتُك أنّى مشغولٌ عن كل أحد ، وقد جعلتُ أمرَ أختِك إليك ، فأمضِ فيه حكمَكَ » فتكرّم الفتى عن أن يفرّق بينهما ، فمكثتْ فى حِباله مدّةً ، ثم ماتت .

قال ابنُ أبى عَتِيق لقيس : « أنشِدْنى آخرَ ما قلتَه فى لُبنى » ، فأنشده :

وإنى لأهوى النَّوم من غير نَعْسَةٍ ... لعلّ لقاها فى المنام يكونُ
تخبّرُنى الأحلامُ أنى أراكُم ... فيا ليتَ أحلامَ المنام يقين
شهدتُ بأنّى لم أحُل عن مودّتى ... وإنى بكم لو تعلمين ضَنِين
وأنّ فؤادى لا يَلين إلى هوًى ... سواكِ وإن قالوا بلى سيَلين

فقال له ابن أبى عتيق : « لقلّ ما رضيتَ به منها يا قيْس » . فقال : « ذلك جُهْدُ المقلّ » .

ومن شعره أيضاً :

سقى طَلَلَ الدار التى أنتُمُ بها ... حياً ثم وَبْلٌ صيِّف وربيعُ
مضى زمنٌ والناسُ يَسْتَشْفِعُون بى ... فهلْ لى إلى لُبنى الغداةَ شفيعُ

---

(١) ولا يعرض له ، المخطوطتان .

منها :

يقولون صَبٌّ بالنِّساء موكَّل — وهل ذاكَ من فِعل الزمان بديع
فقدتُكِ من نَفْسٍ شَعاع ألم أكُن — نَهيتُكِ عن هـذا ونحن جميع
فقرَّبتِ لى غيرَ القريب وأشرفَتْ — هنـاكَ ثَنَايا ما لهنَّ طلوع
فيا حجرات الدار حيثُ تحمَّلوا — بذى سَـلَمٍ لا جادَكُنَّ ربيع
ولو لم يهِجْنى الظاعنون لهَاجَنِى — حمائمُ وُرقٌ فى الديار وُقوع
تَدَاعَيْنَ فاستبكَينَ من كان ذا هوًى — نوائحَ لم يقطُر لهن دُموع
إذا أمرَتْنى العاذِلاتُ بهَجرها — نبت كَبِدٌ عمـا يقُلْنَ صَدُوعُ[1]
وكيف أطيعُ العاذلاتِ وذكرُها — يؤرِّقنى والعاذلاتُ هُجُـوع

كان أبو السائبِ فى سَقِيفةٍ مع عبد الرحمن بن عبد الله بن كَثِير ، فمرَّت جِنازةٌ ، فقال عبدُ الرحمن : « يا أبا السائب ، جارك ابنُ كَلَدة ، ألا تقوم بنا نصلِّى عليه ! » قال فقلت : « بلى والله » . فقمنا حتى إذا كنَّا ببعضِ الطريق[2] ذكرتُ أنّه كان[3] تزوج لُبنى ، وفرَّق بينها وبين قيس ، لما رحَل بها إلى المدينة ، فرجعتُ فطرحتُ نفسى[4] ، وقلتُ : « لا يرانى الله أصلِّى عليه » . فرجع عبد الرحمن فقال : « أكنتَ جُنُبا ؟ » فقلت : « لا والله » ، قال : « أفعلى غيرِ وُضوء ؟ » قلت : « لا والله » قال : « فما لك ؟ » قلت : « تذكَّرت أن جدَّه كان تزوَّج لُبنى ، وفرَّق بينها وبين قَيْس ، لما رحل بها عن بلادها . فما كنت لأصلِّى عليه » .

قال الخليلُ بن سَعد : مررتُ بسوق الطَّير ، فإذا الناسُ قد اجتمعوا ، يركَبُ

---

(١) صديع ، الأغانى .

(٢) ببعض الطريق : عند دار أديس ، الأغانى .

(٣) أن جده كان ، الأغانى :

(٤) فطرحت نفسى فى السقيفة ، الأغانى .

بعضُهم بعضاً ، فاطّلعت ، فإذا أبو السائبِ المخزومى قائمٌ على غُرابٍ يُباع ، وقد أخذَ طرفَ ردائه ، وهو يقول للغُراب : « أيقولُ لك قَيْس بن ذَرِيح :

ألا يا غرابَ البَيْنِ قد طِرتَ بالذى — أُحاذِرُ من لُبنى فهل أنت وَاقع

ولا تقع » ثم يضرِبُه بردائه ، والغرابُ يصيح ، فقال له قائل: « يا أبا السائب ، ليسَ هذا ذلك الغُراب ». فقال: « قد علمت ، ولكنى آخُذُ البرىءَ بالسقيم حتى يقع النَّطِف ».

ولما بلغ لُبنى قولُ قيس :

ألا يا غرابَ البَيْن قد طرتَ بالذى — أُحاذِر من لُبنى فهل أنت واقع ؟

قالت: « لا أرى غراباً إلا قتلته » ، فكانت كلَّما رأته أو رأته خادمٌ لها أو جارةٌ ابتيع ممَّن هو معه وذبحَتْه .

وهذه القصيدة من جيِّد قصائده ، والمختار منها :

أتبكى على لُبْنى وأنتَ تركتَها — فكنتَ كآتٍ حتفَه وهو طائع
فيا قلبُ صبراً واعترافاً بحبِّها — ويا حبَّها قَعْ بالذى أنت واقع
ويا قلبُ خبرِّنى ، إذا شطَّت النوى — بلُبْنى وبانَتْ عنك ، ما أنت صانع ؟
فما أنتَ مُذ بانَتْ لُبينَى بهاجعٍ — إذا ما اطمأنَّت بالنيام المضاجع
كأن بلادَ الله ما لم تكن بها — وإن كان فيها الناسُ وَحْشٌ بلاقع
أقضّى نهارى بالحديثِ وبالمنى — ويجمعُنى والهمَّ بالليل جامع
نهارى نهارُ النّاس حتى إذا بدا — لى الليلُ هزَّتنى إليك المضاجع
لقد ثبتَتْ فى القلبِ منكِ محبَّة — كما ثبتَتْ فى الراحتَين الأصابع
فلا تبكيَنْ فى إثر لُبنى ندامة — وقد نزَعتها من يدَيْك النوازع
فليس لأمرٍ حاول الله جمعَه — مُشتٌّ ولا ما فرّق الله جامعُ

واختُلِف فى آخر أمر لبنى وقيس ، فذُكِر أنهما ماتا على افتراقِهما ، فقيل: إنه ماتَ قبلَها ، فبلغَها ذلك ، فماتت أسفاً وحزناً عليه . ومنهم من قال : إنَّ لُبْنى ماتت

قبلَه ، فخرج قيسٌ فى جماعةٍ من أهله ، فوقف على قبرِها وقال :

ماتَتْ لُبنى فموتُهــا مَوْتِى   هل تنفعنْ حَسْرتى على الفَوْتِ

فسوف أبـــكى بكاءَ مكتئبٍ   قضَى حياةً وَجْــداً على مَيْتِ

ثم أكبَّ على القبر يبكى ، حتى أُغمِىَ عليه فرفعه أهلُه إلى منزلِه ، وهو لا يعقل .
فلم يزل عليلا ، لا يفيق ولا يجيب مكلِّما ، ثم مات فدفن إلى جانبها .

وقيل: إنَّ ابنَ أبى عَتيق صار إلى الحسَن والحُسَين ، ابنَىْ علىٍّ بن أبى طالب رضوان الله عليهم ، وعبدِ الله بن جعفر ، وجماعةٍ من قريش ، فقال لهم : «إنَّ لى حاجةً إلى رجُل ، أخشى أن يردَّنى فيها ، وإنِّى أستعينُ بجاهِكم وأموالِكم عليه » . قالوا : « ذلك مبذول منّا » ، فاجتمعوا ليوم وَعَدهم فيه ، فمضى بهم إلى زَوْج لُبـنَى ، فلما رآهم أعظَمَ مصيرَهم إليه وأكبره ، فقالوا : « قد جئناك بأجمَعِنا فى حاجةٍ لابن أبى عَتيق » . فقال : « هى مَقْضِيَّة كائنةً ما كانت » قال ابنُ أبى عتيق: «قد قضيتَها كائنةً ما كانت من أهـلٍ ومالٍ ومِلْك ؟ » قال : « نعم » ، قال : تهَبُ لى ولهم لُبْنى زوجتَك وتطلقُها ». قال: « أشهِدُكم أنها طالقٌ ثلاثاً » . فاستحيي القوم واعتذَرُوا، وقالوا : « والله ما عرَفنا حاجتَه ، ولو عرفنا أنَّها هذه ما سألناك إيّاها » . وقيل : إن الحسينَ رضى الله عنه عوَّضه عن ذلك مائةَ ألفِ درهم ، وحملها إلى ابن أبى عتيق ليحملَها إليه فلم تَزَلْ عنده حتَّى انقضتْ عدَّتُها . فسأل القومُ أباها ، فزوَّجها قيساً ولم تزلْ مَعَه حتى ماتا . وقال قيس يمدح ابن أبى عتيق :

جزى الرحمنُ أفضلَ ما يجازِى   على الإحسان خيراً من صديق

فقد جرَّبتُ إخوانى جميعــاً   فما ألفَيْتُ كابنِ أبى عَتِيق

سَعَى فى جَمْع شملى بعد صَدْعٍ   ورأيٍ حدتُ فيه عن طريق

وأطفأ لَوْعــةً كانت بقلبى   أغصَّتنى حَرارتُهــا بريــق

فقال له ابنُ أبى عَتيق: ياحبيبى ، أمسكْ عن هذا المديح ، فما يسمعُه أحدٌ إلا يظنُّنى قوَّادا .

قـــلم الصالحية

جاريةُ صالح بنِ عبدِ الوهّاب ، أخِى أحمدَ بن عبد الوهّاب ، كاتبِ صالح بن الرّشيد . جاريةٌ صفراء مولَّدة حُلوة ، حسنةُ الغِناء والضَّرب ، اشتَراها الواثِق بعشرة آلاف دِينار ، لأنَّه غُنِّىَ بين يدَيه يوماً لَحْنٌ لها ، فى شِعر محمَّد بن كُناسة . وهـو :

فىَّ انقباضٌ وحشمة فإذَا صادفتُ أهلَ الوفاء والـكرم

أرسلتُ نفسى على سجيَّتِهـا وقلتُ ما قلتُ غير محتَشِم

فطرب وسأل : « لمن الصنعة ؟ » فقيـل : « لقَلَم الصَّالحية ، جاريةِ صالح بن عبد الوهّاب » ، فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيّات ، فأحضره فقال : « ويلَك ! مَنْ صالحُ بن عبد الوهاب ؟ » قال : « ببغداد » ، قال : فأَشْخِصْه ، وأشخِص معه جاريتَه قلم » . فـكتَبَ فى إشخاصهما ، فقدِما على الواثِق . فدخلَتْ قَلَم ، فأمرَها بالجلوس والغِناء ، فغنَّت ، فاستَحْسن غِناءَها ، وأَمَر بابتِياعِها ، فقال صالح : « أبيعُها بمائةِ ألفِ دينار ووِلاية مِصر » . فغَضِب الواثقُ من ذلك ، وردّها عليه . ثم غـنَّى بعد ذلك زُرْزُر الـكبيرُ فى مَجلِس الواثِق صوتاً لها ، فى شِعرِ أحمدَ بن عبد الوهّاب ، أخى سيِّدها :

أبَتْ دار الأحبَّـة أن تبِينا أجِدكَ هل رأيتَ لهم قَطِينا[٢]

تَقَطَّعُ نفسُه من حبِّ ليـلى نُفُوساً ما أُثِبْنَ ولا جُزِينا

فسأل عن الغناء ، فقيل : « لقلم الصالحيّة » . فبعثَ إلى نائبٍ له : « أشخِص صالحاً ومَعَه جاريتَه قَلَم » . فأشخَصَهُما . فدخلَتْ على الواثق . فأمرَها أن تغنِّيه

---

(١) أجدك ما رأيت لها معينا ، الأغانى .

الصوتَ ، فغنّته ، فقال : « الصَّنعةُ فيه لكِ ؟» قالت : « نعم ، يا أميرَ المؤمنين » . قال : « باركَ الله عليكِ » . وبعث إلى صالح فأحضره ، فقال : « إنِّى قد رغِبتُ فى هذه الجارية ، فاسْتَمْ فى ثمنِها سَوْماً يجوز أن تُعطاه » . فقال : « أما إذا وقعتْ الرغبةُ فيها من أمير المؤمنين ، فما يجوزُ أن أملكَ شيئاً له فيه رغبة ، وقد أهدَيتُها إلى أمير المؤمنين ، فإنَّ من حقها علَىّ إذا تناهَيْتَ فى قضائه أن أصيِّرَها فى ملكه ، فباركَ الله لكَ فيها » فقال الواثق : « قد قبلتُها » . وأمر ابنَ الزيّات أن يدفعَ إليه خمسةَ آلافِ دينار ، وسمَّاها احْتياطاً(١) . فمطلَه ابنُ الزيّات بالمال ، ولم يُعطِه له ، فوجّه صالحٌ إلى قلمٍ من أعلَمها بذلك ، فغنّت الواثقَ صوتاً ، وقد اصْطَبح ، فقال لها : « باركَ الله فيكِ ، وفيمن ربّاكِ » . فقالت له : « يا سيِّدى ، وما نفعُ من ربّانى منى إلا التعبُ والغُرمُ ، والخروجُ منى(٢) صِفراً » ، فقال : « أوَ لَمْ نأمرْ له بخمسةِ آلافِ دِينار ! » قالت : « بَلَى ، ولكنّ ابنَ الزيّات لم يعطِه شيئاً » . فدعا بخادم من خاصَّة الخدم ، ووقَّع إلى ابن الزيّات بحَمْل خمسة الآلاف دينار(٣) إليه ، وخمسةِ آلاف دينارٍ أخرى . قال صالح : فصرتُ مع الخادِم إليه بالكِتاب ، فقرَّبنى وقال : « أما خمسة الآلاف دينار(٣) الأُولى فقد حَضَرت ، وخمسةُ الآلاف الأُخرى ، أنا أدفعُها إليك بعد جمعة » فقمتُ . ثم تناسانى كأنَّه لم يعرفنى ، فكتبتُ إليه أقتَضِيه ، فبعثَ إلىّ . « اكتُب لى قبضاً بها ، وخُذْها بعد جُمعة » ، فكرِهتُ أن أكتبَ قبضاً ، فلا يصحُّ لى شىء . فاستَتَرْتُ فى منزل صديقٍ لى . فلما بلغَه استِتارى خافَ أن أشكُوَه إلى الواثق ؛ فبعثَ إلىّ بالمال ، وأخذ كتابى بالقَبض . ثم لقيَنى الخادمُ بعد ذلك فقال : « أمرَنى أميرُ المؤمنين أن أصيرَ إليك ، فأسألك : هل

---

(١) احتياطا ، الأغانى : اغتباطا ، كبريلى والمخطوطتان .

(٢) من يده ، المخطوطتان .

(٣) الدينار ، الأغانى .

قبضتَ المال ؟ » قلت : « نعم ، قد قبضته » . قال صالح : وابتعْتُ بالمال ضَيْعة ، وجعلتُها معَاشى ، وقعدتُ عن عَمَل السلطان ، فما تعرّضت لشيء بعدها .

وقيل: إنّ الواثق لما بويع له بالخلافة دخل عليه ابنُ الجهم فأنشده :

قد فاز ذُو الدّنيا وذو الدِّين   بدَوْلة الواثــقِ هارونِ
عَمّ بالإحسان من فضله   فالناسُ فى خَفْضٍ وفى لين
ما أكثرَ الــدّاعى له بالبقا   وأكثرَ التالى بآمينِ

وأنشده أيضا :

وثِقَتْ بالملكِ الوا   ثِقِ بالله النفوسُ
مَلِكٌ يشقَى به المـا   لُ ولا يشْقى الجليسُ
أسَدٌ تَضْحك عن شَـ   دّاته الحربُ العَبوس
يا بَنى العبّاس يأبـ   ى الله إلا أن تسُوسوا

فوصلَه الواثقُ صِلةَ سنيَّة . وغنَّت قلَمٌ فى الشِّعرين ، فسمعَهما الواثقُ من غيرِها . وأمر محمَّدَ بن عبد الملك الزيّات بإحضارِها وإحضار مولاها ، فاشتراها منه بعشرة آلاف دينار .

قيس بن عاصم المنقرى

هو قَيْسُ بن عاصِم بن سِنان بن خالد بن مِنْقَر بن عُبَيْد بن مُقاعِس ، واسم مقاعس الحارثُ بن عمرو بن كعب بن سَعد بن زَيْد مَناَة بن تميم ، وكُنيته أبو على ، وأمُّه أمّ أصْعَر بنتُ خليفة بن جَرْول بن مِنقر .

وهو شاعرٌ فارسٌ شُجاع ، حليمٌ كثير الغارات ، مظفَّر فيهـــا . أدرك الجـــاهليَّة ، والإســلام ، وساد فيهما ، وهو أحدُ من وأَد بناته فى الجاهلية وحَسُن إسلامه ، وأتى النبيَّ صلّى الله عليه وسلم (1)وصَحِبهُ فى حَياته ، وعَمّر بعدَ وفاته زماناً ، ورَوى عنه الحديث ، ولمـا وفد على النبى صلى الله عليه وسلم(1) قال : هذا سيِّد أهل الوَبَر . وسأَلهُ بعضُ الأَنصار عما يُتحدَّث به عنه من الموءودات التى وأدَهُنَّ من بناتِه ، فأخبَرَ أنَّه ما وُلِدَتْ له بنتٌ قطّ إلا وأَدَها ، ثم أقبل على رسُول الله صلى الله عليه وسلم : فقال : « كنتُ أخافُ سُوءَ الأُحْدُوثَة فى البَنات » ، فقال له النبى(2) صلّى الله عليه وسلّم : « كم وَأَدتَ ؟ » قال : « ثمانِى بنات من ثمانى نسوة » ، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليـــه وسلم : « أما رحمتَ منهنّ واحدة ! » قال : « لا والله ، ما رحمت منهن إلّا واحِدَة » ، قال : « وما بالُها من بَيْنِهنَّ ؟ » قال : « لمـــا حَضَر أمَّها الطلقُ استأْذَنتنى أن تَلِد فى أهلها ، فأذِنْتُ لها وقلت لها : إن كان غُلاماً فذاك ، وإن كان جاريةً فلا أسمعنّ لها صوتاً ، ولا أرَيَنَّ لها وجها . فولدت جاريةً فرقَّت عليها ، ولم تَئِدْها ، ودَفَعَتْها إلى أخوالها ، فكانت فيهم ، وقَدِمت فسألتُها عن الحمل ، فقالت : ولدت جارية فوأدتها(3) ، ومضت على ذلك سِنون ،

(1) وصحبه ... وسلم ، كوريلى : ساقطة فى المخطوطتين .

(2) رسول الله ، المخطوطتان .

(3) ولدت ولدا ميتا ، الأغانى .

حتى كَبِرت وَيفَعت ، فزارت أُمَّها ذاتَ يوم ، فدخلتُ فرأيتها وقد ضَفَرت شعرها ، وجعلَتْ فى قرونها شيئاً من ودع ، وألبستها قِلادةَ جَزْع ، وجعلت فى عُنقِها مِخْنقة ، فاسْتَكْيَسْتُها وقلتُ : من هذه الصبيَّة ؟ فقد أعجبنى كَيْسُها وجمالُها ، ولو كانتْ هٰذه ابنَتى ما باليتُ فبكَتْ أمُّها وقالت : هذه ابنتُك ، كنت خبَّرتُك أنى وَأَدْتُها ، وجَعَلتُها عند أخوالها ، حتى بلغَت هذا المبلَغ . فأمسكتُ عنها حتى اشتَغلت أمُّها ، ثم أخرجتُها يوماً ، فحفرت لها حُفْرة وجعلتها فيها ، وهى تقول : ياأبَتِ أمغطِّنى أنتَ بالتراب، وتاركى وَحْدى، ومُنصرفٌ عنِّى؟ وجعلتُ أقذف عليها الترابَ وهى تقولُ ذلك، حتَّى واريتُها وانقطَع صوتُها ، ثم ناديتُها — وأنا أظنُّ أنها هلكت — : يا فلانة ، فقالت : لبَّيكَ يا أبتِ ! أنشُدكَ الرَّحِم . فهِلتُ عليها التراب . فبكَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم حتى تَخَلّج ببكائه ، وقال : إن هذه لقسْوة ، وإنَّ من لا يرحَم لا يُرحَم ، أو كما قال .

قال أبو هريرة : دخل قيسُ بن عاصِم على النبيِّ صلى الله عليه وسلّم ، وفى حِجْره بعضُ بناتِه يَشَمُّها فقال : « ما هذه السَّخلَةُ تَشَمُّها ؟ » فقال : « هذه ابْنَتى » . فقال: «والله لقد وُلِد لى ثمانون[1] ، ووأدت ثمانية[2] . ماشممت منهنَّ أنثى ولا ذكرا قطّ». فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم:«فهل إلّا أنّ الله تعالى نَزَع الرحمةَ مِنك » .

وكان السببُ فى وأدِ قيس بِناتَه أن المُشَمْرجَ اليَشْكُرىَّ — واسمه عبدُ الله — أغار على بنى سَعد ، فسَبَى منهم نِساءً ، واستاق أموالاً . وكان فى النساء رميمُ بنتُ عمرو بن مُنازل ، وأمُّها أختُ قَيْس بن عاصم . فلما أقبل الشهر الحرام أقبل قَيْسُ بن عاصم فى ركب من أصحابه ، حتى أتى عَمْرو بنَ المُشَمرج ، فنزَل به . وطلبَ إليه فى رَمِيم ، فوجدَه قد اصطَفاها لنَفْسه . فضرب عليه قبَّة ، ونَحَر له ثم قال له :

(١) بنون ، الأغانى .

(٢) بنيات ، الأغانى .

« ما كنتُ بالذى أدْفَعُها إليكَ قبل أن أعلمَ ما عندها ، ولكنى أخيِّرها وأفعل ما أحبَّت » . فقال له قَيْس : « قضيتَ لعمرُ الله ما عليك ، إذا فعلت ذلك » . فأخذ عَمرو بيده فأدخلَه عليها ، ثم قال : « يا رَمِيم ، هـذا خالُك سيِّد قومِه ، وأنا من تَعرفين فى موضِعى وشَرفى وصَنِيعى إليك ، وأنا أخيِّرك بينَ المُقام معِى والرحيل معه » ثم خرج وتركها . فقالت لِقَيْس : « أرأيتَ لو خَطبنى إليكَ أكنت مُزوِّجه إيّاى ؟ » قال : « إى والله ! إنه لـكُفْءٌ كريم » . قالت : « فلستُ بمُختارةٍ عليه أحداً » . قال : « أنشدُكِ الله ، فإن العربَ قد سَمِعت بمسِيرى إليكِ ، وأنا شيخٌ وأستحْيِي أن يُقال طَلَب فَرُدّ ، ويقالَ إنك اخترتِ أن تـكونى أخيذَة » . قالت : « فلستُ بمختارةٍ عليه أحداً ، فليكُن ما كان » . فخرج على وَجهه ، حتّى أتى أهلَه ، فوأد كلَّ بنتٍ له ، وجعل ذلك سنّة فى كلِّ بِنْتٍ تولد له ، واقتدَتْ العربُ به فى ذلك ، فـكان كلُّ سيِّد يولد له بنتٌ يئِدها ، خوفاً من الفَضيحة ، وقيل : إنَّه وأد من أجلِها أربعين جاريةً من وَلَده وأهلِ بَيْته .

كان قيسُ بن عاصم تزوَّج منْفُوسَةَ بنتَ زَيد الفوارس الضبِّى ، فأتَتْه فى اللَّيلة الثانية من بِنائه بها بطعام ، فقال : « وأين أكيلى؟ » فلم تعلم ما يريد . فأنشأ يقول:

أيا بنةَ عبدِ الله وابنـةَ مالكٍ ... ويابنةَ ذىالبُرْدَيْن والفرَس الوَرْدِ
إذا ما صنعتِ الزّاد فالتمِسى لـه ... أكِيلاً، فإنى لستُ آكِلَه وَحدى
أخاً طارِقاً أو جـارَ بيْتٍ فإننى ... أخافُ مذمَّات[1] الأحاديثِ من بَعدى
وإنى لَعَبدُ الضَّيف من غـير ذلّةٍ ... وما بى إلا تِلْكَ من شِيمَ العبد

فأرسلت جاريةً لها ، يقال لها مَليحة ، فطلبَت له أكيلاً ، وأنشأت تقول :

أبَى المرءُ قيسٌ أن يذوقَ طعامَه ... بغير أكيلٍ إنـه لـكريمُ
فبوركتَ حيًّا يا أخا الجود والندَى ... وبوركتَ مَيْتاً قد حوَتْك رجومُ

(١) ملامات ، الأغانى .

قيل لقَيس بن عاصم : « بما سُدْتَ ؟ » قال : «ببذل المال ، وكفِّ الأذى ، ونصر المَوْلَى » .

قال الأحنفُ بن قَيْس : « ما تعلَّمتُ الحلم إلَّا من قَيْس بن عاصم المِنْقَرى » ، فقيل له « كيف ذلك يا أبا بحر ؟ » قال : « قتَلَ ابنُ أخيه ابنَه ، فأُتِى بابنِ أخيه مَكتوفاً يقادُ إليه . فقال : ذَعَرتُم الفَـتَى . ثم أقبلَ عليه فقال : يا ابنَ أخى ، نقَصْتَ عددَكَ ، وأوْهَيت رُكنك ، وفَتَتَّ فى عَضُدكَ ، وأشمتَّ عـدوَّك ، وأسأتَ لقومِك . خلُّوا سبيله ، واحملوا إلى أمِّ المقتول دِيتَه . فانصرفَ القاتل ، وما حل قَيْسٌ حُبْوته ، ولا تغيَّر وجهه .

جاور دَارِىٌّ قيسَ بن عاصم ، وكان يتَّجر فى أرض العرب . فشرِب قيس ليلةً حتى سكِر ، فربَط الدارىَّ وأخذَ ماله ومتاعَه ، وشرِب من شَرابه فازدادَ سُـكْراً ، وجعلَ من السُّـكر يتطاوَل ويساور النجومَ ليبلغها ، وليتناولَ القمرَ وكلّمته أختُه فى ذلك ، فلطَمها وخَمَش وجهَها ، وقيل: أرادَها على نفسِها ، وقال :

وتاجرٍ فاجرٍ نجا[1] الإلهُ به ... كأنَّ عُثْنونَــه أذنابُ أجْمالِ

ثم قسم صَدَقةَ النبىِّ صلّى الله عليه وسلم فى قومه ، وقال :

ألا بلِّغا عنِّى قريشاً رسالةً ... إذا ما أتتهم مهديات الودائع

حَبوتُ بما صدَّقتُ فى العام ِمنْقَراً ... وأيأسْتُ[2] منها كلَّ أطلسَ طامعِ

فلما فعل بالدارىِّ ما فَعَل ، وجعل مالَه نُهْبَى وسكر ، لم تزَلْ به امرأته حتَّى نام ، فلما أصْبَح قال : « من فَعَل هذا بضيفى ؟ » فقالت له أخته : « الذى صَنَع هذا بوَجهى ، أنتَ صنعتَه » ، وأخبرته بما كان منه ، فآلَى لا يُدخل الخمر بطنَه أبداً . فهو أولمن حرمها فى الجاهلية ، وهو القائل :

---

(١) جاء ، الأغانى .

(٢) وأيأست ، الأغانى : وأبأست كوبريلى والمخطوطتان .

فو الله لا أحسُو مدَى الدهر خمرةً ... ولا شَرْبةً تزرى بذى اللّبِّ والفخر
فيا شاربَ الصهباء دَعْها لأهلها الْـ ... ـغداةَ وسلِّم لى الجسيم من الأمر
فإنَّك لا تدرى إذا ما شربتَها ... وأكثرتَ منها ما تَرِيشُ وما تبرى

ولى قيسُ بنُ عاصم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صَدَقاتِ بنى مُقاعِس ، والبطونِ كلِّها : وكان الزِّبْرِقانُ بن بدر قد وَلِيَ صَدَقاتِ عَوْفٍ والأبناء . فلما تُوُفِّى رسولُ الله صلى الله عليه ، وقد جمعَ قيسٌ والزِّبرقان الصدَقات ، دسَّ الزِّبرقانُ إلى قَيْس من زيَّن له ما فى يده ، وخَدَعه بذلك ، فقال له : « إن النبىَّ صلى الله عليه وسلم قد تُوُفِّى ، فهلمَّ نجمع الصدقة ، ونجعلها فى قومِنا ، فإن استقامَ الأمرلأبى بكر ، وأدَّت العربُ إليه الزكاة ، جمعناها ثانية » . ففرق قيسٌ الإبلَ فى قومه . وانطلَق الزِّبرقان إلى أبى بكر بِسَبعمائة بعيرٍ فأدَّاها وقال :

وفَيتُ بأذوادِ النبىِّ محمّدٍ ... وكنتُ أمرأً لا أفسِد الدِّين بالغدر

فلما عرَف قيسٌ ما كاده به الزِّبرقان قال : لو عاهد الزِّبرقان أمَّه لغدر .

وكان قَيْسُ بن عاصم يقول لبَنِيه : « إيّاكم والبَغى ، فما بغى قومٌ قطّ إلا قلّوا » . فكان بعضُ بنيه يلطِمُ(١) قومَه أو غيرهم ، فينهى إخْوتَه عن أن ينصُروه .

قال قيسُ بن عاصم : أتيتُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فرحَّب بى وأدْنانى ، فقلتُ : « يا رسولَ الله ، المالُ الذى لا يكونُ علىَّ فيه تَبِعة ، ما ترى فى إمساكِه ، لضَيْفٍ إن طرقَنى ، وعيالٍ إن كثُروا علىّ ؟ » فقال : « نعم المالُ الأربعون ، والأكثرُ الستّون ، ووَيْلٌ لأصحاب المئِين ، إلا مَن أعطى من رِسْلها ، وأطْرقَ فَحلها ، وأوقرَ(٢) ظَهرها ، ومَنَح غَزِيرتها ، وأطعم القانِع والمعترَّ » . فقلت : يا رسولَ الله ، ما أكرمَ هذه الأخلاقَ وأحسنَها ! إنه لا يُحلّ بالوادى الذى فيه إبلى من كثرتها » ،

---

(١) يلطمه ، الأغانى .
(٢) وأفقر ، الأغانى.

قال : « فكيف تَصْنعُ بالإطراق ؟ » فقلت : « تغدُو علىَّ الناس ، فمن شاء أن يأْخُذَ رأس بعيرٍ ذَهَب به » . قال : « فكيف تفعل بالإفقار ؟ » فقلتُ : « إنى لأُفْقِرِ النابَ المدبِرة ، والضَّرعَ الصغير » ، قال : « فكيفَ تصنعُ بالمَنِيحة ؟ » قلت : « إنى لأَمْنَح فى السنــة المائة » . قال : « إنَّما لَكَ من مالِك ما أكلتَ فأفنَيْتَ ، أو لَبِستَ فأَبْلَيت ، أو تصدّقتَ فأبقيت » .

وقيسُ بن عاصم هو الذى حَفَزَ الحَوْفَزَانَ بنَ شَرِيك الشَّيْبانى ، طَعَنه فى استِه طعنةً يوم جَدُود . وذلك أن الحَوْفَزَان ـ وهو الحارثُ بن شَرِيك بن عمرو بن الصَّلت بن قَيْس بن شَرَاحيل بن مُرَّة بن همَّام ـ كانت بينَه وبين بنى يَرْبوع مُوادَاعة ثم همَّ بالغَدر بهم ، فجمعَ بنى شَيَبان وبَنى ذُهل، واللهازِم، وقيسَ بن ثعلبة ، وتيمَ الله ابن ثعلبة وغيرَهم، ثم غزا بنى يَربوع ، فنَذِرَ به عُتَيْبَةُ بنُ الحارث بن شهاب، فنادى فى قومه بَنِى جعفر بن ثعلبة ، وبَنِى يربوع ، فحالُوا بينَ الحارث بن شَرِيك وبين الماء . فقال لِعُتَيبة : « يا أبا حَزْرَة ، قد عرفتَ الموادَعة بينى وبينَ بنى سَلِيط ، فهل لكم فى مثلها ؟ فلا نروِّع بنى يربوع أبدا » . فوادعه الحارث . وأغارَ ابنُ شَرِيك على بَنِى مُقاعِس وإخوتِهم بنى رُبَيْع[1] ، فاستعانُوا ببنى يربوع فلم يجيبُوهم ، فاستصْرخوا ببَنِى مِنْقَر ، فركبوا حتى لِحَقُوا بالحارث بن شَرِيك وبكرِ بن وائل ، وهم قائلون فى يومٍ شديدِ الحرِّ . فما شعر الحارث بن شريك إلا بالأهتم بن سُمَىّ بن سِنان بن خالد ابن مِنقَر وهو واقف على رأسه . فوثب الحـارثُ بن شريك إلى فرسه فركبه ، وقال للأهتم : « من أنت ؟ » فانتسبَ له ، وقال : « هذه مِنقر قد أتتْك » . فقال له الحارثُ بن شَرِيك : « فأنا الحارث » . فنادى الأهتم : « يال سعد ! » ، ونادى الحَوْفَزان : « يال وائل ! » . وحمل كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه . ولحقت بنو مِنقر ، واقتتَلوا أشدَّ قتالٍ وأبرَحه ، ونادت نساء بنى رُبَيْع : يالَ سعد . فاشتدَّ قتال بنى مِنقر

(١) ربيع ، الأغانى : يربوع ، كبريلى والمخطوطتان .

لصياحهن ، فهُزِمت بكرُ بن وائل ، وخلّوا ما كان فى أيديهم من بنى مُقاعس ، وما كان فى أيديهم من أموالهم : وتبعهم بنو مِنقَر فبين قتيل وأسير . وأسر الأهتم حُمرانَ بن عَبد عمرو . وقصد قَيْس بنُ عاصم الحارثَ بن شَرِيك ، ولم يكن له همّة غيرُه ، والحارث على فرسٍ له قارح ، وقيسٌ على مُهر ، فخاف قَيْس أن يسبِقه الحارث فحفَزَه بالرمح فى استه ، فتحفَّز به الفرسَ فنجا ، وسمى الحَوْفَزان . وأطلق قيسٌ أموال بنى مُقاعِس وبنى رُبَيْع ، وسَبَايَاهم ، وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم . وانتقضَت طعَنةُ قَيْس على الحوفزان بعد سنة ، فمات ، وفى ذلك يقول قَيْس بن عاصم المِنقرى :

جَزَى اللهُ يربوعاً بأسوأ فعلِهـــا ⁂ إذا ذُكِرت فى النائِباتِ أمورُهـــا
ويومَ جَدُودٍ قد فضحتم ذِمارَكم ⁂ وسالَمتمُ[(١)] والخيلُ تَدْمَى نحورها
ستَخْطِمُ سَعدٌ والرِّبابُ أنوفَـكم ⁂ كما حَزَّ فى أنف[(٢)] القضيب جَرِيرُها

وقال سوَّار بن حيان المِنقَرى فى ذلك :

ونحن حَفَزْنا الحَوْفزان بطعنةٍ ⁂ سَقَتْه نجيعاً من دم الجوف أشْكَلا
وحمرانُ قَسْراً أنزلته رِماحُنـــا ⁂ فعالج غُلًّا فى ذراعيـــه مُقْفَـــلا
فيالكِ من أيَّام صَدق نعِـــدُّها ⁂ كيوم جُؤاثى والنَّبـــاج[(٣)] وثَيْتلا

هذه الأيام ، كان قيسُ بن عاصم قد أغار على اللهازم ، وتبعه بنو كَعْب بن سَعد بالنباج وثيثل ، وتخوَّف أن يكرَهَ أصحابُه لقاءَ بكر بن وائل ، وقد كانوا يتناجَوْن فى ذلك ، فقامَ ليْلًا فشقّ مزادهم لئلا يجدوا بدًّا من لِقاء العدوّ ، فلما فعل ذلك أذعَنُوا بلقائهم وصبَروا له ، فأغار عليهم ، وكان أشهرُ يوم يَوْمَ ثَيْتَل لبنى سَعد ، وظفِر قيسٌ

---

(١) وثبنا الكم ، المخطوطتان .
(٢) فى أنف ، الأغانى وكبريلى : آناف ، المخطوطتان .
(٣) والنباج ، الأغانى : والنبيج ، كبريلى والمخطوطتان .

بما شاء ، وملأ يديه من أموالِهم وغنائِمِهم ، وفى ذلك يقول ابنه علىّ بن قَيس بنِ عاصم المِنقرى :

أنا ابن الذى شقّ المزاد وقد رأى — بثَيْتل أحيــاءَ اللهازم حُضَّرا
فصبَّحهم بالجيش قَيْسُ بنُ عاصم — وكان إذا ما أورد الأمرَ أصدَرا

وكان قيس بن عاصم رئيسَ بنى سعد يومَ الـكُلاب الثانى ، فوقع بينه وبين الأهتَم اختلافٌ فى أمر عبدِ يَغوثَ بنِ وقّاص بن صَلاءَة حين أسره عِصْمةُ بن أُبَيْر التَّيْمىّ ، ودفعَه إلى الأهتم ، فرفع قيسٌ قوسَه ، فضرب بها فمَ الأهتم ، فهتَم أسنانه ، فسمِّىَ يومئذ الأهتم .

جمع قيسُ بنُ عاصمٍ ولَدَه لما حضرتْه الوفاة ، فقال : يا بَنِىّ ؛ إذا متُّ فسوِّدوا كبارَكم ، ولا تسوِّدوا صغاركم ، فيُسفِّه الناسُ كباركم ، وعليـكم بإصلاحِ المـال ، فإنه مَنْبهةٌ للـكريم وغـنًى عن اللئيم ؛ وإذا متُّ فادفِنونى فى ثِيابى التى كنتُ أصومُ وأصلِّى فيها ؛ وإياكم والمسألةَ ، فإنها آخِرُ مكاسِبِ العبد ، وإن امرؤ لم يَسألْ إلا ترَكَ مكسبه ؛ وإذا دفنتمُونى فأخْفُوا قبرى عن هذا الحىِّ ، بكرِ بن وَائِل ، فقد كانت بَيْننَا خُماشَاتٌ فى الجاهليّة . ثم جَمَع ثلاثين سَهْماً ، فربطها بوتَر ، ثم قال: «اكسِروها» ، فلم يستطيعوا ، ثم قال: « فرِّقوها » ، ففرَّقوها ، وقال : « اكسروها سهماً سهماً » ، فـكسروها فقال : هكذا أنتم فى الاجتماع وفى الفُرقة ، ثم أنشأ يقول :

إنما المجدُ ما بَنَى والِد الصد — قِ وأحيا فَعـالَه المولودُ
وتَمام الفضلِ الشجاعةُ والِحـ — لمُ إذا زانَها عفافٌ وجود
وثلاثون يا بَنِىّ إذا ما — جَمَعتْهم للنائبات العهــودُ
كثلاثينَ من قِداحٍ إذا ما — شدَّها للزمان عَقْــد شَديد
لم تـكسَّر وإن تفرَّقتِ الأسـ — هُم أودَى بجمعِها التبـديد
وذوُو الحِلم والأكابرُ أولى — أن يُرَى منـكم لهم تسويدُ

وعليكم حفظَ الأصاغرِ حتّى ... يبلغ الحِنْثَ الاصغرَ المجهود

ثم مات ، فقال عبدةُ بن الطبيب يرثيه :

عليكَ سلامُ الله قيسَ بن عاصم ... ورحمتُه ما شاء أن يترحَّما

تحيَّةَ من أوليتَه منك نعمةً ... إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سلَّما

فما كان قيسٌ هلكُه هُلكَ واحدٍ ... ولكنّه بنيانُ قومٍ تهدّما

لما مات عبدُ الملك بن مَرْوان اجتمع وَلَدُه حولَه ، فبكى هِشامٌ حتى اختلفتْ أضلاعه ، ثم قال : « رَحِمك الله يا أميرَ المؤمنين ، فأنت كما قال عَبدة بن الطبيب :

فما كان قيسٌ هلكُه هلكَ واحدٍ ... ولكنه بنيانُ قومٍ تهدَّما »

فقال له الوَليد : كذبتَ يا أحولُ يا مشئوم . لسنا كذلك ، ولكنّا كما قال الآخر :

إذا مُقرَمٌ منا ذرا حدُّنا به ... تخمَّط منّا نابُ آخرَ مُقرَم

كان بين قيسِ بن عاصمٍ وبين عَبدة بن الطبيب لِحاء ، فهجَره قيسُ بن عاصِم . ثم حَمل عبـدةُ دماً فى قومه ، فخرج يسأَلُ فيما تحَمَّله ، فجمع إبلًا ، ومرَّ به قيسُ ابن عاصم ، وهو يسأل فى تمام الدِّيَة ، فقال : « فيم يسأل عَبـدة ؟ » فأُخْبِر ، فساق إليه الدِّيَة كاملةً من ماله ، وقال : قُولوا له يَسْتَمْتع بما صارَ إليه ، ويسوقُ هذا إلى القوم ، فقال عبدة : « والله لولا أن صُلحى إيّاه بِعَقِبِ هذا الفعل عارٌ علىَّ لصالحتُه ، ولكنْ أنصرفُ إلى قَوْمى ثم أعود فأصالحُه . ومضى بالإبل ثم عاد فوجَدَ قيساً قد مات ، فوقفَ على قبره ، وأنشَد :

عليكَ سلامُ الله قيسَ بنَ عاصم ... ورحمتُه ما شاء أن يترحّما

الأبيات .

قال الأحنف : ذكرتُ بلاغةَ النّساء عند زياد ، فحدّثته أن قيسَ بن عاصمٍ أسلمَ وعنـده امرأة من بنى حنِيفة ، فأبى أبوها وأهلُها أن يُسْلِموا ، وخافوا إسلامَها ،

فاجتمعُوا إليها وأقسموا أنها إن أسلمَت لم يكونوا مَعَها فى شيء . فطالبت قيساً بالفُرقة ، ففارقها ، فلما احتمَلَت لتَلْحَقَ بأهلها قال لها قيس: « أما والله لقد صَحِبتِنى سارَّة ولقد فارقتِنى غيرَ عارَّة ، لا صُحبَتُك مَمْلولة ، ولا أخلاقُك مذمومة ، ولولا ما اخْتَرْتِ ما فرَّق بيننا إلا الموت ، ولكنَّ أمرَ الله عز وجل ورسولِه صلّى الله عليه وسلم أحقُّ أن يطاع » ، فقالت له : أُنبِئْتُ بحسبك وفضلِك ، والله إن كنتَ للدائمَ المحبَّة ، الكثيرَ المودَّة ، القليلَ اللائمة ، المعجِب الخلوة ، البعيدَ النَّبْوة . ولتعلمنَّ أنى لا أسكن بعدَك إلى زَوْج » . قال قيس : فما فارقَتْ نفسى قطُّ شيئاً فتَبِعتُه كما تَبِعتُها .

وبنو مِنقَر قومٌ غُدُر ، ويقال لهم الكوادِن ، وهم أسوأُ خلقِ الله جِواراً ، وفيهم بُخْلٌ شديد . ولما ماتَ قَيْسُ بن عاصم كانت أكثر وصيَّته لبنيه أن يحفظوا المال . والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً ، وفيهم يقولُ الأَخطل بن رَبيعة النمرى :

يا مِنقَرُ بنَ عُبَيد إن لؤمَكمُ مذ عهدِ آدمَ فى الديوان مكتوبُ
للضَّيف حقٌّ على من كان ذا كرمٍ والضيفُ فى مِنقَر عُريانُ مسلوب

وقال النَّمر بن تولب ، يذكر تسمِيتَهم الغدرَ كَيْسَان ، فى هجاءٍ هجاهم به :

إذا مادعوا كَيْسانَ كانت كهولُهم إلى الغَدْرِ أدنى من شَبابهم المردِ

وهذا شائعٌ فى جميع بنى سَعد ، إلا أنَّهم يتدافَعُونه إلى بنى مِنقر ، وبنو مِنقر يتدافَعُونه إلى بنى شَيْبان بن خالدِ بن مِنقر ، وهو جدّ قيس بن عاصم .

لما فتح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مكّة ، حرَسَها الله تعالى ، قدِمَتْ عليه وُفودُ العرب ، وكان فيمن قَدِم قيسُ بن عاصِم ، وعمرُو بنُ الأهتم معه[1] . فلما صارَا عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم تسابّا وتهاترا ، فقال قيسُ لعمرو بن الأهتم :

(١) ابن عمه ، الأغانى .

يا رسولَ الله ، ما هم منّا ، وإنهم لمن الحيرة ، فقال عمرو بن الأهتم : بل هو يارسولَ الله من الرُّوم وليسَ منّا ، ثم قال :

ظَلِلتَ مُفتَرِشَ الهَلْباء تشتُمُنى ... عند الرّسول فلم تَصْدُق ولم تُصِب
إن تُبغِضُونا فإنّ الرُّوم أصلـكم ... والرُّوم لا تملكُ البغضاءَ للعرب
سُدْنا فسؤدَدُنا عَوْدٌ وسؤددُكم ... مؤخَّر عند أصل العَجْب والذَّنب

وإنما نسبَه إلى الرُّوم لأنه أحمر . فقيل إنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نهاه عن هـذا القول فى قَيْس بن عاصم ، وقال : إنّ إسماعيل بن إبراهيم صلَّى الله عليهما كان أحْمَر ، فقال قيسُ بن عاصم :

ما فى بنى الأهتَم من طائلٍ ... يُرجَى ولا خيرٍ له يصلُحون
لولا دِفاعِى كنتمُ أعبُدًا ... مسكَنُها الحِيرةُ فالسَّيْلَحُون
جاءت بكم عَفْرَةُ من أرضِها ... حِيرِيَّةً ليست كما تزعمون
من ظاهرِ الـكفِّ وفى بَطنها ... وَسْمٌ من الدَّاء الذى تـكتمون

وقيل: إنّ قيساً ارتدَّ بعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن الإسلام ، وأتى سَجاحَ ، وكان مؤذِّنها ، وقال فى ذلك :

أَضْحَتْ نَبِيَّتُنا أُنْثَى نُطِيفُ بها ... وأصبحَتْ أنبياءُ الله ذُكرانا

ولما تزوَّجت بمُسَيْلمة الـكذّاب وآمنتْ به آمَنَ به قيسُ بن عاصم معها . فلما غزا خالدُ بن الوليد اليمامةَ ، وقَتَل اللهُ مُسَيْلمة ، أخذ قيسُ بن عاصم أسيراً ، فادَّعى أن مسيلمة أخذا بناً له ، فجاء يطلبُه. وأحلَفَه خالدٌ على ذلك فحلَف ، فخلّى سبيله وتجامنه بذلك.

كان زيدُ الخَيْل الطائىّ قد خرج عَن قومه ، وجاوَر بنى مِنقر ، فلما أغارت عليهم بنو وائل أبلَى فيهم زيدٌ بلاءً حسناً ، حتى انهزمت عِجل ، وكفر قيسٌ فعلَه وقال : « ما هزَمَهم غيرى » . فقال زيدُ الخيل يعيِّره بكذبه فى قصيدة طويلَة :

ولستُ بوقَّافٍ إذا الخيلُ أحْجَمت ... ولستُ بكذَّابٍ كقَيْس بن عاصمِ

قيس بن الحُدادِيَّة

هو قَيْس بن منقِذ بن عمرو بن عُبيد بن ضاطر[1] بن صالح بن حُبْشِيَّة[2] ابن سَلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة ، وهو خُزَاعة بن عمرو وهو مُزَيقِيا ابنُ عامر ، وهو ماءُ السَّماء بن حارثة الغِطريف بن امرئ القيس البِطريق بن ثَعْلبة ابن مازن بن الأزد . والحُدادِيَّة أمُّه ، وهى امرأة من محارِب بن خَصَفة بن قَيس عَيلان بن مضر ، ثم من قبيلة منهم ، يقال لهم بنو حُداد .

شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، فاتك شجاع ، صُعلوك ، خَليع ، خلعته خُزاعة بسُوق عكاظ ، وأشهدَتْ على نفسِها بخلعها إياه ، فلا تحمِل له جَريرة ، ولا تُطالَب بجريرة يجرُّها أحد عليه . وكان أكثرُ النَّاس قولًا فى خَلعه قوماً يقالُ لهم بنو قُمَيْر ابن حُبشية بن سَلُول . فجمع لهم قيسٌ شذَّاذاً من العرب وفتيَّا كا من قومه وأغار عليهم بهم ، وقتَلَ منهم رجُلًا ، يقال له ابن عُس ، واستاقَ أموالهم . فلحقَه رجلٌ من قومِه كان سيِّدا ، وكان ضَلعُه معَ قيس فيما جرى عليه من الخلع ، يقال له ابن محرِّق ، فأقسم عليه أن يردَّ ما استاقه فقال : « أمَّا ما كان لى ولِقَومى فقد أبررتُ قَسَمك فيه ، وأمَّا ما اعتَوَرَتْه أيدِى هؤلاء الصَّعاليك فلا حِيلة لى فيه . فرد سَهْمَه وسهْمَ عَشيرته ، وقال فى ذلك :

فأقسِمُ لولا أَسَهمُ ابن محرِّقٍ ... مع اللهما أكثَرتُ عدَّ الأقارب
تركتُ ابنَ عُسّ يرفعون برأسه ... ينوء بساقٍ كعبُها غير راتبِ
والهامُ[3] خَلْمى على غير مِرَّة[3] ... عن اللحم حتّى غُيِّبوا فى الغوائب

(١) ضباطر ، المخطوطتان .
(٢) حبيشة ، كبريلى : خيشمة ، المخطوطتان .
(٣) وأنهاهم . . . ميرة ، الأغانى .

كان قيسُ بن الُحِدادِيّة يهوى أمَّ مالك بنتَ ذُؤيب الُخزاعى ، وكان بطونٌ من خُزاعة خرجُوا جالِين إلى مصرَ والشام ، لأنهم أجدبوا ، حتى إذا كانوا ببعضِ الطريق رأوا البوارق خلفَهم ، وأدركهم من ذكر لهم كثرةَ الغَيْث والمطرِ وغزارته ، فرجَعَ عمرُو بن عبدِ مناة فى ناسٍ كثيرٍ إلى أوطانِهم ، وتقدَّم قَبيصةُ بن ذُؤيب ، ومعه أختُه أمُّ مالك ، واسمها نُعم ، ومَضَوا ، فقال قيس بن الُحِدادِيّة :

أجدَّكَ إن نُعمٌ نأَتْ أنتَ جازِعُ ... قد اقترَبتْ لو أن ذلك نافع
قد اقتربت لو كان فى قُرب دارهـا ... نوالٌ ولـكن كلُّ من ضنَّ مانع
وقد جاوَرَتنا فى شهورٍ كثـيرة ... فما نوَّلت ، والله راءٍ وسامع
فإنْ تَلْقَين نُعماً ــ هُدِيتَ ــ فحيِّها ... وسَلْ كيف تُرعَى بالمَغِيب الودائع

منها .

ولا يَسْمعن سرِّى وسرَّك ثالث ... ألا كلُّ سرٍّ جاوز اثنين شائعُ
وكيف يَشيع السرُّ منِّى ودونَه ... حِجابٌ ومن دونِ الحجاب الأضالع

ومنها :

فقلتُ لها : يا نُعم حُلِّى محلَّنـا ... فإن الهوى والعيشَ يا نُعم جامع
فقالت : وعيناها تَفيضان عَبرةً ... بأهْلِىَ بيِّن لى متى أنتَ راجع
فقلتُ لهـا : تالله يدرى مسافِرٌ ... إذا أضْمَرته الأرضُ ماالله صانع
فشدَّت على فِيها اللثامَ وأعرضتْ ... وأمعن بالـكُحل السحيقِ المدامعُ
وإنِّى لعهد الودِّ راعٍ وإنَّـنى ... بوصلكِ إن لم يطوِنى الموتُ طامع

وهى طويلة بديعة .

أُنشِدَت عائشةُ بنتُ طلحة هذه الأبيات ، وبحضرتها جماعةٌ من الشعراء ، فقالت : « من قدَر منكم على أن يزيدَ فيها بيتاً يُشبهها ويدخُل فى معناها ، فـله حُلَّتى هذه . فلم يَقدِر أحد منهم على ذلك .

وكان سببُ مقتلِ قَيْس بن الُحدِاديّة أنه لقِى جمعاً من مُزينة ، يريدون الغارةَ على بعض من يجدون منه غرّة ، فقالوا له « اسْتَأْسِر » ، فقال : وما ينفعُكم منِّى إذا استأسرتُ ، وأنا خليع ؟ ولو أسَرْتمونى ثم طلبتُم من قومى عَنْزاً جَرْباء جَذْماءَ ما أعطيتمُوها » . فقالوا له : « استأْسِر لا أمَّ لك » . فقال : « نفسى علىَّ أكرم من ذلك » ، وقاتلهم حتى قُتِل ، وهو يرتجز :

أنا الذى تخلعه[1] مواليهْ   وكلُّهم بعد الصفاء قَاليهْ

وكلُّهم يُقسِم لا يُبَاليهْ   إنّى إذا الموت ينوب عاليهْ

مختلِطٌ أسفلُه بعالِيهْ   قد يعلمُ الفِتيان أنِّى صَاليه

* إذا الحديدُ رُفِعتْ عَواليه *

وقيل : إنّه كان يتحدّث إلى امرأةٍ من بنى سُليم ، فأغاروا عليه وفيهم زوجُها ، فأفلَت ، فنام فى ظلّ ، وهو لا يَخْشى الطلَب ، فاتبعوه فوجدوه فقاتلهم وهو يرْتجز حتى قُتِل .

(١) تخلعه ، الأغانى : تخلعنى ، كبريلى والمخطوطتان .

قُسّ بن ساعدةَ الإيادىّ

هو قُسّ بن ساعدة بن عمرو – وقيل شَمِر – بن عدِىّ بن مالك بن أيدعان بن النَّمِر بن واثِلة بن الطَمَثان بن عَبد مَناة بن يقدم بن أفصَى بن دُعْمىّ بن إياد .

خطيبُ العرب وشاعِرُها ، وحليمُها وحكيمُها وحَكَمها فى عَصْره . وهو أوّلُ من عَلَا على شَرَفٍ ، وخطَب عليه ، وأوّلُ من قال فى كلامه : « أما بَعد » ، وأول من اتّكأ فى خُطبته على سَيف أو عَصا .

وأدركه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم قبل البعثة ، ورآه بعُكاظ . وكان يأثِر عنه كلاماً سمِعَه منه . وسُئل عنه فقال : « يُحشَر أمّةً وحدَه » . ولمّا قدِم وفدُ إيادٍ على النبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : « ما فعل قُسّ بن ساعدة ؟ » قالوا : « مات يارسولَ الله » ، قال : « كأنى أنظرُ إليه بسوقِ عُكاظ ، على جمل له أورق ، وهو يتكلّم بكلامٍ عليه حلاوةٌ ، ماأجِدُنى أحفظُه » ، فقال رجل من القوم : « أنا أحفظه يا رسولَ الله » ، قال : « كيف سمعتَه يقول ؟ قال : « سمعته يقول : أيّها الناس ، اسمَعُوا وعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلّ ما هو آتٍ آت . ليل داج ، وسماء ذاتُ أبراج ، وبحار تزْخَر ، ونجوم تزهر ، وضوء وظلام ، وبِرٌّ وآثام ، ومطعَم ومَشْرَب ، وملبَسٌ ومركب . مالى أرى الناسَ يَذْهَبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالمُقام فأقاموا ؟ أم تُرِكوا فناموا ؟ وإلهِ قُسٍّ بن ساعدة ما على وَجهِ الأرض دينٌ أفضل من دينٍ قد أظلّكم زمانه ، وأدرككم أوانُه فطُوبى لمن أدركه واتَّبعه ، وويل لمن خالفه ، ثم أنشد :

فى الذاهبينَ الأوليـ ... نَ من القُرون لنا بصائرْ

لمّـــا رأيتُ مواردا ... للموتِ ليس لها مَصادرْ

وراْيتُ قومى نحوهــا يَسعى الأصاغرُ والأكابر
لا يرجعُ المــاضى إلىّ (م) ولا مِن الماضِين غابر
أيقنتُ أنِّى لا محا لَةَ حيثُ صار القومُ صائر

فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله قُسًّا ، إنى لأرجُو أن يبعثَ يومَ القيامة أمّةً وحدَه » . فقال رجل : « يا رسولَ الله ، لقد رأيتُ من قسٍّ عجباً » قال : « وما رأيتَ ؟ » قال : « بينا أنا بجبَـل ، يُقال له سَمعان ، فى يومٍ شديدِ الحرّ ، إذا أنا بقُسٍّ بن ساعدة تحت ظلٍّ شجرة ، عند عين ماء ، وحولَه سِباع ، كلما زارَ منها سَبُعٌ على صَاحِبه ، ضربَه بيـده وقال : كفَّ ، حتى يَشْرَب الذى وَرَدَ قبلَك . قال : ففرِقْت ، فقال لى : لا تخَفْ ، وإذا أنا بقبْرَينِ بينهما مَسْجِد ، فقلت : ما هذان القبران ؟ قال : هـذان قبرَا أخوَينِ كانا لى ، فماتا ، فاتَّخذتُ بينهما مسجداً ، أعبدُ الله فيه ، حتى ألحقَ بهما ، ثم ذكر أيامَهما ، فبكى ، ثم أنشأ يقـول :

خَلِيلىَّ هبَّا طال ما قد رقدتُما أجدَّ كما لا تقضيان كراكما
ألم تعلَما أنِّى بسمعانَ مُفْردٌ ومالى فيه من حَبيبٍ سواكما
أقيم على قبرَيْـكُما لستُ بارحا طَوالَ اللَّيالى أو يجيبَ صداكما
كأنـكما والموتُ أقربُ غايــةٍ بجِسمىَ فى قبريكما قد أتاكما
فلو جُعِلَتْ نفسٌ لنفس وِقايةً لجدتُ بِنفسى أن تـكون فِداكما

فقال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم : « رحم الله قُسًّا » .

وقيل إن الشِّعر لِعيسى بن قُدامة ، قاله لما قَدِم خُراسان ، وكان له بها نديمانِ فماتَا ، فـكان يجىء فيجلسُ عنـد القَبْرَين ، وهما براَوَنْد ، فى موضعٍ يقال له حراق ، فيشربُ ويصب الـكأسَ على القَبْرَين ، حتى يقضِىَ وطرَه ، ثم ينصرفُ ويُنشِدُ وهو يَشْرب :

خليليَّ هبَّا طال ما قد رقدتُمـــا أجِدَّكما لا تقضِيان كراكما
ألم تعلَمـا مالى براوَندَ كلِّهـا ولا بخراقٍ من صـديق سواكما
أقيمُ على قـبرَيكما لست بارحاً طَوال الليالى أو يجيبَ صداكما
جرى النوم[1] مجرى اللَّحم والدم منكما كأن الذى يَسْقى العُقَار سقاكما
تحمَّل من يهوَى القُفول وغادرُوا أخاً لكما أشجاه ما قد شَجاكما
فأى أخٍ يجفُو أخاً بعد موته واستُ الذى من بعد موتٍ جفاكما
أصبُّ على قبريكما من مُدامةٍ فإنْ لم تذُوقاها ترُوِّ ثراكما
أناديكُما كَيما تُجيبا وتنطقا وليس مجاباً صوتُه من دعاكما
أمِن طول نومٍ لا تجيبان داعياً خليلىَّ ما هذا الذى قد دهاكما
قَضَيْتُ بأنِّى لا محالةَ هالكٌ وأنِّى سيعرونى الذى قد عراكما
سأبكيكُما طولَ الحياة وما الذى يردُّ على ذى عَوْلة إن بكاكما

وقيل : إنَّ هذا الشعر لأحد ثلاثة من أهل الكوفة ، كانوا فى الجيش الذى سيَّره الحجّاج إلى الدّيلم ، فكانوا يتنَادَمُون ، لا يخالِطون غيرهم ، فمات أحدُهُم ، فدَفَنَه صاحِباه . وكانا يشربانِ عند قبره ، فإذا بلغَه الكأْسُ هَرَاقاها على قَبره، وبكيا، ثم مات آخر فدفنه الثالث إلى جَنبِ صاحبه ، وكان يجلسُ عند قبريهما ، فيشربُ ثم يصبّ الكأسَ على الذى يليه ، وعلى الآخر ، ويبكى . وقال هذا الشعر فيهما ، وذُكر مكانَ راوند قَزوين ، وقبورُهم هناك معروفة بقبور النُدَماء .

وقيل : إن هذا الشعر للحزين[2] بن الحارث بن عامر بن صعصعة ، وكان أحدُ

(١) الموت ، الأغانى .
(٢) للحارث ، المخطوطتان .

نديميه من بنى أسد ، والآخرُ من بنى حنيفة . فلما مات أحدُهما كان يشربُ ويصبُّ على قبره ، ويقول :

لا تصرِّد هامةً من كأسِهـا واسقِه الخمرَ وإن كان قُبِر
كان حُرًّا فهوَى فيمن هوَى كلّ عُودٍ ذى شعوب يَنكسر

ثم مات الآخر ، فكان يشربُ عند قبريْهِما ، ويصبُّ عليهما ويقول :

خليلىَّ هُبّا طال ما قد رقدتُما . . . . الأبيات

ثم قالت كاهنةٌ إنَّك لا تموت حتى تنهشَك حيّةٌ فى شجرَة ، فى وادِى كذا وكذا. فورَدَ ذلك الوادى فى سَفَرٍ له ، وسأل عنه فعرَفه ، وكان قد حطَّ فى أصل شجرة ، ومدَّ رجلَه عليها ، فنهشَتْه حيّة ، فأنشد يقول :

خليلىَّ هـذا حيثُ رَمْسِى فعرِّجاَ علىَّ فإنى نازل فمعـرِّس
لبستُ رداءَ العيش أحوَى أجرُّه الا مشيَّاتٍ حتى لم يكنْ فيـه ملبس
تركت خبائى حيث أمسى عمـاده علىّ وهـذا مَرْمَسِى حَيْث أُرْمَسُ
أحَتْفِى الذى لا بدَّ أنك قـاتِـلى هـلمَّ فمـا فى غابِر العَيْش منفسُ
أبعدَ نديمـىَّ اللذين بمـاقـل بكيتهمُـا حولًا مـدًى أتوجَّسُ

حرف الكاف

كثيّر عزة

هو أبو صَخْر ، كثيرٌ بن عبد الرحمن بن الأسوَد بن عامِر بن عُوَيمر بن مَخْلد ابن سعيد بن سُبَيْع بن جِعْثِمَة[1] بن سَعْد بن [2]مُلَيْح بن عمرو ، وهو خُزاعة بن ربيعة ، وهو لحى بن حارثة بن عمرو ، وهو مزيقيا بن عامر ، وهو[2] ماء السماء بن حارثة الغِطريف ابن امرئ القَيْس البِطريق . وأمُّه جُمْعة بنتُ الأشْيَمَ بن خالد بن عُبَيد بن مُبَشِّر ابن رِيَاح بن سيالة بن عامر بن جِعْثِمة بن كعب بن عمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وكانت كنية الأشيم جدِّه أبي أمه أبا جُمُعة ، ولذلك قيل له ابنُ أبي جُمُعة .

وكان له ابنٌ يقال أيُّوب[3] من أشعَرِ أهل زمانِه ، مات سنةَ إحدى وأربعين ومائة ، لا وَلَد له ، ومات كثيرٌ سنة خمسٍ ومائة ، في خلافةِ يزيدَ بن عبد الملك ، وليس له ولدٌ إلا من بنتِه لَيْلَى ، وكان لابنَتِه ليلَى ولَدٌ ، يقال له أبو سَلَمة ، شاعر . وهو القائل :

وكان عزيزاً أن تَبيتِي وبيننَا ... حِجابٌ فقد أمسيتِ منّا على شهر

فني القُربِ تعذيبٌ وفي البُعد حَسْرةٌ ... فياويحَ نفسِي كيفَ أصنعُ بالدَّهر

وكان كثيرٌ دمياً قليلًا ، أحمرَ أقيشر ، عظيمَ الهامة ، قبيحاً ، فمن حدَّث أنَّه يزيدُ على ثلاثةِ أشبارٍ فلا تصدِّقه . وكان إذا دخل على عبدِالعزيز بن مَرْوان يقولُ له :

(١) خثعمة ، المخطوطتان .

(٢-٢) ساقط في المخطوطتين .

(٣) ثواب ، الأغاني .

طأطِئْ رأسَك ، لا تُصِيب السقف ، وكان لايبلغُ ضُروع الإبل . وقال جرير لـكثيِّر: أىُّ رَجُلٍ أنت لولا دمامتُك . فقال كثيِّر :

فإن آل قَصْداً فى الرِّجال فإنَّنى   إذا حلَّ أمرٌ ساحتى لطويل

وكان من فحول شعَراء الإسلام . وجعلَه ابنُ سلام فى الطبقة الأولى ، مُقارِناً لجريرٍ والفرزدق والراعى ، وكان غالياً فى التشيُّع ، يقول بالرَّجْعة ، ويذهبُ مذهبَ الـكَيْسانية ، ويرَى التَّناسخ ، ويحتجّ بقوله عزَّ وجل : « فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ » . وكان يزعُم أن محمدَ بن الحنَفِيَّة لم يَمُت . وله فيه أشعار . وكان محمَّقاً مشهوراً بذلك . وكان آلُ مَرْوان يعلمون مَذْهَبَه ، ولا يُغيِّرهم ذلك عليه ، لجلالته فى أنفُسِهم ، ولُطفِ محلِّه عندهم. وكان من أتيَه النَّاس وأذْهَبِهم بنفْسِه على كلِّ أحد. وكان يقالُ : ما قصَّد القَصِيد ، ولا نعَتَ الملوكَ مثل كثيِّر .

قال إبراهيمُ بن سَعد : إنِّى لأروِى لـكثيِّر ثلاثين قصيدة ، لو رُقِىَ مجنونٌ بها لأفاق . وكان يُؤْتَى وهوخَبيثُ النفس ، فيسأل عن شعرِ كثيِّر، فَيطيبُ نفساً ويُحدِّث وكان ابنُ أبى عُبَيدة يُملِى شعر كثيِّر بثلاثينَ ديناراً . وكان يقول : من لَمْ يجمعْ من شِعر كثيِّر ثلاثين لا ميَّة ، فلم يجمعْ شِعرَه . وسُئِل مُصْعَب : من أشعرُ أهل المدينــة ، فقال : كثيِّر بن أبى جُمُعة ، هو أشعر من جريرٍ والفرزدق والرّاعى وعامتهم ، يعنى الشعراء . ولم يدرِكْ أحدٌ من مدحِ الملوكَ ماأدركَ كثيِّر . وكان شاعرَ أهل الحِجاز ، ولـكنَّه منقوصُ الحظِّ فى العراق .

ومن شعر كثيِّر :

توهَّمتُ بالخَيْفِ رَسْماً مُحيلا   لعـزَّةَ نعرف منـه طُلولا

تبدَّل بالحىِّ صوتَ الصـدا   ونَوحَ الحمامـة تدعُو هدِيلا

الخيف الذى عناه كثيِّر ليس بخيفِ مِنًى ، وهو موضع آخر فى بلاد بنى ضُمرة . والطُلول جمع طَلَل ، وهو ما كان له شَخْصٌ وجِسم عالٍ من آثار الديار ، والرَّسْم مالم

يكن له جسم ، والصَّدَى هاهنا طائرٌ يخرُج من رأس المقتول يصيحُ حتّى يدرك بثأره . قال طرفة :

كريم يروِّى نفسَه فى حياته سيعلَمُ إن متْنا غداً أيُّنا الصدِى

والحمام : القماريّ ونحوُها من الطير ، والهديل أصواتها .

قال الوقاصىّ[1] : رأيت كثيراً يطوف بالبيت ، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه وكان لا يبلغُ ضُروعَ الإبل .

كان عبدُ الله بن الزُّبَير قد أغْرِىَ ببنى هاشم يَتْبعهم بكلِّ مكروه ، ويخُطب بهم على المنابر ، ويعرِّض ويُصرّح ، وربما عارضَه ابنُ عبّاس وغيرُه منهم . ثم بدا له فيهم ، فحبَس ابنَ الحنَفِيَّة فى سِجن عارم ، ثم جَمَعَه وسائرَ من كان بحضْرته من بنى هاشم ، فجعلهم فى بيتٍ وملأه حَطباً ، وأضْرمَ فيه النار ، وقد كان بلَغه أن أبا عبدِ اللهالجدلى[2] وسائرَ شيعة ابن الحنَفِيّة قد وَافَوْا لنُصرته ، ومحاربةِ ابن الزُّبير ، فكان ذلك سَبَب إيقاعه به . وبلغ أبا عبدِ الله الجدليّ الخبر ، فوافاه ساعةَ أُضرِمت النار ، فاطفأها واستَنْقذَهم ، وخرج ابنُ الحنَفِيَّة عن جِوار ابن الزُّبَير من يومئذ .

[فقال كُثَيِّر يذكر ابن الحنفيّة ، وقد حبسه ابن الزبير فى سجن عارم

مَنْ يرَ هَذا الشَيخْ بالخَيْفِ من مِنًى من الناس يعلَمْ أنه غير ظالم

سَمِىُّ النبىِّ المصطفى وابن عمّه وفكّاك أغلال ونفّاع غارم

أبىٌّ فهو لا يشرى هدًى بضلالة ولا يتّقى فى الله لَوْمة لائم

ونحن بحمد الله نتلو كتابه حُلولا بهذا الخيف خَيْف المحارم

بحيث الحمامُ آمن الروع ساكنٌ وحيث العدوُّ كالصديق المسالم

فما فرحُ الدنيا بباق لأهله ولا شدة البلوى بضربة لازم

(١) الرصافى ، كبريلى ، والمخطوطتان .

(٢) الجدلى ، كوبريلى والأغانى : البجلى ، المخطوطتان .

تخبِّر من لاقيت أنك عائــذ بل العائذ المظلوم فى سجن عارم](١)

وكان الناسُ بالمدينةِ يلعبون بكثيِّر ، فيقولون وهو يسمع : إن كثيِّراً لا يلتَفِتُ من تيهِه ، ويأتيه الرجلُ من ورائه ، فيأخذُ رداءه ، فلا يلتَفِتُ من الـكِبر ، ويمضى فى قَميص .

قال طلحةُ بن عبيد الله : دخلتُ على كثيِّر فقلت : « كيف تجدُك يا أباصَخْر ؟ » وهو ضعيف ، فقال : « أجِدُنى ذاهِباً » ، قلت : « كلّا » ، فقال : « هل سمِعتُم الناس يقولون شيئاً ؟ » فقلتُ : « نعم ، يتحدَّثون أنك الدّجال » ، قال : « أما لَئِن قُلتَ ذلك فإنى لأجدُ فى عينِى هذه ضَعْفاً منذ أيام » .

ومن جُملة تَغَالِيه فى التشيُّع أنه سَمِع عن قَطام صاحبةِ ابن مُلْجَم ، فى قَدْمةٍ قَدِمها الـكوفة ، فأراد الدخول عليها ، ليوبِّخها ، فقيل له : « لا تزُرها ، فإنّ لهـا جواباً باتًّا » ، فأتاها ، فقرَعَ بابها ، فقالت : « من هذا ؟ » فقال : « كثيِّر بنُ عبد الرحمن » ، فقالت لبناتٍ لها : « لِجْنَ حتّى يدخلَ الرجل » ، فوَلِجْن ، وأذِنت له ، فدخل فتنحتّ من بين يدَيه ، فرآها وقد ولَّت ، فقال لها : « أنت قَطام ؟ » قالت : « نعم » ، قال : « صاحبة علىٍّ بن أبى طالب ؟ » قالت : « صاحبةُ عبد الرحمن ابن مُلجَم » ، قال : « أليس فيكِ قتلَ علىَّ بنَ أبى طالب ؟ » قالت : « مات بأَجَله » قال : أما والله ، لقد كنتُ أحبُّ أن أراكِ ، فلما رأيتُكِ نَبَتْ عينى عنكِ فما احلَوْلَيْتِ فى صَدْرى » ، فقالت : « والله إنَّك لقصيرُ القامـة ، عظيمُ الهامـة ، قبيحُ المنظر ، وإنك لـكما قال الأوّل: لأن تسمعَ بالمُعَيْدِىِّ خيرٌ من أن تراه» ، فقال:

رأتْ رجلًا أودى السِّفار بوجهه فـلم يبـقَ إلا منظَر وجنَاجِنُ

وإن أكُ معروقَ العِظام فإنّنى إذا وُزِنَ الأقوامُ بالقوم وازِن

وإنى لمـا استودعتَنى من أمانةٍ إذا ضاعت الأسرارُ للسِّرخازِن

(١) [فقال كثير ... عارم] زيادة عن الأغانى يبدو أنها سقطت فى مخطوطات المختار .

فقالت له : « لله أبوكَ ! أنتَ كثيِّر عَزَّة ؟ » قال : « نعم » ، قالت : « الحمد لله الذى قصَّر بك ، فصرتَ لا تُعرَف إلا بامْرأة » ، فقال : « ليس الأمرُ كذلك ، فوالله لقد سارَ بهـا شِعرى ، وطارَ بها ذِكرى ، وقرُبَ من الخليفة مجلِسى ، وإنها لـكما قلتُ :

فإن خَفيتْ كانت لعينكِ قُرَّة　　وإن تبـدُ يوماً لم يعرَّكَ عارُها
فما رَوْضَةٌ بالحزْن طيِّبة الثرى　　يمُجُّ الندى جَثْجاثُها وعَرارُها
بأطيبَ من أردان عزَّة موهناً　　وقد أوقِدَت بالمندل اللَّدن نارُها
من الخَفِرات البيض لم تَرَ شِقْوةً　　وفى الحسَب المكنونِ صافٍ نجارُها

فقالت : « ما رأيتُ شاعراً أنقصَ عقْلًا ، ولا أضعفَ وصفاً منك . ولو فُعِل هذا بزَنجيَّة طاب رِيحها : ولامرؤُ القيْس أحسنُ وصفاً منك ، حيث يقولَ :

ألم ترَانِّى كلمـا جئتُ طارقاً　　وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيّب »

فخرج وهو يقول :

الحق أبلجُ لا يحيل سبيـله　　والحقُّ يعرِفهُ ذوو الألبـاب

قال السائبُ بن حكيم السَّدوسىّ ، راويةُ كثيِّر : إنى لأسيرُ يوماً مع كثيِّر ، حتى إذا كنا ببطْنِ جداد ، جبَل من المدينة على أميال ، إذا أنا بامرأةٍ فى رحالة ، منْتَقبةٍ ، معها عبيد يسعَون معها ، إذ مرَّت بى ، فسلمتْ علىّ ثم قالت: «من الرجُل؟» قلتُ : « من أهْل الحجاز » ، قالت : « هل ترِوى لـكثيِّر شيئاً ؟ » قلت : «نعم» ، قالت : أما والله ، ما بالمدينة شَىْءٌ أحبُّ إلىَّ من أن أرى كثيِّرا ، وأسمعُ شعرَه ، فهل تروى قصيدتَه :

أهاجَك برْقٌ آخرَ اللَّيل واصب　　تضمَّنه فَرْشُ الجَبا فالمشارِبُ
كما أوْمَضَتْ بالعَيْنِ ثم تبسَّمت　　خريعٌ بدا منها جَبِينٌ وحاجب
وهبتُ لليـــلى ماءَه ونَباتَه　　كما كلُّ ذى وُدٍّ لمن ودَّ واهب

قلت : « نعم » ، وأنشدتها لآخرها ، قالت : « فهل تَرْوِى قوله :

* أطلالَ سُعْدَى باللِّوى تتعهّد * »

قلت : « نعم » ، وأنشدتها إلى قوله :

فلم أرَ مثلَ العين ضنَّت بمائها　　　علىَّ ولا مِثلى على الدَّمع يُحسَد

فقالت : « قاتله الله ! بالله هل قال مثلَ قول كُثيِّر أحدٌ على وجه الأرض ؟ والله لأن أكونَ رأيتُ كُثيِّراً ، أو سمعتُ شعرَه منه أحبُّ إلىَّ من مائة ألف درهم. قال : فقلتُ لها : « هو ذلك الراكبُ أمامَك ، وأنا السائبُ راويته » . قالت : « حيَّاك الله » ، ثم ركضَتْ بَغلتها حتى أدركَتْه ، ثم قالت له : « أنت كثيِّر ؟ » فقال : « نعم » ، قالت : « أنت ابن جُمْعة ؟ » قال : « مالَكِ ويلك ؟ » ، قالت : « أنت القائل :

إذا حُسِرتْ عنه العِمامةُ راعَها　　　جميلُ المحيَّا أغفلَتْه الدَّواهِن

والله ما رأيتُ عربيًّا قطّ أقبحَ منك ولا أحْقَرَ ولا ألأَم » . وقيل : بل قالت : « أهذا الوجهُ جميلُ المحيَّا ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين » . فقال لها : « أنتِ والله أقبحُ والأَم » . قالت : « فأنت الذى تقول :

وكنتُ إذا ما جئتُ أجلَلْن مجلِسى　　　وأظهرنَ منى هَيْبةً لا تجهُّمـــا

لعن الله من يَفْرَق منك » . وقيل : بل قالت : « أعلى هذا الوجهِ هَيْبة ؟ إن كنتَ كاذباً ، فعليك لعنةُ اللهِ والملائكة والناسِ أجمعين » . قال : « بل لعنكِ الله » ، قالت : « أو لستَ الذى تقول :

يروقُ العيونَ النـاظراتِ كأنه　　　هِرَقْلِىّ وزن أحمــر التِّبر راجــح

إن كنت كاذباً ، فعليك لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين » . ثم قالت : أو لست القائل :

يحاذرن منى غِرَّة قد عرفْنهَا　　　قديماً فما يضحكنَ إلا تبسُّما

لعن الله من يفرّق منك » . قال : « بل لعنكِ الله » قالت : « أولستَ الذى تقول :

إذا ضُمريَّة عَطِست فنِكْها فإن عُطاسَها طرفُ الوِداق »

قال : « من أنتِ ؟ ويلك » . قالت « لا يضرُّكَ ألَّا تعرفَنى ، ولا من أنا » ، قال : « والله إنِّى لأراكِ لئيمةَ الأصل والعشيرة » . قالت : « حيَّاكَ الله يا أبا صخر ، ما بالمدينة رجلٌ أحبُّ إلىّ وجهاً ، ولا لقاءً منك » . قال : لاحيَّاكِ الله ، ولكن والله ما على وجهِ الأرض أحدٌ أبغضُ إلىّ وجهاً منك » . قالت : « أفتعرفُنى ؟ » قال : « أعرِفُ أنّك لئيمةٌ من اللِّئام » . فتعرَّفت إليه ، فإذا هى غاضرة ، أمُّ وَلَد بِشْرِ بن مروان . فسايَرها ، فقالت لَه : « ياأباصَخر ، أضمَنُ لك مائةَ ألفِ دِرهم عند بِشر بن مروان إنْ قَدِمتَ عليه » . قال : « أفى سَبِّك إيَّاى أو فى سَبِّى إيَّاكِ تضمنين لى هذا ؟ لا والله لا أخرجُ إلى العِراق على هذه الحال » . فلما قامت تودِّعه سَفَرت عن وَجهها ، فإذا هى أحسنُ من رأيتُ فى الدنيا ، وأمرت له بعَشرَة آلافِ درهم ، فبعد شرّ ما قبلها ، وأمرت لى بخمسةِ آلافِ درهم . فلما ولّوا[1] قال : « يا سائبُ ، أين نُمنِّى أنفسَنا إلى عكرمة ؟ انطلِقْ بنا ، نأكل هذا حتى يأتِيَنا الموت » . فلمّا فارقَتْنا قال كثيّر أبياته :

شجا أضغان غاضرة الهوادى بغير مشورة عَرَضاً فؤادى

أغاضرُ لو شهدتِ غداةَ بِنْتم حُنُوَّ العائداتِ على وسادى

كان كثير يدخل على عمّة له ، فتكرِمُه وتطرح له وسادةً يجلس عليها ، فقال لها يوماً : « والله ما تعرِفينَنِى ولا تُكرمينَنى حقَّ كرامتى » ، فقالت : بَلَى والله إنى لأعرفُك » ، قال : « فمن أنا ؟ » ، قالت : « فلان بنُ فلانة وابنُ فلان » ، وجعلت تمدَح أباه وأمَّه . فقال : « قد علمتُ أنَّكِ لا تعرفيننى » ، قالت : « فمن أنت ؟ » قال : « أنا يونُس بن متّى » .

(١) ولت، المخطوطتان .

كان عبد الملك قد قال لكثيرٍ الحق بقومك خُزاعة ، فأخبرهم أنّهم من كنانة قريش ، فأنشده كثيرٌ قوله :

أليس أبي بالصَّلت أم ليس إخوتى   بكلِّ هجان من بـنى النضر أزهرا
فإن لم يكونوا من بنى النَّضر فاتركوا   أراكاً بأذيال الخمائل(١) أخضرا
أبيتُ التى قد سمّتني ونكرتها   ولو سُمْتُها قبلى قبيصة أنكرا
لبسْنَا ثيابَ العَصْب فاختلَط السَّدى   بنا وبهم(٢) والحضرمىَّ المنيَّرا

فقال عبد الملك : « لا بدَّ أن تنشد هذا الشعرَ على منبرَىْ الكوفة والبصرة» ، وحمله ، وكتبَ إلى العراق فى أمره . فأجابتْه خُزاعة الحجاز إلى ذلك ، وقال فيه الأحوص ، ويقال : بل قاله سُراقة البارقىّ :

لعمرى لقد جاءَ العراقَ كثيرٌ   بأحدُوثة من وَحْيِه المتكذِّب
أيَزعُم أنّى من كنانة أوّلى   وما لىَ من أمٍّ هناك ولا أبِ
فإن كنت حرًّا أو تخاف معرَّةً   فخُذْ ما أخذتَ من أميرك واذْهَب

ثم خرج كثير ، فأتى الكوفةَ ، فرُمِىَ به إلى مسجد بارقٍ ، فقالوا له : « أنتَ من الحجاز ؟ » قال : « نعم » ، قالوا : « فأخبِرْنا عن رجلٍ شاعرٍ وَلَدِ زِنًا ، يدعى كثيِّراً » قال : « سبحان الله ! أما تسمعون يا معشرَ المشايخ مايقول الفتيان ؟ قالوا: « هو ما قاله لنفسه ، فانسلّ(٣) منهم . وجاء إلى والى الكوفة حسَّان بن كيْسان ، فطيّره على البريد وقيل: إن سُراقةَ البارقىّ هو المخاطب له بذلك ، وأنّه قال له : « إن قلتَ هذا على المنبر قتَلَتْك قحْطان ، وأنا أوّلهم » ، فانصرف إلى منزله ولم يعد إلى ذلك بعد(٤) .

(١) القوابل ، المخطوطتان .
(٢) ثيابهم ، المخطوطتان .
(٣) فانسل ، الأغانى : فأنكر ، المخطوطتان .
(٤) عبد الملك ، الأغانى .

وكان سُراقةُ هذا شاعرا ظريفاً ، من ظُرَفاء أهلِ العراق ، ومن أظرف ما جرى له أن المختارَ أسرَه يوم جبّانة السَّبيع ، وكان للمختار بها وَقْعةٌ منكرَة . فجاء به الذى أسرَ إلى المختار ، فقال له : « إنِّى أسرتُ هذا » ، فقال : « كذَب ، ما هو أسرَنى ، إنما أسرَنِى غلامٌ أمرَد ، على بِرذَونٍ أبلَق ، عليه ثِيابٌ خُضر ، ما أراهُ الآن فى عسكرِك ، وسلَّمنى إليه » . فقال المختار : « أما إن الرجلَ عاينَ الملائكة ! خلّوا سبيله » . فخلوه ، فهرَب وأنشأ يقول فى ذلك :

ألا أبلغ أبا إسحاق أنِّى ... رأيت البلقَ دُهْماً مصمتاتِ

أرِى عيـنىَّ ما لم تُبْصِراه ... كلانَا عالمٌ بالترَّهاتِ

كفرتُ بدينِـكم وجعلت نذراً ... علىَّ قتالَـكم حتى المماتِ

قال حفص الأموىّ : كنتُ أختلفُ إلى كثيِّر ، أرْوِى شعرَه ، فإنى عندَه إذ وقف عليه واقفٌ ، فقال : « قُتِلَ ابنُ المهلَّب بالعَقْر » . فقال : « ما أجلَّ الخطب! ضحَّى آلُ أبى سُفيان بالدِّين يوم الطَّف ، وضحَّى بنو مَروان بالكَرَم يوم العَقر » . ثم انتَضَحَت عيناه بالبكاء . فبلغ ذلك يزيدَ بن عبد الملك ، فدعاَ به . فلما دخلَ عليه قال : « عليك لعنةُ الله ، أترابيَّة وعَصَبيَّة ؟ » وجعل يضحَكُ منه .

لما أراد عبدُ الملك الخروجَ إلى مُصْعَب ، لاذتْ به عاتكةُ بنتُ يزيدَ بن معاوية ، وهى أمّ ابنِه يزيد ، وقالت له : « يا أمير المؤمنين ، لا تخرُج السَّنةَ لحرب مُصْعَب ، فإنَّ آلَ الزُّبير قد ذكروا خُروجَك ، وابعثْ إليهم الجيوش » . وبكت وبكَى جَواريها معها ، فجلسَ ثم قال : « قاتَل الله ابنَ أبى جُمعة إذ يقول :

إذا ما أرادَ الغزْوَ لم يَثْنِ همَّه ... حَصانٌ عليها عِقدُ دُرٍّ يزِينها

نَهتْه فلمّا لم ترَ النَّهْىَ عاقَه ... بكَتْ فبكَى مما شجاها قَطِينها

والله لكأنه يرانى ويراكِ يا عاتِكة » . ثم خرج .

قال عبد الملك بن مَروان لـكثيِّر : « من أشعرُ النـاس؟ » قال : «من يَرْوِى أميرُ المؤمنين شِعرَه » ، فقال : « أما إنّك لمنهم » .

وكان كثيِّر شبَّ فى حِجر عمٍّ له صالح ، فلما بلغ الحُلُم أشْفَق عليه أن يَسْفَه ، وكان غير جيِّد الرأى ، ولا حسن النظرِ فى عَواقب الأمور .

[فاشترى له عمُّـه قطيعاً من الإبل ، وأنزله فرشَ مَلَل ، فـكان به ، ثم ارتفع فنزل فرع المِسْور بن إبراهيم بن عبـد الرحمن بن عوف ، من جبل جهينة الأصغر ، فضيقوا على كثيّر وأساءوا جواره ، فانتقل عنهم][1] .

وكان يقول : ما قلتُ الشِّعر حتى قُوِّلتُه ، فإنِّى بينَاأَناذاتَ يوم ، نصفَ النهار ، أسير على بَعيرٍ لى بالغَمِيم ، أو بقاع حمران ، إذا راكبٌ قد دنا إلىّ ، حتى صار إلى جَنبي، فتأمَّلته ، فإذا هو من صُفْر ، وجملُه من صُفر ، وهو يجُرُّ نفسه فى الأرض جرًّا. فقال لى : « قل الشِّعر » ، وألقاه علىَّ ، قلتُ : « من أنت ؟ » قال : « أنا قَرِينُك من الجن » ، فقلت الشعر .

ونُسِب إلى عزَّة ، لـكثرة تشبيبهِ بها . وهى عزّة بنت حُمَيل بن وقَّاص ، وقيل : إنه كان كاذباً ، وليس بعاشق . وكان أوّلُ علاقتِه بها أنه خرج من مَنزِله ، يسوقُ جَلَب غَنَم ، فوقف على نِسوة من بنى ضَمْرة ، فسألهُنَّ عن الماء ، فقلن لعزّة ، وهى جارية حينَ كَعَب ثديُها : « أرشِديه إلى الماء » . فأرشَدَته ، فأعجَبَتْه . فبينا هو يسْق غَنَمه إذ جاءَت عزّة بدراهم فقالت : « يقلْنَ لك النِّسوة : بعنَا بهذه الدراهم كَبْشاً من ضأنك » . فأمر الغلامَ ، فدفع لها كبشاً ، وقال لها : « ردِّى الدراهم ، وقولى لهنَّ : إذا رُحتُ بكنَّ اقتضَيتُ حقِّى » . فلما راح مرّ بهنَّ ، فقلن : « هذا حقُّك نخذه » ، فقال : « عزّةُ غريمتى ، ولستُ أقتضِى حقِّى إلا منها » ، فمزَحْن معه وقُلْنَ : « ويحَك ! عزّة جاريةٌ صغيرة ، وليس فيها وفاءٌ لحقِّك ، فأَحِله عند

---

(١) [فاشترى . . . عنهم] ، زيادة عن الأغانى يبدو أنها سقطت من الأصول .

إحدانا ، فإنَّها أملأ به ، وأسرَعُ أداءً له » ، فقال : « ما أنا بمحيلٍ حقِّى منها » ومضى لوجهه . ثم رجع إليهن حين فرَغَ من بَيْع جَلَبِه ، وأنشدَهُنّ :

قضى كلُّ ذى دَيْنٍ فوفَّى غريمَه وعزَّةُ ممطولٌ معنًّى غريمُها

وأنشدهن أيضا :

نظرتُ إليها نظـرةً وهى عاتِقٌ على حين أن شَبَّتْ وبانَ نُهودها

من الخفِرات البيضِ ودَّ جَليسُها إذا ما قضت أحدوثةً لَوْ تعيدهـا

فقلن له : « أبيتَ إلَّا عَزَّة » ، وأبرزْنَها له ، وهى كارهة . ثم أحبَّته عزّة بعد ذلك أشدَّ من محَبَّتِه لها .

وكانت عزّةُ من أحسنِ النّاس وجهاً ، وما رأى كثيِّر لها وجهاً قطّ ، إلا أنّه كان يهيمُ بها ، لما ذُكِرَ له عنها .

ولقِيَه رجالٌ من الحىّ ، لمّا بلغهم ذلك عنه ، فقالوا له : « إنَّك قـد شهّرت نفسَك ، وشهَّرتنا وشهّرت صاحبتنا . فاكفُف نفسَك » قال : « إنِّى لا أذكُرها بما تـكرهون » . فخرجوا جالِين إلى مِصْرَ فى أعوام الجلاء ، فتَبِعهم على راحِلتِه ، فزجَروه ، فأبى إلا أن يلحَقَهم بنفسِه ، فجلسَ له فِتيةٌ من جُدَىّ . وكان بنو ضَمرة كلُّهم يَهُونُ عليهم تشبِيبُه بها ، لما يعرفون من براءَتِها ، إلا ما كانَ من جُدَىّ ، فإنهم كانوا غُيُراً . فقعد له عون ، أحدُ بنى جُدَىّ ، فى تسعةِ نفر ، على محاجٍ(١) ، فلما جاز بهم تحتَ الليـل أخذُوه وعدَلُوا به عن الطريق إلى جِيفة حِمار ، كانوا يعرفونها من النهار ، فأدخَلُوه فِيهـا ، ورَبَطوا يدَيْه ورِجليه . ثم أوثقوا بطنَ الحمار ، فجعل يضطرب ويصيح . ومضوا عنه ، فاجتاز به خَندقُ بن مالك ، فسمِع صِياحَه ، فعدل إلى الصوت حين سَمِعه ، فوجَد فى الجيفة إنساناً فسأله من هـو ، فأخبره ، فأطلقه وحملَه ، فألحقه ببلاده ، وخندقُ هذا هو الذى أدخل كثيِّراً فى مذهب

(١) خبر كثير مع قبيلة جدى ليس فى نسخة الأغانى التى بين أيدينا .

الخشبِيَّة ، لأنه كان يقول بالرجْعة . فاجتمع هو وكثيرٌ بالموسم ، فذكر التشيُّع فقال ، خندق : لو وجدتُ من يضمنُ لى عِيالى بعدِى لوقفتُ فى الموسم ، وذكرتُ فضلَ آل محمَّد صلى الله عليه وسلم وظلمَ الناس لهم ، وغَصْبَهم إيّاهم عـلى حقِّهم ، ودعوتُ إليهم ، وتبرّأت من أبى بكر وعمر . فضمن كثيرٌ له عياله . فقام وفعـل ذلك ، وسبّ أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وتبرّأ منهما . وقيل: إنه لم يسبَّهما ، وإنّه إنما قال : « أيّها الناس ، إنـكم على غير حقّ ، قد تركتم أهلَ بيتِ نبيِّـكم ، والحق لهم ، وهم الأئمة » . فوثب عليه الناسُ وضربُوه بالحجارة ، حتى قتَلوه . ودُفِنَ بقنْوَنَا ، فقال كثيرٌ يرثيه من أبيات :

أصادِرةٌ حُجَّـاج كَعبِ بن مـالكٍ ... على كلِّ فتلاءِ الذراعَين مُحنِق
بمَرْثيةٍ فيها ثناء مُحبَّر ... لأزهرَ مـــن أولاد مُرَّة مُعْرِق
كأن أخاه فى النّوائب مُلْجَأٌ ... إلى عَلَمٍ من ركن قُدْسٍ مُنطَّق
ينالُ رجالًا رفْعُه وهو منهُمُ ... بعيدٌ كعيُّوق الثريّا المحلِّق
تقول ابنةُ الضَّمرى ما لك شاحِباً ... ولونُكَ مصفرٌّ ولو لم تَخَلَّق
فقلتُ لها : لا تَعْجَبى ، من يَمُت له ... أخٌ كأبى بَدْرٌ وحقِّك يُشْفِق
جزى الله خيراً خندقاً[1] من مكافئ ... وصاحبِ صِدقٍ ذى حِفاظٍ مُصَدَّقِ
أقام قناةَ الوُدِّ بينى وبينَه ... وفارقَنى عن شِيمَــةٍ لم تُرَنَّق
حلفتُ على أن قد أجنَّتْك حُفرة ... ببَطْنِ قَنَوْنَا لو نعيش فنَلْتَقى
لألفيْتَــنى بالوُدِّ بعدَك دائمــاً ... على عَهْدِنا إذ نحنُ لم نتفرّق

ومما رثاه به أيضا من قصيدَتِه التى أوّلها :

شجا أظْعَان غاضِرةَ الغَوادِى

محـلّ أخى بـنى أسدٍ قَنُونَا ... فما وَالَى إلى بَرْكِ الغِماد

(١) خير حر ، المخطوطتان .

مقيمٌ بالمجازة من قَنَوْنَا ... وأهلك بالأُجَيْفِرِ فالثِّماد
فلا تَبْعَد فكلُّ فتى سيأتى ... عليـه الموتُ يطرُقُ أو يُغادى
وكلُّ ذخـيرةٍ لا بدَّ يوماً ... ولو بقِيتْ تصيرُ إلى نفادِ
يعزُّ علىَّ أن يغدُوا جميعاً ... وتصبحَ ثاوياً فى بطن واد
ولو فُوديتَ من حـدث المنايا ... فديتُك بالطَّريف وبالتلاد

لما جرى بين كثيِّرٍ وبين الَحزين الدِّيلى ما جرى من الهجاء والمواثبة بلغ ذلك الطفيلَ بنَ عمرو بن واثِلة ، وهو بالكوفة ، وأنكر أمر كثيِّر ، وانتسابه إلى كِنانة ، وما فعـله الحزين . فحلَف إن رأى كثيِّراً ليضربَنه بالسيف ، أو ليطعنَنَّه بالرمح . فكلمه فيه خَنْدَقُ بنُ بدر الأسَدى ، وكان صديقاً له ، فوهبَه له ، واجتمعا بمكّة ، فجلساً مع ابن الحنفِيَّة ، فقال له طُفَيل : لولا خَنْدق لوفيتُ لك بيميني .

دخلت عزَّة على عبد الملك بن مَرْوان ، وقد عَجَزت ، فقال لها : « أنتِ عزَّة كثير؟ » فقالت: أنا عزَّة بنت حُميل(٢)، قال: أنت التى يقول فيك كثيِّر :

لعزَّة نارٌ ما تبُوخُ كأنها ... إذا ما رَمَقْناهَا من البُعد كَوْكَبُ

فما الذى أعجبَهمنك ؟ فقالت له : أعجبَه منِّى ما أعجبَ الناسَ منك حيث صيَّروك خليفة » . وكانت له سنٌّ سوداء يخفيها ، فضَحِك حتى بدَتْ فقالت له : « هذاالذى أردتُ أن أبديَه » . فقال لها : « هل ترِوين قول كثيِّر :

وقد زعمتْ أنِّى تغيَّرت بعدها ... ومن ذا الذى يا عزُّ لا يتغيّر
تغيَّر جسمى والخليقـة كالذى ... عهِدتِ ولم يُخبَر بسرِّك مخبرُ

فقالت : « لا ولكنِّى أروى قوله:

كأنى أنادى صَخْرةً حين أعرضَت ... من الصمِّ لو تمشِى بها العُصْم زلَّت
صَفـوحاً فما تلقاكَ إلا بخيـلةً ... فمن ملَّ منها ذلك الوصلَ مَلَّت

---

(١) حميد ، كبريلى ، والمخطوطتان .

فأمر بها فأدخِلَت على أمِّ البنين بنت عبدِ العزيز بن مَرْوان ، فقالت لها :
« أرأيتِ قول كثيِّر:

قضَى كلُّ ذى دَيْن فوفَّى غريمَه   وعزَّة ممطولٌ معنًّى غريمها

ما هـذا الدين الذى ذكره ؟ قالت : قبلةٌ وعدتُه إياها ، قالت : أنجزيها له ، وعلىّ إثْمُها .

كان لـكثيِّر غلامٌ تاجر ، فباع امرأةً(١) بعضَ متاعِه ، فَطَلَتْه مدَّة ، وهو لا يعرِفُها ، فقال لها يوماً : « أنتِ والله كما قال مولاى :

قضَى كلُّ ذى دَين فوفّى غريمه   وعزةُ ممطُول معنًّى غريمها »

فانصرفَتْ خَجِلة ، فقالت له امرأة : « أتعرفُ عزَّة ؟ » قال : « لا والله » ، قالت : « فهذه عزة » . فقال : « لا جرَمَ لا آخُذ منها شيئاً أبداً ، ولا أقتَضيها » ، فرجع إلى مولاه ، فأخبرَه بذلك فأعتقه ، ووَهَب له المالَ الذى كان فى يده .

سأل عبدُ الملك بنُ مروان كثيِّرًا عن أعجب خبرٍ مَرَّ له مع عزَّة . قال : حججتُ سنةً من السِّنين ، وحجَّ زوجُ عزَّة بهـا ، ولم يعلم أحدٌ مِنَّا بصاحبه ، فلما كان ببعضِ الطريق أمرَها زوجُها بابتِياع سمن، يُصلِح به طعاماً ، فجعلَتْ تدورُ الخيامَ ، خيمةً خيمةً ، حتى دخلَتْ إلىَّ ، وهى لا تعلمُ أنَّها خَيْمتى . وكنت أبرى سَهْماً لى ، فلما رأيتُها جعلتُ أبرى وأنظرُ إليها، حتى بَرَيْتُ ذِراعى مرَّاتٍ ولا أشعُر، والدمُ يجرى . فلما تبيَّنَتْ ذلك دَخَلَتْ علىَّ ، فأمسكَتْ بيدَى ، وجعلتْ تمسَح الدَّم بثَوْبها ، وكان عندى نِحْىُ سَمْنٍ فحلفت لتأخذنَّه ، فأخذَتْه ، وجاءت به إلى زَوْجها. فلما رأى الدمَ سألها عن خبَرِها ، فـكاتمته ، فحلف لتصدقُنَّه ، فصدَقَتْه ، فضربَها وحلف لتشتمَـنِّى فى وجهى، فوقفَتْ علىّ وهو معها ، فقالت لى : « يا ابنَ الزَّانية »، وهى تبـكى ثم انصرفنا ، فذلك حيث أقول :

(١) من عزة ، الأغانى .

خليليَّ هذا رَبْعُ عزَّة فاعقِلا قَلوصَيكما ثم ابكيا حيث حلَّت
وما كنتُ أدرى قبل عزَّة ما البكا ولا موجِعات الحزنِ حتى تولَّت
فقلت لها : يا عَزُّ كلّ مصيبةٍ إذا وطِّنت يوماً لها النفس ذلّت
أسيئى بنا أو أحسِنى لا ملومةً لدينا ولا مَقْليّةً إن تَقَلّت
هنيئاً مريئاً غيرَ داء مُخامِرٍ لعزَّة من أعرَاضِنا ما استحلَّت
أصاب الرَّدَى من كان يهوى لك الرَّدى وجُنَّ اللواتى قُلْنَ عزَّة جُنَّت

قال أبو عمرو(١) الجهنى : نزلتْ علينا عزَّة فى جَماعة ، فجاءنى كثيِّر ذاتَ يوم ، فقال : « أريد أن أكون عندكَ حتى أُمسىَ ، وأذهبَ إلى عزَّة » ، فصرتُ به إلى منزلى ، ثم أرسَلَنى إليها ، وأعطانى خاتَمه ، وقال : « إذا سلَّمتَ ستخرجُ إليك جاريةٌ ، ادفَع إليها خاتَمى ، وأعلِمْها بمكانى » ففعلتُ ذلك وأعطيت الجاريةَ الخاتم ، فقالت : « أينَ الموعِد ؟ » فقلت : « فى صحراء أبى عبيدة(٢) » ، ورجعت إليه فأعلمتُه فلما أمسَى قال لى : « انهَض » ، فنهضتُ معه ، وجئنا هناكَ ، حتّى جاءَت فى الليل فجلسَتْ ، فتحدَّثا طويلًا ، فذهبتُ أقوم ، فقال : « أين تذهب ؟ » فقلت: «أخليكما، لعلَّكما أن تتحدَّثا ببعض ما تكتُمانى » ، فقال لى : « اجلِسْ ، فو الله ما كان بيننَا شىء قطّ » ، وإن بينهما لثُمامَةً كبيرة وهى جالِسة مِن ورَائها ، حتى أسْحرنا ، ثم قامتْ فانصرفتْ ، وقمتُ أنا وهو ، فأقام عندى حتى أمْسى وانطلق .

وكان جميل يصدق و كثيِّر يكذب .

نظر كثيِّر يوماً إلى عزَّة ، وهى مُنْتَقِبة ، تميس فى مِشيتها فلم يعرفها كثيِّر فاتَّبعها ، وقال « ياسيِّدتى ، قفى لى أكلِّمك ، فإنى لم أرَ مثلَك قطّ ، فمن أنتِ ؟ »

---

(١) عمر ، المخطوطتان .
(٢) صخرات أبى عبيد ، الأغانى .

فقالت : « ويحَك! وهل تركَتْ عزَّة فيك بقيَّةً لأحد ؟ » فقال : « بأبي أنتِ ، لو أن عزَّة أمَةٌ لى لوهبتُها لك » ، قالت : « فهلْ لكَ فى المُخالَّة ؟ » قال : « وكيف لى بذلك ؟ » قالت : « وكيف بما قلتَ فى عَزَّة ؟ » قال : « أقلبُه كلَّه ، وأجعلُه لك ». فسفرَت عن وجهِها وقالت : « أَغَدْراً يا فاسق ؟ » فأبلَسَ ، ولم ينطق ، وذهَبَ وهو يقول :

ألا ليتَ لى قبلَ الذى قلتُ شِيبَ لى ... من السُّمِّ جُدْحَاتٌ بماء الذَّرَارِح

فمتُّ ولم تعلَمْ علىَّ خيــانةً ... وكم طالبٍ للــربح ليس برابح

أبوءُ بذَنبي ، إنـنَّى قد ظلمتُهـا ... وإنِّى بباقى سرِّها غيرُ بـائح

قال السائبُ راوية كثيِّر : خرجتُ معه ، نريد مصرَ فمررنا بالماء الذى فيه عزَّة ، فإذا هى فى خِباء ، فسلَّمنا ، فقالت : « وعليكَ السلام يا سائب » ، ثم أقبلت على كثيِّر فقالت : « ويحك ! ألا تتَّقى الله فى قولك :

بآيةِ ما أتيتُـك أمَّ عمرو ... فقمتِ بحاجَتى والبيتُ خالى

أخلوتُ معَك قطُّ ، فى بيتٍ أو غيرِ بيت ؟ » قال : « لم أقلْ كذلك ، ولـكنّى قلت :

فأقسمُ لو أتيتُ البحر يوماً ... لأشربَ ما سقَتْنِى من بِلال

وأقسم إنَّ حبَّك أمَّ عمرو ... لداءٌ عند منقطع السعال »

فقالت : « أمَّا هذا فنعم » فأتينا عبدَ العزيز ثم عدنا ، فقال كثيِّر : « السلامُ عليكِ يا عزَّة » . فقالت : « وعليكَ السلامُ ياجَمَل » . فقال كثيِّر :

حيَّتكَ عزَّة بعد النفر(١) وانصرفت ... فحىِّ ويحك من حيَّاك يا جَمَلُ

لو كنتَ حيَّيتها مازلتَ ذامِقَةٍ ... عندى وما مسَّك الإدلاج والعمل

ليتَ التحيَّة كانتْ لى فأشكرَها ... مكانَ « يا جملُ » حُيِّيتَ يا رَجُل

(١) الهجر ، الأغانى .

قالت عزَّةُ يوماً لبُثَينة : «تصدَّىْ لِـكثيرٍ ، وأطمعيه فى نفسِكِ ، حتَّى نسمعَ ما يُجيبُك به » ، فأقبلَتْ إليه، وعزَّة تمشى وراءها مُتخفيَة ، وعرضَتْ عليه الوصَل، فقارَبها ثم قال :

رَمَتْنِي على عَمْدٍ بثينةُ بعد ما ... تولَّى شبابى وارجحنَّ شبابُها

بعَيْنَين نَجْلاوَين لو رَقْرقتهما ... لنَوْءِ الثريَّا لاستهلَّ سحابُها

فـكشفتْ عزّة عن وَجهِها ، فبادرها الـكلام وقال :

ولـكنَّما ترمِينَ نفساً مريضةً ... لعزَّةَ منها صَفْوُها ولُبابهـا

فضحِكت ثم قالت : « أولى لك ! بها نجوت » . وانصرفتَا تتضاحكان .

ولما نزَل بكثيرٍ الموتُ بكَى عليه بعضُ أهله ، فقال له : « لا تبكِ ، فـكأنَّك بى بعدَ أربعين يوماً ، تسمع خَشْفَةَ نَعلى من تلك الشُّعبة راجعاً إليـكم » .

ومات كثيرٍ وعِكرمةُ مولَى ابنِ عبّاس فى يومٍ واحد ، فاحتفلت قُرَيش فى جنازة كثيرٍ ، ولم يوجدْ لعِـكْرمة من يحمِلهُ ، وجُمِعَ بينَهما فى المصلَّى بعد الظهر فى سنَةِ خمسٍ ومائة ، فقال الناس : « ماتَ اليومَ أفقهُ الناس وأشعَرُ النّاس ، ولم يتخلَّف رَجُلٌ ولا امرأة عن جنازَتيهما ، وغلبَ النساء على جنازة كثيرٍ ، تبـكينَه ، ويندُبْن عزَّةَ فى ندْبِهنَّ له . فقال أبو جعفر محمد بن على : أفرِجُوا لى عن جنازة كثيرٍ ، لأرفعَها[1] . فدفعَ النســاءَ عنها ، وجعلَ محمّد بن علىّ يضربهُنَّ بكُمِّه ، ويقول : « تنحَّين يا صُوَيحباتِ يوسُف » . فانتدَبت له امرأةٌ منهنَّ فقالت : « يا ابن رسول الله ، لقد صدَقْتَ ، إننَّا لصُوَيحباته ، وقد كنَّا خيراً له منـكم له » . فقال محمَّد لبعض مواليه : « احتفِظ بها حتى تجيئَنى بها إذا انصرفْنا » . فلما انصرف أُتِى بها ، وهى كأنَّها شرَرُ النَّار ، فقال لها محمَّد : « إيه ! أنتِ القائلةُ إنـكنَّ ليوسفَ خير منَّاله؟ » قالت : « نعم ، تؤمِّنُنى من غَضَبك يا ابنَ رسول الله ؟ » قال : « أنت آمِنة ،

(١) لا ربعها ، كبريلى ؛ لأرمقها ، المخطوطتان .

فأ بِينى » . قالت : « يا ابن رسول الله ، نحنُ دَعوناه إلى اللّذات من المطعَم والمشرَب والتمتُّع والتنعُّم ، وأنتم معاشرَ الرجال ألقيتموه فى الجبّ ، وبعتموه بأبخسِ الأثمان ، وحبستمُوه فى السجن . فأيُّنا كان عليه أحْنى ، وبه أرأف ؟ » . فقال محمّد : « لله درك ! لن تُغَالَب امرأةٌ إلا غَلَبت » ، ثم قال لها : « ألكِ بَعل ؟ » فقالت : « لى من الرجال من أنا بعلُه » . فقال محمّد : « ما أصدَقَك ! مثلُك من تملك زوجَها ولا يملكُها » .

فلما انصرفَتْ قال رجلٌ من القوم : « هذه زينبُ بنت مُعَيقيب الأنصاريّة » .

يوم الكُلاب الأول

كان قُباذ لمَّا ملك ضعيفَ الحالِ والمُلك ، فوثَبتْ ربيعةُ على المنذرِ الأكبر ابنِ ماء السماء ، وهو ذُو القرْنين بن النُّعمان ، فأخرجوه ، وإنمَّا سمِّى ذا القرْنين ، لأنَّه كانت له ذُؤابتان ، فخرج هارباً منهم ، حتَّى مات فى إيَاد ، وترك ابنَه المنذرِ الأصغَر فيهم ، وكان أذكَى وَلَدِه . فانطَلَقتْ رَبيعةُ إلى كِندة ، فجاءوا بالحارث ابنِ عَمرو بن حُجر ، آكِل المُرار فملَّكُوه على بَكر بن وائِل ، وحَشَدوا له ، فظَهَر على ما كانت العربُ تسكُن من أرضِ العِراق ، وأبى قُباذُ أن يُمِدَّ المنذرِ بجيش . فلما رأَى ذلك كتب إلى الحارِث بن عمرو : « إنِّى فى غير قومى ، وأنتَ أحقُّ من ضَمَّنى ، وأنا متحوِّلٌ إليك » ، فحوَّله إليه ، وزوَّجه ابنتَه هنداً ، وفرَّق الحارثُ [1]بَنيهِ فى قبائل العرَب ، فصار شُرَحْبِيل بنُ الحارث فى بكر بن وائل وحنظلة ابن مالك وبنى أسيد وطوائف من بنى عمرو بن تميم والرِّباب ، وصار معديكرب ابن الحارث[1] ــ وهو غَلْفَاء ــ فى قَيْس . وصار سَلَمة بنُ الحارث فى بنى تَغلِب ، والنَّمِر بن قاسِط ، وسعدِ بن زيدِ مَناة . فلمـا هَلَكَ الحارث تشتَّت أمرُ بَنِيه ، وتفرَّقت كلمتُهم . ومشَتْ الرجالُ بينهم . وكانت المغاورةُ بين الأحياءِ الذين معهم ، وتفاقَم الأمرُ حتى جمع كلُّ واحدٍ منهم لصاحبه الجموع ، فسار شُرَحْبِيل ومن معه من بَنى تميم والقبائل ، فنزلُوا الكُلاب ، وهو بين الكُوفَة والبَصرة ، على سَبْع ليالٍ من اليمامة . وأقبل سَلَمةُ بن الحارث فى تَغْلِب والنَّمِر ومن معه ، وفى الصنائع ، وهم الذين يقالُ لهم بنو رُقيَّة ــ وهى أمٌّ لهم ، ينسَبون إليها . وكانوا يكونون مع الملوك ــ يُريدون الكُلاب . وكان نُصحاء شُرَحْبيل وسَلَمة قد نَهَوُهما عن الحرب

---

(١) بنيه . . . الحارث ، ساقط فى المخطوطتين .

والفَساد والتَّحَاسُد ، وحذَّروهما عَثَراتِ الحَرب وسوءَ مغبَّتها، فلم يقبَلا ولم يفعلا[١].

وكان أوَّل من ورد الماء من جمع سَلَمة سُفيان بن مُجاشِع بن دَارِم . وأول من ورد الماءَ من بنى تَغلِب رجلٌ من جُشَم ، ورجل من عبد يغوثَ بن دَوْس[٢] ، وهو عمُّ الأخطل ، وعلى بنى تَغْلب يومئذٍ السفّاح ، وهو سَلَمةُ بنُ خالِد بن كعب ابن زُهَير بن تَيْم بن أُسامة بن مَالك بن بَكر بن حبيب ، وهو الذى يقول :

إن الكُلَابَ ماؤُنا نخلُّوه   وساجِراً والله لن تحلُّوه

واقتتل القومُ قِتالا شديداً ، وثبت بعضُهم لبعض . فلما كان آخرُ النهار نادى منادى سَلَمة[٣] : « من أتى برأسِ شُرَحبيل فله مائةُ بعير » وكان شُرَحْبيل نازلاً فى بنى حنظلة وعمرو بن تميم ، ففرّوا عنه ، وعرفَ مكانَه أبو حَنَش ، وهو عُصَيم ابن النُّعمان بن مالِك بن عتّاب[٤] بن سعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب ، فلما انتهى إليه رآه جالساً وطوائفُ النَّاس يقاتِلون حوله[٥] ، فطعنه بالرّمح ، ثم نزل فاحتزّ رأسَه ، وألقاه بين يديه . ويقال : إن حنظلةَ وبنى عَمْرو بن تميم والرِّباب انهزموا ، فخرجَ شُرَحْبيل مَعَهم ، فلحقَه ذو السُّنَيْنَة ، [٦]وهو حَبيبُ بن عُتبة ابن[٦] حبيب بن بَهْج بن عُتْبة بن سَعْد بن زُهَير بن جُشَم . وكانت له سنٌّ زائدة ، فالتفت شُرَحبيل فضربَه ذو السُّنينة على ركبتِه ، فأطنَّ رجلَه . وكان ذو السُّنَينة أخا أبى حنَشٍ لأمِّه ، أمهما سلمى بنت عدىّ بن ربيعة بنت أخى كُلَيب ومهلهل . فقال

---

(١) ولم يبرحا الأغانى .

(٢) وعبد يغوث بن دوس .

(٣) منادى سلمة ، الأغانى : منادى يا بنى سلمة ، كبريلى والمخطوطتان .

(٤) غياث . الأغانى .

(٥) يقاتلون حوله ، الأغانى : يقاتلونه ، كبريلى والمخطوطتان .

(٦) حبيب بن عتبة بن ، زيادة عن الأغانى .

ذو السنينة: « قَتَلَنى الرجُل » ، فقال أبو حَنش: « قَتَلَنى الله إن لم أقتـله » ، فحمل عليه، فلمّا غشِيَه قال: « يا أبا حَنش ، اللبَن، اللبَن » ، فقال : « قد هَرَقت لنا لبناً كثيراً ». فقـال : « يا أبا حَنَش ، أملـكاً بسُوقة » . قال : « إنه كان ملـكى » . فطعَنه أبو حَنَش ، فأصاب رادِفَة السّرج ، فورَّعَتْ عنه ، ثم تناولَه فألقاه عن فرَسِه ، ثم نزلَ إليه فاحتزّ رأسَه، وبعث به إلى سَلَمة مع ابن عمٍّ له ، يقال له أبو أجأ ابن كعب بن مالك بن عتّاب(١) ، فألقاه بين يدَىْ سَلَمة فقال له : « لو كنتَ ألقيتَه إلقاءً رفيقا ! ». قال : « ما صَنَع بى ، وهو حىٌّ شر من هذا » . وعرف أبو أجأ الندامَةَ فى وجهِه والجزَعَ على أخيه ، فهربَ وهربَ أبو حنش ، فتنحّى عنه . ولما قُتِل شُرَحبيل قامت بنو سَعد بن زيدِ مَناة بن تميم دون عِياله ، فمنَعُوهم ، وحالوا بينَ الناس وبينَهم ، ودفعُوا عنهم ، حتّى ألحقُوهم بقومِهم ومأمَنِهم . ووَلِىَ ذلك مِنْهُم عَوْف بن شَجْنة ابن الحارث بن عطارد بن عَوف بن سَعد بن كعب ، وحَشَد له فيه رهطه ، ونهضُوا معه ، فأثنَى عليهم فى ذلك امرؤُ القيس ، ومدَحهم فقال :

ألا إنّ قوماً كنتمُ أمسِ دونَهم ... هم استَنْقَذوا جاراتِكم آلَ عُدوان(٢)
عُوَيرٌ ومن مثـلُ العُويرِ ورهطِه ... وأسعدَ فى يوم الهزاهِز صَفْوان

وقال مَعْدِى كَرِب بن الحارث ، أخو شُرحبيل ، يرثى أخاه شُرَحبيل :

إن جَنْبِى عن الفِراش لنابٍ ... كتجَافِى الأسَرِّ فَوْق الظِّراب
من حديثٍ نمَا إلىّ فما تر ... قأُ عينِى ولا أُسيغُ شرابى
مرّةٌ كالزُّعاف أكتمُها النـا ... س على حَرِّ مَلَّةٍ كالشِّهاب
من شرحبيلَ إذ تعاوَرُه الأرما ... حُ فى حال لذّة وشباب . .
يا ابنَ أمِّى ولو شهدتُك إذ تدْ ... عُو تميماً وأنت غيرُ مجاب

(١) غياث ، الأغانى .
(٢) عذران الأغانى .

لتركتُ الحسامَ تجرى ظُبـاه ... من دماء الأعْداء يوم الكُلاب
ثم طاعنتُ من ورائك حتّى ... تَبْلُغَ الرَّحب أو تُبَزَّ ثيابى
أحسَنَتْ وائلٌ وعادتُها الْ ... إحْسانُ بالحِنْو يومَ ضرب الرقاب
يوم بارت بنو تميم وولَّت ... خيلُهم يتّقون بالأذناب
ويحكُم يا بنى أسَيِّدَ إنِّى ... ويحَكم ربُّكم وربُّ الرِّباب
أينَ مُعطيكم الجزيلَ وحاميكم (م) عن ... الفقْر بالمئين الكُباب

وقال معدى كرب أيضا من أبيات :

ألا أبلغ أبا حَنَشٍ رسولًا ... فما لَكَ لا تجيبُ إلى الثواب
تعلَّمْ أن خيرَ النَّاس طرًّا ... قتيلٌ بين أحجار الكُلاب
تداعَتْ حولَه جُشَم بن بكر ... وأسْلَمه جَعَاسيسُ الرِّباب
قتيلٌ ما قَتِيلُك يا ابن سَلمى ... تَضُرُّ به صديقَك أو تحابى

كُلثوم العتابى

هو كُلثوم بن عمرِو بن أيوبَ بن عُبَيْد بن حُبَيْش بن أَوْس بن مَسعود بن مالك ابن عبد الله بن سعد بن عباد بن أيوب بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم بن تغلب[1] .

شاعر مترسِّلٌ بليغ مطبوع متصرِّف فى فُنون من الشعر ، مقدَّم من شُعَراء الدولة العباسيَّة ؛ ومنصورُ النَّمَرى تلميذُه وراوِيَتُه ، وكان منقطعاً إلى البرامِكة ، فوصَفوه للرَّشيد ووَصَلوه به ، فبلَغ عندَه كلَّ مبلَغ ووصل إلى فوائدَ عظيمةٍ منه . ثم فَسَدت الحالُ بينه وبين مَنصور وتباعَدَا .

كَثُر الشعراء بباب المأمون فأُوذِن بهم ، فقال لعلىِّ بن صالح صاحبِ المصلَّى : اعرِضْهم فمن كان مُجيداً فأوصِلْه ، ومن كان متخلِّفًا فاصرفْه ؛ وصادف ذلك شُغْلًا من علىِّ بن صالح كان يريدُ أن يتشاغَل به مِنْ أَمْرِ نَفْسه ؛ فقام مُغضباً وقال فى نفسه : الساعةَ أحتاجُ أن أترُكَ شُغْلى المهمَّ وأعرض الشعراء ! والله لأَعُمَّنَّهم بالحِرمان . ثم جلسَ لهم ودعَا بهم ، فجعلُوا يتغالَبُون على القُرْبِ منه ، فقال : « على رِسْلكم ! فإن المدَى أقربُ من ذلك ، هل فيكم من يُحْسِنُ أن يقول كما قال أخوكم العتَّابى ، حيث يقول :

ماذا على مادحٍ يُثنى عليكَ وقَد ... ناداكَ فى الوَحْىِ تقديسٌ وتطهير
فتَّ المدائح إلَّا أن ألسُنَنَا ... مُسْتَنْطِقاتٌ[2] بما تهوى الضمائير

---

(١) فى سياق النسب شىء من الاضطراب بين ما هنا وما فى الأغانى .

(٢) مستظهرات ، المخطوطتان .

(٣) تهوى ، كيريلى والمخطوطتان .

فقالوا : « لا ، والله ما فينا من يُحسِنُ أن يقول مثلَ هذا » . قال: «فانصرفوا»، فانصرفوا جميعاً .

قال بكر بن أحمد بن سهل(١) : تذاكرنا شِعرَ العتَّابى ، فقال بعضُنا : « فيه تكلّف » ، ونصره بعضُنا ، فقال شيخٌ حاضر : « ويحكم ! أيقال إن فى شعره تكلُّفاً ؟ وهو القائل :

رُسُلُ الضَّمير إليكَ تَترَى ... بالشَّوق ظالِعةً وحَسْرى
مُتَرَجِّياتٍ ما يَنِيـ ... نَ على الوجا من بُعد مَسْرى
ما جَفَّ للعَيْنَين بَعْـ ... ـدك يا قَريرَ العَيْن مَجرى
فاسْلَمْ سلِمْتَ مبرَّءاً ... من صَبْوتى أبداً مُعَرَّى
إنَّ الصَّبابةَ لم تدَعْ ... منِّى سِوى عظمٍ مُبَرَّى
ومدامعٍ عَبْرَى على ... كبدٍ عليكَ الدهرَ حرَّى »

ثم قال لهم : « فمن كان هذا شِعرَه يقال إنه متكلِّف ؟ » وأى مطبوع أطبعُ من هذا الرَّجل فى شعره ؟ وهو القائل :

فلو كان للشُّكر شَخْصٌ يَبِين ... إذا ما تأمَّله الناظرُ
لمثّلتُه لكَ حتّى تراه ... فتعلم أنِّى امرؤ شاكِر

كتب المأمونُ فى إشخاص العتَّابى ، فلما دخل عليه قال : يا كُلثومُ ، بَلَغَتْنى وفاتُك فساءَتْنى ، ورأيتُ وِفادَتَك فسرَّتنى » . فقال له العتابىّ : « لو قُسِمتْ هاتان الكلمتان ، يا أمير المؤمنين ، على أهل الأرض لوَسِعَتهُم فضلاً وإنعاماً ، وقد خَصَصْتَنِى منهم بما لا تبلغه أمنيَّة » ، وقال : « برُّك بالعطاء أطلقَ لِسانى بالسُّؤال » . فوصلَه بصلاتٍ سنيَّة وبلغَ من التقديم والإكرام أعظمَ محلّ .

وقيل إن العتَّابى لما قدِم على المأمون دَخَل عليه ، وعندَه إسحاقُ بن إبراهيم

---

(١) أبو بكر أحمد بن سهل ، الأغانى .

الموصلى ـ وكان العتابىُّ شيخاً جليلاً نبيلاً ـ فأدناهُ المأمونُ وقرَّبه ، حتى قَرُب منه وقبّل يده ، ثم أمره بالجلوس فجلس ، فأقبلَ عليه يسأله عن حالِه وهو يجيبُه بلسان طَلْق ذرب[1] ، لا يدعُ شيئاً من البيان الحسَن إلا أتى به فى لفظِه ، فأقبلَ عليه بالمُداعبة والمِزاح ، فظن العتَّابِى أنه استخفّ به ، فقال العتابى : « ياأميرَ المؤمنين ، الإيناس قبل الإبساس » فاشتبه على المأمون قولُه ، فنظَر إلى إسحاقَ مسْتَفْهِماً ، فأوْمأَ إليه إسحاقُ بعينيه ، أى قدّر أنّك استخففت به ، ففهِمَ ذلك المأمون ، ثم قال : « يا غلام . ألف دينار » ، فأتى بها فوَضَعها بين يدَى العتّابى ، فقال : « إن أميرَ المؤمنين بدر إلىّ إحسانُه ومعروفُه وبرُّه قبل شُـكرِى ، وهذا مما أضعُف عن حَمْل شـكرِه ، فأعا نَنِى الله على القيام بالثَّناء على مولانا أمير المؤمنين » . وأخذُوا فى الحديث ، وجَعَلَ المأمونُ يغمِزُ إسحاق ، فجعـل العتَّابِى لا يذكر شيئاً حسَناً إلاعارضَه فيه إسحاقُ ، فبَقِىَ العتَّابى متعجِّبا متحيِّرا ، ثم قال : « يا أميرَ المؤمنين، أتأذَنُ لى فى مَسْألة هـذا الشَّيخ عن اسمه ؟ » قال : « سَلْه » ، فقال لإسحاق : « من أنتَ ؟ وما اسمُـك ؟ » قال : « أنا مِن النّاس واسْمِى كُـلْ بَصَل » ، فتبسّم العتّابىّ وقال : « أما النَّسب فمعروف ، وأما الاسمُ فمنكَر » ، فقال له إسحاق : « ما أقلّ إنصافَك ! أتنـكرُ أن يكونَ اسمى كُـلْ بَصَل ؟ فاسمُـك كُلْ ثُوم ، وما كلْ ثُوم من الأسماء ؟ : أو ليسَ البصَلُ أطيبَ من الثوم ؟ » فقال له العتَّابى : لله درُّك ما أحجّك ! أَتأذَن لى يا أميرَ المؤمنين فى أن أصِلَه بما وصلتَنى به ؟ » فقال له المأمون : « بلْ ذاك موفَّر عليكَ ونأمرُ له بمثله » . فقال له إسحاق : « أمّا إذْ أقررْتَ بهذه فتوهّمنى تجِدْنى » ، فقال : ما أظنُّك إلا إسحاقَ بن إبراهيم الموصِلىّ الذى تناهى إلينا خَـبَرُه » ، قال : « أنا حيثُ ظنَنْتَ » ، فأقبلَ عليه بالتحيَّة والسلام ؛ فقال المأمونُ ـ وقد طال الحديثُ بينهما ـ : « أمّا إذ قد اتَّفقتُما فانصرفا

---

(١) ذلق طلق ، الأغانى .

متنادِمَين ، فانصرفا إلى منزلِ إسحاق ، فأقامَ عنده وأكرمَه إسحاقُ كل كرامة ، وأسمعه غِناءَه وغناءَ جواريه ، ومازالا طولَ يومِهما يجرى بينهما كلّ عجيب من أمور الرفعة[1] وغيرها .

وَجِدَ الرشيدُ على العتّابىّ ، فدخل سرًّا مع المتظلِّمين بغير إذن ، فمثَلَ بين يدَىِ الرّشيد ، وكلّمه بكلماتٍ ، وأنشدَه :

أحِضْنى المَقَامَ الغمر إن كان غرّنى ... سَنَا خُلَّبٍ أو زلَّت القــدمان

أتتركُنى جَدْبَ المعيشة مُقْتِرًا ... وكفّاكَ من ماء الندى تَـكِفان

وتجعلُنى سهمَ المطامِــع بعد ما ... ملـكتَ[2] يمينى بالندى[3] ولسانى

فخرج وعليه الخِلَع ، فما رُئِىَ أبسطَ من ذلك اليوم .

كلّم العتّابىُّ يحيى بنَ خالدٍ فى حاجة بكلماتٍ قليلة ، فقال له يحيى : « لقد نزُرَ كلامُك اليومَ وقلّ » ، فقال : [4]« كَيْفَ لا يقلّ وقد تـكنّفنى ذلّ المسألة ، وحَيْرَة الطلب ، وخوفُ الردّ » ؛ فقال[4]: « والله لئن قلّ كلامُكَ[5] لقد كثُرَت فوائده » وقضى حاجته .

سأل العتابىَّ رجلٌ حاجة فلم يقضِه إيّاها ، فلقِيَه العتابىُّ يوماً فقال له : « أتريدُ الحاجةَ التى سألتَنى إيّاها ؟ » قال : « بلى » قال[6] : فلم لا تقتضينى إيّاها ؟ أما سمعتَ قوْلَ الشاعر :

إذَا ما لم تنجزنى عِــداتى ... فأنتَ بشُـكْرها أعـيَ جَوابا

---

(١) كذا فى المخطوطتين وفى مخطوطة كبريلى الرئعة . ولعلها : الرفقة .

(٢) جللت ، الأغانى .

(٣) بالثنا ، المخطوطتان .

(٤) كيف لا يقل ... فقال ، ساقطة فى المخطوطتين .

(٥) كلامك ، المخطوطتان .

(٦) ساقطة فى المخطوطتين .

قعدَ العتَّابيُّ يتغوّط علَى الطريق ، فقِيل له فى ذلك ، فقال : « ما لهؤلاء السِفَل حُرْمة ، ولا منك يا أخى حِشْمة[1] فلم أتكلَّف ما يثقُل علىّ ؟ » .

قال عثمانُ الورّاق : رأيت العتابىّ يأكلُ خبزًا على الطريق بباب الشام ، فقلت « ويحكَ ، ماتَسْتَحى؟» فقال: «أرأيتَ لو كنَّا فى دارٍ فيها بَقَر ، أكنت تحتَشِمُ أن تأكُل وهى تراكَ ؟ » فقلت : « لا » ، فقال : « اصبِر حتّى أُعْلِمَك أنهم بقَر » ، فقام فوعَظَ وقصَّ حتى كَثُرَ الزِّحامُ عليه ، ثم قال لهم : « روى لنا من غيرِ وَجْه أنَّ من بلغ لسانُه أرنبةَ أنفِه لم يدخُل النار فما بقِى أحدٌ منهم حتَّى أخرَج لسانَه يُومِى به إلى أرْنَبةِ أنْفه ويقدِّرُه هَلْ[2] يبلغها أولا . فلما تفرقوا قال العتّابى : « ألم أخبرْك أنهم بقر ؟ » [3]فقلتُ له : « قد كنتَ بالقومِ أبصَر منِّى ، إلا أنه لا يخلُو أن يجوزَ بك رجلٌ تستَحى من مثله[4] فى جُملةِ ألف من هؤلاء ، ويجوز أن يجوزَ بك وأنت تأكل » ، قال : « فى هذا قد صَدَقت »[3] .

قال يحيي بن خَالِد لوَلَده : « إن قَدَرتم أن تكتُبوا أنفاسَ العتَّابى فضلًا عن رسائله وشعرِه فافعلوا ، فلَن ترَوا مثلَه أبداً » .

أنكر العتابىُّ على صديقٍ له شيئاً ، فكتَب إليه : إمّا أن تقرَّ بذنبِك فيكون إقرارُك حجَّة علينا فى العَفو عنك ، وإلا فطِبْ نفساً بالانتصافِ منك؛ فإن الشاعرَ يقول :

أقْرِرْ بذنبِك ثم اطلُب تجاوزَنا   عنه فإن جُحود الذنبِ ذَنْبان

وقف العتَّابىُّ بباب المأمون يلتمسُ الوصولَ إليه ، فصادف يحيى بن أكثم جالساً

---

(١) حرمة ، المخطوطتان .

(٢) حتى، المخطوطتان والأغانى .

(٣) فقلت له قد كنت ... صدقت ، ليست فى الأغانى .

(٤) منه ، المخطوطتان .

ينتظر الإذن ، فقال له : « إن رأيتَ ــ أعزَّك الله ــ أن تذكرَ أمرى لأمير المؤمنين إذا دخلتَ فافعل »، فقال :« لستُ ــ أعزَّكَ الله ــ بحاجبه » ، فقال : « وإن لم تكُن حاجباً ، وكأنه لا يقضى الحاجاتِ إلّا الحجّاب ، الكرامُ والله والأحرارُ أقضَى لها من الحجّاب ، وقد يفعلُ مِثلُكَ(١) مثلَ هذا الذى سألتُ ، واعلم أن الله تعالى قد جعل فى كلِّ شىء زكاةً ، وجعل زكاةَ الجاه رِفدَ المستَعِين ، واعلم أنَّ الله يقبِلُ عليك بالزيادةِ إن شكرت أو التغيير إن كَفَرتَ ، وإنِّى لك اليومَ أصلحُ منك لنفسِك ، لأنِّى أدعوكَ إلى ازديادِ نعمتِك وأنتَ تأبَى » فقال له يحيى : « أفعَلُ وكَرَامة » . وخرج الإذنُ ليحيَى ، فلم يبدَأْ بشىء بعدَ السّلام إلا بإذن أمير المؤمنين للعتَّابى ، فأَذِن له ، وقال له المأمون: «إنى لا أعرِفُك يا يحيى مثلَها ، ولكَ فى يومِكَ سبب أوجبَ هذا ؟ » . قال : « نعم ، أصلحكَ الله ، يا أمير المؤمنين ، كنتُ على بابِك أنتظرُ الإذن، فجلس العتَّابى إلى جانِبى وقال : إن رأيتَ أن تستأذِن لى على أمير المؤمنين ، فقلتُ لستُ بحاجبٍ ، وهذا من عمل الحجَّاب ، فقصَّ علىّ يا أمير المؤمنين قِصَصاً طالت ، إلى أن قال لى : أنا والله لكَ خيرٌ منك لنفسِك لأنِّى أسألُك ما ترجو من الله الزيادةَ به ، ونفسُك تأبَى ذلك . فعلمتُ أن الذى قال حقّ ، فجعلت همَّتى لما أن دخلتُ عليك أمرَه إلى أن أذِنْتَ له » . فقال المأمون : « والله لقد صدق العتَّابىُّ فيما قال ، ولقد وَعَظَكَ فأحسَن ، ولقد حثَّك على ما هو خيرٌ لك » . فأذِن له وقرَّبه ، وأدناه وسأله ، وسمِع منه ما أراد أن يُسمِعَه ، وقضَى حوائجَه .

قال العتَّابى لرجلٍ اعتذر إليه: «إن لم أقبَلْ عُذرَك كنتُ ألأَمَ منك ، وقد قبلتُ عذرَك . فدُمْ على لَوْمِ نفسِك فى جِنايتك تَزِد فى قَبول عُذرِك والتَّجافى عن هَفوتك ».

وقيل للعتَّابى : «لو تزوَّجتَ ! » فقال له:« إنِّى وجدتُ مكابَدَةَ العفَّة أيسرَ من الاحتيال لمصلحة العِيال » .

---

(١) وقد يفعل مثلك ، كبريلى والأغانى : وهل يقع من الحجاب ، المخطوطتان .

قال جعفر بن المفضل(١) : رأيتُ العتّابى بينَ يدَى المأمون ، وقد أسنّ ، فلما أرادَ القيامَ قام المأمونُ ، فأخذ بيده واعتمد الشيخُ على المأمون ، فما زال يُنْهِضه رويداً رويداً حتى أقلّه فنهض ، فعجبتُ من ذلك وقلت لبعض الخدَم : «ما أسوأ أدبَ هذا الشيخ ، فمن هو ؟» قال «العتّابىّ» :

قال دعبل : ما حسَدتُ أحداً قطّ على شِعر كما حسدتُ العتّابى على قوله :

هيبةُ الإخوانِ قاطعــةٌ ... لأخى الحاجاتِ عن طَلَبه
فإذا ما هبتُ ذا أمَلٍ ... ماتَ ما أمّلتُ من سَبَبه

هذا سرَقَه من أميرِ المؤمنين علىِّ بن أبى طالب فى قوله : « الهَيْبَة مقرونةٌ بالخيبة ، والحياء مقرونٌ بالحرمان والفُرصةُ تمرُّ مرَّ السحاب » .

دخل العتّابىُّ على عبدِ الله بن طاهر ، فمثَل بين يدَيْه وأنشد :

حُسْنُ ظنّى وحُسْنُ ما عودكَ الله (م) سِواىَ(٢) منك الغداةَ أتى بى
أىّ شىء يكونُ أحسنَ من حُسْـ ... ـن يقــينٍ حدَا إليكَ ركابى

فأمر له بجائزة ، ثم دخلَ عليه من الغَد فأنشده :

ودُّكَ يكفِينيكَ فى حاجَتِى ... ورُؤيتى كافِيتِى عَن سؤال
وكيف أخشَى الفقرَ ماعشتَ لى ... وهــذه كفّاكَ لى بيت مال

فأمر له بجائزة ، ثم دخَل عليه فى اليوم الثالث فأنشده :

بَهِجاتُ الثياب(٣) يُخلِقُها الدّهــرُ ... وثوبُ الثَناء غَضٌّ جديد
فاكسُنِى ما يبيدُ أصلحك الله ... فإنى أكسُوك مالا يبيــدُ

فأجازه وجعل عليه الخِلَع .

---

(١) قال جعفر بن المفضل قال لى أبى ، الأغانى .
(٢) سواى ، سوائى ، الأغانى : سوا ، كبريلى والمخطوطتان .
(٣) الشباب ، كبريلى والمخطوطتان .

قال طوق بن مالك للعتَّابى : «أما ترى عشيرتَك – يعنى بنى تغلب – كيف تُدِلّ علىّ وتتمرَّغ وتَسْتَطيل ، وأنا أصْبِر عليهم ؟ » فقال العتابى : « أيها الأمير ، إنّ عشيريتك(١) من أحْسن عشرتك وابن عمِّك(٢) من عمك خيره وقريبَك من قَرُبَ منك نَفْعُـه ، وإن أخفَّ الناس عندك أخفُّهم ثِقلا عليك ، وأنا الذى أقول :

إنِّى بلوتُ الناسَ فى أحوالِهم　　وخبرتُ ماوصلوا من الأنسابِ

فإذا القرابةُ لا تقرِّب قاطعاً　　وإذا المودَّة أوكدُ الأسباب »

شكا منصور النمرىُّ العتَّابىَّ إلى طاهر بن الحسين ، فوجَّه إليه وأحضَره ، وأخفَى منصورَ النمرىَّ فى بيت ، وسأل طاهرُ العتابىَّ أن يصالحِه ، فشكا سُوءَ فعلِه ، فسأله أن يصفَح عنه ، فقال : « لا يستحقُّ ذلك » . فأمر منصوراً بالخروج ، فخرج ، فقال للعتَّابى : « لم لا أستَحِقُّ ذلك منك ؟ ، فقال :

«أصْحَبْتُكَ الفضلَ إذلاأنتَ تعرِفُه　　حقًّا ولا لكَ فى استِصحابه أرَبُ

لم تَرْتَبِطكَ على وَصلى محافظَـةٌ　　ولا أعاذَكَ ممـــا اغتالكَ الأدبُ

ما من جميلٍ ولا عُرفٍ نطقتَ به　　إلاّ إلىّ وإن أنـكرتَ ينتسِبُ »

فأصلَح طاهرُ بينهما ، وأمر للعتَّابى بثلاثين ألف درهم ، وكان مَنصورُ النَّمرىُّ من تعليم العتَّابىِّ وتخريجه .

سعى منصور النمرىُّ بالعتّابى إلى الرشيد ، فاغتاظَ عليه وطَلَبَه . فسَتَره جعفرُ ابن يحيي عندَه مدةً ، وجعل يستَعْطِفهُ عليـــه ، حتّى استَلّ ما فى صدره وآمَنه ، فقال العتَّابىُّ يمدح جعفر بن يحيي :

ما زلتُ فى غَمَراتِ الموت مطَّرحاً　　قد ضاق عـنِّى فسيحُ الأرضِ من حِيَل

فلم تَزَلْ دائبـــاً تسعى بلُطفِك لى　　حتى اختَلَسْتَ حياتى من يَدِ الأجل(٣)

(١) عشيرك ، الأغانى .

(٢) وأن عمك ، الأغانى .

(٣) يدى اجلى ، الأغانى .

ولما قال كلثومُ بن عمرو هذه القصيدةَ التى أوَّلها :

ماذا شجاكَ بحُوّارينَ من طَلَلٍ ودِمْنــةٍ كشَفَتْ عنها الأعاصيرُ

منها :

إن كان منّاذوُو إفْكٍ ومارِقــةٌ وعُصْبةٌ دينُها العُدْوانُ والزّور

فإنَّ مِنّـا الذى لا يُستحثُّ إذا حُثّ الجيـادُ وضَمَّتهـا المضامير

منها :

مستنبِطٌ عزماتِ القلبِ من فِـكَر ما بينهنَّ وبينَ الله معمـــور

فبلغَتْ الرشيدَ فقال : « لمن هذه ؟ » فقيل : « لرجلٍ من بنى عتَّاب ، يقال له كلثومُ بن عمرو » ، فقال : « وما مَنعَه أن يكونَ ببَابِنا » ؟ فأمر بإشخاصه من رأسِ عَيْن . فوافى الرشيدَ وعليه قميصٌ غليظٌ وفَرْوَةٌ وخُفّ ، وعلى كَتِفه مِلحفَة جافية بغير سَرَاويل . فأمر الرشيدُ أن تُفْرشَ له حُجرة ، وتُقامَ له وَظيفة ، ففعِل ، فـكانت المائدةُ إذا قدمتْ إليه أخذَ منها رُقاقةً ومِلحاً وخلَطَ الملح بالتراب فأكله بها . وإذا كان وقتُ النوم نام على الأرض والخدَمُ يفتقِدونه ويَعْجَبون من فِعله . وأُخْبِرَ الرشيد بأمرِه فطَرَده[1] ، فخرج حتّى أتى يحيى بن سَعيدٍ العُقَيلى ، فسلَّم عليه وانتسبَ له ، فرحَّب به وقال له : « ارتفع » ، قال : « ما جئتُك للجلوس » ، فقال : « ماحاجتك ؟ » قال : « دابّـة أبلغُ عليها إلى رأسِ عَيْن » ، فقال : « ياغلام ، أعطِه الفَرَس الفلانىّ » ، فقال : « لا حاجةَ لى فيه ، ولـكن مُرْه أن يشترِىَ لى دابّـة أبلغُ عليها » . فقال لِغُلامِه : « امْضِ معه فابتعْ له ما يريد » ، فمضى ، فعدل به العتابىُّ إلى سُوق الحمير ، فقال له : « إنمَّا أمرَنى أن أبتاع لكَ دابّـة » ، فقال له : « إنمَّا أرسلَك مَعى ولم يرسِلْنى معك ، فإن فعلتَ ما أريد ، وإلا انصرفْتَ » . فمضى

(١) فأمر بطرده ، الأغانى .

معه فاشترى له حماراً بمائة وخمسين درهما ، وقال له : « ادفع إليه ثمنه » ، فدفعه ، وركب الحمار برشحة وبرذعة ، وساقاه مكشوفتان . فقال يحي بن سعيد : «فضحتني ، أمثلي يحمل مثلك على هذا ؟ » ، فضحك وقال : « ما رأيتُ قَدْرَكَ يستوجب أكثر من هذا » . ومضى إلى رأس عين .

وكانت تحته امرأةٌ من باهِلة ، فلامته ، وقالت : هذا منصورُ النّمريّ قد أخذَ الأموال فحلَّى نساءه وبنى داره ، واشترى ضِياعاً ، وأنت كما ترى ! فقال :

تلومُ على تَركِ الغِنَى باهليَّــةٌ ... زَوَى الفقرُ عنهـا كل طِرفٍ وتالد
رأت حَولها النِّسوان يرفُلْن فى الثرى ... مقلَّدةً أعناقُهــا بالقــلائد
أسرَّكِ أنى نلتُ مـا نال جعفرٌ ... من العيشِ أو ما نال يحي بن خالِد
وأن أميرَ المؤمنــين أغَصَّنى ... مُغَصَّهـا بالمرهَفــاتِ البوارد
دَعيــنى تجئنى مِيتتى مُطمئنَّةً ... ولم أتجشَّم هــولَ تلك الموارد
فإن رفيعاتِ الأمــور مشوبَةٌ ... بمستَودَعَاتٍ فى بطون الأساود

كعب بن معدان الأشقرى

الأشاقرُ قبيلةٌ من الأَزْد ، وأمّ كعبٍ من عَبْدِ القَيْس .

شاعرٌ فارسٌ خَطِيب ، معدُودٌ فى الشجعان ، من أصْحابِ المهلَّب المذكورين فى حُروبِ الأزارِقة . أوفدَه المهلَّب إلى الحجَّاج ، وأوفده الحجَّاج إلى عبد الملك بن مَرْوان .

قال الفرزدق : شُعراء الإسلام أربعة : أنا ، وجرير ، والأخطل ، وكَعب الأشْقرِىّ .

أوفدَ المهلَّب بن أبى صفرة كعبَ بنَ معدان الأشقرىّ ومعه مرّةُ بن الوليد الأزدى إلى الحجَّاج يخبر بوقعةٍ له كانت مع الأزارقة ، فلما قدِما عليه ودَخَلا دارَه بَدَرَ كعبٌ فأنشد الحجَّاجَ قوله من أبيات :

أبا سعيــدٍ فإنِّى سرتُ مُنْتَجِماً ... أرجُو نوالَكَ لمــا مسَّنى الضرر
لمـا نبَتْ بى بلادِى سِرْتُ منتجِماً ... وطالب الخــير مُرتادٌ ومنتظِر
لولا المهلَّبُ ما زُرنا بــلادَهم ... ما دامَت الأرضُ فيها الماء والشجر
ومـا مِنَ الناس من حىٍّ علمتُهم ... إلا يُرى فيهم من سَيْبِــه أثرُ
أحْيَيْتَهم بسِجالٍ من يديك كما ... تَحْيَى البلادُ إذا ما جادَها المطرُ
إنى لأرجُو إذا ما فاقَةٌ نزلت ... فضلاً من الله فى كفَّيك يبتدِرُ

منها :

خفوا كمينَهم بالسَّفح إذ نزلوا ... بكازَرُونَ فما عزُّوا ولا نصروا
باتَتْ كتائبُنـا تَرْدى مسوَّمة ... حَـوْلَ المهلَّب حتى نوَّر القمر
هناكَ ولَّوْا حِزاناً بعدما هُزِموا ... وحال دُونَهم الأنهارُ والجُدُر
تأبى علينا حَزَازاتُ النّفوس فما ... نُبقى عليهم ولا يُبْقون إن قدَروا

فضحك الحجّاج وقال: « إنك لمنصِفٌ يا كعب » ، ثم قال له الحجَّاج : «أخطيبٌ أنت أم شاعر ؟ » فقال : « شاعر خطيب » ، فقال : « كيفَ كانتْ حالكم مع عدوكم ؟ » قال : « كنّا إذا لقيناهم بِعَفْوِنا وبِعَفْوِهم أيِسْنَا منهم ، وإذا لَقيناهم بجَهْدِنا وبجَهْدِهم طَمِعنا فيهم » ، قال : « فكيفَ كان بنو المهلَّب ؟ » قال : « حماة الحريم نهاراً : وفُرسان اللَّيل تيقُّظاً » ، قال : « فأين السَّماع من العِيان ؟ » قال : « السَّماعُ دُون العِيان » ، قال : « صِفْهم رجُلًا رجلًا » ، قال : « المغيرة فارسُهم وسيِّدهم ، نارٌ ذاكية ، وصَعْدة عالِية ؛ وكفى بيزيدَ فارساً شُجاعا ، ليثُ غاب ، وبحرٌ جمٌّ العُباب ؛ وجَوَادُهم قَبيصة ، ليثُ المُغَار وحامى الذِّمار ؛ ولا يستحى الشجاعُ أن يفرَّ من مدرِكه ، وكيف لا يفرُّ من الموت الحاضِر والأسد الخادِر ؟ ؛ وعبدُ الملك سمٌّ ناقع وسيفٌ قاطع ؛ وحبيبٌ الموت الذُّعاف ، إنما هو طَوْد شامِخ ونخر باذِخ ؛ وأبو عُيَيْنة البطل الهمام ، والسيف الحسام ؛ وكفاك بالمفضَّل نجده ليثاً هدَّارا وبحرا موّارا ؛ ومحمد ليثُ غاب وحُسام ضِراب » . قال : « فأيُّهم أفضل ؟ » قال : « هم كالحَلْقَة المفرغة لا يُعرف طَرَفاها » . قال : « فكيف جماعة الناس ؟ » قال : « على أحسَنِ حال أدركُوا مارجَوْا ، وأمِنُوا ما خافوا ، وأرضَاهُم العَدل ، وأغْناهم الفضل » . قال : « فكيفَ رضاهم بالمهلَّب ؟ » قال: أحسنُ رِضاء، وكيف لا يكون كذلك وهم لا يعدَمون منه إشفاقَ الوالدِ على وَلَده ، ولا يعدم منهم برَّ الأولاد»؛ قال : « فكيف فاتكم قَطَرِيٌّ ؟ » قال : « كدناه فتحوَّل عن منزله ، وظن أنه كادَنا » . قال : «فهلَّا اتَّبعتمُوه ؟ » قال : « حال اللَّيل بيننَا وبينه ، فكان التحرّزُ — إلى أن يقعَ العِيان ويعلمَ امرؤٌ ما يَصْنَع — أحزمَ ، وكان للجد عندنا أثر من الفل » . فقال له الحجّاج : « المهلَّب كان أعلمَ بكَ حيثُ بعثَكَ » ، وأمر له بعشرينَ ألفِ درهم ، وأمر له بفرسٍ وأوفدَه على عبدِ الملك فأمرَ له بعشرين ألف درهم أخرى .

قال عبدُ الملك بن مَرْوان للشُّعَراء : « تشبهوننى مرَّةً بالأسَدِ الأبْخَر ، والجبَل الأوعر ، والبَحر المِلْح الأُجاج ، والبازِى والصَّقر ؛ الا قلتُم كما قال كَعْب الأشْقَرىّ فى المهلَّب وولده :

براكَ اللهُ حين بَراكَ بَحْراً ۝ وفجَّر منك أنهاراً غِزارَا
شِهابٌ تنجلى الظلماءُ عَنْه ۝ يرى فى كل مُبْهَمةٍ منارا

وهذه القصيدة أولها :

« طَرِبْتُ وهاج لى ذاكَ ادِّكارا »

يقول فيها :

بنوكَ السابِقونَ إلى المعالى ۝ إذا ما أعظَمَ الناسُ الفخارا
كأنهم نجومٌ حولَ بدرٍ ۝ درارىّ تكمّل فاستدارا
فأول يَنزِلُون بكل ثغرٍ ۝ إذا ما الهامُ يومَ الرَّوع طارا
رزانٌ فى الأمور تَرَى عليهم ۝ من الشَّيخ الشمائلَ والنِجارا
نجوم يُهتدى بهمُ إذا ما ۝ أخُو الغمرات فى الظَّلماء سارا

* * *

كان زيادُ الأعجم قد هجا كَعْبَ الأشقرىّ ، واتصل الهجاء بينهما ، فغلَبَه زياد ، وكان سَبَبُ ذلك أن حرباً وقعتْ بين الأَزْد وعبدِ القيس سكَّنها المهلَّب وأصلح بينهم وتحمل ما أحدَثه كلُّ فريق على الآخر ، وأدّى دياتِه ، فقال كعبُ يهجو عبد القيس :

إنى وإن كنتُ فرعَ الأَزد قدعلِموا ۝ أخزَى إذا قيلَ عبدُ القيس أخوالى
فيهم أبُو مالكٍ بالأَزْد شرَّفنى ۝ ودنّس العبدُ عبدُ القيس سِربالى

فبلغ قولُه زيادَ الأعجم ، وقال مُغْضَباً ـ : « يا عجبا للعبدىّ الجبان والسرطان يقولُ هذا فى عبدِ القَيْس وهو يعلم موضعى فيهم، والله لأدعنهم غرَضا لكل إنسان ، ثم قال يهجوه :

نبئتُ أشقرَ يهجونا فقلتُ لهم ... ما كنت أحسَبهم كانوا ولا خُلِقوا
لا يكثُرون وإن طالَتْ حياتُهم ... ولو يبُول عليهم ثعْلَبٌ غرِقوا
قومٌ من الحسب الأدْنَى بمنزلةٍ ... كالفَقْع بالقاع لا أصلٌ ولا وَرَق
إن الأشاقِر قد أضْحَوا بمنزلةٍ ... لو يُرْهَنُون بنَعلى عندنا غَلِقوا

وقال فيه أيضاً زياد الأعجم :

هل تسمعُ الأَزْد ما يقالُ لها ... فى ساحةِ الدّار أم بها صَمَمُ
اختَتَنَ القوم بعد ما هَرِموا ... واستَعْربوا ضَلّةً وهم عَجَمُ

فشكاه كعبٌ إلى المهلَّب وأنشدَه البيتين ، وقال : « ما عنى بهما غيرك ، ولقد عمَّ الهجاء قومَك » . فقال له المهلَّب : « أنت أسمعتَنا هـذا وأطلقتَ لسانَه ، وقد كنتَ غنيًّا عن هِجاء عبد القيس وفيهم مثلُ زيادٍ الأعجم ، فاكفُفْ عن ذِكره ، فإنَّك أنتَ ابتدأتَه » ، ثم دعا زياداً فعاتبه ، فقال له : « اسمَعْ ما قال فىَّ وفى قَوْمى ، فإن كنتُ ظلمتُه فانتَصِر له ، وإلا فالحجَّة عليه ، ولا حجة على امرئ انتَصَر لنفسه وعَشِيرته » ، ثم أنشده قول كعب فيهم :

لعل عُبَيْد القَيْس تحسَب أنَّهـا ... كتغلبَ فى يوم الحفيظَة أو بـَكر
يُضَعْضِع عبدَالقيس فى الناس منصِبٌ ... دنىٌّ وأحسابٌ جُبِرنَ على كسر
إذا شاع أمرُ الناس وانشقَّت العصا ... فإن لـكيزا لا تَرِيشُ ولا تبرى

فقال له المهلَّب : « ما قلتَ له أنتَ أيضاً ؟ » قال : ما انتصرتُ ولولاك ما قصَّرت ، وأى انتصار فى قولى له :

يا أيها الجاهِلُ السَّاعى ليدرِكَنى ... أَقصِر فإنَّك إن أدركتَ مَصْروع
يا كعبُ لا تكُ كالعنْز التى احتفرت ... عن حتفها وجنابُ الأرض مربُوع
لئن نَصبْتَ لِىَ الرَّوقين معترِضاً ... لأرمِيَنَّك رمياً فيـــه توقيع

فأقسم عليهما المهلَّب أن يصطلحا ، فاصطلحا .

كتب الحجّاج بن يوسف إلى المهلّب يأمرُه بمناجَزة الأزارِقة ، ويستبطِئه ويضعّفه ويعجّزه فى تأخيرِه أمرَهم ومطاوَلتهم . فقال المهلّب لرسوله : « قل له : إنما البلاء أنّ الأمرَ إلى من يَملِكه لا إلى من يَعرِفه ، فإن كنتَ نصبْتَنى لحرب هؤلاء القوم على أن أدبِّرها كما أرى ، فإذا أمكنَتْنى الفرصة انتهزتُها ، وإذا لم تمكِّنى توقَّفت ، فأنا أدبِّر ذلك بما يُصْلِحُه . وإن أردتَ منِّى أن أعمَل وأنا حاضرٌ برأيِك وأنتَ غائِب ، فإنْ كان صواباً فلكَ ، وإن كان خطأً فعلىّ ، فابعثْ من رأيتَ مكانى » . وكتبَ من فَوْرِه إلى عبد الملك يشكو الحجّاج ، فكتب إليه عبدُ الملك : « لا تعارِض المهلّب فيما يراه ولا تُعْجِله ، ودَعْه يدبِّر أمرَه » .

وقام كعبٌ الأشقَرىّ فأنشدَ بحضرة رسول الحجاج :

إن ابنَ يوسفَ غرَّه مِنْ غزوِكم ... خفضُ المُقامِ بجانبِ الأمصارِ

لو شاهد الصَّفَّين يومَ تلاقَيا ... ضاقَتْ عليه رَحِيبةُ الأقطار

ورأى مُعَاوَدَةَ الدِّباغ(١) غَنيمةً ... أزمانَ كان مخالف الإقتار

فدعِ الحروب لشِيبها وشَبابِها ... وعليك كلَّ غريرةٍ معطار

فبلغت أبياتُه الحجّاج ، فكتبَ إلى المهلّب يأمرُه بإشخاصِ كعبٍ إليه ، فأعلم كعباً بذلك ، وأوفدَه إلى عبدِ الملك تحتَ ليْلَتِه ، وكتبَ إليه يَسْتَوْهِبه مِنه . فقدِم كعبٌ على عبد الملك برِسالَة المهلّب ، فاسْتَنْطقه عبدالملك ، فأعجبَه ماسمِع منه ، وأوفَدَه إلى الحجّاج ، وكتب إليه يُقْسِم عليه أن يعفوَ عنه عمَّا بلغه من شعره . فلما دَخَل عليه قال : « إيه يا كعب : ورأى مُعاوَدَة الدِّباغ(١) غنيمة » فقال له : « أيهاالأمير ، لوَدِدْتُ فى بعض ما شاهدتُه من تلكَ الحروبِ وأزمانِها ، وما يورِدُناه المهلَّب من خطَرِها أن أنجُوَ منها وأكون حجَّاماً أو حائكا » . فقال له الحجاج :

---

(١) الرباع ، الأغانى .

«أولى لك ، لولا قَسَمُ أمير المؤمنين ما نَفَعَك ما أسْمع ، فالحقْ بصاحبك» ، ورده إلى المهلَّب من وقته .

لما عُزِل يزيدُ بن المهلَّب عن خُراسان ، ووَلِيَها قُتَيبة بن مسلم مدحَه كعبٌ الأشقَرِىّ ، ونال من يزيدَ وثَلَبه ، ثم وَلِىَ يزيدُ خُراسان ، فهرَب إلى عُمان ، وأقام بها مدَّة ، وساءت حالُه بها ، فكتب إلى يزيدَ يعتذِرُ إليه من أبيات :

بئس التبدُّل من مَرْوٍ وساكنِها　　أرضَ عُمَانَ وسُكْنَى تحت أطواد

يالهفَ نفسى على أمرٍ خَطِلت[1] به　　وما شَفَيْتُ به غِمْرى وأحقادى

أفنيتُ خمسين عاماً فى مَديحكمُ　　ثم اعتَذرْتُ بقولِ الظالم العادى

أبلغ يزيدَ قرينَ الجودِ مَألُكه　　بأن كعباً أسيرٌ بينَ أصفاد

فإن عفوتَ فبيتُ الجود بيتُكمُ　　والدهرُ طورانِ مِنْ غىّ وإرشاد

وإن مَنَنْتَ بصفحٍ أو سمحتَ به　　نَزَعْتُ نحوك أطنابى وأوتادى

فكتب إليه بأنه قد صَفَح عنه ، ويأمرُه بالرجوع إلى موضِعه ، فرجع إليه . ويقال : إنَّ يزيدَ بن المهلَّب حبسَه ودسَّ إليه ابنَ أخٍ له فقتلَه . وقيل : إنه جاءه وهو نائمٌ يوماً تحت شجرة ، فضربَ رأسَه بفأسٍ فقتله .

وكان لكعبٍ أخٌ غيرُ أخيه الذى قتَله ابنُه ، فلما قُتِل يزيدُ بن المهلَّب فرق مَسْلَمة بنُ عبد المَلِك أعمالَه على عمَّال شتّى ، فولى البصرةَ وعُمانَ عبدَ الرحمن بن سليم[2] الكلبى ، فاستخلَفَ عبدُ الرحمن على عُمَان محمدَ بن جابر الرّاسِبى ، فأخذ أخُو كعبٍ الباقى ابنَ أخيه الذى قتَل كَعْباً فقدَّمه إلى محمَّد بن جابر ، وهو على عُمان والبَصرة نائبا عن عبد الرحمن بن سليم الكلبى ، وطلب القَوَد منه ، فقيل له : «أخُوك قُتِل بالأمس ونقتل قاتلَه ، وهو ابنُ أخيك ، اليومَ ، وقد مضَى أخوك

(١) خطلت ، الأغانى : خلطت ، كبريلى والمخطوطتان .

(٢) سليمان ، الأغانى .

وانْقضَى ، فتبقى فرداً كقَرْن الأَعْضَب » . فقال : « نعم ، إن كعباً أخى كان سيِّدَنا وعظيمَنا ووجهَنا فقتلَه هذا ، وليسَ فيه خيرٌ ، ولا فى بقائِه عزٌّ بعد كعب » ، فقدمه محمدُ بن جابر فضرب عنقَه .

حاصَرَ يزيدُ بن المهلَّب مدينة خوارزم فى أيّام ولايته ، فلم يَقدِر على فتْحها ، واسْتَصْعب عليه ، ثم عُزِل ووُلِّى قتيبةُ بن مسلم ، فزحفَ إليها وحاصرها ففتَحها ، فقال كعبُ الأشقَرىُّ يمدحه ويهجو يزيدَ بن المهلَّب :

رمتكَ فِيلٌ بمـا فيها وما ظَلَمت ... من بعد مارَامَها الفَجْفَاجَةُ الصَّلِف
صَرِيحُ قَيْسٍ وبعضُ الناس يجمَعُهُم ... قُرًى وريفٌ فمنسوبٌ ومُقْتَرِف
منهم شُناسٌ ومَرْدَاذَاء نَعْرِفُه ... وفَسْخَراء ، قُبورٌ حشوها القُلُف
لم يركبوا الخيـلَ إلا بعد ما هَرِموا ... فهم ثِقالٌ عـلى أكتافها عُنُفُ

الفيلُ الذى ذكره هو حِصن خوارزم ، وهـو الذى يقال له الـكُهُنْدَز ، والـكُهُنْدز : الحِصن العتيق ، والفَجْفاجة : الـكثير الـكلام . وشُناس : اسم أبى صُفرة فغيَّره ، وتسمَّى ظالماً . ومَرْدَا ذاء : أبو أبى صُفرة ، سموه بَشيراً لما تعرّبوا . وفَسْخَراء جدُّه ، وهم قومٌ من الخوز من أهل عُمان ، نزلوا الأَزد ، ثم ادّعوا أنّهم صَلِيبةٌ صُرَحاء منهم .

كعب بن مالك

هو كَعبُ بن مالِك بن أبى كَعب ، واسمه عمرو القين بن كَعب بن سَواد بن غَنْم ابن كعب بن سَلِمة بن سَعد بن علىّ بن أسد بن شَارِدة بن يزيد بن الجُشَم بن الخَزْرج ابن حارثة بن ثعلبة .

من شُعَراء رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم المعدودين ، وهو بَدْرىٌّ عَقَبى ، وأبوه مالِكُ بن أبى كعب شاعر ، وله فى حُروب الأَوْس والخَزْرج قبلَ الإسلام آثار وذكر . وعمُّه قيسُ بن أبى كعب ، شَهِدَ بدراً ، وهو شاعرٌ أيضا ، وهو الذى حالَفَ جُهَينة على الأَوْس . ولِكَعْب أصلٌ وعرق[1] ، وفرعٌ طويل فى الشِّعر . ابنُه عبدُ الرحمن شاعر . وابنُ ابنه بَشِير بن عبد الرحمن شاعر . ومَعْنُ بن عمرو ابن عبدِ الله بن كَعب بن مالك شاعر . والزبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب أبو الخطاب شاعر . ومعن بن وهب بن كعب شاعر . وكلهم مُجيد .

وعُمِّر كعبُ بن مالك ، وروَى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حديثاً كثيراً . وكلُّ بَنِى كعب بن مالك روَى عنه الحديث ، فما رواه بشير بن عبد الرحمن عن أبيه عن كعب جدِّه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال : « والذى نَفْسى بِيَدِه ، لكأنّما تنضَحُونَهم بالنَّبل بما تقولون لهم من الشِّعر » . وكان كعبٌ عُثمانيًّا ، وهو أحدُ من قَعَدَ عن أمير المؤمنين علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، لم يَشْهَد معه حُروبه وخاطَبه فى أمرِ عثمان وقتلتِه ، ثم اعتزلَه ؛ وله مراثٍ فى عُثمان رضى الله عنه ، وتحريضِ الأنصار على نُصرته ، منها قوله :

ولو حُلِّئتُمُ من دونِه لم يَزَل لكم ... مدى[2] الدهرِ عِزٌّ لا يبوخ ولا يَسْرِى

---

(١) عريق ، الأغانى .

(٢) يد ، الأغانى .

ولم تَقْعدوا والـــدَّار كابٍ دُخانها ... يُحرّق فيها بالسعير وبالجمـــر

فـــلم أر يوماً كان أكثرَ ضَيْعةً ... وأقربَ منـــه للغَواية والنـكر

وكان من جملة من شهر سلاحه ، فلما ناشدَ عثمانُ النَّاس أن يُغمِدوا سيوفهم انصرف ، ولم ير أنّ الأمرَ يخلُص إليه ، ولا يَجرِى الناس على قتله . فلما قُتِل وَقَف على مَجلِس الأنصار فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنشدهم قوله :

من مبلغُ الأنصارِ عـنّى آيَةً ... رُسُـلًا تَقُصُّ عليهم التبيانا

أن قد فعَلتم فَعْـلة مذكورة ... كَسَت الفُضُوح وأبدت الشنآنا

بقعودِكم فى دُوركم وإمامُـكم ... تُحْشَى[1] ضواحىدوره النيرانا

بينـاً يُرجِّى دفعَـكم عن داره ... مُلِئَتْ حرِيقـــاً كابياً ودُخانا

حتى إذا خَلَصوا إلى أبوابه ... دخلوا عليه صائماً عطشانا

يَعلُون قمَّتـــه السيوف وأنتم ... متلبِّثون مكانَـكم رضــوانا

يا لهفَ نفسى إذ يقول ألا أرى ... نفراً من الأنصـار لى أعوانا

والله لو شهد ابنُ قيسٍ ثابتٌ ... ومعاشرٌ كانوا له إخوانا

وأبو دُجانة وابنُ أرقمَ ثابتٌ ... وأخو المَشاهِد من بنى عَجلانا

ورِفاعةُ العُمَرىُّ وابن مَعاذهم ... وأخو مُعاوىَ لم يَخَفْ خُذلانا

قومٌ يرونَ الحقَّ نصرَ إمامهم ... ويرون طاعةَ أمرِه إيمانا

إن يُترَكوا فوْضَى يرَوْا فى دِينهم ... أمراً يُضيِّق عَنْهم البُـلدانا

إنى رأيتُ محمَّـــداً إختــاره ... صِهراً وكان يعــدُّه خُلْصانا

محضُ الضرائبِ ماجدٌ أعراقُه ... من خَيْر خِنْدِفَ منصباً ومكانا

عرفت له عُلياَ معدٍّ كلُّها ... بعــد النبىِّ الملكَ والسلطانا

من معشرٍ لا يَغْدِرون بجارهم ... كانوا بمـكَّة يرتُعـون زمانا

(١) تحشى ، الأغانى : تغشى ، الأصول .

يعْطُون سائلَهم ويأمن جارهم　　　فيهم ويُردون الـكُماةَ طِعانا
فلو انـكم مع نَصرِكم لنبيِّـكم　　　يوم اللِّقَــاء نصرتُمُ عثمانا
أنسيتُم عهد النبيِّ إليـكم　　　ولقد ألظَّ ووكَّد الأيمانا

فجعل القومُ يبكون ويستغفرون الله عز وجل .

[وكان يهجو قريشا ثلاثة نفر من الأنصار][1] وكان هؤلاء الثّلاثة حسَّانَ ابن ثابت ، وكعبَ بن مالك ، وعبدَ الله بن رَوَاحة . وكان حسانُ وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ، ويعيِّرانهم بالمثالِب . وكان عبدُ الله بنُ رَواحة يعيِّرهم بالـكفر والشِّرك ، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الشرك . وكان فى ذلك الزّمان أشدَّ ما عليهم قولُ حسَّانِ بن ثابت وكعبِ بن مالك ، وأهوَنَ شىء عليهم قولُ عبد الله بن رَواحة . فلما أسْلَموا وفَقِهوا الإسلام كان أشدُّ القول عليهم قولَ عبدِالله ابن رواحة .

أُتِى رسولُ اللهصلّى الله عليه وسلم فقيل له: إنَّ أباسُفيانَ بن الحارث بن عبدالمطّلب يهجُوك ، فقام ابنُ رَوَاحة فقال : « يا رسولَ الله ، ائذَنْ لى فيه » ، فقال له : « أنتَ الذى تقول[2] : فثبّت الله ؟ » قال: نَعَمْ يا رسولَ الله أنا الذى أقول :

فثبَّت الله ما أعطاك مــن حَسَنٍ　　　تَثْبيتَ موسى،ونَصْرًا كالذى نَصرا

فقال له : « وأنت فَعَلَ الله بكَ مِثْلَ ذلك » ، قال : فوثَبَ كَعْبُ بن مالك فقال : « يا رسول الله ائذَن لى فيه ، فقال له : أنت الذى تقول[2] : همَّت ؟ » قال : نعم يا رسول الله ، أنا الذى أقول :

همَّت سَخِينةُ أن تغالِب ربَّها　　　وليُغْلَبَنَّ مغالِب الغلاَّب

فقال : « أما إن الله لم ينسَ لك ذلك » .

---

(١) [وكان ... الأنصار]، زيادة عن الأغانى يقتضيها السياق .

(٢) الذى تقول ، زيادة عن الأغانى .

لما انهزمَ المشركون يوم الأحزاب قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «إن المشركين بعد اليوم لن يغزُوكم ، ولـكنّكم تلقَون منهم أذًى ويهجونـكم ، فمن يَحْمِى أعراضَ المسلمين؟ » فقام عبدُ الله بن رَوَاحة فقال : « أنا » ، فقال : « إنّك لحسَنُ الشّعر » . فقام كعب بن مالك فقال : « أنا » ، فقال : « وإنّك لحسَن الشعر » .

قال ابن سيرين : وقفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بباب كعب بن مالك ، فخرجَ إليه فقال : « إيه » فأنشده ، ثم قال : « إيه » فأنشده ، ثلاث مرات ، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلم : « هذا عليهم أشدُّ من وَقْـع النَّبل » .

لما بويع عليٌّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، بلَغه عن حسّان بنِ ثابت وكعبِ ابن مالك والنّعمان بن بَشير أنهم يقدِّمون بنى أميَّة على بنى هاشم ، ويقولون : « الشام حرم(١) المدينة » ، وكانوا عثمانية ، واتَّصل بهم أن ذلك بَلَغه عنهم، فدخلوا عليه ، فقال له كعبُ بن مالك : « يا أميرَ المؤمنين ، أخبرنا عن عثمان : أقُتِـلَ ظالمًا فنقولَ بقولِك ، أم قُتِل مظلوماً فتقولَ بقولِنا ؟ أم نَـكِلك(٢) إلى الشُّبهة ، والعجبُ من يقينِنا وشـكِّك ، وقد زعمت العربُ أن عنـدَك علمُ ما اختلفنا فيه فهاتِه » ، ثم قال :

فـكفَّ يدَيه ثم أغلَقَ بابه ... وأيقنَ أنّ الله ليسَ بغافل

وقال لمن فى داره : لا تُقاتِلوا ... عفا الله عن كلِّ امرئ لم يقاتِل

فـكيف رأيتَ الله صبَّ عليهم الـ ... ـعداوةَ والبغضاءَ بعـد التواصُل

وكيف رأيتَ الخيرَ أدبر عنهم ... وولَّى كإدبار النعـام الجوافل

فقال عليٌّ رضى الله عنه : « عندى ثلاثةُ أشياء : اسْتأثَر عثمانُ فأساء الأَثَرَة ، وجزِعتم فأسأتُم الجزَع ، وعند الله ما تختلفون فيـه إلى يوم القيامة » . فقالوا :

---

(١) خير من ، الأغانى .

(٢) ونـكلك ، الأغانى .

« لا ترضى بهذا العربُ منا، ولا يعذِروننا » . فقال عليّ رضي الله عنه : « أيُرَدُّ عليّ بين ظهرانَيْ المسلمين بلا نيَّة صادقة، ولا حجَّةٍ واضحة ؟ اخرُجوا عنِّي فلا تجاورونى فى بلدٍ أنا فيه أبداً » . فخرجوا من يومهم ، فساروُا حتَّى أتوْا معاويةَ ، فقال لهم : « لكم الكِفاية والوِلاية » ، فأعطى حسّانَ بن ثابت ألفَ دينار ، وكعبَ بن مالك ألفَ دينار ، وولّى النُّعمان بنَ بشير حمص ، ثم نقله إلى الكوفة .

قال معاوية يوماً لجلسائه : « أخبرونى بأشْجع بيتٍ وصَف به رجلٌ قومَه » فقال رَوْحُ بن زِنباع : « قولُ كعب بن مالك :

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرن بخطْونا ... قدما ونُلحِقُها إذا لم تَلْحق »

فقال له معاوية : « صدقت » .

وأما أبوه مالك بن أبى كعب فهو القائل :

لعمر أبيها ما تقول حليلتى : ... ألا فرّ عنى مالكُ بن أبى كعب
أقاتِلُ حتَّى ما أرى لى مقاتِلًا ... وأنجو إذا غمّ الجبانُ من الكرب
أبَى لى أنْ أُعطى الظلِيمةَ معشرى ... جُدودى وآبائى الكرام ذوو الشَّغْب
علىّ لجارى ما حييتُ ذمامه ... وأعرفُ ما حقُّ الرفيق على الصَّحب
ولا أسمعُ النَّدمان شيئاً يريبه ... إذا الكأسُ دارت بالمدام على الشَّرْب
وكان أبى فى المَحْل يُطعم ضيفه ... ويُروى نداماه ويصبِر فى الحرب
ويمنعُ مولاه ويدرِكُ تبْلَه ... ولو كان ذاك التَّبْل فى مركب صعب
إذا ما منعتُ المالَ منكم لثروةٍ ... فلا يهنِنى مالِى ولا ينمُ لى كسبى

قال هذا الشعر فى حَربٍ كانت بينَه وبين رجُلٍ من بنى ظَفَر يقال له بَرْذع بن عَدِىّ . وذلك أن رجلًا من بنى طىّ نزل فى جوار برذع بن عدىّ بإبلٍ له فى يَثرب ، فباع إبلَه واقتضى أثمانَها . وكان مالكُ بن أبِى كَعْب اشترى منه جَمَلًا ، فمطلَه مالِكٌ بثمن الجمل ، وحضر شخوص الطائىّ ، فشكا ذلك الى برذع ، فمشي معه إلى

منزل مالك بن أبى كعب ليكلمه فى أن يوفّيه ثمن جمله أو يردّه عليه ، فلم يجد مالكاً فى منزله، ووجَدَ الجملَ باركاً فى الفِناء، فبعثه برذع وقال للطائىّ : « انطلق بجملك »، ثم خرجا به مسرعين ، وارتحل الطائىُّ بالجمل إلى بلاده ، وبلغ مالكاً ماصنع برذع ، فكرِه أن ينشب بينهم حربٌ فكفَّ ، وقد أغضبَه ذلك ، وجعل يعيِّر برذعاً فى جرأته عليه وماصنع، فقال برذع من أبيات :

أتانى وعيدُ الخزرجِّى كأننى ... ذليلٌ له عند اليهودىِّ مَضْرَع
متى تلقَنى لا تلْقَ نُهْزَة واجد ... وتعلمُ أنِّى فى الهزاهِز أرْوَعُ
معى سَمْحَةٌ صَفْراءُ من فَرْع نَبْعةٍ ... وسيفٌ إذامسَّ الضريبَةَ يقطَعُ
فلا وإلٰهى لا يقولُ مجاوِرى ... ألا إننى قد خانَنى اليومَ برذَع
وأجعلُ مالى دونَ عِرضِىَ إنه ... على الوُجْدِ(1) والإعدامِ عِرضٌ ممنّع
وأصبِرُ نفسِى فى الكريهَة إنّه ... لدى كل جَنبٍ مستقُرٌّ ومصرَع
وإنِّى بحمدِ الله لاثوبَ فاجرٍ ... لبِستُ ولا من خَزْيةٍ أتقنَّع

فأجابه مالكُ بن أبى كعب من أبيات :

إنِّى من الخَزْرج الغرِّ الذين هُمُ ... أهلُ المكارم لا يُلفَى لهم جِيلُ
أشبهتُ من والدِى عزًّا ومكرُمةً ... وبرذَعٌ مُدْغَم فى الأوْس مجهول
نُبِّئْتُه يدّعى عزًّا ويُوعدنى ... نُوكاً وعندى له بالسيف تنكيل

ثم إن مالكاً خرج يوماً لبعض حاجاتِه ، فبينا هو يمشى وحدَه إذ لقيه برذع ومعه رجلان من بنى ظَفَر . فلما رأَوا مالكا أقبلُوا نحوَه ، فبادَرَهم مالكٌ إلى مكانٍ من الحرَّة كثيرِ الحجارة مُشرِف ، فقام عليه وأخَذَ فى يده أحجاراً ، فأقبلُوا حتى دَنَوْا منه فشاتَموه ورَامَوْه بالحجاره وجعل مالكٌ يلتفت إلى الطريق إلى جاءَ منها ، كأنَّه يستبْطِئ ناساً ؛ فلما رآه برْذَع وصاحباه ظنُّوا أنه ينتظِر ناساً كانوا معه ، وخَشُوا

(١) الوجد ، الأغانى : الجود ، المخطوطات .

أن يأتُوهم على تلك الحال ، فانصرفوا عَنه . فذلك حين يقول هذه الأبيات : « لعمر أبيها ما تقول حليلتى » .

وقيلَ : إنّ هذا الشعر لرجُلٍ من مُراد يقال له مالكُ بنُ أبى كَعب ، تزوج بامرأة من أرحَب ، ثم مات أبوه ، فقالت له الأرحبية : إنى قد اشتقتُ إلى أهلى ووَطَنى ، ونحن هنا فى جَدْبٍ وضِيق ، فلو ارتحلتَ بى وبأهلِك ، فنزلتَ على أهلى ، لكان عيشُنا أرغَد ، وشملُنا أجمَع ؛ فأطاعَها وارتَحَل بها وبأهله إلى بلاد أرحَب ، فمرّ بحىٍّ بينه وبين أبيه ثار ، فعرَفوا فرَسَه فخرجُوا إليه وأَحْدَقوا به ، وقالوا لَهُ : « اسْتَسِلمْ وسلّم الظَّعينة ! » فقال : « أمّا وسَيْفى بِيَدى وفرسى تحْتى فَلَا » . وقاتلهم حتى صُرِع وقال وهو يجودُ بنفسه :

لعَمرُ أبيها ما تقولُ حلِيلَتى ألا فرّ عنّى مالكُ بنُ أبى كَعب

والخبر الأول أصح .

الـكميت بن زيد

هو الـكُمَيت بنُ زيد بن خُنيس بن مجالد بن وُهَيب بن عمرو بن سُبيع . وقيل مجالد بن ذُؤَيبة بن قَيس بن عَمرو بن سُبَيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان ابن أسَد بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار .

شاعِرٌ مقدَّم ، عالم بلغاتِ العرَب ، خبيرٌ بأيّامها ، من شُعراء مُضَر وألسِنَتِها والمتعصِّبين لها على القحطانية ، المقارِعِين لشُعَرائهم ، العلماء بالأَمثال والأيَّام .

وكان فى أيّام بنى أميّة ، ومات ولم يُدْرِك الدَّولة العبّاسية ، وكان معروفاً بالتشيُّع لبنى هاشِم ، مشهورًا بذلك ، وقصائده الهاشميّات من جيِّد شعره ومُختاراته ، ولم تَزل عصبيَّته العدنانيَّة ، ومهاجاته شعراء اليمن متَّصلة ، ومناقضاتُه بينهم وبينه شائعةً فى حياته وفيما بعد وفاتِه ، حتَّى ناقض دِعْبلُ الخزاعىُّ وابنُ أبى عُيَيْنَة قصيدتَه المذهبة بعد وَفاتِه ، وأجابهما أبو الزلفاء البصرىّ مَوْلَى بنى هاشم عنها .

وقال الأحمرُ : إنَّه رأى الـكُمَيت فى مَسْجد البصرة يعلِّم الصِّبيان ، وكان بينه وبين الطِّرِمَّاح خُلطة ومودَّة وصفاء ، لم تـكنْ بين اثنين . قال محمّد بن سَهل راوِيةُ الـكُمَيت : أنشَدَنى الـكُمَيت قولَ الطِّرِمَّاح :

إذا قُبِضتْ نفسُ الطرمّاح أخلقَت عُرى المجد واسْترخى عِنان القصائد

فقال : إى والله ! وعِنانُ الخطابة والرِّواية . هذا على أن الـكميتَ شيعىٌّ عدنانىّ ، من شُعَراء مُضَر ، متعصِّبٌ لأهل الـكوفة . والطرمّاح خارجىٌّ صُفْرىّ قحطانىّ عصبىٌّ لقحطان ، من شُعَراء اليَمن ، متعصِّب لأهل الشام . فقيل لهما : « كيف اتَّفقتما هذا الاتِّفاق مع هذا الاختلاف ؟ » قالا : « اتَّفقنا على بُغْضِ العامَّة ». وهذا عَجَب مع تفاوُتِهما فى المذهب والعصبيَّة والديانة .

(١٨/٦ مختار الأغانى)

اجتمع الـكميتُ بن زيد وحمّاد الراوِية فى مسجدِ الـكوفة ، فتذاكَرَا أشعار العرب وأيّامها ، فخالَفَه حمّاد فى شىء ونازَعه ، فقال له الـكُمَيت : « أتظنُّ أنك أعلمُ منّى بأيّام العرب وأشعارها ؟ » قال: « وما هو إلّا الظن ؟ هذا عَيْنُ اليقين ». فغضِب الـكُميت ، ثم قال له : « لِـكَم شاعرٍ بصيرٍ يقال له عمرُو بن فلان تَرْوِى ، ولِـكَم شاعرٍ أعمى يقال له فلانُ بنُ عمرو ترْوِى ؟ » فقال حمّاد قولًا لم يبيّنه ، فجعل الـكميت يذكر رجُلًا رجُلًا من صنفٍ صنفٍ ، ويسأل حمّادًا : هل تعرفه ؟ فإذا قال لا أنشده من شعره جزءًا كبيراً ، حتى ضَجِرنا . ثم قال الـكُميت : « إنّى سائلُك عن شىء من الشعر » ، فسأله عن قولِ الشاعر :

طرَحُوا أصحابَهم فى وَرْطةٍ　　　قذفَكَ المقلةَ وسط المعترك

فلم يعلم حمّاد تفسيره ، وسأله عن قول الآخر :

تدرّيْنَنَا بالقول حتّى كأنما　　　تدرّيْن ولداناً تصيد الرهادنا

فأفحِم حماد ، فقال له الـكُميت : « قد أجّلتُك إلى الجمعة الأخرى » . فجاء حمادٌ ولم يأتِ بتفسيرها ، وسأل الـكميتَ أن يفسرَها ، فقال : « المُقلة حصاةٌ أو نواةٌ من نوى المقل ، يحملُها القومُ معهم إذا سافَروا ، توضع فى الإناء ويصبُّ عليها الماء حتّى يغمرَها ، فيكون ذلك علامةً يقتَسِمون بها الماءَ . والمعترَك : الموضع الذى يَخْتَصِمُون فيه على الماء ، فيلقونَها هناك عند الشر . وقوله « تدرّيننا » يعنى النساء،أى خَتَلْنَنَا ورَمَيْنَنَا . والرَّهادن : «طير بمكّة كالعصافير » .

كان حَـكِيمُ بن عبّاس الأَعور الـكلبىّ وَلِعاً بهجاء مُضَر . وكانت شُعَراء مضرُ تجيبه وتهجوه . وكان الـكُميتُ يقول : « هو أشعرُ منـكم » . قالوا : « فأجِب الرجل » ، قال : « إن خالدَ بنَ عبد الله القسرىّ محسِنٌ إلىّ ، فـلا أقدرُ أن أردّ عليه »،قالوا : « فاسْمَعْ ما قال فى بناتِ عمِّـك وبناتِ خالك من الهجاء » وأنشدوه . فغضِب الـكميت وحَمِى لعشيرته ، فقال قصيدَته المذهبة :

« ألا حُيِّيتِ عنَّا يامدينا »

فأفحش فيها . وبلغ خالداً خبرُها ، فقال : « ماأبالى ما لم يَجْرِ لعشيرتى ذكر »، فأنشدوه إيّاها ، فأحْفَظَتَه وقال : « فعلها ! والله لأقتلنَّه » . ثم اشترى ثلاثينَ جاريةً بأغلى ثمن ، وتخيَّرهن نهايةً فى الحسن والجمال والفَصاحة ، وروّاهُنّ الهاشِميّات من شِعر الكُمَيت ، ودسَّهن مع نخّاسٍ إلى هِشام بن عبد الملك ، فاشتراهنّ جميعاً ، فلما أَنِس بهنّ استَنْطَقَهنّ فرأى فصاحةً وأدباً ، فاستقرأهُنّ القرآن فقرأن ، واسْتَنْشَدهُنّ الشِّعر فأنشدْنَ قصائد الكُمَيْت الهاشميّات ، فقال : « ويلكنَّ ! من قائل هذا ؟ » قلن: «الكُميت بنُ زيد الأسدىّ » ، قال : « وفى أى بلدٍ هو ؟ » قلن : « بالعِراق ثم بالكوفة » . فكتب إلى خالدٍ وهو عامله على العِراق : أن ابعث إلىّ برأس الكُميت بن زيد ، فبعث خالد إلى الكُميت فى الليل ، فأخذه فأودَعَه فى السِّجن . فلما كان فى غدٍ أقرأَ من حضره من مُضَر كتابَ هشام ، واعتذَرَ إليهم من قتله ، وآذَنهم فى إنفاذ الأمر فيه من غد ، وقال لأَبان بن الوليد البَجَلى — وكان صديقاً للكميت —: « انظرُ ما وَرَد فى صديقِك ! » فقال: « عزيزٌ والله علىَّ به » ، ثم قام أبان ، وكان عاملًا على واسِط ، فبعثَ إليه بغلامٍ على بَغْل وقال له : « إن لَحِقتَه فأنت حرٌّ ، والبغل لك » . وكتب إليه : قد بَلَغنى ما صِرتَ إليه وهو القتل ، إلَّا أن يدفع الله عزّ وجل ، وأرى لك أن تَبْعَثَ إلى (حُبَّى) — يعنى زوجةَ الكُميت ، وهى بنت نُكيف بن عبد الواحد ، وكانت تتشيَّع أيضا — فإذا دخَلَتْ عليكَ فالبَسْ ثيابَها وتنقّبْ نقابَها ، واخرج ، فإنّى أرجو ألا يؤبه لك » . فأرسل الكُمَيت إلى أبى الوضَّاح حبيب بن بديل ، وإلى فِتيانٍ من بنى عمِّه ، بنى مالك بن سعيد ، فدخل عليه سَعيد ، فأخبرَه الخبر وشاوَره فيه ، فسدَّد رأيه . ثم بعثَ إلى (حُبَّى) زوجتِه ، فقصَّ عليها القصَّة وقال : « يا ابنةَ عمِّى ، إن الوالىَ لا يُقدِم عليكِ ، ولا يُسْلِمُك قومُك ، ولو خِفتهُ عليكِ لما عرَّضتُك له ».

فألبسته ثيابَها وإزارَها وخمَّرته وقالت له : « أقبِــل وأدْبِر » ، ففعل فقالت : « ما أنـكِر منكَ شيئاً إلا يُبسا فى كَتِفَيك، فاخرُج على اسمِ الله » . وأخْرَجَتْ معه جاريتين لها ، وعلى باب السجن أبو الوضَّاح والفتيانُ الذين حضروا معه وبنو عمِّه . فلم يُؤْبَه له ، ومشَى الفتيانُ بين يدَيه إلى سكَّة شبيب بناحِية الـكناس ، فمرَّ بمجلسٍ من مجالس بنى تميم ، فقال بعضهم: « رجُلٌ وربِّ الـكعبة » ، وأمر غلامَه أن يتبعه، فتَبِعه فصاح أبوالوضَّاح : « يا كذا وكذا ! لا أراكَ[1] تتْبَع هذه المرأة منذُ اليوم » وأومى إليه بنَعله ، فولَّى العبد مُدبِراً وأدخله الوضَّاح منزله فقال :

خرجتُ خروجَ القِدْح قدح ابن مُقبلٍ على الرَّغم من تلك النَّوابح والمُشْلِى
علىَّ ثيـــابُ الغانياتِ وتحتَها عزيمةُ أمرٍ أشبهَتْ سلَّة النصل

ولما طال الأمر على السجّان نادى الـكُميت فلم يجبه ، فدخل ليعرِفَ خبره ، فصاحتْ به المرأة : « وراءَكَ ! لا أمَّ لك » . فشقَّ ثوبه ومضى صارخاً إلى بابِ خالد فأخبرَه الخبر، فأحضر « حُـبَّى » وقال لها : « يا عدُوة الله! احتلتِ على أميرِ المؤمنين، وأخرجتِ عدوَّه ، لأُمثِّلن بك ولأفعلنّ » . فاجتمعَ إليــه بنو أسَد وقالوا : « ما سبيلُك على امرأةٍ خُدِعتْ ؟ » فخافهم فخلَّى سبيلها . وسقط غرابٌ على حائط فنعَب ، فقال الـكُميت لأبى الوضَّاح : «إنى لمأخُوذ ، وإن حائطَك لساقِط » ، فقال : «سُبحان الله ! هذا ما لا يكونُ إن شاء الله » . وكان الـكميت خبيرا بالزَّجر فقال : « لا بدَّ أن تحوِّلَنى ، فخرج به إلى بنى عَلْقَمة ، وكانوا يتشيَّعون ، فأقامَ فيهم ؛ ولم يُصْبِح حتى سَقَط الحائط . وأقام مُدّةً متوارياً ، حتى إذا أيقَن أن الطلب قد خفَّ عنه ، خرج ليلًا فى جماعة من بنى أَسَد على خَوفٍ ووَجَل ، وفيمن معه صَاعِدٌ غلامُه ، فأخذ طريق القطقطانية[2] ، وكان عالماً بالنُّجوم يهتدِى بها . فلما كان سحرا صاح بنا :

(١) أراك ، كبريلى والمخطوطتان .
(٢) الطريق على القطقطانه ، الأغانى .

« هوِّموا يا فتيان » ، فهوَّمنا ، وقام يصلِّى . قال أبو المستهلّ : « فرأيتُ شخصاً فتَضَعْضَعْتُ له فقال : « مالك؟ » فقلتُ : « أرى شيئاً مُقْبِلًا » ، قال : « هذا ذئبٌ جاء يستَطْعِمكم » . فجاء الذئب ، فربَضَ ناحيةً ، فأطعمناه يدَ جَزُور فتعرَّقها ، ثم أهْوَى له بإناء فيه ماء ، فشرب منه . وارتحلْنَا ، فجعل الذئبُ يعوى ، فقال الـكميت : « ما له وَيْلَه! ألم نُطْعِمْه ونَسْقِه؟ وما أعْرَفنى بما يريد، هو يُعلِمُنا أنّا لسنا على الطَّرِيق ؛ تيامَنوا » ، فتيامَنَّا ، فسكن عُواؤه . فلم نزل نسير حتى أتيْنَا الشام . فأتى مَسْلَمَة بن عبد الملك فاستجارَ بِه ، فقال : « أخْشَى ألا ينفعَك جِوارى عنده ، ولـكن استَجِر بابنِه مَسْلمة بن هِشام » . فقال : « كُنْ أنت السفير فى ذلك » . ففعل مَسْلمة ، فأتَى ابنَ أخيه ، فقال : « يا أبا شاكر ، قد أتيْتُك بشَرَف الدهر ، واعتقادِ الصَّنيعة فى مُضَر » . وأخبَرَه الخبر فأجاره مَسْلَمة بنُ هِشام . وبلغ الخبرُ هشاماً ، فدَعى به وقال : « أتجيرُ على أمير المؤمنين بغير أمره ؟ » قال : « لا ! ولـكنِّى انتظرتُ سكونَ غَضَب أمير المؤمنين » . قال له : « أحضِرنيه الساعةَ ، فإنه لا جوارَ لك » . فقال مسلمةُ للـكميت : « يا أبا المستهلّ ، إن أميرَ المؤمنين أمرنى بإحضارك » . قال : « أتُسْلِمُنى يا أبا شاكر ؟ » قال : « لا ولـكنِّى احتال لك » ثم قال : « إنّ معاويةَ بن هِشام ماتَ قريباً ، وقد جَزِع عليه جزعاً شديداً، فإذا كان من اللَّيل فاضرِب رِواقَك على قبره ، وأنا أبعثُ لك ببَنِيه يكونون معك فى الرِّواق، فإذا دعاَ بكَ تقدَّمتَ إليهم بأن يَرْبطوا ثيابَهم بثيابك ، ويقولوا هذا استجارَ بقبْر أبِينا ، ونحن أحْرى بإجارَته » . فأصبحَ هشامٌ على عادته ، متطلِّعا من قَصْره إلى القبر ، فقال : « من هذا ؟ » قالوا : « لعلّه مستجيرٌ بالقبر » . فقال : « يُجارُ من كان إلا الـكُمَيت ، فإنه لا جِوارَ له » ، فقيل له : « فإنّه الـكُمَيت »، فقال : « يُحضَر أعنفَ إحْضار » . فلما دُعِى به ربط الصِّبيانُ ثيابَهم بثيابِه . فلما نظر هِشامٌ إليهم اغرَوْرَقت عيناه بالدموع واستَعْبر ، وهم يقولون: « يا أميرَ المؤمنين ! استجارَ

بقبر أبينا ، وقد مات ومات حظُّه من الدنيا ، فاجعله هبةً له ولنا ، ولا تفضَحْنا فيمن استجار به » . فبكى هشامٌ وانتحب ، ثم أقبل على الكُمَيت فقال له : « أنتَ القائل .

والا تَقُولوا غيرَها تتعرَّفوا نواصيَها تَردِى بنا وهى شُزَّب

لا والله ، ولا أتانٌ من أتُن الحجاز وَحْشية » . فحمِد الكُمَيت الله ، وأثنى عليه ، وصلَّى على محمد نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « أما بعد ؛ فإنى كنتُ أتدَهْدَى فى غَمْرة ، وأعومُ فى بَحر غَواية ، أخنَى علىّ خَطَلُها ، واستفزَّنى وهَلُها ، فتحيَّرت فى الضَّلالة وتسكَّعتُ فى الجهالة ، مهرِعاً عن الحقّ . جائراً عن القصد ، أقول الباطلَ ضلالًا ، وأفوه بالبُهتان وَبالاً . وهذا مَقام العائذ مُبْصِر الهدى ، ورافض العمَى ؛ فاغسِل يا أميرَ المؤمنين الحَوْبةَ بالتَّوبةَ ، واصفَحْ عن الزلَّة ، واعف عن الجرِمة » . وقيل قال فى قوله لهشام : « يا أميرَ المؤمنين ؛ غائب آب ، ومُذْنِب تاب ، محى بالإنابة ذنبَه ، وبالصدق كَذِبه ، ومِثْلُك من حلم عن ذى الجريمة ، وصفح عن ذى الرِّيبة » . ثم أنشد :

* قِفْ بالدِّيار وقوفَ زائر *

ومضى فيها حتى قال :

كم قال قائلكُم : لعاً لكَ ، عند عَثْرته لعاثر
وغفرتُمُ لذوى الذنو ب مِن الأكابرِ والأصاغر
أ بَنِى أميَّة إنّكم أهل الوسائل والأوامر
ثِقتى لكلِّ ملمَّةٍ وعَشيرتى دونَ العشائر
أنتم معادنُ للخلا فة كابراً من بعد كابر
بالتِّسعة المتتابعي ن خلائفاً وبخير عاشر
وإلى القيامةِ لن تزا ل لشافعٍ منكم وواتر

ثم قطع الإنشادَ ، وعاد إلى خطبته فقال : « إغضاء أمير المؤمنين ، وسماحته ومناطُ المنتجِعين بحبله من لا يحُـلّ حُبْوَتَه لإساءة المذْنبين ، فضلًا عن استِشاطة غضبِه بجَهْـل الجاهلين ، وإساءَة المسيئين » ، فقال له : « ويلك يا كميت ! من زيَّن لك الغَواية ، ودلَّاكـ للعَماية ؟ » قال : « الذى أخْرَج أبانا من الجنَّة ، وأنساه العَهْدَ، فلم يجدْ له عزماً » . فقال له : إيه ! فأنتَ القائل :

أيا موقداً ناراً لغـــيرِكـ ضوءها ... ويا حاطبــاً فى غير حبلِك تحطِب

قال : بل أنا القائل :

إلى آل فهـرٍ[1] أبى مالكٍ ... منـاخٌ هو الأرحبُ الأسهل
نَمُتُّ بأرحامِنـــا الداخلا ... تِ من حيث لا ينـكَر المدخلُ
بـــرَّة والنضر والمـــالكيـــنَ رهطٌ هم الأنبـل الأنبلُ
وبابْـنَى خزيمـةَ وَبْـلُ السما ... ء والشَّمس مفتـاح ما نأمل
وجدنَا قريشاً قريشَ البطـاح ... على ما بـَنَى الأوّلُ الأوّل
بهم صلُح الناسُ بعد الفســاد ... وحيص من الفَتْق مارَعْبَـلوا

فقال له : « فأنت القائل :

لا كعبدِ المليكِ أو كوليـدٍ ... أوسُليمان بعـــدُ أو كهشام
من يَمُتْ لا يمُتْ فقيداً ومن يَحْـ ... ـيَ فـلا ذُو إلٍّ ولا ذُوذمام

ويلكَ يا كُميت ! جعلتَنا فيمن لا يرقُب فى مؤمنٍ إلا ولا ذمَّةَ » .

قال : يا أميرَ المؤمنين ، بل أنا القائل :

فالآن صرتُ إلى أميَّـــةَ والأمورُ لهــا مصــائر
والآنَ صرتُ بها المصيب ... كمهتـدٍ بالأمس جائر
يا ابنَ العقـــائِل للعقـا ... ئِل والجَحَاجِحَةِ الأخاير

---

(١) بيت ، الأغانى .

مِن عبـد شَمْسٍ والأكا ... بِرِ من أميَّـة فالأكابِرِ
إنَّ الخلافـةَ والإلاَ ... فَ برغم ذى حسدٍ ووَاغِرِ
دلفـا من الشَّرفِ التليـــدِ إليـك بالرِّفـد المُوافـرِ
فحَلَلْتَ معتَلجَ البطـــا ... ح وحلَّ غيرُكَ بالظواهر

قال : « إيه ! فأنتَ القائل :

فقـل لبنى أميَّـةَ حيـثُ حلّوا ... وإن خفتَ المهنَّـد والقطيعــا
أجاع الله من أشبعْتمُــوه ... وأشبعَ من بجودِكم أُجيعــا
بمرضىٍّ السياســةِ هاشمىٍّ ... يـكونُ حيـاً لأُمَّتـه رَبيعـاً »

فقال: « لا تثريبَ يا أميرَ المؤمنين ، إن رأيتَ أن تمحوَ عنى القولَ الـكاذب » .

قال : « بماذا ؟ » قال : « بقولىَ الصَّادق » :

أورثَتْه الحَصانُ أمُّ هشامٍ ... حَسَباً ثاقبـاً ووجهاً نضيراً
وكساه أبُو الخلائفِ مَرْوا ... ن سَناءَ المكارم المـأثُورا
لم تجهَّم له البِطاحُ ولـكن ... وجدَتْها له مغاراً[1] ودورا

وكان هشام متّـكئاً ، فاستوى جالساً ، والتفت إلى سالِم بن عبد الله بن عُمَر — وكان إلى جانبه — وقال : « هكذا فليـكُنْ الشِّعر ؛ قد رضيتُ عنك يا كميت » . فقبَّل يده وقال: « ياأميرَ المؤمنين ؛ إن رأيتَ أن تزيد فى شَرَفى ، ولا تجعلَ لخالدٍ علىَّ إمْرة » . قال : « قد فعلتُ » ، وكتب إليه بذلك ، وأمر له بأربعينَ ألفِ درهم ، وثلاثين ثوباً هشاميةً وكتبَ إلى خالد أن يخلِّى سبيل امرأتِه ، ويعطيها ثلاثين ألفِ درهم وعشرين ثوباً . ففعل ذلك .

وله مع خالدٍ أخبارٌ بعد قُدومه الـكوفةَ بالعهد الذى كَتَبَ له . منها أنَّه مرَّ بخالدٍ يوماً ، وقد تحدث النّاسُ بِعزله عن العِراق ، فلما جازَ به تمثّل الـكميت :

(١) مغارا، كبريلى : معانا ، المخطوطتان .

أراها وإن كانت تَخبّ فإنها　　سحابةُ صيْفٍ عن قليلٍ تقشّع

فسَمِعَها خالدٌ فقال : « أم والله لا تَنْقَشِعُ حتّى يغشاك منها شُؤبوب برد » .
وأمِرَ به فضُرِبَ مجرَّدًا ، ضربه مائةَ سَوْط ، وخلّاه ومضى .

ولما انفَصَل من بين يدَىْ هِشام جمعت له أميَّة بينها مالًا كثيراً .

ولم يُحفظ من قصيدتِه الرائيَّة إلا ما حفِظَه الناس يومَئذٍ . وسئل عنها فقال :
« ما أحفظُ منها شيئاً ، إنما هو كلام ارتجلتهُ » .

وقيل : إنَّ الذى كان اعتقَله نائبُ خالدٍ على الكوفة . وإنّه لما سلِم وخَرَج
فى قماش زوجَتِه ، كتب النائبُ إلى خالد بذلك فأجابه : «حرّة كريمةٌ آسَتْ ابنَ عمِّها
بنفسِها » ، وأمرَه بتخْلِيَتِها .

وهجاها الأعور السُّلَمى ورماها بأهل الحبس ، فهاج الكميتَ ذلك إلى أن قال
قصيدتَه التى هى :

* ألا حُيِّيتِ عنَّا يا مدينَا *

وهى ثلاثمائةُ بيتٍ ، لم يترك فيها حيًّا من أحياء اليمَن إلا هجاهم .

وقيل : إنّه لما استجار بمَسْلمة بنِ عبد الملك قال له : « إنى قد أجرتُ على
أمير المؤمنين فأخفر جِوارى ، وقبيحٌ برجلٍ مثلى أن يُخْفَر جواره فى كلِّ يوم ،
ولكنّى أدلُّك ، استَجِر بمسلمةَ بن هشام ، وبأمِّه أمِّ الحكم بنتِ يحيي بن الحكم ،
فإنَّ أميرَ المؤمنين قد رشَّحه لِولاية العهد » . فقال الكُمَيت : « بئسَ الرأى أن
أضَع دمِى بين صبىٍّ وامرأة ، فهل غير هذا؟ » قال : « نعم ، استَجِر بقَبْر مُعاوية » ،
فاستجار به .

ولما خرجت الجُعْفَرِيَّةُ على خالدِ القَسرى دَهِشَ دَهَشاً عظيما ، وكان يخطُب
على المنبر ، وهو لا يعلم بهم ، فجعلوا ينادُون : « لبَّيكَ جعفر ، لبَّيك جعفر » .
وعرَف خالد خبرَهم ، فلم يعلم ما يقول فزعاً ، وقال : « أطعِمُونى ماء » . ثم خرج

الناسُ إليهم ، فأخذوهم ، وجعل يَجِئ بهم إلى المسجد ويؤخذ طُنٌّ قَصَب فيطْلَى بالنِّفط ، ويقال للرجل احتَضِنه ، ويضرب حتى يَفْعل ، ثم يحرَق ، فحُرِق جميعُهم . فلما عُزِل خالد عن العراق ، ووُلِّى يوسفُ بن عمر دخل عليه الكُميت ، وقد مَدَحه بعد قتله زيدَ بن على رضى الله عنه ، فأنشده قوله فيه :

خرجْتَ لهم تمشِى البَرَاحَ ولم تكن كمن حِصنُه فيه الرِّتاج المضبَّب
وما خالدٌ يستَطِعم الماء فاغِراً بعدلِك والدَّاعى إلى الموت ينعب

والجند قيامٌ على رأسِ يوسف ، وهم يمانِيَة ، فتعصَّبوا لخالد ، فوضعوا نِعالَ سُيوفهم فى بطن الكُميت ، فوجَؤوها وقالوا : « تُنشِد الأميرَ ولم تَسْتَأمره » . فلم يزل ينزِفُ الدَّم حتى مات .

مرّ الفرزدقُ بالكُمَيت وهو يُنْشِد — والكُميتُ يومئذٍ صبيٌّ — فقال له الفرزدق : « ياغلام ، أيسرُّك أنى أبوك ؟ » فقال : « لا ولكن يسرُّنى أن تكونَ أمّى » ، فحُصِر الفرزدق ، وأقبل على جلسائه وقال : « ما مرّ بى مثلُ هذا قطّ » .

قال محمَّد بن سَهل صاحبُ الكميت : دخلت مع الكميت على أبى عبد الله جَعفر بن محمَّد بن علىّ رضى الله عنهم ، فقال له : « جعلتُ فِداك ! ألا أُنشِدُك ؟ » ، قال : « إنها أيّامٌ عِظام » ، قال : « إنَّها فيكم » ، قال : « هاتِ » . وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب ، فأنشد ، وكَثُر البكاء حتى أتى إلى هذا البيت :

يصيبُ به الرامُون عن قَوْسِ غيرهم فيا آخِراً أسْدَى له الغىّ أوّلُ

فرفع أبُو عبد الله يدَيْه وقال : « اللّهم اغفِر لى وللكُميت » .

ودخل يوماً على أبى عبد الله جعفر بن محمد بن على رضى الله عنهم ، فأعطاه ألفَ دينارٍ وكُسوة . فقال له الكميت : « والله ما أحْبَبْتُكم للدُّنيا ، ولو أردتُ الدنيا لأتيتُ من هى فى يَدِه ، ولكنَّنى أحببتكم للآخرة . فأما الثياب التى أصابت أجسامَكم ، فأنا أقبلُها لبرَكاتها ، وأما المال فلا أقبلُه » فردَّه وأخذ الثياب .

ودخل على فاطمةَ بنتِ الحسين ، فقالت : « هذا شاعرُ أهل البيت » ، وجاءت بقدَحٍ فيه سَويق ، فحرَّكته بيدِها ، وسقَتْ الكُميت . ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب . فهمَلَت عيناه وقال : والله لا أقبلُها ، إنِّى لم أحبّكم للدنيا .

لما جاءت المسوِّدة سخّروا المستهلّ بن الكميت الشاعر ، وحملوا عليه حملاً ثقيلاً وضربوه . فمر ببنى أسَد فقال : « أترضَون أن يُفعل بى هذا الفعال ؟ » قالوا : «هؤلاء الذين يقولُ أبوكَ فيهم :

«والمصيبونَ بابَ ما أخطأ الناّ ... سُ ومُرْسُو قواعدِ الإسلام

قد أصابوا فيك ، فلا تكذِّب أباكَ » .

أخذ العَسَسُ المستهِلّ بن الكُميت فى أيّام أبى جعفر . وكان الأمر صعبا ، فحُبس ، فكتب إلى أبى جَعفر يشكُو حالَه ، وكتب فى آخِر الرقعة :

«إذا نحن خِفنا فى زمانِ عدوِّكم ... وخفناكُم إن البلاء لرَاكِد »

فلما قرأه قال : « صدق المستهِلُّ » ، وخلّاه .

كان بين بنى أسَد وبين طيِّئ بالحضْر — وهى قريبة من قادِسيَّة الكوفة — حربٌ ، فاصطلحُوا ، وبقى لطيِّئ دماءُ رجُلَيْن ، فاحتمل ذلك رجلٌ من بنى أسد ، فمات قبل أن يؤدِّيَه ، فاحتملَه الكميتُ بن زيد ، فأعانَه عبدُ الرحمن بن عتبة فمدحَه بقولِه :

أأبكاكَ بالعُرُف المنزلُ ... وما أنتَ والطلَلُ المحول

وأعانه الحكم بن الصَّلت الثَّقفى فمدحَه . وأعانه زياد بن المَعَقّل الأسدىّ فمدحه ، ثم جلَس الكُميت ، وقد خرج العَطاء ، فأقبلَ الرجلُ يعطِى الكُميت المائتينِ والثلاثمائة ، والأكثرَ والأقلَّ . قال : وكانت دِيَةُ الأعرابى ألفَ بعيرٍ ، وديةُ الحضرىِّ عشرةَ آلاف درهم ، وكانت قيمةُ الجمل عشرة دراهم. فأدى الكُمَيتُ عشرين ألفاً ، عن قيمة ألفَىْ بعير .

قال إسماعيلُ بن عليّ الُخزاعى ـ ابن أخى دِعبل ـ : حدّثنى عمِّى دعبل قال : رأيتُ النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم فى المنام ، فقال لى : « مالَكَ والكميتَ ابنَ زيد ؟ » فقلتُ : « يا رسولَ الله ، ما بَيْنى وبينه إلا كما بينَ الشعراء » فقال : « لا تفْعل ، أو ليسَ هو القائل :

فلا زلتُ فيهم حيثُ يتَّهمونَنى ولا زلتُ فى أشياعهم أتقلّب

فإن الله قد غَفَر له بهذا البيت » . فانتهيتُ عن الكُمَيت بعدها .

حدث إبراهيمُ بنُ سعد الأسَدىّ قال : سمعت أبى يقول : رأيتُ النبىَّ صلّى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال لى : « من أىِّ الناس أنت ؟ » قلت : « من العرب » ، قال : « أعلم ؛ فمن أىِّ العرب أنت ؟ » قلتُ : « من بنى أسد » قال : « أسد خُزيمة ؟ » قلت : « نعم » ، قال : « أهِلَالىٌّ أنت ؟ » قلت : « نعم » فقال : « أتعرف الكُميت بن زيد ؟ » فقلت : « يا رسولَ الله ، عمِّى ومن قبيلتى » ، قال : « أتحفظُ من شِعره شيئاً ؟ » قلت : « نعم » ، قال : « أنشِدنى :

* طَرِبتُ وما شوقاً إلى البِيض أطرَبُ *

فأنشدتُه حتى بلغتُ إلى قولِه :

فما لى إلا آل أحمدَ شيعةٌ وما لى إلا مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعبُ

فقال : « إذا ما أصبحتَ فاقرأ عليه السّلام ، وقل له : قد غَفَر الله لكَ بهذه القصيدة » . وقال نصرُ بن مُزاحم المِنقَرى إنه رأى النبىَّ صلى الله عليه وسلّم فى المنام ، وبين يدَيْه رجلٌ ينشِده :

* مَنْ لِقلْبٍ متيَّمٍ مستهام *

فسألتُ عنه فقيل لى : « هذا الكميتُ بن زيد الأسدىّ » قال : فجعل النبىُّ صلى الله عليه وسلّم يقول : « جزاكَ الله خيرا » . وأثنى عليه .

وكان أول شعر الكميت الهاشميات . ولما قالهَا ستَرَها ، وأتى الفرزدَق فقال :

« يا أبا فِراس ، أنتَ شيخُ مضر وشاعرُها ، ، وأنا ابن أخيك الكُميت بن زيد الأسَدى » . قال : « صدقتَ ، أنت ابن أخى ، فما حاجتك ؟ » قال : « قلت شعراً فأحببتُ أن أعرِضه عليك . فإن كان حسناً أمرتَنى بإذاعته ، وإن كان قبيحاً أمرتَنى بستره ، وأنت أولى من ستَرَه على » . فقال له الفرزدق : « أما عقلُك فحَسَن وإنّى لأرجو أن يكونَ شِعرك على قدْر عقلِك ، فأنشدنى ما قلتَ » فأنشده :

* طربتُ وما شوقاً إلى البِيض أطربُ *

فقال : « فِيمَ طربت يا ابن أخى » فقال :

* ولا لعباً منّى وذو الشّوق يلعب *

فقال له : « العَب يا ابن أخى ، فإنّك فى أوان اللّعب » فقال :

ولم يُلهِنى دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ... ولم يتطرّبنى بنانٌ مخضّب

فقال : « ما يطرُبك يا ابنَ أخى ؟ » فقال :

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيّةً ... أمرَّ سَلِيم القَرن أم مرَّ أعضب

فقال : « أجل ، لا تتطيّر » ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهى ... وخيرِ بنى حوّاء والخير يُطلب

فقال : « من هؤلاء ؟ ويحك ! » قال :

إلى النفَر البِيض الذين بحبِّهم ... إلى الله فيما نابنى أتقرَّبُ

فقال : « أرِحْنى وَيْحَك ! من هؤلاء ؟ » فقال .

بنى هاشمٍ رهطِ النبىِّ فإنّنى ... بهم ولهم أرضَى مِراراً وأغضَب

خفضتُ لهم منّى جناحَىْ مودّةٍ ... إلى كَنَفٍ عِطفاه أهْلٌ ومَرْحب

فقال له الفرزدق : « يا ابنَ أخى أَذِعْ ثم أذِعْ ، فإنّك أشعرُ من مَضى وأشعر من بَقِى » .

قال وردُ بنُ زيد أخو الكُمَيت : أرسلَنِى أخى إلى أبى جعفر ، فقلت له :

« إن الـكميت أرسلنى إليـك ، وقد صَنَع بنفسه ما صنع ، فأْذَن له أن يمدَح بنى أمَّية » . قال : « نعم ، هو فى حلّ ، فليقلْ ما شاء » .

ولما دخل الـكُميت على أبى جَعفر محمد بن على رضى الله عنهما قال له : « يا كميتُ أنتَ القائل :

والآن صِرتُ إلى أُميَّـــة والأمورُ لهـا مصائر »

فقال : « نعم . قد قلت ، ووالله ما أردت به إلّا الدنيا ، وقد عرفتُ فضلـكم » . قال : « أما إن قُلتَ ذلك ، إنَّ التقيَّة لتَحِل » .

سئل معاذُ الهرّاء : « من أشعرُ النّاس » قال : « أمن الجاهليِّين أم من الإسلاميِّين ؟ » قيل : « بل من الجاهليِّين » . قال : « امرؤُ القيس وزُهَير وعَبيد بن الأبرص » . قيل : « فمِن الإسلاميِّين ؟ » . قال : الفرزدَق وجرير والأخطل والراعى » . فقيل له : « ما نَراكَ ذكرتَ الـكُميت فيمن ذكرت ! » قال : « ذاك أشْعَرُ الأوَّلين والآخِرين » .

دخل الـكميت على خالد ، فأنشده قوله فيه :

لو قيلَ للجوُد ما حليفُك ما ... إن كان إلَّا إليك ينتسب
أنت أخُوهُ وأنتَ صورتُه ... والرأسُ منـــه وغيرُك الذَّنب
أحرزتَ فضلَ الرِّهان فى مَهَلٍ ... وكلَّ يوم بـكفِّـك القصَب
لو أن كعباً وحاتِما نُشِرا ... كانا جميعاً من بعضِ ما تهب
لا تخلفُ الوعدَ إن وعدتَ ولا ... أنتَ من المعتفِين تحتجبُ
ما دونك اليومَ من نوالٍ ولا ... خلفَك للراغبين مُنْقَلَب

فأمرَ له بمائة ِ ألفِ دِرهم .

دخل الـكميتُ على مَخْلَد بن يزيد بن المهلّب فأنشدَه :

هلا سألتَ معـالم الأطلال ... والرسمَ بعـد تقادُم الأحوال

دمناً تهيج رسومُها بعد البِلَى ... طَرَباً، وكيفَ سؤالُ أعجمَ بالى
يمشينَ مَشْىَ قَطاَ البطاح تأوُّداً ... قُبَّ البطون رواجحَ الأكفال
من كل آنِسة الحديثِ حَيِيَّةٍ ... ليست بفاحِشة ولا مِتفال
أقصى مذاهبِها إذا لاقيتَها ... فى الشَّهر بين أسِرَّة وحجال
وتكونُ رِيقَتُها إذا نبَّهتَها ... كالشُّهد أو كسُلافة الجِريال
قاد الجيوشَ لخمس عشرةَ حِجَّة ... ولِداته عن ذاك فى أشغال
قعدت بهم هِمَّاتهم وسَمَت به ... هِمم الملوك وسَوْرة الأبطال
فكأنّما عاش المهلَّبُ فيهمُ ... بأغرَّ قاسَ مثالَه بمثال
فى كفِّه قَصَباتُ كلِّ مقلَّد ... يومَ الرِّهان وفُوت كل نضال
ومتى أَزِنْك بمعشرٍ وأزنهمو(١) ... بك ألْفٍ وزنك أرجح الأثقال(٢)

وكان قُدَّامَ مخلد دراهم، يقال لها الرويحة، فقال له: «خُذْ وِقِرَك منها» فقال: «البغلة بالباب، وهى أجْلَدُ منى». فقال: «خذ وِقْرها»، فأخذ أربعةً وعشرين ألفاً. فقيل لأبيه فى ذلك، فقال: «لا أردُّ مكرمة فعلها ابنى».

وكان الكميتُ طويلًا أصمَّ، ليسَ بحَسَن الإنشاد، ولا طيِّبِ الصوت، فإذا استُنْشِد أمر ابنَه المستهلَّ فأنشد، وكان حَسَنَ الإنشاد.

كان حكيم بن عيّاش الكَلْبى قد هجا علىَّ بن أبى طالب وبنى هاشمٍ جميعا، وكان منقَطِعاً إلى بنى أمية. فانتدَبَ له الكُميت، فهجاه وسبَّه، ولجّ الهِجاء بينهما. وكان الكميتُ يظهر أن هِجاءه إيّاه للعصبيَّة التى بين عدنان وقحطان. وكان الكُمَيت يفخر عليه فى قصائده ببنى أميَّة، فقال له المستهلّ ابنه: «فخرتَ ببنى أميَّة، وأنت تشهدُ عليها بالكفر! فهلا فخرت بعلىٍّ وبنى هاشم!» فقال: «يا بُنىَّ،

---

(١) وأزنهمو، الأغانى: وازنتهم، الأصول.

(٢) وزنك أرجح الأثقال، الأغانى: وازن راجح مثقال، الأصول.

هذا منقطعٌ إلى بنى أميَّة ، وهم أعداء علىٍّ عليه السلام[1] ، فلو ذكرتُ عليا لتركَ ذِكرى ، وأقبلَ على هجائِه ، فأكون قد عَرَّضتُ عليًّا عليه السلام[1] ، ولا أجد لى ناصراً من بنى أميَّة ، ففخرتُ عليه ببنى أميَّة ، وقلت إن نقضَها قتلوه ، وإن أمسَكَ عن ذكرِهم قتَلْتُه غمًّا وغلبتُه » . فكان كما قال، أمسكَ الكلبيُّ عن جَوابه وأُفحِم .

وكان مما قاله الكلبيّ :

ما سرنى أن أمّى من بنى أسَدٍ ... وأن ربِّىَ نجَّانى من النار
وأنهم زوَّجونى من بناتِهم ... وأنَّ لى كلَّ يومٍ ألفَ دينار

فقال له الكميتُ :

يا كلبُ مالكَ أمٌّ من بنى أسدٍ ... معروفةٌ فاحترقْ يا كلبُ بالنار
لكنَّ قومَك من قومٍ شُنِئْتَ بهم ... قد قنَّعوكَ قِناعَ الخزى والعار

فقال له الكلبيّ :

لن يبرح اللؤمُ هذا الحىَّ من أسَدٍ ... حتى يفرِّق بين السَّبتِ والأحد

كان الكميت قد امتدح الحكمَ بن الصَّلت ، وهو يخلُف يوسُفَ بنَ عمر ، وأنشده :

« طربتَ وهاجكَ الشوقُ الحثيثُ »

فلما أنشدَه دعا بحارثة ليُعطِيَه[2] الجائزة . ثم دعا أبانَ بنَ الوليد ، فدخل عليه وهو مكبَّلٌ بالحديد ، فطالبَه بالمال ، فالتفَتَ الكُميت فرآه ، فدمَعَت عيناه ، وقال للحكم : « أصلحَ الله الأميرَ ، اجعلْ جائزتى لأبان ، واحتَسب له بها من هذا النجم[3] . فقال له الحكم : قد جعلتُ ، ردُّوه إلى الحَبْس » . فقال له أبان :

(١) رضى الله عنه ، المخطوطتان .

(٢) بجارية لتعطيه، المخطوطتان .

(٣) اليوم ، المخطوطتان .

« يا أبا المستهلّ ، ما يحلُّ له شيءٌ عليّ بعدها » . فقال الكميتُ للحكم : «أتسخَر بي ؟ أصلحَ اللهُ الأمير » . فقال الحكم : « كذب ! قد حلّ عليه المال ، ولو لم يحلّ لاحتسبْنَا له به مما يحل » . فقال له حَوْشَبُ بن زيد الشَّيبانى ـ وكان خليفةَ الحكم ـ : « أصلحَ اللهُ الأمير ! أتُشَفِّع حمارَ بنى أسَد فى عَبْد بَجيلة ؟ » فقال له الكميت : « لئن قلتَ ذلك ؛ فوالله ما فرَرْنا عن آبائنا حتى قُتِلُوا ، ولا نكَحْنا حلائِل أبنائنا بعد أن ماتوا » . فسكت حَوْشب مُفْحَما . وقال الحكم . « ما كان تعرُّضُك للسان الكُمَيت ؟! » وكان حَوْشب فرّ عن أبيه فى بعض الحروب ، فنجا هو وقُتِل أبوه . ووطِىءَ جارية لابنِه بعدَ وفاته . وفى حوشَب يقول الشاعر :

نجَّى حُشاشتَه وأسلم شيخَه لما رأى وقعَ الأسنَّة حوشبُ

التقَتْ ريَّابنتُ الكُمَيت بن زيد وفاطمةُ بنتُ أَبان بن الوليد بمكّة،وهماحاجّتان فتعارَفتَا ، فدفعَتْ بنتُ أبان لبنت الكُمَيت خَلْخالى ذَهَب كانا عليها . فقالت لها بنت الكميت : « جزاكِ الله خيرا ، يا آل أبان ، فما تتركون بركم بنا قديماً وحديثاً » فقالت لها بنتُ أبان : « بل أنتم جزاكم الله عنا خيرا ، أعطيناكم ما يَبِيدُ ويَفْنَى ، وأعطيتمُونا من الشرَف والمجد ما يبقى أبدا ولا يبيد ، يَتَنَاشَدُه الناس فى المحافِل ، فيحيي ميِّتَ الذكر » .

ووُلد الكميت أيَّام مَقْتَل الحسين بن علىّ عليهماالسلام[1] فى سنة ستِّين ، ومات فى سنة ستٍّ وعشرين ومائة ، فى خلافة مَرْوان بن محمّد . وكان مبلغُ شِعره حين مات خمسةَ آلافٍ ومائتين وتسعةً وثمانين بيتا . قال المستهلّ : حضرتُ أبى وهو يجُود بنفسِه ، فأفاقَ وفتَح عينَيْه ثم قال: « اللهم آل محمدٍ ، اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد» ، ثلاثا . ثم قال : « يا بنى ودِدتُ أنى لم أكنْ هجوتُ نساءَ كلبٍ بهذا البيت :

(١) رضى الله عنهما ، المخطوطتان .

مع المضروط والمُسَفاء ألقوا   برادِعَهن غـــيرَ محصَّنينـــا

وعممتهن قذفاً بالفجور . والله ما خرجتُ بليلٍ قط إلا خشيتُ أن أُرْمَى بالنجوم لذلك» ثم قال: «يا بنى بلغنى فى بعض الرّوايات أنه يُحْفَر فى ظهر الكوفة خندق، يخرج فيه الموتى من قبورهم ، فلا تدفنّى فى الظّهر ، ولكن إذا مِتُّ فامضِ بى إلى موضعٍ يقال له مَكران ، فادفنّى فيه » فدُفِن فى ذلك الموضــع . وكان أوّلَ من دُفِن فيه . وهو مقبرةُ بنى أسَدٍ إلى الآن .

« كعب بن زهير »

هو كَعْب بن زُهَير بن أبى سُلمى المُزَنى . وقد مضت نِسبتُه فى حرف الزاى فى ترجمة أبيه زهير . أمّه امرأةٌ من بنى عبد الله بن غَطَفان ، يقال لها كَبْشة بنتُ عمّار ابن عدىّ بن سُحيم . وهى أم سائر أولاد زهير وهو من المخضرَمين من فحول الشُّعراء .

وسأله الُحطَيئةُ أن يقول شعرا يقدِّم فيه نفسه ، ثم يثَنِّى به بعده . ففعل ، لأنّ الحطيئةَ كان راويةَ زُهير فقال : « يا كعبُ ، قد علمتَ روايَتى لكم أهلَ البيت ، وانقطاعى إليكم . وقد ذهبَ الفحولُ غيرى وغيرَك . فلو قلتَ شعرًا تذكر فيه نفسك وتثنِّى بى ، فإن الناس أرْوَى لأشعارِكم ، وإليها أسرَع » . فقال من أبياتٍ ذكرت فى ترجمة الحطيئة :

فمن للقوافى بعدنا (1) ، من يحوكُها ... إذا ما ثوَى كَعبٌ وفوَّز جرول
نقول فلا نعيا بشىءٍ نقوله ... ومن قائليها من يُسىء ويعجل
كفيتُك لا تَلْقَى من الناس واحدا ... تنخَّل منها مثل ما يتنخّل
يثقِّفها حتّى تلين متونها ... فيقصُر عنها كلّ ما يُتمثّل

كان زهير قد قال بيتا ونصف بيت ، فمر به النابغة، فقال له : يا أبا أمامة أجِزْ » ، قال : « ما قلت ؟ » قال: قلت :

« تزيدُ الأرضُ إمّا متَّ خِفًّا ... وتحيَي إن حَيِيتَ بها ثقيلا
نزلت بمستقر (2) العرض منها

(1) شانها ، الأغانى .

(2) لتستقر ، كبريلى ؛ استقر ، المخطوطتان .

أجز » ، فأكدى النابغة ، وأقبل كعب بن زهير ، فقال أبوه : « أجزْ يا بنىّ »
فقال : « ما أجيز ؟ » فأنشدَه البيتَ والنصفَ فقال :

« وتمنع جانبيها أن يميلا (١) »

فضمه زهير إليه وقال : « أشهد أنك ابنى » .

خرج كعبٌ وبُجَير ابناَ زُهير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، حتى بلغا أبرَقَ العزّاف ، فقال كعبٌ لبُجَير : القَ الرجُل ، فأنا مقيمٌ لك ها هنا أنظر ما يَقول لكَ . فقَدِم على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فسمعَ منه وأسلَم . فبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغــا عــنّى بُجَيراً رسالةً ... على أىّ شىءٍ وَيْبَ غيرِك دلّكا
على خُلُقٍ لم تُلْفِ أمًّا ولا أبًا ... عَلَيه ولم تُدْرِكْ عَلَيه أخًا لكا
سقاكَ أبو بكر بكأسٍ رويَّةً ... وأنهلكَ المأمون منها وعلَّكا
فخالفتَ أسبابَ الهُدَى واتَّبعتَه ... فهل لك فيما قلتُ يا بُجْر هَلْ لكا

فبلغتْ أبياتُه هذه رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ، فأهدَر دمه ، وقال : « من لَقِيَ منكم كعباً فليقتلْه » . فكتب إليه أخوه يُخبرُه الخبر ، وقال له انجُ وما أراكَ بمُفْلِت » . وكتبَ إليه بعد ذلك يأمُره أن يُسْلِمَ ويُقبلَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويقول له : « إنّه من شَهِد ألا إلَه إلّا الله ، وأن محمَّدا رسولُ الله ، قَبِل صلّى الله عليه وسلّم ذلك منه ، وأسْقَط ما كان قبلَ ذلك » . فأسلم كعب ، وقال القصيدةَ التى اعتذَر فيها إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأقبلَ حتى أناخ راحِلتَه بباب المسجد . وكان مجلسُ النبىّ صلّى الله عليه وسلم من أصحابه مكانَ المائدة من القوم ، وهم حوله حَلْقَةٌ ثم حَلْقَة ، وهو وَسَطهم ، فيقبلُ إلى هؤلاء فيحدّثهم ، وإلى هؤلاء فيحدّثهم .
فأقبل كعبُ حتى دَخَل المسجد ، فتخطّى حتى جلس إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : « يارسولَ الله ، الأمانَ » ، قال : « ومَن أنتَ ؟ » قال : « كَعْبُ بن زُهَير » .

---

(١) يزولا ، الأغانى .

وقيل: إنَّه نزل برجلٍ من جُهَينة . فلما أصبحَ أتى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : «يارسولَ الله، أرأيت إن أتيتُك بكعبِ بنِ زُهير مُسْلِماً أتؤمِّنُه ؟ » قال : « نعم » ، قال : « فإنِّى كعبُ بن زهير » . فتواثبت الأنصار يقولون : «يا رسولَ الله ، ائذن لنا فيه » . قال : « فكيفَ وقد أتانى مُسْلِماً » ، ثم قال له : أنتَ الذى تقول . . كَيْفَ قال « يا أبا بكر ؟ » فأنشده حتى بلغ إلى قولِهِ :

سقاكَ أبو بكرٍ بكأسٍ رويَّة وأنهلَكَ المأمونُ منها وعلَّكا

فقال رَسُول الله صلّى الله عليه وسلّم : «مأمونٌ والله » . ثم أنْشَدَه كعبُ :

* بانَتْ سُعادُ فقلبى اليومَ متبول *

فلما بلغ إلى قوله :

إن الرسول لسيفٌ يُستضاءُ به مهنَّد من سيوفِ الله مسلولُ
وفِتيــةٍ من قُرَيْشٍ قال قائلُهم ببَطْن مكَّة لما أسلَموا زُولوا
زَالُوا فما زَالَ أَنكاسٌ ولا كُشُفٌ عند اللِّقاء ولا مِيلٌ معازيـل

أشار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الخلق أن اسْمَعوا شِعرَ كعب بن زهير » .

وكان زهير نظّاراً متوقِّيا فرأى فى مَنامِه كأنَّ آتياً أتاه فحملَه إلى السماء ، حتى كاد يمسُّها بيده ، ثم تركه فأهوَى إلى الأرض . فلمَّا احتُضِر قصَّ رؤياه على وَلَده ، وقال: «لاأشكُّ أنه كائنٌ من خبَرِ السماء بعدى شىء ، فإن كان فتمسَّكوا به وسارعوا إليه» فلما بُعِث النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم خرج إليه بُجَير ، فأسلم ، ثم رجَع إلى بلادِ قومه ، فلما هاجَر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أتاه بُجَيْر بالمدينة . وكان من خِيار المُسلمين ، وشَهِدَ يومَ الفتح ، ويوم خَيْبَر ، ويومَ حُنَيْن ، وقال فى ذلك شعراً .

وعرَّض كعبٌ بالأنصار فى قصيدتِه عند إنشادِها بقولِه :

كانت مواعيدُ عُرقوبٍ لها مثلًا وما مواعيــدُها إلا الأباطيلُ

وعرقوبٌ رجلٌ من الأَوْس . فلما سَمِع المهاجِرون ذلك قالوا : « ما مَدَحَنَا

من هَجَا الأنصار » . وأنكروا قولَه ، وعُوتِبَ على ذلك ، فقال يمدحُ الأنصار :

من سرَّه كرمُ الحياة فلا يزل   في مَقْنَبٍ من صالحي الأنصار
الباذلين نُفُوسَهم لِنَبِيِّهم   عندَ الهِيَاج وسطوةِ الجبّار
والناظرين بأعْيُنٍ محمرَّة   كالجمر غيرَ كليلة الإبصار
والضاربين النَّاسَ عن أديانهم   بالمشرفيِّ وبالقَنَا الخطّار
يتطهَّرُون يرونه نُسُكًا لَهُم   بدماء من عَلِقوا من الكفّار
صَدَمُوا الكتيبة يومَ بدرٍ صدمةً   ذلَّت لوَقْعَتِها رقابُ نِزار

وعرقوبٌ الّذى عناه كعبٌ رجلٌ من الأوس ، كان وَعَدَ رجُلًا تمر نخلة . فلمّا أطلعَت أتاه ، فقال : « دَعْها حتى تُلقِح » ، فلما أَلْقَحَتْ أتاه فقال : « دَعْها حتَّى تُزْهِى » ، فلما أَزْهَت أتاه فقال : « دعها حتَّى تُرْطِب » ، فلما أرطبت أتاه فقال : « دعها حتى تُتْمِر » ، فلما أتمرَتْ غدا عليها ليلًا فقطعها . فضرب به المَثَلُ فى الخلف ، وفى ذلك يقولُ الشمّاخ :

وواعَدَنى ما لا أحاوِل نَفْعَه   مواعيدَ عُرقوبٍ أخاه بيثرب

وفيه يقول المتلمِّس :

من كان خُلفَ الوعد شيمتَه   والغــدرَ عُرقوبٌ له مَثَل

وقيل : إن كعباً أنشَد القصيدة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى المسجد الحرام، لا فى مسجد المدينة . وقائلُهم الذى عناه فى قوله : « فى فِتيةٍ من قُرَيْشٍ قال قائلهم » هو عُمر بن الخطاب رضِيَ الله عنه .

كعب المخَّل

رجلٌ من قَيْس ، كانت عندَه ابنةُ عمٍّ له ، وكانت من أحبِّ الناس إليه فخلَا بها ذاتَ يَوْم ، فنظَر إليها وهى واضِعَةٌ ثيابَها ، فقال لها : « يا أمَّ عَمْرو ، هل تَرَيْنَ أن الله عزّ وجلّ خلق أحسنَ منك ؟ » قالت: « نعم أختى أحسنُ منِّى »، قال : « فإنِّى أحبُّ أن أنظرُ إليها » ، قالت : « إن عَلِمَتْ بك لم تخرج ، ولكن كُنْ من وراءِ السِّتر » . ففعل ، وأرسلَت إليها فجاءَتها . فلما نَظَر إليها عَشِقها ، وانتَظَرها حتى تروَّحت إلى أهلها ، فعارضَها وشكا إليها حبَّه ، فقالت له : « يا ابن عمّ ، ما وجدتَ من شىءٍ إلا وقد وَقَع لكَ فى قَلْبى أشدُّ منه » . وعادت مرَّةً أخرى ، فأتتهما أمُّ عمرٍو وهما لا يَعلمان ، فرأتهما جالِسَين . فمضت إلى إخْوتِها . وكانوا سَبْعَة ، فقالت: « إمَّا أن تزوِّجُوا ميلاء كعباً وإمَّا أن تكفُونى أمرَها » . وبلغه الخبرُ ووقوفُ إخوتِها على ذلك ، فرمى بنفسِه نحو الشام حياءً ؛ وكان منزِلُه ومنزلُ أهلِه الحجاز ، فلم يَدْرِ أهلُه ولا بنُو عمِّه أينَ ذهب . وقال كَعْب :

أفى كلِّ يومٍ أنتَ من لاعجِ الهوى إلى الشمِّ من أعلامِ مَيْلاء ناظرُ
بعَمْشاءَ من طولِ البكاء كأنّها بها خَزَرٌ أو طرفُها متخازِر
تمنّى المنَى حتّى إذا ملّت المنى جَرَى واكفٌ من دمعها متبادِرُ
كما ارفَضَّ سِلكٌ بعد ما ضُمَّ ضمة بخيطِ الفتيل اللؤلُؤُ المتناثِر

فروَى هذا الشِّعرَ عنه رجلٌ من أهل الشام . ثم خرج ذلك الشامىُّ يريدُ مكّة، فاجتاز بأمِّ عمرو وأختِها ميلاء ، وقد ضلّ عن الطريق ، فسلَّم عليهما ثم سألهما عن الطّريق ، فقالت أمُّ عمرو : « ياميلاءُ ، صِفى له الطريق » . فذكَر – لما نادَتْ ميلاء – شعرَ كَعب ، فتمثَّل به وأنشد :

أفي كلِّ يومٍ أنت من لاعجِ الهوى إلى الشمِّ من أعـــلام مَيْلاءَ ناظر

فعرَفت أمُّ عمرو الشعر ، فقالت : يا عبدَ الله ، من أينَ أقبلت ؟ » قال : « من الشَّام » ، قالت: « ممَّن سمعتَ هذا الشِّعر ؟ » قال: «أنشدنيه رجل من أهل الشام»، قالت : « أتدرى ما اسمُه ؟ » قال : « سمعتُ أنَّه كعب » . قالت : « فأقسمنا عليك ألا تبرحَ حتى تسمع إخوتُنا قولَك، فتحسنَ إلينا[1] نحن وهم ، فقد أنعَمْتَ علينا » . فقال : « أَفْعَلُ ، وإنى لأروِى له شعراً آخرَ ، فما أدرى أتعرفانِه أم لا ! » فقالت : « أسألُك بالله إلّا أسمعتَنا ما سمعتَه منه » . فأنشد :

خليليَّ قد رمتُ الأمورَ وقِستُها بنفسى و بالفتيانِ كلَّ زمان
فلم أخْفِ سرًّا للصديق ، ولم أجد خليًّا ولا ذَا البثِّ يستويان
من النَّاس إنسانانِ دَيْني عَلَيْهما مليَّان لو شاءَا لقــد قَضَيانى
خليـــلىَّ أمَّا أمُّ عمرو فمنهما وأما عَنِ الأخرى فلا تسَلانى
بُلِينا بهِجرانٍ ولم أرَ مثلَنــا من النَّاس إنسانان يهتجران
أشدُّ مصافاةً وأبعـــدُ من قلًى وأعصَى لواشٍ حينَ يكتنفان
يحدِّثُ طَرْفانَا بما فى صُدُورِنا إذا استعْجَمت بالمنطِق الشَّفتَان
فوالله ما أدرى أكلُّ ذوى الهوى على ما بِنَا أم نحن مُبْتَلَيان
فلا تعجَبا مما بِى اليومَ من هوًى فبى كلَّ يوم مثـــلُ ما تريان
خليليَّ عن أىِّ الذى كان بيننَا من الوَصل أم ماضي الهوى تَسَلانى
خليـــلىَّ لا والله مالى بالذى تريدانِ من هَجْرِ الحبيب يدان

فنزَل الرجلُ ووضَع رَحْلَه ، حتّى جاء إخوتُهما فأخبرَاهُما الخبر ، وكانوا مُغْتمِّين لـكعب ، لأنه ابنُ عمِّهم وأشعرُهم وأظرفُهم . فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة . ودلّوه على الطريق . وطلبوا كعباً فوجدُوه بالشام . فأقبلوا به حتى إذا كانوا فى ناحية

(١) فتحسن إليك ، الأصول .

مالٍ لأهلهم ، إذا الناس قد اجتمَعُوا عند البيوت . وكان كعبٌ ترك ابناً له صغيراً ، فوجّهوه فى ناحية المال ، فقال له كعب : « ويحَك يا غُلَيِّم ! من أبوكَ ؟ » قال « رجلٌ يقال له كعب » ، قال : « وعلى أىِّ شىء اجتمع الناس ؟ » وأحسَّ قلبُه الشرَّ ، قال: « قد اجتمعُوا على خالَتى مَيْلاء ». قال : « وما قصَّتُها ؟ » قال : « ماتَتْ » فزَفَر زفرةً مات منها مكانَه ، فدُفِنَ حِذاء قبرها .

كان الذى هاجَ الواثقَ على القبضِ على أحمدَ بن الخصيب وسليمانَ بنِ وهب أنه غُنِّى :

مِن الناس إنسانان دَيْنى عليهما مليَّان لو شاءا لقد قَضَيانى

خليلىَّ أما أمُّ عمرو فمنهما وأما عن الأخرى فلا تَسَلَانى

فدعا خادماً للمُعْتصم فقال له : « أصْدُقنى وإلا ضربت عُنُقَك » ، قال : « سَلْ يا أميرَ المؤمنين عمَّن شئت » . قال « سمعتُ أبى ـ وقد نَظَر إليك ـ يتمثَّل بهذين البيتين ، ويومئ إليك إيماء تعرفه ، فمَنْ اللذان عناهما ؟ فقال : « كان وقف على إقطاع أحمدَ بن الخصيب وسُلَيمان بنِ وهب ألفى ألف دينار ، فكان كلَّما رآهما تمثَّل بهذين البيتين » . فقال : « صَدَقْتَنى والله لا سَبَقانى كما سَبَقاه » . ثم أوقع بهما .

نظر الواثقُ يوماً إلى أحمد بن الخصيب وهو يمشى ، فتمثّل « مِنَ الناس إنسانان دَيْنى عليهما » وأنشد البيتين ، وأشار إلى أحمدَ بن الخصيب بقوله : « خليلىَّ أما أمُّ عمرو فمنهما » . فبلغَ ذلك سليمانَ بن وهب فقال : « إنا لله وإنا إليه راجعون . أحمدُ ابن الخصيب والله أمُّ عمرو ، وأنا والله الأخرى » . قال : فنكَبَهُما بعد أيام يسيرة .

كانت الخلافةُ أيام الواثقِ تدور على إيتاخ وكاتبه سليمان بن وهب ، وعلى أشناس وكاتبه أحمدَ بن الخصيب . فعمل الوزير محمَّد بنُ عبد الملك الزّيات قصيدةً وأوصلَها للواثق على أنها لبعضِ أهل العسكر ... وهى :

يا ابنَ الخلائفِ والأملاكِ إن نُسِبُوا حُزْتَ الخلافة عن آبائك الأُوَل

وَلِّيتَ أربعةً أمر العِبــاد معــاً ... وكلُّهم حاطبٌ فى حَبْل مُحتبــل
هــذا سليمانُ قد مَلَّكتَ راحتَه ... مشارِفَ الأرضِ من سَهلٍ ومن جَبَل
ملَّكْتَه الهندَ والشِّحْرَ من عدنٍ ... إلى الجزيرة والأطرافَ من مَلَل
خلافةٌ قد حواها وحـــدَه فمَضَتْ ... أحكامُه فى دماء القوم والنَفَل
وابن الخصيب الذى ملَّكت راحتَه ... خلافةَ الشام والغارين والقفل
فنيلُ مصرَ وبحرُ الشام قد جريَا ... بما أراد من الأموال والحُلَل
كأنَّهم بالذى قسَّمت بينَهـــم ... بنُو الرشيد زمانَ القسم للدول
أصبحتَ لا ناصرٌ يأتيك مُستَتِراً ... ولا علانيــةً خوفاً من الحِيَـل
ســل بيتَ مالِك أينَ المالُ تعرفُه ... وسلْ خَراجك عن أموالِك الُجمل
كم فى جيوشِك أسرى لا ذنوب لهم ... أسرى التكرب فى الأقياد والكبل
سُمِّيتَ هارون إذ سمِّى الرشيدُ به ... قِس الأمورَ لــكى تنجو من الزلل
عِثْ فيهم مثلَما عَاثت يداه معاً ... على البرامِكِ فى التهــديم للقُلَــل

فلما قرأ الواثقُ الشعر غاظَه ، وبلغَ منه ، فنــكبَ سُلَيمان بنَ وهب وأحمــدَ ابنَ الخصِيب ، وأخــذَ منهُما ومن أسبابِهما ألفَىْ ألفِ دينار . وكان أحمدُ ابن أبى دؤاد حمــلَ الواثقَ على الإيقاع بابنِ الزيَّات ، وأمر علىَّ بن الجهم فقال فيــه :

لعــائنُ اللهِ موفَّراتٍ ... مصبِّحــاتٍ ومهجِّراتِ
على ابنِ عبــد الملك الزّيّاتِ ... عرِّض شملَ المُلك للشتاتِ
يرمى الدواوينَ بتوقيعاتِ ... معقَّــداتٍ غــيرِ مفهوماتِ
أشبهُ شىء برُقَى الحيَّــاتِ ... تخالُها بالزَّيت مدهوناتِ
بعد رُكُوب الطَّوْف فِى الفرات ... وبعد بَيْعِ الزَّيت بالحيَّات
صرتَ تبارِى قاضىَ القُضاة ... سبحانَ من جلَّ عن الصفاتِ

هارونُ يا ابن سيِّد الساداتِ أما ترى الأمورَ مهمَلات
تشكو إليك عدم الكُفاتِ

فهمَّ الواثق بالقَبض على ابن الزيات ، وقال : « صدق قائلُ هذا الشعْر ، ما بقى لنا كاتبٌ كافٍ » . فطرح نفسَه على إسحاقَ بن إبراهيم ، وكانا مجتمعَين على عداوةِ ابن أبى دؤاد . فقال للواثق: « مثلُ ابنِ الزّيات مع خِدمته وكفايتِه يُفعَل به هذا ؟ ولا جَنَى عليك ولا خانك ، وإنما دلَّك على خوَنةٍ أخذتَ منهم ما اختانُوه . وبعد، فلا ينبغى لك أن تعزِلَ أحداً حتى تُعِدّ مكانَه جماعةً يقومون مَقامَه ، فمن لك يقوم مقامه ؟ » فمحا ما كان فى نفسه ورجع إليه . وكان إيتاخُ صديقاً لابن أبى دؤاد ، فكان يغشاه كثيراً ، فقال بعض كتاب إيتاخ له : « إن ابنَ أبى دؤاد بينه وبينَ الوزير ما تعلم ، وهو يجىء إليك دائماً ، ولا نأمن أن يظنّ بك ممالأة عليه » . فعرف ذلك ، فلما دخل ابنُ أبى دؤادٍ عليه خاطبه فى هذا المعنى ، فقال له أحمد : « والله ما أجىء إليكَ متعزِّزاً بك من ذلّة ، ولا متكثِّراً من قلّة ، ولكن أمير المؤمنين رتَّبك رُتْبةً أوجدت لقاءك ، فإن جئناك فلَه ، وإن تأخَّرنا عنك فلَك » . ثم خرج من عنده ، فلم يعُد إليه .

كليب بن ربيعة

كان كُلَيبٌ قد عزَّ وساد فى رَبيعة ، وبَغَى بَغْياً عظيما ، فـكان هو الذى يُنزِلهُم منازلهم ويرحِّلهم ، فلا ينزِلُون ولا يَرْحلون إلا بأمره . فبلغ من عزِّه وبغيه أن اتَّخذ جِرو كَلْب ، فـكان إذا نزَل منزلًا فيه كلأٌ قذَفَ ذلك الجِروَ فيه فيَعْوِى ، فلا يرعى أحدٌ ذلك الـكلأَ إلا بإذنه . وكان يفعلُ ذلك بحياضِ الماء ، فلا يرِدُها أحدٌ إلا بإذنه أو مَنْ آذن بحَرب فضُرِب به المثلُ فى العزّ ، فقيل : « أعزُّ من كُلَيْبِ وائل » . وكان يَحْمِى الصيد فيقول : « صَيْدُ ناحيةِ كذا وكذا فى جِوارى ، لا يصيد أحدٌ منه شيئاً » . وكان لا يمرُّ بين يدَيه أحدٌ إذا جلَس ، ولا يُحْتَبى أحدٌ فى مجلسه غيره . فقتَله جسّاس بن مُرّة . وكان لمرَّةَ بن ذُهل بن شَيْبان بن ثَعلبة عشرةُ بَنِين ، جسّاسٌ أصغرُهم وكانت أختُه عند كليب . وأم جسّاس هَيْلة بنتُ مُنقِذ بن سُلَيمان ابن كَعب بن عَمرو بن سَعد بن زَيْد مَناة ، ثم خلف عليها سَعدُ بن ضُبَيعة بن قَيس ابن ثعلبة بن مرّة بن ذُهل فولدت له مالـكاً وعوفاً وثَعْلبة. قال فِراسُ بن خَنْدق(١) البَسُوسىّ : فهى أمُّنا .

وخالة جسَّاس البَسُوس ، وهى التى يقال لها: أشأمُ من بسُوس . فجاءتْ فنزلَتْ على ابن أختِها جسّاس ، وكانت جارةً لبنى مرّة ، ومعها ابنٌ لها ، ولهم ناقة خوّارة من نَعَم بنى سَعد ، ولها فَصِيلٌ معها. وقد كان كُلَيبٌ قَبل ذلك قال لصاحِبته أختِ جسّاس : « هل تعلمينَ على الأرض عربيًّا أمنع منى ذمّة ؟ » فسكَتَتْ ، ثم أعادَ عليها فسكَتَتْ ثم أعادَ الثالثة فقالت : « نعم أخى جسّاس وندمانه(٢) ابن عمه عمرو ،

---

(١) خندق ، الأغانى (عن بعض أصوله) : خندف، سائر الأصول .

(٢) نديماه ، المخطوطتان .

المزدلف[1] بن أبى ربيعة بن ذُهل بن شَيْبان . وقيل : إن امرأته أختَ جسّاس بينا هى تَغْسل رأسَ كُلَيب وتسرِّحه إذ قال لها : « من أعزُّ وائل ؟ » فصمَتَتْ فأعادَ عليها ، فلما أكثر قالت : « أخواى جسّاس وهمّام » . فنزع رأسَه من يدِها ، وأخذ القَوْس فرمى فصيلَ ناقةِ البسُوس ، خالة جسّاس وجارةِ بنى مرَّة فقتَله، فأغمضوا على مافيها[2] . وسكتوا على ذلك[3] . ثم لقى كليباً ابنُ البسوس ، فقال : ما فعل فصيلُ ناقتكم ؟ قال : « قتلته وأخْلَيتَ لبَن أمّه » . فأغمَضُوا على هذه أيضاً . ثم أعاد كليبٌ على امرأته فقال : « من أعزُّ وائل ؟ » قالت : أخواى . فأضْمَرَها وأسرَّها فى نفسه وسكت ، حتى مرَّت به إبلُ جسّاس ، فرأى الناقةَ فأنكرها، فقال ماهذه الناقة ؟ » فقالوا : « لخالةِ جسّاس » . قال : « وقد بلَغ من أمرِ ابن السَّعدية ما إن يُجير علىَّ بغيرِ إذنى ! ارم ضَرعها يا غُلام ، » ، فأخذ القوسَ فرمى ضَرْع الناقة ، فاختلط دَمُها بلبنِها . وراحَتْ الرُّعاة إلى جسّاس ، فأخبرَتْه بالأمر ، فقالوا : احلبوا لها مكيالى لبن بمحلبها[4] ، ولا تذكروا لها من هــذه شيئاً . ثم أغمضوا عليها أيضا ، حتَّى أصابتْهم سَماء ، فغدا غِبُّها[5] يتمطّر ، وركب جسّـاس بن مرّة وابنُ عمِّه عمرُو بن الحارث بن ذُهل وقيل: بل عمرُو بن أبى رَبيعة . فعطن عمرُو كليباً فقصم ظهرَه، وقيل: بل سَكَتَ جسَّاسُ حتى ظَعَن ابنا وائِل ، فمرَّت بكرُ بن وائل على نهى[6] يقال له شُبَيْث ، فنهاهم كليبٌ عنه وقال : « لا تذوقوُا منه قطرة » . ثم مرُّوا على نهى[6]

---

(١) والمزدلف . المخطوطات .

(٢) ما فيه ، الأغانى .

(٣) على ذلك ، الأغانى : على ، ساقطة فى المخطوطات .

(٤) مكيالى محلبها ، كوبريلى ، مكيالى ، المخطوطتان .

(٥) غبها : عليها ، المخطوطات .

(٦) ماء ، المخطوطتان .

يقال له الأحَصّ ، فنهاهم عنه وقال : « لا تذوقوا منه قطرة » . ثم مرُّوا على بَطن الجَرِيب ، فمنعهم منه ، فهبُّوا حتّى نزلوا الذنائب واتَّبعهم كليبٌ وحيُّه حتى نزلوا عليه، ثم مرّ عليه جسّاسٌ وهو واقفٌ على غَدِير الذّنائب، فقال: « طرَدْتَ أهلَنا عن المياه حتّى كدت تقتلَهم عطشاً، فقال كليب: «مامنعناهم عَن ماءٍ إلّا ونحن له شاغِلون» ، فمضى جسَّاسٌ ومعه ابنُ عمِّه المزدَلِف ، وقيلَ : بل ناداه جسّاسٌ وقال : «هذا كفعْلك بناقةِ خالَتى» فقال : « وقد ذكرتَها ! أما إنى لو وَجَدْتُها فى غيرإبلِ مُرَّة لاستحلَلْتُ الإبلَ بها » . فعطفَ عليه جسّاسٌ فرسَه ، فطعنَه بالرمح ، فأنفذ حِضْنَيه [1] فلما تداءَمَه [2] الموت قال : « يا جسّاس ، اسقِنى مِن الماء » [3] . قال : ما عَقَلْتَ استِسْقاءَك الماءَ منذُ ولدَتْك أمُّك إلا ساعتَك هذه » فعطف عليه المزْدَلِف عمرو [4] بن أبى ربيعة فاحتزَّ رأسه . وقيل : إن عَمْرو بنَ الحارث بن ذُهل هو الذى طَعنَه ، فقصَم صُلْبه ، وفيه يقول مُهلهِل :

قتيـلٌ ما قتيلُ المرؤ عمرٍو وجسَّاسِ بن مَرَّةَ ذُو ضَريرِ

وقال العبَّاسُ بن مِرداس السُّلَمىّ يحذِّر كُلَيْبَ بن عَهْمَةَ السُّلَمىّ ثم الظَّفَرى لما مات حَربُ بن أميّة ، وخَنقَت الجنُّ مِرداساً ، وكانوا شُرَكاءَ فى القرْيَة ، فجَحدَهم كليبٌ حظَّهم منها ، فحذَّره غبَّ الظلم :

أكليبُ مالكَ كلّ يوم ظالمًا والظلمُ أنـكدُ وَجْهُه ملعونُ
فافعَلْ بقومِك ما أرادَ بوائلٍ يومَ الغَدِيرِ سَمِيُّك المَطْعُون

ومَقتلُ كُلَيب بالذنائب من يَسار فَلْجة مُصْعِداً إلى مكّة ، وقبره بالذّنائب ، وفيه يقول مهلهل :

(١) خصيتيه ، المخطوطتان
(٢) بدأ به ، المخطوطات
(٣) اسقنى ماء ، المخطوطتان .
(٤) ابن عمرو ، المخطوطات .

ولو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيبٍ فيُخْبَرَ بالذنائبِ أىُّ زير

فلما قتله أمال يدَه بالفرسِ حتّى انتهى إلى أهـله . فتقول أختُه ، حين رأته ، لأبيها : « يا أبتاه ، إنّى أرى جسَّاساً رُكبتاه خارِجَتان » ، فقال : « والله ماخرجَتَا إلا لأمْرٍ عظيم » . فلما جاء قال : « ما وراءَك يا بنىّ ؟ » قال : « إنِّى قد طعنتُ طَعْنةً ليُشغَلَنّ بها شُيوخ وائلٍ زمناً » . قال :« أقتلتَ كُلَيباً ؟ » قال : « نعم » ، قال : « ودِدتُ أنك وإخوتَك مِتُّم قبلَ هذا ؛ ما بى إلّا أن تتشاءم بى أبناء وائل » .

وقيل: إنّ جسّاساً قال لأخيه نَضْلة بن مرّة ـ وكان يقال له عَضُد الحِمار ـ :

إنِّى قد جَنَيتُ عليكَ حرباً تُغِصُّ الشَّيخ بالمـــاءِ القُراح
مذكَّرةً متى مايَصْحُ عَنْها فـتًى نَشِبَتْ بآخرَ غيرِ صاحى
تُنَـكِّل عن ذُبَابِ الغىِّ قوماً وتدعُو آخرينَ إلى الصَّـــلاح

فأجابه نَضْلة :

فإن تكُ قـد جَنَيْتَ علىّ حرباً فـــلا وانٍ ولا رثُّ السلاح

وكان همّام بن مُرّة آخى مُهَلهِلا أخا كُلَيب بن ربيعة ، وعاهَده ألا يكتُمَه شيئاً : فجاءت أمَةٌ له ، فأسرَّت إليه قتلَ جسَّاس كُليباً ، فقال له مهلهل : « ماقالت ؟ » ، فلم يُخبِره . فذكر العهدَ بينهما ، فقال : « أخْبَرَت أنَّ جسَّاساً قَتَل كُلَيْباً » . فقال : « استُ أخيك أضيَقُ من ذلك » .

ولمـــا قُتِلَ كليب قال بنو تغلب بعضُهم لبعض : « لا تَعْجلوا على إخْوتـكم حتى تُعْذِروا بينَـكم وبينهم» . فانطلق رَهْطٌ من أشْرافِهم وذَوِى أسنَانِهم[1] حتى أتوا مرّة بن ذُهل فعظَّموا ما بَيْنَهم وبَيْنه ، وقالوا : « اختر منَّا خِصالًا ، إمَّا أن تدفع إلينا جسَّاساً فنَقْتُلَه بصاحِبنا ، فلم يَظلم مَنْ[2] قتل قاتِلَه ، وإما أن تدفَع إلينا همّاماً ،

(١) آرائهم ، المخطوطتان

(٢) فلم نظلم فى ، المخطوطات .

وإما أن تُقِيدَنا من نَفْسِك » . فسكتَ وقد حَضَرَتْه وجوهُ بَكر بن وائل فقالوا : « تكلَّم غيرَ مَخْذول . فقال : « أمَّا جسَّاس فإنّه غلامٌ حديثُ السنِّ ، ركِبَ رأسَه، فهربَ حينَ خاف ، ولا علمَ لى به . وأما همَّام فأبو عَشْرة وأخو عشرة ، فلو دفعْته إليكم لضجَّ بنوه فى وَجْهى وقالوا : دفعتَ أبانا ليُقتَل فى جريرةِ غيره . وأما أنا فلا أتعجَّل الموت ، وهَلْ تزيدُ الخيل أن تجولَ جوْلَة ، فأكونَ أوَّل قتيل ، ولكن هَلْ لكم فى غيرِ ذلك ؟ هؤلاء بَنِىَّ فدونكم أحدَهُم فاقتُلوه به ، وإن شئتم فلكم ألفُ ناقة ، تَضْمنها لكم بكرُ بنُ وائل » . فغضِبوا وقالوا : « إنا لم نأتك لتَرْذِل(١) لنا بَنيك، ولا لتسومَنا الإبل . فتفرَّقوا ، ووقعت الحرب . وتكلّم فى ذلك الحارثُ(٢) ابن عُبَاد ، فقال : « لا ناقةَ لى فى هذا ولا جمل » ، وهو أوّلُ من قالها ، فأُرْسِلَت مثلاً .

وكانت حربُهم أربعينَ عاماً ، فيهن خمسُ وقَعات مزاحَفات . وكانت بينهم مُغاورات . وكان الرجُلُ يلقى الرجلَ ، والرجلانِ الرجلَين ، ونحو ذلك . وكان أوّلُ الأيام يومَ عُنَيزة ، وهو عند فَلجة . فتكافأوا فيه ، لا لبكرٍ ولا لِتغلب . ثم غبروا زماناً ، والتقَوْا يومَ وارِدَات ، فكانت لتَغْلِبَ على بَكر ، وقتلوا بكراً أشدَّ القتل ، وقتلوا بُجَيرًا . ومصداقُ ذلك قولُ مُهَلْهِل :

كأنَّا غُدْوةً وبنى أبِينا ... بجَنْبِ عُنَيزةٍ رَحَيا مُدير
وإنِّى قد تركتُ بواردات ... بُجَيْرًا فى دمٍ مثل العَبير
هتكتُ به بيوتَ بنى عُبادٍ ... وبعضُ الغَشم أشْفَى للصدور

ثم انصرَفوا بعدَ يوم واردات غيرَ بنى ثَعلبة بن عكابة . ورأَّسُوا عليهم الحارِثَ ابن عباد ، فاتّبعتهم بنُو ثعلبة حتى التقَوْا بالِحنو فظهرتْ بنو ثعلبة على بنى تَغلب .

---

(١) لتبذل ، المخطوطتان .

(٢) عندالحارث، الأغانى.

ثم التقَوْا يومَ بطن السَّرو ، وهو يوم القصبات[١] فـكانت لبنى تغلب على بنى بكر ، حتّى ظنّت أن سيقتلونها . وقتلوا يومئذ همّامَ بن مُرَّة . ثم يومَ قِضَة ، وهو يومُ التحالُق ، ويوم الفَصِيل لبكرٍ على تَغلب . قال فأتبعت تغلبُ بكراً حتّى مالوا لبطن الحمار ، فوردَتْ بـــكرٌ قِضَة ، فسقَت ، واستقت ، ثم صَدَرت ، وحَلَّئوا تغلِب ونهضوا فى لحفة لها ، وهى مضيق موثبة ، لا يجوزُ فيها إلا بعيرٌ واحد خَلْف بعير ، فلَحِقَ رجلٌ من الأَوْس بن تغلب بغُلَيِّم من بنى تَيْم اللاّت ، يطرُد ذوداً له ، فطعنَه فى بطنه بالرّمح ، ثم رَفَعه فقال : « تحدّ بى أمّ البوّ على بوّك » فرآه عَوْفُ بن مالك ابن ضُبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة ، فقال : « قدِّموا جَمل أسماءَ ـ يعنى ابنتَه ـ فإنّه أمْضَى جِمالـكم ، وأجودُها منفذاً ، فإذا نفِذ تَبِعته النَّعَم » . فوثَبَ الجمل فى الموثبة ، حتّى إذا نَهضَ على يدَيْه وارتفعت رجلاه ضَرَبَ عُرقوبه ، وقَطع بِطانَ الظَّعينة ، فوقعَ وسدَّ الثنيَّة ، ثم قال عَوْف « إنـا البُرَكـ ، أبرُكُ حيثُ أدركـ » . فسمِّى البُرَكـ . ووقع الناس إلى الأرض ، لا يرَوْن مجازاً ، وتحالقوا لِتَعْرِفَهُم النِّساء . فقال جَحْدر ابن رَبيعة ابن قيس ، أبو المسامعة[٢] ، واسمُه ربيعة ، وإنَّما سمِّى حجدرا لقِصَره : « لا تحلِقُوا رأسى ، فإنِّى رجلٌ قَصير ، لا تَشينونى ، ولـكنى أشتريه منكم بأوّل فارسٍ يطلُع عليكم من القوم » . فطلع ابن عَنَاق ، فشدَّ عليه فقتله . فقال رجلٌ من بكر بن وائل يمدَح مِسمَع بن مالك :

يا ابنَ الذى يوم حلَقْنا اللِمماَ ابتاعَ منَّا رأسه تـكرُّما
بفارسٍ أوّلِ من تقدّما

وكان جَحْدَرُ يرتَجز ويقول :

ردُّوا علىَّ الخيلَ إن ألَمّتِ إن لم أقاتلْهم فجزُّوا لِمّتى

(١) القصيبات ، الأغانى .
(٢) المسامعة ، الأغانى : المسامع ، المخطوطات .

وزعم عامرُ بن عبد الملك المِسْمَعى أنه لم يَقُلْها ، وأن صخرَ بنَ عامر السُّلَمى قائلُها . فقال مِسمَع : « كذب عامر » . وقيل إنَّهم قالوا : « اتَّخِذوا علماً يعرفُ به بعضُكم بعضاً » . فتحالقُوا وفيه يقول طرَفة :

سائلوا عنَّا الذى يعرِفُنَا بقوانا[1] يومَ تحلاق اللِّمم
يوم تُبْدى البِيض عن أسواقها وتلفُّ الخيل أعراجَ النعم

وقيل : إن همَّامَ بن مرّة بن ذُهل بن شَيبان لم يزلْ قائدَ بَكرٍ حتّى قُتِل يوم القصيبات ، وهو قبل يوم قِضَة . وكان من مَقْتَلِ همَّام أنه وجد غلاماً مطروحا ، فالتقَطه وربّاه ، وسمّاه : ناشِرة . فلما شَبَّ إذا هو من بنى تَغْلب . فلما التقَوا يوم القصيبات جعل همّام يقاتل ، فإذا عَطِش رَجَع إلى قِربةٍ فشَرِب منها ، ثم وَضَع سلاحه فوجدَ ناشِرةُ من همَّام غِرَّة ، فشدَّ عليه بالعَنَزة ، فأقصدَه فقتَله ، ولحق بقومه بنى تغلب ، فقال باكِى همّام :

لقد عيَّل الأقوامَ طعنةُ ناشِرٍ أناشِرُ لا زالت يمينُك آشِرة

أى مقطوعة . ثم قتل ناشِرةَ رجلٌ من بنى يشكُر .

وكان رئيسُ بكر بعد همّام الحارثَ بن عباد . وكان الحارثُ قد اعتزَل لما قُتِل كُليب ، واستعْظَم ذلك ـ لسُؤدده ـ فى ناقة . فلما أُخِذَ بُجير بن عمرو بن مرّة ، ابن أخى الحارث بن عُباد بواردات ـ وإنَّما أُخِذَ سلَّة ولم يؤخذ فى مزاحَفة ـ قال له مُهَلْهِل : « من خالُك يا غلام ؟ » قال : امرؤ القَيْس بنُ أبان التغلَبي لمهلهِل : إنِّى أرى غلاماً ليقتلَنَّ به رجل ، لا تسألْ عن خاله ، وربما قال لا تسأل عن حاله . وكان امرؤ القيس هو المقتولُ به ، قتله الحارثُ بن عُباد يوم قِضَة بيده ، فقتله مُهَلهِل . فلما قتل مُهَلْهِلٌ بُجَيْراً قال : « بُؤْبشِسْعِ نعل كُليب » ، فقال الغلام : « إن رَضِيَت بذلك بنو ضُبَيعة بن قَيْس رضيتُ » . فلما بلغ الحارثَ بن عباد قتْلُ

---

(١) بوفانا ، المخطوطتان .

بجير ابن أخيه ــ وقيل بل كان بجيرٌ ابنه ، أعنى ابن الحارث بن عُباد ــ قال : « نعم الغلامُ غلامٌ أصلَح بين ابْنَى وائل وباء بكليب » فلما سَمِعوا قول الحارث قالوا له : إن مُهَلْهِلًا قال لما قتله : بُؤْ بشِسْع نَعل كُلَيب ، وقال مهلهل :

كلُّ قتيلٍ فى كُلَيْبٍ غُرَّه ... حتّى ينالَ القتلُ آل مرة »

فغَضِبَ الحارثُ عندَ ذلك ، فنادى بالرَّحيل وقال :

قرِّبَا مَرْبِطَ النَّعامةِ منِّى ... لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيال

لا بُجَيْرٌ أغْنَى قتيلاً ولا رهـ ... ـطُ كُلَيبٍ تزاجَروا عن ضلال

لم أكُن من جُناتِها علم اللّـ ... ـه وإنى بحرّها اليومَ صالى

وقيلَ : إنَّ أوَّلَ فارسٍ لقى مهلهلاً يوم وَاردات بُجَيْرُ بن الحارث بن عُباد ، فقال : « من خالُك ياغلام ؟ » وبوّأ نحوه بالرمح ، فقال له امرؤ القيس بن أبان التغلبي ــ وكان على مقدِّمتهم فى حروبهم ــ : « مهلاً يا مُهَلهِل ، فإن عمَّ هذا وأهلَ بيتهم قد اعتزلوا حربَنا ، ولم يدخلوا فى شيء مما نكره ، ووالله لئن قتلته ليقتلَنَّ به رجلٌ ولا يسأل عن نسبه » . فلم يلتفت إليه مُهَلهِل ، وشدَّ عليه فقتَلَه ، وقال : « بُؤْ بشِسْع نَعْلِ كُلَيب » . ثمّ غَبَروا زماناً ، ثمّ لقى همّامَ بن مرّة فقَتَله أيضا ؛ فقيل للحارث بن عباد : قَتَلَ مُهَلْهِل همّاما ، فغضب وجدَّ فى قتالهم .

وكان الحَكَمُ فى بكر بن وائل يومَ قِضَةَ الحارثَ بنَ عُباد . وكان الرئيسُ الفندَ ، وكان فارسُهم جَحْدرَ ، وكان شاعرُهم سعدَ بن مالك بن ضُبَيعة . وكان الذى سدَّ الثنية عوفَ بن مالك . ولقى الحارثُ مُهَلهِلاً فأسَرَه وهو لا يعرفُه ، فقال : « دُلَّنى على مهلهل » ، قال : « ولى دمى ؟ » قال : « ولك دَمُك » ، قال : « ولى ذِمَّتُك وذمَّةُ أبيك ؟ » قال: « ذلك لك » . قال: « فأنا مُهَلهِل » . قال : « فدُلَّنى على كُفْءٍ لبُجَير » ، قال « لا أعلمُه إلّا امرأ القيْس بن أبان ، هذاكَ عَلَمه » ، فجزّ ناصيتَه ، وقصَد امرأ القيس ، فشدَّ عليه فقتله ، وقال الحارث فى ذلك :

لَهْفَ نفسى على عدىٍّ ولم أعـ ... رِفْ عديًّا إذ أمْـكَنتنى اليدَان
طُلَّ من طُلَّ فى الحروب ولم أو ... تِرْ بُجَيْراً أباتُه بنَ أبان
فارسٌ يضرب الـكتيبة بالسَّيـ ... ـف وتسمُو أمامَــه العينَان

وقيل إن مَهَلْهلاً قال : « لا والله ، أو يمهدَ لى غـيرُكَ » قال له الحارث : « اختَرْ من شئت » ، قال : « خِيارى الشَّيـخُ القـاعد عَوْفُ بن مُحلِّم » . فقال الحارث : يا عَوْفُ أجِره » ، قال : لا ، حـتّى يقعد خَلْفى » ، فأمره أن يقعد خلفه . فقال : « أنا مُهَلْهِل » ، وشدَّ عليهم جَحْدر ، فاعتوَرَه عمرُو وعامر فطعن عمراً بعالِية الرُّمح ، وعامراً بسافِلته، فقتلهما وجاء ببزّهما ، فلما رجع مُهَلهِل بعدَ الوَقعة والأسْر إلى أهلِه ، جعل الوِلدانُ يسْتخبرونه والنساء عن أهلِيهم وأبنائِهم وأقاربهم ، فقـال :

ليسَ مِثلى يخبِّرُ الناسَ عن آ ... بائِهم قتِّلــوا وينسَى القتالا
لم أرِمْ عَرضةَ الـكتيبةِ حتى انْـ ... ـتعَلَ الوردُ من دِماء نعـالا
عرفتْه رِماحُ بـــكرٍ فما يأ ... خُذْنَ إلا لَبانَهُ والقَذالا
غلبونَا ولا محـــالةَ يوماً ... يَغلِبُ الدهرُ ذاك حالاً فحالاَ

ثم خرج حتى لَحِق بأرضِ اليمن ، فـكان فى جَنْب ، فخطب إليه أحدُهم ابنتَه فأبى أن يفعَل ، فأكرهوه فأنـكَحها إيّاه . وقال مهلهل فى ذلك :

أنـكَحَها فقدُهــا الأراقمَ فى ... جَنْبٍ وكان الحباَءُ من أدم
لو بأبانَينِ جاء يخطبُها ... رمِّل ما أنفُ خاطبٍ بـــدم
هان على تَغلبٍ بمـــا لَقِيت ... أختُ بنى المالِـكين من جُشَم
ليسوا بأكفائنا الـكرامِ ولا ... يُغنون من عَيْلة ولا عـــدم

ثم إن مهلهلاً انحدر ، فأخذه عَمْرو بنُ مالك بن ضُبَيعة ، فطلب إليه المحلِّلُ بن

ثَعلبة أن يكون مهلهلٌ عنده . ففعل[١]، وشرب خمرا فلمّا طابت نفسه ، تغنَّى فقال :

طَفْلَةٌ ما ابْنَةُ المحلِّل بيضا ء لعوبٌ لذيذةٌ فى العِناق

حتى فرغ من القصيدة . فأدّى ذلك من سَمِعه من مُهلهل إلى عَمْرو ، فحوّله إليه ، وأقسمَ لا يذوقُ عندَه خمراً ولا ماءً ولا لبناً ، حتى يَرِدَ ربيبُ الهضاب (جملٌ كان له وِردُه الخِمسَ فى القَيظ) ، فقالوا له : « يا خَيْرَ الفِتيان أرسل إلى رَبيب واتْئِت به قَبْل وِرده » ، ففعل ، ثم أوْجَرَه ذَنُوبا من ماء . فلما تحلَّل من يمينه سَقاه من ماء الحاضِرة وهو أوْبَأ ماء ، فماتَ . فتِلكَ الهِضابُ التى كان يَرْعاها رَبيب ، يقال لها هِضاب رَبيب .

قال مقاتِل : ولم يقاتِل معنا من بنى يَشْكُر ، ولا من بنى لُجَيم ، ولا ذُهل ابن ثَعلبة غيرُ ناسٍ من بنى يَشكر وذُهل ، قاتَلَتْ بأَخَرة . ثم جاء ناسٌ من بنى لُجَيم يومَ قِضة مع الفِند . وفى ذلك يقول سعدُ بن مالك :

إن لجيماً قد أبَتْ كلّها أن يرْفِدُونا رجلًا واحدا
ويشكرٌ أَضْحت على نَأْيها لم نسمع العامَ لهـا حامِدا
ولا بنى ذُهلٍ وقد أصبحوا بهـا حُلُولًا خلفاً ماَجدا
القائدى الخيلِ لأرض العِدا والضاربينَ الكوكبَ الواقدا

وقالوا جميعاً : مات جسّاسٌ حتفَ أنفه ، ولم يقتل . وقال عامرُ بن عبد الملك : لم يكن بينَهم قتلَى تعدُّ ولا تذكر ، غيرَ ثمانيةِ نفَرَ من بنى تغلب ، وأربعة من بنى بكر ، عدّهم مُهلهِل فى شِعره ، فى قصيدته التى أوّلها :

أليلتنَا بذى حُسُمٍ أنيرى إذا أنتِ انقضَيتِ فلا تحورى

فإنه ذكر فيها أربعةً من بنى بكر بن وائل ، وفى قصيدتِه التى قال فيها :

طَفْلة ما ابنــةُ المحلِّل بيضا ء لَعوبٌ لذيذة فى العناق

---

(١) ففعل المحلل ، المخطوطات.

فإنه ذكر فيها ثمانيةً من بنى تغلب .

وقيل إن شعرَ مهلهل لا يحتجُّ به ، فإن جَحْدرًا قتل أبا مِكنَف فى يوم قِضة (١)ولم يذكره مُهَلهِلٌ فى شعره ، وقتل حبيبٌ يومَ واردات ، وقتل سعد بن مالك يوم قضة(١) ابنالقبيحة ، فلم يذكُرْه . قال عامر : والدليلُ على أنَّ القتلى كانوا قليلين أنّ آباءَ القبائل همُ الذين شهِدوا تلك الحروب ، فعدُّوهم وعدُّوا بنيهم وبنى بَنِيهم ، فكانوا جُملةً حَوْلَ الخَمْسمائة . فكم عسَى أن يبلغَ عدّة القتلى ؟ . وكان اسمُ مُهَلهِل عديا ، وقيل : امرؤ القيس ، وهو ابنُ ربيعة بن الحارثِ بن زُهيرمن جُشَم بن بَكر ابن حَبيب بن عمرو بن عثمان بن تَغْلب . ولقب مُهَلهِلا لِطيب شِعره ورقّته . وكان أحدَ من غُنِّى من العرب بشِعره . وقيل : إنّه أوّلُ من قصَّد القصائد ، وقال الغزل فقيل : قد هَلْهَل الشعر ، أى أرقَّه . وكان أوّل من كَذَب فى شعره . وهو خالُ امرئِ القَيْس بن حُجر الكندى . وكان فيه جُبْنٌ وبُخل . وكان كثيرَ المحادَثة للنساء . وكان كليبٌ يسمِّيه زيرَ النِّساء . وذلك قول المهلْهِل فى قصيدته التى أوّلها :

* أليلتنا بذى حُسُمٍ أنيرى *

يقول فيها :

فلو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيب   لأبصرَ بالذنائب أىَّ زير

وكان آخرُ من قُتِل فى حَرب بَكر وتَغْلب جساسَ بن مرّة ، قاتلَ كليب ابن ربيعة . وكانت أختُ جسَّاس تحت كُلَيب ، وقتله جسّاس وهى حامِل ، فرجَعتْ إلى أهلها ، ووقع الحربُ بين الفريقين كما ذُكر. ثم صارُوا إلى الموادعة ، بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان ، فولدَتْ أختُ جسَّاسٍ غلاماً، فسمَّته الهِجْرِس ، وربّاه جسّاس ، فكان لايَعرفُ له أباً غيرَه ، وزوَّجه لبنته . فوقع بين الهِجْرِس وبين رجل من بنى بكر

(١) ولم يذكره مهلهل . . . وقتل سعد بن مالك يوم قضة ، سقط فى المخطوطتين .

ابن وائل كلام(٢) ، فقال له البكريُّ : ما أنت بمُنتهٍ حتى نُلحقك بأبيك . فأمسك عنه ، ودخل على أمه كئيباً ، فسألته عمّا به ، فأخبرها الخبر . فلما أوى إلى فراشه ونام إلى جنب امرأته ، وضع أنفه بين ثدييها وتنفّس نفساً تنفّط ما بين ثدييها لحرارته ، فقامت الجارية فزعة قد أقلّتها رعدةٌ حتّى دخلت على أبيها ، فقصّت عليه قصّة الهجرس فقال جسّاس : « ثائرٌ وربِّ الكعبة » . وبات على مثل الرّضف حتّى أصبح ، فأرسل إلى الهجرس ، فأتاه فقال له : « إنّما أنت ولدى ، ومنّى بالمكان الذى علمت ، وقد زوّجتك ابنتى وأنت معى ، قد كانت الحرب فى أبيك زماناً طويلا ، حتى كدنا نتفانى . ثم اصطلحنا وتحاجزنا ، وقد رأيتُ أن تدخل فيما دخل فيه النّاس من الصُّلح ، وأن تنطلق معى ، حتّى نأخذ عليك مثلما أُخذ علينا وعلى قومنا » . قال الهجرس : « أنا فاعل ، ولكنَّ مثلى لا يأتى قومه إلا بلأمته وفرسه » . فحمله جسّاس على فرس ، وأعطاه لأمةً ودرعاً . فخرجا حتى أتيا جماعةً من قومهما ، فقصَّ عليهم جسّاس ما كانو فيه من البلاء ، وما صاروا إليه من العافيه ثم قال : « وهذا ابنُ أختى ، قد جاء ليدخُل فيما دخلتُم فيه ، ويعقِدما عقدتم » . فلما قرّبو الدّم ، وقاموا للعقد أخذ الهجرس بوسط رُمحه وقال : « أمَا وفرسى وأذُنيه ، ورُمحى ونصليه ، وسيفى وغِراريه ، لا يترك الرجُلُ قاتلَ أبيه ، وهو ينظر إليه » . ثم طعن جسّاساً فقتله ، ولحق بقومه ؛ فكان آخر قتيلٍ فى بكر بن وائل .

وكان جسّاسٌ لما قتل كليبَ بن ربيعة اجتمع نساءُ الحىِّ للمأتم ، فقُلن لأختِ كُليب : « أخرِجى جليلةَ بنتَ مرّة ، أختَ جسّاس عن مأتمك ، فإن قيامها فيه شماتةٌ وعارٌ علينا عند العرب » ، فقالت لها : « اخرُجى يا هذه عن مأتمنا ، فأنتِ أختُ واترِنا ، وشقيقةُ قاتلنا » . فخرجت وهى تجرُّ أعطافها . فلقيها أبوها مُرّة ، فقال : « ما وراءكِ يا جليلة ؟ » فقالت : ثُكل العدد وحُزنُ الأبد وفقدُ خليل ،

(١) كلام ، زيادة عن الأغانى .

وقَتلُ أخٍ عن قليل ، و بَيْنَ ذَيْنِ غَرْسُ الأحقاد ، وتفتيتُ الأكباد » . فقال لها : « أو يَكُفُّ عن ذلك كَرَم الصَّفح ، وإغلاء الديات ؟ » . فقالت : « أمنيَّة مخدوعٍ وربِّ الكعبة! أبا البُدْنِ تَدَعُ لك تغلبُ دمَ ربِّها ؟» « ولما رحلَت جَليلةُ قالت أختُ كُلَيب : « رِحلةُ المعْتَدِي ، وفِراقُ الشامت ويلٌ غداً لآل مُرَّة ، من الكرَّة بعد الكرَّة » . فبلغ قولُها جليلة ، فقالت : « وكيف تَشْمَتُ الحرَّة بهَتْك سِترها ، وترقُّبِ وِترها ؟ أفلا قالت : « نَفْرَةَ الحياء وخَوفُ الاعتداء » ، ثم أنشأت تقول :

يا ابنةَ الأقوام إن شئتِ فلا تَعْجَلِي باللَّوم حتى تسألى
فإذا أنتِ تبيَّنتِ الذى يوجِبُ اللَّوم فلومى واعذُلِى
إن تكنْ أختُ امرئٍ لِيمَتْ على شِقْوة أجلت عليه فابتلى
جلَّ عندى فِعلُ جسَّاس فيا حَسْرتَا عما انجلت أو تنجلى
فعل جسَّاسٍ على وَجْدى به قاطعٌ ظهرى ومُدْنٍ أجلى
لو بِعَيْنٍ فُقِئَت عينى سوى أختِها فانفقأت لم أحْفِل
تحمِلُ العينُ قذَى العينِ كما تحمِلُ الأمُّ أذى ما تفتَلى
يا قتيلًا قوَّضَ الدهرُ به سَقْفَ بيتىَّ جميعا من عَلِ
هدمَ البيتَ الذى استحدثتُه وانثَنى فى هَدْم بيتى الأوَّلِ
ورمانى قتلُه من كَثَب رميةَ المصمِى به المسْتَأصِل
يا نِسائى دونكُنَّ اليومَ قَدْ خصَّنى الدهرُ برُزْءٍ مُعْضِل
خصَّنى قتلُ كُلَيبٍ بلَظَى من وَرائى ولَظَى مستقبِلى
ليسَ من يَبْكى ليومَيْه كمن إنَّما يبكى ليومٍ ينجلى
يشتَفِى المُدْرِكُ بالثأر وفى دَرَكِى ثأرىَ ثُكْلٌ مُثكلى
ليتَه كان دماً فاحتلَبوا دِرَرًا منه دَمِى من أكحلى
إنَّنى قاتِلةٌ مقتولةٌ ولعلَّ الله أن يرتاحَ لى

حرف اللام

ليلى الأخيلية

هى ليلى بنتُ عبدالله بن الرحّال ــ وقيل: ابن الرحّالة ــ بن شداد بن كَعْب بن معاوية وهو الأَخْيَل ، وهو فارسُ الهرّار بن عُبادة بن عُقَيل بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر ابن صَعْصعة .

وهى من النّساء المقدّمات فى الشعر من شُعَراء الإسلام .

وكان تَوْبةُ بن الُحمَيِّر يهواها ، ويقول فيها الشعر . وخطَبها إلى أبيها فأبى أن يزوِّجه إيَّاها ، وزوّجها فى بنى الأَدْلَع . وكان تَوْبةُ إذا أتى ليلى خَرجت إليه فى برقع فلما شُهِر أمرُه شكَوه إلى السّلطان، فأباحَهم دمَه إن أتاهم فكمَنُوا له فى الموضِع الذى يلقاها فيه . وكان زوجُها غيوراً ، فحلف إن لم تعلمْه بمجيئِه ليقتلنَّها ، ولئن أنْذَرته ليقتلنَّها . قالت ليلى وكنتُ أعرف الوجْهَ الذى يجىء منه . فلما أقبلَ لم أقدِرْ على كلامه لليمين[1] فرفعتُ البرقُعَ ورميتُه عن رأسى وأسْفَرت . فلما رأى ذلك أنكرَه، وفَطِن لما أردتُ ، وعلم أنه قد رُصِد ، وأنَّها أسفرت لتحذِّره ، فنجا وفاتَهم وقال :

نأَتْكَ بلَيْلَى دارُها لا تزورُها	وشطَّت نواها واستمرَّ مَريرُها
حمامةَ بطنِ الوادِيَيْنِ ترنَّمى	سقاكِ من الغرِّ العِذاب مَطيرُها
وكنتُ إذاما جئتُ ليلَى تبرقَعَتْ	فقد رَابَنى منها الغداةَ سُفورها
علىَّ دماءُ البُدْنِ إن كان بعلُها	يرى لى ذنباً غيرَ أنِّى أزورها

(١) للكمين : المخطوطتان .

وأنّى إذا ما زُرتُها قلت يا اسلمى[1] وما كان فى قولى اسْلَمِى ما يَضِيرها

خرج رجلٌ من بنى عَمْرو بن كِلاب، ثم من بنى الصَّمحة ، يبتغى إبلًا له ، حتى أوحَشَ وأرْمَل وأمْسَى بأرض ، فنظر إلى بيتٍ بوادٍ ، فأقبلَ حتى نزل حَيْث ينزل الضيف ، فأبصَر امرأةً وصِبيانًا يدورون بالخِباء ، فلم يكلِّمه أحد ، حتى كان بعد هُدأة من اللَّيل ، فسَمِع جَرْجرات الإبل رائحة، وفيها صوتُ رجل، حـتَّى جاء بها ، فأناخَها على البيت ، ثم تقدَّم ، فسمِعَه الصَّمحى يقول للمرأة : « ما هذا السَّوادُ حِذاءَك ؟ » قالت : « راكبٌ أناخ بنا حين غابت الشَّمس ، ولم نـكلِّمه » . قال : « كذبتِ ! ما هو إلا بعضُ خلاَّنك » ونهضَ يضربُها ، وهى تناشِده . قال الصَّمحيّ : فسمعتُه يقول : « واللهِ لا أتركُ ضربَـك حـتَّى يأتىَ ضيفُك هذا فيُغيثُك ». فلمّا عِيل صبرُها غوَّثَت وقالت : « يا صاحبَ البَعير ، يا رجل » . فأخذ الصَّمحى هِرواتَه ثم أقبلَ يُحضِر ، حتى أتاهُ وهو يضرِبُها ، فضربه ثلاثَ ضرباتٍ، أو أربعاً ثم أدركتْه المرأةُ، فقالت : « يا عبـــدَ الله ، ما لَكَ ولَنا ! اعْزِبْ عنّا نفسَك » . فانصرفَ فجلَس على راحِلَته ، وأدلَج ليلتَه كلَّها، وظنَّ أنه قتَل الرجل؛ وهو لا يدرى مَن الحىُّ بعدُ، ولا مَن الرجُل . حتى أصبحَ فى أخْبية ، ورأى غنماً فيها أمَةٌ مولَّدة ، فسألهـــا عن أشياء ، حتى بلَغ به الذكر فقال : « أخبِرينى عن أُناسٍ بشِعب كذا ». فضحِكَت وقالت : « ذلك خِباءُ ليلى الأخْيَليّة ، وهى أحسَنُ النّاس وجهاً ، وزوجُها غيور ، فهو يبعُد بها عن النّاس ، فلا يحُلُّ بها معهم، وما يقرَبُها أحدٌ ، ولا يتضيَّفها فكيف نزلتَ بها ؟ » قال : « إنَّما مررتُ فنظرتُ إلى الخِباء ، ولم أقرَبه » . وكتمها الأمر. وتحدَّث الناسُ عن رَجُلٍ نزَلَ بها ، فضربَ زوجَها ، ولم يُعلم من هو . فلما أُخْـبِر باسم المرأة أقرَّ على نفسه بشِعرٍ قاله . وهو :

ألا يا لَيْلَ أختَ بنى عَقِيـــل أنا الصمْحىُّ إن لم تعرفِينى

---

(١) وإنى إذا مازرت قلت لها : اسلمى « المخطوطتان » .

دَعَتْنِى دَعْوةً فَعجزتُ عنها ... بصُلْبة(١) دَفَعتُ بها يمينى
فإن تَكُ غيرةٌ أبرتكَ منها ... وإن تكُ قدجُنِنْتَ فذُق جُنونى

قال الحجَّاج يوماً لليلى الأخيلية : « إنَّ شبابك قد مَضَى ، فولَّى واضمحلَّ أمرُكِ وأمرُ تَوْبة . فأُقسِمُ عليك إلّا صَدَقتِنى ، هل كانتْ بينكما رِيبةٌ قطّ ، أو خاطَبَكِ فى ذلك قطّ ؟ » قالت : « لا والله ، إلا أنه قال لى ليلةً ـ وقد خَلَوْنا ـ كلمةً ، ظننتُ أنّه قد خَضَع فيها لبَعْض الأَمر ، فقلت له :

وذى حاجةٍ قلنا له لاتبُح بها ... فليسَ إليها ما حَيِيتَ سبيلُ
لنا صَاحِبٌ لا ينبغى أن نخونَه ... وأنتَ لأُخرى صاحبٌ وخليلُ

فلا والله ، ما سمعتُ منه بعدَها ريبةً ، حتّى فرّق بيننا الموت » . فقال لها الحجّاج : « فما كان منه بعدَ ذلك ؟ » قالت : « وجّه صاحباً له إلى حاضرَتِنا فَعَلا شَرَفاً ، وهتَفَ بهذا البيت :

عفا الله عنها ، هل أبيتَنَّ ليلةً ... من اللَّيل لا يسرِى إلىّ خيالُها

فلما فعل الرجلُ ذلك عَرَفْتُ المعنى ، فقلتُ :

وعَنْه عفا ربِّى وأحسَنَ حفظَه ... عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالُها

ولما أُنشِدَ الأصمعىُّ قولَ تَوْبة :

وإنِّى إذا ما زرتُ قلتُ لها اسلَمى ... وإن كانَ فى قَوْلى اسلَمى مايضيرُها

قال الأصمعىّ : « شكوى مظلوم ، وفعل ظالم » . ولما قُتِل توبة رثَتْه ليلى بأبياتٍ منها :

كم هاتفٍ بكَ من باكٍ وباكيةٍ ... ياتَوْبَ للضَّيف إذ تَدْعُو(٢) وللجار
وتوب للخَصْم إن جارُوا وإن عدَلوا ... وبَدَّلوا الأمرَ نقضاً بعد إمرار

---

(١) بصلبة : بعلبة ، كبريلى ؛ بعلته ، المخطوطتان .

(٢) تدعى ، الأغانى .

إن يُصدِرُوا الأمرَ تُطْلِعْه مَوَارده   أو يُورِدُوا الأمرَ يُطلِعْه بإصدَار

دخلت ليلى الأخيَليَّة على عبدِالملك بن مَروان ، وقد أسنَّت وعَجَزت ، فقال لها: « ما رأى فيك تَوْبةُ حتى هَوِيَكِ ؟ » قالت: « ما رأى الناسُ فيكَ حينَ وَلَّوكَ؟» فضحِك عبدُ الملك حتى بدَتْ له سنٌّ سودَاء ، كان يُخفِيها .

بينما الحجّاج بن يوسف جالِسٌ إذ دَخَل عليه حاجبُه ، فقال : « بالباب امرأةٌ تَهدِر كما يهدِر البعير » ، قال: أدْخِلْها . فلما دَخَلت نَسَبها فانْتَسَبت له ، فقال : « ما أتى بكِ يا لَيْلَى ؟ » قالت : « إخلاف[1] النجوم ، وكَلَبُ البرد ، وشدَّةَ الجهد، وأنت لنا بعد الله رِدْء » . قال : « أخبريني عن الأرض » . قالت : « الأرضُ مقشَعِرَّة ، والفِجاجُ مغبرَّة ، وذو الغنى مختَلٌ، وذو الحدِّ مُنفَلّ » . قال: « وماسَبَبُ ذلك ؟ » قالت : « أصابتنا سِنُونَ مُجْحِفَةٌ مُظْلِمة ، لم تَدَع لنا فصيلًا ولا رُبَعاً ، ولم تُبْقِ عافِطةً ولا نافِطة ، فقد أهلكتْ الرِّجال ، وفرَّقت العيال ، وأبعدَت الأموال » . فقال لها : « يا ليلى أنشِدِينى من بعضِ شِعرِك فى تَوْبَة » . فأنشدته :

لعمرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتَى   إذا لم تُصِبْه فى الحياةِ المعايِر
وما أحدٌ حيٌّ وإن عاشَ سالِماً   بأخلدَ ممَّن غيَّبته المقابرُ
فلا الحيُّ مما أحدَثَ الدّهرُ مُعْتِبٌ   ولا الميتُ إن لم يصبر الحى ناشِر
وكلّ جديدٍ أو شبابٍ إلى بِلًى   وكلّ امرئٍ يوماً إلى الله صائر
قتيلَ بنى عَوْفٍ فيا لهفتى له   وما كنتُ إيَّاهم عليه أحاذِر
ولكننى أَخْشَى عليه قبيلة   لها فى دُرُوب الروم[2] بادٍ وحاضِرُ

فقال الحجّاج لحاجبه : اذهبْ فاقطعْ لسانَها . فدعا لها بالحجَّام ، ليقْطَع لسانها . فقالت له : « وَيْلَك ! إنَّما قال لك الأمير : اقطَعْ لسانها بالعطاء والصِّلة ، فارجع إليه

(١) اختلاف ، جميع المخطوطات .
(٢) الشام ، الأغانى .

فاسْتَأْمِره » . فرجع إليه . فاسْتَشاط وهمَّ بقَطع لسانه ، ثم دعا بها ، فأُدخِلت عليه ، فقالت : « كاد وعهدِ الله أيُّها الأميرُ أن يقطعَ مِقولى » . وأنشدَتْه :

حجّاجُ أنتَ الذى ما فوقَه أحدٌ   إلا الخليفةُ والمُسْتَغْفَر(١) الصمد

حجّاجُ أنت سِنانُ الحرب إن نُهِجَتْ   وأنتَ للنّاس نورٌ فى الدجى يَقِد

وقيل : إنَّ الحجّاج أمرَ لها فى المجلس بمائتَين ، فقالت : « زِدْنى » ، فقال : « اجعلوها ثلاثمائة » . فقال بعضُ جلسائه : « إنها غنم » ، فقالت له : « إن الأميرَ أكرمُ من ذلك ، وأعظمُ قدرا من أن يأمرَ لى إلّا بالإبل » . فاستحيي الحجاج ، وأمر لها بثلاثمائة بعير . وإن الذى أمر لها به أوّلا إنما كان غنما . وقال محمد بن الحجّاج الثقفى : بينا كان الأمير جالساً إذ استُؤذِن عليه لليلى ، فقال : « ومن ليلى ؟ » قيل : الأَخْيليّة ، صاحبةُ توبة » . فأذِن لها ، فدخلت امرأةٌ طويلة ، دَعْجاء العين ، حَسَنة المِشية إلى القوة ما هى ، حَسَنة الثغر . فسلّمت ، فرحّب بها الحجّاج فدَنت فقال : « ما أعمَلَكِ إلينا ؟ » قالت : « السّلامُ على الأمير ، والقضاءُ لحقِّه ، والتعرُّض لمعروفِه » . فقال : « كيف خلّفتِ قومَك ؟ » قالت : « تركتُهم فى حال خِصْب وأمْن ودَعة : أما الخِصب ففى الأَموال والكَلأ ، وأمّا الأمنُ فقد أمّنهم الله بك ، وأما الدَّعة فقد خامَرهم من خَوْفِك ما أصْلَح بينهم » . ثم قالت : « ألا أُنشِدُك أيُّها الأمير ؟ » قال : « إن شئْتِ » . فقالت :

أحجّاجُ إنّ الله أعطاك غايةً   يقصِّر عنها من أرادَ مدَاها

أحجّاج لا يُفْلَلْ سِلاحُك إنما الْ   منايَا بكفِّ الله حيث يراها

إذا هبط الحجّاج أرضاً مريضةً   تَتَبّع أقصى دائِها فشفاها

شفاها من الدّاء العُضال الذى بها   غلامٌ إذا هزَّ القناة سقاها

فقال لها الحجّاج : « قولى : همام ، ولا تقولى : غلام » . فقالت :

(١) والمستغفر ، الأغانى : والمستعظم ، جميع المخطوطات .

سقاها دماءَ المارِقين وعلَّها ... إذا جَمَحَتْ يوماً وخِيف أذاها
إذا سَمِع الحجّاج صوتَ كتيبةٍ ... أعدَّ لها قبــل النِّزال قِراها
أعدَّ لهــا مصقولةً فارسيَّةً ... بأيدى رجالٍ يحسِنُون غِــذاها

فقال الحجّاج ليحي بن منقذ : « لِلّٰهِ بلادُها ! ما أشعَرها ! » ، فقال : « مالى بشِعرها من عِلْم » . فقال : علىّ بعُبَيْدةَ بنِ مَوْهَب » . وكان حاجبَه ، فجاءه فقال : « أنشِديه » ، فأنشَدته . فقال عُبَيْدة : « هذه الشاعِرةُ الكريمةُ قد وجَبَ حقّها ». فقال : « ما أغناها عن شَفاعَتِك ! يا غُلام ، أعطِها خمسمائة درهم ، واكسُها خمسةَ أثواب ، أحدها كِساء خزّ ، وأدخِلها على هند بنتِ أسمـاء ، فقل لها : صِليها » . فقالت : « أصلَح الله الأمير ، أضرَّ بِنا العريفُ فى الصدَقة . وقد جَرِبَت إبلنا[1] ، وانكسرت[2] . فأخذَ خِيار المال » ، فقال : « اكتبُوا لها إلى الحكَمِ بن أيّوب ، فليَبْتَع لها خمسةَ أجمال ، وليجعل[3] أحدَها نجيباً . واكتبوا إلى صاحِب اليمامة بعزْل العَريف الذى شكَته » . فقال ابن مَوْهَب : « أصلح الله الأمير ، أَصِلُها ؟ » قال : « نعم » . فوصلها بأربعمائة دِرهم ووصلَتْها هندُ بثلاثمائة درهم ، ووصلَها محمد ابن الحجاج بوَصيفين . ولما فرغَتْ من إنشادِها أقبل الحجّاج على جُلَسائه فقال : « أتدْرُون من هذه ؟ » فقالوا : « لا والله ، ولا رأَيْنَا أفصحَ منها ، ولا أبلغَ ولاأحسنَ إنشاداً » . فقال : « هذه ليلى صاحِبةُ توبة ». ثم أقبل عليها ، فقال لها : « ياليلى ، أرأيتِ من تَوْبة أمراً تكرَهينَه ، أو سألَكِ شيئاً يعاب ؟ » فقالت : لا والذى أسألُه المَغْفِرة ، ما كان ذلك منه قطّ » . فقال : « أمّا إذا لم يكُنْ فرحِمَنا الله وإيّاه » .

---

(١) خربت بلادنا ، الأغانى .
(٢) وانكسرت قلوبنا ، الأغانى .
(٣) وليجعل : زيادة عن الأغانى .

وقيل: إن الحجّاج أمرَ لها بعَشْرة آلاف درهم. وقال لها: «هل لكِ من حاجة؟» قالت: «نعم، أصْلَح الله الأمير، تحملني إلى ابن عمّي قتيبةَ بنِ مُسلم»، وهو على خُراسان يومئذٍ. فحمَلَها إليه، فأجازَها، وأقبلت راجعةً تريد البادية، فلما كانت بالريِّ ماتَتْ، فقبرُها هناكَ، كما رواه الأصمعيّ، وهو غلط والصحيح أن ليلى أقبلت من سَفَر، فمرّت بقبر تَوْبة، ومعها زَوْجُها في هَوْدَج، فقالت: «والله لا أبرحُ حتى أسلِّم على تَوْبة»، فجعل الزّوجُ يمنعها من ذلك، وتأبى إلا أن تلِمّ به. فلما كثُر ذلك منها تركَها فصعِدت أكَمَةً على قَبره، فقالت: «السلامُ عليك يا تَوبة». ثم حوّلت وجهَها إلى القَوم فقالت: «ما عرفتُ له كِذبةً قطّ قَبل هَذِه». قالوا: «وكيف؟»، قالت: «أليس هو القائل:

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلّمت ... عليّ ودونى جندلٌ وصفائح
لسلّمت تسليمَ البشاشة أو زقَا ... إليها صَدًى من جانبِ القبرِ صائحُ
وأُغبَطُ من لَيْلى بما لا أنالُه ... ألا كلُّ ما قرّت به العينُ صالح

فما باله لم يسلِّم عليّ كما قال؟» وكانت إلى جانبِ القبر بُومة كامِنة. فلمّا رأتْ الهَوْدَج واضطرابَه فَزِعت، فطارَت فى وَجْه الجمَل، فنفَر، فرَمى لَيْلَى على رأسِها، فماتَتْ من وقتِها، فدُفِنَت إلى جانبه.

دخل عبدُ الملك بن مَروان على زَوْجَته عاتكةَ بنتِ يزيد بن معاوية فرأى عندَها امرأةً بَدَويّة، فأنكرَها، فقال: «من أنتِ؟» قالت: «أنا ليلى الأخْيليّة»، قال: أنتِ التى تقولين:

أُريقَتْ جِفانُ ابن الخليع فأصبحَتْ ... حِياضُ النَّدى زالت بهنّ المراتب
فعُفاتهُ لَهْفَى يَطوفُون حَوْلَه ... كما انقضّ عرشُ البئر والوِردُ عاصِب

قالت: «أنا الذى أقول ذلك». قال: «فما الذى أبقيتِ لنا؟» قالت: «الذى أبْقَى الله لك». قال: «وما ذاك؟» قالت: «نَسَباً قُرَشيًّا، وعيشاً رخيًّا،

وأمْرَةً مُطاعةً » . قال : « أفْرَدتِه بالـكرم » قالت : « أفردْتُه بمـا انفْرَد به » .
فقالت عاتـكة : « إنها قد جاءت تَسْتَمِينُ بنا عليكَ فى عَيْنٍ لتسقيها وتحميها لها ،
لَسْتُ لِيزيدَ أن شفعتها فى شىء من حاجتها، لتقديمها أعرابيًّا جلفا على أميرِ المؤمنين».
قال : فوثبت ليلى ، فجلست على رَحْلها وقالت :

سَتَحْمِلُنى ورَحْلِى ذاتُ وَخْدٍ … عليها بنتُ آباءٍ كِرام
إذا جعلَتْ سوادَ الشام جَنْباً … وأُغْلِق دونَها بابُ اللئام
فليسَ بعائدٍ أبـداً إليهم … ذوو الحاجاتِ فى غَلَس الظلام
أعاتكَ لو رأيتِ غـداةَ بِنّا … عزاءَ النفسِ عنكُم واعتزامى
إذاً لعلمتِ واسْتَيْقَنْتِ أنّى … مُشَيَّعةٌ ولم تَرْعَىْ ذمامى
أأجعلُ مثـل تَوْبَة فى نداه … أبا الذِّبَّان فُوه الدَّهرَ دامى
معاذ الله ما خَبَّت برَحْلى … تُغِذُّ السَّـيْرَ للبلدِ الحرام
أقُلتِ خليفةٌ فسواه أحْجَى … بإمرَتِه وأوْلَى باللِّئام
لِئامِ الملك حين تُعدُّ كعبٌ … ذَوُو الأخطار والخُطَطِ الجسام

فقيل لها : « أيُّ الـكَعْبين عنَيْت ؟ » قالت : ما إخالُ كَعباً كـكعبى .

لبيـــد

هو لَبيد بن رَبيعة بن مالِك بن جَعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامِر بن صَعْصَعَة ابن مُعاوية بن بَكر بن هَوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عَيْلان ابن مُضر. كنيتهُ أبو عَقيل. وكان يقال لأبيه: ربيع المُقْتِرِين، لجُوده وسَخائه. قتلَه بنو أسَدٍ فى الحرب التى كانت بينهم وبين قومه. وعمُّه أبو بَرَاء عامرُ بن مالِك، مُلاعِبُ الأسِنَّة، سمِّىَ بذلك لقولِ أوسِ بن حجر فيه:

فلاعَبَ أطرافَ الأسِنَّة عامرٌ ... فراحَ له حظُّ الكتيبةِ أجمعُ

وأمُّ لَبيد تامِر[1] بنتُ زِنباع العَبْسِيَّة، إحدى بناتِ[2] جذيمة بن رَواحة بن خزيمة بن رواحة، وهى سبيّة بنى عبس.

ولبيد أحد شعراء الجاهلية[2] المعدودين فيها، المخضرمين، ممَّن أدرَكَ الإسلام. وهُوَ من الأَشْراف الشُّعَراء الأجْواد، الفُرسان، القرّاء، المعمَّرين، يقال إنه عمِّرَ مائةَ سنةٍ وخمساً وأربعين سنَة.

وكان لَبيد قد قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى وَفْد بنى كِلاب، بعد وفاةِ أخيه أربَد وعامرِ بن الطُّفيل، فأسلَمَ وهاجَر، وحَسُن إسلامُه، ونَزَل الكوفةَ فى أيَّام عمرَ بن الخطَّاب رضى الله عنه، ومات هناك فى آخر خلافة مُعاوية. عمِّر تِسعينَ سنةً فى الجاهليَّة، وخمساً وخمسين سنةً فى الإسلام.

قال الأصمعىّ: وفَدعامِر بن مالك بن جعفر بن كلاب أبو بَراءملاعبُ الأسنَّة، وإخوتُه طُفَيل ومُعاوية وعُبَيدة، ومعهم لَبيد بن ربيعة، وهو غُلام، وَفَدُوا على النُّعمان

(١) تماضر، المخطوطتان.

(٢) جذيمة . . . الجاهلية، سقط فى المخطوطتين.

ابن المنذر ، فوجدُوا عندَه الرَّبيعَ بنَ زياد العَبْسيّ ، وقد غَلَب على أمره ومنادمته . فكان يخلو به على الشَّراب ، هو وسَرْجَون بن توفيل ، رجلٌ تاجرٌ من أهل الشام أديبٌ حسَنُ الحديث والمنادَمة(١) . وكان الجعفريّون يدخُلون على النّعمان لحاجتهم ، فإذا خرَجوا من عنده خلابه الرَّبيع ، فطعَن على الجعفريِّين ، وذكر معايِبهم . وكان بنُو جعفر أعداءَه . فلم يزَلْ بالنُّعمان حتَّى صدَّه عنهم . فدخلوا عليه يوماً ، فرأوا منه جفاءً ، وقد كان يُكرِمُهم ويقدِّمهم . فخرجوا غِضاباً ، ولبيد متخلِّفٌ في رِحالهم ، لحفظِ أمتعتهم ، ورعْى إبلهم . فأتاهم ذاتَ ليلةٍ ، وهم يتذاكرون أمرَ الربيع ، فسألهم فكتَمُوه ، فقال: «والله لا حفِظتُ لكم متاعا ، ولا سرَّحت لكم بعيرا أو تخبرونى» وكانت أمُّ لَبِيد امرأةً من بنى عَبْس ، وكانت يتيمةً فى حِجر الرَّبيع . فقالوا : «خالك قد غلَبنا على الملِك ، وصدَّ عنا وجهَه » . فقال لبيد : « هل تقدرون أن تجمعوا بينى وبينه ، فأزجُرَه عنكم بقولٍ مُمِضٍّ مؤلم ، لا يلتفتُ إليه النُّعمان بعدَه أبدا ؟» قالوا « وهل عندَك من شيء ؟ » قال : « نعم » ، قالوا :« فإنّا نبلُوكَ بشيءٍ من هذه البُقول » . قال : « وماذاك؟ » قالوا : «تَشْتُم هذه البَقْلة » ـ وكانت قدَّامَه بقلةٌ دقيقةُ القُضبان ، قليلةُ الوَرَق ، لاصقة فروعُها بالأرض ، تدعى« بالتَّربة » . فقال : « هذه التَّرِبَة لا تذكى ناراً ، ولا تُؤْهِل داراً ، ولا تَسُرُّ جاراً ، عودُها ضئيل ، وفرعُها ذليل ، وخيرُها قليل ، أقبحُ البقول مَرْعًى وأقصرُها فرعاً ، وأشدُّها قلعا ، فحرباً لجارها وجَدْعاً ، بلدُها شاسِع ، ونبتها خَاشِع ، وآكِلُها جائع ، والمقيمُ عليها ضائع الْقَوا بى أخَا بنى عَبْس ، أرْجعه عنكم بتَعْس ونَكْس ، وأتركه من أمْرِه فى لَبْس » فقالوا : « نصبحُ فنرى فيك رأيَنا » . فقال عامر : « انظُروا إلى غلامِكم هذا ـ يعنى لبيدا فإن رأيتُموه نائِماً فلبس بصاحبه ، وليسَ أمرهُ بشيءٍ ، وإنما هو يتكلَّم بما جاء على لسانه ، وإن رأيتموه ساهِراً فهو صاحبُه » . فرمَقوه بأبصارهم ، فوجدُوه ساهراً ،

---

(١) والنادرة ، المخطوطتان .

قد ركب رَحْلًا ، وهو يكدِم واسطَته، حتى أصبح ، فقالوا : «أنت صاحبُه». فعمَدوا إليه فحلَقوا رأسَه ، وتركوا ذَوَائبه ، وألبسوه حُلَّة ، ثم غدَوْا به مَعهم حتى دخلوا على النُّعمان ، فوجدوه يتغدَّى ومعه الرَّبيع بن زياد ، وهما يأكلان ، لا ثالثَ معهما ، والدَّار والمجالسُ مملوءةٌ من الوفود . فلما فرغ من الغداء أمر للجَعْفريِّين ، فدخلوا عليه وقد كان تقارَبَ أمرُهم فذكروا للنُّعمان الذى قَدِمُوا له من حاجاتِهم . فأعرَضَ عنهم، واعترَضَ الرَّبيع فى كلامِهم ، فقام لَبيد يَرْتَجِز فقال :

يارُبَّ هَيْجاَ هى خيرٌ من دَعَه … أكلَّ يومٍ هامَتى مُقَزَّعه
نحن بنو أمِّ البنينَ الأربعــه … ومن خيارِ عـامرِ بن صَعْصَعه
المطعِمُونَ الجَفْنـةَ المُدَعْدَعه … والضَّاربونَ الهامَ تحت الخَيْضَعة
مهلاً، أبيتَ اللعنَ، لا تأكلْ معَه … إن استَــه من بَرَصٍ ملمَّعه
وإنَّه يدخِل فيهـا إصْبَعَــه … يدخِلُهـا حتى يُوارِى أشجعه
كأنَّه يطلُب شيئاً ضَيَّعه

فالتفت النُّعمان إلى الرَّبيع يرمُقُه شَزْراً ، وقال : « أكذا أنت ؟ » قال : « لا والله ، لقد كذَب علىَّ ابن الحمِق اللئيم » . فقال النعمان : « أفٍّ لهذا الغلام، لقد خبَّث علىَّ طعامى » . ورفع النُّعمان يدَه من الطعام . فقال الرَّبيع للنعمان : « كذَب والله، ولقد فعَلتُ بأمِّه » . فقال لَبيد : « أنتَ لهذا الكلام أهْل، وهى من نسوةٍ غير فُعُل هذا ، وأنتَ المرء فَعَل هذا مع يتيمته التى فى حجره ، والقريبةِ من أهله . وإن أمِّى لم تكن من نِساءٍ تفعلن ما ذكرت » . وأمر النّعمان ببنى جَعفر ، فقُضِيت حوائجُهم من وقتِه ، وصَرَفهم . ومَضَى الربيعُ بن زياد إلى منزله ، فبعثَ إليه النُّعمان بضِعف ما كان يجيزُه ، وأمرَه بالانصراف إلى أهْله . فكتَب إليه الرَّبيع : إنى تخوَّفتُ أن يكون وَقَر فى صدرك ممَّا قال لبيد ، وإنى لستُ بارحاً حتى تبعثَ إلىّ من يجرِّدُنى فيعلم مَن حَضَرك من النّاس أنّى لستُ كما قال لَبيد . فأرسل إليه : « إنّك لستَ

صانعاً بانتِفائك مما قال لَبيد شيئاً ، ولا قادِرًا على ردٍّ ما زلَّت به الألسُن ، فالحقْ بأهلك » . فلحِقَ بأهله . وكتب الربيعُ إلى النّعمان :

لئِن رحلتُ جِمالى لا إلى سَعَةٍ ... ما مثلُها سَعَةٌ عرضاً ولا طولا
بحيث لو وَزَنَتْ لَخْمٌ بأجمعِها ... لم يعدِلُوا رِيشَةً من ريشِ سَمويلا
ترعى الروائمُ أحرارَ البُقول بها ... لا مثلَ رعيِكمُ مِلحاً وغَسْويلا
فاثبُت بأرضِك بعدى واخلُ متكئاً ... مع النِّطاسىِّ طورًا وابنِ تُوفيلا

النطاسى مُتَطبِّب النّعمان . وابن تُوفيل هو سَرجون التّاجر . فأجابه النّعمان وكتب إليه :

شَرِّد برحلك عنّى حيثُ شئتَ ولا ... تكثِر علىّ ودعْ عنكَ الأباطيلا
فقد ذُكِرتَ بأمرٍ لَسْتُ ناسِيَه ... ماجاورت مصرأرض الشام والنيلا
فما انتفاؤُكَ منه بعدَ ما جَزَعَت ... هُوجُ المطىِّ به أبناءَ سَمويلا
قد قيلَ ما قيلَ إن حقًّا وإن كذبا ... فما اعتذارُكَ من قولٍ إذا قيلا
فالحقْ بحيثُ رأيتَ الأرضَ واسِعةً ... وانشُر بها الطرفَ إن عرضاً وإن طولا

وهجا لبيدٌ بعد ذلك الربيعَ بعدّة أهاجٍ .

وكان لبيدٌ يقول الشعر ويعرضُه على النّابغة الذُّبيانىّ ، فيقول : « لا تظهرْه » ، حتّى قال :

* عَفَت الدِّيارُ مَحلُّها فَمُقامُها *

وذكر ما صنع الربيعُ بن زِياد وضَمْرةُ بن ضَمْرة ، ومن حَضرَهم من وجوه العرَب ، فقال له : « أظهرها » .

ولم يُسْمَع من لبيدٍ فخر فى الإسلام غيرَ يومٍ واحدٍ ، فإنه كان فى رَحَبة غنىّ ، مُسْتلقياً على ظهره ، قد سجّى نفسه بثوبه ، إذْ أقبلَ شابٌّ من غنىّ ، فقال : « قبحَ الله طُفَيلاً حيث يقول :

جزَى الله عنّا جعفراً حين[1] أشرفَت ... بنا نعلُنا فى الواطئينَ فزلَّتِ
أبَوْا أن يمَــــلّونا ولو أنَّ أمَّنا ... تلاقى الذى يَلْقون منّا لملَّتِ
فذُو المـــال موفورٌ وكلٌّ معصَّبٌ ... إلى حُجُرات أدفأت وأظلَّتِ
وقال هلُمّوا الدارَ حـتّى تبيَّنُوا ... وتنجلىَ العوراء[2] عمَّا تجلت

ليت شِعرى ما الذى رأى من بنى جعفر حتّى يقول هذا فيهم ؟ » فـكشف لبيدٌ الثوبَ عن وجهه ، وقال : « يا ابنَ أخى ، أدركتَ الناسَ وقد جُعِلَت لهم شُرطة، يَزَعون بعضَهم عن بعض ، ودارُ رزقٍ ، تَخْرج الخادِمُ بجرابها فتأتى برِزق أهلِها ، وبيتُ مال يأخذون منه أعطِيتَهم . ولو أدركتَ طُفَيلًا يومَ يقول هذا لبَنِى جعفر لم تَلُمه » . ثم استَلْقى وقال : « أستغفر الله » ، وردَّدها حتى نام .

مرّ لبيد بالـكُوفَة على مجلِسِ بنى نَهد ، وهو يتوكَّأ على مِحجن له ، فبعثوا إليه رسولًا يسألُه عن أشعرِ العرب . فسألَه فقال : « الملكُ الضلِّيـل ذو القُروح » ، فرجَع فأخبرهم فقالوا : « هو امرؤ القيس » . ثم رجع إليه يسأله : « ثم من ؟ » فقال : « ثم الغلامُ المقتول من بنى بكر » . فرجَع فأخبرَهم فقالوا : « هو طرفة » . ثم رجع إليه فقال : « ثم من ؟ » فقال : « صاحب المِحجن ـ يعنى نفسَه ـ حيث يقول :

إن تقوَى ربِّنا خـــير نَفَلْ ... وبإذن الله ريثى وعَجَلْ
أحمَـدُ الله فلا ندَّ له ... بيدَيْه الخـيرُ ما شاء فعَلْ
من هَداه سُبُلَ الخير اهتَدَى ... ناعمَ البال ومَنْ شاء أضَلّ »

ثم قال : « أستغفر الله » .

---

(١) حيث، الأغانى .
(٢) الغماء ، الأغانى .

اجتمع عند الوليد بن عُقبة سمّاره ، وهو أمير الكوفة ، وفيهم لَبيد بن ربيعة . فسأله الوليدُ عما كان بَينه وبينَ الرّبيع بن زِياد عنـد النعمان . فقال لَبيد : « هذا أمرٌ كان فى الجاهليّة ، وقد جاء الله بالإسلام » . فقال له : « عزمتُ عليك » . وكانوا يرَون لعزْمةِ الأمراء حقّا . فجعل يحدِّثهم . فحسَده رجلٌ من غنيّ ، فقال : « ما علمنا بهذا » فقال : « أجل يا ابنَ أخى ، لم يدركْ سنُّك ذلك ، ولا كان أبوك ممَّن يشهدُ تلك المشاهدَ فيحدِّثُك » .

ولم يقل لبيد فى الإسلام إلا بيتاً واحداً :

الحمـدُ لله إذ لم يأتنى أجَلى حتى لبستُ من الإسلام سِربالا

كان لبيدٌ من أجْوَاد العرب . وكان قد آلى على نَفْسِه فى العرب[1] ألا تهبَّ صَبا إلا أطْعَم . وكانت له جَفْنتان يَغدُو بهما ويرُوح فى كلِّ يوم على مَسْجِد قومِه ، فيطعمهم ، فهبَّت الصَّبا يوماً والوليدُ بن عُقبة على الكوفة . فصَعِد المنبر ، فحمِدَ الله ثم قال : « إن أخاكم لبيدَ بن ربيعة نَذَر فى الجاهليّة ألا تهبَّ صَباً إلا أطعم . وهذا يَوْمٌ من أيّامه ، قد هبّت صَبا ، فأعينُوه . وأنا أوّل من فعل » . ثم نزل عن المِنبر ، فأرسل إليه بمائة بَـكْر ، وكتَبَ إليه بأبياتٍ قالها :

أرى الجزّار يشحَذُ شَفرتيه إذا هبَّت رِياحُ أبى عَقيـل
أشمُّ الأنف أصْيَد عامرىٌّ طويلُ الباع كالسَّيف الصقيل
وَفَى ابن الجعفرىّ بحَلْفَتيهِ على العِلَّاتِ والمـالِ القليل
بنَحر الـكوم إذ سُحِبت عليه ذُيولُ صباً تجاوَبُ بالأصيل

فلما بلغت الأبياتُ لبيدا قال لابنَتِه : « أجيبِيه ، فلعمرى لقد عِشتُ بُرْهة ما أعْـيَى بجواب شاعر » . فقالت ابنتُه :

إذا هبَّت رياحُ أبى عَقيـلٍ دَعَونا عنـــد هَبَّتها الوليدا

(١) قد آلى فى الجاهلية ، الأغانى .

أشمَّ الأنفِ أَرْوَعَ عَبْشَمِيًّا ... أعان على مُروءته لبيــدا
بأمثالِ الهِضاب كأنَّ رَكْباً ... عليها من بنى حَامٍ قُعــودا
أبا وهبٍ جزاكَ اللهُ خــيراً ... نحرناها وأطْعَمنا الثَّريدا
فعُــد إن الــكريمَ له مَعَادٌ ... وظنِّى بابن أرْوَى أن يعودا

فقال لها لبيد : « لقد أحسنتِ ، لولا أنك استَطْعمته » . فقالت : « إنَّ الملوكَ لا يُسْتَحْيي من مَسْألتهم » . فقال : « وأنتِ يا بُنَيَّة فى هذه أشعر » .

قدِمَ الفرزدقُ الـكوفةَ فمرَّ بمسجدِ بنى أقيصر[1] ، ورجلٌ ينشِد قولَ لبيد :

وجَلَا السيولُ عن الطّلول كأنها ... زُبُر تُجِدُّ متونَهَا أقلامُها

فسجد الفرزدق ، فقيل له : « ما هــذا يا أبا فِراس ؟ » قال : أنتم تعرفون سَجْدةَ القرآن ، وأنا أعرِف سجدةَ الشعر » .

جلس المعتصمُ يوماً للشّرب فغنَّاه بعض المغنِّين :

وبنو العبَّاس لا يدرون « لا » ... وعلى ألسُنِهم خفَّت « نعم »
زينت أحلامُهم أحسابَهم ... وكذاكَ الحلمُ زينٌ للـكرم

قال المعتصم : « ما أعرفُ هذا الشّعر ، فلمن هو ؟ » قيل : « لِلَبيد » . فقال : « وما لِلَبيدٍ وبنى العبَّاس ؟ » فقال المغـنِّى : « إنما قال لبيد : (وبنو الديَّان) فجعلته أنا : (وبنو العبّاس) » فاستحسَن ذلك ووَصَلَه . وكان يعجبه شعرُ لبيد ، ثم قال : « من منـكم يروى قولَه :

* بلينا وما تبلى النجوم الطوالع * »

فقال بعضُ الجلَساء : « أنا » . فقال : « أنشدنيها » . فأنشده :

بَلِينَا وما تبلى النجومُ الطوالِعُ ... وتبقى الديارُ[2] بعدنا والمصانعُ

(١) قصى ، المخطوطتان .
(٢) الجبال ، الأغانى .

وقد كنتُ فى أكنافِ دار[1] مَضَنَّة ... ففارقَنى جارٌ بأربدَ نافعُ

فبكى المعتصمُ ، حتى جرت دموعُه . وترحَّم على المأمون وقال : « هكذا كان رحِمَه الله » ، ثم اندفَع هو ، ينشد باقيها :

فلا جَزِعٌ إن فرَّق الدهرُ بيننا ... وكلُّ امرئٍ يوماً له الدهرُ فاجِع

وما الناس إلا كالدِّيار وأهلِها ... بها يومَ حلُّوها وغدوًا[2] بلاقع

ويمْضون أرسَالًا ونخلفُ بعدَهم ... كما ضمَّ إحدى الراحَتين الأصابعُ

وما المرؤ إلا كالشِّهابِ وضوئه ... يحورُ رمادًا بعدَ إذْ هو ساطِع

وما البِرُّ إلا مُضْمراتٌ من التقَى ... وما المـالُ إلا عارياتٌ ودائع

أليسَ ورائى إن تراخَت مَنِيَّتى ... لزومُ العصَا تُحنَى عليها الأشاجع[3]

أخبِّرُ أخبارَ القُرون التى مضَت ... أدِبُّ كأنى كلَّما قمتُ راكع

فأصبحتُ مثلَ السَّيف أخلق جفنَه ... تقادُمُ عهد القَيْن والنَّصْل قاطع

فلا تبعَدَنْ إنَّ المنيَّـــة موعِدٌ ... علينـــا فدَانٍ للطلوع وطالع

أعاذلُ ما يدريكِ إلا تظنِّياً ... إذا رحل الفتيانُ من هو راجع

أتجزَعُ مما أحدثَ الدهرُ بالفتى ... وأىّ كريمٍ لم تُصِبه القوارع

لعمركَ ماتدرى الضَّواربُ بالحصَى ... ولا زاجراتُ الطير ما الله صانع

قال : فوالله لقد عجِبنا من حُسن ألفاظه ، وصحَّـة إنشاده ، وجودة اختياره .

كان عثمانُ بن مَظْعون فى جِوار الوَليد بن المغيرة ، فتفكَّر يوماً فى نفسه ، فقال : « ما ينبغى أن أكونَ فى جِوار كافر ، ورسولُ الله صلّى الله عليــه وسلّم خائِف » . فجاء إلى الوَليد بن المغيرة فقال : « إنِّى أحبُّ أن تبرَأ من جِوارى » .

(١) جار ، الأغانى .

(٢) وتغدو ، جميع المخطوطات .

(٣) الأصابع ، الأغانى .

فقال : « لعلّك رأيتَ ريباً ؟ » (١) قال : « لا ، ولـكنى أحبُّ أن تفعل » . قال : «فاذهَب حتى أبرأَ منك ، حيثُ أجَرْتُك » . فخرج معه إلى المسجِد الحرَام ، فلما وَقَف على قُريش قال لهم : « هذا ابنُ مَظعون ، قد كنتُ أجَرْتُه ، وقد سألنى أن أبرأَ منه ، أكذلك تقولُ يا عثمان ؟ » قال : « نعم » قال : « اشْهَدوا أنّنى منه برىء » . قال : وجماعة يتحدّثون من قريش ، فيهم لَبيد يُنشِدُهم . فجلس عثمانُ مع القَوم ، فأنشدَهم لَبيد :

* ألا كلّ شيء ما خلاَ اللهَ باطل *

فقال عثمانُ : « صدقت » . فقال لبيد :

* وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائل *

فقال عثمان : « كذَبتَ » . فلم يدرِ القـومُ ما أراد . فأشار بعضُهم إلى لَبيدٍ أن يُعيد، فأعاد ، فصدَّقه فى النِّصف الأوَّل ، وكذَّبه فى الآخر بنعيم الجنة ، فإنه لا يزول فقال لَبيد : « يا معشرَ قُريش ، ما كان مثلُ هذا يكونُ فى مجالسِكم » . فقام أُبىُّ بن خَلَف أو ابنُه . فلطَم وجهَ عُثمان فقال له قائل : «لقد كنتَ فى مَنَعَةٍ من هذا بالأمس» فقال : « ما أحوجَ عينى الصحيحةَ إلى أن يُصيبَها ما أصابَ الأُخرى فى الله عز وجل » .

كتب عبدُ الملك إلى الحجّاج يأمرُه بإشخاص الشَّعبى إليه . فأشخَصه ، فألزمه وَلَده ، وأمرَه بتخريجِهم ومذاكرتهم : قال الشعبي : « فدعانى يوماً فى علَّة موته ، فغَصَّ بلقمة طويلا ، فتساندَ وأنا بينَ يديه ، ثم قال : « أصبحت كما قال الشّاعر » ثم أنشأ يقول :

كأنِّى وقد جاوزتُ سبعين حِجّة خلعتُ بها عنِّى عِـــذار لجامى
إذا ما رآنى النّاسُ قالوا ألم يكن شديدَ مِحَال البَطْشِ غير كَهام

(١) لعله رابك ريب ، الأغانى .

رمَتْنى بناتُ الدّهرِ من حيثُ لا أرى ... فكيفَ بمَن يَرمى وليس برامِ

ولو أنَّنى أُرْمَى بسهمٍ رأيتُهُ ... ولكنَّنى أرمى بغيرِ سهامِ

قال الشَّعبى : فقلت : إنا لله ، استسلم الرجُل الموت . فقلت له : كلاَّ أصلحك الله تعالى . ولكن مثل ما قال لَبيد ، لما بلغَ سبعاً وسبعين سنة :

باتت تشكَّى إلىَّ الموتَ مُجهشَةً ... وقد حملتكِ سبعاً بعد سبعينا

فإن تُزادِى ثلاثاً تبلغى أملا ... وفى الثلاثِ وفاءٌ للثمانينا

ثم عاش والله إلى أن بلَغ تسعين ، فقال :

كأنّى وقد جاوزتُ تسعينَ حجةً ... خلعتُ بها عن مَنكبىَّ ردائيا

ثم عاش والله إلى أن بلغ مائة وعشرا ، فقال :

أليسَ فى مائةٍ قد عاشَها رجلٌ ... وفى تكامُلِ عَشْرٍ بعدها عُمُرُ

فعاش والله إلى أن بلغ مائةً وعشرين سنة ، فقال :

وعُمِّرتُ حيناً قبلَ مَجْرى داحسٍ ... لو كان للنَّفس اللجُوج خُلودُ

وعاش والله حتّى بلغ مائةً وأربعين سنةً فقال :

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولِها ... وسؤالِ هذا الناس كيفَ لبيدُ

غلَبَ الرِّجالَ[1] وكان غيرَ مغلَّب ... دهرٌ جديدٌ دائمٌ ممدود

يوماً أرى يأتى علىَّ وليلةً ... وكلاهُما بعدَ المضاء يعودُ

وأراه يأتى مثلَ يومٍ لقيته ... لم ينتَقِض وضَعُفتُ وهو شديد

ففرِح واستبشر ، وقال : « ما أرى بأساً ، ولقد وَجدتُ خَفًّا » . وأمر لى بأربعينَ ألف درهم ، فقبضتُها وخرجت ، فما بلغتُ البابَ حتّى سمعتُ الواعية[2] عليه .

---

(١) الفراء ، هامش كوبريلى .

(٢) النائحة ، المخطوطتان .

قال عبدُ الله بن قتَادة المحاربى : كنتُ مع النَّابغة بباب النُّعمانِ بن المنذر ، فقال لى النّابغة : « هل رأيتَ لبيدَ بن ربيعة فيمَن حضر ؟ » قلت : « نعم » ، قال : « أيُّهم هو ؟ » قلت : « الفتى الذى من حاله كيتَ وكيتَ » . قال : « اجلِسْ بنا حتّى يخرج » . فلما خرج قال له النابغة : « إلىّ ياابن أخ ».فأتاه فقال:«أنشدنى». فأنشده :

ألم تُلمِمْ على الدِّمن الخوالى لسَلْمى بالمذانِب فالقُفال

فقال النابغة : « أنتَ أشعرُ بنى عامر . زدنى » ، فقال :

(١) طلَلٌ لخولةَ بالرسَيس قديم فبعَاقِلٍ فالأنعمين رسوم

فقال له : « أنت أشعر هوازن . زدنى » فقال(١) :

عفت الديار محلها فمقامها بمنًى تأبَّد غَولها فرِجامها

فقال له النابغة : « اذهَب فأنتَ أشعرُ العرب » .

لما حضرت لبيدَ الوفاة قال لابنِ أخيه ـ ولم يكن له وَلَدٌ ذكر ـ : « يا بُنَىّ ، إن أباكَ لم يَمُت ، ولكنه فَنِىَ ، فإذا قُبِضَ أبُوكَ فأقبِلْه القِبلة ، وسجِّه بثوبه ، ولا تصرُخَنَّ عليه صارِخة ، وانظر جَفْنَتَىَّ اللتَين كنتُ أصْنَعُهما ، فاصْنَعْهما واحملهُما إلىالمسجد ، فإذا سلَّم الإمام فقدِّمهما إليهم، فإذا طَعِمُوا فقُلْ لهم فليحضُروا جِنازةَ أخيهم » . ثم أنشد :

وإذا دفنتَ أباكَ فاجْـ ـعَلْ فوقَه خشباً وطينا

وسقائفاً صمًّا رَوا سِيها يسدِّدن الغُضونا

ليقينَ حرَّ الوجهِ سَفْـ ـسَافَ التراب ولن يَقِينا

أبُنَىَّ هل أبصرتَ أعْـ ـمامى بَنِى أمِّ البنينا

وأبى الذى كان الأرا مِلُ فى الشتاء له قَطِينا

(١) طلل . . . فقال ، سقط فى المخطوطتين .

وأبى شَرِيك والمبـــا　　رك[1] فى المضيق إذا لقينا
ما إن رأيتُ ولا سَمِعْـ　　تُ بمثلِهم فى العـالمينا
فبقيتُ بعـــدهُمُ وكنـ　　تُ بطول صُحبتِهم ضَنِينا
دَعْنى وما ملـكت يَمِيـ　　نى إن شددت بها شؤونا
فافعَـل بمـالِكَ مابدا　　لك مُسْتَعِينا أو مُعِينـا

ولما مات قال لابنتيه عند ما احتضر :

تمنى ابنتاىَ أن يعيشَ أبُوهما　　وهل أنَا إلا من ربيعةَ أو مُضر
فإن حانَ يوماً أن يموت أبوكُما　　فلا تَخْمِشَا وجها ولا تحلِقا شَعَر
وقولَا هو المرء الذى لا حليفَهَ　　أضاعَ ولا خانَ الصّديق ولا غدر
إلى الحولِ ثمّ اسمُ السَّلام عليكُما　　ومن يَبْكِ حَوْلًا كاملًا فقد اعتذر

فـكانت ابنتاه تلبسانِ فى كلِّ يوم ثيابهَما ، ثم تأتيان مجلسَ بنى جعفر بن كلاب، فترثيانه ، ولا تُعْـوِلان ، فأقامتا على ذلك حولًا ، ثم انصرفتا .

---

(١) والمبارك ، كوبريلى ، ساقط فى المخطوطتين : والمنازل ، الأغانى .

لقيط بن يعمر

وقيل لقيط بن معمر ، شاعرٌ قديم جاهليٌّ مُقِلٌّ ، ليس يُعرف له شِعرٌ سِوى هذه القصيدةِ التى تُذكر فيه .

وذلك إن إياداً كانت بلادُهم قد أجدَبَت ، فارتحلوا حتى نزلوا بسِنْدار ونواحيها، فأقاموا دهراً حتى أخصبوا وكَثُروا ، وكانوا يعبُدون صنماً يقال له ذو الكِعاب . وعبدتْه كعبُ بن وائل من بعدهم فانتشروا فيما بين سِنداد إلى كاظِمة ، وإلى بارِق والخَوَرْنق ، واستطالوا على الفرات حتى خالطوا أرضَ الجزيرة ، ولم يزالوا يغزُون من يَليهم من أرضِ السواد ، ويغزُون مع ملوك آل نصر ، حتى أصابوا امرأةً من أشرافِ العجم ، كانت عَروساً قد أهدِيت إلى زوجِها ، ووَلِيَ ذلك منهم سُفَهاؤهم وأحدَاثُهم ، فسار إليهم من كان يَليهم من العَجَم ، فانحازَت إياد إلى الفُرات ، وجعلوا يُعبِرون إبلهم فى القَراقِرِ ، ويقطعون الفُرات ، وجعل راجزُهم يقول :

بئسَ مناخُ الحلقاتِ الدُّهْمِ   فى ساحة القُرقُور وسْط اليمِّ

فعبروا الفراتَ ، وتبعتهم الأعاجم ، فقالت كاهِنة من إياد تسجع لهم :

إن يقتلوا منكم غلاماً سلمـا   أو يأخذُوا مِنكم شيخاهِمّا

تخضّبوا نحورَهم دماً   فتروُوا منهم سُيوفاً ظِما

فخرج منهم غلام يقال له ثوابُ بن مِحْجَن بإبلٍ لأبيه ، فلقيَه الأعاجم فقتَلُوه وأخذوا الإبل ، ولقِيتهم إيادٌ فى آخِر النهار . فهزمَت الأعاجم . ويقال : إنّ إياداً بيَّتَتْ ذلك الجمعَ حين عبروا شطَّ الفراتِ الغربىّ ، فلم يُفلِت منهم أحدٌ إلّا القليل ، وجمعوا جماجِمَهم وأجسادَهم ، فكانت كالتلِّ العظيم ، وكان إلى جانبهم دَيْر ، فسمِّىَ ديرَ الجماجم وبلغ كسرى الخبر ، فبعث مالكَ بنَ حارثة أحدَ بنى كعب بن زُهير بن جُشم

فى آثارِهم ، ووجَّه معه أربعين ألفاً من الأساوِرة . فكتبَ إليهم لقيطٌ هذه القصيدة :

يا دارَ عَمْرةَ من مُحتلِّها الجَرَعا ... هاجَت لى الهمَّ والأحزانَ والجزعا
أرْمِى بعينى إذا مالَتْ حُمولهمُ ... بطنَ السَّلوطح لا ينظرنَ من تَبِعا
طوراً أراهم وطوراً لا أبِينهم ... إذا ترفّع حُدْجٌ ساعةً لمعا

منها :

يا قومُ لا تأمَنُوا إن كنتُم غُيُراً ... على نسائكم كسرَى وما جَمَعا
هو الجَلاء الَّذى تبقى مذلّتُهُ ... إن طار طائرُكم يوماً وإن وَقعا
هو الفَناء الَّذى يجتَثُّ أصلكم ... فمن رأى مثلَ ذا رأياً ومن سَمِعا
فقلِّدوا أمرَكم لله درُّكم ... رحبَ الذِّراع بأمرِ الحرب مضْطَلِعا
لا مُتْرفاً إذ رَخاء العيش ساعَدهَ ... ولا إذا حلَّ مكروهٌ به خَشَعا
لا يطعمُ النَّومَ إلا رَيْثَ يبعثُه ... همٌّ ، يكاد حشاه يقطَع الضِّلَعا
مسهَّد النوم تعنيه أمورُكم ... يرومُ منها إلى الأعداء مطَّلَعا
ما انفكَّ يحلُب هذا الدهرَ أشطرهَ ... يكون متَّبِعا يوماً ومتَّبَعا
فليس يشغَله مالٌ يثمِّره ... عنكم ولا وَلَدٌ يبغى له الرفعا
حتى استمرَّت على شَزْرٍ مريرته ... مستحكِمُ السِّن لا قحْماً ولا ضَرَعَا
كمالكِ بن قنانٍ أو كصاحِبه ... زيدِ الفتى حينَ لاقى الحارِثَين معاَ
إذ عابَه عائبٌ يوماً فقال له ... دَمِّثْ لجَنْبِك قبل اللّيل مضْطَجعا
فثاوروه فألفَوه أخاَ عِلَلٍ ... فى الحرب لا عاجزاً نِكسا ولا فزعا
عبلَ الذِّراع أبيًّا ذا مزابنةٍ ... فى الحرب يَحْتَمِل(١) الرئبالَ والسبعا
مستنجداً يتحدَّى الناسَ كلّهم ... لو صارعوه جميعاً فى الورى صَرَعا
هذا كتابى إليكم والنذيرُ لكم ... لمن رأى الرأْىَ بالإبرام قد نَصَحا

(١) يختتل ، الأغانى .

وقد بذلتُ لـكم نُصحى بلا دَخَلٍ فاستيقِظوا إن خيرَ العلم ما نَفَعـا

وجعل عنوانَ الـكتاب :

كتابٌ فى الصحيفة من لقيطٍ إلى مَن بالجزيرة من إياد

بأنَّ الليثَ كسرى قد أتاكم فلا يشغلـكم ســوقُ النِّقاد

وسار مالكٌ إليهم ، وهم غارُّون ، ولم يلتفِتُوا إلى قولِ لَقِيط وتحذيره إياهم ، ثِقَةً بأنّ كسرى لا يقدُمُ عليهم ، فلقيَهم بالجزيرة فى مَرْج الأَجَمة ، فاقتتلوا قِتالًا شديدا ، وظفِر بهم وهزَمهم ، واستنقَذ ما كانوا أصابوه من الأعاجم يومَ الفُرات . ولَحِقَتْ إياد بالشام ، ولم يتوسَّطوها [١]خوفاً من غسّان يومَ الحارثين ، ولاجتماع قضاعة وغسّان[١] خوفاً من أن يصيروا يداً واحدةً عليهم . فأقاموا حتى أمِنُوا . ثم إنهم تطرّفوهم[٢] إلى أن لَحِقُوا بقومهم فى الرّوم بناحِية أنقَرة . ففى ذلك يقولُ الشاعر :

نزلوا بأنقَرة يسيلُ عليهم ماء الفرات يَجىء من أطواد

(١) خوفا من غسان . . . وغسان ، سقط فى المخطوطتين .

(٢) ثم أنهم تطرفوهم ، الأغانى : ثم لم يطرقوهم ، المخطوطات .

حرف الميم

معبـــد

مَعْبَد بن وَهب ، وقيل : ابن قَطَنِىّ ، مولى قَطَن . وقيل : إن قَطَنِىّ مولى العاصى بن وَابِصة المخزُومى ، وقيل : بل مَوْلَى مُعاوية بن أبى سُفيان ، وقيل : بل مولى ابن قطر ، والقطريون موالى معاوية بن أبى سفيان . وكان أبوه أسودَ . وكان هو خِلاسيًّا ، مديدَ القامة أحوَل .

غَنَّى فى دولة بنى أميَّة ، وأصابه الفالج ، وارتعش وبطل صوتُه ــ وقيل : إنّه أدرك بنى العبّاس ــ وكان إذا غَنّى يُضْحَك منه ، ويُهزَأ به . والصحيحُ أنَّه مات فى دِمَشق، أيام الوليد بن يزيد وهو عنده . وقال كَرْدَم بن معبد : ماتَ أبى فى عَسْكر الوَليد بن يزيد ، وأنا معه ، فنظرتُ حين أُخرِجَ نعشُه إلى سلّامة القس ، جارية الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وقد أضْربَ الناسُ عنه ينظرُون إليها ، وهى آخِذَةٌ بعمود السّرير ، وهى تندُب أبى وتقول :

قد لَعَمْرِى بتُّ ليلى   كأخِى الدّاء الوجيع
ونجىُّ الهمِّ منِّى   باتَ أدْنَى من ضَجِيعى
كلما أبصرتُ ربعاً   خالياً فاضَت دمُوعى
قد خلاَ من سيِّد كا   نَ لنا غيرَ مُضيع
لاتلمُنا إن خَشَعنا   أو هَمَمنا بالخشوع

قال كَرْدَم ، وكان الوليدُ بن يزيد أمر أبى أن يعلِّمها هذا الصَّوت ، فعلّمها إياه ، فندبَتْه به يومَئذ . ولقد رأيت الوليدَ بن يزيد والغَمْرَ أخاه متجرِّدين فى قِميصَين

ورِداءَين يمشيان بين يدَىْ سَريره ، حتى أُخْرِج من دار الوَليد ، لأنه تولّى أمرَه ، وأخرجَه من داره إلى قبره .

وكان معبدُ من أحسنِ النّاس غِناءً ، وأجوَدِهم صَنعة ، وأحسَنِهم خُلُقًا ، وهو فحل المغنّين ، وإمامُ أهلِ المدينة فى الغِناء . وفيه يقول الشاعر :

أجاد طُوَيْسٌ والسُّريجىُّ بعدَه ... وما قَصَباتُ السَّبق إلا لمَعبدِ

وكان صنعتُه التجارةَ فى أكثر أيَّام رقِّه . وربما رعى الغَنَم لمواليه ، واشتهَر بالِحذق وطيبِ الصَّوت ، وأجادَ واعتُرِفَ له بالتَقَدُّم على أهـل عَصْره . وقال عنه كثيرٌ من أهل العلم بالصَّنعة: إنَّه لم يكن فيمَنْ غـنَّى أحدٌ أعلمُ بالغِناء من مَعْبد. وعاشَ حتى كَبِر ، وانقطع صوته فدعاه رجل من وَلَدِ عثمان ، فغـنَّى فلم يطرِب القَوْم ، وكان فيهم فِتيانٌ من ولد أسيد بن أبى العيص بن أميَّة . فضحِكوا منه، وهزِئوا به . فغـنَّى:

فَضَحتم قُرَيشاً بالفِرار وأنتُمُ ... قُمُدُّون سُودانٌ عِظامُ المناكب

فأما القتـــالُ لا قتالَ لديكم ... ولكنَّ سيراً فى عِراضِ المواكِب

وهذا شعرٌ هُجُوا به قديماً . فقاموا إليه ليتناوَلُوه ، فمنَعهم العثمانىُّ وقال : « ضَحِـكْتُم منه ، وهزَأتُم به ، حـتَّى إذا أغظتموه(١) أردتُم أن تتناولوه . لا والله ، لا يكونُ ذلك » . فقال له بعض من رآه ذلك اليومَ على تلك الحالة : « أصرتَ إلى ما أرى؟ » فأشارَ إلى حَلْقِه وقال : « إنَّما كان هذا ، فلمَّا ذَهبَ ذَهبَ كلُّ شىء ».

قال مَعبد ـ وقد سَمِع رجلًا يقول إنَّ قُتَيبة بنَ مُسلِم فَتَح سبعةَ حصون (٢صَعْبةَ المرتقَى والمسالِك لم يُوصَل إليها قطّ ـ فقال : « والله لقد صنعت٢) سبعةَ ألحانٍ ، كلُّ لحنٍ منها أشدُّ من فَتْحِ تلك الحُصون » . وهـذه السبعة الأصوات معروفة له .

---

(١) أحفظتموه . الأغانى .

(٢) صعبة . . . صنعت ، ساقطة فى المخطوطتين .

قدم ابن سُرَيج والغَرِيض مكّة ، يتعرَّضان لمعروفِ أهلها ، ويزوران من بها من قُرَيش وغيرِهم . فلما شارَفاها تقدَّما ثَقَلَهما ، ليرْتادا منزلًا ، فلما كانا بطرَف المدينة إذا هما بغُلامٍ ملتحفٍ بإزارٍ وطَرَفُه على رأسِه ، بيده حِبالَةٌ يتصيّد بها الطّير ، وهو يُغَنِّى :

القَصْرُ فالنَّخل فالجَمّاء بينَهما أشْهَى إلى القَلبِ من أبواب جَيْرُونِ

وإذا الغلامُ مَعْبَد . فلمّا سَمِع ابن سُرَيج والغريضُ معبدا مَا لا إليه ، واستعاداهُ الصَّوت ، فسمعا ما لم يسمعا مثلَه قطّ . فأقبل أحدُهما على صاحبِه وقال : « سمعتَ كاليوم قطّ ؟ » قال : « لا والله . فما رأيك ؟ » قال ابن سريج : « هذا غناء غلامٍ يَصِيدُ الطَّيْر ، فكيفَ بمَن يكونُ فى الجونة ؟ – يعنى المدينة – أما أنا فثكلتُ وَالدِى إن لم أرْجع » ، فكرّا راجِعَين .

قال معبد : بعث إلىَّ بعضُ أمراء الحجاز – وقد كان جُمِعَ له الحَرَمان – أن أشخص إلى مكة . فشخصتُ إليها . قال : فتقدّمتُ غلامى فى بعض تلك الأيّام ، واشتَدّ علىَّ الحرُّ والعطَش ، فانتهيتُ إلى خِباء ، وفيه أسْوَدُ ، وإذا حِبابُ ماء قد برِّدت ، فمِلْتُ إليه ، فقلت : « ياهذا ، اسقِنى من هذا الماء » ، فقال . « لا » ، قلت : « فائذَنْ لى فى الكِنِّ ساعةً » فقال : « لا » ، فأنَخْتُ راحِلَتى ، ولجأتُ إلى ظلِّها ، فاسْتَتَرتُ به ، وقلت : لو أحدثت لهذا الأمير[1] شيئاً من الغِناء ، أَقْدَمُ به عليه ولعلِّى أيضا إن حَرَّكْتُ لسانِى يُبَلُّ حَلْقى برِيقى ، فيخفُّ عنى بعضُ ما أجد من العطَش : فترنَّمْتُ بصوتى : « القَصْرُ فالنَّخل » فلمَّا سمعه الأَسْود ما شعرتُ به إلَّا وقد احتمَلَنى حتّى أدخلنى خِباءه ، ثم قال : « بِأَبى أنتَ وأمِّى ، هل لكَ فى سَوِيق السُّلْت بهذا الماء البارد ؟ » فقلت : « قد منعتَنى أقلّ من ذلك! وشربة ماء تُجزئُنى » فسقانى حتى رَوِيت ، ولحقنى غلامى ، فأقمت عنده إلى وقت الرَّواح . فلما أردتُ الرحلة

---

(١) الأمير ، الأغانى : الغلام ، المخطوطات .

قال « بأبى أنتَ وأمى ، الحرُّ شديد ، ولا آمَنُ عليك مثلَ الذى أصابَك ، فائْذَنْ لى فى أن أحملَ معك قِربةَ ماء على عنقى ، وأسْعى بها معك ، فكلّما عطِشتَ سَقَيتك صَحْناً ، وغنّيتَنى صوتاً » . قال قلت : « ذلك إليك » . فوالله ما فارقنى . يسقينى وأغنّيه ، حتى بلغتُ المنزل .

كان معبد خارجاً إلى مكة ، فسمع فى طريقه غناءً فى بطن مُرّ ، فقصد الموضع ، فإذا رجلٌ جالسٌ على حَرْفِ بِركة ، فارِقٌ شعرَه ، حسنُ الوجه ، عليه دُرّاعة مصبوغة بزَعْفران ، وهو يغنّى لابن أبى ربيعة :

حنَّ قلبى من بعدِ ما قد أنابا ودعاَ الهمَّ شجوَه فأجابا
واستثَار المنسِىّ من لَوْعة الْـــحبِّ وأبدَى الهمومَ والأوصابا
ذاكَ من منزلٍ لسَلْمى خلاءٍ لابسٍ من خَلائِه جلبابا
عجتُ فيه وقلتُ للركب عوجُوا طمعاً أن يردَّ ربعٌ جوابا

فقرَع معبد بعصاه ، وغنّى للفرزدق :

منعَ الرجالَ من الحياة ونفعِها حَدَقٌ تقلِّبها النِّساء مراضُ
وكأنّ أفئدةَ الرجال إذا رأوا حَدَقَ النِّساء لنبلِها أغراضُ

(١)فقال له الرجل: « بالله أنت معبد ؟ » ، قال « نعم ، أفبالله أنت ابنُ سُريج؟» قال : « نعم ، ووالله لو عرفتك ما غنيت بين يديك »(١) .

كان معبد قد علّم جارية من جوارى الحِجاز ، تُدعى ظَبْيَة ، وعُنِى بتخريجها ، فاشْترَاها رجلٌ من أهل العِراق ، فباعها فى البَصرة ، فاشتراها رجل من أهل الأهواز ، فأُعجِبَ بها ، ثمَّ ماتت بعد أنْ أقامت عنده مدّة ، وأخَذَ جواريه أكثرَ غِنائها عَنْها . وكان لمحبّته إيّاها وتأسّفه عليها لا يزال يسألُ عن أخبارِ مَعْبد ، وأينَ مستقرُّه ، ويُظهرُ التعصُّب له ، والتقديم لغِنائه ، إلى أن بلغ معبداً خبرُه ، فخرج

(١) فقال له الرجل . . . يديك » ، ساقط فى المخطوطتين .

من مكّة حتى أتى البَصرة . فلما وردَها صادف الرجلَ وقد خَرَج عنها فى ذلك اليوم إلى الأهواز ، فاكْترَى سفينةً ينحدِر فيها إلى الأَهواز ، فصادف السفينةَ التى اكترى فيها الرجل ، وليسَ يعرف أحدٌ منهما صاحبَه . فأمر الرجُلُ الملّاحَ أن يَجْلِس(١) معه فى مؤخَّر السفينة ، ففعل ، وانحدروا . فلما صاروا فى فم نهر الأُبُلَّة ، تغدَّوا وشرِبُوا ، وأمر جوارِيَه فغنَّين ، ومعبدٌ ساكِت ، وهو فى ثياب السَّفر ، وعليه فَرْوٌ وخُفَّان غَلِيظان ، وزىٌّ جاف من زىِّ أهل الحجاز ، فغنَّت إحدى الجوارى فى شِعر النابغة :

بانت سُعاد وأمسَى حَبْلُها انصَرَما واحتلَّت الغَوْرَ فالأجراعَ من إضَما

فلم تُجِد أداءَه ، فصاح بها معبد : « يا جارية ، غِناؤُك ليس بمُسْتقيم » فقال له مولاها — وقد غضب — : « وأنتَ ما يُدريكَ بالغِناء ما هو ؟ أَلَا تُمسِكُ وتلزَمُ شأنك » . فأمسكَ ، ثم غنَّت :

يا ابنــةَ الأزدىِّ قلبى كَئيبُ مستهامٌ عِنْدَها ما يُنِيبُ
ولقد قالوا(٢) فقلتُ : دَعونى إن مَنْ تَنهَونَ عنــه حبيبُ
إنمــا أَبْلَى عِظامى وجِسْمِى حبهُّــا والُحبُّ شىءٌ عجيبُ
أيها العائبُ عنــدى هَوَاها أنتَ تَفْدى مَن أراكَ تَعيبُ

فأخلَّت ببعضِه ، فقال لها معبد : « يا جارية ، قد أخلَلْتِ بهذا الصَّوت إخلالًا شديداً » . فغضِب الرجلُ وقال له : « ويلكَ ، وما أنتَ ، والغِناء ! ألا تكفُّ عن هذا الفضول ! » فأمْسَكَ ، وغنَّى الجوارى مليًّا ، حتَّى غنت إحداهنَّ :

خليلىَّ عوجَا منــكما ساعةً معى على الرَّبع نقضى حاجةً ونُوَدِّعِ
ولا تُعْجِلانى أن أُلِمَّ بدِمنــةٍ لعزَّةَ لاحَت لى ببَيْداءَ بلقعِ

(١) يجلسه ، الأغانى .
(٢) لاموا ، الأغانى .

وقُولا لقلبٍ قد سَلَا: راجعِ الهوى ... وللعَيْنِ :أذْرِى من دُموعكِ أو دَعِى

فلا عيشَ إلا مِثْلُ عيشٍ مَضَى لنا ... مَصِيفاً أقَمْنَا فيه من بَعْدِ مَرْبع

فلم تصنعْ فيه شيئاً . فقال لها معبد : « يا هذه ، أما تقومِينَ على أداء صَوْتٍ واحد ؟ » فغَضِبَ الرجُلُ وقال : « ما أراكَ تَدَعُ الفُضُول بوجْهٍ ولا حيلة ، وأقسِمُ إن عاودتَ لأخرجنَّك من السَّفينة » . فأمسَكَ معبد ، حتى إذا سَكَتَ الجوارى سَكتةً اندَفعَ فغنَّى الصوتَ الأوّل حتى فرَغ منه فصاح الجوارى : « أحسنتَ والله ، أعِدْه » . فقال : « لا والله ، ولا كَرَامة » . ثم غنَّى الثانىَ ، فقُلن لسيِّدهِنَّ : « هذا والله أحسنُ الناس غِناءً ، فسَلْه أن يُعيدَه علينا ، ولو مرَّةً واحدةً . لعلّنا نأخُذُه عنه ، فإنَّه إن فاتَنا لم نَجِدْ مثلَه أبدا » . فقال : « قد سمعتُنَّ سوءَ ردِّه عليكُنَّ ، وأناخائفٌ منه ، وقد أسْلَفْناه الإساءة ، فاصبِرْنَ حتّى نُدارِيَه » . ثم غنى الصَّوتَ الثالث ، فَتزَلْزَلَتْ عليهنّ الأرض ، فوثَبَ الرجل ، وخرَج إليه وقبَّل رأسَه وقال : « ياسيِّدى أخطَأْنا عليك ولم نعرفْ موضعَك » ، فقال : « فهبْك لم تعرف موضعى ، قد كان ينبغى لك أن تَتَثبَّتَ ، ولا تسرعَ إلى سوءِ العِشرة وجَفاء القول » . قال : « قد أخطأتُ ، وأنا أعتذِرُ إليك ممّا جرَى وأسألُك أن تَنزِلَ إلى ، وتَخْتلِط بى » . فقال له : « أمّا الآنَ فلا » ، فلم يزل يرفُق به حتّى نزَل إليه ، فقال له الرجل : « ممَّن أخذتَ الغناءَ؟ » فقال : « من بعض أهل الحجاز ، فمن أينَ أخذَه جوارِيك ؟ » فقال : « أخذْنَه من جاريةٍ كانت لى ، ابتاعَها رجلٌ من أهل البصرة من مكّة . وكانَتْ قد أخذَتْ من مَعبد ، وعُنِى بتَخريجها ، فكانت تحلُّ منِّى محلَّ الروح من الجسد ، ثم استأْثَر الله عزّ وجلّ بها ، وبقِىَ هؤلاء الجوارِى وهنّ تعليمُها ، فأنا إلى الآن أتعصَّب لمعبد وأفضِّلُه وأفضِّل صنعتَه على المغنِّين » . فقال له معبد : « وإنّك لأنتَ هو أفتعرفنى ؟ » قال : « لا » ، فصكَّ معبد بيدَيْه صَلْعَتَه ، ثم قال : « فأنا معبد ، وإليك قدمت من الحجاز ، ووافيت البصرةَ ساعةَ نزلتَ السفينة ، لأقصدَك بالأهواز ، ووالله

لا قصَّرت فى جَوَاريك هؤلاء ، ولأجعلنَّ لك فى كلٍّ واحدة خلَفاً من الماضِية » .
فأكبَّ الرجلُ والجوارى على يَدَيه ورِجْليه يقبِّلونها ويقولون : « كتمْتَنا نفسَك
حتى جفوناكَ فى المخاطبة ، وأسَأْنا عِشْرتَك ، وأنتَ سيِّدنا ، ومن نتمـنَّى على الله
أن نلقاه ثم غيَّر الرجل زيَّه وحالَه ، وخَلَع عليه عدَّة خِلع ، وأعطاه ثلاثمائة دينار
وطيباً وهدايا بمثلِها وانحدرَ معه إلى الأهواز ، وأقام عندَه ، حتى حَذِق جواريه ،
ثم ودَّعه وانصرفَ إلى الحجاز .

قال الوليدُ بن يزيد يوماً : « قد اشتقتُ إلى مَعبد » . فوجَّه البريدَ إلى المدينة
فأتى معبد ، وأمر الوليدُ ببِرْكَةٍ قد هيِّئت فمُلئت بالخمر والماء ، وأتى معبد فأُتى
به فأجلِس والبركةُ بينَهما وبينهما سِترٌ مُرخًى ، فقال : غَنِّنى يامَعْبد :

لَهفى على فِتْيةٍ ذلَّ الزمانُ لهم ... فما أصابهُم إلا بما شاءوا
ما زال يعدُو عليهم رَيْبُ دهرهمُ ... حتَّى تفانَوْا وريبُ الدَّهر عدّاء
أبكَى فراقُهم عَينى وأرَّقها ... أن التفرُّقَ للأحباب بكّاء

فغنّاه إيّاه . فرفعَ الوليدُ السِّتر ، ونزَع مُلاءةً مطيَّبة كانتْ علَيه ، وقذف نفسه
فى تلك البركة ، فنهل منها نهلة ، وأتى بأثواب غيرها ، وتلقَّوه بالمجامِر والطِّيب ،
ثم قال : غنِّنى :

فلو أنَّ دون لقائِها ... جَبَلاً مزلَّقة هضابُه
لأتيتُها إن المحبَّ ... م إذا نأى طال اجتنابه
ولو انّ دونَ لقائِها ... ضِرغامةً كالزجِّ نابُه
لأتيتُها كالسيف صلـ ... ـتاً لا أخافُ ولا أهابُه

فغنّاه ، فرمَى نفسَه فى البِركة ، فنهل نَهلةً بان والله فيها النقصان ثم أُتِىَ بأثوابٍ
غيرِها ، وتلقَّوه بالمجامِر والطيب . ثم قال : غنِّنى :

ياربعُ مالَكَ لا تجيبُ متيَّما ... قد عاج نحوَك زائراً ومسلِّما

جادَتْكَ كلُّ سحابةٍ هطّالة حتى تُرى عن زَهْرةٍ متبسِّما
لو كنتَ تدرِى من دعاكَ أجبتَه وبكيتَ من حُزن عليـه إذاً دما

فغنّاه، فدعا له بخمسةَ عشرَ ألفَ دينار، فصبَّها بين يدَيه، ثم قال: « انصَرف إلى أهلِك، وا كتُم ما رأيت ». وقيل: إنه قال له يا معبد، من أرادَ أن يزْدادَ عند الملوكِ حُظْوةً فليكتُم أسْرارهم ». فقلت: « ذلك مالا يحتاجُ أميرُ المؤمنين إلى إيصَائى به ».

وقيل لابن عائشة — وقد غنّى صوتاً أحسن فيه —: « أصبحتَ أحسَنَ الناس غناءً » قال: وما يمنعُنى من ذلك، وقد أخذتُ من أبى عبّاد أحدَ عشرَ صوتاً، وأبو عبّاد مُغَنِّى أهل المدينة والمقتدَى به منهم ». قال يزيدُ بن عبدِ الملك يوماً لمعبد: « يا أبا عبّاد، إنى أريدُ أن أخبرَك عن نفسى وعَنك، فإن قلتُ فيه خلافَ ما تعلم فلا تحاش أن تردَّه علىّ، فقد أذنتُ لك ». قال: « يا أميرَ المؤمنين، لقد وضَعَكَ الله بموضعٍ لا يعصِيكَ إلا ضالّ، ولا يردُّ عليك إلا مُخطِىء ». قال: « إن الّذى أجدُه فى غِنائك لا أجدُه فى غِناء ابن سُرَيج، فإنى أجدُ فى غنائك متانةً، وفى غِنائه انْخِناثَةً وليناً ». قال: « والذى أكرمَ أميرَ المؤمنين بالخِلافة، وارْتَضاه لعِباده، وجعلَه أميناً على أمَّة نبيه صلى الله عليه وسلم[1]، ما عدا صِفَتى وصفَةَ ابن سُرَيج، وكذا يَقُول وأقول، ولكن إن رأى أميرُ المؤمنين أن يُعلِمَنى هل وَضَعنى ذلكَ عندَه فليَفْعل ». قال: « لا والله، ولكنى أوثر الطربَ على كلِّ شىء ». قال: « يا سيِّدى، إن كان ابنُ سُرَيج يذهبُ إلى الخَفيف من الغِناء وأذْهَبُ أنا إلى الكامل التامّ، فأغرِّبُ أنا ويشرِّقُ هو، فمتى نلتَقى؟ » قال: « أفتَقْدِر أن تحكىَ رقيقَ ابن سُرَيج؟ » قال: « نعم »، فصنعَ من وقتِه خفيفاً وهو:

---

(١) صلى الله عليه وسلم، زيادة فى المخطوطتين.

ألا لله قـومٌ وَ   لَدَت أختُ بنى سهم
هشامٌ وأبو عَبدِ   منَافٍ مدْرهُ الخصم
وذُو الرُّمحَين أشْبَاكَ   على القوّة والحـزم
فهـذانِ يذُودان   وذا عن كَثَبٍ يرمى

وغنّاه ، فصاح يزيدُ : « أحسنتَ والله ! أعِدْ » ، فأعاد ، فرد عليه مثل الأول ، وقال : « أعِد » ، فأعاد ، فاستخفَّه الطربُ حتى وثَبَ وقال لجواريه : « افعَلن كما أفعل » . وجعل يدُورُ فى البيت ، ويدُرْن معه وهو يقول :

يـا دارُ دوِّريـنى   يا قَرْقَرُ امسكِينى
آليتِ منـذُ حين   حقـاً لتَصْرِمينى
إلا تُوَاصِليـنى   بالله فارحميـنى
لم تذْكُرِى يميـنى

فلم يزَل يدورُ كما يدورُ الصِّبيان ، ويدُرن معَه ، حتى غُشِى عليه ووقَعْنَ فوقَه ، لا يَعْقِل ولا يعقلن . فابتدَرَه الخدم ، فأقامُوا من كان على ظَهره من جَواريه ، وحَمَلُوه وقد كادَتْ نفسُه تذهب[(١)] .

قال معبد : أرسلَ إلىَّ الوليدُ بن يزيد ، فأُشخِصْتُ إليه ، فبينا أنا يوماً فى بعض حَمّامات الشّام إذ دخل رجُلٌ له هَيبة ، ومَعَه غلمانٌ له ، فاشتغل به صاحب الحمّام عن سائر الناس ، فقلتُ : « والله لئن لم أطّلِـع هذا على ما عندى لأكونَنَّ بمزجَر الـكلب » ، فاستدبرتُه حيثُ يرانى ويسمعُ منّى ، ثم ترنَّمتُ ، فالتفتَ إلىّ وقال للغلمان : « قدِّموا إليه ما هاهنا » . فصار جميعُ ما كانَ بينَ يدَيه عندى ؛ ثم سألنى أن أصِيرَ معه إلى منزلِه ، فلم يدَعْ من البرِّ والإكرام شيئاً إلا فعلَه . ثم وضَعَ النبيذ ، فجعلتُ لا آتى بحسَنٍ إلا خرجتُ إلى ماهو أحسَنُ منه ، وهو لا يرتاحُ ولا يحْفل

(١) تذهب ، زيادة فى المخطوطتين .

لما يرَى منِّى . فلما طال عليه أمرى قال : « يا غلام ، شيخَنا ، شيخَنا » . فأُتِىَ بشيخ ، فلما رآه هشَّ إليه ، فأخذ الشيخُ العود ، ثم اندفع يغنِّى :

سِلَّوْرُ فى القِدر وَيْلى عَلُوه　　جاءَ القِطُّ أكَلَهُ وَيْلى عَلُوه

(السِّلَّوْر : السمك) . فجعلَ صاحبُ المنزل يصفِّق ، ويضرب برجلَيه طرباً وسروراً . ثم غناه :

وتَرْمِينى حبيبــةُ بالدُّرارِقِن　　وتَحْسَبُنى حبيبــةُ لا أَرَاها

(الدُّرارقن : نوعٌ من الخوخ) . قال : فـكاد أن يَخرُجَ من جلدِه طرباً . قال: فانسللْتُ مِنهم فانصرفت ، ولم يُعْـلَم بى ، فما رأيتُ مثلَ ذلك اليوم ِغناءً أضيع ، ولا شيخاً أجهل .

مسلم بن محرز

كنيتهُ أبو الخطَّاب ، هو مَوْلى بنى عبد الدّار بن قصىّ . وقيل : اسمُه سَلم ، وقيل : عبد الله . وكان أبوه من سَدَنة الكعبة ، وأصلُه من الفُرس . وكان أصفر أَجْنَى طويلًا . وقيل : هو مولى بنى مخزوم . كان يسكن المدينةَ مدّةً ومكّة مدة . وكان يشخَص إلى فارس ، يتعلَّم ألحان الفرس ، وإلى الشام يتعلَّم ألحان الروم ، ويُسْقِطُ من ذلك ما لا يَسْتَحسن من نَغَم الفريقين ، ويأخذُ محاسِنَها ، يمزِجُ بعضَها ببعض ، ويؤلِّف منها الأغانى ، فأتى بما لم يُسمع مثلُه . وكان يقال له : صنَّاجُ العرب.

وكان ابن محرز قليل الملابسة للنَّاس ، فأخمل ذلك ذِكرَه ، فما يذكَرُه إلا غناؤه . ومات بداء الجذام ، فلم يعاشِر الخلفاءَ ، ولا خالطَ الناسَ لأجل ذلك .

وهو أوّلُ من غنَّى بزوجٍ من الشعر . وعمِل بعد ذلك المغنّون اقتداءً به . وكان يقول : الأفرادُ لا تَتِمُّ بها الألحان .

وقيل : أحسنُ الناس غناءً ابنُ محرز ، كأنه خُلِقَ من كلِّ قلب ، يغنِّى لكلِّ إنسان ما يشتَهى .

وكان صغيرَ الهمَّة ، لا يؤثِر على الخَلْوَة شيئًا ، ولا يحب معاشرةَ المُلوك ولا الخلفاء .

محمد بن عائشة

كنيتُه أبو جعفر ، ولم يكن يُعرف له أبٌ ، وكان يُنسَب إلى أمه ، ويلقِّبه من أراد سبَّه ، أو من يُعاديه : « ابنَ عاهةِ الدَّار » . وكان هو يزعُم أن اسمَ أبيه جَعْفر ، وعائشةُ أمُّه مولاةُ كَثير بن الصَّلت الكِندىّ حليفِ قُريش . وقيل : هى مولاةُ آل المطَّلب بن أبى وَدَاعَة السّهمى . وقيل : إنه كان لغير رِشده . وكان إذا أحسَنَ فى غِنائه يقالُ عنه : « أحسَنَ ابنُ المرأة » قال الوليدُ بن يزيد لابنِ عائشة : « يا محمَّد ، أَلِغيَّةٍ أنتَ ؟ » قال : « كانت أمِّى ماشِطة ، وكنتُ غلاماً ، فكانتْ إذا دخلَتْ إلى موضع قالوا : ارفعُوا هذا لابنِ عائشة ، فغَلَبَتْ على نَسَبى » .

وكان يَفْتِنُ كلّ من سمِعه . وفسَدَ فِتيانُ المدينةِ فى زمانه بمحادَثته ومجالسته . وكان يُضرب المثلُ بابتدائِه بالغِناء ، فيُقالُ لكلِّ مبتدىءٍ حَسَن * إمَّا بِقراءةٍ أو غِناء : « كأنَّه ابتداءُ ابنِ عائشة » . وكان أحسنَ الناس ابتداءً وتوسُّطا وقَطعاً ، وكان أحسنَ الناس حلقاً . رأى ابنُ أبى عتيقٍ حَلْقَ ابنِ عائشةَ مخدَّشاً ، فقال : « من فعلَ هذا بك ؟ » قال : « فلان » . فمضى فنزع ثيابَه ، وجلس للرجُلِ على بابه ؛ فلما خرَج أخذ بتلابيبِه وضربَه ضرباً شديداً ، والرجل يقول : « أىّ شىء صنعتُ بك ؟ » وهو لا يجيبُه ، حتّى بلغ منه وخَلّاه ، وأقبل على من حَضَر فقال : « هذا أرادَ أن يكسِر مزاميرَ آل داوُد ، خَنَق ابنَ عائشة ، وخدَش حَلْقَه » .

ولم يكن بالمدينةِ بعدَ طُوَيس أعلمَ من ابن عائشة ولا أظرفَ مجلساً ، ولا أكثَر طيباً ، وكان يصلُح أن يكونَ نديمَ خليفةٍ أو سميرَ ملك ، وكان غِناؤه أحسنَ من ضَربه ، فكان لا يمسُّ العود إلا أن يجتمِعَ جماعةٌ من الضرَّاب ، فيضرِبُونَ عليه ، ويضربُ هو ويغنِّى . فناهيك حسناً .

وكان ابنُ عائشةَ تائِهاً سيِّيءَ الخُلق ، فإن قال إنسان : « تغنَّ » قال : « أَلمثلى يُقال هذا ؟ » وإن ابتدأ وقال إنسان : « أحسنتَ » . قال : « أَلمِثْلى يقالُ أحسَنتَ » ، ثم يسكت . فكان قليلًا ما ينتفع به . فسال العقيقُ مرَّةً فدخلَ عَرْصةَ سعيدِ بن العاص حتّى ملأَها ، فخرج الناسُ إليها ، وخرجَ ابنُ عائشةَ معهم ، فجلس على قَرْن البئر ، فبينا هم كذلك إذ طَلَع الحسنُ بن الحسنِ بن علىّ ابن أبى طالب عليهم السلام[1] على بَغلة ، وخلفه غُلامان أسودَان ، كأنَّهما من الشياطين، فقال لهما : « امضِيا رويداً حتّى تقفا بأصل القَرن الذى عليه ابنُ عائشة». ففعلا ذلك ، ثم ناداه الحسن : « كيف أصبحتَ يا ابنَ عائشة ؟ » قال:« بخير . فداك أبى وأمى » . قال : « انظرُ مَن إلى جانبك » . فنظر فإذا العبدان . فقال لـه : « أتعرفهما ؟ » قال : « نعم » ، قال : « هما حرّان لئن لم تغنِّنى مائةَ صوت ، لآمرنَّهما بطرحِك فى البئر ، وهما حرّان لئن لم يفعلا لأقطعنَّ يدَيْهما » . فاندفع ابنُ عائشة . فكان أوّلُ غنائه فى شعر أبى العِيال الهذلى :

ألا لله درُّك من فتًى قومٍ إذا رَهِبوا
وقالوا : مَنْ فتًى للحر بِ يرقُبُنا ويرْتَقِب
فكنتَ فتاهُمُ فيها إذا تُدعَى لهـا تَثِبُ

ولم يسكُتْ حتى غنَّى مائةَ صوت . فلم يُسْمَع من ابن عائشة أكثرَ ممَّا سُمِع منه ذلك اليوم ؛ ولا تشاغل أحدٌ من غِنائه بشىء ، ولا انصرَف أحدٌ لقضاء حاجةٍ حتى فرَغ . وما رُئِىَ يومٌ أحسن منه ، وتبادَر النـاسُ من المدينة وما حَوْلَها ، حين بلغَهم الخبرُ ، لاستِماع غِنائه . فما رُئى جمعٌ فى ذلك الموضع مثلُ ذلك الجمع . وانصرَفوا حوله ، يزفُّونه إلى المدينة زفًّا .

---

(١) رضى الله عنهم ، المخطوطتان .

كان ابنُ عائشةَ يوماً واقفاً فى الموسِم فمرَّ به بعضُ أصحابه ، فقال له « ما يُقيمك هاهنا ؟ » قال : « إنِّى أعرفُ رجلًا ، لو تكلّم لحبس الناس هاهنا ، فلم يذهب أحدٌ ولم يَجِئْ » . فقال له الرجل : « ومن ذاك ؟ » قال : « أنا » . ثم اندفع يغنّى :

جَرَتْ سُنُحاً فقلتُ لها أجيزى نوىً مشمولةً فمتى اللقاء

بنفسِى مَن تذكّره سَقامٌ أعانِيه ومطلبُه عَناء

فحبِسَ الناسُ واضْطَربت المحامِل ، ومدَّت الإبلُ أعناقها . وكادت الفتنةُ أن تقع . فأُتِىَ به هشام بن عبد الملك ، فقال له : « يا عدوَّ الله . أردتَ أن تفتِن الناس » ، فأمسَك عنه ، وكان تيَّاهاً ، فقال له هِشام : « ارفُقْ » . فقال : « حقٌّ لمن كانت هذه مقدرتُه على القلوب أن يكون تيَّاها » . فضحِكَ منه وخلَّى سبيله .

كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف ابن عمر : «أما بعد ، فإذا قرأتَ كِتابى فسرِّح إلىَّ حمادَ الرَّاوية على ما أحبَّ من دوابِّ البريد ، وأعطِه عَشْرة آلافِ درهم ، يتهيّأ بها » . فأتاه الكتابُ وحمّاد عنده. قال حمّاد: فنبذَه إلىّ فقلت: « السمعُ والطاعةُ » . فقال : « يا دُكَيْن ، أعطِه عَشْرة آلاف درهم » ، فأخذتها ، فلما كان اليوم الذى أريدُ الخروج فيه أتيتُ يوسف بن عمر فقال : « يا حمّاد ، أنا بالموضعِ الذى قد عرفته من أمير المؤمنين ، ولستُ مستَغْنِياً عن ثنائك » . فقلت : « أصلح الله الأمير ، سيبلغُك مَدْحى وثنائى » . فأتيتُ الوليد فاستأذنتُ عليه ، فأذن لى ، وهو على سرير ممهَّد ، وعليه ثَوْبان أصْفَران يَقيئان الزعفران قيئاً ، وإذا عنده معبدٌ ومالك وأبو كاملٍ مولاه ، فتركنى حتى سَكَن رَوْعى . وقال : أنشدنى :

* أمِن المنونِ ورَيْبها تتوجّع *

فأنشدتُها إلى آخِرها . فقال لساقيه : « اسقِه يا سَبْرة » فسقانى ثلاثَ أكْؤسٍ ، أرعَشَتْ منِّى ما بين الذُّؤابة والنَّعل . ثم قال : « يا مالك ، غنِّنى » :

ألا هل هاجَك الأظعا نُ إذ جاوَزْنَ مطَّلَحا

نَعَمْ وبوَشْكِ بيْنِهم ... جرى لكَ طائرٌ سُنُحا

ففعل ثم قال : غنِّني :

جلا أميَّةُ عنِّي كلَّ مظلمة ... سَهْلَ الحجاب وأوْفَى بالَّذي وَعَدَا

إذا حللتُ بأرضٍ لا أراكَ بها ... ضاقت عليَّ ولم أعرِفْ بها أحدا

ففعل ، ثم قال : غنِّني لجرير :

أتَنْسى أن تودِّعنا سُلَيمى ... بفرعِ بَشامةٍ سُقِيَ البشام

متى كان الخيام بذي طلوحٍ ... سُقيتِ الغيثَ أيتها الخيام

بنفسي من تجنُّبه عزيزٌ ... عليَّ ومن زيارته لِمَام

ومَنْ أمْسي وأُصْبِح لا أراه ... ويطرُقني إذا هَجَع النيام

فغنَّاه فقال: «ياسبرة اسقِني بزُبِّ فِرعون» ، فأتاه بقدحٍ معوَجّ فسقاه عشرين.

ثم أتاه الحاجب . فقال : « أصلح الله أمير المؤمنين . الرجل الذي طلبتَه بالباب » .

فقال : « أدخِله » . فدخل شابٌّ ، لم أر أحسَنَ منه وجها ، في رِجله بعضُ الفدَع.

فقال : « يا سَبرة ، اسقِه » ، فسقاه كأساً ثم قال : « غننِّي لامرئ القيس » :

عَهِدتْني ناشئاً ذا غِرَّةٍ ... رَجِل الجُمَّة ذا بطنٍ أقبّ

أتبَعُ الوِلدانَ أرخي مِئزَري ... ابنَ عشرٍ ذا قُرَيْطٍ من ذهب

وهي إذ ذاكَ عليها مِئزَرٌ ... ولها بَيْتُ جَوارٍ من لُعَب

فغنّاه ، فنبذَ إليه الثَّوْبَيْن ، ثم قال : غَنِّني :

طاف الخيالُ فمرحباً ... أهلًا برؤيةِ زينبا

فغضب معبد وقال : « يا أميرَ المؤمنين ، إنا مُقبلُون عليكَ بأسناننا وأقدارنا ، وإنَّك تركتَنا بمزجَر الكلب ، وأقبلتَ على هذا الصبيّ ! » فقال : « يا أبا عبّاد ، ما جهلتُ قدرَكَ ولا سنَّك ، ولكنَّ هذا الغُلام طرّحَني في مثل الطناجير ، من حرارة غنائه » . قال حمّاد : فسألتُ عن الغُلام فقيل لي : « هذا ابنُ عائشة » .

حدّث شيخٌ من تَنُوخ قال: كنت صاحبَ سِتْر الوَليد بن يزيد ، فغناه ابنُ عائشة يوماً :

إنى رأيتُ صبيحةَ النَّفْر حُوراً نفَيْنَ عَزيمةَ الصبر

مثلَ الكواكِبِ فى مطالِعها بعد العشاء أطفْنَ بالبدر

وخرجتُ أبغى الأجرَ محتسباً فرجعتُ موفوراً من الوِزْر

فطرِبَ الوليد حتّى كفر وألحد ؛ وقال : « اسقنى بالسَّماء الرابعة ». وكان الغِناء يعمل فيه عملا ضلَّ عنه من بعده . ثم قال : « أحسنتَ والله يا أميرى [1] . أعدْ بحقِّ عبدشمسٍ » فأعاد ، ثم قال : «أعد بحقِّ أميَّة » ، ثم قال : «أعِدْ بحقِّ فلان» ، حتى بلغ من الملوك إلى نفسِه فقال : « أعِد بحياتى » ، فأعاد . ثم قام إليه فأكبَّ عليه ، فلم يُبْقِ عضوا من أعضائه حتى قبَّله ، وأهوى إلى هَنِه ، فجعل ابنُ عائشة يضمُّ فَخِذيه عليه ، فقال : والله لا تريم [2] حتَّى أقبِّله ، فأبداه له فقبّل رأسه ثم نزَعَ ثيابه وألقاها عليه ، وبقى متجرِّدا حتى أتَوْه بغيرِها ، ووهب له ألفَ دينار ، وحمَلَه على بغلةوقال : « اركبها وانصرف ، فقد تركتَنى على مِثْل المِقلى ، من حرارة غِنائك » . فركبها على بِساطه ، وانصرف .

خرج ابنُ عائشةَ يوماً من عند الوليد بن يزيد ، وقد غنَّاه :

أبعدَكَ مَعْقِلاً أرجو وحِصْنا قَدَ اعْيَتْنِى المعاقلُ والحصون

فأطربه ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، وبمثل كارةِ القصَّار كُسوةً ، فبينا ابنُ عائشةَ يسير إذ نظر إليه رجُلٌ من أهل وادى القُرى ، يشتَهِى الغناءَ ويشربُ النّبيذ ، فدنا من غلامه ، وقال له : « من هذا الراكبُ ؟ » قال : « هذا ابنُ عائشة المغنِّى » ، فدنا منه وقال : « جعلت فداك ، أنتَ ابنُ عائشة ، أمِّ المؤمنين ؟ » قال : « لا ، أنا مَوْلًى

(١) يا أمير المؤمنين ، المخطوطتان .

(٢) لا أريم ، المخطوطتان .

لقريش وعائشةُ أمِّى ، وحسبُكَ هذا ، ولا عليك أن تكثر » . قال : « وما هذا الذى أراه بينَ يدَيْكَ من المال والكُسوة ؟ » ، قال : « غنَّيتُ أميرَ المؤمنين صوتاً ، فأطرَبه فكفَر والحد وتركَ الصَّلاة ، وأمرَ لى بهذه الكُسوة وهذا المال » . فقال : « جُعِلتُ فداكَ ، فهل تمنُّ علىَّ بأن تُسمِعَنى ما أسمعتَه إيَّاه ؟ » فقال : «ويلَك ! أمثلى[1] تكلم بهذا فى الطريق ! » . قال : « فما أصنع ؟ » قال : « الْحقْنى إلى المنزل » ، وحرَّكَ ابنُ عائشةَ بغلته ، لينقطعَ عنه . فعدَا معه ، حتى وافيا البابَ كفرسَىْ رِهان ، ودخل ابنُ عائشة فمكث طويلا ، طمعاً فى أن يَضْجَر فينصرف ، فلم يفعل ، فلمّا[2] أعياه قال لغلامه : « أدخِله » ، فدخل فقال له : « ويلك ! من أين صبَّك الله علىّ ؟ » قال : « أنا رجلٌ من أهل وادى القُرى ، أشتهى الغناء » ، فقال له : « فهل لكَ فيما هو أنفعُ منه ؟ » قال : « وما ذاكَ ؟ » قال : « مائتا دِينار ، وعشرةُ أثواب ، تنصرف بها إلى أهلك » . فقال له : « جُعلتُ فداكَ ! والله لى بُنَيَّة ما فى أذنها حَلْقَة فضَّة ، فضلا عن الذهب وإن الزَّوجةَ علم الله ما عليها قميص . ولو أعطيْتَنى جميع ما أمرَ لك به أميرُ المؤمنين على هذه الخلَّة والفقر ، وأضْعَفتَ لى ذلك ، كان الصوتُ أعجبَ إلىّ » . وكان ابنُ عائشة تيَّاها ، لا يغنِّى إلا الخليفة أو لذى قدر جليل من إخوانه . فعجِبَ ابن عائشة منه ، وغنّاه[3] الصوت ، فطرِب طرباً شديداً ، وجعل يحرِّكُ رأسه ، حتى ظنَّ أنَّ عنقَه ستَنْقَصِف ، ثم خرج ولم يرْزاه شيئاً . وبلغ الخبرُ الوليدَ فسأل ابنَ عائشة عنه ، فجعل يُغيِّب فى الحديث ، فجدَّ الوليدُ به ، فصَدَقه عنه ، فأمرَ بطلبِ الرجل ، فطُلِب حتى أُحضِر ، ووصله صلةً سنية ، وجعله فى نُدمائه ، ووكَّله بالسَّقى ، فلم يزل معَه حتّى قُتِل .

---

(١) ألمثلى ، المخطوطات .

(٢) حتى لما ، المخطوطات .

(٣) وغناه ، فغناه ، كوبريلى .

كان ابن عائشة إذا غَنّى فى صوتٍ له من شعر الحطيئة :

عفَا من سُلَيمى مُسْحُلانُ فحامِرُه ... تمشَّى بــــه ظِلمانُه وجآذره

نظر إلى أعطافه فى كل رنّة ، فسئل يوماً وقـد دبَّ فيه الشراب عن ذلك ، فقال: «أنا عاشِقٌ لهذا الصوت، وعاشقٌ لقول الحطيئة إن الغناءَ رقيةُ الزنا ، ويُعجبنى فهمُ الحطيئة ، الغِناء ، وليسَ من أهله ، ولا هُو بصاحب طَرَب ، وكيف لاأُعْجَب به ، ومحلّى منه(١) هذا المحل » . وكان لا يسأله أحدٌ إيّاه إلا غنّاه له ، فمن فَطِن له أكثر سؤالَه إياه .

خرج الغَمْر بن يزيد يريدُ الشّام ، فلمـا نزل قصر ذى خُشُب شرب بسَطْحه ، فغـنّى ابنُ عائشة صوتاً أطرب الغَمر ، فقال له : « أعِدْه » ، فأبى ، وكان لا يردُّ صوتاً لسوء خُلقه ، فأُمِر به فطرِح من أعلى السَّطح ، فمات .

وقيل: إنَّ ابن عائشة أقبل من عندِ الوَليد بن يزيد ، وقد أجازَه وأحسَن إليه ، فجاءَ من عنده بمالم يَأْتِ به أحَد ، فلما قَرُبَ من المدينة نزل بذى خُشُب ، على أربعة فراسخَ من المدينة ، وكان واليها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى ، ولّاه هشامٌ ، وهو خالُه ، وكان فى قَصْره هناك ، فقيل له : « أصلح الله الأمير ! هذا ابنُ عائشةَ قد أقبلَ من عندِ الوليد ، فلو سألتَه أن يقيمَ عندنا اليوم فيُطربنا، وينصرفَ من غد! » فدعا به فسأله المقام، فأجابه إلى ذلك . فلما أخذُوا فى شُربهم أخرج المخزومىُّ جواريَه، فنظر ابنَ عائشة ، وهو يغمِز جاريةً منهن ، فقال لخادمه : « إذا خرجَ ابنُ عائشةَ يريدُ حاجتَه فارمِ به » . وكانوا يشربون فوق سطحٍ له(٢) إفريز، ولا شُرَفات له(٣)،

---

(١) ومحله منى ، الأغانى .

(٢) ليس له ، الأغانى .

(٣) وله شرفات ، المخطوطتان ؛ ولا شرفات ، الأغانى .

يشرِف على بستان . فلما قام ليبولَ رمى به الخادمُ من فوق السطح ، فمات ، فقبرُه معروف هناك .

وقيل : إنّه لما قَدِم من الشام نزل بقصر ذى خُشُب فشربَ فيه ، ثم تطرّقوا إلى ظهر القصر ، فصَعَدوا ، فنظَر فإذا بنسوةٍ يمشِينَ فى ناحيةِ الوادى ، فقال لأصحابه: « هل لكم فيهن ؟ » قالوا : « وكيف لنا بهنَّ ؟ » فنهض فلبِسَ مُلاءَةً مدلوكة ، ثم قام على شُرْفَة من شُرَف القصر ، فتغنَّى فى شعر ابن أُذَينة ، وهو :

سُلَيمى أزمعت بَيْناً فأينَ تقولُها أينا
وقد قالتْ لأترابٍ لها زُهْرٍ تلاقَيْنا
تعالَيْنَ فقد طاب لنا العيشُ تعالينا
وغابَ البَرَمُ الليلةَ والعَيْنُ فلا عينا
فأقبلْنَ إليها مُسْرعاتٍ يتعادينا[1]
إلى مثلِ مهاةِ الرَّمْل تكسُو المجلس الزَّينا
إلى خَوْد منعَّمة حَففْن بها وفدّينا
تمنَّينَ مناهنَّ فكنّا ما تمنَّينا

فأقبلْن إليه فطربَ واستدار فسقط فمات .

وقيل : قَدِم المدينةَ فمات بها . فكان أشْعَبُ يقول : « كم قلتُ لكم ـ ولكنْ لا يُغنى حَذَرٌ من قدَر ـ زَوِّجوا ابنَ عائشة من رُبَيْحَة الشَّمَّاسيَّة ، تَخْرج لكم من بينِهما مزاميرُ داود ، فلم تفعلوا » ، وجلسَ يبكى والناسُ يضحكون .

سأل الرشيدُ إبراهيمَ بن سَعْد عمَّن بالمدينة يكره الغِناء ، فقيل له : « مالكُ ابن أنَس » ، فحلف أنه سَمِع مالكاً يغنى : « سُلَيمى أزمعت بينا » ، فى عُرسِ رجُلٍ من أهل المدينة ، يكنى أبا حَنْظلة .

(١) يتهادينا ، الأغانى .

مرَّ ابنُ عائشة بابنِ أُذَينة ، فقال له : « قل أبياتاً هَزَجاً ، أغنِّى فيها » فقال له : « اجلِس » ، فجلس ، فقال : « سُلَيمى أزمَعَت بَيْنَا » فرواها ابنُ عائشة ، ثم ضَحِك لما سَمِع قوله :

تمنَّين مناهُنَّ فكنَّا ما تمنَّينا

فقال له : « يا أبا عامر ، تمنَّيْنَك لما أقبل بَخَرُك ، وأدبر ذَفَرُك ، وذبُل ذكرك » . فجعل يشتمُه .

كان هشامُ بنُ عبد الملك مكرماً للوليدِ بن يزيد . وكان عبدُ الصَّمد بن عبد الأعلى مؤدِّبا للوليد ، وكان زنديقاً[(١)] ، فحمل الوليدَ على الشّرب والاستخفافِ بدينه . فاتَّخذ نُدَماء ، وشَرِب وتهتَّك . فأراد هِشامٌ قطعَ النّدماء عنه فولَّاه الموسمَ سنةَ عَشْرٍ ومائة . فرأى الناسُ منه تهاوناً واستخفافاً بالدين . وأمرَ مولاه عيسى فصلَّى بالنَّاس ، وبعث إلى المغنِّين فغنَّوه ، وغنّاه منهم ابنُ عائشة : « سُلَيمى أزْمَعَت بَيْنا » ، فنعرَ الوليد لها نَعْرَةً ، أذِن لها أهلُ مكَّة ، وأمر لابنِ عائشةَ بألفِ دينار ، وخلع عليه خِلعاً وحمله ، فخرج من عنده بأمرٍ أنكره النّاس ، وأمر للمغنِّين بدونِ ذلك ، فتكلَّم أهلُ الحجاز فيه ، وقالوا : « هذا ولِيُّ عهد المسلمين ! » . وبلغ ذلك هشاماً ، فطمِع فى خَلعه ، وأراده على ذلك ، فأبى ، فتنكَّر هشامٌ للوليد ، فتمادَى الوليدُ فى الشّرب واللّذات ، وأفرط ، وبعث هشامٌ بالوليد وخاصَّته ومواليه ، فنزلَ بالأزْرَق ، على ماء يقال له : الأَغْدَق ، بين أرضِ بَلْقَيْن وفزارة ، حتى مات هشام .

---

(١) مستخفا زنديقا ، المخطوطتان .

محمد بن المولى

هو محمّد بن عبد الله بن مُسلم بن المَوْلَى ، مولى الأنصار ، ثم من بنى عَمرو ابن عوف . شاعرٌ مقدّم مُجيد ، من مخضرَمى الدّولتين ، ومدّاحى أهْلِهما .

قدِم على المهدىّ ، فامتدحه بعدّة قصائد ، ووصَلَه بصِلاتٍ سنيّة . وكان ظريفاً عفيفاً ، حسنَ الهيئة ، يسكن بقُباَء ، وهو الذى مدح المهدىَّ بقوله :

سَلَا دارَ ليلى هل تُبينُ فَتنطِق ... وأنّى تردُّ القولَ بيداءُ سَمْلقُ

وأنى تردُّ القولَ دار كأنّهـا ... لطول بِلاها والتقادُم مُهْرَق

عفَتْها الرياحُ الرامساتُ مع البِلَا ... بأذيالها والرائحُ المتبعِّق

بكلِّ شآبيبٍ من المـاء خلفَها ... شآبيبُ ماء برقُها متـألِّق

إذا ريِّقٌ منها هُرِيقَتْ سِجالُه ... أُعيدَ لها كَرٌّ فيه ماء وريِّق

فأصبحَ يَرْمى بالرَّباب كأنّما ... بأرجُلِه فيـه نعـامٌ معلّق

إلى القائم المهدىِّ أعملتُ ناقتى ... بكلِّ فَلاةٍ آلُهـا يترقرَق

وهى طويلة ، فاستحسنها المهدىُّ ، وأجزل صِلتَه .

وهذه القصيدةُ تُنْسَب للأَعشى ، وهو غَلَط ، وقد التُمِسَت فى شعر كلِّ أعشَى عُرِف من شعراء العرب ، فلم توجـد ، ولا رَوَاها أحدٌ من الرّواة . ووُجِدت لابن المولى .

قال عبدُ الملك بن عبد العزيز : خرجتُ أنا وأبو السَّائب المخزومىّ ، وعبيدالله[1] ابن مُسلم ، وابنُ المولى ، وأصْبَغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قُباء ، وابن المولى متنكِّبٌ قَوْساً عربيّة ، فأنشدنا ابن المولى لنفسه :

---

(١) عبد الملك ، المخطوطات .

وأبــكِي فلا لَيْلى بكَتْ من صَبَابة   إليَّ ولا لَيْلى لذى الوُدِّ تبــذُل
وأخْنَع بالعُتبى إذا كنتُ مذنبــاً   وإن أذنبتْ كنتُ الذى أتنصّــل

فقال له أبو السائب وعبيدُ الله[1] بن مسلم : « من لَيْلى هذه حتى نقودَها إليك ؟ » ، فقال لهما ابنُ المولى : « والله ما هى إلا قوْسِي هذه ، سمَّيتُها لَيْــلى » .

قال المفضَّل الضبّي : وفد ابنُ المولى على يزيدَ بن حاتِم بن قبيصة بن المهلّب ، وقد مدَحه بقصيدته التى يقولُ فيها :

يا واحــدَ العَــرَب الذى   أمسَــي وليسَ له نظيرُ
لو كانَ مثلَك آخَرٌ   ما كان فى الدّنيــــا فقيرُ

فدعا بخازنه ، فقال : « كم فى بيت مالى ؟ » فقال : « ماقيمته من العَيْنِ والوَرِق عشرون ألف دينار » فقال : « ارْفعها إليه » ، ثم قال له : « يا أخى ، المعذرة إلى الله وإليك ، والله لوأنَّ فى مِلــكى أكثرَ منها ما احْتجبتُه عنك » .

وكان ابنُ المولى مدّاحاً لجعفر بن سليمان وقُثَم بن العباس الهاشميَّيْن ، ولــكنه استفْرَغ مدحَه فى يزيدَ بن حاتم ، وقال فيــه قصيدتَه التى يقولُ فيها :

يا واحدَ العربِ الّذى دانت له   قَحْطانُ قاطبــةً وسادَ نزارا
رِشْتَ النّدى ولقد تــكسَّر ريشُه   فعلَا النّدى فوق البلاد وطارا
إنى لأرجو إن لَقِيتُك سالماً   ألّا أعالجَ بعــــدَها الأسفارا

ثم قصدَه بها إلى مصر ، فأنشده إياها ، فأعطاه حتى رَضِي . ومرض ابنُ المولى عندَه مرضاً طويلًا ، وثقُل حتى أشْــفَى ، فلما أفاقَ ونهَضَ دخل عليه يزيدُ متعرِّفاً أخبارَه ، فقال له : « كدتَ والله ألا تعالِجَ بعدَها الأسفار » ، ثم أضعفَ له صلتَه .

---

(١) عبد الله ، المخطوطات .

قال ابنُ المولَى : كنت أمدح يزيدَ بن حاتم ، ولا أعرفُه ولا لقيتُه ، فلما وَلّاه المنصورُ مِصر أخذ على طريق المدينة ، فلقيتُه فأنشدتُه وقد خرج من مسجِد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أن صار إلى مسجد الشجرة ، فأعطانى رِزْمَتَىْ ثياب ، وعشرةَ آلافِ دينار ، فاشتريتُ بها ضِياعاً تغلُّ ألفى[1] دينار .

قال بعضُ موالى الحسَن بن زَيْد : قَدِمَ ابن المولى على المهدىِّ ، فمدَحَه بقصيدته التى يقولُ فيها :

وما قارع الأعداء مثلُ محمَّد ... إذا الحربُ أبدَتْ عن حُجول الكواعِب
فتًى ماجدُ الأعْراقِ من آل هاشمٍ ... تَبَحْبَحَ منها فى الذُّرى والذَّوائب
أشَمُّ من الرَّهط الذين كأنَّهم ... لدى حِنْدِس الظَّلماء زُهْر الكواكب
إذا ذُكِرَتْ يوماً مناقبُ هاشمٍ ... فإنَّكم منها بخيرِ المناصِب
ومَنْ عِيبَ فى أخلاقه ونِصَابه ... فما فى بَنِى العبَّاس عَيْبٌ لعائب
وإن أميرَ المؤمنين ورهطَه ... لأهلُ المعالى من لُؤَىِّ بن غالِب
أولئك أوْتادُ البلادِ ووارثو ... النبىِّ بأمر الحقِّ غير التَّكاذُب

ثم ذكر آل أبى طالب فقال :

وما نَقَموا إلا المودَّة منهُم ... وأن غادَروا فيهم جزيلَ المواهب
وأنَّهم نالوا لهم بدمائهم ... شفاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ
وقامُوا لهم دُونَ العِدَا وكَفوهُمُ ... بسُمر القنَا والمرهَفاتِ القواضِب
وحامَوْا على أحسابهم وكرائمٍ ... حسانِ الوجوهِ واضحاتِ الترائب
وإنَّ أميرَ المؤمنين لعائدٌ ... بإنعامه فيهم على كلِّ تائبِ
إذا ما دَنَوا أدناهُمُ وإذا هَفَوْا ... تجاوَزَ عنهم ناظراً فى العواقب

(١) ألف ، الأغانى .

شفيقٌ على الأقصَيْنَ أن يركبوا الأذى[1] فكيفَ به في واشِجاتِ الأقارب

فوصله المهديُّ صلةً سنيَّة ، وقدِمَ المدينة ، فأنفقَ وبنى دارَه ، ولبس ثياباً فاخرة ، ولم يزَلْ كذلك حتّى نفِد ما جاء به ، ثم دَخَل على الحسن بن زيد . وكانتْ له عليه وظيفةٌ في كلِّ سنة ، فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها ، يمتدحه بها :

ولو أنَّ امرأً ينال خلودًا بمحلٍّ ومَنصِبٍ[2] ومكان
أو ببيتٍ ذُراه تَلْصَق بالنَّجْم قِرانًا في غير بُرج قِران
أو بمَجدِ الحياة أو بسماحٍ أو بحلمٍ أوْفَى على ثَهْلان
أو بفَضْلٍ لنَالَه حَسَنُ الخَيْر بفَضل الرَّسُول ذي البرهان
فضلُه واضِحٌ برهط أبي القا سِم رهطِ اليقين والإيمانِ
هم ذَوُو النور والهدى وأولو الأمـ ـرِ وأهلُ البُرهان والفُرقان
معدِن الحقِّ والنبوّة والعدلِ إذا ما تنَازع الخصمان
وابنُ زيدٍ إذا الرجالُ تجارَوْا يومَ حفلٍ وغاية ورِهان
(سابقٌ مغلقٌ مُجيزٌ رهان ورِثَ السَّبْق من أبيه الهجان)[3]

فلما أنشدَه إيّاها دعا به خالياً ، وقال له : « ياعاضَّ كذا من أمّه ، إذا جئتَ الحجازَ تقول هذا ، وإذا مضيتَ إلى العِراق تقول :

وإنَّ أميرَ المؤمنين ورهطَه لأهل المعالي من لؤيِّ بن غالب
أولئك أوتاد البلاد ووارثو النـ ـبي بأمر الحق غير التكاذب

فقال له : « أتُنْصِفني يا ابنَ رسول الله أولا ؟ » قال : « بلى » ، قال : ألَمْ أقل (وإنَّ أميرَ المؤمنين ورهطَه) ؟ ألستُم رهطه ؟ » قال : دع هذا ، أنت لم تقدِرْ أنْ

---

(١) الردى ، الأغاني .

(٢) منسب ، المخطوطات .

(٣) سابق . . . الهجان ، ساقط في المخطوطتين .

يَنفُقَ مديحُك وشعرُك إلا بتَهْجين أهلى[1] ، والطعنِ عليهم والإغراء بهم حيث تقول :

وما نَقَموا إلا المـودَّة منهم　　وأن غادرُوا فيهم جزيلَ المواهب

وأنَّهم نالُوا لهم بدمائِهم　　شفاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهارب »

فوجَم ابنُ المولى وأطرق ، وقال : « يا ابنَ رسـولِ الله ، إن الشاعر يقول ويتقرَّبُ بجُهده » ، ثم قام وخرج من عنـده مُنـكسِراً . فأمر الحسنُ وكيلَه أن يحمل إليه وظيفتَه ، ويزيدَه مثلَها ، ففعل ذلك ، فقال ابنُ المولى : « والله لا أقبلُها وهو علىّ ساخط ، فأما إن قرَنها بالرِّضا قبِلتُها ، وأمّا إن أقام على أَمرِه رَدَدْتُها » . فعاد الرسولُ إلى الحسَن ، فأخبرَه ، فقال له : قل له : قد رضيتُ فاقبلها » . فدخل على الحسن ، فأنشدَه قولَه فيه :

سألتُ فأعطانى وأعطى ولم[2] أسل　　وجاد كما جادت غـوادٍ رَوَاعدُ

فأُقسِم لا أنفـكُّ أُنْشِد مدحَـه　　إذا جَمَعَتْنى فى الحَجيجِ المشاهِـد

لما انصرف يزيدُ بن حاتم من حرب الأَزَارِقة وقد ظفر ، خَلع عليه الخليفةُ وعقد له لواءً على كُوَر الأهواز . وسائر ما افتَتَحه . فدخل عليه ابنُ المَوْلَى ، فاستأذَنه فى الإنشاد ، فأذن له ،فأنشدَه قصيدته التى يقول فيها من مديحه :

تصدَّى رجالٌ فى المعـالى ليلحَقُوا　　مَدَاكَ وما أدركتَه فتذَبذَبُوا

ورُمتَ الذى راموا فأذْلَلْتَ صَعبه　　وراموا الذى أذْلَلْتَ منه فأصْعَبوا

كواكبُ دَجْنٍ كلّماانقضَّ كوكب　　بَدَا منهمُ بَدْرٌ منيرٌ وكوكب

ومَنْصِب آباءٍ كرامٍ نماهُم　　إلى المجـد آباءٌ كرامٌ ومنصِب

---

(١) أهل البيت المخطوطتان .

(٢) ولم ، الأغانى : فلم ، المخطوطات .

فأمر له يزيد بعَشْرة آلاف درهم وفرسٍ مُلجَم وخِلعة ، وأقسم عـلى من بحَـضْرته من أهلِه أن يُجيزوه بما يُمكن كلٌّ واحد عنهم ، فانصرفَ بملء يدَيه .

لما قَدِم عبد الملك بن مَرْوان المدينة ، وكان ابنُ المولى يكثر مدحَه ، وكان يسأل عنه من غير أن يكون التقَيا . فلما بَلغَه سؤالُ عبد الملك عنه فى المدينة قَدِمها ، بعد أن رَحَل عبدُ الملك عنها ، فأتبعه فأدركَه بإضَم بذى خُشُب(١) ، بين عَيْن مروان وعَين الحديد ، وهما جميعاً لمروان . فالتفت عبدُ الملك إليه ، وابن المولى على نجيبٍ متنـكباً قوساً عربيّة فقال له عبدُ الملك : « ابنُ المولى ؟ » قال : « لبَّيـك ياأمير المؤمنين » . قال : « مرحباً بمن نالنا شـكرُه ، ولم ينله منا فِعلٌ » ، ثم قال : « أخْبِرنى عن لَيْلى التى تقولُ فيها :

وأبكى فـلا لَيْلَى بكت من صَبابة ... إلىّ ولا ليـلى لذى الود تبذُل

والله لئن كانَتْ حرّة لأزوِّجنـّكها ، وإن كانت أمةً لأبتاعنَّها لك بما بلَغَتْ »

فقال : « كلَّا يا أمير المؤمنين ، والله ما كنت لأبتغِىَ زوجَةَ حرٍّ ولا أمته(٢) ؛ والله ما ليلَى إلا فرَسِى هذه ، سمَّيتُها ليلى ، لأنسُبَ(٣) بها ، فإن الشاعر لا يستطابُ إذا لم يَنْسُب(٤) : فقال له عبد الملك : « ذلك والله أظرفُ لك » . فأقام عنده يومَه وليلتَه ، يُنشده ويسامِره . ثم أمر له بمال وكُسوة ، وانْصرف إلى المدينة .

وقف ابنُ المولى على طريقِ جعفر بن سليمان وقد ركِب فنادَاه :

كم صارخٍ يدعُو وذى فاقـةٍ ... ياجعفرَ الخـيراتِ ياجعفرُ

---

(١) أو بذى خشب ، المخطوطتان .

(٢) ما كنت متغزلا أبدا فى حرة ولا أمة ، المخطوطتان ؛ ما كنت لأذكر حرمة حر أبدا ولا أمته ، الأغانى .

(٣) لأتشبب ، المخطوطتان .

(٤) يشبب ، المخطوطات .

أنتَ الذى أحْيَيْتَ بذلَ النّدى ‏ ‏ ‏ ‏ وكان قد ماتَ فــلا يُذكَر
(١سَليلُ عباسٍ ولىّ الهــدى ‏ ‏ ‏ ‏ ومَن بهِ فى المحــل يُسْتَمطر
هذا امتداحِيك عقيــد الندى ‏ ‏ ‏ ‏ أشهد بالمجــد لك الأشقر١)

أربعة أبيات ، فأمر له بأربعة آلاف درهم .

(١) سليل . . . الأشقر ، البيتان ساقطان فى المخطوطتين ، والشطر الأخير غير واضح فى كبريلى .

موسى شهوات

هو موسى بن يسار ، مَوْلَى قُرَيش ، واختُلِف فى وَلائه ، فقيل : إنّه مَوْلى بنى سَهم ، وقيل : مولى بنى تَيْم بن مرّة ، وقيل : مولى بنى عدىٍّ بن كعب . وكنيته أبو محمد ، وشَهَوَات لقبٌ غلب عليه ، لأنه كان سَؤُولا ملحًّا مُلحِفاً ، وكان كلّما رأى مع أحدٍ شيئاً يعجبُه ، من مالٍ أو متاعٍ أو ثوبٍ أو فَرَسٍ يتباكى ، فإذا قيل له : « مالَكَ ؟ » قال: « أشْتَهى هذا » . فسمِّىَ شَهَوات . وقيل : إنَّه كان من أذْرَبيْجَان ، وأنَّه نشأ بالمدينة ، وكان يجلُب إليها القَنْد والسكَّر ، فقالت امرأةٌ من أهْل المدينة : « ما زال مُوسى يأْتِينا بالشَّهوات » ، فغلبتْ عليه .

عشِق مُوسى شهوات بالمدينة جاريةً ، واستَهام بها ، وساوَمَ مولاها فيها ، فاستامَه عشرة آلاف درهم، فجمع كلّ ما يمكنه ، واستماحَ إخوانه ، فبلغ كلّ ما جمعه أربعةَ آلاف درهم ، فأتى سَعِيدَ بن خالد العُثمانىّ ، فأخبره بحاله ، واستعان به ، وكان صديقَه ، فدافعَه واعتلّ عليه ، فخرج من عنده ، فلما وَلّى تمثّل سعيدٌ بقول الشّاعر :

كتبتَ إلىَّ تَسْتهدِى الجوارى لقد أنْعَظْتَ من بلدٍ بعيـــد

فأتى سعيدَ بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد ، فأخبره بقصّته فأمر له بستّة آلاف درهم ، فلما قبضها ونهض قال له : « اجلِس . إذا ابتَعْتَها بهذا المالِ وقد أنفَذت كلّ ما تملك ، فبأىِّ حال تعيشان ؟ » ثم دفع إليه ألفَى درهما ، وطيباً وكسوة، وقال: « أصلح بهذَا شأنكما» . وقيل إنَّ سعيدَ بن خالد بن عمرو بن عثمان أتى سُليمان ابن عبد الملك فقال : « يا أمير المؤمنين ، أتيتك مستعْدِياً » ، قال : « ومَنْ بك ؟ » قال : «موسى شهوات » ، قال : « ماله ؟ » ، قال : « سمّع بى واسْتطَال فى عرضى» . قال : « يا غلام ، علىَّ بموسى » ، فأُتِىَ به ، فقال : « ويلَك ، سمّعتَ به واستَطلت فى عرضه ؟ » ، فقال : « ما فعلتُ يا أميرَ المؤمنين ، ولكنِّى مدحتُ ابنَ عمه ،

فغضِبَ هو ». قال: « وكيف ذلك ؟» «قال» علِقْتُ جارية ً ، لم يبلغ ثمنها جِدَتى فأتيته وهو صَديق ، فشكوتُ إليه ذلك ، فلم أجد عندَه شيئاً ، وتمثَّل عند خروجى :

كتبتَ إلىَّ تستَهدى الجوارى   لقد أنعَظْتَ من بلدٍ بعيــد

فأتيتُ ابنَ عمِّه سعيدَ بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فشكوتُ إليه ما شكوتُه إلى هذا ، فقال : تعودُ إلىَّ ، فتركتُه ثلاثاً ، ثم أتيتُه فسهَّل من إذنى . فلما استقرَّ بى المجلس قال ياغلام .. قل لقيِّمتى هاتِى وديعتى . ففُتح بابٌ بين بيتين[1] ، فإذا أنا بالجارية ، فقال : « هذه بغيتُك ؟ » قلت : نعم ، فِداك أبى وأمى » . قال . « اجلس » ، ثم قال « يا غلام ، قل لقيِّمتى : هاتى ظَبْيَةَ نفقتى » ، فنثرت بين يَدَيْه ، فإذا فيها مائةُ دينار ، وليس فيها غيرها ، فردَّت فى الظَّبْيَة ، ثم قال : « عتيدةَ طِيبى » ، فأُتِى بها ، فقال : « مِلْحَفةَ فِراشى » ، فأُتِى بها . فصيَّر ما فى الظَّبية وما فى العَتِيدة فى حواشى المِلْحَفة ، ثم قال : « شأنَك بهواك ، واستَعِن بهذا عليه ».

فقال له سليمانُ بن عبد الملك : « فذلك حين تقول ماذا ؟ قال : قلت :

أبا خالدٍ أعْنى سعيدَ بن خـالدٍ   أخَا العرف لا أعنى ابنَ بنتِ سعيد
ولكنَّنى أعنِى ابنَ عائشةَ الذى   أبو أبَوَيْه خـالدُ بنُ أسِيد
عَقِيدُ النَّدى ما عاشَ يرضَى به النَّدى   فإن ماتَ لم يَرْضَ النـدى بعقِيد
دَعُوه دَعُوه إنَّكم قد رَقَدتمُ   وما هو عن أحسابِكم برَقود
على وجهِه يلقى الأيامِنَ واسمِه   وكلُّ جوارى طَيْرِه بسُعود
أبان وما استَغنى عن الثدى[2] خيرُه   أبان بهِ فى المهد قبل قُعود
ترى الجندَ والسادات[3] يغشَون بابه   لحاجاتِهم مـن سيِّد ومسود

---

(١) يديه ، المخطوطتان .

(٢) البذل ، المخطوطتان .

(٣) الجنَّاب ، الأغانى.

فيعطِى ولا يعطَى ويُغشَى ويُجتَدَى وما بابُه للمجتدِى بشديد
قَتَلتَ أُناساً هكذا فى جلودِهم من الغَيْظِ لم تَقْتُلْهم بحديد
يعيشون ما عاشُوا بغيظٍ وإن تَحِن مناياهمُ يوماً تَحِن بحُقود
فقل لبُغاة العُرف : قد مات خالدٌ وماتَ الندى إلا فُضُول سعيد

فقال سليمان : « ياغلام . . علىّ بسعيدِ بن خالد » . فجِىءَ به ، فقال : « أحقّ ما وصفك به موسى ؟ » قال : « وما ذاك ؟ » ، فأعاد عليه . فقال : « قد كان ذلك » . قال : « فما طوّقتك عواقبُ هذه الأفعال ؟ » قال : « دَيْنَ ثلاثينَ ألفِ دينار » . قال : « قد أمرتُ لك بها وبمثلها ومثلها وبثلث مثلها[1] ، فحملَ إليه مائةَ ألفِ دينار . فوُجد سعيدُ بن خالد بعد ذلك فقيلَ له : « ما فعلَ المالُ الذى وصلكَ به سُليمان ؟ » ، قال : « ما أصبحتُ أملكُ منه خمسين ديناراً » . فقيل : « ما اغتاله ؟ » ، قال : « خَلَّة من صديق ، وَفاقةٌ من ذى رَحِم » .

أما قولُه «ابن بنت سعيد» فإن أمَّ سعيد بنِ خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان آمنةُ بنت سعيد بن العاص ، وعائشةُ أم عَقِيد النَّدى بنتُ عبد الله بن خَلَف الخزاعيّة أختُ طلحة الطَّلَحات وأُمُّها صفيَّة بنتُ الحارث بن طَلْحة بن أبى طلحة ، من بنى عبد الدَّار بن قُصَىّ ، وأمّ أبى عقيد النّدى رَملة بنت معاوية بن أبى سفيان .

ولما أنشدَ موسى شهوات هذه الأبياتِ لسليمان قال : « يا أمير المؤمنين اتّفقت أسماؤهما وأسماء آبائهما[2] ، فتخوّفتُ أن يذهبَ شعرى باطلًا ففرّقتُ بينهما بأمهاتهما[3] ، فأغضبه أن مدحتُ ابن عمّه ، فقال سليمان : « بلى والله ، لقد هجوته؛ وما خَفِىَ علىَّ ذلك ، ولكنى لا أجد إليك سبيلًا » فأطلقه .

---

(١) بها وبثلاثين مثلها ، المخطوطتان ، بها وبمثلها وبثلثى مثلها ، كوبربلى .
(٢) اتفق اسماهما وأسما أبويهما ، الأغانى .
(٣) بأمهما ، الأغانى .

وكان سعيدُ بن خالد هذا تأخذُه الموتة(١) فى كلِّ سنة ، فأرادوا عِلاجَه ، فتكلّمت صاحبتُه على لسانه وقالت : « أنا كريمةُ بنتُ مِلحان سيِّد الجنّ ، وإن عالجتموه قتلتُه ، ووالله لو وَجَدْتُ أكرمَ منه لهَوِيتُه » .

قال موسى شَهَوات لمعبَد : « أريدُ أن أمتدِحَ حمزة بنَ عبد الله بن الزبير بأبيات وتغنِّيَ فيها ، ويكون ما يعطيه بيني وبينك » . قال : « نعم » ، قال موسى :

شاقَنِى اليومَ حبيبٌ قد ظَعَن ... ففُؤادِى مُسْتَهامٌ مرتهَن
حمزةُ المبتاعُ بالمال الندى ... ويَرَى فى بَيْعِه أن قد غُبِن
هو إن أعطى عطاءً فاضلا ... ذا إخاءٍ لم يكدِّره بمَنّ
وإذا ما سَنَةٌ مُجْحِفةٌ ... بَرَت النَّاس كَبَرْيٍ بالسَّفَن(٢)
حَسَرَتْ عنه نقيًّا عرضُه ... ذا بلاءٍ عند مُخْناها(٣) حسن
نور صدقٍ بيِّنٌ فى وجهه ... لم يدنِّس ثوبه لونُ الدَّرن

كان حمزةُ فتًى جواداً كريماً ، على هَوَج كان فيه . ولاه أبوه العِراقيْن وعزل مُصْعَباً .

كانت فاطمةُ بنتُ عبد الملك بن مرْوان تحتَ عمر بن عبد العزيز ، فلما مات عنها تزوَّجها داوُد بن سليمان بن مروان ، وكان قبيحَ الوجه ، فقال فى ذلك موسى شهوات:

أبعد الأغرِّ ابن عبد العزيز ... قريعِ قريش إذا يُذكر
تزوَّجتِ داود مختارةً ... ألا ذلك الخلَفُ الأعور

فكانت إذا سخطَت عليه تقول : « صدَق والله موسى ، إنك الخَلَفُ الأعور » ، فيشتمُه داود ، وغَلَبَ ذلك عليه ، فصار يعرف بالأعور .

(١) الصرع ، المخطوطتان .
(٢) كما يبرى السفن ، المخطوطتان .
(٣) محياها ، المخطوطتان .

وقف موسى شَهَوات ليزيدَ بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدمشق ، وكان فتىً جواداً شجاعاً ، فلما ركب وثَبَ إليه ، فأخذ بعِنان دابّته ، ثم قال :

قم فصوِّتْ إذا أتيْتَ دمشقاً : يا يزيدُ بنَ خالد بن يزيـــد
يا يزيدُ بنَ خالدٍ إن تُجِبْني يَلْقَنى طائِرى بنَجْمٍ سَعيد(١)

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكُسوة ، وقال له : كلّما شئتَ نادِنا نُجِبْك .

سأل موسى شَهَوات بعضَ آل الزُّبير حاجةً ، فدفعه عنها . وبلغ ذلك عبدَ الله ابن عمرو بن عثمان ، فبعثَ إليه بمـــا كان التمسه من الزُّبيريّ من غير مَسْألة . فوقَفَ عليه موسى وهو جالسٌ في المسجد فقال :

ليس فيما بدَا لنـــا منكَ عَيْبٌ عابَه النّاس غير أنّك فان
أنتَ نعم المتـــاعُ لو كنتَ تبقى غيرَ أن لا بقاءَ للإنســـان

---

(١) نجم السعود ، الأغانى .

مالك بن أبى السمح

اسمُ أبى السَّمح جابرُ بن ثعلبةَ الطائى ، أحدُ بنى ثُعَل ، ثم أحدُ بنى عمرو ابن دَرْماء ، وكُنْيَتُه أبو الوليد . وأمُّه قُرشيَّة من بنى مَخْزوم ، وقيل : بل أمُّ أبيه ، وهو الصحيح . وقيل : هو مالك بن أبى السَّمح بن سُلَيمان بن سِماك بن أوْس بن سَعد بن أوْس بن عَمْرو بن دَرْماء ، أحد بنى ثُعَل وأم أبيه بنت مدرك بن عَوف بن عُبَيْد بن عَمرو بن مخزوم .

كان أبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جَعفر ، ولما ماتَ أوصاه على مالك ، وكان يتيماً فى حجره ، يكنفه[1] ويمونه ، فأدخلَه وسائرَ إخوته فى دِعوة بنى هاشم ، فهم معهم إلى اليوم .

وكان أحْوَلَ طويلاً أجْنَأ[2] . وأدرك الدولة العباسية . وكان منقطعاً إلى بنى سُليمان ابن علىّ ، ومات فى خلافة أبى جعفر المنصور .

وكان مالكُ بن أبى السَّمح من طَيِّئ ، فأصابتهم حَطْمةٌ فى بلادهم بالجَبَلَيْن ، فقدمت به أمُّه وبإخوته ، ولا شىء لهم . فكان يسأل الناسَ على بابِ حمزةَ بن عبد الله ابن الزبير . وكان معبد منقطعاً إلى حمزة ، فسمِع مالكٌ غِناءه ، فأعجبَه واشتهاه ، فكان لا يفارقُ بابَ حمزة ، يسمع غناءَ معبدٍ إلى اللَّيل ، فلا يطوفُ بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ، وينصرفُ إلى أمِّه ، ولم يكسب شيئاً ، فتضربُه أمّه ، وهو مع ذلك يترنَّم بألحان مَعبد ، فيؤديها دوراً دوراً ، فى مواضع صَيحْاته وإسجاحاته ، ونبراته نَغَماً بغير لفظٍ ولا روايةِ شىءٍ من الشِّعر ، وجعل حمزةُ كلَّما غدا أو راح رآه ملازماً لبابِه ،

---

(١) يكفيه ، المخطوطتان ؛ يكفله الأغانى .

(٢) احنى ، الأغانى .

فقال لغلامه يوماً : « أدخِلْ هذا الغلام » ، فدخل ، فقال له حمزة : « من أنت ؟ » قال له : « غلامٌ من طيءٍ ، أصابتْنا حَطمة بالجبَلَين ، ومعى أمىِّ وإخْوَتى ، وإنِّى لزمتُ بابَك ، فسمعتُ صوتاً أعجَبَنِي فلزمتُ بابك من أجله » . قال : « فهل تعرفُ منه شيئاً ؟ قال : أعرفُ لحنه كلَّه ، ولا أعرف الشِّعر » . قال : « إن كنتَ صادقاً إنَّك لفَهِم » . ودعا بمعبد ، فأمره أن يغنِّيَ صوتاً ، فغنّاه ، ثم قال لمالك : « هل تستطيعُ أن تقولَه ؟ قال : « نعم ! » قال : « هاتِه » ، فاندَفع فغنَّاه ، فأدَّى نَغَمُه بغير شِعر يؤدِّى[1] مَدَّاتِه ، ولَيَّاته ، وعَطَفَاتِه ، ونَبراتِه ، وتعليقاته ، لا يَخْرِم منه حرفاً ؛ فقال لمعبد : « خُذ هذا الغلامَ إليك ، وخرِّجْه فليكونَنَّ له شأن » . فقال معبد : « ولِمَ أفعلُ ذلك ؟ » قال : « لتكونَ محاسِنُه منسوبةً إليك ، وإلا عداك إلى غيرك . فكانت محاسنه منسوبة له » . فقال : « صدقَ الأميرُ وأنا أفعلُ » فقال حمزة لمالكٍ يوماً : « كيف وجدتَ ملازمتَك لبابِنا ؟ » قال : « أرأيتَ إن قلتُ فيكَ غيرَ الذى أنتَ له مستحقٌّ من الباطل ، أكنتَ ترضى به ؟ » قال : « لا » ، قال : « وكذلك لا يسرُّك أن تُحمَدَ بما لم تفعل » ، قال : « نعم » قال : « والله ما شَبِعتُ على بابِك شَبْعةً قطّ ، ولا انقلبتُ إلى أهلى منه بخَير » . فأمرَ له ولأمِّه ولإخوته بمنزل ، وأجرى عَلَيهم رزقاً وكُسوةً ، وأمر لهم بخادمٍ وعبدٍ يَسْقِيهم ، وأجلس مالكاً معَه فى مجالِسه ، وأمر معبداً بمُطارَحَتِه ، فلم يلبثْ أن مَهَر وحذِق ، فسمِعَ امرأةً يوماً تنوحُ على زيادةَ الذى قتلَه هُدْبَة بن خَشْرم بشعر أخى زيادة :

أبعدَ الذى بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكبٍ ... رهينةِ رمْسٍ فى ترابٍ وجَنْدل
أذكَّر بالبُقيا على مَنْ أصابنى ... وبُقياىَ أنِّى جاهدٌ غيرُ مؤتلى
فلا يَدْعُنى قومى لزيدِ بن مالكٍ ... لئن لم أعجِّل ضَربةً أو أعجَّل
وإلّا أنَلْ ثأرى من اليوم أو غدٍ ... بنى عمِّنا فالدهرُ ذو متطوَّل
أنَختُمْ علينا كَلْكلَ الحرب مرةً ... فنحن مُنيخُوها عليكم بكَلكل

(١) فودى ، كبرىلى .

فغنّى فى هذا الشعر لَحْنَيْن ، أحدُهما نحا فيه نحوَ مَعْبد ، ولحناً نحا فيه نحو نَوْح المرأة ورققّه وأصلحه ، ثم دخل على حمزة ، فقال : « أيها الأميرُ ، قد صنعتُ غناءً فى شعرٍ سمعتُ أهلَ المدينة ينشدونه أعجبَنى ، فإن أَذِنَ الأميرُ غنَّيتُه » . قال : « هاتِ » ، فغنَّى اللحنَ الذى نحا فيه نحوَ معبد . فطرب حمزةُ[1] وقال : « هذا الغناء غناء معبد بطريقته » ، قال : « لاتعجلْ أيُّها الأمير ، واسمَعْ منى شيئًا ليس من غِناء مَعْبد ولا من طريقته » ، فغنّاه اللحن الآخر ، فطرب حمزة[1] وألقى عليه حلَّة كانت عليه ، قيمتها مائة دينار ؛ ودخَلَ معبد ، فرأى حُلَّة حمزة عليه فأنكَرَها ، وعلِمَ حمزةُ بذلك ، فأخبَرَ معبداً بالسَبَب ، وأمر مالكاً فغنّاه ، فغضب معبدٌ لما سمِع الصوتَ الأوّل ، وقال : « قد كرهتُ أن آخذَ هذا الغلام ، فيتعلَّم غنائى ويدَّعيَه لنفسه » . فقال له حمزة : « لا تعجَلْ ، واسمع غناءً ليس من شأنك ولا من غِنائك » . فغنّاه الصوتَ الآخر ، فأطْرَق معبد ، فقال له حمزة : « والله لو انفَرد بهذا لضاهاك ، ثم يتزايدُ على الأيّام . وكلما كبِر وزاد شِخْتَ أنتَ ونقصت ، فلأن يكونَ منسوباً إليك أجمل » ؛ فقال له معبد وهو منكسر[2] : « صدق الأمير » فأمَر حمزةُ لمعبدٍ بخِلعة من ثيابه وجائزة ، حتى سكَنَ وطابتْ نفسُه . فقام مالكٌ على رِجْلَيه ، وقبّل رأسَ معبد ، وقال : « يا أبا عبّاد ، أساءكَ ما سمعتَ منِّى ؟ والله لا أغنِّى لنفسِى شيئًا أبداً ما دمتَ حيًّا ، وإن غلَبَتْنى نفسى وغنَّيتُ فى شعرٍ استحسنْتُه ، لأنسبَنَّه إليك ، فطب نفساً وارضَ عنِّى » . فقال له معبد : « أتفعلُ هذا وتَفِى به ؟ » قال : « إى والله وأزْيَد » . فكان مالكٌ إذا غنَّى صوتاً وسُئل عنه قال : « هذا لمعبد ، ما غنَّيتُ لنفسى شيئًا قطّ ، وإنّما آخذ غِناءَ مَعْبَد ، فأنقلُه إلى الأشعار وأحسِّنه .

---

(١) وقال ... فطرب حمزة ، ساقط فى المخطوطتين .

(٢) متنكر ، المخطوطات .

وفى مالكٍ يقول الحسينُ بنُ عُبَيْد الله بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب :

لا عيشَ إلا بمالكِ بن أبى الـسَّـمح فلا تَلْحَنى ولا تلُم
أبيضُ كالبَدْرِ أو كما يلمعُ البا رق فى حالِكٍ من الظُّلَم
من ليس يَعْصِيكَ إن رشَدْتَ ولا يهتِكُ سِتر الإسلام والُحرَم
يصيبُ من لذَّة الـكريم ولا يجهلُ آىَ الترخيص فى اللَّمَم
يا رُبَّ ليـلٍ لنا كحاشية الـ بُرْدِ ويومٍ كذاكَ لم يَدُم
نعِمتُ فيه ومالكَ بن أبى الـسَّـمح الـكريمَ الأخلاق والشِّيَم

فقال مالك : « لا والله ، وإن غَوَيْتَ لا أعصيك » . وعارض هـذا الشِّعرَ الوليدُ بنُ يزيد ، فقال فى مالك :

أحْوَلُ كالقِرد أو كما يرقُبُ الـسَّـارقُ فى حالكٍ من الظُّلَم

قال ابن عائشة : حَضَرْنا الوليـدَ بن يزيد يوم قُتِل ، وكان مَعَنا مالكُ بن أبى السَّمح ، وكان من أحْمَق الخلق . فلما قُتِلَ الوليد قال : « اهرب بنا » ، فقلت : « وما يريدون منا ؟ » قال : « وما يؤمِّنك أن يأخذوا رأسَيْنا ، فيجعَلُوا رأسَه بينهما ، ليحسِّنوا أمرَهم بذلك ؟ » . قال ابنُ عائشة : « فما رأيت منه[1] عقلا قط قبل ذلك اليوم .

قال أبو عبيدة : سمعتُ منشداً يرثى مالـكاً :

يا مالِ إنِّى قضَتْ نفسى عليكَ وما بينى وبينَكَ من قُرْبَى ولا رَحِم
إلا الّذى لك فى قلبى خُصِصْتَ به من المودَّة فى سِـترٍ وفى كَرَم

(١) منه : زيادة عن الأغانى .

محمد النميرى

هو محمّد بن عبد الله بن نُميَر بن خَرَشَة[1] بن ربيعة بن الحارث بن حبيِّب بن مالك بن حطيط[2] بن جُشَم بن قسىّ ، وهو ثقيف .

شاعر غَزِلٌ ، مولَّد ، ومنشؤه بالطائف ، من شعراء الدّولة الأموية ، كان يهوى زينبَ بنتَ يوسف بن الحكم ، أختَ الحجّاج بن يوسف ، وله فيها أشعارٌ كثيرة ، أمُّهما الفارعَة بنتُ همَّام بن عُروة بن مسعود الثَّقفى . وكانت عند المغيرة بن شُعبة ، فرآها يوماً باكراً وهى تتخلَّل فقال : « لئن كان من غداء لقد جَشِمتِ ، وإن كان من عَشاء لقد أنتنتِ » ، وطلَّقها . فقالت : « أبعدَك الله ، فبِئسَ بعلُ المرأةِ الحرّةَ أنتَ ، والله ما هو إلّا من شَظِيَّة من سِواكى ، استَمْسَكت بينَ سِنّين من أسنانى » . ووَلدَت الفارعةُ أمُّ الحجاج من المُغيرة بن شُعبة بنتاً ، فماتَتْ فنازَع الحجّاجُ عُروةَ بن المغيرة إلى ابنِ زياد فى مِيراثها ، فأغلظ الحجّاج لعروة ، فأمرَ به ابنُ زياد ، فضُرِبَ أسواطاً على رأسه وقال « ألأبى عبد الله تقول هذه المقالة ؟ » فكان الحجّاج حاقداً على آل زياد ، ويَنْفِيهم من آل أبى سفيان ، ويقول : « آل أبى سُفيان سُتْهٌ حُمْش ، وآل زياد رُسحٌ جُرْد .

وكان قد اعتلّ يوسفُ بن الحكم علَّة ، فطالَت علَّتُه ، فنذرت زَيْنَب إن عُوفىَ أن تمشىَ إلى بيت الله الحرام . فعُوفىَ ، فخرجت فى نِسْوةٍ ، فقطعن بَطْنَ وَجّ فى يوم وهو ثلاثمائة ذراع ، جعلَتْه منزلةً ، لِثقَل بدنها ، فلم تقطَع ما بينَ مكّة والطائف إلا فى شهر ، فبينا هى تسيرُ إذ لقِيَها إبراهيمُ بن عبدالله النُّمَيرىّ ، أخو محمّد بن عبدالله

---

(١) حوشب ، المخطوطتان .

(٢) حنظلة ، المخطوطتان .

منصرفاً من العمرة . فلمـا قَدِم الطائف أتى أخاه محمّداً ، يسلِّم عليه ، فقال له : « ألكَ علمٌ بزينب ؟ » قال : « نعم لقيتهـــا بالهمَاء فى بَطْن نَعمان » . قال : « ما أحسبك إلا قلتَ فيها شيئاً » . قال : « نعم ، قلت بيتاً واحداً ، وتناسَيْتُه ، كراهةَ أن ينشِبَ بيننا وبين إخوتِنا شرّ » . فقال محمّد هذه القصيدة ، وهى أوّل ما قاله :

تضوَّع مِسْـكاً بطن نَعمان إن مَشَتْ ... به زينبٌ فى نِسـوة عَطِـراتِ
تهادَيْنَ ما بين المحصَّب من مِـنًى ... وأقبلْـنَ لا شُعْثـاً ولا غَبِراتِ
مَرَرْنَ بفخّ ثمّ رُحْنَ عشيَّـةً ... يلبِّـين للرحمـن معتمـرات
يخمِّرنَ أطراف البنَان من التُّقى ... ويخرجن جُنْحَ اللَّيـل معتجرات
تقسَّمْنَ لـبِّى يوم نَعمـان إنَّنى ... رأيتُ فؤادى عارِمَ النَّظـراتِ
أعانَ الذى فوق السَّماوات عرشُه ... مواشِىَ بالبطحـاء مُؤْتَجِرات
ولمـا رأتْ رَكْبَ النُّميرىِّ أعرضَتْ ... وكنَّ مِن أنْ يلقينـه حَذِرات
فأدْنَيْنَ ، حتى جاوَزَ الركب، دونها ... حجـاباً من القسىِّ والحِـبَرات
فـكدتُ اشتياقاً نحوها وصبابةً ... تقطَّـعُ نفسى إثْرها حَسَرات

فبلغت هذه القصيدةُ عبـدَ الملك ، فـكتب إلى الحجّاج : « قد بلغَنى قولُ الخبيثِ فى زينب ، فالْهُ عن أمره ، واضربْ عن ذكره ، فإنك إن عاتبتَـه أطمَعْتَه ، وإن عاقبْتَه صدَّقتـه » . وكان قد هرب من الحجّاج إلى عبد الملك ، واستجارَ به ، فقال له عبدالملك : « أنْشِدنى ما قلتَ فى زينب ، فأنشدَه إلى أن انتهى إلى قوله :

(١) ولمّا رأت رَكبَ النميرىّ أعرضَتْ

فقال له عبدُ الملك : « وما كانَ رَكبُكَ يا نميرىّ ؟ » ، قال : « أربعة أحْمِرَة ، كنتُ أجلبُ عليها القَطِران ، وثلاثة أحْمِرة صُحبتى تحمل البعر » ؛ فضحِكَ عبدالملك

حتّى استغرب ، وقال : « لقد عظّمتَ أمرَكَ وأمرَ ركبك » . وكتب إلى الحجّاج : « لا سبيلَ لك عليه » فلمّا أتاه الكتاب وضعه ولم يقرأه ، ثم أقبلَ على يزيدَ بن مسلم فقال: « أنا برئٌ من بيْعةأمير المؤمنين ، لئن لم ينشدنى ما قال فى زينب لآتينّ على نفسه ، ولئن أنشدنى لأعفونّ عنه ، وهو إن أنشدنى آمِن » ؛ فقال يزيد : «وَيلكَ أنشده »، فأنشده :

تضوّع مِسْكاً بطنُ نَعمان أن مشت ... به زينب فى نِسوةٍ خَفِراتِ

فقال له : « كذبتَ والله ، ما كانت تتعطّر إذا خرجت من منزلها » ، ثم أنشدَ حتّى بلغ إلى قوله :

ولما رأت ركبَ النميرى راعها ... وكنّ من أن يلقينه حَذِرات

فقال حقٌ لها أن ترتاع ، لأنّها من نِسوة خَفِراتٍ صالحات ، ثم أنشد حتى بلغ إلى قوله[1] :

مررن بفخ[2] رائحاتٍ عشيَّةً ... يلبِّين للرحمن معتمرات

فقال : « صدقت ، لقد كانت حجّاجة صوّامة » ، ثم أنشدَه إلى أن بلغ إلى قوله :

يخمِّرن أطرافَ البنَان من التّقى ... ويخرجْنَ جُنحَ اللّيل معتجرات

فقال : « صدقت ، هكذا كانت تفعل ، وكذا تفعل المرأة المسلمةُ الصّالحة » ثم قال له: « ويحكَ ! إنِّى أرى ارتياعَك ارتياعَ مُريب ، وقولَك قولَ برئ وقد أمَّنتُك » ؛ ولم يعرِض له .

ومما قاله فيها :

طرِبتَ إلى أظعانِ زينبَ باللِّوى ... وأعْولَتها لو كان إعوالُها يُغنى

(١-١) ولما رأت ... بلغ إلى قوله ، ساقط فى المخطوطتين .

(٢) بفج ، كبريلى ؛ بوج ، المخطوطتان .

فوالله لا أنساكِ زينبُ ما دعت مطوّقةٌ ورقاءُ تشجواً[1] على غُصن
ومرسلةٍ فى السرِّ أن قد فضحتَنى وصرّحتَ باسمى فى النَّسيب ولم تَكْن
وأشمتَّ بى أهلى وجلَّ عشيرتى ليهنِكَ ما تهواه إن كان ذا[2] يهنى
وقد لامَنى[3] فيها ابنُ عمىِّ ناصحاً فقلتُ له خُذْ لى فؤادِىَ أو دَعْنى

فلما بلغ زينبَ هذه الأبياتُ بكَتْ ، فقالت لها خادمتُها : « ما يبكيك ؟ » فقالت : « أخشى أن يسمعَ قولَه هذا جاهِلٌ بى لا يعرفُنى ، فيراه حقًّا » .

لما بعث عبدُ الملك بن مرْوان الحجَّاج بن يوسف الثقَفى لحرب ابن الزّبير قام إليه يوسفُ بن الحكم ؛ فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن غلاماً منّا قال فى ابنَتِى زينبَ ما لا يَزال الرجلُ يقوله فى ابنةِ عمِّه ، وإنّ هذا — يعنى الحجاج — لم يزل يهمُّ به ، وأنتَ الآن تبعثُه إلى هُناك ، ولا آمَنُ عليه . فدعا الحجَّاج وقال له : « إن محمداً النُّميرىَّ جارى ، ولا سبيلَ لك عليه ، فلا تعرِضْ له » .

وكان الحجّاج قد عرَضَ على زينبَ أن يزوِّجها محمَّد بن القاسم بن الحكم بن أبى عَقِيل ، وهو ابنُ سبعَ عشرةَ سنة ، وهو يومئذٍ أشرفُ ثقفىٍّ فى زمانه ، أو الحكمَ بن أيُّوب بنَ الحكم بن أبى عَقيل ، وهو شيخ . فاختارت الحكَمَ ، فزوَّجها إياه ، فأخرجَها إلى الشّام . وكان الحجّاج قد وجَّه بزينب مع حُرَمه إلى الشّام ، لما خرج ابنُ الأشعث ، خوفاً عليهنَّ ، فلما قُتِل ابنُ الأشعث كتب إلى عبد الملك ابن مرْوان بالفتح ، وكتب مع الرّسول كتاباً إلى زينب ، يخبرها الخبر ، فأعطاها الكتاب ، وهى راكِبةٌ على بَغْلةٍ فى هَوْدج ، فنَشَرَتْه تقرؤه[4] ، فسمِعَتْ البغلةُ

(١) بعدما دعت إلفها ورقاء تشجو ، المخطوطتان .
(٢) ذا : بما ، المخطوطتان .
(٣) لام ، كوبريلى .
(٤) لتقرأه ، المخطوطتان .

قَعْقَعة الـكتاب ، فنَفَرت وسقطت زينب ، فاندقّ عضُدُها ، وتهرّأ جوفها ، فماتت ، وعاد رسوله بالفتح ، بخبر وفاتها[1] ، ورثاها النميرى .

ولما تأيّمت عائشةُ بنتُ طلحة كانت تقيم بمـكّة سنةً ، وبالمدينة سنة ، وتخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف ، وقصْرٍ كان لها هناك ، تتنزّه فيه وتجلسُ بالعشيَّات ، فتناضِل بين الرُّماة ، فمرّ بها محمدُ النميرىّ الشاعر فسألت عنه ، فنُسِبَ لها ، فقالت : « ائتونى به » ، فأتَوْها به ، فقالت : « أنشِدنى ممّا قلتَ فى زينب » ، فامتنع ، وقال : « بنتُ عمِّى ، وقد صارت عظاماً بالية » . قالت : « أقسمتُ عليك إلّا فعلت » ، فأنشدها :

تضوَّع مسكاً بطنُ نَعمان أنْ مشت ... به زينبٌ مع نِسوةٍ خَفِرات

فقالت : « والله ما قلتَ إلا جميـلا[2] ، ولا ذكرتَ إلا كرماً وطيبا[3] ، ولا وَصَفْتَ إلا ديناً وتقى[4] . أعطوه ألفَ درهم » . فلما كانت الجمعـةُ الأخرى تعرَّض لها . فقالت : « علىّ به » ، فأُحْضِر[5] ، فقالت : « أنشدنى ممـا قلتَ فى زينب » ، قال : « أَوَ أنشِدُك من شِعر الحارث بن خالد فيكِ ؟ » ، فوثب مواليها إليه ، فقالت : « دعوه فإنّه أراد أن يستَقِيد لابنةِ عمّـه ، هاتِ ممّا قال الحارثُ فِىَّ » . فأنشدها :

ظعنَ الأميرُ بأحسَنِ الخلق ... وغدَوا بلُبِّك مطلَعَ الشرق
فى البيتِ ذى الحسَبِ الرفيع ومن ... أهل التُّقى والبرِّ والصِّـدق

---

(١) رسوله بالفتح فأخبره بوفاتها ، المخطوطتان .

(٢) خيرا ، المخطوطتان .

(٣) ودينا ، المخطوطتان .

(٤) دينا ونقاء ، المخطوطتان .

(٥) زيادة عن الأغانى .

بيضاء من تيم كَلِفتُ بها هذا الجنونُ وليس بالعِشق
ما صبَّحت زوجاً بطَلْعتها إلا غدا بكواكب الطلق

فقالت : « والله ما ذكرَ إلا جميلًا ، ذكر أنِّى إذا صبَّحت زوجاً غَدوتُ مع أمير تزوَّجنى إلى الشّرق ، وأنِّى أحسنُ الخلق فى البيت ذى الحسَبِ الرفيع ، أعطُوه ألفىْ درهم ، واكسوه حُلتّين ، ولا تعُد إلى إتياننا يا نميرىّ » .

متيم الهاشمية

صَفْراء من مولّدات البَصرة ، وبها نشأت وتأدّبت وغنّت ، وأخـذت عن إسحاقَ وعن أبيه . اشتراها علىُّ بن هشام وكانت من أحسَنِ النّاس وجْهاً وغِناءً وأدباً ، تقول الشعر ، يُسْتَحْسَن من مِثْلِها ، وحظِيتْ عند علىٍّ بن هِشام حُظوَةً شديدة ، وهى أمُّ وَلَدِه كلهم .

كان عند علىٍّ بن هِشام بِرذَوْنٌ أشهبُ قرطاسىّ فى نهاية الحسن والفراهة ، وكان على بن هشام معجباً به ، وكان إسحاقُ بنُ إبراهيم يشتهيه شهوةً شديدة ، وعرّض لعلىٍّ بن هشام مِراراً فى طلبه ، فلم يسمح به ، فصار إسحاق إلى علىّ بن هشام يوماً ، وكانت جاريتُه متيَّم قد صنعت لحناً فى هذا الشعر :

فلا زِلْنَ حَسْرَى ظلَّعا لِمَ حَمَلْنَهَا إلى بلدٍ ناءٍ قليــــلِ الأصادقِ

فاحتبسه علىّ بن هشام ، وبعث إلى متيَّم ، يأمُرها أن تجعلَ صوتَها فى صدر غنائِها ، ففعلت ، فأطربَتْ إسحاقَ إطراباً شديداً ، وجعل يستَعيده ، ويستوْفيه ، ليزيدَ فى طربه ، وهو يُصغى إليه ويتَفهَّمه ، حتى صحّ له ، ثم قال لعلىّ : « ما فعل البِرذَونُ الأشهب ؟ » قال : « على ما عهِدتَ من حُسنه وفراهته » ، قال : « فاخترْ منى خلّةً من اثنتين ، إما أن طبت[1] نفساً لى به ، وحملتنى[2] عليه ، وإما أن أبيتَ فأدَّعى والله هذا الصوتَ ، وقد أخذتُه ، أفتراك تقولُ إنه لمتيّم ، وأقولُ أنا إنّه لى ، فيؤخذُ بقولك ويتركُ قولى ؟ » فقال : « لا والله ، ما أظنُّ هذا ولا أراه . يا غـلام قُدِ البِرذَون إلى منزل إسحاق مسرجاً ملجماً[3] ، ولا باركَ الله له فيه » .

---

(١) تطيب ، المخطوطتان .

(٢) وحملتنى ، المخطوطتان .

(٣) مسرجا ملجما ، ساقطة فى المخطوطتين .

غضبت متيّم مرّةً على عليّ بن هشام ، فترضّاها فلم ترضَ ، فكتب إليها : « الإدلال يدعو إلى الملال ، وربَّ هَجر دعا إلى صبر ، وإنما سمِّى القلبُ قلباً لتقلّبه ، ولقد صدق العبّاسُ بن الأَحنف فى قوله :

ما أُرانى إلّا سأهجرُ من لَيْـ   سَ يرانى أقوى على الهِجران
ملّنى واثقاً بحسن إخائى[1]   ما أضرَّ الوفاءَ بالإنسان »

فخرجَتْ إليه من وَقتِها ، ورَضِيت .

قال علىُّ بن هشام : لما قدِمت جدّتى شاهك من خُراسان قالت : « اعرِض جَواريكَ علىّ » ، فعرضتُهُنَّ عليها ، وجلسنا على الشراب ، فأطالت جدّتى الجلوس، فلم أنْبَسط إلى جَوارِىَّ كما كنتُ أفعل ، فقلتُ هذين البيتين :

أتَبْقَى على هذا وأنتِ قريبةٌ   وقد منع الزُّوّارُ بعضَ التكلّم
سلامٌ عليكم لا سلامَ مُودِّع   ولكن سلامٌ من حبيبٍ متيَّم

وكتبتُهما فى رقعة ورميتُها إلى متيّم ، فأخذتْها ونهضَتْ إلى الصّلاة ، ثم عادت وقد صَنعَتْ لحناً ، فغنّته ، فقالت شاهك : « ما أُرانا إلا قد ثقّلنا عليكم اليوم » ، وأمرت الجوارىّ فحملوا مِحَفَّتها ، وأمرت بجوائزَ للجوارى ساوَت بينهنّ ، وأمرت لمتيَّم بمائة ألفِ دِرهم .

قال ميمونُ بن هارون : مرّت متيّم فى نسوة ، وهى مستخفية ، بقصرِ علىّ ابن هشام بعد أن قُتِل ، فلما رأت بابه لا أنيسَ به ، وقد علاه التّراب والغُبْرة ، وقد طُرِحت فى أفْنِيته المزابل وقفت عليه وقالت[2] :

يا منزلاً لم تبلَ أطلالُه   حاشا لأطلالِكَ أن تبلى
لم أبكِ أطلالَك لكنّنى   بكيتُ عَيْشى فيكَ إذ وَلّى

---

(١) قد حدا بى إلى الجفاء وفائى ، الأغانى
(٢) ثم قالت ، المخطوطتان .

قد كان لى فيكَ هوًى مرّةً غَيَّبه التُرب وما مُلّا
فصرتُ أبكى جاهداً فقدَه عِنْدَ ادِّكارى حيثما[1] حلى
والعيشُ أولى ما بكاه الفتَى لابدَّ للمحزون أن يَسْلى

ثم بكت حتى سقطَتْ من قامَتِها ، وجعلتْ النسوةُ يناشِدْنها : « الله الله فى نفسِك ، فإنّك الآنَ تؤخذين » . فبعدلأْى مّا احتُملت تتهادى بين امرأتين ، حتى جاوزت الموضع .

(١) حيثما ، الأغانى ، حيث قد ، المخطوطتان .

مسافر بن أبى عمرو

هو مُسافِر بن أبى عَمْرو بن أميَّة ، أخو أبى مُعَيْط ، أبان ، أمُّهما آمِنَةُ بنتُ أَبَان ابن كُلَيب بن ربيعة بنِ عامر بن صَعْصَعة ، وكُنية مسافر أبو أميَّة ، ومسافِر وأبو معيط أبانُ أخوان لأبٍ وأمّ ، وهما أخوا عُمُومتهما أبى العاص وإخوته من بنى أمية ، الذين أمُّهم آمِنة لأنّ أبا عمرو تزوَّجها بعد أبيه . وكان سيِّداً جواداً جميلًا سخياً ، وهو أحدُ أزواد الرّكب ، سمُّوا بذلك لأنّهم كانوا لا يدَعون غريبا ولا محتاجا ولا مارًّا فى طريق يجتازُ بهم إلا أنزلوه وتكفلّوا به ، حتى يظعَن .

وهو أحدُ شُعَراء قريش ، وله شعرٌ ليس بالكثير . وكان يناقِضُ عُمارة بنَ الوليد الذى أمر النجاشىُّ السواحرَ فسحرنه . وكان يهوى هندَ ابنة عُتبةَ بن عبد شمس ، فخطبها إلى أبيها ، بعد فراقِها الفاكِهَ بن المغيرة ، فلم تَرْض ثروتَه وماله ، فوفد إلى النّعمان يستعينُه على أمره ، ثم عاد ؛ فكان أوَّل من لقِيه أبُو سفيانَ بن حرب ، فأعلمه بتزويجه هندا ، وكانت قد عَشِقت مسافراً أيضا ، واتُّهم بها ، فحملت منه ، فلما بان حملُها أو كاد قالت له: « اخرج » ، فخرج حتى أتى الحِيرة ، فأتى عَمْرو بن هِند ، وكان ينادِمُه وأقبل أبو سفيان ابن حرب إلى الحِيرة فى بعض ما كان يأتيها ، ولقى مسافراً فسأله عن حال قُريش ، فأخبرَه وقال له فيما يقول: «وتزوّجتُ هندَ ابنةَ عتبة» ، فدخلَتْه من ذلك علّة ، واسْتَسْقى بطنُه ، فقال :

ألا إنّ هنـداً أصبحتْ منك محرماً   وأصبحتَ من أدنى حموّتها حمـا

وأصبحتَ كالمسلوب جَفْن سلاحِهِ   يقلِّب بالكفَّين قوسـاً وأسهما

فدعا له عَمْرو بن هند الأطبّاء ، فقالوا : « لا دواء له إلا الكىّ » ، فقال له : « ما ترى ؟ » قال : « افعل » ، فدعا الذى يعالجُه ، فأحْمَى مكاوِيَه ، فلما صارت

كالنّار قال : « ادعُ أقواماً يُمسِكُونه » فقال مسافر : « لستُ أحتاجُ إلى ذلك » ، فجعل يضعُ المكاوِيَ عليه ، فلما رأى الطبيبُ صبرَه ضَرَط الطبيبُ ، فقال مسافر :

* قد يضرِط العَيْرُ والمكواةُ فى النَّارِ *

فذهبت مثلًا . ولم يزددْ إلا ثِقلا ، فخرج إلى مكّة ، فلما انتهى إلى موضع يقال له هُبالة مات فدُفِن بها ، ونُعِيَ إلى قريش ، فقال عند ذلك أبو طالب بن عبد المطلب يَرثيه :

ليتَ شِعرى مُسافِرَ بنَ أَبى عمـ ... ـرو ولَيْتٌ يقولها المحزون
يرجعُ الركبُ سالمين جميعاً ... وخليلى فى مَرْمَسٍ مدفون
بورِكَ الميِّتَ الغريبُ كما بو ... رِكَ غصن الريحان والزيتون
ميْت صدقٍ على هُبَالَةَ قد حا ... لت فيافٍ من دونه وحُزون
مدرَهٌ يدفع الخصومَ بأيدٍ ... وبوجهٍ يزينه العِرْنِين
كم خليلٍ رُزِئتُه وابنِ عمّ ... وحميمٍ قَضَت عليه المنون
فتعزَّيتُ بالتأسِّى وبالصبـ ... ـر وإنى بصاحبى لضنين

وقيل : إنَّ البيتين اللذين هما : « ألا إن هندا أصبحت منك محرما » قالها هِشامُ بن المغيرة . وكانت عنده أسماء بنتُ مُخرِمَة النهشلىّ ، فولدت أبا جهل والحارث ، ثم غضب عليها هشام ، فجعلها مثلَ ظهر أمّه — وكان هذا أول ظِهارٍ فى العرب ، فجعلته قريشٌ طلاقا — ثم أرادت الانصرافَ إلى أهلها ، فقال لها هشام : « أين الموعد ؟ » قالت : « الموسم » ، قال لها ابناها : « أقيمى معنا » ، فأقامت معهما . فقال المغيرةُ بن عبدالله — وهو أبو زوجها — : أما والله لأزوجنَّك غلاماً ، ليس بدونِ هشام ، فزوَّجها أبا ربيعة ابنَه الآخر ، فولدت عيَّاشاً وعبدَ الله . فذلك قولُ هشام :

تحدثنا أسماءُ أن سَوْفَ نلتقى ... أحاديث طَسْم ، إنمَّا كنت حالما
ألا أصبحت أسماءُ حِجْراً محرَّما ... وأصبحتَ من أدنى حُموَّتها حما

وهو أحد من قتله العشق .

وقيل إنه لم يَسْتَنسق ، وإنمَّا لما قَدِم على النعمان أكرمَهَ واستَظْرفه ، ونادَمه وضربَ عليه قبَّةً من أدَم حمراء . وكان الملكُ إذا فعَلَ ذلك برجل ، عُرِف قدرُه منه ومكانُه عنده ، ثم قدِم أبو سفيانَ بن حرب فى بعض تجارَته ، فسأله مسافرٌ عن حال الناس ، فعرفه أنه تزوَّج هندا . فاضْطرب مسافرٌ حتى مات .

وأما خبرُ هند وطلاق الفاكه بن المغيرة لها فإن الفاكه كان له بيتٌ للضِّيافة بارزٌ مِن البيوتِ يغشاه النّاسُ من غيرِ إذن ، فخلا البيتُ ذاتَ يوم ، فاجتمعَ هو وهندٌ فيه ، ثم نهض لبعض حاجاته ، وأقبل رجلٌ ممَّن كان يغْشَى البيتَ فولَجَه ، فلما رآها رجع هارباً ، وأبصره الفاكهُ فأقبل إليها فضربها برجله ، وقال لها : « من هذا الذى خرَج من عندِك ؟ » قالت : «ما رأيتُ أحداً ، ولاانتبهتُ حتىأنبهتَنى». فقال لها : « ارجعى إلى أبيك » ؛ وتكلّم الناس فيها ، فقال لها أبوها : « إن الناسَ قد أكثروا فيكِ ، فأنبئينى نبأَك . فإن يكُن الرجل صادقاً دسَسْتُ إليه من يقتله ، فتنقطعَ القالةُ عنك ، وإن كان كاذباً حاكمْتُه إلى بعضِ كهَّان اليمن » . فقالت : « لا والله ما هو علىّ بصادق » . فقال له : « يا فاكه . . إنَّك قد رَمَيت ابنتى بشىء عظيم ، فحاكمْنى إلى بعضِ كهّان اليمن » . فخرج الفاكهُ فى جماعةٍ من بنى مخزوم ، وخرج عُتبه فى جماعةٍ من بنى عبد مناف ، ومعهم هِند ونسوة فلما شارفوا البِلاد قالوا : غداً نردُ على الرّجل ، فتنكَّرت حالُ هند ، فقال لها أبوها : « إنى لأرى ما بِكِ من تنكّر الحال ، وما ذاك إلا لمكروهٍ بك » . فقالت : « والله يا أبتِ ما ذاك لمكروهٍ عندى ، ولكنّى أعرف أنكم تأتون بَشَراً ، يخطِئ ويُصيب ، ولا آمَنه أن يَسِمَنى مِيسماً ، يكون علىّ سُبَّة » . فقال لها : « إنّى سوف أختبره لك » . فصفَر لمُهره حتى أدْلَى ، ثم أدخل فى إحليله حبَّة حِنطة ، وأوكأ عليها بَسْير . فلما أصبحوا قَدِموا على الرّجل ، فأكرمهم ونحر لهم ، فلما تغدَّوا قال له عتبة : « قد جئناكَ فى أمر ، وقد خبأتُ لك خَبْأً أختبرُك به ، فانظر ما هو »

قال: « ثَمَرَةٌ فى كَمَرَة » . قال : « أريد أبْيَنَ من هذا » ، قال : « حبَّة بُرٍّ فى إحليل مُهْر » . قال : « صدقتَ ، انظُر فى أمرِ هؤلاء النِّسوة . فجعل يدنو من إحداهُنَّ فيضربُ يدَه على كتِفها ويقول لهـا : « انهضى » ، حتى دَنا من هند فقال لهـا : « انهَضى غير وسحاء[1] ولا زانية ، ولتلدِنَّ ملِـكاً يقال له معاوية » . فنهض الفاكه ، فأخذ بيَدها ، فنترت يدها من يده ، وقالت : « إليكَ عـنِّى ، فوالله لأحرصَنَّ أن يكون ذلك من غيرِكَ » ، فتزوَّجها أبو سفيان .

(١) كذا فى جميع المخطوطات ، وفى الأغانى : رسحاء .

ميمون الأعشى الأكبر

هو مَيْمون بن قَيْس بن جَندل بن شَرَاحِيل بن عَوْف بن سعد بن ضُبَيْعة بن ثعلبة بن الحِصْن بن عُكابَة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب ابن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أَسَد بن ربيعة بن نِزار . كُنيتُه أبو بَصير . وكان يقال لأبيه قَيْس بن جَنْدَل قتيلُ الجوع ، سمّي بذلك ، لأنّه دخل غاراً استظلّ فيه من الحرّ ، فوقعت صخرةٌ عظيمة من الجبل ، فسدّت فمَ الغار ، فمات فيه جوعاً. فقال جُهُنّام ــ واسمُه عمرو ، وكان من قومه بني قَيْس ، يهجوه :

أبوكَ قتيلُ الجوعِ قيسُ بنُ جَنْدَلٍ وخالُكَ عبدٌ من خُماعةَ راضع[1]

وهو أحدُ الأعلام من شُعَراء الجاهليّة وفحولِها ، وممّن تقدّم على سائرهم ، وليس ذلك بمجمعٍ عليه فيه وفى غيره .

قال محمّد بن سلّام : سألتُ يونس النحويّ : « من أشعرُ الناس ؟ » قال : « لا أومئ إلى رجل بعينه ، ولكنّي أقول : « امرؤ القيس إذا ركِب ، والنابغة إذا رَهِب ، وزهيرٌ إذا رغِب ، والأعشَى إذا طَرِب » واحتجّ من قدّمَ شعر الأعشى بكثرةِ طِواله الجِياد ، وتصرّفِه فى المدح والهجاء ، وفنون الشعر ، وليس ذلك لغيره .

وهو أوّل من سأل بشعرِه ، وانتجَع بـه أقاصىَ البلاد . وكان يُغَنى بشعره . وكانت العربُ تسميّه صَنّاجة العرب .

وسُئِل مروان بن أبى حفصة : « من أشعرُ الناس ؟ » قال : « شيخا وائل[2] : الأعشى فى الجاهلية ، والأخطلُ فى الإسلام » .

---

(١) واضع ، المخطوطات .

(٢) شيخا وائل ، كبريلى ، ذلك ، المخطوطتان

بعث أبو جعفر المنصور إلى حمّاد الراوية بيحيي بن سُلَيم الكاتب ، فقال : « إنَّ أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس » ، قال : « نعم ، ذلك الأعشى صَنَّاجُها » .

وقال الشَّعبي : الأعشى أغزلُ الناس فى بيتٍ واحد ، وأشجَعُ الناس فى بيتٍ واحد ، وأخنَثُ الناس فى بيتٍ واحد . فأما أغزل الناس فى بيت فقوله :

غرّاء فرعاء مصقولٌ عوارضُها تَمْشِي الهُوَيْنَا كما يَمْشِي الوَجِي الوَحِل

وأما أشجعُ النّاس فى بيتٍ فقوله :

قالوا الطِّراد فقلنا تلك عَادَتُنا أو النِّزالَ فإنا معشرٌ نُزُل

وأما أخنَثُ النَّاس فى بيت فقوله :

قالت هُرَيرةُ لما جئتُ زائرَها وَيْلى عليكَ وَوَيْلى منكَ يا رجل

هريرة هذه أمةٌ سوداء ، لحسّان بن عبد عمرو بن بِشر بن مِرثد .

وكان الأعشى قدَرِيًّا ، ولبيد مثبتاً . قال الأعشى :

اسْتَأْثَر الله بالوفاء وبالْـ عَدْلِ وولَّى الملامةَ الرَّجُلَا

وقال لَبيد :

من هداه سُبُلَ الخيرِ اهتَدَى ناعِمَ البال ومن شاء أضلّ

وكان الأعشى أخذَ هذا المذهبَ من العِباديِّين ، نصارى من الحيرة ، كان يأتيهم فيشربُ عندهم الخمر ، ويشتَرِيها منهم . لقَّنوه ذلك .

كان الأعشى يُوافى سوقَ عكاظ فى كلِّ سنَة . وكان المحلَّق الكلابى مُمْلقاً مِئناثا ، فقالت له امرأتُه : « يا أبا كلاب ، ما يمنعُك من التعرُّض لهذا الشاعر ، فما رأيت أحداً قطَعه(١) إلى نفسه إلا أكسَبَه خيراً » . قال : « ويحَكِ ! ما عندى إلا ناقتى ، وعليها أرْتحِل(٢) » . قالت : « إن الله يخلِفُها عليك » قال : « فهَلْ له بدٌّ

(١) اقتطعه ، الأغانى .

(٢) الحل ، كبريلى ؛ الحمل ، الأغانى .

من الشَّراب والصبوح ؟ » ، قالت : « إن عندى ذخيرةً لى ، ولعلِّى أن أجمعها » ، فتلقّاه قبل أن يسبِق إليه أحَــد ، وابنُه يقودُه . فأخذَ الِخطام ، فقال الأعشى : « من هذا الذى غَلَبنَا على خِطامنا ؟ » قال : « المحلَّق » ، قال : « شريفٌ كريم »، ثم سلَّمه إليه ، فأناخَه عندَه ، ثم نحر له ناقتَه وكشَف له عن سِنامها وكَبِدها ، ثم سَقاه . وأحاطت به بناتُه ، يغمزنه ويمسَحْنَه ، فقال : « ما هذه الجوارى حولى؟ » فقالوا : « بناتُ أخيك ، وهنّ ثمانٍ شريدَتُهُنّ قليلة » . قال : وخرج من عنــده ، ولم يقُل فيه شيئاً . فلما وافى المحلَّق سوقَ عُـكاظ إذا هو بسَرْحَةٍ قد اجتمع الناسُ عليها ، وإذا الأعشى يُنشِدهم قوله :

أرِقتُ وما هذا السُّهاد المؤرِّق ... وما بى من سُقمٍ وما بى مَعْشق
ولــكن أرانى لا أزال بحادثٍ ... أغادَى بما لم يمس عندى وأُطْرَق
لعمرى لقد لاحَتْ عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضَوْءِ نارٍ باليَفـاع تحرّق
تُشَبُّ لمقرُورَينِ يَصْطَليـــانها ... وباتَ على النّار النَّدى والمحلَّق
رَضيعَىْ لِبانٍ ثَدى أمٍّ تحالفا(١) ... بأسحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نتفرَّق

منها :

أبا مالكٍ صار الذى قد صنعتُمُ ... فأنجـــد أقوام بذاك وأعْرَقوا
وإن عتاق العِيس سوفَ يَزورُكم ... ثَناءً عـــلى أعجازِهنّ معلّق
به تنفض الأحلاسُ فى كل منزلٍ ... وتُعـْقَد أطرافُ الِحبال وتطلقُ

فسلَّم عليه المحلَّق ، فقال الأعشى : « مرحبا بسيّد قومه » . ونادى : « يا معشرَ العرب، هل فيكم مِذكارٌ ، يزوِّج ابنَه إلى الشريف الـكريم ؟ » قال : فما قام من مقعده وفيهنّ مخطوبةٌ إلا وقد زوَّجها . واسمُ المحلَّق عبدُ العزَّى(٢) بن حَنْتَم بن شدّاد

(١) فأقسما ، المخطوطتان .

(٢) عبد العزيز ، المخطوطات .

ابن رَبيعة بن عبدِ الله بن عُبيد ، وهو أبو بكر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة وإنما سمّى محلّقاً لأن حصانا له كدمه فى وجهه ، فكان كالحلقة . وأنشد الأعشى قصيدته هذه لكسرى . فلما سَمِعها وفُسِّرت له قال : « إن كان هذا قد سهر لغيرِ سُقم ولا عِشق ، فهو لِصّ » .

تزوّج الأعشى امرأةً من عَنَزة من هِزّان ، وعنزة هو أسَد[1] بن ربيعة بن نزار ، فلم يرضَها ولم يستحسن خُلُقَها ، فطلّقها وقال فيها :

بِينِى حَصانَ الفَرْجِ غيرَ ذميمةٍ ومَوْموقةً فينا كذاك ووامِقَة

وذُوقِى فتى قومٍ فإنى ذائقٌ فتاةَ أُناسٍ مثلَ ما أنتِ ذائقة

لقد كان فى فِتيانِ قومِك مَنكَحٌ وشبّان هزّان الطوال الغرانقة

فبِينِى فإنَّ البَيْن خيرٌ من العصا وإلّا تَرَىْ لى فوق رأسكِ بارقة[2]

وما ذاك عندى أن تكونى دنيئة ولا أن تكونى جئتِ عندى ببائِقة

ويا جارتى بِينى فإنّك طالق كذاك أمور الناس غادٍ وطارقة

وقيل : إنّ اللائى تزوّجن عند المحلّق أخواتُه ، فإنّه كان له ثلاثُ أخوات وكان أبوهم له شرف ، فمات ، وقد أتلفَ مالَه ، فبقِى المحلّق ، وأخواته الثلاث ولم يترك له إلا ناقةً ، وحلّتى برودٍ حِبَرة[3] ، يشهد فيهما الحقوق ، فأقبل الأعشى من بعضِ أسفاره يريدُ اليمامة ، ونزلَ الماء الذى فيه المحلّق وقَرَاه أهلُ الماء وأحسنُوا قِراه ، فأقبلت عمّة المحلّق عليه وقالت : « يا ابن أخى . . هذا الأعشى قد نَزَل بمائِنا ، وقد قَراه أهلُ الماء ، والعرب تزعم أنه لم يمدح قوماً قطّ إلا رَفَعهم ، ولم يهجُ قوماً

---

(١) ابن أسد ، الأغانى

(٢) وإن لاترالى فوق رأسى بارقه ، المخطوطات .

(٣) حبرة ، الأغانى : جيدة ، المخطوطات

إلّا وَضَعهم ، فانظر ما أقول لك ، واحْتَلْ زِقّاً[1] من خمر من عند بعض التجــار ، وأرسِلْ إليه بهذه النّاقة والزِّقّ وبُردَىْ أبيك . فوالله لئن اعتلج الـكبدُ والسَّنام والخمرُ فى جوْفه ، ونظر إلى عِطفَيه فى البُرْدين ليقولنّ فيك شعرا يرفعُك به » . قال : « ما أملكُ غيرَ هذه النّاقة ، وأنا أتوقّع رِسْلها » . وأقبلَ يدخُل ويخرجُ ويهُمُّ ولا يفعل . فـكلّما دخل على عمّته حضّته ، حتى دخل عليها وقال : « قد ارتحل الرجل ومضى » . قالت : « الآنَ والله أجودُ ما كان القِرى معه . فأرسِلْ إليه ذلك مع فُلانٍ مَوْلَى أبيك فحيثما لَحِقَه أخبرَه عنك بأنّك كنت غائباً عن الماء عند نزوله إيّاه ، وأنّك لما وردتَ الماء وعلمتَ أنّه قد كان به ، كرِهْتَ أن يفوتَك قِراه . فإن هذا أحسنُ لموقعه عنده » ولم تزل تحضُّه حتى أتى بعضَ التّجــار ، فـكلّمه فى أن يُقرِضَه زِقّ خمر ، وأتاه بمن ضَمِن ذلك عنه ، فأعطاه ، فوجّه بالناقة والزقّ والبُردَين مع مولى أبيه إليه ، فخرج يتبعه ، فـكلّما مرّ بماء قيل : ارْتَحل أمسِ عنه ، حـتى صار إلى منزله بمنفوحَةِ اليمامة ، فوجد عنده عدّةً من الفِتان ، قد دعاهُم بغير لحم ، وصبّ لهم فضِيخاً ، فهم يشربُون منه ، إذ قُرِع الباب ، فقال : « انظروا من هذا » ، فخرجوا فإذا رسولُ المحلّق يقول كذا وكذا ، فدخلوا عليه فقالوا : « هذا رسولُ المحلّق الـكلابى ، أتاك بكَيْت وكَيْت » ، فقال : « ويحكم أعرابىّ ، والذى أرسلَ لنا لا قَدْرَ له ، والله لئِن اعتَلَج السَّنام والـكبدُ والخمرُ فى جوفى لأقولَنّ فيه شعراً لم أقل مثلَه قطّ » . فقال له الفِتيان : « غبت عنّا فأطَلْتَ الغَيْبَة ، ثم أتيناكَ فلم تُطْعِمْنا لحماً ، وسقَيْتَنا الفَضِيـخَ ، واللّحمُ والخمرُ ببابك ! والله لا نرضَى بذا منك » قال : « ائْذَنُوا له » ، فدخل فأدّى الرِّسالة وأناخَ الجَزُورَ بالباب ، ووضع الزقّ والبُرْدَين بين يَدَيه فقال له : « أقرِه السَّلام منّى ، وقُلْ له : وَصَلَتْكَ رَحِم سيأتيكَ ثَناؤُها » . فقام الفِتيانُ إلى الجزور فنحروها ، وشقّوا خاصِرَتَها عن كَبِدها ، وكشفوا جِلْدَها

---

(١) فى زق ، الأغانى .

عن سَنامها ، ثم أقبلوا يشتوُون ويأكلون وصبّوا الخمرَ ، فشربوا وأكلَ معهم وشَرِب ، ولبِسَ البُردَين ، ونظر إلى عِطفيه فيهما فقال :

* أرِقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّق *

فسار الشعرُ فى العرب . فما أتتْ على المحلَّق سنةٌ حتى زوَّج أخواته الثلاث ، كلّ واحدةٍ منهنّ على مائةِ ناقة ، وأيسر وشرُف .

جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت : « إن لى بنات قد كَسَدْنَ علىّ ، فشبِّبْ بواحدةٍ منهنّ ، فلعلّها أن تَنْفُق » ، فشبَّبَ بواحدةٍ ، فما شعر إلا بجزُور[1] قد بعثَتْ به إليه ، فقال : « ما هذا ؟ » قالت[2] : « زُوِّجتْ فلانة » . فشبَّبَ بالأخرى ، فأتاه مثلُ ذلك ، فسأل عنها فقيل : « زُوِّجت » . فما زال يشبِّبُ بواحدةٍ واحدةٍ منهن[3] حتى تزوَّجن جميعاً .

هجا الأعشى رجلًا من كلب فقال :

بنو الشَّهرِ الحرامِ فلستَ منهم ولستَ من الكرام بَنِى عُبَيد
ولا من رَهط حسان[4] بن قرط ولا من رهطِ حارثةَ بن زَيْد

وهؤلاء من كَلب ، فقال الكلبىُّ : « لا أبالك ! أنا أشرفُ من هؤلاء » ، فسبَّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى إيّاه ، فكان متغيِّظاً عليه . فاتَّفق أنه أغارَ على قوم الأعشى ، وهو لا يعرفه ، فأسَرَ منهم نفراً ، فيهم الأعشى . فلما نزَل بشُرَيح بن السَّموءل بن عادِيا الغسّانى ، صاحب تيماء بحصنه الذى يقال له : الأبلق . فمرّ شريح بالأعشى ، فناداه الأعشى من أبيات ذُكِرتْ فى ترجمة السَّموءل ، فى حرف السين . وهى :

---

(١) بجزور ، الأغانى : بعجز بعير ، المخطوطات .

(٢) قالوا ، الأغانى .

(٣) بواحدة منهن بعد واحدة ، المخطوطتان .

(٤) جبار ، الأغانى .

شُرَيحُ لا تتركَنّي بعد ما علِقت حبالُك اليومَ بعد القدِّ أظفارى
كن كالسَّموءلِ إذ طاف الهُمام به في جَحْفَلٍ كهزيع الليل جرّارِ

فاستخلصه وأطلقه .

دخل الأخطلُ على عبدِ الملك بن مَرْوان ، وقد شَرِبَ خمراً ، وتضمَّخ بِلَخالِخ . وخَلوق ، وعنده الشَّعبي . فلما رآه قال : « يا شَعْبيُّ . ، . ناكَ الأخطلُ أمَّهاتِ الشُّعَراءِ جميعاً » ، فقال له الشَّعبي : « بأىّ شىء ؟ » قال : « حين يقول :

فإذا تعاوَرَت الأكُفُّ زُجاجَها نَفَحَتْ فشمَّ رياحَها المزكومُ »

ثم قال الأخطل : « هل سمعتَ مثل هذا ياشعبيُّ ؟ » قال الشَّعبيُّ : فقلت : « إن أَمِنتُكَ قلتُ لك » ، قال : « أنتَ آمِن » ، فقلتُ له : « أشعرُ منكَ الذى يقول :

وأدكنَ عاتق جَحْلٍ رِبَحْلٍ صَبَحْتُ براحِهِ شَرْباً كِراماً
من اللائى حُمِلنَ على المطايا كريح المسك تستلُّ الزكاما »

فقال الأخطلُ : « ويحك ! من هذا ؟ » فقلت : « أعشَى بنى قَيْس بن ثَعلبة » ، فقال : « قُدّوسٌ قُدّوسُ ؛ ناكَ الأعشى أمَّهاتِ الشعراء جميعاً ، وحقِّ الصليب ! » .

امتدح الأعشى الأسودَ العَنْسىّ ، فاستَبْطأ جائزتَه ، فقال الأسود : « ليسْ عندَنا عَيْن ، ولكن نعطيك عَرَضاً ، فأعطاه خمسمائة مثقالٍ دُهْناً ، وبخمسمائةِ دينار حُلَلًا وعَنْبَراً . فلمّا مرَّ ببلاد بنى عامر ، خافهم على ما معه . فأتى عَلْقمة بنَ عُلاثة ، فقال له : «أجِرْنى » فقال: «أجرْتُك من الجنِّ والإنس» ، قال: «ومن الموت؟» قال : « نعم » ، قال : «وكيف تجيرُنى من الموت ؟ » قال: « إن متَّ وأنتَ فى جوارى بعثتُ إلى أهلِكَ بالدية[1] » . قال : « قد علمتُ أنَّك قد أجَرتنى من الموت » .

(١) بالمدينة بديتك ، المخطوطتان .

فمدح عامراً ، وهجا عَلْقَمة . فقال عَلْقَمة : « لو كنتُ علمتُ الذى أراد كنتُ قد أعطيته إيّاه ، ولم يهجُ علقمةَ بأشدَّ عليه من قوله :

تبيتُون فى المشْتَى مِلاءً بطونُكم وجاراتُكُمْ غَرثَى يبِتْن خَمائِصا

فرفع علقمةُ يدَيه وقال : « لعنه الله ؟ إن كان كاذباً ! ، أنحن نفعلُ هذا بجاراتنا ؟ ! » .

وكان الأعشى قد وفد إلى النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم ومدحه بقصيدَتِه التى أوّلها :

ألم تغتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أرْمَدَا وعادكَ ما عاد السَّليمَ المسَّهدا

وما ذاكَ من عشقِ النّساء وإنّما تناسيتَ قبلَ اليوم خُلَّةَ مَهْدَدَا

منها :

فآليتُ لا أرثى لها من كلالةٍ ولا من وجًى حتّى تلاقى محمدا

نبىٌّ يرى ما لا ترَوْنَ وذكرُه أغارَ لعَمْرِى فى البلاد وأنجدا

متى ما تُناخِى عند بابِ ابنِ هاشمٍ تُراحِى وتَلْقَىْ من فواضِله يدا

فبلغ خبرُه قريشاً ، فرصَدُوه على طريقه وقالوا : « هذا صنّاجة العرب ، ما مدح أحداً قطّ إلا رفع من قدْرِه » . فلما ورَدَ عليهم قالوا له : « أين تريدُ يا أبا بَصير ؟ » قال : « أريدُ صاحِبَكم هذا لأُسْلِم » . قالوا : « إنّه ينهاكَ عن خِلال ، ويحرِّمها عليك ، وكلّها بك رافِق ، ولك مُوافِق » قال : « وما هنّ ؟ » قال أبو سفيانَ ابنُ حرب : « الزنا » . قال : « لقد تركَنى الزِّنا وما تركتُه ، وماذا ؟ » ، قال : « القِمار » ، قال : لعلّى إن لقيتُه أصيبُ منه عِوَضاً من القِمار ، وماذا ؟ » ، قال : « الرِّبا » ، قال : « ما دِنتُ ولا ادّنتُ قطّ ، وماذا ؟ » ، قال : « الخمر » ، قال : « أوَّهْ ! أرجعُ إلى صُبَابةٍ لى قد بَقِيَتْ فى المِهراس ، فأشربُها » ، قال له أبو سفيان ابن حرب : « هل لك فى خيرٍ ممّا هممتَ به ؟ » قال : « وما هو ؟ » قال : « نحن

وهو الآنَ فى هُدنة ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سنَتَك هـذه ، وتنظرُ ما يصيرُ إليه أمرُنا ، فإن ظَهرَنا عليه كنتَ قد أخذتَ خَلَفاً ، وإن ظَهرَ علينا أتيتَه » ، قال : « ما أكرهُ ذلك » . فقال أبو سفيان : « يا معشرَ قريش ، هذا الأعشى ! والله لئن أتى محمداً واتَّبعه ، لَيُضرِمَنَّ عليكم نيرانَ العرب بشعره ، فاجمعوا له مائةً من الإبل » . ففعلوا ، فأخذَها وانطلق إلى بلده ، فلما كان بقاع مَنْفوحة رَمَى به بعيرُه ، فقتله ؛ وقبرُه بمنفوحة . فإذا أراد الفِتْيانُ أن يشربوا خرجُوا إلى قَبْرِه ، فشرِبُوا عندَه ، وصبوا عليه فَضَلاتِ الأقداح ، لأنه كان يقول : « أرجعُ إلى اليمامة ، فأشبعُ من الأطْيَبَيْنِ : الزنا والخمر » .

قال جرير[1] : سافرتُ فى الجاهليّة ، فأقبلتُ ليلةً على بعيرى ، أُريدُ أن أسْقِيَه ، فجعلت أريدُه أن يتقدّم ، فما يتقدم فعقلتُه ودنوتُ من الماء ، فإذا قومٌ مشوّهون عند الماء ، فقعدتُ فبينا أنا عندَهم إذ أتاهم رجُلٌ أشدُّ تشويهاً منهم ، فقالوا : هذا شاعِرُهم ، فقالوا : « يا فلان ، أنشد هذا ، فإنه ضيف » . فأنشد :

* ودِّع هُرَيرةَ إن الرَّكْبَ مُرْتَحِل *

فأعجبتُ به وقلتُ : « من يقولُ هـذه القصيدة ؟ » قال : « أنا » ، قلت : « لولا ما تقول لأخبرتُك أن أعْشى بنى ثعلبةَ أنشدَنيها عامَ أوَّلَ بنجْران » . قال : « إنك صادق ، أنا ألقيتُها على لسانِه ، وأنا مِسْحَلٌ صاحبُه ، ما ضاع شعرُ شاعرٍ صنَعَه عند مَيْمونِ بن قَيْس » .

---

(١) هو جرير بن عبد الله البجلى .

محمد المنتصر بالله

هو محمَّد المنتَصِر بالله بن جَعْفر المتوكِّل بن المعتَصِم محمَّد بن الرَّشيد هارون ابن المهديّ محمد بن المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمّد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس ابن عبد المطلب . وكان طبعه متخلِّفاً فى قول الشعر . وكان متقدِّماً فى كلِّ شىءغيره. ولما وَلِىَ الخلافةَ قطع ذلك كلَّه ، وأمر بِسَتر ما تقدَّم منه من ذلك .

ومن شعره :

متى ترفعُ الأيَّامُ من قد وضَعْنَه ... وينقادُ لى دهرٌ علىَّ جَموحُ
أعلِّلُ نفسى بالرَّجاء وإنَّنى ... لأغدُو على ما ساءنى وأرُوحُ

أراد المنتصرُ أن يشربَ فى الزوّ(١) . فوافى الناسُ من كلِّ وجه ، ليرَوْه ويراهم، ويخدُموه ، فوقف على شاطِئ دِجلة ، وأقبلَ على النّاس وقال :

لَعَمْرى لقد أصْحَرت خيلُنا ... بأكناف دجـلةَ للمَلْعَبِ
فمن يَكُ منَّا يَبِتْ آمناً ... ومن يَكُ من غيرِنا يهرُبِ

فعلِمَ النّاس أنه يريدُ الخلوة بالنُّدَماء والمغنِّين ، فانصرَفوا ، ولم يبقَ معه منهم إلَّا من يصلُح للأُنس والخلوة . والشعر أصلُه « بأكناف دِجْلَة للمُصْعَب » ولـكنَّه غيّره ، لأنه تطيَّر من ذكرِ المُصْعَب .

قال أحمد بن يزيد المهلبى : كان أبى أخصَّ النّاس بالمنتَصِر ، وكان يجالسُه قبل مجالستِهِ المتوكِّل ، فدخل المتوكِّل يوماً على المنتصر على غفلة ، فسمِعَ كلامَه وأعجبَه ، فأخذَه إليه ، فجعله فى جُلَسائِه . وكان المنتصرُ يريد أن يلازمَه كما كان ، فلم يقدِرْ على ذلك ، لملازمتِهِ أباه ، فعتَبَ عليه لتأخّره عنه ، على ثقتِهِ بمودّته وأنسه به . فلما أفضت الخلافة إليه استأذَن عليه ، فحجَبه وأمر بأن يُعتقلَ فى الدار ، فحُبِس أكثرَ يومه ، ثم أذِنَ له ، فدخل وسلّم ودعا ، وقبَّل الأرضَ بين يدَيْه ،

---

(١) الزورق ، المخطوطتان ؟ الزقاق ، الأغانى .

فأمره بالجلوس ، ثم التفت إلى بَنَان بن عَمْرو ، والعودُ فى يده ، فقال له : « غنِّ :

غَدَرْتَ ولم أغدِرِ وخُنتَ ولم أخُن　　ورُمْتَ بديلاً بى ولم أتبــدَّل »

والشعر للمنتصر ، فغنّاه ، وعلم أبى أنه أراده بذلك ، فقام وقبّل الأرض وقال : « والله ما اخترتُ خدمةَ غيرِك إلّا بأمرِك ، ولا صرتُ إليها إلا بإذنك » فقال : « صدقتَ إنّما قلت هذا مازحاً ، أتُرانى أتجاوزُ حكمَ اللهِ عزّ وجلّ فيما يقول : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ، وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ » ثم استأذَنَه فى الإنشاد ، فأنشَدَه قصيدتَه التى يقول فيها :

ألا يا قومِ قد برِح الخفــاءُ　　وبان الصــبرُ مــنّى والعزَاءُ

تعجَّب صاحبى لضَيَاع مِثْلى　　وليس لداءِ محــرومٍ دواء

جَفانِى سيدٌ قــد كان بَرًّا　　ولم أذنبْ ، فما هذا الجفاء

حَللتُ بــداره وعلمتُ أنِّى　　بدار لا يخيبُ بهــا الرجاء

فلما شابَ رأسِى فى ذَرَاه　　حُجِبْتُ بعُقْبِ ما بَعُد اللقــاء

فإن تنأى سُتور الإذن عنــا　　فــا نأت المحبّة والثناء

وإن يكُ كادَنى ظلماً عــدوٌّ　　فبعدَ البحثِ ينــكشفُ الغطاء

ألم ترَ أنَّ بالآفاقِ منّا　　جماجمَ حَشْوُ أقــبُرِها الوفاء

وقد وصف الزمانَ لنا زيادٌ　　وقال مقالةً فيها شفــاء

ألا ياربَّ مغمومٍ سيحظى　　بدولتنا ومسرورٍ يُساء

أمنتصِرَ الخلافة جُدْتَ فينا　　كما جادَت على الأرضِ السماء

وسِعتَ الناسَ عدلاً فاستقاموا　　بأحــكامٍ عليهنّ الضياء

وليس يفوتُنا ما عشتَ خــيرٌ　　كفانا أن يطولَ لك البقــاء

فقال له المنتصر : « إنّك لمن ذوى ثقتى(١) ، وموضعُ اختيارى ، ولك عنـدى الزُّلفى ، فطب نفساً » . ووصله بثلاثة آلاف دينار .

---

(١) ثقتى ، الأغانى : ثقاتى ، المخطوطات .

محمد المعتز بالله

هو أبو عبد الله محمد ، وقيل طلحة ، وقيل الزبير بن المتوكّل بن المعتصم بن الرّشيد هارون ، وأمه قبيحة .

قال أحمد بن يزيد المهلبي : قال أبي : كان المعتزُّ بالله يشرب على بُستانٍ مملوء من النمَّام ، وبين النمَّام شقائقُ النّعمان . فدخل عليه يُونس بن بُغا ، وعليه قَباءٌ أخضر ، فقال المعتزُّ بالله :

شبَّهتُ حمرةَ خدِّه في ثوبه ... بشقائقِ النُّعمان في النمّام

ثم قال : « أجيزوا » ، فبدَر بنانُ المغنِّي ، وكان ربَّما عبثَ بالبيتِ بعدَ البيتِ . فقال :

والقدُّ منه إذا بدا في قَرْطَقٍ ... كالغصن في لينٍ وحسنِ قَوام

فقال له المعتز : « فغنِّ الآنَ فيهما » ، فغنّاه فيهما .

شَرِب المعتزّ يوماً ويونس بن بُغا بين يدَيه يسقيه ، والجلساء والمغنّون بين يدَيه ، وقد أعدَّ الخِلَع والجوائز ، إذ دخل بُغا ، فقال : « يا أميرَ المؤمنين ، والدةُ عبدك يونس في الموت ، وهي تحبُّ أن تراه » ، فأذن له فخرج ؛ وفَتَر المعتزُّ بعده ونَعَس ، وقام الجُلَساء ، وتفرّق المغنّون ، إلى أن صُلِّيت المغرِب ، وعاد المعتزُّ إلى مجلِسه ، ودخل يونسُ وبين يَدَيه الشُّموع . فلما رآه المعتزُّ دعا برِطلٍ فشربه ، وسقى يونس رطلًا ، وغنَّى المغنُّون ، وعاد المجلسُ أحسنَ ما كان ، فقال المعتز :

تَغيبُ فلا أفْرَحُ ... فليتَكَ لا تبرحُ

وإنْ جئتَ عذَّبتَني ... بأنَّك لا تسمحُ

فأصبحتُ ما بين ذَيْـ ... ـنِ لي كَبِدٌ تُجْرح

على ذاك يا سيِّدي ... دنوُّك لي أرْوَح

ثم قال : « غنّوا فيــه » ، فجعلوا يفـكّرون ، فقال المعتزّ لسليمانَ القصّار الطُّنْبوريّ : « ويحك ! ألحانُ الطّنبور أمْلَحُ وأخفُّ ، فغنِّ فيه » ، فغـنّى فيه لحناً ، فدفع إليه دنانيرَ الخريطة ، وهى مائةُ دينار ، مكتوبٌ على كلّ دينار منها : « ضُرِبَ هذا الدينار بالجَوْسق ، لخريطةِ أمير المؤمنين المعتزّ بالله » . ثم دعا بالخِلَع والجوائز لسائر الناس . فـكان ذلك المجلسُ من أحسنِ المجالس .

قال عبد السميع الهاشمى : لما قُتِل بُغا دَخَلنا على المعتزّ فهنأناه بالظّفَر والنّصر ، وعنده يونس بن بغا ، فما رأينا وجهين أحسنَ من وجْهَيهما ، فما مضت ثلاثُ ساعات حـتّى سكرا ، ثم خرج علينا المعتزّ فقال :

ما إن ترى منظراً إن شئْتَه حسنـاً ... إلّا صريعاً تَهـادى بين سُـكْرين

سُـكْرِ الشَّباب وسُـكْرٍ من هوَى رشأٍ ... تخالُه والذى يَهْواه غُصْنين

ثم أمر فغُنِّىَ فيهما :

قال الفضلُ بن العبّاس بن المأمون : كنت مع المعتزّ فى الصّيد ، فانقطع عن المواكب ، وأنا ويونس بن بُغا معه ، ونحن بقُرب قَنطرة وَصيف . وكان هناك دَيْر فيه دَيْرانىٌّ يعرِفنى وأعرِفُه ، وهو نظيفٌ ظريف ، مليح الأدب واللفظ ، حلو الحديث . فشكا المعتزُّ العطش . فقلت : « يا أميرَ المؤمنين ، فى هذا الديْر دَيْرانىٌّ أعرفه خفيف الروح ، لا يخلو من ماء بارد ، فترَى أن نَميلَ إليه ؟ » قال : « نعم » ، فجئناه ، فأخرج لنا ماءً بارداً ، وسألنى عن المعتزّ ويونس ، فقلتُ : « فَتَيانِ من أهل الجند » ، فقال : « بل مُفلِتان من حُور الجنَّة » ، فقلت : « هذا ليس فى دينك » ، فقال : « هو الآنَ فى دينى » ، فضحك المعتزّ ، وقال لى الدّيْرانىّ : « أتأكلون شيئاً ؟ » قلنا : « نعم » ، فأخرج لنا شطِراتٍ وخبزاً ، وإداماً نظيفا ، فأكلنا أطيبَ أكل ، وجاءنا بأطراف أُشنان[1] ، فاستظرفه المعتز وقال : قل له بينك وبينه : « من تحبُّ أن يكون معكَ من هذين

(١) وجاءنا بأطراف أشنان ، ساقطة فى المخطوطتين .

لا يفارقُك » فقلت له ، فقال : « كلاهُما وتمراً(١) » . فضحك المعتزُّ حتّى مال على حائط ، وقال للديرانى : « لا بُدَّ من الاختيار » ، فقال : « الاختيارُ والله فى هذين دمار ، وما خلق الله عزّ وجلّ عقلًا يميِّز بين هذين » . ولحقهما الموكب ، فارتاع الدَّيْرانىّ ، فقال له المعتزّ : « بحياتى لا تنقطعْ عما كنّا فيه ، فإنِّى لِمَن ثَمَّ مَوْلًى ، ولِمَن هاهنا صديق » ، فمزَحنا ساعةً ، ثم أمر له بخمسمائة درهم ، فقال : « والله ما أقبلُها إلّا على شَرط » ، قال : « وما هو ؟ » ، قال : « يُجيبُ أميرُ المؤمنينَ دَعوتى مع من أراد » . قال : « ذلك لك » . فاتّعدناه ليومٍ جئناه فيه ، فلم يُبْقِ غايةً ، وأقام الموكب كلَّه ما احتاجَ إليه ، وجاءنا بأولاد النّصارى يخدُموننا ووَصَله المعتزّ صِلةً سنيّة ، ولم يزل يعتادُه ويقيمُ عنده .

بويع المعتزُّ بالخلافة وهو ابنُ سبعَ عشرةَ سنةً وأشهر ، فلما انقضت البَيْعةُ قال :

توحَّدنى الرحمنُ بالعزِّ والعلا ... فأصبحتُ فوقَ العالمين أميرَا

وقيل: إنَّ هذا البيتَ وُجد فى أغانى بَنَان مرفوعا(٢) ، ولعل المعتزّ قاله فأضاف إليه بَنَان بيتاً آخر ، وجعل المخاطبةَ فيه عن نفسِه فقال :

توحَّدك الرحمنُ بالعزّ والعلا ... فأنتَ على كلِّ الأنام أميرُ

يقاتِل عنك التركُ والجندُ كلّهم ... كأنّهمُ أسْدٌ لهنّ زئيرُ

ومن شعر المعتز قوله :

ألا حىِّ الحبيبَ فدته نفسى ... بكأسٍ من مُدامةِ خانقينا

فإنِّى قد بقيتُ مع الليالى ... أقاسى الهمَّ فى يده سنينا

(١) وتمرا ، ليست فى المخطوطتين .

(٢) مرفوع القافية ، الأغانى .

قال حمدون بن إسماعيل : اصطبح المعتزُّ فى يوم ثُلاثاء، ونحن بين يديه ، ثم وثَب فدَخل ، فاعترضَتْه جارية كان يحبُّها ، ولم يكن ذلك اليومُ لها ، فقبّلها ، وخرج فحدّثنى بما كان ، وأنشدَنى لنفسه :

إنى قمرتُك يا سُؤلى ويا أمَـلى ... أمراً مطاعاً بلا مَطْلٍ ولا علل
حـتّى متى يا حبيبَ النفس تمْطُلنى ... وقد قمَرتُكَ أحياناً فلَم تَفِ لى
يومُ الثُّلاثاء يومٌ سوف أشكره ... إذ زارَنى فيه من أهوى على عجَل
فلم أنلْ منـه شيئاً غيرَ قبلتـه ... وكان ذلك عندى غايةَ الأمل

وعمل فيه لحناً ، وغنّاه سائرَ يومه .

مروان بن أبي حفصة

هو مروان بن سليمان[1] بن يحيي بن أبي حفصة ، وكنيتُه أبو السِّمط ، واسم أبي حفصةَ يزيد . كان يهوديًّا فأسلم على يد مَرْوان بن الحكم ، وأهلُه ينكرون ذلك ويقولون : إنَّه من سَبْي اصْطَخر ، وإنَّ عثمانَ بن عفّان اشتراه ووهَبه لمروان ابن الحكم ، وشهِدَ أبو حفصةَ الدّار مع مولاه مَرْوان بن الحكم ، وقاتل قِتالًا شديداً ، وقتل رجلًا من أسلم ، يقال له بنَان وجُرح مَرْوان يومئذ ، أصابتْه ضربة ، قطعت عِلْبَاوَيه ، فسقط ، فوثب عليه[2] أبو حفصة ، واحتمله ، فجعل يحمِلُه مرّةً على عنقه ، ومرّةً يجرّه ، فيتأوّه ، فيقول له : « اسكُت واصبِر ، فإنّهم إن علموا أنّك حيٌّ قتلُوكَ ، فلم يزَل حتى أدخلَه دار امرأةٍ من عَنزة ، فداواه فيها حتَّى برِئ ، فأعتقَه مَرْوان ، ونزل له عن أمّ ولد له ، يقال لها شكر[3] ، ولها بنت ، يقال لها حَفصة ، فحضَنَها . فكُنِي أبا حفصة ، بحفصةَ بنتِ مروان .

وكان مروانُ إذا وَلِيَ المدينةَ وجَّه أبا حفصةَ إلى اليمامة ـ وكانت مضافةً إلى المدينة[4] ـ ليجمعَ ما فيها من المال ، ويحملَه إليه . فمرّ أبو حفصةَ بقريةٍ من قرى اليمامة ، يقال لها العرض ، فوقف على بابٍ فاسْتَسْقى ماء ، فخرجت إليه جاريةٌ مُعْصِر ، فسقَتْه فأعجبته ، فسأل عنها ليشتريها ، فقيل : « هي حُرّة » ، فمضى حتّى قدم حجراً ، ثم تَتَبّعتها نفسُه فتزوَّجها ، فلم يخرُج من اليمامة حتى حملت بيحيي بن أبي حفصة ، ثم حملت بمحمّد ، ثم بعبدِ الله ، ثم بعبدِ العزيز ، فلما وقعت فتنةُ ابن الزُّبير خرج أبو حفصة مع مَرْوان بن الحكم إلى الشام .

---

(١) سليمان ، تصحيح فى هامش كوبريلى ، والأصل : عثمان .

(٢) ودب عنه ، كوبريلى ؛ ودب عنه ، المخطوطتان ؛ فوثب عليه ، الأغانى .

(٣) سكر ، الأغانى .

(٤) وكانت مضافة إلى المدينة ، ساقطة فى المخطوطتين .

وقيل : إنّ أمّ يحيي بن أبي حَفصة لحناء[1] بنت ميمون ، من ولد النّابغة الجعدىّ، وإن الشعر أتى آل أبى حفصةَ من ذلك السَّبَب .

وشهِدَ أبو حفصةَ مع مَرْوان يومَ الجمل . فلما ظهر علىٌّ بنُ أبى طالب رضوان الله تعالى عليه، لجأ مَرْوان إلى مالك بن مِسْمَع ، فدخل داره ، ومعه أبو حَفْصة ، فقال لمـالك : « أغلِقْ بابَك » ، فقال له مالك : « إن لم أمنعكَ والباب مفتوح لم أمنعك والباب مغلق » . وطلب علىٌّ كرّم الله وجهه[2] مروانَ منه فلم يدفَعْه إلا برهِينة ، فدفع مالكٌ الرّهينةَ إلى أبى حفصة . ومضى مَرْوان إلى علىٍّ عليه السلام[3] وقال لأبى حفصة : « إن حدثَ بصاحبِك حَدَثٌ فعليكَ بالرّهينة » . فلما أتى مروانُ عليًّا عليه السلام[3] كساه كُسوةً ، فكساها مَرْوانَ أبا حفصة ، فبلغ ذلك عليًّا عليه السلام[4] ، فغضِب وقال : « كسوتُه كسوةً ، فكساها عبدَه » . وشهدأبو حفصٍ مع مَرْوان مرجَ راهط ، وكان له بلاء .

وكان أبو حفصةَ شاعراً ، فمن شِعره فى يوم الدار :

وما قلتُ يومَ الدّار للقومِ صالِحوا ... أَجلْ لا : ولا اخترتُ الحياةَ على القتلِ

ولكنّنى قد قلتُ للقوم جالِدوا ... بأسيافِكم لا يُخْلَصَنَّ إلى الكهلِ

وعُكْلٌ تدّعى أن أباحَفْصةَ منهم ، يقولون : هو من كِنانة بن عَوف بن عبدِ مَناة بن أدّ بن طابِخة بن إليـاس بن مُضَر . وقد كانوا استَعْدَوا عليه مروانَ بن الحكم ، وقالوا : إنما باعَتْه عمّتُه لمجاعةٍ ، فأبَى هُو أن يُقرّ لَهُم بذلك ، ثم استَعْدَوا

---

(١) لحناء ، الأغانى : لحا ، المخطوطات .

(٢) رضوان الله عليه ، المخطوطتان .

(٣) رضى الله عنه ، المخطوطتان .

(٤) كرم الله وجهه ، المخطوطتان .

عليه عبدَ الملك بنَ مروان بن الحكم أيضاً ، فأبى إلّا أنّه رجلٌ من العَجَم ، من سَبْيِ فارس ، نشـأ فى عُكْل وهو صغير ، ووَلَدُ السَّموءَل بن عاديا يدّعونه ، والسموءَل من غسّان . وزعم أهلُ اليمامة وعُكل وغيرُهم أن ثلاثةَ نفرٍ أتوْا مروانَ بن الحكم ، وهم أبو حَفْصة ورَجُلٌ من تميم ورجل من سُلَيم ، فباعوا أنفسَهم منه فى مجاعةٍ لحِقتهم . فاستعدى أهلُ بيوتاتهم عليهم ، فأقرّ أحدُهم ، وهو السُّلَمىّ أنّه أتى مَرْوان ، فباعه نفسَه ، وأنّه من العربَ ، فدسّ له مَرْوان من قتَله ؛ فلما رأى ذلك الآخَران ثبَتَا على أنهما مَوْليان لِمَرْوان .

كان لأبى حفصةَ ابنٌ يقال له مَرْوان ، سمّاه مروان بن الحكَم ، باسمه ، وليس بالشّاعر ، وكان شجاعاً مجرّباً ، وأمدّ به عبدُ الملك بن مروان الحجّاج ، وكتبَ إليـه : « قد بعثتُ إليك مولاى مروانَ ابنَ أبى حفصة ، وهو يعدِل ألفَ رجل » . فشهِدَ معه محاربةَ ابن الأشعث فأبلى بلاءً حسناً ، وعُقِرت تحتَه عدّة خيول ، فاحتَسَبها الحجّاج عليه من عَطائه ، فشكاه إلى عبد الملك ، فعوّضه مكان ما أغرَمَه الحجّاج .

وكان يحيى جدُّ مروان جواداً ممدَّحاً . أراد جريرٌ أن يوجِّه ابنهَ بلالَ بن جرير إلى الشام فى بعض أموره ، فأتى يحيَي بن أبى حَفصة ، فأوْدَعه إيّاه ، ثم بلغَ بلالًا أن بعضَ بنى أميَّة يريدُ الخروج ، فقال لأبيه : « لو كلَّفتَ هذا القرَشىَّ أمرى » ، فقال جرير :

أزاداً سِوَى يحيي تُريدُ وصاحبا ... الا إنّ يحيي نعمَ زادُ المسافر
وما تأمنُ الوَجْناءُ وقعـةَ سَيفهِ ... إذا أنفَضُوا أو قلّ ما فى الغرائر

كان يحيي قد تزوّج بنتَ زياد بن هَوْذة بن شمّاس بن لأى ، من بنى أنفِ الناقة ، فاستَعْدى عليه عمّاها عبدَ الملك بن مروان ، فقالا : « أينكِحُ إبراهيم بن عدى[1] ،

(١) عربى ، المخطوطات .

وهو من بنى كِنانة ، منك وإليك ، قرينتها[1] وينكِح هذا العبدُ هذه ؟ » فقال عبد الملك : « بل العبدُ ابن العبد ، إبراهيم بن عدى – وكان مغمورَ النّسب – والله لهذا أشرَفُ منه ، وإن لأبيه من البلاء فى الإســلام ما ليس لأبيها[2] ، ولا لأبيكما ، وما أُحِبُّ أن لى بيحيي ألفاً مثلكما ، والله لو تزوّج بنتَ قيس بن عاصم ما نزعْتُها منه ؛ ومن زوَّجه فقد زوّج ابنى هذا » ، وأشار إلى ابنه سليمان . فخرجا وتخلّف يحيي بعدَها ، فقال : « يا أميرَ المؤمنين ، إنّهما قد أنْضَيَا رِكابَهما وأخْلَقا ثِيابهما ، والتزما مَؤُونةً فى سَفرِها ، فإن رأى أميرُ المومنين أن يعوِّضهما عِوَضا ». فقال : « أبعدَ ما قالا فيك ؟ » ، قال : « نعم يا أميرَ المؤمنين » قال : « بل أُعطيكَ أنتَ ما سألتَ لهما ، وتُعطيهما أنتَ ما شئتَ » . فكساه ووصَلَه وحَمَلَه ، فخرج يحيي إليهما ، ففرّق ذلك عليهما ، وزوّج ابنَه سُلَيمان بنتَ أحدِهما . وولدتْ بنتُ زيادٍ منه أولاداً .

دخل يحيي بن أبى حفصة على الوليد بن عبد الملك لما بويع له بالخلافة بعد أبيه ، فهنّأه وعزّاه ، وأنشده :

إن المنايا لا تغادرُ واحداً   يمشى ببزّته ولا ذا جُنّه
لو كان خَلْقٌ للمنايا مُفْلِتاً   كان الخليفةُ مُفلِتاً مِنْهُنّه
بكت المنابرُ يومَ مات وإنّما   بكت المنابرُ فقدَ فارِسِهِنّه
لما علاهُنَّ الوليدُ خليفةً   قُلْنَ ابنُه ونظيرُه فسَكَنّه
لو غيرُه قَرَع المنابرَ بعدَه   لنكِرنه[3] وطرحنَه عنهُنّه

---

(١) بنتها ، الأغانى .
(٢) لأبيهما ، المخطوطات .
(٣) لنكرنه ، الأغانى . لكرهنه ، المخطوطات .

وليحيى أشعارٌ كثيرة ، ولم نَذكُر هذا منها إلا ليُعْلَم إعراق مَرْوان فى الشعر .

وكان مروانُ من أبخل النّاس عـلى يساره ، وكثرة ما أصابه من الخلفاء ، لا سيّما من بنى العباس : فإنَّه كان رسمهُم أن يعطوه بـكل بيتٍ يمدحُهم به ألفَ درهم .

كان المهدىُّ يعطى مَروانَ بن أبى حفصة وسلماً الخاسر عطيّةً واحدة . وكان سلمٌ يأتى بابَ المهدىِّ عـلى البِرْذَونِ(١) قيمتُه عَشْرةُ آلافِ درهم ، والسرجِ واللِّجام المقذُوذين ، ولباسُه الخزُّ والوَشْى وما أشبَه ذلك من الثّياب الغاليةِ الأثمان . ورائحةُ المِسك والغاليةِ والطِّيب تفوُح منه . ويجىء مَرْوانُ بن أبى حَفْصة ، وعليه فَرْوٌ كَبْلٌ(٢) ، وقميصُ كرابيس ، وكِساءٌ غليظ منتِنُ الرائحة ، وكان لا يأكلُ اللَّحم بخلاً ، حتى يقرَم إليه ، فإذا قرِم أرسل غلامَه ، فاشْترى له رأساً ، فيأكله ، فقيل له : «نراكَ لاتأكل إلا الرءوسَ فى الصَّيف والشِّتاء ، فلم تختار ذلك ؟ » فقال : « نعم ، الرأسُ أعرفُ سِعره ، فلا يستطيعُ الغُلامُ أن يغبِنَنى فيه ، وليس بلحمٍ يطبخه الغلام ، فيقدرُ أن يأكلَ منه . إن مسَّ عيناً أو أذُناً أو خدًّا وقَفْتُ عليه . وآكل منه ألوانًا : آكلُ عينَه لونًا ، وأذُنَه لونًا ؛ وغَلْصَمتَه لوناً ، ودماغَه لوناً ، وأُكْفَى مؤونةَ طبخه ، فقد اجتمعتْ فيه مرافِق » .

قال موسى بنُ يحيى : أوصَلْنا إلى مروانَ بن أبى حفصة فى وقتٍ من الأوقات سَبْعين ألف درهم ، فجمع إليها مالًا حتى تمّتْ مائةَ ألفٍ وخمسين ألفَ درهم ، وأودعها يزيدَ بن مَزْيد ، قال : فبيناَ نحنُ عند يحيى بن خالد إذْ دخل يزيدُ بنُ مزيد ، وكانت فيه دُعابة ، فقال : « يا أبا علىّ ، أودَعَنى مَرْوانُ بن أبى حفصة مائةَ ألفٍ وخمسين ألف درهم ، وهو يشترى الخبزَ من البقّال » . فغَضِبَ يحيى ، ثم قال : « علىَّ بمروان» ،

---

(١) برذون ، المخطوطتان .

(٢) كبل ، كوبريلى ؛ كنك ، المخطوطتان ؛ كبش ، الأغانى .

فأُتِىَ به ، فقال له : « قد أخبرنى أبو خالد بما أوْدَعته من المال ، وما تَبْتَاعهُ من البقّال ، ووالله إن البخلَ لأسوأ أثراً عليك من الفقر لو صِرتَ إليه ، فلا تبخَل » .

وقال مروان بن أبى حفصة : ما فرحت بشىء فَرَحى بمائةِ ألف درهم ، وهبها لى المهدىّ ، فوزنتُها ، فزادت لى درهماً فاشتريتُ به لحماً .

قال جَهْمُ بن خَلَف : أتينا اليمامةَ ، فنزلنا على مروان بن أبى حفصة ، فقدَّم لنا تمراً ، وأرسل غلامَه بفَلْسٍ وسُكُرُّجَة يشترى لنا زيتاً . فلما جاء بالزيت قال : « خُنْتَنِى » ، قال : « مِن فَلْسٍ كيفَ أخونُك ؟ » قال : « أخذتَ الفَلْس لنفسك ، واستوْهبتَ زيتاً » .

مرّ مروانُ بن أبى حفصة فى بعض سَفَراته — يريدُ مَعْنَ بن زائدة — بامرأةٍ من العرب ، فنزلَ بها ، فأكرمَته ، وأحسنَت ضِيافته ؛ فقال : « لله علىّ إن وَهَب لى الأميرُ مائةَ ألفِ درهم أن أهبَ لكِ درهماً » ، فأعطاه مَعْنٌ ستِّين ألفَ درهم ، فأعطاها أربعةَ دوانيق .

قال أبو دِعامة : اشترى مروانُ بن أبى حفصة لحماً بدرهم وطرَحَه فى القدر ، فلما كاد أن ينضَج دعاه صديقٌ له ، فردَّه على القصّاب بنُقصان دانِق ، فأخذه القصّاب ، وجعل ينادى : « هذا لحمُ مَرْوان » ، وظنّ أنه يأنف لذلك . فبلغ ذلك الرّشيد ، فقال : « ويلك ! ما هذا ؟ » قال : « أكرهُ الإسراف » .

دخل مَرْوانُ بن أبى حفصة على مُوسَى الهادى ، فأنشدَه قوله :

تشابَهَ يوماً بأسِــه ونوالِه ... فما أحدٌ يدرِى لأيِّهما الفَضْلُ

فقال : أيُّما أحبُّ إليك، ثلاثون ألفاً عاجلةً ، أو مائة ألف تدور(١) فى الدواوين؟ فقال له : « يا أميرَ المؤمنين ، أنت تُحْسِنُ ما هو خيرٌ من هذا ، ولكنك أُنْسِيتَه ،

---

(١) تدون ، الأغانى .

أفتأذَنُ لى أن أذكُرَكَ ؟ » قال : « نعم » ، قال : « تعجِّل الثلاثين ألفاً ، وتدورُ(١) المائة الألف الأخرى فى الدواوين » . فضحك وقال : « بل يعجَّلان جميعاً » ، فحُمِل إليه المالُ أجمع .

اجتمع مروانُ بن أبى حفصة ، وأبو محمَّد اليزيدىّ عند المهدىّ ، فابتدأ مروان ينشد :

* طَرَقَتْكَ زائرةً فحىِّ خيالَها *

فقال أبو محمَّد : « لحن والله ، وأنا أبو محمَّد » ، فقال له مروان : « يا ضعيفَ الرأى ، هذا يقالُ لى ؟ » ثم قال :

* بيضاءُ تخلِطُ بالجمال دلالَها *

فقال بعضُ من حَضَر : « يا أميرَ المؤمنين ، أيتكنّى فى مجلسِك ؟ » (يعنى اليزيدىّ) ، فقال : « اعذِروا شيخَنا ، فإن له حُرمة » .

جاء مروانُ بن أبى حفصة إلى حَلْقة يونس ، فسلَّم وقال : « أيّكم يونس ؟ » فأومئَ إليه ، فقال له : « أصلحك الله ! إنّى أرى قوماً يقولون الشِّعر (٢)لأن يكشفَ أحدُهم سَوْأته ثم يمشىَ كذلك فى الطريق أحسَنُ له من أنْ يُظهِرَ ذلك الشِّعر(٢) ، وقد قلتُ شعراً أعرِضُه عليك ، فإن كان جيِّدًا أظهرتُه ، وإن كان رديئاً سترتُه » . فأنشده قوله :

* طرقتكَ زائرةً فحىِّ خيالَها *

فقال له يونس : يا هذا اذهبْ فأَظْهِر هذا الشِّعر ، فأنتَ فيه أشعرُ من الأعشى فى قوله :

* رَحَلتْ سُميَّةُ غُدوةً أجْمالَها *

---

(١) وتدون ، الأغانى .

(٢) لأن يكشف . . . الشعر ، ساقطة فى المخطوطتين .

فقال له مروان: « سَرَرْتَنى وسُؤتنى، فأما الذى سَرَرْتَنى به فارتضاؤُكَ الشِّعر، وأما الذى سُؤتَنى به فتقديمُك إيَّاى على الأعشى ، وأنت تعرف محلَّه » ، فقال له : « إنّما قدّمْتُك فى تلك القصيدة لا فى شِعره كلِّه ، لأنه قال فيها :

* فأصاب حبَّة قلبِه وطِحَالها *

والطِّحال لا يدخُل فى شىء إلا أفسدَه . وقصيدتُك سليمةٌ من هذا وشِبهه » .

اجتاز مَرْوان بن أبى حفصةَ برجلٍ من باهلة ، من أهل اليمامة ، وهو يُنشِدُ قوماً ، كان جالساً إليهم ، شعراً مدح به مَرْوان بن محمد . وكان مَرْوانُ بن محمّد قد قُتِل قبل أن يُسْمِعَه ويَلقاه الباهلىّ ، وأوله :

مروانُ يا ابن محمّدٍ أنت الذى   زِيــدَتْ به شرفاً بنو مروان

فأعجبته القصيدة ، فأمهلَ الباهلىَّ حتّى قام من مجلسه ، ثم أتاه فى منزلِه ، قال : « إنى سمعتُك تُنْشِدُ قصيدتَك ، فأعجبتْنى ، ومروان قد مضى ، ومضى أهلُه ، وفات ما قدَّرتَه عنده . أفتبيعُنى القصيدة حتّى أنتحلَها ، فإنه خيرٌ لك من أن تبقى عليكَ وأنت فقير » فقال : « بكم ؟ » قال : « بثلاثمائة درهم » . قال : « قد بِعتُها » . فأعطاه الدراهمَ وحلَّفه بالطلاق ثلاثاً ، وبالأَيْمان المُحْرِجَة ألا يَنْسُبَها إلى نفسِه أبداً ، ولا ينشدَها، وانصرفَ بها إلى منزله ، فغيّر فيها أبياتاً ، وزاد فيها، وجعلها فى مَعْنٍ ، وقال :

معنُ بنُ زائدةَ الذى زيدَت به   شرفاً إلى شَرَفٍ بنو شيبــان

ووفدَ بها عليه ، فملأ يدَه ، وأقام عنده حتّى أثرى ، واتّسعت حاله ؛ فكان معنٌ أوّلَ من رفع ذكره ، ونوّه به .

وكان سببُ اتِّصال مروان بن أبى حفصة بالخلفاء أن جاريةً يمانيّة أُهدِيت إلى أبى جعفر المنصور ، فأنشدَتْه شعراً لمروان بن أبى حفصة ، يمدح به السرىَّ بن عبدالله ، فذكر فيه وِراثةَ العبّاس. فسألها لِمَن الشعر، فأخبرته ، فأمر أن يُحمَلَ مروانُ إليه ،

يُحمل إليه ، فوافاه فى الرَبذة حاجًّا فلقِيَ مروانُ الربيعَ ، والمنصورُ عليلٌ العلّة التى ماتَ فيها فقال : « كن قريباً منّا حتى يدعُوَ بك أميرُ المؤمنين ، فلم تزَلْ العلّة تشتدُّ به حتى مات بمكّة قبل أن يصل إليه مَرْوان » . فقال له الربيع الحَقْ بالمهدىّ ، ولا تَتَخلَّفْ عنه . فانصرفَ مروان إلى اليمامة ، فجعلها طريقاً ، وعليها بِشرُ بن المنذر والياً . فأوفد بِشرٌ عَشْرَةً وفداً ، وجعلَ مروانَ فيهم ، وأعطى كلَّ رجلٍ منهم ألفَ درهم . فقدِمَ مروانُ على المهدىّ ، وقد مدَحه بأربعةِ قصائد ، منها قوله :

صحا بعد جهلٍ فاستراحتْ عواذِلُه ... وأَقصَرنَ عنه حينَ أقصَر باطله

منها :

وإنَّ طليقَ الله من أنتْ مطلِقٌ ... وإن قتيلَ الله من أنتَ قاتله

وإنَّك بعد الله للحَكَمُ الذى ... يصابُ به من كلِّ أمرٍ مفاصلُه

فلا نَقْضَ للأمر الذى أنتَ مبرِمٌ ... ولا ردَّ للقولِ الذى أنتَ قائله

منها :

أمرٌّ وأحلَى ما بلى الناسُ طعمَه ... عِقَابُ أمير المؤمنين ونائُله

حُتوفُ العُصاة الناكثين نكالُه ... وغيثُ العفاةِ القاصدين فواضلُه

كأنَّ أميرَ المؤمنين محمّداً ... أبو جعفر فى كلِّ أمر يحاولُه

ومنها قوله:

طاف الخيالُ فحيِّه بسلامِ ... أنَّى ألمَّ وليس حينَ لِمَامِ

عُقِدتْ لموسى بالرصافة بَيْعةٌ ... شدَّ الإله به عُرى الإسلامِ

يا خيرَ من ورثَ النبىَّ محمّداً ... دونَ الأقاربِ من ذوى الأرحام

ومنها قوله :

أعْصِ الهوَى وتعزَّ عن سُعدا كا ... فلَمِثلُ حِلْمِكَ عن هواكَ نَهاكا

إن الذى أمسي بمكّة ثاوياً ... حاباهُمُ بكَ لا بِهِم حابَاكا

فجزى الإله أباكَ خيرَ جزائِه   عنّا ومثلَ جزائه فجزاكا
لما تيمّم للبريّة خيرها   ولّاكَ أمرَهم الذى ولّاكا

منها :

حنَّت إلى موسى القلوبُ فبايَعت   قبل الأكفِّ وما ظلمْنَ نداكا
فاعقد لهارونَ المؤمَّل عهدَه   تظفرْ بعِصمة ديننا وكفاكا

ومنها قوله :

مرى العينَ شوقٌ حال دون التجلُّد   ففاضَتْ بأسراب من الدمع حُشَّد

فأعطاه المهدىُّ ثلاثين ألفَ درهم . فانصرفَ إلى اليمامة ، ثم عاد فى سنة أربعٍ أو خمسٍ وستِّين ومائة ، فمدح المهدىَّ بقصائد ، وأجزَل جائزته ولم يزَلْ ببابِ المهدىّ حتى هلَك ، ورثاه بقوله :

لقد أصبحتْ تختالُ فى كلِّ بلدةٍ   بقبرِ أميرِ المؤمنين المقابرُ
ولو لم تسكّن بابنِه فى مكانِه   لما برِحت تبكى عليه المنابرُ
أتتْه التى بزّت سليمانَ مُلكَه   وألوتْ بذى القَرْنَيْنِ فيها البوادر
أتتْه فغالَتْه المنايا ، وعدلُه   ومعروفُه فى الشَّرق والغربِ ظاهرُ
ولو كان تجريدُ السُّيوفِ يردُّها   ثنَتْ حدَّها عنه السيوفُ البواتر
ولكنّه لابدّ من ورِدِ منْهَلٍ   من الموتِ لا عن حَوْمةِ الموت قاصِر

ولما أنشد المهدىّ :

* صحا بعد جهلٍ فاسْتَراحَتْ عواذلُه *

قال : « ويحَك يا مروان ! كم بيتاً هى ؟ » قال : « سبعونَ بيتاً » ، قال : « لك بكل بيتٍ ألفُ دِرهم ، ولو زدتَ لزدناكَ » ، فقال : « يا أميرَ المؤمنين ، اسمع منى أبياتاً حضرت » ، قال : « هاتِ » ، فأنشده :

إليكَ قصَرْنا النِّصف من صلواتِنا   مسيرةَ شَهرٍ بعد شهرٍ نواصلُه

فلَا نحن نخشَى أن يخيبَ مسيرنا ... إليك ولـكنَّ أهنأ البرّ عاجلُه

روى ابنُ شِبل ، وكان عَلّامة من أهل صنعاء ، قال : قال لى معن بن زائدة : «ياابنَ شِبل ، قد اجتمعَ ببابى شُعراء وزوّار ، وقد أحببتُ أن أقعدَ لهم مقعداً عامًّا ، وأسمع منهم ؛ فتحضرُ وتسمعُ منهم وتقضى» . فقلتُ : «أنا باللّه وبالأمير من القضيَّة ، ولـكن نحضرُ ونسمع» ، فأمَر بطعامٍ فصُنع ، ثم أحضَرَ الشّعراءَ ، فـكانوا أكثرَ من أربعينَ شاعراً ، منهم طريح بن إسماعيل الثّقفى ، وابنُ هَرمة . فلما فرغَ النّاس من الطّعام أمرَ بالشُّعراء فغلِّفُوا بالغالِية ، ثم دعا بطريح ، فأنشدَه قصيدةً ، ثم دعا بابن هَرمة ، فأنشدَه قصيدةً ، ثم دعا بمَرْوان بن أبى حَفْصَة ، فأنشدَه :

حـــلَّ المشيبُ فلن يحوِّل رحلَه ... عنِّى وبانَ فلن يؤوبَ شبـابى

من مديحها :

مَسَحَتْ ربيعةُ وجهَ معنٍ سابقاً ... لـمـا جَرَى وجَرَى ذَوو الأحساب

خـــلَّى الطريق له الجياد قواصراً ... عن قُرب غايته وهنَّ كـــوابى

وجرَتْ بـــه غرٌّ سوابقُ زانها ... كرمُ النِّجار وصحّة الأنساب

فرعَتْ بنـو مطرٍ روابىَ وائلٍ ... متمهّلين وهنَّ خـــيرُ روابى

قـــومٌ رواقُ المـكرماتِ عليهمُ ... عالى العِماد ممدَّد الأطناب

حتى فرغ منها . وكان معنٌ متّـكِئاً ، فاستوَى جالساً ، ثم قال : زد ، فأنشده :

بنو مطرٍ يـــومَ اللّقاء كأنهم ... أسودٌ لها فى غيـل خَفّان أشْبُل

هم يمنعون الجـــارَ حتّى كأنما ... لجارِهم بين السِّماكين منزِلُ

لهاميم فى الإسلام سَادُوا ولم يكن ... كأوَّلِهم فى الجاهليَّة أوَّلُ

هم القومُ إن قالوا أصابُوا، وإن دُعوا ... أجابوا، وإن أعطَوْا أطابوا وأجزلوا

ومايستطيعُ الفاعلون فَعالهم ... وإن أحسَنُوا فى النائباتِ وأجملوا

ثلاثٌ كأمثال الجبـــال حباهم ... وأحلامُهم منها لدى الرّوع أثقل

لمعنٌ بمـا يعطِي أمرٌ من الذى بما نالَ من معروفِه يتموّل
أيومُ نـداه الغمرُ أم يومُ بأسِه فما منهم إلا أغرُّ محجّل

حتى فرغ منها . وكان مَعْنٌ قد دلّى رجلَيه عن فِراشه ، فقال : « زِدْ » ، فأنشده قوله :

قُـل للفؤادِ الذى يغتالُه الطرَبُ هـل للصِّبا إذ تولَّى عصرُه طلب
ماأصبحَ اليومَ من قوم ٍ ذوى شَرَفٍ إلا على بابِ مَعْنٍ منهمُ عُصَب
شدُّوا الرحالَ إلى مَعْنٍ على ثقةٍ طلابُ خـيرٍ فعمُّوا بالذى طلبوا
قل للجوَاد الذى يجرى ليدرِكَـه أقصِرْ فما لَكَ إلا الغرب والتعب
فمـا الشجاعة إلّا دونَ نَجْدَتِه ولا المواهبُ إلا دونَ ما يهبُ
سيّان فرعُ نزارٍ فى أرُومتِهـا وأنتَ فرعُ بنى شَيْبانَ إن نُسِبوا
فما بقيتَ أصابَ العرفَ طالبُـه وإن ذهبتَ فمـا للعرف مطّلبُ

حتى فرغ منها ، فانحدرَ مَعْنٌ عن فراشِه ، حتى صار على البِساط ثم قال : « زد » ، فأنشده :

هاجَت هواكَ بواكرُ الأظعانِ يوم اللِّوى فظللتَ ذا أحزان

حتى فرغ منها ، فصبرَ معنٌ للشعراء ، حتى سَمِع منهم جميعاً ، قصيدةً قصيدة . فلما خرَجُوا أقبلَ على ابنِ شِبل فقال : « ما سمعتَ وما رأيتَ ؟ » قال : « أصلح الله الأمير ، رأيتُك صرّحتَ بقضيّةٍ ، لم يقضِ أحدٌ لأحدٍ بمثلِها » قال : « ولمن ؟ » قال : « لابنِ أبى حَفصة » قال : « يا ابنَ شبل ، لعنةُ الله على من يَرى أنّه كافأه » . وكان ممن حضَر ذلك اليومَ يحيي بنُ منصور الذُّهلى ، وكان قد تابَ من الشعر ، ولبسَ المُسوح ، ثم عاوَد الشعر و ومدَح معناً ، فقال مروان :

لا تعدَمُوا رَاحتى معنٍ فإنّهما بالجود أفْتَنَتَا يحيي بنَ منصور
ألقى المُسُوحَ التى قد كان يلبَسُها وعاد للشِّعر ذا نَسْجٍ وتحبـير

لما رأى راحَتَىْ معنٍ تدفَّقَتَا ... بنائلٍ من جَداه غيرِ منزور

فانصرفَ مروان من اليمن من عند مَعن فى هذه المرّة ، بألفَىْ دينار ، ورقيقٍ وكُسوة ، وأقام باليمامة .

خرج معنٌ إلى الناس يوماً فقال : سَلُوا حوائجكم ، ولا يمنعنَّ أحداً منكم من المسألة أن يقولَ قد سألتُه فأعطانى ، فإن الشاعرَ يقول :

سألناه الجزيلَ فما تلكّا ... وأعطى فوقَ منيتِه فزادا

وأحسَنَ ثم أحسَنَ ثم عُدنا ... فأحسَنَ ثم عدتُ له فعادا

مراراً ما رجَعتُ إليه إلاّ ... تبسَّم ضاحكاً وثَنَى الوسادا

دخل مروان بن أبى حفصة على جعفر بن يحيى فقال : « أنشِدْنى مرثيَّتك لمعن ابن زائدة » . فأنشده من أبيات :

كأنَّ الشمسَ يومَ أُصِيبَ معنٌ ... من الظلماء مُلبَسَةٌ جلالا

كأن النّاسَ كلَّهم لمعن ... إلى أن زار حُفْرتَه عِيالا

فقال له جعفر : « هل أثابَك على هذه المرثيَّة أحدٌ من وَلَده شيئاً ؟ » قال : « لا » ، قال : فقد أمَرْنا لك بأربعمائة دِينار ، فقال مروان فى ذلك :

نفحتُ مكافِئاً عن قبر مَعْنٍ ... لنا مما تجودُ به سِجالا

فكافأ عن صَدَى معنٍ جوادٌ ... بأجودِ راحةٍ بذات نوالا

إذا ما المادحُون عليكَ أثنَوا ... بفضلٍ فيك قد وجدوا المقالا

بنى لك خالدٌ وأبوك يحيَى ... بناءً فى المكارم لن يُنالا

كأن البرمكىَّ وكلَّ مالٍ ... تجودُ به يداه يُفيد مالا

قال مروان بن أبى حفصة : أنشدتُ الفضلَ بن يحيى بعدَ انصرافِه من خُراسان، وظفرِه بيحيى بن عبد الله بن حسن الطالبى :

للفضلِ يومَ الطالِقان وقبلَه ... يومٌ أناخ به على خاقان

ما مثل يومَيْه اللذَين حواهما في غير ونى تواليـــا يومان
سدَّ الثغورَ وردَّ أُلفة هاشـــمٍ بعد الشّتات فشعبُهـــا مُتدَان
عَصَمَتْ حكومتُه جَماعةَ هاشمٍ من أن يجرّد بينها سَيْفـــان
تلك الحـكومةُ لا التي عن غيِّها عَظُم البَلا وتفرَّقَ الحـكمان

فأعطاه الفضلُ مائة ألف درهم ، وحمَلَه وخلَع عليه .

كان عبد الله بن أبي فَروة مولَى رسُول الله صلّى الله عليه وسلّم منحرفاً عن وَلَد[1] العبّاس ، مائلًا إلى وَلَد عليّ عليه السلام[2] ، فقال فيه بعضُهم :

جحـــدتَ بنى العبَّاس حقَّ أبيهم فما كنتَ فى الدَّعوى رشيدَ العواقب
مـــتى كان أولادُ البنـاتِ كوارثٍ يحـــوزُ ويُدعَى والداً فى المنـاسِب

فأخذ مَرْوان بن أبي حفصة هذا المعنى فقال :

أنَّى يكون وليس ذاك بـكائنٍ لبـنى البنات وراثةُ الأعمـــام

قال مروان بن أبي حفصة : كان المنصورُ قد طلب معنَ بن زائدة ، طلباً شديداً ، وجعل فيه مالًا ، فحدَّثني معنُ بن زائدة أنه اضْطُر ، لشدّة الطلب إلى أن أقام في الشّمس ، حتّى لوّحَت وجهَه ، وخَفّفَ عارضَيه ولحيتَه ، ولبس جبّة صوفٍ غليظةٍ ، [3]وركِبَ جملًا من الجمال النقّالة ، وخرج ليمضِيَ إلى البادية[3] ، ليقيم بها . وكان قد أبلى فى حَرْبِ يزيدَ بن عمر بن هبيرة[4] بلاءً حسناً ، غاظ المنصور ، وجدّ فى طلبه .

قال معن : فلما خرجتُ من بابِ حرب ، تبِعني أسودُ[5] متقلّدا سيفاً ، حتى إذا

(١) بنى ، المخطوطتان .
(٢) رضى الله عنه ، المخطوطتان .
(٣) وركب جملا وخرج وعليه زى الجمالة النقالة إلى البادية ، المخطوطتان .
(٤) عمرو بن يزيد بن هبيرة ، المخطوطات .
(٥) عبد أسود ، المخطوطتان .

غبتُ عن الحرَس ، قبضَ على خِطام الجمل، فأناخَه وقبضَ عليَّ، فقلت : « ما شأنُك ؟» قال : « أنت بُغيةُ أمير المؤمنين » فقلتُ له : « ومن أنا ، حتّى أكونَ بُغيةَ أمير المؤمنين ، ويطلُبُنى ؟ » قال : « أنتَ مَعْنُ بن زائدة » . فقلتُ له : « يا هذا ، اتقِ الله ! وأينَ أنا من مَعن ؟ » فقال : « دَع هذا عنك ، فأنا والله أعرَفُ بك منك »، فقلتُ له : « فإن كانت القضيّة كما تقول(١) ، فهذا جَوْهر حملتُه معى، بأضعافِ ما بذَله المنصورُ لمن جاءَه بى ، فخذْه ولا تَسْفِك دَمى » ، وقال : « هاتِه » ، فأخرجتُه له . فنظر إليه ساعةً وقال : « صدقتَ فى قيمته ؛ لستُ قابلَه حتى أسألَك عن شىء ، فإن صدقْتَنى أطلقتُك» ، فقلت : « قل » ، فقال :« إنّ الناسَ قد وَصَفوك بالجود ؛ فأخبرنى هل وهبتَ قطّ مالَك كلَّه ؟ » قلتُ : « لا » ، قال : « فنصفَه ؟» قلتُ : « لا » ، قال : « فثُلُثَه ؟ » قلت : « لا » ، حتّى بلغ العُشر ، فاستَحْيَيْتُ وقلت : « إنِّى أظنُّ أنى قد فعلتُ هذا » ، فقال : « ما ذاك بعظيم ، أنا والله راجل ، ورِزْقى من أبى جعفر عشرونَ درهماً ، وهذا الجوهرُ قيمتُه ألوفُ دنانير ، وقد وهبتُه لك ، ووهبتُكَ نفسَك لجودِك المأثور بين الناس ، ولِتَعْلَمَ أنّ فى الدنيا من هُو أجودُ منك ، ولا تعجبك نفسُك ، ولتحتقرَ بعد هذا كلَّ شيء تفعلُه ، ولا تتوقَّفَ عن مكرمة » ، ثم رمى بالعِقد ، وخلّى خِطام النّاقة ، وانصرف ، فقلتُ : « يا هذا ، قد والله فضَحتَنى ، ولَسَفْكُ دمى أهونُ مما فعلتَ بى ، فخذْ ما دفعتُه إليك ، فإنّى عنه فى غِنًى » ، فضحك ثم قال أتريدُ أن تكذِّبنى فى مَقامى هذا ، والله لا آخذُه ولا آخذُ لمعروفٍ ثمناً أبدا » ، ومضى . فوالله لقد طلبتُه بعد أن أمِنْتُ ، وبذلتُ لمن جاءنى به ما شاء ، فما عرفتُ له خبراً ، فكأنّ الأرضَ ابتلعته .

وكان سببُ رضاء المنصور عن مَعن أنّه لم يزلْ مستَتِرًا ، حتّى كان يومُ الهاشميّة. فلما وثب القومُ على المنصور ، وكادوا أن يقتُلوه وثبَ معنٌ وهو متلثّم ، وانتضى

(١) قلت ، المخطوطتان .

سيفه ، وقاتلَ فأبلَى بلاءً حسناً ، وذبَّ القومَ عنه ، حتى نجا ، وهم يحاربونه بعدُ . ثم جاء والمنصورُ راكبٌ على بَغلة لجامُها بيد الرَّبيع ، فقال له : « تنحَّ ، فإنِّى أحقُّ بلجام بَغلَتِه منك فى هــذا الوقت ، وأعظَمُ منك غَناءً » . (١) فقال له المنصور : « صَدَق ، فادفعه إليه » ؛ ولم يزل يقاتل حتى انـكشفت تلك الحال (١) . فقال له المنصور : « من أنت ؟ لله أبوكَ ! » فقال له : « أنا طِلبَتُكَ يا أميرَ المؤمنين ، مَعْنُ ابن زائدة » . فقال : « قد أمَّنك الله على نفسِك ومالِك ، ومثلك يُصْطَنَع » . ثم أخذَه معه ، وخَلَع عليه وحمَلَه وحَباه ، ثم دعا به يوماً فقال : « إنِّى قد أهَّلتُك لأمرٍ ، فـكيفَ تـكونُ فيــه ؟ » قال : « كما تحبُّ يا أميرَ المؤمنين » . قال : « قد ولَّيتُكَ اليمن ، فابسُط السيفَ فيهم ، حتى يَنقَضَ حِلفُ ربيعة واليمن » . قال : « أبلغُ من ذلك ما يحبُّ أميرُ المؤمنين » ، فولَّاه اليمن . وتوجَّه فبسط فيهم السَّيف .

وقدِم مَمن بعَقِبِ ذلك على المنصور ، فقال له بعــد كلامٍ طويل : « قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك شىءٌ ، لولا مكانُك عندَه ، ورأيُه فيك ، لغضِب عليك » . قال : « وما ذاكَ يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما تعرضتُ له منكَ (٢) منــذُ وَليتُ ! » فقال : « إعطاؤكَ مَرْوان بن أبى حَفصة ألفَ دينار ، لقولِه فيك :

معنُ بن زائدةَ الذى زيدت به ... شرَفاً إلى شَرَفٍ بنو شيبان
إن عُدَّ أيامُ الفعــال فإنَّما ... يَوْماه يَوْمُ ندًى ويومُ طِعان »

فقال : « يا أمير المؤمنين ، ما أعطيته ما بلغكَ لهذا ، ولـكنِّى أعطيتُه لقوله :

ما زلتَ يومَ الهاشميَّة مُعْلِماً ... بالسَّيف دون خليفــةِ الرحمن
فمنعتَ حَوْزَتَه وكنتَ وِقاءَه ... مِن وَقع كلِّ مهنَّد وسِنان »

فاستَحْيي المنصورُ ووصَلَه ، وقال : « إنَّما أعطيتَه ما أعطيتَه لهذا القول ؟ »

---

(١) فقال له المنصور صدق ... الحال ، ساقطة فى المخطوطتين .

(٢) لمنكر ، المخطوطتان .

قال : « نعم يا أمير المؤمنين ، والله لولا مخافة الشُّنعة عنـدَك لأمكنتهُ من مفاتيحِ بيـوتِ الأموال ، وأبحتُه إياها » ، فقال له المنصور : « لله درُّك من أعرابيّ ! ما أهونَ عليك ما يعزُّ على الرجال وأهل الحزم ! » .

قال الفضلُ بن الرَّبيع : رأيتُ مروان بن أبى حفصة ، وقد دخل على المهدىّ بعد وفاة مَعْن بن زائده ، فى جُملة الشعراء ، فأنشَدَه مديحاً فيه ، فقال له : « من أنت ؟ » قال : « شاعرُك يا أميرَ المؤمنين وعبدُك مروانُ بن أبى حفصة » ، فقال له المهدىُّ : « ألستَ القائل :

أقمنا بالمدينةِ بعدَ مَعْنٍ ... مُقاماً لا نُريد بـه زوالا
وقلنا أينَ نرحلُ بعد مَعْنٍ ... وقد ذَهبَ النَّوالُ فلا نوالا

قد ذهب النَّوالُ فيما زَعَمت ، فلم جئتَ تطلبُ نَوالاً ؟ لا شيءَ لك عندَنا ، جرُّوا[1] برجلِهِ » ، فجرّوا[1] برِجله حتّى أُخرج . فلما كانَ من العامِ المقبل[2] تلطّفَ حتّى دخَلَ مع الشعراء — وإنّما كانت الشُّعراء تدخُل على الخلفاء فى كلّ عام مرّة — فمَثَلَ بين يديه ، وأنشَدَه بعد رابعٍ أو خامسٍ :

طرقتكَ زائرةً فحيِّ خيالَها ... بيضاءُ تخلطُ بالجمال دلالَها
قادَت فؤادكَ فاستَقادَ ومثلُها ... قاد الفُؤادَ إلى الصِّبا فأمالَها

قال : فأنصت له حتى بلغ إلى قوله :

هل تطمِسُون من السَّماء نجومَها ... بأكفِّكُم أو تسترون هِلالهـا
أو تجحدون مقـالةً من ربِّـكم ... جبريلُ بلَّغها النبيّ فقالَها
شهدت من الأنفال آخرُ آيـةٍ ... بتُراثِهم فأرَدْتُم إبطالَها

قال : فرأيتُ المهدىّ قد زَحَف من صدر مصلّاه ، حتى صار على البِساط إعجاباً

---

(١) جروه ... فجروه ، المخطوطتان .

(٢) الثانى ، المخطوطتان .

بما سمع ، ثم قال : « كم قصيدتُك؟ » قال : « مائة بيت » ، فأمر له بمائة ألفِ درهم . فكانت أوّل مائةِ ألفِ درهم أعْطِيهَا شاعرٌ ، فى أيام بنى العباس .

قال : ومَضَت الأيّام ، ووَلِىَ هارونُ الرشيد الخلافة ، فدخلَ إليه مَرْوَان ، فرأيتُه واقِفاً بينَ الشّعراء ، ثم أنشده قصيدةً امتدحه بها ، فقال له « من أنت ؟ » قال : « شاعِرُك وعبدُك يا أمير المؤمنين ، مروانُ بن أبى حفصة » . فقال له : « ألستَ القائلَ فى مَعْن بن زائدة .

* أقمنا بالمدينةِ بعدَ مَعْن *

وأنشده البيتين خذوا بيده فأخرجوه فلا شىءَ لك عندنا » ، فأخرج فلما كان بعد ذلك بزمن(١) تلطّف(٢) ، حتّى دخل ، فأنشده قصيدة :

لعمركَ ما أَنْسَى غداةَ المحصَّب إشـارةَ سَلْمَى بالبنان المخضَّبِ
وقد صدَرَ الحجَّاج إلا أقلَّهم مصادرَ شـتَّى موكباً بعدموكبِ

قال فأعجبَتْه فقال : « كم قصيدتُك ؟ » قال : « ستّون بيتاً أو سبعون » ، فأمر له بعددِ أبياتها ألوفاً .

وكذلك كان رسمُ مَرْوانَ عندهم حتى مات فى سنة إحدى وثمانين ومائة ودُفِن فى بغداد فى مقبرة نصر بن مالك الُخزاعىّ .

مر مروان بن أبى حفصة برجلٍ من بنى تَيْم اللاتِ بن ثَعلبة ، يعرف بالجنِّىّ ، فقال له مروان : « ما أنتَ والشِّعر ! ما أرى ذلك من طريقَتك ولا مَذهَبك ولا تقولُه » فقال له الجنِّىُّ : « اجلسْ واسْمَع » . فجلس . فقال الجنىُّ يهجوه :

ثوى اللؤمُ فى عجلانَ يوماً وليلةً وفى دارمَرْوانٍ ثوى آخرَ الدهرِ

---

(١) بعد ذلك بزمن : العام القابل ، المخطوطتان .

(٢) برز بلطف ، المخطوطتان .

غدا اللؤمُ يبغي مطرَحاً لرحاله فنقَّبَ(١) في برٍّ البلاد وفي البحر
فلما أتى مروانَ خيَّم عنده وقال رَضينا بالمُقام إلى الحشر
وليس لمروانٍ على العِرْس غَيْرَةٌ ولكنّ مروانًا يغارُ على القِدر

فقال له مروان : « نشدتُك بالله ، إلا كففْتَ ، فأنتَ أشعرُ الناس » ، فحلف الجنيُّ بالطلاق ثلاثاً ألا يكفَّ ، حتى يصيرَ إليه بنفرٍ من رؤساء اليمامة ثم يقولَ بحضرتهم : « قاق في استي بيضة » ، فجلبهم وفعل ذلك بحضرتهم . فانصرفوا يضحكون من فِعله .

قال مروان بن أبي حفصة : وفدتُ في ركبٍ إلى الرشيد ، فسرنا في أرضٍ موحِشة قفر ، وجَنّ علينا الليل ، فسِرنا لنقطعَها . فلم نشعُرْ إلا بامرأةٍ تسوقُ بنا ، وتحدُو في آثارنا ، وإذا هي الغول . فلمّا لاح الفجْر عدلت عنّا ، وأخذت عُرْضاً ، وجعلت تقول :

يا كوكبَ الصبح إليك عنّي فلستُ من صبح وليس منّي

فما أذكر أنّي فزِعت من شيء قطّ ، فَزَعي ليلتئذ .

---

(١) فنقب ، الأغاني : فقلب ، المخطوطتان .

مروان الأصغر بن أبي حفصة

هو مَرْوان الأصغَر ابن أبي الُجنوب بن مَرْوان الأكبر بن أبي حفصة . وكنيته أبو السِّمط ، وقد تقدَّم نسبُه في ترجمة أبيه . وكان مَرْوانُ هذا آخِرَ من بِقِيَ منهم يُعَدّ في الشّعراء ، وبَقِي منهم بعدَه متوَّج . وكان ساقطاً باردَ الشِّعر . قال أبو هفّان: شعرُ آل أبي حفصة بمنزلةِ الماء الحارّ ، ابتداؤه في غاية الحرارة ، ثم تلينُ حرارتُه ، ثم يفتُر حتّى يبرد، وهكذا كانت أشعارُهم ، إلا أنّ ذلك الماء الحارَّ لما انتهى إلى متوَّج جَمَد .

كان المنتصرُ قد أقصَى مرْوان وجَفاه ، لنَصْبه ، وأخرجَه عن جلسائه . وكان المنتصرُ أيضا قد خالف أباه في سائرِ مذهبه ، حتى في التشيُّع .

استأذن أبو السِّمط مَرْوانُ على المنتصر ، لما وَلِيَ الخلافة ، فقال : « والله لا أذِنتُ للكافِر ابن الزّانية ، أليسَ هو القائل :

وحكّم فيها حاكمين أبوكم ... هما خَلَماها خَلْعَ ذي النَّعل للنَّعلِ

قولوا له : «والله لا وصلتَ إليه أبداً » ، فلما بلغَه هذا القولُ قال هذه القصيدة:

لقد طالَ عهدِي بالإمام محمَّد ... وما كنتُ أخْشى أن يطولَ به عهدي

فأصبحتُ ذا بعدٍ وداري قريبةٌ ... فوا عجباً من قُربِ داري ومن بُعدي

فياليتَ أنّ العيدَ لي عادَ مرّةً(١) ... فإنِّي رأيتَ العيدَ وجهَك لي يبدي

رأيتُك في بُردِ النبيِّ محمّد ... كبدر الدُّجى بين العِمامة والبُرد

وسأل بُنانَ بن عمرو أن يصنعَ فيه لحناً ، فصنعه وغنّى فيه بين يدَيْ المنتصر فلما سمِعَه سأل عن قائله ، فأخبرَه به ، فقال : « أمّا الوصولُ إليّ فلا ولكن أعطوه عشرةَ آلافِ درهم ، يتحمّلُ بها إلى اليمامة .

---

(١) يومه ، الأغاني .

قال أبو السِّمط مروان الأصغر : لما دخلتُ على المتوكِّل مدحتُه ومدحتُ ولاةَ العهود الثلاثةَ ، وأنشدتُه :

سـقى الله نجداً والسلامُ على نَجْد ... ويا حبَّذا نجدٌ على النأيِ والبُعد

نظرتُ إلى نجـدٍ وبغـدادُ دونَها ... لعلِّى أرى نجداً وهيهاتَ من نجـدِ

ونجـدٌ بها قومٌ هواهم زيارَتِى ... ولا شىءَ أحلَى من زِيارتِهم عندى

فلما فرغْتُ منها أمرَ لى بمائةٍ وعشرينَ ألف درهم ، وخمسين ثوباً وثلاثة من الظهر[1] : فرسٍ ، وبَغلةٍ وحِمار ، ولم أبرحْ حـتّى قلتُ قصيدتى التى أشكُرُه فيها وأقول :

تخيَّر ربُّ الناس للنّاس جعفراً ... وملّـكه أمرَ العبـاد تخيُّرا

فلما صِرتُ إلى هذا البيت :

فأمسِك ندى كفَّيكَ عنِّى ولا تزدْ ... فقد كدتُ أن أطغَى وأن أتجـبَّرا

قال : « والله لا أمسِك حـتّى أغرقَك بجُودى ، ولا تبرحُ والله أو تسألَـنى حاجة » . فقلت يا أمير المؤمنين ، الضيْعة التى أمرتَ أن أقْطَعها باليمامة ذكر ابنُ المدبِّر أنها وَقفُ المعتصِم على وَلَده » . فقال : « قد قبَّلتُك إياها مائةَ سنةٍ بمائةِ درهم » ، فقلتُ : « لا يحسُن أن تُضْمَن ضَيْعةٌ بدرْهمٍ فى السّنة » ، فقال ابن المدبر فبألف درهم فى السنة » فقلت : « نعم » فأمر ابنَ المدبِّر أن يُنْفَذَ ذلك له ولعقِبه . فقال « ليستْ هذه حاجةً ، هذه قَبالة ، فبحياتى سَلْنى حاجةً » ، فقلت : « ضيعةٌ يقال لها السيوح ، أمر الواثقُ بإقطاعى إيّاها ، فمنعَها ابنُ الزيّات ، لعلمِه بخِدمتى أميرَ المؤمنين ، وحالَ بينى وبينَها إلى هذا الوقت » ، فقال : « يُجدَّد إقطاعُه إيّاها الساعةَ ويردُّ عليه ما ارتفع منها ، منذ أقطعه الواثق إيّاها إلى السَّاعة ، من بيت المال » ، ففُعِل ذلك .

---

(١) وثلاثة أظهر ، المخطوطات .

كان عليٌّ بن الجهم يطعَنُ على مَرْوان بن أبي حفصة ، ويثلبه جداً حسداً على موضعه من المتوكل . فقال المتوكِّل : « يا عليّ ، أيُّما أشعَر أنتَ أو مَرْوان ؟ وأغْرَى بينهما ، فقال عليّ : « أنا يا أمير المؤمنين » . فأقبل المتوكِّلُ على مروان ، فقال له : قد سمعتَ ، فما عندَك ؟ » قال : « كلُّ أحدٍ أشعرُ منِّي يا أميرَ المؤمنين ، وما أصِفُ نفسي ولا أزكِّيها . وإذا رَضِيَني أميرُ المؤمنين فما أبالي من يزيِّفني » ، فقال المتوكِّل : هذا نـكولٌ عن الجواب ، وزعم أنَّه أشعَرُ منك ، فإن كان كما يقول قدَّمناهُ عليك، وإلَّا فأفصِح عن نفسِك » . فالتفتَ إليه مَرْوان فقال له : « يا عليّ أنتَ أشعَر منِّي ؟ » قال : « أوَ تَشُكُّ في ذلك ؟ » قال : « نعم ، أشُكُّ وأشُكُّ ، وهذا أمير المؤمنين يحكم بيننا » . فقال له عليّ : « إنَّ أمير المؤمنين يُحابيكَ ، لميله إليك». فقال له المتوكِّل: « هذا عيٌّ منك يا عليّ » ؛ ثم قال لابن حَمدون : « أحكُم بينهما » قال : « طرحتَني يا أميرَ المؤمنين بينَ أنيابٍ ومخالبَ من أسَدين » ! قال : « والله لتحكمَنَّ بينهما »، فقال له : « أمّا إذا حلفتَ يا أميرَ المؤمنين ، فأشعرُها عندي أعرقُهما في الشِّعر » . فقال له المتوكِّل : « قد سمعتَ يا عليّ ؟ » فقال: «قد عرفَ ميلَكَ إليه ، فمالَ معه» ، فقال : « دَعْنا منك ، هذا كلُّه عيٌّ . عليك لعنةُ الله ! ما أعنَتَك وأعياكَ ! فإن كنتَ صادقاً فاهجُ مروان » . قال : « قد سكِرتُ ، ولا فضلَ فيّ » ، فقال المتوكِّل لمروان: « اهجُه أنتَ ، وبحياتي لا تُبقِ غاية » ، فقال مروان :

إن ابنَ جَهْمٍ في المغيبِ يَعيبُني ... ويقولُ لي حَسَناً إذا لاقاني
فإذا التقَينْا نالَ شِعري شِعرَه ... ونزَا على شيطانِه شَيْطاني
صَغُرت مَهابتُه وعُظِّم بطنُه ... فـكأنَّما في بطنِه وَلَدان
ويحَ ابنِ جَهمٍ ليس يرحمُ أمَّه ... لو كان يرحمُها لما هاجاني[1]

---

(١) عاداني ، الأغاني .

فضحك المتوكِّل والجلساء ، وانخزلَ ابنُ الجهم ، فلم يُجب ، فالتفت المتوكِّل إلى عليٍّ وقال : بحياتى إن حَضَرَكَ شيء فهاته ولا تقصِّر » فقال :

بنتَ جَهْمٍ يا عليّة صرتِ بعدى قُرَشيّة
قلتِ ماليسَ بحقٍّ فاسكُتِى يا حَلَقيّه
اسكُتى يابنتَ جَهْمٍ اسكُتى يا نَبَطِيّه

فضحِك المتوكِّل وضربَ برِجله الأرضَ ، وأخذ عبّادةُ الأبيات فغنَّاها على الطَّبل ، فقال عليّ : إنَّ هذا الشِّعر ليُشبهك(١) ، ماهذا من الشِّعر ، ويلك ! » فقال : « صدقتَ ، إنه لهزْل ، ولكنِّى سأجِدُّ بك » ، ثم قال :

لعمركَ ما الجهمُ بن بدرٍ بشاعرٍ وهذا علىٌّ ابنُه يدَّعى الشعرا
ولكنْ أبى قد كان جاراً لأمِّه فلما ادَّعى الأشعارَ أوْهَمَنى أمرا

ففَضَحه فى المجلس ، ولم يُحِرْ جواباً ، وبقى علىّ مطرقاً كأنَّه ميت ، ثم قال : « علىَّ بالدَّواة » فأُتِى بها ، فكتبَ فيها :

بلاء ليس يشبهُه بلاء عداوةُ غيرِ ذى حَسَبٍ ودين
يبيحُك منه عِرضاً لم يصُنه ويرتَعُ منك فى عِرضٍ مصون

دخل مروان الأصغرُ على أشْناس ، وقد مَدَحه بقصيدةٍ ، فأنشدَه إيّاها ، فجعل أشناسُ يحرِّك رأسَه ، ويومِىء بيدَيْه ، ويظهرُ طرَباً(٢) وسروراً ، وأمرَ له بصِلَة . فلما خرجَ قال له كاتبهُ : « رأيتُ الأميرَ قد طَرِب ، وحرَّك رأسَه ويدَيْه ، لما كان يسمعُه ؛ وقد فهم ؟ » فقال : « نعم » ، قال : « فأىَّ شىء كان يقول ؟ » ، قال : « ما زال يقرأُ علىَّ رُقْيَةَ الخبزَ حتّى حصَّل ما أرادَ وانصرف » .

(١) أسهل ، المخطوطتان .

(٢) فرحا ، المخطوطتان.

قال إبراهيمُ بن المدبِّر : قرأتُ فى كتابٍ قديم ، قال عَوْف بن محلِّم لعبد الله بن طاهر فى عِلَّة اعتلَّها :

فإن تكُ حمَّى الرِّبْع شَفَّك وِرْدُها ... فعُقباكَ منها أن يطولَ لك العُمر
وَقَيْناكَ لو نُعطَى المُـنَى فيكَ والهوَى ... لكانَ بنا الشكْوَى وكان لك الأجر

قال : ثم حُمَّ المتوكِّل حمَّى الرِّبع ، فدخل عليه مَرْوانُ بن أبى الجنوب ، فأنشدَه قصيدةً عَلى هذا الروىّ ، وأدْخَل البيتَين فيها ، فسرَّ بهما المتوكِّل ، فقال له علىُّ بن الجهم : « يا أميرَ المؤمنين ، هذا شعرٌ مقول » ، والتفتَ إلىّ وقال : « هذا يعلم » . فقال المتوكِّل : « أتعرِفُه ؟ » فقلتُ : « ما سمعتُه قبلَ اليوم » . فشتم المتوكِّلُ علىَّ بن الجهم ، وقال : « هذا من حَسَدِك وشرِّك وكذِبِك » . فلما خرجنا قال علىُّ بن الجَهم : « ويحَك ! مالكَ جُنِنْت ! أما تعرفُ هذا الشِّعر ؟ » قلت : « بلَى » وأنشدتُه إيّاه ، فلما عدنا إلى المتوكِّل من غدٍ قال : « ياأميرَ المؤمنين ، قد اعترَف بالشِّعر وأنشدَهُ لى » ، فقال لى : « أكذاك هو ؟ » ، فقلتُ « كَذَب يا أمير المؤمنين ، ما سمعتُه قطّ » ، فازْداد عليه غيظاً وشتماً . فلما خَرَجْنا قالى لى : « ما فى الأرضِ شرٌّ منك » . قلت له : « أنتَ أحمَق ، تريدُ منِّى أن أجىءَ إلى شِعرٍ قاله فيه شاعرٌ يحبُّه ، ويعجبُه شعرُه ، فأقولَ له إنى أعرفُه ، وأُوقِع نفسى وعِرضى فى لسان الشُّعراء ، لترتفِعَ أنت عندَه ، ويسقُطَ ذلك ويبغِضُنى أنا . لستُ أفعلُ شيئاً من ذلك » .

كان أبو السِّمط يتشبّه بجدِّه فى شعره ، ويتقرّب إلى المتوكِّل بهجاء آل أبى طالب ، رضوانُ الله عليهم ، فتمكّن عنده ، وكسَب منه مالاً عظيما . وبهذا السبَب جفاه المنتَصِر وأقصاه لما كان يسمَع منه فى على بن أبى طالب رضوانُ الله عليه :

دخل مروان يوماً على المتوكِّل ، فأنشده :

سلامٌ على جُمْلٍ وهيهاتَ من جُمْلِ ... ويا حبَّذا جُملٌ وإن صرمَت حَبْلى

وهى من جيِّد شِعره ومشهورة ، يقول فيها :

أبوكم علىٌّ كان أفضلَ منكمُ ... أباهُ ذَوُو الشُّورى وكانوا ذَوِى عَدْلِ
وساءَ رسولَ الله إذ ساءَ بنتَه ... بخِطبته بنتَ اللَّعينِ أبى جهلِ
أرادَ علَى بنتِ الرَّسول تزوُّجاً ... ببنتِ عدوِّ الله يالكَ من فِعْلِ
فذمَّ رسولُ الله صِهرَ أبيكم ... على منبرٍ بالمنطقِ الصَّادق الفَصْلِ
وحكَّم فيها حاكِمين أبوكُم ... هما خَلَعاهُ خلعَ ذى النعل للنعلِ
وقد باعَها من بعده الحسَنُ ابنهُ ... فقد أبطلَا دعواكم الرثَّةَ الحبلِ
وخلَّيتمُوها وهىَ فى غيرِ أهْلِها ... وطالبتمُوها حين صارت إلى الأَهْلِ

فأعطاه المتوكِّل مائةَ ألف درهم .

قال خالدُ بن يزيد الكاتب : حضَر مروانُ بن أبى حفصة عندَ المتوكِّل ليلةً فقال له : « أتقولُ على البديهة ؟ » فقلت له : « هو يا سيِّدى شيخُ الشُّعراء ، ومادحُك ، وآباؤه مُدَّاح آبائك » . فقال :

ياليتَ لى ألفَ عَيْن ... عينانِ لا تكفِيانى

فقلتُ له : « تبخَّسْتَ عينَك ، أنا لى عَيْنٌ واحدةٌ ، أدعُو الله عليها بالعمى منذ ستِّين سنة ، أقول :

يا عين أنت بليَّتى ... فأراحَنِى الرحمنُ منكِ

وانت تتمنَّى ألفَ عين ! » ثم قال لى المتوكِّل : « اهجُه » . فقلت : إنّ الرجلَ لم يعرِض لى فأقبلَ هو علىّ وقال : « قل ماشئتَ ، وما عَسى أن تقول ؟ » فقلت :

زاد البردُ يوْمَين ... فقال النّاس : ما القصَّة ؟
فقلنا : أنْشَدونا شعْـ ... ـرَ مروانَ بنَ أبى حَفْصة
فتًى من شهوة النيك ... بحُلقوم أستِه غُصَّة

فضحِك المتوكِّل حتى فَحَصَ برجليه الأرض . وأُفحِمَ مَرْوان . ثم أمرَ لى بجائزةٍ فأخذتُها وانصرفت .

ودخل مروان على المتوكِّل مرة ، فأنشده :

الصِّهر ليس بوارثٍ والبنتُ لا ترِثُ الإمامة
لو كان حقُّهمُ لهم قامَتْ على النَّاس القِيامة
أصبحتُ بينَ محبِّكم والمبغضينَ لكم علامة

فحشى المتوكِّل فاه جوهراً لا تُدرى له قيمة .

لما قال علىٌّ بن الجهم فى المتوكِّل قصيدته التى أولها :

اغتنِم لذّة الزمانِ الجديد واجعل المهرجانَ أيمنَ عيدِ

أنشدها وأبو السِّمط حاضِر ، فغمزه المتوكِّل على ابن الجهم وأمرَه أن يُعابثَه فقال له : « يا علىّ أخبرنى عن قولك (واجعل المهرجان أيمنَ عيد) ، المهرجان يومُ عيدٍ أو يومُ لَهْو ، إنّما العِيدُ ما تَعَبّدَ الله فيه النّاس ، مثلَ الفطر والأَضحى ، ويومِ الجمعة ، وأيّامِ التّشْريق ، وأما المهرجان والنَوْرُوز فإنّهما مَن أعْيَاد المجوس ، لا يجوزُ أن يقالَ لخليفةِ الله فى عبادِه ، وخليفةِ رسول الله فى أمَّته : اجْعَل المهرجان عيداً » فلم يلتفِت إليه . ومرّ فى إنشادِه حتى بلغ إلى قوله :

نحن أشياعُكم مِنَ آل خُراسانَ أولُو قوّةٍ وبأسٍ شديدِ
نحن أبناءُ هذه الخِرَق السُّودِ وأهلُ التشيُّع المحمود

فقال له مروان : « لو كنتُم من أهْلِ التشيّع المحمود ماقتل قحطبةُ جدَّك وصلبَه فى عداوَةِ بنى العبّاس ؟ » فقال له المتوكِّل : « ويلك ! أقتلَ قحطبةُ جدَّك؟» قال : لاوالله ياأميرَ المؤمنين» . فأقبل المتوكِّل عَلَى محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال له : «بحياتى، الأمرُ على ماقالَ مروان؟» فقال له محمّد: فإن كان الأمر على ما قال« فأىُّ ذنبٍ

لعلىّ ؟ قد قتل الله أعداءَكم ، وأبقى أولياءَكم ». فضحك المتوكل وقال : « شهِدتَ والله بها عليه » . فقال مروان فى ذلك :

غضب ابنُ الجهم من قَوْلى له   إنَّ فى الحقِّ لقومٍ مَغْضَبه
ياابنَ جَهمٍ كيف تَهوَى معشراً   صَلَبوا جدَّك فوق الخَشَبه
يا إمامَ العَدْلِ نُصحى لكُمُ   نصحُ حقٍّ غيرُ نصح الكَذَبة
إن جدِّى من رفعتمْ ذكرَه   بكراماتٍ لشُكرى موجبه
وابنُ جَهمٍ من قتلتُم جدَّه   وتولَّى ذاك منه قَحْطبه
بخراسانَ رأتْ شيعتكم   أنَّه أهلٌ لضربِ الرقبة
أتُراه بعد ذا ينصَحُكم   لا وربِّ الكعبةِ المحتَجِبه

وكان ابنُ الجَهم يستَرذِلُ مَرْوان ، ويَحْتَقِرُه ولا يجيبه

المـرّار

هو المرَّارُ بن سَعيد بن حَبيب بن خالد بن فَضْلة بن الأَشْيم بن جحْوان بن فقْعس ابن طَرِيف بن عَمْرو بن قُعَين بن الحارث بن ثعْلبة بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمة ابن مُدرِكة بن إلياس بن مُضر بن نزار . وأمُّ المرَّار بنتُ مَراون بن مُنْقذ الذى أغارَ على بنى عامِر بنهلان[1] فقَتل منهم مائةً بحبيب بن مُنْقذ عمّه ، وكانوا قتلوه .

وكان المرّارُ قصيراً مُفرِط القِصَر ، ضئيل الجسم ، وكان يهاجى المساوِرَ بنَ هِند ابن قَيْس بن زُهَير بن جَذِيمة العَبْسىّ ، وفيه يقول :

شَقِيتْ بنو أسَدٍ[2] بشعر مُساوِرٍ ... إن الشقىَّ بكل حَبْـلٍ يُخْنَق

والمساوِرُ هو القائل فى المرّار :

ما سرَّنى أنّ أمّى من بـنى أسَدٍ ... وأنّ ربّىَ يُنْجِيـنى من النـار

لو أنّهم زوّجونى من نِسَائِهمُ[3] ... وأنّ لى كلَّ يوم ألفَ دينـار

والمرار من مخضرمى الدولتين . وقيل إنه لم يدرك الدولة العباسية .

وكان المرّارُ بن سَعيد وأخوه بدر لِصَّين . وكان بدرٌ أشهرَ منه بالسَّرِقة ، وأكثرَ غاراتٍ على النّاس .

وكان المرّار قد أتى حصَيْنَ[4] بن برّاق ، من بنى عَبْس ، فوقَفَ عـلى بعضِ بيُوتِهم ، فجعل يحدِّثُ نِساءَهم ، وينشدهنّ الشِّعر ، فنظروا إليـه ، وهم مُجتَمِعون عند الماء ، وظنُّوا أنّه بعضُهم . ثم انصرَفَ من عند النِّساء حتى وَقَف على الرِّجال ، فقال له بعضُهم : « أنتَ يا مرّار تقِفُ على أبياتِنا وتُنْشِدُ نساءَنا الشِّعر ؟ » قال :

---

(١) بن نهلان ، المخطوطات .

(٢) سعد ، الأغانى .

(٣) بناتهم ، الأغانى .

(٤) غصين ، المخطوطات .

« إنّما كنتُ أسألُهنّ » وجرى بينه وبينهم كلامٌ طويل ، فوثَبوا عليه وضربوه ، وعَقَروا بعيرَه ، فانصرَفَ من عندهم إلى بنى فَقْعَس ، من بنى عبس (١ فأخبرهم الخبرَ ، فركبوا معه إلى بنى عَبْس وقاتلوهم فهزموهم ، وفَقَأتْ بنو فقعس من بنى عَبس ١) عيناً ، وقتلوا رَجُلًا ، وانصرفوا . فحمل أبو شدّاد النّصرى مائتَىْ بعيرٍ لبنى عَبْس ، وغلّظوا عليهم فى الدِّية ، ثم إنَّ بدرَ بنَ سعيدٍ أخا المرّار قال له : « قد استَوْفَتْ عبسٌ حقَّها ، فعلام أترُكُ ضربَ أخى وعَقْر جملِه ؟ » فَخَرج(٢) حتى أتى خيلًا(٣) لبنى عَبْسٍ فى المرعى ، فرمى بعضَها فعقره وانصرف ، فقال المرّار : « والله ما يُقْنِعُنى هذا . ولكن اخرُج بنا » فخرجا فأغارا على إبلٍ ، لبنى عَبْس فطردَاها وتوجَّها بها نحو تَيْماء ، فلما كانا فى بعض الطَّريق انقطع بطانُ راحلة بَدْر ، فندَرَ عن راحلتِه فقال له المرّار : « يا أخى أطِعْنى وانصرِف ، ودَع الإبلَ فى النّار » ، فأبَى عليه ، ثم سارا فعرض لهما ظبىٌ أعضَبُ أحدِ القرنين ، فقال المرّار : « قد تطيَّرتُ من هذا السَّفر ، ولاوالله ، لا نَرجِعُ من هذا السَّفَر أبدا » . فأبَى عليه بدر . ثم تفرَّقت عَبْسٌ وقَيْسٌ فى طَلَب الإبل . فعمدَت فِرقةٌ إلى وادى القُرى ، وفِرقةٌ إلى تَيْماء(٤) فصادفوا الإبلَ بتيماء تُباع . فأخذوا المرّارَ وبدراً ، فرفعوهما إلى الوَالى . وعُرِفَتْ سِماتُ عَبْس على الإبلِ ، فدُفِعَت إليهم ، وحُبِس المرّار وأخوه بالمدينة ، وضُرِبا ، فمات بَدْرٌ فى الحَبْس ، واجتمع عدَّة من قُريش ، فكلَّموا زيادَ بن عبد الله النَّصْرى فى المرّار ، فخلّاه ، وقال يرثى أخاه بدراً .

ألا يا لقومى للتَّجلُّد والصَّبر ... وللقَدَر السَّارى إليكَ وما تدرى

(١ـ١) فأخبرهم الخبر . . من بنى عبس ، ساقط فى المخطوطتين .

(٢) فخرج ، الأغانى : فجمع ، المخطوطات .

(٣) جمالا ، الأغانى .

(٤) وادى تيماء ، المخطوطتان .

وللشَّىء تَنْساه وتَذْكُر غــيرَه ۞ وللشَّى لا تنسـاه إلا عـلى ذُكْرِ
تذكَّرتُ بدراً بعد ما قِيــل عارِفٌ ۞ لمـا نابَه ، يا لهفَ نفسى على بَدْرِ
إذا خَطَرت منه على النَّفس خَطْرةٌ ۞ مَرَتْ دمعَ عينى فاستهلَّ على نحرى
وما كنتُ بطَّاءً ولـكن تَهِيجُنى ۞ على ذكرِه طيبُ الخلائق والُخـبْر

فهرست تراجم الكتاب

تراثنا

مختار الأغاني في الأخبار والتهاني

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء السابع

تحقيق

عبد العزيز أحمد

الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هذا الكتاب بالتعاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٦هـ — ١٩٦٦م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

ج ٠ ع ٠ م ٠

حرف الميم

مغيرة الأقيشر (١)

هو المغيرةُ بنُ عبـدِ الله بن مُعْرِض بنِ عمرو بن مُعرض بنِ أسد بن خُزَيْمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر . وكنيته أبو مُعْرِض ، والأُقَيْشِرُ لَقَبٌ لُقِّبَ به ، لأنه كان أحمرَ الوجه أقْشَر (٢) ، ومن شِعْرِه الدالّ على كُنْيَته قوله :

فإنّ أبا مُعْرِضٍ إذ حَسَا من الخمر (٣) كأسًا على المِنْبَرِ

خَطيبٌ لبيبٌ أبو مُعْرِضٍ فإنْ لِيمَ فى الخمرِ لم يَصْبِرِ

وعُمِّرَ عُمرًا طويلا ، وكان أقْعَد (٤) بنى أسد نسبا ، وما أخْلَقَه بأن يكون وُلِد فى الجاهلية ، ونشأ فى الإسلام ، لأن سِماكَ بْنَ مَخْرَمَةَ الأسدىَّ صاحبَ مسجدِ سِماكٍ بالكوفةِ بناه فى أيام عمر ، وكان عثمانِيًّا ، وأهلُ تلك المَحِلّةِ إلى اليوم كذلك . وعلِىّ بن أبى طالبٍ لم يُصَلِّ فيه ، وأهل الكوفةِ إلى اليوم يَجْتَنِبونه . ويقال إن الذى بناه سِماكُ بن حُمَيْد بن بلْث بن عوف بن عمرو بن مُعْرِض بن أسد ، وقد قال الأُقيشر فى المسجد شعرا ، وهو أكبرُ مسجد لِبَنِى أَسَد ، وهو فى خِطَّة بنى نصر بن قُعَيْن :

---

(١) الأغانى : ١١ : ٢٥١ دار الكتب تجريد ١٢٩٧ .

(٢) الأقشر : الشديد الحمرة . ـ الأبرص .

(٣) الراح (أغانى ـ تجريد) .

(٤) يقال هو قعيد النسب وأقعده : قريب الآباء من الجد الأكبر (قاموس) .

عَجِبَتْ(١) دودانُ من مَسْجِدنا ... وبه يَعْرِفُهم كلُّ أحَدْ
لو هَدَمْنا غُدْوَةً بُنْيانه ... لانمَحَتْ أسماؤُهم طولَ الأبدْ
اسمه(٢) فيهم وهم جيرانُه ... واسْمُه الدَّهْرَ لعمرِو بنِ أسدْ
كلما صَلَّوْا قَسَمْنا أجْرَه ... فلنا النِّصْفُ على كلِّ جَسَدْ(٣)

فحلفت بنو دودان ليَضْرِبُنَّه . فأتاهم فقال : قد قلتُ بيتاً مَحَوْتُ به ما كنتُ قلت . قالوا : وما هو يا فاسق ؟ قال : قلت :

وبنو دُودانَ حيٌّ سادةٌ ... حَلَّ بيتُ المجدِ فيهمْ والعَدَدْ

فتركوه .

وكان الأقيشر كوفيًّا خليعاً ماجناً مدمناً شُرْبَ الخمرِ ، وكان يكْرَه هذا اللَّقَبَ . قال المدائنى : مر الأقيشرُ يريدُ الحِيرَةَ ، فاجتاز على مجلس لبنى عَبْس . فناداه أحدهم يا أُقَيْشِر ، فزجره الأشياخ ، ومضى الأقيشرُ ثم عاد إليه ومعه رجل ، وقد قال له : قف معى فإذا أنشدتُ بيتاً فقُلْ لى : ولِمَ ذلك ؟ ثم انْصَرِفْ وخُذْ هذين الدرهمين . فقال له : أنا أصيرُ معك يا أبا مُعْرِض إلى حيثُ شئت ولا [أرزؤك](٤) شيئاً . قال : فافعلْ . فأقبلَ معه حتى أتى مجلس القوم فوقفَ عليهم ثم تأمَّلَهم ، وقد عرف الشابَّ فأقبل عليه وقال :

أتَدْعونِى الأُقَيْشِرَ ذلك اسمى ... وأدْعوكَ ابنَ مُطْفِئَةِ السِّراجِ

فقال له الرجل : ولم ذاك ؟ قال :

تُناجِى خِدْنَها فى الليلِ سِرًّا ... ورَبُّ الناسِ يَعْلَمُ ما تُناجِى

فلُقِّبَ ذلك الرجلُ ابنَ مُطْفِئة السراج .

---

(١) غضبت (أغانى ـ تجريد) .
(٢) اسمهم فيه (أغانى) .
(٣) أحد(مختار الأغانى) .
(٤) غير واضحة فى الأصل وما بين القوسين عن الأغانى .

وكان الأقيشرُ عِنِّيناً لا يأتى النساءَ ، وكان كثيراً ما يَصِفُ ضِدّ ذلك من نفسه ، فجلس إليه يوماً رجلٌ من قيس فأنشده الأقيشر :

ولقد أروحُ بمُشْرِفٍ ذى مَيْعَةٍ(١) عَسِرِ المَكَرَّةِ ماؤه يتفَصَّدُ
مَرِحٍ يطيرُ من المَراحِ(٢) لُعابُه ويكاد جِلْدُ إهابِهِ يتَقَدَّدُ(٣)

ثم قال للرجل : أتبصرُ الشِّعْر ؟ قال : نعم . قال : فماذا وَصَفت ؟ قال : فرَسا ، قال : أفكنتَ لو رأيْتَه ترْكَبُه ؟ قال : أىْ والله ، وأثْنِى عِطفَه ، فكشفَ الأُقيْشِر عن أَيْرِه ، وقال : هذا الذى وصفتُه فقُمْ فاركبه ، فوثب الرجلُ عن مجلسه ، وقال : قَبَحَك الله من جليس سائِرَ اليوم .

وكان الأُقيشر لا يسأل أحداً أكثرَ من خمسةِ دراهمَ ؛ يجعلُ دِرهمين للشرابِ ودرهما للطعام ودرهمين فى كِراء بَغْل إلى الحيرة . وكان له جارٌ يُكْنَى أبا المضاء له بَغْل يكريه منه فيركبُه إلى الحِيرة فينزلُ عند الخَمَّارِ ويربطه بسَرْجِه ولجامه — فيقال : إنهأعطاه ثمنَه فى الكِراء — ويجلسُ يشربُ حتى يُمْسِى ثم يركبُه وينصرف . فأتَى يوما من الأيام بيتَ الخمَّار الذى كان يأتيه فلم يُصادِفْه فجعل ينتظِرُه ، ودخلت الدارَ امرأةٌ عِبادِيَّةٌ فقال لها : ما فعل فلان ؟ قالت : مضى فى حاجته وأنا أُمُّه فما تريد ؟ فقال : نبيذاً قالت : بكم ؟ قال : بدِرْهمين . قالت : هَلُمَّ دِرهميك وانتظِرْنى . قال : لا بل أكونُ معك . قالت : أنت وذلك ، ومضت وتبِعها فأدخلته داراً لها بابان وخرجت من أَحَدِها وترَكَتْه . فلما طال جلوسُه خرج إليه بعضُ أهلِ الدار وقالوا : ما الذى يجلسك ؟ فأخبرَهم . فقالوا : تلك المرأةُ مُحتالة ، يقال لها أم حُنَيْنٍ

(١) روى : ذى شعرة وذى كرة (أغانى) .
(٢) المراح : النشاط .
(٣) وفى الأغانى : وتكاد جلدته به تتقدد .

من العِباديِّين . فعلم أنه قد خُدِع وانصرف إلى خَمَّارِه فأخبره بالقصة وقال : أَنْسِئْنِي اليومَ واسْقِنِي ففعل . وأنشأ الأقيشر يقول :

لم يُغَرِّرْ[1] بِذاتِ خُفٍّ سِوانا ... بعد أمٍّ[2] العِبادِ أمِّ حُنَيْنِ
وعدَتْنا بدِرْهَمين طلاءً[3] ... أو طلاء مُعَجَّلاً غيرَ دَيْنِ
ثم أَلْوَتْ بالدرهمين جميعاً ... يالَقَوْمِي لضيعةِ الدِّرْهمين
عاهدتْ زوجَها وقد قال إنِّي ... سوف أغدُو لحاجتي ولِدَيْنِي
فدعتَ كالحِصانِ أبيضَ جَلْداً ... وافِرَ الأيْرِ مُرْسَلَ الخُصْيَتَيْنِ
قال ما أجْرُ ذا هُدِيتِ فقالت ... سوف أُعْطِيك أجْرَه مَرَّتَيْنِ
فابدأ الآن بالسِّفاحِ فلما ... سافَحتْه أرختْه بالأُخْرَيَيْنِ
تَلَّهَا[4] للجبينِ ثم امتطاها ... عَالِمُ الأيْرِ أفْحَجُ الحالِبَيْن
بينما ذاك منهما وهي تَحْوِي ... ظهره بالبنانِ والمِعْصَمَيْن
جاءها زوجُها وقد شَامَ فيها ... ذاانتصابٍ[5] مُوَثَّقَ الأَخْدَعَيْنِ
فتأَسَّى وقال : ويْلٌ طويلٌ ... لحنينٍ من عارِ أمِّ حُنينِ

فجاء حُنينٌ الخمَّارُ وقال : يا هـذا ما أردتَ إلا هِجائي وهجاءَ أمِّي . قال : أخَذتْ مني دِرهمين ولم تعطني شرابا . قال : لا والله ما تَعْرِفُك أمي ، ولا أخذتْ منك شيئا ، فانظر إلى أمي فإن كانت هي صاحبتَك غَرِمْتُ لك الدِّرهمين . قال : لا ، [والله] ما أعرفُ غيرَ أمِّ حُنين . فإن كانت أمَّك فإياها أعْنِي ، وإن كانت

(١) لا تغرن ذات (تجريد) .
(٢) أخت العباد (أغاني ـ تجريد) .
(٣) نبيذا (أغاني ـ تجريد) .
(٤) تلها : ألقاها على وجهها ـ وأفحج الحالبين : متباعد ما بينهما .
(٥) شيم منها . . ذو انتصاب (تجريد) .

أمُّ حنينٍ أُخْرى. فإياها أعنى . فقال: إذًا لا يُفرِّقُ الناسُ بينهما ، فقال: ما علىَّ إذًا !! أتُرَى يضيعُ الدرهمان عَلَىَّ ! فقال له : هلم إذًا أغرمهما لك وأَقِمْ ما تحتاجُ إليه ، لا بارك الله لك ! ففعل .

قال رجلٌ من بنى أسد : سمعت عَمَّةَ الأقيشرِ تقول للأُقيشر يوماً : اتَّقِ اللهَ وقُمْ فَصَلِّ ، فقال : لا أُصَلِّى . فأكثرتْ عليه ، فقال : أبْرَمْتِنِى فاختارى خصلةً من خصلتين : إما أن أُصَلِّىَ ولا أَتَطَهَّرَ أو أتطهرَ ولا أُصَلِّى . قالت : قبحك الله ! إن لم يكن غيرُ هذا فصلِّ بغير وضوء .

كان قيسُ بنُ محمدِ بن الأشعث تَنَسَّكَ وكان ضريرا فأتاه الأقيشرُ فسأله ، فأمرَ قَهْرمانَهُ أن يُعطيه ثلاثمائةِ دِرهم ، فقال : لا أريدها جملةً ولكن مر القهرمانَ أن يُعطِينى فى كل يوم ثلاثةَ دراهم حتى تَنْفَدَ ، ففعل ، فكان يأخذها دِرهما للطعام ودرهما لشرابه ودرهما لدابة تَحْمِله إلى بيتِ الخمارين . فلما نَفِدَتْ الدراهمُ أتاه فسأله فأعطاه ، ففعل بها مثل ذلك . وأتاه الثالثة فأعطاه ففعل مثلَ ذلك . فأتاه الرابعةَ فقال له قيس : لا أبا لك ! كأنك قد جعلتَ هذا خراجا علينا . فانصرَف وهو يقول:

ألم تر قيسَ الأكْمَهَ ابنَ محمـــد ... يقول ولا تلقاه للخيرِ يفعَلُ
رأيْتُكَ أعمى العينِ والقلبِ مُمْسِكاً ... وما خيرُ أعمى العينِ والقلبِ يَبْخَلُ
ولو صمَّ تمت لعنةُ اللهِ كُلُّها ... عليه وما فيه من الشرِّ أفضلُ

فقال قيس : لو نجا أحدٌ من الأقيشر لنجوتُ منه.

اختصم قوم بالكوفة فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ [رضوان الله عليهم](1) . فقالوا : نجعلُ بيننا أولَ من يَطّلُع علينا . فطلع الأقيشرُ عليهم وهو سكران ، فقال بعضهم لبعض : انظروا من حَكَّمْنا . فقالوا : يا أبا مُعْرِض قد حكَّمْناك . قال : فماذا ؟ فأخبروه . فمكث ساعةً . ثم أنشأ يقول :

---

(١) غير واضحة فى الأصل وما أثبتناه عن الأغانى .

إذا صَلَّيتُ خَمْسًا كلَّ يومٍ ... فإن الله يَغْفِرُ لى فُسوقِي
ولم أُشْرِكْ بربِ الناسِ شَيْئا ... فقد أمسكتُ بالحبلِ الوثيق
فهذا الحقُّ ليس به خَفاءٌ ... فدَعْنِى من بُنَيّاتِ الطريق

تزوجَ الأقيشرُ ابنةَ عمٍ له يقال لها الرَّباب ، على أربعةِ آلاف درهم ، ويقال : على عشرة آلاف درهم ، فأتى قَوْمَه فسألَهم فلم يُعطوه شيئاً فأتى ابنَ رأسِ البَغْلِ ، وهو دهقان للصِّين ، وكان مَجُوسِيًّا فسأله فأعطاه الصَّداق كاملًا فقال الأقيشر :

كفانى المجوسىُّ مَهْرَ الرَّبابِ ... فدًى للمجوسىِّ خالِي وعمْ
شهدتُ بأنك رَطْبُ اللسانِ (١) ... وأن أباكَ الجوادُ الخضَمْ
وأنك سيدُ أهـلِ الجحيم ... إذا ما تَرَدَّيت فيمن ظَلَمْ
تجاوِرُ هامانَ (٢) فى قَعْرِها ... وفرعونَ والمُكْتَنى بالحَكَمْ

فقال له المجوسىُّ : ويحك ! سألتَ قومَك فلم يُعطوك شيئا ، وجئتنى فأعطيْتُك ، فجزيْتَنى هذا القولَ : ولم أُفلتْ من شَرِّك ! قال : أَوَ ما تَرْضى أن جعلتُك مع الملوكِ وقرينَ أبى جَهْل ! . وجاء إلى عكرمةَ بن رِبْعىٍ التميمى فسأله فلم يعطه فقال فيه :

سألت ربيعـةَ مَنْ شَرُّها ... أباً ثم أمًّا فقالوا لِمَهْ
فقلت لأعلَمَ مَنْ شَرُّكم ... وأجعلَ بالسبِّ فيكم (٣) سِمَهْ
فقالوا لعكرمةَ المُخْزِياتُ ... وماذا يرَى الناسُ فى عِكْرِمَهْ
فإن يك عبـداً زكا مالُه ... فما غيرُ ذا فيه من مَكْرُمَهْ

مر الأُقَيْشرُ ببنى رُؤاسٍ وقد أُقيمَت الصلاةُ فدخل فصلَّى معهم وهو سكرانُ فضحكوا منه فقال :

---

(١) رطب المشاش (أغانى) .
(٢) قارون (أغانى) .
(٣ فيه (أغانى) ١١ / ٢٦٦ .

أُصَلِّى حيثُ تُدْرِكُنى صلاتى وليس البِرُّ وَسْط بنى رُؤاسِ
قُبَيِّلَةٌ هُمُ أذنابُ قَيْسٍ إذا ذُكِرُوا وما ذَنَبٌ كَراسِ
تَرَدَّى اللؤمُ ثم أقام فيهم وألْقَى بالكلاكلِ والمَرَاسِى

كان الأقيشرُ يأتى الحِيرةَ ، فلما دخل شهرُ رمضان منعهُ ابنُ عمه أُسيدُ من الخروج إليها والشُّرْبِ . فلَقِيَه صاحبٌ له ، وقد شَحَبَ لونُه وهَزُل فقال : مالى أراك مُتغيرا يا أبا مُعْرِض فقال :

أمّا ترانى قد هَلَكْتُ فإنما رمضانُ أهلكنى ودينُ أَسِيدِ
هذا يُصَرِّدنى[1] ولستُ بشاربٍ وأخٌ يُؤَرِّقُنى مع التصريدِ

شَرِب الأقيشرُ حتى سَكِر فسقط وبَدَتْ عورتُه فنظرت إليه امرأةٌ وضحكت منه وأقبلتْ تلومه وتقول : يا شيخ ألا تَسْتحى أن تبلُغَ بنفسك هذه الحالَ ، فأنشدها :

تقولُ يا شيخ أَلَا تَسْتَحِى من شُرْبِكَ الخمْرَ على المَكْبَرِ
فقلت لو باكرتِ مَشْمُولَةً صهباءَ مِثْلَ الفرسِ الأشقَرِ
رُحْتِ وفى رِجْلَيْكِ عُقَّالَةٌ وقد بدا هَنْكِ مِنَ المِئْزَرِ

شرب الأقيشرُ فى خَمَّارَة حتى أنفدَ ماله ، ثم شرب بثيابه حتى غلقت ، فلم يبق عليه شىء ، وجلس فى تبنٍ إلى جانب البيتِ إلى حَلْقة مُسْتَدْفِئا ، فمر عليه رجل ينشد ضَالَّةً . فقال : اللهم اردُدْ عليه واحْفَظْ علينا . فقال له الخمار : سَخِنَتْ عينُك ، أى شَىْءٍ يحفظُ عليك ؟ قال : هذا التبن ألّا تأخذه لعلَفِ حمارك [فأموت من البرد] فضحك الخمارُ ورد عليه ثيابه وقال : اذهب فاطلبْ ما تشربُ به ولا تَجِئْنى بثيابك فإنى لا أسترْهِنُها أبداً بعد هذا .

مرّ مسكين الدارى بالأقيشر فقال له : هل لك يا أقيشر فى المهاجاة ؟ فقال له الأقيشر :

---

(١) صرد الرجل : سقاه دون الرى ، أى إطفاء الغليل .

فلا أســـداً أَسُبُّ ولا تَميماً ۝ وكَيْفَ يجوز سَبُّ الأكْرَمِين

ولــكنَّ التقارضَ(١) حلَّ بيني ۝ وبينَك يابن مُضْرِطة العَجِين

فصاح الصبيانُ به : يامسكينُ يابنَ مضرطةِ العجين ، فهرب منهم .

أُتِي عكرمةُ بن ربعى وهو عَلَى شُرْطة بشر بن مروان برجل جُعْفِىٍّ شارب فقال له الجعفى :

أعِكْرِمَ دعنى اليـوم لا تَسْلُبَنَّنِى ۝ ولا تُلْحِقَنْ بى خِزْيَةً لا أُطيقها

وعَـفٍّ على ذَنْـبِى بحِلْمك إننى ۝ طليقُك تجزى كل نفس طليقها

لك الله لا تؤتَى بى الدهرَ شاربا ۝ ولوجَفَّ من صَحْـبِى الغداةَ حُلوقُها

فخلى سبيله ، فقال الأقيشر من أبيات :

أعكرمَ أحْلَلْتَ الخمورَ لأَهْلِهـا ۝ إذا حلموا والحِلمُ خيرٌ من الجَهْل

أَحَلَّ لنـا ماء [الـكروم أميرُنا ۝ فصرنا] سكارى والمراجل قد تَغْلِى

فلا تشربوا [إلا الخمور فإننى](٢) ۝ رأيتُ أَخا الصهباء أعرفُ بالفضلِ

فبلغ الخبرُ بشرَ بن مروان فقال لعكرمة : أكان الجعفىُّ سكران ؟ فقال : والله ما فَتَّشْتُه فلقد علمت أنه شاربٌ ، ولا أدرى ما شَرِبَ ولا كيف كانت حاله . فقال له بشر : إياك وتعطيلَ الحدودِ ، ماظَهَرَتْ ، وإياك والتفتيشَ والتجسُّسَ ؛ فإنه لا يحلُّ لك وادْرَأ الحدودَ بالشبهات ، ولا تَأْخُذْك فى اللهِ لومةُ لائم ؛ فإنه لا يَنْفَعُك من الله نافعٌ ولا يُنْجِيكَ منه أحد .

قال عبد الملك بن مروان للأُقيشر : أنْشِدْنى أبياتك فى الخمر فأنْشَده :

تريك القَذَى من دونِه وهْىَ دونه ۝ لوَجْهِ أخيها فى الإناء قُطوبُ

---

(١) ولــكن التيمى حال (أغانى ١١ : ٢٥٤) .

(٢) مابين الأقواس غير واضح بالأصل وهو عن الأغانى .

كُمَيْتٌ إذا سُحَّتْ[1] وفى الكأس وَردةٌ لها فى عظام الشاربين دبيبُ

فقال لـه : يا أبا مُعْرِض أَجَدْتَ وصفها . [وأظن أنك][2] شربتها فقال : يا أمير المؤمنين إنه لَتَرِيبُنى منك مَعْرِفَتُك بها .

قدم رجل من بنى سَلولٍ على قُتيبةَ بن مُسْلِمٍ بكتابِ المُعَلَّى بن عمرو المُحَارِبىّ عاملِ قتيبةَ على الرَّىّ ، وكان قدامةُ بنُ جعدة بنِ هُبَيْرة المخزومىُّ بالباب فرأى الرسولَ فدخل قدامةُ على قُتيبةَ وكان صديقا له فقال : ببابك ألأمُ العرَب ، سلولىٌّ رسول مُحارِبىٍّ إلى عامِلِىّ . فتبسم قتيبة تبسُّما فيه غيظ . وكان قدامةُ يُتَّهم بشُرْبِ الخمر ، وكان الأقيشرُ ينادمه . فقال قتيبةُ : ادعوا لى مرداس بن جُذام الأَسَدِىّ ، فأتاه فقال له : أنشِدْنى ما للأقيشر فى قدامة بنِ جُعْدة وهما بالحيرة . فأنشده :

رُبَّ ندمانٍ كريمٍ ماجـدٍ سَيِّدِ الجدَّيْن من فَرْعَىْ مُضَرْ
قَدْ سَقَيْتُ الخمرَ حتى هَرَّها لم يُخالِطْ صَفْوَها منه كَدَرْ
قلت قم صلِّ فصلَّى قاعـداً تَتَغَشَّاه سَمَـادِيرُ السَّكَرْ
قَرَنَ الظُّهرَ مع العصرِ كما تُقْرَنُ الحِقَّةُ[3] بالحِقِّ الذَّكَرْ
ترك الطُورَ[4] فلم يَقْرَأْها وقرا الكَوْثَرَ من بينِ السُّوَرْ

قال : فتغير وَجهُ قدامةَ وخَجِل . فقال له قتيبة : هذه بتِلْك ، والبادى أظلم .

لما خَرَجَ ابن الأشعث خرجَ معه مطر بن ناجية وبنو تميمٍ فاستعمل مطراً على

(١) فضت (تجريد) .
(٢) مابين القوسين عن التجريد .
(٣) الحق من الإبل الطاعن فى الرابعة للذكر والأنثى، سمى بذلك لاستحقاقه أن يحمل عليه وينتفع به .
(٤) الفجر (أغانى) .

ناحيةٍ من النواحى ، فلما دخلها خطَبَ على المنبرِ فانـكَسر من تحتِه وسقط عنه فقال الأقيشرُ فى تلك :

أبنى تَميمٍ مالِمنْبَرِ مُلْـكِـكُمْ لا يَسْتَقِرُّ وَعودُه يَتَمَرْمَرُ[(١)]

إن المنا بِرَ أنْـكَرَتْ أسْتَاهَـكُم فادعوا خُزَيْمَـةَ يَسْتَقِرُّ المِنْبَرُ

كان الأقيشرُ امتدح عبدَ اللهِ بنَ إسحاقَ بن طَلْحة بن عبد الله فلم يُعْطِه شيئا فهجاه ، وعاود ذلك ومدح أخاه زكريا ، فقال عبدُالله بن إسحاق لغلمانه : ألا تريحوننى منه . فجمعوا بعراً وقصباً [بظَهْرِ الـكوفَةِ] ، وأقبلَ الأقيشرُ من الحيرة سكران [على] بغل أبى المضاء فأنزلوه عن البغل [وأخذوا] الأقيشرَ [فشدّوه][(٢)] رباطا ووضعوه وألهبوا النار فى القصب والبعر وجعلت الريح تَسْفَع وجهـه وجسمه بتلك النار فأصبح ميتا ولم يُدْرَ من قتَله . وقيل : أن بنى أسد ادعَوْا على عبد الله بن إسحاق قَتْلَه فافتدَى منهم بدِيَته .

(١) ما يستقر قراره يتمرمر (أغانى) .

(٢) ما بين الأقواس غير واضح فى الأصل وهو عن الأغانى .

محمد بن الحارث(١)

هو محمدُ بن الحارثِ بن بُسْخُنَّر ، كنيته أبو جعفر ، وهم من موالِي المنصورِ قال : أحسبه ولاءَ خدمةٍ لا ولاء عِتْق ، وأصلُهم من الرَّى من أولاد المرازِبَة وقيل : من أولاد بِهْرام جوبين .

وكان أبوه رفيعَ القدْرِ عند السلطان من وجوه قواده ، وولَّاه الهادى ، ويقال : الرشيدُ، ولَّاه الحربَ والخراجَ بكُوَرِ الأهوازِ . وُلد بالحيرة ، كان يغنى بالمِعْزَفَةِ ، وكانت تُحْمَلُ معه إلى دار الخليفةِ ، فمرّ غلامُه بها يوما فقال قومٌ كانوا على الطريق : مع هذا الغلام مَصْيدةُ الفارِ . فقال بعضهم : لا هذه معْزَفَةُ محمدِ بنِ الحارث . فحلف يومئذ بالطلاقِ والعتاقِ ألَّا يُغنِّى بمعزفة أبداً أَنَفَةً أن تُشَبَّهَ آلةٌ يُغَنِّى بها بِمَصيدة الفارِ . وكان من أحسنِ خَلْقِ الله أداءً وسرعةَ أخذٍ للغناء . وكان لأبيه الحارث جوارٍ مستحسناتٌ يُجِدْنَ فى غنائِهن حتى أن مُخارِقاً غنَّى يوما للمأمونِ فالْتاثَ غناؤُه وأتى بصَوْتِه مُضْطَرِبا فقال إسحقُ للمأمون : يا أمير المؤمنين . إن مخارقاً قد أعْجَبه صوتُه وساء أداؤه فى غنائه ، فمره أن يُلازِمَ جوارِيَ الحارث بن بُسْخُنَّر يعود إلى ما تريد .

قال علىُّ بن يحيي المنجِّم : كنت يوما فى منزلى ، فجاءنى محمدُ بن الحارث مُسلِّما وعائداً من مرض ، فسألتُه أن يُقيم عندى ، ودعوتُ بما حَضَر فأكلنا وشربْنا فغنَّانا محمد هذا الصوت :

أمِنْ ذِكْرِ خَوْلٍ عينُك اليومَ تدمَعُ ... وقلبُك مشغول بخولةَ مُولَعَ
فقلتُ كذاكِ الدهرُ يا خولَ فاعلمى ... يُفرِّقُ بين الناسِ طوراً ويجمعُ

(١) الأغانى ١٠ : فى مواطن متفرقة .

قال عليّ بن يحيي : فقلتُ له : قد رَددت هذا القولَ مرارا ، وإن لك فى هذا الصوتِ مَغْـنًى ؛ لأنك كررته من غير أن يَقْترحه أحد عليك . فقال : نعم ، هذا صوتى على جاريةٍ من القِيانِ كنت أُحِبُّها فأخذته منها ، فقلت : فلم لا تواصلها ؟ فقال :

لو لم أَنِـكْها دام حُبِّى لها ‏ ‏ ‏ ‏ لـكِنَّنى نِـكتُ فلا نِـكْتُ

قال : فأجبتُه فقلت :

أ كثرتَ من نَيْـكِها والنيكُ مَفْسَدَةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ فارفُقْ بنفسِك إن الرفقَ محمودُ

قال محمد بن الحارث : كنت بالدير ، وكان رجلٌ من أهلها يَخْدمنى فيُـكرِمُنى ويذ كرُ قديمنا ويَترَحَّم على أبى ، فقال لى رجل من أهل الناحية : أتعرف شُـكْرَ هذا لأبيك ؟ قلت : لا ، قال : إن أباه حدثنى وكان يُعْرَفُ بابن بانة أن أباكَ الحارثَ اجتازَ بهم يريد الأهوازَ ، فتلقاه بدجلة العوراء وأهدى له صُقورًا وبواشقَ صائدة فقال له الْحَق بى إلى الأهواز ففعل ، فقال له يوما : إنى نظرتُ فى أعمالِ الأهواز فلم أجد شيئا منها يُرْتَفَقُ به مما قدرتُ عليه أن أَبَرَّكَ به وقد سامنى التجارُ بالأرْزِ الأهوازىِّ وقد جعلته لك بالسعر الذى بَذَلوه وسيأتوننى فأعلِمُهم بذلك ، فيستخلصونه منك بربح . وصار القومُ إليه فأعلمهم فجاءوا فخلَّصُوه منه بأربعين ألفَ دينارٍ فصرتُ إليه فأعلمته فقال لى : أرضيتَ بذلك ؟ فقلت : نعم . قال : فانصرف . ولما قَفَل الحارث من الأهواز مر بالمدائن فلقيه الحسينُ بنُ مُحْرِزٍ المغنى فغناه :

قد عَلِمُ الله علا عرشه ‏ ‏ ‏ ‏ أنى إلى الحارثِ مشتاقُ

فقال له : دعنى من شَوْقك إلىّ وسلنى حاجة ، فإنى مُبادِرٌ . فقال له : علىَّ دينٌ مائةُ ألفِ دِرهمٍ فقال : هى علىّ وأَمَرَ له بها .

وكانت لمحمدِ بن الحارث عند المأمونِ منزلةٌ ، وكان أحسنَ خَلْق الله شمائل ،

وكان رفيع الهمة ، روى محمد بن الحارث عن أبيه قال : قال لى الرشيدُ : أنا على أَنْ أتغدّى عندك فى غدٍ ، فضاق علىّ من الأرض العريضُ ، فجئت إلى عبد الملك ابن صالح فقلت له : قد وَقَعْتُ فى بَلِيَّة . قال : وما هى ؟ قلت : زعم الرشيد أن يتغدى عنـدى غدًا . قال : فاذهب فتفرغ للقلايا ولا تَحْفِل بسوى ذلك . قال : ففعلتُ ، فلما جاءنى قال : دعْنا من تَخْليطك هلم إلى القلايا . قال : فجئت بها فقال : ضَعْ يدك على رَأْسى واحْلِفْ أتَصْدُقُنى ، فوضعت يدى على رأسه وحلفت . فقال : قُلْ لى: من أشارَ عليك بهذا ؟ فقلت : عبدُ الملكِ بنُ صالح ، فقال : أما والله لو كان طواب [بالعشرة آلاف ألف التى عليه لما فرغ للفضول](١) .

قال محمد بن الحارث بسْخُنَّر : كان جعفر بن يحيى [قد نالنا منه شىء فى أيامه ، قال أبى : فكتبت إليه فى ذلك ، فوَقَّعَ إلىّ : إذا جاء العذر الواضحُ لم يكن لسوء الظن مجازٌ لأحد إلا لمن أراد التجنى](١) .

ومن شِعْرِ محمد بن الحارث :

ومن ظَنّ أن التِيهَ من فَضْلِ قُدْرَةٍ ... فإنى رأيتُ التيهَ من صِغَرِ القَدْرِ
ولو كان ذا عِزٍ ونَفْسٍ أبيَّـةٍ ... لغضَّ الغِنىَ منـه وعزَّ على الفَقْرِ
رأى نفسه لا تَسْتَقِلُّ بحقهـا ... فتاهَ لنَقْصِ النَّفْسِ أو قِلَةِ الشُّكْرِ

كان إسحق بن إبراهيم الموصلى قد دعا المأمون ، فصار إليـه ومعه المعتصمُ وعبـدُ الله بنُ طاهرٍ وسائرُ جلسائه فلما جلس المأمونَ على شرابه وغـنى مُغنوه وبلغت النَّوْبَـةُ إلى محمد بن الحارثِ ، وقد استحكَمَ طربُ المأمون ، اندفَع محمدُ ابنُ الحارث يغنى :

لو كان حَوْلِى بنـو أميـة لم ... تَنْطِقْ رجال أراهمُ نَطَقُـوا

فغضب المأمون ودارتْ عيناه فى رأسه ، وكان لا يكاد يَغْضب فإذا غَضب بلغ

(١) ما بين الأقواس غير واضح بالأصل وهو عن الأغانى .

غايةَ الغضَب . ثم التفت إليه وقال : تُغنِّيني فى وقتِ سروري وساعةِ طرَبِي بِشعْرٍ تمدح فيه أعدائى وأنتَ موَالِيَّ وربيبُ نِعمتى ، ادْعُو إلىَّ أحمد بن هشام ، وكان صاحب حَرَسِه ، وكان المأمون لا يمضى إلى موضع إلا ومعه صاحبُ شُرْطَته وحَرَسِه وكان أحمدُ بن هشام قاعداً فى حَرَّاقةَ على بابٍ [ليحيي فى دجلة][1] فدخل حتى مثل بين يديه فقال : يا أحمد خُذْه إليك فاضرب عُنقَه الساعةَ [ولا تُراجِعنى فيه] ، فمَدإليه فوضَع يده فى عُنُقه وانتَسَفَه من الأرض ، ومرّ به مبادراً لينفذ أمْرَه فيــه . وكان عبد الله بن طاهر قد قام [ليحدث وضوءًا ولم يتهيأ ليحيي] [كلام] المأمون فيــه [لمارأى] من شِدَّةِ غَضَبه وما دخل [على قلبه] من هيبته فبادر إلى عبدِ الله بن طاهر [فأخبره الخبر] وقال : إن يُهَيَّأْ مثل هذا فى منزلى فى يوم نحرى وسرورى كان [سمة على أهلى] وهذا أحمد فسله أن يتوقف وتبادرَ إلى أمير المؤمنين . [فتسأله العفوَ] عنــه فقال عبد الله بن طاهر لأحمد : توَقَّفْ [وصار حتى قام بينَ يدى] المأمون وهو على غَضَبه فأمَره بالجلوس فأبى وأمره ثانية فأبى فقال : يا أميرَ المؤمنين نِعَمُك علىَّ جارية ومِنَنُك عندى وعند أهلى عظيمة ، وهذا يوم شرَّفْتَ فيه ابنَ عمى إسحاق بزيارته ورفعتَ بذلك من قدْره وأعليتَ من ذكره ، وقد كان من هذا الجاهلِ ما كان ، أَوَ فِى سَعَةِ حِلْمِ أميرِ المؤمنين وكريمِ عَفْوه ما يعودُ عليه بفضْلِه [والتطول] بصَفْحِه ، ولا يُخرِجُه الأمرُ إلى ما أَخرَجَه سائله من الأمر بقتله وهذا شىْءٌ إن يهيأ فى منزل خادمه كان سُبَّةً عليه وعاراً علينا إلى آخرِ الدَّهْر ، هذا إلى حُرْمة محمد بن الحارثِ وخِدْمَتِه وعُبوديته ، وأن ما تَهَيَّأ له فبسوء الاتفاق ، لا بالتَّعَمُّد ، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يعود بحِلْمِه ويراجعَ ما عوَّدَ الله خَدَمَه منه من العفوِ والإقالةِ فعل . فقال: قد فعلت وأمرَ بردِّه إلى المجلس فجاء حتى وقف بين يديه وهو لا يأْمُره بالجلوس ثم أذن له ، وقال : إياك ومعاودةَ ما كان منك وعاد إلى لهوه وشربه .

---

(١) ما بين الأقواس عن الأغانى وهو غير واضح بالأصل .

معن بن أوس (١)

هو معنُ بنُ أوس بن نَصْر بن زيادة(٢) بن أسْحَم ، وقيل : زِيادة بن أسْعَد ابن أسْحَم بن رَبيعة بن عَدِيّ بن ثَعْلَبة بن ذُؤَيْب بن عَدّاء(٣) بن عثمان بن مُزَيْنة ابن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. نسبوا إلى مُزَيْنَة وهى امرأة عَمْرو ، وهى مُزَيْنَة بنتُ كَلْبِ بن وَبْرة ، تزوّجها عَمْرو بنُ أُدّ بنِ طابخة ، فولدت له عثمانَ وأَوْساً فغلبت أُمُّهُما على نسبهما ، فعلى هـذا القول عُدّاء هو عَدّاء بنُ عثمانُ ابنِ عَمْرو بن أد بن طابخة .

ومَعْنٌ شاعرٌ مُجيد فحلٌ مخضرمٌ جاهليٌّ إسلامىٌّ ، وكان مئناثا ، ومدح جماعةً من أصحاب سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ووَفَد على عمرَ بنِ الخطّابِ ، رضى الله عنه، مستعيناً به على بَعْضِ أَمْرِه ، وخاطبَه بقصيدته التى أوّلها :

تَأَوَّبَهُ طيفٌ بذات الجرائمِ فنَام رَفيقاه وليس بنـائمِ

وعُمِّرَ بعد ذلك إلى أيام الفِتْنَة بين عبدِ الله بن الزُّبَـيْر ومروانَ بنِ الحـكم . وكان معنٌ يُحْسِنُ صُحْبَةَ بناتِه وتَرْبِيَتَهُنَّ ، فوُلِدَ لبعض عَشيرته بِنْتٌ فـكَرِهها وأظْهَرَ جزعا من ذلك فقال معن :

رأيتُ رِجالا يكرهون بَناتِهم وفيهن لا تُـكْذَبْ نساءٌ صوالحُ

وفيهنّ والأيامُ تَعْـثُرُ بالفتى نوادِبُ لا يَمْـلَلْنَهُ ونوائحُ

مر عُبَيْدُ اللهِ بنُ عباس بمعن بن أوس المزنىّ وقد كُفَّ بَصَرُه فقال له :

---

(١) أغانى ١٢ / ٥٤ تجريد جـ ١ ق ٢ : ١٣٦١ ـ مهذب ٢: ١٢٣ .
(٢) زياد (أغانى) .
(٣) ابن عبد أغانى الدار ١٢/ ٥٤

يا معنُ ، كيف حالُك ؟ قال : ضَعُف بصرى ، وكَثُرَ عيالى ، وغلبنى الدَّيْنُ قال : وكم دَيْنُك ؟ قال : عشرةُ آلافِ دِرْهَم ، فبعث بها إليه ثم مرَّ به من الغد فقال له : كيف أصبحت يا مَعْن فقال :

أَخَذْتُ بِعَيْنِ المالِ حتى نَهِكْتُه وبالدَّيْنِ حتى ما أكادُ أُدانُ
وحتى سَأَلْتُ القرضَ عندَ ذوى الغِنَى فَرَدَّ فلانٌ حاجتى وفلانُ

فقال عبيدُ الله : اللهُ المستعانُ ، إنّا بعثنا إليك بالأمس لقمة فما لُكْتَها حتى انْتُزِعَتْ من يدك ، فأىُّ شىء للأهلِ والقرابةِ والجيرانِ وبعث إليه بعشرةِ آلافِ دِرْهَمٍ أخرى ، فقال معن يمدحه :

وإنك فَرْعٌ من قريشٍ وإنّما تَمجُّ الندى منها البحورُ الفوارعُ
ثَوَوْا قادةً للناس بطحاء مكة لهم وسِقَاياتُ الحجيجِ الدوافعُ
فلما دُعُوا للموت لم تَبْكِ منهم على حادثِ الدَّهْرِ العيونُ الدوامعُ

قدم معنُ بنُ أوس البصرةَ فقعد يُنشِدُ فى المِرْبَدِ ، فوقف عليه الفَرَزْدَق فقال : يا معن : من الذى يقول :

لَعَمْرُكَ ما مزينةُ رَهْط عمروٍ بأخْفَافِ يَطَأْنَ ولا سَنَامِ

فقال له معن يا فرزدق من الذى يقول :

لعمرك ما تميمٌ أَهْلُ فَلْجٍ بأردافِ الملوكِ ولا كرامِ

فقال له الفرزدق : حَسْبُك ، فإنما جَرَّبْتُكَ فقال : قد جَرَّبْتَ ، وأنت أَعْلَم ، فانصرفَ وتَرَكَه .

قال عبدُ الملك بن مَرْوانَ يوما وعنده عِدَّةٌ من أهل بَيْتِه وَوَلَدِه: لِيَقُلْ كلُّ واحدٍ أحسنَ شِعْرٍ سَمِعَ بـه ، فذكروا لامرئِ القَيْسِ والأَعْشى وطَرَفَةَ فأكثروا ، حتى أتَوْا على محاسنِ ما قالوا ، فقال عبد الملك: أشْعَرُهم الذى يقول :

وذِى رَحِمٍ قلَّمْتُ أظفارَ ضِغْنِهِ   بحِلْمِىَ عنــه وهو لَيْسُ له حِلْمُ
إذا سُمْتُه وصـــلَ القرابة سامنى   قَطِيعتَها تلك السفاهةُ والظــلمُ
وأسْعَى لـكى أبْـنِى ويهدمُ صالحى   وليس الذى يَبْـنِى كمَنَ شأنُه الهَدْمُ
يحاول رَغْمِى لا يحـاولُ غَـيْرَه   وكالموت عندى أن ينالَ له رَغْمُ[(1)]
فما زِلتُ فى لِينٍ لـــه و تَعَطُّفٍ   عليـه كما تحنو على الولـدِ الأُمُّ
لأَسْتَلَّ منه الضِّغْنَ حتى سَلَلْتُه   وإن كانذا ضِغْنٍ يَضيقُ به الحِلْمُ

قالوا : ومن قائلها ؟ قال : معن بن أوس المزنى .

قال الأصمعى : دخلتُ خضراءَ رَوْح فإذا برجل من ولده على فاحِشَةٍ يُؤتى ، فقلت له : قبحَكَ الله هذا موضعٌ كان أبوك يَضْرِبُ فيه الأعناقَ ويُعْطِى اللُّهَى وأنت تَفْعَلُ فيه كلَّ ما أرى ، فالتفت إلىَّ من غير أن يزول عن الفاحشة وقال :

ورِثْنَا المجْـدَ عن آباءِ صِدْقٍ   أسأنا فى ديارهُمُ الصَّنيعـا
إذا الحسبُ الرفيعُ تواكَلَتْه   بناةُ السَّوْء أوْشَكَ أنْ يضيعا

والشعرُ لمعن بن أوس .

---

(١) أن يمر به الرغم (مهذب) ـ أن يحل به (أمالى ٢ : ١٠٣) .

مُحمدُ بن أُميّة[1]

هو محمدُ بنُ أُميَّة بن أبي أُميّة . كان شاعراً ظريفاً ، كان ينادمَ إبراهيمَ بن المَهْديِّ ، وربمـا كَتَبَ بين يديه ، وقيل : يكتُب على بيتِ المالِ ، وكان إليه خَتْمُ الـكتبِ بحَضْرَتِه ، وكان حسنَ الخطِّ والبيانِ ، وكان يأْنَسُ به لأدَبِه وفَضْلِه ومكانِه من ولائه ، وزامَلَه فى أربع حجّاتٍ حَجَّها فى رَواحِه ورُجوعه .

قال محمدُ بن أُمَيّة : كنت جالسـاً بين يَدَيْ إبراهيمَ بنِ المهـدى ، فدخل أبو العتاهيةِ ، وقد تَنَسَّك ولَبِسَ الصوفَ وتركَ قولَ الشعر ، فرفعه إبراهيمُ وسُرَّ به وأَقبلَ عليه بوجهه . فقال له أبو العتاهية : أيها الأمير ، بلغنى خَبَرُ فـتًى ، فى ناحيتك ، ومن مواليك ، يعرفُ بابن أُمَيّةَ يقول الشعر ، وأُنْشِدْتُ له شعراً فأعجبنى . فمـا فعل ؟ فضحك إبراهيمُ وقال : لعلّه أقربُ الحاضرين مجلساً منك ، فالتفت إلىَّ وقال : أنت هو ؟ فديتُك ، فخجلتُ وقلت ! أنا محمدُ بن أُمَيَّة ، فديْتك . وأما الشِّعْرُ فإنما أنا شابٌّ أعبث بالبيتين والثلاثةِ كما يعبثُ الشباب. فقال لى : فدَيْتُك ، ذلك واللهِ زمانُ الشِّعْرِ وإبَّانُه ، وما قيل فيه فهو غُرَرُه وعُيونُه ، وما زال يُنَشِّطُـنى ويُؤْنِسُـنِى حتى أَنِسْتُ بحديثه ، ثم قال لإبراهيمَ بنِ المهدى : إن رأى الأميرُ أن يأمُره بإنشادى ما حَضَر من شِعْرِه ، فقال : بحياتى أَنْشِدْه فأنشدتُه :

رُبَّ وَعْدٍ منْكِ لا أنسـاه لى ... أَوْجَب الشـكرَ وإنْ لم تَفعلِ
أقطعُ الدَّهْرَ بوعـدٍ حَسَنٍ ... فأُجلِّى كُرْبَـةً ما تَنْجَلِى
كلَّمـا أَمَّلْتُ يوماً صـالحـاً ... عَرَضَ المقـدورُ لى فى أَمَـلِى
وأرى الأيـامَ لا تُدْنِى الذى ... أرْتَجِى منـكِ وتُدْنِى أَجَـلى

---

(١) أغانى والدار ١٢ / ١٤٥ . التجريد جـ ١ ق ٢ : ١٣٨٦ .

فبكا أبو العتاهيةِ حتى جَرَتْ دموعُه على لِحْيَتِه وجعل يُرَدِّدُ البيتَ الأخيرَ ويبكى حتى خرج من الباب .

سمع أبو العتاهية يوماً مخارقاً يغنى :

أُحِبُّكِ حُبًّا لو يُفَضُّ(١) يسيره على الخلْقِ مات الخلقُ من شِدَّةِ الحبِّ
وأعلمُ أنِّى بعد ذاك مُقَصِّرٌ لأنَّكِ فى أعلى المراتبِ من قلْبِى

فطرِبَ ثم قال : يا أبا المُهَنَّأ من يقولُ هذا ؟ قال : فتًى من الكتَّاب يَخْدمُ الأميرَ إبراهيمَ بنَ المَهْدِىّ قال : تَعْنى محمدَ بنَ أُميَّة ؟ قال : نعم . قال : أحسن والله ، مازال يأتى بالشىء المليح .

قال الحسينُ بن الضحاك : دخلتُ أنا ومحمدُ بنُ أمية منزلَ بعض النّخاسين بالرقَّةِ أيام الرشيد ، وعنده جارية تُغَنِّى ، فوقع نَظَرُها على محمدٍ ووقع نظرُه عليها ، فقال : يا جاريةُ أتغنين هذا الصوتَ وقال لنفسه :

خَبِّرِينى من الرسولُ إليكِ واجْعَليه من لا يَنُمُّ عليكِ
وأشيرى إلىّ مَنْ هُوَ باللحـ ـظِ لِيَخْفَى على الذين لَدَيْكِ
وأقِلِّى المزاحَ فى المجلسِ اليو مَ فإن المزاحَ بين يديك

فقالت : ماأعْرِفُه وأشارَتْ إلى خادم كان على رأسِها واقفا فمكثنا زماناً ، والخادمُ الأسودُ الرسولُ بينَهُما .

لَقِى محمدُ بنُ أُميَّة مسلمَ بن الوليد الأنصارىَّ ، وهو يمشى . وطَوِيلَتُه مع بعض رُواتِه فسلَّم ، ثم قال له : قد حَضَرَنى شىء فقال له مسلم : هاتِه فقال على أنه مزاحٌ لا يُغْضَبُ منه . قال : هاته . ولو أنه شَتْم فقال :

من رأى فيما رأى(٢) رَجُلًا تِيهُهُ أرْبَى على جِدَتِه

(١) يفض : يفرق .
(٢) فيما خلا (أغانى) .

يتباهى راجلا وله شاكِرِىّ فى قَلَنْسِيتِه

فسكت عنه ولم يُجِبْه وافترقا . وكان لمحمد بِرْذَونٌ يركبه فنفق ، فلقيه مسلمٌ وهو راجلٌ فقال له : ما فَعَل بِرْذَونُك ؟ قال : نفق . قال : الحمد لله يُجازيك(١) على ما كان منك . ثم قال :

قل لابنِ مىٍّ لا تكن جازعا   لن يرجعَ البرذونُ بالليتِ
طَامَنَ أحشاءكَ فِقْدانُهُ   وكنتَ فيه عالِيَ الصَّوْتِ
وكنت لا تنزلُ عن ظهره   ولو من الُحشِّ(٢) إلى البَيْتِ
ما مات من حَتْفٍ ولكنه   مات من الشوقِ إلى الموتِ

اصطبح إبراهيمُ بن المهدىِّ يوما وعنده جماعةٌ منهم عَمْرو الغَزّال . وكان إبراهيمُ ابنُ المهدى يستثقله فاندفع عمرو الغزّالُ يغنى فى شعر محمدِ بنِ أمية :

ما تمّ لى يومُ سرورٍ بمن   أهواهُ مُذْ كنتُ إلى الليل
أغبط ما كنتُ بما نِلْتُه   منه أتتنى الرسلُ بالويل
لا والذى يَعْلَمُ كلّ الذى   أقولُه ذى العِزِّ والطَّوْلِ
مارُمْتُ مذ كنتُ لكم سَخْطَةً   بالغيبِ فى فِعْلٍ ولا قَوْلِ

فنظر إليه إبراهيم فتطيَّرَ منه ووَضَعَ القدحَ من يده . وقال : أعوذ بالله من شرِّ ما قُلْت ، فوالله ما سَكَتَ ، ونحن نتلافى إبراهيمَ حتى دخل حاجبُه يعدو ، فقال : ما الخبر ؟ قال : خرج الساعةَ مسرورٌ من دارِ أميرِ المؤمنين ، ودخل على جعفر ابن يحيى وأَخَذَ رأسَه وقَبَض على أبيه وإخوتِه وأهْلِه . فقال إبراهيم : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا غلام ارْفَعْ ما بين أيدينا . وتَفَرَّقْنا فما رأيت عَمْرًا بعدها فى داره .

---

(١) فنجازيك إذا . . (أغانى) .

(٢) الحش : مثلثة الحاء : البستان ، النخل المجتمع .

المتوكل الليثى (١)

هو المتوكلُ بن عبدِ اللهِ بنِ نهشل بن مُسَافع بن وَهْب بن عمرو بن لَقيط ابن يَعْمَر بن عوف بن عامر بن لَيْث بنِ بَـكْر بنِ عَبْدِ مناةَ بن كنانةَ بن خُزَيْمة ابن مُدْركةَ بن إلياس بن مضر بن نزار . وكنيتُه أبو جَهْمَة .

من شعراءِ الإسلامِ من الـكُوفةِ عاصر معاوية ويزيد ومدَحهما واجتمع هو والأخطلُ وناشَدَه لما قَدِمَ الأخطلُ الـكوفةَ . فقال له المتوكل : أنْشِدْنى أيها الرجلُ، فوالله لا تُنْشِدُنى قصيدةً إلا أَنْشَدْتُك مثلَها أو أشْعَر منها ، من شِعْرِى. قال : ومن أنت ؟ قال : المتوكل . قال: أنشِدْنى أنتَ ، وَيْحَك ! فأنْشَدَه من قصائد :

للغانيـــاتِ بذى المجازِ رسومُ   فببطْنِ مكـةَ عَهْدُهُن قَديمُ
فبمَنْحَرِ البُدْنِ المُقَلَّدِ من مِـنًى   حِلَلٌ (٢) تلوحُ كأنهن نُجومُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتى مِثْلَه   عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ
والهمُّ إن لم تُمْضِه لسبيله   داءٌ تَضَمَّنَه الضلوعُ مقيمُ

فقال له الأخطلُ : يا متوكلُ لو نبحَتِ الخمرُ فى جَوْفِك كنتَ أشعرَ الناس .

أتى المتوكلُ إلى عكرمةَ بن رِبْعِىٍّ الذى يقال له الفَيَّاض . فامْتَدَحه فحرَمَه ، فقيل له : جاءك شاعرُ العربِ فحرَمْتَه ! فقال : ما عرفْتُه . وأرسل إليه أربعةَ آلافِ درهم . فأبى أن يَقْبَلها وقال: حَرَمَنى على رءوسِ الناسِ ويبعثُ إلىَّ سرا.

ثم رَمِدَ المتوكلُ رَمَدًا شديدا بالحِيرَةِ، فأتاه (٣) رجلٌ فقال: هل لك فى المُداوةِ ؟ قال : افعَـلْ ، فذَرَّه فهو ذاتَ يومٍ مذرورُ العين مُسْتَلْقٍ على ظهره ، يفـكر فى هجاء

---

(١) تجريد : جـ ١ ت ٢ : ١٣٨٨ أغانى الدار ١٢ / ١٥٩ المهذب ٦/٤٤ .
(٢) الحلل جمع حلة بكسر الحاء : وهى الجماعة من بيوت القوم .
(٣) فمر به قس منهم (أغانى) ١١ : ٤٠ .

عِكْرِمَةَ ولا يَطَّرِدُ له القول فى معناه إذ أتاه غلامُه فقال : بالباب امرأةٌ تدعوك فمسح عَينيه ثم خَرَج إليها فسَفَرَتْ عن وَجْهِها فإذا هى الشمسُ حُسْنًا فقال لها : ما اسمك ؟ فقالت أُمَيَّة . فقال : ممن أنت؟ فلم تُخْبِرْه . فقال : ما حاجتُكِ ؟ قالت : بلغنى أنك شاعرٌ فأحببت أن تَنْسُبَ بى فى شِعْرك فكَرَّرَ طرفَه فى وجهِها مُصعِّدًا ومصوِّبًا ثم تلثَّمَتْ و تَوَلَّتْ عنه فاطَّرَدَ له القولُ الذى استَصْعَبَ عليه فى هجاء عِكْرِمة وافتتحه بالنسيب فقال :

أجدَّ اليومَ جيرتُك احتمالا — وحثَّ حُداتُهم بِهِمُ الجمالا
وفى الأظعان آنِسَةٌ لَعُوبٌ — ترى قَتْلِى بغير دمٍ حلالا
أُمَيَّة يوم دَيْرِ القَسِّ ضَنَّتْ — علينا أن تُنَوِّلَنا نوالا
لها بَشرٌ نَقِيُّ اللونِ صافٍ — ومَتْنٌ حُطَّ فاعتَدَل اعتدالا
إذا تَمْشِى [تأَوَّدَ جانباها] — وكاد الخصرُ ينخزِلُ انخزالا
تنوء بها روادِفُها إذا [ما — وشاحاها على المتْنَين][1] حالا

[وقال فيها يهجو عكرمة][2] :

أقلْنِى يابن رِبْعِىٍّ ثنائى — وهبها مِدْحَةً ذهبت ضلالا
وهبها مِدْحَةً لم تُغنِ شيئًا — وقَوْلًا عاد أكثَرُهُ وَبالا
أعكرِمَ كنتَ كالمُبْتَاعِ دارًا — أبَى بَيْعَ النَدامةِ فاستقالا
بنو شيبانَ أكرمُ آلِ بكرٍ — وأمتنُهم إذا عَقَدُوا حبالا
رجالٌ أُعطِيتْ أحلامَ عادٍ — إذا نَطَقُوا وأيديَها الطِّوالا
وتيمُ الله حَىٌّ حَىُّ صِدقٍ — ولكن الرَّحَى تعلو الثِّفالا[3]

---

(١) ما بين الأقواس غير واضح فى الأصل وهو عن الأغانى والتجريد .

(٢) ما بين القوسين زيادة عن الأغانى .

(٣) الثفال : جلد يبسط تحت الرحا .

المغيرة بن حبناء[1]

هو المغيرةُ بنُ حبناء بن عمرو بنِ رَبيعة بن أَسيد بن عَبْد عَوْفِ بن ربيعةَ ابن عامرِ بن رَبيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو شاعر إسلاميٌّ من شعراء الدولةِ الأمويّـة . وأبوه حَبْناء بن عمرو شاعر ، واسمُه جُبَيْر وحبناء لقبٌ غَلَب عليه ، ولقب بذلك لِحَبَنٍ[2] كان أصابه . وأخوه صخرٌ شاعرٌ وكان يهاجيه ، وكان زيادٌ الأعجمُ يهاجيه ، وبينهما مناقضاتٌ وكانا مُتكافئين فى الهجاء ، كلٌّ منهما مُنْتَصِفٌ من صاحبه .

قدم المغيرةُ بنُ حبناء على طلحةَ الطَلَحاتِ الُخزاعِيِّ ثم المُلَيْحِي أحد بنى مُلَيْحٍ فأنشده من أبيات :

لقد كنتُ أسمَى فى هواك وأبتَغِى ... رضاكَ وأرجو منك ما لستُ لاقيا
وأبذُلُ نفسى فى مواطنَ غيرُها ... أحبُّ وأعصى فى هواكَ الأَدانيـا
حِفاظاً وتمْسيكا لمـا كان بيننـا ... لِتَجْزَينى مالا إخالُك جازيا
رأيتك ما تنفكُّ منك رَغِيبَـةٌ ... تُقَصِّر دونى أو تحلُّ ورائيـا
أرانى إذا استمطرت منكَ رَغيبةً ... لِتُمطِرَنى عادتْ عجَاجا وسافِيـا[3]
وأدليتُ دَلْوى فى دلاءٍ كثيرة ... فأُبْنَ مِلاءً غير دَلوى كما هيـا
ولست بلاقٍ ذا حِفاظٍ ونَجْدَة ... من القوم حُراً بالخسيسةِ راضيـا
فإن تدنُ منى تَدْنُ منك مَوَدَّتى ... وإن تنأَ عنى تُلفِنى عنك نابيـا

---

(١) أغانى الدار ١٣ / ٨٤ ، تجريد حـ١ ق٢ : ١٤٦٤ ، مهذب ٥ : ١٠٨ ، الشعر والشعراء ٢٤٠

(٢) الحبن : ورم فى البطن .

(٣) العجاج : الغبار ــ والسافى ، الريح التى تحمل التراب .

فلما أنشده هـذا الشعرَ قال : أما كُنَّا أعطيناك شيئًا ؟ قال : لا . قال : فأمر طلحةُ خازِنَه فأخرجَ دُرْجاً فيه حِجارةُ ياقوتٍ فقال : اختر حَجَرَيْن من هذه الأحجار أو أربعين ألفَ درهم . فقال : ما كنت لأختار حجارةً على أربعين ألفَ دِرهم . فأمر له بالمال ، فلما قبضه سأله حجراً من أولئك ، فوهبه له ، فباعه بعشرين ألفَ دِرْهم ، ثم مدحه فقال :

أرى الناسَ قد مَلُّوا العطاء ولا أرَى ... بَنِي خَلَف إلا رِواءَ المـوارد

إذا نَفعوا عادوا لمن يَنْفعونه ... وكائِنْ ترى من نافع غير عائد

إذا ما انجلتْ عنهم غمامة(١) غَمْرَةٍ ... من الموت أجلت عن كرامٍ مَذاود(٢)

تسود غطاريفَ الملوكِ ملوكُهم ... وماجدُهم يعـلو على كلِّ ماجدِ

لما هزَم المهلبُ بنُ أبي صُفْرَةَ قَطَرِيَّ بنَ الفُجاءةِ بسابورَ جلسَ للناس فدخل إليه وُجوه الناسِ يُهنئونه ، وقامت الخطباء فأثنَتْ عليه ، والشعراء مدحته وقام المغيرةُ ابنُ حبناء فأنشد :

حال الشَّجا دونَ طَعْمِ العيش والسَّهَرُ ... واعتادَ عَيْنَك من إدمانِها الدِّرَرُ(٣)

واسْتَحْقَبَتْكَ أمورٌ كنتَ تكرَهُها ... لو كان ينفعُ منها النأْيُ والحَذَرُ

وفي المواردِ للأقوامِ تَهْلُكة ... إذا المواردُ لم يُعْلَم لها صَدَرُ

ليس العزيزُ بمن تَغْشَى محارِمُه ... ولا الكريمُ بمن يُجْفَى ويُحتقَرُ

منها :

أمْسَى العبادُ بِشَرٍ لا غياثَ لهم ... إلا المُهلَّبُ بعـدَ اللهِ والمَطَرُ

كلاهما طيبٌ تُرجى نوافِلُه ... مبارَكٌ سَيْبُه يُرجى ويُنتظرُ

---

(١) في رواية : عماية .

(٢) جمع مذود وهو الدفاع عن العشيرة .

(٣) الدرر بالكسر جمع درة وهي كثرة اللبن ، يريد بذلك انسكاب الدموع بغزارة .

لا يَحْمُـدانِ عليهم عند جهدِهِمُ ... كلاهما نافـعٌ فيهم إذا افتقدُوا
هذا يَجود(١) ويَحمى عن ذِمارِهِم ... وذا تَعيشُ بـه الأنعامُ والشَّجَرُ
واستسلمَ الناسُ إذ حَلَّ العدوُّ بهم ... فـلا رَبيعتَهم تُرْجى ولا مُضَر
وأنت رَأْسٌ لأهل الدين مُنْتَخَبٌ ... والرأسُ فيه يكون السمعُ والبصرُ
إن المهلبَ فى الأيـــامِ فَضَّلَه ... على منازلِ أقـوامٍ إذا ذُكروا
حزمٌ وجـــودٌ وأيامٌ له سَلَفَتْ ... فيها يُعَدُّ جسيمُ الأمرِ والخَطَرُ
ماضٍ على الهولِ لا ينفكُّ مُرْتَحِلًا ... أسباب معضلةٍ يعيـا بها البَشَرُ
سهلُ الخلائق يعفو عنـد قُدْرَتِه ... منه الحياءُ وفى أخلاقه الخَفَرُ
شِهابُ حَرْبٍ إذا حَلَّتْ بساحتِه ... يُخزِى به اللهُ أقواما إذا غدروا
تَزِيدهُ الحربُ والأهوالُ إن حَضَرَتْ ... حَزما وعَزما ويجلو وجْهَه السَّفَرُ
ما إن يزالُ عـلى أرجاء مُظْلِمَةٍ ... لولا يُكَفْـكِفها عن مِصْرِهم دَمَروا(٢)
سهلٌ إليهمْ حليمٌ عن مَجاهلهم ... كأنما بَيْنَهُم عثمانُ أو عُمَرُ
كهفٌ يلوذون من ذُلِّ الحياة بـه ... إذا تَـكَنَّفَهم من هـولِها ضَرَرُ
أَمْنٌ لخـائفهم فيضٌ لسائلهم ... تنتابُ نائِلَهُ البادون والحَضَرُ

فلما أتى على آخِرِها قال المهلب : هذا واللهِ الشِّعْرُ ، لا ما نَتَعَلَّل به منذ اليوم — وأمر له بعشرةِ آلافِ دِرْهم وفرسٍ جـوادٍ ، وزاد فى عطائه خمسمائةِ دِرْهم . وكان السببُ فى التهاجى بـين زيادٍ الأعجم والمغيرة أنهما اجتمعا عند المُهَلَّبِ وكعباً الأشْقَرِىّ ، وقد امتدحوه ، فأمَرَ لهم بجوائزَ وفضَّل زياداً عليهم ، ووهب له غلاماً فصيحاً يُنْشِدُ شِعْره ، لأن زيادا كان ألْكَن لا يُفْصِح ، وكان راوِيتُه يُنْشِدُ عنه .

---

(١) يذود (مهذب) ٥ : ١٠٩ .

(٢) دمروا : هلـكوا .

وكان زياد إذا أنْشَد بين يدى المهلب استجاد شعرَه وعابَ لسانَه فقال له : يا زياد لم لا يكون لك غلامٌ يُنشِد [بين يديك](١) فَتَجَمَّلَ بلسانه شِعْرَكَ ؟ فقال: إنه تَعرَّفَ على غلام فصيح وبودى لوجدت بذلك ، وكان عند المهلب غلامٌ فصيح ، فأمر له به وقال : احتفظ بهذا الغلام فقد [آثرتك] به ، وأمرَ له بجائزة سَنية إكراما له [لأنه استجاد] شعره على [غيره] وكان [قبل ذلك] راويته يُنشِدُ عنه ويجعل له سهْما ويتكلفُ مؤونَتَه ، فلما كان فى تلك الدفعة لم يكن معه فاستوهب منه الغلام فوهبه له فصعب ذلك عليهم فابتدر له المغيرة من بينهم فقال للمهلب : ما السبب فى تفضيل الأمير زياداً علينا ؟ فوالله ما يغنى غناءنا فى الحرب ولا هو بأفضلنا شعرا ولا بأصدقنا وداً ، ولا أشرفنا أبا ولا أفصحنا لسانا ، ولقد مدحت الأمير بقصيدة تفضل على قصيدته فى سائر المعانى ، [وإن أَحَبَّ الأميرُ أن يجمع بين الكلامين فعل] فقال : والله ما جهلت شيئا مما قلت ، وإن الأمر فيكم عندى لمتساو ، ولكنّ زيادا يكرم لِسِنِّه وشعره وموضعه من قومه وكلكم كذلك عندى وما فضلته بما يُنفَس به وأنا أعوضكم بعد هذا بما يزيد على هذا. فقال المغيرة : إنما تكلمت بما تكلمت ضنًّا منى بموضعى عند الأمير ، ولأن أعلم ما فى نفسه ، وإذا كان ذلك رأيه فىَّ فما أبالى بشىء ، وانصرف فبلغ ذلك زيادا فقال : يا قوم رأيتم إلى المغيرة كيف نفس علىَّ موضعى من الأمير وحسدنى عليه ، أتراه ظن نفسه مثلى عند الأمير ؟ أو ترى الأمير [أَخْطَأَ] فى تقدمتى وأصاب المغيرة ؟ فبلغ المغيرةَ ذلك فقال : أما أنا فقد أبنت [بتهيئتى الشعر] أنى أفضل منه وسألته أن يوافقنى على ذلك فرأيته قد عرف ماقلت ، وبلَّغنى ماأردت منه ، وأما زياد فإن أحب أن يعرف موضعه منى [فليركب ماشاء من] الشعر حتى أجيبه ويعرف الناس فضلى من فضله فلما بلغ ذلك زيادا قال: سيعلم المغيرة كيف حاله إذا أفضحه هجائى وقال :

(١) ما بين الأقواس عن الأغانى .

أرى كلَّ قومٍ ينسلُ اللؤمُ عندهم واؤمُ بنى حبناءَ ليس بناسلِ
يشبُّ مع المولود مثلَ شَبابه وتلقاه مولوداً بأيدى القوابلِ
وترضعه من ثَدْى أمٍّ لئيمةٍ ويُخْلق من ماء امرئٍ غيرِ طائلِ (١)
تعالوا فعدُّوا فى الزمان الذى مضى فكلُّ أناسٍ مجدهُم فى الأوائلِ
لكم بفَعَالٍ يعرفُ الناس فَضْلَه إذا ذكر الأملاء(٢) عند الفضائل
فغازيكُمُ فى الجيش ألأمُ من غزَا وقافِلُكم فى الناس ألأمُ قافلِ (٣)
وما أنتمُ من مالكٍ غيرَ أنَّكُمْ كمغرورةٍ بالبوِّ فى ظلِّ باطلِ
بنو مالك زُهْرُ الوجوه وأنتم تبيَّن ضَاحِى لُؤْمِكم فى الجحافلِ

يُعَرِّض ببرص كان بالمغيرة بنِ حبناء ، وكان زيادٌ قد عَيَّر المغيرةَ فى مجلس المُهلَّبِ بالبرَص ، فقال له المغيرة : إن عِتاقَ الخيلِ لا تَشينُها الأوضاح . ولا تُعَيَّرُ بالغُرَرِ والحُجولِ . وقد قال صاحبنا بَلْعاءُ بن قيس لرجلٍ عَيَّرَه بالبرص : إنما أنا سيفُ الله جَلاه واسْتَلّه على أعدائه ، فهل تُغْنِى يا بن العجماءِ غِنَائى أو تقومُ مقامى ؟

وقال المغيرة يجيب زياداً :

أزيادُ إنّك والذى أنا عَبْدُه ما دُونَ آدمَ من أبٍ لك يُعْلَمُ
فالْحَقْ بأرضك يا زيادُ ولا تَرُمْ مالا تُطيقُ فأنت عِلْجٌ أعْجَمُ
أظننتَ لُؤْمَك يا زيادُ يَسُدُّه قوسٌ سَتَرْتَ بها قَفاك وأسْهُمُ
عِلْجٌ تَعَمَّمَ ثم رَاق بقَوْسِه(٤) والعِلْجُ تَعْرِفُه إذا يتعمم

---

(١) يقال: ما هو بطائل، للخسيس الدون .
(٢) الأملاء ، جمع ملأ وهم الأشراف .
(٣) القافل : الراجع .
(٤) راق بقوسه : ظن أنه راق بها أى زاد فضلا .

أَلْقِ المصابةَ يا زيادُ فإنما أخزاكَ ربى إذ غدوْت ترنّمُ
واعلم بأنك لست منى ناجيا إلا وأنت ببظرِ أمِّك مُلْجَمُ
تهجو الكرامَ وأنت ألأمُ من مشى حسباً وأنت العِلْجُ حين تكلّمُ
ولقد سألتُ بنى نزارٍ كلّهم والعالمين من الكهولِ فأقسموا
بالله مالكَ فى مَعَدٍّ كلها حَسَبٌ وأنك يا زياد مُؤَذَّمُ

فأجابه زياد وجرت بينهما مناقضات .

كان المغيرةُ يوماً يأكل مع المُفَضَّل بن المُهَلّب فقال المفضل :

فلم أر مثلَ الحَنْظَلِىِّ ولَوْنه أكيلَ كرامٍ أو جليس أميرِ

فرفع المغيرةُ يده وقال وقام غاضباً :

لا تحسبَنَّ بياضا فىَّ مَنْقَصَةً إن اللهاميمَ فى ألوانها بَلَق

وبلغ المهلبَ ما جرى بينهما فتناولَ المُفَضَّل بلسانه وشتمه ، وقال : أردت أن يَتَمَضَّغَ أعراضنا ، ما حملك على أن أَسْمَعْتَه ما كَرِه بعد مواكلتك إياه ؟ أما إن كنتَ تعافُه فاجْتَنِبْه أو لم تُؤْذِه ، ثم بعثَ إليه بعشرة آلاف درهم واستَصْفَحه عن المفضلِ . واعتذر إليه عنه ، فقبل رِفْده وعُذْرَه ، وانقطع بعد ذلك عن مؤاكلة أحدٍ منهم .

وقال زياد يهجو المغيرة بن حبناء :

عجبتُ لأبيضِ الخُصْيَين عَبْدٍ كأنَّ عجانَه الشِّعرى العَبورُ

فقيل له : يا أبا أمامة لقد شرَّفْتَه إذ تقول : كأن عجانَه الشِّعْرى العبورُ ورفعت منه فقال . سأزيدُه شرفاً ورِفْعَةً ثم قال :

لا يبرحُ الدهرَ منهم خارئٌ أبداً إلا حَسِبْتَ على باب اسْتِه القَمَرا

وتقاولا يوماً فى مجلس المهلب فقال المغيرة لزياد :

أقولُ له وأنكر بعضَ شأنِى أَلَمْ تعرفْ رقابَ بنى تميمِ

فقال له زياد :

بـلى وعرفتهن مُقَصِّراتٍ　　　جِباهُ مَذَلَّةٍ وسِبالُ أُومِ

وكانت ربيعةُ تقولُ لزيادٍ الأعجم : يا زياد ، أنت لسانُنا فاذْبُب عن أعراضنا بشعرك ، فإن سيوفَنا معك ولن نُسْلِمَك ولن نَخْذُلك فبلغ ذلك ابنَ حَبْناء فقال :

يقولون ذبِّبْ يا زيادُ ولم يكنْ　　　ليُوقِظَ في الحرب المُلِمَّةِ نائما

ولو أنهم جاءوا به ذا حَفيظـــة　　　فيمنَعَهم أو ماجدًا أو مُراغمـــا

ولـكنهم جاءوا بأقْلَفَ قد مضت　　　له حِجَجٌ سبعون يُصْبِحُ رازِما(١)

لئيما ذَميما أعْجَمِيًّا لســـانُه　　　إذا نال دَنًّا لَمْ يبالِ المكارما

وما خلت عبـــد القيس إلا نفـاية　　　إذا ذَكَر الناسُ العُلا والعظائما

إذا كنتَ للعَبْدِيِّ جارا فلا تزَلْ　　　على حَذَرٍ منه إذا كان طاعما

أناسا يعدون الفساءَ لجارِهم　　　إذا شَبِعوا عدّ الجُبَاة الدراهما

من الفَسْو يقضون الحقوقَ عليهم　　　ويُعْطون مَولاهم إذا كان غارِما

لهم زَجَلٌ فيه إذا ما تجاوبوا　　　سمعتَ زفيرا فيهمُ وهَمَاهِما(٢)

لعمرك ما نجَّى ابنَ زوران إذ عوى　　　ربيعة مني يوم ذلك سالما

أظَن الخبيثُ ابنُ الخبيثين أنني　　　أسَلِّم عِرضِي أو أخافَ المقاوما

لعمرك ما تهدى ربيعة للحجا　　　إذا جعلوا يستصرخون الأعاجما

فجاءت عبد القيس إلى المغيرة وقالوا: يا هذا ما لنَا ولك تعُمُّنا بالهجاء لأَنْ نبَحَك منا كلب قد تَبَرَّأْنا إليك منه ، فإن هجاك فاهْجُه وخَلِّ عنا ودَعْنا وأنت وصاحبُك أعلم فليس منَّا له عليك ناصرٌ. فقالوا: يا هذا نحن نسألك أن تعفينا من الذى أنتما فيه فقال المغيرة :

---

(١) يقال : رزم رزوما : إذا سقط من الإعياء ولم يتحرك فهو رازم .

(٢) الهماهم: تردد الزئير فى الصدر .

لعمرُك إنى لابنِ زورانَ إذْ غوَى ... لَمُحْتَقِرٌ فى عودة الود زاهد
وما لك أصلٌ يا زيادُ تَعُدُّه ... وما لك فى الأرض العريضةِ والدُ
ألم ترَ عبدَ القيس منك تبرَّأَتْ ... فلاقيتَ ما لم يلقَ فى الناس واحدُ
وما طاش سَهْمى عنك يوم تبرَّأَتْ ... لُكَيْزُ بنُ أفصى منك والجندُ حاشدُ
وما أنت بالمنسوب فى آلِ عامرٍ ... ولا ولَدَتْك المحصناتُ الأماجدُ
ولكن غذاك المشركون وزاحَمَتْ ... قفاك وخَدَّيْك البظور العوارد
ولم أر مثلى يا زياد بِعِرضِه ... وعرضك يَسْتَبّان والسيفُ شاهد
ولو أننى [غشيتك] السيف لم يُقلْ ... إذا مِتَّ إلا مات علجٌ معاهدُ

[ولما امتلأتْ يَدُ] المغيرةِ بنِ حنباء من جوائز المهلب عاد إلى أهْلِه ، وكان أخوه ، صخرُ بن حبناء ، أصْغَرَ منه ، فكان يأْخَذُ على يدِه وينهاه عن الأَمْرِ ، ولا يزال يعْتِبُ عليه فى الشيء بَعْدَ الشيء فقال فيه صخر :

رأيتكَ لما نلتَ مالا وعَضَّنا ... زمانٌ نرى فى حَدِّ أنيابه شغبا
تَجَنَّى علىَّ الدهرَ إنى مُذْنِبٌ ... فأمْسِكْ ولا تجعلْ غناك لنا ذَنْبا

فقال المغيرة يجيبه :

لحى الله أنْآنا عن الضيف بالقِرَى ... وأقْصَرَنا عن عِرْضِ والده ذَبَّا
وأجدرنا أن يدْخَلَ البيتَ باستِه ... إذا القُفُّ[2] دَلَّى من مخارِمه رَكْبا

وكانت أختُ المغيرةِ تشكو إليه أخاها صخرًا أنه أسْرَعَ فى مالها وأتْلَفَه وأنها مَنَعَتْه شيئا يسيرا بَقِىَ لها فَضَرَبها فقال المغيرة :

ألا مَن مبلغٌ صَخْرَ بنَ ليلى ... فإنى قد أتانى من نثاكا[3]

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

(٢) القف : بالضم ما غلظ من الأرض وارتفع — والمخارم جمع مخرم وهو الطريق فى الجبل .

(٣) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيىء والمراد هنا الشر.

رسالة ناصحٍ لك مُسْتَجِيبٍ ... إذا لم تَرْعَ ذِمَّته رعاكا
وَصُولٌ لو يراك وأنت رَهْنٌ ... تبــاعُ بماله يوما فَداكا
يَرَى خيرا إذا ما نلتَ خَــيْرا ... ويَشْجَى فى الأمور بما شَجَاكا
فإن تَكُ لا ترى أسماءَ أُخْتًا ... فلا تَرَيَنَّنِى أبداً أخاكا
وإن تَعْنُف بهـا أو لا تَصِلْها ... فإن لِأُمِّهـا ولداً سِــواكا
يَبَرُّ ويستجيبُ إذا دَعَتْــه ... وإن عاصَيْتَه فيهـا عَصاكا
وكنت أرى بهـا شَرَفا وفَضْلا ... على بعض الرجال وفَوْقَ ذاكا
جَزانى اللهُ منك وقد جَزانى ... ومِنِّى فى معاتبنـا جزاكا
وأعْقَبَ(١) أصدقَ الخصمين قولا ... وولَّى اللؤمَ أولانا بذاكا
فلا واللهِ لو لم تَعْصِ أمرى ... لكنتَ بمعزِلٍ عمـا نهاكا

فأجابه أخوه صخر :

أتانى عن مغـيرةَ زُورُ قَوْلٍ ... تَعَمَّدَه فقلتُ له كذاكا
يَعُمُّ به بَنِى ليــلى جميعـا ... فَوَلِّ هجاءهم رجــلًا سِواكا
فإن تك قد قطعتَ الوصل منى ... فهذا حين أَخْلَفَنى مُناكا
تُمَنِّينِى إذا ما غبتَ عنى ... وتُخْلِفُنى مُنَاىَ إذا أراكا
وتُولِينى ملامةَ أهـــلِ بيتى ... ولا تُعْطِى الأقاربَ غَـيْرَ ذاكا
فإن تك أُخْتُنا عَتِبتْ علينـا ... فلم(٢) تَصْرِمْ لِظِنَّتِها أخاكا
فإنَّ لهـا إذا عَتِبتْ علينـا ... رضاها صابرين لهـا بذاكا
وإن تك قد عَتِبْتَ علىَّ جهلا ... فلا والله لا أَبْغِى رِضاكا

(١) وأعتب (مهذب الأغانى) : ١١٣ .
(٢) فلا تصرم (أغانى) .

فقـــد أعلنتُ قولك إذْ أتانى ... فأعْلِنْ من مَقالِى ما أتاكا
سَيُغْـنِى عنك صَخْرًا ربُّ صَخْرٍ ... كما أغنـاك عن صَخْرٍ غِناكا
ويُغْنِينى الذى أغنـاك عَنِّى ... ويكفينى الإلهُ كما كَفاكا
ألم تَرَنِى أجودُ لـكم بمـــالى ... وأرْمِى بالنـــوافِرِ من رماكا
وأنى لا أقُود إليك حَـــرْبا ... ولا أَعْصِيك إنْ رَجُلٌ عَصاكا
ولـكنى وراءك شَمَّرِىٌّ ... أحامِى قَدْ عَلِمْتَ على حِماكا
وأَدْفَـعُ أَلْسُنَ الأعداءِ عنـكم ... ويَمْنِينِى العــدوُّ إذا عناكا
وقد كانَتْ قريبة ذاتَ حَقٍّ ... عليك فلم تُطـالِعْها بذاكا
رأيتُ الخَيْرَ يقْصُرُ منك دونى ... وتبلغنى القوارصُ من أذاكا

وكان المغيرة أَبْرَصَ وأخـوه صخرٌ أَعْوَر وأخوهما الآخر مَجْذوم وكان بأبيه حَبَنٌ(١) فلُقِّبَ حَبْناء . فقال زيادٌ الأعجمُ : ياقوم ، رأيتم من أكمل ما أكمله المغيرة ابن حَبناء هو أَبْرَصُ وأخوه أعْوَرُ وأخوه مَجْذوم وأبوه بــه حَبَن فلُقِّب حبناء ، وهو لئيم فى نفسه فمن يعرفون أكمل هو وأهله ما أكمل المغيرة فقالوا : يا زياد ، لقد رميت برام ما أخطأت منه شيئا فهل قلت فى ذلك شيئا ؟ قال : أى والله وأنشد :

إنّ حبناءَ كان يُدْعى جبـــيراً ... فدَعَوْهُ من لُؤْمِــــه حبناءَ
ولد العورُ منـه والبرصُ والجَـذْ ... مَى وذو الـداءِ يُنْتِجُ الأدواءَ

فيقال : إن هذه الأبياتَ آخر ما تهاجيا به ، لأن المغيرةَ لما بلغه ذلك قال : ما ذنبُنا فيما ذَكَر ! هـذه أدواء ابتلانا الله بها ، ليست هى أشياء اكْتَسبْناها فيـكونَ علينا عارُها وإنما يُعيَّرُ المرء بما يَـكْتَسِبُه ، وأرجو أن يَجْمَع الله تعالى عليه هـذه الأدواءَ كلها ، فبلغَ ذلك زيادا من قوله ولم يُجِبْه المغـيرةُ فأمْسَك زيادٌ وتـكَافَّا .

---

(١) الحبن محركة : داء فى البطن يعظم منه ويرم، الاستسقاء .

قال الأصمعيُّ : لم يقل أحدٌ فى تفضيل أخٍ على أخيه وهما لأبٍ وأمٍّ مثل قول المغيرة لأخيه :

أبوكَ أبى وأنت أَخى ولكن　　تفاضَلَتِ الطبائعُ والظروفُ
وأمكَ حين تُنْسَبُ أمُّ صِدْق　　ولكنَّ ابنَها طبعٌ سخيفُ

وكان عبدُ الملك إذا نظر إلى أخيه معاوية ، وكان ضعيفا يتمثل بهذين البيتين .

نظر الحجاجُ إلى يزيدَ بنِ المهلب يَخْطُرُ فى مِشْيته فقال : لعن اللهُ المغيرةَ بن حبناء حيث يقول :

جميلُ المُحَيَّا بَخْتَرِىٌّ إذا مَشَى　　وفى الدِّرْعِ ضَخْمُ المنكبين شِناقُ(١)

فالتفت إليه يزيد فقال : يقول فيها :

شديدُ القُوَى من أهْلِ بيتٍ إذا وَهَى　　من الدِّينِ فَتْقٌ حُمِّلوا فأَطاقوا
مراجيحُ فى اللَّأْواءِ إن نزَلَتْ بهم　　ميامينُ قد قادُوا الجيوشَ وساقوا

ولما قُتِل المغيرةُ بنُ حبناءَ جعل وهو يجودُ بنفسه يأخذ من دَمِه ويكتبُ على صدره أنا المغيرة بن حبناء ثم مات .

(١) الشناق : الطويل .

منصور النمرى (١)

هو منصورُ بنُ الزبرقانِ بن سَلَمة ، وقيل منصورُ بن سَلَمة بن الزبرقانِ بن شَريكِ بن مُطعِم الكَبْشِ الرَّخَم بنِ مالك بن سَعْد بن عامرِ الضَّحْيان بن سعد بن الخزرج بن تَيْم اللهِ بن النَّمر بن قاسط ، وإنما سُمِّى عامرٌ الضَّحيان لأنه كان سَيِّداً فى قومه ، وكان حاكِمَهم وكان يجْلِسُ لهم إذا أضْحى النهارُ فسمى الضَّحْيَانَ ، وسُمِّىَ جَدُّ منصورٍ مطعمَ الكَبْشِ الرَّخَم لأنه أطْعَمَ ناسا نَزَلوا به ونَحَر لهم ، ثم رفع رأسه فإذا هو برَخَمٍ يَحُمْن حول أضيافِه فأمر بأن يُذْبَح لهم كَبْشٌ ويُرْمَى بين أيديهم فذُبِحَ الكبشُ وسُلِخَ و نُظِّفَ [ورُمِى به بين أيديهم فنزل] الرخم [فمزقته وأكلته] فسمى مطعم الكبشِ الرَّخَم . وفى ذلك يقول أبو نُمَيْجَةَ النَّمَرىّ يمدح رجلا منهم :

أبوكَ زعيمُ بنى قاسطٍ وخالُك ذو الكَبْشِ يُقْرِى الرَّخَمْ

ومنصورٌ شاعرٌ من شعراء الدولةِ العباسيةِ من أهل الجزيرةِ وهو تلميذُ كُلثومِ بن عمرو العَتَّابى وراويتُه ، وعنه أخَذَ ومن بحره اسْتَقَى وبمذهبه تشبَّه ، ووصَفَه العتابىُّ للفضل بنِ يحيى بن خالد وقرظه عنده حتى اسْتَقْدمه من الجزيرة ، ووصله بالرشيد ، وتهاجَرا بعد ذلك ، وعمل كلٌّ واحدٍ منهما على هَلاكِ صاحبه ، وكان منصور قد عَرَفَ مَذْهَبَ الرشيدِ فى الشعرِ ورغْبَتَه فى أن يَصِلَ مَدْحَه بنفىِ الإمامة عن آل أبى طالبٍ والطعنِ عَلَيْهم ، وعَرَف أنَّه ما يُقَدِّم مروانَ بنَ أبى حفصة إلا لسبب ذلك ، فنحا نَحْوه لكنه لم يُصَرِّح بالهجاء ، وحامَ ولم يَقَعْ ،

---

(١) أغانى ساسى ١٢ : ١٦ – تجريد ج ١ ق ٢ : ١٤٨١ . الدار ١٣ / ١٤١ .

لأنه كان يَتَشيَّعُ . وكان مروانُ بن أبى حفصة شديدَ العداوةِ لآل أبى طالب ، وكان ينطق على نيّةٍ قوية يَعْضدها طلبُ الدنيا فلا يُبْقِى ولا يَذَر .

ولما وصَفَه البرامكةُ للرشيد : أحبَّ أن يسمع كلامَه فأمرهم بإقدامِه ، فقدم ونزل عليهم ، فقالوا له : إنا قد ذكرناك لأمير المؤمنين ، وقد أحبَّ أن يراك ويسمعَ شِعْركَ فانظر كيف تكون ، فقال : إن الله تعالى قد مَنَّ بكم عَلَيَّ ورفع ذكرى بكم ، وقد ذكرتمونى عند أمير المؤمنين [بحال أنا] أجتهد فى الإقامة بها ، والمعينُ على ذلك هو الله عز وجل ، ثم أمرهُم الرشيدُ بإحضاره وصادف دخولُه إليه يوم نَوبةِ مروانَ ابن أبى حفصة فسلَّمَ على الرشيد ودعَا فأحْسَنَ فحسَدَه مراونُ على ما سمع من بيانه ، وكان مروان يقول قبل قدومه : هذا شامِىّ وأنا حِجازىٌّ نَجْدِىٌّ وبَيْن الحجازى والشامِىِّ فَرْقٌ أفتراه يكون أشعرَ منى ، ودخَلَه من ذلك ما يدخل مِثْلَه من الغمِّ والحسَدِ لما سمع ثناءه وعلم أن [وراء ذلك] فصاحة [فاستقر] فى نفسه [جودة] شعره فحزن لذلك واستنشد الرشيد منصورا فأنشده :

أميرَ المؤمنين إليك خُضنا غِمارَ الهَوْلِ من بلد شَطِيرِ
بِخُوصٍ كالأهلةِ خافقاتٍ تلينُ على السُّرَى وعلى الهَجيرِ
حَمَلْن إليك آمالًا ثِقالًا ومثل الصَّخْرَةِ الدُّرُّ النثيرُ
فقد وقَفَ المديحُ بمنتهاه وغايتِه وصار إلى المصيرِ
إلى مَنْ لا يشيرُ إلى سواه إذا ذُكِر النَّدى كفُّ المشيرِ

فقال مروان وقد سَمِعه يُنْشِدُ : وددتُ والله أنه أخَذَ جائزتى وسَكَتَ ثم مرّ منصورٌ فى قصيدَتِه إلى أن ذَكَر يحيي بنَ عبدِ الله بن حسن فيها فقال :

يُذَلِّلُ من رقابِ بنى عَلِيٍّ ومَنٍّ ليس بالمنِّ الصَّغيرِ
مَنَنْتَ على ابنِ عبدِ الله يحيي وكان من الحُتوفِ على شَفيرِ

(١) ما بين الأقواس عن الأغانى .

قال مروان: فما بَرِحْتُ حتى أمرنى الرشيدُ أن أُنْشِده وكان يَتَبَسَّم فى وقت ما [كان] ينشِده النَّمَرِىّ وينظر إلىّ فأنشدته قصيدتى التى أقول فيها :

موسى وهارونُ هما اللذان   فى كُتُبِ الأخبارِ يُوجدانِ
مِنْ وَلَدِ المَهْدِىِّ مَهْدِيّان   قد أطلق المَهْدِىُّ لى لسانى
وشَدَّ أزرى ما به حَبَانى   من اللُّجَيْنِ ومن العِقْيانِ

قال : والله ماعاج النمرىُّ بذلك ولا احْتَفَل به ، فأومأ إلىّ الرشيد أن زِدْهُ فأنشدته قصيدتى التى أقول فيها :

خلُّوا الطريق لمعشرٍ عاداتُهم   حَطْمُ المناكبِ يومَ كل زحامِ
وارْضَوا بما قَسَمَ الإلهُ لكم به   ودعوا وراثة كل أَصْيَدَ سامِ
أنَّى يكون وليس ذاك بكائنٍ   لبَنِى البناتِ وراثةُ الأعمام

قال : فوالله ما عاج بشىء منها ، وغلب على الرشيد وخرجت الجائزتان فأعطى مروانَ مائةَ ألفٍ وأعطى النمرىَّ سبعين ألفا ، وقيل له : أنت مريد فى بنى على .

ولقد خلص النمرى إلى شىء ليس عليه فيه شىء وهو قوله :

فإن شكروا فقد أَنْعَمْتَ فيهم   وإلا فالندامــــةُ للكَفُور
وإن قالوا بنو بنت[1] فحق   وردوا ما يناسب للذكور
وما لِبَنِى بنـــاتٍ من تُراثٍ   مع الأعمـام فى وَرَقِ الزَّبور

وكان مروان يتَـأَسَّفُ على هذا المعنى ألا يكونَ سبقه إليه.

وكان الرشيد يحتمل أن يُمْدَح بما مُدِح به الأنبياء ولا ينكرُ ذلك ولا يردُّه حتى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولدِ زُهَيْرِ بن أبى سُلمى فأفرط فى مدحه حتى قال :

* فكأنه بَعْدَ الرسولِ رسولُ *

---

(١) فى الأصل (ابن ابنته) وما أثبتناه عن الأغانى .

فغضب هارونُ وقال له : ويلك اِنْسَ هذا السرفَ الذى يضع ولا يرفع ، ويلك أتظنُّ أن هذا يعجبنى ، أو أُحِبُّه ، لا والله لقد جهلتَ وما علمتَ ، قد رفع الله منازلَ الأنبياء على منازل الخلفاء ولم يَنْتَفِع أحدٌ بهارون يَوْمَه وقال : لا تعطوه شيئا فصَرفَه ولم يُعْطِه شيئا ، وأنشده منصورُ النمرىُّ قصيدةً مدحه بها وهجا آل على، عليهم السلام، وثَلَبَهُم فضجر هارونُ ضجرًا شديدا وقال: يا ابن اللخناء أتظنُّ أنك تَتَقَرَّبُ إلىَّ بهجائك أقواما أبوهم أبى ، ونَسَبُهم نَسَبى ، وأصلهم أصْلِى وفَرْعُهُم فرعى ، وأنا منهم وهُمْ منِّى ، فقال : ما شَهِدْنا إلا بما عَلِمْنا ، فازداد غَضَبُه وأمَرَ مسرورًا فوَجَأَ عُنُقَه وأُخْرِجَ ثم دخَلَ عليه يوما بعد ذلك فأنشده :

بنو حَسَنٍ ورَهْطُ بنى حُسَيْنٍ ... عليكم بالسَّدادِ من الأمورِ
فقد ذقتم قِراع بَنِى أبيكم ... غداةَ الرَّوْعِ بالبيضِ الذُّكورِ
أحين شَفَوْكُمُ من كُلِّ وِترٍ ... وضَمُّوكُمْ إلى كَنَفٍ وثيرِ
وجادَتْكُمْ على ظمأٍ شديدٍ ... سماءٌ من نوالهم الغزيرِ
فما كان العقوقُ لهم جزاءً ... بفعلهم وإدراكُ الثُّؤُورِ
وإنك حين تُبْلِغُهم أذاةً ... وإن ظَلَموا لمحزونُ الضميرِ

فقال له: صدقت وإلا فعَلَىَّ وعَلَىَّ ، إنى [لذلك الأذى الحالِّ بهم لكاره] (١) وإنما أفعله إذا خشيت على نفسى منهم، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

قال مروانُ بنُ أبى حفصة: خرجنا مع الرشيدِ إلى بلادالروم فنالته شِدَّةٌ شديدةٌ، وظَفِرَ وقد كاد أن يَعْطَبَ ، لولا الله عَزَّ وجل ، ثم يَزِيد بن مَزْيَد فقال لى وللنمرى أنشدا فأنشَدْته قولى :

طَرَقَتْكَ زائرةً فحَىِّ خيالَها ... بيضاءُ تَخْلِطُ بالجمالِ دَلالَها

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى .

ووصَفْتَ الأسرى من الرجال وكيف أسْلَمُوا نساءَهم ، والظفرَ الذى رزَقه فقال: عدُّوا قصيدتَه فكانت مائةَ بيتٍ ، فأمر لى بمائةِ ألفِ دِرْهم ، ثم قال للنَّمَرِىّ : كيف رأيت فرَسِى فإنى أنكَرْتُه ، فقال النمرى :

مُضِرٌّ(١) على فَأْسِ اللجامِ كأنه إذا اشتبكَتْ أيدى الجيادِ يطيرُ

فأقسم لا ينسى لك اللهُ أجْرَها إذا قُسمَتْ بين العبادِ أُجورُ

قال النمرى : ثم قلت فى نفسى : ما يمنعنى من إذْكارِه بالجائزة فقلت :

إذا الغيثُ أكْدَى واقشَعَرَّتْ نجومُه فغيثُ أميرِ المؤمنين مَطِيرُ

وما حلَّ هارونُ الخليفةُ بلدةً فأخلفها غَيْثٌ وكاد يضيرُ

فقال : أذْكَرْتَنِى ورأيتُه متهللا لذلك ، وأَلحَقَنِى بمروانَ بنِ أبى حَفْصَةَ وأمَر لِى بمائةِ ألفِ دِرهم .

كان محمدُ الراويةُ المُلَقَّبُ بالبيدقِ قصيراً ولذلك لُقِّبَ بالبَيْدَقِ ، وكان يُنْشِدُ هارونَ أشعارَ المُحْدَثِينَ وكان أحسنَ خَلْقِ اللهِ إنشاداً ، وأحسَنَهم طَبْعًا وأخفَّهم روحاً وكان إنشادُه يُطرِبُ كما يُطرِبُ الغناء . قال : دخلت على الرشيد وعنده الفضلُ ابنُ الربيع ويزيدُ بن مَزْيَد، وبين يديه خوانٌ لطيفٌ وعليه جرمادح ورُغُفُ سَمِيذٍ ودجاجتان فقال : أنشدنى ، فأنشدته قصيدة النَّمَرِىّ العينية فلما بلغت إلى قوله :

أىُّ امرِئٍ بات من هارونَ فى سَخَطٍ فليس بالصلوات الخمس ينتفعُ

إنَّ المكارمَ والمعروفَ أوْدِيةٌ أحلَّكَ اللهُ منها حيث تتَّسع

إذا رفَعْتَ امرأً فاللهُ رافِعُه ومن وَضَعْتَ من الأقوام يتَّضعُ

نفسى فداؤكَ والأبطالُ مُعْلَمَةٌ يومَ الوغى والمنايا بينها(٢) قرعُ

إن أخْلَفَ الغيثُ لم تُخْلِفْ مخايلُه أو ضاق أمْرٌ ذكرناه فيتَّسعُ

(١) المضر : السيء الخلق الغضبان — وفأس اللجام : الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

(٢) صابها فزع (أغانى ١٢ : ١٩) .

قال: فرَمى بالخوانِ من بين يدَيْه ، وصاح : هذا واللهِ أطيبُ من كلِّ طعام وكل شيء ، وبعث إلى النَّمَرِيّ بسبعةِ آلافِ دينار ، فلما وصلت إليه، قلت له : أنا كنت السببَ فى إيصالها إليك لأنه أَمرنى أن أنشده ، ولم يَذْكُرْ لى أحداً ، فأنشدت لك خيرَ ما أَعْلم . فأعطاك ما قد عَلِمْتُ ، فَحَقِّى يحتاج أن يكون فى هذا مُوَفَّرا ، فرأيته قد قَصَّرَ فيما يَجِبُ عليه ، ثم شخص إلى رأس العين ، فأغاظنى وأَغْضَبنى فأنشدتُ للرشيد قوله :

شاءٍ[1] من الناسِ راتِعٌ هاملْ يُعَلِّلونَ النفوسَ بالباطـــلْ

فلما بلغت قوْلَهُ :

إلا مساعيرَ يَغْضَبون لهـــا بِسَلَّةِ البيضِ والقنـــا الذَّابل

فقال الرشيد : أراه يُحَرِّضُ علىّ ابعثوا إليه من يجىء برأسِه فكلَّمه فيه الفضل ابنُ الربيعِ فلم يُغْنِ كلامُه شيئا ، وتوجه الرسولُ فوافاه فى اليوم الذى مات فيه ، ودفن ، فلما عرف الرشيدُ ذلك قال : الحمد لله الذى لم يُجْرِ قتله على يدى ومات حَتْفَ أَنْفِه .

قال منصور بن جَهْوَر : سألت العَتَّابىَّ عن سببِ غضبِ الرشيد عليه، فقال لى: استقبلتُ منصوراً النمرىّ يوما من الأيام فرأيتُه واجما كَئيبا ، فقلت : ما خبرك ؟ فقال : تركتُ امرأتى تُطْلَق وقد عَسُر عليها وِلادُها ، وهى يَدِى ورِجْلى وقَيِّمَةُ أَمْرِى وأمرِ منزلى فقلت له : فلم لا تكتُب على فَرْجِها هارون الرشيد ، فقال : ليكون ماذا ؟ قلت : لتَلِدَ على المكانِ قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لقولك :

إن أَخْلَفَ الغيثُ لم تُخْلِفُ مخايلُه أو ضاقَ أمرٌ ذكرناه فيَتَّسِعُ

فقال لى : والله يا كَشْخَانُ لئن تَخَلَّصَتِ امرأتى لأذكُرَنَّ هذا القولَ للرشيد ولأطْرِفَنَّه فقلت له : ويلك أحقٌّ تقول ؟ فقال : مزحت معك . فلما ولدت امرأتُه

---

(١) فى رواية الأغانى : ساد وهى فى التجريد : شاء .

دخل إلى الرشيد يوما فصادف منه ما أحبَّ من حُلْوِ تَوْجيهه فقال له : إنى أُطْرِفُ أميرَ المؤمنين بطريفة إنْ أَمَّنَنِى بوائقها قال : هاتِها ، وأنت آمِن ، فأعاد عليه ما دار بينى وبينه ، فغضب الرشيدُ من هذا وطلبنى ، فاستترت عند الفضلِ بن الربيع ، وقلت له : اللهَ اللهَ يا سيدى فى أمْرِى ، فإن هذا رجلٌ سَعَى على دَمِى ، وإن لم تَنْظُر لى هَلَكْت . قال : اسكتْ فأنا أتلطَّف لك إن سألَنى ولم يزَلْ يسْتَلُّ ما فى قلْبِه حتى أذن لى فظهرت ، فلما دخلتُ عليه قال : قد بلغنى ما قلتَ للنمرى ، فاعتذرتُ إليه ، وقلت له : يا أميرَ المؤمنين المعذرةَ إلى الله وإليك ، فوالله ما أراد منصورٌ إلا تَلَفِى لحنـة فى نفسه علىّ ، وأمير المؤمنينُ أَوْلى من أقال ، ووالله ما حَمَلَه على الكَذِبِ علىّ إلا وقوفى على مَيْلِهِ إلى آلِ أبى طالب ، فإن أراد أميرُ المؤمنين أن أُنْشِدَه شِعْرَه فعلتُ . قال : أنشدنى فأنشدته :

شَاءٍ من الناس راتع هامــلْ يعللون النفوسَ بالباطلْ

حتى بلغت قوله :

إلا مساعيرُ يَغْضبون لهــا بِسَلَّة البيضِ والقنا الذابِلْ

فغضب الرشيد غضباً شديداً ، وقال للفضل : أَحْضِره الساعةَ فبعث الفضلُ فى ذلك فوجده قد تُوفى فأمر بنبشِه وإحراقِه ، فلم يزل الفضل يتلطف به حتى كَفَّ عن ذلك .

وقيل : إن هذه القصيدةَ العينية لمنصورِ بن بَجرة بن منصورِ بن صليل بن أشيم ابن الحجار بن قيس بن قطن بن سعد بن عامر بن الضحيان بن سعد بن الخزرج ، فلما سمعها منصورٌ النمرىُّ استحسنها فاسْتَوْهبها منه فوَهَبها له ، وكان منصورُ بن بَجْرَةَ هذا موسراً لا يَتَصَدَّى لمديح أَحَد ، ولا يَفِدَ إلى أَحَد ، وكان هارون قد جَرَّدَ السيف فى رَبيعةَ ، فوجَّه منصورٌ النمرىُّ هذه القصيدةَ للرشيد ، وكان رجلا تَقْتَحِمُه العينُ وتزدَرِيه جداً لدمامته ، فأمر الرشيدُ لما عُرِضَتْ عليه بإحضارِ قائلِها ،

فلما وصل منصورٌ إليه عرَّفه الحاجبُ أنه لما قرأها اختارها على جميع شِعْرِ الشعراء وأمرَ بإدخالِه فلما قرُبَ من الفضلِ بن الربيع ازدراه لدمامةِ خَلْقِه ، وكان قصيرا أحمرَ أزرقَ أعمشَ نحيفا فردَّه . قال منصور : فمر بي ذاتَ يوم يزيدُ بنُ مَزْيَد ، فصحت به ، يا أبا خالِد أنا رجلٌ من عشيرَتِك وقد لَحِقَنِي ضَيْم وقد عُذْتُ بك ، فوَقَفَ فعرَّفتُه خبرى وسألْتُه أن يَذْكُرَني ففعل ، فلما دخلت على الرشيد أنشدته:

* أتسْلو وقد بان الشبابُ المُزايلُ *

فقال لى : غداً إن شاء اللهُ أرفعُ السيفَ عن ربيعة ، فقلت له : يا أميرَ المؤمنين إن يَوْمَ الشَّرِّ لطويل ، فقال : صدقت ، وجرّد بريدا ركض ، فما جاء العصر من الغد حتى رُفِعَ السيفُ عن ربيعة بنصيبين وما يليها .

قال منصورٌ النمرى : دخلتُ على الرشيدِ يوما ، ولم أكن أعددت له مديحا فوجدتُه نشيطا طيِّبَ النفسِ فرمتُ شيئا فلم أجد ، ونظر إلىّ مستنطقا فقلت :

إذا اعْتاصَ المديحُ عليك فامْدَح ... أميرَ المؤمنين تَجِدْ مقــالا
وعُذْ بِفِنائِه واجْنَحْ إليــه ... تَنَلْ عُرْفا ولم تذلل ســؤالا
فِناءٌ ما تزالُ بـــه رِكابٌ ... وضَعْنَ مدائحا وحَمَلْن مالا

فقال : واللهِ لئن قصَّرْتَ القول لقد أطَلْتَ المعنى ، ووَصَلَه بصلةٍ سَنِيَّة .

مسعدة بن البختري (1)

هو مَسْعَدَةُ بن البختري بنِ المُغيرة بن أبي صُفْرَة بن أخي المُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَة ، كان يشبب بنائلةَ بنتِ عُمَرَ بنِ يزيدَ الأسيدي ، أحد بني أسيد بن عمرو ابن تميم ، وكان أبوها شريفا ، وكان على شُرَطِ العِراق من قِبَل الحجاج ، وأمُّ نائلةَ هذه عاتكةُ بنتُ الفُراتِ بنِ معاوية البكّائيّ ، وأم عاتكةَ المُلاءةُ بنت زُرارة بن أَوْفَى الجُرَشيّة وكان أبوها فقيها مُحَدِّثاً من التابعين . قال محمد بن سلام : ما أعلمُ امرأةً شُبِّبَ بها وبأمِّها وجدَّتِها غيرَ نائلة وأمِّها. فأما نائلة ففيها يقول مَسْعَدة :

قولا لنائِلَ ما تَقْضين في رجلٍ ... يهْوَى هواكِ وما جَنَّبْتِهِ اجْتَنَبا

يُمْسِي معي جَسَدِي والقلبُ عندكمُ ... فمَنْ يَعيشُ إذا ما قَلْبُه ذهبا

وأما عاتكة فإن يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ كان زَوْجها ، فقتل عنها يوم العَقْر وفيها يقول الفرزدق :

إذا ما المَزُونيات أصبحن حُسَّراً ... وَبكَّيْن أشلاءً على غير نائل (2)

فكم طالب بنت المُلاءةِ إنها ... تُذَكِّرُ ريعانَ الشباب المُزايلِ

وأما الملاءةُ أمُّها ففيها يقول الفرزدق أيضا :

كم للملاءةِ من طَيْفٍ يُؤَرِّقني ... إذا تَجَرْثَمَ هذا الليلُ واعْتكَرا

خرجت عاتكةُ بِنْتُ الملاءة إلى بعضِ بَوادِي البصرةِ ، فلقيتْ بدويا معه نِحْيَاً سَمْنٍ فقالت له : يا بَدَوِيُّ أتبيعُ هذا السمنَ ؟ قال : نَعَمْ قالتْ : أرِني ففتحَ نِحْياً فنظرتْ إلى ما فيه ثم ناولَتْهُ إياه . ثم فتَحَتْ الآخَرَ وناولَتْه إياه ، فلما شُغِلَتْ

---

(1) أغاني الدار ١٣ / ٢٧٠ - مذهب ٣ / ١٥٢ .

(2) الحسر : الكاشفات الوجوه والاشلاء : الأعضاء وقد عنى بها القتلى .

يداه أمرَتْ جواريها فجعلنَ يَرْكُلْن فى استِه وجعلتْ تنادِى : يالثارات ذاتِ النِّحْيَيْنِ ، تعنى مافعله خواتُ بن جُبَيْر، لما فعل بالمرأة مافعل ، وضربت العربُ بها المثل ، فقالوا : أَشْغَلُ من ذات النِّحْيَيْن . فأرادت عاتكةُ أن هذا لم يفعَلْه أحدٌ من النساء برَجُلٍ كما فَعَلَهُ الرجلُ بالمرأةِ غيرها ، وأنها أدركت للنساء ثأرَهُن من الرجالِ بما فَعَلَتْه .

لَقِيَت الملاءةُ بنتُ زُرارةَ عُمرَ بن أبى رَبيعةَ بمكَّةَ ، وحوله جماعةٌ يُنشِدُهم فقالت لجاريةٍ لها : من هذا ؟ فقالت : عُمَرُ بنُ أبى ربيعة . قالت : المُتَنَقِّلُ بِغزَلِهِ من ذات وُدٍّ إلى أُخرى ، والذى لا يَدومُ على وَصْلٍ ولا لِقَوْلِه فَرْعٌ ولا أَصْل ؟ أما والله لو كنتُ كبعضِ من يُواصِلُ لما رضيتُ منه بما يَرْضَيْن ، وما رأيت أدْنى من نساءِ أهلِ الحجاز ، ولا أَقَرَّ منهن بِخَسْف ، والله لَأَمَةٌ من إمائنا آنفُ منهن ، فبلغ ذلك عُمَرَ عنها فراسلها وراسلته ، فقال من أبيات :

* حَيِّ المنازلَ قد عَمَرْنَ خَرابا *

منها :

دَارُ التى قالتْ غداةَ لَقِيتُها ... عند الجِمارِ فما عَيِيتُ جوابا
هذا الذى باع الصديقَ بِغَيْرِه ... ويُرِيدُ أن أرضى بذاك ثَوابا
قلتُ اسمعى منى المقالَ ومن يُطِعْ ... بصديقهِ المتملقَ الكذَّابا
إن كنتِ حاولتِ العتابَ لتَعْلَمِى ... ما عندنا فلقدْ أطلتِ عتابا
أو كان ذلك للبعاد فإنه ... يكفيكِ ضَرْبُك دُونَنَا الجِلْبابا
وأرى بوَجْهِك شَرْقَ نورٍ بيّنٍ ... وبوَجْهِ غيرك طَخْيَةً وضَبابا[1]

(١) الطخية : الظلام .

مُطيع بن إياس(1)

هو من بني الدِّيل بن بَكرِ بن عبد مَناة بن كِنانة، وقيل: من بني لَيْث بن بكر. والدِّيلُ وليثٌ أخوان لأبٍ وأمٍ.

أمهما أمُّ خارجةَ، واسمُها عَمْرَةُ بنت سَعْد بن عبد الله بن قُراد بن ثعلبة ابن معاوية بن زيْد بن الغَوث بن أنْمارِ بن أَراش بن عَمْرو بن الغَوْثِ بن نَبَت بن مالك ابن زَيْد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرب بن قحطان. وهي التي يضرب بها المثلُ فيقال: أسرعُ من نكاح أمِّ خارجةَ، وقد ولدت في عِدَّة بطونٍ من العَرَب، حتى لو قال قائل: إنه لا يكاد يتخلَّصُ من ولادتها كبيرُ أَحَدٍ منهم لكان مقاربا.

فمِمّن ولدت الدِّيلُ وليثٌ والحارثُ وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، وغاضرةُ ابنُ مالك بن ثعلبة بن دُودانَ بن أسد بن خُزَيْمة، والعنبرُ وأسيدُ والهجيمُ بنو عمرو ابن تميم، وخارجةُ بْن يَشْكر وبه كانت تُكْنَى، وسعدُ بن عمرو بن ربيعةَ ابن حارثة بن مُزَيقيا وهو أبو المُصْطَلِق، وكان قد بلغ من سُرْعَةِ نكاحها أن الخاطبَ يأتيها فيقول: لها خِطْبٌ، فتقول: نِكْح.

وزعموا أن بعض أزواجها طَلَّقَها، فرَحَل بها ابنٌ لها عن حَيِّهِ إلى حَيِّها فلقيها راكبٌ فلما تبينته قالت لابنها: هذا خاطبٌ لي لا شك فيه، أفتراه يُعْجِلُني إن أنزل عن بعيري، فجعل ابنها يسُبُّها.

ولم يُوجدُ نسبُ مطيعٍ متصلا إلى كنانةَ في رواية أحد، وقيل: إن أبا قرعةَ الكنانيَّ جدُّه فلا نعلم أهُوَ جدُّه الأدنى فنصِلُ نَسَبُه به أم هو بعيد منه، وأبو قرعة

---

(1) أغاني ١٢ : ٧٥ تجريد ق ٢ جـ ١ ١٥١٩. مهذب ٦ : ٧٤، تاريخ بغداد ١٣ / ٢٢٥ أغاني الدار ١٣ / ٢٧٤.

هو سَلْمى بنُ نَوْفل بن معاوية بن عُرْوةَ بنِ صَخْر بن يَعْمر بن نفاثةَ بن عدىّ ابن الدِّيل بن بكرِ بن عبدِ مناةَ . وكان سَلْمَى بن نَوْفل جوادا ، وفيه يقول الشاعر :

يُسوَّدُ أقـــوامٌ وليسوا بسادةٍ   بل السيِّدُ الميمونُ سلمى بن نَوْفَلِ

كان أبو قرعةَ سَلْمَى بينه وبين ابنِ الزُّبَـيْر قبل أن يَلِىَ مُقَارضَةٌ ، فدخلَ سَلْمَى وابنُ الزبيرِ يخطبُ الناسَ ، وكان منه وَجِلاً ، فرماه ابنُ الزبير ببَصَرِهِ حتى انصرف(١) ، فلما انصرف من المجلس دعا حَرَسِيًّا قال له : امْضِ إلى موضع كذا فادْعُ لى سَلْمى بن نَوْفلٍ ، فأتاه به، فقال له ابن الزبير : إيهاً أيُّها الضب ، قال: إنى لست بضَبٍّ ولـكن الضب بالضَّمْرِ من صَخْرٍ . قال : إيهاً أيُّها الذِّيخ(٢)، قال إن أحدًا لم يَبْلُغ سِنِّى وسِنَّك إلا دُعِىَ ذِيخا . قال : إنك لهاهُنا يا عاضَّ بَظْرَ أمِّه قال : أُعيذُكَ بالله أن يتحدَّثَ العربُ أن الشيطان نطقَ على فيك بما تَنْطِقُ به الأمة الفُسْلَة(٣) وايمُ الله ما هاهنا ، وأدار يدَه على المجلس ، أحدٌ إلا وقد كانت أمُّه كذلك .

وكان إياسُ ابن أبى مُسْلِمٍ أبو مُطيعٍ شاعرا ، وكان قد وَفَد إلى نَصْرِ بن سَيّار بخراسان فقال فيه :

إذا ما نِعالى من خراسانَ أقْبلت   وجاوَزْت منها مَخْرِما ثم مَخْرِما
ذكرت الذى أَوْلَيْتَـنِى ونَشَرْتُه   فإن شِئْتَ فاجْعلنى لشكرِك سُلَّما

ومطيع بن إياسٍ شاعرٌ من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، وليس من فحول الشعراء فى تلك الأيام ، ولـكنه كان ظريفا ماجنا خليعا حُلْوَ العِشْرة مليحَ النادرةِ مُتَّهما فى دينه بالزَّندقةِ .

كنيته أبو سَلْمَى ، ومولدُه ومنشؤه بالـكوفة ، وأبوه من أهل فلسطينَ الذين أمدَّ بهم عبدُالملك بنُ مروان الحجاجَ بنَ يوسف فى قتاله ابن الزُّبَـيْر وابنَ الأشعثِ

(١) جلس (الأغانى) ١٢ : ٧٦ .
(٢) الذيخ : الذئب الجرىء ، ذكر الضباع : الـكثير الشعر .
(٣) الفسل : من لا مروءة له .

فأقام بالكوفة وتزوج بها ، فولد له مُطيعٌ ، وكان منقطعا إلى الوليد بن يزيدَ ابن عبدِ الملك ، ومتصرفا بَعْدَهُ فى دَوْلَتِهم ومع أوليائهم وعُمَّالِهم ، لا يَكْسِدُ عند أَحَدٍ منهم ، وانقطع فى الدولة العباسية إلى جعفرِ بن أبى جعفرٍ المنصور ، فكان معه حتى مات .

سُئل رجلٌ كان يصحب مُطيعَ بنَ إياس عن مُطيع ، فقال: لا ترد أن تسألنى عنه قيل : ولِمَ ؟ قال : ما السؤالُ عن رجل كان إذا حَضَرَكَ مَلَكَك وإذا غاب عنك شاقَك وإذا عُرِفْتَ بصُحْبَتِه فَضَحك .

وكان مطيعُ بن إياسٍ ويحيي بنُ زياد الحارثيُّ وحمّادُ الراويةُ وابنُ المُقَفَّعِ ووالبةُ ابن الُحباب يتنادمون ولا يفترقون ولا يَسْتَأْثِرُ أحدُهم على صاحبه بمالٍ ولا ملكٍ ، وكانوا جميعا يُرْمَونَ بالزندقة .

وكان مطيعُ بن إياس مأبونا فدخل عليه قَوْمُه فلاموه على فِعْله ، وقالوا له : أنت فى أدبك وشَرَفِك وسؤددِك ترمى بهذه الفاحشةِ القَذِرةِ ، فلو أقْصَرْتَ عنها . فقال : جَرِّبوه أنتم ثم دَعُوه إن كنتم صادقين ، فانصرفوا عنه ، وقالوا : قبح اللهُ فِعْلكَ وعُذْرَكَ وما استقبَلْتَنا به .

قال مطيعُ بن إياس: قال لى حماد عجرد يوما : هل لك أن أُرِيَكَ خُشَّةَ صديقتى وهى المعروفة بظَبيةِ الوادى ؟ قلت : نعم . قال: إنك إن قعَدْتَ معها وخَبَّثْتَ طَرْفَك فى النظر أفسَدْتَها علىّ ، فقلت : لا والله لا أتكلمُ بكلمةٍ تسوءك ولأسُرَّنَّك ، فمضى وقال : والله إن خالفْتَ ما قلتَ لأخرِجَنَّك قال : قلت : إن خالفتُ إلى ما تكره فاصنع بى ما أحْبَبْتَ . قال : فأدْخَلَنِي على أظْرَفِ خلقِ الله وأحْسَنِهم وَجْها ، فلما رأيتُها لم أتمالَكْ وأخذنى الزَّمَع(١) وفطن لى فقال: اسكنْ يا ابن الزانية ، فسَكَنْتُ

---

(١) الزمع : رعدة تعترى الإنسان إذا هم بالأمر .

قليلا فلحظتْني ولَحْظتُها لحظةً أخرى ، فغضب ووضع قَلَنْسِيَتَه عن رأسِه وكانت صَلْعَتُه حمراءَ كأنها استُ قِرْد ، فلما وضعها وجدتُ للكلام موضعا فقلت :

فَوَارِ السَّوْأَةَ السوْآ ءَ يا حَمَّادُ عن خُشَّه
عن الأُتْرُجَّةِ الغضَّـ ةِ والتُّفاحةِ الهَشَّه

فالتفت إلىّ وقال : فعلتها يا ابنَ الزانية ، فقالت له : أحْسَنَ والله ، وما بلغ صفتَك بعد فما تريد منه ؟ فقال لها : يا زانية . فقالت له : الزانية أمُّك وثاوَرَتْه[1] وثاوَرَها فشقَّتْ قميصَه وبصقَتْ فى وجهه وقالت له : ما تُصادِقُك وتَدَعُ مثلَ هـذا إلا زانية وخَرَجْنا وقد لقى كلَّ بلاء . وقال لى : ألم أقلْ لك إنك ستُفْسِد علىّ مجلسى ، فأمسكتُ عن جوابه وجعل يهجونى ويَسُبُّنى ويشكونى إلى أصحابنا ، فقالوا لى : اهْجُه ودعنا وإياه فقلت :

ألا يا ظبيـةَ الوادى وذاتَ الجسـدِ الرادِ[2]
وزينَ المِصْرِ والدارِ وزينَ الحىِّ والنـادى
وذاتَ المبسمِ العَـذْب وذات المِيسَمِ البادى
أما باللهِ تَسْتَحْيِيـ نَ من خُلَّة حَمَّادِ
لِحَمادُ فـتًى ليس بذى عِـزٍّ فتَنْقادِى
ولا مالٍ ولا طُرَفٍ ولا حَـظٍّ لمُرْتادِ
فتـوبى واتـقى اللهَ وبُتِّى حَبْـلَ عجـرادِ[3]
فقد مُيِّزْتِ بالحسن عن الخَلْقِ بإفرادِ
وهذا البينُ قد حُمَّ فجودِى منك بالزَّادِ

(١) ثاوره مثاورة : واثبه .
(٢) الراد : مسهل الرأد وهو الرخص اللين .
(٣) فى الأغانى: جراد وفسرها جلاء آنية الصفر.

وأخـذ أصحابُنا رقاعاً وكتبوا الأبياتَ فيها ، وألقَوْها فى الطريق ، فلما رآها وقرأها قال : يا أولادَ الزنا فعلَها ابنُ الزانية وساعَدْتموه علىّ وغـنَّى فيها حكمُ الوادى فلم يَبْق فى الـكوفة سَقَّاءٌ ولا طحانٌ ولا مُـكارٍ إلا غـنَّى فيها ثم غِبتُ مُدَّةً وقدمتُ فأتانى فما سَلَّمَ علىّ حتى قال :

أما بالله تَستحيين من خُلة حمّاد

قتلْتَـنِى قتَـلَكَ الله ، والله ما كـلَّمَتْـنِى حتى الساعة ، فقلت: اللهم أَدِمْ هَجْرَها له وسوءَ رأيها عليه وآسِفْهُ(١) عليها وأغْرِه بها، فشتمنى ساعةً ثم قلتُ له : قم بنا حتى أُرِيكَ أخْتِي، وكان لمطيع بن إياس صديقةٌ يسميها أُخْـتِي وتسميه أَخِي وهى مغنية ، [قال مطيع : فمضينا] فلما خَرَجَت إلينا دعوتُ قَيِّمةً لها ، فأسررت إليها فى أن تُصْلِح لنا طعاما وشرابا ، وعرفتها أن الذى معى حَمّاد ، فضحكت ثم أخذت صاحبتى فى الغناء وقد عَرَفَته فـكان أولَ صوتٍ غنّت :

أما بالله تستحيين من خُلَّةِ حمَّادِ

فقال لها : يا زانية ، وأقبل علىّ فقال لى : وأنت يا زانى يا ابنَ الزانيـة ، أَسَرَرْتَ هذا إلى قيِّمتها . فقلت : لا والله ، فقال : كذبتَ وشاتَمَتْه صاحبتى ساعةً وقامت فدخلتْ ، وجعل يتغَيَّظ علىّ . فقلت : أنت ترى أنى أَمرْتُها أن تغنى بما غَنَّت ؟ قال : نعم ، أنا أرى ذلك وأظنُّه ظنا ، لا والله ولـكنى أتيقَّنُه ، فحلفت له بالطلاق على بطلانِ ظَنه ، فقال : وكيف هذا ؟ فقلت : أراد أن يُفسِد هذا المجلسَ من أفسد ذلك المجلسَ فقال : قد فعل وانصرفنا .

قال يحي بنُ زيادٍ الحارثىّ لمطيع بن إياس : انطلقْ بنا إلى فلانةَ صديقتى ، فإن بينى وبينها مغاضبةً لتُصْلِح بيننا . وبئس المُصْلِحُ والله أنت ، فدخلنا عليها

---

(١) آسفه : أغضبه، وفى التنزيل (فلما آسفونا انتقمنا منهم) .

فأقبلا يتعاتبان ، ومطيع ساكت ، حتى إذا أكثر قال يحيى لمطيع : ما يُسْكِتُك أسْكَتَ الله نأْمَتَك[1] فقال لها مطيع :

أنت مُعْتَلّةٌ عليه وما زا ل مُهيناً لنَفْسِه فى رضاكِ

فأعْجِبَ يحيى وهَشَّ له فقال مطيع :

فدَعيه وواصلى ابنَ إياسٍ جُعِلَتْ نَفْسُه الغداة فِداكِ

فقام يحيى إليه بوسادة فى البيت فما زال يَجْلِدُ بها رأسَه ويقول : ألهذا جئتُ بك يا ابن الزانية ! ومطيع يُغَوِّث[2] ، والجاريةُ تضحك منهما ثم تركه وقد سَدِر[3] .

مرض حمادُ عَجْرد فعاده أصدقاؤه جميعا إلا مطيعَ بنَ إياس وكان خاصا به فكتب إليه حماد :

كفاكَ عيادتى من كان يرجو ثوابَ الله فى صِلةِ المريض
فإن تُحْدِثْ لك الأيام سُقْماً يحول جَرِيضه[4] دون القريضِ
يكُنْ طولُ التأوُّهِ منك عندى بمنزلةِ الطنينِ من البعوضِ

قدم مطيعُ بن إياس من سفره فقدِم بالرغائبِ فاجتمع هو وحمادُ عجرد بصديقته ظبيةِ الوادى وكان عجرد على عزم الخروجِ مع محمدِ بن العباسِ إلى البَصْرةِ ، وكان مطيعٌ قد أعطى صاحبتَه من طرائف ما أفاد ، فلما جلسوا يشربون غنت ظبيةُ الوادى :

أظنّ خليلى غدوةً سيسيرُ وربّى على أن لا يسيرَ قديرُ

---

(١) النأمة : الصوت .

(٢) يغوث : يقول : يا غوثاه .

(٣) سدر : تحير — وفى رواية: ندر أى مات إعياء .

(٤) الجريض : الغصة ، وابتلاع الريق على هم — وحال الجريض دون القريض مثل يضرب للأمر يعوق دونه عائق .

فما فرغت من الصوت حتى غنت صاحبةُ مطيع :

ما أبالِي إذا النـــوى قرَّبتْهمْ ودنوْنا من حَلَّ يوما[(١)] وسارا

فجعل مطيع يضحك وحماد يشتمهما .

مر مطيع بن إياس بيحيي بنِ زياد وحمادٍ الراوية ، وهما يتحدثان ، فقال لهما : فيم أنتما ؟ فقالا : فى قذف المُحْصَناتِ . قال : أَوَ فى الأرضِ مُحْصَنَة فتقْذِفانِها .

كان المنصورُ يريد أن يأخذَ البيعةَ للمهدى ، وكان ابنهُ جعفرُ يعترضُ عليه فى ذلك فأمر بإحضار الناسِ فحضروا وتـكلمتِ الخطباء وقالت الشعراء فأكثروا فى وصفِ المهديِّ وفضائِله ، ثم قال مطيعُ بنُ إياس للمنصور : يا أمير المؤمنين حدثنا فلانٌ عن فلانٍ أنّ النبي ، صلى الله عليـه وسلم ، قال : المهديُّ منا ، محمدُ بنُ عبد الله ، وأمُّه من غَيرِنا ، يملؤُها عدلاً كما ملئت جَوْراً ، وهذا العباسُ أخوك يشهدُ على ذلك ، وأقبل على العباس فقال : أنشدُك الله هل سمِعْتَ هذا ؟ فقال : نعم مخافةً من المنصور ، فأمر [المنصور] الناس بالبيعة للمهدى ولما انفضّ المجلس[(٢)] [قال العباس لمن يأنس به] : أرأيتم[(٢)] هـذا الزنديقَ لم يَرْضَ أن يكذبَ على الله ، عز وجل ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، حتى استَشْهدَنى على كَذِبه ، فشهدت له خوفا ، وشهد كل من حضر على كَذِبى ، وبلغ الخبرُ جعفرَ بن أبى جعفر ، وكان مطيعٌ منقطعا إليـه يَخْدمه . فجفاه وطرَدَه عن خدمته ، وكان جعفرٌ ماجناً ، فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه وشَقَّتْ عليه البيعةُ لمحمدٍ المهديِّ فأخرج ذَكَرَه ثم قال : إن كان أخى محمد هو المهدى فهذا هو القائمُ من آلِ محمد .

---

(١) منهم (أغانى) .

(٢) فى الأغانى : [وكان العباس بن محمد لمن يأنس به قال: أرأيتم . جـ ١٢ : ١٨] وفى الأصل: قال العباس : لم يأنس به أرأيتم . وما أثبتناه عن التجريد .

وكان المنصورُ قد كَرِهَ صحبة مطيع بن إياسٍ لجعفرٍ ابْنِه وخَشِىَ أن يُفسِده فدَعَا بمطيعٍ وقال له : قد عزمتَ أن تُفْسِدَ ابنى عَلَىَّ وتُعلِّمَه الزندقةَ ، فقال : أعيذك بالله يا أميرَ المؤمنين ، أتظنُّ بى هـذا ، والله ما يسمعُ منى إلا ما إذا وعاه جَمَّلهُ وزَيَّنَه ونَبَّله . فقال : ما أرى ذلك ولا يَسْمَعُ منك إلا ما يضرُّه ويَغُرُّه فلما رأى مطيعٌ إلحاحَه فى أمره قال له : أتؤَمِّنُنى من غَضَبك حتى أصدُقَك ؟ قال : أنت آمن . قال : أى مُسْتَصْلَحٍ فيه وأيَّةُ نهاية [لم يَبْلُغْها] فى الفساد والهلاك! قال : وَيْلَك بأى شيء؟ قال : يزعمُ أنه يعشقُ امرأةً من الجنِّ وهو مجتهدٌ فى خِطْبَتِها ، وقد جمع أصحابَ العزائم عليها ، وهم يُغرونه ويَعِدونه بها ويمنُّونه ، فوالله ما فيه فضل لأن يسمع غير ذلك من جِدٍّ ولا هَزْلٍ ولا كُفرٍ ولا إيمان . فقال له المنصور : ويلك أتدرى ما تقول ؟ قال : الحقَّ أقولُ فسَلْ عن ذلك ، فقال : عد إلى صُحْبَتِه واجتهد أن تُزِيلَه عن هذا الأمر ولا تُعْلِمْه أنى عَلِمت بذلك .

ولما زاد بجعفرٍ ولَعُه بهذه الجارية التى ذكَرَ أنه يتَعَشَّقُها من الجن أصابه صَرَعٌ فكان يُصْرَعُ فى اليوم مراتٍ بين يدَىْ أبيه ، والربيع واقف ، فيقول له : ياربيعُ هذه قُدْرَةُ الله تعالى ، ولم يزل كذلك حتى ماتَ فحَزِنَ عليه المنصورُ حُزْنا شديداً ومَشَى مع جنازته فلما دُفِنَ وسُوِّىَ قَبْرُه قال للربيع : أنشدْنِى قولَ مطيع فى مَرْثِيةِ يحيى بنِ زياد :

يا أَهْلِىَ ابكُوا لقَلْبِى القَرِحِ ... وللدموع الذوارفِ السُّفُحِ
راحوا بيَحْيى ولو تُطاوِعُنى الـ ... أقـدارُ لم يبتكر ولم يَرُحِ
ياخير من يَحْسُن البكاءُ له الـ ... يومَ ومن كان أمسِ للمِدَحِ
أعقبْتَ حُزْنا من السُرورِ كما ... أدلتَ مكروهنا من الفرح (١)

(١) هذا الشطر واضح بالأصل وما أثبتناه عن التجريد .

قال على بن القاسم : كنت آلفُ مطيعَ بنَ إياس ، وكان جارى ، فعنّفني فى عشرته جماعةٌ من إخوانى وقالوا لى : إنه زنديقٌ فأخبرتُه بذلك . فقال : هل سمعتَ منى شيئًا أو رأيتَ شيئًا يدلُّ على ذلك ؟ أو هل وجدتنى أُخِلّ بالفرائض من صلاةٍ أو صوم ؟ فقلت : والله ما أتّهِمُك ، ولـكنى أخبَرتُك بما قالوا ، واستحييتُ منه ، فعجّلَ علىّ السُّكْرُ ذاتَ يوم فى منزله فنمتُ عنده ومُطِرْنا فى جوفِ الليل ، وهو معى ، فصاح بى مرتين أو ثلاثا . فعلمت أنه يريد أن يَصْطَبِح ، فكَسِلْتُ أنْ أُجيبَه ، فلما تيقن أنى نائم جعل يردد على نفسه بيتا قاله وهو :

أصبحتُ جَمَّ بـلابلِ الصَّدْرِ دهراً أُزَجِّيــه إلى دَهْرِ (١)

فقلت فى نفسى: هذا يَعْمَلُ شعرا فى فنٍّ من الفنونِ فأضاف إليه بيتا ثانيا وهو :

إن بُحْتُ طُلَّ دمى وإن تركت وَقَدَتْ عــلىّ توقُّد الجمر

فقلت فى نفسى: ظفرتُ بمطيع فتنحنحت ، فقال لى : أما ترى هذا المطرَ وطيبَه، اقعدْ بنا حتى نشربَ فاغتنمتُ ذلك فلما شَرِبْنا قلت له : زعمت أنك زنديقٌ قال : وما الذى صحّحَ عندكَ ذلك ؟ قلت : قولك :

إن بُحْتُ طُلَّ دمى وإن تركت وقَدَتْ علىّ تَوَقُّدَ الجمْرِ

فقال : كيف حَفِظْتَ البيتين وما حفظتَ الثالثَ ؟ فقلت : ما سمعت منك ثالثا ، قال : بل قلت ثالثا ، قلت : فما هو ؟ قال :

مما جنـاه عَلَى أبى حسنٍ عُمَر وصاحبُـه أبو بكـرِ

وكان علىّ بن القاسم متشيّعاً فأكبّ على رأسِ مطيعٍ ورِجْليه يُقبِّلُها ويقول : جزاك الله يا أبا سَلْمى خيرا .

---

(١) وفى رواية : عصرا أكاته إلى عصر . والجم : الكثير — والبلابل : وساوس الصدر وشدة الهموم .

أُتِيَ الرشيدُ ببنتِ مطيعِ بن إياس فى الزنادقة ، فاعترفت بذلك ، وقالت : هذا دِينٌ عَلَّمَنيه أبى وتابَتْ منه فقَبِلَ توبتَها وردَّها إلى أهلها .

كان مطيع كثيرَ العَبَثِ فوقفَ على أبى العُمَيْرِ رجلٌ من أصحاب المُعَلَّى الخادم فعبثَ به وقال :

ألا أبْلغ لديك أبا العُمَيْرِ أرانى الله فى اسْتِك نصفَ أَيْرِ

فقال له أبو العُمَيْر : يا أبا سَلْمى لو جُدْتَ بالأيرِ كلِّه لأحَدٍ لَجُدْتَ به لى لما بيننا من الصداقة ، ولكنك لحُبِّكَ له لا تريده كلَّه إلا لك فأفحمه ، ولم يعاود العَبَثَ به لأن مطيعاً كان يرمى بالأُبْنَة .

كان مطيع بن إياس نازلا بكَرْخ بغداد ، وكان يحيى بنُ زياد نازلا فى عَسْكَرِ المهدى فقدم بغداد رجلٌ يقال له الفَهْمِى ، مُغَنٍّ مُحْسِنٌ ، فدعاه مطيع وجماعةٌ من أصحابه وكتب إلى يحيى بنِ زياد يدعوه :

عندنا الفَهْمِىُّ مسرو رٌ وزَمَّارٌ مجيدُ
ومَعاذٌ وعِياذٌ وعُمَيْرٌ وسعيدُ
وندامَى يعملون الـ قَلْزَ والقلْزُ[(١)] شديدُ
بعضُهم ريحانُ بَعْضٍ فهم مِسْكٌ وعودُ

فلما قرأ الرقعة سار إليهم فأتَمَّ يومه معهم وبلغت الأبياتُ المهدىَّ فضحك منها وقال : تَنَايَكَ القومُ وربِّ الكعبة .

سقَطَ لمطيع بن إياس حائطٌ فقال له بعض أصحابه : احْمَدِ اللهَ على السلامة ، فقال : احمَدِ اللهَ أنت إذ لم تَرُعْك هَدَّتُه ولم يُصِبْك غبارُه ولم تَغْرَم أجرةَ بنائه .

---

(١) القلز : نوع من الشراب .

وفد مطيع بن إياس على جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القَسْرِيّ وقد مدحه بقصيدته :

أمِنْ آل ليلى عَزَمْتَ البكورا ... ولم تَلْقَ ليلى فتَشْفِى الضميرا
وقد كنتَ دهرك فيما خَلَا ... لِلَيْلَى وجاراتِ ليلى زَءُورَا
ليالِىَ أنتَ بها مُعْجَبٌ ... تَهِيمُ إليها وتَعْصِى الأميرا
وإذ هى حَوْراءُ شِبْهُ الغزا ... لِ تُبْصِر فى الطرفِ منها فُتُورا
تقول ابنَتِى إذ رأَتْ حالَتِى ... وقَرَّبتُ للبين عَنْسا وكُورا
إلى من أراكَ وَقَتْكَ الحتو ... فَ نَفْسِى تَجَشَّمْتَ هذا المَسِيرا
فقلتُ إلى البَجَلِىِّ الذى ... يَفُكُّ العُناةَ ويُغنِى الفقيرا
أخى العُرْفِ أَشْبَه عند النَّدَى ... وحَمْلِ المِئِينَ أَباه جَدِيرا
عَشِيرَ الندى ليس يَرْضَى النَّدَى ... يدَ الدهرِ بعد جَرِيرٍ عَشِيرا
إذا اسْتَكْثَرَ المُجْتَدون القليـ ... ـلَ للمُعْتَفِين اسْتَقَلَّ الكثيرا
إذا أعسر الخير فى المُجْتَديـ ... ـن كان لديه عَتِيداً يَسيرا
وليس بمانع ذى حاجةٍ ... ولا خاذلٍ مَن أَتَى مُسْتجيرا
إلى ابنِ يزيدَ أبى خالدٍ ... أخى العُرْف أَعْمَلْتها عَيْسَجورا(١)
لآتى فواضِلَ من كَفِّه ... فصادفت منه نوالا غزيرا
فإن يكن الشُّكْرُ حُسْنَ الثنا ... ءِ بالعُرْفِ مِنِّى تَجِدْنى شكورا
بصيراً بما يَسْتَلِذُّ الروا ... ةُ من مُحْكَمِ الشعرِ حتى يَسيرا

فلما بلغ يزيدَ خبرُ قدومه دعا به ليلا ، ولم يعلم به أحد ، ثم قال له : قد عرفتُ خبرَ قدومك وإنى متعجل لك جائزتك ساعتك هذه ، وإذا حضرتَ غدًا فإنى

---

(١) العيسجور : الناقة السريعة القوية .

سأخاطبك مخاطبة فيها جفاء وأزوِّدُك نفقةَ طريقِك وأصرفُك لئلا يبلغ أبا جعفر خَبَرِى فيُهْلِكَنى ، وأمر له بمائتى دينار وصَرَفَه ، فلما أصبحَ أتاه فاستأذنه فى الإنشاد، فقال له: ياهذا لقد رميت بأملك غيرَ مَرْمى ، وفى أى شىء أنا حتى ينتجعَنى الشعراء لقد أسأت إلىَّ لأنى لاأستطيع تبليغَك مَحَابَّك(١) ولا آمن سخطك وذَمَّك. فقال له: تسمعُ ماقلتُ؛ فإنى أقبلُ مَيْسُورَك وأبسطَ عُذْرَك ، فاستمع منه كالمتكلفِ المُتَكَرِّه فلما فرغ قال لغلامه : كَمْ مبلغُ ما بَقِىَ من نفقتك ؟ قال : ثلاثمائة درهم . قال : أَعطِه مائةَ درهم لنَفَقَته فى طريقه ومائةَ درهمٍ ينصرفُ بها إلى أهْلِه واحتبسْ مائةَ درهمٍ لنفقتنا ، ففعل الغلام ، فانصرف عنه مطيع شاكرا ولم يَعْرِف أبو جعفر خَبَرَه .

سكر مطيع بن إياس ليلةً فعَرْبَدَ على يحيي بن زياد عَرْبَدَةً قبيحة وقال له وقد حَلَف بالطلاق :

لا تَحْلِفَنْ بطلاقِ من	أَمْسَتْ حوافِرُها رَقيقه
مهلاً فقــــد عَلِمَ الأنا	مُ بأنها كانت صَدِيقه

فهجَره يحيي وحَلَفَ ألا يـكلِّمَه أبدا ، وكانا لا يفترقان فى فرح ولا حُزْن ولا شِدَّةٍ ولا رخاء فتجافيا وتقاطعا مدة فكتب إليه مطيع بن إياس :

إن تَصِلْنى فمثلك اليوم يُرْجَى	عَفْوُه الذنبَ عن أخيه ووَصْلُه
ولئن كنتَ قد هَمَمْت بهجرِى	للذى قـــد فَعَلْتُ إنِّىَ أَهْلُه
وأحقُّ الرجال أن يَغْفِرَ الذنـــ	بَ لإخـــوانه الموفَّرُ عَقْلُه
الـكريمُ الذى له الحسبُ الثا	قِبُ فى قومه ومن طاب أَصْلُه
ولئن كنتَ لا تصاحبُ إلا	صاحباً لا يزِلّ ما عاش فِعْلُه
لا تَجِدْه وإن جَهِدْتَ وإنِّى	بالذى لا يكادُ يوجدُ مِثْلُه

---

(١) محابك : ما تحبه وتتمناه .

إنما صاحبي الذي يَغْفِرُ الذنـ ـبَ ويـكفيه من أخيه أَقَلُّه
الذي يحفظُ القديمَ من العهـ ـدِ وإن زَلَّ صاحبٌ قلَّ عَذْلُه
ورعَى ما مضى من العَهْدِ منه حين يُودِي بذى الجهالةِ جَهْلُه
ليس من يُظْهِرُ المودةَ إفْكًا وإذا قال خالَفَ القـولَ فِعْلُه
وصْلُه للصديقِ يوما فإن طا لَ فيوْمان ثم يَنْبَتُّ حبلُه

فصالحه يحيى وعاد إلى عِشْرته .

قال الوليد بنُ يزيد لمطيع بن إياس : أى [الأشياء](١) أطيب عندك ؟ قال : صهباء صافيةٌ تمزجُها غانيةٌ بماء غادية. قال : صدقت .

دخل سراعة بن الزندبور على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد وهم يشربون وعندهم قينة تغنيهم فسقوه أقداحا وهو على الريق فاشتد ذلك عليه فقال مطيع للمغنية : غنى سُرَاعَةَ . فقالت : أى شيء تختار؟ فقال غنى :

خليـلىَّ(٢) داويتما ظاهرًا فمن ذا يُداوِى جوًى باطنا

شعر عمرو بن سعيد بن عمرو بن زيد بن [نُفَيل القرشى العدوى] ففطن مطيع لمعناه فقال : أَبِكَ أَكْـل ؟ فقال : نعم ، فقدم إليه طعاما فأكل ثم شرب معهم .

كان مطيع بن إياس يَهْوَى جوهَرَ جاريةَ بَرْبَرٍ وله فيها مقاطيع عدة، فأتاها يوما فاحتجبتْ عنه فسأل عن خَبَرِها فعرف أن فتًى من أهل الـكوفه يقال له الصحَّاف يهواها وهو يُختَلِ معها فقال :

نَاكَ واللهِ جَوْهَرَ الصحَّافُ وعليها قميصُهـا الأفْوافُ(٣)
شامَ فيها أيرًا له ذا ضـلوعٍ لم يَشِنْه ضعفٌ ولا إخْطافُ

---

(١) غير ظاهرة فى الأصل وهذه عن الأغانى .
(٢) طبيبي (أغانى) .
(٣) الأفواف : الرقيق .

جَدّ دَفعًا فيها فقالتْ ترَفَّق　　ما كذا يا فَـتَى تُنَاكُ الظّرافُ
زَعَمُوها قالَتْ وقد غابَ فيها　　قائما فى قيامـــه اسْتِحْصَاف
وَهْوَ فِي جارَةٍ اسْتِها يَتَلَظَّى　　فلهـــا شهوة له والتهـــاف
بعضَ هذا مهلا ترفق قليـــلا　　ما كذا يا فتى تناكُ الظراف

وبلغ المهدى قوله فيها :

أمـــا والله يا جَوْهَرُ　　لقد فُقْتِ على الجوهَرْ
فلا والله ما المهد　　ىُّ أَوْلَى منكِ بالمِنْـبَرْ
فإن شئتِ ففى كَفَّيْـــ　　ـكِ خلعُ ابنِ أبى جعفرْ

فقال المهدى : اللهم العَنْهما جميعا ، ويْحَـكُم اجمعوا بين هَذَين قبل أن تَخْلَعَنا هذه القَحْبَة ، وجعل يضحك من قول مطيع .

كان لمطيع بن إياس مُعاملٌ من تجار الـكوفة فطالتْ صحبتُه إياه وعِشْرَتُه حتى شربَ النبيذ وعاشر تلك الطبَـقَة وأفسدوا دِينهُ فـكان إذا شرب عَمِلَ ما يعملون ، وقال كما يقولون ، وإذا صحا تَهَيَّب ذلك وعافه فمرّ يوما بمطيع بن إياس ، وهو جالس على باب دارِه فقال : من أين أقبلت ؟ قال : شيعتُ صديقا لى يحجّ ورجعتُ كما ترى مَيِّتا من ألم الحرّ والجوع والعطش ، فدعا مُطيعٌ غلامَه فقال : أى شيء عندك ؟ فقال : عندى من الفواكه كذا ، ومن البوارِد كذا ، ومن الطعام الحار كذا ، ومن الأشربة كذا ، ومن الثلج كذا ، ومن الرياحينِ كذا ، وقد فرغ الطعامُ . وغيبت الفواكهُ وجُهِّزَ المجلسُ فقال له : كيف ترى هذا قال : والله عيشُ أهلِ الجنة قال : أنت الشريكُ فيه ، ولـكن على شريطة إن وَفَيْتَ بها وإلا فانْصرف قال : وما هى ؟ قال : أن تشتمَ الملائـكَةَ ، فنفر التاجرُ ، وقال : قبـح الله عِشْرَتـكم ، وقد فَضحْتمونى وهتكتمونى ، ومضى فلم يَبْعُدْ حتى لقيه حمادُ عَجْرد فقال : ما لى أراكَ

نافرًا جَزِعا ، فحدَّثه حديثَه فقال له : أساء مطيعٌ ، قَبحه الله ، وأخطأ ، وعندى والله ضِعْفُ ذلك . فهل لك فيه ؟ فقال : إنى والله إليه فى أشد فاقَةٍ ، فقال: أنت الشريكُ فيه ولكن على شَريطة إن وَفيْتَ بها وإلا فانْصَرِفْ قال : وماهى ؟ قال : أن تَشْتِمَ الأنبياءَ فإنهم تعبَّدونا بكلِّ أمرٍ متعِب ولا ذَنْبَ للملائكة [فنشتمهم] فنفر التاجرُ وقال : أنت أيضا ؟ قبحك الله . والله لا أَدْخل . ومضى فاجتاز بيحيى بْن زياد الحارِثِىّ فقال : مالى أراك مرتاعا ؟ فحدَّثه بقِصَّتِه فقال : قَبحَهما الله ، لقد كَلَّفاك شَطَطا وأنت تعلم أنَّ مروءتى فوق مُروءَتِهما ، وعندى أضعافُ ما عندهما ، وأنت الشريكُ فيه على خَصْلةٍ تنفعُك ولا تَضُرُّك وهى خلافُ ما كلفاك من الكُفْرِ . قال : وما هى ؟ قال : تُصَلِّى ركعتين تطيلُ ركوعَهُما وسجودَهُما وتصليهما وتجلسُ فنأْخُذُ فى شأننا ، فضجر التاجرُ وتأفَّفَ وقال : هذا شرٌّ من ذاك ، أنا تَعِبٌ ومَيِّتٌ تكلِّفُنى صلاةً طويلةً فى غَيْرِ بِرٍّ ولا طاعةٍ يكون ثمنُها أكل سُحْتٍ وشُرْب خَمْرٍ وعِشْرَةَ فَجَرَةَ وسماع مغنياتٍ وسَبَّهُ وسَبَّهُما ومضى مُغْضَبا ، فبعث خَلْفَه غلاما له فردَّه كَرِها . فقال : انزل الآنَ ولا تُصَلِّ اليوم البَتَّة فشتَمه ، وقال : ولا هذا ، فقال : انزلْ كيفَ شِئْتَ وأنتَ ثقيلٌ غيرُ مساعد ، فنزل عنده ودعا يحيي مطيعاً وحماداً فمبثا بالتاجر ساعةً وشاتماه ثم أكلوا وشربوا وصلَّى التاجر الظهرَ والعصرَ فلما دبت الكأس فيهم ، قال مطيع : أيُّما أحبُّ إليك تَشْتِمُ الملائكةَ أو تَنْصَرف؟ فشتمهم ، وقال له حماد : أيما أحبُّ تشتمُ الأنبياءَ أو تَنْصرف ؟ فشتَمهم ، فقال له يحيي : أيما أحبُّ إليك تصلى الركعتين أو تَنْصرف ؟ فقام فصلَّى الركعتين وجَلَس فقالوا له : أيما أحبُّ إليك تَتْرُك باقى صلاةِ يوْمِك أو تنصرف ؟ قال : بل أتْرُكُها ، يا بنى الزوانى ، ولا أنصَرِف وعمل كلٌّ واحد منهم به ما أراده منه .

رُفِعَ الخبرُ إلى المنصور أن مطيعَ بنَ إياس زنديقٌ ، وأنه يلازم ابنَه جعفرا وجماعَةً من أهلِ بيته ، ويوشك أن يُفسِد أديانَهم ويُنسَبُوا إلى مذهبه ، فقال له

المهدى : أنا به عارفٌ ، أما الزندقةُ فليس من أهْلِها ولكنه خبيثُ الدين فاسقُ مُسْتَحِلٌّ للمحارم ، قال : فأَحْضِرْه وانْهَهُ عن صُحْبَةِ جعفر وسائر أهله ، فأحضره المهديُّ وقال له : ياخبيثُ يا فاسقُ أفسدْتَ أخى ومَنْ بصحبتِه من أهلى ، والله لقد بلغنى أنهم يتقارعون عليك ، ولا يتمُّ لهم سرورٌ إلا بك ، وقد غرَرْتَهم وشهرْتَهم فى الناس ، ولولا أنى شَهِدْتُ لك عند أميرِ المؤمنين بالبراءة مما نُسِبْتَ إليه من الزندقة لقد كان يضربُ عُنُقَك ، ياربيع اضرِبْه مائتى سَوْط واحبسه ، قال : ولِمَ ياسيدى؟ قال: لأنك سِكِّيرٌ خِمِّير قدأفسدت أهلى كلَّهم بصُحبتك. فقال له: إن أَذِنْتَ وسمعتَ احتجَجْت ، قال : قل . قال : إنما أنا امرؤ شاعر وسوقى إنما تَنْفُقُ عند الملوك وقد كَسَدَتْ عندكم ، وأنا فى أيامكم [مطَّرَح] وقد رضيتُ فيها مع سَعتِها للناس جميعا بالأكل على مائدةِ أخيك لا يتبع ذلك عِشرة وأصفيْتُه شُكرى وشِعْرى فإن كان ذلك عائبا عندك تُبْتُ منه فأطرقَ المهدى ساعةً ، ثم رفع رأسه وقال : رَفع إلىّ صاحبُ الخبرِ أيضا أنك تتماجنُ على السُّؤَّالِ وتضحكُ منهم . قال : لا والله ما ذلك من فِعْلى ولا خُلُقِى ولاجرَى منى إلا مرَّةً واحدةً : فإن سائلا أعْمَى اعترضَنى على الجسرِ ، وأنا على بغلتى فظَنَّنى من الُجنْدِ فرفع عصاه فى وجهى ، وقال : اللهم سَخِّر الخليفةَ لأن يُعطِىَ الجندَ أرزاقَهم فيشتروا من التجارِ الأمتعةَ فيربحَ التجارُ عليهم فتكثرَ أموالُهم فيجبُ فيها الزكاةُ عليهم فيتصدَّقوا علىّ منها فنفرتْ بغلتى من صياحه ورفعه للعصا فى وَجْهى حتى كدت أسقطَ فى الماء فقلت له : يا هذا ما رأيت أكثر فضولا منك، سَلِ اللهَ أن يرزُقَك ولا تجعل بينك وبينه هذه الحوالاتِ والوسطاءَ كُلَّها فلا يحتاج إليها ، فإن هذه المسائل فضولٌ فضحك الناس منه فرفعَ هذا علىّ فى الخبر ، فضحكَ المهديُّ وقال : خَلُّوه ولا يُضْرَبْ ولا يُحْبَسْ ، انطلقْ فقال له : أأدخل عليك لِمَوْجِدةٍ وأخرجُ عن رِضًى وتبرأ ساحتى من مُعْضِلةٍ وأنصرفُ بلا جائزة ؟ قال : ولا يجوز هذا ،

أعطوه مائتى دينار ، ولا تُعْلِموا بها أميرَ المؤمنين فتجدد عنده ذُنوبه ، وكان المهدىُّ يَشْكر له قيامَه فى الخطباء ووضْعَه الحديثَ له فى أنه المهدِىُّ فقال له : اخرجْ عن بغدادَ ودَعْ صحبةَ جعفرٍ حتى يَنْساك أميرُ المؤمنين ، ثم عُدْ إلىّ فقال : أين أقْصِد ؟ فقال : أنا أكتبُ لك إلى سليمانَ بنِ علىّ يُوَلِّيك عملا ويُحْسِنُ إليك. قال : رضيتُ . فكتب له ، ووفد على سليمانَ بكتاب المهدى فولاه الصَّدَقَةَ بالبَصْرة ، وكان عليها داودُ بنُ أبى هند ، فعزله به .

كان مالكُ بنُ أبى سعد عمٌّ جارِ الشِّطْرِنْجىّ جميلَ الوجهِ حسن الجسمِ وكان يعاشر مطيعَ بنَ إياسٍ وحمادَ عجرد ويشربُ معهما ثم فسد مابينهم فقال حماد يهجوه :

أتوبُ إلى الله من مالكٍ ... صَديقاومن صُحْبَتى مالكا
فإن كنتُ صاحبْتُهُ مرةً ... فقد تبْتُ ياربٍّ من ذلكا

وأنشدها مطيعا فقال له مطيع : سخنت عينك أهكذا يُهجى! قال : فكيف ؟ قال : قل :

نَظْرَةٌ ما نَظَرْتُها ... يوم أبصرتُ مالكا
فى ثيابٍ مُعَصْفَرا ... تٍ على الوَجْهِ بَارِكا
تَرَكَتْنِى أَلُوطُ مِنْ ... بَعْدِ ما كنتُ ناسكا
نَظْرَةٌ ما نظرْتها ... أَوْرَدَتْنِى المَهالكا

دخل صديقٌ لمطيعِ بن إياسِ فرأى تحْتَه غلاما ينيكه مطيع وفوق مطيع غلام ينيكه وهو كأنه فى تخت فقال له : ماهذا يا أبا سلمى فقال : هذه اللذّةُ المضاعفة .

كان مطيعُ بن إياس منقطعا إلى جعفرِ بن المنصورِ فطالت صحبته له بغير فائدة ، فاجتمع يوما هو وحمادُ عَجْرد ويحيى بنُ زياد فتذاكروا أيام بنى أمية وكثرةَ

ما أفادوا منها وحسنَ مملكتهم وطيبَ دارِهم بالشام ، وما هم فيه ببغداد من القَحْط في أيام المنصور ، وشدّةِ الحر ، وخشونةِ العيشِ ، وشكوى الفقر فأكثروا فقال مطيع :

حَبَّذا عيشُنا الذى زال عنا   حبّذا ذاك حينَ لا حَبَّذا ذَا
أينَ هذا من ذاك سَقْياً لهذا   ك ولسْنَا نقولُ سَقْياً لهذا
زاد هذا الزمانُ عُسرًا وشرًّا   عنـدنا إذ أَحَلَّنا بغداذا
بلدة تُمْطِرُ التراب على النا   سِ كما تُمْطِرُ السماءُ الرذاذا
خَرِبَتْ عاجلًا وأَخْرَبَ ذو العَرْ   شِ بأعمال أهلها كَلْوَاذا

عاتب المهديُّ مطيع بنَ إياس فى شىء بلغه عنه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين إن كان ما بلَغَك عنى حقًّا فما تُغْنِي المعاذيرُ ، وإن كان باطلا فما تَضُرُّ الأباطيلُ، فقبل عُذْرَه وقال : فإنّا ندَعُك ولا نَكْشِفُك .

كان مطيعُ بن إياس عاقًّا بأبيه شديدَ البُغْضِ له ، وكان يَهْجوه فأقبلَ يوما من بُعْدٍ ، ومطيعٌ يشربُ مع إخوانٍ له فلما رآه مطيعُ قال :

هـــذا إياسٌ مقبلا   جاءت به إحدى الهَنَاتْ
هــوّز فُوه وأنفُـه   كَلَمُونُ(١) فى إحدى الصفات
وكأنَّ سَعْفَصَ بَطْنُـه   والثَّغْرُ شِينُ قريشاتْ(٢)
لـما رأيْتُكَ آتيـا   أيقنتُ أنك شَرُّ آتْ

مدح مطيع بن إياس مَعْن بن زائدة بقصيدته التى أولها :

أهْلًا وسهلا بسيِّد العربِ   ذى الغُرَرِ الواضحاتِ والنجبِ
فَتَى نِزارٍ وكَهْلِها وأخى الـ   جودِ حَوَى غايتَيْهِ من كَثَبِ

---

(١) كلمن بتشديد النون (أغانى).

(٢) البيتان فيهما إشارة إلى الأبجدية (أبجد ـ هوز ـ حطى ـ كلمن ـ سعفص ـ قرشت).

فلما فرغ منها قال له مَعْنٌ : إن شِئْتَ مدحناك كما مَدَحْتَنا ، وإن شئتَ أَثَبْنَاك ، فاستَحْيا مطيعٌ من اختيارِ الثوابِ على المديحِ ، وكَرِهَ اختيارَ المديحِ وهو محتاجٌ إلى الثواب ، فأنشأ يقول :

ثناءٌ مِنْ أميرٍ خَيْرُ كَسْبٍ لصاحبِ مَغْنَمٍ وأخى ثَراءِ
ولكن الزمانَ بَرَا عِظامى وما مِثْلُ الدراهمِ من دواءِ

فضحك معنٌ حتى استَلْقى وقال : لقد لَطُفْتَ حتى خَلَصْتَ منها ، صدقتَ ، لعمرى ما مثلُ الدراهمِ من دواءِ ، وأمر له بثلاثين ألفَ دِرهم ، وخلع عليه وحمَلَه .

كان لمطيع بنِ إياس صديقٌ من العربِ يجالسُه فضَرَط ذات يوم وهو عنده فاستحيا وغابَ عنه مدّة ، وعَرفَ مطيع سببَ انقطاعه فكتب إليه :

أظهرتَ منك لنا هَجْراً ومَقْلِيةً وغِبْتَ عنا ثَلاثاً لَسْتَ تَغْشانا
هوِّنْ عليك فمافى الناسِ ذوإبلٍ إلا وأَيْنُقُه يشْرُدْن أحيانا

اجتمع يحيِ بنُ زياد ومطيعُ بن إياس وأصحابُهم فشربوا أياما تباعاً ، فقال لهم يحيى ، ليلة من الليالى وهم سكارى : ويْحَكُم ما صَلَّيْنا منذ ثلاثةِ أيام فقوموا بنا حتى نُصَلِّىَ فقالوا : نعم، فقام مطيع فأذّن ، وقال: مَنْ يَتقَدّم ؟ فتدافعوا ذلك . فقال مطيع للمغَنِّيةِ: تَقَدَّمِى فصلِّى بنا ، فتقدمت تُصَلِّى بهم عليها غُلَالَةُ رقيقةٌ مُطَيَّبَةٌ بلا سراويل ، فلما سجدت بان فَرْجها فوثب مطيعٌ وهى ساجدةٌ فكشف عنه و قَبَّله وقطع صلاته وقال :

ولما بَدَا فَرْجُها جاثما كرأسِ حَليقٍ ولم يَعْتَمِدْ
سَجَدْتُ إليه و قَبَّلْتُهُ كما يفعلُ الساجدُ المُجْتَهِدُ

فقطعوا صلاتَهم وعادوا إلى شُرْبِهم .

كتبَ المهديُّ إلى أبيه ؛ أبي جعفرٍ المنصورِ أن يُوَجّه إليه بابنِه موسى الهادى ، فحمله إليه ، فلما قَدِمَ عليه قامت الخطباء تهنِّئُه والشعراء تمدحه وأكثروا حتى آذَوْه فقام مطيعٌ بن إياس فقال :

أحمد اللهَ إلٰهَ الخلـ ... ـق رَبَّ العـالمينا
الذى جاء بموسى ... سالِماً فى سالمينـا
الأمير ابن الأمير ابـ ... ـنِ أميرِ المؤمنينـا

فقال المهدى : لا حاجةَ لنا إلى قولٍ بعد ما قاله مُطيعٌ فأمسَكَ الناسُ ووَصَله .

كان بالـكوفةِ رجلٌ يقال له أبوالأصْبَغ وله قِيانٌ ، وكان له ابنٌ حَسَنُ الصورةِ مضىءُ الوجهِ يقال له الأصْبَغ ، لم يكن فى الـكوفة أحسنُ وجها منه . وكان يحيى ابنُ زياد ومطيعُ بن إياس وحمادُ عجرد وضُرباؤهم يَأْلَفُونه ويَغْشونه[1] ويُطْرِفونه وكلهم يعشقُ ابنَه أصْبَغاً حتى كان يومُ نَوْروز ، وعزم أبو الأصْبَغ على أنْ يَصْطَبِحَ مع يحيى بنِ زياد ، وكان يحيى قد أَهْدى له من الليل جِداءً وفاكهةً وشراباً فقال أبو الأَصْبَغ لجواريه : إن يحيى بنَ زياد يزورنا اليومَ ، فأعْدِدْن له ما يَصْلُح لمثلِه ووَجَّهَ بغلمانِه فى حوائجه ، وبعث بابنـه أَصْبَغ إلى يحيى يَدْعُوه ويسألُه التعجيلَ فلما جاءه استأذنَ له الغلامُ فقال يحيى : قُلْ له : يَدْخُل ، وتَنَحَّ أنت وأغْلِق البابَ ، ولا تَدَعْه يخرجْ إلا بإذنى ، ففعل الغلام ، ودخل الأَصْبَغُ فأدّى رسالةَ أبيه فلما فرغ راوَدَه يحيى عن نفسه فامتنع ، فثاورَه يحيى وعاركَه حتى صَرَعه ثم رام حَلَّ تِـكَّتِه فلم يَقْدِر عليها فقَطَعها وفَعَـلَ به ، فلما فرغ أخرج من تحت مُصَلّاه أربعين دينارا فأعطاه إياها فأخذها ، وقال له يحيى : امْضِ فإنى بالأثَرِ فخرجَ أَصْبَغُ ثم جاء مطيعٌ فرآه يتبختَرُ ويتطيّبُ ويتزيّنُ فقال له : كيف أصبحت ؟ فلم يُجِبْه وشَمَخَ بأنفه

(١) يعشقونه (أغانى) .

وقطّب حاجبيه وتَفَخَّم فقال له مطيع : ويحك مالك ؟ أَنزَلَ عليك الوَحْى فأومأ برأسه لا . فقال : أَ كَلَّمَتْكَ الملائكةُ ؟ فأومأ برأسه لا . فقال : بويع لك بالخلافة ؟ فأومأ لا فقال : فما خَبَرُكَ ؟ كأنك قد نِكْتَ أَصْبَغ . قال: أى والله الساعةَ نِكْتُه، وأنا فى دعوةِ أبيه اليومَ ، فقال مطيع : فامرأته طالق إن فارَقْتُكَ أو أُقبِّل أَيْرَكَ فأبداه له يحيي فقبّله ، ثم قال : كيف قَدَرْتَ عليه ؟ فحكا له يحيي القصة وقام فمضى إلى منزل أبى الأصْبَغ فتَبِعَه مطيع ، فقال له : ما تصنعُ معى والرجلُ لم يَدْعُك وإنما يريدُ الخَلْوَةَ معى . فقال : أُشَيِّعُكَ إلى بابه ، ونتحدثُ، فدخل يحيي وردَّ البابَ فى وجه مطيع ، فصبر ساعة ، ثم دقّ الباب واستأذن ، فخرج إليه الرسولُ وقال : يقول لك: أنا اليوم على شغل لا أَتَفَرَّغُ لك معه فاعذرنى ، قال : فابعَثْ إلىَّ بدواةٍ وقرطاسٍ فبعث إليه فكتب إلى أبى الأَصْبَغ :

يا أبا الأَصْبَغِ لا زلتَ على ... كلِّ حال ناعمـــا مُتَّبِعَاَ
لا تُصَــيِّرَنِّىَ فى الوُدِّ كمن ... قطع التِّكَّةَ قَطْعا شَنِعا
وأتى ما يَشْتَهى لم يُثْنِه ... خيفــةٌ أو حَقٌّ وُدٍّ ضَيِّعَاَ
لو ترى الأصبغَ مُلقًى تحته ... مُسْتَكينا خَجِلًا قد خَضَعا
وله دَفْعٌ عليـــه عَجِلٌ ... شَبِقٌ شَاءَكَ(١) ما قد صَنَعا
فادْع بالأَصْبَغِ واعْلَم حالَه ... سترى أمراً قبيحا شَنِعا

فقال أبو الأَصْبَغ ليحيى : فَعَلْتَها يابن الزانية ، قال : لا والله فضَرَب بيده إلى تِكَّةِ ابنه فرآها مقطوعةً ، وأيقنَ يحيى بالفضيحة ، فتلكأ الغلامُ فقال له يحيي: قد كان الذى كان وسَمَى بى مطيعٌ ابنُ الزانية إليك ، وهذا ابنى وهو والله أفْرَه من ابْنِك ، وأنا عربى ابنُ عَربية ، وأنت نَبَطِىٌّ ابن نبطية فافعل بابْنِى عَشْرَ مرات،

(١) شاءك : حزنك .

مكان المرة الواحدة ، التي فعلتُ بابنك ، فتكونُ قد رَبحْتَ الدنانيرَ وبالواحد عشرة فضحك وضَحِكَ الجواري وسَكَنَ غضبُ أبي الأَصْبَغ ، وقال لابنه : هات الدنانيرَ يابنَ الفاعلة ، فرمى بها إليه وقام خَجِلًا ، وقال يحيى : والله لا دَخَلَ مطيعٌ الساعى ، ابنُ الزانية ، فقال أبو الأَصْبَغ وجواريه : والله لَيَدْخُلَنَّ فقد نَصَحَنَا وغَشَشْتَنَا فأُدْخِلَ وجَلَسَ يشربُ معهم ويحيى يَشْتُمه بكلِّ لسانٍ وهو يضحك .

جاء رجلٌ إلى مطيع بنِ إياس فقال له : قد جئتُك خاطبا . فقال : لمن ؟ قال : لمَوَدَّتِك . فقال له : قد أَنكَحْتُكَها وجَعَلْتُ الصَّداقَ ألا تقبلَ فِيّ قولَ قائل .

قال مطيعُ بنُ إياس : كانت لى بالرّىّ جاريةٌ أيام مُقامِى بها مع سَلْم بن قُتَيْبَة فكُنْتُ أتستَّر بها ، وكنت أتَعَشَّقُ امرأة من بناتِ الدَّهاقينِ ، كنت نازلا إلى جَنْبها فى دارِها ، فلما خرجنا إلى المنصور اضطررتُ لأن أَبيعَ الجاريةَ فبِعْتُها ، وبَقيتْ فى نفسى علاقةٌ من المرأة التى كنتُ أهواها فلما نزلنا عَقَبَةَ حُلوان جلست مُسْتَنِدًا إلى إحدى النَّخْلَتَيْن اللتين على العَقَبَةِ وقلت :

أَسْعِدانى يا نَخْلَتَىْ حُلوانِ ... وارْثِيا لى من رَيْبِ هذا الزمان
واعلما أنّ رَيْبَه لم يزل يَفْـ ... ـرُقُ بين الأُلَّافِ والجيرانِ
ولعَمْرِى لو ذُقْتما ألمَ الفُرْ ... قَةِ أبكاكما الذى أبكانى
أَسْعِدانى وأَيْقِنا أن نَحْساً ... سوف يأتيكما فتفْتَرِقَانِ
كم رَمَتْنى صروفُ هذى الليالى ... بفِراقِ الأحبابِ والخِلَّان
غير أنى لَمْ تَلْقَ نَفْسِى كما لا ... قيتُ من فُرْقَة ابْنَةِ الدِّهقانِ
جارة لى بالرَّىِّ تُذهِبُ هَمِّى ... ويُسَلِّى دُنوُّها أحزانى
فجعتنى الأيامُ أغبطَ ما كنـ ... ـتُ بصَدْعٍ للبَيْنِ غيرِ مُدانى
وبرَغْمِى أنْ أصبحَتْ لاتراها الـ ... ـعينُ منى وأصبحتْ لا ترانى

إن تـكن ودّعتْ فقدتركت بى لَهَباً فى الضمير ليس بـوَانِ
كحريقِ الضّرام فى قصب الغا بِ زَفَتْه(١) رِيحانِ مُختلفانِ

فقال لى سَلْم بن قتيبة: ويلك فيمن هذا أفى جاريتك؟ فاستحييت أن أصدقه فقلت: نعم، فـكتب من وَقْتِهِ إلى نائبه أن يَبْتاعها لى، فلم ألبث أن وَرَدَ كتابُـه إِلَىَّ وَجَدْتُها، قد تداولها الرجالُ وقد بَلَغَتْ خمسةَ آلافِ دِرْهم فإن أَمَرْتَ أن أشتريها فَعَلْتُ، فأخبرنى بذلك سَلْم وقال: أيهما أحبُّ إليك هى أم خمسة آلاف درهم؟ فقلت: أمّا إذا كانت قد تَداوَلها الرجال فقد عَزَفَتْ نفسى عنها، فأمر لى بخمسةِ آلاف درهم، ولا والله ما كان فى نفسى منها شىء، ولو كنت أُحِبُّها لم أبالِ بمن تداوَلَها من الرجالِ ولو ناكها أهل مِـنًى كلهم.

ذكر الجاحظُ أن مُطيعاً ذَكَرَ عن هـذه التى قال فيها هذا الشعر أنها كانت تستَلْقِى على ظَهْرِها فيشخصُ كَتِفاها ومأكمتاها فيُدَحْرَجُ تحتَها الرُّمانُ فينفذ إلى الجانب الآخر.

ولما خرجَ الرشيد إلى طُوس هاج بِه الدَّمُ فى حلوانَ فأشارَ عليـه الطبيبُ بأَكْلِ جُمَّارٍ فأحضر دِهْقَانَ حُلوانَ وطلب منه جُمّارا فأعلمه أن بلدهم ليس ببلد نَخْلٍ ولـكن على العَقَبَةِ بحلوانَ نَخْلَتَانِ فأمر بقَطْعِ إحداها فقُطِعَتْ وأُتِىَ الرشيدُ بجُمَّارِها، فأكل منها وراحَ(٢)، فلما انتهى إلى العقبةِ نظر إلى إحدى النَّخْلَتَيْن مقطوعةً والأخرى قائمةً وإذا على القائمة مكتوب:

أسْعِدانى يا نَخْلَتَىْ حـلوانِ وارْثيا لى من رَيْب هذا الزمانِ
أسعدانى وأَيْقنا أن نَحْساً سـوف يأتيكما فتفترقانِ

---

(١) زفته: طردته واستخفته.
(٢) راح: ارتاح ونشط.

فاغتمَّ الرشيدُ وقال : يَعِزّ علىّ أن أكون نَحْسَكُما ، ولو كنت سمعتُ بهذا الشعر ما قطعتُ النخلةَ ولو قتلَنِى الدمُ .

وقيل : إن المهدىَّ لما خرج وصار إلى العقبةِ استطاب المَوْضِعَ فتغَدَّى ودعا بحسنةَ فقال لها : أما تَرَيْن طيبَ هذا الموْضعِ ، غنى بحياتى حَتَّى أشربَ ها هنا أقْداحاً فأخَذَتْ مِحَكَّةً كانت فى يده وأوقعَتْ على مَخَدَّة وغنَّتْ لعُمَرَ بن أبى ربيعة :

أيا نَخْلَتَىْ وادى بُوانَه حَبَّذا ... إذا نام حُرّاسُ النخيلِ جَنا كُما
فطيبُكما أَرْبَى على النخلِ بَهْجَةً ... وزاد على طول القُنِىِّ قنا كما(١)

فقال: أحسنتِ ، ولقد كنتُ هَممْتُ بقطع هاتين النخلتين يعنى نَخْلَتَىْ حلوانَ فمنعنى عن ذلك هذا الصوتُ فقالت له حسنة : أعيذُك بالله يا أميرَ المؤمنين أن تكون النحسَ المُفَرِّقَ بينهما. فقال لها : وما ذاك ؟ فأنشدته أبياتَ مُطيعٍ فلما بَلَغَتْ إلى قوله :

أسعدانى وأَيْقِنا أن نَحْساً ... سوف يأتيكما فتفترقان

قال : أحْسنتِ والله إذ نبَّهْتِنى على هذا ، والله لا أقطعُهما أبداً ، ولأوَكِّلَنَّ بهما من يَحفَظُهما ويَسْقِيهما أبدا ما حَييت ، ثم أمر بأن يُفْعَلَ ذلك فلم يَزَلْ فى حياته على ما رَسَمَه حتى مات .

وقيل: إن المهدى قال : [قد أكثر](٢) الشعراء فى ذكر نخلتى حلوان ولقد هَممْتُ أن أقطعهما فبلغ قوله [المنصور فكتب إليه](٢) : بلغنى أنك هَممْتَ بقطعِ نخلَتَىْ حلوانَ ، ولا فائدة لك فى قَطْعهما ولا ضررَ عليك فى بقائهما ، وأنا أعيذُك بالله أن تكونَ النحسَ الذى يلقاها فيُفرِّقَ بينهما .

---

(١) رواية الأغانى (وزاد على طول الفناء فنا كما) .
(٢) ما بين الأقواس عن الأغانى وهو غير واضح بالأصل .

وكان المنصورُ لما اجتاز بِنَخْلَتَىْ حلوانَ رأى إحداها على الطريق وهى تُضيِّقُه وتزدَحِمُ الأثقالُ عليها فأمر بقَطعِها فأُنْشِدَ قولَ مطيع فقال : والله لا كنتُ أنا ذلك النَّحْسَ الذى يُفرِّقُ ما بينهما ، وانصرفَ وتركهما .

ومما قيل فى نَخْلَتَىْ حلوانَ من الشعر قولُ حماد عجرد :

جَعَلَ اللهُ سِدْرَتَىْ قَصْرِ شِيرِيـ ... ـنَ فداءً لنخلتَىْ حلوانِ

جئتُ مُسْتَسْعِداً فلم يُسعدانى ... ومطيعُ بَكَتْ له النخلتانِ

ومما أنشده جحظة ووكيع فى نخلتى حلوان لبعض الشعراء :

أيها العاذلانِ لا تَعْذِلانِى ... ودَعانِى من الملامِ دَعانى

وابكيا لى فإننِى مُسْتَحِقٌّ ... منكما بالبكاءِ أن تُسْعِدانى

إننى مِنْكما بذلك أَوْلَى ... من مُطيعٍ بنَخْلَتَىْ حُلوانِ

فهُما تجهلانِ ما كان يَشْكو ... من هَواهُ وأنْتُما تَعْلمان

وقال فيهما أحمد بن إبراهيم من قصيدة :

وكذاك الزمانُ ليسَ وإن ... أَلَّفَ يَبْقى عليه مؤتلفان

سلبت كفه الغَرِىَّ أخاه ... ثم ثَنَّى بنَخْلَتَىْ حلوانِ

فكأَنَّ الغَرِىَّ مذ كان فرداً ... وكأن لم تُجاور النخلتان

جلس مطيعُ بن إياسٍ فى مَرَضِه فى قبةٍ خضراءَ على فُرُشٍ خُضْرٍ فقال له الطبيب : أىّ شىءٍ تشتهى اليوم ؟ قال : أشتهى ألا أموت . فمات فى عِلّته تلك وذلك بعد ثلاثةِ أشْهُرٍ من خِلافةِ موسى الهادى .

محمد بن كناسة(1)

هو محمدُ بنُ كُناسة واسمُ كُناسَة عبدُ الله بنُ عبدِ الأعْلى بنِ عبيد الله ابن خليفة بن زُهير بن فَضْلَة بن أُنيف بن مازن بن صَهْبان ، واسمُ صهبان كَعبُ ابن ذُؤَيْبة(2) بن أسامة بن نصر بن قُعَيْن بن الحارث بن ثَعْلَبة بن دُودانَ بن أسد ابن خُزَيْمة ، كنيتُه أبو يحيى ، شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية ، كوفيُّ المَوْلِد والمنشأ ، وقد حُمِل عنه شيء من الحديث ، وكان إبراهيم بنُ أَدْهَمَ الزاهدُ خالَه ، وكان امرأً صالحا لا يتَصَدّى لمدحٍ ولا لهجاء ، وكانت له جاريةٌ شاعرةٌ مغنية ، يقال لها دنانيرُ ، وكان أهل الأدبِ وذوو المروءةِ يَقْصِدُونها للمذاكرة والمساجلةِ في الشعر .

قال مصعبٌ الزُّبَيْرِىّ: قلت لمحمد بن كنانة الأسدى، ونحن بباب أمير المؤمنين: أأنتَ الذى تَقولُ فى إبراهيم بنِ أَدْهَم العابدِ رحمه الله :

رأيتُك لا يُغنيك ما دونَه الغِنَى ... وقد كان يُغنِى دون ذاك ابنَ أَدْهما
وكان يرى الدنيا صَغيرًا عظيمُها ... وكان لِحَقِّ اللهِ فيها مُعَظِّما
وأكثر ما تلقاه فى القَومِ(3) صامتا ... فإن قال بذَّ القائلين وأَحْكَما

فقال محمد بن كناسة : نعم ، أناقُلْتُها ، وقد تركت أجْوَدها. فقلت: وماأجْوَدُها؟ فقال :

أهان الهوى حتى تَجَنَّبه الهوى ... كما اجْتَنَب الجانى الدَّم الطالبَ الدَّما

(1) أغانى الدار ١٣ / ٣٣٧، تجريد ق ٢ ج ١-١٥٣١ .

(2) فى الأغانى دويبة .

(3) فى الأصل: فى اليوم.

وتمام هذه الأبيات وهى مما رثى بها خالَه :

وللحلم سلطانٌ على الجهلِ عِنْدَه ... فما يستطيعُ الجهلُ أن يترَمْرَما
يُرَى مُسْتَكِيناخاضعا متواضعاً ... وليثاً إذا لاقى الـكتيبةَ ضَيْغَما
على الجَدَثِ الغَرْبِىِّ من آلِ وائلٍ ... سلامٌ وبِرٌّ ما أبَرَّ وأكْرَما

قال ابنُ كناسة : كنت أتحدثُ بالحديثِ فلو لم يَجِدْ سامِعُه إلا القطنَ الذى على وَجْه أمِّه فى القبرِ لتَغَلْغَلَ إليه حتى يَسْتَخْرِجَه ويُهْديه إلىَّ . وأنا اليوم أتحدث بذلك الحديث فما أفْرُغُ منه حتى أُهَيِّئَ له عذرًا .

سُئِلَ محمدُ بن كُناسة عن قول الشاعر :

إذا الجوزاءُ أرْدَفَتِ الــثُّرَيّا ... ظننتَ بآل فاطمـــةَ الظنونا

قال : يقول : إذا صارت الجوزاء فى المواضع التى تُرى فيها الثُّريّا بالغداةِ خِفْتُ تَفَرُّق الحىِّ من مَجْمَعِهم والثريَّا تطلُع بعد ذلك فى أول القَيْظ .

رأى رجلٌ محمدَ بنُ كُناسة يحمل بيده بَطْنَ شاة فقال: هاتِه أحْمِلْه عنك. فقال : لا ، ثم قال :

لا ينقصُ الـكاملَ من كمالِه ... ما جرَّ من نَفْعٍ إلى عِيـــاله

قال على بن عثمان الـكلابىُّ: جئت يوما إلى منزل محمد بن كُناسةَ فلم أجده ووجدتُ دنانيرَ جاريته جالسةً ، فقالت لى : ما لك مَحزونا يا أبا الُحسَيْن فقلت : رجعت من دفْنِ أخ لى من قريشٍ فسكَتَت ساعة ثم قالت :

بكيتَ على أخ لك من قريشٍ ... فأَبْـكانا بكاؤُك يا علىُّ
فماتَ وما خَبَرْناهُ ولـــكن ... طهارةُ صَحْبِه الخبرُ الَجلِىُّ

أمْلَق محمدُ بن كُناسة فلامَه قومُه فى القعودِ عن السلطانِ وانتجاعِ الأشراف والتصدِّى للملوك بأدَبِه وشَرَفِه وعِلْمِه، فقال لهم مُجيبا عن ذلك :

يُؤَنِّبُنِى أن صُنْتُ عِرْضِى عصابةٌ ... لها بين أطنابِ اللئـــامِ بصيصُ

يقولون لو غَمَّضْتَ لازددتَ رفعةً ... فقلت لهم إنى إذًا لحريصُ
أتَكْلِمُ وَجْهِى لا أبا لأبيكم ... مطامعُ عنها للكريم مَحيصُ
معاشى دُوَيْنَ القوتِ والعِرضُ وافرٌ ... وبطنىَ من جدوى الملوكِ خميصُ
أَعَزُّ وأزكى من ثراء يَمُنُّهُ ... عليك لئيم ما حييت أصوصُ
سأَلْقى المنايا لم أُخالِط دَناءةً ... ولم تَسرِ بى فى المخزيات قَلوصُ

قال إسحقُ بن إبراهيم المَوْصِلِىُّ : أنشدنى محمد بن كناسة لنفسه :

فىَّ انقباضٌ وحِشْمَةٌ فإذا ... صادفتُ أهلَ الوفاء والكرمِ
أرسلتُ نفسى على سَجِيّتِها ... وقلت ما قلتُ غيرَ مُحْتَشِمِ

فقلت لابن كناسة : وددتُ أنه نَقَص من عمرى سنتان وأنى سَبَقْتُك إلى هذين البيتين فقلتهما .

ولمحمد بن كناسة:

ومن عَجَبِ الدنيا تيَقُّنُك البِلى ... وأنك فيها للبقاء مُريدُ
وإنْ مِنْ بنى الأيامِ إلا عنده ... من الدَّهْرِ ذنبٌ طارفٌ وتليدُ
إذا اعتادت النفسُ الرضاعَ من الهوَى ... فإن فطامَ النَّفْسِ عَنْه شديدُ

قال محمدُ بن كُناسة : أتيتُ امرأةً من بَنِى أَوْدٍ تَكْحَلُ عينى من رَمَدٍ كان أصابنى فَكَحَلَتْنِى ثم قالت لى : اضطجع قليلا حتى يَدُورَ الدواء فى عَيْنِك فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر :

أمُخْتَرِمى ريبُ المنونِ ولم أَزُرْ ... طبيبَ بنى أَوْدٍ على النأْى زينبا

فضحكتْ ثم قالت : أتَدْرِى فيمن قيل هذا الشعر ؟ فقلت : لا. فقالت : فىَّ ، والله قيل وأنا زينبُ التى عناها ، وأنا طبيبُ أَودٍ ، أفتَدْرى من الشاعر الذى قال؟ قلت : لا. قالت : عَمُّك أبو سماك الأسدى .

كان لمحمدِ بنِ كُناسة صديقٌ يقال له أبو الشعثاء ، عفيفُ مزاحٍ ، وكان يزوره ويسمع غناء جاريته دنانيرَ ويُعَرِّضُ له بأنَّه يَهواها فقالت دنانير فيه :

لأبى الشَّعْثاءِ حُبٌّ باطنٌ ليس فيه تُهْمَةٌ للمُتَّهَمْ
يا فؤادى فازْدَجِرْ عنه ويا عَبَثَ الحبِّ به فاقْعد وقُمْ
زارنى منه كلامٌ صائبٌ ووسيلاتُ المحبين الكَلِمْ
صائدٌ يأمنه غِزْلانُه مثلَ ما تأمَنُ غزلانُ الحَرَمْ
صَلِّ إن أحببتَ أن تُعْطَى المُنَى يا أبا الشعثاءِ لله وَصُمْ
ثم ميعادُك يوم الحشر فى جَنَّةِ الخُلْدِ إنِ اللّهُ رَحِمْ
حيث ألقاك غلاما يافعا ناشِئاً قد كَمُلَتْ فيك النِّعَمْ

وماتت دنانيرُ فقال سيدُها محمدُ بن كُناسة يرثيها :

الحمد لله لا شريكَ لَهُ ياليتَ ما كان مِنْكِ لم يَكُنِ
إن يكن القولُ قَلَّ فيك فما أفْحَمنِى غيرُ شِدَّةِ الحَزَنِ

ومما رواه محمدُ بن كُناسةَ عن الأعمشِ عن شَقيقِ بن سَلَمة عن أبى موسى الأشعرِىِّ قال : قلت: يارسول الله إن الرجلَ يحب القَوْمَ ولما يَلْحَقْ بهم قال : « المرء مع مَنْ أَحَبَّ » .

مُحمدُ بنُ يسيرٍ(1) الرياشيّ

يقال : إنه مولى لبنى رِياش الذين منهم العباسُ بن الفَرَجِ الرِّياشى الإخبارىُّ الأديبُ ، ويقال : إنه منهم صَليبةً ، وبنو رياش يذكرون أنهم من خثْعم ، ولهم بالبصرة خُطَّةٌ ، وهم معروفون بها ، ومحمد بن يَسير هذا شاعرٌ ظريفٌ من الشعراء المحدثين لم يفارقِ البصرةَ ولا ورد على خليفةٍ ولا شريفٍ مُنْتَجِعا بشعره ولا تجاوز بلدَه وصحبة طبقته ، وكان ماجنا خبيثا هجَّاء ، وكان من بخلاء الناس .

قال عَلِيُّ بن القاسمِ بنِ على بن سليمان طارِمة: بَعَثَ إلىّ محمدُ بن أيوبَ بن سليمان ابن جعفر ، وهو يتولى البصرةَ . حينئذ ، فى ليلة صبيحتُها يومُ سَبت فدخلت إليه ، وقد بقى من الليل ثُلُثُه أو أكثرُ ، فقلت له : أَنِمْتَ فانتبهتَ أو لم تَنَمْ بَعْد ؟ قال : قد قضيتُ حاجتى من النوم ، وأريد أن أصطبح وأبتدى الساعةَ فى الشُّرب وأَصِلَ ليلتى بيومى مُحتجباً عن الناسِ ، وعندى محمدُ بن رَباح ، وقد وجهتُ إلى إبراهيم ابنِ رِياش وحضرتَ أنت ، فمن ترى أن يكون خامِسَنا ؟ قلت : محمدُ بن يَسير . فقال : ما عدوتَ ما فى نفسى . فقال لابن رَباح: اكتُبْ إلى محمدِ بن يسير بيتين تدعوه فيهما . وتصف له طيبَ هذا الغَيْمِ والرذاذ . فكتب إليه ابنُ رباح :

---

(1) الأغانى ١٢ / ١٢٤ ــ تجريد ١٥٣٨ ــ مهذب ٧ / ١٦٠ .

يسير جاءت فى الأصل وفى الأغانى بالباء الموحدة والشين المعجمة ، ومثلها بشير الخارجى . أما فى الشعر والشعراء وفى التجريد فهى بالياء والسين المهملة ، وفى طبعة الأغانى لدار الكتب كذلك ــ وجاء فى شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف (ص ٤٠٣) [: ما جاء من شعراء البصرة فهو من محمد بن يسير أول الاسم ياء تحتها نقطتان وبعد ذلك سين غير معجمة . وله أخ يقال له على بن يسير وهو شاعر أيضا .)

يومُ سَبْتٍ وشنبذٌ ورذاذٌ   فعلام الجلوسُ يا ابن يسيرِ
قم بنا نأخذ المُدامةَ من كَفّ غزالٍ مُضَمَّخٍ بالعبيرِ

وبعث إليه بالرُّقعةِ فإذا الغلمانُ قد جاءوا بالجواب ، فقال : بعثتُ بكم لتجيئونى برجل فجئتمونى برُقعَةٍ ! فقالوا : لم نلْقه ، وإنما كُتِبَ جوابُها فى منزله ولم تأمُرْنا بالهجوم عليه فنهجُمَ ، فقرأها فإذا فيها :

أَجىءُ على شَرْطٍ فإن كنت فاعلا   وإلا فإنِّى راجعٌ لا أُناظِرُ
لِيُسْرَجْ لىالبِرْذَونُ فى حال دُلْجَتِى   وأنت بدُاجاتِى مع الصبح خابرُ
لأقْضِىَ حاجاتى عليه وأنْثَنى   إليك وحَجَّامٌ إذا جئتُ حاضرُ
فيأخذَ من شَعْرِى ويصلحَ لِحْيَتى   ومن بَعْدُ حمامٌ وطِيبٌ وجامرُ
ودَسْتيجةٌ من طيِّب الراح ضَخْمَةٌ   يُرَوِّدُنيها طائعا لا يعاسر

فقال محمدُ بنُ أيوب : ما تقول ؟ فقلت : إنك لا تَقْوى على مُطاوَلَته ، ولكن اضْمَنْ له ما طلبَ فكتب إليه قد أُعِدّ لك ، وحياتِك ، كلُّ ما طلبتَ فلا تُبْطِئْ فإذا به طَلَعَ علينا وأمر محمدُ بنُ أيوب بإحضارِ المائدة ، فلما أحضرت أمر بمُحَمَّدِ ابن يسير فشُد بحبْلٍ إلى اسطوانةٍ من أساطين المجلسِ ، وجلسنا نأكل إلى جانبه ، فقال : أىُّ شىء يُخَلِّصُنى مما أنا فيه ؟ قلنا : تجيبُ نَفْسَك عما كتبتَ به أقبحَ جواب ، فقال : كُفُّوا عن الأكلِ إذاً ولا تَستَبِقُونى فتَشْغَلوا خاطرى ، ففعلنا ذلك وتوقفنا ، فقال :

أيا عجبا من ذا اليسيرىّ إنه   له نخوة فى رأيه وتكابرُ
يشارطُ لما زار حتى كأنه   مُغَنٍّ مجيدٌ أو غلامٌ مؤاجرُ
فلولا ذِمامٌ كان بينى وبينه   لَلَطَّمَ بشار قفاه وياسر

فقال له محمدٌ : حَسْبُك لم نرد هذا كلَّه ، ثم حَلّه وجلس ، وأكل وأتممنا يومنا .

ولمحمد يسيرٍ :

لا أَرّقَ اللهُ عَيْنَيْ من أرِقْتُ له ولا ملا مِثْلَ قلبي قَلْبَه تَرَحا
يَسُرُّنى سوءُ حالى فى مَسَرَّتِه فكلما ازددتُ سُقْما زادنى فرحا

كان بين محمد بن يَسير وأحمد بن يوسف الكاتب شر فزحمه أحمدُ يوماً بحماره تعرضا لكلامه(١) وعبثا به ، فأخذ ابن يسير بأُذُنِ الحمارِ وقال له : قل لهذا الحمارِ الراكبِ فوقك لا يُؤذِى الناس ، فضحك أحمد ونزل ، فعانقه وصالحه .

كان عمرو القصافى يَعِين(٢) فى كل شىء يَسْتَحْسِنُه فحضر يوماً مع محمد بن يسير وغيره مجلساً ، وفيه مغنية حَسَنةُ الوجه شَهْلَةٌ . تُغنى غناء حسناً ، فكانوا فى أحسن يوم وما برحوا من المجلس حتى عَانَ(٢) عمرو المُغنيةَ فانصرفت محمومَةً شاكيةَ العَيْن فقال محمد بن يسير :

إن عمراً جنى بعَيْنَيْه ذنبا قَلّ منى عليه فيه الدعاء
عان عَيْناً فعَيْنُه للتى عا نَ فِداً وقلّ منه الفداء
شَرُّ عَيْنٍ تصيبُ أحْسَنَ عَيْنٍ تحملُ الأرضُ أو تُقِلُّ السماء

قال محمدُ بن أبى حَرْب : أنشدنا محمدُ بن يسيرٍ فى مجلس أبى محمد الزاهدِ صاحبِ الفَضِيل بن عياض رحمه الله لنفسه :

ويلٌ لمن لم يَرحَمِ اللهُ ومن تكون النارُ مثواهُ
واغَفْلَتِا فى كلِّ يوم مَضَى يُذَكِّرنى الموتَ وأنساهُ
من طال فى الدنيا به عمرهُ وعاشَ فالموتُ قصاراهُ
كأنه قد قيل فى مجلس قد كنتُ آتيه وأغشاه

---

(١) لشره (أغانى ١٢ : ١٢٩) .
(٢) عان يعين الرجل : أصابه بالعين .

محمد صار إلى ربه يرحمنا الله وإياه

قال : فأبكى جميعَ من حضر.

قال عليُّ بن القاسم : كنت مع المعتصم لما غزا فجاءه بعضُ سراياه بخبر غمَّه ، فركب من فوره وسار أجدّ سير ، وأنا أسايره ، فسمع منشداً يتمثل فى عسكره :

إن الأمور إذا انْسَدَّت مسالكُها فالصبرُ يفتح منها كل ما ارتَتَجا
لا تيأسَنّ وإن طالت مطالبةٌ إن استعنتَ بصبر أنٍ ترى فرجَا

فسر بذلك ، وطابتْ نفسهُ ثم التفت إليَّ فقال : يا عليُّ أتروِى هذا الشعر ؟ قلت : نعم . قال : من يقوله ؟ قلت : محمدُ بن بشير . فتفاءل باسمِه ونسبِه وقال : أمرٌ محمودٌ وبشْرٌ سريعٌ يعقبُ هذا الأمر ، ثم قال : أنشدنى الأبياتَ فأنشدْتُه :

ماذا يكلِفُك الروحاتِ والدُّلجا البرَّ طوراً وطوراً تركبُ اللُّجَجا
كم من فتًى قصُرَتْ فى الرزق خَطْوتَهُ ألفيْتَه بسهامِ الرزقِ قد فَلجاَ
لا تيأسَنّ وإن طالتْ مُطالبَةٌ إن استعَنْت بصبر أن ترى فرجا
إن الأمور إذا اشْتدَّتْ مخارِجُها فالصبرُ يفتح منها كلَّ ما ارتَتَجا
أخْلِق بذى الصَّبْرِ أن يحظى بحاجتِه ومُدْمِنِ القرعِ للأبواب أن يَلجاَ
قدِّر لرِجْلِك قبل الخطْو موضِعَها فمن علا زلقا عن غِرة زَلَجا
ولا يغرَّنْك صفوٌ أنت شارِبُه فربما كان بالتكديرِ مُمْتَزِجا

[قال : وهـذه الأبياتُ لمحمدِ بن بشير الخارجى ، ذكرها أبو تمامٍ فى الحماسة ، وليس كما ذكر أبو الفرج الأصبهانى أنها لمحمد بن يَسير بالسين المهملة][1] .

كان محمدُ بن يسيرٍ يصف نفسه بالذكاء والحِفظِ والاستغناء عن تدْوِين شىء يسمعه فمن ذلك قوله :

---

(١) رواية الأغانى وسياق الخبر يفيد أنه هو بشير بالشين المعجمة لا بالسين المهملة كما ذكر هنا ١٢ / ١٣٢ .

إذا ما غَدا الطلّابُ للعلم ما لَهُمْ   من الحظِّ إلا ما يُدوَّنُ فى الكُتُبِ
غَدَوْتُ بتشميرٍ وَجِــدٍّ عليهم   ومِحْبَرتى أُذْنى ودَفْترُها قلبى

عوتب محمدُ بن يسير على حضوره المجالس بغير ورقٍ ولا محبرةٍ ، وأنه لا يكتب ما يسمعه فقال :

ما دخل الحمَّامَ من عِلْمى   فذاك ما فاز به سَهْمى
والعِلْمُ لا ينفعنى جَمْعُــه   إذا جرى الوهمُ على فهمى

كان إبراهيمُ بن رياح إذا أَحْزَنه أمر يَقْطعه بمثل قولِ محمد بنِ يسيرٍ :

تُخْطِى النفوسُ مع العِيا   نِ وقد تُصيبُ مع المَظِنَّهْ
كم من مضيقٍ فى الفضا   ءِ ومَخْرَجٍ بين الأسِنَّهْ

كان محمد بن يسير يعاشرُ بعض الهاشِميِّين ، ثم جفاه الهاشمىُّ لملل ٍكان فيه فكتب إليه ابن يسير :

قد كنتُ منقبضا وأنت بَسَطْتَنى   حتى انبسطتُ إليك ثم قبضتنى
أذكرتنى خُلُقَ النفاق وكان لى   خلقاً فقد أحسنتَ إذ أَذْكَرْتَنى
لو دام وُدُّك فانبسطتُ إلى امرئٌ   فى الودِّ بعدك كنتَ أنتَ غررتَنى
فهلمّ نجتذبِ التذاكُرَ بيننــا   ونعودُ بعدُ كأننــا لم نَفْطِنِ

قال أبو الشبل : كنا عنــد قاسم بن جعفر بن سليمان ذاتَ يوم ، ومعنا محمد بن يسيرٍ ونحن على شرابٍ فأمر أن يُبَخَّرَ ويُطَيَّبَ ، فأقبلَت وصيفةٌ له حسنةُ الوجه فجعلت تُبَخِّرنا وتُغَلِّفُنا بالغالية ، فلما غلفَتِ ابن يسير وبخَّرَتْه التفت إلىّ وكان إلى جانبى فأنشدنى :

يا باسطا كفَّهُ نحوى يُطَيِّبُنى   كفَّاك أطيبُ يا حِبِّى من الطِّيبِ
كفَّاك يُجرِى مكانَ الطيبِ طِيبُهما   فلا تَزِدْنى عليها عنــد تطييبى
يا لائمى فى هواها أنتَ لم ترَها   فأنت مُغرًى بتأنيبى وتَعْذيبى

انظرْ إلى وجْهِها هل مثلُ صُورَتِه ... فى الناس وجها مُجلًّى غيرَ محجوبِ

فقلت له : اسكت ويلك لا تُصْفَع وتُخْرَج. فقال : والله لو وثقتُ بأن نُصْفَعَ جميعاً لأنشدتُه الأبياتَ ولـكن أخشى أن أُفْرَد بالصفع دُونك .

اجتمع جميفرانُ الموسوس ومحمد بن يسير فى بستان فانفرد محمدُ بن يسير ناحيةً لقضاء الحاجة ثم قام عن شىء كثير خَرَجَ فقال جميفران :

قد قلت لابن يسيرٍ ... لما رَمَى من عِجانِهْ

فى الأرض تَل سمادٍ ... علا على كُثْبانِهْ

طوبى لصاحب أرضٍ ... خَرِئْتَ فى بُستانِهْ

فجعل ابن يسير يشتمُ جميفران ويقول : أى شىء أردتَ منى يا مجنون ؟ صيّرتنى شُهْرَةً فى شعْرِك .

قال عبدُ الله بن محمد بن يسير : كان أبى مشغوفاً بالنبيذِ مُشْتَهِرًا بالشُّرْبِ وما بات قطُّ إلا وهو سكران ، وما نَبَذ نبيذا قَطُّ وإنما كان يشربه عند إخوانه ويَسْتسقيه منهم ، فأصبح بالبصرة يوما على مطر هائلٍ لا يُمكِنُه الحركةُ معه إلى قريبٍ ولا بعيدٍ وكاد يُجَنُّ لما فَقَدَ النبيذَ ، فكتب إلى أمير البصرة محمدِ بن أيوب ابن جعفر بن سليمان الهاشمى :

كم فى عِلاجِ نبيذ التمرِ لى تعَبٌ ... الطبْخُ والدَّلْكُ والمصارُ والعَكَرُ

وإن عدلتُ إلى المطبوخ مُعْتَمِدا ... رأيْتَنى منه عند الناس أَشْتَهِرُ

نقلُ الدنانِ من الجيرانِ يفْضَحُنى ... والقدرُ يتركنى فى القومِ أَعْتَذِرُ

فصرت فى البيت أستَسْقى وأطْلُبُه ... من الصديق ورُسْلى فيه تَبْتَدِرُ

فمنهم باذلٌ سَمْحٌ بحاجتنا ... ومنهم كاذبٌ بالزورِ يَعْتَذِرُ

فسَقِّنى رِىَّ أيام لتَمْنَعَنى ... عمن سواك وتُغْنينى فقد خَسِروا

إن كان زِقٌّ فَزِقٌّ أو فوافِرَةٌ ... من الدساتيجِ لا يُزْرِى بها الصِّغَرُ

وإن تـكن حاجتى ليست بحاضرةٍ ... وليس فى البيت من آثارها أَثَر
فاستَسْقِ غيرك أو فاذْكُرْله خبرى ... إن اعتراك حياءٌ منه أو حَصَرُ
ما كان من ذلـكم فلْيَأْتِنى عَجِلا ... فإننى واقفٌ بالبـاب أنتظر
ما لى نبيذٌ ولا حُرٌّ فيَدْعُوَنى ... وقد حمانى من تطفيلِىَ المطرُ

فلما قرأها ضحك وبعث إليه بزِقّ نبيذ ومائتى درهم ، وكتب إليه أن اشرب النبيذَ وأنفِـق الدراهمَ حتى يمسكَ المطر ويتسع لك التطفيلُ ومتى أعْوَزَكَ مكانٌ فاجعلنى فَيْئَةً لك والسلام .

محمد بن حازم الباهلي (١)

هو محمدُ بن حازمٍ بن عمرو الباهليُّ، كنيتهُ أبو جعفرٍ من ساكني بغداد، ومولده ومنشؤهُ البصرة.

شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية، إلا أنه كان كثير الهجاء فاطَّرِحَ ولم يمدحْ من الخلفاء إلا المأمونَ، ولا اتَّصَل بواحد منهم فيكون له نَبَاهَةُ طبقتِه، وكان ساقط الهِمَّةِ متقَلِّلا جدا يُرْضيه اليسيرُ ولا يتصدَّى لمدحٍ ولا طلب.

فمن شعره:

خُذْ من العيشِ ما كفى ... ومِنَ الدهرِ ما صَفَا
حَسُنَ الغدرُ فى الأنا ... م كما استُقْبِحَ الوَفَا
صِلْ أخا الوَصْلِ إنه ... ليس بالهجر من خفا
عين من لا يريد وَصْـ ... ـلَكَ تُبْدِى لك الجفا

قال محمد بن حازمٍ الباهلى: بعثَ إلىَّ فلانٌ الطاهرىُّ وكنت قد أفرطْتُ فى هجوه، بألفِ درهم وثياب فى تَخْت، وقال: أما ما مَضَى فلا سبيل إلى ردِّه ولكن أحبُّ ألا تزيدَ عليه شيئا فبعثتُ إليه بالدراهم والثياب وكتبت إليه:

لا ألبس النعماءَ من رجل ... ألْبَسْتُه عارًا على الدهر

قال محمد بن حازم: مرَّ بى أحمدُ بنُ سعيدِ بن سالم، وأنا على بابى فلم يُسَلِّم علىَّ سلاما أرضاه فكتبت رقعة واتبعتُه بها وفيها:

وباهِلِىّ من بَنى وائلٍ ... أفادَ مالًا بعد إفلاسِ
قَطَّبَ فى وجهىَ خَوْفَ القِرَى ... تقطيبَ ضِرغامٍ لدى الْبَاسِ

---

(١) الأغانى ١٢: ١٥١ تجريد ق ٢٠ ج ١ ـ ٣ ـ ١٥٥٣ ـ طبقات ابن المعتز ٣٠٨. أغانى الدار ١٤/ ٩٢

وأظهرَ التيـــهَ فتاً يهتُهُ تيهَ امرئٍ لم يَشْقَ بالناس
أعَرْتَه أعراضَ مُستكبر فى موكبٍ مرَّ بكنّاسِ

قال ابن الأعرابى : أحسنُ ما قال المحدثون فى مدح الشباب وذم الشيب قولُ محمدٍ بن حازم الباهلى من قصيدة :

لا تُكْذَبَنَّ فمـــا الدنيا بأجمعها من الشبابِ بيومٍ واحـــد بَدَلُ
كفاكَ بالشَّيْب عَيْبٌ عنــد غانيةٍ وبالشبابِ شفيعا أيها الرَّجُلُ
بان الشبابُ وولى عنـــك باطِلُه فليس يحسنُ منك اللهوُ والغزَلُ
أماالغوانى فقد أَعْرَضْنَ عَنْك قِلًى وكان إعراضُهن الدَّلُّ والخجلُ
ليتَ المنـــايا أصابَتْنى بأسْهُمِها فـكن يَبْكين عهدى قبلأ كْتَهِلُ
عهدَ الشبابِ لقد أبقيتَ لى حَزَناً ما جَدَّ ذِكْرُكَ إلا جَدَّ لى ثُكْلُ
إن الشباب إذا ما حَــلَّ رائِده فى مَنْهَلٍ جاء يَقْفُو إثْرَه الأجلُ

كان محمد بن حازم قد امتدح بعض بنى حميد فـلم يُثِبْه ، وجعل يُفتِّشُ شعرَه فيعيبُ فيه الشىءَ بعدَ الشىء وبلغه ذلك فهَجَاه هجاءً كثيرا شَنيعا ، فبعث إليه ابنُ حميد بمال واعتذر إليه وسأله الـكفَّ عنه فلم يفعل ورد عليه المال وقال من أبيات :

ياجامعاً مانعاً بخيـــلاً ليس له فى العُلَى نصيبُ
أبِالرُّشَا يستمالُ مِثْـــلى كلَّا ومَنْ عنده الغيوبُ
لا أرتدى حُلَّةً لمـــثنٍ بوجهه من يدى ندوب
وبين جَنْبيه لى كلُومٌ داميةٌ مالهـــا طبيبُ
ما كنتُ فى موضع الهدايا منك ولا شعبُنا قريبُ
إنِّى وقد نَشَّتِ المـكاوى عن سِمَةٍ شأنها عجيب
وسار بالذم فيك شِعْرى وقيل لى مُحْسِنٌ مُصيبُ
مالُكَ مالُ اليتيمِ عندى ولا أرى أَكْلَه يطيبُ

حسبك من مُوجزٍ بليغ ... يبلغُ ما يبلغُ الخطيب

وبعثه الحسنُ بن سهل فى وِجهة لجبايةِ مالٍ وحربِ قوم من الشّراة فقال فيه محمد بن حازم :

إذا استَقَلّتْ بك الركابُ ... فحيث لا دَرّتِ السحابُ

زالت سِراعا وزلتَ تجرى ... ببَيْنِك الظبىُ والغرابُ

بحيثُ لا يُرْتَجى إيابٌ ... وحيث لا يَبْلغُ الكتابُ

فقَبْلَ معروفِك امتنانٌ ... ودونَ ميعادك[1] العذابُ

وخير أخلَاقِك اللواتى ... يَعافُ أمثالَها الكلابُ

فلما توجه خانَ فى المالِ وهَرَب من الحَرْب ، فقال فيه محمد بن حازم أيضا :

تشبَّه بالأسدِ الثّعْلَبُ ... فغادَره مُعنِقا[2] يجنبُ

وحاوَلَ ماليس من طَبْعِه ... فأسْلَمَه النابُ والمِخْلبُ

ولم تغنِ عنه أباطيلُه ... وحاصَ فأحْرَزهُ المَهْرَب

أيا ابن حميد كفَرْتَ النعيـ ... ـمَ جهْلا ووسوسك المَذْهَبُ

ومَنّتْكَ نَفْسُك مالا يكونُ ... وبعضُ المُنَى خلَبٌ يَكْذِبُ

قال يحيى بنُ أكثم ، لمحمدِ بن حازمٍ الباهلى : ما نَعيبُ شِعرَك إلا أنك لا تطيل فقـال :

أبَى لى أن أُطيل الشعر قَصْدِى ... إلى المَعْنى وعِلمِى بالصوابِ

وإيجـازِى بمُخْتَصرٍ قريبٍ ... حذفتُ به الفضولَ من الجوابِ

فأبْعَثُهُنّ أربعةً وخمساً ... مثقفةً بألفاظٍ عِذابِ

خوالدَ ماحدا ليلٌ نهارا ... وما حسن الصبا بأخى الشباب

(١) ودون معروفك (أغانى) .

(٢) المعنق : المسرع .

وهن إذا وَسمتَ بهن قوما | كأطواق الحمائم فى الرقاب
وهن إذا أقمت مسافرات | تهاداها الرواة مع الركاب

كان إسحاق بن أحمد بن نهيك آنسا بمحمد بن حازم الباهلى يدعوه ويعاشره ثم جفاه مدة فكتب إليه يستزيره ويعاتبه عتابا أغضبه وبلغه ذلك فكتب إليه :

ما مستزيرُك فى ودّ رآى خَلَلا | بمَوضع الأُنْسِ أهلا منك للغضبِ
قد كنتَ توجبُ لى حقّا وتعرفُ لى | قدرا وتحفظُ منى حُرْمَة الأدبِ
ثم انصرفْتَ إلى الأخرى فأحْشَمَنى | ما كان منك بلا جُرْم ولا سَبَبِ
وإنَّ أدْنَى الذى عِنْدِى مسامحةٌ | فى حاجتى بعدأَنْ أعْذَرْت فى الطّلَبِ
فاخْتَرْ فعِنْدِىَ مِنْ ثنْتَيْنِ واحدةٌ | عُذْرٌ جميلٌ وشكرٌ ليس باللعبِ
فإن تَجُدْ فكما قد كنتَ تفعَلُه | وإن أَخب فَبما قد خُطّ فى الكُتُبِ

كان بالأهواز رجل من التجار يُعرفُ بأبى ذُؤَيْب ، وكان مقصد الشُّعراء وأهلِ الأدبِ ، فقصَدَه محمدُ بنُ حازم ، فدخل عليه ، وعليه ثيابٌ رَثّةٌ ، ولم يُعرِّفْهُ نفسَه ، فصادفهم يتكلمون فى شىء من معانى الشعرِ ، وأبو ذُؤَيب يتكلمُ مُتَحَقِّقاً بالعلم بذلك ، فسأله محمدُ بنُ حازمٍ عن بيتٍ من شعرِ الطرماحِ فجهِلَه ، ورد عليه جوابا محالا كالمستصغر له وازدراه ، فوثَبَ عن مجلسه مُغْضَبا ، فلما خرج قيل له : ماذا فعلتَ بنفسك وفتحت عليها من الشر ؟ أتدرى بمن تعرضت ؟ قال : ومن ذاك ؟ قالوا : هذا محمدُ بن حازمٍ الباهلىُّ أخبثُ الناس لسانا وأهجاهم ، فوثب إليه حافيا حتى لحقه ، وحلف أنه لم يعْرِفْه واستقاله فأقاله ، وحلف أنه لا يقبلُ له رِفْدا ولا يذكُرُه بسوء مع ذلك أبداً ، وكتب إليه بعد أن افترقا :

أخْطا وردّ عَلَىَّ غيرَ جوابى | وزرَى عَلَىَّ وقال غَيْرَ صواب
وسَكَتُّ عن عجبٍ لذاك فزادنى | فيما كرهت بظَنّهِ المُرْتابِ
وقضَى عَلَىَّ بظاهرٍ من كُسْوةٍ | لم يدر ما اشتملَتْ عليه ثيابى

من عِفَّةٍ وتَكَرُّمٍ وتَحَمُّلٍ ... وتَجَلُّدٍ لمصيبةٍ وعِقابِ
وإذا الزمانُ جنى عَلَيَّ وجدتَني ... عُودًا لبعض صفائحِ الأَقْتابِ
ولَئِنْ سأَلْتَ ليُخبِرَنَّكَ عالمٌ ... أنّي بحيثُ أُحِبُّ من آدابِ
وإذا نَبا بِيَ منزلٌ خَلَّيْتُهُ ... قَفْرًا مَجالَ ثَعالبٍ وذِئابِ
وأكونُ مشتركَ الغِنَى متبذِّلا ... وإذا افتقرتُ قعدتُ عن أصحابي
[لكنّه رجَعَتْ عليه ندامةٌ ... لمّا نُسِبْتُ وخاف مَضَّ عتابي](١)
فأقلتُه لمّا أقرَّ بذنبه ... ليس الكريمُ عن الكريم بنابِ

كان أبو إسحقَ مسعودٌ القُطْرُبُّلِي صديقا لمحمدِ بن حازمٍ الباهليِّ فسأله حاجةً فرَدَّه عنها، فغضب محمدٌ وانقطع عنه، فبعث إليه بألفِ درهم وترضاه، فردَّها وكتب له:

مُتَّسِعُ الصدرِ مُطيقٌ لما ... يَحارُ فيه الحُوَّلُ القُلَّبُ
راجع بالعُتْبَى فأَعْتَبْتُه ... وربما اعتَبَكَ المذنبُ
وإنّ في الدهر على صَرْفِهِ ... بين الصديقين لمُسْتَعْتَبُ
سقْيًا ورعياً لزمانٍ مضى ... عَنّي وسَهْمُ الشامتِ الأخيبُ
قد جاءني منك ذو موئل ... فلم أُعْرِض له والحرُّ لا يكذبُ
أخْذِيَ مالا منك بعد الذي ... أَوْدَعْتَنِيه مركبٌ يَصْعبُ
أَبَيْتُ أن أشربَ عند الرضا ... والسُّخْطِ إلا مَشْرباً يَعْذبُ
أعزني اليأس وأغْنَى فما ... أرجو سوى الله ولا أرهبُ
قارونُ عندي في الغِنَى مُعْدِمٌ ... وهِمَّتِي ما فَوْقَها مَذْهَبُ
فأيّ هاتَيْنِ تراني لها ... أصْبو إلى مالكٍ أَوْ أَرْغَبُ

---

(١) هذا البيت عن الأغاني (١٢ : ١٥٥) وهو تمهيد لما بعده وبه يتسق الكلام .

قال حمادُ بن يحيي : آخر ما فارقتُ عليه محمدَ بن حازمٍ أنه قال : لم يَبْقَ عليَّ شيء من اللذاتِ إلا بيعُ السنانيرِ ، فقلت له : سَخِنَتْ عينك ، أيُّ شيءٍ في بيع السنانيرِ من اللَّذَّةِ ، قال : أني يُعْجبني أن تَجيئَني العجوزُ الرَّعْناء تخاصمني وتقول : هذا سِنَّوْرِي سُرِقَ مني ، وأخاصمها وأشتمها وتشتمني وأغيظها ، ثم أنشدني :

صِلِ خمرةً بخمار وصِلْ خُمارًا بخَمْرِ
وخذ بحظك من ذا زادا إلى حيث تدرى

قال : قلت : إلى أين ويحك ؟ قال : إلى النار يا أحمق .

قال محمدُ بن حازم الباهلي : عَرَضَتْ لي حاجةٌ في عَسْكر أبي محمد ، الحسن ابنِ سهل ، فأتيته وقد كنت قلت في السفينةِ شِعْرا ، فلما دخلت على محمد بن سعيد ابن سالم انتسبتُ له فعرَفَني ، فقال : ما قلتَ في الأمير ؟ فقلت : ما قلتُ فيه شيئاً . فقال له رجل كان معي : بَلَى قال أبياتاً وهو في السفينة ، فسألني أن أُنْشِدَه فأنشدْته قولي :

وقالوا لو مَدَحْتَ فتى كريما فقُلْتُ وكيف لي بِفَتًى كريمِ
بلوتُ الناسَ مذ خمسين عاما وحَسْبُك بالمُجَرِّب من عليمِ
فما أحدٌ يُعَدُّ ليوم خَيْرٍ ولا أحدٌ يعودُ على حَميمِ
ويُعْجِبُني الفَتَى وأظنُّ خيراً فأكْشِفُ منه عن رَجُلٍ لئيمِ
تَقَيَّلَ بعضُهم بعضاً فأَضْحَوْا بَنِي أبوين قُدًّا من أديمِ
فطاف الناسُ بالحسنِ بن سهل طوافَهُمُ بزمزمَ والحطيمِ
وقالوا سَيِّدٌ يعطِى جَزيلا ويكشفُ كُرْبَةَ الرجلِ الكظيمِ
فقلت مضى بذَمِّ القوم شِعْرِي وقد يُؤْتَى البَرِئُ من السَّقيمِ
وما خَبر تُرَجِّمُه ظُنوني بأشْقَى من معاتبةِ الحكيمِ
فجئْتُ وللأمور مُبَشِّراتٌ ولن يخفى الأغرُّ من البهيمِ

فإنْ يك ما تَنَشَّر عنه حَقًّا   رجعتُ بأهْبَة الرجل المُقيم
وإن يكُ غيرَ ذاك جَهِدْتُ ربى   وزال الشكُّ عن رجُلٍ حَليم
وما الآمالُ تَعْطِفُنى عليــه   ولـكنّ الـكريمَ أخو الـكريم

فلما أنشدْته هذا الشعرَ قال لى : أبمثلِ هذا تَلقى الأميرَ ؟ والله لو كان نظيرَك ما جازَ لك أن تُخاطِبَه بمثل هذا ، فقلتُ : صدقتَ ، وكذلك قلتُ لك إنى لم أَمْدَحْه بعد ، ولـكنى سأمْدَحُه مدحاً يُشْبِه مِثْلَه قال : فافعل ، وأنز لَـنِى عنده ، ودخل إلى الحسن فأخبره بخَبَرِى وعَجَّبَه من جودةِ البيتِ الأخير فأعْجَبَه ، وأمر بإدخالى إليه بغير مَدْح ، فأُدخلت إليه ، فأمرنى أن أُنْشِدَه هذا الشعرَ فاستعفيته فلم يعفنى وقال : قد قَنِعنا منك هذا القَدْر إذا لم تُدْخِلْنا فى جملةِ من ذَمَمْت ، وأرضيْنَاك بالمـكافأةِ الجميلةِ ، فأنشدته إياه فضحك وقال : ويحك ! مالك وللناسِ تَعُمُّهُمْ بالهجاءِ حَسْبُك الآن من هذا النَّمَط ، وأَبْقِ عليهم ، فقلت : قد وَهَبْتُهم للأمير . فقال : قد قبلتُ وأنا أطالبُك بالوفاء مطالبةَ من أُهْدِيَتْ إليه هَدِيةٌ فقَبِلَها وأثاب عليها ، ثم وصلنى فأجْزَل ، وكسانى ، فقلت فى ذلك وأنشدته :

وهبتُ القومَ للحسنِ بن سهلٍ   فعوَّضَنِى الجزيلَ منَ الثوابِ
وقال دعِ الهجاءَ وقُلْ جميـلا   فإن القَصْدَ أقربُ للصـواب
فقلت له برِئْتُ إليـك منهم   فلَيْتَهُمُ بمنقطـعِ التراب
ولولا نعمــةُ الحسنِ بن سهلٍ   علىّ لسُمْتُهم ســوءَ العذابِ
بشِعْرٍ تَعْجَبُ الشعراء منـه   يُشَبَّــهُ بالهجـاءِ وبالعتـابِ
أكيــدهُمُ مكايدةَ الأعادِى   وأَخْتِلُهُمْ مخـاتلةَ الذئـابِ
بَلَوْتُ خيـارَهم فبَلَوْتُ قومـاً   كُهُولُهُمُ أخسُّ من الشبابِ
وما مُسِخُوا كلاباً غـيْرَ أنى   رأيتُ القومَ أشبـاهَ الـكلابِ

فضحك وقال : ويلك ! الساعةَ ابتدأْتَ بِهجائهم وما أَفْلَتُوا منك بعد .
فقلت : هذه بَقِيَّةٌ طَفَحَتْ على قلبي ، وأنا كَافٌّ عنهم ما أبْقَى اللهُ الأمير .

كان محمدُ بن حازمٍ قد تَرَكَ النبيذ ، ونَسَكَ وتَرَكَ الشُّرْبَ ، فدخل يوماً على إبراهيمَ بنِ المهدى ، فحادثه وناشده وأكل معه لما حضر الطعام ، ثم جلسوا للشراب فسأله إبراهيم أن يَشْرَب فأبى وأنشأ يقول :

أَبَعْدَ خمسين أَصْبُو ... والشيبُ للجَهْلِ حَرْبُ
سِنٌّ وشيبٌ وجَهْلٌ ... أمرٌ لعمرك صَعْبُ
يا ابن الإمامِ فَهَلّا ... أَيَّامَ عُودِىَ رَطْبُ
وشَيْبُ رَأْسِى قليلٌ ... ومَنْهَلُ الحبِّ عَذْبُ
وإذ سِهامى صِيابٌ ... ونَصْلُ سَيْفِى عَضْبُ
وإذْ شِفَاهُ الغَوانى ... مِنِّى حديثٌ وقُرْبُ
فالآن لما رأى . لى ... عواذِلى ما أَحَبُّوا
وأَقْصَرَ الجهلُ مِنِّى ... وساعَد الشَّيْبِ لبُّ
وآنَسَ الرشْدَ مِنِّى ... قَوْمٌ أُعاب وأصبو
آلَيْتُ أشربُ كَأْساً ... ما حَجَّ لله رَكْبُ

قصدَ محمدُ بن حازمٍ بعضَ ولَدِ سعيد بنِ سالمٍ ، وقد وَلِىَ عملا فاستَرْفَدَه فَمَطَلَه وأطال مُدَّتَه ولم يُعْطِه فانصرف عنه وقال :

أَللدنيا أُعِدُّك يا بنَ عَمِّى ... فأَعْلَمَ أم أُعِدّكَ للحسابِ
إِلَى كَمْ لا أراكَ تُنيلُ حتى ... أَهُزَّكَ قد بَرِمتَ من العتاب
وما تَنْفَكُّ من جَمْعٍ ووضْعٍ ... كأنك لستَ تُوقِنُ بالإيابِ
فشَرُّك عن صديقك غيرُ ناءٍ ... وخَيْرُك عند مُنْقَطعِ الترابِ
أَتَيْتُكَ زائراً فأتيتُ كَلْباً ... فَحظِّى من إخائك للكلابِ

فبئسَ أخو العشيرةِ ما عَلِمْنَا   وأخبثُ صاحِباً لأخى اغترابِ
أَيَرْحَلُ عنك ضَيْفُك غير راضٍ   ورحْلُك واسعٌ خصبُ الجنابِ
فقد أصبحت من كَرَمٍ بعيداً   ومن ضِدّ المكارم فى اللُّبابِ
وبى حاجةٌ لَجَدَاكَ لكن   أَرُدُّكَ عن قَبيحك للصوابِ

قال يزيد بن محمد المهلبى : كنا عند المتوكل يوماً فأغْضَبَتْهُ قبيحة فخرج إلينا فقال : من يُنْشِدُنى شِعْراً فى مَعْنى غَضَبِ قبيحةَ عَلَىّ وحاجتى إلى أن أخْضَع لها حتى تَرْضى ، فقلت : لقد أحْسَنَ محمدُ بن حازمٍ حيث يقول :

صفحتُ بِرَغْمِى عنك صَفْحَ ضرورةٍ   إليك وفى قلبى ندوبٌ من العَتْبِ
خَضعتُ وما ذَنْبِى إن الُحبَّ عزَّنِى   فأغضيتُ صفحا عن معالجة الُحبِّ
وما زال بى فَقْرٌ إليك مُنازِعٌ   يُذَلّلُ منى كلَّ ممتنعٍ صَعْبِ
إلى الله أشكو أن وُدّى مُحَصَّلٌ   وقلبى جميعا عند مُقتسمِ القَلْبِ

قال : أحسنت وحياتى يا يزيد وأمَرَ لى بألفِ دينار وغُنِّىَ فيه بين يديه .

سافر محمدُ بن حازمٍ سَفَرًا فمرّ بقوم من بنى نُمَيْر فسلّوا[1] بعيرا له عليه ثِقْلُه فقال يَهْجُوهم :

نُمَيْرُ أَجْبَنَا حيث يختلف القنا   ولُؤْماً وبُخْلا عند زادٍ ومِزْوَدِ
ومَنْعَ قِرَى الأضيافِ من غير عِلّةٍ   ولا عدم إلّا حذارَ التّعَوُّدِ
وبغياً على الجار القريب إذا دنا   إليكم وسَلّ[1] الراكب المتفرّد
على أنكم ترضون بالذُّلّ صاحبا   وتُعطون من لاحاكُمُ الظلم عن يد
أمَا وأبى إنّا لنَعْفو وإننا   على ذاك أحياناً نجورُ ونَعْتَدِى

---

(١) سل الشىء = سرقه ، وفى الأغانى (إذا طرا . . وختل الراكب) .

نَكيدُ العِدَا بالحلم من غير ذِلَّةٍ ... ونَغْشَى الوغى بالصدق لا بالتَّوَعُّدِ

نَفَى الضيمَ عنا أنفُسٌ مُضَرِيَّة ... صراخٌ وطعنُ الباسلِ المتمردِ

وإنا لمن قيس بن عيلان في الكُنَى ... هي الغايةُ القصوى بِعِزٍّ وسؤددِ

ولو أن قوما يَسْلمون من الرَّدَى ... سَلِمْنا ولكن المنايا بِمَرْصَدِ

أبى اللهُ أن يَهْدِي نُمَيْرًا لِرُشْدِها ... ولا يَرْشُدُ الإنسانُ إلا بِمُرْشِدِ

مَعبَدُ اليقطيني (١)

غلامٌ مُوَلَّدٌ من مُوَلَّدِي المدينةِ اشتراه بعضُ ولدِ عليِّ بنِ يَقْطين ، لم يَخْدُمْ أحداً من الخلفاء إلا الرشيدَ ، ومات فى أيامه ، وكان مُنقطعا إلى البرامكة .

قال مَعبدٌ الصغيرُ اليَقْطيني : بينا أنا يوما فى منزلى إذ دقّ بابى ، فخرج غلامى ورَجَع فقال لى : بالباب فتى ظاهرُ المروءةِ يستأذنُ عليك ، فأذنت له ، فدخل علىّ شابٌّ ما رأيتُ أحسنَ وجها منه ، ولا أنظفَ ثوبا ولا أجمل زِيًّا ، وهو دَنِفٌ عليه آثارُ السُّقْمِ ظاهرةٌ فقال لى : أحاولُ ألْقَاكَ منذ مُدَّةٍ ، فلا أجد إلى ذلك سبيلا ، وإن لى حاجةً فقلت : وما هى ؟ فأخرج ثلاثمائةِ دينار فوضعها بين يدَىّ ثم قال : أسألك أن تَقْبَلها وتَصْنَع فِىَّ بَيْتَيْنِ قُلْتُهما لحناً تُغَنِّينِي به. فقلت: هاتِهما. فأنشدنى:

والله يا طَرْفِىَ الجانى على بَدَنِى ... لتُطْفِئَنَّ بدمْعِى لَوْعَةَ الحزَنِ

أو لأبوحَنَّ حتى يحجبوا سَكَنِى ... فلا أَراه ولو أُدْرِجْت فى الكفنِ

فصنعتُ فيه لحنا وغَنَّيْتُه إياه ، فأغمى عليه حتى ظننته قد مات ، ثم أفاق فقال : أَعِدْ فَدَيْتُكَ فناشَدْتُه اللهَ فى نَفْسِه وقلت : أخشى أن تموتَ فقال : هيهاتَ أنا أشْقَى من ذاك . وما زال يَخْضَعُ لى و يَتَضرَّعُ حتى أعدْتُه فصُعِقَ صَعْقَةً أشدَّ من الأولى ظننتُ أن نَفْسَهُ فاظت (٢) معها ، فلما أفاق رَدَدْتُ عليه الدنانيرَ ووضعتُها بين يديه وقلت : يا هذا خذْ دَنانيرَكَ وانصرف عنى ، فقد قضيتُ حاجتَك وبلغتَ وَطَراً مما أَرَدْتَه ، ولست أحبُّ أن أَشْرَكَ فى دمك فقال : يا هذا لا حاجةَ لى فى الدنانير ، وهذا مِثْلُها لك ، ثم أخرج لى ثلاثمائة دينار أُخرى ، فوضع ذلك بين يدَىّ وقال :

---

(١) أغانى ١٢ : ١٦١ ، أغانى الدار ١٤ / ١١٦ .

(٢) فاظت نفسه أوروحه: مات.

أعد الصوتَ مرةً أخرى ، وحَلٌّ لك دَمِى [وخلاك ذم[1] فشرهَتْ] نفسى إلى الدنانيروقلت : لا والله ولا بعشرةِ أضعافِها إلّا على ثلاثِ شرائطَ . قال : وما هن ؟ قلت : أوّلُهن أن تُقيمَ عندى وتتحرّم بطعامى ، والثانية : أنْ تشربَ أقداحاً من النبيذ تَشُدّ قلبك ويسكنُ مابك ، والثالثة أن تُحَدِّثنى بقِصّتِك . قال : أفعل ما تريد . فأخذتُ الدنانيرَ ودعوتُ بطعامٍ فأصاب منه إصابةَ مُعْذِر ، ثم دعوت بالنبيذِ فشرب أقداحا وغَنَّيْتُه بشعرٍ غَيْرِه فى معناه ، وهو يشربُ ويبكى ، ثم قال : الشَّرْطَ أعزّكَ الله . فغنيته صَوْتَه فجعل يبكى أشَدَّ بكاء وينتحبُ ، فلما رأيت مابه قد خَفَّ عما كان ورأيتُ النبيذَ قد شَدَّ قلبَه كررتُ عليه صَوْتَه مرارا ، ثم قلت له : حدِّثنى حديثَك ، فقال : أنا رجل من أهل المدينةِ خرجتُ مُتَنَزِّهاً فى ظاهرِها وقد سال العقيقُ فى فِتْيَةٍ من أقرانى وإخْوانى فبَصُرْنا بقَيْناتٍ قد خرجن لمثْلِ ما خرجنا له ، فجلسن حَجْرَةً منا وبصرتُ منهن بفتاة كأنها قضيبٌ قد طَلّه الندى ينظر بِعَيْنَيْنِ ما ارتدّ طَرْفُهما إلا بروحِ من يلاحِظُها فأطَلْنا وأطَلْنَ حتى تَفَرَّق الناسُ وانصرفْنَ وقد أبقت فى قلبى جُرْحاً بطيئاً اندمالُه فعدت إلى منزلى وأنا وَقِيذ[2] ، وخرجت من الغد إلى العقيق وليس به أحدٌ فلم أر لها ولا لصواحِبها أثَرًا ، وجعلت أتَتَبَّعُها فى طرق المدينة وأسواقها فكأنَّ الأرضَ أضْمَرَتْها فلم أُحِسَّ لها بعينٍ ولا أثَر فسَقِمْتُ حتى أيِسَ أهلى منى (ودخلت بى ظئرى) فاستعلمَتْنى حالى فضَمِنَتْ لى كتمانَها والسَّعْىَ فيما أُحِبّه منها فأخبرْتُها بقصتى فقالت : لا بأسَ عليك هذه أيامُ الربيع ، وهى سنةُ خِصْبٍ وأنواء ، وليس يبعدُ عنا المطر ، ثم هذا العقيقُ فتخرجُ حينئذ ، وأخرجُ معك ، فإن النسوة سَيَجِئْنَ فإذا جِئْنَ ورأيْتَها اتّبَعْتُها حتى أعرفَ لك مَوْضِعَها ثم أصلُ بينك وبينها وأسْعَى لك فى تزويجها ، فكأنّ نفسى اطمأنت

---

(١) غير واضحة فى الأصل وهى عن الأغانى .

(٢) الوقيذ: الشديد المرض المشرف على الموت ـ المحزون القلب كأن الحزن قد كسره وضعفه.

إلى ذلك ووثِقتْ به وسَكَنَتْ إليه فقَويتُ وطَمِعْتُ وتراجَعَتْ نفسي وجاء مطرٌ بعد ذلك فأسالَ العقيقَ وخرج الناسُ وخرجت مع إخواني إليه ، فجلسنا مَجْلِسَنا الأولَ بعينه فما كُنَّا والنسوةُ إلا كَفَرَسَيْ رِهان فأومأتُ إلى ظِئْرِي فجلسَتْ حَجْرةً بيننا وبينهن، وأقبلتُ على إخواني فقلت: لقد أحسنَ القائل :

رَمَتْنِي بسَهْمٍ أقصدَ القلبَ وانثَنَتْ   وقــد غادَرَتْ جرحا به وندوبا

فأقبَلَتْ على صواحباتها فقالت : أحسن . والله القائلُ وأحسن من أجابَه حيث يقول :

بنا مثلُ ما تشكو فصبرا لعَلَّنَا   نرى فَرَجا يُشْفِي السقامَ قريبا

فأمسكتُ عن الجوابِ خوفاً من أن يُرَى مني ما يَفْضَحُني وإياها وعرفتُ ما أرادت ثم تَفرَّق الناسُ وانصرفنا وتَبِعَتْها ظئرى حتى عَرَفَتْ منزلها ، وصارت إليَّ فأخذت بيدى ، ومضينا إليها ، فلم تزل تتلطفُ حتى وَصَلَتْ إليها ، فتلاقينا فتزاورنا على حال مخالصةٍ ومراقبةٍ حتى شاع حديثى وحديثُها ، وظهرَ ما بيني وبينها فحَجَبَها أهلُها وسَدّوا عليها أبوابَها فما زلت أجتهدُ فى لقائها فلا أقدر عليه ، وشكوت إلى أبى شِدَّة ما نالني وسألته خِطْبَتَها لى فمضى أبي ومشيخةُ أَهْلِي إلى أبيها فخطبوها فقال: لو كان بدأ بهذا قبل أن يَفضَحَها ويُشَهِّرَها أسْعَفْتُهُ بما التمس ولـكنه قد فَضَحَها فلم أكن لِأُحَقِّقَ قول الناس فيها بتزْويجه إياها، فانصرفتُ على يأسٍ منها ، ومن نفسي . قال معبد : فسألته أن ينزل فخبَّرَنى فصارت بيننا عِشْرَةٌ ثم جلس جعفرُ بن يحيي للشُّرْب فأتيته : فـكان أولَ صوت غنيتهُ شعرُ الفتى فشَرِب وطَرِبَ عليه طربا شديدا ، وقال : إن لهذا الصوت حديثا ، فما هو ؟ فحَدَّثْتُهُ فأمر بإحضارِ الفتى فأُحْضِرَ واستعادَه الحديث فأعادهُ . فقال : هى فى ذمتى حتى أزوِّجها لك فطابَتْ نَفْسُه وأقام معنا ليلتَنا حتى أصْبح ، وغدا جَعْفَرٌ إلى الرشيد فحدَّثه الحديثَ فعَجِبَ منه وأمر بإحضارنا جميعا فأُحضِرْنا وغَنَّيْتُه الصوتَ وشَرِبَ عليه وسمع حديثَ

الفتى فأمر من وقته بكتاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرجل وابنَتِه وجميع أهْلِه إلى حَضْرَته ، فلم يمض إلا مسافةُ الطريقِ حتى أُحْضِرَ وأمر الرشيدُ بإيصاله إليه ، فأوصِلَ وخَطَبَ الجاريةَ للفتى ، وأقسم عليه ألا يُخالِفَ أمْرَه فأجابه وزَوَّجَها وحمل الرشيدُ إليه ألفَ دينار لجهازها وألفَ دينارٍ لنفقةِ طَريقِهِ وأمر للفتى بألفِ دينار مثلها وأمر جعفر لى بألف دينار والفتى بألف دينار وكان بعد ذلك من ندماء جعفر ابن يحيى .

مضاضُ الجُرْهُميُّ (١)

هو مُضاض بن عمرو بن الحارث بن مُضاضِ بن عَمْرو الجُرْهُمِيُّ . كان جَدُّه مُضاض ابن عمرو زَوَّجَ ابنتَه رَعْلَة بن إسماعيلَ بنَ إبراهيم ، خليلِ الرحمن على نَبيّنا وعليهما الصلاة والسلام ، فولَدتْ له اثنيْ عشرَ رجلا ، أكبرُهم قيزر(٢) ونابِت ، وكان أبوه إبراهيمُ أَمرَه بذلك ؛ لأنه لما بنى مكة وأنزلَها ابنَه إسماعيلَ ، قَدِمَ عليه قَدْمةً من قَدَماته فسمع كلامَ العرب وقد كانت طائفةٌ من جُرْهُم نزلوا هنالك مع إسماعيلَ ، وسمع ابنَه إسماعيلُ تَكلَّمُهم فأعجبَتْه لغتُهم واستحسنها ، فأمر إسماعيلَ أن يتزوجَ إليهم فتزوج بنتَ مُضاض بن عمرو ، وكان سيِّدَهم ووَلِيَ نابتُ بنُ إسماعيل البيتَ بعد أبيه ثم تُوُفِّيَ فوَلِيَ مكانه جدُّه لأُمِّه مُضاض بن عمرو الجرهمى فضَمَّ ولَدَ إسماعيل ووَلَدَ نابت بن إسماعيل إليه ، وكانت جُرْهم نزلَتْ مع مَلِكهم مُضاضٍ بأعلى مكةَ ونزلت قَطوراء مع ملِكهم السميذع أجيادِين أسفل مكة ، وكان هذان البطْنانِ خرجا سَيارةً من اليمن . وكذلك كانوا لا يخرجون إلا مع مَلِكٍ يُمَلِّكُونه عليهم ، فلما رأوا مكة رأوا بلداً طيباً ؛ ماء وشجراً فنزلوه ، ورضى كلٍ واحد منهما بصاحبه ، ولم يُنازِعه فكان مضاضٌ يَعْشُر من جاء من أعلاها والسميذع يَعْشُرُ من جاء من أسْفَلِها ، ولا يدخل أحدها على صاحبه فى أمره . ثم إن جُرْهُماً وقطوراءَ بَغَى كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه وتنافسوا فى الملك حتى نشبت الحرب بينهم ، وكانت ولايةُ البيتِ إلى مُضاض دون السَّمَيْذع فسار بعضُهم إلى بعضٍ وخرج مضاضٌ من قُعَيْقِعانَ فى كتيبةٍ بسلاح شاكٍ يتَقَعْقَعُ . فيقال : ما سُمِّيَتْ قُعَيْقِعانُ إلا بذلك . وخرج السميذعُ

---

(١) أغانى الدار ١٥ / ١٢ تجريد ق ٢ ج ١ : ٩ ١٦٠ .

(٢) قيدر (تجريد) ـ قيذار (أغانى ـ القاموس) .

من شعبِ أجيادين فى الخيلِ الجيادِ والرجال ؛ فيقال : ما سميت أجْيَادِين إلا بذلك ، حتى التقوا بفَاضِح ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقُتِلَ السميذعُ وفُضِحَتْ قطوراء . ويقال: ما سميتْ فاضحٌ إلا بذلك ، ثم تداعى القومُ إلى الصلح ، فساروا حتى نزلوا المَطابِخَ شعباً بأعلى مكة وهو الذى يقال له الآن شعبُ ابنِ عامر ، فاصطلحوا هناك وسلموا الأمر إلى مُضاض ، فلما اجتمع له أمرُ مكة ، وصار مِلكَها دون السيمذع نحر للناس وطبخ الُجزُرَ ، فأكلوا فسمى ذلك الموضعُ المطابخَ . فيقال : إن هذا أولُ بَغْيٍ كان بمكة ، فقال مُضاضُ بن عمرو فى تلك الحروب :

ونحن قتَلْنا سَيِّدَ الحىِّ عَنْوَةً فأصبح منها وهو حيرانُ موجَعُ

يعنى أن الحىَّ أصبح حيرانَ مُوجَعا بعد قَتْلِ سيده

وما كان يبغى أن يكون سواؤنا بها مَلِكاً حتى أتانا السميذعُ
فذاقَ وبالًا حين حاول مُلْكنَا وعالج منا غُصَّةً تتجــرّعُ
فنحن عَمَرْنا البيتَ كنا ولاته نضارِبُ عنه من أتانا ونَدْفَعُ
وما كان يبغى ذاك فى الناس غَيْرُنا ولم يك حَىٌّ قبلنا فيه يَطْمَعُ
وكنا ملوكاً فى الزمانِ الذى مضى وَرِثْنا ملوكا لا تُرام فتُوضَعُ

وكان سَيْلٌ قد جاء فدخل البيتَ فانهدم فأعادَتْه جُرْهُم على بناء إبراهيم ، عليه السلام ، بناه لهم رجلٌ منهم يقال له : أبو الجَدَرَة فسمى عامرٌ الجادِرَ وسُمِّىَ بنوه الجَدَرَة ثم استَخَفَّتْ جُرْهم بحقِّ البيت فارتكبوا فيه أمورا عِظاما ، وأحدثوا أحداثاً قبيحة ، وكانت للبيت خِزانةٌ وهى بئرٌ فى بطنِه يُلْقَى فيها الحلىُّ والمتاعُ الذى يُهدى له ، وهو يومئذ لا سَقْفَ عليه فتواعدَ خمسةٌ من جُرْهم أن يسرقوا ما فيه ، فقام على كلِّ زاويةٍ من البيت رجلٌ منهم ، فاقتحم الخامسُ فجعل اللهُ أعلاه أسْفَلَه ، وسقط مُنْكَساً فهلَكَ ، وفر الأربعةُ الآخرون قالوا : ودخل إسافُ ونائلةُ البيتَ

فَفَجرا فيه فمسخَهُما الله حَجَرَيْن فأخرجا من البيت . وقيل : إنهما لم يَفْجُرا فيه ، ولـكنه قبَّلها فى البيت ، وهو أساف بن سُهَيْل ونائلةُ بنتُ عمرو بن ذِئب . وقيل نائلة بنتُ ذِئب ، فأُخْرِجا من الـكَعْبةِ ونُصِبا ليَعْتَبِرَ بهما من رآهما ويزدجرَ الناسُ عن مثل ماارتـكبا ، ولما غلبتْ خزاعةُ على مكةَ ونُسِىَ حديثُهما دعاهم عمروُ بن لُحَىّ إلى عبادتِهما . وقال للناس : إنهما إنما نُصِبا ها هنا لأن آباءَكم كانوا يَعبدونهما ثُمَّ حولهما قُصَىٌّ بن كلابٍ بعد ذلك ، فجعلهما تجاه الـكعبة ، يذبح عندها عند موضع زمزم ، قالوا : فلما كَثُرَ بَغْىُ جُرْهم بمكةَ قام فيهم مضاضُ بن عمرو بن الحارثِ بن مُضاض فقال : يا قومُ احذَروا البَغْىَ فإنه لا بقاء لأهله ، وقد رأيتم من كان قبلَـكُم من العماليقِ استَخَفُّوا بالحرمِ ولم يُعَظِّموه وتنازعوا بينهم ، واختلفوا، حتى سَلَّطَـكُم اللهُ عليهم ، فأخْرَجْتموهُم(١) فتفرقوا فى البلاد ، فلا تَسْتَخِفُّوا بحق الحَرَم وحُرْمَةِ بيتِ الله ، ولاتظلموا من دَخَلَه ومن جاءهمُعَظِّماً حُرُماتِه [أو خائفاً أو رغب فى جواره](٢) فإنـكم إنْ فعلتم ذلك تَخوفتُ أن تخرجوا منه خروجَ ذُلٍ وصغارٍ حتى لا يَقْدِرَ أحدٌ منـكم أن يصلَ إلى الحَرَمِ ولا إلى زيارةِ البيت الذى هو لـكم حِرْزٌ وأَمْنٌ والطير تأمنُ فيه ، فقال له قائل منهم ، يقال له مجدوع : ما الذى يُخْرِجُنا منه ؟ ألسنا أعزَّ العرب وأكثرَهم مالا وسلاحاً ؟ فقال له مضاض : إذا جاء الأمرُ بَطَلَ ما تذكرون ، وقد رأيتم ما صنع اللهُ بالعماليق . قالوا : وكانت العماليقُ بَغَتْ فى الحرمِ فسلّط اللهُ عليهم الذَّرّ(٣) فأخرجهم منه ثم رموا بالجَدْبِ [من خلفهم](٢) ونمت الغيثُ أمامَهم فجعلوا يطلبونه ولا يَجدونَه ويكونُ أمامهم أبدا فيطلبونه ويساقون بالجَدْبِ من خَلْفِهم حتى ردَّهم الله إلى مساقطِ رءوسِهم ، ثم أرسل عليهم الطوفانَ قال : والطوفان:

---

(١) واجتحتموهم (أغانى) والاجتياح : الاستئصال والإهلاك .

(٢) غير واضح بالأصل وهو عن الأغانى .

(٣) الذر : صغار النمل .

الموتُ ، قال : فلما رأى مضاضُ بَغْيَهم ومُقامَهم على البَغْى ِ عَمِدَ إلى كنوزِ الكعبةِ وهى غزالانٌ من ذهبٍ وأسيافٌ [قَلَعِية](١) وغيرُها وحَفر لها ليلا فى موضعِ زَمْزَم ودفَنَها فيها ، فبينما هم على ذلك إذ سارت القبائلُ من أهلِ مأرِب ، ومعهم طريفةُ الكاهنةُ حين خافوا سيلَ العَرِم ، وعليهم مزيقياء ، وهو عمرُو بنُ عامر ابن ثعلبةَ بن امرئ القيسِ بن مازن بن الأزْد بن الغَوْث بن مالك بن بِنْتِ كَهلانَ ابن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحْطان ، فقالت لهم طريفة لما قاربوا مكةَ : حَقٌّ ما أقول ، وما عَلَّمَنِى ما أقولُ إلا الحكيمُ المُحَكَّم ربُّ جميعِ النَّسَمِ من عربٍ وعَجَم قالوا لها : ما شأنُك يا طريفة ؟ قالت : خذوا البعيرَ الشَّدْقَم(٢) ، فخضِّبُوه بالدَّم ، تكون لكم أرضُ جرهم ، جيرانِ بيْتِه المُحَرَّم ، فلما انتهوا إلى مكةَ ، وأهلها جرهم قد قهروا الناسَ وحازوا ولايةَ البيت على بنى إسماعيل وغَيْرِهم أرسلَ إليهم عمْرٌو ابنه ثَعْلَبة فقال لهم : يا قَوْم إنا قد خَرَجْنا من بلادنا ، فلم نَنْزِلْ بلدا إلا أَفْسَحَ أهلُه لنا وتزَحْزَحوا فنقيم معهم حتى نُرْسِلَ رُوَّادَنا يرتادون لنا بلدا يحملنا ، فأَفْسِحُوا لنا فى بلادِكُم حتى نُقِيمَ قدرَ ما نستريحُ ونرسل رُوَّادَنا إلى الشامِ وإلى الشَّرْقِ فحيث ما بَلَغَنا أنه أَمْثَلُ لَحِقْنا به ، ونرجو أن يكون مُقامنا معكم يَسيرا فأَبَتْ جُرْهُم ذلك إباءً شديدا ، واستكبروا فى أنفسهم ، وقالوا : لا والله ، ما نحب أن ينزلوا معنا فيُضَيِّقُوا علينا مراعِينا ومواردَنا فارحلوا عنا حَيْثُ أحبَبْتم فلا حاجة لنا بجوارِكم ، فأرْسَل إليهم أنَّه لا بد من المُقامِ بهذا البلد حولا حتى ترجع إلىَّ رُسُلى التى أرسلت ، فإن تركتمونى طَوْعاً نزلتُ وحَمِدْتُكم وواسيتكم فى الماء والمرعى ، وإن أبيتم أقمتُ على كرْهِكم ثم لم ترْبَعوا معى إلا فَضْلا ولم تشربوا إلا رَنَقا ،

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى . والقلعية نسبة إلى القلعة من بلاد الهند تنسب إليها السيوف الجياد .

(٢) الشدقم : الواسع الشدق .

وإن قاتلتمونى قاتَلْتُكم ثم إنْ ظهرتُ عليكم سبيتُ النساءَ وقتلتُ الرجال ، ولم أترك أحدا منكم يَنْزِل الحرَم أبدا ، فأبت جُرْهم أن تَترُكه طوعا وتعبَّت لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثةَ أيام أفرغ عليهم الصبرُ ومُنِعوا النَّصْرَ ثم انهزمت جُرْهم فلم يُفْلِتْ منهم إلا الشريدُ ، وكان مضاضُ بن عمرو قد اعتزل جُرْهم ولم يُعِنْهم فى ذلك ، وقال : قد كنت أُحَذِّرُكم هذا وأُحَذِّرُكم منه ، ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قنونا وما حوله ، فبقايا جُرْهم بها إلى اليوم ، وفَنِى الباقون ، أفناهم السيفُ فى تلك الحروب ، فلما حازَتْ خزاعةُ مكةَ وصاروا أهْلَها جاءهم بنو إسماعيل ، وقد كانوا اعتزلوا حربَ جُرْهم وخُزاعة ، فلم يدخلوا فى ذلك ، فسألوهم السُّكْنى معهم وحَوْلَهم ، فأَذِنُوا لهم ؛ فلما رأى ذلك مُضاضُ بن عمرو بن الحارث ، وقد كان أصابه من الصَّبابةِ إلى مكةَ أمرٌ عظيم فأرسلَ إلى خزاعةَ يَسْتَأْذِنُها ومَتَّ إليهم برَأْيه ومنعه قومُه عن القتالِ وسُوءِ العِشرةِ فى الحرم ، واعتزالهم الحربَ فأبت خزاعةُ أن تُقِرَّهم ونَفَوْهُم من الحرم كلِّه وقال عمرو بن عامر لقومه : من وجد منكم جُرْهُمِيًّا قد قاربَ الحرَمَ فدَمُه هَدَر فنزَعَتْ إبلٌ لمُضاض بن عمرو من قَنونا تريد مَكَّةَ ، فخرج فى طَلَبِها حتى وجد أثرَها ، وقد دخلت مكة ، فمضى على الجبالِ من نحو أَجْياد ، حتى ظهر على أبى قُبَيْس يتبصرُ الإبلَ فى بطنِ وادى مَكَّةَ فأبصرَ الإبلَ تُنْحَرُ وتؤكلُ ، ولا سبيلَ له إليها ، يخافُ إنْ هبط الوادى أن يُقْتَل فولى منصرفا إلى أهْله وأنشأ يقول :

كأنْ لم يكنْ بين الحجونِ إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُر بمكة سامِرُ
ولم يَتَرَبَّع واسطا فجَنُوبَه ... إلى المُنْحَنَى من ذى الأراكةِ حاضرُ
بلى نحن كنا أَهْلَها فأبادَنا ... صروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ
وأبدلَنا ربى بها دارَ غُرْبَةٍ ... بها الذئبُ يعوى والعدوّ المحاصِرُ
أقول إذا نام الخلِىّ ولم أَنَمْ ... أَذَا العرشِ لا يَبْعُدْ سهيلٌ وعامرُ

فإنْ تَمِـلِ الدنيا علينا بكَلْـكَلٍ ... ويُصْبِح شرٌّ بيننـا وتشاجرُ
فنحن ولاةُ البيتِ من بعد نَابتٍ ... نَمْشِي به والخيرُ إذ ذاك ظاهرُ
وأنـكح جَدِّى خيرَ شَخْصٍ عَلِمْتهُ ... فأبناؤه مِنّا ونحن الأباصرُ(١)
فأخْرَجَنا منهـا المليكُ بقُدْرَةٍ ... كذلك يا لَلنَّاسِ تجرى المقـادرُ
فصرنَا أحاديثاً وكنا بِغِبْطَةٍ ... كذلك عَضَّتْنا السنونُ العواثرُ
وسَحَّتْ دموعُ العينِ تبـكى لبَلْدَةٍ ... بها حَرَمٌ أمنٌ وفيهـا المشاعرُ
ويا ليتَ شِعْرِى مَنْ بأجيادَ بَعْدَنا ... أقام بِمُفْضِى سَيْلِه والظواهرُ
فبطن مِـنًى أَمْسَى كأنْ لم يَـكُنْ به ... مُضَاضٌ ومن حَـيَّي عَدِيٍّ عمائرُ
فهل فَرَجٌ آتٍ بشىءٍ تُحِبُّه ... وهل جَزَعٌ مُنْجِيك ممـا تُحاذِرُ

وقال أيضاً :

يا أيُّها الحىُّ سِيروا إن قَصْرَكُم ... أنْ تُصبحوا ذاتَ يوم لا تَسيرونا
إنَّا كما أنتُمُ كُـنَّا فغَـيَّرَنَا ... دَهْرٌ بِصَرْفٍ كما صِرْنا تَصيرونا
أزْجُو المَطِىّ وأزجو من أَزِمَّتِها ... قبـلَ المَماتِ وقَضُّوا ما تُقَضُّونا
قد مَالَ دَهْرٌ علينا ثم أهْلَـكَنا ... بالبغىِ منا فقد صِرْنا أفانينا
كنا زمانا ملوكَ الناسِ قَبْلَـكُم ... نَأْوِى بلادا حراما كان مَسْـكونا

خرج أبو سَلَمة بنِ عبـدِ الأسد المخزومىّ قبيلَ الإسلام فى نفرٍ من قُريش يريدون اليمنَ فأصابهم عَطَشٌ شديدٌ ببعض الطريق فأمْسَوا على غير الطريق فساروا جميعا فقال لهم أبو سلمة : إنى أَرَى نا قَـتِى تنازِعُنى زِمامَها . أفلا أُرْسِلُها وأَتْبَعها قالوا : افعل فأرسلَ ناقتَه ، فأصبحوا على ماء وحاضرٍ فاسْتَقَوا وسَقَوْا ، فإنهم لعلى ذلك إذ أقبل إليهم رجلٌ فقال : مَنِ القوم ؟ فقالوا مِنْ قريش ، فرجع إلى شَجَرةٍ

---

(١) الأصاهر (أغانى) .

أمام الماء فتكلم عندها بشيء ثم رجع إلينا ، فقال : لينطَلِقْ معى رجلٌ منكم إلى رجل نَدْعوه . قال أبو سلمة : فانطلقت معه فوقف بى تَحْتَ شجرةٍ فإذا وَكْرٌ مُعَلّق ، فصوَّتَ يا أَبه ، فزَعْزَع(١) شَيْخٌ رأسه فأجابه . فقال: هذا الرجل. فقال لى : مِمَّنْ أنت ؟ قلتُ من قريش . قال : من أيِّها ؟ قلت : من بنى مخزوم بن يَقْظة . قال : من أيهم ؟ قلت : أنا أبو سَلَمة بنِ عبْدِ الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم بن يَقظةَ فقال : هيهات ! أنبئك أنا ويقظَة سِنٌ(٢) أتدرى من يقول :

كأنْ لم يكن بين الَحجُونِ إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرُ
بل نحن كُنَّ أهلَهــــا فأبادَنا ... صروفُ الليالى والجدودُ العواثر

قال : فقلت : لا ، قال : أنا صاحِبُها ، أنا عَمْرو بن الحارثِ بن مُضاض الُجرْهُمى أتَدْرِى لم سُمِّىَ أجيادُ أجياداً ؟ قلتُ : لا . قال : جادتْ بالدماء يوم التقَيْنا نحن وقَطوراء ، أتدرِى لم سُمِّىَ قُعَيْقعان ؟ قلت : لا . قال : لتَقَعْقُعِ السلاحِ علينا لما طلعنا [عليهم] منه .

قال إسحاقُ بنُ إبراهيم : قال لى أَبى مُرْ بالدوابِّ تُسْرَجْ سَحَرا حتى نَغْدو إلى ابنِ جامعٍ نَسْتَقْبِلُه بسُحْرَةٍ(٣) لا تأخُذْنا الشّمْسُ ، ففعلنا ذلك ، فجئنا إلى ابنِ جامع فإذا بِهِ مُخْتَضِبٌ وعلى رأسِه ولحيته خرَقُ الِخضَابِ وإذا له قِدْرٌ يُطبخُ فى الشمس فرَحَّبَ بنا ، وقام إلينا وسَلَّم ودعانا للغداء فغَرَفَ لنا من القِدْر التى فى الشمس فنَفِرْتُ(٤) وبَشِعْتُ ذلك الطعامَ الذى طبخَ فى الشمسِ ، فأشار إلىَّ أبى أَنْ كُلْ فأكَلْنا فلما غَسَلْنا أيْدِينا نادى ابنُ جامع: يا غلامُ هات شَرابَنا فأُتِى بنبيذٍ

---

(١) زعزع : حرك .
(٢) أى فى سن وعمر واحد .
(٣) السحرة : آخر الليل قبيل الفجر .
(٤) فتقززت (أغانى) .

فى رَكْوةٍ كانت فى الشمس فكَرِهْتُه فأشار إلىّ أبى ألا تَمْتَنع ثم أتَوْا بقَدَح جيشانىّ(١) ملءِ الكَفَّيْن فصبّ النبيذَ فيه وهو يشوبُه ماء قد أُغْلِى بالنار ثم غنى ابن جامع :

كأنْ لم يكُنْ بين الحجونِ إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسْمُر بمكة سَامِرُ
بلى نحن كنـــا أهلهَا فأبادَنا صروفُ الليالى والجدودُ العواثر

ثم غَنَّى غيرَ ذلك ، فقال لى أبى : بَشِمْتَ لما رأيتَ من طعام ابنِ جامعٍ وشرابِه وأنا أَعْتِقُ ما أملكُ إن لم يكن شُرْبُ الدمِ مع هذا يَطيبُ ، أسمعت أىْ بُنَىَّ غناءً قطُّ أطيبَ من هذا ؟ قلت : لا واللهِ ، ثم خَرَج ابنُ جامع حَتَّى نَزَلْنا بباب الرشيدِ ليلا ، واجتمع المغنون فأذِن لهم ، والرشيد خَلْفَ ستارة فغنَّوْا إلى السَّحَر . وأعطَى لكل واحدٍ ألفَ دينار إلّا ابنَ جامعٍ لم يُعْطِه شَيْئاً فانصرفوا مُتَوَجِّعِين له وعَرضوا عليه جميعا أموالَهم ، فلم يقبل وانصرفوا ، فلما كان فى الليلة القابلة فَعَل بهم مِثْلَ تلك ولم يُعْطِه شيئا ، فلما كان فى الليلة الثالثة دُعُوا فغنَّوْا ساعة ثم كُشِفَتْ الستارةُ فغنى ابنُ جامع يُعَرّض بحاله فى شعر مُضاض :

تقولُ أَقِمْ فينـا فقيرا وما الذى ترى فيه لَيْـلى أن أقيمَ فقيرا
ذَرِينى أَمُتْ ياليلُ أوأ كسبَ الغنى فإنى أرى غَـيْرَ الغَنِىّ حقيرا
يُدَفَّعُ فى النادى ويُرْفَض قَوْلُه وإن كان بالرأْىِ السديدِ جديرا
ويُلزَمُ ما يجنِى سواه وإن يُطِفْ بِذَنبٍ يكنْ منه الصغيرُ كبيرا

فأَعْجَبَ الرشيدَ الشعرُ واللحنُ وأمال رأْسَه نَحْوَه كالمُسْتَدْعِى له ، وغنّاه أيضا لمُضاضٍ :

لئن مصرُ فاتتنى بما كنتُ أبْتغِى وأخلفَنِى منها الذى كنتُ آمُلُ
فما كلُّ ما يَخْشَى الفَتَى نازلا به ولا كُلُّ ما يرجُو الفَتَى هو نائلُ

(١) جيشانى : نسبة إلى جيشان مخلاف باليمن تنسب إليه الأقداح والخمر السود .

فوالله ما فرَّطتُ فى وجْـهِ حيلةٍ   ولـكنَّه ما قدَّرَ اللهُ نازلُ
وقد يَسْلَمُ الإنسانُ من حيث يَتَّقِى   ويُؤْتَى الفَـتَى من أمْنِه وهو غافلُ

فأمِرُوا بالإنصرافِ فانصرفوا ، فلما بلغ السِّتْر صاح بـه الخادمُ يا قُرَشِيُّ مكانَك . فوقَفَ فخرج إليه بِخِلَعٍ وسبعةِ آلافِ دينارٍ ، وأُمِرَ إن شاء أن يُقيمَ وإن شاء أن يَنْصرِف .

روى الـكلبيُّ عن أبيه قال : بينا الناسُ فى ليـلةٍ مُقْمِرَةٍ فى المسجدِ الحرامِ إذ بَصُروا بشَخْصٍ قد أقبلَ كأن قامَتَه رُمْحٌ ، فهربوا من بين يديه وهابوه ، فأقبل حتى طاف بالبيت سبعا ثم وقف وتمثل :

كأن لم يَـكُنْ بين الحَجُونِ إلى الصفا   أَنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمـــكة سامِرُ

فأتاه رجلٌ فوقفَ بعيدا منه وقال : سألْتك بالله الذى خَلَقَك أَجِنِّىٌّ أنْتَ أم إنْسِىٌّ ؟ فقال : لا ، بل إنْسِىٌّ أنا امرأةٌ من جُرْهم ، كنا سُكَّانَ هذه الأرضِ وأهلها فأزالنا عنها هذا الزمانُ الذى يُبْلِى كلَّ جديدٍ ويُغَيِّره ، ثم خرجتْ من المسجدِ حتى غابت عنهم ورجعوا إلى مواضعهم .

مالكٌ ومُتَمِّمٌ ابنا نُوَيْرةَ(1)

هو نويرةُ بنُ جمرة(2) بنِ شدّاد بن عُبَيْد بن ثعلبةَ بن يَرْبوع بن حنظلةَ بن مالكِ ابن زيد مناةَ بن تميم بن أُدّ بن طابخةَ بنِ إلياسِ بن مضرَ بنِ نزارٍ ، وكنيةُ مالكٍ أبو المِغْوار ، وكنيةُ مُتَمِّمٍ أبو نَهْشَل ، وكان يقال لمالك فارسُ ذي الخِمار قيل له ذلك بفرسٍ كان عنده يقالُ له ذو الخمار ، وفيه يقولُ وقدْ أَحْمَدَه فى بعضِ وقائعه :

جزانى بلائى(3) ذو الخمار وضيعتى ... بما فات أطواء بنىّ الأصاغر

وكان مالك بنُ نويرة شريفاً فارساً شاعراً وكانت فيه خُيلاء ، وكان ذا لمّةٍ كبيرةٍ ، وكان يقال له : الجُفولُ ، وقُتل فى الرِّدَّةِ ، قتله خالدُ بن الوليد بالبِطاحِ فى خلافة أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، وكان مُقيماً هناك ، فلما تنبأتْ سَجاح اتّبعَها ثم أَظْهر أنَّه مسلمٌ ، فضرب خالدٌ عُنُقَه صَبْرا وطَعَنَ عليه فى ذلك جماعةٌ من الصحابة ، منهم عمرُ بن الخطاب ، رضى الله عنه ، وأبو قَتادةَ الأنصاريّ ، لأنه تزوج امرأةَ مالكٍ بعده وبنى بها من ليلته . وقد قيل : إنه كان يَهواها فى الجاهليةِ فاتُّهِمَ لذلك بأنَّه قتَلَه ليتزوجَ بها ، والسبب فى قتْله أن سيدَنا رسولَ اللهِ ، صلى اللهُ عليه وسلم ، استعمل عُمّاله على بنى تميم ، فكان مالكُ بنُ نويرة عامِلَه على بنى يَربوع ، فلما تنبأت سَجاح بنتُ الحارثِ بن سُوَيْد بن عُقْفان(4) ، وسارت من الجزيرةِ راسَلَتْ مالكَ بنَ نويرة ، ودعته إلى الموادعة فأجابها وثَنَى(5) الناسَ عن غَزْوها

---

(1) أغانى الدار ١٥/٢٦٨ ـ تجريد ١٦٥٧ .

(2) فى الأغانى : عمرو وفى جمهرة الأنساب ٢١٢ (نمرة) وفى التجريد : ١٦٥٧ : حمزة .

(3) تقرأ فى الأصل (جرى بى قلاى) .

(4) غطفان (تجريد) .

(5) ونهاها عن غزوها (أغانى) ١٤ : ٦٤ .

وحَمَلَها على إحياءِ بنى تميم ، فأجابته وقالت : نَعَم فشأْنُك ممن رأيت ، فإنما أنا امرأةٌ من بنى يربوع ، فإن كان مُلْكٌ فهو مُلْكُكُمْ فلما تزوجها مُسَيْلِمَةُ الكذابُ ودخل بها انصرفَتْ إلى الجزيرةِ فصالَحَتْه على أن يحمل إليها النصفَ من غَلَّاتِ اليمامةِ فارْعَوَى حينئذ مالكُ بن نويرةَ ونَدِم وتحَيَّرَ فى أمْرِه فلحق بالبطاحِ ، فلم يبق فى بلاد حَنْظَلَةَ شىءٌ يُكْرَه إلاما بَقِى من أمْرِ مالك ومن ناسَب إليه بالبطاح ، فهو على حالِه متحيرٌ لايدرى ما يصنعُ ، فلما أراد خالدُ بنُ الوليدالمسيرَ خرج وقد استبْرَأَ أسداً وغطفانَ وغنياًّ ، فسار يريدُ البطاحَ وبها مالكٌ وقد تردد عليه أمْرُه وقد ترددتِ الأنصارُ على خالد ، وتخَلَّفَتْ عنه . وقالوا : ما هذا بعهدِ الخليفةِ إلينا ، فقد عهد إلينا إن نَحْنُ فرغنا من البزاخة واستبْرَأْنا بلادَ القوم أن يكتب إلينا بما نَعْمل ، فقال خالد : إن يكن عَهِد إليكم بهذا فقد عَهِدَ إلىَّ أن أَمْضِىَ ، وأنا الأمير وإلىَّ تنتهى الأخبارُ ، ولو أنه لم يأتِنى له كتابٌ ولا أَمْرٌ ، ثم رأيتُ فُرْصةً إن أعْلَمْته بها فاتَتْنى لم أُعْلِمْه حتى أنْتَهِزَها ، وكذلك لو ابتُلِينا بأمرٍ ليس منه عَهْدٌ إلينا فيه ، لم ندع أن نرى أفضل ما يحضرنا ونعمل به ، وهذا مالكُ بن نُوَيْرَةَ بحيالِنا وأنا قاصدٌ له بمن معى من المهاجرين والتابعين بإحسانٍ ، ولست أُكْرِهُكُمْ ، ومضى خالد ونَدِمت الأنصار وتدابروا وقالوا: إن أصاب خيراً إنه لخيرٌ حُرِمْتُموه وإن أصابَتْهم مصيبةٌ لَيجْتَنِبَنَّكُمُ الناسُ فأجمعوا اللحاقَ بخالد وجَرَّدوا إليه رسولا ، فأقام عليهم حتى لَحِقوا به ، ثم سار حتى قَدِمَ البطاحَ فلم يَجِدْ به أحداً ، ووجد مالكاً قد فرَّقهم فى أموالهم ، ونهاهم عن الاجتماع ، فبعث السرايا وأمرهم بداعية[(١)] الإسلام ، وكان فيما أوصاهم به أبو بكر ، رضى الله عنه ، إذا نزلتم فأَذِّنوا وأقيموا فإن أذَّنَ القومُ وأقاموا فكُفُّوا عنهم وإن لم يفعلوا فلا شىءَ إلا الإغارة ثم اقتلوهم كُلَّ قِتْلةٍ إلا الحرقَ ،

---

(١) برعاية الإسلام (أغانى) .

فما سواه ، وإن أجابوكم إلى داعيةِ الإسلام فسالوهم فإن أقرّوا بالزكاةِ قَبِلْتُم منهم ، وإلا فلا شيء إلا الإغارة ولا كلِمَة ، فجاءته الخيلُ بمالكِ بن نويرة فى نفرٍ معه ، من بنى ثَعلبة بن يربوع ، ومن بنى عاصم وعُبَيْد وجعفر ، فاختلفت السَّرِيَّة فيهم ، وفيهم أبو قتادة ، فكان ممن شهِدَ أنهم أَذَّنوا وأقاموا وصلّوْا وشهد آخرون أنه لم يكن من مصلين فلما اختلفوا فيهم أَمَرَ بحبسهم ، فحبسوا فى ليلة باردة لا يقوم لها شَيْءٌ ، وجعلتْ تزدادُ بَرْداً ، فأَمَرَ خالد فنادى: دافِئُوا أسرا كم ، وكان فى لغةِ كنانةَ إذا قالوا: دَثِّروا الرجلَ وأَدْفِئُوه ، فذلك بمعنى اقْتُلوه وفى لغة غيرهم أَدْفِئُوه من الدِّفْءِ فظن القوم أنه أراد القتلَ فقتلوهم ، فَقَتَلَ ضرارُ بن الأزْوَرِ مالِكاً وسمع خالدٌ الواعيةَ فخرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابَه ، وقد اختلف القومُ فيهم ، فقال أبو قَتادة : هذا عملك فزَبَرَه خالدٌ ، فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر ، فغضب عليه أبو بكر حتى كَلَّمه عُمَرُ رضى الله عنهما ، ولم يرض إلا بأن يَرْجِعَ إليه فَرَجع ، فلم يزل معه حتى قَدِمَ المدينةَ وكان خالدٌ قد تزوج أمَّ تَميمٍ بنتِ المهلب ، وتركها لِيَنْقَضِي طُهْرُها . وكانت العرب تكره النساء فى الحربِ وتعايره ، فقال عمرُ لأبى بكر : إنَّ فى سيف خالد لَرَهَقا ، وحَقّ عليك أن تُقيِدَه به وأكثرَ عليه فى ذلك ، وكان أبو بكر لا يُقِيدُ من عماله ولا وَزَعَته فقال: هِيهِ يا عمرُ تأَوَّلَ فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ، ووَدَى مالكا ، وكتب إلى خالد أن يقدمَ عليه ففعل ، وأخبره خبره فعَذَره وقَبِل منه ، وعَنَّفَه بالتزويج الذى كانت العرب تعيب عليه من ذلك ، وشهد قوم أنهم أَذَّنوا وأَقاموا وصَلّوْا . وشهد آخرون أنه لم يكن شيءٌ من ذلك ، وقَدِمَ متممٌ أخو مالك ينشدُ أبا بكر دمَ أخيه ، ويطلبُ إليه من سَبْيِهم ، فكتب إليه بِرَدِّ السَّبْي ، وألح عليه عمرُ فى خالد ليعزِلَه وقال : إن فى سَيْفه لرَهَقا. فقال : لا ، يا عمر ، لم أكن لأَشيم سيفاً سَلّه الله على الكافرين ، وكان مالكٌ من

أكثر الناس شَعْرًا ، وكان أهل العسكر قد أَثَّفُوا[1] القدورَ برءوسهم ، فما منها رأسٌ إلا وصلتْ النار إلى بَشَرَته ما خلا رأسَ مالك ، فإن القدرَ نضجت وما نضج رأسه من كثرة الشَّعَرِ وَوَقَى الشعرُ البَشَرَةَ من حَرِّ النارِ أن تبلغَ منه ذلك ، وأنشد متممُ بن نويرة عمرَ بن الخطاب ذكر خمصه يعنى قوله :

لقد كُفِّنَ المنهالُ تحت ثيابه فتًى غيرَ مبطانِ العَشِيَّاتِ أَرْوعا

فقال : أكذلك كان يا متمم ؟ فقال : أما ما أعنى فنعم .

وكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الأنصاريُّ ، واسمه الحارثُ بن رِبْعِيٍّ أخو بنى سلمة ، وكان قد عاهدَ اللهَ ألا يشهد حَرْبا بعدَها أبدا ، وكان يُحَدِّثُ أنهم لما غَشَوْا القومَ راعُوهم تحت الليل فأخذ القومُ السلاحَ . قال: فقلنا: إنا المسلمون. قالوا : ونحن المسلمون . قلنا : فما بالُ السلاحِ معكم ؟ قلنا : فإن كنتم كما تقولون ، فضَعُوا السلاحَ مَوْضِعَها ، ثم صَلَّيْنا فصلَّوْا، وكان خالدٌ يعتذر فى قتل مالك أنه قال، وهو يراجعه : ما إخالُ صاحبَكم ، يعنى النبيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، إلا وقد كان يقول كذا وكذا ، قال : أو ما تَعُدُّه لك صاحبا ؟ ثم قدَّمَه فضرب رقبتَه ورقابَ أصحابِه ، فلما بلغ قتلُهم عمرَ بن الخطاب ، رضى الله عنه ، تكلم فيه عند أبى بكر ، رضى الله عنه ، فأكثر . وقال : عَدُوُّ اللهِ عدا على امرئٍ مسلم فقتَله ، ونزا على امرأتِه . وأقبلَ خالدُ بن الوليد قافلا حتى دخل المسجدِ وعليه قباءٌ له ، وعليه صدأُ الحديدِ مُعْتَجِرًا بعمامة ، وقد غرز فيها أَسْهُمًا ، فلما أن دخل المسجدَ قام إليه عمرُ فانتزع الأسهمَ من رأْسِه فحطَّمَها ، ثم قال : أقتَلْتَ امرأ مُسْلِما ثم نزوت على امرأته !! والله لَأَرْجُمَنَّكَ بأحجارك ، ولا يكلمه خالد ، ولا يظنُّ إلَّا أن رأْيَ أبى بكر ، رضى الله عنه ، على مثلِ رأْيِه فيه ، حتى دخل على أبى بكر فأخبرَه الخبرَ

---

(١) أثف القدر تأثيفا : جعلها على الأثافى ، والأثفية : الحجر توضع عليه القدر .

واعتذرَ إليه فقبل أبو بكر عُذْره وتجاوزَ له عما كان منه فى حربه تلك ، فخرج خالدٌ حين رضى عنه أبو بكر ، وعمر جالس فى المسجد ، فقال : هَلُمَّ إلىّ يا ابن أمٍّ شَمْلَة ، فعرف عمرُ أن أبا بكر رضى عنه ، فلم يكلِّمْه ودخل بيتَه . وقيل : إن الذى قتل مالـكا عبد بن الأزور الأسدى[1] .

قالوا : ولما وَلَّى النبيُّ ، صلى الله عليـه وسلم ، مالـكا صدقاتِ بنى يربوع اضطرب فيها أمرُه لما مات رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، وفرَّق ما فى يده من إبل الصدَقة ، فـكلّمه الأقرعُ بن حابِسٍ المجاشعى والقعقاعُ بن معبد بن زرارة الدارمى وقالا له : إن لهذا الأمر قائمـا وطالبا فلا تعجل بتفْرِقَةِ ما فى يديك ، فقال أبياتا منها :

وقلت خُذوا أموالـكم غيرَ خائف ... ولا نـاظرٌ فيما يجىء من الغـدِ
فإن قام بالأمر المُخَوّف قائم ... منعنا وقلنا الدينُ دينُ محمـــدِ

ومما قال أيضا :

أرانى الله بالنَّعَمِ المُنَدَّى ... ببُرْقَةِ رَحْرَحانَ وقد أرانِى
تَمشّى يا ابن عَوذة فى تميـم ... وصاحبُكَ الأقيرعُ تَلْحيانِ
حميتُ جميعَها بالسيف صَلْتا ... ولم يُرْعَشْ يداى ولا بنانِى

فمن يعذرُ مالـكا فى قوله لخالد : أبهذا أمركَ صاحبك ؟ يعنى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فيقول : إنه أراد القرشيَّة ، ومن يعذر خالدا يقول : إنه قال ذلك انتفاءً من نبوة النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ويحتجّ بشعرَيْه المذكورين ، وذكر خالدٌ أن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، لما وجهه إلى ابن الحَلَنْدى قال له : يا أبا سليمان إن رأت عيناك مالـكا فلا تُزَايلْه حتى تقتلَه .

---

(١) وقيل : إن الذى قتله ضرار بن الأزور (أغانى) .

وأحسن ما سُمِعَ من عُذْر خالد قولُ متمم : إن أخاه لم يُسْتَشْهد ، وهذا دليل على عذر خالد وكان يقال: إنه لم يُرَ أحسنَ من ساقَىْ أم تميم زوجة مالك التى تزوجها خالد .

صلى متممُ بنُ نويرة مع أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، الصبحَ ثم أنشده :

نعم القتيــلُ إذا الرياح تَنَاوَحَتْ   تحت الإزار قتلتَ يا ابن الأزْوَرِ
أدعَوْتَه   بالله   ثم   قتَلْتَه   ولقــد دعاك بذمَّــةٍ لم تغدرِ[1]

فقال أبو بكر : والله ما دعوْته ولا قتَلْتُه فقال :

لا يضمر الفحشاءَ تحت ثيابه   حلوٌ شمائله عفيفُ المــئزرِ
ولنعم حشوُ الدرعِ كان وحاسرا   ولنعم مأوى الطارقِ المتَنَوِّرِ

ثم بكى حتى سالت عينهُ العوراء ، ثم انخرط على سِيَةِ قَوْسِه متكئا ، يعنى مغْشِيًّا عليه .

صلى عمرُ بن الخطاب ، رضى الله عنه ، يوما الصبحَ فلما انفتَل من صلاته إذا هو برجل قصيرٍ أعورَ مُتَنَكِّباً قوسهُ وبيده هراوةٌ فقال: من هذا ؟ فقيل : متممُ ابن نويرة ، فاستنشده قوله فى أخيه فأنشده :

لعمرِى وما دَهْرِى بتأبينِ مالكٍ   ولا جزعٌ ممــا أصاب فأوجعــا
لقد كفنَ المنهالُ[2] تحت ثيابه   فتًى غيرَ مبطان العَشِيّاتِ أروعــا
وكنا كَنَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَــةً   من الدهر حتى قيل لن يَتَصَدَّعا
فلمــا تفرَّقْنَا كأنّى ومــالــكا   لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معــا

فقال عمر : هذا والله التأبينُ لوددتُ أنى أحسنُ الشِّعْرَ فأرْثِى أخى زَيْدًا بمثل

---

(١) لو هو دعاك بذمة لم يغدر الحماسة) .

(٢) المنهال رجل من بنى يربوع مر على أشلاء مالك بن نويرة فأخذ ثوبا فكفنه فيه ودفنه (من هامش الأصل) .

ما رَثيتَ به أخاك . فقال متمم : لو مات أَخِي على ما مات عليه أخوك ما رَثيتُه
فقال عمر : ما عزَّاني أحدٌ عن أخي بمثل ما عزَّاني به مُتَمِّم . وكان عمر يقول :
ما هَبَّتْ الصَّبا من نحو اليمامةِ إلاَّ خُيِّلَ لي أني أَشمّ ريح أخي زيد .

وقيل لمتمم: ما بلغَ من وَجْدِك على أخيك ؟ فقال : أُصِبتُ بإحدى عيني فما قطرتْ
منها دمعةٌ عشرين سنة ، فلما قُتِل أخي استهلَّتْ فما تَرْقأ .

لما مات عبد الرحمن بنُ أبي بكر حُمِل ودُفِن بمكة ، فوقفتْ عائشةُ رضي الله
عنها على قبره وتمثلت :

وكُنّا كندمانَيْ جذيمةَ حِقْبَةً   من الدهر حتى قيلَ لن يتَصَدَّعا

ثم قالت : أما والله لو حَضَرْتُك دفنتُك حيث مِتَّ ولو شَهِدتُك ما زُرْتُك .

قال عمر بن الخطاب لمتمم لما أنشده الأبيات :

* لعمري وما دهري بتأبين مالك *

هل كان مالك يحبُّك مثل محبَّتِك إياه ؟ وهل كان مِثْلَك ؟ فقال له : أين أنا منه
وهل أبلغ أنا مالكا !! والله ياأمير المؤمنين لقد أَسَرَني حيٌّ من العرب فشدوني وَثاقاً
بقِدٍّ وألقَوْني بفِنائهم ، فبلغَه خبري ، فأقبلَ على راحلته حتّى انتهى إلى القوم وهم
جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليّ أعرض عني وقَصَدَ إلى القوم ، فعرفت ما أراد ، فوقف
عليهم فسألهم وحادثهم وضاحَكَهم وأنشدهم ، فما زال كذلك حتّى ملأهم سرورا ،
وحضر غَدَاؤهم فسألوه النزول ليتغدى معهم ففعل ، ثم نظر إليّ فقال : إنه لقبيحٌ
بنا أن نأكلَ ورجل مُلْقًى بين أيدينا لا يأكلُ معنا ، وأمسك يَدَه عن الطعام ، فلما
رأى القومُ ذلك نهضوا إليَّ وصبُّوا الماء على قِدّي حتى لان وحَلُّوني ، ثم جاءوا بي
فأجلسوني معهم على الغداء ، فلما أكلنا قال لهم : أما ترون تَحَرُّم[1] هذا بنا وأكله

(١) يقال : تحرم بفلان : عاشره ومالحه وتأكدت الحرمة بينهما .

معنا ، إنه لقبيحٌ بكم أن تَرُدوه إلى القِدِّ، خَلُّوْا سبيلي . قال : أفكان كماوَصَفْته ؟ قال: ما كذبتُ في شيء من صفته إلا أني قلت : خَميصُ البَطْنِ وكان ذا بَطْن .

قال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، لمتمم : إنكم أهلُ بيتٍ قد تفانَيْتم ، فلو تزوجت عسي أن تُرْزَقَ ولدًا يكون فيه بَقِيَّةٌ منكم ، فتزوج امرأةً يقال لها أمُّ خالد بالمدينة فلم تَرْضَ أخلاقَه لشدة حُزْنِه على أخيه ، وقِلَّةِ حَفْلِه بها ، فكانت تُؤْذِيه ، فطلقها وقال :

أقولُ لهندٍ حين لم أَرْضَ فِعْلَها ... أهذا دلالُ الحبِّ أم فعلُ فارِكِ(١)
أم الصَّرْم ما تبغِي وكُلٌّ مفارقٍ ... يسيرٌ علينا فَقْدُه بعد مالكِ

بينا طلحة والزبيرُ يسيران بين مكة والمدينة إذْ عَرَضَ لهما أعرابيٌّ فوقفا ليمضي ، فوقف متعجلا ليسبقاه ، فتعجَّل فقالا : ماأثقَلك ياأعرابي ، تَعَجَّلْنا لنسبِقَك، فتعجلتَ فوقفنا لتَمْضِي فوَقَفْتَ ! ! فقال : لا إله إلا الله ، يُفني أغدر الناس أغدر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، هبانى خفت الضلالَ فأحببت أن أهْتَدِي بكما أو خِفْتُ الوحْشَةَ فأحببتُ أن أستأنِس بكما . فقال طلحة : من أنت ؟ فقال : أنا متممُ بنُ نويرة فقال طلحة: واسوءتاه ، لقد مَلِلْنا غيرَ مملولٍ ، هات بعضَ ما ذكرتَ في أخيك ، فطفق يُسْمِعُهُما حتى أصبح ، وكانوا قد خافوا على بَصَرِه من البكاء فزوجوه أمَّ خالد ، فبينا هو واضعٌ رأسه على فَخِذِها إذْ بكا فقالت : لا إله إلا الله ، ألا تنسى أخاك على حال من الأحوال !! فقال :

أقول لها لما نَهَتْني عن البكا ... أفي مالكٍ تَلْحَيْنَنِي أمَّ خالد
فإن كان إخواني أُصيبوا وأَخْطَأَتْ ... بني أمِّكِ اليومَ الحتوف الرواصدِ
فكلُّ بني أمٍّ سيُمْسون ليلةً ... ولم يبق من أَعْيانهم غيرُ واحدِ

---

(١) فارك اسم فاعل من فرك بكسر الراء بمعنى كره وأبغض ، وأكثرما يستعمل في بغضة الزوجين.

المغيرة بن شعبة(١)

هو المغيرةُ بن شُعْبَة بن أبى عامر بن مَسْعود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسِىّ ، وهو ثقيف ، كنيته أبو عبد الله ، وكان يُكْنَى أبا عيسى ، فغيرها عمر بنُ الخطاب رضى الله عنه وكَناه أبا عبد الله ، روى زيدُ بنُ أسلم أنَّ رجلا جاء فنادى يستأذنُ لأبى عيسى على أميرِ المؤمنين فقال عمر : أيُّكم أبو عيسى ؟ قال المغيرةُ بن شُعْبة : أنا . فقال له عمر : هل كان لعيسى من أب ! ! ما يَكْفيكم معْشَرَ العربِ أن تكتنوا بأبى عبدِ الله وأبى عبدِ الرحمن ! فقال له رجلٌ من القوم : أشهدُ أن رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، كَناه بهذا : فقال عمر : إن النبىّ ، صلى الله عليه وسلم ، قد غفَرَ اللهُ له ما تقدم من ذَنْبِه وما تأخر ، وأنا لا أدْرِى ما يفعلُ بى ، فكناه أبا عبد الله .

وأمُّ المغيرةِ أسماء بنتُ الأفْقَمِ بن أبى عمرو بن ظُوَيْلم بن جُعَيْل بن عمرو بن دُهمان بن نَصْرِ بن معاوية بن بكر بن هوازن . وكان المغيرةُ من دهاةِ العربِ وحَزَمَتِها وذَوِى الرأىِ منها والحِيَلِ الثَّاقِبةِ ، وكان يقال له فى الجاهليةِ والإسلامِ مغيرةُ الرأْى ، وكان يقالُ: ما اخْتَلَج فى صَدْرِ المغيرةِ أمران إلا اختارَ الأحْزَمَ منهما ، وصحب النبىّ ، صلى الله عليه وسلم ، وشهِد معه الحُدَيْبية ، وما بعدها ، وبَعَثَه أبو بكر ، رضى الله عنه ، إلى أهل البحر ، وشهد فتح اليمامةِ وفتوحَ الشام ، وكان أعورَ ، أُصيبَتْ عينُه فى يوم اليرموك وشهِدَ القادسيّةَ مع سعدِ بن أبى وقّاص ولما أراد من لَيْلِهِ رُسْتَم(٢) لم يجدْ فى العرب أدهى منه ولا أعقل ، فبعث به إليه وكان

(١) الأغانى ١٦/٧٩ وفى صفحات متفرقة تجريد ١٦٩٢ ـ الكامل ج ٣/٨ ـ البداية ج ٨ / ٤٨ .

(٢) رستم هومقدم الفرس وكان المغيرةالسفير بين سعد بن أبى وقاص ورستم عندفتح القادسية. (٨/٧ مختار الأغانى)

السفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب وهو أول من خَضَبَ بالسواد ، خَرَجَ على الناسِ فيه ، وكان عهدُهم به أبيضَ الشعرِ فعجبوا منه .

وولاه عمرُ رضي الله عنه عِدّةَ ولايات إحداها البَصرة ، فَفَتَح وهو واليها مَيْسانَ ودَسْتَ ميسان وغَيْرَها ، وقاتل الفرسَ بالمروعات فهزمهم ونهض [له رجال في](١) سوق الأهواز فقاتلهم وهزمهم وفتحها وانحاز إلى [نهر تيرى ومَناذر الكبرى](٢) فقاتلهم وخرج إلى المشرق مع النعمان بن مُقَرِّن ، وكان على ميسرته ، وكان عمرُ قد عهد إنْ هَلَكَ النعمانُ فالأميرُ حُذَيفَة ، وإن هلك حُذَيْفَةُ فالأمير المغيرةُ ابنُ شُعْبَة ، ولما فتح نهاوَنْد سار المغيرةُ في جَيْشٍ إلى همذانَ ففتحها ، وولاه عمرُ بعد ذلك الكوفةَ ، وقُتِلَ عمرُ وهو واليها ، وولاه إياها معاويةُ بنُ أبي سفيان ، وكان عليها إلى أن مات بها . وهو أول من وضَعَ ديوانَ الإعطاء بالبصرة ، ورتَّبَ الناسَ فيه ، فأعطاهم على الديوان ثم صار رَسْماً لهم بعد ذلك يَحْتَذُونه .

قال المغيرة : كنا قوما من العرب متمسكين بديننا نعبد اللات فأراني لو رأيت قوما قد أسلموا فاتبعتهم فأجْمَع نفرٌ من بني مالك الوفودَ على المقوقس وأهدوا له هدايا فأجمعتُ الخروجَ معهم ، فاستشرتُ عَمِّي عروةَ بنَ مسعود الثقفيَّ فنهاني ، وقال لي : ليس معك من بَنِي أبيك أحد ، فأبيتُ إلّا الخروج ، فخرجت معهم ، وليس فيهم أحدٌ من الأحلاف غيري حتى دخَلْنا الإسكندرية وإذا المُقَوْقس في مجلسٍ مُطِلٍّ على البحر ، فركبتُ قارباً حتى حاذيتُ مَجْلِسَه فنظر إليَّ فأنكرني ، وأمر من يسائلني : من أنا ؟ وماذا أُريد ؟ فسألني المأمورُ ، فأخبرتُه من أنا ، وبأَمْرِنا وبقُدومنا عليه ، فأمرنا أن نَنْزِلَ في الكنيسةِ وأجْرَى علينا ضيافَتَه ، ثم دعا بنا

---

(١) غير واضحة بالأصل وهي عن الأغاني .

(٢) غير واضحة في الأصل وهي عن مراصد الاطلاع وهي صغرى وكبرى وهما بلدان بنواحي خوزستان .

فنظر إلى رأسِ بنى مالك فأدناه إليه وأجلسه معه ، ثم سألَه : أ كلُّ القومِ من بنى مالك ؟ فقال : نعم إلا رجلًا واحداً من الأحلافِ وعرَّفَه إيّاى ، فكنت أهْوَنَ القومِ عليه ، ووضعوا هداياهم بين يَدَيْه فسُرَّ بها وأمر بِقَبْضِها وأمَرَ لهم بجوائزَ وفَضَّلَ بعضَهم على بعض ، وقصَّر بى فأعطانى شيئا قليلا لا ذِكْرَ له ، وخرجنا فأقبل بنو مالك يَشْترون الهدايا لأهْلِيهم ، وهم مسرورون ، ولم يَعرِضْ أحدٌ منهم علىّ مواساة ، وخرجوا وحَمَلوا معهم خمرا فكانوا يشربون منها ، وأشرب معهم ونفسى تأبى أن تَدَعَنِى معهم وقلت: ينصرفون إلى الطائفِ بما أصابوا وما حَبَاهُم به الملك ويخبرون قومى بتقصيره بى وازدرائه[1] إياى . فأجمعتُ على قَتْلِهم فقلت : إنى أجد صداعا[1] فوضعوا شرابهم ودَعَونى فقلت : رأسِى تُصَدِّعُنى ولكنى أجلسُ أسْقِيكم فلم يُنكِروا منى شيئا ، وجلستُ أسقيهم وأشربُ القَدَحَ بعد القَدَحِ فلما دَبَّت الكأسُ فيهم اشْتَهوا الشراب فجعلت أُصَرِّف لهم وأُتْرِعُ الكأسَ حتى أهْمَدَتْهم الكأس فناموا ما يعقِلون ، فوثبتُ إليهم فقتلتُهم جميعا ، وأخذت جميعَ ما كان معهم وقَدِمْتُ على النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فوجدته جالسا فى المسجدِ مع أصحابه وعلىَّ ثيابُ السفر ، فسَلَّمْت بسلامِ الإسلامِ فنظر إلىّ أبو بكر بن أبى قُحافَةَ ، رضى الله عنه ، وكان بى عارفا ، فقال : ابن أَخِى عُروة ، فقلت : نعم ، جئتُ أشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وأن محمدا رسولُ الله ، فقال النبى ، صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذى هداك إلى الإسلام . فقال أبو بكر : أمن مصر أقبلت ؟ قلت : نعم . قال : فما فعلَ المالكيُّون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان بينى وبينهم بعضُ ما يكون بين العرب ونحن على دين الشِّرْك فقتلتُهم وأخذت أسْلابَهم وجئت بها إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليُخَمِّسَها ويرى فيها رأيه ؛ فإنما هى غنيمةٌ

---

(١) غير واضحة بالأصل وما أثبتناه عن التجريد .

من المُشْرِكين ، وأنا مسلمٌ مصدِّقٌ بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أما إسلامُك فقبِلْتُه ولا نأخذُ من أموالهم شيئا ولا نُخَمِّسُها لأن هذا غَدْرٌ والغدرُ لا خير فيه ، فأخذني ماقرُبَ وما بَعُد . فقلت : يا رسول الله ، إنما قَتَلْتُهم وأنا على دين قومى ، ثم أسلمتُ حين دخلتُ عليك الساعة ، فقال : [إن الإسلام يَجُبُّ ما قَبْله ، وكان قَتَلَ منهم ثلاثة عشرَ إنسانا فبلغ ذلك ثقيفا[(1)] بالطائف فتداعوا للقتال ، ثم اصطلحوا على أن يؤدِّىَ عمِّى عروةُ بنُ مسعود ثلاث عشرة ديةً . قال المغيرةُ : وأقمتُ مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى اعْتَمَر عُمْرَةَ الحُدَيْبِيَةِ فى ذى القعدة من سنة ستٍ من الهجرة ، وكانت أولَ سَفْرة خرجتُ معه فيها ، وكنت أكون مع أبى بكر ، رضى الله عنه ، وألْزَمُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فيمن يلزمه ، فبعثَتْ قريش عام الحديبية عُروةَ بن مسعودٍ إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأتاه يُكَلِّمُه وجعل يَمَسُّ لحيَةَ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأنا قائمٌ على رأسه مُقَنَّعٌ بالحديد فقلت لعروة ، وهو يمس لحية رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : اكفُفْ يدك قَبْلَ ألا تعودَ إليك . فقال عروة : يا محمدُ ، من هذا ؟ فما أفَظَّه وأَغْلَظَه !! فقال : هذا ابنُ أخيك المغيرةُ بنُ شعبة . فقال عروةُ : يا عَدُوَّ اللهِ ما غُسِلَتْ عنى سَوْءَتُك إلا بالأمس يا غُدَر .

قال المغيرة: أول ما عرفَنى العربُ بالحزم والدهاء أنى كنتُ فى رَكْب من قومى فى طريق لنا إلى الحِيرةِ فقالوا لى : قد اشتهَيْنا الخمرَ ، وما معنا إلا درهم زائف ، فقلت : هاتوه وهلموا زِقَّيْن . فقالوا وما يَكْفِيك لِدِرْهمٍ زائفٍ زِقٌّ واحد ، فقلت : أعطونى ماطلبتُ وخَلاكم ذَمّ ، ففعلوا وهم يَهْزءون منى ، فصببتُ فى أَحَدِ الزِّقَّيْنِ شيئا من ماء ، ثم جئت إلى خَمّارٍ بالحيرة فقلت كِلْ لى مِلْءَ هذا الزِّقِّ فملأه ،

---

(١) من هنا تبدأ أخبار المغيرة متصلة فى الأغانى .

فأخرجت الدرهم الزائفَ فأعطيتُه فقال لى : وَيْحَكَ أمجنون أنت ؟ فقلت : مالَكَ ؟ فقال : إن ثمن هذا الزقِّ عشرونُ دِرْهما جيادا ، وهذا دِرْهَمٌ زائف ، فقلت : أنا رجلٌ بَدَوِيٌّ وظننتُ أن هذا يَصْلُحُ فإن صَلَحَ وإلا فَخُذْ شرابَك ، فاكتال منى ما كاله ، وبَقِى فى زقٍّ من الشرابِ بقَدْرِ ما كان فيه من الماء فأفرغته فى الزقِّ الآخرِ وحملتُهما على ظهرى وخرجتُ فصببتُ فى الزقِّ الآخر ماءً ودخلتُ إلى خمار آخر ، فقلت : إنى أريد منك مِلْءَ هذا الزقِّ خمراً فانْظُر إلى ما معِى منه ، فإن كان عِنْدَكَ مِثْلُه فأعطنى فنظر إليه ، وإنما أردتُ ألا يَسْتريبَ بى إذا رددتُ الْخَمْر عليه ، فلما رآه قال : عندى أجودُ منه ، فقلت : هات . فأخرج لى شرابا ، فاكتلته فى الزِّقِّ الذى فيه الماء ، ثم دفعتُ الدرهم الزائف إليه ، فقال لى مثلَ قَوْلِ صاحبه وقلتُ له مثلَ ما قلتُ لصاحبه فأخذ ما كالَ لِى ، وهو يظنُّ أنى خَلَطْتُه بالشرابِ الذى أَرَيْتُه إياه ، وخرجت فجعلتُه مع الخمرِ الأولِ ، ولم أزل أفعلُ ذلك بكل خَمَّارٍ فى الحيرةِ حتى ملأتُ زقىَّ الأولَ وبَعْضَ الآخرِ ورجعتُ إلى أصحابى ، فوضعتُ الزِّقَّيْن بين أيديهم ورَدَدْتُ دِرْهَمَهم إليهم ، فقالوا : ويحك !! أىَّ شىءٍ صنعتَ ، فحدثتُهم فجعلوا يعجبون ، وشاع لى الذكرُ فى العربِ بالدهاءِ والحَزْم حتى اليوم .

قال المغيرةُ بنُ شعبة : كنت جالساً عند أبى بكر رضى الله عنه إذ عُرِض عليه فَرَسٌ له . فقال له رجل من الأنصار : احمِلْنى عليها ، فقال أبو بكر : لأن أَحْمِلَ عليها غُلاما قد رَكِبَ الخيلَ على عرابه أحبُّ إلىَّ من أن أحملك عليها ، فقال له الأنصارى : أنا خيرٌ منك ومن أبيك ، قال المغيرة : فغضبتُ لمَّا قال ذلك لأبى بكر ، فقمت إليه فأخذتُ رأْسَه فركبتُه وسَقَطَ على أنفِه وكأنما كان عِدْلَىْ مزادة ، فتوعدنى الأنصارُ أن يَسْتقيدوا منى ، فبلغ ذلك أبا بكر فقال : إنه بَلَغَنى عن رجال زعموا أنى مُقِيدهم من المغيرة ، ووالله لأن أُخْرِجَهم من دارهم أقربُ إلىّ من أن أُقِيدَهم وَزَعَة الله الذين يدعون إليه .

ركب المغيرةُ بنُ شعبة إلى هند بنتِ النعمان بن المنذر وهى(١) بِدَيرِ هند متنصّرةٌ عمياء بنتُ تسعين سنة ، فقالت له : من أنت ؟ قال : أنا المغيرةُ بن شُعْبَة . قالت : أنت عامِلُ هذه المَدَرَةِ ؟ قال : نعم . قالت : فما حاجتك ؟ قال : جِئْتُك خاطباً إليك نَفْسَك . فقالت : أما والله لو كنتَ تبغى جمالا أو دُنْيا لزوجناك ، ولكنك أردتَ أن تَجْلِسَ فى موسمٍ من مواسمِ العربِ فتقول : تزوجتُ بنتَ النعمانِ بن المنذر ، وهذا والله لا يكونُ أبدا أو ما يكفيك نخرا أن تكون فى مُلْكِ النعمان وبلاده تُديرها كما تريد !؟ وبَكَتْ فقلت لها : أىُّ العربِ كان أحبَّ إلى أبيك ؟ قالت : ربيعة . قال : فأين كان يَجْعَلُ قَيْساً قالت : بحيث كان يَراهم من طاعَتِه قال : فأين كان يجعل ثقيفاً قالت : رويداً لا تَعْجَل ، بينا أنا ذاتَ يومٍ جالسةٌ فى خِدْرٍ إلى جَنْبِ أبى إذ دخل عليه رجلان ، أحدهما من هوازنَ والآخر من مازن ، كل واحدٍ منهما يقول إن ثقيفاً منا ، فأنشأ أبى يقول :

إن ثقيفا لم يكن هوازنا ... ولم يناسب عامرا ومازنا

* إلا قريبا فانشر المحاسنا *

فخرج المغيرة وهو يقول :

أدركت [ما مَنَّيْتُ نَفْسِىَ] خاليا ... لله دَرُّك يا ابنــةَ النعمان
إنِّى لَحَلْفِك بالصليبِ مُصَدِّقُ ... والصُّلْبُ أصدقُ حلفَةِ الرهبانِ
ولقد رددْتِ على المغــيرةِ ذِهْنَه ... إن المــلوك [بطيئة] الأذهان
يا هند حَسْبُك قد صَدَقْتِ فأمسكى ... والصدقُ خــير مقالةِ الإنسانِ

بينا حسان بن ثابت ذات يوم جالسا بالخِيفِ من مِنى وهو يومئـذ مكفوفٌ إذ زَفَرَ زفرة وقال :

---

(١) وفى رواية: يومئذ .

(٢) ما بين الأقواس غير واضح بالأصل وهو عن الأغانى .

وكأن حافِرَها بكل خَميلةٍ صاعٌ يَكيلُ به شَحيحٌ مُعْدمُ
عارى الأشاجع من ثقيفٍ أصْلُه عبــدٌ ويزعُم أنه من يَقْدُمُ

فسممه المغيرةُ بنُ شعبة فبعث إليه بخمسةِ آلاف درهم ، فلما أُتِىَ بهـا قال : من بعث بهذه ؟ قيل : المغيرةُ بن شعبة . فقال : واسَوْأتاه ، وقبلها .

وكان المغيرة قد أَحْصَنَ إلى أن مات ثمانين امرأةً فيهن ثلاثُ بناتٍ لأبى سفيانَ ابنِ حرب ، وفيهن حفصةُ بنتُ أبى وَقَّاص ، وهى أمُّ ابنِه حَمْزَة بنِ المُغيرة ، وعائشةُ بنتُ جرير بن عبد الله [البجلى] . وقال يوما : تزوجتُ ثلاثا وسبعين امرأةً، منهن سبعون بِكْرا . وكان مِطْلاقاً إذا اجتمع عنــده أربعُ نسوة قال : إنــكن لطويلاتُ الأعناقِ كريماتُ الأخلاقِ ، ولــكنى رجل مِطلاقٌ اعْتَدِدْن . وكان يقول : النساء أربعٌ والرجال أربعــةٌ ، رجل مُذَكَّرٌ وامرأةٌ مؤنثَّةَ فهو قَوَّامٌ عليها ، ورجلٌ مُؤَنَّثٌ وامرأةٌ مُذَكَّرة فهى قوّامةٌ عليه ، ورجلٌ مُذَكَّرٌ وامرأةٌ مُذَكَّرَةٌ فهما كالوَعْلَيْن ينتطحان ، ورجلٌ مؤنَّثٌ وامرأة مؤنَّثةٌ فهما لا يأتيان بخَــيْرٍ ولا يُفلِحان .

وقيل : إنه قال : نــكحتُ تسعا وتسعين امرأةً فما أمسكتُ امرأة منهن على حُبٍّ بل أمسكها لحَسَبِها ولولَدِها ولِــكذا ولِــكذا ، ولقد وجدتُ اليمانيّةَ كثوب أخذْتَ بجانبه فأتبعَكَ بَقِيَّتُه ، ووجدتُ الربيعيةَ أمَتَك إن أمَرْتَها أطاعتْك ووجدتُ المُضَرِيّة قِرْنا إن ساوَرْتَه غلبْتَه أو غَلَبَك .

ورأى المغيرةُ امرأة له تَخَلَّلُ بعد صلاةِ الصُّبْحِ فطلَّقَها ، فقالت : علامَ طَلَّقَــنى ؟ فقيل : رآكِ تَخَلَّــين فظَنَّ أنك قد أَكَلْتِ فقالت : أَبْعَدَهُ اللهُ والله ما تَخَلَّلْتُ إلا من فَضْــلَةِ سِواكٍ .

صلى المغيرةُ بن شُعْبَة بالناس فى سنة أربعين ، فى العام الذى مات فيه علىٌّ

ابنُ أبى طالب ، رِضوان الله عليه ، فجعل يوم الأضحى يومَ عرَفة خاف أن يُعزل فسبق ذلك فقال الراجز :

سيرى رويدا وابْتَغِى المُغيرَهْ كلفتُها الإدلاجَ والظهـيره

وكان الجمالُ بالـكوفة ينتهى إلى أرْبعةِ نفرٍ ، المغيرةِ بنِ شُعْبة ، وجرير ابن عبد الله ، والأشعثِ ابن قَيْس ، وحُجْر بن عدى ، وكلهم كان أعوَر ، وكان المغيرة والأشعثُ وجريرٌ يوما متوافِقين بالـكُناسةِ ، فطلع عليهم أعرابىٌّ فقال المغيرة دَعونى : أُحَرِّكْه فقالوا : لا تفعلْ فإن للأعراب جوابا يُؤْثَر . قال لا بُدَّ ، قالوا : فأنت أعلم ، فقال له : يا أعرابىُّ هل تعرفُ المغيرةَ بنَ شعبة ؟ قال : نعم أعرِفُه أعورَ زانيا فوجِمَ وتَجَلَّدَ ، ثم قال : أتعرف الأشعثَ بن قَيْس ؟ قال : نعم ، ذلك رجلٌ لا يَعزُّ بقومه ، قال : وكيف ذلك ؟ قال: لأنه حائكٌ بنُ حائك قال : فهل تعرفُ جريرَ بن عبد الله ؟ قال : وكيف لا أعرفُ رجلا لولاه ما عرفت عشيرته . فقالوا له : قَبَحَك الله . فإنك شَرُّ جَليس . قالوا : فهل تُحِبُّ أن يُوقِرَ لك بَعيرُك هذا مالا ، وتَموتَ أكرمَ العرب! قال : فمن يُبْلِغُه أهْلِى إذاً ؟ فانصرفوا عنه وتركوه .

خرج المغيرةُ بن شعبة ، وهو على الـكوفةِ أمير ، ومعهُ الهيثمُ بنُ الأسود النَّخَعِىّ بعد غِبّ مَطرٍ ، يسيرُ فى ظَهْر الـكوفة ، فلَقِى ابنَ لسانِ الحُمَّرة أحدَ بنى تيم الله بن ثعلبة ، وهو لا يعرف المغيرةَ ، فقال المغيرةُ : من أين أقبلت يا أعرابى ؟ قال : من السماوة . قال: فـكيف تركتَ الأرضَ خَلْفَك ؟ قال: عريضةٌ أريضةٌ (١) . قال: فـكيف كان المطر ؟ قال : عَـفَّى الأثرَ ومَلأَ الحُفرَ قال : ممن أنت ؟ قال : من بكرِ بن وائل . قال : كيف عِلْمُك بهم ؟ قال : إن جَهِلتُهم لم أعرِفْ غيْرَهم . قال : فما تقول فى بنى شيبان ؟ قال : سادتُنا وسادةُ غيْرِنا . قال : فما تقولُ فى بنى ذُهْل ؟ قال :

---

(١) أريضة : معشبة خصبة .

سادةٌ نُوكَى . قال : فما تقول فى قيسِ بنِ ثَعْلَبة ؟ قال : إن جاوَرْتهم سَرَقُوك وإن ائتَمَنْتَهُم خانوك . قال : فما تقول فى تَيْمِ اللهِ بنِ ثعلبة ؟ قال : رعاء البقرِ وعَراقيبُ كِلابٍ . قال : فما تقولُ فى بنى يَشْكُر ؟ قال : صَرِيحٌ تحسَبه مَوْلًى . قال هشام : لأن فى ألوانهم حُمْرَةً . قال : فعِجْل ؟ قال : أحلاسُ الخَيْل . قال : فحنيفةُ ؟ قال : يُطْعِمون الطعامَ ويَضْرِبون الهامَ . قال : فعَنَزَة ؟ قال : لا تَلْتَقى بها الشفتان لُؤْماً . قال : فَضُبَيْعَة أَضْجَم ؟ قال : جدعاء عقراء . قال : فأخبرْنى عن النساء . قال : النساء أربعٌ ربيعٌ مُرْبِع وجَميعٌ يَجْمَع وشيطانٌ سَمَعْمَع وغلٌّ لا يُخْلَع . قال: فَسِّرْ ، قال: أما الربيعُ المُرْبِعُ فالتى إذا نظرتَ إليها سَرَّتْك، وإذا أقْسَمتَ عليها أبَرَّتْك ، وأما التى هى جَميعٌ يجْمَعُ فالمرأةُ يتزوجُها الرجلُ ، ولها نَشَبٌ ، فيجتمع نَشَبُها إلى نَشَبِه ، وأما الشيطان السَّمَعْمَع(١) فالكالحَةُ فى وجهك إذا دَخَلْتَ ، والمولولةُ فى أثَرِكَ إذا خرَجْت ، وأما الغُلُّ الذى لا يُخْلَع فابنةُ عمِّك السوداء القصيرة القوهاء الذميمةُ التى قد نَثَرَتْ لك بطْنَها ، إن طَلَّقْتَها ضاع وَلَدُك وإن أَمْسَكْتَها فعلى جَدْعِ أَنْفِك . فقال له المغيرةُ : بل أَنْفك . ثم قال له : ماتقولُ فى المغيرةَ بنِشُعبة ؟ فقال : أعورُ زان . فقال الهَيْثم: فضَّ اللهفاك، هذا الأميرُ المغيرة . فقال : إنها كَلِمةٌ تقال ، فانطلق به المغيرةُ إلى بَيْتِه وعِنْدَه أربعُ نسوةٍ وسبعون أمة ، فقال له : وَيْحَك ، هل يزنى الحرّ وعنده مثلُ هؤلاء ؟ ثم قال لهن المغيرة : ارْمِينَ بحُلِيِّكُنَّ له ، ففعَلْنَ فخرج الأعرابىُّ بملء كسائه ذهبا وفضة .

جاء المغيرةُ بن شُعبة إلى على ، عليه السلام ، فقال له : اكتُبْ إلى معاوية فوَلِّه الشامَ ، ومُرْهُ يأخُذ البيعةَ لك ، فإنك إن لم تَفْعَلْ وأردتَ عَزْلَه حارَبَك .

---

(١) السمعمع : الداهية والخفيف السريع .

فقال على ، عليه السلام : « وما كنتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُدا » ، فانصرف المغيرة وتركه . فلما كان فى الغد جاءه فقال : إنى فكرت فيما أشرتُ عليكَ به بالأمسِ فوجدتُه خطأ ، ووجدتُ رأْيَك أصوب . فقال له علىّ ، عليه السلام : لم يَخْفَ علىّ ما أردتَ قد نصحتنى فى الأولى وغشَشْتَنى فى الثانية ، ولكنى ، والله ، لا آتى أمْرًا أجد فيه فساداً لدينى طَلَباً لصلاح دُنياى ، فانصرف المغيرة .

كان بين المغيرةِ بنِ شُعْبَة وبين مَصْقَلَةَ بنِ هُبَيْرَة الشيبانىّ تَنازُعٌ فضَرَع له المغيرةُ وتواضعَ فى كلامِه حتى طَمِعَ فيه مصقلةُ واستَعْلى عليه وشَتَمه ، فقدمه إلى شُرَيْحٍ ، وهو القاضى يومئذ ، وأقام عليه البينةَ فضربَه الحدَّ ، وآلى مصقلةُ الا يقيمَ ببلد فيه المغيرةُ ما دام حيا ، ثم دخل الكوفةَ لما مات المغيرةُ ، فتلقاه قَوْمُه وسَلَّموا عليه ، فلما فرغَ من السلام سألَهم عن مقابرِ ثقيفٍ فأرشدوه إليها ، فجعلَ قَوْمُه ومواليه يلتقطون الحجارةَ . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : ظَنَنَّا أنك تريد أنْ ترجم قَبْرَه . قال : أَلْقُوا ما فى أيديكم فأَلْقَوْه ، وانطلق حتى وقفَ على قبره ، ثم قال : والله لقد كنتَ ما علمت ، نافعا لصديقِك ضارا لعَدُوِّك ، ما مثلُك إلا كما قال مُهَلْهِلٌ فى أخيه كليب :

إنَّ تحت الأحجارِ حزماً وعزماً وخَصيما أَلَدَّ ذا مِعْلاقِ(١)
حَيَّةٌ فى الوِجارِ أَرْبَدُ لا ينْـ ـفَعُ منه السليمَ نَفْثُ الراقى

وكان الذى قاله مصقلةُ للمغيرةِ : واللهِ [إنى] لأعرفُ شَبَهِى فى عروة ابنك فأَشْهَدَ عليه بذلك وجَلَدَه الحدّ .

قال رجلٌ من قُرَيش لعمرَ بنِ الخطابِ رضى الله عنه ، أَلاَ تتزوَّجُ أمَّ كُلثومٍ ابنةَ أبى بكرٍ الصديق ، رضى الله عنه فتحْفَظه بعد وفاته وتَخْلُفَه فى أهْلِه ، فقال عمرُ ،

---

(١) المعلاق : كثير الخصومة .

بَلَى إنى لأُحِبُّ ذلك ، فاذهبْ إلى عائشةَ واذكُرْ لها ذلك وعُدْ إلىَّ . بجوابها ، فمضى الرسول فأخْبَرَها بما قال عمر فأجابَتْه إلى ذلك وقالت : نَعَمْ حُبًّا وكرامة ، ودخل إليها بعَقِبِ ذلك المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ فرآها مَهْمومةً فقال لها : ما لَكِ يا أمَّ المؤمنين ؟ فأخبرتْه برسالةِ عُمَرَ ، وقالت : إن هذه جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ وأردتُ لها عيشاً أَلْيَنَ مِنْ عُمَرَ فقال لها : أنا أَكْفِيكِ ، وخَرَج من عندها فدخل إلى عُمَرَ فقال له : بالرِّفاءِ والبنين ، قد بَلَغَنِي ما أتيْتَه من صِلَةِ أبى بكر فى أهْله وخِطْبَتِك أمَّ كُلثومٍ : فقال : قد كان ذاك ، قال : إلّا أنك يا أميرَ المؤمنين رجُلٌ شديدُ الخُلُقِ على أهلِك وهذه صَبِيَّةٌ حديثةُ السِّنِّ ، ولا تزال تنكرُ عليها الشىءَ بعدَ الشىء فتضربها فتَصيحَ : يا أبتاه فيَغُمُّك ذلك وتتألَّم له عائشةُ فيَذْكرون أبا بَكْر فيبكون ، فتتجدَّدُ لكم المصيبةُ كلَّ يوم مع قرب عَهْدِها . فقال له متى كنتَ عند عائشةَ واصدُقْنى قال : آنفا ، فقال : أشْهَدُ أنهم كَرِهونى وضَمِنْتَ لهم أن تَصْرِفَنى عما طَلَبْت ، وقد أَعْفَيْتُهم ، فعاد إلى عائشةَ فأخْبَرَها الخبرَ وأمْسَكَ عمرُ رضى الله عنه عن مُعاودَتِها .

كان المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ يختلفُ إلى امرأةٍ من ثَقيف ، يقال لها الرقطاء ، فكان يخرجُ إليها وَسَطَ النهارِ من دار الإمارةِ فيَجِدُه أبو بَكْرَة فيقول : أيْنَ يذهبُ الأميرُ ؟ فيقول : آتِى حاجَةً . فيقول له : حاجةُ ما ذا ؟ فيقول : أزورُ آلَ بنى فلان ، فيقول : إن الأميرَ يُزارُ ولا يَزور . وكانت الرقطاء جارةً لأبى بَكْرة فبينا أبو بكرةَ يوما فى غُرْفَتِه مع أَخَوَيْه نافعٍ وزيادٍ ورجلٍ آخر يقال له شِبْلُ بن مَعْبد ، وكانت غرفةُ الرقطاء محاذيةً لغرفةِ أبى بَكْرَة ، فضرب الريحُ بابَ المرأةِ ففَتَحه فنظرَ القوم فإذاهم بالمغيرةِ ينْكِحها ، فقالوا أبو بكرة : هذه بَلِيَّةٌ ابتُلِيتُمْ بها فانظروا فنظروا حتى أَثْبَتُوا ، فنزل أبو بَكْرَةَ فجلس حتى خَرَج عليه المغيرةُ من بيت المرأةِ ، فقال له : إنه قد كان من أمْرِك ما قد عَلِمْت فاعتزِلْنا ، وذهب ليُصَلِّىَ بالناس الظهرَ ، فمنعه أبو بَكْرَة وقال : لا واللهِ لا تُصَلِّى بنا ، وقد فعلت ما فعلت . فقال الناس : دَعُوه فلْيُصَلِّ فإنه

الأمير ، واكتبوا بذلك إلى عُمر فكتبوا إليه ، فبعث عمرُ بأبي موسى الأشْعَرِيّ ، وعزم عليه ألا يَضَعَ كتابَه من يده حتى يَرْحَل المغيرةُ بنُ شعبة ، وأن يَقْدَم القومُ جميعا ؛ المغيرةُ والشهودُ . فقال أبوموسى : أو نتْرُكَه يتجَهَّزَ ثلاثا ، ثم خرج. قال : فصلينا صلاةَ الغَداةِ بظَهْرِ المِرْبَد ، ودخلنا المسجدَ فإذا هم يُصَلُّون النساء والرجالُ مُخْتَلِطين ، فقِيلَ للمغيرة : إن أبا موسى فى جانب المَسْجِدِ عليه بُرْنُس . فقال المغيرة : ما جاء زائرا ولا تاجرا ، فدخل عليه ومعه صحيفةٌ فلما رآه قال: الأمير!! فأعطاه أبو موسى الكتابَ ، فلما ذهب يتحركُ عن سريره قال له أبو موسى : مكانَكَ تَجَهَّزْ ثلاثا . وقيل : إن أبا موسى أَمَره أن يَرْحَلَ من وَقْتِه . فقال له المغيرةُ : قد علمتُ ما وُجِّهْتَ له فألَا تقَدَّمْتَ فصليتَ . فقال له أبو موسى : ما أنا وأنت فى هذا الأمرِ إلا سَواء . فقال له المغيرة : إنى أحبُّ أن أقيمَ ثلاثا لأَتجَهَّزَ . فقال : قد عَزَم عَلَيّ أميرُ المؤمنين ألا أَضَعَ عَهْدِى من يدى إذا قرأتُه حتى أُرْحِلَك إليه . قال : إن شئتَ شَفَعْتَنى وأبررتَ قَسَم أميرِ المؤمنين . قال : كيف ذلك ؟ قال : تَرْحَلُنى إلى الظُّهْرِ وتمسكُ الكتابَ فى يدك . قال : فأبْدَرنى أبو موسى مُقْبِلًا ومُدْبِرًا والكتابُ فى يده معلقٌ بخَيْطٍ فتجهزَ المغيرةُ ، وبعث إلى أبى موسى بجاريةٍ وخادم ، الجاريةُ عربيةٌ من سَبْىِ اليمامةِ ، من بنى حَنيفة . وقيل : من مُوَلَّداتِ الطائفِ . وصلى المغيرةُ الظُّهْرَ ، وسار حتى قَدِمَ على عمر ، رضى الله عنه ، فلما قَدِمَ عليه قال له : قد شُهِدَ عليك بأمرٍ إن كان حَقًّا لَأَنْ تكون مِتَّ قبل ذلك كان خَيْرًا لك . ثم جلس عمرُ ودعا بالمغيرةِ والشهودِ فتقَدَّم أبو بَكْرَة فقال له : أَرَأَيْتَه بين فَخِذَيها ؟ قال : نعم ، والله لكأنى أنظر تَشْرِيم جدرِى بين فَخِذَيْها ، فقال له المغيرة : لقد أَلْطَفْتَ النظر . فقال له : ألم أَكُ قد أُثبتُ ما يُخْزِيكَ اللهُ به ، فقال عمر : لا ، والله حتى تشهد أنك رأيته يَلِجُ فيها كما يَلِجُ المِرْوَدُ فى المُكْحُلَةِ قال : نعم ، أَشْهَدُ على ذلك . فقال : اذْهَبْ مغيرةُ ذهب رُبْعُك ، ثم دعا نافعا

فقال : عَلامَ تَشْهد ؟ قال : على مِثْلِ شهادةِ أبى بَكْرَة . قال : لا ، حتى تَشْهَدَ أنه وَلَجَ فيها وُلوجَ المِرْوَدِ فى المُكْحُلَةِ . قال : نعم حتى بلغ قذذه قال : اذهب مغيرةُ ذهب نِصْفُك . ثم دعا الثالثَ فقال : علامَ تَشْهد ؟ فقال : على مثل شهادةِ صاحِبَىّ . فقال علىٌّ بن أبى طالب : اذهب مغيرةُ ذهبَ ثلاثة أرباعك قال : فمكثَ يَبْكِى إلى المهاجرين فبكَوْا وبكَى إلى أمهاتِ المؤمنين حتى بَكَيْن معه ، وحتى لا يجالسَ هؤلاء الثلاثةَ أحدٌ من أهلِ المدينة . قال : ثم كتَبَ إلى زيادٍ فقدِمَ على عمرَ فلما علم به جلس له فى المَسْجد ، واجتمع عنده رءوسُ المهاجرين والأنصار ، قال المغيرة : ومعى كلمةٌ قد رَفَعْتُها لأَحْلَمِ القوم ، فلما رآه عمرُ مقبلا قال : إنى لأرى رجلا لن يُخْزِىَ اللهُ على لسانِه رجلا من المهاجرين ، وكان عمر لما شَهِدَ عنده الشاهدُ الأولُ تغيَّرَ لونُه ثم شَهِدَ الآخرُ فانكَسَر لذلك انكساراً شديداً ، ثم جاء رجلٌ شابٌّ يخطرُ بين يديه ، فرفع عمرُ رأْسَه إليه ، فقال له : ما عندك يا سَلْحَ العُقاب . وصاح عليه بها حتى كاد يُغْشَى على بعض الحاضرين . قال المغيرة : فقمتُ إلى زياد فقلت له : لا مخبأ لعِطْرٍ بعد عَروس يازيادُ ، اذْكُرِ اللهَ واذكُرْ موقفك يومِ القيامة فإن اللهَ وكتابَه ورَسولَه وأميرَ المؤمنين حَقَنوا دمِى إلا أن تتجاوَزَ إلى ما لَمْ تَرَ فلا يَحْمِلَك سوءُ منظرٍ رأيْتَه على أن تتجاوَزَه إلى مالم تره ، فوالله لو كُنْتَ بين بَطْنى وبَطْنِها ما رأيتَ أين سَلَكَ ذَكَرِى منها ، قال : فبرَقَتْ عيناه واحْمَرّ وجهه ، وقال : يا أمير المؤمنين أما أَنْ أحُقَّ ما حَقَّ القومُ فليس ذلك عندى ، ولكنى رأيت مجلسا قبيحا وسمعتُ نَفَسًا حَبيثا وانبهارا ، ورأيتُه مُتَبَطِّنَها . فقال له : أرأيته يُدْخله كالمِيلِ فى المُكْحُلَةِ قال : لا . وقيل: إن زياداً قال : رأيته رافعا بِرجْلَيْها ورأيت خصيتيه مترددتين بين نخذيها ، ورأيت حفزاً شديداً وسَمِعْتُ نَفَساً عاليا . فقال له : أرأيتَه يُدْخِلُه كالميلِ فى المُكْحُلة ؟ قال : لا . فقال عمر :

اللهُ أكبرُ ، قُمْ إليهم فاضرِبْهم الحدّ . فقام إلى أبى بَكْرَة فضربه ثمانين ، وضرب الباقين وأعجبَهُ قولُ زياد ودَرَأَ عن المغيرة الرَّجْمَ . فقال أبو بكرة بعد أن ضُرِبَ فإنى أشهد أن المُغيرةَ فعل كذا وكذا . فهَمّ عمرُ بضَرْبِه ، فقال له علىٌّ ، عليه السلام ، إن ضَرَبْتَه رَجَمْتَ صاحِبَك ، ونهاه عن ذلك ، يعنى أنه إن ضَرَبَه جعلَ شهادتَه شهادتَيْن فوَجَبَ بذلك الرَّجْمُ على المغيرة . قال : واستتابَ عمر أبا بَكْرَة فقال : إنما تَسْتَتِيبُنى لتقبلَ شهادتى . قال : أجل . قال : لا أشهد بين يديك بين اثنين ما بقيتُ فى الدنيا . [فلما ضُربوا الحدَّ قال المغيرةُ : اللهُ أكبرُ الحمدُ لله الذى أخْزاكم. فقال له عمر: اسكتْ أخزَى الله مكانا رأَوْكَ فيه . وأقام أبو بَكْرَة على قوله وقال : والله ما أنسى رَقْط فَخِذَيْها وتاب الاثنان فقُبِلَتْ شهادتُهما . وكان أبو بكرة إذا دعى إلى شهادةٍ قال : اطلبْ غيرى فإن زيادا قد أفْسَدَ علىّ شهادتى ، ولما ضرب أبو بكرة [أمرت أمه] بشاة فذبحت وجُعِلَ جلدُها على ظَهْرِه . وكان يقال : ما ذاك إلامن ضَرْبٍ شديدٍ ، وهذه التى رُمِىَ بها المغيرةُ هى أمُّ جميل بنت عمر ، وكانت تختلفُ إلى المغيرة فى حوائجها فيَقْضِيها لها ، ووافقت عمرَ فى المَوْسِم ، والمغيرةُ هناك . فقال له عمر : أتتجاهل عَلَىّ والله ما أظنُّ أبا بكرة كَذَبَ عليك ، وما رأيتُك قطُّ إلا خِفْتُ أن أُرْمَى بحجارةٍ من السماء . وقال علىٌّ عليه السلام : لئن أخذت المغيرة لأتبعنه أحجاره .

وقال حسان بن ثابت يهجو المغيرة :

لو أنَّ اللؤمَ يُنْسَبُ كان عبدا ... قبيحَ الوجه أعورَ من ثَقيفِ

تركتَ الدينَ والإسلامَ لما بَدَتْ ... لك غُدْوَةً ذاتُ النَّصيفِ

وراجعْتَ الصِّبا ولزِمْتَ[1] لهوا ... من القَيْنَاتِ والغمز اللطيف

---

(١) وذكرت عهدا . . . والغمز (الأغانى) .

ولما شخص المغيرةُ إلى عمرَ ، رضى الله عنه ، رأى فى طريقه جاريةً فى بنى مرة فأعْجَبتْه فخطبها إلى أبيها ، فقال له : وأنت على هذه الحال !! فقال له : وما عليك إنْ أَعَفّ فهو الذى تُرِيدُ وإن أُقْتَل تَرِثْنِى فزَوَّجه فلما قدم بها على عمر قال : إنك لفارغُ القَلْبِ طويلُ الشَّبَق .

ولما مات المغيرةُ قال جرير بنُ عبدِ الله : استغفروا لأميرِكم هذا ، فإنه كان يُحِبُّ العافيَة ومات بالكوفةِ سنة خمسين فى خلافةِ معاويةَ وهو ابن سبعين سنة بالكوفةِ وكان رجلا طويلا أعورَ أصْهبَ الشعرِ جداً أَكْثفَ يفرق رأْسَه قُروناً أربعةً أقلص الشفتين مَهْتُوما ضخم القامةِ عبْل الذراعين بعيدَ ما بين المنْكبَيْن ، أُصيبَتْ عينُه يومَ اليرموك .

مُحَمَّدُ بنُ بَشِيرٍ الخارجيّ(1)

هو مُحَمَّدُ بنُ بشيرِ بن عبد الله بن عُقيل بن أسعَدَ بن حَبيب بن سِنان بن عَدىّ ابن عوف بن بكر بن يَشْكُر بن عَدوان الخارجى من بنى خارجة بن عدوان بن عمرو [ابن عوف] بن قيس بن عَيلان بن مضر ، ويقال لعَدوان وفهم : ابنا جُدْيلة نُسبا إلى أمهما جدْيلة بنتِ مُرٍّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وكنية محمد أبو سليمان ، شاعر فصيحٌ حجازى من شعراء الدولة الأُموية ، وكان منقطعا إلى أبى عُبَيْدة بن عبدالله ابن ربيعةَ القرشِي ، أحدِ بنى أسَدِ بن عبد العزَّى ، وهو جدُّ عبدِ الله بن الحسن ابن الحسين لأمه هند بنتِ أبى عبيدة ، ولدت لعبدالله محمداً وإبراهيمَ وموسَى ، وكانت لمحمدٍ فيه مدائحُ مختارةٌ ومَرَاث ، وهى من عيون شعره وكان يَبْدو فى أكثرِ زمانه ، ويقيم فى بوادى المدينة ، ولا يكاد يَحْضُر مع الناس ، وكان قد قَدِمَ البصرةَ فى طلب ميراثٍ له فخطَب عائشةَ بنتَ يحيى بن يعمر الخارجية ، من خارجة عَدْوان ، فأبت أن تتزوجه إلا بعد أن يقيمَ معها بالبصرةِ ويتركَ الحجاز ويكون أمْرُها فى الفُرْقةِ إليها ، فأبى أن يفعل ذلك وقال :

أرق الحــزنُ وعاده سُهُدُهْ	لطوارقِ الهَمِّ الــتى ترِدُهْ
وذكرتُ من لانَتْ له كبدِى	فأبى فليس تلينُ لى كَبِـدُه
ونَأَى فليس بنــازلٍ بَلَدِى	أبدًا وليس بمُصْلِحى بــلدُهْ
وعرفْتُ أن الطــيرَ صادقةٌ	يوم الـكدانة شَرَّ ما تَعِدُهْ

(1) أغانى الدار ١٦ / ١٠٢ تجريد ق ٢ جـ ١ ١٦٩٩ .
وهو فى هامش الأصل يسير وفى التجريد كذلك وقد سبق الكلام عن بشير ويسير فى ترجمة محمد بن يسير الرياشى .

فاصبرْ فإن لـكل ذى أجلٍ   يوما يجىء فينقضِى عَدَدُه
ماذا تُعاتِبُ من زمانك إنْ   ظَعَنَ الحبيبُ وشفَّهُ كَمَدُهْ

وخاطب أباها يحيي بن يعمر فى ذلك فقال : إنها امرأة بَرْزَةٌ عاقلةٌ لا يُفتات على مِثلِها إلا بأَمْرِها وما عنك من رغبة ، ولـكنها امرأةٌ فى خُلُقِها شِدَّةٌ ولها غَيْرة . وقد بلغنى أن لك زَوْجَتَيْن ، وما أراها تَصْبرُ على أن تـكون ثالثَتَهما ، فانظر فى أمرك وشاوِرْ فيه ، فإما أن أقَمْتَ بالبصرة معهـا فَعَفَتْ لك عن صاحبتيك إذْ لا مجاورةَ بينها وبينهما ولا عِشْرة ، وإن شئتَ مفارقتَهما وأخرجها معك ، فصار إلى رحلهِ مغموما وشاور ابنَ عَمٍّ له يقال له وَرّاد بن عمرو فى ذلك ، فقال له : إن فى يحيي بن يَعْمر لرغبةً لثروتِه وكَثْرَةِ ماله ، وما ذكرتَ من جمال ابنتِه ، وما نحب أن تُفارقَ زوجَتَيْك ، وكانت إحداهما بنتُ عمه والأخرى من أشْجَع ، فتُقيم معها هذه السنةَ بالبصرة ونمضى نحن ، فإن رغبتَ فيها تَمَسَّكْتَ بها وأقمتَ بمكانك فذلك ، وإن رغبتَ فى العودِ إلى بلدِك كتبتَ إلينا ، فجئناك حتى تنصرف معنا إلى بلدك ، ففـكرَ ليلته أجمع فى ذلك ، ثم غدا عازما على الرجوع إلى الحجاز ، وقال من أبيات :

لئن أقمتُ بحيْثُ الفيضُ من رجب   حتى أُهِلَّ به من قابلٍ رَجَبا
وراح فى السَّفْرِ وَرّادٌ فهيَّجنى   إنّ الغريبَ إذا هَيَّجته طَرِبا
قـد قلتُ أَمْسِ لورّادٍ وصاحبِه   عُوجَا على الخارجىِّ اليومَ واحتسبا
وأبلغا أمَّ سعـد أن عَانِيَها   أَعْيـا على شفعاءِ الناسِ فاجْتَنَبا
أأبتغِى الحُسْنَ فى أخرى وأتْرُكُها   فذاك حين تركتُ الدينَ والحَسَبا
هى الظعينةُ لا تُرْمَى بزينتها   ولا يُفجِّعُها ابنُ العم ما اصطحبا
فمـا خلوتُ بها يوما فتُعْجِبَنى   إلا غدا أكثرُ اليومين لى عَجَبا

كان محمد بن بَشيرٍ يتحدثُ إلى امرأة من مُزَيْنة كان قومُها قد جاوروه ، ثم جاء الربيعُ وأخصبت بلادُ قومه فارتحلوا فقال محمد بن بشير :

لوْ بَيَّنَتْ لك قبــل يوم فِراقها أنَّ التفرقَ فى العشيةِ أو غدِ
لشكوتُ إذ عَلِقَ الفؤادُ بهائمٍ عَلق حبايل هــائم لم يعهد
وتَبَرَّجَتْ لك فاستبتك بواضحٍ صَلْتٍ وأسودَ فى النصيفِ مُعَقَّدِ
بيضاء خالصةُ البياض كأنها قَمَرٌ توسط لَيْــلَ صيفٍ مُبْردِ
مرسومةٌ بالحسنِ ذاتُ حواسدٍ إن الجمــال مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ
لم يُطْغها سَرف الشباب ولم تَضِعْ عَنها معاهدة النصيح المرشــد
وترى مدامعها تُرَقْرِقُ مقــلةً حوراءَ ترغبُ عن سوادِ الأثمدِ
خَودٌ إذا كَثُرَ الـكلام تعوَّذَتْ بحمى الحياءِ وإن تَكَلَّمْ تقصدِ
وكأنَّ طعمَ سلافــةٍ مشمولةٍ تَنْصَبُّ فى أثر السّواكِ الأغيدِ
وُلِدَتْ بأسْعد أنْجُم فمَحلّها ومسيرها أبــداً بطَلقِ الأسعدِ
ماذا إذا برزت غـــداةَ رحيلها م الحسن تحت رقاقِ تلك الأبْرُدِ
فالله يَصْحَبُها ويسقِى دارهــا خضل الربابِ سَرَى ولمّا يُرْعَدِ

كان سليمان بن الُحصَين خليلًا للخارجىّ صديقا ، فلما مات جَزِعَ عليه الخارجى وحزن حُزنا شديداً وقال يرثيه :

يا أيها المُتَمَنِّى أن يكون فتًى مثلَ ابنِ ليلى لقد خَلَّى لك السُّبُلَا
إنْ تَرْحَلِ العيسُ كى تَسْعى مساعيه يُشْفِقْ عليك وتَعْمَلْ دونَ ما عَمِلا
لو سِرْتَ فى الناس أقصاهم وأقربهم فى شُقَّةِ الأرضِ حتى تُحْسِرَ الإبلا
تَبْغِى فتًى فوق ظهر الأرض ما وَجَدوا
مثــل الذى غيَّبُوا فى بطنها رجُــلا
أُعدُدْ ثلاثَ خصالٍ قد عرفن له هل سُبَّ من أحد أو سَبَّ أو بَخِلا

لما مات عبدُ العزيز بنُ مروان و نُعِيَ إلى أخيه عبدِ الملك تمثَّل بهذه الأبيات ، فجعل يُرَدِّدها ويبكى ، قال أبو سليمان محمـدُ بن بَشير : بينا نحن بالرَّوْحاء فى عامٍ جدبٍ قليلِ الأمطارِ ومعنا سليمانُ بن الُحصَيْنِ وابنُ أخيـه ، وإذا بقطارٍ ضخمٍ كثيرِ الثقل يهوى قادمٍ من المدينة حتى نزلوا جانبَ الروحاء الغَرْبىّ ، بيننا وبينهم الوادى ، فإذا هم من الأنصار ، وفيهم سعيدُ بنُ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فلبثنا أياما ، ثم أتى لنا سليمان بن الحصين يقول لى أرسلَ إلىّ النساء يَقُلْن أمالـكم حاجة فى الحـديث ، فقلت لهن : وكيف نصنع برجالِـكُن ؟ قلن : بلغنا أن لـكم صاحبا يُعْرَف بالخارجىّ ؛ صاحبَ صَيْدٍ فإن أتاهم يُحَدِّثهم عن الصيد انطلقوا معه ، وخلَوْتم وتَحَدَّثْـتم ، قال : فقلت لسليمانَ : بِئْسَ ، لعَمْرُ الله ، ما أردت منى ، أذهبُ إلى قَوْمٍ فأغُرّهم وآثَمُ وأتْعَبُ وتنالون أنتم حاجَتَـكم دونى ماهذا برأى . قال سليمان: فانظرنى إذاً ابعثْ إلى النساءِ فأخبرهُنّ بقولك ، فأرسل إليهن وأخْبَرَهُن بما قلت فقُلْنَ [قل له]: احتل لنا عليهم هذه المرّةَ بما قلنا لك ، وعلينا أن نَحتَالَ لك المرةَ الأخرى. قال الخارجىّ : فخرجت حتى أتيتُ القومَ فحدثْتُهم وذكرت لهم الصيد ، فطارتْ إليه أنفُسهم فخرجتُ بهم ، وأخذت لهم شباكا وكلابا وتزَوَّدُوا لِثلاث وانطلقتُ أُحَدِّثهم وأُلْهيهم فحدثتهم بالصدْقِ حتى نَفِدَ ، ثم حدثتهم بمـا يُشْبه الصدق حتى نَفِد ، ثم صَرَّحْتُ لهم بمَحْضِ الـكذب حتى مضتْ ثلاثٌ ، وجعلت لا أُحَدِّثُهم شيئا إلا قالوا صَدَقْتَ وغبتُ بهم ثلاثا ما علم الله أنا عاينَّا صيداً فقلت من أبيات :

إنِّى لأعجبُ منى كَيْفَ أُفـكُهُهُم ... أم كيف أَخْدَع قوما مابهم حَمَقُ
أظلُ فى البيدِ أُلْهِيهِمْ وأخـبرهم ... أخبارَ قوم وما كانوا وما خُلِقوا

اجتمع محمد بن بَشير والسائبُ بن ذَكوان راويةُ كُثَيِّرٍ بمـكةَ فوافقا نِسْوةً من بنى غفار يتحدَّثْنَ ، فجلسا إليهن ، وتحدثا معهن ، وبقيت واحدةٌ منهن تُحَدِّث

محمدَ بن بشير وتَستنشِدُه شِعْره حتى أصبحوا . فقال لهم رجل مرّ بهم: أما تزدجرون عن هذا الشعر وأنتم حُرُم ولا تدَعُون إنشادَه وقَوْلَ الزور فى المسجد ، فقالت له المرأة : كذبتَ لعمرُ الله ، ما قول الشعرِ بزُورٍ ولا الحديث حرام على مُحِلٍّ ولا مُحْرِم فانصرف الرجل وقال الخارجى فيها :

أما لك أن تزور وأنت خِلْوٌ صحيحُ القلْبِ أُخْتَ بنى غفارِ
فمـــا برِحَتْ تُعيرك مقلتيها وتُعطيك المَنيةَ فى استْقـــار
وتسهو فى حديثِ القوم حتى تَبَيَّنَ بعضُ أهلك ما تُوارى
فَمِتْ ياقلبُ مالك من دِفاعٍ فيُنْجيك الدفاعُ ولا قرارِ

وفيها يقول :

يا أحسنَ الناسِ ألا أن نائلها قِدْمـــا لمن يبتغى ميسوره عَسْرُ
وإنما دَلُّها سِحْرٌ لطالبـــه وإنما قَلْبُهـــا للمشتكِى حَجَرُ
هل تذكرين كما لم أنسَ عَهْدَكم وقد يدومُ لعهد الخلّةِ الذِّكْرُ
قولى ورَكْبُك قد مالت عمـــائمُهم وقد سَقَاهُم بكأس السَّكْرةِ السَّفَرُ
يا ليت أَنى بأثوابى وراحِلتى عبدٌ لأهلك هذا العام مُؤْتَجَرُ
وقد أطَلْتِ اعتلالا دون حاجتنا بالحجّ أمسى فهذا الحجُّ والنَّفرُ
تَجْلُو بقادِمَتَىْ ورقاءَ عن بَرَدٍ حُمْر المفاغر فى أطرافها أَشَرُ
إنْ هبَّتِ الريحُ حَنَّتْ فى وشائحها كما يجاذبُ عـودَ القَيْنَــةِ الوَتَرُ
بيضاء تمشو لها الأبصارُ إن بَرَزَتْ فى الحج ليلةَ إحدى عَشْرَةَ القمرُ
جنيَّةٌ أولها جِنٌّ يُعلِّمُها رَمْىَ القلوبِ بقوسٍ ما لها وَتَرُ
إن كان ذا قَدَرٌ يعطيك نافلةً منا ويحرِمُنا ما أنْصَفَ القدرُ

كان الخارجى قد قدم البصرةَ وتزوج بها امرأة من عَدوان موسرةً ، فأقام عندها بالبصرة مدة ، ثم استوْخَم البصرةَ فطالبها بأن ترْحَل معه إلى الحجاز . فقالت له :

ما أنا بتاركٍ مالى ولا ضيعتى هاهنا تَذْهَبُ وتَضيع وأمْضِى معك إلى بلد الجَدْب والفقْرِ والضِّيقِ ، فإما أن أَقَمْتَ هاهنا أو طَلَّقْتنى فطَلَّقها ، وخرج إلى الحجاز ثم ندِم وتذكرها فقال من أبيات :

ولقد أردتُ الصبرَ عنك فعاقَنِى ... عَلَقٌ بقَلْبِى من هواكِ قديمُ
يبـقى على حَدَثِ الزمان ورَيْبِـه ... وعلى جَفـائِـك إنه لـكريم
ذهبت معاهد حُبِّهِنّ على الصِّبا ... ومع الشباب فبِنَّ وهو مقيمُ
وعَتَبْتِ حين صَحِحْتِ وهْوَ بدائِه ... شتانَ ذاكَ مُصَحَّح وسقيمُ
طيفٌ لزينبَ ما يزالُ مُؤَرِّقِى ... بعد الهدوِّ فما يكادُ يَريمُ
وإذا تعرّضَ فى المنـام خيالُهـا ... نـكأَ الفؤادَ خيالُها المحلومُ
أجملتِ ذَنْبَكِ ذَنْبَه وظَلَمْتِه ... عنـد التحاكُم والمُدِلُّ ظلومُ
ولئن تَجَنَّيْت الذنوب فإنه ... ذو الداءِ يعذرُ والصحيح يَلومُ
وأَدَيْته زمنا فعاذ بحلمه ... إن المحبَّ على الحبيب حليمُ
وزَعَمْتِ أنك تبْخلين وشَفَّه ... شوقٌ إليك وإن بخلتِ أليمُ

كان الخارجى مُنقطعا إلى أبى عُبَيْدةَ بن عبد الله بن ربيعةَ وكان يَـكْفيه مؤونتَه ويُفْضِلُ عليه ويُعْطِيه فى كل سنة ما يكفيه ويُغْـنِى عيالَه من البُرِّ والتَّمْرِ وكسوةِ الشتاءِ والصيف ويُقْطِعُه القطعةَ بعد القطعةِ من إبله وغَنَمِه ، وكان منقطعا إليه وإلى يزيدَ بن الحسينِ ، وابنه الحسن بن زيد ، وكلهم به بَرٌّ واليه مُحْسِنٌ فمات أبو عبيدة فقال يرثيه وكان ينزل العُرْش(١) والخارجى ينزل الروحاء(٢) :

ألا أيها الناعِى ابن زينبَ غدْوَةً ... نعيت الذى دارتْ عليه الدوائرُ

---

(١) غير واضحة فى الأصل وما أثبتناه عن الأغانى — والعرش قيل : اسم لمكة . وعرش مكة بيوتها (مراصد) .

(٢) الروحاء من الفرع على نحو أربعين ميلا من المدينة (مراصد) .

لعمرى لقد أمْسَى قِرى الضيفِ عاتما … بذى العرش لما غيبتك المقابرُ
إذا سَوَّفُوا نادوا صَداكَ ودُونَه … صفيحٌ وخَوّارٌ من التُّرْبِ مائرُ
ينادون من أَمْسَى تَقَطَّعُ دونَه … من البعدِ أنفاسُ الصدورِ الزوافرُ
فقومى اضْربى عينيْكِ يا هندُ لن ترَىْ … أباً مثله تسمو إليه المفاخرُ

وكانت هند هذه ابنته عند عبدِ الله بن حسن بن حسن ، ولما مات أبوها جَزِعَت جزعا شديدا ، ووجِدَت وجدا شديد ، فكلم زوْجُها عبدُ الله بن حسن بن حسن محمدَ بنَ بشيرٍ الخارجى ، وسألَه أن يَدْخُلَ عليها ويُعَزّيها عن أبيها ، فدخل معه إليها فلما نظر إليها صاح بأعلى صوته :

فقومى اضربى عينيكِ ياهند لن ترَىْ … أباً مثله تَسْمو إليه المفاخرُ
وكنتِ إذا فاخرتِ أسْمَيْتِ والداً … يزينُ كما زان اليدين الأساورُ
فإن تُعْوِليه يَشْفِ يوْماً عويلُه … غليلَك أو يَعْذُرْك بالنوح عاذرُ
ويَحزُنْك لَيْلاتٍ طوال وقد مَضَت … لذى العرش ليلاتٌ تَسُرُّ قصائرُ
فلَقّاهُ ربٌّ يَغْفِرُ الذنب رحمةً … إذا بُلِيَتْ يومَ الحسابِ السرائرُ

فقامت هِنْد وصَكَّت وجْهَها وعَيْنَيها وصاحت بوَيْلها وحُزْنِها والخارجىُّ معها يَبْكِى حتى لَقِيا جهداً . فقال له عبد الله بن حسن بن حسن : ألهذا دعوتُك وَيْحَك؟! فقال : أظننت أنى أسَلّيها عن أبى عُبيدة ، والله ما يُسَلِّيني عنه أحدٌ ولا لى عنه ولا عن فقده صبر فكيف يُسَلِّيها عنه من لَيْسَ يَسْلوه .

وكان لمحمدِ بن بَشير أخٌ يقال له بَشّار بن بَشِير ، وكان يجالس أعداءَه ويعاشر من يعلم أنه مباينٌ له فقال له فيه :

كفانِى الذى ضَيَّعْتَ منى وإنما … يُضيعُ الحقوقَ ظالما من أَضَاعَها
صَنيعةَ من وَلاكَ سوءَ صنيعةٍ … وولىٌّ سِواكَ أمرَها واصطناعَها
أَبَى لك كَسْبَ الخيرِ رأْىُ مُقَصرٍ … ونفسٌ أضاقَ اللهُ بالخيرِ باعَها

إذا هي حَثَّتْه على الخـــيرِ مَرَّةً   عصاها وإن هَمَّتْ بشرٍّ أطاعها
فلولا رجال كاشحون يَسُرُّهُم   أذاك وقُرْبَى لا أحب انقطاعَها
إذا كان إن زَلَّتْ بك النعلُ زَلَّةً   عرَتْكَ خلالٌ لا تطيق ارتجاعها
وإنِّي متى أُحْمِلْ على ذاك أطَّلِـع   إليك عيوباً لا أحبّ اطِّلاعَها
فإن تك أحـــلامٌ تردّ إخاءنا   علينا فمن هـــذا يردّ سماعَها
سأنهاك نهيـــا مُجْمِلًا وقصائدا   فواصِحَ تَشْفِى من شؤونٍ صُداعَها

نظر الخارجى إلى نَعْشِ سليمانَ بنِ الُحصَيْن فهتفه :

ألم تَرَوْا أن فَتًى سَيِّداً   راح عن نَعْشِ بنى مالك
لا أنْفَسُ العيشَ لمن بعده   وأنفسُ الملكَ على الهالك

المهاجر بن خالد بن الوليد(١)

هو المهاجرُ بنُ خالد بن الوليدِ بن المُغيرة بنِ عبـدِ الله بن عمرو(٢) بن مَخْزُوم ابن يَقْظةَ ابنِ مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب .

كان الوليدُ بن المغيرةِ سَيِّدا من ساداتِ قريش وجَوادا من أجْوادِها ، وكان يُلَقَّبُ بالوحيدِ ، وأمه صَخْرَةُ ، بنتُ الحارث بن عبد الله بن عبد شَمْس ، امرأةٌ من بَجِيلة ، ثم من قَيْسٍ ، ولما مات الوليدُ بن المغيرةِ جعلتْ قُريش وفاته تاريخا ، لإعظامهم إيّاه(٣) حتى كان عامُ الفيل فجعلوه تاريخا . وقيل : إنها كانت تُؤَرِّخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين إلى أن بَنَوا الـكعبةَ فجعلوها تاريخا .

ولخالدِ بنِ الوليدِ من الشهرةِ بصُحْبَةِ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والغناء فى حروبه المحلُّ المشهورُ ، ولقبه رسولُ الله ، صـلى الله عليه وسلم ، سَيْفَ اللهِ ، وهاجر إلى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، قبلَ الفتح وبَعْدَ الحُدَيْبية ، هو وعمرُو ابن العاص وعثمانُ بن طلحة ، فقال النبى ، صلى الله عليه وسلم لما رآهم : رَمَتْـكُمْ مكةُ بأفلاذِ كَبِدِها ، وشهد فتحَ مكة مع النبى ، صلى الله عليه وسـلم ، وكان أولَ من دَخَلها من مُهاجِرَةِ العَرَب من أسْفلِ مكة ، وشهد يوم مُؤْتَة ، فلما قُتِل زَيدُ بنُ

---

(١) أغانى أميرى ١٥ : ١١ تجريد ق ٢ جـ ١ـ١٧١٦ .

(٢) فى الجمهرة : عمر .

(٣) عقب ابن واصل صاحب التجريد على هذا الخبر بقوله : هكذا خطأه أبو الفرج ، وهذا من أعظم الغلط فإنه يقضى أن الوليد بن المغيرة تقدم على الفيل وليس كذلك؛ فإن الوليد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وكان من رءوس الـكفار والمشركين المعاندين وفيه نزل قوله تعالى: (ولا تطع كل حلاف مهين) وما أظن أن هذا الخطأ وقع من النساخ ، ولعل الذى أرخت قريش بموته إنما هو أبوه ، التجريد ١٧١٦ .

حارثة وجعفرُ بن أبى طالب وعبدُ الله بن رواحة ، ورأى أن لا طاقةَ للمسلمين بالقوم انحازَ لهم ، وحامى عنهم حتى سَلموا فلقّبه يومئذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سيفَ الله . وكان خالدٌ يوم حُنَيْن على المُقَدّمة مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومعه بنو سُلَيْم فأصابته جراحاتٌ كثيرةٌ فأتاه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعد هزيمةِ المشركين ، فنفَثَ على جراحِه فاندَمَلَتْ ونهَض . وله آثارٌ فى قتالِ أهل الردّةِ فى أيام أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، وهو فَتَحَ الحِيرَةِ وبَعَثَ إليه أهلُها عبدَ المسيح بن عمرو بن نُفَيْلة فكلَّمه خالدٌ فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : مِنْ ورائى . قال : وأين تريد ؟ قال : أمامى . قال : ابْنُ كَمْ أنت ؟ قال : ابن رجلٍ وامرأةٍ . قال : وأين أقصَى أثَرِكَ ؟ قال : مُنْتَهى عُمْرِى . قال : أتعقِلُ ؟ قال : نعم وأُقيدُ . قال : ما هذه الحصون ؟ قال : بَنَيْناها نَتّقِى بها السفيه حتى يَرْدَعَه الحليمُ قال : لأمْرٍ مَّا اختارك قَوْمُك ، ماهذا فى يدك ؟ قال : سمٌّ ساعة . قال : وما تصنعُ به ؟ قال : أردت أن أنظر ما تَرُدُّنى به ، فإن بلغتُ ما فيه صلاحٌ لقومى عُدْتُ إليهم ، وإلا شَرِبْتُه ، فقتلتُ نفسى ولا أرجعُ إلى قومى بما يَكْرَهون . فقال له خالد : أَرِنِيه فناوَلَه إياه فقال : بسم الله الذى لا يضر مع اسْمِه شىءٌ فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم ، [ثم أكله] فتَجَلّلَتْهُ غَشْيَةٌ ثم أفاق يَمْسَحُ العرقَ عن وَجْهِه ، فرجَع ابن نُفَيْلَةَ إلى قومه فأخبرهم بذلك ، وقال : ما هؤلاء القومُ إلا من الشياطين ، ومالكم بهم من طَاقَةٍ فصالِحوهُمْ على ما يريدون ، ففعلوا وأمَّرَه أبو بكر ، رضى الله عنه ، على جميع الجيوش التى بعث بها إلى الشام لحرب الروم ، وفيهم أبو عبيدةَ بنُ الجرّاح ومُعاذُ بنُ جَبَل فرَضُوا بإمارته .

وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد حَلَقَ رأْسه ذات يوم ، فأخذ خالدٌ شَعْره فجعله فى قَلَنْسُوَةٍ له ، فكان لا يَلْقَى جيشا وهى عليه إلا هَزَمَه ، وروى الحديثَ عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وحَمَلَ عنه ، وقال صلى الله عليه وسلم ،

وقد رأى خالدا متدليا من هَرْشَى(١) : نعم الرجلُ خالدُ بنُ الوليد . ولما مات خالدُ ابنُ الوليد لم تبقَ امرأةٌ من بنى المغيرةِ إلا وضَعَتْ لِمَّتَها على قَبْرِه، يعنى حَلَقَتْ رأسها ووضعت شَعْرَها على قَبْرِه ، وقال عمر : دعُوا نساءَ بنى المُغيرة يبكين أبا سليمان ، ويُرِقْنَ من دموعهن سَجْلا أو سَجْلين ، مالم يكن نَقْعٌ أو لَقْلَقَةٌ ، والنقع مدُّ الصوتِ بالنحيبِ واللقلقةُ حركةُ اللسان بالوَلْوَلةِ ونحوها .

وكان خالدُ بن الوليد أشبه الناس بعمرَ بنِ الخطاب ، رضى الله عنه .

لما أراد معاويةُ أن يُظهِرَ البيعةَ ليزيدَ قال لأهل الشام : إن أمير المؤمنين قد كَبِرَتْ سِنُّهُ ورَقَّ جِلْدُه ودَقَّ عَظْمُه واقترب أجلُه ، ويريد أن يَسْتَخْلِفَ عليكم ، فمن ترون ؟ قالوا : عبدَ الرحمن بنَ خالد بن الوليد ، فسكَتَ وأضْمَرَها ثم دَسَّ ابن أثالٍ الطبيبَ إليه فسَقَاهُ سمًّا فقتله ، وبلغ ابنَ أخيه خالدَ بنَ المهاجر بنِ خالدٍ خَبَرُه وهو بمكة ، وكان أسوأَ الناس رأياً فى عَمِّه ، لأن أباه المهاجرَ كان مع علىٍّ ، عليه السلام ، فى صِفِّين ، وكان عبدُ الرحمن بنُ خالد بن الوليد مع معاويةَ ، وكان خالدُ ابن المهاجر على رأْىِ أبيه هاشمىَّ المذْهَب ، ودخل مع بنى هاشم الشِّعبَ فاضْطَغَنَ ذلك ابنُ الزبير عليه ، فألقَى عليه زِقَّ خمرٍ وصَبَّ بعضه على رأسِه وشَنَّع عليه بأنه وَجَدَه ثَمِلًا من الخمرِ فضربه الحدَّ ، فلما قُتِلَ عمُّه عبدُ الرحمن مَرَّ به عروةُ بن الزبير فقال له : ياخالد أتدَعُ ابنَ أثال يُفْنِى(٢) أوصال عَمِّكَ بالشام وأنت بمكة مُسْبِلٌ إزارَكَ تجُرُّه وتَخْطرُ فيه متمايلا ! ! فَحَمِىَ خالدٌ ودعا مَولاه نافعاً فأعلمه الخبرَ وقال : لابد من قَتْلِ ابنِ أثالٍ الطبيبِ ، وكان نافعٌ جَلْدا شَهْما فخرجا حتى قَدِما دمشق ، وكان ابنُ أثال يُمْسِى عند معاوية ، فجلس له فى مسجدِ دِمشق إلى أُسطوانةٍ وجلس غلامُه إلى أخرى حتى خرج فقال خالد لنافع : إياكَ أن تَعرِضَ له

(١) هرشى : ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة ترى من البحر (مراصد) .

(٢) فى الأصل تقرأ (وقد بين) وهى فى الأغانى (يفنى) وفى التجريد (يقىء) .

أنت فإنى أَضْرِبُه ولـكن احفظْ ظهرى واكْفِنى من ورائِى فإن رابكَ شىءٌ [تراه] من خلقى يريدنى فشأنك ، فلما حاذاه وثبَ إليه خالدٌ فقتله وثار إليه من كان معه ، فصاح بهم نافع فتفرقوا ، ومضى خالد ونافع وتبعهما من كان معه ، فلما غَشُوهما حمَلُوا عليهم فتفرقوا ، ودخل خالدٌ ونافعٌ زُقاقا ضيقا فَفَاتَا القومَ ، فبلغ معاويةَ الخبرُ فقال : هذا خالد بن المهاجر اقلبوا الزقاقَ وفَتِّشوه ، فأُتِىَ بخالد ، فقال له : لاجزاكَ الله خيرا من زائرٍ قتلت طبيبى ، قال : قتلتُ المأمورَ وبقى الآمِرُ فقال له : عليـك لعْنَةُ الله أما واللهِ لو كان تَشهّد مَرّةً واحدةً لقتلتُك به ، أمعك نافع ؟ قال : لا . قال : بلى . والله ما اجترأتَ إلا به ، اطلبوه ، فطُلِبَ فوُجدَ فجِىء به فضُرِبَ مائة سَوْط ، وحُبِسَ خالدٌ ، وأَلْزَمَ بنى مخزوم دية ابنِ أثالٍ ، اثنى عَشَرَ ألفَ دِرْهم ، أدخل بيتَ المال ستةَ آلافٍ وأخذ لنفسه ستةَ آلاف ، ولم يزل ذلك يجرى فى دِيَـةِ المُعاهَد حتى ولى عمرُ بنُ عبد العزيز فأبْطَل ذلك الذى كان يأخُذُه السلطان لنَفْسِه وأثبتَ الذى يدخل بيت المال ومما قال خالد فى الحبس :

ما بالُ لَيْلِكَ ليس يُنْـ قِصُ طولَه طولُ النهـارِ
لِتَقَاصُرِ الأزمانِ أم غَرِضَ[١] الأسيرُ من الإسارِ

فبلغت أبياتُه معاويةَ فرَقَّ له وأطْلَقَه ، فرجع إلى مكة ، فلقيه عروةُ بنُ الزبير فقال : أما ابنُ أثال فقد قتلْتَه ، وهذا ابن جُرموزٍ يُفْـنِى أوصالَ الزبيرِ بالبَصْرَةِ فاقْتُلْه إن كنتَ ثائراً ، فشكاه عروة إلى أبى بكرِ بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فأقسم عليه أن يُمْسِكَ عنه ففعل . وهو القائل :

يا صاحِ ياذا الضامِرِ العَنْسِ[٢] والرَّحْلِ ذىالأنساع والحِلْسِ

---

(١) غرض : مل وسئم .
(٢) العنس : الناقة القوية شبهت بالصخرة لصلابتها — والأنساع جمع نسع وهو سير عريض طويل تشد به الحقائب أو الرحال ونحوها والحلس : كل ما ولى ظهر الدابة تحت الرحل والقتب والسرج.

معقل بن عيسى (1)

معقلُ بنُ عيسى العِجْلى ، أبو دُلَف فارسٌ شاعرٌ جوادٌ مُغَنٍّ ذكره الجاحظُ مع ذكرِ أخيه أبى دلف وتَقْرِيظِه فى المعرفة بالنَّغَم وقال : إنه من أحسنِ أهل زمانه ، وأجودِ طبَقَتِه صنعةً إذ سلم له ذلك أخوه مَعْقِلٌ . وإنما أخمَلَ ذِكْرَه ارتفاعُ شأن أخيه إلى أبى دُلَفٍ ، وهو القائل لأخيه أبى دلف فى عَتْبٍ عَتَبه عليه :

أُخَىَّ ما لَكَ ترميـــنى فتقصدنى ... وإن رميتك سهما لم يَجُز كبِدى

أُخَىَّ ما لَكَ مجبـــولا على تِرَتِى ... كأنّ أجسادنا لم تُعد من جَسَدِ

وهو القائل لمخارق وقد كان زار أبا دلف إلى الجبل ثم رجع إلى العراق :

لعمرى لئِنْ قَرَّتْ بقربك أَعْيُنٌ ... لقَدْ سَخِنَتْ بالبعد عنك عيونُ

فسِرْ أو أَقِمْ وقْفٌ عليك مَوَدَّتِى ... مكانُك من قلبى عليك مصونُ

فما أوحشَ الدنيا إذا كنتَ نازحا ... وما أحسنَ الدنيا بحيثُ تكون

---

(1) أغانى ١٨ : ١٩٤ . هذه الترجمة ناقصة فى الأصل ففيه بياض قدره صفحة ونصف صفحة .

محمد بن صالح(1)

هو محمدُ بن صالح بن عبدِ الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبي طالب ، عليهم السلام ، كُنْيَتُه أبو عبد الله .

شاعرٌ صالحُ الشعر ، من شعراء أهل بيته المُتَقَدِّمين .

وكان جدُّه موسى بنُ عبد الله أخا محمدٍ وإبراهيمَ ابنى عبدِ الله بن الحسن ابن الحسن الخارجين فى أيام المنصورِ .

أمُّهم جميعا هندُ بنتُ أبى عبيدةَ ، حَمَلَتْ بموسى بن عبد الله ولها ستُّون سَنَة ولا تحملُ لستِّين إلا قرشيةٌ ولا تحمل لخَمْسين إلا عربيةٌ .

وكان موسى آدمَ شديدَ الأُدْمَة وله تقول أمه هند :

إنّك أَنْ تكونَ جَوْناً أَنْزَعا ... أجدرُ أن تَضُرَّهُم وتَنْفَعا

وتسلكَ العيشَ طريقا مَهْيعا ... فَرْدا من الأصحاب أومتبعا(2)

وكان موسى قد استَتَر بعد قتلِ إخوتِه زمانا ، ثم ظَفِر به أبو جعفر فضَرَبه بالسوطِ وحَبَسه مدّةً ، ثم عفا عنه وأطلقه ، وكان قد خرج على المتوكلِ مع من بَيَّض فى تلك السنة ، وظَفِرَ به أبو الساجِ بجماعةٍ من أهْلِه فأخذَهم وقيدهم ، وقتل بعضَهم ، وأخربَ سُوَيْقَة ، وهى منزل للحسنيين من جملة صدقات علىٍّ عليه السلام وعَقَرَ بها نَخْلًا كثيرا ، وحرَقَ منازِلَهم بها ، وأثَّر فيها آثارا قبيحة ، وحمل محمَّد بن صالحٍ فيما(3) حمل إلى سُرَّ من رأى ، فحُبِسَ ثلاثَ سنين ، ثم مدح المتوكل وأنشده الفتحُ

---

(1) أغانى أميرى ١٥ : ٨٨ تجريد ق ٢٠ ج ١ : ١٧٧٣

(2) الأغانى (مشيعا) .

(3) الأغانى (فيمن) .

قصيدته ، بعد أن غنى فى شعره ، فطرب وسأل عن قائله فعرّفه وتلا ذلك إنشاد الفتحِ القصيدةَ ، وأحسنت الجماعة رفده ، فأمر بإطلاقه ، على ألا يبرح من سر من رآى ، وأن يكون عند الفتح حتى يقيم له كفيلا بنفسه أن لا يبرح إلا بإذنه فأقام إلى أن مات بالجدرى والأبيات التى كان قالها فى السجن :

طَرِبَ الفؤادُ وعاودت أحزانه ... وتَشَعَّبَتْ شعبا به أشجانُه(١)
وبدا له من بعدما اندمَلَ الهوى ... برقٌ تألَّق مَوْهِنا لَمَعَانُه
يبدو كحاشيةِ الرداءِ ودُونَه ... صَعْبُ الذُّرى مُتَمَنِّعٌ أركانُه
فَدَنا لينظُرَ كيف لاح فلم يُطِقْ ... نظرا إليه وصدَّه سَجّانُه
فالنار ما اشتملتْ عليه ضلوعُه ... والماء ما سَمَحَتْ(٢) به أجفانُه

ومنها :

يا قلبُ لا يذهَبْ بحلمِك باخلٌ ... بالنَّيلِ باذلُ تافهٍ مَنَّانه
يعدُ القضاء وليس يُنْجِزُ وعْدَه ... ويكون قبل قضائه لَيَّانُه
خدلُ الشَّوى حَسَنُ القوام مُخَصَّرٌ ... عَذْب لماه طَيِّبٌ أردانُه
واقنَعْ بما قسم الإلهُ فأَمْرُه ... مالا يزال عن الفتى إتْيانُه
والبؤسُ ماضٍ لايدوم كما مَضَى ... عصرُ النعيمِ وزالَ عنك أوانُه

قال أحمدُ بن أبى طاهر : كنت مع أبى عبد اللهِ محمد بن صالح فى منزل بعضِ إخوانه فأقمتُ إلى أن انتصف الليل و [أنا] أرى أنه يبيتُ ، فإذا هو قد قام فتقَلَّدَ سيفَه ، وخرج ، فأشفقتُ عليه من خروجه فى ذلك الوقت ، وسألته المُقام والمبيتَ وأعلمتُه خَوفى عليه ، فالتفت إلى مبتسما وقال :

إذا ما اشتملتُ السيفَ والليلَ لم أَهَلْ ... بشىءٍ ولم تَقْرَعْ فؤادى القوارعُ

(١) وتفرقت فرقا به أشجانه (تجريد ١٧٧٣) .
(٢) سحت (أغانى) .

قال إبراهيم بن المدبِّر: حدثني محمدُ بن صالح ، وقد زارني بعد إطلاقه من السجن ، قال لي : إني أريدُ المقامَ اليومَ عندك على خلوةٍ ، لأبثَّك من أمري شيئا لا يصلحُ أن يسمَعَه غيرُك ، فقلت : افعَل ، فصرفتُ من كان بحضرتي وخلوتُ معه ، وأمرتُ بَرَدِّ دابتِه وأخذ ثيابه ، فلما اطمأنّ ، وأكَلْنا واضطجعنا ، قال لي : أُعلِمُك أني خرجت في سنةِ كذا وكذا مع أصحابي على القافلةِ الفلانيّة فقاتَلْنا من كان فيها فهزَمْناهم وملَكْنا القافلةَ ، فبينا أنا أحوزُها وأُنيخُ الجمالَ إذ طلعتْ علينا امرأة من العمارية ما رأيتُ قطُّ أحسنَ منها وجْهاً ، ولا أحْلَى نُطْقا . فقالت لي : يا فتى إن رأيتَ أن تَدْعُوَ لي بالشريفِ المُتَوَلِّي أمرَ هذا الجيش ، فقلت : قد رأيْتِه وسَمِعَ كلامَك . فقالت : سألتُك باللهِ وبِحَقِّ رسولِه ، صلى الله عليه وسلم ، أنت هو ؟ فقلت : نعم ، وحقِّ الله وحقِّ رسوله أني لهو . فقالت : أنا حَمْدونَةُ بنتُ عيسى ابن موسى بن أبي خالد الحربي ، ولأبي محَلٌّ من سُلطانه ، ولنا نعمة ، إن كنتَ ممن سمع بها فقد كفاك ما سَمِعْت ، وإن كنت ما سمعتَ بها فاسألْ عنها غيري ، ووالله لا استأثرتُ عليك شيئا أملِكُه ، ولك بذلك عهدُ الله وميثاقُه عليّ ، وما أسألك إلا أن تَصُونني وتَسْتُرَني ، وهذه ألفُ دينار معي لنفقتي تُخذْها حلالا ، وهذا حُليٌّ عليّ من خمسمائةِ دينار تخذه ، وضَمِّنّي ما شئتَ بعده آخُذْه لك من تجار المدينةِ ومكّةَ ومن أهْلِ الموسمِ ، فليس منهم أحد يمنعني شيئا أطلبُه ؛ وادفعْ عني واحْمِني من أصحابك ومن عارٍ يَلْحَقُني ، فوقع قولها في قلبي موْقِعا عظيما ، فقلت : قد وهب الله لك مالَك وحُلِيَّك وجاهَك ووهب لك القافلةَ جميعِ ما فيها ، ثم خرجتُ فناديتُ أصحابي فاجتمعوا فأعْلَمْتُهم أني قد أجرتُ القافلة وأهلَها وخَفَرْتُها وحَمَيْتها ، ولها ذمة الله ، وذمة رسوله ، وذمّتي ، ومن أخذ منها خيطا أو عِقالا فقد آذَنْته بحربٍ ، فانصرفتُ وانصرفوا معي ، وتوجَّهَتِ القافلةُ آمنةً سالمة . فلما أُخِذْتُ وحُبِسْتُ بينا أنا ذات يوم في محبسي إذ دخل عليَّ السجَّانُ فقال لي : بالباب امرأتان تزعمان

أنهما من أهْلِك ، وقد حُظِرَ علىّ أن يَدْخُلَ إليك أحدٌ إلا أنهما قد أعطتانى دُمْلُجًا من ذهبٍ على أن أُوَصِّلَهما إليك ، وقد أذنتُ لهما وهما فى الدِّهليز ، فاخرج إليهما إن شئت ، ففكرت فى أمرى وفيمن يجيئنى من هذا البلد ، وأنا به غريب لا أعرف أحداً ، ثم قلت : لعلهما من ولَدِ أبى أو بعض نساء أهْلى فخرجتُ إليهما فإذا بصاحبتى ، فلما رأتنى بَكَتْ لما رَأَتْه من تغيُّرِ حالى وثقلِ حديدى فأقبلتْ عليها الأخرى فقالت : أهو هو ؟ فقالت : أى والله إنه هو ، ثم أقبلَتْ علىّ فقالت : فداك أبى وأمى ، والله لو استطعتُ أن أَقِيَكَ مما أنت فيه بنفسى ومالى وأهلى لفعلت ، وكنتَ بذلك منى حَقيقا ، ووالله لا تركتُ المعاونةَ لك والسعىَ فى حوائجك وخلاصِك بكل حيلة ومالٍ وشفاعةٍ ، وهذه دنانير وطِيبٌ وثيابٌ فاستعن بها على مَوْضِعِك ، ورسولى يأتيك فى كلِّ يوم بما يُصْلِحُك حتى يفرِّجَ الله عنك ، ثم أخرجَتْ إلىّ كسوةً وطيباً ومائتى دينار ، وكان رسولها يأتينى فى كلِّ يومٍ بطعام نظيف ويواصل بِرَّها للسجان فلا يمتنعُ من كل ما أريده حتى مَنَّ الله بخلاصى ، ثم راسلتها وخطبتُها فقالت : أمّا من جهتى فأنا لك مطاوعةٌ متابعةٌ ، والأمر فى ذلك إلى أَبى فأتيتُه فخطبتُها إليه فردَّنى وقال : ما كنت لأُحَقِّقَ عليها ما قد شاع فى الناس عنك من أمْرِها وقد صيَّرْتَها فضيحةً . فقمت مُنَكَّساً مستحييا وقلت فى ذلك :

رموْنِى وإياها بشَنْعاءَ هُمْ بها ... أحَقُّ أدالَ الله منهم فعَجَّلا
بأمْرٍ تَرَكْناهُ وحَقِّ محمدٍ ... عَيانا فإمّا عِفَّةً أو تجملا

فقلتُ له : إن عيسى صنيعةُ أخى ، وهو لى مطيع ، وأنا أكفيك أمْرَه ، فلما كان من غد لقيت عيسى فى منزله ، وقلت له : قد جئتُك فى حاجة ، فقال : مقضِيّة ، ولو كنتَ استعملتَ ما أحِبُّه لأمرتنى فجئتُك ، وكان أسَرَّ إلىّ ، فقلت : قد جئتُك خاطبا إليك ابنتَك ، فقال : هى لك أمة ، وأنا لك عبد ، وقد أجبتك . فقلت : إنى خَطَبْتُها على من هو خيرٌ منى أباً وأمًّا وأشرفُ لك صِهْرًا ومُتّصَلًا ،

محمد بن صالح العلوى ، فقال : يا سيدى هذا رجلٌ قد لحقنا بسَبَبه ظِنَّة وقِيلَتْ فينا أقوالٌ ، فقلت : أو ليستْ باطلةً . فقال : بلى والحمد لله ، قلت : فكأنها لم تُقَلْ ومتى وقع النكاحُ زال كلُّ شىء من قولٍ وتشنيعٍ ، ولم أزل أرْفُق به حتى أجاب ، وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته ، وما برحْتُ حتى زوّجته وسقتُ الصداق عنه .

وقال محمد بن صالح فى ذلك :

خطبتُ إلى عيسى بنِ موسى فردَّنِى ... فلله والى حُرَّةٍ وعليقُها
لقد ردَّنِى عيسى ويعلمُ أننى ... سليلُ بناتِ المصطفَى وعَرِيقُها
وأنّ لنا بعد الولادةِ نَبْعَةً ... نَبِىٌّ الإلهِ صِنْوُها وشقيقُها
فلما أبى بخلا بها وتَعَنُّماً ... وصيرنى ذا خلةٍ لا أطيقها
تداركنى المرء الذى لم يَزَلْ به ... من المكرماتِ رَحْبُها وطليقها
سَمِىٌّ خليلِ اللهِ وابن وَلِيِّه ... وحمَّالُ أعباء الوَرَى وطَرِيقُها
وزوّجها والمَنُّ عندى لغيره ... فيابيعة وَفَّتْنِىَ الربحَ سوقُها
ويا نعمةً لابن المُدبِّر عندنا ... يجدّ على كَرِّ الزمانِ أنيقها

ولما حملتْ حمدونةُ إليه شُغِفَ بها وكانت امرأة جميلةً عاقلةً ومما قال فيها :

لعَمْرُ حمدونةَ إنّى بها ... لمغرمُ القلبِ طويلُ السقام
مجاوِزٌ للقَدْرِ فى حبها ... مباينٌ فيها لأهلِ الملام
ممكورةُ(١) الساقِ رُدَيْنِيَّةٌ ... مع الشَّوَى الخدْلِ وحُسْنِ القوام
زيَّنَها الله وما شانَها ... وأُعطيتْ مُنْيَتَها من تمام
تلك التى لولا غرامِى بها ... كنتُ بسامَرّا قليلَ المقام

(١) ممكورة الساق: مستديرته ـ وردينية : أى كالردين ، مستوية القامة كالقناة ـ والشوى الأطراف والخدل : الممتلىء .

ومما قاله فى إبراهيم بن المُدَبَّر وكانت بينهما صداقة .

أَتخبرُ عنهم الـــدِّمَنُ الدثور وقد يُنْبِي إذا سُئِلَ الخبيرُ
وكيـــف تُبَيِّنُ الأنباءَ دارٌ تعاقبها الجنـائب(١) والدبور

من مدحها :

فهلَّا فى الذى أولاكَ عرفاً تسدّى من مقالك ما تسيرُ
ثناءً غـــيرُ مختلقٍ ومدحاً مع الركبان بنجدُ أو يَغورُ
أخٌ واساكَ فى كَلَبِ الليالى وقد خَذَلَ الأقاربُ والنصيرُ
حِفاظاً حين أسْلَمَكَ الموالى وضنَّ بنفسه الرجلُ الصبورُ
فإن تَشْـكُرْ فقـد أولى جميلاً وإن تَـكْفُرْ فإنك لَلْـكَفُورُ
وما فى آل خاقانَ اعتصامٌ إذا ما عُمِّمَ الخطبُ الـكبيرُ
لئامُ الناسِ إثراءً وفقراً وأعجزُهم إذا حَمِىَ القتـــيرُ

السبب فى ذكره أهلِ خاقانَ ها هنا أن عبدَ الله بنَ يحي قصَدَه وتحامل عليه ، وكان يُقَوِّى ما يكرهُ ويؤكِّدُ ما يوجِبُ جَنْبَه وكان فيه وفى ولده نَصَبٌ شديد .

وكان محمدُ بن صالح لا يكادُ يفارق سعيدَ بن حُمَيْد ، وكانا يتقارضان الأشعارَ ، وكان محمد بن صالح يجتهدُ فى أن يُؤْذَنَ له فى الرجوع إلى الحجاز فلا يجاب إلى ذلك ، ومات بسُرَّ من رَأَى فقال سعيد بن حميد يرثيه بهذه الأبيات :

بأَىِّ يدٍ أسطو على الدهرِ بعد ما أبانَ يدى عَضْبُ الذُّبابَيْنِ قاضبُ
وهاضَ جناحِى حادثٌ جَلَّ خَطْبُه وسُدَّتْ على الصبرِ الجميلِ المذاهبُ
ومن عادة الأيام أنَّ صروفَها إذا سَرَّ منها جانبٌ ساءَ جانبُ
لعمرى لقــــد غالَ التجلدَ أننا فَقَدْناكَ فَقْدَ الغيثِ والعامُ جادِبُ

---

(١) الجنائب : جمع جنوب وهى الريح التى تهب من الجنـوب ــ وفى رواية الشمائل والدبور ريح تهب من الغرب .

فما أعرفُ الأيامَ إلا ذميمةً ... ولا الدهرَ إلا وهو بالثأرِ طالبُ
ومالى من الإخوانِ إلّا مكاشرٌ ... فوجهٌ له راضٍ ووَجْهٌ مغاضِبُ
فقدتُ خليلا كان للأرض زينةً ... كما زَيَّنَتْ وجهَ السماءِ الكواكبُ
لعمرى لئن كان الرَّدَى بك فاتَنِى ... وكلُّ امرئٍ يوما إلى الله ذاهبُ
لقد أخذَتْ منى النوائبُ حُكْمَها ... فما تَركتْ حقًّا علىّ النوائبُ
ولا تَرَكَتْنِى أرهبُ الدهرَ بعده ... لقد كلَّ عنى نابُه والمخالبُ
سقى جَدَثًا أمْسَى الكريمُ ابنُ صالحٍ ... يحلُّ به دانٍ من المُزْنِ ساكبُ
إذا بشّر الروادَ بالغيثِ بَرْقُه ... مَرَتْه(١) الصَّبا واستحلبته الجنائبُ
فغادر باقى الدهر تأثير صَوْبه ... ربيعا زَهَتْ فيه الربا والمذانبُ

ومما مدح به المتوكل :

أَلِفَ التُّقَى ووَفَى بنَذْرِ الناذرِ ... وأبى الوقوفَ على المَحَلِّ الداثرِ
ولقد تَهيجُ له الديارُ صَبابَةً ... حينا وتكلفُ بالخليطِ السائرِ
فرأى الهدايةَ أن أنابَ وأنَّه ... قَصرَ المديح على الإمام العاشرِ
يا ابن الخلائفِ والذين بهَدْيِهِمْ ... ظهرَ الوفاءُ وبان غدرُ الغادرِ
وابنَ الذين حوَوْا تُراثَ محمدٍ ... دون الأقارب بالنصيبِ الوافرِ
نطقَ الكتابُ لكم بذاك مُصدِّقا ... ومضت به سُنَنُ النبيِّ الطاهرِ
ووصَلْتَ أسبابَ الخلافةِ بالهُدَى ... إذ نِلْتَها وأنمْتَ عينَ الساهرِ
أحييتَ سُنَّةَ من مَضَى فتجدَّدَتْ ... وأَمَتَّ سنةَ ذى الضلالِ الخاسرِ
فافْخَر بنفسِك أو بجدِّك مُعْلِناً ... أوْدَعْ فقدْ جاوزتَ فَخْرَ الفاخرِ
ماللمكارم غيركم من أوَّلٍ ... بعدَ النبيِّ ومالها من آخرِ

---

(١) يقال : مرت الريح السحاب : استدرته .

إنى دعوتك فاستجبْتَ لدعوتى ... والموتُ منى رِقيدَ شِبْرِ الشابرِ
وانْتَشْتَنى[1] من قعرِ مُورِدَةِ الرَّدَى ... مَنًّا ولم تسمعْ مقالةَ زاجرِ
وفككتَ أَسْرِى والبلاء مُوَكَّلٌ ... وجبرتَ كسراً ما له من جابرِ
وعطفْتَ بالرَّحِمِ التى ترجو بها ... قُرْبَ المَحَلِّ من المليكِ القادرِ
وأناأعوذُ بفضْلِ حِلْمِك[2] أن أُرَى ... عَرَضًا ببابك للمُلِمِّ الفاقرِ
أو أن أُضَيَّعَ بعد ما أنقَذْتَنى ... من رَيْبِ مهلكةٍ وجَدٍّ عاثرِ
ولقد مننتَ فكنتَ غيرَ مُكدِّرٍ ... ولقد نهضتَ بنا نهوض الشاكر

---

(١) انتاشه انتياشة : أخرجه . انتاشنى فلان من التهلكة : أنقذنى .
(٢) عفوك (أغانى ١٥ / ٩٤ .

محمد أبو الشيص (١)

محمدُ بن رزينِ بنِ سليمانَ بن تميمِ بن نهشلٍ ، وقيل ابن نُهَيْش بن خَراش ابن خالد بن عَبْدبن دِعْبل بن أَنَس بن خُزَيْمة بن سَلامانَ بن أَسْلم بن أقْصَى بن حارثة ابن عمرو مُزَيْقِيا ، وأبو الشيص لقبٌ غلبَ عليه ، وكنيتُه أبو جعفر ، وهم عمُّ دِعْبل ابن عليّ بن رزين ، وأبو الشيص من شعراء عَصْرِه ، متوسطُ المَحلِّ فيهم ، غيرُ نبيهِ الذكرِ لوقوعِه فى أيام مُسْلِمِ بنِ الوليد وأشْجَعَ وأبى نواس ، فخَمُلَ ، وانقطعَ إلى عقبةَ بنِ جعفرِ بن الأشعثِ الخزاعىِّ ، وكان أميرًا بالرَّقَّةِ فمدحه بأكثرِ شِعْرِه فأغناه عن غيره ، ولأبى الشيصِ ابنٌ يقال له عبدُ الله شاعرٌ أيضا صالحُ الشعر ، وكان مُنْقَطعاً إلى محمد بن طالب . وعَمِيَ أبو الشيص فى آخر عمره ، ورثا عَيْنَيْه قبل ذَهابِهما وبعد ذهابهما .

حكى عبدُ الله بن المُعْتَزّ أن أبا خالد العامرىَّ قال له : من أَخْبَرَكَ أن فى الدنيا أشْعَرَ من أبى الشيص فكَذِّبْه ، فوالله لكان الشعرُ عليه أهونَ من شُرْبِ الماءِ على العطشان ، وكان من أوصفِ الناسِ للشرابِ وأمدَحِهم للملوك . وهذا إسرافٌ شديدٌ ، ولكن ليس هو بساقطٍ فى شعره ، ولما أنْشَدَ عقبةَ بن جعفر قصيدتَه التى مَدَحَه بها أَمَرَ بأن تُعَدَّ وأعطاه لكل بيت ألفَ دِرْهم وأولها :

لا تُنكرِى صَدِّى ولا إعْراضِى ... ليس المُقِلُّ عن الزمانِ بِراضِ

قال محمدُ بن القاسم بن مهرويه : أنشدتُ إبراهيمَ بن المدبّر أبياتَ أبى يعقوب الخُرَيْمِى التى يرثى بها عَيْنيه يقول فيها :

إذا ما مات بَعْضُك فابْكِ بَعْضا ... فإنّ البعضَ من بعضٍ قريبُ

(١) الأغانى أميرى ١٥ : ١٠٨ .

فأنشدنى لأبى الشِّيص يرثى عينيه :

يا نفسُ بكّى بأدْمُعٍ هُتُنٍ ووا كِفٍ كالجمان فى سَنَنِ
على دليلى وقائدى ويدِى ونُورِ وجْهى وسائِسِ البدنِ
أبكِى عليها بها مخافةَ أن يَقْرِنَنِى والظلامَ فى قَرْنِ

قال دعبلٌ : لقِيتِ امرأةٌ أبا الشِّيص فقالت : له يا أبا الشيص عَمِيتَ ! ! فقال : قَبحَكِ الله دَعَوْتِنى باللّقب وعَيَّرْتنى بالضَّرَرِ .

اجتمع مسلمُ بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبلٌ فى مجلس ، فقالوا : لِيُنْشِدْ كلُّ واحدٍ منكم أجودَ ما قاله من الشعر ، فاندفع رجلٌ كان معهم فقال : اسمعوا منى أُخبِرْكُم بما ينشدُ كلُّ واحدٍ منكم قبل أن تنشدوا ، فقالوا: هات ، فقال لمُسْلِم : كأنى بك يا أبا الوليد قد أنْشَدْت :

إذا ما عَلَتْ منا ذؤابةُ واحـدٍ وإن كان ذا حلم دَعَتْه إلى الجَهْلِ
هل العيشُ إلا أن تروح مع الصِّبا وتغدو صريعَ الكأسِ والأعينِ النُّجْلِ

وبهذا البيت لُقِّبَ صريعَ الغوانِى لَقَّبَهُ به الرشيدُ، فقال له مسلم : صدقْتَ ثم أقبلَ عَلَى أبى نواس فقال له : كأنى بك يا أبا على قد أنْشدْتَ :

لا تَبْكِ ليلى ولا تَطْرَبْ إلى هِندِ واشربْ على الوَرْدِمن حَمْراءَ كالوردِ
تَسْقِيكَ من عَيْنِها خمرًا ومن يَدِها خمرًا فما لك من سُكْرَيْن من بُدِّ
[لى سَكْرَتَان وللنّدْمان واحدة[1] شىْءٌ] خصصت به من بينهم وَحْدِى

فقال له : صدقتَ ، ثم أقبل على أبى الشيص فقال : وأنت يا أبا جعفر كأنى بك قد أَنْشَدْت :

لا تنكرى صَدِّى ولا إعراضِى ليس المُقِلّ عن الزمان براضِ

---

(١) ما بين القوسين غير واضح بالأصل وما أثبتناه عن ديوان أبى نواس .

فقال : لا ! ما هذا أردتُ أن أُنْشِدَ ، ولا هذا بأجودِ شَيْءٍ قُلْتُ . قالوا: فأَنْشِدْنا ما بَدَا لك فأنشد :

وقَفَ الهوى بي حَيْثُ أنت فليس لى ... مُتأَخَّرٌ عنه ولا مُتَقَدَّمُ
أجدُ الملامةَ فى هواكَ لذيذةً ... حُبًّا لذكرك فليَلُمْنِي اللُّوَّمُ
أشبهت أعدائِي فصِرْتُ أُحِبُّهُمْ ... إذ كان حَظِّى منك حَظِّىَ منهمُ
وأَهَنْتَنِي فأهنتُ نَفْسِي جاهدًا(١) ... ما مَنْ يَهُون عليك مِمّن يكْرَمُ

فقال له أبو نواس: أحسنتْ والله وجَوَّدْت ، وحياتك لأَسرِقَنَّ هذا المعْنى منك لأَغْلِبَنَّك عليه . فيشتهرَ ما أقول ، ويموت ما تقول ، فسرق قوله :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لى ... متأخرٌ عنه ولا مُتَقَدَّمُ

فقال فى الخصيب :

فما جازَه جودٌ ولا حَلَّ دُونَه ... ولكن يصيرُ الجودُ حيث يَصيرُ

فسار بيتُ أبى نواس وسَقَط بيتُ أبى الشيص .

وقيل : إن أبا نواس قال لأبى الشيص ، وقد اجتمعوا : أنشِدْنى قصيدتَك الضادية المُخْزِية فما خطر على بالى قط قولك :

* ليس المُقِلُّ عن الزمان براضٍ *

إلا استحسنته وأخزيتك ، فإن الأعشى كان إذا قال قصيدةً عرضها على بِنْتِه ، وقد كان ثَقَّفَ ابنتَه وعلَّمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيارِ لجيدِ الكلام، ثم يقول لها: عِدِّى المخزيات فتعدّ قوله :

أغرُّ أروعُ يَسْتَسْقِى الغمامُ به ... لو قارعَ الناس عن أحسابهم قَرَعا

وما أشبَهَها من شعره ، فقال أبو الشيص : لا أُنْشِدُكَ الضاديَّةَ فإنها ليستْ عندى عِقْدَ دُرٍّ مُفَصّل ولكنى أكاثِرُ بغيرها ثم أنشد :

(١) صاغرا (أغانى) ١٥ : ١١٠ .

* وقف الهوى بى حيث أنت *

الأبيات فقال له أبو نواس : قد أردتُ صَرْفَك عنها فأبيت أنْ تخلّى عن سَلَبك أو تُدْرَكَ فى هرَبك قال : بل أقول فى طَلَبى ، وكيف رأيت هذا الطرازَ فقلت : أرى نَمَطا خُسْرُوانِيًّا ومَذْهَبًا حسنا فكيف تركت [قوله] :

فى رداءٍ من الصفيحِ صقيلٍ وقميصٍ من الحديدِ مُذالِ

قال : تركته كما يترك مختار الدرَّتَيْنِ إحداهما بما سَبَقَ فى خاطرِه وزيّنَ فى ناظره :

قيل لأبى نواس : من أشعر طبقات المحدثين ؟ فقال : الذى يقول :

يطوفُ علينا بها أحْوَرُ يداه من الكأسِ مخضوبتان

والشعر لأبى الشيص .

كانت لأبى الشيص جاريةٌ سوداءُ اسمها تِبْر ، وكان يَعْشَقُها وفيها يقول :

لم تُنْصِفِى يا سَمِيَّةَ الذهبِ تتلفُ رُوحى وأنتِ فى لَعِبِ
يا بنْتَ عمِّ المسكِ الذَّكِىِّ ومن لولاكِ لم يُتَّخَذْ ولم يَطِبِ
ناسَبَكِ المسكُ فى السوادِ وفى الرِّ يحِ فأكْرِمْ بذاك من نَسَبِ

كان أبو الشيص عند عُقْبَةَ بنِ جعفر بن الأشعث الُخزاعى يَشْرَبُ ، فلما ثَمِلَ نام عنده ، ثم انتبه فى بعضِ الليلِ فذهبَ يَدِبّ إلى خادمٍ له فوجأه بسكين ، فقال له : ويحك قَتَلْتَنى والله ، وما أحبُّ أن أفتَضِحَ أنّى قُتِلْتُ فى مثل هذا ولا تُفْتَضَح أنت أيضا بى ، ولكن خذْ دَسْتَجةً(١) فاكْسِرْها ولوِّثْها بدَمِى واجعلْ زُجاجَها فى الُجرْحِ ، فإذا سُئِلْتَ عن خَبَرِى فقل(٢) : إنى سَقَطْتُ فى سُكْرِى على الدَّسْتَجَةِ فانكسرَتْ ، فقَتَلَتْنى .

---

(١) الدستجة : الإناء الكبير من الزجاج .

(٢) فى الأصل : فقلت .

ومات أبو الشيص فى ساعَتِه ، وفعل الخادمُ ما أوصاه به ، ودفن أبو الشيص وجزع عقبةُ عليه جزَعا شديداً . فلما كان بعد أيامٍ سَكِرَ الخادمُ فصدقَ عُقْبَةَ عن خَبَرِه ، وأنه هو قتَلَه فلم يُلْبِثْه أن قام إليه بسَيْفِه فضربَهُ حتى مات .

دخل أبو الشيص على أبى دُلَفٍ ، وهو يلاعب خادما له بالشِّطْرِنْج فقال له : يا أبا الشيص سَل هـذا الخادمَ أن يَحُلَّ أَزْرار قميصِه . فقال : الأميرُ أَعَزَّه الله أحقُّ بِمَسْألتِه فقال : قد سأَلْتُه فزعم أنه يخافُ العَيْنَ على صَدْرِه ، فقل فيه شيئا فقال :

وشادِنٍ كالبَدْرِ يَجْلُو الدجى ... فى الفرق منه المِسْكُ مَذْرُورُ
يحاذِرُ العينَ على صَدْرِه ... فالجيبُ منه الدَّهْرَ مزرورُ

فقال أبو دلف : وحياتِى أحسنتَ وأَمَر له بخمسةِ آلافِ دِرْهم ، فقال له الخادم : يا سيدى قد أحسنَ والله كما قُلْتَ ولكنك أَنْتَ ما أَحْسَنْتَ ، فضحك وأمر له بخمسة آلاف درهم أخرى .

المقنَّعُ الكِنْدِيُّ(١)

هو محمدُ بن ظفر بن عُمَيْر بن أبى شَمِر بن فِرْعانَ بن قَيْس بن الأسودِ بن عبدالله ابن الحارث الوَلَّادَةُ ، سُمِّيَ بذلك لكثرةِ وَلَدِه ، ابنِ عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مربع بن معاوية بن كِنْدَة بن عُفَيْر بن عَدِيّ بن الحارثِ بن مُرّة بن أُدَدَ بن زَيْد بن يَشْجب بن عريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ ابن يشجب ابن يَعْرُب بن قَحْطان ، والمُقَنَّع لقبٌ غلب عليه لأنه كان أجملَ الناسِ وجها وأمدّهم قامةً وأكْمَلَهُم خَلْقاً . وكان إذا أسْفَرَ اللثامَ عن وَجْهِه لَقِعَ أى : أصابَتْه العين ، فيَمْرَضُ فكان لا يَمْشِي إلا مُقَنَّعاً ، وهو شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأموية ، وكان له شرفٌ ومحلٌّ كبيرٌ ومروءةٌ وسؤددٌ فى عشيرته ، وكان عُمَيْرٌ جدُّه سيدَ كِنْدة ، وكان عَمُّه عمروٌ ابن أبى شمر ينازِعُ أباه الرياسةَ ويساجِلُه فيها ، فيَقْصُرُ عنه ، ونشأ محمدُ المُقَنَّع وكان متخرِّقا فى عطاياه ، سَمْحَ اليدِ بماله ، لا يَرُدُّ سائلا عن شيء حتى أتْلَفَ ما خَلَّفَه له أبوه من مال ، فاستعلاه بنو عَمِّه عَمْرو بنِ أبى شَمِر بأموالِهم وجاهِهم ، وهَوِيَ بِنْتَ عَمِّه عمروٍ فخطبها إلى إخوتها ، فردوه وعَيَّروه بتَخَرُّقِه وفَقْرِه وما عليه من الدَّيْنِ فقال :

وإن الذى بينى وبين بنى أبى ... وبينَ بنى عَمِّى لمختلفٌ جدّا
فما أحملُ الحقدَ القديمَ عليهمُ ... وليس رئيسُ القومِ من يَحْمِلُ الحقدا
وليسوا إلى نَصْرِى سِراعاً وإن هُم ... دَعَوْنِى إلى نَصْرٍ أتيتُهُم شَدّا
إذا أكَلُوا لَحْمِى وفَرْتُ لُحُومَهُمْ ... وإن هَدَمُوا مَجْدِى بنيتُ لهم مَجْدا
يعاتِبُنى فى الدَّيْنِ قَوْمِى وإنما ... ديونِيَ فى أشياءَ تُكْسِبُهم رُشْداً

---

(١) الأغانى (أميرى) ١٥ : ١٥٧ .

كان عبدُ الملكِ بنُ مروان أولَ خليفةٍ ظهر منه البُخْلُ فقال يوما : أيُّ الشعراءِ أشْعَرُ ؟ فقال له كُثَيِّرُ بن هراسة ؟ يُعَرِّضُ ببخله : أشْعَرُهم المقنعُ الكِنْديُّ حيث يقول :

إنى أُحَرِّضُ أهلَ البخلِ كلهم ... لو كان ينفعُ أهلَ البُخْلِ تحريضى

ما قلَّ مالِيَ إلا زادنِي كرَما ... حتى يكونَ برزقِ الله تَعْويضى

والمالُ يرفع من لولا دَراهِمُه ... أمسى يُقلِّبُ فينا طَرْفَ مَخْفوضِ

لن تَخرج البيضُ عفواً من أكُفهِم ... إلا على وَجَلٍ منهم وتَمْريضِ

كأنها من جلودِ الباخلين بها ... عند النوائب تُحْذَى بالمقاريضِ

فقال عبد الملك ، وقد عرف ما أراد : الله عزّ وجلّ أصدق حيث قال : والذين إذا أنفَقُوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتُروا .

مالك بن أسماء[1]

هو مالكُ بنُ أسماءَ بنِ خارجَةَ بن حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْر الفزاريُّ، ولاه الحجاجُ أصبهانَ بعد أن تزوجَ أختَه هِنْدا وحبسه فى خيانة ظهرت عليه ثم خَلّاه بعد ذلك وطالت أيامُه بأصبهان فظهرتْ عليه خيانةٌ أخرى [فحبسه][2] وناله بكل مكروه.

اختلف الحجاجُ وهندٌ بنتُ أسماء فى حديث، فبعث إلى مالكِ بن أسماء من السجن فسأله عن الحديث فحَدَّثَه، ثم أقبل على هِنْدٍ فقال: قومى لأَخِيك. فقالت: لا أقوم إليه وأنت ساخط عليه، فأقبل الحجاجُ عليه فقال: إنك والله ما علمتُ لَلْخائنُ أمانتَه اللئيمُ حَسَبُه، الزانى فَرْجُه. فقال: إن أذن الأمير تكلَّمْتُ. قال: قل. قال: أما قولُك الزانى فَرْجُه فوالله لأنا عندالله أحْقَر، وفى عَيْن الأمير أصْغَر من أن يجبَ علىّ لله حد فلا يُقيمُه، وأما قولك: اللئيمُ حَسَبُه، فوالله لو عَلِمَ الأمير مكانَ رجلٍ أشرفَ منى لصاهَرَه. وأما قولُه الخائن فوالله لقد ولّانِى الأميرُ فوَفَّرْتُ فأخذنى بما أَخَذَنى فبِعْتُ ما كان وراءَ ظَهْرِى، ولو ملكتُ الدنيا بأسْرِها لافتديتُ بها من مثلِ هذا الكلام، قال: فنهض الحجاج وقال: شأنكِ يا هندُ بأخيك، قال مالك: فوثبت هندٌ إلىّ فأكبت علىَّ ودعَتْ بالجوارى فنزَعْنَ عنى حديدى، وأمرتْ بى إلى الحَمّامِ، وكسَتْنى وانصرفتُ فلبثْتُ أياما، ثم دخلتُ على الحجاج، وبين يديه عهود، وفيها عهدى على أصبهان. فقال: خذ هذا وامضِ إلى عَمَلِك فأخذته ونهضت، وعَزَلَه بعد ذلك، وبَلَغَ به ما بَلَغَ من الشَّرِّ، وضيَّق عليه

---

(١) أغانى أميرى ١٦ : ٤١ .

(٢) فحبسه غير موجودة بالأصل وبها يتسق الكلام (أغانى ١٦/ ٤١) .

فى الحَبْسِ حتى كان يشاب له الماء الذى يشربُه بالرمادِ والمِلْح ، فاشتاق الحجاجُ إلى حديثه يوما . فأرسل إليه فأحضره ، فبينا هو يُحدِّثه إذ استَسْقى ماء فأُتِىَ به . فلما نظر إليه قال: لا ، هاتِ ماءَ السجنِ فأُتِىَ به وقد خُلِطَ بالملح والرمادِ ، فسقيه ، وهربَ من السجنِ ولم يزلْ متواريا حتى مات الحجاج . وكتب إليه بعضُ أهله أن يَمضى إلى الشام ويستَجيرَ ببعض بنى أُميَّة حتى يَأْمَن ثم يعودَ إلى مِصْرِه كما فعل خالدُ بن عَتَّابٍ الرِّياحِىّ ، استجار بزُفَر بن الحارث الكلابى فأجاره ، فراجعَهُ وراجعه عبدُ الملك فى أمْرِه ثم أجاره فكتب مالكٌ إلى أبيه يسأله أن يَدْخُلَ إلى الحجاج ويسأَلَه فى أمره فقال أسماء فى ذلك :

أبنى فَزارةَ لا تُعَنُّوا شيخَكم ... ما لِى وما لزيارةِ الحجّاجِ
شَبَّهتُه شِبْلًا غداة لَقِيتُه ... يُلقِى الرءوسَ شواخِبَ الأوداجِ
تجرى الدماء على النطوع كأنها ... راحٌ شمولٌ غيرُ ذات مِزاج
لا تطلبوا حَاجاً إليه فإنه ... بئس المُؤَمَّلُ فى طِلابِ الحاجِ
يا ليت هندا أصبَحَتْ مرموسةً ... أو لَيْتَها حُبِسَتْ عن الأزواج

وأما خبرُ خالدِ بنِ عتَّابٍ الرياحىّ فإن الحجاجَ كان استعمله على الرّىّ ، وكانت أُمُّه أمَّ ولدٍ ، فكتب إليه الحجاجُ يلحَنُ أُمَّه ويقول : يا ابن اللَّخْناء ، أنت الذى هَرَبْتَ عن أبيك حتى قُتِلَ ، وقد كان خالدٌ حلف ألا يَسُبَّ أحدٌ أُمَّهُ إلا أجابه كائنا من كان ، فكتب إليه خالدٌ : كتبتَ إلىّ تَلْخَنُنى وتزعُمُ أنى فرَرْتُ عن أبى حتى قُتِلَ ، ولعَمْرِى فررتُ عنه ولكن بعد أن قُتِل ، ولم أجد له قاتلا ، ولكن أخبرنى عنك يا ابن اللَّخْناء المُسْتَفْرِمَةِ بعجمِ زبيبِ الطائفِ حين فرَرْتَ أنت وأبوك يوم الحَرَّةِ على جمل ، أيكما كان أمام صاحبِه؟ فقرأ الحجاجُ الكتاب ثم قال : صدق

أنا الذى فررتُ يومَ الحَرَّهْ ... ثم تَنَيْتُ كَرَّةً بفَرَّهْ
والشيخُ لا يَفِرُّ إلا مَرَّهْ

ثم طَلَبه فهربَ إلى الشام ، وسلم بيتَ المال ، فلم يأْخُذْ منه شيئا ، فكتبَ الحجاج إلى عبدِ الملك بن مروان بما كان منه . وقدم خالدٌ إلى الشام فسأل عن خاصَّةِ عبدِ الملك فقيل له : روحُ بنُ زِنباعٍ فأتاه حين طَلعَتِ الشمسُ . فقال: إني جئتُكَ مُستجيرا . فقال : قد أَجَرْتُك إلا أن تكونَ خالدا ، قال : فأنا خالدٌ فتغيَّرَ رَوْح . وقال : أنشدُكَ اللهَ إلا خَرَجْتَ عني فإني لا آمن عبدَ الملك ، قال : فأنظِرْنى حتى تغرُبَ الشمسُ ، فجعل روحٌ يراعِيها حتى غَرَبَتْ ، وخرج خالدٌ فأتى زُفَرَ بنَ الحارث الكلابىّ . فقال : إنى قد جئتك مُسْتجيرا ، قال: إنى قد أجَرْتُك . قال : إنى خالد. قال : وإن كنتَ خالدا ، فلما أصبح دعا ابنَيْنِ له فتهادى بينهما وقد أسَنَّ ، ودخل على عبد الملك بن مروان ، فلما رآه دعا له بكرسىٍّ فوُضِعَ عند فراشه فجلس ثم قال : يا أمير المؤمنين إنِّى قد أجرتُ عليك رجلا فأَجِرْه . قال : قد أجرتُه إلا أن يكونَ خالدا . قال : فهو خالد ، قال : لا ولا كرامة ، فقال زفر لابنيه : انهضا بى ، فلما وَلَّى . قال : يا عبدَ الملك أَمَ واللهِ لو كنتَ تعلمُ أن يَدِى تُطيقُ حَمْلَ القناة ، وردَّ رأسِ الجوادِ لأجرتَ من أجرتُ ، فضحك وقال : يا أبا الهُذَيْل قد أَجَرْناه ، فلا أَرَيَنَّه ، وأرسل إلى خالدٍ بألفَىْ درهم فأخذها ودفع إلى رسولِه أربعةَ آلاف درهم.

رأى عمرُ بن أبى ربيعةَ مالكَ بنَ أسماء ، وهو يطوفُ بالبيت ، وقد بَهَرَ الناسَ جمالُه وكمالُه فسأل فعَرَفَه فعانقَه وسَلَّم عليه ، وقال له : أنت أخى حقًّا فقال له مالك : ومن أنت ؟ قال : أما أنا فستعْرِفُنى وأما أنت فالذى تقول :

إن لى عند كل نَفْحَةِ بستانٍ   من الوردِ أو مِن الياسمينا
نظرا والتفاتة أَتَرَجَّى   أن تكونى حَلَلْتِ فيما يَلِينَا

ثم قال له عمر : ما زلت أُحِبُّك منذ سمعتُ هذا الشعرَ فقال له مالك : أنت عمرُ ابن أبى ربيعة قال : نعم .

ومالك بن أسماء هو الذى يقول :

وحديثٌ أَلَذُّه هُوَ مِمَّا ... ينعتُ الناعتون يُوزَنُ وَزْنا

منطقٌ صائبٌ وتَلْحَنُ أَحيَا ... نًا وخيرُ الحديثِ ما كان لَحْناً

قال يحيي بن على بن يحيي المنجم : قال لى أبى : قلت للجاحظ : إنى قرأتُ فى فصل من كتابك الذى سَمَّيْتَه البيانَ والتبيينَ ، أن مما يُسْتَحْسَنُ من كلام النساءِ اللحنُ واستشهدتَ ببيتَيْ مالكِ بنِ أسماء قال : هو كذاك ، قال : قلت : أماسمعتَ بخبر هندٍ بنت أسماء مع الحجاجِ حين لَحنَتْ فى كلامها فعابَ ذلك عليها فاحتجَّتْ ببيْتَيْ أخيها ، فقال لها : إن أخاك أراد أن المرأةَ فَطِنةٌ فهى تَلْحَنُ بالكلامِ إلى غير المعنى فى الظاهر لتَسْتُر معناه وتُورِى عنه وتُفْهِمَه من أرادتْ بالتعريض كما قال الله عزّ وجلّ « ولتَعْرِفنهم فى لَحْنِ القولِ » ولم يرد الخطأَ من الكلام ، والخطأُ لا يستحسن ، فوجِمَ الجاحظ ساعةً ثم قال : لو سقط إلىّ هذا الخبرُ لما قلتُ ما تقدّم ، قال : فقلت له : فأَصْلِحْه . قال : الآن وقد ظهر الكتاب وسار فى الآفاق ! !

عشقَ مالكُ بنُ أسماءَ جاريةً لأخته هِنْد وعشقها أخوه عُيَينةُ بنُ أسماء فعتّبهُ مالكٌ فى حبها وهو لا يعلمُ ما يَجِدُ بها فقال مالك :

أعُيَيْنَ هلَّا إذْ كَلِفْتَ بها ... كنتَ استغَثْتَ بفارغ العَقْلِ

أقبَلْتَ تبغى الغوث من قِبَلى ... والمستغاثُ إليه فى شُغُلِ

قال أحمد بن داود : ورد على كتابُ المتوكل ، وأنا على سواد الكوفة، أن ابتَعْ لى تل بوَنَّا(١) بما بلغ فأتيتُها وهى قريةٌ صغيرةٌ على تلٍّ ، قد خَرِبَ ما حولَها من الضياع ، فابتعتُها بعشرة آلاف درهم . قال : فظَنَنْتُه حَرّكه على طَلَبِها أنه قد غنى لشعر مالكِ ابن أسماء :

(١) تل بونا ناحية قرب الكوفة (مراصد) .

حبَّذا لَيْلَتِي بتلٍّ بَوَنَّا حين نُسْقَى شرابنا و نُغَنَّى (١)
إذا رأينا جواريا عطرات وغناء وقَرْقَفًا (٢) فنزلنا

فسألتُ عن ذلك فعرفتُ أن جاريته مَكْتومَةَ غَنَّتْه هذا الصوت .

دعا الحجاجُ يوما بمالك بن أسماء فعاتَبه عِتابا طويلا ، ثم قال له : أنت كما قال أخو بنى جعدة :

إذا ما سوأة غَرَّاء ماتت أتيت بسوأة أُخرى بهيم

فقال : لست كما قال الجَعْدِى ولكنى كما قلت :

لكل جوادٍ عَثْرَةٌ يستَقِيلُها وعثرةُ مِثْلِي لا تقالُ مدى الدهرِ
فهل لى إذا ما تبتُ عندك تَوْبَةٌ تَدارَكُ ما قد فاتَ من سالف العُمْرِ

فقال الحجاج : بَلَى واللهِ لئن تُبْتَ لأقبَلَنَّ توبتَك ولأَعْفُوَنَّ عما كان من ذنبك، ومن لى بذلك يا مالك ؟ قال : لك باللهِ ، قال : حسبي اللهُ ونعمَ الوكيل ، فانظرْ ما تقول . قال : الحقُّ أصلحك اللهُ ، لا يَخْفَى على أحد . فترك مالكٌ الشرابَ ، ووَفَى له بعَهْدِه ، وأظهرَ النسكَ ، ثم طال عليه تَرْكُ اللذاتِ والشرابِ فقال :

وندمانُ صِدْقٍ قال لى بعد هَجْمَةٍ من الليلِ قم نَشْرَبْ فقلتُ له مَهْلا
فقال أَبُخْلًا يا ابن أسماء هاكها كُمَيْتًا كريحِ المِسْكِ تَزْدَهِفُ (٣) العَقْلا
فتابَعْتُه فيما أراد ولَمْ أَكُنْ بخيلا على النَّدْمانِ أو شَكِساً وَغْلا
ولكننى جَلْدُ القُوَى أبذلُ النَّدَى وأَشربُ ما أُعْطَى ولا أقبلُ العَزْلا
ضحوكٌ إذا ما دَبَّتِ الكأسُ فى الفتى وغيَّرَه سُكْرٌ وإن أكْثَرَ الجَهْلا

---

(١) هذا الشطر من البيت والبيت الذى يليه غير واضحين فى الأصل وهما عن الأغانى .

(٢) القرقف : الخمر ـ الماء البارد .

(٣) تزدهف العقل : تذهب به .

وبلغ الحجاجَ أنَّ مالـكا قد راجـعَ الشرابَ ، فقال : لا يأتى مالكٌ بخير ، قاتل الله أيمنَ بنَ خريم حيثُ يقول :

إذا المرء وَفَّى الأربعين ولم يَـكُن ... له دونَ ما يأتى حجابٌ ولا سِتْرُ

[فَدعْه وما يأتِي ولا تَمْذِلَنَّه] ... وإنمدّ [أسبابَ الحياة له العمرُ] (١)

[أخذه] من قولِ ابنِ عباس : إذا بَلَغ المرء أربعين سنة ولم يَتُب أَخَذَ إبليسُ بناصِيَتِهِ وقال : حبَّذَا من لا يُفلِحُ أبدا . وأولُ هذه الأبيات :

وصهبـاء جرجانيةٌ لم يَطُفْ بهـا ... حَنيفٌ ولم تَنْغَر بها ساعةً قِدْرُ

ولم يشهد القسُّ المُهَيْمِنُ نارهـا ... طَروقاً ولم يُشرِفْ على طَبْخِها حَبْرُ

أتانِي بها يَحْـيي وقد نِمْتُ نَوْمَةً ... وقد عَلَتِ الجوزاء وانْحَدَرَ النَّسْرُ

فقلت اصْطَبِحْها أو لِغَيْرِى سَقِّها ... فما أنا بعدَ الشَّيْبِ ويحكَ والخمرُ

(١) ما بين الأقواس عن الأغانى وهو غير ظاهر بالأصل .

مساور الوراق(١)

هو مساورُ بن سَوّارِ بنِ عبد الحميد ، موْلَى قيس بن عَيْلان بن مُضر ، وقيل مولى خويلد بن عدوان ، كنيتهُ أبو القاسم ، كُوفِيٌّ قليلُ الشعرِ من أصحاب الحديثِ ورُواتِه ، رواهُ ورُوِي عنه وهو القائل :

إنى وَهَبْتُ لظالمى ظُلْمِى ... وغفرتُ ذاكَ له عَلَى عِلْمِ

ما زال يَظْلِمُنى وأرْحَمُه ... حتى رَثَيْتُ له من الظُّلْمِ

مر مساورٌ الوراقُ بمَقْبُرَةٍ فيها حسينٌ الطوسِيُّ ، وكان صديقا لـه ، فوقف عليه مُسْتَعْبِرا وأنشد :

أبا غـانمٍ أمَّا ذراكَ فواسعٌ ... وقبْرُك معمورُ الجوانبِ مُحْـكَمُ

وما ينفعُ المقبورَ عُمْرانُ قَبْرِه ... إذا كان فيـه جِسْمُه يَتَهَدَّمُ

كان مساورٌ الورّاقُ وحمادُ عَجْرَد وحَفْصُ بن أبى رده مجتمعين ، فجعل حفصٌ يعيبُ شِعْرَ المُرَقَّش فأقبل عليه مُساورٌ فقال :

لقد كان فى عَيْنَيْكَ ياحفصُ شاغلٌ ... وأنفٌ كَثِيلُ العُودِ عما تَتَبَّـع

تتبعت لحناً فى كلام مُرَقشٍ ... ووجْهُك مَبْنِىٌّ على اللَّحْنِ أَجْمَعُ

فقام حفصٌ من المجلس خَجِلًا وهاجر مُدّةً .

قَدِمَ جارٌ لمساورِ الوراقِ من سَفَر فجاءَه مساورٌ فسلَّمَ عليه ، فقال : يا جاريةُ هاتِ لأبى القاسم غَداءَ ، فجاءت برغيفٍ فوضَعَتْه على الخوانِ ، فمد يده يَأْكُل مع مُساورٍ ، وجعل يقول : يا أبا القاسمِ كل مِنْ هـذا الخبز فما أَكَلْتُ قطُّ أطيبَ منه . فقال مساور :

---

(١) أغانى ١٦ : ١٦٧ ــ تهذيب التهذيب ١٠ : ١٠٣ .

ما كنتُ أحسبُ أن الخبزَ فاكهةٌ   حتى رأيتكَ ياوجهَ الطَّبرزنِ
كأن لحيَتَه فى وجهه ذَنَبٌ   أو شَعْرَةٌ فوق بَظْرٍ غيرِ مختونِ

لما سمعَ مساورٌ الوراقُ ألفاظَ أصحاب أبى حنيفة وصياحَهم قال :

كنَّا مِنَ الدينِ قبلَ اليومِ فى سَعَةٍ   حتى ابتُلينا بأصحابِ المقاييسِ
قومٌ إذا اجتمعوا ضَجُّوا كأنهم   ثعالبُ ضجت بين النواويسِ

فبلغ أبا حنيفةَ وأصحابَه ذلك فشقَّ عليهم وتوعَّدوه فقال أبياتا يُرْضيهم بها :

إذا ما الناسُ يوما قايَسونا   بآبدةٍ من الفُتْيَا ظَرِيفَهْ
أتيتُ لهم بمقياسٍ مصيبٍ   صليبٍ من قِياسِ أبى حَنيفهْ
إذا سَمِعَ الفقيهُ لها وَعَاها   وأثبَتَها بحِبْرٍ فى الصحيفَهْ

فبلغتَ أبا حنيفة فرَضِيَ عنه . قال مساورٌ : ثم دُعِينا لوليمةٍ فى الكوفةِ فى يومٍ شديدِ الحرّ فدخلتُ فلم أجد لرِجْلِى مَوْضِعاً من الزِّحَام ، وإذا أبو حنيفةَ فى صدْرِ البيتِ ، فلما رآنى قال : إلَيَّ يا مساورُ ، فجئتُ فإذا مكان واسعٌ باردٌ ، فجلستُ . وقلتُ فى نفسى : نَفَعَتْنِى أبياتى اليومَ ، وكان إذا رآنى بعد ذلك فى مكان يقول لى : هاهُنا هاهُنا ويُوَسِّع لى إلى جانبه ويقول إن هذا من أهْلِ الأدب .

محمد بن مُناذر (١)

هو محمدُ بن مُناذر ، مولى صُبَيْر بنِ يربوع ، وكنيتُه أبو جعفر ، وقيل : أبو عبدِ الله وقيل : أبو ذُريح ، وكان له ابن اسمه ذُريح فمات وهو صغير ، ولعله اكْتَنى به قبل وفاتِه وفيه يقول :

كأنّك للمنايا يا ذريحُ اللهُ صَوَّرَكا
فناطَ بوجْهِك الشِّعْرى وبالإكليلِ قَلّدَكا

قال الجاحظ : كان محمدُ بن مُناذِر مَوْلى سليمانَ القهرمانِ ، وكان سليمانُ مولى عُبَيدِ الله بن أبى بَكْرة ، وعبدُ الله بنُ أبى بكرة مولى سيدِنا رسولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأبو بَكْرةَ مولىً لثقيف ، ثم ادَّعى عبيدُ اللهِ بنُ أبى بكرة أنه ثقفِىٌّ ، وادعى سليمانُ القهرمانُ أنه تميمِىّ ، وادعى ابنُ مُناذِر أنه صلميبةٌ من بنى صُبَيْر بن يربوع ، وابن مناذر مَوْلى مَوْلى مَوْلى ، فهُوَ دَعِىٌّ مولى دَعِىٍّ مولى دَعِىٍّ ، وهذا مما لم يجتمع قطُّ فى غيره ممن عرفناه وبلغنا خبره .

وكان محمدُ بنُ مناذر شاعرا فصيحا متقدِّما فى العلم وكلامِ العربِ واللغةِ إماما فيهم ، أخذ عنه [أكابر أهلها] (٢) .

وكان فى أول أمرِه ناسكا يتألَّه ، ثم عَدل عن ذلك ، فهجا الناس وتهتّك وخُلِعَ وقذَفَ أعراضَ أهلِ البصرة حتى نُفِىَ عنها إلى الحجاز . فمات هناك ، فلم يزل محمدُ بن مناذِر ناسكاً ملازما للمسْجد جميل الطريقة إلى أن فُتِنَ بعبدِ المجيدِ ابنِ عبد الوهابِ الثقفِىِّ فتهتَّك بعد سَتْرِه وفتَكَ بعد نُسْكِه .

---

(١) أغانى (أميرى) ١٧ : ٨ــ معجم الأدباء ١٩ / ٥٥ ــطبقات القراء ج ٢ .

(٢) عن الأغانى وهى غير واضحة فى الأصل .

وكان عبد المجيد محدِّثا جليلا قـد رَوَى عنه أكبرُ المحدِّثين وكبراء الرواة ، وكان فى غاية المحبَّـةِ لابن مناذرٍ والشغفِ به والمساعدةِ له ، وكان من أحسن الناس وجها وأدبا ولباسا وأكملهم فى كل حال ، وكان يبلغُ أباه خبرُه على جلالتِه وسنِّه وموضِعِه من العلم فلا ينكرُ ذلك لأنه لم تكن تبلُغُه ريبةٌ عنه ، وكان ابن مناذرٍ حينئذ جميلَ الأثرِ حسنَ المروءةِ عفيفا .

كان ابن مناذرٍ يجالسُ سفيانَ بنَ عُيَيْنَةَ ، ويسألُه سفيانُ عن معانى حديثِ رسولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيخبرُه ابن مُناذر عنها ، ويقول : هـذا مأخوذٌ من هذا ، وذا مأخوذٌ من ذا ، فيقول سفيانُ : كلامُ العربِ بعضُه آخـذٌ برقابِ بَعْض .

وأدركَ ابنُ مناذر المهدىَّ ومَدَحَه ومات فى أيام المأمون .

وكان ابنُ مناذرٍ إذا قيل له: ابنُ مَناذر ، بفتح الميم ، يَغضب ثم يقول أمَناذرُ الصُّغْرَى أم مناذرُ الـكُبْرَى ؟ وهما كُورتان من كُوَرِ الأهوازِ ، إنمـا هو مُناذِرُ على وزن مُفاعِل من نَاذَرَ فهو مُناذِر ، مثل ضَارَبَ يضاربُ فهـو مُضارِب وقاتل فهو مُقاتل .

ولما فتك ابن مُناذر وعَدَل عما كان عليـه من النُّسْكِ والتألُّه وعَظَتْه المعتزلةُ فلم يَتَّعِظ وأوْعَدَتْه بالمـكروه فلم يَزْدجر ، ومنعوه دخول المسجد فنابَذَهم وطعَنَ عليهم وهَجاهم ، وكان يأخذ المِدادَ بالليل فيَضَعهُ فى مَطاهِرِهم فإذا توضَّئوا به تَسْوَدّ وجوهُهم وثيابُهم .

دخل ابن مناذر المسجدَ الجامعَ بالبصرةِ فوقعت عينهُ على غُـلامٍ مُسْتندٍ إلى ساريةٍ ، فخرج يلتمسُ غلاما ودواةً وورقةً وكتب إليه أبياتا يَمتَدِحه بها ، وسأل الغلامَ الذى خَرَج يلتَمِسُه أن يُوصلَ الرُّقْعةَ إلى الفَـتَى المُسْتَنِدِ إلى السارية ، فذهب بها الغلامُ إليه فلما قرأها قَلَبها وكتب فى ظهرها :

مثلُ امتداحِك لِى بـلا وَرِقٍ ... مِثْلُ الجدارِ بُنِى علـى خُصٍّ
وألذُّ عندى من مَديحـكَ لى ... سُــودُ النعالِ ولَيِّنُ القُمْصِ
وإذا حَبَوْتَ مُرامقاً ورِقاً ... لم تَخْشَ منـه بوادرَ المُقْصِى
فإذا عزمتَ فهَىٌّ لى وَرِقاً ... فإذا فعلتَ فلستُ أَسْتَعْصِى

فلما قرأَها ابنُ مناذرٍ قام إليـه ، وقال له : ويلك أنت أبو نواس ، قال : نعم . أفأنت ابن مُناذِر ؟ قال : نعم . فسلَّم عليه وتعانقا ، وكان ذلك أولَ المودةِ بينهما .

قال الأصمعى : حضَرْنا مأدبةً . ومعنا أبو مُحْرِزٍ خلفٌ الأحمر وحضرها ابنُ مناذر ، فقال لخلف : يا أبا مُحْرِز ، إن يكن امرؤ القيس والنابغةُ وزهيرٌ قد ماتوا فهذه أشعارهم باقيةٌ مُخَلَّدَةٌ فقِسْ شِعْرِى إلى شِعْرِهم ، واحكم بالحق ، فغضب خلفٌ وأخذ صَحْفَةً مملوءة مَرَقَةً فرمى بها عليه فملأه ، وقام ابنُ مناذرٍ مُغْضَباً وهجاه بعد ذلك .

وكان ابن مناذر ينحو نحو عَدِىِّ بنِ زيد فى شعره ، ويُقدِّمُه ويَتَّخِذُه إماما . قال محمد بن الحجّاج : قلت لابن مناذر : من أشْعَرُ الناس ؟ قال : من كَذَبَ فى شعره . قلت : من ذاك ؟ قال : عَدِىُّ بنُ زيد . وكانت أمُّ عبدِ المجيدِ بن عبد الوهاب بانَةَ بنتَ أبى العاصى ، وهى مولاة جنانٍ التى يُشبّب بها أبو نُواس فى شِعْره ولما ماتت [بانة هذه][1] خرج جواريها إلى قَبْرِها فخرج ابنُ مناذر مَعَهُنّ إلى الجَبَّانَةِ بالبصرة ، فقيل له : أين تريد ؟ فقال :

اليومَ يومُ الثُّلاثا ... ويومُ ثالثِ بانَهْ
اليوم تَكْثُرُ فيه الظـ ... ـباء بالجَبَّانَهْ

(١) غير ظاهرة بالأصل وما كتب عن الأغانى ١٧ : ١٢ .

وولدت بانةُ ، من عبد الوهاب [أولاده] : عبدَ المجيد وأبا العاصى وزيادا ، وزياد هو الذى عناه أبو نواس بقوله :

جفنُ عَيْنِى قد كادَ يَسْـ ـقُطُ مِمّـا قَـدِ اخْتَلَجْ
وفؤادِى من حَـرِّ حُبِّـ ـكِ قد كادَ أو نَضَجْ
خَبِّرِينِى فَـدَتْكِ رو حِى وأهْلِى متى الفَرَجْ
كانَ ميعادُنا خرو جَ زيادٍ وقَدْ خَرَجْ

وكان لعبد الوهاب ابنٌ يقال له محمدٌ ، هو أسَنُّ أولادِه ، وكان يتعشق بانةَ امرأةَ أبيه ، ويقال إن زياداً كان مِنْه وكان أشبه الناس به .

خرج ابنُ مناذرٍ يوما من صلاةِ التراويحِ من مَسْجِدِ البصرة ، وخرج عبدُ المجيد بن عبد الوهاب خَلْفَه فلم يزل يُحَدِّثه إلى الصُّبح ، وهما قائمان ، إذا انصرفَ عبدُ المجيد شيَّعَه ابنُ مناذر ، فإذا بلَغَه وانصرفَ ابنُ مناذر شيَّعَه عبدُ المجيد ، لاتطيب نَفْسُ أحدهما بفراقِ صاحبِه حتى أصْبَحا ، فقيل لعبد الوهاب: إن ابن مناذرٍ قد أفْسَدَ ابنكَ فقال : أو ما يرضى ابْنِى أن يرْضى به ابنُ مناذِر .

مرض عبدُ المجيد بنُ عبدِ الوهاب مَرَضاً شديدا ، وكان ابن مُناذرٍ ملازما له يُمَرِّضُه ويخدمه ، ولا يتولى غيره أمرَه ، ولا يَكِلُه إلى أحدٍ ، فحدَّثَ بعضُ أهلِه قال : حضرته يوماً وقد أُسْخِنَ له ماءٌ حارٌ ليَشْرَبَه ، واشتدبه الأمرُ ، فجعل يقول: آه بصوتٍ ضعيفٍ فيَغمسُ ابنُ مناذرٍ يدَه فى الماء ، ويتأوه مع عبد المجيد ، ويَدُه تَحْتَرِقُ حتى كادت تَسْقُط فجَذَبْناها ، وأخرجناها ، وقلنا له : أمجنون أنت ؟ ! أىُّ شىءٍ هذا مما يَنْتَفِعُ به ذاك ؟ فقال : أُساعِدُه وهذا جَهْدُ المُقِلِّ ، ثم استَقَلَّ من عِلَّتِه تلك ، وعوفِىَ مُدَّةً طويلة ، ثم تردَّى من سَطْحٍ فمات ، فجَزِعَ عليه جَزَعا شديدا ، حتى كان يَفْضُلُ إخوتَه وأهْلَه فى البكاء والعويل ، وظهر منه من الجزع ما عَجِبَ الناسُ

منه ورثاه بقصيدته المشهورةِ ورَواها أهلُ البصرة ونِيحَ بها على عَبْدِ المجيد ، وكان الناسُ يُعْجَبون بها ويستحسنونها وأولها :

كلُّ حيٍّ لاقى الحمام فمُودِى ما لِحَيٍّ مُؤَملٍ من خُلودِ
لا تهابُ المنونُ شيئا ولا تُبـ ـقِى على والدٍ ولا مولودِ

وكان سببُ تَردِّيه من السطحِ أنه تزوج امرأةً من أهله ، فأوْلَمَ عليها شَهْرا ، يجتمعُ عنده وجوهُ أهلِ البصرةِ وأدباؤها وشعراؤها ، فصعد يوما إلى السطحِ فرأى طُنُبًا من أطنابِ السِّتارَةِ قد انْحَلّ ، فأكبّ عليه ليَشُدَّه ، فتردّى على رأسه ومات من سَقْطَتِه ، فما رأيت مصيبةً قطُّ أعظمَ منها ولا أنكأ للقلوب . قال محمد بن عمرو : قال لى محمدُ بن مناذر : ويحك ! ! ترى نساء ثقيفٍ ينُحْنَ على عبد المجيد نياحة عَلَى استواء ، قلت : فما تحب ؟ قال : تخرجُ معى حتى أطارِحَك فطارَحَنِى بقصيدته التى [يقول فيها][1] :

إن عبدَ المجيدِ حين تولّى هَدّ رُكْنًا ما كان بالمهدودِ
هدّ عبدُ المجيد رُكْـنِى وقد كُنْـ ـتُ بِرُكْنٍ أنوء منه شَديدِ

فما زلتُ حتى حَفِظْتُها ، فلما كان فى الليلةِ التى يُناحُ فيها على عبد المجيدِ صَلَّيْنا العشاءَ الآخرةَ فى المسجد ، وخرجنا إلى دارِهم ، وقد صَعِدَ النساء إلى السطح يَنُحْنَ عليه فسَكَتْنَ سكتةً لهن ، فاندفعنا أنا وهو ننوحُ عليه ، فلما سمعْنَنا أقبلن علينا يَلْطِمْن ويَصِحْنَ حتى كِدْن ينقلِبْنَ من السطحِ إلى أسفل ، لشدة تَشَوُّفهن لنا[2] وإعجابهن بما سَمِعْنه ، وأصبح أهلُ المسجد ليس لهم حديثٌ غيرنا ، وشاع الخبرُ بالبصرة وتحدث الناس به . ولما قال ابنُ مناذر فى هذه القصيدة :

---

(١) أغانى ١٧ : ١٤ .

(٢) تشرفهن علينا (أغانى) — وتشوف له وإليه : تطلع .

لأقيمَنَّ مأتمـا كنجوم الـ　　ـليل زهْرًا يلطمْنَ حُرَّ الخدود
موجعات يَبْـكينَ للـكبدِ الحـ　　ـرَّى عليه وللفؤادِ العَميدِ

قالت أمُّ عبد المجيد : والله لأبرَّنَّ قسَمَه ، فأقامت عليه مأتَما ، وقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه يَنُحْن عليه ويَصِحْنَ : واى ويه واى ويه .

فيقال : إنها أولُ من فعل ذلك وقاله فى الإسلام .

ومما رثاه به ابنُ مناذرٍ قولُه :

يا عَيْنُ حقَّ لكِ البكا　　ءُ لحادث الرزء الجليلِ
فابْـكِى على عبدِ المجيـ　　ـدِ وأَعْوِلى كلَّ العويلِ
لا يبعدِ اللهُ الفـتى الـ　　ـفَيّاضَ ذا الباعِ الطويلِ
عجِلَ الحِمامُ به فودّ　　عَنَا وآذنَ بالرحيلِ
لَهَفِى عـلى الشَّعْرِ المُعَـ　　ـفَّرِ منك والخدِّ الأسيلِ
كُسِفَتْ لفقدك شَمْسُنا　　والبدرُ آذنَ بالأفوالِ

وكان ابنُ مناذرٍ من أحْضَرِ الناس جوابا ، فقال له رجل ، ذات يوم : ماشانَك بفتح النون ، قال : عِظَمٌ فى أنفى .

دار بين الخليلِ بنِ أحمد وبين ابنِ مُناذر كلامٌ فقال له الخليل : إنما أنتم ، معاشرَ الشعراء ، تَبَعٌ لنا ، ونحن سُكّان السفينةِ إن قَرَّظْناكُمْ ورَضِينا قولَـكم نَفَقْتُم وإلا كَسَدْتم فقال ابنُ مناذر : والله لأقولنّ فى الخليفة قصيدةً امتَدِحهُ بها ولا أحتاج فيها إليك ولا إلى غيرك ، فقال فى الرشيد قصيدته التى أولها :

ما هَيَّجَ الشَّوْقَ من مُطَوَّقَةٍ　　أوْفَتْ على بانةٍ تُغَنِّينا

يقول فيها :

ولو سألْنَا بحسنِ وجْهِك يا　　هارونُ صَوْبَ الغمامِ أُسْقِينا

وأراد أن يُنفِذَها إلى الرشيد فلم يلبثْ أن قَدِمَ الرشيدُ البصرةَ حاجا ليأخذ على طريق النِّباج(١)، وهو كان الطريقُ قديما ، فدخله وعديلُه إبراهيم الحَرَّانِي فتحَمَّل إليه ابنُ مناذر بعثمانَ بن الحكم الثقفى ، وأبو بكر السُّلَمىّ حتى أوصلاه إلى الرشيد، فأنشده إياها فلما بلغ آخِرَها كان فيها بيت يفتَخِرُ فيه وهو :

قومى تميمٌ عند السماكِ لهم ❊ مجدٌ وعزٌّ فما يُنالونا

فلما أنشدَ هذا البيتَ تعصّبَ عليه الجلساء فقال بعضهم : يا جاهلُ أتفخرُ فى قصيدةٍ مدحتَ فيها أميرَ المؤمنين ! ؟ وقال : آخر هذه حماقةٌ بَصْرِيَّة فكَفَّهُمْ عنه الرشيدُ ، ووهب له عشرين ألفَ درهم .

كان الرشيدُ قد استسقى فى سنةِ قَحْطٍ فسُقِيَ الناسُ فسرّ بذلك ، وقال لله درُّ ابن مُناذرٍ حيث يقول :

ولو سألْنا بحُسْنِ وجهك يا ❊ هارونُ صوبَ الغمام أُسْقِينَا

وسأل عنه فأُخْبِرَ أنه بالحجاز فبعث إليه بجائزة .

شهد بكرُ بن بَكّار عند عبيدِ الله بن الحسن العنبرى بشهادة فتبَسّم ثم قال له : يا بَكْرُ مالَك ولابن مناذرٍ حيثُ يقول فيك :

أعوذُ بالله من النـــارِ ❊ ومنك يا بَكْرَ بنَ بَكّارِ

فقال : أصلح اللهُ القاضِيَ ، ذاك رجل شاعرٌ خليعٌ لا يبالِي ما قال . فقال له : صدقتَ وزاد تبَسُّمه وقَبِلَ شهادته ، وقام بكرٌ وقد تَشَوَّرَ وخَجِل وهذه القصيدة يقول ابنُ مناذر فى بكرِ بن بكار وهى :

أعوذُ بالله من النـــارِ ❊ ومنك يا بَكْرَ بنَ بكارِ

يا رجُلًا ما كان فيما مَضَى ❊ لآل حمـــران بزَوّارِ

(١) النباج قيل: فى بلاد العرب نباجان ؛ أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بنى عامر وهو بحذاء فيد والآخر نباج بنى سعد بالقريتين .

مامنزلٌ أحْدَثْتَه رابعا　　منتزحا عن عَرْصَةِ الدارِ
ما تبرحُ الدهرَ على سَوْأَةٍ　　تَطْرَحُ حبا للخُشَنْشارِ
يامعشرالأخدانِ يا وَيْحكُم　　تعوّذوا بالخالقِ البارِى
من حَرْبَةٍ نيطتْ إلى حِقْوه　　يسعى بها كالبَطلِ الشارِى
يوم تمنّى أنّ فى كَفِّه　　أَيْرَ أبى الخضرِ بدينارِ

الخشنشارُ : معاويهُ الزِّيادِيُّ بن محمد بن معاوية المُحدِّث ، ويكنى أبا الخضْرِ وكان جميلَ الوجه والخُشَنْشارُ لَقَبُه .

كان محمدُ بنُ عبدِ الوهاب أخو عبدِ المجيدِ يعادى محمدَ بن مناذرٍ بسبب مَيْله إلى أخيه عبدِ المجيد ، وكان ابنُ مناذر يهجوه ويَسُبُّه ، وكل واحدٍ منهما يَطْلُبُ لصاحبه المكروهَ ، ويسعى عليه ، فلقيه محمدُ بن عبد الوهاب فى مسجدِ البَصْرَة ، ومع ابن مناذر كتابُ العَروضِ بدَوائره ، ولم يكن محمدُ بن عبد الوهاب يعرفُ العروضَ ، فجعل يَلْحَظُ الكتابَ ويقرؤه ولا يَفْهَمُ ، وابن مناذرٍ يتغافلُ عنه ، ثم قال له محمدُ بن عبد الوهاب: ما فى كتابك هذا ؟ فَخَبأَهُ فى كُمِّه ، وقال له : أيُّ شيء عليك مما فيه فتعلَّقَ به ولَبَّبَه . فقال له ابن مناذر : يا أبا الصَّلْت اللهَ اللهَ فى دَمِى ، فطمِعَ فيه وصاح: يازنديقُ فى كُمِّك الزَّندَقَةُ ، واجتمع عليه الناسُ فأخْرَجَ الكتابَ من كُمِّه وأراهم إياه ، فعرفوا براءَتَه ووثبوا على محمدِ بن عبدالوهاب فاستَخَفُّوا به ، وانصرف يَجْرِى وهجاه ابن مناذر بأبيات أولها :

إذا أنت تعلَّقْتَ بحبلٍ من أبى الصَّلْتِ
تَعَلَّقْتَ بحبل وا هنٍ القُوَّةِ مُنْبَتِّ
إذا ما بَلَغَ المجْدَ ذوو الأحْسَاب والمت
تقاصرت عن المجد [بأمر رائب شخت(١)]

(١) ما بين الأقواس غير واضح فى الأصل وهو عن الأغانى .

فلا تَسْمُ إلى المجـــد   فما أصلك بالثَّبْتِ
ولا فَرْعُك فى العيدا   ن عُودٌ ناضِرُ النَّبْتِ
فهَا فاسْمَـــعْ قريضًا من   رقيقٍ حسنِ النَّعْتِ
يقـــول الحقَّ إن قال   ولا يَرْميك بالبُهْتِ
وفى نَعْتٍ لوجْعاءَ   قد اسْتَرْخَتْ من الفَتِّ
فعنـــدِى لك يا مـــأْبُو   نُ مِثْلُ [الفالج البخت]
عتلٌ يعمل الـــكومَ   من السبتِ إلى السبتِ
له فَيْشَـــلَةٌ أن أُدْ   خِلَتْ واسعةُ الخَرْتِ
وإلا فاطْلُ وَجْعاءَ   له بالخَضْخَاضِ والزِّفْتِ
ألم يبلغـــك تَسْـآلى   لدى العَلَّامَةِ المَرْتِ
وما يبقى لـكم [يا قـو   م من أثلتكم نحتى](١)
وقال الشيخ ما سرجو   ه(٢) داء المرءِ من تَحْتِ
فخذ من ورق الدفلا   وخذ من ورق القَتِّ
وخذ من جعد كيسان   ومن أظفارِ شبخْت
فغَرْغِرْه به واسعط   بِذَا فى دائِه أفْـتِى

شبّخت لقبُ أبى عبيدة وهو اسمٌ من أسماءِ اليهود ، تعريضاً بأن جَدّه كان يهوديا ، وكان أبو عبيدة وَسِخًا طويل الأظفارِ والشَّعْرِ ، وكان يغضب من هذا اللقبِ . قال ابن مناذر :

وقال الشيخ ماسَرْجُو   هُ داء المرءِ من تَحْتِ

بلغَ ذلك ما سرْجُويه ، فجاء محمدُ بن عبد الوهاب ، فوقف عليه فى مجلسه وعنده

(١) ما بين الأقواس غير واضح بالأصل وهو من الأغانى .
(٢) فى الأغانى (سرجويه) .

جماعةٌ من أهلِه وإخوانِه وجيرانِه فسلم عليه وكان أعْجَمِيًا لا يُفْصِح وقال له : بركست كمن كفتم أن كتسر مناذر كفت داء المرء من تحت ، فكاد القوم أن يَفْتَضِحُوا من الضحك ، وصاح به محمد: اعزبْ قَبَحَكَ الله ، فظن أنه لم يَقْبَلَ عُذْرَه فأقبل يحلفُ له مُجْتهدا ماقال ذاكَ ، ومحمدُ يصيحُ به : ويلك اعزب عنى ، وكلما زاده من الصياح إليه زاده فى العُذْرِ والأيْمان فضحك الناس حتى غلبوا وقام محمد خَجِلًا .

قال محمدُ بن إسحاق البَلْخى : دخلتُ يوما على ابن مُناذرٍ وعندَه رجلٌ ضريرٌ جالسٌ عن يمينه ، وآخرُ عن شِمالِه ساكتٌ لا ينطق ، فقلت : ما خَبَرُكَ؟ فقال :

بين أعْمَى وأخرسَ أخرسَ الله لسانَ الأعْمَى وأعمَى البَصيرا [فوثبا من عنده وخرجا يَشْتِمانه .

قال حجاجُ بنُ الأعورِ الصوَّافُ : خرجت إلى مكةَ ، وكان ابنُ مناذرٍ لى صديقا ألِفًا فلما دخلتُ مكة سألتُ عنه فقيل لى : لا يَبْرَحُ من المسجدِ ، فدخلت المسجدَ فالتمسْتُه فوجَدْتُه بفِناءِ زَمْزم ، وعنده أصحابُ الأخبارِ والشعراءِ يكتبون عنه ، فسلمتُ عليه ، وأنا أقَدِّرُ أن يكون عنده من الشوق إلىّ مثلُ ما عندى له ، فرفع رأسه فردَّ السلام ردًّا ضعيفا ، ورجع إلى القوم ولم يَحْفِلْ بى ، فقلت فى نفسى : أتراه ذهبتْ عنه مَعْرِفَتِى ، فبينا أنا مفكر إذ طَلَع أبو الصلتِ محمدُ بن عبدِ الوهاب من باب بَنِى شَيْبة داخِلًا إلى المسجدِ فرفعَ رأسه فنظرَ إليه ، ثم أقبل علىَّ وقال : أتعرف هذا ؟ فقلت : نعم ، هذا الذى قال فيه من قطع الله لسانه :

إذا أنت تَمَلَّقْتَ بحبلٍ من أَبِى الصلتِ

قال : فتغافلَ عنى وأقبلَ عليهم ، ثم أقبلَ علىّ ، فقال : من أىّ البلاد أنت ؟ قلت: من أهلِ البصرة، قال : وأين تنزِلُ منها ؟ قلت: بحضرةِ بنى عائش الصوّافِين. قال : أفتعرف هناك ابن زانيةٍ يقال له حجاجُ الصوّافُ ؟ قلت : نعم تركتُه فى عافيةٍ ينيك أم ابنِ زانيةٍ يقال له ابنُ مُناذرٍ فضحك ، ووثبَ إلى فعانقنى .

[ولابن مُناذر هجاء فى حجاج الصواف على سبيل العبث وهو قوله] (١)

إنّ أُدعاءَ الحجاجِ فى العرَبِ   عند ثَقيفٍ من أعجب العَجَبِ
وهو ابنُ زانٍ لألْفِ زانيةٍ   وألف علج مُعَلْهج الحسب (٢)
ولو دعاه داعٍ فقال له   يا ألأمَ الناس كلِّهم أَجبِ
إذًا لقال الحجاجُ لبيك من   داعٍ دعانى بالحقِّ لا الكذبِ
ولو دعاه داع فقال له   من المعلى فى [اللؤم قال أبى] (٣)
أبوه زانٍ والأمُّ زانيةٌ   بنتُ زُناةٍ مَهْتوكَة الحُجُبِ
تقــــول : عَجِّلْ ادْخِلْ لنائكِها
اتركه فى اسْتِىَ إن شئْتَ أو رُكَبِى
من ناكنى فيهما فأوْسَعَــنِى   رَهْزًا دِراكا أعطيْتُــه سَلَبِى
هَمُّ حِرِى النَّيْكُ فابتغوا لِحرِى   أيرَ حمارٍ أقضِى به أَرَبِى
أُحِبّ أيرَ الحمارِ [وابأبى]   فيشةُ أَيْرِ الحمار [وابأبى] (٣)
إذا رأَتْه قالت فَدَيْتك يا   قُرّةَ عَيْنى ومُنْتَهى طَلَبِى
إذا سمعتُ النهيقَ هاجَ حِرِى   شوقاً إليــه وهاج لى طَرَبِى
يأخُذُنى فى أسافِلِى وحِرِى   مثلَ اضْطرامِ الحريقِ فى الحطبِ
شَكَتْ إلى نِسْوَةٍ فقُلْنَ لهــا   وهى تنادِى بالوَيْلِ والحربِ
كُفِى قليلًا فقالت فكَيْفَ وَبِى   فى جَوْفِ صدعى كَحَلّةِ الجَرَبِ
أرى أيورَ الرجالِ من عَصَبِ   ليت أيورَ الرجالِ من خَشَب

---

(١) غير واضح فى الأصل وما كتبناه عن الأغانى .
(٢) ناقص فى الأصل « « «
(٣) ما بين الأقواس عن الأغانى وهو غير واضح بالأصل .

كان ابن مناذر يجلس إلى إسكافٍ بالبصرة ، فلا يزال يهجوه بالأبياتِ فيصيحُ من ذلك ويقول له : أنا صديقُك فاتّقِ اللهَ وأبقِ على الصداقة ، وابنُ مناذر يُلِحُّ عليه فقال له الإسكاف : فإنى أستعينُ بالله عليك ، وأتعاطى الشِّعْرَ ، فلما أصبح غدا عليه ابنُ مناذر كما كان يفعلُ ، وأخذ يَعْبَثُ به ويهجوه ، فقال الإسكاف :

كَثُرَتْ أُبوَّتُه وقلَّ عديدُه ورمى القضاءُ به فراشَ مُناذرِ
عبد الصبيريين لم تكُ شاعرا فلِمَ ادعيتَ اليوم نسبةَ شاعرِ

فشاع البيتان بالبصرة ، ورواها أعداؤه ، وجعلوا يتناشدونهما إذا رأوه ، فكانت من بعض أسباب خروجه من البصرة . وقال ابن مناذر ما [مرّ بى] قطُّ شىء أشد على من قول الإسكاف :

كثرتْ أُبوَّتُه وقلَّ عديده ورمى القضاءُ به فراشَ مناذرِ

انظر بكم صنف هجانى فى البيت . قبحه الله ، ثم منعنى من مكافأته أنى لم أجد نباهَةً فأغُضَّها ولا شرَفاً فأهْدِمَه ولا قدْرا فأضَعَه .

وكان ابنُ مناذر يقول : إن الشعرَ ليسهلُ علىَّ حتى لو شئتُ الا أتكلم إلا بالشعر لفعلت .

أنشد ابن عائشةَ يوما مَرْثِيَةَ ابنِ مناذرٍ فى عبد المجيد ، فجعل كلَّما أنشد بيتا يَسْتَحْسِنُه حتى أتى على قوله :

لأقيمنَّ مأتماً كنجومِ الـــــ ليل زُهْرًا يلْطِمْنَ حُرّ الخدودِ

فقال ابن عائشة : هذا من كلام المُخَنَّثين فلما أنشد هذا البيت :

إنّ عبد المجيـــــد يوم توَلّى هدّ ركنا ما كان بالمهــــدودِ
ما درى نعشُـــه ولا حاملوه ما على النعشِ من عفَافٍ وجودِ
وأرانا كالزَّرْع يَحْصُدُنا الدهـ ـرُ فمن بين قائمٍ وحصيــــدِ

فقال ابن عائشة : جَعَلنا زَرْعا للدهر ؟ ماهذا من كلام المسلمين ، فقيل : ألا ترى أنه يقول :

يحكمُ الله ما يشاء ويمضى ليس حُكْمُ الإلهِ بالمردود

قال ابنُ مناذر: حجَّ الرشيد بعد إيقاعِه بالبرامكةِ ، وحج معه الفضلُ بن الربيع ، وكنت مُضيَّقاً مُملِقاً فهيأت فيه قولا أجدْتُ تنميقَه وتنوّقت فيه فدخلت إليه فى يوم التَّرْوِيَة ، فإذا هو يسألُ عنى ويطلبنى ، فبَدَرَنِى الفضلُ بن الربيع قبلَ أن أتكلم ، فقال : يا أمير المؤمنين هذا شاعر البرامكةِ ومادِحُهم ، وقد كان البشرُ ظهر لى فى وَجْهِه لما دخلت ، فتنكَّرَ وعَبَس فى وجهى ، فقال له الفضل : يا أمير المؤمنين مُرْه أن يُنشِدَك قولَه فيهم :

* أتانا بنو الأملاكِ من آل بَرْمكٍ *

فقال لى : أنشدها . فأبيت ، فتوعّدنى وأكْرَهَنى فأنشدته :

أتانا بنو الأملاكِ من آل برمكٍ فياطِيبَ أخبارٍ ويا حُسْنَ مَنظَرِ
إذا ورَدُوا بطحاءَ مكةَ أشْرَقتْ بيَحْيَي وبالفضل بن يحيي وجعفرِ
فتُظلِمُ بَغْدادٌ ويجلو لنا الدُّجَى بمكةَ ما حجّوا ثلاثةَ أبدرِ
فما صلحتْ إلا لجودٍ أكفُّهُم وأقدامُهُم إلا لأعوادِ منبرِ
إذا راضَ يحيي الأمرَ ذَلَّتْ صِعابُه وحسبُك من راعٍ له ومُدَبِّرِ
ترى الناس إجلالا له وكأنهم غرانيقُ ماءٍ تحت بازٍ مُصَرْصرِ

ثم أتبعتُ ذلك بأن قُلْتُ : كانوا أولئك أيامَ مَدَحْتُهم يا أميرَ المؤمنين فى طاعتِك لم يَلْحَقهم سُخْطُك ، ولم تَحْلُلْ بهم نِقْمَتُك ، ولم أكنْ فى ذلك مُبْتدِعا ولا خَلاَأحدٌ من نُظرائى من مدحهم ، وقد كان أَظَلَّنِى فضلُهم وأغنانى رِفْدُهم فأثنيتُ بما أَوْلَوْا فقال : يا غلام الْطُمْ وَجْهَه ، فلُطِمْتُ والله حتى سَدِرْتُ وأظلمَ ما بينى وبينَ أهلِ المجلس ، ثم قال : اسْحَبُوه على وجهه ، والله لأحْرِمَنَّك

ولا تركتُ أحداً يعطيك شيئا فى هذا العام ، فسُحِبْت حتى أُخْرِجْتُ وانصرفت أسوأَ الناسِ حالا فى نفسى وحالِى وما جرى عَلَىَّ ، ولا والله ما عندى يومئذ ما يُقيمُ بقوتِ عِيالى لعِيدِهم ، فإذا أنا بشابٍّ قد وَقَفَ علىَّ وقال : أعْزِزْ علىَّ والله يا كبيرَنا بما جرى عليك ودفعَ إلىّ صُرَّةً وقال : تَبَلَّغْ بما فى هذه فظنَنْتُها دراهمَ فإذا هى مائةُ دينار ، فقلتُ له : من أنت جعلنى الله فداءك ! ؟ قال : أنا أخوك أبو نواس ، فاسْتَعِن بهذه الدنانير ، واعذرنى ، فقبلتها ، وقلت : وصلك اللهُ يا أخى وأحسنَ جـزاءك .

قال ابنُ مناذر : قال لى جعفرُ بن يحيي : قُلْ فىَّ وفِى الرشيد شِعْرا تصف فيه الأُلْفَةَ بيننا فقلت :

قَدْ تُقْطَعُ الرَّحِمُ القريبُ وتُكْفَرُ النُّـ ـعْمَى ولا كتقاربِ القَلْبَيْنِ
يُدْنِى الهوَى هذا ويُدْنِى ذا الهوَى فإذا همـا نَفْسٌ ترَى نَفْسَيْنِ

وهذا مأخوذٌ من كلام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إنَّ الرحمَ تُقْطَعُ ، وإن النِعَمَ تُكْفَر ، ولم ترَ مثلَ تقاربِ القلوب .

قال ابن مناذر : العذراء البتولُ والبتورُ واحـدٌ وهى المُنْقَطِعُ إلى ربها عز وجل .

سئل أبو عبيدةَ عن اليوم الثانى من النَّحْرِ : ما كانت العربُ تُسَمِّيه؟ فقال : ليس عندى من ذلك عِلْم فسئل ابن مناذر فقال : أيَسْقُطُ هذا على مِثْلِ أبى عبيدة ! ! وعجب ، وقال : هى أَرْبَعَةٌ ، على حَرْفِ الراء ، يوم النَّحْرِ ويوم القَرِّ ويومُ النَّفْرِ ويوم الصَّدَرِ .

ومما رَوَى ابنُ مناذر من الحديث أنَّ النبى ، صلى الله عليه وسلم ، لما نَظَرَ إلى القتْلَى يومَ بَدْرٍ ، وهم مُصَرَّعُون ، قال لأبى بكر ، رضى الله عنه : لو أنَّ أبا طالب

حَيٌّ لِعِلْمَ أن أسيافَنا قد أخَذَتْ بالأنامل ، يعني قول أبي طالب :

كَذَبْتُم وبيتِ اللهِ إن جدّ ما أرى　　لَتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثـلِ

وقال في شيرويه الزياديّ ، وشيرويه لقبُه ، واسمه أحمدُ ، وكان سَأَلَه حاجة فأبى أن يقضيها [له إلا(١) على] أن يمدحه :

ياسَمِيَّ النبيِّ بالعربيـهْ　　وسميَّ الليوثِ بالفارسيَّه

إن غضِبْنا فأنتَ عبدُ ثقيفٍ　　أو رَضينا فأنتَ عبدُ أميّه

فغضب شيرَوَيْه ، وشاع الشعرُ وكان بعد ذلك إذا قيل لشِيرَوَيْه : ابنُ مناذرٍ عليك غضبانُ أو راض ؟ يشتمُ من يقول له ذلك .

نظر ابن مناذر إلى غلامٍ حسنِ الوجه في مسجد البصرة فكتب إليه بهذه الأبيات :

وجدتُ في الآثار في بعض ما　　حدثنا الأشياخ في المُسْنَدِ

مما رَوَى الأعمشُ عن جابرٍ　　وعامرٍ الشعبيّ والأسـودِ

وما روى شعبةُ عن عـاصمٍ　　وقاله حمّـادُ عن فَرْقدِ

وَصِيَّـة جاءتْ إلى كل ذي　　خَدّ خـلا من شَعَرٍ أسْوَدِ

أن تَقْبَلوا الراغبَ في وَصْلِكم　　فاقْبَـلْ فإني فيـك لم أزْهدِ

نَوِّلْ فـكَمْ من جَمْرةٍ ضَمَّها　　قلبي من حُبِّك لم تَـبْردِ

فلما قرأها الفتىَ ضحك وقلب الرُّقعَـة وكتب في ظهرها: لستُ شاعرا فأجيبَك ولا فاتِـكا فأساعِدَك ، وأنا أعوذ بالله منك ومن شَرِّك .

[لقي أبو العتاهيةِ محمدَ بن مناذر بمـكة ، فجعل يمازِحُه ويضاحِكُه ، ثم دخل على الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين هذا ابنُ مناذر شاعرُ البصرة ، يقول قصيدة في سَنَةٍ

---

(١) ما بين القوسين عن الأغاني وهو غير واضح بالأصل .

وأنا أقولُ فى سنةٍ مائَـتى قَصيدة ، فقال له الرشيد : أدْخِلْه فأدخله وقَدَّرَ أن يضع منه عِنده ، فدخل فسَلَّمَ ودعا له ، فقال له الرشيد : ما هذا الذى يَحْـكيه عنـك أبو العتاهية . فقال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : يزعم أنـك تعملُ قصيدةً فى سنة . وأنه يقول مائتى قصيدةٍ فى سنة . فقال : يا أمير المؤمنين لو كنتُ أقول كما يقول هو :

ألا يا عُتْبَةَ الساعهْ أموتُ الساعةَ الساعه

لقلتُ مثلَه كثيرا ، ولـكنى أقول :

إنّ عبد المجيدِ يـــوم توَلّى هَدَّ رُكْنا ما كان بالمهدودِ
ما دَرَى نَعْشُه ولا حامِـلوه ماعلى النعش ِمن عَفافٍ وجودِ

فقال له الرشيدُ : هاتِها ، فأنشدها . فقال له الرشيد : ما كان ينبغِى أن تـكون هذه القصيدةُ إلا لخليفةٍ أو وَلِىِّ عَهْدٍ ، مالها عيبٌ إلا أنها قِيلَتْ فى سُوقَةٍ وأمرَ له بعشرةِ آلافِ دِرْهم ، فقام أبو العتاهية يَجُرُّ رِجْلَيْه وكاد أن يَمُوتَ غَيْظا وأَسَفا .

سئل يحيى بنُ معينٍ عن محمدِ بن مناذرٍ الشاعرِ فقال : لم يكن بثِقَةٍ ولا مأمونٍ، رجلٌ سوقِىٌّ من البصرةِ موصوفٌ بالمجون والخلاعةِ ، فقيل : إنما نَـكْتُبُ عنه شِعراً وحكاياتٍ عن الخليل بن أحمد ، فقال : أما هـذا فنعم ، وأما الحديثُ فلست أراه مَوْضِعاً له .

قال على بن محمد النَّوْفَلِىُّ : رأيتُ محمدَ بنَ مناذر فى الحج سنة ثمـانٍ وتسعين ومائة تقودُه جُوَيْرِيَـةٌ حُرَّةٌ وقد كُفَّ بصرهُ ، وهو واقفٌ يشترى قِرْبَـةً ، وهو وَسِخُ الثوبِ والبدنِ فلما صرتُ إلى البصرة أتَتْنا وفاتُه فى تلك الأيام .

محمد العمانى (١)

هو محمدُ بن ذُؤَيْب بن محمد بن قدامة الحنظلى الدارمى الراجز .

وقيل له العُمَانِىّ وهو بَصْرِىٌّ ، لأنه كان شديدَ الصُّفْرةِ ، وليس هو ولا أبوه من عُمان ، وإنما أقبَلَ يوما وقد خَرَج من عِلّةٍ ، ووجهه مُصْفَرٌّ فقال له بعض أصحابه : يا أبا عبد الله خَرَجْت من هذه العِلّة كأنك جَمَلٌ عُمانِىٌّ وكانت جِمالُ عُمان تحملُ الوَرْسَ من اليمنِ إلى عُمَانَ فتَصْفَرّ . وهو من بنى تَميم ، ثم من بنى فُقَيْم . وكان شاعرا راجزا مُتَوَسِّطا من شعراء الدولةِ العباسيةِ ليس من نظراءِ الشعراءِ الذين شاهَدَهُم فى عَصْرِه مثل أشْجَع وسَلْم ومَروان ، ولكنه كان لطيفاً مقبولا ، وأفاد بشعره أموالا جليلة . قصد العمانِىُّ عبدَ الملك بنَ صالح الهاشمى متوسلا به إلى الرشيدِ فى الوصولِ إليه مع الشعراء ، ومدح عبدَ الملك بقصيدته التى يقول فيها :

نمتْــــه العَرانِينُ من هاشمٍ   إلى النَّسَبِ الأَوضحِ الأصْرحِ
إلى نَبْعَــةٍ فرعُهـــا فى السماءِ   ومَغْرِسُها سُرَّةُ الأبطحِ

وأدخلَه عبدُ الملك بنُ صالح إلى الرشيد فأنشده :

يا ناعشَ الجَدِّ إذا الجَدُّ عَثَرْ   وجابرَ العظمِ إذا العظمُ انكَسرْ
أنت رَبيعِى والربيعُ يُنْتَظَرْ   وخيرُ أنـواء الربيع ما بَكَرْ

فقال الرشيد : إذاً يَبْكُر عليك رَبِيعُنا ، يا فضلُ أَعْطِه خمسةَ آلافِ دينارٍ . وخمسين ثوبا .

كان المهدىُّ قد أجرى الخيلَ فسبقَها فَرَسٌ يقال له الغَضْبانُ ، وطلب الشعراءَ فلم

---

(١) الأغانى أميرى ١٧ : ٧٨ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز .

يَحْضُرْ منهم أحدٌ إلا أبو دُلامةَ ، فقال : قَلِّدْه يازَنْد فلم يَفْهَمْ ماأراد فقَلَّدَه عمامته فقال له المهدى : يا ابن اللخناء ، أنا أ كْثَرُ عماءِمَ منك ، إنما أردتُ أن تُقَلِّدَه شعراً ، ثم قال : يالهفى على العُمَانِيّ فلم يتكلم بها حتى أقبلَ العمانىُّ فقيل له : هذا هو قد أقبلَ الساعة يا أميرَ المؤمنين ، فقال : قدِّموه فقُدِّم فقال : قَلِّدْ فرسى هذا فقال غير متوقف :

قد غَضِبَ الغضبانُ إذْ جَدَّ الغَضَبْ وجاء يَحْمِى حَسَباً فوق الحَسَبْ
مِنْ إرْثِ عباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبْ وجاءَتِ الخيلُ به تَشْكُو التَّعَبْ
لهُ عليها مالَكُمْ على العَرَبْ النسبُ المعروفُ غيرُ المُؤْتَشَبْ

فقال له المهدى : أحسنت والله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

مُخـــــارق(١)

هو مخارقُ بن يحيي بن ناوُس الجزارُ ، مولى الرشيد ، وقيل : ناووس لقبُ أبيه يحيي .

وكنية مُخارق أبو المَهَنّا ، كناه الرشيدُ بذلك ، وكان قَبْلَه لعاتكةَ بنتِ شُهْدَةَ ، وهى من المغنياتِ المُحْسِناتِ .

ونشأ مخارقٌ بالمدينة ، وقيل بالكوفة ، وكان أبوه جزّارا مملوكاً ، وكان مخارقٌ ، وهو صَبِيٌّ ، يُنادى على اللحمِ الذى يبيعُه أبوه ، فلما بانَ طيبُ صَوْته علمّتْه مولاتُه طَرَفاً من الغناء ، وأرادت بَيْعَه فاشتراه إبراهيمُ المَوْصِليّ منها ، وأهداه للفضلِ بنِ يحيي ، فأخذه الرشيدُ ثم أعْتَقَه ، وكانت مولاتُه قَدِمَتْ به من الكوفةِ فنزلتْ المُخَرِّم(٢) . وصار إبراهيمُ إلى الأصْبَغ بن سِنان المُقَيِّن وشيرينَ ابنِ طرخانَ النخَّاس فقالا له : إن ها هنا امرأةً من أهل الكوفة قد قَدِمَتْ ومعها غلامٌ مُغَنٍّ ، ونحبُّ أن تنفَعَها فيه فوجهوا بغلامٍ لإحضارِه قال : فوجده مُتَمَرِّغاً فى رمل الجزيرة التى بإزاء المُخَرِّم ، وهو يلعب ، فحملَه وأتى به إبراهيمَ فغنَّى بين يديه ، فقال لها : كم أمَلُكِ فيه ؟ فقالت : عشرةُ آلافِ دِرْهم . قال : قد أخذتُه بها ، وهو خير منها ، فقالت : أقِلْنِى . قال : قد فعلتُ ، فكم أملك فيه ؟ قالت : عشرون ألفاً ، قال : قد أخذتُه بها ، وهو خير منها . فقالت : والله وما تطيبُ نفسى أن أمْنَع كَبِداً رطْبةً عشرينَ ألفَ دِرهم ، فهل لك فى خَصْلَةٍ تعطينى به ثلاثين ألف دَرهم ، ولا أستقيلك بعدها ؟ فقال : قد فعلتُ وهو خير منها ، فصَفَقَتْ على يَدِه

---

(١) الأغانى ٢١ : ١٤٣ ومواضع أخرى .

(٢) المخرم : محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر معلى منسوبة إلى مخرم بن يزيد بن شريح .

وبايعته ، وأحضرَ المال وأمر بزيادة ثلاثةِ آلاف درهم عليه ، وقال : تكون هذه لهَدِية تُهدينها أو كُسْوةٍ تكتسينها ولا تثلمين المالَ وراح إلى الفضل بن يحيى ، فقال له : ما خبر غُلامٍ بلغنى أنك اشتريته ؟ فقال : هو ما بلغَك قال : فأرنيه ، فأحضره فلما تغَنَّى بين يدى الفضل ، قال : ما أَرَى فيه الذى رأيت ، قال : أنت تريدُ أن يكونَ فى الغناء مِثْلى فى ساعةٍ واحدةٍ ، ولم يكن مثله فى الدنيا ولا يكونُ أبدا . فقال : بكم تبيعُه ؟ قال : قد اشتريْتُه بثلاثة وثلاثين ألفَ دِرْهم وهو حُرٌّ لوجهِ الله إن بِعتُه إلا بثلاثةٍ وثلاثين ألفَ دينارٍ ، فغضب الفضل ، وقال : إنما أردْتَ أن تمنَعَنيه أو أن تجعلَه سببا لأنْ تأخذ منى ثلاثةً وثلاثين ألفَ دينار ، فقال له : أنا أصنع بك خَصْلَةً . أبيعُك نِصْفَه بنصْفِ هذا المالِ ، وأكون شريكك فى نِصْفه ، فإن أعْجَبَك إذا علَّمْتُه أتممتَ لى باقى المالِ وإلا بِعْتُه بعدُ وكان الربح بينى وبينك ، فقال له الفضل : إنما أردتَ أن تأخذ منى المالَ الذى قدَّمْتَ ذِكْره ، فلما لم تَقْدِرَ على ذلك أردتَ أن تأخذ نِصْفَه وغَضِبَ . فقال له إبراهيم : فأنا أهبُهُ لك على أَنه يساوى ثلاثةً وثلاثين ألفَ دينار ، قال : قد قَبِلْتُهُ قال : قد وهَبْتُه لك ، وغدا إبرهيمُ على الرشيد فقال : يا إبراهيم ماغلامٌ بلغنى أنك وَهَبْتَه للفضل ، فقال : يا أمير المؤمنين : غلام لم تَملِكِ العَربُ ولا العجمُ مِثْلَه ، ولا يكون مثلُه أبداً قال : فوَجَّه إلى الفضل يأمُره بإحضارِه ، فوجه به إليه ، فتغنى بين يدَيْه قال إبراهيم : فقال لى : كم يساوى ؟ فقلتُ : يساوى خَراجَ مِصْرَ وضِياعَها ، فقال لى : ويلك أتدْرِى ماتقول ؟ مبلغُ هذا المالِ كذا وكذا ، قلت : وما مقدارُ هذا المال فى شيء لم يَملِكْ أحدُ مِثْلَه قط ، قال : فالتفتَ إلى مسرورٍ الكبير وقال : قد عرفتَ يمينى ألا أسألَ أحدا من البرامكة شيئا بعد قَنْقَنَة ، فقال مسرور : أنا أمضى إلى الفضل فأستوهِبُه منه ، فإذا وَهبه لى وكان عَبْدى فهو عَبْدك ، فقال له شأنَك فمضى

مسرورٌ إلى الفضلِ فقال له : قد عرفْتُم ما وقعْتُم فيه من أمر فنقنه وإن منعتموه هذا الغلامَ قامت القيامةُ ، واستوْهَبَهُ منه فوَهَبَه له ، فكان عَلْويّةَ إذا غَضِب على مُخارقٍ يقول له حيث يقول : أنت مولى أميرِ المؤمنين ، متى كنتَ كذلك ؟ إنما أنت عبدُ الفضلِ بن يحيى أو مولى مَسرور ، وكان سبب لقب أبيه ناووس ، أنه كان بايع رجلا أن يمضى إلى ناووسِ الكوفة فيطبخَ فيه قِدْراً بالليل حتى يَنْضَجَ ، فطرح رَهْنَه بذلك ، فدس الرجلُ الذى راهَنه رجلا فألقَى نَفْسَه فى الناووسِ بين المَوْتى فلما فرغ ناووسُ من الطبْخِ مد الرجلُ يده من بين المَوْتى وقال لـه : أطْعِمْنى ، فغرف له مِلْءَ المغرفةِ من المَرَقةِ وصبَّها فى يد الرجل فأحْرَقها وضَرَبها بالمغرفة ، وقال له: اصبرْ حتى نُطْعِمَ الأحياءَ أولا ثم نتفرغ للموتى فلقب ناووس بذلك ، ولما اشتراه الرشيدُ كان يقف بين يديه مع الغلمانِ لا يجلس ويغنى وهـو واقفٌ فغنى له جامعٌ يوما بين يدى الرشيد :

كأن نيرانَنا فى جَنْبِ قَلْعَتِهم ... مُصَبَّغَاتٌ على أرْسانِ قَصَّارِ

هَوَتْ هِرَقْلَةُ لما أن رأتْ عَجَبا ... جوائماً تَرْتَمِى بالنِّفْطِ والنارِ

فطرب الرشيد واستعاده منه عدةَ مرات ، وهو شعرٌ مدح به لما فتح هِرَقْلَةَ ، وأقبل على ابن جامع دون غيره ، فغَمَز مُخارقُ إبراهيمَ بعَيْنه وتقدَّمه إلى الخَلاء ، فلما جاءه قال : ما أراك منكسرا ؟ قال : أما ترى إقبالَ أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت ، قال : فقد والله أَخَذْتُه منه ، فقال : ويحك ، إنه الرشيدُ وابن جامع من تعلمُ ، ولا يمكن معارَضَتُه إلا بما يَزيدُ على غِنائه وإلا فهو الموتُ . قال : دعنى وخَلاكَ ذَمٌّ ، وعَرِّفْه أنى أغَـنّى به فإن أحسنتُ فإليك يُنْسب وإن أسأتُ فإلىّ يعودُ . فقال للرشيد : يا أمير المؤمنين أراك مُتَعَجِّبا من هذا الصوتِ بغير ما يَسْتَحِقُّه وأكثر ما يستوجبه . فقال : لقد أحسن فيه ابن جامع ما شاء . قال :

ولابن جامع هو ؟ قال : نعم كذا ذَكَر ، قال : فإنَّ عبدَك مخارقا يُغَنِّيه فنظر إلى مخارق ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : هاته ، فغنَّاه وتحَفَّظَ فيه فأتى بالعجائبِ فطَرِبَ الرشيد حتى كاد يطيرُ فرحا ، وشَرِب ثم أقبل على ابن جامع ، فقال : ويلَك ، ما هذا ؟ فابتدأ يحلفُ بالطلاقِ وكُلِّ مُحْرِجَةٍ أنه لم يُسْمَعْ هذا الصوتُ قط إلّا منه ، ولا صَنَعَه غيرُه ، وأنها حيلةٌ جَرَتْ عليه ، فأقبلَ على إبراهيم وقال : أصدِقْني بحياتى ، فصدق عن قِصَّةِ مخارقٍ . فقال له : أكذلك هو يا مخارق ؟ قال : نعم يا مولاى ، قال : فاجلس إذًا مع أصحابك ، فقد تجاوزتَ مرتبةَ من يقومُ وعَتَقَه ووَصَلَه ثلاثين ألفَ دينار ، وأقطعه ضيعةً وأعطاه منزلا .

قال هارون بن مُخارِق : كان أبى إذا غَنَى هذا الصوت :

يا ربعَ سَلْمَى لقد هيجتَ لى طرباً ... زِدْتَ الفؤادَ على عِلّاتِه وَصَبا
رَبْعٌ تبدَّلَ ممن كان يَسْكُنُه ... عُفْرَ الظباءِ وظُلْمَاناً به عُصَبَا

يبكى ويقول : أنا مولى هذا الصوت ، فقلت له : وكيف يا أَبَهْ فقال : غنّيته مولاىَ الرشيدَ فبكى وشربَ عليه رِطْلا ثم قال: أحسنتَ يا مخارقَ ، فسلنى حاجتك ، فقلت : تُعْتِقُنى يا أميرَ المؤمنين من الرِّقِّ وتَسْتَرِقّنِى بولائِك ، أعتقَك اللهُ من النار ، فقال : أنت حر لوجهِ الله ، أعِدِ الصوتَ فأعَدْتُه فبَكَى وشربَ رِطْلا ، وقال : أحسنت يا مخارقُ فسَلْنِى حاجتَك ، فقلت : ضيعةٌ تقيمنِى غَلَّتُها قال : قد أمرتُ لك بها ، أعِدِ الصوتَ فأعدتُه فبكى ، وقال : سل حاجَتك فقلتُ يا أمير المومنين : تأمرُ لى بمنزلٍ وما يُصْلِحُه وفَرْشٍ وخادمٍ ، قال : ذلك لك ، أعِدِ الصوتَ فأعدتُه فبكى ، وقال : سل حاجتك فقبّلتُ الأرض بين يديه وقلت : حاجتى أن يُطيلَ اللهُ بقاءَك ويديمَ عِزك ويجعلَنِى من كلِّ سوءٍ فداءَك فأنا مولى هذا الصوتِ بعدَ مَولاى .

قال مخارق : اصطبحَ الرشيدُ يوما فقال للمغنين من منكم يُغَنِّى :

* يا ربعَ سلمى لقد هيجت لى طربا *

فقمتُ وقلتُ: أنا يا أميرَ المؤمنين ، فقال : هاته ، فغنيتُه فطرِبَ وشرِبَ ثم قال: علىَّ بهرثمة ، فقلت فى نفسى : ما تراه يريد به ، فجاءوا بهرثمة ، فأُدْخِل عليه وهو يجر سيْفَه فقال : ياهَرْثَمة ، مخارقٌ الشارِىالذى قتلناه بنواحى المَوْصِلِ ، ما كانت كنيته؟ فقال : أبو المهنّأ . فقال : انصرفْ فانصرفَ ثم أقبل علىّ فقال : قد كَنَيْتُك أبا المُهَنَّأ لإحسانِك وأمر لى بمائةِ ألف درهم ، فانصرفتُ بها وبالكُنْية وكان الواثق يقول: خَطأُ إسحاقَ كصواب مخارق وخطأ مخارق كصواب علويَّه ، وما غَنَّانى مخارق قط إلا قدّرت أنهمن قَلْبِى خُلِق، ولا غنّانى إسحاقُ إلا ظننتُ أنه زيدَ فى مُلكى مُلْكٌ آخر . وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فَضْلَ مخارق على جميع أصحابه ، انظروا إلى هؤلاءِ الغلمانِ الذين يقفون فى السِّماطِ ، فكانوا يتفقدونهم وهم وقوفٌ ، وكلهم يَسْمَعُ الغناءَ من المغنّين جميعا ، وهو واقف مكانه ضابط لنفسه ، فإذا غنى مخارقٌ خرجوا عن صُوَرِهم فتحركتْ أرجلُهم ومنا كبُهم وبانت أسبابُ الطربِ فيهم ، وازدحموا علىالَحبْل الذين يَقفون من ورائِه . قال رجلٌ لأبى العتاهية ، وقد حضرته الوفاةُ : هل فى نفسك شىء تشتهيه ؟ قال : نعم ، يحضر مخارقٌ الساعةَ ويغنى :

ستُعْرِضُ عن ذِكْرِى وتَنْسَى مَوَدَّتى ويحدثُ بعدى للخليلِ خليــلُ
إذا ما انقَضَتْ عـنّى من الدهرُ مُدَّتى فإن غنـاءَ البـاكياتِ قليـلُ

كان عبدُ الله بنُ سهل وجماعةٌ وقوفاً بكُناسَةِ الدوابِ ، فى الجانب الغربى ببغداد، يتحدثون ، فأقبل مخارقٌ على حِمارٍ أسودَ ، وعليه قميص رقيقٌ ورداءٌ مُسَهَّم ، فقال : فيم كنتم ؟ فأخبروه ، فقال : دعونى من وَسْواسِكم هذا ، أىُّشىءٍ لى عليكم إن رميتُ بنفسى بين قَبْرين من هذه القبور ، وغطيتُ وجهى وغنيتُ صوتا ، فلم يبق أحدٌ فى الكُناسةِ ولا فى الطريق ، من مشترٍ ولا بائعٍ ولا صادرٍ ولا واردٍ إلا ترك عَمَلَه وقَرُبَ منى واتّبَعَ صوتِى فقال عبد الله : إنى لأُحِبّ أن أرى هذا ، فقل ما شئت.

فقال : فَرَسُك الأشقرُ الذى طَلَبْتُه منك فَمَنَعْتَنِيه قال : هو لك إن فعلتَ ما قلتَ ، ثم دخلها ورمى بنفسه بين قَبْرَين وتغطّى بردائه ثم اندفع يغنى فى شعر أبى العتاهية :

نادتْ بوشْكِ رحيلِك الأيامُ أفلست تسمعُ أم بك استِصْمامُ
ومضى أمامَك من رأيت وأنت لا باقِين حتى يَلْحقوك إمامُ
مالى أراك كأن عيْنَك لا ترى عِبَرًا تمرُ كأنهن سِهامُ
تمضِى الخطوبُ وأنت مُنْتَبِهٌ لها فإذا مَضَتْ فكأنها أحلامُ

قال : فرأيت الناسَ يَنْفَضون إلى المقبرةِ أرسالا بين راكبٍ وراجلٍ وصاحب شَوْكٍ وصاحب كِرًى ومارِّ الطريق ولم يبق بالطريق أحدٌ ثم قال لنا : من تحت ردائه ، هل بقى أحد ؟ قلنا : لا ، وقد وجبَ الرَّهْنُ فقام فركبَ حِمارَه وعاد الناس إلى صنائِعهم ، وقال لعبد الله : احْضِرْ الفَرَس فقال : على أن تُقِيمَ اليومَ عندى ، قال : نعم ، فانصرفوا وسَلَّمَ الفرسَ إليه وبرَّه وأحسنَ رِفْده .

[دخل أبو العتاهية يوما إلى صديقٍ له ، وعنده جارية تغنى ، فقال : يا أبا إسحاق ، إن هذه الجارية تغنِّى صوتًا حسنا فى شعرٍ لك أفتَنْبَسِطُ لسماعِه قال : هاته ، فغنّته لحنا لعَمْرو ابن بانة فى قوله :

* نادَتْ بوشْكِ رحيلكَ الأيامُ *

فعَبَس وبَسَر ، وقال : لا جزى الله خيْرًا من صنع هذه الصنعةَ فى شِعْرى ، قال : فإنها تُغَنِّى فيه لحنا لمُخارِقٍ قال : فلتُغَنِّه فغَنّته فأعجبه وطرب طَرَبا شديدا ، حتى بكى . وقال : جزى اللهُ هذا عنِّى خيرا .

قال مخارق : رأيت ، وأنا حَدَث ، كأن شيخا جالسا على سريرٍ فى روضةٍ حسنةٍ قد دعانى ، فقال : غنّنى يا مخارق ، فقلت : أصوْتا تقترحه أو ما حَضَرَ ؟ فقال : بل ما حضر ، فغنيته فى هذا الشعر بصنْعَتِى :

دع القلبَ لا يزددْ خَبالا مع الذى به منك أو داوى جَواه المُكَتَّما

وليس بتزويق اللسانِ وصَوْغِه ولكنه قد خالَطَ اللحمَ والدَّما

فقال: أحسنت يا مخارق، ثم أخذ وترا من أوتار العود فلفَّه على المضراب ودفعه إلىّ فجعل المضرابُ يطولُ ويَغْلُظُ والوتر ينتشِرُ ويَعْرُض حتى صار المضرابُ كالرُّمح والوترُ كالعَذَبةِ عليه وصار فى يدى عَلَماً، ثم انتبهتُ فحدثت رؤياىَ إبراهيمَ المَوْصِلِىّ فقال لى: الشيخُ، بلا شك، إبليسُ وقد عَقَدَ لك لواء صناعَتِك فأنت ما حييتَ رئيسُ أَهْلِها، وأظنُّ مادحَ مخارقٍ غَنَّى هذا بقوله:

لقد عقدَ الشيخُ الذى غرَّ آدما فأخرجه من جَنَّةٍ وحدائقِ

لواءَىْ فنون للقريض وللغِنَا وأقسمَ لا يُعْطِيهما غيرَ حاذِقِ

كان هارونُ بنُ أحمدَ بنِ هشام عند مخارقٍ، فلعب معه بالنَّرْدِ فقَمَره مخارقٌ مائتى رطل باقِلِىّ طرِيًّا: فقال مخارق: وأنتم عِندى أطعِمُكم من لَحْمِ جَزورٍ من الصِّناعة، يعنى من صناعةِ أبيه ومرّ بهارونَ بنِ أحمد فصيلٌ ينادَى عليه، فاشتراه بأربعةِ دنانيرَ ووجَّه به إلى مُخارق: وقال: يكون ما تُطْعِمُنا من هذا الفصيل، فاجتمعوا وطَبَخ مخارقٌ بيده جُزارتَه، وعمِل من سنانِه وكِبده ولَحْمه ضفائرَ وشُوِيَتْ فى التنورِ، وعمل من لَحْمِه لونا يشبه الهَرِيسةَ بشعيرٍ مُقَشَّرٍ فى نهاية الطِّيب، فأكلنا وجلسنا نشْرَبُ فإذا بامرأة تَصيحُ من الشَّطِّ: يا أبا المُهَنَّأ، اللهَ اللهَ فىَّ، حلف زوجى عَلَىَّ بالطلاقِ الثلاثِ أن يَسْمَعَ غناءَك ويشربَ عليه. فقال: اذهبى فجيئى به، فجاء فجلس. فقال له: ما حملك على ما صَنَعْت فقال له: يا سيدى كنت سمعتُ صوتا من صَنْعَتِك فطربتُ عليه حتى استخفَّنى الطربُ فحلفت أن أسمَعَه منك ثقةً بإيجابك حقَّ زوجتى، وكانت زوجته دأية هارون من مخارق فقال: وما الصوت؟ فقال شعر لحسين بن مطير:

بَكَرَتْ عليك فهيَّجَتْ وَجْدا هُوجُ الرياحِ وأذْكَرَتْ نَجْدا

أتحِنّ من شوقٍ إذا ذُكِرَتْ نَجْدٌ وأنت تركْتَها عَمْدا

فغناه إياه وسقاه رِطلا ، وأمره بالانصراف ونهاه ألا يعاودَ ، وخرج فلم يلبث أن عادت المرأة تصرخُ ، اللهَ اللهَ يا أبا المهنأ قد أعاد زوجي المشئومُ تلك اليمينَ أنك تغنّيه صوتا آخر ، فقال لها : أحْضريه . فقال له : ويلك مالى ولك، أىُّ شَىْءٍ قَضِيَّتُك فقال : يا سيدى أنا رجلٌ طروبٌ فقد كنت سمعتُ لك صوتا آخر فاستفزَّنى الطربُ إلى أن حَلَفْتُ بالطلاق ثلاثا أنى أسْمَعَه منك قال : وما هو ؟ قال :

أبلغْ سلامةَ أنّ البينَ قد أَفِدَا ... وأن صَحْبَك عنها رائحون غَدا
هذا الفراقُ يقيناً أن صَبرتْ له ... أولا فإنّك منها ميِّتٌ كَمَدا
لاشكّأنالذى بى سوف يُهْلِكُنى ... إن كان أَهْلَكَ حبٌّ قبله أحدا

فغناه إياه مخارقٌ وسَقاه رِطْلا وقال له : احذر أن تُعاودَ فانصرفَ ولم تَلْبَثْ أنعاودت الصياحَ، تصرخُ:ياسيدى قدعاودَ اليمين ثلاثة ، اللهَ اللهَ فىّ وفىأولادى، قال : هاتيه فأحضَرَتْه فقال لها : انْصَرِفى أنت، فإنَّ هذا كلّما انصرفَ حلف وعاد، فدعِيه يقيمُ يومه وليْلَته ، فتركته وانصرفتْ . فقال له مخارقُ : ما قِصَّتُك أيضا ؟ قال : قد عرّفتك يا سيدى أنّنى رجلٌ طروبٌ وكنتسَمِعْتُك تغنى صوتا من صَنْعتك فاستخفّنِى الطربُ إلى أن حلفتُ أن أسْمَعَه منك قال وما هو قال :

أُلِفَ الظبىُ بِعادِى ... ونَفَى عنى رُقادِى
وعدا الهجرُعلى الوصْـ ... ـلِ بأسيافٍ حِدادِ
قل لمن زَيَّفَ وُدِّى ... لستَ أهلا لودادِى

فغناه إياه وسقاه رطلا ثم قال : يا غلام ، مقارعُ ، فجىءَ بها ، وأمَرَ به فبُطِحَ وضرب خمسين مِقْرَعة ، وهو يستغيثُ ولا تُكَلِّمه ثم قال : أحلف بالطلاق ثلاثا أنك لا تذْكُرُنى أبدًا وإلا كان هذا دَأْبَك إلى الليل فحلف بالطلاق ثلاثا على ماأمره به ثم أُقِيمَ وأخرج من الدار فجعلنا نضحك بقية يومنا من حُمْقِه .

خرج مخارقٌ مع بعض إخوانه إلى بعض المُتنزَّهاتِ فنظر إلى قَوْسٍ مُذَهَّبةٍ مع بعض من خرج ، فسأله إياها ، فكان المسئولُ ضَنَّ بها ، وسنَحتْ ظباءٌ بالقرب منه فقال لصاحب القوسِ : أرأيتَ إن تغنيتُ صوتا فعَطَفتْ علىّ به صدورُ هذه الظباء أتدفعُ إلىّ القوس ؟ قال : نعم ، فاندفع يغنى :

ماذا تقول الظباءُ … أفُرْقةٌ أم لقاءُ

أم عَهْدُها بسُلَيْمَى … وفى البيانِ الشفاءُ

مرّت بنا سانحاتٍ … وقد بدا الإمساءُ

فما أحارَتْ جوابا … وطال فيها العَناءُ

فعطَفَتِ الظباءُ راجعةً إليه حتى وقفتْ بالقرب منه تنظُر إليه مُصْغيةً إلى صوتهِ فعجبَ من حضر من رُجوعها ووقوفِها ، وناوله الرجلُ القوسَ ، فأخذها منه وقطعَ الغناء وعاودت الظباءُ نِفارها ومضت راجعة على سَنَنِها .

دخل المتوكل إلى جارية من جواريه وهى تغنى :

أمِنْ قَطْرِ الندى نَظمْـ … ـتِ ثَغْرَكِ أم من البَرَدِ

ورِيقُكِ من سلافِ الـكرْ … مِ أم من صَفْوَةِ الشُّهُدِ

أيا من قد جرَى منّى … كمَجْرى الروحِ فى الجَسَدِ

ضميرُكِ شاهدى فيما … أقاسيهِ من الـكَمَدِ

فقال لها : ويحك لمن هذا الغناء ؟ قالت : أخذتُه عن مخارق ، قال : فألقيه على الجوارى جميعا ، ففعلَت ، فلما أخذنه عنها أمر بإخراجهنّ إليه ، ودعا بالنبيذ وأمَرَهن ألا تغنينه غيرَه ثلاثةَ أيام متوالية ، وكان ذلك بعد وفاةِ مخارق .

قال عبدُ الله بنُ إبراهيم بنِ المهدى : غَنَّتْ شاريةُ يوما بحضرة أبى صوتاً فأَحدَّ النظر إليها ، وصبر حتى قَطَعَتْ نَفَسَها ثم قال لها : امْسِكِى فأمسَكَتْ . فقال : قد عرفتُ إلى أين ذهبتِ أردتِ أن تتشبهى بمخارق فى تزايُدِه ، قالت : نعم يا سيدى ،

قال : فإياكِ أن تعودى ، فإن مخارقا خَلَقَه الله وَحْـدَه فى طَبْعِه وخَلْقه وصُورتِه ونَفَسِه يتصرفُ فى ذلك أجمع كيفَ أحبَّ ، ولا يَلْحَقُه أحدٌ ، ولقد أراد غيرُكِ أن يتشبَّه به فى هذه الحالِ فهلَكَ وافتضَح ولم يلحَقْه فـلا أَسْمَعَنَّك تتعرَّضين لمثل هذا بعد وقتنا هذا .

قال مخارق : دعانى الأمينُ يوما ، وقد اصطبح واقترح على :

استَقْبَلَتْ ورقَ الريحانِ تَلْقِطُه ... وعنبرَ الهندِ والوردية الجددا

ألستَ تعرفنى فى الحى جارية ... ولم أخنك ولم أمْدُدْ إليك يدا

فغنيتُه إياه ، فطرب عليه طَرَبا شديدا ، وشرب عليه أرطالا ، وأمر لى بألفِ دينار وخَلَعَ علىَّ جُبّة وَشْىٍ كانت عليـه مُذَهَّبة ودُرّاعةً مِثْلَها ، تـكاد تُعْشِى البصرَ من كثرة الذهب ، فلما لبستُ ذلك ورآه علىَّ نَدِم ، وكان كثيرا ما يفعل ذلك ، فقال لبعض الخدَمِ : قل للطبّاخ يأتِينا بِصَلِيَّةٍ[1] معقورةِ الساعةَ فأُتِى بها . فقال لى : كل مَعِى ، وكنت أعْرَفُ الناس به وبكراهيته ذلك ، فامتنعت فحلَفَ أن آكل معه ، فحين أدخلت يدى فى الغضارة[2] رفع يده وقال : أفٍّ نَغَّصْتَها ، والله ، علىَّ وقذَّرْتها عِنْدِى بإدخالك يَدَكَ فيهـا ، ثم رَفَسَ القصعةَ رَفْسَةً فإذا هى فى حِجْرى ، ووَدَكُها يسيل على الخِلْعَة ، حتى نَفَذَ إلى جِلْدِى فقمتُ مُبادراً فنزَعْتها وبعثتُ بها إلى منزلى ، وعدت وأنا مغمومٌ بها ، وهو يضحك . فلمّا رجعتُ إلى منزلى جمعتُ كل صانعٍ حاذقٍ فجهدوا فى إخراجِ الأثر منها فلم يَخْرُجْ ولم انتفعُ بها حتى أحْرَقْتُها ، فأخذتُ ذَهَبها ، وضربَ الدهرُ ضَرَباته فدعانى المأمـون فدخلتُ إليه ، وهو جالس ، وبين يديه مائدةٌ عليها رغيفانِ ودجاجتان ، فقال لى : تعال وكل، فامتنعت . فقال لى : ويلك تعال فساعِدْنى فجلستُ فأكلت حتى استوفَى ووضع

(١) المصلى : المشوى .

(٢) الغضارة : القصعة الـكبيرة

النبيذ ودعا علويـة فجلس فقال لى : يامخارق أتغنى :

أقولُ التماسَ العُذْرِ لما ظَلَمْتِنِي وحَمَّلتِنى ذَنْبا وما كنت مُذْنبا
هبينى امرأً إمّا بَرِيئا ظَلَمْتِهِ وإما مُسيئا قـد أنابَ وأَعْتَبا

فقلت : نعم ياسيدى ، فقال : غنه ، فغنيْتُه فعبَس فى وجهى ، وقال : قبحكَ الله ، أهكذا يُغَنَّى هذا ثم أقبلَ على علوية ، فقال : تُغَنِّيه ؟ فقال : نعم ياسيدى ، فقال : غنِّه فغنّاه ، فو الله ما قارَبَنِى فيه ، فقال : أحسنتَ والله ، وشرب رِطلا وأمر له بعشْرةِ آلاف دِرْهم واستعاده ثلاثا ، وشرب عليه ثلاثةَ أرطال ، يُعْطيه مع كل رِطْلٍ عشرةَ آلاف درهم ، ثم حَذَف بإصبعه وقال : بَرْقٌ يمان ، وكان إذا أراد قَطْع الشُّرْبِ فعل ذلك فقُمْنا ، فعلمت من أين أُتيتُ ، فلما كان بعد أيام دعانى فدخلت إليه ، وهو جالس فى ذلك الموضع بعينه ، يأكلُ فقال لى : تعالَ ، ويلك ، فساعِدْنى ، فقلتُ : الطلاق لازمٌ لى إن فعلت ، فضحك ، ثم قال : ويلك أترانى بخيلا على الطعام ؟ لا ، والله ، ولكن أردتُ أن أؤدِّبَك فإن السادةَ لا ينبغى لعَبيدها أن تؤاكلها أفهمت ؟ فقلت : نعم : قال : الآن إذَنْ فكُلْ ولك الأمان ، فقلت : أكونُ أولَ من أضاع تأديبَك واستحق العقوبةَ من قَريبٍ ، فضحكَ حتى استغْرب ، وأمر لى بألفِ دينارٍ ، ومضيت إلى حُجْرَتِى المرسومة لى للخِدْمة فأُتيتُ هناك بطعامٍ فأكلتُ ووضع النبيذَ ودعا علوية فلما جلسنا قال يا علوية أتغنّى :

ألم تقـولى نَعَمْ قالت أَرَى وَهْماً منى وهَلْ يُؤْخَذُ الإنسانُ بالوَهَمِ
قولى نَعَمْ إنّ لا إنْ قلتِ قاتلتى ما ذا تريدين من قَتْلِى بغيرِ دَمِ

فقال : نعم يا سيدى ، فقال . غنه ، فغناه فعَبَس فى وجهه وبَسَر ، وقال : قبحك الله ، أتُغَنِّى هذا هكذا ! ؟ ثم أقبلَ علىّ فقال : أتغنيه يا مخارق ؟ فقلت : نعم يا سيدى . وعرفت أنه أراد أن يَسْتَقِيدَ لى من علوية ، ويرْفَعَ منى ، وإلا فما أتى

علوية بما يعابُ فيه ، فغنيْتُه فطرب وشربَ رِطلا ، وأمر لى بعشرةِ آلافِ درهمٍ ، وفعل ذلك ثلاث مرات ، كما فعل به ثم أمر بالانصرافِ ، وما عاودت بعد ذلك مؤاكلةَ خليفة إلى وقتنا هذا .

غضب المعتصمُ على مخارق فأمر أن يُجعَلَ فى المُؤَذِّنين ، ويلزَمهم ، ففعل ذلك ، فأمْهلَ حتى علم أن المعتصمَ جلس للشرابِ وأُذِّنت العصرُ ، فدخل هو إلى السِّتْرِ حيث يقف المُؤذِّنُ للسلامِ ثم رفَعَ صَوْتَه جُهْدَه وقال : السلامُ عليك ياأمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاتُه ، الصلاةَ يرْحَمُك الله ، فبكى حتى جرتْ دموعُه وبكى كلٌّ من حَضَره ، ثم قال : أدْخِلوه إلىّ وأقبل علينْا وقال : سمعتم هكذا قط ، هذا الشيطان لا يترك أحداً يَغضَبُ عليه ، فأُدْخِل عليه فقبَّلَ الأرضَ بين يديه ، ودعاه المعتصمُ إليه وأعطاه يده فقبَّلها وأمره بإحضار عُودِه فأحضره وأعادَه إلى مرتبته .

قال أبو يعقوبَ الخرَيْمى : ما رأيت كثلاثةِ رجالٍ كانوا يأكلون الناسَ أكلاً حتى إذا رأوا ثلاثةَ رجالٍ ذابوا كما يَذوبُ الرَّصاصُ على النـارِ ، كان هشامُ بن الـكلبيّ علّامةً نسّابةً راويةً للمثالبِ عيّابةً ، فإذا رأى الهيثمَ بنَ عَدىّ ذابَ كما يذوبُ الرَّصاصُ . وكان عدى بن الهيثم جونقا مفقعانيا(١) صاحب تَقَعُّرٍ يستولى على كل كلام ، ولا يحفـلُ بخطيب ولا شاعرٍ فإذا رأى موسى الضَّـبّيّ ذاب كما يذوبُ الرصاصُ ، وكان علويّـة واحدَ الناس فى الغناء روايةً وحكايةً فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاصُ على النار .

كان مخارق يهوى جاريةً لأم جعفرٍ يقال لها نهارُ ويسترُ ذلك عن أمّ جعفر حتى بلغها فأقصَتْه ومنعَتْه من المرور بها فمات كلفاً بها ، وقيل : إن مخارقا لما بلغَ

(١) من التفقيع وهو التشدق فى الـكلام .

أمَّ جعفرٍ قَطَعها إجلالا لها وطَمعا فى السلوِّ عن جاريتها ، وضاق ذَرْعُه بذلك ، فبينا هو ذاتَ ليلة فى زلال وقد انصرفَ من دار المأمونِ ، وأُمُّ جعفرٍ تشرفُ على دجلة إذ حاذَى دارها فرأى الشمعَ يُزْهِرُ فلما صار بمرأى منها ومسمعٍ اندفع يغنى فى شعر العباسِ بنِ الأحنف :

إن يمنعونى تَمَرِّى قربَ دارِكُمُ ... فسوف أنظرُ من بُعْدٍ إلى الدارِ
سِيما الهوَى عُرِفَتْ حتى شُهِرتُ بها ... إنى محبٌ وما بالحبِّ من عـارِ
ما ضرَّ جيرانَـكم واللهُ يُصْلِحُهُمْ ... لولا شقائى إقبـالى وإدبارِى
لا يقدرون على مَنْعِى وإن جَهدوا ... إذا مررتُ وتَسْليمى بإضمارى

فقالت أم جعفر : مخارقٌ . والله ، رُدُّوه فصاحوا بمَلَّاحِه فقَدِم فأمَرَه الخدمُ بالصعود فصَعِدَ وأمرت له أم جعفرٍ بكُرْسِىٍّ وصِينيةٍ فيها نبيذٌ فشرب وخَلَعَتْ عليـه وأمرت الجوارى فغنيْن ثم ضَرَبْن عليه فغَنَّى فـكان أولَ ما غنى للعباسِ ابن الأحنف :

أغيبُ عنـك بُودٍّ لا يُغَيِّرُه ... نأىُ المحَلِّ ولا صرفٌ من الزمن
فإن أعِشْ فلعـل الدهرَ يجمعنا ... وإن أمتْ فقتيلُ الهمِّ والحزنِ
قد حسَّنَ الله فى عينىَّ ما صَنَعَتْ ... حتى أرى حَسَناً ماليس بالحَسَنِ

قال : فاندفعت نهارُ فغنتْ كأنها تُبايِنُه(١) ، وأجابَتْه عن معنى ما عرَّض لهـا به :

تعتلُّ بالشُّغْلِ عنـا ما تُلِمُّ بنا ... الشُّغْلُ للقلب ليس الشغلُ للبدنِ

ففطنت أمُ جعفر أنها خاطبَتْه بما فى نفسها ، فضَحِكَتْ وقالت : ما سمعنا بأملح مما صنعتما ووهَبَتْها له .

---

(١) باينه : هاجره .

قال مخارقٌ : كنت عند المأمون يوماً فجاءه الخادمُ الحرمىُّ ، فأسرّ إليه شيئا ، فوثبَ فدخل معه ، ثم أبطأ علينا ساعةً وعاد وعيناه تَذْرِفان ، فقال : دخلت الساعة إلى جاريةٍ لى كنت أتحظَّاها فوجدتُها فى الموت ، فسلمتُ عليها فلم تَستطع رَدَّ السلام إلا إيماءً بأصبعها فقلت هذين البيتين .

سلامٌ على مَنْ لم يُطِقْ عند بَيْنِه سلاما فأوْمَى بالبنانِ المُخَضّبِ
فما اسْطَعْتُ توديعا له بسوَى البُكا وذلك جهـدُ المستهامِ المُعذَّبِ

ثم قال : غَنِّ فيها يا مخارقُ . ففعلت ؛ فما استعادنى ذلك الغناء قطُّ إلا بكى .

حج رجـلٌ مع مخارق فلما قضيا الحجَّ وعادا قال له الرجل : بحقّى غَنِّنى صوتاً فغناه :

رَحَلْنا فشرّقْنا وراحوا فغرّبوا وفاضت لروعاتِ الفِراق عيونُ

وتوفى مخارقٌ فى أول خلافةِ المُتَوَكِّل وقيل فى آخر خلافةِ الواثقِ وكان أكل قنبيطة باردة فقتلته فى يومه .

***

نجز الجزء السابع من مختار الأغانى بحمد الله تعالى وعونه وتوفيقه. فرغ من تعليقه جامعه عبد الله محمد بن المكرم الأنصارى فى د بمج .

مسلم (١)

هو مسلمُ بنُ الوليد مولى الأنْصارِ ، ثم مولى أبى أُمامةَ ، سعدِ بن زُرَارَة الخزْرَجِىّ ولُقِّبَ صريعَ الغوانى ، شاعرٌ متقدمٌ من شعراء الدولةِ العباسيةِ ، ومولدهُ بالكوفةِ ، وهو فيما زعموا أولُ من قال الشِّعْرَ المعروفَ بالبديعِ ، وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم أبو تمام الطائى ، فإنه جعل شِعْرَه كلَّه مَذْهباً واحداً ، وكان مسلم متَفَنِّنا مُتَصَرِّفا فى شعره حَسَنَ النمطِ جيِّدَ القولِ فى الشرابِ ، وكثيرٌ من الرواة يُقَرِّبه من أبى نواسٍ فى هذا المعنى ، وهو أولُ من عقدَ المعانىَ اللطيفةَ واستَخْرَجها ، وكان هو وأخوه مُنْقَطِعَين إلى يزيدَ بنِ مَزْيد ومحمدِ بن منصور بن زِيادٍ ، ثم الفضلِ بنِ سَهْلٍ بعدَ ذلك ، وقلدَه الفضلُ المظالمَ بجُرْجَان فمات بها ، وعلق مُسْلِمٌ جاريةً ذات ذِكْرٍ وشَرَفٍ ، وكان مَنْزِلُها فى مَهَبِّ الشمال من منزله فقال فى ذلك :

أحِبُّ الريحَ ما هبَّت شَمَالاً ... وأحْسُدُها إذا هبَّت جَنُوبا

أهابُكِ أن أبوحَ بذات نفسى ... وأفْرَقُ إن سألْتك أن أُجيبا

وأهجُرُ صاحبى حُبَّ التَّجَنِّى ... عليه إذا ما تجنيتُ الذنُوبا

كأنى حين أغْضِى عن سواكم ... أخافُ لكم على عَيْنى رَقِيبا

وكانت له جاريةٌ يُرْسِلُها إليها ويَبُثُّها سِرَّه فتعودُ إليه بأخبارها ورسائلها ، فطال ذلك بينهما حتى أَحَبَّتْها الجاريةُ التى علقها مُسْلِمٌ ، ومالتْ إليها وكاتاهما فى

---

(١) اعتمدنا فى تحقيق هذه الترجمة على ديوان مسلم ومقدمته التى جمعت ما كتب عنه فى كتب الأدب (طبع ليدن) .

نهايةِ الُحسْن والـكمال ، وكان مسلم يحبُّ جاريتَة محبةً شديدةً ، ولم يكن يهوى تلك ، إنما كان يريد الغزَلَ والأدبَ فلما رأى مودةَ تلك الجاريةِ لجاريتِها هجر جاريته مُنْـكِراً لذلك وقطعها عن الذهاب إلى تلك وقال :

تدّعِي الشوقَ إن نأت ... وتَجَـنّى(١) إذا دَنَتْ

واعـــدتنا وأخْلَفَتْ ... فأساءَتْ وأحسَنَتْ

سَرّنِي لو صبرتُ عنـــ ... ـها فتُجْزَى بمـا جَنَتْ

واتى مسلمُ بن الوليد أبا نواس فقال له : ما أعرف لك بيتاً إلّا فيه سَقَطٌ قال : فما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنتَ ماشئتَ حتى أُرِيكَ سَقْطَةً فيه ، فقال أبو نواس :

ذكر الصبوحَ بسحْرَةٍ فارْتاحا ... وأمَلَّه ديكُ الصباحِ صِياحا

فقال له مسلم : كيف أمَلَّه ، وهو الذى ذَكَّرَه وبه ارتاح ؟ فقال له أبو نواس : فأنشدنى شيئا من شِعْرك ليس فيه خَلَل فأنشده مسلم :

عاصى الشبابَ فراح غير مُفَنَّد ... وأقام بين عَزِيمةٍ وتَجَلُّدِ

فقال له أبو نواس : كيف جعلتَه رائِحا مقيما فى حال واحدٍ وبيت واحدٍ [فتشاغبا وتَسَابَّا] ساعةً ، وكلا البيتين صحيحُ المعنى .

واجتمع أصحاب المأمون عنده يوما فأفاضوا فى ذكر الشعراء فقال له بعضهم : أين أنت يا أميرَ المؤمنين مِنْ مسلمِ بن الوليد؟ قال : حيث ماذا ؟ قال : حيث يقول وقد رثى رجلًا :

أرادوا ليُخْفُوا قَبْرَه عن عَدُوِّه ... فطيبُ تراب القَبْر دَلَّ على القَبْرِ

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال :

يجودُ بالنَّفْسِ إذا ضنَّ الجوادُ بها ... والجودُ بالنفسِ أقصى غاية الُجودِ

---

(١) فى الأصل : تحي .

وهجا رجلا بقُبْحِ الوجه والأخلاق فقال :

قَبُحَتْ مناظرُهم فحين خَبَرْتُهُمْ حَسُنَتْ مناظرهم بقُبْحِ المَخْبَرِ

وتغزل فقال :

هوًى يَجِلّ وحبيبٌ يلعبُ أنتَ لقاً بينهما مُعَــذَّبُ

فقال المأمون: هذا أشعر من خُضْتُم اليوم فى ذكره .

وحكى يزيدُ بن مَزْيد قال : أرسل إلىَّ الرشيدُ فى ساعةٍ لا يُرْسلُ إلى مِثلى فأتيته وأنا لابسٌ سلاحى مستعدٌ لأمرٍ يريده . فلما رآنى ضحك وقال: يا يزيدُ خبرنى من الذى يقول فيك :

لله من [هاشمٍ](١) فى أَرْضِه جَبَلٌ وأنت [وابنُك] ركنا ذلك الجبلِ

تراه فى الأَمْنِ فى دِرْعٍ مضاعَفَةٍ لا يأمنُ الدهرَ أن يأتى على عَجَلِ

فقلت : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال : سوْءَةٌ لك من سيِّدِ قومٍ ، تُمدَحُ بمثلِ هذا الشعرِ ولا تعرف قائله ! وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ، ووصل قائله ! ! هو مسلمُ بن الوليد ، فانصرفت فدعوتُ به ووصَلْتُه .

وحُكِىَ عنه أنه دخل على الرشيد يوما فقال : يا يزيد من الذى يقول فيك :

لا يَعْبَقُ الطيب خدَّيْهِ ومَفْرِقَهُ ولا يمسِّح عينيــه من الكُحُــلِ

قد عود الطيرَ عاداتٍ وَثِقْن بها فهُن يَتْبَعْنه فى كل مُرْتَحَلِ

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ، فقال : أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ! ؟ فخرج من عنده خَجِلًا ، فلما صار إلى منزله دعا بالحاجب ، فقال : من بالباب من الشعراء ؟ قال : مسلمُ بن الوليد ، فقال له : وكيف حَجَبْتَه عنى فلم

(١) ما بين القوسين عن الديوان وقد جاء محرفا فى الأصل مع زيادة حرف الجر «فى» قبل (ذلك الجبل) .

تُعْلِمْني مكانَه ؟ قال : أخبرتُه أنك مُضَيَّقٌ وأنك ليس في يديك شيء تُعطيه ، وسألته الإمساكَ والمُقامَ إلى أن تتَّسِعَ ، فأنكر ذلك عليه ، وقال : أدْخِلْه . فأدخله إليه ، فأنشده قولَه فيه :

أُجْرِرْتُ حَبْلَ خليعٍ في الصِّبَي غَزِلٍ   وشَمَّرَتْ هِمَمُ العُذَّالِ في عَذَلي

ردَّ[1] البكاءَ على العينِ الطَّموحِ هوًى

مُفَرَّقٌ بين توديعٍ ومُحْتَمَلِ

مما جنت[2] وإن كانت مُنًى صَدَقَتْ   صبابةً خلس التَّسْليم[3] بالمقلِ

فقال له : قد أمرنا لك بخمسين ألفَ درهم فاقْبِضْها واعْذر ، فخرج ، وخرج الحاجب ، فقال لمسلم : قد أمرَني أن أرْهَنَ ضيعةً من ضياعِه على مائةِ ألفِ درهم ، خمسون ألفًا منها لك ، وخمسون ألفا لنفقته ، فأعطاه إياها ، وبلغ الخبر الرشيدَ فأمر ليزيد بمائةِ ألفِ درهمٍ وقال : اقبض الخمسين ألف درهم التي أخذَها الشاعر ، وزده مِثْلَها ، وخذ مائةَ ألفٍ لنفقتك فافْتَكَّ ضيعته ، وأعطى مسلماً خمسين ألفاً أُخرى ، وحدَّث مُسْلِمٌ قال : كنت جالسا في دكانِ خياط بإزاءِ منزلي إذ رأيتُ طارقا ببابي فقمت إليه ، فإذا صديق لي من أهل الكوفةِ قد قَدِم من [قمّ] فسررت به وكأنَّ إنسانا لطَمَ وجهي ، لأنه لم يكن عندي درهمٌ واحدٌ أنفقُه عليه ، فقمتُ فسلمت عليه وأدخلته منزلي ، وأخذت خُفَّيْن كانا لي أتجمَّلُ بهما ، فدفعتهما إلى جاريتي ، وكتبتُ معها رقعةً إلى بعض معارفي في السوق ، أسأله في بيع الخفين ، ويشتري لحماً وخبزًا بشيء سميته ، فمضت الجاريةُ وعادت إليّ وقد اشترى لها ما حدَّدْتُه له ، وقد باع الخف بتسعةِ دراهم ، فكأنها إنما جاءتني بخُفَّيْن جديدين ، فقعدت أنا وضَيْفي نطبخُ وسألت جارا لي أن يَسْقِينا قارورة

(١) هاج (ديوانه قصيدة ١) .

(٢) مما جنى لي .

(٣) في الأصل (بحليس لا التسليم) .

من نبيذ ، فوجّه بها إليَّ فغَلّقْتُ الباب وإذا طارقٌ فقمت إليه ، فإذا قاصد الأمير يزيد بن مَزْيَد قد جاء يطلبنى إليه ، ومعه ثلاثة عشرَ ألفَ درهم ، فأخذتُه ودخلتُ إلى منزلى ، والرجلُ معى فأكلنا ذلك الطعامَ وازددتُ منه ومن الشراب ، واشتريت فاكهة ووهبتُ لضيفى من الدراهم ما يُهْدِى به هديةً لعياله ، وأخذت فى الجهازِ ، ثم ما زلت معه حتى صِرْنا بالرقّةِ إلى باب يزيدَ بنِ مَزْيد ، فدخل الرجل فإذا هو أحدُ حُجَّابِهِ ، فوجده فى الحمام ، فخرج إلىّ فجلس معى ، ثم خرج الحاجبُ بأنه قد خرج من الحمام فأدخلنى إليه ، فقال لى : أتدرى ما الذى حَدَانى على أنْ وجهتُ إليك ؟ فقلت : لا والله ، قال : كنتُ عند الرشيد منذُ ليالٍ أغْمِزُ رجليه إذ قال لى : يا يزيدُ من القائل فيك ؟

سَلَّ الخليفةُ سيفاً من بنى مطرٍ يمضى فيَخْتَرِمُ الأجسامَ والهاما
كالدهر لا ينثنى [عما يهمُّ][1] به قد أوسعَ الناسَ إنعــاما وإرغاما

فقلت : والله لا أدرى ، فقال الرشيد : يا سبحانَ الله ، إنك مقيمٌ على أعرابيتك يقال فيك مِثْلُ هذا الشعرِ ولا تدرى من قائله ! فسألت عن قائله ، فأخبرتُ أنَّك هو ، فَقُمْ حتى أُدْخِلَك على أمير المؤمنين ، ثم قام فدخل على الرشيد [فما علمت حتى خرج علىّ الآذن فأذِن فدخلت على الرشيد] فأنشدته ما لى فيه من الشعر ، فأمر لى بمائة ألف درهم ، فلما انصرفت إلى يزيدَ أمر لى بمائةٍ وتسعين ألفَ درهم ، وقال: لا يجوز أن أُعْطِيك مثلَ ما أعطاك أميرُ المؤمنين ، وأقطَعَنى إقطاعاتٍ تبلغُ غَلَّتُها مائتى ألفَ دِرهم قال مسلم : ثم أفضَت بىَ الأمور بعد ذلك إلى أن أغْضَبَنِى فهجوته فشكانى إلى الرشيد، فدعانى وقال : أتبيعُنِى عِرْضَ يزيد ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين. فقال لى : بكم ؟ [فقلت][2] برغيف . فغضب حتى خِفته على نفسى ، وقال : قد كان رأيى

(١) غير واضحة فى الأصل وهى من مقدمة الديوان عن الأغانى .
(٢) ما بين القوسين عن الأغانى وبه ينتظم السياق .

أن أشتريه منك بمالٍ جسيم ، ولست أفعل . ولا كرامة ، فقد عرفت إحسانه إليك ، وأنا نَفِيٌّ عن أبى ، والله ثم والله والله لئن بلغنى أنك هَجَوْته لأنزعنّ لسانَك من بين فكيك ، فأمسكتُ عنه بعد ذلك وما ذكرتُه بخيرٍ ولا شرّ .

وحدث البيدقُ الراويةُ ، وكان من أهل نصيبين ، قال : دخلت دارَ يزيدَ يوما وفيها الخَلْقُ ، وإذا فتًى جالسٌ فى أَفْناءِ الناس ، ولم يكن يزيدُ عَرَفَه بعد ، وإذا هو مسلمُ بنُ الوليد ، فقال لى : ما فى نفسى أن أقولَ شِعراً أبدا فقلت : ولِمَ ؟ قال : لأنى مدحتُ هذا الرجل بشعرٍ مامُدِحَ بمثلِه قط ، ولست أجدُ من يوصّلُه ، فقلت: أنشدنى بعضه فأنشدنى منه :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم(١) ذى رَهَجٍ ... كأنه أجَلٌ يسعى إلى أَمَلِ
يَقْرِى السيوفَ نفوسَ الناكثين به(٢) ... ويجعل الهامَ تيجانَ القنَا الذُّبُلِ
لا يَعْبَق الطيبُ خَدَّيْه ومَفرِقَه ... ولا يُمَسِّحُ عَيْنَيْه من الكُحُلِ
إذا انتضَى سَيْفَه كانت مَسالِكُه ... مسالكَ الموتِ فى الأبدانِ والقُلَلِ
وإن خَلَتْ بحديث النفسِ فِكْرَتُه ... عَاشَ الرجاءُ وماتَ الخوفُ من وَجَلِ
كالليث إن هِجْته فالموتُ [راحته](٣) ... لا يستريحُ إلى الأيامِ والدُّوَلِ
لله من هاشمٍ فى أرْضه جَبَلٌ ... وأنت [وابنك ركنا](٣) ذلك الجَبَلِ
صَدَّقْتَ ظَنِّى وصَدَّقْتَ الظنونَ به ... وحَلَّ جودُكَ عَقْدَ الرَّحْلِ عن جَمَلِى

قال: فأخذتُ منها بيتين وقلت له: أنشدنى أيضا مالَك فأنشدنى قصيدةً أخرى ابتداؤها :

---

(١) واليوم ذو رهج (ديوان) .
(٢) يكسو السيوف دماء الناكثين به (ديوان) .
(٣) ما بين الأقواس بياض فى الأصل وهو عن الديوان .

كالدهر لا يَنْثَنِى عمّا يهم به(١) وقد أوسعَ الناسَ إنعامًا وإرْغاما(٢)

قال: فأُنْشِدَتِ الأبياتُ ليزيدَ فأمرله بخمسمائه درهم ، وذكر له بالرقّةِ فقلت له : هذا الشاعرُ الذى مَدَحك فبعث إليه بخمسمائة درهم أخرى ، وكان مسلمٌ جالسا بين يدى يزيد فأتاه كتاب فيه مُهِمٌّ له [فقرأه سرًّا ووضعه ثم أعاد قراءته ووضعه](٣) ثم أراد القيام فقال له مسلم :

الحزمُ [تَحْرِيقُه] إن كنتَ ذا حَذرٍ وإنما الحزمُ سوءُ الظَّنِّ بالناسِ

لقد أتاك وقد [أدّى] أمانَتَه فاجعل صيانَتَه فى بطن [أرماسِ](٤)

قال: فضحك يزيد وخرّق الكتابَ وأمر بإحراقه.

[وأُهديت إلى يزيد بن مَزْيد جارية ، وهو يأكل، فلما رُفع الطعام من بين يديه وطئها ، فلم ينزل عنها إلا ميتا ، وهو ببردعة ، ودفن بمقابرها](٥) .

[كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبى يجلس للشعراء فى السنة مجلسا واحدا فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه فيه . . فدخل على داودَ حاجبُه فقال له : قدم على الأمير شاعر بشعْرٍ ما قيل فيه مثله . فقال : أدخل قائله فأدخله . فقال : هات ، فلما افتتح القصيدة وقال](٦) :

لا تدع بى الشوق إنى غيرُ معمود نهى النهى عن هوى البيض الرعاديد

استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجلُ على آخر الشعر ثم رفع رأسه إليه فقال:

(١) عمن يهم به (ديوان).

(٢) مطلع القصيدة :

طيف الخيال حمدنا منك إلماما داويت سقما وقد هيجت أسقاما

(٣) ما بين القوسين عن الأغانى وبه ينتظم الكلام .

(٤) ما بين القوسين فى الشعر غير واضح بالأصل .

(٥) ما بين القوسين مضطرب فى الأصل وغير واضح .

(٦) ما بين القوسين غير موجود بالأصل وهو ضرورى لتمام الخبر، ويلاحظ أنه سيرد مرة أخرى بعد قليل .

هذا شِعْرُكَ ؟ فقال : نعم ، أعزّ الله الأمير ، قال : فى كم قُلْتَه يا فَـتى ؟ قال : فى أربعةِ أشهر ، قال : ولو قلتَه فى ثمانيةِ أشهرٍ كنتَ محسنا ، وقد اتّهمتُك لِجَوْدَةِ شِعْرِكَ وخُمول ذِكرِكَ ، فإن كنت قائلَ هذا الشعرِ فقد أنظَرْتُك أربعةَ أشهرٍ فى مثله ، وأمرتُ بالإجراء عليك ، فإن جئتنا بمثل هذا الشِّعْر وهبتُك مائةَ ألفِ درهم وإلّا جرَمْتُك(١). فقال : أَوْ الإقالة ، أعز اللهُ الأميرَ ، قال : أقلْتُك قال : الشعرُ لمسلمِ ابن الوليدِ ، وأنا راويتُه والوافدُ عليك بشِعْرِه فقال : يا ابن حاتم لَمَّا افتتحْتَ شعرَه سمعتُ كلامَ مسلمٍ يناديني فأجبتُ نداءَه ، واستويتُ جالسا ثم قال : يا غلامُ أعطه عشرةَ آلافِ درهم واحمِلِ الساعةَ إلى مسلمٍ مائةَ ألفِ درهم .

ودخل مسلمُ بن الوليد على الفضلِ بنِ سهل ليُنْشِدَه شعرا فقال : أيها الـكهل إنى أُجِلُّكَ عن الشعر فَسَلْ حاجتَك قال : بل [تَسْتَتِمُّ اليدُ](٢) عندى بأن تسمع فأنشد :

دُموعها من حِذارِ البَيْنِ تَنْسكِبُ ... وقلبُها مُغْرَمٌ مِنْ حبهـا يَجِبُ
جَدَّ الرحيلُ به عنها ففارَقَهـا ... لِبَيْنِه اللهوُ واللذاتُ والطربُ
يَهْوَى المسيرَ إلى مَرْوٍ ويحزُنُه ... فِراقَها فهو ذو نَفْسَيْن يَرْتَقِبُ

فقال له الفضل : إنى أجلك عن الشعرِ ، قال : فاغْنِنِى بما أحببتَ من عملك فولاه البريد بجُرْجان .

وقيل لمسلم بن الوليد : أىُّ شِعرك أحبُّ إليك؟ قال : إن فى شعرى لبيتا أخذت معناه من التورية وهو قولى :

دَلَّتْ على عَيْـبِها الدنيا وصَدَّقهـا ... ما استرجع الدهرُ مما كان أعطانِى

وجاء إلى مُسلمٍ يوما راوِيتُه بعد أن تاب ليعْرِضَ عليه شِعْرَه فتغافَلَه مُسْلِمٌ ،

---

(١) جرم الرجل يجرمه وأجرمه : أكسبه جرما .

(٢) ما بين القوسين غير واضح بالأصل .

ثم أخذ منه الدفترَ الذى فى يده فقذَفَ به فى البحرِ ، فلهذا قلَّ شِعْرُه ، فليس فى أيدى الناسِ منه إلا ما كان بالعراق وما كان فى أيدى الممدوحين .

وقيل لمسلم : ما معنى قوْلك :

* لا تدْعُ بى الشوقَ إنى غير معمود *

[قال: لا تدْعُنى صريعَ الغوانى، وكان يكره هذا اللقبَ وكان[1] داودُ بن يَزيد بن حاتمٍ المُهَلَّبِي يجلس للشعراء فى السنة مرةً واحدةً فيَقصدونه لذلك اليوم ويُنْشدونه ، فوجَّه إليه مُسْلمٌ براويته فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ، ولحقهم بعقب خروجهم عنه، فتقدم إلى الحاجبِ وحَسَرَ لِثامَه عن وجهه ، ثم قال : استأذنْ لى على الأميرِ قال : ومن أنت؟ قال : شاعر . قال : قد انصرم وقتُك وانصرفَ الشعراء ، وهو على القيام، فقال له: ويحك! قد وفدتُ على الأميرِ بشعرٍ ما قالتِ العربُ مثْلَه ، وكان مع الحاجب أدبٌ يَفهَمُ ما يَسْمع ، فقال : هات حتى أسمع ، فإن كان الأمرُ كما ذكرت أوصلتك إليه، فأنشده بعضَ القصيدةِ فسمعَ شيئا يقصرُ الوصفُ عنه ، فدخل على داود فقال له: قد قدم على الأمير بشعرٍ ما قيل فيه مِثْلُه فقال : أدْخِلْ قائلَه فأدْخَله فلما مثل بين يديه سَلَّم وقال : قدمت على الأمير، أعزه الله تعالى ، بمدح أُسْمِعُه فيعلمُ به تقدمى على غيرى، فقال : هات ، فلما افتتح القصيدة قال :

* لا تدع بى الشوق إنى غير معمود *

خرج دعبلٌ إلى خراسان لما بلَغَه حظوةَ مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل فصار إلى مرْو وكتب إلى الفضل بن سهل :

لا تَعْبَأَنْ بابنِ الوليـــدِ فإنه　　　يَرْميك بعد ثلاثةٍ بمَـــلالِ
إن الملولَ وإن تقـادم عَهدُه　　　كانت مَوَدَّتُه كَفْىءِ ظِـــلالِ

---

(١) سبقت رواية هذا الخبر موجزا .

فدفع الفضل إلى مُسلِم الرقعةَ ، وقال له: أنظر يا أبا الوليد إلى رقعةِ دعْبلٍ ، فلما قرأها قال : هل عرف الأمير لقبَ دِعْبِل وهو غلام أمردُ يُفْسَقُ به ؟ فقال : لا ، قال : كان يلقب بميَّاس ، وكتب إليه يقول :

ميَّاسُ قل لى أينَ أنتَ من الورَى ... لا أنت معلومٌ ولا مجهولُ
أمَّا الهجاء فدَقَّ عِرْضُك دونَه ... والمدحُ عنك كما عَلِمْتَ جليلُ
فاذهبْ فأنتَ طليقُ عِرْضِك إنه ... عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأنت ذَليلُ

وحدَّث دعبل قال : [بينا] أنا جالس بباب الكرخ إذ مرت بى جاريةٌ لم أر أحسنَ منها وجها ولا قدًّا تنثنى فى مِشْيَتِها وتنظرُ فى أعْطافِها ، فقلت مُعرِّضًا لها :

دموعُ عَيْنِى بها انبساطُ ... ونَوْمُ عينِى به انقباضُ

فأجابتنى بسُرْعةٍ وقالت :

وذا قليلٌ لمن دَهَتْهُ ... بلَحْظها الأعينُ المِراضُ

فأدهَشَتْنِى وعجبتُ منها فقلت :

فهلْ لمولاى عَطفُ قَلْبٍ ... وللذى فى الحَشَا انقِراضُ

فأجابتنى غير متوقفة فقالت :

إن كنتَ تهْوَى الودادَ منَّا ... فالود فى ديننا قِراضُ

قال : فما دخل أذنى قطُّ كلامٌ أحلى من كلامِها ، ولا رأيت أنضرَ وجهاً منها فقلت :

أترى الزمانَ يسرُّنا بتلاقِ ... ويَضُمُّ مشتاقا إلى مشتاقِ

فأجابتنى بسرعة فقالت :

ما للزمانِ وللتحَكُّمِ بيننا ... أنت الزمانُ فسُرَّنا بتلاقِ

قال : فمضيت أمامَها أؤُمُّ بها دارَ مسلم ، وهى تتبعنى ، فصرت إلى منزله ،

فصادفته على غِرَّةٍ فدفع إلىَّ منديلا وقال : اذْهَبْ فِبِعْه، وخذ لنا ما نحتاج إليه، وعُدْ، فمضيتُ مسرعا فلما رجعتُ صادفتُ مسلما قد خلا معها فى سردابٍ ، فلما أحسَّ بى وَثَبَ إلىَّ ، وقال : عرَّفك الله ، يا أبا على ، جميلَ ما فعلت ولقَّاكَ ثوابَه وجعَلَه أحسنَ حسنةٍ لك فغاظنى قولُه وجعلت أفكرُ فى شىء أغمُّه به ، فقال لى: يا أبا على أخبرنى من الذى يقول :

بِتُّ فى دِرْعها وبات رَفِيقى　　　جنب القلبِ طاهرَ الأطْرافِ

فقلت :

من له فى حرامه ألفُ قرْنٍ　　　وقد أنافَتْ على عُلُوٍّ مَنَافِ

وجعلت أشتمه وأثِبُ عليه ، فقال لى : يا أحمق ، منزلى دَخَلْتَ ومنديلى بِعْتَ ودراهمى أنفَقْتَ ، على من تَحْرِدُ وأىُّ شىءٍ سببُ حَرَدِكَ أنت يا قوَّادُ . فقلت : مهما كذبتَ علىَّ فيه من شىء فما كذبتَ فى الُحمقِ والقيادةِ . وكان مسلمُ بن الوليد أستاذَ دِعْبل، وعَنْه أَخَذَ ومن بَحْرِه استقَى . وحدَّث أبو تمامٍ الطائىُّ قال : ما زال دعبلٌ متعصباً لمسلمٍ مائلا إليه معترفاً بأستاذِيَّته حتى ورد عليه جرجانَ فجفاه مسلمٌ وهَجَره دعبلٌ فكتب إليه :

أبا مَخْلَدٍ كنا عَقِيدَىْ مَـودَّةٍ　　　هَوانَا وقَلْبانا جميعاً مَعاً مَعَا
أحُوطُك بالعَتْب الذى أنت حائِطِى　　　وأَجزعُ إشفاقا مِنَ انْ يَتَوَجَّعا
فصيَّرْتنِى بعد انتهابِكَ مُتْهِما　　　لنفْسِى عليها أرْهَبُ الخلقَ أجمعَا
غَشَشْتَ الهوى حتى تداعتْ أصوله　　　بنا وابْتَذَلْتَ الوصلَ حتى تقطَّعا
وأنزلْتَ من بين الجوانِحِ والحشا　　　ذَخيرَة ودٍّ طال ما قد تَمَنَّعَا
فلا تَلْحَيَنِّى ليس لى مطمع تخر　　　قت حتى لم أجد لك مرقعا
فهبْكَ يمينى استَأْكَلَتْ فقطعْتُها　　　وجشَّمْتُ قلبى صبوةً فتجشَّما

قال : ثم تهاجرا بعد ذلك فما التقيا حتى ماتا .

وحدَّث دعبلٌ قال : كان أبو دِعْبل قال : كان أبو نواسٍ يسألنى أن أَجْمَعَ بَيْنَه وبين مسلم بن الوليد ، وكان مسلمٌ يسأُلنى أن أجمعَ بَيْنه وبين أبى نواس ، فكان أبو نواسٍ إذاحضر تَخَلَّفَ مسلم وإذا حضرَ مسلمٌ تَخَلَّفَ أبو نواس، إلى أن اجتمعا، فأنشد أبو نواس :

أجارَةَ بَيْـتَيْنا أبوكِ غيورُ ومَيْسورُ ما يُرْجَى لديكِ عَسيرُ

وأَنشد مسلمٌ :

للهِ من هاشمٍ فى أرْضِه جَبَلٌ وأَنْتَ وابْنُكَ رُكْناذلك الجبلِ

فقلت لأبى نواس : كيف رأيت مسلم ؟ فقال : هو أشعرُ الناس بعدى ، وسألتُ مسلما عنه فقال هو أشعرُ الناسِ ، وأنا بعده .

وحَدَّثَ مسلمٌ قال : وجَّه إلىَّ ذو الرِّياسَتَيْن ُفخلِمْتُ إليه ، فقال : أنْشِدْنِى قولَك :

بالغَمْرِ من زَيْنَبَ أَطْلالُ مَرَّتْ بها بَعْدَكَ أحوالُ

فأنشدته إيّاها حتى انتهيت إلى قولِى :

وقائـلٍ لَيْسَتْ له هِمَّـةٌ كلا ولـكِنْ ليس لى مال
وهِمَّةُ المُقْتِرِ أُمْنِيَّةٌ هَمٌّ مع[1] الدهرِ وأَشغالُ
لا حِدَّةٌ تَنْهَضُ عظمى بها[2] والناس سُؤّالٌ وبُخَّالُ
فاقعد[3] مع الدهر إلى دَوْلةٍ ترفع فيها حَالَكَ الحال

فلما أنشدتُه هذا البيتَ قال: هذه الدولةُ التى يُرْفَعُ فيها حَالُك ، وأمرَلى بمالٍ عظيم وقلَّدنى جرجانَ .

---

(١) عون على (الديوان) ص ١٢١ .
(٢) لا حدة تنهض فى عزمها (ديوان) .
(٣) فاصبر . . . تحمل .

وكان يزيدُ بنُ مَزيد قد أَجْرى على مُسْلِمٍ ما يكفيه ويكفى عيَالَه وقال له : ليس هذا بدلًا من جائزةٍ أو ثوابَ مديح ، فلما مات يزيدُ رثاه مُسْلِمُ فقال :

أحقا أنّه أَوْدَى يزيدُ [تَبَيَّنْ أيها](1) الناعى المسيد
أتدْرِى من نَعيْتَ وكيفَ [فاهَتْ به شفتاك كأنَّ بها الصعيدُ]
أحَامِى المَجْدِ والإسلامِ أَوْدَى فما للأرضِ وَيْحَكَ لا تميدُ
تأمَّلْ هل ترى الإسلامَ مالَتْ دعائمُه وهل شابَ الوليدُ
وهل شِيمَتْ سيوفُ بنى نِزارٍ وهل وُضِعَتْ عن الخيلِ اللُّبُودُ
وهل تَسْقِى البلادَ ثِقالُ مُزْنٍ [بِدِرَّتِها] وهَلْ يَخْضَرّ عودُ
أما هُدَّتْ لمصْرَعِه نزارٌ بلى وتَعَرَّض المجدُ المَشيدُ
وحَلَّ ضَريحَهُ إذ حَلَّ فيه طريفُ المجدِ والحسبُ التَّليدُ
أما واللهِ لا تَنفَكّ عينٌ عليك بدمعها أبدًا تجودُ
فإن تَجْمدْ دموعُ لئيمِ قومٍ فليس لدَمْعِ ذى حَسَبٍ جمودُ
أبعْدَ يزيدَ يَخْتَزِنُ البواكِى دموعاً أو يُصانُ لها خُدودُ
لتبكك [قبة] الإسلام لمَّا(2) وهَتْ أطنابُها ووَهَى العمودُ
ويَبْكِكَ شاعرٌ لم يُبْقِ دَهْرٌ له نَشَبًا وقد كَسَدَ القصيدُ
فإن يَهْلِكْ يزيدُ فكلُّ حَيٍّ فريسٌ للمنيَّةِ أو طَريدُ

ودخل مسلمٌ على الفضلِ بن سهلٍ فأنشده قولَه فيه :

لو ينطق الناسُ أو أَثْنَوْا بعلمهمُ ونَبَأَتْ عن معالى دَهْرِك الكُتُب
لن يبلغوا فيك أدنى ما تَمُتُّ به إذا تَفَاخَرَت الأملاكُ وانتسبوا

---

(١) تأمل (الديوان) وما بين الأقواس غير واضح فى الأصل وهو عن الديوان .
(٢) جاء هذا الشطر محرفا فى الأصل بحذف وزيادة والتصويب عن الديوان.

فأمر له عن كل بيتٍ من هذه القصيدةِ بألفِ درهم . ثم قُتِلَ الفضلُ فقال يرثيه :

ذُهِلتُ فلم أقنع عليك(١) بِعَبْرَةٍ   وأكبرتُ أن أَلْقَى بيومِك ناعِيا
فلمّا بدَا لِي أنهُ لاعجُ الأَسَى   وأن ليس إلّا الدمعُ للحُزْنِ شَافِيا
أقمتُ لك الأنواحَ تَرْتَدُّ بينها   مآتِمُ يَنْدُبْنَ الندَى والمعالِيا
وما كان مَنْعَى الفَضْلِ مَنْعَى وجادةٍ   ولكنَّ مَنْعَى الفضلِ كان مَنَاعِيا
أَلِلْبأسِ أم للجودِ أَمْ لِمُقَاوِمٍ   من المُلْكِ يزْحَمْنَ الجبالَ الرواسيا
فلم أَرَ إلا قَبْلَ يَوْمِك ضاحِكا   ولم أرَ إلا بعدَ يَوْمِك باكِيَا
عَفَتْ بعدكَ الأيامُ لا بل تَبَدَّلَتْ   وكُنَّ كأعيادٍ فعُدنَ مَباكِيَا

ووفد مسلمٌ على محمد بن يَزِيدَ بن مَزْيد بعد وفاة أبيه ، فمَدَحه وعزَّاه عن أبيه ، وأقام ببابه فلم يَرَ منه ما يُحِبّ فانصرفَ عنه وقال فيه :

لبِسْتُ عزاءً عن لقاءِ مُحَمَّدٍ   وأعرضتُ عنه مُنْصِفا ووَدودَا
وقلت لنفسٍ قادها الشوقُ نَحْوَه   فَعَوَّضَها منه اللقاءُ صُدوداً
هَبِيهِ امرأً قد كان أَصْفَاكِ [وُدَّهُ](٢)   فماتَ وإلا فاحسبيه يزيدا
لعمرى لقَدْ ولّى فلم أَلْقَ بعده   وفاءً لذى عهدٍ يُعَدُّ حَمِيدا

دخل مسلمُ بنُ الوليد يوما على الفضلِ بن الربيعِ وهو بمجلس الشُّرْب فأنشده :

أتتْكَ المطايا تَهْتَدِى بمطيةٍ   عليها فتًى كالنصلِ يُؤْنِسُه النَّصْلُ

يقول فيها :

وردت رواقَ الفضل آمُلُ فَضْلَه(٣)   نحط الثناءَ الجَزْلَ نائلُه الجزلُ

(١) فلم أنقع غليلا (أغانى) .

(٢) ما بين القوسين تصويب للأصل عن الديوان .

(٣) وردن : رواق الفضل فضل بن جعفر (ديوانه ٢٠٢) .

فتى تَرْتعِي الآمالُ مُزْنَةَ جُودِه ... وإن كان مَرْعاها الأمانىُّ والبُطلُ
ألحَّ على الأيامِ يَقْرِى خُطُوبَها ... على مَنْهجٍ ألفَى أباه بــه قَبْـلُ
أناف بـه العلياءَ يحيى وخالدٌ(١) ... فليس له مِثْلٌ ولا لهما مِثْلُ
فروعٌ أصابتْ مَغْرِساً فتمكنت ... وأصلاً فطابت حيث وجهها الأصل
بكفِّ أبى العبَّاسِ يُسْتَمْطَرُ النَّدَى ... وتستنزلُ النُّعْمَى ويسترعفُ النَّصْلُ

قال : فطربَ الفضلُ طرباً شديداً ، وأمر أن تُعَدَّ الأبيـات فَعُدَّتْ فـكانت ثمانين بيتا فأَمَرَ له بثمانين ألفَ دِرْهم ، وقال : لولا أنها أكثر ما وُصِلَ به الشعراء لزِدْتُـك وأمره بالجلوس عنده والمُقامِ لمنادَمَتهِ ، فأقام عنده وشَرِب معه ، وكانتْ على رأسِ الفضل وصيفةٌ تَسقيه كأنها لؤلؤةٌ ، فلمح الفضلُ مُسْلِماً ينظر إليها فقال : وقد، وحيَاتِى ، يا أبا الفضل ، أعجبتك، فقل فيها أبياتاً حتى أهَبَها لك فقال :

إن كنتِ تَسْقِينَ غيرَ الراحِ فاسْقِينِى ... كأْساً ألَذُّ بها من فيك تَشْفينِى
عيناكِ راحِى ورَيْحانِى حَديثُك لى ... ولونُ خَدَّيْـكِ لَوْنُ الوردِ يكفيـنِى
إذا نَهانِىَ عن شربِ الطِّلا حَرَجٌ ... فخمرُ عينيكِ يُغْنِينِى ويَجْزِينِى

فقال له : خُذْها بُورِكَ لك فيها ، وأمَرَ بتوجيهها مع بَعْضِ خَدَمِها إليـه ، وجميع ما كان لها من المال .

وكانت لمسلم بن الوليد زوجةٌ من أهْلِه تـكْفِيه أمْرَه وتَسْتُره عن الناس بمالها فماتت فجَزِع عليها جزَعاً شديداً وتَنَسَّك مدةً طويلةً وعزم على ملازمةِ ذلك فأقسم عليه بعض إخوانه ذاتَ يومٍ أن يَزورَه ففعلَ فأكلوا وقدَّمُوا الشراب فامتنع وأباه وأنشأ يقول :

بُـكاءٌ وكأسٌ كيف يجتمعان(٢) ... سبيلاهما فى القلبِ مُختلفانِ

(١) وجعفر (ديوانه ٢٠٣)
(٢) يتفقات (أغانى) ديوان .

دعانى وإفراطَ البكاء فإنَّنى أرى اليومَ فيه غير ما تَرَيانِ
غَدَتْ والثَّرَى أولى بها من وَليِّها إلى مَنْزِلٍ ناءٍ لعَيْنِك دانِ
فلا حُزْنَ حتى تَنْزِفَ العينُ [ماءها وتَعْترِفَ][1] الأحشاء بالخفقان
وكيفَ بِدَفْعِ اليأس والوَجْدِ بَعْدها
وهواها فى القلب يعتلجان

وكان مسلمٌ قد هاجى الحكمَ بن قَنْبَر المازنىَّ فغلَبَ عليه الحكمُ مُدةً وأخْرَسَه ، ثم عاد مسلم[2] بعد أن أفحمه فهتك ابن قنبر حتى كف عن مناقضته فكان يهرب منه فإذا لَقيه مُسْلِمٌ أنشده[3] هِجاءُ فيه فيمسكُ عن إجابتِه ثم جاءه ابن قَنْبَر إلى منزله واعتذر إليه مما سلف ، وتَحَمَّلَ[4] عليه بابنه وسأله الإمساك عنه فأمسك وتصالحا .

(١) ما بين القوسين غير واضح فى الأصل وهو عن الديوان .

(٢) بعد أن انخزل وأفحم فهتك ابن قنبر (أغانى) .

(٣) قبض عليه وهاجاه وأنشده ما قاله فيه (أغانى) .

(٢) تحمل بفلان عليه فى الشفاعة والحاجة : اعتمد .

محمدُ بن وهيب [1]

هو محمد بن وهيب الحميرى صليبة شاعرٌ من أهل بغدادَ من شعراء الدولةِ العباسية وأصله من شعراء البَصْرة ، وله أشعار يَذْكُرُها فى شِعره ويتشوَّقُها ، وكان يَكْتَسِبُ بالمديح ، وتوسلَ إلى الحسنِ بنِ سهلٍ بالحسنِ بن رجاء بنِ أبى الضحّاك ومَدَحَه فأوصله إليه وسمع شعره فأعجبه ، وأوصَلَه إلى المأمونِ فمدحه وشفع له فأسْنَى جائزتَه ثم لم يزل منقطعاً إليه حتى مات ، وكان يتشيعُ وله مَراثٍ فى أهل البيتِ وهو متوسط من شعراء طَبَقَتِه ، وفى شعره أشياء فاضلة .

اجتمع الشعراء على باب المُعْتَصم فبعثَ إليهم محمدُ بنُ عبدِ الملك الزيات أن أميرَ المؤمنين يقول لكم : من كان منكم يُحْسِنُ أن يقول مثلَ قَوْل النُّمَيْرِىَ فى الرشيد :

خليفةَ اللهِ إنّ الجـودَ أوْدِيةٌ ... أحلّكَ اللهُ منهـا حيثُ تجتمِع

من لمْ يكن ببنى العباسِ مُعتصِماً ... فليس بالصلواتِ الخمسِ ينْتَفـع

إن أخلفَ الغيثُ لم تُخْلِفْ مخايلُه ... أو ضاق أمْرٌ ذكرناه فيتّسِـعُ

فليدخل ، وإلا فلْيَنْصَرِفْ فقام محمد بن وهيب [فقال فينا من يقول مِثْلَه قال : وأى شىء قلت ؟ فقال][2] :

ثلاثة تُشْرِق الدنيـا ببهجتهم ... [شمسُ الضحا وأبو إسحق والقمرُ]

يَحْكِى أفاعيلَه فى كلِّ نائبـةٍ ... الغيثُ والليثُ والصمصامةُ الذّكَرُ

فأمر بإدخاله فأنشده وأحْسَنَ جائزتَه .

---

(١) الأغانى ب ١٧ : ١٤١ ـ المهذب ٧/١٤٤ تاريخ بغداد ١٤/١٤٦ .

(٢) ما بين الأقواس عن الأغانى وهو غير ظاهر بالأصل .

كان محمد بن وهيب لما قَدِمَ المأمونُ من خراسان مُضَاعاً مُطَّرَحاً ، إنما يتَصَدّى للعامَّةِ وأوساطِ الكتّابِ والقوّادِ بالمديح ، ويسْتَرْفِدهُم فيَحظَى باليسيرِ ، فلما هدأت الأمورُ واستَقَرّتْ جلس أبو محمدٍ الحسنُ بنُ سهل يوماً مُنْفَرداً بأهله وخاصَّتِه وذوى مَوَدَّتِه ومن يقربُ من أُنْسِه ، فتَوَسّل إليه محمدبنوهيب بالحسن بنرجاء حتى أوْصَله مع الشعراء ، فلما انتهى إليه القولُ استأذَنَه فى الإنشاد فأذِنَ له فأنشده من أبيات :

ودائعُ أسرارٍ طَوَتْها السرائرُ ... وباحَتْ بمكتوماتِهِنَّ النواظــرُ
ملـكن(١) إلى طَىِّ الضمير وتَحْتَه ... شَبَاَلَوْعَةٍ عَضْبُ الغِرارَيْن باتِرُ
فأَعْجَمَ عنهـا ناطقٌ وهو مُعْرِبٌ ... وأَعْربت العجمَ الجفونُ العواطرُ

حتى انتهى إلى قوله :

إلى الحسَنِ البانى المعالى(٢) سَمَتْ بنا ... عوالِى المُنَى حيث الحيَا المُتَظَاهِرُ
إلى الأملِ المبسوطِ والأجلِ الذى ... بأعدائِه تَـكْبُو الُجدودُ العواثرُ
فتًى أنبَعَتْ عينُ المــكارم كَفُّه ... فقامتْ مقام القَطْرِ والروضُ داثِرُ
تَعَصَّبَ تاجَ المُلْكِ فى عُنفوانه ... وأَطَّتْ به عصرَ الشبـابِ المآثِرُ
تعظمهُ الأوهامُ قبــلَ عيانِهِ ... ويصدرُ عنه الطرفُ والطرفُ حاسِرُ
به تُجْتَدَى النُّعْمَى وتُستدركُ المنى ... وتُستكملُ الُحسنى وتُرعَى الأواصرُ
قَسَمْتَ صروفَ الدهرِ بأْساً ونائلا ... فمــالك موتورٌ وسَيْفُك واتِرُ
ولمــا رأى اللهُ الخلافةَ قد وَهَتْ ... دعائمُها واللهُ بالأمرِ خابرُ
بنى بك أركاناً عليهـا مُحِيطَةً ... وسقف سماء أنشأتهـا الحوافرُ(٣)

(١) ملـكت لها (أغانى) .
(٢) العلا حين عمت (أغانى) .
(٣) فأنت لها دون الحوادث ساتر (أغانى) .

له فَلَكٌ فيـــه الأسِنَّةُ أَنْجُمٌ ... ونَقْعُ المنـايا مُسْتَطِيرٌ وثائرُ
أجزتَ قضاءَ الموتِ فى مُهَجِ العدا ... ضُحًى فاستباحَتْها المنـايا الغَوادِرُ
لك اللحظاتُ الـكالئاتُ قواصدا ... بِنُعْمى وبالبأساء وَهْى شوازِرُ(١)
ولو لم تـكنْ إلا بنَفْسِك فاخرا ... لمـا انْتَسَبَتْ إلا إليـك المفاخرُ

فطرب أبو محمدٍ حتى نَزَل عن سريره إلى الأرضِ وقال : أحسنتَ والله وأجْمَلْتَ ، ولو لم تقلْ قطُّ ، ولا تقولُ ، فى باقى عمرِكَ إلا هذا لما احتجتَ إلى القول ، وأمر له بخمسةِ آلافِ دينار ، واقْتَطَعَه إلى نَفْسه ، فلم يزل فى أصحابه أيام ولايته ، وبعد ذلك إلى أن مات ما تَصَدَّى لغيره .

كان محمدُ بن وهَيْب الحِمْيَرِىّ قد مدح علىّ بن هشامٍ ، وتردد إلى بابه دَفَعاتٍ فحَجَبه ، ولَقِيَـهُ يوماً فعَرَض له فى طريقهِ فسلَّمَ عليه فلم يرْفَعْ إليه طَرْفَه ، وكان فيه تِيهٌ شديد ، فـكتب إليه رُقْعَةً يعاتبهُ فيها ، فلما وصلت إليه خَرَقها وقال : أى شىءٍ يريد هذا الثقيلُ السَّيِّئ الأدب . فقيل له ذلك ، فانصرفَ مُغْضَبا ، وقال : والله ما أردتُ ماله وإنما أردت التوصلَ بجاهِهِ ، وسَيُغْنِينِى اللهُ عز وجل عنه ، أما والله لأذمن فعله وقال يهجوه من أبيات :

لم تندَ كفك من بَذْلِ النوالِ كما ... لم يَنْدَ سَيْفُك مذ قُلِّدْتَه بدمِ
كنت امرأً رَفَعَتْه فِتْنَةٌ فَعَلا ... أيامها غادرا بالعهْدِ والذِّمَمِ
حتى إذا انـكشفَتْ عنـا غيابَتُها ... ورتب الناسُ بالأحساب والقدمِ
مات التخلقُ فارْتَدَّتْك مُرْتَجِعا ... طبيعةٌ نَذْلَة الأخـلاقِ والشِّيَمِ
كذاكَ من كان لا رَأْسا ولا ذَنَبا ... كَزٌّ(٢) اليدين حديثَ العهدِ بالنِّعَمِ
هيهات ليس بحَمَّالِ الدياتِ ولا ... مُعْطِى الجزيل ولا المرهوبِ فى النِّقَمِ

(١) الشوازر : الناظرات نظرة الغضب .
(٢) الـكزاليدين : البخيل .

فلما بلغتْ هذه الأبياتُ عليَّ بن هشام نَدِم على ما كان منه وجَزِعَ لها ، وقال : لعن الله اللَّجَاجَ فإنه شرٌّ خُلُقٍ تَخَلَّقَهُ الناس ، ثم أقبل على أخيه الخليل بنِ هشام فقال : الله يعلمُ أنى لا أدخل على الخليفةِ ، وعليَّ السيف إلا وأنا مُستَحٍ منه اذكرُ قول محمدِ بنِ وُهَيْب فيَّ :

* كما لم يَنْدَ سيفُك مُذْ قُلِّدْتَه بِدَمِ *

كان ابنُ الأعرابى يقول : أهْجَى بيتٍ قاله المُحْدثون قولُ محمد بن وُهَيْب :

لم تند كفك من بَذْلِ النوالِ كما لم يَنْدَ سيفُك مُذْ قُلِّدْتَه بدمِ

قال محمد بن وهيب : جلست إلى عَطَّارٍ وإذا بأعرابيةٍ سوداءَ قد جاءت فاشْتَرَتْ من العطار خَلُوقاً ، فقلت له : تَجِدُها اشْتَرَتْه لابنتها ، وما ابنَتُها إلا خُنْفُساء . فالتفتَتْ إلىَّ متضاحِكَةً وقالت : لا والله إلا مَهاةً خبنداة(١) ، إن قامتْ فقَنَاةٌ وإن قَعَدَتْ فحصاةٌ ، وإن مَشَتْ فقَطَاةٌ أسفلها كَثيبٌ وأعلاها قَضيبٌ ، لا كفتياتكم اللواتى تُسَمِّنُونهن بالفُتوتِ ثم انصرفت وهى تقول :

إنّ الفُتُوتَ للفتاةِ مَضْرَطَه يَكْرُبُها فى البطن حتى تَثْلطَهْ

ولا أعلم أنى ذَكَرْتها قط إلا أَضْحكنى ذِكْرُها .

كان محمدُ بن وُهَيْبٍ يتردّد إلى مجلسِ يَزيدَ بن هارون فلزِمَه عدَّةَ مجالسَ يُمْلِى فيها كُلِّها فضائلَ أبى بكر وعمرَ وعثمانَ ، رضى الله عنهم ، ولا يذكر شيئاً من فضائل علىٍّ ، عليه السلام ، فقال فيه محمد بن وهيب :

آتِى يزيدَ بنَ هارون أُدالِجُهُ فى كلِّ يوم ومالى وابنِ هارونِ
فليتَ لى بيزيدَ حين أَشْهَدُه راحاً وقَصْفاً وندماناً يُسَلِّينى
أَغْدُو إلى عُصْبة صُمَّتْ مسامِعُهُمْ عن الهُدى بين زِنديقٍ ومأفونِ

---

(١) الخبنداة : يقال : جارية خبنداة : تامة القصب ، أو ممتلئة أو ثقيلة الوركين .

إنى لأعلم أنى لا أحبهمُ   كما همُ بيقينٍ لا يحبونى
لا يذكرون عليًّا فى [مشاهدهم   ولا بنيه][1] بنى البيض الميامين
لو يستطيعون من ذِكْرى أبا حَسَنٍ   وفضْله قطعونى بالسكاكينِ
ولست أتركُ تفضيلى أبا حَسَنٍ   حتى المماتِ على رَغْم الملاعينِ

قال محمدُ بن القاسمِ بن يوسفَ : كان محمدُ بن وُهَيْبٍ يأتى أَبِى فقال له يوما : إنك تأتينا وقد عرفتَ مذاهِبَنا فنُحِبّ أن تعرِّفَنا مَذْهَبَك فنوافقَك أو نُخالفَك فقال : فى غد أبينُ لك أمرِى ومَذْهَبِى ، فلما كان فى غد كتب إليه :

أيها السائل قد بيـ   ـنتُ إن كنتَ ذَكِيًّا
أحمدُ الله كثيراً   بأياديه عَلَيّـا
شاهدا ألّا إله   غيرُه ما دمتُ حَيّا
وعلى أحمد بالصِّـد   قِ رسولا وَنَبِيًّا
ومَنَحْتُ الود قُرْبا   هُ وواليتُ الوَصِيًّا
وأتانى خبرٌ مُطَّـ   رَحٌ لم يك شَيًّا
أنْ على غير اجتماعٍ   عقدوا الأَمْرَ بَدِيًّا
فوقفت القَوْمَ تَيْماً   وعَـدِيًّا وأُمَيًّا[2]
غيرَ شَتَّامٍ ولـكِـ   ـنِّى تواليتُ عَلِيًّا

دخل محمدُ بن وُهَيْب على أحمدَ بنِ هشام يوما وقد مَدَحَه ، فرأى بين يديه غِلْمَانا روقةً مُرْدًا وخَدَما بِيضا فُرِّها فى نهاية الحسنِ والكمالِ فدُهِشَ لِمَا رأى وبَقِى مُتَبَلِّدا لا ينطقُ بحرف ، فضحك أحمدُ وقال له : ما لَكَ وَيْحك تـكلم بما تريد ، فقال :

---

(١) ما بين القوسين غير واضح فى الأصل وهو عن الأغانى .
(٢) تيم قبيل أبى بكر وعدى قبيل عمر وأمية قبيل عثمان .

قد كانتِ الأصنامُ وهي قديمةٌ كُسِرَتْ وجدَّعَهُنَّ إبراهيمُ
ولَدَيْكَ أصنامٌ سَلِمْنَ من الأذى وصَفَتْ لهُنَّ غضارةٌ ونعيمُ
وبِنَا إلى صَنَمٍ تلوذُ برُكْنِه فقرٌ وأنت إذا هُزِزْتَ كريمُ

فقال له: اخترْ ما شئتَ منهم ، فاختار واحدا منهم فأعطاه إياه ، فقال يمدحه :

فَضَلَتْ مكارِمُه على الأقوامِ وعَلَا فخَارُ مكارِمِ الأيامِ
وعليه أبَّهَــةُ الجمالِ كأنه قمرٌ بدا لك من خِلال غَمامِ
إنّ الأمير على البَرِيّــةِ كلها بعدَ الخليفة أحمدُ بنُ هشامِ

بلغ ابن وهيبٍ أنّ دعبل الُخزَاعِيّ قال: أنا ابْنُ قولى:

لا تَعْجَبِي يا سلمُ من رَجُلٍ ضحك المشيبُ برَأْسِه فبكى

وأن أبا تمام قال : أنا أبْنُ قولِي :

قَلِّبْ فؤادَكَ حيثُ شِئْتَ من الهوَى ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأولِ

فقال محمدُ بن وهيب وأنا أبْنُ قولى :

ما لِمَنْ تَمَّتْ محــاسِنُه أنْ يُعادِي طَرْفَ من رَمَقَا
لك أَنْ تُبْدِي لنا حُسْنًا ولنا أَنْ نُعْمِلَ الحدَقَا

وهذا من جيد شعره ونادره، وأول هذه الأبيات:

نم فَقَدْ وكلتَ بى الأرقَا لاهيا بُعْدًا لمن عشقا
إنما أبقيتَ من جســدى شَبَحًا غــيرَ الذى خُلِقَــا
وفــتًى ناداك من كَثَبٍ أُسعِرَت أحشــاؤه حُرقَا
[غَرِقَتْ فى الدمــع مقلتُه فــدعا إنسانهــا ، الغرقا[1]
إنما عاقبتَ ناظره إذا أعاد الطرفَ مسترقا[2]

(١) تغرى بمن عشقا (الأغانى) .

(٢) هذان البيتان غير ظاهرين فى الأصل وهما عن الأغانى .

ما لِمَنْ تَمَّتْ مَلاحَتُه أن يعادى طَرْفَ مَنْ رَمَقا
لك أن تُبْدِى لنا حُسْناً ولنا أن نُعْمِلَ الحَدَقا
قَدَحَتْ كَفَّاكَ زَنْدَ هَوًى فى سوادِ القلبِ فاحْتَرَقا

لما قدم المأمونُ ولَقِيَه الحسنُ بنُ سَهْلٍ دخلا جميعا فعارضَهما ابنُ وُهَيْب فقال :

اليوم جُدِّدت النعماءُ والمِنَنُ فالحمدُ لله حلّ العُقْدَةَ الزمنُ
اليوم أَظهرت الدنيا محاسِنَها للناسِ لما التقى المأمونُ والحسنُ

فلما جلسا سأله المأمون عنه فقال : هذا رجل من حِمْيرَ ، شاعر مطبوع ، اتصلَ بى مُتوسّلا إلى أميرِ المؤمنين ، وطلب الوصولَ إليه مع نُظرائه فأمرَ بإيصالِه مع الشعراء ، فلما وقف بين يديه وأُذِن له فى الإنشادِ أنشد :

طَلَلانِ طال عليهما الأمدُ دَثَرا فلا عَلَمٌ ولا نَضَدُ
لَبِسَا البِلَى فكأنما وَجَدا بعد الأَحِبَّة مثلَ ما أَجِدُ
حُيِّيتُما طَلَلَيْنِ حالُهما بعد الأَحِبّة غيرُ ما عَهِدُوا
إن ما طواكِ سُلُوّ غانيةٍ فهواكِ لا مَلِلٌ ولا فَنِدُ
إن كنتِ صادقةَ الهوى فرِدِى فى الحبِّ مَنْهَله الذى أَرِدُ
أَدَمِى أَرَقْتِ وأنت آمنةٌ أم ليس لى عَقْلٌ ولا قَوَدُ

منها :

ياخيرَ مُنْتَسِبٍ لمَكْرُمَةٍ فى المجد حيث ينتج العدد
فى كل أنْمُلَةٍ لراحته نَوْءٌ يسحُّ وعارضٌ حَشِدُ
وكأنَّ ضَوْءَ جبينِه قمرٌ وكأنه فى صَوْلَةٍ أَسَدُ
وكأنه رُوحٌ تُدَبِّرُنا حركاتُه وكأَنَّنا جَسَدُ

فاستحسنَها المأمون ، وقال لأبى محمد: احتَكِمْ له . فقال له : أميرُ المؤمنين أوْلَى

بالُحكْمِ ، ولـكن إن أذِنَ لى فى المسألة سألْتَ له ، وأما الُحكْمُ فـلا . فقال : يَلْحَقُه بجوائِز مروانَ ابنِ أبى حَفْصَة فقـال : ذلك والله أَرَدْتُ ، وأمر أن تُعَدّ الأبياتُ فـكانت خَمْسين فأعطاه خمسين ألفَ دِرْهم .

كان المأمون كثيرا ما يُنْشِدُ إذا حَزَبَـهُ أمر :

ألا ربمـا ضاقَ الفضاءُ بأهله وأمْـكَنَ من بينِ الأسِنَّةِ مَخْرَجُ

وهذا البيت من قصيدة لمحمدِ بن وُهَيْب وهى :

هـل الهَمُّ إلا كُرْبَـةٌ تتفَرَّجُ لهـا معقب تجرى إليه وتزعجُ
وما الدهرُ إلا غابرٌ مثـلُ سالِفٍ وما العيشُ إلا جِـدّةٌ ثم تَنْهَجُ
وكيف أشيمُ البرقَ والبرقُ خُلَّبٌ ومُطْمِعُنى إنْعامُه الُمتَبَلِّجُ
وكيف أديمُ الصَّبرَ لا بى ضَرَاعَةٌ ولا الرزقُ محظورٌ ولا أنا مُحْرَجُ
ألا ربما كان التَّصَبُّرُ ذلة وأدنى إلى الحال التى هى أسْمَجُ
وهل يحمل الهم الفتى وهو ضامر سُرَى الليل رحّال المشيات مدلجُ
أبَى لى إغضاءَ الجفونِ على القذى يقينِى أَلّا عُسْرَ إلا سَيُفْرَجُ
ألَا ربمـا ضاق الفضاءُ بأهله وأمكن من بين الأسِنّة مَخْرَجُ
وقد يُرْكَبُ الخطبُ الذى هوقاتلٌ إذا لم يكن إلا عليـه مُعَرَّجُ

كان محمد بن وهيب تياها شديد الذهاب بنفسه ، فلما قدم الأفشين وقد قتـل فاتـكا مدحه بقصيدته التى أولها :

* طلول ممانيها نناجيها و نبكيها *

ومنها :

* نعيت الخيل والخير عقد فى نواصيها *

وهى من جيد شعره ، فأنشدها وقال : مالها عيب سوى ألّا أخت لها فأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم يفرقها عليهم ابن أبى داود،

فأعطى محمد بن وهيب منها ثلاثين ألفا وأعطى أبا تمام عشرة آلاف درهم ، قال ابن أبي كامل : فقلت لعليّ بن يحيي المنجم : ألا تعجب من هذا الحظ . يُعْطَى أبو تمام عشرة آلاف وابن وهيب ثلاثين ألفا وبينهما كما بين السماء والأرض !! فقال : لذلك علة لاتعرفها ؛ ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان فلذلك وصله على هذه الحال . حدث من دخل إلى محمد بن وهيب يعوده وهو عليل فسأله عن خبره فشكى مابه وقال :

نُراع لذكر الموت ساعة ذكره ونعترض الدنيا ونلهو ونلعب
وآجالنا فى كل يـــوم وليلة إلينا عـــلى غراتنا تتقرب
أأيقن أن الشيب ينعى حياته مدر لأخلاف الخطيئة مذنب
يقين كأن الشك أغلب أمره عليه وعرفان إلى الجهل ينسب
وقد ذمت الدنيـا إلىّ نعيمها وخاطبنى إعجامها وهو معرب
ولـكننى منها خلقت لغيرها وما كنت منه فهو شىءٌ مُحبَّبُ

سأل محمد بن وهيب محمدَ بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها ، فقال له :

طبع الـكريم على وفائه وعلى التفضل فى إخائـــه
تغـــنى عنايته الصـديـ قَ عن التعرض لاقتضائه
حسب الـكريم حياؤه فـكل الـكريمَ إلى حيائه

فقال له : حسبك . قد أبلغته والحاجة سبقتك إلى منزلك ووفى له بذلك .

مصعب بن الزبير(1)

هو مصعبُ بنُ الزبير بن العوام بن خُوَيْلد بن لبد بن عبد العزى بن قصى ابن كلاب .

لما كانت سَنَةُ اثنتين وسبعين استشار عبدُ الملكِ عبدَ الرحمن بنَ الحكم فى المسيرِ إلى العراق ، لمحاربةِ مُصْعَبِ بن الزبير ومناجَزته ، فقال : يا أمير المؤمنين قد واليْتَ بين عامين تغْزو فيهما وقد خَسِرْتَ خَيْلَكَ ورجالَك ، وهذا عامٌ حاردٌ فأرح نَفْسَك وجُنْدَك ، ثم تَرَى رأْيَك . قال : إنى أبادرُ ثلاثةَ أشياء ، الشامَ وهى أرضٌ المالُ بها قليلٌ فأخافُ أن يَنفَدَ ما عِنْدى ، وأشرافُ أهلِ العراقِ قد كاتبونى يَدعوننى إلى أَنْفُسِهم ، وثلاثةٌ من أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كبروا ونفدتْ أعمارُهم ، فأنا أبادرهم الموت(2) أحبُّ أن يحضروا معى ، ثم دعا يحيي بنَ الحكم ، وكان يقول : من أراد أمرا فليُشَاوِرْ يحيَي بنَ الحكم ، فإذا أشارَ عليه بأمْرٍ فليعملْ خلافَه ، فقال : ما ترى فى المسير إلى العراق ؟ فقال : أرى أن تَقْنَع بالشام ، وتُقِيمَ بها ، وتَدَعَ مُصْعَبا بالعراق فلَعَنَ اللهُ العراق ـ فضحك عبدُ الملك ودعا عبدَ اللهِ بنَ خالد بن أسيد . فشاوره ، فقال : يا أمير المؤمنين قد غَزَوْت مرّة فنَصَرَكَ الله ، وغزوت ثانيةً فزادكَ اللهُ بها عِزًّا فأَقِمْ عامَك هذا . فقال لمحمدِ بن مَرْوان : ما ترى ؟ قال : أرجو أن يَنْصُرَكَ الله أقمْتَ أم غَزَوْت ، فشَمِّرْ فإن الله ناصِرُكَ فأمرَ الناسَ فاستعدُّوا للمسير ، فلما أجْمَعَ عليه ، قالت عاتكةُ بنتُ يزيدَ زوجتُه : يا أمير المؤمنين وَجِّه الجنودَ وأَقِمْ فليس الرأىُ أن يباشرَ الخليفةُ الحربَ

---

(1) أغانى ١٧ : ١٦١ وأخباره فى ترجمة أبى بكر بن النطاح ـ الطبرى ٧/٦٨٧ ـ أنساب الأشراف ٥ / ٣٣٢ .

(2) أبادر بهم (أغانى) .

بنفسه ، فقال : لو وجهتُ أهلَ الشام كلَّهم فعلم مصعبٌ أنى لستُ معهم لَيُهْلِكَنَّ الجيشَ كله ثم قدَّم أخاه محمدَ بن مروان ، ومعه عبدُ الله بن خالد بن أسيد ، وبشر ابن مروان أخاه أيضا ونادى مناديه أن أميرَ المؤمنين قد استعمَلَ عليكم سَيِّدَ الناس محمدَ بنَ مروان ، وبلغ مصعبَ بن الزبير سيرُ عبدِ الملك فأراد الخروج فأبى عليه أهلُ البَصْرَة وقالوا : عَدُوُّنا مُطِلٌّ علينا يعنون الخوارجَ فأرْسل إليهم بالمُهَلَّبِ ، وهو عامِلُه بالموصل ؛ فولّاه قتالَ الخوارج وخرجَ مصعبٌ فنزل بدَيْرِ الجاثليق وهو بِمَسْكَن ، ونزل عبدُ الملك الأخوفية فقدَّم عبدُ الملك أخوَيْه محمدا وبشرا كل واحدٍ على جَيْش ، والأميرُ مُحَمَّدٌ . وقدَّمَ مصعبٌ إبراهيمَ ابن الأشْتَر ، وكتب عبدُ الملك إلىأشرافِ الكوفةِ والبصرةِ يدعوهم إلى نَفْسِه ويُمَنِّيهم فأجابوه وشرَطوا عليه شرُوطاً ، وسألوه ولاياتٍ ، وسأله ولايةَ أصبهان أربعون رَجُلا منهم ، فقال عبدُ الملك لِمَنْ حَضَره : وَيْحَكُمْ ما أصبهان هذه ! ! تَعَجُّباً من كثرة من يَطلُبها . وكتب إلى إبراهيمَ بنِ الأشتر ولايةَ ماسقَى الفُراتُ إن تبعْتَنِى فجاء إبراهيمُ بالكتابِ إلى مُصْعَبٍ فقال : هذا كتابُ عبدِ الملك ولم يَخُصَّنِى بهذا دونَ غيرى من نظرائى فأطِعْنِى فيهم فقال : أصنع ماذا ؟ قال : تدعو بهم فتضربُ أعناقَهم فقال : أقتُلُهم على ظَنٍّ ظننْتَه ، قال : فأوْقِرهم حديداً وابعثْ بهم إلى أرضِ المدائِن حتى تَنْقَضِىَ الحربُ . قال : إذاً تَفْسُدُ قلوبُ عشائرهم ، ويقول الناسُ عَبَثَ مصعبٌ بأصحابه ، قال : فإن لم تَفْعَلْ فلا تَمُدَّنِى بهم فإنهم كالمومِسَةِ تريد كلَّ يومٍ خليلا ، وهم يريدون كل يوم أميرا ، وأرسل عبد الملك رجلا إلى مُصْعَبٍ يدعوه إلى أن يَجْعَلَ الأمرَ شورى فى الخلافةِ ، فأبى مصعبٌ فقدَّمَ عبدُ الملك أخاه محمدا ، وقال : اللهم انصُرْ محمدا ثلاثا ، ثم قال : اللهم انصر أصْلَحَنا وخَيْرَنا لهذه الأُمَّة ،

وقدم مصعبٌ إبراهيمَ بن الأشتر فالتقت المقدّمتان وبين عسكرِ مُصْعبٍ وعسكرِ عبدِ الملك فرسخٌ ، ودنا عبدُ الملك حتى قَرُبَ من عسكر محمد فتناوشوا فقُتِلَ رجلٌ من مقدمةِ محمدٍ يقال له فراس ، وقتل صاحبُ لواء بِشْر ، وكان يقال له أُسَيْد ، فأرسل محمدٌ إلى عبد الملك أن بِشْرا قد ضَيَّعَ لواءه فصيَّرَ عبد الملك الأمرَ كله إلى محمدٍ وكَفَّ الناس وتواقفوا ، وجعل أصحابُ ابن الأشترِ يَهمّون بالحرب ومحمدُ بنُ مروان يَكُفُّ أصحابه ، فأرسل عبدُ الملك إلى محمدٍ ناجِزْهم فأبى ، فرد عليه رسولا آخر وشَتَمَه ، فأمر محمدٌ رجلا وقال له : قفْ خلفِى فى ناسٍ من أصحابك ، ولا تدعَنَّ أحداً يأتينى من قِبَلِ عبد الملك ، وكان قد دَبّر تدبيراً سديداً فى تأخيره المناجزة إلى وقتٍ رآه ، فكَرِه أن يُفْسِدَ عليه عبدُ الملك تدبيرَه فوجَّهَ إليه عبدُ الملكِ عبدَ الله ابنَ خالد بن أَسِيد فلما رأوه أرسلوه إلى محمد ، هذا عبد الله بن خالد ، فقال : ردوه بأشَدَّ مما رَدَدْتم من جاء قَبْلَه ، فلما قَرُب المساءُ أمرَ محمدٌ أصحابه بالحرب ، وقال : حرِّكوهم قليلا ، فتهايج الناسُ ، ووجه مصعبٌ إبراهيمَ ابن عَتّاب بن وَرْقاء الرِّياحى يُعجِزُ إبراهيم . فقال : قد قلتُ له لا تُمِدَّنِى بأحد من العِراق ، فلم يَقْبَل فاقتتلوا ، وأرسل إبراهيمُ بنُ الأشترِ إلى أصحابه بحضرةِ الرسولِ لِيُرِيَهُ خلافَ أهلِ العراقِ عليه فى رأيه ألّا تَنْصرفوا عن الحربِ حتى ينصرفَ أهل الشامِ عنكم ، فقالوا : ولم لا ننصرفُ فانصرفوا ، وانهزم الناسُ حتى أتوا مصعباً ، وصبر إبراهيمُ فقاتل حتى قُتِل . فلما أصبحوا أمَرَ محمدُ بنُ مروان رجلا فقال : انطلِقْ إلى عسكر مُصْعَبٍ فانظر كيف تراهم بعد قتلِ إبراهيمَ بنِ الأشتر ، فمضى الرجلُ ، ثم رجع إلى محمد فقال : رأيتهم مُنْكَسِرين ، وأصبح مصعبٌ ، ودنا منه محمدُ بنُ مروان حتى الْتَقَوْا ، وترك قومٌ من أصحاب مُصعبٍ مُصعبا ، وأتوا محمد بن مَرْوان ، فدنا محمدُ بن مروان إلى مصعبٍ فناداه : فداكَ أبى وأمى إن القومَ خاذِلُوكَ ولك الأمانُ ، فأبى قبولَ ذلك ، فدعا محمدُ بن مروانَ عيسَى بنَ

مصعب ، فقال له أبوه : انظر ما يريدُ محمد ، فدنا منه فقال له : إنى لكم ناصحٌ إن القومَ خاذلوكم ، ولك ولأبيك الأمانُ وناشَدَه ، فأبى قبولَ ذلك ورجع إلى أبيه فأخبره ، فقال له : يا بنى إنى أظن أن القوم سَيَفُونَ ، فإن أحببتَ أن تأتيهم فأْتِهم . فقال : والله لا تتحدثُ نساء قريشٍ أنى خَذَلْتك ، ورغبتُ بنفسى عنك ، قال : فتقدمْ حتى أحتَسِبَك ، فتقدم ومعه ناس من أصحابه فقُتِلَ وقُتِلوا ، وترك أهلُ العراقِ مُصعبا حتى بقى فى سبعة . وجاء رجلٌ من أهل الشام ليَحْتَزَّ رأسَ عيسى فشدَّ عليه مصعبٌ فقتله ، وشدّ على الناس فانفرجوا ، ثم رجع فقعَد على مِرْفَقَة[(١)] ديباج ، ثم جعل يقومُ عنها ويحملُ على أهل الشام ، فيُفرِجُون عنه ثم يرجعُ فيقعدُ على المِرْفَقَةِ ، ففعل ذلك مرارا ، ودعاه عبدُ الله بنُ زياد بن ظَبْيان إلى المبارزة ، فقال : أعْزُب يا كابُ وشَدَّ عليه مصعبٌ فضربَه على البَيْضَةِ فهَشمها . وجرحه ، فرجع عبيد اللهِ فعصبَ رأسه ، وجاء ابنُ أبى فَرْوَة كاتبُ مصعبٍ فقال له : جعلتُ فداك ، قد تركَكَ الناسُ ، وعندى خَيْلٌ مُضَمَّرَة فاركبها وانْجُ بنفسك ، فدَثَّ[(٢)] فى صدرِه وقال : ليس أخوك بالعبد ، ورجع ابنُ ظبيان إلى مصعب فحمل عليه هو وزَرَقَ زائدة بن قدامة مُصْعَبا[(٣)] ونادي يالثاراتِ المختارِ فصَرَعه . وقال عبيدُ الله لغلام له ديْلَمِيّ : احتز رأسَه ، فنزل فاحتز رأسَه فحمله إلى عبد الملك ، فلما وضعه بين يديه سَجَدَ . قال ابن ظبيان : فهممتُ والله أن أقتُلَه فأكون أفْتَكَ العرب ، فقتلتُ مَلِكَيْنِ من قريشٍ فى يوم واحدٍ ، ثم وجدتُ نفسى تُنازِعُنى الحياةَ فأمسكت .

وقال يزيدُ بن الرِّقاع العامِليّ أخو عَدِيّ ويقال : إنها للبَعيث اليَشْكُرِيّ :

ونحن قتلنا ابنَ الحوارِيّ مُصْعَبا … أخا أسدٍ والمذْحِجِيّ اليمانيا

(١) المرفقة : المخدة .

(٢) فدفع (أغانى) .

(٣) فى الأصل وزرق بن زائدة بن قدامة ونادى والتصويب عن الأغانى ١٧ : ١٩٣ .

ومَرّتْ عُقابُ الموتِ منا بمُسْلِمٍ ... فأهْوَتْ له ظفرا فأصبح ثاويا

مسلمٌ هذا هو مسلمُ بن عمرٍو الباهلى ، وكان على مَيْسَرَةِ ابن الأشْتَر ، فطُعِنَ فسقط ، فلما قُتِلَ مصعبٌ أرسل إلى خالدِ بن يزيدَ بنِ معاوية أن يَطْلُبَ الأمانَ من عبد الملك ، فأرسل إليه: ماتصنعُ بالأمانِ وأنت بالموت ؟ فقال : لمالِى ولولدى[1] ، فحُمِلَ على سرير حتى أُدْخِلَ على عبد الملك ، فقال عبد الملك : هذا أكفرُ الناسِ لمعروفٍ ، ويحك أكفرتَ معروفَ يزيدَ بنِ معاويةَ عندك ؟ فقال له خالد : تُؤَمِّنُه يا أمير المؤمنين ، فأمَّنَه ، ثم حُمِلَ فلم يَبْرَحِ الصحنَ حتى مات .

قال رجلٌ لعبدِ الله بن ظَبْيان : بمــاذا تحتجُّ عندَ الله عزّ وجل ؟ قال : إنْ تُرِكْتُ أحتجّ رجوتُ أن أكون أخطبَ من صعصعةَ بنِ صُوحان .

ولما كان يومَ قُتِلَ مُصْعَب دَخلَ إلى سُكَيْنَة بنتِ الحسين ، فنزع عنه ثيابَـه ولبس غُلالَةً وتوشح بثوبٍ واحدٍ وأخـذَ سَيْفَه ، فعلمت سكينةُ أنه لا يريد أن يَرْجِعَ ، فصاحت به من خَلْفِه: واحزناه عليك يامُصْعَب ، فالتفت إليها وقد كانت تُخْفِى مافى قَلْبِها منه ، فقال : أَوَكُلّ هـذا لى فى قَلْبِـك! فقالت : إى والله ، وما كنتُ أُخْفِى منه أكثر ، فقال : لو كنت أعلمُ أن هذا كلَّه لِى عِنْدَك لـكان لى ولَكِ حال ، ثم خرج ولم يَرْجِع . ويقال : إن سُكينةَ لما قَدِمَتْ على مُصْعَبٍ أعطى أخاها علىَّ بن الحسين أربعين ألفَ دينار ، وولدت من مُصْعَبٍ ابنةً سَمَّتْها الرَّبَابَ ، ولما دخلت سكينةُ الـكوفةَ بعد قَتْل مصعبٍ خطبها عبدُ الملك . فقالت : لا والله لا يتزوَّجُنى بعده قاتِلُه أبداً ، فردَّتْه ، وتزوجت عبدَ الله بنَ عُثمانَ بنِ عبد الله ابن حكيم بن حزام ودخلت بَيْنَها وبينه رملةُ بنتُ الزبير أختُ مُصْعب حتى تزَوَّجها

---

(١) ليسلم لى مالى ويأمن ولدى (أغانى) ١٧ : ١٦٤ .

خوفا من أن تَصير إلى عبد الملك فولدتْ منه ابنا فسمته عُثْمان ثم مات عنها عبدُ الله ابن عثمان فتزوَّجها زيدُ بن عمرو بن عثمان بن عفان .

وقال الشعراء فى مصعبٍ كثيرا ، فما رثاه عَدِىّ بنُ الرِّقاع :

لعَمْرِى لقد أَصْحَرَتْ خيلُنا   بأكنافِ دِجْلَةَ للمُصْعَبِ
يَهُزُّون كلَّ طويـــلِ القنا   ةِ معتدلَ النَّصْلِ والثَّعْلَبِ
فداؤك أُمِّى وأبناؤها   وإن شئتَ زِدْتُ عليهـــا أبى
إذا شِئْتُ نازلت مُسْتَقْبلا   أزاحمُ كالجملِ الأَجْربِ
فمن يكُ منّا يَبتْ آمنا   ومن يك من غَــيْرنا يَهْربِ

وقال قيس يرثى مُصْعَبا :

لقد أوْرَثَ المصرين خِزْيا وذِلَّةً   قتيلٌ بــدير الجاثليقِ مُقــيمُ
فما قاتَلَتْ فى الله بَكْرُ بنُ وائل   ولا صَــبَرَتْ عند اللقــاءِ تميمُ
ولـكنَّهُ رام(١) القيامَ ولم يكن   بها مُضَرِىٌّ يــومَ ذاك كريمُ

قال الشعبي : دخلت المسجدَ فإذا أنا بمُصْعبِ بن الزبير ، على سريرٍ ، جالسٌ والناسُ عنده ، فسلمتُ ثم ذهبتُ لأنصرف . فقال لى : ادْنُ فدنوتُ حتى وَضَعْتُ يدى على مَرافقِه فقال لى : إذا قمتُ فاتبَعْنى ، فجلس قليلا ثم نهض فتوَجَّه نحوَ دار موسى بنِ طلحة ، فتبعته ، فلما طُعِنَ فى الدار التفتَ إلىّ فقال : أدخلْ فدخلتُ فإذا حَجَلَةٌ(٢) وأنها لأولُ حَجَلَةٍ رأيتُها لأمير ، فقمت ، ودخلَ الحجلةَ فسمعت حركةً فـكرهتُ الجلوسَ ولم يأمُرْنى بالانصراف ، فإذا جاريةٌ قد خرجَتْ فقالت : ياشَــعبىُّ إن الأمير يأْمُرك بالجلوسِ ، فجلستُ على وسادة ورُفِعَ السّجفُ الآخرُ فإذا بعائشةَ بنتِ طلحة ، فلم أرَ زَوْجا قطُّ أجملَ منهما ؛ مصعب وعائشة .

---

(١) ضاع الذمام (طبرى ٧ : ٦٨٧) .

(٢) الحجلة : ستر يضرب للعروس فى جوف البيت ـ بيت يزين لها .

فقال مُصعب : ياشعبيُّ ، هل تعرفُ هذه ؟ فقلت : نعم أصلحَ اللهُ الأميرَ . قال : ومن هى ؟ قلت : سيدةُ نساءِ العالمين عائشةُ بنت طَلْحة . قال : لا ، ولكن هذه لَيْلَى التى يقولُ فيها الشاعر :

ومازِلْتُ من لَيْلَى لَدُنْ طُرَّ شاربى إلى اليوم أُخْفِى حُبَّها وأداجنُ
وأحملُ فى لَيْلَى لقــومٍ ضغينةً وتحملُ فى لَيْلَى علىَّ الضغائنُ

ثم قال : إذا شئتَ فقم ، فقمت ، فلما كان العشيُّ رحتُ وإذا هـو جالسٌ على سريره فى المسجد ، فسلمتُ فلما رآنى قال : ادْنُ فدنوتُ حتى وضَعْتُ يدى على مَرافِقِه وأَصْغَى إلىَّ فقال : هل رأيتَ مثـل ذلك الإنسان قط ؟ قلت : لا والله ، قال : أفتَدْرِى لم أدْخَلناك ؟ قلت : لا . قال : لتُحَدِّثَ بما رأيت ، ثم التفت إلى عبد اللهِ ابن أبى فَرْوَةَ فقال : أَعْطِه عشرةَ آلافِ دِرْهم ، وثلاثين ثَوْبا ، فما انصرف واحدٌ يومئذ بمثلِ ما انصرفتُ به ؛ عشرة آلافِ دِرْهم وثلاثين ثَوْبا مِثْل كارةِ[1] القصار وبنظرة من عائشة بنت طلحة .

وكان مصعبٌ لما قَدِمَ الكوفةَ يسألُ عن الحسينِ بنِ علىٍّ ومن قَتَلَه فجعل عروةُ بنُ المغيرة يحدِّثه عن ذلك ، فقال متمثلا بقول سليمانَ (بن قتة) :

إن الأُلى بالطَّفِّ من آل هاشمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُّوا للكرامِ التأسِّيا

قال عروة : فعلمت أن مصعبا لا يَفِرُّ أبداً .

حدث شيخٌ من أهل مكةَ قال : لما أَتَى عبدَ الله بنَ الزبير خبرُ أخيه مُصْعَبٍ أضربَ عن ذِكْرِه أياما حتى تَحَدَّثَ به إماءُ مكة فى الطريق ، ثم صعد المنبرَ فجلس عليه مَلِيّا لا يتكلم ، فنظرتُ إليه والكآبةُ على وجْهِه وجَبِينُه يَرْشَحُ عَرَقا ، فقلت لآخرَ إلى جَنْبِى : ماله لا يتكلمُ أتراه يهابُ المَنْطِقَ ؟ فوالله إنه لخطيب ؛

(١) الكارة من الثياب : ما يكوره القصار منها ويحمله فيكون بعضه فوق بعض .

فما تراه يهاب ؟ قال : أراه يريد أن يَذْكُرَ قتلَ أخيه مُصْعَبٍ سيدِ العربِ فهو لفظيع تذكره غير ملوم . فقام فقال : الحمد لله الذى له الخلقُ والأمْرُ ومالكُ الدنيا والآخـرةِ ، يُعِزّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء ، أما إنّه واللهِ لا يُذِلُّ اللهُ من كان الحقُّ معه ، وإنْ كان مُفْرَداً ضعيفا ، ولا يُعِزّ اللهُ من كان الباطلُ معه وإن كان فى العُدَّةِ والعَدَدِ كثيرا . ثم قال : إنه قد أتانا خـبرٌ من العراقِ بلدِ الغَدْرِ والشقاقِ . فساءنا وسرّنا ، أتانا أن مصعبا قُتِلَ رحمةُ اللهِ عليه ومغفرتُه ، فأما الذى ساءنا وأحزننا فإن لِفراقِ الحميمِ لَذْعةً يجدُها حميمهُ عند المُصيبةِ ، ثم يَرْعَوِى من بَعْدُ ذو الرأىِ والدينِ إلى جميلِ الصَّبْرِ ، وأما الذى سرّنا فإنا علمنا أن قَتْلَهُ شهادةٌ له ، وأن اللهَ عزّ وجلّ ، جاعلٌ لنا وله فى ذلك خِيَرَةً إن شاء الله ، عز وجل ، إن أهلَ العراق أسْلَمُوه وباعُوه بأقلِ ثَمَنٍ كانوا يأخذونه منه ، واحسرتاه أسلموه إسلامَ النَّعَمِ المُخطَّمِ ، فقُتِلَ وأىّ قَتْل ! ! فقد قُتِلَ أبوه وعَمُّه وأخوه ، وكانوا الخيارَ الصالحين ، والله ما نموتُ كما يموتُ بنو مروان حَتْفَ أنوفنا ، ما نموت إلا قتلاً ، قَتْلاً قَعْصاً ، قعصا بين قَصَبِ الرماحِ وتحتَ ظـلال السيوفِ ، وليس كما يموتُ بنو مروان ، والله ما قُتِلَ رجل منهم فى جاهليةٍ ولا إسلامٍ قطُّ ، وإنما الدنيا عَارِيةٌ من المَلِكِ القهّارِ الذى لا يزولُ سلطانهُ ولا يَبِيدُ مُلْكُه ، فإن تُقْبِلِ الدنيا علىّ آخذْها أخْذَ الأَشِرِ البَطِر وإن تُدْبِرْ عنى لا أبكِ عليها بكاءَ الخَرِفِ الهَتِرِ ، ثم نزل .

قال عبدُ الملك يوما لجلسائه : من أشجعُ الناس ؟ فأكثروا فى هـذا المعنى ، فقال : أشجعُ الناس مصعبُ بن الزُّبَيْر جَمَعَ بين عائشةَ بنتِ طَلْحَةَ وسكينةَ بنتِ الحسين وابنة الحُمَيْدِ بنتِ عبد الله بن عـاصم وَوَلِيَ العراقين ، وزحفَ إلى الحَرْب فبُذِلَ له الأمانُ والحِباء والكرامة والولايةُ والعَفْوُ عما خاص فى يده فأبى قبولَ ذلك واطَّرَحَ ما كان مشغوفا به من ماله وأهْلِه وراءَ ظَهْرِه وأقبل يقاتلُ بسيفه

قرِماً ولم يبق معه إلا سبعةُ نفر حتى قُتِلَ كريما .

ولما ولى مصعبٌ العراقين أقرّ عبد العزيز بن عبد الله بن عامر على سِجِسْتان وأمده بخيل فقال ابن قيس الرقيات :

ليتَ شعرِى أأولُ الهرْج هذا · أم زمانٌ من فتنةٍ غيرِ هَرْج
إنْ يَعِشْ مصعب فنحن بخير · قد أتانا من عيشنا ما نُرَجِّي
أُعْطِىَ النصرَ والمهابةَ فى الأعـ · ـداء حتى أتوْه من كُلِّ فَجِّ
حيث لم تَأْتِ قبله خيلُ ذى الأكْـ · ـتاف يوجِفْنَ بين قُفّ(١) ومَرْج
مَلِكٌ يطعمُ الطعامَ ويَسْقِى · لبن البُخْتِ فى عِسَاسِ الخَلَنْجِ(٢)

كان ابن قيسِ الرقياتِ عند عبد الملك بن مروان فأقبل غلمانُ عبدِ الملك معهم عساسُ الخلَنْج فيها لَبَنُ البُخْتِ فقال عبد الملك : يا ابن قيس ، أين هذه من عساس مُصْعَبٍ التى تقول فيها :

ملكٌ يُطْعِمُ الطعامَ ويَسْقِى · لبَنَ البُخْتِ فى عساس الخَلَنْجِ

فقال : لا ، أين يا أميرَ المؤمنين لو طُرِحَتْ هذه فى عُسّ من عِساس مُصْعب لوَسِعَتْها وتغلغلتْ فى جَوْفه فضحك عبدُ الملك وقال : قاتل الله ابنَ قيس يأبَى إلا وفاءً وكَرَماً .

وقال رجلٌ من بنى أسد بن عبد العزى يَرْثِى مُصْعبا :

لعمرك إنَّ الموتَ منا لَمُوَلَعٌ · بكل فَتًى رَحْبِ الذراعِ أريبِ
جميلِ المُحَيّا يوهِنُ القِرْنَ غَرْبُه · وإنْ عَضَّه دهرٌ فغيرُ هيوبِ
فإن يك أمسى مصعبٌ نال حَتْفَه · لقد كان صُلْبَ العودِ غير رَهُوبِ
أتاه حمامُ الموتِ وَسْط جنوده · فطاروا سلالا واستَقَى بذَنوبِ
ولو صَبَرُوا نالوا حِباً وكرامةً · ولكنهم وَلَّوْا بغير قلوبِ

---

(١) القف : ما ارتفع من الأرض وصلبت حجارته .

(٢) العس : القدح أو الإناء الكبير والخلنج شجر .

مرج راهط[1]

كان بدء حرب قيْس وكَلْبٍ فى فِتْنةِ ابن الزبيرِ ما كان مِنْ وَقْعَةِ مَرْجِ راهط، وكان سببُ ذلك أن مروانَ بن الحكم قَدِمَ بعد هلاكِ يزيدَ بنِ معاويةَ ، والناسُ يَموجون ، وكان سعيد بن بَحْدَلٍ الكَلْبِيّ على قيس ، فوثَبَ عليه زُفَرُ بن الحارثِ فأخرجه منها وبايعَ لابنِ الزُّبير ، فلما قعَدَ زُفَرُ على المنبرِ قال : الحمد لله الذى أقْعَدَنِى مَقْعَد الغادرِ الفاجرِ ، وحُصِرَ ، فضحك الناس من قوله ، وكان النعمانُ بنُ بَشير على حِمْص فبايعَ لابنِ الزُّبَيْرِ ، وكان حسانُ بن بَحْدَلٍ على فلسطينَ والأُرْدُنّ فاستَعْمَل على فِلَسْطين رَوْحَ بنَ زنباعٍ الُجذَامِىّ وترك الأُرْدُنّ ، فوثب نابِلُ بن قَيْس الُجذَامِىّ على رَوْح بن زنباعٍ فأخْرَجه من فلسطينَ وبايعَ لابن الزُّبَيْرِ وكان الضحاكُ بنُ قيسٍ الفِهْرِىُّ عاملا ليَزيدَ بنِ معاوية على دِمَشْقَ حين هَلَكَ ، فجعل يُقدِّم رجلاً ويُؤَخِّر أُخْرَى ، إذا جاءتْه اليمانيـةُ وشِيعَةُ بنى أمية أخبرهم أنَّه أُمَوِىّ ، وإذا جاءته القَيْسِيَّةُ أخبرهُم أنه يدعو إلى ابنِ الزُّبَيْرِ فلما قَدِمَ مروانُ قال له الضحاكُ : هل لك أن تَقْدَمَ على ابن الزُّبَيْرِ بِبَيْعة أهلِ الشام ؟ قال : نعمَ وخرجَ من عنده ، فلقيه عمرُو بنُ سَعيدِ بن العاص ومالك وحصين الكِنْدِيان ، وعبيدُ الله بن زياد ، فسألوه عما قال الضحاكُ فأخْبَرهم ، فقالوا : أنت شيخُ بنى أُمَيَّة ، وأنت عمُّ الخليفة ، هلم نبُايِعْك ، فلما فشا ذلك أرسلَ الضحاكُ إلى بنى أميـة يَعْتَذِرُ إليهم ويذكر حسنَ بلائه عندهم ، وأنه لم يُرِدْ شيئا يكرهونه ، فاجتمع مروانُ بنُ الحكم وعمرو بن سعيـد بن العاص وخالدُ

---

(١) أغانى ١٧ : ١١١ ـ الطبرى ٥ / ٥٣٥ ـ الكامـل لابن الأثير ٤ / ٥٨ ـ أنساب الأشراف ١٣٦ .

وعبد الله ابنا يزيدَ بنِ معاوية ، فقال لهم : اكتبوا إلى حسان بن بَحْدَلٍ فليَسِرْ من الأرْدُنِّ حتى ينزل الجابيةَ ، ونسيرُ مَنْ ها هنا حتى نلقاه فيستخلف رجلا ترْضَونه ، فكتبوا إلى حَسّانَ فأقبل من الأردنِّ وسار الضّحّاكُ بنُ قيس وبنو أمية فى أَهْـلِ دمشق ، فلما استَقَلَّتِ الراياتُ من قِبَلِ دمشق ، قالت القيسيّةُ للضحاكِ : دَعَوْتَنا إلى دعوة ابنِ الزبيرِ ، وهو رجلُ هذه الأُمّةِ ، فلما تابَعْناك خرجتَ تابعا لهذا الأعرابى مع كَلْبٍ تبايع لابن أخيه تابعا له قال : فتقولون : ماذا ؟ قالوا : نقول أن تنصرفَ وتُظْهِرَ بيعةَ ابنِ الزبير ونظهرَها معك ، فأجابهم إلى ذلك ، وسار حتى نزل مَرْجَ راهطٍ ، وأقبل حسانُ حتى لَقِيَ مروانَ بن الحكم ، فسار حتى دخل دمشقَ فأتته اليمانيةُ [تشكر بلاء بنى](1) أمية فساروا مع مروانَ حتى نزلوا المرجَ على الضحاكِ ، وهم نحو سبعةُ آلافٍ ، والضحاكُ فى نحو ثلاثةِ آلاف ، فلقُوا الضحاكَ وقُتِلَ الضحاكُ وقُتِلَ معه أشرافٌ من أشراف قَيْس وأقبلَ زفرُ هاربا من وَجْهِه ذلك حتى دخل قَرْقيسيا ، وأقام عميرُ بن الحباب شيئا على طاعةِ بنى أميَّةَ ، ثم أقبل حتى دَخَل قَرْقيسيا على زفر وأقام معه ، وقال زفر يبكى قتلى المرج :

لَعَمْرِى لقد أَبْقَتْ وَقيعةُ راهطٍ … لمروانَ صَدْعاً بيننا مُتَساوِيَا
أتَذْهبُ كَلْبٌ لم تَنَلْها رِماحُنا(2) … ويترك قتلى راهطٍ هِىَ ما هِيا
وقد يَنْبُتُ المَرْعى على دِمَنِ الثَّرَى … وتبقى حزازاتُ النفوسِ كما هِيَا
أَبَعْدَ ابنِ صَقْر وابنِ عَمْرٍو تَتَابعا … ومَصْرَعِ هَمّامٍ أُمَنِّى الأمانيا

فقال ابن المُخَلَّاة الكَلْبِىّ يجيبه :

لعمرِى لقَدْ أَبْقَتْ وقيعةُ راهطٍ … عـلى زُفَرٍ داءً من الداءِ باقِيَا
تُبَكِّى على قَتْلَى سُلَيْمٍ وعـامرٍ … وذُبيانَ مَغْرورا وَتُبْكِى البواكيا

مع قصائد كثيرة قيلت فى ذلك .

---

(١) غير واضحة فى الأصل وهى عن الأغانى ١٧ : ١١١ .

(٢) هذا الشطر محرف فى الأصل وصحته عن الأغانى ١٧ : ١١١ .

مسكينٌ أبو صَدَقة

هو مسكينُ بنُ صَدَقَةَ من أهل المدينة ، مولىً لقريش مَليحُ الغِناء طيّبُ الصوتِ من أكثرِ النـاسِ نادرةً ، وأخفهم رُوحاً ، وأشدِّهم طَمَعا ، وألحِّهم فى مسألة ، وكان خيّاطا حاذقا .

وكان له ابنٌ يقال له صَدَقَة يُغَنِّى ، وابن ابنه أَحْمَدُ بن صَدَقَة الطّنْبُورِىُّ أحد المحسنين ، وهو أشبهُ الناس بجَدِّه فى المَزْحِ والنوادِر ، وأبو صدقة من المغنّين الذين أقْدَمَهم هارونُ الرشيدُ من الحجازِ فى أيامه . قيل لأبى صدقة : ما أكثرَ سؤالكَ وأشدَّ إلحاحَك !! فقال : وما يمنعنى من ذلك ، واسمى مسكينٌ وكُنْيَتِى أبو صَدَقَة وامرأتى فاقَةُ وابنى صَدَقَة .

قال الرشيد يوما للحارِث بن بسخر : قـد اشتهيتُ أن أرى نُدمائى ، ومن يحضرُ مجلسى من المغنين جميعا فى مجلسٍ واحـــد ، يأكلون ويشربون مُتَبَذِّلين متبسطين على غَيْرِ هَيْبة ولا احتشامٍ ، يفعلون ما يفعلونه مع إخوانهم ونظرائهم وفى منازلهم ، وهذا لا يتم إلا أن يكونوا بحيثُ لا يَرَوْنِى وعن غَيْرِ عِلْمٍ منهم بِرُؤْيتى إياهم ، فأعِدَّ لى مكانا أجلس فيـه أنا وعمّى سليمانُ وإخوتى إبراهيمُ بنُ المهدى وإسماعيلُ بن جعفر . وجعفرُ بن يحيي فإنا مُغَلِّسون إليك غداةَ غَدٍ واسْتَزِرْ أنتَ محمدَ بن خالدٍ بن برمك ، وخالداً أخا مهرويه ، والخضْرَ بن جبريل ، وجميعَ المغنين وأجْلِسْهم بحيث نراهم ولا يَرَوْننا ، وأبسط الجميعَ وأظْهِرْ بِرَّهم وأخْلَعْ عليهم ولا تَدَعْ من الإكرامِ شيئا إلا فَعَلْته بهم ، ففعل ذلك الحارثُ وقدّمَ إليهم الطعامَ

(١) الأغانى : ٢١ : ١٠٠ .

فأكلوا ، والرشيد ينظرُ إليهم ، ثم دعا لهم بالنبيذِ فشربوا ، وأحضرتِ الخلَع ، وكان ذلك فى يومٍ شديدِ البردِ فخلعَ على ابن جامعٍ جُبَّةَ طارونِىٍّ مبطَّنةً بسمُّورٍ (١) صينىٍّ ، وخلع على إبراهيمَ الموصلى جُبَّةَ وَشْىٍ مُبطَّنَةً بفنَكٍ (٢) ، وخلع على أبى صَدَقَةَ دُرّاعةَ مُلْحَمٍ (٣) خراسانى محشوة بقزٍّ ، ثم تغنَّى ابن جامعٍ وتغنَّى بعده إبراهيمُ ، وتلاها أبو صَدَقَةَ فغنَّى لابن سُرَيْج :

ومن أجل ذاتِ الخالِ أعْمَلْتُ ناقتى ... أُكَلِّفُها سيرَ الكَلالِ مع الظَّلع

فأجاده واستعاده الحارثُ ثلاثا وهو يُعيده ، فقال له : أحسنتَ والله . يا أبا صدَقَةَ فقال له : هذا غِنائِى ، وقد قرصَنِى البردُ ، فكيف تراه فَدَيْتُك يكون لو كان تحت دُرّاعتى شعيراتٌ ، يعنى الوبرَ ؟ ، والرشيدُ يسمع ذلك ، فضحِكَ وأمر بأن يُخْلَع عليه دُرّاعةُ مُلْحَمٍ مبطنةٌ بِفَنَك ، ففعلوا ذلك ثم تغنَّتِ الجماعةُ وتغنى أبو صدقة لمَعْبَد :

بان الخليطُ ولو طُوِّعْتُ ما بانا ... وقطَّعُوا من حبالِ الوصلِ أقرانا

فأقام فيه القيامة ، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طربا ، فقال له الحارثُ أحسنتَ والله يا أبا صدقة وأجملت ، فقال له أبو صدقة : فكيف ترى ، فدَيْتُك ، الحال لو كانتْ على الدُّرّاعةِ نُقَيْطاتٌ ، يعنى الوشى ، فضحك الرشيدُ حتى ظَهَرَ ضحكُه ، وعلموا بموضعِه وأمرَ بإدخالهم إليه ، وأمر أن يُخْلَع على أبى صدقة دُرّاعةٌ أُخْرَى بِوَشْىٍ خُلعت عليه . وكان الرشيد يعبث به كثيرا ، فقال ذات يوم لمسرور : قل لابنِ جامعٍ وإبراهيمَ الموصلىِّ والزبير بن دَحْمان ، وزلزلٍ وبرصوم

(١) السمور حيوان برى يشبه ابن عرس ومنه لون أحمر مائل إلى السواد يتخذ من جلده فراء ثمينة .

(٢) الفنك : جنس من الثعالب أصغر من الثعلب المعروف وفروته من أحسن الفراء .

(٣) الملحم : جنس من الثياب وهو ما كان سداه إبريسمه (حرير أبيض) ولحمته غير إبريسم .

وعمرو الغزال وسائرِ المغانى : إذا رأيتمونى قد طابتْ نفسى فليسأل كل واحد منكم حاجةً ، مقدارُها مقدارُ صِلَتِه ، وذكَرَ لكل واحد منهم مقدارَ ذلك وأمرَهم أن يكتُموا أمْرَهم عن أبى صَدَقة ، فقال لهم مسرور ما قال له ، ثم أذِن لأبى صَدَقة قبل إذْنِه لهم ، فلما جلس قال : يا أبا صدقة قد أضْجَرْتَنِى بكثرةِ مسائِلك وأنا فى هذا اليوم ضَجِرٌ وقد أحببتُ أن أتفرّجَ وأفرحَ ، ولستُ آمَنُ أن تنغّصَ علىّ مجْلسى بمسألتك فإمَّا ألا تسألنى اليوم حاجةً ، وإلا انصرف فقال له : لستُ أسأَلُك فى يومى هذا حاجةً إلى شَهْر ، فقال له الرشيد : أما إذ شرطْتَ هذا على نَفْسك فقد اشتريتُ منك حوائِجكَ بخمسمائة دينار ، وها هى تُخذْها طيبةً مُعَجَّلَةً ، فإن سألتنى شيئا بعدها هذا اليوم ، فلا لوم علىّ أن لم أَصِلْك سنةً بشىء ، فقال له : نَعَمْ وسنتين ، فقال له الرشيد : زِدْنِى فى الوثيقةِ فقال : قد جعلتُ أمر أمِّ صدقة فى يَدِك فطلِّقْها إن شئتَ واحدةً أو ألفا إن سألْتُك فى يومى هذا حاجةً وأُشْهِدُ الله ومن حَضَر على ذلك ، ودفع إليه المالَ ثم أذنَ للجلساء والمغنّين ، فدخلوا وشرب القومُ فلما طابت نَفْسه ، قال له ابن جامع : يا أمير المؤمنين قد بلغتُ منك مالم يَبْلُغه غيرى وكَثُر إحسانُك علىّ حتى كبَتَّ أعدائى ، وليس لى دارٌ تشبه حالى فإن رأىَ أميرُ المؤمنين أن يأذنَ لى بمالٍ أبنى به دارا وأَفْرِشُها بباقية لأَفْقأ عيون أعدائى وأُزهِق نفوسهم فَعَل ، قال : وكم قدرتَ لذلك قال : أربعةُ آلافِ دينار ، فأمر له بها . ثم قام إبراهيمُ الموصلى فقال : يا أميرَ المؤمنين قد ظهرتْ نعمتُك علىّ وعلى ولدى وفى أكابرهم من أحتاج إلى ظَهْرِه وفى أصاغِرِهمْ من أحتاج إلى أن أتّخِذَ لهم خِدْنا فإن رأى أميرُ المؤمنين معونتى على ذلك فَعَل ، فأمر له بمثل ما أمرَ به لابن جامعٍ وجعل كلٌّ واحد يقولُ فى الثناء ما يَحْضُره ويسألُ حاجته على قَدْرِ جائزته ، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تُفرَّق يمينا وشمالا فوثَبَ على رجليه قائما وأخرجَ الدنانير من كُمِّه وقال للرشيدِ : أقِلْنِى أقالك الله من عَثْرَتِك يا أمير المؤمنين ، فقال له الرشيد :

لا أَفْعل فجعل يَسْتَحْلِفُه ويضطربُ ويُلِحّ والرشيد يضحكُ ويقول : ما إلى ذلك سَبيلٌ ، والشَّرْطُ أَمْلَك ، فلما عِيلَ صَبرُه رمى بالدنانيرِ بين يَدى الرشيدِ وقال : ها كَها قد رَدَدْتها عليك وزِدْتُك أمَّ صدقةَ فطَلِّقها إن شئت واحـدةً وإن شئت ألفاً ، وإن لم تلحقنى بجوائز القوْمِ فأَلْحِقْـنى بجائزة هذا البارِد عمْرٍو الغزال ، وكانت جائزته ثلاثة آلافِ دينار ، فضحك الرشيد حتى استلق ، ثم ردَّ عليه الخمسمائة دينار وأمر له بألف دينار أخرى ، وكان ذلك أكثرَ ما أخذ منه من يوم خَدَمَه إلى أن مات وانصرف بألف وخمسمائة دينار .

قال إسحاقُ : مُطِرْنا ونحن بالرَّقّة مع الرشيـد مع الفَجْر ، واتصل ذلك إلى غَدِ ذلك اليومِ ، وعَرفْنا خَبَرَ الرشيد أنه مقيمٌ عند أمِّ ولده المسماةِ سَجر ، فتَشاغَلْنا فى منازلنا ، فلما كان من الغَدِ جاءنا رسولُ الرشيد ، فحضرنا جميعا ، وأقبل يسألُ كلَّ واحدٍ منا عن يومِه الماضى وما صنع فيه ، فيُخْـبِره إلى أن انتهى إلى جعفرِ بنِ يحيى فسأله عن خـبره فقال : كان عندى أبو زكارٍ الأعمى وأبو صدقةَ فـكان أبو زكار كلّما غَـنَّى صوتا لم يَفرغْ منه حتى يأخُذَه أبو صدقة ، فإذا انتهى الدورُ إليه أعادَه وحَـكَى أبا زكار فيه وفى شمائله وحَرَكاتِه ، ويَفْطِنُ أبو زكار لذلك فيُجَنّ ويموتُ غيظا ويشتمُ أبا صدقة كلَّ شَتْم حتى يَضْجَر وهو لا يُجيبه ولا يَدَعُ العبث به ، وأنا أضحكُ من ذلك إلى أن توَسَّط الشربُ وسئِمنا من عَبَثِه به ، فقلت له : دع هذا عنك وغَنِّ غناءَك فغـنَّى رَمَلا ذكر أنه من صَنعتِه فطربتُ لـه يا أمير المؤمنين طرباً ما أذكرُ أنى طربت مثله منذ حين، وهو :

فَتَنَتْنى بفاحمِ اللـونِ جعدٍ ... وبثغرٍ كأنّه نَظْمُ دُرِّ
وبوَجْهٍ كأنــه خِلقةُ البـدْ ... رِ وعينٍ فى طَرْفِها نفثُ سِحْرِ

فقلتُ له : أحسنتَ والله يا أبا صدقة ، فلم أسكتْ من هذه الـكلمةِ حتى قال

لى : يا سيدى إنى قد بنيتُ دارا أنفقتُ عليها حَريبتى[1] ، وما أعددتُ لهـا فَرْشًا فافرِشْها لى نَجَّد اللهُ لك فى الجنة ألفَ قصر ، فتغافلتُ عنه ، وعاود الغناءَ فتعمدتُ أَن قلتُ له: أحسنتَ ليعاود المسألة وأتغافل عنـه ، فسألنى وتغافلتُ عنه ، فقال : ياسيدى : هذا التغافلُ متى حَدَثَ لك ؟ سألتُك بالله وبحقِّ أبيك عليك إلا أَجَبْتَنى عن كلامى ولو بشَتْمٍ ، فأقبلتُ عليـه وقلت له : أنت بغيضٌ فاسكتْ يابغيضُ واكفُفْ عن هذه المسألةِ المُلِحَّةِ فوثب من بين يدىَّ ، وظننتُ أنه خرج لحاجةٍ فإذا هو قد نَزَع ثيابَـه وتَجَرَّد منها خوفا من أن تَبْتَلّ ، ووقف تحتَ السماء ، لا يواريه منها شىء والمطر يأخُذُه ، ورَفع رأسه ، وقال : ياربّ أنت تعلمُ أَنِّى مُلهٍ ولستُ نائحا ، وعبدُك هذا الذى رَفَعْتَه وأحْوَجْتَنى إلى خِدْمَتِه يقول لى : أحْسنتَ لا يقول لى : أَسأْتَ ، وأنا منذ جلستُ أقـول له : بَنَيْتُ ، لا أقول له هَدَمْت ، فيحلفُ بك جُرْأَةً عليك أنِّى بغيضٌ ، فاحكمْ بينى وبينَه ، وأنت خيرُ الحاكمين . فغلبنى الضحكُ وأمرتُ به فتَنَحَّى وجَهِدْتُ بـه أن يُغَنِّىَ فامتنع حتى حَلَفْتُ له بحياتك يا أميرَ المؤمنين أنِّى أفرشُ له دارَه وخَدَعْتُه فلم أُسَمّ له ما أَفْرُشها . فقال الرشيد : طيِّبٌ والله ، لأن تمّ لنا به اللهْوُ ، وهـو ذا ، أُدْعُ به فإذا رآك فسوف يتنجز منك الفَرْشَ لأنك حلفت له بحياتى ، فهو يَقْتضيك بحَضْرَتى ليكونَ أوثقَ له ، فتقول له : أنا أفرِشُها لك بالبَوارِى[2] ، وحاكِمْه إلىّ ، ثم دعا به فحضر ، فما استقر فى مَجْلِسه حتى قال لجعفرِ بن يحيى: الفَرْشَ الذى حَلَفْتَ بحياةِ أميرالمؤمنين أنك تَفْرِشُ به دارِى تقدَّمْ فيه ، فقال لـه جعفر : اخترْ إن شئتَ فرشتُها لك بالبَوارِى ، وإن شئتَ بالبَرْدِىِّ من الحُصْر ، فصاح واضطرب ، فقال له الرشيدُ : كيف كانت القِصَّةُ ، فأخبَره . فقال له : أخطأت يا أبا صدقة إذ لم تُسَمِّ النوعَ ،

(١) حريبة الرجل : ماله الذى يعيش منه .
(٢) البورياء : الحصير المنسوج من القصب : فارسى معرب .

ولم تَحُدَّ القيمةَ ، فإذا فَرَشَها لك بالبَرْدِى أو بما دون ذلك فقد وَفَّى يمينَه وإنما خَدَعَك ولم تَفْطِن أنت ، ولا توَثَّقْتَ وضيَّعتَ حقك ، فسَكَتَ وقال : توفَّرُ البوارى والبَرْدِىّ أعزّكَ الله ، وغنّى المغنّون حتى انتهى الدورُ إليه ، فأخذ يغنى غناء الملّاحين والبنّائين والسقّائين وما يَجرِى مجراه من الغناء فقال له الرشيد : إيشْ هذا الغناء وَيْلك !! فقال من فَرَشَ دارَه البوارى والبَرْدِى فهذا الغناء كثيرٌ منهُ وكثيرٌ أيضا لمن هذه صِلَتُه ، فضحك الرشيدُ وطَرِبَ وصفَّقَ وأمر له بألفِ دينارٍ من ماله ، وقال له : افرشْ دارك بهـذه ، فقال له : وحياتِك لا آخُذُها أو تَحْكُمَ لى على جَعْفَر بما وَعَدَنى وإلا مِتُّ والله أَسَفاً لِفَوْتِ ما حصل فى طَمَعِى ووُعِدتُ به فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار فقَبِلها وأمرَ له بها .

محمد بن أبى محمد اليزيدى(١)

هو محمدُ بن أبى محمدٍ ، يحيى بنُ المباركِ اليزيدى ، وسيأتى نَسَبُه تحت تَرْجمةِ أبيه فى حرف الياء .

جاء محمدُ بن أبى محمدٍ إلى بابِ المأمون فاستأذنَ فقال له الحاجب : إنه قد أَخَذَ دواءً وأمرنى ألا آذن لأحد ، فقال له محمد : فأَمَرَكَ ألا تُوصِّل إليه رُقْعَةً ؟ قال : لا ، فدفع له رقعة فيها :

هَدِيَّتى التحيةُ للإمامِ ... إمامِ العَدْلِ والملكِ الهمامِ
لأنى لو بَذَلْتُ له حَياتِى ... وما أَحْوِى لقَلّا للإمامِ
أراكَ من الدواءِ اللهُ نَفْعاً ... وعافيةً تَكونُ إلى تَمامِ
وأعْقَبَك السلامة منه ربٌّ ... يريك سلامةً فى كلِّ عامِ
أتأذنفى السلامِ بلا كلامٍ ... سوى تقبيلِ كفِّكِ والسلامِ

قال : فأَوْصَلها وخرج فأذن له فدخل وسلم وحَمَلَ معه أَلْفَىْ دينارٍ .

قال محمد بن أبى محمد: ما سَرَقْتُ من الشعر قطُّ إلا مَعْنيين لمُسْلِمِ بنِ الوليد قال :

ذاكَ ظَبْىٌ تَحَيَّرَ الحسنُ فى الأر ... كانِ منه وحلَّ كلَّ مكانِ
عَرَضَتْ دونَه الحجالُ فما يلـ ... قاكَ إلا فى النومِ أو فى الأمانِى

فقلت أنا :

يا بعيدَ الدارِ موصو ... لاً بقلبى ولسانِى
ربما باعَدَكَ الدهـ ... رُ فأَدْنَتْكَ الأمانى

---

(١) أغانى ١٨ : ٨٥

وقال مسلم أيضا :

متى ماتسمعى بقتيل حُبٍّ (١) أُصِيبَ فإننى ذاكَ القتيلُ

فقلت أنا :

أتيتُك عائذا بـك منـ ـك لما ضاقَتْ الحيلُ
وصَيَّرَنِى هـواكَ وبى لِحَيْنِى يضربُ المثلُ
فإن سَلِمَتْ لـكم نَفْسِى فما لاقَيْتُه جَلَلُ
وإن قتَلَ الهـوى رجلا فإنى ذلك الرَّجُلُ

قال أبو سَمِير عبدُ الله بنُ أيوبَ مولى بنى أمية . بات عنـدى ليلةً محمدُ بن أبى محمدٍ اليزيدى فظهر لنا قُنفُذٌ فقلت له : قل فيه شيئا فأنشأ يقول :

وطارقُ ليلٍ زارنا بعدَ هَجْعةٍ من الليل إلا ما تَحَدَّثَ سامرُ
فقلت لعبد الله ما طـارقٌ أَتَى فقال : امرؤٌ سِيقتَ إليه المقـادرُ
قريناه صَفوَ الزاد لمـا رَأَيْته وقد جاء خَفَّاقَ الحشَى وهو سَادِرُ
جميلُ المحيـا فى الرِّضا فإذا أبى حَمَتْه من الضَّيْمِ الرماحُ الشواجرُ
ولست تَراه واضعا لسِلاحِــه يد الدهر موتوراً ولا هو واترُ

قال محمدُ بن أبى محمدٍ : دخلتُ على المعتصم ، وهو وَلِىُّ عهدٍ ، وقد طلع القمرُ فتنفَّسَ ، ثم قال لى : يا أبا محمد : قل أبياتاً فى معنى طلوعِ القمَرِ ، وإن غاب مدّةً كما غاب مُحِبٌّ عن مَحْبوبه ثم طَلَع فإن جِئْتَ بما أُحِبُّ فلك بكل بيتٍ مائةُ دينار فقلت :

هــذا شبيه الحبيبِ قد طَلَعا غاب كما غـاب ثم قَدْ لَمَعَا
وما أرى غَيْرَه يشاكِلُه فاسْأَلْه بالله عنه ما صَنَعا
فرّقَ بينى وبينـــه قَـدَرٌ هو الذى كان بيننا جَمَعا

---

(١) أرض (أغانى) .

فهل لـه عودةٌ فأرْقُبَـه كما رأينا شِبْهَه رَجَعا

فقال له : أحسنتَ وحياتى ، وأمر لى بأربعمائة دينار ، وأمر علوية فغَنَّى فيها وأعطاه أيضا أربعمائة دينار .

قال محمدُ بن أبى محمد : شـكوتُ إلى المأمون دينًا علىّ فقال : إن عبدَ الله بن طاهر اليومَ عندى ، وأريد الخلوة معه ، فإذا علمتَ بذلك فاستدْعِ أن تكون ثالثنا أو إخراجه إليك ، فإنى سأحكمُ عليه بمالٍ ، فلما علمتُ أنهم جلسوا للشرب صرت إلى الدار فـكتبت بهذين البيتين :

ياخيرَ ساداتٍ وأصحابِ هـذا الطفيلىُّ على البابِ

فصَيِّروا لى معكم مَجْلِسا أوأَخرِجوا لى بعضَ أصحابى

وبعث بهما إليه فقال المأمون : لقد صدقَ اكتبوا إليه واسألوه من يختارُ ؟ فـكتب : ما كنتُ لأختار على أبى العباسِ أحداً ، فقال له المأمونُ : قم إلى صديقك فقال : يا أميرَ المؤمنين إن رأيتَ أن تُعفِيَنِى من ذلك ، أتُخْرِجُنى عمّا شَرَّفْتَنِى به من منادَمتك وتُبْدِلُنى بها منادمةَ ابن اليزيدى ؟ فقال : لابد من ذلك أو تُرْضِيَه قال : فليحتكم قال : أخافُ أن يَشْتَطَّ أو تُقَصِّرَ أنت ، ولـكنى أحكمُ فأَعْدِل . قال : قد رضيتُ قال : يُحملُ إليه ثلاثةُ آلافِ دينار مُعَجَّلة ، قال : قد فعلت ، فأمر صاحب بيتِ المال بحَمْلِها مَعِى وأمر عبد اللهِ بِرَدِّها إلى بيت المال .

المُنَخَّلُ اليشكرى[1]

هو المنخلُ بن عَمْرو ، وقيل: المنخلُ بن مَسعودٍ بن أفْلت بن كَعْب بن سَوْأة بن غُنْم بن حبيبٍ بن يَشْكر بن بَكْر بن وائل ، شاعرٌ مُقِلٌّ من شُعراء الجاهليةِ ، وكان النعمانُ بنُ المُنْذِرِ اتَّهمَه بامْرأتِه المُتجرِّدَة ، ووَجَدَه معها ، وقيل : بل سَعَى إليه به فى أَمْرِها فقتَلَه ، وقيل : حَبَسه ، ثم غَمُضَ خبرُه ، فلم يُعْرَف له حقيقةٌ ، فيقال : دَفَنَه حَيًا ويقال : غَرّقَه . والعربُ تَضرِبُ به المثلَ كما تَضرِبُ بالقارظِ العَنَزِىّ . قال ذو الرّمة :

تُقارِبُ حتى تُطمعَ التابعَ الصبا وليست بأدْنى من إيابِ المنخَّلِ

وقال النمر بن تولب :

وقولِى إذا ما أطْلَقُوا عن بَعيرهم تُلاقونَه حتى يؤوبَ المُنَخَّلُ

كانت المتجردةُ امرأةُ النعمانِ فاجرةً وكانت تُتَّهَمُ بالمُنَخَّلِ اليَشْكُرِىّ ، وقد ولدت غلامَيْنِ على فراش النعمانِ ، كانا أشبهَ الناسِ بالمُنَخَّلِ ، ويقال : إنهما منه ، وكان المنخلُ جميلا وَسِيماً وكان النعمانُ أحمرَ أبْرَشَ قصيراً دَميما ، وكان للنعمان يومٌ يرْكَب فيه للصيدِ فيطيلُ المُكْثَ ، وكان المنخلُ من نُدَمائِه لا يفارِقُه ، فكان يأتى المتجردةَ فى ذلك اليوم الذى يرْكَبُ فيه النعمانُ ، فيطيلُ عندها ، حتى إذا جاء النعمانُ آذَنَتْها بمجيئه وليدةٌ لها موكلةٌ بذلك ، فتخرِجُه . فركب النعمانُ ذات يوم فأتاها المنخلُ كما كان يأتيها فلاعبَتْه وأخذت خَلْخالها فجعلَتْه فى رِجْله وأرْسَلَتْ شَعْرها فشَدّتْ به خَلخالَها إلى خَلخالِه ، وقيل : أخذتْ قيداً فجعلتْ إحدى حلْقتَيْه

---

(١) الأغانى أميرى ١٨ : ١٥٣ ـ الشعر والشعراء ـ المهذب .

فى رِجلِه والأخرى فى رِجلها ، وغفلَتِ الوليدةُ عن ترَقُّبِ النعمانِ ، لأن الوقت الذى كان يجىء فيه لم يكن قرُبَ بَعْد ، فأقبل النعمانُ حينئذ ولم يطل فى وِجهَتِه كما كان يفعل ، فدخل إلى المتجردة فوجدها مع المُنَخَّل وقد قيَّدَتْ رِجلها ورِجْلَه ، فأخذه النعمان فدفعَه إلى عكبٍ صاحبِ سِجْنه ليُعَذِّبَه ، وعكبٌّ رجلٌ من لخم ، فعذَّبه حتى قَتَلَه ، واسم المتجردةِ ماوِيَّةُ . وقيل : هندٌ بنتُ المنذرِ بن الأسودِ الكَلْبِىِّ ، وكانت عند ابنِ عمٍّ لها يقال له حلمُ ، وهو الأسودُ بنُ المنذر بن حارثة الكَلْبِىِّ ، وكانت أجملَ أهل زمانها ، فرآها الملك المنذرُ بنُ المنذرِ اللخْمِىّ فعشقها ، فجلس ذات يوم على شرابِه ومعه حلمٌ زَوْجُ المتجردةِ فقال له المنذر : إنه قبيحٌ بالرَّجُلِ أن يقيم مع المرأةِ حتى لا تَبْقَى فى رأسِه شعرةٌ بيضاء إلا عرَفَتْها فهل لك أن تُطَلِّقَ المتجردة ، وأطلِّقَ أنا امرأتى سَلْمَى ؟ قال : نعَمْ وأخذ كلٌّ واحد منهما على صاحبه العهودَ ، فطلقَ المنذرُ امرأتَه سَلْمَى وطلق حلمُ امرأتَه المُتَجَرِّدة فتزوجها المنذرُ ولم يُطلِقْ لسلمى أن تتزوج حلما وحَجَبها وهى أمُّ ابنه النعمانِ بن المُنْذِرِ ثم مات المنذرُ ابنُ المنذر فتزوجها بعده النعمانُ ابنهُ وكان النابغةُ ممن يجالِسُه ويشربُ معه وكان جميلا عفيفا فأمره النعمان بوَصْفِ المتجردةِ فقال فيها القصيدة التى أولها :

أمِنْ آل ميَّةَ رائحٌ أو مُغتَدِى عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ

ووصفها فأفْحَشَ فقال من هذه القصيدة :

وإذا طَعَنْتَ طعَنْتَ فى مُسْتَهدَفٍ رابِى المَجَسَّةِ بالعبير مُقَرْمَدِ
وإذا نَزَعْتَ نزعتَ من مُسْتَحْصَفٍ نَزْعَ الحزَوَّرِ بالرشاء المُحْصَد

فغار المنخلُ من ذلك وقال : هذه صِفةُ مُعاينٍ ، فهمّ النعمان بقتلِ النابغةِ حتى هَرَبَ منه وخلا المُنَخَّلُ بمجالَستِه ، وهو يَهْوَى المتجردةَ وتهواه ، فجرى لها معه ماجرى . من تقييدِها رِجْلها ورِجْله بخلخالها وشَعْرِها من شدةِ إعجابِها بـه ومَحبتِّها له ، ودخول النعمانِ عليهما وقتلِه فقال المُنَخَّلُ عند قتْله :

إن كنتِ عاذلتى فَسِيرِى نحـو العراقِ ولا تَحورِى
لا تَسْأَلى عن جُــــلِّ ما لى واذْكُرِى كَرَمِى وخِيرِى
وإذا الرياحُ تناوَحَتْ بجوانبِ البيتِ الـكبيرِ
أَلْفَيْتِنِى هَشَّ النَّدِ ىّ بِمرِّ قدحى أو شَجِيرِى

الشجير : القدحُ الذى لم يَصلحُ حُسنا ويقال : بل هو القَدَح العارِيَـةُ .

منها :

ولقــد دخلت على الفتا ةِ الخِدْرَ فى اليومِ المَطِير
الـكاعبِ الْحَسناءِ ترْ فُلُ فى الدِّمَقْسِ وفى الحريرِ
فدفعتُها فتدافَعَتْ مَشْىَ القطـاةِ إلى الغــديرِ
وَلَثمتُهـــا فتنفّستْ كتنفُّسِ الظبى البَهِيرِ
ورنت وقالت يامُنَخَّ لُ ما بجسمك من فتور
ما شَفَّ جِسْمِى غيرُ حُبِّـ ـك فاهْدَئى عـنِّى وسِيرِى
ولقد شربتُ من المدا مَةِ بالصغيرِ وبالـكبيرِ
وإذا سَكِرْتُ فإنّــنِى ربُّ الْخَـوَرْنَقِ والسديرِ
وإذا صحـوتُ فإننى ربُّ الشُوَيْهَةِ والبعيرِ
يارب يـوم للمُنَخِّـ ـلِ قـد لَهـا فيهِ قَصِـيرِ

ومن الناس من يزيد فيها :

وأَحِبُّها وتُحِبّـنِى ويُحبُّ نَاقتَها بَعيرِى

محبوبة الشاعرة(1)

مولدةٌ من مولدات البَصْرَة، سريعةُ الخاطرِ، لا تكاد فَضْلُ الشاعرةُ اليمامِيّةُ أن تتقدَّمها، وكانت محبوبةُ أجملَ من فَضْلٍ وأعفّ، بارعةَ الحُسْنِ والظَّرْفِ والأدبِ ومَلَكَها المتوكلُ، وهي بِكْرٌ أهداها له عبدُ الله بنُ طاهرٍ في جملةِ أربعمائةِ جاريةٍ، وبقيَتْ بعده مدة فما طَمِعَ فيها أحدٌ، وكانت تغنّي غناءً ليس بالفاخر.

كان عليُّ بنُ الجهم يقرب من أنسِ المتوكلِ جدًّا ولا يكْتُمه شيئا من سِرِّه مع حُرَمِه وأحاديثِ خَلَواته، فقال له يوما: إني دخلتُ على قَبيحةَ فوجدتُها قد كتبتْ اسمِي على خَدِّها بغاليةٍ، فلا والله ما رأيت شيئا أحسنَ من سوادِ تلك الغاليةِ على بياضِ ذلك الخدِّ، فقُلْ في هذا شيْئاً، وكانت محبوبة حاضرةَ الكلام من وراء الستارةِ، فدعا عليُّ بنُ الجهم بدواةٍ فإلىَ أن أَتَوْه بها وابتدأ يُفكِّرُ قالت محبوبةُ على البديهة، من غير فِكْرٍ ولا رويّةٍ ولا دواةٍ:

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخدِّ جعفرا ... بِنَفْسِي مَخَطُّ المسك من حيثُ أَثَّرا
لئن كتبَتْ في الخدِّ سَطْراً بكَفِّها ... لقد أودَعَتْ قلبِي من الحبِّ أسْطُرا
فيامَنْ لمملوكٍ لِمِلْكِ يمينِهِ ... مطيعٌ له فيما أَسَرَّ وأظْهَرا
ويا من هَواهَا في السريرةِ جَعْفَرٌ ... سَقَى اللهُ من سُقْيا ثَنايَاكِ جَعْفرا

فبقِيَ عليُّ بن الجهْمِ واجماً لا ينطق بحرف، وأمر المتوكلُ عَريباً أن تُغَنِّي في الأبيات ولم يقدرْ عليٌّ بن الجهم على حَرْفٍ واحد يقوله.

---

(1) أغاني أميري ١٩ : ١٣٢.

ولما قُتِلَ تَفَرَّقَ جَوارِيه فصار إلى وَصيف عدةٌ منهنَّ ، وكانت محبوبةُ فيمن أَخَذَ فاصْطَبَح يوما فأمر بإحضارِ جوارى المتوكِّلِ فأُحْضِرْن ، عليهن الثياب الملونةُ والمذهبةُ والُحلِيُّ وقد تَزَيَّنَّ وتعطَّرْن إلا محبوبة فإنها جاءَتْ وعليها ثيابٌ بيضٌ غيرُ فاخرةٍ حُزْناً على المتوكلِ فتَغَنَّى الجوارى جميعا وشَرِبْن فطَرِبَ وصيفٌ وشَرِب ثم قال: يامحبوبةُ غَنِّى فأخذتِ العودَ وغَنَّتْ وهى تبكى :

أى عيشٍ يطيبُ لى لا أرى فيه جعْفَرا
مَلِكاً قد رأَتْهُ عيـ ـنِى قتيلا مُعفَّرا
كلُّ من كان ذَا هُيا مٍ وحُزْنٍ فقَدْ بَرا
غيرَ محبوبةَ التى لوتَرَى الموتَ يُشْتَرى
لاشْتَرتْه بملكِها كلُّ هـذا لتُقْبَرَا

فاشتدَّ ذلك على وصيف وهم بقتْلِها ، وكان بُغا حاضرا فاستَوْهَبها منه فوهَبَها له وأَعْتَقَها وامر بإخراجِها ، وأن تكون بحيثُ تَختارُ من البلادِ ، فخرجت من سُرَّ من رأىَ إلى بغدادَ ، وأخمَلَتْ ذِكْرَها طولَ عُمْرِها .

كانت محبوبةُ قد حظيتْ عند المتوكل ، حتى كان يُجْلِسُها خلفَ الستارةِ وراءَ ظَهْرِه إذا جلس للشُّرْبِ ويدخلُ رأسَه إليها ويراها فى كل ساعـةٍ ويُحدِّثُها ، فغاضَبَها يوماً وهَجَرها ومنَعَ جوارِيها جميعا من كلامِها ونازَعَتْه نَفْسُه إليها وأرادَ ذلك فنازعته العِزَّةُ عَنْها وامتنعتْ منَ ابْتدائِه إدْلالا عليه لَمحلِّها منه ، قال علىّ ابنُ الجهم : فبَكَّرْتُ إليه يوما ، فقال لى : يا علىُّ رأيتُ محبوبةَ البارحةَ فى النومِ كأنى قد صالحتُ محبوبةَ فقلت : أقرَّ الله عَيْنَك يا أميرَ المؤمنين وأنامَك على خيرٍ وأيقظك على سُرورٍ ، أرجو أن يكون هذا الصلحُ فى اليقظةِ ، فبينا هو يُحدِّثُنى وأجيبه إذا هو بوصيفةٍ قد جاءتْ إليه فأَسَرَّتْ إليه شيئا ، فقال : أتدرى ما أَسَرَّت إلىّ هذه ؟ قلت : لا ، قال: حدّثتنى أنها اجتازَتْ محبوبةَ الساعةَ وهى فى حُجْرَتها

تُغنى أفلا تَعْجَبُ من هذا ! أنا مغاضبها ، وهى متهاونة بذلك لا تبدؤنى بصُلح ثم لا ترضى حتى تُغَنِّى فى حُجْرتها ، قم بنا ياعلىّ حتى نسمع ما تغنى ، ثم قام وتبِعْتُه حتى انتهى إلى حُجْرَتها فإذا هى تغنى :

أدُورُ فى القصرِ لا أرى أحداً أشكو إليه ولا يُكلِّمُنى
حتى كأنى أتيتُ مَعْصِيةً ليستْ لها توبةٌ تُخَلِّصُنى
فهل لنا شافعٌ إلى مَلِكٍ قد زارنى فى الكَرى وصالَحنِى
حتى إذا ما الصباحُ عاد لنا عاد إلى هَجْرِه وصارَمَنِى

فعجب المتوكل وطَرِبَ وأحَسَّتْ بمكانه فأمرتَ خَدَمها نخرَجُوا إليه وتنحينا وخَرَجَتْ إليه فحدَّثته أنها رأته فى منامها وقد صالحها ، فانتبهتْ وقالت هذه الأبيات ، وغنَّتْ فيها ، فحدثها هو أيضا برُؤياه واصطلحا ، وبعث كلٌّ منهما إلىّ بجائزةٍ وخِلْعَةٍ . ولما قُتِلَ المتوكلُ تَسلَّاه جميعُ جواريه غيرَها ، فإنها لم تزل حزينةً هاجرةً لكلِّ لَذَّةٍ حتى ماتتْ ورثته بعدّةِ مراثٍ .

المؤمّل بن أميل[1]

هو المؤملُ بن أميل بن أُسَيْد المحـاربىُّ ، من محاربِ بن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عَيلان بن مُضَر ، شاعرٌ كوفِىّ مخضرمٌ شهد دولتى بنى أميـةَ وبنى العباس ، وشُهْرَتُه فى العباسيَّةِ أكثرُ ، لأنه من الُجنْد المُرْتَزِقةِ معهم[2]، وخدمهم من أول أَمْرِهم ، وانقطع إلى المهدىِّ فى حياة أبيه وبعده ، وكان صالحَ المذهبِ فى شعره ، ليس من المُبَرِّزين الفحولِ ولا من المَرْذولين ، وله طَبْعٌ صالح وفى شعرِه لِينٌ .

قال المؤمل : قَدِمْتُ على المهدى ، وهو ولىُّ عهدٍ بالرَّىِّ ، فامتدحتُه بأبياتٍ ، فأمر لى بعشرين ألفَ دِرهمٍ ، فكتب بذلك صاحبُ البريد إلى أبى جعفرٍ المنصورِ ، وهو بمدينة السلامِ ، فكتب أبو جعفر إليه يَعْذِلُه ويَلومه ويقول له : إنما ينبغى أن تعطىَ الشاعرَ بعد أن يُقيمَ ببابك سَنَةً أربعةَ آلافِ دِرهم ، وكتب إلى كاتبِ المَهْدِىّ أن يُوَجِّهَ إليه بالشاعر ، فطُلبَ فلم يَقدِر عليه ، فكتب إلى المنصور أنه قد تَوَجَّه إلى مدينة السلام ، فأجلسَ قائداً من قوّادِه على جسر النَّهْروانِ ، وأمره أن يتَصَفَّح الناسَ رجلاً رجلاً ، فجعل لا تمرُّ به قافلةٌ إلا تَصَفَّح من فيها ، حتى مرت به القافلةُ التى فيها المؤمّلُ فتصفَّحَهم فلما سأله : من أنت ؟ قال : أنا المؤملُ بن أميلٍ المحاربىّ الشاعر أحدُ زوّارِ الأميرِ المَهْدِىِّ فقال : إياك أريد . قال المؤمل : فكاد قَلْبِى أن يَنْصدِعَ خوفاً من أبى جَعْفر فقبض علىّ ، وسلمنى إلى الرَّبيعِ فأدْخَلَنى إلى أبى جعفر ، وقال له : هذا الشاعرُ الذى أخذَ من المَهْدِىِّ عشرين ألفَ

---

(١) أغانى أميرى ١٩ : ١٤٧ ـ المهذب ٤ / ١٣٥ ـ تاريخ بغداد ١٣ / ٢٢٥ .

(٢) ومن يخصهم ويخدمهم (أغانى .)

دِرْهم قد ظَفِرْنا به ، فأدخِلْتُ عليه فسلمتُ تسليم مُرَوَّع فردّ علىّ السلام ، وقال لى : ليس ها هنا إلّا خَيْرٌ ، أنت المؤملُ بنُ أميلٍ ، قلت : نعم أصلح اللهُ أمير المؤمنين . قال : أتيْتَ غلاما غِرًّا نَخدَعْتَه فانْخَدع . قلت : نعم أصلح الله أميرَ المؤمنين أتيتُ غلاما غِرًّا كريمـا نَخدَعْتُه فانْخَدَع ، قال : فـكأن ذلك أَعْجَبَه فقال : أنشدنى ما قلتَ فيه فأنشدته :

هو المهدىُّ إلا أن فيـــه ... مشابهةً من القمرِ المنيرِ
تَشابَـهَ ذَا وذَا فهما إذا ما ... أنارا مُشْـكلانِ على البَصيرِ
فهذا فى الظلامِ سراجُ لَيْلٍ ... وهذا فى النهارِ ضياءُ نُـورِ
ولـكنْ فَضَّلَ الرحمنُ هـذا ... عـلى ذا بالمنابرِ والسريرِ
وبالمَلكِ العزيزِ فذا أمـيرٌ ... وماذا بالأمـيرِ ولا الوزيرِ
ونَقْصُ الشهرِ يَنْقُص ذا وهذا ... منيرٌ عند نُقْصـانِ الشهورِ
فيا ابن خليفةِ اللهِ المُصَفَّى ... بـــه تَعلو مفاخرةُ الفَخورِ
لئن فُتَّ الملوكَ وقد تَوَافَوْا ... إليك من السهولةِ والوعورِ
لقد سبق الملوكَ أبوكَ حتى ... بقوا ما بين كابٍ أو حَسيرِ
وجئتَ مُصَلِّيا تجرى حَثيثا ... وما بك حين تجرى من فُتورِ
فقال النـاس ما هذان إلا ... كما بين الخَليق إلى الجديرِ
لئن سبَقَ الـكبيرُ فأهلُ سبقٍ ... له فضلُ الـكبيرِ على الصغيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مدىَ كبيرٍ ... فقد خُلِقَ الصغيرُ من الـكبيرِ

فقال : والله لقد أحسنتَ ، ولـكن هذا لا يساوى عشرين ألفَ درهم ، فأين المال ؟ قلت : ها هو هذا . قال: ياربيعُ امْضِ معه فأَعْطِه أربعةَ آلافِ دِرْهم ، وخُذْ منه الباق. قال المؤمل: نخرج معى الربيعُ وحَطَّ ثِقْلِى ووزن لى من المال أربعةَ

آلاف درهم وأخَذَ الباق ، فلما وَلِيَ المهدىُّ الخلافةَ ولىّ ابن ثَوْبانَ المظالمَ ، فـكان يجلس للناس بالرّصافةِ فإذا ملأ كساءه رقاعاً رفعها إلى المهدى ، فدفَعْتُ إليه رُقْعَهً . فلما دخل ابنُ ثوبانَ بالرقاع جعل المهدىُّ ينظر فيها حتى إذا وَصَل إلى رُقْـَتى ضحك ، فقال له ابن ثوبان : أصلح اللهُ أميرَ المؤمنين ما رأيتُك ضحكتَ فى شىء من هذه الرقاعِ إلا من هذه الرُّقْعة فقال هذه رقعة أنا أعرفُ سَبَبها أعطوه عشرين ألفَ دِرْهم فأخذتُها وانصرفت .

قال محمد الطائى : رأيت المؤَمّل شيخا كبيرا مُصْفَرًّا نحيفا أعْمَى فقلت له : لقد صدقت فى قولك :

وقد زعموا لى أنها نَذَرَتْ دمى … ومالى بحمدِ اللهِ لحمٌ ولا دمُ

فقال : نعم فَدَيْتُك ما كنت لأقول إلا حَقًّا .

وأول هذا الشعر :

حلمتُ بكم فى نَوْمَـتِى فغَضِبْتُمُ … ولاذنبَ لى إن كنتُ فى النوم أَحْلمُ
سأطْرُدُ عنى النومَ كى لا أرا كم … إذا ما أتانى النومُ والناسُ نُوَّمُ
تُصارِمُنى والله يعلمُ أننى … أَبَرُّ بها من والديها وأرْحَمُ
وقـد زعموا لى أنها نَذَرَتْ دمى … ومالى بحمد اللهِ لَحْمٌ ولا دَمُ
برى حبُّها لَحْمِى ولم يُبْقِ لى دما … وإن زعموا أنى صَحِيحٌ مسلمُ
فـلم أر مثل الحبّ صحّ سَقيمُه … ولا مثلَ من لايعرف الحبَّ يَسْقِمُ
سَتَقْتُلُ جِلْدا باليِاً فوقَ أَعْظُمٍ … وليس يُبالِى القتلَ جِلْدٌ وأعظمُ

وكان يَهْوَى امرأة من الحيرة يقال لها هِنْد ، فرأى فى نومه قائلا يقول له : أنتَ المُتألِّى على الله ألا يعذبَ المُحِبين حيث يقول :

حَسْبُ المحبين فى الدنيا عذابُهُم … والله لا عَذَّبَتْهم بَعْدَها سَقَرُ

فقال : نعم . قال : كذبت يا عدوَّ الله ثم أدخلَ أصْبُعَه فى عَيْنى وقال : وأنت القائلُ :

شَفَّ المؤملَ يوم الحِيرةِ النَّظَرُ   ليت المؤملَ لم يُخْلَقْ له بَصَرُ

هذا ما تمنيتَ فأنتَبَه رُعْباً فإذا هو أعمى .

مالك بن الريب[1]

هو مالكُ بن الرَّيْب بن حُوطِ بن قُرْطِ بن حَسْلِ بن ربيعةَ بن حرقوص بن مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم . شاعرٌ فاتكٌ لِصٌّ ، منشؤه فى باديةِ بنى تميمٍ فى البَصْرة ، من شعراء الإسلام أولَ دولة بنى أمية . استعمل معاويةُ بنُ أبى سفيان سعيدَ ابن عثمان بن عفان على خراسان ، فمرَّ سعيدٌ بجُنْدِه على طريق فارس ، فلَقِيَ بها مالكَ ابن الرَّيْب المازنىّ ، وكان من أجمل الناسِ وَجْها وأحسَنِهم ثيابا ، فلما رآه سعيد أعجبه ، فقال له مالك : ويحك تُفْسِدُ نفسَك بقطعِ الطريق ، وما يدعوكَ إلى ما يَبْلُغنى عنك من العَبَثِ والفساد ، وفيك هذا الفَضْل ، قال : يدعونى إليه العَجْزُ عن المعالِي ومساواةِ ذوى المروآتِ ومكافأةِ الإخوانِ . قال : فإن أنا أَغْنَيْتك واستصْحَبتُك أتكفُّ عما كنتَ تفعل ؟ قال : أى والله أيها الأمير ، أكفُّ كفًّا لم يكف أحدٌ أحسنَ منه ، فاستصحبه وأجْرَى له فى كل شهرٍ خمسمائة درهم ، وانطلق مالك مع سعيد حتى إذا كانوا فى بعض مَسيرِهم احتاجوا إلى لَبَن ، وطلبوا صاحب إبِلِهم فلم يجدوه ، فقال مالك لغلام من غلمان سعيد : أَدْنِ منى فلانةَ لناقةٍ كانت لسعيدٍ عزيزةٍ ، فأدناها منه فمَسَحَهَا وأَبِسَ بها حتى دَرَّتْ ثم حَلَبَها فإذا أَحْسَنُ حَلْبٍ حَلَبَه الناسُ وأغْزَرُه دَرَّةً . فقال سعيد لمالك : هل لك أن تقومَ بأَمْرِ إبلى فأجْزِلَ لك الرزقَ إلى ما أرْزُقُك وأضع عنك الغَزْوَ فقال مالك فى ذلك :

وإنى لأَسْتَحْيِي الفوارسَ أن أُرَى ... بأرضِ العِدا بوَّ المخاضِ الروائمِ
وإنى لأَسْتَحْيِي إذا الحربُ شَمَّرتْ ... أَن أُرْخِي دونَ الحربِ ثَوْبَ المسالمِ
وما أنا بالنائِي الحفيظةِ فى الوَغَى ... ولا المُتَّقِي فى السِّلْم جَرَّ الجرائمِ

---

(١) أغانى (أميرى) ١٩ : ١٦٣ . مهذب ٥ / ١٠ .

ولا المتأنى العـــواقبَ فى الذى أهمُّ به من فاتـكاتِ العزائمِ
ولـكننى مُسْتوحدُ العَزْمِ مُقْدِمٌ على غمراتِ الحادثِ المُتفاقمِ
قليل اختلاف الرأى فى الحرب باسلٌ جميعُ الفؤادِ عن حَلِّ العظائمِ

فلما سمع ذلك سعيدٌ منه علم أنه ليس بصاحب إبلٍ وأنه صاحبُ حَرْب فانطلق معه ، وكان السببُ الذى وقع[1] به مالك بن الريب إلى فارسٍ أنَّ مروانَ بنَ الحـكم ، عاملَ معاوية على المدينة، طلَبَه هو ومن كان يَقْطَعُ الطريقَ معه من أصحابه ، فهربوا، فـكتب إلى الحارثِ بن حاطبٍ الجُمَحِىّ ، وهو على بنى عمرو بن حَنْظَلة فطلَبَهم فهربوا منه ، فبعث الحارثُ رجلا من الأنصار ومعه جماعة ، فأخذوه وأخذوا أبا حَردبة ، بعضَ أصحابِه ، وتخلف الأنصارىُّ مع القوم الذين كان مالكٌ فيهم ، وأمر غلاما له فجعل يَسُومه مالـكا ، فغفَلَ غلامُ الأنصارى فعَـلاهُ مالكٌ بالسيف فقتله ، وجعل يَقْتُل من كان معه يمينا وشمالا ، ولحق بأبى حَرْدَبة فخلَّصَه وركبا إبلَ الأنصارِىِّ ، وخرجا هاربين حتى أتيا البَحْرَيْن ، واجتمع إليهما أصحابُهما ، ثم قطعوا إلى فارسَ فرارا مما أحْدَثَه مالك ، فلم يزل مالكٌ بفارس حتى جرى له مع سعيد ما جَرَى .

بينما مالك بنُ الرَّيْب ذات ليلةٍ نائما فى بعض مغاراته ، إذ بَيَّتَه ذئبٌ فزجَرَه فلم يَزْدجِرْ فأعادَ فلم يَبْرَحْ فوثبَ إليه بالسيفِ فضربَه فقتله ، وقال فى ذلك :

أذئبَ الغضا قد صِرْتَ للناس ضُحْـكَةً تفادى بك الركبانُ شرقاً إلى غَرْبِ
فأنت وإن كنتَ الجرىءَ جَنَانُه مُنيتَ بضرغامٍ من الأُسْدِ الغُلْبِ
بمن لا ينامُ الليلَ إلا وسَيْفُه رَهينةُ أقوامٍ سراعٍ إلى الشَّغْبِ
ألم ترنى يا ذئبُ إذ جئتُ طارقاً تُخاتِلُنى إنى امرؤٌ وافرُ اللُّبِّ
زَجَرْتك مراتٍ فلما غَلَبْتَنِى ولم تنْزَجِرْ نهنهتُ غَرْبَك بالضربِ

(١) يقال : وقع إلى كذا ذهب وانطلق مسرعا .

فصرتَ لقًى لما عَلاكَ ابنُ حرّةٍ بأبيضَ قطاعٍ يُنجّى من الكَرْبِ
ألا رُبَّ يومٍ ريبٍ لو كنت شاهدا لهالك ذِكْرى عند مَعْمعةِ الحربِ
ولست ترى إلا كَميًّا مُجَدَّلا يداه جميعا تثبتان من التُّرْبِ
وآخرَ يَهْوِى طائرَ القلبِ هاربًا وكنتُ امرأً فى الحربِ مُجْتَمِعَ القَلْبِ
أَصولُ بذى الزِّرَّيْنِ(١) أَمْشِى عُرَضْنَة إلى الموت والأقرانُ كالإبلِ الجُرْبِ
أرى الموتَ لا أنحاشُ عنه تكرُّماً ولو شئتُ لم أَرْكَبْ على المركبِ الصعبِ
ولكن أَبَتْ نفسِى وكانت أَبيَّةً تقاعس أن انصاع يوما من الرُّعْب

ولما خرج مالكُ بن الريب مع سعيدِ بن عثمان تعلّقَتْ ابنتُه بثَوْبِه وبَكَتْ وقالت: أخشى أن يطولَ سَفَرُك أو يُفرِّقَ الموتُ بينى وبينك فلا نلتقى فأنشأ يقول:

ولقد قلتُ لابنتى وهى تبكى بدخيل الهموم قلبًا كئيبا
وهى تذرِى من الدموعِ على الخدّ ين من لوعةِ الفراقِ غُروبا
عبراتٌ يكَدْنَ يجرحْنَ ما جُزْ نَ به أو يَدَعْن فيه نُدوبا
حَذَرَ الحتْفِ أن يُصيبَ أباها ويلاقِى فى غير أهلٍ شَعوبَا
اسْكُتى قد حَزَزْتِ بالدمعِ قَلْبى طالما حَزَّ دَمْعُكُنَّ القلوبا
فعسى اللهُ أن يدافعَ عنى رَيْبَ ما تحذرين حتى أَؤوبا
ليس شىءٌ يشاؤه ذو المعالِى بعزيزٍ عليه فادْعِى المُجيبا
ودَعِى أن تَقْطَعى الآنَ قَلْبى أو تُرِينى فى رِحْلَتى تعذيبا
أنا فى قبضة الإلهِ إذا كنـ تُ بعيداً أو كنتُ منكِ قريبا
كم رأينا امرأً أتى من بعيدٍ ومقيماً على الفراشِ أُصيبا
فدعِينى من انتحابِك إنى لا أُبالى إذا اعتزمتُ النَّحيبا

---

(١) بذى الزرين أى الحدين يقال زر السيف أى حده .

حَسْبِيَ اللهُ ثم قرَّبْتُ للسَّير   علاةً أُنْجِبْ بها مَركوبا

وقيل : إن سببَ اكتتابِه مع سعيد وخُروجِه إلى خراسانَ ضرطةٌ ضرَطَها ، فهرب منها ، وذلك أنه مرّ بلَيْلَى الأخيلية ، فجلس إليها وحادثها طويلا ، وأنشدها فأقبلت عليه وأعجبت به حتى طمع فى وَصْلها ، ثم إذا هو بفَتًى قد جاء إليها كأنه نَصْلُ سَيْفٍ ، فجلس إليها فأعرَضَتْ عن مالك وتهاوَنَتْ به حتى كان عِنْدَها كأنُه عصفورٌ ، وأقبلتْ على صاحِبها مَلِيًّا من نَهارِها ، فغاظَ مالكا ذلك من فِعْلها ، فأقبل على الرجلِ فقال : من أنت ؟ قال : تَوْبَةُ بن الُحمَيّر فقال : هل لك فى المصارعَةِ قال : ما دعاكَ إلى ذلك وأنت ضيفُنا وجارنا ؟ فقال : لا بدّ منه . قال : لا تفعل ، فازدَادَ لَجاجا ، فقام توبةُ فصَرَعَه فلما سَقَط إلى الأرضِ ضَرطَ ضَرْطَةً هائلةً ، فضحكت ليلى منه ، واستحى مالكٌ وخرج إلى خراسانَ حتى مات وقبره هناك .

اجتمع مالكُ بنُ الرَّيْبِ وأبو حَرْدَبَة وشُظَاظُ يوما فقالوا : تَعالَوْا نتحدثْ بأعجبِ ما عَمِلْنا فى سَرِقاتِنا . فقال أبو حردبة : أعجبُ ما صنعتُ وأعجبُ ما سرقتُ أنى صحبتُ رِفْقَةً فيها رجل على رَحْلٍ فأعْجَبَنِى ، فقلتُ لصاحبى والله لأسْرِقَنَّ رَحْلَه ، ثم لا رَضِيتُ به حتى آخُذَ منه جُعالةً ، فرمَقْتُه حتى رأيتُه خَفَقَ برأْسِه فأخذتُ بخُطامِ جَمَلِه فقُدْتُه وعدلت به عن الطريقِ حتى إذا صَيَّرْتُه فى موضع لا يغاثُ فيه إن استغاثَ أَنَخْتُ البعيرَ وصرعْتُه فأوثقتُ يدَيْه ورِجلَيْه وسقتُ الجملَ فغيَّبْتُه ثم رجعت إلى الرّفْقَةِ وقد فقَدوا صاحِبَهم وهم يَسْتَرْجعون . فقلت : ما لكُم . فقالوا : صاحبٌ لنا فقَدْناه . فقلت : أنا أعلم الناسِ بأثَرِه ، فجعلوا إلىّ جُعالةً فخرجت بهم أتْبَع الأثَرَ حتى وقفُوا عليه . فقالوا : ما لَكَ ؟ فقال: لا أدرى نَعِستُ فانتبهتُ فإذا بخمسين رَجُلا قد أخذونى فقاتَلْتُهم فغلبونى . قال أبو حَرْدَبة: فجعلت أضحكُ

من كَذِبه ، وأعْطَوْنى جُعالِتى ، وذهبوا بصاحبهم ، (وأعجب ما سرقت)[1] أنه مرّ بى رجلٌ ومعه ناقةٌ وجَمَلٌ وهو على الناقةِ فقلتُ لآخذنّهما جميعا ، فجعلتُ أعارِضُه ، وقد رأيتُه خَفَق برأسِه فدرتُ فأخذتُ الجملَ فحَلَلْتُه وسقتُه وغَيَّبْتُه فى القَصِيمِ ، وهو على الموضع الذى كانوا يَسْرقون فيه فانْتَبَه فلم يرَ جَمَلَه فنزل وعَقَل راحِلَتَه ومضى فى طلب الجمل فدرتُ فحَلَلْتُ عُقالَ الناقةِ وسُقْتُها فقالوا لأبى حَرْدَبة : ويحك فختّامَ تـكونُ هكذا ! ! قال : اسكتوا فـكأَنَّكُمْ بى قد تُبْتُ واشتريتُ فرساً وخرجتُ مجاهداً ، فبينا أنا واقفٌ إذ جاءنى سَهْمٌ كأنه قِطْعَـةُ رشاءٍ فوقع فى نَحْرِى فمتُّ شهيدا ، فـكان كذلك تابَ بالبصرةِ واشترى فرساً وغَزَا الرومَ فأصابه سهمٌ فى نحره فاسْتُشْهِد . ثم قالوا لشظاظ : أخبرْنا أنت بأعْجَب ما أَخَذْتَ فى لصوصيّتِك فقال : نعم كان رجلٌ من أهل البَصْرة له بنتُ عَمٍّ ذاتِ مالٍ كثيرٍ ، وهو وَلِيُّها ، وكانت له نِسْوَةٌ فخطبها فأبتْ أن تتزَوَّجه ، فحلف ألا يُزَوِّجها من أحد ضرارا لها ، وكان يَخْطُبها رجلٌ غنىٌّ من أهلِ البَصْرةِ فحَرَصَتْ عليه وأبى الآخَرُ أن يُزَوِّجها منه ، ثم إن وَلِىّ المرأة حج [1] حتى إذا كان بالدَّوِّ على مَرْحَلَةٍ من البَصْرة ماتَ فدُفِنَ على رابيةٍ وشُيِّدَ على قَبْرِه ، فتزوجت الرجلَ الذى كان يَخْطُبها . قال شظاظ : وتخرج رفقةٌ من البَصْرةِ ، ومعهم بُرٌّ ومَتاع فبصرتُ بهم وما معهم وأتبعْتُهم من البصرة حتى نزلوا ، فلما ناموا بَيَّتُّهم وأخذتُ من متاعهم ثم إنّ القوم أخذونى وضربونى ضَرْباً شديداً وذلك فى ليلةٍ قَرَّةٍ وسلبونى كلّ قليلٍ وكثـيرٍ علىّ ، وتركونى عُرْيانا ، وتماوتُّ لهم ، وارتحل القومُ فقلت : كيف أصنع وذكرت قبْرَ الرجُلِ فأتيْتُه فنزَعْتُ لَوْحَه واحتفرْتُ فيه سرباً ، ودخلت ثم سَدَدْتُ علىّ باللوح ، وقلت : لعلى الآنَ أفيقُ فأتْبَعَهم قال : ومر الرجلُ الذى تزوج

---

(١) كذا فى الأغانى بين قوسين وكأنه قال : وقال أبوحردبة .

بالمرأةِ فى الرّفقةِ فمرّ بالقَبْر الذى أنا فيه ، فوقف عليه ، وقال لرفيقه : والله لأنزِلَنّ إلى قَبْرِ فلانٍ حتى أنظرَ هل يَحْمِى الآن بُضْعَ فلانة ! قال شُظَاظُ : وعرفتُ صَوْتَه فقَلَعْتُ اللوحَ ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من القبر وقلت: بلى وربِّ الكعبة لأَحْمِيَنَّها فوقعَ الرجلُ على وجْهِه مَغْشِيًّا عليه ما يتحركُ ولا يَعْقِلُ وسَقَطَ من يده خُطَامُ الراحلةِ ، فأخذت ، وعهْدِ اللهِ ، بخطامها فجلستُ عليها وعلى كل أداةٍ وثيابٍ ونَقْدٍ كان معه ، ثم وَجَّهْتُها قصد مطلعِ الشَّمْسِ هاربا من الناس ، فنجوت بها ، وكنت بعد ذلك أسْمَعُه يُحَدِّث الناسَ بالبصرة ويحلفُ لهم أن المَيِّتَ الذى كان مَنَعَ من تزويج فلانة خرج عليه مِنْ قبره فسلبَه وكَتَّفَه وبقى يومه ثم هرب منه ، والناس يَعجبون منه فعاقِلهم يُكَذِّبُه وأحمَقُهم يُصَدِّقه ، وأنا أعرف القصةَ وأضحكُ منهم كالمُتَعَجِّب . قالوا : فزِدْنا قال : أنا أَزيدُكم ، أعجبُ من هذا ، وأحمقُ من هذا الرجل أنى لأَمْشِى فى الطريق أبْتَغِى شيئاً أسْرِقُه فما وجدتُ شيئا فإذا شجرةٌ ينام تحتها الركبانُ بمكان ليس فيه ظِلٌّ غيرُها وإذا أنا برجل يسيرُ على حمارٍ له فقلت له : أتسمع ؟ قال : نعم . فقلت: إن المَقيلَ الذى تُرِيدُ أن تَقيلَ فيه يُخْسَفُ فيه بالدوابِّ فاحذَرْه فلم يلتفتْ إلى قولِى فرَمَقْتُه حتى نام ثم أقبلتُ إلى حماره فاستقتُه حتى إذا بَرَزْتُ به قطعتُ طرَفَ ذَنَبِه وأُذُنَيْه ورجعتُ إلى مَوْضِعه فغرستُ طرفَ ذَنبه فى الأرض ، ثم تجاوزْتُه مقدار مابين ذنبه وأُذُنَيْه ثم غَرَسْتُ أُذُنَيْه وأخذتُ الحمارَ وخَبَأْتُه وأبصرتُه حتى استيقظ من نومه ، فقام ليطلبَ الحمارَ ويقفو أثرَه فبينا هو كذلك إذ نَظَر إلى طَرَفِ أذنيه وذَنَبه فقال : لعمرى لقد حُذِّرْت لو نَفَعَنِى الحذَر ، واستمرّ هاربا خوفا من أن يُخْسَفَ به ، وأخذتُ جميع ما بقى من رَحْلِه ، فحملته على الحمار ، واستمرُّ فألْحَق بأهْلِى .

صلبَ الحجاجُ رجلا من الشّراةِ بالبَصْرةِ وراح عَشِيًّا لينظر إليه ، وإذا برجل واقفٍ بإزائِه مقبلٍ عليه بوَجْهِهِ ، فدنا منه فسمعه يقول للمصلوبِ طال ما رَكِبْتَ

فأُعْقِبْ، فقال الحجاج: من هذا ؟ فقالوا : شظاظٌ اللصُ، فقال : لاجرم والله ليُعْقِبَنَّك ثم أمرَ بالمصلوب فأُنْزِلُ وصُلِبَ شظاظٌ مكانه.

ولما توجه مالكُ بن الريب مع سعيدٍ إلى خراسانَ مرِضَ فى طريقه ، فلما أشرف على الموتِ تخلف عليه امرأة ورجل من تميم وهما اللذان يقول فيهما هذه الأبيات :

أيا صاحِبَىْ رحلى دنا الموت فانْزِلا برابيـــةٍ إنى مقيمٌ لياليا
وخُطّا بأطراف الأسِنَّةِ مَضْجَعِى ورُدّا على عينىَّ فَضْـــلَ ردائيا
ولا تَحْسدانى بارك اللهُ فيـكما
على الأرض ذات العَرْضِ أن تُوسِعا ليا
يقولون لا تَبْعَدْ وهم يَدفنــونى وأين مكانُ البُعْدِ إلا مَــكانا
لعمرى لَئِنْ غالتْ خراسانَ هامَـتِى لقد كنتُ عن بابَىْ خراسان نائيا
فياليتَ شِعْرى هــل أبيتنَّ ليلة بوادى الغَضا أُزْجِى القلوصَ النواجيا

أخبار مجنون بنى عامر ونسبه[1]

[هو على ما يقوله من صحّح نسبَه وحديثَه ـ قيسٌ ، وقيل : مَهدىّ .

والصحيح أنه قيسُ بن الملوّح بن مُزاحِم بن عُدَسَ بن ربيعةَ بن جعدةَ بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ .

ومن الدليل على أن اسمه قيسٌ قولُ لَيْلَى صاحبتِه فيه :

ألا ليت شعرى والخطوبُ كثيرة ... متى رَحْلُ قيس مستَقِلٌّ فراجع

وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال : سمعتُ من لا أُحْصِى يقول : اسم المجنون قيسُ بن الملوّح][1] .

[عن أبى الحسن الببَّغاء قال :

بينا أنا وصديق لى من قريش نمشى بالبلاط ليلا ، إذا بِظِلّ نسوةٍ فى القمر ، فسمعت إحداهن تقول أهُو هو ؟ فقالت لها أخرى معها : إى والله إنه لهو هو ! ! فدنت منى ثم قالت : يا كهلُ ، قل لهذا الذى معك :

ليست لياليكَ فى خاخٍ بعائدة ... كما عهدتَ ولا أيامُ ذى سَلَمِ

فقلت : أَجِبْ فقد سمعت . فقال : قد والله قُطِعَ لى وأُرْتِج علىّ ، فأجب عنى ، فقلت :

فقلت لهـا يا عَزّ كل مصيبة ... إذا وطِّنَتْ [يوما] لها النفس ذلَّت

ثم مضينا حتى إذا كنا بمفترق الطريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيت إلى منزلى

---

(١) جاءت ترجمة المجنون مبتورة من أولها فى المخطوط فرأينا أن ننقل نسبه من الأغانى (ج٢ ص١ الأغانى دار الكتب) وهو ما بين القوسين .

كذلك بدأنا الخبر الناقص من أوله نقلا عن الأغانى ج ٢ ص ٥٨ وهو ما بين القوسين التاليين.

(٢) والترجمة فى مهذب الأغانى ٤ / ٢٠٢ ـ والتجريد ١٥٢ .

فإذا أنا بجويرية تجذب ردائي فالتفَتُّ ، فقالت لي : المرأة التي كلمتها تدعوك فمضيت معها حتى دخلت دارا] واسعة ، ثم صرتُ إلى بيت فيه حصيرٌ ، وثُنِيَتْ لي وسادةٌ فجلست عليها ، ثم جاءت الجاريةُ بوسادةٍ مَثْنِية فطرَحَتْها ، ثم جاءت المرأة فجلست عليها ، فقالت لي : أنت المجيبُ ؟ قلت : نعم . قالت : ما كان أفظَّ جوابَك وأغلظَه ، فقلت : ما حَضَرني غيرُه ، فسكتَتْ ، ثم قالتْ : لا واللهِ ما خلق اللهُ خَلْقا أحبَّ إليّ من إنسانٍ كان معك ! فقلت : أنا الضامنُ لكِ عنهُ ما تُحبِّين فقالت : هيهات أن يقع بذلك وفاءٌ ، فقلت : أنا الضامن وعليَّ أن آتيَكِ به الليلةَ القابلةَ ، قال : فانصرفتُ فإذا الفَتَى ببابي ، فقلت : ما جاء بك فقال : ظننتُ أنها سترسلُ إليك ، وسألتُ عنك فلم أعْرِف لك خَبَرا ، فظننت أنك عندها ، فجلستُ أنتظرُكَ ، فقلت له : قد كان الذي ظَنَنْتَ وقد وَعَدْتُها أن أَمْضِي بك إليها في الليلةِ المقبلة . فلما أصْبَحْنا تهيَّأْنَا ، ولما جاء الليلُ رُحْنا إليها ، فإذا بها منتظرةٌ لنا ، فدخلنا الدارَ فإذا رائحةٌ طيبةٌ ، ومجلسٌ قد أُعِدَّ ونُضِّدَ فجلسنا على وسائد قد ثُنِيَتْ لنا ، وجَلَسَتْ مَلِيًّا ثم أقبلت عليه تُعاتِبُه وقالت :

وأنتَ الذي أخلَفْتَنِي ما وَعَدْتَني ... وأشمتَّ بي من كان فيك يَلومُ
وأبْرَزْتَنِي للناس حتى تَرَكْتَنِي ... لهم غَرَضاً أُرْمَى وأنت سليمُ
فلو كان قولٌ يَكْلُمُ الجسمَ قد بدا ... بِجِسْمِيَ من قولِ الوشاةِ كُلُومُ

شِعْرُ أُمَيْمَةَ امرأةِ ابنِ الدُّمَيْنَة .

ثم سكتَتْ وسكتَ الفتى هُنَيْهةً ثم قال :

غَدَرْتِ ولم أَغْدِرِ وخُنْتِ ولم أخُنْ ... وفي بعض هــذا للمحبِّ عَزَاءُ
جزيتُكِ ضِعْفَ الودِّ ثم صَرَمْتِنِي ... فحبُّكِ من قلبي إليــك أداءُ

فالتفتَتْ إليّ فقالت : ألا تَسْمعُ ما يقول ! قد أخبرتُك ، فغمزتُه أَنْ كُفَّ فكَفَّ ، ثم أقبَلَتْ عليه وقالت :

تَجَاهَلْتَ وصلِي حين لَجَّتْ عَمَايَتِي فَهلَّا صَرَمْتَ الحبلَ إذ أنا أُبْصِرُ
ولى من قُوَى الحبلِ الذي قد قطَعْتَه نصيبٌ وإذ رَأْيِي جميعٌ مُوَفَّرُ
ولـكنما آذنتَ بالصَّرْمِ بغتةً وليس على مثلِ الذى جئتَ أَقْدَرُ

فقال :

لقد جعلتْ نَفْسِي ـ وأنتِ اجْتَرَمْتِه وكنت أعزَّ الناسِ ـ عنكِ تطيبُ

قال : فبكَتْ ثم قالتْ : أو قَدْ طابتْ نَفْسُك ! ! لا والله ، ما فيك بعد هذا خير ثم التفتَتْ إلىّ وقالت : قد علمتُ أنك لا تفى بضمانك ولا يفى به عنك [وهذا البيت الأخير للمجنون وإنما ذكر هـذا الخبر هنا وليس مِن أخبار المجنون لذكره فيه][1] .

قال الهيثمُ بنُ عَدِيّ : إن رهطَ المجنونِ اجتازوا فى نُجْعَةٍ[2] لهم بحىّ ليلى ، وقد جَمَعَتْهُم نُجْعَةٌ فرأى أبياتَ أهلها ، ولم يَقْدر[3] على الإلْمام بهم ، وعدل أهلُه إلى جهة أخرى ، فقال المجنون :

لَعمْرُكَ إن البيتَ بالقِبَلِ[4] الذى مررتُ ولم أُلْمِمْ عليه لشـائِقُ
وبالجَزْعِ من أعلى الجُنَيْنَةِ منزلٌ فسيح المدى قلبى به متضايق[5]
لعمركِ إن الحبَّ يا أمِ مالكٍ بقلبى يرانى اللهُ منك للاصقُ
يضمُّ علىَّ الليلُ أطرافَ حُبِّكُمْ كما ضمَّ أزرار[6] القميصِ البنائقُ

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى وفيه تمام السياق (أغانى ٢ : ٦٠ .
(٢) النجعه : الذهاب فى طلب الـكلأ والعشب فى موضعه .
(٣) يقدم (الأغانى ٢ : ٦٠ .
(٤) القبل : الناحية .
(٥) شجاحزن صدرى به متضايق (أغانى).
(٦) أطراف (الأغانى) .

وماذا عسى الواشون أن يَتحَدَّثوا ... سِوَى أنْ يقولوا إننى لكِ عاشقُ
نَعَمْ صدق الواشون أنتِ حبيبةٌ ... إلىّ وإن لم تَصْفُ منكِ الخلائقُ

دخَلَتْ ليلى على جارةٍ لها من عُقَيْل ، وفى يدها مِسواكٌ تستاكُ به فتنفَّست ثم قالت : سقى اللهُ من أهدى لى هذا المِسْواكَ فقالت لها جارتها : ومَنْ هو ؟ قالت : قيسُ بنُ المُلَوّح وبكَتْ ثم نزعت ثيابَها تغتسلُ فقالت : وَيْحَه ، لقد عَلِقَ منى ما أهلكه من غيرِ أن استَحِقّ ذلك ، فنشدْتُكِ اللهَ أصدَقَ فى صِفتِى أم كَذب ؟ فقالت لا والله ، بل صدق ، وبلغ المجنونَ ذلك من قولها فبكى وأنشأ يقول :

نُبِّئْتُ لَيْلَى وقد كنا نُبَخِّلُها ... قالت سَقَى المزنُ غيثاً منزلا خَرِبا
وحبَّذا راكبٌ كنا نَهَشُّ له ... يُهدِى لنا من أراكِ الموسمِ القُضُبا
قالت لجارَتِها يوما تُسَائِلُها ... لما استَحَمَّتْ وألقتْ عندها السَّلَبا
يا عَمْرَكِ اللهَ ألّا قلتِ صادقةً ... أصادقا وصفَ المجنونُ أم كذبا

حدَّث رجلٌ من بنى عامر قال : مُطِرْنا مَطَرًا شديداً فى ربيع ارْتَبَعْناه ، ودام المطرُ ثلاثا ، ثم أصبَحْنا فى اليوم الرابع على صَحْوَةٍ وخرج الناسُ يمشون على الوادى ، فرأيت رجلا جالساً حَجْرَةً وحْدَه ، فقصدتُه فإذا هو المجنون جالسٌ وحده يبكى ، فوعظتُه وكلمتُه طويلا وهوساكت ، ثم رفع رأسه إلىّ فأنشدنى بصوتٍ حزينٍ لا أنساه أبدا وحُرْقتَه :

جَرى السَّيلُ فاستبكانِىَ السيلُ إذْ جَرَى ... وفاضَتْ له من مُقْلَتَىَّ غُروبُ
وما ذاكَ إلا حين أيقنتُ أنه ... يَمُرُّ بوادٍ أنتِ منه قَريبُ
يكون أجاجاً دونَكم فإذا انتهى ... إليكمْ تلقَّى طِيبَكم فيطيبُ
أظَلُّ غريبَ الدارِ فى أرْضِ عامرٍ ... ألا كلُّ مهجورٍ هناكَ غريبُ

وإنَّ الكثيبَ الفرْدَ من أيمن الحِمَى إلىَّ وإن لم آتِه لحبيبُ
فلَا خيرَ فى الدنيا إذا أنتَ لم تزُر حبيبا ولم يَطْرَبْ إليكَ حبيبُ

وأول القصيدة :

الا أيهـا البيتُ الذى لا أَزورُه وهجرانُه مِنّى إليه ذُنوبُ
هَجَرْتُك مشتاقا وزُرْتُك خائفـا وفيك علىَّ الدّهرَ منك رَقيبُ
سأستعطفُ الأيـامَ فيك لعلهـا بيـوم سُرورٍ فى هواكَ تثيبُ
وأُفْرِدْتُ إفرادَ الطريدِ وباعَدَتْ إلى النفسِ حاجاتٌ وهنَّ قريبُ
لئن حال يأسٌ دونَ ليلى لربَّما أتى اليأسُ دون الأمر وهو قريبُ
ومَنَّيْتِنِى حتى إذا ما رأَيتِنى على شَرَفٍ للناظرين يُرِيبُ
صدَدْتِ وأشْمَتِّ العدوَّ بصَرْمِنا أثابكِ يا ليلى الجزاءَ مُثيبُ

مر المجنونُ فى بَعْضِ تَوَحُّشِه ، فصادف حىَّ ليلى راحلًا ولَقِيها فَجْأَةً فعرَفَها وعَرَفَتْه . فصُعِقَ وسَقَط على وجهه ، وأقبل فتيانٌ من حَىِّ ليلى ، فأخذوه ومَسَحوا الترابَ عن وَجْهِه وأسْنَدُوه إلى صُدورهم وسألوا ليلى أن تَقِفَ له وَقْفَةً فرَقَّتْ لما به وقالت : أمّا هذا فلا يجوز أن أَفْتَضِح به ، ولـكن يا فلانةُ ودعت أمةً لها فقالتْ لها : اذهبى إلى قَيْس ، فقولى له : ليلى تقرأُ عليك السلامَ وتقول لك : أعزِزْ علىَّ بما أنتَ فيه ، ولو وجدتُ سبيلا إلى شفاء دائِك لوَقَيْتُكَ بنفسى منه ، فمضت الوليدةُ إليه فأخبرَتْه بقَوْلها . فأفاق ، وجلس وقال أَبْلغيها السلامَ وقولى لها : هيهاتَ ! ! إن دائى ودوائى أنتِ ، وإنّ حياتى ووفاتى فى يديك ، ولقد وكِّلْتِ بى شقاءً لازماً وبلاءً طويلًا ثم بكى وأنشأ يقول :

أقول لأصحابى هى الشمسُ ضوءُها قريبٌ ولـكن فى تناوُلهـا بُعْدُ
لقد عارضَتْنِى الريحُ منها بنَفْحةٍ(١) على كَبِدى من طيب أرْواحها بَرْدُ

(١) لقد عارضتنا ريح ليلى بنفخة (أغانى) .

فما زلتُ مَغْشياً عليَّ وقد مضتْ | أناةٌ[1] وما عندى جوابٌ ولا ردُّ
أُقَلَّبُ بالأيدى وأهْلِى بِعَوْلةٍ[2] | يفدُّوننى لو يستطيعون أن يَفدُوا
ولم يبــق إلا الجلدُ والعظمُ عارياً | ولا عَظْمَ لى إن دام ذاكَ ولا جلد[3]
أدنياىَ مالى فى انقطاعى ورَغْبَتِى | إليكِ ثوابٌ منك دَيْنٌ ولا نَقْدُ
عِدِينى بنفسى أنتِ وعداً فرُبَّما | جلا كُرْبَةَ المكروب عن قَلْبِهِ الوعدُ
وقد يُبْتَلَى قومٌ ولا كَبَلِيَّتِى | ولا مثلَ جَدِّى فى الشقاء بكم جَدُّ
غَزَتْنِى جنودُ الحبِّ من كلِّ جانبٍ | إذا حانَ من جُنْدٍ قفُولٌ أتى جُنْدُ

وقيل: كان سببُ تَوَحُّشِ المجنونِ أنه كان يوما بِضَرِيَّةَ جالسا وحده إذ ناداه منادٍ من الجبل:

كلانا يا أَخِىَّ يُحِبُّ ليـلَى | بِفِىَّ وفيكَ من ليلى التُّرابُ
لقد خَبَلَتْ فؤادَكَ ثم ثَنَّتْ | بقلـبِى فهو مهمومٌ مُصابُ

قال: فتنفسَ الصُّعَداءَ ثم غُشِىَ عليه، وكان هذا سببَ تَوَحُّشِهِ، فلم يره أحدٌ حتى وَجَدَه نوفلُ بن مُساحِقٍ قال: قدمتُ الباديةَ فسألت عنه فقيل لى: تَوَحَّشَ وما لنا به عَهْدٌ، ولا نَدْرِى إلى أين صار. فخرجت يوما أتصيّدُ الأَرْوَىَ ومعِى جماعةٌ من أصحابى حتى إذا كنتُ بناصية الحِمَى إذا نحن بأَرَاكَةٍ عظيمةٍ قد بدا منها قطيعٌ من الظباء فيها شخصُ إنسانٍ يُرَى من خَلَلِ تلك الأراكةِ فعجبَ أصحابى من ذلك فعَرَفْتُه وأَتَيْتُه، وعلمت أنه المجنونُ الذى أُخْبِرْتُ عنه، فنزلتُ عن دابتى، وتَخففْتُ من ثيابى، وخرجت أمشي رويداً، حتى أتيت الأراكةَ فارتقيتُ حتى صرتُ

---

(١) الأناة : الانتظار .

(٢) العولة رفع الصوت بالبـكاء ومثلها العول .

(٣) إن دام ما بى (أغانى ٢ : ٦٥ .

إلى أعلاها وأشرفت عليه وعلى الظباء ، وإذا به وقد تدلّى الشَّعَرُ على وجهه فلم أكد أعْرِفُه إلا بعد تأمُّلٍ شديدٍ وهو يَرْتعي من ثمر تلك الأراكةِ ، فرفع رأسَهُ فتمثلتُ ببيت من شعره :

أتَبْكِي على ليلَى ونفسُك باعدتْ مكانَك من ليلى وشمْبا كُما معا

قال : فنفرَتِ الظباء واندفع فى باقى القصيدة يُنْشِدُها فما أنسَى نَغْمَتهُ وحُسْنَ صوتِه يقول :

فما حَسَنٌ أن تأتِىَ الأمرَ طائعا وتَجْزَعَ أنْ داعى الصبابةِ أسْمَعا

بكتْ عَيْنِىَ اليُسْرَى فلما زَجَرْتُهَا عن الجهلِ بعد الحِلْمِ اسْبَلتا معاً

وأذكرُ أيام الحِمَى ثم أنثنِى على كَبِدى من خَشْيةٍ أن تَصَدَّعا

فليستْ عشياتُ الحِمَى برواجعٍ إليك ولكن خَلِّ عينيكَ تَدْمعا

ثم سقط مغشيّا عليه فتمثَّلتُ بقوله :

يا دارَ ليلى بسِقْطِ الحيِّ قد دَرَسَتْ إلا الثُّمَامَ وإلا مَوْقِدَ النَّارِ

ما تفتأ الدهرَ من ليلى تموتُ كذا فى موقف وقفْته أو على دارِ

قال فرفع رأسَه إلىَّ وقال لى: من أنت حيّاكَ الله ؟ فقلت : أنا نوفلُ بن مُساحقٍ فحيّانى فقلت له : ما أحدَثْتَ بَعْدِى [فى يأسك منها](1) فأنشدنى :

ألا حُجِبَتْ ليلى وآلَى أميرُها علىَّ يمينا جاهدًا لا أزورُها

وأوْعَدَنى فيها رجالٌ أبوهُمُ أبى وأبوها خشّنَت لى صدورها

على غير جُرمٍ غير أنِّى أحِبُّها وأنَّ فؤادِى رهنُها وأسيرُها

ثم سنحت له ظباء فقام يعدو فى أثرها حتى لحقها فمضى معها . ومن شعره فيها :

أعُدُّ الليالى ليلةً بعد ليلةٍ وقد عشتُ دهراً لا أعُدُّ اللياليا

---

(١) أغانى ٢ : ٦٧ .

أرانى إذا صَلَّيْتُ يمَّمْتُ نحوها ... بوجْهِى وإن كان المُصَلَّى ورائيا
وما بِىَ إشراكٌ ولكنَّ حُبَّها ... كعود(١) الشجا أعيا الطبيب المداويا
أحبُّ من الأسماء ما وافق اسْمَها ... وأشْبَهَهُ أو كان منه مُدانِيا
وخَبَّرْتمانى أن تَيْمَاءَ منزلٌ ... لليلى إذا ما الصيفُ ألقى المراسيا
فهذى شهورُ الصيفِ عنى قد انقضَتْ ... فما لِلنَّوى ترمى بليلى المَراميا
ولو كان واشٍ باليمامةِ بَيْتُه ... وبيتى بأعلَى حضرموتَ اهتدَى ليا
وماذا لهم ـ لا أَحْسَنَ اللهُ حِفْظَهُم ـ(٢) ... من الحظِّ فى تَصريم ليلى حِباليا
فأنت التى(٣) إن شئتِ أشقيتِ عِشيتى ... وإن شئتِ بعد اللهِ أنْعمْتِ باليا
أمضروبةٌ ليلى على أن أزُورَها ... ومتَّخَذٌ ذنبا لها أَنْ ترانيا
إذا سرتُ فى الأرض الفضاء رأَيْتُنى ... أصانعُ رَحْلِى أن يَميلَ حياليا
يَميناً إذا كانت يَميناً وإن تكُنْ ... شِمالا يُنازِعُنى الهوى عن شِماليا
هى السحرُ إلا أنّ للسحرِ رُقْيَةً ... وإنِّىَ لا أَلْقى لنفسى راقيا(٤)

وقال الهَيْثَمُ : مر المجنونُ بوادٍ فى أيام الربيع وحَمامُه يَتجاوبُ فقال :

ألا يا حمامَ الأَيْكِ ما لك باكيا ... أفارقْتَ إلْفاً أم جفاك حَبيبُ
دعاكَ الهوَى والشوقُ لما ترنَّمتْ ... هتوفُ الضُّحَى بين الغصون طَروبُ
تُجاوِبُ وُرْقاً قد أَذِنَّ لصوتِها ... فكلٌّ لكلٍّ مُسْعِدٌ وحبيبُ

وقيل : إن رجلا من بنى جعدة كان أخاً وخِلاًّ للمجنون مَرَّ به وهو جالس

---

(١) كمثل (أغانى) .
(٢) حالهم (أغانى) .
(٣) فى الأصل : الذى .
(٤) (أغانى) ٢ : ٦٩ ـ وإنى لا ألقى لها الدهر راقيا .

يَخُطُّ فى الأرض . ويعبثُ بالحصى ، فسلَّمَ عليه وجَلَس عنده ، فأقبل يخاطِبُه ويعِظُه ويُسَلِّيه ، وهو ينْظُرُ إليه ويعبثُ بيده كما كان يَعْبَثُ وهو مُفَكِّر قد غَمَرَهُ ماهو فيه : فلما طال خِطابُه إيَّاه قال له : يا أخى ما علمتُ أنك تُكَلِّمُنى فاعذِرْنى فإنى كما ترى مذهوبٌ فىّ مشتركُ اللبِّ وبكى ثم أنشأ يقول :

وشُغِلتُ عن فَهْمِ الحديثِ سوى ... ما كان منكِ فإنه شُغْلِى
وأُدِيمُ لحظَ مُحَدِّثى ليرى ... أَنْ قد فَهِمتُ وعندَكُم عَقْلِى

كان زوجُ ليلى وأبوها خرجا فى أمْرٍ طَرَقَ الحىّ إلى مكة ، فأرسلت ليلى أمةً لها إلى المجنون فدَعَتْه لها فأقام عندها ليلةً وأخرجته فى السَّحَر ، وقالت له : صِرْ إلىَّ فى كل ليلةٍ ما دام القومُ سَفْرًا فكان يختلفُ إليها حتى قدِموا وقال فيها فى آخر ليلةٍ لَقِيَها وودَّعته :

تمتعْ بليلى إنما أنتَ هامَةٌ ... من الهامِ يَدْنو كلَّ يومٍ حِمَامُها
تمتعْ إلى أن يرجعَ الركبُ إنهم ... متى يَرْجعوا يَحْرُمْ عليك كلامُها

حدث بعض بنى عُقَيْل قال : قيل للمجنون : أىّ شيءٍ رأيتَه أحبَّ إليك ؟ قال : ليلى . قالوا : دَعْ ليلى فقد عَرَفْنا حالَها عندك ، ولكن سِواها ، قال : والله ما أعجبنى شىءٌ قطُّ فذكرتُ ليلى إلا سَقَطَ من عينى وأذهَبَ ذِكْرُها بشاشَتَه عندى ، غير أنى رأيتُ ظبيا مَرَّةً فتأملتُه وذكرتُ ليلى ، فجعل يزدادُ فى عينى ، ثم إنه عارَضَه ذئبٌ وهَرَبَ منه وتَبِعَه حتى خَفِيا عَنِّى فوجدتُ الذئبَ قد صَرَعَه وأكلَ بعضه فرَمَيْتُه بسهمٍ فما أخطأتُ قتلَه وبَقَرْتُ بطنَه فأخرجتُ ما أكلَ منه ، ثم جمعته إلى بَقِيَّةِ شِلْوِهِ (١) فدفَنْتُه وأحرقتُ الذئبَ وقلت فى ذلك :

أَبَى اللهُ أن تَبْقَى لحَىٍّ بشاشةٌ ... فصبرًا على ما شاءَه اللهُ لِى صَبْرًا

(١) الشلو : العضو من أعضاء اللحم — كل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية .

رأيتُ غزالا يرْتَعِي وَسْطَ روضةٍ ... فقلتُ أرى ليلَى تراءتْ لنا ظُهْرَا
فيا ظَبْيُ كُلْ رَغْداً هنيئا ولا تَخَفْ ... فإنك لى جارٌ ولا ترْهَب الدَّهْرا
فما راعــــنى إلا وذئبٌ قد انتَحَى ... فأعْلَقَ فى أحشائه النابَ والظُّفْرا
فبوَّأتُ(١) سَهْمِى فى كَتُومٍ(٢) غمزْتُها ... فخالَطَ سَهْمِى مُهْجَةَ القلبِ والسَّحْرا(٣)
فأذْهَبَ غَيْظِى قَتْلُه وشَفَى الجوَى ... بقَلْبِىَ إنَّ الحرَّ قد يُدْرِكُ الوِتْرا

وبلغ المجنونَ قبل تَوَحُّشِه أن زوجَ ليلى ذكره وسَبَّه وقال : أو بَلَغَ من قَدْرِ قيسِ بن الملوّحِ أن يَدَّعى محبةَ ليلى ويُنَوِّه باسمها ! ! فقال ليغيظه بذلك :

فإن كان فيــكم بعلُ ليلى فإنّنى ... وذى العرش قد قبَّلْتُ ليلَى ثمانيا
وأشهدُ عند الله أنّى رأيتُهــا ... وعشرين منها أصبعاً من ورائيا
أليس من البلوى التى لاشَوَى لها(٤) ... بأن زُوِّجَتْ كلباً وما بُذِلَتْ لِيا

خرج المجنون فى عِدَّةٍ من قومه يريدون سَفَرا فمروا فى طريق يتَشَعَّبُ وجهتين ؛ إحداهما يَنْزِلُها رهط ليلى وفيها زيادة مَرْحَلَة ، فسألهم أن يَعْدِلوا معه إلى تلك الوجهة فأبوا فمضى وحده وقال :

أأتركُ ليلى ليس بينى وبينها ... سوى ليلةٍ إنى إذًا لصبورُ
هَبونِى امْرَأً منكم أضلَّ بعيرَه ... له ذِمَّةٌ إن الذِّمامَ كبــيرُ
ولَلصَّاحِبُ المتروكُ أعظمُ حُرْمَةً ... على صاحبٍ من أن يَضِلَّ بعيرُ
عفا اللهُ عن ليلَى الغداةَ فإنها ... إذا وَلِيتْ حُـكماً علىَّ تَجُورُ

مر نفرٌ من أهلِ اليمنِ بالمجنونِ ، فوقفوا ينظرون إليه ، فأنشأ يقول :

---

(١) ففوقت سهمى (أغانى) .

(٢) الـكتوم من القسى التى لا ترن إذا أنبضت .

(٣) مهجة الذئب والنحرا (أغانى) . ـ والسحر : الرئة والـكبد وسواد القلب ونواحيه.

(٤) لا شوى لها : لا بقيا لها .

ألا أيها الركبُ اليمـانون عَرِّجوا عليْنا فقد أَمْسَى هَوَانا يمانيا
أُسائِلكُم هل سال نعمانُ بعدنا وحُبَّ إلينا بطنُ نَعمانَ واديا
ألا يا حمامَىْ قصرِ وَدّانَ هِجتما علىَّ الهوَى لما تَغَنَّيتُما ليا
وأبكيتمانى وَسْط أهْلى ولم أكن أُبالى دموعَ العينِ لو كنتُ خاليا
فوالله إنّى لا أُحِبُّ لغيْرِ أنْ تَحُلَّ بها ليلى البِراقَ الأعاليا
ألا يا خليلى حُبُّ ليلى مُجشِّمى حياضَ المنايا أو مُقيدى[1] الأعاديا
ويا أيها القُمْريَّتان تجاوَبا بِلَحْنيكما ثم اسجَعا عَلَّلانِيا
فإن أنتما استَطْرَبْتُما [وأردتمـا لحاقا بأطراف الغضى فاتبعانيا][2]

كان المجنونُ ذاتَ ليلة جالسا مع أصحابٍ له من بنى عَمِّه وهو وَالِهٌ يَتَلَظَّى ويَتَمَلْمَلُ ، وهم يعظونه ويُحادثونه ، إذ هَتَفَتْ حمامةٌ فى سَرْحَةٍ[3] كانت بإزائهم فوثَب قائما وقال :

لقد غَرَّدَتْ فى جِنحِ ليلٍ حمامةٌ على إلْفِها تبكِى وإنى لنائمُ
كذبتُ وبيتِ الله لو كنت عاشقا لما سَبَقَتْنى بالبكاءِ الحمائمُ

ثم بكى حتى سقط على وجْهِه مَغْشِيًّا عليه ، فما أفاق حتى حَمِيَتْ عليه الشمسُ من غَد .

لما أراد زوجُ ليلى الرحيلَ بليلى إلى بلدِه بلغَ المجنونَ أنه غادٍ بها فقال :

أمزمعةٌ للبَيْنِ ليلى ولم تَمُتْ كأنَّك عما قد أظلَّكَ غافلُ
ستعلمُ إن شطَّتْ بهم غُرْبةُ النَّوَى وزالوا بليلَى أنّ لبّك زائلُ

(١) مقيدى الأعاديا : يجعل قيادى فى يدهم .
(٢) ما بين القوسين غير ظاهر فى الأصل وهو عن الأغانى ٢ : ٧٩
(٣) السرحة : كل شجر لا شوك فيه . وقيل : كل شجر طال .

وإنك ممنوع التصبر والقرى إذا بَعُدَتْ ممن تُحِبّ المنازل

ذكر ابنُ الأعرابي أن نسوةً جَلَسْن إلى المجنون فقُلْنَ له : ما الذى دعاك إلى أن أحَلْلتَ بنفسك ما تَرَى فى هوَى ليلى ؟ فإنما هى امرأةٌ من النساء ، هل لك فى أنْ تَصْرِف هواك عنها إلى إحْدانا فنُسَاعِفُك ونَجْزِيكَ بهواك ويرْجِع إليك ما عَزَبَ من عقلِك وجسمِك ؟ فقال لهن : لو قَدَرْتُ على صَرْفِ الهوى عنها إليكُنَّ لصرَفْتُه عنها وعن كل أحدٍ بعدها ، وعشت فى الناس سويًّا مُسْتريحا ، فقلن له : فما أعْجَبَك منها ؟ قال : كلُّ شيء رأيتُه وشاهدتُه وسمعتُه منها أعْجَبَنِى ، والله ما رأيتُ منها شيئا قطُّ إلا كان فى عينى حسناً و بِقَلْبِى عَلِقاً ، ولقد جهدت أن يَقْبُح منها عندى شيء أو يسْمُجَ أو يُعابَ لأسْلُوَ بِهِ عنها ، فلم أجد . فقلن فصِفْها لنا فقال :

بيضاءُ خالصةُ البياض كأنها قمرٌ توَسَّط جُنْحَ ليلٍ مُبْرَدِ
موسومةٌ بالحسنِ ذاتُ حواسدٍ إنَّ الجمال مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ
وتُرى مدامعُها تَرَقْرُقَ مُقْلةٍ سوداءَ ترغبُ عن سَوادِ الإثْمدِ

قال رجل من عَشيرة المجنون : إنى أريدُ الإلمامَ بحىِّ ليلى ، فهل تُودِعُنى إليها شيئا ؟ قال نعم : قف بحيث تَسْمَعُك ثم قل :

اللهُ يعلمُ أن النفسَ قد هَلَكَتْ باليأسِ منكِ ولكنِّى أُعَنِّيها
مَنَّيْتُكِ النفسَ حتى قد أَضَرَّ بها واستيقنت خُلُفاً مما أُمَنِّيها
وساعةٌ منكِ ألْهُوها وإن قَصُرَتْ أشْهَى إلىَّ من الدنيا وما فيها

فمضى الرجلُ ولم يزل يرقبُ خلوةً حتى وجدها ، فوقف عليها ثم قال ؟ يا ليلى لقد أحسنَ الذى يقول :

الله يعلم أن النَّفْسَ قد هَلَكَتْ باليأسِ منك ولكنى أمَنِّيها

وأنشدها الأبيات فبكَتْ بكاءً طويلا ثم قالت : أبْلِغْه السلام وقل له :

نفسى فداؤكَ لو نفسى ملكتُ إذاً ما كان غيرُكَ يجزيها ويُرضيها
صبراً على ما قضاه الله فيكَ على مرارةٍ فى اصطبارى عنك أُخْفِيها

فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالِها ، فبكى حتى سَقَط على وجهه مَغْشِيًّا [عليه] ثم أفاق وهو يقول :

عَجِبتُ لعُروَةَ العُذْرِيِّ أضحى أحاديثا لقومٍ بَعْدَ قومِ
وعروةُ مات مَوْتا مستريحا وها أنا ميِّتٌ فى كل يَوْمِ

سأل المُلَوَّح أبو المجنونِ رجلًا قَدِمَ من الطائفِ أن يَمُرَّ بالمجنون ويجلس إليه ويُخْبِرَه أنه لقى ليلى وجلس إليها ، ووصفَ له صفاتٍ منها ومن كلامِها ، يَعْرِفُها المجنون ، وقال له : حَدِّثه بها فإذا رأيتَه قد اشْرَأَبَّ لحديثك واشتهاك فعَرِّفْه أنك ذَكَرْتَه لها ووصَفْتَ ما به فشَتَمَتْه وسبَّته وقالت : إنه يَكْذِبُ عليها ويُشَهِّرُها بفِعْلِه ، وأنها ما اجتمعت معه قط كما يصف ، ففعل الرجلُ ذلك ، وجاءه وأخبره بلقائها ، فأقبل عليه يسائله عنها فأخبره ، وهو يزداد نشاطا ويثوب إلى عقله إلى أن أَخْبره بسبِّها إياه وشتمِها له ، فقال وهو غيرُ مكترثٍ لما حكاه عنها :

تمر الصَّبا صفحاً بساكنِ ذى الغَضَى ويَصْدَع قلبى أن يَهُبَّ هُبُوبُها
إذا هبَّتِ الريح الشَّمالُ فإنَّما جَوايَ بما يُهدِى إلى جَنُوبُها
قريبةُ عهدٍ بالحبيبِ وإنما هوى كلِّ نفسٍ حيث حَلَّ حبيبها
وحَسْبُ الليالى إن طَرَحْنكَ مَطْرَحا بدار قِلًى تُمْسِى وأنت غَرِيبُها
حلالٌ لليلى شَتْمُنا وانتقاصنا هنيئا ومغفورا لليلى ذُنوبها

وقال المجنون :

كأن لم تكن ليلى تَزارُ بذى الأَثْلِ وبالسّدر[1] من أجزاع ودَّانَ والنخلِ

(١) وبالجزع (أغانى) والجزع : منقطع الوادى .

صديقٌ لنا فيما نرى غــيرَ أنهــا ترى أن حُبِّي قد أحلّ لها قتلى

خرج رجلٌ إلى ناحيةِ الشام والحجازِ وما يلى تيماءَ والسَّراةَ وأرضَ نجد فى طَلَبِ بُغْيَةٍ له ، وإذا هو بخَيْمَةٍ قد رُفِعَتْ له ، وقد أصابه المطرُ ، فمدَلَ إليها وتنحنح ، وإذا امرأة قد كَلَّمَتْه وقالت له : انزِلْ فنزَلَ وراحتْ إبلُهم وغنَمُهم فإذا أمرٌ عظيمٌ فقالت : سلوا هذا الرجلَ من أين أقبل؟ قال : فقلتُ : من ناحيةِ نَجْد وتِهامة فقالت : أدخُلْ أيها الرجلُ ، فدخلتُ إلى ناحية من الخَيمة فأرْخَتْ بينى وبينها سترًا ؛ ثم قالت لى : يا عبدَ الله أيَّ بلاد نجدٍ وَطِئْت ؟ فقلت : كُلّها قالت : فبمن نزلت هناك ؟ قلت : ببنى عامرٍ فتنفستِ الصُّعَداءَ ثم قالت : فبأىٍّ بنى عامر نزلت ؟ قلت : ببنى الحَرِيش ، فاستعبرت ثم قالت : هل سمعتَ بذكرِ فـتًى منهم يقال له قَيْسُ بنُ المُلَوّح ويلقبُ بالمجنون ؟ فقلت : بلى والله ، وعلى أبيه نزلت ، ولقد نظرت إليه يهيم فى تلك الفيافى ، ويكون مع الوَحْشِ لا يَعْقِلُ ولا يَفْهَم إلا أن تُذْكَرَ امرأةٌ يقال لها ليلى . فيبكى ، ويُنْشِد أشعارا فيها ، قال : فرفَعَتِ الستر بينى وبينها فإذا فِلْقَةُ قمر لم ترَ عينى مِثْلَها ، فبكت حتى ظننت أن قلبها قد انصدع ، فقلت : أيتها المرأة اتَّقِى الله ، فما قلتُ بأسا ، فمـكثت طويلا على تلك الحال من البكاء ثم قالت :

ألا ليتَ شعرى والخطوبُ كثيرةٌ متى رَحْلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌّ فراجــعُ
بنفسىَ من لا يَسْتَقِــلُّ برحْلِه ومن هو إن لم يَحْفَظِ اللهُ ضائـــع

ثم بكت حتى سقَطَتْ مغشيا عليها ، فقلت لها : من أنت يا أمة الله ؟ وما قصتك؟ قالت أنا ليلى صاحِبَتُه المشئومةُ عليه ، غيرُ المواسيةِ له ، فما رأيت مِثْلَ حُزْنِها ووَجْدِها عليه .

رُوِىَ أن شيخا من بنى مُرَّة قال : خرجتُ إلى أرض بنى عامر لألْقَى المجنون فدَلُّونى على فـتًى من الحى صديقِ المجنونِ وقالوا : إنه لا يأْنَس إلا به ، ولا يأخذ أشعارَه عنه غَيْرُه فأتيتهُ فسألته أن يَدُلَّـنِى عليه ، فقال : إن كنت تريد شِعْرَه فـكلٌّ

شِعْرٍ قاله إلَى أمسِ عندى ، وأنا ذاهبٌ عليه غدا ، فإن كان قال شيئا أتيْتُك به ، فقلت : بل تدُلّنى عليه . فقال : أطلبْه فى هذه الصحارى ، فإذا رأيته فادن منه مستَأْنِسًا ولا تُرِه أنك تهابُه فإنه يتَهَدَّدُك ويتوعّدُك أنه يرميك بشىء فلا يروعنك واجلس صارفا بَصَرَك عنه والْحَظه أحيانا فإذا رأيتَه قد سكن من نِفاره ، فأنشده شعراً غزِلًا فإن كنت تروى شيئًا من شعر قيس بن ذَرِيح فأنشده إياه ، فإنه مُعْجَبٌ به . فطلبْتُه يَوْمِى إلى العصر فوجدته جالسا على رَمْلٍ ، قد خَطّ فيه بأصبعه خطوطا ، فدنوت منه غيرَ مُنْقَبِض ، فنفر منى نفورَ الوحش من الإنْسِ وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجَرًا وأعْرَضْتُ عنه فمكثَ ساعةً كأنه نافرٌ يريد القيامَ ، فلما طال جُلُوسى سَكَن وأقبلَ يخطُّ بأصبعه ، فأقبلت عليه وقلت له : أحسن قَيْسُ بن ذَرِيح حيث يقول :

ألا يا غراب البين ويْحَكَ نبنى ... بعلمك فى لبنى فأنت خبيرُ

فإن كنت لم تُخبر بشىءٍ علِمْتَه ... فلا طِرْتَ إلا والجناحُ كسيرُ

ودُرْتَ بأعداءِ حبيبُك فيهم ... كما قد تَرانى بالحبيب أدُورُ

فأقبل علىّ وهو يبكى وقال : أحسنَ واللهِ ، وأنا أحسنُ منه قولًا حيث أقول :

كأن القلبَ ليلةَ قيل يُغْدَى ... بليلَى العامريَّةِ أو يُراحُ

قطاة عزَّهَا شركٌ فباتت ... تُجاذِبُه وقد عَلِقَ الجناحُ

فلا بالليل نالت ما تمنت ... ولا فى الصبح كان لها بَراحُ

قال : فأمسكتُ عنه هُنيهةً ثم أقبلت عليه ، فقلت : أحسن قيْس بن ذَرِيح حيث يقول :

وإنى لمُغْنٍ دَمْعَ عينىَ بالبكا ... حِذاراً لِماَ قد كان أوْ هو كائنُ

وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ ... فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائنُ

وما كنتُ أخشى أن تكون مَنِيَّتى ... بكَفَّيْك إلا أن ما حان حائنُ

قال : فبكى حتى ظننت أن نفسه فاضت ورأيت دموعه قد بَلَّت الرملَ الذى بين يديه ثم قال : أحسن لعمرُ الله ، وأنا أشعر منه حيث أقول :

وأَدْنيْتِنِي حتى إذا ما سَبَيْتِنِي ... بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأباطحِ
تناءَيْتِ عـنِّى حين لا لى حِيلةٌ ... وخَلَّفْتِ ما خلّفتِ بين الجوانحِ

ثم سَنَحَتْ له ظبيةٌ فوثب يعدو خلفها ، حتى غاب عـنّى ، وانصرفتُ وعُدت من غدٍ فطلبتُه فلم أجده ، وجاءت امرأةٌ كانت تضعُ له الطعامَ فنظرَتْ إلى الطعام فوجدَتْه بحاله ، فلما كان فى اليوم الثالثِ غدوتُ وجاء أهلُه معى فطلبناه يومَنا فـلم نَجِدْه وغدَوْنا فى اليوم الرابع نستقرى أَثَرَه ، فوجدناه فى وادٍ كثيرِ الحجارةِ خَشِنٍ وهو مَيِّت بين تلك الحجارة ، فاحتمله أهلُه فغسّلوه وكفنوه ودفنوه ، فلم تبق فتاةٌ فى بنى جَعْدَةَ ولا بنى الحريشِ إلا خرجَتْ حاسرةً صارخةً عليـه تندُبُـه ، واجتمع فتيانُ الحىّ يبكون أحرّ بكاء وينشِجون أشدَّ نَشِيج وحضرهم حىُّ ليلى مُعزِّين وأبوها معهم فـكان أشدَّ القوم جزعا وبكاءً عليه ، وجعل يقول : ما علمتُ أن الأمر يبلغ كلَّ هذا ، ولـكنى كنت امرأً عربيا أخاف من العار وقُبْحِ الأُحدوثة ما يخافُه مِثْلى وزَوَّجْتُها وخرجَتْ عن يَدِى ، ولو علمت أن أمْرَه يجرى على مثل هذا ما أخْرَجْتُها عن يَدِه ولا حتملتُ ما كان علىَّ فى ذلك ، فما رُئِىَ يومٌ كان أكثر باكيا وباكية على مَيِّت منه يومئذ .

وروى أنهم بينا هم يُقلِّبُونه وهو ميت إذ وجدوا خرقة فيها مكتوب :

ألا أيها الشيخُ الذى ما بنا يَرْضَى ... شَقِيتَ ولا هُنِّيتَ من عَيْشِكَ الخفضا[1]
شَقِيتَ كما أَشْقَيْتَنِى وتركتَنِى ... أهيمُ مع الهُلّاكِ لا أَطْعَمُ الغَمْضا
كأن فؤادى فى مخاليبِ طائرٍ ... إذا ذُكِرَتْ ليلى تَشُدُّ بـه قَبْضا

(١) الغضا فى رواية .

كأن فِجاجَ الأرضِ حلقةُ خاتمٍ علىّ فما تزدادُ طُولاً ولا عَرْضَا

قال بعض القُشَيْرِيِّين : مررت بالمجنون وهو مشرف على واد [فى أيام الربيع وذاك قبل أن يختلط][1] وهو يتغنى بشعرٍ لم أفْهَمْهُ فصحتُ به : يا قيسُ أما تَشْغلك ليلى عن الطرب والغناء فتنفس نفساً ظننت أن حيازيمه [قد انقدّت ثم قال][1] :

وما أُشْرِفُ الأيفاعَ إلا صَبابةً ولا أُنْشِدُ الأشعارَ إلا تداويا

وقد يجمعُ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ بعد ما يَظنانِ كلَّ الظنِّ ألا تلاقيا

لحى الله أقواماً يقولون إنّني وجدتُ طوالَ الدَّهرِ للحبِّ شافيا

اجتاز قيسُ بنُ ذَريحٍ بالمجنونِ ، وهو جالس وحده فى نادى قومه ، كان كلٌّ واحد منهما مشتاقا إلى لقاء الآخر ، وكان المجنونُ قبل تَوَحُّشِه لا يجلس إلا منفردا ، ولا يُحَدِّثَ أحداً ، ولا يرد على متكلم جوابا ، ولا على مُسَلِّم سلاما ، فسلَّمَ عليه قيسُ بن ذريح ، فلم يَرُدَّ عليه السلام ، فقال له : يا أخى أنا قيسُ بن ذريح فوثب إليه فعانقه ، وقال : مرحبا بك يا أخى أنا والله مذهوبٌ به مُشْتَرَكُ اللُّبِّ ، فلا تلمنى فتحدثا ساعة وتشاكيا وبكيا ، ثم قال له المجنون : يا أخى إن حىَّ ليلى منا قريب فهل لك أن تمضى إليها وتُبَلِّغها عنى السلام، فقال : أفعل ، فمضى قيسُ بن ذَريحٍ حتى أتى ليلى ، فسلَّم وانتسب ، فقالت له : حيَّاكَ الله ، أَلَكَ حاجة ؟ قال : نعم ، إن ابنَ عمِّك أرسلنى إليك ، فأطرقت ، وقالت : ما كنتَ أهلا للتحية لو علمتُ أنك جئت رسوله قل له : عنّى أرأيتَ قولك :

أبت ليلةٌ بالغَيْلِ يا أمَّ مالكٍ لكُم غيرَ حُبٍّ صادقٍ ليس يكذبُ

ألا إنما أبقيتِ يا أمَّ مالكٍ صَدًى أينما تذهبْ به الريحُ يذهَبُ

أخبرنى عن لَيْلَةِ الغَيْل ، أىَّ ليلة هى ؟ وهل خلوت معك قَطُّ فى الغَيْل أو

---

(١) ما بين الأقواس غير ظاهر بالأصل وهو عن الأغانى .

غيره ليلاً أو نهاراً ؟ فقال لها قيس : يابنةَ عمّ إن الناسَ تأوّلوا قولَه على غير ما أراد فلا تـكونى منهم ، إنما أَخْبَرَ أنه رآكِ ليلة الغَيْلِ ، فذهبْتِ بقَلْبه لا أنه عَنا السُّوءَ ، قال : فأطرقت طويلاً ودموعها تجرى ، وهى تُـكَفْـكفها ثم انْتَحَبَتْ حتى قلت : تَقَطَّعَتْ حيازيمها ، ثم قالت : اقرأ ابنَ عمى السلام ، وقل له : بنفسِيَ أنت والله إن وَجْدِي بك لفَوْقَ ما تَجِدُ ، ولـكن لا حيلة لى فيك ، فانصرف قيسٌ إليه ليخبره فلم يجده .

مر المجنونُ بعد اختلاطِه بليلى تمشِى فى ظاهرِ البيوتِ بعد فَقْدِها طويل فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشيّا عليه ، فانصرفَتْ خوفا من أهلها أن يلْقَوْها عنده ، فمـكث مليا فلما أفاق قال :

بكى فرحاً بليـــلى إذْ رآها ... محبٌّ لا يرى حَسَناً سواها
لقد ظَفِرَتْ يداه ونال مُلـكاً ... لئن كانتْ تراه كما يراها

قيس بن الخطيم (١)

هو قَيْسُ بن الخطيم بن عَدِيّ بن عمرو بن سُود بن ظَفَر ، وكنيته أبو يزيد .

أنشد ابنُ أبي عَتِيق قولَ قيس بن الخطيم :

بين شُكُولِ النساءِ خِلْقَتُها حَذْواً (٢) فلا جَبْلَةٌ (٣) ولا قَضَفُ (٤)

فقال : لولا أن أبا يَزيد قال : حَذْوًا ما درَى الناسُ كيف يَحْشُون هذا الموضع .

حدَّث أبو عبيدةَ محمدُ بنُ عَمَّارِ بنِ ياسِر ، وكان عالما بحديث الأنصارِ قال : كان من حديثِ قيسِ بن الخطيمِ أن جَدَّه عديَّ بن عمرو قَتَله رجلٌ من بني عمرو ابن عامرِ بنِ ربيعةَ بنِ عامر بن صَعْصَعةَ . يقالُ له : مالكٌ ، وقتل أباه الخطيمَ بنَ عديّ رجلٌ من بنى حارثةَ بنِ الحارثِ بنِ الخزرج يقال له : مالكٌ اغتاله فقتَله وقيل : إن الخطيم قتله رجلٌ من عبدِ القيسِ ممن يَسْكُن هَجَرَ ، وكان قيسٌ يوم قُتِل ، صغيراً ، وقُتِلَ الخطيمُ قبل أن يَثْأَرَ بأبيه عديٍّ فخشيتْ أمُّ قيسٍ على ابنها أن يخرجَ فيطلبَ بثأر أبيه وجدِّه فيَهْلِكَ ، فعمَدت إلى كومِ ترابٍ عند باب دارهم فوضعتْ عليها أحجاراً وقالت لقيس : هذا قبرُ أبيك وجدِّك ، فكان قَيْسٌ لايشكُّ فى ذلك ، ونشأ أَيِّداً ، شديدَ الساعدين ، فنازع يوما فتًى من فتيانِ بنى ظفر فقال له ذلك الفَتَى : لو جعلتَ شدَّةَ ساعديْك على قاتِلَيْ أبيك وجَدِّك لكان خيراً من أن تُخْرِجَهُما علىّ . قال : ومن قاتلُ أبي وجدّى : قال : سَلْ أمّك تُخْبِرْك ، فأخذ السيفَ فوضع قائمه على الأرض وذُبَابَه بين ثَدْيَيْه وقال : لأمه : أخبريني من

---

(١) أغانى دار الكتب ٣ : ١ ـ تجريد ٣٠٧ ـ المهذب ١/ ١٢٠

(٢) الحذو : التقدير .

(٣) جبلة (أغانى) والجبلة : الغليظة . وأما الجثلة فهى الضخمة .

(٤) القضف : دقة اللحم .

قَتَلَ أبى وجدّى قالت : ماتا كما يموتُ الناسُ ، وهذان قبراهما بالفِناء . قال : والله لتُخْبِرِينى من قَتَلهما أو لأَتحامَلَنَّ على السيف حتى يخرجُ من ظهرى . قالت : أمّا جدّك فقتَله رجل من بنى عمرِو بن عامرِ بن ربيعة ، يقال له : مالك . وأمّا أبوك فقتَله رجلٌ من عبدِ القيسِ ممن يَسْكُن هَجَرَ . فقال : والله لا أنتهى حتى أقتلَ قاتلَ أبى وجدّى . فقالت : يابنىّ إنّ مالكا قاتلَ جدِّك من قوم خِداش بن زهير ، ولأبيك عند خداش نعمةٌ هو لها شاكرٌ فأْتِه فاستَشِرْه فى أمرك واستعِنْه يُعِنْك ، فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناضحة ، وهو يسقى نخلَه ، فضرب الجريرَ ، بالسيفِ فقطَعه ، فسقطت الدلْوُ فى البئرِ وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غِرارَتين من تمرٍ وقال : من يكفينى هذه العجوز ؟ يعنى أمه ، فإن مِتُّ أنفق عليها من هذا الحائط[1] حتى تموتَ ثم هو له ، وإن عشتُ فمالى عائد إلىّ ، وله منه ما شاء أن يأكلَ من تمرِه ، فقال رجل من قومه : أنا لها ، ومات فى منزلته فدفناه هناك وقبره معروف .

---

(١) الحائط : البستان .

مرّة بن محكان[1]

أحدُ بنى سَعْد بن زيدِ مناةَ بن تميم ، شاعرٌ إسلامِىٌّ مُقِلٌّ من شعراء الدولةِ الأمويةِ فى عصر جريرٍ والفرزدقِ فأخْمَلا ذِكْرَه لنباهَتِهما ، كان مُرَّةُ شريفاً جواداً وهوأحدُ من حُبِسَ فىالفخر والإطعامِ ، وكان أبوالنكراء يوائمه فىالشَّرْفِ وهماجميعا من بنى الربيع ، فأنهبَ مُرّةُ بنمحكان مالَه الناس فحبسه زيادٌ ، فقال فىذلكالأبيردُ :

حَبَسْتَ كريمـا أن يجودَ بمالِـه ... سَعَى فى ثَأَى من قومِه متفاقمِ
كأنّ دماءَ القومِ إذ عَلِقوا به ... على مُكْفَهِرٍّ من ثنايا المخارمِ
فإنأنت عاقبت ابنمحكانَ فى النَّدَى ... فعاقِبْ نجاكَ اللهُ أعْظَمَ حاتمِ

فأطلقَه زيادُ فذبح أبو النكراء مائةَ شاةٍ فنحَر مُرَّةُ بن محكان مائةَ بعير ، فقال بعض شعراء بنى تميم يمدح مُرَّة :

شَرَى مائـةً فانهبها جَوادٌ ... وأنت تُناهِبُ الحُذُفَ القِهادَا

الحُذُف : صغار الغنم ، والقِهاد : البيض .

كان الضيف إذا نزل بالعربِ فى الجاهليةِ ضمّوا إليهم رَحْلَه ، وتركوا سِلاحَه معه خوفاً من البيات والغارة ، فقال مرّة بن محكان يخاطب امْرَأتَه ، ويعرضُ أنّ ضيفانَه عنده فى أَمْنٍ من البيات والغارة وفى عِزٍّ ، فليسوا ممن يَحتاجُ إلى أن يبيت سلاحُهم معهم فقال :

ياربة القومِ قومى غـيرَ صاغرةٍ ... ضُمِّى إليك رحَالَ القـوم والقرَبا
فى ليـلة من جُمادى ذات أنديةٍ ... لايُبْصِرُ الكلبُ من ظَلْمائها الطُّنُبا
لا ينبح الكلبُ فيها غير واحدةٍ ... حتى يَلُفَّ على خيشومه الذَّنبا

وكان مصعبُ بن الزبير قد حَبَسه ودسَّ إليه من قتَلَه .

---

(١) أغانى ٢٠ : ٩ مهذب ٥/٢٩

محمد بنُ عبدِ الملك الزيات

هو محمدُ بنُ عبد الملك بن أبانَ بن أبى حَمْزة الزيات، وكنيته أبو جعفر، وأصله من حبل جبَّل[2]. وكان أبوه تاجراً من تُجَّارِ الكَرْخ المياسير، وكان يَحُثُّه على التجارة وملازمتها فيأبى إلا الكتابةَ، وطلبها، وقصدَ المعاليَ حتى بلَغَ منها إلى أن وَزَرَ ثلاثَ دفعاتٍ، وهو أول من تولَّى ذلك وتمّ له، وكان شاعرا مُجيدا، لا يقاس به أحدٌ من الكتاب، وإن كان إبراهيمُ بنُ العباسِ مِثْلَه فى ذلك، فإن إبراهيم مُقِلٌّ وصاحبُ قِصارٍ ومُقَطَّعَاتٍ، وكان محمدٌ يطيلُ فيجيدُ ويأتى القصارَ فيجيدُ، وكان بليغا حَسَنَ اللفظِ إذا تكلَّمَ وإذا كتبَ.

قال عمرُ بن محمد بن عبد الملك: كان جدِّى موسراً من تُجَّارِ الكَرْخ، وكان يريد من أبى أن يتملَّقَ بالتجارةِ ويتشاغلَ بها، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدب وطلبه ويخالطُ الكتَّابَ ويلازمُ الدواوين، فقال له ذات يوم: والله ما أرَى ما أنت ملازِمُه يَنْفَعُك وليضرَّنَّك لأنك تدعُ عاجل المنفعةِ، وما أنت فيه مَكْفِيٌّ، ولك ولأبيك فيه جاهٌ ومالٌ، وتطلب الأجلَ الذى لا تدرى كيف تكونُ فيه، فقال له محمد: والله لتَعْلَمَنَّ أينا يَنْتفعُ بما هو فيه أنا أم أنت. ثم شخص إلى الحسنِ بن سهلٍ فامتدحه بقصيدته التى منها:

كأنها حين تناءى شخصها أخنسُ مَوشِيُّ الشَّوىَّ يرعى القُلَلْ
إلى الأمير الحسنِ استحْدَثتها أى مرارٍ ومُناخ وَمَحَلْ
سيفُ أمير المؤمنين المُنْتَضَى وحِصْنُ ذى الرياسَتَيْنِ المعتقلْ

---

(١) الأغانى أميرى ٢٠ : ٤٦ ـ تاريخ بغداد ٢/ ٣٤٢ ـ وفيات الأعيان ٤/ ١٨٢

(٢) جبل: بليدة على جانب دجلة من الجانب الشرقى بين النعمانية وواسط (مراصد الاطلاع).

آباؤُك الغُرُّ الأُلَى جَدُّهُم كسرى أنو شروانَ والناسُ هَمَلْ
من كل ذى تاج إذا قال مَضَى كلُّ الذى قال وإنْ هَمَّ فعَلْ
فأين لا أيْنَ وأَنَّى مثلُكم وأنتمُ الأملاكُ والناسُ خَوَلْ

فأمر له بعشْرةِ آلافِ دِرْهَمٍ فعاد بها إلى أبيه . فقال له أبوه: لاألُومُك بعد هذا على ما أنتَ فيه. وقيل: إنه لما مَدَحه وأجازه مَثَلَ بين يديه وقال له :

لم أمْتَدِحْك رجاء المالِ أطْلُبُه لكن لتُلْبِسَنى التحْجيلَ والغُرَرَا
وليس ذلك إلا أننى رجلٌ لا أطلب الوِرْدَ حتى أعْرِفَ الصدَرا

مرض الواثقُ مرضا شديدا خِيفَ عليه منه ، ودخل إليه الناس على طَبَقاتِهم ، فدخل إليه الحسنُ بن سهل عائداً ، ومحمدُ بنُ عبدِ الملك الزياتِ وزيرُه يومئذ ، والحسن بنُ سَهْلٍ مُتَمَطِّلٌ فجعل الحسنُ بن سهل يتكلم فى العِلّةِ وعلاجِها وما يصْلِحُ للواثق من الأدوية والعلاجِ والغذاءِ أحسنَ كلام ، فحسده محمدُ بن عبد الملك الزيات، وقال له : من أين لك هذا العِلْمُ يا أبا محمد ؟ فقال : إنى كنتُ استَصْحَبْتُ من أهل كل صناعةٍ رؤساءَ أهْلِها ، وأتَعَلَّمُ منهم ، ثم لا أَرْضَى إلا ببلوغ الغاية ، فقال له محمد ابن عبد الملك ، وكان حسودا : ومتى كان ذلك ؟ فقال له فى زمان قلت فىّ :

فأين لا أَيْنَ وأنى مثلكم وأنتم الأملاكُ والناسُ خَوَلْ

فأطرق محمدٌ وخَجِلَ وعدَلَ عن الجواب .

قال هارونُ بن محمد بن عبد الملك : جلس أبي يوما المظالم فلما انْفضَّ المجلس رأى رجلا جالسا ، فقال : ألك حاجة ؟ قال : نَعَمْ تُدْنِينى إليك فإنى مظلوم ، فأدناه ، فقال : إنى مظلومٌ وقد أعْوَزَنى الإنصافُ ، قال : ومن ظلمك ؟ قال : أنت ، ولستُ أَصِلُ إليك فأذْكُرُ حاجتى قال : ومن يَحْجُبُك عنى وقد ترى مجلسى مبذولا ؟ قال : حجَبَنى عنك هَيْبَتُك وطولُ لسانِك وفصاحَتُك واطرادُ حُجَّتِك . قال : ففيم

ظلمتك ؟ قال : ضَيْعَـتِى الفلانيةُ أخذها وَكيلُك غَصْبا بلا ثمن ، فإذا وجب عليك خراجُ أدَّى باسمى لئلا يَثْبُتَ لك اسمٌ فى مِلْـكِها فيبطلَ مِلْـكِى ، فوكيلك يأخذُ غَلَّتَها وأنا أؤدى خَراجَها ، وهذا ما لا يُسْمَع فى الظُّلْمِ بمثله ، فقال له محمد هذا قولٌ يحتاجُ عليه إلى بَيِّنةٍ وشهودٍ وأشياء. فقال له يؤَمِّنُـنِى الوزيرُ من غَضَبه حتى أجيبَ، قال : قد أمنتك. قال: البينةُ إذا شهدوا فليس يحتاجُ معهم إلى شىء ، فما قولك بينةٌ وشهودٌ ، وأما أشياء فايشْ هذه الأشياء إلا العِىُّ والتَّغَطْرُشُ فضحك . وقال : صدقت : والبلاء مُوَكَّلٌ بالمنطقِ وإنى لا أرى فيك مُصْطَنَعا ثم وَقَّع له بِردِّ ضَيْعَتِه وصيَّره من أصحابه واصطنعه .

لما وثَبَ إبراهيمُ بن المهدىِّ على الخلافةِ اقْتَرَض من مَياسير الـكَرْخ التجارِ مالا وأخذَ من عبدِ الملك الزياتِ عَشْرةَ آلافِ دينار وقال : أنا أردُّها إليك إذا جاءنى مالٌ ولم يَتِمَّ أمره فاستخْفى ، ثم ظَهَر ورَضِى عنه المأمون ، وطالَبَه الناسُ بأموالهم فقال : إنما أخذتُها للمسلمين وأردتُ قضاءها مِن فَيْئِهم ، والأمر فيها الآنَ إلى غيرى، فعمل وَلَدُه محمدُ بن عبد الملك قصيدةً يخاطب فيها المأمونَ ، ومضى بها إلى إبراهيم ابن المهدى فأراه إياها ، وقال : والله لئن لم تُعْطِنا المالَ الذى اقْـتَرَضْتَه من أبى لأوَصِّلَنَّ هذه القصيدةَ إلى المأمون ، فخاف أن يقرأها المأمون فيتدَبَّر ما قاله فيُوقعَ به فقال : خذ مِنِّى بعضَ المال ونَجِّمْ علىَّ بَعْضَه ، ففعل ذلك بعد أن أحْلَفه إبراهيمُ بأوْكَدِ الأَيْمانِ ألا يُظهِرَ هذه القصيدةَ فى حياة المأمونِ ، ووفى له بذلك ووفَّاهُ إبراهيمُ المالَ . والقصيدة طويلة منها :

أَلم تر أن الشىءَ للشىءِ عِلَّةٌ ... يكون له كالنار تُقْدَحُ بالزَّنْدِ
كذلك جَرَّبْتُ الأمورَ وإنمـا ... يَدُلُّك ماقد كانَ قَبلُ على البُعدِ
وظنِّى بإبراهيمَ أنَّ مكانه ... سيبعثُ يوماً مثلَ أيامه النَّـكْدِ
رأيتَ حُسينا حين صار مُحَمَّدٌ ... بغير أمانٍ فى يَدَيْه ولا عَقْدِ

ولو كان أمضى السيفَ فيه بضَربةٍ يصير لها بالقاعِ مُنعفِرَ الخدِّ
إذا لم تكن للجند فيه بقيَّةٌ فقد كان ما خُبِّرْتَ من خبرِ الجُنْدِ
هم قتلوه بعد أن قتلوا به ثلاثين ألفاً من كهولٍ ومن مُرْدِ
وما نصروه من يدٍ سَلَفَتْ له وما قتلوه يوم ذاك على حِقْدِ
ولكنه الغدرُ الصُّراحُ وخِفَّةُ الحُلْـ ـوم وبُعْدُ الرأي عن سَنَنِ القَصْدِ
فذلك يومٌ كان للناس عِبْرَةً سيبقى بقاءَ الوَحْىِ فى الحَجَرِ الصَّلْدِ
وما يومُ إبراهيمَ إن طال عُمْرُه بأبعدَ فى المكروه من يومه عندى
تَذَكَّر أمير المؤمنين مَقامَه وأيمانه فى الهزلِ منه وفى الجِدِّ
إذا هز أعوادَ المنابرِ باسْتِه تَغَنَّى بليلى أو بِمَيَّةَ أو هِنْدِ

منها:

ووالله ما من تَوْبَةٍ نَزَعَتْ به إليكَ ولا مَيْلٍ إليك ولا وُدِّ
ولكن إخلاصَ الضمير مُقَرِّبٌ إلى الله زُلْفَى لا تخيبُ ولا تُكْدِى
أتاك به طَوْعاً إليك بأنفه على رَغْمِه واستأثَرَ اللهُ بالحَمْدِ
فلا تتركنْ للناسِ موضعَ شُبْهَةٍ فإنك مَجْزِىٌّ بحَسْبِ الذى تُسْدِى
فقد غَلِطوا للناس فى نَصْبِ مِثْله ومن لَيْس للمنصورِ بابنٍ ولا المَهْدِى
فكيف بمن قد بايعَ الناسَ والتقت ببيعتِه الركبانُ غَوْراً إلى نَجْدِ
ومن صَكَّ تسليمُ الخلافةِ سَمْعَه يُنادَى به بَيْنَ السِماطَيْنِ من بُعْدِ
وأىّ امرىءٍ سَمَّى بها قَطُّ نَفْسَه ففارقها حتى يُغَيَّبَ فى اللحْدِ
وتَزْعُمُ هذى النَّابِتِيَّةُ أنه إمامٌ لها فيما تُسِرُّ وما تُبْدِى
يقولون سُنِّىٌّ وأيَّةُ سُنةٍ تقوم بجَوْنِ اللونِ صعد القفا جَعْدِ
وقد جعلوا رخْصَ الطعامِ بعَهْدِه زعيما له باليُمْنِ والكوكبِ السعدِ
إذا ما رَأَوا يوما غلاءً رَأَيْتَهم يَحِنُّونَ تحناناً إلى ذلك العقدِ

وإقبالُه فى الجُرْدِ يوجفُ حوله ... وجيفُ الجيادِ واصطكاكُ القنا الجُرْدِ
ورَجَّالَةٌ يمشون بالبيضِ قَبْلَه ... وقد تَبِعوه بالقضيبِ وبالبُرْدِ
فإن قلتُ قد رام الخلافةَ غيرُه ... فلم يُؤْتَ فيما كان حاولَ من جَدِّ
فلم أجزه إذ خَيَّبَ اللهُ سَعْيَه ... على خَطأٍ إذ كان منه ولا عَمْدِ
ولم أرضَ بعد العفو حتى رَفَعْتَه ... ولِلعَمُّ أولَى بالتَّغَمُّدِ والرفد
فليس سواءً خارجىٌّ رمى به ... إليك سَفَاهُ الرأى والرأىُ قد يُرْدِى
تعاوت له من كلِّ أوْبٍ عصابةٌ ... متى يُورِدُوا لا يُصْدِروه عن الوِرْدْ
ومن هو فى بيت الخلافةِ تَلْتقِى ... به وبك الآباءُ فى ذِروةِ المَجْد
فمولاك مولاهُ وجدك جدّه ... وهل يجمع القينُ الحسامَيْن فى غِمْدِ
وقد رابنى من أهل بَيْتك أنَّنِى ... رأيتُ لهم وَجْدا به أيَّما وَجْد
يقولون لا تَبْعَدْ من ابنِ مُلِمَّةٍ ... صبرت عليها النفس ذى مِرَّةٍ جَلْد
فَدَانَا وهانَتْ نفسُهُ دون مُلْكنا ... عليه لذى الحالِ التى قل مَنْ يُفْدى
على حين أعطى الناسَ صَفْوَاً كفهم ... علىّ بنُ موسى بالولايةِ والعهْدِ
فما كان فينا من أَبَى الضَّيْمَ غيرُه ... كريم كَفَى ما فى القبولِ وفى الرَّدِّ
وجرّد إبراهيمُ للموت نَفْسَه ... وأبدى سلاحا فوقَ ذى مَنْعَة نَهْدِ
وأبلى ومن يَبْلُغْ من الأمر جُهْدَه ... فليس بمذمومٍ وإن كان لم يُجْدِ
فهذى أمورٌ قد يخاف ذَوو النُّهى ... مَغَبَّتَها والله يَهْدِيك للرُّشْدِ

كان محمد بنُ عبدِ الملك يقول عن يحيى بن خاقان : هو مهزولُ الألفاظِ عليلُ المعانى ، سخيفُ العقلِ ضعيفُ العُقْدَةِ واهى العَزْمِ مأفونُ الرأى . ولما ولى مُحَمَّدُ ابنُ عبد الملك الوزارةَ اشترط ألا يلبسَ القباءَ وأن يلبس الدُّرَّاعةَ ويتقلدَ عليها سيفا بحمائل ، فأجيب إلى ذلك . وكان محمد بن عبد الملك يقول : الرحمةُ خَوَرٌ فى الطبيعةِ وضَعْفٌ فى المُنَّةِ وما رَحِمْتُ شيئاً قط فكانوا يطعنون عليه فى دِينِه بهذا

القول فلما وُضِعَ فى التَّنورِ الحديدِ قال : ارحمونى فقالوا له : وهل رَحِمْتَ شيئًا قَطّ فتُرْحَم ؟ هذه شهادَتُك على نَفْسك وحُكْمُك عليها وما رَضيتَ لها ، ألستَ القائل: الرحمةُ خورٌ فى الطبيعةِ وضَعْفٌ فى المُنَّة ؟

جاء ابن دنقش الحاجب برسالة من المُعْتصم إلى محمدِ بن عبد الملك ليَحْضر فدخل ليلبسَ قُمَاشه ورأى ابنُ دنقش الحاجبُ غلمانا له فقال : وهو يظن أنه لا يسمع :

وعَلَى اللُّواطِ فلا تَلُومَنْ كاتبا   إن اللواطَ سَجِيَّةُ الكُتَّابِ

فقال له محمد :

وكما اللــواطُ سَجِيَّة الـكتابِ   فـكذا الخلاقُ سَجِيَّةُ الحُجَّابِ

فاستحيا ابن دنقش واعتذر إليه ، فقال : إنما يقعُ العُذْر لو لم يقَعْ الاقتصاصُ فأما الآن وقد كافأتُـك فلا .

كان الحسن بن وَهْبٍ تَعجَّبَ من جَوْدة قول محمد بن عبد الملك يرثى سَكْرانة أم ابنه عمر :

يقولُ لى الخــلَّانُ لو زرتَ قبرها   فقلت وهل غيرُ الفؤادِ لهــا قَبْرُ

على حين لم أَحْدُث فأجْهَل فَقْدَها   ولم أبلغ السنّ التى معها الصَّبْرُ

استبطأ عبدُ الله بنُ طاهر محمدَ بن عبد الملك فى بعض أموره ، واتهمه بعدُوله عن شيء أرادَه إلى سواه ، فـكتب إليه محمد يعتذر عن ذلك وكتب فى آخر كتابه :

أتزعم أننى أهْوى خليلاً   سواكَ على التدانى والبعادِ

جحدتُ إذاً موالاتى عَليًّا   وقلت بأننى مَوْلَى زيادِ

كان عبدُ الله بنُ الحسن الأَصبهانى يخلفُ عَمْرو بن مَسْعدة على ديوانِ الرسائل ، فـكتب إلى خالد بن يزيد بن مزيد أن المعتصمَ أميرَ المؤمنين يَنفُخُ منك فى غَيْرِ فَحْم ، ويخاطب امْرَأً غيرَ ذى فهم ، فقال محمد بن عبد الملك : هــذا كلام سخيفٌ ساقطٌ

جعلَ أميرَ المؤمنين ينفخُ بالزِّقِّ كأنه حدّاد ، فأبْطَل الكتاب ، ثم كتب محمدُ بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر : وأنت تُجْرِى أمْرَك على الأرْبَحِ فالأرْبَحِ والأرْجَحِ فالأرْجحِ فلا تسْمَى بنُقصان ولا تميلُ برُجْحان. فقال عبد الله الأصْبهانى : الحمد لله الذى أظهرَ من سخافةِ اللفظِ مادل على رُجوعِه إلى صناعتِه من التجارة ، بذِكْر ربح السِّلَع ورُجْحانِ الأوزانِ ونُقصان الكيلْ والخسرانِ من رأس المال ، فضحك المعتصمُ وقال : ما أسرع ما انْتَصَفَ الأصبهانىُّ من محمد فحَقَدَها عليه ابنُ الزيات حتى نكبه :

قال المبرد : نظرَ رجلٌ كان يمادى يونسَ النحوىَّ إليه يتهادَى بين اثنين من الكِبَر فقال له : يا أبا عبد الرحمن أبلغْتَ ما أرى ؟ فعلم يونس أنه إنما قال ذلك شامِتاً فقال : هذا الذى كنتُ أرجو فلا بلغته فأخذه محمد بن عبد الملك فجعله فى شِعْره فقال :

وعائبٍ عابنى بشَيْبٍ ... لم يَعْدُ لما أَلَمّ وَقْتَه
فقلت إذ عابنى بشَيْبى ... يا عائبَ الشَّيْب لا بَلَغْتَه

لما شخص أبو الحسين بن أبى البَغْل إلى بغداد للوزارةِ وصَدَرَ عنها وبطل ذلك قال : لله درُّ محمدِ بن عبد الملك الزيات حيث يقول :

ما أعْجَبَ الشىءَ ترجوه فتُحْرَمه ... قد كنتُ أحسب أنى قد مَلأْتُ يدى

والبيت الأول :

مالى إذا غِبْتُ لم أُذْكَرْ بصالحةٍ ... وإن مرضت وطال السُّقْمُ لم أُعَدِ

قال عبد الله بن العباس بن الفَضْل الربيعىُّ : وصفنى محمدُ بنُ عبدِ الملك الزيات للمعتصم فقال : ليس له نظير فى مَلاحَةِ الشِّعْرِ والغناء والعِلْمِ بأمور المُلْكِ فلقيته فشكرته ، وقلت له : جعلتُ فداءك أتَصِفُ شعرى وتُقَرِّظُه وأنت القائل :

ألم تعجبْ لمكتئبٍ حزين ... [خديم صبابة وحليف صبر]
[يقول إذا سألت به بخير ... وكيف يكون مهجور بخير][1]

(١) غير واضحة بالأصل وما بين القوسين عن الأغانى .

قال : فأين هذا من قولك :

يقول لى كيف أصبحْـ ت كيفَ يُصْبِـحُ مِثْلِى

ماء ولا كصداء ومرْعَى ولا كالسعدان .

لقى الـكتنجى محمدَ بنَ عبدِ الملك فسلم عليه فلم يُجِبْه فقال :

هـــذا وأنت ابنُ زيّاتٍ تُصَغِّرُنا فـكيف لو كنتَ ياهذا ابنَ عطّارِ

فبلغ ذلك محمدا فقال : كيف يُنْتَصَفُ من ساقطٍ أحمقَ ، وَضْعُه رَفْعُـه وعقابُـه ثَوابُـه !

قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه : ما أخّرَكَ عنا ؟ قال : موتُ أخى . قال : بأى عِلّة قال : عضت أصْبَعَه فأرةٌ فضرَبَتْه الحُمْرَة . فقال محمد : ما يرد القيامةَ شهيدٌ أخس سببا ولا أنذل قاتلا ولا أضيع مِيتةً ولا أظرفُ قِتْلَةً من أخيك .

كان محمدُ بنُ عبد الملك يمادى أحمدَ ابن أبى دواد ويهجوه ، وكان أحمدُ يجمع الشعراء ويحرضهم على هجائه ويَصِلُهم ، ثم قال فيه أحمدُ بيتين كانا أجود ما هَجَا به وهما :

أحْسَنُ من خمسين بيتا سُدًى جمْعُـــك إياهُنّ فى بَيْتِ

ما أحــوجَ الملك إلى مطرةٍ تَغْسِلُ عنه وَضَرَ الزيتِ (١)

وكان ابن أبى دُواد يقول : ليس أحدٌ من العرب إلاوهو يَقدِر على قولِ الشعرِ، طَبْعٌ رُكِّبَ فيهم قلّ قوْلُه أو كَثُر .

لما أنشد أبو تمام محمدَ بن عبد الملك قصيدته :

* لهانَ عليها أن نقول وتَفْعلَا *

فأثابَـه عليها ووَقَّـع إليْه :

رأيتُك سَهْـلَ البيع سَمْحًا وإنّما يُغالِى إذا ما ضَنّ بالشىء بائِعُه

(١) ما أحوج الناس . . . تغسل عنهم (أغانى) .

فأما الذى هانَتْ بضائعُ بَيْعِــه ... فيوشكُ أن تَبْـقَى عليه بَضائِعُـه
هو الماء إن أجْمَمْتَه طاب وِرْدُه ... ويفسدُ منــه أن تُباح شرائِعه

فأجابه أبو تمام :

أباجعفرٍ إن كنتُ أصبحتُ شاعرا ... أسامحُ فى بَيْعى له منْ أبايِعُه
فقد كنتَ قبلى شــاعرا تاجراً به ... تُساهِلُ من عادَتْ عليك منافِعُه
فصرتَ وزيراً والوزارة مَـكْرَعٌ ... يَغَصُّ بــه بعد اللذاذةِ كارِعه
وكم من وزيرٍ قد رأينــا مُسَلَّطٍ ... فعاد وقد سُدَّتْ عليــه مَطالِعُه
ولله قـــوسٌ لا تطيشُ سِهامُها ... ولله سيفٌ لا تُفَـلُّ مقاطِعُه

اجتاز بديعٌ غلامُ عُمَرَ المأمونىِّ بمحمدِ بن عبد الملك الزيات ، وكان أحسنَ خَلْقِ الله وجْهًا ، وكان محمد يُجَنُّ به جنونا ، فقال فيه محمد بن عبد الملك :

راح علينــا راكبا طِرْفَه ... أغيدُ مثــلُ الرَّشأِ الآنسِ
قد لبس القُرْطَقَ واستمسكت ... كفَّاه من ذى يَزَنٍ يابسِ
وقلد السيفَ على غُنْجِه ... كأنــه فى وَقْعَةِ الداحسِ
أقول لمــا أن بــدا مُقْبِـلًا ... ياليتنى فارسُ ذا الفارسِ

استسقى الحسنُ بن وهب من محمد بن عبدِ الملك نبيذا ببلدِ الرومِ مع المعتصمِ فسقاه وكتب إليه :

لم تلق مثلى صاحباً ... أندى يــداً وأعَمَّ جودا
يَسْقِى النديمَ بقَفْرَةٍ ... لم يَسْقِ فيها المــاءَ عُودا
صفراءَ صافيةً كــأنَّ ... بكأسها دُرًّا نَضيدا
وأجودُ حــين أجودُ لا ... حَصِرًا بذاك ولا بَليدا
فإذا استقَلَّ بِشُرْبِهــا ... أوجبتُ بالشــكر المزيدا
خذها إليك كأنمــا ... كُسِيَت زجاجَتُها عقودا

واجمل عليـــك بأن تقو م بشـــكرها أبدا عهودا

دعا محمد بن عبد الملك الزيات قبل وزارته الحسنَ بن وهب فى آخِر أيام المأمون فجاءه ودخل خِمًّا له(١) وأقاما على لهوهما ثم طلب الحسن بن وهب لعمل احتيج إليه فمضى فبطل يومهم فكتب إليه الحسن :

سقياً لنضْرِ الوَجْه بَسَّامَهْ مُهَذَّبِ الأخْلَاقِ قَمْقَامَه(٢)
تكسبه الشكر على أنها مطبقةُ السِّنِّ لوَّامَه
زُرناهُ فى يَوْم علا قَدْرُه عن سائر الأيام فى عامه
أسعده اللهُ وأحْظَى به وجاده الغيثُ بإرْهامه(٣)
فكان مسرورا بنا باذِلا لرحْلِه الرَّحبِ وحمامِه
نخدم وهو لنا خادم بفَضْله من دون خُدّامه
ثم سقانا قهوة لم تدع أطيب منها لقرى شامه
صهباء دلتْنا على دِينه وحَدَّثَتْ عن ضعف إسلامه

فأجابه محمد بن عبد الملك :

يا زائرا لَذَّ لَنَا يَوْمُه لو ساعد الدهر بإتْمَامِهْ
ماذا لقينا من دَواوِينِه وخَطِّهِ فيها بأقْلَامِه
أسَرَّ ما كنا فمن مازجٍ أو شارب قد عَبّ فى جَامِهْ
فارقنا والعينُ مطروفةٌ بوا كفِ الدَّمْعِ وتَسْجَامِهْ
وجاد بالمدحِ لنا مُنْعِما بــه إلى سالفِ إنعامِه
يشكر ما نال على أنه لا يشكر الحرّ لحمامه

(١) الخم : البستان لا أشجار فيه ولا ثمار .
(٢) القمقام : السيد الجامع للسيادة العظيم الخير .
(٣) يقال أرهمت السماء : أمطرت مطرا خفيفا دائما .

ليت وأنّ لى بها مُنيَةً ... لو كنت فيه بعضَ قُوامِه
أمسحه فيه وأدْنو له ... من خلفه طوراً وقدامه
جعلت نفسي جنة للصبا ... وبعت إسلامى بإسلامه
فصار ما يشرب حِلّا له ... وصرت مأخوذا بآثامه

قال محمدٌ الأحولُ : لما قُبِضَ على محمدِ بنِ عبد الملك الزياتِ تلَطَّفْتُ فى الوصول إليه فرأيته فى حديد مُثقل . فقلت أعزز علىّ بما أرى فقال :

سل ديارَ الحىِّ ما غيرها ... ومحاها ومحا مَنْظرهـا
وهى الدنيـا إذا ما انقلبت ... صيرت معروفهـا مُنْـكَرَها
إنما الدنيا كظل زائل ... نحمد الله كذا قدّرها

كان الواثقُ قد أصلحَ بين محمدِ بنِ عبد الملك الزيات وبين أحمد بن أبى دؤاد ، وجعل ابنُ أبى دؤاد يخْلُو بالواثق ويُغْريه به حتى قَبَضَ عليه ، وكان فيما بَلَغَه عنه أنه يريد الفَتْكَ به والتدبير عليه فقبضَ عليه الواثقُ ثم أطلقَه بعد مدة ، ثم وَرَدَ المتوكل وكان محمدُ بنُ عبد الملك أشادَ بابن الواثق وأشاد ابن أبى دؤاد بالمتوكل ، وقام وقعد فى أمْرِه حتى وَلِيَ وعمَّمَه بيدِه وألبسَه البُرْدَةَ وقبَّلَ بين عَيْنَيْه . وكان المتوكل قبل ذلك يدخل إلى محمد بن عبد الملك فى حياة الواثق فيشكو إليه جفاء الواثق فيتجهمه[1] محمد ويغلظ له الرّدَّ ، إلى أن قال له يوما مواجهةً : الا تعجبون لهذا العاصِّ كذا وكذا يعادِى أميرَ المؤمنين ثم يسألنى أن أُصْلِح له قَلْبَه ، اذْهَبْ ويلك فاصْطَنِعْ نفْسَك له حتى يُصْلِحَ ذلك قَلْبَه ، وكان موضع ذلك يحسن عند الواثِق ، ودخل عليه يوما وقد كان محمدٌ قال للواثق : إن جعفرا يدخل إلىّ وله

(١) تجهمه مثل جهمه : استقبله بوجه كريه .

شَعْرٌ وطُرَّةٌ مثلُ النساءِ ، وقد فضَحَك فأمره بأن يَحْلِقَها و يَضْرِبَ بشَعْرِها وجْهَه ، فلما دخل المتوكل على محمد بن عبد الملك فعل به ذلك فلما وَلِيَ الخلافة خشى أن يكن عاجلا أن يستر أسبابه فاستوزره وخلع عليه ، ودخل ابن أبى دؤادٍ يغريه به و يَجِدُ عنده لذلك موضعا واستماعا ، حتى قبض عليه وقتله ولم يجد له من أملاكه كلها من عَيْنٍ[1] وورق وأثاث وضيعة إلا ما قيمتُهُ نحو مائةِ ألف دينار ، فندم لذلك ولم يجد منه عِوَضاً ، وكان أمرُه مما يعتَدُّ به على أحمدَ بنِ أبى دؤادٍ . ويقول : أطمعتنى فى باطل ، وحَمَلْتَنِى على أمرٍ لم آخُذْ منه عِوَضاً ، ولما قبض عليه المتوكلُ اسْتُعْمِل له تَنُّور حديد ، وجُعِلَ فيه مساميرُ لا يَقْدِر معها أن يتحرَّك إلا دَخَلَتْ فى جسده ، ثم أحماه له وجعله فيه فكان يقول : ارحمونى ، فيقال له : أنت كنت تقولُ : مارحمتُ أحداً قط ، والرحمة خَوَرٌ فى الطبيعة ، وضَعْفٌ فى المُنَّةِ ، فاصبر على حُكْمِك ، واطَّلَعَ عليه عُبادةُ المُخَنَّث ، فقال له : أردتَ أن تَشْوِيَنِى فشَوَوْك ، وكان المتوكل أمَرَ عُبادة أن يدخل إليه ويُكايِدَه ، فجاءه فوقف بإزائِه وقال : اسمعْ يا محمدُ ، كان فى جيراننا حَفَّارٌ يحفر القبورَ فمرضَتْ مُخنثةٌ من جيرانِه ، وكانت صاحبتى ، فبادر فحفر قبرا طمعا فى الدراهم فبَرَأَتْ هى ومرض هو ، فدخلَت عليه صاحِبَتِى وهو فى النَّزْع فقالت : هِيهِ يا فلانُ ، حفرتَ لى قَبْرا وأنا فى عافيةٍ ، أو ما علمتَ أن من حَفَر بئرَ سُوءٍ وقع فيها ، فوحياتِك يا محمدُ لقد دَفَنَّاه فى ذلك القَبْرِ ، والعُقْبى لك إن شاء الله عزّ وجلّ ، ولم يَبْرَحْ يُؤْذِيه ويُكايدُه إلى أن مات .

وقال الحسنُ بنُ سهل يرثِى محمدبنعبدالملك ، وكان يَجْحَدُها فى حياته وينتفى منها ثم شاعت بعده ووجدت بخطه :

يكادُ القلبُ من جَزَعٍ يطير ۝ إذا ما قيل قد قُتِلَ الوزيرُ

---

(١) العين : ما ضرب نقدا من الدنانير — والورق : الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة.

أميرَ المؤمنين هَدَمْت رُكْناً عليـــه رحا كُم كانت تَدورُ
سيبكِى الملك من جَزَعٍ عليه ويَحْزَن حين تضطربُ الأمورُ
فمَهْلًا يا بنى العباسِ مَهْـلًا فقد كُـوِيتْ بفعلـكُم الصدورُ
إلى كم تنـكِبُون الناسَ ظُلْما لـكم فى كل مَلْحَمَةٍ عقيرُ
جزيتمْ ناصرا لـكمُ المنايا وليس كذلـكمُ يُجْزَى النصيرُ
قتلتُمْ سائقَ الدنيـا إليـكم وذلك من فعالـكمُ شَهيرُ
وكان صلاحكم لو تستموه قريبا لا يحار له البصير
كأن الله صيركم ملوكا لئلا تعدلوا ولأن تجوروا[1]

(١) يوجد هامش على جانب الصفحة يقع فى سطرين مطموسين لم نتبين منهما ما يمكن معه الرجوع إلى أصلهما .

مُحَمَّدٌ المَطَوِيّ(١)

هو محمد بنُ عبدِ الرحمن بن أبي عَطِيّة ، مولى بنى لَيْث بن بكرِ بن عبدِ مناة ابن كِنانَةَ ، كُنيته أبو عبد الرحمن ، بَصْرِيّ المولدِ والمَنْشأ .

كان شاعرا من شعراء الدَّوْلة العباسية ، واتصل بأحمد بن أبي دؤاد ، وتَقَرَّبَ إليه بمَذْهَبِه وتقدّمه فيه بقُوّة جَدَلِه عليه فلماتُوُفِّيَ أحمدُ نَقَصَتْ حالُه ، وله فيه مدائحُ يسيرة ومراثٍ كَثيرة منها ما روى عن كَوْثرة أخي المَطَوِيّ :

أَحَنَّطْتَهُ يا نَصْرُ بالكافورِ وزَفَفْتَه للمــنزلِ المهجــورِ
هلّا ببعضِ خِصــاله حَنَّطْتَه فيضوعُ أُفْقُ منازلٍ وقُبورِ
تالله لو بشريف أخلاقٍ له تُعْزَى إلى التقديس والتطهيرِ
حَنَّطْتَ من سكن الثرى وعلا الرُّبا لتزَوّدوه عِدَّةً لنُشورِ
فاذهبْ كما ذَهَبَ الوفاءُ فإنه ذَهَبَتْ به رِيحا صَباً ودبورِ
واذهب كما ذهب الشبابُ فإنه قد كان خيرَ مصاحبٍ وعَشيرِ
والله ما أَبَّنته لأزيدَه شَرَفاً ولكن نَفْثَةُ المصدورِ

ومن مراثيه فيه :

وليس صريرُ النَّعْشِ ما تسمعونَه ولكنه أصلابُ قَوْمٍ تقصّفُ
وليس نسيمُ المسك رَيّا حنوطه ولكنه ذاك الثناء المُخَلَّفُ

ذكر محمدُ بن داود في كتاب الشعراء فقال : كان له فَنٌّ من الشِّعرِ لم يُسْبَقَ فيه ذهب فيه إلى مَذْهبِ أصحاب الكلامِ ففاق جميعَ نُظرائِه ، وخفَّ شِعْرُه على كل لسان ورُوِي واسْتَعْمَلَه الكتابُ واحتذَوا معانِيَه وجعلوه إماما .

(١) أغاني أميرى ٢٠/٥٨ .

سمع المَطَوِى رجلا يُحَدِّثُ أن رجلا قال لعمرَ بن الخطاب رضى الله عنه : أن فلانا قد جمعَ مالًا ، فقال عمر : فهل جَمع لهُ أياما ، فأخذ المطوى المعنى فقال :

إنَّ الذى قَسَّم الأرزاقَ يرْزُقُهُ ... أرْفِهْ بعَيْنِ الفتى يغدُو على ثِقَةٍ
والوجه منه حديدٌ ليس يُخْلِقُه ... فالعِرْضُ منه مَصونٌ لا يُدَنِّسُه
يا جامِعَ المال أياما تُفَرِّقه ... جمعتَ مالا ففكِّرْ هل جمعت له
ما المالُ مالكُ إلا حينَ تُنْفِقُه ... المالُ عندكَ مخزونٌ لوارِثِه

ومن شعره :

وكم قالوا تَمَنَّ فقلت كأساً ... يطوفُ بها قضيبٌ فى كثيبِ
وندماناً تُساقِطُنى حَديثا ... كلَحْظِ الحبِّ أو غَضِّ الرقيبِ

قال إسحاقُ بنُ الضحّاك بنِ الخصيب : جاءنى يوما أبو عبدِ الرحمن العَطَوِىُّ بعد وفاةِ عمى أحمدَ بنِ الخصيبِ بسنتين ، وكان صديقَه وصنيعتَه ، فجلس عندى يحادِثُنى حديثَه ويبكى ساعةً طويلةً ثم تغَيَّمَتِ السماء وهَطَلَتْ فسألتُه أن يُقيم عندى، فحلف ألا يفعلَ إلا بعد أن أُحْضِره ما راج[1] من الطعام ، ولا أتكلفُ له شيئا ففعلتُ ، وجئته بما حضر ، فقال لى : ما فعَلَتْ عقد فقلتُ : باقيةٌ ، وهى فى يومنا هذا عندى ، والساعةَ تسمعُ غِناءها فقال لى : عَجِّل فإنَّ النهار قصيرٌ ثم أنشأ يقول :

أدِرِ الكأسَ قد تعالَى النهارُ ... ما يميتُ الهمومَ إلا العُقارُ
صاحِ هذا الشتاء فاغْدُ علينا ... إنّ أيامَه لذاذٌ قِصارُ
أىُّ شىءٍ ألَذّ من يوم دَجْنٍ ... فيه كأسٌ على الندامَى تُدارُ
وقيانٌ كأنَّهُنَّ ظباءٌ ... وإذا قُلْنَ قالتِ الأوتارُ

ومن شعره :

الراح والنَّدْمانُ أحسنُ مَنْظَرا ... من كل مُلْتَفِّ الحدائِق رائقِ
فإذا جَمَعْتَ صفاءه وصفاءها ... فارْجُم بكلّ مُلِمَّةٍ من خالقِ

(١) ما راج من الطعام : ما تيسر وتهيأ .

مانى الموسوس (١)

هو محمدُ بنُ القاسمِ ، وكُنيتُه أبو الحسين ، ومانى لقب غَلَب عليه ، قدم مدينة السلامِ ، شاعرٌ لَيِّنُ الشعرِ رقيقُه ليس له إلا الغزَل وكان يُنشِدُ الشيءَ ثم يخالطُ فيَقْطَعه .

عزم محمد بنُ عبدِ الله بن طاهر على الصَّبوحِ وعنده الحَسَنُ بنُ محمدِ بن طالوتَ فقال له محمد : كنا نحتاجُ إلى أن يكون معنا ثالثٌ نأْنَسُ به ونَلَذُّ بمجاذبته فمن ترى أن يكون ؟ فقال ابن طالوتَ : قد خَطَرَ ببالى رجلٌ ليس علينا فى مجالَسَتِه ثقَلٌ ، قد خلا من إبرام المُجالِسين وبرِئَ من ثِقَلِ المؤانسين ، خفيفُ الوطأةِ إذا أدْنَيْتَه ، سريعُ الوثْبَة إذا أمَرْته ، فقال : من هو ؟ قال : مانى الموسْوَسُ فقال له محمد : ما أسأتَ الاختيارَ ثم تقدمَ إلى صاحب الشُّرْطَةِ بطلبه وإحضارِه ، فما كان بأسرع من أن قَبَض عليه صاحبُ رَبْع الكَرْخ فوافى به بابَ محمدِ بنِ عبدِ الله فأُدْخِلَ ونُظِّف وأخذَ من شَعْره وأُلْبِسَ ثيابا نِظافا وأُطْعِمَ شيئا ، وأدخل على محمد ابن عبد الله ، فلما مثلَ بين يديه سَلَّمَ فردّ عليه وقال له ، أما آنَ لك أن تزورَنا مع شَوْقِنا إليك ؟ فقال له مانى : أعزَّ اللهُ الأميرَ ، الشوقُ شديدٌ والودُّ عتيدٌ ، والحجابُ صَعْبٌ والبوابُ فَظّ ، ولو سَهُلَ لنا الإذْنُ لسَهُلَتْ الزيارةُ عَلَيْنا . فقال محمد : لقد لَطُفْتَ فى الاستئذانِ وأمَرَه بالجلوس فجلسَ وأتى محمدٌ بجاريةٍ لإحدى بناتِ المَهْدِىّ يقال لها منوسة كان يحبُّ السماعَ منها ، وكانت تُكْثِرُ عندَه فكان أوّلَ ما غنته :

ولست بناسٍ إذ غَدَوْا فتحمّلوا … دموعى على الخدّين من شدةِ الوَجْدِ

(١) أغانى ٢٠ : ٨٤ ـ معجم الشعراء ٢/٣٨٧ ـ تاريخ بغداد .

وقولى وقد زَالَتْ بعيْنِى حُمولُهم بوا كرَ تُحْدَى لا يكُنْ آخرَ العهدِ

فقال مانى : أيأذنُ الأمير قال : فيماذا ؟ قال : فى استحسان ما أسمعُ قال : نعم قال : أحسنتِ والله ، فإن رأيت أن تزيدى مع الشعرِ هذين البيْتين :

وقتُ أناجى القلبَ والدمعُ حائرٌ بمقلةِ مَوقوفٍ على الضُّرِّ والجهْدِ

ولم يُعْدِنى هــذا الأميرُ بعَدْلِه على ظالمٍ قد لجَّ فى الهجرِ والصَّدِّ

فقال له محمدٌ : من أىّ شيء استعديتَ يا مانى ؟ فاستحيا ، وقال : لا من ظالمٍ أيها الأمير ولكنَّ الطربَ حركَ شوْقاً كان كامنا فظَهَر ثم غنت :

حَجبوهــا عن الرياحِ لأنِّى قلتُ ياريحُ بلِّغِيها السلاما

لورَضُوا بالحجابِ هانَ ولكنْ مَنعُوها يومَ الوداعِ الكلاما

فطَرِبَ محمد ودعا بِرطْلٍ فقال مانى : ما كان على قائلِ هذين البيتين لو أضاف إليهما هذين البيتين :

فتنفَّسْتُ ثم قلتُ لطيفى وَيْكَ إن زُرْتَ طيفها إلماما

حَيِّها بالسلام سِرًّا وإلا مَنعوهـا لشِقوَتِى أن تناما

فقال محمد أحسنتَ يا مانى ثم غنت :

يا خليلىّ ساعةً لا تريما وعلى ذى صبابة فأقيما

ما مرَرْنا بقَصْرِ زينب إلا فضَحَ الدمعُ سِرّناالمكتوما

فقال مانى : لولا هيبةُ الأميرِ لأضَفْتُ إلى هذين البيتين بيتين لا يرِدانَ على سَمْعِ ذى لُبّ فيصْدُران إلا عَنِ استحسان . فقال محمد : الرغبةُ فى حسن ما تأْتِى به حائلةٌ عن كلِّ رَهْبة فهات ما عندك فقال :

ظبيةٌ كالهلالِ لو تلْحَظُ الصخـ ـرَ بطرفٍ لغادرَتْه هشيما

وإذا ما تبَسَّمَتْ خِلْتَ ما يبـ ـدُو من الثغرِ لؤلؤا منظوما

فقال له محمد : إن أحسنَ الشعرِ ، ما دام الإنسانِ يَشْرب ، ما كان مَكْسُوًّا لحناً حسناً تُغَنِّى فيه مَنُوسةُ وأشباهُها فإن كَسَتْ منوسةُ شِعْرَكَ من الألحان مِثْلَما غَنَّتْ قَبْلَه طابَ ، قال : ذلك إليها ، فقال له ابن طالوت : يا أبا الحسين كيف هى عندكَ فى حُسْنِها وجمالِها وغنائها وأدبها ، فقال : هى غايةٌ ينتهى إليها الوَصْفُ ثم يقفُ قال : قل فى ذلك شعرا قال :

وكيف صَبْرُ النفسِ عن غادةٍ ... تَظْلِمُها إن قلتَ طاووسَهْ
وجُرْتَ إن شَبَّهْتَها بانـــةً ... فى جنَّةِ الفردوسِ مَغْروسه
وغيرُ عــدلٍ إن عَدَلْنا بها ... لؤلؤةً فى البحر مَنفُوسَه
جَلَّتْ عن الوصْفِ فما فِكْرَةٌ ... تلحقُها بالوصْـفِ مَحْسوسَه

فقال له ابنُ طالوت : قد وجب شُـكْرُكَ يا مانى فساعَدَكَ دَهْرُكَ . وعَطَفَ عليك إلفك ونلْتَ سرُورَكَ وفارقتَ مَحْذورَكَ ، والله يديمُ لنا ولك بقاءً من بقائِه ، اجتمعَ شملُنا وطابَ يومُنا فقال مانى وقد نهضَ للانصراف :

مُدْمِنُ التخفيفِ موصولُ ... ومطيلُ اللُّبْثِ مَمْلول

وأنا أستودِعُـكم اللهَ ، ثم قام وانصرف ، فأمر له محمدُ بن عبد الله بصِلَةٍ ثم كان كثيرا ما يبعثُ يطلُبُـه إذا شَرِبَ فيَبَرّه ويَصِلُه ويقيمُ عنده .

قال بعضُ الـكتاب : كان مانى يَلزَمُنى ويكثر عندى . قال : فلقِيَنى مانِى يوْما بعد انقطاعِه عنِّى ، فقال : ما قَطَعَنِى عنك إلا أنِّى هائمٌ ، قلت : بمن ؟ قال : بمن إن شئتَ أن تراه الساعةَ رأيتَه وعَذَرْتَنى ، قلت : فأنا معك ، فمضى معى حتى وافَى باب الطاقِ فأرانى غُلاماً جميلَ الوجهِ بين يدى بَزّارٍ فى حانوتِه فلما رآه الغلام عدا فدَخَلَ الحانوتَ ووقف مانى طويلا ينتظره فلم يخرج فأنشأ يقول :

ذنبِي إليه خُضوعى حينَ أُبْصِره ... وطولُ شَوْقى إليه حين أَذْكُرُه

وما جَرَحْتُ بلحظِ العينِ وَجْنَتَهَ   إلا ومِنْ كَبدِى يقتص محجَرُه

نَفْسِي على بُخْلِه تَفْدِيه من قمَرٍ   وإن رمانى بذَنْب ليس يَغْفِرُه

وعاذلٍ باصطبارِ القلْبِ يأمرنى   فقلتُ من أين لى صبر فأَهْجُره

ومضى يعدو ويصيح: الموتُ مخبوٌّ فى البيت .

مُحمَّد أبو العِبَر (٢)

هـو أبو العباس محمدُ بن أحمدَ ، ويُلقَّبُ حَمْدون الحامضُ بن عبدِ الله بن عبدِ الصمد بن علي بن عبدِ الله بن العباس بن عبد المطلب ، صالحُ الشِّعْرِ مطبوعٌ يقول الشعرَ الجيدَ في أول عُمْرِه ، منذُ أيام الأمينِ وهو غلام إلى أن وَلِيَ المتوكلُ الخلافةَ ، وتركَ الجيِّدَ المُسْتَوى ، وعدل إلى الحُمْقِ ، وقد نيف على الخمسين ، ورأى أن شِعْره مع تَوَسُّطِه لا يتفقُ مع مُشاهَدَتِه أبا تمامٍ والبحتريَّ وابنَ أبي حَفْصة ونظراءَهم . وغيَّر كُنْيَتَه بعد أبي العباس فجعلَها أبا العِبَر ، ثم كان يزيد فيها في كل سنةٍ حَرْفاً فمات وهي أبا العبر طرد طيل طلبرى يك يك يك ، قال حمدونُ الحامضُ إن ابنَه أبا العبر وَلِدَ بعد خمس سنين خَلَتْ من خلافةِ الرشيدِ ، وعُمِّر إلى خلافةِ المتوكل ، فكسبَ بالحُمْقِ أضعافَ ما كَسَبه كلُّ شاعرٍ كان في عصره بالجيِّد الجد ونَفَق نفاقا عظيما ، وله في المتوكل مدائحُ مدَحَه بها ووصَفَ قَصْرَه وبُرْجَ حَمامٍ وهي كثيرةُ المُحالِ مُفْرِطةُ السقوطِ لا معنى لها(٢) بين مشهوره . قال الزبيرُ بن بكّار : قال لي عمي : ألا يأنفُ الخليفةُ لابنِ عَمِّه هذا الجاهلِ مما قد شهَرَ به نَفْسَه وفَضَح عشيرتَه ، والله إنه ليمرُّ بني آدم جميعا فضلا عن أهْلِه الأدْنَيْن ، فقلت له : إنه ليس بجاهل كما تقدر وإنما يتجاهَل ، وإن له لأدَباً صالحا وشِعْرا طَيِّباً ثم أنشدته قولـه :

لا أقول اللهُ يَظْلِمُـــني ... كيف أشْكُو غيرَ مُتَّهَمِ
وإذا ما الدهرُ ضَعْضَعَـنِي ... لم تجِـــدْنِي كافرَ النِّعَمِ

---

(١) الأغاني أميري ٢٠ : ٨٩

(٢) لا معنى لذكرها سيا وقد شهرت بين الناس (أغاني) ٢٠/٩٠ .

قنِعَتْ رُوحِى بما رُزِقَتْ ... وتناهَتْ فى العُلا هِمَمِى
ليس لى مالٌ سوى كَرَمِى ... وبه أَمْنِى من العَـدَمِ

فقال لى : ويحك : ولم لا يلزمُ هذا وشِبْهَه ؟ فقلت : لو رأيت ما يصل إليه من هذه الحماقات لعَذَرْتَه ، وإن ما استملحتَه له لم يَنْفُق بِه . فقال ، وقد غَضِبَ : أنا لا أعْذِرُه فى هذا ، ولو حَازَ به الدنيا بأسرها ، لا عَذَرَنِى الله إن عذَرْتُه .

قال أبو العنبس الصَّيْمَرِىّ : قلت لأبى العبر ، ونحن فى دارِ المتوكل : ويحك ما حَمَلكَ على هذا السُّخْفِ الذى قد ملأتَ به الأرضَ شِعْراً وقِصَصاً وخُطَباً ، وأنت أديبٌ ظريفٌ مليحُ الشِّعْرِ فقال لى : يا كُشْخانُ أتريد أن أَكْسَدَ أنا وتَنْفُقَ أنت ، أنت أيضا شاعرٌ فَهِمٌ متكلمٌ قد تركت العِلْمَ وصنعتَ فى الرَّقاعةِ نيفا وثلاثين كتابا ، أحبُّ أن تخبرنى لو نَفَقَ العقلُ أكنتَ تُقَدَّمُ على البحترىِّ ، وقد قال فى الخليفة بالأمس :

عـن أىِّ ثَغْرٍ تَبْتَسِم ... وبأى طَرْفٍ تَحْتَكِمْ

فلما خرجت أنت عليه وقلت :

فى أىِّ سَلْحٍ تَرْتَطِمْ ... وبأى كَفٍّ تَلْتَطِمْ
أدخلتَ رأسَكَ فى الرحِمْ ... وعلمتَ أنك تَنْهَزِمْ

فأُعْطِيتَ الجائزةَ وحُرِمَ هو وقُرِّبْتَ وأُبْعِدَ ، فى حِرِ أمِّك وحِرِ أمِّ كلِّ عاقلٍ معك فتركتُه وانصرفت .

قال مُدْرِك : قال لى أبو العنبس : قد بلغنى أنك تقول الشعرَ فإن قَدَرْتَ أن تقولَ جيدا جيدا ، وإلا فليَكُنْ بارداً بارداً مثلَ شِعْرِ أبى العبر ، وإياكَ الفاتِرَ فإنه صَفْعٌ كلُّه . قال أبو العيناء : أنشدت أبا العبر قولَ المأمون :

ما الحبُّ إلا قُبلَةٌ ... وغَمْزُ كَفٍّ وعَضُـدْ
أو كتبٌ فيها رُقًى ... أنفَذُ من نَفْثِ العُقَـدْ

من لم يــــكن ذا حُبِّه فإنمــا يبغى الوَلَدْ
ما الحبُّ إلا هكذا إن نُــكِــحَ الحبُّ فَسَد

فقال: كذب المأمونُ وأكل من خَراىَ رَطْلَيْنِ ورُبْما بالميزان، وقد أخْطأوأساء. ألا قال كما قلت :

باضَ الحبُّ فى قَلْــبِى فوا وَيْلِى إذا فَرَّخْ
وما يَنفَعُــنى حُبِّى إذا لم أكْنُسِ البَرْبَخْ
وإن لم يَطْرَحِ الأصْلَـ ـعُ خُرْجيه على المَطْبخ

ثم قال : كيفَ رأيتَ ؟ قلت : عجبا من العَجَبِ : فقال : ظننتُ أنك تقولُ لا . فأبلّ يَدِى وأرفعها، ثم سكَتَ فبادرتُ وانصرفتُ خوفا من شَرِّه .

وكان يجلس بسُرَّ من رأى فى مَجْلِسٍ له يجتمعُ إليه المُجّانُ يكتبون عنه وكان يَقعُدُ على سُلَّمٍ ، وبين يديه بَلّاعةٌ فيها ماء وحَمْأةٌ وقد سَدّ مَجْراها وبيده قصبةً طويلةٌ وعلى رأسه خُفٌّ وفى رِجليه قَلَنسيتَانِ ومُسْتَمْليهِ فى جَوْفِ بِئْرٍ ، وحوله ثلاثةُ نَفَرٍ يَدُقُّون بالهواوينِ حتى تَــكْثُرَ الجلبةُ ويقلَّ السماعُ ، وإن ضحكَ أحدٌ ممن حضر صَبُّوا على رأسه من ماءِ البَلّاعةِ إن كان وَضِيعاً وإن كان ذا مرُوءة رُشَّ عليه بالقصبةِ من مائِها .

وكان أبوه شيخا صالحاً ، وكان لا يُــكَلِّمه فقال له بعض إخْوانِهِ لِمَ هَجَرْتَ ابنَك؟ قال : قد فَضَحَــنِى كما تعلمون من أَمْرِه بما يَعْمَله بنفْسه ، ثم لا يَرْضَى بذلك حتى يُهَجِّنَــنِى ويُؤْذِينى ويُضْحِكَ الناسَ مِنِّى، فقالوا له : بماذا هَجَّنَك؟ قال : اجتازَ علىّ منذُ أيام ومعه سُلَّم . فقلت له : ما هذا مَعَك؟ فقال : لا أقول لك، فأخجلنى وأضحكَ بِى من كان عِنْدى ، فلما كان بعد أيام اجتاز ومعه سَمَــكَة ، فقلت له ما تصنع بهذه فقال أنيــكُها، فحلفتُ لا أكلِّمُه أبدًا .

سأل رجلٌ أبا العبر عن المُحالاتِ التى يتكلّمُ بها ، أىُّ شىءٍ أصلُها ؟ قال : أبكّر فأجلسُ على الجِسْرِ ومعى دَواةٌ ودَرْجٌ فأكتب كل شىءٍ أسمَعُه من كلام اللّاحين والمُكارِين والذاهبِ والجائى حتى أملأ الدَّرْجَ من الوَجهين ثم أقطعه عَرْضا وألصِقه مُخالفاً فيجىء منه كلام ليس فى الدنيا أحمقُ منه .

قال أبو الفرج : قال عمِّى رأيتُ أبا العبر واقفا على بَعْضِ الآجامِ بسُرَّ من رأى وبيده اليُسْرى قوسٌ جلاهقُ(١) وعلى يده اليمنى باشقٌ وعلى رأسه قِطْعَةٌ رِئةٍ فى حبلٍ مشدود بِأنشوطَةٍ وهو عريانُ وفى أيره شَعْرٌ مفتولٌ مشدودٌ فيه شِصٌّ قد ألقاه فى الماء للسَمَكِ وعلى شَفَتَيْه دوشاب مُلَطَّخ فقلت له : خَرَّبَ الله بيتك ، ما هذا ؟ قال : أصطادُ يا كشخانُ يا أحمقُ ، بجميعِ جوارحِى ، إذا مرَّ بى طائرٌ رَمَيْته عن القوْس ، وإن سَقَط قريبا منى ألقيْتُ عليه الباشقَ ، والرئة التى على رأْسِى تجىءُ الحدأُ لتأخُذَها فتقعُ فى الوَهَقِ(٢) والدوشابُ أصطاد به الذبابَ وأجعله فى الشصِّ فيطلبهُ السمك فيقعُ فيه ، والشصُّ فى أيْرِى فإذا مَدَّتْه السمكةُ أحْسَسْتُ بها فآخذها .

وكان المتوكل يرمى به فى المنجنيقِ إلى الماء ، وعليه قميصُ حريرٍ فإذا علا فى الهواء قال : الطريقَ الطريقَ ثم يقعُ فى الماء فيخرِجُه السَّبّاح ، وكان يجلِسُه على زَلّاقةٍ فينحدرُ به حتى يقعَ فى البِرْكَة ثم يَطْرَحُ الشبكة فيُخْرِجُه كما يُخْرِجُ السمك .

قدم أبو العبر بغدادَ فى أيام المستعينِ ، وجلس للناس فبعث إسحاقُ بن إبراهيم فأخذه وحَبَسَه فصاح فى السجن : نصيحةٌ فأخْرِج ودَعا به إسحاق فقال : هات

---

(١) الجلاهق : جسم صغير كروى من طين أو رصاص يرمى به. وقيل هى القوس التى يرمى بها البندق .

(٢) الوهق : حبل فى وسطه أنشوطة يطرح فى عنق الدابة حتى تؤخذ .

نصيحتَك. فقال: على أن تُؤَمِّنني ؟ قال : قد أمنتك. قال : الـكِشْـكِيَّةُ أصلحكَ الله لا تطيب إلا بالـكِشْكِ ، فضحكَ إسحاقُ وقال : هو فيما أرى مجنونٌ . فقـال : لا هوا متخط حوت فقال له : ما هوا متخط حوت ؟ قال : زعمت أنى مجحت نُونا وما قَطَّبَ فعَلِمِ ما قال . وتَبَسَّم ثم قال : أظن أنى فيك مأثوم فقال : لا ولـكنك فى ماء بصل : فقال أخرجوه عنى إلى لعنة الله ، ولا يقيمُ فى بغداد فأَرُدَّه إلى الحبس فعاد إلى سرَّ من رأى .

وكان أبو العبر شديدَ البُغض لعلىٍّ بن أبى طالب عليه السلام ، وله فى العلويين هجاء قبيحٌ .

وكان سبب مَوْتِهِ أنه خَرَج إلى الـكوفة ليَرْمِيَ بالبُنْدُقِ مع رماة من أهْلِها فى آجامِهِم فسمعه بعض الـكوفيين يقول فى على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، قولًا قبيحا ، استحلّ به دَمَه ، فقتَلَه فى بعضِ الآجامِ وغَرَّقَه .

كان أبو العبر يقول : إذا حدَّثك إنسان بحديث لا تشْتَهِى أنْ تسمعه فاشتَغِلْ عنه بنَتْفِ إِبِطِك حتى يكونَ هو فى عملٍ وأنتَ فى عَمَـل .

ومن شعره .

أبكى إذا غَضِبَتْ حتى إذا رَضِيتْ ... بكيتُ عند الرضا خوفاً من الغَضَبِ
فالويلُ إن غَضِبَتْ والعَوْلُ إن رَضِيَتْ ... إنْ لم يَتِمّ الرضَا فالقَلْبُ فى تعَبِ

نُصَيْب (1)

هو نُصَيْبُ بن رَبَاح مَوْلى عبدِ العزيز بنِ مَرْوان ، وكان لبعض العَرَبِ من بنى كِنانَةَ الساكنين بوَدَّان ، فاشتراه عبدُ العزيز بنُ مروان منهم . وقيل : بل كانوا أَعْتقوه ، فاشترى عبد العزيز ولاءه منهم ، وقيل : بل كاتَبَ مَوالِيَه فأدَّى عنه مُكاتبَتَه ، وقيل : كان من قضاعة ثُمَّ من بَلِيّ وكانت أُمُّه أَمَةً سوداءَ ، فوقع عليها سيدُها فجاءت بنُصَيْب ، فوثب عليه عمُّه عمرُو بعد وَفاةِ أبيه ، فباعه من عبدِ العزيز بن مَرْوان . وقيل : كان أبوه من كِنانَةَ من بنى ضَمْرَةَ ، وكان نصيبٌ شاعرا فَحْلا فصيحاً مُقدَّما فى النَّسِيبِ والمديح ، ولم يكن له حَظٌّ فى الهجاء ، وكان عفيفا ، يقال: إنه لم يَنْسُبْ قَطُّ إلا بامرأته .

وذكر عبدُ العزيزِ بنُ مِحْجَن بنِ نُصَيْب عن عمَّتِهِ عَوْضَةَ (2) بنتِ نُصَيْبٍ أن نُصَيْباً كان ابنَ نُوبِيَّيْنِ سَبِيَّيْنِ كانا لخزاعة ثم إن سَلَامَةَ أمَّ نُصَيْب اشْتَرَتْها امرأةٌ من خُزَاعَةَ ضَمْرِيَّةٌ حامِلاً بنُصَيْب فأعتقتْ مافى بَطْنِها . وقيل : كان نُصَيْب من أهل وَدَّان عبداً لرجل من كِنانَةَ هو وأهلُ بَيْتِه . وكان أهلُ الباديةِ يَدْعُونَه النُّصَيْبَ تَفْخيماً له ، ويَرْوُون شِعْرَه .

قال نُصَيْب : قلت الشِّعْرَ وأنا شابٌّ ، فأعجبنى قَوْلى فجَعَلْتُ آتى مَشْيخَةً من بنى ضَمْرَةَ فأُنْشِدُهم القصيدةَ من شِعْرى ثم أَنْسُبُها إلى بعض شُعَرائهم الماضينَ ، فيقولون : أَحْسَنَ واللهِ ، هكذا الكَلَامُ ، هكذا الشِّعْرُ ، فلما سمعتُ ذلك منهم

---

(1) أغانى دار الكتب ١ : ٣٢٤ ـ مهذب ٧/٩٢ تجريد ١٠٨

(2) غرضة (أغانى : ٣٢٤) .

عَلِمْتُ أَنِّى مُحْسِنٌ ، فأجمعوا وأجمعت[1] الْخروجَ إلى عبدِ العزيز بن مروان ، وهو يَوْمئذٍ بمصر . فقلت لأختى أُمَامَةَ ، وكانت عاقلةً جَلْدَةً : أى أُخَيَّةَ إنى قلتُ الشعرَ ، وأنا أريدُ بِهِ عبدَ العزيزِ بنَ مَرْوان ، وأرجو أن يُعْتِقَكِ اللهُ عزَّ وجلَّ به وأُمَّكِ ومَنْ كان مَرْقُوقاً من أهلِ قرابتى قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يابن أُمَّ أتجْمَع عليك الخصلتين السَّوادُ وأن تكون ضُحْكَةً[2] للناس !! قلت : فاسمَعِى ، فأنشدْتُها فسَمِعَتْ ، فقالت : بأَبى أنت : أحسنْتَ والله ، فى هذا ، والله ، رَجَاءٌ عظيمٌ ، فاخْرُجْ على بَرَكَةِ الله ، فخرجتُ على قَعُودٍ لى ، حتى قَدِمْتُ المدينةَ فوجدتُ بها الفرَزْدقَ فى مَسجدِ رسولِ الله ، صلَّى الله عليه وسلَّم ، فعرجْتُ إليه ، فقلت : أُنْشِدُهُ وأسْتَنْشِدُهُ وأعْرِضُ عليه شِعْرِى ، فأنشدته . فقال لى : وَيْلَكَ أهذا شِعْرُكَ الذى تَطْلُبُ به الملوكَ !! قلتُ : نَعَمْ قال : فلستَ فى شَىْء ، إن استطعتَ أن تَكْتُمَ على نفسِك فافعَلْ . قال : فانْفَضَجْت عرَقاً[3] فحصَبنى[4] رَجُلٌ من قُرَيْش كان قريباً من الفرزْدقِ وقد سَمِعَ إنْشَادِى وسَمِعَ ما قال لى الفرَزْدَقُ ، فأَوْمَأَ إلىّ فقُمْتُ إليه . فقال لى : وَيْحَكَ أهذا شِعْرُكَ الذى أَنْشَدْته للفرزدق ؟ قلت : نعم . قال : قد والله أحْسَنْتَ ، لئن كان الفرزدقُ شاعراً إنَّا لنعرِفُ محاسِنَ الشِّعْرِ وقدْ ، والله ، حَسَدَكَ فامْضِ لوَجْهِك ولا يَكْسِرَنَّك قال : فسرَّنِى قولُه وعَلِمْتُ أنه صَدَقنى فيما قال ، فاعتزَمْت على المُضِىِّ ، قال : فمضيتُ فقدِمْتُ مِصْرَ عَلَى عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوانَ ، فحضرت بَابَه مع الناس ، فنُحِّيتُ عن مجلس الوجوهِ فكنتُ وَرَاءَهم ، ورأيتُ رجلا على بغلةٍ حسن المدخل[5] يُؤْذَنُ له إذا جاء

(١) أغانى : فأزمعوا وأزمعت ١/٣٢٥

(٢) الضحكة ، بضم فسكون : من يضحك منه .

(٣) انفضج الرجل عرقا وتفضج : عرقت أصول شعره ولم يبتل .

(٤) حصبنى : رمانى بالحصباء .

(٥) حسن الشارة : سهل المدخل (أغانى ١ : ٣٢٦) .

فانصرفَ إلى مَنْزِله وانْصرَفْتُ معه أماشى بَغْلَتَه ، فلما رآنى قال : أَلَكَ حاجةٌ ؟ قلتُ : نعم ، أنا رجلٌ من أهلِ الحجازِ شاعِرٌ ، وقد مدحتُ الأميرَ وخرجتُ راجياً لمَعْرُوفِه ، وقد ازدُرِيتُ من الباب ونُحِّيتُ ، قال : فأنْشِدْنى . فأنْشَدْتُه وأَعْجَبه شِعْرِى فقال : وَيْحَك ! ! أهذا شِعْرُك ! إياك وأن تَنْتَحِل ، فإنَّ الأَميرَ راوِيَةٌ عالِمٌ بالشِّعر ، وعنده رُواةٌ فلا تَفْضَحْنِى ونَفْسَك ، فقلتُ : والله ماهو إلا شِعْرِى . قال : ويحك ! ! فقُلْ أبياتاً تذكر فيها حَوْفَ مِصْرَ وفَضْلَها على غَيْرِها والْقَنِى بها غداً ، فغدوت عليه من غدٍ فأنْشَدْته قولى :

سَرَى الهَمُّ حتى يثنينى طَلائِعُه[1] ... بمِصْرَ وبالحَوْفِ اعْتَرَتْنِى رَوائِعُه
وباتَ وِسادِى ساعِدٌ قلَّ لَحْمُه ... عَنِ العَظْمِ حتى كادَ تَبْدُو أشاجِعُه

وذكر فيها الغيث فقال :

وكَمْ دُونَ ذاكَ العارضِ البارقِ الذى ... له اشْتَقْتُ من وَجْهٍ أُسِيلَ مَدامِعُه
تَمَشَّى به أكناف بَكْرٍ وَمَذْحِجٍ ... وأَفْناء عمروٍ وهو خِصْبٌ مَرابِعُه
فكلُّ مسيلٍ من تِهامَةَ طَيِّبٌ ... دَمِيثُ الرُّبا تَسْقِى النِّجادَ دَوافِعُه
أعِنِّى على بَرْقٍ أُرِيكَ وَمِيضَه ... تُضِىءُ دُجُنَّاتِ الظَّلامِ لوامِعُه
إذا اكْتَحَلَتْ عَيْنا مُحِبٍّ بِضَوْئِه ... تجافَتْ به حتى الصَّباحِ مَضاجِعُه
هنيئاً لِأُمِّ البَخْتَرِىِّ الروى بِه ... وإن أنْهجَ الحَبْلَ الذى أنا قاطِعُه
ومازِلْتُ حتى قلتُ إنِّى لخالِعٌ ... ولائِىَ من مَوْلًى نَمَتْنِى قوارِعُه
ومانِعُ قومٍ أنتَ منهم مَوَدّتِى ... ومتخذٌ مَوْلاكَ مولىً فتابِعُه

فقال : أنت والله شاعر ! أحضُرْ بالباب فإنِّى ذاكِرُك . قال : فجلستُ على

(١) سرى الهم تثنينى إليك طلائعه (أغانى ١/٣٢٧) .

الباب ودَخَل فما ظننتُ أنَّه أمكنهُ أن يَذكُرَنى حتى دُعِىَ بى فدخلتُ فسلمتُ على عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوانَ فَصَعَّدَ فِيَّ بَصَرَه وصوَّبه ثم قال : أشاعِرٌ ! ويلك ! ! قلت : نعم ، أيها الأمير . قال : فأنْشِدْنِى فأنشَدتُه فأعْجَبَه ، وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير هذا أيْمَنُ بنُ خُرَيْمٍ الأسَدِىّ بالباب ، قال : فائْذَنْ له ، فدخل واطْمَأَنَّ ، فقال له : يا أيْمَن كم تَرَى ثَمنَ هذا العَبْدِ ، فنظَرَ إلىَّ وقال : والله لنِعْمَ الغَادِى فى أثَرِ المخاضِ ، هذا أرى ثَمَنَه مائةَ دِينارٍ ، قال : فإنَّ له شِعْرًا وفصاحةً فقال أيمن : أتقولُ الشِّعْر ؟ قلت : نعم ، قال : قيمته ثلاثون دينارا ، قال : يا أيْمَنُ أرْفَعُه وتَخْفِضُه أنت ! ! فقال : نعم ، لكونه أحْمق أيها الأَمِيرُ ، ما لهذا ولِلشِّعْرِ ! ! أَمِثْلُ هذا يقولُ الشِّعْرَ ويُحْسِنُه ! ! ؟ فقال : أَنْشِدْه يا نُصَيْبُ فأَنْشَدْتُه . فقال له عبدُ العزيز : كيف تَسْمَعُ يا أَيْمَن ؟ قال : شِعْرُ أَسْوَدَ هو أَشْعَرُ أَهْلِ جِلْدَتِه . فقال : هو والله أشْعَرُ منك قال : أمِنِّى أيها الأمير ! ! قال : إى واللهِ مِنْك . قال : والله أيها الأَمِيرُ إنك لملولٌ طرف . قال : كَذَبْتَ والله ما أَنَا كذلك ! ولو كنتُ كذلك ما صَبَرْتُ عليك ، تُنازِعُنِى التَّحِيَّةَ وتُؤاكِلُنى الطعامَ وتَتَّكِىءُ على وسائِدى وفُرُشِى ، وبِكَ الذى بِكَ ! ! يعنى وَضَحا كان بأَيْمَن . قال : ائْذَنْ لى أَخْرُجْ إلى بِشْرٍ بالعراقِ واحْمِلنى على البَرِيد . قال : أَذِنْتُ لك ، وأمَرَ به يُحْمَلَ على البَرِيد إلى بِشْرِ بنِ مَرْوان . فقال : أيْمَنُ بنُ خُرَيْم أَبْيَاتَه المذكورةَ فى ترجمته :

رَكِبْتُ من المُقَطَّمِ فى جُمَادَى ‏ ‏ إلى بِشْرِ بنِ مروانَ البريدا

فأعطاه بشرٌ مائةَ ألفِ دِرْهَم .

ولما تَوَجَّهَ إلى بِشْرِ بنِ مروان جازَ فى طَرِيقِهِ بِعَبْدِ الملكِ بنِ مَرْوان ، فقالَ له : أينَ تُرِيد ؟ قال : أُريدُ أخاكَ بِشْر يا أميرَ المؤمنين : قال : أتجُوزُنى ! !

قال : إِى والله أَجُوزُك إلى من قَدِمَ إلىَّ وطَلَبَنِى قال : فلِمَ فارقْتَ صاحِبكم(١) قال : أرا كم يا بنى أُمَيَّةَ تَتَّخِذون لِلفَتى من فِتْيانكم مُؤَدِّبا وشَيْخُكُمْ والله مُحتَاجٌ إلى خَمْسة مؤدِّبين ، فسَرَّ ذلك عبدَ الملك ، وكان عازما على أن يَخْدُمَه ويَعْقِدَ لابْنِه الوليدِ .

وقيل : كان نصيبٌ حَبَشِيًّا يرعى إبلا لمَوَالِيه فأَضَلَّ منها بعيرا ، فخرج فى طلبه حتى بَلَغَ الفُسْطاطَ وبه عبدُ العزيزِ بنِ مَرْوان ، وهو وَلِىُّ عَهْدِ أخيه عبدِ المَلِك فقال نصيب : ما بَعْدَ عبدِ العزيز أحدٌ أعْتَمِدُه لحاجَتِى ! ! فأتى الحاجبَ فقال : استأْذِنْ لِى على الأميرِ ، فإنى قد هَيَّأْتُ له مَديحا ، فدخل الحاجبُ فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ بالباب رجلٌ أسودُ يَسْتأذنُ عليك بمَديحٍ قد هَيَّأَه لك ، وظنَّ عبدُ العزيز أَنَّه يهزأُ به ويُضْحِكُهُم ، فقال : مُرْه بالحضورِ ليومِ حاجَتِنا إليه ، فغَدَا نُصَيْبٌ وراحَ إلى بابِ عبدِ العزيز أربعةَ أَشْهُر ، فأتاه آتٍ من عَبْدِ المَلِكِ بما يَسُرُّه فأَمَرَ بالسَّرِيرِ فأُبْرِزَ للناس ، وقال : عَلَىَّ بالأسْودِ ، وهو يريدُ أن يُضْحِكَ الناسَ منه فدَخَلَ فلما كان حيثُ يَسْمَعُ كَلامَه قال :

لعبد العزيز عــلى قَوْمِهِ ... وغَيْرِهمُ نِعَمٌ غـامِرَهْ
فبابُـك أَلْيَنُ أبوابِهم ... ودارُك مَأْهُولَةٌ عامِرَهْ
وكلبُكَ آنسُ بالمُعْتَفِينَ ... من الأُمِّ بابْنَتِها الزائِرَهْ
وكَفُّكَ حِينَ تَرى السائليـ ... ـنَ أَنْدَى من الليلةِ الماطِرَهْ
فمنك العطاءُ ومِنِّى الثناءُ ... بكل مُحَبَّرَةٍ سـائِرَهْ

فقال : أَعْطُوه ألفَ دينار . قال : إِنِّى مَمْلوك ، فدعا الحاجبَ فقال : اخْرُجْ فأَبْلِغْ فى قيمتِه ، فدعا المُقَوِّمِين ، فقال : قَوِّموا غلاماً أَسْوَدَ ليس به عَيْب . فقالوا : مائةُ دينار . فقال : إنه راعٍ للإبل ، يُحْسِن القِيامَ عليها . قالوا : مائتا

(١) صاحبك (أغانى) ١ / ٢٣١ .

دِينار . قال : إنه يَبْرِى القِسِىَّ ويُثقِّفُها ويَرْمى النَّبْلَ ويَرِيشُها قالوا : أربعمائةِ دِينار . قال : إنه رَاوِيةٌ للشِّعْرِ بَصيرٌ به قالوا : ستّمائة دينار . قال : إنَّه شاعرٌ لايلحن حرفا(١)، قالوا: ألفُ دينار . فقال عبدُ العزيز : ادْفَعوها إليه ، قال: أصْلحَ اللهُ الأميرَ ، ثمنُ بَعيرى الذى أَضْلَلْتُ : قال : وكَم ثمَنُه ؟ قال : خمسةٌ وعشرون دينارا . قال : ادفَعوها إليه . قال : أصلح اللهُ الأميرَ ، جائزَتِى لنفْسِى عن مَديحى إيَّاك . قال : اشْتَرِ نفْسَك ثم عُدْ إلينا ، فأتى الكوفةَ ، وبها بشرُ بنُ مروانَ فاستأذَنَ عليه فاستُصعِبَ الدخولَ عليه ، وخرج بِشْرُ بن مروان . فعارَضَه فلما نكَبه(٢) ـ أى صار حِذاء مَنْكِبه ـ ناداه :

يا بِشرُ يا بنَ الجعفريَّةِ ما   خَلَقَ الإلَهُ يَدَيْكَ للبُخْلِ
جاءتْ به عُجُزٌ مَقابَلَةٌ (٣)   ما هن من جَرْمٍ ولا عُكْلِ

قال: فأَمَرَ له بعَشْرَةِ آلافِ دِرْهم . والجعفريةُ التى عناها نُصَيْبٌ هى أمُّ بِشرِ ابن مَروانَ ، وهى قُطَيَّةُ بنتُ بِشْرِ بن عامرِ بن مُلاعِبِ الأَسِنَّة بن مالك بنِ جعفر ابنِ كِلاب .

مر مروانُ بنُ الحكمِ ببادِيَةِ بنى جَعْفر فرأى قُطَيَّةَ بنتَ بشر تَنْزِعُ بِدَلْوٍ على إبلٍ لها وتقول :

ليس بنا فقرٌ إلى التَّشَكِّى   جَرَبَّةٌ (٤) كحُمُرِ الأَبَكِّ
* لاضَرَعٌ فيها ولا مُذَكِّى *

فخطَبها مروانُ فتزوجها وحَمَلَتْ فولدتْ له بشرَ بنَ مَرْوان .

---

(١) لا يلحق حذقا (أغانى ١ : ٤٣٣ .
(٢) ناكبه (أغانى) ٣٣٦ .
(٣) عجز : جمع عجوز ـ والمقابلة : الكريمة النسب من قبل أبويها .
(٤) الجربة : الجماعة الغلاظ الأشداء من الناس وغيرهم.

روى العُتْبِيُّ قال : دعا النصيب مواليه أن يَسْتَلْحِقُوه فأَبَى ، وقال : والله لأن أكُونَ مولًى آبقا(١) أَحَبُّ إلىّ من أن أكون دَعِيّا لاحقا ، ولقد علمتُ أنكم إنما تريدون بذلك مالى ، ووالله لا أَكْسِبُ شيئا أبدا إلّا كنتُ فيه أنا وأنتم سواء كأحدِكم لا أستأثِرُ منه عليكم بشَىْء ، وكان كذلك معهم حتى مات ، إذا أصابَ شيئا قَسَمه بينه وبينهم ، وكان فيه كأحدهم .

دخل النصيبُ على سليمانَ بنِ عبدِ الملك ، وعنده الفرزدقُ ، وقد استَنْشَده وهو يَرى أنه سيُنْشِدُه مديحا قيل فيه ، فأنشده قولَه يَفْتَخِر :

ورَكْبٍ كأنَّ الرِّيحَ تطلبُ مِنْهمُ — لها تِرَةً من جَذْبِها بالعَصَائِبِ
سَرَوْا يركبون الريحَ وهى تَلُفُّهم — على شُعَبِ الأكوارِ ذاتِ الحقائبِ
إذا استَوْضَحوا نارا يقولون ليتَها — وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نارُ غالبِ

قال : وعمامَتُه على رأسِه مثلُ المِنْسف(٢) ، فغاظَ سليمانَ وكَلَحَ فى وجهه وقال لنُصَيْب : قم فأَنْشِدْ مولاك ويلك ! فقام نصيبٌ فأنشده قولَه :

أقولِ لرَكْبٍ صادرين لَقِيتُهُمْ — على ذات أَوْشالٍ ومولاك قاربُ
قِفوا خَبِّرونى عن سليمانَ إننى — لِمَعْرُوفِه من آل وَدَّانَ طالبُ
فعاجوا فأَثْنَوْا بالذى أنت أهلُه — ولو سكتوا أثنَتْ عليك الحقائبُ
وقالوا عهدناه وكُلَّ عَشِيَّة — بأبوابه من طالبِ العُرْفِ راكبُ
هو البدرُ والناسُ الكواكبُ حَوْلَه — ولا تُشْبِه البدرَ المنيرَ الكواكبُ

فقال له سليمان : أحسنتَ يانُصَيْب ، وأَمَرَ له بجائزة ، ولم يَصْنَعْ ذلك بالفرزدق فقال الفرزدق [وقد خرج من عنده](٣) :

---

(١) لائقا (أغانى) .
(٢) المنسف : الغربال الكبير .
(٣) ما بين القوسين عن الأغانى (١ : ٣٣٨) .

وخَيْرُ الشِّعْرِ أكْرَمُه رجالا ‏ ‏ ‏ ‏ وشَرُّ الشعرِ ما قال العبيدُ

حمل عبدُ العزيز بن مروان النصيبَ بمُقَطَّمِ مصر على بُخْتِيٍّ قد رَحَلَه بقبيطٍ فَوْقَه والْبَسَه مُقَطَّعَاتِ وَشْيٍ ، وأمَرَه أن يُنْشِدَ فاجتمع حوله السُّودانُ وفرحوا به فقال : أسَرَرْتُكم ؟ قالوا : إى والله ، قال : والله لما يَسُوءكم من أهل جِلْدَتِكم أكثر .

مر جريرٌ بنُصَيْب وهو يُنْشد فقال له : اذهَبْ فأنت أشعرُ أهل جِلْدَتِك فقال: وجِلْدَتِك ياأبا حَزْرَة .

كان النصيبُ إذا قَدِمَ على هشامِ بنِ عبد الملك أخْلَى مجلسه له ، واستنشده مَراثِيَ بنى أمية ، فإذا أنْشَدَه بكَى وبكى معه ، فأنشده يوما قصيدةً مَدَحَه بها يقول فيها :

إذا استبق الناسُ العلا سَبَقْتَهُم ‏ ‏ ‏ ‏ يمينُك عفوًا ثم صَلَّتْ(١) شِمالُها

فقال له هشام: ياأسودُ بلغتَ غاية المدح فسَلْنى ، فقال له : يَدُك بالعطية أجودُ وأبْسَطُ من لسانى بمساءلتِك فقال : وهذا والله أحسنُ من الشِّعر وحباه وأحسنَ جائزتَه .

أصابَ نصيبٌ من عبدِ العزيزِ بن مروان معروفا فكتمَه ورجع إلى المدينة فى هيئة بَذَّة(٢) . فقالوا : لم يُصِب بمَدْحِه شيئا فمكث مدّةً ثم ساوَمَ بأُمِّه فابتاعها وأعتقَها وجاءه ابنُ خالةٍ له اسمه سُحَيْمٌ فسأله أن يُعْتِقَه فقال : ماعى شىء ، ولكنى إذا خرجتُ أخْرَجْتُك معى ولعل الله يُعْتِقك فلما أرادَ الخروجَ دفَعَ غلاما له إلى مولى سُحَيْم يرعَى إبلَه وأخرجه معه فسأل فى ثَمَنِه وأعتقه ، فمرّ به يوما يَزْفِنُ(٣)

---

(١) صلت شمالها ، من قولهم : صلى الفرس : إذا جاء ثانيا فى الحلبة فهو مصل . والمقصود تبعتها شمالها .

(٢) البذة : الهيئة الرثة .

(٣) يزفن : يرقص .

ويَزْمُرُ مع السودان فأنكر ذلك عليه وزَجَره فقال له سُحَيم : إن كنتَ أعتقتَني لتصلَ رحمي وتَقْضِيَ حَقّي فهذا الذي أفعلُه هو الذي أُريده ، أزْفِنُ وأزْمُر وأفعلُ ما شئتُ فانصرف نصيب وهو يقول :

إني أراني لسُحَيْمٍ قائلا ... إن سُحَيْمًا لم يُثِبْنِي طائلا

نَسيتَ إعمالِي لك الرواحلا ... وضَرْبِيَ الأبوابَ فيك سائلا

عندَ الملوكِ أستثيبُ النائلا ... حتى إذا آنَسْتُ عِتْقًا باتلا[1]

ولَّيْتَني منك القفَا والكاهِلا ... أخُلُقًا شَكْسًا ولونًا حائلا

قال إسحاق : وأبطأتْ جائزةُ النصيبِ عند عبدِ العزيز فقال :

وإنّ وراءَ ظَهْرِي يابن لَيْلَى ... أناسا يَنْظُرون متى أؤوبُ

أُمَامَةُ منهم ولمَا أُقِيبُهَا ... غداةَ البَيْنِ فى أثَرِي غُرُوبُ[2]

تركتُ بلادَها ونأيتُ عنها ... فأشبهُ ما رأيتُ بها السَّلوبُ[3]

فأتْبِعْ بَعْضَنا بعضًا فلَسْنا ... نُثيبُك لكنِ اللهُ المُثِيبُ

فعجّل جائزته وسَرَّحه . قال ابن كُناسَة : ليلَى أمُّ عبد العزيز كَلْبيَّةٌ ، وبلغني عنه أنه قال : لا أُعطِى شاعراً شيئاً حتى يَذْكرها فى مدحى لشرَفِها فكان الشعراء يذكرونها باسمها فى أشعارهم.

قال المدائني : دخل نصيبٌ على عبدِ الملك فتغدّى معه ، ثم قال له : هل لك فيما نَتَنادَمُ عليه قال : تأمَّلْني ففعل ، وقال : قد فعلْتُ قال : لوني حائلٌ وشَعْرِي مُفَلْفَلٌ ، وخِلقَتِي مُشوَّهَة ، ولم أَبْلُغْ ما بلغتُ من إكرامِك لى لشرفِ أبٍ أو أمٍّ

---

(١) باتلا : باتا — وفى رواية : عاجلا .

(٢) الغروب : الدموع حين تخرج من العين .

(٣) السلوب : التى فقدت ولدها .

ولا غيرهما ، وإنما بلغته بعَقْلي ولساني فأَنْشُدُك اللهَ يا أميرَ المؤمنين أن تَحُولَ بيني وبين ما بلغتُ به هذه المنزلةَ منك فأعْفاه .

خطب ابنُ النصيبِ بعد وفاة سَيِّده الذى أعْتَقَه ابنةً له من أخيه فأجابه إلى ذلك، وعرف أباه فقال : اجْمعْ وجُوهَ هذا الحيِّ لهذه الحالِ ، ثم قال له : أَزَوَّجْتَ ابنى هذا من ابنة أخيك ؟ قال : نعم . فقال لعبيدٍ له سُود : خُذُوا بِرِجْلِ ابنى فجُرُّوه ، ففعلوا وضربوه ضرباً مُبَرِّحًا، وقال لأخي سَيِّده: لولا أنى أكْره [أذاكِ](١) لألحَقْتُك به ، ثم نظر إلى شاب من أشراف الحى فقال له : زَوِّجْ هذا ابنةَ أخيك وعَلَّى ما يُصْلِحها من مالى ففعل .

قال أبو بكر بن مزيد : لقيتُ النُّصيبَ يوما بباب هشام فقلت له : يا أبا مِحْجَن لم سُمِّيتَ نُصَيْبا ؟ ألقولك فى شعرك عاينها النُّصَيْبُ ؟ قال : لا ، ولكنى وُلِدْتُ عند أهلِ بيتٍ من ودّان ، فقال سيدى : إيتونا بمولودنا هذا نَنْظُرْ إليه ، فلما أُتِيَ بى قال : إنه لمُنَصَّبُ(٢) الخلْق قال: فسميتُ النُّصَيْبِ ، ثم اشترانى عبدُ العزيز بنُ مروان فأعتقنى .

وكان أبو عبد الله بنُ أبى إسحاق البَصْرِيّ يقول : لو وَلِيتُ العراقَ لاستكتبت نُصَيْبا لفصاحته وتخلُّصِه إلى جيِّد الكلام .

وكان نصيب أسود خفيف العارضين ناتِئَ الحنجرة .

قال نصيب دخلت على عبدِ العزيز بن مروان فقال لى : أنْشِدْنى قولَك :

إذا لم يكن بين الخليلين رِدَّةٌ(٣)

ولا(٤) ذِكْرُ شيءٍ قد مضى دَرَسَ الذِّكْرُ

---

(١) ما بين القوسين عن الأغانى ١ : ٣٤١ .

(٢) منصب الخلق : مسواه مستقيمه .

(٣) الردة : البقية .

(٤) سوى ذكر (أغانى) .

فقلت: ليس هذا لى ، هذا لأبى صخر الهُذَلِىّ ولكنى الذى أقول :

وقَفْتُ بذى وَدَّانَ(١) أنشُد ناقتِى ... وما إنْ بهالىمِنْ قَلُوصٍ ولا بَكْرِ

فقال عبدُ العزيز : لك جائزةٌ على صِدْقِ حديثِك وجائزةٌ على شِعْرِك ، فأعطانى على صدق أَلْفَ دينارٍ وعلى شعرى أَلْفَ دينار .

قال مُسْلِم : رأيت رجلا أسودَ ومعه امرأةٌ بيضاء فجعلتُ أعْجَبُ من سوادِه وبياضِها فدنوتُ منه فقلت: من أنت؟ فقال: الذى يقول:

ألا ليت شعرى ما الذى تحدثين بى ... غدا غُربةُ النأى المُفَرِّقِ والبُعْدِ

لدى أم بَكْرٍ حين تَقْتَرِبُ النوى ... بنا ثم يَخْلُو الكاشحون بها بَعْدِى

أتَصْرِمُنى عند الأُلَى هم لنا العِدَا ... فتُشْمِتَهُم بى أم تدومُ على العهد

قال : فصاحت : بل تَدومُ على العَهْدِ فسألت عنهما فقيل: هذا نصيبٌ وهذه أمُّ بكر .

قال جويرية : أتى النصيبُ عبدَ الله بنَ جَعْفرٍ فحَمَله وأعطاه وكساه فقال له قائل : يا أبا جعفر، أعْطَيْتَ لهذا العبدِ الأسودِ هذه العطايا فقال: والله لئن كان أسودَ إنّ ثناءه لأبيضُ وإن شِعْرَه لعَرَبِىّ ولقد استَحقّ بما قال أكثرَ مما نال ، ثم قال : وما هى ! ؟ إنما هى رواحلُ تُنْضَى(٢) وثيابٌ تَبْلَى ودراهمُ تَفْنَى وثناءٌ يبقَى ومَديحٌ يُرْوَى .

قال المدائِنىّ : قيل لنُصَيْب : إن هاهنا نسوةً يُرِدْنَ أن يَنْظُرْنَ إليك ويَسْمَعْنَ شعرَك قال : وما يصنَعْنَ بى ؟ يَرَيْنَ جلدةً سوداءَ وشعراً أبيضَ ولكن لِيَسْمَعْنَ شِعْرى وَرَاء(٣) وراء .

---

(١) دوران فى رواية للأغانى ٢ ٣٤٢ .

(٢) تنضى : تبلى .

(٣) من وراء ستر (أغانى ١ : ٣٤٤ .

قال عثمانُ بن الضحَّاكِ : خرجت على بعير لى أريدُ الحجَّ فنزلتُ فى فناء خيمةٍ بالأبواء وإذا بجاريةٍ خرجَتْ من الخيمةِ لم أرَ مثلَها حُسْنا فتمثَّلتْ قولَ نُصَيْب :

* زينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يَرْحلَ الركبُ *

فقالت: أتعرفُ قائلَ هذا الشعر ؟ قلت: نعم، قالت: ذاك نُصَيْب، ثم قالت: أتعرفُ زينب ؟ قلت : لا . قالت : فأنا زينبُ ، وهذا اليوم الذى وَعدَنِى ، ولعلك لا ترْحَلُ حتى تراه فوقفتُ ساعةً وإذا براكب طَلَع فجاء حتى أناخ قريبا منها ، فنزَلَ وسلَّمَ عليهـا وسَلَّمتْ عليه ، فقلت : عاشقان التقَيا ، ولا بد لهما من حاجةٍ فقمت إلى راحلتى فشَدَدْتُها . فقال : على رِسْلِك ، أنا معك ، فلبثتُ ساعةً وقام معى ورَحَلْنا فقال : كأنك قلتَ فى نفسك كذا وكذا ، فقلت : قد كان ذلك قال : لا وَرَبِّ الكعبةِ المستورةِ ما جلستُ معها قط مجلسا أقربَ من هذا .

دخل نصيبٌ مسجدَ النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وعمرُ بن عبد العزيز يومئذ أميرُ المدينة ، وهو جالسٌ بين قبرِ النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ومِنْبَرِه فقال : أيها الأمير ؛ ائذَنْ لى أُنْشِدْكَ مراثىَ عبدِ العزيز فقال : لاتفعل فتحزُنَنِى ولكن أنشِدْنى قولَك « قفا أَخَوَىَّ » فإن شيطانَك كان لك فيها ناصحاً حين لقَّنَك إياها فأنشده :

قفـا أَخَوَىَّ إن الدارَ ليست ... كما كانت بعهدكما تكونُ

فعُوجا فانظرا أَتُبيـنُ عمَّا ... سألْنَاها به أم لا تُبينُ

فظلَّا واقِفَيْن وظلَّ دَمْعِى ... على خَدِّى تجود به الشئونُ

كان نصيبٌ ينزل على عجوزٍ بالجحفةِ إذا قدِمَ من الشام ، وكان لها بُنَيَّةٌ صفراء وكان يَسْتَحْلِيها ، فلما قَدِمَ وهبَ لها دراهمَ وثيابا وغير ذلك ، فقدم عليهما قدْمَةً وبات بهما فلم يَشْعُرْ إلا بفتًى قد جاءها ليلا فركَضها برجله ، فقامت معه وأبطأ ثم عادتْ وعاد إليها بعدَ ساعة فركَلها فقامت معه ، فأبطأ ، ثم عادَتْ فلما أصبح

نصيبٌ رأى أثرَ مُعْتَرِكهما ومُغْتَسَلِهِما فلما أراد أن يَرْحلَ قالت له العجوزُ وبنتُها : بأَبِى أَنْتَ عادَتَك فقال لها :

أراكِ طموحَ العَيْنِ مَيَّالَةَ الهوَى لهذا وهذا منك وُدٌّ ملاطفُ

فإن تَحْمِلِى رِدْفَيْن لا أَكُ منهما فَحَبىَ فَرْدٌ لست ممن أرادِفُ

ولم يعطها شيئا ورحل .

ودخل النصيبُ على عمرَ بن عبدِ العزيز بعد ما وَلِيَ الخلافةَ فقال له : إيه يا أسود ! أنتَ الذى تُشَهِّرُ النساءَ بنَسِيبِك فقال : إنى قد تركت ذلك يا أميرَ المؤمنين وعاهدتُ الله عز وجل ألا أقول نَسيبا ، وشَهِدَ له بذلك من حَضَر ، وأثنَوا عليه خَيْرا ، فقال : أمَّا إذا كان الأمرُ هكذا فسَلْ حاجتك فقال : بُنَيَّاتٌ لى نَفَضْتُ عليهن سَوادى فكَسَوْنَ ، أرغبُ بهن عن السُّودَانِ ويَرْغَبُ عنهنّ البيضانُ ، قال : فتريدُ ماذا ؟ قال : تَفْرِضُ لهنّ . ففعل . قال : ونفقةً لطريقى ، فأعطاه حِلْيَةَ سيفِه وكساه ثَوْبَيْهِ وكانا يساويان ثلاثين درهما .

قال عبد الملك بنُ مروان لنصيبٍ : أنشدنى فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

وذو رَوادفَ لا يُلفَى الإزارُ بها يُلوَى ولو كان سَبْعاً حينَ يأْتَزِرُ

فقال له عبد الملك : يا نصيبُ من هذا ؟ قال : بنتُ عمٍّ لى نُوبيَّةٌ لو رأيتها ما شربتَ من يدها الماء ، فقال : لو قلتَ غير هذا لضربتُ الذى فيه عيناك .

ومن شعره فى عبد العزيز :

يقولُ فيحسنُ القولَ ابنُ ليلى ويفعلُ فوق أحْسَنِ مايقولُ

فتًى لا يَرْزَأُ الخلّانَ إلاّ مودَّتَهُمْ ويَرْزَؤُهُ الخليلُ

فبشِّرْ أهلَ مِصْرَ فقد أتاهم مع النيلِ الذى فى مِصْرَ نيلُ

وكان نصيبٌ يكنى أبا الحَجْناء فهجاه شاعر من أهل الحجازِ فقال :

رأيتُ أبا الحجناءِ فى الناس حائراً ولونُ أبى الحجناءِ لونُ البهائمِ

تراه على ما لاحَــه من سوادِه وإن كان مظلوماً له وجهُ ظالمِ

فقيل لنصيب : ألا تجيبُه ؟ فقال : لا ، ولو كنت هاجيا أحداً لأجبتُه ولـكنَّ اللهَ أوصلَنِي بهذا الشعرِ إلى خيرٍ فجعلتُ على نفسى ألاّ أقولَه فى شرٍّ وما وصَفَنى إلا بالسوادِ ، وقد صدَقَ ، أفلا أُنْشِدُكم ما وصفْتُ به نفسى ؟ قالوا : بلى ، فأنشدهم قولــه :

ليس السوادُ بناقِصِى ما دام لى هــذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثابتِ
من كان يرفعه منابتُ أهلِه فبيوتُ أشعارى جُعِلْنَ منابتى
كم بين أسودَ ناطــقٍ ببيانِه ماضِى الجَنانِ وبين أبيضَ صامتِ
إنى ليحسُدنى الرفيعُ بنــاؤُه من فضل ذاكَ وليس بى من شامت

ويروى بناؤه فَضْلَ البيانِ وهو أَجْود .

قال قائل لنصيب : أيها العبدُ مالَك وللشعرِ ! فقال : أما قولُك عبدٌ فما وُلِدْتُ إلا وأنا حُرٌّ ولــكن أهلى ظلَموني فباعونى ، وأما السوادُ فإنى الذى أقول :

فإن أكُ حالِـكاً لَوْنى فإنى لعَقْلٍ غــير ذى سَقَطٍ وِعاءُ
وما نزلتْ بى الحـاجاتُ إلا وفى عِرْضِى من الطَّمَعِ الحياءُ

قال محمد بن سَلَّام : دخل نصيبٌ على يزيدَ بنِ عبد الملك فقال له : حَدِّثْنى يانُصَيْبُ ببعضِ مامرَّ عليك . قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، عُلِّقْتُ جاريةً حمراءَ فمكثتُ زمانا تُمَنِّينى بالأباطيلِ ، فلما ألححتُ عليها قالت : إليك عنى ، فو الله لـكأنك من طوارق الليل ، فقلتُ لها : وأنتِ ، والله ، كأنكِ من طوارِق النهار . فقالت : ما أظرَفَكَ يا أسود !! فغاظنى قولُها ، فقلت لها : هل تدرِين ما الظَّرْف ؟ إنما الظرفُ العقل ثم قالت لى : انصرفْ حتى أنظرَ فى أمرِك ، فأرسلتُ إليها بهذه الأبيات :

فإن أكُ حالِـكاً فالمسكُ أحْوَى وما لِسوادِ جِلْدِى من دَواءِ

ولى كَرَمٌ عن الفحشاءِ نابٍ[1] كبُعْدِ الأرضِ من جَوِّ السماءِ
ومِثْــلى فى رجالـكُمُ قليلٌ ومثلُك ليس يُعْدَمُ فى النساءِ
فإن تَرْضَىْ فرُدِّى قولَ راضٍ وإن تَأْبَىْ فنحن على السَّوَاءِ

فلما قرأت الشعرَ قالت : المالُ والعقلُ[2] يأتيان على غيرهما وتزَوَّجَتْنى .

كان الأصمعى يُنْشِد هـذه الأبيات ويَسْتَجيدها ويقول : قاتل اللهُ النصيبَ ما أشعره :

وإنْ يكُ من لونى السوادُ فإننى لـكالمسك لا يَرْوَى من المسكِ ذائقُه
إذا المرء لم يَبْذُل من الودِّ مثل ما بَذَلْتُ لــه فاعْلَمْ بأنى مُفَارِقُه
وما ضَرَّ أثوابى سوادى وتحتها لبــاسٌ من العلياء بيضٌ بنائقُه

جاء رجلٌ إلى أبى نعيم ، الفضل بن دُكَيْن ، فقال : يا أبا نعيم ، الناسُ يزعمون أنك رافِضِىٌّ ، قال : فأطرقَ ساعة ثم رفَعَ رأسه وهو يَبْكِى وقال : ياهذا أصبحتُ فيكم كما قال نصيب :

ومازال بى الـكتمانُ حتى كأنــنى برَدِّ جواب السائلِى عنك أعْجَمُ
لأسْلَمَ من قولِ الوشاةِ وتَسْلَمِى سَلِمْتِ وهل حَىٌّ من الناس يَسْلَمُ

قال محمد بن عبدربه: دخلتُ مسجد الـكوفة فرأيتُ رجلا لم أَرَ قطُّ أشدَّ سواداً منه ، ولا أَنْقَى ثيابا ، ولا أحسن زِيًّا فسألت عنه فقيل لى : هذا نُصَيْب فدنوت منه فحادثْتُه ثم قلت له : أخْبِرنى عنك وعن أصْحابِك . فقال : جميلٌ إمامُنا ، وعمرُ ابن أبى ربيعة أوصفُنَا لربَّاتِ الحِجالِ ، وكُثَيِّر أبْكَانَا على الـدِّمَنِ وأمدَحُنا للملوك ، وأما أنا فقد قلتُ ما سَمِعْتَ فقلت : إن الناسَ يزعمون أنكَ لا تحسنُ أن تَهْجو فضحَك ثم قال : أتراهم يقولون : إنى لا أُحْسِن أن أَمْدَح ؟ فقلت : لا . قال :

(١) ناء (أغانى) .
(٢) والشعر (أغانى) .

أفما ترانى أُحْسِنُ أن أجملَ مكان عافاكَ اللهُ خزاكَ الله ؟ قال : قلت : بلى ، قال : إنى رأيتُ الناسَ رَجُلَيْن ، إمَّا رجلٌ لم أَسْأَلْهُ شيئًا فلا ينبغى أن أَهْجُوَه فأظلِمَه ، أو رجلٌ سألتُه فمنَعَنِى فنفسِى كانت أحقَّ بالهجاء إذ سَوَّلَتْ لى أن أسألَه وأن أطلبَ مالديه .

قال إسماعيل بن المختار مولى آل طلحةَ : خرج النصيبُ أبو مِحْجَنٍ هو وكثيرٌ والأحوصُ غِبَّ يوم أمطرتْ فيه السماء ، قال : هل لكم أن نَرْكَبَ فنسيرَ حتى نأتى العَقِيق فنُمَتِّع فيه أبصارنا قالوا : نعم ، فركبوا أفضلَ ما يقدرون عليه من الدوابِّ ، ولبسوا أحسنَ ما يقدرون عليه من الثياب ، وتَنَكَّروا ثم ساروا إلى العقيق ، فجعلوا يتَصَفحون(١) فيرون بعضَ ما يشتهون حتى رُفِع لهم سوادٌ عظيم فأتوه فإذا وصائفُ ورجالٌ من الموالى ونساءٌ بارزاتٌ فسألْنَهم أن ينزلوا فاستحْيَوْا أن يُجيبوهم من أوَّل وهلة ، فقالوا : لا نستطيع حتى نَمضِى فى حاجةٍ لنا فحلَّفْنَهم أن يرجعوا إليهن ، ففعلوا وأتوهن ، فسألْنَهم النزول فنزلوا ، ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذَنتْ لهم ، فلم تلبث أن جاءت فقالت : أدخلوا فدخلنا على امرأةٍ جميلةٍ برزة على فَرْشٍ لها فرحَّبَتْ وحيَّت وإذا كراسىُّ موضوعة ، فجلسنا جميعا فى صفٍّ واحد ، كلُّ إنسان على كُرْسِىّ فقالت : إن أحببتم أن نَدْعو لنا بصبىّ فنُصَيِّحه ونَفرُكَ أذنيه فعلنا ، وإن شئتم بدأنا بالغَداء فقلنا : تَدْعِين بالصَّبىّ ولن يفوتنا الغَداء فأومأَتْ بيدها إلى بعضِ الخدَمِ فلم يكن إلا كَلَا ولاَ(٢) حتى جاءت جاريةٌ جميلةٌ قد سُتِرَتْ بمِطْرَفٍ فأمسكوه عليها حتى ذهب بُهْرُها ثم كُشِفَ عنها فإذا جارية ذاتُ جمال قريبةٌ من جمال مولاتها فرحبتْ بهم ثم حيَّتْهم فقالت لها مولاتها : خذى ويحك ، من قولِ النُّصَيْبِ عافَى اللهُ أبا مِحْجَن :

---

(١) تصفح الشيء : نظر إليه ليعرفه .

(٢) تعبير يراد به تقليل مدة فعل الشيء أو ظهور شيء خفى .

ألا هَلْ من البينِ المفرِّق من بُدِّ ... وهل مثــلُ أيامٍ بمنقطع السَّعْدِ
تمنيت أيامي أولئــك والمُـنَى ... على عهد عادٍ ما تُعيدُ وما تُبْدِي

فغنَّتْه فجاءت به كأحسنِ ما سَمِعْتُه قط بأشْجَى صوتٍ وأحلَى لفْظٍ ثم قالت لها: خذِي أيضا من قوْلِ أبي مِحْجَن عافى الله أبا محجن:

أرِقَ المحبُّ وعــادَه سُهْدُه ... لطوارقِ الهمِّ الــتى ترِدُهْ
وذكرتُ من رَقَّتْ له كَبِدى ... وأبَى فليس ترِقُّ لى كَبِــدُهْ
لا قَوْمُه قَوْمِى ولا بَلدِى ... ـ فنكونَ حيناً جيرةً ـ بَلَدُهْ
ووجدتُ وَجْدًا لم يـكُنْ أحدٌ ... قبلِى من أجْلِ صبابةٍ يَجِدُهْ
إلا ابنُ[1] عَجْلَانَ الذى تبلَتْ ... هندٌ ففاتَ بنفســه كَمَدُهْ

قال: فجاءت به أحسنَ من الأولِ وكدتُ أطيرُ سرورا، قالت لها: خُذِى من قول أبي مِحْجَنٍ أيضا، عافى الله أبا محجن:

فيالَكَ من ليلٍ تَمتَّعْتُ طُولَه ... وهل طائفٌ من نائم مُتَمَتِّعُ
نعمْ إن ذا شجو متى يلْقَ شَجْوَه ... وهل نائم[2] مستمتع مودع
له حاجة قد طالما قد أسَرَّهــا ... من الناس فى صدرٍ بها يتَصَدَّع
تحمَّلَها طُولَ الزمانِ لعلَّهــا ... يكونُ لها يوما من الدهرِ مَنْزَعُ
وقد قُرِعَتْ فى أمِّ عمرٍو لك العصا ... قديما كما كانتْ لذى الحِلْمِ تُقْرَعُ

فجاءت بشيء حيَّرَنى وأذهلَنى طَرَباً لحسن الغناء، وسرورا باختيارها الغناء من شعري، وما سمعتُ من حُسْنِ صنعتِه وجَوْدَتِها وإحكامِها ثم قالت لها: خذى ويحك أيضا من قولِ أبي مِحْجن، عافى الله أبا مِحْجن:

يا أيها الركبُ إنِّى غير تابِعِكُم ... حتى تُلِمُّوا وأنتمْ بى تُلِمُّونا

---

(١) يريد به عمرو بن العجلان، أحد بنى كاهل بن لحيان بن هذيل المعروف بعمرو ذى الكلب.
(٢) ولو نائما مستعتب أو مودع (أغانى ١: ٣٥٨).

فما أرى مثلكم رَكْباً كشكلِكُمُ ... يدعوهم ذو هوًى إلا يعودونا[1]

أم خبِّرونى عن دائى بِعِلْمِكُمُ ... وأعلمُ الناس بالداءِ الأَطبُّونا[2]

قال نصيبٌ : فوالله لقد زُهِيتُ زَهْوًا خُيِّل إلىَّ أنِّى من قريش ، وأن الخلافةَ لى ، ثم قالت : حسبكِ يا بُنَيَّة هاتِ الطعامَ يا غلامُ ، فوثب الأحوصُ وكثيِّرٌ وقال : والله لا نَطْعَمُ لك طعاما ولا نَجْلِسُ لك فى مجلسٍ ، فقد أسأتِ عشرتنا واستخففت بنا ، وقدمت شعرَ هذا على أشعارنا ، واستمعت الغناءَ فيه وإن فى أشعارنا لما يَفْضُلُ شِعْرَه وفيها من الغناء ما هو أحسنُ من هذا ، فقالت: على مَعْرِفةٍ كلٌّ ما كان منى ، فأىُّ شِعْرِكُما أفضلُ من شعره أقولُك يا أحوص :

يَقَرُّ بعينى ما يَقَرُّ بعينِها ... وأحسنُ شىءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

أم قولُك يا كُثَيِّر فى عزة :

وما حسبَتْ ضَمْرِيَّةٌ عَدَوِيَّةٌ ... سوى التَّيْسِ ذى القرنين أنَّ لها بَعْلا

أم قولك فيها :

إذا ضَمْرِيَّةٌ عَطَسَتْ فنِكْها ... فإن عُطَاسَها طَرَفُ السِّفَادِ

قال: فخرجا مغضبين واحتبستنى وأمرتْ لى بثلاثمائة دينارٍ وحُلَّتين وطِيبٍ ثم دفعتْ إلىّ مائة دينار وقالت : ادفعْها إلى صاحِبَيْك فإن قَبِلَاها وإلا فهى لك ، فأتيتهما منازلَهما فأخبرتُهُما القصةَ فأما الأحوصُ فقبِلَها وأما كُثَيِّرٌ فلم يَقْبَلْها ، وقال : لعن الله صاحبتَك وجائزتَها ولعَنَكَ معها ، فأخذتها وانصرفتُ وسألت نصيباً : مَنِ المرأة ؟ فقال : امرأة من بَنِى أميةَ ولا أذكُرَ اسمها ما حييتُ لأحد .

كان الطاعونُ قد وَقَع بمصر فى زمن ولايةِ عبد العزيز بنِ مروانَ لها فخَرَج هاربا منه فنزل بقريةٍ من قُرى الصعيدِ يقال لها سُكَر[3] فقدم عليه حين نزلها رسولٌ

(١) يعوجونا (أغانى ١ : ٣٥٩) .

(٢) الأطب : البارع فى الطب .

(٣) موضع بشرقية الصعيد بينه وبين مصر يوم كان يخرج إليه عبد العزيز بن مروان كثيرا .

لعبدالملك فقال له عبدُ العزيز : ما اسمك ؟ قال: طالبُ بنُ مُدْرِك فقال : أَوَّهْ ما أرانى راجعا إلى الفُسْطاط أبدًا ، ومات فى تلك القرية ، فقال نصيب يرثيه :

أُصِبتُ يوم الصَّعيدِ فى سُكَرٍ مصيبــةً ليس له بها قِبَــلُ
تاللهِ أَنْسَى مُصِيبـتِى أبداً ما أسمعَتْنِى حَنِينَها الإبلُ
ولا التَّبَــكِّى عليه أُعْولُه كل المصيباتِ بَعْده جَلَلُ
لم يعلم النعشُ ما عليه من الـــ ـعُرْفِ ولا الحاملون ما حَمَلُوا
حتى أَجَنُّوه فى ضريحهمُ حين انتهى من خليلك الأملُ

دخل نصيبٌ على عبدِ الملك بنِ مروان فقال له أنشدنى بعضَ ما رَثَيْتَ به أخى فأنشده قوله :

عرفتُ وجَرَّبْتُ الأمورَ فما أرى كماض تلاه الغابرُ المتأخرُ
ولــكنَّ أهلَ الفضلِ من أهلِ نعمتى يرون أسلافاً أمامِى وأَغْبُرُ
فإن أبْــكِهِمْ أُعْذَر وإن أَغْلِب الأَسَى بصبرٍ فمثلِى عندما اشْتَدَّ يَصْبِرُ
وكانت ركابى كلما شِئْــتُ تنتحِى إليك فتَقْضِى نَحْبَها وهى ضُمَّرُ
ترى الوِرْدَ يُسْرًا والثواءَ غنيمةً لديك وتُثْنِى بالرضا حين تَصْدُرُ
فقد عَرِيَتْ بعد ابنِ ليلى فإنمـــا ذُرَاها لمن لاقتْ من الناس مَنْظَرُ
ولو كانَ حيًّا لم يزلْ بدُفُوفِهـا مَرَادٌ لغربانِ الطريق ومنقَر
فإن كنَّ قد نِلْنَ ابنَ ليلى فإنه هو المُصْطَفَى من أهله المتخيَّرُ

فلما سمع عبد الملك قوله :

* فإن أبكهم أُعْذَرْ وإن أَغْلِب الأَسَى *

قال : ويلك أنا كنتُ أحقَّ منك بهذه الصفة فى أخى فهلّا وصفتنى بها وجعل يبكى .

قال عبدُ الله بنُ إسحاقَ البصرى : لو وَلِيت العراقَ لاستكتبتُ نصيبا فقيل له: لماذا ؟ قال : لفصاحته وحسن تخلصه إلى جيد الكلام . ألم تسمع إلى قوله :

فلا النفسُ مَلَّتْها ولا العينُ تنتهى إليها سوى[1] فى الطَّرْفِ عنهافترْجِعُ
رأتْها فما ترتَدُّ عنها سآمةً ترى بدلًا منها به النفسُ تقنع

قال ابن أبى عتيق لنُصيب : إنى خارجٌ أفترسلُ إلى سُعْدَى بشىء قال : نعم بيتى شعر قال : قل فقال :

أتصبرُ عن سُعدى وأنت صَبُورُ وأنت بحُسْنِ الصبر منك جديرُ
وكدتُ ولم أُخْلَقْ من الطيرِ إن بدا لها[2] بارقٌ نحو العراق أطيرُ

فأنشد ابنُ أبى عتيق لسُعْدى البيتين فتنفسَتْ تنفساً شديدا ، فقال ابن أبى عتيق : أوَّهْ أجبْتِهِ والله بأجودَ من شعره ، ولو سمعك لنَعَق وطار إليك . وقيل إن ابن أبى عتيق لما سمع قوله :

وكدتُ ولم أُخْلَق من الطير إن بدا لها بارقٌ نحو العراق أطيرُ

قال له : يا ابن أمّ قُلْ ! غاقِ فإنك تطير ، يعنى أنه غراب لسواده .

دخل نصيبٌ على إبراهيمَ بنِ هشام فأنشده مديحا فقال له إبراهيم بن هشام : ما هذا بشىء أين هذا من قول أبى دَهْبَل لصاحبنا ابن الأزرق حيث يقول :

[إنْ تَغْدُ من مَنْقَلَىْ نجران مرتحلا يَرْحَلْ من اليمن المعروف والجود

قال : فغضب نصيبٌ ونَزَع عمامته وبرك عليها وقال : لئن تأتونا برجالٍ][3] مثل ابنِ الأزرقِ نأتِكم بمدحٍ مثلِ مدحِ أبى دَهْبَل أو أحسن ، والمديحُ والله إنما يكونُ على قَدْرِ الرجال ، فأطرق ابنُ هشامٍ وعَجِبوا من إقدامِ نُصَيْب عليه ومن حلم ابن هشامٍ عنه ، وهو غيرُ حليم .

---

(١) إليها سوام الطرف (أغانى) .
(٢) سنا (أغانى) .
(٣) غير ظاهرة فى الأصل وما كتب عن الأغانى .

قال عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْرى: كان نصيب ربما قَدِمَ من الشام فَيطْرَح فى حِجْرِ أمِّ بكرٍ الخزاعيةِ أربعمائةِ دينار ، وأن عبدَ الملك ظهرَ على تعلّقِه بها وتَشْبيبه بها فنهاه عنها وتوعَّده حتى كفَّ عن ذلك .

كان نصيبٌ قد أجْدَبَتْ إبلٌ له وحالَتْ[1] ، وكان لرجل من أسْلَم عليه ثمانيةُ آلافِ درهمٍ ، فوقف على عبد العزيز بن مروان ، فقال له : جعلتُ فداءَك إنى حَمَلْتُ دَيناً فى إبلٍ ابْتَعْتها مُجْدِباتٍ حيال[2] وقد قلت فيها شعراً :

فلما حَمَلْتُ الدَّين فيها وأصبحتْ حيالاً مُسِنَّاتِ الهوى كِدْتُ أندَمُ
على حينِ أن رَاثَ[3] الرَّبيعُ ولم يكن لها بصعيدٍ من تِهامَةَ مَقْضَمُ
ثمانيةٌ للأَسْلَمِيِّ وما دنا لفُحْشٍ وما يدنو إلى الفحش أسْلَمُ

فقال له عبد العزيز : فما دَيْنُك؟ قال : ثمانيةُ آلافِ درهمٍ . قال : قد أمرنا لك بثمانية آلافِ دِرْهم للأَسْلَمِيِّ وثمانيةِ آلافِ درهم لك . فلما رَجَع أنشد الأسلميَّ الشعرَ فترك ماله عليه ، وقال: الثمانية آلافِ درهمٍ لك .

قال أبو النجم : أتيت الحَكَمَ بن المُطَّلِب فمدَحْته وخرج إلى السِّعَايةِ فخرجنا معه ، ومعنا عِدَّةٌ من الشعراء ، فبينا هو مع أصحابه يوما واقف إذا هو براكب يُوضِع فى السَّرابِ ، وإذا هو نصيبٌ فتقدم إليه فمدَحه فأمر بإنزاله ، ومكث أياما ثم أتاه ، فقال له : إنى قد خلَّفتُ صبيةً صغاراً وعيالا ضعافا ، فقال : ادخل الحظيرة فخُذْ منها سبعين فريضة فقال له : جعلنى الله فداءك قد أحسنت ومعى ابن أخ لى أخاف أن يثلمها علىّ قال : فادخل للحظيرة فخذ منها سبعين فريضة أخرى فانصرف بمائة وأربعين فريضة[4] :

---

(١) حالت الحائل : الناقة التى حمل عليها ولم تلقح أو التى لم تلقح سنة أو سنتين أو سنوات.
(٢) جمع حائل .
(٣) راث : أبطأ .
(٤) الفريضة : القلوص التى تكون بنت سنة .

قيل لنُصَيبٍ : هَرِمَ شِعْرُك . قال : لا والله ما هَرِم ولكنَّ العطاءَ هَرِم ، ومن يُعْطيني كما أعطاني الحكمُ بنُ المُطَّلِبِ ، خرجتُ إليه وهو ساعٍ على بعضِ صدقاتِ المدينة فلما رأيته قلت :

أبا مروانَ لستَ بخارِجيٍّ وليس قديمُ مجدِك بانتحالِ
أغرُّ إذا الرِّوَاقُ انجابَ عنه بدا مثلَ الهلالِ على المِثالِ
تَراهُ العيونُ كما ترَاءَى عَشِيَّةَ فِطْرِها وَضَحَ الهلالِ

قال : فأعطاني أربعمائة ضائنةٍ ومائة لَقْحَة ، وقال : ارفع فراشي فرَفَعْتُه فأخذت مائتي دينار .

قال سعيد بن بشر بن عبد الله بن عَقيلٍ الخارجيّ : إني لَمَع أبي عبيدة بن عبدِ الله بن زَمْعَةَ [في حواء له][1] إذ جاءه كُثَيِّرٌ فحيّاه فاحتفَى به ، ودعا بالغداء فشرعنا فيه ، وكثير معنا ، وجاء رجلٌ فسَلَّمَ فرددنا عليه السلام واستدنيناه ، فإذا هو نُصَيْب في بِزّةٍ جميلةٍ قد وافى الحجَّ قادما من الشام ، فأكب على أبي عبيدةَ فعانقه ، ثم دعاه إلى الغداء فأكل مع القوم . فجشع[2] كثير وأقلع عن الطعام فأقبل عليه أبو عبيدة ، والقومُ جميعا يسألونه أن يأكلَ فأبى ، فتركوه فأقبل كثيرٌ على نُصَيْب فقال : يا أبا محجن إن أثَرَ الشامِ عليك جميلٌ ، لقد رجعت هذه الكَرَّةَ ظاهرَ الكِبر قليلَ الحياء ، فقال له نصيب: لكن أثَرَ الحجاز عليك ياأبا صَخْر غير جميل وإنك لزائدُ النقصِ قليلُ الحياءِ كثيرُ الحماقةِ . فقال كثير : أنا أشعرُ العرب حيث أقول لمولاتك :

إذا أمْسَيْتُ بَطْنُ مَجاحَ دُونِي وعَمْقٌ دون عَزَّةَ فالبَقِيعُ
فليس بلائمي أحدٌ يصلِّي إذا أخذتْ مَجارِيها الدموعُ

---

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .
(٢) فرفع كثير يده (أغاني ١/٣٦٧) .

فقال له نصيبٌ : أنا أشعرُ منك حيث أقول لابنة عمك:

خليليّ إن حلَّتْ كُلَيَّة بالرُّبا   فذا أَمجٍ فالشِّعْبَ ذا الماءِ والحَمْضِ

فأصبح من حَوْرانَ رَحْلى بمنزلٍ   يُبَعِّدُه من دونها نازحُ الأرضِ

وأيأستُما أن تَجمع الدار[1] بيننا   نخوضا بِيَ السمّ المضرّج بالمَحْضِ

ففى ذاك من بعض الأمور سلامةٌ   ولَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ على غَمْض

قال : فاقتحم إليه كثيرٌ ، وثبت له النصيبُ ، فلما نالته رِجْلاه رمَحَه نصيبٌ بساقِه رمحةً طاح منها بعيدًا عنه فما زال راقدًا حتى أيقظناه عشيا لرمى الجمار .

دخل نصيب على إبراهيمَ بن هشام ، وهو والٍ على المدينة ، فأنشده مديحا له فقال له إبراهيم : قم إلى تلك الراحلةِ المَرْحولةِ نُخذْها برَحْلِها ، فقام إليها نصيبٌ متباطئاً ، والناس يقولون : ما رأينا عطية أهنأ من هذه ، ولا أكرم ولا أجزل ، فسمع نصيبٌ فأقبل عليهم وقال : إنكم والله قل ما صاحَبْتمُ الكرامَ وما راحلةٌ ورَحْلٌ حتى ترفعوها فوق قدرها .

أتى نصيبٌ مكة فقصد المسجدَ الحرامَ ليلًا ، فبينما هو كذلك إذ طلع عليه ثلاثُ نسوةٍ ، فجلسن قريبا منه ، وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعر والشعراء ، وإذا هن من أفصح النساء ، فقالت إحداهن : قاتل الله جميلا حيث يقول :

وبين الصّفا والمرْوَتَيْن ذكرتُكم   بمختلفٍ من بين ساعٍ ومُوجِفِ

وعند طوافى قد ذكرتُك ذُكْرةً   هى الموت بل كادتْ على الموتِ تضعف

فقالت الأخرى: قاتل الله كثيرَّ عزّة حيث يقول :

طلَعْنَ علينـــا بين مَرْوةَ والصّفا   يمُرْنَ على البطحاءِ مَوْرَ السحائب

وكِدْنَ لعَمْرُ الله يُحْدِثْنَ فتنــةً   لمختشعٍ من خشيــةِ الله تـائبِ

---

(١) يجمع الدهر (أغانى ١/٣٦٨) .

فقالت الأخرى : بل قاتل الله ابن الزانية نُصَيبا حيث يقول :

أَلَامُ على ليلى ولو أستطيعُهـا وحُرْمةِ ما بين البَنِيَّةِ والسِّتْر
لَمِلْتُ على ليلى بنفسىَ مَيْـلةً ولو كان فى يوم التَّحَالُقِ والنَّحْرِ

فقام نصيب إليهن فسلم عليهن فرددن عليه السلام وقال لهن : اسمعن فأنشدهن قصيدته التى أوّلها :

ويومَ ذى سَلَمٍ شاقَتْكَ نائحةٌ وَرْقاءُ فى فَنَنٍ والريحُ تضطربُ

فقلن له : نسألك الله ، وبحقٍّ هذا البيت من أنت ؟ فقال : أنا ابن المظلومة المقذوفة بغير جُرْم ، نصيب . فقمن إليه وسَلَّمْنَ عليه واعتذَرَتِ القائلة إليه وقالت : والله ما أردت سوءا ، وإنما حملنى الاستحسانُ لقولك على ما سمعتَ فضحك وجلس إليهن يحادثهن إلى أن انصرفن .

فهرست تراجم الكتاب

(حرف الميم)

تراثنا

مختار الأغاني في الأخبار والتهاني

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء الثامن

تحقيق

الدكتور حسين نصار

الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هذا الكتاب بالتعاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٦هـ -- ١٩٦٦م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

ج . ع . م .

حرف النون

ناقد الدّلال*

كُـنْيَته أبو يزيد[1]، وهو مَديني[2]، مولى فَهْم .

هو أحد من خَصاهم[3] ابنُ حَزْم[4] مع المَخانِيث . ولما فعل به ذلك قال : الآن تَمَّ الخنَث[5] . ولم يكن في المخنَّثين أحسنُ وجها ولا أنظف ثوبا ولا أظرف منه .

وقيل : كان مولى لعائشة بنت سعيد بن العاص .

---

* أخباره في الأغاني ب ٤ : ٥٩ ــ ٧٣ ، س ٤ : ٥٩ ــ ٧٣ ، د ٤ : ٢٦٩ ــ ٣٠٠ ، ى ٤ : ٢٧١ ــ ٣٠١ ، تجريد الأغاني (ت) لابن واصل الحموي، القسم الأول ، الجزء الثاني ٥٦٧ ــ ٥٧١ ، نهاية الأرب للنويري ٤ : ٢٩١ ــ ٢٩٤ .

اختلفت المراجع في اسمه، فجعله الأكثرون ناقدا ، وجعله جماعة نافذا ، ونافدا . ولم أجد عند القدماء ما يرجح إحدى الصور . وضبط الفيروزابادي والزبيدي الدلال ، وجعلاها على وزن سحاب .

(١) أبو يزيد : كذا في الأصل ، ب ، س ، وجميع أصول د . وفي د ، ى ، ت تبعا لنهاية الأرب وتاج العروس : أبو زيد.

(٢) مديني : كذا في الأصل. وفي بقية المراجع : مدني . والاثنتان صحيحتان نسبة إلى مدينة الرسول علية الصلاة والسلام . فالصورة الثانية خاضعة للقاعدة الأصلية في النسب ، والصورة الأولى أجازوها شذوذا للتمييز بين مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام وأية مدينة أخرى .

(٣) من خصاهم : كذا في ص . وفي بقية المراجع : من خصاه . والاثنتان صحيحتان .

(٤) يريد أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، الذي ولي المدينة من ٩٦ إلى ١٠١ هـ . ويخالف هذا رواية الجاحظ الذي جعل خاصيه عثمان بن حيان المري والي المدينة في عهد هشام بن عبد الملك (الحيوان ١ : ١٢١ بتحقيق عبد السلام هارون) .

(٥) ذكر الجاحظ عن مشايخ من أهل المدينة أنه وبقية من خصوا قالوا عند خصائهم: الآن صرنا نساء بالحق .

ولم يكن أهل المدينة يعُدُّون فى الظرفاء وأصحاب النوادر إلا ثلاثة : طُوَيْسا ، والدلال ، وهِيت[1] وكان هيت أقدمهم ، والدلال أصغرهم . ولم يكن بعد طويس أظرفُ من الدلال ولا أكثر مُلَحا . وكان كثير النوادر ، نَزْر الحديث. فإذا تكلم أضحك الثَّكْلى . وكان ضاحك السن .

وصَنْعَته نَزْرة جيدة .

قال أيوب بن عَبَاية : شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثَه فَخَروا به وطَوَّلوا رِقابهم[2] ، فعلمت أن ذلك لفضيلة كانت فيه .

وكان مُبْتَلًى بالنساء والكَوْنِ معهن ، يُطلَب فلا يُقدَر عليه .

ولُقِّب الدَّلَالَ لِشَكْله[3] ، وحُسْن ظَرْفه ودَلِّه ، وحلاوة نُطقه ، وحسن وجهه وإشارته .

وكان مشغوفا بالنساء ويُكثِر وَصْفَهن للرجال[4] . وكان من أراد خِطْبَة امرأة سأله عنها وعن غيرها . فلا يزال يصف له النساء واحدة واحدة حتى ينتهى إلى وصف مايُعجبه . ثم يتوسط بينه وبينها حتى يتزوجَها . وكان يُشاغل من يجالسه عن الغناء بهذه الأحاديث كراهةً منه للغناء .

قال مُصْعَب الزُّبَيْرِىّ : السبب الذى خُصى الدلال من أجله أنه : كان القادم

---

(١) اختلف العلماء فى حقيقة هـذا الاسم منذ زمن بعيد . فرواه الشافعى والذهبي : هيت ، وصوباه. وذهب صاحب التاج إلىأنه هنب، وإنما صحفه المحدثون. واختلفت المراجع فيه، واخترت رواية الأصل لتزكية الشافعى والذهبي . (انظر المعاجم اللغوية ، المادتين) .

(٢) غ : طولوا رقابهم وفخروا به .

(٣) الشكل : الدلال أو الهيئة . وفى د ، ى : لقب بالدلال . وفى غ : لشكله وحسن دله وظرفه وحلاوة منطقه . . .

(٤) كذا فى ص ، وفى غ : بمخالطة النساء ووصفهن للرجال . وفى ت : بمخالطة النساء ويكثر . . .

يَقْدَم المدينة فيسأل عن امرأة يتزوجها ، فيُدَلُّ على الدلال . فإذا جاءه قال له : « صِفْ من تعرف من النساء للتزويج » . فلا يزال يصف واحدة واحدة حتى ينتهي إلى ما يُوافق هواه . فيقول : « كيف لى بهذه ؟ » فيقول : « مَهْرها كذا وكذا » . فإذا رضى بذلك ، أتاها الدلال ، فيقول لها : « أصبتُ لك رجلا مِنْ حالِه وقصته وهَيْئته ويَساره ، ولا عَهْدَ له بالنساء ، وإنما قَدِم بلدنا آنفا » . ولا يزال بها حتى تُطيعَه : فيأتى الرجل فيُعْلِمه أنه قد أحكم ما أراده . فإذا تزوّجته المرأة أتاها ليلة دخولها ، فقال لها : « إن هذا الرجل الليلةَ موعدُه ، وأنتِ مُغْتَلِمة شَبِقة[١] ، فساعةَ يجامِعُك قد دفَقْت عليه مثلَ سَيْلِ العَرِم فيَقْذَرُك ولا يُعاوِدُك ، وتكونين من أشأم النساء على نفسك وعلى غيرك ! » فتقول : « فكيف أصنع ؟ » فيقول لها : « أنت أعلم بدواء فَرْجك ودائه وما يُسكِّن غُلْمتك » فتقول له : « ما أعرف شيئا أشفَى له من النَّيْك »[٢] . فيقول لها : « إنْ لم تخافى الفضيحة فابْعَثى إلى بعض الزنوج حتى يقضى وَطَرَك ويَكُفّ عاديَةَ حِرِك » . فتقول له : « ويلك ! ولا كذا بمرّةٍ »[٣] . فلا يزال يحاورها حتى يقول : « فكما حُكِم علىّ : أقوم أنا فأخففُك ، وأنا إلى التخفيف أحْوَج » . والتخفيف : الجماع . فتفرح المرأة وتقول : « هذا — إمّالا — أمرٌ مستور[٤] » . فيجامعها ويقضى وطره منها . ثم يقول لها : « قد استرحتِ وأمنتِ » . ثم يجىء إلى الزوج فيقول له : « قد وعدتْها[٥] أن تدخل بها الليلة ، وأنت رجل غريب[٦] عَزَب ، ونساء المدينة خاصة يُحبِبْن المطاولة فى الجماع ،

(١) مغتلمة وشبقة بمعنى واحد ، أى عظيمة الشهوة .

(٢) غ . فتقول : أنت أعرف ؟ فيقول : ما أجد له شيئا أشفى من النيك ؟ .

(٣) غ : ويلك ، ولا كل هذا .

(٤) كذا فى ص ، يريد : هذا أمر مستور إلا يكن غيره ممكنا . وفى غ : هذا أمر مستور .

(٥) غ : واعدتها .

(٦) كلمة غريب غير موجودة فى غ ما عدا إحدى المخطوطات التى اعتمدت عليها د .

وكأنى بك كما تُجامعُها تفْرُغ وتقوم ، فتُبْغضُك وتَمقُتُك ، ولا تُعاوِدك بعدها ولو أعطيتَها الدنيا ولا تنظر فى وجهك بعدها » . فلا يزال فى مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته ، فيقول : « كيف أعمل » قال : « تطلب زنجية فتجامعها مرّتين أو ثلاثا حتى تسكن غُلْمتك ، فإذا دخلت الليـلةَ بأهلك لم تجد أمرك إلا جميلا » . فيقول له الرجل : « أعوذ بالله ! زنا وزنجية ! لا أفعل ذلك ! » فإذا أكثر محاورته قال له : « كما حُـكِم علىّ : قُمْ فافعل بى أنا حتى تسكن غُلْمتُك وشَبَقك » . فيفرح وينيكه مرة أو مرتين . فيقول له : « قد استوى أمرك الآن وطابت نفسك ، وتدخل على زوجتك فتَنيكها نَيْـكا يملؤها سرورا ولذة » . فيَنيك المرأةَ قبل زوجها وينيكه الرجلُ قبل امرأته . وكان ذلك دَأْبَـه حتى بلغ ذلك سليمان ابن عبد الملك[1] ، وكان غيورا شديد الغيرة . فـكتب بأن يُخْصَى هو وسائر المخنَّثين بالمدينة ومكة . وقال : إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويفسدونهن . فورد الـكتاب على ابن حَزْم فخصاهم .

وقيل[2] : كان السبب الذى من أجله خُصِىَ المخنَّثون أن سليمان بن عبد الملك كان فى سطح له يَسْمُر عليه . فتفرّق عنه جلساؤه ، فدعا بوَضوء . فجاءته جارية له به ، فبينا هى تصُبُّ على يده إذ أشار إليها مرتين أو ثلاثا ، فلم تصُبَّ عليه : فأنـكر ذلك ورفع رأسه ، فإذا هى مُصْغِية بسمعها إلى صوت رجل يغنى . فأنصت له حتى سمع ما تَغنّاه فلما أصبح أَذِن للناس . ثم أجرى ذكر الغناء ولَيَّن فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه ويريده . فأفاضوا فيه بالتَّسْهيل وذِكْر من كان يسمعه . فقال سليمان : « فهل بقى أحد يُسْمَع منه ؟ » فقال رجل من القوم: « عندى ــ يا أمير المؤمنين ــ رجلان

---

(١) ولى الخلافة من ٩٦ إلى ٩٩ هـ . وذكرت قبلا أن الجاحظ صرح أن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ ــ ١٢٥) هو الذى أمر واليه على المدينة عثمان بن حيان المرى بأن يقوم بالأمر .

(٢) الخبر مروى فى المحاسن والأضداد للجاحظ (مكتبة العرفان) ص ٢٢٧ أيضا .

من أهل أَيْلَةَ[١] مجيدان » . قال : « وأين منزلك ؟ » فأومأ إلى الناحية التى كان الغناء منها. قال : « فابعثْ جِئْنى بهما » . ففعل . فوجد الرسول أحدهما فأدخله على سليمان . فقال : « ما اسمك ؟ » فقال : « سُمَيْر » . فسأله عن الغناء فاعترف به . فقال له : « متى عهدك به ؟ » قال : « الليلةَ الماضيةَ » قال : « فما غنيت ؟ » فأخبره بالشعر الذى سمعه منــه . فأقبل سليمان على القوم فقال ، « هَدَر الجمل[٢] فضَبِعت الناقة[٣] ، ونَبَّ التَّيْس[٤] فشَكِرت الشاة[٥] ، وهدر الطائر[٦] فزافت الحمامة[٧] ، وغنى الرجل فطَرِبت المرأة » . ثم أمر به نُخصِى . وسأل عن أصل الغناء ، فقيل : « فى المدينة ، فى المخنَّثين ، وهم أئمتــه والحُذّاق به » . فــكتب إلى أبى بكر بن [محمد بن] عمرو بن حزم ، عامِلِه على المدينة : أن اُخْص مَنْ قِبلك من المخنثين المغنين» . قال بعض الــكتاب : « قرأت كتاب سليمان فى الديوان ، فرأيت على الخاء نقطة كتمرة العجوة »[٨]. وقال من لا يعلم : « قد صحّف القارىء وإنما هى: أَحْصِ » .

---

(١) ميناء على رأس خليج العقبة من البحر الأحمر . وفى المحاسن والأضداد : الأبلة .

(٢) هدر البعير : ردد صوته فى حنجرته ، وكذا يقال : هدر الحمام وهدل . وفى المحاسن والأضداد : هدر الفحل.

(٣) ضبعت الناقة : اشتدت شهوتها الفحل .

(٤) نب التيس : صاح عند الهياج ، وهياج الشهوة خاصة . والتيس : ذكر المعز .

(٥) شكرت الشاة : امتلأ ضرعها لبنا . وذهب محققو الأغانى إلى أن هذه العبارة كناية عن حنينها . والشكر ، بفتح الشين وتسكين الــكاف : الفرج أيضا ، ولعله اشتق منه فعلا دالا على الشهوة ، وإن لم أجده فيما بين يدى من معاجم . وفى ت : استحرمت ، أى أرادت الفحل .

(٦) ت : وهدل الطائر . وفى المحاسن والأضداد : وهدل الحمام .

(٧) زافت الحمامة : مشت مدلة متبخترة .

(٨) فى الحيوان للجاحظ ١ : ١٢٢ : ولقد كانت الخاء معجمة بنقطة كأنها سهيل أو تمرة صيحانية . والصيحانى : ضرب من التمر أسود صلب المضغ .

فتتبعهم ابن حزم نخصى منهم تسعة ، منهم الدلال ، وطريفة[١] ، وحَبيب نَوْمة الضحى . وجعلت لحية الدلال تتناثر بعد سنة أو سنتين .

وكان الشعر الذى غناه سُمير :

مَحجوبةٌ سَمِعتْ صوتى فأَرَّقها ... من آخرِ الليلِ لما طَلَّها السحَرُ[٢]

تُدْنِى على جِيدِها ثِنْيَىْ مُعَصْفَرةٍ ... والحَلْىُ منها على لَبّاتِها خَصِر[٣]

فى ليلةِ النِّصْفِ مايَدرى مُضاجِعُها: ... أَوَجْهُها عنده أبْهَى أمِ القمر[٤]

لو خُلِّيَتْ لَمَشَتْ نحوى على قَدَمٍ ... تـكاد من رِقةٍ المَشْى تنفَطِر[٥]

وقيل : إن سليمان لما رأى ذلك لم يشكّ أن الجارية تهْوَى سميرا . فأحضره وحبسه . ودعا بسيف ونِطَع[٦] وقال للجارية : « اصدُقينى وإلا ضربت عنقك » . فقالت : « سَلْنى عما بدا لك » قال : « أخبرينى عما بينك وبين هذا الرجل » . قالت : « والله ما أعرفه ولا رأيته قط ، وأنا جارية مَنْشَئى الحجاز، ومن هناك حُملت إليك . ووالله ما أعرف بهذه البلاد أحدا سواك » . فرَقّ لها ، وأحضر الرجل ،

---

(١) طريفة : كذا فى س ، ومخطوطتين من الأغانى . وفى ب ، س ، د ، ى : طريف .

(٢) طلها : أصابها بالطل ، وهو الندى . وفى غ : حتى شفها السهر . وفى المحاسن والأضداد : لما بلها .

(٣) المحاسن والأضداد : والحلى باد على . . . والثنى : واحد الأثناء ، وهى الطيات من الثوب . والمعصفرة : المصبوغة بالعصفر الأصفر . واللبات : جمع لبة ، وهى موضع القلادة من الصدر . وخصر : بارد .

(٤) أورد غ رواية أخرى فى الشطر الثانى ، وهى :

* أوجُهها ما يرى أم وجُهها القمر ؟ *

وفى المحاسن والأضداد : فى ليلة البدر . وزاد بعده البيت :

لم يمنع الصوتَ أبوابٌ ولا حرسٌ ... فدَمْعُها لُطروق اللحن ينحدر

(٥) فى المحاسن والأضداد : لو تستطيع مشت .

(٦) النطع : بساط من الجلد يفرش تحت من يراد تعذيبه أو قطع رقبته .

وسأله عن مثل ذلك وتلطف فى المسألة . فلم يجد بينه وبينها شيئاً البتة . ، فلم تَطِب نفسه بتخليته سَوِيّاً[١] فخَصاه . وكتب فى المخنثين بمثل ذلك[٢] .

وقيل : إن الوليد بن عبد الملك[٣] قيل له : « إن نساء قريش يدخل عليهن المخنثون ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلْ عليكن هؤلاء » فكتب إلى ابن حزم أن أُخْصِهم ، فخصاهم . فمرّ ابن أبى عَتيق فقال : « أخصيتمُ الدلال ! أَمَ والله لقد كان يُحسن »[٤] :

لِمَنْ رَبْعٌ بذاتِ الجيْـــ ـــشِ أمْسَى دارسا خَلَقا

قال حمزة النوْفَلِيّ : صلَّى الدلال يوما فى المسجد إلى جانبى ، فضَرَط ضرطة هائلة سمعها من فى المسجد . فرفع الناس رءوسهم وهو ساجد يقول رافعا صوته : « سَبَّح لك أعلاى وأسفلى » . فلم يبق فى المسجد أحد إلا وفتن وقطع صلاته بالضحك .

قال عبد الله بن جعفر لصديق له يوما : « لو غنّتك جاريتى فلانة :

لمن ربع بذات الجيـــ ـــش أمسى دارسا خلقـــا

لمـــا أدركتَ ذَكاتَك »[٥] فقال : جُعلت فداك ، قد وَجَبَت جُنوبها ؛ فكُلُوا منها

---

(١) السوى : المكتمل الخلق المستويه .

(٢) فى الهامش دون علامة إلحاق الخبر التالى : « وقيل : إن سليمان كتب بإحصاء من فى المدينة من المخنثين ليعرفهم ، فيوفد عليه من يختاره للوفادة ، فظن أنه يريد الخصاء ، فخصاهم » .

(٣) ولى الخلافة من ٨٦ إلى ٩٦ . ولم يكن ابن حزم عاملا له على المدينة ، وإنما ولاه إياها خلفه سليمان فالخبر غير صحيح النسبة إلى الوليد .

(٤) نسب ياقوت الشعر لجعفر بن الزبير بن العوام . وذات الجيش : واد على بريد من المدينة فى الطريق إلى بدر . والدارس : الممحو . والخلق : البالى .

(٥) الذكاة : كل مذبوح من الحيوان . والتذكية : أن تدرك الحيوان وفيه بقية تشخب معها الأوداج وتضطرب فتجهز عليه . ويريد أنها تلهيه بغنائها عن ذبح ذكاته فتموت فلا ينتفع بها . وفى س وأصول الأغانى : دكانك ، وهو تحريف .

وأَطْعِموا البائس الفقير[1] » . فقال عبد الله : « يا غلام ، مُرْ فلانة أن تخرج » .
فخرجت معها عودها . فقال عبد الله : « إن هذا الشيخ يكره سماع العود » .
فقالت : «ويحه! لو كره الطعام والشراب كان أقرب له إلى الصواب » . قال الشيخ :
« وكيف ذلك وبهما الحياة ؟ » فقالت : « إنهما ربما قتلا، وهذا لا يقتل» . ثم غنت.
فجعل الشيخ يصفق ويرقص ويقول :

* هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدِّى زِيَمْ[2] *

ويحرك رأسه ويدور حتى سقط مَغْشيا عليه ، وعبد الله بن جعفر يضحك منه .

قال المدائنى : اختصم شِيعِىّ ومُرْجِئ[3] فجعلا حَكَما بينهما أول من يطلع . فطلع الدلال . فقالا له : «يا أبا يزيد[4] ، أيهما خير : الشيعى أو المرجئ ؟ » فقال : « لا أدرى ، إلا أن أعلاى شيعى وأسفلى مرجئ » .

كان الدلال ملازما لأم سعيد الأَسْلَمية ولبنت يحي بن الحكم بن أبى العاص ، وكانتا من أَمْجَن النساء ، تخرجان وتركبان فرسين وتستَبِقان عليهما حتى تبدو خلاخيلهما . فقال معاوية لمروان : « اكفِنِى ابنة أخيك » . قال : « أفعلُ » . فاستزارها وحفر لها بئرا فى طريقها وغُطِّيت بحصير ، فلما مشت عليه سقطت فى البئر ، فكانت قبرها . وطُلب الدلال فهرب إلى مكة . فقال له نساء مكة : « قتلتَ نساء

---

(١) جمع بين آيتين من سورة الحج ، هما قوله تعالى : « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير» (الآية ٢٨) ، وقوله : «فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر» (الآية ٣٦) ووجبت جنوبها : قيل معناها سقطت جنوب الإبل إلى الأرض . وقيل: خرجت أنفسها فسقطت هى، فكلوا منها .

(٢) الرجز لجابر بن حنى التغلبى . وزيم : فرسه (تاج العروس) .

(٣) المرجئة : جماعة كانوا يفصلون بين العمل والإيمان ، ويقولون : لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، ويرجئون الحكم على أفعال العباد إلى الخالق .

(٤) د ، ى : أبا زيد .

المدينة وجئت لتقتلنا ! » فقال : « واللهِ ، ما قتلهن إلا الحكاك » . فقلن : « اغرُب[١] ، أخزاك الله ولا أَدْنَى لك دارا ! » : قال : « فَمَنْ لكنّ بمدى يدُلُّ على دائكنّ ويعلم موضع شفائكنّ ؟ والله ما زنيتُ قط ولا زُنِيَ بى ، وإنى لأشتهى ما يشتهى نساؤكم ورجالكم » .

قدم مخنث من مكة يقال له مُخَّة فجاء إلى الدلال فقال : « يا أبا يزيد[٢] ، دُلَّنى على بعض مخنثى المدينة أكايده وأمازحه وأحادثه » . قال : « قد وجدته لك » . وكان خُثَيم بن عِراك بن مالك ، صاحب شرطة زياد بن عبد الله الحارثى[٣] ، جاره ، وقد خرج فى ذلك الوقت ليصلى فى المسجد ـ فأومأ إلى خُثيم وقال : « الحَقْهُ فى المسجد ، فإنه يقوم فيه ليصلى ليرائى الناس ، فإنك ستظفر بما تريد منه » . فدخل المسجد وجلس إلى جانب ابن عراك ، فقال : « عجِّلى صلاتك لا صلَّى الله عليك ! » فقال له خثيم : « سبحان الله ! » فقال له المخنث : « سبّحت فى جامعةٍ[٤] قرّاصة ! انصرفى حتى أتحدث معك » . فانصرف خثيم من صلاته وقال للشرط : « خذوه واضربوه » . فضربوه مائة وحبسوه .

صلى الدلال يوما خلف الإمام بمكة فقرأ فى صلاته : « وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »[٥] . فقال الدلال : « لا أدرى والله » . فضحك أكثر الناس وقطعوا الصلاة . فلما قضى الوالى صلاته دعاه وقال له : « ويلك ! لا تدع هذا المجون والسفه ! » فقال له : « كان عندى أنك تعبد الله عز وجل . فلما سمعتُك تستفهم

---

(١) غ ، ت : اعزب . وهما بمعنى واحد .

(٢) د ، ى : يا أبا زيد .

(٣) ولى المدينة مرتين فى العهد العباسى ، من ١٣٣ إلى ١٣٦ ، ومن ١٣٧ إلى ١٤١ هـ . وكل أخبار الدلال فى العهد الأموى ، مما يلقى ظلالا من الشك على الخبر أو الرجال الذين اشتركوا فيه .

(٤) الجامعة : القيود لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

(٥) سورة يس ، الآية ٢٢ .

ظننتُ أنك قد شككت في ربِّك فثبَّتُّكَ » . فقال له : « ويلك ! أنا أشك في ربي وأنت تثبِّتُني ! اذهب ـ لعنك الله ـ ولا تعاوِدْنا فأُبلِغَ واللهِ عقوبتك[1] ! » .

خرج الدلال يوما مع فتية من قريش في نُزْهة ومعهم غلام جميل الوجه ، فأعجبه . وعلم القوم بذلك وقالوا : « قد ظَفِرنا به سائرَ يومنا » ـ وكان لا يصبر في مجلس حتى يفرغ ، استثقالا لمحادثة الرجال ومحبةً لمحادثة النساء ـ . فغمزوا الغلام عليه . وفَطِن لذلك فغضب وقام لينصرف . فأقسم الغلامُ عليه ، والقومُ جميعا ، فجلس . وكان معهم شراب فشربوا وسقَوْه . وحَملوا عليه لئلا يبرح ثم سألوه أن يغني فغنّى[2] :

زُبَيْريةٌ بالعَرْج منها منازلٌ وبالخَيْفِ من أدنَى منازِلها رَسْمُ[3]
أُسائلُ عنها كلَّ رَكْبٍ لقيتُه وما لى بها من بعد مَكَّتِنا عِلْمُ[4]

---

(١) أبلغ فى عقوبتك : أى أوقع بك من العقوبة ما يبلغ الأذى والمكروه .

(٢) روى البكرى فى معجم ما استعجم ، رسم ودان ١٣٧٤ ، أن يعقوب بن حميد نسب الشعر إلى نصيب ، وأن إسحاق الموصلى نسبه إلى عبد الله بن أبى شجرة يشبب برملة بنت الزبير بن العوام . وربما كانت نسبته إلى نصيب أرجح لأنه كان كثير الذكر لودّان فى شعره ، وإن لم يقطع ذلك بأن الشعر له . وترتيب الأبيات مختلف فى المراجع التى أوردتها .

(٣) البكرى :

زبيرية بالجزع منها منازل وبالعرج من أدنى منازلها رسم

وياقوت :

تشوقنى بالعرج منها منازل وبالخبت من أعلى منازلها رسم

وفى س رواية أخرى : من أعلى منازلها . والعرج : قرية كبيرة على طريق مكة من المدينة . والخيف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء .

(٤) البكرى :

أسائل عنها كل ركب لقيتهم ومالى بها من بعد أن فارقت علم

وياقوت : من بعد مكتبنا .

أيا صاحبَ الخيْماتِ من بطنِ أَرْثَدٍ إلى النخلِ من وَدّانَ، مافعلتْ نُعْم؟(١)
فإنْ يَكُ حربٌ بين قومى وقومِها فإنى لها فى كلِّ نائرةٍ سَلْم(٢)

فاستُطِير القومُ فرحا وسرورا وعلا نَعيرُهم(٣). فبَدَر لهم الشرط. فأحسوا بالطلب فهربوا. وبقى الغلام والدلال لا يُطيقون بَراحا من السكر. فأُتى بهما الأمير فى المدينة. فقال للدلال: «يا فاسق!» فقال: «من فمك لأبواب السماء». فقال: «جئُوا(٤) فَكَّه». فقال الدلال: «وعنقَه أيضا». فقال: «يا عدو الله، ما وَسِعك بيتك حتى خرجتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تفسُق به!» قال: «لو علمت أنك تَغارُ عليه وتشتهى الفسق به سرا ما خرجت عن بيتى». قال: «جَرِّدوه واضربوه حَدّا». قال: «وأىُّ شىء ينفعك من ذلك وأنا أُضرَب كلَّ يوم حدودا؟!» قال: «ومن يتولى ذلك منك؟» قال: «أيور المسلمين». قال: «ابطَحُوه على وجهه واجلسوا فوق ظهره». قال: «أحسنت! لعلك اشتهيت أن ترى كيف أناك». قال: «أقيموه — لعنه الله! — واشْهَروه بالمدينة مع الغلام». فخُرِج(٥) بهما يُدار بهما فى السِّكَك. فقيل له: «ما هـذا، يا دلال؟» قال: «الأمير

---

(١) اختلفت المراجع فى رواية الشطر الأول من هذا البيت كثيرا. فجعله البكرى (رسم ودان) وابن منظور والزبيدى (مادة رثد): ألا تسأل الخيمات. وجعله البكرى أيضا (رسم أرثد): ألم تسأل الأطلال. وجعله ياقوت: بعد أرثد، والزبيدى (مادة ود): بعد مربد. وأرثد: واد بين مكة والمدينة فى وادى الأبواء على أربعة أميال من المدينة. وودان: قرية جامعة من نواحى الفرع، قريبة من الجحفة، بينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال.

(٢) فى غ: فإن تك. وياقوت: فى كل ثائرة. والبكرى:
فإن تك حرب بين قومى وبينها فقد ترتجى من كل نائرة سلم
والنائرة: الشر والحقد والعداوة والهياج بين القوم.

(٣) النعير: الصياح من الخيشوم.

(٤) جئوا: اضربوا.

(٥) ص: فأخرج بهما.

اشتهى أن يجمع بين الرأسين فجمع بيني وبين هذا ونادى علينا ، ولو قيل له : إنه قوّاد ، غضب » . فبلغ قوله الوالي فقال: « خَلُّوا سبيلهما ، لعنة الله عليهما ! ».

كان الدلال ظريفا جميلا حسن البيان ، من أَحْضَر الناس جوابا وأَحَجِّهم . وكان سليمان بن عبد الملك قد رقّ له لما خُصي غلطا . فوجّه بمولى له وقال : « جئني به سرا » وكان يبلغه نوادرُه وطِيبُه وحذّر رسوله أن يعلم بذلك أحد . فلما قدم أنزله المولى منزله وأعلم سليمان بمكانه . فدعا به ليلا فقال : « وَيْلَك ! ما خبرك ؟ » قال : « خُتِنت من القُبُل مرة أخرى ، فهل تريد أن تَخْتِنني من الدُّبُر ؟ » فضحك وقال : « أخزاك الله ! » ثم قال : « غَنِّ » فقال : « لا أحسن إلا بالدُّفّ ». فأُتِي بدف فتغنى في شعر العَرْجي[1] :

أَفِي رسْمِ دارٍ دمعُكَ المتحدِّرُ ... سَفَاها، وما اسْتِنْطاقُ ماليس يُخبِر؟[2]

تغيَّر ذاكَ الرَّبْعُ من بعد جِدَّةٍ ... وكلُّ جديدٍ مرةً يتغيَّر[3]

فقال له سليمان : « حُقَّ لك يا دلال أن يقال لك : أحسنت وأَجْملت ، فما أدري أيُّ أمريك أعجب : براعة جوابك وجودة فهمك أم حسن غنائك بل [هما] جميعا عَجَب » . وأمر له بصِلَةٍ سَنِيَّة . وأقام معه شهرا يشرب على غنائه ثم سرَّحه إلى الحجاز مكرما .

لما حج هشام بن عبد الملك[4] ، قَدِم المدينة . فنزل رجل من أشراف أهل الشام وقوادهم إلى جانب دار الدلال . فكان يسمع غناءه ويُصغي إليه ، ويصعَد فوق السطح ليقرُبَ منه . ثم بعث إلى الدلال : « إمّا أنْ تزورَنا وإما أن نزورك» . فبعث

(١) ديوانه (تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي) ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) الديوان : وما استخبار .

(٣) غ ، والديوان : متغير .

(٤) ولي الخلافة من ١٠٥ إلى ١٢٥ هـ .

إليه الدلال: « بل تزورُنا أنت » فبعث الشامى بما يصلُح وجاء . وكان للشامى غلمان رُوقَة(١) فمضى بغلامين منهم كأنهما دُرّتان . فغناه الدلال فى شعر المغيرة بن عمرو ابن عثمان :

قد كنتُ آمُـــلُ فيـكمُ أَمَلا والمرءُ ليس بمُدْرِكٍ أَمَلَهْ
حتى بـــدا لى منـكمُ خُلُفٌ فزجرتُ قلبي عن هوًى جَهِلَه(٢)
ليس الفتى بمُخلَّدٍ أبـــدا حقـا وليس بفائتٍ أجَلَـه

فاستحسن الشامى غناءه فقال : « زِدْنى » . فقال : « أوَ ما يكفيك ؟ » قال : « لا » . قال : « فإن لى حاجة ! » قال : « وما هى ؟ » قال : « تبيعنى أحد هذين الغلامين أو كليهما » . فقال: « اختر أيهما شئت » . فاختار أحدها . فقال له الشامى: « هو لك » . فقبِله الدلال منه . ثم غناه :

دعَتْنى دَواعٍ من أُرَيّا فهيَّجَتْ هَوًى كان قِدْما من فؤادٍ طروبِ
سبَتْنى أُرَيّا يـومَ نَعْفِ مُحسِّرٍ بوجهٍ جميـــلٍ للقلوب سَلوب(٣)
لعل زمانا قـد مضى أن يعود لى فتغفرَ أَرْوَى عنـد ذاك ذنوبى

فقال له الشامى : « أحسنت » ثم قال له الشامى : « إن لى إليـك حاجة » . قال : « ما هى » قال : « أريد وصيفة وُلدت فى حِجْر صالح ، ونشأت فى خـير ،

---

(١) روقة : حسان رائقون .

(٢) كذا روى الشطر الثانى فى غ . وفى ص ، وبعض أصول د :

* فزجرت قلبي فارعوى جهله *

وفيه ضرائر شعرية ولغوية .

(٣) النعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى (الخيف) ، أو المكان المرتفع فى اعتراض ، أو ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط ، أو الناحية من الجبل أو من رأسه . ومحسر: واد بين يدى موقف المزدلفة مما يلى منى ووضع غ هذا البيت بعد تاليه.

جميلة الوجه ، مَجْدولة[١] ، جَعْدة[٢] ، فى بياضٍ ، مُشْرَبة حمرة ، حسنة الهامَة ، سَبْطة[٣] ، أسيلة الخد ، عَذْبة اللسان ، لها شكل يملأ العين والنفس » . فقال له الدلال : « قد أصبتُها لك . فمالى عندك ؟ » قال: « غلامى هذا » قال : « إذا رأيتها وقَلَّبْتَها[٤] فالغلامُ لى ؟ » قال : « نعم » . فأتى امرأة بقربه فقال لها : « جُعلتُ فداءَكِ ! إنه نزل بقربى رجل من قواد هشام له ظَرْف وسخاء . وجاءنى زائر فأكرمتُه . ورأيت معه غلامين كالشمس الباهرة والكواكب الزاهرة ، ما وقعت عينى على مثلهما . فوهب لى أحدهما والآخر عنده ، وإنْ لم يصر إلىّ فنفسى ذاهبة » . قالت : « فتريد ماذا ؟ » قال : « طلب منى وصيفة جميلة ، على صفة لا أعلمها إلا فى بنتك ، فهل لك أن تُريه إياها ؟ » قالت : « وكيف لك بأن يدفع لك الغلام إذا رآها ؟ » قال : « قد شرطت عليه ذلك عند النظر لا عند البيع » . قالت : « فشأنَك ، لا يعلم بذلك أحد » . فمضى الدلال وجاء الشامى معه . فلما صار إلى المنزل أدخلته المرأة ، فإذا هو بحَجَله[٥] وفيها امرأة على سرير مُشْرِف ، بَرْزَةٌ[٦] جميلة . فوُضع له كرسى وجلس . فقالت له : « أمِن العرب أنت ؟ » قال : « نعم » . قالت : « من أيهم ؟ » قال : « من خزاعة » . قالت : « مرحباً بك وأهلا ؟ أىّ شىء طلبت ؟ » . فوصف لها الصفة . قالت : « قد أصبتها » . وأسرّت إلى جارية لها . فمكثت هنيهة ثم خرجت وصيفة ما رُئِى مثلها . فقال لها : « أَقْبِلى » . فأقبلت . ثم قال : « أَدْبِرى » . فأدبرت . فملأت العين والنفس . فما بقى فيها شىء

(١) المجدولة : اللطيفة التكوين المحكمة الفتل الحسنة الطى .

(٢) الجعدة : الشديدة الأسر والخلق غير المسترخية ولا المضطربة .

(٣) السبطة : الحسنة القد والاستواء .

(٤) د ، ى : وقبلتها .

(٥) الحجلة : كالقبه تزين بالثياب والستور والأسرة للعروس .

(٦) البرزة : التى تبرز للقوم يجلسون إليها فى عفة وعقل أو البارزة المحاسن .

إلا وضع يده عليه . فقالت له : « أتحب أن نُؤَزِّرها لك ؟ » قال : « نعم » فائْتَزَرت فضمّها الإزار وظهرت محاسنُها الخفيّة . فضرب بيده إلى عَجيزتها وصدرها ، ثم قالت : « أتحب أن أُجَرِّدها ؟ » قال : « نعم » . فألقت الإزار فإذا أحسنُ خَلْق الله كأنها سَبيكة . فقالت : « يا أخا العرب ، كيف رأيت ؟ » قال : « مُنْيةَ المتمنّي » . [ثم] قال : « فبكم تقولين ؟ » قالت : « ليس يومُ النظر يومَ البيع ولكن تعود غداً حتى نبايعك ، فلا تنصرف إلا عن رضا » . فانصرف فقال له الدلال : « أرضيت ؟ » قال : « نعم ، ما كنت أحسب أن مثل هذه فى الدنيا » . ثم دفع له الغلام الثانى . فلما كان من الغد ، قال له الشامى : « أمض بنا » . فمضيا . ورحبت بهما المرأة ثم قالت للشامى : « أَعطِنا ما تبذل » قال : « ما لها عندى ثمن إلا وهى أكثر[1] منه ، فقولى يا أَمَةَ الله » . قالت : « بل قُلْ أنت ، فإنّا لم نُوطِئك أعقابنا[2] ونحن نريد خلافك » . قال : « ثلاثة آلاف درهم » . قالت : « واللهِ ، قُبلة منها خير من ثلاثة آلاف درهم » . قال : « أربعة آلاف » . قالت : « غفر الله لك ، أيها الرجل ! » قال : « والله ، ما معى غيرها — ولو كان لزِدتُك — إلا رَقيق ودوابّ أحمله إليك » . قالت : « ما أُراك إلا صادقا . أتدرى من هذه ؟ » قال : « لا ، والله » . قالت : « ابنتى فلانة بنت فلان ، وأنا فلانة بنت فلان . وقد كنت أردت أن أعرض عليك وصيفة عندى ، فأحببت إذا رأيت غدا غِلَظ أهل الشام وجَفاءهم ذكرت ابنتى ، قُمْ راشدا » . فقال للدلال : « خدعتنى ! » قال : « وما ترضى أن ترى ما رأيت من مثلها وتَهَب مائة غلام مثل غلامك ؟ » قال : « أما هذا فنعم » . وخرجا من عندها .

---

(١) غ : أكبر .

(٢) كذا فى غ . وفى ص : أعناقنا .

جاء الدلال يوماً إلى منزل نائلة بنت عمار الكلبي وكانت عند معاوية فطلّقها . فقرع الباب فلم يُفتح له . فتغنى فى شعر مجنون بنى عامر ونقر بدُفه[١] :

خَليلىَّ لا والله لا أملك البُكا إذا عَلَمٌ من أرضِ ليلى بَداليا[٢]
خليلى إنْ بانوا بليلى فهيِّئا لىَ النعشَ والأكفانَ، واستغفراليا[٣]
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها فهلّا بشىءٍ غيرَ ليلى ابتلانيا[٤]

فخرج حَشَمُها فزجَروه وقالوا : « تَنَحَّ عن الباب » : فسمِعت الجَلَبة فقالت : « ما هذه الضجة بالباب ؟ » فقالوا : « الدلال » . فقالت : « ائذنوا له » . فلما دخل شق ثوبه وطرح التراب على رأسه وصاح بوَيْله وحَرَبه[٥] . فقالت له : « لك الويل، مالك؟ » . قال: « ضربنى حشمك » . قالت: « لمَ ؟ » قال: « غنيت صوتاً أريد أن أُسمِعك إياه » . قالت : « أُفّ لهم ! نحن نبلُغ لك فى ذلك ما تحب ونُحسن تأديبهم، ياجارية ، هاتى ثياباً مقطوعة » . فلما طُرحت عليه الثياب ، جلس . فقالت : « ما حاجتك ؟ » فقال : « لا أسألك حاجة حتى أغنيك » . قالت : « فذاك إليك » . فاندفع يغنى فى شعر جميل[٦] :

إرْحميِنى فقد بَليتُ فَحسْبِى بعضُ ذا الداء يا بثينةُ حسْبى
لامَنِى فيك يا بثينة صَحْبى لا تلُوموا قدَ اقرَح الحزن قلبى[٧]
زعم الناسُ أن دائىَ طِبِّى أنت واللهِ يا بثينة طبى

(١) ديوان مجنون ليلى (مكتبة مصر) ٢٩٣ ، ٢٩٦–٢٩٨ .
(٢) فى الديوان : من آل ليلى .
(٣) رواية الشطر الأول فى الديوان مرة : فقرِّبا ، ومرة : خليلىّ إن ضنوا بليلى فقربا .
(٤) البيت غير موجود فى غ ، ت .
(٥) الحرب : السلب والخراب .
(٦) ديوان جميل (مكتبة مصر) ٣٢ .
(٧) غ والديوان : اقرح الحب .

ثم جلس فقال : « هل من طعام ؟ » قالت : « علىّ بالمائدة » : فأُتى بها . فأكل ثم قال : « هل من شراب ؟ » قالت : « أما نبيذ فلا ولكن غيره » . فأُتى بأنواع الأشربة . فشرب ثم قال : « هل من فاكهة ؟ » فأُتى بها ، ثم قال : « حاجتى خمسة آلاف درهم ، وخمسُ حُلَلٍ من حلل معاوية[1] ، وخمس حلل من حلل حبيب بن مَسْلَمة ، وخمس حلل من حلل النُّعمان بن بَشير » . قالت : « وما أردت بهذا ؟ » قال : « هو ذاك ، واللهِ ، وما أرضَى ببعض دون بعض ، فإما الحاجة وإما الرد » . فدعت له بما سأل . فقبضه وقام . فلما توسط الدار نقر دفه وغنى فى فى شعر جميل[2] .

ليت شِعْرى أجَفْوةٌ أم دَلالُ ... أم عدوٌّ أتى بثينةَ بعدى

فمُرِينى أُطِعْكِ فى كلّ أمرٍ ... أنتِ واللهِ أوجَهُ الناسِ عندى

قال : وكانت نائلة عند معاوية فقال لفاختة بنت قَرَظة : « اذهبى فانظرى إليها » . فذهبت ونظرت ، فقالت له : « ما رأيت مثلها ولكن رأيت تحت سُرَّتها خالا لَيُوضَعنَّ معه رأسُ زوجها فى حِجْرها » . فطلقها معاوية . وتزوجها بعده رجلان : أحدهما حبيب بن مسلمة ، والآخر النعمان بن بشير ، فقُتل أحدهما ووُضع رأسه فى حجرها[3] .

لما أراد عبد الله بن جعفر إهداء[4] ابنته إلى الحجاج ، كان ابن أبى عَتيق عنده . فجاء الدلال فقال له ابن جعفر : « قد جئت يا دلال فى وقتِ حاجتِنا إليك » . قال : « ذلك قصدتُ » . فقال ابن أبى عتيق : «غَنِّنا» . وقال ابن جعفر : « ليس وقت ذاك ،

---

(١) ولى الخلافة من ٤١ إلى ٦٠ هـ .

(٢) ديوان جميل (مكتبة مصر) ٧٥ .

(٣) هو النعمان بن بشير (انظر ترجمته فى هذا الجزء) .

(٤) إهداء : زفاف .

نحن فى شغل عن هـذا » . فقال ابن أبى عتيق : « وحَقِّ البَنِيَّة[1] لَيُغَنِّيَنّ » .
فقال ابن جعفر : « هات » . فتغنى ونقر بالدف ، والهوادج والرَّواحل قد هُيِّئت ،
وصُيِّرت بنت ابن جعفر مع جواريها والمشيِّعون لها قيام :

يا صاحِ لو كنتَ عالمًا خَبِرا ... بما يُلاقى المُحِبُّ لم تَلُمُهْ[2]
لا ذنبَ فى مُقَرْطَقٍ حَسَنٍ ... يُعجِبه دَلُّه ومُبْتَسَمُه[3]
شِيمته البخلُ والبِعادُ لنا ... يا حَبَّذا هُوْ وحَبَّذا شِيَمُه
مُضمَّخٌ بالعبير عارِضُه ... طُوبَى لِمَنْ شَمَّه ومن لَثَمُه[4]

فطرب ابنُ جعفر وابن أبى عتيق ، وقال ابن جعفر : « زدنى » . فغناه فى شعر
ابن قَيْس الرُّقَيات[5] :

بَكَر العواذلُ فى الصَّبو ... حِ يَلُمْنَنى وألُومُهُنَّهْ[6]
ويَقُلْن : شيْبٌ قد عَلا ... كَ وقد كَبِرت ، فقلت : إنَّهْ[7]
لا بُدَّ من شيبٍ فدَعْـ ... نَ ولا تُطِلْنَ مَلامَكُنَّه

(١) غ : ورب الكعبة . والبنية هى الكعبة .

(٢) لم تلمه : حق الميم أن تسكن ولكنه نقل إليها ضمة الهاء بعدها للوقف .

(٣) غ :

لا ذنب لى فى مقرط حسن ... أعجبه دله ومبتسمه

والمقرطق : الذى ألبس القرطق ، وهو قباء . والمبتسم : الفم .

(٤) لثمه : حق ميمه أن تفتح ، ولكنه نقل إليها ضمة الهاء بعدها على لغة لخم، الذين يجيزون فى الوقف نقل حركة الحرف الأخير إلى المتحرك قبله .

(٥) ديوانه ، طبع فينا ١٩٠٢ ، ص ١٤١ .

(٦) غ : فى الصباح . وفى الديوان .

بكرَتْ علىَّ عواذلى ... يَلْحَيْننى وألومُهُنَّه

(٧) ذهب النحاة فى « إنه » مذهبين : رأى بعضهم أن معناها نعم وألحقتبها هاء السكت، ورأى آخرون أنها المؤكدة واسمها ، وحذف خبرها ، وتقديره: حق أوكذلك ، يريد: إن الشيب علانى فعلا .

ومضت ابنة ابن جعفر . فاتَّبعها يغنيها بشعر عمر بن أبى ربيعة[١] :

إنّ الخليطَ أَجَـدَّ فاحتَملا ... وأراد غيظَك بالذى فعَلا[٢]
فوقفتُ أنظرُ بعضَ شأنِهِم ... والنفسُ مما تأمُل الأملا[٣]
فهنـاكَ كاد الشوق يقتُلُنى ... لو أنّ شوقاً قبلَه قتَـلا[٤]

فدمعت عينا عبد الله بن جعفر وقال للدلال : « حَسْبُك فقد أوجعت قلبى » . ثم قال لهم : « امضُوا فى حفظ الله ، على خير طائر[٥] ، وأَيْمن نَقيبة[٦] » .

كان الدلال لا يشرب النبيذ . فخرج مع قوم إلى مُتَنَزَّه لهم ومعهم نبيـذ . فشربوا منه ولم يشرب . وسقوه عسلا مَجْدُوحا[٧] . وكان كلما تغافل صَيَّروا فى شرابه نبيذا فلا ينـكره ، حتى كثر ذلك فسكر وطرب . وقال : « اسقونى من شرابكم » . فسقَوْه . وغناهم فى شعر الأحوص :

طاف الخيالُ وطاف الهم فاعْتـكَرا ... عند الفراش فَـآبَ الهَمُّ مُحتَضِرا[٨]
أُراقبُ النجمَ كالحيرانِ مرتقِبا ... وقَلَّص النومُ عن عينىّ فانْشَمَرَا[٩]

---

(١) ديوانه (ليبسك ١٣١٨ هـ) ١٤٢ .

(٢) الخليط : المخالط . أجد : أحدث نية على الرحيل أو صار ذاجد واجتهاد فى الرحيل . واحتمل : ارتحل .

(٣) الشطر الأول فى الديوان :

* قد كنت آمل طول مكثهم *

(٤) فى الديوان : كاد الحب . . . لو كان حب قبله قتلا .

(٥) الطائر : الحظ .

(٦) النقيبة : النفس والمشورة .

(٧) مجدوح : مخلوط .

(٨) غ : فبات الهم . ت وبعض أصول د : وطـال الليل فاعتـكرا . واعتكر : اختلط واشتد سواده ، وهى أليق بالليل . ومحتضر : حاضر .

(٩) قلص ، انزوى وانقبض . وانشمر : ابتعد مسرعا .

فاستحسنه القوم وطربوا . ثم غناهم :

طَرِبْتَ وهاجَك مَنْ تَدَّكِرْ ومن لستَ مِنْ حُبِّه تَصْطَبِر[1]

فإنْ يأتِ منها الذى أرتجى فذاك لَعَمْرِى الذى أنتظر[2]

وإلا صبرتُ فلا مُفْحِشا عليها بسُوء ولا مُبْتَهِر[3]

وسكر حتى قطع ثيابه . ونام عريانا فغطاه القوم بثيابهم ، وحملوه إلى منزله ليلا ، وانصرفوا . فأصبح وقد قاء ولوّث ثيابه بقيئه . فأنكر نفسه وحلف ألا يغنى أبدا ، ولا يعاشر من يشرب النبيذ . ووَفَى بذلك حتى مات . وكان يجالس المَشْيَخة والأشراف ، فيُفيض معهم فى أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نَحْبَه .

(١) غ : من حبه تعتذر . وتدكر : تذكر .

(٢) غ : فإن نلت منها . ت : فإن بان منها .

(٣) مبتهر : كذا فى د ، ى ، أى مدع الكذب عليها . وفى ص ، ب ، س : منتهر .

نبيه*

هو رجل من بنى تميم . وأصله من الكوفة .

وكان فى أول أمره شاعرا لا يغنِّى . فهَوَى قينة ببغداد فتعلم الغناء من أجلها ، وجعله سببا للدخول عليها . وتزيّد فيه حتى عُدّ من المحسنين .

وكان له أخَوان ، يقال لهما : مُنبِّه ونَبْهان .

قال على بن المفضل : اصطبحنا يوما أنا ونبيه عند عبيد الله[1] بن أبى غسان ، فغنانا نبيه لحنه[2] :

يا أيُّها الرجل الذى ... قدزان مَنْطِقَه البَيَانْ

لا تَعْتِبَنَّ على الزما ... نِ فليس يُعتِبكَ الزمان

فما سمعت أحسن منه وشربنا عليه بقية يومنا . ثم سألنا الانصراف ، فسألنا عبيد الله[1] أن نبيت عنده ونصطبح من غد . وقال لنبيه : « أَيْشِ تشتهى أن نصلح لك» . فقال : « تشترى غزالا فتطعمنى كبده كبابا ، وتجعل سائرما آكله من لحمه » . فقال : «أفعل» . فلما اصطبحنا[3] جئناه بغزال فأصلحه كما أحب . فلما استوفى أكله استلقى لينام ، فحركناه فإذا هو ميت ، فجزعنا من ذلك . وبعث عبيد الله[1] إلى أمه فجاءت ، فأخبرها بخبره ، فلما رأته استرجعت ثم قالت : « لا بأس عليكم ، وهو رابع أربعة أولاد ولدتُهم كانت هذه منيّتهم ومنيَّة أبيهم[4] من قبلهم » . فسكَنّا لذلك. وغُسل فى دار عبيد الله[1] ، ودُفن .

---

* أخباره فى ب ٦ : ١١ ، س ٦ : ١٠ ، د ٦ : ١٦١ ، ى ٦ : ١٥١ .

(١) كذا فى غ . وفى ص : عبد الله .

(٢) الشعر لعبد الله بن هازون العروضى .

(٣) غ : أصبحنا .

(٤) غ : هذه ميتتهم وميتة أبيهم .

النُّعْمان *

أَعْشَى بنى تَغْلِب

هو النعمان بن نَجْوان[1] بن معاوية ، أحد بنى معاوية بن جُشَم بن بكر بن حُبَيب بن عمرو بن غَنْم[2] بن تَغْلِب بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نزار.

شاعر من شعراء الدولة الأموية ، من ساكنى الشام إذا حَضَر ، وإذا بَدا نزل بديار قومه بنواحى الموصل وديار ربيعة .

وكان نصرانيا ، وعلى ذلك مات .

وكان يُنادم الحُرَّ بن يوسف بن يحيى بن الحَكَم[3] فشربا يوما فى بستان بالموصل. فسكر الأعشى فنام فى البستان . ودعا الحر جواريه فدخلن عليه قبته . واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القبة، فمانعه الخدم. ودافعهم حتى كاد يهجم على الحرمع جواريه، فلطمه خصىٌّ منهم . فخرج إلى قومه فقال لهم : « لطَمنى الحُرُّ » . فوثب معه رجل من بنى تغلب ، يقال له ابن أَدْعَج، وهو شهاب بن هَمّام بن ثَعْلبة بن أبى سعد . فاقتحما الحائط[4] ، وهجما على الحر حتى لطمه الأعشى ثم رجما . فقال الأعشى فى ذلك :

---

* أخباره فى ب ١٠ : ٩٨ ، س ١٠ : ٩٣ ، د ١١ : ٢٨١ ، ى ١١ : ٢٦٣ .

(١) اختلف الرواة فى اسم الأعشى التغلبى . فذكر الآمدى : المؤتلف والمختلف ٢٠ أن « اسمه نعمان بن نجوان ، ويقال ربيعة بن نجـوان بن أسود » . وذكر أبو الفرج : « قال أبو عمرو الشيبانى : اسمه ربيعة . وقال ابن حبيب : اسمه النعمان بن يحيى بن معاوية » . وقال الزبيدى تاج العروس ، مادة عشو : « هو النعمان ، ويقال له ابن جاوان » .

(٢) غنم : ساقطة من غ ، وموجودة فى ص ، ت ، وتاج العروس .

(٣) ولاه هشام بن عبد الملك مصر فى ١٠٥ هـ فثار القبط فأصلح أمرهم . ثم عزل عنهـا وولى الموصل ١٠٨ هـ وبقى بها إلى أن مات فى ١١٤ هـ .

(٤) الحائط : البستان .

كأنى وابنَ أَدْعجَ إذ دَخلْنا ... على قُرَشِيِّكَ الوَرَعِ الجبانِ (١)
هِزَبْرا غابةٍ وَقَصا حمارا ... فظلَّا حوله يتبهنسان (٢)
أنا الُجشَمِىُّ من جُشَم بنِ بكرٍ ... عشيةَ رُعْتُ طَرْفَك بالبَنان (٣)
فما يَسْطيع ذو مُلْك عقابى ... إذا اجْترمَتْ يدِى وجنى لسانى
عشيةَ غاب عنك بنو هشام ... وعثمانُ استُها وبنو أبان
تروح إلى منازِلها قريشٌ ... وأنت مخيِّمٌ بالزَّرَّقان (٤)

الزرقان : قرية للحر كانت بسنجار .

كان شَمْعَلة بن عامر بن عمرو بن بكر ، أخو بنى فائد ، نصرانيا ، وكان ظريفا . فدخل على بعض خلفاء بنى أمية ، فقال له : « أَسلم يا شمعلة » . قال : « لا والله ، لا أسلم كارها أبدا ، ولا أسلم إلا طوْعا إذا شئت » . فغضب وأمر فقُطع قطعة من لحم فخذه ، وشويت فى النار ، وأطعمه إياها . فقال أعشى بنى تغلب فى ذلك :

أمِنْ حُذَّةٍ بالفَخْذِ منك تَباشَرتْ ... عِداكَ ؟ ولا عارٌ عليك ولا وِتْرُ (٥)
وإنَّ أمير المؤمنين وجُرْحَه ... لَكا الدَّهْر لا عارٌ بما فَعَل الدهر

ومات شمعلة من الجرح الذى لحقه فى فخذه بعد مدة طويلة . فقال الأعشى فى ذلك :

---

(١) الورع : الضعيف الجبان . والأبيات فى ديوان الأعشين (طبع بيانة ١٩٢٧) ٢٩١ .

(٢) الهزبر : الأسد الغليظ الضخم ، ووقص : كسر ودق . ويتبهنسان : يتبختران . وفى غ والديوان : يتناهشان .

(٣) يريد عشية لطمتك بالكف .

(٤) كذا فى غ ومعجم البلدان لياقوت والديوان . وفى ص : بالزندقان . وسنجار : مدينة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . وفى ب ، س ، والديوان : إلى منازلنا .

(٥) انظر ديوان الأعشين ٢٨٩ . وكذا الرواية فى د ، ى ، والحذة : القطعة من اللحم . وفى ص : حدوة . وفى ب ، س : جذوة . وفى الديوان : حزة . وفى غ والديوان : فلا عار .

ألَا يا بنى مروانَ هل نُوفِينَّكم قروضَكُم من قبلِ أن يأتىَ الحشرُ،(١)
أُنْسَى إذا ما لم تَنُبْكم كريهةٌ ونُدْعَى إذا ما هُزْهِزَ الأَسَلُ السُّمْرُ(٢)
ألم يَكُ غَدْرا ما فعلتم بشَمْعَلٍ وقد خاب من كانت سَرِيرته الغدر
أَجِدَّكُم ما ترْهَبون كتائبا بلَمْلَمَ دعواها الأراقمُ والنَّمْر(٣)
فإنْ تكفروا ما قد علمتْم فرُبَّما أُتيح لكم قَسْرا بأسيافنا النصر(٤)
وأُقسم لوحربٌ عَوانٌ تلقَّحتْ وحانَ من الناسِ التنمُّر والخطْرُ(٥)
لَنَحْنُ عليكم لا لكم إن عَثَرْتُمُ مع الصَّكَّةِ الأولى إذا قُضِىَ الأمر(٦)
وكم قد دفَعْنا عنكُم من مُلمَّةٍ ولكن أَبيتُم لا وفاءٌ ولا شُكر
ونحن قتلْنا مُصْعَبا قد علمتمُ بمَسْكِنَ يومَ الحرب أنيابُها خضر(٧)

---

(١) الأبيات الآتية موجودة فى ت وديوان الأعشين ٢٨٩ ، وليست فى غ. وفى ت: فروضكم وفى الديوان : توفينكم فروضكم .

(٢) فى الديوان :

أيُنْسَى إذا ما لم تَنلكمْ كريهة ونَنْسَى إذا ماهُزهز الأسل الحمر

وهو محرف . وتنوبكم : تصيبكم . والأسل : الرماح .

(٣) الديوان : لا ترهبون . ولملم : لم أجده فى الأماكن ، وهو فى اللغة الجمع الكثير ، والمعروف فى الأماكن ألملم ويلملم ، وهما موضع واحد على ليلتين من مكة يحرم منه أهل اليمن. والأراقم: أحياء من تغلب ، وهم جشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب . والنمر : قبيلة .

(٤) الديوان : فطالما أتيح لها قسرا . .

(٥) الديوان : فأقسم إن حرب . والحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة . والتنمر: الغضب والسخط . والخطر : الوعيد والتهديد ورفع السلاح ووضعه .

(٦) ت : من الصكة . الديوان : مع الصرعة .

(٧) الديوان : أنيابها حصر، ت: أنيابها كشر. ومصعب : يريد به ابن الزبير ، والى العراق من قبل أخيه عبد الله ، وقد قتل فى الحرب بينه وبين عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ. ومسكن : موضع على نهر دجيل عند دير الجاثليق. وخضرة الأنياب: كناية عن الحداثة ، يريد فى أول الحرب.

فمـا رَبُّ ذاكَ الفضلِ كاسرَ عينه هشامٌ ولا عبدُ العزيز ولا بِشْر[١]

فبعث إليه بشر بن مروان خاصةً[٢] فأرضاه ووصله صِلةً سنية ، وحمله على فرس جوادٍ ، وكساه كسوة فاخرة . فقال يمدحه من أبيات[٣] :

متى يقولوا : أبو مروانَ سيـدُنا وخيرُ من يُرْتَجى بِشْرٌ، فقدصدَقُوا

هو الجوادُ قديمـا كان سابقَهم حتى أقرُّوا ، ولو لم ينزِعُوا سُبِقوا[٤]

كان الوليد بن عبد الملك محسنا إلى أعشى بنى تغلب . فلما ولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة وَفَد عليه ومدحه . فلم يُعطه شيئا وقال : « ما أرى للشعراء فى بيت المال حقا ولو كان لهم حق ما كان لك شىء لأنك امرؤ نصرانى » . فقال :

لَعَمْرى لقد عاش الوليـد حيـاتَهُ إمامَ هُدًى ، لا مُسْـتزادٌ ولا نَزْرُ[٥]

كأنَّ بـنى مروان بعـد وفاتِهِ جَلاميدُ ما تَنْدَى وإنْ بَلَّها القَطْرُ[٦]

---

(١) أراد هشام بن عبد الملك ، وصفه بذلك لحول عينه. وعبد العزيز وبشر : ابنا مروان ابن الحكم .

(٢) خاصة : رسولا خاصا .

(٣) ديوان الأعشين ٢٩١ .

(٤) ينزعوا : يكفوا وينتهوا .

(٥) مستزاد : يطلب منه زيادة العطاء . والنزر : البخيل

(٦) غ والديوان : لا تندى . ت : ولو بلها . وتنـدى : تسخو . والقطر : المطر .

ناهِض بن ثُومَة

هو ناهضُ بن ثُومة بن نَصيح بن نَهيك بن إمام بن جَهْضَم بن شهاب بن أَنَس ابن رَبيعة بن كَعب بن أبي بكر[1] بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

شاعر فصيح ، بدوى ، فارس ، من شعراء الدولة العباسية . كان يَقدَم البصرة ، فيُكتَب عنه شعره ، وتؤخذ عنه اللغة . روى عنه الرياشي وأبو شُراعَة[2] وغيرهما .

وكان يهاجيه رجل من بنى الحارث بن كعب ، يقال له : نافع بن أصعر الحارثى[3] ، فأبَرَّ عليه[4] ناهض . فمما قال ناهض فى جواب قصيدة هجا بها نافع قبائل قيس ، من قصيدةٍ أولُها :

ألَا يا اسْلَمَا يا أيها الطَّلَلانِ ... وهل سالمٌ باقٍ على الحَدَثانِ
خليليَّ قد أكثرتُما اللومَ فاربَعا ... كفانِيَ مابى لو تُركتُ كفانى[5]
إذا لم تصل سَلْمى وأسماءُ فى الصِّبا ... بحَبْليهما حَبْلِى ، فمَنْ تَصلان ؟
فدَعْ ذا ، ولكنْ قد عجبتُ لنافعٍ ... ومَعْواهُ من نَجرانَ حيثُ عَوانى[6]

---

* أخبـاره فى ب ١٢ : ٣٣ ، س ١٢ : ٣٢ ، د ١٣ : ١٧٥ ، ى ١٣ : ١٧٦ .

(١) غ : كعب بن بكر . وما أثبته عن ص أصح .

(٢) ص : أبو سراعة . غ : أبو سراقة . والتصحيح عن أمالى القالى ١ : ٢٢ ، والأغانى ٢٠ : ٣٥ .

(٣) كذا فى ص . فى غ : نافع بن أشعر . ولم أجده فيما بين يدى من مراجع .

(٤) فأبر عليه : غلبه . وفى غ : فأثرى عليه .

(٥) أربعا : أمسكا وتوقفا .

(٦) ب ، س : ودع ذا . وفى ص : حيث غوانى ، تحريف . ومعواه : عواؤه، شبه هجاءه بعواء الكلب .

لَعَمْرِى ، لقد قال ابن أصعر نافعٌ[1] ... مقالةَ موطوءِ الحريمِ مُهانِ
هجــا نافعٌ كعبا ليُدركَ وِتْرَهُ ... ولم يهجُ كعبٌ نافعاً لأوانِ[2]
ولم تَعْفُ من آثارِ كعبٍ بوجهه ... قوارعُ منها وُضَّحٌ وقَوانى[3]
وقد خضَّبوا وجْهَ ابنِ عُلبةَ جعفرٍ ... خِضابَ نجيعٍ لا خِضابَ دِهانِ[4]
فلم يُدْمِ كعبا نافعٌ منــه ضربه ... بسيفٍ ولم يطعُنْهمُ بسِنانِ[5]
فما لك مَهْجًى ياابن أصعر[6] فالتقِمْ ... على حجرٍ واصبِرْ لكل هوانِ
إذا المـــرءُ لم ينهضْ بثأرٍ لعمِّه ... فليس يُجَلِّى العـارُ بالهذيانِ[7]
أبى قيسُ عَيلانٍ وعمِّىَ خِندِفٌ ... ذوو البَذْخِ عندالفَخْرِ والخَطَرانِ[8]
إذا ما تجمَّعْنا وسارتْ حِــذاءَنا ... ربيعةُ لم يُعْدَلْ بنا أخوانِ
أليس نبىُّ الله منّا محمـــدٌ ... وحمزةُ والعبـاسُ والعُمَرانِ[9]
ومِنّا ابن عباسٍ ومنـا ابنُ عمِّه ... علىٌّ إمامُ الحـــقِّ ، والحَسَنانِ[10]

---

(١) ب ، س : لعمرى لقد كان ابن أصرع نافع . د : ابن أسعر ، ى : ابن أشعر .

(٢) كذا فى غ ، أى أن كعبا لم يهج نافعا فى أى وقت . وفى ص : ولم يهج كعبا نافع لأوان.

(٣) والقوارع : الإصابات . والوضـح : جمع واضحة ، وهى الشجة التى تبين العظم . والقوانى : الشديدة الحمرة .

(٤) النجيع : دم الجوف . وانظر خبر جعفر بن علبة الحارثى فى الأغانى (د) ١٣ : ٤٥ .

(٥) غ : فلم يهج كعبا نافع بعد ضربة .

(٦) ب ، س : يابن أصفر فاكتعم . د ، ى : يابن أشعر فاكتعم .

(٧) غ : فيثأر بعمه .

(٨) ب ، س : أبا قيس عيلان . وفى ص : وعمى جندب ، تحريف . فقد أراد أبناء ليلى من إلياس بن مضر بن نزار ، التى انتقل هذا اللقب منها إلى أبنائها فى قصة تروى . وفى غ : ذوا البذخ . والبذخ : الكبر والتطاول والفخر ، ولم تذكر فيه المعاجم التسكين ولكن الشاعر اضطر إلى ذلك . والخطران : الاهتزاز والتبختر فى المشى والمصاولة .

(٩) العمران : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب أو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز.

(١٠) ب ، س : أمان الحق .

وعثمانُ والصِّدّيقُ منا وإننّا لَنَعلمُ أن الحقَّ ما يَعدان(١)
ومنا بنو العباس فَضْلا، فمَنْ لكم؟ هَلُمُّوهُ أو لا يَنْطِقَنَّ يمانِ

فأنشد ناهض هذه القصيدة أيوبَ بن سليمان بن على بالبصرة ، وعنده خالٌ له من الأنصار . فلما ختمها بهذا البيت ، قال الأنصارى : « أَخْرَسنا ، أخرسه الله تعالى ! » .

وكان جَدُّه نَصيح شاعرا أيضا .

قال الفضل بن العباس الهاشمى ، من ولد قُثَم بن جعفر : كان ناهض بن ثومة يَفِد على جَدى قثم فيمدحه ، ويَصِله جدى ويَمِيره(٢) ، وكان بدويا جافيا كأنه من الوحش ، وكان طيب الحديث . فحدّثه يوما : أنهم انتجعوا الشام ، فقصد صديقا له من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب . فمدحه وكان بَرّا به . قال : فمررتُ بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالى . فرأيت دُورا متباينة وخِصاصا قد ضُمّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومُدبرون ، عليهم ثياب تحكى ألوان الزهر . فقلت فى نفسى : « هذا أحد العيدين : الأضحى أو الفطر » ثم ثاب إلىّ ما عَزَب من عقلى ، فقلت : « خرجت من أهلى ببادية البصرة فى صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك . فما هذا الذى أرى ؟ وما هذا الذى يخيل إلى نفسى ؟ لا والله ما لهذا أصل ، وإن الذى أراه لَشأنٌ عظيم غير مايقع لى الأمر » . وأقبلت أتأمله .

فبينا أنا واقف متعجب ، إذ جاءنى رجل فأخذ بيدى ، فأدخلنى داراً قَوْراء ، وأدخلنى منها بيتاً قد نُجِّد فى وجهه فُرُش ومُهِّدت ، وعليها شاب ينال فروع شعره منكبيه ، والناس حوله سِماطان . فقلت فى نفسى : « هذا الأمير الذى حُكِى لنا جلوسُه على السرير وجلوس الناس حوله وبين يديه ، ولقد أُريت ما كنت أتمناه من

---

(٥) كذا فى غ . وفى ص : تعدان .

(٦) غ : جدى وغيره . وفى الخبر كثير من العبارات المزيدة غير الموجودة فى الأغانى .

دهر طويل ، فياليت شعرى ، ما السبب فى إدخالى عليه ؟ وما يريد منى ؟ » فقلت وأنا ماثل بين يديه : « السلام عليك ، أيها الأمير ، ورحمة الله وبركاته » . فجذب رجل بيدى وقال : « اجلس ! فإن هذا ليس بأمير » . فقلت : « وما هو ؟ » قال : « عروس » . فقلت : « واثـكل أماه ! لَرُبَّ عروسٍ بالبادية أهونُ على أهله من هَنٍ أمه ! » فلم أنشب أن دخل رجال يحملون هَنات[1] مدوَّرات : أما ما خفَّ منها فيُحمَل حملا ، وأما ما ثقل وكبر فيدحرج . فوضع ذلك أمامنا ، وتحلَّق القوم عليها حلقاً متزاحمين ، وأنا أنظر إليهم وأقول : « يا قوم ! ياهؤلاء الذين لم أر مثلهم قط » . ثم أُتينا بخرق بيض ، فأُلقيت بين أيدينا . فظننتها ثيابا وهممت أن أسأل القوم منها خرقاً أقطعها قميصاً ، وذلك أنى رأيت لها نسيجاً متلاحما لا يبين له سَدًى ولا لُحْمة . فلما بسط القوم أيديهم إذا هو يتمزق سريعاً فإذا هو — فيما زعموا — صنف من الخبز لا أعرفه . ثم أُتينا بطعام كثير حلو وحامض ، وحار وبارد ، فأكثرت منه وأنا لا أعرف مافى عَقِبه من التَّخَم والبَشَم . ثم أتينا بشراب أحمر فى عِساس[2] ، فقلت : «لا حاجة لى فيه ، فإنى أخاف أن يقتلنى » . فضحكوا وقالوا : « يا بدوى ! هذا ينفع ما أكلت ويهضمه » . فقلت : « ما أريده » .

وكان إلى جنبى رجل ناصح لى من بين الجماعة ، جزاه الله خيراً . فقال لى : « يا بدوى ! أعلم أنك قد أكلت وأكثرت من الطعام ، وهذا النبيذ يهضم ما أكلت وإن أنت شربت الماء هَمَى بطنك[3] » . فلما ذكر البطن تذكرت شيئاً كان أوصانى به أخى[4] والأشياخ من أهلى ، وقالوا : لا تزال حيا بخير ما دام بطنك شديداً ،

(١) هنات : أشياء .

(٢) العساس : جمع عس ، وهو القدح الكبير .

(٣) همى بطنك : أسهل .

(٤) غ : أبى .

فإذا اختلف[١] فأَوْصِ . وهذا والله مما قاله لى الرجل: إنى إذا أتخمت همى[٢] بطنى . فقلت : « قد نصح لك هذا الرجل ، أحسن الله جزاءه ! » وشربت من ذلك الشراب لأتداوى ، ورأيته طبا فأكثرت منه وأنا لا أملّ شربه . فتداخلنى لذلك صلف لا أعرفه من نفسى ، وبكاء لا أعلم سببه ولا علم[٣] لى بمثله ؛ واقتدارٌ على أمرى أظن معه أنى لو أردت نيل السقف لبلغتُه ، ولو ساورتُ[٤] الأسد لقتلتُه ، ولو وثب إلىّ جماعة من النـاس أقاتلهم لقتلتهم . وجعلت أتلفت إلى الرجل الناصح لى فتحدّثنى نفسى بهَتْم أسنانه وهشم أنفه . وأهُمّ أحياناً بأن أقول له : « يا ابن الزانية ! » .

فبينا نحن كذلك إذ هجم علينـــا شياطين أربعة ، أحدهم قد عَلّق فى عنقه جَعبةً[٥] فارسية مُشنَّجة[٦] الطرفين ، دقيقة الوسط ، مشدودة بالخيوط شـــداً منـكراً[٧] لم أر مثله . ثم بدر الثانى فأخرج من كمه هَنَةً سوداء كفَيْشَلة الحمار ، فوضعها فى فيـه . وبقيت أنظر إليه وأتعجب وأقول: « ترى الشيطان أى شىء يريد أن يصنع بهذه الهنة ؟ » . وضرط منها ضراطاً لا والله ما سمعت أعجب منه . فاستتمّ بها أمرهم . ثم حرك أصابعه على ثُقَب[٨] فيها ، فأخرج منها صوتاً ليس كما بدأ يشبه الضراط ، لـكنه أتى منها لما حرك أصابعه بصوت عجيب متلائم مشاكل بعضه لبعض، كأنه — علم الله — ينطق بكلام ما سمع السامعون أشجى منه[٩] . قال : وضرب الأول

(١) كذا فى غ ، وفى س : رقت .
(٢) س : حب . وربما كان محرفا عما أثبت .
(٣) غ : ولا عهد .
(٤) ساورت الأسد : واثبته وصاولته .
(٥) الجعبة : كنانة السهام .
(٦) المشنجة : المتقبضة .
(٧) غ : مشبوحة بالخيوط شبحا منكرا .
(٨) غ : على أجحرة .
(٩) س : أسخى .

على الجعبة الفارسية التي كانت فى يده من جانبها ، وقال عليها قولا اختلط كلامه بصاحب الهنة . فسمعت شيئاً لا ـ وبيت الله ـ ماسمعت أطيب منه . ثم بدر ثالث كَزٌّ مَقِيت[١] ، عليه قميص وسخ ، ومعه مرآتان فجعل يصفّق بهما بيديه ، إحداهما على الأخرى . نخالط بصوتهما[٢] ما يفعل الرجلان . ثم بدر رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة ، وخُفّان أحذمان[٣] لا ساق لواحد منهما ، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور المقارب . ثم التبط[٤] به على الأرض . فقلت : « معتوه ، ورب الكعبة ! » . ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندى ، ورأيت القوم يحذفونه بالدراهم حذفاً منكراً .

ورأيت الأربعة شياطين قد اختلط كلام صاحب الجعبة ، وضراط صاحب الهنة ، وقفز ذلك الشيطان ، وتصفيق صاحب المرآتين فى موضع ، فكأنه ـ شهد الله ـ شيء واحد آخذ بالقلب من ملاحته . وطربت من طيبته حتى كدت أن أشق قميصى . ثم قلت : « أبقى عرياناً بلا شيء ! » وجعلتُ أشْخَص[٥] إليهم ، وهم يُحذَفون بالدراهم. ويُلصَق على وجوههم بالبصاق ، وأنا أقول : « ليت كان معى شيء فأعطيهم كما يعطى هؤلاء[٦] » . وإذا هم يدورون على واحد واحد فيعطيهم إلى أن جاءوا إلىّ . فقالوا : « هات ، يا بدوى » . فقلت : « لا ها اللهِ ما معى شى ، ولو كان معى

---

(١) الكز : الجهم المتقبض . والمقيت : الكريه .

(٢) ص : فخالطت بصوتها . ب ، س : فخالطت بصوته . د ، ى : فخالطتا بصوتهما . ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) أحذم: مقطوع ب ، د ، ى : أجذمان . س : أخذمان .

(٤) التبط : سقط .

(٥) أشخص : أرفع بصرى دون أن يطرف .

(٦) ص: يعطون هؤلاء.

لفعلت » . فأقبلوا يضحكون منى . وأعطانى صديقى الذى كان إلى جنبى درهما فأعطيتهم . ورأيت ــ والله ــ منهم منظراً حسناً . وأقبلت أفكر فى نفسى وأقول : « يا قوم ، رأيتم هذه الجعبة الفارسية ، والمرآة ، والهنة : أيش نشأ منهم من العجائب ؟ ! » وأنا شاخص الطَّرْف إليهم .

ثم أرسل النساء إلينا أنْ أمتِعونا من لهوكم هذا . فبعثوا بهم إليهن . وجعلنا نسمع أصواتهم من بُعد . وكان معنا فى البيت شاب لا أُبهة(١) له . فعلَتِ الأصوات بالثناء عليه والدعاء له . وإذا به قد خرج فجاء بخشبة ، عينها(٢) فى صدرها ، فيها خيوط أربعة . فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه . ثم عرك آذانها وحركها بخشبة فى يده . فنطقت ــ ورب الكعبة ــ وإذا هى كأحسن قينة رأيتها قط . وغنى عليها بغناء ما سمعته قط . فأطربنى حتى كدت أطير فرحاً ، واستخفنى من مجلسى فوثبت فجلست بين يديه . وقلت : « بأبى أنت وأمى ! ما هــذه الدابة ؟ فلست أعرفها للأعراب . وما أراها خلقت إلا قريباً » . فأقبل يضحك ويصفق من كلامى ، وتضحك الجماعة معه منى أيضاً ، ويصفقون ويقولون : « هِيهِ ، ياأعرابى ! بالله عليك ، هذه دابة ؟ » قلت : « فداكم أبى وأمى ! أنا بدوى لا أعرف فعرِّفونى ، فقد والله تحيرت » . فقال لى المغنى : « هذا البَرْبَط » . فقلت : « بأبى أنت وأمى ! فما هذا الخيط الأسفل ؟ » قال : « الزِّير » . قلت : « فالذى يليه ؟ » قال : « المَثْنَى » . قلت : « فالذى يليه ؟ » قال : « المَثْلَث » . قلت : « فالأعلى ؟ » قال : « البَمّ » . فقلت : « آمنت بالله أولا ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثا ، وبالبم رابعاً » .

فضحكنا حتى سقطنا(٣) إلى الأرض . وجعل ناهض يعجب من ضحكنا وكنا نستعيده هــذا الحديث ، ونطرف به إخواننا . وكان من ملاحة الحديث على أمر جليل .

---

(١) غ : لا آبه له .
(٢) غ : عيناها .
(٣) غ : فضحك أبى والله حتى سقط . والضمائر فى الفقرة كلها للمفرد الغائب .

نُباتة أبو الأسد*

هو نباتة بن عبد الله الحِمّانى ، من بنى شَيْبان[1] .

شاعر ، مطبوع ، متوسط الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، من أهل الدِّينَوَر[2] .

[وكان][3] مليحا ، طيب النادرة ، مَزّاحا ، خبيث الهجاء .

وكان صديقا لعَلُّويه ، كثيرا ما يغنى بأشعاره . وكان علويه يصفُه للناس[4] ويعرضه للمنافع .

كتب أبو الأسد إلى موسى بن الضحاك :

لموسَى أَعبُدٌ وأنا أخوه ... وصاحبه ، ومالى غيرُ عَبْدِ

فلو شاء الإله وشاء موسى ... لآنسَ جانبَيْ فرجٍ بسَعْدِ[5]

وفرج غلام أبى الأسد ، وسعد غلام كان لموسى . فبعث إليه موسى بسعد . وشاطره بعدُ فى بقية غلمانه ، فأخذ شطرهم وأعطاه شطرهم .

كان أبو الأسد مَدَح أحمد بن أبى دُواد ، فوعده بالثواب ومَطَله ولم يُثِبْه . فكتب إليه :

---

* أخباره فى ب ١٢ : ١٧٤ ، س ١٢ : ١٦٧ ، د ١٤ : ١٣١ ، ى ١٤ : ١٢٥ .

(١) كذا فى ص ، وبنو حمان المعروفون من تميم لا شيبان . والشاعر فيه خلاف : هل هو من تميم أو شيبان ، فاختصر المؤلف الخلاف فأوهمت عبارته .

(٢) الدينور : مدينة من الجبل بينها وبين همذان أكثر من عشرين فرسخا .

(٣) زيادة عن غ يستلزمها نصبه للصفات . وفيه : مليح النوادر .

(٤) غ : يصله بالأكابر .

(٥) فرج : كذا فى غ . وفى ص : فرح . وكثيرا ما تهمل ص النقط .

ليقتــك إذ نُبِّتَنى بواحدةٍ   تُقنِعُـنى منك آخرَ الأبَدِ
تحلِفُ أنْ لا تَبَرَّنى أبدا   فإن فيها بردا على كبدى
اِشْفِ فؤادىَ منى فإنَّ به   منِّىَ جُرحا نَـكَأْتُه بيدى
إن كان رزقى إليك فارْمِ به   فى ناظِرَىْ حيّةٍ على رصَدِ
قد عشت دهرا وما أُقَدِّر أن   أرضَى بما قد رضيتُ من أحد
فكيف أخطأتُ ؟ لا أَصبتُ ولا   نهضتُ من عَــثْرةٍ إلى سَدَدِ (١)
لو كنتُ حُرّا – كما زعمتُ – وقد   كَدَدْتَـنى بالمطـال ، لم أَعُد
صــبرتُ لمــا أسأتَ بى ، فإذا   عدتُ إلى مثلها ، فعُدْ وعُــد
فإننى أهْلُ ذاك فى طمعى   وفى خَطائِى سبيلَ مُعتمِــد (٢)
أَبْعَدَنى اللهُ حيث يحمِلُــنى   حِرْصى على مثل ذا من الأَوَد (٣)
الآنَ أيقنتُ بعد فعلِك بى   أنىَ عبدٌ لأعبُدٍ قُفُدُ (٤)
فصرت من سوءِما رَضيت به   أُكـنَى أبا الـكلبِ لا أبا الأسد (٥)

ثم هجاه أبو الأسد فقال :

أنت امرؤٌ غثُّ الصنيعةِ رَثُّهــا   لا تُحْسن النُّعْمَى إلى أَمْثالِى
نُعماكَ لا تَعْدُوكَ إلا فى امرئٍ   فى مَسْكِ مِثْلِك من ذوى الأشكال (٦)

---

(١) السدد : السداد والاستقامة .

(٢) ب ، س : فإنى . وخطائى : عدولى .

(٣) غ : حين يحملنى . والأود : الـكد والتعب ، والعوج أيضا .

(٤) قفد : كذا فى د ، ى . وهم جمع أقفد أى مسترخى العنق أو غليظه ، أو من يمشى على صدر قدميه ولا تبلغ عقباه الأرض أو الـكز اليدين والرجلين القصير الأصابع . وفى ص : فقد . وفى ب ، س بدون ضبط .

(٥) غ : سوء ما رميت به .

(٦) المسك : الجلد .

وإذا نظرتَ إلى صنيعك لم تجد   أحـدا سَموتَ به إلى الإفضال
فاسلَمْ لغير سلامةٍ تُرْجَى لها   إلا لسَــدِّك خَلَّة الأَنْذال[١]

وأدى إليه سَلَامة وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة ، هذه الأبيات عن أبى الأسد . فبعث إليه ببِر[٢] واستكَفَّه[٣]. وبعث ابن عائشة على مظالم ما سَبَذان[٤] ، وقال له : « قد شَرِكتَه فى التوبيخ لنا فشَركْناك فى الصنيعة[٥] فإن كنتما صادقين فى[٦] كنتما من الأنذال ، وإن كنتما كاذبين فقد جزيتكما بالقبيح حسَنا » .

وكان أبو الأسد منقطعا إلى الفَيْض بن أبى صالح وزير المهدى[٧] . وفيه يقول :

ولائمةٍ لامتْكَ يا فيضُ فى النَّدَى   فقلتُ لها لن يقدحَ اللومُ فى البحرِ[٨]
أرادتْ لتَثْنى الفيضَ عن غايةِ الندى   ومن ذا الذى يَثْنِى السحابَ عن القَطْرْ[٩]
مواقــعُ جُودِ الفيض فى كلِّ بلدةٍ   مواقعُ ماءِ المُزْنِ فى البلد القَفْرْ[١٠]
كأنَّ وفودَ الفيضِ لما تحمَّلوا   إلى الفيض لاقَوا عنده ليلةَ الفِطْرِ[١١]

وكان قبله منقطعا إلى أبى دلف . فلما قدم عليه علىّ بن جَبَلة العَكَوَّك غلب عليه ،

---

(١) غ : بغير . والخلة: الحاجة .
(٢) غ : ببرد .
(٣) استكفه : طلب إليه أن يكف عن هجائه .
(٤) ما سبذان : أحد أقاليم فارس .
(٥) ب ، س : الصنعة . د ، ى : الصفقة .
(٦) غ . صادقين فى دعواكما . وربما سقطت كلمة دعواكما من الأصل .
(٧) كذا فى ص، والجهشيارى ١٦٤ ، وزامباور: معجم الأنساب ٥ . وفى غ : الفيض بن صالح.
(٨) الجهشيارى : هل يقدح .
(٩) لتثنى : كذا فى ص والجهشيارى . وفى غ : لتنهى. ورواية الشطر الثانى ترجح ما أثبته. وفى غ والجهشيارى : عادة الندى . وهى أرجح من رواية الأصل المثبتة هنا .
(١٠) المزن : السحاب أو الممطر منه .
(١١) الجهشيارى : حين تحملوا . وفيه وفى غ : ليلة القدر.

وسقطت منزلة أبى الأسد عنده ، فانقطع إلى الفيض بعد عزله عن الوزارة ولزومه منزله ، وذلك فى أيام الرشيد . وفيه يقول :

أتيتُ الفيضَ مشتكيا زمانى فأعْدانى عليه جودُ فَيْضِ (١)
وفاضتْ كفُّه بالبَذْل منه كما كفُّ ابنِ عيسى ذاتُ غَيْض (٢)

زار أبو الأسد أبا دلف فى الكَرَج (٣) فحُجب عنه أياما . فكتب إليه يعاتبه :

ليْتَ شِعْرِى أَضاقتِ الأرضُ عَنِّى أم بفَجٍّ أنا الغداةَ طريدُ
أم أنا قانع بأدْنَى معاشٍ همتى القوتُ والقليل الزهيد
مِقْوَلى قاطعٌ وسَيْفى حُسام ويدى حُرَّةٌ وقلبى سديد (٤)
رُبَّ بابٍ أعزَّ من بابك اليو مَ عليه عساكرٌ وجنود
قد ولَجْناه داخلين غُدُوّا ورَواحا ، وأنت عنه مَذود (٥)
فاكفُفِ اليومَ من حِجابك إذ لسـ ـتَ أميرا ، ولا خَميسا تقود (٦)
واعترِفْ فى فراقِ الصدقَ إذ لسـ ـتُ أسيرا ، ولا علىَّ قيود (٧)
لا يقيم العزيزُ فى بلد الهُو ن ولا يكسُد الأريب الجليد (٨)

---

(١) أعدانى : نصرنى . والخليفة الهادى هو الذى عزل الفيض وبقى معزولا فى عهد الرشيد.

(٢) ابن عيسى : هو أبو دلف . وغيض : نقص وقلة ، يريد ذات بخل .

(٣) الكرج : مدينة فى منتصف الطريق بين همذان وأصبهان ، وهى إلى الأولى أقرب . وأول من مصرها أبو دلف وجعلها وطنه وإليها قصده الشعراء وذكروها فى أشعارهم .

(٤) غ : قلبى شديد وسديد : قاصد موفق ، وكثيرا ما تترك ص النقط . والمقول: اللسان. والحسام : القاطع.

(٥) ولجناه : دخلناه . ومذود : مدفوع مطرود .

(٦) الخميس : الجيش .

(٧) د ، ى : واغترب ، بدلا من : واعترف . وفى غ : فى فدافد الصد . واعترف : اعرف .

(٨) ب ، س : ولا يكسب. د ، ى : ولا يكبت. والهون: الخزى والذلة . والجليد: ذوالقوة والصبر .

ولأبى الأسد فى بِسْطام(١) ، وهى من جيد شعره ، ومنه أخذ البحترى فى مدحه على بن يحيى المنجم(٢) :

أَعْدُو على مالِ بسطامٍ فأَنْهَبُه ... كما أشاء فلا تُثْنَى إلىَّ يَدِى

حتى كأنىَ بسطامٌ بما احتكمتْ ... فيه يداى ، وبسطامٌ أبو الأسد

كان إبراهيم المَوْصِلى صديقا لأبى الأسد . فلما مات قيل له : « ألا ترثيه ! » فقال :

تولَّى الموصلى فقد تولَّتْ ... بَشاشاتُ المَزاهــرِ والقِيانِ(٣)

وأىُّ ملاحةٍ تبـقى ، فتبْقَى ... حياةُ الموصلى على الزمان(٤)

ستبْـكِيه المزاهرُ والملاهى ... وتُسْعِدُهن عاتِقَةُ الدِّنان(٥)

وتبـكيه الغويَّـة إذ توَلَّى ... ولا تبـكيه تالِيةُ القُران(٦)

فقالوا له : « ويحــك ! فضحته ، وكان صديقك ». فقال : « هى فضيحة عند من لا يعقل ، فأما من يعقل فلا . وبأى شىء كنت أذكره وأرثيه : بالفقه أم بالزهد أم بالدين أم بالقراءة ؟ وهل يُرثَى مغن إلا بهذا وشبهه ؟ » .

قال أبو الفضل الكاتب : كنت مقيما بالجبل . فمر بى أبو الأسد الشاعر ، فأنزلته عندى أياما : وسألته عن خبره فقال : «قصدت شاهين بن عيسى ، ابن أخى أبى دلف،

---

(١) بسطام : صديق له كان برابه (غ) .

(٢) لم أعثر على الأبيات التى يشير إليها فى ديوان البحترى المطبوع .

(٣) المزاهر : جمع مزهر ، وهو العود . والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية المغنية .

(٤) ب ، س : وأى فلاحة . غ : بقيت فتبق .

(٥) تسعد : تعين . الدنان : جمع دن ، وهو الوعاء العظيم تعتق فيه الخمر . والعاتق : القديم والكريم ، يصف خمرا .

(٦) القران : القرآن ، خفف همزته . والغوية : الضالة .

فما احتبسني ولا برّني ولا عرض على المقام عنده . وقد حضرني فيه أبيات فاكتبْها » . وهي :

إني مررتُ بشاهينٍ وقد لقِحت ... ريحُ العشيِّ وبردُ الثلج يُؤذيني (١)

فما وَقى عِرْضَه مني بكُسْوتِه ... ولا على حَسَبٍ حامَى ولا دين (٢)

إن لم يكن لبنُ الدّايات غيّره ... عن طبع آبائه الشُّمِّ العرانين (٣)

فرُبَّما غاب بعلٌ عن حليلته ... فنا كَها بعضُ سُوّاسِ البراذين (٤)

وما تحرَّكَ أيْرٌ فاستوى شَبَقا ... إلا تحرّكُ عِرْقٌ في استِ شاهين (٥)

ثم قال : « والله لأُمَزِّقنه كل ممزَّق ، ولأصيرن إلى أبي دلف ولأُنشِدَنَّه » . ومضى من فوره يريد أبا دلف فلم يصل إليه . وبلغ الشعر أبا دلف فشقّ ذلك عليه وغمه . فأتاه أبو الأسد فدخل إليه فسأله عن قصته فأخبره بها (٦) . فقال : « هبْه لي » . فقال : « والله ، لا وهبْتُه لك وقد حرَمني واستخفّ بي ، ولكن اشتر مني عرضه» . قال : « بكم ؟ » قال : « بعشرة آلاف درهم » . قال : « قد فعلت » . فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمسك عنه .

---

(١) لقحت : حملت الماء ومجته في السحاب . وكذا هي في ص . وفي ب ، س : لفحت ، وتوصف بذلك الرياح الساخنة لا ريح العشي . وفي د ، ى : نفحت ، أي هبت .

(٢) الشطر الثاني في غ : « لا بل ولا حسب دان ولادين » .

(٣) الشم : جمع أشم ، وهو المرتفع . والعرانين : جمع عرنين ، وهو الأنف أو ما صلب منه وشممه كناية عن الكبرياء . والدايات : جمع داية ، وهي المرضعة .

(٤) البعل : الزوج . والحليلة : الزوجة . والبراذين : جمع برذون ، وهو غير العربي من الخيل ويعمل في حمل الأثقال .

(٥) غ : فامتلا شبقا . والشبق : شدة الشهوة .

(٦) كذا في غ . وفي ص : فدخل إليه فأخبره عن قصته فأخبره بها . تحريف .

النُّعْمان بن بَشير*

هو النعمان بن بشير بن سعد بن حصين[1] بن ثَعْلبة[2] بن خَلّاس[3] بن يزيد[4] ابن مالك الأغر[5] بن ثعلبة بن كعب بن الخَزْرَج بن الحارث بن الخزرج .

وأمه عَمْرة بنت رَواحة ، أخت عبد الله بن رواحة ، التي يقول فيها قيس بن الخطيم[6] :

أجَدَّ بعَمرة غُنيانُها فتهجرَ أم شانُنا شانُها[7]

وعمرة من سَروات النسا ء تَنْفَح بالمسك أردانُها[8]

وله صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولأبيه بشير بن سعد . وكان جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعه رجل آخر ليشهدا غزوة له ، فاستصغرهما فردهما .

وأبوه بشير بن سعد أول من قام يوم السَّقيفة من الأنصار إلى أبي بكر رضى الله عنه

---

* أخباره في ب ١٤ : ١١٩ ، س ١٤ : ١١٤ ، د ١٦ : ٢٨ ، ى ١٦ : ٣ .

(١) حصين : كذا في ص وبعض أصول د ، ى . وفى ب ، س : نصر . وحذفت د الكلمتين اعتمادا على أنهما من حشو الناسخين ، إذ ليس لهما وجود فى نسب النعمان الذى أورده ابن دريد فى الاشتقاق ٢٧١ ، والخزرجى فى الخلاصة ٥٠ ، ومقدمة ديوان النعمان طبع دهلى بالهند ، صفحة ا

(٢) اختلفت المصادر فى موضع « ثعلبة » من نسب النعمان ، فهو فى الإصابة وطبقات ابن سعد ، وسير أعلام النبلاء ٣ : ٢٧٤ النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة ، وكذا هو فى أسد الغابة ١ : ١٩٥ ، ثم جعله مرة أخرى ٥ : ٢٢ : النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد .

(٣) كذا فى ب ، س ، د ، وتاج العروس (خلس) وجامع الأصول ، وأسد الغابة وابن سعد . وفى ى ، والاشتقاق وخلاصة الخزرجى ، والإصابة : جلاس . وخطأها ابن هشام ٢ : ٣٤٨ وفى ص بدون نقط .

(٤) غ وأسد الغابة : زيد .

(٥) كذا هو فى غ وأسد الغابة وطبقات ابن سعد . وفى ص : مالك بن الأغر .

(٦) ديوانه (مطبعة المدنى) ٢٤ .

(٧) جد : استمر . وغنيانها : استغناؤها .

(٨) الأردان : جمع ردن ، وهو أصل الكم من الملابس .

فبايعه . ثم توالت الأنصار فبايعته . وشهد بشير مع النبي صلى الله عليه وسلم العقبة وبدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها . واستشهد يوم عين التمر[1] مع خالد ابن الوليد .

وكان النعمان عُثمانيا . وشهد مع معاوية صِفّين . ولم يكن معه من الأنصار غيره . وكان كريما عليه ، رفيعا عنده . وعند يزيد ابنه .

وعُمِّر إلى خلافة مروان بن الحكم . وكان يتولى حمص . فلما بويع لمروان ، دعا إلى ابن الزبير ، وخالف على مروان ، وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمَرْج راهِط . فلم يُجبه أهل حِمْص إلى ذلك . فهرب منهم ، فتبعوه فأدركوه فقتلوه ، وذلك فى سنة خمس وستين .

ويقال إن النعمان أول مولود وُلد بالمدينة بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليها . وقد قيل ذلك فى عبد الله بن الزبير ، إلا أن النعمان أول مولود ولد بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم من الأنصار .

وروى النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا كثيرا[2] .

قال الشعبي : سمعت النعمان بن بشير يقول : أعطانى أبى عطية ، فقالت أمى عمرة : « لا أرضى حتى تُشهِد له رسول الله صلى الله عليه وسلم » . قال : فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن ابنى من عمرة أعطيته عطية فأمرتْنى أن أُشهدك » . فقال : « أعطيتَ كلَّ ولد مثل هذا ؟ » قال : « لا » . قال : « فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » .

---

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة ، فتحها خالد عنوة سنة ١٢ هـ فى عهد أبى بكر . وقد شهد بشير العقبة الثانية لا الأولى (أسد الغابة وطبقات ابن سعد) .

(٢) ذكر الزركلى أن له ١٢٤ حديثا (الأعلام) والذهبي ١١٤ (سير أعلام النبلاء) .

قال الشعبي : أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير فى أعطياتهم ، وعامله على الكوفة وأرضها النعمان ، وكان عثمانيا يُبغض أهل الكوفة لرأيهم فى على بن أبى طالب عليه السلام . فأبى النعمان أن يُنفذها لهم . فكلموه وسألوه بالله ، فأبى أن يفعل . وكان إذا خطب على المنبر أكثر من قراءة القرآن، وكان يقول: « لا ترون على منبرى هذا أحدا بعدى ، يقول : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فصعد المنبر يوما. فقام إليه أهل الكوفة فقالوا : « ننشدك الله والزيادة ». فقال : « اسكتوا » . فلما أكثروا ، قال : « أتدرون ما مثلى ومثلكم ؟ مثل الضبع والضب والثعلب. فإن ثعلبا وضبعا أتيا الضب فى وِجاره[1] فنادياه : « أبا الحِسْل »[2]. فقال : « سميعا دعوتما » . قالا : « أتيناك لتحكم بيننا » . قال : « فى بيته يُؤْتَى الحكم » . قالت الضبع : « إنى حللت عَيْبَتى »[3] . قال: « فعْلَا الحُرّة فعلتِ». قالت : « فلقطت تمرة » . قال : « طَيِّبا لقطتِ ». قالت : « فأكلها ثُعالة[4] » . قال : « لنفسه نظر » . قالت : « فلطمته » قال : « بجُرْمه لطمته » . قالت «فلطمنى» . قال : «حر انتصر» . قالت : « فاقض بيننا » . قال : «[قد فعلتُ] حَدِّث امرأة حديثين ، فإن أبَتْ فعَشْرة »[5] . فقال عبد الله بن هَمّام السَّلُولى :

زيادتنا نُعمانُ لا تحبِسَنَّها ... خَفِ اللهَ فينا والكتابَ الذى تتلُو[6]

(١) الوجار : جحر الضبع وغيرها .

(٢) الحسل : ولد الضب حين يخرج من بيضته .

(٣) العيبة : الصرة تجعل فيها الثياب وغيرها .

(٤) ثعالة : اسم علم للثعلب .

(٥) هذا مثال يراد به أن المرأة لا تفهم ما تسمع للمرة الأولى وتحتاج إلى أن يكرر عليها . ورمى به الضبع لأنها أنثى .

(٦) ب ، س : لا تحرمننا . وفى نوادر أبى زيد الأنصارى ٤ : تق الله فينا . وانظر شرح الرضى على شواهد الشافية ٤٩٦ .

فإنك قد حمِّلتَ منا أمانة ... بما عجزت عنه الصَّلاخمةُ البـزْل(١)
فلا تَكُ بابُ الشرِّ تُحسِنُ فَتْحَـه ... سريعـا ، وبابُ الخيرِ أنت له قُفْل(٢)
وقد نلتَ سلطانا عظيما فــلا يـكن ... لغيرك جُمّار الندى ولك النخل(٣)
وأنت امرؤ حلو اللسان بليغه ... فما باله عنـد الزيادة لا يحلو
وقبْلَك قد كانت علينا أئمةٌ ... يَهُمُّهُمُ تَقْويمُنا وهمُ عُصْل(٤)
إذا نَصَبوا للقول قالوا فأحسنوا ... ولـكنّ حسن القول خالفه الفِعْل(٥)
يذمون ذى الدنيا وهم يَرضِعونهـا ... أفاويقَ حـتى ما يدرّ لهـا ثَعْل(٦)

---

(١) الصلاخمة : جمع صلخم ، وهو الجمل الصلب الشديد . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل الذى انشق نابه ، ويكون ذلك فى العام التاسع من عمره .

(٢) ب :

وإن يك باب الشعر تحسن فتحه ... فلا يك باب الخير ليس له قفل

وفى س الرواية نفسها مع إصلاحها إلى : باب الشر . وفى د :

فلا يك باب الشر تحسن فتحه ... وباب الندى والخيِّرات له قفل

وفى رغبة الآمل للمرصفى ١ : ١٨٦ : باب الخير منك . وفى بعض أصول د :

فلا تك باب الشر تحسن فتحه ... لدينا ، وباب الخير أنت له قفل

وفى ى :

فلا يك باب الشر تحسن فتحه ... لدينا ، وباب الخير أنت له قفل

(٣) الجمار : شحم النخل يكون فى قمة رأسه ، تقطع القمة ثم تـكشط عن الجمار الأبيض فى جوفها كأنه القطعة الضخمة من السنام ، وهو رخص يؤكل بالعسل . يريد فلا يكن لغيرك الثمر بالرغم من أن النخل لك . ورواية الشطر الثانى فى غ :

* لغيرك جمّات الندى ولك البخل *

(٤) غ : قد كانوا . والعصل : جمع أعصل ، وهو المعوج فيه صلابة وشدة .

(٥) نصبوا للقول : تهيئوا . وفى ب ، س ، ى : أنصتوا .

(٦) ب ، س ، د : يذمون دنياهم . ى : يذمون دنيانا . وأفاويق : جمع فيقة ، وهى اللبن يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، يريد أنهم يرضعونها ثم يتركونها مقدار ما يجتمع اللبن ثم يرضعونها ثانية وهكذا . والثعل : ثدى زائد صغير فى أثداء الناقة والشاة لا يدر من اللبن شيئا، ذكره للمبالغة.

فيا معشرَ الأنصـــارِ إنى أخوكمُ   وإنى لمعروفٍ أتَى منكمُ أهل[1]
ومن أجل إيواءِ النبي ونَصْره   يحِبكمُ قلبى ، وغـيركمُ الأصلُ

فقال النعمان بن بشير : « لا عليه أن [لا] يتقرب[2] ، فوالله لا أُجيزها ولا أُنْفِذها أبدا » .

دخل النعمان بن بشير المدينة أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير ، فقال: « والله لقد أخفقت أذناى من الغناء فأسمِعونى » . فقيل له : « لو وجهتَ إلى عزة الميلاء فإنها من قد عرفت » . فقال : « إى ورب البيت ، إنها لممن يزيد النفس طيبا والعقل شحذا . ابعثوا إليها عن رسالتى ، فإن أبتْ صرتُ إليها » . فقال له بعض القوم : « إن النقلة تشتد عليها لثقل بدنها ، وما بالمدينة دابة تحملها » . فقال النعمان : «وأين النجائب عليها الهوادج؟». فوجه إليها بنجيبة فذكرَتْ علة . فلما عاد الرسول إلى النعمان ، قال لجلسائه : « أنتم كنتم أخبر بها ، قوموا بنا » . فقام هو فى خواص أصحابه حتى طرقوها . فأذِنت وأكرمت واعتذرت . فقبل النعمان عذرها . وقال لها : « غنى ! » فغنت :

أجدّ بعمرة غنيانهـــا   فتهجر أم شاننا شانهـا
وعمرة من سروات النسا   ءِ ينفح بالمسك أردانهـا

فأُشير إليها أنها أمه ، فأمسكت. فقال : « غَنِّنى ، فو الله ما ذكر إلا كرماً وطِيباً . ولا تغنى سائر اليوم غيره » . فلم تزل تغنيه هذا اللحن حتى انصرف .

كان معاوية بن أبى سفيان تزوج امرأة من كَلْب[2] . فقال لامرأته ميسون أم يزيد : « ادخلى فانظرى إلى ابنة عمك هذه[3] » . فأتتها فنظرت إليها : ثم رجعت فقالت :

---

(١) د : أنى منـكم ، أى حان .

(٢) ص : لا عليه أن يتقرب . ب ، س : أن لا يقترب . د ، ى : ألا يتقرب .

(٣) هى نائلة بنت عمارة ، وكانت ميسون من بنى كلب أيضا . (الطبرى ٢ : ٢٠٤) .

« ما رأيت مثلها ، ولقد رأيت خالا تحت سُرَّتها ليُوضَعَنَّ فى مكانه رأس زوجها » . فتطيَّر من ذلك فطلقها . فتزوجها حبيب بن مسلمة ثم طلقها . فتزوجها النعمان بن بشير فلما قُتِل الضحاك بمرج راهط فى خلافة مروان بن الحكم ، أراد النعمان أن يهرب من حِمْص ، وكان عاملا عليها ، فخالف ودعا لابن الزبير . فطلبه أهل حمص فقتلوه . واحتزوا رأسه ، فقالت امرأته هذه الكلبية : « ألقوا رأسه فى حجرى فأنا أحق به » . فألقوه فى حجرها فضمته إلى جسمه وكفنته ودفنته .

نظر معاوية إلى رجل فى مجلسه فراقه حسناً وشارة[1] وجسماً . فاستَنْطَقَه فرآه سديداً . فقال له النعمان[2] : « ممن أنت ؟ » قال : « ممن أنعم الله عليه بالإسلام ، فاجعلنى حيث شئت يا أمير المؤمنين » . فقال : « عليك بهذه الأَزْد الطويلة العريضة ، الكثير عددها ، التى لا تمنع من دخل إليهم ، ولا تبالى من خرج منهم » . فغضب النعمان بن بشير ، ووثب من بين يديه وقال : « والله ، إنك ما علمت لسيئ المجالسة لجليسك ، عاقٌّ بزَوْرِك[3] ، قليل الرعاية لأهل الحرمة بك » . فأقسم عليه إلا جلس ، فجلس . فضاحكه طويلا ثم قال له : « إن قوماً أولهم غسَّان وآخرهم الأنصار لكِرام » . وسأله عن حوائجه فقضاها حتى رضي .

خرج النعمان بن بشير فى ركب من قومه ، وهو يومئذ حديث السن ، حتى نزلوا بأرض من الأردن يقال لها حَفير[4] ، وحاضِرتُها بنو القَيْن . فأهدت لهم امرأة من بنى القين ، يقال لها ليلى ، هدية . فبينما القوم يأكلون ويتحدثون ويذكرون الشعراء ، قال بعضهم : « يا نعمان ، هل قلت شعراً؟ » . قال : « لا » . فقال شيخ من بنى الحارث يقال له ثابت بن سِماك : « لم تقل شعراً قط ؟ » قال : « لا » . قال :

(١) الشارة : الحسن والجمال والهيئة واللباس والزينة وامتلاء الجسد .

(٢) يفهم من الأغانى أن السائل هو معاوية . ويرجح جوابه ذلك .

(٣) الزور : الزائر .

(٤) ب ، س : حفر . تحريف . وحفير : نهر بالأردن .

«فأقسمتُ لتُربَطَنَّ إلى هذه السَّرْحَة[١] فلا تفارقها حتى يرتحل القوم أو تقول شعراً» .
فقال عند ذلك ، وهو أول شعر قاله[٢] :

يا خليـلىَّ وَدِّعا دار ليـلى　　ليس مثـلى يحلُّ دارَ هوان[٣]
إنّ قَيْنيّــةً تَحُلُّ مُحِـبًّا　　فحفيراً فجَنْبَتَىْ ترْفُلان[٤]
لا تُؤَاتيك فى المغيب إذا ما　　حالَ من دُونِها فروعُ قَنانِ[٥]
إنّ ليلى ولو كَلِفت بليــلى　　عاقها عنك عائق غيرُ وان[٦]

وضرب الدهر ضربانه على ذلك وأتى له زمن طويل . ثم إن ليلى القينية قدمت عليه بعد ذلك ، وهو أمير لحمص . فلما رآها عرفها فأنشأ يقول[٧] :

ألا استأذنتْ ليلى فقلت لها لِجِى　　وما لَكِ ألا تدخلى بســلام[٨]
وإن أُناسا زُرْتِهم ثم حَرَّمــوا　　عليـك دخول البيت غيرُ كرام[٩]

وأحسن صلتها ورِفْدها[١٠] طول مقامها إلى أن رحلت عنه .

ولمـا حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبى سفيان ، خرج إليه حاجبه

---

(١) السرحة : الشجرة العظيمة أو التى لا شوك فيها .
(٢) ديوانه ١٤ . وياقوت : معجم البلدان (ترفلان — حفير) .
(٣) غ وياقوت والديوان : الهوان .
(٤) ى : تحل محلا . د : وحفيرا . ى وياقوت : فجنتى ترفلان . والبيت عنـد ياقوت مرة أخرى :

إن قينية تحل حفيرا　　ومحبا فجنتى ترفلان

(٥) قنان : جبل بأعلى نجد . وفى معجم البلدان : القنان .
(٦) ياقوت : وإن كلفت . وفى ب ، س : عائق وأوان، تحريف . وفى الديوان : فليلى .
(٧) ديوانه ١٥ .
(٨) لجى : ادخلى . وفى ب ، س : فقلنا لها محى . وفى ى : فقلنا لها .
(٩) الديوان ، د ، ى : فإن أناسا . ب ، س : فإن أناسا زرتم . وفى الديوان : غير حرام ، تحريف .
(١٠) الرفد : العطاء .

سعد أبو دُرّة ــ وقد حجب بعده عبـد الملك بن مروان ــ . فقيل له : « استأذِن للأَنصار » . فدخل إليه ، وعنده عمرو بن العـاص . فاستأذن لهم . فقال له عمرو : « ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين ! اردُد القوم إلى أنسابهم » . فقال له معاوية : « إنى أخاف من ذلك الشُّنعة » . فقال : « هى كلمة تقولها : إن مضت غضضتَهم ونقصتَهم وإلا فهذا الاسم راجع إليهم » . فقال له : « اخرج فقل : من ها هنا من ولد عمرو ابن عامر فليدخل » . فقالها الحاجب ، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار . فنظر معاوية إلى عمرو نظر منـكر . ثم قال له[1] : « باعدت جـــداً » . فقال : « اخرج فقــل : من كان ها هنا من الأوس والخزرج فليدخل » . فقالها فلم يدخل أحد . فقال معاوية : « اخرج فقل : من كان ها هنا من الأنصار فليدخل » . فخرج فقالها . فدخلوا ، يَقدُمهم النعمان بن بشير وهو يقول[2] :

يا سعـــد لا تُعِد الدعاءَ فمالنـا ... نسبٌ نُجيب به سوى الأنصارِ[3]

نسبٌ تخــيَّره الإله لقومنـــا ... أَثقِلْ به نسباً على الـكفار[4]

إن الذين ثوَوْا ببدْرٍ منــكمُ ... يومَ القَليب همُ وقود النـار

فقال معاوية لعمرو : « لقد كنا أغنياء عن هذا ! » .

والنعمان بن بشير من المعروفين[5] بالشعر سلفاً وخلفاً : جـده شاعر ، وأبوه شاعر ، وأخوه شاعر[6] ، وعمه شاعر ، وهو شاعر ، وأولاده شعراء ، وأولاد أولاده شعراء .

---

(١) يفهم من الأغانى أن القائل هو عمرو لا معاوية .

(٢) ديوانه ٢٣ .

(٣) ب ، س : لا تجب الدعاء . والديوان : لا تعد النداء ... نجيب له .

(٤) ب ، س : إلى الـكفار .

(٥) كذا فى ص ، وفى غ : من المعرقين ، وهى أليق بالسياق .

(٦) وأخوه شاعر : ليست فى غ .

فأما جَدُّه سعد بن الحصين فهو القائل[١] :

إن كنتِ سائلةً والحقُّ مَغْضَبةٌ ... فالأَزْدُ نِسْبَتُنا والماءُ غسّانُ[٢]

شُمُّ الأُنوف لهم عزٌّ ومكرُمـةٌ ... كانت لهم من جبال الطَّوْد أركان[٣]

وأبوه بشير بن سعد هو القائل من قصيدة طويلة[٤] :

تقول وتُذْرِى الدمعَ عن حُرِّ وجهِها ... لعلك نفسِى قبلَ نفسِك باكرُ[٥]

أباح لها بِطْرِيقُ فارسَ غائِطـا ... لها من ذُرَا الجَوْلان بقلٌ وزاهر[٦]

فقرَّبتُها للرَّحْلِ وهْى كأنها ... ظَليمُ نَعامٍ بالسَّماوةِ نافر[٧]

فأوردتُها ماءً فما شربتْ به ... سوى أنه قد بُلَّ منها المَشافر[٨]

فباتت سُراها ليلةً ثم عرَّسَتْ ... بيَثْرِبَ والأعرابُ بادٍ وحاضِر[٩]

---

(١) ديوان النعمان ٣١ . وينسب البيتان إلى حسان بن ثابت . وانظر ديوانه ٤٠ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٠ ومعجم البلدان : غسان .

(٢) غ : الحق معتبة . ورواية الشطر الأول فى ديوان النعمان وسيرة ابن هشام وياقوت : « إما سألت فإنا معشر نجب » وفى ديوان حسان وسيرة ابن هشام : الأســد نسبتنا . وهى لغة فى الأزد ، من أجداد الأنصار . وغسان : ماء بسد مأرب باليمن، وآخر بالمشلل قرب الجحفة.

(٣) س: جبال الطور ، تحريف . وفى ديوان حسان : لهم مجد . . . كجبال الطود . وجبال الطود : هى جبال السراة .

(٤) ديوان النعمان ٣٢ . وتنسب أيضا إلى حسان بن ثابت ، وإلى سعد بن الحصين جد النعمان (انظر ديوان حسان ٤٢) .

(٥) تندى : تسقط . وباكر : تريد مقدم على إهلاكى قبل أن تهلك نفسك بهذه الرحلة .

(٦) س: الحوذان، وهو تحريف الجولان : جبل بالشام . والغائط : المكان المنخفض يزرع.

(٧) الظليم : الذكر من النعام .

(٨) المشافر : جمع مشفر ، وهى شفة الناقة .

(٩) السرى : سير الليل . وعرست : أقامت . ويثرب : الاسم الجاهلى لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وباد : فى البادية . وحاضر : فى الحضر .

وعمه الحصين[1] بن سعد ، أخو بشير ، هو القائل :

إذا لم أزر إلا لآكلَ أكلةً ... فلا رفعتْ كفى إلىّ طعامى

فما أكلةٌ إن نلتُها بغنيمةٍ ... ولا جَوْعة إن جعتها بغَرام

لما هجا الأخطلُ الأنصار ، دخل النعمان بن بشير على معاوية . فلما مَثَل بين يديه أنشأ يقول[2] :

معاوىَ إلّا تُعْطِنا الحقَّ تعترِفْ ... لِحَى الأَزْد مشدودا عليها العمائمُ[3]

أيشتمنا عبدُ الأراقم ضَلّةً ... فماذا الذى تُجدى عليك الأراقم[4]

فما لىَ ثأرٌ دون قطعِ لسانه ... فدُونَك من يُرضيه عنك الدراهم[5]

وأرعِ رُوَيدا لا تسُمْنا دَنيّةً ... لعلك فى غِبِّ الحوادث نادم[6]

متى تَلْقَ منا عُصْبَةً خَزْرَجيّةً ... أو الأوسَ يوما تَخْتَرِمْك المَخارم[7]

وتَلْقَك خيلٌ كالقَطا مُسْبَطِرّةٌ ... شَماطيطُ أَرْسالٌ عليها الشّكائم[8]

يُسوِّمها العَمْران عمرو بن عامر ... وعِمران حتى تُستَباحَ المَحارم

---

(١) غ: الحسين .وانظر ديوان النعمان ٣٣ .

(٢) ديوانه ٢٧ .

(٣) تعترف : تعرف .

(٤) غ والديوان : وماذا . والأراقم : أحياء من تغلب ، هم جشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث وبكر بن حبيب . وأراد بعبدهم الأخطل .

(٥) د : غير قطع لسانه . ودونك : اسم فعل أمر بمعنى خذ .

(٦) ب ، س، والديوان: وراع رويدا. يريد كن شفيقا بالرعية . وغب الحوادث : عقبها.

(٧) تخترمك : تهلكك . والمخارم : الطرق فى الجبال . يريد نغزوك فتصبح طريدا تتجاذبك مخارم الجبال فتهلك .

(٨) ب ، س ، والديوان : وتلقاك خيل كالقطا مستطيرة . والقطا : طائر شبيه بالحمام . ومسبطرة : طويلة سريعة . والشماطيط : المتفرقة المتتابعة ، وكذلك الأرسال . والشكائم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام .

ويبدو من الخَوْد الغَريرة حِجْلُها ... ويَبْيَضُّ من هَـوْل القُام المَقادمِ (١)

فتطلب رَتْقَ الصَّدْعِ بعد انفِتاقِه ... فتَعْيَا بـــه فالآنَ والأمرُ سالمِ (٢)

وإلا فبَزِّى لأْمَـــةٌ تُبَّعِيَّةٌ ... مَواريثُ آبائى ، وأبيضُ صارمِ (٣)

وأَسْمَرُ خَطِّىٌّ كأنَّ كُعوبَـه ... نَوَى القَسْبِ فيه،لَهْذَمِىٌّ خُشَارمِ (٤)

وأَجْرَدُ خَـــوّار العِنان كأنه ... بدُومةَ مَوْشِىُّ الذِّراعَيْن صائمِ (٥)

فإن كنتَ لم تشهد ببَدْرٍ وَقيعةً ... أذلَّتْ قريشا والأُنـــوفُ رَواغِمِ

فسائِلْ بنا حَيَّيْ لُؤَىِّ بن غالبٍ ... وأنت بمــا تُخفى من الأمر عالمِ

ألم تَبْتَدِرْكُم يومَ بدرٍ سيوفُنا ... وليلُك عمــا ناب قومَك نائمِ (٦)

ضربناكُمُ حتى تَفَرَّقَ جَمْعُكم ... وطارتْ أَكُفٌّ منكمُ وجَماجمِ

---

(١) فى الديوان : العزيزة . غ ، والديوان : هول السيوف . والخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة . والحجل : الخلخال . والمقادم : جمع مقدمة وهى الناصية والجبهة .

(٢) د : شعب الصدع . ى : شعب الصدع بعد انبثاقه . والديوان : شعب الصدع بعد التئامه .

(٣) الديوان : وإلا فثوبى . . . تواريث . البز : الثياب والسلاح . واللأمة : الدرع ، نسبها إلى التبابعة من ملوك اليمن . والأبيض : السيف .

(٤) الأسمر : الرمح . الخطى : نسبة إلى الخط وهو سيف البحرين؛ لأن أجود الرماح تباع به. والقسب: التمر اليابس يتفتت فى الفم، وتشبه الرماح بنواه فى الصلابة . واللهذمى : القاطع من الأسنة. والخشارم : الأنف الغليظ يبدو أنه شبه الرمح به . وفى د : ضبارم ، وهو الشديد الخلق من الأسد استعاره وصفا للرمح . وفى ى والديوان : خثارم ، وهو الغليظ الشفة. وفى غ والديوان : فيها .

(٥) وضع د هذا البيت قبل سابقه ، ولم يرد فى ب ، س والديوان . والأجرد : الفرس القصير الشعر . وخوار العنان : ضعيفه ، يريد أنه طيع . ودومة : على الطريق بين المدينة ودمشق قرب جبلى طيء . وموشى الذراعين : صفة للثور . وصائم : قائم فى سكون .

(٦) الديوان : ألم تتبدر يوم بدر . ب ، س والديوان : قاتم . وليلك نائم : أى أنت نائم غافل فى ليلك .

وعاذتْ عن البيتِ الحرام عَوانِسٌ ... وأنت على خوفٍ ، عليك التَّمائم [1]
وعَضَّت قريشٌ بالأنامل بِغْضة ... ومن قبلُ ما عُضّت علينا الأَباهم [2]
فكُنّا لها فى كل أمرٍ تَكِيدُه ... مكانَ الشَّجا والأمرُ فيه تفاقُم [3]
فما إنْ رَمَى رامٍ فأَوْهَى صَفاتَنا ... ولا ضامَنا يوما من الناسِ ضائم [4]
وإنى لأُغْضِى عن أمورٍ كثيرةٍ ... سترْقَى بها منى إليك السلالم [5]
أُصانِعُ فيها عبدَ شمسٍ وإننى ... لتلك التى فى النفسِ منى أُكاتم [6]
فلا تشتُمنّا يا ابن حَرْبٍ فإنما ... تَرَقّى إلى تلك الأمورِ الأَشائم [7]
فما أنت والأمرُ الذى لستَ أَهْلَه ... ولكنْ ولىُّ الحقِّ والأمرِ هاشمُ
إليهم يصيرُ الأمرُ بعدَ شَتاتِه ... فمَنْ لك بالأَمْرِ الذى هو لازم
بهم شَرَعَ اللهُ الهُدى واهتُدِى بهم ... ومنهم لهم هادٍ إمامٌ وخاتَمُ [8]

فأمر معاوية بدفع الأخطل إلى النعمان ليقطع لسانه . فاستجار بيزيد بن معاوية فمنع منه . وأرضوا النعمان حتى كف عنه .

---

(١) غ والديوان : وعاذت على البيت . والذى فى المعاجم : عاذ بكذا ، إذا التجأ إليه، فلعل الأصل : عاذت إلى البيت . وعوانس : كذا فى ص ، د . وفى ى : عوابس ، يصف الخيل . وفى ب ، س ، والديوان : عرائس . وفى ب ، س : تمائم .

(٢) كذا روى البيت فى د ، ى . وفى ب ، س والديوان: عضت عليك . وفى ص: بالأنامل بغتة . . عضت عليه .

(٣) فكنا لها : كذا فى غ ، وهو الصواب. وفى ص: فكنا لهم. وفى الديوان : نكيده .

(٤) غ والديوان : من الدهر ضائم. وأوهى : أضعف . والصفاة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت ، يستعار للجماعة الأقوياء .

(٥) غ والديوان : سترقى بها يوما إليك السلالم .

(٦) منى : كذا فى غ والديوان ، وفى ص : منها .

(٧) البيت غير موجود فى الديوان .

(٨) الديوان: شرح الله . ب ، س والديوان : فاهتدى بهم . غ والديوان : ومنهم له. ى: إمام وحاكم .

لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسان ولم يضرب أخاه حين تهاجيا، كتب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشكو ذلك إليه ، فدخل النعمان إلى معاوية وأنشأ يقول :

يا ابنَ أبي سفيانَ ما مِثْلُنا ... جارَ عليه ملك أو أمير
اذكُرْ بنا مَقْدم أَفْراسِنا ... بالحِنْو إذ أنت إلينا فقير (١)
فاذكر غداة الساعديِّ الذي ... آثركم بالأمر فيها بشير (٢)
واحذر عليهم مثلَ بَدْرٍ فقد ... مر بكم يومٌ ببدر عسير (٣)
إن ابن حسان له ثائرٌ ... فأَعْطِه الحقَّ تَصِحّ الصدور
ومثلَ أيام لنا شتَّتتْ ... أطفالكم ، أمرُك فيها صغير (٤)
أما ترى الأزد وأَشْياعها ... نحوَك خُزْرا كاظماتٍ تَزِر (٥)
يطوف حولى منهمُ معشرٌ ... إنْ صُلْتُ صالوا وهُمُ لى نصير
يأبى لنا الضَّيْمَ فلا يُعْتَلى ... عزٌّ منيعٌ وعَديدٌ كثير (٦)
وعنصرٌ فى عزِّ جرثومةٍ ... عاديّةٍ تنقل عنها الصخور (٧)

ومن مختار شعر النعمان (٨) :

---

(١) بالحنو : كذا فى غ والديوان ، وهو المعوج من الرمل . وفى ص : بالحو ، تحريف .

(٢) غ : واذكر . والساعدى ، يريد اليوم الساعدى ، نسبة إلى بنى ساعدة من الأنصار ، أصحاب السقيفة التى تمت فيها بيعة أبى بكر ، وكان بشير أبو النعمان أول من بايعه من الأنصار كما سبق أن قال أبو الفرج .

(٣) ب ، س ، والديوان : فاحذر . . وقد . وفى ب والديوان : مربكم يوم بدر عمير ، تحريف .

(٤) غ : شتتت ملكا لكم. أى : سببت ملكا لكم .

(٥) ب ، س ، والديوان : تجول خزرا . والخزر : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه غضبا . وتزير : تصيح كالأسد ، وأصله تزئر فخفف همزته .

(٦) ى : فلا نعتلى .

(٧) د : حر جرثومة . والجرثومة : الأصل . وعادية : نسبة إلى بنى عاد ، أى قديمة .

(٨) ديوانه ١٠ .

كأن الرُّضاب وصَوْب السحا ... ب بات يُشاب بذَوْب العَسَلْ[1]

من الليل خالط أنيابها ... بُعيدَ الكَرَى واختلافِ العَلَل[2]

أخذ هذا المعنى جميل فقال[3] :

وكأن طارقها على عَلَلِ الكرى ... والنجمُ وَهْنا قد دنا لتغوُّرِ

يَشْتَمُّ ريحَ مُدامةٍ معلولةٍ ... وسحيقَ مسكٍ فى ذَكِىِّ العنبر[4]

ومن شعراء أولاد النعمان ابنه عبد الله بن النعمان [وهو القائل][5]:

ماذا رجاؤك غائبا ... من لم يَسُرُّك شاهِدا[6]

وإذا دنوتَ يَزيده ... منك الدنوُّ تباعدا

ومن شعراء أولاد أولاده عبد الخالق بن أبان بن النعمان، شاعر مكثر ، وهو القائل[7] :

وكان أبونا الشيخ عمرو بن عامر ... بأعلى ذُرا العلياء ركنا تأثَّلا[8]

وخطّ حياضَ المجدِ مُترَعة لنا ... مِلاءً ، فعَلّ الصَّفْوَ منها وأنْهلا[9]

---

(١) صوب السحاب : ما يسقط منه من مطر . ويشاب : يخلط .

(٢) رواية البيت فى الديوان :

من الليل شارك أنيابها ... بعيدالرقاد وبعدالكسل

والعلل : الشرب بعد الشرب تباعا ، ولعله أراد النوم بعد النوم .

(٣) ديوانه ١٠٧ .

(٤) ب ، س : كنسيم ريح . الديوان : يستاف . وفى ب ، س : لسحيق . وفى د ، ى : بسحيق . وفى الديوان: بذكى مسك أو سحيق العنبر.

(٥) ديوان النعمان ٤٣ .

(٦) غ : لا يسرك .

(٧) ديوان النعمان ٤٤ .

(٨) د ، ى : وشاد أبونا . وتأثل : تأصل .

(٩) الصفو : كذا فى غ ، وفى ص : الضيف ، تحريف ، والعل : الشرب مرة بعد مرة تباعا . والنهل : أول الشرب .

وأَشْرَعَ فيها الناسُ بعدُ فمالهم　　من المجد إلا سُؤْرُه حين أَفْضَلا[١]
وفى غيرنا مجــدٌ من الناس كلهم　　وأما كمِثْلِ العُشْرِ من مجـدنا فلا[٢]

ومنهم شبيب بن يزيد[٣] بن النعمان ، شاعر مكثر مجيد ، وهو القائل يعاتب بنى أمية عند اختلاف أمرهم فى أيام الوليد بن يزيد من أبيات :

ياقلب صبرا جميلا لا تمُت جزعا　　قد كنتَ من أن تُرَى جَلْدَ القُوَى قَمَنا[٤]
يا أيُّها الراكب المُزْجِى مَطيَّته　　لُقِّيت حيث توجَّهتَ الثَّنا الحسنا[٥]
أَبلِغْ أُميَّةَ أعلاهــا وأسفلَها　　قولا ينفِّر عن أَجْفانهــا الوَسَنا[٦]
إن الخلافة أمر كان يُعظِمه　　خيارُ أَوَّلِــكم قِدْما وأولنــا
فقد بَقَرْتُم بأيديكم بطونَــكُم　　وقد وُعِظتم فمــا أحسنتمُ الأَذَنا[٧]
أغريتمُ بكم جهلا عدوكم　　فى غير فائدة فاستوسِقوا سَنَنا[٨]
لــا سفــكتم بأيديكم دماءكمُ　　بَغْيا وغشَّيْتمُ أثوابكم دَرَنا[٩]

وأخو النعمان هو إبراهيم بن بشير بن سعد ، شاعر مكثر ، وهو القائل[١٠] :

---

(١) أشرع فيها الناس : وردوا . السؤر : البقية تبقى فى الحوض ونحوه بعد الشرب .
(٢) غ : فأما .
(٣) ب ، س : زيد . وانظر ديوان النعمان ٤٤ .
(٤) غ : تمت حزنا . وقمن : جدير .
(٥) د ، ى : بل أيها الراكب . والمزجى : السائق .
(٦) ب ، س، د : عن نوامها . ى : عن ألبابها . والوسن : النعاس .
(٧) بقرتم : شققتم . والأذن : الاستماع .
(٨) استوسقوا : اجتمعوا . والسنن : الطريق الواضح . يريد اجتمعـوا واتفقوا على كلمة واحدة .
(٩) غ : غشيتم أبوابكم . والدرن : الوسخ .
(١٠) ديوان النعمان ٢٠ .

ولم أر سلمى بعدَ إذ نحنُ جيرةٌ من الدهرِ إلا وقفةً بالمَشاعرِ
ألا رُبَّ ليلٍ قد سريتُ سواده إلى رُدُحِ الأعجازِ غُرِّ المَحاجر(١)
ليالىَ يدعونى الصِّبا فأُجيبه أجُرُّ إزارى عاصيا أمرَ زاجرى
وإذ لِمَّتى مثلُ الجناح أَثيثةٌ أُمشِّى الهُوَينا لا يروِّعُ طائرى(٢)
فأصبحتُ قد ودعت ذاكم بعَبْرةٍ مخافةَ ربى يوم تُبْلى سرائرى(٣)

وبنت النعمان بن بشير شاعرة ذات لسان وعارضة وشر ، واسمها حُميدة . وكانت تهجو أزواجها . وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومى — وقيل بل كانت تحت المهاجر ابن عبد الله بن خالد — وقالت فيه :

كهولُ دمشقَ وشبانُها أحبُّ إلىّ من الجاليَه(٤)

وقد ذكرت أخبارها مع زوجها الحارث بن خالد . وطلقها فتزوجها روح بن زنباع فهجته أيضا .

---

(١) س: ردح الأكفال . ى: رجح الأعجاز . والردح : جمع رداح ، وهى الضخمة . والغر : جمع غراء ، وهى البيضاء . والمحاجر : جمع محجر ، وهو ما دار بالعين .
(٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن. وأثيثة : كثيرة ملتفة .
(٣) د : ذاكم بغيره. وتبلى : تختبر.
(٤) الجالية : القوم الذين جلوا عن بلادهم.

نائِلَة بنت الفَرافِصَة*

هى نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو ـ وقيل : ابن عَفْر ـ بن ثَعْلبة ابن الحارث بن حِصْن بن ضَمْضم بن عَدِى[1] بن جَناب الكلبية ، زوجة عثمان ابن عفان .

كان سعيد بن العاص قد تزوج ، وهو على الكوفة[2] ، هند بنت الفرافصة ابن الأحوص ، فبلغ ذلك عثمان . فكتب إليه :

« أما بعد ،

فقد بلغنى أنك تزوجت امرأة من كلب ، فاكتب إلىّ بنسبها وجمالها » .

فكتب إليه :

« أما بعد ،

فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص ، وأما جمالها فإنها بيضاء مديدة » .

فكتب إليه عثمان :

« إن كان لها أخت فزَوِّجنيها » .

فبعث سعيد إلى الفرافصة يخطب إحدى بناته على عثمان رضى الله عنه . فأمر الفرافصة ابنه ضَبّا فزوّجها إياه ، وكان ضب مسلما ، وكان الفرافصة نصرانيا .

فلما أرادوا حَمْلها إليه ، قال لها أبوها : « يا بُنَية ، إنك تَقْدَمين على نساء من نساء قريش ، هنّ أقدر على الطِّيب منك . فاحفظى عنى خَصْلتين : تكحّلى ، وتطيَّبى بالماء حتى يكون ريحُك ريح شَنٍّ[3] أصابه مطر » .

* أخبارها فى ب : ١٥ : ٧٠ ، س ١٥ : ٦٧ ، د ١٦ : ٣٢٢ ، ى ١٦ : ٢٤٩ .

(١) ب ، س : على .

(٢) من سنة ٣٠ إلى ٣٤ هـ .

(٣) الشن : القربة الخلق .

فلما حُمِلت ، كرهت الغربة وحَزِنت لفراق أهلها . فأنشأت تقول :

ألستَ ترى باللهِ يا ضَبُّ أنني مُصاحِبةٌ نحوَ المدينةِ أَرْكُبا[1]
إذا قَطَعوا حَـزْناً تَخُبُّ رِكابُهم كما زَعْزعتْ ريحٌ يَراعاً مُثَقَّبا[2]
لقد كان فى أبناءِ حِصْنِ بن ضَمْضمٍ لكَ الويلُ ما يُغْنِى الخِباءَ المُطَنَّبا[3]

فلما قدمت على عثمان ، قعد على سريره ، ووضع لها سريرا حِيالَه ، فجلست عليه. فوضع عثمان قَلَنْسِيته فبدا الصلع . فقال : « يا بنت الفرافصة ، لا يهولنَّك ما تَرَيْن من صلعى فإن وراءه ما تحبين » . فسكتت . فقال : « إما أن تقومى إلىّ وإما أن أقوم إليك » . فقالت : « أما ما ذكرت من الصلع فإنى من نساء أَحَبُّ بُعُولَتِهن[4] إليهن السادة الصلع . وأما قولك : إما أن تقومى إلىّ وإما أن أقوم إليك ، فوالله لَما تجشَّمْتُ إليك من جَنبات السماوة أبعد مما بينى وبينك ، بل أقوم إليك » . فقامت فجلست إلى جنبه ، فمسح رأسها ودعا لها بالبركة . ثم قال لها : « اطرحى عنك خِمارك[5] » . فطرحته . ثم قال : « انزعى دِرْعك »[6] . فنزعته . ثم قال لها : « حُلِّى إزارك » . فقالت : « ذاك إليك » ، فحل إزارها . فكانت من أحظى نسائه عنده .

قال أبو الجراح مولى أم حبيبة : كنت مع عثمان رضى الله عنه يوم الدار . فما

---

(١) غ : ألست ترى يا ضب بالله أننى . وأركب : جمع ركب وهم الركاب .

(٢) ب ، س : تحث ركابهم . والحزن : ما غلظ من الأرض . وتخب : تسرع . واليراع : القصب .

(٣) المطنب : ذو الأطناب ، وهى الحبال الطويلة تشد بها الخيام . وكنت بالخباء المطنب عن نفسها .

(٤) البعولة : جمع بعل ، وهو الزوج .

(٥) غ : رداءك .

(٦) الدرع : القميص .

شَمَّرْت إلا وقد خرج محمد بن أبى بكر ، ونحن نقول : « هَمُّه فى الصلح[1] » . إذا بالناس قد دخلوا من الخَوْخَة[2] ، ونزلوا بأمْراسِ الحبال من سور الدار ، ومعهم السيوف . فرميت بسيفى[3] وجلست عليه ، وسمعت صياحهم . فإنى لأنظر إلى مصحف عثمان رضى الله عنه ، وإلى حمرة أديمه . فنشرتْ نائلة شعرها . فقال لها عثمان : « خُذى خمارك ، فلعَمْرى لدخولهم علىّ أهون[4] من حرمة نشر شعرك » . وأهوى إليه رجل بالسيف . فاتقّته بيدها فقطع إصبعين من أصابعها . ثم قتلوه وخرجوا يكبِّرون . ومر بى محمد بن أبى بكر فقال : « مالك ، يا عبد أم حبيبة ؟ » ومضى . فخرجت . فقالت نائلة لما قتل عثمان[5] :

ألا إنّ خيرَ الناس بعد ثلاثةٍ ... قتيلُ التُّجيبيّ الذى جاء من مِصْرِ[6]

ومالىَ لا أبكى وتبكى قرابتى ... وقد غُيِّبت عنا فُضول أبى عمرو[7]

ولما قُتل عثمان ، بعثت نائلة بقميصه إلى معاوية مع النعمان بن بشير أو عبد الرحمن ابن حاطب بن أبى بَلْتَعة . وكتبت إليه :

« من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبى سفيان :

أما بعد ،

فإنى أُذكِّركم بالله الذى أَنْعَمَ عليكم ، وعلّمكم الإسلام ، وهداكم من

---

(١) غ : هم فى الصلح .
(٢) الخوخة : كوة تؤدى الضوء إلى البيت ، ومخترق ما بين كل دارين ليس عليه باب .
(٣) كذا فى د ، ى ، وهو الذى يتفق مع العبارة . وفى ص ، ب ، س : بنفسى .
(٤) غ : أعظم .
(٥) غ : وقد قيل إن هذين البيتين للوليد بن عقبة .
(٦) أرادت بالثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وبالتجيبى كنانة بن بشر بن عتاب .
(٧) أبو عمرو : هو عثمان بن عفان . وفى اللسان : وقد حجبت .

الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم النعمة . وأَنْشُدكم الله تعالى ، وأذكِّركم حقه وحق خليفته : أن تنصروه[١] ، وبعزمة الله عليكم فإنه قال تعالى[٢]: « وإنْ طَائِفتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ » . وإن أمير المؤمنين بُغِيَ عليه . ولو لم يكن له عليكم إلا حق الولاية ثم أُتِي إليه ما أُتى لَحُقَّ على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره ، لقِدَمه فى الإسلام ، وحسن بلائه ، وأنه أجاب داعيَ الله ، وصدّق كتابه ورسوله ، والله أعلم به إذ انْتَخَبه[٣] ، وأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة .

وإنى أقص عليكم خبره ، لأنى كنت مشاهدة أمره كله حتى أُفْضِي إليه ، إن أهل المدينة حصروه فى داره يحرسونه ليلهم ونهارهم ، قياما على أبوابه بسلاحهم ، يمنعونه كل شىء قدروا عليه حتى منعوه الماء ، يُحضِرونه الأذى ، ويقولون له الإفك . فمكث هو ومن معه خمسين ليلة ، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر . وكان على مع المحرضين[٤] من أهل المدينة ، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ، ولم ينصره ، ولم يأمر بالعدل الذى أمره الله تبارك وتعالى به . فظلت تقاتل خزاعة ، وبكر ، وسعد بن بكر[٥] ، وطوائف من مُزَينة ، وجُهَينة ، وأنباط يَثْرِب ، ولا أرى سائرهم ، ولكن قد سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه فى أول أمره وآخره . ثم إنه رُمى بالنبل والحجارة . فقُتل ممن كان فى الدار ثلاثة نفر . فأتوه يصرخون

---

(١) غ : خليفته الذى لم تنصروه .
(٢) سورة الحجرات ، الآية ٩ .
(٣) د : انتجبه . وهما بمعنى متقارب .
(٤) كذا فى غ . وفى ص : مع الحضريين المصريين من أهل المدينة ، تحريف .
(٥) لم يذكر غ بكرا ، بل هذيلا .

إليه ليأذن لهم فى القتال ، فنهاهم عنه . وأمرهم أن يردوا إليهم نبلهم، فردوها إليهم. فلم يزدهم ذلك على القتـــال إلا جَراءة فى الأمر . ثم أحرقوا باب الدار . فجـاءه نفر من أصحابه وقالوا : « إن فى المسجد ناسا يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل ، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك » . فانطلق فجلس فيه ساعة ، وأسلحةُ القوم مُطلَّة عليه من كل ناحية ، وما رأى أحدا يعدل. فدخل وقد كان نفرٌ من قريش على عامّتهم السلاح . فلبس درعه وقال لأصحابه : « لولا أنتم ما لبست درعا » . فوثب عليه القوم . فـكلمهم الزبير[1] وأخذ عليهم ميثاقا فى صحيفة بعث بها إلى عثمان رضى الله عنه : « إنّ عليكم عهد الله وميثاقه ألا تعَرُّوه[2] بشيء » . فـكلموه وتحرّجوا ، فوضع السلاح فلم يكن إلا وَضْعه ، حتى دخل عليه القوم يَقْدُمهم ابن أبى بكر ، حتى أخذوا بلحيته ، ودَعَوا باللقب . فقال : « أنا عبد الله وخليفته » فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه فى صدره ثلاث طعنات وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت فى العظم . فسقطتُ عليه ، وقد أُثْخِن وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به . فأتتنى بنت شَيْبة بن ربيعة فألقت نفسها معى عليه . فوُطِئْنا وَطْئا شديدا ، وعُرِّينا من ثيابنا . وحرمة أمير المؤمنين أعظم . فقتلوه ــ رحمه الله ــ فى بيته، وعلى فراشه . وقد أرسلت إليكم بثوبه وعليه دمه .

وإنه ــ والله ــ إن كان أَثِمَ من قتَله لمَا يَسْلم من خذله . فانظروا أين أنتم من الله عز وجل ، فإنا نشتكى ما مسّنا إليه ، ونستنصر وليه وصالح عباده . ورحمة الله على عثمان . ولعن الله من قتله ، وصرعهم فى الدنيا والآخرة مصارع الخزى والمذلة . وشفى منهم الصدور » .

فحلف رجال من أهل الشام ألا يَطئوا النساء حتى يقتلوا قتلته أو تذهب أرواحهم .

---

(١) غ : ابن الزبير .

(٢) ب ، س ، د : تغزوه وعره : ساءه .

النَّمِر بن تَوْلَب*

هو النمر بن تولب بن أُقَيش بن عبد كعب بن عوف [بن الحارث بن عوف][1] ابن وائل بن قيس بن عُكْل ، واسم عكل عوف بن عبد مَناة بن أُدّ بن طابخة ابن إلياس بن مُضَر بن نِزار .

شاعر مُقِلّ مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وأسلم وحسن إسلامه . وكان جوادا فصيحا شاعرا جريئا على المنطق ، أحد فرسان العرب المذكورين .

وكان أبو عمرو بن العلاء يسمى النمر بن تولب الكَيِّس لجودة شعره وحسنه . وكان يشبِّه شعره بشعر حاتم الطائى .

ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم . وكتب له كتابا ، فكان فى بيت أهله . وروى عنه صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا .

حدث يزيد بن عبد الله أخو مُطَرِّف قال : بينا نحن بالمِرْبَد جلوس ـ يعنى مربد البصرة ـ إذ أتى علينا أعرابى أشعث الرأس ، فوقف علينا . فقلنا : « لكأن هذا الرجل ليس من أهل هذا البلد » . قال : « أجل » . وإذا معه قطعة من جراب أو أديم ، فقال : « هذا كتاب كتبه لى رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فقرأناه فإذا فيه مكتوب[2] :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى زهير بن أُقَيش ـ حى من عكل ـ ،

---

* أخباره فى ب ١٩ : ١٥٧ ، س ١٩ : ١٥٧ ، ى ٢٢ : ٢٨٧ .

(١) زيادة عن غ .

(٢) انظر جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت ١ : ٦٨ ، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادى ١٩٤ (طبع ١٩٤١) .

إنكم إن شهدتم أن لا إله إلى الله ، وأنى رسول الله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخمس من الغنائم وسهم النبي والصَّفِي ، فأنتم آمنون بأمان الله ورسوله ، لكم ما للمسلمين ، وعليكم ما عليهم » .

فقال له القوم : « حدثنا — رحمك الله — ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم » : فقال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: صوم شهر الصبر ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، يذهبن كثيرا من وَحَر الصدر »[1] . فقال له القوم : « أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » فقال : « أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا حدثتكم حديثا » . ثم أهوى إلى الصحيفة وانصاع مدبرا . فقيل بعد ما مضى : « هذا النمر بن تولب العكلى الشاعر » .

ولما وفد النمر على النبي صلى الله عليه وسلم أنشده :

يا قوم إنى رجل عندى خبرْ ‍ ‍ ‍ ‍ لله من آياته هذا القمر[2]
والشمسُ والشِّعْرَى وآياتٌ أخر ‍ ‍ ‍ ‍ مَنْ يتسامَ بالهُدَى فالخبثُ شر
إنّا أتيناك وقد طال السفر ‍ ‍ ‍ ‍ نقود خيلا رُجُما فيها ضرر[3]
* نُطعمها اللحم إذا عزّ الشجر[4] *

قال الأصمعى : إطعامها اللحم سقيها اللبن ، والعرب تقول ، اللبن أحد اللحمين . وقال ابن الأعرابى وابن حبيب : العرب إذا لم تجد العلف دقت اللحم اليابس فأطعمته الخيل .

كان للنمر أخ يقال له الحارث بن تولب ، وكان سيدا معظما. فأغار الحارث على بنى

---

(١) وحر الصدر : الحقد والغيظ .
(٢) ى : الله .
(٣) غ : أقود . والرجم : جمع الرجيم ، وهى المهزولة أو المتعبة من السفر .
(٤) غ : أطعمها .

أسد فسبي امرأة منهم يقال لها جمرة بنت نوفل[١] فوهبها لأخيه النمر ففركته[٢]. فحبسها حتى استقرت. فولدت له أولادا. ثم قالت له فى بعض أيامها: «أَزِرْنى أهلى فإنى قد اشتقت لهم». فقال لها: «إنى أخاف إن صرتِ إلى أهلك أن تغلبينى على نفسك». فواثَقَتْه لتَرجِعَنْ إليه. فخرج بها فى الشهر الحرام حتى أقدَمَها بلاد بنى أسد. فلما أطلّ على الحى تركته واقفا وانصرفت إلى منزل زوجها الأول. فمكث طويلا فلم ترجع إليه، فعرف ما صنعت وأنها خدعته فانصرف. فقال:

جزى اللهُ عنا جمرةَ ابنةَ نوفلٍ جزاءَ مُغِلٍّ بالأمانةِ كاذبِ

لَهَانَ عليها أمسِ موقفُ راكب إلى جانب السَّرْحات أخيبُ خائب

وقد سألتْ عنى الوشاة ليكذبوا علىّ وقد أبليتُهـا فى النوائب

ومرّت[٣] كأن الشمس تحت قناعِها بدا حاجبٌ منها وضنَّت بحاجب

ولما فارق النمر زوجته هذه جزع عليها حتى خيف على عقله. فمكث أياما لا يَطْعَم ولا يشرب ولا ينام. فلما رأت عشيرته ذلك منه أقبلوا عليه يلومونه ويصبِّرونه. وقالوا له: «إن فى نساء العرب مندوحة ومتَّسعا». وذكروا له امرأة من فَخِذه الأدنين يقال لها دَعْد، ووصفوها بالكمال[٤] والصلاح. فتزوجها ووقعت فى قلبه وشغلته عن ذكر جمرة. وفيها يقول:

أَهيم بدعد ما حييت فإن أَمُتْ أوكِّل بدعد من يهيم بها بعدى

ومن الناس من يروى هذا البيت لنصيب، وهو خطأ.

وعمِّر النمر طويلا. وكان جوادا واسع القِرَى، كثير الأضياف، وهّابا لماله.

---

(١) غ: حمزة بنت نوفل.

(٢) فركته: كرهته.

(٣) غ: وصدت.

(٤) غ: بالجمال.

فلما كبر خَرف وأُهْتِر . فكان هِجِّيراه : « اصْبَحوا الراكب ! »[1] « اغْبِقُوا الراكب ! »[2] « أعطوا السائل ! » « اقْرُوا الوارد ! » « انْحَروا للضيف ! » « تحملوا لهذا في حَمالته[3] كذا وكذا ! » لعادته بذلك . فلم يزل يهذى بهذا مدة خرفه حتى مات .

وخرفت امرأة من حى كرام ، عظيم خطرهم وخطرها . فكان هجيراها : « زوِّجوني ! » « قولوا لزوجي يدخل ! » « مَهِّدوا لي جانب زوجي ! » فقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : « ما لهج به أخو عكل النمر بن تولب فى خرفه أنخر وأسرى وأجمل مما لهجت به صاحبتكم » . ثم ترحّم عليه .

ومات الحارث قبل أخيه النمر .

قال حماد : وكان النمر كثير البيت السائر والبيت المتمثَّل به . فمن ذلك قوله :

لا تغضبَنَّ على امرئٍ فى مالِهِ وعلى كرائمِ صُلْبِ مالِكَ فاغْضَبِ
وإذا تُصِبْكَ خَصاصة فارْجُ الغِنَى وإلى الذى يُعطِي الرَّغائب فارْغَبِ[4]

وقوله :

أعاذلَ إن يُصبِحْ صَداىَ بقَفْرَةٍ بعيدا تَناءَى ناصِرِى وقَرِيبى[5]
تَرَىْ أنّ ما أبقيتُ لم أكُ رَبَّه وأنّ الذى أفنيتُ كان نصيبى

قيل للنمر بن تولب : « كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ » وأنشأ يقول :

---

(١) اصبحوه : اسقوه الصبوح ، وهو شراب الصباح .

(٢) اغبقوه : اسقوه الغبوق، وهو شراب المساء .

(٣) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٤) الخصاصة : الفقر والخلل . وجزم بإذا على غير اللغة المشهورة.

(٥) غ : فأنى ناصرى . والصدى : جسد الميت .

أصبحتُ لا يحمل بعضى بعضا　　أشكو العُروق الآبضاتِ أَبْضا[١]
كما تَشكَّى الأَرْحَبِىُّ العَرْضا[٢]　　كأنما كان شبابى قَرْضا[٣]

قال الأصمعى : أنشدنى حماد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجده النمر :

أعِذنى ربِّ من حَصَرٍ وعِيٍّ　　ومن نفس أُعالجُها عِلاجا
ومن حاجاتِ نفسى فاعصمَنِّى　　فإنّ لمُضْمَراتِ النفس حاجا
فأنت وَليُّها وبرئتُ منها　　إليك فما قضَيْتَ فلا خِلاجا[٤]

ثم قال: « كان النمر بن تولب أَفْتَى خلق الله » . قلت : « وما كان من فُتوّته؟»

قال : أو ليس فتى من يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت　　فوا حَزَنا من ذا يهيم بها بعدى

---

(١) أبض العرق : تقبض .

(٢) ب ، س : كما تشكى الأرجى القرضا . ى : كما تشكى الأزجى العرضا .

(٣) هذا الشطر غير موجود فى غ .

(٤) الخلاج : الجذب والغمز والطعن .

نُصيب الأصغر*

مولى المهدى

عبد نشأ باليمامة . واشتُرى للمهدى فى حيـاة المنصور . فلما سمع شعره قال : « والله ما هو بدون نصيب مولى مروان[1] » . فأعتقه . وزوّجه أمَة له يقال لهـا جَعْفرة . وكنّاه أبا الحجْناء . وأقطَعه ضيعة بالسواد . وعُمِّر بعده .

وكان ملعونا هجّاء .

فمن شعره يمدح الرشيد هارون ، وهى من جيد شعره :

أَللبَيْنِ — يا ليلى — جِمالُك تُرْحَلُ ليقطع منـا البين ما كان يوصلُ ؟
تُعلِّلنا بالوعــــد ثُمَّتَ تلتوى بموعِـــدها حتى يَفوتَ التعلُّل[2]

منها :

أمِنْ أجـلِ آياتٍ ورسمٍ كأنّــه بقيةُ وَحْيٍ أو رداءٍ مسلسَل[3]
جرى الدمعُ من عينيك حتى كأنه تَحدُّر دُرٍّ أو جُمـانٌ مُفصَّل[4]
فيـا أيُّها الزنجى مالك والصِّبى ؟ أَفِقْ عن طِلاب البِيض إن كنت تَعْقِل
فمِثْلُك من أُحْبوشة الزَّنج قُطِّمت وسائلُ أسبابٍ بهـا يتوسَّل[5]

---

* أخباره فى ب ٢٠ : ٢٥ ، س ٢٠ : ٢٥ ، ى ٢٢ : ٤٠٠ ، طبقات الشعراء لابن المعتز ١٥٥ .

(١) غ : مولى بنى مروان . وهى أدق ، لأن نصيبا كان مولى عبد العزيز بن مروان .

(٢) غ : يموت المعلل .

(٣) الوحى : الكتابة .

(٤) الجمان : اللؤلؤ .

(٥) الأحبوشة : الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة .

قصَدْنا أمــير المؤمين ودونه مَهامِهُ مَوْماةٍ من الأرض مَجْهَل(١)
على أرْحَبيّاتٍ طوى السير فانطوت شمائلها ممــا تُحَل وتُرْحَل(٢)
إلى ملكٍ صَلْتِ الجبين كأنه صفيحةُ مَسْنون جـلا عنه صَيْقل(٣)
شريكان فينا منـه : عينٌ بَصيرة كَلوءٌ ، وقلبٌ حافظ ليس يغفل
فمــا فات عينيه رَعاهُ بقلبــه وآخِرُ ما يرعى ســواءٌ وأوّلُ(٤)
وما نازعتْ فينا أمورَكَ هفــوةٌ ولا خَطْلة فى الرأى والرأى يخطَل

منها :

ورثتَ رسول الله عضوا ومَفْصِلا وذا من رسول الله عضو ومفصل
على ثقةٍ منا تحنّ قلوبنا إليك كما كنا أباكَ نؤمِّــل(٥)
إذا ما رَهِبنا من زمان مُلمَّة فليس لنا إلا عليك مُعوَّل(٦)

وجه المهدى نصيبا الشاعر مولاه إلى اليمن فى شراء إبل مَهْرية . ووجه معه رجلا من الشيعة . وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين ألف دينار . فمد نصيب يـده فى الدنانير ينفقها فى الأكل والشرب والتزويج والجوارى . وكتب الشيعى بخـبره . فكتب المهدى فى حَمْله موثقا بالحديد . فلما دخل على المهدى أنشده :

تأوَّبنى ثِقْلٌ من الهمّ موجِعُ فأرّق عينى والخَلِيُّون هُجّع(٧)

---

(١) المهامه : جمع مهمه ، وهى الصحراء البعيدة والبلد القفر . والموماة : المفازة الواسعة أو الفلاة التى لا ماء فيها .

(٢) الأرحبيات : النجائب القوية .

(٣) صلت الجبين : واضحه . والصفيحة : العرض . والمسنون : أراد به السيف .

(٤) ى : وعاه بقلبه . غ : فآخر .

(٥) وضع غ هذا البيت بعد تاليه .

(٦) غ : ما دهتنا . . المعول .

(٧) تأوبنى : أتانى ليلا مرة بعد أخرى .

منها :

إليك أميرَ المؤمنين ولم أجد سواكَ مُجيرا منك يُدْنى ويمنع
تأملتُ هل من شافعٍ لى فلم أجد سوى رحمةٍ أعطاكها اللهُ تشفع[١]
لَئِنْ جَلَّت الأَجْرام منى وأَفْظَعت لَعفوُك من جُرمى أجلُّ وأوسع[٢]
لـئن لم تَسَعْنى يا ابنَ عمِّ محمـد فما عجزتْ منى وسائلُ أربع[٣]
طُبعتَ عليها صِبْغــةً ثم لم تزل على صالح الأخلاق والدين تُطبَع:[٤]
تَغابيك عن ذى الذَّنب ترجو صلاحه وأنت ترى ما كان يأتى ويصنع[٥]
وعفوُكَ عمن لو تـكون جزيتَه لطارتْ به فى الجو نَـكْباءُ زَعْزع[٦]
وأنك لا تَنْفَـكُّ تَنْعَش عاثِرا ولم تعترِضْه حـين يكبو ويَخْمَع[٧]
وحِلْمُك عن ذى الجهل من بعد ما جرى
به عَنَقٌ من طائِش الجهل أَشْنع[٨]
ففيهن لى إما شفعتُ منافعٌ وفى الأربع الأولى إليهن أفزَعُ:[٩]
مُناصَحتى بالفعل إن كنتُ نائيا إذا كان دانٍ منك بالقول يخدع[١٠]

---

(١) غ : تلمست هل من شافع .
(٢) غ : عن جرمى .
(٣) غ : عجزت عنى .
(٤) صبغة : فطرة وطبيعة .
(٥) ب ، س : ذى اللب . ى : تبغى صلاحه .
(٦) النـكباء : الريح التى تهب من غير الجهات الأصلية . والزعزع : التى تزعزع الأشياء .
(٧) يخمع : يعرج .
(٨) عنق : كذا فى غ ، وهو سير ممتد سريع . وفى ص : عنن ، تحريف .
(٩) غ : شفعن .
(١٠) غ : نائيا .

وثانيةٌ ظَنِّى بك الخيرَ غائبا ... وإن قلتَ عبدٌ ظاهرُ الغش مُسْبَع[1]

وثالثــة أنّى على ما هويته ... وإن كثَّر الأعــداء فىّ وشنَّعوا

ورابعة أنى إليك يسوقُنى ... وَلائى ، فمولاى الذى لا يُضيِّع[2]

وإنى لَمولاك الذى إن جفوته ... أتى مُستكينا راهبا يتضرع

وإنى لمولاك الضعيف فأعْفِنى ... فإنى لعفوٍ منك أهلٌ ومَوْضِع

فقطع عليه المهدى الإنشاد . ثم قال له : « ومن أعتقك ، يا ابن السوداء ؟ » فقال ـ وأومأ بيده إلى الهادى ـ : « الأمير موسى ، يا أمير المؤمنين » . فقال المهدى لموسى : « أعتقتَه ؟ » قال : « نعم ، يا أمير المؤمنين » . فأمضى المهدى ذلك . وأمر بحديده ففُكَّ عنه . وخلع عليه عدة خلع ووصله بألفى دينار وأمر له بجعفرة ، وكانت جميلة فائقة من رُوقَة الرقيق[3] . فقال له سالم قيِّم الرقيق : « لا أدفعها إليك أو تعطينى ألف درهم » . فقال قصيدته التى هى :

قد آذَنَ الحىُّ فانْصاعوا بترْحالِ ... فهاج بيْنُهم شَوْق وبَلبــالى[4]

وقام بها بين يدى المهدى حتى قال :

مازلتَ تبذل لى الأمــوال مجتهدا ... حتى لأصبحتُ ذا أهــل وذا مال

زوجتَنى يا ابن خيرِ الناس جاريةً ... ما كان أمثالُها يُهْدَى لأمثالى

زوجتَنى بَضَّة بيضاء ناعمــة ... كأنها دُرَّة فى كَفِّ لَئَّال[5]

فسامَنى سالم ألفا فقلتُ له ... أَنَّى لىَ الألفُ يا قُبِّحْت من سالِ[6]

---

(١) غ : غانيا . ومسبع : دعى ، أو أصيل فى العبودية .

(٢) ب ، س : فمولاك .

(٣) الروقة : الذين يروقون الناس .

(٤) غ : أآذن . . . بلبال .

(٥) اللئال : بائع اللؤلؤ .

(٦) غ : فسالنى سالم ، أى سألنى .

أراد من « سائل » كما قالوا : شاكِي السلاح ، وشائك .

هيهات ألفك إلا أن أجيء بهـا   من فضل مولى لطيف المن مفضال

فأمر له المهدى بألف دينار ، ولسالم بألف درهم .

وكان حُبس باليمن مدة طويلة فدخلت عليه ابنته حَجْناء . فلما رأت قيوده بكَتْ . فقال :

لقـد أصبحت حجناء تبكى لوالد   بِدَرَّة عـين قلَّ عنه غَناؤها[1]

أحجناء ، صبرا ، كلُّ نفس رَهينة   بموتٍ ، ومكتوبٌ عليهـا بَلاؤها[2]

أحجناء إن أُفلِتْ من السجن تَلْقَنى   حُتوفُ مَنايا لا يُرَدُّ قضـاؤها

أحجناء أسبابُ المنايا بمَرْصَـدٍ   فإلّا يعاجلْ غَـدْوُها فمساؤها[3]

أحجناء إنْ يُصبِـحْ أبوك ودَلْوُه   تَعرَّت عُراً منهـا ورَثَّ رِشاؤها[4]

لقـد كان يُدْلى فى رجال كثـيرة   فيَمْتَح مَلْأَى ، وهى صِفْرٌ دِلاؤها[5]

أحجناء إنْ يصبح أبوك ونفسُـه   قصيرٌ تَمَنِّيها طويلٌ عَناؤها[6]

لقد كان فى دنيا تَفِىء ظلالُها   عليه ، ومجلوبٌ إليه بهاؤها[7]

ولما دخل مقيدا على المهدى رَفَده[8] ثُمامة بن الوليد عنده ، واستعطفه له ، وسَوَّغ

---

(١) درة العين : أراد بها ما تسقطه من دموع غزيرة .

(٢) بموت : كذا فى غ . وفى ص : لموت .

(٣) وضع غ هذا البيت قبل سابقه .

(٤) غ : أضحى أبوك . ورث : بلى . والرشاء : حبل البئر .

(٥) يمتح : يستقى . يريد أنه كان يستقى مع الكثيرين ، فيخرج دلاءها ملأى بالماء ويخرجون دلاءهم فارغة .

(٦) ب . س : قليل تمنيها .

(٧) غ : تفيأ ظلها .

(٨) رفده : أعانه وسانده .

عذره عنده . ولم يزل يَرفُق به حتى أطلقه . وكان نصيب منقطعا فى متقدِّم الأيام إلى أخيه شيبة ، فامتدح ثمامة بأبيات .

ودخل نصيب يوما على ثمامة ــ بعد وفاة أخيه شيبة ــ وهو يفرِّق خيله على الناس. فأمر له بفرس منها ، فأبى أن يقبله ، وبكى ، وأنشد :

ياشيبةَ الخيرِ إمّا كنت لى شَجَنا   آليتُ بعدكَ لا أبكى على شَجَنِ
أضحتْ جيادُ ابن قعقاعٍ مقسَّمةً   فى الأقربين بلا مَنٍّ ولا ثمنِ[1]
وَرَّثتهم فتمزَّوا عنك أنْ ورثوا   ولا وَرِثْتُك غيرَ الهم والَحزَنِ[2]

فبكى ثمامة ومن حضر . وشيبة بن الوليد وأخوه من وجوه قواد المهدى .

وفى شيبة يقول أبو محمد اليزيدى، وقد عارضه فى شىء من النحو بحضرة المهدى:

عِشْ بجَدٍّ ولا يضرُّكَ نوكٌ   إنما عيشُ من ترى بالجدودِ[3]
عش بجد وكن هَبَنَّقَةَ القَيْـ   ـسىَّ أو شيبة بن الوليد[4]

خرج المهدى يتنزه بعِيساباذ[5] . وقدم نصيب ومعه ابنته الحجناء . فدخل على المهدى فأنشده[6]:

رُبَّ عيشٍ ولذة ونعيم   وبهاء بمُشْرقِ الميدانِ
بسط اللهُ فيه أبهى بساطٍ   من بَهارٍ وزاهرِ الحَوْذانِ

حتى أتى على القصيدة . فأمر له المهدى بعشرة آلاف درهم ، ولها بمثلها .

---

(١) ى : أبى القعقاع . غ : بلا حمد .

(٢) غ : إذ ورثوا . . . وما ورثتك .

(٣) النوك: الحمق .

(٤) هبنقة القيسى : رجل شهر بين العرب بالحمق ، ورووا عنه قصصا كثيرة .

(٥) عيساباذ : حى بشرقى بغداد نسب إلى عيسى بن المهدى، وقد بنى به المهدى قصر السلام الذى بلغت النفقة عليه ٥٠٠٠٠٠٠٠ درهم .

(٦) نسب غ الشعر إلى حجناء بنت نصيب .

ثم دخلت الحجناء على العباسة بنت المهدى فأنشدتها :

أتيناكِ يا عبّاسةَ الخيرِ والحيا　　وقد عَجِفت أُدْم المَهارِى وكَلَّتِ
وما تركتْ منا السنون بقيةً　　سوى رِمَّة منا من الجهد رَمَّت
فقال لنا من ينصح الرأى نفسه　　وقد ولَّت الأموال عنا وقلّت:[1]
عليكِ ابنةَ المهدىِّ عوذى ببابها　　فإن محلَّ الخير فى حيثُ حَلَّت

فأمرت لها بثلاثة آلاف درهم وكسوة وطيب . فقالت :

أغنَيْتِنى يا ابنــةَ المهدىِّ أىَّ غنى　　بأَعْجَرَيْن كثيرٍ فيهما الوَرِقُ[2]
من ضَرْبِ تسعٍ وتسعين محكَّكة　　مثـل المصابيح فى الظَّلماء تَأْتلق
أما الحسود فقــد أمسى تَأَوَّبه　　غمٌّ وكاد برَجْع الرِّيق يختنق[3]
وذو الصداقة مسرور لنــا فرِحٌ　　بادى البِشارة ضاحٍ وجهه شَرِق

كان نصيب إذا قَدِم على المهدى استهداه منه القواد ، وسألوه أن يأمره بزيارتهم. فـكان ممن استهداه خزيمة بن خازم ، فوصله وحمله . فقال :

وجدتُكَ ياخزيمةُ أَرْيَحِيًّا　　بما تَحْوى ، وذا حسب صَميمِ
تميمٌ كان خيرَ بنى مَعَدٍّ　　وأنت اليومَ خــيرُ بنى تميم
سوى رهطِ النبى ، وهم أديمٌ　　وأنت قُدِدْتَ من ذاك الأديم

وقال فيه أيضا :

ياأفضلَ الناسِ عُودا عند مَعْجَمه　　إذا تَفاضل يوما مُعجَم العودِ[4]
إنى لواحدُ شِعْرٍ قــد شُهِرتُ به　　وذا خزيمةُ أضحى واحدَ الجود

---

(١) غ : عنا فقلت .

(٢) الأعجر : الكيس الممتلىء .

(٣) غ : أمسى تغيظه غما .

(٤) تفاضل : كذا فى غ . وفى ص : تقابل . ومعجمه : اختباره .

إنْ يُعْطكَ اليومَ معروفا يَعِدْكَ غدا فأنت فى نائلٍ منـــه وموعود[١]
وقد رأينا تميما غير مُـكرَهةٍ ألقتْ إليك جميعا بالمَقاليد
فأنت أكرمُها نفسا وأفضلُها إن الصَّناديد أبناءُ الصناديد

قال الزبير بن بكار : كتب إلىّ أبو محمـد إسحاق بن إبراهيم التميمى يقول : أنشدت الفضل بن يحيي قول أبى الحجناء نصيب :

عند الملوكِ مضرَّةٌ ومنافعُ وأرى البرامكَ لا تضرُّ ، وتنفعُ
إنّ العروقَ إذا استسَرَّ بها الثَّرَى أَشِرَ النباتُ بها وطاب المَزْرع
وإذا نَكِرت من امرئٍ أعْرَاقَه وقَديمه فانظر إلى ما يصنع[٢]

قال : فأعجبـه الشعر وقال : « يا أبا محمد ، كأننى لم أسمع بهذا القول إلا الساعة ، وماله عندى عيب ، إلا أننى لم أكافئه عليه » . قال : فقلت : « وكيف ذلك أصلحك الله وقد وهبت له ثلاثين ألف درهم ؟ ! » فقال : « لا ، والله ، ولاثلاثون ألف دينار مكافئة له ، فكيف ثلاثون ألف درهم ؟ » .

وأحسن ما أنشد[٣] قوله ، وقد رأى كثرة الشعراء على باب الفضل بن يحيي ، فلما دخل الناس إليه قال له :

ما لَقِينا من جود فضل بن يحيي تَرَكَ الناسَ كلَّهم شعراءَ

وهو القائل :

جاء الربيعُ الذى كنا نؤمِّلُه فكلُّنا بربيعِ الفضلِ نَرْتَبعُ[٤]

---

(١) غ : معروفا على ثقة .
(٢) غ : فإذا . ابن المعتز : وإذا جهلت .
(٣) أنشد : غير واضحة فى ص . والعبارة فى غ : أخبرنى أحمد بن سليمان بن أبى شيخ قال : كان أبى يستملح قول نصيب ..
(٤) غ : جاد الربيع . . . مرتبع

كانت تطول بنا فى الأرض نُجْعَتُنا فاليومَ عنـد أبى العباس ننتجِع(١)
إن ضاق مذهبُنا أو حلّ ساحَتنا ضَنْك وأَزْمٌ فعند الفضل يتسع(٢)
إن يمنعوا ما حَوَتْ عنى أكُفُّهمُ فلن يضرَّ أبا الجفناء ما منعوا(٣)
أو حَلّئونا وذادوا عن حياضهمُ يومَ الشُّروع ففى غُدْرانِك الشَّرَع(٤)

---

(١) النجعة : السعى وراء الـكلأ ، كنى بها عن السعى وراء الرزق .
(٢) غ : متسع .
(٣) غ : حوت منا . فلن يضر : كذا فى غ . وفى ص : فلم يضر ، تحريف .
(٤) حلئونا : منعونا عن الماء . والشرع : الاستقاء والشرب .

حرف الهاء

هلال المازنى*

هو هلال بن الأَسْعَر بن خالد بن أَرْقَم بن قُسيم بن ناشِرة بن سَيّار بن رِزام ابن مازِن بن مالك بن عمرو بن تميم .

شاعر إسلامى ، من شعراء الدولة الأموية ، وأظنه أدرك الدولة العباسية .

وكان رجلا شديدا ، عظيم الخَلْق ، أكولا ، معدودا من الأَكَلة ، فارسا ، شجاعا ، شديد البأس والبطش ، أعظم الناس فى حرب غَناء .

وعُمِّر عمرا طويلا . ومات بعد بلايا عظام مرّت على رأسه .

كان رجل من بطن من قومه من بنى رزام بن مالك ، يقال له المُغيرة بن قَنْبَر ، يعول هلالا ، ويُفضل عليه ، ويحتمل ثِقْله وثقل عياله . فهلك فقال هلال يرثيه :

ألا ليت المغـيرةَ كان حيّا ... وأَفْنَى قبلَه النـاسَ الفناء

لتَبْكِ على المغيرة كلُّ خيلٍ ... إذا أفْنَى عَرائِكَها اللقـاء(١)

ويبك على المغـيرة كلُّ جيشٍ ... تَمُور لدى معاركه الدماء(٢)

فتى الفتيان فارسُ كلِّ حرب ... إذا شالتْ ، وقد رُفع اللّواء(٣)

---

* أخباره فى ب ٢ : ١٨١ ، س ٢ : ١٧٥ ، د ٣ : ٥٢ ، ى ٣ : ٥١ ، ت ١/١/٣٣٣ .

(١) غ ، ت : ليبك . والعرائك : جمع عريكة ، وهى النفس ، والقوة .

(٢) تمور : تجرى وتسيل .

(٣) شالت الحرب : تهيأت لأن يخوض الأبطال غمارها .

ويبكِ على المغيرة كلُّ كَلٍّ ... فقيرٍ كان ينعَشُه العطاء(١)
لقد وارى جديدُ الأرضِ منه ... خِصالا عَقْدُ عِصْمتِها الوفاء(٢)
فصبرا للنوائب إنْ أَلَمَّتْ ... إذا ما ضاق بالحَدَث الفضاء
هِزَبْرٌ تنجلى الغَمَراتُ عنه ... نقىُّ العِرْض همَّته العَلاء
إذا شهِد الكَريهةَ خاض منها ... بحورا لا تُكدِّرها الدِّلاء
جَسور لا يروِّعه ارتياعٌ ... ولا يَثْنى عزيمتَه اتِّقاء(٣)
حليم فى مَشاهِده إذا ما ... حُبَا الحلماء أَطْلَقها المِراء(٤)
حَميد فى عَشيرته فقيدٌ ... يَطيب عليه فى المَلاَ الثَّناء(٥)
فإن تَكُن المنيةُ أقْصَدَتْه ... وحُمَّ عليه بالتَّلف القَضاء(٦)
فقد أَوْدَى به كرمٌ وخِيرٌ ... وعَوْدٌ بالفضائل وابتداء(٧)
وجَرْىٌ لا يُضَمُّ إليه جَرْىٌ ... مُراهنة إذا جَدَّ الجِراء(٨)

وكان يَرِد مع الإبل فيأكل ما يجد عند أهله . ثم يرجع فيها ولا يتزود طعاما ولا شرابا حتى يرجع يوم ورودها ، لا يذوق فيما بين ذلك طعاما ولا شرابا .

---

(١) جعل غ هذا البيت ثالث الأبيات . وكذا روايته فيه . وفى س : فقير عر يلتمس العطاء وفيه إقواء . والكل : اليتيم وصاحب العيال .
(٢) جديد الأرض : ظهرها .
(٣) غ ، ق : جسور لا يروع عند روع . س : عزيمته ارتقاء .
(٤) الحبا : جمع حبوة ، وهى أن يشتمل الرجل بثوبه أو يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها عند الجلوس . والمراء : المجادلة والمخاصمة .
(٥) فقيد : يفتقده طالبو المعروف .
(٦) أقصدته : أصابته فقتلته . وحم : قضى وقدر .
(٧) الخير : الشرف .
(٨) رواية الشطر الأول فى غ : وجود لايضم جوادا . ومراهنة : مسابقة . والجراء : المسابقة .

وكان عادِىَّ الخَلْق [١] ، لا توصف صفته . حَدَّث عنه من أدركه أنه كان يوما فى إبل له فى يوم شديدِ وَقْـع الشمس ، مُحْتَدم الهاجرة . وقد عمَد إلى عصاه ، فطرح عليها كساءه من الشمس ، وأدخل رأسه تحت كسائه . فبينا هو كذلك ، إذ مرّ به فى وقت الظهيرة رجلان : أحدهما من بنى نَهْشَل والآخر من بنى فُقَيم ، وكانا أشدَّ تميميين فى ذلك الوقت بطشا ، يقال لأحدهما الهَيّاج ، أقبلا من البحرين معهما أنواطٌ من تمْر هَجَر [٢] ، وهلال بناحية الصِّماب [٣] . فلما انتهيا إلى الإبل ولم يعرفا هلالا [٤] بوجهه ولا أن الإبل له ، ناديا : « يا راعى ، أعندك شراب تَسْقِينا ؟ » وهما يظنّان أنه عبد لبعضهم . فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه : « عليكما الناقة التى صفتها كَيْتَ وكيت فى موضع كذا ، فأَنيخاها فإن عليها وَطْبَين [٥] من لبن ، فاشربا منهما ما بدا لكما » . فقال له أحدهما : « ويحك ، يا غلام ! انهض فأْتِنا بذلك اللبن » . فقال لهما : « إنْ يكن لكما حاجة فستأتيانها فتجدان الوطبين فتشربان » . فقال أحدهما : « إنك ، يا ابن اللَّخْناء ، لَغليظ الكلام . قم فاسقنا » . ثم دنا من هلال ، وهو على تلك الحال ، وقد قال لهما : « أراكما ، والله ستلقيان هَوانا وصَغارا » وسمعا ذلك منه ؛ فدنا أحدهما فأهوى له ضربا بالسوط على عَجُزه ، وهو مضطجع . فتناول هلال يده ، وهو مضطجع ، فاجتذبه إليه ، فرماه تحت فخذه ثم ضغطه . فنادى صاحبه : « ويحك ! أغِثْنى ! قد قتلنى » . فدنا صاحبه منه . فتناوله هلال أيضا ، واجتذبه ، فرمى به تحت فخذه الأخرى ثم أخذ برقابهما فجعل يصك برءوسهما بعضها ببعض ، لا يستطيعان أن يمتنعا منه . فقال أحدهما : « كُنْ هلالا ولا نبالى ما صنعت

(١) عادى الخلق : عظيمه ، نسبة إلى بنى عاد الذين تضرب بهم العرب المثل فى عظم البناء والقامة.

(٢) هجر : عاصمة البحرين أو البحرين كلها .

(٣) الصماب : جبل بين اليمامة والبحرين أو رمال صعبة المسالك بين البصرة واليمامة .

(٤) غ، ت : ولا يعرفان هلالا بوجهه . وهى أدق.

(٥) الوطب : وعاء اللبن .

بنا » . فقال : « أنا هلال . ووالله لا تُفلتان منى حتى تعطيانى عهـدا وميثاقاً لاتَخيسان(١) به : لَتأْتيانِّ المِرْبَد إذا قدمتما البصرة ثم لتناديانِّ بأعلى أصواتـكما بما كان منى ومنـكما » . فماهداه وأعطياه نوطا من التمر الذى معهما . وقدما البصرة فأتيا المربد ، فناديا بما كان منهما ومنه .

حدث كُـنَيف(٢) بن عبد الله المازنى قال : كنتُ يوما مع هلال ونحن نَبْغِى إبلا لنا . فدفَعْنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبْنا(٣) وعَطِشنا ، وإذا نحن بفِتْية شباب عند رِكَـيَّة(٤) لهم وقـد وردت إبلهم . فلما رأوا هلالا استهْولوا خَلْقه وقامته . فقام رجلان منهم إليه . فقال له أحدهما : « ياعبد الله ، هـل لك فى الصِّراع ؟ » فقال لهما هلال : « أنا إلى غير ذلك أحْوَج » . قال : « وما هو ؟ » قال : « إلى لبن وماء فإنى لَغِب ظمآن » . قالا : « ما أنت بذائقٍ من ذلك شيئا حتى تُعطينا عهدا لَتُجيبنَّنا إلى الصراع إذا رَوِيت وأرَحْت » . قال لهما هلال : « إنى لـكما ضيف ، والضيف لا يصارع رب منزله ، وأنتما مكتفيان(٥) من ذلك بمـا أقول لـكما : اعْمِدوا إلى أشدِّ فحل شدة وهَيْبة وصَوْلة ، وإلى أشد رجل منـكم ذراعا ، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم ، فـلا يمتنع البعير ولا الرجل حتى أُدخل يد الرجل فى فم البعير ، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتمونى . وإن فعلته علمتم أن صراع أحدكم أيسر من ذلك » فعجبوا من مقالته . وأومئوا إلى فحل فى إبلهم هائج صائل قَطِم(٦) . فأتاه هلال ومعه نفر من أولئك القوم وشيخ لهم . فأخذ هلال

---

(١) تخيسان به : تخلفانه .

(٢) ب ، س : كفيف

(٣) لغبنا : تعبنا وأصابنا الإعياء .

(٤) الركية : البئر .

(٥) ص : مكتفون .

(٦) قطم : هائج . وفى س فى موضعها : فخطم .

بهامة الفحل مما فوق مِشْفَره . فضغطها ضغطة جرجر الفحل [منها] واستَخذى ورَغا . وقال : « لِيُعطينى من أحب يده حتى أُولجها فى فم هذا الفحل » . قال : فيقول الشيخ : « يا قوم ، تنكّبوا هذا الشيطان ! فوالله ما سمعت فلانا ـ يعنى الفحل ـ جرجر منذ بَزَل[١] قبل اليوم . فلا تَعرِضوا لهذا الشيطان » . فجعلوا يَتْبعونه وينظرون إلى خطوه ، ويَعْجَبون من طول أعضائه حتى جازَهم .

قال هلال : قَدِمتُ المدينة وعليها رجلٌ من آل مروان . فلم أضع عن إبلى ماعليها من أَحْمال التجار حتى أُخذ بيدى وقيل : « أجب الأمير » . فقلت لهم : « ويلكم ، إبلى وأحمالى ! » فقيل : « لا بأس على إبلك وأحمالك » . قال : فانطُلق بى حتى أُدخلت على الأمير فسلمت عليه . ثم قلت : « جُعلت فداك ! إبلى وأمانتى ! » فقال: نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤديها إليك » . قال : قلت : « فما حاجة الأمير إلىّ ؟ » قال لى ـ وإلى جانبه رجل أصفر لا والله ما رأيت رجلا قط أشد منه خَلْقا ولا أغلظ عنقا ، ما أدرى أطولُه أكثر أم عرضه ـ : « إن هذا الفتى[٢] الذى ترى ، لا والله ما ترك بالمدينة عربيا[٣] يُصارع إلا صرَعه . وبلغنى عنك قوة ، فأردت أن يُجْرى الله صَرْع هذا العبد على يدك . فتدرك ما عنده من أَوْتار[٤] العرب » . فقلت : « جعلنى الله فداء الأمير ! إنى تَعِب[٦] نَصِب جائع . فإنْ رأى الأمير أن يَدَعنى اليوم حتى أضع عن إبلى ، وأؤدى أمانتى ، وأُريح يومى هذا ، وأجيئه غدا ، فليفعل » . فقال لأعوانه : « انطلقوا معه وأعينوه على الوضع عن إبله والأداء لأمانته ، وانطلِقوا به إلى المطبخ فأَشْبعوه » . ففعلوا جميع ما أمرهم به .

---

(١) بزل : بزغ نابه فى السنة التاسعة من عمره . وفى ب ، س : نزل .

(٢) غ : هذا العبد .

(٣) ب : عبدا . س : عبدا عربيا ، ولا يكون ذلك .

(٤) الأوتار : جمع وتر ، وهو الثأر .

(٥) غ : لغب ، وهى بمعناها .

قال : فظَلِلْتُ بقية يومى ذلك . وبِتُّ ليلتى بأحسنِ حال شبعا وراحة وصلاحَ حال . فلما كان من الغد ، غدوت عليه ، وعليّ جُبَّة لى صوف وبَتٌّ(١) ، وليس عليّ إزار إلا أنى قد شددت بعمامتى وسطى . فسلمت عليه فردّ على . وقال للأصفر : «قم إليه ! فقد أرى أن الله تعالى أتاك بما يُخزيك» . فقال العبد : «اتَّزِر ، يا أعرابى» . فأخذت بَتِّى واتزرتُ به على جبتى . فقال : «هيهات ! هذا لا يثبت إذا قبضت عليه جاء فى يدى» : فقلت : «والله ، مالى من إزار» . فدعا الأمير بِمِلْحَفَة ما رأيت قبلها ولا عَلا جلدى مثلُها . فشددت بها على حَقْوِى(٢) وخلعت الجبـــة .

قال : وجعل العبد يدور حولى ويريد خَتْلى ، وأنا منه وَجِل لا أدرى كيف أصنع به. ثم دنا منى دنوة فنقَدَ(٣) جبهتى بظُفُرْه نقدة ظننت أنه قد شَجَّنى وأوجعنى. فغاظنى ذلك منه . فجعلت أفكّر فى خَلْقه بماذا أقبِض منه . فما وجدت فى خلقه شيئا أصغر من رأسه . فأقبض على رأسه ، فوضعت إبهامى فى صُدْغه وأصابعى(٤) الأخرى فى أصل أذنه الأخرى. ثم غمزته غمزة ، صاح منها : «قتلتنى !» قال : يقول الأمير : «اغمِس رأس العبد فى التراب». قال : فقلت له : «لك ذلك عليّ». فغمست رأسه فى التراب ووقع شبيها بالمغشى عليه . فضحك الأمير حتى استلقى ، وأمر لى بجائزة وكسوة . ثم انحدرت .

كان هلال بن الأسعر ضربه رجل من بنى عَنَزة ثم من بنى جَلّان يقال له عُبيد

---

(١) البت : كساء غليظ مهلهل مربع ، وقيل من وبر وصوف .

(٢) الحقو : الخصر .

(٣) نقد : نقر .

(٤) كذا فى غ . وفى س : وإصبعى .

ابن جُرَىّ(1) فى شىء كان بينهما فشجَّه وخَمَشه خُماشة . فأتى هلال بنى جلان فقال : « إن صاحبكم قد فعل بى ما ترون ، فخذوا لى بحق » . فأوعدوه وزَبَروه(2) . فخرج وهو يقول : « عسى أن يكون لهذا جزاء » . ومضى لذلك زمن طويل حتى دَرَس ذكره(3) . ثم إن عبيد بن جرى قدم الوَقَبا ــ موضعا من بلاد بنى مازن(4) ــ فذكر ما بينه وبين هلال فخافه . فسأل عن [أعزّ](5) أهل الماء فقيل له : « مُعاذ بن جَعْدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة بن سيّار بن رِزام بن مازن » فوجده غائبا عن الماء . فعقد طرف ثوبه إلى جنب طُنُب بيت معاذ ، وكانت العرب إذا فعلتْ ذلك وجب على المعقود بطنب بيته أن يُجير المستجير وأن يطلب له بظُلامته ، وإن كان يومَ فعل ذلك غائبا عن الماء . فقيل : « رجل استجار بمعاذ بن جعدة » . ثم خرج عبيد بن جرى ليسقى. فوافق قدومَ هلال بإبله يوم وروده . فلما نظر إلى عبيد بن جرى ذكر ما كان بينه وبينه ، ولم يعلم باستجارته بمعاذ . فطلب شيئا يضربه به فلم يجد . فانتزع مِحْوَر السانية(6) ، فضرب به على رأسه فصرعه وَقيذا(7) . وقيل : « قتل هلال بن الأسعر جار معاذ بن جعدة » . فلما سمع هلال ذلك تخوف بنى جعدة الرِّزاميِّين ، وهم بنو عمه. فأتى راحلته ليركبها . فأتته خَوْلة بنت يزيد بن ثابت ، بنت أخى جعدة بن ثابت ، وهى جدة السفاح ، وهند بنت عبد الله بن مالك ، أم أبيه(8) . فتعلقت بثوب هلال

---

(1) ت : حرى .

(2) زبروه : منعوه ونهوه . وفى س ، د ، ى : زجروه .

(3) درس : امحى .

(4) غ ، ت : بنى مالك .

(5) زيادة عن غ يقتضيها السياق .

(6) ت : الساقية . والسانية : الدلو العظيمة مع أدواتها .

(7) الوقيذ : المشرف على الموت .

(8) غ : وهى جدة أبى السفاح زهيد بن عبد الله بن مالك أم أبيه . ولا يقصد بالسفاح هنا الخليفة العباسى بل هو أحد أشراف العرب ، لأن الخليفة جدته العالية بنت عبيد الله بن عبد الله ابن عباس . (انظر تاج العروس : سفح ، وتاريخ الإسلام للذهبى ٥ : ١٣٤) .

ثم قالت : « أيْ عدو الله ، قتلتَ جارنا ! والله لا تفارقني حتى تأتيك رجالنا » . قال هلال : والمحور بيدي لم أضمه . فهممت أن أعلو به رأس خولة . ثم قلت في نفسي: « عجوز لها سِنٌّ وقرابة» . قال : فضربتها برجلي ضربة رميتُ بها من بعيد ثم ركبت ناقتي .

وجاء معاذ بن جعدة وإخوته ، وهم يومئذ تسعة إخوة ، وعبد الله بن مالك ابن هند زوج ابنة معاذ جُبَيلة . فسمعوا الواعية[1] على الجلاني وهو دَنِف لم يمت . وأُخبِروا الخبر . فركب الإخوة التسعة وعبد الله بن مالك ، فكانوا مثل الجمال[2] في شدة خَلْقهم . وركب معهم عشرة غلمة لهم أشد منهم خَلْقا ، لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضعه . فلما أصبحوا من تلك الليلة قَصُّوا أثره وكان لا يخفى أثره على أحد لعظم قدمه . فلحقوه من بعد الغد . فناداهم: « يا بني جعدة ، أَنْشُدُكم اللهَ أن أكون قتلت رجلا غريبا طلبته بِتِرَة[3] ، وتقتلوني وأنا ابن عمكم » . وظن أن الجلاني قد مات . ولم يكن قد مات إلى أن اتبعوه وأخذوه . فقال معاذ : « والله ، لو أيقنا أنه قد مات ما ناظرنا بك القتل[4] من ساعتنا ، ولكنّا تركناه ولم يمت . ولسنا نحب قتلك إلا أن تمتنع منا ، ولا نقدم عليك[5] حتى نعلم ما يصنع جارنا » . فقاتلهم وامتنع منهم . فقال معاذ لأصحابه : « لا ترموه بالنَّبْل ، ولا تضربوه بالسيوف ، وارموه بالحجارة ، واضربوه بالعصي ، حتى تأخذوه » . ففعلوا وما قدروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع، ومن الأخرى إصبعين، ودقوا ضِلَعين من أضلاعه ، وأكثروا الشِّجاج

---

(١) الواعية : الصراخ على الميت .

(٢) غ ، ت : الجبال .

(٣) الترة : الثأر .

(٤) ناظرنا بك القتل : أخرناه عنك .

(٥) كذا في غ ، ت . وفي ص : تمتنع منا فنقدم عليك .

فى رأسه . ثم أخذوه وما كادوا يقدرون على أخذه . فوضعوا فى رجله قيدا . وجاءوا به وهو معروض على بعير . فدفعوه إلى الجَلانى ولم يمت بعد . فقالوا : « انطلقوا به معكم إلى بلادكم ولا تُحدثوا فى أمره شيئا . فإنْ مات صاحبكم فاقتلوه . وإن حَيِي فأَعْلِمونا حتى نحمل أَرْش الجناية لكم »[١]. فقال الجلانيون : « وفتْ ذمتكم يا بنى جعدة . إنا نخاف أن ينتزعه منا قومكم إن خَلَّيتم عنا وعنهم » . فقال لهم معاذ : فأنا أحمله معكم ، وأشيِّعكم حتى تَردوا بلدكم » . فحُمل معروضا على بعير . وركبت أخته جَمّاء بنت الأسعر معه. وجعل يقول :« قتلنى بنوجعدة ! » وتأتيه أخته بمَغْرَة[٢] فشربها حتى يقال : « هوذا يُمشي بالدم[٣] لأن بنى جعدة فرَثوا[٤] كبده فى جوفه » . فلما بلغوا أدنى بلاد بنى بكر بن وائل ، قال الجلانيون لمعاذ وأصحابه : « قد وفيتُم فانصرفوا » .

وجعل هلال يُريهم أنه يُمشى بالدم فى الليلة عشرين مرة . فلما ثقل الجلانى وتخوّف هلال أن يموت من ليلته أو أن يُصبح ميتا ، تبرّز هلال كما كان يصنع وفى رجله القيد كأنه يقضى حاجة . ووضع كساءه على عصاه فى ليلة ظَلْماء . ثم اعتمد على القيد فكسّره . ثم طار تحت الليل على رجليه وكان أدلّ الناس. فتنكّب الطريق الذى يُعرَف ويُطلب فيه . وجعل يسلك المسالك التى لا يطمع فيها حتى انتهى إلى رجل من بنى أثاثة بن مازن ، يقال له السِّعر بن زيد[٥] . فحمله على ناقة يقال لها مَلْوة . فركبها ثم تجنب بها الطريق . وأخذ نحو بلاد قيس بن عَيلان تخوفا من بنى مازن أن يتبعوه : فسار ثلاثَ ليال وأيامَها . ونزل اليوم الرابع فنحر الناقة ، وأكل لحمها

---

(١) الأرش : دية الجراح .

(٢) المغرة : طين أحمر يصبغ به .

(٣) أمشى الرجل : أسهل من دواء تناوله .

(٤) فرث : شق وفتت . وكذا العبارة فى غ ، ت . وفى ص : يمشى الدم ... رثوا .

(٥) غ : يزيد .

كله إلا فَضْلة فَضَلت منه فاحتملها . ثم أتى بلاد اليمن فوقع بها، فلبث زمانا ، وذلك عند مقدم الحجاج العراق[1] .

فبلغ إفلاتُه من بالبصرة من بكر بن وائل ، واستَعْدوا عليه الحجاج ، وأخبروه بقتله صاحبهم . فبعث الحجاج إلى عبد الله بن شُعْبة ، وهو يومئذ عريف بنى مازن ، فقال له: «لتأتينِّى بهلال أو لأفعلنَّ بك». فقال : «إن أصحاب هلال[2] وبنى عمه صنعوا كذا وكذا» . وقصّ عليهم قصته ، ودَفْعه إلى الجلانيين وتشييعهم إياه . فقال : «ما يقول ؟» فقال بعض البكريين : «صدق» . فقال الحجاج : «لا يُرغم الله إلا أنوفكم ! قد أَمَّنت كل قريب لهلال وحميم وعريف ، ومنعت من أخذ أحدٍ به ، حتى يظفر به البكريون أو يموت قبل ذلك .

ولما وقع هلال إلى اليمن بعث إلى بنى رِزام بن مازن بشعر ، يعاتبهم فيه ويعظّم عليهم حقه ويذكر قرابته . فقال معاذ : «لا أرضى إلا أن تُؤدَّى ثلاث ديات : دية المقتول ، ودية الجوار ، ودية الأمان» . فقال هلال من أبيات :

بنى مازنٍ ، لا تطردُونى فإننى ... أخوكم وإنْ جَرَّت جرائرَها يَدِى
ولا تُثلجوا أكباد بكر بن وائل ... بتَرْكِ أخيكم كالخليع المطرَّد
ولا تجعلوا حِفْظى بظَهْرٍ وتحفَظُوا ... بَعيدا ببغضاءَ يروح ويَغْتدى[3]
فإنَّ القريب حيثُ كان قريبُكم ... وكيف بقَطْع الكفِّ من سائر اليد؟
وإنّ البعيدَ إنْ دنا فهو جارُكم ... وإن شَطَّ عنكم فهو أَبْعَدُ أبعدِ
وإنى وإنْ أَوْجَدْتُمونى لحافظٌ ... لكم حِفْظَ راضٍ عنكمُ غيرَ موجَد[4]

---

(١) قدمه فى سنة ٧٥ هـ

(٢) كذا فى غ ، ت . وفى ص : بنى هلال ، تحريف .

(٣) ب ، س : تروح وتغتدى .

(٤) ب ، س أوحدتمونى ... موحد . وأوجدتمونى : أغضبتمونى .

سيَحْمِى حِمَى عِرْضى وإن كنتُ غائبا
أغرُّ إذا ما رِيعَ لم يتبــلّد[1]

وتعلم بكرٌ أنكم حيثُ كنتمُ
وكنتُ من الأرض الغريبة مُحتدى

وأنى ثقيلٌ حيثُ كنتُ على العِدا
وأنى وإنْ أُوحِدت ليس بأوحد[2]

ولما دُفع هلال إلى أولياء المقتول ليقتلوه بصاحبهم ، جاء رجل يقال له حُفَيد ، كان هلال قد وَتَره ، فقال : « لآتينَنَّه ولأُصغِّرنَّ إليه نفسه » ، وهو فى القيود مصفود للقتل[3] . فأتاه فلم يَدعْ له شيئا إلا عَدّه عليه مما يكره . قال : وإلى جنب هلال حجر مِلْء الكف ، فأخذه هلال وأهوى به للرجل ، فأصاب جبينَه ، فاجْتَلف جُلْفة[4] من وجهه ورأسه . ثم رمى بها وقال : « خذ الآن القصاص منى » . وأنشد :

أنا ضربتُ كَرِبا وزَيْدا
وثابتا مَشَّيْتُهم رويدا

كما أفأتُ[5] حَيْنه عُبيدا
وقد ضربت بعده حُفيدا

وهؤلاء كلهم من بنى رِزام ، وكلهم نكأ فيه هلال .

ولما طال مقام هلال باليمن ، نهضتْ بنو مازن بأجمعهم إلى بنى رزام بن مازن ، رهط هلال ، ورهط معاذ بن جعدة جار الجلانى المقتول . فقالوا : « قد أسأتم بابن عمكم وجُزْتم الحد فى الطلب بدم جاركم فنحن نحمل لكم ما أردتم » . فحمل دَيْسَم ابن المِنْهال بن خُزَيمة[6] بن شهاب بن أُثاثة بن ضِباب بن حُجَيَّة بن كابِية ابن

(١) غ : سيحمى حماكم بى .
(٢) غ : لست بأوحد ، وهى أحسن .
(٣) د ، ى : مصبور للقتل .
(٤) اجتلف جلفه : كشط قطعة .
(٥) د ، ى : أفدت .
(٦) ب ، س : جذيمة .

حُرْقوص بن مازن الذى طلب معاذ أن يُحمَل لجاره ، لفضل عزّه وموضعه فى عشيرته . وكان الذى طلب ثلاثمائة بعير ، فقال هلال فى ذلك :

إن ابن كابيــة المُرزَّأَ دَيْسَما ... وارى الزِّناد بعيدُ ضوءِ النارِ (١)

من كان يحمِلُ ما تحمَّلَ ديسمٌ ... من حائلٍ فُنُقٍ وأُمِّ حُوار (٢)

عَيَّت بنــو عمرو بحمل هَنائد ... فيها العِشار مَتـالىَ الأَبْـكار (٣)

حتى تَلافاها كريمٌ سابق ... بالخير حَلَّ منازلَ الأخيـــار

حتى إذا وردتْ جميعا أرزمَتْ ... جَلّانُ بعـــد تَشمُّسٍ ونِفار (٤)

تَقاوَمَ هلال بن الأسعر المـازنى ونُهَيس (٥) الجلانى وهما يسقيان إبلهما . فخذف (٦) هلال نُهيسا بمحور فى يده فأصابه فمات . فاستَمْدَى ولده بلال بن أبى بُرْدة على هلال فحبسه . فأسلمه قومه بنو رزام . وعمل فى أمره ديسم فافتكه بثلاث ديات.

فقال هلال يمدحه :

تدارك دَيْسَمٌ حسبا ومجـــدا ... رِزاما بعد ما انشقَّتْ عَصاها

هم حُمـلوا المِئِينَ وأَلْحَقوها ... بأهليها وكان لهم سَناها (٧)

وما كانت لتَحْمِلَها رزامٌ ... بأَسْتاهٍ مُعقَّصَة لِحاها

بكابية بن حُرْقوصٍ وجَدٍّ ... كريمٍ لا فتَى إلا فَتاها

---

(١) المرزأ : الـكريم الذى يصاب فى ماله كثيرا لاعتياد الناس سؤاله .

(٢) الحائل : الناقة التى لم تحمل سنة أو أكثر . والفنق : الناقة الفتية السمينة . والحوار: الفصيل .

(٣) د ، ى: ملابئ الأبكار . وعيت: عجزت . وهنائد : جمع هنيدة، وهى المئة من الإبل والعشار: جمع عشراء ، وهى الناقة التى أتى عليها عشرة أشهر من حملها أو هى كالنفساء من النساء.

(٤) أرزمت : أصدرت صوتا عند الحنين .

(٥) ب ، س : بهيس .

(٦) د ، ى : فخذف .

(٧) د ، ى : فألحقوها . . فـكان .

قال المعتمر بن سليمان : قلت لهلال بن أسعر : « ما أكلةٌ أكلتَها بلغتْني عنك ؟ » قال : « جُعت مرة ومعى بعيرى فنحرته ، وأكلته إلا ما حملتُ منه على ظهرى . ثم أردت زوجتى فلم أقدر على جماعها ، فقالت : وكيف تصل إلىّ وبيننا بعير ؟ » قال : فقلت له : « فكم تكفيك هذه الأكلة ؟ » قال : « أربعة أيام » .

روى المدائنى قال : مر هلال بالبصرة على رجل من بنى مازن وقد حمل من بستانه رطبا فى زَوارِيق[1] . فجلس على زورق صغير منها وقد كُثِب[2] الرطب فيه وغُطِّى بالبَوارى[3] . فقال له : « يا ابن عم ، آكلُ من رطبك هذا ؟ » قال : « نعم » . قال : « ما يكفينى[4] ؟ » قال : « ما يكفيك » . فجلس على صدر الزورق وجعل يأكل إلى أن اكتفى . ثم قام فانصرف . فكُشِف الزورق فإذا هو مملوء نوًى قد أكل رُطَبه وألقى النوى فيه .

وسئل عن أعجب شىء أكله ، قال : « مائتى رغيف مع مكوك[5] ملح » .

قال صَدَقة بن عُبيد المازنى : أَوْلَم علىّ أبى لما زُوِّجت . فعملنا عشر جفان ثَريد من جَزور . فكان أول من جاءنا هلال بن الأسعر المازنى . فقدمنا إليه جفنة فأكلها ، ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر . ثم استسقى ، فأُتى بقربة نبيذ . فوضع طَرَفها فى شِدْقه ففرّغها فى جوفه . ثم قام فخرج . واستأنفنا عمل الطعام .

---

(١) زواريق : جمع زورق ، أشبع كسرته فأتت بياء .
(٢) كثب : جمع .
(٣) البوارى : الحصر المصنوعة من القصب .
(٤) ب ، س : فيه ما يكفينى .
(٥) المكوك : مكيال يسع صاعا ونصف صاع .

هارون الواثق*

هو الواثق بالله أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله .

قال إسحاق بن إبراهيم : دخلت يوما دار الواثق بالله بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالسا . فسمعت صوت عود وترنُّما لم أسمع أحسن منه . فأطلع خادم رأسه . ثم رده وصاح بى . فدخلت وإذا الواثق فقال : « أى شىء سمعت ؟ » فقلت : « الطلاق كامل لازم ، وكل مملوك [لى] حر ، لقد سمعت ما لم أسمع مثله قط حسنا » . فضحك وقال : « وما هو إنما هو فَضْلة أدب ، وعلم مدحه الأوائل ، وكثر فى حرم الله عز وجل ومُهاجَر(1) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون بعدهم . أتحب أن تسمعه ؟ » قلت : « إى والله الذى شرفنى بخطابك وجميل رأيك » . فقال : « يا غلام ، هات العود ، وأعط إسحاق رِطْلا » . فدفع الرطل إلىّ . وضرب وغنى فى شعر أبى العتاهية بتلحينه(2) :

أضحَتْ قبورهمُ من بعـــد عِزِّهمُ ... تَسْفى عليها الصَّبا والحَرْجَف الشَّمَلُ(3)

لا يدفعون هَوامــا عن وجوههمُ ... كأنهم خَشَب بالقـــاع مُنْجَـــدل

فشربت الرطل ثم قمت فدعوت له ، فأجلسنى وقال : « أتشتهى أن تسمعه بالله ؟ » فقلت : « إى والله » . فغنّانيه ثانية وثالثة . وصاح ببعض الخدم وقال : « احمل إلى إسحاق ثلاث مائة ألف درهم » . ثم قال : «يا إسحاق ، قد سمعت ثلاثة أصوات ،

---

* أخباره فى ب ٨ : ١٦٣ ، س ٨:١٥٦ ، د ٩ : ٢٧٦ .

(١) حرم الله : مكة . ومهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة ، حيث هاجر إليها .

(٢) لم أجد البيتين فى ديوانه (المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٩) .

(٣) تسفى التراب : تحمله وتنشره . والحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب . والشمل : الريح الهابة من الشمال .

وشربت ثلاثة أرطال ، وأخذت ثلاث مائة ألف درهم . فانصرِف إلى أهلك مسرورا ليُسَروا معك » . فانصرفت بالمال .

ومن مشهور أغانى الواثق فى شعر حسان بن ثابت(١) :

إن التى عاطَيْتَنى فرددتهُـــا قُتِلتْ قُتلتَ فهاتِهـــا لم تُقْتَل(٢)

كلتاهما حَلَب العصير فعاطِنى بزجاجة أرخاهُما للمَفْصِـــل(٣)

ومن مشهور أغانى الواثق :

سَقى العَلَمَ الفرد الذى فى ظِلاله غَزالان مكحولان مُؤْتلفـــانِ

إذا أَمِنا التفّا بجيدَىْ تواصُلٍ وطَرْفاهُما للرَّيْب مُسْـــتَرِقان

أرَغْتُهما خَتْلاً فلم أستطعهمـــا ورَمْيا ففاتانى وقد رَمَيـــانى(٤)

قال إسحاق بن إبراهيم : صرت إلى سُرَّ من رأى بعد قدومى من الحج ، فدخلت إلى هارون الواثق . فقال : « بأى شىء أطرَفْتَنى من أحاديث العرب وأشعارهم ؟ » فقلت : « يا أمير المؤمنين ، جلس إلىّ فتى من الأعراب فى بعض المنازل . فحادثنى فرأيت منه أحلى ما رأيت من الفتيان منظرا وحديثا وظَرْفا وأدبا . فاستنشدته فأنشدنى :

* سقى العلم الفرد الذى فى ظلاله *

الأبيات . وتنفّس نفسا ظننت أنه قد قطع حيزومه . فقلت له : « مالك ، بأبى أنت ؟ » فقال : « وراء هذين الجبلين لى شَجَن ، وقد حيل بينى وبين المرور بهذه

(١) ديوانه ١٧ .

(٢) فى ديوانه : إن التى ناولتنى . وفى غ : إن التى عاطيتها . يصف خمرا . وقتلت : مزجت بالماء .

(٣) بعد هذا الخبر بياض فى ص بمقدار نحو ١٥ سطرا .

(٤) أرغت : أردت وطلبت . والختل : الخداع . وقدرميانى : كذا فى غ ، وهامش ص . وفيها : وقد قتلانى .

البلاد ، ونَذَروا دمى، وأنا أقنع بالنظر إلى الجبلين تملّلا بهما إذا قدم الحاج ، ثم يحال بينى وبين ذلك » . فقلت له : « زدنى مما قلت فى ذلك » فأنشد :

إذا ما وردتَ الماءَ فى بعض أهله حَضُورُ فعرِّض بى كأنك مازحُ
فإن سألتْ عنى حَضورُ فقل لها : به غُبَّرٌ من دائه وهو صالحُ[1]

فأمرنى الواثق فكتبت له الشعرين . فلما كان بعد أيام . دعانىفقال : « قد صنع بعض عجائزنا فى أحد الشعرين لحنا فاسمعه ، فإما ارتضيتَه أظهرْناه ، وإن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحته » . فغُنِّى لنا من وراء الستارة ، فكان فى نهاية الجودة . وكان كذلك يفعل إذا صنع شيئا . فقلت : « أحسن ، والله ، صانعه ، يا أمير المؤمنين ، ما شاء » . فقال : « بحياتى ؟ » فقلت : « وحياتك » . وحلفت له بما وثق به . فأمر لى برطل فشربته . ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات . وسقانى ثلاثة أرطال ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم . فلما كان بعد أيام ، دعانى فقال : « قد صُنع أيضا عندنا لحن فى الشعر الآخر » ، وأمر به فغُنِّى . فكانت حاله فيه مثل الأولى وأخذت ثلاثين ألف درهم أخرى . ثم قال لى : « هل قضيتُ حقّ هديتك ؟ » فقلت : « نعم ، يا أمير المؤمنين ، فأطال الله بقاءك وتمم نعمتك ! » فقال : « إنك لم تقض حق جليسك الأعرابى ، ولا سألتنى معونته على أمره . وقد سبقتُ مسألتك ، وكتبت بخبره إلى العامل بالحجاز ، وأمرت بإحضاره وخِطْبة المرأة وحَمْل صَداقها إلى قومها عنه من مالنا » . فقلت : « السبق إلى المكارم لك ، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس » . وقبلت يده وانصرفت .

ومن أغانى الواثق :

فى فمى ماءٌ وهل ينـ طقُ من فى فِيهِ ماءُ

(١) غبر : بقية .

أنا مملوكٌ لمملو كٍ عليه رقباء[١]
كنت حُرّا هاشميا فاسترَقَّتْنِي الإماء
ما بعينيَّ دموعٌ أنفَد الدمعَ البكاء

وكان الواثق أحذق من يغنى ويضرب بالعود . وبلغت صنعته مائة صوت .

ومن شعره وأصواته :

سألته حُوَيْجة فأعْرَضا وعَلّق القلب بها وأمرضا[٢]
فاستلَّ منى سيفَ عزمٍ مُنْتَضَى وكان ما كان وكانَ القَضا[٣]

كان الواثق يحب خادما أُهْدى إليه من مصر . فغاضَبه يوما وهجره . فسمع الخادم يحدث صاحبا له بحديث غضَبه عليه وهو يقول : « والله ، إنه ليجتهد منذ أمس أن أصالحه فلم أفعل » . فقال الواثق :

يا ذا الذى بعذابى ظلَّ مُفتخِرا هل أنت إلا مليكٌ جار إذ قدَرا
لولا الهوى لتجارَيْنا على قَدَرٍ وإنْ أُفِقْ مرة منه فسوف ترى[٤]

وقيل : إن هذا الشعر لأبى حفص الشِّطْرنجى .

لما خرج المعتصم إلى عَمُّورية[٥] ، استخلف الواثق بسر من رأى . فكانت أموره كلها كأمور أبيه . فوجّه إلى الجلساء والمغنين يوما أن يبكِّروا إليه يوما حَدَّده لهم ، ووجه إلى إسحاق . فحضر الجميع . فقال لهم الواثق : « إنى عزمت على الصَّبوح . ولست أجلس على سرير حتى أختلط بكم ونكون كالشيء الواحد . فاجلسوا معى حلقة . وليكن كل جليس إلى جانبه مغن » . فجلسوا كذلك . فقال الواثق : « أنا أبدأ » .

---

(١) غ : الرقباء .
(٢) غ : وعلق القلب به ومرضا .
(٣) غ : فكان .
(٤) د : لتجازينا .
(٥) عمورية : من بلاد الروم فتحها المعتصم فى سنة ٢٢٣ ﻫ .

فأخذ العود فغنى وشربوا . وغنى من بعده حتى انتهى إلى إسحاق فأُعطِى العود ، فلم يأخذه . فقال : « دعوه » . ثم غنوا دورا آخر . فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يغن . وفعل ذلك ثلاث مرات . فوثب الواثق فجلس على سريره . وأمر بالناس فدخلوا ، فما قال لأحد منهم : اجلس . ثم قال : « علىّ بإسحاق » . فأُتى به . فلما رآه قال : « يا خُوزى ، يا كلب ! أَتَبذَّل لك وأغنى فتترفع علىّ ! أتُرانى لو قتلتك كان المعتصم يُقيدنى بك ! ابَطحوه » . فبطح وضرب ثلاثين مِقْرعة ضربا خفيفا . وحلف : لا يغنى سائر اليوم سواه . فاعتذر وتكلمت الجماعة فيه . فأخذ العود وما زال يغنى حتى انقض مجلسه .

قال إسحاق : دخلت يوما إلى الواثق وهو مُصطبِح . فقال : « غنى ، بحياتى ، يا إسحاق ، صوتا غريبا لم أسمعه منك حتى أسر به بقية يومى » . فكأن الله أنسانى الغناء كله إلا هذا الصوت :

يا دارُ إن كان البِلَى قد مَحاكْ فإنه يُعجبنى أن أراكْ
أبكى الذى قد كان لى مَأْلَفا فيكِ وآتِى الدار من أجل ذاكْ(١)

قال : فتبينت الكراهة فى وجه الواثق ، ونَدمت على ما فرط منى . وتجلد وشرب رطلا كان فى يده . وعدلت عن الصوت إلى غيره . فكان ذلك اليوم آخر جلوسي معه .

---

(١) غ : فآتى .

همام الفَرَزْدَق*

هو هَمّام بن غالب بن صَعْصَعة بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سُفْيان بن مُجاشِع ابن دارِم بن مالك بن حَنْظَلة بن مالك[1] بن زَيْد مَناة بن تميم. واسم دارم بَحْر. وإنما سمى دارما، لأن قوما أتوا أباه مالكا فى حَمالة، فقال له: «قم - يا بحر - فائْتِنى بخَرِيطتى[2]». يعنى خريطة كان له فيها مال، فحملها وهو يَدْرِم عنها ثِقلا، والدَّرَمان: تقارُب فى الخَطْو، فقال: «لقد جاءكم يَدْرِم بها». فسمى دارما.

واسم مالك أبيه عُرْف، سمى عُرْفا لجوده[3].

والفرزدق لقب غَلَب عليه، وتفسيره الرغيف الضخم الذى يُجففّه النساء للفَتوت. وقيل: بل هو القطعة من العجين الذى يُعمل رغيفاً. شُبِّه وجهه بذلك، لأنه كان غليظا جَهْما.

وأم غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع.

وأم الفرزدق لِينَة بنت قُرَيظة[4] الضَّبِّية.

وكان للفرزدق أخ يقال له هُمَيم، ويلقَّب الأَخْطَل، ليست له نباهة. فأعقب ابنا يقال له محمد، فمات والفرزدق حى.

وكان يقال لصعصعة «مُحْيِي المَوْءودات». وذلك أنه كان خرج باغيا ناقتين

---

* أخباره فى ب ١٩ : ٢، س ١٩ : ٢، ى ٢١ : ٢٩٩، ت ١ /٣/ ١١٠٦، وابن سلام ٢٥٠.

(١) ابن مالك: عن هامش ص مع إلحاقها بالأصل، ت، وليست فى غ.

(٢) الخريطة: وعاء من أدم وغيره.

(٣) عرف: كذا فى غ. وفى ص بالغين تحريف.

(٤) غ: قرظة.

فارِقَتين[1] ـ والفارقة : التى تَفْرُق إذا ضربها المَخاض فتَنِدُّ على وجهها حتى تنتج ـ . قال : فرُفعت لى نار فسرت نحوها . وهممت بالنزول فجعلت النار تضىء مرة وتخبو أخرى ، حتى قلت : « اللهمّ ، لك على ـ إن بلغتَنى هذه النار ـ ألا أجد أهلها يوقدونها لكربة يقدر أحد من الناس أن يُفرِّجها إلا فرجتها عنهم » . قال : فلم أسر إلا قليلا حتى أتيتها ، فإذا حَىٌّ من بنى أَنْمار بن الهُجيم بن عمرو بن تميم ، وإذا أنا بشيخ حادِر أَشْعَر[2] يُوقدها فى مقدم بيته ، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخِض قد حبستهن ثلاث ليال . فسلّمت ، فقال الشيخ : « من أنت ؟ » فقلت : « أنا صعصعة بن ناجية بن عقال » . فقال : « مرحبا بسيدنا . فيم أنت يا ابن أخى ؟ » فقلت : « فى بُغاء ناقتين لى فارقتين عَمِىَ علىَّ أمرُهما » . فقال : « قد وجدتَهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك . وقد نتجناها ، وعطفت إحداها على الأخرى . وهما تانك فى أدنى الإبل » فقلت : « فيم توقد نارك منذ الليلة » . قال : قد أوقدتها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال » . وتكلم النساء فقلن : « قد جاء الولد ! » فقال الشيخ : « إن كان غلاما ، فوالله ، ما أدرى ما أصنع به . وإن كانت جارية فلا أسمعنّ صوتها » . أى اقتلنها . فقلت : « يا هذا ، ذَرْها فإنها ابنتك ورزقها على الله » . فقال : « بل أقتلها » . فقلت : « أنشُدك الله » . فقال : «إنى أراك بها حَفِيّا فاشترِها منى » . فقلت : « إنى اشتريتها منك » . فقال : « ما تعطينى ؟ » فقلت : « أعطيك إحدى ناقتىّ » . قال : « لا » . قلت : « فأزيدك الأخرى » . فنظر إلى جملى الذى تحتى فقال : « لا ، إلا أن تزيدنى جملك هذا فإنى أراه حسن اللون شابّ السن » . فقلت : « هو لك والناقتان على أن تبلغنى أهلى عليه » . قال : « قد فعلت » . فابتعتها منه بلَقُوحين وجمل ، وأخذت عليه

(١) ى : فارقين . وهى الصيغة الموجودة فى كتب اللغة التى لم تورد التأنيث .

(٢) حادر : سمين غليظ . أشعر : كثير شعر الجسم .

عهد الله وميثاقه أن يحسن بِرَّها وصِلَتها ما عاشت حتى تَبين عنه أو يدركها الموت . فلما خرجت من عنده حدَّثتْنى نفسى أن هذه مكرُمة ماسبقنى إليها أحد من العرب . ثم قلت : « اللهم ، إن لك علىّ ألا أسمع برجل من العرب يريد أن يَئِد بنتا له إلا اشتريتها بلقوحين وجمل » . فبعث الله ــ عز وجل ــ نبيه محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد أحييتُ مائة موءودة إلا أربعا ، لم يشاركنى فى ذلك أحد حتى أنزل الله ــ عز وجل ــ تحريمه فى القرآن . وقيل : بل فدى ثلاثمائة موءودة أو أربعمائة .

وقد فخَر الفرزدق بذلك فى عدة مواضع من شعره . فمن ذلك قوله[1] :

أَبى أحدُ الغَيْثين صَعْصعة الذى ··· متى تُخْلِفِ الجَوْزاءُوالنجمُ يُمْطِرِ[2]

أَجارَ بناتِ الوائِدِين ، ومَنْ يُجِرْ ··· على الفقرِ يَعْلمْ أنه غيرُ مُخْفَرِ

على حين لا تحيا البنات ، وإذ همُ ··· عُكوفٌ على الأَنْصاب حول المُدَوَّرِ

يعنى الدَّوار ، وطوافهم حول الصنم .

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأسلم . ووفد أبو صعصعة قبله إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعرض عليه الإسلام فأسلم . وأخبره بفعله فى الموءودات فاستحسنه . وسأله : « هل له فى ذلك من أجر ؟ » قال : « نعم » .

وعُمِّر غالب بن صعصعة حتى لقى أمير المؤمنين عليا ــ عليه السلام ــ بالبصرة ، وأُدخل إليه الفرزدق ، وأظنه مات فى إمارة زياد[3] ، ومُلْك معاوية .

ومما قال الفرزدق[4] :

وجَدِّى الذى منع الوائِدِين ··· وأحيا الوَئيدَ فلم يُوأَدِ[5]

---

(١) ديوان الفرزدق ٤٧٧ ، ونقائض جرير والفرزدق ٩٥٠ .

(٢) غ : والدلو يمطر .

(٣) ولى زياد بن أبيه البصرة من ٤٥ ــ ٥٣ وأضيفت الكوفة إليه من ٥٠ ــ ٥٣ هـ .

(٤) ديوانه ٢٠٣ ، والنقائض ٧٨٩ .

(٥) الديوان والنقائض : ومنا الذى .

وقيل : إنه قال للنبي – صلى الله عليه وسلم – : « أَوْصِنى ! » قال : « أوصيك بأمك وأبيك ، وأختك وأخيك ، وأدانيك أدانيك[1] » . قال : « زِدْنى ! » قال: « احفظ ما بين لَحْيَيك وما بين رجليك » . ثم قال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: « ما شيء بلغني عنك فعلتَه ؟ » قال : « يا رسول الله ، رأيت الناس يموجون فى غير وجه ، ولم أدر أين الوجه؟ غير أنى علمت أنهم ليسوا عليه ، ورأيتهم يَئِدون بناتهم ، وعلمت أن ربهم لم يأمرهم بذلك . فلم أتركهم يئدون ، وفديت من قدرت عليه .

وقال للنبي – صلى الله عليه وسلم – : « إنى حملت حَمالات[2] فى الجاهلية فجاء الإسلام وعلىّ منها ألف بعير ، فأديت من ذلك سبعمائة » ، فقال : « إن الإسلام أمر بالوفاء ، ونهى عن الغدر » . فقال : « حسبى ! حسبى ! » ووفى بها . ويقال : إنه قال هذا القول لعمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، وقد وفد عليه فى خلافته .

وكان صعصعة شاعرا . وهو القائل :

إذا المرء عادَى من يَودُّك صَدْرُه   وكان لمن عاداك خِدْنا مُصافِيا
فـلا تسألَنْ عما لديـه فإنّه   هو الداء لا يُخفِى بذلك خافيا

قال عوانة : تراهَن ثلاثة نفر من كَلْب على أن يختاروا من تميم وبكر نفرا يسألونهم ، فأيهم أعطى ولم يسألهم عن نسبهم ومن هم، فهو أفضلهم . فاختار كل واحد منهم رجلا ، والذين اختيروا : عُمَير بن السَّليل بن قيس بن مسعود الشيبانى[3] ، وطَلَبة بن قيس بن عاصم المِنْقَرى ، وغالب بن صعصعة المجاشعى أبو الفرزدق . فأتوا

---

(١) ب ، س : وإمائك . ى : وإمائك وأدانيك .

(٢) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٣) كذا فى ى . وفى ب ، س : عمير بن السليك . وفى ص : عمير بن السليك بن مسعود بن قيس الشيبانى . وانظر النقائض ٨٠٦ .

ابن السليل فسألوه مائة ناقة . فقال : « من أنتم ؟ » فانصرفوا عنه . ثم أتوا طلبة ابن قيس فسألهم عن نسبتهم . فأتوا غالبا فسألوه . فأعطاهم مائة ناقة وراعيها ولم يسألهم : من هم . فساروا ليلة ثم ردوها . وأخذ صاحب غالب الرهن . وفى ذلك يقول الفرزدق[١] :

وإذ ناحَبَتْ كلبٌ على الناس : أيُّهم ... أحقُّ بتاج الماجد المتكرِّم ؟[٢]
على نفرٍ هم من نزارٍ ذوى العلا ... وأهل الجَراثيمِ التى لم تهدَّم[٣]
فلم يجْزِ عن أحسابهم غيرُ غالب ... جرى بعِنانَىْ كلِّ أبيضَ خِضْرِمِ[٤]

أجدبت بلاد بنى تميم ، وأصابت بنى حنظلة سَنَة[٥] ، فى خلافة عثمان رضى الله عنه . فبلغهم خصب عن بلاد كَلْب بن وَبَرَة . فانتجعها بنو حنظلة فنزلوا أقصى الوادى . وتسرّع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بنى مالك بن حنظلة . ولم يكن مع بنى يربوع من بنى مالك غير غالب . فنحر ناقة فأطعمهم إياها فلما وردت إبل سُحيم بن وَثيل الرِّياحى ، حبس منها ناقة فنحرها من غد . فقيل لغالب :« إنما نحر سحيم مواءمة لك » : أى مساواة . فضحك غالب وقال : « كلا ، ولكنه امرؤ كريم ، وسوف أنظر فى ذلك » . فلما وردت إبل غالب ، حبس منها ناقتين فنحرها وأطعمهما . فلما وردت إبل سحيم ، نحر ناقتين فأطعمهما . فقال غالب : « الآن علمت أنه يُوائمنى » . فعقر غالب عشرا ، فأطعمها بنى يربوع وغيرهم ، فعقر سحيم عشرا . فلما بلغ غالبا فعله ضحك . وكانت إبله ترد لِخِمْس ، فلما وردت عقرها كلها

---

(١) ديوانه ٧٥٩ .
(٢) الديوان : وإذا نحبت . وناحبت : راهنت .
(٣) الديوان : نزار ذؤابة . والجرائيم : الأصول .
(٤) الديوان : فلم يجل : والخضرم : الكثير العطاء .
(٥) السنة : القحط .

عن آخرها . فالمُـكثِر يقول : « كانت أربعمائة ، والمقلِّل يقول : كانت مائة . فأمسك سحيم حينئذ .

ثم إنه عقر بعد ذلك ، فى خلافة على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ بكُناسة الـكوفة ، مائتى بعير وناقة . فخرج الناس بالزُّبُـل[١] والأطباق والحبال لأخـذ اللحم . فقال على ـ رضى الله عنه ـ : « أيها الناس ، لا يحل لـكم ، إنما أُهِلَّ بها لغير الله ـ جل وعز » . وكان الفرزدق يومئذ مع أبيه غلام . وجعل غالب يقول : « يابنى ، اردد علىّ » . والفرزدق يردّها عليه ويقول : « يا أبه ، اعقِر ! ».

فلم يُغنِ عن سحيم فعلُه ، ولم يُجعَل كغالب إذ لم يُطِق فعله .

وجاء غالب أبو الفرزدق إلى علىّ ـ عليه السلام ـ بالفرزدق بعد وقعة الجمل بالبصرة ، فقال : « إن ابنى هذا من أشعر مضر ـ أو قال : شاعرهم ، فاسمع منه ». فقال : « عَلِّمه القرآن » . وكان ذلك فى نفس الفرزدق ، فقيّد نفسه فى وقت ، وآلَى ألا يحل قيده حتى يحفظ القرآن .

وكان الفرزدق وجرير والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين ، ولهم التقدم فى الطبقة الأولى منهم ، وقد صح أن الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعا وسبعين سنة ، وندعُ ما قبل ذلك ، لأنه جاءَ به بعد الجَمَل على سبيل الاستظهار سنة ست وثلاثين ، وتوفى الفرزدق سنة عشر ومائة فى أول خلافة هشام هو وجرير والحسن البصرى وابن سيرين فى ستة أشهر .

ومات غالب أبو الفرزدق فى أول أيام معاوية ، ودُفن بكاظِمة . وقال الفرزدق يرثيـه[٢] :

لقد ضَمَّت الأكفانُ من آل دارمٍ فتًى فائضَ الـكفَّين مَحْضَ الضَّرائبِ

---

(١) الزبل : جمع زبيل ، وهو القفة أو الجراب أو الوعاء .
(٢) ديوانه ٤٢ .

قيل للمفضَّل الضَّبي : « أيُّما أشعر : الفرزدق أم جرير ؟ » قال : « الفرزدق » . قيل : « لم ؟ » . قال : « لأنه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح قبيلتين ، وأحسن فى ذلك ، وهو[١] :

عجبتُ لعِجْلٍ إذ تُهاجى عَبيدَها ... كما آلُ يَرْبوعٍ هجَــوا آل دارمِ

فقيل له : « وقد قال جرير[٢] :

إن الفــرزدقَ والبَعيثَ وأمَّــه ... وأبا البعيث ، لشَرٌّ ما إسْتارِ[٣]

قال : « وأى شىء أهون مما يقول الإنسان : فلان وفلان والناس جميعا ، كلهم بنو الفاعلة » .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : « كان الشعراء فى الجاهلية فى قيس ، وليس فى الإســلام مثل حظ تميم فى الشعر . وأشعر تميم جرير والفرزدق والأخطل[٤] . وماذُكِر[٥] جرير والفرزدق فى مجلس قطُّ ، فاتفق أهل المجلس على أحدهما . وكان يونس ابن حبيب فرزدقياً » .

قال أبو عثمان المــازنى : مر الفرزدق بالرَّمّاح بن مَيّادة ، والنــاس حوله ، وهو ينشد :

لَوَ انَّ جميع الناس كانوا برَبْوة ... وجئتُ بجَدِّى ظالمٍ وابنِ ظالمِ
لَظلَّت رقاب الناس خاضعةً لنــا ... سُجودًا على أقدامنا بالجماجم

---

(١) ديوانه ٨٤٨ .
(٢) ديوانه ٣١٧ . النقائض ٣٣٤ .
(٣) إستار : كلمة فارسية معربة ، بمعنى أربعة .
(٤) الأخطل من بنى تغلب لا من بنى تميم .
(٥) العبارة الآتية من قول يونس بن حبيب ، كما يصرح الأغانى .

فقال له الفرزدق : « يا بن الفارسية ، لتدعنَّه لى أو لأنبشَنَّ أمك من قبرها » .
فقال له ابن ميادة : « خُذْه ، لا بارك الله لك فيه » . فقال الفرزدق[١] :

لوَ اُن جميع النـــاس كانوا بربوة   وجئت بجدى دارم وابن دارمِ

وأتبعه البيت الثانى .

قال حماد الراوية : أنشـدنى الفرزدق يومًا شعرًا له ثم قال : « أتيت الـكلب[٢] ؟ » يعنى جريرًا . قلت : « نعم » . قال : « أنا أشعر أو هو ؟ » فقلت : « أنت فى بعض ، وهو فى بعض » . فقال : « لم تُناصِحْنى » . فقلت : « هو أشعر منك إذا رُوخى من خناقة ، وأنت أشعر منه إذا خِفْتَ أو رَجَوْتَ » . فقال : «قضيت لى ، والله ، عليه ، وهل الشعر إلا فى الخير والشر ؟ » .

روى أبو الزناد عن أبيـه قال : قال لى جرير : « يا أبا عبد الرحمن ، أيُّما أشعر : أنا أو هذا ؟ » يعنى الفرزدق . وناشدنى لأُخبِرَنَّه . فقلت : « لا ، والله ، ما يشاركك ولا يتعلق بك فى النسيب » . فقال : « أَوَّه ! قضيت ، والله ، له علىّ . وأنا أخبرك : مادهانى إلا أننى هاجيت كذا وكذا شاعراً (وسمى عددًا كثيرًا) وأنه تفرغ لى وحدى[٣] » .

قال خالد بن كلثوم الـكلبىّ : مررت بالفرزدق وقد كنت رويت[٤] شيئًا من شعره وشعر جرير وبلغه ذلك. فاستجْلَسنى فجلست بإزائه ، وعُذت بالله من شره . فحدثته حديثَ أبيه ، وذكرته بما يعجبه . ثم قلت : « إنى لأذكر يوم لَقَّبك بالفرزدق » ، فقال : « وأى يوم ؟ » فقلت : « مررت به وأنت صبى ، فقال له بعض من كان يجالسه : كأن ابنك هذا الفرزدق دهقان الحيرة فى أبهته ونباهته ، فسماك

(١) لم أجده فى ديوانه ولا النقائض.
(٢) ب ، س : الـكلبي . ى : الـكليبي .
(٣) ب ، س : وأنه تفرد لى وحده .
(٤) غ : دونت .

بذلك » . وأعجبه هذا القول منى وجعل يستعيده . ثم قال : « أنشِدنى بعض شعر ابن المَراغة » . فجعلت أنشده حتى انتهيت . ثم قال لى : « فأنشِدْ نقائضَها التى أجبتُه بها » . فقلت : « ما أحفظها » . فقال : « يا خالد ، أتحفظ ماقاله فىّ ولا تحفظ نقائضها ، والله لأهجوَنّ كلبا هجاء يتصل بأعقابها إلى يوم القيامة إن لم تقم حتى تكتب نقائضها وتحفظها وتنشدنيها » . فقلت : « أفعل » . ولزمته حتى حفظت نقائضها وأنشدته إياها خوفاً من شره .

كان الفرزدق يقول : « قد علم الناس أنى فحل الشعراء ، وربما أتت علىّ الساعة لَقَلْع ضرس من أضراسى أهون علىّ من قول بيت شعر » .

لما تزوج الفرزدق حَدْراء بنت زِيق بن بِسْطام بن قيس . فخاصمتْه النَّوارُ وأخذت بلحيته ، فحادثها وخرج وهو يقول[1] :

قامت إلىّ نوارُ تنتِف لِحْيَتى تنتافَ جعدةَ لحية الَخشْخاش[2]

كلتاهما أسدٌ إذا ما أُغضِبت وإذا رضِين فهنَّ خيرُ مَعاش[3]

والخشخاش : رجل من عَنَزة . وجعدة : امرأته . فجاءت جعدة إلى النَّوار ، فقالت : « مايريد الفرزدق منى ؟ أما وجد لامرأته غيرى أُسْوة ؟ » .

وكان للفرزدق ثلاثة أولاد : حَبْطة وسَبْطة ولَبْطة . وكان لبطة من العَقَقة ، فقال له الفرزدق[4] :

أإنْ أُرعشَتْ كفا أبيك وأصبحَتْ يداك يدَىْ لَيْثٍ فإنك جاذِبُه[5]

---

(١) ديوانه ٤٨٦ .

(٢) الديوان : بكرت علىّ . . نتف الجعيدة . غ : قامت نوار إلى .

(٣) الديوان : إذا حربتها .. ورضاها وأبيك خير معاش .

(٤) ديوانه ١٢٤ .

(٥) ى : جادبه ، أى عائبه .

إذا غالبَ ابنٌ بالشَّبابِ أبًا له كبيرا ، فإن الله لا شك غالِبُه[١]

وكان له بنات خمس أو ست . وكان للفرزدق ابنة يقال لها مَكِّية . فغاب الفرزدق فكتبت النَّوار تشكو إليه بنته . وكتب إليه أهله يشكون إليه سوء خلقها وتَبَذِّيها عليهم . فكتب إليهم[٢] :

كتبتُم إلينا أنها ظلمتكُم كذبتُم ، وبيتِ اللهِ ، بل تَظْلمونَها[٣]

فإلّا تَعُدُّوا أنها من نسائكم فإن ابن ليلى والدٌ لا يَشينُها[٤]

وإنّ لها أعمامَ صدقٍ وإخوةً وشَيْخًا إذا شاءت تَنَمَّر دونَها[٥]

قدم لبطة بن الفرزدق الحيرة . فمر بقوم من بنى تغلب ، فاستقْراهم فقرَوْه . ثم قالوا له : « من أنت ؟ » فقال : ابن شاعرِكم ومادحكم الذى يقول فيكم[٦] :

أضْحَى لتَغْلِبَ من تميمٍ شاعرٌ يرمى الأعادىَ بالقَريضِ المُثْقَلِ[٧]

إذا غاب كَعْبٌ عنهم ابنُ جُعَيْلِهم وتنمَّر الشعراءُ بعد الأخْطَلِ[٨]

يَتباشَرون بموتِهِ ووراءَه منى لهم قطعُ العَذاب المُرْسَلِ[٩]

فقالوا له : « فأنت ابن الفرزدق إذن ؟ » قال : « فأنا هو » . فتنادَوا : « يا آل تغلب ، اقضوا حق حاميكم والذائد عنكم فى ابنه ! » فجمعوا له مائة ناقة ، فانصرف بها .

---

(١) غ ، والديوان : لابد غالبه .

(٢) ديوانه : ٨٨ .

(٣) غ : كتبتم عليها . الديوان : كتبتم زعمتم .

(٤) الديوان : تعدوا أمها .

(٥) ى : صدق وأسوة . الديوان : شئتم .

(٦) ديوانه ٧٠٨ .

(٧) غ : الأثقل . الديوان :

أمسى لتغلب من تميم شاعر يرمى القبائل بالقصيد الأثقل

(٨) غ : إن غاب كعب بنى جعيل عنهم . ومثله فى الديوان مع : إذا ، فى موضع : إن .

(٩) غ ، والديوان : ووراءهم .

أتى الفرزدقُ عبدَ الله بن مسلم الباهليّ ومعه عمرو بن عِفْرَى الضّبّيّ [١] راوية الفرزدق ، وقد هجاه جرير [٢] فى قوله :

ونُبِّئْتُ جَوّابا وشيكا يَسُبُّنى   وعمرو بن عِفْرَى، لاسَلامٌ على عَمْرِو [٣]

فقال ابن عفرى للباهلى : « لا يهولَنَّكَ أمره . أنا أرضيك عنه » بدون ماهمّ له به . فأعطاه ثلاثمائة درهم . فقبلها ورضي عنه . وبلغه بعد ذلك صُنْع عمرو فقال [٤] :

ستعلم ياعمرَو بن عفرى مَنِ الذى   يـلام إذا ما الأمر غَبّت عواقِبُه [٥]

نهيتُ ابن عِفْرى أن يُعفرِّ أمــه   كعَفْر السَّلا إذ جَرّرته ثعالبــه [٦]

فلو كنتَ ضَبّيًا صفحتُ ولو مَشتْ   على قَدمى حَيّاتُه وعَقــاربه [٧]

منهـا :

تضِنُّ بمال الباهــلىِّ كأنما   تضن على المال الذى أنت كاسِبه [٨]

فإن امرأً يَعْتابنى لم أَطَأْ لــه   حَريمـا ولا ينهاه عنى أقاربه [٩]

---

(١) كذا فى ى ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢٧٧ عن المقصور والممدود لابن ولاد ٨٧ . وفى ب ، س : عمرو بن عفراء . وفى ص : محمد بن عمرو . وانظر الشعر الآتى .

(٢) كذا فى غ ، وطبقات فحول الشعراء ، والمقصور والممدود لابن ولاد . وفى ص : هجاه وابنه . وانظر ديوان جرير ٢٧٩ .

(٣) غ ، والديوان ، وطبقات فحول الشعراء ، والمقصور والممدود : جوابا وسكنا .

(٤) ديوانه ٥٠ .

(٥) كذا روى الشطر الثانى فى الديوان وفى غ . وفى ص : إذا ما المرء عيت عواقبه ، تحريف وغبت : صارت إلى أواخرها .

(٦) الديوان : عفرته ثعالبه . والسلا : الجلدة التى ينزل فيها الطفل من الناس والمواشى من بطن أمه .

(٧) غ ، والديوان ، والطبقات : ولو سرت .

(٨) الديوان : تثمر مال الباهلى . الطبقات : تفوقت مال الباهلى . الديوان والطبقات : تهر على المال .

(٩) غ : وإن . غ ، والديوان : يغتابنى . الديوان : نهاه . ى : تنهاه عنى تجاربه ويعتابنى : يعيبنى .

كمُحْتَطِبٍ يوما أَساوِدَ هَضْبةٍ أتاه بها فى ظُلمة الليـل حاطِبه(١)

فأتاه عمرو بن عفرى فى نادى قومه ، وقال له : « اجْهَد جَهْدك ! هل هو إلا هذا ؟ والله ، لا أَدَع لك مَساءة إلا أتيتُها ،(٤) ولا تأمرنى بشىء إلا اجتنبته ، ولا تنهانى عن شىء إلا ركبتُه » . فقال الفرزدق : « اشهدوا أنى آمُره أن يَبرّ أباه ، وأنهاه أن يَنيك أمه » . فضحك القوم، وخجل ابن عفرى .

قال أبو بكر(٢) : كنا جلوسا عند الحسن ، إذ جاءه الفرزدق فتخطّى حتى جلس إلى جنبه . فجاء رجل فقال : « يا أبا سعيد ، الرجل يقول : لا والله ، وبَلَى والله ، فى كلامه ، لا يريد اليمين ؟ » فقال الفرزدق : « أو ما سمعت ما قلتُ فى ذلك ؟ فقال الحسن « وما قلتَ ؟ » قال(٣) :

ولستَ بمأخـوذٍ بلَغْوٍ تقولُه إذا لم تَعَمَّدْ عاقداتِ العَزائمِ

فلم يلبَث أنْ جاءَ رجل آخر ، فقال : « نكون فى هذه المغازى ، فنُصيب المرأة لها زوج : أَفيَحِلُّ غِشْيانُها وإنْ لم يطلقها زوجها ؟ » فقال الفرزدق : « أو ما سمعتَ ماقلتُ فى ذلك ؟ » فقال الحسن : « ما كلُّ ماقلت سمعوا . فما قلت ؟ » قال : قلتُ :

وذاتِ حَليلٍ أنكحَتْها رماحُنا حَلالا لمن يَبْنِى بهـا لم تُطلَّقِ

أتى الفرزدق الحسن فقال : « إنى قد هجوت إبليس فاسمع » . قال : « لا حاجة لنا بما تقول » . قال : « لئن لم تسمع لأخرجن فأقول للناس : إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس » قال : « اسكت فإنك بلسانه تنطق » .

قال على بن زيد : ما سمعت الحسن متمثِّلا بشعر قط إلا بهذا البيت :

---

(١) الأساود : جمع أسود ، وهو الحية العظيمة .
(٢) الهذلى المدنى . وانظر طبقات فحول الشعراء ٢٨٣ .
(٣) ديوانه ٨٥١ .
(٤) غ والطبقات : أنكحتنا ب ، س ، والطبقات : حلال .

الموتُ بابٌ ، وكلُّ الناس داخِلُه   ياليتَ شِعْرِىَ: هذا الباب ، ماالدارُ؟[١]

قال : وقال لى يوما : « ما تقول فى قول الشاعر :

لولا جريرٌ هلكتْ بَجيلَهْ   نِعْمَ الفتَى وبِئْسَتِ القَبيلَهْ

أهجاه أم مدحه ؟ » قلت : « مدحه وهجا قومه » . قال : « ما مُدح من هُجى قومه » .

وقال رجل لابن سِيرين وهو مستقبِل القبلة يريد أن يكبِّر : « أتوضَّأُ من الشعر ؟ » فانصرف إليه بوجهه وقال[٢] :

ألَا أصبحتْ عِرْسُ الفرزدقِ ناشِزا   ولو رضيتْ رمحَ استِه لاسْتقرَّتِ

ثم كبّر .

قال ابن سلام[٣] : كان الفرزدق أكثر بيتا مُقلَّدا . والمقلد البيت الذى يُضرَب به المثل . فمن ذلك قوله[٤] :

فَوا عَجبا حتى كُليبٌ تَسبُّنى   كأنّ أباها نَهْشلٌ أو مُجاشعُ[٥]

وقوله[٦] :

تُرَجِّى رُبيعٌ أن تجىءَ صِغارُها   بخيرٍ ، وقد أعْيا ربيعا كبارُها[٧]

---

(١) غ : فليت شعرى بعد الباب ما الدار .

(٢) ديوان جرير ٨٨ .

(٣) طبقات فحول الشعراء ٣٠٥ .

(٤) ديوانه ٥١٨ . النقائض ٦٩٩ .

(٥) غ . والطبقات : فياعجبا . الديوان : فياعجبي .

(٦) ديوانه ٣٣٨ . النقائض ١٢٤ .

(٧) الديوان والنقائض : أترجو . الديوان والطبقات : يجىء .

وقوله(1) :

قَوارِصُ تـأتيني وتَحتقِرونها وقد يَمـلأُ القَطْرُ الإناءَ فيَفْعَم(2)

وقوله(3) :

أَحْلامنا تَزِن الجبـالَ رَزانةً ويزيد جاهلُنـا على الجُهّـال(4)

وقوله(5) :

وإنَّك إنْ تسعى لتُدْرِكَ دارِما لأنتَ المُمَنَّى ياجريرُ المُـكَلَّف(6)

وقوله(7) :

فإنْ تَنْجُ منها تنجُ من ذي عظيمةٍ وإلا فإني لا إخالُك ناجيـا(8)

وقوله(9) :

والشيبُ ينهَض في الشباب كأنـه ليـلٌ يسير بجانبيه نَهـار(10)

---

(1) ديوانه ٧٥٦ . كامل المبرد (طبع الحلبي) ٢٨ . أمالي المرتضى ١ : ٣٠٥ .

(2) الطبقات والـكامل : ويحتقرونها . الديوان والأمالي : فيحتقرونها . الديوان : القطر الأتي . والقوارص : جمع قارصة ، وهي الـكلمة المؤذية ، فعم الإناء يفعمه : ملأه وبالغ في ملئه .

(3) ديوانه ٧٣٠ .

(4) كذا روى البيت في ص ، ى . والشطر الثاني في ب ، س ، والطبقات : وتخالنا جنا إذا مانجهل . وهما بيتان من قصيدتين مختلفتين في ديوانه ، أولهما هو (٧١٧) :

أحلامنا تزن الجبـال رزانة وتخالنا جنـا إذا ما نجهـل

وثانيهما هو (٧٣٠) :

إنا لتوزن بالجبال حلومنا ويزيد جاهلنا على الجهال

(5) ديوانه ٥٦٧ ، والنقائض ٥٧٢ .

(6) الديوان والنقائض : فإنك . وهما والطبقات و ى : إذ تسعى . والبيت غير موجود في ب ، س . والمعنى : المتعب .

(7) البيت غير موجود في ديوانه . وقطع محمود محمد شاكر عن معارف ابن قتيبة ٢٧٦ ، وبيان الجاحظ ٣٦٧ ، بنسبته إلى الأسود بن سريع التميمي (طبقات فحول الشعراء ١٥١) .

(8) غ : فإن تنج مني . وذو عظيمة : أراد أمرا ذا داهية عظيمة .

(9) ديوانه ٤٦٧ . ووضعه غ خطأ في الأبيات المتداخلة المعقدة .

(10) غ والديوان : في السواد . وهما والطبقات: يصيح بجانبيه ، وهي الرواية المشهورة .

وقوله[١] :

ترى كلَّ مظلومٍ إلينا فِرارُه ويهرب منا جاهــدا كلُّ ظالمِ[٢]

وقوله[٣] :

ترى الناسَ ماسِرْنا يسيرون خلفنَا وإنْ نحن أومَأْنا إلى الناس وَقَّفوا[٤]

وقوله[٥] :

فسيفُ بنى عَبْسٍ وقد ضربوا به نبا بيَدَىْ وَرْقاءَ عن رأس خالدِ[٦]

كذاك سيوفُ الهندِ تَنْبُو ظُباتُها وتقطعُ أحيـانا مَنـاط القَلائدِ[٧]

وكان يُداخل الـكلام[٨] . وذلك يُعجب أصحاب النحو. فمن ذلك قوله يمدح هشام ابن إسماعيل المخزومى[٩] خال هشام بن عبد الملك[١٠] :

---

(١) ديوانه ٨٥٧ ، النقائض ٣٨٢ .

(٢) الديوان والنقائض والطبقات و غ : ويهرب منا جهده .

(٣) ديوانه ٥٦٧ ، النقائض ٥٧٢

(٤) الديوان : إلى النار .

(٥) ديوانه ١٨ ، ٢١٢ . النقائض ٣٨٤ .

(٦) الطبقات : وسيف. وورقاء : ابن زهير بن جذيمة العبسى . خالد: ابن جعفر بن كلاب وضربه ورقاء ضربات بسيفه فلم يغن شيئا .

(٧) غ والديوان والنقائض والطبقات : ويقطعن . الديوان : نياط القلائد . الظبات : جمع ظبة . وهى حد السيف .

والمناط : الموضع الذى تناط فيه ، أى تعلق . والقلائد : جمع قلادة ، وهى حلى يعلق فى العنق ولم يرد الفرزدق أن عادة سيوف الهند أن تنبو ولـكنها تقطع الأعناق أحيانا ، فهذا فاسد . بل أراد أنها تنبو أحيانا ، وعادتها أن تقطع الرقاب (طبقات فحول الشعراء ٣٠٨) .

(٨) كذا فى غ . وفى ص : أصحاب الـكلام ، خطأ .

(٩) كذا فى ص ، غ ، وهو خطأ . والصواب ما قاله المبرد : الـكامل ١ : ٢٨ من أنه يمدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى .

(١٠) ديوانه ١٠٨ ، كامل المبرد ١ : ٢٨.

وأصبح ما في الناسِ إلا مُملَّكا ... أبو أُمِّـــه حَيٌّ أبوه يُقارِبُه[١]

وقوله[٢] :

تعـالَ فإنْ عاهـدْتَنى لا تخونُنى ... نـكُنْ مثلَ من ـيا ذئبُ ـيصطحبانِ

مر الفرزدق بمجلس بني حَرام فألفى عَنْبَسة مولى عثمان : فقال . « يا أبا فراس ، متى تذهب إلى الآخرة ؟ » قال : « وما حاجتك إلى ذلك : يا بن أخي ؟ »[٣] قال : « أكتب معك إلى أبي » . قال : « لاأذهب حيث أبوك، أبوك في النار ، فاكتب إليه مع رِيالَوَيْه وأصْطَفانُوس » .

قال سَلَمة بن عَيّاش[٤] : حُبست في السجن ، فإذا فيه الفرزدق قد حبسه مالك ابن المُنْذر بن الجارُود . فـكان يريدأن يقول البيت ، فيقول صدره وأسبِقُه إلى القافية، وتجيء القافيه فأسبقه إلى الصدر .فقال لي : « ممن أنت؟ » . قلت : « من قريش». قال : « كل أَيْر حمـار من قريش ، من أَيِّهم أنت ؟ » قلت : « من بني عامر ابن لُؤَيّ » . قال : لئام أذلّة ، جاورْتُهم ، فـكانوا شرَّ جوار . » . قلت ألَا أخبِرُك بأذلَّ منهم والأم ؟ » قال : « مَنْ ؟ » قلت : « بنو مُجاشِـع » . قال : « ولم ، ويلك؟ » قلت : « أنتسيدهم وابن سيدِهم وشاعرُهم ، جاءكشُرْطِيٌّ لمالك بن المنذر. فأخذك وأدخلك السجن ، فلم يمنعوك » . قال : « قاتلَكَ الله » .

كتب يزيد بن المُهَلَّب[٥] إلى أخيه مُدْرِكة أو مروان : « احمل إليّ الفرزدق ،

---

(١) الـكامل : وما مثله فيالناس . والديوان: وما مثله في الناس إلاممك . ومعناه كما شرحه المبرد : « وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك ، أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح ، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد ، وهجنه بما أوقع فيه منالتقديم والتأخير » .

(٢) ديوانه ٨٧٠ . أمالي ابن الشجري ٢ : ٣١١ .

(٣) غ : يا بن أخي .

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢٨٧ .

(٥) طبقات فحول الشعراء ٢٨٦ .

فإذا شَخَص فأَعْطِ أهله عشرة آلاف [درهم] : فقال له الفرزدق : « ادفعها إلىّ » قال : « اشخَص وأدفعها إلى أهلك » . فأبى وخرج وهو يقول[١] :

دَعــانى إلى جُرْجــانَ والرَّىُّ دونَه ... لآتيَـــه إنّى إذن لَزَءورُ[٢]
لآتىَ من آلِ المهلبِ ثائرا ... بأعراضِهم والدائراتُ تدور[٣]
سآبَى وتأبَى لى تميم وربما ... أبيْتُ فلم يقدِرْ علىَّ أمير

كان مَسْلَمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلب[٤] . فلبث بها غيرَ كثير ، ثم عزله يزيد بن عبد الملك . واستعمل عمر بن هُبَيرة على العراق ، فأساء عزل مسلمة . فقال الفرزدق[٥] :

وَلَّتْ بمسلمة الرِّكابُ مُودَّعا ... فَارْعَىْ فَزارةُ لا هَناكِ المَرْتَـعُ[٦]
فسَد الزمانُ وبُدِّلت أَعْلامُه ... حتى أُمَيَّةُ عن فزارةَ تَنْزِعُ[٧]
ولقد علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرتْ ... أنْ سوْفَ تطمعُ فى الإمارة أَشْجَعُ[٨]

---

(١) ديوانه ٢٤٣ .

(٢) الديوان: أبو خالد إنى إذن لزءور . وجرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان. والرى : مدينة أخرى هناك . وزءور : مبالغة زائر ، من زئير الأسد .

(٣) الديوان : ثائرا بأعراضها . الطبقات : ذائرا بأعراضهم .

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢٨٧ . وولى مسلمة من ١٠٢ – ١٠٣ هـ .

(٥) ديوانه ٥٠٨ . كامل المبرد ٤٤٣ ، ٨٠٧ . الطبرى ٢ : ١٤٣٣ . وولى عمر بن هبيرة من ١٠٣ – ١٠٥ هـ .

(٦) الديوان : ومضت لمسلمة . والـكامل والطبرى : راحت بمسلمة البغال عشية . وهناك مخففة من هنأك ، أى كان هنيئا .

(٧) الشطر الأول فى الديوان : إن القيامة قد دنت أشراطها ، وفى الـكامل : فأرى الأمور تنـكرت أعلامها . والأعلام جمع علم، وهو المنار يوضع على الطريق ليستدل به . ونزع عن القوس : رمى، يقول : تبدلت الدنيا حتى صار بنو أمية يحتمون ببنى فزارة ويصدرون عن رأيهم .

(٨) الديوان والطبرى : لئن نزارة . الـكامل : يطمع .

وَلَخَلْقُ رَبِّـك ماهُمُ ولَمِثْلَهُمْ في مثلِ ما نالت فزارةُ يَطمع(١)
عُزِل ابنُ بِشرٍ وابنُ عَمْرٍو قَبْلَه وأخو هَراةَ لِمِثْلِها يتوقَّـعُ(٢)

ابن بشر : هو عبد الملك بن بشر بن مروان ، كان على البصرة ، أمّره عليها مسلمة . وابن عمرو : هو سعيد بن حُذَيفة بن عمرو بن الوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط. وأخو هراة : هو عبد العزيز بن الحَـكَم بن أبى العاص .

لما قدم خالد بن عبد العزيز القَسْرى واليا على ابن هُبيرة ، حبسه . فنُقب له سَرَب ، نخرج منه ، فهرب إلى الشام . وقال الفرزدق يذكر خروجه(٣) :

لما رأيتَ الأرض قد سُدَّ ظهرُها ولم ترَ إلا بَطْنَها لك مَخَرجا
دعوتَ الذى ناداه يونسُ بعد ما ثوَى فى ثلاثٍ مُظلماتٍ ففرَّجا(٤)
فأصبحتَ تحتَ الأرضِ قد سِرْتَ ليلةً وما سارَ سارٍ مثلَها حين أدَلَجا(٥)

قيل لابن هبيرة : » من سيد العراق ؟ » قال : « الفرزدق ، هجانى ملكا ومدحنى سُوقة » .

---

(١) غ: ولخلق مثلك. الطبرى : من خلق . ب ، س : مطمع . يقـول : إنما أشجع — على هوانها — شىء مما خلق الله ، فإذا نالت فزارة ما نالت ، فغير عجيب أن تطمـع أشجع فى أن تنال مثل ما نال هؤلاء الأخساء (الطبقات) .

(٢) الديوان والطبقات : نزع ابن بشر . والـكامل مرة : عزل ابن عمرو وابن بشر قبله والطبقات : متوقع . وناب عبد الملك بن بشر عن مسلمة بن عبـد الملك من ١٠٢ — ١٠٣ هـ . أماسعيد بن حذيفة رعبد العزيز بن الحـكم فلم يذكرا بين الولاة ، وذهب الطبرى إلى أنه عنى محمدا ذا الشامة بن عمرو بن الوليد نائب مسلمة ، وذهب ابن سلام إلى أنه عنى سعيـد بن عمرو بن عقبة ابن أبى معيط ، وسعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحـكم بن أبى العاص نائب مسلمة أيضا .

(٣) ديوانه ١٤١ . طبقات فحول الشعراء ٢٩١ ، كامل المبرد ٨١٣ .

(٤) ثوى : أقام . والظلمات الثلاث : ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ، وظلمة الليل. يشير إلى قصة سيدنا يونس عليه السلام .

(٥) الـكامل : سرت سيرة . والسارى : السائر ليلا . وأدلج : سار فى أول الليل .

وقال الفرزدق لخالد القَسْرى حين قدم أميرا لهشام[١] :

أَلَا قطع الرحمنُ ظهرَ مَطِيَّةٍ ... أَتَتْنا تَخَطَّى من دمشقَ بخالدِ[٢]

وكيف يؤمُّ المسلمين وأُمُّه ... تَدِين بأن اللهَ ليس بواحد[٣]

بَنَى بِيعةً فيها الصليب لأُمِّه ... وهَدَّم من كفرٍ مَنارَ المساجد[٤]

وقال فيه[٥] :

لَعَمْرِى لئِنْ كانت بَجيلةَ زانَها ... جريرٌ ، لقد أخزى بجيلةَ خالدُ[٦]

لقى الفرزدق جارية لبنى نَهْشَل ، فجعل ينظر إليها نظرا شديدا . فقالت له : « ما لك تنظر ؟ والله لو كان لى ألف حِرٍ لما طمعتَ فى واحد منها » . فقال : « ولم يا لخناء ؟ » قالت : « لأنك قبيح المنظر سىءُ المَخْبر فيما أرى » . فقال : والله ، لو جربتِنى لعفَّى خُبْرى على منظرى » . ثم كشف لها عن مثل ذراع البَكْر . فكشفت له عن مثل سَنام النّاب[٧] . فعالجها . فقالت : «أنـكاح بنَسيئة ! هذا شرّ القضية » . قال : « ويحك ! ما معى إلا جُبَّتى ، أفتَسْلُبينى إياها ؟ » ثم تسَنَّمها .

وقال فى ذلك يرتجز[٨] :

أولجتُ فيها كذراع البَكْرِ ... مُدَمْلَكَ الرأسِ شديدَ الأَسْر[٩]

---

(١) ديوانه ١٨٩ . طبقات فحول الشعراء ٢٩٢ . كامل المبرد ٨١٢ :

(٢) الكامل : أتتنا تهادى . ب ، س : أتتنا تعطى .

(٣) الكامل والطبقات : وكيف يؤم الناس من كانت امه .

(٤) الديوان : ويهدم . الكامل : بنى بيعة فيها النصارى لأمه .

(٥) طبقات فحول الشعراء ٢٩٣ .

(٦) جرير : بن عبدالله الصحابى .

(٧) الناب : الناقة المسنة .

(٨) ديوانه ٣٠٨ ، النقائض ١٠٤٣ .

(٩) البكر : ولد الناقة أو الفتى من الإبل . ومدملك : مفتول معصوب . والأسر : الخلق

زاد على شبر ونصفِ شـــبر كأننى أولجتُه فى جَمْرِ
يُطير عنه نَفَيانَ الشَّعْرِ نَفْىَ شُعورِ الناسِ يومَ النَّحر[١]

فحملت منه ثم ماتت بجُمْعٍ[٢] . فبكاها وبكى ولده منها ، فقال[٣] :

وغِمْدِ سلاحٍ قد رُزِئْتُ فلم أَنُحْ عليه ولم أَبْعَثْ عليه البواكيا
وفى جُوْفِهِ من دارمٍ ذو حَفيظةٍ لو أنَّ المنايا أَنْسَأَنْه لياليا[٤]
ولكنَّ ريبَ الدَّهرِ يعثُرُ بالفتى ولا يستطيع ردَّ ما كان جائيا[٥]
وكم مثلِه فى مثلها قد وضعتُه وما زلت وَثَّابا أُجُرُّ المخازيا[٦]

فقال جرير يعيره[٧] :

وكمْ لك يا بنَ القَيْنِ إنْ جاء سائلٌ من ابنٍ قصيرِ الباعِ مِثْلُكَ حاملُه[٨]
وآخَرَ لم تشعُرْ به قد أضعتَه وأوردْتَه رَحْما كثـيرا غوائله[٩]

كان الفرزدق قد تزوج ظبية ابنة أَدْلَم[١٠] من بنى مجاشع بعد أن أَسَنّ وكبر ، وتركها عند أمها بالبادية سنة ، ولم يكن صَداقها عنده . فكتب إلى أبان بن الوليد

---

(١) نفيان الشعر : ما تطاير منه وأطرافه .
(٢) ماتت بجمع : ماتت حاملا .
(٣) ديوانه ٨٩٤ . النقائض ١٠٤٣ .
(٤) الديوان : لوان الليالى . وأنسأته : أخرته .
(٥) الديوان : ولكن رأيت الدهر . ب ، س : فلم يستطع ردا لما كان جائيا . ى : ولا يستطيع رد الذى كان جائيا .
(٦) الديوان : وقد كنت وثابا أجر الدواهيا .
(٧) النقائض ١٠٤٣ . ديوان جرير ٤٨٦ .
(٨) النقائض والديوان : قد جاء سائلا .
(٩) النقائض : وأودعته رحما . ب ،س : وأوردته جما . والديوان : وأودعته رحما كثيرا حوائله .
(١٠) غ : حالم . النقائض ١٠٤٤ : ولم .

البَجَلى ، وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القَسْرى ، بهذه الأبيات من أبيات . فأعطاه ما سأل وأَرْضاه[١] :

فلو جَمَعوا من الخُلّان أَلْفـا ... وقالوا : أَعْطِنا بهمُ أَبانا[٢]

لَقلتُ لهم : إذن لَغَبَنْتمونى ... وكيف أبيع مَنْ شَرَطَ الضَّمانا[٣]

خليلٌ لا يرى المائةَ الصَّفايا ... ولا الخيلَ الجِيادَ ولا القِيانا[٤]

عَطاءً دونَ أضعافٍ عليهـا ... ويُطعِم ضَيْفه العُبُط السِّمانا[٥]

فما أرجو لظبيةَ غيرَ ربى ... وغيرَ ابنِ الوليدِ بما أعانا[٦]

أعان بهَجْمةٍ أرضَتْ أباها ... وكانت عنـده غَلَقا رِهانا[٧]

فلما بنى بها عجز عنها ، فقال[٨] :

يا لهْفَ نفسى على نَمَظٍ فُجِعتُ به ... حين التقى الرَّكْبُ المحلوقُ والرَّكَبُ[٩]

(١) ديوانه ٨٧٦ .

(٢) الديوان : لو . غ والديوان : فقالوا .

(٣) كذا روى البيت فى الديوان . وفى ص ، غ حرف إلى :

لقلت لهـم إذا ما تغبنـونى ... وكيف أبيع من شرط الزمانا

(٤) الصفايا : جمع صفى ، وهى الناقة الغزيرة .

(٥) الديوان : ويعلف قدره العبط السمانا . والعبط : كذا فى ى ، وهى جمع عبيط ، وهى الناقة السمينة الفتية ينحرها صاحبها من غير علة . وفى ب ، س : الغبط ، تحريف .

(٦) الديوان : وما . غ : وغير أبى الوليد .

(٧) الديوان : أعان بدفعة . ب ، س : ورضا أباها . الديوان : فكانت . والهجمة : من الإبل أولها أربعون إلى مازادت ، أو مابين السبعين إلى المائة .

(٨) ديوانه ١٠٥ النقائض ١٠٤٤ .

(٩) الديوان : إذا التقى .

فقال جرير[١] :

وتقول ظبيـــةُ إذ رأتك مُحَوْقِلا ـ حَوْق الحمارِ ـ من الخبال الخابلِ[٢]

إنَّ البَلِيَّـــةَ فوق كلِّ بليـــةٍ شيـخٌ يُعلِّل نفسَـــه بالبـاطل[٣]

لو قد عَلِقْتِ من المهاجر سُلَّما لَنجوتِ منه بالقضاءِ الفاصلِ[٤]

فنشزتْ عليه ونافرته إلى المهاجر ، وبلغه قول جرير ، فقال : «لو أتتْنى بالملائكة معها لقضيتُ للفرزدق عليها» .

دخل الفرزدق المدينة هاربا من زياد ، وعليها سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميرا من قِبَل معاوية . فمَثَلَ بين يديه وهو مُعْتَمّ ، وعنده الحُطَيئة وكَعْب بن جُعَيل التَّغْلَبى . فصاح به الفرزدق : « أصلح الله الأمير ! هذا مقام العائذ بك . أنا رجل من تميم ثم أحد بنى دارم . أنا الفرزدق بن غالب » . فأطرق سعيد مليا ولم يُجبه : فقال الفرزدق : « رجل[٦] لم يُصب دما حراما ولا ما لًا حراما» . فقال : « إن كنتَ كذلك فقد أمنت» . فأنشده[٧] :

إليك فررتُ منك ومن زيادٍ ولم أحسب دمى لـكما حَلالا[٨]

---

(١) النقائض ١٠٤٤ ديوان جرير ٤٢١ .

(٢) حوقل الرجل : ضعف . وحوق الحمار : لقب الفرزدق . وفى ص ، ب ، س : خوف الحمار ، تحريف . والشطر الأول فى الديوان: قالت هنيدة إذ رأتك مقنعا .

(٣) غ : وهى كل بلية . النقائض : وهو كل بلية . وهما : يعلل عرسه . ورواية البيت فى فى الديوان :

إن الرزية لا رزية مثلها قرد يعلل نفسه بالباطل

(٤) الديوان : من المهاجر ذمة .

(٥) الخبر فى ى ، وطبقات فحول الشعراء ٢٧٠ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٥٨ ، وليس فى ب وس . وكان ذلك فى سنة ٥٠ هـ ، كما يقول الطبرى ٢ : ٩٤ .

(٦) كذا فى ى وفى ص : من رجل ولا معنى لهاهنا .

(٧) ديوانه ٦١٧ .

(٨) ى : ضلالا .

ولـكنى هجوتُ وقد هجانى معاشرُ قد رَضَخْتُ لهم سِجالا[١]
فإن يكن الهجاء أحلَّ قَتْلِي فقد قلنا لشاعرِكم وقالا[٢]
أرِقتُ فلم أَنَمْ ليلا طويلا أُراقب هل أرى النَّسْرَين زالا[٣]
عليك بنى أُميَّة فاسْتَجِرْهُم وخُذْ منهم لما تخشى حِبالا
فإنّ بنى أمية من قريش بَنَوا لبيوتِهم عَمَدا طوالا[٤]
ترى الغرَّ الجحَاجحَ من قريش إذا ما الأمرُ فى الحَدَثان غالا[٥]
قِياما ينظرون إلى سعيدٍ كأنهمُ يرون به الهلالا[٦]

فلما قال هذا البيت، قال الحطيئة لسعيد: « هذا والله هو الشعر لا ما كنت تُعلَّل به منذ اليوم » . فقال كعب بن جعيل . فضِّله على نفسك ولا تفضله على غيرك ». قال: « بلى والله ، إنه ليَفضُلُنى وغيرى . يا غلام ، أدركتَ من قبلك وسبقت من بعدك . ولئن طال بك عمر لتبرزَنَّ» .

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق فقال : « يا غلام ، أَنْجدَت[٧] أُمُّك ؟» قال : «لا بل أبى » . أراد الحطيئة : إنْ كانت أمك أنجدت فقد أصبتُها فولدَتْك إذ شابهتَنى فى الشعر . فقال الفرزدق : لا بل أبى . فوجده لَقِنا[٨] .

---

(١) الديوان : وقد هجتنى . ورضخ له : أعطاه عطاء غير كثير . والسجال : جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة .

(٢) ى ، والديوان : لشاعرهم .

(٣) والنسران : كوكبان .

(٤) ى ، والديوان : فى قريش .

(٥) الديوان : ترى الشم . . . عالا ، والغر : جمع أغر ، وهو السيد الأبيض . والجحاج وهو السيد السمح الـكريم والحدثان : ما يحدث من نوائب الدهر . وغال : أصاب بشر .

(٦) ى ، والديوان ، والطبقات : هلالا .

(٧) أنجدت : أتت نجدا .

(٨) اللقن : سريع الفهم والجواب .

وقيل : إن الفرزدق لما أنشد هذه الأبيات ، قال كعب : « هذه ، والله ، رؤياى البارحة : رأيت كأن أبا مُرَّة[١] فى نواحى المدينة ، وأنا أضمُّ ذَلاذلى[٢] خوفاً منه ».

فلما خرج الفرزدق ، خرج مروان فى أثره فقال له : « لم ترضَ أن نكون قعوداً حتى جعلتنا قياماً ؟[٣] » فقال له : « يا أبا عبد الملك ، إنك من بينهم لَصافِن[٤] » . فحقد مروان عليه ذلك . ولم تطل الأيام حتى عُزل سعيد وولى مروان[٥] . فلم يجد على الفرزدق متقدَّما حتى قال أبياته التى فيها[٥] :

هما دَلَّتانى من ثمانينَ قامةً   كما انْقَضَّ بازٍ أَقْتَمُ الرأسِ كاسِرُه[٦]

فلما اسْتَوَتْ رجلاىَ فى الأرضِ قالتا :   أَحَىٌّ نُرَجِّى أم قتيلٌ نُحاذِرُه[٧]

فقلت: ارفعُوا الأسبابَ لا يَشْعُروا بنا   وأقبلتُ فى أعجازِ ليل أبادره[٨]

أُبادر بَوّابِين قد وُكِّلوا بنا   وأحمرَ من ساجٍ تلوح مَسامره[٩]

فقال له مروان : « أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ! اخرج من المدينة ! » فذلك قول جرير[١٠] :

---

(١) أبو مرة : كنية إبليس ، وفى ى : ابن قترة .

(٢) الذلاذل : أسافل القميص الطويل .

(٣) يشير إلى قوله فى مدح سعيد :

قياما ينظرون إلى سعيد   كأنهم يرون به الهلالا

(٤) صفن الرجل : صف قدميه ، والفرس : قام على ثلاث قوائم وطَرف حافر الرابعة .

(٥) ديوانه ٣٦١ . النقائض ٣٩٨ ، ٧٦٣ ، ١٠٥١ ، وكانت ولاية مروان من ٥٦ ـ ٥٧ هـ

(٦) النقائض : أقتم اللون . غ ، والديوان ، والنقائض : أقتم الريش .

(٧) الديوان : نادتا . غ ، والديوان : يرجى .

(٨) ى والديوان : أرفعا . والديوان : ووليت .

(٩) الديوان :

أحاذر بوابين قد وكلا بها   وأسمر من ساج تئط مسامره

(١٠) ديوانه ٥٦٠ . النقائض ٣٩٨ .

تَدلَّيْتَ تَزْنِى من ثمانين قامــةً   وقصَّرْتَ عن باع النَّدَى والمـكارم (١)

وأزعجه مروان فى الخروج ، وهو واليها لمعاوية ، وأجَّله ثلاثا . فقال فى ذلك (٢) :

فأَخْرَجنى وأَجّلَنى ثلاثــا   كما وُعِدَتْ لمَهلِكِها ثمودُ (٣)

فذكر ذلك جرير فى مناقضته وقال (٤) :

وشَبهَّتَ نفسَــك أشقَى ثمودَ   فقــالوا : ضللت ولم تهتَــدِ

يعنى فى التأجيل .

قال الأصمعى : ومن عَبَثات الفرزدق أنه لقى مخنثًا فقال له : « أين راحت عَمَّتُنا ؟ » فقال له المخنث : « نفاها الأغر ابن عبد العزيز » يريد قول جرير (٥) :

نَفاكَ الأغرُّ ابنُ عبـد العزيز   وحَقُّك تُنْفَى من المسجدِ (٦)

قال عَوانة بن الحـكَم : بينا جرير واقف فى المِرْبَد وقد ركبه الناس، وعمر بن لَجَأ مُواقِفَه ، إذ أنشده عمر جواباً عن قوله (٧) :

يا تَيْمُ تيمَ عَدِىٍّ ، لا أبالـكمُ   لا يَقْذِفَنَّـكُم فى سَوْءةٍ عُمَرُ (٨)

أحينَ صرتُ سِماما يا بنى لَجَأ   وخاطَرتْ بِىَ عن أحْسابها مُضَرُ (٩)

---

(١) الديوان والنقائض : العلا والمـكارم .

(٢) ديوانه ١٨٥ .

(٣) الديوان : أوعدنى فأجلنى ثلاثا . ب ، س : دعانا ثم أجلنا ثلاثا . ى: دعانى ثم أجلنى ثلاثا . النقائض : أو عدنى وأجلنى ثلاثا .

(٤) النقائض ٧٩٩ . ديوان جرير ١٢٨ .

(٥) النقائض ٧٩٨ . ديوان جرير ١٢٨ .

(٦) النقائض والديوان : بحقك تنفى عن المسجد .

(٧) النقائض ٤٨٨ . طبقات فحول الشعراء ٣٦٤ . ديوان جرير ٢٨٥ .

(٨) ى : لا يلقينـكم . الديوان : لا يوقعنكم .

(٩) الطبقات : كنت سماما والسمام : السموم . وخاطرت بى : دافعت بى .

فأنشده عمر جواباً عن ذلك :

لقد كذبْتَ ، وشرُّ القولِ أَكْذَبُه ... ما خاطرتْ بك عن أحسابها مضرُ

أَلَسْتَ نزوةَ خوّار على أَمَــة ... لا يَسْبِقِ الحَلَباتِ اللؤمُ والخَوَر[(١)]

وكان الفرزدق قد رَفَده بهــذين البيتين . فقال جرير لمـا سمعهما : « قُبْحا يا بن لجأ ! أهذا شعرك ! كذبتَ ، والله ، ولومت ! هذا شعر العزيز[(٢)] » . يعنى الفرزدق . فأُبْلِس عمر فما رد جواباً . وخرج عيْثَم[(٣)] بن أبى الرَّقْراق حتى أتى الفرزدق بالخبر . فضحك وقال : « إيهٍ ، ويلك يابن أبى الرقراق ! إن عندك لخبرا » . قلت : « خزى ابن قِتْب » . وحدثْتُه الحديث فضحك حتى ضرب برجليه وقال[(٤)] :

وما أنتَ إنْ قَرْما تميمٍ تسامَيَــا ... أخا التَّيْمِ ، إلا كالوَشيظةِ فى العَظْمِ[(٥)]

فلو كنتَ مولى الظلمِ أو فى ثيابه ... ظلمتَ ولـكنْ لا يَدَىْ لك بالظلم[(٦)]

فلما بلغ هذان البيتان جريراً ، قال : « ما أنصفنى فى شعر قط قبل هذا » . يعنى قوله : * وما أنت إن قرما تميم تساميا *

وكان الفرزدق مَهيباً تخافه الشعراء . فمر يوماً بالشَّمَرْدَل ، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله :

وما بين من لم يُعْطِ سمعا وطاعــة ... وبين تميمٍ غيرُ حَزِّ الغَلاصِمِ[(٧)]

---

(١) النقائض : بل أنت نزوة . . لن يسبق .

(٢) ى : الفريد.

(٣) غ : غنيم.

(٤) ديوانه ٨٢٥ طبقات فحول الشعراء ٣٧٠ .

(٥) ص : تساويا ، تحريف . الديوان : كالشظية . ب ، س : فى الغرم . والقرم : السيد المعظم . والوشيظة : قطعة عظم تـكون زيادة فى العظم الصميم .

(٦) الديوان : ولو كنت مولى العز أو فى ظلاله . ى ، والطبقات : الظلم أو فى ظلاله . ولا يدى لك بالظلم : لا طاقة لك بإتيانه .

(٧) الغلاصم : جمع غلصمة ، وهى اللحم بين الرأس والعنق ، أو رأس الحلقوم .

فقال: « والله، لتتركن هذا البيت أو لتتركن عِرْضك ». قال: « خذه على كُرْهٍ منى ». فهو فى قصيدة الفرزدق التى أولها:

* تحِنُّ بزَوْراء المدينةِ ناقتى[١] *

وكان الفرزدق يقول: « خير السرقة مالا يجب فيه القطع ». يعنى سرقة الشعر.

قال الضّحاك بن بُهْلول الفُقَيمى: بينا أنا بكاظمة[٢]، وذو الرمة ينشد قصيدته التى يقول فيها[٣]:

أحين أعاذَت بى تميمٌ نساءَها ... وجُرِّدتُ تَجْريدَ اليمانِى من الغِمْدِ[٤]
ومـدَّتْ بضَبْعىَّ الرِّبابُ ومالك ... وعمرو، وشالت من ورائى بنو سعد[٥]
ومن آل يَرْبوعٍ زُهاءٌ كأنّه ... دُجَى الليل محمود النِّكاية والوِرْد[٦]
وكنّا إذا الجبّارُ صَعَّر خَدَّه ... ضربناه حتى يستقيم على الكَرْد[٧]

إذا راكبان قد تدليّا من نَعْف كاظمة متقنِّعان، فوقفا. فلما فرغ ذو الرمة، حَسَر الفرزدق عن وجهه وقال: « يا عُبَيد، اضممها إليك ». يعنى روايته، وهو عُبيد أحد بنى ربيعة بن حَنْظلة. فقال ذو الرمة: « نَشَدتُك الله، يا أبا فراس،

(١) ديوانه ٨٥١، ٨٥٥. النقائض ٣٤٣، ٣٧٥. وروايته فيهما: فما بين . . . حز الحلاقم.

(٢) كاظمة: موضع على ساحل الخليج العربى فى طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان.

(٣) ديوانه ١٤٢. وطبقات فحول الشعراء ٤٧٠.

(٤) الديوان: تجريد الحسام.

(٥) الضبع: وسط العضد بلحمه، ومدت بضبعى: أخذت به فأعانتنى. وشالت: دافعت. وديوان الفرزدق: الرباب ودارم.

(٦) الطبقات: زها الليل. والزهاء: القدر، وأراد الجمع الكثيف. والطبقات وديوان الفرزدق: النكاية والرند.

(٧) غ: ضربناه فوق الأنثيين. والكرد: العنق. وفى ديوان الفرزدق وذى الرمة:

وكنّا إذا القيسى نب عتوده ... ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

إنْ فعلت! » . فقال : « دع ذا عنك » . وانتحلها فى قصيدته[١] .

قال أبو عبيدة : اجتمع الفرزدق وجرير وكُثَيِّر وابن الرِّقاع عند سليمان بن عبدالملك فقال: أنشدونى من فخركم شيئًا حسنًا » . فبدَر الفرزدق فقال[٢] :

وما قومٌ إذا العلماء عَــدَّتْ ... عُروقَ الأَكْرَمين إلى التُّرابِ[٣]

بمختلفين إن فَضَّلْتُمونا ... عليهم فى القديم ، ولا غِضاب[٤]

ولو رَفَع السحابُ إليه قوما ... عَلَوْنا فى السماء على السحاب[٥]

فقال سليمان : « لا تنطقوا . فوالله ما ترك لـكم مَقالا » .

ذكر أبو عبيدة أن رجلا من بنى عبد الله بن دارم خطب النَّوار بنت أَعْيَن بن صَعْصعة[٦] بن ناجية بن عِقال المجاشعية . فرضيته وجعلتْ أمرهـا إلى الفرزدق . فقال لها : « أَشْهِدى لى بذلك على نفسك شهودا : أنك قد رضيت بمن زوَّجتُك » . ففعلتْ . واجتمع الناس لذلك فى مسجد بنى مجاشع . فتـكلم الفرزدق ثم قال : « اشهدوا أنى قد تزوجتها وأَصْدقتُها مائة ناقة حمراء سود الحَدَق، فإنى أنا ابن عمها

---

(١) التى هجا بها جندل بن الراعى وقومه بنى قيس ، ومطلعها :

أتوعدنى قيس ودون وعيدها ... ثراء تميم والعوادى من الأسد

أنظر ديوانه ٢٠٧ .

(٢) ديوانه ٣٦ . النقائض : ١٠٢٨

(٣) البيت فى النقائض :

وما أحد من الأقوام عدوا ... فروع الأكرمين إلى التراب

وفى الديوان :

فما أحد من الأقوام عــدوا ... عروق الأكرمين على انتساب

(٤) الديوان والنقائض : بمحتفظين .

(٥) فى هامش ص والنقائض : على السحاب . وفى ى : مع السحاب . وفى الديوان :

ولو رفع الإله إليه قوما ... لحقنا بالسماء مع السحاب

(٦) ى ، والنقائض ٨٠٣ ، وطبقات فحول الشعراء ٢٨٠ : ضبيعة . ولـكن انظر نسب الفرزدق ، والنوار بنت عمه ، ولذلك جعلت أمرها فى الزواج إليه .

وأحق الناس بها » . فبلغ ذلك النوارَ فأبته . واستترت من الفرزدق وجزعت ، ولجأت إلى بنى قيس بن عاصم المِنْقَرى . فقال فيهم[(١)] :

بنى عاصمٍ لا تُلْجِئوها فإنكم ملاجِى ءِللسَّوآتِ دُسْمُ العمائمِ[(٢)]
بنى عاصم لو كان حَيًّا أبوكمُ لَلام بنيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ[(٣)]

فقالوا للفرزدق : « والله ، لئن زدت على البيتين لنقتلنَّك غِيلة » .

فنافرته النوار إلى عبد الله بن الزبير ، وأرادت الخروج إليه . فتحامى الناس كِراءها . ثم إن رجلا من بنى عَدىّ بن زيد مناة يقال له زُهير بن ثعلبة ، وقوما يعرفون ببنى أم النُّسَير أكْرَوها ، لأنها كانت بينها وبينهم قرابة ، وسألتهم بالرَّحِمِ التى تجمعهم . فقال فى ذلك[(٤)] :

ولولا أنْ يقول بنو عَدِىٍّ أليستْ أمَّ حَنْظلةَ النَّوارُ[(٥)]
أتتْكُم يا بنى مِلْكانَ عنى قَوافٍ لا تَقَسَّمها التِّجار[(٦)]

يعنى بالنوار هنا بنت جُل[(٧)] بن عدى بن عبد مَناة[(٨)] ، ومنهم أم حنظلة بن مالك ، وهى إحدى جداته .

(١) النقائض ٨٠٣ ، وليسا فى الديوان .
(٢) ب ، س : لا تجنبوها . وألجأه : عصمه .
(٣) النقائض : حبا لديكم .
(٤) النقائض ٨٠٣ . وفى الديوان بيتان مماثلان ٢٣٩ مع اختلاف حركة الروى ، وهما :

لولا أن تقول بنو عدى أليست أم حنظلة النوارا
إذن لأتى بنى ملكان قول إذا ما قيل أنجد ثم غارا

(٥) غ : ألم تك أم حنظلة النوار .
(٦) ب ، س : تقسمها البحار . النقائض :

إذن لأتى بنى ملكان منى قواذف لا تقسمها التجار

(٧) جل : كذا فى غ ، والنقائض ، وتاج العروس (جلل — دول) . وفى ص : حمل تحريف .
(٨) كذا فى غ ، وهو الصواب . وفى ص : زيد مناة ، خطأ . (انظر معجم القبائل العربية لعمر رضا كحالة : عبد مناة بن كنانة ، وملكان بن كنانة) وتاج العروس ٧ : ٣٢٧) .

وقال لبنى أم النُّسَير(١) :

لَعَمْرِى لقد أَرْدَى النَّوارَ وساقَها ... إلى الغَوْرِ أحلامٌ خِفافٌ عقولُها(٢)

أطاعتْ بنى أُمِّ النُّسَيْرِ فأصبحتْ ... على قَتَبٍ يعــلو الفَلاةَ دَليلُها(٣)

وقد سَخِطتْ منى نَوارُ الذى ارْتَضَى ... به قبلَها الأزواجُ ، خابَ رَحيلُها(٤)

وإنّ امْرَأً أمسى يُخبِّبُ زوجتى ... كماشٍ إلى أُسْـدِ الشَّرَى يَسْتَبيلُهـا(٥)

ومِن دون أبوال الأسود بَسالةٌ ... وبَسْطةُ أيدٍ يمنعُ الضَّيْمَ طُولُها(٦)

وإنَّ أمير المومنين لَعالمٌ ... بتأويلِ ما وَصَّى العِبادَ رسولُها(٧)

فدُونَكَها يا بن الزُّبير فإنّها ... مُوَلَّعةٌ يُوهِى الحجارةَ قِيلُها(٨)

---

(١) ديوانه ٦٠٣ ، النقائض ٨٠٤ ، طبقات فحول الشعراء ٢٨١ ، كامل المبرد ٧٥٦ .

(٢) ص : أودى النوار ، والذى فى كتب اللغة أن أودى تتعدى بالباء . وفى الديوان والنقائض نوار . ب ، س : إلى البو ، الديوان : قليل عقولها .

(٣) يبدو أن ابن سلام وأبا الفرج ، وابن منظور بعدها ، جمعوا فى هـذا البيت شطرا من بيت وشطرا من آخر ، فرواية الشعر فى الديوان والنقائض :

مُعارِضةَ الرُّكْبانِ فى شهر ناجرٍ ... على قَتَبٍ يعلو الفــلاةَ دليلها

أطاعت بنى أم النسير فأصبحت ... على شارف ورقاء صعب ذلولها

والقتب : رحل البعير .

(٤) غ : النوار .

(٥) الديوان : فإن امرأ يسعى غ ٩ : ٣٢٦ : تحبب زوجتى و غ والديوان : كساع إلى أسد الشرى . يخبب زوجتى : يفسدها على . والشرى : موضع ببلاد العرب تكثر به الأسود . ويستبيلها : يأخذ بولها .

(٦) ب ، س : أبواب الأسود . الديوان : وصولة أيد .

(٧) الشطر الأول فى الديوان : فإن أبا بكر إمامك عالم .

(٨) الطبقات :

تأمل أمير المؤمنين فإنها ... مولهة يوهى الحجارة قيلها

ومولعة : من الولع ، وهو الكذب . والقيل : القول .

فلما قدمت مكة نزلت على زوجة عبد الله بن الزبير ، وهى تُماضِر بنت مَنْظور ابن زَبّان الفَزارى واستشفعت بها إلى زوجها عبد الله. وانضم الفرزدق إلى حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأمه بنت منظور هذه . ومدحه فقال[1] :

أصبحتُ قد نزلتْ بحمزةَ حاجتى ⁂ إنّ المُنَوَّهَ باسمه الموثوقُ[2]

بأبى عُمارةَ خيرِ من وَطِئَ الحصى ⁂ وجرتْ له فى الصالحين عروقُ[3]

بين الحوارىِّ الأغرِّ وهاشمٍ ⁂ ثم الخليفةِ بعدُ والصدِّيقِ[4]

وقال فى نوار[5] :

هَلُمِّى لابن عمِّك لا تكونى ⁂ كمُختارٍ على الفرسِ الحمارا[6]

وقال فى حمزة[7] :

ياحَمْزَ ،هل لك فى ذى حاجة غَرِضتْ ⁂ أَنْضاؤه بمكانٍ غير ممطورِ[8]

فأنت أَحْرَى قريشٍ أن تكون لها ⁂ وأنتَ بين أبى بكر ومنظورِ[9]

بين الحوارىِّ والصِّديق فى شُعَبٍ ⁂ نَبَتْن فى طيب الإسلام والخير[10]

وجعل أولاد عبدالله بن الزبير يستنشدونه ويستحدثونه . ثم شفعوا له إلى أبيهم.

---

(١) ديوانه ٥٧٠ ، النقائض ٨٠٥ .

(٢) غ والنقائض : أمسيت .

(٣) الديوان : زخرت له فى الصالحين عروق .

(٤) غ : الأعز . وفى البيت إقواء .

(٥) ديوانه ٣٨٦ . النقائض ٨٠٥ .

(٦) الديوان والنقائض : هلم إلى ابن عمك لا تكونى .

(٧) ديوانه ٣٠٨ .

(٨) كذا روى البيت فى ى والديوان . وفى ص ، ب ، س : عرضت أنصاره بمكان غير ممطور. وغرضت: هزلت بعد سمن، فبقى فى جسدها تثن . والأنضاء : جمع نضو، وهو البعير المهزول

(٩) الديوان : وأنت .

(١٠) غ : ثبتن فى طنب .

فجعل يُشفِّعهم فى الظاهر ، حتى إذا صار إلى زوجته قلبته عن رأيه فمال إلى النوار .
فقال الفرزدق[(١)] :

أمّا بَنُوه فلم تُقبَل شَفاعتُهم وشُفِّعتْ بنت منظورِ بن زَبّانا[(٢)]
ليس الشفيعُ الذى يأتيك مُؤْتزِرا مثلَ الشفيع الذى يأتيك عُريانا[(٣)]

فبلغ ابن الزبير ذلك . فلقيه على باب المسجد ، فضغط حلقه حتى كاد أن يقتله
ثم خلّاه وقال[(٤)] :

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفرزدق ناشِزا ولو رضيتْ رمحَ استِه لاسْتَقَرَّتِ[(٥)]

ثم دعا بالنوار وقال : « إن شئتِ ، فرقتُ بينكما وقتلتُه ، فلا يهجونا أبدا .
وإن شئتِ ، سفَّرتُه إلى بلاد العدو » . فقالت : « ما أريد واحدة منهما » . فقال :
« إنه ابن عمك وهو راغب فيك ، أفأزوِّجه إياك ؟ » قالت : « نعم » . فزوجه إياها،
وكان الفرزدق يقول : « خرجنا متباغضين ، ورجعنا متحابين » .

وقيل : إنهما سَفَر بينهما رجال من بنى تميم كانوا بمكة . فاصطلحا على أن يرجعا
إلى البصرة ، فلا يجمعهما ظِلّ ولا كِنّ حتى يراجعا فى أمرهما ذلك بنى تميم ، ويصيرا
إلى حكمهم . فلما صار إلى البصرة ، رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها .

وقيل : إن ابن الزبير قال للفرزدق : « جئنى بصَداقها وإلا فرّقت بينكما » .
فقال الفرزدق : « أنا فى بلاد غربة ، فكيف أصنع ؟ » فقالوا[(٦)] : « عليك بسَلْم

---

(١) ديوانه ٨٧٣ . النقائض ٨٠٥ . طبقات فحول الشعراء ٢٨٢ .
(٢) الطبقات : أما البنون . الديوان : فلم تنجح شفاعتهم .
(٣) الطبقات : متزرا . والمتزر والمؤتزر : لابس المئزر ، أى الثوب .
(٤) البيت لجرير . (ى ٣١٤) وينسب أيضا لجعفر بن الزبير (ى ٣١٩) . وانظر ديوان
جرير ٨٨ .
(٥) الطبقات: ألا أصبحت . وفى غ: مرة والنقائض : ألا تلكم عرس الفرزدق جامحا .
(٦) كذا فى غ وهو الصواب . وفى ص : فقال .

ابن زياد فإنه محبوس فى السجن يطالبه ابن الزبير بمال » . فأتاه فقص عليه القصة . فقال : « كم صداقها ؟ » قال : « أربعة آلاف درهم » . فأمر له بها وبألفين للنفقة . فقال الفرزدق(١) :

دَعى مُغْلِقى الأبوابَ دونَ فِعالِهم ... ولكنْ تمشَّى بى هَبِلْتِ إلى سَلْمِ(٢)
إلى من يرى المعروفَ سهلًا سبيلُهُ ... ويفعلُ أفعالَ الرجالِ التى تنمى(٣)

وقيل : إن الفرزدق قال لعبد الله بن الزبير : « إنما حكمتَ على لأفارقها فتثب أنت عليها » . وكان ابن الزبير حديداً(٤) فقال : « وهل أنت وقومك إلا جالية العرب ! » ثم أمر به فأُقيم . وأقبل علينا ثم قال : « إن بنى تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه . فأجمعت العرب عليهم لما انتهكت منه مالم ينتهكه أحد قط . فأجلتهم من أرض تهامة » .

قال : فلقى الفرزدق بعض الناس فقال : « أيُعيِّرنا ابن الزبير بالجلاء ! اسمع » . ثم قال(٥) :

فإن تغضب قريشٌ أو تغضَّب ... فإنّ الأرضَ تُوعِبُها تميمُ(٦)
همُ عدد النجوم ، وكلُّ حىٍّ ... سواهم لا تُعدُّ له نجوم(٧)
أعبدَ اللهِ ، مَهْلا عن أذاتى ! ... فإنى لا الضعيفُ ولا السَّئوم

(١) ديوانه ٧٧٥ .
(٢) الديوان : ولكن تمضى . وهبلت : فقدت بنيك ت ، د ٩ : ٣٣٠ : ومرى تمشى .
(٣) الديوان : ويعقل أخلاق الرجال التى تنمى . ت، د ٩ : ٣٣٠ : أفعال الكرام .
(٤) حاد المزاج .
(٥) لم أجده فى ديوانه .
(٦) توعبها : تأخذها جميعها . وفى د ٩ : ٣٢٨ : ثم تغضب . الأرض ترعاها .
(٧) د ٩ : ٣٢٨ : لهم نجوم .

ولـكـنّى صَفــاةٌ لم تُدنَّس ... تَزِلُّ الطــيرُ عنها والعُصوم(١)

فذلك حين خرج ابن الزبير وغمز على عنقه فـكاد يدقها ، وأنشد :

* لقد أصبحت عرس الفرزدق ... *

وقيل : إن الذى كان تقرر عليه عشرة آلاف درهم ، وإن سلم بن زياد أمر له بعشرين ألف درهم مهرا ونفقة : فقبضها . فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عمرو بن أبى العاص الثقفية(٢) : « أتعطى عشرين ألف درهم وأنت محبوس ! » فقـال :

أَلَا بكرَتْ عِرْسى تـلوم سَفاهةً ... على مامضى منى وتأمرُ بالبُخْلِ

فقلتُ لها ، والجودُ منى سَجيَّةٌ : ... وهل يَمنع المعروفَ سُؤّالَه مِثْلى ؟

ذَرينى فإنى غــيرُ تاركِ شيمتى ... ولا مُقْصِرٍ طولَ الحياةِ عن البَذْلِ(٣)

ولا طاردٍ ضَيْفى إذا جــاء طارقا ... وقد طَرَقَ الأَضْيافُ شيخىَ من قبلى(٤)

أأبخل ! إنّ البخل ليس بمُخْلِدِى ... ولا الجود يُدْنينى إلى الموت والقتل(٥)

أبيعُ بنى حَرْبٍ بآل خُوَيلد ! ... وما ذاك عند الله فى البيع بالعدل(٦)

وليس ابنُ مروانَ الخليفة مُشْبِها ... لفَحْل بنى العَوّام،قُبِّح من فَحْل!(٧)

---

(١) الصفاة : الحجر الصلد الضخم الأملس لا ينبت شيئا . والعصوم : لعله جمع عصم ، وهى الظباء . وفى د ٩ : ٣٢٨ : لم تؤبس ، أى تـكسر .

(٢) د ٩ : ٣٣١ : أم عثمان بنت عبد الله بن عثمان بن أبى العاصى الثقفية .

(٣) د ، ت : ولا مقصر عن السماحة والبذل .

(٤) د : فقد .

(٥) د : ليس بمخلد .

(٦) خويلد : الجد الثانى لابن الزبير .

(٧) د :

وأشرى ابنَ مروان الخليفة طائعا ... بنجل بنى العوام ! قُبِّح من نَجْل

فإن تُظْهِروا لى البخلَ آلَ خويلد ... فمادأبُكم دأبى ولا شَكْلُكم شكلى[١]
وإن تَقْهرونى حِين غابت عَشيرتى ... فمن عَجَب الأيام أن تقهروا مثلى[٢]

فلما اصطلحا ورضيت به ، ساق إليها مهرها ودخل بها وأحبلها ، قبل أن يخرج من مكة . ثم خرجا وهما عَديلان فى محمل .

وكانت تُساوره[٣] وتخالفه ، لأنها كانت صالحة حسنة الدين . وكانت تكره كثيرا من أمره . فتزوج عليها حَدْراء بنت زِيق بن بِسْطام بن قيس بن مسعود بن [قيس بن] خالد بن ذى الجدين — وهو عبد الله — بن عمرو بن الحارث بن هَمّام ابن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان وقيل : زيق هو بسطام بن قيس . فتزوجها على مائة من الإبل . فقالت له النوار : « ويلك ، أتزوجتَ أعرابيةً دقيقة الساقين بَوّالة على عَقِبيها بمائة ناقة » . فقال يفضّلها عليها ويعيرها بأمها ، وكانت أَمَةً[٤] :

لَجاريةٌ بين السَّليل عروقُها ... وبين أبى الصَّهباء من آل خالدِ[٥]
أحَقُّ بإغلاء المهورِ من التى ... رَبَتْ وهْىَ تَنْزو فى حجور الوَلائد[٦]

ومدحها أيضا فقال[٧] :

عَقيلةٌ من بنى شيبان يَرْفعها ... دعائمُ للعُلا من آلِ هَمّامِ[٨]

---

(١) د : فما دالكم دلى .
(٢) د : حيث غابت .
(٣) تساوره : تواثبه . وفى ت : تشاره .
(٤) ديوانه ١٨١ . والنقائض ٨٠٦ .
(٥) السليل : كذا فى غ ٩ : ٣٣٢ ، ت ، والديوان ، وهو أخو بسطام بن قيس ، وفى ص السلول ، تحريف . وأبو الصهباء : بسطام .
(٦) ربت : نمت وكبرت . تنزو : تثب . والولائد : الجوارى والعبيد .
(٧) ديوانه ٧٦٠ ، النقائض ٨٠٦ .
(٨) د ، ت ، والنقائض : ترفعها .

من آلِ مُرَّةَ بين المُسْتضاءِ بهم   من رَهْط صِيدٍ مَصاليتٍ وحُكّام(١)
بين الأَحاوصِ من كابٍ مُرَكَّبها   وبين قيس بن مسعود وبِسطام(٢)

وأغضب النوار بمدحه ضرتها . فقالت : « والله ، لأُخزِيَنَّك يافاسق » . وبعثت إلى جرير فجاءها . فقالت : ألا ترى ما قال لى الفاسق ! » وشكته إليه . فقال جرير : « أنا أَكْفِيكه » . وقال من أبيات(٣) :

لستُ بمُعْطِي الحُكْمِ عن شِفِّ مَنْصِبٍ   ولا عن بنات الحَنْظَلِيِّين راغبُ(٤)
وهن كماءِ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى   وكانت مِلاحاً غيرَ هن المشارب(٥)
لقد كنتَ أَهْلاً ـ أن تسوقَ دِياتِكم   إلى آل زِيقٍ ـ أن يَعيبَك عائب(٦)
وما عَدَلَتْ ذاتُ الصليبِ ظَعينةً   عُتَيبَةُ والرِّدْفان منها وحاجب(٧)
أَأَهديْتَ يازِيقَ بن بِسْطامَ ظبيةً   إلى شَرِّ من تُهْدَى إليه الرَّغائب!(٨)

---

(١) النقائض : من بين صيد . الديوان: من رؤساء مصاليت وحكام. والصيد : جمع أصيد وهو المتكبر رافع الرأس . والمصاليت : جمع مصلات ومصلت ، وهو الرجل الماضى فى الحوائج .

(٢) س : ومركبها ، تحريف. والأحاوص: جمع أحوص ، وهم عوف، وعمرو، وشريح، أولاد الأحوص بن جعفر .

(٣) ديوانه ٤٢ . النقائض ٨٠٧ . طبقات فحول الشعراء ٣٣٥ .

(٤) غ : ولست . والشف : النقصان . الطبقات : فلا أنا معطى .

(٥) النقائض والديوان : أراهن ماء المزن يشفى به الصدى . غ : يشفى . والصدى: العطش

(٦) غ : لئن كنت . النقائض والديوان : إذ تسوق .

(٧) عتيبة : كذا فى ى ، والديوان والنقائض . وفى ص ، ب ، س : عيينة ، تحريف . والظعينة : المرأة ، وأصلها المرأة على البعير . وعتيبة : ابن الحارث بن شهاب اليربوعى فارس مضر فى زمانه . والردفان : عتاب بن هرمى اليربوعى وابنه عوف . وحاجب : ابن زرارة بن عدس الدارمى .

(٨) النقائض والديوان : يازيق بن زيق غريبة إلى شرما . غ ، والديوان والنقائض : الغرائب. والرغائب : جمع رغيبة ، وهى الأمر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير .

ألا رُبَّما لم نُعْطِ زيقاً بحُكْمِه ... وأدَّى إلينا الحكمَ والغُلُّ لازِب[١]

حَوَيْنا أبا زيقٍ وزيقاً وعَمَّه ... وجَدَّة زيقٍ قد حَوَتْها المَقانب[٢]

فأجابه الفرزدق[٣] .

ألسْتَ إذا القَعْساء أنْسَلَ ظهرُها ... إلى آلِ بسطامِ بن قيس بخاطبِ ؟[٤]

فنَلْ مثلَها من مثلِهم ثم أمَّهم ... بمِلْكِكَ من مالٍ مُراح وعازب[٥]

وإنى لأَخْشَى إنْ خَطبتَ إليهمُ ... عليك الذى لاقَى يسارُ الكواعبِ

يسار : كان عبدا لبنى غُدانة[٦]، فأراد مولاته على نفسها ، فنهته مرة بعد مرة ، فألحّ عليها فوعدته ، فجاء فقالت : « إنى أريد أن أُبخِّرك، فإن رائحتك متغيرة » ، فوضعت تحته مِجْمَرا وقد أعدّت له مدية حادة . فأدخلت يدها فقبضت على ذكره ، وهو يرى أن ذلك لشيء ، فقطعته بالمدية . فقال : « صبرا على مَجامر الكرام » . فذهبت مثلا .

وقالوا : سمعنا أنّ حَدْراء زُوِّجتْ ... على مائةٍ شُمِّ الذُّرا والغَوارب[٧]

ولو كنتَ من أكْفاءِ حدراء لم تَلُمْ ... على دارمىٍّ بين ليلى وغالبِ[٨]

---

(١) الغل : القيد . لازب : لازم .

(٢) المقانب : جمع مقنب ، وهو جماعة الخيل ما بين الثلاثين أو الأربعين أو زهاء الثلاث مائة

(٣) ديوانه ١١١ . النقائض ٨١٣ . طبقات فحول الشعراء ٣٣٥ .

(٤) ب ، س : القعساء مرت براكب. والقعساء : الداخلة الصلب العظيمة البطن، يصف ناقة .

(٥) ٩٤ : ٣٣٤ : ثم لمهم، الديوان والنقائض: ثم لمهم بمالك. وانظر الطبقات والتعليق عليها وأمهم : اقصدهم . والمراح : الذى أريح على أهله من الرعى ليلا فبات عند أربابه . والعازب : الذى يبيت فى الرعى .

(٦) ص : لأبى غدانة ، تحريف .

(٧) الديوان والنقائض : فقالوا . ب ، س : وسم الذرا . وشم الذرا : مرتفعة الأسنمة . والغوارب : جمع غارب ، وهو مقدم السنام .

(٨) الديوان والنقائض : فلو .

ولو قَبِلوا منى عَطيةَ سقته   إلى آل زيقٍ من وَصيفٍ مُقارِبِ(١)
هُم زوَّجوا قبلى ضِرارا وأنكَحوا   لَقيطا ، وهم أكْفاؤُنا فى المَناسب
ولو تُنكِحِ الشمسُ النجومَ بناتِها   إذن انكَحْناهُنَّ قبلَ الكواكب(٢)

وقال جرير أبياته التى أولها(٣) :

يازيقُ أنكحْتَ قَيْنا فى اسْتِهِ حَمَمٌ
يا زيقُ ، ويْحَك ! مَنْ أنكحتَ ، يازيق !(٤)

أين الأُلى أنزلوا النعمانَ ضاحيةً   أم أين أبناء شَيْبانَ الغَرانيق؟(٥)
يارُبَّ قائلةٍ بعدَ البِناء بها :   لاالصِّهْرُ راضٍ ولاابنالقَيْنِ مَعْشوقُ
غاب المُثَنَّى فلم يشهدْ نَجِيَّكما   والحَوْفَزانُ ولم يَشْهَدْك مفروق(٦)

والفرزدق يقول لجرير(٧) :

إنْ كان أنفُكَ قد أَعْياكَ مَحْمِلُهُ   فاركَبْ أتانَك ثم اُخطِبْ إلى زِيقِ

---

(١) المقارب: الدون، أو الوسط بين الجيد والردىء .

(٢) غ : نكحنا بنات الشمس قبل الكواكب .

(٣) ديوانه ٣٩٤ . النقائض ٨١٨. طبقات فحول الشعراء ٣٣٣ . وفى الديوان بيتان قبل البيت المذكور .

(٤) النقائض والديوان : باسته. الديوان: ماأنكحت . ورواية ابن سلام تقتضى أن البيت ملفق من اثنين هما :

يازيق ! قد كنت من شيبان فى حسب   يازيق ويحك من أنكحت يازيق
أنكحت ويلك قينا باسته حمم   يازيق ويحك ! هل بارت بك السوق

(٥) الطبقات: استنزلوا النعمان د٩ : ٣٣٤ : النعمان مقتسرا. النقائض : نعمان. والنعمان ابن المنذر ملك الحيرة . والغرانيق :جمع غرنوق ، وهو الشاب التام الممتلىء الناعم .

(٦) المثنى : ابن حارثة الشيبانى أول من حارب الفرس فى عهد أبى بكر الصديق . والحوفزان الحارث بن شريك بن الصلب. ومفروق : الحارث بن الصلب، أو النعمان بن عمرو الأصم ، وكلهم من سادات شيبان (الطبقات) .

(٧) ديوانه ٥٩٨ . النقائض ٨١٩ .

وكان الفرزدق قد دخل على الحجاج يَسْتَمحيه مهر حدراء لما تزوجها . فقال له : « أتزوجت أعرابية على مائة ناقة ؟ » فقال له عنبسة بن سعيد : « إنما هى فرائض قيمتها ألفا درهم ، الفريضة عشرون درهماً » . فقال له الحجاج : « ليس غيرها . يا أبا كعب[1] ، أعط الفرزدق ألفى درهم » . قال : ثم قدم الفضل[2] العَنَزى بصَدقات بكر بن وائل . فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم ، على أن يثبتها فى الديوان .

قال الفرزدق : فصليت مع الحجاج الظهر ، حتى إذا سلم خرجت فوقفت فى الدار ، فرآنى فقال « مَهْيَمْ ؟ » فقلت : « إن الفضل العنزى قدم بصدقات بكر بن وائل ، وقد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم ، على أن تحتسب له بها فى الديوان . فإن رأى الأمير أن يأمر لى بإثباتها فى الديوان ، فعل » . فأمر أبا كعب أن يثبت للفضل ألفين وخمسمائة درهم . ونسى ما كان أمر له به .

قال : فلما جاء الفرزدق بالإبل ، قالت له النوار : « خسرتْ صفقتُك ! أتتزوج نصرانية سوداء مهزولة حَمْشاء الساقين[3] على مائة من الإبل ! » وأبت النوار عليه أن يسوقها كلها . فحبس بعضها ، وامْتار عليها ما يحتاج إليه أهل البادية ، ومضى ومعه دليل يقال له أَوْفى بن خِنْزِير ، أحد بنى التَّيْم بن شيبان بن ثعلبة . فلما كانوا ببعض الطريق رأوا كبشًا مذبوحًا . فقال : « يا أوفى ، هلكت والله حدراء » . قال : « مالك بذلك علم ! » فلما وصلا ، قال له بعض أهلها : « هذا البيت فانزل . وأما حدراء فقد هلكت . وقد عرفنا الذى يصيبك فى دينك من ميراثها ،

(١) غ : يا كعب .

(٢) غ والنقائض : الفضيل .

(٣) حمشاء الساقين : دقيقتهما .

وهو النصف ، فهو لك » . فقال: « والله ، لا أُرزأُ من ذلك قِطْميراً[١] . وهذا صَداقها فاقبضوه » . فقال زيق : « يا بنى دارم ، ما صاهَرْنا أكرم منكم فى الحياة ، ولا أكرم منكم شركة فى الممات » . فقال الفرزدق[٢] :

عَجِبتُ لحادِينا المقحِّمِ سيرَه ... بنا مُزْحِفات من كَلالٍ وظُلَّعا[٣]

لِيُدْنِيَنا ممن إلينا لقاؤُه ... حبيبٌ ، ومن دارٍ أرَدْنا لتَجْمعا

ولو نعلمُ الغيبَ الذى من أمامنا ... لَكَرَّ بنا الحادى المَطِيَّ وأَسْرعا[٤]

يقولون: زُرْ حَدراءَ ، والتُّربُ دونَها ... وكيف بشىءٍ وَصْلُه قد تَقَطَّعا

يقول ابن خِنْزِير : بكيتَ ولم تكن ... على امرأةٍ عَيْنى إخالُ لِتَدْمَعا

وأهونُ رُزْءٍ لامرئٍ غير جازعٍ ... رزيئةُ مُرتَجِّ الرَّوادفِ أَفْرَعا[٥]

ولستُ ـ وإنْ عَزَّت علىَّ ـ بزائرٍ ... تُراباً على مَرْموسةٍ قد تَضَعْضَعا[٦]

وحدراء هذه هى التى يقول فيها الفرزدق[٧] :

عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كِدْتَ تعزِفُ ... وأنكرتَ من حَدْراءَ ما كنت تعرفُ

وقيل : إن النوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتماضر ، وأم هاشم أخت تماضر ، لأن تماضر ماتت عند عبد الله ، بعد أن ولدت له خُبيبا وثابتا ابنى عبد الله بن الزبير ، وتزوج بعدها أختها أم هاشم ، فولدت له هاشماً وحمزة وعبّادًا . وفى أم هاشم يقول الفرزدق[٨] :

---

(١) أرزأ : أصيب . والقطمير : القشرة الرقيقة بين النواه والتمرة .

(٢) ديوانه ٥٢٢ . النقائض ٨٢١ .

(٣) د ٩ : ٣٣٥ : بنا موجفات. المقحم : السائر أشد السير . والمزحف من الإبل : الذى قد أعيا فلا يستطيع السير . والظلع : جمع ظالع ، وهو الأعرج .

(٤) غ : فأسرعا . والديوان والنقائض : ولونعلم العلم . . الركاب فأسرعا .

(٥) الديوان والنقائض : غير عاجز . والأفرع : الطويل الشعر .

(٦) ب ، س : عزت إلى . والمرموسة : المدفونة . وتضعضع : اطمأن .

(٧) ديوانه ٥٥١ . النقائض ٥٤٨ .

(٨) لم أجدها فى ديوانه .

تَروَّحتِ الرُّكبانُ يا أُمَّ هاشمٍ وهُنَّ مُناخاتٌ لهن حَنين

وحُبِّسْنَ حتى ليس فيهن نافق لبيع ، ولا مركوبُهنَّ سمين[١]

ومكثت النوار عند الفرزدق ترضى عنه أحياناً وتخاصمه أحياناً . ومما قال فيها[٢] :

تُخاصِمُنى وقد أَولجْتُ فيها كراسِ الضَّبِّ يلتمسُ الجَرادا[٣]

وكانت النوار امرأة صالحة . فلم تزل تشمئز منه وتقول له : « ويحك ! أنت تعلم إنما تزوجت بى ضُغْطة[٤] وعلى خُدعة ! » ولا تزال فى كل ذلك حتى حلفت[٥] بيمين مُوبقة ، ثم خبثت[٦] وتجنبت فراشه . فتزوج عليها امرأة من النَّمِر بن قاسط يقال لها رُهَيمة[٧] بنت عثمان[٨] بن درهم[٩] من اليَرابيع ، قوم فى بنى مرة بن عُباد ، من النمر ابن قاسط ، وأمها الَخميصة[١٠] من بنى الحارث بن عُباد[١١] . فنافرته الخميصة ، واستعدت عليه ، فأنكرها الفرزدق وقال: « إنها منى برىء طالق » . وطلق ابنتها وقال[١٢] :

إن الَخميصة كانتْ لى ولا بنتها مثل الهَراسةِ بين النّعلِ والقَدَم[١٣]

---

(١) ت ، غ ٩ : ٣٣٠ : وخيسن .

(٢) ديوانه ١٩٥ . النقائض ٨٠٥ .

(٣) النقائض ، ٩٥ : ٣٢٧ : تخاصمنى النوار وغاب فيها .

(٤) ضغطة : على كره .

(٥) كذا فى غ . وفى ص : فى كل ليلة قد حلفت .

(٦) غ : موثقة ثم حنثت .

(٧) غ : جهيمة .

(٨) د ٩ : ٣٤٣ النقائض ٥٩٥ : غنيم .

(٩) كذا فى النقائض ، د ، وهامش ص . وفى ص : لبراهيم .

(١٠) د : الخميصة. الحارث بن عباد : كذا فى النقائض د ، وفى ص : الحارث بن كعب . وانظر شعر الفرزدق الآتى .

(١١) ديوانه ٨٤٥ . النقائض ٥٩٥ .

(١٢) الهراسة : كذا فى الديوان والنقائض ، د ٩ : ٣٤٣ . وفى ص: الفراشة . والهراسة شوك كأنه حسك .

إذا أتتْ أهلَهـــا منى مطلَّقةً فلن أَرُدَّ عليها زَفْرَةَ النــدم[1]

ولما تزوج رُهيمة جعل يأتى النوار وبه رَدَع الخلوق[2] وعليه الأثر . فقالت له نوار : « هل تزوجت إلا هُدادية ! » تعنى حيا من أزد عمان . فقال الفرزدق[3] :

تُريك نجومَ الليلِ والشمسُ حَيَّةٌ كرامُ بناتِ الحارثِ بن عُباد[4]

نســاءٌ أبوهنّ الأغرُّ ولم تــكن من الأَزْدِ فى أَجْبالها وهُدادِ[5]

ولم يَكُ فى الحَىِّ الغَموصِ محلُّها ولا فى العُمــانيين رهطِ زياد[6]

أبوها الذى أَدْنَى النعــامةَ بعدما أبَتْ وائلٌ فى الحربِ غير تَمادِى[7]

عدلتُ بها مَيْلَ النّوارِ فأصبحتْ مُقاربةً لى بعدَ طول بِعــاد[8]

ولستُ وإنْ أنبأتُ أنى أحبهـــا إلى دارِميات النِّجار جِياد

(١) النقائض :

إن تأتِ بنتُك من بيتى مطلقة فلن تردى عليها زفرة الندم

(٢) الخلوق : ضرب من الطيب . وردعه : أثره فى الجسد .

(٣) ديوانه ١٥٩ . النقائض ٥٩٥ .

(٤) الديوان :

أراها نجومَ الليل والشمس حية زحامُ بنات الحارث بنَ عُباد

والنقائض :

سوف يريك النجمَ والشمس حية زحام بنات الحارث بن عُباد

و د ٩ : ٣٤٣ :

أرتك نجوم الليل والشمس حية زحام بنات الحارث بن عُباد

(٥) غ والديوان : الأعز . غ وهامش ص . من الأزد فى جاراتها . د ٩ : ٣٤٣ ، الديوان والنقائض : من الحت فى أجبالها .

(٦) الديوان ، د : ولم يكن الجوف الغموض محلها . ولا فى الهجاريين رهط زياد. والغموض المحتقر المتهاون به .

(٧) غ : قاد النعامة . والنعامة : فرسه .

(٨) النقائض. أقت بها ، غ والديوان : وقد رضيت بالنصف بعد بعاد .

(٩) الديوان : وليست وإن نبأت . .

يعنى بأبيها الذى أدنى النعامة الحارثَ بن عباد ، وأراد قوله :

* قَرِّبا مربط النعامة منى[(١)] *

فلم تزل النوار تستعطفه وترقِّقه حتى أجاب إلى طلاقها . وأخذ عليها ألا تفارقه ، ولا تبرح منزله ، ولا تتزوج بعده ، ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله . وأخذت عليه أن يُشهِد الحسن البصرى بطلاقها . ففعل ذلك . فاستصحب أبا شَفْقَل راويته وراوية آخر له ، وأتوا الحسن البصرى . فقال له : « ما تشاء ؟ » قال : « لتشهد أن النوار طالق ثلاثا » . فقال له الحسن : « قد شهدنا » . فلما انصرف قال : « يا أبا شفقل قد ندمت » . فقال : « والله ، إنى لأظن أن دمك يترقرق ، أتدرى من أشهدت ؟ والله ، لئن رجعت لتُرْجَمن بأحجارك » . فمضى وهو يقول[(٢)] :

ندمتُ ندامةَ الكُسَعِىِّ لمـا ... غدَتْ منى مطلقـةً نَوارُ[(٣)]
ولو أنّى ملكتُ يَدِى وقلبى ... لكان علىَّ للقدَرِ الخيـار[(٤)]
وكانتْ جَنَّتِى فخرجتُ منهـا ... كآدمَ حين أخْرَجه الضِّرار[(٥)]
وكنتُ كفاقئٍ عينيـه عَمْدا ... فأصبح ما يُضىء له النهار[(٦)]

قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبى وقّاص الزهرى : قدم الفرزدق المدينة

---

(١) انظر الخبر والشعر فى كامل المبرد ٩٥٤ .

(٢) ديوانه ٣٦٣ . طبقات فحول الشعراء ٢٦٧ . كامل المبرد ١٠٧ .

(٣) الطبقات : مضت منى ، والكسعى : رجل عرف بحسن الرماية وظن ذات مرة أنه أخطأ الإصابة فكسر قوسه وسهامه ثم اكتشف إصابته فعظمت حسرته وندامته ، وضرب بها المثل .

(٤) الكامل : يدى ونفسى . والشطر الأول فى الطبقات : ولو ضنت يداى بها ونفسى . والبيت فى الديوان :

ولو رضيت يداى بها وقرت ... لكان لها على القدر الخيار

(٥) الطبقات : وكانت جنة . وفى الديوان : حين لج به الضرار . الضرار : العصيان والمخالفة .

(٦) الكامل : لا يضىء .

فى إمرة أَبان بن عثمان بن عفان(١) . فإنى والفرزدق وكُثيِّر جلوس فى المسجد نتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلام شَخْت آدَم(٢) ، فى ثوبين مُمصَّرين – أى مصبوغين بصفرة غير شديدة . فجاء إلينا فقال : « أيكم الفرزدق ؟ » فقلت مخافة أن يكون من قريش : « أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ! » فقال : « لو كان كذلك ، لم أقل هكذا » . فقال له الفرزدق : « من أنت ، لا أم لك ؟ » قال : « رجل من الأنصار ، من بنى مالك بن النجار . ثم أنا ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . بلغنى أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وتزعم مضر ذلك لك . وقد قال صاحبُنا حسان بن ثابت شعرا ، فأردت أن أعرضه عليك ، وأؤجِّلك سنة . فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب ، وإلا فأنت كذاب منتحِل » ثم أنشد قول حسان(٣) :

* ألم تَسْألِ الرَّبْعَ الجَديد التكلُّما *

حتى بلغ إلى قوله :

وأبقَى لنا مَرُّ الحروبِ ورُزْؤُها   سيوفا وأَدْراعا وجَمّـا عَرَمْرَمَا(٤)
متى ما تُرِدْنا من مَعَدٍّ عصابةٌ   وغسانَ نمنعُ حوضَنا أن يُهدَّما(٥)

قوله : وغسان : قَسَم أقسم به ، لأن غسان لم تكن تغزوهم مع معد :

لنا حاضرٌ فَعْمٌ وبادٍ كأنه   شماريخُ رَضْوى عِزّةً وتكرُّما(٦)
أبَى فِعلُنا المعروفَ أن ننطق الخنا   وقائلُنا بالعُرْف إلا تكلُّما(٧)

---

(١) من سنة ٧٥ إلى ٨٢ هـ .

(٢) الشخت : الدقيق الضامر من غير هزال . وآدم : أسمر .

(٣) ديوانه ٤ .

(٤) غ : وجمعا عرمرما .

(٥) الديوان: متى ما تزرنا من معد بعصبة.

(٦) فعم : ملىء والشماريخ : جمع شمراخ ، وهو رأس الجبل . رضوى : جبل قريب من ينبع

(٧) العرف : المعروف .

وَلَدْنا بــنى العَنْقاء وابــنى محرِّقٍ فأَكرِمْ بنا خالا وأكرِمْ بنا ابْنَمـا[١]
نُسوِّد ذا المال القليل إذا بَدَتْ مروءتُه فينا وإنْ كانَ مُعدِما
وإنّا لَنَقْرِى الضيفَ إن جاء طارِقا من الشحمِ ما أمسى صَحيحا مُسلَّما
لنا الجَفَنات الغرُّ يَلْمَعْنَ بالضحى وأسيافُنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دما

وأنشده القصيدة إلى آخرها وقال: « قد أجلتك فى جوابها حولا ». ثم انصرف.

وانصرف الفرزدق مغضبا يسحب رداءه لا يدرى أية طرقة يذهب[٢] حتى خرج من المسجد. فأقبل كثيِّر علىّ وقال : « قاتل الله الأنصارى ! ما أفصح لهجته ، وأوضح حجته ، وأجود شعره ! » .

ولم نزل فى حديث الفرزدق والأنصارى بقية يومنا . حتى إذا كان الغد ، خرجت من منزلى فأتانى كُثير فجلس معى . فإنا لنتذاكر الفرزدق ونقول : « ليت شعرى ، مافعل ؟ » إذ طلع علينا فى حُلة أَفْوافٍ يمانية مُوشّاة ، له غَديرتان ، حتى جلس مجلسه بالأمس . ثم قال : « ما فعل الأنصارى ؟ » قال : فنلنا منه وشتمناه . فقال: « قاتلَه الله ! ما رُميت بمثله ، ولا سمعت بمثل شعره ! فارقتكما فأتيت منزلى . فأقبلت أُصَوِّب وأصعِّد فى كل معنى من الشعر ، فكأنى مُفحَم لم أقل شعرا قط ، حتى إذا نادى المنادى بالفجر ، رحلتُ ناقتى ، وأخذت بزمامها حتى أتت ذُبابا ــ وهو جبل بالمدينة. ثم ناديت بأعلى صوتى : أخاكم ! أخاكم ! يعنى شيطانه . فجاش صدرى كما يجيش المرجل . فعقَلت ناقتى وتوسدت ذراعها . فأقمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتا[٣] . فبينا هو ينشدنا ، إذ طلع الأنصارى . فسلم علينا ثم قال : « أما إنى لم آتِك لأُعْجِلك عن الأجل الذى وقَّتُّه لك ، ولكنى أحببت ألا أراك إلا أسألك : أى شىء صنعت؟»

---

(١) غ : فأكرم بذاخالا وأكرم بذا ابنما . الديوان : وأكرم بذا ابنما .
(٢) كذا فى ى . وفى ص : لايدرى إيه طرفيه . ب ، س : لا يدرى أنه طرفه .
(٣) تضم القصيدة فى الديوان ٥٥١ والنقائض ٥٤٨ : ١٢١ بيتا .

فقال : « اجلس ! » ثم أنشده :

عزفْتَ بأعشاشٍ وما كِدْتَ تعزِفُ ... وأنـكرتَ من حَدْراءَ ما كنت تعرِفُ

ولَجَّ بك الهجرانُ حتى كأنما ... ترى الموتَ فى البيتِ الذى كنتَ تَأْلَفُ(١)

حتى بلغ قوله :

ترى الناسَ ما سِرْنا يَسيرون خلفَنَا ... وإنْ نحنُ أومَأْنا إلى الناسِ وَقَّفُوا(٢)

فلما فرغ الفرزدق من إنشاده ، قام الأنصارى كئيبا . فلما توارى ، طلع أبوه أبو بكر بن محمد [بن عمرو] بن حزم فى مَشْيَخة من الأنصار . فسلموا علينا وقالوا : « يا أبا فِراس ، قد علمت حالَنا ومكانَنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم — ووصيته بنا . وقد بلغنا أن سفيها من سفهائنا تعرّض لك . فأسألك بالله(٣) : لَمَا حفظت فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم — ووهبتَه لنا ، ولم تفضحْنا ! » قال إبراهيم ابن محمد: وأقبلتُ أكلمه أناوكُثير ، فلما أكثرْنا عليه قال : « اذهبوا ، فقد وهبتكم لهذا القرشى » .

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق : « أَنشِدْنى أجود شعر عملته » . فأنشده :

* عزفتَ بأعشاش وما كدت تعزف *

فقال : « زدنى » . فأنشده(٤) :

ثلاثٌ واثنتانِ فتلك خمسٌ ... وواحدة تميل إلى الشِّمامِ(٥)

فبِتْنَ بجانبيَّ مصرَّعاتٍ ... وبتُّ أفُضُّ أغْلاقَ الخِتام(٦)

---

(١) الديوان والنقائض : تيلف ، وهى لهجة تميمية فى : تألف .

(٢) الديوان : إلى النار .

(٣) غ : فنسألك بالله ، وهى أليق .

(٤) ديوانه ٨٣٥ . النقائض ١٠٠٥ طبقات فحول الشعراء ٣٨ .

(٥) الديوان والنقائض والطبقات : فهن خمس . وسادسة . والشمام : القبل والرشف .

(٦) النقائض : وبتن جنابتى .

فقال له سليمان : « ما أراك إلا قد أحللتَ نفسك للعقوبة ، أقررتَ بالزّنا عندى وأنا إمام ولا تريد منى إقامة الحدِّ عليك ! » فقال : « إن أخذتَ فىّ بقول الله عز وجل لم تفعل » . قال : « وما قال ؟ » قال : « قال الله تبارك وتعالى[1] : «والشعراء يتَّبعهم الغاوون . ألم ترَ أنَّهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون » . فضحك سليمان وقال : « تلافيتَها ودَرأْتَ عنك الحد » . وخلع عليه وأجازه .

وقف الفرزدق على جميل وهو ينشد[2] :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفَنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقَّفوا

فأسرع الفرزدق له وقال: « أنا أحقُّ بهذا البيت منك » . قال : « أنشُدُك الله، يا أبا فراس ! » فمضى الفرزدق وانتحله .

قال أبو عبيدة فى كتاب النقائض[3] : قال رُؤْبة بن العجّاج : حجّ سليمان ابن عبد الملك وحجت معه الشعراء. فمر بالمدينة منصرفا . فأُتى بأسرى من الروم نحو أربعمائة . فقعد سليمان ، وعنده عبد الله بن حسن بن حسن عليهم السلام ، وعليه ثوبان ممصَّران[4] ، وهو أقربهم منه مجلسا . فأَدْنَوا إليه بِطْريقَهم وهو فى جامعة[5] . فقال لعبد الله بن حسن « قم فاضرب عنقه » . فقام فما أعطاه أحد سيفا حتى دفع إليه حَرَسِىٌّ سيفا كَليلا . فضربه فأبان عنقه وذراعه ، وأطَنَّ[6] ساعده وبعض الغل . فقال له سليمان : « والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك » . وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه فيقتلونهم ، حتى دفع إلى جرير رجلا منهم . فدسّت إليه بنو عبس سيفا

(١) سورة الشعراء ، الآيات ٢٢٤ ــ ٢٢٦ .

(٢) ديوانه ١٣٨ .

(٣) ص ٣٨٣ .

(٤) مصبوغان بصفرة غير شديدة .

(٥) القيد يجمع بين اليدين والرجلين .

(٦) قطع .

قاطعا فى قِراب أبيض . فضربه فأبان رأسه . ودُفع إلى الفرزدق أسير ، فدسّت إليه القَيْسية سيفا كليلا . فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئا . فضحك سليمان وضحك الناس معه . وقيل : إن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفا وقال : « اقتله به » . فقال : « لا ، بل أقتله بسيف مجاشع » . واخترط سيفه فضربه ، فلم يُغن شيئا . فقال له سليمان : « أما واللهِ لقد بقى عليك عارُها وشَنارها » .

فقال جرير قصيدته التى يهجوه فيها وأولها[١] :

أَلَا حَىِّ رَبْعَ المنزلِ المُتقادِمِ   وما حُلَّ مُذْ حَلَّتْ به أُمُّ سالمِ

منها :

ألم تشهدا الجَوْنَيْنِ والشِّعْبَ ذا الغَضَى   وكَرّاتِ قيسٍ يومَ دَيْرِ الجَماجمِ[٢]

تحرِّضُ يا ابْنَ القَيْنِ قيسا ليَجْعلوا   لقومِك يوما مثلَ يومِ الأَراقمِ[٣]

بسَيْفِ أبى رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ   ضربتَ ولم تضرِبْ بسيفِ ابن ظالمِ[٤]

ضربتَ به عند الإمامِ فأُرْعِشَتْ   يداكَ ، وقالوا : مُحْدَثٌ غيرُ صارمِ

فقال الفرزدق يجيب جريرا عن قوله[٥] :

وهل ضربةُ الرُّومِىّ جاعلةٌ لكم   أَبًا عن كليبٍ أو أبا مثلَ دارمِ[٦]

---

(١) ديوانه ٥٥٩ . النقائض ٣٩٤ . طبقات فحول الشعراء ٣٤٢ .

(٢) الديوان والنقائض: ولم تشهد . ذا الصفا .. وشدات قيس ى ١٥ : ٢٧٣: والشعب والصفا والجونان : عمرو ومعاوية ابنا الجون . والغضى : شجر . ويوم دير الجماجم : موقعة هائلة بين ابن الأشعث الثائر على الأمويين وجندهم .

(٣) الديوان والنقائض : تحضض . أى تحرض قيسا ليهزموا قومك مثل هزيمتهم الأراقم من بنى تغلب .

(٤) أبو رغوان : كنية مجاشع بن دارم جد الفرزدق . وابن ظالم : الحارث المرى كان من أبطال العرب وفتاكهم .

(٥) ديوانه ٨٥٨ النقائض ٣٨٣ . طبقات فحول الشعراء ٣٤٢ .

(٦) ى ١٥ : ٢٧٤ ، والديوان والنقائض والطبقات : فهل .

كذاكَ سيوفُ الهندِ تَنْبو ظُباتُها　　وتقطعُ أحيانا مَناطَ التمائمِ[1]
ولا نقتلُ الأسْرَى ولكنْ نَفُكُّهم　　إذا أَثْقَلَ الأعناقَ حَمْلُ المَغارمِ[2]

وقال يعرض بسليمان، ويعيره نبوَّ سيف ورقاء بن زهير العبسى عن خالد بن جعفر، وبنو عبس هم أخوال سليمان[3] :

فإنْ يكُ سيفٌ خان أو قدرٌ أَبَى　　بتعجيلِ نفسٍ حَتْفُها غيرُ شاهِدِ[4]
فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضربوا به　　نبا بيدَىْ ورقاءَ عن رأس خالد
كذاكَ سيوفُ الهندِ تنبو ظُباتها　　وتقطعُ أحيانا مَناط القلائدِ[5]

وأولها :

تباشَرُ يربوعٌ بنَبْوةِ ضربةٍ　　ضربتُ بها بين الطُّلا والمَحارد[6]
ولو شئتُ قَدَّ السيفُ ما بين عُنْقه　　إلى عَلَقٍ بين الحِجابَيْن جامدِ[7]

وقيل : إن الفرزدق قال لسليمان : « يا أمير المؤمنين ، هبْ لى هـذا الأسير » . فوهبه له . فأعتقه وقال الأبيات التى منها :

ولا نقتلُ الأسرى ولكن نفكهم　　إذا أثقلَ الأعناق حمل المغارم

---

(١) الديوان والنقائض : ويقطعن .

(٢) الديوان والنقائض : فلا .

(٣) ديوانه ١٨٦ ، ٢١٢ : النقائض ٣٨٤ . طبقات فحول الشعراء ٣٤١ .

(٤) الديوان والنقائض : إن يك . الطبقات : قدر أتى لتأخير نفس . النقائض : لتأخير نفس. الديوان : وتأخير نفس ى ١٥ : ٢٧٥ : أتى بتأخير نفسى، وشاهد : حاضر . وفى ى ، والديوان أيضا:

فإن ينب سيف أو تراخت منية　　لميقات نفس حتفها غير شاهـد

(٥) الديوان والنقائض والطبقات : ويقطعن . الديوان : نياط القلائد .

(٦) المحارد : كذا فى الديوان، وفى ص : الحرائد . وفى ى ١٥ : ٢٧٥ : الحدائد. والطلا: الأعناق أو أصولها . والمحارد : جمع محرد وهو مفصل العنق .

(٧) العلق : الدم ، أوالجامد منه.

ثم أقبل على راويته فقال : « كأنى وابن المراغة وقد بلغه خبرى فقال :

بسيفِ أبى رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ ضربتَ ولم تضرب بسيفِ ابن ظالمِ
ضربتَ به عنــد الإمامِ فأُرعشَتْ يداك وقالوا مُحدَث غــير صارم

فما لبثنا إلا أياما يسيرة حتى جاءتنا القصيدة وفيها البيتان . فعجبنا من فطنة الفرزدق .

وقال أيضا فى ذلك(١) :

أيَعْجَبُ الناسُ أنْ أضحكْتُ خيرَهُمُ خليفةَ اللهِ يُسْتسقَى بــه المطَرُ(٢)
فما نَبا السيفُ عن جُبْنٍ وعن دَهَشٍ عنــدَ الإمامِ ولـكنْ أُخِّر القدَرُ(٣)
ولو ضربتُ بــه عَمْدا مُقلَّدَهُ لخَرَّ جثمانُه ما فوقَه شَعَرُ(٤)
وما يُقدِّم نفسا قبــل ميتَتِها جَمْعُ اليدينِ ولا الصَّمْصامة الذَّكَرُ(٥)

وكان للفرزدق أخ ليست له نباهة ، ويلقب بالأَخْطل . فأعقب ابنا يقال له محمد . فمات والفرزدق حى فرثاه .

ولما قدم خالد إلى العراق أمــيرا ، أمّر على شُرَط البصرة مالك بن المُنْذر بن الجارُود . وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر(٦) يَدَّعى على مالك فِرْية(٧) ، فأبطلها خالد . وحفر النهر الذى سماه نهر المبارك . فقال الفرزدق(٨) :

(١) ديوانه ٣٦١ . النقائض ٣٨٥ النقائض .
(٢) أيضحك الناس . ى ١٥ : ٢٧٦ : أضحكت سيدهم .
(٣) النقائض والديوان : وما نبا السيف من جبن ولا دهش . ى ١٥ : ٢٧٦ : ولادهش
(٤) الديوان : ولو ضربت على عمد مقلده .
(٥) الديوان : ما يعجل السيف نفسا قبل ميتتها . والصمصامة : السيف الذى لا ينثنى ، واسم سيف عمرو بن معد يكرب البطل المعروف . والذكر : الحاد القاطع .
(٦) كذا فى غ و الطبقات ٢٩٤ ، وهو الصواب . وفى ص : عبد الأعلى بن عبد الله بن مالك .
(٧) كذا فى الطبقات . وفى ص ، غ : قرية .
(٨) ديوانه ٦٠٠ ، ٦٠١ . النقائض ٧٥١ . طبقات فحول الشعراء ٢٩٤ .

أهلكْتَ مالَ اللهِ فى غـيرِ حَقِّه ... على النَّهَرِ المشئومِ غـيرِ المُبارَكِ[(١)]

وتضرِب أقواما صِحاحا ظهورهُم ... وتترك حقَّ اللهِ فى ظهر مالك![(٢)]

أإنْفاقَ مالِ اللهِ فى غيرِ كُنْهِه ... ومَنْعاً لحقِّ المُرْمِلات الضَّرائك![(٣)]

فكتب خالد إلى مالك لما بلغته الأبيات : أن احبس الفرزدق، فإنه هجا نهر أمير المؤمنين . فأرسل مالك إلى أبى أيوب بن عيسى الضبى[(٤)] وقال : « ائتنى بالفرزدق » . فلم يزل يعمل معه حتى أخذوه . فطلب أن يمروا به على بنى حنيفة . فقال الفرزدق :« مازلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بنى حنيفة » . فلما قيل لمالك: « هذا الفرزدق » . انتفخ وريده غضبا . فلما دخل عليه قال[(٥)] :

أقول لنفسى حين غَصَّت بريقها ... ألا ليتَ شِعْرى مالها عند مالكِ[(٦)]

لهـا عنده أن يَرْجِعَ اللهُ رُوحَها ... إليها وتنجو من عظيمِ المَهالك[(٧)]

وأنت ابنُ جَبّارَىْ ربيعةَ أدركَتْ ... بك الشمسَ والخضراءَ ذاتَ الحبائك[(٨)]

فسكن مالك وأمر به إلى الحبس. فقال يهجو [أبا] أيوب بن عيسى الضبى[(٩)]:

فلو كنتَ ضَبِّيا إذنْ ما حبستَنى ... ولكنّ زنجيا غِلاظا مَشافِرُهْ[(١٠)]

---

(١) غ ، والطبقات : على نهرك .

(٢) الطبقات : براء ظهورهم : والديوان : صحاحا ظهورها .

(٣) ب ، س ، والديوان : الضوانك. والمرملات : اللاتى نفد زادهن . والضرائك : جمع ضريكة ، وهى الفقيرة البائسة الهالكة من سوء الحال .

(٤) غ : أيوب بن عيسى الضبى .

(٥) ديوانه ٥٩٩

(٦) الديوان : أقول لنفس لا يجاد بمثلها .

(٧) الديوان : يرجع اليوم . . حذار المهالك . وفى غ : جميع المهالك .

(٨) ى : أدركا . الديوان : حلقت بك الشمس فى الخضراء ذات الحبائك . والخضراء : يريد السماء . والحبائك : الطرق .

(٩) لم أجدها فى ديوانه .

(١٠) ب ، س : كنت قيسيا .

مَتَتُّ له بالرَّحْم بيني وبينــه فألفيتُه منـه بعيدا أَواصِرُه(١)

وقلت: امرؤٌ من آلِ ضَبَّةَ، فاعتَزَى لغيرهمُ لونُ استِه ومَحاجِرُه(٢)

ثم مدح مالك بن المنذر ـ وهو محبوس ـ مديحا كثيرا، منه قوله من أبيات(٣):

يامالِ، هل هو مُهْلِـكى مالم أَقُلْ! ولَتَعْرِفَنَّ من القصائدِ قِيـلى(٤)

يامالِ، هل لك فى كبيرٍ قـد أتتْ تسعون، فوقَ يَدَيْه غـير قليل؟(٥)

فتَجُزَّ ناصِيَتى وتـكشِفَ كُرْبتى عنى وتُطلِق لى يـداك كُبـولى(٦)

ولقـد بنى لـكم المُعَـلَّى ذروة رفعتْ بنـاءَك فى أشمَّ طويـل(٧)

والخيـلُ تعلم فى جَذيـةَ أنهـا تَرْدِى بـكلِّ سَمَيْدعٍ بُهـلول(٨)

فاسْقُوا فقـد ملأ المعـلَّى حوضَكم بذَنوبِ مُلْتَهم الذِّناب سَجيل(٩)

فلما لم ينفعه مَدْحُه مالـكا قال لابنه لَبْطة وهو محبوس: « اشخَص إلى هشام »

---

(١) غ: فألفيته منى.

(٢) اعتزى: انتسب.

(٣) ديوانه ٦٨٠.

(٤) الديوان: هل أنا مهلـكى. غ؛ وليعلمن. الديوان: وليعرفن. وقيلى: قولى.

(٥) الديوان: هل لك فى أسير.

(٦) غ والديوان: وتفرج كربتى. والـكبول: القيود.

(٧) الديوان:

ولقد نمت بك للمعـلى سـورة رفعـت بنـاءك فى أشم طويـل

(٨) الديوان:

والخيل تعرف من جـذيمة أنها تعـدو بـكل سميـدع بهـلول

تردى: تمشى بين العدو والسير. والسميدع: السيد الـكريم الشريف السخى الموطأ الأكناف والشجاع. والبهلول: السيد الجامع لـكل خير.

(٩) الذناب: كذا فى الديوان. وفى س، غ: الرباب. والذناب: جمع ذنوب، وهو الدلو المملوءة. والسجيل: الضخم.

ومدحه بقصيدة . وقال له : « استعن بالقيسية ، ولا يمنعك قولي فيهم فإنهم سيُنْغضون لك[١] » . وقال قصيدته التي أولها[٢] :

بكتْ عينُ محزونٍ وطالَ سِجامُها ... وطالت ليالي ساهرٍ لا يَنامُها[٣]

فإنْ تَبْكِ لاتبكِ المصيباتِ إذْ أتى ... بها الدهرُ والأيامُ جَمٌّ خِصامها[٤]

ولكنما تبكي تهتُّكَ خالدٍ ... محارمَ منا لا يَحِلُّ حَرامها[٥]

فقُلْ لبني مَرْوانَ : ما بالُ ذمَّةٍ ... وحرمةِ حقٍّ ليس يُرْعَى ذِمامها؟[٦]

أنُقْتَل فيكم أنْ قَتَلْنا عدوّكُم ... على دِينكم والحربُ باقٍ قتامها ![٧]

أثار بقتل ابنِ المُهلَّب خالدٌ ... وفينا بَقيّاتُ الهُدَى وإمامها ؟[٨]

فغيِّرْ — أميرَ المؤمنين — فإنها ... يَمانيةٌ حَمْقاء ، أنت هِشامها

أرى مُضَرَ المِصْرَيْنِ قد ذلّ نَصْرُها ... ولكنْ عَسَى ألا يَذِلّ شآمُها[٩]

فمَنْ مُبْلِغٌ بالشام قَيْسا وخِنْدِفا ... أحاديثَ ما يُشْفَى ببُرْءٍ سَقامها

أحاديثَ منها نَشْتكيها إليهمُ ... ومُظْلِمةً يَغْشَى الوجوهَ ظَلامها[١٠]

---

(١) ينغضون : ينكرون ، لعله أراد إنكارهم لحبسه . وفي غ والطبقات : سيغضبون.

(٢) ديوانه ٧٩٠ . طبقات فحول الشعراء ٢٩٥ . وفي الديوان أن الفرزدق قال القصيدة عندما قتل المنذر بن الجارود عمر بن يزيد الأسيدي بأمر من خالد بن عبد الله القسري .

(٣) غ والطبقات : ففاض سجامها . الديوان : فطال انسجامها . ب ، س ، والديوان ، والطبقات : ليالي حادث .

(٤) الديوان والطبقات : فإن نبك لا نبك .

(٥) الطبقات : ولكنما نبكي . ى تبكي تنهك . الديوان : ولكننا نبكي تنهك .

(٦) الديوان : وحرمة حل .

(٧) الديوان : إذ قتلنا . . والحرب باد . والدين : الطاعة . والقتام : الغبار .

(٨) الديوان : وثار .

(٩) الديوان : ولكن قيسا لا يذل شآمها . والمصران : البصرة والكوفة .

(١٠) ى : الوجوه قتامها .

فإنْ مَنْ بها لم يُنْكِرِ الضَّيْمَ منهمُ ... فيغضبَ منها كَهْلُها وغُلامها
بَغَتْ مثلَها من مِثْلِهم وتنكّلوا ... فيعلمَ أهلُ الجوْرِ كيف انتقامها
بغَلْباءَ من جُمهورها مُضَرِيَّةٍ ... تُزايلُ منها أذرعَ القوم هامُها(١)
وبيضٍ على هامِ الرجالِ كأنها ... كواكبُ يجلوها لسارٍ ظلامُها
غضِبْنا لكم يا آلَ مَرْوانَ فاغضَبُوا ... عسى أنّ أرواحا يَسوغ طعامها
ولا تقطعوا الأَرْحام منا فإنها ... ذُنوبٌ من الأعمالِ يُخشَى أَثامها(٢)
ألمْ تكُ فى الأَرْحامِ منا ومنكم ... حواجزُ أيامٍ عزيزٍ مَرامها(٣)
فترْعَى قريشٌ من تميمٍ قَرابةً ... وتَجْزى بأيامٍ كريمٍ مَقامها
وقد علمت أَفْناء خِنْدِفَ أننا ... ذُراها وأنّا عِزُّها وسَنامها(٤)
وقد علم الأحياء من كل موطنٍ ... إذا عدت الأحياء أنا كرامها
وأنّا إذا الحربُ العَوانُ تضرّمتْ ... نَليها إذا ما الحرب شُبَّ ضِرامها
قوام قُوَى الإسلامِ والأمرِ كلِّه ... وهل طاعةٌ إلا تميم قِوامها(٥)
إلى الله تشكو عِزَّنا الأرضُ فوقَها ... وتعلمُ أنّا ثِقْلُها وغَرامها
شكَتْنا إلى اللهِ العزيزِ فأسْمَعَتْ ... قَرِيبا ، وأَعْيا مَن سِواهُ كلامُها(٦)
نَصولُ بحَوْلِ اللهِ فى الأمرِ كلِّه ... إذا خِيف من مَصْدوعةٍ ما الْتِئامها

فأعانته القيسية وقالوا : « كلما كان نابٌ من مضر أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد ! » .

---

(١) ى : جمهورنا مضيرية يزايل : وفى ى والديوان : فيها أذرع .

(٢) الأثام : العقوبة .

(٣) الديوان : فى الإسلام . . حواجز أركان .

(٤) الديوان : أبناء خندف ، ى : لقد علمت .

(٥) الديوان : عرا الإسلام .

(٦) كذا فى ى والديوان وفى ص : شكونا إلى الله ، خطأ .

وكتب الفرزدق إلى سعيد بن الوليد الأبرش بأبيات ، فكلم له هشاما . والأبيات[١] :

إلى الأَبْرَشِ الكلبيِّ أسندتُ حاجةً ... تَواكَلَها حَيَّا تميمٍ ووائلِ
على حين أنْ زَلَّتْ بِىَ النَّعْلُ زَلَّةً ... وأَخْلَفَ ظنى كلُّ حافٍ وناعلِ[٢]
فدُونَكَها يا ابنَ الوليدِ فإنَّها ... مفضِّلةٌ أصحابَها فى المحافل[٣]
ودونكها يا ابن الوليد فقُمْ بها ... مَقامَ امرئٍ فى قومه غيرِ خامل[٤]

فكتب هشام بتخليته . فقال الفرزدق يمدح الأبرش :

لقد وثب الكلبيُّ وِثبةَ حازمٍ ... إلى خيرِ خَلْقِ الله نفسا وعُنْصُرا
إلى خيرِ أبناءِ الخلائفِ لم يجد ... لحاجتِه من دونها مُتأَخَّرا[٥]
أَبَى حِلفُ كلبٍ فى تميمٍ وعَقْدُها ... كما سَنَّتِ الآباءُ ، أنْ يتغيَّرا

وكان هذا الحلف قديما بين تميم وكلب فى الجاهلية وذلك قول جرير فى هذا الحلف بعينه[٦] :

تميمٌ إلى كلبٍ ، وكلبٌ إليهمُ ... أحقُّ وأَدْنَى من صُداءَ وحِمْيَرا[٧]

وقال الفرزدق[٨] :

أَلَمْ تَرَ قَيْساً قيسَ عَيْلانَ شَمَّرَتْ ... لنَصْرِى وحاطتْنى هناك قُرومُها[٩]

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢٩٦ . ولم أجدها فى ديوانه .
(٢) ب ، س ، والطبقات : فأخلف .
(٣) الطبقات : فدونكم ، ودونكها : خذها ، يصف قصيدته .
(٤) غ والطبقات : قيام امرئ .
(٥) غ والطبقات : أبناء الخليفة .
(٦) ديوانه ٢٤٢ ، والنقائض ٩٩٤ .
(٧) الديوان والنقائض : نزار إلى كلب . وصداء وحمير : قبيلتان يمنيتان .
(٨) ديوانه ٧٦١ . طبقات فحول الشعراء ٢٩٧ .
(٩) القروم : جمع قرم ، وهو السيد الشريف المعظم .

فقد حَالفتْ قيسٌ على الناسِ كلِّهم تَميما ، فهم منها ، ومنها تَميمها
وعادتْ عَدوِّى ، إنّ قيسا لأُسْرتى وقومى ، إذا ما الناسُ عُدَّ صَميمها

قال الفرزدق : لما طردنى زياد ، أتيت المدينة وعليها مروان بن الحكم (١) . فبلغه أنى خرجت من دار ابن صياد ، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنه الدجال ، فليس أحد يكلمه ولا يجالسه . ولم أكن عرفتُ خبره . فأرسل إلىّ مروان فقال : « أتدرى مامَثَلُك ؟ حديث تَحَدَّثُ به العرب : أنّ ضَبُعا مرت بحى قوم قد رحلوا . فوجدت مرآة، فنظرت وجهها فيها . فلما رأت قبح وجهها ألقتْها وقالت : من شَرٍّ ما طرَحَك أهلُك . ولكن من شرٍّ ما طرحك أميرُك . فلا تُقيمن بالمدينة بعد ثلاثة أيام » . قال : فخرجت أريد اليمن ، حتى إذا صرت بأعلى ذى قَسِىّ – وهى طريق اليمن من البصرة – إذا رجل مقبل . فقلت : « من أين أوْضَع (٢) الراكب ؟ » قال : « من البصرة » . قلت : « فما الخبر وراءك ؟ » قال : « أتانا أن زيادا مات بالكوفة » . قال : فنزلت عن راحلتى فسجدت وقلت : « لو رجعت فمدحت عُبيدالله ابن زياد وهجوت مروان » . فقلت (٣) :

وقفت بأعلى ذى قَسِىٍّ مَطيَّتى أُمثِّلُ فى مروانَ وابنِ زيادِ (٤)
فقلتُ : عبيدُ الله خيرُهما أبا وأدناهُما من رأفةٍ وسَدادِ (٥)

ومضيت لوجهى حتى أتيت بلاد بنى عُقَيل . فوردت ماء من مياههم ، فإذا بيت عظيم، وإذا امرأة سافر لم أر كحسنها وهيئتها قط . فدنوت فقلت : « أتأذنين فى الظل ؟ » فقالت : « انزل فلك الظل والقِرَى » . فأنختُ وجلست إليها . فدعت جارية سوداء

(١) كان ذلك فى ولايته الأولى عليها ، من ٤١ – ٤٩ هـ .
(٢) أوضع : أسرع فى سيره .
(٣) ديوانه ١٨٦ .
(٤) الديوان : ذى قساء . . أمايل فى مروان .
(٥) غ : خيرهما لنا . الديوان : وأدناهما عرفا لكل جواد .

كالراعية فقالت : « أَلْطِفيه شيئا . واسعى إلى الراعى فرُدِّى علىّ شاة فاذبحيها له » . وأخرجت إلىّ تمرا وزُبدا . وحادثتها فما رأيت مثلها قط : ماأنشدتها شعرا إلا أنشدتنى أحسن منه . فأعجبنى المجلس والحديث ، إذ أقبل فتى بين بُرْدين فلما رأته رمت ببرقعها على وجهها ، وأقبلت عليه بوجهها وحديثها . فدخلنى من ذلك غيظ . فقلت للحين : « يا فتى هل لك فى الصِّراع ؟ » فقال : « سَوْءَة لك ! إن الرجل لا يصارع ضيفه ! » قال : فألححت عليه . فقالت له : « ماعليك لو لاعبتَ ابن عمك ؟ » فقمتُ وقام فلما رمى ببرده إذا خَلْق عجيب . فقلت : « هلكت ، ورب الكعبة » . فقبض على يدى ثم اخْتلَجنى إليه وضرب فى صدرى . ثم احتملنى فوالله ما اتقيتُ الأرض إلا بظهر كبدى ، وجلس على صدرى . قال : فما ملكت نفسى أن ضرطت ضَرطة منكرة . وثرت إلى جملى . فقال: «أنشدك الله ! » وقالت : « عافاك الله ! إنه الظل والقرى» . فقلت : « أخزى الله ظلكم وقِراكم ! » ومضيت . فبينا أنا أسير إذ لحقنى الفتى على نَجيب يجنُب[1] نجيبا برَحله وزمامه من أحسن الرِّحال . فقال : « يا هذا ، إنه ما سرَّنى ما كان . وقد أراك أبدعت (أى كَلَّت ركابُك) فخذ هذا النجيب . وإياك أن تُخدَع عنه ، فقد أُعطيت به مائتى دينار » . فقلت : « نعم ، آخذه . ولكن أخبِرنى : من أنت ؟ ومن المرأة ؟ » فقال : « أنا تَوْبة بن الُحمَيِّر ، وهى ليلى الأَخْيَلية » . وقيل : إنه لما صرعه وضرط قال : « يا أبا فِراس ، هذا مَقامُ العائِذ بك . والله ، ما أردتُ ما جرى » . فقال : « ويحك ! ما بى أن صرعتنى ، ولكن كأنّى بابن الأتان (يعنى جريرا) وقد بلغه خبرى هذا ، فقال يهجونى[2] :

جلستَ إلى ليلى لتَحْظَى بقُرْبها فخانَتْك دُبْرٌ لا تزال تخونُ[3]

---

(١) يجنب : يقود إلى جانبه .

(٢) لم أجده فى ديوانه .

(٣) يخون : كذا فى غ . وفى ص : خئون . ولا يتفق مع كونه خبر لا يزال .

فلو كنتَ ذا حَزْمٍ شددتَ وِكاءَها　　كما شَدَّ خَرْتا للدِّلاصِ قُيونُ[١]

فما مضت إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين .

قال الفرزدق : أصابنا بالبصرة مطر جَوْد[٢] ليلا . فإذا أنا بأثر دوابّ قدخرجت من ناحية البَرِّيّة فظننت أن قومًا خرجوا للنزهة . فقلت : خَليقاً أن يكون معهم سُفْرة وشراب . فقصصت آثارهم حتى دفعت إلى بغال عليها رَحائل موقوفة على غدير . فأغْذَذْتُ السير[١] نحو الغدير ، فإذا نسوة مُستنقِعات فى الماء . فقلت : « لم أر كاليوم قط ولا يومَ دارة جُلْجُل » وانصرفت مُستحِييا منهن . فنادتْنى امرأة منهن : « يا صاحب البغلة ، ارجع نسألك عن شىء » . فانصرفت إليهن وهن فى الماء إلى حلوقهن . فقلن : « بالله لمَا حدثتَنا بحديث دارة جلجل » . فقلت : « إن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عم له يقال لها عُنَيزة . فطلبها زماناً فلم يصل إليها . وكان فى طلب غرة من أهلها ليزورها ، فلم يُقْضَ له ذلك . فلما كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جلجل ، احتمل الحى . فتقدم الرجال وتأخر النساء والخدم والثَّقَل[٣] . فلما رأى امرؤ القيس ذلك، تأخر بعد ما سار مع قومه غَلوة . فكمن فى غَيابة من الأرض حتى مر به النساء وإذا فتيات وفيهن عنيزة . فلما وردن الغدير قلن : « لو نزلنا فذهب عنا بعض الكلال » . فنزلن إليه ونحَّيْن العبيد عنهن ثم تجردن وانغمسن فى الغدير كهيئتكن الساعة . فأتاهن امرؤ القيس مُخاتِلا كما أتيتكُن . وهن غوافل . فأخذ ثيابهن فجمعها . ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ أثوابهن ، فجمعها ووضعها فى صدره . وقال لهن كما أقول لكُن : « والله ، لا أعطى جارية منكن ثوبها ولو أقامت

---

(١) الوكاء : رباط القربة وغيرها . والخرت : الثقب . والدلاص : الدرع الملساء اللينة . والقيون : جمع قين ، وهو الحداد والعبد .

(٢) جود : غزير .

(٣) أغذذت السير : أسرعت .

(٤) الثقل : متاع المسافر .

فى الغدير يومها حتى تخرج مجردة » . قال الفرزدق : فقالت إحداهن ، وكانت أمْجَنهن : « إن امرأ القيس كان عاشقا لابنة عمه ، أفعاشق أنت لبعضنا ؟ » فقال : « لا والله ، ما أعشق منكن واحدة ولكنى أشتهيكن » . قال : فنعَرْن(١) وصفّقن بأيديهن وقلن : « خذ فى حديثك فلست منصرفاً إلا بما تحب » . قال الفرزدق : « فأبَيْن تلك النسوة على امرىء القيس حتى تعالَى النهار ، وخشِين أن يقصرن دون المنزل الذى أردنه . فخرجت إليه إحداهن فدفع إليها ثوبها ووضعه ناحية ، فأخذتْه ولبستْه . وتتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة . فناشدتْه الله أن يطرح إليها ثوبها . فقال : « دَعينا منك . فأنا حرام إن أخذتِ ثوبك إلا بيدك » . قال : فخرجت فنظر إليها مقبلة ومدبرة . فوضع لها ثوبها فأخذته . وأقبلن عليه يَعْذُلْنه ويَلُمْنه ويقلن : عريتَنا وحبستنا وجوّعتنا . قال : فإن نحرتُ لكن راحلتى أتأكلن منها ؟ قلن : نعم . فاختَرَط سيفه فعقَرها ونحرها وكَشَطها . وصاح بالخدم فجمعوا له حطباً . وأجّج ناراً عظيمة . وجعل يقطع لهن من سنامها ، ومن أطايبها وكبدها ، فيلقيه على الجمر . فيأكل ويأكلن معه . ويشرب من زُكْرة(٢) كانت معه . ويغنّيهن . ويَنْبِذ إليهن وإلى العبيد من الكباب حتى شبعن وطربن . فلما أرادوا الرحيل ، قالت إحداهن : « أنا أحمل طِنفسته » . وقالت الأخرى : « أنا أحمل رَحْله » . وقالت الأخرى : « علىّ حَشيَّته وأنْساعه » . فقسمن متاع رحله بينهن . وبقيت عنيزة لم يحمّلها شيئاً . فقال لها امرؤ القيس : « يابنت الكرام ، لا بدأن تَحمليني معك فإنى لا أُطيق المشى ، وليس هو من عادتى » . فحملته على غارِب بعيرها . فكان يُدخل رأسه فى خِدرْها فيقبلها . فإذا امتنعت مال حِدْجها(٣) . فتقول : «يا امرأ القيس ، عقرتَ بعيرى فانزل» .

---

(١) نعر : صاح بخيشومه .
(٢) الزكرة : زق الخمر .
(٣) الحدج : مركب النساء .

فذلك قوله :

تقول ، وقد مال الغَبِيط بنا مَعًا : عقرتَ بَعِيرى ، يا امرأ القيس، فانزلِ[1]

فلما فرغ الفرزدق من حديثه ، قالت له تلك الماجنة : « قاتَلَكَ الله ! ما أحسن حديثك، يافتى ، وأظرفك ! فمن أنت؟» قلت: «من مضر» . قالت : « مِنْ أَيِّها ؟ » قلت: «من تميم» . قالت : « من أيها ؟ » قلت : « إلى هاهنا انتهى جوابى » . قالت : « إخالُك الفرزدق » . قلت : «الفرزدق شاعر وأنا راويته» . قالت : « دعنا من تَوْريتك عن نسبك . أسألك بالله : «أنت هو؟ » قلت : « أنا هو » . قالت : « فإن كنت أنت هو ، فلا أحسبك مُفارقا ثيابنا إلا عن رِضا » . قلت : « أجل » . قالت : « فاصرِف وجهك عنا ساعة » . وهمستْ إلى صواحبها بشىء لم أفهمه . فانغطَطْن فى الماء فتوارَيْن . وأبدين رءوسهن وخرجن ومع كل واحدة منهن ملء كَفِّها طيناً وحَمْأة . وجعلن يتَعادَيْن نحوى ويضربن بذلك الطين والحمأة وجهى . فلأن عينى وثيابى . ووقعتُ على وجهى مشغولا بعينيّ وما فيهما . وشددن على ثيابهن فأخذنها . وركبت تلك الماجنة بغلتى وتركْتنى مُنبطِحاً بأسوأ حال وأخزاها ، وتقول : « زعم الفتى أنه لابد من أن ينيكنا » . فما زُلْت من ذلك المكان حتى غسلت وجهى وثيابى وجففتها وانصرفت عند مجىء الظلام إلى منزلى على قدمى . ووجهن بغلتى إلى منزلى مع رسول لهن . وقلن : « قل له تقول لك أخواتك : طلبت منا مالم يُمْكِنا ، وقد وجهنا إليك بزوجتك فنِكْها سائر ليلتك . وهذا كِسْر درهم يكون لحمّامك إذا أصبحت » . فكان الفرزدق يقول إذا حدث بهذا الحديث : « ما مُنيت بمثلهن ! » .

لما قدم يزيد بن المهلب واسطا[2] ، قال لأُمَيَّة بن الجَعْد ، وكان صديق الفرزدق: « إنى لأحب أن تأتينى بالفرزدق » . فقال للفرزدق: « ماذا فاتك من يزيد ، أعظم

---

(١) ديوان امرىء القيس (دار المعارف بمصر) ص ١١ .

(٢) واسط : مدينة بناها الحجاج بن يوسف بين البصرة والكوفة .

الناس عفواً ، وأسخى الناس كفا ؟ » قال : « قد صدقت . ولـكنى أخشى أن آتيه فأجدالعُمانية ببابه . فيقوم رجل إلىّ فيقول : هذا الفرزدق هجانى ، فيضرب عنق . فيبعث إليــه يزيد فيضرب عنقه ، ويبعث إلى أهلى بديتى . فإذا يزيد قد صار أوفى العرب ، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب » . ثم قال : « لا والله ، لا أفعل » . فأخبر يزيد بما قال . فقال : « أما إذ وقع هذا فى نفسه فدعه لعنه الله ! » .

دخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب فى بركة يتبرَّدون فيها ، ومعهم ابن أبى علقمة الماجن . فجعل ينفلت إلى الفرزدق فيقول : « دعونى حتى أنـكحه ، حتى لا يهجونا أبداً » . وكان الفرزدق من أجبن الناس . فجعل يستغيث ويقول : « ويلـكم ! لا يمس جلدى جلده فيبلغ ذلك جريرا ، فيُوجب علىّ أنه قد كان منه الذى يقول » . فلم يزل يناشدهم حتى كفوا عنه .

وقيل : إن مشايخ الأَزْد وأولى النُّهَى جاءوا . فصاحوا بابن أبى علقمة وبأولئك السفهاء . فقال لهم ابن علقمة : « ويلـكم ! أطيعونى اليوم واعصُونى الدهر . هـذا شاعر مضر ولسانها ، وقد شتم أعراضـكم وهجا ساداتـكم . والله ، لاتنالون من مضر مثلها أبدا » . فخالوا بينه وبينه . فـكان الفرزدق يقول بعد ذلك : « قاتله الله ! والله لقد كان أشار عليهم بالرأى[1] » .

خرج الفرزدق حاجّا . فلما قضى حجه عدل إلى المدينة . فدخل على سُـكَينة بنت الحسين عليهما السلام . فقالت : « يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ » قال : « أنا » . قالت : « كذبت أشعر منك جرير حيث يقول[2] :

بنفسى مَن تَجنُّبــــه عزيزٌ ... علىّ ، ومن زيارته لِمَـامُ

---

(١) فى حاشية على هامش ص : « سوءة لك يا فرزدق ، إن كان الرأى الذى استحسنته لهم أن يفعل بك » .

(٢) ديوانه ٥١٢ . طبقات فحول الشعراء ٣٥٣ .

ومن أُمسِى وأُصبح لا أراه ويطرُقُنى إذا هَجَع النِّيام

فقال : « والله لو أذنتِ لى لأسمعنَّك أحسن منه » قالت : « أقيموه ». فأُخرج. ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها . فقالت : « يا فرزدق، من أشعر الناس ؟ » قال : « أنا » . قالت : « كذبت . صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول[1] :

لولا الحيــاء لعادَنى استِعْبارُ ولَزُرْتُ قَبْرَكِ والحبيبُ يُزار[2]

كانت إذا هجر الضّجيعُ فِراشَها كُتِم الحديثُ وعَفَّتِ الأَسْرار[3]

لا يُلبِثُ القُرَناءَ أنْ يتفرقُوا ليــلٌ يــكُرُّ عليهمُ ونهار

فقال : « والله ، لو أذنت لى لأسمعنّك أحسن منه » . فأمرت به فأخرج . ثم عاد إليها فى اليوم الثالث ، وحولها مُوَلَّدَات[4] كأنهن التماثيل . فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجبته . وبَهِت ينظر إليها . فقالت له سكينة : « يا فرزدق، من أشعر الناس ؟ » قال : « أنا » . قالت : « كذبت صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول[5] :

إنّ العيونَ التى فى طَرْفِها حَوَرٌ قَتَلْنَنا ثم لم يُحْيِين قتــلانا[6]

يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَراكَ به[7] وهُنّ أضعفُ خلق الله أركانا

أَتْبَعْتُهم مُقْلَةً إنسانُها غَرِقٌ هل ما ترى تاركٌ للعين إنسانا؟

(١) ديوانه ١٩٩ . النقائض ٨٤٧ .

(٢) قبرك : كذا فى المصادر، وهى الرواية المشهورة وكذا كان فى ص ثم ضرب عليه وكتب فى الهامش : بيتك .

(٣) الديوان والنقائض : هجر الخليل . . خزن الحديث .

(٤) المولدات : الجوارى .

(٥) ديوانه ٥٩٥ . طبقات فحول الشعراء ٣٢٠ ، ٣٥٢ .

(٦) غ والديوان والطبقات مرة : فى طرفها مرض .

(٧) الديوان : لا صراع به .

فقال : « والله ، لو تركتِنى لأسمعنّك أحسن منه » . فأمرت بإخراجه . فالتفت إليها وقال : « يا بنت رسول الله ، إن لى عليك حقا عظيما : ضربتُ إليك من مكة إرادة التسليم عليك . فكان جزائى من ذلك تكذيبى ، وطردى ، وتفضيل جرير على ، ومَنْعك إياى أن أُنشدك شيئا من شعرى . وبى ما قد عِيلَ منه صبرى . وهذه المنايا تغدو وتروح . ولعلى لا أفارق المدينة حتى أموت . فإذا أنا مت ، فمرى بى أن أُدْرَج فى كفنى ، وأُدفَن فى حِرِ هذه الجارية » ، وأشار إلى التى أعجبته . فضحكت سكينة . وأمرت له بالجارية . فخرج بها آخذا بِرَيْطَتها[1] ، وأمرت الجوارى فدفعن فى أَقْفِيَتهما . ونادته : « يا فرزدق ، احتفظ بها وأَجْمِل صُحْبتها ، فإنى قد آثرتُك بها على نفسى » .

كان تميم بن زيد القُضاعىّ ثم أحد بنى القَيْن[2] بن جَسْر غزا الهند فى جيش ، وفيهم رجل يقال له خُنَيس . فلما طالت غيبته على أمه اشتاقته . فسألت عمن يكلم تميم ابن زيد أن يُقْفِل ابنها[3] . فقيل لها : « عليك بالفرزدق فاستجيرى بقبر أبيه » . فأتت قبر غالب بكاظمة . فأقامت حتى علم الفرزدق بمكانها . ثم أتته وطلبت حاجتها . فكتب إلى تميم بن زيد هذه الأبيات[4] :

هَبْ لى خُنَيسا واتَّخِذْ فيه مِنَّةً ... لغُصَّةِ أُمٍّ ما يَسوغُ شَرابُها[5]
أَتَتْنِى فعاذَتْ — يا تميم — بغالبٍ ... وبالُحفْرةِ السّافِى عليها تُرابُها[6]

---

(١) الريطة : الملاءة التى كلها نسج واحد .

(٢) كذا فى غ وهو الصواب . وفى ص : عبد القين .

(٣) يقفله : يرجعه .

(٤) لم أجدها فى ديوانه . وهى فى النقائض ٣٨١ ، كامل المبرد ٤٣٠ ، طبقات فحول الشعراء ٢٦٢ ، أمالى القالى ٣ : ٧٧ ، اللسان (حوب) .

(٥) النقائض : فهب لى خنيسا . الطبقات : فهب لى حبيشا . الأمالى : فخل خنيسا . الكامل واللسان : واحتسب فيه منة . الكامل والنقائض والأمالى واللسان : لحوبة أم .

(٦) اللسان : أتتنى فعاذت ذات شكوى بغالب .

تميمَ بنَ زيدٍ، لا تكونَنَّ حاجتى بظهرٍ فلا يَخْفَى علىّ جوابُها[١]

فلما أتاه كتابه، لم يدر ما اسمه : حبيش أو خُنَيس. فأخرج ديوانه وأقفل كل حبيش وخنيس فى جيشه، وهم عدة، وأنفذهم إلى الفرزدق.

ضرب مُكاتَب[٢] لبنى مِنْقَر بساطا على قبر غالب أبى الفرزدق. فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه. ثم قدم عليه فقال[٣] :

بقبر ابنِ ليلى غالب عُذْتُ بعد ما خشيتُ الرَّدى أو أنْ أُرَدَّ على قَسْرِ[٤]

فأخبرنى قبرُ ابن ليلى فقال لى فَكاكُكَ أن تَلْقَى الفرزدق بالمِصْرِ[٥]

فقال الفرزدق: « صدق أبى، أَنِخْ ». ثم طاف له فى الناس حتى جمع له مكاتبَتَه وفَضْلا.

كان عبدالله[٦] بن عطية راوية للفرزدق وجرير. قال: دعانى يوما الفرزدق فقال « إنى قد قلت بيت شعر، والنوارُ طالق إنْ نَقَضه ابنُ المَراغَة ». قال: [قلت] « وما هو ؟ » قال: « قد قلت[٧] :

فإنى أنا الموتُ الذى هو نازلٌ بنفسِكَ فانظرْ كيف أنت مُحاوِلُه[٨]

ارحل إليه بالبيت ». قال: « فرحلت إلى اليمامة. فلقيت جريرا بفناء بيته يعبث

(١) الطبقات : يخفى عليك . الكامل والنقائض : يعيا على . الأمالى ولا يعيا على. اللسان: ولا يعيا عليك . وكانت حاجتى بظهر : طرحتها وأهملتها .

(٢) المكاتب : العبد الذى كاتب مولاه أن يؤدى عنه فيعتقه .

(٣) النقائض ٣٨١ . طبقات فحول الشعراء ٢٦٢ .

(٤) النقائض : إلى قسر .

(٥) غ : فخاطبنى قبر ابن ليلى وقال لى . النقائض : فقال لى القبر المبارك إنما . والمصر . يريد البصرة .

(٦) ى : عبيد الله .

(٧) ديوانه ٧٣٨ . النقائض ٦٠٦ .

(٨) الديوان والنقائض : هو ذاهب . غ : تحاوله .

بالرمل . فقلت له : « إن الفرزدق قد قال بيتا، وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه ». قال : « هيهِ ! أظَنّ – والله – ذلك . فما هو ، وَيْلَكَ؟ » فأنشدته إياه . فجعل يتمرغ فى التراب ويحثوه على رأسه وصدره حتى كادت الشمس تغرب . ثم قال : « أنا أبو حَزْرة ، طلقتْ امرأة الفاسق الخبيث ! » ثم قال(١) :

أنا الدهرُ يُفنى الموتَ والدهرُ خالدٌ   فجئْنى بمثل الدهرِ شيئا يُطاوله

ارحل إلى الفاسق الخبيث» . قال: فقدمت على الفرزدق فأنشدته إياه ، وأخبرته بمقالة جرير . فقال : « أقسمت عليك لَما سترتَ هذا الحديث » .

دخل الفرزدق على بلال بن أبى بردة ، وعنده ناس من اليمامة ، فضحكوا . فقال : « يا أبا فِراس، أتدرى مم ضحكوا ؟ » قال : «لا» . قال : « من جَفائك » . قال : « أصلح الله الأمير ! حججتُ فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبى ، وعلى عاتقه الأيسر صبى آخر ، وإذا امرأة من قدامه آخذة بمئزره ، وهو يقول(٢) :

أنت وهبتَ زائدا ومَزْيَدا   وكهلةً أُولجُ فيها الأَجْرَدا

والمرأة تقول من خلفه : « إذا شئت . إذا شئت » . فسألت : « ممن الرجل ؟ فقيل لى : « من الأَشْعَريين ، فأنا أَجْفَى أم ذلك ؟ » فقال بلال : « لا حَيّاك الله ! قد علمتُ أنهم لم يُفْلتوا منك » .

ركب الفرزدق بغلته . فمر بنسوة . فلما حاذاهن لم تمالك بغلته ضرطا . فضحكن منه . فالتفت إليهن وقال : « لا تضحكن ، فما حملْتنى أنثى إلا ضرطت » . فقالت له إحداهن : « ما حَمَلك أكثرُ من أمك . فأراها قد قاست منك ضراطا كثيرا » . فحرك بغلته وهرب منهن .

---

(١) ديوانه ٤٨٣ . النقائض ٦٥١ .

(٢) لم أجده فى ديوانه .

قال الفرزدق : ما أعيانى جوابُ أحد كما أعيانى جواب دِهْقان[١] مرة قال لى : « أنت الفرزدق الشاعر ؟ » قلت: « نعم » . قال: « إن هجوتنى تخربْ ضيعتى[٢] ؟ » قلت : « لا » . قال : « أفتموت عَيْشونة ابنتى ؟ » قلت : « لا » . قال : « فرِجْلى إلى حَلْقى فى حِرِ أمك » . قال : قلت : « ويلك ! فلم تركت رأسك ؟ » قال : « حتى أنظر أى شىء تعمل ؟ » .

مر الفرزدق بماء فأسرع فيه بغلته . فقال له مجنون بالبصرة يقال له حربيش : « نَحِّ بغلتك . جَذَّ الله رجليك ! » قال : « ولم ، ويلك ؟ » قال : « لأنك كذوب الحنجرة ، زانى الكَمَرَة » . فقال الفرزدق لبغلته : « عَدَس ! »[٣] ومضى وكره أن يسمع قوله الناس .

قيل للفرزدق : « ما اختيارُك فى شعرك القِصار ؟ » قال : « لأنى رأيتها فى الصدور أثبت ، وفى المحافل أَجْوَل » .

وقيل للحطيئة : « ما بال قصارك أكثر من طوالك ؟ » قال : « لأنها فى الآذان أَوْلج ، وفى أفواه الرجال أَعْلق » .

قيل لعقيل بن عُلَّفة : « مالك تُقَصِّر فى هجائك ؟ » قال : « حَسْبُك من القلادة ما أحاط بالرقبة » .

قال الجَهْم بن سُويد بن المنذر الحرامى للفرزدق : « أما وجدتْ أمك لك اسما إلا الفرزدق الذى تكسره النساء فى سويقها ! » قال : والعرب تسمى خبز الفَتوت الفرزدق . فأقبل الفرزدق على قوم معه فى المجلس فقال: « ما اسمه ؟ » فلم يخبروه باسمه. قال : « والله ، لئن لم تخبرونى لأهجونَّكم كلكم » . فقالوا له : « اسمه الجهم

(١) الدهقان : رئيس الإقليم عند الفرس .

(٢) غ : أفأموت إن هجوتنى .

(٣) عدس : كلمة يزجر بها البغال .

ابن سويد بن المنذر » . فقال الفرزدق : « أحق الناس ألا يتكلم فى هذا أنت ، لأن اسمك اسم متاع المرأة ، واسم أبيك اسم الحمار ، واسم جدك اسم الكلب » .

لقى الفرزدق الحسين بن علىّ عليهما السلام ، متوجها إلى الكوفة خارجا من مكة ، فى اليوم السادس من ذى الحجة[١] . فقال له الحسين : « ما وراءك ؟ » قال : « يا ابن رسول الله ، أَنْفُس الناس معك وأَيْديهم عليك ، والدنيا مطلوبة وهى فى أيدى بنى أمية ، والأمر إلى الله عز وجل ، والقضاء ينزل بما شاء » . قال : « ويحك ! معى وِقْر بعير من كتبهم يدعوننى ويناشدونى الله » . قال : فلما قتل الحسين ، قال الفرزدق : « انظروا ، فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها ، فاعلموا أنه سيدوم عزها وتبقى هيبتها . وإن صَبَرت عليه ولم تتغير ، لم يزدها الله إلا ذلا إلى آخر الأبد » . وأنشد[٢] :

فإن أنتُم لم تثأروا بابنِ خيركم ... فألقوا السلاحَ واغزلوا بالمَغازلِ

كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها فامتنعت عليه . فتهدّدها بالهجاء والفضيحة . فاستجارت بالنوار امرأته وقصّت عليها القصة . فقالت لها : « عِديه ليلة ثم أَعْلِميني » . ففعلت . وجاءت النوار فدخلت الحَجَلة[٣] مع المرأة . فلما دخل الفرزق البيت ، أمرت الجارية فأطفأت السراج . وبادرت المرأة الحجلة ، فاتبعها الفرزدق ، فخرجت من الجهة الأخرى . ووقع الفرزدق على النوار وهو لا يشك أنها صاحبته . فلما فرغ ، قالت له : « ياعدو الله ! يافاسق ! » فعرف نغمتها وأنه خُدع ، فقال لها : « ياسُبْحان الله ! ما أَطْيَبك حَراما، وأَرْدَاك حلالا ! » .

---

(١) فى ذلك التاريخ خلافا نظر للخلط بين خروج مسلم بن عقيل والحسين . وانظر كامل ابن الأثير ٤ : ٣٠ ، ٣٣ ، ومروج الذهب للمسعودى ٥ : ١٤٢ .

(٢) لم أجدها فى ديوانه .

(٣) الحجلة : موضع يزين بالثياب والستور للعروس .

قال الأصمعى : سمع الفرزدق رجلا يقرأ « والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ ، والله غفور رحيم » . فقال الفرزدق : « اقطعوا أيديهما نكالا من الله ، والله غفور رحيم ! لا ينبغى أن يكون هذا هكذا ! فقيل له : إنه : « وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »[١] . فقال : « هكذا ينبغى أن يكون » .

مرّ أسماء بن خارِجة الفَزارى على الفرزدق ، وهو يَهْنأ بعيرا[٢] له . فقال له : « يافرزدق ، كسد شعرك ، واطّرحتك الملوك ، فصرت إلى مهنة إبلك . وقد أمرت لك بمائة بعير فاقبِضها » . فقال الفرزدق يمدحه[٣] :

إنّ السَّماحَ الذى فى الناسِ كُلِّهِمِ ... قد حازه اللهُ للمِفْضالِ أَسْماءِ

يُعطى الجزيلَ بلا مَنٍّ ولا كَدَرٍ ... عَفْوا ويُتبِع آلاءً بنَعْمَاءِ[٤]

ما ضَرَّ قوما إذا أمسى يُجاورهم ... ألّا يكونوا ذوى إبْلٍ ولا شاءِ

شرب الفرزدق نبيذاً باليمامة وهو يريد العراق . فقال لصاحب له : «إن الغُلْمة[٥] قد آذَتْنى فاكسِبْنى بَغِيا » . قال : « من أين أصيب لك هاهنا بغيا ؟ » قال : « لا بد أن تحتال لى » . قال : فمضى الرجل إلى القرية ، والفرزدق ناحية . فقال : « هل من امرأة تقبَل[٦] ؛ فإن معى امرأة ماخِضا قد أخذها الطَّلْق » . فبعثوا معه امرأة . فأدخلها على الفرزدق وقد غطاه . فلما دنت منه ، واثَبَها ، ثم ارتحل مبادراً وقال : « كأنى بابن الخبيث (يعنى جريرا) لو قد بلغه هذا الخبر قد قال[٧] :

---

(١) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) يهنأ البعير : يطليه بالقطران عند جربه .

(٣) لم أجدها فى ديوانه .

(٤) غ : بلا من يكدره .

(٥) الغلمة : الشهوة العظيمة .

(٦) تقبل : تعمل قابلة ، أى مولدة .

(٧) ديوانه ٢٨١ . النقائض ٢٥١ . طبقات فحول الشعراء ٣٥٣ .

وكنتَ إذا حَلَلْتَ بدارِ قومٍ رَحلتَ بخَزْيةٍ وترَكتَ عارَا

فبلغ جريرا الخبر، فهجاه بهذا الشعر.

قال الفرزدق : قد علم الناس أنى فحل الشعراء ، وربما أتت علىّ ساعة لَقَلْعُ ضرسٍ من أضراسى أهون علىّ من قول بيت شعر .

قال أبو عبيدة : انصرف الفرزدق من بعض الأمراء فى غداةٍ باردة ، وأمر بجزور فنُحرت ثم قسمها . وأغفل امرأة من بنى فُقَيم . فرجزت فقالت :

فَيْشَلةٌ هَدْلاء ذات شِقْشِقِ مُشرفة اليافوخِ والمُحَوَّقِ(١)

مُدْمَجة ذات حِفافٍ أَحْلَقِ نِيطتْ بحقوى قَطِمٍ عَشَنَّقِ(٢)

أولجتُها فى سَبَّةِ الفرزدقِ(٣)

قال أبو عبيدة : فهرب منها ، فدخل بيت حماد بن الهيثم . ثم إن الفرزدق قال فيها(٤) :

قتلتُ قَتيلا لم يرِ الناسُ مثلَه أُقلِّبه ذا تُومَتَيْن مُسَوَّرا(٥)

حملتُ إليه طعنةً فطعنتُه فغادرْتُه بين الحَشايا مُكَوَّرا(٦)

ترى جُرْحَه من بعد ما قد طعنتُه يَفوح كمثلِ المِسْكِ خالط عَنْبرا

وما هو يومَ الزَّحْف بارَز قِرْنَه ولا هو وَلَّى يومَ لاقَى فأَدْبَرا

---

(١) هدلاء : مسترخية . والحوق : ما استدار بالكمرة من حروفها .

(٢) نيطت : علقت . الحقو : الخصر . القطم : العظيم الشهوة . العشنق : الطويل .

(٣) السبة : الاست .

(٤) ديوانه ٢٣٣ ، ٣٨٣ .

(٥) ذا تومتين : كذا فى غ . وفى ص : كالتومتين . والتومة : اللؤلؤة ، والقرط فيه حبة كبيرة . والمسور : ذو الأساور .

(٦) ب ، س : حملت عليه حملتين بطعنة . ى: حملت عليه حملة فطعنته، وهى أحسن الروايات.
غ : فوق الحشايا . ومكور : صريع .

بنى دارمٍ ، ما تأمرون بشاعرٍ ... بَرودِ الثَّنايا ما يزال مُزَعْفَرا[١]
إذا ما هُوَ اسْتلقَى رأيتَ جَهازه ... كَمَقْطَعِ عُنْق الناب أسودَ أحمرا[٢]
وكيف أُهاجى شاعرا رمحُه اسْتُه ... أعدّ ليوم الرَّوْعِ عِطْرا ومِجْمَرا[٣]

فقالت المرأة : « لا أرى الرجال يذكرون منى هذا » ، فعاهدت الله ألا تقول شعرا .

قدم الفرزدق الشام ، وبها جرير بن الخَطَفى . فقال جرير : « ما ظننت أنك تَقْدَم بلدا أنا فيه ! » فقال له الفرزدق : « إنى طال ما أُخلفتُ ظنَّ العاجز » .

قال هشام بن القاسم العَنَزى : جمعنى والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه ، فقلت له : « من أنت ؟ » قال : « أما تعرفنى ؟ » قلت : « لا » قال : « أنا أبو فِراس » قلت : « من أبو فراس ؟ » قال : « أنا الفرزدق » . قلت : « من الفرزدق ؟ » قال : « أو ما تعرف الفرزدق ؟ » قلت : « أعرف الفرزدق شيئا تتخذه النساء عندنا بالمدينة يتسَمَّنّ به ، وهو الفَتوت » . فضحك ثم قال : « الحمد لله الذى جعلنى فى بطون نسائكم » .

حج هشام بن عبد الملك فى خلافة أخيه الوليد ، ومعه رؤساء أهل الشام . فجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من ازدحام الناس . فنُصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس . فأقبل علىّ بن الحسين عليهما السلام ، وهو أحسن الناس وجها ، وأنظفهم ثوبا ، وأطيبهم رائحة . فطاف بالبيت . فلما بلغ إلى الحجر ، تنحى الناس كلهم وخلوا الحجر ليستلمه ، تعظيما وهيبة وإجلالا له . فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه .

---

(١) الديوان :

ألا يا عباد الله ما بال شاعر ... برود الثنايا لا يزال مزعفرا

(٢) الديوان مرة : رأيت سلاحه . ومقطع : موضع قطع . والناب : الناقة المسنة .

(٣) الديوان مرة : فكيف ، وأخرى : فهل يغلبنى شاعر . والديوان : درجا ومجمرا . غ : ردعا ومجمرا .

فقال رجل لهشام: « من هذا ، أصلح الله الأمير ؟ » فقال : « لا أعرفه » . وكان به عارفا ولكنه خاف أن يرغِّب فيه أهل الشام قولُه منه . فقال الفرزدق ، وكان حاضرا لذلك كله : « أنا أعرفه ، فسَلْنى يا شامى » . فقال : « من هو ؟ » فقال[1] :

هـذا الذى تعرِف البَطْحاء وَطْأَته ... والبيتُ يعرِفُه والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلِّهم ... هـذا التَّقىُّ النقى الطاهر العلم[2]
هذا ابن فاطمةٍ إنْ كنتَ جاهلَه ... بجَدِّه أنبياءُ اللهِ قـد خُتِموا
وليس قولُك : مَنْ هذا ، بضائِرِه ... العُرْبُ تعرف من أنكرتَ والعَجَم
إذا رأتْه قريشٌ قال قائلُها : ... إلى مكارمِ هـذا ينْتَهِى الكرم
يـكاد يُمْسِكُه عِرْفانَ راحتِه ... ركنُ الحطيمِ إذا ما جاء يَستَلِم[3]
الله شرَّفه قِدْما وعَظَّمه ... جَرَى بذلك له فى لَوْحِه القَلَم[4]
أىُّ الخلائقِ ليستْ فى رقابِهمُ ... لأَوَّلِيَّةِ هـذا أو لـه نِعَم ؟[5]
من يَعرفِ اللهَ يعرفْ أوليـةَ ذا ... فالدِّينُ من بيتِ هذا ناله الأُمَم[6]
يَنْمِى إلى ذروةِ الدينِ التى قَصُرت ... عنها الأَكُفُّ وعن إدراكها القَدم[7]

---

(١) لم أجدها فى ديوانه . وهى فى أمالى المرتضى ١ : ٦٨ . وزهر الآداب للحصرى ٦٥ ، وشرح المرزوقى للحماسة ١٦٢١ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ١٦٩ ، والبيان والتبيين للجاحظ ١ : ٣٧ . واختلف فى نسبة أبيات منها ، فقيل: إنها للفرزدق وللحزين الكنانى فى عبدالله ابن عبد الملك ولداود بن سلم فى قثم بن العباس .

(٢) ب ، س : الظاهر . الحصرى : النقى التقى .

(٣) عرفان : أى من أجل معرفة . والحطيم : الجدار الذى عليه ميزاب الكعبة .

(٤) الحصرى : الله فضله قدما وشرفه .

(٥) الأمالى : أى القبائل .

(٦) غ : من يشكر الله يشكر أولية ذا . وفى ص : الدين . والحصرى : يعرف أوليته .

(٧) الحصرى :

ينمى إلى ذروة العز التى قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم

مَن جَـدُّه دانَ فضلُ الأنبياءِ له ... وفضْلُ أُمَّتِه دانتْ له الأُمَم (١)
مشتقةٌ من رسولِ اللهِ نَبْعَتُه ... طابتْ مَغارِسُه والخِيمُ والشِّيَم (٢)
ينشقُّ ثوبُ الدُّجَى عن نورِ غُرَّته ... كالشمس تنجاب عن إشراقِها الظُّلَم
من معشرٍ حُبُّهم دينٌ، وبُغضُهم ... كفرٌ، وقُربُهمُ مَنْجًى ومُعْتَصم
مُقدَّمٌ بعـدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُم ... فى كل بِرٍّ، ومختومٌ به الكَلِم (٣)
إنْ عُدَّ أهـلُ التُّقَى كانوا أئمتَهم ... أو قيل: مَنْ خيرُ أهلِ الأرضِ؟ قيل: هُمُ
لا يستطيع جـوادٌ كُنْهَ جودهمُ ... ولا يُدانيهمُ قوم وإن كَرُموا (٤)
يُستدفَع الشرُّ والبـلوى بحُبِّهمُ ... ويُسْتَرَبُّ به الإحسان والنِّعَم (٥)

فغضب هشام، فحبسه بين مكة والمدينة. فقال الفرزدق (٦):

أتَحْبِسُنى بين المدينـة والتى ... إليها قلوبُ الناسِ يَهْوِى مُنيبُها (٧)
يُقلِّب رأسا لم يكنْ رأسَ سيِّدٍ ... وعَيْنا لـه حَوْلاءَ بادٍ عيوبُها (٨)

فبلغ شعره هشاما، فوجَّه فأطلقه. فوجّه إليـه على بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال: « اعذر، يا أبا فراس. فلو كان عندنا فى هذا الوقت أكثر من هذا

---

(١) دانت له: كذا فى غ. وفى ص: دانت لها. وهى لا تتفق مع السياق.
(٢) الخيم: الطبع. الحصرى: طابت عناصره.
(٣) الحصرى: فى كل بدء.
(٤) ب، س: بعد جودهم. الحصرى: بعد غايتهم.
(٥) يسترب: يستزاد ويستعظم. الحصرى: يستدفع السوء والبلوى.
(٦) ديوانه ٥١. أمالى المرتضى ٦٩.
(٧) الديوان: يرددنى بين المدينة. الأمالى: تحبسنى بين المدينة... رقاب الناس.
(٨) الديوان:
يقلب عينا لم تـكن لخليفـة ... مشوهـة حولاء باد عيوبها

وصلناك به » . فردها وقال : « ما قلتُ ما قلت إلا لله تعالى . وما كنت لأَرْزَأَ[1] عليه شيئا » . فقال علي : « قد رأى الله مكانك ، فشكرلك . ولكنا أهل بيت ، إذا أنفذْنا شيئا لم نرجع فيه » . فأقسم عليه فقبلها .

لما هجا الفرزدق نهر مالك بن المنذر وطَلَبه ، ظفر به فى البَراجم ، فأخذه وحبسه . فمروا به على بنى مُجاشع . فقال : « يا قوم ، اشهدوا أنه لا خاتَم فى يدى » . وذلك أن عمر بن يزيد بن أَسيد لما حُبس ، أمر به فلُويت عنقه . ثم أُخرج ليلا إلى السجن ، فجعل رأسه يتقلّب ، والأعوان يقولون له : « قَوِّم رأسك » . فلما أتوا به السجان ، قال : « لاأتسلم منكم ميتاً » فأخذوا المفاتيح منه وأدخلوه الحبس . فأصبح ميتا ، فشنّعوا أنه مَصّ خاتمه وكان فيه سم فمات . وتكلم الناس فى أمره . فدخل لبطة بن الفرزدق على أبيه فقال : « يا بنى ، هل من خبر ؟ » قال : « نعم ، عمر بن يزيد بن أسيد مص خاتمه فى الحبس وكان فيه سم فمات » . فقال الفرزدق : « وأبوك ـ والله ، يابنى ـ لئن لم تلحق واسط ليَمَصَّن خاتمه » . قال : وكان عمر قد عارض خالدا ، وهو يصف لهشام طاعة اليمن وحسن موالاتهم . فصَفَق عمر إحدى يديه على الأخرى حتى سُمع لهما فى الإيوان دوىّ ، وقال : « كذب ، والله يا أمير المؤمنين . ما أطاعت اليمانية ولا نصحت . أليس هم أعداءك ، وأصحاب يزيد بن المهلب وابن الأشعث ! والله ، ما يَنعِق ناعق إلا أسرعوا الوثبة إليه . فاحذرهم ، يا أمير المؤمنين » . قال : فتبين ذلك فى وجه هشام . ووثب رجل من بنى أمية فقال لعمر بن يزيد : «وصل الله رحمك ، وأحسن جزاءك ، فلقد شددتَ من أنفُس قومك وانتهزت الفرصة فى وقتها . ولكنى أحسب هذا الرجل سيلى العراق ، وهو منكر حسود وليس يَخار لك إن وَلِى » . فلم يرتدع عمر بقوله ، وظن أنه لا يُقدم عليه . فلما ولى لم تكن له همة غيره حتى قتله . ثم إن مالكا وجّه بالفرزدق إلى خالد . فلما قدم عليه ، وجده قد حج واستخلف

(١) أرزأ : أصيب .

أخاه أسد بن عبد الله على العراق . فحبسه أسد . ووافق عنده جريرا . فوثب ليشفع له فقال : « إن رأى الأمير أن يهبه لى ! » فقال أسد : « أتشفع له يا جرير ؟ » قال : « إن ذلك أذلُّ له ، أصلح الله الأمير ! » وكلم أسد المنذر فخلى سبيله . فقال الفرزدق[١] :

لا فضلَ إلا فضـــلُ أمٍّ على ابنِها   كفضلِ أبى الأَشْبال عند الفرزدق

تداركنى من هُـــوَّةٍ دون قَعْرِهـــا   ثمـانون باعـا للطويل العَشَنَّقِ[٢]

حكى لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذاتِ الجَنْب ، وكانت سبب وفاته . فوُصف له أن يشرب النفط الأبيض . قال : فجعلناه له فى قدح وسقيناه إياه . فقال : « أى بنى ، عَجَّلت لأبيك شراب أهل النار ! » فقلت له : « قل : لا إله إلا الله » . وجعلت أكررها عليه . فنظر إلىَّ ثم قال[٣] :

وظَلَّت تَعالَى بالنَّهار كأنهـــا   رماحٌ نَحاهاوجهةَالريح راكزُ[٤]

فـكان ذلك هِجِّيراه حتى مات .

كان الفرزدق قد دبر عَبيدا له ، وأوصى بعتقهم بعد موته ودفـع شىء من أمواله إليهم . فلما احتُضر ، جمع سائر بنيه وأهل بيته ، وجعل يقول[٥] :

أَرُونى مَنْ يقوم لـكم مَقامى   إذا ما الأمرُ جَلَّ عن الخطاب[٦]

إلى من تَرْجعون إذا حَثَوْتُم   بأيديـكم علىَّ من التراب ![٧]

فقال بعض عبيده الذين أمر بعتقهم: « إلى الله عز وجل ». فأمر ببيعه قبل وفاته، وأبطل وصيته فيه.

---

(١) ديوانه ٥٩٢ .

(٢) الديوان : كان قعرها . غ : للطوال . والعشنق : المفرط الطول .

(٣) لم أجده فى ديوانه .

(٤) ب ، س : فظلت . غ : تعالى باليفاع .

(٥) ديوانه ١١٤ .

(٦) الديوان : عن العتاب .

(٧) غ والديوان : إلى من تفزعون .

توفى للفرزدق ابن صغير قبل وفاته بأيام فصلى عليه . ثم التفت إلى الناس فقال[١] :

وما نحنُ إلا مثلُهم غيرَ أننا ... أقمْنا قليلا بعدهم وتقدَّموا

فلم يلبث إلا أياما حتى مات .

ولما توفى الفرزدق ، وبلغت وفاته جريرا ، سكت ساعة . فظُنَّ أنه يقول شعرا . ثم دمعت عيناه ، فقال له القوم : « سبحان الله ! أتبكى على الفرزدق ! » فقال : « والله ، ما أبكى إلا على نفسى . أما والله إن بقائى خلافَه لقليل . إنه قلَّ ما كان مثلنا رجلان مجتمعان على خير أو شر إلا كان أَمَد ما بينهما قريبا » . وقال[٢] :

فُجِعْنا بحَمَّال الدِّياتِ ابنِ غالبٍ ... وحامى تميمٍ كلِّها والبَراجِمِ[٣]

بكيناكَ حِدْثانَ الفراقِ وإنما ... بكيناكَ شَجْوا للأمورِ العَظائمِ[٤]

فلا حملتْ بعدَ ابنِ ليلى مَهيرةٌ ... ولا شُدَّ أَنْساعُ المَطِىِّ الرَّواسِمِ[٥]

وكان الفرزدق قد أسنَّ حتى قارب المائة . فأصابته الدُّبَيلة[٦] وهو بالبادية . فقدم البصرة فاستطَبَّ بها .

ومات الفرزدق فى سنة أربعَ عَشْرة ومائة . وقيل سنة عشر ومائة . ومات فى هذه السنة الحسن وابن سيرين والفرزدق وجرير . فقالت امرأة من أهل البصرة : « كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه فى سنة ! » وقيل : مات جرير بعد الفرزدق

---

(١) ديوانه ٨١٨ .

(٢) ديوانه ٥٣٥ . النقائض ١٠٤٦ .

(٣) الديوان والنقائض : وحامى تميم عرضها والمراجم .

(٤) الديوان والنقائض : بكيناك إذ نابت أمور العظائم . وحدثان الفراق : من أجل حدوثه .

(٥) المهيرة : الحرة التى يدفع مهرها عند التزوج منها . والأنساع : جمع نسع ، وهو سير ينسج عريضا على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال . والرواسم : الإبل التى تؤثر فى الأرض .

(٦) الدبيلة : داء فى الجوف .

بستة أشهر . وقال جرير لما بلغه موت الفرزدق : « قلّما تصاول فحلان فمات أحدهما ، إلا أسرع لحاق الآخر به ».

رُئى جرير والفرزدق بعد موتهما . فرئى الفرزدق بخير ، وذَكر أنه غُفر له بتكبيرة كبّرها فى المقبرة عند قبر أبيه غالب .

وقبر الفرزدق بالبصرة فى مقابر بنى تميم . وقبر جرير باليمامة ، ومات بها . وقبر الأعشى باليمامة ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة .

وقال لبطة : رأيت أبى فى النوم . فقلت : « مافعل الله بك ؟ » فقال : « نفعتنى الكلمة التى نازعَنيها الحسن على القبر » .

والكلمة — والله أعلم — هى ما يحكَى أنّ النوار لما ماتت أوصت الفرزدق — وهو ابن عمها — أن يصلى عليها الحسن . فقال له الحسن على قبرها : « ما أعددتَ لهذا المضجع ؟ » قال : « شهادة أن لا إله إلا الله ، منذ سبعين[1] سنة » . فقال : « إذن تنجوَ إن صدقت » . وتشاغل الفرزدق بدفن النوار . وجلس الحسن يعظ الناس . فلما فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن وقال[2]:

لقد خاب من أولاد آدمَ من مَشَى ... إلى النار مَغْلولَ القِلادةِ أَزْرَقا[3]
أخاف وراءَ القبرِ إنْ لم يُعافِنى ... أشدَّ من القبر الْتِهابا وأَضْيَقا
إذا جاءنى يومَ القيامةِ قائدٌ ... عَنيفٌ وسَوّاقٌ يسوق الفرزدقا

وقال الفرزدق: « فى هذه الجنازة خيرُ الناس وشر الناس ! » فقال الحسن : « لستُ بخير الناس، ولستَ بشرهم » .

---

(١) كذا فى ص ، غ مرة . وفى هامش ص ، غ مرة أخرى : بضعا وثمانين سنة .
(٢) ديوانه ٥٧٨ .
(٣) الديوان : أولاد دارم . . مشدود الخناقة أزرقا .

وقيل : إن الفرزدق رُئى فى النوم ، فقيل له : « مافعل الله بك ؟ » فقال : غفر لى بإخلاصى يوم الحسن ، وقال : لولا شيبك لعذبتُك بالنار » .

قال فُضيل الرَّقاشى : خرجت فى ليلة باردة . فدخلت المسجد ، فسمعت تسبيحا[١] وبكاء . فلم أعلم من صاحب ذلك حتى أسفر الصبح ، فإذا الفرزدق . فقلت : « ياأبافراس ، تركت النوَّار ، وهى لينة الدِّثار دفئة الشِّعار ؟ » قال : « إى والله ، ذكرت ذنوبى فأقلقتْنى ، ففزعت إلى الله عز وجل » .

قيل لأبى هريرة : « هذا الفرزدق » . فقال : « هذا الذى يقذف المُحْصَنات ! » ثم قال له أبو هريرة : « إنى أرى عظمك دقيقا وجلدك رقيقا ، ولا طاقةَ لك بالنار ، فتُب فإن التوبة مقبولة من ابن آدم حتى يطير غُرابه » .

قال الفرزدق : قال لى أبو هريرة : « إنه سيأتيك قوم يؤيسونك من رحمة الله فلا تيأس » .

كان يقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب .

قال العلاء بن الفضل : قال لى أبو البيداء : « يا أبا الهُذَيل ، أيهما أشعر : جرير أم الفرزدق ؟ » قال : قلت : « ذلك إليك » . قال : « ألم تسمعه يقول[٢] :

ما حَمَلت ناقةٌ من معشرٍ رجلا ... مثلى إذا الريحُ لَفَّتْنى على الكُور[٣]

إلا قريشا فإنّ اللهَ فضّلها ... مع النبوة بالإسلام والخير[٤]

---

(١) غ : نشيجا .

(٢) ديوانه ٢٦٥ .

(٣) الديوان : من سوقة رجلا . ولفتنى : كذا فى غ والديوان . وفى ص : ألقتنى .

(٤) الخير : الشرف .

ويقول جرير[١] :

لا تحسبنّ مِراسَ الحربِ إنْ لَقِحت ... شربَ الكَسيس وأكلَ الخبزِ والصِّيرِ[٢]

سلح والله أبو حَزْرة ! سلح والله أبو حزرة ! » .

وكان الفرزدق قد نيَّف على التسعين ، كان منها خمسا وسبعين يبارى الشعراء فيبَذُّهم ، ويهجو الأشراف فيَغُضُّهم ، ما ثبت له أحد منهم إلا جرير .

قيل للفرزدق : « مالك وللشعر ؟ فما كان أبوك غالب شاعرا ، وما كان صعصعة شاعرا ، فمن أين لك هذا الشعر ؟ » ، قال : « من قِبَل خالى » . قالوا : « أى أخوالك ؟ » قال : « العلاء بن قَرظة الذى يقول :

إذا ما الدهر جَرَّ على أناسٍ ... كَلاكِلَه أناخَ بآخرينا[٣]

فقُل للشامتين بنا : أفيقوا ... سيَلْقَى الشامتون كما لقينا

دخل قوم من بنى ضبة على الفرزدق فقالوا : « قبَحك الله من ابن أخت ، عرَّضتَنا لهذا الكلب السفيه (يعنون جريرا) حتى شتم أعراضنا وذكر نساءنا » ! فغضب الفرزدق وقال : « قبَحكم الله من أخوال ! فلَما شرفتكم من نخرى أكثر مما عضكم من هجاء جرير. فأنا ـ ويلكم ـ عرضتكم لسُوَيْد بن أبى كاهِل حيث يقول:

لقد زَرِقت عيناك يا بن مُكَعْبَرٍ ... كما كلُّ ضَبِّيٍّ من اللؤم أزرقُ[٤]

ترى اللؤم منهم لائحا فى وجوههم ... كما لاح فى خيلِ الحلائبِ أبلَقُ[٥]

---

(١) ديوانه ٢٥٦ .

(٢) غ : إذ لقحت . . الخبز بالصير . والديوان :

لا تحسبن مراسى الحرب إذ خطرت ... أكل القباب وأدم الرغف بالصير

لقحت : هاجت بعد سكون . والكسيس : نبيذ التمر ، وفى ص : الكبيس، تحريف . والصير : السمك المملوح .

(٣) ب، س : بكلكله .

(٤) ابن مكعبر : كذا فى غ وهو الصواب . وفى ص : ابن معكبر ، تصحيف .

(٥) غ : اللؤم فيهم . والحلائب : جمع حلبة ، وهى الخيل تجتمع من كل أوب للسباق .

أو أنا عرضتكم للأبلق المجلى حيث يقول :

إذا رأيتَ رجلا من ضَبَّهْ فنِكْه عَضْدا فى سَواء السَّبَّهْ[١]

لَىَّ اليمانىِّ عِقاصَ الزُّبَّه[٢]

وأنا عرضتكم لمالك بن نُوَيرة حيث يقول :

ولو ذُبح الضَّبىُّ بالسيف لم تجد من اللؤم للضبىِّ لحما ولا دما[٣]

والله ، لما ذكرت من شرفكم ، وأظهرت من أيامكم ، أكثر . ألست الذى أقول[٤] :

وأنا ابنُ حَنْظلةَ الأغرِّ وإننى فى آل ضَبَّةَ لَلْمُعَمُّ المُخْوَلُ

فَرْعان قد بلغ السماءَ ذُراهُما وإليهما من كل خوف يُعْقَل[٥]

شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية . فقال : « قد أَجَزْنا شهادة أبى فِراس ، زيدونا شهودا » . فقام الفرزدق فرحا . فقيل له : « ما أجاز شهادتك » . فقال : « بلى ، قد سمعته يقول : قد أجزنا شهادة أبى فراس » . فقالوا : « أفما سمعته يستزيد شاهدا آخرا ؟ » قال: وما يمنعه ألا يقبل شهادتى وقد قذفت كل مُحْصَنة ؟ »[٦] .

كان عطية بن جِعال الغُدانىُّ صديقا ونديما للفرزدق . فبلغ الفرزدق أن رجلا من بنى غُدانة هجاه ، وأعان جريرا عليه ، فأراد أن يهجو بنى غدانة . فأتاه عطية ابن جعال يسأله أن يصفح له عن قومه، ويَهَب له أعراضهم . ففعل ثم قال[٧] :

(١) غ : عمدا . وعضدا : أن تأخذ بعضده فتعتليه .

(٢) ب ، س : إن اليمانى عفاص الدبه . ى : إن اليمانى عقاص الذبه وأظنها محرفة . والعقاص : جمع عقيصة ، وهى الضفيرة والزبة : كلمة يمنية بمعنى اللحية أو مقدمها .

(٣) غ : يذبح .

(٤) ديوانه ٧١٧ . النقائض ١٨٨ .

(٥) يعقل : يلجأ .

(٦) غ : ألف محصنة .

(٧) ديوانه ٧٢٦ . النقائض ٢٧٥ . طبقات فحول الشعراء ٤٢٤ .

أَبنى غُدانةَ إنـــــنى حررتُـكم فوهبتُـكم لعطيةَ بن جمالِ[١]
لولا عطيةُ لاجْتَدعتُ أنوفَـكم من بين أَلْأَمِ أَعْيُنٍ وسِبـــــالِ[٢]

فبلغ ذلك عطية . فقال : « ما أسرع ما ارتّجع أخى هبته ! قبّحها الله من هبة ممنونة مرتّجَعَة ! » .

قدم الفرزدق المدينة فى سنة مجدبة ، فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا له : « إن الفرزدق قدم مدينتنا فى هذه السنة الجدبة التى قد أهلكت عامة الأموال . وليس عند أحد منهم مايعطيه شاعرا . فلو بعث الأمير إليه فأرضاه ، وأمره ألا يعرض لأحد بمدح ولا هجاء » . فبعث إليه عمر بن عبد العزيز فقال : « قد قدمت مدينتنا فى هذه السنة الجدبة ، وليس عند أحد مايعطيه شاعرا . وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم . فخذها ولا تعرِض لأحد بمدح ولا هجاء » . فأخذها : ومر بعبد الله ابن عمرو بن عثمان ، وهو جالس فى سقيفة داره . وعليه مُطْرَف خزّ أحمر وجُبّة خز حمراء . فقال له[٣] :

أعبدَ اللهِ . أنت أحقُّ ماشٍ وساعٍ بالجماهير الكبار
نَمَى الفاروق أُمّك وابنُ أَرْوَى أبوكَ فأنت مُنْصدِع النهار[٤]
هما قمرا السماء وأنت نجمٌ به فى الليل يُدْلِجُ كلُّ سار

فخلع عليه الجبة والمطرف ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . فخرج رجل رأى عبد الله بن عمرو والفرزدق وما أعطاه ، وقد كان رأى عمر بن عبد العزيز وما أعطاه ،

(١) الديوان والنقائض : ووهبتكم .

(٢) غ والديوان والنقائض والطبقات : ألأم آنف . والسبال : جمع سبلة ، وهى الشارب أو مجتمع الشاربين أو اللحية .

(٣) ديوانه ٣٦٠ .

(٤) ابن أروى : الخليفة عثمان بن عفان . ومنصدع النهار : ظاهر جلى . والفاروق : عمر ابن الخطاب . وكانت ليلى أم عمر بن عبد العزيز بنت عاصم بن عمر الفاروق .

وسمع ما أمره به من ألا يعرض لأحد بمدح ولا هجاء . فدخل على عمر بن عبد العزيز فأخبره . فبعث إليه عمر: « ألم أتقدم إليك يافرزدق ألا تعرض لأحد بمدح ولاهجاء ! اخرج : فقد أجّلتك ثلاثا ، فإن وجدتك بعد ثالثة نكَّلت بك » . فخرج الفرزدق وهو يقول :

وأَوْعَدنى وأَجَّلنى ثلاثا كما وُعِدتْ لمهلكها ثمود[1]

فقال فيه جرير :

نفاكَ الأغرُّ ابنُ عبد العزيز ومِثْلُك يُنْفَى عن المسجد[2]
وشَبَّهْتَ نفسك أشقَى ثمودَ فقالوا : ضَلَلْتَ ولم تهتد

---

(١) ب : أجلنى وواعدنى ثلاثا . س ، ى : فأجلنى وواعدنى ثلاثا . وانظر الشعر قبل .
(٢) غ : من المسجد . وانظر الشعر قبل .

الهَيْثَم أبو حَيَّة النُّمَيْرِى

هو الهَيْثَم بن الرَّبيع بن زُرارة بن كَثِير بن جَناب[1] بن كعب بن مالك بن عامر ابن نُمير بن عامر بن صَعْصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرمة ابن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار. ويقال لمالك: الأَصْقَع. وقال قوم: إن الأصقع هو الأَصمّ بن مالك بن جَناب بن كعب.

وأبو حية شاعر مُجيد، من مخضرمى الدولتين، ومدح خلفاءهما. وكان فصيحا، مُقَصِّدا، راجزا، من ساكنى البصرة.

وكان أهوج، جبانا، بخيلا، كذابا، معروفا بذلك، من أجبن الناس.

وكان أبو عمرو بن العلاء يُقَدِّمه.

وكان يُصْرَع.

وكان له سيف يسميه «لُعاب المَنِيّة»، ليس بينه وبين الخشبة فرق.

دخل ليلة إلى بيته كلب. فظنه لصا. فحدَّث جار له قال: أشرفتُ عليه، وقد انتضى سيفه «لعاب المنية» وهو واقف فى وسط الدار يقول: «أيها المغترّ بنا، المجترِئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك! خيرٌ قليل، وسيف صقيل، لعاب المنية، الذى سمعت به، مشهورةٌ ضربتُه، لا تُخاف نَبْوته. اخرج بالعفو عنك، قبل ان أدخل بالعقوبة عليك. إنى والله إن أدْعُ قيسا إليك لا تَقُم لها. وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خَيْلا ورَجْلا! سبحان الله! ما أكثرها وأهْيَبها!» فبينا هو كذلك، إذ خرج الكلب. فقال: «الحمد لله الذى مَسَخك كلبا، وكفانى حربا»

---

* أخباره فى ب ١٥ : ٦٤، س ١٥ : ٦١، د ١٦ : ٣٠٧، ى ١٦ : ٢٣٦، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٨٦، وطبقات الشعراء لابن المعتز ١٤٣، وخزانة الأدب للبغدادى ٤ : ٢٨٢

(١) جناب : كذا فى غ . وفى ص : حباق .

وكان من أكذب الناس . قال يوما : « رميت ظبية . فلما نفذ سهمى عن القوس، ذكرت بها حبيبة لى . فعَدَوْت خلف السهم حتى قبضت عليه : فأمسكت قُذَذه[١] قبل أن يدركها » .

قال سعيد بن مَسْعدة الأَخْفَش : قال أبو حية النميرى : « أتدرى ما يقول القَدَريون ؟ » قلت: « لا ». قال : « يقولون : إن الله لا يكلف العباد مالا يُطيقون، ولا يسألهم ما لا يَجدون . وصَدَق القَدَريون ! ولكنى لا أقول كما يقولون » .

قال سَلَمة بن عياش لأبى حية النميرى : « أتدرى ما يقول الناس ؟ » قال : « وما يقولون ؟ » قال : « يقولون : إنى أشعر منك » . قال : « إنا لله ، هلك الناس ! » .

وكان يقال : إن أبا حية فى الشعراء كالرجل الرَّبْعة : لا يُعَدّ طويلا ولا قصيرا[٢] .

قال الأصمعى : وفد أبو حية النميرى على المنصور . فامتدحه وهجا بنى حسن فى قصيدة أولها :

عُوجا نُحَيِّ ديارَ الحىِّ بالسَّنَدِ ... وهل بتلك الديارِ اليومَ من أَحَدِ

منها :

أحِينَ شِيمَ — فلم يترك لكم تِرَةً — ... سيفٌ تقلَّده الرِّئبالُ ذو اللِّبَد[٣]

سللْتُموه عليكم ، يا بنى حسنٍ ! ... ما إنْ لكم من فلاحٍ آخرَ الأَبَد[٤]

قد أصبحتْ لبنى العباسِ صافيةً ... بجَدْعِ آنُفِ أهلِ البَغْى والحَسَد[٥]

---

(١) القذذ : جمع قذة ، وهى ريش السهم .

(٢) قائله الأصمعى (غ) .

(٣) غ : يترك لهم . وشام السيف : استله . والترة : الثأر . والرئبال : الأسد .

(٤) فى الهامش حاشية تقول : « قابله الله تعالى على قوله » ، أى كافأه وجازاه .

(٥) ب ، س، د : لجدع . غ : آناف.

وأصبحت أُكْلةً لليْثِ فى فمـــه ‌‌ ‌‌ ‌‌ فمن يحاولُ شيئا فى فم الأســـد[١]

فوصله أبو جعفر بشىء دون ما كان يأمله . فاحْتَجن[٢] لعياله أكثره . وصار إلى الحيرة . فشرب فيها عند خَمّارة . فأعجبه الشرب ، وكره أن ينفَد ما معه ، وأحب أن يدوم له ما كان فيه ، فسأل الخمارة أن تبيعه بنَسيئة ، وأعْلمها أنه قد مدح الخليفة وجماعة القواد ، ففعلت وشرهت إلى فَضْل النسيئة ، وكان لأبى حيةأير كعُنق الظليم . فأبرزه فتَدلَّت . وكانت كلما سقته خَطّت فى الحائط خطا . فأنشأ يقول :

إذا أسْقَيْتِـــنى كُوزا بخَطٍّ ‌‌ ‌‌ ‌‌ فخُطِّى ما بدالكِ فى الجدارِ

فإنْ أعطيتِنى عَيْنـــا بدَيْنٍ ‌‌ ‌‌ ‌‌ فهاتى العين وانتظرى ضِمارى[٣]

خرقتُ مقدَّما من جنب ثوبى ‌‌ ‌‌ ‌‌ حِيال مَـكانِ ذاكَ من الإزار

فقالتْ ، وَيْلَها : رجلٌ ويمشى ‌‌ ‌‌ ‌‌ بما يمشـــى به عُجَرُ الحمار[٤]

وقالت: ما تَريد ؟ فقلت: خيرا ‌‌ ‌‌ ‌‌ نَسيئـــةَ ما علىّ إلى يَســارى[٥]

فصَدَّت بعـــد ما نظرتْ إليه ‌‌ ‌‌ ‌‌ وقد ألمَحْتُهــا عُنُقَ الحُوار[٦]

---

(١) غ :

وأصبحت كلهاة الليث فى فـمه ‌‌ ‌‌ ‌‌ ومن يحاول شيئا فى فم الأسد

(٢) احتجن : احتجز .

(٣) الضمار : الوعد المسوف، أوالدين لا يرجى حصوله .

(٤) العجر : جمع عجرة ، وهى العروق المتعقدة فى الجسد ، يريد أير الحمار لما فيهمن التعقيد.

(٥) النسيئة : الدين . واليسار : الغنى .

(٦) الحوار : ولد الناقة ، شبه ذكره بعنقه .

وقعة هِرَقْله*

كانت الروم قد ملَّكت امرأة[1] عليهم، لأنه لم يكن فى زمنها من هو من أهل المملكة غيرها . وكانت تكتب إلى المهدىّ ، وإلى الهادى ، وإلى الرشيد ، فى أول خلافته بالتعظيم والتبجيل ، وتُدِرّ عليه الهدايا ، حتى بلغ ابنها[2] . فحاز الملكَ دونها ، وعاث وأفسد وفاسَد الرشيدَ ، فخافت على مُلْك الروم أن يذهب ، وعلى بلادهم أن تعطب، لعلمها بالرشيد، وخوفها من سطوته. فاحتالت على ابنها فسَمَلت عينيه[3] . فبطل من الملك ، وعاد الملك إليها . فاستكبر ذلك أهل المملكة، وأبغضوها من أجله . فخرج عليها نِقفور وكان كاتبَها[4] ، فأعانوه وعَضَدوه . وقام بأمر المملكة ، وضبط أمر الروم .

فلما قوى أمره وتمكّن ملكه ، كتب إلى الرشيد[5] :

«من نِقفور ملك الروم، إلى الرشيد ملك العرب.

أما بعد .

فإن هذه المرأة كانت وضعَتْك وأباك وأخاك موضع الملوك، ووضعت نفسها موضع

---

* أخبارها فى ب ١٧ : ٤٤، س ١٧ : ٤٤ ، ى ١٨ : ١٦٧ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٦٩٥ وكامل ابن الأثير ٦ : ١٢٦ .

(١) هى الملكة رينى Irene زوجة ليو الرابع . (٧٧٢ ـ ٨٠٣ م) .

(٢) قسطنطين السادس Constantine VI

(٣) سملت عينيه : فقأتهما بحديدة محماة وقلعتهما

(٤) Nicephorus ، الذى حكم من (٨٠٢ ـ ٨١١ م) . وذكر الطبرى أنه كان يلى ديوان الخراج ، وذلك أصح .

(٥) تختلف رواية الطبرى ٣ : ٦٩٥ وابن الأثير : الكامل ٦ : ١٢٦ للرسالتين تمام الاختلاف . وذكر أن هذا التحدى وقع فى سنة ١٨٧ هـ ، وأن الرشيد شفى غيظه ببعض الفتوح أما فتح هرقلة نفسها فكان فى سنة ١٩٠ هـ .

السُّوَق . فإنى واضعك بغير ذلك الموضع ، وعاملٌ على تَطرُّق بلادك ، والهجوم على أَمْصارك ، أوتؤدى إلىّ ما كانت المرأة تؤديه إليك . والسلام » .

فلما ورد الكتاب على الرشيد كتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله هارون أمير المؤمنين ، إلى نقفور كلب الروم .

أما بعد .

فقد فهمت كتابك . وجوابُك عندى ما تراه عِيانا لا ما تسمعه » .

ثم شخَص من شهره ذلك يَؤُم بلاد الروم فى جمعٍ لم يُسمَع بمثله ، وقواد لا يُجارَوْن رأياً ونجدة . فلما بلغ نِقفور ذلك ، ضاقت عليه الأرض بما رَحُبت ، وشاور فى أمره . وجدَّ الرشيد فجعل يوغل فى بلاد الروم ، فيقتل ويَسْبى ويغنَم ، ويُعفِّى الآثار ، ويخرب الحصون ، حتى صار إلى طرق متضايقة دون قسطنطينية . فلما بلغها وجدها وقد أمر نقفور بالشجر فقُطع ورُمى به فى الطرق وأُشعلت فيه النيران . وكان محمد بن يزيد بن مَزْيد أول من لبس ثياب النّفاطين فخاضها، ثم اتبعه الناس . فبعث إليه نقفور بالهدايا ، وخضع له أشد الخضوع ، وأدى إليه الجزية عن رأسه فضلا عن أصحابه . فرجع هارون لما أطاعه وأعطاه ما أعطاه إلى الرَّقّة .

وقال فى ذلك أبو العتاهية(١) :

إمامَ الهُدى ، أصبحتَ بالدين مَعْنيًّا ... وأصبحتَ تَسْقى كل مُسْتَمطِر رِيّا

لك اسمانِ شُقّا من رشادٍ ومن هُدىً ... فأنت الذى تُدْعَى رَشيدا ومَهْديا

إذا ما سَخِطْتَ الشيءَ كان مُسخَّطا ... وإنْ ترضَ شيئاً كان فى الناس مَرْضيا

بسطْتَ لنا شرقا وغربا يَدَ العُلا ... فأوسعتَ شَرْقيا وأوسعت غربيا

---

(١) ديوانه (المطبعة الكاثوليكية (١٩٠٩) ٣١٨ تاريخ الطبرى ٣ : ٦٩٧ .

ووشَّيْتَ وجه الأرضِ بالجود والنَّدى ... فأصبحوجهُ الأرض بالجود مَوْشِيًّا[١]
فأنت أمير المؤمنين فتى التُّقى ... نشرتَ من الإحسان ما كان مَطْوِيًا[٢]
قضَى اللهُ أن يَبقَى لهارونَ ملـكُه ... وكان قضاءُ اللهِ فى الخَلْق مَقْضِيًا[٣]
تَحَلَّيْتَ للدنيـا وللدين بالرِّضـا ... وأصبح نقفورُ لهارون ذِمِّيّـا[٤]

فلما بَعُد الرشيد وسقط الثلج ، وأَمِن نِقفور أن يُغْزَى ، اغترَّ بالمملكة ، ونقض ما كان بينه وبين الرشيد ، ورجع إلى حالته الأولى . فلم يجترئْ يحيي بن خالد[٥] — فضلا عن غيره — على إخبار الرشيد بغدر نقفور ؛ وبذل هو وبنوه أموالا للشعراء على أن يقولوا شعراً فى إعلام الرشيد بذلك ، فكلهم كَعَّ[٦] وأشفق ، إلا شاعرا من أهل جُدَّة[٧] يكنى أبا محمد ، وكان مُجيداً قوى الشعر . فأخذ من يحيي وبنيه مائة ألف درهم ، ودخل على الرشيد فأنشده :

نَقَضَ الذى أُعطِيتَه نِقفـورُ ... فعليـه دائرةُ البَوار تَدورُ[٨]
أبْشِرْ — أميرَ المؤمنين — فإنه ... فتحٌ أتاك به الإلهُ كبير[٩]

(١) ديوانه : بالجود مغشيا .
(٢) ديوانه : وأنت .
(٣) الطبرى : أن صفا لهارون .
(٤) غ والديوان : تجللت الدنيا لهارون ذىالرضا . الطبرى: تحليت الدنيا لهارون بالرضا .. فأصبح .
(٥) أخطأ أبو الفرج فى ذكر يحيي بن خالد البرمكى هنا ، لأن وقعة هرقلة كانت بعد نكبة البرامكة .
(٦) كع : جبن وتأخر .
(٧) فى الكامل : أهل جنده ، وفى الطبرى : أهل جندة . وذكرا أن القائل هو أبو محمد عبد الله بن يوسف ، أو الحجاج بن يوسف التيمى .
(٨) غ : الذى أعطاكه .
(٩) الطبرى : غنم أتاك .

ولقد تَباشَرَتِ الرعيـةُ أنْ أَتَى ... بالنَّقْضِ منـه وافدٌ وبَشــير[١]
ورجَتْ بيُمْنِكَ أنْ تُعجِّل غزوةً ... تَشْفى النفوسَ ، نَـكالُها مذكور[٢]
أعطاكَ جِزْيَته وطَأْطأَ خَدَّه ... حذرَ الصَّوارمِ ، والرَّدى مَحْذور
فأجَرْتَه من وَقْعِها وكأنهـــا ... بأكُفِّنا شُعَلَ الضِّرامِ تَطير
وصرفْتَ من طول العساكر قافلا ... عنـــه ، وجارُكَ آمِنٌ مسرور[٣]
نِقفور ، إنك حين تغدر أنْ نَأَى ... عنك الإمامُ لَجاهِلٌ مغـــرور
أظَنَنْتَ حين تغدر أنْ نَأَى ... عنك الإمامُ لَجاهِلٌ مغـــرور
أَلْقاكَ حَيْنُكَ فى زَواخِرِ بَحْرِه ... فطَمَتْ عليك من الإمام بُحور
يا من يُرِيد رضا الإله بسَعْيه ... واللهُ لا يخفى عليـــه ضمير
لا نُصْحَ ينفع مَنْ يغُشُّ إمامَه ... والنصحُ من نُصَحائه مشـكور
نُصْحُ الإمامِ على الأَنامِ فَرِيضةٌ ... ولأهلِه كَفَّارةٌ وطَهــــور[٤]

فلما أنشده ، قال الرشيد : « أو قد فعل ؟ » وعلم أن وزراءه قد احتالوا فى ذلك. فسار الرشيد قاصدا إليه . فـكان الفتح على يديه . فقال أبو العتاهية فى فتحها[٥] :

ألا نادَتْ هِرَقْلَـــةُ بالخرابِ ... منَ الملكِ الموفَّقِ للصـواب[٦]
غـــدا هارونُ يُرْعِد بالمَنايا ... ويُبْرِق بالمُذكَّرة القِضاب[٧]
وراياتٍ يَحُـــلُّ النصرُ فيهـا ... تمـــر كأنها قِطَع السحاب
أميرَ المؤمنين ، ظفرتَ فاسْـلَمْ ... وأبشِرْ بالغَنيمة والإياب

---

(١) غ والطبرى : فلقد . . . بالنقض عنه .
(٢) ب ، س ، والطبرى : ورجت بمينك . والطبرى : مكانها مذكور .
(٣) ب ، س : فى طول . الطبرى : وصرفت بالطول العساكر .
(٤) الطبرى : ولأهلها .
(٥) ديوانه ٣١٩ . الطبرى ٣ : ٦٩٨ .
(٦) الطبرى : الموفق بالصواب .
(٧) المذكرة : السيوف القوية . والقضاب : القاطعة .

وجعل الرشيد يفتح الحصون فى طريقه والمدن ويُحْرِقها ، حتى أناخ على هرقلة ، وهى أَوْثَق حصن وأعزّه جانبا وأمْنَعُه ركنا . فتحصن أهلها ، وكان بابها على واد ، ولها خندق يُطيف بها . فلما ألح هارون عليهم بالمَجانيق والعَرّادات والسهام ، ودام الحصار ، فُتِح الباب ذات يوم . فاستشرف المسلمون لذلك . فإذ رجل من أهلها كأكمل الرجال قد خرج فى أكمل السلاح . فنادى : « قد طالت مُواقفتكم إيانا . فليبرز إلىّ منكم رجلان » . ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين . فلم يُجبه أحد . فدخل وأغلق الباب ، وكان الرشيد نائما فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه ، فغضب ولام خدمه وغلمانه على تركهم إيقاظه وتأسّف لفوته . فقيل له : « إن الامتناع منه سيُغريه ويُطمعه ويطغيه . وأحْرِ به أن يخرج فى غد ، فيطلب مثلما طلب » . فطالت على الرشيد ليلته ، وأصبح كالمنتظِر له . وإذا بالباب قد فتح ، وخرج الرجل طالبا للبراز ، وذلك فى يوم شديد الحر . فجعل يدعو ويدّعى بأنه يثبت لعشرين منهم . فقال الرشيد : « مَنْ له ؟ » فابتدره جِلّة القواد كهَرْثمة ، ويزيد بن مَزْيد ، وعبد الله بن مالك ، وخُزيمة بن خازم ، وأخيه ، وداود بن يزيد ، وأخيه . فعزم على إخراج بعضهم . فضجّ المُطَّوِّعة حتى سمع ضجيجهم . فأذن لعشرين منهم ، فاستأذنوه فى المشورة ، فأذن لهم . فقال قائلهم : « يا أمير المؤمنين ، قوادك مشهورون بالنجدة والبأس وعلوّ الصوت ومدارسة الحرب . ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العِلْج لم يكْبُر ذلك . وإن قتله العلج كانت وصمة على المسكر قبيحة وثُلْمة لا تُسَد . ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة ؛ فإنْ رأى أمير المؤمنين أن يخلّينا نختار رجلا فنخرجه إليه ، فإنْ ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين ظفر بأعزّهم على يد رجل من العامة من أَفْناء الناس ، ليس ممن يُوهِن قتلُه ولا يؤثّر . وإن قُتل الرجل فإنما استشهد ولم يؤثر ذهابُه فى العسكر ولم يَثْلمه ، وخرج إليه بعده مثلُه ، حتى يقضى الله ما يشاء » . « فقال الرشيد : « قد استصوبتُ رأيكم هذا » .

فاختاروا رجلا منهم يعرف بابن الجَزَرى ، وكان معروفا فى الثغر بالبأس والنجدة . فقال له الرشيد : « أتخرج ؟ » قال : « نعم ، وأستعين بالله تعالى » . فقال : « أعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا » . فقال : « يا أمير المؤمنين ، أنا بفرسى أَوْثَق ، ولكنى قد قبلت السيف والترس » . فلبس سلاحه . واستَدْناه الرشيد فودّعه وأَتْبعه الدعاء . وخرج معه عشرون من المطوِّعة . فلما انقضّ فى الوادى ، قال لهم العلج ـ وهو يعدّهم واحدا واحدا : « إنما كان الشرط عشرين ، وقد زدتم رجلا ، ولكن لا بأس » . فنادَوه : « ليس يخرج إليك إلا رجل واحد » .

فلما فَصَل منهم ابن الجزرى ، تأمّله الرومى وقد أشرف الناس من الحصن يتأملون صاحبهم والقِرْن ، حتى ظنوا أنه لم يبق أحد فى الحصن إلا أشرف . فقال له الرومى : «أتصدُقنى عما أستخبرك». قال: «نعم». قال: «بالله ، أنت ابن الجَزَرى ؟» قال : « اللهم نعم » . فكَفَّر له[1] . ثم أخذا فى شأنهما . فاطَّعَنا حتى طال الأمر بينهما . وكاد الفرَسان يقومان ، وليس يخدش واحد منهما صاحبه . ثم تحاورا بشىء ، فزج كل واحد منهما رمحه ، وانْتَضى سيفه ، فتجالَدا مليا ، واشتد عليهما الحر ، وتبلّد الفَرسان . وجعل ابن الجزرى يضرب الضربة التى يرى أنه قد بلغ فيها ، فيتَّقيها الرومى ، وكان ترسه من حديد ، فيُسمَع لذلك صوت منكر . ويضربه الرومى ضرب مُعَذِّر[2] ، لأن ترس ابن الجزرى كان درقة . فكان العلج يخاف أن يعض بالسيف ويعطب . فلما يئس كل واحد منهما من الوصول إلى صاحبه ، انهزم ابن الجَزَرى . فدخلت المسلمون كآبة لم يكتئبوا مثلها قط ، وعَطْعط[3] المشركون اختيالا وتطاولا . وإنما كانت هزيمته حيلة منه ، فاتَّبعه العلج . وتمكّن ابن الجزرى

(١) كفر له : حياه بأن وضع يده على صدره وطأطأ رأسه .

(٢) المعذر : المبالغ فى العذر .

(٣) العطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها .

منه . فرماه بوَهَق[١] فوقع فى عنقه فما أخطأه . وركض فاستَلبه عن فرسه . ثم عطف عليه ، فما وصل إلى الأرض حتى فارقتْه رأسه .

فكبّر المسلمون أعلى تكبير ، وانخزل المشركون ، وبادروا الباب يُغلقونه .

واتصل الخبر بالرشيد ، فصاح بالقواد : « اجعلوا النار فى المجانيق » . ففعلوا ، وجعلوا الكتان والنفط على الحجارة ، وأضرموها نارا ، ورموا بها السور . فكانت النار تلصق به وتأخذه الحجارة ، وقد تصدع فتهافت . فلما أحاطت بهم النيران ، فتحوا الباب مستأمِنين .

فقال الشاعر المكّى الذى ينزل جُدّة[٢] :

هَوَتْ هِرَقْلةُ لما أنْ رأتْ عَجَبا ... جَوائما تَرْتمى بالنَّفط والنار[٣]

كأنّ نيراننا فى جَنْب قَلْعتهم ... مُصبَّغات على أَرْسانِ قَصّار

وهذا كلام ضعيف لكن قدره فى وقته عظيم ، فأَعْظَم الشيد الجائزة له .

وصُبّت الأموال على ابن الجزرى وقُوِّد . فلم يقبل التقويد [إلا][٤] بغير رزق ولا عوض ، وسأل أن يُعفَى وينزل بمكانه من الثغر . فلم يزل به طول عمره .

ولما انصرف الرشيد عن هرقلة ، قدم الرَّقَّة فى آخر رمضان . فلما عَيّد جلس للشعراء . فدخلوا وفيهم أَشْجَع ، فأنشأ يقول :

لا زلتَ تنشر أَعْيادا و تَطْويها ... تَمْضِى بها لك أيامٌ وتُمضيها[٥]

مستقبلا زينةَ الدنيا وبهجتها ... أيامُها لك نَظْمٌ فى لياليها

ولا تَقضّت بك الدنيا ولا برحَتْ ... يَطْوى لك الدهرُ أيامًا و تَطْويها

(١) الوهق : الحبل يرمى فى أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان .

(٢) نسب الشعر فى معجم الشعراء (طبع عيسى الحلبى) لعيسى بن جعفر ، ص ٩٩ — ١٠٠ .

(٣) غ : حوائما .

(٤) زيادة عن غ .

(٥) غ : أيام وتثنيها .

والعيد والعيد والأيامُ بينَهما ... موصولةٌ لك لا تَفْـنَى وتُفنيها[١]
لِيَهْنِك الفتحُ والأيامُ مقبِـلةٌ ... إليك بالنصر معقود نَواصيها[٢]
أمستْ هرقلةُ تَهْوِى من جوانبها ... وناصرُ الدين والإسلام يَرْميها[٣]
ملـكْتَها وقتلتَ النا كثين بها ... بنصرِ من يملك الدنيا ومَنْ فيها[٤]
ما رُوعىَ الدينُ والدنيا على قَدَمٍ ... بمثل هارون راعيـه وراعيها

فأمر له بألف دينار وقال : « لا ينشدنى أحد بعده شيئا » . فقال أشجع : « لَأَمْره ألا ينشده أحد بعدى شيئا أحب إلىّ من صلته » .

رأى الرشيد ليلة فى منامه كأن امرأة وقفت عليـه ، وأخذت كف تراب ثم قالت له : « هذه تربتك عن قليل » . فأصبح فَزِعا . فقصّ رؤياه ، فقال له أصحابه : « وما فى هذا ؟ قد يرى النائم أكثر من هذا وأغلظ ثم لا يضره » . فركب وقال : « إنى لأرى الأمر قريبا » . فبينا هو يسير إذ نظر إلى امرأة واقفة من وراء شباك حديد تنظر إليه . فقال : « هذه والله المرأة التى رأيتها . ولو رأيتها بين ألف امرأة ما خفِيت علىّ » . ثم أمرها أن تأخذ كف تراب فتدفعه إليه . فضربت بيـدها الأرض التى كانت عليها فأعطته منها كف تراب . فبكى وقال : « هذه والله التربة التى رأيتها ، وهذه المرأة بعينها » . ثم مات بعد مدة ، ودُفن فى ذلك الموضع بعينه ، اشتُرى له ودُفن فيه . وأتى نعيه بغداد ، ورثاه أشجع فقال :

غَرُبت بالمَشْرِقِ الشمـ ... ـسُ فقُلْ للعين تَدْمَعْ
ما رأينـــا قطُّ شمسا ... غَرُبت من حيث تَطْلُع

---

(١) ى : العيد .
(٢) غ : وليهنك . . معقودا .
(٣) غ : وناصر الله .
(٤) غ : وما فيها .

هِنْد بنت أَسْماء*

هى هند بنت أسماء بن خارِجة الفَزارىّ .

كان أسماء بن خارجة قد زَوّج ابنته هندا من الحجاج بن يوسف . فلما كان ليلة البناء بها ، قال لها أسماء : « يا بُنَية ، إن الأمهات يؤدبن البنات، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة . فعليك بأطيب الطيب : الماء ، وأحسن الحسن : الكُحْل . وإياك وكثرة المعاتبة، فإنها مُقَطِّعة للود. وإياك والغَيرة ، فإنها مفتاح للطلاق ، وكونى لزوجك أَمَة ، يكنْ لك[1] عبدا . واعلمى أننى القائل لأمك :

خذى العَفْوَ منى تَسْتَديمى مودّتى ... ولا تَنطِقى فى سَوْرتى حين أغضبُ

فإنى رأيت الحبّ فى الصدر، والأذى ... إذا اجتمعا لم يَلْبَث الحبُّ يذهب[2]

وكانت هند امرأة مجربة تزوّجها جماعة من أمراء العراق ، فقبلت من أبيها وصيته. وكان الحجَّاج يصفها فى مجلسه بكل خير . وفيها يقول عُقَيبة[3] الأَسَدىُّ الشاعر يخاطب أباها :

جزاكَ اللهُ ـ يا أسماءُ ـ خيرا ... كما أرضَيْتَ فَيْشَلَةَ الأَميرِ

بصَدْعٍ قد يفوح المسكُ منه ... عليه مثلُ كِرْكِرة البَعير

إذا أخذ الأميرُ بمَشْعَبيها ... سمعت لها أزيزا كالصَّرير[4]

إذا نفحت بأزواج تراها ... تُجيد الرَّهْز من فوق السرير[5]

* أخبارها فى ب ١٨ : ١٢٨ ، س ١٨ : ١٢٨ ، ى ٢٠ : ٣٣٣ .

(١) كذا فى غ . وفى ص : له ، خطأ .

(٢) غ : فإنى وجدت .

(٣) كذا فى غ وهامش ص . وفيها : عتبة .

(٤) الأمير : كذا فى غ وهامش ص . وفيها : البعير . وفى غ : بمشعبيها . والمشعب : المسيل.

(٥) ى : لقحت .

لما قدم الحجاج الكوفة ، أشار عليه محمد بن عُمَير بن عطارد أن يخطب إلى أسماء ابنته هندا . نخطبها، فزوجه إياها، فأقبل عليه محمد متمثلا :

أمِنْ حَذَرا لهزال نكحتَ عبدا؟ فصِهْرُ العبدِ أَدْنَى للهُزالِ

فاحتملها عليه أسماء، وسكت عن جوابه. ثم أقبل على الحجاج يوما ، وهند جالسة، فقال : « ما يمنعك من الخِطْبة إلى محمد بن عمير ابنته ، فإن من شأنها كيت وكيت». قال : « أتقول هذا وهند تسمع ! » فقال: « مواقعتك أحبُّ إلىّ من رضاها » . نخطبها إلى محمد بن عُمير ، فزوّجه . فقال أسماء لمحمد بن عُمير ـ وضرب بيده على منكبه :

دونك ما أسدَيْتَه يا بنَ حاجبٍ سَواءً كعُرْف الدِّيك أو قُذَّة النَّسْرِ (١)
بقَوْلِك للحجّاج : إن كنتَ ناكحا فلا تَعْدُ هِنْدا من نساء بنى بَدْرِ
فإن أباها لا يرى أنّ خاطبا كِفاءٌ لها إلا المتوَّجُ من فِهْرِ (٢)
فزوجتَها الحجّاج لا مُتكارِها ولا راغبا عنه ، ونِعْمَ أخو الصِّهْرِ (٣)
أردتَ ضِرارى فاعتمدْتَ مَسرّتى وقد يُحسن الإنسانُ من حيث لا يدرى
فإن تَرهُ عارا فقد جئتَ مثلَه وإنْ تره فخرا فهل لك من شُكْرِ ؟ (٤)

وكانت هند تحت عُبيدالله بن زياد ، وكان أبا عُذْرها . فلما قُتِل ، كانت معه . فلبست قَباء ، وتقلدت سيفا وركبت فرسا لعُبيد الله يقال له الكامل ، وخرجت حتى دخلت الكوفة ليس معها دليل . ثم كانت بعد ذلك أشد خلق الله جزعا عليه . ولقد قالت يوما : « إنى لأشتاق إلى القيامة، لأن أرى وجه عُبيد الله بن زياد » .

---

(١) فى هامش ص: دونك ماأسلفته . وفى غ: كعين الديك . وأسدى:أعطى والقذة:الأذن.
(٢) ب ، س : كفاء له .
(٣) ب ، س : ولا باغيا عنه .
(٤) غ : فإن ترها عارا فقد جئت مثلها وإن ترها فخرا . . .

فلما قدم بشر بن مروان الكوفة ، دُلّ عليها . فخطبها فتزوجها ، فولدت له عبد الملك بن بشر . وكان بشر ينال من الشراب ويكتم ذلك . وكان إذا صلى العصر ، خلا فى ناحية من داره ، ليس معه إلا أَعْين مولاه ، صاحب حمام أعين بالكوفة ، وأخذ فى شأنه . فلم تزل هند تتجسس خبره حتى عرفته . فبعثت مولى لها ، فأحضرها أطيب الشراب ، وأحدّه وأشدّه ، وأرقّه وأصْفاه . وأصلحت له طعاما علمت أنه يشتهيه . وأرسلت إلى أخويها مالك وعُيينة فأتياها . وبعثت إلى بشر فاعتلّت عليه بعلة فأتاها . فوضعت بين يديه ما أعدته له ، فأكل وشرب ، وجعل مالك يسقيه ، وعيينة يحدثه ، وهند تُريه وجهها ، فلم يزل كذلك حتى أمسى . فقال : « هل عندكم من هذا شىء نعود عليه غدا ؟ » فقالت : « هذا دائم لك ما أردته » . فلزمها . وبقى أعين يقع الذباب على وجهه ولا يرى بشرا ، إلى أن بحث عن أمره فعرفه . فعلم أنه ليس فيه حظ بعدها . ومات بشر عنها ، فلم يكثر جزعُها عليه . فقال الفرزدق فى ذلك[1] :

فإن لاتكنْ هندٌ بكَتْه فقدبكت عليه الثريّا فى كواكِبها الزُّهْرِ

ثم خلف عليها الحجاج ، وكان سبب ذلك أنه بعث أبا بردة بن أبى موسى الأشعرىّ ، وهو قاضيه ، إلى أسماء [يقول له :] « أنّ قبيحا مع بلاء أمير المؤمنين عندى ، أن أقيم بموضع فيه ابنا أخيه بشر ، لا أضمّهما إلىّ ، فأتولى منهما مثل ما أتولى من ولدى ، فاسْأل هندا أن تطيب نفسا عنهما . وأعلِمْهما أنه لابد من التفرقة بينها وبينهما حتى أؤدبهما » . قال أبو بردة : فاستأذنتُ فأذن لى وهو يأكل وهند معه ، فما رأيت وجها قط ولا كفا ولا ذراعا أحسن من كفها وذراعها ووجهها ، وجعلت تتْحِفنى وتضع بين يدىّ . فدعانى إلى الطعام ، فلم أفعل وجعلت تعبث بى وتضحك . فقلت : « أَمَ والله ، لو علمت فيم جئت لبكيت » . فأمسكت يدها عن الطعام . فقال أسماء : « قد منعتَها الأكل ، فقلْ ما جئت له » . فأبلغت أسماء ما أُرسلت به .

(١) ديوانه ٢٦٨ .

فبكت هند ، فلم أر والله دموعا قط سائلة من مَحاجر أحسن من دموعها فى محاجرها . ثم قالت : « نعم ، أرسِلْ بهما إليه ، فما أحد أحق بتأديبهما منه » . وقال أسماء : « أما عبد الملك فثمرة قلوبنا (يعنى عبد الملك بن بشر)، وقد أَنِسْنا به ، ولـكن أمر الأمير طاعة » . فأتيت الحجاج فأعلمتُه بردودها، ومارأيته من جمالها وهيئتها. فقال: « ارجع فاخطِبْها علىّ » . فرجعت وهما على حالها . فلما دخلت قلت : « إنى قد جئت بغير الرسالة الأولى» . قال : « اذكر ما أحببت » . قلت : « جئت خاطبا » . قال : « أعلى نفسك ، فما بها عنك رغبة ؟ » قلت : « لا ، بل على من هو خير منى » . وأعلمته ماأمرنى به الحجاج. فقال : «هاهى ذه تسمع ماأديت». فسكتت . فقال أسماء: قدرضيتْ ، وقد زوجتُها إياه » . فلما زوَّجها أبوها ، قامت مُبادِرة عليها مُطرَف خز أسود ، فرأيته دخل بين ظهرها وعجيزتها . ولم تستقلّ قائمة حتى انثنت ومالت لأحد شقيها من شحمها . فانصرفت بذلك إلى الحجاج . فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختا من ثياب . وقال : « يا أبا بردة ، أحب أن تسلمه إليها » . ففعلت ذلك وأرسلت من سلمه إليها، فأرسلت إلىّ: «جئتنا قاضيا، ثم جئت دلالا » وأرسلت إلىّ من المال بعشرين ألف درهم ، ومن الثياب تختين : فقلت : « ماأقبل شيئا حتى أستطلع رأى الأمير » . ثم انصرفت إليه فأعلمته . فأمرنى بقبضه ، ووصلنى بمثله .

وقيل: أرسل إليها بثلاثين غلاما مع كل غلام عشرة آلاف درهم ، وثلاثين جارية مع كل جارية تخت ثياب . وأمرلى بثلاثين ألف درهم وثياب . فلما وصلت إلى هند، أمرت لى بمثل ما أمر لى به الحجاج . فأبيت قبوله وقلت : « ليس الحجاج ممن يُتعرَّض له بمثل هذا » . فأتيت الحجاج فأخبرته . فقال : « قد أحسنت وقد أضعف الله ذلك لك » . وأمر لى بستين ألفا وبضعف تلك الثياب . فـكان ذلك أول ما أصبته مع الحجاج .

وأرسل الحجاج إليها : « إنى أكره أن أبيت خِلْوًا ولى زوجة » . فقالت :

« وما احتباس امرأة عن زوجها وقدملكها، وأتتها كرامته وصَداقها » . وأصلحت من شأنها . وأتته ليلا ، فدخلت عليه ، وهو فى بيت عظيم فى أقصاه ستارة ، وهو على فراشه . فلما أن دخلت سلمت . فأومأ إليها بقضيب معه . فجلست عند رجليه ساعة . ومكثت ساعة لا تتكلم ، ونحن وقوف. فضربت بيدها على فخذه ثم قالت : « ألم تبعُد[١] من سوء الخلق » . فتبسم وأقبل عليها واستوى جالسا . فدعونا له، وخرجنا وأُرخيت الستور .

ثم قدم الحجاج البصرة ، فحملها معه . فلما بنى قصره الذى دون المحدثة ، الذى يقال له « قصر الحجاج » . قال لها : « هل رأيت قط أحسن من هذا القصر ؟ » قالت : « ما أحسنه ! » قال : « لَتَصْدُقِنِّى » . قالت : « أما إذا أبيت ، فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر وفيه عُبيد الله بن زياد » . قال : « والقصر الأحمر كان دار الإمارة بالبصرة ، وكان عبيد الله بن زياد بناه بطين أحمر . فطلّق هندا غضبا مما قالته . وبعث إلى البصرة فهدمه وبناه بلَبِن . ثم تعهد صالح بن عبد الرحمن[٢] فى خلافة سليمان بن عبد الملك ، فبناه بالآجُرّ بعد ذلك. ثم هُدم بعد وأدخل فى المسجد الجامع .

قال محمد بن عمرو بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومىّ : فخرجنا يوما مع الحجاج نعود عبد الملك بن بشر ، فسلمنا عليه وعدناه معه . ثم خرجنا وتخلف الحجاج فوقفنا ننتظره . فلما خرج التفت فرآنى . فقال : « يا محمد ، ويحك ! رأيت الساعة هندا فما رأيت قط أجمل منها، ولا أشبّ منها حين رأيتها ، وما أنا بمُمْسٍ حتى

---

(١) كذا فى غ . وفى ص : تعهد .

(٢) كذا فى غ ، وهو الصحيح . وفى ص : ثم بعث بصالح . . . وذلك خطأ لأن الحجاج لم يدرك خلافة سليمان .

أراجعها » : فقلت : أصلح الله الأمير ، امرأة طلقها على عَتْب[1] تُرِى الناس أن نفسك تتبعها ويكون لها الحجة عليك » . قال : « صدقت . لَلصَّبْرُ أَحْجَى » . قال محمد : « والله ما كان منى ما كان نظرا لها ولا نصيحة له ، ولـكنى أنفت لرجل من قريش أن تُداس أُمُّه فى كل وقت» .

---

(١) كذا فى ى . وفى ب ، س : عنت . ونقطت ص الباء وحدها .

هُدْبَة بن خَشْرَم*

هوهُدْبة بن خشرم بن كُرْز بن أبى حيّة بن الـكاهِن ـ وهو سَلَمة ـ بن أَسْحَم ابن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم بن أَسْلَمَ . وسعد ابن هذيم شاعر . وهُذيم عبد لأبيه رباه فقيل : سعد بن هذيم .

هُدْبة شاعر فصيح متقدِّم من بادية الحجاز .

وكان شاعراً راوية ، يروى للحطيئة ، والحطيئة يروى لـكَعْب بن زهَير ، وكعب بن زهير يروى لأبيه زهير . وكان جميل راوية هُدْبة ، وكُثيِّر راوية جميل . فلذلك قيل : إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كُثَيِّر .

وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر : حَوط ، وسَيْحان ، والواسع ، أمهم حية بنت أبى حُرَ[1] بن أبى حية ، من رهطهم الأدنَيْن . وكانت شاعرة أيضا .

كان هدبة بن خشرم وأبو المِسْـوَر زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرَّة ابن خِنْبِس[2] بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم قد اصطحبا ، وهما مقبلان من الشام فى رَكْب من قومهما . فكانا يتعاقبان السَّوق بالإبل . ومع هُدْبة أخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز وقال[3] :

عُوجى علينا واربَعى يا فاطمـا ما دون ما يُرَى البعـيرُ قائما[4]

---

* أخباره فى بر ٢١ : ٢٦٤ ، س ٢١ : ١٦٩ ، ى ٢١ : ٢٧٧ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٣٤ .

(١) كذا فى ص . وفى س ، ى ، بر : أبى بكر . وفى نسخة مما اعتمدت عليه بر : أبى جبر ، وفى أخرى : أبى حريث .

(٢) ى : حنش .

(٣) ابن قتيبة ٤٣٤ . العينى : المقاصد النحوية ٢ : ٤٢٧ . اللسان (فعم) .

(٤) غ وابن قتيبة : أن يرى. وعوجى : عرجى وميلى . واربعى: قفى . وفى هامش حاشية تشرح الشطر الثانى ، تقول : « أى ما بين مناخ البعير إلى قيامه » .

أَلَا تَرَيْنَ الدمعَ منى ساجِما حِذارَ دارٍ منك أنْ تُلائِما[١]
فأَطْرَدتْ مُطَّرِداً عُراهِما فَعْما يَبُذُّ القُطُف الرَّواسِما[٢]

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته . فنزل فرجز بأخت زيادة وكانت تدعى أم حازم[٣] :

لقد أراني والغلامَ الحازما نُزْجى المَطِىَّ ضُمَّرا سَواهِما[٤]
متى تظنُّ القُلُصَ الرَّواسِما والجِلَّةَ النّاجِيةَ العَياهِما[٥]
يَبْلُغْنَ أُمَّ حازمٍ وحازما إذا هَبَطْنَ مُسْتَحيرا قاتِما[٦]
ورَفَّع الهادى لها الهَماهِما ألا تَرَين الحزنَ منى دائما[٧]
حذارَ دارٍ منك أنْ تلائما والله لا يَشْفِى الفؤادَ الهائما

(١) كذا فى ص ، وابن قتيبة ، واللسان (فعم) . وفى غ : لن تلائما .
(٢) غ : فعرجت مطردا . والمطرد : متتابع السير . والعراهم : الشديد . والفعم : الضخم . والقطاف : جمع قطوف ، وهى الضيقة المشى . والرواسم : التى تسير الرسيم ، وهو سير سريع .
(٣) أو أم قاسم .
(٤) نزجى : نسوق . المطى : الإبل . الضمر : جمع ضامر ، وهو المهزول من كثرة الأسفار والسواهم : المتغيرة من السفر .
(٥) اللسان والعينى : متى تقول . والقلص : جمع قلوص ، وهى الشابة من الإبل . والجلة : جمع جليل ، وهى الكبار من الإبل . والناجية : السريعة تنجو بمن يركبها . والعياهم : جمع عيهم وهو الشديد أو السريع أو الحسن الخلق .
(٦) اللسان : يدنين أم قاسم وقاسما . ابن قتيبة : يبلغن أم قاسم وقاسما . غ : يبلغن أم خازم وخازما . والمستحير : الطريق الذى يأخذ فى عرض مفازة ولا يدرى أين منفذه أو القفر الذى يحار فيه القوم . والقاتم : الكثير القتام ، أى الغبار .
(٧) غ والعين : ورجم الحادى . ورفع : أعلى . والهماهم : جمع همهمة ، وهى الصوت .

تَمْساحُكَ اللَّبّـاتِ والمـآكِمـا ولا اللِّمامُ دونَ أنْ تُلازما(١)

ولا اللِّثام دون أن تُفاقِمـــا وتعلوَ القَــوائمُ القوائمـا(٢)

قال : فشتمه زيادة وشتمه هدبة ، وتسابّا طويلا . فصاح بهما القوم : « اركبا ، لا حملكما الله ! فإنا قوم حجاج » . وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على مافى نفسه ، وهدبة أشدها حنقاً ، لأنه يرى أن زيادة رجز بأخته وهى تسمع قوله ، ورجز هو بأخت زيادة وهى غائبة لا تسمع قوله . ومَضيا فلم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجهما ورجعا إلى عشيرتيهما .

ثم جعلا يتهاديان الأشعار ويتفاخران ، ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه فى شعره . فمن مختار ما قال زيادة :

أراكَ خليلا قد عزمتَ التَّجنُّبـا وقطَّعتَ حاجاتِ الفؤادِ فأصْحَبا(٣)

وإنك لَلنّاسِي الخليلَ إذا دَنَتْ به الدارُ ، والباكِى إذا ما تغيَّبا(٤)

إذا خفتَ شكَّ الأمرِ فارم بعزْمةٍ غَيابتَه يركبِ الدهرُ مَرْكبا(٥)

وإنْ وِجهةٌ سُدَّتْ عليك فُروجُها فإنّك لاقٍ لا محالةَ مَذْهبا

يُلام رجالٌ قبلَ تَجْريبِ غَيْبِهم وكيفَ يُلام المرءُ حتى يُجرّبا

---

(١) ابن قتيبة : اللبات والمعاصما . التمساح : المسح . واللبات : جمع لبة ، وهى موضع القلادة من الصدر . والمآكم : جمع مأكم ومأكمة ، وهى اللحمة التى على رأس الورك أو اللحمتان اللتان تصلان بين العجز والمتنين . واللمام : الزيارة .

(٢) جمع الشطر الأول بين شطرين رواهما ابن قتيبة والعينى وابن منظور وأبو الفرج ، وهما :

ولا اللزام دون أن تفاقـا ولا الفقام دون أن تفاغمـا

والفقام : النكاح . والفغام : التقبيل والشم . بر ، س ، واللسان ، والعينى : وتركب القوائم . وابن قتيبة : وتعلق القوائم .

(٣) أصحب : ذل وانقاد بعد صعوبة .

(٤) بر ، س : وإنك كالناس .

(٥) بر ، س : يركب بك الحزم ، وهى أحسن .

وإنى لمِعْراضٌ قليلٌ تعرُّضى لوجهِ امرىءٍ يوماً إذا ما تجنَّبا
قليلٌ عِثارِى حين أُذْعَر ، سا كنٌ جَنا نِى إذاما الحربُ هَرَّت لتَكْلَبا(١)
أنا ابنُ رَقاشِ وابن ثَعْلبةَ الذى بنى هادِيا يعلو الهَوادِىَ أغلبا
بنى العزُّ بنياناً لقومى فأَصْعَبوا بأسيافهم عنه فأصبح مُصْعَبا(٢)
فما إنْ ترى فى الناسِ أُمًّا كأمِّنا ولا كأَبينا حين نَنْسُبه أبا
أَتمَّ وأنمى باليمين إلى العُلا وأكرمَ منا فى المَناسِب مَنْسَبا(٣)
مَلَكْنا ولم نُملَك ، وقُدْنا ولم نُقَد كأنّ لنا حقا على الناس تُرْتَبا(٤)
بآيةِ أنّا لا نرى مُتَتَوِّجا من الناس يَعْلونا إذا ما تَعَصَّبا(٥)
ولا مَلِكا إلا اتقّانا بمُلْكِه ولا سُوقةً إلا على الخَرْج أُتْعِبا(٦)
مَلَكْنا الملوكَ واسْتَبْحنا حِماهمُ وكنا لهم فى الجاهلية مَوْكِبا(٧)
نَدامى وأَرْدافا ولم تكُ سُوقةٌ تُوازِنُنا فاسأل إياداً وتَغْلِبا(٨)

فأجابه هدبة بأبيات لم أقف منها إلا على غزلها .

ولم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فقتله ، وتنحى مخافةَ السلطان .

---

(١) هر الكلب : أخرج صوتا دون النباح من البرد أو سوء الخلق ، كنى بذلك للحرب . وتكلب : تصاب بالجنون .

(٢) غ : لقومى فما صعوا . وأصعبوا : جعلوه صعبا .

(٣) باليمين : كذا فى ص وإن كانت غير واضحة . وفى غ : بالبنين ، وفيه أيضا : فى المناصب منصبا .

(٤) ترتب : لازم ثابت .

(٥) بر ، س : متوجها . وتعصب : تتوج .

(٦) الخرج : الإتاوة والضريبة والخراج .

(٧) ى : ملكنا ملوكا .

(٨) غ : فلم ترسوقة والأرداف : جمع ردف ، وهو نائب الملك .

وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص[1] ، فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة . فلما سمع هدبة ذلك ، أقبل حتى أمْكَن من نفسه ، وتخلص عمه وأهله فلم يزل محبوساً حتى شخَص عبد الرحمن بن زيد ، أخو زيادة ، إلى معاوية بن أبي سفيان . فأورد كتابا إلى سعيد بن العاص بأن يُقيد منه ، إذا قامت البينة . فأقامها . فمشت عُذْرة إلى عبد الرحمن فسألوه قبول الدية . فامتنع من ذلك وقال[2] :

أَنختُم علينا كَلْكَلَ الحربِ مرةً فنحن مُنيخُوها عليكم بكلكلِ
فلا يَدْعُنِي قومي لزيدِ بن مالكٍ لئنْ لم أُعجِّل ضربةً أو أُعجَّل
أبعدَ الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رَهينةِ رمسٍ ذي تراب وجَنْدل[3]
أُذكَّر بالبُقيا على من أصابني وبُقيايَ أنِّي جاهدٌ غيرُ مُؤْتَلِ

فكره سعيد بن العاص الحكم بينهما فحملهما إلى معاوية . فلما صاروا بين يدى معاوية ، قال عبد الرحمن أخو زيادة : « يا أمير المؤمنين ، أشكو إليك مظلمتى ، وقتل أخى ، وترويع نسوتى » . فقال معاوية : « يا هدبة ، قل » . فقال : « إن هذا رجل سَجَّاعة ، فإن شئتَ أن أقص عليك قصتنا كلاما أو شعرا فعلت » . قال : « بل شعرا » . فقال عند ذلك ارتجالا :

ألا يا لقوْمِي لِلنوائبِ والدهرِ وللمرءِ يُرْدِي نفسَه وهو لا يدرى
وللأرضِ كم من صالحٍ قد تأكَّمتْ عليه فوارَتْه بلمَّاعةٍ قَفْرِ[4]
فلا تَتَّقِى ذا هيبةٍ لجلالِهِ ولا ذا ضَياعٍ هنّ يتركْنَ للفقْرِ

---

(١) وليها من ٤٩ — ٥٦ هـ .

(٢) نسبها المرزوقى فى شرح الحماسة ٢٤٥ إلى المسور بن زيادة .

(٣) النعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الجبل . وكويكب : موضع فى ديار سعد بن هذيم .

(٤) تأكمت : صارت أكمة ، أى تلا من الحجارة . واللماعة : الفلاة يلمع فيها السراب .

إلى أن قال :

رُمينا فرامَيْنا فصادفَ رَمْيُنا مَنايا رجالٍ فى كتابٍ وفى قَدْرِ (١)
وأنت أميرُ المؤمنين فما لَنا وراءَك من مَعْدًى ولا عَنْك من قَصْر
فإنْ تكُ فى أموالنا لم نَضِقْ بها ذِراعا ، وإنْ صَبْرا فنَصْبِرُ للصَّبْر (٢)

فقال معاوية : « أراك قد أقررتَ بقتل صاحبهم » . ثم قال لعبد الرحمن : « هل لزيادة من ولد ؟ » فقال : « نعم ، المِسْور وهو غلام جَفْر (٣) لم يبلغ ، وأنا عمه ولىُّ دم أبيه » . فقال : « إنك لا تُؤمَن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق ، والمسور أحق بدم أبيه » . فردهم إلى المدينة . فحُبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور .

دخل جميل بن مَعْمَر العُذْرى على هدبة السجن ، وهو محبوس بدم زيادة بن زيد . وأهدى له بُرْدَيْن من ثياب كساه إياها سعيد بن العاص ، وجاءه بنفقة . فلما دخل إليه ، عرض ذلك عليه وسأله أن يقبله منه . فقال : « أنت الذى يقول (٤) :

بنى عامرٍ ، أنَّى انتجعْتم وكنتم إذا عُدِّد الأقوامُ كالخُصْيةِ الفَرْدِ (٥)

أمَا والله لئِنْ خَلَص لى ساقى لأمدَّنّ لك مِضْمارك . نخذ برديك ونفقتك » . وخرج جميل . فلما بلغ باب السجن خارجا قال : « اللهم ، أَغْنِ عنى أَجْدع بنى عامر ! »

ولما حُبس هدبة بالمدينة ، قالت أم هدبة فيه :

أيا إخوتى أهلَ المدينةِ أَكرِموا أسيرَكم إنّ الأسيرَ كريمُ

---

(١) الكامل ١٢٤٦ : فصادف سهمنا منية نفس .
(٢) الكامل : لا نضق . و غ والكامل : وإن صبر .
(٣) جفر : عظيم البطن . وفى غ : صغير .
(٤) ديوانه ٧٣ .
(٥) الديوان : حصل الأقوام .

وأرسل هدبة العشيرة إلى عبد الرحمن فى أول سنة فكلموه . فامتنع منهم وقال تلك الأبيات التى أولها :

* أبعد الذى بالنَّعْف نعف كويكب *

فلما سمع هدبة الأبيات قال : « لم يُوئِسْنِى بعد » .

فلما كانت السنة الثالثة ، بلغ المسور . فأرسل هدبة إلى عبد الرحمن من كلمه . فأنصت حتى فرغوا ثم قام مغضبا وأنشأ يقول :

سأُكذِبُ أقواما يقولون : إننى ... سآخُذ مالا من دمٍ أنا ثائِرُهْ[1]
فباسْتِ امرئٍ واسْتِ التى زَحَرتْ به ... يَسوم سُواما من أخٍ هو واتِره[2]

فأخبر هدبة الخبر ، فقال : « الآن يئست منه » . وذهب عبد الرحمن بالمسور إلى سعيد بن العاص ـ وقيل : مروان بن الحكم[3] ـ والى المدينة ، فأخرج هدبة .

ولما كان فى الليلة التى قُتل فى صَبيحتها ، أرسل إلى امرأته ـ وكان يحبها ـ : « إيتِينى الليلةَ أستمتع بك وأودعك » . فأتته فى اللباس والطيب . فصارت إلى رجل قد طال حبسه ، وأنتنتْ من الحديد رائحته . فحادثها وبكى وبكت . ثم راودها عن نفسها فطاوعته . فلما علاها ، سمعتْ قعقعة الحديد فاضطربت تحته . فتنحى عنها وأنشأ يقول :

أأدنيْتِنى حتى إذا ما جعلتِنى ... لَدَى الخصْرِ أو أدْنَى، استقلَّكِ راجفُ[4]
فإن شئتِ واللهِ انتهيتُ وإننى ... لأَنْ لا تَرَيْنى آخرَ الدهرِ خائف

---

(١) بر ، س : أنا واتره .

(٢) زحرت به : كذا فى بر ، س ، أى ولدته . وفى ص : رحرت به ، وفى ى : زجرت به ، تحريف . ويسوم سواما : كذا فى بر ، س ، أى يكلفه عذابا وشرا . وفى ص ، ى : يسوق سواما . وفى بر ، س : هو ثائره .

(٣) ولى بعد سعيد من ٥٦ ـ ٥٧ هـ .

(٤) غ : وأدنيتنى .

ولما خرج من السجن للقتل التفت فرأى امرأته ـ وكانت من أجمل النساء ـ فقال[١] :

أَقِلِّى علىّ اللومَ يا أُمَّ بَوْزَعا ولا تجزعى مما أصابَ وأَوْجَعا[٢]
ولا تَنْكِحى إذ فرَّق الدهرُ بيننا أغمَّ القفا والوجهِ ليس بأَنْزَعا[٣]
كَليلا سوى ما كان من حَدِّ ضِرْسِه أُكَيْبِدَ مِبْطانَ العَشِيَّات أَرْوَعا[٤]
ضَروبا بلَحْيَيه على عَظْم زَوْرِه إذا الناسُ هَشُّوا للفَعال تَقَنَّعا
وحُلِّى بذى أُكْرومةٍ وحَمِيَّةٍ وصبرٍ إذا ما الدهرُ عَضَّ وأَسْرَعا[٥]
وكُونى حَبيسا أو لأَرْوَعَ ماجدٍ إذا ضَنَّ أعشاشُ الرجال تَبرَّعا[٦]

وجعل الناس يتعرضون له ويَخبُرونه فى صبره وجَلَده ، ويستنشدونه الأشعار . فأدركه عبد الرحمن بن حسان فقال : « ياهدبة ، أتأمرنى أن أتزوج هذه بعدك ؟ » يعنى زوجته وهى تمشى خلفه . فقال : « نعم ، إن كنت من شرطها » . قال : « وما شرطها ؟ » قال : « قد قلته فى الأبيات :

ولا تنكحى إذ فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

ثم إن زوجته قالت لمروان : « إن لهدبة عندى وديعة ، فأَمْهِله حتى آتيه بها » .

---

(١) المبرد : الكامل ٢٧٠ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤٣٧ .

(٢) بر : ولا تعجبى . غ : فأوجعا .

(٣) غ مرة والمبرد وابن قتيبة : فلا تنكحى إن فرق . والأغم : كثير شعر الوجه والقفا ، وذلك مكروه عند العرب . والأنزع : ما انحسر شعره عن جانبى جبهته ، وذلك محبوب عندهم .

(٤) أكيبد : كذا فى غ ، أى يشكو كبده من كثرة الأكل . وفى ص : أعيبد . ومبطان العشيات : عظيم البطن من كثرة الأكل فى العشيات . وأروع : جبان كثير الارتياع .

(٥) غ : فأسرعا .

(٦) الأروع : من يروعك بشجاعته . والأعشاش : جمع عش ، وهو الطويل القليل اللحم أو دقيق عظام اليد والرجل .

فقال : « أسرِعى فإن الناس قد كثروا » . وكان جلس لهم بارزا عن داره . فمضت إلى السوق إلى قَصّاب فقالت : « أعطِنى شَفْرتك » وخـذ هذين الدرهمين ، وأنا أردها عليـك » . فقال : « أسرِعى » . فأخذتها وقربت من حائط ، فأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها ، وردت الشفرة . ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت : « يا هدبة » أترانى متزوجة بعد ما ترى ؟ » فقال : « الآن طابت نفسى بالموت » .

وخرج يرسُف فى قيوده ، فإذا هو بأبويه يتوقعان الثُّكْل وهما بسوء حال . فأقبل عليهما وقال :

أَبْلِيانِ اليومَ صَبْرا منكما إنّ حُزْنا إنْ بَدا بادٍ بشَرْ[1]
لا أرى ذا اليـــومَ إلا هَيِّنا إنّ بعدَ الموتِ دار المستقرّ[2]
اصْبِرا اليـــومَ فإنّى صابرٌ كلُّ حىٍّ لقَضاءٍ وقَدَر

ثم سأل سعيد بن العاص أخا زيادة أن يقبل الدية منـه فقال : « أُعطيك مالم يعطِه أحد من العرب : أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جَدّاء[3] ولا ذات داء » . قال : « والله ، لو نقبت لى قبتك هـذه ثم ملأتها ذهبا مارضيت بها من دم هذا الأجدع » . فلم يزل سعيد يسأله ويعرض عليه وهو يأبى . ثم قال : « والله لو أردتُ قبول الدية منه لمنعنى من ذلك قولُه :

لَنَجْدَعنَّ بأَيْدِينا أُنوفَـكُم ويَذهبُ القتلُ فيما بيننا هَدَرا

فدفعه إليه حينئذ ليقتله . فاستأذن هدبة فى أن يصلى ركعتين . فأذن له . فصلاها وخفف . ثم التفت فقال : « لولا أن يُظنّ بى الجزع لأطَلْتها ، فقد كنت محتاجا إلى

---

(١) غ : بدا بادىء شر .
(٢) غ : لا أرانى اليوم إلا ميتا .
(٣) الجداء : الضامرة الثدى .

إطالتهما » . ثم قال : بلغنى أن القتيل يَعْقِل ساعة بعد سقوط رأسه ، فإن عقلت فإنى قابض على رجلى ثلاثا وباسطها ثلاثا » . ففعل ذلك حين قتل .

وقال قبل أن يقتل :

إنْ تقتلونى فى الحديدِ فإننى   قتلتُ أخاكم مُطْلَقا لم يُقيَّدِ

فقال عبد الرحمن أخو زيادة : « والله لا أقتله إلا مطلقا من وثاقه » . فقام إليه وقد أُطلق ، فهز السيف وقال :

قــد علمتْ نفسى وأنت تعلمُهْ   لأقتلنَّ اليومَ من لا أرحَمُــهْ

ثم قتله .

ويقال : إن الذى قتله المسور ابنه ؛ دفع إليه عمه السيف وقال له : « قم فاقتل قاتل أبيك » . فقام فضربه ضربتين قتله فيهما .

وقيل : إن هدبة أول من أُقيد منه فى الإسلام .

مرت كاهنة بأم هدبة ، وهو وإخوته قيام[١] بين يديها ، فقالت : « يا هذه ، إن الذى معى يخبرنى عن بنيك هؤلاء بأمر » . فقالت : « وما هو ؟ » قالت : « أما هدبة وحـوط فيُقتلان صبرا ، وأما الواسع وسيحان فيموتان كمدا » . فـكذلك كان .

وقال واسع يرثى أخاه هدبه :

يا هُدْبَ يا خيرَ فتيانِ العَشيرةِ من   يُفجَع بمثلِكَ فى الدنيا فقـد فُجِعا

اللهُ يعــلمُ أنى لو خَشيتهُمُ   أوأوجسَ القلبُ من خوفٍ لهم جَزَعا[٢]

لم يقتلوه ولم يُسْـلَمَ أخى لهمُ   حتى نعيشَ جميعـا أو نموتَ معا[٣]

---

(١) غ : نيام .

(٢) غ : فزعا .

(٣) غ : أسلم أخى .

قال رجل من عُذْرة : « إنى لَببلادِنا يوما فى بعض المياه ، إذا أنا بامرأة تمشى أمامى وهى مُدبِرة ، ولها خَلْق عظيم من عَجُز وهيئة وتمام وجسم وكمال وقامة[1] ، وإذا صَبيّان قد اكْتَنفاها يمشيان قد ترعرعا فتقدمتُها والتفتّ إليها ، فإذا هى أقبح منظر ، وإذا هى مقطوعة الأنف ، مقطوعة الشفتين . فسألت عنها فقيل لى : «هذه امرأة هدبة ، تزوجت بعده[2] رجلا أَوْلَدها هذين الصبيين » .

بعث هدبة إلى عائشة رضى الله عنها : « استغفِرى لى » . فقالت : « إنْ قُتلتَ استغفرتُ لك » .

(١) غ : وتمام جسم وكمال قامة .
(٢) بعده : كذا فى غ ، وفى ص : بعدها ، تحريف .

حرف الواو

وَرَقة بن نَوْفَل*

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَى . وأمه هند بنت أبى كَثير ابن عبد بن قصى .

هو أحد من اعتزل عبادة الأوثان فى الجاهلية ، وطلب الدِّين ، وقرأ الكتب ، وامتنع من أكل ذبائح الأوثان .

قال عروة بن الزبير[(١)] : سُئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ورقة بن نوفل ، كما بلَغنا . فقال : « لقد رأيته فى المنام كأن عليه ثيابا بيضا ، فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض » .

روت عائشة أن خديجة انطلقتْ بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أتت ورقة ابن نوفل ، وهو ابن عم خديجة أخى أبيها ـ وكان امرأً تنصَّر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى ، فيكتب بالعربية[(٢)] من الإنجيل ما شاء أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمِّر[(٣)] . فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك » قال ورقة: « يا ابن أخى، ماذا ترى؟ » فأخبره رسول‌الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمارأى.

---

* أخبـاره فى ب٣:١٣ ، س ٣: ١٤ ، د ٣ : ١١٩ ، ى ٣ : ١١٣ ، ت ١ : ٦٣٧ وخزانة الأدب للخطيب ٣ : ٣٧ ، ٣ : ٢٤٧ .

(١) ورد الحديث فى أسد الغابة ٥: ٨٨ ، والأغانى (د) ٦ : ٣١٩ .

(٢) كذا فى ص . وفى غ : العبرانى ... بالعبرانية .

(٣) غ : قد عمى .

فقال ورقة بن نوفل : « هـذا الناموس[١] الذى أنزله الله ـ تعالى ـ على موسى ابن عمران ، ياليتنى فيها جَذَع[٢] ، أكون معـك حيث يُخرجك قومك » . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أوَ مُخرِجىّ هم ؟ » قال ورقة : « نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عُودىَ ، وإنْ يدركْنى يومُك أنصرك نصرا مُؤزَّرا » . ثم لم يَنْشَب ورقة أن مات .

قال عروة : كان بلال لجارية من بنى جُمَح بن عمرو ، وكانوا يعذبونه برَمْضاء[٣] مكة : يُلصقون ظهره بالرمضاء ليُشرك بالله ، فيقول : « أَحَد ! أَحَد ! » فيقول ورقة : « أحد ! أحد ! والله ، يابلال . لئن قتلتموه لأتخذنه حَنانا »[٤] . يقول : لأتمسحن به .

وقال ورقة بن نوفل فى ذلك :

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم : أنا النَّـذيرُ فلا يَغْرُرْكمُ أَحَـدُ
لا تَعبُدُنَّ إلهـا غيرَ خالقِـكم فإنْ دعوْكم فقُولوا بيننا حَدَدُ[٥]
سبحانَ ذى العرشِ سُبْحانا نعوذُ به وقبلُ قد سَبَّح الُجودِىُّ والُجمُدُ[٦]

(١) الناموس : صاحب السر ، والمراد به جبريل .
(٢) الجذع : الشاب الحدث .
(٣) الرمضاء : الأرض الحامية من شدة الشمس .
(٤) الحنان : الرحمة والعطف . والحنان : الرزق والبركة . أراد لأجعلن قبره موضع حنان أى مظنة من رحمة الله تعالى فأتمسح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الأمم الماضية (اللسان) .
(٥) الخزانة : فإن دعيتم فقولوا دونه حدد . والحدد : المنع .
(٦) يبدو أن هذا البيت ملفق من اثنين ، لأن رواية الخزانة كما يلى :

سبحان ذى العرش لاشىء يعادله رب البرية فرد واحـد صـمد
سـبحانه ثم سبحانا نعـوذ به وقبلنا سبح الجـودى والجمـد

وفى اللسان (جود وجمد) : سبحانا يعود له . وفى معجم البلدان : سبحانا يدوم له . والجودى : جبل بالجزيرة بشمال العراق استوت عليه سفينة نوح عليه السلام . والجمد . جبل بنجد . واختلف الرواة فى نسبة هذا البيت فأكثر شراح شواهد سيبويه قال إنه لأمية بن أبى الصلت ، وقال بعضهم إنه لزيد بن عمرو بن نفيل ، وصوب الخطيب نسبته إلى ورقة .

مُسخَّرٌ كلٌّ ما تحت السماء له لا ينبغى أنْ يُناوِى مُلكَه أحد[1]
لا شىءَ مما ترى تبقى بَشاشَتُه يبقَى الإلهُ ويُودى المالُ والولد[2]
لم تُغنِ عن هُرْمُزٍ يوما خَزائنُه والُخلْد قد حاولَتْ عادٌ فما خَلَدوا
ولا سليمانَ إذ دان الشعوبُ له الجن والإنس تجرى بينها البُرُد[3]

روى هشام بن عروة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال لأخى ورقة بن نوفل أو لابن أخيه : « شَعرتُ أنى قد رأيت لورقة جنة أو جنتين » . شك هشام .

قال عروة : ونهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم عن سَبّ ورقة .

كانت خديجة ـ رضى الله عنها ـ تأتى ورقة بما يُخبرها به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه يأتيه . فيقول ورقة : « لئن كان مايقول حقاً إنه ليأتيه الناموس الأكبر : ناموس عيسى بن مريم الذى لا يُخبِره أهل الكتاب إلا بثمن . ولئن نطق وأنا حى لأُبْلِيَنّ لله فيه بلاء حسناً » .

---

(١) الخزانة . كل من .

(٢) س : نرى .

(٣) غ : والجن . س : يجرى . والبرد : جمع بريد ، وهو الرسول .

الوَليد بن عقبة

هو الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط . كنيته أبو وَهْب . وهو أخو عثمان بن عَفّان لأمه . أمهما أَرْوَى بنت كُرَيز . وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب .

وكان من فتيان قريش وشجعانهم وشعرائهم وجُوَدائهم .

وكان فاسقاً .

وولى لعثمان الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص[1] . وشرب الخمر . وشُهد عليه بذلك . فَحُدَّه وعزله :

ومن شعره يرثى أخاه عثمان[2] :

أَلَا مَنْ لليلٍ لا تغور كَواكِبُهْ   إذا لاح نجمٌ غاب نجمٌ يُراقبُه[3]

بنى هاشمٍ ، رُدُّوا سلاحَ ابنِ أُختكم   ولا تَنْهَبوه ، لا تَحِلُّ مَناهبه

بنى هاشم ، لا تُعْجلونا فإننا   سواءٌ علينا قاتِلوه وسالبه[4]

فقد يُجبَرُ العظمُ الكَسير ويَنْبَرى   لذى الحقِّ يوما حَقُّه فيُطالبه

بنى هاشم ، كيف التَّعاذُر بيننا   وعند علىٍّ سَيْفُه ونَجائبه[5]

---

* أخباره فى ب ٤: ١٧٧ . س٤: ١٧٥ ، د ٥ : ١٢٢ ، ى ٥ : ١١٢ .

(١) يقصد ولاية سعد الثانية ، التى كانت من ٢٤ـ٢٥ هـ ، وكانت ولاية الوليد من ٢٥ـ٣٠ هـ .

(٢) كامل المبرد ٧٣٥ . الاستيعاب لابن عبد البر ٦٢٢ .

(٣) غ : لاح نجم يراقبه . الاستيعاب :

ألا يا لليل لا تغور نجومه   إلا لاح نجم غار نجم يراقبه

(٤) غ : لا تعجلوا بإفادة . الاستيعاب : فإنه .

(٥) غ والاستيعاب :

بنى هاشم كيف التعاقد بيننا   وعند علىّ سيفه وحرائبه

والكامل :

بنى هاشم كيف الهوادة بيننا   وعند علىّ درعه ونجائبه

لَعَمْرُكَ لا أنسى ابن أَرْوَى وقَتْلَه ... وهل ينسيَنَّ المــاءَ ما عاش شاربه
همُ قتلوه كَىْ يــكونوا مكانَه ... كما فَعلتْ يوماً بِكِسْرى مَرازِبه[1]
وإنى لُمجتابٌ إليــكم بجَحْفلٍ ... يُصِمُّ السميعَ جَرْسُه وحَلائبه[2]

فى أبيات وجوابٍ للفَضْل بن عباس لم أكتبه . منها :

فإلا تَجَلَّلهـــا يُعَالُوكَ فوقها ... وكيف تَوَقَّى ظهرَ ماأنت راكبُه[3]

والوليد بن عقبة هذا هو القائل لمعاوية يحرضه :

واللهِ ما هندٌ بأُمّك إنْ مَضَى النَّـ ... ـهار ولم يثــأرْ بعثمانَ ثائرُ
أيَقتُل عبدُ القوم سيــدَ أهلِه ... ولم تقتلوه ، ليت أُمَّك عاقر
وإنّا متى نقتلْهمُ لا يُقِدْ بهم ... مُقيدٌ وقد دارتْ عليك الدوائر[4]

قيل : لم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلا العباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان ابن حَرْب ، والحَكَم بن أبى العاصى ، والوليد بن عقبة . فأقبل الوليد يوماً فجلس ثم جاء الحكم . فلما رآه عثمان زَحَل له عن مجلسه[5] . فلما قام الحكم ، قال الوليد : « والله — يا أمير المؤمنين — لقد تلجلج فى صدرى بيتان قلتُهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن أمك » . فقال عثمان : « إنه شيخ قريش . فما البيتان اللذان قلت ؟ » قال : « هما :

رأيت لعَمّ المرء زُلْفَى قرابةٍ ... دُوَيْنَ أخيــه حادِثاً لم يكن قِدْما
فأمّلتُ عَمْــرا أن يَشِبَّ وخالدا ... لــكى يَدْعُوانى يومَ مَزْحمةٍ عَمّا[6]

---

(١) غ والكامل : كما غدرت . والمرازب : جمع مرزبان ، وهم أشراف الفرس ورؤساؤهم
(٢) غ : وجلائبه . والحلائب : جمع حلبة ، وهى الخيل فى الرهان أو السباق .
(٣) تجللها : مخففة من تتجللها ، أى تعلوها . ويعالوك : يرفعوك .
(٤) د : فقد .
(٥) كذا فى غ . وفى ص : فلما رآه الوليد زحل الحكم عن مجلسه . ويأباه السياق . وزحل : تنحى .
(٦) فأملت : كذا فى غ . وفى ص : وأملت .

يعني عمراً وخالدا ، ابني عثمان قال: فرق عثمان وقال له : « قد وليتك العراق ». يعني الـكوفة .

ولما ولي المدينة[1] قَدِمها ، وعليها سعد بن أبي وقاص . فأُخبر بقدومه . فقال : « وما صنع ؟ » قيل : « وقف في السوق يحدّث الناس هناك . ولسنا نُنـكر من شأنه شيئاً . فلم يلبث أن جاءه نصفَ النهار . فاستأذن على سعد ، فأذن له . فسلّم عليه بالإمرة وجلس معه . فقال له سعد : « ما أَقْدَمك ، أبا وهب ؟ » قال : « أحببت زيارتك » . قال : « وعلى ذلك أجئتَ بريداً ؟ » قال : « أنا أرْزَنُ من ذلك . ولـكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني إليه . وقد استعملني أمير المؤمنين على الـكوفة » . فمـكث طويلا ثم قال له « ما أدري : أ كِسْت بعدنا أم حَمُقنا بعدك ؟ » فقال : « لا تجزعن ــ أبا إسحاق ــ فإنما هو المُلْك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون » . فقال سعد : « أراكم ــ والله ــ ستجعلونه ملـكاً :

خُذيني فجُرِّيني ضِباعُ وأَبْشِري بلحمِ امرئٍ لم يَشْهد اليومَ ناصرُه

فقال : « أما ــ والله ــ لأنا أَقْوَل للشعر منك ، وأَرْوَى له منك . ولو شئت لأجبْتُك ، ولـكني أَدَع ذلك لما لا تعلم[2] . لعَمْرُ الله ، وقد أُمرت بمحاسبتك والنظر في أمر عمالك » ، ثم حبس عماله وضَيّق عليهم . فـكتبوا إلى سعد يستغيثون فـكلمه فيهم . فقال له : « وللمعروف عنـدك موضع ؟ » قال : « نعم ، والله » . فخلّى سبيلهم .

وكان الوليد بن عقبة زانياً شِرِّيب خمر . فشرب الخمر بالـكوفة ، وقام يصلي بهم الصبح في المسجد الجامع . فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال : «أأزيدكم ؟» وقاء في المحراب . وقرأ بهم في المحراب رافعاً صوته :

عَلِق القلبُ الرَّبابا بعد ما شابتْ وشابا

---

(١) يريد مدينة الـكوفة .

(٢) س ، د : لما تعلم .

فشَخَص أهل الكوفة إلى عثمان ـ رضى الله عنه ـ فأخبروه بخبره، وشهدوا عليه بشربه الخمر. فأتى به. وأمر رجلا فضربه الحد. فلما دنا منه، قال له: «نشدْتُكَ الله وقرابتى، يا أمير المؤمنين!» فتركه. وخاف على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أن يُعطِّل الحد فقام إليه فحدَّه. فقال له الوليد: «نشدتك بالله وبالقرابة!» فقال له على: «اسكت ـ أبا وهب! فإنما هلكتْ بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود». فضربه أربعين سوطاً وقال: «لتَدْعُوَنِّى قريش بعد هذا جلادها».

وقيل: إن الوليد قال بعد جلده: «اللهم، إنهم قد شهدوا علىَّ بزور، فلا ترْضِهم عن أمير، ولا ترْض عنهم أميراً!».

وقال الحطيئة يكذِّب عنه[1]:

شهد الحطيئةُ يومَ يَلْقَى رَبَّه ... أنّ الوليد أحقُّ بالعذر
خَلَعوا عِنانك إذ جريْتَ ولو ... خَلَّوا عنانك لم تزل تجرى[2]
ورأوا شمائلَ ماجدٍ أَنِفٍ ... يُعطى على المَيْسور والعُسْر
فنُزِعتَ مكذوبا عليك ولم ... تَنْزِع إلى طمع ولا فقر

فقال رجل من بنى عِجْل يرد عليه:

نادى وقد تمتْ صلاتُهُم ... أأزيدكم سُكْرا ولم يَدْرِ[3]
ليَزيدهم خيرا، ولو قبلوا ... لقَرَنْتَ بين الشَّفْع والوتْر
فأَبَوا ـ أبا وهب ـ ولو فعلوا ... وصلَتْ صلاتُهمُ إلى العَشْر

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٦٢١. ديوان الحطيئة (طبع الحلبى ١٩٥٨م) ٢٣٣ـ٢٣٧.

(٢) غ مرة والاستيعاب: كفوا عنانك. وغ والديوان مرة والاستيعاب: ولو تركوا عنانك.

(٣) غ وديوان الحطيئة: ثملا وما يدرى. الاستيعاب: سكرا وما يدرى. وخلط هذا الشعر بشعر الحطيئة.

وقال الحطيئة[1] :

تـكلَّمَ فى الصلاةِ وزاد فيها عَلانيـــةً وظاهرَ بالنِّفاقِ[2]
ومَجَّ الخمر فى سَنَنِ المُصَلَّى ونادى والجميعُ إلى افتراق :[3]
أَزيدكُمُ على أن تَحمَدُونى وما لـكمُ وما لى من خَلاق[4]

شهد رجل عند أبى العَجّاج ، وهو على البصرة ، على رجل من المُعَيْطِيِّين بشهادة، وكان الشاهد سكران . فقال المعيطى المشهود عليه : « أعزك الله ! إنه لا يُحسن أن يقرأ من السكر » . فقال الشاهد : « إنى لأحسن » . فقال : « اقرأ » . فقال :

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

وإنما تماجَن بذلك على المعيطى ، يعرِّض بما صنع الوليد بن عقبة فى محراب الـكوفة لما أنشد هذا الشعر . وكان أبو العجاج محمَّقا ، فظن أن هذا قرآن . فقال : « صدق الله ورسوله . ويلـكم ! فلِمَ تعلمون ولا تعملون ! » .

والشهود الذين شهدوا على الوليد بشرب الخمر أبو زينب ، وأبو مورِّع ، وجندب الأَزْدى ، وسعيد بن مالك الأشعرى .

وكان أبو زينب وأبو مورِّع يطلبان عَثْرة الوليد . فجاءا يوما ولم يحضُر للصلاة . فسألا عنه وتلطَّفا حتى علما أنه يشرب فاقتحما الدار فوجداه يَقىء . فاحتملاه ــ وهو سكران ــ فوضعاه على سريره ، وأخذا خاتَمه من يده . فأفاق فافتقد خاتمه فسأل عنه . فقالوا : « لا ندرى . وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك ». فقال : « صِفهما » . فقيل : « أحدهما آدَم[5] طوال حسن الوجه ، والآخر عريض

---

(١) الاستيعاب ٦٢١ . ديوان الحطيئة ٢٣٦ .
(٢) غ والديوان والاستيعاب : وجاهر بالنفاق .
(٣) السنن : الطريق .
(٤) الاستيعاب : فما لـكم .
(٥) آدم : أسمر .

مَرْبوع عليه خَميصة(١) » . فقال : « هما أبو زينب وأبو مورع » . ثم إن أبا زينب وأبامورع لقيا عبد الله بن حُبَيش الأسدى وعَلْقمة بن يزيد البكرى وغيرهما فأخبروهم . فقالوا : « اشخَصوا إلى أمير المؤمنين فأعْـلِموه » . وقال بعضهم : إنه لا يقبل قولـكم فى أخيه » . فشخصوا إليه وقالوا : « إنا جئناك فى أمر ، ونحن مُخْرجوه إليك من أعناقنا وقلنا إنك لا تقبـله » . قال : « وما هو ؟ » قالوا : « رأينا الوليد وهو سكران من خمر ، وهذا خاتمه أخذناه وهو لا يَعْقِل » . فأرسل إلى على ــ عليه السلام ــ فشاوره . فقال : « أرى أن تُشْخِصه ، فإن شهدوا عليه بمحضرٍ منه حَدَدْته » . فـكتب إليه فقدم . فشهد عليه أبو زينب وأبو مورع وجندب الأزدى وسعد بن مالك الأشعرى . فقال عثمان لعلى : « قم فاضربه » . فقال على للحسن : « قم فاضربه » . فقال الحسن لعلى : « ما لك ولهذا ؟ يكفيك غيرك » . فقال على لعبد الله بن جعفر : « قم فاضربه » . فضربه بِمِخْصَرة(٢) فيها سَيْر له رأسان . فلما بلغ أربعين قال له على : « حَسْبُك ، أمسك ، جلد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم أربعين ، وجلد أبو بكر ــ رضى الله عنه ــ أربعين ، وكملها عمر ثمانين ، وكلٌّ سُنَّة » .

قال الزُّهْرى : خرج رهطٌ من الـكوفة إلى عثمان فى أمر الوليد . فقال : « أكلما غضب رجل على أميره رماه بالباطل ! لئن أصبحتُ لـكم لأُنَـكِّلن بكم » فاستجاروا بعائشة ، رضى الله عنها ، وأصبح عثمان فسمع فى حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة فقال : « أما يجد مُرّاق العراق وفُسّاقهم ملجأ إلا بيت عائشة ! » فسمعت فرفعت نعل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقالت : « تركتَ سُنَّة صاحب هذه النعل »(٣) . فتسامع الناس فأتوا حتى ملئوا المسجد . فمن قائل : « أحْسَنَتْ » . ومن قائل :

---

(١) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٢) المخصرة : ما اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة وما أشبههما .

(٣) فى ص ، ب ، س : هذا النعل . وغيرتها د إلى : هذه النعل ، لأنها مؤنثة .

« ما للنساء ولهذا ! » حتى تخاصموا وتحاصَبُوا[١] وتضاربوا بالنعال . ودخل رهط من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على عثمان فقالوا له : « اتَّقِ الله ، ولا تعطل الحدود ، واعزل أخاك عنهم » . ففعل.

ولما ضرب عثمان أخاه الوليد الحد ، قال له : « إنك لتضربنى اليوم بشهادةِ قومٍ لَيَقْتُلُنَّك عاما قابلا ».

ومما احتج به أهل الكوفة على الوليد بن عقبة أنه أنزل أبا زُبَيد الطائى دار عَقيل بن أبى طالب ، على باب المسجد . وكان يخرج إليه من داره ، يخترق المسجد — وهو نصرانى — فيجعله طريقا .

وكان أبو زُبيد ينادم الوليد ويخرج من عنده وهو سكران نصرانى فيشق المسجد.

وكان الوليد قد أباح أبا زبيد الطائى ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الجزيرة ، وجعله له حِمَى — فلما عُزل الوليد عن الكوفة، وولى سعيد ، انتزعها من يده ، وقال فى ذلك أشعارا .

قال الوليد بن عقبة لعلى بن أبى طالب ، عليه السلام : « أنا أحَدّ منك سِنانا ، وأبسط منك لسانا ، وأملأ للكتيبة » . فقال له على ، عليه السلام : « اسكت ، فإنما أنت فاسق » . فنزل القرآن : « أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ »[٢] .

وقال قتادة فى قوله — عز وجل — : « إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ »[٣] ، قال : «هو الوليد بن عقبة بن أبى معيط . بعثه النبى — صلى الله عليه وسلم » إلى بنى المُصْطَلِق مصدِّقا[٤] فلما رأوه أقبلوا نحوه . فهابهم فرجع إلى النبى ، صلى الله عليه وسلم . فأخبره

(١) تحاصبوا : رمى بعضهم بعضا بالحصباء .

(٢) الآية ١٨ من سورة السجدة . وانظر تفسير الطبرى ٢١ : ٦٨ (طبع بولاق ١٣٢٨ هـ).

(٣) الآية ٦ من سورة الحجرات . وانظر تفسير الطبرى ٢٦ : ٧٨ .

(٤) المصدق : جامع الصدقات .

أنهم قد ارتدوا عن الإسلام . فبعث النبي — صلى الله عليه وسلم — خالد بن الوليد ، وأمره أن يتثبت . فأتاهم ليلا فأنفذ عيونه. فلما جاءوه أخبروه أنهم متمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم . فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه . فرجع إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فأخبره.

جاءت امرأة الوليد إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — تشتكي الوليد ، وقالت : إنه يضربها . فقال لها : « ارجعي وقولي : «إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أجارني » . فانطلقت . فمكثت ساعة ثم قالت : « ما أَقْلَع عني » . فقطع رسول الله — صلى عليه وسلم — هُدْبة من ثوبه ، وقال : «اذهبي وقولي: إن رسول الله — صلى الله عليه — قد أجارني » . فانطلقت — فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت : يا رسول الله ، ما زادني إلا ضربا » . فرفع يده ثم قال : « اللهم عليك الوليد ! » مرتين أو ثلاثا .

روى الزُّهْري وغيره قالوا : لما انصرف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من غزوة بني المُصْطَلق ، نزل رجل فساق بالقوم ورجز. ثم آخر فساق ورجز . ثم بدا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يواسي أصحابه . فنزل وساق القوم ورجز . وجعل يقول :

جُنْدَبٌ وما جندبُ ... والأَقْطَعُ الخيرَ زيدُ

فدنا منه أصحابه وقالوا : « يا رسول الله ، ما ينفعنا مسيرنا مخافةَ أن تلسعك ذبابة »(١) . فركب . ودنوا منه وقالوا : « قلتَ قولًا ما ندري ما هو ؟ »(٢) قال : « وما ذاك ؟ » قالوا : « قولك :

جندب وما جندب ... والأقطع الخير زيد

(١) كذا في ص . وفي غ : ما ينفعنا مشيك مخافة أن تلسعك دابة الأرض . وهي أوضح .
(٢) كذا في غ . وفي ص : أتدري ما هو ؟

قال : « رجلان يكونان فى هذه الأمة : يَضرب أحدهما ضربة يفرُق بين الحق والباطل ، وتُقطَع يد الآخر فى سبيل الله ، فيتبع آخر جسده أوله » . فكان زيد ابن صوحان : قُطعت يده فى سبيل الله يوم جَلولاء[1] ، وقُتل يوم الجمل مع على ، عليه السلام . وأما جندب فدخل على الوليد بن عقبة ، وعنده ساحر يقال له أبو شَيْبان يأخذ أعْيُن الناس فيُخرج مصارين بطنه ثم يردها فيه . فجاء من خَلْفه وقتله وقال :

إلْعَنْ وَليـدا وأبا شيبانِ   وابنَ حُبَيش راكبَ الشيطانِ
رسولَ فِرْعَوْنَ إلى هامانِ

ولما قدم سعيد بن العاص الكوفة قال : « اغسلوا هذا المنبر ، فإن الوليد كان رجسا نجسا » . فلم يصعده حتى غُسل . وكان الوليد أسنَّ منه ، وأَسْخَى نفسا ، وأَلْيَن جانبا ، وأرضى عندهم .

وقال بعض شعرائهم :

يا وَيْلَنَا ، قد ذهب الوليدُ   وجاءنا من بعده سعيدُ[2]
ينقُص فى الصّاع ولا يَزيد

ولما قُتل عثمان ، أرسل علىّ ـ عليه السلام ـ فأخذ ما كان فى داره من سلاح ومن إبل الصدقة . فلذلك قال الوليد بن عقبة :

بنى هاشمٍ ، رُدُّوا سلاحَ ابن أختكم   ولا تَنْهَبوه لا تحِلُّ مَناهِبُه[3]
بنى هاشم ، كيف الهَوادة بيننا   وعند علىٍّ سيفُهُ ونَجائبُه
قتلتُم أخى كَيْما تكونوا مكانَه   كما فعلتْ يوما بكسرى مَرازبه

ومات الوليد بن عقبة فُوَيق الرَّقَّة .

---

(١) إحدى المواقع المشهورة بين المسلمين والفرس .

(٢) الطبرى ١ : ٢٨٥٠ :

يا ويلنا قد عزل الوليد   وجاءنا مجوعا سعيد

(٣) غ : ويروى : ولا تهبوه لا تحل مواهبه .

قال إبراهيم بن المهدى : أرسل إلىّ محمد بن زُبَيدة فى ليلة من ليالى الصيف ، مُقْمرة : يا عمّ ، إن الحرب بينى وبين طاهر قد سكنتْ ، فصِرْ إلىّ فإننى لك مشتاق. فجئته وقد بُسط له على سطح ، وعنده سليمان بن جعفر عليه كساء رُوذَبارِيّ وقلنسية طويلة ، وجواريه بين يديه ، وضَعْفُ جاريته عنده . فقال لها : « غَنِّينى فإننى قد سُررتبعمومتى » . فاندفعتْ فغنته :

هُمُ قتلوه كى يكونوا مكانَه كما فعلتْ يومًا بكسرى مَرازبه
بنى هاشم ، كيف التواصل بيننا وعند على سيفُه ونَجائبه

وغنته : * وعند أخيه سيفه ونَجائبه * . فغضب وتطيّر وقال لها : « ماقصتك؟ ويحك ، انتبهى ، وغنينى ما يسرنى » . فاندفعت فغنت :

هـذا مَقـام مُطرَّدٍ هُدمَتْ مَنازلُه ودورُهْ

فازداد تطيراً وقال : « ويحك ! انتبهى وغنى غير هذا الصوت » . فغنت :

كليبٌ ـ لَعمْرِى ـ كان أكثرَناصِرا وأيْسَرَ جُرْما منك ضُرِّج بالدَّمِ

فقال لها : « قُومى إلى لعنة الله » . فوثبتْ ـ وكان بين يديه قدح بلّور ، وكان لحبه إياه يسميه محمداً باسمه ـ فأصابه طرف ذيلها . فسقط على بعض الصَّوانى فانكسر وتفتّت . فأقبل علىّ وقال : « أرى ـ والله ، يا عم ـ أن هذا آخر أمرنا ». فقلت : « كلا ، بل يُبْقيك الله ـ يا أمير المؤمنين ـ ويسرّك » . قال : ودجلة هادئة ما فيها صوت مجذاف ولا أحد يتحرك . فسمعت هاتفا يهتف : « قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ »[1] فقال لى : « سمعتَ ـ ياعم ماسمعت؟ » فقلت : «وما هو؟» قال : « والله ، قد سمعته » . فإذا الصوت قد عاد . قال : « انصرف ـ يا عم ـ أباتَكَ الله بخير ، فمحال ألا تكون سمعت ما سمعت » . فانصرفت . وكان آخر عهدى به .

(١) الآية ٤١ من سورة يوسف .

ولما وفد الوليد بن عقبة إلى معاوية ـ وكان الوليد جوادا ـ قيل له : « هذا الوليد بالباب » . فقال : « لَيَرْجِعَنَّ مَغيظا[1] غير مُعْطًى ، فإنه قد أتانا يقول : علىّ دين ، وعلىّ مئونة . يا غلام ، إيذن له » . فساءله وتحدث معه . ثم قال : « أما ـ والله ـ إنا كنا لنحب إتيانَ مالِك بالوادى . وقد أعجب أمير المؤمنين ، فإنْ رأيتَ أن تَهَبه ليزيد فافعل » . قال : « هو ليزيد » . ثم خرج . وجعل يختلف إلى معاوية . فقال له يوما : « انظر ـ يا أمير المؤمنين ـ فى شأنى ، فإنى علىّ مؤونة ، وقد أرهقنى دين » . فقال له معاوية : « ألا تستحى لنسبك وحَسَبك ، تأخذ ما تأخذ فتبذِّره ثم لا تنفكّ تشكو دينا ؟ » فقال له الوليد : « أفعل » . ثم قام لساعته وانطلق إلى الجزيرة وقال :

فإذا سُئلتَ تقول : لا وإذا سألتَ تقول : هاتِ
تأبَى فِعالَ الخيرِ لا تَرْوِى وأنتَ على الفُرات
أفَلا تَميلُ إلى نَعَمْ أو تَرْكِ لا حتى المَمات

وبلغ معاوية مَقْدَمه الجزيرة ، فخافه ، فكتب إليه : أن أقبِل . فكتب إليه :

أعفُّ وأستغنى كما قد أمرتَنى فأعطِ سِواى ما بدا لك وانْحَلِ[2]
سأحْدُو ركابى عنك إنّ عَزِيمتى ـ إذا نابَنى أمرٌ ـ كَسَلَّة مُنْصُلِ[3]
وإنى امرؤٌ للرَّأْيِ منى تطرُّبٌ وليس شَبا قُفلٍ علىّ بمُقْفَلِ[4]

ورحل إلى الحجاز . فبعث إليه معاوية بجائزته .

---

(١) غ : معطيا .
(٢) د ، ى : أعف وأستحي ، وهى أوضح . وانحل : أعط .
(٣) المنصل : السيف .
(٤) غ : منى تطرف .

الوَليد بن يَزيد*

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مَرْوَان بن الحَكَم بن أبى العاص بن أُمَيَّة ابن عبد شمس بن عبد مَناف . كنيته أبو العباس . وأمه أم الحَجَّاج بنت محمد بن يوسف بن الحَكَم بن أبى عَقيل الثَّقَفى ، وهى بنت أخى الحجاج . وفيه يقول أبو نُخيلة :

بين أبى العاصِى وبين الحَجّاجْ ... ياَلكُما نورا سراجٍ وَهّاجْ

* عليه بعد عَمِّه عُقد التّاجْ *

وأم أبيه يزيد بن عبد الملك : عاتِكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . وأمها أم كُلْثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيز . وأم [عبد الله بن][1] عامر بن كريز أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم . فلذلك قال الوليد[2] :

نبىُّ الهُدَى خالِى:ومن يَكُ خالُه ... نبىَّ الهدى يَقْهَرْ بـه من يُفاخرُ

وكان الوليد من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشعرائهم وأَجْوادهم وأشِدّائهم . وكان خليعا منهمكا فى الشرب واللهو وسماع الغناء . وشاع ذلك وظهر حتى أنـكره الناس وقُتل .

كان يزيد بن عبد الملك لما وَجّه الجيوش إلى يزيد بن المهلّب ، وعقد لَمسْلَمة بن عبد الملك على الجيش ، وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهـل دمشق ، قال له العباس : « يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق أهل غدر وإرْجاف . وقد وجّهتَنا محاربين . والأحداثُ تحدث . ولا آمَن أن يُرجِف أهـل العراق

---

* أخباره فى ب ٦ : ١٠١ ، س ٦ : ٩٨ ، د ٧ : ١ ، ى ٧ : ٣ .

(١) زيادة عن غ .

(٢) ديوانه (طبع المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٣٧) ٤٣ . كامل ابن الأثير ٥ : ٢١٨

ويقولون : مات أمير المؤمنين ولم يَعْهَد ، فيفُتّ ذلك فى أَعْضاد أهل الشام . فلو عَهِدت عهدا لعبد العزيز بن الوليد » . قال : « غدا » وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك ، فأتى يزيد فقال له : « أيُّما أحبُّ إليك وأقرب : ولد عبد الملك أو ولد الوليد ؟ » فقال : « بل ولد عبد الملك » . قال : «فأخوك أحقّ بالخلافة أم ابن أخيك ؟ » قال : « إذا لم تكن فى ولدى فأخى أحق بها من ابن أخى » . قال : « فابنُك لم يبلغ ، فبايعْ لهشام ثم لابنك بعد هشام » . قال : والوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة . قال : « غدا أبايع [له] » . فلما أصبح فعل ذلك . وبايع لهشام ، وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ولا يغيّر عهده ولا يحتال عليه . فلما أدرك الوليد ، ندم أبوه ، وكان يقول : « اللهُ بينى وبين من جعل هشاما بينى وبينك » .

وتوفى يزيد سنة خمس ومائة ، وابنه الوليد ابن خمسَ عشرةَ سنة . فلم يزل الوليد مكرَّما عند هشام رفيع المنزلة . ثم طمع فى خلعه وعَقْد العهد بعده لابنه مَسْلمة بن هشام . فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتُّكه وإدمانه على الشراب ، ويُظهر ذلك فى مجلسه ، ويقوم به ويقعد . وولاه الحج ليظهر ذلك منه فى الحرمَيْن ، فيسقط[1] . فحج وظهر منه فعل كثير مذموم ، وتشاغل بالمغنين والشراب . وأمر مولى له فحج بالناس . فلما رجع ، طالبَه هشام بأن يخلع نفسه . فأبى ذلك . فحرمه العطاء ، وحرم سائر مواليه وأسبابه . وجفاه جفاء شديدا . فخرج مُتبدِّيا[2] ، وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبه ، وكان يُرمَى بالزندقة . ودعا هشام الناس إلى خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام ، وأمه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبى العاص ، وكنيته أبو شاكر ، وكان ذا رأى وفضل . فأجابه إلى ذلك محمد وإبراهيم ابنا هشام بن

(١) كان ذلك سنة ١١٦ هـ (كامل ابن الأثير ٥ : ١٣٧ ، ١٩٨) والطبرى ٢ : ١٥٧٢ ، ١٧٤١ .

(٢) متبديا : مقيما فى البادية .

إسماعيل المخزومى ، والوليد وعبد العزيز وخالد بنو القعقاع بن خُلَيد[١] العَبْسى ، وغيرهم من خاصة هشام . فكتب إلى الوليد : « ما تَدَع شيئا من المنكَر إلا أتيته وارتكبته غير مُتحاشٍ ولا مُتَستِّر . فليت شعرى ، مادِينُك ؟ فما أدرى على الإسلام أنت أم لا » . فكتب إليه الوليد بن يزيد ـ ويقال : بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونَحَله إياه[٢] :

يا أيُّها السائلُ عن دِينِنا　　نحنُ على دينِ أبى شاكرِ
نشربُها صِرْفا وممزوجةً　　بالسُّخْنِ أحيانا وبالفاترِ

فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال: « يُعيِّرنى بك الوليد ، وأنا أرشِّحك للخلافة! فالزم الأدب ، واحضُر الصلوات » . وولاه الموسم سنة تسعَ عشرةَ[٣] ومائة . فأظهر النُّسْك ، وقسم بمكة والمدينة أموالا . فقال رجل من موالى أهل المدينة :

يا أيها السائل عن ديننا　　نحن على دين أبى شاكر
الواهبِ البُزْلَ بأَرْسانِها　　ليس بزنديقٍ ولا كافر[٤]

وبلغ خالدا القسرى ما عزم عليه هشام ، فأباه وقال : « أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر » . فبلغ ذلك هشاما فكان سببَ إيقاعه به .

ولما قَوِى عزمُ هشام على خلع الوليد ، قال الوليد[٥] :

كفرتَ يدًا من مُنعِمٍ ، لو شكرْتَها　　جَزاكَ بها الرحمنُ ذو الفَضْل والمَنِّ

---

(١) وكذا فى الطبرى ٢ : ١٧٤٢ ، وكامل ابن الأثير ٥ : ١٩٨ . وفى غ : خويلد .

(٢) ديوانه ٤٣ . الطبرى ٢ : ١٧٤٢ . كامل ابن الأثير ٥ : ١٩٨ .

(٣) كذا فى الطبرى ٢ : ١٦٣٥ ، ١٧٤٢ ، وكامل ابن الأثير ٥ : ١٦٠ ، ١٩٨ . وفى ص ، غ : سبع عشرة ، تحريف .

(٤) البزل : جمع بازل ، وهو الذى استكمل السنة الثامنة ودخل فى التاسعة من الإبل . وفى الطبرى : الواهب الجرد .

(٥) ديوانه ٥٦ . الطبرى ٢ : ١٧٤٩ . كامل ابن الأثير ٥ : ١٩٩

رأيتك تَبْنى دائمـا فى قَطيعــتى فلو كنتَ ذا حزمٍ لهدَّمت ما تبنى[1]
أراكَ على البـاقين تجْنى ضَغيفـةً فياوَيْحَهم إنْ متَّ من شرِّ ما تجنى[2]
كأنى بهم يومـا وأكثرُ قِيلِهم أيَا ليتَ أنّا، حينَ «يا ليت» لا تُغنى[3]

ولما توفى مَسْلمة بن عبد الملك، طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجر مِطْرَف خَزٍّ عليه. فوقف على هشام وقال: «يا أمير المؤمنين، إن عُقْبى من بقى لُحوق من مضى. وقد أقفر بعد مسلمة الصيدُ لمن رمى، واختلّ الثغر فوَهَى. وعلى أثرِ من سَلَف يمضى من خَلَف. فتزوَّدوا فإن خير الزاد التقوى». فأعرض عنه هشام، فلم يحر جوابا. ووجَم الناس فما همس أحد بشىء.

وكان هشام كلما تنقَّص الوليد، يعاتبه مسلمة ويكفّه. فلما مات مسلمة، غُمَّ الوليد ووجِد عليه، ورثاه[4]:

أتانا بَريــدان من واســطٍ يَخُبّـانِ بالـكُتُب المُعْجَمَهْ
أقــول وما البُعْدُ إلا الرَّدَى أمَسْلَمُ لا تَبْعَدَنْ مَسْلَمــه
وقد كنتَ نورا لأهل البلادِ تضىء، فقد أصبحتْ مُظلمه[5]
كتَمْنـا نَعِيَّك نَبْغِى اليقين نُجلِّى اليقينُ عن الجَمْجَمَه[6]
فـكم من يتيمٍ تلافيْتَه بأرضِ العدُوِّ وكم أيِّمه[7]

(١) غ والديوان والطبرى: تبنى جاهدا. غ والـكامل: ولو. الديوان: كنت ذا إرب
(٢) الديوان والطبرى والـكامل:

تشـير على الباقـين مجنى ضغينـة فويل لهم إن مت من شر ما تجنى

(٣) غ: وأكثر قولهم. الديوان والطبرى والـكامل:

كأنى بهم والليت أفضـل قولهم ألا ليتنا والليت إذ ذاك لا يغنى

(٤) ديوانه ٥٤.
(٥) غ والديوان: فقد كنت نورا لنا فى البلاد.
(٦) د، ى: نخشى اليقين. ب، س، والديوان: لنعيك نخشى اليقين. والجمجمة: إخفاء الـكلام.
(٧) غ والديوان: وكم.

وكنتَ إذا الحرب دَرّت دما نصبتَ لها رايةً مُعْلَمه

وكان الوليد لما عنت هشام به وبخاصته — فخرج ومعه قوم من خاصته ومواليه . فنزل بالأزرق [١] على ماء يقال له الأَغْدَف . وخلّف بالرُّصافة كاتبه عِياض بن مُسْلم مولى عبد الملك ، ليكاتبه بما يحدث . وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى . فشربوا يوما فقال له الوليد : « يا أبا وَهْب ، قُلْ أبياتا يغنى فيها عُمر الوادى » . فقال :

أَلَم تَرَ للنجمِ إذ سَبَّعا يُبادِرُ فى بُرجِهِ المَرْجِعا [٢]
تَحيّر فى قَصد مَجراتِهِ أتى الغَوْر والتمس المَطْلَعا [٣]
فقلتُ ، وأعجبنى شأنُه وقد لاح — إذ لاح لى مُطمِعا :
لَعلّ الوليد دنا ملكُه فأمسَى إليه قد اسْتَجْمعا [٤]
وكنا نُؤمّل فى مُلكه كتأْميل ذى الجَدْب أن يُمْرِعا [٥]
عَقدنا له مُحْكَمات الأمو ر طَوْعا ، وكان لها مَوْضِعا [٦]

فبلغ هذا الشعر هشاما . فقطع عن الوليد ما كان يُجْرِى عليه ، ومحا أصحابه وحَرَمهم . وكتب إليه : « بلغَنى أنك قد اتخذت عبد الصمد خِدْنا ومحدِّثا ونديما . وقد حقق ذلك ما بلغنى عنك . ولن أبرِئك من سوء . فأخْرِج عبد الصمد مذموما مدحورا » . فأخرجه الوليد . وكتب إليه أنه أخرجه ، واعتذر إليه من منادمته ، وسأله أن يأذن لابن سُهَيل فى الخروج إليه ، وكان من خاصة الوليد . فضربه هشام ونفاه ، وكان ابن سهيل من أهل الشرف والنبل ، وقد ولى الولايات ، وولى دمشق

---

(١) غ : الأبرق . والأزرق : ماء فى طريق حاج الشام دون تيماء .
(٢) سبع : أقام سبعة أيام . وفى الطبرى ٢ : ١٧٤٤ : إذ شيعا .
(٣) غ : والطبرى : عن قصد . د ، ى : إلى الغور .
(٤) س : فأمسى عليه .
(٥) ع ، ع : يأتى الخصب .
(٦) الطبرى : فكان لها .

مرارا وغيرها . وأخذ هشام عياضا كاتب الوليد ، فضربه ضربا مبرِّحا ، وألبسه المُسوح ، وقَيَّده وحبسه . فغَمّ ذلك الوليد وقال : « من يثق بالناس ، ويصطنع المعروف . وهذا الأحول المشئوم قَدَّمه أبي على ولده وأهل بيته ، وولاه ، وهو يصنع ما ترون ، ولا يعلم أن لى فى أحد هوًى إلا ضربه وأضرّ به ؟ كتب إلىّ أن أخرج عبد الصمد فأخرجته . وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل فى الخروج إلىّ ، فضربه وطرده وقد علم رأيى فيه ، وعرف مكان عياض منى وانقطاعه إلىّ ، فضربه وحبسه ؛ يُضادّنى بذلك . اللهم أجِرْنى منه » .

ثم قال الوليد(١) :

أنا النذيرُ لمُسْدِى نعمةٍ أبدا ... إلى المَقاريفِ ما لم يَخْبُرِ الدّخَلا(٢)
إن أنت أكرمْتَهم ألفيْتَهم بُطُرا ... وإنْ أهنْتَهم ألفيْتَهم ذُلُلا(٣)
أتشمَخون ومنا رأسُ نعمتكم ! ... ستعلمون إذا أبصرتُمُ الدُّوَلا(٤)
انظُر فإنْ أنت لم تَقْدِر على مَثَلٍ ... لهم سوى الكلبِ فاضرِبْه لهم مَثلا(٥)
بينا يُسمِّنه للصيدِ صاحبُه ... حتى إذا ما استَوى من بعد ما هُزِلا(٦)
عَدا عليه ، فلم تضرُرْه عَدْوتُه ... ولو أطاق له أَكْلا لقد أكَلا

وقال الوليد أيضا يفتخر على هشام(٧) :

أنا الوليــدُ أبو العباسِ قد علمَتْ ... عُلْيا مَعَدٍّ مَدَى كَرِّى وإقْدامِى

(١) ديوانه ٥٠ . الطبرى ٢ : ١٧٤٥ .
(٢) غ : لما يخبر . والمقاريف : الأنذال .
(٣) غ : بطروا .
(٤) الديوان والطبرى : إذا كانت لنا دولا .
(٥) الديوان والطبرى :
انظر فإن كنت لم تقدر على مثل ... له سوى الكلب فاضربه له مثلا
(٦) الديوان والطبرى : إذا ما نوى .
(٧) ديوانه ٥٣ .

إنى لفى الذروة العليا إذا انتسبوا مقابل بين أخوال وأعمام[1]

فلما بلغ ذلك هشاماً قال : « ما أعلمتْ له معدّ كرّا ولا إقداماً ، إلا أنه شرب مرة مع عمه بكار بن عبد الملك فعربَد عليه وعلى جواريه ، فإن كان يعنى ذلك كرّه وإقدامه فعسَى » .

قال أبو الزُّبير المُنْذِر بن عمرو ـ وكان كاتباً للوليد بن يزيد ـ قال : أرسل إلىّ الوليد بُكْرة اليوم الذى أتته فيه الخلافة ، فأتيْته . فقال : « يا أبا الزبير ، ما أتتْ علىّ ليلةٌ أطولُ من هذه الليلة : عرضتْ لى أمور وحدثتنى نفسى فيها بأمور ، وهذا الرجل قد أُولع بى . فاركبْ بنا نتنفس » . فركب وسرنا قدر ميلين . ووقف على تل فجعل يشكو هشاماً ، إذ نظر إلى رَهْج[2] قد أقبل وسمع قعقعة البريد . فتعوّذ بالله من شر هشام وقال : « إن هذا البريد قد أقبل بموت وَحِىّ[3] أو مُلْك عاجل » . فقلت : « لا يسوءك اللهُ ـ أيها الأمير ـ بل يسرك ويُبقيك » إذ بدا رجلان على البريد مُقبلان ، أحدهما مولى لأبى محمد السفيانى والآخر جَرْدَبة[4] . فلما قَرُبا أتيا الوليد ونزلا يَعْدُوان حتى دنَوا منه فسلما عليه بالخلافة . فوجَم . وجعلا يكرران عليه السلام بالخلافة . فقال : « وَيحْكما ! ما الخبر ؟ أمات هشام ؟ » قالا : « نعم » . فقال : « مرحباً بكما . ما معكما ؟ » قالا : « كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن » . فقرأ الكتاب وانصرفنا . وسأل عن عياض بن مسلم كاتبه الذى كان هشام ضربه وحبسه . فقالا : « يا أمير المؤمنين ، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمرُ الله . فلما صار إلى حالٍ لا تُرْجَى له الحياة معها ، أرسل عياض الُخزّان : احتفِظوا بما فى أيديكم

---

(١) الديوان : ذروة العليا . غ والديوان : أخوالى وأعمامى . ومقابل : كريم النسب من جهة أبويه .

(٢) الرهج : الغبار .

(٣) الوحى : السريع .

(٤) كذا فى الطبرى ٢ : ١٧٥٠ والكامل ٥ : ١٩٩ . وفى ص : لأبى سفيان بن حرب . وفى غ : لآل أبى سفيان بن حرب .

ولا يصل أحد إلى شيء وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً ، فمُنِعَه . فقال : « أرانا كنا خُزّانا للوليد » . وقضى من ساعته . فخرج عياض من السجن ساعةَ قضى هشام . فختم الأبواب والخزائن . وأمر بهشام فأُنزل عن فراشه . ومنعهم أن يكفّنوه من الخزائن ، فكفّنه غالب مولاه . ولم يجدوا قُمْقُماً حتى استعاروه . وأمر الوليد بأخذ ابنى هشام بن إسماعيل المخزومى . فأُخذا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك . فقال الوليد : « ما أُراه إلا قد نجا » . فقال له يحيى بن عُرْوة بن الزُّبَير وأخوه عبد الله : « إن الله — عز وجل — لم يجعل قبر أبيك مَعاذاً للظالمين . فخُذْه بردِّ ما فى يده من مال الله ، عز وجل » . قال : « صدقت » . وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وكتب إليه أن يبْسُط العذاب عليهما حتى يتلفا ، ففعل ذلك ، وماتا فى العذاب بعد أن أُقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتَصَوا منه المظالم .

ولما أتى الوليدَ نعيُ هشام قال : « والله ، لأَتَلَقَّيَنّ هذه النعمة بسَكْرةٍ قبل الظهر » . ثم أنشأ يقول[1] :

طاب يومى ولَذّ شُرْب السُّلافَهْ ... إذ أتانا نَعِيُّ من بالرُّصافَهْ[2]
وأتانا البريدُ يَنْعَى هِشاما ... وأتانا بخاتَمٍ للخلافه
فاصْطَبَحْنا من خمرِ عانةَ صِرْفا ... ولَهَوْنا بقَيْنةٍ عَزّافه[3]

ثم حلف ألا يبرح من موضعه حتى يُغنَّى . فغُنِّى فيه . وشَرب حتى سكر . ثم دخل فبُويع له .

وسمع صراخاً ، فسأل عنه فقيل : « هذا من دار هشام ، وبناته تبكينه » . فقال[4] :

(١) ديوانه ٤٨ . كامل ابن الأثير ٥ : ٢٠١ .
(٢) غ : أتانى . الكامل : وأتانا .
(٣) عانة : بلدة على الفرات اشتهرت بالخمر الجيدة .
(٤) ديوانه ٥٧ .

إنى سمعتُ بليلٍ وَرَا المصلَّى برنَّهْ[1]
إذا بناتُ هشامٍ يَنْدُبْنَ والدَهُنَّهْ
يندُبن قَرْما جَليلا قد كان يَعضُدُهُنّه[2]
أنا المُخَنَّثُ حقًّا إنْ لَم أَنِيكهُنَّه

ولما شرب الوليد يوماً وطابت نفسه ، أمر عمر الوادى فغنى فى هذا الشعر ، وشرب عليه . ثم قال له : « إنْ سمعه منك أحد أبداً لأقتلنَّك » . فما سُمع منه بَعدَها ولا عرف .

ولما ولى الوليد صعد المنبر وقال فى أثناء قوله[3] :

ضَمِنْتُ لـكم إن لم تُعقْنى مَنيّتى بأنّ سماءَ الضُرِّ عنـكم سَتُقْلِعُ[4]

ولما ولى الوليد الخلافة ، بعث إلى جماعة من أهله فقال : « أتدرون لم دعوتـكم ؟ » قالوا : « لا » . قال : « ليَقُلْ قائلـكم » . فقال رجل منهم : « أردتَ أن تُرِينا ما جدّد الله لك من نعمه وإحسانه » . قال[5] : « نعم ، ولـكنى :

أُشْهِدُ اللهَ والملائـكةَ الأبـ ـرار والعابدين أهلَ الصلاحِ

---

(١) الديوان :

إنى سمعت خليلى نحو الرصافة رنه

(٢) الديوان :

يندبن شيخا كريما وكان يكرمهنـه

القرم : السيد الفحل .

(٣) ديوانه ٤٦ . الطبرى ٢ : ١٧٥٤ . كامل ابن الأثير ٥ : ٢٠١ .

(٤) الديوان والطبرى : تعقنى عوائق . غ مرة : تصابوا بمهجتى ، وأخرى : ترعنى منيتى ، والـكامل : يعقنى عائق .

(٥) ديوانه ٣٨ .

أننى أشتهى السَّماع وشرب الـ كأس والعضَّ فى الخدود المِلاح (١)
والنديمَ الـكريم والخادمَ الفا ره يسعى إلىّ بالأقداح (٢)

قوموا إذا شئتم » .

خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام إلى بعض الدِّيارات . فنزل فيه هو ومن معه ، وهو والى الرَّملة . فسأل صاحب الدير : « هل نزل بك أحد من بنى أمية ؟ » قال : « نعم . نزل بى الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك » . قال : « فما صنعا ؟ » قال : « شربا » . قال : « أين شربا ؟ » قال : « فى ذلك المـكان . ولقد رأيتهُما شربا فى آنيتهما . ثم قال أحدهما لصاحبه : هـلم نشرب بهذا الجُرْن (٣) . وأومأ إلى جرن عظيم من رخام . فقال : « افعل » . فـلم يزالا يتعاطَيانه بينهما ويشربان به حتى ثَمِلا » . فقال عبد الوهاب لمولى له أسود يوصف بالشدة : « هاتِه » . فذهب يحركه فلم يقدر . فقال له الراهب : « لقد رأيتهما يتعاطيانه ، وكل واحد يملؤه لصاحبه ، فيرفعه ويشرب به غيرَ مكترث » .

وكانت سَعْدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان تحت الوليد . فمرض سعيد ، فجاءه الوليد عائدا . فلما دخل لمح سلمى بنت سعيد ، أخت زوجته فسترها حواضِنُها وأختها . وقامت ففرَعَتهن (٤) طولا . ووقعت بقلب الوليد . فلما مات أبوه ، طَلَّق زوجته سعدة. وخطب أختها سلمى ، وكانت أختها أم عثمان تحت هشام بن عبد الملك. فبعث إلى أبيها : « أتريد أن تَستفحل الوليد لبناتك : يطلّق هذه ، وينكح هذه ! » فلم يزوجه سعيد وردّه أقبح رد . وهَـوِيها الوليد ، ورام السلوّ فلم يَسْلُ. وكان يقول:

---

(١) غ والديوان : والعض للخدود .
(٢) غ والديوان : يسعى على .
(٣) الجرن : حجر منقور يصب فيه الماء .
(٤) فرعتهن : علتهن .

« العجب لسعيد : خطبت إليه فردنى ، ولئن مات هشام ووليتُ لَزَوَّجنى ! وهى طالق ثلاثا إن تزوجتُها حينئذ ، وإن كنت أهواها » .

وقيل : إنه راسل سعدة فوجدها قد تزوجت .

وبعث الوليد إلى أشْعَب بعد أن طلق سعدة ، فقال : « يا أشعب ، لك عندى عشرة آلاف درهم ، على أن تبلِّغ رسالتى سعدة » . فقال : « أَحضِر العشرةالآلاف الدرهم حتى أنظر إليها » . فأحضرها . فوضعها أشعب على عنقه وقال : « هات رسالتك » . فقال له ما أراد . فتوجه أشعب إلى بابها . فأُخبِرت بمكانه . فأمرت بفُرش ففُرِشت وجلست وأذنت له . فلما دخل قال لها : « يقول لك أمير المؤمنين »(١) :

أسَعْدةُ هل إليكِ لنا سبيلٌ وهل حتى القيامةِ من تَلاقِ

فقالت : « لا والله ، لا يكون ذلك أبدا » . فقال :

بَلَى ، ولعل دهرًا أنْ يُؤاتى بموتٍ من حَليلك أو طَلاق

فقالت : « كلا ، كلا ، بل يفعل الله ذلك به » . فقال :

فأُصبح شامِتا وتَقَرّ عَيْنى ويُجمَع شَمْلُنا بعدَ افتراق

فقالت : « بل تكون الشماتة به ، إن شاء الله عز وجل » . ثم قالت لخدمها : « خذوا الفاسق » . فقال : « ياسيدتى ، إنها بعشرة آلاف درهم » . فقالت : والله لا أفلتك أو تبلغه كما بلغتنى » . قال : « وما تهبيننى ؟ » قالت : « بساطى الذى تحتى » . قال : « قومى عنه » . فقامت . فطواه ثم قال : « هاتى رسالتك » . قالت « قل له : تقول لك :

---

(١) ديوانه ٤٨ .

أتبكى على ليلى وأنت تركتها ... فقد ذهبتْ ليلى ، فما أنت صانع؟![1]

فأقبل أشعب فدخل على الوليد. فقال : « إيه! » فأنشده البيت . فقال: « أوّاه ، قتلتَنى يا ابن الزانية ! ما أنا صانع ! اختر : إما أن أُدلِّيك على رأسك منكَّسا فى بئر، أو أرمى بك منكسا من فوق القصر ، أو أضربك على رأسك بهذا العمود ضربة هذا الذى أنا صانع . فاختر أنتما أنت صانع» . قال : « ما كنت لتفعلَ شيئامن ذلك». قال : « ولِمَ ، يا ابن الزانية ؟ » قال : « لم تكن لتعذب عينين نظرتا إلى سُعدَة ». قال : « صدقت . والله ، أراه أفلت منى بهذا . اخرج عنى » .

خرج الوليد بن سعيد ليرى سلمى . فلقيه زيات معه حمار عليه زيت . فقال : «هل لك أن تأخذ فرسى هذا وتعطينى حمارك وماعليه، وتأخذ ثيابى وتعطينى ثيابك؟» ففعل الزيات ذلك . وجاء الوليد حتى دخل القصر . وعليه الثياب ، وبين يديه الحمار يسوقه متنكِّرا ، وهو ينادى : « من يشترى الزيت ؟ » فاطّلع بعض الجوارى فرأينَه . فدخلن إلى سلمى فقلن لها : « بالباب زيات أشبه الناس بالوليد . فاخرجى فانظرى إليه » . فخرجت فرأته ورآها . فرجعت القهقرى وقالت : « هو ـ والله ـ الفاسق . وقد رآنى » . فقلن له : « لا حاجة بنا إلى الزيت » . فانصرف .

ولما زاد بالوليد الأمر ، كتب إلى أبيها سعيد[2] :

أبا عثمانَ ، هل لك فى صَنيعٍ ... تُصيب الرُّشْد فى صِلَتى ، هُدِيتا !

فأشكر منك ماتُسْدِى وتُحيى ... أبا عثمان ، مَيِّتة ومَيْتا[3]

---

(١) غ : لبنى . وكذا روى الشطر الثانى فى هامش ص مبينا أنه عدل به عن الرواية المثبتة فى المتن ، وهى : وأنت عليها بالحرا كنت أقدر وكلام الوليد الآتى يؤكد ذلك فى العدول . والبيت بروايتيه ينسب إلى قيس بن ذريح . انظر ديوانه ٨٦ ، ١٠٣ .

(٢) ديوانه ٣٧ .

(٣) فأشكر منك ما تسدى : كذا فى غ والديوان ، أى تعطى . وفى ص : فأشكر منك

فلم يُجبه إلى ذلك . فلما ولى الخلافة ، زَوَّجه إياها ، فيقال : إنها أقامت عنده أربعين يوما وماتت .

وقيل : إن الوليد لقى سعيد بن خالد والوليد ثمل ، فقال له : « يا أبا عثمان ، تردنى عن سلمى ! وكأنى بك وقد وليتُ الخلافة قد خطبْتَنى فلم أُجبك . وإن تزوجتُها حينئذ فهى طالق ثلاثا » . فقال سعيد : « إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيق بأكثر مما قلت » . فأمَضّه الوليد وشتمه . وتساءما وانصرفا . فبلغ ذلك سلمى ، فجزعت وبكت ، وسَبَّت الوليد ونالت منه . فقال الوليد[1] :

عَتَبَتْ سلمى علينا سَفاهــا ... أنْ سَببْتُ اليومَ فيها أباها[2]
كان حَقُّ العَتْب — ياقوم — منى ... ليس منها ، كان قلبى فِداها
فلئن كنت أردتُ بقــولى ... لأبى سلمى خلافَ هواها[3]
فثَكِلتُ اليومَ سلمى ، فسلمى ... ملأتْ أرضى ممـا وسماهـا

قال المأمون يوما لجلسائه : « أَنشِدونى بيتا لملك ، يدل البيت أنــه لملك وإن لم يُعرَف قائله أنه ملك . » فأنشده بعضهم لامرئ القيس[4] :

أمِنْ أجل أعرابيةٍ حَلَّ أهلُها ... جَنوبَ الغَضا عيناكَ تَبتْدران[5]

فقال : « وما فى هذا مما يدل على ملـكه . قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحَضَر يُعاتب نفسه على التعلُّق بأعرابية » . ثم قال : « إن الشعر الذى يدل على أن قائله ملك قول الوليد[6] :

---

(١) ديوانه ٣٣ .
(٢) الديوان : غضبت سلمى . غ مرة : أن هجوت .
(٣) غ والديوان : أردت بقلبى .
(٤) ديوانه ٨٨ .
(٥) غ : جنوب الملا . الديوان:
أمن ذكر نبهانية حل أهلها ... بجزع الملا عيناك تبتدران
(٦) ديوانه ٤٤ .

اسْقِنى من سُلافِ ريقِ سليمى   واسْقِ هذا النديمَ كأسا عُقارا

وقبل هذا البيت :

اسقنى يا ابن سالم قــد أتانا   كوكبُ الصبح وانْجَلَى واستنارا[1]

ثم قال المأمون : « أما ترى إلى إشارته فى قوله : هذا النديم ، وإنما هى إشارة مَلِك . ومثل قوله[2] :

سقيتُ أبا كامــلِ   من الأصفرِ البابِلى

وسقَّيتها مَعْبـدا   وكلّ فتًى فاضـلِ[3]

لىَ المحضُ من وُدِّهم   ويغمرُهم نائِــلى

فمــا لا مَنى منهمُ   سوى حاسدٍ جاهل[4]

وهذا قول من يقدِر بالملك على طَوِيّات الرجال ببذل المعروف لهم وباستخلاصهم لنفسه » .

ومما قال فى سلمى[5] :

أرانى اللهُ ــ يا سلمى ــ حياتى   وفى يــوم الحساب كما أراكِ

أَثِيبِى عاشقــا كَلِفا مُعنًّى   إذا خَدرت له رِجْــلٌ دَعاكِ

كانت العرب تقول : إن الإنسان إذا خدرت رجله فدعا باسم أحبِّ الناس إليه سكنت :

وفى الخبر أن رِجْل عبد الله بن عمر خَدِرت ، فقيل له : « ادعُ باسم أحبِّ الناس إليك » . فقال : « يا رسول الله ! » .

---

(١) غ والديوان : قد أنارا .

(٢) ديوانه ٥٢ .

(٣) غ : فتى بازل .

(٤) غ والديوان : لا منى فيهم .

(٥) ديوانه ٤٨ .

وكان الوليد مدمنا للشرب والغناء ، فأمر بإحضار أشعب من الحجاز . فحُمل إليه على البريد . فلما وصل ، أمر بأن يلبس سراويل من جلد قردٍ له ذَنَب . ورقَّصه وألْبَسه أجْرَاسا فى رجليه وفى عنقه . ففعل ذلك . فدخل عليه وهو عَجَب من العجائب . فلما رآه ضحك منه . وكشف له عن أيره وهو مُنْعِظ . قال أشعب : فرأيتُه كأنه ناى مدهون . فقال : « رأيتَ مثله قط؟ » . قلت : « لا » . فقال : « اسجد للأَصمّ ، ويلك ! » يعنى أيره . فسجدت ثم رفعت رأسى وسجدت سجدة أخرى . فقال لى : « ما هـذا ، ويحك ؟ » قلت : « الأولى للأصم والثانية لخُصْيتيك » . فضحك . وأمر بنزع ما كان ألبسنى ووصلنى . ولم يزل أشعب من ندمائه حتى قُتل .

وتـكلم بعض جلسائه ، والمغنية تغنى . فـكره ذلك وأضجَره . فقال لبعض من حضر : « قم فنِـكْه » . فقام فنا كه ، والناس حضور ، وهو يضحك .

وذكرت جاريةٌ أنه واقَعَها يوما وهو وهى سَكْرانان . فلما تنحَّى ، أذَّن المؤذن بالصلاة . فحلف ألا يصلِّىَ بالناس غيرها . فخرجت ــ وهى متلثِّمة ــ فصلَّت بالناس .

ونزل على غدير ماء فاستحسنه . فلما سكِر حلف ألا يبرح أو يشرب ماء ذلك الغدير كله . ونام . فأمر العلاء بن البُنْدار بالقِرَب والرَّوايا ، فأُحضِرت . وجعل ينزحه ويصب على الـكُثُب التى حولهم حتى لم يبق فيه شىء . فلما أصبح رآه وقد نضب ، فطرب وقال : « أنا أبو العباس ! ارتحِلوا » . فرحلوا .

بعث الوليد إلى شُراعة بن الزَّنْدَ بوذ ، فلما قدم عليه ، قال : « يا شراعة ، إنى لم أستحضِرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك فى الفقه ولا لتقرِئنى القرآن ولا لتُحدِّثنى » . قال : « لو سألتَنى عن هـذا لوجدتَـنى فيه حمارا » . قال : « فـكيف علْمُك بالفتوة ؟ » قال : « أنا ابنُ بَجْدَتها ، وعلى الخبيرِ سقطتَ ،

فسَلْ عما شئت » . قال : « كيف علْمُك بالأَشْربة ؟» قال : « يسألني أميرالمؤمنين عما أحَبَّ » . قال : « كيف علمك بالماء ؟ » قال : « هو الحياة ، ويَشْرَكُني فيه الحمار » . قال : « فاللبن ! » قال : « ما رأيته قط إلا ذكرت أمى واستحييْتْ » . قال : « فالخمر ؟ » قال : « تلك السارّة البارّة ، وشراب أهل الجنة » . قال : « لِلّه دَرُّك ! » قال : « فأىّ شىء أحسن ما يُشرَب عليه ؟ » قال : « عجبتُ لمن قَدَر أن يشرب على وجه السماء فى كِنٍّ من القرِّ والحر ، كيف يختار عليها شيئا ! »

دعا الوليد ذات يوم بمصحف . فلما فتحه وافق ورقة فيها : « وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ »(١) . فقال : « سحقا ! سحقا ! علقوه »(٢) . ثم أخذ القوس والنَّبْل فرماه حتى مزقه . وقال(٣) :

تُهدِّدنى بجبارٍ عنيدٍ ... فها أنا ذاك جَبّارٌ عنيدُ(٤)

إذا ما جئتَ ربَّك يومَ حَشْرٍ ... فقُلْ : يا ربِّ ، مَزَّقنى الوَليد(٥)

فما لبث بعد ذلك إلا قليلا حتى قُتل .

كان الوليد قد حُمل إليه عدة جوار ، وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسن الوجه والشعر وَفِيَّه . فأمر الوليد جارية منهن أن تغنى :

لو كنتَ من هاشمٍ أو من بنى أسَدٍ ... أو عبد شمسٍ أَوَ اُصحابَ اللِّوا الصِّيدِ(٦)

(١) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة إبراهيم .

(٢) غ : أسجعا ، سجعا .

(٣) ديوانه ٣٩ ، أمالى المرتضى ١ : ١٣٠ ، خزانة الأدب ١ : ٣٢٨ .

(٤) غ والديوان والأمالى : أتوعد كل جبار عنيد .

(٥) غ والديوان :

إذا لاقيت ربك يوم حشر ... فقل لله مزقنى الوليد

الأمالى :

فإن لاقيت ربك يوم حشر ... فقل يا رب خرقنى الوليد

(٦) غ : أو اصحاب . والصيد : جمع أصيد وهو المتكبر . والشعر لحسان بن ثابت ، انظر ديوانه ١٦٢ ، وكامل المبرد ٢١٣ .

وأمرها أخوه أن تغني في شعر جميل(١) :

أتعجَبُ أنْ طَرِبتُ لصَوت حادِ   حَدا بُزْلا يَسِرْنَ بكلِّ وادِ

فلا تعجبْ فإنَّ الحب أمسَى   لبَثْنةَ في السَّوادِ من الفؤاد

فغنت ما أمرها به أخوه . فغضب الوليد واحمر وجهه ، وظن أنها فعلت ذلك ميلا إلى أخيه . وعرفت الشر في وجهه فغنت في شعر عمر(٢) :

أيها العاتبُ الذي خاف هَجْري   وبِعادي ، وما عَمَدْتُ لذاكا(٣)

أتُرَى أنني بغيرِك صَبٌّ   جَعَل الله من تظنُّ فِداكا(٤)

فارْضَ عني جُعلتُ نَعْليك إني   والعظيمِ الجليلِ أهْوَى رِضاكا(٥)

قال : فسُرِّي عن الوليد وقال لها : « ما منعكِ أن تغنِّي ما أمرتُكِ به ؟ » قالت : « لم أكن أحْسنه ، وكنت أحسن الصوت الذي سألتنيه . فلما تبيّنت غضبك غنيت هذا الصوت » .

كان عبيد الله بن مَعْمَر وعبد الله بن عامر بن كُرَيز اشتريا من عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — رقيقا مما سُبِي . ففضَل عليهما ثمانون ألف درهم . فأمر بهما عمر أن يُلْزَما . فمر بهما طَلْحة بن عبيد الله وهو يريد الصلاة في مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فقال : « ما لابن معمر يُلازَم ؟ » فأُخبر خبره فأمر له بإطلاق الأربعين ألف درهم التي عليه ليَقْضيها عنه . فقال ابن معمر لابن عامر : « إنها إنْ قُضيت عني بقيتَ ملازَما ، وإن قُضيتْ عنك لم يتركْني طلحة حتى يقضِيَ عني » .

---

(١) ديوانه ٧١ .

(٢) ديوانه (طبع ليبزج ١٩٠١ م) ١٦٢ .

(٣) الديوان : رام هجري . . وماعلمت بذاكا .

(٤) الديوان : زعموا أنني . . من أحب فداكا .

(٥) الديوان :

وارض عني جعلت أفديك إني   والعزيز الجليل أهوى رضاكا

فدفع إليه الأربعين الألف درهم. فقضاها عن نفسه . وخُلِّيت سبيل ابن عامر . فمر طلحة منصرِفا من الصلاة فوجد ابن معمر ملازما . فقال : « ما لابن معمر ؟ ألم آمر بالقضاء عنه ؟ » فأُخبر بما صنع . فقال : « أما ابن معمر فقد علم أن له ابن عم لا يُسْلِمه . احملوا إليه أربعين ألف درهم ، فاقضوها عنه » . ففعل ، وخُلِّيت سبيله .

فقال حسان بن ثابت لمُسافع بن عِياض بن صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد ابن تَيْم بن مُرَّة(١) :

يا آلَ تَيْمٍ ألا تَنْهَون جاهِلَكم ... قبل القِذافِ بصُمٍّ كالجلاميدِ(٢)
لو كنتَ من هاشم أو من بنى أسدٍ ... أو عبد شمس وأصحاب اللِّوا الصيد(٣)
أو من بنى نوفلٍ أو وُلْد مُطَّلِب ... أو من بنى جُمَحَ الُخضْرِ الجلاعيد(٤)
أو من بنى زُهْرَةَ الأبطال قد عُلِموا ... لله دَرُّكَ لم تَهْمُم بتَهْديدى(٥)
أو فى الذُّؤابة من تَيْم إذا انتسَبُوا ... أو من بنى الحارثِ البيضِ الأَماجيد(٦)
لكن سأصْرِفُها عنكم وأعْدِلُها ... بطلحةَ بن عبيدِ الله ذى الجود(٧)

---

(١) ديوانه ٧٩ .
(٢) الديوان: ألا ينهى سفيهكم . . بأمثال الحلاميد .
(٣) غ : أو اصحاب . الصيد : المتكبرون .
(٤) ع : آل مطلب . والجلاعيد : الغلاظ الأشداد . والشطر الثانى فى الديوان : لله درك لم تهمم بتهديدى .
(٥) غ : قد عرفوا . وفى الديوان :

أو كنت من زهرة الأبطال قد عُلموا ... أو من بنى خلف الزهر الأماجيد

(٦) الديوان :

أو فى الذؤابة من تيم رضيت بهم ... أو من بنى جمح الخضر الجلاعيد

(٧) غ : لطلحة . والديوان :

لكن سأصرفها جهدى وأعدلها ... عنكم بقول رصين غير تهديد

دخل أبو الأَقْرَع(١) على الوليد . فقال له : « أنشدنى قولك فى الخمرة » . فأنشده :

كُميتٌ إذا شُجَّت، وفى الكأسِ وردةٌ   لها فى عِظامِ الشّاربين دَبيبُ(٢)
تُريك القَذَى من دُونِها وهى دُونَه   لوَجْهِ أَخيها فى الإناءِ قُطوبُ(٣)

فقال له الوليد : « شربْتها يا أبا الأقرع ، وربِّ الكعبة » . فقال : « يا أمير المؤمنين ، لئن كان نَعتى لها أَرابك لقد رابَنى معرفتُك بها » .

لما ظهرت المُسوِّدة(٤) بخراسان ، كتب نَصْر بن سَيّار إلى الوليد يستمده . فتشاغَل عنه . فكتب إليه كتابا آخر فى آخره :

أرَى خَلَلَ الرَّماد وميض جَمْر   ويوشك أَنْ يكونَ له ضِرامُ(٥)
فإنّ النار بالعُودَين تُذْكَى   وإنّ الحرب مَبْدؤُها الكلام
فقلتُ من التعجُّب لَيْت : شِعْرى   أأَيقاظٌ أُمَيَّة أم نِيام !

فكتب إليه الوليد : « قد أقطعتُك خراسان . فاعمل لنفسك أو دَعْ ، فإنى مشغول عنك بابن سُرَيج ومَعْبَد والغَرِيض » .

خرج الوليد يوما ، وكان مع أصحابه على شراب . فقيل له : « إن اليوم يوم الجمعة » . فقال : « والله لأخطبنّهم اليوم بشعر » . فصعد المنبر يخطب وقال(٦) :

---

(١) كذا فى د ، ى عن الأغانى (ب ١٢ : ٢٥) حيث ترجم له ، فهو عبد الله بن الحجاج الثعلبي . وفى ص ، ب ، س : ابن الأقرع ، تحريف . ونسب المرتضى : الأمالى ١ : ٣٧٧ الشعر لعدى بن الرقاع العاملى .

(٢) ب ١٢ : ٣٢ : إذا صبت . ب ١٢ : ٢٥ : فبت أسقاها سلافا مدامة . . لها . .

(٣) الشطر الأول فى ب ١٢ : ٣٢ : تمر وتستحلى على ذاك شربها .

(٤) المسودة : دعاة العباسيين الذين اتخذوا السواد شعارا لهم .

(٥) غ : وأحر بأن يكون له ضرام .

(٦) ديوانه ٤١ .

الحمدُ للهِ وَلِيِّ الحمدِ أحمَدُه فى يُسْرنا والجُهْدِ
وهو الذى فى الكَرْب أستعينُ وهو الذى ليس له قرين
أشهد فى الدنيا وفى سِواها أنْ لا إلهَ غيره إلٰها[1]
ما إنْ له فى خَلْقه شَريك قد خضَعت لمُلْكه الملوك
أشهد أنّ الدينَ دينُ أحمدِ وليس مَنْ خالَفَه بمُهْتدى[2]
وأنه رسولُ ربِّ العرشِ القاهرِ الفرْدِ الشديد البَطْش[3]
أرسله فى خَلْقه نَذيرا وبالكتابِ واعِظا بَشيرا[4]
ليُظهرَ اللهُ بذاكَ الدِّينا وقد جُعِلْنا قبْلُ مشركينا
مَنْ يُطع اللهَ فقد أصابا أو يَعْصِه أو الرسولَ خابا
ثم القرآنُ والهدى السبيلُ قد بَقيا لمّا مَضى الرسول
كأنّه لما بَقى لديكمُ حىٌّ صحيحٌ لا يزال فيكمُ[5]
إنكم من بعدُ إنْ تزِلّوا عن نَهْجه وقَصْده تَضِلّوا[6]
لا تتركوا نُصْحى فإنى ناصح إنّ الطريقَ فاعلمُنّ واضحُ[7]
من يَتّقِ اللهَ يَجِدْ غِبَّ التُّقى يومَ الحسابِ صائرا إلى الهدى
إنّ التقى أفضلُ شىءٍ فى العَمَلْ أرى جِماعَ البرّ فيه قد دخلْ
خافوا الجحيم ـ إخْوَتى ـ لعلكم يومَ اللقاء تعرفوا ما سَرَّكم

(١) غ والديوان : وما سواها .
(٢) غ والديوان : فليس .
(٣) غ والديوان : القادر .
(٤) الديوان : وفى الكتاب .
(٥) الديوان : لما مضى .
(٦) غ والديوان : عن قصده أو نهجه .
(٧) غ والديوان : لا تتركن .

قد قيل فى الأمثال ، لو علمتمُ فانتفِعوا بذاك إن عقلتمُ
ما يَزْرع الزارعُ يوما يَحْصُده وما يقدِّم من صلاحٍ يَحْمَدُهْ
فاستغفِروا ربكم وتوبُوا فالموتُ منكم فاعلموا قريبُ

قال البندار : حججتُ مع الوليد . فقلت له ، لما أراد أن يخطب الناس : « أيها الأمير ، إن اليوم يومٌ يَشهدُه الناسُ من سائر الآفاق ، وأريد أن تشرّفنى بشىء » . قال : « ما هو ؟ » فقلت : « إذا علوتَ المنبر دعوت بى، فيتحدّث بالناس بذلك وبأنك أسْرَرْت إلىّ بشىء » . فقال : « أفعل » . فلما جلس على المنبر قال : « أيها البندار ؟ » فقمتُ . فقال : « ادْنُ منى » . فدنوت . فأخذ بأذنى وقال : البندار ولدُ زنا ، والوليد بن يزيد ولد زنا، وكل من ترى حولنا من الناس أولاد زنا. أفهمتَ ؟ » قلت : « نعم » . قال : « انزل الآن » . فنزلت .

قال أشعب : دخلت على الوليد ، وقد نال نبيذا . فقال لى : « تمَنّ » . فقلت : « يتمنى أمير المؤمنين وأتمنى » . فقال : « أردت أن تغلبنى. فإنى أتمنى ضعفى ماتتمنى كائنا ما كان » . فقلت : « إنما أتمنى كِفْلَيْن[1] من العذاب » . فضحك وقال : « إذن نُوفِّرها عليك » .

قال عبد الصمد الهاشمى : إنما أغْلَى الجوهرَ بنو أمية . ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ، ويُغالى فى ثمنها ويغيِّرها فى اليوم مرارا كثيرة كما تُغيَّر الثياب شغَفا به . وكان يجمعه من كل وجه .

وكان يوما بين دوره على فرس له ، وجاريةٌ تضرب بطبل قدّامَه . فأخذ الطبل فوضعه فى رقبته وضرب به . فنفَر الفرس من صوت الطبل . وخرج به على أصحابه فى هذه الهيئة . وكان خليما .

---

(١) الكفل : النصيب .

كان الوليد ـ إذا أصبح يوم الاثنين ـ تغدّى وشرب رِطْلين ثم جلس للناس .
فحدث عمر الوادى قال: دخلت عليه ، وقد تغدى وهو يشرب . فقال لى: «اشرب». فشرب وطرب ، وغنى صوتا واحدا . وأخذ دفَّافة فدفَّف بها . وأخذ كل واحد منا دفَّافة دفَّافة فدفَّف بها . وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب . فلما رآنا صاح بالناس : « الحُرَم ! الحُرَم ! اخرجوا » . ودخل الحاجب فقال : « جعلنى الله فداءك ! اليوم يحضُر الناس فيه » . فقال : « اجلس فاشرب » . فقال : « إنما أنا حاجب فلا تحمِلْنى على الشراب ، فما شربته قط » . قال : « اجلس فاشرب » . فامتنع فما فارقناه حتى صببنا فى حلقه بالقِمَع وهو سكران .

خرج الوليد بن يزيد من مقصورة إلى مقصورة ، فإذا هو بابنة له معها حاضنتُها . فوثب عليها فافْتَرعها . فقالت له الحاضنة : « إنها المجوسيّة » . فقال : « اسكتى :

من راقَبَ الناسَ مات غمّا وفاز باللذة الجسورُ

وقيل : إن هذا الخبر باطل لأن الشعر لسَلْم(١) ولم يُدرِك زمن الوليد .

وكان الوليد بن يزيد يقول : « وددْتُ أن كل كأس من خمر تُشْرَب بدينار ، وأن كل حِرٍ فى جبهة أسد ، حتى لا يشرب إلا سخى ، ولا ينكح إلا شجاع » .

أُهديت إلى الوليد جَفْنة قَوارير فرعونية لم يُرَ مثلها قط . فلما أمسى هُيِّئ فيها الشراب . وكانت ليلة أربعَ عشرة . وشرب هو وندماؤه حتى استوى القمر على رءوسهم وصار القمر فى الجفنة . فقال الوليد : « فى أى بُرْج القمر الليلة ؟ » فقال بعض ندمائه : « فى الحَمَل » . وقال بعضهم : « فى البُطين » . وقال آخر : « القمر فى الجفنة » فقال : « قاتلكَ الله ! أصبت ما فى نفسى . لتشربن الهفتْجَنَّة » فسئل بعض الفضلاء عن الهفتجنة فقال : « شيء كانت الفرس تشربه سبعةَ أسابيع فشرب تسعة وأربعين يوما .

(١) أى سلم الخاسر . وانظر غرنباوم : شعراء عباسيون ١٠٤ .

ولما زاد الوليد فى انهماكه فى الشرب ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القَصْف والعَزْف والمغنين ، كان نديمه القاسم بن الطويل العِبادى ، وكان أديبا ظريفا شاعرا . وكان لا يصبر عنه . فغناه معبد ذات يوم بشعر عدى بن زيد العبادى:

بكَر العاذلون فى وَضَح الصبـ ـح يقولون لى : ألا تَسْتفيقُ

لست أدرى ، وقد جفانى حبيبى أعدوٌّ يَلومُنى أم صديق[1]

ثم قالوا : أَلَا اُصْبحونا ، فقامت قينةٌ فى يَمينها إبرِيقُ

فاستحسنه الوليد وأُعجب به وطرب عليه . وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر . فنام فى موضعه . وانصرف ابن الطويل . فلما أفاق الوليد سأل عنه . فأُخبر بانصرافه . فغضب وقال لغلام كان على رأسه يقال له سَبْرة : « ائتِنى برأسه » . فمضى الغلام فضرب رقبته وأتاه برأسه ، فجعله فى طَسْت بين يديه . فلما رآه أنكره ، وسأله عن الخبر فعرّفه . فاسترجع وندم على ما فرط منه . وجعل يقلب الرأس ويبكى . ثم قال يرثيه[2] :

عيْنىَّ للحدَث الجليلِ جُودَا بأرْبعةٍ هُمُولِ

جُودَا بدَمعٍ إنه يَشْفى الفؤادَ من الغَليل[3]

لله قبر ضُمِّنتْ فيه عظامُ ابن الطويل

ماذا تَضمَّن إذ ثَوَى فيه من اللُّبِّ الأصيل

قد كنتُ آوِى من هوا ه إلى ذرَى كهفٍ ظَليل[4]

ثم دخل على جواريه وقال : « ماأبالى : متى جاءنى الموت بعد الخليل بن الطويل» فلم يعش بعده إلا قليلا حتى قُتِل .

---

(١) غ : جفانى خليلى .

(٢) ديوانه ٥١ .

(٣) ب ، س ، والديوان : بدمعى .

(٤) غ والديوان : هواك . والذرى : الجانب .

كان الوليد يقول : « يا بنى أمية ، إياكم والغناءَ ، فإنه يَنقُص الحياء ويَزيد فى الشهوة ، ويهدم المروءة ، وينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعله السكر . فإن كنتم لا بُدَّ فاعلين ، فَجنِّبوه النساء ، فإن الغناء رُقْية الزنا . وإنى لأقول ذلك فيه ، على أنه أحبُّ إلىَّ من كل لذة ، وأشهى إلى نفسى من الماء الزُّلال إلى ذى الغُلَّة . ولكنَّ الحق أحق أن يقال .

لما عقد الوليد لابنه عثمان ، دخل إليه بعض مواليه فقال : « يا أمير المؤمنين ، أقول قول الموثوق بصحبته ونصيحته أم يسعنى السكوت ؟ » قال : « بل قُلْ قول الموثوق بصحبته ونصيحته » . فقلت : « إن الناس قد أنكروا ما فعلت وقالوا : نبايع من لم يَحْتَلم ، وقد سمعتُ ما أكره » . قال : « يعضّون ببظور أمهاتهم ، أفأُدخِل بينى وبين ابنى غيرى ، فيَلْقَى كما لقيت من هشام الأحول ! » ثم أنشد من أبيات[1] :

نؤمِّل عثمانَ بعد الوليـــ ... ـدِ للعَهْدِ فينا ونرجو سعيدا[2]

كما كان إذ كان فى دهره ... يزيد يُرجِّى لذاك الوليـدا[3]

وقيل : كان الوليد قد بايع لابنيه الحكم وعثمان . وهو أول من بايع لابن سُرِّية[4] من الخلفاء ، ولم يكونوا يفعلون ذلك . فأخذها يزيد الناقص فحبسهما ثم قتلهما . ففيهما يقول ابن أبى عَقِب :

إذا قُتل الجِلْفُ المديمُ لسُكْرِه ... بقَفْرٍ من البَخْراء أُسِّسَ فى الرّمل[5]

---

(١) ديوانه ٤١ . تاريخ الطبرى ٢ : ١٧٥٦

(٢) الطبرى : ونرجو يزيدا .

(٣) غ والديوان : يرجى لتلك . والطـبرى : كما كان إذ ذاك فى ملـكه .

(٤) السرية : الجارية .

(٥) غ : قتل الخلف . والبخراء : أرض بالشام سميت بذلك لعفونة تربتها .

وَسِيْق بلا جُرم إلى الحَتْف والرَّدَى   بُنَيَّاه حتى يُذبحا مَذْبحَ السَّخْل[١]
فَوَيْـحَ بنى مَروانَ، ماذا أصابهُم   بأيدى بنى العَباس مِ الأَسْرِ والقتل[٢]

حكى العلاء البندار قال : كان الوليد زنديقا ، وكل رجل من كَـلْب من أهل الشام يقول مقالة الثَّنَوية[٣] . فدخلت على الوليد يوما ، وذلك الـكلبى عنده ، وإذا بينهما سَفَط قد رُفع رأسه عنه ، وإذا ما يبدو لى منه حرير أخضر . فقال : « ادْنُ يا عـلاء » . فدنوت . فرفع الحرِيرة فإذا فى السفط صورة إنسان ، وإذا الزئبق والنوشادر قد جُعلا فى جفنه ، فجفنه يَطرِف كأنه يتحرك . فقال : « ياعلاء ، هذا مَانِى[٤] . لم يبعث الله نبيا قبله ولا يبعث نبيا بعده » . فقلت : « يا أمير المؤمنين ، اتَّقِ الله ، ولا يغرَّنَّك هذا الذى ترى عن دينك » . فقال الـكلبى : « قد قلت لك ـ يا أمير المؤمنين ـ إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث » .

قال العلاء : ومكثتُ أياما ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه فى عَسْـكره يُشرف منه ، والـكلبى عنده . إذ نزل من عنده ، وقد كان الوليد حَمله على بِرْذَون هِمْلاج[٥] أشقر من أَفْخر ما سُخِّر فخرج على برذَونه فمضى فى الصحراء حتى غاب عن العسكر . فما شعر إلا والأعراب قـد جاءوا به يحملونه مُنفسِخة عنقه ميتا ، وبرذونه يُقاد ، حتى أسلمُوه فبلغنى ذلك فخرجت متعمدًا حتى أتيت أولئـك الأعراب ، وكانت لهم أبيات بالقرب من أرض البخراء لا حجر فيها ولا مَدَر . فقلت لهم : « كيف كانت قصة هذا الرجل ؟ » فقالوا : « أقبل على برذون كأنه

(١) السخل : ولد الشاة .
(٢) غ : فويل بنى مروان . . بالأسر والقتل .
(٣) الثنوية : الذين يزعمون بوجود قوتين أزليتين فى العالم ، هما النور والظلمة .
(٤) مانى : أحد أنبياء الفرس .
(٥) الهملاج : الحسن السير فى سرعة وتبختر .

دُهْن يسيل على صَفاة من فَراهته . فعجبنا لذلك . إذ انقض رجل من السماء عليه ثياب بيض . فأخذ بضَبُعه فاحتمله ثم نكسه وضرب برأسه الأرض فدق عنقه . ثم غاب عن عيوننا . فاحتملناه فجئنا به » .

ولما أكثر الوليد التهتك بالشرب والانهماك باللذات ، وبسَط المكروه على ولد هشام ، وأفرط فى أمره وغَيِّه ؛ مَلّ الناس أيامه وكرهوه ـ وكان قد عقد لابنيه بعده ، ولم يكونا بلغا . فمشى الناس بعضهم إلى بعض فى خلعه . وكان أقواهم فى ذلك يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . فمشى إلى أخيه العباس ـ وكان امرأ صدقٍ ، لم يكن فى بنى أمية مثله ، وكان أشبه بعمر بن عبد العزيز . فشكا إليه ما يجرى على الناس من الوليد . فقال له : « يا أخى ، إن الناس قد ملوا بنى مروان. فإن مشى بعضكم إلى بعض أُكِلتم . وللرجل أَجَل لابد أن يبلغه ، فانتظره » . فخرج من عنده . ومشى إلى غيره . فبايعه جماعة من اليمانية الوجوه . فعاد إلى أخيه وأعاد عليه القول ، وعرّض له بأنه قد دُعى إلى الخلافة . فقال : « والله ، لولا أنى لا آمَنُه عليك ـ لِما أعلم من تَخْليطه ـ لوجهت بك إليه الساعة مشدودا . فنشدتك الله أن تسعى فى شىء من هذا ! » فانصرف من عنده . وجعل يدعو الناس إلى نفسه. وبلغ ذلك الوليد ، فلم يقصر وزاد انهماكه . فدخل بِشْر بن الوليد على أخيه العباس فكلمه فى خلع الوليد بن يزيد ، وكان يزيد بن الوليد حاضرا . فكان العباس ينهاه، وبشر بن الوليد يرد عليه . فقال العباس : « يا بنى مروان ، أظن الله ـ عز وجل ـ قد أذن فى هلاككم » . ثم قال :

إنى أُعيذكم باللهِ من فِتَنٍ ... مثلِ الجبال تَسامَى ثم تندفعُ
إنّ البَرِيَّةَ قد مَلَّتْ سياستَكُم ... فاستَمْسِكوا بعَمود الدين وارْتَدِعُوا
لا تُلْحِمُنَّ ذئاب الناس لَحْمَكُم ... إنّ الذئاب إذا ما أُلْحِمَت رَتَعوا(١)

(١) غ : الناس أنفسكم . ورتعوا : كذا فى غ والطبرى ٢ : ١٧٨٨ وفى ص : وقع .

لا تَبْقُرُنَّ بأيديكم بطونكُم فثَمَّ لا فديةٌ تُغْنى ولا جَزع(١)

ولما استجمع ليزيد أمره ـ وهو متبدٍّ ـ أقبل إلى دمشق ، وكان بينه وبين مكانه الذى هو متبد فيه أربع ليال . فأقبل متنكِّرا فى سبعة أنفس على حُمُر ، وقد بايع له أكثر أهل دمشق ، وبايع له أهل المِزَّة . فاجتاز على جَرود [على] مرحلة من دمشق ، وبها مولى لعَبّاد بن زياد ، فنزل عليه . فحكى ذلك المولى قال : نزل علىّ سبعة نفر مُعتمِّين على حُمُر ، وفيهم رجل طويل جسيم . فرمى بنفسه فنام . وألقوا عليه ثوبا وقالوا لى : « هل عندك شىء نشتريه من الطعام ؟ » فقلت : « أما بَيْعًا فلا ، ولكن عندى من قِراكم ما يُشبعكم » . فقالوا : « عَجِّله » . فذبحت لهم دجاجا وفراخا ، وأتيتهم بما حضر من عسل ولبن . وقلت : « أيقِظوا صاحبكم للغداء » . فقالوا : « هو محموم لا يأكل » . فسَفَروا للغداء فعرفت بعضهم . وسَفَر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد ، فعرفته فلم يكلمنى .

ومضوا ليدخلوا دمشق ليلا فى نفر من أصحابهم مُشاةٍ إلى معاوية بن مَصَاد ، وهو بالمزة ـ وبينها وبين دمشق ميل . فأصابهم مطر شديد . فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه ، وقالوا : « يزيد بن الوليد » . فدخلوا . فقال معاوية : « الفراشَ ، أصلحك الله ! » قال : « فى رجلى طين وأكره أن أُفسد عليك بساطك » . فقال : « ما تريدنى عليه أفْسَد » . فمشى على البساط وجلس على الفراش . ثم كلم معاوية فبايَعه . فخرج إلى دمشق فنزل دار ثابت بن سليمان الحَسَنى(٢) مستخفيا ، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف . وكان قد خاف الوباء فخرج فنزل قَطَنا ، واستخلف ابنه على دمشق ، وعلى شرطته أبو العاج كَثير بن عبد الله السُّلَمى .

---

(١) الطبرى ٢ : ١٧٨٨ وكامل ابن الأثير ٥ : ٢١٤ : لا حسرة تغنى .

(٢) الطبرى ٢ : ١٧٨٩ : الخشنى . ولعل الصواب : الخشبي ، لاشتراك الخشبية فى الأمر .

وتم ليزيد أمره فأجمع على الظهور . وقيل لعامل دمشق : « إن يزيد خارج » . فلم يصدق . فأرسل يزيد إلى أصحابه بين العشاءين فى ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة[١] . فمكثوا[٢] فى مِيضَأة عند باب الفَراديس حتى إذا أذنوا العَتَمة دخلوا المسجد مع الناس فصلوا . وللمسجد حرس قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل . فإذا خرج الناس خرج الحرسُ وأُغلقت الأبواب ، ودخل [صاحب المسجد] الدار من باب المقصورة . فدفع المفاتيح إلى من يحفظها ويخرج. فلما صلى الناس العتمة ، صاح الحرس بالناس فخرجوا . وتباطأ أصحاب يزيد الناقص ، فجعلوا يُخرجونهم من باب ويدخلون من باب ، حتى لم يبق فى المسجد إلا الحرس وأصحاب يزيد. فأخذوا الحرس . ومضى [يزيد بن][٣] عَنْبَسة إلى يزيدفأخبره وأخذه بيده وقال : « قم ــ يا أمير المؤمنين ــ وأبشِرْ بعون الله تعالى ونصره » .

قال : « فأقبل وأقبلْنا ونحن اثنا عشر رجلا . فلما كنا عند سوق القمح ، لحقهم فيه مائتا رجل من أصحابهم . فمَضَوا حتى دخلوا المسجد وأتوا باب المقصورة . فقالوا: « نحن رسل الوليد » . ففتح لهم الخادم . فدخلوا وأخذوا الخادم ، فإذا أبو العاج سكران فأخذوه ، وأخذوا خُزّان بيت المال وصاحب البريد . وأرسل إلى كل من كان يحذَرُه فأخذه . وأرسل من ليلته إلى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص ، وهو على بَعْلَبكّ ، وإلى محمد بن عبد الملك بن محمد بن الحجاج[٤] ، فأخذهما . وبعث إلى أصحابه إلى الخَشَبيّة[٥] فأتوه ، وقالوا ، للبوابين : « لاتفتحوا الأبواب غُدْوة إلا لمن أخبركم

(١) صوابه سنة ١٢٦ كما تذكر كتب التاريخ .

(٢) غ والطبرى ٢ : ٧٨٩ : فكمنوا

(٣) زيادة أضافتها د عن الطبرى وعن الأصول فيما سيأتى .

(٤) وكذا فى كامل ابن الأثير ٢ : ٢١٥ ، وهو يتفق مع قوله سابقا إن عبد الملك ترك ابنه على دمشق . وفى غ والطبرى : عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، خطأ .

(٥) الخشبية : أنصار المختار بن أبى عبيد الثقفى وأتباعه .

بشمار كذا وكذا » . فتركوا الأبواب فى السلاسل ، وكان فى المسجد سلاح كثير قَدِم به سليمان بن هشام من الجزيرة ولم يكن الخزان قبضوه ، فأخذوه . وأصبحوا ، فجاء أهل المِزَّة مع حُرَيث بن أبى الجَهْم . فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد ، وهو يتمثل قول النابغة[1] :

إذا استُنْزِلوا عنهنّ للطعن أَرْقَلُوا إلى الموتِ إرقالَ الجِمالِ المَصاعبِ[2]

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون : « انظروا إلى هذا ! هو وقبيل [الصبح][3] يسبِّح ، وهو الآن ينشد الشعر » .

ثم أمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان . فوقف بباب الجابية فنادى : « ألا مَنْ كان له عَطاء فَلْيَأْتِ إلى عطائه ومعونة ألف درهم . ومن لم يكن له عطاء فله أربعون ألف دينار فى العطاء ومعونة ألف درهم[4] » . فبايعه الناس وأمر بالعطاء . ونَدَب يزيد الناس إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك . ونادى مناديه : « من سارع مع عبد العزيز فله ألفان » . فانتَدب ألفا رجل فأعطاهم وقال : « موعدكم ذَنَبة » . فوافى ذنبة ألف رجل ومائتا رجل . فقال : « ميعادكم ضَيْعَة[5] بالبرية » . وهى لبنى عبد العزيز بن الوليد . فوافاها ثمانمائة رجل . فسار فتلقاهم ثَقَل[6] الوليد فأخذوه . ونزلوا قريبا من الوليد . فقال الوليد : « أخرِجوا لى سريرا » . فأخرجوه فصعد عليه . وأتاه رسول العباس بن الوليد : « إنى أجيئك » . وأتى الوليد بفرسين : الزائد والسِّنْدى . وقال : « أعلىّ تتوثّب

(١) مختار الشعر الجاهلى (١٩٤٨ م) ١٦١ . والطبرى ٢ : ١٧٩١ .

(٢) أرقلوا : أسرعوا . والمصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل لم يربط بحبل قط .

(٣) زيادة أضافتها د عن الطبرى ٢ : ١٧٩١ .

(٤) الطبرى : ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة .

(٥) غ والطبرى : مصنعة .

(٦) الثقل : المتاع .

الرجال، وأنا أثب على الأسد وأعض الأفاعى![1] » . وكان العباس أرسل إلى الوليد: « إنى أجيئك » فهو ينتظر العباس . ولم يكن بينهم كبير قتال حتى قتل عثمان الخشَبى[2] ، وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع المختار .

وبلغ عبدَ العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد ، ومعه بنوه فى الشِّعْب ، يأتى الوليد . فأرسل منصور بن جُمْهور فى خيلٍ جَريدة[3] . فأتوه فقالوا له : «اعْدِل إلى عبد العزيز » . فشتمهم . فقال له منصور : « والله، لئن تقدمتَ لأنفُذَنّ حِضْنيك بالرمح » . فقال : « إنا لله ! » فأقبلوا يسوقونه إلى عبد العزيز . فبايع ليزيد ووقف ونصب راية . ونادى منادى عبد العزيز : « من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمِن ». فقال العباس « خُدعة من خدع الشيطان . إنا لله ! هلك ـ والله ـ بنو مروان » . فتفرق الناس عن الوليد.

وظاهرَ الوليد بين درعين وقاتلهم . ونادى الوليد : « من جاء برأسٍ فله خمس مائه درهم » . فجاء جماعة بعدة رؤوس . فقال : « اكتبوا أسماءهم » . فقال له رجل من مواليه : « ليس هذا ـ يا أمير المؤمنين ـ يوما يُعمَل فيه بنَسيئة » . وناداهم رجال: « اقتلوا اللُّوطى قِتْلَةَ قوم لوط » . فرموه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق بابه ، وقال[4] :

دَعُوا لى سليمى والطِّلاءَ وقَينَةً ... وكأسا ، ألَا حَسْبِى بذلك مالا[5]
إذا ما صفا عيشٌ برملةِ عالِجٍ ... وعانقتُ سلمى لا أريد بِدالا[6]

---

(١) غ والطبرى : وأتخضر الأفاعى

(٢) كذا فى د ، ى عن الطبرى ٢ : ١٧٩٨ . وفى ص . ب ، س : يزيد بن عثمان الخشبى سبق قلم .

(٣) جريدة الخيل : الجماعة منها.

(٤) ديوانه ٤٩ . كامل ابن الأثير ٥ :٢١٦ .

(٥) ص : سلمى ، تحريف . ب ، س : والطلاء وقينة . والطلاء : الخمر .

(٦) الـكامل : صفا عيشى . . ما أريد بدالا .

خذوا مُلْكَكم، لا ثبَّت الله ملككم! ثَباتا يُساوى ما حَييتُ عِقالا
وخَلُّوا عِنانى قبل عَيْرٍ وما جرى ولا تحسُدونى أَنْ أموت هُزالا[1]

ثم قال لعمر الوادى: « يا جامع لذتى، غَنِّنى بهذا الشعر » فغناه به.

فأحاط الجند بالقصر. فقال لهم الوليد من وراء الباب: « أمَا فيكم رجل شريف له حسب وحَياء أكلمه ». فقال له يزيد بن عَنْبَسَة السَّكْسَكى: « كلمنى ». فقال له الوليد: « يا أخا السَّكاسك، ما تَنقِمون علىّ؟ ألم أَزِدْ فى أَعْطِياتكم وأعطية فقرائكم، وأَخْدَمت زَمْناكم، ورفعت عنكم المؤن! » قال: « ما نَنْقِم عليك فى أنفسنا شيئا، ولكن ننقم عليك انتهاك حُرَم الله تعالى، وشرب الخمر، ونكاح أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله عز وجل ». فقال: « حسبك، يا أخا السكاسك، فلعَمْرِى، لقد أكثرتَ. وإن فيما أحل الله لَسَعَة عما ذكرت ». ورجع إلى الدار. وأخذ مصحفا وقال: « يومٌ كيوم عثمان ». ونشر المصحف يقرأ. فعلَوا الحائط. وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة. فنزل وسيفُ الوليد إلى جانبه. فقال له: « نَحِّ سيفك ». فقال له الوليد: « لو أردتُ السيف لكانتْ لى وللرجال حال غيرُ هذه ». فأخذ بيده وهو يريد أن يُدخله بيتا ويُؤَامِر فيه. فنزل من الحائط عشرة، منهم عبد الرحمن بن وجه القيسي[2] ومنصور بن جُمهور وغيرهما. فضربه عبد الرحمن على رأسه[3]. وضربه السَّرى بن زياد بن أبى كَبْشَة على وجهه.

---

(١) قبل عير وما جرى: قال أبو عبيد: إذا أخبر الرجل بالخبر من غير استحقاق ولا ذكر كان لذلك، قيل: فعل كذا وكذا قبل عير وما جرى. قالوا: خص العير لأنه أحذر ما يقنص، وإذا كان كذلك كان أسرع جريا من غيره، فضرب به المثل فى السرعة. وقيل: العير إنسان العين، فمعناه قبل لحظة العين (مجمع الأمثال الميدانى ٢ : ٣٦. واللسان: عير).

(٢) كذا فى ص. وفى غ: عبد الرحمن وقيس مولى يزيد. وفى الطبرى: عبد الرحمن بن عجلان مولى يزيد.

(٣) الطبرى والكامل: فضربه عبد السلام [اللخمى] على رأسه.

وجروه بين خمسة ليُخرجوه . فصاحت امرأة فى الدار . فكفوا عنه ولم يخرجوه . واحتز رأسه أبو عِلاقة القضاعى ، وخَيّط الضربة التى فى وجهه بالعَقَب(١) . وقُدِم بالرأس على يزيد ، قدم به رَوْح بن مُقْبِل وقال : « أبشر — يا أمير المؤمنين — بقتل الفاسق وأسر من كان معه(٢) » . فاستقبّ الأمر له .

ولما قُتل الوليد ، جعل أبو مِحْجَن مولى خالد القَسْرى يُدخل سيفه فى است الوليد وهو مقتول . وجاء يزيد بن خالد القسرى فضربه سبع ضربات وهو مقتول . فقال الأصبغ بن ذُؤالة الكَلْبى فى قتل الوليد وأخذ ابنيه :

مَنْ مُبلِغٌ قيسا وخِنْدِفَ كُلَّها ... وساداتِهم من عبد شمس وهاشمِ
قتَلْنا أمير المؤمنين بخالدٍ ... وبِعْنا ولِيّْ عهده بالدراهم(٣)

وقال أبو مِحْجَن مولى خالد :

لو يشهدوا حَدَّ سيفى يومَ أُدْخِلُه ... فى استِ الوَليد لماتوا عنده كَمَدا(٤)

قال عمر الوادى : كنت أغنى الوليد :

كَذَبتْك عينُك أم رأيتَ بواسطٍ ... غَلَس الظلامِ من الوليد خَيالا(٥)

فما أتممت الصوت حتى رأيت رأسَه فارَق جسده وهو يتشحّط فى دمه .

ولما قُتل الوليد ، تغيَّب ولداه عثمان والحكم وليا عهده . فأخذهما يزيد فحبسهما فى الخَضْراء . ودخل عليهما يزيد الأَفْقَم بن هشام . فجعل يشتم أباهما الوليد ، وكان قد ضربه وحَلَقه(٦) . فبكى الحكم . فقال أخوه عثمان : « اسكت ، يا أخى » .

(١) العقب : العصب الذى تعمل منه الأوتار .
(٢) كذا فى الطبرى . وفى ص : وأسر الفاسق . وليست العبارة فى غ .
(٣) يريد خالد بن عبد الله القسرى ، وكان الوليد سلمه ليوسف بن عمر فعذبه حتى مات .
(٤) ب ، س : شهدوا . د : شاهدوا .
(٥) غ : كذبتك نفسك . . من الرباب .
(٦) كذا فى د ، وهو الصحيح . وفى الأصول : وخلعه ، تحريف .

وأقبل على يزيد فقال : « أتشتم أبى ؟ » قال : « نعم » . قال : « لـكنى أنا لا أشتم عمى هشاما . ولو كنتَ من بنى مروان ما شتمت أحدا منهم . فانظر إلى وجهك : فإن كنت رأيت حَـكَميا[1] يُشبهك أو له مثل وجهك فأنت منهم . لا والله ، ما فى الأرض حَـكَمِىٌّ يُشبهك » .

كان الوليد يوما جالسا ، وعنده عمر الوادى وأبو رُقَيَّـة ، وكان أبو رقية ضعيف العقل ، وكان يُمسك المصحف على أم الوليد . فقال الوليد لعمر الوادى وقد غناه صَوتا : « أحسنتَ ، والله . أنت جامع لذتى » . وأبو رقية مضطجـع ، وهم يحسبونه نائما . فرفع رأسه إلى الوليد وقال له : « وأنا جامع لذات أمك » . فغضب الوليد وهَمّ به . فقال له عمر : « والله ، إن أبا رقية ما يَعْقِل وهو صاحٍ ، فـكيف وهو سكران ! » فأمسك عنه .

قال شَبيب بن شَيْبة : كنا جلوسا عند المهدى . فذكروا الوليد ، فقال : « إنى لأحسبه زنديقا » . فقال ابن عُلاثة الفقيه : « يا أمير المؤمنين ، الله أعظمُ وأجلّ من أن يولى خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يُؤْمِن به . ولقد أخبرنى من كان يشهده فى مَلاعبه وشُربه عنه بمروءة فى طَهارته وصلاته ، وأنه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثيابا كانت عليه من مُطيَّبه ومُصبَّغه ثم يتوضأ فيُحسن الوضوء ، ويُؤْتَى بثياب بيض نِظاف من ثياب الخلافة فيصلى فيها أحسن صلاة بأحسنِ قراءة وأحسن سكون وركوع وسجود ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التى كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود إلى شربه ولهوه . أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ » فقال المهدى: « صدقت . بارك الله عليك ، يا أبا علاثة » .

وللوليد أغانٍ وألحان . وكان يضرِب بالدُّف والطبل والعود .

---

(١) حكمى : أى من ينسب إلى الحـكم بن أبى العاص والد مروان جد المروانيين .

وَهْب أبو دَهْبل الجُمَحِىّ*

هو وهب بن زَمْعة بن أُسَيْد بن أُحَيْحَة بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ابن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى بن غالب .

ولخَلف بن وَهْب يقول ابن الزِّبَعْرَى أو غيره :

خَلَفُ بن وهب كلَّ آخرِ ليلةٍ أبدا يكثِّر أهلَه بِعِيالِ
سَقْياً لوهْبٍ كَهْلِها ووَليدها ما دام فى أبياتها الذَّيال(1)
نِعْم الشبابُ شبابُهم وكُهولُهم صُيّابة ليسوا من الجُهّال(2)

وأم أبى دهبل امرأة من هذيل . وإياها يَعْنِى بقوله :

أنا ابن الفروعِ الكِرامِ التى هُذَيلٌ لأبياتها سائلَهْ(3)
همُ وَلدونى وأشبهْتُهم كما تُشْبِه الليلةُ القابله

واسمها هُزَيلة(4) بنت سَلَمة .

كان أبو دهبل جميلا شاعرا . وكانت له جُمّة(5) تضرب منكبيه . وكان عفيفا .

وقال الشعر فى آخر خلافة علىّ بن أبى طالب ، عليه السلام . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير ، وكان ابن الزبير ولّاه بعض أعمال اليمن .

---

* أخباره فى ب ٦ : ١٥٤ ، س ٦ : ١٤٩ ، د ٧ : ١١٤ ، ى ٧ : ١١٢ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٨٩ .

(١) ب : الذيالى . والكلمة غير منقوطة فى ص . والشعر فى ديوان أبى دهبل ٢ .

(٢) الصيابة : الخيار من كل شىء .

(٣) ب ، س : سابلة . والشعر ليس فى ديوانه ، وألحقه به محققه ٣٣ .

(٤) غ : هذيلة . ديوان أبى دهبل (مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن ، سنة ١٩١٠) ص ٢ : هزيل .

(٥) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

وكان أبو دهبل يهوى امرأة من قومه يقال لهـا « عَمْرة » ، وكانت امرأة جَزْلة[١] يجتمع الرجال إليها والنساء للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبـار . وكان أبو دهبل لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها . وكانت هى أيضا تحبه . وكان أبو دهبل سيدا من سادات بنى جمح وأشرافهم ، يحمـل الحمالات[٢] ، ويعطى الفقراء ، ويَقْرى الضيف . فزعم بنو جمح أنه تزوج عمرة هذه . وزعم غيرهم أنه لم يصل إليها . وكانت عمرة توصيه بحفظ مابينهما وكتمانه فضمن لها ذلك . واتصل ما بينهما فوقفت عليه زوجته . فدست إليها امرأة داهية من عجائز أهلها . فجاءتها فحادثتها طويلا . ثم قالت لهـا فى عُرْض حديثها : « إنى لأَعْجَب لك كيف لا تتزوجين أبا دهبل مع ما بينـكما ؟ » فقالت : « وأىُّ شىء يكون بين مثلى ومثل أبى دهبل ؟ » فتضاحكت وقالت : « أتُسِرِّين[٣] عنى شيئا تحدثتْ بـه أشراف قريش فى مجالسها ، وسُوقة أهل الحجاز فى أسواقها ، والسُّقاة فى مواردها ؟ فما يتدافع اثنان فى أنه يهواكِ وتَهْوينه » . فوثبت عن مجلسها واحتجبتْ ومنعت كلّ من كان يصير إليها من الوصول إليها . وجاء أبو دهبل على عادته . فحجبته وأرسلت إليـه بما يكره . ففى ذلك يقول[٤] :

تَطاوَلَ هـذا الليـلُ مايَتبلَّجُ ... وأعيَتْ غَواشِى عَبْرَتى ما تَفرَّجُ[٥]

وبِتُّ كئيبا ما أنامُ كأنمـا ... خِلالَ ضُلوعى جمـرةٌ تتوهَّجُ[٦]

---

(١) جزلة : أصيلة الرأى .

(٢) الحمالة : الدية والغرامة يحملها قوم عن قوم .

(٣) أسر : أخفى .

(٤) ابن قتيبة ٢٩٠ . المرتضى : الأمالى ١ : ١١٩ . الخطيب : الخزانة ٤ : ٧٩ . ديوان أبى دهبل ٢٣ .

(٥) ابن قتيبة : غواشى الهم . وتبلج الصبح : أضاء وأشرق .

(٦) ابن قتيبة : وبت مبيتاً . الديوان : أبيت كئيباً للهموم كأنما .

فطَوْرا أُمَنِّى النفسَ من عَمْرَةَ المُنَى ... وطَوْرا إذا ما لَجَّ بى الشوقُ أَنْشِج (١)
لقــد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أنْ يُوصلَ الحبلُ أَحْوَج (٢)
رأوا غِــرّةً فاستقبَلوها بأَلْبِهِم ... فراحوا على مالا نحب وأَدْلَجوا (٣)
وكانوا أُناسا كُنتُ آمَنُ غَيْبَهم ... فلم يَنْهَهم حِــلمٌ ولم يتحرَّجوا (٤)
همُ منعونا ما نحِــب وأَوْقَدوا ... علينا وشَبُّوا نار صُرْمٍ تَأَجَّج (٥)
ولو تركونا ــ لاهَدَى اللهُ أمرهم ــ ... ولم يُلْجِموا قولا من الشرّ يُنْسَج (٦)
لأَوْشكَ صَرْفُ الدهرِ يَفرُق بيننا ... وهل يستقيم الدهرُ، والدهرُ أَعْوج؟ (٧)

منها :

عسى كُرْبةٌ أمسيت فيهــا مقيمةً ... يكون لنــا منها نجــاءٌ ومَخْرج (٨)
فيُكْبَتَ أعــداءٌ ويَجْذَل آلِفٌ ... له كَبِدٌ من لوعــة الحب تَنْضَج (٩)
وإنى لمحزونٌ عشيةَ زُرْتُهــــا ... وكنتُ إذا ماجئتُها لا أُعــرِّج (١٠)

(١) غ والديوان وابن قتيبة : لج بى الحزن وأنشج : أبكى بصوت مسموع فيه توجع . والديوان : من تكتم المنى .

(٢) ابن قتيبة : وقد قطع . الديوان : يوصل الوصل .

(٣) ابن قتيبة والديوان : رأوا عورة . ب ، س : لا يحب . والألب : الجمع، والألب: القوم يجتمعون على عداوة إنسان . وأدلجوا : ساروا من أول الليل .

(٤) غ : حلمى . الديوان : آمن عيبهم .

(٥) ابن قتيبة : فهم منعونا . والصرم : الهجر . الديوان : ما نــلذ ونشتهى . . وأذكوا علينا نار صرم تؤجج .

(٦) غ : لا هدى الله سعيهم . المرتضى : فلم يلحموا . وألحم : أحكم . الديوان : ولم يبرموا قولا من النقر ينسج .

(٧) الديوان وابن قتيبة والمرتضى والخزانة : تفريق بيننا . غ ، والديوان وابن قتيبة والخزانة ولا يستقيم .

(٨) الديوان وابن قتيبة: عست كربة. غ : نجاة ومخرج. الديوان وابن قتيبة: رخاء ومخرج .

(٩) غ وابن قتيبة : لوعة الحب تلعج . الديوان : لوعة الحزن تلعج .

(١٠) ابن قتيبة : عشية جئتها .. مازرتها . غ مرة : وإنى لمحجوب. الديوان: إذا مازرتها .

وأعْيا علىّ القولُ والقولُ واسع ... وفى القول مُسْتَنٌّ كثير ومَخْرَج (١)

منها :

وأشفقَ قلبى من فراقِ خريدةٍ ... لها نَسبٌ فى فرعِ فِهْرٍ مُتَوَّج (٢)

وكَفٌّ كهُدَّابِ الدِّمَقْسِ لطيفةٌ ... بها دَوْسُ حِنّاء حديثٌ مضرّج (٣)

يجول وشاحاها ويَغْتَصُّ حَجْلُها ... ويشبع منها وَقْفُ عاجٍ ودُمْلُج (٤)

فلما التقينا لَجْلَجَتْ فى حَديثها ... ومن آية الصُّرْم الحديثُ المُلَجْلَج (٥)

ومما قال فيها (٦) :

يلومونّنى فى غير ذنبٍ جَنيْتُه ... وغيرِىَ فى الذنب الذى كان أَلْوَمُ

أَمِنّا أُناسا كنتِ تَأْتَمنينهم ... فزادوا علينا فى الحديثِ وأَوْهَموا

وقالوا لنا ما لم يُقَل ثم كَثَّروا ... علينا، وباحوا بالذى كنت أكتم (٧)

وقد مُنِحت عينى القَذَى لفراقكم ... وعاد لها تَهْتانُها فهى تَسْجُمُ (٨)

وأنكرتُ طيب النفس منى ، وكَدَّرتْ ... علىّ حياتى ، والهوى متقسّم

---

(١) المستن : الطريق المسلوك . الديوان : وأعيا .

(٢) غ : فراق خليلة .

(٣) دوس : كذا فى غ . وفى ص والديوان : درس ، تحريف . والدوس : المراد به التزيين ومضرج : مصبوغ .

(٤) يغتص : كذا فى د ، ى ، أى يمتلئ . وفى ص : يفرث ، ومعناها يجوع ، ولا يصف العرب الساق بالنحافة بل بالامتلاء . وفى الديوان : ويعرب . والوقف : السوار . والدملج : حلى تلبس فى المعصم .

(٥) الديوان : ولما التقينا لجلجت فى كلامها .

(٦) ليست فى ديوانه وألحقها به محققه ٣٤ .

(٧) ب ، س : لم نقل .

(٨) غ : لفراقهم . وتهتانها : كذا فى غ ، وفى ص : تهيامها ، تحريف . والتهتان : تتابع السقوط . وتسجم : تسيل وتصب .

وصافيْتُ نسوانا فلم أرَ فيهمُ　　هوايَ ولا الوُدَّ الذى كنتُ أعلم
أليس عظيما أنْ نكونَ ببلدةٍ　　كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم(١)
فلا تَصْرِمينى أن تَرَيْنى أحبكم　　أبوء بذنبٍ ، إننى أنا أظْلَمَ

قال أحمد بن عبيدالله بن عمار: كنا ونحن أحداثٌ نختلف إلى مجالس العلم فنكتب ما يرويه لنا الرواة من النكت والأخبار. وكان يَصحبُنا فتى من أحسن الناس وجها، وأجملهم زِيّا ، وأنظفهم ثوبا ، ولا نعرف باطن أمره. فانصرفنا يوما من مجلس أبى العباس المبرد وجلسنا فى مسجد نتقابل على ما كتبناه وإذا بجارية قد طلعت فطرحت فى حجر الفتى رقعة ما رأيت أحسن من شكلها ، مختومة بعنبر . فقرأها منفردا ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية . ثم لم يلبث أن خرج خادم من الدار وفى يده كَرِش(٢) . فصفع به الفتى حتى رحمناه وخلصناه من يده . ولما تباعدنا سألناه عن الرقعة . فإذا فيها مكتوب :

كفى حَزَنا أنّا جميعا ببلدةٍ　　كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم

فقلنا له : « هذا ابتداء ظريف فبماذا أجبت ؟ » قال : « هذا صوت سمعته يُغنَّى به . فلما قرأت الرقعة أجبت عنه بصوت آخر مثله سمعته » . فسألناه : « ما هو ؟ » فقال :

* أراعك بالخابُورِ نُوقٌ وأَجْمالُ ؟ *(٣)

فقلنا له : « ما وافاك القوم حقك . وكان ينبغى لهم أن يُدخلونا معك لدخولك فى جملتنا . ولكنا نحن نوفيك حقك » . ثم تناولناه فصفعناه صفعا جيدا حتى لم نَدْر أىَّ طريق أخذ . وكان آخر عهده بالاجتماع معنا .

(١) ثاو : مقيم .
(٢) الكرش : لعله يريد وعاء الطيب .
(٣) الخابور : نهر كبير بين رأس العين والفرات من أرض الجزيرة . ونسب ياقوت الشطر للأخطل ، وعجزه عنده : « ورسم عفته الريح بعدى بأذيال » . ولم أجده فى ديوانه .

حجّت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان فنزلت من مكة بذي طُوًى . فبينما هي ذات يوم جالسة في مجلسها عليها شُفوفٌ [١] لها تنظر إلى الطريق، وقد اشتد الحر وانقطع الطريق في وقت الهاجرة ، وقد أمرت جواريها فرفعن ستورها وهي جالسة في مجلسها، إذ مرّ بها أبو دهبل الجمحي ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرا . فوقف طويلا ينظر إليها وإلى حسنها وجمالها وهي غافلة عنه ، فلما فطِنت له، سترت وجهها وأمرت بطرح الستر وشتمته . فقال أبو دهبل [٢] :

إنى دعانى الحَيْنُ فاقْتادَنِى حتى إذا رأيتُ الظبيَ بالبابِ
يا حُسْنَه أن أنْ سَبَّنى مُدبِرا مستتِرا عنى بجِلْباب
سبحان من وقَّفها حسرةً صُبَّت على القلب بأَوْصاب
يذود عنها إن تطلَّبْتُها أبٌ لها ليس بوَهّاب
أحلَّها قصرا منيعَ الذُّرَى يُحْمَى بَبواب وحُجاب [٣]

فشاعت هذه الأبيات بمكة وشُهرت ، وغنى فيها المغنون ، حتى سمعتْها عاتكة إنشادا وغناء . فضحكت وأعجبتها وبعثت إليه بكُسًى وجرت الرسل بينهما .

فلما صدَرت عن مكة ، خرج معها إلى الشام . فنزل قريبا منها. فكانت تتعمَّده بالبر واللَّطف [٤] . حتى وردتْ دمشق وورد معها . فانقطعت عن لقائه . وعجز عن أن يراها فمرض بدمشق مرضا طويلا . فقال في ذلك [٥] :

---

(١) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق .

(٢) ليست في ديوانه ، وألحقها به محققه ٣٤ .

(٣) غ : بأبواب .

(٤) اللطف : الهدايا .

(٥) اختلف الرواة في قائل هذا الشعر بين أبي دهبل وعبد الرحمن بن حسان . وانظر ديوان أبي دهبل ١٠ والمبرد : الكامل ٢٥٤ ، ٢٥٥ والبكري : النوادر ١٨٨ ، والعيني : المقاصد النحوية ١ : ١٤١ ، والخطيب : خزانة الأدب ٣: ٢٨٠ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٠٣.

طال لَيْـــلِى وبِتُّ كالمحزونِ ... ومَلِلتُ الثَّـــواء فى جَـــيْرونِ (١)
وأطلتُ المُقام بالشام حتى ... ظنَّ أهلى مُرجِّمات الظنون (٢)
فبكتْ خشيةَ التفرُّق جُمْلٌ ... كبـكاء القَرين إثْرَ القَرين (٣)
وهى زَهْراء مثلُ لؤلؤة الغوْ ... وَاصِ ميزَتْ من جوهرٍ مكنون
وإذا ما نسَبْتَها لم تجدها ... فى سَناء من المكارم دُون
تجعل المِسْك واليَلَنْجُوجَ والنَّدْ ... دَ صِلاءً لها على الـكانون (٤)
ثم خاصرْتُها إلى القبة الخضـ ... ـراء تمشى فى مَرْمرٍ مَسْنون (٥)
قُبَّـةٌ من مَراجلَ ضربوها ... عند برد الشتاء فى قَيْطون (٦)
عن يَسارى إذا دخلت من البا ... ب وإن كنتُ خارجا عن يمينى (٧)

---

(١) الديوان كالمجنون العينى : بالمجنون . والشطر الثانى عنـد الديوان والعينى والخطيب : واعترتنى الهموم بالماطرون . وجيرون : حصن بدمشق أو دمشق نفسها . والثواء : الإقامة .

(٢) الشطر الأول عند المبرد : فبتلك ارتهنت بالشام حتى. وعند البـكرى والديوان: فبتلك اغتربت بالشام حتى ، وعند العينى والخطيب : فبتلك اغتربت بالشام حتى .

(٣) يبدو أن أبا الفرج لفق هذا البيت من اثنين ، فالرواية فى الديوان :

ثم فارقتهـا على خـير مـا كا ... ن قرينٌ مفـارقـا لقـرين
فبكـت خشـية التفرق للبيـ ... ـن بكاء الحزين نحـو الحزين

ومثلها عند العينى والخطيب والبـكرى ، غير أن الأول قال: خير من كان، والثانى قال : قرين مقارنا لقرين ، والثالث قال : فبـكت . . إثر الحزين .

(٤) اليلنجوج : العود الذى يتبخر به . والديوان :

تجعل الند والألوة والمسـ ... ـك صـــلاء لهـا

(٥) البـكرى : ثم ماشيتها. الديوان : ثم دافعتها . . تمشى . وفى مرمر : أى على مرمر . ومسنون : مصبوب على استواء .

(٦) الديوان والمبرد والبكرى والعينى والخطيب : ضربتها. البكرى : قبل حد الشتاء. الديوان والعينى والخطيب : عند حد الشتاء . الديوان : فى القيطون والمراجل : ثياب يمنية . والقيطون : البيت فى جوف البيت .

(٧) الديوان : عن يسار . المبرد : فيمينى البكرى والعينى والخطيب : دخلت إلى الدار . فيمينى

ولقد قلتُ إذ تطاول سُقْمى وتَقلّبتُ ليلتى فى فنون
ليت شِعْرى أمِنْ هَوًى طار نومى أم بَرانى ربِّى قصيرَ الجفون(١)

فشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية . فأمسك عنه حتى إذا كان فى يوم الجمعة دخل عليه الناس فيهم أبو دهبل . فقال معاوية لحاجبه : « إذا انصرف الناس فامنع أبا دهبل واردُدْه » . فجعل الناس يسلمون وينصرفون . فقام أبو دهبل لينصرف . فناداه معاوية : « أبا دهبل ، هلُمَّ إلىّ ! » فلما دنا إليه ، أجلسه حتى خلا . ثم قال له : « ما ظننتُ أن فى قريش أشعر منك حيث تقول :

ولقد قلت إذ تطاول سقمى وتقلبتُ ليلتى فى فنون
ليت شعرى ، أمن هوى طار نومى أم برانى ربى قصير الجفون

[غير أنك قلت](٢) .

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغـ ـواص ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتَها لم تجِدها فى سناء من المكارم دون

والله ، إن فتاة أبوها معاوية ، وجدها أبو سفيان . وجدتها هند بنت عتبة ، لكما ذكرت . فأى شيء زدتَ فى قَدْرها . ولقد أسأت فى قولك :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضـ ـراء تمشى فى مرمر مكنون

فقال : « والله ، يا أمير المؤمنين ، ما قلت هذا وإنما قيل على لسانى » . فقال له : « أما من جهتى فلا خوف عليك ، لأنى أعلم صيانة ابنتى ، وأعرف أن فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا فى النسيب فى كل من جاز أن يقولوا فيه وكل من لم يجُز . وإنما أكره لك جوار يزيد ، وأخاف عليك وَثَباته؛ فإن له سَوْرة الشبان وأنفة الملوك » .

(١) غ : والديوان : برانى البارى ، أى خلقنى الخالق .
(٢) زيادة عن غ .

وإنما أراد معاوية أن يهرب أبو دهبل ، فتنقضى المقالة عن ابنته . فَحذِر أبو دهبل وخرج إلى مكة هارباً على وجهه .

وكان يكاتب عاتكة. فبينا معاوية يوماً فى مجلسه ، إذ جاءه خَصِىٌّ له فقال : « يا أمير المؤمنين ، قد سقط اليوم إلى عاتكة كتاب . فلما قرأتْه بكت ثم أخذته فوضعته تحت مُصلّاها . وما زالت خاثِرة النفس منذ اليوم » . فقال له : « اذهب فالطُف لهذا الكتاب حتى تأتينى به . فانطلق الخصى . فلم يزل حتى أصاب منها غرة . فأتى بالكتاب إلى معاوية . فإذا فيه :

أعاتِكُ ، هلّا إذ بخلتِ فلم تَرَى ... لذى صَبْوةٍ زُلْفَى لديكِ ولا حَقَّا(١)

رددتِ فؤادا قد تولَّى به الهوى ... وسكَّنْتِ عينا لا تمَلُّ ولا تَرْقا ؟(٢)

ولكن خلعتِ القلب بالوعد والمُنَى ... ولم أرَ يوماً منك جُوداً ولا صدقا

أتنسَيْن أيامى بَرَبْعِك مُدْنَفا ... صَريعا بأرض الشام ذا سَقَم مُلْقَى ؟

وليس صديقٌ يُرتضَى لوصيةٍ ... وأدعو لأُوتَى بالشراب فلا أُسْقَى(٣)

وأكبرُ هَمِّى أن أَرَى لك مُرْسَلا ... وطولَ نهارى جالساً أرقُب الطُّرْقا(٤)

فوا كبدى إذ ليس لى منك مجلسٌ ... فأشكو الذى بى من هواكِ وما أَلْقَى

رأيتُك تزدادين للصَّبِّ غِلْظَةً ... فيزداد قلبى كلَّ يوم لك عشقا(٥)

فلما قرأ معاوية ذلك بعث إلى يزيد بن معاوية . فأتاه فوجده مغتما مطرِقاً ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، ما هذا الأمر الذى شجاك ؟ » قال : « أمر أرْمَضَنى وأقلقنى منذ اليوم ، وما أدرى ما آمُر فى شأنه » . فقال : « ما هو ؟ » قال : « هذا الفاسق

---

(١) الشعر ليس فى الديوان، وألحقه به محققه ٣٥ . غ والديوان : فلا ترى الديوان: ولا رقى .

(٢) ترقأ : يجف دمعها .

(٣) غ : وأدعو لدائى بالشراب فلا أسقى . الديوان : وأدعو لدائى بالشراب فما أسقى .

(٤) غ : فطول . الديوان : فطول نهارى جالس .

(٥) غ والديوان : ويزداد قلبى كل يوم لكم عشقا .

أبو دهبل كتب بهذه الأبيات إلى أختك عاتكة ، فلم تزل باكية منذ اليوم ، وقد أفسدها ، فما ترى فيه ؟ » فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن الشأن فى أمره لهين » . قال : « وما هو ؟ » قال : « عبد من عبيدك يكمُن له فى أزقة مكة فيريحنا منه » . فقال معاوية : « أفٍّ لك ! والله ، إن امرأً يريد بك ما يريد ويسمو بك إلى مايسمو لَغيرُ ذى رأى ، وأنت قد ضاق ذَرْعُك بكلمة وقَصُر فيها باعك حتى أردت أن تقتل فيها رجلا مسلماً من قريش . أوَما تعلم أنك إذا فعلتَ ذلك صدقت قوله فينا وجعلتَنا أُحدوثة أبدا؟ » قال «ياأمير المؤمنين إنه قال قصيدة أخرى تَناشدَها أهل مكة حتى بلغتْنى فأوجعتْنى وحملتنى على ماأشرتُ به فيه» . قال : «وماهى ؟ » قال : « قال :

ألَا لا تقُلْ : مهلا . فقد ذهب المَهْلُ ... وما كلُّ من يَلْحَى مُحِبّا له عَقْلُ[1]
لقد كان فى حَوْلَيْن حالَا ولم أزر ... هواى وإنْ خُوِّفْتُ عن حبها شُغْل
حمى الملك الجبار عنى لقاءها ... فمن دونها تُخشَى المَتالفُ والقتل
فلا خيرَ فى حُبٍّ يُخافُ وَبالُه ... ولا فى حبيبٍ لا يكون له وصل
فوا كبدا إنى شُهِرْتُ بحبها ... ولم يك فيهما بيننا ساعةً بَذْل[2]
ويا عجباَ إنى أكاتم حُبَّها ... وقد شاع حتى قُطِّعت دونَها السُّبْل[3]

فقال معاوية : « والله . لقد رَفَّهت عنى . فما كنتُ آمَن أن يكون قد وصل إليها . أما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بَذْل[4] ، فالَخطب يسير . قم عنى » . فقام يزيد وانصرف .

وحج معاوية فى تلك السنة . فلما انقضت أيام الحج ، كتب أسماء وجوه قريش

---

(١) الشعر ليس فى الديوان ، وألحقه به محققه ٣٥ . يلحى : يلوم .

(٢) غ : فوا كبدى .

(٣) الديوان : إنى لكاتم .

(٤) كذا على من أن القصيدة القافية السابقة تذكر أنه لم ير منها يوما جودا ولا صدقا .

وأشرافهم وشعرائهم ، وكتب فيهم اسم أبى دهبل . ثم دعابهم ففرّق فى جميعهم صِلات سنيّة وأجازهم جوائز كثيرة . فلما قبض أبو دهبل جائزته وقام لينصرف ، دعا به معاوية وقال له : « يا أبا دهبل ، ما بالى رأيت أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً فى قَوارصَ[1] تأتيه عنك وشعرٍ قد نطقت به وأنفذتَه إلى حَصاننا[2] وموالينا . فلا تعرض لأبى خالد » . فجعل يعتذر ويحلف أنه مكذوب عليه . فقال له معاوية : « لا بأس عليك ، ومايضرّ هذاعندنا : هل تأهّلتَ ؟ » قال : لا . قال : « فأى بنات عمك أحب إليك ؟ » قال : « فلانة » . قال : « قد زوّجكها أمير المؤمنين ، وأصْدَقها عنك ألفى دينار ، وأمرت لك بألف دينار » . فلما قبضها قال : « إنْ رأى أمير المؤمنين أن يعفو لى عما مضى . فإن نطقتُ ببيتٍ فى معنى ما بلغه عنى فقد أبحتُ دمى ، وفلانة التى زوجْتَنيها طالقٌ البتّةَ » . فسُرَّ معاوية بذلك ، وضمِن له رضا يزيد عنه ، ووعده بإدْرار ما وصله به فى كل سنة . وانصرف إلى دمشق . ولم يحج معاوية فى تلك السنة إلا من أجل أبى دهبل .

خرج أبو دهبل غازيا ، وكان جميلا . فلما كان بجَيْرون ، جاءته امرأة فأعطته كتاباً وقالت : « اقرأ هذا الكتاب » . فقرأه . ثم دخلت قصراً ثم خرجتْ إليه فقالت له : « لو بلغتَ القصر فقرأتَ الكتاب على امرأة كان لك فيه أجر ، فإنه من غائب لها يَعنيها أمرُه » . فبلغ معها القصر . فلما دخل ، إذا فيه جوارٍ كثيرة . فأغلقْن القصر عليه . وإذا امرأة وَضيئة فدعَتْه إلى نفسها ، فأبى . فأمرت به فحُبِس فى بيت فى القصر . وأُطعم وسُقى قليلا قليلا حتى ضعف وكاد يموت . ثم دعته فقال : « أما حراماً فلا يكون ذلك أبداً ، ولكن أتزوجك » . قالت : « نعم » . فتزوجها . فأمرت به فأُحسن إليه حتى رجعت نفسُه إليه . فأقام معها زماناً طويلا لا تدَعُه يخرج

(١) القوارص : الكلمات المؤلمة .

(٢) الحصان : العفيفة . وفى غ : خصمائنا .

حتى أيِس أهله منه وولده . وتزوج بنوه واقتسموا ماله ، وأقامت زوجته تبكى عليه حتى عَمِشت ، ولم تقاسمهم فى ماله . ثم قال لامرأته هذه الجيرونية يوماً : « قد أُغمِت فى أهلى وولدى ، فأْذَنى لى أُطالعهم وأعود إليك » . فأخذتْ عليه أيمانا ألا يقيم إلا سنة حتى يعود إليها . فخرج من عندها يقطع البلاد حتى قدم على أهله . فرأى حال زوجته وما صار إليه ولده . وجاء ولده فقال : « لا والله ، ما بينى وبينكم عمل ، أنتم قد ورثتمونى وأنا حىّ ، والله ، لا يَشْرَكُ زوجتى فيما قدِمت به أحد » . وقال لها : « شأنَك به ، فهو كله لك » وقال فيها[1] :

صاحِ حَيّا الإلهُ أهلا ودُورا   عند أصلِ القَناة من جَيْرون[2]

وهى قصيدة أكثرها هى الأبيات النونية المقدَّم ذكرُها :

* وإذا ما نسبتَها لم تجدها *

فلما حل الأجل ، أراد الخروج إليها ، فجاءه موتُها ، فأقام .

ولأبى دهبل فى عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد ، وقد عزله ابن الزبير عن بعض أعمال اليمن[3] :

فمن يك شانَ العَزْلُ أو هَدَّ رُكْنَه   لأعدائه يوماً ، فما شانَك العَزْلُ[4]

وما أصبحتْ من نعمةٍ مُستفادَةٍ   ولا رَحِمٍ إلا عليها لك الفضل

قدم سليمان بن عبد الملك مكة فى حر شديد ، فكان يُنقَّل سريره بفناء الكعبة . وأعطى الناسَ العطايا . فلما بلغ بنى جُمَح نودى بأبى دهبل . فقال سليمان : « من ؟ أبو دهبل الشاعر ؟ علىّ به » . فأُتى به ، فقال له سليمان : « أنتَ أبو دهبل الشاعر ؟ »

(١) يريد فى الشامية لا الحجازية .

(٢) المبرد : أهلا ودارا . والبكرى والعينى والخطيب : حيا ودورا .

(٣) ديوانه ١٦ .

(٤) الديوان : فمن كان شان .

قال: « نعم » . قال: « فأنت القائل[١] :

فتنةٌ يُشعِلُهـــا وُرّادُها حطبَ النـــار فدَعْها تشتعلْ

فإذا ما كانـ أَمْنٌ فأْتِهم وإذا ما كان خوف فاعتزل

قال : « نعم » . قال : وأنت القائل[٢] :

يدعون مروانَ كَيْما يَسْتجيبَ لهم وعند مروان خارَ القومُ أو رَقَدوا

قد كان فى قوم موسى قَبْلَهم جسدٌ عِجْلٌ إذا خار فيهم خَوْرةً سجدوا

قال : «نعم» . قال: « فأنت القائل هذا ثم تطلب ماعندنا ؟ لا والله ولا كرامة » فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن قوما فُتِنوا فـكاخوكم بأسيافهم وأَجْلبوا عليكم بخَيْلهم ورَجْلهم ، ثم أَدالـكم الله عز وجل منهم فعفوتم عنهم . وإنما فُتنت فقلت بلسانى ، فلم لايعْـفَى عنى؟ » فقال سليمان : « قد عفونا عنك » . وأقطعه قَطيعة بجازان[٣] اليمن. فقيل لسليمان : « كيف أقطعته هـــذه القَطيعة ؟ » قال : « أردت أن أُميته وأُميت ذكره بها »

وقال أبو دهبل فى قتل الحسين بن علىّ عليهما السلام[٤] :

تَبيتُ سُكارى من أُميّةَ نُوَّما وبالطَّفِّ قتلى ما ينـامُ حَميمُها[٥]

وما أفسد الإسلامَ إلا عصابةٌ تأَمَّر نَوكاها ودام نَعيمها[٦]

فصارت قناةُ الدِّين فى كفِّ ظالمٍ إذا اعْوَجّ منها جانبٌ لا يُقيمها[٧]

---

(١) ليست فى الديوان وألحقها به محققه ٣٦ .

(٢) .

(٣) جازان : موضع فى طريق حجاج صنعاء .

(٤) المرتضى : الأمالى ١ : ١١٨ . ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٥٤٠ . وليست فى ديوانه وألحقها به محققه ٣٧ .

(٥) المرتضى : تبيت النشاوى . والطف : من ضواحى الـكوفة فى طريق البرية .

(٦) المرتضى : وما ضيع الإسلام . والنواكى : الحمقى . ياقوت : تؤمر نوكاها فدام .

(٧) المرتضى : وصارت . . إذا مال منها .

ولأبى دهبل[1] :

عفا الله عن ليلى الغَداةَ فإنهـا … إذا وَليَتْ حُكْما علىّ تجـورُ[2]
أأترُكُ سلمى ليس بينى وبينهـا … سوى ليـلةٍ ، إنى إذن لَصبور[3]
هَبُونى امرأً منـكم أضلَّ بَعيرَه … له ذمّةٌ إنّ الذِّمامَ كثير[4]
ولَلصَّاحبُ المتروكُ أفضـلُ ذمةً … على صاحبٍ من أنْ يَضِلَّ بعير[5]

لما مات ابن الأزرق[6] ، رثاه أبو دهبل . فدُفن بعُلَيْب . ولما احتُضر أبو دهبل أوصى أن يدفن عنده بعُلَيْب[7] . وفى ابن الأزرق يقول أبو دهبل[8] :

لقد غال هذا اللحدُ من بطن عُلَيْبٍ … فتًى كان من أهلِ النَّدى والتكرُّمِ
فتى كان فيما ناب يوما هو الفتى … ونِعْمَ الفتى للطـارقِ المتيمِّم[9]
أالحقَّ أنى لا أراكَ على مِـنًى … إذا صَدَرَ الُحجاجُ عن كل موسِم[10]
سقَى الله أرضا أنت ساكِنُ قبرِها … سِجالَ الغَوادِى من أَجَشَّ مُزَمْزِم[11]

---

(١) ديوانه ٢٩ . المرتضى : الأمالى ١ : ١١٨ وديوان مجنون ليلى ١٣٩ ، إذ تنسب الأبيات له .
(٢) الديوان : إذا حكمت حكما .
(٣) فى سائر المصادر : أأترك ليلى .
(٤) فى سائر المصادر : إن الذمام كبير .
(٥) ديوان أبى دهبل والمرتضى وديوان مجنون ليلى : أعظم حرمة .
(٦) هو عبد الله بن عبد الرحمن المذكور قبلا .
(٧) عليب : قرية بين مكة وتبالة .
(٨) ديوانه ١٩ .
(٩) الديوان : ونعم محل الطارق المتيمم .
(١٠) الديوان : إذا نزل الحجاج فى كل موسم .
(١١) الغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ أو تمطر فى البكرة . والأجش : السحاب ذو الرعد الداوى . والمزمزم ذو الرعد المدوى المتتابع . وفى غ : من سحيل ومبرم . الديوان : أنت ساكن بطنها .. من سحيل مزمزم .

ومن شعر أبي دهبل فى عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد[١] :

عَقِمَ النساء فلم يَلِدْنَ شَبِيهَهُ ⁂ إنَّ النساءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ[٢]

متهلل بنعم بِلَا مُتَباعِدٌ ⁂ سِيَّان منه الوَفْرُ والعُدْمُ[٣]

نَزْرُ الكلامِ من الحياء تَخالُه ⁂ ضَمِنا وليس بجسمه سُقْمُ[٤]

وقع لأبي دهبل ميراث بمصر . فخرج يريده ثم رجع من الطريق ، فقال[٥] :

إسْلَمِي أُمَّ دهبلٍ بعد هَجْرٍ ⁂ وتَقَضٍّ من الزمان وعُمْرِ[٦]

واذكُرِي كَرِّيَ المَطِيَّ إليكمُ ⁂ بعد ما قد توجّهتْ نحوَ مِصْرِ

لا تخالى أنى نسيتُكِ لما ⁂ حال بِيشٌ ومن به خلفَ ظهرى[٧]

إنْ تكونى أنت المُقَدَّم قَبْلِى ⁂ وأُطَعْ يَثْوِ عند قبرِكِ قبرى

قال إبراهيم بن أبي عبيد[٨] : فوقفت على قبره إلى جانب قبرها بعُلَيْب .

---

(١) الحصرى : زهر الآداب ١٨٠ . ديوانه ١٨

(٢) الحصرى والديوان : فما يلدن .

(٣) ص : متهلل بنعم وغير متباعد ، تحريف . الديوان : متعود بنعم .

(٤) الضمن : المريض . الديوان : غض الكلام .

(٥) ديوانه ١٣ .

(٦) الديوان : قبل هجر . . . الزمان وعصر .

(٧) بيش : من بلاد اليمن قرب دهلك . وقال ياقوت بعد هذا البيت : « وهذا الشعر يدل على أن بيشا موضع بين مكة ومصر أو تكون صاحبته المذكورة كانت باليمن . . » .

(٨) غ والديوان : إبراهيم بن أبي عبد الله .

وَرْقاء بن زهَيْر*

هو ورقاء بن زهير بن جَذيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن مازِن بن الحارث بن قُطَيعة ابن عَبْس ابن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان .

كان رياح بن الأشَل(1) أحد بنى رباع قد قتل شَأْس بن زهير بن جذيمة ، وذلك أن شأسا أقبل من عند النعمان بن المنذر(2) ، وقد أعطاه وحَباه قطيفة حمراء ذات هُدْب وطيبا . فورد ماء(3) وعليه خِباء فى الظهيرة لرياح . فقعد يُهَرِيق الماء ، وامرأة رياح قريبة منه ، فإذا مثل الثور الأبيض . فناداه رياح : « استتِر » . فلم يحفل به . فقال رياح لامرأته : « أَنْطِينى(4) قوسى » . فمدت إليه قوسه وسهما ، ونزعت المرأة نَصْله لئلا يقتله . فأهوى عجلان إليه فوضع السهم فى مُسْتدَقِّ الصُّلْب بين فَقارتين ففصلهما . وخر ساقطا : فحفر له حفَرا وهدمه عليه . ونحر جمله فأكله . وأَوْلج متاعه بيته .

ولما فقُد شأس ، قُصّ أثره ونُشِد ، وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله . فقال : « سرَّحْته بعد أن حَبَوته » . فقالوا : « وما حبوته ؟ » قال : « مِسْك وكُسًى وقُطُف » . فقصوا أثره فلم يتضح لهم سبيله . فمكثوا كذلك ماشاء الله لا أدرى كم . حتى رأوا امرأة رياح باعت بعكاظ قطيفة حمراء . وتيقّنوا أن رياحا ثأرُهم . وأتى

---

* أخباره فى ب ١٠ : ٨ ، س ١٠ : ٨ ، د ١١ : ٧٥ ، ى ١١ : ٧٠ ، ت ١ : ١٢٥٥

(١) وكذا فى كامل ابن الأثير ١ : ٤١١ ، ومعجم ماستعجم ١٢٧١ ، وفى غ : رياح بن الأسك . وفى العقد الفريد ٥ : ١٣٣ : رياح بن الأسل .

(٢) كامل ابن الأثير ١ : ٤١١ : النعمان بن امرىء القيس جد النعمان بن المنذر .

(٣) غ وبقية المصادر : منعجا .

(٤) أنطينى : أعطينى .

زهير غَنِيّا ، فقالوا : « نعم ، قتله رياح بن الأشل ، ونحن بُرآء ، وقد لحق بخاله من بنى الطَّمّاح من بنى أسد بن خُزيمة » . فكان يكون الليل عنده ، ويظهر إلى أبان[١] إذا أحسّ الصبح يرمى الأَرْوَى[٢] ، إلى أن أصبح ذات يوم وهو عنده ، وعَبْسٌ تُريغه[٣] . فركب خاله جملا وجعله على كِفْل[٤] وراءه . فبينا هو كذلك ، إذ دَنَتْ خيل عبس . وكان بنو عبس غزَوا غنيا قبل أن يطلبوا قوَدا أو دية ، مع أخى شأس الحُصَين بن زهير بن جذيمة . فقالوا : « هذه خيل عبس تطلبك » . قال : فطمَرَ[٥] فى قاع شجر فحفر فى أصل سُوقه . ولقيت الخيل خاله فقالوا : « هل كان معك أحد ؟ » قال : « لا » . فقالوا : « ما هذا المركب وراءك ؟ لتُخْبِرنّا أو لنقتلنَّك » . قال : « لا كَذِب . هو رياح فى ذلك القاع » . فلما دَنوا ، قال الحُصَينان : « يا بنى عبس ، دَعُونا وثَأْرَنا » . فخنَسوا عنهما[٦] . وأخذ رياح نَعْلين من سِبْت[٧] فصيَّرهما على صدره حِيالَ كبده . ونادى : « هذا غزالكما الذى تبغيان » . فحمل عليه أحدهما وطعنه . فأزالت النعلُ الرمحَ حيث شاكِلَته[٨] فشكّه . ورماه رياح مُولّيا فجَذَمَ[٩] صُلْبه . ثم جاء الآخر فطعنه فلم يُغْنِ شيئا . ورماه [رياح] موليا فصرعه . فقالت عبس : « أين تذهبون إلى هذا ؟ ليَقتلنّ منكم

---

(١) أبان : جبل .

(٢) الأروى : جمع الأروية ، وهى أنثى الوعل .

(٣) تريغه : تطلبه .

(٤) الكفل : شيء مستدير يتخذ من الخرق ونحوها ويوضع على سنام البعير .

(٥) طمر : وثب إلى أسفل واختفى .

(٦) خنس : تأخر وتنحى .

(٧) السبت : الجلد المدبوغ .

(٨) الشاكلة : الخاصرة .

(٩) جذم : قطع .

عدد قوائمه[١] ، وقد جرحاه وسيموت » . قال : وأخذ رياح رمحيهما وسَلَبهما . وخرج حتى سَنَدَ[٢] فى أبان . فأتته عجوز ، وهـو يَسْتَدْمِى على الحوض . فقالت : استأسِرْ بخير »[٣] . فقال : « حتى أشرب » . فأبت . فلما غلبته ، أخذ مِشْقَصا[٤] فجذم به كُرْسوعَى[٥] يديها فماتت . وعَبّ فى الماء فشرب ثم توجه إلى قومه .

وقال زهير يرثى شأسا :

بكيتُ لشأسٍ حين خُبِّرتُ أنــه ... بمــاء غَـنِيٍّ آخرَ الليلِ يُسْلَبُ
لقــد كان مَأْتاه الرِّداءَ لَحتْفِه ... وما كان لولا غِرَّةُ الليلِ يُغْلَب
قتيلُ غَـنِيٍّ ليس شَـكْلٌ كشكله ... كذاك لعَمْرِى الحَيْنُ للمرء يُجْلَب
سأبكى عليـــه ما بقيتُ بِعَــبْرةٍ ... وحُقّ لشأسٍ عبرةٌ حين تُسْكَب[٦]
وحزنٍ عليـــه ما حييتُ وعَوْلةٍ ... على مثل ضوء البدرِ أو هو أعْجَبُ
إذا سِيمَ ضَيْما كان للضيم مُنْـكِرا ... وكان لدى الهَيْجاء يُخشَى ويُرهَب[٧]

وكان زهير يقول حين قتل شأس : « شأس ، ما شأس ؟ والبأس ، ماالبأس ؟ لولا مقتل شأس ، لم يكن بيننا بأس »[٨] .

وقال رياح فيها وفى الُحصَيْنين :

قالت لىَ : استأسِرْ ، لتَكْتِفَنى ... حِينــا ويعـــلو قولُهـــا قولى

(١) وكذا فى ت . وفى غ : مراميه .
(٢) سند : صعد .
(٣) غ : استأسر تحى .
(٤) المشقص : نصل عريض .
(٥) الكرسوع : طرف الزند الذى يلى الخنصر الناتىء عند الرسغ .
(٦) غ : سأبكى عليه إن بكيت بعبرة .
(٧) سيم الضيم : كلفه .
(٨) ص : الناس ، فى كل مكان هنا وردت فيه كلمة البأس ، والتصحيح عن غ .

ولأنت أَجْرَأُ من أُسـامةَ أو منى غداةَ وقفتُ للخيـل[1]
إذِ الحُصَيْنُ لدى الحصينِ كما عَدَل الرِّجازةُ جانبَ المَيْل

الرجازة : شيء يكون مع المرأة فى هودجها ، فإذا مال أحد الجانبين وضعته فى الجانب الآخر ليعتدل .

وانصرف زهير ، وكان لا يظفر بغنوى إلا قتله . والحصينان : حصين بن زهير ، خو شأس ؛ والحصين بن أَسيد بن جَذيمة ، ابن أخى زهير .

وضرب الدهر ضربه . فالتقى خالد بن جعفر بن كِلاب وزهير بن جذيمة العبسى بعكاظ ، فقال خالد لزهير : « أمَا آنَ لك أن تشتفى وتَـكُفَّ » . يعنى بمن قتله بشأس . فاغْلَظ له زهير وحَقَّره وسَبّه ، فقال له خالد : « عسى » كأنه يتهدده . ثم قال : « اللهم ، مَـكِّن يدى هذه الشَّعْراء[2] القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أَعِـنِّى عليه » . فقال زهير . « اللهم . مكن يدى هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خَلِّ بيننا » . فقالت قريش : « هلـكتَ ــوالله ــ يا زهير » . فقال : « إنـكم ــوالله ــ الذين لا عِلْمَ لهم » .

وكان زهير إذا كان أيامُ عكاظ ، يأتيها ، ويأتى الناس من كل جانب . فتأتيه هوازن بالإتاوة التى كانت له فى أعناقهم ، فيأتونه بالسمن والأَقِط والغنم ، فأتتـه عجوز رَهِيش[3] من بنى نَصْر بن معاوية بن بكر بن هوازن بسمن فى نِحْى . واعتذرت إليه وشـكَت السنين اللواتى تتابعن على الناس . فذاقه فلم يرض طعمه ، فدفعها بقوس فى يده عُطُل[4] فى صدرها . فاستلقت لحلاوة القفا[5] ، فبدت عورتها

(١) غ مرة : ولأنت أشجع . وأسامة : اسم علم للأسد .

(٢) غ : الشقراء . والشعراء : كثيرة الشعر .

(٣) رهيش : ضعيفة أو مهزولة . وفى ص : من رهيش ، تحريف .

(٤) عطل : لا وتر عليها .

(٥) حلاوة القفا : وسطه .

فغضبت من ذلك هوازن ، وحقدت عليه إلى ما كان فى صدرها من الغيظ والدِّمَن[١]، وأَوْحَرِها[٢] من الحسد . وقد آمَرت[٣] عامر بن صعصعة يومئذ فآلَى[٤] خالد ابن جعفر ، فقال : « والله لأجعلن ذراعى وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل » . وفى ذلك يقول خالد بن جعفر[٥] :

أَديرونى إدارتَكم فإنى ... وحَذْفةَ كالشَّجا تحت الوريدِ[٦]
مُقرَّبةٌ أُسوِّيها بَجْزءٍ ... وأَلْحفُها ردائى فى الجليد[٧]
وأُوصِى الرّاعِيَيْن ليُؤْثِراها ... لها لبنُ الخَلِيَّةِ والصَّعود[٨]
تَراها فى الغَزاة وهن شُمْثٌ ... كقُلْب العاج فى الرُّسْغ الجديد[٩]
يَبيت رِباطُها بالليل كَفِّى ... على عُود الحشيش وغير عود
لعل الله يُمْكِننى عليها ... جِهارا من زهيرٍ أو أَسيد[١٠]
فإمّا تَثْقَفونى فاقتُلونى ... فمَنْ أَثْقَفْ فليس إلى خلود[١١]

(١) الدمن : الأحقاد .

(٢) أوحرها : من الوحر ، وهو الحقد .

(٣) آمرت : تشاورت .

(٤) آلى : أقسم .

(٥) المرتضى : الأمالى ١:٢١٢ . الخطيب : خزانة الأدب ٤:٣٧٧ وسقط الشعر من ص .

(٦) المرتضى والخطيب : أريغونى إراغتكم فإنى . وحذفة : فرسه .

(٧) ب ، س : أسويها بجز . المرتضى والخطيب : أواسيها بنفسى . وجزء : ابنه . وألحفها ردائى : أجعله ملحفة لها .

(٨) الخلية : الناقة تنتج وهى غزيرة ، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلى هى للحلب والصعود : الناقة التى تسقط ولدها لغير تمام فتعطف على ولد عام أول أو ولد غيرها فتدر عليه .

(٩) القلب : السوار .

(١٠) الخطيب : لعل الله يقدرنى .

(١١) تثقفونى : تصادفونى .

وقيسٌ فى المعارك غادرتْه قَنَاتى فى فوارس كالأسود[(١)]
ويَرْبوع بن غَيْظٍ يومَ ساقٍ تركناهم كجارية وَئِيد[(٢)]
تركتُ بها نساء بنى عُصَيم أراملَ ما تحِنُّ إلى وَليد[(٣)]
يَلُذْن بحارثٍ جزَعاً عليه يَقُلْن لحارثٍ لولا تَسود[(٤)]
ومنى بالطُّوَيْلِع قارعاتٌ تَبيد المُخزيات ولا تَبيد[(٥)]
وحَكَّت بَرْكَها ببنى جِحاشٍ وقد أجْرَوْا إليها من بعيد[(٦)]
تركت ابنى جَذيمة فى مَكَرٍّ ونَصْرا قد تركت لها شُهودى[(٧)]

ثم إن إخوة فاطمة بنت الشَّريد السُّلَمية ـ امرأة زهير ، وهى أم قيس بن زهير ـ جاءوا إلى بنى عامر ، فقالوا : « هل لكم فى زهير بن جَذيمة يَنْتِج إبله ليس معه غير أخيه أُسيد بن جذيمة وعبدٍ راعٍ لإبله ؟ وجئتكم من عنده . وهذا لبن حلبوه لى » فذاقوه فإذا هو ليس بحازر[(٨)] ، فعلموا أنه قريب . وكان زهير قد أساء إلى إخوة

(١) غ مرة : وقيس ابن المعارك غادرته .
(٢) غ : وبيد . غ مرة : وحى بنى سبيع يوم ساق . ووئيد : مدفونة حية .
(٣) غ مرة :

ترکت نساء يربوع بن غيظ رامل يشتكين إلى وليد

(٤) غ مرة :

يقلن لحارث جزعا عليه لك الخيرات مالك لا تسود

وفيه والذى بعده إقواء .
(٥) غ مرة : ومنى سوف تأتى قارعات .
(٦) غ مرة :

وحلت بركها ببنى جحاش وقد مدوا إليها من بعيد

والبرك : جماعة الإبل الباركة ، والصدر .
(٧) غ مرة : تركت بنى جذيمة . . . لدى الشهود .
(٨) حاذر : حامض .

زوجته فى شىء فخرج خالد بن جعفر وحُنْدُج بن البَكّاء[١] ومعاوية بن عُبادة بن عُقَيل[٢] فارس الهَرّار ، وهو الأَخَيل جد ليلى الأخيلية ، وهو يومئذ غلام له ذؤابتان ، وثلاثةُ فوارس من بنى عامر ليس على أحد منهم درع غير خالد كانت عليه درع أعارَها له عمرو بن يربوع الغنوى . وكانت درع ابن الأَجْلح المرادى ، قتله وأخذها ، وكان يقال لها ذات الأزمة ، سُمِّيت بذلك لأنها كانت لها عُرًا تُعلَّق فُضولها بها إذا أراد أن يُشمِّرها .

فطلعوا على زهير . فقال أسيد بن جذيمة ، وكان شيخاً كبيراً كثير الشعر فى الوجه والجسد : « أُتيت ، ورب الكعبة » . فقال زهير « كُلُّ أَزَبَّ نَفورٌ[٣] » فذهبت مثلا . فلم يشعر بهم زهير إلا فى سواد الليل. فركب فرسه القَعْساء ثم وجّهها . فلحقه أحدهم ــ إما حندج أو العُقَيلى ــ فطعن فخذ الفرس طعنة خفيفة فى نَساها[٤] . ثم أراد أن يطعن الرِّجل الأخرى الصحيحة . فناداه خالد : « لا تفعل فيستويا . أَقْبِلْ على السقيمة » . قال : فطعنها وانخذلت الفرس . فأدركوه فرمى بنفسه . وعانقه خالد فقال : « اقتُلونى ومُجدِّعا » . فجاء حندج ــ وكان أعجم اللسان ــ فقال لخالد وهو فوق زهير : « نَحِّ رأسك ، يا أبا جزء » . فنحى رأسه . وضرب حندج زهيرا ضربة على دَهَش . ثم ركبوا وتركوه . فقال خالد : « ويحك ، ياحندج ! ماصنعت ؟ » فقال : « ساعدى شديد ، والسيف حديد ، وضربته ضربة فقال السيف : قَبْ ،

---

(١) ابن الأثير ١ : ٤١٤ : جندح .

(٢) كذا فى د ، ى ، وخزانة الأدب ، والعقد ٥ : ١٣٦ ، وتاج العروس (هر) . وفى ص ، ب ، س : عمرو بن عبادة بن عقيل .

(٣) الأزب : البعير الذى يكثر شعر حاجبيه ، ويكون نفورا لأن الريح تضربه فينفر . وهذا مثل يضرب فى عيب الجبان .

(٤) النسا : عرق من الورك إلى الكعب .

وخرجت عليه مثل ثمرة المرار ، فلطعته[1] فوجدته حلوا » يعنى دماغه . قال : « إن كنت صادقا فقد قتلته » . قال : ثم جاء قوم زهير فاحتملوه . ومنعوه الماء كراهة أن يبتل دماغه فيموت . فقال : « يا آل غطفان ، أأموت عطشاً ! » . فسُقى فمات بعد أيام .

ففى ذلك يقول ورقاء بن زهير ، وكان قد ضرب خالداً ضربة فلم يصنع شيئاً[2] :

رأيتُ زهيراً تحت كَلْكلِ خالدٍ فأقبلتُ أسْعَى كالعَجول أُبادر[3]
فشَلَّتْ يمينى يومَ أضرِب خالدا ويمنعُــــه منى الحديدُ المُظاهَر[4]
إلى بطلين ينْهضــان كلاهما يُريغان نَصْلَ السيفِ ، والسيفُ نادِر[5]
وشلت يمينى يوم أضرب خالدا وشلّ بناناها وشَلّ الخناصِر
فيا ليتنى من قبلِ أيامِ خالدٍ ويوم زهيرٍ لم تلــدنى تُماضر[6]

هى تماضر بنت عمرو بن الشَّريد بن رياح بن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خُفاف السُّلَمى . وهى زوجة زهير بن جذيمة وأم ولده .

---

(١) غ : فطعمته . ولطعته : لحسته .

(٢) المرتضى : الأمــالى ١ : ٢١٣ . الحصرى : زهر الآداب ٦٠٩ . الخطيـب : خزانة الأدب ٤ : ٣٧٨ . شرح النقائض ٣٨٤ . الطبرى٢: ١٣٣٩، كامل ابن الأثير ١ : ٢١٤. العقد الفريد ٥ : ١٣٦ .

(٣) الحصرى : أبادره . والعجول : الواله التى فقدت ولدها .

(٤) المرتضى والخطيب : ويستره منى الطبرى : ويحصنه منى . غ ، ت :

فشلت يمينى إذا ضربت ابن جعفر وأحرزه منى الحـديد المظـاهر

والمظاهر : الملاءم بعضه فوق بعض .

(٥) غ مرة والعقد الفريد : يريدان نصل السيف . المرتضى والخطيب : والسيف داثر . ويريغان: يريدان . ونادر : ساقط . والـكامل : يعتركان ، كلاهما . يريد رياش السيف .

(٦) المرتضى والخطيب : فياليت أنى قبل ضربة خالد . العقد والـكامل : فياليت أنى قبل أيام خالد . الـكامل : وقبل زهير .

ويقال : إن أخاها الحارث بن عمرو مر بها . فقال زهير لبنيه : « إن هذا الحمار لَطليعةٌ عليكم ، فأَوْثِقوه » . فقالت أخته تماضر لبنيها : « أيزوركم خالكم فتوثِقوه وتحرموه ! » فخَلَّوه . وقالت تماضر لأخيها الحارث : « إنه لَيَريبنى أمرك » . ثم حلبوا له وَطْبا وأخذوا منه يميناً لا يُنْذِر بهم ولا يخبر عليهم أحداً . فخرج يطير حتى أتى بنى عامر . فأتى شجرة فألقى الوطب تحتها ، والقوم ينظرون . وقال : « أيتها الشجرة الذابلة[1] ، اشربى من هذا اللبن وانظرى ما طعمه » . فقال أهل المجلس : « هذا رجلٌ مأخوذ عليه عهد، وهو يُخبركم خبرا » . فأتوه فإذا هو الحارث بن عمرو . فذاقوا اللبن فإذا هو حلو لم يقرُص . فقالوا: « إنه ليخبرنا أن مَطْلبنا قريب » . وخرج معه الفوارس : خالد ورفقته . وجرى ما جرى .

وقيل : إنه كان لزهير رَبيئة[2] من الجن فحدّثه ببعض أمرهم حتى أصبح . وكانت له مِظَلَّة دَوحة يربط فيها أفراسه ولا تَريمه[3] حذراً من الحوادث فلما أصبحوا وإذا بالخيل . وكانت الوقعة .

وإلى هـذا أشار الفرزدق لما نبا السيف من يده بين يدى سليمان بن عبد الملك ، فقال[4] :

لَـئِنْ يك سيفٌ خان أو قدَرٌ أبى ... لتأخير نفسٍ حتفُها غيرُ شاهدِ[5]
فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضربوا به ... نَبا بيدَىْ ورقاءَ عن رأس خالد
كذاكَ سيوفُ الهندِ تَنْبو ظُباتُها ... وتقطع أحيانا مَنــاطَ القَلائد
ولو شئتُ قدَّ السيف ما بين عُنْقِه ... إلى عَلَقٍ تحت الشَّراسيفِ جامد

(١) غ : الذليلة .
(٢) الربيئة : الطليعة يستطلع له الأشياء ويخبره بها .
(٣) تريمه : تبرحه .
(٤) انظر ترجمة الفرزدق فى هذا الجزاء .
(٥) د ، ى ، ت : إن يك . ب ، س : فإن يك . ب ، س ، ت : قدر أتى .

وضرب الدهر ضربه إلى أن التقى خالد بن جعفر بن كلاب والحارث بن ظالم ، فقتله الحارث . وذلك أن خالدا كان أغار على رهط الحارث بن ظالم من بنى يربوع ابن غَيْظ بن مُرَّة وهم فى واد يقال له حُراض . فقتل الرجالَ ، والحارث يومئذ غلام. وقيل : إن ظالما جُرح فى تلك الموقعة ومات . وكانت نساء بنى ذبيان لا يحلُبْنَ النَّعَم. فلما بقين بغير رجال ، طفقن يدعون الحارث ، فيَشُدّ عِصاب الناقة ويحلبها ، ويبكين رجالهن ، ويبكى الحارث معهن. فنشأ على بغض خالد . وأردف ذلك قتل خالد زهيرا، فاستحق العداوة فى غطَفان . فقال خالد بن جعفر من أبيات :

تركت نساء يربوع بن غيظ أرامل يشتكين إلى وليدِ

وصار خالد رأس هوازن . فلما استحق عداوة عَبس وذبيان أتى النعمان ابن المنذر[1] صاحب الحيرة لينظر ما قَدْرُه عنده ، وأتاه بفرس . فألفى عنده الحارث ابن ظالم قد أهدى له فرسا . فجاء الحارث بن ظالم بفرسه فقال : « أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! نَعِمَ صباحُك ، وأهلِى فِداؤك . هذا فرس من خيل بنى مُرَّة لم تُؤْتَ بفرس يشُقُّ غُباره ، إن لم تَنْسُبْه انْتَسَب . كنت ارتبطتُه لغزو بنى عامر بن صَعْصَعة . فلما أكرمتَ خالدا ، أهديتُه إليك » . وقام الربيع بن زياد العبسى فقال : « أبيت اللعن! نعم صباحُك ، وأهلى فداؤك . هذا فرس من خيل بنى عامر ارتبطتُ أباه عشرين سنة. لم يُخفِق فى غَزاة . وفضْلُه على هذين الفرسين كفضل بنى عبس[2] على غيرهم » . قال : فغضب النعمان عند ذلك وقال : « يا معشر قيس ، أرى خيلكم أَشْباها . أين اللواتى كأنّ آذانها شِقاق[3] أعلام ، وكأن مَناخِرَها وِجار[4] الضِّباع ،

---

(١) العقد الفريد ٥ : ١٣٧ : الأسود بن المنذر .

(٢) غ : بنى عامر .

(٣) الشقاق : جمع شقة ، وهى السبيبة المستطيلة من الثياب .

(٤) الوجار . جحر الضبع

وكأن عيونها عيون بَغايا النساء ، رِقاق المُسْتَطْعَم ، تُعالِك اللُّجُم فى أَشْداقها ، تدور على مَذاوِدها كأنها تَقْضم حَصًى ؟ » فقال خالد : « يزعم الحارث بن ظالم أن تلك الخيل خيله وخيل آبائه » . فغضب النعمان على الحارث .

فلما أمسوا اجتمعوا عند قينة من أهل الحيرة يقال لها [بنت] عَفْزَر يشربون . فقال لها خالد : « تَغَنَّى :

دارٌ لهندٍ والرَّباب وفَرْتَنَى ولَميسَ قبل حوادثِ الأيامِ

وهن خالات الحارث بن ظالم . فغضب الحارث حتى امتلأ غضبا وقال : « ماتزال تُتبع أولى بأخرى » .

ثم دعاهم النعمان بن المنذر(١) وقدم لهم تمرا . فطفِق خالد بن جعفر يأكل ويلق نوى ما يأكل بين يدى الحارث ابن ظالم . فلما فرغوا من الأكل . قال خالد بن جعفر : « أبيت اللعن ! انظر إلى ما بين يدى الحارث من النوى الذى أكله . ما ترك لنا تمرا إلا أكله ». فقال الحارث : « أما أنا فأكلت التمر وألقيتُ النوى ، وأما أنت ـ ياخالد ـ فأكلتَه بنواه » . فغضب خالد وكان لا يُنازَع . فقال : « أتُنازعنى ـ يا حارث ـ وقد قتلتُ حاضِرتك ، وتركتُك يتيما فى حجور النساء ! » فقال الحارث : « ذلك يومٌ لم أشهده وأنا مُغْنٍ اليومَ بمكانى » . قال خالد ، « هلا تشكر لى وقد قتلتُ زهير ابن جذيمة وجعلتُك سيد غَطَفان » . فقال الحارث : « بلى ، سأشكرك على ذلك » .

فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عفزر يشرب عندها . ثم تغنى فقال :

تَعَلَّمْ أبيتَ اللعن أنِّىَ قاتلٌ مِنَ اليوم أو مِنْ بعده لابن جعفرِ(٢)
أخالدَ ، قد نبَّهتَنى غيرَ نائمٍ فلا تأمَنَنْ فتكى يدَ الدهر واحْذَرِ

---

(١) ذكر ابن الأثير أن الأحداث كانت فى عهد النعمان بن امرئ القيس ومعه ، وذكر أيضا أن الملك الذى قتل الحارث ابنه هو الأسود بن المنذر .

(٢) غ : أنى فاتك . . . بابن جعفر .

أعيَّرْتَنِي أنْ نلتَ منى فوارسا غداةَ حُراضٍ مثلَ جِنَّان عَبْقَر (١)
أصابهمُ الدهرُ الخئون بعَثْرةٍ ومَنْ لا يَقِ اللهُ الحوادثَ يَعْثُر (٢)
فمَلَّك يوما أن تَبوءَ بضربةٍ بكفِّ فتًى من قومه غيرِ جَيْدَر (٣)
يُغِصُّ بها عُلْيا هوازنَ ، والمُنَى لقاءُ أبى جَزْءٍ بأبيضَ مِبْتَر (٤)

فبلغ خالدا قوله فلم يحفل به . فقال عبد الله بن جَعْدة . وكان رجلَ قيسٍ رأيا . وهو ابن أخت خالد لابنه : «يا بنى ، ائت أبا جزء فأخبِرْه أن الحارث بن ظالم سفيه موتور فأَخْفِ مبيتَك الليلة فإنه غلبه الشراب . وإن أبَيْتَ فاجعل بينك وبينه رجلا يحرسك » . فوضعوا رجلا بإزائه . ونام ابن جعدة دون الرجل ، وخالد من خلف الرجل ، وعُرف أن ابن عتبة وابن جعفر يحرسان خالدا (٥) . فأقبل الحارث فانتهى إلى ابن جعدة فتعدّاه . ومضى إلى الرجل — وهو يحسبه خالدا — فعَجَنه بكَلْكَله حتى قتله وكَسَره ، وطفق يَكْدُمه (٦) لا يعقِل ، والرجل تحته . ومضى إلى خالد وهو نائم ، فضربه بالسيف حتى قتله . وقال لعروة : « أخبِر الناس أنى قتلت خالدا » . وقال فى ذلك :

ألَا سائلِ النعمانَ إن كنتَ سائلا وحَىَّ كِلابٍ : هل فتكتُ بخالد ؟
عَشَوْتُ إليه وابنُ جَعْدةَ دونَه وعُروة يَكْلَا عَمَّه غيرَ راقد (٧)
وقد نصَبا رجلا فباشَرْتُ جَوْزَه بكلكلِ مَخْشِيٍّ العداوةِ حاردِ (٨)

(١) غ : ت : نلت منا . والجنان : الجن .
(٢) ت : الدهر الختور . غ : الدهر الختور بختره .
(٣) غ : أن تنوء . وجيدر : قصير .
(٤) ب ، س : يعض بها .
(٥) كذا فى غ . وفى ص : وعوف بن عتبة بن جعفر يحرس خالدا ، تحريف .
(٦) الكدم : العض بحديدة ونحوها .
(٧) غ : عشوت عليه . ومعناها قصدته عشاء . ويكلأ : يحرس ، وخفف همزته .
(٨) كذا فى غ . وفى ص : رجلا ما بين ابن جعدة ، تحريف . والجوز : الوسط . والحارد : المعتزل المتنحى الغاضب .

فأضربه بالسيف فى أُمِّ رأسه   فصمم حتى نال نُوطَ القَلائد(١)
وأفلت عبدُ الله منى بذُعرِه   وعروةُ من بعد ابن جعدةَ شاهِدى

فلما أبت غطفان أن تُجيره ، غضبتْ لذلك بنو عبس . وبعث إليه قيس بن زهير ابن جذيمة العبسى بهذه الأبيات :

جزاكَ اللهُ خيرا من خليلٍ   شفَى من ذى عداوته الغليلا(٢)
أزحتَ بها جوًى ودَخيلَ حُزْنٍ   تَمَخَّخ أعظُمِى زَمَناً طويلا(٣)
كسوتَ الجعفرىَّ أبا جُزَىْءٍ   ولم تَحْفِل به سيفا صَقيلا
أَبَأْتَ به زهير بنى بَغيضٍ   وكنتَ لمثلِها ولها حَمولا(٤)
كشفتَ بها القناعَ وكنت ممن   يُجلِّى العار والأمرَ الجليلا(٥)

فأجابه الحارث بن ظالم :

أتانى عن قُيَيْسِ بنى زهير   مقالةَ كاذبٍ ذكر التُّبولا(٦)
فلو كنتم كما قلتم لكنتم   لقاتلِ ثأْرِكم حِرْزا أصيلا
ولكن قلتمُ : جاوِرْ سِوانا   فقد جَلَّلْتَنا حدَثا جليلا
ولو كانوا همُ قتلوا أخاكم   لما طردوا الذى قتل القتيلا

فلما نفته(٧) غطفان لحق بحاجب بن زرارة . فأجاره ووعده أن يمنعه من بنى عامر .

---

(١) غ ، ت : فأضرب بالسيف يافوخ رأسه . وفى ص : نيط القلائد . والنوط : المعلق . وصمم : مضى .
(٢) غ : ذى تبولته .
(٣) تمخخ أعظمى : بلغ مخ عظامى .
(٤) أبأت القاتل بالقتيل : قتلته به .
(٥) غ : كشفت له .
(٦) التبول : جمع تبل ، وهو الثأر .
(٧) غ : منعته .

وبلغ بنى عامر مكانُه فى بنى تميم ، فساروا فى عُلْيا هوازن . فلما كانوا قريبا من القوم فى أول وادٍ من أوديتهم ، خرج رجل من غَـنِىّ فإذا هو بامرأة من بنى تميم من بنى حَنْظلة تجنى الـكَمْأة . فسألها عن الخبر . فأخبرتْه بمـكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زرارة وما وعده من نُصْرته ومَنْعه . فانطلق بهـا الغنوى إلى رَحْله . فانسَلّتْ فى وسط الليل. فأتى الغنوى الأحوص بن جعفر ، فأخبره أن المرأة قد ذهبت وقال : « هى مُنْذِرة عليك » . فقال له الأحوص : « ومتى عَهْدُكَ بهـا ؟ » قال : « عهدى والمَـنِىّ يقطُر من فرجها » . قال : « وأبيك ، إن عهدك بها لقريب » . واتبع المرأة عامر بن مالك يَقْفو أثرها حتى انتهى إلى بنى زُرارة ، والمرأة عند حاجب وهو يستخبِرها ، وهى لا تستطيع أن تنطق . فقال بعضهم : « اسْقوها ماء حارا فإن قلبها قد برد من الفَرَق[1] » . ففعلوا . وتركوها حتى اطمأنت ، وهو يقول : « أخبرينى من أخذك ؟ » فقالت : « أخذنى قوم يُقبلون بوجوه الظِّباء ويُدبرون بأَعْجاز النساء » . قال : « أولئك بنو عامر . فحدِّثينى ما سِيما القوم[2] ؟ » قالت : « رأيتهم يَغْدُون على شيخ كبير لا ينظر بمـأْقَيْه[3] حتى يرفعوا من حاجبيه ، عن أمره يَصْدُرون » . قال : « ذلك الأَحْوَص بن جعفر » . قالت : « ورأيت شابا شديدا الخَلْق كأن شعرساعده حَلَق الدرع ، يَعْذِم[4] القوم بلسانه عَذْم الفرس العَضوض » . قال : « ذاك عُتْبة بن بَشير بن خالد » . قالت : « ورأيت رجلا قليـل المَنْطِـق ، إذا تـكلّم اجتمع القوم لمنطقه كما تجتمع الإبل لفَحْلِها ، وهو من أحسن الناس وجها. ومعه ابنان له لا يُدْبر أبدا[5] إلا كانا معه يَتْبعانه ولا يُقبل إلا كانا بين يديه » .

---

(١) الفرق : الخوف .

(٢) غ ، ت : فحدثينى من فى القوم .

(٣) مأق العين : طرفها ، مؤخرها أو مقدمها .

(٤) العذم : العض ، ويريد اللوم والتعنيف .

(٥) كذا فى غ . وفى ص : لا يدبر أمرا ، والسياق يأباه .

قال : « ذلك مالك بن جعفر وابناه عامر وطُفَيل » . قالت : « ورأيت رجلا أبيض هِلْقامة جَسيما » . والهلقامة : الأفوَه[١] . قال : « ذلك رَبيعة بن عبد الله بن عبد ابن كلاب[٢]. قالت: « ورأيت رجلا أَخْنَس[٣] أسود قصيرا ، إذا تكلم عَذم القوم عَذْم الشَّموس[٤] » . والعذم : العض على اللسان . قال : « ذلك رَبيعة بن قُرْط ابن عبد الله[٥] بن أبي بكر بن كلاب » . قالت : « ورأيت رجلا صغير العينين ، أَقْرَن الحاجبين ، أَشْعَر السَّبَلة[٦] ، يَسيل لُعابه على لحيته إذا تكلم » . قال : « ذلك حُنْدج بن البَكّار » . قالت : « ورأيت رجلا صغير العينين ، ضيّق الجبهة ، طويلا ، يقود فرسا له ، معه جَفْر[٧] لا يجاوز يده » . قال : « ذلك ربيعة بن عُقَيل » . قالت : « ورأيت رجلا آدَم[٨] يَشْرَئب القوم إليه ، معه ابنان له حسنا الوجه أصْهبان[٩] ، إذا أقبلا نظر القوم إليهما حتى ينتهيا ، وإذا أدبرا نظر القوم لهما » . قال: «ذلك عمرو بن خُوَيْلد بن نُفَيل بن عمرو بن كلاب[١٠] ، وابناه يزيد وزُرْعة » . قالت : « ورأيت فيهم رجلين أحمرين جسيمين ذوى غدائر لا يفترقان فى ممشى ولا مجلس » . قال : « هما خالد وخويلد ابنا نُفَيل » . قالت : « ورأيت رجلا كأن

---

(١) الأفوه : العظيم الفم .

(٢) غ وكامل ابن الأثير ١ : ٤١٦ . ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب .

(٣) الأخنس : المتأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة .

(٤) غ : المنخوس .

(٥) غ : عبد .

(٦) السبلة : ما على الشارب من الشعر ، أو طرفه ، أو مجتمع الشاربين ، أوما على الذقن إلى طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة .

(٧) غ والكامل : جفير .

(٨) آدم : أسمر .

(٩) الصهبة : حمرة أو شقرة فى الشعر .

(١٠) الكامل ١ : ٤١٧ : ذلك الصعق بن عمرو بن خويلد .

شعر بفخذيه حَلَق الدرع » . قال : « ذلك شُرَيح بن الأحوص » . قالت : « ورأيت رجلا أسمر طويلا يجول فى القوم كأنه غريب » . قال : « ذلك عبد الله بن جَعْدَة ابن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صعصعة » .

فدعا حاجب الحارثَ بن ظالم . فأخبره بخَبَر القوم وقال : « يا ابن ظالم ، هؤلاء بنو عامر قد أتَوْك ، فما أنت صانع ؟ » قال الحارث : « ذلك إليك : إن شئتَ أقمتُ فقاتلتُ ، وإن شئتَ تنحّيْتُ » . قال حاجب : « تَنَحَّ غيرَ ملوم » . فغضب الحارث من ذلك وقال :

لعَمْرِى، لقد جاورتُ فى حَىٍّ وائلٍ ... ومن وائلٍ جاورتُ فى حَىٍّ تَغْلِبِ

فأصبحتُ فى حَىِّ الأَراقمِ لم يَقُل ... لىَ القومُ : ياحارِ بن ظالم ، اذْهَب

وقـد كان ظَـنِّى إذ عدلتُ إليـكُم ... بنى عُدُسٍ ظَـنِّى بأصحاب يَثْرِب[1]

غـداةَ أتاهُم تُبَّعٌ فى جنـوده ... فلم يُسْلِموا المُرْئَ من حَىٍّ يَحْصُب[2]

فإنْ تكُ فى عُلْيـا هوازنَ شوكَةٌ ... تُخاف ففيكم حَـدُّ نابٍ ومِخْلَبِ

فإنْ يَمْنع المـرءُ الزُّرارىُّ جارَهُ ... فما حاجبٌ من خِنْدفٍ بمُسَيَّبِ[3]

وإنْ يُسْلِمِ المرءُ الزُّرارىُّ جـارَه ... فأَعْجِب بها من حاجبٍ ثم أَعْجِب

فغضب حاجب وقال :

لَعَمْرُ أبيك الخيْرِ ، يا حارِ ، إننى ... لَأَمْنعُ جارا من كُلَيب بن وائلِ

وقد عـلم الحىُّ المَعَدِّىُّ أننـا ... على ذاك كنا فى الخُطوب الأوائل[4]

وأنّا إذا ما خاف جـارٌ ظُلامةً ... لبِسْنا لــه ثوبَىْ وفاءٍ ونائـل

وأنّ تَميما لم تُحارب قبيـلةً ... من الناسِ إلا أُولعتْ بالـكَواهل

(١) غ : إذ عقلت إليـكم . ت : إذ علقت إليـكم .

(٢) غ : يسلموا المرين . ت : يسلموا المرار .

(٣) كذا فى ت . وفى ص: فلم يمنع ، تحريف

(٤) ت : المرء المعدى .

ولو حاربتْنا عامرٌ يا ابنَ ظالمٍ ... لعَضّتْ علينا عامرٌ بالأنامل
ولاستيقنتْ عُليا هوازنَ أننا ... سنُوطِئُها فى دارها بالقَنابل (١)
ولكنّنى لا أبعَثُ الحربَ ظالما ... ولو هِجْتُها لم ألفَ طُعْمَةَ آكل (٢)

فتنحى الحارث بن ظالم عن زرارة ولحق بعَروض اليمامة . ودعا حاجب مَعْبدا ولَقيطا ابنى زرارة فقال : « سيرا فى الظُّعُن ، فموعدكما رَحْرَحان ، فإنا مُقيمون فى حامية الخيل حتى يأتينا بنو عامر » . وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر . فقالوا : « ماترى ؟ » قال : « أرى أن نَدَعهم بمكانهم ونَسْبِقَهم إلى الظعن » . قال : فلقوها برحرحان ، فاقتتلوا قتالا شديدا، فأصابوها . وأُسِر معبد . وجُرح لقيط . فبعثوا بمعبد إلى رجل بالطائف من أهلها ، وكان يُعذِّب الأسارى ، فقطَّعه إرْبا إربا حتى قتله .

وخرج الحارث بن ظالم من فَوْره حتى أتى سَلْمى بنت ظالم ، وفى حِجْرها ابن النعمان . فقال لها : « لن يُجيرنى من النعمان إلا تَحرُّمى بابنه ، فادْفَعيه إلىّ » . وقد كان النعمان بعث إلى جاراتٍ للحارث بن ظالم فسَباهن . فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله . فوثب النعمان على عم الحارث بن ظالم ، فقال له : « لأَقتلنَّك أو لَتأتينِّى بابن أخيك » . فاعتذر إليه فخلى عنه . فقال عم الحارث من أبيات :

ياحارِ ، إنك أحيا من مُخبَّأةٍ ... وأنت أَجْرأُ من ذى لِبْدةٍ ضارِى (٣)
وقد عدوتَ على النعمانِ ظالمَه ... فى قتلِ طفلٍ كمِثْلِ البدرِ مِعْطار (٤)
فاعلم بأنك منه غيرُ مُنفلِت ... وقد عَدوْتَ على ضِرْغامةٍ ضارى (٥)

---

(١) بالقنابل : كذا فى د ، ى ، ت ، أى الجماعات من الخيل والناس . وفى ص ، ب ، س : القبائل .

(٢) غ ، ت : شحمة آكل .

(٣) د ، ى : إنك أحيا .

(٤) غ : فقد عدوت .

(٥) غ : ضرغامة شارى . والضرغامة : الأسد ، والرجل الشجاع .

فقال الحارث بن ظالم فى ذلك[1] :

قِفا فاسمعا أُخبِرْكُما إذ سألتما ... مُحارِبُ مولاه وثَكْلانُ نادمُ[2]

حسِبتَ أبا قابوسَ أنك ظالمى ... ولمّا تَذُقْ فتكى وأنفُك راغم[3]

أخُصْيَيْ حمارٍ بات يَكْدُم نَجْمة ... أتُؤكَلُ جاراتى وجارُك سالم[4]

تمنيتَ جهلا على غيرِ ريبةٍ ... أحاديثُ طَسْمٍ إنما أنت حالم[5]

فإنْ تَكُ أَذْوادا أصبْتَ ونسوةً ... فهذا ابنُ سلمى رأسُه مُتفاقِم[6]

علوْتُ بذى الحيّاتِ مَفْرِقَ رأسه ... وكان سِلاحى تَجْتَويه الجماجم[7]

---

(١) المبرد : الكامل ٦١٣ . شرح ابن الأنبارى للمفضليات ٦١٥ . ابن الأثير : الكامل ١ : ٤١٨ . العقد الفريد ٥ : ١٤٨ .

(٢) ثكلان نادم : يعنى الأسود لأن ابنه شرحبيل قد قتل . محارب مولاه : الحارث نفسه . مولاه : سنان (الأغانى) .

(٣) غ مرة : أنك سابقى ، وأخرى أنك فائت . المفضليات : أنك سالم . ابن الأثير : أنك مخفرى غ مرة وابن الأثير : ولما تذوق ثكلا . المفضليات : ولما تصب ذلا . وشك الأصمعى فى هذا البيت لأنه ذهب إلى أن المقتول ابن عمرو بن الحارث ، جد النعمان الذى كان يكنى أبا قابوس .

(٤) المفضليات : أتأكل . يكدم : يعض بأدنى الفم . والنجم من النبات : مالا ساق له ، ومن الشجر : ماله ساق طال أو قصر .

(٥) د ، ى : تمنيته جهرا . وطسم : إحدى قبائل العرب البائدة ، وأحاديث طسم : مثل يقال لما لا أصل له .

(٦) ب ، س: فإن تك أذواد أصبن ونسوة . شرح المفضليات : فإن تك أذواد أصبن وصبية ت : ذودا قد أصبت . غ مرة ، ت : أمره متفاقم . والذود : القطيع من الإبل اختلف فى عدده ، ولا يكون إلا من الإناث .

(٧) شرح المفضليات والعقد :

علوت بذى الحيات مفرق رأسه ... وهل يركب المكروه إلا الأكارم

ذو الحيات : اسم سيفه ، إذ كان محلى بصور حيات . وتجتويه : لا يوافقها .

فتكتُ به فتكا كفتكى بخالدٍ ... وهل يركب المكروهَ إلا الأكارم (١)
بدأتُ بهذى ثم أثْنِى بمثلها ... وثالثةٍ تبْيضُّ منها المَقادم (٢)
شَفيْتُ غليلَ الصدرِ منه بضربةٍ ... كذلك يأبى المُغْضَبون القماقم (٣)

فلما سمع النعمان بهذه الأبيات قال: «مايعنى بثالثة غيرى». وقال سنان بن أبى حارثة المرى، وهو يومئذ رأس غطفان: «أبيت اللعن، والله ماذمةُ الحارث لنا بذمة، وما جارُه لنا بجار. ولو أمَّنتَه ما أمَّناه». فبلغ الحارث بن ظالم قول سنان. فقال فى ذلك من أبيات:

ألَا أَبْلِغِ النعمانَ عنى رسالةً ... فكيف تَخطّا فى الأمور الأعاظم (٤)
وأنت طويلُ البَغْى أَبْلَخُ مُعْوِرٌ ... فَزوعٌ إذا ما خِيفَ إحدى العَظائم (٥)
فما غَرَّه — والمرء يُدرِكُ وِتْرَه — ... بأَرْوَعَ ماضِى الهمِّ من آل ظالم

منها:

تمنَّى سِنانٌ ضَلّةً أن يُخيفنى ... ويأْمَنَ، ما هذا بفعل المُسالم
تمنيتَ جهلا أن تَضيع ظُلامتى ... كذبتَ وربِّ الرّاقصاتِ الرَّواسم (٦)

---

(١) غ مرة وابن الأثير:

فتكت به كما فتكت بخالد ... ولا يركب المكروه إلا الأكارم

وشرح المفضليات والعقد:

فتكت به كما فتكت بخالد ... وكأن سلاحى تجتويه الجماجم

(٢) غ مرة: بدأت بتلك وانثنيت بهذه شرح المفضليات: ثم أثنى بمثلها. العقد: بدأت بذاك وثنيت بهذه.

(٣) ب، س: شفيت عليك. والقماقم: جمع قمقام، وهو السيد الكثير الخير.

(٤) غ: فكيف بخطاب الخطوب. وتخطا: مخففة من تخطأ، أى أخطأ.

(٥) أبلخ: كذا فى د، ى، أى متكبر جرىء. وفى ب، س: أبلج، وهو مدح لا ذم وفى ص بدون نقط. والمعور. قبيح السريرة أو المريب.

(٦) غ: تمنيت جهدا. ورقص الإبل: ضرب من سيرها السريع، وكذلك الرسيم.

يمينُ امرئٍ لم يرْضَع اللؤمُ ثَدْيَه   ولم تتكَنَّفْه عروق الألائم

فأمّنه النعمان وأقام حينا .

ثم إن مصدِّقا[١] للنعمان أخذ إبلا لامرأة من بنى مُرَّة يقال لها دَلْهَب[٢] . فأتت الحارث فعلّقت دلوها بدلوه ، ومعها بُنَيّ لها . فقالت : « أبا ليلى ، إنى أتيتك مُضامة »[٣] . فقال الحارث : « إذا أورد القوم النَّعَم فنادِى بأعلى صوتك :

دَعوْتِ بالله ولم تُراعِى   ذلك داعيك فنِعْمَ الداعى[٤]

وتلك ذَوْدُ الحارث الكُساعى   يمشى لها بصارمٍ قطّاع[٥]

* يَشْفِى به مَجامع الصُّداع[٦] *

وخرج الحارث فى أثرها وهو يقول :

أنا أبو ليلى وسيف المَعْلوبْ   كم قد أَجَرْنا من حَريبٍ مَحْروبْ[٧]

وكم رَدَدْنا من سليبٍ مَسْلوب   وطعنةٍ طعنتُها بالمَصْبوب[٨]

* ذاكَ جَهيزُ الموتِ عند المَكْروب *

ثم قال لها : « لا تَرِدَنَّ عليك ناقة ولا بعير تعرفينه إلا أخذْتِه » . ففعلتْ .

---

(١) المصدق : جامع الصدقات والزكاة .

(٢) غ وشرح المفضليات ٦١٥ ، وخزانة الأدب ٣ : ١٨٥ : ديهث ت : ذاهب .

(٣) غ ، ت : مضافة .

(٤) د ، ى ، ت ، غ مرة : ذلك راعيك فنعم الراعى . وكامل ابن الأثير ١ : ١٩ : فادعى أبا ليلى فنعم الداعى .

(٥) غ ، ت : الكساع . والكسع : الضرب على الدبر . غ مرة : منطقا بصارم قطاع . والكامل : يمشى بعضب صارم قطاع .

(٦) الكامل : يفرى به مجامع الصداع .

(٧) المعلوب : كذا فى غ ، ت ، والخزانة ، وهو اسم سيفه . وفى ص : المسلوب، سبق قلم من الشطر الآتى . والحريب : المسلوب .

(٨) غ ، ت : بالمنصوب . ت : بالمضبوب .

فأتت على لَقُوح لها يحلبها حَبَشى فقالت : « يا أبا ليلى ، هذه لى » . فقال الحبشى : « كذبتِ » . فقال الحارث : « أرسِلْها ، لا أُمَّ لك ! » فضرط الحبشى فقال الحارث « استُ الحالبِ أعلم » . فصارت مثلا[١] .

ثم إن الحارث لحق ببلاد قومه مختفيا . وكانت أخته سلمى بنت ظالم عند سِنان ابن أبى حارثة المرِّى . فدفع الأسودُ إليها ابنه شُرَحْبيل بن الأسود تَكْفُله . وكانت سلمى بنت كَثير بن ربيعة من بنى غَنْم بن دُودان امرأة سنان تُرْضعه ، وهى أُمُّ هَرِم ، ممن كان غَنِيا يقدِر على ما يُعطى سائليه . فجاء الحارث — وقد كان اندسَّ فى بلاد غَطَفان — فاستعار سرج سنان ، ولا يعلم سنان ، وهم نزول بالشَّرَبَّة . فأتى به سلمى فقال : « يقول لك بعلُك : ابعثى بابن الملك مع الحارث حتى أستأمن له منه ويَتَخفَّر به . وهذا سَرْجه آية لك » . فزيّنته ثم دفعته إلى الحارث بن ظالم . فأتى بالغلام ناحيةً من الشربّة فقتله . ثم أنشأ يقول :

قفا فاسمعا أخبر كما إن سألتما[٢] ... محارب مولاه وثكلان نادم

ثكلان : يعنى الأسودَ لأنه قُتل ابنه شُرَحبيل . محارب يعنى الحارث نَفْسَه . مولاه : يعنى سنانا . وبقية الأبيات قد ذُكرت متقدما . ثم هرب الحارث . فغزا الأسود بنى ذُبْيان ؛ إذ نقضوا العهد وبنى أسد بشَطِّ أَريك . وهما أريكان : الأسود والأبيض ، لم يعرَف بأيهما كانت الوقعة . ويقال : إن سلمى امرأة سنان التى أخذ الحارث شرحبيل من عندها من بنى أسد فغزا الأسود بنى أسد لدفع سلمى الأسدية ابنه إلى الحارث . فقتل فيهم قتلا ذريعا ، وسبى ، واستحفّ أموالهم[٣] .

---

(١) غ : فسارت مثلا ، وهو التعبير المشهور .
(٢) غ : إذ سألتما .
(٣) استحف أموالهم : أخذها بأسرها . وفى غ : استاق .

وفى ذلك يقول أعشى بنى قيس بن ثَعْلبة يمدح الأسود[١] :

وشيوخٍ صَرْعَى بشَطِّ أَريك ونساء كأنَّهنَّ السَّعالى[٢]
من نَواصِي دودان إذ نقضوا العهـ دَ وذُبْيانَ والهِجانِ الغَوالى[٣]
رب رَفْدٍ هَرقْته ذلك اليو مَ وأسرى من معشرٍ أقْيال[٤]
هؤلاء ثم هؤلاء كُلاًّ أَعْطيـ تَ نِعالا مَحْذُوَّةً بمِثال[٥]
فأرى مَنْ عَصاكَ أصبح مخذو لا وكَعْبُ الذى يُطيعك عالى[٦]

ووجدت نعلا شرحبيل عند أُضاخ وهى من الشَّرَبَّة ، فى بنى مُحارب بن خَصَفة ابن قيس عَيْلان فأَحْمى لهم الأسود الصَّفا بصحراء أضاخ وقال لهم « إنى أحذيتكم نعالا » . فأمشاهم على ذلك الصفا المحمى . فتساقط لحم أقدامهم .

فلما كان الإسلام ، قتل جَوْشَن الكِنْدى رجلا من بنى محارب . فأُقيد به جوشن بالمدينة[٧] . وكان الكندى من رهط عباس بن زيد[٨] الكندى. فهجا بنى محارب فعَيَّرهم بتحريق الأسود أقدامهم فقال :

على عهدِ كِسْرى نَعَّلتكم ملوكُنا صَفاً من أُضاخٍ حاميا يتلهَّبُ

وصار ذلك مثلا يتوعد به الشعراء من هَجَوا ، ويحذِّرونهم مثل ذلك .

---

(١) ديوان الأعشى الكبير (المطبعة النموذجية) ١٣ . خزانة الأدب ٤ : ١٨٣ .

(٢) الديوان : وشيوخ حربى بشطى. والسعالى : جمع سعلاة ، وهى الغول أو ساحرة الجن .

(٣) الديوان : إذ كرهوا البأس .

(٤) غ والخزانة والديوان: أقتال . والرفد: القدح الكبير . والعرب تقول : هريق رفد فلان، أى قتل ، فالمعنى رب قتلى قتلتهم ، وقيل : المعنى : رب رجل له إبل يحلبها فغنمتها فذهب ما كان يحلبه فى الرفد . وأقيال : جمع قيل ، وهو الملك ، أو الملك من حمير خاصة .

(٥) غ والخزانة : كلا أحذيت .

(٦) غ والخزانة : وأرى .

(٧) كذا فى غ . وفى ص : فأقبل به جوشن إلى المدينة ، تحريف .

(٨) غ : يزيد .

ومن ذلك أن ابن عَبّاد الـكلابى[1] ورد على بنى النوس[2] من جَديلة طَيِّىء . فسرقوا سهاما له . فقال يحذرهم :

بنى النوس، رُدُّوا أَسْهُمى، إن أسهمى كنعلِ شُرَحْبيلَ التى فى محاربِ

وقال فى الجاهلية ابن أم كَهْف الطائى فى مدحه لمالك بن حمار الشَّمْخى ، فذكر نعل الحارث فقال :

ومولاكَ الذى قتل ابنَ سلمى علانيةً شُرَحْبيلَ بنِ نَعْلِ

لأنه لولا النعل لم يُعرف ، وإنما عرف بما[3] صنع أبوه ببنى محارب .

قال أبو عبيدة : أخذ الأسود سنان بن أبى حارثة . فأتاه الحارث بن سفيان ، أخو سَيّار بن عمرو بن جابر الفَزارى لأمه . فاعتذر إلى الأسود أن يكون سنان بن أبى حارثة عَـلِم ذلك أو اطّلع عليه . ولقد كان أَطْرَد الحارثَ من بلاد غطفان وقال : « إن دية ابنك ألفُ بعيرٍ دية الملوك » . فحمّلها إياه وخَلَّى عن سنان ، فأدى إلى الأسود منها ثمانى مائة بعير ثم مات . فقام سيار بن عمرو أخوه لأمه فيما بقى مقام الحارث ابن سفيان . فلم يرض به الأسود . فرهنه سيّار قوسه . فأدّى البقية . فلما مدح قُراد ابن حَنَش الصّارِدىّ بنى فَزارة ، جعل الحمالة كلها ليسار بن عمرو فقال[4] :

ونحن رَهَنّا القوسَ ثُمّتَ فُودِيتْ بألفٍ على ظهر الفَزارىِّ أَقْرَعا[5]

بعشرِ دياتِ الملوكِ سعَى بهـــا ليُوفِىَ سيارُ بن عمرو فأَسْرَعا[6]

(١) وكذا فى الخزانة ٤ : ١٨٣ . وفى غ : ابن عتاب الـكلابى .

(٢) الخزانة : البوس ، ولم يعثر الباحثون على الاسمين بين القبائل العربية ، وفى جـديلة بنو الأوس ، فلعلهم المرادون .

(٣) كذا فى غ . وفى ص : ما .

(٤) الخطيب : خزانة الأدب ٣ : ٣٠٤ . العقد الفريد ٥ : ١٤٩ .

(٥) ألف أقرع : تام العدد .

(٦) د ، ى ، والخزانة : بعشر مئين . العقد : بعشر مئين للملوك وفى بها . . ليحمد . . .

رمَيْنا صَفاهُ بالمِئِينَ فأصبحتْ ثَنَاياهُ للساعين فى المجدِ مَهْيَما[1]

ويقال : قالها رَبيع بن قَعْنَب ، فرد عليه قراد قوله فقال :

ما كان ثعلبُ ذى عاجٍ ليَحْمِلَها ولا الفَزارىُّ جُوفانُ بن جوفانا[2]

لـكنْ تَضمَّنها ألفـــا فأخرجها على تَـكاليفها حارُ بن سُفْيانا[3]

وقال عُوَيف القوافى بن عُقْبة بن عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدر فى الإسلام ، يفخر على [أبى] مَنْظور الوَبْرى[4] حين هاجاه أحد بنى وَبْر بن كِلاب :

فهل وجدتم حاملا كحامِلِى إذ رَهَن القوسَ بألفٍ كاملِ[5]

بذية ابنِ الملكِ الُحلاحِلِ فافتكَّها من فتكِ عامٍ قابِلِ[6]

سَيّـــارُ الموُفِى بها ذو النّائلِ

ولما قتل الحارث شرحبيل بن الأسود لحق ببنى دارم . فلجأ إلى بنى ضَمْرة بن ضمرة وبنو عبد الله بن دارم يقولون : بل جاور مَعْبَد بن زُرارة . فأجاره . فجَرّ جِوارُه يومَ رحْرَحان ويوم جَبَلة. وطلبه الأسود بن المنذر بخُفْرته . فلما بلغه نزوله ببنى دارم أرسل فيه أن يُسلموه . فأبوا . فقال الأسود يَمُنّ على بنى قَطَن بن نَهْشَل بن دارم بما كان من النعمان بن المنــذر فى أمر بنى رشيّة ـ وهى رُمَيلة ـ حين طلبهم من بنى لَقيط[7] بن زُرارة حتى استنقذهم . قال : ورشية أَمَة كانت لزُرارة بن عُدُس

---

(١) الثنايا : جمع ثنية ، وهى طريق العقبة . والمهيع : الطريق الواسع الواضح . يريد أننا حملناه من التـكاليف ما حملناه فاحتملها ، حتى أصبحت سبيله سبيلا لمبتغى المجد .

(٢) غ : بن جوفان ، والروى فى البيتين مكسور . والجوفان : أير الحمار .

(٣) يريد حارث بن سفيان ، فرخمه ، وذلك فى غير النداء قليل .

(٤) كذا فى غ . وفى ص : منظور الوزيرى ، وفوقها : الوترى .

(٥) العقد الفريد ٥ : ١٤٩ : وهل وجدتم .

(٦) غ والعقد : من قبل عام . والحلاحل : السيد الشجاع أو الضخم الـكثير المروءة .

(٧) غ : طلبهم من لقيط .

ابن زيد المُجاشِعِيّ[1] ، فوطِئها رجل من بنى نَهشل فأَوْلدها . وكان زرارة يأتى بنى نهشل يطلب الغِلْمَة التى ولدتْ . وولدت الأَشْهَب بن رميلة وغيره . وكانوا يُسْمِعونه ما يكره فيرجع إلى ولده فيقول . « أسمعنى بنو عمى خيراً[2] ، وقالوا : سنبعث بهم إليك عاجلا » . حتى مات زرارة وقام ابنه لقيط بأمرهم . فلما أتاهم ، أسمعوه ما كره . ووقع بينهم شر . فذهب النَّهْشَلى إلى الملك فقال : « أبيْتَ اللعن ! لا تَصِلنى وتصل قومى بأفضلَ من طِلْبَتك إلى لقيط الغِلْمة ليكفّ عنى » . فدعاه فشرب معه . ثم استوهَبهم منه فوهبهم له . فقال الأسود بن المنذر فى ذلك :

كَأَيِّن لنا من نعمةٍ فى رِقابكم ... بنى قَطَنٍ فَضْلا عليكم وأنْعُما
وكم مِنَّةٍ كانت لنا فى بيوتكم ... وقتلِ كريمٍ لم تَعُدُّوه مَغْرَما
فإنكمُ لا تمنعون ابنَ ظالم ... ولم يُمْسِ بالأيدى الوَشيج المُقوَّما[3]

فأجابه ضَمْرة بن ضمرة :

سنمنع جاراً عائِذا فى بيوتكم ... بأسيافنا حتى يَؤوب مُسلَّما[4]
إذا ما دَعَونا دارِما حالَ دونَه ... عَوابسُ يَعْلُكْنَ الشَّكيم المُعَجَّما[5]
ولو كنتَ حَرْبا ما وردْتَ طُوَيلِعا ... ولا حَوْفَهُ إلا خَميسا عرَمْرما[6]

(١) ذكر أبو الفرج فى ترجمة الأشهب بن رميلة (٩ : ٢٦٩) أنها كانت لخالد بن مالك بن ربعى .
(٢) كذا فى غ . وفى ص : أسمعتم بنى عمى خيرا .
(٣) الوشيج : شجر الرماح . والمقوم : الذى أزيل عوجه .
(٤) بأسيافنا : كذا فى غ . وفى ص : بأسيافكم . ورجح محققو «د» أن تكون : بيوتكم ، محرفة عن : بيوتنا . ويؤوب : يعود .
(٥) علك : لاك وحرك فى فه . الشكيم : الحديدة المعترضة فى الفم من اللجام . والمعجم : المعضوض .
(٦) كذا فى د ، ى عن معجم البلدان لياقوت (طويلع) واللسان (حوف) . وفى ص : ولو كنت حزا .. ولا حومه ، تحريف . وفى معجم البلدان : مابلغت طويلعا . وفى اللسان : ماطلعت طويلعا . وحوف الوادى : حرفه وناحيته ، وفى اللسان أن البيت يروى : جوفه ، وجوه أيضا . والخميس : الجيش . والعرمرم الكثير .

تركتَ بنى ماءِ السماءِ وفعلَهم ... وأشبهتَ تَيْسا بالحجازِ مُزنَّمـا[١]

ولن أذكُرَ النعمانَ إلا بصالحٍ ... فإنّ له فضلا علينـا وأنْعُمـا[٢]

وبلغ ذلك بنى عامر ، فخرج الأحوص غازيا لبنى دارم ، طالبا بدم أخيه خالد ابن جعفر ، حين انطوَوا على الحارث وأقاموا دونه . فغزاهم فالتقوا برَحْرَحان . فهُزمت بنو دارم . وأُسر معبد بن زرارة ، فانطلقوا به ، ومات فى أيديهم . ثم أسر بنو هِزّان الحارث بن ظالم .

قال أبو عبيدة : إن الحارث ـ لما قتل خالد بن جعفر ـ خرج هارباً حتى أتى صديقاً له فى كِنْدَة يحلّ شُعَبَى[٣] : فلما زاد الأسود فى طلب الحارث ، قال له الكندى : « ما أرى لك نجاةً إلا أن أُلحقك بحضْرَموْتَ بلاد اليمن ، فلا يوصل إليك » . فسار معه يوما وليلة . فلما غرّبه[٤] قال له : « إنى أنقطع ببلاد اليمن فأغترب بها . وقد برئتْ منك خفارتى » . فرجع حتى أتى أرض بكر بن وائل فلجأ إلى بنى عِجْل بن لَجُيم . فنزل على زَبّان[٥] فأجاره وضرب عليه قبة . وفى ذلك يقول العِجْلى :

ونحن منعْنا بالرماحِ ابنَ ظالمٍ ... وظلّ يُغنّى آمِنـا فى خِبائنـا[٦]

فجاءته بنو ذُهْل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شَيْبان فقالوا : « أخرِج هذا المشئوم من بين أظْهُرنا ، لايَعُرُّنا بشر ، فإنا لا طاقة لنا بمن يطلبه » فأبى إلا أن يُجيره . فقاتلوهم فامتنعتْ بنو عجل . فقال لهم الحارث : « إنى قد شُهِر أمرى فيكم ومكانى ، وأنا راحل عنكم » . فرحل فلحق بطيءٍ . وقال الحارث فى ذلك :

---

(١) المزنم : ماله هنة معلقة فى حلقة تحت لحيته ، وخص بعضهم به العنز . وهو أيضا ما تقطع أذنه وتترك له زنمة .

(٢) اللسان (زنم) : فإن له عندى يديا وأنعما .

(٣) كذا فى غ . وفى ص : بجبل شعثاء ، تحريف .

(٤) كذا فى غ . وفى ص : فلما أصر به البلاد ، وهى غير واضحة .

(٥) العقد ٥ : ١٤٧ : زياد .

(٦) د ، ى : فظل .

لَعَمْرِى ، لقد حَلَّتْ بِىَ اليومَ ناقتى إلى ناصرٍ من طَـيِّءٍ غيرِ خاذلِ
فأصبحتُ جاراً للمَجَرَّةِ منهمُ على باذخٍ يعلو على المُتطاوِلِ[1]

وكان سبب أسر بنى هِزّان للحارث بن ظالم أنه خرج يطوف فى البلاد حتى سقط فى ناحية من بلاد ربيعة . ووضع سلاحه وهو فى فَلاةٍ ليس بها أثر ونام . فمرّ به نفر من بنى قيس بن ثعلبة ، ومعهم قوم من بنى هزان من عَنَزَة ، وهو نائم . فأخذوا فرسه وسلاحه ثم أوثقوه فانتبه وقد شدوه فلا يملك من نفسه شيئاً . فسألوه : « من أنت ؟ » فلم يخبرهم من هو ، وطوى عنهم خبره فضربوه حتى كادوا يقتلونه على أن يخبرهم فلم يفعل .

فاشتراه القيسيون من الهِزّانيين بزِقٍّ من خمر وشاة وانطلقوا به . ويقال : اشتراه رجل من بنى سعد بإغلاق بَكْرةٍ وَعَيْبَة[2] وعشرين من الشاء . فلما انطلقوا به قالوا : « من أنت ! وما حالُك ؟ » فلم يخبرهم . فضربوه ليموت فأبى . فبينا هو على تلك الحال ، وهو قريب من اليمامة ، وهم يضربونه مرة ويهددونه أخرى ، مَلّوه ، وتركوه فى قِدِّه ولهوا عنه . فلم يزل يحتال ويبول على قده حتى أفلت . وتوجه إلى اليمامة فلقى غِلْمة يلعبون . فنظر إلى غلام هو أَخْيَلُهم للخير عنده . فقال له : « من أنت ؟ » فقال : « بُجَيْر بن أَبْجَر العِجْلى » . وله ذُؤابة يومئذ . وأمه امرأة قَتادة[3] بن مَسْلمة الحَنَفى . فأتاه وأخذ بحَقْوَيْه[4] فالتزمه ، وقال : « أنا جار لك » . فأتى الغلام أباه فأخبره فأجاره . وقيل : إنه — لما أفلت وأتى اليمامة — اتبعه بنو قيس حتى انتهى إلى نادى بنى حنيفة ، وفيهم قتادة بن مسلمة .

---

(١) العقد ٥ : ١٤٧ : للمجرة فيهم .

(٢) إغلاق الرهن : إيجابه للمرتهن إذا لم يفك . والمراد هنا إعطاء من باعه بكرة وعشرين شاة . والعيبة : ما يجعل فيه الثياب . وهى غير موجودة فى غ .

(٣) كذا فى غ . وفى س : أم قتادة . وذكر أبو الفرج بعد أن قتادة عم ذلك الصبى .

(٤) الحقو : الخصر .

فلما رآه يهوِى نحوهم قال : « إن هذا لخائف » . وبَصُر بالقوم خلفه فصاح به : « الحصنَ الحصن ! » فولج الحصن . وحال بينه وبين بنى قيس ، وقال : « لو أخذتموه قبل دخول الحصن سلمتُه إليكم . وأما إذ تحرَّم بى فلا سبيل إليه » . فقالوا له : « أسيرنا اشتريناه بأموالنا ، وما هو لك بجار ولا تعرفه . وإنما أتاك هاربا من أيدينا ، ونحن قومُك وجِيرتك » . قال : « أما أنْ أسلمه فلا يكون ذلك أبدا . ولكن اختاروا منى : إما أنْ تنظروا ما اشتريتموه به تأخذوه منى ، وإما أن أعطيه سلاحا كاملا وأحمله على فرس ، وتَدَعوه حتى يقطع الوادى ثم دُونَكُموه » . قالوا : « قد رضينا » . فقال للحارث ذلك فقال : « نعم » . فألبسه سلاحا كاملا وحمله على فرس ، وقال له : « إن أفلتَّهم فرُدَّ الفرس والسلاح »[١]. فخرج وتركوه حتى جاز الوادى ثم اتبعوه ليأخذوه . فلم يزل يقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بنى قُشير ، وهى قريب من اليمامة ، بينهما أقلُّ من يوم . فيئسوا منه ورجعوا عنه . وعرفه بنو قشير فانطوَوا عليه وأكرموه . ورد على قَتادة بن مسلمة فرسه وسلاحه . وأرسل إليه بمائة من الإبل مع ذلك ، لا أدرى أعطاه إياها بنو قشير من أموالهم ليكافىء بها قتادة أم كانت له .

ولما كانت هزيمة يوم رَحْرحان ، مر الحارث برجل من بنى أسد بن خُزَيمة . فقال: « يا حارِ . إنك رجل مشئوم ، وقد فعلتَ ما فعلت . فانظر إذا كنت بمكان كذا وكذا من بُرْقة رحرحان . فإن لى به جملا أحمر فلا تَعرِض له » . وإنما يعرِّض لديه ويكره أن يصرِّح ، فيبلغ الأسود فيأخذه . فلما كان الحارث بذلك المكان ، أخذ الجمل فنجا عليه ، وإذا هو لا يُسايَر من أمامه ولا يسبَق من ورائه . فبلغ ذلك الأسود ، فأخذ الأسود الأسدىَّ وناسا من قومه وبلغ ذلك الحارث بن ظالم ، فقال كأنه يهجوهم لئلا يتهمهم الأسود :

(١) غ : فرد الفرس والسلاح لك .

أرانى الله بالنَّعَم المُنَدَّى ... بِبُرْقة رَحْرَحان وقد أَرَانِ(١)

بحَىِّ الأَنْكَدين وحَىّ عبسٍ ... وحى نعامةٍ وبنى غُدان(٢)

فلما بلغ قولُه الأسود ، خلى عنهم .

ولحق الحارث وانتمى إلى قريش فذلك قوله(٣) :

وما قَوْمِى بثَعْلبةَ بن سعدٍ ... ولا بفَزارةَ الشُّعْرِ الرِّقابا(٤)

وقَوْمِى — إن سألتِ — بنو لُؤَىٍّ ... بمكةَ عَلَّموا مُضَرَ الضِّرابا(٥)

فزَوَّده رَواحةُ الجُمَحى وحمله على ناقة . فذلك قوله :

وهَشَّ رواحةُ الجمحىُّ رَحْلِى ... بناجيةٍ ولم يطلب ثَوابا(٦)

ولحق الحارث بالشام بملك من ملوك غسان يقال له النعمان ، ويقال : بل هو يزيد ابن عمرو الغَسّانى ، فأجاره . وكان للملك ناقة مُحْماة فى عنقها مُدْية وزِناد وصُرَّة فيها ملح ، وهو يختبر رعيته هل يجترئ عليه منهم أحد . ومع الحارث امرأتان ، فوَحِمَتْ إحدى امرأتيه . وأصابت الناسَ سَنَةٌ شديدة ، فطلبت الشحم . فقال : « وَيْحك ، أَنَّى لى بالشحم والوَدَك ! » فألحت عليه . فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن واد فنحرها وأخذ سنامها فأكلت المرأة ورفعت ما بقى من الشحم فى عِكْمها . وفُقِدت الناقة

---

(١) أوردت الخزانة ١ : ٢٣٦ هذا البيت فى شعر منسوب لمالك بن نويرة . وفى ب : المبدى . وتندية الإبل : أن يوردها الرجل الماء حتى تشرب قليلا ثم يأتى بها المرعى ساعة ثم يردها إلى الماء .

(٢) غ : لحى .

(٣) العينى : المقاصد النحوية ٣ : ٦٠٩ . شرح ابن الأنبارى للمفضليات ٦١٧ .

(٤) غ مرة ، والعينى ، والمفضليات : فما قومى . والشعر : جمع أشعر ، وهو كثير شعر الجسد والمفضليات : الشعرى رقابا .

(٥) شرح المفضليات : علموا الناس الضرابا .

(٦) الناجية : الناقة السريعة تنجو براكبها . وفى شرح المفضليات :

وحسن رواحة القرشى رحلى ... بناقته ولم ينظر ثوابا

وطُلبت ، فوُجدت نَحيرا لم يأخذ منها غير السنام. فأعلموا الملك بذلك . وخَفِى عليهم مَنْ فعله . فأرسل إلى الِخمْس[١] التَّغْلَبِى الـكاهن، فقال: « من نحر الناقة ؟ » فذكر أن الحارث نحرها . فتَذمَّم الملك وكذّب ذلك . فقال : « إن أردت أن تعلم عِلْم ذلك فدُسَّ امرأة تطلب من امرأته شحما » . ففعل . فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته شحما إلى المرأة . فأخذ المرأة فقتلها ودفنها فى بيته . فلما فُقِدت المرأة أيضا ، قال الخمس : « غالَها ما غال الناقة . فإن كَره الملك أن يفتِّشه عن ذلك فليأمره بالرحيل ويبحث بيته » . ففعل فاستَثار الخمس مكان بيته ، فوثب عليه الحارث فقتله . فأُخذ الحارث وحُبس وأُمر بقتله . فقال له : « إنك قد أجرْتَنى فلا تغدر بى » . فقال : « لا ضير إن غدرتُ بك مرة ، فقد غدرت بى مرارا » . وأمر مالك بن الخمس أن يقتله بأبيه. فقال له : « يا ابن شَرِّ الأَظْماء ، أتقتلنى ؟ » فقال : « نعم ، يا ابن شر الأَسْماء فقتله .

قال : وأخذ ابن الخمس سيف الحارث . فأتى به سوق عكاظ ليبيعه . فجعل يعرضه على البيع ويقول : « هذا سيف الحارث بن ظالم » . فاسْتَرآه[٢] إياه قيس بن زهير ابن جَذيمة فأراه إياه . فعَلاه به فى الحرم فقتله فى الحرم . فقال قيس يرثى الحارث بن ظالم :

فما قَصَرتْ من حاضنٍ سِتْرَ بيتها ... أَبَرَّ وأَوْفَى منك حارِ بن ظالم[٣]

أعزَّ وأحْمَى عنـــد جارٍ وذمـــةٍ ... وأضْرَب فى كابٍ من النَّقْعِ قاتِم

ويقال : إن النعمان بن المنذر هو الذى قتله .

ولما بلغ عمرَو بن الإطْنابة الخَزْرَجى ملك الحجاز أن الحارث بن ظالم قتل خالد ابن جعفر ــ وكان خالد مُصافيا له ــ غضب لذلك غضبا شديدا وقال : « والله ، لو لَقِى

---

(١) كذا فى غ والعقد ٥ : ١٥٠ وانظر ما بعد . وفى ص : ابن الخِمْس .

(٢) استرآه : طلب أن يريه إياه .

(٣) قصر الستر : أرخاه . العقد ٥ : ١٥٠ : وما قصرت .

الحارث خالدا وهو يَقْظان لَمَا نظر إليه ، ولكنه قتله نائما . ولو أتانى لقد عرف قدره » . فبلغ ذلك الحارث [فغضب] غضبا شديدا وقال : « والله ، لآتِيَنّه » .

فبلغ ذلك عمرو بن الإطنابة . فدعا بشرابه ، ووضع التاج على رأسه ، ودعا بقيانه فغَنَّيْن له :

عَلِّلانى وعَلِّلا صاحِبِيّا ... واسْقِيانى من المُرَوَّقِ رِيّا
إنَّ فينا القيانَ يعزِفْن بالدُّ ... فِّ لفِتْيانِنا وعَيْشا رَخِيّا
يتبارَيْن فى النعيمِ ويَصْبُبْـ ... ـن خلالَ القُرونِ مِسْكا ذَكِيّا(١)
إنما هَمُّهن أنْ يتحلَّيْـ ... ـن سُموطا ومُسْبَلا فارسيا(٢)
من سُموط المَرْجان فُصِّل بالشَّذْ ... رِ فأَحْسِنْ بحَلْيِهِنّ حُلِيّا
وفتًى يضرب الكتيبةَ بالسيـ ... ـفِ إذا كانتِ السيوفُ عِصِيّا
إننا لا نُسَرُّ فى غير نَجْرٍ ... إنّ فينا بها فتًى خَزْرَجيا(٣)
يدفع الضَّيْمَ والظُّلامة عنا ... فتَجافَىْ عنه لنا يا مَنِيّا(٤)
أبْلِغِ الحارثَ بن ظالمٍ المو ... عد والناذرَ النّذور عَلَيّا(٥)
إنما يقتل النِّيامَ ولا يقـ ... ـتلُ يَقْظانَ ذا سلاح كَمِيّا(٦)
ومعى شِكَّتى مَعابِلُ كالجَمْـ ... ـر وأعددتُ صارما مَشْرَفيا(٧)

---

(١) كذا فى غ . وفى ص : خلال الفروق ، تحريف . والقرون : جمع قرن ، وهو الخصلة من الشعر .

(٢) غ : وسنبلا فارسيا .

(٣) غ : غير نجد .

(٤) غ : والظلامة عنها ،

(٥) غ : الرعد يد والناذر .

(٦) الكمى : الشجاع المتكمى فى سلاحه ، أى المستترفيه . الكامل لابن الأثير ١ : ٤١٩ : تقتل .

(٧) الشكة : السلاح . والمعابل : النصال الطويلة العريضة . والشرفى من السيوف : المنسوب إلى المشارف من أرض اليمن .

لوهبطتَ الحجازَ أَنْسَيْتُكَ الفتـ ... ـك كما يُنسِىءُ النَّسِىءُ النَّسِيّا[1]

فلما بلغ الحارثَ شعرُه اشتد غضبه وازداد حنقه . وسار حتى أتى ديار بنى الخزرج . ثم دنا من قبة عمرو بن الإطنابة ، ونادى : « أيها الملك ، أَغِثْنى فإنى جار مكثور[2] ، وخُذْ سلاحك » . فأجابه وخرج معه حتى إذا برز له ، عطف عليه الحارث وقال : « أنا أبو ليلى » . فاعتركا مليا من الليل . وخشى عمرو أن يقتله الحارث فقال له : « يا جارِ ، إننى شيخ كبير ، وإنه تَعْترينى سِنة ، فهل لك فى تأخير هذا الأمر إلى غد ؟ » فقال : « هَيْهات ! ومن لى بك فى غد ؟ » فتجاوَلا ساعة . ثم ألقى عمرو رمحه من يده وقال : « يا حارِ ، ألم أخبرك أن النعاس يغلبنى ؟ قد سقط رمحى فاكفُفْ » . فكف . قال : « أَنْظِرنى إلى غد » . قال : « لا أفعل » قال : « فدَعْنى آخذ رمحى » . قال : « خذه » قال : « أخشى أن تُعجلنى عنه أو تفتك بى إذا أردت أخذه » . فقال : « وذمةِ ظالم ، لا أعجلتُك ولا قاتلتُك ولا قتلتك حتى تأخذه » . فقال عمرو : « وذمة الإطنابة ، لا آخذُه ولا أقاتلك » . فانصرف الحارث إلى قومه وقال مجيبا له :

اعزِفا لى بـــلذةٍ قَيْنَتَيّا ... قبلَ أن تَـكْثُر الهمومُ عَلَيّا[3]

قبــل أن يُبْـكِر العواذلُ إنى ... كنتُ قِدْما لأَمْرِهن عَصِيّا

لا أُبالى إذا اصطبحتُ ثلاثــا ... أَرَشيدا حَسِبْتَنى أم غَوِيا[4]

---

(١) غ : لوهبطت البلاد أنسيتك القتل . وكذا ورد الشطر الثانى فى غ ، وفى ص : كما قد ينسى ويأباه الوزن ، والمعنى غامض على الروايتين .

(٢) مكثور : كثر عليه أعداؤه .

(٣) غ : قبل أن تبكر المنون عليا .

(٤) غ :

ما أبالى أراشدا فاصبحانى ... حسبتنى عــواذلى أم غويا

بعدَ ألّا أُسِرَّ لله إثمـــا ... فى حياتى ولا أخونَ صَفِيّا[١]
من سُلافٍ كأنهـا دَمُ ظبيٍ ... فى زجاجٍ تَخالُه رازِقيّا[٢]
بلغتنا مقالةُ المـــرءِ عمرٍو ... فأنِفْنا وكـان ذاك بَدِيا[٣]
قـد همَمْنا بقتلِه إذ برزْنا ... ولَقينـاه ذا سلاحٍ كَميا
غيرَ ما نائمٍ يُعلَّـل بالحلْـ ... ـم مُعِدّا بكفه مَشْرَفيا[٤]
فمَنَنَّا عليـــه بعد عُـلوٍّ ... بوفـاءٍ وكنتُ قِدْما وَفيّا
ورجَعْنا بالصفحِ عنه وكان المَـ ... ـنُّ منّا عليه بعدُ تَليّا

وكانت وقعة رحرحان فى رجب، وكانت مُضَر تدعوه الأَصَمّ، وإنما سمى الأصم لأنهم كانوا لا يتنادَوْن فيه: «يا آل فلان! يا آل فلان!» ولا يتغازَوْن[٥] فيه ولا يتنادون فيه بالشِّعارات، وهو أيضا مُنْصِل الأَلّ، والألّ: الأسنة، كانوا إذا دخل رجب أنصلوا الأسنة من الرماح حتى يخرج الشهر.

وأُسر يومئذ مَعْبد بن زُرارة، أسره عامر بن مالك. واشترك فى أسره طُفيل ابن مالك ورجـل من غَنِى يُقال له عِصْمة بن وَهْب، وكان أخا طفيل بن مالك من الرضاعة. وكان معبد بن زرارة كثير المال. ثم وفد لَقيط بن زرارة على عامر فسأله أن يطلق له أخاه. فقال: «أما حِصَّتى فيه فقد وهبتُها لك، ولـكن أَرْضِ أخى وحَليفى اللذين اشتركا فيه. فجعل لقيط لـكل واحد مائة من الإبل. فرضِيا وأتيا

(١) غ: ألا أصر. وأسر: أكتم وأظهر.

(٢) السلاف: الخمر، شبهها بدم الظبي فى طيب الرائحة لأن المسك يؤخذ منه. والرازقى: الـكتان أو ثياب بيض تتخذ منه. وضرب من عنب الطائف أبيض طويل الحب. وفى ص: كأنه تحريف.

(٣) غ: بديا. الـكامل لابن الأثير ١: ٤١٩: فالتقينا وكان ذلك بديا.

(٤) كامل ابن الأثير:
غير مـا نائم يروع بالفتـ ... ـك ولـكن مقلدا مشرفيـا

(٥) كذا فى غ. وفى ص: ولا يتعاورون.

عامرا فأخبراه . فقال عامر للقيط : « دُونَكَ أخاكَ » . فأطْلَق عنه . فلما أطلق ، فكر لقيط فى نفسه فقال : « أعطيهم مائتى بعير ثم تكون لهم النعمة علىّ بعد ذلك . لا والله لا أفعل ذلك » . ورجع إلى عامر فقال : « إن زُرارة نهانا عن أن نَزيد على مائةٍ : ديةِ مُضَر ، فإن أنتم رضيتم أعطيتكم مائة من الإبل » فقالوا : « لا حاجة لنا بها » . فانصرف لقيط . فقال له معبد : « مالى يُخرجنى من أيديهم ». فأبى ذلك عليه وقال : « إذن يقتسم العرب بنى زرارة » . فقال معبد لعامر بن مالك : « أنشُدُكَ الله لَمَا خلَّيْتَ سبيلى ، فإنما يريد ابن الحمراء أن يأكل مالى ـ ولم تكن أمه أم لقيط ـ . فقال له عامر : « أبْعَدكَ الله ! إنْ لم يُشْفِق عليك أخوك فأنا أَحَقُّ ألّا أشْفِق عليك » . وعَمَدوا إلى معبد فشدوا عليه القِدّ ، وبعثوا به إلى الطائف . فلم يزل بها حتى مات . فذلك قول شُريح بن الأحوص :

لَقيطُ ، وأنت امرؤ ماجدٌ ... ولكنّ حِلْمَك لا يَهْتدى
ولما أَمِنْتَ وساغ الشرا ... بُ واحتل بيتُك فى ثَهْمَد[1]
رفعتَ برِجْليك فوق الفرا ... شِ تُهدى القصائد فى مَعْبَد
وأَسْلَمْتَه عند جِدِّ القتال ... وتبخل بالمال أنْ تفتدى

وقيل فى ذلك أشعار .

وكان فى خلال ذلك يوم شِعْب جَبَلة ، وهو من أعظم أيام العرب . وأيام العرب العظام ثلاثة : يوم كُلاب رَبيعة[2] ، ويوم شِعْب جَبَلة ، ويوم ذى قار . وكان

---

(١) ثهمد : جبل أحمر فارد بديار غنى .

(٢) كذا فى الأصول . وفى النقائض ٦٥٤ : « وكانت عظام أيام العرب ثلاثة أيام : يوم الكلاب ، ويوم ذى قار لربيعة ، ويوم جبلة » . وهو الصواب ، لأن الكلاب شهد يومين : الأول بين أبناء الحارث بن عمرو آكل المرار ومعهم بكر والرباب ويربوع وتغلب والنمر وبهراء . والثانى بين تميم وبنى الحارث بن عبد المدان .

يوم شعب جبلة قبل الإسلام بسبع[1] وخمسين سنة ، قبل مولد النبي — صلى الله عليه وسلم — بسبع[1] عشرة سنة ، فإن النبي — صلى الله عليه وسلم — وُلد عام الفيل ، وأوحى الله تعالى إليه بعد أربعين سنة ، وقُبض وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقَدم إليه عامر بن الطفيل فى السنة التى قبض فيها — صلى الله عليه وسلم — وهو ابن ثمانين سنة .

وحديث يوم جبلة حديث مطول إلا أن خلاصته هى ذكر المكيدة التى فيه ، وهى أن بنى عامر — لما سمعوا بقصد تميم وذُبْيان وأسد فى لَفِّهم وجَمْعهم — اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفر ، وهو شيخ كبير قد وقع حاجباه على عينيه، وقد ترك الغزو، غير أنه يدبر أمر الناس وكان مجرَّبا حازما ميمون النَّقيبة فأخبروه الخبر. فقال لهم الأحوص « قد كبرت فما أستطيع أن أجىء بالحزم . وقد ذهب الرأىُ منى ، ولكن إذا سمعتُ عرفتُ . فأَجْمِعوا آراءكم ثم بِيتوا ليلتكم واغدوا على فاعرِضوا آراءكم » . ففعلوا . فلما أصبحوا غدوا عليه . فوُضعت عباءة بفنائه فجلس عليها . ورُفع حاجباه عن عينيه بعصابة . ثم قال : « هاتوا ما عندكم » . فقال قيس بن زهير العبسى : « بات فى كِنانتى هذه مائة رأى » . فقال الأحوص : « يكفينى منها رأى واحد حازم صَليب[2] مُصيب . هات فانثُر كِنانتك » . فجعل يعرض عليه كل رأى رآه حتى أنفَد . فقال الأحوص : « ما أرى بات فى كنانتك الليلة رأى واحد حازم صليب » . وعرض القوم عليه آراءهم حتى أنفدوا . فقال : « ما أسمع شيئاً وقد صِرْتم إلىّ . احمِلوا أثقالكم وضعفاءكم » . ففعلوا . ثم قال : « احملوا ظُعُنكم » . فحملوها .

---

(١) كذا فى النقائض ٦٧٦ ، وهو الصواب بمقارنة التواريخ جميعا . وفى ص: كتبت تسع ثم كتبت عليها سبع فصار المراد غير واضح . وفى غ ، ت : سبع ، خطأ . وفى العقد ٥ : ١٤١ : قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو خطأ .

(٢) كذا فى غ ، والنقائض ٦٥٧ وفى ص : صائب ، ومصيب تغنى عنها .

ثم قال : « اركبوا » . فركبوا وجعلوه فى مِحَفَّة . وقال : « انطلقوا حتى تُعْلوا فى اليمن . فإن أدرككم أحد كررتُم عليه ، وإن أعجزتموهم مضيتم » .

فسار الناس حتى أصبحوا بوادى بِحار ، فإذا الناس يرجع بعضُهم على بعض . فقال الأحوص : « ما هـذا ؟ » قيل : « عمرو بن عبد الله بن جَعْدة فى فتيان من بنى عامر يَعْقِرون من جاز بهم ويقطعون بالنساء حَواياهن[1] . فقال الأحوص : « قَدِّمونى » . فقدموه حتى وقف عليهم . فقال : « ما هـذا الذى تصنعون ؟ » قال عمرو : « أردت أن تفضَحَنا وتُخرجنا هاربين من بلادنا ، ونحن أعزُّ العرب وأكثرها عددا وجَلَدا وأحدّ [ها] شَوْكة ! تريد أن تجعلنا موالى العرب » . قال : « فكيف أفعل ، فقد جاء ما لا طاقة لنا به ؟ فما الرأى ؟ » قال : « نرجع إلى شعب جبلة فنُحرز النساء والذَّرارى والضَّعَفة والأموال فى رأسه ، ونكونُ فى وسطه ، ففيه ثَمَد[2] . فإن أقام من جاءك أسفل، أقاموا على غير ماء ولا مُقامِلهم. وإن صعدوا إليك قاتلتَهم من فوق رءوسهم بالحجارة ، وكنتَ فى حِرْز وهم فى غير حرز ، وكنت على قتالهم أقوى منهم على قتالك » . قال : « هذا — والله — الرأى . فأين كان هـذا عنك حين استشرتُ الناس ؟ » قال : « إنما جاءنى الآن » . فقال الأحوص للناس : « ارجعوا » . فرجعوا . فذلك قول نابغة بنى جعدة :

ونحن حَبَسْنا الحىَّ عَبْسا وعامرا ... لحسّانَ وابنِ الجَوْن إذ قيل أَقْبِلا

وقد صَعِدتْ وادى بحارٍ نساؤهم ... كإصْعادِ نَسْرٍ لا يرومون منزلا[3]

عَطَفْنا عليهم كالضَّرُوسِ فصادفوا ... من الهَضْبة الحمراء عِزّا ومَعْقِلا[4]

---

(١) الحوايا : مراكب النساء .

(٢) غ : والنقائض ثمل ، أى خصب وماء ، وهى أحسن ، لأن الثمد الماء القليل لا مادة له

(٣) كذا فى د ، ى عن النقائض ومعجم البلدان . وفى ص ، ب ، س : لإصعاد سير . وفى النقائض : عن ذى بحار .

(٤) الضروس : الناقة العضوض .

الهضبة الحمراء : فى شعب جبلة . وجبلة : هضبة حمراء بين الشُّريف والشَّرَف . [والشريف] : ماء لبنى نُمير . والشرف : ماء لبنى كلاب . وجبلة : جبل عظيم له شِعْب واسع لا يؤتى(١) الجبل إلا من قبل الشعب . والشعب متقارب ، وداخله متسع .

فدخلت بنو عامر شِعْبا منه يقال له مُسلِّح . فحصنوا النساء والذرارى والأموال فى رأس الجبل ، وحَلَّئوا(٢) الإبل عن الماء ، واقتسموا الشعب بالقِداح ، وأُقْرِع بين القبائل فى شَظاياه(٣) . فخرجت بنو نمير(٤) ومعهم بارق — حى من الأزد حلفاء يومئذ لبنى نمير ، وبارق هو سَعْد بن عَدِىّ بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِياء(٥) بن ماء السماء ، وسمى مزيقياء لأنه كان يمزق عليه فى كل يوم حلة — فولجوا الخَلِيف . والخليف : الطريق بين الشِّعْبين شبه الزُّقاق .

وكانت كَبْشَة بنت عُرْوة الرَّحَّال بن عُتْبة بن جعفر بن كِلاب يومئذ حاملا بعامر بن الطُّفَيل . فقالت : « ويلكم ، يا بنى عامر ! ارْفَعونى فإن فى بطنى عز بنى عامر » . فصَفُّوا القِسِىّ على عَواتقهم ثم حملوها حتى أَثْوَوْها القُنَّة . فقيل : إنها ولدت عامرا يومَ فرغ الناس من القتال .

وعُمِّى على بنى عامر الخبر فلا يدرون ما بُعْد القــوم من قُرْبهم . وأقبلت تميم وذُبْيان وأسد ولِفُّهم نحو جبلة . ولقوا كَرِب بن صَفْوان بن شِجْنة بن عُطارد بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مَناة(٦) . فقالوا له : « أين تذهب ؟ أتريد أن تُنْذر بنــا

(١) كذا فى د ، ى عن النقائض. وفى ب ، س ، ص : لا يرى .
(٢) حلئوا : منعوا .
(٣) الشظايا : جمع شظية ، وهى القطعة من رءوس الجبال .
(٤) غ : بنو تميم .
(٥) ص: عمرو بن مزيقياء . خطأ ، فزيقياء لقب عمرو . (التاج : مزق) .
(٦) كامل ابن الأثير ١ ٤٣٥ : كرب بن صفوان بن الحباب السعدى .

بنى عامر ؟ » قال : « لا » . قالوا : « فأَعْطِنا عهداً ومَوْثقا أنك لا تفعل » . فأعطاهم فخلَّوا سبيله . فمضى مسرعا على فرس له عُرْيٍ[1] حتى إذا نظر إلى مجلس بنى عامر ، وفيهم الأحوص ، نزل تحت شجرة بحيث يرونه . فأرسلوا إليه يدعونه . فقال: « استُ فاعلا ولكنى إذا رحلت فأتوا منزلى ففيه الخبر » . فلما جاءوا منزله ، إذا فيه تراب فى صُرَّة وشوك قد كُسر رؤوسه وفرّق جِهَته ، وإذا حَنْظلة موضوعة ، وإذا وَطْب مُعلَّق فيه لبن . فقال الأحوص : « هذا رجل قد أُخذ عليه المواثيق ألا يتكلم . وهو يخبركم أن القوم مثل التراب كثرة ، وأن شوكتهم قليلة ، وهم متفرقون ، وجاءتكم بنو حنظلة . وانظروا مافى الوطب » ، فإذا فيه ابن حَزَر : (قَرَص) . فقال : « القوم منكم على قَدْرِ حِلاب اللبن إلى أن يَحْزُر » . فلما تيقن بنو عامر بإقبالهم صمدوا الشعب . وأمر الأحوص بالإبل التى قد عطشت قبل ذلك فقال : « اعقِلوها كل بعير بعقالين [فى] يديه جميعاً » .

وأصبح النـــاس ولقيط نزولا به . وكانت مشورتهم إلى لقيط . فقالوا له : « ما ترى؟ » قال: « أرى أن تصمدوا إليهم » . فقال لهم شَأْس : « لا تدخلوا على بنى عامر فإنى أعلم الناس بهم : قد قاتلتهم وقاتلونى وهزمتُم وهزمونى . فما رأيت قوماً أَقْلَق بمنزل من بنى عامر . وما وجدت لهم مثلا إلا الشُّجاع[2] ، فإنه لا يَقَرُّ فى جُحْره قلقا . وسيخرجون إليكم ، والله ــ لئن بِتُّم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدِرون عليكم » . فقال لقيط : « والله ، لندخلنّ عليهم » .

ثم استقبلهم جمل عَوْد أجرب أَحَذّ أَعْصَل كاشر عن أنيابه[3] . فقال الحُزاة من بنى أسد ــ والحازى : القائِف : « اعِقْروه » . فقال لقيط : « والله ، لا يُعقَر حتى

---

(١) كذا فى غ . وفى ص ، والنقائض : عربى . والعرى : مالا سرج عليه .

(٢) الشجاع : الحية أو الذكر من الحيات أو ضرب صغير فيها .

(٣) العود: المسن والأحذ: خفيف شعر الذنب أو قصير الذنب . والأعصل: الملتوى الذنب.

يكون فحل إبل غدا » . وكان البعير من عَصافير المنذر التى أخذها قُرَّة بن هُبَيرة ابن عامر بن سَلَمة . والعصافير : إبل كانت للملوك نَجائب .

ثم استقبلهم معاوية بن عُبادة بن عُقيل ، وكان أعْسَر ، وهو يقول :

أنا الغُلامُ الأعْسَرْ الخيرُ فِيَّ والشّرّ

والشَّرُّ فىّ أكثَرْ[1]

فتشاءمت بنو أسد وقالوا : « ارجِعوا عنهم وأَطيعوا » ، فرجعت بنو أسد إلا نفرا يسيرا .

ثم إنهم دخلوا عليهم وقد أخذوا حِذْرهم . وجعل الأحوص ابنه شريحاً على تعبئته . فأقبل لقيط وأصحابه مُدِلِّين فأَسْنَدوا إلى الجبل حين ذَرّت الشمس[2] . فصعد لقيط فى الناس وأخذ بحافتى الشِّعْب . فقالت بنو عامر للأحوص : « قد أتوك » . فقال : « دَعُوهم » . حتى إذا انتصفوا الجبل وانتشروا فيه ، قال الأحوص : « حُلّوا عُقُل الإبل ثم أحْدِروها واتْبَعوا آثارها. وليتبع كلُّ رجل منكم بعيره حجرين أو ثلاثة » . ففعلوا . ثم صاحوا بها . فلم يَفجأ الناسَ إلا الإبل تريد الماء والرعى . وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنَّبْل . فأقبلت الإبل تَحْطِم كل شىء مرت به . وجعل البعير يُدَهْدِى بصدره كذا وكذا حجراً . وكان لقيط وأصحابه سخروا منهم حين صنعوا بالإبل ماصنعوا . فانحطّ الناس منهزمين فى الجبل حتى بلغوا السهل فلما بلغوا السهلَ لم يكن لأحدهمة إلا إن يذهب على وجهه . وجعل بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف فى آثارهم . فانهزموا شر هزيمة .

ووقف لقيط على بِرْذَونه . وجعل لا يمر به أحد من الجيش إلا قالوا له : « أنت

(١) د ، ى ، عن النقائض ، وفى ت والعقد ٥ : ١٤٣ أيضا : والشرفى أكثر .

(٢) ذرت : طلعت .

قتلتنا وشامَتّنا[١] » . وجعل لقيط يقول : « من يكُرّ وله خمسون ناقة ؟ » ويرتجز ويقول :

عَرَفْتُكم والعينُ بالدمع تَكِفْ لفارسٍ أَتْلَفْتُموه ما خَلِفْ[٢]

إن الشِّواء والنَّشيل والرُّغُف والقَيْنة الحسناء والكأس الأنُف[٣]

وصَفْوة القِدْر وتعجيل اللَّقَف للطاعنين الخيلَ ، والخيلُ قُطُف[٤]

ولما أكثروا لومه وعتابه ، قال :

يا قومِ . قد أحرقتُمونى باللوْمْ ولم أُقاتِلْ عامرا قبلَ اليَوْمْ

فاليومَ إذ قاتلْتُمُ فلا لوم تَقدَّموا وقَدِّمونى للقوم[٥]

شتّانَ هذا والعناقُ والنوم والمَضْجَعُ البارد فى ظلِّ الدَّوم

فأجابه شريح ـ لما رآه يشجع الناس ويأمرهم بالإقدام، وكان بينهما جُرْف منكَر :

إن كنتَ ذا صِدْقٍ فأقْحِمْهُ الجُرُفْ وقَدِّم الأَشْقَر حتى تَعْتَرِف[٦]

وجوهَنا إنّا بنو البِيض العُطُف[٧]

فضرب لقيط فرسه فاقتحم الجرف . فطعنه شريح فارْتُثّ . والارتثاث : أن يُحمل وهو مجروح ، فإنْ حُمل ميتاً فليس بمُرْتَثّ . فبقى يوماً ثم مات .

---

(١) ب ، س : وشاءتنا . د ، ى ، عن النقائض : وشتمتنا .

(٢) ب ، س : والدمع بالعين . د ، ى عن النقائض ٦٦٣ : والدمع من العين . ويكف : يسيل .

(٣) غ : إن النشيل والشواء والرغف . والنشيل : اللحم المطبوخ أو الذى ينشل من القدر قبل النضج ، واللبن ساعة يحلب . والأنف : التى لم يشرب بها قبل ذلك .

(٤) اللقف : كذا عن د ، ى . وفى ص : اللف . واللقف : ما يلقف ويتناول من الطعام وقطف : جمع قطوف ، وهى المتقاربة الخطو .

(٥) غ ، ت والنقائض : إذ قاتلتهم .

(٦) غ : والنقائض وقرب الأشقر . وتعترف : تعرف .

(٧) العطف : جمع عطوف ، وهو وصف من عطف عليه إذا رجع عليه بما يكره أوله بما يحب

وجعل بنو عمرو يضربونه وهو ميت . فقالت ابنته دَخْتَنوس ، وكانت تحت عمرو بن [عمرو بن][1] عدس :

أَلَا يا لَهَا الوَيْلاتُ وَيْلة من بكى لضَرْبِ بنى عبسٍ لَقيطاً وقد قَضَى[2]
لقد ضربوا وجهاً عليه مَهابةٌ وما تَحفِل الصُّمُّ الجنادل مَنْ رَدَى[3]
فلو أنكم كنتم غداةَ لَقيتُمُ لقيطاً صَبَرْتُم للأسنَّةِ والقَنا[4]
غَدرْتُم . ولكن كنتمُ مثلَ خُضَّبٍ أصاب لها القَنّاصُ من جانب الشَّرى[5]
فما ثأرُه فيكم ولكنّ ثأرَه شُريحٌ إنِ أُرْدَتْه الأسنةُ أو هَوَى[6]
فإن تُعْقِبِ الأيامُ من عامر يَكُن عليهم حَريقاً لا يُرام إذا سَما
ليَجْزِيَهم بالقتل قتلا مُضعَّفا وما فى دماءِ الحُمْسِ يامالِ من بَوا[7]
ولو قتلَتْه غالبٌ كان قتلُها علينا من العار المُجدِّع للمُلا[8]
لقد صَبَرتْ للموت كعبٌ وحافظَتْ كِلاب ، وما أنتم هناك لمن رأى

وقيل . بل طعنه جَزْء بن خالد بن جعفر ، فحُمل وبه طعنات ، فبقى يوماً ثم مات . وتمت الهزيمة وكثرت القتلى والأسرى .

---

(١) زيادة عن غ والنقائض ٦٦٥ .

(٢) د ، ى : ويلات من بكى .

(٣) ب ، س : الضيم الجنادل .

(٤) ب ، س : ضربتم بالأسنة . وجواب «لو» هنا محذف ، أى لأصابكم منا القتل الذريع .

(٥) الخضب ، جمع خاضب وهى النعام . وأصاب : سقط ونزل . والشرى : موضع . والنقائض :أصاب له .

(٦) د ، ى عن النقائض: شريح وأردته الأسنة إذ هوى . ب ، س : شريح أأردته الأسنة أو هوى .

(٧) ب ، س . ليجزيكم . والحمس : لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهلية . وبوا : سواء وتكافؤ .

(٨) غ والنقائض : ولو قتلتنا .

وشَهِدها لَبيد بن رَبيعة بن مالك بن جعفر ، وهو ابن تسع سنين . وقيل : ابن بضعَ عشرةَ سنة .

وأماحاجب بن زُرارة فخرج منهزما . وخرج فى أثره الزَّهْدَمان : زَهْدم وقيس ابنا جَرْم بن وُهَيب[١] بن عُوَيْر[٢] بن رَواحة العَبْسيان ، يطرُدان حاجبا ويقولان: « اسْتَأْسِر » ، وقد قَدَرا عليه . فيقول : « من أنتما ؟ » فيقولان : « الزهدمان » . فيقول : « لا أستأسر لمولَيَيْن » . فبينما هم كذلك ، إذ أدركهم مالك ذو الرُّقَيبة ابن سلمة بن قُشَير ، فقال لحاجب : « استأسر » . قال : « من أنت ؟ » قال : « أنا مالك ذو الرقيبة » . قال : « أفعل . فلَعَمْرِى ، ما أدركتَنى حتى كِدت أن أكون عبدا » . وألقى رمحه إليه . فاعتنقه زهدم وألقاه عن فرسه . وصاح حاجب: « يا غوثاه ! » وجعل زهدم يُراوغ[٣] قائم السيف . فنزل مالك فاقتلع زهدما عن حاجب . فمضى زهدم وأخوه حتى أتيا قيس بن زهير بن جَذيمة ، فقالا : « أخذ مالك أسيرنا من يدنا » . قال : « ومن أسرتما ؟ » قالا : « حاجب بن زرارة » . فخرج قيس يسبق الناس حتى وقف على بنى عامر ، فقال : « صاحبكم أخذ أسيرنا » . قالوا : « ومن صاحبنا ؟ » قال : « مالك بن سلمة ، أخذ من الزهدمين حاجبا » . فجاءهم مالك فقال : « لم آخُذه منهما ولكنه استأسر لى وتركهما » . فلم يبرحوا حتى حكّموا حاجبا وهو فى بيت ذى الرقيبة . فقالوا : « من أَسَرَك ، يا حاجب ؟ » قال : « أما من ردّنى عن قَصْدى ومنعنى أن أنجو ورأى منى عَوْرة فتركها فالزهدمان . وأما الذى استأسرتُ له فمالِك . فحكّمونى فى نفسى » . فقالوا له :

---

(١) غ والنقائض : حزن بن وهب .

(٢) غ : عويمر .

(٣) د ، ى عن النقائض : يريغ ، وهى أوضح .

« قد جعلنا لك الحكم فى نفسك » . فقال: « لمالك ألف ناقة، وللزهدمين مائة ناقة».

فكان بين قيس بن زهير وبين الزهدمين غضب بعد ذلك . فقال قيس :

جَزانى الزّهدمان جزاءَ سوءٍ وكنتُ المرءَ يُجْزَى بالكرامَهْ

وقد دافعتُ قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ بنى قُرْطٍ وعَمُّهُمُ قُدامه[1]

ركبتُ بهم طريقَ الحق حتى أَثَبْتُهُمُ بها مائةً ظُلامه[2]

وقال جرير فى ذلك[3] :

ويومَ الشِّعْبِ قد تركوا لَقيطا كأنّ عليه حُلّةَ أُرْجُوانِ[4]

وكُبِّلَ حاجبٌ بشَمامِ حَوْلا فحَكَّم ذو الرُّقَيْبة وهو عانى[5]

وقال المُعقِّر بن أوس بن حِمار البارقى من قصيدة :

أمِنْ آلِ شَعْثاءَ الحُمولُ البَواكرُ مع اللّيل أم زالتْ قُبَيْلُ الأباعرُ[6]

وحلّت سليمى فى هِضابٍ وأَيْكةٍ فليس عليها يومَ ذلك قادر[7]

وألقتْ عَصاها واستقرّتْ بها النَّوَى كما قَرّ عيناً بالإياب المسافر

منها :

هوى زهدمٌ تحتَ الغبار لحاجبٍ كما انقَضَّ أَقْنَى ذو جناحين ماهر[8]

---

(١) ب ، س : بنى قرظ .

(٢) كذا فى: د، ى عن النقائض . وفى ب ، س: أتيتهم بها . وفى ص بدون نقط غير التاء الثانية.

(٣) ديوانه ٥٦٨ . والعقد ٥ : ١٤٣ ، والنقائض ٦٧٠ .

(٤) الديوان : فيوم الشعب . . . خلة أرجوان . النقائض : خلة أرجوان .

(٥) وشمام : موضع . غ ، والديوان . والنقائض والعقد : ذا الرقيبة .

(٦) ت : من الليل . العقد ٥ : ١٤٤ : مع الصبح .

(٧) كذا فى غ ، ت . وفى ص : فلست عليها قبل ذلك قادر .

(٨) الأقنى : الصقر المعوج المنقار . العقد :

هوى زهدم تحت العجاج لحاجب كما انقض باز أقتم الريش كاسر

وآخرها :

لها ناهِضٌ فى المهد قد مَهَدَتْ له　　كما مَهَدت للبَعْل حَسْناء عاقرُ[(١)]

وبهذا البيت سمى معقرا ، واسمه سُفْيان بن أَوْس . وإنما خص العاقر لأنها أقل دالَّة على الزوج من الوَلود ، فهى تُداريه ما استطاعت .

---

(١) ب ، س : نهدت . والناهض : الفرخ الذى وقر جناحاه حتى استقل للنهوض. والعقد: فى الوكر .

وَالبة بن الُحباب*

أَسَدىّ صَليبة ، كوفىّ ، شاعر من شعراء الدولة العباسية، كنيته أبو أسامة .

وهو أستاذ أبى نُواس ، وعنه أخذ أبو نواس ، ومنه اقتبس .

وكان والبة ظريفاً ، شاعراً ، غزلا ، وَصّافاً للشراب والغلمان والمُرْد[1] . وشعره فى غير ذلك مُقارِب ليس بالجيد . وهاجَى بشارا وأبا العتاهية ، فلم يصنع شيئاً ، وفضحاه فعاد إلى الكوفة كالهارب . وخَمَل ذ كره بعد ذلك . قال المهدى لعُمارة بن حمزة : « من أرقُّ الناس شعراً ؟ » قال : « والبة بن الحباب الأسدى الذى يقول[2] :

ولهــا ولا ذنبَ لهــا حُبٌّ كأطراف الرماحِ
فى القلب يَقْدح والَحشــا فالقلبُ مجروح النواحى[3]

قال : « صدقتَ والله » . قال : « فما يمنعك من منادمته ، يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « يمنعنى من منادمته قوله[4] :

قلتُ لســاقينـا على خَلوةٍ أدْنِ كذا رأسَك من راسِى[5]
ونَمْ على صَدْرِكَ لى ساعةً إنى امرؤٌ أنــكحُ جُلّاسى[6]

أفتريد أن أ كون من جلاسه على هذه الشريطة ؟ » .

---

* أخباره فى ب ١٦ : ١٤٨ ، س ١٦ : ١٤٢ ، ى ١٨ : ٤٣ ، طقبـات الشعراء لابن المعتز ٨٧ .

(١) غ : والغلمان المرد .

(٢) ابن المعتز ٢٠٨ .

(٣) ابن المعتز : فى القلب يجرح دائما .

(٤) ابن المعتز ٨٩ .

(٥) الشعر فى غ يائى الروى لا سينيه ، فرويه فيه : راسيا جلاسيا .

(٦) ابن المعتز : وادن فضع صدرك .

ويحكى أن المنصور قال لوالبة : « ادخل إلى المهدى فجالسْه وحادثه » . فدخل إليه. فكان أول ما أنشده :

قولا لعمرو لا تكُنْ ناسِيا ... وسَقِّنى لا تحبسَنْ كاسيا[1]

واردُدْ على الهيثمِ مثلَ الذى ... هجتَ به ـ ويحك! ـ وَسْواسِيا

وسَقِّ إبراهيم لا تُعْفِـه ... حتى تراه مِثْلَنـا حاسِيـا

كَرْخيّةً يُحْسَب من ذاقَها ... صاحب مُومٍ لم يجد آسِيـا[2]

وقُلْ لمن لام على شربهـا ... اعضض برغم حجرا قاسيا

وقل لساقينـا على خَلْوة ... أدنِ كذا رأسك من راسِيا

ونَمْ على جنبك لى ساعة ... إنى امرؤ أنـكح جلاسيا[3]

فبلغ المنصور ذلك ، فقال : « لا تعيدوه إليه ، أردنا أن نصلحه فإذا هو مفسده» .

قال الدَّغْلَجى غلام أبى نواس : « أنشدت يوماً بين يدى أبو نواس قوله[4] :

يا شقيقَ النفسِ من حَكَمٍ ... نمتَ عن ليـلى ولم أنَمِ[5]

وكان قد سكر . فقال : « أخبرك بشىء على أن تكتمه ؟ » قلت : « نعم » . قال : « أتدرى من المَعْنىّ بهذا :

* يا شقيق النفس من حكم * ؟ »

قلت : « لا » . قال : « أنا ـ والله ـ المعنى بذلك ، والشعر لوالبة بن الحباب قاله فىّ . ووالله ، ما علم بهذا غيرك ، وأنت أعلم » . فما حدثت بذلك حتى مات .

---

(١) الوزراء والكتاب للجهشيارى ١٤٩ : وسقنى الخمرة من كاسيا .

(٢) الكرخية : الخمر : المنسوبة إلى الخمر . والموم : الحمى . والآسى : الطبيب .

(٣) الجهشيارى : ونم على صدرك .

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٥٠١ .

(٥) ب ، س : عن عينى .

قال الجاحظ[١] : كان والبة بن الحباب ومطيع بن إياس ومُنْقِذ بن عبد الرحمن الهلالى[٢] وحَفْص بن أبى وَرْدة[٣] وابن المقفع ويونس ابن أبى فَرْوة وحَمّاد عَجْرد وعلى بن الخليل وحَمّاد الراوية وحماد بن الزِّبْرِقان وعُمارة بن حمزة ويزيد بن الفَيْض وجميل بن محفوظ وبَشّار المُرَعَّث وأبان اللّاحِقى[٤] ، ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر ، ولا يكادون يفترقون ، ويهجو بعضهم بعضا هزلا وجِدا ، وكلُّهم متَّهم فى دينه .

كان والبة أتى بُجيرا[٥] الأسدى . وهو يتولى الأهواز للمنصور . فمدحه وأقام عنده . فألفى أبا نواس هناك وهو أمرد فصحبه . وكان أبو نواس حسن الوجه . فلم يزل معه . فيقال : إنه كشف ثوبه ليلة فرأى حمرة أَلْيتيه وبياضهما فأعجبته فقبّلها. فضرط عليه أبو نواس . فقال والبة : « لم فعلت هذا ، ويلك ؟ » قال : « كراهية أن يضيع قول القائل : ما جزاء من قَبّـل الاست إلا ضرطة » .

وكان والبة ماجنا مطبوعا خبيث الدِّين .

قال أبو سَلْهَب الشاعر : كان والبة صديق . فكنا يوما نشرب بغُمَّى[٦] . فانتبه من سكره وقال : « يا أبا سلهب ، اسمع » . ثم أنشدنى[٧] :

(١) لم أجد هذا النص عند الجاحظ ، وإن أورده عنه المرتضى فى الأمالى ١ : ١٣١ . ولكن فى الحيوان ٤ : ٤٤٧ ما يقرب منه ، إذ قال الجاحظ : « وكان حماد عجرد وحماد الراوية وحماد ابن الزبرقان ويونس بن هارون وعلى بن الخليل ويزيد بن الفيض وعبادة وجميل بن محفوظ وقاسم ومطيع ووالبة بن الحباب وأبان بن عبد الحميد وعمارة بن حربية يتواصلون وكأنهم نفس واحدة ، وكان بشار ينكر عليهم ثم أوردهجاء لأبى نواس فيهم بالزندقة .

(٣) المرتضى : حفص بن أبى ودة .

(٤) زاد عليهم المرتضى: يحيى بن زياد وقاسم بن زنقطة .

(٥) غ : أبا بجير .

(٦) غمى : قرية من نواحى بغداد قرب البردان وعكبرا .

(٧) ابن المعتز ٨٨ . ياقوت : معجم الأدباء ٣ : ٨٠٩ .

شربتُ وفاتكٌ مِثْلى جَموحٌ ... بغُمَّى بالكؤوس وبالبَواطِى (١)
يُعاطِينى الزجاجةَ أَرْيَحِىٌّ ... رخيمُ الدَّلِّ، بُورِكَ من مُعاطِى! (٢)
أقول له على طَرَبٍ : أَلِطْنى ... ولو بمُؤَاجَرٍ عِلْجٍ نُباطى (٣)
فما خيرُ الشراب بغير فِسْقٍ ... يُتابَع بالزِّناء وباللواط ؟ (٤)
جعلتُ الحج فى غُمَّى وبَنَّى ... وفى قُطْرُبُّلٍ أَبدا رِباطى (٥)
فقُلْ للخَمْسِ : آخِرُ مُلْتقانا ... إذا ما كان ذاكَ على الصِّراط (٦)

يعنى الصلوات الخمس، قبحه الله!

وحدث ليلة أنه كان نائما، وأبو نواس غلامه إلى جنبه، إذ أتاه آت فى منامه فقال له : « أتدرى من هـــذا النائم إلى جانبك ؟ » قال : قلت : « لا » . قال : « هذا أشعر منك، وأشعر من الجن والإنس . أما والله، لأفتِنَنَّ بشعره الثَّقَلَيْن، ولأُغْوِيَنَّ بشعره أهل المشرقين » . قال : فعلمت أنه إبليس . فقلت له : « فما له عندك ؟ » قال : « عصيت الله فى سجدة فأهلكنى، ولو أمرنى أن أسجد له ألف سجدة لسجدت » .

---

(١) ابن المعتز :

شبيه الفاتك العيـار مثلى ... نعيم حين يشرب بالبواطى

والبواطى : جمع باطية، وهى إناء الخمر .

(٢) ابن المعتز : يعاطينا .

(٣) العلج : الرجل الغليظ من كفار العجم . ياقوت : على طلب . . . يناطى .

(٤) ب، س : يتابعه زناء أو لواط . ابن المعتز :

فإن الخمر ليس تطيب إلا ... على وضر الجنابة باللواط

(٥) غمى : قرية من نواحى بغداد قرب البردان وعكبرا . وبنى : قرية على شاطئ دجلة من نواحى بغداد بينهما نحو فرسخين وهى تحت كلواذا . وقطربل : قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمر .

(٦) ياقوت : فقل للخمر .

الوليد البحترى*

هو الوليد بن عُبيد[1] بن يحي بن عبيد بن شِمْلال بن جابر بن سَلَمة[2] بن مُسْهِر ابن الحارث بن خَيْثَم[3] بن أبى حارثة بن جُدَىّ بن تَدُول[4] بن[بُحْتُر بن][5] عِتْوَد بن عُنَين[6] بن سَلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوْث بن جُلْهُمة ، وهو طيء بن أُدَد بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرب بن قَحْطان . كنيته أبو عُبادة . وقيل : أبو الحسن ، فأُشير عليه فى أيام المتوكل أن يقتصر على أبى عبادة فإنها أشهر ، فاقتصر عليها .

شاعر فصيح ، فاضل ، حسن المذهب ، نقى الكلام . مطبوع . كان المشايخ — رحمهم الله — يختمون به الشعراء .

وله تصرُّف فى ضروب الشعر سوى الهجاء ، فإن بضاعته فيه نَزْرة ، وجَيِّده فيه قليل . وكان ابنه أبو الغوث يحي يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن أنه لما حضَره الموت دعا به وقال : « اجمع كل شىء قلتُه فى الهجاء » . ففعل . فأمره فأحرقه . ثم قال له : « يا بنى ، هذا شىء قلتُه فى وقت فشفَيْتُ به غيظى وكافأت به

* أخباره فى ب ١٨ : ١٦٧ ، س ١٨ : ١٦٧ ، ى ٢١ : ٣٩ ، أخبار البحترى للصولى معجم الأدباء لياقوت ١٩ : ٢٤٨ ، تاريخ بغداد للخطيب ١٣ : ٤٧٦ .

(١) ب ، س ، وياقوت : عبيد الله .

(٢) ب ، س ، وياقوت : مسلمة .

(٣) كذا فى ب ، س . وفى ى وياقوت : جشم وفى ص بدون نقط .

(٤) كذا فى ص وصححها المعرى فى عبث الوليد ١٨ وفى ب، س : نزول . وفى ى وياقوت بدول .

(٥) زيادة عن غ وياقوت والخطيب والنويرى ٢ : ٢٩٩ .

(٦) كذا فى الخطيب والاشتقاق لابن دريد ٣٨٧ . وفى ص ، ى : عمير . وفى هامش ص : عنبر . وفى س : عنمة . وفى نهاية الأرب : عنيز .

قبيحا فُعِل بى. وقد انقضى أَرَبى. وإن بقىَ رُوِى. وللناس أعقاب يورثونهم العداوة والمودة. وأخشى أن يعود عليك من هذا شىء فى نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولا لى فيه». فعلمت أنه قد نصحنى وأشفق على. فجمعته وأتيته به. فأحرقه.

وهذا الأمر إن كان كما روى أبو الغوث[1] ــ لا فائدة فيه، لأن الذى وجدناه وبقى فى أيدى الناس من هجائه أكثره ساقط، لا يشاكل شعره ولا يوافق طبعه ولا يَليق بمذهبه، وتنبئ ركتها، وغَثاثة ألفاظها عن قلة حظه فى الهجاء. وما يُعْرَف له هجاء جيد إلا قصيدتان: إحداهما قوله فى ابن أبى قماش[2]:

* مَرَّت على عزمها ولم تقف *

والثانية قوله فى يعقوب بن الفرج النصرانى[3]:

* تظنّ شجونىَ لم تَعْتَلِجْ *

وهى إن لم تكن فى أسلوب الأولى وطريقتها فإنها تجرى مجرى التهكم والطنز[4] الطيب الخبيث.

وكان البحترى يتشبه بأبى تمام الطائى فى شعره، ويحذو مذهبه، وينحو نحوه فى البديع الذى كان أبو تمام يستعمله، ويراه صاحبا وإماما، ويقدّمه على نفسه، ويقول فى الفرق بينه وبينه قولَ منصف: إن جَيِّد أبى تمام خير من جيده ووسطه، ورديئَه خير من وسط أبى تمام ورديئه. وكذا حكم هو لنفسه[5].

---

(١) كذا فى غ. وفى ص: وهذا الأمر وإن كان أحر وهجاؤه لافائدة فيه، تحريف.

(٢) ديوانه (طبع الجوائب ١٣٠٠ هـ) ٢ : ١٥٩، وعجزه: «مبدية للشنان والشنف»

(٣) كذا فى غ وديوانه ٢ : ١٠٠، وفى ص: يعقوب بن أبى الفرج. وعجز البيت: «وقد خلج البين من قد خلج».

(٤) الطنز: السخرية.

(٥) ابن المعتز: طبقات الشعراء ٢٨٦، الصولى: أخبار البحترى ٥٧، وأخبار أبو تمام ٥٧. الآمدى: الموازنة ٨، ابن خلكان: الوفيات ٢ : ١٧٦، ياقوت: معجم الأدباء ١٩ : ٢٤٩ اليافعى: مرآة الجنان ٢ : ٢٠٤ العباسى: معاهد التنصيص ١ : ٢٣٤.

قيل للبحترى : « إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام » . فقال : « والله ، ما ينفعنى هذا القول ولا يضر أبا تمام . ووالله ما أكلتُ الخبز إلا به . ولَوَدِدْتُ أن الأمر كما قالوا . ولـكنى — والله — تابعٌ له ، آخِذٌ منه ، لائذ به ، نَسيمى يركُد عند هوائه وأرضِى تنخفض عند سمائه » .

وقال عبدالله بن الحسين[1] بن سعد للبحترى — وقد اجتمعا والمبرد معهما فى سنة ستٍ وسبعين ومائتين ، وقد أنشد البحترى شعرا لنفسه ، وقد كان أبو تمام قال فى مثله — : « أنت — والله — أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر » . فقال البحترى : « كلا والله . إن أبا تمام الرئيس والأستاذ . والله ، ما أكلتُ الخبز إلا به » . فقال المبرد : « لله دَرُّك يا أبا عبادة ! فإنك تأبى إلا شرفا من جميع جوانبك » .

قال البحترى[2] : « كان أول أمرى فى الشعر ونباهتى أنّى صرت إلى أبى تمام — وهو بحمص — فعرضت عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم . فأقبل علىّ وترك سائر من حضر . فلما تفرقوا ، قال لى : « أنت أشعر من أنشدنى . فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خَلة . فكتب إلى أهل مَعَرَّة النُّعْمان ، وشهد لى بالحذق فى الشعر ، وشفع لى إليهم ، وقال : « امتدِحْهم » . فصرت إليهم فأكرمونى بكتابه ووظّفوا لى أربعة آلاف درهم . فكانت أول مال أصبته . وكان نسخة كتابه : «يصل كتابى هذا على يدى الوليد أبى عبادة الطائى . وهو على بذاذته شاعر . فأكرِموه» .

قال البحترى : أول ما رأيت أبا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف ، وقد مدحته بقولى[3] :

---

(١) كذا فى س وأخبار البحترى للصولى ٥٧ . وفى ص ، ى : الحسن . وانظر أخبار أبى تمام ٦٦ .

(٢) أخبار البحترى ٥٥ ، وأبى تمام ٦٦ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٢١٢ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٢٣٥ ، وهبة الأيام للبديعى ١٣ .

(٣) أخبار البحترى ٦٣ ، وأبى تمام ١٠٥ وديوان البحترى ٢ : ٢١٢ .

أأفاق صَبٌّ من جَوًى فأُفيقا أم خان عهدا أم أطاع شفيقا ؟[1]

فسُرَّ بها أبو سعيد وقال : « أحسنت ، والله ، يا فتى ! » قال : وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس نبيه فوق كل من حضر عنده ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل علىّ ثم قال : « أما تستحى منى ؟ هذا شعرى تنتحله وتنشده بحضرتى ! » فقال له أبو سعيد : « أحقا تقول ؟ » قال : « نعم . وإنما عَلِقه منى وسبقنى إليك به وزاد فيه » . ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككنى — علم الله — فى نفسى ، وبقيت متحيرا . فأقبل على أبو سعيد فقال لى : « يا فتى ، قد كان من قرابتك منا ووُدِّك لنا ما يغنيك عن هذا » . فجعلت أحلف بكل محرجة من الأَيمان أن الشعر لى ما سبقنى إليه أحد ولا سمعته ولا انتحلته . فلم ينفع ذلك شيئا . وأطرق أبو سعيد . وقطِع بى حتى تمنيت أنى سُخْت فى الأرض . فقمت منكسف البال أجر رجلىّ فخرجت . فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردونى . فأقبل علىّ الرجل وقال : الشعر لك ، يا بنى والله ، ما قلته قط ولا سمعته إلا منك . ولكننى ظننتَ أنك تهاونت بموضعى فأقدمت على الإنشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا ، تريد بذلك مضاهاتى ومكاثَرَتى ، حتى عرّفنى الأمير نسبك وموضعك ولوددت ألا تلد طائية إلا مثلك » . فجعل أبو سعيد يضحك . ودعانى أبو تمام إليه وعانقنى وأقبل يقرِّظنى . ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به .

وقيل : إنه دخل على أبى سعيد فألفى عنده أبا تمام قد أنشده قصيدة له . فاستأذنه البحترى فى الإنشاد وهو يومئذ حديث السن . فقال له : « يا غلام ، أتنشد بحضرة أبى تمام ! » فقال : « تأذن ويسمع » . فأذن له . فقام وأنشده إياها ، وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحسانا لها . فلما فرغ ، قال له : « أحسنت ، والله يا غلام ! فمن أنت ؟ » قال : « من طيئ » . فطرب أبو تمام

(١) الديوان ، والأخبار ، غ : من هوى . وفى غ : أو خان عهدا أو أطاع شفيقا .

وقال : « من طيء ، والله ! الحمد لله على ذلك » . وقبّل بين عينيه وضمه إليه . وقال : « لوددت أن كل طائية تلد مثلك » . ثم قال لأبي سعيد : « قد جعلت جائزتي له » . فأمر بها له ، فضُمَّت إلى مثلها ، ودُفعت للبحتري . وأعطى أبا تمام مثلها . وخَصّ به . وكان مدّاحا له طول أيامه ولابنه من بعده . ورثاهما بعد مَقاتلهما فأجاد . ومراثيه فيهما خير من مدائحه لهما . وروى أنه قيل له في ذلك ، فقال : « من تمام الوفاء أن تفضُل المراثى المديح » لا كما قال الآخر[1] ـ وقد سُئل عن ضعف مراثيه فقال : « كنا نعمل للرجاء ونحن الآن نعمل للوفاء ، وبينهما بُعْد » .

وكان البحترى من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة وأبخلهم على كل شيء . وكان له أخ وغلام معه في داره . فكان يقتلهما جوعاً . فإذا بلغ منهما الجوع ، أتياه يبكيان . فيرمى إليهما بثمن أقْواتهما مُضيَّقاً مقتّرا ، ويقول : « كُلا ، أجاع الله أكبادكما ، وأعْرى أجسامكما ، وأطال إجهادكما » .

وكان له غلام رومى ليس بحسن الوجه يقال له نسيم . وكان قد جعله باباً من أبواب الحِيَل على الناس . فكان يبيعه ويعتمد أن يُصيِّره في مِلْك بعض أهل المروآت ومن يَنْفُق عنده الأدب . فإذا حصل في ملكه ، شبَّب به وتشوّقه ، ومدح مولاه حتى يَهَبَه له . فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم ، فكُفِى الناس أمره .

قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهانى : دخلت إلى البحترى يوماً فاحْتَبسنى عنده . وجاء بطعام له ودعانى إليه . فامتنعت من أكله . وعنده شيخ شامى لا أعرفه ، فدعاه إلى الطعام . فتقدم فأكل معه أكلا عنيفا . فغاظه ذلك . ثم التفت إلىّ فقال : «أتعرف هذا ؟ » قلت : « لا » . قال : « هذا شيخ من بنى الهُجَيم الذين يقول فيهم الشاعر :

وبنو الهُجَيمِ قبيلةٌ ملعونةٌ حُصٌّ اللِّحَى متشابهو الألوانِ[2]

---

(١) هو أبو يعقوب الخريمى . (الوزراء والكتاب للجهشيارى ٢٦٨) .

(٢) الحص : جمع أحص ، وهو الساقط الشعر .

لو يسمعون بأكلةٍ أو شربةٍ بعُمانَ أضحى جمْعُهم بعمـانِ

فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك .

اجتـازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهى أحسن من القمر . فقال لهـا : « ما اسمك ؟ » قالت : « برهان » . قال : « ولمن هذا الماء ؟ » قالت : « لستى قَبيحة[١] » . قال : « صُبِّيه فى حلق » . فشربه عن آخره . ثم قال للبحترى : « قُل فى هذا شيئاً » . فقال[٢] :

ما قهوةٌ من رَحيقٍ كأسُها ذهَبٌ جاءتْ به الحورُ من جنّاتِ رضوانِ

يوما بأَطْيَبَ من ماءٍ بلا عَطَشٍ شربتُه عَبَثا من كفِّ بُرْهانِ

بعث البحترى إلى محمد بن على بن القاسم القُمِّى يَسْتهديه نبيذاً . فبعث إليه نبيذاً مع غلام له أَمْرَد . فجمَّشه البحترى تجميشاً غضب منه الغلام غضباً شديداً[٣] . وعلم البحترى أنه سيُخبر مولاه بما جرى . فكتب إليه[٤] :

أبا جعفرٍ ، كان تَجْمِيشُنا غلامَك إحدى الهَنات الدَّنِيَّهْ[٥]

بعثتَ إلينا بشمسِ المُدامِ تُضىء لنا مع شمس البَرِيَّه

فليْتَ الهديةَ كان الرسولُ وليت الرسولَ إلينا الهديّه

فبعث محمد بن على إليه بالغلام هدية . فانقطع البحترى عنه بعد ذلك مدة خجلا مما جرى . فكتب إليه محمد بن على :

هجرتَ كأن البِرَّ أَعْقَبَ حِشْمةً ولم أر برا قبلَ ذا أعقبَ الهجرا[٦]

(١) أحب زوجات المتوكل إليه وأم الخليفة المعتز ، سميت قبيحة لعظيم جمالها .

(٢) لم أجده فى ديوانه .

(٣) التجميش : الملاعبة والمغازلة .

(٤) ديوانه ٢ : ٩٣ . أخبار البحترى ١٢٩ . التحف والهدايا للخالدين ٤٩ .

(٥) أخبار البحترى : الرديه .

(٦) غ : ولم أر وصلا . وفى ديوان البحترى ٢ : ١٠٥ :

هجرت كأن الوصـل أعقب هجرة وما خلت وصلا قبلها يعقب الهجرا

فقال فيه قصيدته التي أولها[١] :

« * فتى مذحجٍ عَفْوا ، فتى مذحجٍ غفرا * »

وهي طويلة[٢] . وقال البحتري فيه أيضاً[٣] :

أَمواهِبٌ هاتِيكَ أم أنواءُ ... هُطُلٌ ، وأخْذٌ ذاكَ أم إعْطاءُ
إنْ دام ذا أو بعضُ ذا من فِعْلِ ذا ... فَنِيَ السخاءُ فلا يُعَدُّ سَخاء[٤]

منها :

أمحمد بن عليٍّ اسمعْ عُذْرةً ... فيها شفاءٌ للمُسِيء وداء[٥]
إنى هجرتُك إذ هجرتك حِشْمةً ... لا العَوْدُ يُذْهِبُها ولا الإبْداء[٦]
أخجلتَنى بنَدَى يديْك فسَوَّدتْ ... ما بيننا تلك اليدُ البيضاء
وقطعتَنى بالبِرِّ حتى إننى ... متوهِّمٌ أنْ لا يكونَ لقاء[٧]
صِلةٌ غدتْ فى الناس وهْى قطيعةٌ ... عَجَبًا ، وبِرٌّ راح وهْو جَفاء[٨]
لَيُواصِلَنَّك رَكْبُ شعرٍ سائرٍ ... يَرْويه فيك لحُسْنِه الأعداء[٩]
حتى يَتِمَّ لك الثناءُ مخلَّدا ... أبدا كما تَمَّتْ لك النَّعْماء[١٠]

---

(١) ديوانه ٢ : ١٠٦ ، وعجزه : « لمعتذر جاءت إساءته تترى » .

(٢) ليس فى الديوان منها غير ١٤ بيتا .

(٣) ديوانه ٢ : ٢١٩ .

(٤) غ والديوان : ذهب السخاء . الديوان : فلا يحس سخاء .

(٥) الديوان : فيها دواء .

(٦) الديوان : إنى صرمتك إذ صرمتك وحشة .

(٧) الديوان . وقطعتنى بالجود . . متخوف ألا يكون لقاء .

(٨) الديوان : عجب .

(٩) ب ، س : لأوصلنك . غ : ركب شعرى . . تهدى به، ب ، س : فى مدحك الأعداء. ى : من مدحك الأعداء .

(١٠) الديوان : تمت لى . غ : دامت لك النعماء .

فَتَظلُّ يحسُدكَ الملوكُ الصِّيدُ بى   وأظلُّ يحســـدنى بك الشعراء(١)

ومات البحترى بالسكتة . قال الأخفش : سألنى القاسم بن عبيد [الله](٢) عن خبر البحترى ، فقلت : « إنه مات بالسكتة » . فقال : « ويحه ! رُمى فى أَحْسَنه » .

قال البحترى : أنشدنى أبو تمام لنفسه يوما(٣) :

وسابحٍ هَطِلِ التَّعْداء هَتّانِ   على الجِراء أمينٍ غيرِ خَوّان(٤)

أَظْمَى الفُصوصِ ولم تَظْمأْ قوائمُه   فجُلْ بعينيك فى ظمآنَ رَيّان(٥)

فلو تراه مُشيحا والحصى زِيَمٌ   بين السَّنابكِ من مَثْنى ووُحْدان(٦)

أيقنتَ إنْ لم تَثَبَّتْ أنّ حافِرَه   من صخرِ تَدْمُرَ أو من وجه عُثْمان(٧)

ثم قال لى : « ما هذا الشعر؟ » قلت : « لا أدرى » . قال : « هذا هو المستطرد » أو قال : « الاستطراد » . قلت : « وما معنى ذلك ؟ » قال : « يُريك أنه يريد صفة الفرس وهو يريد هجاء عثمان » .

وقد فعل البحترى ذلك . فقال فى صفة الفرس أيضا(٨) :

ما إنْ يَعافُ قَذًى ولو أوردْتَه   يوما خلائقَ حَمْدَوَيْهِ الأحولِ

---

(١) غ والديوان : تحسدك .

(٢) هو وزير المعتضد والمكتفى .

(٣) ديوانه (بيروت ١٨٨٩) ٤٦١ أخبار البحترى ٥٩ . الصناعتين للعسكرى ٣٩٩ . زهر الآداب للحصرى ١٠١٤ ، معجم الأدباء ٩ : ٢٥٠ . وهى فى هجاء .

(٤) عثمان بن إدريس السامى . السابح : الفرس التى تسبح بيديها فى سيرها . والتعداء : العدو والجرى والجراء .

(٥) الديوان والزهر والصناعتين والأخبار ، غ : فخل عينيك . الصناعتين : تظمأ عرائكه والفصوص : المفاصل ، وظمؤها : ضمورها .

(٦) الأخبار والديوان : والحصى رمض . وزيم : متفرق . الديوان : تحت السنابك .

(٧) ياقوت : إن تثبت . الديوان : حلفت إن لم تثبت .

(٨) ديوانه ٢ : ٢١٨ . زهر الآداب ١٠١٥ . أخبار البحترى ٥٩ . الصناعتين ٤٠٠ . معجم الأدباء ١٩ : ٢٥٠ .

وكان حمدويه الأحول عدوا لمحمد بن على الممدوح بهذه القصيدة ، فهجاه فى عُرْض مدحه لمحمد .

قال البحترى : قال أبو تمام : « بلغنى أن بنى حُميد أعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم به ، فأنشدنى شيئا منه » فأنشدته بعض ما قلت فيهم . فقال لى : « كم أعطوك ؟ » فقلت : « كذا وكذا » . فقال لى « لقد ظلموك ، والله ما وَفَوْك حقك[1] . فلِمَ استكثرتَ ما دفعوه إليك ؟ فوالله ، لَبَيتٌ منها خير مما أخذت منهم » . ثم أطرق قليلا وقال: « لعمرى لقد استكثرت ذلك واستُكثِر لك . لقد مات الناس وذهب الكرام وغاضت المكارم وكسدت سوق الأدب . أنت ـ والله يا بنى ـ أمير الشعراء بعدى غدا » . فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه . وقلت له : « والله ، لهذا القول أسرُّ لقلبي وأقْوى لنفسى مما وصل إلىّ من القوم » .

قال البحترى : أنشدت أبا تمام يوما شيئا من شعرى . فتمثل بيت أَوْس ابن حَجَر[2] :

إذا مُقرَمٌ منّا ذَرا حدُّ نابِه   تَخَمَّط منا نابُ آخرَ مُقْرَمِ[3]

ثم قال لى : « نَعَيْتَ ـ والله ـ إلىّ نفسى » . فقلت : « أُعيذك بالله من هذا القول » . فقال : إن عمرى لن يطول وقد نشأ فى طيئ مثلك . أو ما علمت أن خالد ابن صفوان رأى شَبيب بن شَيْبة وهو من رهطه يتكلم ، فقال: « يا بنى ، لقد نعى إلىّ نفسى إحسانُك فى كلامك ، لأنا أهل بيت ما نشأ منا خطيب قط إلا مات من قبله» . فقلت له : « بل يُبقيك الله ويجعلنى فداءك » . قال : فمات أبو تمام بعد سنة .

(١) حقك : كذا فى غ . وفى ص : حقهم .

(٢) ديوانه (طبع بيروت ١٩٦٠) ١٢٢ . الخطيب ١٣ : ٤٧٨ .

(٣) ب ، س والديوان : تخمط فينا . الديوان : وإن مقرم . وذرا : انكسر أو وقع . وتخمط : تكبر وأخذ قهرا . والمقرم : السيد المقدم .

قال أبو العَنْبَس الصَّيْمرى : كنتُ عند المتوكل والبحترى ينشده[١] :

عن أىِّ ثغــرٍ تبتسمْ ؟ وبأىِّ طَرْفٍ تحتكِمْ ؟

حتى بلغ إلى قوله فيها :

قُلْ للخليفةِ جعفرِ الـــ ـمتــوكِّلِ بنِ المعتصِمْ

المُبْتَدِى للمُجْتــدى[٢] والمُنْعِــمِ بنِ المنتقِمْ

اِســلمْ لدينِ محمــدٍ فإذا سلمْتَ فقــد سَلِمِ

وكان البحترى من أبغض الناس إنشادا : يتشادق ويتزاور[٣] فى مشيته مرة جانبا ومرة القهقرى ، ويهز رأسه ومنكبيه أخرى ، ويشير بكمه ، ويقف عند كل بيت ويقول : « أحسنتُ والله ! » ثم يقبل على المستمعين فيقول : « ما لكم لا تقولون لى: أحسنتُ هذا — والله — لا يحسن أحد [أن] يقول مثله » . فضجر المتوكل من ذلك وأقبل علىّ ، وقال : « ألا تسمع —يا صيمرى— ما يقول هذا !» فقلت :« يا سيدى، مُرْنى فيه بما أحببت » . فقال : « بحياتى اهْجُه على هذا الرَّوِىّ الذى أنشدنيه » . فقلت : « تأمر ابن حمدويه أن يكتب ما أقول » . فدعا بدواة وقرطاس . وحضرنى على البديهة أن قلت من أبيات :

فى أى سَلحٍ تَلْتَقِمْ ؟ وبأى كَفٍّ تَلْتَطِمْ ؟[٤]

يا بُحترىُّ حَذارِ وَيْـ ـحَكَ من قضاقضَة ضُغُمْ[٥]

---

(١) ديوانه ١ : ٥٣ . أخبار البحترى ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧١ . معجم الأدباء ١٨ : ١٢ .

(٢) الديوان : للمرتضى بن المجتبى . ياقوت : والمجتدى بن المجتدى .

(٣) يتزاور : كذا فى غ أى ينحرف . وفى ص : يتشاور .

(٤) الأخبار مرة : من أى سلح . وفيه وفى غ : فى أى سلح ترتطم . وياقوت : فى أى سلح تلتطم . وفى غ ومعجم الأدباء : وبأى كف تلتقم .

(٥) يافوت : ويلك القضاقضة : جمع قضاقض، وهو الأسد . والضغم : جمع ضاغم ، وهو العاض بملء فيه .

فلقد أسَلْتَ بواديَيْـ ... ـك من الهجا سَيْلَ العَرِم (١)
وبأىِّ عِرْضٍ تعتصِمْ ؟ ... وبهَتْكِه جَفَّ القلم (٢)
واللهِ ، حِلْفَةَ صادقٍ ... وبقبرِ أحمدَ والحَرَم
ووَحَقِّ جعفرٍ الإما ... م بن الإمام المعتصم (٣)
لأُصيِّرَنَّك شُهْرَةً ... بين المَسيل إلى العَلم
حَيِّ الطُّلول بذى سَلَمْ ... بين الأَراكة والخِيَم (٤)
يا ابن الثقيلةِ والثقيـ ... ـلِ على قلوبِ ذوى النِّعَم
وعلى الصغيرِ مع الكبيـ ... ـرِ من الموالى والخَدَم (٥)
يا ابن المُباحةِ فى الوَرَى ... أمن العفافِ أم التُّهَم (٦)
إذ رَحْلُ أختِك للعجَم ... وفراشُ أُمِّك فى الظُّلَم
وبباب دارك حانة ... فى بيتِه يُؤتَى الحَكَم (٧)

فغضب البحترى وخرج يعدو . وجعلت أصيح به :

أدخلتَ رأسك فى الحُرَم ... وعلمتَ أنك تنهزم (٨)

فضحك المتوكل حتى غُلب. وأمر لأبى العنبس بالصلة التى أُعدت للبحترى .

---

(١) ب ، س : أسلت بوالديك . ياقوت : أسلت لوالديك .
(٢) غ وياقوت : فبأى .
(٣) غ وياقوت : وبحق .
(٤) غ وياقوت : حيث الأراكة .
(٥) ب . س : ابن الموالى . غ : الموالى والحشم . ياقوت : مع الموالى والحشم .
(٦) غ وياقوت : للورى .
(٧) كذا فى غ وياقوت. وفى ص : وبنات دارك.
(٨) غ والأخبار مرة : فى الرحم . وفى الأخبار مرة منهزم .

قال أحمد بن يزيد : حدثني أبى قال : جاءنى البحترى فقال لى : « يا أبا خالد ، أنت عشيرى وابن عم وصديق ، وقد رأيتَ ما جرى علىّ . أفترى أن أخرج إلى مَنْبِج[1] بغير إذن ، فقد ضاع العلم والأدب ؟ » فقلت له : « لا تفعل من هذا شيئا ، فإن الملوك تمزح بأكثر من هذا » . ومضيت معه إلى الفتح ، فشكا إليه فقال له نحواً من قولى ووصله وخلع عليه وسكّن منه . فسكَن إلى ذلك .

ولما قتل المتوكل قال أبو العنبس الصيمرى :

يا وحشةَ الدنيا على جعفرٍ   على الهُمامِ المَلِكِ الأَزْهَرِ
على قتيلٍ من بنى هاشمٍ   بين سريرِ المُلْكِ والمِنْبَرِ
واللهِ ربِّ البيتِ والمَشْعَرِ   واللهِ أنْ لو قُتِل البُحْتُرى
لَثارَ بالشامِ له ثائرٌ   فى ألفِ نَغْلٍ من بنى عَضْخَرِى[2]
يَقْدُمهم كلُّ أخى ذلةٍ   على حمارٍ دابرٍ أعورِ

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحترى . فضحك وقال: « هذا الأحمق يرى أنى أُجيبه على مثل هذا ! ولو عاش امرؤ القيس فقال مثلَ قوله لم أُجبه » .

---

(١) منبج : بلدة الشاعر فى شمال سورية قريبة من حلب .

(٢) غ : نغل . وفى ص بدون نقط . والنغل : ابن الزنا .

حرف الياء

يزيد حَوْراء*

رجل من أهل المدينة ، من موالى بنى لَيْث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة . كنيته أبو خالد .

مُغَنٍّ مُحسن . قدِم على المهدىّ فى خلافته وغنّاه . وكان حسن الصوت ، حلو الشمائل .

فحسده إبراهيم الموصلى على شمائله وإشاراته(١) فى الغناء . فاشترى عدة جوارٍ وشاركه فيهن وقال له : « عَلِّمهن . وما رَزَق الله من ربح فيهن فهو بيننا » . وأمرهن أن يجعلْنَ وَكْدَهنّ أخذ إشاراته(١) . ففعلن ذلك . فكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وابنه ، ويأمرهن بتعليم كلٍّ من يعرفْنَه ذلك ، حتى شَهرها فى الناس . فأبطل عليه ما كان منفردا به من ذلك .

وكان نظيفا ظريفا شَكِلا(٢) حسن الوجه ، لم يقدم من الحجاز أنظف منه ولا أشكل .

وكان صديقا لأبى مالك الأعرج . فمرض مرضا شديدا واحتُضِر . فاغتم عليه الرشيد وبعث بمسرور مرات يسأل عنه . ثم مات . فقال أبو مالك فيه من أبيات :

لم يُمتَّعْ من الشبابِ يزيدُ   صار فى التُّرْبِ وهو غَضٌّ جَدِيدُ

---

*أخباره فى ب ٣ : ٧٣ ، س ٣ : ٧٠ ، د ٣ : ٢٥١ ، ى ٣ : ٢٤٦ ، ت ١ : ٤٠٧ .

(١) غ : إشارته .

(٢) الشكل : ذو الدل والغزل

فكأنْ لم يكنْ يزيدُ ولم يَشْ ... جُ نَديما يَهُزُّه التَّغريد

وكان يتعصب لإبراهيم على ابن جامع . فكان إبراهيم يرفع منه ويُشيع ذكره وينبه على مواضع تقدمه .

قال يزيد حوراء: « كلَّمني أبو العتاهية فى أن أكلم المهدى فى أمر عتبة ، وأن أتنجَّز له ما كان وَعَده من تزويجها له . فقلت له : « إن الكلام لا يمكنني ولكن قلْ شعرا أغنيه فيه » . فقال[1] :

نفسِى بشىء من الدنيا مُعلَّقَةٌ ... اللهُ والقائمُ المهدىُّ يَكْفِيها

إنى لآيَسُ منها ثم يُطمِعُنى ... فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها[2]

قال : فعملت فيه لحنا وغنيته . فقال : « ماهذا ؟ » فأخبرته خبرَ أبى العتاهية . فقال : « ننظر فيما سأل عنه » . فأخبرت بذلك أبا العتاهية » . ثم مضى شهر . فجاءنى فقال : « هل حدث خبر ؟ » فقلت : « لا » . قال : « فاذكرنى للمهدى » . فقلت : « إن أحببت ذلك فقل شعرا تحركه به وتذكِّره وعده حتى أغنيه به » . فقال[3] :

ليتَ شِعْرِى ماعندكم ؟ ليت شعرى ... فلقد أُخِّرَ الجوابُ لأمرِ[4]

ما جوابٌ أَوْلَى بكل جميلٍ ... من جوابٍ يُرَدُّ من بعدِ شَهْرِ

قال يزيد : فغنيت المهدى فقال : « علىّ بعُتْبة » . فأُحضِرت . فقال : « إن أبا العتاهية كلّمنى فيك . فما تقولين ؟ ولك عندى وله كل ما تحبان مما لا تبلغه أمانيكما » . فقالت له : « قد علم أمير المؤمنين ما أَوْجب الله علىّ من حق مولاتى ،

---

(١) القصة فى زهر الآداب ٣٢٦ . ديوانه ٣٢٤ .

(٢) غ ، ت ، والحصرى والديوان : إنى لأيأس .

(٣) ديوانه ٣٢٥ .

(٤) الحصرى : إنما أخر .

وأريد أن أذكر هذا لها » . قال : « فافعل » . قال : فأعلمتُ أبا العتاهية . ومضت أيام فسألني معاودة المهدى . فقلت : « قد عرفتَ الطريق فقل ما شئت حتى أغنيه به » . فقال[(١)] :

ولقد تَنَسَّمتُ النجاحَ لحاجتى ... فإذا لها من راحتَيْك نَسيمُ[(٢)]
ولربما استيأسْتُ ثم أقول : لا ... إن الذى وَعَـد النجاحَ كريمُ[(٣)]
أعملتُ نفسى من رجائك ماله ... عَنَقٌ يَخُبُّ إليـك بى ورَسيم[(٤)]
ورميتُ نحوَ سماءِ جُودك ناظِرى ... أرعى مَخايلَ بَرْقها وأَشيم[(٥)]

قال يزيد : فغنيته فقال : « علىّ بعُتبَة » . فجاءت . فقال : « ما صَنَعْتِ » . فقالت : « ذكرت ذلك لمولاتى فكرهته وأبت أن تفعل . فليفعل أمير المؤمنين ما يريد » . فقال : « ما كنت لأفعل شيئا تكرهه » . فأعلمت أبا العتاهية بذلك . فقال من أبيات[(٦)] :

ولئنْ طمعتُ لَرُبَّ بَرْقَةِ خُلَّبٍ ... مالتْ بذى طمعٍ ولَمْعَة آلِ[(٧)]

وقيل : إن المهدى دعا بأبى العتاهية وقال له : « أما عتبة فلا سبيل إليها لأن

---

(١) ديوانه ٣٢٧ .

(٢) غ : تنسمت الرياح حاجتى . ت ، والحصرى والديوان : تنسمت الرياح لحاجتى . والحصرى: وإذا .

(٣) غ مرة والحصرى والديوان : ضمن النجاح .

(٤) ت : أعلقت نفسى . غ : والحصرى والديوان : أشربت قلبى . والعنـق والرسيم : نوعان من السير . ويخب : يسرع .

(٥) غ مرة : وأملت نحو . . برقه . وفى زهر الآداب : وأملت نحو سماء صوبك . والجود بفتح الجيم : المطر الغزير ، وجائز أن تـكون بضم الجيم بمعنى الجود . وأشيم : أتطلع .

(٦) ديوانه ١٩٤ .

(٧) الحصرى : برق خلب . والخلب : ما لامطر فيه . والآل : السراب . الديوان : ولئن يئست . . برقت لذى طمع وبرقة آل .

مولاتها منعت منها ، ولكن هذه خمسون ألف درهم فاشترِ ببعضها خيرا من عتبة».

فحُملت إليه .

قال يزيد حوراء : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش . وكانت تمرّ بى جارية تختلف إلى الزّرقاء تتعلم منها الغناء . فقلت لها يوما : « افهمى قولى ، وردِّى جوابى ، وكونى عند ظنى » . فقالت : « هاتِ ما عندك » . فقلت : « باللهِ ، ما اسمُكِ » . فقالت : « مُمنَّعة » . فأطرقت طِيَرَةً[1] من اسمها مع طمعى فيها . ثم قلت : « بل باذلة أو مبذولة ، إن شاء الله . فاسمى منى » . فقالت وهى تبتسم : « إن كان عندك شىء فقُل » . فقلت :

لِيَهْنِكِ منى أننى لستُ مُفْشِيا ... هواكِ إلى غيرى ولو متُّ من كَرْبِ
ولا مانحا خَلْقا سواكِ محبةً ... ولا قائلا ـ ما عشتُ ـ من حُبِّكم حَسْبى[2]

فنظرت إلىّ طويلا ثم قالت : « أنشُدك الله : أعن فَرْط محبة أم اهتياج غُلْمة تكلمت ؟ » فقلت : « لا والله إلا عن فرط محبة » . فقالت :

فوالله رَبِّ الناس ، لا خُنْتُك الهوى ... ولا زلتَ مخصوصَ المحبةِ من قلبى
فثِقْ بى فإنى قد وثقتُ ولا تكن ... على غير ما أظهرتَ لى يا أخا الحب

فوالله ، لكأنّما أضرمت فى قلبى نارا . وكانت تلقانى فى الطريق التى كانت تسلكها وتحدثنى فأتفرّج بها ، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء ، فكانت تكاتبنى وتلاطفنى دهرا طويلا .

---

(١) تشاؤما .

(٢) غ ، ت : سواك مودتى .

يَزِيدُ بْنُ ضَبَّة*

مولى ثَقِيف . واسم أبيه مِقْسَم . وضبة أمه ، غلبت على نسبه لأن أباه مات وخلّفه صغيرا . وكانت أمه تحضُن أولاد المغيرة بن شعبة ثم أولاد ابنه عُرْوة بن المغيرة . ووَلاؤُهم لبنى مالك بن حُطَيط ثم لبنى عامر بن يَسار .

قال عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبة : كان جدى يزيد منقطعا إلى الوليد ابن يزيد فى حياة أبيه لا يفارقه . فلما أفضت الخلافة إلى هشام ، أتاه مهنّئا بالخلافة . فلما استقرّ به المجلس ووصلت الوفود فأَثْنَت الخطباء عليه والشعراء تمدحه ، مَثَل جدى بين السّماطين فاستأذن فى الإنشاد . فلم يأذن له وقال : « عليك بالوليد فامدحه وأنشِدْه » . وأمر بإخراجه . فبلغ الوليدَ خبرُه . فبعث إليه بخمس مائة دينار وقال له : « لو أمنتُ عليك هشاما لما فارقتنى ، ولكن اخرج إلى الطائف ، وعليك بمالى هناك ، فقد سوّغْتُك جميع غَلّته . ومهما احتجت إليه من شىء بعد ذلك فالتمسه منى » . فخرج إلى الطائف . فقال يذكر ما فعل به هشام :

أرى سلمى تَصُدُّ وما صَدَدْنا ... وغيرَ صُدودها كنا أردْنا[1]

ألا مَنْ مُبلغٌ عنى هشاما ... فما منا البلاء وما بَعُدْنا

وما كنا عن الخلفاءِ نُقْصَى ... ولا كنا نؤخَّر إنْ شَهِدنا[2]

ألم يك بالبلاء لنا جَزاءٌ ... فنُجْزَى بالمَحاسن أم حُسِدنا

وقد كان الملوك يرَوْنَ حقا ... لوافِدِنا فنُكْرَمُ إنْ وَفَدْنا

---

*أخباره فى ب ٦ : ١٤٦ س ٦ : ١٤١ ، د ٧ : ٩٥ ، ى ٧ : ٩٣ ، ت ١ : ٨٣٧ .

(١) كذا فى غ . وفى ص : ألا سلمى .

(٢) غ : وما كنا إلى الخلفاء نقضى .

وَلِينا النـاسَ أزمانا طِوالا ... وسُسْناهم ودُسْناهم وقُدْنا
ونَـكْـوِى بالعداوة من بَغانا ... ونُسعد بالمودة من وَدِدْنا
نرى حقا لسائِلنا عظيما ... فنَحْبُوه ونُنْجِز إنْ وعَدْنا[(١)]
ونضمَن جارنا ونراه منـا ... ونَرْفِدُه ونُجْزِل ما رفَدْنا[(٢)]
وكان أبوك قد أَسْدَى إلينا ... جسيمةَ أمرِه وبه سَعِدْنا

فلم يزل مقيما بالطائف إلى أنْ ولى الوليد الخلافة ، فوفَد عليه . فلما دخل الناس ، ومنهم جالس وواقف على مراتبهم ، سلّم وهنأه بالخلافة . فأدناه الوليد إليه وضمّه . وقبّل يزيد يديه ورجليه والأرض بين يديه . فقال الوليد لأصحابه :

« هذا طريد الأحول لصُحْبته إياى ولا نقطاعه إلى » فاستأذنه فى الإنشاد وقال له : « يا أمير المؤمنين ، هذا اليومُ الذى أمرنى[(٣)] عَمُّـك بالإنشاد فيه ، وقد بلغتهُ بعد يأس . والحمدُ لله على ذلك » . فأذن له فأنشده من أبيات :

سُلَيْمى تلك فى العِـيرِ ... قِفِى إنْ شئْتِ أو سِيرِى[(٤)]

منها :

لقـد لاقيتُ من سَلْمى ... تَباريحَ التَّنـا كـير[(٥)]
دعتْ عيـنى لهـا قلبى ... بأسبـاب المَقـادير[(٦)]

---

(١) غ : ونجزل إن وعدنا .
(٢) غ : فنرفده فنجزل إن رفدنا . ونرفد : نعطى .
(٣) غ : نهانى .
(٤) غ : قفى أسألك . ت : قفى أخبرك . والعير : القافلة .
(٥) التباريح : الشدائد . والتناكير : الأمور المنكرة .
(٦) غ : وأسباب المقادير .

منهـا :

زجَرْنا العِيسَ فارْقَدَّت بإعْصافٍ وتَشْمير(١)
تُقاسيها على أَيْنٍ بإدْلاجٍ وتَهْجير(٢)
إذا ما اعْصَوْصَبَ الآلُ ومال الظلُّ بالقور(٣)
وراحت تُتْبِع الشمس عُيونا كالقَوارير(٤)
إلى أنْ يُفْصِحَ الصبحُ بأصوات العَصافير(٥)
لتَعْتامَ الوليدَ القَرْمَ أهلَ الجودِ والخِير(٦)
كريمًا يَهَب البُزلَ مع الخُور الجَراجير(٧)
بَلوْناهُ فأَحْمَدْناهُ في عُسْرٍ ومَيْسُور(٨)

فأمر الوليد بعَدّ أبيات القصيدة ويُعْطَى بكل بيت ألفَ درهم . فكانت خمسين بيتا فأخذ خمسين ألف درهم . وهو أول خليفة عَدّ أبيات الشعراء وأعطى بكل بيت ألف درهم . ولم يفعل ذلك بعده أحد إلا هارون . فإنه أعطى مروان بن

---

(١) فارقدت : كذا في د ، ى . وفي ص ، ب ، س : فارتدت . والعيس : الإبل البيض يخالطها شقرة . وارقدت : أسرعت. والإعصاف : الإسراع في السير .

(٢) الأين : الأعياء . والإدلاج : السير في الليل . والتهجير : السير في منتصف النهار .

(٣) اعصوصب : اشتد . الآل : السراب . والقور : جمع قارة ، وهي الجبل المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة .

(٤) غ :

وراحت تتقي الشمس مطايا القوم كالعور

(٥) غ : يفضح الصبح .

(٦) لتعتام : كذا في د ، ى . وفي ب ، س : لنعتام . وفي ص : لتعتاد ، تحريف . وتعتام تقصدمختارة له . والقرم : السيد. والخير : الكرم والشرف .

(٧) غ : كريم . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل في التاسعة من عمره فما فوقها . والخور: النوق الغزيرة اللبن . والجراجير : الكرام من الإبل .

(٨) بلوناه : اختبرناه .

أبى حَفْصة ومنصورا النَّمرى ـ لما مدحاه وهَجَوَا آل أبى طالب عليهم السلام ـ بكل بيت ألف درهم .

وكان يزيد فصيحا ، يطلب القوافى المتماصية والوَحْشىّ من الشعر(١) .

وقال مشايخ الطائف : إن يزيد قال ألف قصيدة ، فاقتسمتها شعراء العرب ، فذهبت بها ودخلت فى شعرها .

(١) غ : القوافى المتاصة والحوشى من الشعر .

يَزيد بن الطَّثْرِيَّة*

هو يزيد بن الصِّمَّة[1] ، أحد بنى سَلَمة الخير[2] بن قُشَير . وقال البصريون : إنه من ولد الأعور بن قشير .

وقيل[3] : هو يزيد بن سَلَمة بن سَمُرة بن سَلَمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صَعْصعة . وإنما قيل له سَلَمة الخير لأنه كان لقشير ابن آخر يقال له سلمة الشّر .

وقيل : إنه يزيد بن المُنْتشِر بن سلمة .

والطَّثْرية أمه امرأة من بنى طَثْر ، وهم حى من اليمن عِدادُهم فى جَرْم . وقيل : إن طَثْرا من عَنْز بن وائل ، أخى بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ ابن جَديلة بن أسد بن رَبيعة بن نِزار .

وكان أبو جراد أحد بنى المُنتفِق بن عامر بن عُقيل أسر طَثْرا . فمكث عنده زمانا ثم خلاه وأخذ عليه إصْرا[4] ليَبْعَثَنّ إليه بفدائه أو ليأْتينَّه بنفسه وأهله . فلم يجد فِداء فاحتمل بأهله حتى دخل على أبى جراد . فوَسَمه سمة إبله . فهم حُلفاء لبنى المنتفق إلى الآن نحو خمس مائة رجل متفرقين فى بنى عُقيل يؤولون إلى بنى المنتفق .

---

* أخباره فى ب ٧ : ١١٠ ، س ٧ : ١٠٤ ، د ٨ : ١٥٥ ، ى ٨ : ١٥٧ ، ت ١ : ٩٥٣ وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ٥٨٣ ، ٥٨٦ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٥٥ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ٢٩٩ ، ومعجم الأدباء لياقوت ٢٠ : ٤٦ .

(١) ذلك قول ابن الكلبى .

(٢) ابن سلام : أحد بنى عمرو بن سلمة .

(٣) ذلك قول أبى عمرو الشيبانى .

(٤) الإصر : العهد .

وهم يُعَيَّرون بذلك الوسم : وسم أبي جراد . وفيهم يقول يزيد بن الطثرية :

ألا بِئْس ما أنْ تَجْرِمُونى وتغضبوا   علىّ إذا عاتبتُكم يا بنى طَثْرِ[1]

وفيهم يقول بعض من يهجوهم :

* عليه الوَسْمُ وسمُ أبي جَراد *

وقيل : إن الطثرية أم يزيد كانت مولعة بإخراج زُبْد اللبن ، فسميت الطثرية . وطَثْرة[2] اللبن : زُبدته .

وكنية يزيد أبو المَكْشوح .

وكان يلقب مُودِّقا ، سُمِّى بذلك لحسن وجهه ، وحسن شعره ، وحلاوة حديثه . فكانوا يقولون : إنه إذا جلس بين النساء أَوْدَقْن[3] .

وكان كثيراً ما يتحدّث إلى النساء . وكان يقال : إنه عِنِّين . وكانت النساء مفتونات به . ولا عَقِب له .

أَمْحَل الناسُ فى سنة حتى ذهبت الدَّقيقة من المال ونُهِكت الجليلة . فأقبل صِرْم[4] من جَرْم ساقته السنة والجَدْب من بلاده إلى بلاد بنى قُشير . وكان بينهم وبين بنى قشير حرب عظيمة ، فلم يجدوا بُدّا من رمى قشير بأنفسهم ، لِما قد ساقهم من الجَدْب والمجاعة ورقة المال . ووقع الرَّبيع فى بلاد بنى قشير . فانتَجعها الناس وطلبوها . فلم يَعْدُ أن لقيتْ جرم قشيرا ، فنَصَبت قشير لها الحرب . فقالت جرم : « إنما جئْنا مستجيرين غير محاربين » . قالوا : « مماذا تستجيرون ؟ » قالوا :

---

(١) كذا فى غ . وفى ص : أن تحرمونى ، وفى الهامش : تجزونى ، تحريف . وتجرمونى : تقطعونى .

(٢) كذا فى غ ، ت ، والمعاجم . وفى ص : طثرية ، تحريف .

(٣) أودقن : ملن إلى الرجال ، أى فتنهن .

(٤) الصرم : الجماعة .

« من السَّنة والجدب والهَلَـكة التى لا باقية لها » . فأجارتهم قشير وسالمتْهم وأرْعَتْهم طرفاً من بلادها .

وكان فى جَرْم فتى يقال له مَيّاد . وكان غزِلا حسن الوجه ، تامّ القامة ، آخِذا بقلوب النساء . والغزل فى جَرْم جائز حسن ، وهو فى قُشير نائِرة[1] . فلما نازلتْ جرم قشيرا وجاورتْها ، أصبح مَيّاد الجَرْمى فغَدا إلى القُشَيريات . فطلب منهن الغزل والصِّبَى والحديث . واستْزَار الفتيات عند غَيْبة الرجال واشتغالِهم بالسقى والرِّعية وما أشبه ذلك . فدفعْنَه عنهن وأسمعْنَه كل ما يكره .

وراح رجالُهن عليهن وهن مُغضَبات . فقال عجائز منهن : « والله ، ما ندرى : أأرعيتم جَرْما المراعى أم أرعيتُموهم بناتِـكم ! » فاشتد ذلك عليهم فقالوا : « وماذلِـكنه؟ » قلن : « رجل ظل منـذ اليوم مُجْحِرا[2] لنا ما يطلُع منا رأسُ واحدة يدور بين بيوتنا » . فقال بعضهم : « بيِّتوا جَرْما فاصْطَلِموها[3] » . وقال بعضهم : « قبيح ! قومٌ قد سقيتُموهم مياهكم ، وأرعيْتُموهم مَراعيـكم ، وخلطتموهم بأنفسكم ، وأجرْتُموهم من القحط والسنة ، تفتاتون عليهم هذا الافتيات ! لا تفعلوا ؛ وأصبِحوا وتقدّموا إلى هؤلاء القوم فى هذا الرجل ، فإنه سفيه من سفهائهم ، فيأخذوا على يده . فإن يفعلوا تُتِموا لهم إحسانـكم ، وإن يمتنعوا أو يُقرّوا بما كان منه فذلك يُحِلّ لـكم التبسُّط عليهم وتخرجوا من ذمتهم » . فأجمعوا على ذلك .

فلما أصبحوا غدا نفرٌ منهم إلى جَرْم فقالوا : « ماهذه البِدْعة التى جاورتُمونا بها ! إن كانت لـكم سَجِيَّة فليس لـكم عندنا إرْعاء ولا إسْقاء . فَبرِّزوا عنا أنفسكم

---

(١) ت : مكروه ، وهو المراد من نائرة ، التى تعنى العداوة ، يريد يؤدى إلى العداوة .

(٢) كذا رجحت د ، ى ، أى ألجأهن إلى البقاء فى جحورهن ، تريد منازلهن . وفى ب ، س ت : محجرا . وفى ص بدون نقط .

(٣) بيتوا : اهجموا عليها ليلا . واصطلموها : استأصلوها .

واتْذَنوا بحرب . وإن كان افتتاناً فَغَيِّروا على مَنْ فعله » . فقام نفر من جرم فقالوا : « وما هذا الذى نالكم ؟ » قالوا : « رجل منكم أمس ظل يجرِّر أذياله بين بيوتنا ، ماندرى ما كان من أمره » . فقهقهت جرم من جَفاء قشير وعَجْرَفتهم . وقالوا : « إنكم لَتَحِسّون من نسائكم ببلاء . ألَا فابعثوا إلى بيوتنا رجلا ورجالا » . فقالوا : « والله ، ما نحس من نسائنا ببلاء ، وما نعرف منهن إلا العفة والكرم ، ولكن فيكم الذى قلتم » . قالوا : « فإنا نبعث رجلا إلى بيوتكم — يا بنى قشير — إذا غَدَت الرجال وأُخليت النساء ، وتبعثون رجلا إلى بيوتنا . ونَتحالَفُ أنه لا يتقدم رجل منا إلى زوجة ولا أخت ولا ابنة ، ولا يُعْلمها بشىء مما دار بين القوم . فَيظَلّ كل واحد منهما فى بيوت أصحابه حتى يَرِدا علينا عشاء الماء . وتُخلَى لهما البيوت ولا تبرز عليهما امرأة ولا يُصادق منهما واحد واحدة ، فنَقبل منه صَرْفا ولا عَدْلا إلا بمَوْثِق يأخذه عليها وعلامة تكون معه منها » . قالوا : « اللهم ، نعم » . فظلوا يومهم ذلك وباتوا ليلتهم . حتى إذا كان من الغد ، تواعَدوا الماء وتحالفوا أنه لا يعود منهم أحد إلى البيوت دون الليل .

وغدا مياد الجرمى إلى القُشيريات . وغدا يزيد بن الطثرية القشيرى إلى الجَرْميات فظل عندهن بأَكْرَم مَظَلّ ، لا يصير إلى واحدة منهن إلا فُتِنت به وتابعتْه إلى المودة والإخاء ، وقَبَض منها رَهْنا ، وسألتْه ألا يدخل من جرم إلا بيتَها . فيقول لها : « وأىَّ شىء تخافين وقد أخذْتِ منى المواثيق والعهود ، وليس لأحد من قلبى بعدك نصيب » . حتى صُلِّيت العصر . وانصرف بأشياء كثيرة من ذَبْل[1] وبَراقع . وانصرف مكحولا مدهونا شبعان رَيّان ، مُرجَّل اللِّمَّة ، حسن القوص[2] .

---

(١) الذبل : جلد السلحفاة ، وقيل : عظام ظهر دابة من دواب البحر تتخذ النساء منه الأسورة والأمشاط .

(٢) الكلمة غير واضحة فى ص ، والعبارة غير موجودة فى غ ، ت

وظل مياد الجرمى يدور بين بيوت القشيريات مرجوماً مُقْصًى لا يتقرّب إلى بيت إلا استقبلتْه الوَلائد بالعَمَد والجَنْدل . فتهالك لهن وظنّ أنه ازدراء منهن له حتى أخذه ضرب كثير ورمى بالجندل ، ورأى البأس منهن[1] وجَهَده العطش . ثم انصرف حتى جاء إلى سَمُرة[2] قريباً من نصف النهار .

فتوسّد يده ونام نومة تحتها حتى أفرجتْ عنه الظَّهيرة وفاءتْ الأَظْلال وسكن بعض ما به من ألم الضرب وبَرَد عطشُه قليلا . ثم قرُب إلى الماء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد . فوجد أَمَة تَذُود غنما فى العَطَن[3] . فأخذ برقعها فقال : « هذا برقع واحدة من نسائكم » . فطرَحه بين يدى القوم . وجاءت الأَمَة خَلْفه فتملقتْ ببرقعها . فرُدَّ عليها . وخجل مياد خجلا شديدا .

وجاء يزيد مُمْسِيا ، وقد كاد القوم أن يتفرقوا . فنثَر كُمَّه بين أيديهم ملآن براقع وذَبْلا ، وقد حلف القومُ ألا يعرف رجل شيئا إلا أخذه ورفعه . فلما نثَر ما معه ، اسودّتْ وجوه جرم وأمسكوا بأيديهم إمساكة . فقالت قشير : « أنتم تعرفون ما كان أمسِ بيننا من العهود والمواثيق وتحريم الأهل والأموال . فمن شاء أن ينصرف إلى حَرامٍ فَلْيُمسك يده » . فبسط كل رجل يده إلى ما عرف فأخذه . وتفرقوا على حرب . فقالوا : « هذه مكيدة ، يا قشير » . فنى ذلك يقول يزيد ابن الطثرية :

فإنْ شئتَ ـ يا مَيّادُ ـ زُرْنا وزُرْتمُ ولم نَنْفَس الدنيا على من يُصيبُها[4]
أيذهب مَيّاد بألْباب نِسْوَتى ونســوةُ مَيّادٍ صِحاحٌ قلوبها

---

(١) كذا فى غ . وفى ص : ورأى الناس مهينته .
(٢) السمرة : شجرة من العضاه .
(٣) العطن : المناخ حول الورد .
(٤) ت : درنا ودرتم . ب ، س : تنفس . نفس عليه الشيء : لم يره جديرا به .

وقال ميّاد الجَرْمى :

لَعَمْرُكَ ، إنّ جَمْعَ بنى قُشَيرٍ　　لِجَرْمٍ فى يزيدَ لَظالمونا
أليس الظلمُ أنّ أباكَ منّا　　وأنّك فى كتيبةِ آخَرينا ؟
أحالفةٌ عليك بنو قشير　　يمينَ الصَّبْر أم مُتحرّجونا[1]

قال : وبُلى يزيد بن الطثرية بعشق جارية من جَرْم فى ذلك اليوم يقال لها وَحْشِيّة[2] . وكانت من أحسن النساء . ونافرتهم جرم ، فلم يجد إليها سبيلا . وصار من العشق إلى أن أشْرَف على الموت . واشتد به الجهد . فجاء إليه ابن عم له يقال له خَليفة بن بَوْزَل[3] بعد يأس الأطباء منه . فقال له : « يابن عم ، قد تعلم أنه ليس لك إلى هذه المرأة سبيل، وأن التعزى أجمل . فما رأيك[4] فى أن تقتل نفسك وتَأْثَم بربك ؟ » فقال: « ما هَمِّى — يا ابن عم — بنفسى ، وما لى فيها أمر ولا نهى ، ولا همى إلا نفس الجَرْمية . فإن كنت تحب حياتى فأرِنى وجهها » . قال : « كيف الحيلة ؟ » قال: « تحملنى إليها » . فحمله الآخر وهو لا يطمع له فى حيلة على الجرمية إلا أنه كان إذا قال له : « نذهب بك إلى الجرمية وحشية » أَبَلَّ قليلا وراجع وطَمِع . فإذا يئس منها اشتد به الوجع . فخرج به خليفة بن بوزل يحمله ويتخلل به إليهم ، إذا دخل فى قبيلة انتسب إلى أخرى ويخبر أنه طالب حاجة . فأبلّ حتى صلَح بعض الصلاح وطمع فيه ابن عمه . وصار بعد زمان إلى حى وحشية ، فلقى الرُّعْيان . وكَمَنَا فى الجبل . وجعل خليفة ينزل فيتعرض للرعيان ، فيسألهم عن راعى وحشية حتى لقى غنمها وغلامها . فواعدهم مَواعد . وسألهم ما حالُها . فقال غلامها : « هى

(١) يمين الصبر : التى يحبس المرء حتى يحلفها .
(٢) المبرد ٥٢٤ : حوشية بنت أبى فديك بن قرة .
(٣) ت : خليفة بن بورك .
(٤) غ ، ت : فما أربك ، وهى أوضح .

ـ والله ـ بشر ، لا حفِظ الله بنى قشير ولا يوما رأيناهم فيه ! فما زالت عَليلة منذ رأيناهم » . وكان بها طَرَف مما بابن الطثرية . فقال : « ويحك ! فهاهنا إنسان يُداويها ولا تقل لأحد غيرها » . قال : « نعم ، إن شاء الله » . فأعلمَها ما قال له الرجل حين صار إليها . فقالت له : « ويلك ! ِجئْ به » .

وخرج فلقيه الغد فأعلمه . فظل عنده يرعَى غنمه وتأخّر عن الشاء حتى تقدمتْه الشاء . وجنَح الليلُ . وانحدر بيزيد بين غنمه حين راحُوا ومشى فيها يزيد على أربع . وتجلّل شَمْلة سوداء بلون شاة من الغنم . فصار إلى وحشية . فسُرّت به سرورا شديدا . وأدخلتْه سِرّا لها[1] ، وجمعتْ عليه من الغد من تثق به من صَواحِباتها وأَتْرابها . وقد عهِد إلى ابن عمه أن يقيم فى الجبل ثلاث ليال ، فإن لم يره فَلْينصرف . فأقام عندها ثلاث ليال . ورجع إلى أصحِّ ما كان عليه . ثم انصرف إلى صاحبه . فقال : « ما وراءكَ ، يا يزيد » . لما رأى من سروره وطيب نفسه ما سرّه . فقال[2] :

لَوَ اَنّكَ شاهدتَ الصِّبا يا ابن بَوْزَلٍ ... بفَرْعِ الغَضا إذ راجعتْنى غَياطِلُهْ[3]
لَشاهدْتَ لهوا بعد شَحْطٍ من النَّوَى ... على سَخَط الأعداء حُلْوا شَمائله[4]
ويوما كإبْهامِ القَطاة ، مُزَيَّنا ... لعينى ضُحاهُ غالبا لىَ باطــله[5]

---

(١) غ : سترا لها .

(٢) ابن قتيبة : الشعروالشعراء ٣٥٦ . ابن خلـكان: وفيات الأعيان ٢: ٣٠٠ . ياقوت معجم الأدباء ٢٠ : ٤٨ .

(٣) ت : يا ابن بورك . ياقوت . غ مرة بجزع الغضا : والغياطل: جمع غيطلة، وهى الظلمة المتراكمة ، استعارها لجهالات الصبا. وروى : وغيم الصبا إذ راجعتنى غياطله .

(٤) غ مرة :

لشاهدت يوما بعد شحط من النوى ... وبعـد تنائى الـدار حـلوا شمـائله

(٥) ب ، س : عاليا لى باطله . ت : غالبا أصائله . ويضرب المثل بإبهام القطا فى القصر .

منها :

بنفسىَ مَنْ لو مَرّ بَرْدُ بَنانِه ... علــى كَبِدى كانتْ شفاءً أَنامله
ومَنْ هابَنِى فى كلِّ شىءٍ وُهِبْتُه ... فلا هو يُعطِينى ولا أنا سائِلُــه(١)

ونزلتْ سَيّارة(٢) من بنى سِدْرة على قُشير بمالهم . فجعل فتيان قشير تَترجَّل وتتزيَّن وتزور بيوت بنى سدرة ، فاستَنْهَوْهُم(٣) . فقال يزيد بن الطثرية : « وما فى هذا عليـكم ؟ زوروا بيوتنا كما نزور بيوتـكم » . وقال :

دَعوهنّ يَتْبَعْنَ الصِّبا وتَبادلوا ... بنا، ليس بأسٌ بيننَا فى التبادلِ(٤)

ثم إن بنى سدرة قالوا لفتياتهم : « وَيْحَـكُنّ ! فضَحْتُنَّنا ! نأتى نساءَ هؤلاء ولا نقدِر عليهن ، ويأتوكنّ فلا تحتجِبْنَ عنهم » . فقالت كَهْـلة منهم : « مُروا نساءكم يجتمعْن إلى بيتى ، فإذا حاولوا لم يجدوا امرأة إلا عندى . فإن يزيد إنْ أتانى لم يَعُد إلى بيوتـكم » . ففعلوا . فجاء يزيد فقال :

سلامٌ عليكنّ الغداةَ ، فما لنــا ... إليكنّ إلا أنْ تَشَأْنَ سبيلُ

فقالت الـكهلة : « ومن أنت؟ » فقال :

أنا الهائمُ الصَّبُّ الذى قاده الهوى ... إليكِ ، فأمْسَى فى حِبالِك مُسْلَما
بَرَتْه دَواعى الحــب حتى تركْنَه ... سَقيما ، ولم يترُكْنَ لحما ولا دما

فقالت : « اخترْ إحدى ثلاث خصال : إما أنْ تمضى ثم ترجعَ إلينا ، فإنا نرقُب عيون الرجال ، فإنهم قد سبُّونا فيـكم . وإما أن تختار أحبَّنا إليـك ، وأنْ تطلب امرأةً واحدة خيرٌ من أن يَشْهرَك الناسُ . ونسيت الثالثة » . فقال : « سآخذ

---

(١) غ وابن قتيبة : كل أمر .
(٢) غ : سارية . والسيارة : القافلة .
(٣) كذا فى د ، ى . وفى ص : فاستهووهم . وفى ب ، س : فاشتهوهم . ويأباها السياق .
(٤) غ : بالتبادل .

إحدا كن . فاختارى أنتِ إحــدى ثلاث خصال » قالت : « وما هن ؟ » قال : « إماأن أحملك على مَوْصوفٍ[١] من أمرى فتركبيه،وإماأن تحمليني علىمَشْروجٍ[٢] من أمرك فأركبَه . وإما تلزّى بَــكْرِى بين قَلُوصَيْك »[٣]. قالت : « لو وقع بكرك بين قلوصىّ لطمَرتا[٤] به طَمْرة تقطعان عنقه منها » . قال : « كلا ، إنه شديد الوَجيف[٥] ، عارم الوَظيف »[٦] . فغلبها . فلما أتاها القوم ، قالت : « إنه أتانى رجل لا تمتنع عليه امرأة . فإما أن تُغْمِضوا له ، وإما أن ترحلوا عن مكانــكم هذا » . فرحلوا .

وكان يزيد بن الطثرية رجلا شريفا مِتْلافا ، يَغْشاه الدين . فإذا أُخِذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثور .

وكان يزيد بن الطثرية يتحدث إلى نساء فُدَيك بن حَنْظلة الجَرْمى[٧] ومنزلها بالفَلَج[٨] . فبلغ ذلك فُديكا ، فشقّ عليه وساءه ، وزجر نساءه عن ذلك . فأَبَيْن إلا أن يدخل عليهنّ يزيد . فدخل عليهن فديك ذات يوم ، وقد جمع أخَواته وبنات عمه وغيرهن من حَريمه ثم قال لهن : « قد بلغنى أن يزيد يدخل عليــكن ، وقد نهيتــكُنّ عنه . وإنّ لله علىّ نَذْرا واجبا (واخْتَرط سيفه) أنْ أضرب أعناقــكن » . فلما ملأهن رعبا ، ضرب عنق غلام مولَّد له يقال له عصام فقتله . ثم أنشأ يقول :

---

(١) غ : مرضوف .

(٢) المشروج : المشقوق .

(٣) البــكر : الفتى من الإبل . والقلوص : الشابة من النوق . والعبارة كنائية .

(٤) طمر : وثب إلى أسفل وخبأ . وفى غ : يتطا من عنقه منها .

(٥) الوجيف : سرعة السير .

(٦) العارم : القوى الشديد . والوظيف : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق .

(٧) كذا فى غ . وفى ص : نساء من فديك . . تحريف . وفى كامل المبرد ٥٢٤ : أبى فديك ابن قرة .

(٨) الفلج : مدينة باليمامة لبنى جعدة وقشير .

جعلتُ عِصاما عِبْرةً حين رابنى   أَناسِىُّ من أهلى مِراضٌ قلوبُها

ثم إن فديكا رأى يزيد قائما عند باب أهله . فظن أنه يريد بعض نسائه فارْتَصَده في طريقه . وأمر بزُبْيَـةٍ(١) فحُفرت على الطريق . ثم أوقد فيها نارا ليِّنة ثم إنـه اختبأ في مكان ومعه عبدان له . وقال لهما : « تبصَّرا هل تَريان أحدا ؟ » فلم يلبث إلا قليلا حتى خرجت بنت أخى فديك ـ وكان يقال لهـا وحشية ـ تتهادى في بُرودها لميعاد يزيد . فأيقظه العبدان . ومضت حتى وقعت في الزبية فاحترق بعضها . وأمر بها فأُخرجت ، واحتملها العبدان ، وانطلق بها إلى داره . فقال فُديك :

شفى النفسَ من وحشيةَ اليومَ أنّها   تَهادَى وقد كانتْ سَريعا عَنيقُها(٢)

فإلّا تَدَعْ خَبْطَ الموارِدِ فى الدُّجَى   تَـكُن قَمِناً من غَشْيةٍ لا تُفيقُها(٣)

دواءُ طبيبٍ كان يعلم أنّـه   يُداوى المجانينَ المُخَلَّى طريقُهـا

فبلغ ذلك يزيد فقال :

سمتْبرأ من بعد الضَّمانةِ رِجْلُها   وتأتى الذى تَهْوَى مُخَلًّى طريقُها(٤)

علىَّ هدايا البُدْنِ إن لم أُلَاقِها   وإن لم يكن إلا فُديكٌ يسوقُها

يُحصِّنُها منى فديكٌ سَفاهـةً   وقد ذهبتْ فيها الـكُباسُ وحُوقُها

تُذيقونها شيئا من النار كلّما   رأت من بنى كعب غلاما يَروقُها

وإنما كانت وضعت رجلها فأحرقتْها النار .

وكان ثَوْر أخو يزيد سيدا كثيرا المال والنخل والرقيق ، متنسِّـكا كثير الحج والصدقة ، ملازما لإبله ونخله فلا يكاد يُلِمّ بالحى إلا الفَيْنة بعد الفينة . وكانت إبله

---

(١) الزبية : الحفرة يصاد بها الأسد والذئب .

(٢) العنيق : السير المنبسط .

(٣) الدجى : الظلام . القمن : الجدير .

(٤) الضمانة : العاهة ، أراد احتراق رجلها .

تَرِد مع الرِّعاء على أخيه ابن الطثرية فتُسْقَى على عينه . فبينا يزيد مارٌّ فى الإبل وقد صدرتْ عن الماء ، إذ مر بخباء فيه نسوة من الحاضر . فلما رأَيْنه قلن : « يا يزيد أطعِمْنا لحما » . فقال : « أَعْطِينني سكينا » فأعطينه . فنحر لهن ناقة من إبل أخيه . وبلغ الخبر أخاه . فأقبل فلما رآه أخذ بشعره وفسَّقه وشتمه . فقال[1] :

ياثورُ ، لاتشتُمَنْ عرضى ، فداكَ أبى ... فإنما الشتم للقــوم العواوير[2]
ما عَقْرُ نَابٍ لأَمْثالِ الدُّمَى خُرُدٍ ... عِينٍ كرامٍ وأبكارٍ مَعاصــير[3]
عطفنَ حولىَ يسألْن القِرى أُصُلا ... وليس يَرْضَيْنَ مـنى بالمعاذير[4]
هَبْهُنّ ضَيْفا عَرَاكُم بعد هَجْمَتِكم ... فى قِطْقِطٍ من سوادِ الليل مَستور[5]
وليس قُرْبَكُم شَاءٌ ولا لــبنٌ ... أيرحل الضيفُ عنكم غيرَ مجبور ؟
ما خيرُ واردةٍ للمــاء صادرةٍ ... لا تَنْجلى عن عَقيرِ الرِّجْل مَنْحور !

واستعَدتْ جرم على يزيد بن الطثرية فى وحشية ـ وهى امرأة منهم . فكتب صاحب اليمامة إلى ثور أخيـه وأمره أن يؤدبه . فجعل عقوبته حلق لِمتّه ، فحلقها فقال يزيد[6] :

أقول لثَوْرٍ ، وهو يَحْلِق لِمَّتى ... بحَجْناءَ مردودٍ عليهــا نِصابُها[7]

وهذا البيت حجة الأصمعى فى تأنيث الموسى .

---

(١) ابن سلام ٥٨٧ .

(٢) العواوير : كذا فى غ والطبقات ، وهم الجبناء . وفى ص : المغاوير ، تحريف .

(٣) الناب : الناقة المسنة . والخرد : جمع خريدة ، وهى الحيية والبكر من النساء . والعين الواسعة العيون ، وفى الطبقات : عون . والمعاصير : التى بلغت الشباب والإدراك .

(٤) ابن سلام : علقن حولى .

(٥) ب ، س : منشور . د ، ى والطبقات : من سقيط الليل منثور . وعراكم : أتى إليكم والقطقط : المطر الصغير ، وهو هنا صغار البرد .

(٦) كامل المبرد ٥٢٤ .

(٧) الـكامل : بعقفاء : والحجناء والعقفاء بمعنى واحد ، وهى كل حديدة لوى طرفها .

ترفَّقْ بها – يا ثور – ليس ثوابُها بهذا ، ولكنْ غيرُ هذا ثوابُها[١]
ألَا ربما – ياثور – قد غَلّ وَسْطَها أناملُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضابُها[٢]
فراح بها ثور تَرِفُّ كأنها سلاسل درعٍ خِيرُها وانسكابُها[٣]
مُنَعَّمة كالشَّرْية الفَرْدِ جادَها نِجاء الثُّرَيا هَطْلُها وذِهابُها[٤]
وأصبح رأسى كالصُّخيرة أشرفتْ عليها عُقابٌ ثم طارتْ عُقابُها[٥]

وقُتل يزيد بن الطثرية فى خلافة بنى العباس ، قتله بنو حَنيفة . فإن بنى حنيفة أغارتْ على طائفة من بنى عُقَيل ، ومعهم جار لهم من بنى قُشَير . فقُتل القُشيرى ورجلٌ من بنى عقيل . واطّردتْ[٦] إبل العقيليين . فأتى الصَّريخ[٧] عقيلا . فلحِقوا القومَ وقاتلوهم . فقتلوهم . فقتلوا من بنى حنيفة رجلا ، وعَقَروا أفراساً ثلاثة من خيل حنيفة . فانصرفوا.

ولبثوا سنة ثم إن عُقيلا انحدرتْ من بلادها مُنتجِعة لبلاد بنى تميم . فذُكر لحنيفة أنهم بالكَوْكَبة والقَيْضاف[٨] . فغزتْهم حنيفة . وحَذِرهم العقيليون وأتتْهم النذر من نُمير . فانكشفوا عنهم فلم يقدِروا عليهم . فبلغ ذلك من بنى عقيل وتلهّفوا

(١) الكامل : ولكن عند ربى ثوابها .

(٢) الكامل : يا ثور فرق بينها . وغل شعره بالطيب : أدخله فى أصوله .

(٣) الكامل : فجاء بها . لينها وانسكابها . ب ، س ، ص : خبؤها وانسكابها ، وأثبت رواية د ، ى لوضوحها . والخير : الهيئة .

(٤) الكامل :

خدارية كالشرية الفرد جادها من الصيف أنواء مطير سحابها

والشرية : شجرة الحنظل ، تشبه اللمم بها لحسنها لجعودتها . والنجاء : السحاب الذى هراق ماءه . والذهاب : المطر الضعيف .

(٥) غ ، ت : فأصبح رأسى . الكامل : ورحت برأس .

(٦) طرد الإبل فاطردت : ساقها فانساقت .

(٧) الصريخ : الاستغاثة .

(٨) لم أعثر على تحديد لهذين المكانين .

على بني حنيفة ، فجمعوا جَمْعا ليغْزوا حنيفة . ثم تشاوروا فقال بعضهم : « لا تغزوا قوماً فى منازلهم ودورهم ، فيَمْتنعوا منكم ويتحصّنوا دونكم ، ولا تأمنُ أن يفضحوكم » . فأقاموا بالعَقيق . وجاءت بنو حنيفة غازية كعبا لا تتعدّاها حتى وقعت بالفَلَج : فتطاير الناس . ورأسُ حنيفة يومئذ المُنْدَلِف . وجاء صريخ كعب إلى أبى لَطيفة بن مسلم العُقَيلى وهو بالعقيق أميرٌ عليها . فضاق بالرسول ذَرْعا وأتاه هولٌ شديد ، فأرسل فى عقيل يستمدّها . فأتته ربيعة بن عُقيل وقُشَير بن كعب والَحريش ابن كعب وأفْناء خَفاجة وجاش[1] إليه الناس . فقال : « إنى قد أرسلتُ طَليعة فانتظِروها حتى تجىء ونعلَم ما تشير » . فأصبح صُبْحَ ثالثةٍ على فرس له يهتف : « أعز الله نصركم ، وأمتعَنا بكم انصرفوا راشِدين فلم يكن بأس » . فانصرف الناس .

وسار فى بنى عمه ورهطه وأدانيه . وإنما فعل ذلك ليكون لهم السُّمْعة والذِّكر فكان فيمن سار معه القُحَيف بن خُمَير ويزيد بن الطثْرية الشاعران . فواجهوا القوم وأوْقعوهم . فقتلوا المندلف : رموه فى عينه ، وسَبَوا وأسروا ومَثَّلوا بهم ، فقطعوا أيدى اثنين منهم ثم أرسلوها إلى اليمامة وصنعوا ما أرادوا . ولم يُقتَل ممن كان مع أبى لطيفة غير يزيد بن الطثْرية : نَشِب ثوبه فى جِذْلٍ من عُشَرة[2] وانقلب ، فخبطه القوم فقُتل . وقال القُحَيف يرثيه[3] :

ألَا تبكى سَراةُ بنى قشيرٍ ... على صِنْديدِها وعلى فَتاهـــا
فإنْ يُقْتَلْ يزيدُ فقد قَتَلْنـــا ... سَراتَهم الكُهولَ على لِحاهـــا
أبا المَكْشوحِ . بَعْدَكَ من يُحامِى ... ومن يُزْجِى القَلوصَ على وَجاها ![4]

(١) جاشوا إليه : أتوه ليلا .

(٢) الجذل : أصل الشجرة . والعشرة : شجرة من العضاه .

(٣) وفيات الأعيان ٢ : ٣٠١ .

(٤) غ والوفيات يزجى المطى . ويزجى : يسوق . والقلوص . الشابة من النوق . والوجى : الحفا الذى يصيب الإبل من كثرة السير .

وقُتل يزيد بن حَمَل أيضاً يومئذ . فقال القحيف :

ياعينُ ، بَكّي هَمَلا بعد هَمَلْ على يَزيدَ ويزيدَ بن حَمَلْ[١]
قتّالِ أبْطالٍ وجرّار حُلَلْ

وقالت زينب بنت الطثرية ترثى يزيد أخاها ـ وقيل : إنها لأمّ يزيد ، وهى من الأَزْد . وقيل : إنها لوحشية الجَرْمية[٢] ـ :

أرى الأَثْلَ من بعدِ العَقيق مُجاوِرى مُقيما وقد غالتْ يزيدَ غَوائلُهْ[٣]
فـتًى قُدَّ قَدَّ السيفِ لا مَتضائِلٌ ولا رَهِلٌ لَبّـاتُه وبآدِله[٤]
فتى لا تَرى قَدَّ القميصِ بخَصْرِه ولـكنّما تُوهِي القميصَ كواهلُه
إذا نزل الضِّيفانُ كان عَذَوَّرا على الحيِّ حتى تَسْتقلَّ مَراجله[٥]
يَسرُّكَ مظلوماً ويُرضيك ظالمـا وكلُّ الذى حَمَّلتَه فهو حامله[٦]
إذا جَدَّ عند الجِدِّ أرضاكَ جِدُّه وذو باطلٍ إن شئتَ ألْهاكَ باطله[٧]

منهـا :

فـتًى ليس لابن العم كالذئبِ إنْ رأى بصاحِبه يوماً دما فهو آكله
سيبكيـه مولاهُ إذا ما ترفَّعتْ عن السّاق عند الرَّوْع يوماً ذَلاذِله[٨]

(١) الهمل هنا : الدمع السائل لا مانع له .

(٢) القالى : الأمالى ٢ : ٨٥ . البكرى : التنبيه ٩٨ . ابن خلـكان : الوفيات ٢ : ٣٠٢ .

(٣) غ ، ت ، وابن خلـكان ، والبكرى : بطن العقيق . القالى : وادى العقيق . والأثل : شجر .

(٤) كذا فى المصادر . وفى ص : وأبا جله ، ولا تليق بالسياق . واللبة : النحر . والبآدل : جمع بأدلة ، وهى اللحم بين العنق والترقوة .

(٥) ت ، والقالى : الأضياف . ت : حتى تستقر . والعذور : السيء الخلق القليل الصبر عما يهم به ، وصفته بذلك لتشدده فى الأمر والنهى لتهيئة الأمور للضيوف . واستقلال المراجل : انتصابها على الأثافى .

(٦) اللسان : يعينك مظلوما وينجيك ظالما .

(٧) ب ، س : عند الظلم .

(٨) الذلاذل : جمع ذلذل ، وهو هدب الثوب وكان النساء يكشفن عن سيقانهن عند اشتداد المعركة ليثبت الرجال .

يزيد بن عبد المدَان*

اسم عبد المدان عمرو ، وكنيته أبو يزيد . وهو ابن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو .

كان الأعشى يُكثِر مديح بني عبد المدان . فمن قوله فيهم[(1)] :

وكعبةُ نجرانَ حَتْمٌ عليـ ... ـكِ حتى تُناخِي بأبْوابِها[(2)]

نَزورُ يَزيدا وعبـد المسَيح ... وقَيْسا ، همُ خيرُ أَرْبابهـا

وشـاهِدُنا الجُلُّ والياسَميـ ... ـنُ والمُسْمِعات بقُصّابهـا[(3)]

وبَرْبَطُنـا دائماً مُعْمَلٌ ... وأيُّ الثلاثة أزْرَى بهـا[(4)]

إذا الْحِبَرات تَلوَّتْ بهم ... وجَرُّوا أسافل هُدّابهـا[(5)]

فلمـا التَقَيْنا على آيةٍ ... ومَدّتْ إلىّ بأسبابهـا[(6)]

---

* جمع ابن المكرم هذه الأخبار من مواضع متفرقة في الأغاني ، فأخباره في ب ٩ : ١٧ ، ١٠ : ١٤٣ ، ١٨ : ١٦٠ ، س ٩ : ١٦ ، ١٠ : ١٣٥ ، ١٨ : ١٦٠ ، د ١٠ : ٣٥ ، ١٢ : ٣ ، ى ٧ : ٧ ، ١٠ : ٣٥ ، ٢١ : ٢٢ .

(١) ديوان الأعشى الكبير (المطبعة النموذجية) ١٧٣ .

(٢) غ : فكعبة .

(٣) الديوان : وشاهدنا الورد . والجل : الورد ، أبيضه وأحمره وأصفره . والمسمعات : المغنيات . وقال تعلب : القصاب : الزامرون . وفي هامش ص حاشية مأخوذة من متن الأغاني هي «القصاب : أوتار العيدان . قال الأصمعي : قلت : لبعض الأعراب : أنشدني شيئا من شعرك . فقال : كنت أقول الشعر وتركته. قلت : ولم ذاك؟ قال : لأنني قلت شعرا وغنى فيه حكم الوادي، وسمعته فكاد يذهل عقلي ، فآليت ألا أقول شعرا ، وما حرك حكم بذلك الشعر قصابة إلا توهمت أن الله عز وجل مخلدي في النار » .

(٤) غ : وبربطنا دائم .. فأي . الديوان : ومزهرنا معمل دائم .. فأي والبربط : العود .

(٥) الحبرات : ضرب من برود اليمن منمر .

(٦) على آية : كذا في د ، ى وهي العلامة . وفي ص ، ب ، س : على آلة . وفي الديوان : على بابها .

تُنازعنى إذ خلَتْ بُرْدَها مُعطَّرةً بعد جِلْبابهـــا(١)

الـكعبة التى عناها الأعشى يقال إنها بِيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الـكعبة ، وعَظّموها مُضاهاة للـكعبة ، وسموها كعبة نجران . وكان فيها الأساقفة الذين وردوا للمُباهَلَة(٢) على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وقيل : بل كانت قبة من أَدَم وسموها الـكعبة . وكان إذا نزل بها مستجير أُجير ، أو خائف أَمِن ، أو جائع شَبِع ، أو طالب حاجة قُضيت ، أو مُسترفِد(٣) أُعطِى ما يريد . وكانت هذهالقبة لعبد المسيح ابن دارس بن عَدِىّ(٤) . وكانت من ثلاث مائة جلد أَدَم وكانت على نهر بنجْران يقال له النُّحَيْردان . وكان يستغل من ذلك النهر عشرةَ آلاف دينار . وكانت القبة تستغرق ذلك كله .

وكان أول من سكن نجران من بنى الحارث بن كعب يزيدَ بن عبد المدان. وذلك أن عبدالمسيح بن دارس زَوَّج يزيد بن عبد المدان ابنته رُهَيمة . فولدتْ له عبد الله ابن يزيد . فهم بالـكوفة . ومات عبد المسيح فانتقل ماله إلى يزيد . وكان أول حارثى حلّ فى نجران .

قال الـكلبى(٥) : اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطُّفَيل بموسم عُـكاظ . وقدم أمية بن الأَشْـكَر(٦) ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها . فخطبها يزيد وعامر .

---

(١) الديوان : مفضلة غير جلبابها .

(٢) المباهلة : الملاعنة .

(٣) المسترفد : طالب العطاء .

(٤) غ : عربى .

(٥) قال أبو الفرج ١٨ : ١٦١ : هذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الـكلبى ، والتوليد فيه بين وشعره شعر ركيك غث لا يشبه أشعار القوم .

(٦) غ : الأشـكر . واختلفت المراجع فى حقيقة هذا الاسم منذ عهد بعيد، فقد قال صاحب خزانة الأدب ٢ : ٥٠٦ : « قال ابن حجر : الأسكر بالسين المهملة فيما صوبه الجيانى . وضبطـه ابن عبد البر بالمعجمة » .

فقالت أم كلاب امرأة أمية بن الأشكر: « من هذان الرجلان ؟ » فقالوا : « هذا يزيد ابن عبد المدان بن الديّان ، وهذا عامر بن الطفيل » . فقالت: «أعرف بنى الديان[١] وما أعرف عامرا » . فقال : هل سمعتِ بمُلاعِب الأسِنَّة ؟ » قالت : « نعم» . قال : « فهذا ابنُ أخيه » . وأقبل يزيد فقال : « يا أمية ، أنا ابنُ الدّيّان ، صاحب الكَثِيب[٢] ، ورئيس مَذْحِج ، ومُكلِّم العُقاب ، ومن كان يُصوِّب أصابعه فتَقْطُر[٣] دما ، ويَدْلُك راحتَيْه فتُخرجان ذهَبا[٤] » . فقال أمية : « بَخْ ، بَخْ ! » فقال عامر : « جَدِّى الأَخْرَم ، وعمى الأَصْبَغ[٥] ، وعمى مُلاعب الأَسِنَّة ، وأبى فارس قُرْزُل » . فقال أمية : « بَخْ ، بَخْ ! مَرْعًى ولا كالسَّعْدان[٦] ! » فأرسلها مثلا . فقال يزيد : « ياعامر ، هل تعلم شاعرا من قومى رَحَل بمِدْحة إلى رجل من قومك ؟ » قال : « لا » . قال : « فهل تعلم أن شعراء قومك يرحَلون بمدائحهم إلى قومى ؟ » قال : « اللّهمّ ، نعم » . قال : « فهل لك نَجْمٌ يمانٍ أو بُرْدٌ يمان أو سيف يمان أو رُكْن يمان ؟ » قال : « لا » . قال : « فهل ملَكْناكم ولم تملِكونا ؟ » قال : « نعم » . فنهض يزيد وهو يقول :

أُمَىَّ يا ابنَ الأشكرِ بن مُدْلِجِ ... لا تَجْعَلَنْ هَوازِنًا كَمَذْحِجِ
إنّك إنْ تَلْهَجْ بأمرٍ تَلْجِجِ ... ما النَّبْعُ فى مَغْرِسه كالعَرْفَجِ[٧]

---

(١) كذا فى غ ح ١٠ ، وفى غ ح ١٨ : ابن الديان، وفى ص : بنى عبد الديان ، تحريف

(٢) غ ح ١٠ : الكتيبة . والكثيب : موضع بساحل بحر اليمن .

(٣) غ : فتنطف ، وهى بمعنى تقطر .

(٤) كذا فى غ ، وفى ص : دهنا ، تحريف .

(٥) غ ح ١٨ : أبو الأصبغ .

(٦) السعدان : نبت ، ومنابته السهول ، وهو من أنجع المراعى فى الإبل ولا تحسن على نبت حسنها عليه . وهذا المثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله .

(٧) غ : كالعوسج . والنبع : ضرب من الشجر تتخذ منه القسى ، ومن أغصانه السهام ، ينبت فى أعالى الجبال . والعرفج : شجر ينبت فى السهول .

* ولا الصَّريحُ المحْضُ كالمُزَّج(١) *

فقال مُرَّة بن دُودان الفُقَيلي(٢) ، وكان عدوا لعامر :

يا ليت شِعْرِى عنك يا يزيدُ ما ذا الذى من عامرٍ تُريد ؟
لـكلِّ قومٍ فَخْرُكم عتيد أمُطْلَقون نحن أم عَبيد(٣)

* لا بل عَبيد زادُنا الهَبيد(٤) *

فزوج أمية يزيد بن عبد المدان ابنته . فقال يزيد فى ذلك :

يا لَلرِّجالِ لِطارِقِ الأحزانِ ولعامرِ بن طُفيلٍ الوَسْنانِ
كانتْ إتاوةُ قومِه لمحَرِّقٍ زمنا وصارتْ بعدُ للنعمان(٥)
عَدَّ الفوارسَ من هَوازنَ كلَّها فَخْرا علىَّ وجئتُ بالديّان(٦)
فإذا لىَ الشرفُ الرفيعُ بوالدٍ ضخمِ الدَّسيعةِ زانَنى ونَمانى(٧)
يا عامُ إنك فارسٌ ذو مَيْعَةٍ غَضُّ الشبابِ أخو ندًى وقِيان(٨)
واعلمْ بأنك ـ يا ابنَ فارسِ قُرْزُلٍ ـ دونَ الذى تسعَى له وتُدانى

---

(١) الصريح : الخالص من كل شيء

(٢) كذا فى ص ، د ، ى . وفى غ حـ ١٨ : العقيلى . وفى ب ، س حـ ١٠ : السلمى . وفى عامر نفيل وعقيل ، فالأولى نفيل بن عمرو بن كلاب بن عامر بن صعصعة ، والثانية عقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر .

(٣) ب ، س : أمطمعون نحن .

(٤) الهبيد : حب الحنظل .

(٥) محرق . لقب لاثنين من ملوك لخم ، هما امرؤ القيس بن عمرو ، وعمرو بن هند؛ ولواحد من ملوك غسان ، هو الحارث بن عمرو .

(٦) غ حـ ١٨ : غدت الفوارس . . كثفا على .

(٧) د ، ى : الشرف المبين. ب، س جـ ١٠ الشرف المتين . ب ، س حـ ١٨ : الفضل المبين . والدسيعة هنا : العطية.

(٨) ب ، س حـ ١٠ : فارس ذو منعـة . ب ، س حـ ١٨ : فارس متهور . والميعة : أول الشباب .

ليستْ فوارسُ عامرٍ بمُقرَّةٍ   لك بالفَضيلةِ فى بنى عَيْلان
فإذا لقيتَ بنى الحماسِ ومالكٍ   وبنى الضِّباب وحىَّ آلِ قَنان (١)
فاسألْ من الرجلِ المُنوَّه باسمِه   والدافعِ الأعداءَ عن نَجْران ؟ (٢)
يُعْطَى القَادةَ فى فوارسِ قومِه   كَرماً لعَمرُك والكريمُ يمانى

فأجابه عامر بأبيات أولها (٣) :

عجبًا لِواصفِ طارقِ الأحزانِ   ولِمَا يَجىءُ به بنو الدَّيّانِ (٤)
فَخَروا علىّ بحَبْوةٍ لمُحرِّقٍ   وإتاوةٍ سِيقَتْ إلى النُّعمان (٥)
ما أنتَ وابنَ مُحرِّقٍ وقَبيلَهُ   وإتاوة اللَّخْمِىّ فى عيلان
فاقصِدْ بفَخْرِكَ قَصْدَ قومِك قُصْرةً   ودَعِ القبائلَ من بنى قَحْطان (٦)
إن كان سالفةُ الإتاوةِ فيكمُ   أَوْلا ففَخْرُكَ فخرُ كلِّ يمانى
وافخر برَهْطِ بنى الحماسِ ومالكٍ   وبنى الضِّباب وزَعْبَلٍ وقَنان
فأنا المَعظَّمُ وابن فارسِ قُرْزُلٍ   وأبو بَراءَ زانَنى ونَمانى
وأبو جُزَىْءٍ ذو الفَعال ومالكٌ   منعا الذِّمارَ صباحَ كلِّ طِعان
وإذا تَعاظَمَتِ الأمورُ هَوازِنا   كنتُ المنوَّه باسمه والبانى (٧)

فلما رجع القوم إلا بنى عامر ، وثبوا على مرة بن دودان وقالوا له : « أنت من بنى عامر وأنت شاعر ، ولم تَهْجُ بنى الديان ! » فقال مُرّة :

---

(١) كذا فى غ ، وكلها قبائل من مذحج . وفى ص : لقيت بنى الحمار . وفى هامش ص ، ب س حـ ١٨ : لقيت بنى الخميس .
(٢) غ : فاسأل عن . ب ، س حـ ١٨ : المرء المنوه .
(٣) ليست فى ديوانه ، وأضافها محققه عن الأغانى ١٥٩ .
(٤) ب ، س حـ ١٠ : تجىء . ب ، س حـ ١٨ ياللرجال لطارق الأحزان .
(٥) ب ، س حـ ١٨ : سلفت من النعمان . والحبوة : العطية .
(٦) ب ، س حـ ١٨ : فاقصد بذرعك قصد أمرك قصدة وقصرة : أدانيهم .
(٧) كذا فى غ . وفى ص : المموه باسمه والثانى ، تحريف . وفى غ مرة : هوازن .

تُكلِّفُنى هوازنُ فخرَ قومٍ ... يقولون : الأنامُ لنا عَبيدُ
أبوهم مَذْحِجٌ وأبو أبيهم ... إذا ما عُدَّت الآباء هُود[١]
وهل لى إنْ فخرتُ بغيرِ حقٍّ ... مقالٌ والأنامُ لهم شهود[٢]
فإنّا لم نزَلْ لهمُ قَطينا ... تجىء إليهمُ منا الوُفود[٣]
فأنَّى تضربُ الأحلامُ صَفْحا ... عن العَلْياءِ أم مَنْذا يَكيد[٤]
فقولوا ، يا بنى عَيْلان : إنّا ... لهم قِنٌّ ، فما عنها مَحيد[٥]

قَدِم[٦] يزيد بن عبد المَدان وعمرو بن مَعْدى كَرِب ومَكْشوح المُرادى على ابن جفنة زوارا . فلقوا عنده وجوه قيس : مُلاعب الأَسِنّة عامر بن مالك ، ويزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، ودُرَيد بن الصِّمَّة . فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان : « ماذا كان يقول الدّيان إذا أصبح ، فإنه كان دَيّانا » . فقال : « كان يقول : آمنتُ بالذى رَفَع هذه (يعنى السماء) ووَضَع هذه (يعنى الأرض) وشَقّ هذه (يعنى أصابعه) . ثم يَخِرّ ساجدا ويقول : سجد وجهى للذى خلقَه وهو عاشم ، وما جَشَّمنى من شىء فإنى جاشم . وإذا رفع رأسه قال :

إنْ تغفرِ اللهمَّ تغفرْ جَمّا ... وأىُّ عبدٍ لك ما ألَمّا

فقال ابن جفنة : « إن هذا لذو دين » .

ثم أقبل على القيسيين فقال: « ألا تحدّثونى عن هذه الرياح : الجنوب ، والشمال ،

---

(١) وأبو أبيهم : كذا فى ب ، س حـ ١٨ . وفى ص ، د ، ى ، (به ، س حـ ١٠) : وبنو أبيه ، تحريف . غ : أبونا ، تحريف .
(٢) ب ، س حـ ١٨ : بغير فخر . والأنام له .
(٣) القطين : الخدم .
(٤) غ : فأنى تضرب الأعلام صفحا . وأظنه تحريفا .
(٥) غ مرة : كنا لهم قنا ، وأخرى : كنا لكم قنا .
(٦) الخبر فى ب ١٠ : ١٤٦ ، س ١٠ : ١٣٩ ، د ١٢ : ١٣

والصَّبا ، والدَّبور ، والنَّكباء ، لِمَ سُمِّيت بهذه الأسماء ، فإنه قد أعيانى أمرُها » .
فقال القوم : « هذه أسماء وجدْنا عليها العرب لا نعلم غير هذا » . فضحك يزيد ابن عبد المدان ثم قال : « يا خيرَ الفتيان ، ما كنتُ أحسب أن هذا يسقُط علمه عن هؤلاء ، وهم أهل الوَبَر . إن العرب كانت تضرب أبنيتها فى القِبْلة مستقبلة مَطْلَع الشمس ، لتُدْفئهم فى الشتاء ، وتزول عنهم فى الصيف . فما هبّ من الرياح عن يمين البيت فهى الجنوب ، وما هبّ عن شماله فهى الشَّمال ، وما هب من أمامه فهى الصَّبا ، وما هب من ورائه فهى الدَّبور ، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهى النَّكباء » . فقال ابن جفنة : « إن هذا لَعِلْمٌ(١) يا ابن عبد المدان » .

وأقبل على القيسيين فسألهم عن النعمان بن المُنْذِر فعابوه وصغَّروه . فنظر ابن جفنة إلى يزيد ، فقال له : « ما تقول أنت ، يا ابن عبد المدان ؟ » فقال له يزيد : « يا خير الفتيان ، ليس صغيرا مَن مَنَع منك العراق ، وشاركك فى الشام ، وقيل له : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، وقيل لك : يا خير الفتيان ، وألْفَى أباه ملكا كما ألفيتَ أباك ملكا . فلا يَسُرُّك من يَغرُّك . فإن هؤلاء لو سألهم النعمان عنك لقالوا فيك كما قالوا فيه . وايْمُ اللهِ ، ما فيهم رجل إلا ونعمة النعمان عنده عظيمة » .

فغَضِب عامر بن مالك وقال له : « يا ابن الدّيان ، أما والله لَتَحلِبَنّ بها دما » . فقال له : « ولِمَ؟ أَزِيدَ فى هوازن من لا أعرفه؟ » . قال : « بل هم القوم الذين تعرِف » . فضحك يزيد ثم قال : « لا جرَم ! ما لهم جَمْرة بنى الحارث(٢) ، ولا فتك مُراد ، ولا بأس زبيد ، ولا كيد جُعْفى ، ولا مُغار طَـيِّئ ، ولا نحن وهم ـ يا خير الفتيان ـ بسواء . ما قتلْنا أسيراً قط . ولا اشتَهَيْنا حُرّة ، ولا بكَيْنا قتيلا حتى نثأر به .

---

(١) غ : للعلم .
(٢) غ : جرأة بنى الحارث . والجمرة : الكثرة والعدد .

وإنّ هؤلاء ليَعْجزون عن ثأرهم حتى يُقتَل السَّمِىّ بالسمى ، والكَنىّ بالكنى والجار بالجار » .

وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسيين شعراً ، وغدا به على ابن جفنة :

تَمالا على النعمانِ قومٌ إليهمُ ... موارِدُهُ فى مُلْكِه ومَصادِرُهْ
على غير ذنبٍ كان منــه إليهمُ ... سِوَى أنّهم جادتْ عليهم مَواطِرُه[1]
فباعَدَهم من كل شرٍ يخافُه ... وقرَّبهم من كل خيرٍ يُبادره
فظنُّوا وأعراضُ الظنونِ كثيرةٌ ... بأنّ الذى قالوا من الأمر ضائِره
فلم يَنْقُصوه بالذى قِيــلَ شَعْرةً ... ولا فُلِّلتْ أنيـابُه وأظافرُه
ولَلْحارثُ الجَفْنِىُّ أعلمُ بالذى ... يَنوء به النعمانُ إن خفّ طائره[2]
فيا حارِ ، كم فيهم لنُعمانَ نعمةٍ ... من الفضْلِ والمَنِّ الذى أنا ذاكِرُه
ذُنوبا عفا عنهــا ، ومالًا أفادَه ... وعظْما كَسِيرا قوَّمتْه جوابِره
ولو سال عنك العائبين ابنُ مُنْذرٍ ... لَقالوا له القولَ الذى لا يُحاذِرُه[3]

فلما سمع ابن جفنة هذا القول ، عَظُم يزيد فى عينه ، وأجلسه معه على السرير ، وسقاه بيده ، وأعطاه عطية لم يُعْطِها أحد ممن وَفَد عليه قط . فلما قرّب يزيد ركائبه ليرتحل ، سمع صوتا إلى جانبه ، وإذا هو رجل يقول :

أما من شفيع من الزائرين ... يحب الثَّنــا زَنْدُه ثاقبُ[4]
يريد ابنُ جَفْنةَ إكرامه ... وقد يمسَح الضَّرَّة الحالب

(١) غ : سوى أنه .

(٢) كذا و د ، ى ، أى أن الحارث الجفنى أعلم الناس بمــا ينهض به النعمان ويقوم به من الأعمال إن استفزه مستفز . وفى ب ، س : يبوء به النعمان إن جف طائره . وفى ص بغير نقط .

(٣) د ، ى : لا يحاوره .

(٤) زنده ثاقب : كناية عن الكرم والخصال الحميدة .

فيُنقذَنى من أَظافيرِه وإلا فإنّى غدًا ذاهب
فقد قلتُ يوما على كُرْبةٍ وفى الشَّرْب فى يَثْرِبٍ غالب[١]
ألا ليْتَ غسانَ فى مُلْكِها كلَخمٍ ، وقد يُخطئ الشّارب
وما فى ابن جفنة من سُبّةٍ وقد خفّ حِلْمى بها العازب
كأنى غريب من الأبْعدين وفى الحلْقِ منى شَجًا ناشب

فقال يزيد : « علىّ بالرجل » . فأُتى به فقال : « ما خَطْبُـك ؟ أأنت تقول هذا الشعر ؟ » قال : « لا ، بل قاله رجلٌ من جُذام، جفاه ابن جفنة وكانت له عند النعمان منزلة فشرب فقال على شرابه شيئا أنـكره عليه ابن جفنة فحبسه . وهو مُخرِجه غدا فقاتِله » . فقال له يزيد : « أنا أُغنيك » . فقال له : « ومن أنت أعرفْك؟ فقال له: « أنا يزيد بن عبد المدان » . فقال له : « أنت لها ، وأبيك » . قال : « أجل ، قد كفيْتُك أمرَ صاحبك . فلا يَسْمعنَّك أحدٌ تُنْشِد هذا الشعر » . وغدا على ابن جفنة مودِّعا فقال له : « حيّاك الله — يا ابن الديان — هل من حاجة ؟ » قال : « تُلْحِق قُضاعةَ الشام بغَسّان ، وتُؤْثِر من أتاك من وفود مَذْحِج ، وتهَب لى الُجذامىّ الذى لا شفيع له سوى كَرَمِك » . قال : « قد فعلتُ . أمَا إنى حبستهُ لأَهَبه لسيِّد أهل ناحيتك فـكنت ذلك السيد» . ووهبه له. فاحتمله يزيد معه . فلم يزل مجاوراله بنجران فى بنى الحارث بن كعب . وقال ابن جفنة لأصحابه : « ما كانت يمينى لتَفِىَ إلا بقتله أو هِبَته لرجل من بنى الديان ، فإن يمينى كانت على هذين » . فعَظُم بذلك يزيد فى يَمَن الشام ونبُـه ذكره وشرف .

جاور[٢] رجلان من هَوازِن يقال لهما عمرو وعامر فى بنى مُرَّة بن عَوْف بن ذُبيان ، وكانا قد أصابا دما فى قومهما . ثم إن قيس بن عاصم المِنْقَرى أغار على بنى مُرَّة

(١) الشرب : جماعة الشاربين . يثرب : المدينة .
(٢) الخبر فى ب ١٠ : ١٤٨ ، س ١٠ : ١٤١ ، د ١٢ : ١٦ .

ابن عوف بن ذبيان . فأصاب عامرا أسـيرا فى عدة أسرى كانوا عند بنى مرة . ففَدَى كلُّ قوم أسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الهوازنى . فاستغاث أخوه من بنى مرة بسِنان بن أبى حارثة ، والحارث بن عوف والحارث بن ظالم ، وهاشم بن حَرْملة ، والُحصين بن ُحمام ، فلم يُغيثوه . فركب إلى موسم عُـكاظ . وأتى منازل مَذْحِج ليلا فنادى :

دعوتُ سِنانا وابنَ عوفٍ وحارثا ... وعاليْتُ دَعْوَى بالُحصَيْنِ وهاشمِ
أُعيِّرُهم فى كل يوم وليـــلة ... بتَرْكِ أسيرٍ عنـــد قيس بن عاصم
حَليفِهُم الأَدْنى وجارِ بيوتهـــم ... ومن كان عما سَرَّهم غـيرَ نائم
فصَمُّوا وأحداثُ الزمانِ كثيرةٌ ... وكم فى بنى العَلَّاتِ من مُتصامِم[1]
فياليْتَ شِعْرى مَنْ لإطْلاقِ غُلِّه ... ومَنْ ذا الذى يَحظَى به فى المواسم

فسمع صوتا من الوادى ينادى بهذه الأبيات :

ألَا أيُّهـــذا الذى لم يُجَبْ ... عليك بحَىٍّ يُجَلِّى الـكُرَبْ
عليك بذا الحىّ من مَذْحِجٍ ... فإنَّهُم للرِّضا والغضب
فنادِ يزيدَ بن عبد المدانِ ... وقيسا وعمرو بن مَعْدِى كَرِب
يَفُـكُّوا أخـــاكَ بأموالِهم ... وأَقْلِـلْ بأمثالِهم فى العرب[2]
أُولاكَ الرءوسُ فـلا تَعْدُهُم ... ومَنْ يجعلُ الرأسَ مثلَ الذنب؟

فاتَّبع الصوت فلم ير أحدا . فغدا على المـكشوح ، واسمه قيس بن عبد يَغُوث المُرادى فقال له : « إنى وأخى رجلان من جُشَم بن معاوية ، أصبْنا دما فى قومنا . وإن قيس بن عاصم أغار على بنى مرة وأخى فيهم مجاور ، فأخذه أسيرا . فاستغثْتُ بسنان بن أبى حارثة والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة والحارث بن أبى عوف ،

---

(١) بنو العلات : بنو الأمهات الشتى من الأب الواحد .

(٢) غ : وأقلل بمثلهم .

فلم يُغيثونى . فأتيتُ الموسم لأُصيب به من يفك أخى . فانتهيت إلى منازل مذحج فناديت بكذا وكذا . فسمعت من الوادى صوتاً أجابنى بكذا وكذا ؛ وقد بدأتُ بك لتفكّ أخى » فقال له المكشوح : « واللهِ ، إن قيس بن عاصم لرجل ما قارضْتُه معروفاً قط ولا هو بجارٍ . ولكن اشترِ أخاك منه وعلىّ الثمن ، ولا يمنعُك منه غَلاء » . ثم أتى عمرو بن معدى كرب فقال له مثل ذلك . فقال : « هل بدأتَ بأحد قبلى ؟ » قال : « نعم بالمكشوح » . فقال . « عليك بمن بدأتَ به » . فتركه . وأتى يزيد بن عبد المدان فقال له : « يا أبا النَّضْر ، إن من قصتى كذا وكذا ؟ » . فقال له يزيد : « مرحباً بك وأهلا ! أبعثُ إلى قيس بن عاصم ، فإنْ هو وهب لك أخاك شكرتُه وإلا أغرْتُ عليه حتى يَتَّقِينى بأخيك . فإنْ نلتُها وإلا دفعتُ إليك كل أسير من بنى تميم بنجران فاشتريت بهم أخاك » . قال : « هذا الرِّضا » . فأرسل يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات :

ياقيسُ ، أَرْسِلْ أسيراً من بنى جُشَمٍ … إنى بكلِّ الذى تأتِى به جازِى
لا تأمنِ الدهرَ أنْ يَشْجَى بغُصَّته … فاخْتَرْ لنفسِك إحمادِى وإعْزازِى
فافكُك أخامِنْقَرٍ عنه وقلْ حَسَنَا … فيما سُئِلْتَ وعَقِّبْه بإنجاز

وبعث بالأبيات مع رسوله إلى قيس . فأنشده إياها وقال له : « يا أبا على ، إن يزيد بن عبد المدان يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن المعروف قَرْض ، ومع اليوم غد ، فأطلِقْ هذا الأسير الُجشَمىّ فإن أخاه استغاث بأشراف بنى مرة ، وبعمرو بن معدى كرب وبمكْشوح مُراد . فلم يُصِب عندهم حاجتَه . فاستجار بى . ولو أرسلتَ إلىّ فى جميع أسارى مُضَر بنجران لقضيتُ فيهم حقك » . فقال قيس بن عاصم لمَنْ حضره من تميم : « هذا رسول يزيد بن عبد المدان ، سيد بنى مَذْحِج وابن سيدها ، ومن لا يزال له فيكم يدٌ . وهذه فرصة لكم . فما تَرَوْن ؟ » قالوا : « نرى أن تُغْلِيه عليه وتحتكم فيه شططا ، فإنه لن يخذله أبدا ولو أتى ثمنُه على ماله » . فقال قيس :

« بئس ما رأيتم ! أمَا تخافون سِجالَ الحروب ، ودُوَل الأيام ، ومجازاة القروض ! » فلما أبوا عليه ، قال : « بيعونيه ؟ » . فأغْلَوه عليه . فتركه فى أيديهم ، وكان أسيراً فى يد رجل من بنى سعد . وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى ، وأعلمه أن الأسير — لو كان فى يده أو فى مِنْقَر — لأخذه وبعث به ، ولكنه فى يد رجل من بنى سعد . فأرسل يزيد إلى السعدى : « أن صِرْ إلىّ بأسيرك ولك فيه حُكْمُك . فأتى به السعدىّ إليه . فقال له : « احتكِمْ » . فقال : « مائةُ ناقة ورِعاؤها » . فقال له يزيد : « إنك لقَصير الهمة ، قَريب الغنى ، جاهل بأخطار بنى الحارث . أمَا واللهِ ، لقد غَبَنْتُك ، يا أخا بنى سعد . وقد كنتُ أخاف أن يأتى ثمنُه على جُلِّ أموالنا . ولكنكم — يا بنى تميم — قوم قِصارُ الهمم » . فأعطاه ما احتكم به . فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنجران .

أغار(١) يزيد بن عبد المدَان ومعه بنو الحارث بن كعب على بنى عامر . فأسر عامرَ بن مالك ملاعبَ الأَسِنَّة أبا براء ، وأخاه عُبيدة بن مالك . ثم أنعم عليهما . فلما مات يزيد ، رثته زينب بنت مالك أخت ملاعب الأسنة فقالت :

بكيتُ يزيدَ بن عَبْـــد المدَا نِ حَلَّتْ به الأرضُ أثقالَهـــا

فلامها قومُها فى ذلك وعَيَّروها بأن بكت يزيد . فقالت :

ألَا أيها الزّارِى علىّ بأنّنى نِزاريةٌ أبكِى كَريما يمانيـــا

ومالىَ لا أبكى يزيدَ وردَّنى أجرُّ جديداً مِدْرَعى ورِدائيا

كان(٢) رجل من ثُمالةَ قد جاور بماله عبد الله بن الصِّمَّة . فهلك عبد الله ، وأقام الرجل فى جوار دُرَيد . وأغار أنس بن مُدْرِكة الخَثْعمىّ على بنى جُشَم . فأصاب مال الثمالى وأناسا من بنى ثمالة كانوا جيراناً لدريد . فكف دريد عن طلب القوم ،

(١) الخبر فى ب ١٠ : ١٥٠ ، س ١٠ : ١٤٣ ، د ١٢ : ٢١ .

(٢) الخبر فى ب ٩ : ١٧ ، س ٩ : ١٦ ، د ١٠ : ٣٥ .

وشُغل بحرب من يليه . وقال لجاره ذلك : « أَمْهِلْنى عامِى هذا » . فقال الثمالى : « قد أمهلتُك عامين » . وخرج دريد فى حاجة وقد أبطأ فى أمر الثمالى ، فسمعه يقول :

كساكَ ـ دريدُ ـ الدهر ثوبَ خَزايةٍ وجَدَّعك الحامِى حَقيقَتَــه أَنَسْ
دع ِالرمحَ والخيلَ الجيادَ لِخَثْعَمٍ فما أنت والرمح الطويل ولا الفرس(١)
وما أنت والغَزْو المُتابَـع للعِدَى وهَمُّك سَوْق العَوْدِ والدَّلْو والمَرَس(٢)
فلو كان عبــدُ الله حَيًّا لرَدَّها وما أصبحتْ إبْـلِى بنجرانَ تُحْتَبَس
ولا أصبحتْ عِرْسِى بأشْـقَى معيشةٍ وشيخٌ كبيرٌ من ثُمالةَ فى تَعَس
يُراعِى نجومَ الليلِ من بَعْدِ هَجْعَةٍ إلى الصبح ِ محزونا يُطاوله النفَس
وكنتُ ـ وعبدُالله حىٌّ ـ وما أَرَى أُبالِى من الأعداءِ مَنْ قام أو جلس
فأصبحتُ مهضوما حَزينا لفَقْدِه وهل من نَـكيرٍ بعد عامين يُلْتَمَس(٣)

فضاق دريد ذَرْعا بقوله وشاور ذوى الرأى من قومه . فقالوا له : « ارحل إلى يزيد بن عبد المدان ؛ فإن أنَسا قد خلَّف المال والعيال بنجران للحرب التى وقعت بين خَثْعَم . فإنْ يزيد يردُّها عليك » . فقال دريد : « بل أَقْدم عليه قبل ذلك بمدحه ثم انظر ما موقعى من الرجل » . فقال هذه القصيدة وبعث بها إلى يزيد :

بنى الدَّيّانِ ، رُدُّوا مالَ جارِى وأَسْرَى فى كُبولهمُ الثِّقــالِ
ورُدّوا السَّبْيَ ـ إنْ شِئتُم ـ بمَنٍّ وإن شئتم مفاداةً بمال
فأنتم أهلُ عـائدةٍ وفضلٍ وأيْدٍ فى مَواهِبـكم طِوال
متى ما تمنعوا شيئا فليستْ حَبائلُ أَخْذِه غــيرَ السؤال

---

(١) فى غ :

دع الخيـل والسمر الطـوال لخثعم فما أنت والرمح الطويل وما الفرس

(٢) كذا فى غ . وفى ص : وما أنت والغر المبالـغ للعدى ، تحريف . والعود : المسن من الإبل . والمرس : الحبل .

(٣) غ : بعد حولين تلتمس .

وحربُكمُ ـ بنى الديان ـ حربٌ يَغَصُّ المرءُ منها بالزُّلال

منها :

بنى الديان ، إن بنى زيادٍ همُ أهلُ التكرُّم والفَعال
فأَبْلُونى ـ بنى الديان ـ خيرا أُقِرّ لكم به أُخْرَى الليالى[(١)]

فلما بلغ يزيد قولُه ، قال : « وَجَبَ حَقُّ الرجل » . فبعث إليه أن أَقدِم علينا. فلما قدم أكرمه وأحسن مثواه .

فقال دريد يوما : « يا أبا النضر[(٢)] ، إنى رأيت منكم خِصالا لم أرَها فى أحد من قومكم : رأيت أبنيتكم متفرِّقة ، ونتاج خيلكم قليلا ، وسَرْحَكم[(٣)] يجىء مُمْتِما ، وصبيانكم يتضاغَوْن[(٤)] من غير جوع » . فقال له بعضهم: « أما قلة نتاجنا فنِتاج هوازنَ يكفينا . وأما تفرُّق أبنيتنا فللغَيْرَة على نسائنا . وأما بكاء صبياننا فلأننا نبدأ بالخيل قبل العيال . وأما تَمَسِّينا بالنَّعَم فإن فينا الأراملُ تخرج المرأة إلى مالها حيث لا يراها أحد » .

قال : وأقبلتْ طلائعُهم إلى يزيد . فقال شيخ منهم :

أتتْك السلامةُ فارْعَ النَّعَمْ ولا تَقُلِ الدهرَ إلا نَعَمْ
* وسَرِّحْ دُرَيدا بنُعْمَى جُشَمْ *

فقال له دريد : « من أين جاء هؤلاء ؟ » قال : « هذه طلائعنا لا نَسْرَح ولا نصطبح حتى يرجعوا إلينا » . قال : « ما ظلمكم من جعلكم جَمْرة مَذْحج » .

---

(١) غ : فأولونى .
(٢) كذا فى غ . وفى ص : يا بنى النضر ، تحريف .
(٣) السرح : الإبل فى المرعى .
(٤) يتضاغون : يتضورون ويصيحون من الجوع .

وردّ عليه يزيد أسارى قومه وجـــيرانه . ثم قال له : « سَلْنى ما شئت » . فلم يسأله شيئا إلا أعطاه إياه ، فقال دريد فى ذلك :

مدحتُ يزيدَ بن عبد المدانِ فأكرِمْ به من فـتًى مُمْتَدَحْ
إذا المدحُ زان فتى مَعْشَرٍ فإنّ يزيدَ يَزين المِدَح
حللْتُ به دونَ أصحابه فأوْرَى زِنادىَ لمّا قَدَح
وردّ النساءَ بأطْهارِهـا ولو كان غيرُ يزيدٍ فَضَح
وفكّ الرجال ، وكلُّ امرئ إذا أصلح اللهُ يوما صَلَح
وقلتُ له بعد عِتْق النساء وفَكِّ الرجال وردِّ اللِّقَح(١)
أَجِرْ لى فوارِسَ من عامر وأكْرِمْ بنَفْحَتِه إذ نَفَح(٢)
وما زلتُ أعرِف فى وجهه بكَرِّى السؤالَ ظهورَ الفرح
رأيتُ أبا النَّضر فى مَذْحِج بمنزلة الفَجْرِ حين اتَّضَح
إذا قارَعوا عنه لم يُقرَعوا وإن قدَّموه لـكَبْشٍ نَطَح(٣)
وإن حَصَل الناس لم يُخْزِهم وإنْ وازنوه بقِرْنٍ رَجَح(٤)
فذاك فَتاها وذو فَضْلِها وإن نابحٌ بفَخارٍ نَبَح

(١) اللقح : جمع لقحة ، وهى الناقة الحلوب .
(٢) غ : فأكرم . ونفح : أعطى .
(٣) كبش القوم : رئيسهم .
(٤) غ : حضر الناس .

يَزِيد بن مَزْيَد*

كان الرشيد هارون قد وَجّه يزيدبن مزيد الشَّيْبانىإلى الوَليد بن طَريف الشّارى. وكان الوليد رأس الخوارج وأشدَّهم بأسا وشَوْكة وأشجعهم . وطالت أيامه . وكان من بالشَّمّاسِيَّة(١) لا يأمن طُروقَه . فوجّه إليه الرشيد بيزيد بن مزيد . فجعل يُخاتله ويُماكِره . وكان البرامكة مُنحرِفين عن يزيد بن مزيد ، فأغْرَوا به الرشيد وقالوا : « إنما يتجافَى عنه للرَّحِم وإلا فشوكة الوليد يَسيرة وهو يُوادعه وينتظر ما يكون من أمره » . فكتب إليه الرشيد كتاب مُغضَب يقول فيه : « لو وجهتُ بأحد الخدم لقَام بأكثر مما تقوم به ، ولكنك مُداهِن متعصِّب . وأميرُ المؤمنين يُقسم بالله لئِنْ أخرتَ مناجزةالوليد ليُوَجِّهنَّ إليك من يحمل رأسك إليه » . فلَقِى الوليد عشية خميس فى شهر رمضان . فيُقال : إن يزيد جُهِد عطَشا حتى رمى خاتمه فى فمه يلوكُه . ويقول : « اللهم ، إنها شدّة شديدة فاسْتُرها » . وقال لأصحابه : « فِدا كم أبى وأمى إنما هم الخوارج ، ولهم حَمْلة . فاثبُتوا لهم تحت التِّراس(٢) . فإذا انقضتْ حملتهم ، فاحمِلوا عليهم ، فإنهم إذا انهزموا لم يرْجعوا » . فكان كما قال ؛ حملوا حملة وثبَت يزيد ومَنْ معه من عَشيرته وأصحابه ثم حَمَل عليهم فانكشفوا .

فيقال: إنَّ أَسَد بن يزيد كان شبيها بأبيه جدّا ، وكان لا يَفْصِل بينهما إلا المتأمِّل، وكان أكثرُ ما يُباعده منه ضربة فى وجه يزيد تأخُذ من قَصاص شَعْره منحرفةً على جبهته . وكان أسد يتمنَّى مثلها . فهوتْ له ضربة فأخرج وجهه من التُّرْس ، فأصابتْه فى ذلك الموضع . فيقال: إنه لو خُطَّت على مِثال ضربة أبيه ماعَداها، جاءتْ كأنها هى .

---

* أخباره فى ب ١١ : ٨ ، س ١١ : ٨ ، د ١٢ : ٩٢ ، ى ١٢ : ٨٥ .

(١) الشماسية : محلة ببغداد .

(٢) التراس : جمع ترس ، وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه.

واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحِقه بعد مسافة بعيدة فأخذ رأسه . وكان الوليد خرج وهو يقول :

أنا الوليدُ بن طريف الشّارِى   قَسْوَرَةٌ لا يُصْطَلى بنارى[١]

جَوْرُكُم أخْرَجنى من دارى.

فلما وقع [فيهم] السيف وأُخِذ رأس الوليد ، صَبَّحتهم أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع . فجعلت تحمل على الناس فعُرِفت . فقال يزيد : « دَعُوها » . ثم خرج إليها فضرب بالرمح قَطاة فرسها[٢] ثم قال : « اغرُبى غَرَّب الله عليك فقد فضحتِ العشيرة » فاستحيت وانصرفت . وهى التى تقول[٣] :

أيا شجرَ الخابورِ ، مالك مُورِقا ؟   كأنك لم تجزَعْ على ابنِ طَريفِ[٤]

فتى لا يحبُّ الزادَ إلا من التُّـقى   ولا المالَ إلا من قَناً وسيوفِ[٥]

ولا الخيلَ إلا كل جَرْداءَ شَطْبةٍ   وكلَّ حِصانٍ باليدين غَروفِ[٦]

---

(١) قسورة : أسد . والشعر فى وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ١٨٠ .

(٢) قطاة الفرس : عجزه أو مقعد الرديف منه .

(٣) الحصرى : زهر الآداب ٩٦٦ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ١٧٩ . العسكرى الصناعتين ١٦٥ . الأمالى للقالى ٢ : ٢٧٤ . حماسة البحترى ٢٧٦ .

(٤) كامل ابن الأثير ٦ : ٩٨ ، حماسة ابن الشجرى ٨٩ ، معاهد التنصيص ٣ : ١٥٩ ، ابن خلكان والبحترى : فياشجر . غ وابن خلكان والعسكرى وابن الشجرى : كأنك لم تحزن .

(٥) الحصرى : لا يعد الزاد . البحترى : لم يحب .

(٦) الشطر الثانى فى الصناعتين : وأجرد شطب فى العنان خنوف . وفى غ والأمالى :

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم   وكل رقيق الشفرتين خفيف

وفى الوفيات ومعاهد التنصيص :

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم   معاودة للكر بين صفوف

وفى حماسة البحترى :

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم   وأجرد عالى المنسجين غروف

والجرداء : القصيرة الشعر من الخيل . والشطبة : السبطة اللحم أو الطويلة من الخيل . والغروف : التى تغرف الجرى غرفا فتنهب الأرض نهبا فى سرعتها .

ألا يالقــومٍ للنَّوائبِ والرَّدَى ودهرٍ مُلِحٍّ بالكِرام عَنيف (١)
وللبدرِ من بين الكواكبِ إذهَوَى وللشمسِ هَمَّتْ بعدَه بكُسوف (٢)
بتَلِّ بُناثا رسْمُ قــبر كأنّـه على عَـلَمٍ فوقَ الجبال مُنيف (٣)
تَضَمَّن جـــورا حاتِميًّا ونائلا وسَوْرَةَ مِقْدامٍ وقلبَ حَصيف (٤)
ألا قاتَلَ اللهُ الجُثا كيف أضمرتْ فتًى كان بالمعروف غيرَ عَفيف (٥)
فلا تَجْزَعا يا ابْنَىْ طريفٍ فإنّنى أرى الموتَ نزّالا بكلِّ شَريف (٦)
فقَدْناكَ فِقْدانَ الربيعِ وليْتَنا فَدَيْنـاكَ من دَهْمائنا بألوف (٧)
فإنْ يَكُ أرْداهُ يزيدُ بن مَزْيَدٍ فيا رُبَّ خيلٍ فَضَّها وصُفوف (٨)

(١) س، والوفيات : ألا يالقومى ومعاهد التنصيص: ألا يالقومى للحمام وللبلى .. وللأرض همت بعده برجيف .

(٢) الوفيات: وللشمس لما أزمعت بكسوف . والمعاهد : قد هوى . . وللشمس لما أزمعت للكسوف .

(٣) ب ،س ، والمعاهد: بتل نباتى. البحترى : بتل نباثا. كامل بن الأثير: بتل تباثا. والوفيات بتل نهاكى . وقال ابن خلكان : « تل نهاكى أظنه فى بلد نصيبين وهو موضع الواقعة المذكورة»

(٤) البحترى : ورأى حصيف . الوفيات :

تضمن مجدا عدمليا وسوددا وهمة مقدام ورأى حصيف

(٥) غ وابن خلكان : حيث أضمرت . ابن خلكان والبحترى والمعاهد : غير عيوف . والجثا : جمع جثوة ، وهى ما يتجمع من حجارة أو تراب .

(٦) العسكرى : أرى الموت حلالا، البحترى: أرى الموت وقاعا . والبيت فى الأمالى :

عليك سلام الله حتما فإننى أرى الموت وقاعا بكل شريف

ومثله فى زهر الآداب والوفيات ، غير أن رواية الأول : سلام الله وقفا ، ورواية الثانى : عليه سلام الله .

(٧) الوفيات والمعاهد : فقدان الشباب. والوفيات وزهر الآداب والمعاهد : من فتياننا . والعقد الفريد : من ساداتنا . وفى حماسة البحترى وابن الشجرى :

فقدناه فقدان الربيع فليتنا فديناه

(٨) حماسة البحترى : فرب زحوف . وفى الوفيات والمعاهد وحماسة ابن الشجرى : فرب زحوف لفها بزحوف .

فلما انصرف يزيد بن مزيد بالظَّفَر إلى الرشيد ، حُجب برأى البرامكة وأظهر الرشيد السخط عليه . فقال : « وحَقِّ أمير المؤمنين ، لَأُصَيِّفَنَّ ولَأُشَتِّيَنَّ على ظهر فرسى أو أدخل » . فارتفع الخبر بذلك . فأذِن له فدخل . فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسُرّ ، وأقبل يصيح : « مرحبا بالأَعْرابى » ، حتى دخل وأُجلس وأُكرم وعُرِف بلاؤه ونقاء صدره .

ومدحه الشعراء . فكان أحسنهم مدحا مسلم بن الوليد إذ قال(١) :

أُجْرِرْتُ حبل خليعٍ فى الصِّبا غَزِلٍ   وشَمَّرتْ همُ العُذّالِ فى عَذَلِى(٢)
هاج البكاءَ على العين الطَّموح هوًى   مُفرَّقٌ بين توديعٍ ومُرْتَحَلِ(٣)
كيف السلوُّ لقلبٍ بات مُختَبَلا   يَهْذِى بصاحب قلب غير مُختَبَلِ(٤)

منها :

يَفْتَرُّ عند افترار الحرب مبتسما   إذا تغيَّر وجه الفارس البطل(٥)
موفٍ على مُهَجٍ فى يومِ ذى رَهَجٍ   كأنه أجَلٌ يسعَى إلى أمل(٦)
يَنال بالرفق ما يَعْيا الرجالُ به   كالموت مستعجلا يأتى على مهل(٧)

---

(١) ديوانه (طبع المعارف بمصر) ١ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٥٣٠ . ابن المعتز : طبقات الشعراء ٢٣٦ . الحصرى : زهر الآداب ٩٩٧ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ١٨٥ . العباسى : ومعاهد التنصيص ٣ : ١٦٢ .

(٢) فى عذلى : كذا فى د ، ى ، والطبقات . وفى ص ، ب ، س : عن عذلى ، تحريف عن رواية ابن خلكان والمعاهد : ذيل خليع . . . وقصرت همم العذال عن عذلى والديوان : العذل

(٣) غ والديوان : توديع ومحتمل . والطموح : المرتفعة فى النظر إلى الأحبة وهم سائرون . والمرتحل : الارتحال .

(٤) الديوان : راح مختبلا .

(٥) افتر مبتسما : أبدى أسنانه عند الأسنان . وافترت الحرب : كشرت عن أنيابها دلالة على شدتها .

(٦) الرهج : الغبار .

(٧) ابن خلكان : تعيا الرجال .

لا يرحلُ الناسُ إلا نحو حُجْرَتِه ... كالبيت يُفْضِي إليه مُلْتَقَى السُّبُل(١)
يَقْرِي المنيــةَ أرواحَ العُداةِ كما ... يقرى الضيوف شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ(٢)
يكسو السيوف نفوس الناكثين به ... ويجعل الهامَ تيجانَ القَنا الذُّبُـلِ(٣)
إذا انْتَضَى سيفَه كانت مَسالِـكُه ... مسالكَ الموتِ فى الأبدان والقُلَلِ(٤)
لا تُـكْذَبَنَّ فإن المجـــد مَعْدِنُه ... وراثةٌ فى بنى شَيْبانَ لم تَزَلِ(٥)
إذا الشَّرِيكِيُّ لم يفخر على أحد ... تـكلَّم الفخر عنـــه غير مُنْتَحِلِ(٦)
أسْلَمَ يزيدُ ، فما فى المُلْكِ من أَوَدٍ ... إذا سَلِمْتَ وما فى الدين من خَلَلِ(٧)
لولا دفاعُك بأسَ الروم إذ مكرتْ ... عن بَيْضة الدِّينِ لم تَأْمَنْ من الثَّـكَلِ(٨)
والمائقُ ابنُ طَرِيفٍ قد دَلَفْتَ له ... بعارِضٍ للمنـايا مُسْبِلٍ هَطِلِ(٩)
تراه فى الأَمْنِ فى درعٍ مُضاعَفةٍ ... لا يأمَنُ الدهرَ أن يؤتى على عجل(١٠)
لا يَعْبَقُ الطِّيبُ خَدَّيه ومَفْرِقَه ... ولا يُمسِّح عينيه من الـكُحُلِ

(١) ب ، س : حول حجرته . ابن خلـكان : عند حجرته: الديوان وابن قتيبة والحصرى وابن خلـكان : يضحى إليه . والبيت يريد : الـكعبة .

(٢) الديوان وابن قتيبة والحصرى : أرواح الـكماة . والـكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العظيمة السنام — والبزل : جمع بازل ، وهو ما بلغ تسع سنين فما فوقها من الإبل .

(٣) غ وابن قتيبة والحصرى: رءوس الناكثين . الديوان : دماء الناكثين، والشطر الثانى عند ابن المعتز: ويجعل الروس تيجانا على الذبل . والنفوس : لعله أراد بها الدماء . والذبل : جمع ذابل ، وهو الرقيق .

(٤) القلل : جمع قلة ، وهى أعلى الشىء ، يريد الرءوس .

(٥) الديوان : فإن الحلم .

(٦) الشريكى : نسبة إلى شريك أحد أجداد يزيد بن مزيد .

(٧) غ : ولا فى الدين . والأود : العوج . الديوان : فما فى الدين . . . وما فى الملك .

(٨) الديوان : إذ بكرت * عن عثرة الدين .

(٩) غ والمعاهد : والمارق . والعارض : السحاب. والديوان : والمارق . . بعسكر للمنايا .

(١٠) غ وغير ابن قتيبة : أن يدعى على عجل .

يأبى لك الذمَّ فى يومَيْك إن ذُكِرا عَضْبٌ حُسامٌ وعِرْضٌ غير مُبْتَذَل[١]
فافْخَرْ فما لك فى شَيْبانَ من مَثَلٍ كذاك ما لبنى شيبان من مَثَل

قال محمد بن يزيد : « معنى قوله :

* تراه فى الأمن فى درع مضاعفة *

أن امرأة مَعْن بن زائِدة عاتبتْ مَعْنا فى يزيد وقالت : « إنك لَتُقَدِّمه وتؤخِّر بنيك، وتُشيد ذِكْرَه وتُخْمِل ذِكرهم . ولو نبهّتَهم لانْتَبهوا ، ولو رفعتَهم لارْتفعوا » . فقال معن: « إن يزيد قريب لم تبعُد رَحِمه ، وله علىّ حكم الولد إذ كنتُ عمَّه . وبعدُ ، فإنهم أَلْوَط[٢] بقلبى وأدْنَى من نفسى ، على قدر ما تُوجبه واجبةُ الوِلادة لهم ، ولكنّى لا أجد عندهم . ما أجد عنده . ولو كان ما يضطلع به يزيد فى بعيدٍ لصار قريباً ، وفى عدو لصار حبيباً . وسأُريك فى ليلتى هذه مايَبين به عذرى ويزول به اللوم عنى . ياغلام ، اذهب فادْعُ جَسّاسا وزائدة وعبد الله وفلاناً وفلاناً » حتى عدد أسماء أولاده . فلم يلبثوا أن جاءوا فى الغَلائل المطيَّبة والنِّعال السِّنْدِّية ـ وذلك بعد هَدْأَة[٣] من الليل ، فسلموا وجلسوا . ثم قال : « ياغلام ، ادْعُ لى يزيد » وقد أسْبَل سترا بينه وبين المرأة . فإذا به قد جاء وعليه السلاحُ كله ودخل عجِلا فوضع رمحه بباب المجلس ثم أتى يُحضِر[٤] . فلما رآه قال . « ماهذه الهيئة ، يا أبا الزبير ؟ » . وكانت كُنْيتَه . فقال : « جاءنى رسول الأمير فسَبَق إلى نفسى أنه يريدنى لوجه ، فقلت : إن كان مضَيْتُ ولم أُعرِّج ، وإن تكن الأخرى فنَزْعُ هذه الآلة أَيْسَر الخطب»

(١) العضب : السيف . الحسام : القاطع .
(٢) ألوط بقلبى : ألصق به .
(٣) أى حين هدأ الليل .
(٤) يحضر : يعدو ويسرع .

فقال لهم : « انصِرفوا فى حِفْظ الله » . فقالت المرأة : « قد تبين عذرك عندى » .
فأنشد معن متمثلا :

نفْسُ عِصـامٍ سَوَّدتْ عِصاما وعَوَّدتْه الـكَرّ والإقْداما[1]
وصَيَّرته مَلِـكا هُماما

قل الأصمعى : أنشدت لأخت[2] الوليد بن طريف الشارى ترثى أخاها :

ذكرتُ الوليـدَ وأيامَــه إذ الأرض من شخصه بَلْقَعُ[3]
فأقبلتُ أطلُبـــه فى السماء كما يبتغى أنفَه الأَجْدَع
أضاعَك قومُك فلْيَطلُبوا إفادةَ مثــلِ الذى ضَيَّعوا
لو أن السيوفَ التى حَدُّها يُصيبُــك تعلم ما تصنــع
نَبتْ عنك أو جملتْ هيبةً وخوفاً لصَوْلِك لا تَقْطَع

---

(١) ابن خلـكان : وعلمته الـكر والإقداما .
(٢) يفهم من الأغانى أن صحة هذه العبارة : قال الرياشى : أنشدنى الأصمعى لأخت . .
(٣) بلقم هنا . خالية .

يَزيد أبو وَجْزَة*

هو يزيد بن عُبيد ، وقيل : يزيد بن أبي عبيد[1] . وكان له أخ يقال له عبيد ، انتسب إلى بني سعد بن بكر بن هَوازن لوَلائه فيهم . وأصله من سُلَيم ثم من بني ضَبيس بن هلال بن قُدَم بن ظَفَر بن الحارث بن بُهثَة بن سُلَيم .

ولكنه لحق أباه وهو صبي [سِباء] في الجاهلية . فبيع أبوه عُبَيد بسوق ذي المَجاز . فابتاعه وُهَيب بن خالد بن عامر بن عمرو[2] بن مَلّان بن سلمان[3] بن غاضِرة ابن قَبيصة[4] بن نَصْر بن سعد بن بكر بن هوازن . فأقام عنده زمانا يرعى عليه إبله . ثم ضرب يوما ضَرْع ناقة لمولاه فأدْماها . فلطم وجهه . فخرج إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مُسْتعْدِيا ، فقال له : « يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من بني سُلَيم ثم من بني ظَفَر ، أصابني سباء في الجاهلية كما تصيب العرب بعضها من بعض ، وأنا معروف النسب . وقد كان رجل من بني سعد ابتاعني ، فأساء إليّ فضرب وجهي . وقد بلغني أنه لا سِباء ولا رق على عربي في الإسلام » . فلما فرَغ من كلامه ، أتى مولاه في أثره فقال : « يا أمير المؤمنين ، هذا غلام ابتعته بذي المجاز ، وهو يقوم في مالي ، فأساء فضربتُه ضربة . وماأعلَمُني ضربته قط غيرها . وإن الرجل ليضرب ولده أشدَّ منها . فكيف بعَبْده ؟ وأنا أُشهِدك أنه حرٌّ لوجه الله عز وجل » .

---

* أخباره في ب ١١ : ٧٩ ، س ١١ : ٧٥ ، د ١٢ : ٢٣٩ ، ى ١٢ : ٢٣٩ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٤٢ .

(١) كذا في غ ، وخزانة الأدب ٢ : ١٥٠ ، وفي س : أبي عبيدة .

(٢) غ : عمير . وفي الإصابة ٦ . ٣٣٠ . وهب بن خالد بن عامر بن غاضرة .

(٣) سلمان : غير موجود في غ .

(٤) غ : ملان بن ناصرة بن فصية .

فقال عمر: « لقد امتنّ عليك هذا الرجل، وقطع عنك مؤونة البيِّنة. فإن أحببتَ فأَقِم معه، وله عليك مِنَّة، وإن أحببت فالحق بقومك ».

فأقام مع السعدى وانتسب هو وولده إلى بنى سعد بن بكر بن هوازن. وتزوج زينب بنت عُرْفُطة بن سهل بن مُكدَّم المُزَنية. فولدت له أبا وجزة وأخاه. ولما بلغ ابناه طالباه أن يلحَق بأصله وينتمى إلى قومه من بنى سليم. فقال: « لا أفعلُ ولا ألحق بهم فيعيِّرونى كل يوم ويدفعونى، وأترك قوما يكرمونى ويشرِّفونى. فو الله، لئن ذهبتُ إلى بنى ظفر، لا أرعى ظُمْيَة[1] ولا أرد جَمَّة إلا قالوا: ياعبد بنى سعد ». وظمية: جبل لهم.

وبنو سعد أَظْآر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان مستَرْضَعافيهم عند حَليمة السعدية. فلم يزل صلى الله عليه وسلم فيهم حتى يَفَع ثم أخذه جده عبد المطلب منهم فردّه إلى مكة. وجاءته حليمة بعد الهجرة. فأكرمها وبَرّها وبسط لها رداءه، فجلست عليه. وبنو سعد تفتخر بذلك على سائر هوان. وحقيقٌ بكل فخر ومكرمة من اتصل منه سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بأَدْنَى سبب ووسيلة.

كان أبو وجزة السعدى يقول: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: « ليس شعر حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رَواحة شعرا، ولكنه حكمة ».

وكان أبو وجزة من التابعين. روى عن جماعة من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم. ورأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه — ولم يُسنِد إليه حديثا، ولكنه حدّث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء. ونقله عنه جماعة الرواة.

روى أبو وجزة عن أبيه قال: استسقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فلما وقف

---

(١) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى ٨٩٥، وفى ص: ظمة. وفى غ: طمة.

على المنبر ، أخذ فى الاستغفار . فقلت : « ما أراه يعمل فى حاجته » . وفى رواية : « ولم أعلم أن الاستغفار هو الاستسقاء » . ثم قال فى آخر كلامه : « اللهمّ إنى قد عجزتُ عنهم ، وما عندك أوسع لهم » . ثم أخذ ابن العباس ـ رضى الله عنهما ـ ثم قال: « وهذا عم نبيك ـ صلى الله عليه وسلم ـ نتوسل إليك به » . فلما أراد عمر أن ينزل قَلَب رداءه ثم نزل . فرأى الناس طُرَّة[١] فى مغرب الشمس فقالوا : « ما هذا ؟ » وما رأينا قبل ذلك قَزَعة سحاب أربع سنين . قال : ثم سمعنا الرعد ثم انتشر ثم اضطرب، وكان المطر يَقْلِدنا قَلْدا[٢] فى كل خمس عشرة ليلة حتى رأيت الأَرينة[٣] خارجة من حِقاق العُرْفُط[٤] تأكلها صغرى الإبل .

ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة[٥] .

وهو أحد من شبّب بعجوز حيث يقول[٦] :

يا أيُّها الرجلُ الموكَّلُ بالصِّبا ... فِيمَ ابنُ سبعينَ المُعَمَّرُ من دَدِ ![٧]
حتّامَ أنت موكَّلٌ بقَديمةٍ ... أمستْ تُجَدِّدُ كاليماني الجيِّدِ؟
زان الجمالُ كمالَها ورسابهــــا ... عقلٌ وفاضلةٌ وشيمةُ سَيِّدِ[٨]

(١) الطرة : الطريقة من السحاب . وفى ى : قزعة . وهى القطعة من السحاب .

(٢) قلدنا السحاب : أمطرنا .

(٣) الأرينة : نبت عريض الورق .

(٤) العرفط : شجر العضاه . وحقاقه : صغاره . وفى حاشية فى هامش ص عن متن الأغانى: « حقاق العرفط . نبات سنتين وثلاث » .

(٥) كذا كانت فى ص . ثم وضع قبل كلمة سنة حرف العطف « و » وبعد كلمة « مئة » كلمة « سنة » ثم كتبت العبارة فى الهامش على النحو التالى : « وعمره مائة وثلاثون سنة » . وما أثبته هو ما ورد فى غ عن ابن قتيبة ، وقد وجدته عند ابن قتيبة كما أثبته أبو الفرج . ومثلهما فى الخزانة ٢ : ١٥٠ .

(٦) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤٤٢ .

(٧) الدد : اللهو واللعب .

(٨) غ وابن قتيبة : زان الجلال .

ضَنتْ بنائِلِهـــا عليك وأنتما غِرّانِ في طرَفِ الشباب الأَغْيَدِ[1]
فالآن ترجو أن تُثِيبَك نائلا هيهاتَ نائِلُها مكان الفرْقَدِ[2]

خرج أبو وجزة وأبو زيد الأَسْلَمى[3] يريدان المدينة ، وقد امتدح أبو وجزة عبد الله بن الزبير[4] وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المَخْزومى . فقال أبو وجزة لأبى زيد : « هل لك أن أُشاركك فيما أُصيب من آل الزبير وتُشاركني فيما تصيب من إبراهيم ؟ » فقال : « كلاوالله، لرَجائى فى الأمير أعظم من رجائك فى آل الزبير » . فقدِما المدينة . فأتى أبو زيد دار إبراهيم فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلّب . فقال إبراهيم لبعض أصحابه : « اخرج إلى هذا الأعرابى الجِلْف فاضربه وأخرجه » . فضُرب وأُخرج . وأتى أبو وجزة ابن الزبير وأصحابه فمدحهم وأنشدهم . فكتبوا له إلى مال لهم بالفُرع[5] أن يُعْطَى منه ستين وَسْقا[6] من التمر . فقال أبو وجزة يمدحهم :

راحتْ قَلُوصى رَواحا وهى حامِدةٌ آلَ الزبير ولم تَعْدِل بهم أحداً[7]
راحت بستين وسْقًا فى حَقِيبتها ما حُمِّلت حِمْلَها الأَدْنَى ولا السَّدَدا[8]
ذاك القِرَى لا كأقوامٍ عَهِدْتُهمُ يَقْرُون ضَيْفَهمُ المَلْوِيَّةَ الجُدُدا[9]

يعنى السياط . وقوله :

* راحت بستين وسقا فى حقيبتها *

ليس يعنى أنها حملت ستين وسقا ولا الحقيبة تسع ذلك ولا بعضه ، وإنما يعنى أنها حملت الكتاب فى الحقيبة . وهو توقيع بستين وسقا .

(١) ابن قتيبة : إلفان فى طرف الشباب . غ : غران فى طلب الشباب . والنائل : العطاء .
(٢) ابن قتيبة : : أفلان ترجو . . أيهات .
(٣) كذا فى غ وكامل المبرد ١٦٠ . وفى ض : أبو زبيد الأسلمى .
(٤) غ ، والكامل : آل الزبير ، ولعله أصح فقد عرف عبد الله بالبخل .
(٥) الفرع : قرية من نواحى الربذة بينها وبين المدينة أربع ليال على طريق مكة .
(٦) الوسق : حمل البعير .
(٧) الكامل : راحت رواحا قلوصى . والقلوص : الشابة من النوق .
(٨) السدد : الوفق .
(٩) الكامل : لا قرى قوم رأيتهم .

يزيد بن الحكم*

هو يزيد بن عثمان بن أبى العاص صاحب سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وقيل : يزيد بن الحكم بن أبى العاص ، وعُثمان عمه ؛ وهو الصحيح . وأبو العاص هو بِشْر بن عبد دُهْمان بن عبد الله بن هَمّام بن أَبان بن يَسار بن مالك بن حُطَيط ابن جُشَم بن قَسِيّ بن مُنبِّه ، وهو ثَقيف(١) .

وعثمان جدُّه أو عم أبيه أحدُ من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بَكْرَة . وشَطُّ عثمان بالبصرة منسوب إليه ، وكانت له هناك أرض أُقْطِعها أو ابتاعها . روى عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وروى عنه الحسن بن أبى الحسن ، ومُطَرِّف ابن عبد الله بن الشِّخِّير ، وغيرهما من التابعين .

قال عثمان بن أبى العاص الثقفى : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمَّ قومَك ، واقدرُهْم بأَضْعَفِهم فإن منهم الضعيف والكبير وذا الحاجة » .

مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم الثّقفى وهو ينشد فى المسجد . فقال : « من هذا الذى ينشد شعرا كأنه من أشعارنا ؟ » فقالوا : « يزيد بن الحكم بن أبى العاص » . فقال : « نعم ، أشهد بالله أن عمّتى ولدَتْه » . وأم يزيد بَكْرَة بنت الزِّبْرَقان بن بدر. وأمها هُنَيدة بنت صَعْصَعَة بن ناجية . وكانت بكرة أول عربية ركبت البحر ، فأُخْرِجَ بها إلى الحكم وهو بتَوَّج(٢) . وكان الزبرقان يكنى أبا العباس . وكان له بنون منهم العباس وعيّاش .

---

* أخباره فى ب ١١ : ١٠٠ ، س ١١ : ٩٦ ، د ١٢ : ٢٨٦ ، ى ١٢ : ٢٨٩ .

(١) غ : قسى وهو ثقيف . وذلك هو الصواب ه

(٢) توج : بلد بفارس .

دعا الحجاج بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفى ، فولّاه كُورة فارس ودفع إليه عهده . فلما دخل عليه ليودّعه ، قال له الحجاج : « أنشِدْنى بعض شعرك » . وإنما أراد أن ينشده مديحا له . فأنشده يفتخر :

وأبى الذى سلب ابنَ كسرى رايةً بيضاءَ تَخْفق كالعُقاب الطائرِ[1]

فلما سمع الحجاج فخره نهض مُغضَبا . وخرج يزيد من غير أن يودّعه . فقال الحجاج لحاجبه : « ارتجع منــه العهد » . فإذا ردّه فقُلْ : « أيهما خير لك : ما وَرّثك أبوك أم هذا ؟ فرد على الحاجب العهد وقال : « قل له :

ورثتُ جدّى مَجْدَه وفَعالَه وورثتَ جدّك أَعْنُزا بالطائفِ

وخرج مغضبا فلحق بسليمان بن عبد الملك . ومدحه بقصيدته التى هى[2] :

أمسَى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمودا إذا أقول : صَحا ، يَعْتادُه عِيدا[3]
كأنّ أَحْوَرَ من غزلانِ ذى بَقَرٍ أَهْدَى لها شَبَهَ العينين والجيدا[4]
أُجْرِى على موعدٍ منها فتُخْلِفُنى فلا أَمَلُّ ولا تُوفى المَواعيــدا
كأنّنى يوم أُمسِى لا تُـكلّمنى ذو بُغْيةٍ يَبْتَغى ما ليس موجودا[5]

منها :

سُمِّيتَ باسمِ امرئٍ أشبهْتَ شِيمَته عَدْلا وفَضْلا سليمانَ بن داودا[6]

---

(١) خزانة الأدب ١ : ٥٥ : فى الملك تخفق كالعقاب الكاسر .

(٢) خزانة الأدب ١ : ٥٥ .

(٣) معمود : هده العشق .

(٤) اللسان : سنة العينين ، أى صورتهما . وعقب على البيت فقال : « وكان أبو على يرويه شبه العينين والجيدا . أراد وشبه الجيد ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وقد قيل : إن أبا على صحفه » وذو بقر : موضع .

(٥) الخزانة : يشتهى ما ليس موجودا .

(٦) اللسان (عود) :

سميــت باسم نبى أنت تشبهه حلما وعــدلا سليمان بن داودا

أَحْمدْ به فى الوَرَى الماضينَ من ملكٍ وأنتَ أصبحتَ فى الباقين محمودا
لا يَبْرَأُ الناسُ من أن يَحْمَدوا مَلِكا أَوْلاهُمُ فى الأمور الحلمَ والجودا[1]

فقال له سليمان : « كم كان أجرى لك لعمالة فارس ؟ » قال : « عشرين ألفا » . قال : « فهى لك ما دمتَ حيا » .

استوى الحجاج يوما جالسا ثم قال: « صدق زهير بن أبى سُلْمى حيث يقول[2] :

وما العفوُ إلا لامرئٍ ذى حَفيظةٍ متى يَعْفُ عن ذنب امرئ السَّوْءِ يَلْجَجِ[3]

فقال يزيد بن الحكم : « إنى رثيتُ ابنى عَنْبَسا ببيت إنه لَشبيهٌ بهذا » . قال : « وما هو ؟ » فقال :

ويأمنُ ذو حِلْمِ العَشيرةِ جَهْلَه عليــه ويخشَى جهلَه جُهلاؤُها

قال : « فما مَنَعَك أن تقول مثل هذا لمحمد ابنى ترثيه به ؟ » قال له : « إن ابنى كان أحبَّ إلىّ من ابنك » .

وهذا البيت من قصيدة رثى بها يزيد ابنه عنبسا لما مات ، وقد جزع عليه جزعا شديدا :

جزَى اللهُ عنى عَنْبَسا كلَّ صالحٍ إذا كانت الأولادُ سَيْئاً جَزاؤُها
هو ابنى وأمسَى أجْرُه لى وعَزَّنى على نفسه رَبٌّ إليــه وَلاؤُها
جهولٌ إذا جهلُ العشيرة يُبْتَغى حليمٌ ويَرْضَى حلمَه حُلماؤُها
ويأمن ذو حلم العشيرة جهله عليــه ويخشى جهلَه جهلاؤُها

قال عبد الملك بن مروان : « كان شاعر ثقيف فى الجاهلية خيرا من شاعرهم فى الإسلام » . فقيــل له : « من تعنى ، يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « أما شاعرهم فى الإسلام فيزيد بن الحـكم حيث يقول :

(١) اللسان : لا يعذل الناس فى أن يشكروا ملـكا .
(٢) شرح ديوان زهير (دار الـكتب ١٩٤٤) ٣٢٤ .
(٣) الديوان : وما الفضل إلا لامرىء .

فما منكَ الشبابُ ولستَ منـــه إذا سألتْك لحيتُك الخضابا

وقال شاعرهم فى الجاهلية :

الشيبُ إنْ يظهرْ فإنّ وَراءَه عُمُرا يكونُ خلالَه مُتَنَفَّسُ
لم يَنتقِص منّى المَشيبُ قُلامَةً ولمَا بَقِى منى ألَبُّ وأَكْيَسُ

ولما خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك ، قال له يزيد بن الحكم :

أبا خالد ، قد هِجْتَ حربا مَرِيرةً وقد شمَّرتْ حربٌ عَوانٌ فشمِّرِ

فقال يزيد بن المهلب : « بالله أستعين » . فقال يزيد بن الحكم :

فإنّ بنى مروانَ قد زال ملكُهم فإنْ كنت لم تَشْعُر بذلك فاشْعُرِ

فقال يزيد بن المهلب : « ما شعرت » . فقال يزيد بن الحكم :

فمت ماجِدا أو عِشْ كريما فإنْ تَمُتْ وسيفُك مشهورٌ بكفِّك تُعذَر

فقال : « هذا ما لا بد منه » .

دخل يزيد بن الحكم على يزيد بن المهلب فى سجن الحجاج وهو يُعذَّب ، وقد حل عليه نَجْمٌ كان قد نُجِّم(١) عليه ، وكانت نجومه فى كل أسبوع ستة عشر ألف درهم . فقال له(٢) :

أصبح فى قَيْدِك السماحةُ والجو دُ وفضلُ الصلاحِ والحَسَبُ
لا بَطِرٌ إنْ تتابعتْ نِعَمٌ وصابرٌ فى البــلاء مُحْتسِب
بَرَزْتَ سَبْقَ الجوادِ فى مَهَلٍ وقَصَّرتْ دونَ سَعْيِك العرب(٣)

فالتفت يزيد إلى مولًى له وقال له : « أَعْطِه نجم هذا الأسبوع ونصبرُ على العذاب إلى السبت الآخر » .

---

(١) تنجيم الدين : أن يقدر دفعه فى أوقات معلومة .
(٢) خزانة الأدب ١ : ٥٥ .
(٣) ب ، س ، والخزانة : برزت . غ والخزانة : سبق الجياد .

يحيى أبو نفيس*

هو يَحْيَى بن يَعْلَى بن مُنْيَة . وقيل : مَيْمون بن يعلى بن منية . وقيل حُيَيّ ابن يعلى بن منية . ومنية أمه ، وهى بنت غَزْوان ، أخت عُتْبة بن غزوان . وأبوه أُمَيَّة بن عَبدة بن همام بن جُشَم بن بكر بن زيد بن مالك بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَناة بن تَميم . ويقال لبنى زيد بن مالك بنو العدوية ، وهى فُكَيهة بنت تميم بن الدُّؤل بن حِسْل بن عدى بن عبد مَناة بن تميم . ولدت لمالك بن حنظلة زيدا وصُدَيّا ويَرْبوعا ، فهم يُدْعون بنى العدوية .

وكان يعلى بن منية حليفا لبنى أمية وعَديدا لهم[1] ، وبينهم وبينه نسب وصِهْر . وأدرك النبى ، صلى الله عليه وسلم . وروى عنه حَديثا كثيرا . وعُمِّر بعده . وكان مع عائشة يومَ الجمل عَوْنا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، رضى الله عنه . وقال على ، رضوان الله عليه : « مُنيت (أو بُليت) بأَطْوَع الناس فى الناس : عائشة ، وبأَدْهَى الناس : طَلْحة ، وبأَشْجَع الناس : الزُّبير ، وبأَكْثَر الناس مالا : يَعْلَى بن منية ، وبأَجْوَد قريش عبد الله بن عامر » . فقام إليه رجل من الأنصار فقال له : « والله يا أمير المؤمنين ، لأنت أشجع من الزبير ، وأدهى من طلحة ، وأطوع فينا من عائشة ، وأجود من ابن عامر . ولَمال الله ـ تعالى ـ أكثر من مال يعلى بن منية . وليكونن كما قال الله تعالى وتقدس[2] : « فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ » . فسُرّ على ـ عليه السلام ـ بقوله . ثم قام رجل آخر منهم فأنشده :

---

* أخباره فى ب ١١ : ١٢٤ ، س ١١ : ١١٩ ، د ١٢ : ٣٣٥ ، ى ١٢ : ٣٤٠ .

(١) يعد منهم .

(٢) الآية ٣٦ من سورة الأنفال .

أما الزُّبير فأَكْفِيكَهُ وطلحة يَكفيكه وَحْوَحهْ
ويعلى بن منية عنـد القتال شديدُ التَّثاؤُب والنَّحْنَحه
وعائشُ يَكْفيكها واعظٌ وعائشُ فى الناس مستَنْصَحه
فلا تجزعنّ فإن الأمور إذا ما أتينـــاك مستنْجَحه
وما يصلح الأمر إلا بنـــا كما يصلح الجبن بالإنْفَحَه(١)

فسُرّ علىّ بقوله وقال : « بارك الله — تعالى — فيك » . ودعا له . فأما الزبير فناشَده علىٌّ الله يومئذ . فرجع فقتلته بنو تميم . وأما طلحة فناشده وحوحة — وكان صديقَه ، وكان من القراء — فذهب لينصرف . فرماه رجل من عسكرهم بسهم فقتله .

وكان يعلى بن منية أَقْرَض الزبير — حين خرج إلى البصرة فى وقعة الجمل — أربعين ألف دينار . فقضاها ابن الزبير بعد ذلك ، لأن أباه قُتل ولم يقضها .

ولما صاروا إلى البصرة ، تنازع طلحة والزبير فى الصلاة . فاتفقا على أن يصلى ابن هذا يوما وابن هذا يوما . فقال شاعرها :

تبارَى الغلامانِ إذ صَلَّيا وشَحَّ على المُلْكِ شَيْخاها
وما لى وطلحةَ وابن الزبير وهـذا بذى الجِزْع مَوْلاها

يعنى عليا رضوان الله عليه .

فأُمُّهما اليـــومَ غَرَّتْهُما ويعلى بن منيـــة دَلّاهما

وكان يعلى بن منية يكنى أبا نَفِيس . واسمه هو يحي لا حُيَىّ(٢) بن يعلى . وهو من بنى العدوية من بنى تميم . وتزوج امرأة له من بنى مالك بن كنانة يقال لها زينب . ولهم حِلْف فى غِفار . وهى من بنات طارقِ اللائى يقلن :

---

(١) الإنفحة : شيء يستخرج من بطن الجدى الراضع أصفر فيعصر فى صوفة مبتلة فى اللبن فيغلظ كالجبن .

(٢) ص : يحي لا يحي . وليست فى الأغانى . والتصحيح ظنى .

* نحن بنات طارقِ *

وهم الذين رأتهم عائشة . قال محمد بن يحيي بن عبد الملك الهُدَيرى : جلست ليلة وراء الضّحاك بن عثمان فى مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وأنا متقنّع . فذكر الضحاك وأصحابه قول هِنْد يوم أُحُد :

* نحن بنات طارق *

فقلت : « ما الطارق ؟ » قال : « النجم » . فالتفت الضحاك وقال : « يا أبا زكريا، وكيف بذلك ؟ » فقلت : « قال الله تعالى[1] : « وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ » فقالت:«إنما نحن بنات النجم » . فقال : «أحسنت».

وماتت زينب هذه بتهامة ، ورثاها بأبيات .

(١) الآيات ١ ــ ٣ من سورة الطارق .

يزيدُ بن مُعَاوية*

هو معروف النسب .

كان[1] قد حج بالناس فى خلافه أبيه، وجلس بالمدينة على شَراب . فاستأذن عليه الحسين بن على وعبد الله بن العباس ، رضى الله عنهما . فأمر بشرابه فرُفع . وقيل له : « إن ابن عباس إنْ وجد ريح شرابك عرفَه » . فحَجبه وأذن للحسين ، عليه السلام . فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطِّيب ، فقال : « لله درُّ طِيبك هذا ! ما أطْيَبه ! وما كنتُ أحسب أحداً يتقدمنا فى صنعة الطيب . فما هذا ، يا ابن معاوية ؟ » فقال : « يا أبا عبد الله ، هذا طيب يُصنَع لنا بالشام » ثم دعا بقدح فشربه . ثم دعا بآخر فقال . « اسقِ أباعبد الله ، يا غلام » . فقال الحسين ، عليه السلام : « عليك شرابك ـ أيها المرء ـ لا عَيْنَ عليك منى » : فشرب وقال :

ألا يا صاحِ للعجَبِ ... دعوتُك ثم لم تُجِب
إلى القَيْنَاتِ واللذَّا ... تِ والصَّهْباء والطَّرَب
وباطِيَــــةٍ مكلَّلَةٍ ... عليها سادةُ العَرَب[2]
وفيهــنَّ التى تَبَلَتْ ... فؤادَكَ ثم لم تَتُب[3]

فوثب الحسين ـ عليه السلام وقال : « بل فؤادك أنت ، ياابن معاوية »

قال[4] نافع مولى عبد الله بن جعفر : « قدِمنا مع عبد الله بن جعفر على معاوية .

---

* جمع ابن المكرم أخبار يزيد من مواضع متفرقة من الأغانى .

(١) هذا الخبر فى ب ١٤ : ٦٣ ، س ١٤ : ٦٠ ، د ١٥ : ٢٩٢ ، ى ١٥ : ٢٣٢ .

(٢) الباطية : وعاء الخمر .

(٣) غ : ومنهن .

(٤) هذا الخبر فى ب ٧ : ١٠٣ ، س ٧ : ٩٨ ، د ٨ : ١٤٢ ، ى ٨ : ١٤٣ .

فأرسل إلىّ يزيد يدعونى ليلا . فقلت : « اعلم أنّى أخاف أن يعلم أمير المؤمنين بمكانى عندك فيشكونى إلى عبد الله بن جعفر ». قال : « فامْهَل حتى إذا سمَرَ أميرُ المؤمنين ، فإن ابن جعفر يكون معه فلا يفقدك ، ونخلو نحن كما نريد قبل قيامهما». فأتيتُه فغنيته. فوالله ، ما رأيت فتى أشرف أرْيَحية منه . ولقد ألقى علىّ من الكُسَا الخزّ والوَشْى وغيره مالم أستطع حمله . ثم أمر لى بخمسمائة دينار ذهب. وذهب بنا الحديث وما كنّا فيه حتى قام معاوية ونهض ابن جعفر . وكان باب يزيد فى سقيفة معاوية فسمع صوتى. فقال لابن جعفر : « ما هذا ، يا ابن جعفر » ؟ قال : « هذا ــ والله ــ صوت نافع ». فدخل علينا فلما أحس به يزيد تَناوَمَ . فقال له معاوية : « مالك ، يا بنى ؟ فقال : « صُدِعت فرجوتُ أن يَسْكُن عنى بصوت هذا ما أجِده » . فتبسم معاوية وقال لى: « يا نافع ، ما كان أغْنانا عن قدومك! » فقال له ابن جعفر : « يا أمير المؤمنين ، إن هذا فى بعض الأحايين يُذْكِي القلب ». فضحك معاوية وانصرف . فقال لى ابن جعفر: « ويلك ؛ هل شرب شيئاً ؟ » قلت : « لا والله . ووالله ، إنى لأرجو أن يكون من فتيان بنى عبد مَناف الذين يُنتفَع بهم » .

قال نافع : ثم قدمنا على يزيد مع عبد الله بن جعفر بعد ما استُخلِف. فأجْلَسَه معه على سريره . ودخلتْ حاشيته تسلِّم عليه ودخلتُ معهم . فلما نظر إلىّ تبسم . ثم نهض ابن جعفر وتبعناه . فقيل له : « إنه نظر إلى نافع وتبسّم » . فقال له ابن جعفر : «هذا تأويلُ تلك الليلة ».وقضى حوائج ابن جعفر وأضْعَف له ما كان يصله به معاوية . فلما أراد الانصراف أتاه فودعه . وأرسل إلىّ يزيد فدخلت عليه . فقال : « ويحك ! ما أخَّرتك إلا لأتفرغ لك. هات لحنك[1]:

خليلىّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما ‌ ‌ ‌ قَتيلا بكى من حُبِّ قاتِله قَبْلِى

(١) البيت لجميل بثنية . وانظر ديوانه ١٧٦ .

فأسمعته إياه. فقال. « أَعِدْ ــ ويلك، ــ أعد » . فأعدته ثلاثا . فقال: «أحسنت فَسَلْ حاجتك » . فما سألته فى ذلك اليوم شيئًا إلا أعطانيه . ثم قال : « إنْ يصلُح لنـــا هذا الأمر من قِبَل ابن الزبير فلمّلنا أن نحج فتَلْقانا بالمدينة ، فإن هذا الأمر لا يصلُح إلا هناك ». قال نافع : فمنَعَنا من ذلك شؤمُ ابن الزبير .

كان[1] سَلْم بن زياد قدم على يزيد فنادمه . وقال له ليلة : « ألا أُوَلِّيك خراسان؟» فقال : « بلى، وسجستان » . فعقد له من ليلته وقال :

سَقِّنى شربـــةً تُرَوِّى عظامى ثم عُدْ واسْقِ مثلَها ابنَ زيادِ[2]

موضع السر والأمانة مـــنى وعلى ثَغْر مَغْنَمى وجهـادى

كان[3] معاوية قد جَهّز جيشا إلى بلد الروم ليغزو الصّائفة . فأخذهم جُدَرى فمات أكثر المسلمين . وكان ابنه يزيد مُصطبِحا بدَير مُرّان مع زوجته أم كلثوم . فبلغ خبرُهم فقال :

إذا ارتفقْتُ على الأَنْماطِ مُصْطبِحا بديرِ مُرّانَ عنـــدى أُمُّ كلثومِ[4]

فمــا أُبالى بمـــا لاقت جموعهمُ بالغَذْقَذُونة من حُمَّى ومن مُومِ[5]

فبلغ شعره أباه. فقال : « أما والله ، ليَلْحَقَنَّ بهم فَلَيُصِيبَنَّه ما أصابهم » . فخرج حتى لحق بهم . وغزا حتى بلغ القسطنطينية . فنظر إلى قُبَّتَين عليهما ثياب الديباج . فإذا كانت الحملة للمسلمين ، ارتفع من إحداها أصوات الدفوف والطبول .

---

(١) الخبر فى ب ١٤ : ٦٣ ، س ١٤ : ٦١ ، د ١٥ : ٢٩١ ، ى ١٥ : ٢٣٢ .

(٢) غ : فرو عظامى .

(٣) هذا الخبر فى ب ١٦ : ٣٣ ، س ١٦ : ٣٣ ، ى : ١٧ : ١٤١ .

(٤) ب ، س : إذا ارتفعت . وارتفقت : اتـكأت على مرفقى أو على المخـدة . واصطبح : شرب الصبوح ، وهو خمر الصباح . وعند ياقوت ٣ : ٧٧٨ .

إذا اتـكأت على الأنماط مرتفقا بيطـن مـران . . .

(٥) الموم : أشد الجدرى . والغذقذونة : إقليم الثغور بين الشام وبلاد الروم وعند ياقوت. وما أبالى إذا لاقت .

وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى فسأل يزيد عنهما . فقيل : « هذه بنت ملك الروم ، وتلك بنت جَبَلة بن الأَيْهَم . وكل واحدة منهما تُظهر السرور بما تفعله عشيرتها » . فقال: « أما والله ، لأَسُرَّنَّها » . ثم لَفَّ العسكر[١] وحمل حتى هزم الروم وحَجَرهم فى المدينة وضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان فى يده وهشمه حتى انخرق . فضُرب عليه لوح من ذهب . فهو عليه إلى اليوم .

كانت مَيْسون بنت بَحْدل الكَلْبيّة تزيّن يزيد بن معاوية وتُرجِّل جُمّته[٢] . فإذا نظر إليه معاوية قال :

وإنْ مات لم تُفْلِح مُزْيِنة بعدَه ... فنُوطى عليه ـ يا مُزَين ـ التَّمائما[٣]

لما احتُضِر معاوية ، حضره يزيد وعَنْبَسة بن أبى سفيان . فبكى يزيد إلى عنبسة وقال :

لو فات شىء ترَى لَفاتُ أبو ... حَيّانَ لا عاجزٌ ولا وَكَلُ[٤]

الحُوّلُ القُلَّبُ الأَريب ولن ... يَدْفَعَ صَرْفَ المنيّةِ الحِوَل[٥]

فسمعهما معاوية بعد ما رددها مرارا . فقال : « يا بنى ، إنّ أَخْوَف ما أخاف على نفسى شيئا صنعتُه فيك ولك . وإنى كنت أوضِّئ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكسانى قميصا ، وأخذتُ شَعرا من شعره . فإذا أنا مت فكفِّنى فى قميصه ، واجعل الشعر فى منخرى وأذنى وفمى . وخَلِّ بينى وبين ربى ، لعل ذلك ينفعنى شيئا » .

---

(١) لف العسكر : خلط بعضهم ببعض بالحرب . وفى ب ، س : كف . وفى ى : صف .

(٢) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

(٣) غ : فإن مات . ونوطى : علقى .

(٤) غ : يرى . د : حبان . لا عاجز : كذا فى غ . وفى ص : لا عامر ، تحريف . والوكل الذى يتكل على غيره .

(٥) غ : يدفع زوء المنية الحيل . والحول : كثير الاحتيال . والقلب : الذى يقلب الأمور قبل الإقدام عليها . والحول : الحيل .

قالوا : وهذه الحكاية غلط لأن يزيد كان بالرُّصافة[1] لما مات معاوية . وجاء بنَعْيِه إلى يزيد فقال :

جاء البريد بقرطاسٍ يَخُبُّ بــه ... فأوجسَ القلبُ من قرطاسه فزَعا

قلنا: لك الويل، ماذا في صَحيفتكم؟ ... قال : الخليفةُ أمسى مُثبَتا وَجِعا

مادتْ بنا الأرض أو كادتْ تَميد بنا ... كأنّ ما عَزّ من أركانها انقَلعا[2]

مَنْ لم تزَلْ نفسُه تُوفِي على شَرَفٍ ... توشكْ مَقاديرِ تلك النفس أن تَقَعا[3]

لما وردتُ وبابُ القصر مُنْصَفِقٌ ... لصوتِ رَمْلَةَ هُدّ القلب فانْصَدعا[4]

وتولى غسله ودفنه الضحاك بن قيس . فخطب الناس وقال : « إن ابن هند قد توفى . وهذه أكفانه ، ونحن مُدْرِجوه فيها ، ومُخلُّون بينه وبين ربه . ثم هو بالبَرْزَخ إلى يوم القيامة » . ولو كان يزيد حاضرا لم يكن للضحاك ولا غيره أن يفعل من هذا شيئا .

روى هشام بن عروة عن أبيه قال : صلى بنا عبد الله بن الزبير يوما ثم نعى معاوية فقال : « رحم الله معاوية ! لقد كنا نخدعه فيتخادَع لنا ، وما ابن أنثى بأمْكَر منه[5] . وإن كنا لنَقْرِفُه[6] فيَتَقارفُ لنا . وما الليث المجرَّب[7] بأجرأ منه . كان — والله — كما قال بَطْحاء[8] العُذْرى :

---

(١) غ : بالصائفة .

(٣) كذا فى غ . وفى ص : كأن أعين من أركانها ، تحريف .

(٣) غ : على وجل . والشرف : رتفع من الأرض .

(٤) هد القلب : كذا فى غ . وفى : هذا القلب . وفى غ : تحريف وباب القصر منطبق .

(٥) غ : بأكرم منه .

(٦) نقرفه : نتهمه .

(٧) غ : المحرب .

(٨) ب ، س : بطحان .

رَكوبُ المَنابرِ وَثّابُها مِعَنٌّ بخطبتِها يجْهَر[1]
تَريع إليه عيونُ الكلام إذا حَصِرَ الهَذِرُ المُنْهَمِر[2]

كان ـ والله ـ كما قالت رفيقة أو بنت رفيقة[3] :

ألَا ابْكيهِ ألا ابكيه ألَا كلُّ الفَتى فِيهِ[4]

والله لودِدْتُ أنه بقى ما بقى أبو قُبَيْس[5] لا يُتخوَّن له[6] عقل ولا تنقص له قوة . قال : فعرفْنا أن الرجل قد استوحش[7] .

لما أتى ابن عباس نعى مُعاوية وولاية يزيد كان يعشِّى أصحابه ويأكل معهم ، وقد رفع يده باللقمة إلى فيه ، فألقاها وأطرق هُنيهة وقال :

جبلٌ تَدَكْدَكَ ثم مال بجُمْعِه في البحرِ واشتملتْ عليه الأَبْحُرُ

لله در ابن هند ! ما كان أجمل وجهه ، وأكرم خلقه ، وأعظم حلمه ! » فقطع عليه الكلام رجل من أصحابه وقال : « تقول هذا فيه ؟ » فقال: « ويحك ! إنك لا تدرى من مضَى عنك ولا مَن ولى عليك ، وستعلم » . ثم قطع الكلام عنه .

ويزيد[8] بن معاوية أول من سَنَّ الملاهى من الخلفاء ، وأدْنَى المغنين، وأظهر الفتك

---

(١) معن : كذا فى غ . وفى ص : معنى ، تحريف . والمعن : الخطيب الذى يحسن التكلم فى كل شيء . وفى غ : بخطبته .

(٢) تريع : كذا فى غ ، أى ترجع . وفى ص : تربع ، تحريف .

(٣) غ : رقيقة أو بنت رقيقة .

(٤) غ : كل الغنى .

(٥) أبو قبيس : جبل بمكة .

(٦) يتخون : ينقص .

(٧) غ : استوجس .

(٨) هذا الخبر فى ب ١٦ : ٧٠ ، س ١٦ : ٦٨ ، ى ١٧ : ٢٢٢ .

وشرب الخمر . وكان ينادم عليها سَرْجون النصرانى مولاه والأخطل . وكان يأتيه من المغنين سائِب خاثِر ، يقيم عنده ، ويخلَع عليه ويَصِله ، فغناه يوما :

يا للرِّجالِ لمظلومٍ بضاعتهُ   ببطنِ مكةَ نائى الأهلِ والنفَرِ[1]

فرقص حتى سقط ثم قال : « اخلعوا[2] عليه خِلَعا يغيب فيها حتى لا يُرَى منه شىء » . فطُرِحت عليه الجِباب والمَطارف الخَزّ حتى غاب فيها .

(١) روى أيضا : يا آل فهر لمظلوم بضاعته . وقيل إنه لرجل من زبيد .

(٢) كذا فى غ . وفى ص : اجعلوا ، سبق قلم .

يزيد جَبْهاء*

جبهاء لقب غلب عليه . ويقال : بل جُبَيهاء . وهو يزيد بن عُبيد ــ وقيل : يزيد ابن حُمَمة[1] بن عبيد ــ بن عُقيلة بن قيس بن رُوَيبة بن سُحَيم بن عبيد بن هلال ابن زَبيد بن بكر بن أَشْجَع .

شاعر بدوى من مَخاليف[2] الحجاز . نشأ وتوفى فى زمن بنى أمية . وليس ممن انْتَجع الخلفاءَ بشعره ولا من معدودى الفحول . وهو مُقِل .

قالت زوجة جبهاء الأَشْجَعى لزوجها : لو هاجرتَ إلى المدينة وبعت إبلك وافترضت فى العطاء فكان خيرا لك » . قال : « أفعل » . فأقبل بها وبإبله ، حتى إذا كان بحَرَّة واقِم من شرق المدينة شَرَعها بحوض واقم ليسقيها . فحنّت ناقة منها فنزعت وتبعها الإبل . فطلبها ففاتته . فقال لزوجته : « هذه الإبل ــ هى لا تعقِل ــ تحن إلى أوطانها . ونحن أَوْلَى بالحنين منها . أنت طالق إن لم ترجعى . فعل الله بك وصنع ! » فردها .

جاور جبهاء الأشجعى فى بنى تَيْم بطنٍ من أَشْجَع . فاستمْنَحه مولى لهم عنزا فمنحه إياها ، فأمسكها دهرا . فلما طال على جبهاء قال :

أمَوْلَى بنى تيمٍ ، ألستَ مُؤَدِّيا مَنيحَتَنا فيما تَرُدُّ المَنائحُ[3]

---

* أخباره فى ب ١٦ : ١٤٦ ، س ١٦ : ١٤١ ، ى ١٨ : ٣٩ .

(١) غ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ٧٧ : حميمة . والنسب فى الكتاب الأخير مختلف كل الاختلاف ، فهو فيه : جبهاء بن حميمة بن يزيد ، أحد بنى عقيل بن هلال بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع .

(٢) المخاليف : جمع مخلاف وهو الإقليم وخاصة من أقاليم اليمن .

(٣) تنبيه البكرى ١١٠ ، شرح المفضليات ٣٣١ : فيما تؤدى المنائح .

فأرسل إليه التيمى :

بَلَى سنُؤَدِّيها إليك ذَميمــةً لتَنْــكِحَها إنْ أعوزَتْك المَنا كحُ

[فعمد به جبهاء فنزل وقال :

لو كنتَ شيخا من سُواةَ نــكحتُها نــكاحَ يَسارٍ عَنْزَه وهى سارح](١)

قال : ويُعيَّرون بنــكاح العنز .

(١) زيادة ضرورية عن غ ، لأن بنى سواءة هم الذين يعيرون بنــكاح العنز .

يزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيَرى *

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ[1] . ولُقِّب جده مفرّغاً لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كله فشربه حتى فرّغه ، فسُمِّى مفرغاً لتفريغه السِّقاء . وكنيته أبو عثمان . وهو من حِمْيَر ، كما يزعم أهله . وكان ربيعة بن مفرغ شَعّابا بتَبالة[2] ، فادعى أنه من حمير . وقال على بن محمد النَّوفلى : « ليس بالبصرة أحد من حمير إلا الحجاج بن ناب الحميرى ونسبا[3] آخر ذكره . ودفع نسب[3] ابن مفرغ . وهو حليف قريش ثم حليف آل خالد بن أَسيد بن أبى العيص[4] بن أُمَية بن عبد شمس . وقيل : كان عبداً للضحاك ابن عبد عوف الهلالى فأَنْعم عليه . وكان شاعراً غزِلا محسناً . والسَّيِّد[5] من ولده .

سُئل الأصمعى عن شعر تُبَّع وقصته ومن وضَعهما . فقال : ابن مفرغ وضعهما . وذلك أن يزيد بن معاوية ـ لما سَيَّره إلى الشام واستخلصه من عباد بن زياد ـ أنزله الجزيرة . فكان مقيماً برأس عين . وزعم أنه من حِمْير . ووضع سيرة تبع وشعره .

وقال الهيثم بن عدى : هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ اليَحْصُبى من حمير :

---

* أخباره فى ب ١٧ : ٥١ ، س ١٧ : ٥١ ، ى ١٨ : ١٨١ ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٥٥٤ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٠٩ ، خزانة الأدب للخطيب ٢ : ٢١٠ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ٢٨٩ .

(١) ذكر أبو الفرج فى ترجمة السيد الحميرى أن مفرغا هو ربيعة وأن من قال ربيعة بن مفرغ فقد أخطأ . ولعل سبب ذلك أن ربيعة جد يزيد فهو كما قال ابن الكلبى يزيد بن زياد بن ربيعة . ابن خلكان ٢ : ٢٨٩ ، الأغانى ٧ : ٢٢٩ .

(٢) الشعاب : الذى يصلح الصدوع . وتبالة : موضع ببلاد اليمن بينه وبين الطائف ٦ أيام، وبينه وبين بيشة يوم واحد . وفى الوفيات أن مفرغا كان حدادا .

(٣) غ : بيتا . . . بيت .

(٤) أبى العيص : كذا فى غ والطبقات . وكتب الصحابة والوفيات وفى ص : أبى العاص .

(٥) يريد السيد الحميرى الشاعر الشيعى .

يحصب[1] بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد ابن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن خيثم[2] بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث ابن الهَمَيْسَع بن حمير بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

لما ولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، اجتهد أن يستصحب يزيد بن مفرغ معه ، فلم يصحبه وصحب عَبّاد بن زياد . فقال له سعيد بن عثمان : « أما إذ أبيْتَ أن تصحبنى وآثرت صحبة عباد ، فاحفظ ما أُوصيك به . إن عبادا رجل لئيم ، فإياك والدالة عليه . فإن دعاك إليها من نفسه فإنها خديعة لك منه على نفسك . وأقلِلْ زيارته فإنه ملول . ولا تفاخرْه وإن فاخرك ، فإنه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله » . ثم دعا سعيد بمال فدفعه إليه وقال : « استعن بهذا فى سفرك . فإن يصلح لك مكانك من عباد وإلا فمكانك عندى ممهَّد فائتنى » . ثم سار سعيد إلى خراسان . وخرج ابن مفرغ مع عباد .

فلما بلغ عبيدَ الله بن زياد صحبةُ ابن مفرغ أخاه عبادا ، شق عليه ذلك . فلما سار أخوه شيَّعه وشيع الناسُ معه وجعلوا يودعونه . فلما أراد عبيد الله أن يودع أخاه ، دعا ابن مفرغ فقال له : « إنك سألت عبادا أن تصحبه فأجابك إلى ذلك ، وقد شق علىّ » . فقال ابن مفرغ : « ولِمَ ، أصلحك الله ؟ » قال : « لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يُقنِع بعضَهم من بعض ، لأنه يظن فيجعل الظن يقينا ولا يَعْذِر فى موضع العذر . وإن عبادا يَقْدَم على أرض حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك . فلا تعذره أنت وتُكسبنا شرا وعارا » . فقال له : « لستُ كما ظن الأمير . وإنّ لمعروفه عندى لشكرا كثيرا . وإن عندى — إن أهمَلك أمرى — عذرا ممهَّدا » .

---

(١) أورد النويرى : نهاية الأرب ٢ : ١٩٣ سلسلة مختلفة تماما لنسب يحصب .

(٢) ى والنويرى ٢ : ٢٩٢ ، ٢٩٣ : جشم .

قال : « لا ، ولكن تضمن لى إنْ أبطأ عنك ما تحبه منه ألّا تعجل عليه حتى تكتب إلىّ » . قال : « نعم » . قال : « فامضِ إذن على الطائر الميمون » .

فلما قدم عباد خراسان واشتغل بحروبه وخراجه ، استبْطأه ابنُ مفرغ ولم يكتب إلى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ، ولكنه بسط لسانه فذمّه وهجاه . وكان عباد عظيم اللحية كأنها جُوالَق . فسار يزيد بن مفرغ يوما مع عباد . فدخل الريح فيها فنفشها . فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لَخْم كان إلى جانبه[1] :

ألا ليتَ اللِّحَى كانت حَشيشا فنَعْلِفَها خيولَ المُسلمينا[2]

فسعى به اللخمى إلى عباد . فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال : « لا تحمُل بى عقوبته فى هذه الساعة مع صحبته لى . وما أؤخرها إلا لأشفى نفسى منه ، فإنه كان يقوم بشتم أبى فى عدة مواطن » . وبلغ الخبر ابن مفرغ ، فقال : « إنى لأجد ريح الموت من عباد » . ثم دخل عليه فقال له : « أيها الأمير ، إنى كنت مع سعيد ابن عثمان . وقد بلغك رأيه فىّ . ورأيت جميل أثره علىّ وإنى اخترتك عليه فلم أحْظَ منك بطائل ، وأريد أن تأذن لى فى الرجوع . فلا حاجة لى فى صحبتك » . فقال له : « أما اختيارك إياى فإننى اخترتك كما اخترتَنى ، واستصحبتُك حين سألتَنى . قد أعجَلْتَنى عن بلوغ محبتى منك ، فطلبتَ الإذن لترجع إلى قومك فتفضحَنى قِبَلهم . وأنت على الإذن قادر بعد أن أقضى حقك » . فأقام . وبلغ عبادا أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه . وأجرى عباد الخيل فجاء سابقا . فقال ابن مفرغ[3] :

* سَبَق عبادٌ وصَلَّت لحيتُه[4] *

---

(١) ابن قتيبة ٢١٠ . الخطيب ٢ : ٢١٣ ، ٥١٥ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٠ . الطبرى ٢ : ١٩١ .

(٢) ابن قتيبة والخطيب: دواب المسلمينا . والخطيب: فترعاها خيول المسلمينا . ابن خلكان: فتعلفها خيول المسلمينا . الطبرى : عادت حشيشا .

(٣) ابن قتيبة ٣١٠ . الخطيب ٢ : ٢١٣ .

(٤) صلت : أتت تالية له .

فتطلّب عليه العِلَل ودس إلى قوم كان لهم عليه دَين ، فأمرهم أن يقدموه إليه ، فحبسه أوضرّ به .

ثم بعث إليـه : أنْ بِعْنى الأَراكَة وبُرْدا ، يعنى قَيْنة وعبداً ليزيد بن مفرغ كان ربّاها وهو ضَنين بهما . فبعث ابن مفرغ إليه : «أيبيع المرء نفسه[1] أو ولده !» فأضرّ به حتى أخذهما منه . وقيل : بل باعهما عليه واشتراهما رجل من أهل خراسان . فلما دخلا منزله قال له برد ، وكان داهية أريبا : « أتدرى ما اشتريت ؟ » قال : « نعم ، اشتريتك وهذه الجارية » : قال : « لا والله ، ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة أبدا ما حَييت » فجزع الرجل وقال له : « كيف ذلك ؛ ويلك ؟ » قال : « نحن ليزيد ابن ربيعة بن مفرغ . والله ، ما أَصاره إلى هـــذه الحال إلا لسانُه وشرُّه . أفتراه يهجو ابن زياد ـ وهو أمير خراسان وأخوه أمير العراقين وعمه الخليفة ـ فى أن استبطأه ويمسك عنك ! وقد ابتعتنى وهذه الجارية ـ وهى روحه التى بين جنبيه . والله ، ما أرى أحداً أدخل بيته أشْأَمَ على نفسه وأهله مما أدخلتَه منزلك » . فقال : « أُشهدك أنك وإياها له . فإن شئتما أن تمضيا الليلة فامضيا ، على أنى أخاف على نفسى ، إن بلغ ذلك ابن زياد . فإن شئتما أن تكونا له عندى فافعلا » . قال : « فاكتب إليه بذلك » . فكتب الرجل إلى ابن مفرغ إلى الحبس[2] بما فعله . فكتب إليه يشكر فعله ويسأله أن يكونا عنده حتى يفرّج الله عنه .

وقال عباد لحاجبه : « بع فرسه وسلاحه وأثاثه فإنى أراه لا يبالى بمقامه فى الحبس واقسم ثمن ذلك بين غُرمائه » . ففعل ذلك وقسم الثمن عليهم ، وبقيت عليه بقية حبسه بها . وعمل فى الأراكة بردا شعرا .

---

(١) س : أيبيع النفس ، نفسه ، سبق قلم .

(٢) وكذا فى الوفيات . وفى غ : فى الحبس .

وعلم ابن مفرغ أنه — إنْ أقام على ذم عباد وهجائه وهو فى حبسه — زاد نفسَه شراً . فكان يقول للناس ، إذا سألوه عن سبب حبسه : « رجل أدَّبه أميرُه ليُقوِّم من أَوَده(١) ويكفَّ من غَرْبه . هذا — لعمرى — خير من جرِّ الأمير ذيلَه على مُداهَنة صاحبه . فلما بلغ ذلك عبادا ، رقَّ له وأخرجه من السجن . فهرب حتى أتى البصرة . ثم خرج منها إلى الشام وجعل يتنقل فى مدنها هارباً ويهجو زيادا وولده .

وقيل : إن عبادا لما بلغه قول ابن مفرغ :

* سبق عباد وصلت لحيته *

دعا به إلى مجلسه وهو حافل . فقال له : « أنشِدْنى هجاء أبيك الذى هُجى به » . فقال : « أيها الأمير ما كُلِّف أحد مثلما كلفتنى » . فأمر غلاماً له أعجمياً فقال له : « قم على رأسه ، فإن أنشد وإلا فصُبَّ السوط على رأسه دائماً أو ينشد » . فأنشده أبياتاً هُجى بها أبوه ربيعةَ ، وهى :

قَبَحَ الإلهُ ولا أقبِّحُ غيرَه ... وجهَ الحمارِ ربيعةَ بن مفرغِ(٢)

فجعل عباد يتضاحك . وخرج ابن مفرغ من عنده وهو يقول : « لا يذهب شتم شَيْخى باطلا أبداً » . وقال يهجوه(٣) :

أَصرَمْتَ حَبْلَك من أُمامَهْ ... من بعدِ أيامٍ بِرَامَهْ(٤)

فالريحُ تبكى شَجْوَها ... والبرقُ يضحك فى الغَمامه(٥)

---

(١) ص : أدبه . والأود : العوج . والغرب : الحدة .

(٢) غ : يقبح غيره .

(٣) ابن المعتز ٥٥٤ . ابن قتيبة ٢٠٧ ، ٢١١ . المرتضى : الأمالى ٥٢ ، ٤٤٠ . المبرد : الكامل ٢٣٤ ، ٣٢٥ . الخطيب : الخزانة ٢ : ٢١٣ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٠

(٤) رامة : موضع فى ديار بنى تميم ، على طريق البصرة إلى مكة .

(٥) ابن سلام : والريح . المرتضى والخطيب مرة : الريح تبكى شجوه . ابن سلام والمرتضى والخطيب : والبرق يلمع .

لَهفِى على الأمرِ الذى كانتْ عواقبُــه ندامه[1]
تَرْكِى سَمِيدا ذا النـدى والبيتَ ترفَعُـه الدِّعامـه
وتبعْتُ عبـــدَ بنى عِلا جٍ ، تلك أَشراطُ القِيـامه ![2]
جاءت به حَبَشـــيَّةٌ سَكَّاء تحسَبُها نَعامــــه[3]
من نسوةٍ سودِ الوجو ه ترى عليهن الدَّمامــــه
وشَرَيْتُ بُرْدا لَيْتَنى من قبلِ بردٍ كنتُ هامـه[4]
هتافـةً تدعـو صدًى بينَ المُشَقَّرِ واليمَامـه[5]
والهولُ يركبـه الفتى خوفَ المَخازى والسّآمـه[6]
والعبدُ يُقْرَع بالعصـا والحُرُّ تـكفيـه المَلامـه[7]

ثم لَجّ فى هجاء بنى زياد حتى تغنى أهل البصرة فى أشعاره . فطلبه عبيد الله طلباً شديداً حتى كاد يؤخَذ . فلحق بالشام . وردّه معاوية إلى ابن زياد . وقيل : يزيد

(١) الخطيب : على الرأى .
(٢) بنو علاج : بطن من ثقيف ، ومنهم الحارث بن كلدة طبيب العرب ، الذى كانت سمية أم زياد جاريته .
(٣) سكاء : صغيرة الأذنين .
(٤) ابن سلام والمبرد وابن قتيبة وابن خلـكان والمرتضى والخطيب: بعد برد . وشرى هنا باع . والهامة : الرأس .
(٥) هتافة : كذا فى الـكامل . وفى ص : بتهـامة . وتهامة بعيدة عن المواضع المذكورة ، المشقر : حصن بين نجران والبحرين . وفى أمالى المرتضى : هامة . وفى ب، س : فهامة. ابن سلام وابن خلـكان : ياهامة، وابن قتيبة والخطيب : أو بومه . والصدى: ذكر البوم، وجسد الآدمى بعد موته ، وحشو الرأس . ويزعم العرب أن المقتـول إذا لم يؤخذ ثأره يخرج من رأسـه طائر يسمى الصدى أو الهامة يصيح : اسقونى . يريد من دم القاتل .
(٦) غ وابن خلـكان : فالهول. غ وابن قتيبة : حذر المخازى . والسآمة : كذا فى غ وابن خلـكان . وفى ص : والسآمة . وابن قتيبة : والملامة .
(٧) ابن قتيبة : العبد .

هو الذى رده . وهذا هو الصحيح؛ لأن عَبّادا إنما ولى سجستان فى أيام يزيد . وقيل : إنما ولاه معاوية ، وهو الذى ولى سعيد بن عثمان خراسان ، لأن سعيدا دخل على معاوية فقال له : « عَلامَ جعلت يزيد ولى عهد دونى . فوالله ، لَأَبى خير من أبيه ، وأمى خير من أمه ، وأنا خير منه . وقد وَلَّيناك فما عزلناك . وبنا نِلْتَ ما نلت » . فقال له معاوية : « أما قولك : إن أباك خير من أبيه ، فقد صدقتَ ، لَعَمْرُ الله ، إن عثمان خير منى . وأما قولك : إن أمك خير من أمه ، فَحَسْب المرأة أن تكون فى بيت قومها ويرضاها بَعْلها وتُنجب ولدها . وأما قولك : إنك خير من يزيد ، فوالله يابنى ، ما يسرنى أن لى بيزيد ملء الغُوطة مثلك . وأما قولك : إنكم وليتمونى فما عزلتمونى ، فأنتم ما وليتمونى وإنما ولانى من هو خير منكم : عمر ، رضى الله عنه ، فأقرَرْتُمونى . وما كنت بِئْس الوالى لكم . لقد قمت بثأركم ، وقتلت قَتَلَة أبيك ، وجعلت الأمر فيكم ، وأغنيت فقيركم ، ورفعت الوضيع منكم » . فكلمه يزيد فى أمره فولاه خراسان .

ولم يزل ابن مفرغ يتنقل فى قرى الشام ونواحيها ، ويهجو بنى زياد ، وأشعاره تنتشر وتبلغهم ، حتى كتب عبيد الله إلى يزيد يقول له : « إن ابن مفرغ هجا زيادا وبنى زياد بما هَتَكه فى قبره ، وفضح بنيه طول الدهر . وتعدَّى ذلك إلى أبى سفيان ، فقذَفه بالزنا وسبَّ ولده . وهرب من خراسان إلى البصرة . وطلبتُه حتى لفظَتْه الأرض . فلجأ إلى الشام يتمضّغ لحومنا بها ويهتك أعراضنا . وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتَنْتَصِف لنا منه » . ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم . فأمر يزيد بطلبه . فجعل يتنقل من بلد إلى بلد ، فإذا شاع خبره انتقل عنه حتى لفظته الشام .

فأتى البصرة ونزل على الأَحْنف بن قيس فاستجار به . فقال له الأحنف : « إنى لا أُجير على بنى سمية فأُغُرّك[1] . وإنما يُجير الرجل على عشيرته ، وأما على سلطانه فلا

---

(١) غ : فأعزل .

فإن شئت أجرتك من بنى سعد وشعرائهم فلا يَريبك منهم أحد » . فقال له ابن مفرغ : « بأسْتاه بنى سعد ! وما عساهم أن يقولوا فىّ ! هذا مالا حاجة لى به » . وأتى خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسيد فاستجار به . فأبى أن يجيره . فأتى عمر بن عبد الله بن مَعْمر فوعده . وأتى طَلْحة الطَّلَحات فوعده . فأتى المنذر بن الجارود العَبْدى فأجاره ، وكانت بَحْرية بنت المنذر تحت عبيد الله ، وكان المنذر من أكرم الناس عليه . فاغترّ بذلك وأدلّ بموضعه . وطلبه عبيدالله، وقد بلغه وروده البصرة . فقيل له : « قد أجاره المنذر بن الجارود » . فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه . فلما دخل عليه ، بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بابن مفرغ . فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرغ قد أُقيم على رأسه . فقام المنذر إلى عبيد الله فكلمه فيه وقال : « أُذكِّرك الله — أيها الأمير — أن تخفر جوارى فإنى قد أجرْتُه » . فقال عبيد الله : « يامنذر ، أيمدحك ويمدح أباك وقد هجانى وهجا أبى ثم تُجيره على ! لاها الله[1] ، لا يكون ذلك أبدا ولا أغفرها له » . فغضب المنذر . فقال له : « لعلك تُدِلّ بكريمتك عندى . إن شئت — والله — لأُبينها بتطليق ألبتة ، فخرج المنذر من عنده .

وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ وقال له : « بئس ما صَحِبت عبادا ! » . فقال : « بئس ما صحبنى عباد ! اخترتُه على سعيد ، وأنفقت فى صحبته كل ما أفدته وكل ما أملكه . وظننت أنه لا يخلو من عقل زياد ، وحلم معاوية ، وسَماحة قريش . فعدل عن ظنى كله . وعاملنى بكل قبيح . وتناولنى بكل مكروه من حبس وغُرم وشتم وضرب ، فكنتُ كمَنْ شام بَرْقا خُلَّبا فى سحاب جَهام فهَراق ماءه طمعا فيه فمات عطشا[2] . وما هربت من أخيك إلا لما خفتُ أن يَجْرى فىّ إلى ما تندم عليه . وقد صرت الآن فى يدك ، فشأنك اصنَعْ بى ما أحببت » . فأمر بحبسه .

(٢) لا ها الله : لا والله .

(٣) شام : تتبع بالنظر . وخاب : لا مطر فيه . وجهام : لا ماء فيه . هراق : أراق .

وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله فى أن يأذَن له فى قتله . فكتب إليه : « إياكَ وقَتْلَه ولكن عاقِبْه بما يُنَكِّله ويشدُّ سلطانك ولا يَبْلُغ نفسه ، فإن له عشيرةً هى جندى وبِطانتى ولا ترضى بقتله منى ، ولا تقنع إلا بالقوَد منك . فاحذر ذلك ، واعلم أنه الجِدُّ منى ومنهم ، وأنك مُرْتَهن بنفسه . ولك من دون تلفها مَندوحة تشفى من الغيظ » . فورد الكتاب على عبيد الله بن زياد . فأمر بابن مفرغ فسُقى نبيذا حلوا قد خلط معه الشُّبْرُم[1] ، فأسهل بطنَه . وطِيف به وهو على تلك الحال ، وقُرِن بهِرّ وخنزير . فجعل يَسْلَح والصبيانُ يتبعونه ويقولون : « أين چيسْت ؟ » فيقول :

آبَسْتْ نَبيذَ اسْتْ ‍ ‍ ‍ ‍ عُصاراتْ زَبيبَ اسْتْ

سُمَيَّه رُوسْبِيدَ اسْت[2]

وجعل كلما جر الخنزير وضجت ، يقول :

ضَجَّتْ سمية ُ لمـا لزَّها قرَنى ‍ ‍ ‍ ‍ لا تجزعى ، إنّ شرَّ الشِّيمةِ الجزعُ[3]

وجعل يُطاف به فى أسواق البصرة ، والصبيانُ خلفَه يصيحون به . فألحّ عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط . وعرف ابن زياد ذلك ، وقيل له : « إنه لِما بِهِ[4] ولا نأمن الموت » . فأمر أن يُغسَل . ففُعل به ذلك . فلما اغتسل قال[5] :

يغسل المـاء ما فعلتَ وقولى ‍ ‍ ‍ ‍ راسخٌ منك فى العظامِ البَوالِى

---

(١) الشبرم : نبات له حب كالعدس مسهل .

(٢) هذه العبارات باللغة الفارسية ، وقد كثر فيها التحريف ، وظن جواب نثرا وهو شعر فالأولاد يسألون : ما هذا وهو يجيب : هذا ماء نبيذ، هذه عصارة نبيذ، هذه سمية البغى وانظر الطبرى ٢ : ١٩٣ .

(٣) الخطيب : خزانة الأدب ٢ : ٥١٦ : مسها القرن .

(٤) أى مشرف على الموت .

(٥) ابن قتيبة ٢١١ . الخطيب : الخزانة ٢ : ٢١٥ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٢ . الطبرى ٢ : ١٩٣ وفيه : ما صنعت .

وردّه عبيد الله إلى السجن وأمر به أن يُسلِم مِحْجَما ، وقدموا له عُلوجا وأمره أن يحجمهم . فكان يأخذ المَشاريط فيقطع بها رقابهم فيهربون منه . فتُرِك ورُدّ إلى محبسه . فقال[1] :

وما كنتُ حجّاما ولكنْ أَحَلَّني ... بمنزلة الحجامِ نَأْيِى عن الأَصْل[2]

وكان عباد قد جمع كل شيء هَجاه به ابن مفرغ وكتب به إلى أخيه عبيد الله وهو يومئذ وافد على معاوية . فكان مما كتب به قوله :

إذا أَوْدَى معاويةُ بن حَرْبٍ ... فبَشِّرْ شَعْبَ قلبِك بانْصِداعِ[3]

فأشهدُ أنْ أُمَّك لم تُباشِرْ ... أبا سفيانَ واضِعةَ القِناع

ولكنْ كان أمرٌ فيه لَبْسٌ ... على وَجَلٍ شديد وارْتِياع[4]

وقوله[5] :

ألا أَبْلِغْ معاويةَ بن حربٍ ... مُغَلْغلةً من الرجلِ اليَمانى[6]

أتغضبُ أن يُقال : أبوك عفٌّ ... وترضَى أن يقال : أبوك زانى ؟

---

(١) ابن سلام ٥٥٦ .

(٢) غ وابن سلام : عن الأهل .

(٣) ابن خلكان والطبرى ٢ : ١٩١ شعب قعبك .

(٤) ى والطبرى : كان أمرا .

(٥) ابن قتيبة ٢١٢ . الخطيب : الخزانة ٢ : ٢١١ ، ٢١٦ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٢ . الطبرى ٢ : ١٩١ .

(٦) ابن قتيبة ؛ وابن خلكان: عن الرجل . والمغلغلة : الرسالة التى تحمل من بلد إلى بلد . وقال ابن خلكان : إن من يروى هذا الشعر لابن مفرغ يرويه على هذه الصورة ، ومن يرويه لعبد الرحمن بن الحكم يجعل روايته :

ألا أبلغ معاوية ابن صخر ... لقد ضاقت بما يأتى اليدان

وأشهدُ أنّ رِحْمَك من زيادٍ ... كرِحْمِ الفيلِ من وَلَدِ الأَتان(١)
وأشهد أنها ولـــدَتْ زيادا ... وصخرٌ من سُميَّةَ غيرُ دان(٢)

واتصل هجاؤه زيادا وولده وهو فى الحبس . فردّه عبيد الله إلى أخيه بسجستان . ووكّل به رجالا ووجههم معه . وكان ـ لما هرب من عباد ـ يهجوه ويكتب ما هجاه به على حيطان الخانات . فأمر عبيد الله الموكلين بـه أن يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظفاره . فـكان يفعل ذلك ويحكه بها حتى ذهبت أظفار . فـكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه ، حتى سلّموه إلى عباد فحبسه وضيق عليه .

فقال ابن مفرّغ قصيدته التى أولها :

ألاَ طرقَتْنا آخرَ الليـــل زينبُ ... سلامٌ عليـكم،هل لما فات مَطْلَبُ؟(٣)
وقالت تَجنبْتَنا ولا تقرَبَـنَّنا ... فـكيف ـ وأنتم حاجتى ـ أتجنب؟
قُرِنْتُ بخـــنزيرٍ وهرٍّ وكلبةٍ ... زمانا وشان الجلدَ ضربٌ مُشذِّبُ(٤)
وجُرِّعتُها صهباءَ فى غـــير لذةٍ ... تُصعِّد فى الجثمانِ ثم تُصوِّبُ(٥)
وأُطعِمتُ ماإنْ لايَحِلُّ لآملٍ ... وصليتُ شرقا ، بيتُ مكةَ مَغرِبُ(٦)
من الطفِّ مجلوبا إلى أرضِ كابُلٍ ... فملُّوا وما ملَّ الأسيرُ المعذَّبُ(٧)

---

(١) غ : وابن خلـكان والطبرى فاشهد . ابن قتيبة :

وأشهد أن إلَّكَ من زياد ... كإلِّ الفيل من ولد الأتان

وليس هذا البيت بهذه الصورة لابن مفرغ بل لحسان بن ثابت فى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (ابن خلـكان) .

(٢) ابن قتيبة : حملت زيادا .

(٣) ذكر غ أن الشطر الأول يروى أيضا : سرت تحت أقطاع من الليل زينب.

(٤) مشذب : مقشر أو ممزق .

(٥) غ : من غير . وتصوب : تنحدر .

(٦) ب ، س : مالا إن يحل .

(٧) الطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق . وكابل : عاصمة أفغانستان اليوم.

فلو أنّ لحمى إذ وَهَى لعبتْ بــه ... كرامُ الملوكِ أو أُسودٌ وأَذْؤُبُ[١]
لَهَوَّن وَجْدى أو لزادت بصيرتى ... ولـكنّما أودتْ بلحمىَ أَكْلُب
أعَبّادُ ما لِلّومِ عنـــك مُحوَّلٌ ... ولا لك أُمٌّ فى قريشٍ ولا أب
سينصرنى من ليس تنفع عنـــده ... رُفاكَ وقَرْمٌ من أُمَيَّــةَ مُصْعَب[٢]
وقـــل لعبيد الله : مالك والدٌ ... بحقٍّ ولايدرى امرؤٌ كيف تُنْسَب

ولما طال مقام ابن مفرغ فى السجن ، استأجر رسولا إلى دمشق . وقال له : « إذا كان يوم الجمعة ، فقِفْ عـلى دَرج جامع دمشق ، ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما يمكنك من صوتك :

أبْلِـغْ لديك بنى قَحْطانَ قاطبةً ... عَضَّتْ بأَيْرِ أَبيها سادةُ اليَمَنِ
أضحى دَعِيٌّ زيادٍ فَقْعَ قَرْقَرةٍ ... ـياللعجائب ـ يلهو بابن ذى يَزَنِ[٣]

ففعل الرسول ماأمره به . فَحميت اليمانية وغضبوا له ، ودخلوا على يزيد فسألوه فيه ، فدافعَهم . وبالغوا فى أمره فقاموا غضابا ، ومَتُّوا بمالهم عليــه من حرمة ، وعددوا مالهم من خدمة ، وصرحوا بالغضب . وعرف ذلك منهم فردّهم ووهبه لهم. وقال : « لو رحلتم إلىّ فى جميع ما يحيط به العراق لَوهبْتُه لـكم » وأمر ببناء داره ورد ماله وتخلية سبيله ، ولا إمرة لبنى زياد عليه . ووجّه رجلا من بنى أسد ، يقال له خَمْخام ، بريدا إلى عباد . وكتب له عهدا . وأمره أن يبدأ بالحبس فيخرج ابن مفرغ منه ويطلقه قبل أن يعلم عباد فيما قدم له . ففعل ذلك . فلمـا خرج من الحبس قُرِّبت له بغلة من بغال البريد فركبها . فلما استوى على ظهرها قال[٤] :

---

(١) غ: إذ هوى .

(٢) القرم : السيد . والمصعب : الفحل .

(٣) القع : البيضاء الرخوة من الـكمأة، وهى أردؤها والقرقرة : الأرض المطمئنة اللينة ويضرب بكمأتها المثل فى الذلة .

(٤) ابن قتيبة ٢١٣ . خزانة الأدب ٢ : ٢١٦ ، ٥١٤ . الطبرى : ١٩٣ .

عَدَسْ ! ما لعَبّادٍ عليـكِ إمارةٌ ... نجوتِ ، وهذا تحملين طَليقُ[(١)]
وإنّ الذى نَجّى من الـكَرْب بعدما ... تَلاحَم فى دربٍ عليكِ مَضيق[(٢)]
أتاك بخمخام فأَنْجاكِ فالْحَقِى ... بأرضِك لم يُحبس عليك طريق[(٣)]
لعمرى لقد أنجاكِ من هُوّة الرَّدَى ... إمامٌ وحبـلٌ للأَنام وثيق[(٤)]
سأشـكر ماأَوْليْتَ من حسنِ نعمةٍ ... ومثلى بشـكر المُنعِمين خَليق[(٥)]

فلما دخل على يزيد بكى وقال: « ركب منى ما لم يُركَب من مسلم قط على غير حَدَث فى الإسلام ولا خلع يدٍ من طاعة ولا جُرْم » فقال : « ألست القائل :

ألا أبلغ معـاوية بن حرب ... مغلغلة من الرجل اليمـانى ؟ »

فقال : « والذى عَظّم حقك ــ يا أمير المؤمنين ــ مافلته ولقدبلغنى أن عبدالرحمن ابن الحـكم قاله ونسبه إلىّ » . قال : « أو لست القائل :

شهدت بأن أمك لم تباشر ... أبا سفيان واضعة القنـاع

الأبيات .

أو لست القائل[(٦)] :

إنّ زيادا ونافعـا وأبـا ... بَـكْرةَ عندى من أَعْجبِ العَجَبِ
إنّ رجالا ثلاثةً خُلقـوا ... فى رَحْمِ أُنثى ما كُلُّهم لأَبِ[(٧)]

---

(١) الخطيب : أمنت وهذا تحملين طليق . وعدس : كلمة يزجر بها البغل .
(٢) غ : فإن . ابن قتيبة والخطيب : طليق الذى نجى من الحبس بعدما .
(٣) ى : فنجاك فالحقى بأهلك . غ : لا تحبس . ابن قتيبة والخطيب :
قضى لك خمخام أرضـك فالحقى ... بأهلك لا يؤخذ عليـك طريق
(٤) للأنام : كذا فى غ وابن قتيبة والطبرى . وفى ص : للامام . وفى الطبرى : نجاك .
(٥) ب ، س ، والطبرى والخزانة : حقيق .
(٦) ابن قتيبة ٢١٣ .
(٧) كذا فى غ ، وفى ص : وكلهم لأب . ابن قتيبة : من رحم أنثى مخالفى النسب .

ذا قُرَشِىٌّ كما يقول ، وذا مَوْلًى ، وهـذا بزَعْمـه عربى

فى أشعار كثيرة قلتَها فى هجاء زياد وبنيه ؟ اذهبْ فقد عفوت عنك ، ولو إيانا تعامل لم يكن شىء مما كان . فاسكن أى أرض شئت » . فاختار الموصل فنزلهـا . ثم ارتاح إلى البصرة فقدِمها . فدخل على عبيد الله بن زياد ، واعتذر إليـه ! وسأله الصفح والأمان ؛ فأمّنه . فأقام بها مدة ثم دخل عليه بعد أن أمّنه فقال : « أصلح الله الأمير ، قد ظننت أن نفسك لا تطيب لى بخير أبداً ولى أعداء لا آمَن سعيهم علىّ بالباطل ، وقد رأيت أن أتباعد » . فقال له : « إلى أين شئت » . فقال له : « إلى كِرْمان » . فـكتب له إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقطيعة . [1]وأعطاه شريك ثلاثين ألف درهم[1] . فشخص ، فأقام بها حتى هرب عبيد الله من البصرة[2] ؛ فعاد إليهـا ؛ فذلك حين غلب ابن الزبير على العراق . وعاود هجاء بنى زياد . وقال يذكر[3] هرب عبيد الله وتركه أمه :

أَعُبَيْدُ ، هلا كنتَ أولَ فارسٍ   يومَ الهيـاجِ دعا بحَتْفِك داعِ
أسلمْتَ أمَّك والرماحُ تَنوشُهـا   ياليتنى لك ليـلةَ الإفزاعِ
إذ تستغيث وما لنفسـك مانـعٌ   عبـدٌ تَرَدُّده بدار ضَيـاع
هلّا عجـوزكَ إذ تمدّ بثديهـا   وتصيـح : أن لا تَنزِعُنَّ قنـاعى
أنقذتْ من أيدى العبيد كأنها   رَبْداءُ مجفلةٌ ببطن القـاع[4]
فركبتَ رأسك ثم قلت أرى العِدَى   كَثُروا وأَخْلَفَ موعدى أشياعى[5]

(١ـ١) العبارة فى ص بعد قوله : هجاء بنى زياد ، ولا يليق بها .
(٢) فى سنة ٦٤ هـ .
(٣) كذا فى غ . وفى ص : وقال يريد يذكر ، وهى واضحة الاضطراب .
(٤) غ : أيدى العلوج . والربداء : السوداء الضاربة إلى الغبرة ، يصف نعامة .
(٥) غ : وأخلف موعد الأشياع .

فانْجى بنفسك وابتغى نفقـا فمـا ... لى حيلةٌ بكِ ، والسـلامُ وَداعى[١]
ليس الـكريم بمَنْ يُخلف أمَّـه ... وفتاتَه فى المنزل الجَعْجاع[٢]
حذرَ المنيـةِ والرماحُ تنوشه ... لم يَرْمِ دون نسائه بكُراع[٣]
متأبِّـطا سيفا عليـــه يَلْمَقٌ ... مثـل الحمار أثرْتَه بيَفـاع[٤]
لا خيرَ فى هَذِرٍ يهزّ لســانه ... بكلامه ، والقلبُ غير شجاع
لَابْنُ الزُّبيرِ غداةَ يذمر مُنْذِرا ... أَوْلَى بغايةِ كلِّ يومِ وِقاع[٥]
وأحقُّ بالصبر الجميل من امرئٍ ... كَزٍّ أنامِلُه قصيرِ البـاع
جَعْدِ اليدين عن السماحة والنـدى ... وعن الضَّريبة فاحشٍ منّـاع[٦]
كم يا عُدَىَّ الله عندك من دمٍ ... يسعى لِيُـدركه بقتلك سـاع[٧]
ومَعاشرٍ أُنُفٍ أبحْتَ حَريمَهم ... فرقتهم من بعـد طول جِماع
أذكرْ حسينا وابنَ عروةَ هانئـا ... وابنى عَقيلٍ فارس المِرْباع[٨]

ومما قال فيه :

عبيد الله عبدُ بنى عِلاجٍ ... كذاك نِسْبَتُه وكذاك كانا
أعبدَ الحارثِ الـكَلْدِىِّ ألّا ... جعلتَ لإستِ أمك دَيْدَبانا[٩]
فتستُرَ عورةً كانت قديـما ... وتمنع أمُّك النَّبط البِطانا

(١) ب ، س : لى طاقة بك .
(٢) الجعجاع : الضيق الخشن .
(٣) الـكراع : الخيل .
(٤) اليلمق : القباء . واليفاع : الأرض المرتفعة .
(٥) يذمر : يهدد . والوقاع : وقائع الحرب .
(٦) غ : على السماحة .
(٧) غ : كم يا عبيد الله . وعدى : تصغير عدو .
(٨) المرباع : ربع الغنيمة ، يأخذه الرئيس .
(٩) غ : الـكندى . والـكلدى : يريد الحارث بن كلدة الطبيب المعروف .

ولما دخل ابن مفرغ على يزيد قال : « يا أمير المؤمنين ، اخترْ منى خصلة من ثلاث فى كلها لى فرج: إما أنْ تقيدنى من ابن زياد ، وإما أن تخلى بينى وبينه ، وإما أن تقدمنى فتضرب عنقى » ، فقال له يزيد : « قبح الله ما اخترته وخيَّرتنيه . أما القوَد من ابن زياد فما كنت لأُقيدك من عامل كان عليك : ظلمته وشتمت عرضه وعرضى معه . وأما التخلية بينك وبينه فلا والله ولا كرامة ، ما كنتُ لأخلى بينك وبين أهلى تقطع أعراضهم . وأما ضرب عنقك فما كنت لأضرب عنق رجل مسلم من غير أن يستحق ذلك . ولكنى أفعل بك هو ما خير لك مما اخترت لنفسك : أعطيك ديتك فإنهم كانوا قد عرّضوك للقتل ، واكفف عن ولد زياد ، فلا يبلغنى أنك ذكرتهم ، وانزل أى البلاد شئت » . فنزل الموصل وأمر له بأربعة آلاف درهم .

ومما قال فى هربه أيضا :

أقرَّ بعينى أنه عقَّ أُمَّه ... دَعَتْه ، فولّاها استَه وهو يهربُ[(١)]

وقال : عليكِ الصبرَ كُونى سَبِيَّة ... كما كنتِ أو موتى فذلك أقرب[(٢)]

وقد هتفتْ هندٌ : بماذا أمرتَنى ... أَبِنْ لى ، وحدِّثْنى إلى أين أذهب

فقال : اقصدى للأَزْد فى عَرَصاتها ... وبكرٍ فما إنْ عنهمُ مُتجنَّب[(٣)]

كان عبيد الله بن زياد يقول : « ما هجيت بشىء أشد علىّ من قول ابن مفرغ :

فكِّر ففى ذاك إنْ فكَّرتَ مُعْتَبَرُ ... هل نِلْتَ مكرُمةً إلا بتأميرِ

عاشتْ سميةُ دهرًا ثُمّ ما علمتْ ... أن ابنها من قريش فى الجماهير[(٤)]

---

(١) الشطر الأول فى غ : أفر عبيد والسيوف عن أمه .

(٢) الصبر : كذا فى غ . وفى ص غير واضحة .

(٣) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

(٤) غ : عاشت سمية ما تدرى وقد عمرت . ابن خلكان : عاشت سمية ماعاشت وماعلمت.

وكان زياد يزعم أن أمه سمية بنت الأعور من بنى عبد شمس بن زيد مناة بن تميم فقال ابن مفرغ يرد ذلك عليه :

فأُقسم ما زيادٌ من قُرَيشٍ ولا كانتْ سميـةُ من تَميمِ
ولـكنْ نَسْلُ عبدٍ من بغىٍّ عريقِ الأصل فى النَّسَب اللئيم

ولما قُتل عبيد الله بن زياد يومَ الزاب[1] : قتله أصحاب المختار بن [أبى] عبيد ، ويقال: إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتيبة فانهزموا ، ولقى عبيد الله فضربه فقتله . وجاء إلى أصحابه فقال : « إنى ضربت رجلا فاح منك المسك وأظنه ابن مَرْجانه » . وأومأ إلى موضعه . فجاءوا إليه وفتشوا عليـه ، فوجدوه كما ذكر ، وإذا هو ابن زياد ؛ فقال ابن مفرغ يهجوه :

إن الذى عـاش خَتّارا بذمته وعاش عَبْدا ، قتيلُ الله بالزابِ[2]
العبدُ للعبدِ لا أصلٌ ولا طرَفٌ ألوَتْ به ذاتُ أظفارٍ وأنيابِ
إن المنـايا إذا مارُزْن طاغيةً كشَفْن عنه ستورا بين أبواب[3]
هـلّا جموعَ نزارٍ إذ لقيتَهُم كنتُ امرأً من نزارٍ غيرَمرتابِ
لا أنت زاحمْتَ عن مُلْكٍ لتمنعه ولا مددت إلى قوم بأسباب[4]
ماشُقَّ جَيْبٌ ولا ناحتْك نائحةٌ ولا بكَتْك جيادٌ عند أَسْلاب
لا بارك الله أنفا تَعْطِسُون به بنى العَبيد شهودا غيرَ غُيّاب[5]
أقول: بُعْدا وسحْقا بعدمَصْرعه لابن الخبيثة وابن الـكَوْدن الـكابى[6]

(١) فى سنة ٦٧ هـ .
(٢) الختر : أقبح الغدر .
(٣) غ : هتـكن عنه ستورا . ورازه : جربه واختبره .
(٤) غ : فتمنعه .
(٥) غ : لا يترك الله أنفا تعطسون بها .
(٦) غ : عند مصرعه . الـكابى : كذا فى غ . وفى ص : اليـانى . خطأ . والـكودن : الفرس الهجين والبغل . والـكابى : المـكب على وجهه .

ومن شعر يزيد بن مفرغ من قصيدة[١] :

أىَّ بلوى معيشةٍ قد بلَوْنا فنَعِمنا وما رجَوْنا خُلودا
ودهورٍ لَقِينَنا موجِعاتٍ وزمانٍ يكسِّر الجُلمودا
فصبرْنا على مواطنِ ضيقٍ وخطوبٍ تُصيِّر البيض سودا
لا ذَعرْتُ السَّوامَ فى فَلَق الصبـ ح مُغِيرا ولا دُعيت يزيدا[٢]
يوم أُعطى مخافةَ الموتِ ضَيْما والمنايا يرصُدْنَنى أنْ أَحيدا[٣]

ولما خرج الحسين رضى الله عنه من المدينة عند بيعة يزيد ، تمثل بهذين البيتين :

* لا ذعرت السوام *

ثم خرج فلحق بمكة هاربا .

كان ابن مفرغ لما قدم على معاوية نزل على مروان بن الحكم ، وهو يومئذ عند معاوية . وقام بأمره واسترفد له كل من قدم عليه من بنى أبى العاص بن أمية . فقال ابن مفرغ يمدحه[٤] :

ألف المكارمَ فاستَهام بذكرها والمكرُماتُ قليلةُ العُشّاقِ
وأقام سُوقاً للثّناء ولم تكن سوق الثناء تقام فى الأسواق[٥]
فكأنما جعل الإله إليكمُ فَيْضَ النفوسِ وقسمة الأرزاق[٦]

---

(١) ابن قتيبة ٢١٢ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٣ . خزانة الأدب ٣ : ٥٣٧ .
(٢) الخزانة : فى وضح الصبح . ابن قتيبة : فى غلس الليل . ابن خلكان : فى غلس الصبح والسوام : الإبل الراعية . وفلق الصبح : الفجر أو ما انشق من عمود الصبح .
(٣) ابن قتيبة : يوم أعطى من المخافة ضيما . ابن خلكان : يوم أعطى على المخافة ضيما .
(٤) ابن خلكان ٢ : ٢٨٩ . وتنسب الأبيات إلى أحمد بن أبى فنن فى مدح محمد بن يزيد بن مزيد الشيبانى وإلى أبى الشيص الخزاعى (ابن خلكان ٢ : ٢٨٨ ، ٢٨٩) .
(٥) غ وابن خلكان : وأقتم سوق الثناء .
(٦) غ وابن خلكان : قبض النفوس .

ولمـــا اختار ابن مفرغ الموصل نزل على أخواله من آل ذى المشراء من حمير . فزوجوه امرأة منهم . فلما كان اليوم الذى يكون البناء فى ليلته خرج يتصيّد ومعه غلامه برد ، فإذا هو بدهقان على حمار يبيع عطراً وأدهاناً . فقال له ابن مفرغ « من أين أقبلت ؟ » قال : « من الأهواز » قال له : « ويحك ! كيف خلفت المَسْرُقان(١) وبرد مائه ؟ » قال : « على حاله » . قال : « فمـا فعلت دهقانة يقال لها أناهيد بنت أعنق ؟ » قال : « صديقة ابن مفرغ ؟ » [قال : « نعم »] . قال : « ما تجف جفونها من البكاء عليه » . فقال لغلامه : « أى بُرْد ، أما تسمع ؟ » قال : « بلى » قال : « هو بالرحمن كافر . إن لم يـكن هذا وجهى إليها » . فقال له برد : « أكرمك القوم وقاموا دونك وزوّجوك كريمتهم ثم تصنع هذا بهم وتَقْدَم على ابن زياد بعد خلاصك منه بغير أمره ولا عقد منه ولا عهد . أبْقِ أيها الرجل على نفسك وأقم بموضعك وابنِ بأهلك وانظر فى أمرك . فإن جدّ عزمك كنت حينئذ وما تختاره » . فقال : « دع هــذا عنك . هو بالرحمن كافر إنْ رجع عن الأهواز ولا عرّج على شيء غيرها » . ومضى لوجهه من غير أن يُعلم أهله . وأقام بالبصرة إلى أن رحل إلى شَريك بن الأعور الحارثى .

قال عَوانة بن الحـكم : كتب عبيد الله بن أبى بَـكْرة إلى يزيد بن مفرغ : إنى قد توجهت إلى سجستان فالْحَق بى ، فلعلك إن قدمت علىّ ألا تندم ولا تذم رأيك » . فتجهز ابن مفرغ وخرج حتى قدم سجستان مُمْسِيا فدخل عليه فشغله بالحديث . وأمر له سراً بمنزل وفرش وخدم . وجعل يطاوله حتى علم أنه قد استتم ما أمر له به ثم صرفه إلى الدار التى قد هيئت له ثم دعا به فى اليوم الثانى فقال له : « يا ابن مفرغ ، إنك قد تجشمت إلىّ شقة بعيدة ، واتسع لك الأمل . فرحلت إلىّ لأقضى عنك دينك وأغنيك عن الناس ، وقلت : أبو حاتم بسجستان فمن لى بالغنى بعده » . فقال : « والله

---

(١) المسرقان : نهر بخوزستان .

ما أخطأتَ أيها الأمير ما كان فى نفسى » . فقال عبيد الله : « أمَ والله لأفعلن ولأُقلّن لُبْثَكَ عندى فلأُحْسِنَنّ صلتك » . وأمر له بمائة ألف درهم ومائة وصيف ومائة وصيفة ومائة نجيبة . وأمر له بما ينفقه إلى أن يبلغ بلده سوى المائة ألف درهم ، وبمن يكفيه الخدمة من غلمانه ومواليه ، وقال له : « إن [من] خفة السفر ألا تهتم بخُفّ ولا حافر » . فكان مقامه عنده سبعة أيام . ثم ارتحل وشيّعه ابن أبى بكرة إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها زالِق ثم قال له : « يا ابن مفرغ ، إنه ينبغى للمودِّع أن ينصرف وللمتكلم أن يسكت . وأنا من قد عرفت فأنِق(١) على الأمل وعلى حسن ظنك بى ورجائك فىّ . فإذا بدالك أن تعود فعُدْ ، والسلام » . وسار ابن مفرغ حتى أتى رامهرمز فنزل بقلعة أبجر . فنزلت إليه ابنة أبجر فقالت له : « يا ابن مفرغ ، لمن هذا المال ؟ » قال : « لابنة أعنق دهقانة الأهواز » وإذا رسولها فى القافلة بكتابها : « إنك لو كنت على العهد لعجلتَ ولم تساير ثَقَلك . ولكن قد علمتُ أن المال الذى أعطاكه عبيد الله قد شغلك عنى » . قال : فأعطى رسولها مالا على أن يقول فيه خيراً . وقال لابنة أبجر فى جواب قولها :

حَبانى عبيدُ اللهِ يا ابنة أبجرٍ ... بهذا وهذا للجُمانةِ أجمعُ(٢)
يقَرُّ بعينى أن أراها وأهلَها ... بأفضلِ حالٍ ذاك مَرْأًى ومَسْمَع
وخُبِّرْتُها قالت : لقد حالَ بعدنا ... فقد جعلت نفسى إليها تَطلَّع(٣)
وقلت لها لما أتانى رسولها ... وأىُّ رسولٍ لا يضرُّ وينفع
أحبُّكِ مادامتْ بنجدٍ وَشيجةٌ ... وما رُفعتْ يوماً إلى الله إصبع(٤)

(١) غ : فأبق .
(٢) حبانى : أعطانى .
(٣) حال : تحول وتغير .
(٤) الوشيجة : عرق الشجرة .

وإنى مَلِيءٌ يا جُمانة بالهوى وصِدْق الهوى إن كان ذلك ينفع[(١)]

فلما انتهت رسل عبيد الله معه إلى الأهواز، قالوا : « قد بلغنا حيث أُمرنا » . قال : « أجل » . ثم أمر ابنة أعنق أن تفتح الباب وقال لها : « كل ما دخل بابك فهو لك » . وأقام بالأهواز ودعا ندماء له كانوا من فتيان العرب ، فلم يبق ظريف ولا مغنّ إلا أتاه . واستماحه جماعة قصدوه من أهل البصرة والكوفة والشام فأعطاهم . ولم يفارق أناهيد ومعه شيء من المال . وجعل القوم يسألونه عن عبيد الله ابن أبى بكرة وكيف هو وأخلاقه . فقال :

يُسائلنى أهلُ العراق عن الندى فقلت : عبيد الله حِلْفُ المكارمِ
فتًى حاتِمِيٌّ فى سجستانَ رَحْلُه وحَسْبُك جودا أن يكون كحاتمِ
سَما لِيَنالَ المكرُماتِ فنالها بشدةِ ضِرْغام وبَذْل الدراهمِ
وحلمٍ إذا ما سَوْرة الجهل أَطلقَتْ حُبا القومِ عند الفادح المُتفاقِمِ[(٢)]
وإنّ له فى كل حيٍّ صَنيعةً يُحدِّثها الرُّكبانُ أهلَ المواسمِ
دعانى إليه جودُه ووفاؤه ومِن دونِ مَسْراه عُداة الأَعاجمِ
فلم أَثْوِ إلا جُمْعةً فى جواره ويومينِ حَلّا من أَلِيَّة آثِمِ[(٣)]
إلى أن دعانى زانه اللهُ بالعُلا فأنبَتَ من ريشى مَهِيضَ القَوادمِ[(٤)]
وقال : إذا ما شئتَ يا ابن مفرغ فعُدْ عَوْدةً ليستْ كأضْغاثِ حالمِ
فقلت له : لا يُبْعِدِ اللهُ داره : أعود إذا ما جئتُكم غيرَ حاشِمِ

---

(١) غ : يقنع .

(٢) غ : سورة الحقد ، وسورة الجهل : حدة السفه . والحبا : جمع حبوة ، وهى أن يشتمل الجالس بردائه فيجمع بين ظهره وساقيه به .

(٣) غ . فلم أبق . وهى بمعنى لم أثو . والألية : القسم واليمين .

(٤) غ : فأنبت ريشى من صميم القوادم .

فأحمدتُ وِرْدى إذ وردتُ حياضه وكلُّ كريمٍ نُهْزَةٌ للأكارم[1]
فأصبح لا يرجو العراقُ وأهلُهُ سِواه لنفعٍ أو لدَفْعِ المَظالم
وإنّ عبيد الله هنّأ رِفْدَه سَراحا وأعطى خيرَه غير عاتِم[2]

كان عمرو بن مفرغ عم يزيد بن ربيعة بن مفرغ رجلا له جاه وقَدْر عند السلطان، وكان ذا مال وثروة وصلاح ودين وفضل، وكان يعنّف يزيد ابن أخيه فى أمر أناهيد عشيقته ويَعذِله ويعيره بها. فلما أكثر عليه يوما، أتاه فقال له: « ياعم، جعلت فداك، إن لى بالأهواز حاجة، ولى على قوم بها نحوٌ من ثلاثين ألف درهم، وقد خفت أن تَتْوَى علىّ[3]. فإن رأيت أن تتجشم العناء معى إليها حتى تطالب لى بحقى وتعاوننى بجاهك على غرمائى، فافعل». وكان عمرو بن مفرغ قد استخلفه ابن عباس عليها إذ كان عامل على بن أبى طالب عليه السلام على البصرة[4]. وكان عامِلَ الأهواز ـ حين سأل ابن مفرغ عمه أن يخرج معه ـ ميمون بن عامر أخو قيس بن ثعلبة الذى يقال لدراهمه الميمونية، ولم يزل ابن مفرغ بعمه حتى أجابه إلى الخروج. فاستأجر سفينة وتوجه إلى الأهواز. وكتب إلى أناهيد: أن تهيَّئى وتزيَّنى بأحسن زينتك واخرجى إلىّ مع جواريك فإنى مُوافيك» ومنزلها يومئذ بين سُرَّق ورامَهُرْمُز. فلما نزلوا منزلها خرجت إليهم، فجلست معهم فى هيئتها وزينتها وحليّها وآلتها. فلما رآها عمه قال له: « قبحك الله، أفلا إذ فعلت ما فعلت كنت عَلِقتَ مثل هذه». فقال: « ياعم، أَوَقد أعجبتك؟» قال: « ومن لاتعجبه هذه؟» قال: « أبجدٍّ هذا منك؟» قال: « نعم والله». قال: « فإنها والله هذه

(١) غ: وأحمدت.
(٢) غ: وأعطى رفده. غير عاتم: كذا اقترح الشنقيطى، أى غير كاف عنه بعد أن مضى فيه. وفى ص: غير غاتم. وفى غ: غير عاتم والسراح: التسهيل.
(٣) تتوى: تهلك وتضيع.
(٤) من سنة ٣٦ إلى ٤٠ هـ.

بعينها » . فقال : « يا خبيث ، إنما أشخصْتَنى لهذا ياغلام ، ارحل بنا » : فانصرف عمه إلى البصرة . وأقام هو معها . ولم يزل يتردد كذلك حتى مات فى الطاعون فى أيام مصعب بن الزبير(١) .

لزم يزيد بن مفرغ غرماؤه بدَيْن . فقال لهم : « انطلقوا نجلس على باب الأمير عسى أن يخرج الأشراف فيرونى فيقضوا عنى دينى » . فانطلقوا به . فكان أول من خرج إما عمر بن عبيد الله بن مَعْمر ، وإما طَلْحة الطَّلَحات . فلما رآه قال : «أباعثمان ، ماأقعدك ها هنا ؟ » قال : « غرمائى هؤلاء لزمونى بدين لهم علىّ » . قال : « وكم هو ؟ » قال « سبعون ألفا » . قال : « علىّ منها عشرة آلاف درهم » . ثم خرج الآخر على أثره . فسأله كما سأل صاحبه قال : « هل خرج أحد قبلى ؟ » قال : « نعم ، فلان » . قال : « فما صنع ؟ » قال : « ضمن عشرة آلاف درهم » . قال : « فعلىّ مثلها » . وجعل الناس يخرجون ، فمنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذلك حتى ضمنوا أربعين ألف درهم ، وكان يأمُل عبيد الله بن أبى بكرة فلم يخرج حتى غربت الشمس . فخرج مُبادرا فلم يره حتى كاد يبلغ بيته . فقيل له : « إنك مررت بيزيد بن مفرغ ملزوما ، وقد مرّ به الأشراف فضمنوا عنه » . فقال : « واسَوْءَتاه ، إنى لخائف أن يظن بى أنى تغافلت عنه » . فكر راجعا فوجده قاعدا . فقال له : « يا أبا عثمان ، ما يجلسك ها هنا » . قال : « غرمائى هؤلاء لزمونى » . قال : « وكم ضُمن عنك ؟ » قال : « أربعون ألفا » . قال : فاستمتِعْ بها وعلىّ دينك أجمع » . فقال فيه :

لو شئتُ أنْ أَلْقَى الغِنَى كُلَّه ... عشتُ بأسباب أبى حاتِمِ(٢)
عشتُ بأسبابِ الجَـواد الذى ... لا يختِم الأموال بالخاتَم

(١) تولى من سنة ٦٧ إلى ٧١ هـ .
(٢) غ : لو شئت لم تعنى ولم تنصبى .

يحيي أبو محمد اليَزيدى*

هو أبو محمد يحيي بن المبارك ، أحد بنى عَدِىّ بن عبد شمس بن زَيْد مَناة بن تميم. قال أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدى : « نحن من رهط ذى الرُّمَّة » . وقيل : هم موالى بني عدى ، وإنما قيل لأبي محمد: اليَزيدى لأنه كان خرج مع إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بالبصرة[1] ثم توارى زمانا حتى استتر أمره ، ثم اتصل بعد ذلك بيزيد بن منصور خال المهدى . فوصله بالرشيد ، فلم يزل معه ، وأدّب المأمون خاصة من ولده . ولم يزل أبو محمد هو وولده منقطعين إليه وإلى ولده . وله فيهم مدائح كثيرة جياد .

وكان أبو محمد عالما باللغة والنحو ، راوية للشعر ، متصرِّفا فى علوم العرب . أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ويونس بن حَبيب النحوى وأكابر البصريين . وقرأ القرآن على أبي عمرو بن العلاء . وجوّد قراءته ورواها عنه . وهى المعوَّل عليها فى هذا الوقت .

وكان بنوه جميعا فى مثل منزلته من العلم والمعرفة باللغة ، وحسن التصرّف فى علوم العرب ، ولسائرهم شعر جيد . فمن أولاده لصلبه محمد وإبراهيم . ومن ولد ولده أحمد بن محمد ، وهو أكبرهم وأعلمهم وأرْواهم . وعبيد الله والفضل ابنا محمد أيضا ، وقد رويا عن أكابر أهل اللغة وحُمل عنهما علم كثير . وآخر من كان بقى من علماء هذا البيت أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبى محمد . وكان فاضلا عالما ثقة فيما يرويه منقطع القرين فى الصدق وشدة التوقى فيما ينقله .

---

* أخباره فى ب ١٨ : ٧٢ ، س ١٧ : ٧٢ ، ى ٢٠ : ١٨٠ .

(١) كان ذلك فى سنة ١٤٥ هـ .

قال أبو محمد اليزيدى : كان الرشيد جالسا فى مجلسه ، فأُتى بأسير من الروم . فقال لدفافة العَبْسى : « قم فاضرب عنقه » . فضربه فنَبَا السيف . فقال لابن فليح المدنى : « قم فاضرب عنقه » . فضربه فنبا سيفه أيضا . فقال : « أصلح الله أمير المؤمنين ! تقدَّمتْنى ضربةٌ عبسية » . فقال الرشيد المأمون ، وهو يومئذ غلام : « قم ، فداك أبوك فاضرب عنقه » . فقام فضرب العلج فأبانَ رأسه . ثم دعا له بآخر وأمره بضرب عنقه ، فضربه فأبان رأسه . قال : ونظر المأمون إلىّ نظر مستنطِق ، فقلت :

أبقَى دفافةُ عارا عنـد ضربتِهِ ... عنـدَ الإمامِ لعَبْسٍ آخرَ الأَبَدِ[1]

كذاك أُسرته تَنْبُو سيوفُهمُ ... كسيفِ وَرْقاء لم يَقْطع ولم يَكَدِ[2]

ما بالُ سيفِك قد خانتْك ضَرْبَتُهُ ... وقد ضربتَ بسيفٍ غيرِ ذى أَوَدِ[3]

هَلّا كضربةِ عبد الله إذ وقعتْ ... ففرّقت بين رأسِ العِلْجِ والجَسَدِ

كان حَمُّويه ابن أخت الحسن الحاجب هو وسعيد الجوهرى مجتمعين . فجرى ذكر أبى محمد والكسائى . ففضّل حَمُّوية الكسائى ، وفضل سعيد الجوهرى أبا محمد . وطال الكلام بينهما إلى أن تراضَيا برجلٍ يحكم بينهما . فتراهنا على أن من غلب يأخذ برذون صاحبه . وجعلا الحكم بينهما أبا صفوان الأَحْوَزى . فلما دخل سألاه . فقال لهما : « لو نصح الكسائى نفسه لصار إلى أبى محمد وتعلم منه كلام العرب . فما رأيت أحدا أعلم منه » . فأخذ سعيد الجوهرى دابة حمويه . وبلغ أبا محمد اليزيدى هذا الخبر ، فقال :

---

(١) غ : بعد ضربته .

(٢) انظر ترجمتى ورقاء بن زهير والفرزدق فى هذا الجزء .

(٣) الأود : العوج .

حَمُّويه ، اسمع نَبَـأً صادقا فيك ، وما الصادق كالـكاذب(١)
يا جالبَ الخِزْى على نفسه بُعْدا وسُحْقا لك من جالب
إنْ فَخَر النـاسُ بآبائِهم أتيتَهُم بالعَجَب العـاجِب
قلتَ ـ وأخفيت أباً خاملا ـ أنا ابن أخت الحَسَن الحاجب(٢)

قال أبو محمد : كنت يوما جالسا أكتب كتابا ، فنظر فيه سلم الخاسر طويلا . ثم قال(٣) :

أَيْرُ يحيي أخَطُّ من كف يحيي إنّ يحيي بأَيْرِه لَخَطُوطُ

فقلت :

أُمُّ سَلْمٍ بذاك أعـــلمُ منى إنهـا تحت أيره لَضَرُوط(٣)
ولهـــا تارةً إذا ما علاهـا أَزْمَلٌ من وِداقِها وأَطيط(٤)
أم سلم تعـــلِّم الشعرَ سلما حَبَّذا شعر أمِّك المنقوط
ليت شعرى،ما بال سلم بن عمرو كاسفَ البال حين يُذكَر لُوط
لا يصلِّى عليـــه فيمن يصلى بل لَه عنـــد ذكره تثبيط

فقال له سلم : ويحك مالك جُنِنت ؟ أى شىء دعاك إلى هـذا كله ؟ فقال له أبو محمد : أنت بدأت فانتصرتُ والبادى أظلم .

قال أبو محمد : قال أبو حَنَش الشاعر يوما : « يا أبا محمد ، قُلْ أبياتا قافيتها على هاءين » . فقلت : « على أن أهجوك فيها ؟ » قال : « نعم » . فقلت :

قلتُ ونفسى جَمٌّ تأَوُّهُهـا تصبو إلى إلْفِها وأَنْدَهُها(٥)

(١) غ : يا حمويه اسمع ثناء .
(٢) غ : وأدغمت أبا خاملا .
(٣) غ : أعلم شىء .
(٤) أزمل : كذا فى غ ، أى رعدة : وفى ص : دمل ، تحريف . والوداق : الشهوة .
(٥) أندهها : أزجرها.

سُقْيا لصَنْعاءَ لا أرى بـــلدا　　أَوْطَنَه المُوطِنُون يُشْبِهها
خِصبا وحسنا ولا كبَهْجتِها　　أَغْذى بلادٍ غِذًا وأنْزَهُها[1]
يعرف صنعاءَ من أقام بها　　أرغــدَ أرضٍ عيشا وأرْفَهُها
ما أَنْسَ لا أنسَ ما فُجِعتُ به　　يومَ ثَنَى إبْلَنا مُجَهْجِهُها[2]
أبلِغْ حُضَيْرًا أعنى أبا حنَشٍ　　عائرةً نحــوَه أُوَجِّهها
تأتيه مثـــل السهام عامِدةً　　إليـــه مشهورةً أُدَهْدِهها
كُنيتُه طَرْحُ نـــونِ كنيتِه　　إذا تَهَجَّيْتَها سَتَفْقَهُها

يريد إسقاط النون من أبى حنش حتى تصير أبا حشّ .

قال أبو محمد : كان عبس بن عمر أعــلم الناس بالغريب ، فأتانى قتيبة الخراسانى فقال لى : أَفِدْنى شيئا من الغريب أعانى به عبس بن عمر . فقلت له : أجود المساويك عند العرب الأَراك ، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتَمَئِّرًا عُجارما[3] ، وقد قال الشاعر :

إذا استَــكْتَ يوما بالأَراك فلا يكن　　سواكُك إلا المتمــئّرّ العُجارِما

يعنى الأير . قال : فـكتب قتيبة ما قلت له وكتب البيت . وأتى عبس بن عمر فى مجلسه . فقال : « يا أبا عمر ، ما أجودُ المساويك عند العرب ؟ » فقال له : « الأراك » . فقال له قتيبة : « أفلا أُهدى لك منه شيئا متمئرا عجارما ؟ » فغضب وقال : أهدِه إلى نفسك » . فضحك من كان فى المجلس . وبقى قتيبة متحيرا ، فعلم عبس أنه قد رمى ببلية . فقال له : « ويحك ! من فضحك وسخر منك بهذه المسألة ؟ ومن أهلــكك ودسّ عليك ؟ » قال : « أبو محمد اليزيدى » ، فضحك عبس حتى

(١) ص : حصنا وحسنا ، وأثبت ما فى غ .
(٢) مجهجه : صائح .
(٣) المتمئر : الغليظ المستقيم . والعجارم : الشديد .

فحص برجله وقال : « هذه والله من مزاحاته وبلاياه[1] ، أراه عنك مُنحرِفا ، فقد فضحك » ، فقال قتيبة : « لا أعاود والله مسألته عن شيء أبدا »[2] .

قال أبو محمد : صرت يوما إلى الخليل بن أحمد والمجلس غاصّ بأهله ، فقال لى : « ها هنا عندى » . فقلت : « أضيق عليك ! » ، فقال : « إن الأرض بحذافيرها تضيق عن متباغضين ، وإن شبرا فى شبر لا يضيق عن متحابين » . وكان الخليل مصافيا لأبى محمد محبّا له .

قال أبو محمد : أمر لى الرشيد بمال وحضر شُخوصُه إلى السِّن[3] . فأتيت عاصما الغسانى وكال أَشبرا عند يحيي بن خالد فقلت له : « إن أمير المؤمنين قد أمر لى بمال ، وقد حضر من شخوصه ماعلمت . فأحب أن تذكر أبا على يحيي بن خالد أمره ليعجله لى » . فقال لى : « نعم » ، ثم عدت إليه بعد ذلك نوبتين ، فقال لى بتفخيم فى لفظه : « ما أصبت لحاجتك موضعا » . قال : قلت : « فاجعلها منك ـ أكرمك الله ـ ببال » . فلما خرجت لحقنى بعض من حضر المجلس ، فقال لى : « يا أبا محمد ، إنى لأغار عليك أن تأتى هذا الكلب وتسأله حاجة » ، قلت : « وكيف ؟ » قال : « سمعته يقول لما وليت : لو أن بيدى دجلة والفرات ما سقيت هذا منها شربة ماء » فقلت : « ولم[4] ذاك أصلحك الله ، فإن له قدرا وعلما » قال : « لأنه رجل من مُضَر ، وما رأيت مضريا قط يحب اليمانية » ، قال : فأحببت ألا أَعْجَل ، فعدت إليه من غد فقلت : « هل كان منك أكرمك الله فى حاجتى شيء ؟ » . فقال : « والله لكأنك تطلبنا بدين » . فتحقق عندى ما بلغنى عنه ، فقلت له : « لا قضى الله هذه الحاجة على يدك ، ولا قضى لى حاجة إن سألتُكها . والله لا سلمت عليك مبتدِئا أبدا .

---

(١) كذا فى غ . وفى ص : هذه والله مزحاته وبلاياته .

(٢) ص : لا أعاود والله إلى مسألته عن شيء أبدا .

(٣) كذا فى غ ، وهى مدينة على دجلة فوق تكريت . وفى ص : اليمن.

(٤) كذا فى غ . وفى ص : وما .

ولا رددت عليك السلام إن بدأتَنى به » . ونفضت ثوبى وخرجت . فإنى لأسير وأفكر فى الحيلة لحاجتى ، إذا براكب يركض خلفى حتى لحقنى ، فقال : « بعثنى أبو على يحيى بن خالد إليك لتقف حتى يلحقك » . فرجعت مع رسوله إليه ، فلقيته وكان قريبا فسلمت عليه وسايرْتُه فقال : « إن أمير المؤمنين أمرنى أن آمرك بطلب مؤدب لابنه صالح ، وإنى أحدثك بحديث حدَّثَنى به خالد بن برمك . إن الحجاج ابن يوسف أراد مؤدبا لولده ، فقيل له : ها هنا رجل نصرانى عالم ، وها هنا رجل مسلم لكن ليس علمه مثل علم النصرانى . فقال : ادعوا لى المسلم . فلما أتاه قال له : ألا ترى يا هذا أنا قد دُللنا على نصرانى ذكروا أنه أعلم منك ، غير أنى كرهت أن أضمّ إلى ولدى من لا ينبههم على الصلاة عند وقتها ولا يدلهم على شرائع الإسلام ومعالمه . وإن كان لك عقل فأنت قادر على أن تتعلم فى اليوم ماتعلمه أولادى فى الجمعة، وفى الجمعة ما تعلمهم إياه فى الشهر ، وفى الشهر ما تعلمهم إياه فى السنة » . ثم قال لى يحيى : « يا أبا محمد ، فينبغى أن تؤثر الدين على ما سواه » . فقلت له : « قد أصبت من أرضاه » ، وذكرت له الحسين بن المِسْوَر ، نضمه إليه . ثم سألنى : « من أين أقبلت ؟ » فأخبرته بخبر عاصم وما كان منه وقلت له : « قد حضر هذا المسير ، ولست أدرى من أى وجه أتقاضاه » . فضحك وقال : « لم لا تدرى ؟ الْقَ صديقك جعفرا — يعنى ابنه — يكلم أمير المؤمنين أو يذكّرنى بحاجتك ، فقد تركته الساعة على المضى إليه » . فأتيت جعفرا وقلت فى طريقى :

يا سائِلِى عمّا أخبِّره عن جعفرٍ كرماً وعن شِيَمِهْ
انّ ابن يحيى جعفرا رجل سِيطَ السَّماحُ بلحمه ودمه(١)
فمليه « لا » أبدا محرَّمةٌ وكلامه وَقْفٌ على نَعَمِهِ

(١) سيط : خلط .

وترى مُسابِقَـه ليُدْرِكَه بمكان وَطْء النعل من قدمه[1]

فلما دخلت إليه أخبرته الخبر ، وأنشدته الأبيات وأعلمتُه ما أمرنى به أبوه . فقال : « قل بيتين تذكره فيهما إلى أن أجد طُهْرا وا كتبهمـا حتى يكونا معى ، فأذكر بهما حاجتك » . فأخذت الدواة والقلم وكتبت :

أحَقُّ من أنْجَزَ موعودَه خليفةُ اللهِ على خَلْقِـه

ومن له إرثُ نبى الهدى بالحق لا يُدفَع عن حقه

يُنسَب فى الهَدْى إلى هَدْيه برًّا وبالصدق إلى صدقه[2]

ومن له الطاعة مفروضـةٌ لأمـةٌ بالوحى فى رَقِّه

والراتِقِ الفتْقَ العظيمَ الذى لا يقدِر الناس على رَتْقِه

فأخذ الشعر ومضى . وكلم الرشيد فى حاجتى وأقرأه الأبيات . فصَكَّ لىَ بالمال عليه . وقبضته بعد ذاك بيوم ، وقلت فى الغسانى من أبيات :

إذا عاصماً يوما أتيتَ لحاجةٍ فـلا تأتِه إلا وأيرُك قائمُ[3]

وإلا فلا تسألْه ما عشتَ حاجةً ولا تبْكِه إن أعْوَلتْه المـآتمُ

ولما حدَث ببنى برمك ما حدث قُبضت ضيعته فى المقبوض من ضياع أسبابهم[4] ، فصار إلىّ وكلمنى فى أمرها وسألنى كلام الجوهرى فى ذلك ، فقمت له به حتى رددت الضيعة عليه ، فجاء يشكرنى ويعتذر مما كان فعله . فقلت له : « تناسَ ما مضى فلست ممن يكافىء أحداً بسوء » .

---

(١) غ : حذو النعل .

(٢) غ : وفى الصدق .

(٣) غ : فلا تلقه .

(٤) كذا فى غ . وفى ص : فى قبوض أسبابهم .

قال أبو محمد: كان أبو عبيدة يجلس فى مجلس البصرة إلى سارية وكنت أنا وخلف الأحمر نجلس جميعاً إلى أخرى وكان أبو عبيدة من أكثر الناس ذكرا لمثالب الناس. فقال لأصحابه: «أتدرون أن الأحمر واليزيدى إنما يجتمعان على الوقيعة فى الناس وذكر مساوئهم». وبلغنى ذلك وأنه قد رمانى بمذهبه فقلت لخلف: «دعه فأنا أكفيكه» فلما كان مع الأذان جئت أنا وخلف إلى المسجد، فكتبت على الجص فى الموضع الذى فيه أبو عبيدة على الحائط:

صلى الإله على لوطٍ وشيعتِه　　　أبا عبيدةَ، قُل بالله: آمِينا

وأصبح الناس وجاء أبو عبيدة فجلس وهو لا يعلم ما فوق رأسه مكتوب، وأقبل الناس ينظرون إلى البيت ويضحكون. فرفع رأسه ونظر إليه فخجل. ولم يزل منكسا رأسه حتى انصرف الناس، وأنا وخلف الأحمر ناحية ننظر إلى ما به. ثم قمنا حتى وقفنا عليه وقلنا له: «ما قال صاحب هذا البيت إلا حقًّا. نعم، فصلّى الله على لوط». فأقبل علىّ وقال: «قد علمتُ من أين أُتيت، ولن أعاود التعريض لتلك الجبهة». فلم يعد لذكرنا بعد ذلك.

قال الأصمعى: كنت جالساً مع خلف الأحمر فجرى كلام فى شىء من اللغة؛ وتكلم فيه أبو محمد اليزيدى وجعل يشغب، فقال له خلف: «دعنى من هذا يا أبا محمد، وأخبِرْنى من الذى يقول:

وإذا انتشيتُ فإنّنى　　　ربّ الُحرَيبة والرُّمَيحِ[1]

وإذا صحوتُ فإنّنى　　　ربّ الدُّوَيّةِ واللُّوَيحِ

يعرّض به أنه معلم وأنه يلوط. فغضب اليزيدى وقام وانصرف.

قال أبو محمد اليزيدى: سألنى الخليل بن أحمد أن أجمع بينه وبين عبد الله بن المقفع، فجمعت بينهما. فمرّ لنا أحسن مجلس وأكثره علماً، وافترقنا. فلقيت الخليل،

---

(١) غ: فإذا.

فقلت له : « يا أبا عبد الرحمن ، كيف رأيت صاحبك ؟ » قال : « ما شئت من علم وأدب إلا أنى رأيت كلامه أكثر من علمه » . ثم لقيت ابن المقفع فقلت : « كيف رأيت صاحبك ؟ » قال : « ما شئت من علم وأدب ، إلا أن عقله وعلمه أكثر من كلامه » .

ومن شعر أبى محمد اليزيدى ، وقد جرى بينه وبين الكسائى وشيبة بن الوليد مجلس فيه مباحثات فانتصر فيها أبو محمد :

عِشْ بجَدٍّ فما يَضرُّكَ نوكٌ ... إنما عيشُ من ترَى بالجُدود(١)
عش بجد وكن هَبَنَّقَةَ القيْـ ... ـسِىَّ نوكا أو شَيْبَة بن الوليد
شَيْبَ يا شيب يا جُدَىَّ بنى القَعْـ ... ـقاع ما أنت بالحليم الرَّشيد
لا ولا فيك خَلَّة من خلال الـ ... ـخير أحرزْتها لحزمٍ وجود
غير ما أنك المُجيد لتقطيـ ... ـع غناء وضربِ دُفٍّ وعُود
فعلى ذا وذاك تُحْتَمل الدهـ ... ـرَ مُجيدا له وغيرَ مجيـد

(١) النوك : الحمق

يوسف الصَّيْقَل*

هو يوسف بن الحجاج الصيقل . يقال : إنه من ثقيف . ويقال : إنه مولى لهم .

صحب أبا نواس ، وأخذ عنه ، وروى له .

وابنه[1] الحجاج بن يوسف مُحدِّث ثِقَة .

وكان يوسف كاتبا .

ومولده ومنشؤه الكوفة .

قال أحمد بن صالح الهاشمى : قال لنا يوسف بن الصيقل يوما ، ورأى الشعراء بأيديهم الرِّقاع يطوفون بها ، فقال : « صنع الله لكم » . ثم أقبل على إبراهيم الموصلى فقال له : « كنا نهزِل فنأخذ الرَّغائب ، وهؤلاء المساكين يَجِدُّون الآن فلا يُعْطَوْن شيئا » . ثم قال لإبراهيم : « أتذكر ونحن بجُرْجان مع موسى الهادى ، وقد شرب على مستشرِف عالٍ جدا ، وأنت تغنيه :

فارسٌ يضرب الكتيـ ـبةَ حتى تَصَدَّعا
فى الوَغَى حين لا يَرَى صاحبُ القوس مَنْزَعا
واستدارت رَحاهُمُ بالرُّدَيْنِىِّ شُرَّعا[2]

فقال : « هذا اللحن مليح ، ولكنى أريد له شعرا غير هذا ، فإن هذا الشعر بارد » . والتفت إلىّ فقال : « اصنع فى هذا الوزن شعرا » . فقلت :

---

* أخباره فى ب ٢٠ : ٩٣ ، س ٢٠ : ٩٣ ، ى ٢٣ : ٨٨ .

(١) غ: وأبوه. وهوخطأ ، فالمراد الابن وكان يعرف بابن الشاعر ، مات ٢٥٩ أو٢٥٧ ، ووثقه أبو حاتم وابن أبى حاتم وأبو داود والنسائى وابن حبان ، وروى عنه مسلم . (تهذيب التهذيب لابن حجر ٢ : ٢٠٩) .

(٢) غ : واستدارت رحالهم . ويريد بالرحى الحرب . والردينى : الرمح .

لا تلمنى أن اجزعا سَيِّدى قد تَمنَّعا
وابْلُيانِى إن كان ما بيننا قد تقطّعا[1]
إنّ موسى بفضله جَمَّع الفَضْلَ أَجْمَعا

وغنيته بهذا اللحن، ومرّت به إبل يُنْقَل عليها . فقال: « أَوْقِروها لها مالا ». فأُوقرت مالاً وحُمِل إلينا فاقتسمناه » . فقال إبراهيم : « نعم ، وأصاب كلٌّ واحد منا ستين ألف درهم » .

لما ورد الرشيد إلى الرَّقَّة ، خرج يوسف [بن] الصيقل . فكمن له فى نهر جافّ على طريقه . وكان لهارون خدم صغار ، يسميهم النمل ، يتقدمونه بأيديهم قسىّ البندق يرمون عنها من يعارضه فى طريقه . فلم يتحرك يوسف حتى وافته قبة هارون على ناقة. فوثب إليها يوسف. وأقبل الخدم الصغار يرمونه . فصاح بهم الرشيد : « كُفُّوا عنه». فكفوا . وصاح به يوسف[2] :

أَغَيْثاً تحمل الناقـــةُ أم تحمل هارونا
أم الشمس أم البدر أم الدنيا أم الدِّينا
ألَا كلُّ الذى عَدَّدْ تُ قد أصبح مقرونا[3]
على مَفْرِقِ هارونٍ فداه الآدميُّونا

فمدّ الرشيد إليه يده وقال : « مرحبا بك ، يا يوسف . كيف كنت بعدى ؟ ادْنُ منى » . فدنا منه وأمر له بفرس . فركبه وسار إلى جانب قبته ينشده ويحدثه ، والرشيد يضحك ، وكان طيب الحديث . ثم أمر له بمال .

---

(١) ص ، غ : والإبلائى ، ولا يستقيم بها المعنى ولا الوزن .

(٢) نسبها ابن المعتز : طبقات الشعراء ١٥٠ . والحصرى : ذيل زهر الآداب ٢٥٩ لعمر ابن سلمة المعروف بابن أبى العلاء .

(٣) ابن المعتز :

ألا لا بل أرى كل الــ ذى عــدّت مقرونـا

وكان يوسف فاسقا مُجاهِرا باللواط . وله فيه أشعار ، منها ما قاله لصديق له وقد رآه علا غلاما له :

لا تبخلَنَّ على النَّديـ ... ـمِ بردْفِ ذى كَشْحٍ هَضيم(١)
تمــلو وينظر حسرةً ... نظرَ الحمـارِ إلى القَضيم(٢)
وإذا فرغتَ فــلا تقُمْ ... حتى تصوِّتَ بالنــديم
وانبَـعْ بلذَّتِك الهـوى ... ودَعِ المَلامـة للمُلـيم(٣)

ومن شعره فى هذا الفن :

لا تَـنيـكنَّ ما حَيِيـ ... تَ غــلاما مكابَرَهْ
لا تمرَّنَّ باسْتِــه ... دون دفــع المؤامره
إنّ هــذا اللـواط دِيـ ... ن يراه الأكاسره(٤)
وهمُ فيـــه منصفـو ... ن بحسْـنِ المعـاشره

ومن قوله فى هذا الفن :

دَعْ كذا صدرك لى يا سيدى ... واتَّخِذْ عنـدى إلى الحشرِ يَدا(٥)
إنمـا رِدْفُك سرجٌ مُذْهَب ... كُشِفَ البِزْيَون عنـه فبَـدا(٦)
فأعِرْنيـهِ ولا تبخَـلْ به ... ليس يُبْلِيـه ركوبى أبـدا
بل يُصفِّـيه ويَجْـلوهُ ولا ... أثراً فيـه تَراه وصَـدا(٧)

(١) الكشح : الخصر . الهضيم : : الدقيق الضامر .
(٢) القضيم : شعير الدابة .
(٣) غ : للذتك ، والمليم : كثير اللوم .
(٤) غ : الأساورة .
(٥) غ : ضع كذا .
(٦) البزيون : السندس ، أى الحرير .
(٧) غ : أثر تراه فيه أبدا .

فادْنُ يا حِبُّ وطِبْ نفساً به　　إن ذا الدَّيْن ستُقضـاه غـدا[1]

وكان قدهجا القيان بأبيات شاعت، وتهاداها الناس، وصارت عبثا بالقيان لكل أحد . فكانت القينة إذا عثرت قالت : « تعس يوسف » .

أحضر الرشيد عشرة آلاف دينار من ضَرْب السنة . ففرقها حتى بقيت منها ثلاثة آلاف دينار . فقال : « ابغونى شاعرا أهبها له » . فوجدوا منصورا النَّمَرى ببابه . فأُدخل إليه فأنشده ، وكان قبيح الإنشاد . فقال له الرشيد : « أعانك الله على نفسك . انصرف » . فقال : « يا أمير المؤمنين ، قددخلت عليك دخلتين لم تعطنى شيئاً فيهما ، وهذه الثالثة . والله ، لئن حرمتنى لا رفعت رأسى بين الشعراء أبدا » . فضحك وقال : « خذها » . ونظر الرشيد إلى الموالى قدنظر بعضهم إلى بعض . فقال : كأنى قد عرفت ما أردتم ، إنما أردتم أن تكون هذه الدنانير ليوسف بن الصيقل » . وقد كان ليوسف منقطعاً إلى الموالى ينادمهم ويمدحهم فكانوا يتعصبون له . فقالوا : «إى والله ، يا أميرالمؤمنين ». فقال : « هاتوا ثلاثة آلاف دينار » فأُحضرت . فأقبل على يوسف فقال : « هات أنشِدنا » . فأنشده قوله :

* تَصَدَّتْ لنا يومَ الرُّصافةِ زينبُ *

فقال له : « كأنك امتدحتنا فيها » . قال : « أجل ، يا أمير المؤمنين » . فقال : « أنت ممن يوثق بنيّته ولا تُتَّهم موالاته . هات من مُلَحك ودَع المديح » . فأنشده قوله :

العفوَ يا غضبانُ　　ما هكذا الخلّانُ

هَبْنى أتيتُ بذنبٍ　　أمَا له غفرانُ[2]

---

(١) غ : ذاك الدين . ى : تقضاه .

(٢) غ : هبنى ابتليت .

وإنْ تَعاظمْتَ ذنـبى ففَوْقَه الهجـران[1]
كم قـد تقرّبتُ جهدى لو ينفـع القُرْبان
يارّبٍّ أنت على ما يحُـلّ بى المستعـان[2]
وَيْلى ألســت ترانى أهَـكذا يا فلان ؟[3]

فقال له الرشيد : «من فلان ، ويحك ؟ » فقال له الفضل بن الربيع : « هوأبان مولاك ، يا أمير المؤمنين » . فقال له الرشيد : « ولِمَ لم تنشدنى كما قلت يانبطىّ » . قال : « لأنى غضبان عليه » . قال : « وما أغضبك عليه ؟ » قال : « مَدّت دجلة فهدمت دارى وداره ، فبنى داره وعلّاها حتى ستر الهواء عنى » . قال : « لا جَرَم ، ليُعْطِيَنَّك الماصُّ بَظْرَ أمه عشرة آلاف درهم حتى تبنى بناء يعلو بناءه ، فتستر أنت الهواء عنه » . وقال له : « خذ فى شعرك » . [فأنشده] نحوا من هذا الشعر . فقال الفضل بن الربيع : « يا عباسى[4] ، ليس هذا شعراً . ما هذا إلا لعب . أعطوه ثلاثة آلاف درهم مكان ثلاثة الآلاف دينـار » فانصرف الموالى إلى صالح الخازن ، فقالوا : « أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أُمر له أولا » . فقال : « أستأمره ثم أفعل » . فقالوا: « بل أعطه إياها فى ضماننا ، فإن أُمضيت وإلا كانت فى أموالنـا » . فدفعها إليه فى ضمانهم وأُمضيتْ له . فـكان يوسف يقول : « كنا نلعب فنأخذ هذه الأموال ، وأنتم تقتلون أنفسكم ولا تأخذون شيئاً » .

---

(١) غ : تعاظم .
(٢) غ : قد حل بى .
(٣) غ : أهذى بها يافلان .
(٤) كذا فى ى . وفى ب ، س : ياعباس . وهى غير واضحة فى ص .

يحي بن طالب*

شاعر من اليمامة ، ثم من بني حَنيفة ، مُقِلّ ، من شعراء الدولة العباسية ، فصيح ، غَزِل ، فارس ، جَواد ، جميل ، حمال لأثقال قومه ومغارمهم ، سمح ، يَقْرِي الأَضْياف . ما تشاء أن ترى فى فتى خَصلة جميلة إلا رأيتها فيه .

ركبه دين فى بلده نخرج إلى الرى فمات بها . فقال هذه القصيدة ، وغنى الرشيدَ بها إسحاقُ :

ألَا هل إلى شَمِّ الُخزامَى ونظرةٍ إلى قَرْقرَى قبل المماتِ سبيلُ[1]
فيا أَثَلاتِ القاعِ من بطن تُوضِحٍ حَنيني إلى أَظْلا لكن طويل[2]
ويا أثلات القاع قلبي مُوكَّل بكنّ ، وجَدْوَى خيرِ كن قليل[3]
ويا أثلات القاع قد مَلّ صحبتى وقوفى، فهل فى ظِلِّكن مَقيلى[4]

فأعجبت الرشيد وأطربته . فسأل عن قائل الشعر : فذكره له ، وأعلمه أنه حى وأنه هرب من دين عليه ، وأنشده :

أُريد رجوعا نحوكم فيصدُّنى - إذا رُمْتُه - دَيْنٌ علىّ ثقيلُ[5]

فأمر الرشيد أن يُكتَب إلى عامل الرى بقضاء دينه عنه ، وإعطائه نفقة ، وإنفاذه إليه على البريد . فوصل الكتاب يوم مات يحي بن طالب .

---

* أخباره فى ب ٢٠ : ١٤٩ ، س ٢٠ : ١٤٩ ، ى ٢٣ : ٢٩٠ ، أمالى القالى ١ : ١٢٣ ، تنبيه البكرى ٤٦ ، معجم البلدان لياقوت ٤ : ٦٣ .

(١) غ : ريح الخزامى . والخزامى : نبات برى زهره أطيب الأزهار ريحا . وقرقرى : أرض باليمامة .

(٢) ياقوت والأمالى: أيا أثلاث . توضح: موضع بنجد . والأثلات: جمع أثلة ، وهى شجرة.

(٣) ب : جدوى غيركن .

(٤) وقوفى : كذا فى غ . وفى ص : وقومى ، تحريف . وفى الأمالى وياقوت : مسيرى .

(٥) ياقوت : أريد انحدارا نحوها .

قال الجهم بن المغيرة : كنا عند حَبّوش[١] بن ثُمال القُرَيظى بضَرِيَّة[٢] . فمرت بنا جارية صفراء مولدة . فقال لى حبوش : « استفتح كلامها فإنها ظريفة » . فقلت لها : « يا جُوَيرية ، أين نشأت ؟ » قالت : « بقَرْقرى » . فقلت . « أين من شَغَبْغَب[٣] » . فضحكت ثم قالت : « بين الحوض والعَطَن »[٤] . قلت : « فمن الذى يقول :

ياصاحبيّ ، فدتْ نفسِى نفوسَكما   عُوجا علىّ صدور الأَبْغُل الشُّنُنِ[٥]
ثم ارفعا الطَّرْفَ ننظرْ صبحَ خامسةٍ   بقَرْقَرى يا عناءَ النفس بالوطن[٦]
ياليت شعرى ، والإنسان ذو أملٍ   والعينُ تَذْرِف أحيانا من الحَزَن[٧]
هل أجعلَنَّ يـدى للخدّ مِرْفَقة   على شغبغبَ بين الحوض والعَطَن[٨]

فالتفتت إلى حبوش بن ثمال فقالت : « أخبره بقائلها » . فقال : « ما أعرفه » فقالت « بلى ، هذا يقوله شاعرنا وظريف بلادنا وغَزِلها » . فقال لها حبوش : « ويحك ، ومن ذلك ؟ » قالت : « أشهد أنك ـ إن كنت لا تعرفه وأنت من أهل

---

(١) غ : جرش .

(٢) ضرية : أرض عرفت بخصبها بقرب المدينة .

(٣) ورد هذا الاسم فى ص مرة بالعين وأخرى بالغين ، وفى غ بالعين . وأورد البكرى فى معجمه الاسمين ، وصرح أن الروايات الشعرية تخلط بينهما ، وإن أورد شعر يحيى فى العين مع نسبته إلى عويج الطائى ، وذكر أن ابن الأنبارى أنشده للصمة بن عبد الله القشيرى . وأورد ياقوت الشعر فى رسم شعبعب ونسبة إلى الصمة .

(٤) العطن : مبرك الإبل حول الحوض .

(٥) عوجا : اعطفا . والشنن : الغلاظ . ياقوت :

يا صاحبيّ أطال الله رشدكما   عوجا علىّ صدور الأبغل السنن

(٦) عناء : كذا فى غ . وفى ص : عياء . ياقوت :

ثم ارفعا الطرف هل تبدو لنا ظعن   بحائل بإغناء النفس من ظعن

(٧) البكرى وياقوت : يا ليت شعرى والأقدار غالبة .

(٨) البكرى : بين الجد .

هذا البلد ـ إنها لسَوْءة لك . ذلك يحيي بن طالب الحنفى . أقسم بالله ، مامنعك من معرفته إلا غلظ الطبع وجفاء الُخلُق » . فجعل يضحك من قولها .

قال أبو فراس الهيثم بن فراس الكلابى : كنت مع أبى ونحن قاصدون اليمامة . فلما رأيناها لقينا رجل فقال له أبى : « أين قرقرى ؟ » قال : « وراءك » . قال : « فأين شغبغب ؟ » قال : « بإزائه » . قال : « أرِنى ذلك . فأراه إياه حتى عرفه . فقال لى : « ارجع بنا إلى الموضع » . فقلت : « يا أبه ، قد تعبنا وتعبت ركائبنا . فما لك هنا لك ؟ » قال : « إنك لأحمق . ويلك ارجع بنا » . فرجعت معه إلى شغبغب . فصار إلى الحوض والعطن فأناخ راحلته وقال لى : « أنِخ راحلتك » . فأنختها . ونزل ونظر إلى شغبغب وقرقرى ساعة . ثم اضطجع بين الحوض والعطن ساعة ، وجعل يده تحت خده . ثم قام ليركب . فقلت له : « يا أبه ، ما أردت بهذا ؟ » قال : « يا جاهل ، أما سمعت قول يحيي بن طالب :

هل أجعلن يدى للخد مرفقة   على شغبغب بين الحوض والعطن

أفليس عجزا أن نكون قد أتيناها وعبرنا عليهما ـ وهما منيتا المتمنى ـ فلا ننال ما تمناه منهما ، وقد قدرنا عليه » . فجعلت أعجب من قوله وفعله .

نجز الجزء الثامن من مختار الأغانى

بحمد الله تعالى وعونه وتوفيقه

فرغ من تعليقه جامعه عبد الله محمد بن المكرم الأنصارى

فى كه وبفح

وبتمامه تم الكتاب

والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

فهرست تراجم الكتاب